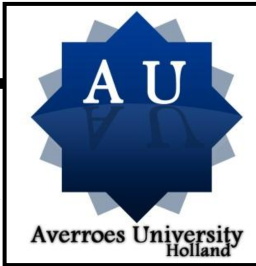



# مجلة جامعة ابن رشد

## في هولندا

## دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

العدد الخامس السعر 10 يورو

# مجلة
# جامعة ابن رشد في هولندا

## دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا





عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411



رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |




العدد الخامس آذار مارس 2012

# الفهرس


| | ص. |
|---|---|
| مفتتح | أ، ب |
| **الأدب وعلوم اللغة** | 1 |
| تقنية التقعير في الخطاب الروائي *رشيد وديجى* | 2 |
| الانزياح في الشعر الصّوفي سليم سعداني. المركز الجامعي بالوادي | 8 |
| نظام الصوائت في العربية أ: خثير عي المركز الجامعي عين تموشنت | 23 |
| مقاربة أسلوبية للخطاب الشعري عند بلند الحيدري (ديوان "أغاني المدينة الميتة" نموذجا) الدكتورة كبرى روشنفكر \ دانش محمدي | 41 |
| **الإعلام والاتصال الجماهيري** | **63** |
| الاعلام العربي في ظل الأزمات الخطاب المرئي والتفاعلية مع احداث الثورات العربية د. حسين الانصاري | 64 |
| **التاريخ** | 83 |
| الحياة الخاصة للإمبراطور الروماني تيبيريوس (42ق.م –37م) أشرف صالح محمد سيد الجامعة الاسكندينافية –النرويج | 84 |
| **الفلسفة** | 105 |
| الفلسفة والنظرية النقدية ... من كانط إلى مدرسة فرانكفورت قراءة استكشافية في المنطلاقات والواقع الإعلامي الأستاذ بن دريس أحمد جامعة وهران/ الجزائر | 106 |
| **الفنون** | 131 |
| أخناتون وأوزيريس بين المثالية والإصلاح في مسرح باكثير دراسة نقدية تحليلية الدكتورة نورة السفياني | 132 |

| | |
|---|---|
| **العلوم النفسية والتربوية** | 149 |
| خصائص النساء المهجورات و مشكلاتهن في الأردن - دراسة حالة محافظة جرش نموذجا-<br><br>الدكتور:علاء زهير الرواشده- أستاذ علم الاجتماع المساعد \ الدكتوره: اسماء ربحي خليل العرب- أستاذ علم الاجتماع المساعد \ الدكتور : عمر ربابعة – أستاذ الإدارة التربوية المساعد: جامعة البلقاء التطبيقية/ /قسم العلوم التربوية والاجتماعية | 150 |
| **الاقتصاد وإدارة الأعمال** | 190 |
| الفرص والتهديدات التي تواجه الشركات العربية في السوق الدولية وعلاقتها بالأداء التصديري: تأطير فلسفي معرفي<br><br>أستاذ إدارة الأعمال نزار عبد المجيد رشيد البرواري<br><br>جامعة دلمون للعلوم والتكنولوجيا- مملكة البحرين | 191 |
| السلوك التنظيمي على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في السودان<br><br>ورقة بحثية مستلة من رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة النيلين<br><br>علي محمد أحمد عبد المحمود صلاح | 236 |
| | ؟ |
| **العلوم السياسية** | 277 |
| محددات السياسة والحكم في إيران<br>د. سنية الحسيني | 278 |
| | ؟ |

**لوحات الغلاف للفنان التشكيلي العراقي شمال عادل سليم**

# مفتتح

في ظروف تتنامى فيها حالات التنافس في توظيف البحث العلمي في الدول المقتدمة وجامعاتها ومراكزها البحثية، نجد بالمقابل وفي كثير من الأحيان حالات من التخلف والهزال في جامعات المنطقة؛ أما نحن، بجامعة ابن رشد في هولندا كونها تمثل جسرا بين الحضارات، فقد اخترنا أن ندخل ميدان النشاط البحثي من أوسع أبوابه. وقد عوَّلنا في ذلك على تفعيل طاقات متخصصينا وأساتذة جامعتنا مع الترحيب بكل الجهود البحثية العلمية الرصينة المتأتية من أروقة جامعات الشرق الأوسط والعاملين فيها من الكوادر العلمية...

ولعلنا اليوم مع انطلاقة عام جديد لصدور أعداد مجلة ابن رشد العلمية المحكمة نتطلع إلى دعم من لدن أولئك الذين يشاركوننا المهمة البحثية العلمية، ونحن فخورون بجهدنا على تواضع الانطلاقة وظروفها المادية المعقدة التي تجابهها...

وصحيح أننا ما زلنا في أول الطريق بوصفنا مؤسسة علمية أكاديمية لم تولد إلا منذ سنوات معدودة فقط، إلا أنه من الصحيح أيضا أننا نحمل معنا كل تلك الخبرات الممتدة لعقود من الزمن لدى مؤسسي هذه الجامعة والمشرفين على أنشطتها وأولها هذه المجلة العلمية المحكمة... ونحن نعوّل بقوة على تعاضد الجهود وعلى تكاتفها بما يحمل المهمة العلمية من أجل عطاء نوعي يرتقي بنا ويعالج قضايانا الحيوية بروح علمي وبخطاب ثقافي معرفي متخصص ينتمي لعصرنا ولمنطق الحداثة فيه.

نتشرف اليوم بتقديم كوكبة من الباحثات والباحثين بمجموعة جديدة من الأعمال البحثية النظرية والميدانية التي عالجت تنوعات في شؤونها من إشكالات لغوية وأدبية وأخرى جمالية غنية ثرّة في مجالات الفنون والتاريخ والفلسفة مثلما في مجالات البحوث النفسية التربوية التي رصدت ظواهر مهمة في حياة مجتمعاتنا.. يضاف إليها تلك الدراسات الاقتصادية المتخصصة وتلك التي عالجت إشكالياتها بمشرط العلوم السياسية..

إلا أننا نعتذر اليوم عن تأجيل الملف الخاص بالعدد إلى عدد تال لاستكمال الجهد المخصوص آملين دعما وتفاعلا إيجابيا من لدن باحثينا في هذا الإطار.

نشكر كل الأساتذة الأفاضل ممن شاركنا بهذا العدد.. ونحن نجدد توكيدنا على أننا مازلنا في بداية المشوار ما يتطلب جهودا مضاعفة في تجاوز تلك الهفوات التي قد تتبدى هنا وهناك، بسبب من ضغوط العمل وانطلاقته الأولية التي تجابه مصاعب وأوصاب عديدة.. غير أننا نمتلك الثقة التامة بفطنة القارئ والجهات البحثية إلى تلك الجوانب الهامشية مؤكدين إصرارنا على الانتهاء منها في أقرب سقف زمني متاح...

إنّ التنوع في هذا العدد بيّن واضح، وإننا نطلب من الباحثين مؤازرتنا في مواصلة التوكيد على هذا النهج معتذرين عن رفض البحوث المطولة [على أهميتها] لصالح فسحة أكبر لتنوع البحوث ومجال أوسع لعدد أكبر منها مما يستحق المشاركة والنشر...

إننا نتعهد أيضا بتجيير علاقات التعاون العلمي مع الجامعات الرصينة لصالح جهود بحثية أسمى وأعمق صلة بواقع المشكلات النظرية والميدانية التي تنتظر الإجابة عنها بوساطة تلكم البحوث وعقول الباحثات والباحثين المميزين بعلميتهم وبرصانتهم ومكانتهم الأبرز...

نجدد خالص التحايا لزميلاتنا وزملائنا على تلك الجهود المثابرة التي ترقى لمصاف العالمية؛ كما نجدد دعوتنا لتفاعل أوسع من طرف الجامعات مع هذا الجهد المعرفي العلمي الرصين آملين تعزز شبكة علاقات علمية متينة حيث يكون لحجم الدعم والتفاعل الإيجابي من تلك الجامعات دوره الأنجع والأنضج في رفد المكتبة الجامعية ومراكز البحوث بنتاج العقول العلمية الناشطة..

نحن بكم ومعكم نتقدم.. سلمت أدواركم في مسيرة البناء والتحديث.. وتحية العلم لكم جميعا..

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة

**تقنية التقعير في الخطاب الروائي** رشيد وديجى

---

**الانزياح في الشعر الصّوفي** سليم سعداني. المركز الجامعي بالوادي

---

**نظام الصوائت في العربية** أ. خثير عيسى المركز الجامعي عين تموشنت

---

**مقاربة أسلوبية للخطاب الشعري عند بلند الحيدري** (ديوان "أغاني المدينة الميتة" نموذجا) الدكتورة كبرى روشنفكر \ دانش محمدي

---

**الفلسفة والنظرية النقدية .. من كانط إلى مدرسة فرانكفورت قراءة استكشافية في المنطلاقات والواقع الإعلامي**

الأستاذ بن دريس أحمد جامعة وهران/ الجزائر

---

# تقنية التقعير في الخطاب الروائي

**رشيد وديجى**
**الكلية المتعددة التخصصات /الرشيدية(المغرب)**

## ❖ مدخـــــل:

لقـــد تعـــددت الأســـاليب و التقنيـــات التـــي تعمـــل علـــى دراســـة الجانـــب الشـــكلي للنصـــوص الســـردية ومـــن تلـــك التقنيـــات نجـــد تقنيـــة التقعيـــر[1] التـــي تقابلـــه الترجمـــة الفرنســـية la mise en abymeالتـــي ظهـــرت فـــي الأعـــوام الأخيـــرة حاولـــت دراســـة الخطاب الروائي من زوايا جديدة .

و تجـــدر الإشـــارة إلـــى أن **فيكتـــور هيجـــو Victor Hugo** أول مـــن تنبـــه إلـــى الأهميـــة الإجرائيـــة لهـــذا المفهـــوم مـــن خـــلال تحليلـــه لمســـرحيات **شكســـبير Shakespeare** فقـــد عرفـــه بكونـه " **فعلا مزدوجا يخترق الدراما و يعكسها مصغرة."**[2]

و يعتبـــر **جـــون ريكـــاردو j. Ricardou** أول مـــن نظـــر لهـــا حيـــث تمثـــل دراســـاته حـــول هـــذا المفهـــوم المرجعيـــة المركزيـــة لجل الكتابات التي تناولته لاحقا.

**فجـــون ريكـــاردو و أنـــدري جيـــد و لوســـيان دالنبـــاخ** مـــن بـــين الدارســـين الـــذين درســـوا هـــذا الموضـــوع محـــاولين قـــدر الإمكـــان البحـــث عـــن خصوصـــية هـــذا المصـــطلح فـــي العديـــد مـــن الروايات أو في بعض الأساطير اليونانية **كأسطورة أوديب**.

لـــذلك أصـــبحت تقنيـــة التقعيـــر (Mise En Abyme ) إجـــراءا فـــي الكتابـــة الروائيـــة، يؤشـــر علـــى حداثـــة نصـــية، لـــذلك يعـــد مفهـــوم التقعيـــر مـــن بـــين التقنيـــات المســـتعملة فـــي الخطـــاب وهـــذا يعـــد تجريبيـــا فـــي الكتابـــة الروائيـــة و بـــذلك تحولـــت الروايـــة كما قال جون ريكاردو **"مغامرة كتابة لا كتابة مغامرة[3]".**

---

[1]- عندما وضع الدكتور **رشيد بنحدو** مفهوم التقعير كان يصدر عن مرجعية فيزيائية مرتبطة بطرائق انعكاس الأجسام في المرايا و بالتحديد في المرايا المقعرة.

[2] J .Ricardou, le nouveau roman, ,éd. Seuil. paris, 1990 ,p49

[3] J..Ricardou ,problèmes du nouveau roman ,éd. seuil ,paris ,1967 ,P 111.

و لايخفى أن هناك ترجمات عدة مقابلات عربية لمفهوم (Mise En Abyme ) منها **التجويف** الذي نحته د حسن المنيعي ،و" **الانشطار** "الذي يوظفه أحمد اليبوري، و" **الارصاد المراوي** "الذي نحته محمد برادة ،هذا فضلا عن تعريبات عربية أخرى أقل شيوعا "**التصغير**" و "**التأمل**" و "**الترجيع** ".

**التحققات النصية للتقعير :**

لقد حدد **دالنباخ** **Dallenbach** أنواع التقعيرات التي تضمنها كتابه" **"le récit spéculaire** في أربعة أصناف :

**تقعير الملفوظ la mise en abyme de l' énoncé**

يتحقق في شكل بنيات سردية صغرى تعكس مراحل مختلفة من العالم النصي و يحدد لها دالنباخ مواقع في بداية النص و نهايته ووسطه[4].

بصيغة أخرى يميز دالنباخ بين ثلاثة أنواع من التقعيرات :

**تقعير استشرافي : بداية النص**
**تقعير استرجاعي : نهاية النص**
**تقعير استرجاعي/استشرافي : وسط النص**

فتقعير الملفوظ يختص بالجانب الدلالي فهو يقوم بمساعدة القارئ على ضبط البنية الدلالية للنص .

**تقعير La mise en abyme de l' énonciation التلفظ**

يلخصه دالنباخ في ثلاثة محاور [5] :

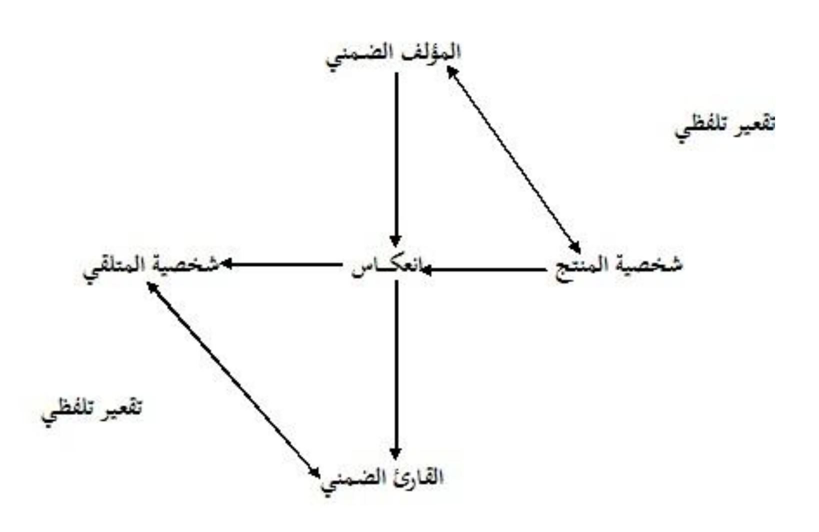
**التشخيص الحكائي لمنتج المحكي أو لمتلقيه**
**إبراز الإنتاج أو التلقي بهذه الصفة**
**تحديد السياق الذي يشترط هذا الإنتاج / التلقي**

---

[4] L. dallenbach, le récit spéculaire , essai sur la mise en abyme, seuil ,paris ,1997 ,P 90.

[5] L. dallenbach, le récit spéculaire , essai sur la mise en abyme, op.cit. p 100

تقعيـــر يهـــتم بالشخصـــية التـــي تمثـــل البـــديل النصـــي للمؤلـــف أي منـتج الحكـي و للقـارئ الـذي يتلقـى هـذا الإنتـاج نلحـظ ذلـك من خلال هذه الترسيمة [6] :




## التقعير النصي La mise en abyme textuelle

مهمـــة هـــذا النـــوع الـــربط بـــين البنـــاء العـــام الـــذي يمثـــل الـــنص و بنـــاء اســـتعاري مـــواز إذ يحصـــل هنـــاك نـــوع مـــن التـــوازي فـــي سرد البنائين من خلال تحليل كل عنصر على حده.

مـــن هنـــا يرصـــد دالنبـــاخ ثلاثـــة حقـــول طيميـــة تحقـــق صـــور ملائمـــة لهـــذا التنظـــيم وهـــي" **الفيزيولوجيـــا وبخاصـــة علـــم التشريح و الفن و التقنية**."[7]

---

[6] Ibid. p104

[7] L. Dallenbach., le récit spéculaire , essai sur la mise en abyme, op.cit. p 125

## **تقعير الشفرة La mise en abyme du code**

فـــالملفوظ يســـمح بتقعيـــرين مغـــايرين" **الأول تخييلـــي** ، **يضـــعف المحكـــي فـــي بعـــده المرجعـــي كقصـــة مســـرودة و الأخـــر نصـــي يعكسه في مظهره اللفظي كنظام دال** ".[8]

و الشـــفرة تعنـــي" **الإمكانيـــة الممنوحـــة للحكـــي لتحديـــد علاماتـــه من خلال علاماته نفسها**".[9]

وتقعيـــر الشـــفرة هـــو أن يعكـــس الملفـــوظ الانعكاســـي الفرعـــي فيبعـــده المرجعـــي الملفـــوظ الكلـــي الإطـــار فـــي بعـــده اللفظـــي ، و لتوضـــيح هـــذا التوزيـــع النظـــري يميـــز دالنبـــاخ بـــين نـــوعين مـــن الملفوظ:

- **الملفـــوظ الكلـــي** و يقصـــد بـــه المحكـــي الإطـــار الـــذي يستوعب مجموعة من البنيات السردية الصغرى.
- **الملفـــوظ الانعكاســـي** و هـــو الـــذي يتحقـــق نصـــيا مـــن خـــلال تلـــك المحكيـــات الفرعيـــة التـــي تعكـــس بشـــكل مـــن الأشـــكال جانبا معينا من المحكي.

ويميـــز كـــذلك بـــين بعـــدين لفظـــي و يـــرتبط بالبنـــاء ، و مرجعي يرتبط بالأحداث.

و الترسيمة التالية التي يضعها دالنباخ توضح ذلك :[10]

| بعد / ملفوظ | م.كلي | م'.انعكاسي |
| --- | --- | --- |
| **لفظي** | ل | ل' |
| **مرجعي** | م | م' |

هذه إذن، بعض تجليات التقعير في النص الروائي.

---

[8] Ibid. P123
[9] ibid.128-127
[10] Ibid. p 124

**تركيب :**

لقد حاولت الرواية العربية خلق نوع من الحداثة على مستوى تجريب بعض التقنيات الخاصة بالشكل الروائي، فهي تمرر خطابها النظري داخل كينونتها النصية، انطلاقا مما عرفته الرواية الفرنسية من تطور مس بالأساس طرائق تشكلها و تبنينها، وأن المتلقي العربي لم يستأنس بعد بهذه الطريقة في الكتابة الروائية.

الروائيون يكتبون إبداعا (أي كتابة نصوص روائية )، و نقدا أي (قراءة لكتاباتهم من داخل هذه النصوص ) في الوقت نفسه، خاصة و أننا نجد انه ليس هناك فوارق شكلية تفصل بين الكتابة الروائية و الكتابة الإبداعية.

لم يوظفها سوى عدد قليل من الكتاب الذين لم يسمح لهم تمرسهم بعد باستنفاد إمكانياتها التركيبية و الدلالية .

وظفت تقنية التقعير في النصوص الروائية العربية جل الأشكال التقعيرية، ومثال ذلك نجد توظيف التقعير النصي في رواية "**نجمة أغسطس**" لصنع الله إبراهيم ،وتقعير الملفوظ في رواية" **النهايات**" لعبد الرحمن منيف، وتقعير التلفظ في رواية" **لعبة النسيان**" لمحمد برادة ، ثم تقعير الشفرة في رواية " **أيام الرماد**" لمحمد عز الدين التازي.

لذلك ندعو إلى استثمار الإمكانات التركيبة و التداولية التي تتيحها تقنية التقعير إبداعا و مقاربات.

## الإحالات المرجعية:


1. L. Dallenbach, le récit  spéculaire , essai sur la mise en abyme ,seuil ,paris, 1997.
2. J .Ricardou, le nouveau roman, ,éd. Seuil. paris ,1990.
3. J.Ricardou, problèmes du nouveau roman ,éd. seuil ,paris, 1967.

# الانزياح في الشعر الصّوفي

أ -سليم سعداني. المركز الجامعي بالوادي.

**تعتمد الدراسات الأسلوبية الحديثة في تحليل النّصوص الشعرية على مبدأ الانزياح، إذ يعدّه أغلب الدّارسين أنّه المثير الجمالي للمتلقي، وأنّه سرّ التباين بين مختلف أنماط الكتابات، ونود من خلال هذا العرض أن نستشف خصائص الانزياح في الشعر الصّوفي الذي نعتقد أنّه المسؤول عن اختلاف هذا النمط من الخطابات عن غيره، بل قد يكون هو السّبب في عدم قدرة البعض من فهم مرامي المتصوفة، ومن استيعاب جماليات هذا النوع من الخطاب.**

فالانزياح " يعني الخروج عن أصول اللغة وإعطاء الكلمات أبعادا دلالية غير متوقعة،"1 ويعرفه نور الدين السدّ فيقول: " الانزياح هو **انحراف** الكلام عن نسقه **المألوف**، وهو حدث لغوي، يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتبار الانزياح هو **الأسلوب الأدبي ذاته."**[2]

أما جون كوهن فيرى أن الأسلوب هو الانزياح ذاته إذ يقول:"الأسلوب هو كل **ما ليس شائعا ولا عاديا** ولا مصوغا في قوالب مستهلكة...هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذن **خطأ** مُراد."3 وغير بعيد عن هذا التعريف يقول فاليري:"إن الأسلوب في جوهره انحراف عن **قاعدة ما** ".[4]

- **مستويات دراسة الانزياح:**

إن تتبع الانزياحات، والكشف عنها مهمة أسلوبية، وعلى الدّارس أن يحدد المستويات التي يمكن أن تتواجد فيها، و الدائرة الكبرى التي يمكن أن نستشف منها الانزياحات هي الحدث الألسني الذي يعرفه جكبسون أنه " تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة وهما اختبار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال."[5] وهذا ما أشار إليه أحمد ويس عندما قال :"إذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات، وجملا، فإن الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات، وهذه الجمل. وربما صح من أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسيين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح . فأما

النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية مما سماه كوهن ( الانزياح الاستبدالي ) وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، وهذا ما سمي (الانزياح التركيبي )."[6]
فنحن أمام نوعين من مستويات الانزياح:

1. انزياحات على مستوى محور التركيب.
2. انزياحات على مستوى محور الاستبدال (الاختيار).

إنّ كل مستوى من هذين المستويين، يضم مجموعة من القواعد النمطية، وكل خرق لواحدة منها يعدّ انزياحا فسنكون إذا أمام مجموعة من الانزياحات في كل مستوى، لكن " ليس بوسعنا من الوجهة الأدبية، أن نعتبر جميع الظواهر اللغوية، في النص الخارجة عن النظام اللغوي ذات أهمية أسلوبية، وقيمة فعلية."[7] فالعبرة في ذلك، إذا أحدثت أثرا جماليا، وبعدا دلاليا.

ولنا الآن أن نعرض لذكر الخروقات التي تقع على كل مستوى بدءا بمحور التركيب:

**<u>الانزياح على مستوى محور التركيب :</u>**

" سنجد الموجه النّوعي للانزياح هنا مكونا من تغيير الخط العادي للسلسلة اللسانية (أي التأليف). ويجب أن تحدد السلسلة التي تمثل درجة الصّفر من طرف المعيار النحوي للغة الطبيعية. "[8] وهذا ما يصر عليه ويؤكده، الجرجاني إذ يقول:" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخلّ بشيء منها."[9]

ويمكن لهذه السلسلة المترابطة أن تخرق بعدة طرق، منها:

- الحذف.
- التقديم والتّأخير.
- الاعتراض.
- الالتفات في السياق.

وهذه نماذج من الشعر الصّوفي لهذه الإنزياحات التركيبية:
ـ من **الحذف** قول سمنون المحب:[10]

ليس لي سواك حــظ        فكيف شئت فامتحــني
إن كان يرجو سواك قلبي       لا نلت سؤلي ولا **التّمنّي**

يريد أن يقول: ( ولا بلغت التمني )، فإن كان السّؤل ما ظهر طلبه، فهو بمثابة السؤال وهو شيء يريد الإنسان الوصول إليه، ولا بد له من مسؤول يُطلب منه، أمّا التمّني فهو من الأمنية، وهي رغبة لا تحتاج الإظهار كالسّؤال، ولأن الذي يريده الشاعر هو ما في قلبه، وهو الرجاء المنقطع لله وحده، فهو الأمنية، فلو صرّح بالفعل والفاعل وقال: ( نلت التّمنّي) لنَسَب نيل فعل التمنّي لنفسه، وهنا سيشارك كلُّ كيانه أمنية القلب المخصصة له وحده، وهو ما يأباه السياق، في الشرط وجوابه، (إن كان يرجو سواك قلبي لا نلت...) فنلاحظ في خرق القاعدة، لذّة هذه الانزياحات بالحذف جماليا ودلاليا.

- من **التقديم** ( تقديم الخبر) قول ابن عربي:

فقلت للريح سيري والحقي بهم         فإنهم عند ظل الأيك قطـان
وبلغيهم سلاما من أخي شجن         **في قلبه** من فراق القوم أشجان[11]

فشبه الجملة ( في قلبه) خبر مقدم لعدة اعتبارات، وهي:

- اعتبار إيقاعي صوتي لتساوي موسيقى البيت مع سابقيه من الأبيات (قطّان/ أشجان/سكان)، وهذا لا يتأتى إلا بتقديم الخبر( في قلبه).

- اعتبار نحوي له بعد دلالي، كون أشجان نكرة، فهذا يبعد من حدها ويوسّع فيها بدون تحديد، وهذا التنكير يوجب تأخير المبتدأ، إذ ليس له مسوغ للابتداء بالنكرة في هذا المثال. وابن عربي هنا يخصص القلب، من كل كيانه،" إنه في مقام التلوين، فكنى عنه بالقلب من تقلبه في هذه الأحوال والأحزان".[12]

ومنه قول رابعة العدوية في تقديم خبر الناسخ:[13]

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي        ولكن **لك** الحمـد في ذا وذاك

وفي هذا التقديم من الروعة ما فيه من حيث السياق السابق له، فقد أوقعتنا رابعة في لذّة الانزياح، في موضعين :

الأول منهما أنها عندما نفت الحمد عن نفسها في ذا وذاك واستدركت بـ (لكن)، توهمنا أن الحمد سيكون في شيء ثالث، فأنت عندما تقول ليس الكتاب لي وليست الكراسة لي، ولكن....توهمنا أنك ستذكر شيئا لك. ولكن رابعة لم تفعل.

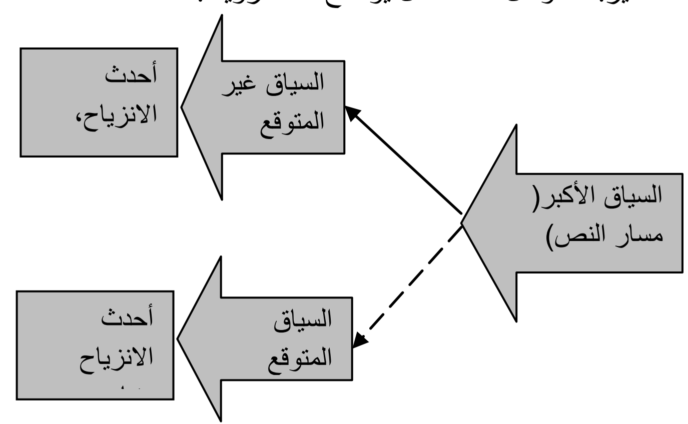
الثاني أن نفيها كان من أجل تقوية الإثبات في التخصيص والإسراع بالخبر أنه (لَكَ)، كأنّها تقول: بل هو لك فيما نفيته عن نفسي وهو ( ذا، وذاك).

ومن **الاعتراض** قول السّهروردي:

شربوا كؤوس الحبّ في حان الصّفا     فتمايلت **سكرا** بهـا الأرواح
بالانكســار تحملوا في حبــه     فبدا عليهم **من رضاه** سـماح[14]

لقد تمايلت الأقداح بهم لمّا شربوا كؤوس الحب، والاعتراض بـ (سكرا ) أكّد أن هذا من شدة السكر، كما تحمل المريدون في حبهم شدة الانكسار لمحبوبهم، فبدا عليهم لما تم رضاه (سماح)، وهو رقصة في العبادات عند المشائخ والمريدين، ولولا هذا الاعتراض(من رضاه)، لبقي سر رقصهم غائبا.فنرى أن الجملة أو شبه الجملة أو الكلمة "المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية، أو تسديدا، أو تحسينا"[15]، وقد فسّر بعضهم ( سماح) من المسامحة.

إذا كانت المباحث الثلاثة السابقة، وهي ( الحذف، والتقديم، والاعتراض) تقوم بعملية الانزياح، في البناء الداخلي للنص، في سيرورته الخطية، فإنّ مبحث السياق وإن كانت انزياحاته كذلك، في الحركة الخطية للكلام، إلا أنها تختلف عمّا سبق، بعدم دخول عنصر دخيل، أو حذف آخر في مسار الجملة، بل بتغير مفاجئ، وهذا ما سماه(ريفاتير)، بالسياقين: الأكبر والأصغر، إذ " ما يثير انتباهه ( هو ) التباين بين عنصرين نصيين في متوالية خطية من الأدلة اللسانية، فالمفارقة ناتجة عن إدراك عنصر نصي متوقع متبوع بعنصر غير متوقع...العنصر غير الموسوم في هذا التعارض الثنائي هو السياق الصغير، أما السياق الكبير فهو الذي يسبق السياق الصغير."[16] ولعل هذا الشكل يوضح هذه الرؤية .




إن هذا الذي يذكره ريفاتير، هو ما عرف في البلاغة العربية بـ (الالتفات)، وعرف بأسماء أخرى، كالعدول، الصرف..وغيرها من المصطلحات.

ويجيء انزياح الالتفات في عدّة صور( الضّمائر، العدد، الأفعال) وكمثال للالتفات في العدد، قول البرعي في حق سيد المرسلين متحولا من الإفراد إلى الجمع:

1. لقد طال المطال علي لـولا خيالك زار مضجعي استراقا
2. وما شيء بأعظم من جسوم مفرّقة وأرواح تلاقـــى
3. فكم سمح الهوى بدمي ودمعي وكلّفني بكم ولها وشــاقا[17]

فقد خاطب البرعي ممدوحه بصيغة الواحد فقال ( خيالك) في البيت الأول، ثم تحول إلى الجمع، في البيت الثالث فقال ( بكم )، وصيغة الجمع جاءت أصلا لأجل التعظيم والتفخيم، لكنها لم تجئ في لفظ (خيالك )، بصيغة الجمع، ذلك أن المعنى الذي حمله (الخيال ) في البيت أدى إلى معنى الإجلال والتعظيم المراد، فمجرد زيارة الخيال في المنام، خفف عليه وطأة البعد وطوله، بل الأبلغ في أداء المعنى المراد أن لا يكون المخاطب في خيالك بصيغة الجمع، حتى يُدرك المتلقي أن اقتراب أي شيء من بعض هذا المحبوب، كفيل بأن يخفف وطأة البعد فكيف بالمحبوب كله.

**الانزياح على مستوى محور الاستبدال:**

إن طواعية اللغة، وقدرة الشاعر، على الاستعمال هما العنصران الأساسيان في إحداث هذا النوع من الانزياح، رغم أن الأصل في،" مواضعة اللغات في مبدأ النشأة، أن يكون لكل دال مدلول واحد، ولكل مدلول دال واحد، غير أن جدلية الاستعمال تُرضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح، الألفاظ تبعا لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية."[18]

ونحن إذ نتحدث عن عملية الاختيار فذلك يعني وجود عملية اصطفاء، لوحدة لغوية من بين عدّة وحدات؛ وهذه الوحدات مجمعة في ذهن كل متكلم على شكل مجموعات، تدعى الحقول الدلالية.

**.نظرية الحقول الدلالية:**

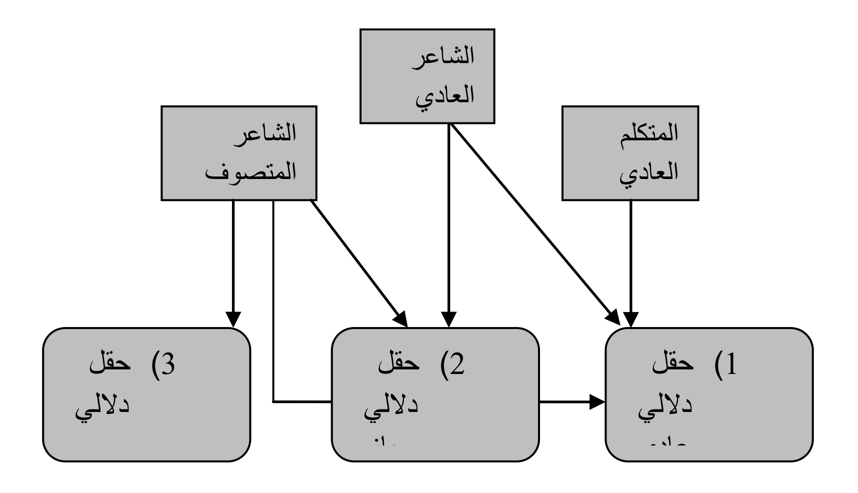
أرى أنّ الحقول الدلالية أهم أركان المحور الاستبدالي، إذ هي المجال الذي يسمح لمؤلف الكلام إجراء عمليات الاختيار، وقد عرفها سوسير( بالعلاقات الجمعية)، (les rapports associatifs) فيقول عنها:" إن مكان هذه الجمعيات ( المجموعات) هو العقل؛ إنها تشكل جزءا من ثروته الذاتية، وهي التي تشكل لغة الفرد الخاصة به."[19] ويمكن أن نتصوره،" مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أخضر، أبيض"[20] وهذا لا يعني عدم دخول هذه الألفاظ في حقول أخرى، وهو ما أكد عليه دوسوسير إذ يقول: إن

هذه المجموعات المتشكلة في الذهن، لا يتوقف ارتباطها مع الكلمات المشتركة فيما بينها، بل قد ترتبط في مجموعات أخرى بعلاقات غير الأولى.

إذا كانت عملية الاختيار متاحة، لكل متكلم في اقتناء الكلمة التي يريدها من حقل دلالي محدد، فإن الشاعر له القدرة على التنقل بين الحقول الدلالية، ممتطيا صهوة المجاز، أو هو كما صوره، إبراهيم أنيس:" كالطائر الطليق يحلق في سماء من خيال وينشد الحرية فلا يسمح لقيود اللغة أن تلزمه حدّا معينا لا يتعداه...فلا غرابة إذن أن نرى في ترتيب كلماته أمرا غير مألوف أو معهود." [21]إن هذا الأمر غير المألوف هو الانزياح الذي ننشده، فيثير فينا متعة التلقي.

فليس اختيار المتكلم العادي كاختيار الشّاعر وليس اختيار الشاعر العادي كاختيار الشاعر المتصوف.

وهذا الشكل قد يوضح هذا التمايز، بين المتكلم العادي والشاعر، والشاعر الصوفي في عملية اختيار الكلمات، من بين الحقول الدلالية.

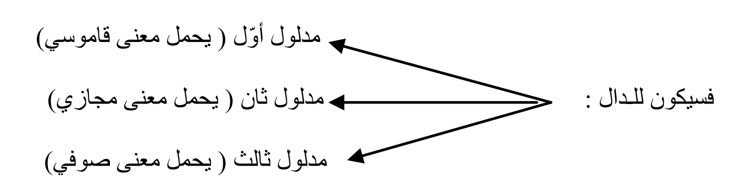



**علاقة الدّال بالمدلول عند المتصوفة:**

تُعدّ التغيرات غير المتوقعة من المتلقي التي يرسلها صاحب النّص، هي مكمن الانزياحات، وذلك عندما يستعمل المرسل لفظا لغير ما وضع له أصلا، فيُحدث بذلك خروجا عن الأصل، وهي المتعة الجمالية والدّلالية التي

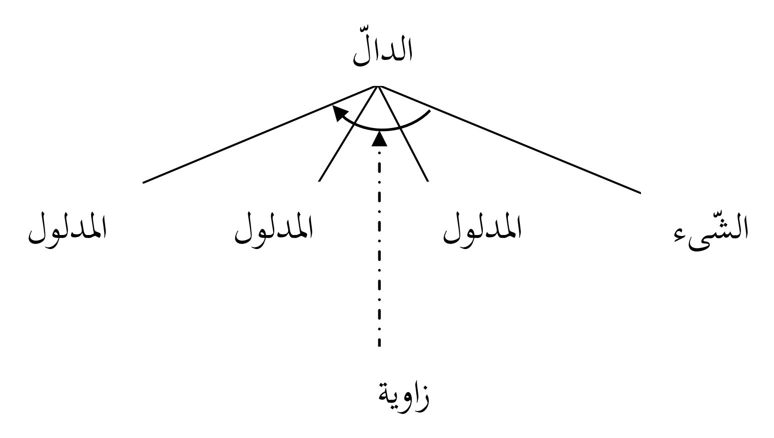
يستلذها المتلقي من التعبير المجازي، وهذا الخروج عن الأصل لا يكتفي به الصّوفي إذ يجد نفسه مضطرا لخروج آخر، وكأننا نتحدث عن انزياح الانزياح، إذ " يتخذ مفهوم اللّغة، في الخطاب الصّوفي أبعادا جديدة لا نجدها في كتب البلاغة، و لا في كتب النقد ممّا انتهى إلينا من علماء ونقاد السلف ."[22]وفي دراسة قامت بها د/ سعاد الحكيم في لغة المتصوّفة على لغة ابن عربي بالخصوص، تقول: " يحوّل ابن عربي كلّ اسم لذاتٍ جاعلا منه اسما لأخصّ صفات هذه الذّات، فاللّيل مثلا بعد أن كان دالاًّ على الوقت المعلوم أصبح دالاًّ على صفته، وهي: الغيب و الإسرار."[22] وكذلك مع بقية الأسماء، ولا يخص هذا الأسماء فقط بل الأفعال كذلك، وسنذكر لاحقا لذلك، فيما قصده ابن عربي في عبارته ( الطارق مفارق).

وبتعبير آخر، فان رؤية المتصوّفة للكلمات منافية ومضادّة تماما لما ذهب إليه علماء اللّغة في العصر الحديث، وعلى رأسهم ( دوسيسير)، عندما اعتبروا العلاقة بين الدالّ والمدلول علاقة اعتباطية فلكلّ اسم، دلالة مقصودة بل ولكلّ حرف أو رقم دلالة تعدّ - عند المتصوّفة - (دلالة ذات مهمّة) فكلّ شيء إشارة وما من شيء أبدعه الله إلاّ لِمَهمّة وسرّ، بل قد يكون للشيء نفسه إشارات متعدّدة حسب تغير الحال والمقام، وليس تلك الإشارة إلاّ معنى جديدا.




إن هذا التحول بين المدلولات، هو من صنيع الاستعارة، وكلّما كانت المسافة الرابطة بين الدالّ ومدلوله، أبعد كلّما كانت زاوية الخيال أكبر، ذلك " أن العامل في تأثير الاستعارة، هو المسافة بين المشبه والمشبه به، أو كما يقول، سايس (sayce) زاوية الخيال"[23]هذه المسافة هي قيمة الإثارة، وهو ما نقله يوسف أبو العدوس، عن بريتون (andre breton)، يقول: " عندما نقارن بين شيئين بعيدين عن بعضهما في الصفات...ثم مع بعضهما بطريقة مفاجئة، ومدهشة، فإن هذه هي المهمة المنشودة التي يحاول الشاعر أن يثيرها "[24].

ولعلّ هذه الترسيمة تبين لنا ( زاوية الخيال) التي تزداد اتساعا كلّما بعدت المدلولات، عن الدالّ الأول.




وكمثال لهذا نقرا قول الأمير عبد القادر في رائيّته:

أمولاي طال الهجر وانقطع الصّبر  أمولاي هذا **اللّيل** هل بعده **فجر؟**

أغث يا مغيث المستغيثين والها  ألم به من بعد أحبابه **الضـّـر**[25]

| الدالّ | المدلول الأول | المدلول الثّاني | المدلول الثالث |
|---|---|---|---|
| الليل | جزء من اليوم يقابل النهار | شدة الأزمة | حال عدم الوصال |
| الفجر | انصداع الظلمة عن نور الصبح | انفراج الأزمة | الفتح الربّاني |
| الضر | الشدّة والضيق | الوحدة | حال عدم الوصال |

إنّ ما سبق ذكره عن الحقول الدّلاية، وعن علاقة الدّوال بالمدلولات عند المتصوّف، وعن طبيعة الحال الذي يعيشه عند هذا الأخير، كل ذلك كفيل بأن يجعل من عناصر رسالة الخطاب الصّوفي تختلف عن غيرها في بقية الخطابات، وهو ما يميّز – فيما أحسب- الانزياح الصّوفي عن غيره، يمكن أن نبيّنها فيما يلي:

-**المرسل والشفرة**: إذا كانت عناصر الرسالة العادية تفصل بين المرسل والشّفرة، فسنجدهما في الخطاب الصّوفي كتلة واحدة، أو عنصرا واحدا، لإنّ الصوفي يعايش التجربة الصوفية بكل ما فيها من إشعاعات عرفانية، ويريد بعد ذلك أن يترجم هذا الانفجار الوجداني فيجد اللغة تحول بين ما يعانيه والتعبير عنه، وقديما قال النّفري:" كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة "[26]. وهنا يجد نفسه مضطرا لأن يؤسس تراثا لغويا صوفيا، وأن يجد مخرجا يتجاوز به أزمة اللغة التي تحول دون التعبير عن حقيقة الحال الذي يعانيه.[25]ومن هنا يضاف إلى الانزياح الذي يحدث، في اللغة الشعرية عامة انزياح آخر متميز في شعرية المتصوفة، نتيجة الاستعمال الجديد للرصيد اللغوي، لتغير مصدر الإمداد بين المرسل العادي، والمرسل الصوفي، هذه اللغة ( الشفرة) هي المادة الخام للمرسل وللمتلقي، وهي وسيلة التلاقي بينهما، إذ "اللغة العادية لا تفي بالتعبير عن عالم الصوفية ذي الخصوصية الشديدة، وقد بلغت حدّة الاصطدام باللغة، قدرا أودى بحياة بعض الصوفية وساقهم إلى نهايات تراجيدية، وأشهر هؤلاء. الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة 304هـ"[27]إن اختلاف الشفرة، ليس ناتجا عن اختلاف اللغة، بين المرسل والمتلقي، لكنها ناتجة عن اختلاف المصطلح. وقد نبه، أغلب كبار المتصوفة أن كتاباتهم ليست في متناول كل قارئ؛ نذكر من هؤلاء، ابن عربي في تقديمه لترجمان الأشواق؛ ينظم قصيدة يبين فيها مقاصده من رموز شعره يقول:

كلما أذكره من طلـــل أو ربوع أو معـان كلمـا
وكذا إن قلت ها أو قلت يـا وألا إن جاء فيـه أو أمـا
وكذا إن قلت هي أو قلت هو أو همو أو هن جمـعا أو همـا
أو نساء كاعبات نهّــد طالعات كشمـوس أو دمـى
كلما أذكره مما جـــرى ذكره أو مثله أن تفهمـــا
منه أسرار وأنوار جـــلت أو علت جاء بها رب السمـا
فاصرف الخاطر عن ظاهرهـا واطلب الباطن حتى تعلمـا[28]

وهذا تصريح صريح من بن عربي، لقارئه أن يعتد بباطن القول لا بظاهره، ولا يمكن ذلك بدون فهم الشفرة المستعملة، وهذا مذهب المتصوفة، فابن الفارض يقول كذلك:

وعني بالتلويح يفهم ذائـــق غنيّ عن التّصريح للمتـعنّت

بها لم يَبُح من لم يُبِح دمه وفي الـ إشارة معنى ما العبارة حدّت[29]

وبهذه المفارقات، بين عناصر الرسالة العادية، وعناصر الرسالة الصوفية، تتغير رؤى الصوفي للكلمات، ولا يهمه بل لا يشعر عند اشتداد الحال به أن يعبر بما يحمله من معنى للكلمة، فإذا صادفت الرسالة، من يستطيع حل شفرتها أدرك أبعادها، وإن لم يكن ذلك إما أن يُساء الفهم، وإما لا يحدث فهم أصلا.

فالمصطلح في ما أحسب أكبر حاجز، يحول بين النقاد والمفكرين والفقهاء، الذين يعتمدون على الظاهر والعقل في فهم الخطاب الصوفي، وبين النص الصوفي، لأن السؤال الذي يطرحونه، وهم محقون في ذلك إلى حد ما، كيف تكتبون يا متصوفة، بلغتنا وتدّعون عدم فهمنا؟ هل تنتقصون قدرتنا على الفهم ؟ أم قصورنا في اللغة؟

القضية متعلّقة بنوع من الخطاب له لغة خاصة، أقرب إلى لغة جديدة، فهي تستوجب قارئا جديدا، له آليات خاصة لتفكيك شفرة الرسالة التي أرادها المرسل.

- **القارئ**: لا يجزئ القارئ هنا التعرف على المصطلح الصوفي فقط، لفهم الشفرة، بل عليه التعرف على الفكر الصوفي، لأن المتصوف قد يُحمّل أي دال، مدلولا جديدا، وفي أي وقت شاء ذلك، وإنما يُدرك ذلك المدلول من قبل المتلقي باستعمال الذوق، معتمدا على قرينة السياق الحالية والمقامية.

فـابن عربي مثلا عندما " يصور حال الصوفي الذي يُقبل على ربه، وكيف يفارق هذا الصوفي الدنيا بهمته، فلا يصير له مطلب إلا الله، يرمز لهذا الإقبال على الله بطرق الباب، ويرمز لتخلية النفس عن شواغل الدنيا بالفراق..فيقول **الطّارق مفارق**"[30] ومن المؤكد أن اللجوء، لقواميس المصطلحات الصوفية، لن يحل هذا الطلسم، ما لم يتسلح المتلقي بالذوق، والقراءة بعين القلب

- **الرّسالة:** من أكثر ما يرتبك فيه المتلقي من رسائل المتصوفة، ثلاثة مواضيع (المرأة، الخمرة، ذهاب الأنا وبقاء الهو في الحب الإلهي ). والواقع أن هذه المواضيع، تحدث في ظاهرها تناقضا في أدب المتصوفة خصوصا،

لأن في شعر غيرهم، تُقبل هذه المواضيع بسهولة فالناقد الذي يقرأ خمريات أبي نواس، وغزلياته، ولغيره من عامة الشعراء لا يجد في ذلك عجبا ولا غرابة، لكن الأمر يختلف عندما يتكلم بها المتصوفة.

" والسبب في ذلك هو عجز الصوفيين في طوال الأزمان عن إيجاد لغة للحب الإلهي، تستقل عن لغة الحب الحسي كل الاستقلال."[31]فالصوفي يكون في حديث عن الذكر ومحبة الله في مواطن، ثم ينتقل إلى ذكر مفاتن المرأة مجسدة في أخرى بل وفي نفس القصيدة، وإنما في الواقع ما هي إلا رموز لمقدسات سامية، لم يجدوا مندوحة، في التعبير عن هيامهم بها إلا بما يهيم به المرء في طبعه، من حبه للجمال بالمرأة، والغياب عن المحسوسات بالخمرة ولنا أن نوضح هذه الاستعمالات بإيجاز:

أ - **المرأة:** تظهر المرأة في الشعر الصوفي، من خلال تجسيد مفاتنها "فالصوفية يطلقون مثلا، العين والخد والشعر والوجه ألفاظا ترمز إلى مدلولات غير تلك التي تعارف عليها الناس في دنيا الحس"[32]وهذا ابن عربي يقول في قصيدة نقتطف منها هذين البيتين: [33]

الناعمات مجرّدا والكاعبات منهّدا والمهديات ظرائـــفا
المبديات من الثغور لآليــا تشفي بريقتها ضعيفا تالــفا

" قوله: الكاعبات منهّدا، هي التي صـار نهدها كالكعب وهي أحسن ما تكون فيه الجارية، يشير إلى أن محلّ حمل المعارف تجلّى له ليشاهد كيف يتحمّل المعارف الإلهيـة."[34] والمقصود من ذلك النهد موقع اللّبن، الذي كان الرّسول لا يسأل من الزّيادة من شيء في الطعام إلا منه، وفي هذا ربط بالآية، {وقُلْ ربِّ زِدْنِي علمًا} [35]

ولنا أن نقارن بين شاعر كأبي نواس وابن عربي في ذكرهما للمرأة، يقول أبو نواس: [36]

ظبي كأن الثريا فوق جبهتــه والمشترى في بيوت السعد والسّرجا
لوى على ضرج من خدّه سبجا نفسي فدت سبج الأصداغ والضـرجا

فقد اختار أبو نواس الظبي لموصوفته، على طريق المجاز.

أما المتصوّف فإنه يتعدى هذا الحقل المجازي، إلى أبعد من ذلك، كقول ابن عربي[37]

ومن عجب الأشياء ظبي مبرقع يشير بعنّاب، ويومي بأجفـان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا ويا عجبا من روضة وسط نيران

فالشيخ بن عربي قد ذكر الظبي، الذي يفهم منه الأنثى، وقرائن ذلك حَديثُه، عن العنّاب والأجفان، لكن الذي يُفهم ليس ما يرمي إليه الشاعر، فهو

ليس مثل مجاز أبي نواس السابق، فالظبي هنا يريد به لطيفة إلاهية، ومرعاه بين الترائب والحشا من العلوم التي في الصدر، والحكم الإلهية.[38]

ب ـ **الخمرة:** وهي المحدثة لحالة السكر، " وهو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذّه وبين أضدادها في مرافقة الحق، فإن غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذّه"[39] وما من شاعر متصوف، إلا وكانت الخمرة موضوعا أساسيا في قصائده، وكيف لا وهي المتسع للقاء الحبيب والذوبان فيه، وفيها تقول رابعة: [40]

كأسي وخمري والنديم ثلاثـة وأنا المشوقة في المحبة رابعــة
كأسي المسرة والنديم يديرهـا ساقي المدام على المدى متتابعــة

وكمقارنة بين خمرة المتصوفة والخمرة المحسوسة، نقرأ قول أبي نوّاس[41]:

ساع بكأس إلى ناش على طرب كلاهما عجب في منظر عجب
قامت تريني وأمر الليل مجتمـع صبحا تولد بين المـاء والعنب

وقول ابن الفارض: [42]

شربنا على ذكر الحبيب مدامــة سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم
لها البدر كأس، وهي شمس يُديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجـم

والبدر هنا "هو العارف الكامل... والمدامة هي المعرفة الإلهية التي تفيض أنوارها في جميع الكائنات، أما الهلال الذي يديرها فهو المبلّغ عن العارف كأصحاب الأنبياء وتلاميذ العارفين، وإذا مزجت المعرفة اللدنية بالمدارك الشرعية الدينية فكم يظهر هناك نور يُهتدى به. ( أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)."[43]ولنا أن نميز بين الصبح الذي رآه أبو نواس عند مزج خمرته، والنجوم الهادية التي رآها ابن الفارض، عند مزج خمرته، وإلى ما يرمي كل منهما. فكلاهما استعمل المجاز، غير أن البعد الصوفي، أحدث مجازا على المجاز

ت ـ**الحب الإلهي:** جرّ هذا الباب على المتصوفة كثيرا من الهجومات، ممن لم يتمكنوا من فهم شفرتهم، من ذلك عبارة الحلاج ( أنا الحق )، التي أقامت الدنيا وأقعدتها، وإن كان مقامنا لا يتسع إلى بسط هذه المسألة، فأقل ما يمكن أن نقول فيها شيئين:

ـ الأول: المتصوفة يبذلون كل شيء في سبيل حبهم للذات العلية، وفي ذلك " يضرب الإمام الجيلاني مثلا بالعبد الذي يسمع بالجنة وما فيها وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فيطلب الجنة، فيكون آنذاك مطالبا ببذل ثمن الجنة

الذي صرح به الحق تعالى في قوله: { إنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفسَهم وأَمْوَالَهُم بأَنَّ لهم الجنّةَ }( التوبة من الآية 111)، فما بال العبد إذا طلب ما هو أعز من الجنة." [44]ويقصد بذلك وجه الله.

الثاني: ما دام المتصوف قصد وجه الله، فعليه أن يسلك الطريق إلى ذلك، والمعتمد في ذلك عندهم، قوله تعالى في حديثه القدسي عن رسول الله أن الله قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي ممّا افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتّى أُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنَّه وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته." [45] فالمريد عليه أن يجاهد ؛ وجهاده ليس بالأمر الهين فـ " عن أبي بكر الشبلي قال: قصدت الحلاج وقد قُطعت يداه ورجلاه وصُلب على جذع، فقلت له: ما التصوف؟ فقال: أهون منه مرقاة ما ترى." [46] فإذا كان هذا الحال أهون من المجاهدة وبذل النفس في التّقرب والطّاعة التي بها يكون الله مع عزّته وجلاله عين ويد ورجل عبده المتقرب إليه ويشعر هذا العبد بهذا عين الحقيقة، وما دام التقرب إلى الله لا حدود له بل بحسب قوة و مجاهدة المجاهد فالقضية قد تتعدّى العين واليد والرجل إلى كل الكيان فلا كيان إذن، فماذا هناك غير الحق، فكل شيء عندها سيكون ( هو) بما في ذلك (أنا).

ربما لو رأينا هذه القضية من خلال هذا المنظور لكان أهون علينا في فهم بعض الأحوال التي ينطق بها المتصوفة معبرين عن وجدهم وحالهم ولتمكّن أولائك الذين وقفوا ضدّ ما هو صوفي لحكم مسبق مغلق، ربما لتمكنوا من إنصافهم بل ربما يتمتعون بما جادت به هذه الطّائفة من لطائف طوال الأزمان.

[1] - بوطران محمد الهادي، وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، بيروت: دار الكتاب الحديث، (دط)، 2008م، ص .160
[2]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، الجزائر:دار هومة، (دط)1997م،ص179.3
[3] - جون كوهن، النظرية الشعرية، ( تر، أحمد درويش )، القاهرة: دار غريب،( ط4)، 1999م، ص .35
[4] - صلاح فضل، علم الأسلوب، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1968م، ص208.
5 - نفسه، ص.92
[6] - أحمد محمد ويس، الانزياح، لبنان:مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2005،1 م،ص111.
[7]- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص213.
[8] - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر د/محمد العمري، المغرب: أفريقيا الشرق، ( دط)، 1999م، ص66.
[9] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تق ياسين الأيوبي، بيروت: المكتبة العصرية، (دط)، 2003م،ص 128.
[1]0- مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، مصر: دار الكتاب العربي، ( ط1)، 1998م، ص 10.
[11]- ابن عربي، ترجمان الأشواق، بيروت: دار بيروت، (دط)، 1981م، ص31
[12] - نفسه، ص31.
[13]- مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص .125
[14]- نفسه ص.21
[15]- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص60.
[16] عبد الرحيم البرعي، الديوان، ( اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي)، بيروت: دار المعرفة، (ط1)، 2007م، ص147.
[17] - عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ليبيا، تونس:الدار العربية للكتاب (دط)،1977م ، ص 54.
18 : Talantikit.2002,p 148.
19 - Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale .Beja
[20]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، (ط5)، 1998م، ص .79
[21] - إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ( ط6 )، 1978م، ص 340.-339
[22] رضوان الصادق الوهابي، الخطاب الشعري الصّوفي والتأويل، الرباط: زاوية للفن والثقافة، ( ط1)، 2007م،ص 165.
[23] - سعاد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، بيروت: دندرة للطباعة والنشر، 1991م، (ط1)، ص 74.
[24] - يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأردن: الأهلية للنشر و التوزيع، ( ط1)، 1997م، ص 11.
[25] - نفسه، ص11.
[26] - الأمير عبد القادر، الديوان،( تح، زكريا صيام )، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، ( دط )، (دت)، ص 183.

[27] - ينظر قويدر قيداري، ( مجلة الأثر) دلائلية مصطلح السماع في الفكر الصوفي، جامعة ورقلة، العدد الثالث، ماي:2004م، ص306-307.
[28] - نفسه، ص 305. نقلا عن : ( يوسف زيدان، المتواليات،"دراسة في التصوف" ص،39 ).
[29] - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص.10
[30] - عمر بن الفارض، الديوان، ( شرحه وقدّم له مهدي محمّد ناصر الدّين )، بيروت: دار الكتب العلمية،(ط2)، 2002م،ص .55
[31] - يوسف زيدان، ابن عربي، الجيلي، شرح مشكلات الفتوحات المكية، القاهرة:دار الأمين، (ط1)،1999م، ص 22.
[32] - محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، القاهرة: مكتبة غريب، (دط)،(دت)، ص 182
[33] - نفسه، ص 182.
[34] - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص124-.125
[35] - نفسه، الشرح، ص 124-.125
[36] - سورة طه، من آخرالآية، 114.
[37] - أبو نواس، الديوان، (حققه وشرحه وفهرسه، سليم خليل قهوجي)، بيروت: دار الجيل، (ط جديدة)، 2003م، ص .197
[38] - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 42-43.39
[39]- ينظر، نفسه، ص 42-43.
[40] - أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه( أحمد شمس الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية،(دط)، 2001، ص .135
[41] - مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص .124
[42] - أبو نواس، الديوان، ص .104
[43] - عمر بن الفارض، شرح الديوان، (ج2)، ص .174
[44]- يوسف زيدان، الطريق الصوفي، بيروت: دار الجيل، ( ط1 )، 1991م، ص 105.
[45] - محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به أبو عبد الله، محمود بن الجميل،( ج3)، الفاهرة: دار البيان الحديثة،(ط1)، 2003م،ص 247.
[46] - الحلاج، الديوان، ( وضح حواشيه وعلق عليه محمد باسل عيون السود )، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط2)، 2002، ص 45.

# نظام الصوائت في العربية

أ. خثير عيسى
المركز الجامعي عين تموشنت
معهد اللغات والآداب

تمهيد :

من منطلق قوله عزّ من قائل : ] أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا [ [1] ، وآيات أخرى في الصّدد نفسه راح علماء التفسير بمعية علماء اللغة يسبرون أغواره ويفتشون في أسراره ، فأحاطوه برعاية لم تشهدها بقية الكتب السماوية ، حتى تبينوا أنّ مضمونه أسمى من أن يختص بعلم دون غيره ، هو إذًا كتاب في الطب والفيزياء والفلك واللغة ، فأخذ كلٌّ يستسقي منه بالقدر الذي يسد حاجته.

ولما كان لِلَّفظ والموضوعِ من علاقة طبيعية نهل علم الأصوات على غرار بقية العلوم منه ما يفسر به معانيه السامية ، على اعتبار أنه نزل بلغة قريش ، فكان لزاما على هذا العلم أن يزيل الغطاء عن بنية التفكير عند العرب الذين نزل بلغتهم فخاطبهم وخاطب بهم.

إنّ اللّغة أداة تواصل وتفاعل بين المرسل والمتلقي ، وهي كائن حيّ يتطور كما يتطور الفرد والمجتمع ، ولله درّ ابن جني حين يعرّفها بأنّها : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2] ، وقد عرّفها صبحي صالح بأنّها : " عنصر علمي مستقل ، وظاهرة اجتماعية وعامل حضاري"[3] ، ولعلّ التعريف الأكثر وضوحا وشمولا هو الّذي اعتمده الألسنيون ، والّذي أكد على دور كلّ من علم الأصوات الحسي la phonètique وعلم الأصوات الوظيفي la phonologie ، وأبرز هذه التعريفات وأشملها ما جاء به أنيس فريحة في قوله : « اللّغة ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة ، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد ، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقرّرة في الذهن، وبهذا النظام الرّمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل »[4] ، فاللّغة منظومة علامات صوتية يتميز بها أبناء طائفة لغوية واحدة.

تكاد جميع تعريفات اللغة أن تتفق على الجانب الصوتي الّذي يميزها ، إذ يعدّ الصوت الرّكن الأساس للغة فلا ينفصل عنها ، وهذا ما يبرر قول الحاج صالح : « ويمكن أن تشبه اللغة بورقة يكون الوجه فيها هو الفكر والظهر هو الصوت ، علما بأنّه لا يمكن أن يقطع وجهها دون أن يقطع في الوقت نفسه ظهرها فكذلك اللغة لا يمكن أن يعزل فيها الصوت عن الفكر ( أي المعنى ) ، ولا الفكر عن الصوت »[5] ، فالصورة الصوتية هي صورة مادية محضة وتختلف عن الصورة الفكرية ؛ لأنّ الصوت شيء فيزيائي ، وما بينهما من التقارب والالتحام تستوعبه اللغة في وعاء واحد.

لقد التقى عبر الزمان الصوت والفكر ، فنتجت معارف وعلوم ، وكانت اللغة معبرة عن الحياة والوجود والإنسان ،من خلال ما باحت به العلوم من عطاء.

نظام اللغة العربية :

اللغة العربية متوازنة نطقا قبل أن تتوازن كتابة ، فأيّ خلل يصيب النطق يردفه خلل في المعنى ، وقد كثر السماع عند العلماء الأوائل ، فعمدوا إلى كلام العرب ودرسوه نطقا قبل أن يقعدوا له ، قال الخليل : « إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها »[6] ، ويفهم من كلام الخليل ، أنّ اللغة العربية شكلت النمط الفكري والعقلي عند الناطقين بها ، فبنيتها النحوية والصرفية والصوتية هي الثوابت الّتي تضمن لها السلامة.

وعليه فإنّ اللغة العربية لغة متكاملة من حيث صيغها وتراكيبها وتنوعها الواسع في مفرداتها ، مضافا إلى ذلك احتفاظها بحروف ومخارج لم تحتفظ بها لغة سامية احتفاظا كاملا ، ولم تكن هذه اللغة بمعزل عن العلماء الّذين خاضوا في أسرارها وغاصوا في أغوارها وطرقوا أبوابها ، يقول السيوطي : « اعلم أنّ اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي فشأنه أن يتصرّف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه ومثالهما المحدث والفقيه ، فشأن المحدث نقل الحديث برمته ، ثم إنّ الفقيه يتلقاه ويتصرّف فيه ويبسط علله ويقيس عليه الأشباه والأمثال . »[7] ، فهناك مقاييس كان يتعامل بها العلماء العرب فيما بينهم ، فكل علم إلاّ ويمدّ علما آخر بما يحتاجه ، وكل هذا يدل على أنّ أمة هذه اللغة وصلت إلى تفكير دقيق وعميق.

اهتمام علماء اللغة العرب بالمستوى الصوتي:

من بين العلوم الّتي تداخلت مع أخرى ـ علم الأصوات ـ هذا العلم الّذي تناوله النحاة والقرّاء والبلاغيون والأدباء والفلاسفة ، وهذا لا يخالف ما كانت عليه الأمم الأخرى ولا يعدّ خروجا عن المألوف ، إذ كل الأبحاث الصوتية عند الأمم ارتبطت بالعلوم الأخرى ، وليس العرب وحدهم الّذين كان لهم هذا التداخل " فالهنود درسوا الصوت خدمة لكتابهم ( الفيدا ) ، والصين لدراسة النصوص الدينية البوذية ، والعبرية خدمة الكتاب المقدس ، واليونان لدراسة المنطق "[8] ، فلم يكن العرب حاطبين إلاّ في حقلهم ، فاهتموا بتوصيف الأصوات من حيث تصنيفها وبيان صفاتها وما يعتريها من تبدلات أو يعتورها من معان ودلالات.

من هنا يتبين أن العرب صنفوا الأصوات اللغوية على أسس فسيولوجية وفق مواضع النطق ووظائفها ؛ اعتمدوا في ذلك على الملاحظة القائمة على استقراء القوانين العامة ، والتدقيق في الصوت بصفته ظاهرة فسيولوجية وتشكيلية ، وأسلافنا لهم صفحات مشرقة في هذا المجال ، دون الاعتماد على الأجهزة الإلكترونية والآلات ؛ فكل ما كانوا يملكونه حسا مرهفا وذوقا سليما وسجيّة خلاّقة.

من خلال الجهد الّذي بذله العلماء العرب مكنّوا للدرس الصوتي أن يستقيم ويفتحَ آفاق العلوم اللغوية وتنهل منه الكثير من الأمم وتعترف بفضل العرب ، يقول براجشتراسر» : G. Bergsträsser لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلاّ قومان : العرب والهنود »[9] ، وهذه شهادة تدل على الجهود والأسبقية في تناول العرب للدرس الصوتي ، أما عن اللغة العربية فهناك من يقول : « إنّ علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية »[10] ، فكان للعرب وللغتهم المقدسة الدور الرّيادي في ميلاد علم الأصوات.

بدايات التأسيس:

لكل علم أسبابه وأدواته ومناهجه وغاياته وأهدافه ، فقد كانت الحاجة ملحة أمام العرب والقرآن يتلى بينهم واللحن في الألسن يسري ويتفشى بين الناس ، بأن يتصدوا لهذا الخطر ويضعوا حاجزا له ليحصنوا لغتهم ، وأوّل ما وقع اللحن وقع في الصوائت ، فانتبه علماء اللغة والنحو والقراءة إليها

فأَوْلوْها عناية فائقة ؛ لأنّ اللغة العربية كانت ومازالت تفتقر إلى حروف صائتة تنوب عن الحركات ( الفتحة ، الضمة ، الكسرة ) ، فاقتصارها على الحروف الصامتة من شأنه أن يطرح أمام القارئ مشكلة ما سمّاه عبد الله العلايلي" القراءة في اللغة "[11] ، فاللغات الأوربية على سبيل المثال تعتمد على الصوائت ( voyelle ) a.e.i.o.u.è.y الموجودة بين الصوامت في تحديد لفظ كل كلمة ، كما أنّه يمكن لهم النطق بها في بداية الكلام ، وهذا يتعارض مع قواعد النطق في اللغة العربية ، "والعلماء العرب ومن بينهم فخر الدّين الرّازي انتبه إلى أنّ بعض اللغات يجوز فيها الابتداء بالصائت"[12] ، فهذا من أوجه الاختلاف بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.

إنّ اهتمام العرب القداماء ، انصب على الصوامت باعتبارها عندهم هي الأصول ، فإنّ الّذي أعطى للدرس الصوتي وجوده ، وفتح منافذه هو الصوائت ، فالبدايات الأولى كانت مع أبي الأسود الدؤلي وهو يتلو على كاتبه : « خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فإذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين »[13]، فهناك فتح الشفتين يلازمه صائت قصير وهو الفتحة ، وضم الشفتين ، ارتبط بصائت الضمة، ثم كسر الشفتين أو خفضهما مثّل صائت قصير آخر وهو الكسرة

يوضح محمد خير حلواني الجوانب الصوتية في نص أبي الأسود الدؤلي بقوله : « ...وفي هذا النص جانبان فزيولوجي يعتمد مظاهر الحركات المادية في نطق الحركات، وجانب علمي يعتمد الجانب الإدراكي اللغوي ، فهو يدفع كاتبه إلى ملاحظة طريقة النطق ، شكل الشفتين ، وهو بذلك يرسي أسسا صوتية ما تزال مستخدمة حتى أيامنا هذه... »[14] ، وهذه الأسس الصوتية تتجلى في دور الشفتين عند النطق بهذه الصوائت القصيرة ، والّتي سيعتمدها جلّ العلماء بعد أبي الأسود الدؤلي.

إن حركة الشفتين ببساطتها عمل فزيولوجي محض يمس جوانب من علم الأصوات النطقي ، فالمحدثون يرون بأنّ الشفتين عضوان أساسيان في إحداث الصوائت وتشكلها بل وتحديد خواصها ، وقد انتبه إلى ذلك القدامى ، فعمل أبي الأسود لم يكن تنظيريا فحسب بل تعدى ذلك إلى محاولة إخضاع التقعيد إلى نتائج ملموسة ، فهذا أبو عمرو الداني يرى في عمل أبي الأسود

رأيا إذ يقول : « لم يقتصر الأساس الصوتي في ذلك العمل على تلك الملاحظات وإنّما نرى أبا الأسود على أغلب الظن ، قد اختار أن تكون الفتحة من فوق الحرف ؛ لأنّ فيها استعلاء، وأن تكون الكسرة من تحته لما فيها من تسفّل ، ولم يبق للضمة غير موضع واحد هو وسطه أو أمامه »[15] ، فأسماء الصوائت القصار تمت ومثلت الوضع العضوي لإنتاجها.

وبناء عليه ، فإنّ النقطة في الأصل لم توضع لتمثل الصائت وإنّما لتشير إليه فقط"وكأنّ كاتبه كان معلّق البصر يتابع حركة شفتيه ، ولكن لا شك في أنّه استطاع أن يميز بين الحركات الثلاث تبعا لاختلاف الجرس المتولد عن كل منها بعد فترة قصيرة من ابتداء العمل وقبل أن ينتهي من نقط المصحف ، خاصة أنّ الرّوايات تؤكد أنّ الكاتب على درجة عالية من الفطنة والفهم "[16] ، وإن كان الدافع عند أبي الأسود هو الرّسم لا الصوت في تمثيل الصوائت القصيرة.

يظهر حرص العلماء العرب على قراءة القرآن قراءةً سليمةً لا تخالف قواعد القراءة المتواترة ، "فالمحافظة على جوهر لفظ القرآن ، ومراعاة شكله من ضم ، أو فتح أو كسر أو سكون أو تشديد أو تخفيف ونحوه واجب شرعي يثاب عليه فاعله، وإنّ الإخلال بأيّة ناحية من هذه النواحي خطأ ظاهر ، ولحن جلي يأثم فاعله ، ويعاقب عليه "[17] ، فالدين والخوف من اللّحن عاملان أساسيان في ضبط المصحف الشريف من لدن أبي الأسود الدؤلي الّذي بحث عن طريقة تمنع من يتلو النص القرآني من الوقوع في اللحن.

لقد لقي أبو الأسود الدؤلي معارضة كبيرة في التجديد الّذي جاء به ، "أما مالك فمنع وضع الإشارات على كافة المصاحف الأمهات الّتي تستعمل استعمالا رسميا ، وسمح بها في المصاحف الصغار الّتي تخدم التدريس "[18] ، وخاصة إذا علمنا بأنّ الشكل والضبط تم بألوان مختلفة ، ولكن رأي مالك هذا سمح للأطفال أن يتعلموا في هذه المصاحف ، وهذا دليل على علمه بأهمية الضبط ، وإشكالية الرّسم المعرّى من الشكل وأثره على اللسان.

لهذه الأسباب فإنّ الحاجة كانت ملحة لتخليص المصحف الشريف مما كان عليه ، بل وتمكين الكتابة العربية من استيعاب أصواتها بالقدر الممكن ، فالصوائت القصيرة الّتي اتّخذت في بادئ الأمر شكلا مدورا سيصبح لها تمثيل في الرّسم ، روى الداني أنّ أبا الحسن بن كيسان قال : « الشكل الّذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو

صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف »[19] ، فأخذ الخليل للصوائت القصيرة صورا الفتحة ترسم هكذا ( ـَ ) ، والضمة ( ـُ ) ، والكسرة ( ـِ ) ، فأخذها من صور الألف والواو والياء.

وضع رموز الصوائت والاهتمام بها:

من هذا المنطلق فإنّ الخليل أدرك العلاقات الجزئية والكلية بين ما يعرف بالصوائت القصار والصوائت الطوال ، وذلك من حيث تشاكل الصوائت القصيرة مع الصوائت الطويلة في الرّسم ، فإذا تأملنا قول الخليل : « فالفتحة من الألف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ، فكل واحدة شيء ـ يقصد بعض ـ مما ذكرت لك »[20] ، أدرك الخليل إذن العلاقات الصوتية بين الصوائت القصيرة والطويلة ، فوضع رموز القصيرة مشتقة من رموز الطويلة.

ولكنّ الخليل عدّ الصوائت القصيرة مجرّد زوائد يتوصل بها إلى نطق الساكن ، ولم يتوصل إلى مخارجها وقيمتها الصوتية ، عكس الفلاسفة المسلمين ، بحكم اشتغالهم بالموسيقى وبعلم التشريح واطّلاعهم على قضايا الطب والفلسفة اليونانية خاصة ، فإنّهم توصلوا إلى الكثير من خواص الصوائت القصيرة ، ويؤكد ابن سينا على وحدة الصوائت الطويلة والقصيرة ، إذ لا تختلف الطّويلة عن القصيرة إلاّ في الكمية ، لذلك فهي ليست عوارض ولا زوائد ، ما دامت الحركات الثلاثة وضعت في الأصول ، فبالأحرى عدّ الأخرى القصيرة كذلك[21] ، وينفي ابن سينا عن الصوائت القصيرة أن تكون عوارض أو زوائد وإنّما هي أصوات ، ونفس الفكرة اعتمدها باقي الفلاسفة وإن كان فخر الدّين الرّازي وهو المحسوب على الفلاسفة يترنح بين الفلاسفة والنحاة في نظرته إلى الصوائت.

هذا ما جعل بعض المحدثين يثورون على هذه الصورة الّتي عليها الرّسم العربي، وأيضا على نظرة القدامى ( وخاصة النحاة منهم ) إلى الصوائت القصيرة ، لعدم الاعتداد بالصوائت كأصوات لها أهميتها ، فإبراهيم السمرّائي ينفي عن الصوائت أن تكون رسوما موضوعة فوق أو تحت الحرف الصحيح لأنّها أصوات يقول في صدد الصوائت القصيرة : « إنّ من حق هذه الأصوات أن يكون لها مكان في بناء الكلمة ، لا أن تضاف فوق الحرف أو تحته فيخفف منها فينشأ الخطأ ... إنّ هذه الأصوات القصيرة

كنظائرها الطويلة ، وهي كالأصوات الصامتة في تقرير دلالة الكلمة . فأنت تعرف ( الطَّرَفَ ) غير ( الطُّرْف ) وغير ( الطِّرْف ) ومثل هذا في سائر مواد العربية »[22] ، فهذا من بين المآخذ على الرّسم العربي وعلى نظرة النحاة العرب للصوائت القصيرة.

بَيْدَ أنّنا لا نكاد نجزم بأنّ الخليل توقف عند هذه النظرة للصوائت القصيرة ، فقد نقل السيوطي عن الخليل رأيه في ثقل الضمة ، أنّ "المتكلم يتكبد جهدا كبيرا في نطقها ، فالضمة تحتاج إلى حركة الفكين والشفتين مثل : الواو ، ويضيق ممرّ الهواء ، فيبذل المتكلم طاقة في الأداء "[23] ، وهو ما أشار إليه من جاء بعده من بينهم فخر الدّين الرّازي وغيره ، وهذا يتوافق مع طبيعة الصوائت القصيرة في خفة وثقل النطق.

أرسى العلماء العرب القداماء الكثير من القضايا الصوتية الّتي تخص الصوائت ، فقد فرّقوا بين الصوامت والصوائت ، فقسموا الأصوات إلى صحاح أي صوامت ، وجوف أي صوائت وهو ما أشار إليه الخليل حيث قال:« في العربية تسعة وعشرون حرفا منها : خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة »[24] ، فالخليل أدرك أنّ الواو والياء والألف صنف من الأصوات يختلف عن بقية الحروف ( الصامتة ) ، وهذه الأصوات تختلف عن الصوامت في المخرج والصفة ، ولم يكن الخلاف بين الخليل ومن جاء بعده في طبيعة هذه الأصوات وإنّما كان الاختلاف حول المخرج.

الاختلاف حاصل بين العلماء العرب القدامى حول مخارج الحروف ، فكل منهم يدلي بدلوه في هذه المسالة ، "أما الخليل فقد عدها سبعة عشر مخرجا ، وأما تلميذه سيبويه ستة عشر مخرجا ، مستبعدا مخرج الجوف ، وأما قطرب والجرمي فعداها أربعة عشر مخرجا ،وجعلا مخرج اللام والنون والراء مخرجا واحدا" [25] ،فكان لكل رأي أنصار ، والاختلاف الحاصل في عدم ضبط مخارج الأصوات ، إذ توزعت مخارج الصوائت الطويلة مع مخارج الصوامت ، وذلك لقلة الوسائل وعدم إلمامهم بعلم التشريح ، وهذا ما يوضحه فخر الدّين الرّازي بقوله :« تحتاج هذه المباحث إلى معرفة أحوال القلب والرّئة ، ومعرفة الحجاب الّذي هو المبدأ الأول لحركة الصوت ومعرفة سائر العضلات المحركة للبطن والحنجرة واللسان والشفتين »[26] ، لقد قدم العلماء المسلمون ـ وبالأخص الفلاسفة منهم ـ معالم دقيقة لكثير من القضايا الأساسية لنطق وفيزياء الصوت.

لم يكتف علماء السلف بوضع مخارج الأصوات ، بل توصلوا إلى توصيف الأصوات بصفات مميزة ، فأدركوا اجتماع مجموعة من الأصوات في حيز واحد واختلافها في الصفة ، وقد نقل مكي بن أبي طالب في الرعاية قول المازني : « إنّ الّذي فصل بين الحروف الّتي ألّف منها الكلام سبعة أشياء : الجهر والهمس والشدّة والإرخاء والإطباق والمدّ واللين ، قال : لأنّك إذا جهرت أو همست أو أطبقت أو شدّدت أو مددت أو ليّنت اختلفت أصوات الحروف الّتي من مخرج واحد ، قال : فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد »[27] ، وفي هذا النص الكثير من الصفات الّتي تعني الصوائت كالجهر والمدّ واللين.

لقد وضع العلماء العرب القداماء الصوائت من الأصوات المتسعة المخرج والمجهورة ، والأصوات الّتي يمدّ بها الصوت وأنّ كميتها الصوتية تزداد وتنقص وأدركوا بأنّه لا فرق بين الصوائت القصيرة والطويلة إلاّ في الكمية بدءا بسيبويه وابن جني وابن سينا وفخر الدّين الرّازي والخوارزمي ، فابن جني يقول : « علم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة ، والكسرة والضمة،فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضّمة بعض الواو ، وقد كان متقدّموا النّحويين يُسَمُون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضّمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة »[28] ، إشارة واضحة للعلاقات الصوتية بين الصوائت القصيرة والطويلة والفرق بينهما في الكمية.

وفرّق ابن سينا بين الصوائت والصوامت ، فهذه الأخيرة "يندفع معها الهواء سلسا غير مزاحم ، وبيّن الفرق بين نوعين من الواو والياء ، فنوع أدرجه في الصوامت ، ونوع أدرجه في المصوتات ، كما فرّق بين الصوائت القصيرة والصوائت الطويلة ، وتحدث عن كمية الصوائت ، حيث الصائت الطويل يقع في ضعف أو أضعاف زمان الصائت القصير"[29] ، وما توصل إليه هؤلاء العلماء استحسنه وأقرّه المحدثون ؛ لأنّ الصوت اللغوي إما أن يكون فيه الصوت طويلا طبيعيا أو مكتسبا ، "والصوائت بطبيعتها أطول من الصوامت ، والزمن الّذي تستغرقه الطويلة ضعف الّذي تستغرقه الثانية" [30] ، فالصوائت من الأصوات الّتي يمدّ بها الصوت.

غير أنّ من الأخطاء التي وقع فيها القدماء اعتقادهم بوجود الصوائت القصيرة قبل الطويلة ، وهو ما تصدى له المحدثون ، واعترضوا على هذا التوهم، يقول إبراهيم أنيس : « ولكن القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المد ، فقالوا مثلا : إنّ هناك فتحة على التاء في ( كِتَاب ) ، وكسرة تحت الراء في ( كَرِيم ) ، وضمة فوق القاف في ( يَقُول) والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع ، فالتاء في (كِتَاب ) محركة بألف المد وحدها ، والراء في ( كَرِيم ) محركة بياء المد وحدها ، والقاف في ( يَقُول ) محركة بواو المد وحدها »[31] ، فالقدماء على حدّ تعبير إبراهيم أنيس ضلوا السبيل بسبب الرّسم ولكنّهم أدركوا كمية الصوائت.

فصّل القرّاء في مسألة المدّ الّذي لا يكون إلاّ في الصوائت الطويلة حرصا منهم على الأداء السليم لقراءة القرآن الكريم ، والمدّ "زيادة مطّ في حروف المدّ ولا يكون إلاّ لسبب ، والسبب إما لفظي وهو همزة وسكون،وإما معنوي وهو قصد المبالغة في النفي "[32] ، واختلفت مقادير المدّ بين القرّاء ، ويظهر جليا في القراءات القرآنية ، إذ لفخر الدّين الرّازي وقفات كثيرة في القراءات القرآنية في التفسير الكبير ، فكمية المدّ ومقداره يختلف من قارئ إلى آخر . وللوقوف على الصوائت إشارات كذلك ، تتمثل في الروم والإشمام والاختلاس ، حيث تنقص كمية الصائت ، ومن الظواهر الأدائية في القراءة والمتصلة بالصوائت الإشباع والقصر والتفخيم والترقيق.

لقد تعدد مسميات الصوائت وعرفت العديد من المصطلحات ، واشتهرت عند النحاة بالحركة وأصوات المدّ واللّين وحروف العلّة وبالمجاري ،وبالجوفية والهوائية ، وأما عند الفلاسفة فهي المصوّتة ، ولم تتغير مسمياتها عند المحدثين ، وبقيت أغلب هذه المصطلحات مستعملة ، وهناك من أضاف مصطلح الانطلاقية، للتعبير عن كمية الهواء المندفعة أثناء حدوثها ، والحركة نفسها تنقسم إلى حركة إعرابية وحركة بنائية.

وظائف الصوائت:

بنى العرب فكرتهم عن المتحرّك والساكن الّتي بنوا عليها تقسيماتهم العروضية والصرفية ، "فالمتحرّك عندهم هو الصامت الّذي يتلوه الصائت والساكن يأتي على ضربين ساكن يمكن تحريكه ، وساكن لا يمكن تحريكه ، والأول يشمل جميع الحروف ما عدا الألف ، والثاني هو الألف في كتاب وحساب وباع وقام "[33] ، الساكن الّذي يمكن تحريكه يقبل دخول الصائت

عليه ، والساكن الّذي لا يمكن تحريكه هو الصائت الطويل الألف في نظر القدامى ، "وعند المحدثين أنّ الصوامت هي وحدها الّتي تقبل الصائت والسكون ، ويلحق بهما الواو والياء اللينتان والمتحركتان ، أما الصوائت الطويلة الألف والواو والياء ، فلا تقبل دخول الصائت عليها فمن الخطأ وصفها بالسكون ؛ لأنّها صوائت منافية بطبعها للسكون "[34] ، وهذه الصوائت الطويلة هي الّتي تخرج الصامت من سكونه فلا توصف بالسكون.

بناء على ما سبق فإنّ "العلماء العرب تحدثوا بإسهاب عن موقع الصائت ، فهل هو قبل أم بعد أم مع الصامت ؟"[35]، وتوصل أغلبهم ومنهم فخر الدّين الرّازي أنّ الصائت يقع بعد الصامت ، ولكن عندهم لا يمكن الابتداء بالساكن ، ولا يمكن أن يلتقي ساكنان ؛ لأنّ الطبع العربي لا يقبل ذلك ، فتلجأ العربية إلى وسيلة للتخلص من هذا العبء ، فتنشأ همزة وصل فتصبح من مكونات المقطع، كما ترفض العربية البدء بصائت ، ترفض كذلك أن يتوالى صامتان ، وإن كانت تتحمل ذلك في وسط الكلمة .       هذه الظواهر التشكيلية المتمثلة في تجزئة الكلام إلى مقاطع"هي فكرة أصيلة عند العرب ، تعود إلى تلك المرحلة الطويلة الّتي عاشت فيها العربية لغة شفهية تعتمد على المشافهة والسماع وأنّ مذهب العرب في التلقين يقوم على نسق إيقاعي"[36]، وقد انتبه الفلاسفة المسلمون بحكم اشتغالهم بالموسيقى إلى المقطع الصوتي"إذ المقطع حرف مع حركة ، أو حرفان ثانيهما ساكن . على ما صرّح به ابن سينا في الموسيقى ، والفارابي في كتاب الألفاظ والحروف"[37]، فالمقطع عند هذين العالمين حصيلة صامت مقترن بصائت ، والأساس في هذا الّذي توصل إليه العلماء المسلمون ، هو أنّ الصائت ركن أساسي في المقطع وهو ما يؤكد عليه المحدثون ، فالبناء المقطعي يدخل الصائت عليه ، فيشكل نواة المقطع ، ويحدد المقطع النسيج اللغوي للعربية .       نشير هنا أنّ فكرة المقطع ، تبلورت واستقامت مع الفلاسفة المسلمين ، مما جعل المحدثون يستفيدون كثيرا مما جاء به هؤلاء ، فاستطاعوا أن يحصوا عدد المقاطع العربية الّتي نجملها في هذا الجدول[38] : المتسلسل

مكونات المقطع
رمز المقطع
نوع المقطع
مثال على المقطع

رمز المثال
ملاحظات

المقطع الأول
صامت + حركة قصيرة
ص ح
قصير مفتوح
( ضَ ) من (ضَرَبَ )

ص ح

المقطع الثاني

صامت + حركة طويلة
ص ح ح
متوسط مفتوح
حرف الجر في

ص ح ح
يصفه بعض العلماء طويل مفتوح

المقطع الثالث
صامت + حركة قصيرة + صامت
ص ح ص
متوسط مغلق
بٌ من قولنا : كتابٌ
ص ح ص
يصفه بعض العلماء قصير مغلق

المقطع الربع
صامت + حركة طويلة + صامت
ص ح ح ص
طويل مغلق
تابْ من قولنا : كتابْ
ص ح ح ص
عند الوقف على الباء

المقطع الخامس
صامت + حركة قصيرة + صامتان
ص ح ص ص
طويل مغلق
منْهْ في حالة الوقف
ص ح ص ص

المقطع السادس
صامت + حركة طويلة + صامتان
ص ح ح ص ص
طويل مغلق
ضالّ - ضالْلْ
ص ح ح ص ص
( جدول يبين أنواع المقاطع العربية مع رموزها)

يُظهر الجدول أنواع المقاطع العربية في العديد من الحالات الممكنة الّتي يلفظ بها في النطق العربي ، في حالة الوقف ، والتقاء الساكنين ، وفي مدّ الصوت بصائت طويل ،

ومجاورته لحرف مضعف ، مما يعطي للصائت دور في التشكيل الصوتي المقطعي والوقوف على الكلام المتصل ، فلو تتغير الكلمات تتغير مقاطعها وخاصة في الأداء القرآني . "وأكثر هذه المقاطع ورودا في العربية الثلاثة

الأولى ثم الرابع ، أما الخامس والسادس فهما نادران إلا في الوقف"[39] ، فالعربية تأبى توالي أربع صوائت تجنبا لثقل الكلمة بسبب إطالتها ، فتصبح الكلمة كأنّها تتكون من ثمانية أصوات ، فحين تكون الكلمة على أربعة مقاطع متساوية يعطيها رتابة وثقلا.

تنهج العربية إلى تخفيف الصوائت بتقريب بعضها من بعض ، وبالتناسب بينها وبين الصوامت ، يظهر ذلك في الإمالة وهي : "أن تذهب بالفتحة إلى جهة الكسرة والألف جهة الياء كالفتى ، وإلا الممال الفتحة كنعمة"[40] ، وذلك حتى لا يكون الانتقال من الصائت إلى الّذي يليه ثقيلا ، فيصير الصوت بين بين ، وقد تحدث ابن جني عن صوائت فرعية حصرها في ستة صوائت ، بينما هي عند فخر الدّين الرّازي ثمانية عشر صائتا ، بين المتفرّعة عن القصيرة والطويلة ، وهي مجرّد ألفونات عرفتها بعض اللهجات العربية ولا دور لها في الوظيفة والدلالة.

هناك حالات من الانسجام بين الصوائت منها ظاهرة الإتباع كضم همزة الوصل تبعا لضم الصامت الثالث نحو ": أُستُضعف ، اُحتُقِر ، اُحرُنجم ، وذلك لتقريب همزة الوصل من الصامت الثالث المضموم ، إذ لم يكن بينهما إلاّ ساكن ، فكرهوا كسرة بعدها ضمة "[41]،ليكون عمل اللسان من جهة واحدة ، وكذلك فعلوا مع بعض الصيغ ، بكسر صيغة فعِل الحلْقية العين ، "فقالوا : شهِد ، فخِذ ، شِهِيد ، نِحِيف ، فتكسر الفاء اتباعا"[42] ، وهذا يمثل جانبا من لهجلاتهم ، وقد تعقّب الرّازي هذه الظواهر الصوتية للصوائت ،والإبدال الحاصل بينها ،وهو يميل إلى أنّ الكسر يغلب على اللهجات العربية .

أما المناسبة بين الصائت والصامت فتتمثل في مجيء المضارع ( فَعَلَ ) المفتوح العين في الماضي مفتوحها في المضارع إذا كانت عينه ولامه حرف حلْق نحو:")قَرَأَ ، يَقْرَأُ ( أو ) مَنَحَ ، يَمْنَحُ ( ، ) سَأَلَ،يسأَل ( و ) قَهَرَ ، يَقْهَرُ ( والسبب عندهم لما فتحوا هذه الصوامت لأنّها سفلت في الحلْق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الّذي في حيّزها وهو الألف ، وإنّما الصوائت القصيرة من الألف والواو والياء"[43] ، والفتحة خفيفة تناسب هذه الأصوات الحلْقية ، والسبب في الاعتماد على الفتحة بدلا من الضمة والكسرة أنّ"اللّسان في نطق الحروف الحلقية ، يجذب إلى الوراء ، مع بسط وتسطيح له ، وهذا هو وضعه في نطق الفتحة "[44] ، فالأصوات الحلقية تناسبها الفتحة.

تحرص اللغة العربية إلى التخلص من الصائت الثقيل ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، لتعطي لأبنيتها انسجاما ، إذ تجعل الثقيل خفيفا والخفيف أخف ، عن طريق القلب أو الحذف أو الإبدال أو الوقف أو التناسب بين الصائت والصامت ليكون حسن التأليف بين الصوائت . وتظهر هذه الظواهر الصوتية في القراءات ، "فهناك قبائل كانت تميل إلى الفتح ، وقبائل تميل إلى الكسر أو الضم"[45] فالفتح أنسب للقبائل المتحضرة ، والضم أنسب إلى القبائل البدوية ، ولكن عند المعاقبة بين الصوائت الّتي هي صورة من صور اختلاف اللهجات"مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة ؛ لأنّه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ، فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم ، والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان ؛ لأنّهما من أصوات اللين الضيقة ، لهذا تحل إحداهما محل الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية "[46] ، إذاً الكلمة من أصل واوي وما تفرّع عنها من ضم وواو الصائت الطويل صورة بدوية ، والكلمة من أصل يائي وما تفرّع عنها صورة حضرية.

على هذا الأساس من خلال تبادل الصوائت فيما بينها فإنّ موقعيته لها وظيفة ففي " فاء " الكلمة تؤدي وظيفة منوطة بها ، فالبُرّ ، والبِرّ ، والبَرّ ألفاظ اختلفت معانيها لاختلاف صوائتها ، والصائت في " عين " الكلمة يؤدي كذلك وظيفة ، فكَتَبَ وكُتِب وكَتيب صيغ تختلف معانيها ، ويبقى الصائت في " لام " الكلمة يميّز بين المواقع النحوية ، ويبقى للفتح دلالته ووظيفته وللضم والكسر دلالتهما ووظيفتهما ، وفي التفسير الكبير للرّازي وقفات مع دلالة الصائت ، إذ تتبع الرّازي القراءات القرآنية وبين الاختلاف بين الصوائت في الدلالة.

ما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ فكرة اهتمام العلماء العرب بالصوامت دون الصوائت ، فكرة آخذ عليها المحدثون القدامى، إذ انصبت جهودهم نحو الأصوات الصامتة ، باعتبارها أصولا ، فنظروا إليها نظرة جادة ولم يوفروا نفس الجهد لقسيم الصوامت وهو الصوائت ، جعل رأس المحدثين في علم الأصوات إبراهيم أنيس يقول : « أصوات اللين مع أنها عنصر رئيسي في اللغات ومع أنها أكثر شيوعا فيها ، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية ، فقد كانت الإشارة إليها دائما سطحية ، لا على أنّها من بنية الكلمات ، بل كعرض يعرض لها ، ولا يكون إلا شطرا فرعيا ، ولعلّ الّذي دعا إلى هذا أنّ الكتابة العربية منذ القدم ، عنيت فقط بالأصوات الساكنة فرمزت لها برموز

»[47] ، ولعلّ إبراهيم أنيس من خلال مآخذه على العلماء العرب القدامى ، لعدم عنايتهم بالصوائت ، واهتمامهم بالصوامت ، ردّ ذلك إلى تعسف الخط العربي الّذي لم يمنح في زمن ما رسوما خاصة بالصوائت مثل تلك الّتي منحت للصوامت.

إنّ محاولة إلغاء جهد الأولين من العلماء الأفذاذ لهو إجحاف في حقّ علماء السلف ، فإنّ تناولهم للصوائت فيه من المحاسن كما فيه من المآخذ ، والأمر كذلك ينطبق على الصوامت الّتي أعطوها جهدهم ، وتفرّغوا لدرسها ، وإنّ عمل العلماء من النحاة إلى اللغويين إلى الفلاسفة ، اتّسم بوضع لبنات جادة وأصيلة في مفهوم الصائت ونظامه ، إذ بلغ الفلاسفة درجة تقارب ما توصل إليه العلماء المحدثون في نظرتهم إلى الصوائت ومنهم فخر الدّين الرّازي الّذي زخر تفسيره الكبير بإشارات فيها الكثير من المحاسن تنظيرا وتطبيقا عن الصوائت.

**خاتمة:**

تمكن القدماء من تصنيف الأصوات اللغوية ، وحددوا قسميها إلى : صوامت وصوائت ، ولم يكن اشتغال العرب كما يظن البعض فقط مس الأصوات الأصول وإنّما اهتموا بالصوائت ، فقد كانت هي المحرّك لبعث الدرس الصوتي ، والدفع به إلى النضج والاستواء ، وظهرت في دراساتهم الصرفية والنحوية والدلالية الجوانب التطبيقية لنظام الصوائت وأهميتها في التوزيع والتنويع وتلوين الكلمة ، وقد أدركوا الكثير من خواصها الصوتية والصرفية ، حتىّ أنّ مسمياتها تعددت بين النحاة والقراء والفلاسفة.

**<u>الهوامش</u>** :

[1]- سورة النساء ، الآية 82.

[2]- ابن جني : الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، ( بيروت ) ، لبنان ،(د . ت . ر . ط ) ، ج 1 ، ص33.

[3]- صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة العربية ، دار العلم للملايين ، ( بيروت ) ، لبنان ، ط 4 ،1370 هـ / 1970م ، ص 350.

[4]- أنيس فريحة : نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، ( بيروت ) ، لبنان ، ط2 ، 1981م ، ص 14.

[5]- عبد الرحمن الحاج صالح : مدخل إلى علم اللسانيات الحديث ، القرن التاسع عشر : عصر التاري ( الداروينية اللغوية والإيجابية التاريخيية) ، اللّسانيات ، مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، المجلد الثاني ، 1972م ، ص 46.
[6]- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق : الإيضاح في علل النحو ، تحقيق: مازن مبارك ، مكتبة دار النفائس ، بيروت ( لبنان ) ، ط3 ، 1399هـ / 1979م ، ص 65.
[7]- السيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ضبطه وصحّحه ووضع حواشيه : فؤاد علي منصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان ) ، ط1 ، 1418 هـ / 1998م ، ج1 ، ص 56.
[8]- أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، ( القاهرة ) ، مصر ، ط6 ، 1988م ، ص 81
[9] - براجشتراسر : G. Bergsträsser التطور النحوي للغة العربية ، أخرجه وصححه وعلق عليه : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، ( القاهرة ) ، مصر ، ط 2 ، 1417 هـ / 1997م ، ص57
[10]- أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند العرب ، ص101.
[11]- عاطف جميل عوّاد : مشكلة الناشئة مع اللغة العربية الفصحى وتصوّرات حلول له ، مجلة المنطلق ، فكرية إسلامية ، صادرة عن الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين ، العدد : 99/98 ، ذو القعدة ـ ذو الحجة ، 1411هـ / أيار ـ حزيران ، ( بيروت ) ، لبنان ، 1991م ، ص96.
[12]- فخر الدّين الرّازي محمد بن عمر : التّفسير الكبير ( أو مفاتيح الغيب ) قدّم له : هاني الحاج ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ( مصر ) ، ( د . ت . ر . ط ) ، ج1 ، ص 56.
[13]- الأنباري عبد الرحمن بن محمد : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، صيدا ، ( بيروت ) ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ / 2003م ، ص 18.
[14]- محمد خير حلواني : المفضل في تاريخ النحو العربي ( الجزء الأول قبل سيبويه )،مؤسسة الرسالة، (بيروت )، لبنان ، ط1 ، 1979م ، ص103.
[15]- أبو عمرو الداني : المحكم في نقط المصاحف ، ص 42 ، المكتبة الشاملة ، موقع يهتم بالفكر والثقافة والتراث -http://www.shamela.ws
[16]- غانم قدّوري الحمد : رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ـ اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، ( بغداد ) ، العراق ، ط1 ، 1403هـ / 1982م ، ص 505.
[17]- الحصري محمد خليل : أحكام قراءة القرآن ، ضبط نصه وعلق عليه : محمد بلال منيار ، المكتبة المكية ، دار البشائر المصرية ، ( القاهرة ) ، مصر ، ( د . ر . ت . ط ) ، ص 41.
[18]- تيودور نولدكه : تاريخ القرآن ، تعديل : فريد يريش شفالي ، نقله إلى العربية : جورج تامر ، عبلة معلوف تامر ، خير عبد الهادي ، نقولا أبو مراد ، دار نشر جورج أنمر هيلد سهايم ، زوريخ ، نيويورك ، ( د . ر . ت . ط ) ، ص688
[19]- أبو عمرو الداني : المحكم في نقط المصاحف ، ص 7.

[20]- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب ، علّق عله ووضع حواشيه وفهارسه : إميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ( لبنان ) ، ط1 ، 1420هـ / 1999م ، ج4 ، ص363.
[21]- أمينة طيبي : الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة ، كلية اللآداب والعلوم الانسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس السنة الجامعية : 1424هـ / 1425هـ ، الموافق : 2004م/2005م ، ص 157.
[22]- إبراهيم السمرّائي : في شعاب العربية ، دار الفكر ، ( دمشق ) ، سورية ، ط1 ، 1410هـ / 1990م ص 302.
[23]- السيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر : الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ( بيروت ) ، لبنان ، ( د . ر . ط ) ، 1426هـ 2006 / م ج1 ، ص 179.
[24]- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت ) ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ / 2003م ، ج1 ، ص 57
[25]- عبد العزيز الصيغ : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر ، (دمشق ) ، سورية ، ( د . ر . ط ) ، 1427هـ / 2007م ، ص55.
[26]- فخر الدين الرازي : التفسير الكبير ، ج1 ، ص 24 .
[27]- مكي بن أبي طالب القيسي : الرّعاية لتجويد القراءة ونحقيق لفظ التلاوة ، اعتنى به : جمال محمد
شرف ، عبد الله علوان ، دار الصحابة للتراث ، ( طنطا ) ، مصر ، ( د . ر . ط ) ، 1422هـ / 2002م ص51.
[28]- ابن جني أبو الفتح عثمان : سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن ، شارك في التحقيق : أحمد رشدي شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ( لبنان ) ، ط2 ، 1428هـ / 2007م ج1 ، ص33
[29]- ابن سينا الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله : رسالة أسباب حدوث الحروف ، تحقيق : محمد حسّان الطيّان ويحي مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية ، ط1 ، 1403هـ / 1983م ، ص 84
[30] - إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ( القاهرة ) ، مصر ، ( د . ر . ت ط) ، ص 127
[31]- إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 38.
[32]- ابن الجزري شهاب الدّين أبي بكر بن محمّد بن محمّد : شرح طيبة النشر في القراءات العشر ،
ضبطه وعلّق عليه : الشيخ أنس مهرة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ،( بيروت )
لبنان ، ط3 ، 1426هـ / 2005م ، ص 71.
[33]- ابن جني : الخصائص ، ج2 ، ص 337.
[34]- ينظر : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، ( الدار البيضاء )،المغرب ،( د . ر
ط ) ، 1973م ، ص 281.

[35]- ينظر : مكي بن أبي طالب القيسي : الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص31.
[36]- مهدي بوروبة : الدّراسة المقطعية في التراث ( من إشارات النحاة واللّغويين إلى تنظير الفلاسفة
المسلمين ) ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، ( الجزائر ) ، العدد : 01 ، سنة 2005م ،
ص237
[37]- الفاكهي عبد الله بن أحمد : شرح كتاب الحدود في النحو ، تحقيق : المتولي رمضان أحمد الدميري ،
مكتبة وهبة ، ( القاهرة ) ، مصر ، ط2 ، 1414ھ / 1993م ، ص72.
[38]- إبراهيم مصطفى العبد الله العمارنه : أصوات اللغة العربية ( الفونيتيك والفونولوجيا ) ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، ( المملكة العربية السعودية ) ، ط1 ، 1428ھ / 2007م ، ص 146.
[39]- إبراهيم مصطفى العبد الله العمارنه : أصوات اللغة العربية ، ص 146.
[40]- ينظر : ابن جني : الخصائص ، ج1 ، ص 59.
[41]- ينظر : سيبويه : الكتاب ،ج4 ، ص258.
[42]- المصدر نفسه ، ص 255.
[43]- ينظر : سيبويه : الكتاب ، ج4 ، ص 231.
[44]- براجشتراسر : G.Bergsträsser التطور النحوي للغة العربية ، ص 63.
[45]- عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،( الرياض (
المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1420ھ / 1990م ، ص 149.
[46]- حمدي سلطان حسن أحمد العدوي : القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية ، دار الصّحابة للتراث
( طنطا ) ، مصر ، ط1 ، 1427ھ / 2006م ، ج2 ، ص 567.
[47] - إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 36 .

## مقاربة أسلوبية للخطاب الشعري عند بلند الحيدري
## (ديوان "أغاني المدينة الميتة" نموذجا)

الدكتورة كبرى روشنفكر [11]
دانش محمدي[12]

**الملخّص**
مرّ الخطاب الشعري للشاعر العراقي المعاصر بلند الحيدري(1926-1996) بمراحل ثلاث. المرحلة الأولى كانت مرحلة الحب الرومانسي فجاء خطابه الشعري متميزا بالخصائص الرومانسية في الأدب، و المرحلة الثانية كانت مرحلة « الاغتراب» في خطاب الحيدري الشعري حيث عبّر عن أفكار وجودية، فاغترب في شعره و التجأ إلى الالتزام المنغلق أمام المجتمع، و أما في المرحلة الثالثة فدخل الخطاب الشعري للشاعر في الواقعية حيث خرج إلى الالتزام الصريح أمام آلام الإنسان العراقي و العربي و العالمي.
يتميّز خطاب الحيدري الشعري في كل مرحلة، بخصائص أسلوبية خاصّة. تتكفّل هذه الدراسة تحليل أسلوب المرحلة الثانية من خطابه الشعري. فتنتهج المنهج الوصفي- التحليلي و تتبنّى نظرية الأسلوبية الإحصائية لتحليل هذا الخطاب و ذلک من خلال التركيز على ديوان« أغاني المدينة الميتة».
و قد وصلت الدراسة إلى أنّ العناوين المختارة و الإيقاع و تكثّف أساليب النفي و التساؤلات الشعرية بجانب ظاهرتي التكرار و العنصر المهيمن ساعدت على تجلية رؤية الشاعر الوجودية و توضيحها.
**الكلمات الدليلية:** الاغتراب، أساليب النفي، التساؤلات الشعرية، أسلوب التكرار، العنصر المهيمن.

---

[11] – الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة « تربيت مدرس» الطهرانية
[12] – طالب الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة« تربيت مدرس» الطهرانية

**Stylistic Approach to poetic discourse of buland al-haidari**

d. Kobra roshanfekr
Assistant Professor in Department
of Arabic Language and Literature of tarbiat modares University
Danesh mohmmadi rakati
Phd student in Arabic language and literature of tarbiat modares University

**Abstract**

Spent The poetic discourse of contemporary Iraqi poet boland al-haidari(1926-1996) through three stages. The first stage was the stage of romantic love. Boland poems in second stage, was the poem of existentialism. In this stage the poet speaks about the feeling of alienation. In the third, the poet noted to the complex realities of Iraq. The poet s style in every stag has special features. This research is trying to review style of second stage in, poetry poet. The method of research is descriptive analysis. Study is based on theory of statistical stylistics by the evaluation of collection of poems (aghani almadinat almayetat: songs of dead city). The result of this study indicate that the poet has tried to expressed his view poetry with using styles such as replication style, negations, questions & the dominant element.

**Key words**: alienation, negations, questions style, dominant element.

**التمهيد**

الأسلوبيّة فرع من اللسانيات الحديثة التي تعني بتحليل الأساليب الأدبية و الاختيارات اللغوية و تهتمّ بدراسة الطريقة الفنّية في التعبير عن الدلالات أو المعاني. تربط الدرلاسات الأسلوبية بين اللغة و الأسلوب في دراسة النصّ فالنص الأدبي نصّ لغوي، لا يمكن سبر أغواره دون تحليل العلاقات اللغوية التي ينطوي عليها( عياد، 1981: 14و13).

من أراد فهم الأسلوبية يجب أن يدرک مفهوم الأسلوب. هناک تعاريف شائعة للأسلوب. فهو « طريق في الكتابة»، و « طريق في الكتابة لكاتب من الكتّاب»، و « طريق في الكتابة لجنس من الأجناس»، و « طريق في الكتابة لعصر من العصور». و لعلّ الصيغة التعميمية التي تنطوي عليها هذه التعاريف هي سبب شيوعها( عياشي، 2002: 33).

و يعرّف الدكتور أحمد شايب الأسلوب أيضا بأنّه « الصورة اللفظية التي يُعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام و تأليفه لأداء الأفكار»( فضل، 1985: 100). فالأسلوب طريقة الكاتب أو طريقة لجنس من الأجناس أو عصر من العصور للتعبير عن المعاني و الأفكار. و هذا التعريف هو ما نرى ملامح منه في النقد العربي القديم عند عبد القاهر الجرجاني حيث يعرّفه بقوله هو الضرب من النظم و الطريقة فيه»( الجرجاني، لاتا :68).

و رأى البعض بأنّ الأسلوب مرتبط بمتكلّمه حتى يقال بأنّ الأسلوب هو الرجل أو الأسلوب هو الكاشف عن فكر صاحبه و نفسيته(ابن ذريل، 2002: 43).

فإذا كان الأسلوب طريقة الكتابة عند كاتب ما أو في جنس أو عصر ما، فهناک أسلوب شعري و أسلوب نثري و لكلٍّ منهما خصائص تدرسها الأسلوبيّة.

و قد اختلف الباحثون و النقاد في مجالات الدراسة الأسلوبية. فهذا « بالي» من كبار روّاد الأسلوبية يرى أنّ الأسلوبية لا تختصّ بالخطاب الأدبي فقط بل تتجاوزه إلى الخطاب عامّة. فمعدِن الأسلوبية حسب بالي ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تُبرز المُفارقات العاطفية و الإرادية و الجمالية بل حتّى الاجتماعية و النفسية، فهي إذن تنكشف أوّلا و بالذات في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرُز في الأثر الفنّي( المسدي،د.ت: 41)؛ غير أنّ روّاد علم الأسلوب- و على رأسهم أتباع بالي أنفسهم- سرعان ما نبذوا هذا التقسيم العمودي فعزلوا الأسلوبية عن الخطاب الإخباري الصّرف و قصروا عليها الخطاب الفنّي لأنّ الأسلوبية هي وريث البلاغة و بديل لها( المصدر نفسه، 42).

فالذين اعتقدوا بأنّ الأسلوبية تدرس فقط الخطاب الأدبي رأوا أنّ الأسلوب انزياح عن اللغة العادية. فعرّف « جيرو» في كتابه الشهير( الأسلوبية) الأسلوبَ بأنّه انزياح كمي بالقياس إلى معيار. يقول جيرو« إن أسلوبيتنا دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي» و ذلك «لأنّ القواعد مجموعة من القوانين، أي مجموعة من الالتزامات التي يعرضها النظام و المعيار على مستعمل اللغة. و الأسلوبية تحدد نوعية الحريات داخل هذا النظام»( جيرو، 1994: 13).

و يركّز الدكتور شكري عياد على« التميّز» و يجعله جوهر الحركة العلمية في البحث الأسلوبي إذ يقول:« إنّه الطريقة للتعبير اللغوي» ثم يضيف إلى ذلك ملاحظة مهمّة تقول: إنّ هذا « التميّز يدلّنا على كل ما يحمله الشعر من معان أو عواطف أو أخيلة.... و كل اختلاف بين مناهج البحث الأسلوبي بعد ذلك لا يخرج عن تحديد كيفيات هذا التميّز و مداه و طرق اكتشافه و تفسيره»( عياد، 13 و 14).

و يعود الاهتمام بالجانب الخاصّ من اللغة أو الانزياحات اللغوية في الأسلوبية، إلى المدرسة الشكلية حيث يذهب«جاكوبسون» إلى أنّ الأسلوبية بحث عما يتميّز به الكلام الفنّي عن بقية مستويات الخطاب أوّلا؛ و عن سائر أصناف الفنون اللسانية ثانيا»(عبد المنعم الخفاجي و آخرون، 1992: 23).

فإذا كان علم النفس يدرس "ما" يقال في اللغة فعلم الأسلوب يدرس "كيف" يقال في اللغة( الراجحي، 117). و البحث عن الكيفية يعني البحث عن « التميّز» و « التفرّد» التي تتمتّع به اللغة الأدبية، في مقابل« التوحّد» و « التلقائية» التي هي جوهر اللغة العادية و الإخبارية، و من ثم رأى « ماكارفيسكي» و غيره أن اللغة الشعرية تتميز بكسر القواعد النحوية أو اللغوية بعامّة بدرجات متباينة، و تخلق قواعد خاصّة بها، و غالبا ما تتعارض قواعد اللغة الشعرية مع قواعد المواضعة التي تحدد اللغة المعيارية؛ و عليه فمن الضروري النظر إلى الأسلوب باعتباره انحرافا عن لغة المواضعة، و باعتباره نمطا متميزا عنها، و إذا كانت لغة المواضعة هي المعيار الأوّلي، فإن الدراسة اللغوية للأسلوب تبحث عن كيفيات هذا الانحراف، و تؤسس درسا خاصّا به، يكون هو الدرس الأسلوبي الذي يكشف عن طبيعة التباين و الانحراف»( عياد، 126).

و من ثمّ جاءت مقاربتنا الأسلوبية لشعر الشاعر العراقي بلند الحيدري من خلال مجموعته الشعرية« أغاني المدينة الميتة» بحثا في « الكيفية» أي في سمات « التميّز » في استخدام اللغة، و بناء أدبية النصّ.

**مشكلة البحث و الدراسات السابقة و منهج البحث**

مرّ الخطاب الشعري لبلند الحيدري(1926-1996) بثلاث مراحل. المرحلة الأولى مرحلة الحب و التي يمثّلها ديوانه« خفقة الطين »(1946)، و المرحلة الثانية مرحلة الاغتراب الوجودي في شعره حيث يغترب الشاعر في أشعاره عن المجتمع و يعتنق الآراء الوجودية في الكون و الإنسان و المجتمع. و قد سمّى البعض هذه المرحلة بمرحلة الالتزام الخفي حيث لم ينصرف الشاعر من أمور الشعب بل أجبرته الظروف السياسية و الاجتماعية الحاكمة لكي يختار أسلوبا آخر للتعبير عن آلام شعبه. فأشعار بلند في هذه المرحلة تقترب من خصائص المدرسة الرومانسية في الأدب و يمثّل هذه المرحلة ديوانه« أغاني المدينة الميتة»(1951). أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الالتزام الصريح حيث يعبّر الشاعر عن المجتمع و الشعب و الإنسان العراقي و العربي و العالمي تعبيرا صريحا فأشعاره في هذه المرحلة تدخل في إطار المدرسة الواقعية في الأدب و دواوينه «جئتم مع الفجر» و «خطوات في الغربة» و «رحلة الحروف الصفر» و «حوار عبر الأبعاد الثلاثة» و«أغاني الحارس المتعب»( مقدمة ديوان بلند الحيدري، بقلم عبد الجبار عباس: 25-75).

فلا شكّ أن الخطاب الشعري لبلند الحيدري في كلّ هذه المراحل اتسمت بخصائص أسلوبية خاصّة؛ لأنّ الأسلوب يصاحب الفكر و يعبّر عنه. فهذه الدراسة تحاول دراسة الخصاص الأسلوبية للمرحلة الثانية من هذه المراحل، و هي مرحلة الاغتراب في الخطاب الشعري عند بلند الحيدري.

و قد جرت دراسات عدّة في هذا الشاعر العراقي و اختصّت الكثيرة منها بدراسة الاغتراب في شعره منها مقالة الهنداوي(2009) المعنونة ب« بلند الحيدري و إغراء الفلسفة»، فجاء معظم محاولة الباحث على تحليل الآراء الفلسفية التي أخذها الحيدري من الفلسفة الوجودية و عبّر عنها في شعره. و جرت دراسة أخرى لشعر بلند الحيدري في كتاب محمد راضي جعفر(1999) تحت عنوان « الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر» و درس الباحث الاغتراب في شعر بلند بجانب ثلاثة شعراء آخرين، و لم يكتف بدراسة مضمون الاغتراب فقط بل عالج البنية اللغوية و البنية التصويرية و البنية الإيقاعية في دواوين الشعراء الأربعة. لكن هذه الدراسة مع ما لها من القيمة النقدية، فمقاربة كليّة لم تتجاوز تحليل الخصائص الأسلوبية في بضعة قصائد لبلند الحيدري.

فيبدو أنّ ديوان« أغاني المدينة الميتة» الذي يمثّل مرحلة الاغتراب للخطاب الشعري عند بلند الحيدري، لايزال يحتاج إلى دراسة خاصّة لتحليل ميزاته الأسلوبية.

تنتهج هذه الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي و تتبنّى نظرية الأسلوبية الإحصائية لتحليل الخطاب الشعري عند بلند الحيدري. فعلى أساس هذه النظرية يُحلّل الأسلوب عن طريق إحصاء الظواهر اللغوية فيه و قد عاب البعض على هذا المنهج؛ لأنّه ينسى السياق فهو « عاجز عن التقاط الظلال الأسلوبية المرهفة و الإيقاعات العاطفية و التأثيرات الموسيقية في النصوص، إذ الدراسة الأسلوبية الإحصائية لا تقيم وزنا للسياق، كما أن الحسابات العددية تضفي على البحث نوعا من الدقّة الزائفة، لذا فإنّ الإحصاء لا يدل على خواص الأسلوب»(فضل،1985: 207 و عزام، 1989: 71) فالدراسات الأسلوبية أحيانا تقف عند وصف العبارة دون أن تكون لهذه العبارة علاقة بعاطفة الشاعر أو خياله أو معانيه(عياشي،2002: 33).

و مع ذلك فللأسلوبية الإحصائية مزايا عدّة منها أنّها « تعمل على تلخيص ظاهرة الأسلوب من الحدس الخالص لتوكل أمرها إلى حدس منهجي موجه»(بليت،1999: 59).

لكنّ هذه الدراسة و إن تحاول استجلاء الظواهر الأسلوبية في ديوان « أغاني المدينة الميتة» بالمنهج الأسلوبي الإحصائي لكنها تسعى- ما أمكن- أن لا تخرج من السياق العامّ للقصائد.

فإذا كانت الأسلوبية تبحث عن « التميز» و «التفرّد» فيهتمّ التحليل هنا أيضا بتحديد مجموعة من السمات الأسلوبية التي تميّز بها أسلوب الشاعر و التي سجّلت تواجدا ملحوظا و متكرّرا، و التي تسهم في الكشف عن طريقته في استخدام اللغة لبناء شعرية خاصّة به.

و أهم الميزات الأسلوبية التي تبرز في خطاب بلند الحيدري الشعري من خلال ديوان « أغاني المدينة الميتة» و التي يدرسها هذا البحث، هي:

- التحليل الأسلوبي للعناوين
- أساليب النفي و قيمتها الأسلوبية
- تساؤلات النصّ الشعريّ
- الإيقاع و قيمته الأسلوبي
- أسلوب التكرار و قيمته الأسلوبية
- العنصر المهيمن

و تقف الدراسة على جانبين، الأوّل: و يتمثّل في وصف المثيرات اللغوية ذات القيمة الأسلوبية. و الآخر في وصف التأثيرات الدلالية و الجمالية لتلك المثيرات و تحديد قيمها الأسلوبية في إبداع و تجسيد الشعور.

## 1 - التحليل الأسلوبي للعناوين

حظيت العناوين بأهمية كبيرة في المقاربات الأسلوبية و السيميولوجية، باعتبارها أحد المفاتيح الأولية و الأساسية التي على الباحث أن يحسن قراءتها و تأويلها، و التعامل معها؛ فهو بمثابة عتبة(seuil) على الدارس أن يطأها قبل إصدار أي حكم. فالعنوان هو المفتاح الإجرائي الذي يمدّنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، و تسهيل مأمورية الدخول في أغواره و تشعّباته الوعرة( حمداوي، 1997: 90).
فالعناوين التي اختارها بلند الحيدري لأشعار ديوانه لها دلالات سيميائية خاصّة. فعنوان الديوان«أغاني المدينة الميتة» يوحي للقارئ بأنّ الشاعر يريد التعبير عن المدينة التي لا حياة فيها و لا نشاط. فالشعب الذي يعيش في هذه المدينة شعب ميت يغترب عنه الشاعر. فالأثر الذي يُبقيه هذا العنوان في ذهن القارئ، أثر سلبيّ. فيكشف هذا العنوان عن اتّجاه الشاعر السلبي بالنسبة إلى الشعب و المجتمع في هذا الديوان.
أما من حيث العناوين الفرعية في الديوان أي عناوين القصائد؛ فأكثر العناوين تتلائم مع عنوان الديوان كما أنّها تقوّي تلك الرؤية السلبية و الاتّجاه العام عند الشاعر. فعناوين قصائد الديوان هي:
(مدفن الظل، طاحونة، عبث، مرّ الربيع، كبرياء، لن أراها، عقم، أعماق، ساعي البريد، وغدا نعود، وحدتي، صورة، صراع، ثلاث علامات، الجرح المرائي، في الليل، و هاأنت، دروب، شيخوخة، برمثيوس، أود لوكنت، حلم، حب قديم، عبودية، يا صديقي، العطر الضائع، خداع، الخطوة الضائعة، قرف، ضياع، إلي أين)
و الكثيرة من هذه العناوين مثل:( مدفن الظلّ، طاحونة، عقم، عبث، لن أراها، وحدتي، عبودية، العطر الضائع، خداع، الخطوة الضائعة، ضياع، صراع)، لها دلالات سلبية و تقوّي الجانب السلبي من رؤية الشاعر بالنسبة إلى الحياة. أما العناوين الأخرى(مرّ الربيع، كبرياء، إلي أين، أعماق، ساعي البريد، وغدا نعود، صورة، يا صديقي، قرف) فإن لا تدلّ في حدّ ذاتها على رؤية بارزة للشاعر و لا تحمل عاطفة سلبية لكنّ دلالاتها السلبية الكامنة تبرز بعد قراءة القصائد.

## 2 ـ أساليب النفي و قيمتها الأسلوبية

يشكّل أسلوب النفي حيزا عاليا من الأساليب التعبيرية في خطاب بلند الحيدري الشعري من خلال ديوان « أغاني المدينة الميّتة» حيث يرد حوالي 112 أسلوبا نفيا في هذا الديوان.

| مجموع أدوات النفي | لا | لن | ليس | لم | ما |
|---|---|---|---|---|---|
| 112 | 71 | 16 | 11 | 10 | 4 |

الجدول رقم(1): تواتر أدوات النفي في الديوان

و قد يعود السبب الرئيس في استعمال هذه النسبة العالية من أسلوب النفي، إلى التناقض بين ذات الشاعر و الواقع الذي يعيشه.

ففي قصيدة« ساعي البريد» يشير الشاعر إلى هذا التناقض بين الذات الذي يحاول تغيير أوضاع المجتمع، و بين المجتمع الذي يكتنفه السكون و الانجماد:

ساعي البريد ماذا تريد...؟/ أنا عن الدنيا بمنأى بعيأ/ أخطأت.. / **لا** شكّ، **فما** من جديد/ تحمله الأرض لهذا الطريد/ ما كان/ مازال على عهده( الحيدري، 1980: 272).

فالشاعر هنا ينفي ليكون في هذا المجتمع شيء جديد حتى يشجّع الشاعر الطريد المغترب على العودة إليه.

و في قصيدة« الجرح المرائي» يتكرّر أسلوب « النفي» ست مرّات، فيشير الشاعر إلى هذا التناقض بين ذاته المتطلّع إلى الكبرياء و بين الآخرين الذين لا يستطيعون إدراك هذا الذات:

« **لا** تمسّي كبريائي/ **لا** تمسّي ذلک الجرح المرائي/ أنا أدري/ أنا أدري أين من نفسي دائي/ **لا** تقولي: لِمَ لم تأت إلينا.../ **لا** تقولي: قد تكبّرت علينا../ أنا **لا** أملک إلا كبريائي(المصدر نفسه، 296).

و كذلک في قصيدة « الخطوة الضائعة» يتواتر أسلوب النفي(11) مرّة:

ماذا تريد...؟ ماذا تريد/ يا أيّها الظلّ الشريد/ ماذا تريد..؟/ **لا** شيء يعرفني هنا/ **لا** شيء أعرفه هنا/ **لا** شيء أذكره و **لا** أشياء تذكرني../ هنا/ **لا**..../ **لن** أعود/ لمن أعود/ فقريتي أمست... مدينة/ أمست مدينة( المصدر نفسه، 333-334).

ففي هذه الأمثلة من ديوان « أغاني المدينة الميتة» يتميّز الخطاب الشعري للشاعر بتوالي أسلوب النفي بشكل تراكمي، فاغتراب الشاعر عن المجتمع و عن الآخرين أدّى إلى استعمال هذه النسبة العالية من أسلوب النفي حيث تتجلّى المفارقة بين الشاعر و مجتمعه من خلال أسلوب النفي في أحسن

صورة. و يحقق هذا النفي التهكّمَ و الاستهزاء بالواقع. ففي قصيدة« طاحونة» يتكرّر أسلوب النفي «11» مرّة فيسخر الشاعر من الناس حيث شغلتهم طاحونة الدهر التي تدور حول العبثية و الأبد الأسود:
« تلك هي الأرض/ **فلا** تعجبي/ إن مرّ بي الفجر، و **ما** مرّ بي.../و مات ما كان سوى خطوة لما تزل تبحث عن مهرب.../ أحسّها تصرخ في مسمعي أفّاق.../ يا للعبث المتعب/ أفاق... **لا** أدري/ لعلّي كما.../ ظلّ **بلا** لون و **لا** مسند/... **لن** أسأل الفجر إذا مر بي/ و الليل إن نام على مرقدي/.. **لن** أرتمي كالناس في منية/ و **لن** يقود الدهر يوما يدي/ فالناس ما أقبح آلامهم/ هذا **بلا** أمس/ و ذا في غد/...( المصدر نفسه، 252-255).
فهذه المفارقة بين الشاعر و المجتمع يتجلّى حتى بين الشاعر و الحبّ. فالمرأة التي يلتجأ الشاعر إليها تسخر من الشاعر لتتبدّل هي أيضا إلى« الآخر» الذي ينفيه الشاعر و يفر منه:
« شتوية أخرى/.... و هذا أنا/ هنا/ بجنب المدفأة/ أحلم أن تحلم بي امرأة/ أحلم أن أدفن في صدورها/ سرّا/ **فلا** تسخر من سرّها/.. هنا بجنب المدفأة/ شتوية أخرى/ و هذا أنا/ أنسج أحلامي و أخشاها/ أخاف أن تسخر عيناها/..شتوية أخرى و هذا أنا/ وحدي/ **لا** حبّ/ **لا** أحلام/ **لا** امرأة/ عندي/ و في غد أموت من بردي/هنا بجنب المدفأة..( المصدر نفسه، 307-309).
و هكذا نرى أنّ بلند في خطابه الشعري يستعين بأسلوب النفي لإبراز هذه المفارقة الأليمه بينه و بين المجتمع الذي يعيشه.

**3 ـ تساؤلات النصّ الشعري**

من الوسائل التعبيرية التي تسهم في اتساع فضاءات الدلالة في النصّ الشعريّ ما يسمّى بالتساؤلات، التي تشكّل سلاسل بارزة في النصّ، و تحقق مدا انفعاليا و حراكا دلاليا في جسده، و هي تأتي ضمن قائمة عريضة جعلت سعي الخطاب يتجه إلى معادلة: «الذات» أمام «الواقع»( حسونة،2006: 116-115)
فالتساؤلات الشعرية«قد شكّلت مرتكزا أساسيا في كثير من النصوص الشعرية و كوّنت خزانا زاخرا بالدلالات و الإشارات، و غدت تستغرق نصوصا شعرية بأكملها»( العلاق ، 1972: 92).
فأدوات الاستفهام و النداء- تمرق من حدودها الضيقة و تتجاوز- في نسق أبيات- وظيفتها المحدودة و كأنّها مراوحة بين الخارج في تساؤل تخاطبي، و بين الداخل في تساؤل ذاتي( عيد، 1995: 210).

فتوظيف صيغة الاستفهام من الخصائص البارزة لشعر الغربة و هي الأساس في البناء« إذ أن الشاعر المغترب يعاني مصيرا مجهولا بين هجرة، و سجن، و وطن ضائع، و قيم عربية إسلامية زائلة، و لا يدري سوى أنّه يرسل ذلك الاختناق في شكل أسئلة حيرى، تنم عن عميق الإحساس بالغربة التي فرضت عليه...»( بوقرورة،د،ت: 233).
تواترت التساؤلات الشعرية في ديوان« أغاني المدينية الميتة» 64 مرّة. تواترت من بين أدوات الاستفهام « ماذا» أكثر من الأدوات الأخرى حيث تكرّرت (29) مرّة في كلّ الديوان.
تقع تساؤلات النصّ في الخطاب الشعري عند بلند الحيدري من خلال ديوان« أغاني المدينة الميتة» مثل أساليب النفي بين جدلية الذات و الواقع. فينطلق الشاعر خلال هذه التساؤلات، من موقف تقابلي من قبل الذات نحو الواقع. فهذا الواقع ليس الواقع العراقي فقط بل واقع الوجود و الإنسانية. تدور أكثر هذه التساؤلات حول تلك الفكرة الوجودية حول الإنسان و الوجود و الإله. ففي قصيدة« الصورة» نرى أنّ الشاعر استعان بأسلوب التساؤل للتعبير عن هذه الفكرة. فيتواتر أسلوب التساؤل الشعري خمس مرّات في هذه القصيدة:

« هذا السنا المنسل في السكون
كأنّه
هجس في الظنون
ما خلفه...؟
أي لظى مجنون
في المخدع المعفر الجبين
يصيح بالإنسان:
ما الإنسان
ما الروح
ما الإله
ما الإيمان
بوارق ليست لها ألوان»( الحيدري، 1980: 283).

تبرز في هذه الفقرة ظاهرة التكرار في الصيغة التساؤلية التخاطبية الممتدّة رأسيا أربع مرّات في توالي حرف « ما» الاستفهامية و يعرض الشاعر فيه، كلّ ما يتعلّق بالوجود من الإنسان و الروح و الإله و الإيمان. فالمفارقة بين ذات الشاعر الذي يغترب عن الواقع، و بين الواقع الذي لا يناسب رؤيةَ الشاعر يؤدّي إلى التجاء الشاعر إلى هذه التساؤلات المعبّرة عن هذه المفارقة بين الطرفين.

و كذلك في قصيدة« في الليل» نرى توظيف هذا الأسلوب مستهدفا المضامين الرئيسة للفلسفة الوجودية:

« يصيح بي هاجس كالعقل مشدوها
يارب...
لِم كانوا...؟
لم كان للأرض تاريخ
و أزمان
و لِم يؤبد هذا القيد ماضيها
....
أليس في قلبك الربي إنسان»( المصدر نفسه، 299).

فتوظيف التساؤلات الشعرية في ديوان « أغاني المدينة الميتة» يصل إلى حدّ، يتكرّر بعض هذه التساؤلات بصورة منظّمة و تكوّن الإطار الرئيس للقصيدة. ففي قصيدة «ثلاث علامات»، يتكرّر أسلوب التساؤل الشعري« أترى» في ثلاث مواقع رئيسة من القصيدة فيعمل كأعمدة للإطار الأصلي للنصّ:

أ ترى جار علينا...؟
أترانا قد أضلّتنا خطانا.... فانتهينا
....
أترانا...
قد أضلّتنا خطانا... فالتقينا
...
أترانا قد أضلّتنا خطانا فالتقينا و افترقنا؟/(المصدر نفسه، 292-294).

أما أكثر تساؤلات بلند الشعرية فتدور حول العبثية و اليأس، فهذه التساؤلات توحي اليأسَ و العبثية في كلّ ما يرتبط بهذا الواقع، فإذا كان ظاهرة الحنين إلى الواقع من أشكال التساؤلات الشعرية في الشعر العربي المعاصر(حسونة،2006: 123) فلا نرى ملامح من هذه الظاهرة في تساؤلات بلند الحيدري من خلال ديوانه« أغاني المدينة الميتة».

ففي قصيدة« خداع» تتكثّف التساؤلات الشعرية الموحية إلى العبثية و اليأس حيت تتواتر خمس مرّات في القصيدة:

« و الدرب يبدو كما نراه
ماذا وراه...؟
هذا التلفّت للحياة... ماذا
وراه..؟
ها أنت أنتِ

و لست أنتِ
دنياك بعض دجى و صمت
هذا الدجى...ماذا وراه...؟
ماذا وراه.../ أنظل نغرق في الضلال
و من خلال
عطش الرمال إلى الحياة
أ تظلّ تخدعنا الحياة...!؟ (الحيدري، 1980: 329).

و كذلك في قصيدة« حلم» نرى هذا الإيحاء إلى العبثية و اليأس في تواتر التساؤلات الشعرية:

« أنت يا من تحلمين الآن
ماذا تحلمين...؟
بالدروب الزرق
ثم ماذا...؟
أنت يا من تحلمين الآن
ماذا تحلمين...؟
و غدا إذ تدركين الفجر
ماذا تدركين..؟( المصدر نفسه، 314-315).

فهذه التساؤلات الشعرية التي نشأت عن المفارقة بين ذات الشاعر و الواقع الذي يعيشه لم تحتفظ بتلك المعيارية أو التقليدية خاصّة فيما يتعلّق بمعاني أدوات الاستفهام و طبيعته، وإنما شكّلت ثيمة فنية لا يمكن للنصّ أن يستغني عنها دون أن يفقد بعضا من براعته و فنيّته.

### 4 - الإيقاع و قيمته الأسلوبي

إنّ الميزة الإيقاعية البارزة في ديوان« أغاني المدينة الميتة» هي أنّ الشاعر في أكثر قصائده يوظّف المقاطع الطويلة في قوافي الأبيات. و قد يعود السبب في توظيف هذه المقاطع إلى أنّ رؤية الشاعر الوجودية للكون و الإنسان و الحياة، تتميز بالحزن و الشعور بالعبثية. فالتعبير عن هذا الشعور بالانكسار و الحزن و العبثية يلائم القوافي التي تُختم بالمقاطع الطويلة و المختومة بالسكون.

ففي قصيدة« كبرياء» تُختم الأبياتُ بقوافي طويلة و ساكنة:« لا تدركين، آخرين، سنين، حزين، متشرّدين، خائفين، مهين، الحزين، السنين، لا تدركين، تسألين، الآخرين»(المصدر نفسه، 260-262).

و كذلك في قصيدة« عقم» نشاهد مثل هذه القوافي فالشاعر يتحدّث عن السكون الذي يسيطر على الحياة فيستعين بمثل هذه القوافي الطويلة الساكنة:
« نفس الطريق/ نفس البيوت/ يشدّها جهد عميق/ نفس السكوت/ كنا نقول:/ غدا يموت و تستفيق/ من كل دار / أصوات أطفال صغار/ يتدحرجون مع النهار على الطريق/ و على الطريق/ نفس الطريق/ نفس البيوت يشدّها جهد عميق»( المصدر نفسه، 265-267)
فالقافية المتجلية في تكرار « الطريق» أربع مرّات، و في تكرار« عميق» مرّتين، و في «تستفيق»، تتميز بطول هجاء «-ِيق» و سكون« القاف» مع الشدّة التي تُسمع في صوت « القاف»، و كل هذه الميزات تتلائم و الشعور بالسكوت و العمق.
و في قصيدة « ساعي البريد» تُلاحظ هذه الميزة في القوافي حيث تبرز القافية في« البريد، البعيد، جديد(مرّتين)، الطريد، يستعيد، بعيد، تريد»( المصدر نفسه، 272-274).
ففي هذه القصيدة، « ساعي البريد» رمز للواسط الذي يريد أن يُعيد الشاعر المغترب إلى المجتمع لكنّ الشاعر لا يرى شيئا جديدا في هذا المجتمع فكلّ شيء على حاله السابقة:
«ساعي البريد / ماذا تريد...؟ أنا عن الدنيا بمنأى بعيأ/ أخطأت.../ لا شكّ، فما من جديد»( المصدر نفسه، 272).
فطول هجاء«-ِيد» و سكون « الدال» يوحي حالة الحزن النفسية و الشعور بالسكوت في الحياة المتكرّرة التي لا جديدَ فيها فكلّ شي مازال على عهده في هذا المجتمع.
و في قصيدة« دروب» يشير الشاعر إلى عدم اكتراثه بما يجري حوله فتتجلّى القافية في ألفاظ« الطريق، عميق، ضيق، السحيق، تستفيق، البعيأ، تريد، جديد)( المصدر نفسه، 304-305).
« ملء الطريق/ صمت عميق/ ينهد عن قلق و ضيق/ و هناك في الأفق السحيق/ سبل تنام/ و تستفيق/ أما أنا/ فلقد تعبت و ها هنا/ سأنام/ لا أهفو و لا تهفو منّي»( المصدر نفسه، 304-305).
فالشاعر لا يهفو من شخصّ و لا يهفو شخص منه، فهو يرجّح السكون و النوم على كلّ شيء؛ فحرف المدّ في القوافي(-ِيق) و حركة السكون على « القاف»، يدلّ على هذا السكون و الصمت عند الشاعر.
فالقوافي في أكثر قصائد ديوان « أغاني المدينة الميتة» تتميز بطول المقاطع الأخيرة و حركة الساكن. فالقصائد التي تتميز قوافيها بهذه الميزة هي:«أعماق، و غدا نعود، وحدتي، القصر، صراع، الجرح المرائي، برمثيوث، حلم، حب قديم، يا صديقي، العطر الضائع».

## 5 ـ التكرار و قيمته الأسلوبية

ظاهرة التكرار من الظواهر الأسلوبية الهامّة في الشعر العربي المعاصر و لها دلالات معنوية تتخطى وجودها اللغوي . التكرار فضلاً عن كونه خصيصة أساسية في بنية النص الشعري [فإن له] دوراً دلالياً على مستوى الصيغة والتركيب فهو أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها(راضي جعفر، 1999: 99).
ظاهرة التكرار من أكثر الظواهر الأسلوبية في الخطاب الشعري عند بلند الحيدري في « أغاني المدينة الميتة». فكلّ الخصائص الأسلوبية التي سبق ذكرُها يدخل تحت ظاهرة التكرار. فتواتر أسلوب النفي و أسلوب التساؤلات الشعرية و الألفاظ المهيمنة، جزء من أجزاء ظاهرة التكرار في ديوان بلند الحيدري. لكنّ ما نقصده هنا بظاهرة التكرار هو تكرار العبارات أو الأفعال في القصائد.
ففي قصيدة« العبث» يُلاحظ تكرار الفعل في أبرز صورة، فالأفعال التي ذكرت في بداية القصيدة، تكرّرت في نهايتها أيضا:

« و ستبتغين.... و ترفضين
و ستضحكين.... و تحزنين
و لكم سيحملك الخيال...
و تحلمين»( الحيدري، 1980: 256)

فتتكرّر هذه الأفعال في نهاية القصيدة أيضا:

« و ستبتغين.... و ترفضين
و ستضحكين.... و تحزنين
و لكم سيحملك الخيال...
لكم سيحملك الخيال
و تحلمين»( المصدر نفسه، 257).

فتكرار هذه الجملات قد تدلّ على شدّة تأكيد الشاعر على عبثية الحياة. و الأفعال المضارعة في القصيدة توحي النموّ و الحركية في القصيدة. فتوالي هذه الأفعال يدلّ على العمل الإنساني المستمرّ في الحياة حيث يبتغي و يرفض و يضحك و يحزن الخ، و يتناسق هذا التوالى مع صيغة الأفعال المضارعة التي تدلّ على النموّ و التطوّر، و في المقابل جاء تكرار هذه الجملة مرّتين في القصيدة لتدل على شدّة رفض الشاعر هذا الجهدَ الإنساني المستمرّ في الحياة.

و قد يتكرر اسم أو عبارة في المواضع المختلفة من القصيدة ليشارك من جهة في التكوين الإيقاعي للقصيدة و من جهة أخرى لتوحي بدلالات خاصّة. ففي قصيدة« عبودية» تكرار لفظة« عبد» في بداية القصيدة و الوسط و النهاية له وظيفة تكوينية و دلالية.

«عبدٌ...!
أكاد أثور.......لكنّي
أحسّ الغل في أذني
يولول هازئا
منّي
و يصرخ ضاحكا..............عبدُ
عبدٌ..!»( المصدر نفسه، 319)

و :
أنا ربي و شيطاني
أتحسب أيها القيدُ..؟
فتمتم ساخرا ...عبدُ؟
عبدٌ
....»( المصدر نفسه، 320).

فتكرار لفظة« عبد» مع الصوت الشديد للمقطع الأخير منه« دُن» كأنّه ضربةٌ قاسية يوقعها الدهرُ على رأس الشاعر مذكّرا بأنّه ليس إلا عبدا في هذا العالم. كما أنّ تركيب الجمليتين« يصرخ ضاحكا» و « فتمتم ساخرا» يزيد على السخرية من الشاعر و يساعد على شدّة الوقع.

فالتكرار أسلوب شائع في ديوان« أغاني المدينة الميتة» فتكاد لا تخلو قصيدة من ظاهر التكرار إمّا في أساليب النفي و إمّا في التساؤلات الشعرية و إمّا في الألفاظ و الجملات.

### 6 - **العنصر المهيمن**(the dominat)

العنصر المهيمن ميزة أسلوبية هامّة طرحه الشكلانييون و قد استخدمه بشكل خاص اللغوي" جاكبسون" حيث عرّفه بأنّه« المكوّن البؤري لعمل فني: إنه يوجد المكونات الأخرى و يحددها و يحولها»( بخوش، 2011 ).
لقد دافع جاكبسون عن العنصر المهيمن باعتباره المكوّن المركزي في العمل الفنّي، فهو يحكم المكونات الباقية، و يحددها و يحولها. إن العنصر المهيمن هو الذي يكفل كمال البنية. و إذا تجاوزنا العمل الفردي، « ربما نبحث عن العنصر المهيمن، ليس فقط في عمل شعري لفنان فرد، و ليس فقط في قانون

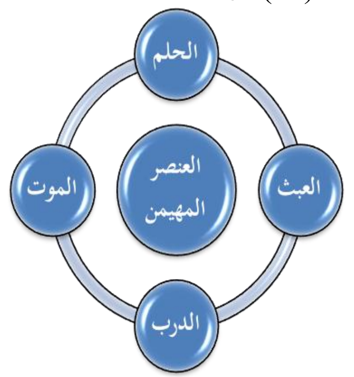
شعري، أو مجموعة من المعايير في مدرسة شعرية معينة، بل أيضا في فن فترة معينة إذا نظرنا إليها باعتبارها كلا لقد هيمنت الفنون التشكيلية على عصر النهضة و هيمنت الموسيقى على الفترة الرومانسية، و هيمن الفن اللفظي على الجماليات الواقعية(كنتب بينيت كلر، 1977: 153).

فالشكلانيون يعطون بعدا جوهريا لمفهوم المهيمن باعتباره ظاهرة مركزية في أي عمل أدبي؛ فهو الذي يضمن تماسك العناصر الفنية و يتحكم في توزيعها و ترتيبها و ظهورها. و من ثمة يساهم في تماسك البنية الفنية للعمل الأدبي و ترابطها.

فلتحديد النعصر المهيمن في ديوان ما، يجب أوّلا أن نستنبط الرؤية الرئيسة للشاعر في ديوانه ثمّ أن نحدّد الألفاظ أو العبارات التي تتجلّى فيها تلك الرؤية، و لتَكن هذه الألفاظ و العبارات الأكثرَ تواترا في الديوان.

أما في ديوان« أغاني المدينة الميتة» كما أكّد عليه الكثير من الباحثين، فالاغتراب هو الذي يشكّل الرؤية الرئيسة للشاعر. أما الألفاظ و الأوصاف التي تعبّر عن هذه الرؤية في أحسن صورة، فهي« الموت»، و « العبث» و مشتقاته، و « الحلم» و مشتقاته، و « الدرب» و مترادفاته( الطريق، المسير).

فيتكثّف ديوان« أغاني المدينة الميتة» بهذه الألفاظ حيث يتواتر « الموت» (27) مرّة، و العبث و مشتقاته(6) مرّات، و « الحلم» و مشتقاته(38) مرّة، و « الدرب» و مترادفاته(21) مرّة.




الشكل(1): الألفاظ و الأوصاف المهيمنة في ديوان« أغاني المدينة الميتة»

فهذه الألفاظ و الأوصاف هي التي تكوّن العنصر المهيمن في ديوان الشاعر. فعلاوة على التواتر العالي لهذه الألفاظ، اختيار الشاعر عناوين« العبث» و « الدروب» و « الحلم» لثلاث قصائده، يدلّ على هيمنة هذه الألفاظ على الديوان.

و من بين هذه الألفاظ الأربع، يشكّل ثلاث منها( الموت و العبث و الحلم) العناصر الرئيسة في الفلسفة الوجودية. فمسرح الوجودية مسرح الموت و العبثية و الحلم. فالموت عنصر وجودي عالجه الفلاسفة الوجودية و عبّر عنه الأدباء الوجوديون بقلق و اضطراب فلا يخلو أثر أدبي متأثّر بالفلسفة الوجودية، من حديث الموت(برقاوي،1984: 20-25). ففي قصيدة« وحدتي» نرى هذا القلق الوجودي في الشاعر أمام الوحدة و الموت:

« هكذا أنت نموت/ عشبة صفراء في ضفة موتي/ و حديثا مسرفا بالهمس/ كالهجس/ كصمتي/ هكذا أنت نموت/ من سكوتي/ من خطى تعبر ليلي في خفوت»(الحيدري، 1980: 278).

أما « العبث» فمسرح الوجودية مسرح العبث و الإنسان في الفلسفة الوجودية ألقيت في هذا العالم دون أي خيار كما أنّ الموت يأتيه دون أن يكون مخيّرا فيه. فهذا الاعتقاد يدخله الشعور بالعبث و التكرار و الملل في الحياة((برقاوي،1984: 20-25).

فلفظة« العبث» و إن تتواتر ستّ مرّات فقط لكنّ الحديث عن العبثية يغلب على كلّ مضامين الديوان. ففي قصيدة« العبث» يتكثّف النصّ من هذا العنصر الوجودي الهامّ:

«و ستبتغين... و ترفضين/ و ستضحكين... و تحزنين/ و لكم سيحملك الخيال../ و تحلمين/ لكن... هناك/ هناك في العبث الذي لا تدركين» (المصدر نفسه، 256).

و « الحلم» أيضا من الألفاظ و الأوصاف المتواترة في ديوان الشاعر و قد يعود السبب في التوظيف المكثّف لهذه اللفظة و مشتقاتها، إلى أنّ الروح الجماعية تضعف في الشاعر الوجودي و تتزايد الروح الحالمة الفردية عنده. فالحلم و الواقع نقتطان تتقابلان عند بلند الحيدري. فالشاعر يلتجأ إلى الحلم أكثر من الواقع ففي قصيدة« الشيخوخة» تتكرّر لفظة« الحلم» و مشتقاتها (ستّ) مرّات. فالشاعر يلتجأ إلى المرأة و الحبّ لكن في الحلم لا في الواقع:

« شتوية أخرى/... و هذا أنا/ هنا/ بجنب المدفأة/ أحلم أن تحلم بي امرأة/ أحلم أن أدفن في صدورها/ سرّا/ فلا تسخر من سرّها/ أحلم أن أطلق في منحنى/ عمري سنّي/..../ شتوية أخرى/ و هذا أنا/ أنسج أحلامي و أخشاها»( المصدر نفسه، 306).

و أخيرا لفظة« الدرب» و مشتقاتها( الطريق و المسير) و إن لا تدخل في النظرة الأولى، ضمن الألفاظ و العناصر الوجودية لكنّها عنصر يرمز إلى صلب النظرية الوجودية أي إلى الغاية و الهدف من الحياة. فلفظة« الدرب» في ديوان « أغاني المدينة الميتة» يعني غالبا مسير الحياة. فالدرب هو

المسير و الرؤية و الاعتقاد الذي يختاره الشاعر لحياته. ففي قصيدة« مدفن الظلّ» نرى هذه الدلالة للفظة « الدرب»:
« فإذا الأرض/ كلّها في سكينة/ و إذا الأفق مطرح لخيالي/ أتبنّى فيه رؤى مجنونة/ إن ترآى الوجود/ يوما بدربي/ عقّ وجهي،/ فلم أصافح يمينه»( المصدر نفسه، 246).
و في قصيدة« الطاحونة» تتكرّر هذه الدلالة:
« تلك هي الأرض/ فلا تعجبي/ إن مرّ بي الفجر، و ما مرّ بي/ قد كان لي/ دربٌ/ و كانت روءى/ تواعدا و الأمس في مأرب»( المصدر نفسه، 252).
و في قصيدة« ثلاث علامات» نرى نفس الدلالة:
« أ ترانا.../ قد أضلّتنا خطانا... فالتقينا/ في دروب لم يسر فيها صبانا/ و افترقنا»( المصدر نفسه، 292).
فهكذا نرى أنّ توظيف لفظة « الدرب» و مشتقاتها، يرجع إلى تلك الرؤية الوجودية عند الشاعر عن مسير الحياة و غايتها.
أما الوظيفة التي يقوم بها العنصر المهيمن المتمثّل في هذه الألفاظ و دلالاتها، فهي تنسيق الألفاظ و العبارات و الأساليب الأخرى حول هذا العنصر.
فمن حيث الألفاظ و العبارات فالمعجم اللغوي للشاعر في هذا الديوان يدور كلّه حول الدلالات و الإيحاءات السلبية المرتبطة بالدلالات السلبية للألفاظ المهيمنة في الديوان. فالمفردات و العبارات التي لها إيحاءات سلبية ملائمة للألفاظ المهيمنة في الديوان، هي:
(مسكينة- جئت يوما نتنا حالما- عقّ- ضحكة ملعونة- صرت كالموت عابثا أتنزّى- الصمت- خطاه الطويلة المسكونة- مدفن الظلّ- خريف- فقرة جرداء كالخيبة- أمنيات عقيمة- صرخة مكتومة- أحلامي المجنونة- هدأة ملعونة- تعبثُ- مهرب- صمت عميق غبيّ- الأبد الأسود- طاحونة- كان صمت بيننا يسخر منا- صمت وديع- مدفني الرطب الوحيد- ملاجئ المتشرّدين- اللصوص الخائفين- داري المخيفة كالوباء- العيون المتجمدات- عيون غائرات- السأم العنيد- قفرة جرداء لم تحلم بنبت- كم مرغ الدهر بها عصوره- يا للعبث المتعب- ما أقبح آلامهم- سيسخرون بأمسنا- أخاف أن تسخر عيناها من صلعة حمقاء في رأسي- سيضيع عطرك في الفراغ- سئمت- هذا السنا المنسل في السكون- حواء ذات الأعين الشريرة- في صمتها القارس- لم أزل طربا بعاري- حقد و ضغينة- كان شيء مؤلم في ناظرينا- أيام سجن- هذا الدجى ماذا وراه؟- الجرح المرائي- تدفن الموتى لياليها- عبد- أ تظل تخدعنا الحياة- الأزقات الضريرة- ينهد- الغلّ- الظلّ الشريد- شيخوخة- فلا تسخر من سرّها- تمتم ساخرا- صمت عميق ينهد عن قلق و ضيق).

أما من حيث الأساليب التي تتناسق مع الألفاظ المهيمنة فالإيقاع و أساليب النفي و التساؤلات الشعرية و التكرار كما أُسلف ذكرُه، تتناسب و تلك الدلالاتَ حول العبثية، و عالم الحلم و الموت و مسيرة الحياة. فهذه الظواهر الأسلوبية تنمّ عن تلك المفارقة و التناقض بين ذات الشاعر الذي يفرّ من الواقع و يعتقد بعبثيّته و يلتجأ إلى الحلم و يعيش دائما اضطراب الموت و مواجهة مسير الحياة، و بين الواقع الذي يعيشه. فهكذا يعمل العنصر المهيمن المتمثّل في ألفاظ( الموت، و الحلم و العبث و الدرب) كعنصر موحّد بين الظواهر اللغوية و الأسلوبية الأخرى.

**استنتاج**

انتهت هذه الدراسة بعد مقاربتها الأسلوبية للخطاب الشعري عند بلند الحيدري من خلال ديوانه« أغاني المدينة الميتة»، إلى النتائج التالية:

- برزت أهم الظواهر الأسلوبية في اختيار العناوين و أساليب النفي و التساؤلات الشعرية و الإيقاع المتمثّل في القوافي و أسلوب التكرار و العنصر المهيمن. فتضافرت جميع هذه الوسائل التعبيرية على تجلية رؤية الشاعر و توضيحها.
- جاء اختيار عنوان الديوان و الكثيرة من عناوين القصائد، ملائمة مع الرؤية الفكرية في خطاب الشاعر الأدبي. فعنوان« أغاني المدينة الميتة» و عناوين« مدفن الظلّ، طاحونة، عقم، عبث، لن أراها، وحدتي، عبودية، العطر الضائع، خداع، الخطوة الضائعة، ضياع، صراع» كلّها دلّ دلالة واضحة على رؤية الشاعر السلبية بالنسبة إلى الواقع الذي يعيشه.
- أدّى الصراع القائم بين ذات الشاعر و واقعه المحبط إلى الإكثار من أساليب النفي في خطابه الشعري حيث تواترت هذه الأساليب 112 مرّة في الديوان. فالشاعر من خلال هذه الأساليب ينفي واقع مجتمعه و يسخر منه و يتهكّم به.
- يكتنز هذا الديوان بكم هائل من أساليب تساؤلات النصّ الشعري، بلغ ترددها 64 مرّة. فأكثر هذه التساؤلات تظهر في الصيغة التساؤلية التخاطبية الممتدّة رأسيا يعرض الشاعر فيها، كلّ ما يتعلّق بالوجود من الإنسان و الروح و الإله و الإيمان، كما أنّ غالبية هذه التساؤلات تدور حول العبثية و اليأس في كلّ ما يرتبط بالواقع الذي يعيشه الشاعر. فيقع توظيف التساؤلات الشعرية مثل أساليب النفي تحت تأثير جدلية العلاقة بين الذات و الواقع. فهذه العلاقة تفرز قلقا

نفسيا يتجسّد في أشكال تعبيرية متنوّعة، من أبرزها أسلوب النفي و أسلوب التساؤلات الشعرية.

و لم تحتفظ هذه التساؤلات بتلك المعيارية أو التقليدية خاصّة فيما يتعلّق بمعاني أدوات الاستفهام و طبيعته، وإنما شكّلت ثيمة فنية لا يمكن للنصّ أن يستغني عنها دون أن يفقد بعضا من براعته و فنيّته.

- أما من حيث الخصائص الأسلوبية للإيقاع، فالميزة البارزة في ديوان« أغاني المدينة الميتة» هي أنّ الشاعر في أكثر قصائده يوظّف المقاطع الطويلة الساكنة في قوافي الأبيات. و قد يعود السبب في توظيف هذه المقاطع إلى أنّ رؤية الشاعر الوجودية للكون و الإنسان و الحياة، تتميز بالحزن و الشعور بالعبثية؛ فالتعبير عن الشعور بالانكسار و الحزن و العبثية يقتضي غالبا القوافي التي تُختم بالمقاطع الطويلة و المختومة بالسكون.
- من الميزات الأسلوبية الأخرى للخطاب الشعري عند الحيدري هي ظاهرة التكرار. فأسلوب التكرار من أكثر الأساليب إشاعةً في ديوان« أغاني المدينة الميتة» فتكاد لا تخلو قصيدة من ظاهرة التكرار إمّا في أساليب النفي و إمّا في التساؤلات الشعرية و إمّا في الألفاظ و الجملات.

و قد يقوم ظاهرة التكرار في أغلب قصائد هذا الديوان بوظيفتين. الأولى: المشاركة في تكوين الإطار الظاهري للقصيدة و تنسيقه، و الثانية: حمل و إيحاء دلالات خاصّة تتناسق مع رؤية الشاعر.

- أدّت ظاهرة التكرار في المعجم اللغوي عند الشاعر، إلى سيطرة بعض المفردات ذات الدلالات المفتاحية على بقية الأبعاد اللغوية و الأساليب التعبيرية؛ لأنّ هذه المفردات تعبّر عن صلب رؤية الشاعر في خطابه الشعري؛ و لهذا يمكن تسمية هذه المفردات على أساس النظرية الشكلانية بالعنصر المهيمن. فأكثر المفردات تواترا في خطاب الشاعر الشعري هي: «الحلم و مشتقاته» و «الموت و مشتقاته» و «الدرب و مترادفاته» و «العبث و مشتقاته».

سيطر العنصر المهيمن المتمثّل في هذه الألفاظ على المعجم اللغوي للخطاب الشعري عند الشاعر فجاءت أكثر الألفاظ و العبارات ذات دلالات سلبية لتلائم مع دلالات الألفاظ المهيمنة كما أنّ الظواهر الأسلوبية البارزة مثل أساليب النفي و التساؤلات الشعرية و الإيقاع البارز المتمثّل في القوافي و ظاهرة التكرار برزت متناسقة مع دلالات الألفاظ المهيمنة.

## المصادر

1 - ابن ذريل، عدنان(2002)، النصّ و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، الاتحاد كتاب العرب.
2 - بخوش، علي(2011)، إستراتيجية التلقّي في ضوء النظرية الشكلانية، قسم الأدب العربي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة،

(http://www.adablabo.net/bakhouche.htm

3 - برفاوي، أحمد(1984)، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، الطبعة الأولى، لبنان، دار الميسرة.
4 - بليت، هنريش(1999)، البلاغة و الأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة و تقديم و تعليق: محمد العمري، المغرب، أفريقيا الشرق.
5 - بوقرورة، عمر( د،ت)، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث(1945-1962)، منشورات جامعة باتنة.
6 - حسونة، محمد إسماعيل(2006) تساؤلات النصّ الشعري- دراسة تحليلية أسلوبية، مجلة الجامعة الإسلامية( سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الأوّل، صص: 115-130، يناير.
7 - حمداوي، جميل(1997)، السيميوطيقا و العنونة، الكويت، عالم الفكر.
8 - الحيدري، بلند(1980)، الديوان، الطبعة الثانية، بيروت، دار العودة.
9 - الجرجاني، عبد القاهر(لاتا)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مصر، مكتبة الخانجي.
10 جيرو،بيير(1994)، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، الطبعة الرابعة، مركز الإنماء الحضاري.
11 للراجحي، عبده(د.ت)،علم اللغة و النقد الأدبي، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني.
12 واضي جعفر، محمد(1999)، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الروّاد، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
13 عبد المنعم الخفاجي، محمد(1992)، الأسلوبية و البيان العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
14 عزام، محمد(1989)، الأسلوبية منهجا نقديا، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
15 للعلاق، علي جعفر(1972) الشعر و التلقّي، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع.
16 عياشي، منذر(2002)، الأسلوبية و تحليل الخطاب، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري.
17 عياد، شكري، قراءة أسلوبية لشعر حافظ، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الثاني.
18 عياد، محمود(1981)، الأسلوبية الحديثة- محاولة تعريف، مجلة الفصول، المجلد الأول، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

19 عيد، رجاء(1995)، القول الشعري" منظورات معاصرة"، منشأة المعارف بالإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة.
20 فضل، صلاح(1985)، علم الأسلوب، ط1، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
21 كوهين، جان(1986)، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي و محمد العمري، المغرب، دار توبقال.
22 كنت بينيت كلر، تودوروف(1977)، القصّة الرواية المؤلف دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، ترجمة: خيري دومة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار شرقيات.
23 المسدي، عبد السلام(د.ت)، الأسلوبية و الأسلوب، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب
24 الهنداوي، حسين(2009)، بلند الحيدري و إغراء الفلسفة، مجلة نزوى، العدد الثاني و الخمسون، عمان، مؤسسة الصحافة و النشر و الإعلان.

# الإعلام والاتصال الجماهيري

## الاعلام العربي في ظل الأزمات

### الخطاب المرئي والتفاعلية مع احداث الثورات العربية

د. حسين الانصاري*

# الاعلام العربي في ظل الأزمات
## الخطاب المرئي والتفاعلية مع احداث الثورات العربية

**د. حسين الانصاري***
السويد

مشكلة البحث واهميته

في ظل الظروف الحاضرة التي يشهدها العالم العربي وهو يعيش حالة من النهوض والتغيير عبر تواصل حالة الوعي والمطالبة بالحقوق المشروعة والمساهمة في صناعة القرار السياسي وتجاوز الماضي وما خلفه من ارث ثقيل وتراكم لعديد الاشكاليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي دفعت بالشعوب الى رفض الواقع والثورة ضد الانظمة الفاسدة التي ظلت تتربع على عرش السلطة لعقود طويلة وحرمت شعوبها من فرص العيش الكريم وتعطيل مشاريع التنمية البشرية ومواكبة مستجدات العصر

ومع مجريات الاحداث والازمات التي تعصف بالشارع العربي هذا العام ، كان الاعلام وعبر مختلف وسائله المكتوبة والمسموعة والمرئية يتصدى لتطورات هذه الازمات ،يعاين الاحداث ويحلل المشاهد ويتابع التفاصيل من اجل ان يقدم مادة تتسم بالاحاطة والشمولية واقتناص المعلومة ذات الاهمية والانية ،لمواكبة الاحداث وتطوراتها

ولان ما حصل في الثورات العربية من متابعة اعلامية واساليب تغطية لابرز المواقف التي صنعتها ارادة المواطن العربي كما جرى في تونس ومصر وليبيا والان في اليمن وسوريا وغيرهما، قد منح الاعلام قدرا اكبر لتحمل مسئولياته ومساهمته الفاعلة في التأثير على الرأي العام لاسيما وان المشهد الاعلامي يشهد تطورا متواصلا اثر معطيات ماجاءت به ثورة المعلوماتية وتقنيات الاتصال ومانجم عنهما من اثار انعكست بشكل مباشر على المشهد الاتصالي بمجالاته كافة

، وهو مانراه عبر التدفق المرئي على الشاشات وانتشار الاقمار الفضائية التي اتسعت لها الفضاءات المفتوحة او الاستخدام الواسع لشبكات الانترنيت وما اتاحته من استخدام لعديد الاجهزة والادوات والألات التي باتت تساهم في تسهيل عملية الاتصال وتوفير المعلومات ومعالجتها وخزنها واسترجاعها حيث اصبح بأمكان الانسان في العالم ان يكون قريبا من المعلومة التي يريد وفي اي وقت يشاء وعبر ايسر الطرق وهذا ما اتاحه مجتمع المعلوماتية من

شيوع الثقافة الرقميةالتي انعكست نتائجها على وسائل الاتصال الحديثة التي الغت حدود الزمان والمكان وجعلت الكونية مدارا يستجيب لهذه المعطيات والتحولات الهائلة التي تركت بصماتها واضحة في ارجاء المعمورة جراء الطفرة التكنولوجية المذهلة وما رافقتها من تغير في المفاهيم والتوظيفات والاستيراتيجيات في الحقول الاعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي من شانها ان تعيد بناء وترتيب عناصر مكوناتها واعادة صياغة العقول بعد خلخلة المنظومة القيمية والمعرفية للمجتمعات التي تلقت صدمة العولمة وما لحق بها من تبدلات تحت ظل النظام العالمي الجديد.
(( وكان نصيب الاعلام والاتصال في هذا التأثير من التحولات التكنولوجية التي ميزت العقود الثلاثة الاخيرة للقرن الماضي واضحا" ومباشرا" حيث انه مهد الطريق لبروز ظاهرة العولمة عبر معطيات
التراسل الهائل ورقمنة النصوص والصوت والصورة وانتشاراقمار الاتصالات وثورة الهاتف المحمول وتعميم المعلوماتية في قطاعات انتاج السلع والخدمات_ وتصغير الحواسيب وربطها داخل شبكة كوكبية
قد مكنت من خلق انقلاب ضخم وشامل في نظام العالم. )) (1)
ونظرا للدور الذي يلعبه الاعلام في تحقيق هذا الانقلاب والتحول العالمي اصبح الاهتمام به من الاولويات والاسس التي تستند اليها كل البرامج والخطط الهادفة نحو هذا التوجه وبما يحقق التاثير على الراي العام وتشكيل اتجاهاته ،

ان فعالية الاعلام تقترن بارتباطها المباشر مع المجتمع وحجم نشاطه واتساع وظائفه وطرق تداوله بما يحقق للفرد المشاركة في تلقي الخطاب الاعلامي والمساهمة في صياغته وهذا ما جعله يتجاوز حدود الاتصال الى مستوى انتاج المعرفة والتثقيف واعادة بناء الوعي .والتفاعلية مع اهداف الرسالة الاعلامية المطلوبة
ويكبر هذا الدور المتبادل اثناء الازمات التي تحصل في المجتمعات ولعل ما يحصل الان من ثورات يصبح مؤشرا حقيقيا وواقعيا لتحديد العلاقة بين الخطاب الاعلامي واهميته في تغطية هذا الحدث الكبير والدور الذي لعبه في عملية مواكبة الحدث وكشف الحقائق وتوجيه الرأي العام والكيفية التي ميزت الاداء الاعلامي
سنحاول هنا ان نلقي الضوء على حالة التفاعلية بين الاعلام العربي والازمات ، وسنتخذ من احداث الثورت العربية انموذجا محاولين الاجابة عن عدد من التساؤلات المطروحة حول الدور الذي لعبه الاعلام المرئي في ظل الاحداث ؟ وكيف تم التفاعل معها عبر الخطاب المرئي المتلفز ؟ وهل

استطاع اعلامنا ان يواكب حقيقة ماجرى بخطابه الاعلامي ؟ وما الاساليب التي استخدمها الاعلام في تغطية الاحداث؟ هل تواصلت فاعليته بنفس الوتيرة لمابعد الحدث ام اكتفى بما تحقق من نتائج على صعيد انفراج الازمة ؟ واخيرا هل ادى نجاح الثورات العربية الى احداث نقلة واضحة في مجال حرية التعبير ؟ هذه المحاورستكون مدار بحثنا هذا

اهداف البحث

يهدف البحث الى تحقيق مايلي

اولا : توضيح دور الخطاب المرئي في التغطية الاعلامية للثورات العربية واهميته في تشكيل اراء واتجاهات الجماهير

ثانيا : تحديد السمات والملامح التي ميزت انواع التغطية الاعلامية

ثالثا:تأشير مواضع الخلل والتقصير التي يعاني منها الخطاب المرئي في تغطية احداث الازمات ومحاولة تجاوزها في المستقبل

رابعا: توضيح دور الاعلام لمرحلة مابعد انتهاء الازمة وكيفية مساهمته في رسم الملامح المستقبلية لها

حدود البحث

تقتصر حدود البحث على تناول الخطاب المرئي للقنوات الفضائية العربية التي ركزت جهودها على عملية التغطية الاعلامية الاخبارية لاحداث الثورات العربية.

منهج البحث

اعتمد الباحث المنهج التحليلي الوصفي في رصد الظاهرة وجمع المعلومات حولها من خلال ما اتيح له من مصادر ومعلومات ومتابعة بغية تحليلها وتقديم الحلول المناسبة لها

فرضيات البحث

اولا: ان الدور الاعلامي للخطاب المرئي يساهم بقدر كبير في معالجة الازمات والتقليل من تأثيرها او تحقيق نتائج افضل من شأنها ان تنعكس على حياة الفرد والمجتمع

ثانيا:عندما يسود مبدأ الحيادية والمهنية والمصداقية في التغطية الاعلامية للاحداث يكون الخطاب اكثرتفاعلية وتأثيرا تشكيل اتجاهات الرأي العام

مصطلحات البحث

التفاعلية (Interactive)

)إنتاج مضامين إعلامية جديدة تقوم على مبدأ إحداث فضاءات للحوار والنقاش وإبداء الرأي، من منطلق أن للمتلقي حق الكلام في المسائل التي تتعلق بمجتمعه جميعها، وهو المنطلق الذي يمكن التأسيس عليه لتعزيز جهود الإصلاح المختلفة، ومنه الإصلاح المُراد إحداثه في قطاعات الحياة المختلفة، وتحفيز قواعد إسناد تلك الجهود ودفعها، أو تقبلها في أقل تقدير، وعدم التصدي لها أو عرقلة تنفيذها تمسكاً بالنهج التقليدي السائد)(2.(

وتعرفه الباحثة فاطمة التريكي بقولها :( انه العلاقات المتبادلة كفعالية انسانية تستثمر ثورة التقنيات ووسائلها كالبرامج التلفزيونية والانترنت مثلا كمنبر للتعبير والأي والتفعل الثقافي كما تستثمر الصحف وسيلة ميسرة للمعلومات والافكار والثقافات )(3)

ولأن ثورة التقنيات الرقمية والاتصال لها تأثير كبير على الحياة الإعلامية والأدبية والفنية، نلمس اليوم المبدع العربي مساهماً في هذا الخضم لخلق تفاعل ثقافي وفكري وأدبي راق وجميل، ليوطد التبادل الثقافي مع الآخر، وييسر الإطلاع المشترك على نتاج بعضهم البعض،لإيجاد موطيء قدم في الثقافة العالمية، بدءاً من التعريف بالنتاج الفكري والإبداعي العربي وصولاً إلى الإفادة من العلوم والمستجدات الحضارية، وأن تعدد الصفحات التفاعلية في المواقع الإكترونية يتيح المشاركة أكثرفي حلقات النقاش، والتصويت والبرامج المباشرة والمراسلة،

اما الباحث فيعرف التفاعلية ضمن عنوان البحث هذا (انها العلاقة المتبادلة بين المشاهد والبرامج المرئية المنتجة للتلفزيون تحديدا والتي يمكن من خلالها تطوير عملية التواصل وفق اتجاه مزدوج او متعدد الاتجاهات )

وان التفاعلية مع البرامج التي قامت بتغطية احداث الثورات العربية قد كانت بنسبة اكبر مما كانت عليه سابقا العامل الذي جعل المشاهدين يساهمون بشكل مباشر اوغير مباشر في انتاج المعلومة وتوجيه الخطاب الاعلامي من خلال الاراء والتعليقات على الحدث مباشرة مما يعكس ردود فعل الشارع و سلوكيات الجمهور المتفاعل.

الخطاب الاعلامي

هو: الصيغة التعبيرية التي تستهدف مخاطبة جمهور واسع عبر وسيلة اعلام جماهيرية مقروءة أو مسموعة أو مرئية، لذا فهو يعتمد على منتج النص

ومستقبله،ليتحقق هدف الرسالة التي يتضمن،لذا يعتبر" ممارسة اجتماعية متغيرة " لأنه يتعرض دائماً - وبالضرورة - للتغيير والتطور.
ويجمع الباحثون بأنه " ليس شيئاً واحداً، بل خطابات عدة، بحسب المناظير المختلفة لموجه كل خطاب "(4) فالخطاب الرسمي الحكومي، مثلاً، يتبنى مقولات وشعارات تعبر عن مصالح الحكومة ، والحزبي يمثل ايديولوجية الحزب، وثمة خطاب لليمين يختلف عن خطاب قوى اليسار فالخطاب الإعلامي ،هو: " المادة المكتوبة أو المذاعة أو المرئية، التي تقيم علاقة جدلية مع المجتمع ، تعكس الواقع وعلاقات القوة المهيمنة في المجتمع ، وتسهم في بنائها عبر عمليات ادراك الواقع، وتحديد الهويات الاجتماعية ، واختيار المفردات، ويتم ايضاً عبر عمليات التناص والتفاوض، ولاسيما بين منتج الخطاب والجمهور المستقبل له "وهكذا فهو : عملية مستمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوى ومتغيرات محلية ودولية تعكس أوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التي يعيشها" (5)

الأزمة

_نتيجة لتنوع المجالات التي تتعلق بالازمات اصبح من الصعب الاحاطة بهذه المصطلح من زاوية واحدة فهناك المجال الاقتصادي الذي ينظر للازمة من حيث اثارها الاقتصادية وانعكاسات ذلك على محددات هذا المجال فيما يتعلق بالتضخم والبطالة والانكماش وعجز الميزانية وبالتالي البطء التنموي
وفي المجال السياسي ترتبط الازمات بعديد الظواهر التي تنتج بسبب فشل النظام السياسي بتحقيق برامجه المعلنة او الشعارات التي نادى بها مما يؤدي الى خلل في البنية الاجتماعية وغياب حقوق المواطن وانتشار الفساد بين مؤسسات الدولة وفرض الرقابة والهيمنة والملاحقة مما يقود الى نمو الازمة وتناميها بين افراد المجتمع والعمل على التخلص من هذا النظام بشتى الطرق والامكانات المتاحة لايجاد البديل المناسب لاهداف الجماهير .
ومن الناحية الاجتماعية
تعرف الأزمة بأنها : " حدوث خلل خطير ومفاجئ في العلاقات بين افراد المجتمع وارتباك النظام الاجتماعي وخلخلة المنظومة القيمية السائدة وظهور ممارسات وسلوكيات غريبة تستدعي معالجتها لاعادة التوازن الاجتماعي ويقدم " وليم كونت " التعريف التالي للأزمة: (( الأزمة هي تلك النقطة الحرجة واللحظة المناسبة التي يتحدد عندها مصير تطور ما )). (6) ويعرف " جوناثان روبرت " الأزمة بأنها : ( مرحلة الذروة في توتر العلاقات في بنية إستراتيجية وطنية أو إقليمية أو محلية ) .(7 ) أو هي تلك النقطة الحرجة واللحظة الحازمة التي يتحدد عندها مصير

تطورها، إما إلى الأفضل وإما إلى الأسوأ، الحياة أو الموت، الحرب أو السلم لإيجاد حل لمشكلة ما أو انفجار.(8 )
ويعرفها جمال الدين حواش بأنها ( موقف مفاجىء يؤدي الى اوضاع غير مستقرة وتحدث نتائج غير مرغوب هيها في قت قصير ويستلزم اتحاذ قرار محدد للمواجهة في وقت تكون الاطراف المعنية غير مستعدة للمواجهة )(9)
ومن هنا يمكننا القول ان الازمة عبارة عن حدث مهم يتسبب في خلق متغيرات كبيرة على صعيد الواقع المحلي او الاقليمي والدولي تبعا لنوع الازمة وتأثيراتها في قطاع محدد او تشمل عموم المجالات الحياتية وهو مايجعل الاعلام يتعاطى مع مختلف مراحلها وتطوراتها ومتابعة نتائجا وتأثيراتها

اما الثورات العربية فهي ظاهرة نهوض ووعي شعبي للمطالبة بالحقوق الشرعية للمواطن العربي تلك التي تقرها الشرائع والدساتير الوطنية والدولية والتي يتجاوزها النظام الحاكم مما ينتج عنها معاناة اجتماعية واقتصادية وثقافية وتهميش لفئات الشعب الذي لم يعد يتحمل حالة استبداد وظلم السلطات مما يدفعه ذلك الى الثورة لتغييرالنظام واستبداله بنظام جديد عن طريق الانتحابات الحرة طامحا بتحقيق الاهداف التي جاءت الثورة من اجلها

الأزمات والاعلام

إن حدوث الازمات يأتي نتيجة مخاضات عسيرة ومعاناة تقود الى تصاعد حالات الصراع الى اقصى مداه مما يولد حالة من التناقض بين الواقع وبين ماينبغي ان يكون وتختلف الازمات تبعا لنوع الصراع وتضاد الارادات بين طرفين واختلاف المصالح وتنوع الشعوب والثقافات والسياسات ، إن الازمات سمة الحياة ولابد من حدوثها لان الفعل الانساني دائما يسعى الى التغيير نحو حياة افضل وهذا ماتتسم به المجتمعات الدينامية التي دائما تسعى لفرض ارادة التغيير والتجديد ومواكبة منطق العصر .
وحالما تبدأ الازمة بالتنامي لا بد وان يرافقها مواكبة اعلامية تتناسب وحجم هذه الظاهرة وقوة تأثيرها وكيفية مواجهتها والتفاعل معها بما يجعل المتلقي في حالة تواصل واحاطة بما يدور حوله ، لان امتلاك المعلومة يشكل جزءا كبيرا من امتلاك القوة والسيطرة على مجريات الازمة بغية التعامل معها وفق افضل السبل وايجاد الحلول الناجعة مع الاخذ بالاعتبار عاملي الزمان والمكان. وقد ظلت الشركات الاعلامية الغربية الكبرى تفرض هيمنتها في مجال التغطية الاعلامية للازمات بل للاحداث العالمية المهمة وتقوم بصناعة خطابها وفقا لمصالحها واهدافها ومرجعياتها مما جعل الاعلام مما جعل

المواطن العربي اسير هذه الحملات ومتأثرا بها
ولعل ازمة حرب الخليج واحتلال العراق التي قادتها الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها والتي رافقتها تغطية اعلامية غير مسبوقة توافقت مع اهدافها ومخططاتها في المنطقة لذلك كان الخطاب الاعلامي وافدا من مصدرواحد وكانت قنواتنا الاعلامية العربية مجرد تابعا للألة الاعلامية الغربية،
وفي هذا المجال تكون تجربة الاعلام العربي حديثة العهد مقارنة مع الاعلام الغربي في التعامل مع الازمات او الثورات والتي تبدوانها تجارب سوف تستمر بفعل استمرار الازمات القائمة على مختلف المجالات ، والتي تتصدرها اليوم الثورات العربية التي اطاحت بعدد من الانظمة الحاكمة في المنطقة وغيرت مسار تأريخها لتعيد رسم خارطة جديدة لسياساتها ومستقبل اجيالها .
لكن حدث الثورات العربية جاء مختلفا هذه المرة بمستوى شموليته وعمق تأثيره ونتائجه، وقد كانت مساهمة الاعلام العربي لاسيما القنوات التلفازية الى جانب الوسائل الالكترونية والمتمثلة بمواقع التواصل الاجتماعي والمدونات التي كانت لها دورا مهما في التغطية الاعلامية لهذه الثورات وسرعة التفاعل مع نبض الشارع وردود فعل الجمهور .

## سخونة الحدث والمنافسة الاعلامية

لم تشهد التغطية التلفزيونية حدثا اكبر مما حصل وما خلقته الثورات العربية ، فقد تظافرت جهود الاعلام العربي على المستوى الوطني والاقليمي والدولي لاسيما القنوات الناطقة باللغة العربية وبمختلف توجهاتها سواء الحكومية منها او المستقلة والمعارضة ، وقد اثمر هذا التنوع الاعلامي في تأطير الحدث بعديد المضامين والرسائل الاعلامية والمواقف التي حرصت القنوات على ايصالها للجمهور العربي ، كما ان تواصل فعل الثورات دفع هذه القنوات الى المنافسة في اقتناص المشهد المعبر والساخن من ارض الحدث وقد كانت المنافسة جلية بين قناتي الجزيرة والعربية لما يتوفر فيهما من امكانات تقنية ومادية وبشرية حيث يعمل في هاتين القناتين نخبة من الاعلاميين من ذوي الخبرات والكفاءات كما ان وجود المراسلين في مناطق الاحداث عزز عملية التواصل ومتابعة مايجري اولا بأول ( ان التفاوت في الاداء الاعلامي بات واضحا من خلال التعاطي مع ما حدث من ثورات ، فما قدمته قناتي الجزيرة والعربية مثلا لايمكن مقارنته بالقنوات العربية الاخرى من ناحية الموقف والوضوح والمساندة والمواكبة لهذه الثورات )(10)

اما الملاحظة الثانية التي ظهرت بوضوح اثناء التغطية الاعلامية هي حالة التنافس بين الاعلام الرسمي التابع للسلطات الحكومية والاعلام المستقل ، فكما هو معروف سعى الاعلام الرسمي على مر العقود التي سبقت قيام الثورات على حجب واحتكار ووضع القيود الصارمة امام تداول المعلومات وكشف الحقائق امام المشاهدين، بل وصل الحد به الى اشاعة حالة من التجهيل واستغلال الفئات المتدنية التعليم من اجل فرض صورة واحدة للنظام الحاكم والتطبيل له والغاء اي محاولة اعلامية مناهضة لهذه التوجهات

ورغم اتساع حجم ظاهرة العولمة وثورة الاتصال التي ساهمت في خلق الفضاء المفتوح الا إن الاعلام الرسمي كان لها بالمرصاد فقد سعى الى حجب الكثير من المواقع ومراقبة ماينشر او يبث كما انه مارس دورا في شيوع ثقافة الاستهلاك والتسطيح لاشغال المواطن عن حقيقة مايجري حوله من فساد وبطالة وهموم الفقر والمرض وغياب الحريات و العدالة وخراب شامل لبنية المجتمع وتخلفه عن ركب التطور ومسايرة عجلة التنمية والبناء .

ان ماكان يشاهده المواطن هي صورا بعيدة عن الحقيقة لانها صورا يتم التلاعب بها فهي تخضع لاعادة تشكيل ورسم ابعاد تتناسب ورغبات صناعها ، ان مقارنة بسيطة لاعلام ماقبل الثورات وماهو عليه اثناءها يكشف لنا بوضوح مستوى الفارق الكبير بين عالم الصورة الافتراضي وحياة الواقع المرير ، ان الاعلام العربي الرسمي كان يعيش حالة خارج العصر لاهيا بمتطلبات السلطة ومتناسيا حاجة المواطن وغليان الشارع العربي

ان الثورات العربية كانت نقطة التحول في بنيةالاعلام العربي الذي استمد من قوة الجماهير شجاعة مضافة منحته هذا الحضور ، حيث ان فعل الجماهير الثائرة كان اقوى من كل الاسلحة وصار صوت المواطن البسيط اقوى من مكبرات الصوت لانه الصوت الطبيعي النابع من صدق الواقع وقوة الحقيقة التي لايمكن ان تحجبها كل وسائل التكنلوجيا او اسلحة وكواليس الانظمة وزيف صورها المصطنع .

(لقد لعب الاعلام المرئي المتلفز دورا بارزا في تعزيز الحياة السياسية في العالم العربي ، بل ساهم في حركية النشاط الجماهيري وكسر الحدود الضيقة ،فتح الافاق واسعة لمناقشة القضايا المسكوت عنها والتي تهم الشعب انه ادى الى ظهور مصطلحا جديدا يمكن ان نطلق عليه تسمية -الدبلوماسية الشعبية (11)(

لكن حضور العين الراصدة للاعلام الجديد التي تحققت بفعل استخدامات التكنلوجيا الحديثة قد فوتت الفرصة على الاعلام الحكومي ، فلم تعد مركزية الاعلام ولا امتلاك رأس المال الكبير والتمويل ووجود اجهزة الرقابة نافعة امام المارد الاعلامي الجديد حيث اصبح بأمكان اي مواطن ان يصور مشهدا

مهما وعن بعد بعدسة هاتفه الجوال او بكاميرا صغيرة

الخطاب المرئي واساليب التغطية الاعلامية

رغم حالة التطور والتنوع الواسع في وسائل الاتصال مازال الخطاب المرئي يتصدر واجهة المشهد الاعلامي ويفرض سطوته على مختلف فئات الجمهور لما يتوفر عليه من امكانات تعبيرية وتواصلية جذابة عبر ماتمنحه الصورة من ابعاد وملامح اضافية من شأنها ان تعيد صياغة الواقع وتقديم الصورة وفق ما يرغب القائمون عليها في ايصال الافكار وتجسيد الرؤى ورسم المواقف الى جانب قدرتها في الحضور الأني والتفاعل المباشر وسرعة نقل الحدث. كل هذا يجعل من الاعلام المرئي خطابا متعدد القراءات والاغراض والتوصيل والتأثيركونه يمثل رسالة ووسيطا حاملا للشفرات والرموزالصارخة والفاضحة.

كما يتسم الخطاب الاعلامي المتلفز بعلاقة مشتركة في اغلب الاحيان تجمع بين اللفظي والبصري ، هذه العلاقة التي تتصف بالمفارقة بين الكلمة المتقلبة المعاني والمتجددة مع كل سياق والصورة التي تستطيع ان تتفرد بقدرتها التعبيرية وتتجاوز ثرثرة الكلام المنطوق او المكتوب.

لكن لو حاولنا ان نستقرىء بنية الخطاب الاعلامي المتلفز الذي اقترن مع احداث الثورات من ناحية توظيف البصري باللفظي لوجدنا انه في كثير من المشاهد جاءالصوت داعما للصورة ومانحا اياها قوة وتعبيرا

فالمشاهد التي كانت ترصد الحدث في ساحة التحرير في القاهرة وتنقل حجم الحشود الثائرة كانت اصوات المتظاهرين وصراخات احتجاجهم المرافقة تدعم الصورة بقوة مضاعفة ،

وكذلك الحال مع الصور التي كانت تبث من المدن التونسية او المصرية او الليبية او اليمنية وغيرها والتي تحتشد بجموعها هاتفة بأسقاط الانظمة ، كان الصوت مدويا لايمكن للمتلقي الا التفاعل معه والتأثر به فالصوت هنا يساهم في تكاملية بنية المشهد ويغنيه بلاغة وتعبيرا،حيث يتحول الخطاب برمته الى وسيط مختزن بالطاقة البصرية والصوتية كاشفا بوضوح عن جوهره ودلالاته. اي ان الخطاب المرئي لم يتخل عن اللغة المنطوقة امام الصورة لان بعض المشاهد او اللقطات المتلفزة لا تستطيع ان تعرض رؤية متكاملة عن بنية الحدث الشمولية لذا كان التعليق المرافق يضفي خطابا مزدوجا منه ما يرتبط بالايديولوحي او المنظار الذهني او الاحتمالي.

واحيانا كان الخطاب يتسم بالرمزية من خلال الرسوم والشعارات والصور والأعلام التي كانت ترفع اثناء التظاهرات

فحرق الدمى والكتابات الساخرة التي تعتمد روح النكتة والتورية والاشارات

اضافة الى استخدام المواد البسيطة في ايصال جوهر الخطاب، لقد اصبح البعض من هذه الرموز ايقونيا واصبحت الشفرات الايقونية مقياس العلامة بما تحدثه من إنطباع عن الواقع ، بعد ان كان القياس الوحيد هومحاكاتها الواقع ، ان الرموز التي كان يتضمنها الخطاب المرئي او ما ينقله ضمنا كانت تعبر عن مرجعيات واقعية بوضوح .

تميز الجانب الاخراجي بأستخدام اللقطات العامة البانورامية لتوضيح حجم الحدث وتبيان كم الحشود من الجماهير الغاضبة في الساحات والشوارع ، واحيانا نجد استخداما للقطات المتوسطة والقريبة لاسيما حين يكون هناك حدث مهم كما حصل في حالة الاشتباكات بين المتظاهرين والشرطة او القيام بحالات القنص من اعلى السطوح والشرفات او الدخول الى خيام المتظاهرين وكشف تفاصيل الرموز والصور والشعارات المرفوعة وغيرها.

لقد ساهم الخطاب المرئي في تأجيج حالة الغضب والتمرد على الواقع السائد من خلال عرض الكثير من مشاهد العنف التي كان يمارسها امن النظام واعوانه وهم يواجهون المتظاهرين العزل بالاسلحة والعصي الكهربائية واستخدام العنف غير المبرر ، وقد استطاعت عدسات الكامرا ان تسجل العديد من المواقف التي تجسد حالات القمع والانتقام والقتل العمد بدم بارد كما حصل لمشهد قتل الشاب المصري الذي كان يواجه شرطة النظام المصري السابق بصدره العاري في مدينة الاسكندرية او المشهد الذي يعرض الشاب الراحل بوعزيزي بعد ان احرق نفسه احتجاجا على ممارسات النظام التونسي وكان شرارة الثورة ومشعلها ، ولو نستعرض المشاهد التي تنضوي تحت استخدام العنف لوجدنا الكثير ولكن الاعلام ركز على عرض المشاهد المعبرة كما في مشاهد رشق المصلين بخراطيم المياه القوية وهم يؤدون الصلاة بأيمان وثبات في ساحة التحرير بالقاهرة ، او مشاهد استخدام سيارات الامن المركزي لتفريق المتظاهرين والقيام بالدهس المباشر دون مبالاة لموت البشر ، او استخدام الخيول والجمال لذات الغرض و هناك مئات المشاهد التي تعكس حالات استخدام العنف والتي كان لعرضها على الشاشات له اثره على المتلقين في التحشيد والتعبئة وبث روح الحماس والاصرار وتعميق الارادة على مواجهة الظلم وطغيان الانظمة المتسلطة حتى سقوطها الواحد اثر الاخر .

اما بالنسبة للتغطية الاعلامية داخل الاستوديوهات واعني بها هنا المقابلات والحوارات والتعليقات التي كانت تتم مرافقة للحدث او بعد ه فقد تنوع مستوى الاداء بخصوص الاختيارات للشخصيات والضيوف التي كان يتم الاتصال بها واستضافتها فقد توزعت مابين الجمهور العام والبسيط وبين الشخصيات السياسية والثقافية والاعلامية ولكن الفرق بين قنوات الاعلام

الرسمي والقنوات المستقلة او تلك التي حاولت ان تميل بكفتها لصالح الجماهيرفأن الامر كان واضحا حيث ان معظم القنوات كانت تنتقي الضيوف ممن لديهم ذات التوجهات التي يهدف اليها الخطاب المرسل ووفقا لشروطه الايديولوجية المرسومة من قبل صناع المشهد او تتفق مع وجهة نظر القناة سواء كانت للاعلام الرسمي او للاعلام الاخر وهذا يؤكد الى تمت الاشارة اليه بضعف الحيادية في اعلامنا المرئي او في عموم التغطية التي رافقت فعل الثورات ولاتزال .
ولو اردنا مزيدا من التأكيد لما نحن فيه لوجدنا ان بعض القنوات البارزة عمدت الى تصنيع مايشبه الدعاية -برومشن- وقد اختارت بعض المشاهد من خطب الرؤساء ومساعديهم اللذين كانوا يسخرون من شعوبهم وشباب الثورات كما فعلت مع خطاب زين العابدين بن علي حين يقول – الان قد فهمتكم – او خطاب حسني مبارك وهو يعد المتظاهرين والمحتجين بعدم ترشحه لانتخابات 2014 او من خطاب القذافي الذي يهدد فيه المتظاهرين – دار دار وزنقة زنقة - والذي نال انتشارا كبيرا وتحول الى موضوعات ساخرة في وسائل اعلامية اخرى كالرسوم والاغاني والرقصات ،وقد كان لهذه المشاهد المتلفزة والمصنوعة وفق رؤية معينة تعبر عن وجهة نظر الوسيلة الاعلامية وانحيازها الواضح لصالح كفة الشعب اثرها في التفاعلية مع المتلقين والتأثير على الرأي العام .
ومن ناحية التوظيف والتبادل الاعلامي بين مختلف الوسائل الاتصالية فقد استثمر الخطاب المرئي مختلف الاشكال التعبيرية من اشرطة فديو مصورة بكامرات عادية وبسيطة الى التسجيلات الصوتية والصور الفوتغرافية الرسوم الكاركاتيرية وما الى ذلك بغية تقديم كل ما يتوفر حول الاحداث ومستجداتها.
لكن الجانب الاكثر اهمية والذي يسجل للاعلام العربي المرئي لاسيما قناتي الجزيرة والعربية هو حالة التواصل المستمر والنقل المباشر لكل ما كان يجري من احداث سواء في الاماكن المركزية كما في ساحة التحرير بالقاهرة او من شارع الحبيب بورقيبة بتونس او الساحة الخضراء بطرابلس او بنغازي وسرعة المتابعة للاحداث التي كانت تجري في المدن الاخرى ايضا وهذا جعل المتلقي في حالة تواصل مع تطورات الحدث ومجرياته وهي المرة الاولى التي يبادر فيها الاعلام العربي بهذا المستوى الكبير من التحشيد الاعلامي والمواكبة للاحداث ، وقد استطاعت هاتين القناتين الى جانب بعض القنوات ان تكون حاضرة وسط الاحداث وقادرة على نقل وتسجيل مايجري بشكل مباشر ودون رتوش مما جعل خطاباتها اكثر مصداقية وتأثير بل تحولت في بعض الاخيان الى مصادر ومرجعيات لتبادل الاخبار عبر

الوكالات والقنوات العالمية .
وامام هذا الحضور المميز نستطيع ان نشير الى فشل الاعلام الرسمي في منافسة القنوات غير الحكومية وعدم قدرتها على صياغة خطاب منافس او مقنع فما كان يقدم من قبل الاعلام الرسمي لايتعدى سوى بعض الخطب لرؤساء الدول او مساعديهم واحيانا بعض الردود والتوضيحات من قبل الناطقين بأسم الحكومة او من ينوب عنهم من شخصيات واعلامي النظام اللذين ظلوا يدافعون عن هذه الانظمة الديكتاتورية ويشيدون بها حتى قبيل لحظات من انهيارها الكامل فقد كانت الخطابات الموجهة عبارة عن تحذيرات وتخويف للناس الثائرين واطلاق بعض الصفات عليهم مثل زمرة من المخربين او المتأمرين او كما وصفهم البعض بنعوت رديئة كالجرذان او الوحل الوسخ مثلا ، وفي بعض الاحيان لجأ الاعلام الرسمي الى توظيف اصوات بعض المؤسسات والشخصيات الدينية او الثقافية والفنية كالازهر ووجوه من الفنانين المعروفيين لتبيض وجه النظام لكن باءت كل هذه الجهود المنحازة بالفشل امام سطوة الاعلام غير الرسمي او بما يمكن ان نطلق عليه – اعلام المواطن -

## التغطية الاعلامية في ظل الثورات العربية

### الخطاب المرئي ومرحلة ماقبل الثورات

مارس الاعلام المرئي قبل اندلاع الازمات دورا اعتياديا فقد كان يقترب من النقل الاخباري والمتابعات لما كانت تقوم به الحركات الثورية من تحضيرات او اعتصامات وتجمعات ومسيرات واطلاق نداءات ومطالبات من الدولة بالعمل على تلبية مطالبها ، وقد كانت تصريحات التنظيمات المعارضة المتواجدة بالخارج هي السائدة والمباشرة والجريئة كونها تتمتع بقدر من حرية التعبير في البلدان التي تتواجد فوق اراضيها لاسيما العواصم الغربية ، كما ان منظمات الدفاع عن حقوق الانسان هي الاخرى ساهمت بنوع من المطالبات بضرورة الحرص على احترام حقوق الانسان .
هذه التسريبات الاعلامية لم تكن تصدر من الاعلام الرسمي بل من القنوات غير الرسمية المستقلة منها والخاصة او من بعض القنوات العالمية التي توجد لها مقرات او مراسلين في عواصم الثورات ،
كان الاعتماد ايضا على الخطاب الالكتروني وما تنشر فيه من مشاهد مرئية عما يحصل من مواقف وتجاوزات او تصويرا لحالات المواجهة بين المتظاهرين ورجال الامن وغيرها ، وقد كان الاعتماد على المواقع الاتصالية لان رقابة الحكومة كانت تمنع القيام بتصوير او نشر اي حالة او

موقف يتعرض الى سياسة النظام او انتقاده ، لذا كانت عملية تكميم الافواه وخنق الحريات هي احد اسباب الاحتقان لاسيما بتونس وليبيا بينما كانت فرص التعبير في حال افضل بمصر وهذا مانلمسه من خلال الكم المعلوماتي الذي توفر لدى المواطن من قبل الاعلام وصحافة المعارضة ، اما في ليبيا فقد كان النظام يطبق قبضته الحديدية على وسائل الاعلام ولم يسمح الا للاعلام الرسمي الذي كان ينطق بأسم القائد ولجانه.

اذن نحن امام مستويات مختلفة للخطاب الاعلامي وحرية التعبير وتداول المعلومات بين نظام واخر وهذا الحال انعكس على واقع الخطاب المرئي بشكل عام قبيل اندلاع الثورات ، فقد ساير الاعلام بدايات حالات الاحتجاج وبدء التظاهرات بقدر من التحفظ والحيادية وكان دوره هنا يكاد لايتعدى حدود العرض المباشر للظاهرة دون تعليق او ابداء وجهات نظر مع او ضد اي طرف من اطراف الازمة واكتفى الاعلام المرئي بدور ابلاغي للاحداث

.

إذن نحن امام اتجاهات اعلامية متنوعة فالبعض كان حياديا وتعامل مع نشوء الازمات بطريقة ايجابية وواقية دون الانحياز لطرف على حساب الاخر والبعض الاخر تعامل بشكل تحليلي ابتعد عن جوهر الازمة ودوافعها واسبابها وكرس خطاب تبريري واضح الانحيازانشغل بتقديم التبريرات والاحكام الجاهزة مما كان له اثرا في تشويش الجمهور ( لقد افرزت الاحداث العربية انماطا من اعلام الازمات تراوحت بين المحايد ، السلبي ،

التغطية الاعلامية اثناء قيام الثورات

عندما تصاعدت احداث الثورات واتسع حجم نشاط المتظاهرين والمعارضة اختلفت المعالجات تماما وتغير اسلوب التعامل من قبل سلطات الانظمة الحاكمة اذ شعروا بخطورة الامر وجدية الموقف عندها ارادوا فرض سيطرتهم البوليسية من جديد فتدخلت قوات الشرطة والامن المصري وكذلك كان فعل الامن التونسي لكن الوضع في ليبيا كان استخدام التهديد والعنف منذ البداية ومع تصاعد وتيرة الاحداث كان لابد من الاعلام ان يواكب ذلك لذا تحول الخطاب المرئي الى مستوى اخر حيث استمد نشاطه من قوة الفعل المتحقق على ارض الواقع ، فنزل الاعلاميون الى مواقع الاحداث وراحوا يسجلون بعدساتهم واجهزتهم كل جديد ويتابعون مجرى الاحداث ، هنا اتخذ الخطاب اتجاها مختلفا عما كان عليه في المرحلة السابقة اذ اصبحت الاراء المطروحة اكثر عمقا وتحليلا واتفاقا مع مايجري في الشارع لاسيما خطاب بعض القنوات كالجزيرة والعربية وغيرها ممن جندت طاقمها لهذا الحدث وبات المحور المركزي في خارطة البث ، كانت المشاهد المصورة من

مواقع الاحداث ترافقها التعليقات والاراء التي كانت تقدم من المحللين والمراسلين والضيوف وكانت هذه بمجملها تشكل مواقف دعم للخطاب المرئي وتوجهاته في محاولته لاسناد المتظاهرين ورص الصفوف وتنظيم القدرات

حيث لعب الاعلام دورا ابلاغيا وتوجيهيا واسهم في توفير المعلومات الانية امام المشاهدين بما جعلهم يتخذون الاحترازات مما قد يحدث وهو ماحصل فعلا بتونس عندما حاول النظام اعتماد مبدأ التخويف واشاعة الفوضى من خلال حرق وتخريب المصالح العامة او مداهمة البيوت والاحياء ، اذ سرعان ماتم تشكيل ماسمي باللجان الشعبية للدفاع والحماية الذاتية من قبل اهل الحي او المتساكنين وهذا الاجراء زاد من حدة التلاحم بين صفوف الشعب عندما شعروا انهم جميعا امام خطر واحد ، وقد افاد الثوار في مصر من هذه التجربة وكذلك انسحب الحال على الثورة الليبية واليمنية والسورية ايضا.

وفي هذه المرحلة استطاع الخطاب المرئي من تأجيج مشاعر المشاهدين وذلك من خلال المشاهد المؤثرة التي تتوفر على قدر كبير من الدراما الانسانية والتراجيدية احيانا ، اذا كانت العدسات بالمرصاد لتسجيل افعال العنف والضرب والانتقام حيث مشاهد الدم والجراح او القتل والدهس او عبر مشاهد استعراض الحشود المليونية الغاضبة وهي تهتف بصوت واحد الله واكبر وليسقط النظام .

في هذه المرحلة برز دور قناة الجزيرة وازداد مستوى الاهتمام بما كانت تقدمه نتيجة تعرض مكاتبها للغلق او منع مراسليها من متابعة الاحداث وممارسة عملهم ووصل الامر بحجب الاشتراك وقطع البث كما حصل ذلك في مصر حين اقدمت السلطات على عزل القناة من القمر الاصطناعي -نايل سات – لكن هذا السلوك جاء بنتائج عكسية ومنح الجزيرة اهتماما مضافا من قبل المشاهدين والمتظاهرين الذين سرعان مابادروا الى اعادت البث عبر ترددات القناة الجديدة ونصب شاشات كبيرة في مواقع الاعتصام وساحات التجمع.

ان الخطاب المرئي هنا قد تجاوز حدود الحيادية تماما وانتمى الى صفوف الجماهير واتفق مع مطالب الشعوب حيث افرزت المعطيات والتحليلات في الخطاب الاعلامي الى ابراز دور الشعب وقوته في مقارعة الانظمة التي اخذت تضعف وتتراجع وهي في طريقها الى الزوال ، هنا كان الخطاب المرئي في حالة اداء عالية وبقدرات تعبيرية هائلة صارت الصورة اكثر وضوحا والصوت اكثر قدرة على الوضوح بعد ان كان حياديا ومرمزا وايحائيا حسب .

واذا تجاوزنا الخطاب المرئي العربي وانتقلنا الى الخطاب المرئي الغربي نجده لم يكن بذات المستوى في متابعة الحدث ومعظم ماكان يبث يأتي لاحقا للحدث وليس مواكبا له ، وحتى بالنسبة للتعليقات وتصريحات المسئوولين الغربيين كانت تصدر من خلال بوصلة المراقبة لطرفي الصراع وينتظرون اين تميل الكفة ؟ الا بأستثناء بعض التصريحات التي كانت اكثر وضوحا وانتماءا لارادات الشعوب وهذا ملمسناه من خلال تصريحات المسئوليين الفرنسيين او من خلال نداءات ممثلي منظمات حقوق الانسان.

التغطية الاعلامية لما بعد الثورات

اثر تحقق الثورات وسقوط الانظمة الحاكمة والانتقال الى مرحلة مابعد الثورة شهد الخط البياني للتغطية الاعلامية في الخطاب المرئي تراجعا ملحوظا حيث انخفض مستوى المتابعة وتم اختصار مدة التغطية من وقت البث العام الى ادنى مستوى مما ادى الى حالة شبه انقطاع للمستجدات وتفاصيل مابعد الازمة

ان تحقق عملية التغيير وسقوط الانظمة الحاكمة ليست نهاية المطاف بل انها المرحلة الاكثر اهمية (لان الثورة هي مجرد بداية لمرحلة كاملة في اعادة البناء لكن اعلامنا المرئي كان مهتما بالاقل اهمية وليس الاهم ) (13)

حيث ان الاعلام هنا ينبغي ان يكون اكثر فعالية نتيجة الفرص الجديدة المتاحة وتوفر عامل الامان الى جانب متابعة تطورات الاحداث وتقديم البرامج والخطط التي ستكون بديلا في المرحلة المقبلة لاسيما فيما يتعلق بكشف البرامج التي تقدمها الاحزاب او الشخصيات التي ساهمت بكفاءة في عملية التغيير ليكون دورها واضحا امام الجماهير كي لا تحصل خروقات ويتسلم مقاليد السلطة ممن لايستحقون ذلك او من ذوي الكفاءات المتدنية وهنا ستنكفىء الثورة وتعود الى خط البداية .

اما بالنسبة للاعلام الرسمي للدول التي نجحت فيها الثورات فنجده سرعان ما ينقلب من حالة الدفاع عن النظام الى مدافع عن الثورة ومكتسباتها بغية التكييف مع سلطة الثورة فهو اعلام منافق وتابع ولايمتلك من المصداقية بشيء سوى انه اعلام سلطوي يعبر عن مصالح من سيقود وهذه تكاد تكون سمة عامة لاعلامنا الرسمي العربي و اشكالية كبرى من اشكاليات الاعلام

اشكاليات الاعلام العربي

وامام حجم الاشكاليات التي يعاني منها الاعلام العربي يبدو ان هذه المعالجة لاتقدم حلولا" ناجعة_ولايمكن ان تخلق بديلا حقيقيا ومواكبا لما يسود عصرنا الحالي من تطورات متسارعة وتبدلات جوهرية في بنية الخطاب الاعلامي وما نواجهه من تحديات شرسة واختراق ثقافي واتساع حجم الفجوة بيننا وبين

الاخر، كل هذا يستدعي منا وقفة موضوعية وفهما عميقا لواقعنا من الداخل واعادة نظر بمجمل القراءات السياسية لخطابنا الاعلامي بغية تأشير مواضع الخلل ودراسة الظاهرة وتحديد اسباب تعثرها والعمل على وضع الشروط الكفيلة باعادة ربط هذا الخطاب بالمجتمع وتنظيم علاقته مع النظام السياسي الجديد والمنظومة التشريعية وملكية وسائل الاتصال اضافة الى ايجاد سبل النهوض الحقيقية له واعادة الثقة بينه وبين متلقيه من خلال اعتماد البرامج والافكار الجديدة والحرص على تحلى الخطاب الجديد بالتعبير عن حاجات الجمهور كونهالفاعل الحقيقي في صنع احداث الثورات لذا على الاعلام ايصال المعلومة الصادقة الملتزمة بقضاياه وهمومه واماله بعيدا عن الصيغ التقليدية او التضليلية والانحيازية في توجيه الخطاب وبمستوى من المهنية العالية للعمل الاعلامي والراي الحر.

إن الازمات التي تحدث هي اشبه بأختبارات لتقييم إداء الاعلام ووضعه أمام تحديات مستمرة لاعادة الثقة مع المتلقي من خلال الممارسة الاعلامية لتقديم رسالة تتسم بالمصداقية والمهنية والحيادية ورسم صورة ذهنية لدى الجمهور من شأنها ان تحقق حالة التفاعلية المتبادلة . وهذا ينطبق على صورة اعلامنا العربي

فلا سبيل للاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي بعد الثورة دون اصلاح للاعلام وتغير منهجيته واساليبه واهدافه بما يبلور خطابا جادا وصادقا يسعى لتحقيق التوازن المطلوب ويكون مؤهلا لاقامة حوار متكافئ ومنسجم مع الواقع الجديد ونواميسه ، وهذا ما يجعله قادرا على صناعة القبول من خلال التزامه بالمستوى الاخلاقي في عرض الحقائق والدفاع عنها و تقديم صورة حقيقية عن انساننا العربي الذي انتفض مطالبا بحقوقه والحفاظ على كرامته بعيدا عن التشويه والتحريف والمبالغة التي مالبث الاعلام السلطوي يروج لها ويعمل على ترسيخها في اذهان وعقول الرأي العام .

ازاء هذا الواقع ولمواجهة التحديات التي تحدق بنا لابد من الاعتراف بقصور سياساتنا الاعلامية العربية رغم ماقدمه الاعلام من مبادرات ومساهمات شكلت حضورا لافتا لكن بنسبة قليلة وممثلة ببعض القنوات المعروفة في مستوى مهنيتها وحجم انتشارها ، ومادام العالم العربي يشهد التواصل في الازمات وهي ميزة المجتمعات الدينامية الساعية نحو التغيير ومواكبة البلدان المتحضرة في البناء والتقدم والتنمية الشاملة يكون من الضروري تأشير مواضع الخلل , تلك التي افقدت خطابنا الاعلامي العربي عناصر الحضور والمواجهة والقوة والتاثير والمنافسة ودفعت به لمزيد التراجع والتخلف امام عصر اتصالي يتطور وواقع كل شيء فيه يتغير وبسرعة

فائقة.

## نتائج البحث

لقد افرز لنا البحث العديد من النتائج ومن اهمها مايلي :-

1- يزداد حجم الدور الاعلامي وخصوصا الخطاب المرئي اثناء الازمات وتتسع اهميته في المشاركة بصناعة الاحداث والمساهمة في زيادة حركية نشاط الجماهير وتشكيل اتجاهات الرأي العام.
2-استطاع الخطاب المرئي المتلفز ان يفرض وجوده ويستقطب اهتمام الجماهير لما يتوفر عليه من امكانات تعبيرية وسرعة متابعة في تغطية الاحداث تفصليا ومن موقع الحدث.
3-تفاوت مستوى التغطية الاعلامية المرئية بين القنوات التلفزيونية العربية من حيث الاداء والمهنية ومواكبة الاحداث ميدانيا وقد برزت في ذلك قناتي الجزيرة والعربية .
4-فشل الاعلام الرسمي المرئي في منافسة الاعلام الحر والمستقل ، وظل حتى نهاية الاحداث اعلاما تابعا يعبر عن ايديولوجيا النظام ،اعتمد خطابا تبريريا مزيفا واحكاما جاهزة على الاحداث.
5-تنوع اداء الخطاب المرئي في التغطية الاعلامية وفقا لمراحل الاحداث مستمدا قوته من سخونة الحدث ومشاركة الجماهير الواسعة فيها وقد اتسم الاداء لمرحلة ماقبل الثورة بالحيادية والمتابعة الاخبارية التقليدية ، لكن تصاعد دوره واتسع حجم نشاطه وخرجت بعض القنوات عن حياديتها والتقت مع اهداف الثوار والمتظاهرين .
6-تراجع اداء الخطاب الاعلامي المرئي في فترة مابعد الثورات من حيث مواكبة التطورات والمساهمة في رسم افق المستقبل امام الجماهير واقتصر نشاطه على السائد من الاحداث .
7-لم يتخل الخطاب المرئي في التغطية الاعلامية بأعتماده على الوسائل الاتصالية المجاورة مثل مواقع الاتصال الاجتماعي والصحافة المكتوبة ،الى جانب برامج الحوارات والتعليق على الاحداث والتسجيلات الصوتية .
8-هناك علاقة ارتباطية بين مصداقية الرسالة وجديتها والتزامها بالاخلاق الاعلامية وبين درجة التأثير على المتلقين.
9-لم تخل بعض التغطيات الاعلامية المرئية من المبالغة والتهويل والانتقائية او بث اخبار من مصادر غير موثوقة مما ادى الى حالات من التشويش

الاعلامي .
10- كان لاختيار بعض المشاهد واللقطات المأساوية او الساخرة واعادة بثها اثرا في تعبئة الجماهير وتحفيزها بأتجاه المزيد من التفاعل مع الاحداث والمساهمة في الوقوف الى جانب الجماهير وثورتها .

التوصيات

1- مع استمرا حالة الازمات التي تمثلها اليوم الثورات العربية نءصي القائمين على التغطية الاعلامية في القنوات التلفزيونية واداراتها ضرورة تهيئة كوادر متخصصة واحترافية في مجال اعلام الازمات من محررين ومصورين ومراسلين اكفاء ليكونوا في مستوى مواكبة الاحداث من حيث الاداء المهني والاندفاع والحضور الميداني في مواقع الاحداث
2- وضع الخطط الموضوعية والواقعية في معالجة الازمات من حيث التغطية الاعلامية المرئية والابتعاد عن حالات الارتجال وتجاوز الصورة التقليدية حيث اظهرت التغطية السابقة حالات من التلكوء من قبل المراسلين او حدوث رداءة في الصوت او الاعتماد على الاستوديو واستقبال الصور الجاهزة من الوكالات الاعلامية الاجنبية، لان وجود القناة في ارض الحدث يتيح للمشاهدين حالة من التفاعلية وملامسة الجو العام للاحداث

المقترحات
نقترح على الاتحاد العام للاذاعلت العربية القيام بمبادرة عقد ورشة عمل خاصة حول البرامج والاتجاهات والاساليب والاداء في التغطية الاعلامية للازمات في العالم العربي ، يدعى لها ممثلي القنوات التلفزيونية الرسمية والخاصة بغية الاطلاع على واقع التغطية الاعلامية والافادة من التجارب المتقدهة في هذا الاتجاه
---------------------------------------------------------------

## المصادر والاحالات

*اكاديمي عراقي استاذ في الجامعة العربية لشمال امريكا
-1يوسف سلامة ، مجلة الوفاق العربي ، العدد 13 يوليو 2000 ص 46 السنة الثانية تونس
-2فهد حسام الساموك ، التفاعلية الاتصالية وتسويق جهود اصلاح التعليم/ نماذج نظرية وتطبيقية مقترحة(،
-3فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي ،المركز العربي ،الدار البيضاء-بيروت 2006 ص 73-79
-4محمد شومان، الخطاب الإعلامي غموض المفهوم واختلاف أدوات التحليل، غوغل
-5المصدر السابق
-6حمد جلال عزالدين ، ادارة الازمة في الحدث الارهابي ، اكاديمية نايف للعلوم الامنية ، الرياض، 1989.
-7أحمد عامر ، مقدمة في إدارة الازمات ،1979
-8اديب خضور ، الاعلام والازمات ، اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ، ط3 ، الرياض ، 1999.
-9جمال الدين محمد حواش ، ادارة الازمات والكوارث ، ضرورة حتمية ، القاهرة ، المؤتمر الثالث لادارة الازمات 1998.
-10خولة مطر ، أفاق الاعلام العربي في عصر الثورة ، الورشة الاقليمية ، القاهرة ، 27سبتمبر2011
-11علي الجابري -مدونة فوق الخط الاحمر 15-1-2011
-12طه بن محفوظ ، اعلام الازمات ، تخطيط وسمعة وصورة ذهنية ، موقع عكاظ
-13سليمان جودة ، الشرق الاوسط ، هل هي ثورة وهل هو اعلام ؟ 2، ماي 2011

# التاريخ

## الحياة الخاصة للإمبراطور الروماني تيبيريوس

أشرف صالح محمد سيد

# الحياة الخاصة للإمبراطور الروماني تيبيريوس
# (42ق.م –37م)
# The private life of Roman Emperor Tiberius(42 B.C.-37)

**Ashraf Salih Mohamed Sayedأشرف صالح محمد سيد**
**عضو هيأة التدريس الجامعة الاسكنديناڤية –النرويج**

**ملخص:**

**تتناول هذه الدراسة الإمبراطور الروماني تيبيريوس خلال الحقبة (42ق.م –37م)، وبمعنى أدق حياة هذا الإمبراطور منذ مولده حتى وفاته، فمنذ أكثر من ألفي عام اعتلى عرش روما إمبراطور جديد هو ثاني الأباطرة الرومان؛ أسمه تيبيريوس كلوديوس، وعدد رعاياه مائه مليون نسمة. ولقد كان طاغية بخيلاً، منحرفًا، سفاكًا للدماء، ولكن الإمبراطورية الرومانية استقرت في عهده وازدهرت اقتصادياتها.**

**وقد تعرضت الدراسة بشكل مركز إلى مولد تيبيريوس وتربيته ونشأته، وثقافته، وملامح شخصيته، ثم انعزاله في جزيرة رودس والظروف التي دفعت به نحو عرش الإمبراطورية بعد وفاة أول الأباطرة الرومان أوجستس (أوغسطس)، مع عدم إغفال أهم الأحداث خلال فترة توليه العرش ثم تقاعده في جزيرة كابري، وأخيرًا نهاية حياته بعد فترة حكم استمرت ثلاثة وعشرين عامًا(14م – 37م) كان فيها أقدر حاكم للإمبراطورية الرومانية على وجه الإطلاق.**

**Resume:**

This study deals with the Roman Emperor Tiberius during the era (42 BC- 37), and more precisely The life of the Emperor from his birth until his death. For more than two thousand years, ascended the throne of Rome, second Roman emperors; named Tiberius Claudius. The number of roman nationals was more than one hundred million people. Tiberius was a miserly tyrant, skewed, a serial

killer, but the empire settled and flourished their economics during his reign.

The study focused on the birth of Tiberius, his education, upbringing, culture, features of his character, isolation on the island of Rhodes and the circumstances that led him towards the throne of the empire after the death of the first Roman emperors Augustus. Also the most important events during the period he assumed the throne and then his retiring on the island of Capri, and finally his death after the reign lasted twenty-three years (14-37). So he was the best ruler of the Roman Empire.

**مقدمة:**

واقع الأمر؛ إن الرومان وتاريخهم الطويل الممتد كان ذا أهمية كبيرة جعلت الكثير من الباحثين والمفكرين، فضلاً عن المؤرخين يلتفتون إليه، ولم يكن ذلك إلا لما يحفل به التاريخ الروماني من خبرات في الحكم والسياسة، مما لعب بدوره دون شك في تنوع جوانب الاهتمام والدراسة في التاريخ الروماني. ولما كان التاريخ الروماني من صنع القادة الغزاة والأباطرة الطغاة كان من الضروري الاهتمام بدراسة هذا الجانب، بما يحويه من حياة هؤلاء الأباطرة الخاصة وظروف نشأتهم وتربعهم على عرش الإمبراطورية إلى معاركهم وفتوحاتهم وسياستهم وغير ذلك.

ومن الجلي البين؛ أن هناك العديد من الدراسات التي ألفت عن الإمبراطورية الرومانية باللغة العربية واللغات الأجنبية، وقد تناولت المؤلفات العربية تاريخ الأباطرة الرومان بصورة جمعية ومفصلة من ناحية السياسة الداخلية والخارجية والعلاقة بمجلس الشيوخ ناهيك عن المعارك والحروب، ومن بين الصفحات كانت توجد تلميحات لحياتهم الخاصة، وعلى النقيض أفردت الأقلام الغربية مؤلفات كاملة عن كل إمبراطور على حدا ومن بين هؤلاء الأباطرة تيبيريوس.

ومن ثَم فإن هدف إعداد هذه الدراسة هو تقديم صفحات تعكس الحياة الخاصة لهذا الإمبراطور وليس الأحداث التاريخية، فقد ولد هذا الرجل وسط مأساة ضخمة وعاش حتى سن الكهولة وفي نهاية عمره كان مكروهًا من كل إنسان على قيد الحياة، أساءت السلطة الرومانية كثيرًا إلى سمعته بوجه

خاص كما لم تفعل مع أي إمبراطور روماني أخر، بالرغم من أنه كان جديرًا بمنصبه، وأعتقد في رأيي المتواضع إن حياة تيبيريوس الخاصة كان لها أكبر الأثر على أفعاله الشاذة في الإمبراطورية من هتك للأطفال، وعلاقات شاذة بالجواري والغلمان، حتى مخادع الجنس في جزيرة كابري.

**المولد– التربية – النشأة**

قبل مولد تيبيريوس Tiberius بخمسمائة عام كانت روما تقع تحت الحكم الجمهوري، حيث كانت معظم طبقات الشعب حرة وعدد السكان بلغ ما يزيد عن النصف مليون نسمة. وكان جايوس يوليوس قيصر (102 ق.م – 44 ق.م)([1]) يسعى نحو أن يكون ملكًا، ولكنه استطاع أن يكون إمبراطور فكان أول صاحب لهذا اللقب. ولكنه قُتل بخناجر أنصار الجمهورية، مما أشعل أكبر حرب أهلية في تاريخ روما استمرت ثلاثة عشر عامًا.

وفي خضم تلك الأحداث وبعد انتصار جيوش المنتصرين على الجمهوريين في معركة فيليبي، أو بالأحرى بعد مرور شهرين وفي 16 نوفمبر 42 ق.م[2] ولد تيبيريوس Tiberius في عالم مليء بالأحداث الكثيرة حيث سُرقت الكثير من المدن وبيعت شعوب كاملة في سوق العبيد[3] وينتمي والدي تيبيريوس Tiberius إلى أسرة"Claudian" تلك الأسرة العريقة التي كان تاريخها هو تاريخ روما نفسها[4] كانت والدته اسمها ليفيا دروسيلا Livia Drusilla (58ق.م – 29م) قد ولدته في الثالثة عشر من عمرها، وكان زوجها هو ابن عمها. وكانت ليفيا جميلة وذات عينين حنونتين، كما كانت تمتاز بتواضعها وبعدها عن الفضائح، وكانت تمتلك كل الفضائل المطلوبة في السيدة الرومانية النموذجية في ذلك الوقت. وكان لدى ليفيا(600) من العبيد وبالرغم من ذلك كانت تُصرف الساعات في متابعة كافة التفاصيل والإشراف عليها في شئون البيت.[ 5]

ومما يذكر؛ أن ليفيا Livia عندما كانت حاملاً في تيبيريوس فإنها كانت تحتفظ ببيضة مخصبة بين ثديها. وعندما كانت تنام فإنها كانت تعطي البيضة لواحدة من الجواري لكي تدفئها على نفس الصورة. وكان هدفها هو تبين نوع ومصير جنينها.وعندما فقست البيضة وخرج منها كتكوت ذو عرف جميل شمل الابتهاج البيت كله، فقد كان الكتكوت علامة على أن المولود سوف يكون ذكرًا، وكان العرف علامة على أنه سوف يكون رجلاً عظيمًا[6] تلك كانت ليفيا Livia والدة تيبيريوس Tiberius سليلة أسرة من أكبر أسر روما. أما والد تيبيريوس Tiberius فيدعى تيبيريوس Tiberius كلوديوس نيرو الأكبر،شغل عدة مناصب كبيرة في حكومة روما، وكان قائدًا لأحد أساطيل يوليوس قيصر، كما كان من كبار كهنة الديانة الأوليمبية.

وقد قضى تيبيريوس Tiberius الابن أول سنتين من عمره مع أبويه في المنفى، حيث هاجر تيبيريوس Tiberius الأب من روما بعائلته واستقر في مدينة بيروجيا التي تقع في جبال الابنين، على أنه ارتحل بعد ذلك لعدة مناطق ثم عاد لروما ثانيةً[7] . وفي عام38 ق.م طلبت ليفيا Livia من تيبيريوسTiberius الأب أن يطلقها حتى تستطيع الزواج من أوكتافيانوس[8] Octavianus وعندما توفى تيبيريوس Tiberius الأب، كان عمر أبنه الأكبر تسع سنوات. حيث ذهب تيبيريوس Tiberius في ذلك الوقت وشقيقه دروسوس Drusus [9] - كان عمره خمس سنوات – ليعيشا مع أمهما ليفيا في قصر أوجستس (أوغسطس) Augustus.[10]

وعلى الرغم من أن تيبيريوس Tiberius كان قد تلقن العلم والدين والأدب على أيدي أساتذة ممتازين من الإغريق والرومان، فإنه حصل على أساتذة أعرق وأفضل في قصر أوجستس Augustus في ذلك الوقت، حيث كان الراجح أنه هو أفضل الصبية في روما كلها في العلم والأدب. وكان السبب في إصرار أوجستس Augustus على تعليم تيبيريوس Tiberius و دروسوس ومارسيللس[11] على أعلى مستوى هو أنه كان يرى أن الإمبراطورية قد أصبحت ملكًا خالصًا له وبالتالي فإن حاكمها من بعده يجب أن يكون أحد ورثته، وكان هؤلاء الثلاثة هم ورثته الطبيعيون.وبالرغم من تفوق تيبيريوسTiberius في التحصيل عن دروسوس Drusus إلا أن أوجستس Augustus كان يميل لدروسوس Drusus لأنه شخصية مقبولة وأكثر مرحاً من هذا الولد الخجول ثقيل الكلام تيبيريوس Tiberius.

وبهذا قضى تيبيريوس Tiberius هذه السنوات من عمره حتى بلغ الثالثة عشر عندما كان أوجستس Augustus قد حصل على النصر النهائي واستولى على مصر، وانتحر انطونيوس وكليوباترا[12] ولعله من الواضح؛ أن هذه السنوات الأولى من عمر تيبيريوس Tiberius كانت بمثابة الدرج الذي يرتقيه نحو العرش، فهو لأبوين من أكبر الأسر الرومانية، ثم تزوج والدته من الإمبراطور، ووفاة والده وذهابه في التاسعة من عمره للعيش في قصر أوجستسAugustus وتلقيه التعليم هناك والعناية به كأحد ورثة العرش.

### الثقافة والملامح الشخصية

فقد كان تيبيريوس Tiberius طويل القامة شديد البأس، حلو الملامح، ولكن حب الشباب ضاعف من حيائه، وسماجة طباعه، وإحجامه وحبه للعزلة. ويمثل رأسه الجميل المحفوظ في متحف بوسطن في صورة قس شاب عريض الجبهة، واسع العينين غائرهما، ذو وجه يدل على الحزن وعميق

التفكير، وقد بلغ من جده ووقاره في شبابه أن أطلق عليه بعض المجان اسم "الرجل العجوز".[13]

يستطيع أن يكون شرساً إذا غضب، وكان أقرب إلى العزلة والانطواء دائماً منذ صغره، كما كان يفتقر إلى الحب، وكان صبوراً قليل الكلام حريصاً فيه وهو ما زاد من كره البعض له،حيث أنه كان يتوقف وسط الجملة لكي يبحث عن اللفظ المناسب لما يقصده.

وقد قطع تيبيريوس Tiberius شوطاً في التعلم أولاً على يد أساتذة روما ثم في قصر أوجستس Augustus، ولقد كان لديه قدرة مبكرة على الخطابة ذوت بسبب ميله للعزلة والبعد عن الناس. تعلم تيبيريوس Tiberius من أوجستس Augustus كيف أن المصلحة وحدها هي المقياس الصحيح للعلاقات. وكان تيبيريوس Tiberius يجيد الإغريقية ويحب الأدب الإغريقي،كما درس الكثير من علوم عصره مثل علم تفسير الأحلام وعلم الفلك. وكان ينظم بعض الشعر ويجيد الكتابة والخطب والرسائل.[14]

كما أنه تمرس أيضًا بطقوس الديانة وأساليب الحكم. وكان عالمًا ضالعًا في الأدب اليوناني واللاتيني[15] وعلم الطب وعلم قراءة الطوالع.وكان شغوفًا بالرسم والنحت واتخذ بطانة من الشعراء وعلماء الرياضة، واهديت إليه المؤلفات والأشعار.[16] وقد تدرب على القتال وهو ما يزال صبيًا، إلا أنه كان يطمع في أن يكون رجلاً عظيمًا وكان يرغب في أن يتبع الطريق التقليدي لذلك وهو الجندية – في ذلك الوقت –ومن بعدها ينتقل إلى المناصب القيادية في حكومة روما.

وفي عام 27 ق.م كان تيبيريوس Tiberius في الخامسة عشر من عمره، وكان فتى طويلاً قويًا عريض الأكتاف، وكانت الطراوة تبدو على ملامحه، ولقد تنبأ واحد من معلميه وهو تيودروروس الجادراني بمستقبله حين قال عنه أنه"طين معجون بالدماء".[17] كان تيبيريوس Tiberius يعيش بين جنوده عيشة متواضعة، فكان يشاركهم متاعبهم ولا يميز نفسه عنهم بمظاهر الرخاء والرفاهية التي كان يتمسك بها القواد الآخرون،فكان ضباطه يألفونه ويمازحونه. وكان ينتقل على ظهور الخيل ويأبى أن يستخدم المحفة التي يحملها العبيد، وكان يأكل كالجنود وهو جالس، حيث أن النبلاء الرومان كانوا يأكلون وهم مستلقون على بطونهم فإذا فرغوا من الطعام تحولوا إلى أحد الجانبين.[18]

وقد أخذ من التربية كل ما يستطيع أن يأخذه عن الرومان واليونان والبيئة والتبعة، وأتقن اللغتين اليونانية والرومانية وآدابهما، وكتب الأغاني الشعرية، ودرس التنجيم و"غفل عن الآلهة". وكان يحب أخاه الأصغر دروسوس رغم أنه كان أحب منه إلى الشعب؛ وكان زوجًا مخلصًا وفيًا لـ

فيبسانيا Vipsania ، مكرمًا لأصدقائه إكرامًا لم يكن يترددون معه في أن يهدوا إليه الهدايا وينتظروا منه أن يهدي إليهم أربعة أمثالها. وكان أقسى قواد زمانه وأقدرهم، فنال بذلك إعجاب جنوده وتعلقهم به، لأنه كان يعني بكل شؤونهم مهما صغرت، ولأنه كان يكسب المعارك بفنه أكثر مما يكسبها من دماء جنده.[19]

وكان لدى تيبيريوس Tiberius جواريه المخصصات لتعليمه فنون الجنس وتدريبه عليها، وأيضًا العبيد المخصصون لتدريبه على فنون القتال. ويعتقد أن؛ هذه الخبرة السابقة لتيبيريوس Tiberius وميله للعزلة والانطواء ما جعله متهكم وكثير المجون، فقد كان يهوى هتك الأطفال ويطارد سيدات روما بعروض قذرة وكان يتمتع بتعذيب الآخرين فيكونون وقود لمزاجه الدموي.

وكان يؤمن ببعض الحكم الخاطئة الواضح أنها كانت نتيجة خبراته وظروف حياته،ومن هذه الحكم"ومن بعدي فلتأكل النيران الأرض".[20] و "كان منطويًا على نفسه، صبورًا". على حد قول ستونيوس "إذا ما وجهت إليه وإلى أسرته الشتائم والافتراءات والمطاعن".وكان يقول في ذلك " إن البلد الحر يجب أن تطلق فيه حرية القول والفكر".[21] وقد عاش تيبيريوس Tiberius حتى سن الثامنة والسبعين، ولكنه لم يحصل على السعادة في تلك السنين الطويلة إلا لمدة أثنى عشر عامًا فقط، وهي المدة التي قضاها مع فيبسانيا Vipsania زوجته. ومع ذلك؛ فإن طبيعته الانطوائية لم تتغير وظل يعيش وتحدث بنفس ذلك البطء الذي كان يثقل على الناس، وكان تعليق أوجستس Augustus على ذلك هو "يا لروما المسكينة التي سوف يحكمها هذا الإنسان الكئيب".[22]

**وفاة أوجستس**

لما كان تيبيريوس Tiberius يريد أن يكون عظيمًا، وأراد أن يتبع الطريق التقليدي لذلك وهو الجندية – كما أسلفنا الذكر-فقد تولى حكم بلاد الغال وراء الألب 19ق.م[23] ثم في سن الخامسة والعشرين حصل تيبيريوس Tiberius على قيادته الأولى، وكانت مهمته تتمثل في استعادة الشعار الروماني الذي كانت إحدى الكتائب قد فقدته في معركة الجيش الفارسي.ولم تكن المهمة صعبة فقد أبرم تيبيريوس Tiberius الصفقة مع الفارسيين وحصل على هذا الشعار، وكان شعار النسر وأرسل به إلى روما.

راح تيبيريوس Tiberius يبحث عن مجد آخر ولم يتوقف عند هذا الحد.ففي عام 12 ق.م ساعد أخاه دروسوس Drusus في حملاته على ضفاف الراين والدانوب ثم طلب لنفسه قيادة القوات المقاتلة في بانونيا[24]

وأجيب لطلبه وأصبح جنرالا.وعاد إلى روما منتصرًا ومعه العديد من الأسرى والكثير من الغنائم، واستقبله الشعب في روما بالاحتفالات والورود والهتاف.[25]

عقب ذلك؛ أرغمه زوج أمه الإمبراطور أوجستس Augustus على أن يطلق المرأة التي أحبها وهى فيبسانيا أجريبينا ليتزوج من جوليا Julia (39 ق.م –14م) وكانت ابنة الإمبراطور وأرملة أجريبا[26] Agrippa ولكي يهرب من هذه الزيجة ومن رغبة الإمبراطور أوجستس Augustus، انعزل وهو في السادسة والثلاثين من عمره في رودسRhodes.[27] حيث بدأ إقامته هناك في هذه الجزيرة الإغريقية وظل بها خلال الفترة (12 ق.م – 2م)، وقد أعجبته فوجد فيها ما كان ينشده ويريده من هدوء وفنون.[28]

كان تيبيريوس يجتمع بأهل الأدب والفن والفلسفة في قصره بالجزيرة ويتناقشون ويعرضون أفكارهم وإنتاجهم، حتى أنه ليعد من القلائل الذين جمعوا أفضل ما في الحضارتين الإغريقية والرومانية. وفي هذه الجزيرة كان يستمتع بكل ألوان الجنس، وكان يمضي وقتًا منظمًا بين المكتبة[29] والتجول في المدينة والحمام والحوار مع منجم أو فيلسوف،وعلى الرغم من هذه الحياة التي تمتلئ بالراحة والرفاهية والنظام كان تيبيريوس Tiberius تعيسًا لأنه يعيش بلا عمل وبلا هدف.[30]

في هذا الوقت وصلت أنباء بالحكم على جوليا بالنفي في جزيرة بانداتاريا النائية من قبل الإمبراطور أوجستس Augustus بعد أن وجه لها سيل من الشتائم.[31] وقد فرح تيبيريوس Tiberius ولكنه لم يعود، ووقتها كان أوجستس Augustus قد بلغ سن الشيخوخة والضعف وفي حالة وفاته واعتلاء أحد أشقائه العرش فإن مصير تيبيريوس Tiberius المحتوم كان هو الإعدام. وكان لهذا أثره علي تيبيريوس Tiberius الذي أنزعج وراح يستعين بالمنجمين يطلب منهم أن ينبأوه بمصيره. فقد كان في جزيرة رودس Rhodes برغبته ولكن أوجستس Augustus استصدر أمر بعدم عودته لروما، وذات ليلة عندما طلب تيبيريوس Tiberius من منجمًا يدعى ثراثيليس أن يستنبأ النجوم عن الأخبار، ظهرت في الأفق سفينة ودخلت الميناء ومعها رسالة هي أمر من الإمبراطور أوجستس Augustus بعودة تيبيريوس Tiberius إلى روما.[32]

عاد تيبيريوس Tiberius إلى روما في السنة الثانية الميلادية حيث وصلت أنباء في نفس السنة من مرسيليا، وكان لوشيوس – ابن جوليا – قد ذهب إليها في مهمة رسمية، فوصل نبأ بمرضه ثم نبأ أخر بوفاته. وقد أرسل الإمبراطور الابن الباقي لجوليا وهو جايوس لمنطقة ليشيا ولكنه مات أيضاً.ولهذا وفي العام الرابع بعد الميلاد تبنى الإمبراطور أوجستس

Augustus تيبيريوسTiberius رسميًا، وبذلك أصبح هو ولي العهد الشرعي.[33]

وعندما بلغ أوجستس Augustus السبعين من عمره اشتعلت ألمانيا بالثورات من جديد، فبعث بقائد يدعى فاروس وزوده بثلاث من أقوى كتائبه(18000رجل)ولكن قُضى على الجيش تمامًا وانتحر فاروس.[34] وتصدى تيبيريوس Tiberius للمهمة بعد أن لجأ أوجستس Augustus لضرب الألمان، وقام ابن أوجستسAugustus بالتبني بتجنيد كتائب جديدة وقام بتدريبها وقادها في حملة ضارية،واستطاع أن يعاقب قبائل الألمان أشد عقاب، واعترف أوجستس Augustus وقتها أنه لولا ما فعله تيبيريوس Tiberius لما أمكن إنقاذ الإمبراطورية.[35]

ولقد توفي أوجستس Augustus في مدينة (نولا) ولا يُعرف من قرر أو أمر بقتله، ربما ليفيا أو تيبيريوس Tiberius ولكن كل الاشتباه يقع على تيبيريوس Tiberius حيث قرر تاكيتوس في حولياته ذلك بأنه أول جريمة للإمبراطور الجديد "Primum facinus novi pricipatus".[36] وعلى أية حال؛ فقد قام تيبيريوس Tiberius بدفن أوجستس Augustus في احتفال مهيب في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم 19 أغسطس 14 م.[37]

ونقرأ في ديو كاسيوس أن الوصية التي كانت محفوظة لدى عذارى معبد فيستا[38] قد أحضرت وفحصت أختامها، ثم قرأت في اجتماع مجلس الشيوخ. ونصت الوصية أن يرث تيبيريوس ثلثي تركة أوجستس وأن ترث ليفيا الثلث الباقي، وقد استمع تيبيريوس للجملة الافتتاحية للوصية والتي يقول فيها أوجستس "حيث أن القدر القاسي حرمني من ولدي جايوس ولوكيوس فليكن تيبيريوس قيصر وريثي".[39]

وظهر تيبيريوس أما مجلس الشيوخ بعد أربعة أسابيع من وفاة أغسطس، وطلب إليه أن يقرر إعادة الجمهورية، وقال للأعضاء إنه لا يصلح لحكم تلك الدولة المترامية الأطراف، وإن خير طريقة لإدارة أعمال المصالح المختلفة التي تشرف على الشؤون العامة في مدينة احتوت هذا العدد الجم من الرجال النابهين ذوي الأخلاق العالية أن يتولاها جماعة مؤتلفون من خير المواطنة وأعظمهم كفاية.[40]

ولم يجرؤ أعضاء المجلس على أن يصدقوا ما يقوله لهم، فحيوه كما حياهم بطأطأة رؤوسهم، وما زالوا به حتى قبل أن يتولى السلطة التي قال عنها "إنها استرقاق مبهظ مذل" على أمل أن يسمح له المجلس في يوم من الأيام أن يعتزلها ليحيا حياته الخاصة متمتعًا بالحرية. وهكذا مثلت الرواية من كلا الجانبين أحسن تمثيل.وما من شك في أن تيبيريوس كان يريد أن

يتولى الزعامة و إلا لوجد سبيلاً إلى الفرار منها، وأن مجلس الشيوخ كان يخشاه ويبغضه، ولكنه كان يرهب عودة جمهورية تقوم، كما كانت تقوم الجمهورية القديمة، على جمعيات تعد من الوجهة النظرية مصدر السلطات جميعها، وكان يرغب في نظام أقل ديمقراطية من هذا النظام السالف الذكر لا أكثر منه.[41]

**تولي العرش**

كان ابن أوجستس Augustus بالتبني في السادسة والخمسين من عمره حين تولى العرش، وكان أقرب إلى التعاسة منه إلى السعادة وكانت واجباته تثقل عليه. فكان عليه أن يحضر المحاكمات ويرأسها وكان عليه أن يدير شئون الكهنة والمعابد وذلك بصفته الكاهن الأكبر. وبذلك بدأ تيبيريوس Tiberius حياته الجديدة كإمبراطور، ولكي يأمن على عرشه وحياته فإنه راح يبحث عن الأشخاص الذي يحتمل أن يتطلعوا إلى العرش، ثم أخذ يقتلهم واحد بعد الآخر. وعلى يده بدأ عهد السلام الروماني Pax Roman حيث أعلن أنه "لا غزو ولا توسع بعد اليوم".

وقد كان يريد بذلك أن تستقر قوات الاحتلال الروماني في المستعمرات وأن تحمي عملية جباية الضرائب وتؤمنها. كما أقر تيبيريوس Tiberius بحرة الحديث والمجادلة وأعتبر ذلك جزءا أساسي من دعائم الحكومة،ومن الواضح أن تيبيريوس Tiberius اقتفى اثر سياسة أوجستس Augustus باستثناء الإنفاق ببذخ فقد كان معتدلا في الإنفاق على نفسه وعلى مرافق الدولة،وأوقف فرض أي ضرائب جديدة كما حسن في نظام تحصيل الضرائب الأصلية فنظم الضرائب في الولايات حتى راحت أكداس الذهب تتدفق على روما.واحتفظ السناتو Senate (مجلس الشيوخ) آخر الأمر بالإشراف على المبالغ التي كانت تدفعها المدن في الولايات التابعة للسناتو إلى خزانة الشعب الروماني.[42]

وفي السنوات الأولى لحكمه حاول أن يكون ديمقراطيا ويتجنب تدمير القيم الجمهورية، فعامل السناتو Senate (مجلس الشيوخ) باحترام ورعاية وكان يحضر كل اجتماعاته، وجعل من السناتو Senate أسمى اجتماعا للعدالة. وكان يحضر اجتماعات المجلس، ويحيل إليه "حتى أصغر الأمور ليحكم فيها"، ويجلس فيه ويتكلم كأنه عضو عادي لا أكثر، وكثيرًا ما كان يقترع مع الأقلية، ولم يحتج يومًا من الأيام إذا وافق المجلس على قرارات تتعارض مع رغبته التي أبداها جهرة.[43] على أنه رفض اقتراحًا من السناتو Senate بتسمية أحد الشهور باسمه كما حدث لشهري يوليو و أوجستس

Augustus، وكان تعليقه على الاقتراح هو"ماذا سوف تفعلون إذا بلغ عدد القياصرة ثلاثة عشر؟.."[44]

وهكذا؛ ازدادت أهمية مجلس الشيوخ في بداية عصر تيبيريوس وأصبح يزداد قوة يومًا بعد يوم، حتى أن تيبيريوس كان يستشير المجلس في المسائل الدينية فكان غيورًا على دين الدولة وكثيرًا ما كان يعارض في العبادات الأجنبية[45] التي ازداد تسللها إلى المجتمع الروماني.[46]

وبعد فترة قصيرة جدًا من وصول تيبيريوس Tiberius للعرش حدثت فتنة الجيش، حيث احتشدت فرق الجيش في بانونيا وأرض الراين، تحتج على طول مدة الخدمة، وعدم دفع الأجور، ونظام الإرغام على العمل بالضرب والتعذيب. وأرسل تيبيريوسTiberius ابنه دروسوس Drusus إلى بانونيا ليقمع الفتنة هناك، كما أرسل جيرمانيكوس Germanicus إلى الراين.[47] ومع تتابع الأعباء على تيبيريوس Tiberius فإنه اعتمد على أحد قواده وهو سيجانوس Sejanus (أو سيانوس) L.Aelius Sejanus ووثق به وجعله قائدًا للحرس البرياتوري Praetorian ولما كان تيبيريوس Tiberius شكاكا بطبعه فأعطى كل ثقته له ولم يثق بأحد غيره، حيث أصبح سيانوس Sejanus هو عينيه وأذنيه ومساعده الأول ومستشاره الأمين عدة سنين.[48]

ولما ضاق الإمبراطور بالحال في الإمبراطورية راح يبحث عن المتعة، فأخذ يعيش الليل أكثر ما يعيش النهار، بالإضافة إلى متعة الحديث مع المنجمين وبعض المناقشات في الأدب الإغريقي، والمتعة الكبرى كانت في الجنس. ولما كان تيبيريوس Tiberius يطلب لنفسه تابعًا يستطيع أن يأتمنه على الكثير من المهام التي كانت تثقل عليه، فاستطاع سيجانوس أن يكون هو ذلك التابع هو مستشاره كما سبق الذكر.

أما سيجانوس هذا كان السبب في تسميم علاقة الإمبراطور ليس فقط مع السناتو Senate (مجلس الشيوخ) بل أيضًا مع أسرة الإمبراطور نفسها. فقد كان يتطلع إلى التزوج من العائلة الإمبراطورية وينتظر أن يرث العرش، وكانت الخطوة الأولى هي إغراء ليفيا زوجة دروسوس Drusus. وعندما مات الوريث الشرعي لعرش الإمبراطورية في 23م وهو دروسوس Drusus الأصغر ابن تيبيريوس Tiberius، قَبل الإمبراطور أن يتبنى أولاد جيرمانيكوس[49] Germanicus مما أوغر صدر صديقه الماكر سيانوس. [50]

ولكي يفسح هذا الماكر الطريق أمامه للعرش أخذ في إزاحة كل المنافسين المحتملين من الطريق، فدبر مؤامرة حاول فيها تشويه سمعة أجربينا Agrippina وتدبير موتها هي وأبنائها الثلاثة (أولاد جيرمانيكوس)، وبالفعل اتهمها سيانوس عام 26م بأنها تآمرت لقتل الإمبراطور. وكان هذا

وجه سيانوس الحقيقي الذي لم يراه تيبيريوس Tiberius، أما الوجه الآخر فكان على النقيض تمامًا، حيث استطاع سيانوس أن يكشف عدد من المؤامرات وأن يبلغ الإمبراطور عنها، فكسب أخيرًا ارتياحه وكان رفيقه الدائم على المائدة.

وعندما انهار ملعب مدينة فيدينيا أثناء حفلة مصارعات لم يصب الإمبراطور ولا صاحبه بأذى،على أن سيانوس كسب عرفان الإمبراطور حيث أنه في الطريق إلى جزيرة كابوري (كابري) Capri كان تيبيريوس Tiberius يتناول الطعام في بيت واحدًا من أثرياء الريف يُطلق على البيت أسم الكهف لأنه بالفعل كان داخل كهف فانهار وحمى سيانوس الإمبراطور بجسده من الحجارة المتساقطة وأنقذ حياته.[51]

وفي عام 26م انعزل تيبيريوس Tiberius عن روما في جزيرة كابوري Capri بالقرب من Naples. وفي كابري [52] Capri كان الإمبراطور قد بلغ السابعة والستين من عمره. وبدأت صورته تتغير إلى الأسوأ، فراح يعب من المتعة بشراهة لأنه شعر أن العمر يكاد أن يفلت من يديه، فكانت الشيخوخة قد بدأت تترك بصماتها عليه فبدا وزنه يهبط وراحت البقع تكسو وجهه، وصار إمبراطور على هذه الجزيرة. أما مقاليد الحكم فكانت في يد سيانوس حيث ركز الإمبراطور كل همته في كابري Capri، فبنى هناك أثنى عشرة فيلا وحدائق ومخازن للخمر وكهوف صناعية وبحيرات وكذلك مخادع للجنس.[53]

وكانت الرسل تبحث في أنحاء الإمبراطورية عن الراقصين والراقصات وتبعث بهم على كابري Capri، فلم يكتفي تيبيريوس Tiberius بالاستمتاع مع الجواري بالجنس ومع السبايا والصبية وإنما كان يمارس الجنس مع الأطفال الذين كان بعضهم لم يبلغ الفطام،كما راح يهتك أعراض السيدات الرومانيات من النبيلات.وقد تحدثت قصص كثيرة عن حياته العابثة في كابري Capri، ولا شك في أنه لم يتمتع بقواه العقلية كاملة في السنوات الأخيرة من حياته.[54]

وفي اليوم الأول من سنة 31م سمح تيبيريوس Tiberius للسناتو بأن ينتخبه قنصلاً للمرة الخامسة، وكان للإمبراطور الحق في اختيار القنصل الثاني فاختار سيانوس Sejanus.كان هذا الاختيار تشريفًا له، ثم أعلن الإمبراطور عن أسم خليفته على العرش وهو جايوس"كاليجولا" Gaius "Caligula"(37م –41م) الابن الثالث لأجربينا[55] ،ولذلك جن سيانوس Sejanus غضبًا وقرر في الحال تدبير مؤامرة ضد حياة جايوس وقتل تيبيريوس Tiberiusوالاستيلاء على العرش بالقوة.

ولكن سرعان ما فتح تيبيريوس Tiberius عينيه على ما يجري حوله وبالذات مخططات صديقه سيانوس Sejanus الذي يثق فيه.[56] أرسل الإمبراطور ماكرو Naevius Macro إلى روما ليأخذ مكان قائد الحرس البرياتوري ويسلم السناتو Senate (مجلس الشيوخ) رسالة طويلة،بدأت بحمد لطيف وثناء على سيانوس Sejanus، وكان هذا الثناء نقد بتوبيخ[57] انتهى بأن سيانوس Sejanus خائن متآمر وسرد الأدلة على ذلك، ثم أمر بعزله وإلقاء القبض عليه ومحاكمته.[58] وأدان السناتو Senate (مجلس الشيوخ) سيانوس Sejanus وحَكم بإعدامه،وكان ذلك قرار حاكم من السناتو Senate، فاحتفل الإمبراطور بهذه المناسبة السعيدة في الفيلا رقم عشرة في جزيرة كابري Capri.[59]

الجدير بالذكر؛أن تيبيريوس Tiberius لم يثق في أحد بعد ذلك وزاد شكه في كل من حوله وازدادت أنشطة الوشاة والمخبرين Delatores وهم المواطنين الذين يطمعون في مكافأة مالية للإعلان عن مؤامرات ضد العرش.كان هذا النظام هو السبيل لمعرفة الخيانة خلال فترة حكم تيبيريوس Tiberius.[60]

أما بالنسبة لجيرمانيكوس Germanicus ابن أخيه، وهو الشاب الوسيم الذي تبناه بعد موت دروسوس Drusus، كسب بعض المعارك في ألمانيا ورغب أن يواصل الزحف عليها ليفتحها. وكان من رأي تيبيريوس Tiberius عدم التورط في هذا الفتح، فأغضب بذلك الشعب ذا النزعة الاستعمارية. وإذ كان جيرمانيكوس حفيد ماركس أنطونيوس فإن الذين كانوا لا يزالون يحلمون بإعادة الجمهورية قد اتخذوه رمزًا لقضيتهم.[61]

وبدأت المشاكل بعد أن نقله تيبيريوس Tiberius إلى بلاد الشرق لتنظيم شئون الولايات الشرقية الرومانية، فزار مصر ثم عاد لسوريا وفي إنطاكية فاجئ المرض جيرمانيكوس ومات وظنت روما كلها أن الإمبراطور قد أمر بأن يدس له السم في الطعام، واتهم بهذه الجريمة أكنيوس بيزو أحد الموظفين المعينين من قِبَل تيبيريوس Tiberius في آسية الصغرى. وحاكمه مجلس الشيوخ، وأيقن الرجل أن مجلس الشيوخ سيدينه فانتحر لكي يحتفظ بأملاكه لأسرته.[62]

ولم تكشف المحاكمة عن شواهد تدل على ارتكاب تيبيريوس Tiberius لهذه الجناية أو تثبت براءته منها، وكل ما نعرفه أنه طلب إلى مجلس الشيوخ أن يمكن بيزو من أن يحاكم محاكمة عادلة، وأن أنطونيا أم جيرمانيكوس ظلت إلى آخر أيام حياتها أخلص أصدقاء تيبيريوس Tiberius.[63]

واضطر تيبيريوس Tiberius أمام تدخل الجمهور الثائر المهتاج في هذه القضية المشهورة، والقصص البذيئة التي كانت تذاع عن الإمبراطور،

ودسائس أجربينا أرملة جيرمانيكوس وإثارتها الناس عليه،اضطر تيبيريوس Tiberius أمام هذا كله أن يلجأ إلى قانون الخيانة العظمى Lex de Maiestas.[64] وهناك مَن يرى أن تيبيريوس Tiberius حاول أن يكفر عن خطاياه ضد أسرة جيرمانيكوس Germanicus [65] فنقل إلى قصره في جزيرة كابري Capri الابن الثالث لذلك القائد، وكان هو الولد الوحيد الذي بقى من أجربينا Agrippina.

وعندما بلغ الإمبراطور السبعين من عمره، كانت الشيخوخة قد بدأت تتغلب عليه،فازدادت نحافة جسمه أما وجهه فقد كانت تكسوه البقع والتشوهات،وكانت التماثيل التي تصنع له تصوره في وجه مبتسم وكأنه أصغر سنًا، وكان ذلك منافي للحقيقة.أما هو فلم يكن يتردد في اصطياد أفراد حاشيته وأصدقائه ليصبحوا وقود لمزاجه الدموي الرهيب.وبلغ من قسوته أنه كان يحرم على أقارب ضحاياه أن يبكوهم أو يحزنوا عليهم،فقد كانت السجون في كابري Capri مليئة على الدوام وعمليات التعذيب والإعدام تدور في كل الأيام وحتى أيام العطلات والأعياد ورأس السنة.[66]

لم يكتفي الإمبراطور بأنواع التعذيب المعروفة، وإنما كان يستدعي الخبراء والعارفين في ذلك الفن ويكلفهم بابتكار أنواع جديدة منه، وكان هو نفسه يبتكر أنواع جديدة عندما كانت ابتكاراتهم لا ترضيه. ومثال ذلك؛ أنه كان يدعى عنده من يريده هو بعينه وذلك ليشرب معه النبيذ ويظل يشربون حتى الثمالة، ثم يأمر بربط عضوهم الذكري التناسلي بنوع من الحبال المتينة القوية وأن يُحكم الربط، فيظلوا في هذا العذاب إلى أن تنفجر المثانة ويموتون.[67]

أما عن شئون الحكم وإدارة الإمبراطورية؛ فإن تيبيريوس Tiberius قد أعطى مقاليدها لماكرو Macro وتفرغ تمامًا لأقبية التعذيب ومخادع المتع في كابري Capri.ولكنه وضع أسسًا ممتازة لإدارة الإمبراطورية، فقد كان يقظًا قادرًا على الحكم،حيث راحت في عهده الأموال تتدفق على الخزانة، فقد أزاد أجور ورواتب الحكام مما جعلهم يؤدون واجباتهم بدقة ويشعرون بالاستقرار في مناصبهم، كما أنه وفر على الخزانة معاشات الجنود.[68]

كما شجع اجتماعات Concilia وحرم Gallic Cities من استخدام العملات الفضية لكي يكون سك العملة في الإمبراطورية على نسق واحد لتيسير التعاملات والتبادل التجاري في كل المناطق بها، كما اتفق على طريق فسيح وكوبري لإزالة الحدود والموانع وتشجيع السفر والعلاقات والاتصالات والتجارة.[69] ومما لاشك فيه؛ أن تيبيريوس Tiberius كان محبوبًا من سكان الولايات لأنه حاول تخفيف عبء الضرائب عنهم، إلا أن كان مكروهًا من غالبية سكان روما لبخله الشديد.على أنه خلق جوًا من الفساد والذعر بين

الناس في السنوات الأخيرة لحكمه بسبب ما أصابه من شك دائم وزيادة نشاط المخبرين Informers.

وعلى أية حال؛ كان الرعايا يعيشون في أمان في عهده وكانت حدود الإمبراطورية آمنة مستقرة ما بين نهر الراين في أوربا ونهر الفرات في أسيا،وبالرغم من الحياة التي كان يعيشها بما فيها من عبث،فقد استطاع أن يتخلص من أعداؤه وأن يحقق الكثير من الأعمال للإمبراطورية. وكان أوضح هذه الأعمال هو تخفيف عبء الضرائب عن كاهل الرعايا، وعدم فرض ضرائب جديدة مع العمل على تحسين الضرائب الأصلية، وهو ما لم يضر بالخزانة التي خرجت من عهده مليئة بسبب اعتداله في الإسراف. وحسبنا أن نذكر شاهدًا على هذا؛ أن تيبيريوس الذي وجد حين اعتلائه العرش في خزانة الدولة مائة مليون سسترس ترك فيها حين وفاته2.700.000.000سسترس فكان هذا هو ما تميز به تيبيريوس Tiberius عن سائر الأباطرة.[70] فقد كان تيبيريوس لا يرغب في الإنفاق على الحروب أو حفلات الملاعب ، وإنما كان يقصر نفقاته على ملذاته فقط.

الواقع أن؛ تيبيريوس Tiberius لم يدخر جهدًا في العناية بجميع شؤون البلاد الداخلية والخارجية. وكان يكتب للولاة الذين يريدون أن يجبوا من الضرائب أكثر مما كان مفروضًا على ولايتهم يقول لهم: "لقد كان من واجب الراعي الصالح أن يقص صوف غنمه لا أن يجزها".[71]

**نهاية حياته**

وبعد سائر الأعمال التي قام بها تيبيريوس Tiberius في الإمبراطورية كلها،تتالت العلامات والدلائل على قرب ساعته ونهاية حياته. فقد ظهر طائر العقاب "فوينكس" في مصر وهو طائر لم يظهر للناس إلا بين مئات السنين،كما أن الإمبراطور وجد ثعبانه المفضل ميتًا ذات صباح،[72] وعلامات أخرى كانت كلها تنذر بدنو أجله.

ولقد تلقى الإمبراطور دعوة لحضور حفلة للمتصارعين في إحدى المدن فعبر إليها،وفي أثناء الحفلة أراد أن يظهر بصحته وذلك بعد ظهور علامات الشيخوخة والكبر عليه، فتناول بعض الحراب وقذف بها خنزيرًا بريًا. ولكن قذف الحراب كان أكبر من طاقته، فلا يتناسب ذلك المجهود مع كبر سنه فكان نتيجة ذلك أن انخلع كتفه، ونُقل تيبيريوس Tiberius إلى بيت قريب وراح يلفظ أنفاسه الأخيرة.

وقال طبيب البلاط أنه لن يستطيع العيش أكثر من يومين،[73] وانتشر هذا النبأ على الفور فطار كاليجولا - وريثه على العرش – إلى هناك وانتزع الخاتم من إصبع تيبيريوس Tiberius،ثم خرج يتلقى التهاني على كونه الإمبراطور الجديد، وكان ماكرو Macro هو أول المهنئين لكاليجولا على

هذا المنصب. وفجأة انقلب الحال؛ فقد فتح تيبيريوسTiberius عينيه وأفاق مما كان فيه،فلم يكن الرجل الذي يموت بهذه السهولة،وراح يطلب شيئًا يأكله. وعندما علم كاليجولا بما حدث هرب وراح يبحث عن مكان يختبأ فيه، فلم يتوقع مصير آخر لنفسه غير الموت.[74]

وكان هناك من لا يعجبه ما حدث وهو ماكرو Macro الذي اندفع لحجرة تيبيريوس Tiberius، حيث رآه جالسًا على الفراش يزمجر غاضبًا ويتساءل "من الذي سرق خاتمي وأين الأطباء والحاشية وأين الطعام الذي طلبته؟ .."[75] وكان جواب ماكرو Macroبيديه،حيث اندفع نحو الفراش وجمع عدد من البطاطين ثم ألقى بها فوق رأس تيبيريوس Tiberius وراح يضغط عليه بكل قوته،ولم يتركه إلا بعد أن تأكد من أنه لن يعود بعد ذلك مرة أخرى للحياة.[76]

وهكذا؛ في 16 مارس[77] عام 37م مات الإمبراطور تيبيريوس Tiberius كلوديوس نيرو قتيلاً،عن عمر يناهز الثامنة والسبعين بيد أخلص أتباعه،فكان ماكرو Macro هو الذي أسدل الستار على حياته.[78] ولم يخف السناتو Senate ارتياحه العميق عندما استقبل نبأ موت الإمبراطور تيبيريوس في السادس عشر من مارس عام37 م بعد بلوغه العام الثامن والسبعين. بينما حزن أصدقائه المقربين مثل اليهودي هيرودس انتيباس أمير ربع الجليل بفلسطين، الذي علق على موت الإمبراطور بقوله " أن الليث لن يزأر بعد اليوم".[79]

وبهذا توفي أحسن المصلحين الرومانيين الذي خرجت له المظاهرات في روما بعد سماع خبر وفاته تهتف في فرحة وتطالب أن يلقوا به في النهر " ألقوا بتيبيريوس اللعين إلى نهر التيبر". وبينما كانت الاحتفالات بتأبين تيبيريوس Tiberius جاءت الأنباء الرهيبة من كابري Capri، حيث كان هناك عدد من الضحايا الذين ينتظرون الإعدام، فقد ظن الجميع عندما أعلن موت تيبيريوسTiberius أن نجاة هؤلاء الضحايا مؤكد،ولكن الموظفون الموكلون بتنفيذ الإعدام كان لهم رأي آخر.

حيث أفتى هؤلاء بأن الذي يملك حق العفو عنهم هو الإمبراطور تيبيريوسTiberius وقد مات، أما كاليجولا فأن مراسم ارتقائه العرش لم تكن قد تمت ولذا فإنه لا يملك حق العفو عنهم، وفي المواعيد المحددة تم إعدام الضحايا واحد بعد الآخر وصاح الشعب "لقد مات السفاح ولكن قسوته لم تموت معه".[80] على أية حال؛ لقد كان تيبيريوسTiberius إمبراطورًا جديرًا، وفي رأي المؤرخ مومسن"أنه أقدر حاكم للإمبراطورية الرومانية على وجه الإطلاق".[81]

**خاتمة**

وهكذا؛ مضت الحياة الخاصة للإمبراطور الروماني تيبيريوسبعد أن تركت لنا عدة نقاط هامة من الممكن إبرازها على النحو التالي:

أولاً:استطاع تيبيريوس أن يحول الدولة الرومانية من الحكم الجمهوري إلى الحكم الملكي المطلق. فقد ثبت قواعد الحكم وحقق السلم والاستقرار لسائر شعوب الإمبراطورية، وكانت الضرائب في عهده معتدلة لأنه لم يفرض على الرعايا أية ضرائب جديدة، فخرجت الإمبراطورية من عهده بخزانة مليئة واقتصاد مستقر.

ثانيًا:كان عهده من أفضل عهود الإمبراطورية، حيث كان سائر الرعايا يعيشون في أمان، وكانت روما مزدهرة وهادئة.ولعله من الواضح أن تيبيريوس كان إداريًا ممتازًا، فقد تميز عهده بأنه أفضل بكثير من عهود سائر الأباطرة، وإن كان متهكم وكثير المجون،وقام بتعذيب الكثيرين وهتك الأعراض، وتميز بالقسوة وعدم الرحمة، فهذا لا يحول كونه حقق الكثير للإمبراطورية التي كانت تعيش في عهده في سلام ورفاهية.

ثالثًا:وإن كان التاريخ قد سجل له الأعمال القاسية التي قام بها،فلم يغفل كونه رجل سلام صنع السلام الروماني وترك إمبراطورية مستقرة موطدة الأركان، مما أعطى للعالم القديم استقرار أتاح الفرصة للإنتاج وللتقدم الحضاري. كماتميز تيبيريوس عن الأباطرة الطغاة مثل كاليجولا ونيرون بأنه كان أرحم منهم، ليس بمعنى الرحمة في حد ذاتها، وإنما بمعنى أن قسوته كانت أقل بكثير مما فعلوه من مذابح رهيبة.

رابعًا:جعل المؤرخان تاكيتوس و سوتيونيوس من تيبيريوس في فترة حكمه الأخيرة طاغية عنيفًا وعربيدًا، وبذلك حُجبت الصورة الحقيقية لخدماته التي قدمها للإمبراطورية، فقد كان حاكمًا يشعر بالمسئولية إداريًا ناجحًا في إدارة الشئون المالية للدولة، وإن كان تفتيره في إنفاق الأموال العامة قد جعل منه شخص غير محببًا بالنسبة لغوغاء المدينة، ولكنه في الواقع كان بالنسبة لأهل الولايات بركة ورحمه.

وأخيرًا؛ إن الإمبراطورية الرومانية التي نجحت أن تفرض سلطانها لعدة قرون على مساحة هائلة من الأرض تمتد من الفرات شرقاً إلى بريطانيًا غربًا، ومن الدانوب شمالاً إلى النوبة جنوبًا، وتحتوى شعوبًا ذات حضارة عظيمة، وجماعات ضاربة في التخلف، تستحق منا الدراسة والتأمل لكل صغيرة وكبيرة حتى اضمحلال الإمبراطورية وسقوطها.

[1] يوليوس قيصر: ولد في عائلة عريقة من الأشراف الرومان، عايش في مرحلة مراهقته عهد الحرمان (الحرمان من حماية القانون) الذي فرضه ماريوس صهر أبيه. كما عايش عهد ديكتاتورية سولا وأوائل عهد بومبي Pompey ويعتبر يوليوس قيصر من أبرز الشخصيات العسكرية الفذة في التاريخ وصاحب ثورة تحويل روما من جمهورية إلى مملكة و كان إمبراطورا لها وخلفه العديد من الأباطرة والحكام الذين تبنوا أسمه وأبرزهم أبنه (بالتبني) أغسطس قيصر وغيره.

[2] الواقع أن المؤرخين الرومان ديو كاسيوس و سوتيونيوس وتاكيتوس كتبوا عن تيبيريوس، ويقول سيوتونيوس:"أنه من المحتمل أنه ولد في 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 42ق.م في البلاط أو في "Fundi

Warrington,Classical Dictionary, P.508; N.S. Gill, Tiberius - Roman Emperor :

http://ancienthistory.about.com/od/tiberius/p/Tiberius.htm(Cited in 30/9/2007)

[3] ارنست ماسون،الإمبراطور الرهيب تيبيريوس، تعريب جمال السيد، ب.ط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1985، ص16.

[4] يذكر تاكيتوس عن هذه العائلة أنها أحد أهم وأفخر الأسر النبيلة في هذه الفترة راجع:

Tacitus, Caius Cornelius:(56-120), The Reign of Tiberius, Out of the First Six Annals of Tacitus; With His Account of Germany, and Life of Agricola, and edited by Arthur Galton, 1750, THE ,Translated by Thomas Gordon ANNALS, BOOK I; Helichelhiem &Yeo ,A History of the Roman People, U.S.A 1962, P.308

[5] ماسون ، الإمبراطور الرهيب، ص 14.

وعن حياتها راجع مقال بعنوان " Livia" على الرابط:

http://www.livius.org/li-ln/livia/livia.html(Cited in 9/10/2007)

[6] ماسون، المرجع السابق، ص 15.

[7] راجع مادة تيبيريوس على موقع الإمبراطورية الرومانية بشبكة الإنترنت على الرابط:

http://www.roman-empire.net/emperors/tiberius.html(Cited in 8/10/2007)

[8] عقب مقتل يوليوس قيصر عام 44 ق.م تعاون أوكتافينوس (الذي عُرف فيما بعد باسم أوغسطس) والقائد ماركوس أنطونيوس (كان من أعوان قيصر) على القضاء على قتلة قيصر وأتباعهم. ثم دب النزاع بين هذين الرجلين واشتد الخلاف بينهم وبلغ نهايته عام 31ق.م عندما تمكن أوكتافيانوس من هزيمة أنطونيوس وكليوباترا في معركة أكتيوم Actium البحرية التي ضمت بعدها مصر إلى الإمبراطورية الرومانية. وعاد أوكتافيانوس إلى روما وغدا سيد الموقف، وكان عليه أن ينظم تلك الدولة التي أنهكتها الاضطرابات والحروب الأهلية والتي ترامت أملاكها شرقًا وغربًا. أنظر: شحاتة محمد إسماعيل، دراسات في التاريخ الروماني،القاهرة 1984، ص146.

[9] دروسوس (38 – 9 ق.م): شقيق الإمبراطور تيبيريوس. أنظر:

http://www.livius.org/do-dz/drusus/drusus1.htm(Cited in 9/10/2007)

[10] من الأفضل أن يكتب"أوغسطس" "أوجستس"، كما تُنطق في اللاتينية وهكذا نتفادى الخلط بين لفظة (أغسطس) العربية التي نُشير بها إلى الشهر الثامن من التقويم الإفرنجي وبين لقب هذا القائد الفذ.

[11] مارسيللس: ابن أكتافيا (شقيقة أوغسطس) من زوجها الأول وهو غير مارك أنطوني.

[12] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 33.
[13] ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الرابع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل، بيروت1988، ص3334.
[14]ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 43.
[15] Classical Dictionary, P.508.
[16] مصطفى كمال عبد العليم، محاضرات في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، مكتب الحرمين، كلية الآداب- جامعة عين شمس، القاهرة 1999، ص 41.
[17] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 34.
[18] نفس المرجع، ص 50.
[19] ديورانت، قصة الحضارة، م4،ص 3334.
[20] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 68.
[21] ديورانت،المرجع السابق، ص 3336.
[22] ماسون، المرجع السابق ، ص 12.
تعليق أوجستس على تيبيريوس طريف بعض الشيء؛ لأنه من خلال الإطلاع على سيرة أوجستس نجده يوصف هو الآخر بأنه كان كئيب.
[23] الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، القاهرة 1959، ص 567.
[24] بانونيا: تقع على الشاطئ الشرقي من البحر الأدرياتيكي، حيث توجد يوغسلافيا وبلغاريا الآن.
[25] لقد تولى تيبيريوس قيادة حملات مختلفة في ألمانيا واليريكون.أنظر:
Classical Dictionary, P.508.
[26] الموسوعة العربية، نفس المكان.
http://www.livius.org/jo-jz/julia/julia03.html(Cited in 9/10/2007)
[27] راجع مادة تيبيريوس على الرابط:
http://www.bbc.co.uk/history/historic_figures/tiberius.shtml(Cited in 8/10/2007)
[28] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 58.
[29] كانت مكتبة القصر حافلة بعدد ضخم من كتب الجنس والأدب المكشوف التي كان يستوردها من أنحاء الإمبراطورية.
[30] ماسون، المرجع السابق،ص 59.
[31] السبب في ذلك؛ أن جوليا كانت تجوب شوارع روما مع صديقاتها وكن يعرضن أنفسهن على عابري السبيل كالبغايا، وكن يمارسن مع عابري السبيل أحد أنواع العلاقات الجنسية في ركن من شارع أو تحت ظلال البواكي. ولمزيد من التفاصيل عن سلوك جوليا المشين راجع: ماسون، المرجع السابق، ص 62.
[32] ماسون، المرجع السابق، ص 62.
[33] يروي لنا سويتونيوس عن الاجتماع الطويل الذي دار بين أغسطس وتيبيريوس في حجرة نوم الأول، ولما خرج تيبيريوس من الحجرة علق أغسطس ساخرًا وهو يقول: مسكين الشعب الروماني الذي سوف تطحنه فكان بطيء الحركة. راجع:
سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري،دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، القاهرة 1996، ص131 حاشية (1).
Oxford: Illustrated Encyclopedia, Volume3, New York 1993, P.356
[34] ماسون،الإمبراطور الرهيب، ص 71.
[35] وكان اختيار أغسطس لتيبيريوس اختيارًا حكيمًا، ولكنه جاء بعد فوات الفرصة. فقد تولي تيبيريوس رياسة الدولة في آخر الأمر كان قد بلغ الخامسة والخمسين من عمره، وكره المجتمع، ولم يعد يرى في السلطان سعادة. لمزيد من التفاصيل راجع: ديورانت، قصة الحضارة، ص3333.
[36] Helichelhiem &Yeo , Roman People,P.310.
[37] ماسون، نفسه، ص 76.

الجدير بالذكر؛ أن أغسطس لم يرتكب عملاً واحدًا غامر فيه، وكانت نصيحته الدائمة لمعاونيه تلك الحكمة الإغريقية "أسرعوا لكن ببطء"Speude Bradeos. راجع: الموسوعة العربية، المجلد الثاني، دار الفكر، دمشق؛ محمد الزين، دراسات في تاريخ الرومان، دمشق1983؛ سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص36 حاشية (1)، ص123، ص124.

[38] من المعروف أن الإمبراطور قيصر أوغسطس كان قد أودع عند راهبات الربة العذراء فستا وثائق الدولة ومن بينها سجل أعماله الذي أوصى بنشره على الشعب الروماني بعد مماته، وذلك بنقشه على عمودين من النحاس يقاما أمام ضريحه كما ذكر المؤرخ سوتيونيوس.راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص75 حاشية(2).

[39] مصطفى كمال، الإمبراطورية الرومانية، ص42 – 43.

[40] ديورانت، قصة الحضارة، ص 3335.

[41] ديورانت، نفس المرجع والمكان.

[42] رستوفتزف، الإمبراطورية الرومانية ، ص 124.

[43] ديورانت، المرجع السابق، ص 3336.

يرى البعض أنه؛ كان يجب على تيبيريوس أن يكون أكثر حكمة في تعامله مع السناتو (مجلس الشيوخ) فيحتفظ لنفسه بالمشاكل الهامة ويضع لها الحلول بنفسه، ويترك الأمور المعقدة للمجلس حتى يتطلب الموقف وجوده بينهم أثناء المناقشات. راجع:

White –Kennedy, Roman history's life & literature, London 1942, P.124.

[44] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 86.

الواقع أن؛ بفضل اختيار أغسطس لخليفته قبل مماته ومشاركته الحكم معه، استمرت الأمور هادئة بعد موت أغسطس، وانتقل الحكم في هدوء إلى تيبيريوس. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 129.

[45] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع:

Russell, John Earl, Essays on the rise and progress of the Christian religion in the west of Europe : from the reign of Tiberius to the end of the Council of Trent, Longmans, Green, London 1873.

[46] مصطفى كمال، الإمبراطورية الرومانية، ص 44- 45.

[47] Helichelhiem& Yeo, Roman People, P.310

[48] لقد كان سيانوس عديم الرأفة وقاس وما لبث أن بدأ فيضان محاكمات الخائنون، وقد استخدم هذه المحاكمات لطرد وإبعاد الأعداء المحتمل الاشتباه فيهم. الواقع أن هذه المحاكمات هي التي جعلت ذاكرة فترة حكم تيبيريوس فاسدة. راجع:

Universal Encyclopedia, P.2860

[49] ويرى مارانون G.Maranon أن مرض جيرمانيكوس وموته ليس له علاقة بما أشيع من أن السم قد وضع له في الطعام وأن تيبيريوس برئ من ذلك، وأنه يرجح أن جيرمانيكوس مات متأثرًا بالملاريا أو بداء السل الذي ظهرت عليه أعراضه والتي وصفها سويتونيوس وهو لا يدري. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 138 (1). ولمزيد من التفاصيل أنظر:

G.Maranon, Tiberius: A study in the resentment,1956.

Helichelhiem& Yeo, Roman People , P.311-312

[50] محمود إبراهيم السعدني، معالم تاريخ روما القديم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1991، ص 176.

[51] وتوجد إشارة إلى أن هذا الانهيار كان مدبر، راجع: السعدني، تاريخ روما، 258.

[52] جزيرة كابري: جزيرة إيطالية تقع على الجانب الجنوبي لخليج نابولي Naples ، كانت كمنتجع ومنطقة للتمتع بالجمال منذ زمن الجمهورية الرومانية . راجع:

(Cited in 10/10/2007) http://en.wikipedia.org/wiki/Capri

[53] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 104.

[54] الموسوعة العربية، ص 567.

[55] الإمبراطور الثاني بعد تيبيريوس هو جايوس قيصر أوغسطس جيرمانيكوس، المعروف بـ"كاليجولا" وهو الاسم الذي أطلقه جنود أبيه عليه وذلك لأن أمه أجربينا اعتادت أن تلبسه لباس الجنود الرومان وهو صغير بما في ذلك النعل العسكري وهو باللاتينية Caligula. وعن أعمال الإمبراطور كاليجولا راجع:

Jona Lendering, "Caligula" http://www.livius.org/caa-can/caligula/caligula.html (Cited in 9/10/2007)

[56] السعدني، تاريخ روما، ص 177.

[57] Helichelhiem& Yeo, Roman People , P.312

[58] السعدني، تاريخ روما، ص 258 – 259. وعن المحاكمات الإجرامية والتشريع الإجرامي تحت حكم تيبيريوس راجع:

F. B. Marsh, The Reign of Tiberius; C.E. Smith, Tiberius; R.S. Rogers, Studies in the Reign of Tiberius, Criminal Trials and Criminal Legislation under Tiberius. http://web.ics.purdue.edu/~rauhn/Hist_416/hist420/Emperor_Tiberius_notes.htm(Cited in 8/10/2007)

[59] لم يستغرق السناتو Senate وقتًا طويلاً في محاكمة سيانوس وإعدامه،حتى أن الجماهير مثلت بجثته في الشوارع ثلاثة أيام بل وأعدمت أسرته معه في نفس اليوم. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص141؛ السعدني، تاريخ روما، ص 177.

[60] السعدني، المرجع السابق، ص 177- 179.

[61] ديورانت، قصة الحضارة ، ص 3338.

[62] ديورانت، نفس المرجع والصفحة.

[63] ديورانت، نفس المرجع والصفحة.

[64] قانون الخيانة العظمى:أصدره قيصر والذي ينص على الجرائم التي ترتكب ضد الدولة.

[65]كان جيرمانيكوس قبل موته يعتقد أن بيسو أو زوجته بلانكينا Plancina (صديقة ليفيا الحميمة) قد دست له السم في الطعام. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 137، نفس الصفحة حاشية (3).

[66]ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 116- 117.

[67]مجتبي العلوي، مقال بعنوان" قراءة في كتاب"، مجلة النبأ، العدد 56، محرم1422هـ/ نيسان 2001م. ولمزيد من التفاصيل عن التعذيب (المفهوم والأساليب) في اليونان وروما، راجع هذه الدراسة: براين إينز، تاريخ التعذيب، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت 2000.

Helichelhiem& Yeo, Roman People,P.314[68]

[69] Helichelhiem& Yeo, Ibid.

[70]تلك الزيادة في الأموال كانت على الرغم من هباته الكثيرة للأسر والمدن التي حلت بها الكوارث. راجع: ديورانت، قصة الحضارة، ص 3337.

[71]من الملاحظ؛أن سياسة تيبيريوس إزاء الولايات كانت متشددة مع الولاة حيث كان لا يثق في ذمتهم، فكان معظمهم من رجال السناتو أما في مصر فكانوا من الفرسان.

فاروق حافظ القاضي، مصر في عصر الرومان، جامعة عين شمس، القاهرة 1999، ص 32.

[72]ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 122.

Tappan, Story of the Roman, P.180[73]

[74] Ibid. Loc.Cit.

[75]ماسون، المرجع السابق، ص 125.

[76] Universal Encyclopedia, P.2867.

وهذا ما أورده المؤرخ تاكيتوس، وهناك من يرى أنه موته قتيلاً مجرد احتمال، راجع:الموسوعة الكاثوليكية:

http://www.newadvent.org/cathen/14717b.htm (Cited in 8/10/2007)

أو أنه مات بالسم على يد كاليجولا، راجع: مقال (ن.اس. جيل) بعنوان " تيبيريوس:الإمبراطور

الروماني"
http://ancienthistory.about.com/od/tiberius/p/Tiberius.htm(Cited in 30/9/2007)

[77]قيل أنه توفي في 15 مارس وبعض المصادر ذكرت أنه توفي في 16 مارس وهذا هو الراجح.

[78]ماسون، المرجع السابق،ص 126.

[79]سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 141، ص 141 حاشية (4).

Suetonius, De Vita Caesarum, 2 Vols., trans. J. C. Rolfe (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1920), pp. 291-401;

Garrett G. Fagan: Pennsylvania State University, Tiberius (A.D. 14-Cited in (37), An Online Encyclopedia of Roman Emperors, .)22/12/2001

[80]السعدني، تاريخ روما، ص 179.

[81] Helichelhiem& Yeo, Roman People , P.315

وهناك من يرى أن تيبيريوس برغم بعض نواياه الحسنة، لم يكن من الأباطرة الناجحين، راجع :

Sinnigen, W.dbook, A., A History of Rome, 6th edition, London 1977, P.287.

# الفلسفة

**الفلسفة والنظرية النقدية ... من كانط إلى مدرسة فرانكفورت**

قراءة استكشافية في المنطلقات والواقع الإعلامي

**الفلسفة والنظرية النقدية ... من كانط إلى مدرسة فرانكفورت**

قراءة استكشافية في المنطلاقات والواقع الإعلامي

**الأستاذ بن دريس أحمد**
قسم علوم الإعلام والإتصال
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
جامعة وهران/ الجزائر

**تمهيد**

يعرف **البروفيسور جون سيمونس** النظرية النقدية بأنها كل اتجاهات الفلسفة المعاصرة تقريبا، فلا توجد فلسفة غير نقدية ،ومن لايمارس النقد لايتقدم ولا يتطور ،وبالتالي فهي تعني الاتجاه الماركسي وما بعد الماركسي ،والاتجاه البنيوي وما بعد البنيوي ،والاتجاه التفكيكي على طريقة **دريدا** وجماعته ،وتيار التحليل النفسي والتيار السيميائي والألسني الحديث الهادف إلى تحليل الخطاب بشتى أنواعه...

في الواقع أن الأب المؤسس للتراث النقدي في الفلسفة هو **ايمانويل كانط** وبالتالي فينبغي أن ننطلق منه لكي نفهم معنى النظرية النقدية ،وحتى عناوين كتبه الأساسية تحمل مصطلح النقد وتضعه في الصدارة ،نذكر من بينها كتابه الشهير والأساسي "نقد العقل الخالص"،وكذلك" نقد العقل العملي "...الخ وكان **كانط** يحب أن يدعو فلسفته بالفلسفة النقدية .

لكن الذي يعنيه بهذا المصطلح ؟هو ما يلي :القيام بتحليل نقدي لإمكانيات العقل البشري وعدم إمكانياته ...بمعنى :إلى أي مدى يمكن للعقل البشري أن يفهم الظواهر ويفسرها ؟ وأين تنتهي حدود العقل البشري؟وكان جواب **كانط** هو أن العقل يستطيع أن يفهم عالم الظواهر الطبيعية المحسوسة عن طريق استخدام المنهجية العلمية من فيزيائية ورياضية على **طريقة نيوتن** ، ولكنه لا يستطيع أن يفهم أبعد من ذلك – فما وراء الظواهر

المحسوسة يوجد عالم ميتافيزيقي ...وهذا العالم لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليه ،إلا عن طريق التخمينات والتأملات ...وبالتالي يفضل أن يكتفي العقل البشري بمعرفة ما تمكن معرفته ومن الأفضل أن يعرف حدوده وإمكانياته (i) .

وقد يقول قائل :ولكن **كانط** يحجم العقل البشري ويحتقره إذ يضع له حدودا لا ينبغي أن يتعداها ؟ ولكن الواقع أن العكس هو الصحيح ،فانشغال العقل بمعرفة ما يمكن معرفته أفضل له من تضييع الوقت فيما يتجاوز حدوده وطاقته، والدليل على ذلك أن العقل العلمي- الفلسفي الذي أسسه **نيوتن وكانط** هو الذي صنع كل الحضارة الحديثة ،وأدى إلى التقدم التكنولوجي والطبي والصناعي الهائل في الغرب ،وبالتالي أدى إلى تحسين وضع الإنسان وتسخير الطبيعة لمصالحه ومنافعه بعد أن كانت تخيفه وترعبه في القرون السابقة .

لقد ثار **كانط** على الفلسفة الدوغمائية الميتافيزيقية التي كانت سائدة في عصره والتي كانت تعتقد بإمكانية معرفة ما وراء الظواهر المحسوسة ،وقال لجميع الفلاسفة السابقين :كفوا عن هذا الهراء...كفوا عن التهويم في متاهات الميتافيزيقا وما الذي سيحصل بعد الموت ،واهتموا بمشاكل هذه الحياة الأرضية ومشاكل المجتمع المحسوسة فهي الشيء الوحيد الذي يمكن أن تعرفوه بعقولكم ،وأما الباقي فهو من اختصاص الدين والتأملات الميتافيزيقية ولذلك قال كانط كلمته الشهيرة :"حيث تنتهي حدود العلم تبتدئ حدود الإيمان ".

بعد كانط جاء تلميذه هيغل الذي خرج عن فكر أستاذه وانتقده ،وأدى ذلك إلى توسيع الفلسفة النقدية لكي تشمل مجالات أخرى غابت عن ذهن كانط ،فقد ركزت الفلسفة الهيغيلية على مسائل المجتمع والتاريخ والسياسة وكيفية تنظيم المجتمع الحديث أكثر مما ركزت الفلسفة الكانطية ،ورأى هيغل أن الحرية تعني تحقيق الروح في التاريخ أو تحقيق الإنسان لذاته في المجتمع وعلى هذه الأرض ،والحداثة تعني الحرية ...ولذلك فإن الثورة الفرنسية كانت ذات أهمية كبرى في نظر هيغل ،فلأول مرة الإنسان يصبح حرا بعد أن كسر قيود وأصفاد العالم الإقطاعي – اللاهوتي – المسيحي القديم .وقد قال هيغل بأن الحرية لايمكن أن تتوافر للمواطنين إلا بعد تشكيل الدولة الدستورية الحديثة ذات القوانين الواضحة التي تنطبق على الجميع.

ثم جاء بعده ماركس لكي ينتقد أستاذه هيغل ...حيث ركز نقده على مثالية هيغل ،على الرغم من أنه أخذ عنه المنهج الجدلي في التفكير،إلا أنه قلبه ضده ...فهيغل كان يقول بأن الوعي هو الذي يشترط الوجود الإجتماعي أو يتحكم به ، أما ماركس فيقول بأن الشروط المادية والإجتماعية هي التي

تشكل وعي الفرد أوتتحكم به ...فالإنسان ابن ظروفه التي يولد فيها ،وليس هو الذي يوجد الظروف ...وكان نقد ماركس يتركز على استلاب العمال في المجتمع الصناعي الرأسمالي كما هو معروف.

ننتقل الآن إلى نيتشه الذي كان معاصرا لماركس دون أن يعرفه وربما دون أن يسمع باسمه ،والوقع أنه كان نقديا بمعنى آخر مختلف تماما ،فقد ركز نقده على الوضع الثقافي لأوربا لاعلى الوضع المادي ،كما ركز على المسيحية وقيمها الإستلابية بحسب رأيه ،وكذلك انتقد قيم الحداثة والمجتمع الصناعي الصاعد في عصره ،باختصار فإن نيتشه انتقد كل شيء ودعا إلى تغيير كل القيم السائدة ...ولكن من الصعب فهم نيتشه أو حتى ماركس بدون خلفية فلسفية كبيرة ،وقل الأمر ذاته عن هيغل وكانط وغيرهما من كبار الفلاسفة .

ثم جاء بعده ماكس فيبر عالم الإجتماع الألماني الشهير، وقد انتقد الرأسمالية بطريقة مختلفة تماما عن طريقة ماركس، فالرأسمالية في نظره كانت تعني عقلنة الإقتصاد ، مثلما أن الدولة الحديثة تعني عقلنة السياسة ولكن الرأسمالية قد تنسى المبادئ الأخلاقية ولا تعود تفكر إلا في زيادة الإنتاج والربح وهذا هو الخطر الذي يهددها في الواقع .

الفكر الآخر الذي سار في طريق النقدية هو فكر مدرسة فرانكفورت الألمانية والتي دعت نفسها بالمدرسة النقدية وبلورت بعد الحرب العالمية الثانية مايسمى بالنظرية النقدية ، ولكنها اتخذت هنا معنى خاصا ،معنى مختلفا عن كانط ،فالنقد أصبح يتركز الآن على هذا العقل الغربي الذي أسسه كانط قبل 150 سنة والذي أدى إلى مجازر الحرب العالمية الثانية وتجاوزات الرأسمالية وعربدتها .

وبالتالي فإن المؤسسين الكبيرين لمدرسة فرانكفورت أي هوركايمر وأدو رنو ركزا نقدهما على عقل التنوير أو بالأحرى على انحرافه عن مقاصده الأولى ، فقد تحول إلى عقل أناني ،بارد ،لايفكر إلا في مصلحة الرأسماليين والغربيين المستعمرين والمهيمنين على العالم ،إنه العقل ذو البعد الواحد كما يقول هربرت ماركيوز العقل الذي أصبح مجرد أداة فعالة في يد الرأسمالية والمجتمع الإستهلاكي الحديث،وهو مجتمع لايؤمن بأية قيمة أخرى عدا قيمة الربح والفائدة واللذة الحسية والتوسع والسيطرة [(2)] .

لقد سادت النظرية النقدية في فترة كانت فيها الثقافة الجماهيرية تنتشر بشكل كبير بين الأوساط الإجتماعية، مع انحسار بعض الثقافات السائدة ، ومع بروز ملامح السلعية والربحية في الثقافة كمنتوج،وليس كمقوم إجتماعي أساسي كما ظهرت في ظل ظهور الأنظمة التسلطية التي تبحث عن لسيطرة،بمختلف الوسائل والإمكانات ، وما ساهم أيضا في بروز مدرسة

فرانكفورت هوا لأفكار والنظريات التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تسعى إلى تفسير الظواهر الإعلامية المختلفة في إطار الدراسات الإجتماعية المختلفة،كدراسة الحملات الانتخابية والدعاية السياسية التي تستهدف الجمهور ،بناءا على هذا ما هي أهم الخلفيات لتي ساهمت في بروز مدرسة فرانكفورت؟

**خلفيات ظهور النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت**

في بداية القرن العشرين قامت الحرب العالمية الأولى ، والتي كانت بحاجة إلى صفوف كثيرة من المقاتلين على مختلف الجبهات ، ما جعل القائمين على شؤون الحرب يعملون للبحث عن أفضل السبل لإقناع الجماهير للالتحاق بجبهات القتال ، فتم اللجوء إلى وسائل الإعلام الجماهيري المتوافرة آنذاك ، والتي شكلت الأداة المناسبة والأكثر ملائمة لتنفيذ هذه السياسية ...

هذه البدايات جعلت من الباحثين الذين جاءوا من حقول أخرى تنتمي إلى ميادين ...علم الإجتماع ،التاريخ ، السيكولوجيا ...و ما كانوا قد خصصوا حقلا علميا يسمى "علوم الإعلام والإتصال "بعد، هؤلاء الباحثين ومن خلال ملاحظاتهم العميقة واكتشافهم للتأثير الكبير لوسائل الإعلام المنتشرة آنذاك جعلهم يصنفون تأثيرات وسائل الإعلام ومن خلالها الدعاية إلى جملة من النظريات الخاصة بالتأثير المباشر في الإعلام الجماهيري .

حيث كانت البداية مع ظهور نظرية الرصاصة السحرية ...أو الإبرة تحت الجلد Magic Ballet Theory التي اعتبرت الفرد يعيش معزولا عن المجتمع ، الأمر الذي يجعله يستجيب لأوامر وتوجيهات وسائل الإعلام بشكل يخضع لآلية المثير- الإستجابة ، والتي اعتبرها ديفلر نظرية صحيحة لأنه حسبه جاءت منسجمة مع النظرية العامة للسوسيولوجيا والسيكولوجيا السائدة مع بدايات القرن العشرين.. بينما الثنائي وولف وَ ماكسويل فيعتبران النظرية السحرية غير علمية لأنها نشأت في مناخ يخاف من انعكاسات الإعلام ولم تنشأ من معارف متحقق منها ميدانيا .

بعد هذه النظرية ظهرت صيغة لازويل والتي سمحت بتجاوز النظرية السحرية في الثلاثينيات حيث اعتبر الفعل الإتصالي مرتكزا على الإجابة على هذه الأسئلة ...من؟ يقول ماذا ؟ بأي وسيلة ؟ لمن ؟ بأي تأثير ؟ ...من هنا أثبت أن الجمهور يستطيع التكيف مع المواقف الإتصالية التي يتعرض لها ، وهذا من خلال الأبحاث الأمبريقية التي أظهرت نتائج تتعارض بشكل كبير مع نظرية الرصاصة السحرية ...وكما سبقت الإشارة فإنه اتضح أن للجمهور سلطة أن يقرر بناءا على رغبته في أن يخضع للرسائل الإعلامية أم لا .

وفي سياق متصل مع هذا ظهرت نظريات التأثير الانتقائي (الاصطفائي )والتي تشكلت في ثلاث مضامين الأول منها تأسس على الفروق الفردية والثاني على التباين الاجتماعي والثالثة على مستوى العلاقات الإجتماعية

**نظرية الفروق الفردية :** أثبت أن الشخص يتميز بسيكولوجية مختلفة عن الآخرين ويمتلك بنية معرفية خاصة به كما يملك قدرات متميزة على اكتساب معارف واستيعاب أفكار وآراء وقيم وميول وقدرات خاصة به .كل هذا جعل من التأثيرات مختلفة باختلاف هذه الفروق وتبين أن طبيعة ودرجة تعرض الجمهور للمواد الإعلامية ترجع في جزء كبير منها إلى خصائص سيكولوجية لأفراد هذا الجمهور.

**نظرية التباين الإجتماعي :** أو نظرية الاستخدامات و الإشباعات ، فإنها اعتبرت أن الجمهور الإعلامي يتصرف بشكل إيجابي مع الوسائل الإعلامية ...فالجماهير هم أناس فاعلون يختارون المضامين والرسائل الإعلامية التي يفضلونها وهذا على خلاف النظرية السحرية التي اعتبرت الجمهور كتلة خاملة تتلقى بسلبية رسائل الإعلام، هذا ما يثبت وجود دور قوي جدا للمتغيرات المعرفية والثقافية في عملية التأثير...

**نظرية العلاقات الإجتماعية :** فهي تركز على دور قائد الرأي Opinion Leaders في توجيه الرسائل الإعلامية بمختلف أشكالها ، إذ أنهم يتعرضون أكثر من غيرهم للإعلام ويتمتعون في الوقت نفسه بسلطة كبيرة على الأوساط الإجتماعية ، من خلال مشاركتهم الواسعة في الحياة العامة و الإجتماعية ، الأمر الذي يمكنهم من نشر الموضوعات التي تأثروا بها داخل مجموعاتهم .

**الثقافة الجماهيرية الماهية والخصائص**

إذا كان القرن الثامن عشر قد سيطر عليه النقاش حول مفهوم "فلسفة الأنوار "وكذلك مفاهيم "الديمقراطية" و"مستقبل العلم" وهذا بعد ظهور عدة اكتشافات علمية وكذلك نظريات معرفية ،فإن من بين ما نوقش مع بداية القرن العشرين هو مفهوم "الإعلام الجماهيري "وهذا بعد اكتشاف وسائل الإعلام الجماهيرية كالإذاعة ،التلفزيون وقبلها السينما ،هذه الوسائل قضت على العراقيل المادية والجغرافية في نشر الثقافة والإعلام ،كما جعلت المادة الإعلامية في مستوى مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية .

هذه الخصائص التي أكسبت وسائل الإعلام الجماهيرية قوة تأثيرية بالغة ،لم يكن مفعولها يقتصر على فرد أو جماعة معينة فقط ولا على مجال معين بل إن آثارها شملت مختلف الميادين الإجتماعية ،الإقتصادية ، السياسية والثقافية وأصبحت هناك جماهير كبيرة تقدر بملايين القراء والمستمعين أو

المشاهدين تتعرض لرسائل إعلامية موحدة ،كما أصبح الجمهور ومع مر الزمن هدفا تقصده هذه الوسائل الإعلامية ...وهو ما جعل البعض يبدي تخوفه من انصهار الثقافات القومية والشعبية في إطار نمط ثقافي معين يتمثل في ذلك الذي تبثه وسائل الإعلام الجماهيرية.

الأمر الذي أدى إلى إثارة نقاش حاد وكبير حول موضوع الثقافة الجماهيرية ،حيث شمل النقاش أيضا مفهوم الثقافة نفسه الذي أصبح في مواجهة متغيرات جديدة كتقنيات الإتصال الحديثة ،مفاهيم الغزو الثقافي ،الإمبريالية الثقافية ،السلعة الثقافية ...الخ ، هذه المتغيرات جعلت المفهوم التقليدي للثقافة يستدعي إعادة النظر والإثراء ...إذا من خلال ما سبق ما هي الثقافة الجماهيرية ؟ ما هي خصائصها ؟وكيف نظر النقاد إليها ؟...

ف **ريمون رويه** يرى أن لكلمة الثقافة ثلاثة معان كلها ترتبط بالعقائدية أو الإعتقاد، فهي مثلا حسب الأنثروبولوجيين جملة من العقائد ،وضروب السلوك والتقاليد والتقنيات التي تنتقل في درب الوراثة غير – البيولوجية ،درب الوراثة الإجتماعية ،فالثقافة تتميز ،على قدر سواء ،بعادات الطعام وسبل تنويم الأطفال وبالعادات الجالية والأخلاق السياسية (3).

والثقافة بهذا المفهوم هي امتداد واسع منتشر عبر فضاءات متعددة سمحت بتوسيع المفهوم العام للثقافة على اعتبار أنها جماهيرية ،إذ أنها أضحت تظهر في مختلف المجالات على أسس مختلفة ومتباينة ،عاملها المشترك في كل الحالات التساؤل عن هذه الثقافة أهي راقية أم هابطة ؟وللوصول إلى هذه النقطة نتساءل ما هي الثقافة الجماهيرية ؟

إن مفهوم الثقافة الجماهيرية ارتبط حسب العديد من الباحثين والمفكرين بظهور المجتمع الجماهيري والذي يعني تعدد الاختصاصات المهنية و الذي يرجع **دوركايم** ظهوره إلى تقسيم العمل .فالثقافة الجماهيرية هي تلك المحتويات التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية في المجتمع الصناعي التقني ومفهومها أوسع من المجتمع الجماهيري .

و كإجابة عن ماهية الثقافة الجماهيرية نورد التعريف الذي وضعه **إدغار موران** Edgar Morin للثقافة الجماهيرية في قوله إنها "إنتاج ثقافي منتج وفقا لأسس جماهيرية ومنتشرة بواسطة تقنيات التوزيع الجماهيري"وهنا إشارة واضحة إلى سعة الجمهور الذي تتوجه إليه هذه الثقافة ،وكذلك ارتباطها بوسائل الإعلام و الإتصال الجماهيرية .ومن هنا يمكن لنا القول أن الثقافة الجماهيرية ،هي الشكل الثقافي الذي يشمل جمهورا واسعا يتعالى على الإختلافات الثقافية العرقية واللغوية ،بغض النظر عن محتوى هذا النوع من الثقافة يمكن القول كذلك حسب الأستاذ محمد بدر الدين أنها النمط الثقافي الأكثر انتشارا .

أما عن أهم خصائص الثقافة الجماهيرية فإنها تتفرع إلى عدة نقاط وهي كما يلي :

- الثقافة الجماهيرية ثقافة عالمية وهذا من حيث الانتشار والتوجه وكذلك تشابه القيم التي تنقلها هذه الثقافة من مجتمع لآخر وهذا من دون أن تقف في وجهها الحدود السياسية أو الجغرافية.
- إنها تؤثر على الثقافات الأخرى مثل الثقافة الشعبية والقومية التي تكون الشخصية الأساسية لكل مجتمع .
- تعبر عن تبعية ثقافية تتجسد في العلاقة بين الدول المنتجة لها والدول المستهلكة.
- من حيث المضمون نقدم الثقافة ترفيهية بسيطة وسطحية و خيالية.
- إنها ثقافة استهلاكية وتتميز بطابع نمطي أي تعمل على إنماء وإرساء نمط معين من الثقافة.

مجموع هذه الخصائص جعل الثقافة الجماهيرية تأخذ طابعا متميزا عن الأنواع الثقافية الأخرى، كما ولد عند البعض تحفظات بشأنها، عبر عنها البعض الآخر في كونها تمثل أحد مظاهر أزمة الإنسان المعاصر، إذ أن التطور الحاصل والمستمر في وسائل الإتصال الجماهيري وكذلك وسائل إنتاج الثقافة تمخض عنه تراكم كبير في السلع الثقافية ،وهذا بدوره شجع على نمو صناعة التسلية والترفيه نموا كبيرا .

كما ظهرت بموازاة سوق السلع الصناعية سوق أخرى للسلع الثقافية تحتكرها مجموعة من الشركات العملاقة ،هذا مع الإشارة إلى أن التطور في حجم الإنتاج الثقافي لم يصاحبه تطور نوعي لهذا الإنتاج ،فأصبحت مناقضة تماما لثقافة النخبة أو المستوى العالي للثقافة [(4)] ، من خلال كل هذا ظهر مفكرون ينتمون إلى عدة حقول و تيارات حاولوا إبراز أهم تحفظاتهم اتجاه الثقافة الجماهيرية ...

**الفكر الاجتماعي والإعلامي لمدرسة فرانكفورت**

هي أحد المدارس التي قامت مبكرا على فكرة الماركسية الجديدة ،ابتداء من عام 1923في معهد الدراسات الإجتماعية بفرانكفورت وأصبحت معروفة باسم مدرسة فرانكفورت Frankfurt School وقام بإعلاء فكرتها كل من **ماكس هوركايمر** Max Horkheimer **وتيودور أدورنو** Thedor Adorno وربطت هذه المدرسة بين النظرية الماركسية النقدية وتحليل الأدبيات الإنسانية Humanist Literary Analysis وروجت لأشكال متنوعة من الثقافة الرفيعة مثل السنفونيات والفنون الكلاسيكية الأدبية ،ورأت أن الثقافة الرفيعة شيء يملك كل مقومات كماله.و لا يمكن أن يستخدمها

الصفوة لمجرد تعزيز قوتهم الشخصية ،ولذلك فإنهم شككوا في تقديم هذه الثقافة من خلال وسائل الإعلام وإن ما تقدمه وسائل الإعلام هو عبارة عن أعمال وضيعة ،أو تشويه للأعمال الراقية هدفها إلهاء الناس عن البحث عن الحقيقة ،وضربوا مثلا كذلك بالتحليل النقدي للثقافة النازية والطرق الخاصة بتحريف الثقافة الرفيعة التي أقامها هتلر وأجهزة دعايته .

وبالتالي فإن هذه المدرسة رأت أن تقدم الثقافة الجماهيرية أو المستويات المتدنية للأعمال التي تقدمها وسائل الإعلام هي التي تدعم الصفوية أو الأبوية التي تفرضها السلطة أو القوى المهيمنة على المجتمع .

وهذه الآراء هي التي تفسر –من وجهة نظرهم – الفشل الواضح للتغيير الثوري الإجتماعي الذي توقعه ماركس وذلك لتأثير البنية الفوقية على وسائل الإعلام وتوجيهها في الطريق الخطأ ،لأن أفكار الطبقة المهيمنة أو المسيطرة في توجيه وسائل الإعلام أصبحت هي الأساس في عملية الإفساد وهضم حقوق الطبقة العاملة .فمن خلال التجارة العالمية ،والثقافة الجماهيرية ينجح الإحتكار الرأسمالي في تحقيق أهدافه ،وحيث تكون السلعة هي الأساس فإن الثقافة يمكن تسويقها أيضا لتحقيق الربح ،وتعمل بالتالي من خلال مفهوم صناعة الثقافة Culture industry على ترسيخ الأفكار الخاصة بسيطرة الطبقة المالكة أو الهيمنة على المجتمع بمفهومه الرأسمالي .

وحيث توصف عناصر هذه الثقافة الجماهيرية وإنتاجها في إطار الخصائص السلعية أصبح إنتاج هذه السلع الثقافية يتوقف على قيمتها التبادلية في السوق وليس قيمتها في الإستخدام ،وقد تم فرض هذه السلع بواسطة نظام صناعي تحكمه الأخلاقيات الرأسمالية وسيطرة منطق الربح.

وتتأثر كثير من البحوث الأمريكية في الوقت الحالي باتجاهات مدرسة فرانكفورت ،خصوصا بعد أن انتقلا هوركايمر و أدورنو للإقامة في الولايات المتحدة الأمريكية واستمروا في إنتاجهم العلمي بالتعاون مع الباحثين في الدراسات الإجتماعية والإعلامية . وتتفق أفكار هذه المدرسة في نقدها للثقافة الجماهيرية مع نظرية المجتمع الجماهيري ،الذي أدى قيامه إلى انهيار التقاليد العامة واختفاء سلطتها على الفرد ،مما أدى إلى الإهتمام بذاتية الفرد والتأكيد على حريته وحقوقه ولذلك تهتم هذه المدرسة بحقوق الأفراد في الإرتقاء بأذواقهم وخبراتهم ومعارفهم من أجل بناء أصلح للبشرية ،والثقافة الجماهيرية لا تصلح أداة لذلك لأنها ليست إبداعا فرديا ،ولكنها سلعة مصنعة بشكل جماهيري تستجيب للإحتياجات العامة ولا يستجيب لها الجمهور بشكل نقدي بل يسعى من خلالها إلى الرضا اللحظي أو المتعة الوقتية التي تخدر الناس وتجعلهم يهربون من واقعهم ولا يدركونه ،وبالتالي فإنها لا تستهدف تحقيق الكمال والإرتقاء بالذوق العام بقدر ما تهدف إلى

تحقيق الرواج والإنتشار بين الناس ،شأنها شأن الإنتاج الجماهيري Mass production الذي يتسم بالنمطية والتماثل ورخص ثمنه وهبوط مستواه.

ويرى أصحاب هذه المدرسة أن الثقافة الجماهيرية والتي تعبر عن الثقافة الشعبية Popular culture وإن كانت تستمد أفكارها منها في بعض الأحوال،هذه الثقافة الجماهيرية قد فرضها من أعلى أصحاب المراكز والطبقات المسيطرة للمحافظة على الوضع القائم (5) .

إن فكر مدرسة فرانكفورت بصفة عامة هو مزيج من الفكر الإجتماعي لدى ماكس فيبر ،وفكر كارل ماركس الذي يرى الثقافة ناتجا فرعيا أو بنية فوقية لطور الإنتاج ،ومدرسة فرانكفورت تريد إخراج الحداثة الغربية من أزمتها الراهنة وذلك بتخليص النموذج الماركسي من محوريته الإقتصادية (6) .

المدرسة أسستها المجموعة النقدية التي تدير معهد فرانكفورت للأبحاث السوسيولوجية ( INSTITUT FUR SOZIAL FORSCUNG) الذي تأسس في العام 1923 وأصبح مركزا مهما اكتسب هويته المحددة ، إثر تعيين ماكس هوركايمر Max Horkheimer مديرا له ،وبقدوم النازية ،اضطر المعهد الذي غدا يعرف بمدرسة فرانكفورت إلى الإغلاق وهاجر ممثلوه الأساسيون إلى باريس ثم نقل المعهد أعماله مؤقتا إلى جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية ،وعاد المعهد إلى ممارسة نشاطه في العام 1950 مقدما أطروحات نظرية متميزة تنبئ عن أصالة وتفرد ،وتسعى إلى تمتين الموقف النقدي اتجاه العلم والثقافة عبر اقتراح سياسي بإقامة تنظيم عقلاني للمجتمع باستطاعته تجاوز أزمة العقل (7).

واستطاع فريق المدرسة بتوظيف المنهجية التطبيقية الأمريكية أن يقدم أهم أطروحاته عن الشخصية السلطوية Authoritarian personality والثقافة الجماهيرية Mass cultureوتعتبر المدرسة النقدية بشقيها الأول أي الفلسفي والثاني أي اللسانيات و الإتصال أداة نقد كل من المنطق والثقافة والفلسفة في الغرب ،بالإضافة إلى المحاولة تشكيل نظرية براغماتية عالمية تخص علم الكلام و الإتصال غير المشوه في المجتمع (8) .

لقد تحدث منظروا مدرسة فرانكفورت الثلاثة : هوركايمر وأدورنو وماركيوز عن مفهوم الهيمنة أي الطريقة التي تهيمن بها النسق أو السلطة وتجبر فيها الناس وتستغلهم وتخدعهم من أجل ضمان تجددها واستمرارها وتشجب النظرية النقدية الفصل والتعارض الحاصلين بين الفرد والمجتمع ،معتبرة إياهما حصيلة تاريخية للإنقسام الطبقي ، مؤكدة انحيازها إلى النقد الجدلي الاقتصادي السياسي،لذلك تعد نقطة البداية بالنسبة لهذه النظرية تحليل نظام الإقتصاد التبادلي : بطالة ،أزمات اقتصادية ،عسكرية ،إرهاب ،شروط

حياتية للجماهير ،كل ذلك لا يعقل أن يؤسس على العوامل **التقانية** البحتة ،كما كان يمكن أن يحدث في الماضي ولكن على العلاقات الإنتاجية التي لم تعد موائمة للوضع الحالي حسب الدكتورة فريال مهنا[9].

**من جهة** أخرى تنتقد هذه النظرية القيود التي يتم وضعها في الدراسات الفئوية الساعية نحو دقة شكلية والخاضعة للمنطق الأداتي(الأدوات) أوكما يسميه الدكتور جمال العيفة بالعقل الأداتي Instrumental reason [10] حيث تم التطرق إلى هذا المفهوم واستكشاف كنهه في سلسلة المؤلفات أبرزها ماكتبه **هوركايمر و أدورنو** معا في مؤلف "جدل الفكر التنويري " وكتاب "أفول العقل " لهوركايمر وكذا كتاب ماركيوز "الإنسان ذو البعد الواحد " الذي صدر سنة 1964 حيث يعتبرون العقل الأداتي هو أسلوب التفكير المهيمن في العالم الحديث ،حيث أن العلاقات بين البشر تبدو كما لو أنها علاقات بين أشياء وأن نظرة البشر لأنفسهم ولغيرهم تغدو كنظرتهم لأشياء مادية ،وأن العالم الإجتماعي أصبح يبدو كما لو أنه طبيعة ثابتة لا تتغير [11].

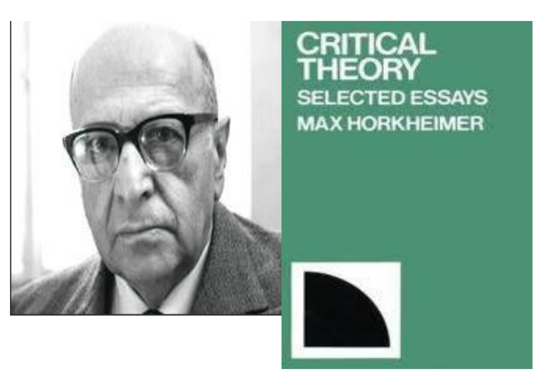
فالعقل الأداتي معني كليا بالأغراض العلمية حيث يفصل الواقعة عن القيمة ،إذ أن اهتمامه ينصب على اكتشاف كيف تصنع الأشياء وليس ما يجب صنعه ...وبهذه الطريقة تكون مدرسة فرانكفورت قد بينت أن المجتمع القائم هو مجتمع لاعقلاني أو قمعي ،لأنه يسلب أو يدمر السمتين الأساسيتين للحياة الإنسانية وهما قدرة الإنسان على تحويل بيئته وقدرته كذلك على القيام باختيارات عقلانية جماعية تتعلق بحياتنا جميعا.ومن أبرز أدواته في ذلك وسائل الإتصال الجماهيري التي استطاعت أن تقوم بأكثر من هاتين الوظيفتين في العديد من المجتمعات و الدول المتقدمة والنامية على حد سواء مستفيدة من التطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات ...لأجل هذا يدعوا منظروا المدرسة إلى تقويض ذلك النسق (الإتجاه) المهيمن قدر الإمكان وذلك بتبني الرأي النقدي عنه وإظهار ثغراته وتناقضاته... [12].

دائما ضمن نطاق المبادئ الأساسية للمادية الماركسية تظهر توجهات علماء مدرسة فرانكفورت من هوركايمر إلى أدورنو ،ومن ماركيوز إلى هابرماس في السعي لمواجهة الموضوعات الجديدة المرتبطة بالديناميات المجتمعاتية في تلك الفترة ،كالحكم الاستبدادي والصناعة الثقافية وتحولات الصراعات الإجتماعية في المجتمعات الصناعية المتقدمة ،في هذا الشأن يقول روسكوني إنه من خلال ظواهر البنيات الفوقية للثقافة والسلوك الإجتماعي ترمي النظرية النقدية إلى اختراق معنى ظواهر البنيات التحتية للمجتمع المعاصر "الرأسمالية والتصنيع"،ويرى ماركوس أن الأهداف الخاصة للنظرية النقدية هي تنظيم الحياة بحيث يرتبط قدر الأفراد ليس

بالصدفة أو بالضرورة العمياء لعلاقات اقتصادية منفلتة ،وإنما يرتبط بالإنجاز المخطط للإمكانيات الإنسانية . ومن بين أهم عناصر تفكير النظرية النقدية بالنسبة لوسائل الإعلام، يبرز قبل أي شيء التحليل الذي صاغته حول الصناعة الثقافية.

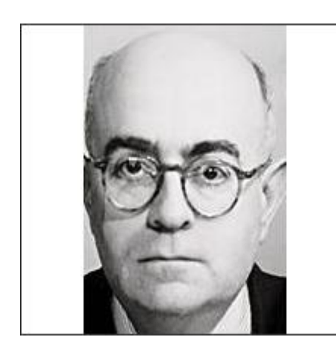
**رواد مدرسة فرانكفورت وأنصارها**

تضم هذه المدرسة عددا من الفلاسفة والنقاد والأدبيين وعلماء المجتمع والنفس والإقتصاد والسياسية أبرزهم




Max Horkheimer

- ماكس هوركايمر Max Horkheimer ولد سنة 1895 وتوفي سنة 1973 ويعتبر مؤسس المدرسة النقدية من أهم مؤلفاته CRITICAL THEORY و ECLIPSE OF REASON [13]
.

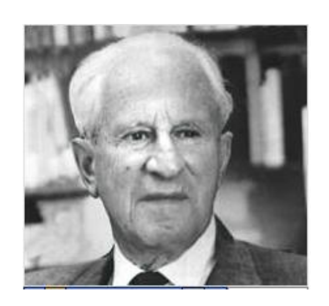


Theodor Wiesengrund

- تيودور أدورنو Theodor adorno ولد سنة 1903 وتوفي سنة 1969 كانت حياته حافلة بالإنجازات،أهمها تلك التي ظهرت بعد تنقله إلى الولايات المتحدة وانضمامه إلى فريق جامعة كولومبيا " وتحت ضغط الحاجة الماديّة والمنافسة الشديدة اضطرّ أدورنو إلى إنجاز بعض الأعمال التي كان يعرضها عليه

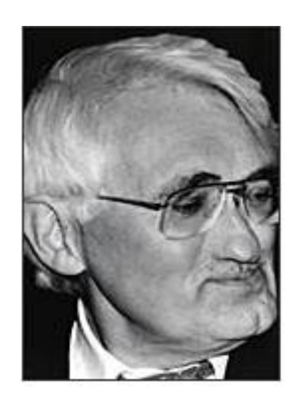
معهد البحوث الذي كان يشرف عليه الماركسي النمساويّ باول ف. لازارسفيلد. وكان لبعض البحوث التي تتناول مسائل تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة مثل الإذاعة أن سمحت لأدورنو بالعودة إلى الاهتمام ب"الموسيقى الاستهلاكيّة" كما كان يسمّي موسيقى الجاز التي لا يحبّها، وأن يظلّ حتّى الستّينات يعود إلى تناول هذا الموضوع بالنقد الشديد".ويعتبر بحق المنظر الأول بعد **هوركايمر** للفكر النقدي المعاصر ،فهو إلى جانب نقده للثقافة الجماهيرية فإنه يتناول مفهوم" السعادة" والذي هو أيضًا موضوع للمناقشة التي جرت بين أدورنو وهوركايمر سنة 1956. ومن خلال استعادة العديد من الموضوعات التي وقع تناولها منذ 1939 في حياة المنفى الأمريكي حيث يظلّ **أدورنو** يستعيد على الدوام انعكاسات المجادلات الحاسمة حول مسائل و دور النظريّة وتطبيقاتها العمليّة، ومفهوم الهويّة داخل المجتمع الرأسمالي البرجوازي، وإمكانيّات التغيير الاجتماعي. أمّا بخصوص الدور الحاسم الذي لعبه كلّ من **والتر بن جامين وماكس هوركايمر** في حياة وفكر **أدورنو** فإنّ هذا يعبّر عنه الكاتب الأمريكي **كلا وسن** في كتابه المتضمن لسيرة **أدورنو** كالآتي: "(...) **بين صورتيهما تبدو ملامح أدورنو جليّة؛ معالم مميّزة لا يخطئها المرء، ومع ذلك لا يمكن تصوّرها دون الصفات المشتركة.** [(14)]".

- والتربنجامين Walter Benjamin ولد سنة 1892 وهو كاتب و ناقد أدبي ألماني ذو أصول يهودية ومنظر ماركسي في علم الجمال وانتحر مع بداية الغزو الألماني إلى فرنسا سنة 1940.من مؤلفاته كتاب ( المؤلف كمنتج) صدر سنة 1934 .
- إريك فروم Erich Fromm ولد سنة 1900 وتوفي سنة 1980 وهو محلل نفساني ذو أصول ألمانية ،حاول توظيف المنهج التحليلي المطبق في علم النفس على الظواهر الاجتماعية والثقافية ،هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1934 له العديد من المؤلفات والبحوث منها (الخوف من الحرية)كتبه سنة1941وكتاب ( الخطاب المنسي ) الذي صدر سنة 1951ومؤلف ( فن الحب ) الذي صدر سنة1956.



**Marcuse Herbert**

- هربت ماركيز Herbert Marcuse ولد سنة 1898 وتوفي سنة 1979 وهو فيلسوف أمريكي له مؤلفات كثيرة منها ( الإنسان المتعدد الأبعاد ) الذي صدر سنة 1964 وقدم بحثا بعنوان البطولة والحضارة صدر سنة 1955



**Habermas, Jürgen**

- **يورغن هابرماس Habermas, Jürgen** الذي ولد سنة 1929 وهو عالم إجتماع وفيلسوف ألماني،في اواسط الخمسينات،عاش هابرماس حدثا يحدد بشكل حاسم توجهاته الفلسفية، فقد التقى بتيودر ادورنو، أحد رموز مدرسة فرانكفورت، ومنه تعلم كيف يستعمل الأدوات الماركسية لتحليل الواقع الراهن، كما ساعده على اكتشاف فرويد الذي لم يكن قد قرأه حتى ذلك الحين.،وهو أكبر نقاد الحداثة وأكثرهم تأثيرا وممثلا للحداثة الجديدة كما تطرحها مدرسة فرانكفورت ،والتي يسميها جون فرانسوا ليوتار

ب"مابعدالحداثة " والتي تمثل حركة فكرية تقوم على نقد ورفض الأسس التي ترتكز عليها الحضارة الغربية الخديثة كما ترفض المسلمات التي تقوم عليها هذه الحضارة [15]،ويمثل السجال الفكري بين هبرماس وليوتار رائد تنظير مابعد الحداثة واحدا من أبرز ملاحم المشهد الثقافي العالمي ومن أهم مؤلفاته (الفضاء العمومي) الذي صدر سنة 1962 ومؤلفه (النظرية والتطبيق )الذي صدر سنة 1963 ،ومؤلفه المهم ( نظرية الفعل الإتصالي) الذي صدر سنة 1981)،والذي يقترح فيه هابرماس مفهوماً للفلسفة من عصر الحداثة عقب انهيار الرؤى الدينية والميتافيزيقية، كما يقترح أيضاً طريقة جديدة للتفكير في ماهية الحقيقة، خصوصاً بعد أن حرّرت من نفوذ السلطة العليا، وفي هذا الكتاب، لا يبرز هابرماس كفيلسوف فقط، إنما كمثقف يمتلك وعياً سياسياً وعالياً .

وخلال السنوات الأخيرة، أهتم **يورجن هابرماس** بالعولمة مخصصاً لها العديد من المقالات والمحاضرات، وهو يقول: " **إن مسألة الأمن العالمي في عصر الصورايخ العابرة للقارات وانحسار الأسواق الوطنية نتيجة رأسمالية أسقطت الحدود والعراقيل بين الدول وغيرت وجه العالم بصورة منقطعة النظير، و قد أحدث هذا الوضع الجديد تغيراً مهماً في العلاقات الدولية وباتت الحدود بين الدول التي كانت تحرس بشكل مشدد أحياناً، مفتوحة أو شبه مفتوحة أمام الأفكار والسلع وغير ذلك، لذا بإمكاني أن أقول إن السياسة الخارجية الكلاسيكية لم تعد موجودة، أما السياسة الخارجية الجديدة، فتمتزج بالسياسة الثقافية وبالسياسة الاقتصادية ،إلى جانب كل هذا، حدثت تغيرات أخرى، فالأمم المتحدة مثلاً ابتكرت مفاهيم جديدة في السياسة العالمية مثل (حرب عدوانية) و(جريمة ضد الإنسانية)، و(حقوق الإنسان)، مساعدة على بعث محاكمة دولية لمحاكمة رؤساء دول شخصيات سياسية وعسكرية كبيرة متورطة في حروب عرقية، أو في جرائم ضد أقليات ،و هناك مشاكل أخرى كانت مهملة، قفزت إلى الواجهة الأولى وأصبحت تحظى باهتمام عالمي مثل المحافظة على الطبيعة على سبيل المثال لا الحصر، كل هذه المتغيرات على المستوى السياسي والاقتصادي، فتحت أمام العالم آفاقاً جديدة لم يعرفها من قبل أبدا، و على الفلاسفة والمفكرين أن يواكبوا مثل هذه المتغيرات وإلا فإنهم مهددون بفقدان الدور المناط بعهدتهم منذ عهد الإغريق وحتى هذه الساعة"** [16] ،وقد تحصل هابرماس على جائزة السلام الألمانية على هامش دورة المعرض الدولي للكتاب لعام 2001.

**الصناعة الثقافية والثقافة ذات البعد الواحد:**

كما هو معلوم ركزت أعمال مدرسة فرانكفورت في أحايين كثيرة على الثقافة واعتبرتها عامل اندماج ،وهذا من خلال ماكتبه كل من **هربرت ماركيوز** في مؤلفه "الإنسان ذو البعد الواحد" وكذا تحليل تيودور أدورنو "للصناعة الثقافية CULTURE INDUSTRY في كتابه جدل الفكر التنويري الذي صدر سنة 1972 ،حيث تم التركيز على الطريقة التي تنتج بها الثقافة (حاجات زائفة ) بدل الحاجات الحقيقية التي تنبع من القوى المبدعة والعقلانية ،والتي تمكننا أيضا من تعميق علاقاتنا من الآخرين وتثريها ،بينما الحاجات الزائفة هي إفساد للحاجات الحقيقية (17).

كما يشير **أدورنو** من خلال أفكاره المعروضة في مؤلف جدل لفكر التنويري إلى أن الثقافة في النظام الرأسمالي وجدت لإنتاج شعور زائف بالأمان والاستقرار ويتم خلق هذا الشعور بطريقتين :

- توحيد المواصفات القياسية لمنتجات الثقافة سواء كانت أخبارا أو أشرطة أو أغاني أو تمثيليات حيث تتشابه الحبكات والأنغام والإيقاعات وأدوار اللعب في أسسها الأولية.
- ترك الإنطباع من خلال هذه المنتجات بحرية الإختيار وبأنها تعبر عن معاني فردية (18)

فمصطلح الصناعة الثقافية الذي جاء به **أدورنو** جاء نتيجة البحث عن توضيح ملائم لتحولات التقدم الثقافي إلى ما هو مضاد له أي التخلف الثقافي ،على قاعدة تحليل خصائص الظواهر الإجتماعية في المجتمع الأمريكي بين الثلاثينيات والأربعينيات .

ويميز كل من **أدورنو وهوركايمر** بين الثقافة الجماهيرية والصناعة الثقافية ،إذ يقولان ،إن حقيقة الصناعة الثقافية مختلفة تماما عن الثقافة الجماهيرية ،فهذه الصناعة ،بأفلامها وإذاعتها وصحفها ومجلاتها ،تشكل نظاما ،وكل قطاع فيه متناغم مع نفسه ومع الآخرين جميعا ،أو البحث عن أسلوب التفكير المهيمن لترسيخ مبادئ العقل ألأداتي المذكورة آنفا .

نظام الصناعة الثقافية يسهر فيه العاملون على البحث عن المفاتيح التقنية التي تراعي حسب هوركايمر السوق الجماهيرية مع التعرف على أذواق الجمهور وحاجياته (الرديئة والهابطة) لتهيمن عليه ،وتصبح التقنية صاحبة سلطة على المجتمع ،يقول **أدورنو** "إن العقلانية التقانية اليوم هي عقلانية السيطرة نفسها " (19).

كل هذا على اعتبار أن كل ما تقدمه الصناعة الثقافية من إنتاج جديد ليس سوى إعادة تقديم وبأشكال مختلفة، لأشياء دائما متطابقة...هذا التغيير أو الشكل المختلف يخضع لمفهوم الزيادة الربحية (الربح)،أو بمعنى آخر المجتمع لا ينظر إلى وسائل الإعلام باعتبارها أداة تحقق غاية ومصلحة

اجتماعية لفائدة كل أفراد المجتمع كوسائل للتثقيف ونشر الوعي ،بل هي مجرد أدوات لتحقيق أكبر قدر ممكن من الربح عن طريق بث مضامين الإثارة والانفعال .

فمثلا في نظام الصناعة الثقافية، يغطي سير العمل أو يقع الاهتمام على كل عنصر من عناصر الرواية التي تتطلع إلى أن تصبح فيلما سينمائيا ،إلى غاية آخر مؤثر صوتي ،وينظر السينمائيون بعين الريبة إلى أي مخطوط لا يجدون فيه مسبقا إمكانية تصنيفه في رأس قوائم الكتب الأكثر مبيعا BEST-SELLER لهذا فآلة الصناعة الثقافية كما قالت فريال مهنا تدور في مكانها وهي التي تحدد الإستهلاك وتستبعد كل ما هو جديد ،يدخل في إطار الإبداع والابتكار يبدو في البداية كخطر لا فائدة ترجى منه ،وهذا بحكم التغييرات والتحسينات التي وضعتها الآلة على المنتج حتى يلقى الإستقبال من قبل المستهلك دون معارضة ودون نقد أو اعتراض .

وذهب فرانسيس فوكوياما إلى أبعد من هذا حينما يصرح في كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير أن الصناعة الثقافية تتعلق بقدرة الجماعة على خلق مجتمع مدني في صحة جيدة بصفة مستقلة ،حيث توضع في الميزان قدرات الشعب على تطبيق ما يسميه توكفيل "بفن التجمع " " l'art de l'association" بعيدا عن كل تدخل للدولة [20].

ويصرحون أن الثقافة الجماهيرية تخلق قوالب ثقافية مشتركة ومقننة STANDARAIZATION تقنينا شديدا،بحيث تسهل تحكم الدولة المركزية التسلطية في الجماهير ،وبحيث تؤدي إلى بروز ظاهرة الفيلقة كما يسميها خلدون حسن النقيب ،أي التشابه الكبير في أنماط المعيشة وفي الأذواق العامة ،وفي الإتجاهات الإجتماعية ،نحو السلع التي هي الصفة المميزة للثقافة الإستهلاكية ،ويمكن مشاهدة ظاهرة الفيلقة في أنماط المعيشة ،حيث يساق الناس كالفيالق والكتائب العسكرية ،في العمل والمأكل والمشرب والملبس ،فأغلب السكان يذهبون إلى العمل في وقت واحد تقريبا ،ويتركونه في أوقات متقاربة ،ويأكلون وجبات متشابهة ،ويلبسون حسب متطلبات (الموضة) التي تتغير بانتظام من صرخات وصيحات و صرعات ...الخ، ويمكن أن تلاحظ بسهولة هوس عامة الجماهير في اقتناء سلع متشابهة، والحرص المفرط على أن تكون من ماركات متشابهة.

وهم في هذا كله يحرصون على اقتناء ما يدل على مركز اجتماعي أعلى مما يشغلونه فعلا ،وعلى مستوى وطراز معيشة غير ميسر لهم في الواقع ،بأشكال يمكن تفسيرها بمصطلح الحرمان النسبي ،ولكن لاحظ أن الجماعة أو الجماعات المرجعية لعامة الجماهير لم تعد أبناء الذوات وأبناء الأعيان وأهل الحسب والنسب وهي الجماعات التي كانت سائدة في السابق

حسب رأي خلدون حسن النقيب ،وإنما أصبحت الجماعات المرجعية ما يطلق عليها في وسائل الإعلام (بالناس الحلوين ) (Beautiful people) أو الشلة النفاثة (Jet set) من فنانين وممثلين مرموقين ورياضيين وساسة ،والأغنياء الحديثي النعمة ،من السماسرة وقابضي العمولات الذين أفرزتهم الطفرات الإقتصادية،والذين لا يتورعون عن النصب و الإحتيال في الوصول إلى الثروة والمال[21].

الأمر الذي أدى إلى انتشار محتويات الذوق المتدني law-tast contentالذي قد يكون حسب عبد الحميد محمد كل ما يوزع على نطاق واسع ويتعرض له جماهير المتلقين ولكنه يثير استياء النقاد ،مثل الدراما التلفزيونية التي تؤكد على الجريمة والعنف ...أو أي محتوى آخر يسهم في تدهور أو انخفاض مستوى الذوق والأخلاق أو يثير القيام بسلوك غير مقبول اجتماعيا [22] .

**الفرد في عصر الصناعة الثقافية:**

في عصر الصناعة الثقافية الفرد لا يقرر باستقلالية :فالصراع بين الإندفاعات والوعي يتم حله بالانتساب اللآنقدي للقيم المفروضة :إن ما كان الفلاسفة يطلقون عليه يوما ،حياة،انكمشت داخل فلك الخاص ،ثم داخل الإستهلاك فحسب،والذي هو ليس سوى ذيل للعملية المادية للإنتاج ،بدون استقلالية وبدون جوهر[23] .

ويجد الإنسان نفسه تحت رحمة مجتمع يتلاعب به كيفما شاء ،فالمستهلك ليس سيدا ،كما تحاول الصناعة الثقافية إظهاره ،إنه ليس موضوع هذه الصناعة بل أداتها ،وحتى إذا اعتقد الأفراد بأنهم تخلصوا ،في الوقت الحر ،من الآليات الإنتاجية الصارمة ،فالحقيقة أن المكننة تحدد ،بشكل تكاملي ،صناعة منتجات الترفيه ،وما يستهلك من هذه المنتجات في أوقات الفراغ ما هو إلا نسخ مكررة ومعادة الصناعة من قبل العملية الإنتاجية نفسها ،والمضمون المزعوم هو عبارة عن واجهة باهتة ،والذي يطبع التلقي بطابعه هو التسلسل الآلي لعمليات مضبوطة ،ويمكن التحرر من العملية الإنتاجية في المصنع وفي المكتب ،فقط من خلال التكيف الخامل كما يسميه هوركايمر وأدورنو[24] .

ويقول أعضاء مدرسة فرانكفورت إن عملية الترفيه،تعني ،في هذه الحالة ،الموافقة و الرضى ،وتعني في كل مرة عدم الإضطرار إلى التفكير ،نسيان الألم ،حتى في المكان الذي يمكن إظهاره .القاعدة الأساسية في هذه الصناعة هي العجز،وهي فعليا الهروب :ليس كما تزعم ،الهروب من الواقع المر ،وإنما الهروب من آخر تفكير مقاومة يمكن أن تكون تلك الصناعة قد تركته. إن التحرر الذي وعد به الترفيه هو التحرر من التفكير ،كإنكار له

...فالصناعة الثقافية حسب فريال مهنا أصبحت استبدادية وجعلت من" رسالة الطاعة اللا تفكيرية"،القيمة السائدة والغازية .

و كلما بدا جمهور وسائل الإعلام العصرية أكثر لا تمايزا وأكثر تبعثرا، كلما اتجهت وسائل الإعلام نحو اقتناص "تكيفه"...فيصبح الفرد حسب أدورنو دمية تتلاعب بها القواعد الإجتماعية .فنفوذ الصناعة الثقافية ،في كل مظاهرها ،تحمل نحو تشويه فردية المتلقي نفسها :فهو كالسجين الذي ينهار تحت التعذيب وينتهي إلى الاعتراف بأي شيء ،حتى بالذي لم يفعله ،حتى المقاومة عند المتلقي يتم تدميرها بفعل الكمية الهائلة من القوة التي تضغط عليه ( القيم والمبادئ التي تشكل البنية الإجتماعية الجديدة من وسائل الإعلام) ،كما يؤدي نفوذ الصناعة الثقافية إلى خلق الضمير القلق الذي تتنازعه الرغبات فهو بين البحث عن المقاومة والقوة الضاغطة و الإستسلام،هذا على اعتبار أن النظام (الرأسمالي ) الذي ينتج الثقافة يولد شخصيات نرجسية ضعيفة يستبد بها القلق والتطلع إلى القدوة القوية للإقتران بها في ظل غياب القدوة بالبيت ،فإن الفرد ينشدها في العالم الخارجي ،وقد تكون مطربا مشهورا أو رياضيا ،ويحدث ذلك عن طريق ما يسمى بالتقمص الوجداني"Empathy " حيث يلجأ الأفراد إلى تقمص

" أدوار لشخصيات شاهدوها في التلفزيون أو السينما أو إحدى وسائل الإعلام الأخرى في الغالب تكون هذه الشخصيات من عالمي الرياضة والفن.

في السياق ذاته فإن منتجات الصناعة الثقافية ،تشل،بتركيبتها الموضوعية،التلقائية والخيال ،فهي تمنع النشاط العقلي للمتلقي ،فالمتلقي يجب أن يعمل حسب ما يمليه عليه عقله ،إذا لم يكن يريد أن تفوته الوقائع التي تمر أمامه بسرعة ،فالمنتج يقدم وصفة لكل رد فعل ،وبما أنها مصنوعة خصيصا لاستهلاك مشتت الفكر وغير عميق ،فإن هذه المنتجات ،تعكس ،في كل واحدة منها ،نموذج الآلية الإقتصادية التي تسيطر على فترات العمل وأوقات الفراغ ،وكل منها تعيد طرح منطق الهيمنة من خلال محاولة البحث أو بيان كيفية التغلغل أو النفاذ إلى أعماق النفس البشرية باستخدام تقنيات التحليل النفسي بكثافة ،بحيث تجعل الفرد يبحث عن أي شيء في

المنتجات الثقافية لإشباع رغباته بناءا على الإتجاهات العامة للفكر الرأسمالي، في هذا الصدد يرى ماركيوز أن توجه الأفراد نحو إشباع الرغبات الجنسية وغير الجنسية (الرغبة بصفة عامة ) في كل مرة تظهر ،يؤدي إلى انهيار الحضارة والثقافة والمجتمع ،لأن الحياة على هذا الشكل تتحول إلى فوضى لتبادل النزوات والرغبات .في هذا الاتجاه يدعو **أدورنو**

الفرد إلى ضبط نفسه وكبت رغباته وتوجيه طاقاته الوجهة المناسبة ،أي توجيهها إلى نشاطات اجتماعية مفيدة .

إن ما تنشره وتبثه الصناعة الثقافية منظم من قبلها بهدف استلاب المتلقين في مستويات سيكولوجية متعددة في آن معا.فما تقدمه وسائل الإعلام هو عبارة عن أعمال وضيعة أو تشويه للأعمال الراقية هدفها إلهاء الناس عن البحث عن الحقيقة ،الأمر الذي يدعم الصفوية والأبوية التي تفرضها السلطة أو القوى المهيمنة على المجتمع [25]،هذا ويمكن أن تكون الرسالة الخفية أكثر أهمية من تلك الظاهرة ،وبما أن هذه الرسالة المستترة تمر في غفلة من الوعي ،فإنه لن يتم تفاديها من قبل المقاومات السيكولوجية أثناء عمليات الإستهلاك ،ومن المحتمل أن تخترق أدمغة المتلقين[26].

إن التلاعب بالجمهور، الذي تتبعه وتحققه الصناعة الثقافية كشكل من أشكال السيطرة على المجتمع ،يمر ،إذن عبر الوسيلة الإعلامية من خلال تأثيرات تتحقق في مستويات مستترة للرسائل .فهذه الأخيرة تتظاهر بقول شيئ ،ولكنها ،في الحقيقة تقول شيئا آخر ،وتتظاهر بأنها خفيفة ومسلية ،ولكنها ،بوضع نفسها أبعد من معرفة الجمهور ،فإنها تؤكد على تبعيته.والمتلقي،من خلال المواد التي يتابعها ،يجد نفسه باستمرار وبدون أن يدري ،خاضعا لشرطية امتصاص الأوامر والوصفات والأحكام الغيابية بالأبعاد[27] .

**الثقافة الجماهيرية بين واقع الحال والنقد الفلسفي**

تعرضت أغلب المضامين الإعلامية والثقافية التي تبثها وسائل الإعلام الحديثة إلى انتقادات عديدة من قبل العديد من الفلاسفة والمفكرين والأكاديميين الباحثين من منطلق أن لهذه المضامين آثار سلبية على الفرد والمجتمع وعلى صيرورة الحياة اليومية بشكل عام .وقد تركز النقد في أغلبه على مدرسة فرانكفورت وروادها الذين حاولوا بكل الطرق والوسائل التصدي لهذا النوع من الثقافة ، إلى جانب بعض المفكرين الفرنسيين وحتى الشرقيين من خارج هذه المدرسة .

ويقسم **الدكتور جمال العيفة** نقاد الثقافة الجماهيرية إلى مجموعة من التيارات منها تيار النقد النخبوي للثقافة الجماهيرية الذي يتزعمه المؤرخ الفرنسي **دي توكفيل** "De Tocqueville " الذي قام برصد مجموعة التغيرات التي حصلت في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، حيث تغيرت العلاقة بين الزبون والحرفي ، فبعدما كان مباشرة أصبح هناك وسائط بينهما ...وذلك من خلال استعمال تقنيات الإشهار والتسويق أو كما يسميه توكفيل الإنتاج على نطاق واسع (Mass production) وكحل لذلك، اعتبر هذا المفكر أن الثقافة الراقية الحقيقية هي التي لا يمكن أن تكون

إلا ثقافة نخبة ضيقة بإمكانها أن تستوعب ما يقدم لها ،...و يرى أن الحل الوحيد هو الرجوع إلى ما قبل الثورة الصناعية وما قبل المجتمعات الجماهيرية، إلى جانب هذا فقد اعتبر بعض المفكرين والأدباء منهم **إليوت وأورتيغا**..الثقافة الجماهيرية بمثابة انحطاط للثقافة الراقية أو النخبوية وانعكاس للقوة المتنامية للجماهير [28]**.**

تيار آخر وهو تيار النقد الثقافي الديمقراطي هذا الذي ظهر داخل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال كتابات **دوايت** ماكدونالد Dwight Mc Donald الذي وصف الثقافة الجماهيرية بأنها هابطة واستغلالية "مفروضة من فوق يضعها الفنيون المستأخرون لرجال الأعمال وجمهورها مستهلك سلبي ،إنها ثقافة تزدري الخيال والحساسية والتأمل ،وهي تجعلنا مهووسين بالتكنيك ،ومعذبين بالحقائق " .

أما **إدغار موران** Edgar Morin وهو مفكر فرنسي حاول دراسة الثقافة الجماهيرية كظاهرة اجتماعية شاملة في مقاربة له نشرها في كتابه روح العصر L’esprit du temps وربطها بالمفهوم العلمي للثقافة كظاهرة أنتروبولوجية ،ولقد اهتم **إدغار موران** على الخصوص في دراساته بالسينما والصورة وتأثيرهما على الإنسان ،ومادامت السينما خيال فيه نوع من الواقعية ،فقد تناول **إدغار موران** هذه الخاصية فتوصل إلى أن الوسائل الإعلامية تبث أشياء كثيرة لها علاقة بالثقافات المختلفة ،ومن بينها النوع المعتمد على الخيال الذي يُحدث في الإنسان احتياجا يتصف بنوع من التخدير، ويُكون بالتالي في الإنسان موقفا ثقافيا.

ثم جاء **كلود ليفي ستروس** وانتقد العرقية المركزية الأوربية وقال بأنه توجد ثقافات أخرى في العالم غير الثقافة الغربية وبالتالي ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار ،إذا ما أردنا تشكيل فلسفة إنسانية متكاملة تشمل جميع شعوب الأرض وليس فقط شعوب أوربا وأمريكا ،وانتقد **ليفي ستروس** العنصرية في محاضرة مشهورة ألقاها في اليونسكو بداية الخمسينات[29]**.**

إن الإهتمام بالسلوك الجمعي Collective Behavior في المجتمع الذي كان يمثل بيئة مثالية مناسبة لظهور المجتمع الجماهيري وهو الولايات المتحدة الأمريكية ،قاد إلى ظهور كتابات جادة تتناول الثقافة الجماهيرية Mass Culture بشكل مستقل عن الثقافة الشعبية Popular Culture ،ولكن هذه الدراسات حسب خلدون حسن النقيب تركزت على دراسة السلوك الجمعي ،والثقافة الجماهيرية باعتبارها نتاج النضال السياسي للقوى العاملة بشكل منفصل عن كونها نتاجا ضروريا لتطور نمط الإنتاج الرأسمالي [30]**.**

فقد انصب اهتمام هؤلاء الكتاب على حقيقة أن نضال القوى العاملة البرجوازية أو الطبقة الوسطى الأوربية والطبقات العاملة،قد تكل بتحويل جموع الشعب من الرعاع دون حقوق مدنية وسياسية ،إلى جماهير من المواطنين كاملي الأهلية ،لقد امتد هذا النضال طوال القرن التاسع عشر ، واستغرق عددا من الثورات : من انهيار الدولة **البونابارتية** إلى **الحرب العالمية الأولى** التي كانت نقطة التحول الرئيسية في ظهور المجتمع الجماهيري ،كما تمثل **كتابات نيتشه** الهجوم الأرستقراطي الأول لمجيء (بعبع) الجماهير حسب تعبير **خلدون حسن النقيب** والخلفية الأساسية **لكتاب أورتيغا** المعنون **مجيء الجماهير** ....كل هذه الكتابات تمثل حسب خلدون حسن النقيب المنطلق الأساسي لكتابات **مدرسة فرانكفورت الألمانية** ابتدءا من **الشخصية التسلطية لأدورنو** وجماعته ،إلى الإنسان ذو البعد الواحد **لماركيوز و أدورنو و هوركايمر** في **جدلية التنوير** و **هابرماس** في **أزمة الشرعية.**

وقد كان تركيز مدرسة فرانكفورت وغيرها من الكتابات في علم الإجتماع وعلم النفس الغربيين متصلا في حقيقة الأمر ليس بالسلوك الجمعي ( سلوك الأفراد في جماعات ) بشكل خاص ،وإنما هو منصب على الجانب السلبي في هذا السلوك ،في فترة انتشر فيها التعليم الرسمي الحديث بشكل واسع خارج حدود الأرستقراطية،من أبناء علية الطبقات الوسطى إلى عموم الشعب ،ثم إلى التأثير البالغ لوسائل الإعلام والتواصل الجمعي ،من صحافة ومسرح في البداية إلى صناعة كتاب لجيب ،ثم الإذاعة والسينما منذ قبيل الحرب العالمية الأولى.

ويضاف إلى هؤلاء النقاد الباحث نعوم تشو مسكي الذي يحلل التناول الإعلامي لمختلف الأوضاع العالمية الحالية خاصة الحرب على الإرهاب التي أضحت حسبه لا تفرق بين البريء والمضمون بسبب الثقافة الجماهيرية التي تخضع ذهن الفرد إلى الإدراك الإنتقائي ،وتدعيم اتجاهات الثقافة المعارضة حتى ولو كانت في غير الصواب ،من خلال توجه وسائل الإعلام الدعائية الحكومية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى صناعة القبول أو ما يسميها **وولتر ليبمان** بالثورة الجديدة في فن الديمقراطية وهذا لصناعة الإجماع أي الحصول على موافقة الشعب على أمور لا يريدها وذلك بفضل التقنيات الجديدة للدعاية [31].

**المدرسة النقدية بين النقد والعودة**

تعرضت أعمال المدرسة النقدية وأفكارها إلى النقد والرفض في بعض الأحيان من العديد من الإتجاهات أهمها اتجاهين أساسيين هما علماء الإجتماع والماركسيون وكان أساس النقد للفريقين واحدا حسب جمال العيفة

رغم أنهما استخدما مصطلحات متباينة حيث يعتبران أن أفكار المدرسة النقدية "تأملات فارغة " و لا يمكن اختبارها ولا إخضاعها للواقع نظرا لصياغتها بمصطلحات غامضة ويقال أن "تعميماتها مجردة وتأملية " ،وهي مرتبطة بالثقافة العالية وقاعدتها هي الجامعة ،فضلا عن أن صلتها بالممارسة السياسية الفعلية معدومة (32)

كما اعتبر البعض الآخر أعمال هذه المدرسة ترفا فكريا زائدا عن الحدود المنطقية للتحليل،ويتم التدليل على ذلك لكون أغلب منظري هذه المدرسة يناقشون أشياء لم تحصل في الواقع ،كما اكتفت هذه المدرسة بذكر المساوئ ولم تحاول تقديم البديل للثقافة الجماهيرية السائدة ،ولا حاولت تقديم حلول لمعالجة الواقع الموجود...من جهة أخرى اعتبر بعض الباحثين الدراسات التي قام بها رواد المدرسة النقدية أثمرت الكثير من الأفكار والفروض القابلة للقياس في لمستقبل ،ولكنها لم تؤدي إلى نتائج علمية مؤكدة بسبب اعتمادها على تأملات ظنية عامة على مستوى الوحدات الإجتماعية الكبرى ،أو على النماذج الفكرية الافتراضية أو النظرية لبعض الأنماط المثالية (33) .

فالنظرية النقدية تتعارض جذريا مع لفروع العلمية ،فهي تعتقد أن مناهج البحث الأمبريقي لا تخترق موضوعية الوقائع و لا بنية ومؤثرات جذورها التاريخية ،وإنما ،تنتج فتات الكل الاجتماعي في سلسلة من الأشياء الملصقة اصطناعيا بعلوم متخصصة عديدة ... وتبدو أبحاث الإعلام الجماهيري مفتقرة للكفاية، لأنها تقتصر على دراسة الشروط الراهنة، منتهية بالرضوخ لاحتكار الصناعة الثقافية.وهي تهتم بصورة جوهرية بكيفية التلاعب بالجماهير وبكيفية التوصل، بأفضل الطرق،إلى أهداف معينة ،داخل إطار النظام القائم (34)

ويرى نقاد النظرية النقدية أن هذه الأخيرة تغلب أهمية المقاربة النظرية التحليلية على المقاربة الأمبريقية ،...فبالنسبة للنظرية النقدية فالأمر يتعلق بأدوات لإعادة إنتاج جماهيري ،تطرح ،عبر الحرية المظهرية للأفراد ،علاقات القوة للجهاز الاقتصادي والاجتماعي القائم.إضافة إلى أن المسافة بين النظرية النقدية وبين البحوث الإدارية الإعلامية اتسعت أكثر مما يسمح به الإختلاف الموضوعي الذي يمكن أن يسمح بالتعايش بل والتضافر،في سبيل تحقيق إحاطة شاملة بإشكاليات الإعلام الجماهيري (35)

ومن النقاد العرب للنظرية النقدية نجد زكي نجيب محمود الذي انخرط في أواخر الستينات في خط هذه المدرسة لكنه أنكره حينما ظهرت الإتجاهات الواقعية في الدراسات السوسيولوجية ـ الفلسفية ويرى فيها غلوا يأخذ بالقشور دون الإستقرار على اللب ،ويعتبر أنصارها مجرد أشخاص

قابعين في بروج عاجية لا يملكون أي سلطة على أفكارهم و لا على اتجاهاتهم ، في اتجاه متصل نجد الفيلسوف المصري عبد الرحمن بدوي يحمل المدرسة النقدية مسؤولية التأخر الحاصل في مجال الدراسات النقدية خاصة ما تعلق منها بالسياسة،واعتبر الباحثين العرب الذين انخرطوا في تيار هذه المدرسة بالتبعة الذين لا يرجى منهم شيء أمثال طه حسين وفؤاد زكريا ...[36]

لكن نجد في طرف آخر العالم الوضعي بول لازارسفيلد يحاول في محاوراته المختلفة إنصاف المدرسة النقدية رغم البون الشاسع بينه وبين الأفكار التي تحملها هذه المدرسة ، فهو يقول في شأنها"إن النقد الحضاري لا يمكن أن يخرج رابحا من هذه المهمة ولكننا دونه نظل طريقنا " [37]

**الخاتمة**

على عكس أصحاب النظريات البنائية الوظيفية ،الذين يرون أن العلاقة بين وسائل الإعلام في المجتمع وباقي النظم الإجتماعية الأخرى هي علاقة متوازنة تقوم على الاعتماد المتبادل ،وأن المحتوى الذي تنشره أو تذيعه هذه الوسائل يحافظ على توازن واستقرار المجتمع الكل ،لأنه يلبي حاجات الجماهير التي تعتبر العنصر الأساسي من عناصر النظام الإعلامي .

على عكس هذه الرؤية فإن النظرية النقدية ترى أن وظيفة وسائل الإعلام هي مساعدة أصحاب السلطة في المجتمع على فرض نفوذهم، والعمل على دعم الوضع القائم.و لذلك كانت دراساتهم النقدية للأوضاع الإعلامية وانتشار الثقافة الجماهيرية بديلا للثقافة الراقية أو الرفيعة التي ترقى بأذواق الجماهير، لوضع تفسيرات خاصة بانتشار صور المحتوى الذي تنشره وسائل الإعلام للترويج لمصالح الفئات أو الطبقات المسيطرة على المجتمع.

وتبقى بهذا المدرسة النقدية قطبا فكريا أثار العديد من التساؤلات في مختلف الميادين خاصة منها الإعلامية ، إذ تعتبر بحق القفزة النوعية نحو التوجه إلى النقد ،أو ما تسمى بالإبستومولوجيا المتطورة لنقد الظواهر الإجتماعية والإعلامية ، ولازالت هذه المدرسة رغم ما حام حولها من شكوك وأفكار نقدية ،تشكل مرحلة مهمة من مراحل الفكر الإنساني الذي يؤمن بالنقد لتحقيق التقدم .

(1) ريمون رويه، **الممارسة الأيديولوجية** ، تر:عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ،ط:1، 1978،ص 72

(2) ملحق جريدة الرأي، **فضاءات**، الصادر يوم السبت 16 نوفمبر 2002 ، ص02

(3) كمال عبد اللطيف ،**نقد المركزية الثقافية الغربية** ،مجلة العربي ،العدد439 ،جوان 1995 ،الكويت ، ص 73

(4) محمد بدر الدين ،**الثقافة الجماهيرية...أو أزمة الإنسان المعاصر**، مجلة الوحدة تصدر عن المنظمة الوطنية للشبيبة الجزائرية ،فيفري 1990، ص30

([5] محمد عبد الحميد، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**،عالم الكتب، ط:2،القاهرة،2000، ص 151

([6]) راسل جاكوبي، **نهاية اليوتوبيا:السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة** ،تر:فاروق عبد القادر ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،سنة 2001،ص 39

([7] فريال مهنا،**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**،دار الفكر :دمشق-دار الفكر المعاصر: بيروت ،ط:2002،2،ص171

([8]) جمال العيفة،مرجع سابق، ص85

([10]) فريال مهنا، مرجع سابق، ص 172

([11]) جمال العيفة،مرجع سابق، ص 90

([12]) عبد الواحد خالد الحميد،**مفهوم التصنيع الثقافي وأهميته الإقتصادية:نحو توسيع مفهوم التصنيع الثقافي** ،مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ،إدارة البرامج والثقافة والإتصال ،تونس ،سنة 2000، ص 15

([13]) هربرت شيلر ،**المتلاعبون بالعقول** ،تر:عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،سنة 1999،ص 114

([1]) http://www.universalis.fr/encyclopedie/max-horkheimer/

([14]) دتليف كلاوسن ، **تيودور ف. أدورنو آخر العباقرة**، تر: علي مصباح، دار فيشر للنشر، مبادرة لمؤسسة الثقافة الألمانية الفيدرالية بالتعاون مع معهد جوته ومعرض الكتاب فرانكفورت،فرانكفورت ،سنة 2003 ،ص 21

([15]) أحمد أبوزيد ، **البحث عن مابعد الحداثة** ،مجلة العربي ،ع:506 ،يناير 2001 ،ص17

([16]) إصدارات دار الفكر ، **جائزة السلام الألمانية لهابرماس: فيلسوف حركات الاجتماعية الجديدة هابرماس.. فيلسوف أنتجته الحرب** ،موقع دار الفكر ،صفحة من إصداراتنا ، 2005

([17]) هبر ماس ، **القول الفلسفي للحداثة** ،تر: حافظ الجمالي ، وزارة الثقافة السورية ،دمشق ،1995، ص428

([18]) ايان كريب،**النظريةالإجتماعية من بارسونزإلى هابر ماس**،ت محمد حسين غلوم،سلسلة عالم المعرفة ع:244 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت :مطابع الوطن ،1999 ،ص 322-327

([19]) عبد النبي عبد الفتاح،**تكنولوجيا الإتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق**،العربي للنشر ،القاهرة ،سنة 1990، ص37

([20]) فرانسيس فوكوياما ، **نهاية** التاريخ **والإنسان الأخير** ، تر:مطاع صفدي ،بدون طبعة ،بيروت،مركز الإنماء القومي ،1993، ص210

([21]) البطريق نسمة ،**التلفزيون والمجتمع والهوية الثقافية** ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،سنة 1989،ص 117

([22]) عبد الحميد محمد ، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير** ،ط:1،دار عالم الكتب ،1997،ص 136

([23]) T.Adorno,"**Résumé uber Kulturindustrie ,in Ohne Leitbild,Parva Aesthetica"** Suhrkamp, Frankfut,1967, trad.Riassunto sull'industria culturale,in petronio ,G.Letteratura di massa,Letteratura di Cosumo,Ed Lateraza,Bari,1979,pp,5-15

عن كتاب:فريال مهنا، مرجع سابق، ص175.

([24])خلدون حسن النقيب، مرجع سابق، ص176

([25]) عبد الحميد محمد، مرجع سابق، ص 136

([26]) المرجع نفسه ،ص 138

([27]) Adorno, **Television and the Patterns of Mass Culture**, Quarterly of Film, Radio and Television, vol.8, 1954, trad.Televisione e Modelli di Cultura di Massa, Ed, Hoepli, Milano, 1969, pp.379-393

عن كتاب:فريال مهنا، مرجع سابق، ص179

(28) جمال العيفة،**الثقافة الجماهيرية** ،منشورات جامعة باجي مختار ،عنابة (الجزائر)،2003،ص77

(29) ملحق جريدة الرأي، **فضاءات**، الصادر يوم السبت 16 نوفمبر 2002 ،ص02

(30) خلدون حسن النقيب،**الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر "دراسة بنائية مقارنة"**،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط:2 ، بيروت،1996، ص251

(31) نعوم تشومسكي ،**هيمنة الإعلام الإنجازات المذهلة للدعاية** ، تر: ابراهيم يحيى الشهابي ، دار الفكر ، ط:1،دمشق ،2003، ص 15

([32]) جمال العيفة،مرجع سابق، ص100

([33]) المرجع نفسه ،ص101

([34]) Adorno, »**Esperienze Scientifiche di uno studio Europeo** » comunità , n°165,in M.Wolf , cit ., p.92

عن كتاب:فريال مهنا، مرجع سابق، ص180

([35]) المرجع نفسه،ص 186

([36]) محمد بركة ،**الفيلسوف عبد الرحمن بدوي..تحول إلى الإسلام فانفض من حوله الجميع** ،ملحق جريدة الرأي ،فضاءات الرأي،الصادر يوم السبت 14 ديسمبر2002،ص 06

([37]) محمد الجوهري وآخرون ،**علم الإجتماع ودراسة الإعلام والإتصال** ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،سنة 1992،ص36

# الفنون

## أخناتون وأوزيريس بين المثالية والإصلاح في مسرح باكثير
## دراسة نقدية تحليلية

الدكتورة نورة السفياني

# أخناتون وأوزيريس بين المثالية والإصلاح في مسرح باكثير
## دراسة نقدية تحليلية

د . نورة السفياني

البطل الأسطوري و تاريخ المسرحية

يحتل البطل الأسطوري مكانة خاصة في الفن المسرحي ،و يمكن القول إن متابعة توظيفه في المسرح العالمي في وسعها أن تقدم لنا صورة واضحة تبرز تطور الفن المسرحي بعامة وأهم المراحل التي مر بها والتغيرات الفنية التي طرأت عليه؛فمن البطل الإغريقي في مواجهة غير متكافئة مع الآلهة المزعومة وأنصاف الآلهة إلى البطل الديني الأخلاقي الذي يدخل في صراع مع الشر والشيطان والرذيلة ،وبعد أن خرجت أوربا من ظلمتها وأقامت نهضتها الأدبية على بعث التراث اليوناني أعادت الكلاسيكية تقديم أبطالها الأسطوريين الذين لم يقفوا في مواجهة أقدارهم كما فعل اليونان،بل عاشوا صراعا مع ذواتهم وما يصطرع فيها من تطلعات ورغبات في نصرة للخير والواجب . لكن البطل الأسطوري وجد فرصته الكاملة لدى شكسبير والرومانسيين فقد تمكنت التراجيدية الشكسبيرية من عرض مكنونه الداخلي وتكوينه النفسي والعاطفي،وشهدنا سقوطه المدوي بسبب خطأ ارتكبه يكشف عن ضعفه البشري،بيد أن هزيمته المرة تفتح أعيننا وقلوبنا على عظمة النفس الإنسانية في قوتها وضعفها.وتسير أوربا بعد النفحة الإيمانية التي تضوعت في أيدي الرومانسيين بخطى حثيثة نحو صنع الإنسان الإله كما تقول الذي بإمكانه السيطرة على واقعه ممجدة فيه الثورة على ذلك الواقع بهدف السيطرة عليه. وتتغير كثير من المفاهيم والقوانين ،وينزل البطل الأسطوري من عليائه ،وينخرط في صفوف الناس الاعتياديين والمكافحين من أجل لقمة العيش،بل إننا نجده يميل إلى العزلة ويعبر عن نفسه في أسلوب فانتازي يخرج من غياهب اللاوعي ومتاهات اللاشعور.و يلحظ أنه في جميع المراحل التي مر بها البطل المسرحي والبطل الأسطوري على وجه الخصوص ظلت هناك علاقة تربط بينه وبين الجانب الأخلاقي من خلال الصراع بين الخير والشر حسب مفهومهما في كل عصر.والواقع " أننا نجد المسرحيين بوجه خاص أخلاقيين ووعظيين حتى لو أنكروا ذلك،ومن الصعوبة بمكان أن نجد كاتبا واحدا لا يعتمد في عمله المسرحي على حكاية أخلاقية قديمة.وقد تطلع بعضهم إلى المدينة الفاضلة والمجتمع المثالي وهو أمر إيجابي يمكن أن يفهم ضمن الاتجاه الأخلاقي في الكتابة المسرحية." [1]

البطل المثالي والأمر المطلق :

لن يجد أصحاب الاتجاه الأخلاقي فرصة جيدة لتفريغ طاقتهم الإصلاحية أفضل من البطل المثالي الذي يتميز عادة بنوع من الفردية ويمثل وجها من وجوه البطولة بقصد أو بدون قصد. وليس من المستغرب أن ترتبط المثالية بنوع من التطرف وربما يكون ذلك هو ما يصنع منهم أبطالا يندفعون خلف تصوراتهم المثالية ويكافحون من أجلها بعزيمة لا تلين ولا يوهنها سخرية الآخرين من اعتقاداتهم غير الواقعية.وكما يقول أحد الدارسين فإن إيمان المثالي عادة ما يتميز بأنه لا متناهي؛ فالحقيقة التي يؤمن بها هي كل الحقيقة ،والجمال الذي يستشعره هو الجمال الحق ،والخير الذي يعتقده هو الخير المحض .[2]وقد ربط الفلاسفة قديما وحديثا بين أنواع من المثالية وفكرة التمركز حول الذات ، وكيف تعلق وجود الشيء على إدراك العقل له أيا كان هذا العقل .[3]

ومن هنا كان من الطبيعي أن تتوثق العلاقة بين المثالية والأدب،ومنذ أن وضع أفلاطون كتابه (الجمهورية الفاضلة) والجهود تتوالى من الفلاسفة والأدباء لصنع مدنهم الفاضلة وإنسانهم المثالي.ومن السمات البارزة في مسرح الكاتب الحضرمي علي أحمد باكثير(1910-1969م) مثاليته بالمعنى الخلقي و الإنساني،حيث يتحلى أبطاله عادة بروح التسامح والمحبة والإيثار والتسامي على الرغبات ومغالبة الضغينة والأحقاد،ويتعاملون مع أعدائهم بالروح التي يعاملون بها القريب والصديق فأهدافهم عليا وتطلعاتهم إنسانية،وهم ثابتون على مبدئهم لا يتراجعون ولا يتبدلون. وقد أشتهر بعض كبار المسرحيين بمثاليتهم ومنهم إبسن الذي جاء مسرحه المثالي في قالب شعري ورمزي،وقدم رؤيته في صورة متنامية لا تبرز نفسها إلا من خلال علاقات متداخلة يختلط فيها إيمانه بأبطاله وصلابة موقفهم مع انتقاده لهم وامتعاضه منهم ومن تزمتهم،وبين الإيمان بهم والشك فيهم يدخل إبسن القارئ طرفا في جوهر الصراع.بينما أخذت مثالية باكثير شكلا راسيا حادا يندفع إلى الأمام ويكشف عن نفسه في وضوح وثبات.هذا على الرغم من أن هناك شيئا مشتركا بين الكاتبين وهو أن بعض شخصياتهم المثالية تؤمن بالقانون الذي أطلق عليه كانت مسمى الأمر المطلق categorical imperative واعتبره شرطا لكل المبادئ والأحكام الخلقية،بل إنه الأصل الذي تصدر عنه جميع القوانين،ويعني به القانون الذي لا تتوقف فيه أفعالنا على تحقيق نتائج معينة،بل يطبق لذاته.ونحن لا نحرص على أن نطابق بينه وبين أفعالنا لأنه يشبع رغباتنا أو يحقق سعادتنا الشخصية ــ وإن كان له أن يفعل ذلك ــ وإنما لأنه يمكن أن يصنع قانونا عاما صالحا

للبشر جميعا،ولا يستطيع الالتزام بهذا القانون إلا الذين يملكون من الإرادة والعقل القدر الذي يدركون به أهمية سن قانون أو مبدأ .[4]إن الذين يأتمرون بمثل هذا القانون ينطلقون إلى أهدافهم العليا لا يفكرون في النكوص ولا يقبلون المساومة أو أنصاف الحلول رغم كل الصعوبات والمآزق.

الأخناتونية بين المثالية والرومانسية:

وجد باكثير المثالي بغيته في أخناتون الملك الفرعوني الشاب الذي عاش حياة حافلة بمواقف البطولة والتضحية والجهاد في سبيل المثل العليا في الحياة والسعي لإدراك الحقيقة الخالدة. وكان لباكثير أفضلية السبق في الكتابة عن هذه الشخصية التاريخية وتقديمها على خشبة المسرح ، وتوالت بعد ذلك الأعمال المسرحية لعدد من المؤلفين العرب عن أخناتون .ولابد هنا من ذكر أمر لم أجد إشارة إليه عند من كتبوا عن الأعمال الأخناتونية المسرحية العربية ،وهو وجود مسرحية عنوانها ( أخناتون ) كتبت في عام 1926م باللغة الإنجليزية للكاتبة البريطانية إدلايد إدن فيللبوتس[5] Adelaide Eden Phillpotts .بينما كتب باكثير مسرحيته (أخناتون ونفرتيتي)في عام 1949م، وليس من المستبعد اطلاع باكثير على المسرحية الإنجليزية[6] وإفادته منها خصوصا أن باكثير دأب في مسرحه الأسطوري بالذات على اختيار شخصيات تمت معالجتها على أيدي كتاب آخرين كما فعل مع أوديب وفاوست وأوزيريس .والواقع أن الكاتبة الإنجليزية اعتمدت في كتابتها للمسرحية على سيرة أخناتون وأناشيده المأثورة عنه ، وركزت على تطلعاته الدينية، واهتمت بالجانب الأسري في حياة ذلك الملك من خلال علاقته بأمه و زوجه وبناته ،كما برز في المسرحية وجه أخناتون الشاعر الإنسان . وكانت كل هذه الجوانب ضمن اهتمام باكثير وعنايته بعيدا عن الوجه الملكي الأسطوري لأخناتون. أما مفترق الطرق بين الكاتبين فقد كان التحديد الصارم من قبل باكثير لشخصية رئيس الكهنة ومعاونيه وإظهارهم ممثلين للشر ورموزا للفساد ، بينما قدمت فيللبوتس رئيس الكهنة حريصا على مصلحة الجهة التي يمثلها ،لكنه في الوقت نفسه يخفي إعجابا وحبا لأخناتون فهو يدرك عظمة إنسانيته المفرطة التي تأسر لب ذلك الكاهن ويخفيها بين جوانحه .

ويحدد باكثير هدفه من كتابة المسرحية وهو أن "نتعظ فيما نتعظ به من أحداث تاريخنا الأكبر وسير رجالنا وأبطاله بحياة جدنا هذا العظيم وما أصابه من نجاح وإخفاق فنتعلق بأسباب الأول ونتقي مهاوي الثاني."[7]ورغم أهمية هذا الهدف بالنسبة لكاتب إصلاحي مثل باكثير،فإننا نجده انحاز في

توظيفه إلى خدمة العمل الفني وليس العكس،وشغلنا بمتابعة أخناتون الشخصية القلقة الحائرة وهي تعيش صراعها الداخلي والخارجي.وقد قاده القلق العارم الذي اصطلى به إلى عالم الاستبطان وتأمل الذات والوجود ،وإلى أن يكون صاحب دعوة يجاهد في سبيلها ويصر عليها غير عابئ بخطر يتهدده أو يعرض مملكته للسقوط.وما إن يتولى الحكم حتى يتخذ خطوته الأولى لتحقيق مثله العليا فيبني مدينته الفاضلة (أخياتون) المدينة الحلم التي سيعيش الناس فيها في حب وسلام حيث لا كذب ولا رياء أو عداوة أو بغضاء.

لقد بشر المثاليون في فلسفاتهم بالسلام وإشاعة المساواة في الحقوق والواجبات بين الأفراد والأمم ودعوا إلى بناء المدن الحدائق،كما طالبوا بإلغاء الجيوش وإنهاء الحروب، وهذا ما كان يهدف إليه أخناتون ويتطلع إليه :

**يوم لا يبغي المصري على السوري ، ولا يزهي المصري على النوبي ، وتلغى الحرب الزبون يوم يعدو الناس جميعا وهم إخوة مؤمنون** [8]

وهنا " تظهر فكرة الأخوة العالمية في فلسفة أخناتون لأول مرة في التاريخ الإنساني عندما يذكر أن هناك نيلا للمصريين تحت أبصارهم،بينما هناك نيل آخر من الماء الحي في السماء لجميع الغرباء من الأقطار الأخرى ."[9] ويلحظ كيف كانت شخصية أخناتون تتطور في خط مستقيم من الشاب الرومانسي رقيق الشعور ومرهف الحس إلى المثالي الخيالي،ثم إلى الداعية المبشر بالسلام والمجاهد في سبيل عقيدته ودعوته الجديدة.والواقع أن عمل الكاتب المسرحي لا يمكن أن يقتصر على تسجيل تاريخ شخصية عظيمة فهذا أمر يهم المؤرخين أكثر من غيرهم ،أما الأديب فهو يأمل من استعانته بالتاريخ أن ينجح في تحقيق قدر من الاتساع والشمولية ليخرج من محدودية الزمن والمناسبة لأن "العمل الفني ليس تعبيرا فرديا لمحتوى نفسي،بل هو في الوقت نفسه علامة ، بنية وقيمة ، يمكن أن يفسر من قبل المتلقين. إذا لم يؤخذ في عين الاعتبار هذا الطابع الرمزي للعمل الفني،فإن هذا الأخير سيفهم على أنه بناء شكلي أو كانعكاس للاستعدادات النفسية للمؤلف؛وعلى وجه الدقة قيمته الرمزية هي ما يعطي طابعا اجتماعيا للفن،وعبر تحليله السميولوجي يمكن التغلب على شكلية الطرق الحالة الملازمة للذات." [10]

أخناتون والبعد التراجيدي:

بدا واضحا منذ بداية المسرحية زهد الكاتب في صفة أخناتون الملكية أو الفرعونية، كذلك لم يدع مجالا للحديث عنه بطلا أسطوريا ،بيد أن

مثاليته المتطرفة أوطيبته المطلقة كما صورها باكثير تجعلنا نتساءل إلى أي حد يمكن اعتباره بطلا تراجيديا ؟ وهل كان ينوي باكثير نقل هذه الشخصية ذات البعد التاريخي الأسطوري إلى حيز التراجيديا ؟ الواقع أن أخناتون باكثير يملك من الأسباب ما يجعل منه بطلا تراجيديا بامتياز فهو غارق في ذاتيته"ومندفع بإرادة وتفكير ذاتيين ؛ بمعنى أن إرادته وتفكيره مبنيان على شعوره بنفسه كوجود مستقل عمن حوله وما حوله ،بل لاشك أيضا أن تفكيره وإرادته يمثلان جذور هذا الإحساس الفردي بكل عمقها وبساطتها...والنتيجة الفاجعة في التراجيديا هي إرادة صدمة لإرادة الإنسان لذاتية الإنسان.وقد تكون نابعة من شيء في ذات الإنسان.ففن الشاعر التراجيدي لابد أن يقرب هذه النتيجة من محور عمله وهو الذات.ولكنها تظل بالرغم من ذلك خارجة من الذات لتكتسب تأثيرها الفاجع.هناك إذا توتر بين الذات والخارج،بين السبب والنتيجة."[11]وربما تكون هذه الذاتية والاحتكام إليها السبب الرئيسي وراء شقاء أشهر أبطال المسرح التراجيدي من أمثال هملت وماكبث والملك لير.فعلى سبيل المثال لم تكن النبوءة المفجعة وحدها في أوديب سوفكليس هي التي جعلتنا نتعاطف معه بقدر ما أحزننا النهم الذي استولى عليه لمعرفة الحقيقة والسير في اتجاه دون أن يعلم أن فيه حتفه والقضاء على كل ما غنمه.

كذلك حرص باكثير على إحاطة أخناتون بهالة روحانية فهو يوحى إليه كما يقول وينفذ إرادة الرب كما تحكي لنا أمه الملكة تي :

**ما كنت بحاسبة أن يبلغ بابني الأمر إلى أن يزعم أن الرب يخاطبه، وبأمر الرب يقول ويفعل ، في إخلاص قوي ليس يبالي فيه بذكرى أب أو مشورة أم ، ولا يخشى من صغير ولا من كبير** [12]

وتنتابه حالات من الهذيان يسميها رؤيا تنفلت فيها روحه من قيود الزمان والمكان،ويخاطب الأرواح وتتداح أمامه هالات النور وتفتح له مغاليق الأسرار،فهو يرى من ستشرق بأنوارهم البشرية من أصحاب الرسالات من الأنبياء والرسل :

**( ينهج ) عجبا يا رب .. ما كانت إلا رؤيا لا بأس علي ..أريني أنظر إلى عينيك ، ( يمسك ذقنها وينظر مليا في عينيها) عجبا !إن عينيك تتسعان وتتسعان .. وتتسعان ..كأن الكون الواسع والزمن اللانهائي داخل عينيك ! ما هذا أرى ؟ هذا أحد الرجلين ، جميل الوجه شديد الأدمة ، تقطر جمته كالخارج من ديماس ، يحمل في يمناه الفجر وهذي مصر تضيء بنوره ! اغمرني يا نور ..فض يا نور على قلبي !** [13]

والواقع أن هناك من الدارسين من ربط بين البطولة والصبغة الدينية أو السماوية ؛ورأى أن الأبطال يمتازون عادة بأنهم أشخاص لهم معتقدات دينية يجاهرون بها ويصرون عليها ويؤمنون بفحواها على نحو يتسم بالعمق والجدلية،بل إن بعضهم يحرص على إظهار علاقته اللا محدودة بالعوالم السرية ، وعادة ما تكون تلك المعتقدات هي التي تقرر ما يقومون به بعد ذلك من أفعال وأقوال."[14]وقد منحه باكثير قدرات روحية خارقة فهو يبصر الأرواح ويعرف مستقرها ومستودعها .هذه الطبيعة الخارقة والاتصال بعالم الأسرار والغيبيات هي من سمات البطل في التراجيديا الإغريقية ، كذلك تميز شكسبير باستغلال هذا العنصر وتوظيفه على الوجه الأكمل عندما نجح في بث الإحساس " بوجود قرابة بين تلك القوى الخارقة وبين انفعالات البطل "[15] و هكذا يبلغ البطل حدا من الصفاء النفسي والقوة الخارقة مما يمنحه القدرة على أن يرى ما لا يراه الآخرون .

سقوط أخناتون :

لابد أن نذكر هنا أن باكثير كتب هذه المسرحية في بداية انفتاحه على المسرح الشكسبيري ، ومن المتوقع أن نجد آثار هذه العلاقة في بناء شخصية أخناتون.ومن المعروف أن صراع البطل الإغريقي تمحور في صراعه مع القدر أو الآلهة ،وهكذا وضع البطل في مواجهة غير متكافئة بين هذه القوى وبين ذاته أو تكوينه النفسي والأخلاقي.وتكفل شكسبير بنماذجه الرائعة من تغير طبيعة هذا الصراع وتوسيع المواجهة بالاعتماد على العالم الداخلي للبطل،ودفع القدر والقوى الخارجية إلى الخلفية أو أكثر من ذلك بقليل ،ومن هنا أتيحت له الفرصة كاملة لتصوير عالمهم الداخلي وما يعتمل فيه من مشاعر قوية يسميها برادلي القوى الروحية "فأغلبهم كانوا يندفعون في اتجه واحد،ويعجزون عن مقاومة هذا الميل أو القوة التي تجذبهم في ذلك الاتجاه،ويغدو الوجود بأكمله يساوي عندهم ذلك الإحساس أو التصور أوعاطفة واحدة تتملك أنفسهم أو تهزها بعنف وتقودها إلى حتفها."[16]وهذا هو الوضع المأساوي الذي عاشه أخناتون.لقد كان من الطبيعي أن يتطلع ماكبث إلى الملك وتحدثه نفسه بتولي العرش،ولم يكن من المستغرب لشاعر وفيلسوف مثل هملت أن يتلقى صدمة مقتل والده غدرا على يد عمه بالتفكير العميق والغوص في داخل ذاته حتى يفهم حقيقة ما يدور خارجها،ولكن خطأ

الاثنين تمثل في تماديهما في ذلك وترك هواجسهما وعواطفهما تقوداهما إلى حتفهما .

كذلك لم يكن خطأ أخناتون في مثاليته أو إيمانه بالحب والسلام،بل تجسدت سقطته في تغافله عن منطق الأشياء واعتقاده أن الكلمة الطيبة والنوايا الحسنة تكفي وحدها لحسم نتيجة الصراع بين الخير والشر."والواقع أن التراجيديا تركز عموما على البطل الفرد في وحدته الوجودية وفي صدامه مع المطلق سواء كان نظاما كونيا أو ناموسا أخلاقيا.ورغم أن مصير الجماعة يرتبط بمصير الفرد في التراجيديا باعتباره بطلا يشغل مركزا مرموقا في الجماعة إلا أن التراجيديا لا توحد بين الفرد والجماعة كما تفعل الملاحم،فقد يسقط البطل التراجيدي نتيجة اختلافه مع القانون السائد،ولكن الجماعة لا تسقط معه،بل تبقى لتحافظ على سيادة هذا القانون ولتختار بطلا جديدا يتزعمها."[17]ولهذا عندما اندفع أخناتون المثالي للدفاع عن الكاهن أس الشر والفساد تلقى الضربة القاتلة من قائده المخلص حور محب من باب الخطأ،وكانت ضربة موفقة من باكثير أبرزت مثالية أخناتون المتطرفة ، كما دلت بقدر من المفارقة على أن القوة الراشدة واليقظة والحزم التي يمثلها القائد حور محب تعرف طريقها جيدا."وهكذا تكون المفارقة سلاحا ذا حدين وتستحق الاهتمام،فمن ناحية تعد نوعا من المعالجة التهكمية لادعاءات المثاليين وفرارهم من المواجهة،وهي بهذا تحد من مبالغاتهم وانفعالاتهم العاطفية.كما أنهامن ناحية أخرى توجد قدرا من الواقعية عن طريق تقرير الموقف الإيجابي البناء للمثالية والمثاليين." [18]فانشغال الملك الشاب بتأملاته ونزهاته القمرية ومناقشة الكتب والأشعار أدى إلى انصرافه عن شؤون مملكته مما تسبب في ضعفها وسقوطها قطعة بعد أخرى.وهاهي ذي زوجه نفرتيتي تشكو إلى أمه الملكة تي من أحواله الغريبة :

**هو يا مولاتي خلق غريب ليس له في الناس ضريب ، يهتم بأشياء لاتهم الناس ويحقر ما يا يهتم به الناس . تأتيه رسائل عماله في ممالكه بالشام يريدون نجدته ضد الثائرين العصاة وضد الحيثيين العتاة الذين علا شأنهم وغدوا خطرا يتهدد أملاكه فيرد إليهم رسائل ينصحهم فيها بلزوم السلم وينذرهم أخطار الحرب وسخط الرب . وتجئ رسائل أخرى فيهملها من دون جواب . يقضي الساعات الطوال بدار الضيافةعند صحابته العلماء الذين دعاهم من الآفاق يباحثهم في أديناهم وعقائدهم .** [19]

ومن هنا يسند باكثير في ذكاء شديد مهمة إيقاظ أخناتون من أحلامه إلى صهره الأحمق سمنقارا،هذا في الوقت الذي يتكاتف فيه كل من حوله على إخفاء حقيقة تدهور الأوضاع عنه رحمة به وشفقة :

**سمنقارا : لا تثق برجالك يا مولاي فهم إما كذاب أو خوان .** [20]

ونتذكر هنا كيف ترك شكسبير مهمة إيقاظ بعض أبطاله في مسرحه العظيم إلى الحمقى والمجانين وكيف أجرى على لسانهم أصدق القول وأبلغه.والذي يعزز إدانة باكثير لمثالية أخناتون وتخليه عن إدارة شؤون مملكته إلى الأوهام والأحلام سقوط تلك الصاعقة في بستانه،وهو أمر رأى فيه ذلك الملك آية على رحمة ربه به وبشعبه،بينما يعد في الحقيقة رمزا لضربة القائد حور محب ودلالة على قرب موت أخناتون ورحيله،وقد ذكر ذلك بنفسه دون أن يشعر في خطبته المهمة التي يقول فيها:

**أخناتون: ربي ما أعظم إحسانك ! ما أوسع رحمتك الشاملة! نار منك خرت على بستان لأخناتون ولكن غيثا منك انهل لينقذه منوباء الحمى شعب أخناتون بأسره . ألإخناتون إذن أن يثور على ربه من جراء حقل طوته النار ولم تطوه وهو أولى بها في ثورته وجحوده ؟ شكرا لك يا ربي ! ما قيمة بستاني إن قيس إلى شعبي ؟ الآن فهمت لماذا كان أخي "حامل الشمس" يحمل سيفا في يسراه! أن رحمتك العظمى رحمة الجراح الذي يبتر العضو كي ينقذ الجسم من قرحة ساعية حكمة غابت عني فأنهار لها صرح أعمالي .** [21]

لقد أدرك أخناتون الحقيقة بعد فوات الأوان مثل غيره من التراجيديين،ودفع حياته ثمن سعيه وراء يقين كرس نفسه له ليكتشف في نهاية الطريق أنه محض سراب.وفي تقرير بعض الحقائق الإنسانية تحت تأثير ألم التجربة المعاشة ومرارة الحقيقة يتكشف مقدار الخطأ وفداحة ما يرتكبه بعض الأبطال المميزين رغم عظمتهم وحب من حولهم لهم.وهذا ما يخلق ذلك الألم الممض أو الإحساس بالشمولية وما يعتبره بعض الدارسين جوهر التراجيديا ."ويبقى النص الدرامي خالدا،إذا توافر على ما سمى بالروح الشمولي،وذلك بانتمائه كنص إلى زمنه التاريخي،وفي نفاذه إلى أجواء و( فضاءات ) معاصرة متوالدة مستقبليا إن كل مرحلة تحتاج إلى تقديم ماهو غير قابل للنقل (خارج الزمن ) ضمن الزمن ضمن ما هو قابل للنقل،وبالطبع،فإن كل شيء هو لحظة يطوقها التاريخ .ولكن في كل لحظة يوجد التاريخ كله."[22] ووفق باكثير عندما لم يسع إلى تأكيد الصبغة الدينية لأخناتون إلا بطريقة مبهمة

ومفتوحة لأكثر من احتمال.فهو يتلقى الوحي من النظر إلى عيني نفرتيتي في الوقت الذي يقر فيه بأن المرأة لا تصلح لتلقي الوحي :

**أخناتون : ويح الأنثى ! لا تكون الأنثى قط رسولا** 23

لا شك أن شخصية أخناتون بنيت بناء تراجيديا ما في ذلك شك ونجح الكاتب في ذلك إلى حد كبير،ولكن هل كان سقوطه مدويا مثل غيره من أبطال التراجيديا،بكل تأكيد لا وذلك لسببين : السبب الأول أن أخناتون بدأ راضيا بقدره كل الرضى في لحظاته الأخيرة تواقا لملاقاة ربه وفك أسره المادي وقيوده البشرية :

**أخناتون : ( يلتفت إلى الملكة ) فيم تبكين يا روحي ؟**
**ألأني منطلق من هذي القيود ؟ صبرا ! لن يطول البين ...**
**غدا نلتقي في دار الخلود** 24

أما السبب الثاني فهو يتعلق بطبيعة شخصية ذلك الملك الذي آمن بالحب والسلام والمساواة ومات في سبيل عقيدته،وقد وجد المسرحيون صعوبة في نقل الشخصيات المثالية ذات الصبغة الدينية إلى الحيز التراجيدي وذلك" لأن الطيبة معرضة لأن تكون غير متحركة ولا ميالة للقتال،وهي برفضها الرد على الهجوم تجعل الفعل ساكنا،بالإضافة إلى أن موت الشهيد لا يمثل لنا هزيمة الفرد بل انتصاره، وهذا الموت هو نتيجة صراع يقف فيه الفرد في مستوى القوى العلوية،ونتيجة لهذا فإن الإحساس بالمعاناة يضيع بسبب الانتصار الخلقي.. إن أقل مسحة دينية في المسرحية من تلك الأديان التي تقدم الجنة للبطل التراجيدي تعويضا له تكون مدمرة للأثر التراجيدي ." [25]وربما لهذا اعتمد إبسن في تقديمه الشخصيات المثالية المأساوية على إشاعة أجواء التراجيديا عن طريق شخصيات أخرى مساندة للبطل،وعلى حشد عدد من الرموز والخلفيات الموحية كما فعل مع القسيس براند ذلك المثالي المتشدد، كما اعتمد على نسيج المسرحية ذاتها واللغة التي كتبت بها ، هذا في حين كتب باكثير مسرحيته شعرا ،لكنها افتقدت الشاعرية المطلوبة واللغة الموحية خصوصا بعض المقاطع التي جاءت على لسان أخناتون الشاعر الرومانسي.ولاشك أن باكثير سجل نجاحا مهما وانجازا عظيما عندما وظف الشعر لخدمة الموقف الدرامي والحدث والشخصية وليس العكس،وخرج توظيف الشعر في مسرحيته على نحو غير مسبوق من الغنائية إلى الدرامية.وإذا كان أخناتون قد استغرقته دعوته إلى أتون وإلى الحب والسلام، واستحوذ عليه إشباع نهمه المعرفي والشاعري،فإن بطل أسطورة أخرى سيسلك طريقا آخر لإسعاد الآخرين وتحقيق تطلعاته المثالية وثورته على الشر والفساد.

أوزيريس المثالي الإصلاحي :

جدد باكثير علاقته بالحضارة الفرعونية ومعطياتها عن طريق أشهر أساطيرها على الإطلاق إيزيس و أوزيريس في مسرحية بعنوان ( أوزيريس ) التي تصور الصراع بين الخير والشر ممثلا في أوزيريس الملك الصالح وأخيه الشرير ست.وكتب مسرحيته في عام 1959م ، وسبقه إلى ذلك المسرحي العربي الكبير توفيق الحكيم حين كتب مسرحيته ( إيزيس ) في عام 1955 قدم فيها هذه الأسطورة الشهيرة بعيدا عن أجوائها الخرافية والأسطورية بعد أن أنزلها إلى أرض الواقع وخيم على المسرحية إسقاطات سياسية وقتية وآراء عن لعبة السلطة ونظام الحكم .

أما باكثير فقد قدم بطله الأسطوري بصفته الإنسانية والأسطورية معا محافظا على ملكيته وحضوره المهيب؛ فعباراته قصيرة وأحاديثه مختصره، ولم تفلح محاولات ست لجره إلى دائرة الصراع،فهو مشغول بمشاريعه الإصلاحية وبناء مجتمعه الراقي الكامل :

**ست : ما أبرك يا أوزيريس برعاياك و ما أجدر ألسنتهم أن تلهج ليلا ونهارا بالثناء عليك . أوزيريس : هذا واجبي نحوهم يا ست ،وحسبي جزاء منهم أنهم يسمعون لي ويعملون بنصائحي وإرشاداتي.. إن الله خلقني وألهمني الحكمة والعلم واستخلفني على هذا الوادي الأمين . فكيف أشكر نعمه هذه إن لم أسع جهدي لتعليم عباده هؤلاء وإرشادهم إلى طرق الخير والمدنية والفلاح حتى تستنير عقولهم وتزكو نفوسهم ويرفع عيشهم ويحيوا حياة أرقى وأكمل .** [26]

ويعبر هذا التوجه من قبل أوزيريس عموما عن الاتجاه البناء في المثيولوجيا المصرية واحتفائها بالحياة والأحياء،ومن دلائله اهتمامهم بالتحنيط وفكرتهم عن إعادة البعث والتجدد والنماء بصور أخرى انتصارا للحياة على الموت.وكما يذكر أحد الدارسين فإن أسطورة أوزيريس تتضمن إشارة إلى العقلية الإيجابية للمخيلة المصرية من خلال ما نراه من اهتمام ذلك البطل بالفلاحة والزراعة وتعريف المجتمع بالوسائل الكفيلة لإنجاح ذلك مثل المحراث والمجرفة.وتبدو خصوصيته الإصلاحية في اهتمامه بتعليم المجتمع طرق المحافظة على بقائه عن طريق تعلم النظام وسن قوانين النظام المدني .[27]و هنا يكمن الفارق بين غلبة الصفة الدينية لأخناتون والطابع الإصلاحي لأوزيريس،ويشترك الاثنان في الروح التجديدية والوقوف في وجه السائد والمألوف،وتكريس الذات لتجسيد الرؤى والأفكار حتى لو لقيت معارضة من الآخرين.لقد تجلت مثالية أخناتون في دعوته إلى السلام وإيمانه المطلق أن الكلمة الطيبة وحدها قادرة على هزيمة الشر،بينما كانت مثالية أوزيريس إيجابية تحاول القضاء على الشر بالعمل ونشر الخير والمشاريع الإصلاحية، أما التعرض لإيذاء الشر ووحشيته فهو إيذان بانتشار الخير وعموميته

وانتصاره العظيم؛فالبعث لا يكون إلا بالتضحية والفداء،والحل في نظره للقضاء على الشر إنما يكون باتساع دائرة الخير وازدياد رقعته وأنصاره."فالواحد لابد أن يقسم في أجزاء كثيرة وبهذا يمكن بعدها أن تتحد الجزء في الكل. ويبدو تمزيق أوزيريس و أودنيسوس مخالفا لما حدث في أساطير أخرى فلم يسع هؤلاء الأبطال لحتفهم، بل قتلهم الأشرار، وهذا يتضمن تأكيدا على عظم حجم المعاناة في التضحيات العظيمة ."[28]وأوزيريس مثل أصحاب النزعة المثالية الحقيقية يرى أن الخير إنما يقصد لذاته فهو الهدف المطلق والغاية الأسمى :

**ست : هأنذا قد أردت الدخول فأغلق دوني . أوزيريس : إن الخير يا أخي ينبغي أن يطلب لذاته ، لا أن يتخذ وسيلة لغرض آخر. فاعمل بوصيتي هذه لعلك يوما أن تصلح.** [29]

ونجح باكثير في تصوير ثبات أوزيريس على مبدئه من خلال جمل حوارية قصيرة، ولكنها تنطق بالحزم والحسم،وتشي بوضوح رؤيته وحصانتها ضد التأثيرات الخارجية حتى لو كان مصدرها إيزيس.ومن هنا فإن غدر أخيه الشرير به لا ينال من هذه العقيدة ،فقد وضع ست أخاه الملك في تابوت ورماه في البحر للتخلص منه ،ولكن إيزيس الأسطورية تتمكن بتعاويذها وصلواتها من بعث الحياة في جسده، وتظن أنه بعد أن تأكد بنفسه من نوايا أخيه السيئة سيهب للانتقام منه والقضاء عليه،بيد أنها لا تظفر منه سوى بعبارات الترحم على حاله وحال أخيه (ياويلتاه ..أما بقي من عدل في الأرض .. لطفك يا إلهي بعبيدك ..أن حديثك هذا ليقطع قلبي ..)ويبدي أوزيريس حيال تحريض إيزيس له بالانتقام من أخيه صلابة المثاليين وثباتهم على مبدئهم فهم يرون ما لا يراه الآخرون."ويمثل أوزيريس هنا ذلك الصنف من الأبطال الذين لقوا التعذيب والإهانة من معاصريهم ، لكنهم حظوا بعد ذلك بالتبجيل والتقديس خلال العصور، ونظر إليهم على أنهم القادة الذين أخرجوا مجتمعاتهم من الفوضى إلى النظام،وأصبح ينظر إليهم بعد مرور تلك الفترات الزمنية البعيدة على أنهم معجزات إلهية تمكنت من نقل التضحية من أجل الذات إلى التضحية المقدسة من أجل الآخرين."[30]

و أدار باكثير الحوار بحرفية واقتدار أظهرت مثالية أوزيريس المتطرفة من وجهة نظر إيزيس الواقعية الواعية لخطورة ست وطبيعته الإجرامية، وكانت بالفعل في واد وزوجها في واد آخر، وعندما ضيقت الخناق عليه ناصحة إياه بقتال أخيه رأى أن الحل هو أن يترك الحكم له مقابل وعود من ست بترك الفساد والإفساد !

**أوزيريس : أما من سبيل غير الحرب؟ إن الحرب شر مستطير يا إيزيس،وسيصلى بنارها كثيرون من هذا الشعب المسكين**

**إيزيس : شر لابد منه من ورائه الخير. أوزيريس : لعلنا نجد منها بدا يا إيزيس . إيزيس : كيف ؟ أوزيريس: سأبعث لأخي ست ليكف عن الظلم والفساد ويردع رجاله عنهما كما وعدني من قبل،فإن فعل تركته في الحكم إيزيس : عجبا لك يا حبيبي كيف تطمع في مثل هذا من ذلك المجرم ؟ إنه سيقهقه ضاحكا من رسالتك أوزيريس : أن لم يستجب لنصحي فسيكون لي معه شأن آخر . إيزيس : ذلك الشأن الآخر هو الذي سيكون ..فلا تضيع نصحك سدى ولا وقتك ...لن يجدي معه غير الحرب . أوزيريس : ( بصوت حزين ) إن لم يكن من الحرب بد فوا شقائي !( يستر وجهه بيديه كأنه يتقي رؤية أمر فظيع .)** [31]

وقد دفع موقفه هذا بعض الدارسين إلى القول إن أوزيريس اتسم بالسلبية على يد باكثير، يقول الدكتور الحجاجي:"يبدو دور أوزيريس دور الرجل السلبي الذي كان في مقدوره أن يمنع هذا الظلم،لكن طيبته تدفعه إلى ترك أخيه يقوم بأعماله الشريرة ويصبح الخير بالصورة التي يقدمها المؤلف هو الغفلة والعجز عن تحقيق العدالة."[32]ولكن أوزيريس المثالي الإصلاحي كان يحقق تلك العدالة على طريقته الخاصة ومن منظوره الذي يرى أنه كلما ازداد طغيان الشر كلما ازدادت التضحيات ،والتضحية العظيمة هي التي ستؤذن بالبعث العظيم وتجدد الحياة والأحياء.ولم يكن في مقدور باكثير أو غيره تقديم روح التضحية الأوزيريسة على نحو مغاير فهذا أمر في غاية الخطورة،ولكن الكاتب سجل إدانته المبطنة لموقف أوزيريس من أخيه عن طريق إيزيس ــ كما فعل الحكيم قبله ــ وإصرارها على الوقوف في وجه ست قبل أن يقضي على أوزيريس.ويصدق حدسها إذ ينقض ست وأعوانه على أوزيريس، ويتمكنون من قتله وتقطيعه إربا وتفريق أشلائه في أنحاء متفرقة حتى لا تتمكن إيزيس من جمعها وإنقاذه مرة أخرى.وموت أوزيريس بهذه الطريقة يعرضه إلى أشد أنواع العذاب والتضحيات،لكن تلك الأشلاء تنبت وتنمو في أماكن سقوطها وتزهر وتثمر خيرا وعطاء.وكان أوزيريس "البطل الذي يموت ليبعث في عالم أرحب والمجتمع الذي يتخلص من بطله الفاني ليجدد حياته بروح فتية روح الخير التي تمزق أو تدفن لتظل حية وتؤتى ثمارها الطيبة.ولكن في داخل هذا الشكل المستقر المحافظ كان المضمون يثور ويتجدد فحين شعر الإنسان بفرديته أصبحت تضحية الفرد فاجعة،وشجب المعنى الاجتماعي الكوني لهذه التضحية وهو تجديد حياة الجماعة وحياة الطبيعة.وبعد أن اكتشف الإنسان فكرة الخير والشر لم يسترح من القلق ولم يقبل أن يكون نصيب الملك الخير -إله الزرع ومعلم المدينة هو القتل

والتمزيق ، فحكم بهما على عدوه .....فالحكم بالخير والشر كما أسلفنا ثمرة من ثمار العقل الفردي الذي لم يعد ذائبا في الجماعة،وهذا هو الفرق بين الأعمال يقبل عليها الإنسان نتيجة لحكم خلقي باستحسانها وبين الأعمال التي يقبل عليها لأنها طقوس أو شعائر "[33]هذا ولا شك أن ست هو الآخر كان مثالا في الشر ؛ لأنه يجمع كل الموبقات والشرور فهو سكير عربيد وفاجر وزير نساء يراودهن جميعا لا يفرق بين السيدة والخادمة،بل إنه لا يجد حرجا وهو يسوق أخاه إلى الموت أن يغازل إيزيس ويظهر رغبته الآثمة فيها رغم سنها المتقدم ، وهي مبالغة غير مقبولة من الكاتب.لقد كان أوزيريس الشهيد الذي ضحي بنفسه من أجل خير بلاده والآخرين،فهو كالبذرة التي يؤدي دفنها في الأرض إلى بعث الخصب والحياة فيها.وبحسب الأسطورة المصرية واستثماراتها المتعددة يكون أوزيريس انتصر مرتين؛انتصر بنجاح مشروعاته الزراعية والإصلاحية،وانتصر بثبوته على مبدئه المتمثل في ترك مقارعة الشر بالشر، والعدول عن ذلك إلى محاولة استمالته وإصلاح فساده بجره إلى دائرة الإصلاح والبناء،وإذالم ينجح ذلك فإن الشر سيقضي على نفسه بنفسه باتساع دائرة الخير من حوله.

حوريس على خطى والده:

ويتجلى مبدأ أوزيريس في الثبات على هذه الرؤية المثالية للصراع بين الخير والشر في صورة ابنه حوريس الذي رغم انتصاره على عمه الشرير يرفض عقابه والانتقام لمقتل أبيه، ويعرض عليه التنازل عن حقه في حكم البلاد بعد أبيه لأن قتله لا يعني الخلاص من الشر أو الفساد

**أصوات : أجل اقتله يامولانا وخلصنا من شره حوريس : ويحكم ليس خلاصكم في قتله وقتل أمثاله ، وإنما خلاصكم في نفوسكم وأيديكم ..إن قتله لن يفيدكم شيئا ولن ينقذكم من شر ما هو كائن في ضمير الغيب ....ألا إن في أرحام الأمهات لكثيرا من أمثال ست ومن أمثال أوزيريس ....فكونوا للخير أنصار ا يسد بينكم الأخيار ، ولا تكونوا للشر أعوانا فيسود فيكم الأشرار . تحوت : هذه حكمة أوزيريس قد نطق بها خليفته.** [34]

ويترك باكثير الصراع مفتوحا،فهو صراع بين الخير والشر ممتد بامتداد الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.وتنتهي المسرحية ونحن نشعر باستمرار المعركة بين كل تلك الإطراف: بين إيزيس التي ترى أن الخير كل الخير هو في القضاء على ست وأعوانه فهذا هو الحل الأمثل لضمان استقرار المملكة وسعادة أفرادها،وبين المثاليين حوريس وتحوت معلمه

ومعلم والده من قبله.أما ست أو الشر فهو يمر بلحظة ضعف ومهادنة فيلوذ بالصمت.وكما فشلت إيزيس في إقناع أوزيريس بالتحول عن مبدئه وترك مثاليته المسالمة،كذلك تخفق مع ابنها حوريس الذي أثبت بالفعل أنه ابن أبيه،وتنتهي المسرحية بكلمات حوريس أو أوزيريس المثالي الصلب العنيد :

**حوريس :كلا يا أماه لم يذهب دم أبي هدرا. لقد أراد هذا الشرير أن يمحو أوزيريس من الوجود فاغتاله وقطعه إربا إربا وفرق أشلاءه فإذا حكمة الرب تجعل من هذه المحنة نعمة على أوزيريس بخلود الذكر ، وعلى مصر بالنماء والازدهار ، إذ حلت بركة يلك الأشلاء على أرجاء الوادي فزادته خصبا على خصب . وكذلك حكمة الرب جل جلاله يخرج من الشر خيرا ، ومن الموت حياة ، ومن الظلام نورا.** [35]

ولا شك أن من الأمور اللافتة في المسرحية الفاعلية الكبيرة وأهمية الدور المتنوع الذي قامت به إيزيس، مما يجعل من الأولى أن تسمى المسرحية باسمها،بينما كان أوزيريس يخطر في المسرحية بخفة كأنه طيف.ومثلت إيزيس كما ظهرت عند باكثير دور القوة اليقظة الواعية المؤمنة بوجوب التصدي للشر والوقوف في وجهه بكل الوسائل،وكانت بذلك تمثل وجها مقابلا لعقيدة أوزيريس المسالمة كم ظهرت في المسرحية.فهل كان ذلك يعد إدانة مبطنة من الكاتب لمنطق المهادنة الأوزيريسية ،خاصة أن المسرحية تنتهي دون أن يعاقب ست على أفعاله وهذا مخالف للأسطورة ؟ ومهما كان قصد الكاتب فإن هذا ينسجم مع الدلالة الرمزية لقطبي هذه الأسطورة الشهيرة .فقد اعتبر أوزيريس رمز قوة الخصب المنجبة بينما كانت إيزيس رمزا لقدرة استقبال تلك القوة و البذرة الإلهية و المحافظة عليها، أو كما رأى آخرون أنهما رمز لاتحاد الطبيعة وروحها.[36]بيد أنه لابد من الإشارة هنا إلى أن الأمور كانت محددة في المسرحية أكثر مما ينبغي رغم أن باكثير حافظ على القالب الأسطوري واعتمد عليه في بناء الحبكة والحدث والشخصية.

خاتمة :

لقد قدر للمسرحية أن تعيش مرحلة جديدة من عمرها على أيدي أصحاب الفلسفة المثالية الواقعية عندما التحمت الدراما الحديثة بقضايا مجتمعاتها وهمومها الخاصة وتمت مناقشة قضايا إنسانها في المساحة الممكنة بين الواقع والمثال.ومهما اختلفت توجهات أولئك المثاليين ،فإن تقديم الشخصية المثالية المتطرفة على خشبة المسرح يظل أمرا محفوفا بالمخاطر،ويحتاج قدرا من الفنية والرؤية المسرحية التي تحسن المراوغة في عرضها لمصداقية الروح الثائرة الثابتة على مبدئها، وتفنيدها ادعاءات

بعض المثاليين وتشددهم في اتجاه نحو أحادية الرأي والانتماء.لكننا من جهة أخرى لا نستطيع أن ننكر أن هذا التعصب للحق ـ كما يرونه ـ هو الذي صنع منهم أبطالا وشخصيات خالدة،لقد قدموا تضحيات عظيمة جعلت تصرفاتهم في أعين معاصريهم خاطئة وغير منطقية،وحملت مجتمعاتهم أوزارها. بيد أنها الثورة على السائد والمألوف ومحاولة تغيير المسار في صراع يتخذ له أسماء عدة وأشكالا مختلفة لكنه يتكشف في النهاية عن الصراع الأبدي بين الخير والشر. وتظل القضية الرئيسة التي تناقشها مسرحيتي باكثير ( أخناتون ونفرتيتي ) و( أوزيريس ) عميقة الصلة بمرتكزات هاتين الأسطورتين الشهيرتين،والتي تمثلت في البحث عن الطريقة المثلى لمواجهة الشر والفساد.فقد اتخذ أخناتون طريق الحب والسلام ودعوة أعدائه بالحسنى وكتابة الرسائل واستبعاد المواجهة المسلحة وإسقاطها تماما من أجندته السياسية،وأدان باكثير على نحو غير مباشر هذه المثالية الأخناتونية والأيمان المطلق بالخيرية وقدرة الكلمة الطيبة والمحبة الأخوية الصادقة على استلال الحقد والضغينة،وتجلى ذلك في تعريض الدولة المصرية إلى التفكك والتدهور والسقوط.و لا شك أنه لم يكن من الصواب التغافل عن منطق القوة وضرورة الاحتكام إليها عند الضرورة ،لكنه كذلك لم يكن من الخطأ الاعتقاد بأن النفس الإنسانية إذا اشتد إيمانها وإخلاصها تصبح قادرة على العطاء ومغالبة شرورها وآفاتها.وإذا كان أخناتون لم ينتصر سياسيا،فإن روحه الإيجابية المسالمة المفعمة بالإيمان الصادق تركت بصماتها لتكون أحد مرتكزات الشخصية المصرية ونقاط قوتها وتمنحها ربما سرها الأعظم ،أما أوزيريس فإن قوة الرمز والدلالة التي يمثلها هذا البطل الأسطوري تجعل من المتعذر على باكثير أو غيره التدخل لاستثمار أي تعديل فيها.فأوزيريس هو رمز الخصب والنماء والقوة الدافعة للطبيعة،وتقوم خصوصيته على الثورة على الشر والفساد بانتهاج سبيل الإصلاح والبناء وتقديم التضحيات العظيمة التي ستكون السبب في البعث والنماء ،وهو انتصار للحياة والأحياء وبهذا يهزم الشر والموت ولا يتمكنان من تحقيق أهدافهما.وترك لإيزيس مواجهة الشرير ست بكل وسيلة ممكنة يمكن لها أن توقفه عند حده وتنال منه ،وتكاد تنجح في القضاء عليه لولا تدخل ابنها حوريس الذي يعتنق عقيدة أبيه في الإصلاح ويرى أن مواجهة الشر تكون بتوسيع دائرة الخير،أما هزيمة الموت فهي تتحقق بالتضحية والفداء التي ستؤذن بالبعث والتجدد والنماء.لقد كانت إدانة باكثير لأخناتون واضحة رغم تعاطفه معه وتقديره لشاعريته وأهدافه السامية،أما أوزيريس فقد وقف ضده ومعه في الوقت نفسه،ويبدو أن السبب يعود إلى المنهج الإسلامي الذي عرف

عن الكاتب احتكامه إليه والذي يؤمن بوجوب التصدي للشر والاستعداد لمجابهته، لكنه في الوقت نفسه يبارك يد السلم والمصالحة والبر الإحسان.

## فهرس المراجع :


1- Peacock,Ronald."Drama and the Moral Connexion," In The Modern Language Review .Vol. 78, No. 4, Oct.(Modern Humanities Research Association ,1983 ). p. xxxii.

2- Farber, Marvin, ed . Philosophic Thought in France and The United States. (New York: Buffalo: NY , 1950). p.416.

3- عطية ، أحمد عبدالحليم. القيم في الواقعية الجديدة (القاهرة : دار الثقافة العربية 2008م ) ص 36

4- الطويل ، توفيق .الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها (القاهرة : دار النهضة العربية)ص 396- 397

5- ماري إدن فيللبوتس ( 1896 – 1960 ) هي ابنة الكاتب البريطاني إدن فيللبوتس الروائي و الشاعر والمسرحي . تميزت مثل والدها بإنتاجها الغزير فلها أكثر من مائتين وخمسة وعشرين مؤلفا في الرواية والشعر والمسرح . ورغم أنها لم تحظى باهتمام النقاد فقد اتسمت كتاباتها بالإشراقة والجاذبية .

6-ترجم المسرحية إلى العربية الدكتور عبدالخالق محمود ولا يعرف تاريخ الترجمة ، ولكن باكثير كان يعرف الإنكليزية وهو متخصص في الأدب الإنجليزي .

7 - باكثير، علي أحمد . إخناتون ونفرتيتي (القاهرة : دار مصر للطباعة 1981م )ص 12

8- المرجع نفسه ، ص 120

9- أبو قحف ،محمد محمود .الفلسفة والحضارة : مدخل إلى التفكير الفلسفي والحضاري من العصور القديمة حتى الفلسفة الحديثة والمعاصرة (القاهرة : الغريبة 2006 ) ص 115

10- نابيس ، كارمن بوبيس. علامات العمل الدرامي، ترجمة خالد سالم ( القاهرة : مركز الحضارة العربية 2003م ) ص 103

11- عياد، شكري محمد . البطل في الأدب والأساطير ( الجيزة : دار أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع 1997م ) ص68-71

12- إخناتون ونفرتيتي ، ص 80

13_ المرجع نفسه ، ص97

14- Carlyle,Thomas.On Heroes and Hero Worship and the Heroic in History. (New York: Frederick A. Stokes & Brothe,1888).p.3

15- نيكول ، ألاردس . علم المسرحية ، ترجمة دريني خشبة (القاهرة : مكتبة الآداب ) ص 159

16- Bradley, A. C. Shakespearean Tragedy.(New York: St. Martin's Press,1966). pp.18-20

17- صليحة ، نهاد .المسرح بين الفن والفكر .( القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م ) ص133
18- Lakich, John J. "The Ideal and Reality in The French Theater of The 192O'S"و In Modern Language Review.Vol.31.Issue1(New York: Binghamton,1970).p.71.
19- إخناتون ونفرتيتي ، ص112-113
20- المرجع نفسه ، ص 155
21- المرجع نفسه ، ص162
22- مهدي ، عقيل . في بنية العرض المسرحي ( بغداد : مطبعة أسعد) ص34
23- المرجع نفسه ، ص144
24- المرجع نفسه ، ص163
25- بروكس ، كلينيث ، روائع التراجيديا في أدب الغرب ،ترجمة محمود السمرة (بيروت : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1964) ص246
26- باكثير، علي أحمد . أوزيريس . (القاهرة : دار مصر للطباعة 1985م ) ص 17 - 18
27-Laude, Patrick. Divine Play , Sacred Laughter, And Spiritual Understanding. (USA:Macmilian,2005).p.58
28- Wilhelm Friedrich Hegel, Georg. The philosophy of History. Translator J.Sibree (Ontario: Batoche Books,2001).p.228
29- أوزيريس ،ص 24
30-Kearney, Richard .Strangers. Gods and Monsters: Interpreting Otherness. (Taylor&Franc,2002).p.30.
31- أوزيريس ، ص 82-83
32- الحجاجي، أحمد شمس الدين. الأسطورة في المسرح المصري المعاصر 1933-1970.( القاهرة : دار المعارف 1984م) ص375
33- عياد ،شكري محمد .البطل في الأدب والأساطير ، ص 140
34- أوزيريس ، ص111
35- المرجع نفسه ، ص 112
36- Farber, Marvin, ed . Philosophic Thought in France and The United States. p.230.

# العلوم النفسية والتربوية

## خصائص النساء المهجورات و مشكلاتهن في الأردن

-دراسة حالة محافظة جرش **نموذجا**-

# خصائص النساء المهجورات و مشكلاتهن في الأردن

-دراسة حالة محافظة جرش **نموذجا**-

الدكتور:علاء زهير الرواشده- أستاذ علم الاجتماع المساعد
الدكتوره: اسماء ربحي خليل العرب- أستاذ علم الاجتماع المساعد
الدكتور : عمر ربابعة – أستاذ الإدارة التربوية المساعد
جامعة البلقاء التطبيقية/ /قسم العلوم التربوية والاجتماعية

**الملخص**

تهدف الدراسة إلى معرفة أهم خصائص النساء المهجورات والمشكلات التي تعاني منها، سواء أكانت مشكلات اقتصاديه ،نفسيه واجتماعيه ،إضافة لمعرفة أهم أسباب الهجر و أهم الآثار الناتجة عنه. وتكون مجتمع الدراسة من جميع النساء المهجورات و المنتفعات من صندوق المعونة الوطنية في محافظة جرش، واعتمدت الاستبانة والمقابلة أداة لجمع المعلومات، وطبقت على عينة مسحية بلغ حجمها (40) امرأة مهجورة, وتوصلت الدراسة إلى أن هناك مشاكل اجتماعية تواجهها المرأة المهجورة إلا أنه ليس لها تأثير كبير في علاقاتها وتعاملها في مجتمعها إلى حد ما وهناك مشاكل اقتصاديه عديدة تعاني منها متمثله في تلبية المتطلبات الأساسية للأسرة تؤثر عليها إلى درجه كبيرة ومشكلات نفسيه لها الأثر الأكبر عليها وعلى أبنائها.وتوصلت الدراسة إلى مجموعه من التوصيات أهمها :توعية المجتمعات العربية الإسلامية بشكل عام والمجتمع الأردني بشكل خاص بمفهوم المرأة المهجورة وحقوقها الواجبة على مجتمعها تجاهها .و العناية التامة بقضايا المرأة بشكل عام والمرأة المهجورة بشكل خاص.

**ABSTRACT**
( Abandoned women (characteristics and problems) )
In Jordan – Case study
**Dr. Ala'a Al- Rawashdeh**

This study aims to identify the problems and characteristics of abandoned women, whether economic problems, psychological, or social. Ones , in addition to identify the most important reasons and effects for abandon and . This study applied to all abandoned women beneficiaries of the National Aid Fund in the governorate of Jarash using the questionnaire , personal interview as tools to collect data and was applied on survey sample consisted of 40 abandoned women ,
One of the findings of the study that there are social problems facing women abandoned but it has no significant impact on the relations and dealings in their society to a certain extent and there are many economic problems suffered by abandoned women regarding securing the main needs for family which affects them greatly and psychological problems with greatest impact on them and on their children.

The study suggested a set of recommendations including:
1. Educate Muslim societies in general and Jordanian society, in particular regarding the concept of abandoned women and their rights and duties of their socites towards them .
2.Paying Full attention to women's issues in general and abandoned women in particular

**ـ المقدمة**

اهتم الإسلام بالأسرة وذلك لأن الأسرة هي اللبنة الأساسية في بقاء المجتمع وتماسكه حيث وضع القرآن الخطوط الرئيسية والقواعد الأساسية لمشروع الإصلاح الإنساني الشامل انطلاقاً من كونية هذا الدين وشموليته للكون والحياة والإنسان.

قال تعالى " والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة" (سورة النحل، 72)

وقوله تعالى " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها"

(سورة الأعراف، 189)

بمثل هذا الأسلوب الهادئ والمناجاة القلبية الرقيقة تذوب كل الحساسيات وتختفي جميع التشنجات فتلين المواقف وتزول الحواجز المادية لتخاطب العقل والضمير والوجدان، ويحدث التفاعل المطلوب المفضي إلى التلاحم والانصهار في بوتقة الصفاء والود والإخلاص.

لذلك تمكنت المرأة من وضع قدميها على الطريق والإمساك إلى جانب الرجل بعجلة القيادة التي طالما تفرد بها وحده إلى مرفأ النجاة.

ولأن المرأة دورها كزوجة في أسرتها وهي النصف الثاني المكمل للحياة الزوجية فقد تتعرض إلى فقد زوجها بأي شكل من الأشكال، ونحن في هذه الدراسة نتعرض إلى الزوج الذي يهجر زوجته، ولهذا فإن بناء الأسرة كله إذا فقد إحدى عنصريه

( الزوج والزوجة) يتعرض إلى هزات عنيفة تؤدي بإحدى أركانه إلى مشاكل كان بغنى عنها خاصة إذا كان الزوج هو الذي يهجر زوجته ويتركها هي وأولادها في التخبط العشوائي ومواجهة المشاكل التي تتعرض لها بفقد زوجها ، سواء كانت مشاكل نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية وغيرها من المشاكل، لتحولها إلى زوجة تعاني ما تعانيه من مشكلات من وحده وغربة وغير ذلك.

وقد جاءت هذه الدراسة للوقوف على أهم خصائص الزوجة المهجورة و المشكلات التي تعاني .

- **مشكلة الدراسة :**

تكمن مشكلة الدراسة في الكشف عن أهم خصائص الزوجة المهجورة و المشكلات
التي تعاني منها مثل المشكلات الاجتماعية و النفسية و الاقتصادية. اضافة لاسباب الهجر وآثاره.

- **أهداف الدراسة :**

تهدف هذه الدراسة في التعرف إلى ما يلي:

1. الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات.
2. التعرف على أهم المشكلات التي تعاني منها النساء المهجورات.
3. التعرف على أهم الآثار المترتبة على هجر الزوج لزوجته ومدى تأثيرها على أفراد الأسرة.
4. معرفة أهم الأسباب التي أدت إلى هجر الزوج زوجته وغيابه عن أسرته.
5. علاقة بعض الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات بمشكلاتهن

- **تساؤلات الدراسة : تأتي هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:**
- ما الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات؟
- ما أهم المشكلات التي تعاني منها النساء المهجورات.؟
- ما أهم الآثار المترتبة على هجر الزوج لزوجته ومدى تأثيرها على أفراد الأسرة.؟
- ما أهم الأسباب التي أدت إلى هجر الزوج زوجته وغيابه عن أسرته؟
- ما علاقة بعض الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات بمشكلاتهن ؟ وتحديدا:

1. هل هناك علاقة بين الوضع الاقتصادي للأسرة وسبب هجر الزوج لزوجته؟

2. هل هناك علاقة بين عمر الزوجة ومستواها التعليمي وهجر زوجها لها؟

3. هل هناك علاقة بين عدد أفراد الأسرة والمشاكل التي تعاني منها الزوجة المهجورة؟

*** أهمية الدراسة ومبرراتها :**

تنبع أهمية هذه الدراسة من اهتمامات علم الاجتماع المرأة و الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة . حيث للخدمة الاجتماعية دور كبير وفعال في دراسة أهم المشكلات التي تعترض المرأة ، وهذه الدراسة ( النساء المهجورات) هي مشكلة من المشاكل التي تتعرض لها المرأة، حيث تتناول الخدمة الاجتماعية هذا الموضوع في المجال الأسري كون هذا الموضوع يمس الأسرة بالدرجة الأولى والمجتمع بالدرجة الثانية، و يتمثل دور الخدمة الاجتماعية في:-

1. تقديم النصح والمشورة لأسرة المرأة المهجورة.
2. مساعدة المرأة المهجورة وعائلتها على حل المشكلات التي تقف عائق في وجه سعادتهم.
3. عقد دورات تدريبية و توعية للنساء المهجورات والمجتمع الذي يعيشون فيه.

. كما أن حرمان المرأة من حقوقها في الرعاية يسبب لها العديد من المشكلات ، مما يدفعها للعزلة و الوحدة و الاكتئاب و الإحساس باليأس و القلق النفسي، وتنبع أهمية الدراسة من أن المرأة هي الفئة الأكثر أهمية في إعداد أبناء المجتمع نحو التغيير والتطور, وإن مشكلات المرأة – على اختلاف صورها – تعد ظاهرة علمية تعاني منها شتى المجتمعات البشرية ، كما أنها تشكل مصدر قلق واهتمام لدى الباحثين. ويوجد تفاوت كبير في معرفة المجتمعات للمرأة المهجورة وعلى الأخص المجتمع الأردني، حيث هناك جهل بمصطلح المرأة المهجورة ؛ من تكون هذه المرأة؟ وما هي المشكلات التي تعاني منها ؟.

علماً بأن هذه الدراسة على درجة عالية من الأهمية حيث أنها تدرس واقع المرأة المهجورة في المجتمع الأردني، وهي من أوائل الدراسات في ذات المجال. وهذه الدراسة لا يمكن تعميمها إلا على مجتمع الدراسة والمجتمعات المتشابهة.

**و تظهر أهمية الدراسة ومبرراتها من خلال ثلاث محاور أساسية:-**

1. **المحور الاجتماعي**:العمل على تغيير نظرة المجتمع المحلي للمرأة المهجورة والمحاولة على التقليل من النظرة الدونية لها وتحويلها إلى نظرة

تتناسب مع وضع المرأة وفهم الأسباب التي أدت إلى ذلك ومساعدتها بالدعم المعنوي على الأقل.
2. **المحور النفسي**:يشتمل على كيفية تعامل المرأة المهجورة مع المشاكل التي تمر فيها في تعاملها مع نفسها ومجتمعها والآخرين.
3. **المحور الاقتصادي**:يشمل التعرف على مصدر الدخل بعد الهجر وأثره على المرأة المهجورة وأفراد الأسرة.

**- الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة.**

**- المقدمة:**

الأسرة هي الوحدة البنائية للمجتمع وكل إنسان ينتمي إلى أسرة ما ، لأن الإنسان كائن اجتماعي يعيش أفراده في جماعات. والزواج هو بداية تكوين الأسرة ،حيث يرتبط رجل ما بإمرأة استيفاءً لاحتياجاتهم وغرائزهم. ( كمال، 2005م، ص 7 )

إن أخطر ما تعانيه الأسر هو التفكك الأسري، وأكبر أسبابه سوء الخلق والأدب بين الزوجين، لذا فلا يجوز لزوجة أن تسيء خلقها مع زوجها أو تسيء الأدب معه ، كما لا يجوز للزوج فعل ذلك ، ولا يجوز رد الإساءة بمثلها في الحياة الزوجية والأسرية ، وإلا أصبحت الحياة فيها حياة انتقام وثأر والله عز وجل يقول:

(( ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)).

إن حسن الخلق والأدب بين الزوجين حو المحقق للمودة والمحبة والرحمة بينهما وبين ذريتهما ، فلاشك في ثبوت وجوبهما وجوباً حتمياً على المسلمين والمسلمات عموماً وعلى الزوجين خصوصاً. ( العك، 2005م، ص 11-12)

ولا ينازع أحد في أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في المجتمع واللبنة الأساسية في صرح بنائه، ولا يكون هناك تطور في المجتمع إلا إذا كانت الأسرة سليمة متماسكة، يسود أفرادها الوئام والمودة والسلام وتفيض على أعضائها مشاعر الحب والرحمة ويتمتع كلا الأبوين بصحة جيدة عضوية ونفسية ويكون دخل الأسرة مناسباً يكفل لأفرادها حداً أدنى من الرخاء.

وللأسرة عدة مقومات يجب أن تتوافر فيها لتكون أسرة صالحة منها:

1. توفر مستوى معيشي وأسباب الاستقرار العائلي وذلك من حيث المأوى وموارد الدخل ونظام الأمن العام.

2. سلامة الأسرة من حيث الوراثة والصحة العامة والفضائل الأخلاقية.
3. اكتمال هيئة الأسرة من حيث وجود الأب والأم والأبناء ،وانعدام أي عنصر من هذه العناصر يضر بوحدة الأسرة ويقضي على الوظائف الطبيعية الاجتماعية التي كان يؤديها.
4. تكامل كيان الأسرة حيث توحد الاتجاهات والمواقف بين عناصرها وتوحد الأهداف في العمل والتضامن لإبعاد أي خطر يهدد كيان الأسرة. (الخشاب، 1966م، ص 96) .

والمرأة تعتبر أهم عناصر هذه الأسرة ، لذا وجب احترامها و حمايتها والمحافظة عليها من المشاكل والصعوبات التي تعترض طريقها أثناء مسيرتها في الحياة الزوجية و الأسرية .

ولعل من أهم هذه المشاكل التي يمكن أن تعطل مسيرة المرأة في الحياة الزوجية والأسرية ، والتي تعتبر من المشاكل المعاصرة في هذا الوقت والمنتشرة عند بعض الأسر في الوطن العربي، مشكلة ( الهجر ) أو ( هجر الزوجة ).

تعاني بعض النساء من مشكلة اجتماعية كبيرة تعرف بالتعليق أو الهجران من قبل الزوج، الذي يترك المرأة ويرحل إلى حيث يشاء، أي أنه يرحل إلى حياة جديدة أو يرحل إلى سكن مستقل وفي كل الأحوال يهجر المرأة مع أبنائها لتبقى هي والصغار يكابدون الحياة.

هجر الزوجة الذي قد يكون معنوياً أو مادياً، فقد يكون معنوياً عندما يتمثل في الإخلال بواجب الرعاية والتوجيه والتربية النفسية والعاطفية لأعضاء الأسرة وخاصة الزوجة.

وقد يكون مادياً يتمثل في الإخلال بواجب الإنفاق على الأسرة مما يعرض أمنها واستقرارها للخطر لعدم حصولها على متطلباتها الأساسية التي تكفل الاستقرار والدوام وتقع على عاتق الزوجة لتوفير تلك المتطلبات الأساسية كالمأكل والمسكن والعلاج وكافة المتطلبات الضرورية للمعيشة. ( شكري، 1981م، ص 87)

والخلل في بناء الأسرة قد يكون نتيجة الطلاق أو الوفاة أو هجر الزوج لزوجته أو غياب أحد الزوجين عن المنزل بصورة دائمة. (كمال، 2005م، ص 37)

ونحن في دراستنا هذه حاولنا الكشف عن بعض الأسباب التي أدت لحدوث هذه
المشكلة والتعرف على المشكلات والآثار الناجمة والمترتبة عن الهجر مع محاولة الوصول إلى مقترحات وحلول لهذه المشكلة المعاصرة.

- **المفاهيم والمصطلحات النظرية:**

**المشاكل الاجتماعية:** هي التباين أو التناقض بين ما هو موجود في المجتمع وبين ما ترغب مجموعة هامة من هذا المجتمع بصورة جدية أن يكون به، ويتأثر هذا التناقض عن طريقين إما برفع المستويات التي تكون لها فاعلية وعمومية في المجتمع أو باستمرار انحطاط الظروف الاجتماعية التي تؤدي إلى زيادة هذا التناقض أو التباين. (خولي وآخرون، 2004م، ص 100)

**المشاكل الأسرية:** قد تعرف بأنها نقص في إشباع حاجات الأسرة مما يؤدي إلى أنماط من السلوك الخاطئ الذي يخالف حاجات المجتمع . (كمال، 2005م، ص 36) **ويمكن تعريفها أيضاً:** أنها حالة يعاني فيها أحد أفراد الأسرة أو الأسرة ككل من مشاكل قد تؤدي إلى ضعف بناء الأسرة وضعف أدائها لوظائفها . (رشوان،1997م، ص105).

**الهجر:** البعد أو الابتعاد أو الرحيل . (مكي، 2000م، ص 25)
**الغائب:** من غادر مكانه لسفر ولم يعد إليه وحياته معلومة. (علي، 2006م، ص 142)

**النساء المهجورات:**
هن أولئك الزوجات وبخاصة ذوات الأولاد، اللواتي ظلمهن وهجرهن مع أولادهن أقرب الناس إليهن (زوج هذه المرأة وأب هؤلاء الأولاد والبنات) حيث جعلها وجعلهم في آخر قائمته إن لم يكن أخرجهم من قائمته أصلاً. (المنيع، www.googel.com )

- **المشكلات الأسرية :**

لا يوجد فرد أو أسرة أو مجتمع في هذه الحياة إلا وله مشاكله .والمشكلات الأسرية متعددة ومتشابكة ، ولا ترجع إلى سبب واحد بل عدة أسباب وعوامل متداخلة ، ويمكن تصنيف هذه المشكلات الأسرية على النحو التالي:

1. مشكلات قبل الزواج:
ومنها سوء الاختيار الزوجي ، التفاوت وعدم التكافؤ بين الزوجين في الشخصية أو العمر أو في المستوى الاجتماعي.......الخ.
2. مشكلات أثناء الزواج:
ومنها مشكلات تنظيم الأسرة ، والانفصال( الطلاق)، أو تعدد الزوجات ، أو الهجران .
3. مشكلات بعد إنهاء الزواج:
مشكلة الطلاق وما يرافقه من مشكلات مثل(مشكلات الأطفال، والنفقة.... الخ)، والترمل، والعزوبة بعد الزواج(فهمي، 2004م، ص 114-115)

- **الآراء و المواقف من الهجر**

***التشريع الإسلامي:**
سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في حماية الأسرة من الناحية المادية فألزمت الزوج بالإنفاق على زوجته وأولاده الذين لم يبلغوا سن الرشد.
كما راعت الشريعة الإسلامية الزوجة معنوياً بتقدير حسن معاشرتها وعدم الاعتداء عليها أو على مالها أو مساكنتها والإخلاص لها وألزمت الزوج بذلك ويعد آثماً إذا قصر في كل ذلك.
إذا كان التشريع الإسلامي لم يضع نصاً خاصاً يعاقب على الهجر المالي والمعنوي للأسرة إلا أن القواعد العامة في التشريع الجنائي الإسلامي تعطي للحاكم_تفريد الجاني في غير الحالات المنصوص عليها شرعاً ، إذا كانت هناك مصلحة للمجتمع تبرر ذلك.
الحد المقرر شرعاً للغياب عن الزوجة في حدود أربعة أشهر ، فلا يجوز الزيادة عن هذا الحد إلا برضاها مع أمن الفتنة عليها وعلى الزوج إلا من أجبرته الضرورة على الغيبة الطويلة فإنه معذور إلى زوالها.
كما أن الشرائع الذمية تقرر وتأخذ بالقاعدة العامة بوجوب حماية الأسرة من ناحية
الاحتياجات المادية وإن كان البعض منها قد اعتبر الالتزام بالنفقة التزاماً تبادلياً. (عبد المقصود، 2003م، ص 112)

- **آراء الأئمة في قضية غيبة الزوج وهجره لزوجته**

1. ذهب الشافعية والحنابلة والحنفية في: [ عدم التفريق للغيبة وذلك إذا كان له مال تنفق منه لأن غيبة الزوج لاتصلح سبباً يبنى علي التفريق] . (عبد السلام، 1981م، ص 37)

2. المالكية ذهبوا إلى أن :[ المرأة إذا غاب زوجها عنها مدة كان لها طلب التفريق منه سواء كانت الغيبة لعذر أم لغير عذر لأن حقه في الوطء واجب مطلق عندهم] . (علي، 2006م، ص142)

***التشريع الفرنسي والبلجيكي:**
يعتبر التشريع الفرنسي والبلجيكي في مقدمة التشريعات الأوروبية التي حرمت هجر العائلة من ناحية مالية أو معنوية. (مكي، 2000م، ص 45)
* **في القانون الأردني** : يفرق بين الزوج وزوجته إذا تقدمت الزوجة بطلب التفريق، فيؤجل أربع سنوات من تاريخ الطلب إلى أن يتم البحث والتحري.
(طه،2002م، ص 84)

- **شروط التفريق جراء الهجر أو الغيبة**

**أولاً:** أن تكون غيبة طويلة ، وقد اختلف في مدتها:
ـ الحنابلة: إذا غاب الزوج عن زوجته مدة ستة أشهر فأكثر فلها طلب التفريق.
ـ المالكية: سنة فأكثر.
**ثانياً:** أن تخشى الزوجة على نفسها الضرر جراء هذه الغيبة والضرر هو خشية الوقوع في الزنا.
**ثالثاً:** أن تكون الغيبة لغير عذر.
**رابعاً:** أن يكتب القاضي إليه بالرجوع إليها أو نقلها إليه ،أو تطليقها منه، ويمهله
مدة مناسبة إذا كان له عنوان معروف. (علي،2006م، ص 145)
**خامساًً:** إذا غاب الزوج سنة فأكثر بلا عذر مقبول جاز لزوجته أن تطلب إلى القاضي الطلاق إذا تضررت من بعده ولو كان لها مال تنفق منه.
والمراد بالغيبة: غيبة الزوج عن زوجته بإقامته في بلد آخر غير الذي تعيش فيه الزوجة، وأما الغيبة عن بيت الزوجية وغيبته في بيت آخر في نفس البلد فهو من الأحوال التي تدخل في الضرر. (شلبي ، 1970م، ص90 )
**سادساً:** إذا كان الزوج هجر زوجته ولمدة سنتين في ذات البلد الذي تقيم فيه الزوجة، وجب الطلاق وهذا مطبق في الكويت ومصر كما ورد في القوانين الخاصة لكل من البلدين. ( منصور،1997م، ص 276)
*في هجر الزوجة هناك حق للقاضي أن يفرق بينهما، إذا زادت مدة الغياب عن سنة فأكثر فيتولى القاضي ذلك، بطلب من الزوجة بسبب الغيبة إذا كان

هناك أي ضرر نفسي أو اقتصادي يلحق بالمرأة وتقدم الحالات التي يلجأ لها القاضي للطلاق. (سالم ، 1997م، ص 256)

- **الأسباب التي تؤدي إلى هجر الزوج لزوجته:**

هناك أسباب كثيرة تؤدي إلى هجر الزوج لزوجته ،فقد تعطي اهتماماً لعملها وتصرف نظرها عن واجباتها تجاه زوجها وعدم الاهتمام به.حيث تكون العلاقة فيما بينهما علاقة روتينية يقتضي عمل ثلاث وجبات في اليوم والقيام بالواجبات البيتية الأخرى.و تصل إلى العلاقة الجنسية فيما بينهما حيث أمراً لابد منه لإنجاب الأطفال أو لإشباع شهوة غريزية مجرده هذه العلاقة من أي حميمة أو مودة في هذه العلاقة. (الحرستاني وآخرون، 1987م،ص 36)

في بعض الحالات قد تلجأ الزوجة إلى هجر زوجها ويتوجب على الإسلام حمايتها وهو في حال دخولها دين الإسلام وهجرها لأبنائها وزوجها فقد أمر الله عز وجل بحمايتها ونصرها والوقوف بجانبها وتقديم حياة كريمة لها قال تعالى:

**" يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن "** ( الممتحنة ،آية 10)

و من هنا تجب حمايتها ومناصرتها وتمكينها من زواج شرعي جديد وبصداق جديد وهذه الرعاية لم يحصل عليها الرجل في القرن العشرين. (عمر، 1998م، ص22)

وقد وجد أن هناك علاقة قوية بين الرجل والمرأة في الثقافة الريفية ، فالمرأة الريفية ضعيفة بوجه عام (مكسورة الجناح) على حد قولهم تابعة لا حول لها ولاقوه ،مقابل الرجل الذي تعطيه تلك الثقافة السيطرة والحرية فهو السيد وكل شيء في حياة المرأة ولا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله ولا يقيمها الناس إلا بعلاقتها به، لكن حين يتخلل التفكك نتيجة هجر الزوج لزوجته لأسباب اقتصادية وعدم مقدرته على الإنفاق أو لجانب معنوي يتعلق بعلاقتهم معاً تاركاً المرأة في حال لا تحسد عليه تفقد قيمتها الاجتماعية. (حسن،2003م،ص 53)

**- الدراسات السابقة :**

تم الاطلاع على مجموعة من الدراسات الاجتماعية التي لها علاقة بموضوع النساء المهجورات و وجد أن هناك إجماع على أن المرأة

المهجورة تعاني من مشاكل كثيرة جراء هجر الزوج لها وأن أكثر المشاكل تأثيراً عليها هي المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية ،وتبين أن أكثر الأسباب التي تدعو الرجل إلى هجر زوجته الفقر وعدم القدرة على تلبية المتطلبات الأساسية للأسرة ليجد في هجر زوجته سبيلاً للهرب من هذه المتطلبات مخلفاً ورائه زوجته وأبنائه يعانون الكثير من المشاكل .وكذلك عدم مقدرتها هي على تلبية تلك المتطلبات بعد غياب الزوج بسبب عدم توفر الدخل الكافي الذي تعيش منه وأبنائها وعدم توفر المساعدات من الجهات الأخرى ممثلة بالمساعدات المقدمة من الأهل والمجتمع .وفيما يلي عرض لأهم الدراسات :

1- أجرى محمود جميل الربيع دراسة بعنوان **( هجر الزوجة بين الفقه والقانون ) 2005م** . تحدث فيها عن ظاهرة الهجر حيث يعد من أخطر الآفات التي تهدد ترابط الأسرة وبالتالي التأثير على المجتمع بأكمل وقيام الزوج بهجر زوجته يتنافى مع الإحصان الذي يعد من أهم مقاصد الزواج ويؤثر عليه بشكل سلبي .وتحدثت الدراسة عن الأحكام الشرعية المتعلقة بهجر الزوجة وبينت مفهومه وقوانين الأحوال الشخصية في بعض البلاد العربية وبينت ضوابطه من حيث الكيفية والمدة والمكان، كما وتحدثت الدراسة عن أهم الأسباب التي تدفع الزوج إلى هجر زوجته وعن كيفية علاج هذه الأسباب.

وتحدثت عن أهم الفروق بين الهجر والغيبة والفقد، وكما بينت الدراسة الحكم الشرعي جواز التفريق بين الزوجين والهجر، ورأي قوانين الأحوال الشخصية في ذلك وأهم الإجراءات المتبعة في المحاكم الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية عند رفع دعوة تفريق للهجر لديها.

2- أجرى علي محمود زقيلي دراسة بعنوان**(التفريق بين الزوجين لغيبة الزوج)2003م**، حيث تعالج هذه الدراسة مشكلة غيبة الزوج عن زوجته مدة طويلة دون أن يترك عنواناً له فينجم عنه ضرر كبير بالزوجة وآثار غير محمودة على الأسرة والمجتمع كما يتحدث الباحث في دراسته عن دور الفقه الإسلامي في معالجة هذه المشكلة حفاظاً على استقرار الأسرة ورعاية مصالح المجتمع وإزالة الضرر وسدّ أبواب الفساد.وكانت من أهم نتائج هذه الدراسة :

1. التفريق بين الزوجين للغيبة: هو حق شرعي تفريقي أعطي للزوجة قضاء لضرر يلحقها من غياب زوجه.

2. يجوز للزوجة أن تطلب التفريق بسبب غيبة زوجها عنها، لأن ذلك يتفق مع مقاصد الشريعة وسياسة التشريع التي تدعو إلى إزالة الضرر ودفعه ، وهو ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية الأردني.
3. لم يفرق القانون الأردني بين مفهوم الهجرة والغيبة كما هو رأي القانون المصري، لأن كل غيبة إضرار،وليس كل إضرار غيبة، إذ أن الإضرار قد يأتي في صورة عدم الإنفاق أو الشقاق أو الزواج بأخرى أو الغيبة بغير عذر مقبول.

3- أجرت سوسن محمد العليوي دراسة بعنوان( **أثر هجرة الزوج على الأسرة) 2001 م.** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الخصائص الديمغرافية والاجتماعية لمجتمع الدراسة بالإضافة إلى التعرف على أثر هجرة الزوج على كل من:

1. دور ومكانة الزوجة. 2. تربية وتعليم الأبناء.
3.العلاقات الاجتماعية. 4. ممتلكات الأسرة واستثماراتها.

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة أن متوسط أعمار الأزواج المهاجرين وقت إجراء الدراسة قد بلغ (42.68) سنة وبلغ متوسط مدة الحياة الزوجية للأزواج المهاجرين (16.31) سنة.

كما أظهرت الدراسة بأن هجرة الزوج قد عملت على:

1. زيادة أدوار المرأة ومكانتها.
2. إفراز آثار سلبية على تربية وتعليم الأبناء.
3. تمتين العلاقات الاجتماعية للأسرة مع الأقارب بشكل خاص ( أهل الزوج وأهل الزوجة).

4- قام حسين فرحان رمزون بدراسة عنوانها( **التغيرات الاجتماعية والأسرية الناجمة عن هجرة العمال الأردنيين إلى دول الخليج العربي)1997م،** بحثت هذه الدراسة في حقيقة مؤداها أن هجرة ربّ الأسرة للعمل في دول الخليج العربي دون اصطحاب الأسرة، يترتب عليها تغيرات اجتماعية وأسرية عميقة، خاصة فيما يتعلق بالأدوار التقليدية لأفراد الأسرة وما ينجم عن ذلك من اضطرابات في البناء الاجتماعي لأسرة المغترب قد تغيب عن ذهن المغترب أو يقلل من أهميتها وأن غياب ربّ الأسرة للعمل يعني غياب عماد الأسرة وبالتالي اضطراب علاقات الأسرة الداخلية والخارجية وزيادة عرضة أسر المغتربين للمعاناة من العزلة وعدم التعاون مع الجيران والأصدقاء، في مناطق سكناهم.

5- أجرى علي الزغل دراسة بعنوان( **الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي، منفرداً عن عائلته) 1990 م.** حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف

على بعض الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي منفرداً للعمل خارج الأردن، كما تراها زوجته على العلاقات الزوجية، والسلوك العام للأطفال وتحصيلهم التعليمي وعلاقاتهم مع أقاربهم و الآخرين. وقد شملت الدراسة(216) زوجة مهاجر و (232) زوجة غير مهاجر ريفي من سبع قرى في شمال غرب اربد، اختيرت قراهم على أساس العينة الطبقية العشوائية لتمثل القرى ذات الحجم الكبير والمتوسط والحجم الصغير.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي،منفرداً للعمل خارج الأردن، على العلاقات الزوجية، والسلوك العام والتحصيل التعليمي لأطفاله كانت سلبية إلى حدّ كبير، لاسيما على الأطفال الذكور،ولم يؤثر عامل الدخل على هذه العلاقة.

8- في دراسة اخرى لعلي الزغل بعنوان( **أثر هجرة الزوج للعمل خارج الأردن على بنية السلطة في الأسرة الريفية الأردنية)1989م،** هدفت إلى الكشف عن اثر غياب الزوج المهاجر للعمل خارج الأردن ،على سلطة زوجته في بنية الأسرة ، وخاصة في مجال تأديب الأطفال من عمر 6- 12 سنة فأكثر ، هذه الزوجة قد تعرضت لخبرات ومواقف ومسؤوليات إضافية ألقيت على عاتقها وعليها أن تتصرف في ظلها مع عائلتها.ودلت النتائج على أن زوجات المهاجرين قد حققن اكبر الانتصارات في زيادة سلطاتهن في تأديب أطفالهن.وقد خلصت الدراسة إلى أن غياب الزوج المهاجر، كانت أهم العوامل وراء زيادة سلطة زوجة المهاجر في بنية الأسرة فيها.

9- أجرى علي الزغل دراسة ميدانية بعنوان(**هجرة الأردنيين الريفيين الحاليين للعمل في الخارج)1988م،** حيت تحدثت عن أهم الأسباب التي تدعوا إلى هجرتهم وآثار هذه الهجرة على الزوجة والأطفال ،وتبين أن أهم سبب كان هو السبب المادي الذي يدعوهم إلى الهجرة والابتعاد وأن الزوجة تكون في البداية أكبر داعم ومشجع لكن بعد هجرته وابتعاده وانقطاع أخباره ، تبدأ الزوجة بوضع وسائط الرجوع الزوج بعد الآثار التي ترتبت نتيجة غياب الزوج وانقطاع صلاتهم بالمجتمع المحيط بهم وميلهم للعزلة.

- منهجية الدراسة وإجراءاتها:

- **مجتمع الدراسة :**

تم استخدام منهج المسح الاجتماعي لتحقيق أهداف الدراسة حيث اشتمل مجتمع الدراسة على جميع النساء المهجورات المنتفعات من صندوق المعونة الوطنية في محافظة جرش، والبالغ عددهن (40) ، حسب إحصائية مديرية التنمية الاجتماعية سنة( 2008).

- **عينة الدراسة:**

تم تطبيق الدراسة على (30) امرأة مهجورة منتفعة من صندوق المعونة الوطنية، في حين سيتم اختبار ثبات الأداة على (10) نساء .

- **أداة الدراسة :**

تم اعتماد الاستبيان كأداة لجمع البيانات اللازمة من أفراد العينة للتعرف على الخصائص والآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للمرأة المهجورة

بالإضافة إلى استخدام أسلوب المقابلة الشخصية.وذلك بعد الإطلاع على عدد من الدراسات السابقة، حيث قام الباحث بتصميم استبانة مكونة من اربعة أجزاء تتناسب و إغراض هذا النوع من الدراسات. و اشتملت على:

- الجزء الأول : وتضمن البيانات الشخصية والاجتماعية للنساء المهجورات من خلال تسع متغيرات.

- الجزء الثاني : ويتضمن دراسة المشكلات الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية الناتجة عن الهجر من خلال اثنين وعشرين مؤشرا على مقياس ثلاثي( نعم، لا ، احيانا).

-الجزء الثالث :و أشتمل على دراسة اثأر الهجر من خلال تسعة مؤشرات على مقياس ثلاثي( نعم، لا ، احيانا).

- الجزء الرابع: وأشتمل على دراسة أسباب الهجر من خلال سبعة مؤشرات على مقياس ثنائي( نعم، لا ) .

وتم جمع البيانات في الفترة الواقعة بين 2008/7/10-2008/11/05 م، وسجلت صعوبة كبيرة في أثناء أجراء الدراسة نظرا لرفض العديد من المبحوثين الإجابة على فقرات الاستبانة. وقد استغرق العمل مدة أربعة أشهر،وتجدر الإشارة إلى أننا قد حصلنا على موافقة رسمية من قبل مديرية التنمية الاجتماعية لتسهيل المهمة ,حتى تأخذ الدراسة الطابع الرسمي متزامنا مع العمل الأكاديمي.

- **صدق الأداة :**

للتحقق من صدق الأداة تم عرض الاستبيان على عدد من المحكمين من ذوي الاختصاص ، وتم إجراء التعديل اللازم للاستبيان بعد الأخذ بآراء المحكمين ووجهات نظرهم وأخذها بعين الاعتبار.

- **ثبات الأداة:**

لإيجاد ثبات الأداة تم تطبيقها على عينة تجريبية مكونة من (10) نساء مهجورات، ومعرفة معامل الثبات للاستبيان للتأكد من قبولها إحصائياً بحيث

تم توزيعها على مرتين بينهما فاصل زمني مقداره أسبوعان.وتم استخدام معادلة
كرومباخ ألفا حيث كانت نسبة الثبات (0,72 ) وهي نسبة مقبولة .

- **أسلوب التحليل الإحصائي ( المعالجة الإحصائية) :**

تم معالجة البيانات باستخدام برنامج التحليل الإحصائي **(spss)** ، وذلك لإيجاد الوسط الحسابي والانحرافات المعيارية ،والنسب المئوية، . وكاي تربيع. للبحث في العلاقات بين متغيرات الدراسة.

**عرض النتائج وتحليلها:**

فيما يلي عرض نتائج الدراسة الهادفة إلى معرفة أسباب الهجر و خصائص النساء المهجورات، كما يتضمن وصف للمتغيرات الشخصية لأفراد عينة الدراسة من النساء المهجورات مثل العمر، المستوى التعليمي، الدخل الشهري، مكان الإقامة، صفة البيت، الديانة، الوضع المهني، مدة الهجر، معرفة أي معلومات عن مكان الزوج الذي ذهب إليه كما في الجدول رقم (1). وقد تم استخدام برنامج (SPSS) للتحليل الإحصائي لاستخراج التكرارات والنسب المئوية وقيم كاي تربيع لجميع فقرات الاستبانة والمجموع الكلي لهما، واستخراج التكرارات والنسب المئوية للمتغيرات الشخصية لأفراد عينة الدراسة. وفيما يلي عرض النتائج :

**المحور الاول : الخصائص والمتغيرات الاجتماعية**

**- العمر:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار للأعمار التي تتراوح ما بين 40-49 سنة بلغ (13) بنسبة مئوية بلغت (43.3%)، والأعمار من 30-39 سنة بلغ التكرار لها (7) بنسبة مئوية بلغت (33.3%)، وأقل تكرار للأعمار (18-29) سنة و (50 فأكثر) بلغ (5) بنسبة مئوية متساوية بلغت (16.7%).

**- المستوى الدراسي:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار للمستوى الأساسي بلغ (8) وبنسبة مئوية بلغت (26.7)، والمستوى الأمي بلغ التكرار له (6) بنسبة مئوية بلغت (20%)، والمستويين الإعدادي والثانوي بلغ التكرار لهما (5) والنسبة المئوية بلغت (16.7%) بشكل متساوي، وأقل تكرار بلغ (3) للمستويين الدبلوم والجامعي بنسبة مئوية بلغت (10%).

**- الدخل الشهري**:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ( 18) للدخل الشهري (150-300 دينار) بنسبة مئوية بلغت (60%)، والدخل (150-200دينار) بلغ

التكرار له (11) والنسبة المئوية بلغت (36.7%)، وأقل تكرار بلغ (1) للدخل 251-300 دينار بنسبة مئوية بلغت (3.3%).

**ـ مكان الاقامة:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ( 17) للقرية بنسبة مئوية بلغت (56.7%)، المدينة بلغ التكرار لها (11) والنسبة المئوية بلغت (36.7%)، وأقل تكرار بلغ (2) للمخيم بنسبة مئوية بلغت (6.7%).

**ـ نوع السكن:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ( 20) لبيت الإيجار بنسبة مئوية بلغت (66.7%)، والملك بلغ التكرار له (10) والنسبة المئوية بلغت (33.3%).

**الديانة:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ(30) لديانة الإسلام بنسبة مئوية بلغت (100%). وبالتالي فإن جميع عينة الدراسة كانت ديانتهن الإسلام.

**ـ الوضع المهني:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ( 25) للأشخاص الذين لا يعملون بنسبة مئوية بلغت (83.3%)، المدينة بلغ التكرار لها (5) والنسبة المئوية بلغت (16.7%).

**ـ مدة الهجر:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ (13) بنسبة مئوية بلغت (43.3%) للمدة ما بين 6-10سنوات ،والمدة الأقل من 6 سنوات بلغ التكرار لها (10) والنسبة المئوية بلغت (33.3%)، والمدة أكثر من 15 سنة بلغ التكرار لها (4) والنسبة المئوية (13.3)، وأقل تكرار بلغ (3) للمدة مابين 11-15 سنة بنسبة مئوية بلغت (10%).

**ـ عدد أفراد العائلة:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى نسبة مئوية بلغت لعدد أفراد العائلة أقل من 5 أفراد (56.7%)، ثم بلغت النسبة المئوية لعدد أفراد الأسرة من 5-8 أفراد (33.3%)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية لعدد أفراد الأسرة أكثر من 8 أفراد (10%).

**ـ معرفة مكان الزوج:**

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى نسبة مئوية للنساء المهجورات اللواتي لا يعرفن عن مكان الزوج (70%)، واللواتي يعرفن عن مكان الزوج (30%).

جدول رقم(1)
توزيع أفراد العينة حسب الخصائص الاجتماعية وبعض المتغيرات

| **العمر** | **التكرار** | **النسبة المئوية** |
|---|---|---|
| 18-29 سنة | 5 | %16.7 |
| 30-39 سنة | 7 | %23.3 |
| 40-49 سنة | 13 | %43.3 |
| 50 سنة فأكثر | 5 | %16.7 |
| **المجموع** | 30 | %100 |
| **المستوى التعليمي** | **التكرار** | **النسبة المئوية** |
| أمي | 6 | %20 |
| أساسي | 8 | %26.7 |
| إعدادي | 5 | %16.7 |
| ثانوي | 5 | %16.7 |
| دبلوم | 3 | %10 |
| جامعي | 3 | %10 |
| المجموع | 30 | %100 |
| **الدخل الشهري** | **التكرار** | **النسبة المئوية** |
| أقل من 150 دينار | 18 | %60 |
| 150-200 ينار | 11 | %36.7 |
| 251-300 دينار | 1 | %3.3 |
| المجموع | 30 | %100 |

| مكان الإقامة | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| مدينة | 11 | %36.7 |
| قرية | 17 | %56.7 |
| مخيم | 2 | %6.7 |
| المجموع | 30 | %100 |

| نوع السكن | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| ملك | 10 | %33.3 |
| إيجار | 20 | %66.7 |
| **المجموع** | 30 | %100 |
| **الديانة** | **التكرار** | **النسبة المئوية** |
| مسلم | 30 | %100 |
| مسيحي | - | - |
| **المجموع** | 30 | %100 |
| **الوظيفة** | **التكرار** | **النسبة المئوية** |
| يعمل | 5 | %16.7 |
| لا يعمل | 25 | %83.3 |
| **المجموع** | 30 | %100 |

| مدة الهجر | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| أقل من 6سنوات | 10 | %33.3 |
| 6-10سنوات | 13 | %43.3 |
| 11-15سنة | 3 | %10 |
| أكثر من 15سنة | 4 | %13.3 |
| المجموع | 30 | %100 |

| عدد أفراد العائلة | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| أقل من 5 أفراد | 17 | %56.7 |
| من 5-8 أفراد | 10 | %33.3 |
| أكثر من 8 أفراد | 3 | %10 |
| المجموع | 30 | %100 |

| معرفة مكان الزوج | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| نعم | 9 | %30 |
| لا | 21 | %70 |
| المجموع | 30 | %100 |

**المحور االثاني: أهم المشكلات التي تعاني منها النساء المهجورات.**

**1- أهم المشكلات الاجتماعية:**

يظهر من الجدول رقم (2) ما يلي:

1. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (4.20) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.12)، للتساؤل " هل هناك صعوبة في بناء علاقات اجتماعية؟". وهي تدل على عدم وجود المشاكل الاجتماعية لأثر هجرة الزوج ، حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة نعم (11%) وللإجابة (لا) (14%) وللإجابة (أحيانا) (5%).
2. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (12.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تواجهين مشاكل في علاقتك مع الجيران؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (4%) وللإجابة (لا) (19%) وللإجابة (أحيانا) (7%)، وبالتالي لا يوجد مشاكل مع الجيران بسبب هجرة الزوج.
3. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (1.00) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (1.00)، للتساؤل " هل تواجهين صعوبة في التعامل مع المجتمع المحلي المحيط بك (الجيران/ أهل الزوج/ مكان العمل/ ....)؟". وهي تدل على عدم وجود المشاكل الاجتماعية لأثر هجرة الزوج ، حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة نعم (33.3%) وللإجابة (لا) (33.3%) وللإجابة (أحيانا) (33.3%).
4. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (10.40) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تشاركين بحرية في المناسبات الاجتماعية؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (53.3%) وللإجابة (لا) (6.7%) وللإجابة (أحيانا) (40%)، وبالتالي يوجد للمرأة الحرية في المشاركة في المناسبات الاجتماعية.
5. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (12.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل يتدخل أقارب الزوج في تربية أبنائك؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (23.3%) وللإجابة (لا) (63.3%) وللإجابة (أحيانا) (13.3%)، وبالتالي لا يتدخل أقارب الزوج بالمرأة.
6. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (12.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل يتدخل أقارب الزوج في تربية أبنائك؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (13.3%) وللإجابة (لا)

(63.3%) وللإجابة (أحيانا) (23.3%)، وبالتالي لا يتدخل الأهالي في تربية الأبناء.
7. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (9.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل يعتبر الابن الأكبر نفسه مكان أبيه؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (56.7%) وللإجابة (لا) (33.3%) وللإجابة (أحيانا) (10.0%)، وبالتالي يعتبر الابن الأكبر نفسه مكان الأب.

| التساؤلات | الإجابة | التكرار | النسبة المئوية | قيمة كاي | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|
| هل هناك صعوبة في بناء علاقات اجتماعية؟ | نعم | 11 | %36.7 | 4.20 | 0.12 |
| | لا | 14 | %46.7 | | |
| | أحيانا | 5 | %16.7 | | |
| هل تواجهين مشاكل في علاقتكِ مع الجيران؟ | نعم | 4 | %13.3 | 12.60 | 0.00 |
| | لا | 19 | %63.3 | | |
| | أحيانا | 7 | %23.3 | | |
| هل تواجهين صعوبة في التعامل مع المجتمع المحلي المحيط بكِ (الجيران/ أهل الزوج/ مكان العمل/ ....) | نعم | 10 | %33.3 | 0.00 | 1.00 |
| | لا | 10 | %33.3 | | |
| | أحيانا | 10 | %33.3 | | |
| هل تشاركين بحرية في المناسبات الاجتماعية؟ | نعم | 16 | %53.3 | 10.40 | 0.00 |
| | لا | 2 | %6.7 | | |
| | أحيانا | 12 | %40 | | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| هل يتدخل أقارب الزوج في تربية أبنائكِ؟ | نعم | 7 | %23.3 | 12.60 | 0.00 |
| | لا | 19 | %63.3 | | |
| | أحيانا | 4 | %13.3 | | |
| هل يتدخل أهلكِ في تربية أبنائكِ ؟ | نعم | 4 | %13.3 | 12.6 | 0.00 |
| | لا | 19 | %63.3 | | |
| | أحيانا | 7 | %23.3 | | |
| هل يعتبر الابن الأكبر نفسه مكان أبيه؟ | نعم | 17 | %56.7 | 9.80 | 0.00 |
| | لا | 10 | %33.3 | | |
| | أحيانا | 3 | %10 | | |
| هل تواجهين مشاكل (اجتماعية/ اقتصادية) مع أبنائكِ بعد غياب الزوج؟ | نعم | 26 | %86.7 | 38.4 | 0.00 |
| | لا | 2 | %6.7 | | |
| | أحيانا | 2 | %6.7 | | |
| هل تتحدثين مع أولادكِ (ذكور/ إناث) في أمورهم الخاصة؟ | نعم | 19 | %63.3 | 12.60 | 0.00 |
| | لا | 4 | %13.3 | | |
| | أحيانا | 7 | %23.3 | | |

8. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.4) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تواجهين مشاكل (اجتماعية/ اقتصادية) مع أبنائك بعد غياب الزوج؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (6.7%) وللإجابة (أحيانا) (6.7%)، وبالتالي يوجد مشاكل اجتماعية واقتصادية مع الأبناء بعد غياب الأب.

9. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.4) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تتحدثين مع أولادك (ذكور/ إناث) في أمورهم ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (63.3%) وللإجابة (لا) (13.3%) وللإجابة (أحيانا) (23.3%)، وبالتالي لا يوجد حوار بين المرأة المهجورة والأبناء.وبلغت قيمة Chi- Square الكلية لمجال محور المشاكل الاجتماعية 16.40 وهي قيمة غير دالة إحصائيا حيث بلغت الدلالة الإحصائية (0.12). إذا لا يوجد أثر للمحور الاجتماعي بدرجة كبيرة.جدول رقم(2)

التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لمدى تأثير الهجر على محور المشاكل الاجتماعية
قيمة Chi- Square الكلية = 16.40 الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.12

## 2- اهم المشكلات الاقتصادية:

يظهر من الجدول رقم (3) أن قيمة Chi- Square لمعظم الفقرات دالة إحصائيا، وكانت الفروق لصالح الإجابة نعم حيث كانت أغلب التكرارات للإجابة (نعم) أكبر منها للإجابة (لا) مما يشير إلى موافقة أفراد عينة الدراسة على جميع التساؤلات الواردة سابقا. ما عدا على التساؤلين التاليين : (هل تقبلين أية معونة لك من خارج العائلة)حيث بلغت قيمة Chi-Square (2.60) بدلالة إحصائية (0.27)،وهي غير دالة إحصائيا. وبالتالي لا توجد قبول للمعونات المقدمة لأسرة العينة.
وسؤال(هل يساعدكِ أهل الزوج في مصروف الأبناء) لقد بلغت قيمة Chi- Square 20,60 وهي دالة إحصائياً و بدلالة إحصائية (0,00) ولقد كانت لصالح الإجابة (لا) (70,0%) بينما بلغت النسبة المئوية للإجابة ( نعم ) (26,7) ، إذاً أهل الزوج لا يساعدوا الزوجة في مصروف الأبناء.
بلغت قيمة Chi- Square (20.86) بدلالة إحصائية (0.00) لمجال محور المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها الزوجة وهي قيمة دالة إحصائيا. وبالتالي يكون أثر المشاكل الاقتصادية على المرأة المهجورة كبير جدا.

جدول رقم(3)
التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لمدى تأثير الهجر على محور المشاكل الاقتصادية

| التساؤلات | الإجابة | التكرار | النسبة المئوية | قيمة كاي | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|
| هل هناك ديوان تراكمت عليكم بعد هجر الزوج؟ | نعم | 27 | %90 | 19.20 | 0.00 |
| | لا | 3 | %10 | | |
| | أحيانا | - | - | | |
| هل تعانين من تأمين بعض متطلبات العائلة؟ | نعم | 26 | %86.7 | 38.40 | 0.00 |
| | لا | 2 | %6.7 | | |
| | أحيانا | 2 | %6.7 | | |
| هل يساعدكِ أهل الزوج في مصروف الأبناء ؟ | نعم | 8 | %26,7 | 20,60 | 0,00 |
| | لا | 21 | %70,0 | | |
| | أحيانا | 1 | %3,3 | | |
| هل يساعدك أهلك في مصروف الأبناء؟ | نعم | 2 | %36.7 | 19.40 | 0.00 |
| | لا | 21 | %70 | | |
| | أحيانا | 7 | %6.7 | | |
| هل تقبلين أية معونة لكِ من خارج العائلة ؟ | نعم | 6 | %20 | 2.60 | 0.27 |
| | لا | 11 | %36.7 | | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | أحيانا | 13 | %43.3 | | |
| إذا كنت غير عاملة: هل لديك اتجاه نحو العمل مهما كان نوعه؟ | نعم | 22 | %73.3 | 21.80 | 0.00 |
| | لا | 3 | %10 | | |
| | أحيانا | 5 | %16.7 | | |
| هل اختلف مستوى المعيشة بعد غياب الزوج عنكم؟ | نعم | 17 | %56.7 | 13.40 | 0.00 |
| | لا | 12 | %40 | | |
| | أحيانا | 1 | %3.3 | | |

قيمة Chi- Square الكلية = 20.86 الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.00

**3- أهم المشكلات النفسية:**

يظهر من الجدول رقم (4) أن قيمة Chi- Square لمعظم الفقرات دالة إحصائيا، وكانت الفروق لصالح الإجابة نعم حيث كانت أغلب التكرارات للإجابة (نعم) أكبر منها للإجابة (لا) مما يشير إلى موافقة أفراد عينة الدراسة على جميع التساؤلات الواردة سابقا. حيث يكون محور المشاكل النفسية هو الأكبر في التأثير على الزوجة.

بلغت قيمة Chi- Square (12.40) بدلالة إحصائية (0.03) لمجال محور المشاكل النفسية التي تعاني منها الزوجة وهي قيمة دالة إحصائيا. وبالتالي يكون اثر المشاكل النفسية على المرأة المهجورة كبير جدا.

جدول رقم(4)
التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لإجاباتهم عن مدى تأثير الهجر على محور المشاكل النفسية

| التساؤلات | الإجابة | التكرار | النسبة المئوية | قيمة كاي | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|
| هل تشعرين بالوحدة والعزلة؟ | نعم | 23 | %76.7 | 25.40 | 0.00 |
| | لا | 4 | %13.3 | | |
| | أحيانا | 3 | %10 | | |
| هل قل اهتمامك بنفسكِ وجمالكِ بعد غياب زوجكِ؟ | نعم | 17 | %56.7 | 9.80 | 0.00 |
| | لا | 10 | %33.3 | | |
| | أحيانا | 3 | %10 | | |
| هل تشعرين بالخوف والرهبة بتحملكِ المسؤولية بعد غياب الزوج؟ | نعم | %27 | %90 | 43.40 | 0.00 |
| | لا | 1 | %3.3 | | |
| | أحيانا | 2 | %6.7 | | |
| هل ما زالت علاقتك بالناس من حولكِ قوية؟ | نعم | 22 | %73.3 | 21.60 | 0.00 |
| | لا | 4 | %13.3 | | |
| | أحيانا | 4 | %13.3 | | |
| هل ما زالت علاقتك بأهل زوجكِ قوية؟ | نعم | 7 | %23.3 | 12.60 | 0.00 |
| | لا | 19 | %63.3 | | |
| | أحيانا | 4 | %13.3 | | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| هل تؤثر نظرة الناس أو المجتمع لوضعكِ على ثقتكِ بنفسكِ أو على أبنائكِ ؟ | نعم | 15 | %50 | 6.20 | 0.04 |
| | لا | 4 | %13.3 | | |
| | أحيانا | 11 | %63.3 | | |

قيمة Chi- Square الكلية = 12.40 الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.03

**المحور الثالث: أهم الأسباب التي أدت إلى هجر الزوج زوجته وغيابه عن الأسرة**

يظهر من الجدول رقم (5) ما يلي:

1. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (10.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " عدم وجود سكن مستقل عن أهل الزوج ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (20%) وللإجابة (لا) (80%)، وبالتالي وجود سكن مستقل عن أهل الزوج ليس سبب للهجرة.
2. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (0.53) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.46)، للتساؤل " عدم معرفة كل من الطرفين (الزوج/ الزوجة) بحقوق الآخرين؟". وهي تدل على عدم وجود سبب للهجر بسبب عدم معرفة كل من الطرفين لحقوق الآخر، حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة نعم (43.3%) وللإجابة (لا) (56.7%).
3. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (8.53) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " فقدان الحب والعاطفة والراحة النفسية في الحياة الزوجية ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (76.7%)

وللإجابة (لا) (23.3%)، وبالتالي فقدان الحب والعاطفة لدى الزوجان له أثر كبير في الهجرة.

4. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (19.20) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " عملك خارج المنزل وإهمالك لزوجك وأبنائك ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (10%) وللإجابة (لا) (90%)، وبالتالي عمل المرأة خارج المنزل لا يكون سبب للهجرة.
5. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (16.13) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " فقر الزوج وعدم قدرته على تلبية حاجيات الأسرة ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (13.3%)، وبالتالي فقر الزوج له دور كبير لهجرة الزوج زوجته.
6. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (8.53) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " تدخل الأهل (أهل الزوج/ الزوجة) في تربية الأبناء ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (23.3%) وللإجابة (لا) (76.7%)، وبالتالي تدخل الأهل في تربية الأبناء ليس سبب للهجرة.
7. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (26.7) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " كثرة الغيرة والشك في زوجك؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (26.7%) وللإجابة (لا) (73.3%)، وبالتالي الغيرة والشك في الزوج ليست سبب للهجرة.

بلغت قيمة Chi- Square (24.40) بدلالة إحصائية (0.00) لمجال أسباب هجر الزوج أو غيابه وهي قيمة دالة إحصائيا. وبالتالي يكون معظم الأسباب الواردة في الدراسة سببا للهجرة.

جدول رقم(5) التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لإجاباتهم عن أسباب هجر الزوج أو غيابه
قيمة Chi- Square الكلية = 24.40 الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.00

| التساؤلات | الإجابة | التكرار | النسبة المئوية | قيمة كاي | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|
| عدم وجود سكن مستقل عن أهل الزوج؟ | نعم | 6 | %20 | 10.80 | 0.00 |
| | لا | 24 | %80 | | |
| عدم معرفة كل من الطرفين (الزوج/ الزوجة) بحقوق الآخرين؟ | نعم | 13 | %43.3 | 0.53 | 0.46 |
| | لا | 17 | %56.7 | | |
| فقدان الحب والعاطفة والراحة النفسية في الحياة الزوجية؟ | نعم | 23 | %76.7 | 8.53 | 0.00 |
| | لا | 7 | %23.3 | | |
| عملكِ خارج المنزل وإهمالكِ لزوجكِ وأبنائكِ ؟ | نعم | 3 | %10 | 19.20 | 0.00 |
| | لا | 27 | %90 | | |
| فقر الزوج وعدم قدرته على تلبية حاجيات الأسرة؟ | نعم | 26 | %86.7 | 16.13 | 0.00 |
| | لا | 4 | %13.3 | | |
| تدخل الأهل (أهل الزوج/ الزوجة) في تربية الأبناء؟ | نعم | 7 | %23.3 | 8.53 | 0.00 |
| | لا | 23 | %76.7 | | |
| كثرة الغيرة والشك في زوجكِ ؟ | نعم | 8 | %26.7 | 6.53 | 0.01 |
| | لا | 22 | %73.3 | | |

**المحور الرابع: العلاقة بين بعض المتغيرات و الهجر**

**1- هل هناك علاقة بين عمر الزوجة وهجر الزوج لها؟**

يظهر من الجدول رقم (6) أن أعلى تكرار بلغ للعمر (40-49) (12) وكانت أسباب الهجر كثيرة، ثم بلغ التكرار للعمر (50 سنة فأكثر) (5) لأسباب كثيرة، وكانت معظم العينة لأسباب كثيرة. وبالتالي يوجد علاقة بين عمر الزوجة وهجر الزوج لها.

جدول رقم(6)

التكرارات لإجاباتهم عن أسباب هجر الزوج أو غيابه تبعا لمتغير العمر

| | أسباب هجر الزوج أو غيابه | | | |
|---|---|---|---|---|
| العمر | أسباب قليلة | أسباب متوسطة | أسباب كثيرة | المجموع |
| 18-29 سنة | 1 | 1 | 3 | 5 |
| 30-39 سنة | 1 | 3 | 3 | 7 |
| 40-49 سنة | 1 | 0 | 12 | 13 |
| 50 سنة فأكثر | 0 | 0 | 5 | 5 |
| المجموع | 3 | 4 | 23 | 30 |

2- **- هل هناك علاقة بين المستوى التعليمي للزوجة وهجر الزوج لها؟**

ويظهر من الجدول رقم (7) أن أعلى تكرار بلغ للمستوى التعليمي (الأساسي) (7) وكانت أسباب الهجر كثيرة، ثم بلغ التكرار للمستوى التعليمي (الإعدادي) (5) لأسباب كثيرة، وكانت معظم العينة لأسباب كثيرة وللمستوى التعليمي المتدني. وبالتالي يوجد علاقة بين المستوى التعليمي الزوجة وهجر الزوج لها.

جدول رقم(7)
التكرارات لإجاباتهم عن أسباب هجر الزوج أو غيابه تبعا لمتغير المستوى التعليمي

| | أسباب هجر الزوج أو غيابه | | | |
|---|---|---|---|---|
| المستوى التعليمي | أسباب قليلة | أسباب متوسطة | أسباب كثيرة | المجموع |
| أمي | 1 | 1 | 4 | 6 |
| أساسي | 1 | 0 | 7 | 8 |
| إعدادي | 0 | 0 | 5 | 5 |
| ثانوي | 0 | 1 | 4 | 5 |
| دبلوم | 0 | 1 | 2 | 3 |
| جامعي | 1 | 1 | 1 | 3 |
| المجموع | 3 | 4 | 23 | 30 |

**المحور الخامس- أهم آثار الهجرة على الأبناء.**

يظهر من الجدول رقم (8) ما يلي:

1. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " إخفاء أولادي أن والدهم هجرهم ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (10%) وللإجابة (أحيانا) (3.3%)، وبالتالي الأبناء يظهرون أن الأب هجرهم.
2. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " أولادي غير راضين عن الوضع الحالي ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (10%) وللإجابة (أحيانا) (3.3%)، وبالتالي الأبناء غير راضون عن الوضع الحالي.

3. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (33.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " شعورهم بالنقص عند الاختلاط مع الأطفال الآخرين ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (53.3%) وللإجابة (لا) (23.3%) وللإجابة (أحيانا) (23.3%)، وبالتالي الأبناء يشعرون بالنقص عند الاختلاط مع الأطفال الآخرين.

4. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (5.40) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.06)، للتساؤل " معاناة الأولاد من بعض الأمراض: (القلق، الاكتئاب، عدم الاستقرار)؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (13.3%) وللإجابة (لا) (50%) وللإجابة (أحيانا) (36.7%)، وبالتالي لا يعتبر مرض الأولاد سببا للهجرة.

5. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (13.3) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.04)، للتساؤل " كثرة خلافاتهم مع أبناء الجيران والآخرين ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (13.3%) وللإجابة (لا) (50%) وللإجابة (أحيانا) (36.7%)، وبالتالي الأبناء لا توجد خلافات بكثرة مع الجيران.

6. قيمة **Chi-Square** بلغت (2.60) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.27)، للتساؤل " قضاء الأولاد (ذكور/ إناث) فترات طويلة؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (23.3%) وللإجابة (لا) (46.7%) وللإجابة (أحيانا) (30%)، وبالتالي لا يعتبر قضاء الأولاد فترات طويلة سببا للهجرة.

7. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (7.20) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.02)، للتساؤل " انخفاض مستوى التحصيل الدراسي للأبناء ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (53.3%) وللإجابة (لا) (33.3%) وللإجابة (أحيانا) (13.3%)، وبالتالي يوجد انخفاض في نسبة المستوى لتحصيلي للأبناء.

8. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (14.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " لجوء الأولاد لعادات سيئة مثل: التدخين وغيرها؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (60%) وللإجابة (لا) (36%) وللإجابة (أحيانا) (3.3%)، وبالتالي أن معظم الأولاد يلجئون إلى عادات سيئة مثل التدخين.

9. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (16.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " عدم إقبال الشباب على الزواج من بناتي ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (36.7%) وللإجابة (لا)

(66.7%) وللإجابة (أحيانا) (6.7%)، وبالتالي لا يقبل الشباب على الزوج من بنات المرأة المهجورة.

بلغت قيمة Chi- Square (9.60) بدلالة إحصائية (0.47) لمجال الآثار المترتبة على الأبناء وهي قيمة غير دالة إحصائيا. وبالتالي يكون معظم الآثار الهجرة تؤثر على الأبناء.

جدول رقم(8)

التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لإجاباتهم حول الآثار المترتبة على الابناء من الهجر

| التساؤلات | الإجابة | التكرار | النسبة المئوية | قيمة كاي | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|
| إخفاء أولادي أن والدهم هجرهم؟ | نعم | 26 | %86.7 | 38.60 | 0.00 |
| | لا | 3 | %10 | | |
| | أحيانا | 1 | %3.3 | | |
| أولادي غير راضين عن الوضع الحالي؟ | نعم | 26 | %86.7 | 38.60 | 0.00 |
| | لا | 3 | %10 | | |
| | أحيانا | 1 | %3.3 | | |
| شعورهم بالنقص عند الاختلاط مع الأطفال الآخرين؟ | نعم | 25 | %53.3 | 33.80 | 0.00 |
| | لا | 2 | %23.3 | | |
| | أحيانا | 3 | %23.3 | | |
| معاناة الأولاد من بعض الأمراض: (القلق، الاكتئاب، عدم الاستقرار)؟ | نعم | 4 | %13.3 | 5.40 | 0.06 |
| | لا | 15 | %50 | | |
| | أحيانا | 11 | %36.7 | | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| كثرة خلافاتهم مع أبناء الجيران والآخرين؟ | نعم | 4 | %13.3 | 6.20 | 0.04 |
| | لا | 15 | %50 | | |
| | أحيانا | 11 | %36.7 | | |
| قضاء الأولاد (ذكور/ إناث) فترات طويلة خارج المنزل؟ | نعم | 7 | %23.3 | 2.60 | 0.27 |
| | لا | 14 | %46.7 | | |
| | أحيانا | 9 | %30 | | |
| انخفاض مستوى التحصيل الدراسي للأبناء؟ | نعم | 16 | %53.3 | 7.20 | 0.02 |
| | لا | 10 | %33.3 | | |
| | أحيانا | 4 | %13.3 | | |
| لجوء الأولاد لعادات سيئة مثل: التدخين والغياب عن البيت؟ | نعم | 18 | %60 | 14.60 | 0.00 |
| | لا | 11 | %36.7 | | |
| | أحيانا | 1 | %3.3 | | |
| عدم إقبال الشباب على الزواج من بناتي؟ | نعم | 8 | %36.7 | 16.80 | 0.00 |
| | لا | 20 | %66.7 | | |
| | أحيانا | 2 | %6.7 | | |

قيمة Chi- Square الكلية = 9.60

الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.47

**المحور السادس :العلاقة بين عدد أفراد الأسرة والمشاكل التي تعاني منها الزوجة.**

**1- المشكلات الاجتماعية:**

يظهر من الجدول رقم (9) التكرارات لمحور المشاكل الاجتماعية حيث بلغ أعلى تكرار بلغ لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (10) وكانت للآثار المتوسطة الاجتماعية الناتجة من الهجرة، ثم بلغ التكرار لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) و (من 5-8 أفراد) (5) للآثار الاجتماعية الكثيرة الناتجة من الهجرة، وكانت معظم أفراد العينة لأعداد أفراد الأسرة القليلة والآثار الاجتماعية المتوسطة. وبالتالي يوجد علاقة مقبولة بين عدد أفراد الأسرة والآثار الاجتماعية المؤثرة على الزوجة المهجورة.

جدول رقم(9)

التكرارات لإجاباتهم عن أثر محور المشاكل الاجتماعية تبعا لمتغير عدد الأفراد

| | محور المشاكل الاجتماعية | | | |
|---|---|---|---|---|
| **عدد أفراد الأسرة** | **آثار قليلة** | **آثار متوسطة** | **آثار كثيرة** | **المجموع** |
| أقل من 5 أفراد | 2 | 10 | 5 | 17 |
| من 5-8 أفراد | 1 | 4 | 5 | 10 |
| أكثر من 8 أفراد | 1 | 2 | 0 | 3 |
| المجموع | 4 | 16 | 10 | 30 |

**2- المشكلات الاقتصادية:**

يظهر من الجدول رقم (10) التكرارات لمحور المشاكل الاقتصادية حيث بلغ أعلى تكرار بلغ لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (14) وكانت للآثار القليلة الاقتصادية الناتجة من الهجرة، ثم بلغ التكرار لعدد أفراد الأسرة (من

8-5 أفراد) (4) للآثار الاقتصادية الكثيرة الناتجة من الهجرة، وكانت معظم أفراد العينة لأعداد أفراد الأسرة القليلة والآثار الاقتصادية القليلة. وبالتالي يوجد علاقة ضعيفة بين عدد أفراد الأسرة والآثار الاقتصادية المؤثرة على الزوجة المهجورة.

جدول رقم(10)

التكرارات لإجاباتهم عن أثر محور المشاكل الاقتصادية تبعا لمتغير عدد الأفراد

| | **محور المشاكل الاقتصادية** | | | |
|---|---|---|---|---|
| **عدد أفراد الأسرة** | **آثار قليلة** | **آثار متوسطة** | **آثار كثيرة** | **المجموع** |
| أقل من 5 أفراد | 14 | 2 | 1 | 17 |
| من 5-8 أفراد | 3 | 4 | 3 | 10 |
| أكثر من 8 أفراد | 2 | 1 | 0 | 3 |
| المجموع | 19 | 7 | 4 | 30 |

**3 - المشكلات النفسية:**

يظهر من الجدول رقم (11) التكرارات لمحور المشاكل النفسية حيث بلغ أعلى تكرار بلغ لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (9) وكانت للآثار القليلة النفسية الناتجة من الهجرة، ثم بلغ التكرار لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (8) وكانت للآثار المتوسطة النفسية الناتجة من الهجرة، وكانت معظم أفراد العينة لأعداد أفراد الأسرة القليلة والآثار الاقتصادية القليلة والمتوسطة. وبالتالي يوجد علاقة مقبولة بين عدد أفراد الأسرة والآثار النفسية المؤثرة على الزوجة المهجورة

جدول رقم(11)
التكرارات لإجاباتهم عن أثر محور المشاكل النفسية تبعا لمتغير عدد الأفراد

| | **محور المشاكل النفسية** | | | |
|---|---|---|---|---|
| **عدد أفراد الأسرة** | **آثار قليلة** | **آثار متوسطة** | **آثار كثيرة** | **المجموع** |
| أقل من 5 أفراد | 9 | 8 | 0 | 17 |
| من 5-8 أفراد | 7 | 2 | 1 | 10 |
| أكثر من 8 أفراد | 2 | 1 | 0 | 3 |
| المجموع | 18 | 11 | 1 | 30 |

.

- **النتائج:**

مما سبق يتضح لنا:
- وجود مشاكل اجتماعية واقتصادية ونفسية تعاني منها المرأة المهجورة ،فقد أوضح التحليل الإحصائي أن هناك علاقة بين عمر الزوجة وهجر الزوجة لها وبين المستوى التعليمي للزوجة وهجر الزوج لها.
- أن أثر المشاكل الاقتصادية والنفسية على المرأة المهجورة وأبناءها أثر كبير جداً ، بعكس المشاكل أو المحور الاجتماعي الذي له أثر قليل في حياة المرأة المهجورة.
- أن فقدان الحب والعاطفة لدى الزوجان، وفقر الزوج هما أكثر الأسباب التي دعتّ الزوج لهجر زوجته وعائلته.
ولقد واجهتنا بعض الصعوبات في هذه الدراسة تمثلت في صعوبة الوصول إلى عينة الدراسة لعدم تعون المسئولين معنا وعدم إعطائنا المعلومات التي نحن بحاجةٍ لها،

علماً بأن هذه الدراسة على درجة عالية من الأهمية حيث أنها تدرس واقع المرأة المهجورة في المجتمع الأردني وهذه الدراسة لا يمكن تعميمها إلا على مجتمع الدراسة والمجتمعات المتشابهة.

- **التوصيات :**

1. توصي الدراسة بتوعية المجتمعات العربية الإسلامية بشكل عام والمجتمع الأردني بشكل خاص بمفهوم المرأة المهجورة وحقوقها الواجبة على مجتمعها .
2. العناية التامة بقضايا المرأة بشكل عام والمرأة المهجورة بشكل خاص فيما يتعلق بشؤون حياتها وعلاقتها بمجتمعها .
3. يجب شمل المرأة المهجورة كفئة تستحق المساعدة من صندوق المعونة الوطنية كغيرها من الفئات ( الأرامل، زوجة السجين ، المرأة التي لا معيل لها).
4. تكرار المحاولات البحثية عن المرأة المهجورة في مناطق جغرافية أخرى لاستقصاء اثأر الهجر على المرأة و الأسرة.

- **قائمة المراجع :**


- الحرستاني، وآخرون، عالم المرأة وهموم المرأة المعاصرة، دار عمار، الطبعة الأولى، ، عمان- الأردن، 1987،ص36.
- حسين فرحان رمزون،"التغيرات الاجتماعية والأسرية الناجمة عن هجرة العمال الأردنيين إلى دول الخليج العربي "، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الزيتونة، الأردن،1997م،ص67
- الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع العائلي، دار القومية للطباعة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1966م،ص96.
- رشوان، حسين عبد الحميد،مشاكل وقضايا معاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997م، ص105.
- الساعاتي، سامية حسن،علم اجتماع المرأة، مكتبة الأسرة، مصر، 2003م، ص53.
- عليوي،سوسن محمد ،"أثر هجرة الزوج على الأسرة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن،2001م،ص142.
- شكري ، علياء، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف ، الطبعة الثانية، القاهرة،1981م،ص87،37.
- شلبي، محمد، أحكام الأسرة في الإسلام، مكتبة كريديه إخوان، بيروت-لبنان، 1970م.
- طه، أحمد حسن، مدى حرية الزوجين، دار الحكمة ،الطبعة الأولى، لندن،2002م.

- عبد المقصود، أشرف، فتاوى الزواج وعشرة النساء، دار ابن حزم للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، ، بيروت- لبنان، 2003م،ص84.
- عبيدات، محمود سالم، التفريق بين الزوجين، المطابع العسكرية، عمان- الأردن،1997م،ص22.
- العك، خالد عبد الرحمن، واجبات المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة، دار المعرفة، الطبعة الخامسة، ، بيروت- لبنان، 2005م،ص11-12.
- علي، رمضان، التفريق بين الزوجين جراء الغيبة، دار علاء الدين، مشق،2006م،ص145،142.
.

- علي الزغل،" الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي منفرداً عن عائلته"،مجلة دراسات، المجلد السابع عشر(أ)،العدد الثالث،ص 137 – 138، الجامعة الأردنية، الأردن،1990م.
- علي الزغل،" أثر هجرة الزوج للعمل خارج الأردن على بنية السلطة في الأسرة الريفية الأردنية"، مجلة أبحاث اليرموك: سلسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص33، جامعة اليرموك، الأردن، 1989م.
- علي الزغل،" هجرة الأردنيين الحاليين للعمل في الخارج"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة،الأردن، 1988م.
- علي محمود زقيلي،" التفريق بين الزوجين بغيبة الزوج"،مجلة دراسات،علوم الشريعة والقانون، المجلد 30، العدد1،ص 110،الجامعة الأردنية،الأردن، 2003م.
- غيث وآخرون، المشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004م.
- فهمي، سامية محمد، المشكلات الاجتماعية(منظور الممارسة في الرعاية والخدمة الاجتماعية)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004م.
- كمال، طارق، الأسرة ومشاكل الحياة العائلية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2005م،ص36.
- محمد، محمد عبد السلام، العلاقات الأسرية في الإسلام، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى،القاهرة ، 1981م.
- الربيع ،محمود جميل طايل ،" هجر الزوجة بين الفقه والقانون"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك،الأردن،2005م،ص1
- مكي، محمد عبد الحميد، جريمة هجر العائلة:دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة،2000م،ص25.
- منصور، حسن، المحيط في شرح مسائل الأحوال الشخصية، دار الجامعة الجديدة للنشر،1997م،ص276
- منيع، هيا، المهجورات، صحيفة الرياض/ زاوية أفق شمس، -www.googel.com، ساعة الدخول: 1,05ظهراً، تاريخ :2008/10/24م

# الاقتصاد و إدارة الأعمال

**الفرص والتهديدات التى تواجه الشركات العربية فى السوق الدولية وعلاقتها بالأداء التصديري: تأطير فلسفى معرفى**

**أثر السلوك التنظيمي على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في السودان**

# الفرص والتهديدات التى تواجه الشركات العربية فى السوق الدولية وعلاقتها بالأداء التصديرى: تأطير فلسفى معرفى

**Opportunities and threats facing the Arab companies in international markets and its relationship to export performance: philosophical knowledge framework**

**أستاذ إدارة الأعمال نزار عبد المجيد رشيد البرواري**
**جامعة دلمون للعلوم والتكنولوجيا- مملكة البحرين**
**أبريل 2012**

## مستخلص

يُعد التصدير من الدعائم الأساسية للتنمية الشاملة في الدول على اختلاف درجة تطورها العلمي والتكنولوجي، لاسيما التصدير المعتمد على إستراتيجية واضحة وقابلة للقياس والتقييم من جهة وعلى تنوع الصادرات وعدم الاعتماد الكلي على الهبات الطبيعية كالثروة النفطية. وتبرز أهمية التصدير كسلاح تنافسي استراتيجي بشكل خاص في اقتصاديات الدول النامية ومنها الدول العربية والاقتصاديات الناشئة التي تتطلع جميعا لتحقيق وفورات في العملة الصعبة وتحقيق مدخولات تسهم في مجمل أنشطتها التنموية.
يهدف هذا البحث لعرض وتحليل الفرص والتهديدات التي تواجه الشركات العربية في مجال التصدير على المستوى الدولي وعلاقة ذلك بالأداء التصديري ببعديه الاقتصادي والاستراتيجي .
باستخدام المدخل الفلسفي والمعرفي.
تضمن البحث أربع محاور شملت عرضا للتصدير كمفهوم وأهمية، وتوضيح للفرص والتهديدات ومتغيرات مزيج تسويق التصدير ودعاماتها التكنولوجية والمعرفية، إضافة لعرض مؤشرات الأداء التصديري ببعديه الاقتصادي والاستراتيجي. أُختتم البحث بمحور خامس للاستنتاجات والتوصيات.

## Abstract

The export viewed as one of main strategic weapons for all nations and countries, particularly in the economies of developing countries including Arab nations.

This research aims to present and analyze the opportunities and threats facing the Arab companies in the area of export at the international level and its relation to export performance in both philosophical and knowledge dimensions.

The research presents through five perspectives the methodology of the research and the concept&impotance of export and its mix, then clarify the expected opportunities and threats may faces the Arab export companies, a summery and a set of recommendations presented at the end of research.

**مقدمة:**

ازدهرت التجارة الدولية والعالمية خلال العقود الأربعة الأخيرة بشكل مذهل بشكل يتناغم مع فلسفة أسواق بلا حدود التي أفرزتها العولمة والاتفاقيات الدولية ودور المنظمات العالمية . فمنذ عام 1969 تنامي عدد الشركات متعددة الجنسيات ( MNC) Multi –National companies من 7000 إلى أكثر من 63000 وبعضها يمثل عملاق اقتصادي، وتشير الإحصاءات انه توجد 47 دولة فقط ضمن اكبر " 100" اقتصاد في العالم، وتشكل البقية البالغة 53 مرتبة الشركات متعددة الجنسيات . فمثلاً تحقق Exxon Mobil اكسون موبيل عائدات سنوية أكبر من إجمالي الناتج المحلي لكل دول العالم باستثناء 20 دولة . (كوتلر، ارمسترونج،2007، 1074).

كما ناظر استيرادا السلع والخدمات 24% من إجمالي الناتج المحلي GDP على مستوى العالم في 2006 وهو ضعف المستوى الذي كان موجوداً من 40 سنة. وناظرت التجارة العالمية 29% من إجمالي الناتج المحلي للعالم وبزيادة 10% عن سنة 1990.(WTO.2002. 1 ).

ماتقدم يدلل أن المنافسة العالمية الآن مكثفة. حيث تتوسع الشركات الأجنبية بهجومية في أسواق دولية جديدة، ولم تعد الأسواق المحلية غنية بالفرص كما كانت عليه من قبل. وتكون قلة من الصناعات آمنة من المنافسة الأجنبية، والشركات التي تظل محلية استهدافاً للأمان لن تفقد فرصها في دخول أسواق أخرى فقط ، وإنما تخاطر في فقدان أسواقها المحلية أيضاً، فالشركات المحلية التي لم تفكر في المنافسين الأجانب وجدت هؤلاء المنافسين في أسواقها فجأة.

**مشكلة البحث:**

تُعد الشركات في الدول المتقدمة ذات إمكانات مالية وتقنية ومعرفية متطورة وخاصة الشركات الرائدة على المستوى الدولي . غير أن المشكلة تبرز في شركات الدول النامية عموماً ومنها الدول العربية على وجه الخصوص، كونها لاتمتلك المقومات والخبرة التي تتمتع بها مثيلاتها في الدول المتقدمة من جهة وان اسهامها في التجارة الخارجية الدولية محدود(اذا استثنينا تصدير النفط والمنتجات النفطية) . وهذه المحدودية تحرم الدول النامية وخاصة العربية من الحصول على العوائد بالعملة الأجنبية لتمويل استيرادها ودعم خطط النهوض التنموي فيها.

لذا بات من الضروري النظر للنشاط التصديري في ضوء فهم ادق وأعمق لتحليل القوى والمحركات الأساسية لمستقبل الأعمال في العالم وانعكاساته على السوق ومحركاته الرئيسية.
وتأسيساً على ذلك فأن المشكلة تتبلور في الآتي:
1.ضبابية الرؤية المستقبلية لنشاط التصدير ودور هذا النشاط في التنمية المستدامة والقدرة التنافسية للدول العربية.
2.القصور في تشخيص وتحليل جذور القوى الفاعلة في النجاح التنافسي لمشاريع ومنتجات التصدير.
3.اقتصار مؤشرات الأداء التصديري على المؤشرات المالية.

**أهمية البحث:**

1. اغتنام شركات الدول العربية لفرص التنافس التي أتاحها تحرر التجارة العالمية وإفرازات العولمة والتنافسية بشكل أكثر فاعلية ودور تسويق التصدير Exporting Marketing في ذلك.
2. كيفية قيام الشركات العربية بذلك، من خلال تحديد إستراتيجية الدخول الأنسب للدول العربية في الأسواق الدولية ويفترض البحث " إستراتيجية التصدير" ، إضافة لتحديد القوى الرئيسية ومتغيراتها المساهمة في هذه الإستراتيجية.
3. بيان فهم دور مزيج تسويق التصدير وتناغمه مع البيئة الدولية للتصدير.
4. يسعى البحث على الصعيدين الفلسفي والمعرفي لتقديم تصورات للقوى المحتملة كمسببات للقصور في نشاط التصدير للشركات العربية.

**أهداف البحث:**

1. مناقشة تحليلية للفرص والتهديدات التي تواجه الشركات العربية في مجال التصدير.
2. تحديد مؤشرات الأداء التصديري كدالة للنجاح التنافسي للصادرات.
3. تقديم توصيات كدليل مرشد يمكن أن تستفاد منه الشركات العربية المهتمة بالتصدير.

**منهج البحث:**

تم اعتماد منهج تحليل المحتوى Content Analysis للنتاج الفكري ضمن محاور البحث، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي الذي ينطلق من الجزئيات المتمثلة بتفاصيل وعناصر محاور البحث بإطارها النظري للوصول إلى الكليات التي تمثلها خلاصة ومقترحات البحث، مع الأخذ بالأسلوب التحليلي للأفكار التي تناولتها المصادر المعتمدة في البحث .

**تساؤلات البحث:**

1. ماهي التهديدات ونقاط الضعف التي تواجه المنظومة العربية في مجال التصدير؟
2. ماهي الفرص ونقاط القوة التي يمكن استثمارها لتحسين الأداء التصديري؟
3. أي المنتجات تمثل أسبقية تنافسية بمنظور مستقبلي للمنظومة العربية؟
4. كيف تسهم استراتيجيات سوق التصدير ( توظيف تسويق التصدير من خلال تكييف عناصر المزيج التسويقي 4 Ps بما ينسجم وتطلعات ورغبات سوق التصدير)؟
5. ماهي مؤشرات الأداء التصديري الاقتصادية والإستراتيجية؟

**أنموذج البحث الافتراضي:**

انسجاما مع موضوع البحث ومشكلته وتساؤلاته ، افترضنا مجموعة الفرص والتهديدات المبينة في الشكل (1) حيث يمثل العمود الأول مجموعة التهديدات ( تمثل بذات الوقت نقاط ضعف يمكن تجنبها او معالجتها) والفرص(تشكل نقاط قوة يمكن استثمارها) ، والعمود الثاني يمثل متغيرات وسيطة لو تم توظيفها بشكل صحيح فأنها توفر أرضية عملية وعلمية لتحقيق متغيرات العمود الثالث المتمثلة بمؤشرات الأداء التصديري الاقتصادية والإستراتيجية.

**العمود الأول**

**التهديدات ونقاط الضعف**

1. عائدية نشاط التصدير تاريخياً
2. ضعف الإنتاج المعرفي
3. السلوك الإداري في الشركات العربية سلوك مستجيب علاجي
4. فلسفة فهم وتفسير المنتجات المرشحة للتصدير
5. الاغتراب التصديري
6. ضعف الشراكة بين القطاعين العام والخاص لبناء طاقة تصديرية
7. ضعف القدرة التنافسية للدول العربية على المستوى الدولي
8. درجة الانكشاف الاقتصادي

**القرص ونقاط القوة**

1. الإمكانات المالية والمادية والبشرية
2. الدعم الحكومي
3. الطلب المتنامي للمنتجات المعرفية في السوق الدولية و استثمار مخرجات أفضل الممارسات العالمية.
4. إمكانية الحصول على شهادات المواصفات الدولية مثل ISO
5. اعتبار التصدير إسهام حضاري وإنساني
6. تفعيل علاقات التحالف والشراكة وأساليب تفكير رائدة .

**العمود الثاني**

**مزيج تسويق التصدير وتوظيف المعرفة والتكنولوجيا لإسناده**

1. تحديد السوق الدولي المستهدف
2. تصميم مزيج تسويق التصدير( تكييف المنتج ، تنافسية السعر، سلسلة إدارة العرض ، تنافسية المزيج الترويجي)
3. توظيف التسويق المبني على المعرفة
4. توظيف تكنولوجيا المعلومات لخدمة سوق التصدير (الذكاء التنافسي)

**العمود الثالث**

**مؤشرات الاداء التصديري**

**1- مؤشرات اقتصادية**
- قيمة السلع المصدرة من أجمالي الناتج الوطني
- إجمالي المنتجات المعرفية من إجمالي الصادرات
- تطور موازنة البحث والتطوير المخصصة لمنتجات التصدير
- أنشطة الشركة

**2- مؤشرات إستراتيجية**
- التغير الإيجابي في معدلات الاحتفاظ بالزبائن في أسواق التصدير
- النمو الاستراتيجي في الأسواق الأجنبية
- التعبير عن هوية وحضارة البلد المصدر وتعزيز المكانة الدولية

الشكل (1) أنموذج البحث الافتراضي

**المحور الأول:التصدير: أطار نظري عام**

**أهمية ومداخل تفسير التصدير**

يمثل نشاط التصدير مجالا حيويا ضمن أنشطة العديد من منظمات الأعمال في توجهها نحو الأسواق الدولية ( التدويل) Internationalization، أو كونه مرحلة من مراحل تطور التسويق العالمي Evolution of global marketing.

ولبيان أهمية التصدير على الصعيد الدولي يشير (أيتزل،وآخرون،2006، 54-55) ، أن الولايات المتحدة تصدر مايزيد عن 10% مما تقوم بإنتاجه سنويا، في حين تصدر كل من فرنسا وألمانيا مايعادل 25% مما تنتجه سنوياً. وبالمقابل تصدر البرازيل مايزيد على 50 بليون دولار سنويا، في حين تصدر الهند مايزيد عن 30 بليون دولار سنويا ، ويشير الجدول (1) إلى الصادرات كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي لمجموعة من الدول الصناعية وفقا لإحصاءات عام 1999.

الجدول (1) أهمية صادرات مجموعة من الدول الصناعية كنسبة من إجمالي الناتج المحلي

| الدولـــــــة | الصادرات كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي % |
|---|---|
| الولايات المتحدة | 11 |
| المملكة المتحدة | 28 |
| فرنسا | 27 |
| ألمانيا | 25 |
| اليابان | 11 |
| كندا | 41 |
| المكسيك | 30 |
| كوريا الجنوبية | 38 |

وقد تباينت المداخل في تفسير النشاط التصديري في بيئة الأعمال الدولية. فالبعض يراها أنها مراحل متصلة من تعلم **learning** الشركة في الأسواق الخارجية، حيث أشارت دراسة (Cavusgil, 1984, 195-208 ) إلى **الصفة التعاقبية** في تطور نشاط التصدير في الشركة إلى ثلاث مراحل هي:
**المرحلة الأولى**: تمارس الشركة فيها نشاط تجاري دولي تجريبياً Experimental involvement
**المرحلة الثانية** تفعل الشركة الاهتمام بالتصدير Active involvement وبشكل نظامي.
**المرحلة الثالثة**: تلتزم الشركة بنشاط التصديرCommitted involvement

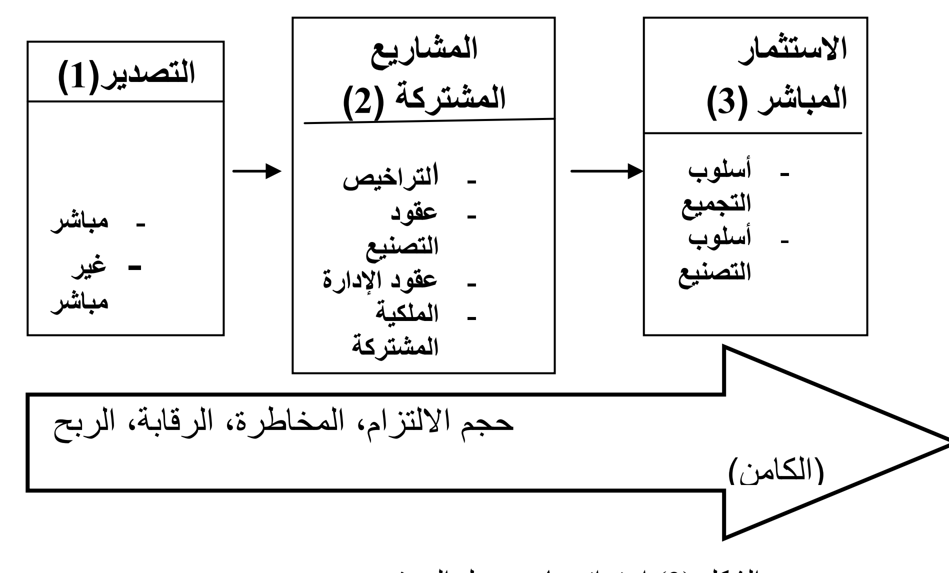
وهناك مدخل يرى ان الشركات تنتقل في عملية تدويل أنشطتها بطريقة **الامتلاك التدريجي للمعرفة** عن الأسواق والعمليات الدولية. والبعض يشير الى هذا المدخل بإستراتيجية تساقط المياه (waterfall strategy ) والتي تكون ناجحة في الدخول إلى أسواق مختلفة في القيم والثقافة ونماذج التعلم ، كما أنها تكون أفضل تفسيرا لعمليات مراحل دورة حياة المنتج ( Product life cycle). ( Johansson ,2000, 147) .
ويرى ( أبو التمن, 1999 ، 9-10) ،أن نشاط التصدير هو **عملية Process** ضمن مراحل عمليات في تدويل أنشطة الشركة وهي:

- الشركة ذات الاهتمام الجزئي بالتصدير Partially Interested Firm
- الشركة المستكشفة Exploring Firm
- الشركة المصدرة تجريبيا Experimental Exporter
- الشركة الصغيرة ذات الخبرة التصديرية Experienced Small Exporter
- الشركة الكبيرة ذات الخبرة التصديرية Experienced Large Exporter

وهناك من يرى أن التصدير **عملية إبداعية،** حيث وجد أن هناك عوامل خارج الشركة تسهم بالابتكار في نشاط التصدير، حيث يتصف المبتكرون بالريادية، وكونهم ذوي أفكار خلاقة وتوجه عالمي.
ويمكن ان يُنظر الى التصدير **كخيار استراتيجي** في النمو والبقاء من خلال ترسيخ عمليات الإبداع والابتكار وإحلال منتجات جديدة وتبعا لتوقيت دخول الشركات للأسواق المستهدفة من جهة ودورة حياة المنتجات من جهة أخرى.
وهناك مجموعة من الأساليب التي يمكن للشركات ان تعتمد عليها في بيع منتجاتها في البلدان الأجنبية،حيث يرى كل من( كوتلر&ارمسترونج،2007، 1095) ، انه بعد أن تقرر الشركة البيع في دولة أجنبية ، يجب ان تحدد أفضل وسيلة للدخول. واختياراتها هي التصدير Exporting

والمغامرة(المشاريع) المشتركة joint venture، والاستثمار المباشر direct investment. ويبين شكل (2) الاستراتيجيات الثلاثة لدخول السوق، مع الخيارات التي تقدمها كل منها وكما يبين الشكل تشمل كل إستراتيجية لاحقة التزاما أكثر ومخاطر أكثر إلا أنها تكون أكثر أرباحاً ممكنة .

يعتبر التصدير أبسط طريقة لدخول السوق، فمن خلال التصدير يمكن أن تصدر الشركة فائضها من وقت لآخر أو يمكن أن تعمل التزاماً نشطاً بتوسيع صادراتها إلى سوق معين وفي أي من الحالتين، تنتج الشركة ككل سلعها في دولة منشأها ويمكن أن تعدلها أو لاتعدلها لسوق تصدير.




الشكل (3) استراتيجيات دخول السوق

المصدر: كوتلر،فيليب . أرمسترونج، جاري، (2007)،" **أساسيات التسويق"** ،، تعريب د. م سرور علي إبراهيم سرور، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.ص 1096

وتقليدياً تبدأ الشركات بالتصدير غير المباشر Indirect exporting، والعمل من خلال وسطاء تسويق دوليين مستقلين. ويشمل التصدير غير المباشر استثماراً اقل لان الشركة لا تحتاج إلى تنظيم للتسويق عبر البحار، كما يشمل مخاطرة أقل أيضاً،

ويتطلب الأمر توافر المعرفة لدى وسطاء التسويق الدولي حتى لا يقع البائع إلا في اقل مستوى من الأخطاء.
كما يمكن ان تمارس الشركة تصديرها إما من خلال موزعين في الدولة الأجنبية والذين يشتروا السلع ويمتلكوها، أو من خلال الوكالات الموجودة في الدول الأجنبية والتي تبيع السلع لصالح الشركة.

## ثانيا: تسويق التصدير : Export Marketing

يمثل تسويق التصدير القرارات التسويقية لتوجيه تدفق المنتجات خارج الحدود المحلية والاتصال بالخارج، وهذا يستوجب مراعاة ثلاث محاور جوهرية هي: ( أبو التمن، 30،1999-32، بتصرف).

- إستراتيجية المنتج – السوق Product- Market Strategy
- قرارات المزيج التسويقي للتصدير Export marketing Mix decisions
- معلومات التسويق التصديري Export marketing information

وسنستعرض بتركيز هذه المحاور

### 1. إستراتيجية المنتج – السوق:

يشمل :

1.1 ماهية سوق التصدير: What is export market ?

ينبغي على كل منظمة أعمال أن تسأل نفسها السؤال الجوهري ،ماهي الأعمـــال التي نحن فيها ؟ ( What Business are we in?) ، فقد حذر Levittمن مخاطر النظر إلى الأسواق على إنها فقط منتجات ، حيث سرعان ماتصبح متقادمة ودعا إلى تعريف الأسواق من حيث احتياجات الزبون Customer Needs التي تميل إلى أن تكون أكثر جوهرية واستقراراً واستمراراً.

2.1 اختيار السوق Market Selection

يمكن تقييم واختيار الأسواق التصديرية بناءاً على درجة جاذبيتها. حيث يشتمل هذا الأسلوب على عملية غربلة للأسواق التصديرية من ثمانية مراحل قائمة على عدد كبير من التساؤلات الجوهرية المتعلقة بتسويق التصدير صنفها إلى مجموعتين رئيستين من العوامل:

**الأولى**: مجموعة العوامل التي تؤدي إلى استبعاد الأسواق غير الجذابة مثل عدم قبول المنتج كالأمان وعوامل اجتماعية وثقافية أو حواجز سياسية كالمقاطعة والعقوبات والاحتكارات الحكومية أو اقتصادية كعدم القدرة على تحويل الأموال أو قانونية كالتشريعات ضد الائتمان وقوانين العمالة أو المتعلقة بالإمداد كنقص العمالة أو البنية الأساسية.

**الثانية:** مجموعة العوامل المؤثرة الخاصة ( بكل شركة على حدة)
مثل مدى معرفة سوق التصدير بالشركة والصناعة والعلامة التجارية ووجود شبكة جغرافية جيدة للتوزيع، مستوى تقدم معقول للإدارة المحلية ، إمكانات لوجستية وتوفر وكيل جيد للتمثيل في سوق التصدير.
وتستهدف الإجابة على هذه التساؤلات الحصول على معلومات تفصيلية من شأنها أن تُمكن متخذ القرار التسويقي للتصدير وفي مجالات مهمة مثل : قرار التصدير لأي منطقة أو مناطق، شكل التمثيل أو الوكيل ، استعراض النظام الأمثل للتمثيل ، غربلة المرشحين، مستويات الأداء،تحديد مواقع المندوبين ، مصادر معلومات ومتابعة الأداء).

2. **مزيج تسويق التصدير**:
يشمل العناصر الآتية ( 4ps) :
- المنتج product، يشمل التصميم ،موازنة مزيج المنتج، المنتجات الجديدة، حذف المنتجات، التعليم، خدمات مابعد البيع، الضمانات.
- السعرprice، يتضمن المستويات السعرية، التغييرات السعرية، الخصومات، الائتمان والسماحات التشجيعية.
- التوزيع place، يتضمن قناة الوسطاء والتوزيع المادي(اللوجستك او الإمداد).
- الترويج promotion، يتضمن الاتصالات، البيع الشخصي، الإعلان، ترويج المبيعات، الدعاية. المعارض، العلاقات العامة.
وفي ضوء البناء أعلاه هناك عدد من أوجه الاختلاف المعبرة عن مفاهيم المزيج التسويقي المحلي والتصديري، وطبقاً لمفهوم مواءمة المنتج مع أسواق التصدير سيكون هناك انعكاسان رئيسان لهذا المزيج:-

**الأول:** هناك بعض الأسواق التي قد تكون مشابهة للسوق المحلي مما يعني إمكانية تقديم المنتجات بحالها نفسها او دون تغيير.

**الثاني**: بعض الأسواق قد لا يمكن دخولها من دون إجراء تعديلات أو تكييف المنتج مع المتطلبات المحلية لسوق التصدير، وبعض هذه التعديلات قد تكون عديدة لبعض الأسواق إلى الحد الذي يجعلها أسواقا غير جذابة اقتصادياً للشركة. وسنتعرض بتفصيل أكثر لمزيج تسويق التصدير في المحور الثالث من البحث.

3. **معلومات التسويق التصديري**:

تعد المعلومات عنصراً رئيساً في تطوير الإستراتيجيات التسويقية الناجحة. حيث في تطوير إستراتيجية التسويق الدولي تصبح المعلومات أكثر أهمية كون أن البيئات التسويقية تختلف وبشكل واسع من بلد لآخر إضافة إلى ان عملي الحصول على هذه المعلومات هي أكثر صعوبة وأكثر تكلفة أيضا.ويرى Geise ان استخدام تكنولوجيا المعلومات يوفر سلاحاً تنافسياً للشركة. و بإمكان الشركة المصدرة الحصول على المعلومات من المصادر التالية :

- غرف التجارة- في موطن الشركة الأصلي، أو في الفرع الأجنبي، أو في الموقع المحلي للمنطقة المختارة للتصدير.
- المعارض.
- الزبائن.
- الوكلاء الآخرون وينقسمون إلى نوعين:
  - وكلاء يتم مخاطبتهم ولكن لم يتم تعيينهم أما بسبب عدم رغبتهم أو بسبب تعارض المصالح.
  - الوكلاء الحاليون لمنظمات أخرى تقوم بإعمال مختلفة في نفس المنطقة.
- الأقسام التجارية في السفارات.
- الهيئات التجارية – في موطن الشركة وفي المنطقة المختارة.
- السفارات الأجنبية في موطن السوق.
- البنوك والمؤسسات المالية.
- اتحادات الوكلاء والموزعين.

## ثالثا: إستراتيجية تسويق التصدير(Export Marketing Strategy)

تتضمن إستراتيجية تسويق التصدير بعدين جوهريين: (ابو التمن ، مصدر سابق،40-41 ).

**الأول: اختيار السوق ( Market Selection)**
**الثاني: برامج المزيج التسويقي (Marketing Mix Programmes)**

فعلى صعيد اختيار السوق، فأنه بدوره ينطوي على مسألتين هما: البلدان المصدر إليها، ومستوى التجزئة السوقية داخل هذه البلدان، فبالنسبة للمسألة الأولى البلدان، فان اختيار سوق التصدير يمتد من أسلوب اقرب بلد مجاور ( Nearest Neighbour) " أي التصدير إلى أقرب بلد مناسب" ، إلى أسلوب التوجه على مستوى العالم ( Worldwide Orientation) " أي التصدير إلى العديد من بلدان العالم" .

أما المسألة الثانية من اختيار سوق التصدير فهي إستراتيجية التجزئة Segmentation التي تصور مستوى التجزئة التي تعتمدها الشركات في تجزئة السوق داخل هذه البلدان، وتمتد من أسلوب البيع إلى جزء سوقي واحد من الأسواق الخارجية إلى أسلوب البيع لأجزاء متعددة مختلفة.
أما مزيج القرار التسويقي الخاص بإستراتيجية تسويق التصدير فأنة يشتمل على سياسة تكييف (Adaptation) المزيج التسويقي أو الدرجة التي تكيف بها الشركة مزيجها التسويقي مع الأسواق الخارجية. حيث تحتاج الشركة كذلك إلى اتخاذ قرارات بشأن مزيجها التسويقي لتكون تكاملية " Integrative" وتفاعلية "Interacting" بعضها مع البعض الآخر بشكل وثيق. وقد يكون قرار المزيج التسويقي هو التنميط Standardization أي الدخول إلى السوق الأجنبية بنفس المزيج التسويقي المحلي.

**المحور الثاني: التهديدات والفرص التي تواجه الدول والشركات العربية في مجال التصدير**

تتنامى توجهات الشركات عموما ومنها العربية بشكل مضطرد نحو الاستجابة المتسارعة لبيئة الأعمال الدولية وماتفرضه من تحديات متنوعة ، ولعل ابرز مسببات هذه الاستجابة هي التقارب في تفضيلات المستهلك العالمي بفعل التطور والابتكار في تكنولوجيا الاتصال الفائقة ، وهذا من شأنه ان يقود الشركات لتصبح أكثر اهتماما بمتطلبات المستهلك مقارنة بالأفضلية الأخرى الممثلة بالتقارب الجغرافي والخصائص الاقتصادية والاجتماعية للدول والتقارب الجغرافي بينها.
وفي هذا الخصوص وكأحد أساليب الدخول المتاحة للدول العربية للأسواق العالمية يمثل التصدير أداة فاعلة وأقل مخاطرة لتحقيق معدلات متنامية في اقتصاديات هذه الدول وإنعاشها بما توفره من عملات صعبة لمواجهة احتياجاتها من الاستيراد وبما تسهم فيه تلك العوائد في تحقيق تنمية شاملة فيها.

وقد يبدو الأمر سهلا من الناحية النظرية ولكنه أكثر تعقيداً وعمقا إذا ماأردنا تجسيد ذلك في الواقع العملي بسبب التحديات والتهديدات ونقاط الضعف ومدى توازنها او ارجحيتها على نقاط القوة والفرص المتاحة للدول العربية في هذا المجال الحيوي . وتأسيسا على ذلك سنحاول عرض وتحليل تلك القوى بجانبيها الايجابي والسلبي وخصوصا التي لم تتناولها دراسات التصدير ببعد **فلسفي ومعرفي** لنقف على حقيقة تلك القوى وبالاستناد على ماورد في الأنموذج الافتراضي للبحث.

**<u>أولا: التهديدات ونقاط الضعف:</u>**

**1. عائديه نشاط التصدير تاريخياً:**

مما لاشك فيه ان التصدير في الدول العربية بحصته العظمى تولته الأجهزة الحكومية ومؤسساتها طيلة عقود من الزمن ، ومن المعروف ان كل شركة أو مؤسسة لها ثقافتها culture ،وبالتالي فان ممارسة هذه المؤسسات الحكومية لنشاط التصدير كان ينطلق من الإيديولوجية السياسية للدولة وأجهزتها الرسمية كأولوية . ولو أسقطنا هذا التحليل على اعتبارات آليات السوق والمنافسة بعد إفرازات العولمة وتحرر الأسواق منذ عقدين من الزمن وليومنا هذا، نجد ان البعد الاقتصادي Economic dimension هو الذي يتحكم في ممارسة الشركات للنشاط التصديري وليس تغليب الجانب الأيديولوجي (السياسي) فحسب. وعلية يمكننا القول ان الإيديولوجية السياسية المرتبطة سابقا بدور الدولة ومؤسساتها حل محله دخول الفن الليبرالي الاقتصادي في أداء الشركات كمعبر عن تنامي الخصخصة بعد تفكيك مؤسسات الدوله وبيعها للقطاع الخاص. الحكومية. ورغم هذا التحول فلا زال ولاء القطاع الخاص منصبا في كسب رضا الدولة وفلسفتها الاقتصادية في اغلب الدول العربية رغم ان الظاهر يشير إلى مسايراتها للتغييرات المفروضة والمهيمنة عالميا .

**2. ضعف الإنتاج المعرفي:**

تتميز اقتصاديات دول العالم المتقدم بأنها اقتصاديات معرفية، وان العصر الذي نعيشه هو عصر الاقتصاد المعرفي Knowledge Economy Era، والدول العربية تعاني من ضعف جلي في الإنتاج المعرفي ، وبدون إنتاج معرفي لايوجد إسهام حضاري وقدرة تنافسية في أسواق التصدير. ولعل ضعف الإنتاج المعرفي هو نتيجة لأسباب عديدة تعاني منها الدول العربية منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- ضعف في اكتساب المعرفة، وتوظيف الأموال العربية غالبا ماتكون في الخارج ، كما ان موارد الدول لعربية وشركاتها لاتحقق ميزة تنافسية، وإذا تم توظيف تلك الموارد محليا فإنها لاتتحقق بدون الدور الجوهري ودعم الشركات العالمية. وضعف اكتساب المعرفة يعني قدرة محدودة في ابتكار تلك المعرفة.
- تأسيسا على محدودية اكتساب المعرفة وابتكارها، فأن ذلك يمثل دلالة على الضعف الواضح في الإنتاج والبحث العلمي ممثلة بمنظومات توليد هذا الإنتاج وهي الجامعات ومراكز البحث العلمي ومؤسساته. ونحن لسنا بصدد الخوض

في ترتيب جامعاتنا على المستوى العالمي وكذلك ماتخصصه الدول العربية من موازنات للبحث العلمي من إجمالي الناتج المحلي لها رغم مواردها الهائلة لاسيما النفطية منها.

- انطلاقا مما يصطلح عليه بسلسلة ردود الأفعال Reaction chain فان محدودية الإدارة المعرفية في تحسين الابتكار المعرفي سيؤدي لضعف واضح في تجسيد ذلك بسلع وخدمات تنافسية يمكن بها ولوج ميدان التنافس الدولي من خلال الصادرات مما يوفر فرصة اكتساب الخبرة وتعميقها وبالتالي اكتساب معرفة جديدة، بتراكمها تتنامى القدرة التنافسية للصادرات ولاسيما المعرفية منها.
- ضعف الوعي بتطبيق المقولة الشهيرة في مجال التسويق العالمي Think globally Act Locally " فكر عالميا ونفذ محليا"، وهذا يعني من الناحية الواقعية **وجود المنتج المعرفي المحلي** كقاعدة وأساس للانطلاق إلى المحيط العالمي للتنافس. ولنا في اليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية والبرازيل والهند أمثلة في تطبيق هذه المقولة.

**3. السلوك الإداري في الشركات العربية سلوك مستجيب علاجي:**

أظهرت تجارب الشركات الرائدة عالميا وجود القيادة الملهمة والعلمية ولنا أمثلة في شركات مثل مايكرو سوفت ( بيل جيتس، بول ألن)، ديزني لاند( ولت وروي ديزني ) ، كوكا كولا (جيمس بيمبيرتون)، جوجل ( لاري بيج، سيرجي برين) نوكيا(فريديريك ايدستام،وغوستاف فوجلهولم) ، وول مارت ( سام والتون ) ، تويوتا(كيشيرو، وساكيشي تويودا)، ماكدونالد (ريتشارد وموريس ماكدونالد ) ،هيوليت باكيرد hp ( بيل هيوليت،ديف باكرد). هذه القيادة تصنع ثقافة خاصة بشركاتها تؤمن كعقيدة في العمل بأسبقيات أبرزها:

الإيمان بالعلم والتكنولوجيا، ثقافة التحفيز، التحسين المستمر، التمكين، تشجيع المبادرات والأفكار الخلاقة، الوقت المرن في العمل، توظيف التقنية الفائقة في العمليات التشغيلية ، التوجه بالمفهوم التسويقي وجوهره قيمة الزبون وبناء العلاقة طويلة الأجل معه. هذه الأسبقيات تؤدي إلى سلوك إداري مبتكر Creative وميسر Vacillator ووقائي Preventive ومبادر Proactive ، يطبق في الإدارات كافة ويهيئ الفرص لصنع القادة . وقدر تعلق الأمر بالوظيفية التسويقية ومهما كان المستوى الإداري المسئول عنها فأنها وبالتشارك مع الإدارات الأخرى، وبهذه الأسبقيات ستقوم بتحويل الإدارة من آليات عمل وإجراءات وصلاحيات فقط إلى إدارة معنية بالعلم ، فتحول منتجات الشركات التي يعملون فيها إلى طاقة تصديرية تنافسية هائلة.

أما على مستوى إدارة الشركات العربية عموما نجد أسبقيات مختلفة كما ونوعا فهي ترسخ سلوك إداري علاجي corrective، مستند على قواعد السلطة Authoritarian base، مستجيبReactive ، أبوي Parental.وبالتالي فالسلوك الإداري بهذه الأسبقيات والقيم سينتج عنها ثقافة انجاز بطيء غير مواكب للمستجدات العالمية وللتغيير الديناميكي البيئي ،وبذلك فدور هكذا إدارة وسلوك سيكون محدودا في خدمة المجتمع وتحسين حياته عموما. وهذا الدور السلبي وغير المواكب للتغيير سينعكس على دور سلبي في التصور الكلي الذي مفاده: بأي منتجات، وبأي مواصفات لتك المنتجات سننافس في السوق العالمية؟ وبأي معايير ومؤشرات سنقيم اداء تلك المنتجات في مواجهة المنتجات المنافسة؟

ومن المناسب القول في هذا المجال إن القادة في مجتمعاتهم هم نتاج قيم وثقافة وحضارة تلك المجتمعات، ولو جئنا إلى بنية العقل الناتج في مجتمع يسود الولاء فيه لقيم القبيلة، العشيرة، الحزب، المجموعة، المذهب، النظام الحاكم. الطائفة،المحسوبية، بالتأكيد سيتباين كليا عن العقل الناتج من حصيلة مجتمع يكون الولاء فيه لقيم العلم والتكنولوجيا، وحقوق الإنسان، وحرية الرأي،والسلوك الديمقراطي، والتداول السلمي للسلطة ، والمواطنة الفاعلة. وما يقال عن العقل وفي مجتمع وقيم تمت تنشئته فيه ، يمكن إن يقال عن الشركات وسلوكها وثقافتها ومن أي مصادر وفي ضوء أي قيم ومتغيرات بيئية نشأت ومارست دورها. وهذا هو احد أوجه الاختلاف الجوهرية لواقع شركاتنا وسلوكها الإداري وتوجهها الإنساني والحضاري عن مثيلاتها الريادية في الدول المتقدمة. ويقودنا ماتقدم إلى نقطة تهديد وضعف أضافية وهي فلسفة فهم المنتج المرشح للتصدير وماهي رؤيتنا له ؟ وكيف نفسره كشركات؟ .

4. **فلسفة فهم وتفسير المنتجات المرشحة للتصدير**:

اعتدنا في أدبيات التسويق عموما وما يتصل منها بالتسويق الدولي على وجه الخصوص أن نذكر تقديم المنتجات( سلع، خدمات) إلى السوق العالمية مع مراعاة خصوصية الأسواق المرشحة للتصدير لاختلافها عن واقعنا المحلي سياسيا واقتصاديا وثقافيا وقانونيا. وهذه حقائق موضوعية لانقاش فيها وتؤيدها التجربة والممارسات العملية، إلا أن النقطة الجوهرية هي في فلسفة النظر للمنتجات المصدرة للأسواق الخارجية؟ نعني بذلك هل إن نظرتنا كشركات للمنتجات وكعنصر جوهري ضمن مزيج تسويق الصادرات، أنها مجرد مواصفات تركيبية وعملية، معايير جودة، أم إن هناك إبعاد أخرى يجب مراعاتها ؟ وللإجابة نوضح الحقائق الآتية:

- يمثل المنتج هوية الشركة وجواز سفرها إلى عقل وروح الإنسان ( الزبون) ، قبل ان يكون مرسلا لسوق مستهدفة فحسب، فالإنسان مُعرف Identified وليس نكرة ، لذا عبر كوتلر عن ذلك ان جوهر التسويق هو تقديم قيمة للزبون ، وهذا يعني ببعده الفلسفي احترام حاجاته وتنمية رغباته والاهتمام بالمنافع التي تسعى الشركات لتوفيرها له، وبدون ذلك ينتقل إلى منافس أفضل يوفر له هذه القيم والاعتبارات الإنسانية. ولما كان المنتج هو الجوهر الذي ترتبط به عناصر المزيج التسويقي الأخرى وبدونه لاتعني هذه العناصر أي شي من الناحية العملية . فلا سعر وتسعير ، ولاتوزيع وترويج بدون وجود منتج . وعلى هذا الأساس فهو نقطة البداية.وهذا هو أول الأسس في فلسفة فهم المنتج وماذا يعني للإنسان (الزبون) المستهدف.
- السؤال الجوهري هنا ماذا تريد الشركة ان تفهم عن الإنسان خارج إطار الفهم المتعارف عنه في أدبيات التسويق عن الزبون سواء المحلي أو الأجنبي بالنسبة لسوق التصدير؟ وللإجابة نقول انه احترام عقل وسلوك الزبون كون العقل دالة للتعبير عن مكنوناته الداخلية . والأصل في احترام عقل الزبون هو فهم الإنسان ككل وتوفير المشاركة له في صنع قرار المنتج ، وفهم تفسير الإنسان للمنتج على المستوى الشخصي ، وماذا سيتيح المنتج من أساليب فنية وتعليمية ومعرفية لكشف فرص جديدة له ، وكيف توفر الشركة من خلال المنتج أفضل المصادر لتحسين مهارات الإنسان، وهذا يسمى بالـ Outside practicing .او Customer Involvement . وحصيلة كل ذلك مشاركة الإنسان الزبون للشركة في تطوير مجتمعاتها وتحسين إسهاماتها الحضارية والإنسانية ، وهذا مايُصطلح عليه بإعادة ترتيب التأويل المعرفي من الزبون للشركة.مثال ذلك رؤية شركة نوكيا كيف نحقق الاتصال والتواصل الملموس واللاملموس مع الناس . Connecting people.
- المنتج هو تحويل مامخزن في ذاكرة الزبون وتوظيف الاعتقادات المعرفية في شكل ومضمون يخدمه ويخدم السوق المستهدفة ، ولايمكن كسب الزبون بدلالة المنتج بدون تصميم محصلة الباطن لديه ليتحول إلى اعتقاد .
- المنتج هو حصيلة إعادة تأويل المعرفة التسويقية لفهم ومعرفة الذاكرة التاريخية للزبون.

- سعي الشركات الجاد ليشكل المنتج قاعدة معرفية ينجذب إليها الزبون ولا يغادرها ،مثال ذلك الكومبيوتر الذي يشكل تلك القاعدة المعرفية.
- خيال المصمم يمثل بعداً جوهريا في تشكيل المنتج انطلاقاً من إعادة قراءة المعرفة على أسس تأويل التصميم المستهدف للمنتج.

- تمثل المقدسات من منتجات لدى الزبون أطرا معرفية تلغي التطور ،وهنا يبرز دور الشركة وخيال المصمم المبتكر في إعادة قراءة البنية المعرفية لدى هؤلاء الزبائن والسوق، وبما يؤدي إلى تفكيك نص تلك المقدسات للزبون.

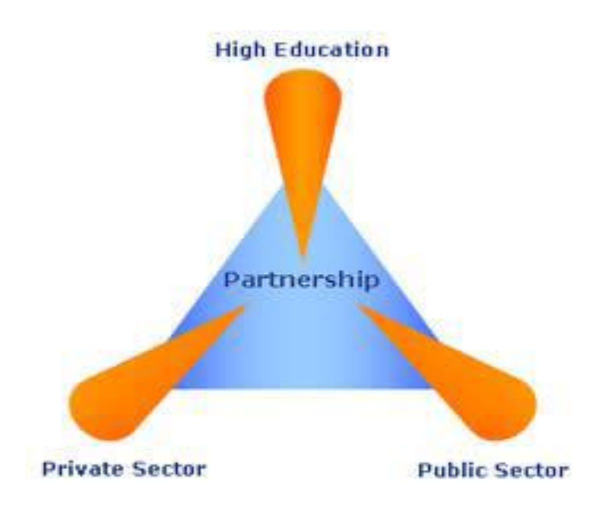
5. **الاغتراب التصديري**:
يمثل الاغتراب ضعفا في التوجه نحو التصدير للأسباب الآتية: (أبو قحف، 2007، 236 )
- غياب المعلومات وقواعد البيانات الكافية والمتزامنة مع طلب السوق الأجنبية عن فرص التصدير بالأسواق الدولية.
- اقتصار الجهود في مجالات التصدير على محاولات فردية، ولا تنبع من إستراتيجية وطنية مبنية على أسس واضحة، وموجهة بأهداف قابلة للقياس على الصعيد الدولي.
- غياب المعيار السلوكي نحو التصدير مثل شعار اليابان التي اعتبرت التصدير " قضية حياة أو موت " .
- ضعف تسويق الدولة قبل تسويق الصادرات.

6. **ضعف الشراكة بين القطاعين العام والخاص لبناء طاقة تصديرية تنافسية:**
أن غياب التوجه المؤسسي في نموذج الشراكة بين القطاعين العام والخاص في اغلب الدول العربية ، وغياب التشريعات التي تؤطرها ، والضعف الواضح في معايير حوكمتها، إضافة لمتغيرات المخاطرة وضعف الدعم الحكومي في حالة فشل شركات القطاع الخاص في نشاطها التصديري ، بجانب عدم استثمار التجارب الدولية الرائدة في هذا المجال وضعف الوازع الوطني لرأس المال الخاص ، كل هذه العوامل شكلت عائقا أمام تقديم نموذج فعال وناجح تنافسيا في العلاقة بين القطاعين لتكوين طاقة تصديرية فاعلة.
ولعل واحدة من ابرز مشاكل ضعف العلاقة التفاعلية بين القطاعين الخاص والعام هو ضعف زج الجامعات ومراكز البحث وقدراتهما البحثية في دعم هذه العلاقة وتفعيلها من جهة وغياب آليات وضوابط تحكم هذه العلاقة بجوانبها الإدارية والقانونية . وواحدة من النماذج الرائدة في هذا المجال هو مايصطلح عليه ب" Triple helix" ، الذي يفترض أن التحول إلى اقتصاد المعرفة يقوم على الريادية في البحث العلمي في الجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات وربطها بالسياسات الحكومية والصناعية.
ويقترح هذا النموذج أن النجاح يقوم على التقييم الدقيق لمرحلة التطور والتنمية، ودراسة التناسب بين السياسات المحلية والإقليمية من خلال التركيز على نقاط الضعف ونقاط القوة والفرص المتاحة إقليميا.

أن الهدف الرئيس لثلاثية Triple helix هو أقامة شراكة بين التعليم العالي والقطاعين الخاص والعام .وعلى الرغم من أن الابتكار قد ينشأ في أي من القطاعات الثلاثة ولكنه يبقى غير مؤثر أذا ماتم تحقيق ذلك بشكل منفرد لكل قطاع، لذا فإن التأثير الفعال على المستويات المحلي والإقليمي والدولي يكون بإنشاء شراكة بين القطاعات الثلاثة في عملية الإبداع والتطوير. (www.thetriplehelix.org ).

والشكل (3) يوضح ابعاد ثلاثية العلاقة التشاركية بين القطاعات بهدف تبادل المعلومات والإبداع والمعرفة .حيث أن هذه الأهداف هي الميزة الرئيسية لمجتمع المعرفة. تحتاج آلية هذا التبادل إلى بيئات ديناميكية فعالة، والتي هي السمة الرئيسية لعملية تبادل

المعلومات، لهذا السبب نجد أن الوصول للتنمية المستدامة تحتاج إلى تحفيز جميع الجهات المعنية
بتطوير مجتمع المعلومات، والانتقال من البيئات المعزولة إلى بيئات العمل التعاونية والمنسقة
والمفتوحة والمرنة والديناميكية، والتي تتيح تدفق المعلومات بسهولة ويسر بين الأطراف "Triple Helix“ . الرئيسية في التكامل.




**الشكل (3) ثلاثية نموذج Triple helix**

## 7. ضعف القدرة التنافسية للدول العربية على المستوى الدولي:

تعني التنافسية " قدرة الدولة والمنظمة على توليد ثروة اكبر من منافسيها في الأسواق العالمية" " (World Economic Forum, 1994, 18 ).
في حين عرفت منظمة الأنكتاد، التنافسية بأنها " الوضع الذي يُمكن الدولة في ظل شروط السوق الحرة والعادية من إنتاج السلع والخدمات التي تلاءم الأذواق في الأسواق العالمية، وفي نفس الوقت تحافظ على وتزيد من الدخول لأفرادها خلال الأجل الطويل ". ( صقر، 2003، 92).
تعتمد تنافسية الاقتصاديات على قدرتها على تأمين بيئة أعمال مناسبة تمكنها من تنمية تجارتها الخارجية من خلال تطوير أدائها في الأسواق الخارجية ويعتمد ذلك إلى حد كبير على قدرة الاقتصاديات على جذب الاستثمارات الخارجية وتوظيفها مع الاستثمارات المحلية بالطريقة الأمثل لتسريع النمو الاقتصادي والوتيرة التنموية لكل من هذه البلدان.

**الوضع الإجمالي للتنافسية العربية**

تشكل تنمية الصادرات في بيئة اقتصادية مفتوحة أمثل السبل لمواجهة التحدي واستثمار الفرص المتاحة إلا أن ماتم عرضه من مؤشرات تشير إلى صعوبة الحفاظ على تنافسية قطاع الصادرات بسبب تخلف التصنيع وبطء التحول الهيكلي وضعف العرض من السلع الأساسية وزيادة الاعتماد على الموارد الطبيعية وانخفاض مستوى الاندماج في سلاسل الإنتاج العالمية ( abdmoulah, Laabas, 2010, 1 ).

اشتملت دول المقارنة التي اعتمدت في هذا التقرير على أيرلندا وجمهورية الشيك، والمكسيك وتشيلي وكوريا الجنوبية وماليزيا والبرتغال وجنوب أفريقيا. بلغ أداء الدول العربية على المستوى الإجمالي للتنافسية 0.34 مقابل 0.67 لدول المقارنة أي أن الفجوة التنافسية تبلغ حوالي 49% مقارنة مع فجوة بلغت نسبة50% للتقرير السابق 2006. وبالرغم من هذا التحسن الطفيف إلا أن الفجوة مع دول المقارنة لا تزال واسعة وتدل على تواضع الأداء التنافسي للدول العربية إجمالاً.
وتتصدر ايرلندا الأداء الإجمالي للتنافسية تليها كوريا الجنوبية، بينما احتلت دول الخليج العربية مراكز متقدمة وحققت قطر والبحرين والكويت تقدماً على سلم التنافسية متجاوزة "ماليزيا وجمهورية التشيك وحافظت الدول في مؤخرة الترتيب على أماكنها مثل السودان واليمن والجزائر وسوريا وموريتانيا مما يعني أن الجهود الإصلاحية المبذولة للنهوض بالتنافسية في هذه البلدان غير كافية لتغيير الوضع التنافسي. والجدول (2) يبين الوضع الإجمالي للتنافسية العربية.

| البلد | مؤشر التنافسية الجاري | مؤشر التنافسية الكامنة | مؤشر التنافسية العربية |
|---|---|---|---|
| الجزائر | 0.21 | 0.36 | 0.22 |
| البحرين | 0.70 | 0.55 | 0.64 |
| تشيلي | 0.72 | 0.57 | 0.66 |
| التشيك | 0.55 | 0.73 | 0.61 |
| مصر | 0.35 | 0.35 | 0.31 |
| ايرلندا | 1.00 | 0.92 | 1.00 |
| الأردن | 0.51 | 0.55 | 0.51 |
| كوريا الجنوبية | 0.80 | 1.00 | 0.89 |
| الكويت | 0.72 | 0.46 | 0.62 |
| لبنان | 0.24 | 0.46 | 0.28 |
| ماليزيا | 0.71 | 0.79 | 0.75 |
| موريتلنيا | 0.07 | 0.00 | 0.00 |
| المكسيك | 0.38 | 0.59 | 0.43 |
| المغرب | 0.35 | 0.22 | 0.26 |
| عمان | 0.40 | 0.37 | 0.36 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| البرتغال | 0.54 | 0.69 | 0.58 |
| قطر | 0.75 | 0.68 | 0.73 |
| السعودية | 0.59 | 0.50 | 0.54 |
| جنوب أفريقيا | 0.53 | 0.36 | 0.45 |
| السودان | 0.00 | 0.22 | 0.01 |
| سوريا | 0.10 | 0.28 | 0.10 |
| تونس | 0.36 | 0.47 | 0.37 |
| الإمارات | 0.51 | 0.53 | 0.50 |
| اليمن | 0.07 | 0.12 | 0.02 |
| متوسط الدول العربية | 0.371 | 0.383 | 0.343 |
| متوسط دول المقارنة | 0.655 | 0.707 | 0.671 |

الجدول (2) إجمالي التنافسية العربية مع دول المقارنة لعام 2009

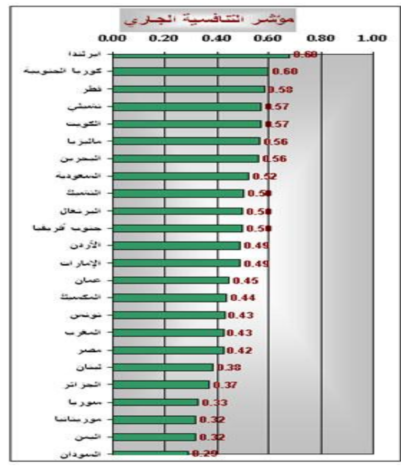
المصدر: المعهد العربي للتخطيط،، ( 2009)، " تقرير التنافسية العربية" ، العدد 3 ، الكويت، 156.

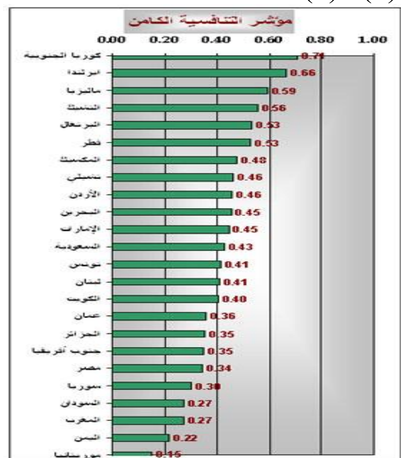
يغطي مؤشر التنافسية العربية مجالات عديدة يعتقد أن لها تأثير مباشر على أداء هذه الدول في الأسواق الدولية. كما أن كل الدول تتميز في الأداء الجيد في بعض الجوانب، بينما يكون أداؤها متواضعاً في جوانب أخرى. وانطلاقاً من هذه الحقيقة، فإنه يمكن قياس مستويات التنافسية في الأسواق الدولية بالاعتماد على مفهوم "ميزان التنافسية"، بحيث يقيس فرق نقاط القوة (الأصول) على نقاط الضعف (الخصوم).

ويعتبر أداء البلد نقطة قوة إذا ما كان ترتيبها في الثلث الأعلى لأي مؤشر من مؤشرات التنافسية العربية، ونقطة ضعف ما إذا كان ترتيبها في الثلث الأخير من قيم المؤشر تحت الدراسة. واستناداً إلى نتائج الميزان الإجمالي الذي تم قياسه بطرح مجموع نقاط الضعف من مجموع نقاط القوة وتم ترتيب الدول حسب هذا الميزان، فقد تبين أن نصف الدول لها ميزان موجب بينما يعاني النصف الثاني من قصور في ميزان التنافسية.

يشكل هذا الميزان نظام معلومات يمكن الاسترشاد به لتقليل الخصوم (نقاط الضعف) وتحويلها إلى أصول (نقاط قوة).

كما في التقرير الماضي عام 2006 فالدول التي حققت ميزان تنافسية ايجابي، فهي دول الخليج و بعدها الأردن و تونس إلا أن ايرلندا و كوريا و التشيك والبرتغال و ماليزيا يتصدرون الترتيب. ويبين الجدولين (3) و(4)




الجدولين (3) و(4) مؤشر التنافسية الجاري والكامن بين الدول العربية ودول المقارنة لعام 2009

المصدر: المعهد العربي للتخطيط، (2009)،" تقرير التنافسية العربية" ، العدد 3 ، الكويت، 160

**مؤشرات التنافسية الجارية هي:**
تدخل الحكومة والإنتاجية والبنية التحتية الأساسية، و الحاكمية وجاذبية الاستثمار الأجنبي وتكلفة القيام بالأعمال وديناميكية الأسواق والتخصص.

**مؤشرات التنافسية الكامنة هي:**
الطاقة الابتكارية والتقانة والبنى التحتية للمعلوماتية ورأس المال البشري

**8. درجة الانكشاف الاقتصادي:**

تمثل درجة الانكشاف الاقتصادي دالة في قيمة الصادرات مقارنة بالدخل او الناتج القومي ، كما انها مؤشر للتبعية الاقتصادية فبزيادة هذه الدرجة تزداد التبعية الاقتصادية والعكس صحيح . يقاس هذا المؤشر وفقاً للمعادلة الآتية: ( أبو قحف، مصدر سابق، 234 )

**الانكشاف الاقتصادي = قيمة الصادرات + قيمة الواردات/ الناتج المحلي 1**

**درجة أهمية الصادرات = قيمة الصادرات / أجمالي الناتج المحلي * 100**

**درجة التركيز السلعي للصادرات= قيمة صادرات سلعة رئيسية/قيمة رات*100**

بلغت قيمة الصادرات السلعية العربية في عامي 1997، 1998 مايقارب 172.7 ، 134 مليار دولار على التوالي، وهو ما يمثل حوالي 3.1% ، 2.4% من إجمالي قيما الصادرات العالمية في السنتين المشار إليهما والبالغة حوالي 5624.6، 5476.5 مليار دولار، على التوالي.

كما بلغت قيمة الواردات السلعية العربية في العامين المذكورين حوالي 134.4، 147.5 مليار دولار على التوالي، أي بنسبة 2.5%، 2.6% من إجمالي قيمة الواردات العالمية والبالغة في السنتين المذكورتين حوالي 5767.9،5635.7مليار دولار على التوالي.

و يمكن القول بشكل عام أن التجارة الخارجية، صادرات وواردات معا، لها وزنها المؤثر في النشاط الاقتصادي في كثير من البلدان العربية، حيث بلغت نسبتها معا أكثر من 50% من الناتج المحلي الإجمالي في السنوات المذكورة.

وإذا أضفنا إلى الصادرات والواردات، الصادرات والواردات غير المنظورة لبلغت نسبة التجارة الخارجية، منظورة وغير منظورة، إلى الناتج المحلي الإجمالي نسبة عالية في غالبية البلدان العربية، مما يؤدي بنا إلى القول أن درجة انكشاف الاقتصاد العربي على الاقتصاد الخارجي عالية، لها مخاطرها على الاستقرار الاقتصادي في البلدان العربية.( التقرير الاقتصادي العربي الموحد 1999)

## ثانيا: الفرص ونقاط القوة

### 1. الإمكانات المالية والبشرية والمادية:

أكد التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2009 أن غالبية الدول العربية واصلت تحقيق معدلات نمو مرتفعة نسبياً خلال عام 2008 رغم بداية انتشار الآثار السلبية للأزمة المالية العالمية .
وأكد التقرير ارتفاع الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية كمجموعة من نحو 1.505 تريليون دولار في عام 2007 إلى نحو 1.899 تريليون دولار في عام 2008 مسجلاً معدل نمو بالأسعار الجارية بلغ 26.2% مقارنة مع نحو 15.1% في العام السابق. (www.moheet.com)
وعلى صعيد التجارة العربية الخارجية والبينية أكد التقرير أن قيمة التجارة الإجمالية العربية في عام 2008 حققت زيادة في الصادرات بلغت نحو 32.5% لتصل قيمتها إلى نحو 1.050 مليار دولار الأمر الذي يعزى بشكل رئيس إلى الزيادة المطردة في أسعار النفط العالمية خلال الأشهر السبعة الأولى من العام. وسجلت الواردات الإجمالية العربية زيادة هي الأخرى بنسبة 32.2% لتصل قيمتها إلى حوالي 702 مليار دولار.

وأتت زيادة الواردات العربية كمحصلة لزيادة الطلب المحلي في ضوء استمرار النمو في معظم الدول العربية ولارتفاع واردات السلع الغذائية مع استمرار تصاعد أسعارها العالمية.
وارتفع وزن الصادرات العربية في الصادرات العالمية ليصل إلى 6.7% كما ارتفع وزن الواردات العربية في الواردات العالمية إلى 4.3%.
وأكد التقرير ارتفاعا في قيمة التجارة البينية العربية حيث بلغ متوسط قيمتها نحو 82.5مليار دولار مسجلة زيادة بنسبة 22.5% في عام 2008.
وإذا أضفنا لما تقدم كتله بشرية تقدر بـ 340 مليون نسمة سكان الدول العربية وعوائد هائلة من النفط خصوصا بعد ارتفاع أسعار بيعه في السوق العالمية. فأن كل ذلك يشكل فرصة تاريخية للدول العربية في ظل الأزمة العالمية الحالية لتحقيق فرص تنافسية ناجحة في السوق العالمية والاستثمار فيها بأي شكل من إشكال الدخول لتلك الأسواق ومنها أسلوب التصدير.

**2. الدعم الحكومي:**
سبق ان بينا ان سيطرة القطاع العام على الصادرات لفترة زمنية طويلة وفر لهذا القطاع خبرة كبيرة،وإمكانية اتخاذ قرارات مستندة على قدرات الدولة المالية والتنظيمية. وإذا أضفنا لذلك تمتع العديد من الدول العربية وخاصة الخليجية منها بموارد مالية هائلة بسبب العوائد النفطية من جانب وارتفاع أسعار بيع النفط من جانب آخر. كل ماتقدم أذا ماتم استثماره اقتصاديا فأن ذلك يوفر أرضية قوية لدعم النشاط التصديري من جهة ودعم أقامة مشاريع متخصصة بالتصدير من جهة أخرى استنادا للمزايا النسبية التي تمتلكها الدول العربية.
**3.الطلب المتنامي للمنتجات المعرفية و استثمار مخرجات أفضل الممارسات العالمية:**
انعكست نواتج الثورات المعرفية الثلاث منذ نهاية القرن الماضي وانفتاحا على القرن الحالي وصولا للعقد الأول الذي نعيشه في بداية الألفية الثالثة وهي(ثورة المعلومات والمعلوماتية، ثورة الهندسة البيولوجية الجينية،ثورة تقنية المواد ( النانو تكنولوجي) ، انعكست في منتجات فائق واستخدامات بديلة وتكنولوجيا متقدمة ، أنتجتها عقول ذكية وبيئة بحث علمي ابتكاري ملائم ضمن منظومة تؤمن بقيم العلم والتكنولوجيا وتوظيفها لتحقيق تميز ونجاح تنافسي على الصعيد العالمي.وهذه بحد ذاتها تمثل فرصة للمقارنة بالنموذج والممارسات الناجحة Benchmarking with best practices . وخاصة بالنسبة للدول الغنية ضمن المجموعة العربية.

## 4. التوسع في الحصول على شهادات المواصفات القياسية الدولية:

قطعت العديد من الدول العربية شوطا لابأس به في مجال الحصول على شهادة المواصفة القياسية الدولية مثل ISO ، وهذه بحد ذاتها تعتبر جواز سفر وترسيخ ثقة بالمنتجات المرشحة للتصدير. ولكن يبقى مطلوبا من الشركات العربية السعي للحصول على هذه المواصفة وغيرها من المواصفات العالمية ، لمواكبة المعايير الدولية المطلوبة وفق ماورد في اتفاقيات الجات الدولية واشتراطات منظمة التجارة العالمية.

والجدول (5) يعطي تصورا عن النسبة المتدنية لحصة الشركات العربية الحاصلة على شهادة الآيزو مقابل الشركات العالمية رغم تحسنها في سنة 2002. آخذين بنظر الاعتبار ان تركز الشركات العربية الحاصلة على الآيزو مقتصرة كحصة كبرى على كل من السعودية، والأمارات العربية ومصر .

**الجدول (5) نسبة الشركات العربية الحاصلة على شهادة الآيزو للإجمالي العالمي للفترة 1997 -2002**

| السنة | الإجمالي العالمي | الزيادة السنوية | نسبة الدول العربية % |
|---|---|---|---|
| 1997 | 223299 | 60698 | 2% |
| 1998 | 271847 | 48548 | 4% |
| 1999 | 343643 | 71796 | 4% |
| 2000 | 408631 | 64988 | 5% |
| 2001 | 510616 | 101195 | 4% |
| 2002 | 561747 | 51131 | %10 |

**5. اعتبار التصدير أسهام حضاري وأنساني:**

مع تنامي حدة المنافسة الحالية والمتوقعة مستقبلاً ، تتعاظم بالتوازي مع ذلك محاولات الدول والشركات على المستويين الوطني والعالمي بتحقيق أهداف النمو وتحقيق الميزة التنافسية ، وبالتالي تعبير تلك الدول والشركات عن هويتها ودورها الإنساني والحضاري من خلال ماتنتجه من سلع وخدمات. واستنادا لهذا السعي فان الفرص متاحة للجميع بالتنافس في هذا الميدان ومنها الشركات العربية . فنمو الصناعات الوطنية وتحسين ميزان المدفوعات وتشجيع مبادرات وتوجه رجال الأعمال نحو دعم الطاقة التصديرية، وانخفاض الطاقة الاستيعابية للأسواق المحلية للعديد من السلع والخدمات ، وتخفيض نسبة البطالة ، واستثمار الموارد المحلية ، كل هذه الأسباب تجعل التصدير ضرورة وطنية وإنسانية وتعبير عن إبراز دور الشركات العربية على المستوى الدولي.

**6.تفعيل علاقات التحالف والشراكة مع توجهات وأساليب تفكير رائدة :**

تثار في هذا المحور تساؤلات كثيرة فيما يخص دور الدول العربية ، منها الآتي:

- هل بإمكاننا كدول عربية أو مكونات ضمنها، كمجلس التعاون الخليجي مثلاً ان نقدم نموذجا للانخراط الفاعل في الجانب الاقتصادي للعولمة؟ ، من خلال توحيد العملة الخليجية مثلاً وتعميق العلاقة الاقتصادية والسياسية مع الصين وألمانيا لإمكانية دخول هذه العملة ضمن سلة العملات العالمية مع الدولار الذي لحقته انخفاضات وتدهور في قيمته ومع الين الياباني ومع اليوان الصيني القادم بقوة إضافة للجنية الإسترليني واليورو الأوربي الموجودان أصلاً.

- هل بإمكان الدول النفطية ضمن الدول العربية مثلاً أعادة توجيه استثماراتها في الصناديق السيادية لأحداث تأثير في علاقاتها مع الغرب لصالحها ولصالح قضايا الأمة؟ وهل تمتلك الأرداة السياسية لإحداث ذلك التغيير؟

- هل يمكن التفكير بكونفدراليات عربية كبديل للوحدة العربية تجمع عناصر القوة فيها مثلاً كونفدرالية تجمع" مصر بإمكاناتها البشرية، والسودان بإمكاناتها الزراعية، وليبيا بإمكاناتها المالية" مع مراعاة العمل الجغرافي في التجاور بينها وبذلك يتحقق الى ليبيا إطلالة على البحر الأحمر من خلال مصر ويتحقق للسودان إطلالة على البحر المتوسط من خلال مصر ويتحقق لمصر المزايا النسبية للمال والأرض التي تمتلكهما كل من ليبيا والسودان؟ اقصد التفكير ببدائل خارج الصندوق كما يقال.

- كيف يمكن خلق التوازن مع الدول والشركات الرائدة عالميا ؟ ،من خلال تحالفات تقنية وبحثية وعدم الاقتصار على التحالف السياسي أو الإعلامي، لاستثمار المال العربي في اكتساب وتوطين المعرفة والـ Know how التي يمتلكها الغرب المتقدم ، وبالتالي الانطلاق لإنتاج وابتكار المعرفة عربيا ، مثال ذلك استحداث حاضنات

تكنولوجية وحاضنات بحثية ومعرفية، يمكن ان تكون أرضية لانطلاقة مستقبلية واعدة في مجال العلم والتكنولوجيا.
- كيف يمكن إعادة قراءة الواقع الاقتصادي والسياسي والاستراتيجي العربي بعد الثورات والتغييرات التي اجتاحت المنطقة العربية وأخذ العبر والدروس لاستثمارها في بناء تصور استراتيجي أفضل للمنظومة كلها ومنها التكتلات والتحالفات البينية مثل مجلس التعاون الخليجي ؟

- كيف نستثمر الأزمة المالية العالمية ونوجه فوائض الأموال العربية لاستثمارات تخدم الإنسان ضمن المنظومة العربية والتنمية المستدامة لمجتمعاتها وعلى مختلف أنشطتها وقطاعاتها؟

**المحور الثالث : مزيج تسويق التصدير واستثمار المعرفة التسويقية وتكنولوجيا المعلومات لإسناده**

يمكن من خلال مراجعة العمود الثاني في الأنموذج الافتراضي للبحث تشخيص عوامل وقوى وسيطة بتوفرها يمكن تجسير الفجوة بين تشخيص نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات ، وبين مؤشرات الأداء التصديري . وحيث أننا قد بينا من خلال المحور الأول من البحث في الفقرتين ثانيا وثالثا منه مايتعلق باختيار السوق الدولي المستهدف ، فسيقتصر عرضنا في هذا المحور على القوى الآتية:

**1. تصميم مزيج تسويق التصدير:**

يحتاج المزيج التسويقي إلى إدارة، وهذا يعني ان المزيج يتضمن استخدام مختلف الأدوات والأساليب المتاحة لدى المدراء لتنفيذ المفهوم التسويقي( توجه المنظمة بالتسويق) Marketing Orientation . ( Mcdonald,2010,3 ) . وعموما وعلى صعيد عناصر المزيج التسويقي في السوق الأجنبي المستهدف يوجد توجهين اساسيين هما:( كوتلر، ارمسترونج، 2007،1102)

- المزيج التسويقي المنمط : Standardized Marketing Mix

يمثل إستراتيجية تسويق دولي لاستخدام نفس المنتج، قنوات التوزيع، الإعلان، وعناصر المزيج التسويقي الأخرى في كل الأسواق الدولية للشركة.

- المزيج التسويقي المكيف Adapted Marketing Mix

إستراتيجية تسويق دولي تعدل فيها الشركة عناصر المزيج التسويقي لكل سوق مستهدفة على حدة، مما يحمل الشركة تكاليف أكثر، ولكن بالمقابل احتمال الحصول على حصص سوق وارباح سيكون أكبر.

ان عناصر المزيج التسويقي المتعارف عليها في أدبيات التسويق تشمل 4ps وهي ( المنتج، التسعير، المكان(القنوات والتوزيع المادي)، الترويج. وسنحاول إعطاء تصور مركز عن هذه العناصر في سوق التصدير وكالاتي.

**- تخطيط المنتج:**

تعد السوق العالمي على الأقل في الدول الصناعية سوقاً متناسقةً.ويصعب نسبياً قياس مدى بيع السلع المعمرة الاستهلاكية أو نجاح تلك السلع مثل آلات التصوير والساعات وحاسبات الجيب والأجهزة الكهربائية الصغيرة وأجهزة التلفاز في الأسواق الأجنبية التقليدية ما لم يحدث توافق مع المتطلبات المحلية بها.

أما أكثر المنتجات صعوبة في التوافق مع المقاييس العالمية، فهي المنتجات الغذائية ومستلزمات الصحة والتجميل والملابس. (تعد شفرات جيليت Gillette وجينز 501 الخاص بشركة ليفي Levi استثناءات نادرة من ذلك) وينبع ذلك من صعوبة التوصل إلى أذواق وعادات عالمية ثابتة، فعلى سبيل المثال: يأكل المستهلكون الأمريكيون الحبوب المجففة بمقدار أربعة أضعاف المستهلكين الفرنسيين. ولا يعد هذا الأمر مفاجأة لانة حتى في الأسواق الوطنية الكبيرة مثل سوق الولايات المتحدة غالباً مانجد اختلافات إقليمية قوية فيما يفضله الناس من المأكل والملبس. ( أيتزل ، وآخرون ، مرجع سابق، 71)

وتتمثل إستراتيجية السلعة البديلة ، بمعنى تطوير منتج جديد تماماً لسوق أجنبية فعلى سبيل المثال : طورت شركة مايبلين (Maybe line) تركيبة أدوات تجميل للوجه عالية الرطوبة لسوق دول الباسيفيك في آسيا ولذا يجب أن يدرس المسوقون البيئة الثقافية والاقتصادية لأي سوق – أجنبية أو محلية – بعناية، قبل تخطيط المنتجات الموجهة لتلك المنطقة.

وللعلامات التجارية وبطاقات التسمية الملصقة على السلع اعتبارات أخرى في التسويق الأجنبي، حيث تفضل معظم الشركات استخدام نفس الأسماء المميزة لها في الأسواق المحلية والأجنبية لأنها توفر معرفة وإدراكا عاماً لدى الجميع ويمكن كذلك أن ينتج عنها بعض الوفر في اقتصاديات الترويج. وعلى الرغم من ذلك يجب العناية بترجمة الأسماء المميزة على سبيل المثال قدمت شركة كلارول (Clairol) أداة لتجعيد الشعر في ألمانيا أطلقت عليها أسم (Mist Stick) ولكنها اكتشفت بعد ذلك أن كلمة (Mist) كلمة ألمانية دارجة تعني "سماد".

**- التسعير:**

يعد التسعير قرار جوهري في التسويق كون السعر يمثل عنصر توليد العائد ضمن عناصر المزيج التسويقي، وعموما يعد التسعير الإجمالي بالتكلفة والربح (تحديد سعر عن طريق إضافة مقدار من المال لإضافة ربح إلى تكلفة تصنيع المنتج)، أمراً شائعاً في تسويق التصدير، وبسبب نفقات التوزيع الفعلي الإضافية والتعريفات الجمركية وغيرها من تكاليف التصدير الإضافية عادةً ماتكون الأسعار الأجنبية أكثر

ارتفاعاً من الأسعار المحلية بالنسبة للمنتج نفسه ، أحياناً متدخل الشركات في ممارسة يطلق عليها إغراق الأسواق (Dumping) بمعنى بيع المنتجات في الأسواق الأجنبية بأسعار أقل من أسعار أسواقها المحلية، وربما يتم خفض السعر لمواجهة المنافسة الأجنبية أو للتخلص من منتجات ذات معدل مبيعات بطيء.

من الموضوعات الأخرى ، تباين الأسعار المفروضة على صنف واحد في دول مختلفة ومتجاورة في الغالب ، إذ من الشائع وجود تباين في الأسعار ( Price differential) يتراوح من 30% إلى 150% إذ يمكن للمستهلك الفرنسي، على سبيل المثال، عبور الحدود إلى ألمانيا وشراء سيارة فولكس واجن (Volkswagen) طراز(Jetta) جيتا بأقل من ثلث تكلفتها في فرنسا.

ومن المشكلات في موضوع التسعير في سوق التصدير هو سعر الصرف الأجنبي (Foreign Exchange) وتحويلات العملات. وكقاعدة عامة ، تفضل الشركة التي تدخل في التجارة الخارجية – سواء أكان تصديراً أم استيراداً – أن تحدد السعر بعملتها الوطنية ، لأنه إذا تعامل البائع بعملة أجنبية وانخفضت قيمة هذه العملة بين وقت توقيع العقد وتسلم العملة الأجنبية فإن البائع يتكبد خسارة مالية.

وتعد التجارة العكسية أو التبادل التجاري (Counter trade or barter) حلاً بديلاً للتسعير القائم على العملة وبدلاً من شراء السلع مقابل النقد ، ترتب بعض الدول عمليات تجارة المنتجات محلية الصنع مقابل سلع مستوردة. (Jobber,2010,896 ).

- **نظم التوزيع** :

تجبر البيئات المختلفة في الأسواق الأجنبية الشركات على تعديل نظم التوزيع الخاصة بها، لأن منشآت التسويق المألوفة مثل: الأنواع المختلفة لتجار التجزئة تتوافق مع تلك البيئة أو غيرها.وفي هذا الخصوص لابد من الإشارة الى دور الوسطاء والتوزيع المادي في سوق التصدير.

- **الوسطاء وقنوات التوزيع:**

يعد الوسطاء الأجانب الذين يمثلون المستوردين ويعملون داخل الدول الأجنبية عادة أقل إصراراً واندفاعا في العمل حيث يقدمون خدمات تسويق أقل من منافسيهم الذين يبيعون المنتجات المصنعة محلياً.

ويطلق على أحدى الممارسات الخادعة التي يستخدمها بعض الوسطاء اسم: تحويل مسار التصدير او التسويق الرمادي (Gray marketing) في موضوع الصراع ضمن قنوات التوزيع عندما يشتري موزع ما منتجاً صنع في بلد معين ويوافق على توزيعه في بلد ثانٍ ولكن بدلاً من ذلك فإنه يحوله إلى بلد ثالث ويعد ذلك تسويقاً التفافياً أو رمادياً ويأتي المصطلح المستخدم لوصف مثل هذه الممارسة . ( Bains and others,2008,570).

ومن أسباب حدوث مثل هذا النوع من التسويق أن الشركات المصنعة التي تبيع منتجاتها في دول متعددة غالباً ما تواجه صعوبة في مراقبة أنشطة الوسطاء أكثر من الصعوبة التي تواجهها في مراقبتهم ومتابعتهم في السوق المحلية.

**- التوزيع المادي:**

تكون نفقات التوزيع الفعلي أكبر من سعر البيع النهائي في الأسواق الأجنبية عنها في الأسواق المحلية ويجب ان يتم هنا مراعاة المشكلات التي تنشأ عن المناخ السائد في بيئة العمل والسرقات أو عمليات النقل والتداول والتسويق غير المناسب التي ترتبط عادة بعمليات الشحن الدولي. وتعتبر الرشاوى (Bribes) والعمولات الخفية – وأحيانا الابتزاز- من حقائق الحياة المألوفة فيما يتعلق بالتوزيع في سوق التصدير. ويقع التوزيع المادي ضمن قرارات إدارة الإمداد ('Logistics ) التي تشمل أيضا معالجة الطلبات، النقل، الجرد ومستوى الخزين، التخزين، التغليف. ( العمر، 2007، 234).

**- الترويج :**

يمكن للشركات أن تتبنى عند الدخول لسوق أجنبي نفس إستراتيجية الترويج التي استخدمتها في السوق المحلي ، أو تغيرها تبعاً لخصوصية كل سوق أجنبي،ولنأخذ الإعلان مثلاً بدلا من الدخول في تفاصيل المزيج الترويجي( البيع الشخصي، الدعاية، تنشيط المبيعات ، العلاقات العامة، المعارض الدولية) ، بوصفها رسائل توضيحية للتحديات الإستراتيجية في الترويج الدولي. تتمثل صعوبة الإعلان الدولي في أن الأسلوب الناجح في ثقافة معينة ، قد يكون له معنى مختلف تماماً في ثقافة أخرى فعلى سبيل المثال ظهرت قضية مثيرة للجدل بشكل كبير عن إعلان تويوتا (Toyota) في ايطاليا الذي قدم مقارنة خفيفة الظل بين صورة الحكومة الإيطالية بصفتها حكومة فاسدة ، وقيمة سيارة تويوتا كارينا (Toyota Carina) وإمكان الاعتماد عليها.

وعلى الرغم من أن التناسق الكامل للإعلان الموحد على مستوى العالم كله ليس أمراً تقليدياً فإن هناك الكثير من التأييد لفكرة الخصائص المشتركة في حملات الإعلانات الدولية في الوقت الحالي . فعلى سبيل المثال تستخدم شركة يونيليفر(Unilever) بشكل ناجح نفس وسيلة الجذب لصابون دوف (Dove) الذي يحتوي ربعه على كريم منظف في أستراليا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة واليابان. وكذلك شركة جاي لاروش Guy Laroche تستخدم نفس الإعلانات لعطورها Drakkar Noir في أوربا مثلما تستخدمها في الدول العربية.

وعموماً يعد هدف الإعلان واحداً في أية دولة ، بمعنى توصيل المعلومات وعناصر الجذب المقنعة بشكل فعال وبالنسبة لبعض المنتجات فإن عناصر الجذب عامة ومشتركة بشكل كبير ، كما أن الأسواق متجانسة بدرجة تسمح باستخدام إعلانات متشابهة إلى حد كبير في العديد من الدول ويجب فقط تعديل إستراتيجية وسائل

الإعلان وتفاصيل الرسالة الإعلانية لملائمة البيئة الثقافية والاقتصادية والسياسية لكل دولة. فمثلا على صعيد الألوان في الإعلانات فأن اللون الأبيض هو لون الصباح في اليابان واللون الأرجواني يصاحب الموت في أمريكا اللاتينية، في حين اللون الأسود يصاحب حالة الموت في اغلب الدول العربية ، وكذلك التسميات حيث غيرت شركة Helene Curtis السويدية اسم الشامبو الذي تنتجه من شامبو كل ليلة Every Night Shampoo إلى شامبو كل نهار Every Day Shampoo نظرا لأن السويديين عادة مايغسلوا شعرهم في الصباح.

**2. التسويق المبني على المعرفة**

يُعد تشكيل وانتقال المعرفة في بيئة الأعمال والتعاون المشترك والمتداخل لنظريات التسويق المبنية على المعرفة من الأمور الحاسمة لتحقيق الميزة التنافسية للمنظمة والكفيلة ببقائها واستمرارها، كما أن أنشطة التسويق هي من ضمن أكثر أجزاء المنظمة كثافة بالمعرفة، إذ أظهرت الدراسات السابقة بان تطبيق مفاهيم التسويق المبني على المعرفة تبرهن فاعليتها في أداء المنظمة، فضلاً على افتقار التسويق إلى إطار مبني على المعرفة وضعف توضيح العمليات التسويقية المبنية على المعرفة. (Kohlbacher, 2008: 627).

حيث يعّرف التسويق المبني على المعرفة بأنه (التسويق الذي يستفيد من معرفة البيئتين الداخلية والخارجية لوحدة أو وظيفة التسويق في المنظمة) (Cader, 2007: 48-49).

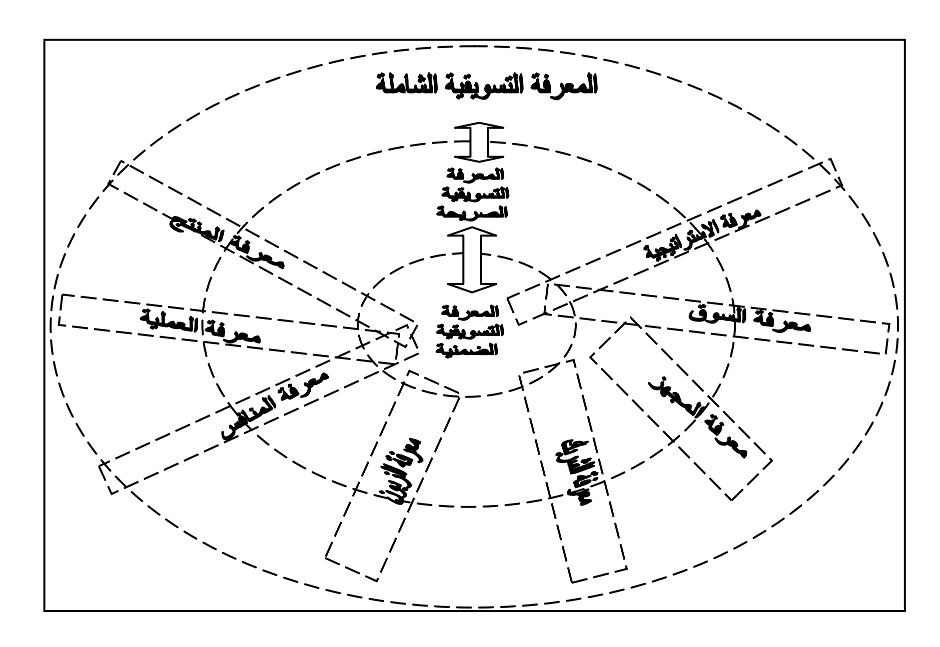
كما يعرف بأنه (إدارة التسويق بمنظور المعرفة والذي يركز على الاستغلال أو الاستثمار (المشاركة والتطبيق) والاستكشاف (الإنشاء والإيجاد)، فضلاً عن التكوين المتزامن للمعرفة التسويقية من خلال شبكة العلاقات المتبادلة مع الأطراف المختلفة والمعرفة عن الزبائن والمنافسين والموردين والشركاء والمساهمين لتحقيق الميزة التنافسية واستدامتها مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل المؤثرة من ثقافة المنظمة والثقافة العامة ومستوى الثقة وضمنية المعرفة) (Kohlbacher, 2007: 629).

يدعو التسويق المبني على المعرفة إلى البراعة الفائقة لربط استراتيجيات البقاء والاستمرار وان الإيجاد المتزامن للقيمة يكون مطلب مسبق بالغ الأهمية لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة (Kohlbacher , 2009 :164) .

نرى أن يكون التسويق المبني على المعرفة شاملاً يجمع في محتواها نوعي المعرفة الصريحة والضمنية والمعرفة عن كل الأطراف وبتوجه استراتيجي والتي تتجسد فيها العمليات التسويقية المبنية على المعرفة التي من شأنها تحسين الأداء التسويقي.

تتصف الأبعاد التي حددها (Kohlbacher) للتسويق المبني على المعرفة بالشمولية والتكامل والتناغم والتداخل فيما بينها وتشمل أيضا المعرفة الضمنية

والصريحة والتي تتجسد فيها ضمنا عمليات التسويق المبنية على المعرفة والمبينة في الشكل (4).




**الشكل (4) المعرفة التسويقية الشاملة**

Source: Kohlbacher, Florian, (2007), "International Marketing in the 21st Century: A Knowledge – based Approach, Pal grave Macmillan, Basingstoke, P: 99.

**3.الذكاء التنافسي:**

فى عالم الأعمال المعقد والمتغير بصفة دائمة فان الذكاء التنافسي والإلمام بالمنافسين وخططهم هو بمثابة قاعدة راسخة فى مجال اتخاذ القرارات الإستراتيجية تقدم وضعية تنافسية مميزة للشركات , أن التعرف على الاحتياجات التنافسية هو البداية الفعلية لدورة الذكاء التنافسي competitive intelligence **( CI )** .

وفي البيئة التنافسية العالمية تتخذ الشركات قرارات ذات مخاطرة عالية، سواء كانت تتعلق في تقديم منتج جديد الى الأسواق أو إقرار إستراتيجية لدخول أسواق جديدة، او توجد لديها الرغبة في الحصول على وتطبيق تقنيات جديدة ، او عند رغبة الشركة في الاستحواذ على شركة منافسة فان متخذي القرارات الإستراتجية لابد لهم

من المعرفة الدقيقة عن خطط المنافسين وعن ردود أفعالهم المرتقبة . ( www.kenanaonline.com ).

ويعرف الذكاء التنافسي بأنه" الوظيفة التنظيمية المسئولة عن الكشف المبكر عن المخاطر والفرص في السوق قبل ان تصبح واضحة وواقعية. ويدعو الخبراء هذه العملية بتحليل الإشارات المبكرة. (Gilad ,2008,22 ).

يركز التعريف على الفرق بين نشر معلومات واقعية على نطاق واسع (مثل إحصائيات السوق، والتقارير المالية) التي تقوم بها مركز ووظائف مثل المكتبات ومراكز المعلومات، وبين الذكاء التنافسي في تقديم منظورات perspective في التطورات والأحداث التي تهدف للحصول على ميزة تنافسية.

وماحوج الشركات العربية في أنشطتها التصديرية لمثل هذه التقنيات المتقدمة والتي يمكن الحصول عليها من شركات متخصصة في هذا المجال.

**المحور الرابع: الأداء التصديري**

يمثل أداء التصدير نجاح او فشل الجهود التي تبذلها الشركة او الأمة لبيع منتجاتها المحليـة (السلع والخدمات) في بلد آخر ويقاس الأداء التصديري موضوعيا " Objectively" من خلال مؤشرات مثل المبيعات والارباح والعائد على الأستثمار او العائد على الأصول، وذاتيـا " Subjectively "من خلال مؤشرات رضا الزبون والموزعين.( Lages,flilipe,2005,79 ).

وتستخدم بعض البحوث الحصة السوقية كجزء من البعد المالي ، الا أن الحصة السوقية كمقياس تندرج تحت بعد المبيعات وليس تحت بعد الربحية ، حيث تقاس المبيعات كنسبة التصدير إلى إجمالي المبيعات ويكون الحجم المطلق لهذه المبيعات والحصة للأكثر أهمية من المنتج / السوق ، أما الربحية فتقاس بواسطة العائد على الاستثمار ROI والعائد على الأصول ROA وبالحجم المطلق لكل من الحصة السوقية والربح التصديري الإجمالي والتشغيلي الحدي وتقارن الأرباح نسبة إلى معايير الصناعة ).

فيما يحدد الباحثان ((Optic, Cavusgil & Zou، 1-12) المعايير الإستراتيجية للأداء التصديري بالتوسع السوقي، الاستجابة التنافسية، الحصول على موطئ قدم وزيادة الوعي بالمنتج / الشركة.

وأشار ابو التمن الى مفهوم الالتزام على مستوى المنظمة على أنه الرغبة العامة من قبل الإدارة على تخصيص الموارد البشرية والإدارية والمالية الكامنة نحو أنشطة التصدير ذات الصلة. ويقاس هذا الالتزام على بعدين:- ( ابو التمن ، مصدر سابق، 90 ).

**الأول:**
الموقف من التصدير "Attitude" فيما إذا كان للشركة موازنة منفصلة خاصة لتطوير التصدير.
**الثاني:**
الالتزام ، فيما اذا كان للشركة مسؤول عن الأنشطة التصديرية.
ويوفر هذا المدخل صورة شاملة للالتزام حيث ينظر إليه على انه موقف وسلوك. كما يقاس الأداء من حيث ربح الشركة والنمو حيث يستخدم العائد على المبيعات:ROS" في تقويم الربحية. وتختلف الشركات عن بعضها في الأهداف فعلى سبيل المثال فعلى سبيل المثال تؤكد الشركات الأمريكية على المقاييس المالية كالعائد على الاستثمار " ROI" في حين أن الشركات اليابانية تؤكد النمو.
ومن المقاييس الأخرى للأداء التصديري مدى توسع الشركة في السوق الدولي. حيث يتحقق هذا التوسع من خلال التنويع أو التركيز السوقي، فالأول يعني التوسع السريع في عدد كبير من البلدان خلال فترة قصيرة من الزمن أما التركيز السوقي، فيبدأ ببلدان محدودة نسبياً ثم يتوسع تدريجياً إلى مناطق جديدة عبر الزمن وبذلك تؤدي إستراتيجية التنويع إلى عدد كبير من الأسواق في مرحلة معينة ولكن على الأمد البعيد فأن الإستراتيجيتين قد تقودان إلى عدد البلدان المخدومة نفسها.
في ضوء ماتقدم يمكن تحديد تعريف الأداء التصديري على انه " مدى التنفيذ لمجموعة من الأهداف الاقتصادية والإستراتيجية للمشروع التصديري التي تسعى إلى تحقيقها الشركة من خلال التخطيط والتنفيذ الكفء لإستراتيجية تسويق التصدير". ذلك أن إدارة أية شركة تستهل مشروعها التصديري وقد وضعت نصب أعينها مجموعتين من الأهداف التي قد تكون اقتصادية مثل الأرباح ، المبيعات او التكاليف أو الإستراتيجية مثل توسيع السوق، الاستجابة التنافسية، والحصول على موطئ قدم في السوق الأجنبي وزيادة الوعي بالمنتج أو الشركة أو كلتا هاتين المجموعتين من الأهداف. ( ابو التمن ، مرجع سابق، 92-93)، وكما مبين في الجدول (5).

**الجدول (5) أهداف مشاريع التصدير**

| أهداف زيادة الأرباح والمبيعات | أهداف حماية الأرباح والمبيعات |
|---|---|
| • دخول أسواق جديدة بعد إشباع ونضوج الأسواق تقوم الشركات بالبحث عن أسواق جديدة مجدية في الخارج حيث وجود النمو السكاني والاقتصادي.<br>• خلق سوق جديدة.<br>• الترتيبات التجارية التفضيلية للتجمعات الاقتصادية والإقليمية مثلاً الاتحاد الأوربي والتجمعات الاقتصادية الأخرى التي تعني سوق أكبر.<br>• النمو السريع للأسواق الأجنبية مقارنة بالمحلية.<br>• الحصول على موطئ قدم في الأسواق الخارجية. | • متابعة الزبائن في الخارج.<br>• تحسين الاتصالات والقدرة على الاتصال بالمستهلكين والوكلاء والفروع.<br>• التعويض أو معالجة تذبذب المبيعات في السوق المحلية لتحقيق مبيعات أضافية التي تسمح للشركة باستخدام طاقتها الإنتاجية الفائضة وبالتالي الحصول على كلفة أنتاج منخفضة.<br>• زيادة الوعي بمنتجات الشركة في سوق التصدير .<br>• المشاركة في سياسات وأنشطة دعم التصدير.<br>• البقاء في السوق التصديري.<br>• زيادة الوعي بالمنتج والشركة.<br>• مقابلة ضغوط المنافسة والمنافسين.<br>• التوسع الاستراتيجي في الأسواق الخارجية. |

**المحور الخامس: خلاصة ومقترحات**

فيما يأتي ابرز أوجه خلاصة البحث:

1.يمثل التصدير أداة فاعلة لتحقيق معدلات متنامية للنمو في اقتصاديات الدول ولاسيما النامية منها.

2.تمر العملية التصديرية بمراحل عديدة ،تختلف هذه المراحل باختلاف طبيعة عملية اتخاذ القرار التصديري والإستراتيجيات المختارة والعوامل المحددة في الأداء التصديري للشركة، وان موقف الإدارة يشكل جزءاً مهماً في موازنة مكامن القوة أو ضعف الإستراتيجيات المعتمدة في إدارة تسويق التصدير وفي توفير مستلزمات النجاح للمشروع التصديري.

3.يعكس تطور التصدير كمراحل محددة أو كعملية تدريجية أو كسلوك ابتكاري وكمواقف نشيطة أو سلبية بالضرورة وجود فروقات مهمة بين الشركات بخصوص أهدافها ومواقفها وسلوكها تجاه التصدير ومن ثم تباين المصدرين في توجهاتهم نحو التصدير باختلاف المراحل وأنماط الدخول إلى الأسواق الدولية ومستويات الاهتمام والمخاطرة.
4.يختلف التصدير كنشاط تسويقي دولي يختلف عن التسويق المحلي في الآتي:-

أ.ثمة اختلافات داخلية بين بيئة التسويق المحلي والخارجي تنعكس بالضرورة في تطبيقات مختلفة كالبرامج التسويقية.

ب .التصدير كونه نشاطاً في الأسواق الخارجية يفرز قضايا ومشكلات مختلفة عن التسويق المحلي.

ت. لم يحسم الباحثون الجدل القائم بشأن ملائمة إستراتيجية التنميط ام التكييف للأنشطة التسويقية، وكل من المدافعين عن هذين المدخلين له حجة في هذا الشأن . وعلاوة على ذلك هناك المدافعون عن الإستراتيجيات المختلطة من التنميط والتكييف وتكمن أهمية هذا

الجدل في أن اختيار أي من المدخلين كأستراتيجة له أثر واسع على أداء وتنافسية الشركة في الأسواق التصديرية.

ث.ينطوي خروج الشركات إلى الأسواق الدولية على الرغبة في تحقيق مجموعتين رئيستين من الأهداف هما الأرباح والمبيعات، وثانيهما الرغبة في المحافظة على أو حماية هذه الأرباح والمبيعات كضمانة لاستمرار تحقيق أهدافها الاقتصادية والإستراتيجية.

ح.ضرورة الاعتماد على المعايير المتعددة في قياس الأداء التي تجمع بين المعايير الاقتصادية والإستراتيجية.

5. على الرغم من أن التكتلات التجارية أصبحت سمة أساسية من سمات النظام الاقتصادي الدولي الجديد، وعلى الرغم من أن الدول العربية أعلنت في مناسبات عديدة عن ضرورة تمتين علاقاتها التجارية، لا يزال العالم العربي مفككا، الأمر الذي يضعف موقفه في العلاقات الاقتصادية الدولية.
6. ضعف الدول العربية كمؤسسات ومنتجات في الإسهام الحضاري الإنساني المبني على قدرة ذاتية لإمكانات تلك الدول المالية والمادية والبشرية.
7. ضعف الإنتاج المعرفي الدول العربية ومؤسساتها بسبب ضعف الإنتاج العلمي.

8. أسبقيات الولاء ضمن المنظومة العربية تميل كأتجاه عام للقبيلة والعشيرة وليس للعلم والتكنولوجيا والكفاءة والمواطنة الحقة.

9. الضعف الواضح في تبني المدخل الاستراتيجي في النشاط التصديري في الدول العربية، وإذا ماتحقق ذلك للبعض منها فأن النظرة المؤسسية والتفاعلية لتحقيق التكامل بين الدول العربية تكاد تكون ضعيفة.

10. يغلب على الاستثمارات المالية الضخمة وخاصة للدول العربية الغنية الطابع السياسي وليس الاقتصادي، ودليل ذلك حجم الاستثمارات في الصناديق السيادية أو الأعمال بشكل عام في الدول الأجنبية بدلا من توظيفها ضمن المنظومة العربية. ومنها دعم النشاط التصديري

11. ضعف دور الأعمال الصغيرة Small business في الدول العربية أسوة بالدول المتقدمة التي حولت إسهامات هذه الأعمال إلى ميزة تنافسية وتنشيط الحراك الاقتصادي على المستوى المحلي والانطلاق منه للمستوى الدولي.

12. عدم التوازن في حجم وقيمة التصدير بين الدول العربية والأجنبية من جهة، وفي التجارة البينية ضمن المنظومة العربية من جهة أخرى. حيث تميل الكفة لصالح العلاقة مع الدول الأجنبية.

13. يغلب على مؤشرات الأداء التصديري الجانب الاقتصادي البحت ممثلاً بعناصر التكاليف والسعر،و بشكل اكبر بكثير من الاهتمام بالمؤشرات الإستراتيجية

**مقترحات:**

1. إعادة قراءة التسويق المعرفي بمدخل فلسفي يمازج بين حقول العلم المختلفة ( علم النفس الاجتماعي، العلوم السلوكية، علوم تصميم المنتجات وتقنياتها ) لأن جوهر وهدف التسويق بهذا التوجه وبضمنه نشاط التصدير سواء على صعيد السياسات والاستراتيجيات ، هو الإنسان ( كحاجات ورغبات وقيمة ومنافع)قبل أن يكون زبونا أو مستهلكا فقط . إضافة لقدرة الشركات على الاندماج مع التنافسية وسلسلة الإنتاج العالمي المتقدم في مجال السلع والخدمات والمعارف.

2. إعادة تعريف سوق التصدير ،تصميم مزيج التسويق التصديري بما يحاكي متطلبات الزبون والتنافسية . وهذه القراءة تشمل مكونات إستراتيجية التصدير في مجالات ( اختيار السوق المستهدفة وقدراتنا التنافسية فيه، السلوك التصديري، تكييف او تنميط عناصر مزيج تسويق التصدير، السلوك التصديري، العوامل التنظيمية والإدارية ودوافع الإدارات العربية نحو التصدير في دعم نشاط التصدير ، مع إسناد كل ماتقدم بقاعدة معلومات ذكية عن التصدير وشركاته ونماذجه)

3. تبني الحكومات ومؤسساتها والجامعات ومراكز البحث ومؤسسات المجتمع المدني منهج إعادة قراءة لحجم وقيمة الإسهام الإنساني والإنتاجي والمعرفي للدول العربية بمنظور حضاري، فقوة الأمم والشعوب تقاس بهذا المؤشر.

4. ضرورة أعادة تعريف العلاقة بين القطاع الأكاديمي (الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية والبحثية من جهة والقطاعين العام والخاص، وبصورة دورية. وتوظيف تقنية "Triple Helix"في تفعيلها.

5. إعطاء اهتمام استثنائي للأطر القيادية التي تدير استراتيجيات وآليات وأنشطة التصدير ،لأن مشكلة سوء الإدارة في المنظومة العربية ( الإدارة السلطوية الأبوية ) تمثل إشكالية بالمقايسة والمقارنة مع مثيلاتها في الشركات العالمية .

6. العمل بجميع الوسائل على زيادة درجة الاندماج التجاري للدول العربية لتحقيق الاتحاد الجمركي، ونبذ صراعاتها السياسية والعسكرية. وهكذا تزداد معدلات النمو ويتحسن حجم الإنتاج ونوعيته في جميع القطاعات وتعالج معوقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة، بالنتيجة النهائية ترتفع المقدرة المالية والتجارية فتتغلب إيجابيات الاتفاقات متعددة الأطراف على سلبياتها ويصبح للعالم العربي ثقلا حقيقيا في منظمة التجارة العالمية.

7. تشجيع التجارة البينية بين الدول العربية تحقيقيا للتكامل الاقتصادي العربي الفاعل والمؤثر ضمن أسواق التصدير بشكل خاص والأسواق العالمية بشكل عام.

8. استثمار القدرات المالية العربية وخاصة في الدول النفطية منها، بجانب استثمار الموارد البشرية في إنشاء حاضنات تكنولوجية ومعرفية تحاكي لغة العصر( لغة العلم والتكنولوجيا) ،من خلال بناء تحالفات وشراكات مع جهات عالمية رائدة بمنظور استراتيجي، والانطلاق منها في بناء قاعدة منتجات معرفية لغرض التصدير.

9. تفعيل دور الملحقيات التجارية في سفارات الدول العربية في الخارج، واختيار الكفاءات المهنية في إدارتها. وبما يصب في مصلحة تنشيط التصدير.

10. تفعيل دور غرف التجارة والصناعة واتحادات وجمعيات رجال الأعمال في الدول العربية في تنشيط التصدير .

11. تنشيط دور الأعمال الصغيرة ودور القطاع الخاصSmall business بمحفزات مالية وإعفاءات ضريبية وتوعية إعلامية بأهمية هذا الدور.

12. إعادة النظر بالتشريعات القانونية المشجعة في خلق بيئة استثمارية لاستقطاب الاستثمارات ،وفي ذات الوقت تكون عوامل محفزة باتجاه تنشيط التعامل مع الخارج بأساليب الدخول للأسواق الأجنبية وبضمنها أسلوب التصدير.

13. دراسة إمكانية محاكاة والاستفادة من تجارب شركات دول متقدمة في أساليب دخولها بأسلوب التصدير للأسواق الأجنبية وأبرزها تجارب شركات دول مثل اليابان والصين وسنغافورة وماليزيا وتركيا وكوريا الجنوبية والبرازيل والهند .

14. اعتماد مؤشرات أداء تصديري اقتصادية وإستراتيجية تحقق تقليص درجة الانكشاف الاقتصادي وترسخ قيمة التصدير كقضية وطنية وتنافسية وحضارية.

# المراجع

## العربية:


1. أبو التمن، عباس غالي، (1999) ، " القوى المؤثرة في العلاقة بين ستراتيج التسويق الدولي والنشاط التصديري"، أطروحة دكتوراه ، **كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية**، جمهورية العراق.
2. أبو قحف ، عبد السلام ، (2007) ، " **التسويق الدولي**" ، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية،مصر.
3. ايتزل،مايكل. ووكر، بروس. ستانتون،ويليام، (2006) ، " **التسويق**" ، ط1، شركة لبنان ناشرون بالتعاون مع شركة ماكجروهل، بيروت،لبنان.
4. العمر، رضوان المحمود، (2007)، " **التسويق الدولي**"، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.
5. صقر، عمر، (2003)، " العولمة وقضايا اقتصادية معاصرة"، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
6. كوتلر،فيليب . أرمسترونج، جاري، (2007)،" **أساسيات التسويق**" ،، تعريب د. م سرور علي إبراهيم سرور، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
7. المعهد العربي للتخطيط، (2009)، " **تقرير التنافسية العربية**" ، العدد 3، الكويت.


## الأجنبية:


1. Abdmoulaha,W. Laabas,B,(2010),” Assessment of Arab Export Competitiveness in International Markets using Trade Indicators”, The **Arab Planning Institute** , API/WPS 1010
2. Baines, Paul. Fill, Chris. Page, Kelly, (2008)." **Marketing**", Ist Ed, Oxford University press, Italy.
3. Cader, Yoosuf,(2007), “Knowledge management & Knowledge–based marketing”, **Journal of Business chemistry**, Vol. 4, Issue 2,
4. Cavusgil, T.S. (1984), "Differences among Exporting Firms Based on Their Degree of Internationalization", **Journal of Business Research**, vol 12, No 2.
5. Gilad, B. (2008), "The Future of Competitive Intelligence: Contest for the Profession's Soul", **Competitive Intelligence Magazine**, vol.11, No (5).
6. Jobber, David, (2010)," **Principles and Practices of Marketing**", 6th.Ed.Mc-Graw-Hill companies, UK.

7. Johansson, Johny.K, (2000),"**Global Marketing Foreign Entry, Local Marketing& Global Management**", 2nd.Ed, Mc-Graw-Hill Irwin, USA.
8. Kohlbacher, Florian, (2007), "**International Marketing in the 21st Century: A Knowledge – based Approach**, Pal grave Macmillan, Basingstoke, P: 99.
9. Kohlbacher, Florian, (2008), "Knowledge-based marketing: building & sustaining competitive advantage through knowledge co-creation", Journal of management & decision marketing, Vol. 9, No. 6
10.Kohlbacher, Florian, "Strategic Knowledge–based marketing", (2009), **Journal of Knowledge management studies**, German Institute for Japanese studies. Vol. 3, No. 2.

11. Lages, Luis Filipe, Carmen Lages & Cristiana Raquel Lages (2005), "Bringing export performance metrics into annual reports: The APEV scale and the PERFEX scorecard." **Journal of International Marketing**, 13(3), 79.

12. McDonald, Malcolm, (2010)," **Marketing Plans : How To Prepare Them, How To Use Them**",6th.Ed., Alsevier,Ltd.Uk.
17. The World Competitiveness Report, **World Economic Forum**, (1994), IMD International, Lausanne.

**الانترنت:**
1. www.moheet.com
2. www.thetriplehelix.org
3. Www. kenanaonline.Com/users/ahmedkordy/topics.

# أثر السلوك التنظيمي على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في السودان

ورقة بحثية مستلة من رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة النيلين

**علي محمد أحمد عبد المحمود صلاح*      2011م**

**الملخص**

تهدف هذه الورقة لدراسة السلوك التنظيمي للعمالة و أثره على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في السودان، لقد اهتمام علماء الإدارة بدراسة السلوك الإنساني كأحد محددات أداء الأفراد، لأنه يحدد السلوك الذي يسلكه الفرد داخل المنظمة مع زملائه و مرؤوسيه ما يعرف بالسلوك التنظيمي، و الذي يعتبر أحد عناصر معادلة الأداء البشري، لهذا اهتمت إدارات المنظمات بدراسة سلوك الفرد من خلال معرفة محددات السلوك الإنساني و التي تتمثل في الجوانب الوراثية، و العوامل البيئة الاجتماعية و الثقافية، و المستوى الاقتصادي و بيئة العمل و النظم المتبعة، ومن خلال معرفة سلوك الفرد يمكن التنبؤ بسلوكه داخل أو خارج المنظمة، إضافة إلى معرفة مدى التزامه بتحقيق أهداف المنظمة من خلال معرفة الأسباب التي تزيد أو تقلل من دوافعه للعمل.

استخدم الباحث في هذه الدراسة منهجاً إحصائياً تحليلياً، لتحديد خصائص الظاهرة موضوع الدراسة ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها وما إلى ذلك من جوانب تدور حولها للتعرف على حقيقتها في أرض الواقع. تم الحصول على بيانات الدراسة من المصادر الثانوية المتمثلة في المراجع و الكتب والدوريات العلمية و المواقع الالكترونية، كما تم الحصول على البيانات الأولية للدراسة ميدانياً باستخدام أداة الاستبيان (Questionnaire)، و قد اعتمدت الدراسة على عينة مسحية عرضية (Accidental Sample) مكونة من 537 فرداً، تم اختيارهم من قطاعات الأعمال المستهدفة بالدراسة وفقاً لمتغير كثافة

* طالب دكتوراه، قسم إدارة الإعمال، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين ، المدير الإداري للشركة العربية لإنتاج الأدوية البيطرية

الوجود الأجنبي في القطاع المعني فكانت الغلبة لقطاع النفط. استطاع الباحث جمع عدد 485 استمارة من أفراد العينة، أي ما يعادل نسبة 90.31% من مجموع الاستمارات التي وزعت.

توصلت الدراسة إلى نتائج يري الباحث أنها أجابت على مشكلة البحث وهي:

**1.** أوضحت الدراسة منظمات الإعمال تفضل استخدام العمالة الوافدة لتميزها بالصفات الآتية:

- العمالة الوافدة المتخصصة تتمتع بخبرات ممتازة في مجال تخصصها.
- يتمتع العمال الوافدين بحيوية و نشاط و بنية جسمانية قوية تجعلهم يتحملون العمل تحت الضغط لفترات طويلة.
- ليست جميع العاملين الأجانب يمتعون بمهارات عالية البعض عبارة عن عمالة هامشية.
- لا تفضل العمالة الوافدة الارتباط بالنقابات لاعتقادهم بأنها قد تجرهم للخوض في بعض القضايا السياسية التي قد تجلب لهم بعض المتاعب.

**1.** تفضيل منظمات الأعمال استخدام العمالة الوافدة لانخفاض تكلفة تشغيلها التي تتضح من الآتي:

- أغلب العمال الوافدين يحرصون على تحقيق معدلات إنتاج عالية، مما يساعد على تقليل تكلفة إنتاج السلع أو تقديم الخدمة.
- أغلب العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل، مما يجعل العملاء يثقون بالمنظمة بأنها تستطيع تنفيذ تعهداتها تجاههم.
- لا يحرص العمال الوافدين على الاشتراك في التامين الاجتماعي مما يوفر للمنظمات المبلغ التي تدفعه كاشتراك شهري للعامل.
- تحرص العمالة الوافدة على تطوير مهاراتها ومواكبة التطور التكنولوجي المتسارع في مجال تخصصها.

**2.** توصلت الدراسة إلى أن المنظمات تفضل استخدام العمالة الوافدة لارتفاع قدراتها وتميز أدائها الذي يتضح من خلال الآتي:

- العمالة الوافدة تتميز عن العمالة السودانية باحترامها لرؤسائها و أكثر إطاعة لأوامر.
- تهتم العمالة الوافدة بمظهرها العام مما يكون له وقع ممتاز في نفس عملاء.
- العمالة الوافدة منضبطة جداً أثناء ساعات العمل وتتجنب تماماً ما يعطل العمل.
- تتصف العمالة الوافدة المتخصصة بمقدرات عالية لحل ما يعترض العمل من مشكلات.

- توصلت الدراسة إلى أن العاملين الوافدين يتفاوتون في درجة تعاونهم مع زملائهم حسب جنسياتهم و مجال عملهم و لا يختلفون في ذلك كثيراً عن العمالة السودانية.
- يتفاوت العمال الوافدين في درجة تكيفهم مع ظروف العمل.
- أغلب العمال الوافدين أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل.

في ضوء مناقشة نتائج الدراسة توصلت الدراسة للتوصيات التالية:

1. ضرورة تسليح الشباب طالبو الوظائف بالمعارف و المهارات و السلوكيات المرغوبة، التي تتواءم مع المتغيرات التكنولوجية المحلية و الإقليمية و العالمية.
2. الاهتمام بتزويد الخريجين بقيم العمل بنفس مستوى الاهتمام بتزويدهم بالمعرفة والمهارات التقنية والمهنية ليصبحوا مواطنين منتجين، فلا بد من تأصيل ونشر وتمتين ثقافة إدارة الزمن و العامل المنتج، والحرص على أخلاقيات العمل فهي أمر ديني وأخلاقي وإداري.
3. إصلاح إفرازات التعليم العالي بما يربطه بأهداف التنمية وحاجات المجتمع، في ظل تدابير عامة للإصلاح السياسي والإداري.

## The impact of organizational behavior on the phenomenon of the use of Expats in Sudan

Ali Mohammed Ahmed Abdel Mahmoud Salah *

**Abstract**

The objective of this paper is to study the organizational behavior of employment and its impact on the phenomenon of the use of Expats_in the Sudan, I have the attention of management scientists studying human behavior as a determinant of individual performance, because it determines the behavior being followed by the individual within the organization with his colleagues and subordinates what is known as organizational behavior, which is a elements of the equation of human performance, that's focused on departments of

organizations to study the behavior of the individual through knowledge of the determinants of human behavior, which is the genetic aspects, in addition to the factors of the social environment, cultural and economic level and the work environment and systems in place, and by knowing the individual's behavior can predict his behavior inside or outside the organization, in addition to knowledge of how the commitment to achieve organizational objectives through the knowledge of the causes that increase or reduce the motivation to work.

The researcher used in this study, an analytical statistical approach, to determine the characteristics of the phenomenon under study and describe the nature and quality of the relationship between the variables and their causes and trends and to aspects of the spin around to see what they are in the ground. Been obtained the study data from secondary sources of references and books, scientific journals and websites, as has been obtained for the initial data for the study of the ground using the questionnaire, and may study relied on a sample survey a cross (Accidental Sample) composed of 537 members , were selected from the target business study and according to the variable intensity of foreign presence in the sector were to prevail on the petroleum sector. Researcher was able to collect a form from the 485 respondents, equivalent to the proportion of 90.31% of the total questionnaires that were distributed.

The study found the results to the researcher believes that it responded to the research problem, namely:

1._The study of business organizations prefer to use foreign workers to distinguish the following characteristics:

• Expats have specialized expertise, excellent in their field

of specialization.
• migrant workers enjoy the vitality and the activity and structure make them bear a strong physical work under pressure for long periods.
• Not all foreign workers regale some highly skilled labor is marginal.
• Expats prefer not to link trade unions in the belief that it may lead them to engage in some political issues that may bring them some trouble.
2._Business organizations prefer to use foreign workers for low cost operation that emerges from the following:
• Most migrant workers are keen to achieve high production rates, which helps to reduce the cost of producing goods or providing the service.
• Most foreign workers are more committed to conduct business, which makes customers trust the organization that they can implement their commitments towards them.
• migrant workers are not keen to participate in social insurance, which provides organizations with the amount that you pay monthly as a subscription to the worker.
• Expats keen to develop their skills and keep pace with rapid technological advances in the field of specialization.
3._The study found that organizations prefer to use foreign workers for high capacity and performance excellence as evidenced by the following:
• Expats distinct from the employment of Sudan to respect for their heads, and more in obedience to orders.
• Expats interested in general appearance, which have occurred in the same excellent customers.
• Expats very disciplined during working hours and to avoid exactly what disrupts the work, such as social events and courtesies.
• characterized by Expats specialized high destiny as opposed to working to solve problems.

• The study found that foreign workers vary in the degree of their cooperation with their colleagues according to their nationality and their field and do not differ much from the employment of Sudan

• migrant workers vary in the degree of their adaptation to the conditions of work.

• Most migrant workers are more committed to laws governing the work.

In light of the discussion results of the study The study found the following recommendations

**1**. The need to equip young job-seekers with the knowledge, skills and desired behaviors, which are compatible with the technological variables local, regional and global.

**2**. Interest to provide the values of the graduates work in the same level of interest by providing them with the knowledge and technical and vocational skills to become productive citizens, we must consolidate the dissemination and strengthening the culture of management time and working the product, and to ensure that the work ethic it is a religious, moral and administrative.

**3**. reform of higher education including links it to development objectives and the needs of the community, under the general measures of political and administrative reform

**مقدمة:**

إن دخول السودان لمرحلة إنتاج و تصدير النفط جعله من الأسواق الجاذبة للعمالة في العالم نتيجة لتزايد معدلات الاستثمارات الأجنبية، و لعل العمالة الخاصة بصناعة النفط و التعدين والصناعات التحويلية وغيرها تحظى بنصيب أكبر في سلم العمالة من حيث العدد و النوعية، لأنها تحتاج إلى خبرات وكفاءات غير متوفرة في العمالة الوطنية [البوني، صفاء عبد اللطيف (2010م)]. إلا أن سوق العمل لم يسلم أيضاً من العمالة غير الماهرة في قطاعات و مواقع مختلفة حتى الهامشية منها [حامد، ناجي محمد(2009م)، ص106]. و تبعاً لذلك ازداد عدد العمالة الوافدة بالبلاد بصورة ملحوظة و متزايدة مما احدث اختلالاً في سوق العمل السوداني أفضي إلى حدوث زيادة في البطالة وسط العمالة السودانية [الطائف، الزهور محمد خير(2002)]، و دخول ثقافات و عادات و سلوكيات و ظواهر سالبة في المجتمع السوداني، أدت لإحداث آثار اقتصادية و اجتماعية و أمنية و ثقافية في المجتمع [علي، محمد إسماعيل (2009م)،ص39]. و يعتبر العنصر البشري من أهم عناصر الإنتاج وهو مخلوق معقد التركيب و يختلف تماماً عن عناصر الإنتاج الأخرى، لذلك لزم الأمر ضرورة الاهتمام بدراسة وفهم العوامل التي تؤثر في سلوكه، الذي يؤثر على الكفاءة الإنتاجية للفرد و بالتالي يؤثر على تحقيق أهداف المنظمة. اشتداد المنافسة العالمية و الداخلية بين المنظمات دفعها إلي البحث و استقطاب أفضل العناصر أداءً لتحقيق ميزة تنافسية من خلال الأداء المتميز للعنصر البشري، بخفض تكاليف إنتاجها و تحسين جودة منتجاتها و الخدمات المقدمة، ، لذا كان التركيز على اختيار العناصر التي تتميز بكفاءة عالية و بأداء متميز، و من المعلوم أن أداء الفرد يتأثر بسلوكه لانعكاسه على تصرفاته و تعامله مع زملائه و مرؤوسيه عند قيامه بأي أعباء ، هذا ما يعرف بالسلوك التنظيمي، و الذي يمكن أن يعرف بأنه "سلوك الفرد داخل المنشأة والذي يحدده طبيعة الإنسان" وسلوك العامل ينبع من دوافعه وغرائزه الفطرية و يرتبط بالجانب النفسي للعامل، و يعتبر من أهم موجهات أداء العامل، لذلك أصبح هناك اهتمام بالجوانب السلوكية للأفراد عند الاختيار، و من هنا نبعت أهمية دراسة السلوك التنظيمي ومعرفة محدداته وعناصره وأبعاده.

**مشكلة البحث:**

تتمثل مشكلة البحث في أن هناك زيادة في أعداد العمالة الوافدة في سوق العمال السوداني آدت لحدوث آثار اقتصادية و اجتماعية و أمنية و ثقافية في المجتمع، وزادت من نسبة البطالة فأصبحت تشكل ظاهرة ينبغي معرفة دوافعها و مسبباتها، و لذلك يود الباحث من خلال هذه الدراسة معرفة اثر السلوك التنظيمي للعمالة الوافدة على تفشي هذه الظاهرة في اغلب قطاعات الأعمال.

**أهمية الدراسة:**

يرى الباحث أن استخدام العمالة الوافدة أصبح يشكل ظاهرة واضحة للعيان، ومستمرة في الازدياد يوماً بعد يوم، الشيء الذي ينذر بخطر يحتم دراستها لمعرفة الدوافع و الأسباب التي أدت لظهورها و العمل على معالجتها، لتفادي تفاقم هذه الظاهرة مستقبلاً و لتحجيم الآثار السالبة المترتبة عليها و المخاطر التي قد تنجم عنها مستقبلاً.

**أهداف الدراسة:**

و تهدف الدراسة لمعرفة اثر السلوك التنظيمي للعمالة على تفشي ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في اغلب قطاعات الأعمال في السودان، و ذلك باختبار فرضيات الدراسة من خلال جمع البيانات عن هذه الظاهرة وتحليلها للتوصل لتوصيات بشأنها تساعد على معالجة دوافعها، و تحد من استفحال مخاطرها الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية.

وبناءً على ما سبق تهدف هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية حول هذه الظاهرة:

1. ماهي الصفات التي تتميز بها العمالة الوافدة ؟
2. ماذا عن تكلفة تشغيل العمالة الوافدة منخفضة أم مرتفعة ؟
3. مدى تميز قدرات و أداء العمالة الوافدة ؟

**فرضيات الدراسة:**

بناءً على ما تقدم افترضت الدراسة الفرضيات التالية:

1. وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام العمالة الوافدة و الصفات التي تميز هذه العمالة.

2. وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام العمالة الوافدة انخفاض تكلفة تشغيلها.
3. وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام العمالة الوافدة و ارتفاع قدراتها وتميز أدائها.

**منهجية البحث:**

استخدم الباحث في هذه الدراسة الاستطلاعية المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف الظاهرة للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها، و استخدم الباحث وسيلة الاستبيان (Questionnaire) لمعرفة السلوك التنظيمي للعمالة الوافدة و مدى تميز صفاتها و قدراتها و أدائها، و من ثم معرفة مدى تأثير ذلك على هذه الظاهرة. و اعتمدت الدراسة على عينة مسحية عرضية (Accidental Sample) مكونة من 537 مفردة توزعت على مجموعة مختارة من قطاعات الأعمال، واستخدم الباحث برامج التحليل الإحصائي في تحليل و معالجة البيانات المتحصل عليها من الاستبيان لاختبار فرضيات الدراسة و استخلاص النتائج.

**مجتمع البحث وعينته:**

يتكون مجتمع الدراسة من الأفراد ذكور و إناث العاملين بالقطاعات التي بها أعداد مقدرة من العمالة الأجنبية، و لعدم قدرة الباحث على تحديد حجم مجتمع الدراسة بشكل دقيق استخدم طريقة العينات غير العشوائية (nonrandom Samples)، فاستخدم طريقة العينة القصدية (Purposive Sample) لتحديد المنشآت المراد اختيار أفراد لعينة الدراسة من القطاعات الرئيسية و التي شملت قطاعات: البناء و التشييد, و النفط، و الطاقة و التعدين، و قطاع النقل، الطرق و الجسور، و قطاع المطاعم و الفنادق، إضافة لسبعة قطاعات أخرى فرعية شملت قطاعات: الإنتاج الزراعي و الحيواني، و الري و الحفريات، التعليم العالي، و مراكز التدريب، و الصناعات الدوائية والغذائية، و إدارة الأجانب ومكاتب الاستقدام و الإعلام ، استخدم الباحث طريقة عينة الصدفة (العرضية) (Accidental Sample) لاختيار أفراد عينة الدراسة من المنشأة المعنية، كما قام الباحث بانتقاء بعض أفراد عينة الدراسة بطريقة العينة القصدية بناءً على الاختصاص بغرض إثراء الدراسة وتحقيق أهدافها.

**أولاً: ما هو السلوك الإنساني**

يقصد بالسلوك عموماً الاستجابات التي تصدر عن الفرد نتيجة لاحتكاكه بغيره من الأفراد أو نتيجة لاتصاله بالبيئة الخارجية، ويتضمن السلوك بهذا المعنى كل ما يصدر عن الفرد من عمل حركي أو تفكير أو كلام أو مشاعر أو انفعالات الغرض منها إشباع وتحقيق حاجاته [www.dzworld.net].

بمعنى أن سلوك الإنسان هو ممارسات يؤديها الإنسان لحركات أو فعاليات جسيمة ونفسية، ولاشك في أن إشباع هذه الحاجات عن طريق عملية السلوك الإنساني يعتمد على قدرات الفرد في تحقيق هذه الحاجات، فلكل فرد حاجاته النفسية وقدراته ودوافعه الخاصة لتحقيق وإشباع هذه الحاجات [http://univ-mae.com]٠

**مؤثرات السلوك الفردي**

وهي عبارة عن مجموعة من العناصر والمتغيرات تؤثر بشكل عام على سلوك الفرد، فهي تختص بالفرد نفسه دون الجماعة وهي:

أ. الإدراك: perception:

هو المعرفة الناتجة التي يحصل عليها بفعل مؤثرات خارجية مباشرة مبنية على أحاسيسنا و انفعالاتها بفعل الأشياء الموجودة حولنا [جمجوم، هشام محمد نور (1991م) ص34]٠ وينصرف مفهوم الإدراك إلى الطريقة أو الأسلوب التي يتفهم أو يسعى الإنسان إلى تفهم ما يحيط وذلك من خلال مجموعة الحواس التي يمتلكها الشخص[http://univ-mae.com، مرجع سبق ذكره]٠

**ب.** الدافعية : motivation :

تحدد دوافع الإنسان نوع سلوكه ولذلك تعرف الدافعية "بأنها العملية التي يمكن بها توجيه السلوك الإنساني"، وقد اختلفت وجهات نظر الكتاب في تحديد مفهوم الدوافع فالبعض يرجعها إلى مفهوم الحاجة أو الشعور بالنقص، ومن هنا كان الاهتمام بالحاجات الإنسانية باعتبار أن لها تأثيراً على سلوك الفرد [هشام محمد نور جمجوم ، مرجع سبق ذكره ، ص**43**].

و تتوقف مقدرة المنشأة في تحقيق الأرباح على أداء المشاركين في العمل و ليست على المهارة و المقدرات الإدارية فقط، لكن يجب معرفة الدافعية الإنسانية للتوصل إلى كيفية تنشيط القدرات و المهارات الكامنة لدى الفرد، و تختص الدافعية بتفسير سبب السلوك الإنساني خاصة ما يتعلق بسبب تفاني فرد ما في العمل و إخلاصه و ولائه له، بينما يحاول فرد آخر تجنب العمل، و لماذا يشعر الفرد بسعادة و رضا في العمل بينما يشعر الآخر

بالملل و الضجر و الرغبة في التهرب منه[حنفي، عبد الغفار(1993م)، ص357].

**ت.** البيئة التنظيمية و الدافعية:

توفير فرصة العمل للعامل لا تجعله ينتج بأعلى مستوى و أن يكون مخلصاً و متحملاً للمسئولية الوظيفية للشركة، و إنما يجب تحقيق مطالب الأفراد كجماعة و كأفراد لخلق نوع من الدافعية لدى الأفراد، و التي تعني الاستعداد للتنمية و القدرة على تحمل المسئولية و الاستعداد لتوجيه السلوك نحو الأهداف التنظيمية [المرجع السابق ،ص376].

**ب.** القدرات:

تعتبر القدرة من أهم الجوانب الشخصية حيث النجاح في الدراسة و العمل إنما يقوم على أساس من قدرات الفرد لمتابعة دراسة ما أو القيام بعمل من الأعمال[هشام محمد نور جمجوم ، المرجع السابق ، ص61] ، وهي عنصر أساسي من العناصر المؤثرة في السلوك و بالتالي في الأداء الفردي و الجماعي [نفس المرجع ص62]. يختلف الناس في مستوياتهم العقلية اختلافاً جوهرياً، بمعنى آخر تختلف نسبة القدرة من فرد لآخر كمظهر من مظاهر الفروق الفردية، فهي المحصلة الكلية لمختلف المواهب العقلية المعرفية و التي تضم التفكير و الإدراك و التذكير و التخيل و الابتكار و الانتباه و الاستدلال.

و يمكن أن نميز بين ذي القدرة عن غيره من الأفراد من خلال الصفات التي تميزه وهي:

1. أشد يقظة وأسرع في الفهم و الحفظ و الاستيعاب و الاستعداد و الإقدام و المثابرة.
2. أقدر على التعلم و اكتساب المهارات و الخبرات و أقدر على التطبيق و مراعاة القوانين.
3. أقدر على إدراك العلاقات المختلفة التي تربط بين مختلف الأمور.
4. أقدر على الابتكار و الإبداع و حسن التصرف و سرعة البديهة و الطلاقة في التعبير.
5. أقدر على التصرف في العواقب و في تكوين علاقات مرضية مع من يتعامل من الناس و أسرع في كسب ثقة الآخرين و حبهم و ولائهم وأسرع في التأثير و أقدر على اللباقة.

6. غالباً ما يكون ناجحاً في دراسته و عمله و في الحياة عامة وأسرع على التوافق الاجتماعي و التعاون في حل المشاكل.
7. أقدر على العمل تحت ظروف الإحباط و القهر والظروف الطارئة، وتحمل الصدمات و الشدائد دون أن يفقد اتزانه و ثقته أو السيطرة على انفعالاته و سلوكه.
8. أقدر في تحديد الأهداف و اتخاذ القرارات السديدة في الوقت المناسب و تنظيم الجهد و الوقت.
9. أقدر على رقابة الآخرين و توجيههم و الإشراف عليهم و كسب مودتهم و جعلهم يعملون لتحقيق الأهداف المنشودة منهم و هم راضون كل الرضا.
10. أقدر على أن يكون القدوة و المثل الأعلى للآخرين [المرجع السابق ، ص71].

و تتمثل الفروق الشخصية بين الأفراد في الآتي:

أ. الشخصية: personality

يشير مفهوم الشخصية إلى تلك الخصائص الجسمانية والنفسية التي تميز الشخص عن غيره من الأشخاص، وتتحدد شخصية الإنسان من مجموعة من العوامل التي ترجع إلى عوامل الوراثة، وكذلك العوامل الموقفية الناتجة عن وجود الشخص في جماعة معينة أو مجتمع معين، ومن هذا المنطلق فان مصطلح الشخصية يضم أية سمة أو صفة لها صلة بشكل أو آخر بقدرة الفرد على التكييف و الحفاظ على احترامه لذاته، ومن هنا يجب أن يأخذ أي وصف للشخصية بعين الاعتبار المظهر العام للفرد و طبيعة قدراته و دوافعه و ردود أفعاله وكذلك طبيعة الخبرات التي سبق له أن مره بها [نفس المرجع ، ص96].

ب. الخبرات المشتركة: نجد أن الإنسان يتعلم سلوكاً تفرضه عليه الثقافة التي يعيش فيها، و ينقل القيم السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه دون مناقشة ودون علم بان أشخاص آخرين من ثقافات أخرى قد لا يشاركونه في هذه القيم [المرجع السابق ، ص98].

ت. الشخصية و الخبرة الفردية: يؤثر التكوين البيولوجي للفرد أو الفروق الوراثية في مسالكه الخاصة تجاه العوامل الاجتماعية التي تؤثر فيه فتصبح ميزة خاصة تميزه عن الآخرين. ونجد أن البيئة الثقافية التي يعيش فيها الفرد وحصيلة الخبرات التي مر بها و اكتسبها يصبان معاً

في قالب واحد يحددان لشخصيته بناءً محدداً و هوية معينة معروفة به [المرجع السابق ، ص99 ] .

هناك عدة عناصر خارجية تؤثر في سلوك الفرد تتمثل في الخبرات التي يمر بها و يكتسبها الفرد، إضافة للتعليم الذي تلقاه الفرد أو التعليم من المواقف التي مره بها أو ملاحظاته على ما يجري حوله، و الثقافة التي يؤمن بها الفرد تؤثر سلباً و إيجاباً في سلوكه فهي تتكون مما يكتسبه الإنسان من مجتمعه من معتقدات و قيم وأفكار و أنماط سلوكية و لغة و فن و علم و استعدادات و اهتمامات، بجانب ذلك نجد للمكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع الذي يعيش فيه أثر كبير على سلوكه، إضافة لظروف العمل داخل المنشأة التي يعمل بها الفرد من حيث مباني و تصميم المنشأة و التصميم الداخلي و ونظام التهوية و الإضاءة و الأثاثات والألوان جميعها تؤثر على السلوك الفردي للإنسان.

**ثانياً: السلوك التنظيمي**

**ما هو السلوك التنظيمي:**

هو دراسة منظمة لأفعال واتجاهات الأفراد بالمنظمات حيث يسعى السلوك التنظيمي لإحلال الطريقة العلمية محل الاعتماد على الخبرة والتجربة في تفسير السلوك الإنساني، ويهتم السلوك التنظيمي أيضاً بالسلوك المتصل بأداء العمل في المنظمات على العكس من مجالات علم النفس والاجتماع التي تقوم بدراسة السلوك الإنساني بصفه عامة.

لقد أصبحت مادة "السلوك التنظيمي" من بين المواد العلمية الرئيسية في خطط ومناهج حقل الإدارة في جميع الجامعات والكليات والمعاهد، بل ومادة تدريبية مهمة للمديرين ومختلف العاملين في المنظمات عامة، وذلك لأنه بات واضحاً بأنه لا يمكن للمنظمات تحقيق أهدافها بكفاية وفعالية بدون فهم واضح ومتعمق لسلوك العاملين في المنظمات، والذين يلعبون الدور الحاسم في هذا المجال.

**تعريف السلوك التنظيمي:**

و يعرف السلوك التنظيمي بأنه الاستجابات التي تصدر عن الفرد نتيجة لاحتكاكه بغيره من الأفراد داخل المنظمة، أو نتيجة لاتصاله بالبيئة الخارجية من حوله. ويتضمن بهذا المعنى كل ما يصدر عن الفرد من عمل حركي أو

تفكير أو سلوك لغوي أو مشاعر أو لإدراك و انفعالات، كما عرفه هود جيتس وألتمان السلوك التنظيمي بأنه ذلك الجـزء من المعرفة الأكاديمية التي تهتم بوصف وتفهم وتنبؤ وضبط السلوك الإنساني في البيئة التنظيمية [الحسيني، صلاح هادي حسن (بدون تاريخ)] ' ومن هذه التعاريف يمكن تلخيص السلوك التنظيمي في:

أ. أن السلوك التنظيمي هو سلوك الإفراد داخل المنظمات.

ب. يختلف السلوك التنظيمي من فرد إلى آخر اعتماداً على طبيعة الإنسان.

ت. يظهر السلوك التنظيمي عند وجود الفرد داخل المنظمة مع وجود أفراد آخرين يتفاعلون معه، مما ينتج عن هذا التفاعل السـلوك التنظيمي أي أن السلوك التنظيمي يختلف عن السلوك الإنساني إذ إن الأول يظهر داخل المنظمة فـي حين الثاني هو سلوك الأفراد خارج المنظمات أو المؤسسات.

ث. يتحكم في سلوك الأفراد داخل المنظمات ( السلوك التنظيمي ) بمجموعه من القوانين وتعليمات المنظمة التي يعمل بها الأفراد.

ويرى العلماء والباحثين المعنيين بهذا المجال أهمية معرفة السلوك التنظيمي للأفراد عند التعيين، لأنه يعني مباشرة تفهم وتفسير سلوك العامل في المنظمات والتنبؤ به وضبطه والتحكم به من أجل تحقيق أهدافها بكفاية وفعالية [www.dzworld.net].

و من هنا يمكن تعريف السلوك التنظيمي بأنه تفاعل علمي النفس والاجتماع مع علوم أخرى أهمها علوم الإدارة والاقتصاد والسياسة [www.alsumereon.com]:

و تتضح أهمية السلوك التنظيمي من النقاط التالية:

أ. جذب الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بتنمية وتطوير الكادر البشري، ويمكن تحقيق هذا بالاستثمار فيه لزيادة كفاءته وتحسين مهارته، ومن ثم فان الفهم الصحيح لسلوك الأفراد يمكن المنظمة من التعامل مع الأفراد بالطريقة الصحيحة.

ب. وجود الاختلافات الفردية التي تميز هذا السلوك، يتطلب من المنظمة فهم وتحليل هذه الاختلافات للوصول إلى طرق تعامل متمايزة تتناسب مع هذه الاختلافات.

ت. فبالرغم من أن السلوك التنظيمي ليس وظيفة تؤدى يومياً مثلها مثل المحاسبة أو التسويق أو التمويل إلا أنها تتغلغل في كل وظيفة تقريباً على مستوى المنظمة ككل.

هناك ثلاثة أهداف رئيسية من دراسة السلوك التنظيمي هي:

**أ.** تفسير وتحليل سلوك الفرد في المنظمة.

**ب.** التنبؤ بالسلوك وذلك من خلال معرفة مسببات السلوك .

**ت.** التوجيه والسيطرة والتحكم في السلوك.

**أهمية دراسة السلوك التنظيمي**

يمكن للمنظمة من خلال دراسة السلوك التنظيمي تحقيق الآتي:

أ. فهم وتفسير السلوك والممارسات والمبادرات وردود الأفعال التي تصدر من العاملين من خلال فهم طبيعة الدوافع والإدراك والقيم التي تحكم السلوك.

ب. إدارة السلوك وتوجيهه نحو تحقيق الهدف من خلال التدعيم الايجابي للسلوك المرغوب وبناء نظم الحوافز والتدعيم الملائم، وكذلك اختيار نمط الاتصال وأسلوب القيادة الملائم.

**ت.** وضع استراتجيه مستقبلية لتنمية وتطوير سلوك الأفراد والجماعات واستراتيجيات التطوير والتنمية المختلفة في المنظمة.

**محددات السلوك التنظيمي**

برزت أهمية علم السلوك التنظيمي لتفسيره السلوك الإنساني و التنبؤ به والسيطرة عليه و توجيهه لتحقيق أهداف المنظمة، و نجد أن محددات السلوك التنظيمي يرتبط بعضها بالفرد و بعضها يرتبط بالبيئة الاجتماعية و بعضها الآخر يرتبط ببيئة العمل، و تتناول محددات السلوك المرتبطة بالفرد دوافع العمل، وهيكل القيم الشخصية لدى العاملين وضغوط العمل لدى الأفراد العاملين بالمنظمة.

إن السلوك الإنساني لا يتوقف على الأجهزة العصبية فقط بل يتأثر بالناحية الاقتصادية و الثقافية، كما يتأثر بعوامل القدرة و المهارة و الاستعداد و الرضا، و لذلك فهو يتأثر بالتغييرات النفسية و الوجدانية و الدوافع و كذلك بالظروف الاجتماعية و ما يحيط بها، و الإنسان بصفة عامة مخلوق معقد ذو دوافع عديدة و طموحات لا حصر لها لا تنتهي إلا بانتهائها، فعلم السلوك هو العلم الذي يدلنا على أفعال و تصرفات و تعبيرات و حركات و نشاطات و قرارات واستعدادات و دوافع و بواعث و حاجات و متطلبات الفرد، كذلك يدلنا على أنماط و اسلوب واتجاهات و أهداف هذه الأفعال و هذه الحركات، و

يختلف سلوك الفرد باختلاف الثقافات والعادات والتقاليد والأديان والظروف الاجتماعية والاقتصادية [جمجوم، هشام محمد نور ، مرجع سبق ذكره ، ص19].

**عناصر السلوك التنظيمي:**

مما تقدم يتضح لنا أن السلوك التنظيمي يعتمد على عدد من عناصر منهـا ما يتعلق بالفرد أو الجماعة. فإن اطلاع الإدارة على مستوى أدراك العاملين أو شخصياتهم أو مدى ثقافاتهم أو اتجاهاتهم النفسية سيدفع المنظمة إلى التنبؤ المسبق بسلوك الفـرد ومحاولة توجيه هذا السلوك نحو تحقيق أهدافها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن اطلاع الإدارة على التنظيمات الرسمية أو الغير رسميه للجماعات والصراع الذي يدور فيما بينها كل ذلك يمّكن الإدارة من توجيه هذا الصراع وتحويله إلى منافسه وتحفيزها لزيادة عملية الإنتاج وخلق روح التعاون لما يخدم مصلحه التنظيم [الحسيني، صلاح هادي حسن، مرجع سبق ذكره].

و تعتبر دراسة السلوك التنظيمي مهمة بالنسبة للإدارة أو المعنيين بهذا الموضوع لأن الإنسان هو المحرك الرئيسي والضابط للعملية الإنتاجية، وما عملية الإنتاج إلا عملية تفاعلية بين الموارد البشرية والموارد الطبيعية والتقنيات المتاحة ( رأس المال )، لذا أنصب الاهتمام على السلوك المنظم داخل المؤسسات وما هي المؤثرات التي تؤثر على الأفراد في مختلف الجوانب وهي العناصر والمتغيرات المؤثرة في السلوك الجماعي للأفراد أو الجماعات، وعناصرها هي:

**أ.** الجماعات : ويتم فيها التعرف على الجماعة وظواهر التماسك الجماعي و علاقتها بالعمل ، كما تهتم بظاهرة اتخاذ القرارات داخل الجماعة.

**ب.** القيادة: للتعرف على كيفية اكتساب الأنماط القيادية المؤثرة على سلوك الآخرين.

**ت.** الاتصال: يهم في فهم كيف يحدث الاتصال داخل العمل وكيف يمكن جعله يتم بدون معوقات، وكيف يمكن رفع مستوى مهارات الاتصال بالطرق المختلفة كالاستماع و المقابلات الشخصية و الاجتماعات.

وبذلك يتضح لنا مدى أهمية السلوك التنظيمي فهو يركز على فهم وتوجيه سلوكيات وتفاعلات العنصر البشري، ونجاح المنظمة

مرهون بنجاح تفعيل العنصر البشري وتحسين أدائه [www.alsumereon.com].

**المناخ التنظيمي للمؤسسة:**

من الأمور المرتبطة بالسلوك التنظيمي ما يعرف بالمناخ التنظيمي للمؤسسة، و الذي نال اهتمام قطاع واسع من الدارسين و الباحثين في العلوم السلوكية الإدارية، و تشير كلمة مناخ جغرافياً إلي الدفء و البرودة و الإمطار في فصول السنة و أوقاتها المختلفة، و للمناخ أثار على الحياة الطبيعية للنبات و الحيوان، و لذلك فاستعمالها في الإدارة يدل على الاهتمام بإظهار علاقة التفاعل بين المؤسسة ككيان عضوي والبيئة المحيطة به نحو: القيم السائدة، و المفاهيم الإدراكية و الشخصية التي يحملها العاملون حول الهيكل التنظيمي، و نمط القيادة، و القوانين و القواعد السائدة في المؤسسة، و مستويات العمل فيها [عابدين، محمد عبد القادر (2001م)، ص279].

**مفهوم سلوك المواطنة التنظيمية:**

من المفاهيم الإدارية التي انتهجها الفكر الإداري المعاصر مؤخراً و استحوذت على اهتمام الكثير من الباحثين و الممارسين مفهوم المواطنة التنظيمية، الذي أصبح يعول عليه كثيراً للارتقاء بمستوى أداء المنظمة و العاملين على حد سواء، و يدور محور ارتكاز هذا المفهوم حول الموظف الذي يعد أهم الموارد التنظيمية على الإطلاق و باختفائه لا يتصور وجود أي أساس تنظيمي [العامري، أحمد بن سالم (2003/1424م)، ص65].

و يعرف سلوك المواطنة التنظيمي بأنه "السلوك التطوعي الاختياري الذي لا يندرج تحت نظام الحوافز الرسمي في المنظمة و الهادف لتعزيز أداء المنظمة وزيادة فعاليتها و كفاءتها" ، فالسلوك الاختياري بطبيعته ليس من متطلبات الدور الرئيسي للموظفين و لا يحاسب الموظف عليه إذا لم يقم به على اعتبار انه دور إضافي.

و تتعدد أنماط سلوك الموطنة التنظيمية حيث يمكن تلخيص عدد منها في الآتي:

1. مساعدة الموظف لزملاء العمل في الأمور المتعلقة بشئون العمل كمساعدة الآخرين المتغيبين عن العمل، توجيه الموظفين الجدد حتى و لو كان ذلك غير مطلوب منه، مساعدة الآخرين ذوي الأعباء الوظيفية الكبيرة، مساعدة الرئيس أو المشرف في عمله.

2. مساعدة الزملاء فيما يتعلق بالشئون الشخصية مثل المساعدة في حل المشاكل العائلية.
3. الانصياع للقيم التنظيمية و السياسات و اللوائح و العمل وفقاً لها مثل الحضور و الانصراف حسب مواعيد العمل.
4. اقتراح تحسينات تنظيمية أو إجرائية أو من اجل جعل المنظمة أكثر نجاحاً و تميزاً مثل الاقتراحات المتعلقة بالبناء التنظيمي أو الاستراتيجيات أو الممارسات الإدارية أو الإجراءات.
5. بذل جهد مضاعف في العمل و تجنب إضاعة الوقت في أحاديث جانبية أو فترت استراحة طويلة و متكررة أو زيارات داخلية أو خارجية لا علاقة لها بالعمل.
6. التطوع للقيام بأعمال إضافية من اجل مساعدة المنظمة كالاشتراك في اللجان أو بعض المشاريع المتعلقة بالعمل أو التغلب على الصعوبات التي تواجه العمليات التنظيمية.
7. البقاء مع المنظمة رغم الظروف الصعبة التي تواجهها.
8. تقديم المنظمة للآخرين بصورة جيدة، الدفاع عن المنظمة و الحديث عنها أمام الآخرين بصورة طيبة، مما يساهم في تحسين سمعتها عند الآخرين [ المرجع السابق، ص69].

**سلوك الولاء التنظيمي:**

إن الولاء الحقيقي الذي يتحقق في العاملين على نطاق كل المستويات الإدارية أو القيادية في المنظمة ينتج عنه حصول المنظمة على ملاكات وظيفية قادرة على الاستمرار بالعمل وتنميته وتطويره رغم كل الظروف التي قد تمر بالمنظمة، وهذا الولاء يقاس بمدى التضحية بالمكاسب المتحصلة وقابلية الصبر على بعض الأزمات التي تمر بها المنظمة، إضافة إلى الشيء المهم من هذا كله وهو مدى مقاومة المغريات والعروض التي تقدمها المنظمات المنافسة لغرض استقطاب القدرات الوظيفية والمهارات إليها من بقية المنظمات للاستفادة من خبراتها المتراكمة ومهاراتها كفاءتها في إدارة وتنفيذ الأعمال [كردي، أحمد السيد (بدون تاريخ)، ص35].

**المشكلات السلوكية في التعامل مع العنصر البشري**

تواجه الإدارة في كافة المنظمات وخاصة المنظمات الحكومية مشكلات أساسية في التعامل مع القوى العاملة ومن أمثلة هذه المشكلات:

أ. المواظبة على مواعيد العمل ومن مظاهر ذلك التأخير في الحضور أو الانقطاع عن العمل بدون سابق إنذار أو الغياب المتكرر.

ب. انخفاض مستوى الرضا لدى العاملين في المنظمة تجاه بعض سياسات العمل و خاصة سياسات المرتبات والأجور والحوافز.
ت. عدم الرغبة في العمل الجماعي والفشل في تكوين فريق عمل فعال.
ث. التكاسل وتقييد الإنتاج وعدم إنجاز العمل بالقدر المناسب بالرغم من توافر القدرة على العمل.
ج. النزاعات والصراعات المستمرة بين العاملين وبعضهم البعض فقد يحدث ذلك بين الرؤساء والمرءوسين أو بين المرءوسين وبعضهم البعض.
ح. الميل إلى المعارضة ومخالفة تعليمات الإدارة وبصفة خاصة عدم الاستجابة للتغير والتجديد في العمل [http://univ-mae.com].

وكنتيجة لحدوث هذه المشكلات يمكن تصنيف سلوك العاملين في واحدٍ من الاحتمالات الثلاثة التالية:

أ. السلوك المعاون أو المؤيد للإدارة: وهو الأسلوب المفضل من جانب الإدارة.
ب. السلوك المعارض للإدارة: وهو الأسلوب الذي تحاربه الإدارة حيث يتصف أصحاب هذا السلوك بعدم الرغبة في تنفيذ طلبات الإدارة.
ت. السلوك المحايد: وهو الأسلوب الذي لا يبدى معارضة حقيقية وفى نفس الوقت لا يبذل جهداً كبيراً ويعمل على أداء العمل بالقدر الذي يخلي مسئوليته ولا يتعرض للعقاب من جانب الإدارة، ومن أمثلة هذا السلوك أن العاملين يسعون دائماً إلى تحقيق أهدافهم الشخصية في حين أن الإدارة ترغب أن يركز العاملون على تحقيق أهداف المنظمة، بالإضافة إلى ذلك ترغب الإدارة دائماً في أن يتصرف العاملون في حدود التعليمات والأوامر التي تفرضها[المرجع السابق].

**ثالثاً:عرض بيانات الدراسة**

اختار الباحث عينة للدراسة مكونة من 537 فرداً، اشتملت على أفراد مختارين من قطاعات الأعمال المستهدفة بالدراسة وفقاً لمتغير كثافة الوجود الأجنبي في القطاع المعني فكانت الغلبة لقطاع النفط. و استطاع الباحث جمع عدد 485 استمارة من أفراد العينة، ما يعادل نسبة 90.31% من مجموع الاستمارات التي وزعت.

**أ. وصف عينة الدراسة** (البيانات الديمغرافية):

اشتمل وصف عينة الدراسة على البيانات الوصفية المتعلقة بعينة الدراسة من حيث فئة العمر ، الجنس أو النوع، الحالة الاجتماعية، عدد أفراد الأسرة، المستوى التعليمي، القطاع الذي تعمل به.

**1 ـ العمر:**

| **الفئة** | **18- 28 سنة** | **18- 28 سنة** | **29 - 38 سنة** | **39 - 48 سنة** | **49 – 58 سنة** | **المجموع** |
|---|---|---|---|---|---|---|
| التكرار | 99 | 155 | 136 | 78 | 15 | 483 |
| النسبة المئوية | %20.50 | %32.10 | %28.20 | %16.10 | %3.10 | %100.00 |

يوضح الجدول رقم 1/1 التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير العمر المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية، 2011م

يتضح من الجدول أعلاه أن أغلبية أفراد عينة الدراسة تتراوح أعمارهم بين 29-38 سنة حيث يبلغ عددهم 155 فرداً، أي ما يعادل نسبة 32.10% من حجم العينة، و بلغ عدد الذين تتراوح أعمارهم بين 18- 28 سنة 99 فرداً أي ما يعادل 20.50% من حجم العينة ، كما بلغ عدد الذين تتراوح أعمارهم بين 39- 48 سنة 136 فرداً أي بنسبة 28.20% من حجم العينة، و تضمنت عينة الدراسة 78 فرداً أي نسبة 16.10% من حجم العينة مِنْ مَنْ تتراوح أعمارهم بين 49- 58 سنة، كما احتوت 15 فرداً أي نسبة 3.10% أعمارهم أكثر من 59 سنة، و من الواضح بأن السمة الغالبة على عينة البحث هم من الشباب و هذا ما يتماشى مع التركيبة السكانية للسودان، و يستشف من مؤشر صغر السن ارتفاع المستوى التعليمي لأفراد عينة البحث بصورة عامة.

**2 ـ الجنس** (النوع):

الجدول رقم 2/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير الجنس

| **البيان** | **ذكر** | **أنثى** | **المجموع** |
|---|---|---|---|
| التكرار | 320 | 124 | 444 |
| النسبة المئوية | %72.10 | %27.90 | %100.00 |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011م

يتبين من الجدول رقم 2/1 أن أغلبية أفراد عينة الدراسة هم من الذكور، إذ بلغ عددهم 320 فرداً و يمثلون 72.15% من العينة الكلية، في حين بلغ عدد الإناث في العينة 124 مُفردة أي بنسبة 27.90% من حجم العينة، و يعزى هذا لقلة أعداد الإناث العاملات في قطاعات الأعمال التي شملتها الدراسة مقارنة بالعاملين الذكور.

**3 - الحالة الاجتماعية:**

الجدول رقم 3/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعي

| **البيان** | **متزوج** | **عازب** | **مطلق** | **أرمل** | **المجموع** |
|---|---|---|---|---|---|
| التكرار | 326 | 136 | 10 | 4 | 476 |
| النسبة المئوية | %68.50 | %28.60 | %2.10 | %0.80 | %100.00 |

يلاحظ من خلال الجدول رقم 3/1 أن أغلبية عينة الدراسة من المتزوجين فقد بلغ عددهم 326 فرداً أي نسبة 68.50% من حجم العينة ، ما يستشف منه بأن العاملين في القطاعات التي شملتها الدراسة يتقاضون أجوراً مرتفعة، مما انعكس على استقرار حياتهم الزوجية إذ لم يتجاوز عدد المطلقين منهم 10 أفراد أي نسبة 2.10% من حجم عينة الدراسة، و احتوت عينة الدراسة على 136 فرداً من العزاب أي نسبة 28.60% و 4 أفراد فقط من الأرامل بنسبة 0.80% من حجم عينة الدراسة.

**4. عدد أفراد الأسرة:**

الجدول رقم 4/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير عدد أفراد الأسرة.

| الفئة | 5-1 | 10-6 | أكثر من 10 | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| البيان | 250 | 164 | 10 | 424 |
| النسبة المئوية | %58.80 | %38.70 | %2.50 | 100% |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011م

يتبين من الجدول رقم 4/1 أن أغلب أفراد عينة الدراسة يتراوح عدد أفراد أسرهم بين 1- 5 أشخاص، وهؤلاء عددهم 250 فرداً و يشكلون نسبة 58.80% من حجم العينة ، و هذا يرجع إلى أن أغلب أفراد العينة من الشباب مما يعني أن أغلبهم لم يمضي على زواجهم إلا بضع سنوات، و يأتي في الترتيب بعد هذه الفئة الأفراد الذين عدد أفراد أسرهم بين 6- 10 أشخاص و عدد هؤلاء 164 فرداً و يمثلون نسبة 38.70% من حجم عينة الدراسة، و تتضمن عينة الدراسة 10 أفراد فقط عدد أفراد أسرهم أكثر من 10 أشخاص و يشكلون 2.50% من حجم عينة الدراسة.

**5- المستوى التعليمي:**

الجدول رقم 5/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير المستوى التعليمي.

| البيان | اقل من الثانوي | ثانوي أو معهد | جامعي (بكالوريوس، دبلوم) | فوق الجامعي (دبلوم عالي، ماجستير، دكتوراه) | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| التكرار | 10 | 92 | 270 | 109 | 481 |
| النسبة المئوية | %2.10 | %19.10 | %56.10 | %22.70 | %100.00 |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011م

يتضح من الجدول رقم 5/1 أن أغلب أفراد عينة الدراسة من الذين يحملون درجة البكالوريوس أو الدبلوم إذ يبلغ عددهم 270 فرداً أي يشكلون نسبة 56.10% من عينة البحث، و الذين يحملون مؤهلاً فوق الجامعي 22.07% من حجم العينة إذ يبلغ عددهم 109 أفراد، و أن 92 من أفراد العينة أي نسبة 19.10% يحملون الشهادة الثانوية أو دبلوم المعاهد الوسيطة، في حين نجد أن 10 فقط من أفراد عينة الدراسة مستوى تعليمهم دون الثانوي و هؤلاء يشكلون 2.10% من حجم عينة الدراسة، ونلاحظ من خلال التوزيع النسبي لمؤشر المستوى التعليمي في الجدول 5/1 أن أكثر من 97% من أفراد عينة الدراسة من المتعلمين.

**6- القطاع الذي يعملون به**

يوضح الجدول رقم 6/1 التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير القطاع الذي يعملون به.

| البيان | البناء و التشييد | النفط | الطاقة و التعدين | قطاع النقل | الطرق و الجسور | المطاعم و الفنادق | أخرى |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| التكرار | 76 | 93 | 37 | 23 | 24 | 29 | 201 |
| النسبة المئوية | %15.70 | %19.30 | %7.70 | %4.80 | %5.00 | %6.00 | %41.60 |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011

يبين الجدول رقم 6/1 القطاعات التي شملتها عينة الدراسة، فنجد أن عينة الدراسة تضمنت 76 فرداً يشكلون نسبة 15.70% من العاملين في قطاع البناء و التشييد،و 93 فرداً يعملون في مجال النفط و هؤلاء يمثلون 19.30% من عينة الدراسة و هي أكبر مجموعة تم اختيارها من قطاع واحد، في حين تتضمن عينة الدراسة 37 فرداً يعملون في قطاع الطاقة و التعدين و يشكلون نسبة 7.70% من حجم العينة ، و احتوت عينة الدراسة على 23 فرداً أي نسبة 4.80% من حجمها من العاملين في قطاع النقل، كما تضمنت 24 فرداً أي نسبة 5.00% من حجمها من العاملين في قطاع الطرق و الجسور، و كما احتوت على 29 فرداً أي نسبة 6.00% من العاملين في قطاع المطاعم و الفنادق، و 201 فرد أي نسبة 41.60% من العاملين في قطاعات أخرى توجد بها عمالة أجنبية أو ذات صلة باستخدام العمالة الأجنبية.

**ب. تحليل بيانات المحور الأول: اثر صفات للعمالة الوافدة على ظاهرة استخدامها:**

أداء أي عمل في أي منظمة يتطلب بعض القدرات الفنية و الذهنية و الإنسانية إلى جانب ما قد تتطلبه بعض الأعمال من قدرات جسمانية للقيام بها.

**جدول رقم 1/2**
**يوضح مدى تأثير الصفات المميزة للعمالة الوافدة على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة**

| الرقم | أوافق بشدة | أوافق | لا أدري | لا أوافق | لا أوافق بشدة | مربع كاي المحسوبة | درجة الحرية | مربع كاي المقروءة عند 0.01 | تفسير النتيجة | النتيجة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | التكرارات و النسب المئوية | | | | | | | | | | | |
| 1 | 249 | 161 | 43 | 23 | 6 | 455.09 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق بشدة | 4.36 | 1.96 |
| | 51.7% | 33.4% | 8.90% | 4.80% | 1.2% | | | | | | | |
| 2 | 102 | 200 | 65 | 98 | 14 | 197.87 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.61 | 1.54 |
| | 21.8% | 41.8% | 13.6% | 20.5% | 2.9% | | | | | | | |
| 3 | 43 | 109 | 83 | 194 | 38 | 169.09 | 4 | 13.2767 | دالة | لا ادري | 2.84 | 1,42 |
| | 9.20% | 23.3% | 17.8% | 41.5% | 8.1% | | | | | | | |
| 4 | 83 | 153 | 38 | 164 | 36 | 117.70 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.17 | 1.42 |
| | 17.5% | 32.3% | 8.0% | 34.6% | 7.6% | | | | | | | |
| 5 | 70 | 236 | 55 | 98 | 17 | 383.72 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.52 | 1.50 |
| | 14.7% | 49.6% | 11.6% | 20.6% | 3.6% | | | | | | | |
| 6 | 55 | 176 | 82 | 136 | 29 | 150.26 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.21 | 1.43 |
| | 11.5% | 36.8% | 17.2% | 28.5% | 6.1% | | | | | | | |
| 7 | 114 | 270 | 38 | 42 | 14 | 456.10 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.87 | 1.69 |
| | 23.8% | 56.5% | 7.9% | %8.8 | 2.9% | | | | | | | |
| 8 | 74 | 231 | 43 | 107 | 23 | 282.08 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.49 | 1.50 |
| | 15.5% | 48.3% | 9.0% | 22.4% | 4.8% | | | | | | | |
| المتوسط الحسابي العام | | | | | | | | | | | 3.38 | |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية ،2011م

يتضح من الجدول 1/2 أن قيمة مربع كاي تربيع دالة إحصائية لجميع عبارات المحور الرابع عند مستوى الدلالة 0.01، مما يعني استجابة أفراد العينة غير

موزعة بالتساوي على المقياس، كما يظهر الجدول نفسه أن المتوسط الحسابي العام للمحور 3.38 و هو متوسط موافقة (عالٍ)، و لعل في هذا دلالة على أن تميز قدرات و أداء العمالة الوافدة له تأثير (عالٍ) على ظاهرة استخدامها.

كما يتبين من الجدول أن تأثير قدرات و أداء العمالة الوافدة على ظاهرة استخدامها يقع بين ثلاث درجات مقسمة و مرتبة حسب المتوسط الحسابي كما يلي:

**أولا:** تأثير بمستوى عالٍ جداً و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (4.00 إلي 5.00) وهي:

**1 - العبارة الأولى**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر خبرة من العمالة السودانية "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الأول بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (4.36) وانحراف معياري قيمته (1.96) حيث أفاد 249 فرداً أي نسبة 51.70% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 161 فرداً أي نسبة 33.40% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، ، بالمقابل نجد أن 6 أفراد من عينة البحث أي نسبة 1.20% من حجم العينة (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 23 فرداً من عينة الدراسة أي نسبة 4.80% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 43 فرداً أي 9.90% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) شيئاً عن خبرة العمالة الوافدة أو العمالة السودانية.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 1/2 على هذه العبارة نلاحظ الارتفاع الكبير في نسبة الذين يوافقون على هذه العبارة ، مما يعني أن معظم العاملين الوافدين يتمتعون بخبرات ممتازة قد لا تكون في بعض الأحيان متوفرة للعمالة السودانية.

**أولا:** تأثير بمستوى عالٍ و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (3.00 إلى 4.00) وهي:

**2 - العبارة السابعة**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر قدرة على حل مشاكل العمل "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثاني بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.87) و انحراف معياري قيمته (1.69) حيث أفاد 114 فرداً أي نسبة 23.80% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 270

فرداً أي نسبة 56.50% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة ، بالمقابل نجد أن 14 فرداً من عينة البحث أي نسبة 2.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 42 فرداً من عينة الدراسة أي نسبة 8.80% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون) على هذه العبارة، في حين نجد أن 38 فرداً أي نسبة 7.90% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) أن العمالة الوافدة أكثر قدرة على حل مشاكل العمل.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 على هذه العبارة نلاحظ أن ارتفاع نسبة الذين يوافقون عليها، ما يؤكد أن العمالة الوافدة أكثر قدرة على حل مشاكل العمل مما أدى لتميز أدائها عن العمالة السودانية.

**3 - العبارة الثانية**

و تنص على الآتي" **تتمتع العمالة الوافدة ببنيات جسمانية قوية** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثالث بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.61) و انحراف معياري قيمته (1.54) حيث أفاد 102 فرد أي نسبة 21.30% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 200 فرد أي نسبة 41.80% من عينة الدراسة (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن14 أفراداً من عينة البحث أي نسبة 2.90% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 98 فرداً أي نسبة 20.80% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، ، في حين نجد أن 65 فرداً أي نسبة 13.60% من عينة الدراسة أفادوا أنهم (لا يدرون) شيئاً عن تمتع العمالة الوافدة ببنيات جسمانية قوية.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 1/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الذين يوافقون على صحة هذه العبارة، مما يعني أن معظم العاملين الوافدين أعمارهم متوسطة أو من هم في سن الشباب و يتمتعون بكامل قواهم الجسمانية.

**4 - العبارة الخامسة**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر حرصاً على التعاون مع الزملاء** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.52) وانحراف معياري قيمته (1.50) حيث أفاد 70 فرداً أي نسبة 14.70% من عينة

الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 236 فرداً أي نسبة 49.60% أفادوا بأنهم (موافقون) صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 17 فرداً أي نسبة 7.60% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 98 فرداً أي نسبة 20.60% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 55 فرداً أي نسبة 11.60% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) ما إذا كانت العمالة الوافدة أكثر حرصاً على التعاون مع الزملاء من العمالة السودانية أم لا.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ تقارب نسبة الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على صحة هذه العبارة، ما يعني أن العمال الوافدين يتفاوتون في درجة تعاونهم مع زملائهم حسب جنسياتهم و مجال عملهم و لا يختلفون في ذلك كثيراً عن العمالة السودانية.

**5 - العبارة الثامنة**

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق معدلات عالية من الأداء "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الخامس بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.49) و انحراف معياري قيمته (1.50) حيث أفاد 74 فرداً أي نسبة 15.50% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 231 فرداً أي نسبة 48.30% من حجم العينة (موافقون) على صحة هذه العبارة، ، بالمقابل نجد أن 23 فرداً أي نسبة 4.80% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة107 أفراد أي نسبة 22.40% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و أن 78 فرداً أي نسبة 16.50% من عينة الدراسة أفادوا أنهم (لا يدرون) شيئاً عن حرص العمالة الوافد على تحقيق معدلات عالية من الأداء.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الذين يوافقون على صحة هذه العبارة، ما يعني صحة الرأي القائل بأن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق معدلات عالية من الأداء.

**6 - العبارة السادسة**

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب السادس بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.21) و انحراف معياري قيمته (1.43) حيث أفاد 55 فرداً أي نسبة 11.50% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة ، إضافة إلى 176 فرداً أي نسبة 36.80% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 29 فرداً أي

نسبة 6.10% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 136 فرداً أي نسبة 38.50% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 82 فرداً أي نسبة 17.20% من عينة الدراسة (لا يدرون) ما إذا كانت العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل من العمالة السودانية أم لا.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ أن ارتفاع نسبة الذين يوافقون على صحة هذه العبارة، مما يعني ارتفاع درجة التزام العاملين الأجانب بإجراء العمل و يتميزون في ذلك عن العمالة السودانية.

**7 - العبارة الرابعة**

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر قدرة على التكيف مع ظروف العمل "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب السابع بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.17) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 83 فرداً أي نسبة 17.50% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 153 فرداً أي نسبة 32.30% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 36 فرداً من عينة البحث أي نسبة 7.60% من حجم العينة (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 164 فرداً أي نسبة 34.60% من حجم العينة أفادوا أنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 38 فرداً أي نسبة 8.00% من عينة الدراسة (لا يدرون) شيئاً عن تكيف العمالة الوافدة مع ظروف العمل من عدمه.

**ثالثاً**: عوامل لها تأثير ضعيف على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة و تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (2.00 إلى 3.00) و تتضمن العبارة الثالثة فقط.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ تقارب عدد المبحوثين الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على صحة هذه العبارة، مما يعني العمال الوافدون يتفاوتون في درجة تكيفهم مع ظروف العمل.

**8 - العبارة الثالثة**

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر مهارة من العمالة السودانية"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثامن بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (2.84) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 43 فرداً أي نسبة 9.20% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 109 أفراد أي نسبة 23.30% من عينة البحث (موافقون) على صحة هذه العبارة،

بالمقابل نجد أن 38 فرداً أي نسبة 8.20% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 194 فرداً أي نسبة 41.50% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 83 فرداً أي نسبة 17.80% من عينة الدراسة (لا يدرون) شيئاً عن أيهما أكثر مهارة العمالة الوافدة أم العمالة السودانية.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 على هذه العبارة نلاحظ أن تقارب نسبة الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على هذه العبارة، ما نستنتج منه تمتع بعض العاملين الأجانب بمهارات عالية و البعض الآخر منها يعتبرون عمال غير مهرة أو أنصاف مهرة.

**ج. تحليل بيانات المحور الثاني: أثر تكلفة التشغيل على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة:**

في ظل المنافسة العالمية التي أفرزت العولمة عملت المنظمات على تحسين جودة منتجاتها و خدماتها مع خفض تكلفة إنتاجها حتى تضمن الاستمرار و البقاء، و ذلك من خلال الاستخدام الأمثل لعناصر الإنتاج المختلفة و التي تعتبر العمالة تأتي على رأسه.

**جدول رقم 2/2**

يوضح مدى تأثير تكلفة التشغيل على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة

| الرقم | التكرارات و النسب المئوية | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | أوافق بشدة | أوافق | لا أدري | لا أوافق | لا أوافق بشدة | مربع كاي المحسوبة | درجة الحرية | مربع كاي المقروءة عند 0.01 | تفسير النتيجة | النتيجة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
| 1 | 182<br>37.6 % | 152<br>31.4 % | 22<br>4.5 % | 106<br>21.9 % | 22<br>4.5 % | 225.32 | 4 | 13.2767 | دالة | اوافق | 3.83 | 1.64 |
| 2 | 141<br>30.1 % | 178<br>38.0 % | 34<br>7.20 % | 90<br>19.2 % | 26<br>5.5 % | 185.35 | 4 | 13.2767 | دالة | اوافق | 3.63 | 1.64 |
| 3 | 77<br>16.1 % | 170<br>35.6 % | 143<br>29.9 % | 74<br>15.5 % | 14<br>2.9 % | 159.55 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.49 | 1.5 |
| 4 | 54<br>11.3 % | 153<br>31.9 % | 81<br>16.9 % | 167<br>34.9 % | 24<br>5.0 % | 161.40 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.13 | 1.42 |
| 5 | 38<br>8.1 % | 179<br>37.9 % | 78<br>16.5 % | 150<br>31.8 % | 27<br>5.7 % | 193.23 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.08 | 1.41 |
| المتوسط الحسابي العام | | | | | | | | | | | 3.44 | |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية ،2011م

يتضح من الجدول 2/2 أن قيمة مربع كاي تربيع دالة إحصائية لجميع عبارات المحور الثالث عند مستوى الدلالة 0.01 مما يعني استجابة أفراد العينة غير موزعة بالتساوي على المقياس، كما يظهر الجدول نفسه أن المتوسط الحسابي العام للمحور 3.44 و هو متوسط موافقة (عالٍ)، و لعل في هذا دلالة على أن انخفاض تكلفة تشغيل العمالة الوافدة له تأثير (عالٍ) على ظاهرة استخدامها.

كما يتبين من الجدول أن تأثير تكلفة تشغيل العمالة على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة، تأثيره بمستوى عالٍ و يتضمن جميع عبارات المحور و تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (3.00 إلي 4.00) و هي:

**1 - الفقرة الأولى**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أقل مخصصات من العمالة السودانية** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الأول بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.83) و انحراف معياري قيمته (1.64) حيث أفاد 182 فرداً أي نسبة 37.60%  من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على أن العمالة الوافدة أقل تكلفة تشغيل من العمالة السودانية، إضافة إلى 152 فرداً أي نسبة 31.40% من عينة البحث أفادوا

بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 22 فرداً أي نسبة 4.50 من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 106 أفراد أي نسبة 21.0% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 22 فرداً أي 4.50% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أقل تكلفة تشغيل من العمالة السودانية.

ومن خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين مما يعني قبول الرأي القائل "بأن العمالة الوافدة اقل مخصصات من العمالة السودانية".

**2 - العبارة الثانية**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر إنتاجية من العمالة السودانية** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثاني بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.63) وانحراف معياري قيمته (1.64) حيث أفاد 141 فرداً أي نسبة 30.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه الدراسة، إضافة إلى 178 فرداً أي نسبة 38.00% أفادوا بأنهم (موافقون) على هذه العبارة، في حين نجد أن 34 فرداً أي 7.20% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر إنتاجية من العمالة السودانية. بالمقابل نجد أن 26 فرداً أي نسبة 5.50% من حجم عينة البحث أفادوا بأنهم (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة ، إضافة لحوالي 90 فرداً أي نسبة 19.20% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 على هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، مما يعني حرص الغالبية من العمالة الوافدة على تحقيق إنتاجية عالية وهذا ما يقلل من تكلفة تشغيلها.

**3 - العبارة الثالثة**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر مواكبة للتطور التكنولوجي**"

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثالث بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.49) و انحراف معياري قيمته (1.50) حيث أفاد 77 فرداً أي نسبة 16.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 170 فرداً أي نسبة 35.90% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحتها، بالمقابل نجد أن 14 فرداً أي نسبة 2.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، و أفاد 143 فرداً أي 15.50% من عينة الدراسة بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة

أكثر مواكبة للتطور التكنولوجي، في حين أفاد 74 فرداً أي نسبة 15.50% من حجم العينة بأنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و أفاد 14 فرداً أي نسبة 2.9% من عينة البحث بأنهم (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 على هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، مما يعكس مدى اهتمام العمل الأجنبي بتطوير أدائه بمواكبته التطور التكنولوجي المتسارع الذي يحدث في مجاله.

**4 - العبارة الرابعة**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق أهداف المنشأة"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.13) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 54 فرداً أي نسبة 11.30% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 153 فرداً أي نسبة 31.90% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 24 فرداً أي نسبة 5.00% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 167 فرداً أي نسبة 34.9% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 81 فرداً من عينة الدراسة أي 16.90% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق أهداف المنشأة.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 على هذه العبارة نلاحظ التقارب الكبير بين نسبة الذين يوافقون و الذين لا يوافقون، مما يعني عدم تميز العاملين الأجانب بصفة تحقيق أهداف المنشأة التي يعملون بها

**5. العبارة الخامسة**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر حرصاً على جودة الإنتاج "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الخامس بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.08) و انحراف معياري قيمته (1.41) حيث أفاد 38 فرداً أي نسبة 8.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 179 فرداً أي نسبة 37.90% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 27 فرداً أي نسبة 5.70% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 150 فرداً أي نسبة 31.80% من حجم العينة (لا

يوافقون) على صحة هذه الدراسة، في حين نجد أن 78 فرداً أي نسبة 16.50% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بآن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على جودة الإنتاج.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2على هذه العبارة نلاحظ تقارب عدد الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على أن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على جودة الإنتاج، هذا يعكس عدم اهتمام معظم العاملين الأجانب بتحقيق إنتاجية عالية دون الاهتمام بجودة الإنتاج، و هذا يتطابق مع النتيجة السابقة في عدم حرص الكثيرين منهم على تحقيق أهداف المنشأة.

**ت. تحليل بيانات المحور الثالث: مدى تأثير ارتفاع القدرات و تميز الأداء على ظاهرة**

تعتبر عناصر السلوك الوظيفي من أهم محددات الأداء و ينعكس على انضباط العامل وطريقة تعامله مع زملائه و مرؤوسيه، وله تأثير مباشرة على حجم الإنتاج.

**جدول رقم 3/2**

يوضح مدي تأثير ارتفاع القدرات و تميز الأداء على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة

| الرقم | التكرارات و النسب المئوية | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | أوافق بشدة | أوافق | لا أدري | لا أوافق | لا أوافق بشدة | مربع كاي المحسوبة | درجة الحرية | مربع كاي المقروءة عند 0.01 | تفسير النتيجة | النتيجة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
| 1 | 115 | 188 | 49 | 103 | 23 | 171.66 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.59 | 1.53 |
| | **24.1 %** | **39.3 %** | **10.3 %** | **21.5 %** | **4.8 %** | | | | | | | |
| 2 | 135 | 239 | 44 | 52 | 13 | 346.76 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.96 | 1.71 |
| | **28.0 %** | **49.5 %** | **9.1 %** | **10.8 %** | **2.7 %** | | | | | | | |
| 3 | 300 | 146 | 15 | 13 | 7 | 680.73 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق بشدة | 4.49 | 2.05 |
| | **62.4 %** | **30.4 %** | **3.1 %** | **%2.7** | **1.5 %** | | | | | | | |
| 4 | 86 | 143 | 35 | 182 | 37 | 175.00 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق | 3.17 | 1.42 |
| | **17.8 %** | **29.6 %** | **7.2 %** | **37.7 %** | **7.7 %** | | | | | | | |
| 5 | 214 | 219 | 11 | 27 | 14 | 492.35 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق بشدة | 4.31 | 1.93 |
| | **44.1 %** | **45.2 %** | **2.3 %** | **%5.6** | **2.9 %** | | | | | | | |
| 6 | 184 | 245 | 20 | 24 | 9 | 502.83 | 4 | 13.2767 | دالة | أوافق بشدة | 4.25 | 1.89 |
| | **38.2 %** | **50.8 %** | **4.1 %** | **%5.0** | **19 %** | | | | | | | |
| المتوسط الحسابي العام | | | | | | | | | | | 3.96 | |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية ،2011م

يتضح من الجدول 3/2 أن قيمة مربع كاي دالة إحصائية لجميع عبارات المحور الخامس عند مستوى الدلالة 0.01، مما يعني استجابة أفراد العينة غير موزعة بالتساوي على المقياس، كما يظهر الجدول نفسه أن المتوسط الحسابي العام لهذا المحور 3.96 و هو متوسط موافقة (عالٍ جداً)، و لعل في هذا دلالة على أن

الانضباط والسلوك الوظيفي للعمالة الوافدة له تأثير(عالٍ جداً) على ظاهرة استخدامها.

كما يتبين من الجدول أن تأثير الانضباط والسلوك الوظيفي للعمالة الوافدة على ظاهرة استخدامها يقع بين درجتين مقسمتين و مرتبتين حسب المتوسط الحسابي كما يلي:

**أولا**: تأثير بمستوى (عالٍ جداً) و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (4.00 إلى 5.00) وهي:

**1 -العبارة الثالثة**

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أقل ارتباطاً بتنظيمات العمل (النقابات) "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الأول بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (4.49) و انحراف معياري قيمته (2.05) حيث أفاد 300 فرد أي نسبة 62.40% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 146 فرداً أي نسبة 30.40% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 7 أفراد أي نسبة 1.50% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة، بإضافة 13 فرداً أي نسبة 2.70% من حجم العينة أفادوا أنهم (لا يوافقون) على هذه العبارة، و نجد أن 15 فرداً أي نسبة 3.10% من عينة الدراسة (لا يدرون) أن العمالة الوافدة اقل ارتباطاً بتنظيمات العمل (النقابات)**.**

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة، ما يؤكد أن العمالة الوافدة لا تفضل الارتباط بالنقابات لاعتقادهم بأنها قد تجرهم للخوض في بعض القضايا السياسية.

**2 - العبارة الخامسة**

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر إطاعة للأوامر"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثاني بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (4.31) و انحراف معياري قيمته (1.93) حيث أفاد 214 فرداً أي نسبة 44.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 219 فرداً أي نسبة 45.20% (موافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 11 فرداً أي نسبة 2.30% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة

الوافدة أكثر إطاعة للأوامر، بالمقابل نجد أن14 فرداً أي نسبة 2.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة، إضافة لحوالي 27 فرداً أي نسبة 5.60% من حجم العينة أفادوا أنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، ما يعني تميز العمالة الوافدة في احترامها للأوامر عن العمالة السودانية.

**3 - العبارة السادسة**

و تنص على الآتي" **تتمتع العمالة الوافدة بمظهر جاذب للعملاء** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثالث بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (4.25) و انحراف معياري قيمته (1.89) حيث أفاد 184 فرداً أي نسبة 38.20% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة ، إضافة إلى 245 فرداً أي نسبة 50.80% من عينة الدراسة (موافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 20 فرداً أي نسبة 4.10% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة تتمتع بمظهر جاذب للعملاء، بالمقابل نجد أن9 أفراد أي نسبة 1.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة، بالإضافة 24 فرداً أي نسبة 5.00% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على صحة هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، ما يعني بأن العمالة الوافدة تتمتع بمظهر جاذب للعملاء في أغلب الأحيان.

**ثانياً**: تأثير بمستوى (عالٍ) و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (3.17 إلي 4.00) وهي:

**4 - العبارة الثانية**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أقل ارتباطاً بالعلاقات الاجتماعية التي تتم في أوقات العمل"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (3.96) و انحراف معياري قيمته (1.71) حيث أفاد 135 فرداً أي نسبة 28.00% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 239 فرداً أي نسبة 49.50% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 13 فرداً أي نسبة 2.70% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة،

إضافة لحوالي 52 فرداً أي نسبة 10.80% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 44 فرداً أي نسبة 9.10% من عينة الدراسة (لا يدرون) أن العمالة الوافدة أقل ارتباطاً بالعلاقات الاجتماعية التي تتم في أوقات العمل.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على صحة هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة، ما يؤكد انضباط العمال الوافدين أثناء ساعات العمل.

**5 - العبارة الأولى**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل**"

جاءت هذه العبارة في الترتيب الخامس بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (3.59) و انحراف معياري قيمته (1.53) حيث أفاد 115 فرداً أي نسبة 24.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على أن العمالة الوافدة أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل، إضافة إلى 188 فرداً أي نسبة 39.30% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 23 فرداً أي نسبة 4.80% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 103 أفراد أي نسبة 21.50% من حجم العينة (لا يوافقون) عليها، و هناك 49 فرداً أي 10.30% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة، ما يؤكد بأن أغلبية العمال الوافدين أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل عن العمالة السودانية.

**6 - العبارة الرابعة**

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر احتراماً لأوقات العمل** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب السادس بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (3.17) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 86 فرداً أي نسبة 17.80% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على أن العمالة الوافدة أكثر احتراماً لأوقات العمل، إضافة إلى 143 فرداً أي نسبة 29.60% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن37 فرداً أي نسبة 7.70% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 182 فرداً من عينة الدراسة أي نسبة 37.70% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و هناك 35

فرداً أي 7.20% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر احتراماً لأوقات العمل.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على هذه العبارة نلاحظ تقارب نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة و الذين لا يوافقون، ما يعني أن العمالة الوافدة تتفاوت في درجة احترامها للعمل لأوقات العمل و لا تتميز في ذلك عن العمالة السودانية.

**نتائج الدراسة:**

توصلت الدراسة للنتائج التالية

**1.** أوضحت الدراسة منظمات الإعمال و المستثمرين يفضلون بان العمالة الوافدة لتميزها بالاتي:

- العمالة الوافدة المتخصصة تتمتع بخبرات ممتازة في مجال تخصصها.
- يتمتع العمال الوافدين بحيوية و نشاط و بنية جسمانية قوية تجعلهم يتحملون العمل تحت الضغط لفترات طويلة.
- ليست جميع العاملين الأجانب يمتعون بمهارات عالية البعض عبارة عن عمالة هامشية.
- لا تفضل العمالة الوافدة الارتباط بالنقابات لاعتقادهم بأنها قد تجرهم للخوض في بعض القضايا السياسية التي قد تجلب لهم بعض المتاعب.

وهذا يحقق صحة الفرضية الأولي.

**2.** تفضيل منظمات الأعمال و المستثمرين استخدام العمالة الوافدة لانخفاض تكلفة تشغيلها التي تتضح من خلال الآتي:

- أغلب العمال الوافدين يحرصون على تحقيق معدلات إنتاج عالية، مما يساعد على تقليل تكلفة إنتاج السلع أو تقديم الخدمة.
- أغلب العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل، مما يجعل العملاء يثقون بالمنظمة بأنها تستطيع تنفيذ تعهداتها تجاههم.
- لا يحرص العمال الوافدين على الاشتراك في التامين الاجتماعي مما يوفر للمنظمات المبلغ التي تدفعه كاشتراك شهري للعامل.
- تحرص العمالة الوافدة على تطوير مهاراتها ومواكبة التطور التكنولوجي المتسارع في مجال تخصصها.
- معظم العاملين الأجانب ينصب اهتمامهم على تحقيق إنتاجية عالية دون الاهتمام بالجودة.

وهذا يحقق صحة الفرضية الثانية.

**3.** توصلت الدراسة إلى أن المنظمات و المستثمرين يفضلون استخدام العمالة الوافدة ارتفاع قدراتها وتميز أدائها الذي يتضح من خلال الآتي:

- العمالة الوافدة تتميز عن العمالة السودانية باحترامها لرؤسائها و أكثر إطاعة لأوامرهم.
- تهتم العمالة الوافدة بمظهرها العام مما يكون له وقع ممتاز في نفس عملاء.
- العمالة الوافدة منضبطة جداً أثناء ساعات العمل وتتجنب تماماً ما يعطل العمل مثل المناسبات الاجتماعية و المجاملات.
- تتصف العمالة الوافدة المتخصصة بمقدرات عالية لحل ما يعترض العمل من مشكلات.
- توصلت الدراسة إلى أن العاملين الوافدين يتفاوتون في درجة تعاونهم مع زملائهم حسب جنسياتهم و مجال عملهم و لا يختلفون في ذلك كثيراً عن العمالة السودانية.
- يتفاوت العمال الوافدين في درجة تكيفهم مع ظروف العمل و من الملاحظ أن العاملين ذو الأصول العربية أكثر تكييف مع ظروف العمل.
- أغلب العمال الوافدين أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل، و يتجنبون ما قد يدخلهم في أي مساءلة قانونية أمام وزارة العمل أو دائرة الأجانب بوزارة الداخلية.

وهذا يحقق صحة الفرضية الثالثة.

**التوصيات:**

في ضوء مناقشة نتائج الدراسة توصلت الدراسة للتوصيات التالية:

1. ضرورة تسليح الشباب طالبو الوظائف بالمعارف و المهارات و السلوكيات المرغوبة، التي تتواءم مع المتغيرات التكنولوجية المحلية و الإقليمية و العالمية.
2. الاهتمام بتزويد الخريجين بقيم العمل بنفس مستوى الاهتمام بتزويدهم بالمعرفة والمهارات التقنية والمهنية ليصبحوا مواطنين منتجين، فلا بد من تأصيل ونشر وتمتين ثقافة إدارة الزمن و العامل المنتج، والحرص على أخلاقيات العمل فهي أمر ديني وأخلاقي وإداري.
3. إصلاح إفرازات التعليم العالي بما يربطه بأهداف التنمية وحاجات المجتمع، في ظل تدابير عامة للإصلاح السياسي والإداري.

## المراجع و المصادر


**أولا: الكتب:**

1. جمجوم، هشام محمد نور (1991م) ، سيكولوجية الإدارة الطبعة الأولي، دار الشروق، جدة، السعودية.
2. حنفي، عبد الغفار(1993م)، السلوك التنظيمي و إدارة الأفراد، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر.
3. محمد، أدم الزين (2001م).، الدليل إلي منهجية البحث وكتابة الرسائل الجامعية، الطبعة الثالثة، دارة جامعة امدرمان الإسلامية للطباعة و النشر، السودان.

**ثانياً: الأوراق العلمية:**

1. العامري، أحمد بن سالم (2003/1424م)، محددات وأثار سلوك المواطنة التنظيمي في المنظمات، بحث منشور بمجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد و الإدارة، م17،ع، الرياض، السعودية.
2. حامد، ناجي محمد(2009م). ، بحث منشورة باللغة العربية، بمجلة دراسات مجتمعية، العدد الثالث، مركز دراسات المجتمع، الخرطوم، السودان.
3. عابدين، محمد عبد القادر (2001م) ، محمود أحمد أبو سمرة، المناخ التنظيمي في جامعة في جامعة القدس كما يراه أعضاء هيئة التدريس فيها، بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث ، المجلد 15، فلسطين.
4. علي، محمد إسماعيل (2009م) ، بحث منشور بالغة العربية، بمجلة دراسات مجتمعية، العدد الثالث، مركز دراسات المجتمع، السودان، الخرطوم يونيو، 2009م.

**ثالثاً: رسائل جامعية:**

1. البوني، صفاء عبد اللطيف محمد (2010م) " أثر العمالة الوافدة على معدلات البطالة في السودان في الفترة من 1999-2008م" رسالة ماجستير غير منشورة باللغة العربية، ، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا، الخرطوم، السودان.
2. الطائف، الزهور محمد خير(2002) ، "بطالة الخريجين بولاية الخرطوم 1997-2002م،" رسالة ماجستير غير منشورة، معهد دراسات الإدارة العامة والحكم الاتحادي، جامعة الخرطوم، 2002م.

**رابعاً: المواقع الإلكترونية:**

1. منتديات كلية التجارة و الاقتصاد، جامعة الحديدة، **http://univ-mae.com**
2. منتديات السومريون www.alsumereon.com
3. موقع شبكة عالم الجزائر www.dzworld.net

**خامساً: المنشورات:**

1. الحسيني، صلاح هادي حسن (بدون تاريخ) ، السلوك التنظيمي، منشور www.iraqstudent.net
2. كردي، أحمد السيد (بدون تاريخ) ، كتاب السلوك التنظيمي، منشور بموسوعة الإسلام و التنمية، http://kenanaonline.com

# علوم سياسية

## محددات السياسة والحكم في إيران

**الدكتور سنية الحسيني**

# محددات السياسة والحكم في إيران

**د. سنية الحسيني**[13]

من الصعب إغفال أو تجاهل قوة ونفوذ إيران والقوى المؤثرة والفاعلة فيها إذا كان الحديث يدور حول منطقة الشرق الأوسط، خصوصاً بعد تصاعد مكانة إيران إقليمياً في السنوات الأخيرة. لقد أصبحت إيران بؤرة اهتمام ومتابعة من قبل جهات عديدة سواء كانت إقليمية أو عربية أو دولية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. تحاول هذه الورقة التعرف على محددات صنع القرار والسياسة في إيران، سواء كانت تاريخية أو سياسية أو دينية أو ثقافية ودور المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية. فالتاريخ والثقافة والدين ما هو إلا مرآة تعكس ملامح النظام السياسي وتفسر كثيراً من خفاياه، وذلك ينطبق بشكل واضح على الحالة الإيرانية.

كما أن هناك عدد من المؤسسات الرسمية التي تعتبر صانعة القرار وحاكمة الأمور في إيران على رأسها المرشد الأعلى، ناهيك عن دور المؤسسات التشريعية المختلفة في عملية صنع القرار في البلاد، في ظل حالة جدلية تدور حول غلبة السلطة الدينية أم الشعبية. كما تلعب عدد من المؤسسات غير الرسمية دوراً محورياً في عملية صنع القرار والحكم على رأسها الحرس الثوري والحوزة الدينية والبازار الإقتصادي. تحاول هذه الورقة التعرف على دور هذه المؤسسات في الحكم، والسبب وراء هذا الدور ونتائجه. وعلى الرغم من أن إيران دولة إسلامية ولا تسمح بوجود تيارات غير دينية في اطارها، مما يعقد امكانية وجود حدود واضحة بين تلك التيارات، إلا أن فهم الواقع الحزبي في إيران قضية محددة في فهم السياسة والحكم فيها، كما سيتضح تباعاً.

وتعتبر عدد من قضايا السياسة الخارجية ذات أهمية بالغة في رسم السياسة والحكم في إيران، بحكم طبيعة النظام الإيراني القائم على أسس دينية وثورية وأيديولوجية. فالنظام يستمد قوته ومكانته وشرعيته من خلال تمسكه بعدد من القضايا الجوهرية المحددة لتوجهات النظام عموماً. فامتلاك القوة النووية ما

---

[1] د. سنية الحسيني، محاضر في جامعتي بير زيت والقدس في فلسطين، وتحمل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية.

هو إلا انعكاس لرؤية إيران لمكانتها المتفوقة على دول المنطقة، رؤية تشكل امتداداً لمنظومة القوة والمكانة تاريخياً. ولا يخرج موقف إيران المعادي لإسرائيل والداعم لحركات المقاومة ضدها عن مبدأ تصدير الثورة الذي أبرزه الدستور الإيراني. كما تعكس العلاقات الإيرانية العربية، ومع دول الخليج ذات الأغلبية السنية، معضلة رؤية إيران لمكانتها كمركز القوة الشيعية في العالم.

- **المقدمه:**

تعتبر إيران أكبر دول الجوار العربي مساحة (6.1 مليون كيلو متر مربع)، وينتمي أغلب سكانها (74 مليوناً) إلى شريحة الشباب ونصفهم من الفرس، والنصف الباقي أذريون (25%) وأكراد (7%) وعرب (3%)، بينما يشكل كل من البلوش والتركمان حوالي 2% لكل منهما، وأخيراً تبلغ نسبة اللور حوالي 10%.[14] وتتميز كل مجموعة من هذه المجموعات بلغتها وتقاليدها الخاصة. وبينما يسكن الأكراد مناطق كردستان وعيلام وكرمانشاه، يعيش البلوش في منطقة سيستان وبلوشستان، ويقطن الأذريون (الأتراك) مناطق شرق وغرب أذربيجان (زنجان وأردبيل)، في حين يتمركز التركمان في منطقة جولستان، ويقيم العرب في منطقة خوزستان.

وتعتبر الفارسية اللغة الرسمية وتستخدم اللغة العربية في الوسط العلمي والثقافي. وتؤمن غالبية مسلمي إيران (89%) بالمذهب الشيعي، فيما يتكون أغلب السنة من الأكراد والبلوش، ويتبع الأكراد المذهب الشافعي بينما يتبع البلوش المذهب الحنبلي. ويعترف الدستور الإيراني بثلاث مجموعات دينية من غير المسلمين وهي الزردشتيون والمسيحيون واليهود، إذ أن نسبة هذه الأقليات الدينية لا تتجاوز 3%، وضمن الدستور الإيراني لهؤلاء حقوقهم وحدد واجباتهم،[15] إلا أن تلك الأقليات تعتبر نفسها محرومة من حقوقها وأنشطتها الدينية.

وبينما تمثل الأقلية السنية في إيران أكبر أقلية مذهبية في البلاد وتتجاوز الـ 10% من تعداد السكان، إلا أنها تعترض على مستوى تمثيلها في البرلمان والتشكيل الوزاري بحجة عدم تناسبه مع نسبتها العدديه وتشتكي قلة الساعات الممنوحة لها في وسائل الإعلام الرسمية، كما تنتقد الكبت السياسي وما

---

[14] محجوب الزويري، إيران ومسألة الأقليات، وحدة الدراسات الإيرانية-مركز الدراسات الإستراتيجية- الجامعة الأردنية، البريد الالكتروني: css@css-gordan.org

[15] نفس المصدر السابق.

يصاحبه من اعتقالات تصل أحياناً إلى الاعدام، وكذلك منعها من ممارسة تعاليم مذهبها كعدم الحرية في بناء مساجدها وفرض الأفكار الشيعية بالقوة.[16]

تسمح مقدرات إيران بأن تكون لاعباً عالمياً،[17] فهي ذات موقع جغرافي وإستراتيجي يمكنها من التحكم في إمدادات النفط المتجه إلى العالم عبر مضيق هرمز، كما تطل على الخليج العربي ذي الأهمية العسكرية والتجارية، مما يجعلها تمثل جسراً حيوياً يربط أوروبا وأفريقيا بغرب أسيا. وتعتبر إيران واحدة من الدول المؤسسة (للأوبك) فتمتلك ثالث أكبر احتياطي في العالم من النفط، وثاني أكبر احتياطي من الغاز الطبيعي بعد روسيا، وثاني أكبر دولة منتجة ومصدرة للبترول بعد السعودية، ورابع أكبر دولة مصدرة للنفط الخام بعد السعودية وروسيا والنرويج.

يعتبر الاقتصاد الإيراني من أهم إقتصاديات منطقة الشرق الأوسط باحتلاله المرتبة الثالثة بعد السعودية وتركيا. لقد حقق هذا الاقتصاد نمواً وصل إلى 6.4% خلال الأعوام ما بين 2002 و2005،[18] ويواصل نموه بمعدل 3.2% حسب تقدير حديث لصندوق النقد الدولي.[19] ويأتي هذا النمو الإقتصادي رغم اتفاق الدول الغربية على تشديد العقوبات المفروضة على إيران، وفي اطار ما شهدته الكثير من دول العالم، لاسيما الدول الصناعية، من انكماش

---

[16] محمد عبد المعطي، حقوق الانسان في إيران، الجزيرة، ملفات خاصة، العنوان الالكتروني: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/D0A90F58-2139-4979-9AAD-6062F979F7CC.htm

[17] المستقبل الاقتصادي يغمر تركيا ومصر وإيران، شبكة الاعلام العربي، السبت: 03 ابريل 2010 .

"يقدر(جيم أونيل)محلل الاقتصاد المعروف ورئيس قسم الأبحاث الدولية لدى "جولدمان ساكس" في حديث لبرنامج "أسواق الشرق الأوسط فيCNN الـ http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=361201&pg=1

[18] التقرير الاستراتيجي العربي 2004-2005، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، البريد اللكتروني: http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/RARB98.HTM

[19] الأهرام المسائي، الجمعة 27 يناير 2012 السنة 21 العدد 7547. البريد اللكتروني: http://massai.ahram.org.eg/Inner.aspx?ContentID=39386

إقتصادي بسبب الأزمة العالمية. وتعتمد إيران على موارد الطاقة، التي تمثل ما يربو على 80% من ناتجها المحلي الإجمالي، وحوالي 90% من عوائد صادراتها و75% من موازنتها.[20] وبلغت نسبة الإنفاق العسكري الإيراني من الناتج المحلي الاجمالي 3.7 % ما بين عامي 1993_2002،[21] في حين انخفضت تلك النسبة بعد ذلك حتى تاريخ اعداد هذا البحث إلى 3.5%.[22]

تحتل إيران مكانة متميزة داخل العالم الإسلامي، فهي ذات ثقل وتأثير فكري وأيديولوجي باعتبارها المركز الرئيسي للمذهب الشيعي الذي تعتنقه أعداد كبيرة من مواطني الدول العربية والإسلامية. وتمتلك إيران، وخاصة بعد قيام الثورة الإسلامية عام 1979، نظاماً سياسياً غاية في الخصوصية يتلاءم بشكل كبير مع صيغة الدولة الإيرانية ومقومات شعبها ذي الأغلبية الشيعية.

تعاني إيران منذ الثورة من عدم استقرار في علاقاتها مع دول الجوار ذات الأغلبية السنية والتي تخشى من تصاعد مكانة الشيعة على حسابها، خصوصاً وأن النظام الإسلامي في إيران لم يخف نيته بتصدير الثورة. تواجه إيران عداء الولايات المتحدة، التي قطعت علاقاتها معها بمجرد نجاح الثورة، وتقود وحلفاؤها حرباً بارده ضدها، إذ تعتبرها دولة راديكالية تعادي النظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، كما تحاول منعها من الوصول إلى القدرة النووية في اطار منطقة يمتلك جُل أقطابها تلك القوة وعلى رأسها إسرائيل. وتتذبذب علاقات إيران مع الصين وروسيا المنافسين والحلفاء لها

---

[20] Reports by“ International Crisis Group"،U.S.-Iranian Engagement: The View from Tehran ”
http://www.crisisgroup.org/home/index.cfm?id=613

[21] أحمد كامل بكري، احصائيات إيرانية، مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام الرقمي، العنوان الالكتروني:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=683977&eid=2995

[22] "The defense spending discrepancy between the USA, Israel and Iran. What could be the reason?"
.Published February 14, 2008 conventional weapons
http://theradicalmormon.wordpress.com/2008/02/14/the-defense-spending-discrepancy-between-the-usa-israel-and-iran-what-could-be-the-reason/

.

في نفس الوقت، فإيران تشكل مع هاتين القوتين جبهة تتصدى لتنامي دور ومكانة النفوذ الأمريكي في المنطقة، إلا أنها تبقى منافساً لهما في المنطقة.

وتعتبر إيران دولة متوسطة النمو، فقد ارتفع معدل التضخم فيها خلال عام 2010 إلي 11.3%،[23]ومن المتوقع أن يواصل إرتفاعه، وبلغ معدل النمو السكاني السنوي مؤخراً حوالي 1.6%،[24] وبلغت نسبة البطالة حوالي11%. وعلى الرغم من قيام الرئيس الحالي (محمود أحمدي نجاد) بمجموعة من الإصلاحات الاقتصاديّة، كرفع الدعم الحكومي عن مجموعة من الموادّ الاستهلاكيّة والبنزين والغاز، ومحاولة إلزام المؤسّسات الحكوميّة ببرنامج تقشّفي يستهدف تخفيض النّفقات، وذلك لتحقيق وعوده للفقراء بالاستفادة من أموال البترول، لم تنجح الحكومات الإيرانية المتعاقبة منذ عام 1990، بما فيها حكومة (نجاد) خلال فترتي ولايته، في مواجهة مشاكل البطالة والفقر والتضخم وضعف الاستثمارات الأجنبية، فسياسات (نجاد) الإقتصادية على سبيل المثال تعتمد على السيولة التي توفرها مبيعات النفط لكنها لا تمتلك رؤية إقتصادية مستقبلية واضحة.[25]

- **محطات تاريخية تعكس أساس بنية النظام السياسي الإيراني:**

يرجع تاريخ إيران إلى "قورش" مؤسس إمبراطورية فارس عام 559 ق.م التي امتدت في العراق والشام وأفريقيا وأواسط آسيا وحتى شرق أوروبا، واستمرت حتى الفتح الإسلامي عام 632م لتصبح فارس جزءاً من الدولة الإسلامية. أقام الصفويون دولة مستقلة في إيران عام 1501م واعتنقوا رسمياً المذهب الشيعي. وتعاقبت على الحكم في إيران بعد الصفويين القاجاريون ثم آل بهلوي إلى أن قامت الثورة الإسلامية عام 1979.[26]

في عام 1921 ترقى (رضا خان) من ضابط بالجيش إلي وزير للحربية ثم رئيساً للوزراء بعد قيامه بانقلاب، ليصبح عام 1925 ملكاً على إيران وأول ملك للدولة البهلوية، ثم أصبح شاهاً بإيعاز من رجال الدين الذين خافوا من

---

[23] أحمد كامل بكري، مصدر سابق.

[24] نفس المصدر السابق.

[25] Understanding Iran, Rand national security research Division. http://www.rand.org/pubs/monographs/2008/RAND_MG771.pdf.

[26] أمين شحاته،إيران: المسار التاريخي، الجزيرة نت، المعرفة، العنوان الالكتروني: www.aljazeera.net/in-depth/Iran_file/2001/5/5-7-1.htm

تضاؤل نفوذهم الديني. وفي عام 1941 بدأ (رضا شاه بهلوي) بتعزيز سلطة الحكومة المركزية بإعادة بناء الجيش وتقييد حصانة زعماء القبائل، وإلغاء نظام الامتيازات الأجنبية، مدخلاً الكثير من الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الهامة، ومطالباً جميع الدول الأجنبية بمخاطبة الدولة باسم إيران بدلاً من فارس.[27]

رفض (رضا شاه) الانحياز إلى الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، فاضطر للتنازل عن العرش لابنه (محمد) بعد إنتهاء الحرب. تقلد (محمد مصدق) رئاسة الوزراء بعد الانقلاب ضد (محمد رضا شاه) حيث قام بتأميم حقول البترول الإيرانية من السيطرة البريطانية ما بين عامي 1951 و1953، فجمدت بريطانيا جميع الأموال الإيرانية في بنوكها خوفاً على امتيازاتها البترولية، مما اضطر إيران لرفع قضية ضد بريطانيا في محكمة العدل الدولية التي حكمت لصالحها، ففرضت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حظراً تجارياً على إيران لضرب اقتصادها. أُسقطت حكومة (مصدق) بانقلاب تدعمه بريطانيا والولايات المتحدة الأمر الذي سهل عودة (محمد رضا شاه) مرة أخرى ليمسك بزمام الحكم في البلاد.

قام الشاه ما بين عامي 1962 و1963 بما سمي الثورة البيضاء بقصد إجراء الكثير من الإصلاحات كتعديل قانون الإنتخاب وإصلاح زراعي شامل، فشهدت حقبة الستينات نمواً إقتصادياً سريعاً وإزدهاراً كبيراً وزيادة في قوة إيران العسكرية حيث اعتبر الجيش الإيراني من أقوى جيوش المنطقة آنذاك، مما دعم مكانة إيران الدولية كأكبر حلفاء الولايات المتحدة تسبب ذلك في ظهور فجوة بين علماء الدين والفقهاء وبين السلطة التي هاجمها (الخميني) في خطبه، الأمر الذي أدى إلى نفيه.

وبحلول عام 1973 زاد حظر النفط العربي عائدات إيران النفطية بما يعادل أربعة أضعاف، مما أدى إلى مزيد من الانفتاح الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ومزيد من الاستبداد في قمع المعارضة التي إحتشدت خلف

---

[27] Reza Ladjevardian, From Ancinnt Persia to Contemporary Iran, (Waldorf MD: Mage Publishers,
2005.

(الخميني) في نهاية السبعينات وأشعلت ثورة أطاحت بالشاه، بعد ألفين وخمسمائة عام من الحكم الملكي.[28]

تحولت إيران بذلك إلى جمهورية إيران الإسلامية محدثة تغيرات سياسية وإستراتيجية كبيرة، ونجحت الثورة في الاحتفاظ بطابعها الإسلامي ومواجهة المحاولات الداخلية والخارجية لإجهاضها، وعلى رأسها المحاولات الأمريكية.

انتخب (أبو الحسن بني صدر) رئيساً لإيران في يناير عام 1980 مع بقاء السلطة الحقيقية والنفوذ في يد (الخميني). إلا أن التوجه الليبرالي للرئيس (بني صدر) خلق صداماً بينه وبين الفقهاء وعلماء الدين انتهى بعزله وهروبه من البلاد، فتقلد (سيد علي خامئيني) الرئاسة، ثم أصبح مرشداً للبلاد بعد موت (الخميني) عام 1989 وبقي مرشداً حتى اليوم. وانتخب (علي أكبر هاشمي رافسنجاني) رئيساً للجمهورية بدلاً منه في ذلك الوقت.

تولي منصب الرئيس في إيران سبعة رؤساء كان آخرهم المحافظ (نجاد)، الرئيس الحالي لإيران والذي انتخب لولاية رئاسية ثانية عام 2009 وسط خلاف وجدل كبير في الشارع الإيراني. وكان الاصلاحي (محمد خاتمي) قد سبقه في الحكم حيث جاء إلى السلطة عام 1997 ممثلاً عن التيار الإصلاحي في إيران لأول مرة وبقي فيها لولايتين متتاليتين.

**أسست الثورة منذ قيامها نظاماً سياسياً فريداً شغل انتباه ومتابعة العالم لخصوصية حالته، فالحكم الإسلامي مازال مستمراً بعد أكثر من ثلاثين عاماً، ولم تنجح جميع المحاولات الخارجية الغربية في تقويض مكانة إيران كدولة إقليمية فاعلة في منطقة الشرق الأوسط أو إسقاط نظامها. ويعتمد النظام الإيراني علي مزيج من القيم السياسية الحديثة القائمة على أساس الاختيار الشعبي والفصل بين السلطات، والقيم الدينية الشيعية القائمة على أساس نظام "ولاية الفقيه" المطلقة.**

- **محددات القرار السياسي في إيران**

**تمتلك إيران حضارية فارسية عريقة تكونت قبل ثلاثة آلاف عام, وشكلت علي مدى عصور كياناً فاعلاً في ادارة شئون العالم، وحكمت**

[28] Ipid.

**لقرون طويلة كقطب تنافس على الصدارة مع الروم (أوروبا). ومن المقومات الأساسية التي تميز الثقافة الإيرانية عن غيرها من ثقافات الدول الإسلامية والعربية، الشعور بالتفرد والتكبر والاستعلاء الحضاري والعرقي،[29] وتقدم تلك الثقافة القومية الفارسية تفسيراً لسياسة إيران ورؤيتها لمكانتها بين دول العالم. ويلعب المذهب الإسلامي الشيعي دوراً كبيراً في رسم وتحديد مقومات الثقافة الوطنية والسياسية في إيران، فتقوم الثقافة الإيرانية على المزج بين القومية الفارسية والديانة الإسلامية ذات المذهب الشيعي الأمر الذي يحدد المعايير الأساسية للنظام السياسي الإيراني بعد الثورة والذي يقوم على أساس هذين المعيارين الأساسيين.**

تتميز الثقافة السياسية الإيرانية المستمدة أصولها من المذهب الشيعي بغناها بالرموز والدلالات التي تمكن علماء الشيعة من توظيفها في إلهاب مشاعر الجماهير وتعبئتهم بسهولة. ويلعب شعور الإيرانيين بـ "الخوف من الآخر" دوراً كبيراً في فهم الثقافة الإيرانية، ذلك الشعور الذي انبعث من طبيعة ظروف ظهور المذهب الشيعي وخصوصيته في إطار الدين الإسلامي ككل، هذا بالاضافة إلى الغزوات والأطماع الغربية التي أدت إلى وضع إيران تحت الاحتلال واقتطاع مساحات شاسعة من أراضيه. وتعتبر فكرة الثورة والشهادة، المنبعثة من ذكرى استشهاد (الحسين)، من ركائز المذهب الشيعي، فالشهادة هي السلاح الوحيد عند الشيعة لرد قوة وسيطرة الأعداء. وقد بدا ذلك واضحاً كأحد مظاهر الثورة وكذلك الحرب مع العراق، ولا يزال مفهوم الشهادة يعيش في الوجدان الإيراني حتى يومنا الحاضر.

يعتبر مفهوم "المهدية" من القضايا الهامة في الفقه الشيعي ويؤمن بها الشيعة الإثني عشرية، التي تنتمي إليها الغالبية العظمى من شيعة إيران، كترجمة لفكرة الانتظار الموجودة عند كافة الأديان، وساعد هذا المفهوم على بلورة ضرورة اختيار نائب للمرشد. ويقوم مفهوم "المهدية" عند فرق الشيعة على فكرة الإيمان بعدم موت الإمام الغائب وانتظار عودته، وتختلف فرق الشيعة في تحديد شخصية المهدي المنتظر. وتعتقد الشيعة الاثني عشرية بإمامة الحفيد الثاني عشر (محمد بن الحسن) الذي غاب غيبتين، صغرى عام 260 هجرية واستمرت سبعين عاماً، وكبرى تنتظر رجعته بعد حين غير معلوم.

[29] Grahum Fuller, The "Center of the Universe": The Geopolitics of Iran, Graham E. Fouler: West view press, 1991, p 301.

تطوّر مفهوم "المهدية" لدى المذهب الإثني عشري ليشمل مقاربة حول قضيّة الحكم، أعاد إحياءها (الخميني) بعد أكثر من ألف عام من غيبة الإمام، فأعاد الاعتبار لدور الفقهاء كنواب عن الإمام الغائب لحين عودته، في قيادة البلاد بحجة عدم جواز تعطيل أحكام الشريعة.[30]

فقبل نجاح (الخميني) في فرض نظام "ولاية الفقيه" كان أمر تأسيس دولة إسلامية في ظل غيبة الإمام المهدي أمراً مستبعداً . فالدولة الإمامية لا تقوم في غيبة الإمام، ولقد عاش الشيعة المسلمون سنوات طويلة في انتظار ظهور الإمام المهدي وعودته من غيبته ليحكم الدولة ويقود الأمة وينتصر لها ويحقق العدل والسلام . و كانت معضلة فرض نظام جمهورية إسلامية، هي غيبة الإمام، فطرح (الخميني) مبدأ "ولاية الفقيه" ليقود الجمهورية فقيه عادل تعطيه الأمة الولاية ويحكم الدولة نيابة عن الإمام الغائب لحين ظهوره المرتقب.

وبينما قامت بنية النظام على أساس إنابة الفقهاء عن المهدي الغائب بكامل مهامه بما يجعله وصياً على الارادة الشعبية، اعترضت اجتهادات فقهيه شيعية إثني عشرية مقابلة على تلك الرؤية معتبرة ذلك اعتداء على صلاحيّات الإمام الغائب، والخوض فيما لا يندرج ضمن وظيفة الفقيه واستطاعته.[31] وتعتبر تصريحات الرئيس (نجاد) حول دعم الإمام المهدي الغائب ومباركته لادائه الرئاسي وبرنامجه الحكومي، وربط كل نجاح له أو للبلاد بمساندة الامام المهدي، كذلك اصرار الرئيس (نجاد) على افتتاح كل خطاباته وأحاديثه الرسمية بدعاء التعجيل بخروج الامام الغائب، كلها مظاهر دلالية على مدى تأثير ومكانة مفهوم "المهدية" مذهبياً فكرياً في إيران.

---

[30] روح الله الموسوي الخميني، الحكومة الإسلامية، ترجمة وتقديم حسن حنفي، د.ن، د.ت، ص ص 135-145.

[31] إيران، صراع على السلطة أم على الصلاحيات؟ وحدة تحليل السياسات في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 24/05/2011

http://www.dohainstitute.org/Home/Details?entityID=5d045bf3-2df9-46cf-90a0-d92cbb5dd3e4&resourceId=061e8fe2-f07e-4793-b0aa-2b3c717baf7b

ويؤمن الفكر السياسي الإيراني عموماً بالعقيدة المهدية، إلا ان هناك تباين ملحوظ بين التيارات السياسية الفاعلة على الساحة الإيرانية حول تفسيرها. فالتيار الاصلاحي والتيار المحافظ المعتدل "البرغماتي" بزعامة (هاشمي رافسنجاني) يرى في انتظار المهدي ووجوده قضية روحية فكرية محفزة، وينفي وجود أية علاقة بين الامام المهدي والثورة أو أي شخص في النظام حتى المرشد نفسه. وفي حين يعتقد التيار المحافظ وعلى رأسه المرشد والكثير من الفقهاء ومراجع التقليد بأن المرشد يمثل النائب الشرعي للامام المهدي المنتظر بما يجعل صلاحياته مطلقة، جاء تيار ثالث من داخل التيار المحافظ يضم (أحمدي نجاد) وأتباعه والمقربين منه، يؤمن بأن (نجاد) مؤيد من الامام المهدي وأن حكومته تتلقى الدعم من الغائب.[32]

يعتبر "التقليد" من ركائز المذهب الشيعي، ويعني الطاعة المتناهية والتامة للإمام ومن ينوب عنه، ولابد للإمام في إيران أن يكون "مرجع تقليد"، أي أن يكون ذو خبرة ومعلومات دينية وفيرة، ويتبعه عدد من الأفراد. وكان (الخميني) قد رسخ نظرية "ولاية الفقيه المطلقة" بعد أن شدد على ضرورة أن يكون القائد الأعلى "مرجع تقليد". واختير (الخميني) كأول مرشد، وكان "مرجع تقليد".

من المعروف أن نظرية "ولاية الفقيه" قد اكتسبت موقعاً على مستوى النظرية والممارسة عند الشيعة قبل مائة وخمسين عاماً على يد الشيخ (أحمد التراقي) وطبقها (الخميني) لأول مره في إيران بعد نجاح الثورة. ورغم تطبيق نظرية "الولاية المطلقة للفقيه" إلا أن النظرية ظلت غامضة خاصة فيما يتعلق بحدود الولاية وعلاقة الفقيه بالأمة، وعرضة لجدل طويل لا زال محتدماً.

ويدور محور الجدل في اطار ثلاث نظريات، الأولى تنكر "ولاية الفقيه" مع الاقرار بنفوذه في الأمور الدينية، والثانية تحصر "ولاية الفقيه" في الأمور الدينية والقضاء والإفتاء، أما الثالثة والتي تبناها (الخميني) فترى "الولاية المُطلقة للفقيه" بعموم الولاية إي إقامة الحدود وتنظيم الحقوق وإدارة القضاء.

---

[32] رشيد يلوح، المهدوية في إيران المعاصرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011/6/8. العنوان الالكتروني:
http://www.dohainstitute.org/Home/Details?entityID=5d045bf3-2df9-46cf-90a0-d92cbb5dd3e4&resourceId=7417e904-3dbf-43e3-8585-3390624876a3

وبعد وفاة (الخميني) أدخلت "ولاية الفقيه المطلقة" في دستور عام 1979 وفاءً له، وأصبحت من الركائز الأساسية للنظام باعتبار أن "ولاية الفقيه" هي امتداد لولاية الأئمة المعصومين.

**ولا تستند الخلافات الداخلية في إيران بالأساس إلى مطلق تغيير النظام القائم على أساس "ولاية الفقية" وإنما إلى حدود هذه الولاية، فالمحافظون يحاربون من أجل بقاء "الولاية المطلقة للفقية"، وآخرون منهم يطالبون بتضيق صلاحيات الفقية، أما الاصلاحيون فيسعون باتجاه الحد من نفوذ "ولاية الفقية" لصالح ولاية الشعب وتوسيع درجة الحريات في المجتمع. وقد بدأ هذا السجال الفكري المفتوح، حول دور الفقهاء في الحياة السياسية العامة، بين عدد من مراجع الشيعة، سواء في داخل أو خارج إيران، منذ نجاح الثورة.**

- **المؤسسات الرسمية المحددة لتوجهات السياسة الإيرانية**

طوال حكم عائلة بهلوي والتي امتدت إلى ستة عقود، لم يسمح النظام بالمشاركة السياسية للإرادة الشعبية، الأمر الذي يفسر وقوف جميع التيارات السياسية الإيرانية المختلفة الانتماء ضد نظام الشاه في السنوات التي سبقت الثورة. ورغم مشاركة التيار الليبرالي والجبهة الوطنية والتيار اليساري في الثورة،[33] إلا أن النظام الجديد لم يسمح بوجود تيارات غير إسلامية في السلطة، وذلك لسيطرة الرؤية الإسلامية بقيادة رجال الدين على طبيعة النظام.

ورغم أنه جاء بتعيين من (الخميني) بعد الإطاحة بالشاه مباشرة، استقال الليبرالي (مهدي بازركان) أمين عام حزب "نهضة جبهة إيران" من منصبه كرئيس لوزراء الحكومة المؤقتة، بعد خلافات مع الزعامة الدينية تمحورت حول إسلامية الدولة، وهو نفس السبب الذي دفع (الخميني) لعزل الليبرالي (بني صدر)، أول رئيس جمهورية للبلاد عام 1981. كما أزاح (الخميني)

---

[33] منال لطفي، إيران: 30 عاما على الثورة ـ الحلقة (4 : (خميني باريس.. وخميني طهران، جريدة الشرق الأوسط، الجمعة 18 صفر 1430 هـ 13 فبراير 2009 العدد 11035.
http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=506905&issueno=11035

خليفته (حسين منتظري) بسبب مطالبته بالتعددية السياسية وتقييد صلاحيات المرشد ورفضه استمرار الحرب مع العراق بعد تحرير الأراضي الإيرانية.

كرست القيادة الإيرانية بعد الثورة مركزية الدور الشعبي الذي طغى على دور الأحزاب السياسية فيها. وفي استفتاء شعبي عام على هوية النظام الجديد، اختار الشعب بالأغلبية شبه مطلقة (98%) ترسيخ نظام جمهوري إسلامي للحكم، يوازن بين سيادة الشّعب المتمثلة بالانتخابات الشعبية في المجالس المنتخبة أو في شخصيّة رئيس الجمهوريّة، وبين اعتماد الإسلام مصدراً وحيداً للتشريع ومعياراً لعمل الأجهزة الحكومية، ويقوم الوليّ الفقيه بدور الوصيّ الشرعي. فجسدت ديناميكية النظام جدليّة العلاقة بين المؤسسة المنتخبة والمؤسسة الدينية.

أُدخل مبدأ المشاركة في نص الدستور الذي خضع أيضاً لاستفتاء شعبي قبل اقراره، وتدار شؤون البلاد بالاستناد إلى رأي الشعب الذي يتجلى بانتخاب رئيس الجمهورية، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء سائر مجالس الشورى المحلية ونظائرها، وأيضاً عن طريق الاستفتاء العام في الحالات التي نص عليها الدستور. واعتبر الدستور مجالس الشورى من مصادر اتخاذ القرار وإدارة شؤون البلاد.[34] بينما تجسد مصدر القوة الدينية في الحكم من خلال صلاحيات وقوة المرشد، فشدد الدّستور على أن السّلطات الثلاث تمارس صلاحيّاتها بإشرافه.[35]

## أولاً : المرشد

يتمتع المرشد داخل إيران بوضع خاص في مؤسسات صنع القرار، وجاءت تعديلات الدستور عام 1989 لتعزز من مكانته، سواء جاء ذلك من خلال تقليل الاشتراطات المتعلقة بشاغل هذا المنصب أو بزيادة صلاحياته.

---

[34] وتشمل هذه المجالس مجلس الشورى الإسلامي ومجالس شورى المحافظة والقضاء والبلدة والقصبة والناحية والقرية وأمثالها.
[35] الدستور الإيراني، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، 1997، إيران– طهران.

عدل دستور عام 1989 من الشروط الواجبة في شخص المرشد، وبعد أن نصت المادة الخامسة من دستور عام 1979 على أن ولاية الأمة تؤول إلى أعدل وأعلم وأتقى رجل في الأمة وممن أقرت له أكثرية الأمة وقبلته قائداً لها ليدير شؤون البلاد. أسقط التعديل الدستوري لعام 1989 عبارة "أقرت له أكثرية الأمة" كما أسقط ضرورة كونه "مرجع تقليد". فجاء (الخامئيني) مرشداً للبلاد بعد اختيار مجلس الخبراء له، رغم افتقاده لشرط "مرجع تقليد"، فأثار معارضة شديدة في ذلك الوقت.

نفى دستور عام 1989 موجبات تنسيق المرشد مع رئيس الجمهورية في مجال الإشراف على السلطات الثلاث، بحيث يقوم المرشد بتنظيم العلاقة بين السلطات الثلاث، وحل خلافاتها التي استعصت على "مجمع تشخيص مصلحة النظام"، وكذلك حل المشاكل التي تظهر بين أفرع القوات المسلحة.

اعتبر الدستور رئيس الجمهورية مسئولاً أمام المرشد والشعب ومجلس الشورى. ويحتاج المرشح الرئاسي إلى تزكية من المرشد ليدخل معترك المنافسة الانتخابيّة، كما يعتبر توقيع قرار تنصيب الرئيس بعد انتخابه من قبل الشعب من مهام المرشد أيضاً.[36] ويحق للمرشد عزل الرئيس بما تقتضيه مصالح البلاد، إما بحكم من المحكمة العليا بحجة تخلفه عن أداء وظائفه القانونية، أو بعد رأي "مجلس الشورى" بعدم كفاءته السياسية.

حددت دستور عام 1989 صلاحيات المرشد ومسؤولياته في أحد عشر بنداً، كتعيين وتحديد السياسات العامة بعد التشاور مع "مجمع تشخيص مصلحة النظام"، والإشراف على حسن إدارتها، واصدار الأمر بالدعوة للاستفتاء العام، والقيادة العامة للقوات المسلحة، وإعلان الحرب والسلام والنفير العام. ويستطيع المرشد أن يوكل شخصاً لأداء بعض وظائفه وصلاحياته. فقد سبق أن قام المرشد (خامئني) بتعين المحافظ المعتدل (رافسنجاني) خلال ولاية الرئيس الحالي (نجاد) ليقوم بمهمة الاشراف على السلطات الثلاث.

ويحق للمرشد تنصيب وعزل وقبول إستقالة فقهاء "مجلس صيانة الدستور"، وأعلى مسئول في السلطة القضائية، ورئيس مؤسسة الإذاعة

---

[36] حسب المادة (110) من الدستور، ص 48.

والتلفزيون، ورئيس أركان القيادة المشتركة، والقائد العام لقوات الحرس الثوري، والقيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي.

تجعل الصلاحيات الواسعة للمرشد منه صانع القرار الأول في السياسة الإيرانية الداخلية والخارجية، فهو يمتلك آليات تعيين السياسة الخارجية واتجاهاتها، وتعتبر وزارة الخارجية التابعة للرئيس مجرد جهة منفذة فقط. كما تعتبر فتاوى المرشد من أهم عوامل إضعاف السلطة القضائية، إذ يحق للمرشد العفو أو التخفيف من عقوبات المحكوم عليهم في إطار الموازين الإسلامية.

وضع الدستور آلية لسد الفراغ القيادي في الفترة الفاصلة بين خلو منصب المرشد وشغله، وذلك بتشكيل مجلس شورى مؤلف من رئيس الجمهورية، ورئيس السلطة القضائية، وأحد فقهاء "مجلس صيانة الدستور" على أن ينتخب المرشد من قبل "مجمع تشخيص مصلحة النظام".

وتوكل مهمة اختيار وعزل المرشد إلى "مجلس الخبراء" المكون من فقهاء منتخبين من الشعب. وحصر التعديل الدستوري لعام 1989 الاختيار لمنصب المرشد من بين أعضاء "مجلس الخبراء"، وذلك في حال عدم ترشيح شخص مناسب من الخارج.

وبرزت فكرة إنشاء "مجلس الخبراء" مع بداية إعداد مسودات الدستور عام 1979، على يد (الخميني)، وحصرت مهامه في ذلك الوقت بوضع الدستور. إلا أن دستور عام 1989 كلف المجلس بمهمة إعادة النظر فى الدستور. ويجتمع المجلس مرتين في العام، ويؤثر في توجيه السياسة الخارجية في أضيق الحدود، أي عند وفاة أو عجز المرشد عن أداء مهامه الدستورية لحين اختيار المرشد الجديد.

إنتخب في بداية تأسيس "مجلس الخبراء" سبعون عضواً وارتفع العدد إلى ثلاثة وثمانين عضواً عام 1982، ووصل اليوم إلى ستة وثمانين عضواً، ومدة ولاية المجلس هي ثماني سنوات. ويشترط الدستور الإيراني على مرشحي "مجلس الخبراء" أن يكونوا فقهاء وأن يخضعوا تحت اشراف "مجلس صيانة الدستور" الذي يعين المرشد أغلب أعضائه، لاختبار كتابي

أولاً ثم شفهي بعد نجاحهم في الإختبار الأول، وقبل الوصول إلى مرحلة خوض الانتخابات الشعبية.[37]

**ويعتبر "مجلس الخبراء" ذا أهمية كبيرة وسلطة بالغة، لأن مهامه تتعلق مباشرة بمراقبة عمل وكفاءة المرشد، وفي ضبط التوازنات السياسة الأساسية التي من شأنها التحكم في التوجهات العامة في إيران.[38] فاز (رافسنجاني) برئاسة "مجلس الخبراء" في انتخابات عام 2006، على المرشح المحافظ المتشدد (مصباح يزيدي)، حيث شكل نجاح (رافسنجاني) في ذلك الوقت إعادة للتوازن بين الاتجاه المعتدل والاتجاه المتشدد الذي سيطر على الجهاز التنفيذي ممثلاً بانتخاب الرئيس (نجاد)، والجهاز التشريعي ممثلاً بسيطرة المتشددين على المجالس البلدية والتشريعية بعد عام 2004. إلا أن (رافسنجاني) عاد وخسر منصبه كرئيس للمجلس ليخلفه "محمد رضا مهدي كاني"،على خلفية انتقادات وجهها له محافظون لقربه من المعارضة الإصلاحية. ورغم أن المجلس يعتبر ترجمة مباشرة لفكرة الجمهورية الإسلامية، وتجسيداً فريداً يجمع القوة الدينية بالارادة الشعبية، إلا أنه يخضع لاراده المرشد الذي يتحكم باختيار أعضائه عبر صلاحيات "مجلس صيانة الدستور" التي أقرها الدستور.**

**<u>ثانياً : رئيس الجمهورية</u> (السلطة التنفيذية)**

ينتخب الرئيس مباشرة من الشعب لمدة أربع سنوات، ولا يجوز انتخابه لأكثر من دورتين متتاليتين. وهناك شروط لابد من توفرها في المرشحين للرئاسة قبل الانتخابات، ويجب أن ينال هؤلاء موافقة "مجلس صيانة الدستور"، وموافقة المرشد.

يقوم الرئيس بالتوقيع على قرارات "مجلس الشورى"، ونتائج الاستفتاءات العامة بعد مرورها بالمراحل القانونية، والمعاهدات والعقود والاتفاقات والمواثيق بعد موافقة "مجلس الشورى". يتولى الرئيس مسؤولية التخطيط والميزانية والأمور الإدارية والتوظيف للبلاد. ويرأس الرئيس "مجلس الأمن القومي" الذي لا تصبح قراراته نافذة إلا بموافقة المرشد.

---

[37] Understanding Iran's Assembly of Experts, Centre for Iranian Studies. Durham University, November 2006, p 3.
[38] Ipid.

وتتوقف مدى فعالية ومكانة الرئيس فى النظام على قوة شخصيته ومكانته ومدى توافق سياسته مع سياسة المرشد. بعد وفاة (الخمينى) وانتهاء الحرب العراقية الايرانية وتولي (خامئني) مرشداً عاماً للبلاد، وصل (رفسنجاني) الذي يقود تيار "إعادة البناء" المعتدل إلى الرئاسة عام 1989، وبقي لفترتين متتاليتين. وتميز النظام خلال تلك الفترة بالتوافق حول الخطوط العريضة ووضوح التوازنات السياسية وانحصار التجاذب الفكرى والسياسي بين رؤية المرشد المحافظة ورؤية الرئيس المعتدلة. ويعود ذلك إلى طبيعة شخصية ومكانة (رافسنجاني) الدينية وأحد قيادات الثورة، ناهيك عن علاقة (رافسنجاني) المميزة بالمرشد نتيجه دعمه ومناصرته له في خضم معارضة واسعة واجهها بعد ترشيحه لمنصب المرشد.

واجه الاصلاحي (محمد خاتمي)[39] معارضة قوية من قبل التيار المحافظ بقيادة المرشد، بعد وصوله إلى الرئاسة عام 1997. ولم تنجح سياسته على مدار ولايتين في تحقيق وعودها بإجراء إصلاحات سياسية وتحولات إقتصادية،[40] على الرغم من امتداد سيطرة الاصلاحيين على البرلمان عام 2000، وذلك بسبب اتساع هامش الخلاف الفكري بين التيارين الاصلاحي بقيادة الرئيس (خاتمي) والمحافظ بقيادة المرشد.

أحدث انتخاب (نجاد) عام 2005 كرئيس لفترتين متتاليتين انقلاباً فى المعادلة السياسية الإيرانية، بهيمنة التيار المحافظ المتشدد على جميع مؤسسات صنع القرار في الدولة، وبلورة منظومة في التركيبة السّياسية الإيرانيّة تعتبر الأكثر تماسكًا وانسجامًا وتهميشاً لدور الاصلاحيين، وتفسر

---

[39] يشكل التيار الاصلاحي امتداداً لليسار السابق الذي كان في الحكم قبل الإطاحة بـ (بني صدر) عام 1981، وامتداداً لتيار إعادة البناء الذى بدأه (هاشمى رافسنجانى) مع بداية التسعينيات، دون البعد عن الاطار الدينى الإيرانى أو الخروج عن مضمونه.

[40] ستار ناصر، إيران ... خاتمي ونجاد رئيسان مختلفان تناوبا الحكم مناصفة، الخليج الإماراتية، الأحد 9 يناير 2011

-

http://65.17.227.85/Web/NewsPapers/2011/1/623816.html?entry=articleRelatedArticle

موقف المرشد المناصر للرئيس (نجاد) الذي واجه معارضة شديدة على نتائج الانتخابات الرئاسية للدورة الثانية 2009. إلا أن ذلك لم يمنع نشوب الخلاف بينهما، الذي تجلت أحد مظاهره في أبريل 2011 عندما أوقف المرشد تنفيذ استقالة وزير المخابرات (حيدر مصلحي) التي جاءت بناءً على طلبٍ من (نجاد)، فانصاع الرئيس الإيراني لقرار المرشد في النهاية.

**رغم أن الدستور اعتبر الرئيس الرجل الثاني في إيران بعد المرشد، إلا أن الواقع العملي لا يقر بذلك، فليس للرئيس المساحة الواسعة دستورياً لتغيير مسار سياسات الدولة بعيداً عما يقره المرشد، بالاضافة إلى دور مؤسسات السلطة التشريعية التي تشكل عوائق حقيقية لسلطة الرئيس أيضاً.**

## ثالثاً : السلطة التشريعية

تتمثل السلطة التشريعية في إيران بأكثر من جهاز لكل منها دور مؤثر في رسم السياسة الداخلية والخارجية. فهناك مجلسا "الشورى" و"صيانة الدستور" اللذان تحددت صلاحياتهما بحكم الدستور الإيراني عام 1979، أما "مجمع تشخيص مصلحة النظام" والذي يلعب دوراً كبيراً في صناعة القرار السياسي داخل المجتمع الإيراني فقد أنشأ عام 1988 للفصل في النزاع بين المجلسين الدستوريين السابقين، ولم يرد ذكره في دستور عام 1979.

وبينما ينتخب الشعب أعضاء مجلس "الشورى"، يعين رأس النظام (المرشد) أعضاء مجلسي "صيانة الدستور" و"تشخيص مصلحة النظام" وكذلك "مجلس الأمن القومي". وعلى الرغم من أن سلطة ومكانة "مجلس الشورى" واضحة في صنع القرار في إيران، إلا أن صلاحياته مقيدة بالرقابة والمتابعة من قبل مجلسي "صيانة الدستور" وتشخيص مصلحة النظام".

### i. مجلس الشورى (البرلمان)

ينتخب "مجلس الشورى" نوابه بالاقتراع السري المباشر لمدة أربع سنوات ويبلغ عدد أعضائه مائتين وسبعين عضواً يضاف إليهم عشرين عضواً كل عشر سنوات استجابة للتطورات الديمغرافية والسياسية، ولقد طبقت الزيادة المقررة على أعداد نواب المجلس لأول مره عام 2000. وتشير المادة (64) من الدستور إلى حقوق الأقليات في الترشح ودخول

المجلس، فتتيح للزرادشت واليهود نائباً واحداً لكل منهما، ويكون للمسيحيين الأرمن نائبان أحدهما عن الشمال والآخر عن الجنوب، أما المسيحيون والأشوريون والكلدانيون فينتخبوا نائباً واحداً يمثلهم جميعاً.

يعتبر "مجلس الشورى" من الناحية الدستورية من أقوى مؤسسات صنع القرار فى السياسة الإيرانية، فقد اعتبرته المادة السابعة من الدستور من مصادر اتخاذ القرار وإدارة شؤون البلاد،[41] ورآه (الخميني) على رأس الأمور. وتعود قوته إلى قدرته على التدخل والتدقيق والتحقيق في جميع شؤون البلاد الداخلية والخارجية بفعل المادة (76) من الدستور الواسعة التفسير.[42]

ويحق للمجلس منح الثقة لمجلس الوزراء بعد تشكيله، واستجواب الرئيس والوزراء بشكل جماعي وفردي، والحكم على أداء الرئيس، بأغلبية الثلثين.[43] ويستطيع المجلس محاسبة الرئيس بل وعزله، وسحب الثقة من الوزراء بل وفرض اختياراته فى شخصياتهم.

كما يجيز الدستور للمجلس سن القوانين في جميع القضايا باستثناء تلك المغايرة لأصول وأحكام المذهب الرسمي للبلاد أو المغايرة للدستور، وكذلك اقتراح مشاريع القوانين ومناقشتها على أن يتقدم بالاقتراح ما لا يقل عن خمسة عشر نائباً، والنظر في اللوائح القانونية بعد مصادقة مجلس الوزراء. ومن صلاحياته قدرة المجلس على حجب بعض المشروعات وتسجيل موقفه من قضايا عدة منها قضايا السياسة الخارجية، والتصديق على التغييرات الحدودية، وفرض الأحكام العرفية، والاقتراض والإقراض أو منح المساعدات داخل البلاد وخارجها.[44]

وتعود قوة البرلمان كذلك إلى الدور الهام الذي يلعبه في ضبط التوازن بين مؤسسة الرئاسة والمرشد لصالح المرشد والتيار المحافظ خصوصاً في حال اختلاف الانتماء السياسي بين مؤسسة الرئاسة والمرشد وحزبه الحاكم.

---

[41] وتشمل مجالس الشورى، مجلس الشورى الإسلامي ومجالس شورى المحافظة والقضاء والبلدة والقصبة والناحية والقرية.

[42] حسب المادة (76) من الدستور، ص 40.

[43] حسب المواد (87 و 88 و 89) من الدستور ، ص 42.

[44] حسب المواد (71و 74 و78 و79 و80 ) من الدستور.، ص ص 39- 41.

وتجدر الإشارة إلى أهمية شخص رئيس المجلس، بحكم قدرته على التعبئة لصالح أو ضد قوانين أو مواقف مختلفة يتبناها المجلس، وأهمية دوره في خلق توازنات القوة داخل المجتمع السياسي الإيراني، الأمر الذي يجعله يلعب دور الرجل الثاني فعلياً داخل النظام السياسي، رغم أنه لا يمتلك صلاحيات واسعة بحكم الدستور، ويتولى حالياً رئاسة المجلس المحافظ (علي لاريجاني) المقرب من المرشد.

وقف مجلس الشورى في عهد الرئيس (رافسنجاني) في وجه قرارات الرئيس الاصلاحية خصوصاً بعد إزاحة اليسار، لدرجه اضطرت (رفسنجاني) إلى إقالة (محمد خاتمي)، وزير الثقافة الاصلاحي مما حال دون حدوث انفتاح حقيقي في البلاد رغم برغماتية (رافسنجاني). في حين كبل البرلمان سلطة الرئيس الاصلاحي (خاتمي) في ظل سيطرة المحافظين على المجلس ما بين عامي 1997-2000 وفي نهاية فترة ولايته الثانية، عطلت المؤسسات التشريعية الأخرى سواء "مجلس صيانة الدستور" أو "مجمع تشخيص مصلحة النظام" سلطته في ظل سيطرة الاصلاحيين على البرلمان.

في ظل سيطرة المحافظين على البرلمان، لم يستطع الرئيس نيل ثقة المجلس على وزارته إلا بعد أن فرض المرشد وزير الاستخبارات، لاحكام سيطرته على المؤسسات الاستخباراتية والأمنية وتقليص صلاحيات وزير الداخلية التى تؤول إلى الاصلاحى (عبد الله نورى)، والذي أعفي من منصبه بعد ذلك في جلسة برلمانية عاصفة، بناء على طلب من عدد من النواب المحافظين، كما استقال وزير الثقافة (عطا الله مهاجرانى) فى عام 2000 تحت وطأة هجوم المحافظين على سياسته.

ولم تختلف الأوضاع في عهد الرئيس (خاتمي) رغم سيطرة الاصلاحيين على البرلمان والذي فشل في اقرار تعديلات لتوسيع صلاحيات رئيس الجمهورية المدعمة بالدستور،[45] بفضل قوة صلاحيات "مجلس صيانة الدستور"،[46] في حين تبنى "مجمع تشخيص مصلحة النظام" قراراً بايعاز من المرشد، يقضى بالتصويت في البرلمان على المرشحين بالاغلبية النسبية بدلاً من المطلقة، لفض خلاف نشب بين البرلمان والسلطة القضائية بعد رفض

---

[45] المادة (113) من الدستور "الرئيس هو منفذ الدستور".

[46] على نوريان ، عشر نقاط قانونية على لائحة توسيع سلطات رئيس الجمهورية ، مختارات إيرانية ، يناير 2003.

الأول التصديق على مرشحي رئيس السلطة القضائية لشغل مقاعد فى المجلس الدستورى، فانتصر المحافظون.[47]

وضربت محاكمة (عبد الله نورى) نائب رئيس الجمهورية ووزير الداخلية السابق مثالاً صارخاً على عجز الرئيس (خاتمي) في مواجهة التيار المحافظ وحماية حلفائه الاصلاحيين، فحكمت محكمة الصحافة الإيرانية باغلاق جريدة "خرداد" التي ترأسها (نورى)، وحكمت عليه بالحبس لمدة خمس سنوات بتهمة "الاساءة إلى المقدسات".[48]

وعلى الرغم من أن الوضع يبدو مختلفاً تماماً في عهد ولايتي الرئيس المحافظ (نجاد) حيث ساد خلالهما سيطرة التيار المحافظ على أجهزة الدولة الدينية والمنتخبة وتحديد دور ومكانة التيار الاصلاحي، عارض البرلمان سياسة (نجاد) بحجة خروجه عن الأصولية التقليدية واتجاهه نحو التجديد في فكر المحافظين، لدرجة دعت الرئيس إلى اتهام البرلمان بتجاوز صلاحياته، فنشب صراع بين اتجاهين مختلفين داخل التيار المحافظ في البرلمان جسده خلاف (لارجاني) رئيس البرلمان مع الرئيس (نجاد). إلا أن نتائج الدورة التاسعة للانتخابات البرلمانية الإيرانية أكدت فوز الجناح التيار المحافظ الموالي للمرشد (خامنئي) بنسبة 75%، مقابل تراجع كبير لأنصار الرئيس (نجاد)، الأمر الذي يؤكد استمرار سيطرة المرشد على البرلمان وبقوة.

### ii. مجلس صيانة الدستور

على الرغم من أن البرلمان هو أقوى مجلس تشريعي من الناحية الدستورية نظرياً، إلا أن جميع قراراته والقوانين الصادرة عنه مقيدة بمراجعة وموافقة "مجلس صيانة الدستور" واحتكامها أيضاً إلى "مجمع تشخيص مصلحة النظام"، بحجة التأكد من عدم تعارضها مع أحكام الشريعة الإسلامية.

---

[47] أمل حمادة ، الخبرة الإيرانية فى الانتقال من الثورة إلى الدولة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الاقتصاد ، 2007 ، ص203-266.

[48] محمد عبد المعطي، حقوق الانسان في إيران، مصدر سابق.

وفي نوفمبر 1997، أسس الرئيس (خاتمي) لجنة "الرقابة ومتابعة تطبيق الدستور" التي تتداخل اختصاصاتها مع اختصاص "مجلس الصيانة"، وتضم خمسة أعضاء منهم، عضوان سابقان في "مجلس الصيانة"، ووزير العدل وعضو مجلس قضاء، ومساعد الرئيس للشؤون البرلمانية والقانونية، ولهذه اللجنة القدرة على حجب قوانين معينة ومنع مرشحين من خوض انتخابات المجالس المختلفة.

يتكون "مجلس صيانة الدستور" من إثني عشر عضواً، ستة منهم فقهاء يختارهم المرشد مباشرة وستة آخرين من مختلف التخصصات القانونية يرشحهم رئيس السلطة القضائية الذي يعينه المرشد. ويفسر ذلك إنتماء معظم أعضاء المجلس لتيار المحافظين، رغم ضرورة نيل موافقة البرلمان عليهم. وتبلغ فترة ولاية المجلس ست سنوات على أن يجدد نصف الأعضاء كل ثلاث سنوات، ويرأسه حالياً (أحمد جنتي)، أحد رموز التيار المحافظ.

يمتلك "مجلس صيانة الدستور" صلاحيات واسعة، قد يكون أهمها الاشراف على انتخابات "مجلس الخبراء" ورئاسة الجمهورية و البرلمان ومجالس البلديات والاستفتاءات، بما يجيز للمجلس فرز مرشحي تلك المجالس طبقاً لميولهم الفكرية والولاء لنظام ولاية الفقيه، ورفض المرشح الذي لا يراه المجلس مؤهلاً.

رفض "مجلس صيانة الدستور" ترشيح عدد كبير من مرشحي التيار الاصلاحي للانتخابات البرلمانية السابعة في يناير 2004، ولم يتراجع عن قراره رغم استقالة عدد من النواب الإصلاحيين قبيل تلك الانتخابات فاكتسحت القوى المحافظة أغلبية مقاعد البرلمان. كما شكل المجلس عائقاً أمام عدد كبير من أعضاء التيار الاصلاحي للترشح لخوض انتخابات مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) خلال عامي 2008 و2012.

### iii. مجمع تشخيص مصلحة النظام

تأسس هذا المجمع عام 1988، ويعتبر من المؤسسات المرتبطة مباشرة بالمرشد الذي يعين رئيسه، ويعتبر هيئة استشارية له، مما يفسر أهمية المجلس في صناعة القرار الإيراني الداخلي والخارجي. وتحددت فترة عمله في دستور عام 1989 بخمس سنوات، وتكون في بادئ الأمر من إثني عشر عضواً يمثلون رؤساء السلطات الثلاث وفقهاء "مجلس صيانة

الدستور" والمرشد أو من يمثله ورئيس الوزراء أو من يمثله، ويبلغ عدد أعضائه اليوم أربعة وثلاثين عضواً.

يقوم المجلس باقتراح المواد التي يلزم إعادة النظر فيها أو اضافتها للدستور، ويساهم في تشكيل مجلس "إعادة النظر في الدستور"، وله الكلمة الفصل عندما يختلف قطبا السلطة التشريعية، ويتحمل المسئولية الفعلية في تنظيم المرحلة الانتقالية بين شغور منصب المرشد وانتخاب "مجلس الخبراء" للمرشد الجديد، كما يشارك في رسم السياسات العامة للنظام. اضافة إلى ذلك يقوم المجلس بالتشاور في الأمور التي يوكلها له المرشد.

فعلى سبيل المثال، أوكل المرشد إلى المجلس الإشراف على عمل الحكومة و"مجلس الشورى" بما يضمن عدم إثارة السياسة الدولية ضد سياسة إيران خلال الفترة الأخيرة في ظل تصاعد الاحتجاج الدولي ضد السياسة الخارجية الإيرانية. وقد واجه المجلس معارضة كبيرة، لأن توسيع هامش صلاحياته جعله منافساً للسلطات الثلاث بل ومهيمناً عليها. وشغل (محسن رضائي) منصب الأمين العام لـ "مجمع تشخيص مصلحة النظام" بينما ترأسه (رافسنجاني)، الذي يعتبر من المحافظين المعتدلين، إلا أنه من المتوقع أن يفقد (رافسنجاني) مكانه حيث انتهت فترة رئاسته للمجلس في بداية شهر مارس 2012 ومن غير المتوقع أن يختاره المرشد لفترة رئاسية جديدة.

**iv. مجلس الأمن القومي**

استحدث دستور عام 1989 "مجلس الأمن القومي" وحدد مهامه بتأمين المصالح الوطنية وحراسة الثورة ووحدة أراضي البلاد والسيادة الوطنية،[49] ويدخل جزء رئيسي من عمله في نطاق السياسة الخارجية، كرسم السياسات الدفاعية والأمنية وتنسيق النشاطات ذات العلاقة بالخطط الدفاعية الأمنية والعامة لمواجهة التهديدات الداخلية والخارجية، وأوكلت إلى المجلس مهمة التفاوض بشأن الملف النووي الإيراني.

ويترأس المجلس رئيس الجمهورية وعضوية رؤساء السلطات الثلاث ورئيس هيئة أركان القيادة العامة للقوات المسلحة ومسئول شؤون التخطيط والميزانية وثلاثة من الأساتذة الجامعيين. وتعد قرارات هذا المجلس بمثابة توصيات لا تصبح نافذة إلا بعد موافقة المرشد وطرحها

[49] حسب الفصل الثالث عشر من الدستور، المادة ( 167) ، ص74.

للاستفتاء العام ونجاحها بالأكثرية المطلقة للمشاركين.[50] ويعكس إنتماء الرئيس بشكل واضح توجهات المجلس السياسة.

أصدر "مجلس الأمن القومي" عدد من المواقف المعتدلة في عهد الرئيس (خاتمي). ففي أغسطس 1998 انتقد بيان شديد اللهجة صدرعن المجلس صراحة تجاوزات بعض ضباط الشرطة وبعض الأفراد من غير العسكريين. وفي نوفمبر من نفس العام استقال وزير الاستخبارات (قربان نجف آبادي) وبعض مساعديه بعد أن حملهم المجلس مسئولية مقتل زعيمي حزب الأمة المعارض في منزليهما بطهران. إلا أن مواقف المجلس المنفتحة في عهد (خاتمي) لم تترجم إلى قرارات فعلية، لأن قرارات المجلس لا تصبح نافذة إلا بعد تصديق المرشد. خلال فترة ولايته، وقع الرئيس (خاتمي) عقداً مع تركيا لإدارة مطار طهران الجديد في إطار سياسة الإنفتاح الإقتصادي والإستثمارات الغربية في البلاد، إلا أن الحرس الثوري أحبط ذلك الإتفاق بالقوة أثناء حفل قص شريط الافتتاح.

ولأن سياسات المجلس اليوم لا تخرج عن توجهات رئيسه الرئيس (نجاد)، اتخذ المرشد (خامئيني) قراراً بتأسيس "مجلس استراتيجي" للمساعدة في وضع السياسة الخارجية في ظل الانتقادات التي وجهتها قوى سياسية عديدة في إيران للسياسة الخارجية للرئيس (نجاد)، ويضم هذا المجلس كوادر محسوبة على المحافظين والإصلاحيين معاً ويرأسه (كمال خرازي) وزير خارجية سابق ومعروف بسياسته المنفتحة على الغرب، إلا أنه لم ينحج في تغيير السياسة الخارجية الإيرانية.

**من الواضح أن هناك تداخلاً في عمل مختلف الهيئات التشريعية في إيران مما يعقد العملية التشريعية ويركز هذه السلطة في يد المرشد الأعلى للثورة. كما أن تعدد الهيئات التشريعية يفسح المجال للتنافس وربما الصراع بين هذه الهيئات.**

**وبات واضحاً أن قوة الدين تتفوق على الارادة الشعبية في إيران، فالقرار السياسي في البلاد محكوم دستورياً بسيطرة القوة الدينية على حساب الارادة الشعبية، ويتضح ذلك بداية باشتراط الدستور أن يكون المرشد ومرشحي "مجلس الخبراء" من الفقهاء، بالاضافة إلى أن صلاحيات**

---

[50] نفس المصدر السابق.

**السلطة التشريعية المنتخبة الممثلة بالبرلمان مقيدة بمراقبة ومتابعة السلطات التشريعية الأخرى التي يعينها المرشد، كما يمكن تجاوز سلطتها باللجوء إلى الاستفتاء الذي لا يتم بدوره إلا بأمر من المرشد.[51] كما أن تقلد المناصب العامة يتوقف على مدى أهلية المرشحين والتي يقررها "مجلس صيانة الدستور" على أسس دينية.[52] فالمؤسسات المنتخبة في إيران ما هي إلا مظهر ديمقراطي شكلي، رغم مراعاة النظام لآلية الانتخاب.**

- **مؤسسات مؤثرة في صنع القرار**

يتمتع عدد من المؤسسات في إيران بنفوذ قوى في عملية صنع القرار، ويأتي على رأسها الحرس الثوري بما يمتلكه من نفوذ عسكري وإقتصادي وسياسي، وكذلك مكانة آيات الله وأئمة وخطباء الجمعة، خصوصاً جمعية مدارس الحوزة العلمية في قُم، بالاضافة إلى دور البازار الإقتصادي، والقوة الطلابية ووسائل الإعلام والصحف مثل صحيفتي الجمهورية الإسلامية والديمقراطية، بالاضافة إلى دور الأحزاب السياسية المؤثرة مثل جمعية رجال الدين المناضلين ومجمع رجال الدين المناضلين وحزب الله.[53]

## أولاً: المؤسسة العسكرية

تتشكل المؤسسة العسكرية في إيران من جيش إسلامي عقائدي يعتمد في أفراده على "المسلمين المؤمنين بمبادئ الثورة الإسلامية". وتناول الدستور الإيراني الجيش وقوات حرس الثورة وقوات التعبئة والتنظيم في تسع مواد.[54] وتخضع المؤسسة العسكرية لإدارة المرشد، وتضع الحكومة الإجراءات اللازمة للتوفيق بين مجالات وأماكن عمل قوات حرس الثورة وباقي قوات الجيش لكي لا يقع أي تداخل بينها. ولا تتحمل القوات المسلحة (الجيش والحرس) مسئولية حماية استقلال ووحدة الأراضي الإيرانية وحراسة الحدود فقط، بل أيضاً الدفاع عن النظام الإسلامي للدولة، و"الجهاد في سبيل الله، لبسط حاكميه القانون الإلهي في العالم".[55] ومنع

---

[51] حسب (المواد 112،110) من الدستور.، ص ص 148- 149.

[52] حسب (المادة 99) من الدستور، ص 45.

[53] مونجهر محمدي، السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية ، مختارات إيرانية، العدد 86. العنوان الالكتروني
www.alrased.net/site/topies/view/789

[54] الدستور الإيراني المعدل عام 1989، المواد من (143-151).

[55] الدستور الإيراني المعدل عام 1989 ، الديباجة، ص ص 9- 17.

الدستور التحاق الأجانب بالجيش الإيراني وقوات حرس الثورة وجميع قوات الأمن الإيرانية، كما حرَّم إقامة قواعد أجنبية في إيران ولو لأغراض سلمية.

يعد الجيش الإيراني النواة الرئيسة للقوات المسلحة النظامية التقليدية، وهو يخضع لسلطة وإرادة المرشد، ويصل عدد قواته إلى حوالي مليون عنصر، نصفها في القوة البرية وربعها قوات بحرية والربع الأخير يخدم في القوات الجوية. وبعد أن كان الجيش الإيراني أقوى جيوش الشرق الأوسط في عهد الشاه، عانى إهمالاً كبيراً لعدم الثقة به بعد الثورة، فأعدم المئات من كبار قادته، وأسس (الخميني) قوتين عقائديتين (الحرس الثوري وقوات التعبئة والتنظيم) في موازاته، للدفاع عن الثورة الوليدة.

تأسس الحرس الثوري منذ الأيام الأولى للثورة وشكل دعامتها الرئيسة ، إلا أنه اكتسب قدرة عسكرية كبيرة وقاعدة جماهيرية واسعة بعد الحرب العراقية الإيرانية، فقد نص الدستور عام 1989 على استمرار الحرس الثوري في القيام بدوره لحماية الثورة وإنجازاتها، وقمع القوى المناوئة لها، ودعم حركات التحرر في العالم والحفاظ على الحدود وإقامة دوريات على الطرق لضمان الأمن.

ويضم الحرس الثوري اليوم بين صفوفه أكثر من مائة وخمسة وعشرين ألف عنصر في داخل إيران وخارجها. ولعب الحرس دوراً رئيسياً في عملية تصدير الثورة إلى العالم العربي منذ عام 1982 عندما أرسل أول قوة له إلى لبنان لدعم ميلشيات حزب الله، ثم إلى السودان عام 1990، ولا يزال الحرس الثوري موجوداً اليوم في لبنان والعراق وأفغانستان.

ويمتلك الحرس الثوري نفوذاً بالغاً واستقلالاً سياسياً في مواجهة المؤسسات الرسمية المؤثرة في إيران، بسبب ولائه المطلق للمرشد، وقربه من الحوزة الدينية في مدينة قُم، فهو يتحكم بالملفات العسكرية الأكثر أهمية وعلى رأسها ملف الأسلحة غير التقليدية والصواريخ بعيدة المدى والبرنامج النووي.

وازداد نفوذ الحرس الثورى العسكري في عهد (نجاد) بانضمام قوى التعبئة إلى قواته البرية، فكلف بأمن منطقتي الخليج وبحر عمان، بينما كلف الجيش بالإشراف والرقابة على حدود بحر قزوين.[56] كما وضعت قوات الحرس

[56] أحمد لاشين، مصدر سابق.

الثوري في المنتصف والجنوب للسيطرة على الوضع الأمني وعلى منابع البترول، بينما نقل الجيش للمناطق الشمالية من (منطقة أذربيجان) بحجة الدفاع عن الحدود الشمالية. وامتلكت قواته البحرية ترسانة من الزوارق الصغيرة الشديدة السرعة والصواريخ المضادة للسفن والسفن القاذفة للصواريخ، بهدف إنشاء خط دفاعي لمضيق هرمز والخليج،[57] فأعطى بذلك مزيداً من القدرة الإستراتيجية. وبلغ نفوذ الحرس الثوري أوجه في ضوء الدور الذي لعبه لفرض الاستقرار بعد الاضطرابات التي صاحبت الانتخابات الرئاسية الأخيرة عام 2009، ولعب نفس ذلك الدور بين عامي 1979 و1982 عندما أخمد انتفاضة الأكراد والبلوش والتركمان.

ولا تقتصر سيطرة الحرس الثوري على المؤسسات الأمنية فقط بل تتعداه إلى المؤسسات الإعلامية والثقافية أيضاً، فقادة وضباط الحرس الثوري يشكلون شبكة هامة من شبكات النفوذ داخل المجتمع الإيراني وأحد أهم جماعات المصالح فيه.[58] ويحظى الحرس الثوري بنفوذ واسع في كل أجهزة الشرطة والمخابرات والجهاز الإعلامي، حيث أنشأ قناة إعلامية خاصة به، كما أسس مكاتب تابعة له داخل الجامعات الإيرانية مثل جامعة الإمام الخميني في قزوين، ناهيك عن نفوذه المتصاعد داخل المؤسسات السياسية والمدنية الأخرى، وتزايد ذلك النفوذ بشكل ملحوظ داخل مؤسسات الدولة بعد التصعيد الدولي ضد إيران.

ساعد النظام في تصاعد مكانة الحرس الثوري إقتصادياً من خلال السماح ببسط سيطرته علي القطاعات الاقتصادية. فشارك في المشروعات العمرانية الكبرى التي تقوم بإنشائها الحكومة، ويدير أحد كوادره مؤسسة "المستضعفين"، وهي أكبر هيئة إقتصادية بعد الحكومة ويبلغ حجم أعمالها 40% من مجموع الإنتاج القومي.[59]

يسرت الحكومة للحرس الثوري امتلاك حصص كبيرة من مقدرات الاقتصاد الإيراني كاحتكار أسهم شركة الاتصالات الحكومية للخطوط الهاتفية الثابتة، وإدارة المنشآت النفطية، ومصانع السيارات وبناء المطارات والسدود. كما

---

[57] نفس المصدر السابق.

[58] Understanding Iran, Ipid.

[59] محمد عباس ناجي، داخل الحرس الثوري- ثلاثون عاماً من الحكم الحديدي لإيران، المجلة، 2010/2/19، البريد الالكتروني:
http://www.majalla.com/ar/cover_story/article19537.ece

منحت الحكومة للحرس صلاحيات اتخاذ القرار الاقتصادي في البلاد، فاتخذ المجلس الأعلي للأمن القومي الإيراني برئاسة (نجاد) قراراً يفرض على البنك المركزي اتخاذ قراراته بموافقة ممثل الحرس الثوري، وقراراً آخر يحتم وجود ممثل عنه في منظمة مراجعة وتنظيم القرارات الرقابية في شركة الاتصالات.[60]

مكن ذلك الوضع المميز الحرس الثوري من البروز في المجتمع سياسياً، من خلال ظهور العديد من قياداته علي المسرح السياسي، وعلي رأسهم الرئيس (نجاد) نفسه. فاحتل رجال الحرس الثوري مناصب بارزة في تشكيلة حكومة (نجاد) والتي صدق عليها البرلمان في سبتمبر 2009، بتعيين (أحمد وحيدي) وزيرًا للدفاع، و(مصطفى محمد نجار) وزيراً للداخلية، و(مسعود مير كاظمي) وزيراً للنفط.

كما شهد الحرس الثوري في عهد (نجاد) حضوراً واسعاً في الجانب العسكري والسياسي. ويوجه الإصلاحيون والمنتمون للجناح المعتدل من التيار المحافظ الانتقادات الشديدة لتعاظم مقدرات الحرس الثوري والقوات التابعة له في المجتمع.

فانتقد الزعيم الإصلاحي (مهدي كروبي) حصول وحدة "خاتم الأنبياء" التابعة لمؤسسة الحرس الثوري علي عقود إقتصادية حساسة في قطاعات الصناعة، متهماً الحكومة بالتحول إلي مقاول يسيطر علي مناحي الحياة الاقتصادية، ومؤكداً أن المادة (43) من الدستور الإيراني لا تسمح باحتكار الثروة بيد عدد من الأفراد أو المجموعات.[61]

تعتبر قوات التعبئة والتنظيم (الباسيج) أهم قوة عسكرية بعد الحرس الثوري وتقع تحت قيادته، وتشكلت في بداية الثورة لإحباط أية محاولة لإطلاق سراح الرهائن الأمريكيين عام 1980، ثم أصبحت قوة احتياط شعبي لها دور مهم

---

[60] صلاحيات جديدة للحرس الثوري تزيد من سيطرته علي اقتصاد إيران، العربية نت، 18 أغسطس 2010.

http://www.alarabiya.net/articles/18/08/2010/117107html

[61] صعود "الحرس الثوري". هل يغير النظام الإيراني؟ www.lebanese-forces.org

في حفظ الأمن الداخلي بعد الحرب. وتتكون قوات التعبئة والتنظيم من تسعين ألف رجل مسلح متفرغ، ولكنها تستطيع تعبئة عشرة ملايين عنصر من شباب الاحتياط.[62] وقد فوضت هذه القوات بكثير من وظائف الحرس الثوري المتعلقة بالأمن الداخلي.

**عمد النظام الإيراني إلي خلق نخبة عسكرية ترتبط مصالحها بوجوده كالحرس الثوري وقوات التعبئة والتنظيم وجيش القدس التابع للحرس الثوري ويعمل خارج حدود البلاد، كما يرتبط بقاء النخبة العسكرية ومكانتها باستمرار النظام، في حين تم الحفاظ على وجود الجيش بشكله التقليدي تحت سيطرة المرشد أيضاً. إن وجود مثل هذه النخبة العسكرية يعيق أية محاولات لاسقاط النظام، وهذا ما يفسر أهمية دورها في قمع ثورات أو إنتفاضات قد تحدث ضد النظام.**

## ثانياً : القوى الدينية

تلعب القوى الدينية ممثلة في الحوزة الدينية وأمانة أئمة الجمعة، دوراً بارزاً في التأثير على صنع القرار في إيران. وتعتبر الحوزة الدينية مكان لدراسة علوم الدين، لتأهيل الدارس تدريجياً لنيل مرتبة "مرجع تقليد" والقلة منهم فقط من يصل إلى هذه المرتبة. وتنال الحوزة الدينية في قم شهرة واسعة لكونها قد خرّجت "مراجع تقليد" عظام مثل (منتظري).

وتعود أهمية ودور علماء الحوزة الدينية وهيبتهم داخل المجتمع الشيعي، باعتبارهم القوى التقليدية التي تساند المرشد، ولصلتهم بجميع التيارات السياسية وتجار البازار، ولامتلاكهم مصادر تمويلية تجعل لهم مؤسساتهم الخاصة البعيدة عن سلطة الدولة.

يحق لـ "مرجع التقليد" الحصول على زكاة الخمس وهي زكاة يؤديها المسلم الشيعي،[63] تلك الزكاة التي يمكن أن تفسر جوانب القوة لسلطة فقهاء الشيعة

---

[62] يوسف عزيزي، عدد قوات البسيج "قوات التعبئة للحرس الثوري"، موقع إيلاف الإلكتروني في 14/10/2008 .

[63] آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتي 1906-1979، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)، ص 29-31.

وسطوتهم، ليس فقط في مجال الإفتاء في أمور الدين، ولكن أيضاً كسلطة سياسية فرضت نفسها على المجتمع الإيراني منذ القرن السادس عشر وحتى اليوم. وقد قاطع علماء الدين والفقهاء "مجلس صيانة الدستور" لوضعه ضوابط لمرشحي "مجلس الخبراء"، معتمدين على استقلالهم المادي ومؤيديهم وتابعيهم وعلاقاتهم القوية بالبازار وباقي التيارات السياسية.

تعتبر الأمانة الدائمة لأئمة الجمعة قوة دينية، تقع تحت إشرف المرشد. ويعين المرشد خمسة أعضاء من الأمانة كخطباء جمعة في أكبر المدن الإيرانية. وتقوم الأمانة بالتنسيق بين خطباء الجمعة، كما تتصل بالتنظيمات التي يؤلفها رجال الدين داخل إيران وخارجها، وتصنع السياسة العامة لخطب الجمعة في مختلف أنحاء البلاد بما يتناسب مع التوجه العام لطبيعة النظام. ويرجع الإهتمام بأئمة الصلاة إلى خصوصية وأهمية يوم الجمعة عند الشيعة.

وتمثل منابر صلاة الجمعة في إيران إحدى صور حرية التعبير التي يتمتع بها علماء وفقهاء الشيعة والتي تعكس الاستقلال الكبير الذي يتمتع به رجال الدين داخل المجتمع الإيراني، إلا أن الاختلاف عادة لا يكون حول أمور جوهرية تمس بالدين أو بمبادئ قيام الثورة أو بالدولة الإسلامية، وإنما حول تفسير بعض النصوص أو في أخذ مواقف معينة من قضايا دولية تمس أمن وسلامة النظام في إيران.

**ثالثاً: القوى الإقتصادية**

لعبت القوى الاقتصادية دوراً كبيراً في التصدي لسياسات الشاه، وتلعب تلك القوى، ممثلة في البازار والمؤسسات الخيرية، منذ قيام الثورة دوراً مهماً في صناعة القرار داخل إيران، وتتمتع بدرجة عالية من الاستقلال في مواجهة تدخل الدولة في شؤونها، بحكم علاقتها بالمرشد والقوى الدينية والتيار المحافظ.

يسيطر البازار المركزي في طهران على 75% من التجارة الداخلية وعلى مفاتيح القرارات الاقتصادية في البلاد. وما يزيد من تأثير تجار البازار في صنع القرار انغماس المؤسسة الدينية بمؤسساتها الخيرية في مشاريع البازار التجارية والاقتصادية، حيث يشارك رجال الدين في شركات تجارية لتشغيل الأموال الدينية التي لا تخضع لرقابة السلطة، وتمتلك المؤسسات الخيرية موارد ذاتية، تتوفر لها إما من زكاة الخمس أو من عوائد مشروعاتها الصناعية والزراعية والتجارية الضخمة التي تديرها، ومنها مؤسسة

المستضعفين ومؤسسة الشهيد ومؤسسة الإمام الرضا. ومُنع "مجمع تشخيص مصلحة النظام" من الإشراف على عمل المؤسسات الخيرية التابعة للمرشد أو التدقيق في نشاطها.

كما أن الحرس الثوري يمثل قوة إقتصادية من الصعب تجاوزها عند الحديث عن البازار، فالحرس الثوري يمتلك الكثير من المؤسسات الإقتصادية كما يعتبر شريكاً للدولة في العديد منها. ويؤثر رجال الدين ذوي الفكر المحافظ وقيادات الحرس الثوري وتجار البازار بدرجة كبيرة كجماعات ضغط في صنع القرار الاقتصادي في إيران، وقد تدخل المرشد العديد من المرات لوقف قرارات حكومية إقتصادية (تصدير واستيراد) لم يرض عنها البازار. إن دور المؤسستين العسكرية والدينية كقوى إقتصادية تتدخل لدى صانع القرار يبدو واضحاً في التأثير على القرار الاقتصادي في البلاد، خصوصاً وأن هذه القوى لا تخضع لرقابة الدولة بحكم مكانتها الدينية أو العسكرية، ولقربها من المرشد والتيار المحافظ.

**خلق النظام السياسي الإيراني جماعات عسكرية وإقتصادية ودينية تستفيد بدرجة كبيرة من بقاء النظام وهي على استعداد لأن تحارب من أجله، لحماية مصالحها بالدرجة الأولى. وتنتمي تلك الجماعات في الغالب إلى التيار المحافظ، وتسعى للحفاظ على بقاء جوهر النظام المتمثل في الولاية المطلقة للفقية، وتقف بقوة ضد الحريات التي قد تؤثر على مصالحها الإقتصادية.**

## <u>رابعاً : القوى الطلابية</u>

شكلت القوى الطلابية الشابة العمود الفقري في تفجير الثورة بقيادة (الخميني)، وهو نفس الدور الذي لعبته القوى الطلابية في منتصف التسعينات لنصرة الاصلاحي (خاتمي) في الوصول إلى الرئاسة عام 1997، بعد أن شهدت التركيبة الإجتماعية في إيران تغيراً ملحوظاً بزيادة حجم الطبقة المتوسطة والمتوسطة العليا الشابة المتعلمة غير المتأثرة بالرؤية الثوريه والتي تضم الكثير من النساء بين صفوفها. ولعبت هذه الشريحة الواسعة والمؤثرة دوراً ملحوظاً في الأحداث العنيفة التي جاءت على خلفية رفض نتائج الانتخابات الرئاسية عام 2009.

وتهتم غالبية الطبقة الوسطى الشابه المتعلمة من طلاب ونساء ومثقفين ومهنين اليوم بالقضايا الاقتصادية كرفع مستوى الدخل والقضاء على البطالة والفقر في البلاد. وتقترب رؤيتها أكثر من مواقف واتجاهات التيار الإصلاحي بل وتتجاوزها أحياناً. وتجد هذه الغالبية سنداً فكرياً وشرعياً لها من خلال عدد من رجال الدين الذين يطالبون بحياة ديمقراطية بعيداً عن استبداد نظرية "ولاية الفقية"، ومن أبرزهم المنظر الفكري لكثير من الشباب الإيراني (منتظري).

وتعد منظمة "تعزيز الوحدة الطلابية" والتي تتفق في آرائها وتوجهاتها مع "جبهة المشاركة الإسلامية"، قائدة للكثير من الاحتجاجات منذ عام 1997 ضد عدد من التشريعات، وطالت شعاراتها في بعض الأحيان المرشد نفسه، خصوصاً خلال مشاركتها في مظاهرات عام 2009.

واستخدمت المعارضة خلال تلك الأحداث نفس آليات الثورة عام 1979 كاستغلال المناسبات الدينية والمذهبية والقومية والوطنية لتأجيج روح الثورة والتمرد. ووقف الكثير من الفقهاء ورجال الدين ضد قمع المتظاهرين في أحداث 2009، بل وساندها عدد منهم، فبالاضافة إلى (رافسنجاني) و(كروبي)، هناك (إبراهيم أميني) و(يوسف صانعي) وغيرهم.

وتتميز القوى الطلابية بعدم وجود قيادة فردية لها ويقودها مجلس مركزي وقيادة غير هرمية، رغم أنها تعرضت لأكثر من انشقاق لكنها لا تزال قائمة.

- **التيارات السياسية الرئيسة في إيران**

عرفت إيران التنظيمات الحزبية قبل قيام الثورة، ففي عهد نظام الشاه واجهت التنظيمات الحزبية الدينية والقومية والماركسية معارضة شديدة اضطرتها للعمل السري تحت وطأة القمع. لم يختلف الوضع كثيراً بعد الثورة، فمنذ إزاحة التيار الليبرالي رسمياً بعد إقالة الرئيس (بني صدر) عام1981، فشلت بقية الأحزاب غير الدينية في الوصول إلى البرلمان، بعد أن فرض الدستور ضوابط على العمل الحزبي كما فرض "مجلس صيانة الدستور" شروطاً عليه. وعلى الرغم من وجود لجنة للأحزاب تمنح التراخيص للتنظيمات الراغبة في ممارسة العمل الحزبي،[64] ليس هناك قانون منظم لهذا العمل وإطاره.

[64] حسب المادة (26) من الدستور، ص 27.

ومن السهل ملاحظة التيارات السياسية داخل معظم مؤسسات صنع القرار والمجتمع المدني والشارع الإيراني، لكن من الصعب بلورة حدود فاصلة بينها، فجميعها ذات توجه ديني. ولا تتعرض تلك التيارات لشكل الدولة أو مذهب "ولاية الفقيه"، ولا تختلف حول أسس الثورة ومبادئها، لكنها تختلف حول النظرية السياسية للحكم وموقع "ولاية الفقية" فيها.

وبينما أُطلق مصطلح اليسار الإسلامي على المؤيدين للأفكار الإصلاحية في الأيام الأولى للثورة ولُقب المحافظون باليمين، برز مصطلح الإصلاحيين بعد إنتهاء الحرب مع العراق عام 1988 من داخل النخبة المحافظة، تحت تأثير حركة شعبية طالبت بالحريات، فوصل المحافظ المعتدل (رفسنجاني) إلى الرئاسة عام 1989. وعلى الرغم من أن صعود (رافسنجاني) للرئاسة قد دشن سياسة انتقال النظام من الثورة إلى الدولة، وأن البلاد شهدت في عهده انفتاحاً اقتصادياً بعد عشر سنوات من الاقتصاد الموجه مركزياً بسبب الحرب، إلا أنه لم يغير التوجه العام للنظام، بسبب التوافق السياسي الذي ساد بين الرئيس والمرشد، وهو ما يفسر مساندة الناخب الإيراني لمرشح رئاسي من خارج الاطار المحافظ.

دعمت القوى والتنظيمات الليبرالية والوطنية مرشح الرئاسة الاصلاحي (خاتمي)، وساعدته في الوصول إلى السلطة في إنتخابات عام 1997. وظهر تيار "خرداد" نسبة إلى شهر "خرداد" في التقويم الإيراني الذي انتخب فيه (خاتمي)، وضم أكثر من ثمانية عشر حزباً وجمعية سياسية إصلاحية. ونجح "تيار خردات" في ترسيخ مكانة الاصلاحيين بعد ذلك سواء في الانتخابات البرلمانية عام 2000 أو في إعادة انتخاب (خاتمي) لفترة رئاسة ثانية عام 2001 .

اقترب خطاب الرئيس (خاتمى) من الأفكار الليبرالية، دون الخروج عن الاطار الديني العام. وتبلور الإطار الفكرى للتيار الإصلاحى حول الانفتاح على الأخر بتقديم المصالح القومية على الشعارات الأيديولوجية، والاعتماد على مفاهيم المجتمع المدنى ودولة المؤسسات داخلياً، وحوار الحضارات والإديان والتنمية ومرتكزاتها الإنسانية خارجياً.

كما شهدت البلاد وفرة في الأحزاب السياسية فبات عددها 154 فصيلاً بعد أن كانت 39 حزباً وجمعية في العهد السابق. ونشطت أحزاب قديمة كمنظمة

"مجاهدي انقلاب إسلامي" الإسلامية اليسارية، واستحدثت تنظيمات أخرى فانضم تجمع "كوادر البناء" المحافظ المعتدل سابقاً الذي أسسه (رفسنجاني) إلى التيار الإصلاحي. إلا أن تلك الأحزاب لم تكن فاعلة في الحياة السياسية، وكانت أشبه بالمنظمات غير الحكومية أو مجموعات الضغط ذات التوجه المهني.[65]

فشل الاصلاحيون خلال عهد (خاتمي) في الحفاظ على شعبيتهم وبقائهم في السلطة، في ظل فشل الرئيس في تنفيذ وعوده بتوسيع هامش الحريات ورفع مستوى المعيشة والقضاء على البطالة، بالتزامن مع تصاعد مكانة المحافظين خصوصاً "المحافظين الجدد" بعد تجديد خطابهم الفكري والسياسي.[66] كما ساهمت الأزمة الداخلية بين الرئيس (خاتمي) وبعض كوادر "جبهة خرداد" في إضعاف مكانة الاصلاحيين، بعد أن إتهمت الرئيس بالانحراف عن المبادىء الإصلاحية والعجز عن حماية مؤيديه (حيث أغلقت عشرات الصحف واعتقل الكثير منهم) والسلبيه إزاء الأزمة السياسية التي نتجت عن قرارات "مجلس صيانة الدستور" برفض صلاحية أكثر من 2600 مرشحًا معظمهم من الإصلاحيين.

بصعود "المحافظين الجدد" إلى السلطة مع انتخابات مجالس الشورى المحلية (البلديات) عام 2003، واكتساحهم لمقاعد البرلمان عام 2004، وفوز (نجاد) في الانتخابات الرئاسية عام 2005، دخلت إيران مرحلة جديدة تميزت بغياب الإصلاحيين عن المشهد السياسي الإيراني، وسعي النظام باصرار باتجاه عدم السماح بعودتهم مجدداً إلى المسرح السياسي.

وصلت الخلافات بين الاصلاحيين ذروتها بعد خسارتهم في الانتخابات التشريعية والرئاسية، فانفصل عدد من القوى الإصلاحية عن "جبهة خردات"، وبات الحديث يدور حول أربعة قوى :

- "مجمع روحانيون مبارز" (مجمع رجال الدين المناضلين)، يرأس اللجنة المركزية (خاتمي)، ويتولى (موسوي) إدارة الأنشطة التنفيذية، ومنع من الحركة بعد انفجار الثورات العربية.

---

[65] ستار ناصر، مصدر سابق.

[66]انظر: صحيفة الحياة 2004/2/25 .

- "حزب اعتماد ملي" (الاعتماد الوطني)، الذي يتزعمه (كروبي) رئيس البرلمان السادس، ومرشح إنتخابات الرئاسة الأخيرة، والذي استقال عقب إنتهاء الانتخابات الرئاسية من منصب الأمين العام لمجمع روحانيون مبارز، وفرضت عليه الإقامة الجبرية مع اندلاع الثورات العربية.

- "جبهة الديمقراطية وحقوق الإنسان" التي يتزعمها (مصطفى معين) وزير العلوم في حكومة (خاتمي) ومرشح انتخابات الرئاسة الأخيرة.

- "جبهة المشاركة" بزعامة شقيق (خاتمي)، الموصوفة بالتطرف في مواقفها من السلطة، والتي سيطرت على غالبية مقاعد البرلمان (2000-2004)، واعتبرت الداعم الأساسي للرئيس (خاتمي)، كما شاركت في اضطرابات عام 2009.

ولم توحد إنتخابات مجلس الشورى الأخيرة (2012) الاصلاحيين، فانقسموا بين داع لمقاطعة الانتخابات ومشارك فيها، حيث قاطع جزء من الإصلاحيين المحسوبين علي الحركة الخضراء المؤيدين لرئيس الوزراء السابق (مير حسين موسوي) و(مهدي كروبي) الرئيس الأسبق للبرلمان الإيراني الانتخابات، بهدف إعادة بناء قوتهم اجتماعياً، بينما شارك فيها الإصلاحيون المقربون من الرئيس السابق محمد خاتمي.[67]

أدت نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة إلى ظهور معارضه من داخل التيار المحافظ لحكومة (نجاد)، يتزعمها المعتدل (رفسنجاني)، والمتشدد (لاريجاني) رئيس البرلمان السابق وشخصيات برلمانية عديدة إضافة إلى مراجع دينية في قُم. فانقسم المحافظون إلى معتدلين برئاسة (رفسنجاني) الذي استطاع اعادة تنظيم تياره "جبهة الاعتدال" مع التكنوقراط الاصلاحيين سابقاً

---

[67] رانيا مكرم، هيمنة المرشد: قراءة في نتائج الانتخابات البرلمانية الإيرانية، مجلة السياسة الدولية، الخميس 8 -3-2012
http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/2/105/2247/تحليلات/شرق-أوسط/هيمنة-المرشد.aspx

"كوادر البناء"، لتدعيم قوة ومكانة المعتدلين، وأصبح يشكل قوة سياسية ذات وزن متصاعد ومنافس للتيارات المحافظة الأخرى، ومحافظين تقليديين بزعامة المرشد، والمحافظين الأصوليين بزعامة الرئيس (نجاد) وعدد من أتباعه، يدعمهم (اليزدي) الأب الروحي لـ (نجاد). ويثير التيار المحافظ الأصولي الذي يسعى إلى احياء دعوة "المهدوية"، قلق التيارات المحافظة الأخرى، لأن هذه الدعوة تهدد كيان الجمهورية الإيرانية وتداعى مبدأ "ولاية الفقيه".

ورغم الانقسام داخل التيار المحافظ إلا أن سلطة ومكانة المرشد قد ازدادت كمرجع يعود اليه الإيرانيون، بسبب صراعات (نجاد) المتعددة الاتجاهات،[68] فبات ينظم التوازنات السياسية داخل التيارات المحافظة ليضمن عدم سطوة أحدها على الأخرى. ولم يخرج تكليف المرشد لـ (رفسنجاني) في بداية عهد (نجاد) بالإشراف على عمل السلطات الثلاث للنظام، إلا كورقة ضغط يلوح بها المرشد في وجه الرئيس كلما ازداد التوتر بينهما. ويأتي تبديل المرشد لرأس السلطة القضائية وتعيين (لارجاني) المقرب منه، في إطار إحكام سيطرة المرشد والوقوف في وجه سلطات الرئيس. كما أن الصراع الدائر بين رئيس البرلمان والرئيس لا يخرج عن هذه المعادلة.

وضحت الانتخابات البرلمانية الأخيرة الأجنحة الرئيسية للتيار المحافظ وهي: قائمة جبهة الأصوليين الموحدة، وعلى رأسها رئيس البرلمان المنتهية ولايته (علي لاريجاني)، وجبهة صمود الثورة الإسلامية "بايداري انقلاب إسلامي"، ومن أبرز رموزها (مصباح يزدي)، وجبهة المقاومة، ومن أبرز رجالها (محسن رضائي)، أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام. إلا أن المنافسة الحقيقية انحصرت بين مرشحي التيار المحافظ الموالي للمرشد والمنتقدين لحكومة أحمدي نجاد، وبين المؤيدين للرئيس وحكومته.[69]

- **تأثير قضايا خارجية على رسم السياسات الداخلية:**

**هناك عدد من القضايا الخارجية تعتبر مفصلية في رسم السياسة الإيرانية، لأنها تبقى في صميم المصالح الوطنية، وتشكل امتداداً لمسار**

---

[68] Understanding Iran, Ipid.

[69] رانية مكرم، هيمنة المرشد، السياسة الدولية، مصدر سابق.

**السياسة الخارجية وتوجهاتها. ويبدو ان الصراع بين الإصلاحيين والمحافظين ليس له انعكاس ظاهر على جوهر السياسة الإيرانية تجاه تلك القضايا التي تنال إجماع وطني، وإنما على آليات واستراتيجيات تحقيقها. وترتبط تلك القضايا الخارجية في صميم الهوية الإيرانية، فقد جسدت جوهر السياسة الخارجية في عهد الشاه، وباتت تشكل أُسساً وضعتها الجمهورية الإسلامية كأولويات عبر عن بعضها الدستور الإيراني صراحة.**

يأتي على رأس تلك القضايا **رؤية إيران لدورها ومكانتها الاقليمية،** فتؤمن القيادة الإيرانية بدور بلادها الإقليمي، وهي أكثر إصراراً اليوم على إجبار العالم الاعتراف بهذا الدور الذي تراه مشروعاً، فيؤكد (محسن رضائي)[70] على ضرورة أن يكون لإيران الكلمة الفصل في شؤون المنطقة.[71] كما يؤمن النظام في إيران بالوصول إلى مرحلة التكافؤ الاستراتيجي مع الولايات المتحدة،[72] كقوة عظمى تعكس مكانتها الحقيقية في المنطقة.

ولم تخرج إيران خلال العقود العشرة السابقة في سعيها لتحقيق أهدافها الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط عن أهدافها وسياساتها طوال سنوات الحرب الباردة وقبل صعود الثورة الإسلامية إلى الحكم والذي تعدى حدود الاهتمام بالأمن القومي والإقليمي، إلى مرحلة الهيمنة وبسط النفوذ في مناطق عديدة عربية وإسلامية مجاورة لإيران وبعيدة عنها.[73]

نجحت إيران في تحقيق هذا الدور وهذه المكانة منذ ستينيات القرن الماضي في عهد الشاه، مدعومة بعلاقاتها الاستراتيجية بحليفتها الكبرى

---

[70] قائد السابق في الحرس الثوري والنائب الحالي للرئيس (نجاد).

[71] السيد زهره، إيران والعرب والعامل الشيعي، شبكة البصرة، السبت 25 صفر 1430 / 21 شباط 2009، البريد الالكتروني:
http://www.albasrah.net/ar_articles_2009/0209/zahra_210209.htm

[72] Reports by" International Crisis Group"،U.S.-Iranian Engagement: The View from Tehran ", Ipid.

[73] السيد ولد أباه، اللعبة الإقليمية الإيرانية، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 15 رجب 1427 هـ 10 أغسطس 2006، العدد 10117، البريد الالكتروني:
http://www.aawsat.com/details.asp?section=3&issueno=10117&article=377364&state=true

الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك والتي ساعدتها في وضع باكورة القوة النووية الإيرانية. فلعبت إيران الدور الإقليمي الأقوى في منطقة الشرق الأوسط، وبسطت سيطرة على غرب آسيا في الخليج جنوباً والبلدان العربية غرباً، وأفغانستان وباكستان والمحيط الهندي في الشرق والجنوب الشرقي، خصوصاً بعد جلاء القوات البريطانية عن شبه الجزيرة العربية.[74] وبررت إيران سياستها في ذلك الوقت بحماية مصالحها وحماية استقرار تلك البلدان لضمان أمن خطوط نقل النفط عبر الخليج.

وتدخلت إيران بشكل مباشر وغير مباشر في شؤون منطقة الشرق الأوسط، سواء عن طريق الدعم المادي أو العسكري لتلك الدول أو بحجة تقديم المساعدة المباشرة عند الحاجة.[75] ولم تتورع إيران عن القيام بالاعتداءات أو سلوك مواقف مزدوجة تحقيقاً لأهدافها.

وتظهر المرحلة الكردية في ستينات القرن الماضي أن هذا التلاعب يشكل جزءاً حيوياً في سياسة إيران الخارجية، فقد ساعدت إيران في ذلك الوقت القوات الكردية في شمال العراق للبدء بحرب ضد بغداد مرسلة لها السلاح عبر الحدود المشتركة، إلا أن هذا العون توقف بعد اتفاق إيراني عراقي. كما تدخلت إيران في اليمن الشمالي خلال الحرب الأهلية ما بين عامي 1962 و 1970 لدعم الملكيين والوقوف في وجه نفوذ الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) في ذلك الوقت المؤيد للجمهوريين.

كما ساندت إيران سلطنة عمان عام 1971 وحاربت معها ما بين عامي 1973 و 1976 عصابات الجبهة الشعبية في إقليم ظفار الجنوبي من السلطنة، وبقيت إيران تلعب دوراً هاماً في عمان رغم انتهاء القتال محتفظة بعدد من قواعدها وأعمال الدورية الجوية والبحرية على الحدود. كما شاركت إيران عام 1973 في ضرب رجال العصابات في إقليم بلوخستان الباكستاني المتاخم لحدودها، وقدمت عوناً عسكرياً للجيش الباكستاني خلال حملته لتنفيذ برنامجه المدني.

---

[74] فريد هوليداي، مقدمات الثورة في إيران، (بيروت: دار إبن خلدون، 1982 الطبعة الثانية)، ص ص 335-360.

[74] السيد زهره، مصدر سابق.

بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، بقيت طموحات إيران وأهدافها السياسية ثابتة لم تتغير، إلا أن إستراتيجيتها في تحقيق سياستها الخارجية هي التي اختلفت. وقد تعود هذه الاستراتيجية الجديدة إلى عوامل رئيسية قد يكون أهمها:

الأول: افتقاد إيران للقوة العسكرية الكافية التي عادة ما ترتبط بمثل هذا الدور الذي تطمح إليه، الأمر الذي يشكل معضلة حقيقية تواجه إيران في تحقيق أهدافها، تلك القوة والمكانة العسكرية التي كانت تمتلكها إيران إبان حقبة الشاه والتي حققتها بمساعدة تحالفها مع الولايات المتحدة.

الثاني: تغير موازين القوى الداعمة والمساندة لسياسة إيران الإقليمية في المنطقة، بعد صعود الثورة الإسلامية إلى حكم إيران، وتبدل السياسة الأمريكية الداعمة لإيران.

الثالث: اصطدام مبادئ الثورة الإسلامية بجدار الاختلاف المذهبي مع بقية الأقطار الإسلامية والعربية.

لم تخف إيران بعد الثورة الإسلامية رغبتها وسعيها للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط، ووضع الدستور الإيراني مبادئ عريضه لسياسة إيران بما يضمن الحفاظ على مكانتها وقدرتها في المنطقة. وترجمت القيادة الإيرانية تلك المبادئ في إسترتيجية أطلقتها في سبيل تحقيق أهدافها تمثلت في السعي لامتلاك نمطين من القوة، الخشنة كآلية دفاعية لحماية مصالح وطنية حيوية،[76] وكقوة ردع تدعم مكانتها ومركزها الإقليمي بين دول المنطقة والعالم، والقوة الناعمة ويجسدها مبدأ "تصدير الثورة" و"حماية المستضعفين"، بما يضمن التنامي والتغلغل في المنطقة.

وتسعى إيران لامتلاك القدرة العسكرية الكبيرة والفعالة وعلى رأسها القوة النووية لضمان تحقيق مكانة اقليمية مميزة والتي تشكل بنية القوة الإيرانية الخشنة. وتؤمن جميع التيارات السياسية في إيران بمبادئ الثورة

---

[76] راغدة درغام، الحاجة إلى إستراتيجية خليجية تؤكد المخاوف من إيران نووية، "الحياة" اللندنية، الجمعة 2010/2/19 العدد:815، البريد الالكتروني:
http://www.awan.com/pages/guests/296586

وتعمل من داخلها وتتميز بقدر كبير من السيولة والتداخل مع بعضها البعض، وتتبنى مشروع الثورة ولكنها تختلف حول التطبيق، وتنظر إلى المشروع النووي الإيراني كمشروع وطني يدعم إستقلالية وسيادة إيران، لذلك كان 89% من الشعب الإيراني يؤيدون البرنامج النووي وتطوير عمليات تخصيب اليورانيوم.[77]

وجاء إعلان (نجاد) الأخير رفع نسبة تخصيب اليورانيوم إلى 20% موضع ترحيب من الجميع رغم خوف المعارضه من مواجهة مع الغرب قد تصل إلى الحرب. فالمعارضه تختلف مع الحكومة حول الملف النووي فقط في حجم التكلفة السياسية التي يجب أن تتحملها إيران من أجل هذا المشروع. وهناك عدد من المؤسسات التي هي أكثر دفاعاً عن المشروع النووي وأكثر استعداداً لتحمل تكاليف باهظة لتنفيذه، على رأسها الحرس الثوري وهيئة الطاقة النووية، لأن مصلحتها الشخصية والفئوية ترتبط به بشكل جوهري.[78]

وجسدت الدعوة الإيرانية الصريحة بـ "تصدير الثورة" إلى البلدان المجاورة والواردة في الدستور، القوة الناعمة الإيرانية في المنطقة، والتي أطلقها (الخميني) قبل ثلاثة عقود، ولم تتراجع عنها إيران رسمياً حتى يومنا هذا.

وعلى الرغم من محاولات الحكومة المؤقتة بقيادة (بني صدر) بعد الثورة الإسلامية بإقامة علاقات خارجية تقوم على رؤى ليبرالية، بقيت السياسة الخارجية أسيرة لـ "خط المرشد" الذي أعطى الأولوية لسياسة "تصدير الثورة" وتعزيز العلاقات مع الحركات الإسلامية المناهضة أكثر من توطيد علاقاتها بالحكومات نفسها. ولم تستطع حكومات معتدلة أو إصلاحية، جاءت إلى السلطة، وتؤمن بالانفتاح مع الغرب والتخفيف من حدة شعارات "تصدير الثورة"، من تغيير معادلة السياسية الخارجية في إيران.

فعلى الرغم من تولي المعتدل (رافسنجاني) مقاليد الحكم بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وموت (الخميني)، والذي وضع المصالح القومية كأهم

---

[77] Reports by“ International Crisis Group"،U.S.-Iranian Engagement: The View from Tehran ”, Ipid.

[78] Understanding Iran, Ipid.

• **الجزر الثلاثة المحتلة حتى هذه اللحظة هي: جزيرة أبو موسى، وهي جزء من إمارة الشارقة ، وجزيرتي طنب الكبرى والصغرى التابعتين لرأس الخيمة.**

أولويات السياسة الخارجية، لم ينجح في إحداث تغيير أيديولوجي فعلى لتوجه السياسة الخارجية الإيرانية. كما لم ينجح التيار الاصلاحي رغم سيطرته على مؤسسة الرئاسة والبرلمان في عهد الرئيس (خاتمي)، والذي يؤمن بنبذ التوتر وتطبيع العلاقات الإيرانية مع جميع دول العالم باستثناء إسرائيل، في تحقيق اختراق فعلي على مسار السياسة الخارجية الإيرانية.

عقدت سياسة إيران المتمثلة في "تصدير الثورة" العلاقات بينها وبين العديد من دول المنطقة وعلى رأسها الدول العربية. فاندلعت الحرب العراقية ـ الإيرانية عام 1988، وبقي التوتر سيد الموقف في العلاقات الإيرانية الخليجية خصوصاً وأن إيران لم تنسحب من الجزر العربية التي احتلتها إبان حقبة الشاه ولا تزال تحتلها حتى الآن.[79]

من القضايا الخارجية المهمة لإيران والمحددة للقرار فيها، والتي تستمد أساسها من مبدأ "تصدير الثورة"، **دعم حلفاء لإيران سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ناهيك عن دعم القوى الشيعية في المنطقة**. وتدعم إيران وتساند الشيعة على حساب السنة، في أفغانستان والعراق والعديد من دول الخليج، الأمر الذي فتح جبهة للصراع بين إيران والدول العربية.

ولم يعد الدور الإيراني في العراق خفياً عن أحد بعد دعمها لحرب الولايات المتحدة لضرب نظام الرئيس (صدام حسين) في العراق، ومساندتها ودعمها المعلن للمقاومة ضد الإحتلال الأمريكي للعراق، فازدواجية المواقف ليست بأمراً جديداً في السياسة الإيرانية الخارجية. وترفض إيران وجود سلطة عراقية قوية تحكم بمعزل عن سلطتها ونفوذها، نفس الدور الذي سعت إليه إيران في أفغانستان بعد سقوط حكم طالبان بمساعدة إيرانية غير مباشرة لعدوتها المعلنة الولايات المتحدة.

كما تدعم إيران حركات شيعية في بلاد عربية سعياً وراء تأصيل نفوذها في منطقة الشرق الأوسط، على رأسها حركة حزب الله في لبنان، تلك الحركة الشيعية التي باتت تشكل اليوم ركناً أساسياً في التركيبة السياسية اللبنانية، وذراعاً شيعياً قوياً في منطقة الشرق الأوسط، كما تدعم إيران الحوثيين في

64. الجزر الثلاثة المحتلة حتى هذه اللحظة هي: جزيرة أبو موسى، وهي جزء من إمارة الشارقة ، وجزيرتي طنب الكبرى والصغرى التابعتين لرأس الخيمة.

اليمن، وتساند حلفاء لها في المنطقة على رأسهم سوريا الحليف العربي الأكبر.

كما تدعم إيران حكومات وحركات إسلامية عديدة لتعزيز نفوذها في منطقة الشرق الأوسط مثل حكومة البشير في السودان وحركتي حماس والجهاد الإسلامي. فتدعم إيران حركة حماس دعماً سياسياً ولوجستياً كبيراً، مما عزز دورها كحركة مقاومة إسلامية في منطقة الشرق الأوسط ككل وليس في الأراضي الفلسطينية فقط.

ولم تخرج السياسة الخارجية الإيرانية حتى اليوم عن دائرة التشدد باتجاه دول المنطقة في سبيل تحقيق مبدأ "تصدير الثورة". فموقف النظام الإيراني من الثورات العربية يثير تشكك دول المنطقة العربية بسبب ازدواجية المعايير والكيل بمكياليين. فعلى الرغم من دعم النظام الإيراني الرسمي للثورات العربية وحق الشعوب في الثورة ضد الظلم والاستبداد والفساد خصوصاً في البحرين، تساند السياسة الإيرانية الرسمية بقوة نظام الرئيس السوري (بشار الأسد) وتقف ضد الثورة الشعبية السورية. ومن الجدير ذكره أن المعارضة الاصلاحية الإيرانية ترى أن أحداث إيران العنيفة التي صاحبت التشكيك بنتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية عام 2009 كانت مقدمة للثورات الشعبية العربية في المنطقة، مؤكدة أن هناك تشابه في ظروف وأسباب اندلاعها، وتتهم النظام بتقديم المصالح السياسية على قيم العدالة والحرية.[80]

ويعتبر **موقف إيران الرافض لوجود إسرائيل ودعمها حركات المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي**، من القضايا الجوهرية التي تحدد خطوط سياسة إيران في المنطقة، وكأحد أشكال "تصدير الثورة"، ذلك الموقف الذي أكسبها تعاطفاً لدى بعض شعوب المنطقة، ومنحها قدرة على التغلغل داخل منطقة الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من أن إيران لم تخض حرباً مباشرة ضد إسرائيل، وليس بين البلدين حدود مشتركه، إلا أن الخطاب السياسي الرسمي الإيراني يركز على معاداة إسرائيل، كما تدعم إيران حروباً بالوكالة ضدها من خلال دعم حركات المقاومة سياسياً ولوجستياً. ويبدو من الصعب التنبؤ بامكانية تغيير إيران لموقفها المعادي لإسرائيل، بعد أن باتت بفضله رائدة لتيار، يوصف بـ "الممانعة"، يقف في وجه تغلغل النفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط،

[80] مونجهر محمدي، مصدر سابق.

وداعمة لمعركة مشروعة بمساندتها لحركات التحرر ضد الاحتلال الاسرائيلي في المنطقة.

ساعدت عوامل عديدة على دعم مكانة إيران إقليمياً وإحداث اختراق حقيقي في منطقة الشرق الأوسط، خصوصاً في ظل فشل سياسة العقوبات الأمريكية والضغط الدولي على إيران في حل مشكلة الملف النووي الايراني حتى الآن. فكان لانهيار الاتحاد السوفيتي تأثير كبير على توسع النفوذ الإيراني في جمهوريات (الاتحاد السوفيتي) السابقة، وامتد هذا النفوذ غرباً وشرقاً وشمالاً بعد هزيمة طالبان في أفغانستان ونظام (صدام حسين) في العراق على يد الولايات المتحدة التي حيدت دون قصد إثنين من أكبر جيران إيران عداءً. كما كان لمحاولات الولايات المتحدة فرض العزلة والعداء على السلطة في سوريا قبل الثورة وحزب الله في لبنان وحركة حماس في فلسطين، دعماً لسياسة إسرائيل في المنطقة، إعطاء مزيد من الزخم السياسي لإيران.

- **الخاتمة**

وصل البحث إلى عدد من الاستنتاجات التي تعد محددات لصنع القرار والسياسة في إيران أهمها:

- **أولاً**: يعد القرار الأول والأخير في السياسة الإيرانية بيد المرشد (خامئيني) وتحيط به وتدعمه مؤسسات الدولة التي تحمل نفس التوجهات السياسية وتخضع لسيطرته وتحتكم بأمره، وعلى رأسها السلطة التشريعية، القوة الثانية بعد قوة المرشد في اتخاذ القرار الخارجي.

- **ثانياً:** يصعب ملاحظة أية تباينات في السياسة الرسمية المعلنه في إيران، وذلك لانسجام توجهات المرشد المحافظة مع توجهات أغلب أعضاء البرلمان الذي يخضع مرشحيه لرقابه "مجلس صيانة الدستور" قبل خوض الإنتخابات لضمان استمرار سيطرة المحافظين على البرلمان، كما أن المرشد يعين أغلب أعضاء كل من "مجلس صيانة الدستور" و"مجمع تشخيص مصلحة النظام"، اللذين يلعبان دوراً واضحاً في صنع القرار السياسي الإيراني.

- **ثالثاً:** إن تعدد مؤسسات صنع القرار في إيران يخلق نوعاً من الارباك والازدواجية، وهو الذي يفسر حالة التنافس والصراع بين قيادات تلك المؤسسات. إلا أن ذلك الصراع بين قيادات النظام وتلك الازدواجية بين مؤسسات صنع القرار تصب في النهاية في مصلحة المرشد وتعزز من مكانته ونفوذه والضغط على منافسيه، فهو حسب الدستور المنسق والمشرف على عمل جميع السلطات في البلاد.

- **رابعاً:** ليس لرئيس الجمهورية في إيران نفس الدور الذي يلعبه المرشد في صنع السياسة ولا نفس المكانة والقدرة، فهناك فجوة واضحة بين قوة ومكانة الزعامة الدينية والقيادة السياسية الشعبية، ويتولى "مجمع تشخيص مصلحة النظام" و"مجلس صيانة الدستور" الإشراف على قرارات الحكومة والرئيس.

- **خامساً:** تؤكد نتيجة انتخابات مجلس الشورى الأخيرة (2012) على هيمنة المرشد (علي خامنئي) على مقاليد النظام قبل الانتخابات الرئاسية المقررة العام المقبل. كما أن هذه النتيجة سيقلص من مساحة دور الرئيس القادم، وعلى الأغلب سيكون من التيار المؤيد للمرشد، لاسيما مع خسارة الرئيس (نجاد) الكثير من المؤيدين له على خلفية خلافه مع المرشد.

- **سادساً:** من الصعب التنبؤ بحصول تغيرات كبرى في مستقبل التيار الإصلاحي، وفرصهم ضئيلة جداً في الانتخابات الرئاسية القادمة.

- **سابعاً:** تبقى السياسة الخارجية الإيرانية أسيرة لخط المرشد وتوجهاته مثلها مثل السياسة الداخلية للبلاد حتى وإن اختلف الانتماء الفكري والسياسي للرئيس عن المرشد.

- **ثامناً:** على الرغم من مظاهر الديمقراطية الشكلية للنظام الإيراني إلا أنه يبقى نظام سلطوياً دينياً، يتحكم المرشد الأعلى وتياره المحافظ بصنع القرار والحكم في البلاد.

- **تاسعاً:** من الصعب اسقاط النظام الإيراني، رغم كل المحاولات الغربية لاسقاطه ورغم تصاعد الأصوات الإيرانية المعارضة لسطوة المرشد والمطالبة بالديمقراطية والتعددية السياسية وذلك لسببين رئيسسين:

1. سيطرة النظام على مقاليد القوة العسكرية والاقتصادية والدينية، فقد قام النظام ببناء منظومة لعلاقات متشابكة صنعت نخباً متعددة تشكل شريحة واسعة تستفيد بشكل مباشر أو غير مباشر من استمرار النظام، ولديها الحافز والمبرر للدفاع عنه بكل ما أعطيت من قوة.

2. إن الطبيعة الخاصة للنظام الإيراني والمبني على أساس ديني وقومي يضم الغالبية العظمى للشعب الإيراني، والقائمة على أساس الإسلام الشيعي والقومية الفارسية، تجعل لهذا النظام مدافعين عنه بحجة القومية والدين، حتى وإن لم يكونوا من المستفيدين بشكل مباشرة من وجود النظام.

- **عاشراً:** من الصعب التنبؤ بامكانية تنازل إيران عن سياستها الطموحة بتطوير القوة العسكرية غير التقليدية وعلى رأسها القوة النووية، لأنها أحد ركائز دعم مكانتها في منطقة الشرق الأوسط، الهدف الإيراني القديم الجديد المستمر في المنطقة.

- **الحادي عشر:** من الصعب التنبؤ بامكانية تراجع إيران عن سياسة "تصدير الثورة"، تلك السياسة التي دعمت مكانة إيران وسهلت تغلغلها وبسط نفوذها، وجعلها تشكل أحد أقطاب الشرق الأوسط البارزين في المنطقة.

- **الثاني عشر:** لا يخرج دعم النظام الإيراني اليوم لنظام الرئيس (بشار الأسد) في سوريا عن حماية إيران لسياستها في المنطقة. فسوريا دولة رئيسية في حلف "تيار الممانعة" ضد تغلغل نفوذ الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط. كما يدعم النظام السوري الحالي حركة حزب الله في لبنان ويوفر سبل استمرار قوتها، وكذلك حركتي حماس الجهاد الإسلامي في فلسطين، فهزيمة نظام (بشار الأسد) في سوريا قد يؤدي إلى زعزعة بنية "تيار الممانعة" المدعوم إيرانياً بالكامل.

# Journal of Averroes University in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**





Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

# All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.



Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO
DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O
AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND
LORSWEG4
3771GH
BARNEVELD
BIC ABNANL2A
IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| **Annual contribution** | **Individuals** | **Organizations** |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |




Fifth Issue Aprilr 2012





# Journal of Averroes University in Holland

**A scientific journal published quarterly**

**Issue 5** **Price €10,00**




# مجلة جامعة ابن رشد

في هولندا

## دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

السعر 10 يورو العدد السادس

# مجلة

# جامعة ابن رشد في هولندا

## دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا





عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411



رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |

**طبعت بمطابع مجلة كه وانة [القوس] الكوردستانية ومسجلة برقم**



العدد السادس حزيران يونيو 2012

# الفهرس


| | ص. |
|---|---|
| مفتتح | أ، ب |
| | |
| **الأدب وعلوم اللغة** | 001 |
| الرواية والمستقبل ، "رواية آدم الجديد " للروائي : قصي عسكر الدكتور عبدالرحيم مراشدة | 002 |
| لغة السرد في الكتابة النسائية الدكتور خالد بوزياني | 045 |
| مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب الدكتور سلام عبد الله محمود عاشور | 059 |
| تفاعل الكتابي والأيقوني في الرواية الدكتور محمد العنوز | 085 |
| | |
| **الفلسفة** | 103 |
| تحول التراث الأفلاطوني في الفلسفتين الشرقية (الإسلامية) والغربية أ.د. صلاح الدين خليلوف | 104 |
| كانط، نحو استراتيجية السلام العالمي الأستاذ سمير بلكفيف | 119 |
| | |
| **الفنون** | 137 |
| القيم الجمالية والرمزية للفن الإسلامي د. شامخ زكريا مفلح علاونه | 138 |
| | |
| **الاقتصاد و إدارة الاعمال** | 161 |
| كتاب المفكر الماركسي الاستاذ أبراهيم كبة ( دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي)عرض..تقديم..تعليق الدكتورعباس الفياض | 166 |
| أهمية تبني معايير المحاسبة الدولية في الاقتصاد العراقي الدكتور صباح قدوري | 186 |
| التلوث البيئي وأثره على البيئة السياحية في مدينة إب | 214 |

| | |
|---|---|
| الدكتور محمد حسن النقاش | |
| نظم المعلومات المالية الالكترونية للمصارف التجارية في فلسطين : العقبات والمخاطر- دراسة ميدانية على المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم الدكتورعمر محمود أبو عيدة | 258 |
| **العلوم النفسية والتربوية** | 294 |
| Gender, Self, and the Other in Sharon Doubiago's *South America Mi Hija*______Abdullah H. Kurraz. | 295 |

*** لوحتا الغلاف للفنانة التشكيلية الراحلة سلوى بشارة**

# مفتتح

يصدر عددنا السادس في سقف زمني مقارب لموعده الأصل، ونحن هنا، نؤكد من جديد توجهنا إلى تبني أسماء أعلامنا في الفكر والاقتصاد والسياسة والإدارة والقانون وعلوم اللغة والتربية وغيرها من التخصصات العلمية، في محاولة منا تعزيز مبدأ احترام الإنسان باحثا كان أم مبدعا في أي حقل أو مجال معرفي يخدم قيم التقدم والتحديث. وها نحن اليوم نجدد اللقاء مع علم آخر من مفكرينا في مجال الاقتصاد وأسس رسم مسيرتنا سليمة بناءة وفاعلة مؤثرة في جهود إنسانية معاصرة مهمة. إن ملفنا الفصلي الجديد بمختلف مفرداته الاقتصادية الإدارية يندرج تحت اسم المفكر الاقتصادي العراقي الأستاذ إبراهيم كبة.. وإذ نعتذر عن تواضع حجم ما نقدمه في الملف تجاه مكان ومكانة هذا المفكر ومنجزه العلمي، فإننا نتطلع إلى انعقاد مؤتمر تخصصي تنظمه جامعتنا؛ ونحلم أن يكون منحصرا في جهود الأستاذ كبة ورؤاه التنويرية التخصصية المهمة..

أما عددنا هذا، المحتضن للتنوع في المشارب الفكرية وفي الحوارات بين معالجات بحثية مختلفة، فإنه ينتظر مثل الأعداد السابقة ملاحظاتكم الكريمة كيما يجري تقويم ما فاتنا أو ما سهونا عنه، بدءا من المؤشرات الشكلية وولوجا باتجاه العمق حيث المضامين والمداخلات وتوزيعها وتناسباتها.. فربما كان لتخصص مساحة أوسع ولكن هذا لم يكن مقصودا على حساب تخصصات أخرى.. ولكنه ربما جاء لحجم المساهمات من جهة وللأسبقية الزمنية ولبعض محددات أخرى فرضت هذا التسلسل... متطلعين معكم للتوسع بحجم دوريتنا وربما استقلت بعض التخصصات لتأخذ صيغة دورية متخصصة تصدر عن كليات جامعتنا، بما يوسع من فرص استيعاب الزخم البحثي الكبير الذي يردنا. أما الآن فإننا نعتذر لعدم تمكننا من استيعاب

**بعض البحوث بخاصة ذات الحجم الكبير لأسباب تقنية بحتة. متمنين على زميلاتنا وزملائنا قبول اعتذارنا بالخصوص للظرف الخارج عن إرادتنا..**

**وبودنا أن نكاشف السيدات والسادة الأفاضل بشأن ما تعرضنا ونتعرض له من قرصنة ألكترونية وهجمات تخريبية ومن تعقيدات طاردتنا في كثير من تفاصيل عملنا.. الأمر الذي اضطرنا إلى إعادة جهدنا في تحضيرات العددين الأخيرين السادس والسابع.. ونحن نعد بتجاوز تلك العراقيل الطارئة ومواصلة العمل بداب للالتزام بالمراسلات الرسمية المنتظرة وبمواعيد الصدور وغيرها...**

**بالمقابل من هذه المشكلات والعقبات نهنئكم وجميع الباحثات والباحثين بصدور دوريتكم العلمية هذه بصيغتها مطبوعة ورقية، حيث أثمرت جهود مثابرة لتحقق تقدما ملموسا ومنجزا آخر ووعدا قطعناه على أنفسنا. لقد بات صدور مجلتنا العلمية المحكمة [ابن رشد] بصيغتين هما الطبعة الألكترونية والطبعة الورقية. وقد تأتى هذا بدعم مشكور وتفاعل مقدّر من مؤسسات ثقافية وبحثية على رأسها المعهد الكوردي للدراسات والبحوث ومؤسسة مجلة كه وانة ومطابعها..**

**إننا هنا نجدد شكرنا وتقديرنا لصبركم من جهة ولدأبكم في مواصلة إرسال بحوثكم العلمية، ومشاركاتكم المهمة أكاديميا.. ونؤكد مجددا كلمتنا قائلين: إننا معا وسويا نتقدم باتجاه تحقيق أفضل نتاجات البحث العلمي. وتحية العلم لكم جميعا..**

**رئيس التحرير**

# الأدب وعلوم اللغة

---

**الرواية والمستقبل ،"رواية آدم الجديد" للروائي : قصي عسكر**

**د. عبدالرحيم مراشدة**

---

**لغة السرد في الكتابة النسائية**

**الدكتور خالد بوزياني**

---

**مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب**

**الدكتور سلام عبد الله محمود عاشور**

---

**تفاعل الكتابي والأيقوني في الرواية**
**محمد العنوز**

## الرواية والمستقبل، "رواية آدم الجديد" للروائي: قصي عسكر

**الدكتور عبدالرحيم مراشدة**
المملكة الأردنية الهاشمية جامعة جدارا قسم اللغة العربية

**ملخص البحث**
يحاول هذا البحث تسليط الضوء على رواية عربية حديثة أخذت بعين الاعتبار تحولات الرواية العربية ، وتمكنها من استيعاب التحولات في النصوص الروائية العالمية ، من حيث أنها قادرة على تناول موضوعات تتعالق مع منتجات الحضارة الإنسانية ، ولم تتمركز حول موضوعات تقليدية وواقعية اعتيادية ، وهذا بالطبع ناجم عن وعي المبدعين العرب بما أصابل كتابة الرواية في العالم ، من حيث راح يفيد من التقنيات الحديثة والمنتج الإنساني العالمي ، ومن هنا جاءت فكرة هذه الرواية في سعيها لإثبات مكانتها على خريطة الرواية العربية ، من جهة ، وللحاق بالأدب العالمي .
الباحث الحالي وجد في هذه الرواية صورة جيدة لحضور البعد الإنساني والاستشرافي لمسيرته الحياتية في هذا الوجود ، ويرى أنها تمكنت – الرواية – من التعامل بوعي لافت مع التقدم التقني والحضاري للإنسان بحيث أصبحت هذه الأشياء موضوعاً له ما يبرره ، لا سيما وأن الروائي وضع نصب عينيه أثر الثورة الصناعية والتقنية والاتصالات على وجود الإنسان ، وبالتالي تبين أن هناك زحف هائل يسير باتجاه تحجيم إنسانية الإنسان، ومن هنا تبد الموضوعات المثارة في الرواية لها أبعاد فكرية وفلسفي وأيديولوجية تصب في مصلحت الإنسان الكوني على هذا الكوكب ، ولهذا حاول الباحث تسليط الضوء على التحليل الوصفي والموضوعي لمنتج الرواية وما تعتمله من أفكار وفنيات .
وقد بدا للباحث الحالي ، وهذا ما شجعه على تناول هذا العمل ، أن الروائي يتمثل الصراع الدائر بين الحضارات ، ومدى خطر هذا الصراع على الوجود الإنساني ، ومن هنا راح يلفت الانتباه إلى إمكانية وجود إنسان يعيد آليات التفكير فيما هو عليه الآن ، ويسعى في الوقت نفسه إى تأسيس فكرة التقارب بين الجنس البشري الواحد ، لتأسيس حضارة كونية إيجابية لهذا المخلوق (آدم ) ، ومن هذه الزاوية كانت الشخصية المحورية هي ( آدم الجديد) ممثلاً لإنسان المستقبل /الحلم ، والشخصية الثانوية المساندة لها هي ( الطبيب) ، في محاولة لتوكيد المعالجات وتوظيف القدرات لخلق عالم يخلو من الشر ما أمكن إلى ذلك سبيلا.
**الباحـث**

Summary of research is marked by: (The novel and the future - a novel model for the new Adam)

Tries of this research shed light on the novel modern Arab took into account the shifts of the Arabic novel, and enable it to accommodate changes in the texts feature the world, from where it is able to address topics wioverlap a text the products of human civilization, not based on topics traditional and realistic routine, and this of course caused by awareness of innovators including Osabl writing the novel in the world, in terms of the claimed benefits of modern technology and global human product, and here came the idea of this novel in its quest to establish its position on the map of the Arabic novel, on the one hand, and catch up with world literature.

Researcher current found in this novel a good image for the presence of the human dimension and prospective of his life in this existence, and finds that it was able - the novel - to deal consciously noticeable with the technical progress and civilization of man, so are these things a subject is justified, especially since the novelist sets his mind to the impact of the industrial revolution, technical and communication on human existence, and thus show that there is creeping a massive march towards the curb human rights, and here shown the issues raised in the novel has the dimensions of intellectual, philosophical and ideological are in human universal on the planet, so try a researcher to shed light on the descriptive analysis and objective product and novel ideas and techniques.

It seemed to the researcher present, and this is what encouraged him to take up this work, the novel is the conflict between civilizations, and the extent of the danger of this conflict on the human existence, and are claimed to draw attention to the possibility of a human being back mechanisms reflect on what it is now, and seeks at the

same time E. establishing the idea of convergence between the human race one, to establish a universal civilization positive this creature (Adam), and this angle was the central character is (the new Adam) a representative of the human future / dream, and personal secondary support them is (the doctor), in an attempt to confirm treatment and employment capacity to create a world free from evil as much as possible to do that.

**مدخل :**

تدور فكرة الرواية حول طبيب غربي أمريكي ، وهو يحاول تقديم خدمة للإنسانية عن طريق اكتشاف علمي طبي مذهل ، وذلك عندما يقدم مشروعاً علمياً وعمليا لتجميع إنسان بشري ، غير ملوث بالقتل والفساد والعنف الإنساني ، غنسان منتج من ضحايا بشرية وقعت ضحية للموت العبثي ، أو للموت في الحروب التي افتعلها الإنسان ، فيقوم بتجميع خلايا مخية وبعض عينات جسدية من أشخاص ماتوا ، أو حديثي الموت ، وينتمون إلى حضارات ومجتمعات إنسانية متعددة ، فيجمع مثلاً هذه الخلايا من شاب عربي قتل في السبعينيات ، وشاب أرجنتيني انتحر قبل ذلك في الخمسينيات من القرن الماضي ، ورجل دنماركي قتل في حرب رمضان التي دارت بين العرب واليهود ، ومن يهودي دنماركي مراسل صحفي قتل في فيتنام ، ومن شاب صيني قتل أثناء المظاهرات التي اجتاحت بكين ...الخ ، ويصل الطبيب إلى إنتاج إنسان بشري مجموع من بشر متعددين في الأعراق والحضارات ، تحقيقا لمشروع حلمي في رأسه ينقذ الإنسانية من الشرور ، وليرث العالم والكون فيما بعد.

**مفهوم رواية المستقبل :**

الاستشراف ،أمر مهم عند البحث في مكنونات الأشياء ، وفيما يمكن أن تكون عليه ، من سمات الإبداع الذي يسعى إلى التجاوز والتخطي ، والرواية من العوالم القابلة للبحث والاستشراف عندما تسعى في مكوناتها ، وفي وجهات النظر البانية لها إلى إعادة مفهوم وصياغة للعالم والوجود والحياة ، من وجهة نظر منشئ النص ، وعندما يعيد الروائي صياغة الوجود متوسلاً استباق الواقع ، لا بد وأن ينهل من مرجعيات تتكئ في الأساس على الخيال وما يمكن أن يصل إليه من تصورات ، وهذا يحتاج إلى سعة أفق ، ودراية ودربة في معارف مختلفة ، والمسقبلية في الرواية

تصب باتجاه استشراف المستقبل ، وتجاوزالحاضر ، تتــخيل وقائع خارقة للعادة ، ومن الصعب تمثلها واقعيا ، لكن ممكن للمتلقين أن يتـــمثلوها حلماً ، وهذا بحد ذاته تحــفيز للذاكــرة البشرية في أن تنســلخ من الواقــع وتترحل عبر رؤى متعددة يعطيــها مجالا للكشف والتلذذ في آن ، حيث القراءة مع المتعة اكثر إنتاجية من القراءة بدون متعة ، مع الأخذ بعين الاعتبارأهمية اقتران النص بالابعاد الدلالية والفكرية الت تنهض به.

المبدع عندما يمضي في مشروعه الكتابي للكتابة عن ما وراء الواقع هو في الحقيقة يقف إلى جانب التنبؤ ، وبالتالي يذهب إلى الانسلاخ عن المألوف ، وفي هذا اختراق لما هو كائن ومحاولة للعبور إلى أفضية يتخيلها ويبنيها في المخيلة ، وله أن يرتد للماضي أو يعبر إلى المستقبل ، والرواية التي بين أيدينا تمضي في سياقاتها إلى اختراق الحاضر والقذف بنا إلى المستقبل ، وقد عرف تاريخ النقد الحديث مثل هذه التصورات ، والكتابات التي سعت غلى استكناه المستقبل ، والإفادة منه في الكتابة الإبداعية ، ما أمكن ، وكلنا يعرف حضور النبوءات ، ومحاولات الإنسان الحثيثة لمعرفة ما يمكن أن يجري في المستقبل ، ومنذ قديم الزمان ، ولعل مسرحية (أوديب ملكاً) لسوفوكليس من الأمثلة المهمة على هذا التوجه الإنساني ، والتفات المبدع إلى هذه الأشياء .

العصر الحديث كان حافلا بمعطيات ومنتجات إبداعية تاخذ بعين الاعتبار هذه المسائل ، وعليه كان بعض الكتاب الحداثيين يلتفتون لمنتج الخيال المستقبلي ، وذهبوا إلى الإفاة منه ما امكن لشحن نصوصهم بأفكار وآفاق جديدة ومختلفة ، ومن هؤلاء(الحركة المستقبلية ) التي ظهرت مع إطلالة القرن العشرين ، حيث اختراق العادي والمــألوف غدا امراً مهما درج عليه ( المستقبليون) ، لغة ومضموناً ، إضافة إلى التفاتاتهم باتجاه التحولات الحضارية في الصناعة والعلوم ، ومثل هذا أيضا أفاد منه الشكلانيون الروس ، فهذا ( شكلوفسكي في حواره عن مفهوم الشكلانية يذطر بأن من معانيها ( تطبيق النموذج التكنولوجي على الانتاج الفني الإنساني ) (1) ومن هنا كان دور الخيال ، وتوظيف منتجاته يشيع في كتاباتهم ، ولعل الحدس أيضا أخذ مساحة واضحة في نــصوصهم ،وكانت أعمالهم تمهد بطريــقة أو بأخــرى للكــتابة الأوتمــاتيكية عند ( الدادائيين ) و ( السورياليين ) ،ونسوق ذلك لان النص الذي بين أيدينا تنسل إليه مرجعيات مستــقاة من هذه الــعوالم وصولا لعــالم الغرائــبي والعجائبي واستثــماره في الأدب .

يصف ( مارينيتي ) ، مؤسس المستقبلية مع غيره ، الإبداع الحدسي وكأنه كتابة أوتوماتيكية تقريباً ، ويمثل على هذه بالقول :يبدو أن اليد التي

تكتب تنفصل عنالجسد ، وتأخذ بالابتعاد المستقل عن الدماغ ..(2)بهذه المؤسسات الفكرية راح المبدعو المستقبليون يحركون الساحة باتجاه الانفلات من العادي والمألوف في الكتابات ، وكسروا حدة النمطية والذائقة التقليدية .
ثم إن ماريتيني أفاد من منتجات الحرب والعذابات التي تمحور حولها كثير من الكتاب، لا سيما ما ظهر على أيدي الرومانسية، فحاول الاختلاف عما هو سائد ، لا سيما بعد مقالته التي يظهر من عنوانها مدى اختلافه عن الآخرين حيث عنونها ( العظمة الجبرية والميكانيكية وحساسية الأرقام ) المنشورة عام 1924 في مجلة ( لاسيربا) حيث قال ، وهو الذي انخرط في الحرب جنديا كذلك ، في مقاطع منها : " إن حرارة قطعة من الحديدوالخشب هي الآن اكثر إثارة لنا من ابتسامات امرأة ودموعها ...ثم كيف أن فوهة بندقية مشعة ومناضلة ، اتلفتها حرارةالشمس والاطلاق السريع تكون أكثر لفتا للنظر من منظر الناس المعذبين الذين هم في طريقهم إلى الموت "(3)

السؤال الذي يمكن طرحه الآن : لماذا الرواية ، ولماذا المستقبل ؟ لعل الإجابة تكون للوهلة الأولى جدلية إلى حد بعيد ، لكن لنبدأ من كون الرواية الأكثر امتصاصاً ، أو قدرة على تحميلها مكنونات متفرقة ومتعددة ، لا يمكن أن يكون في الأجناس الأخرى ، ولهذا تغدو المساحة التي يتحرك فيها المبدع أكثر رحابة وسعة ، وقد وصفها - الرواية - أحد النقاد الحداثيين ( إم .فورستر ) في حديثه في مقدمة كتابه (أركان الرواية) ، بأنها : الجنس الأكثر رطوبة وامتصاصاً للأجناس اللأخرى .

قصي عسكر ، بوصفه روائياً ، ذهب إلى استثمار معطيات الحروب الإنسانية بشكل عام والعربية بشكل خاص ، فبدأ من الحرب العالمية مرورا بحروب العرب المتتالية مع الهجمات الاستعمارية ، وانتهاء بالحروب الحديثة ، ولكن لم يصف ويتحرك ضمن أفضية رومانسية تمتلئ بالعذابات والبكائيات ، وإنما ذهب إلى استنتاج العبرمما كان وما يمكن أن يكون ، وقدم خطابا رؤيويا ، من خلال سروده وشخوصه ، التي تنطوي على أبعاد رمزية لافتة من خلال استثمار عنصر الخيال والكتابة من الحلم ، ومن حيث اتجاهاته إلى دمج الواقع باللا واقع ، ليترحل بمتلقيه إلى آفاق جديدة ، تحمله على المقارنة والقراءة الفاحصة والناقدة . فمرجعية الروائي كانت مشبعة بما أنتجه فكر التيار المستقبلي وما صدر عن مرجعيات الغرائبية والعجائبية . ولهذا كان لنصوصه نكهة أخرى ، تستدعي التفكر والتأمل .

تقوم هذه الرواية ، في بنياتها الشكلية ، على اعتماد تقسيم العمل إلى عشرلوحات مرقمة ترقيماً عددياً ، بحيث يكون هناك ترابط عضوي بين اللوحات ، وإن كان لا يبدو للوهلة الأولى ، وهذا يحيل إلى مسألة اهتم بها النقد الحديث ، وأخذها بعين الاعتبار المبدعون ، وأعني هنا الوحدة العضوية

للنص ، إذ يتكون الوعي للمنتج الإبداعي ومضموناته ورؤاه بعد القراءة الكلية للعمل ، وأية قراءة جزئية ، وفق هذا المنهج تضر بالنص وتثلب البعد الاستراتيجي له .

ويلفت الانتباه أن الرواية التي اخترناها لتكون موضوعاً لمقاربتنا هذه ، تقع ضمن كتاب أسماه المؤلف : (روايات وقصص من الخيال العلمي ) (4) ولم يكتف بهذا ، وراح يضيف كلمة باللغة الانكليزية ( Fiction ) ، هي غالبا ما تشير إلى الخيال ومنتجاته ، وهذا الكتاب لا يتجاوز في مجموعه مئة وخمسين ورقة ، من القطاع المتوسط ، وهنا يقف المتلقي بإزاء ما أسماه المؤلف روايات ، وقصص ، والسؤال : كم رواية وكم قصة تضمن هذا الكتاب ، والإجابة بسيطة ، هي ثلاث روايات و سبع قصص ، ومثل هذه المعطيات تشي بمسألة نقدية لافتة ، وهي حجم الروايات التي كتبت هنا ، حيث الرواية الكلاسيكية غالبا ما كانت تقدم بأحجام كبيرة ، وقد تكون أكثر من مجلد، والقصة حسب تعريف ( إم فورستر Forstar ) (5) لا تزيد عن خمسين ألف كلمة ، وفي العصر الحديث ، لا سيما بعد الثورة التي حدثت في كتابة الرواية ، خاصة على يد أصحاب مدرسة الرواية الجديدة من أمثال : ألن روب غرييه و(ناتالي ساروت N.Saroot )..الخ ، والأمر هنا تجاوز المتعارف عليه ، وقلة من العرب هم الذين ساروا على هذا المنوال ، ولعل من أوائلهم الباحث والروائي والقاص ( أحــمد الزعبي ) فــي رواية ( وراء الــضبع ) (6) و( العنة ) (7) وأربع روايات نشرت في كتابين ، في كل كتاب روايتان وهما ( صم بكم عمي واالشاعر) (8) و( لعنات شاكر ونعاس فارس )(9) ، ومثله هنا يفعل الروائي والقاص ( قصي عسكر) ، موضوع هذه الدراسة، لكن الذي أضافه الأخير هو أن يضيف إلى الروايات ال الثلاثة القصص ، وتبقى هذه المسألة قابلة للنقاش ، فيما يتعلق بتعريفات الرواية والقصة ، ومكوناتها ، وما مدى الشريط الزماني والمكاني لها إلى غير ذلك .

ما الــتبرير المــقنع لمثل هؤلاء الروائيين وكتاب القصة ؟ في ظل إمكانيات طباعيه متاحة ، كما نعلم جميعا ، وما التبرير إلى إضافة جنس الرواية إلى جنس القصة في كتاب واحد ؟ من قراءة متأنية لما سلف ، يبدو أن مثل هذه الأعمال تكون ، غالباً ، من باب التجريب ، ومحاولة منهم ( من الكتّاب هنا) إثبات أن لا ضابط للحجم الكمي للمساحة الورقية/النصية لتحديد كل جنس وضبطه ضبطاً صارماً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فيما يتعلق بالمؤلف الذي جمع الرواية إلى القصة ، ربما يشير إلى أن الجنس الروائي تحول عن جنس القصة ، أو هو يشترك معه في بعض السمات والمكونات ، وبالتالي لامانع من الدمج بينهما في كتاب واحد ، كما لو أنهما من جنس واحد ، ثم لعل الموضوع فرض على صاحبه الجمع بين الرواية

القصيرة والقصة القصيرة لانتسابهما إلى جنس عام هو روايات الخيال العلمي ، أو الأدب الغرائبي والعجائبي .. ، ومع ذلك يبقى عملاً تجريبيا قابلا للنقاش .

لماذا يذهب الإنسان ، إلى العجيب والغريب ، وغلى عالم الخرافة والأسطورة ... ولماذا يتوسل المبدع بها ،لا يمكن أن يكون هذا الأمر عبثياً ، الإنسان عندما يقع في مزلق لا يجد له حلاً ، ويتعارض مع المفهومات التي يمكن أن تقيم له حلاً ، يحاول اللجوء إلى أية بدائل أخرى ، تحافظ على توازنه مع الوجود والكون ، وتعيد له الثقة بالذات ن والاستمرارية فيم فهم الوجود والحياة والعالم ، " يتفق منظرو السرد أن الالتجاء إلى الرؤية الفنتستيكية يصبح ضرورة من ضروريات التقنية الأدبية عندما يفلت الراهن من قبضة الفكر ، أي يصبح مستعصياً على المفاهيم الجاهزة التي تعودت المسك به . في هذه الحالة تصبح الرؤية الفنتستيكية الأدبية هي الأقدر على قول الالتباس ، وترجمة ما لغز من الواقع في راهنيته " (10) ، وقضية أخرى يمكن أن تضاف إلى هذا الفهم الذي يتسرب من التراث الإنساني القديم ، ومنذ وجوده ، حيث كانت تشيع الخرافة والأسطورة في عصور الإنسان الأولى ، نقول يمكن أن نضيف لهذا أن المبدعين الحداثيين أعادوا الاعتبار للأسطورة والغرائبي والعجائبي محاولة منهم لشحن النص الإبداعي بعطيات اكثر ثراء وتفيد في انتاج وعي مختلف ، من حيث العبور للخيال ، من جهة ، وبعث التأمل والتفكر فيما وراء النص من جهة أخرى ، والرواية التي بين أيدينا تفعل هذا .

إن الأدب الغرائبي والعجائبي ضارب في القدم ، منذ وعي الإنسان للخارق ، وغير المألوف ، والذي يجافي المنطق ، وعالم الخرافة والأسطورة ...الخ ، مثل هذه الأشياء التي يستثمرها الكتاب والمبدعون تحيل إلى عالم من الخيال يشحن القصة أوالرواية بمعطيات مهمة ، ومثل هذه الأسلوبية " تخلق حضوراً لشئ نسميه الجو العجائبي، واللغة العجائبية ... وكلها تتطلب التأويل ما دام الأدب بطبيعته معطى للتأويل على الدوام " (10). أما فرويد فيرى في هذه المسألة : أن الشعور عند القراءة بأن الأمر غريب فيمكن " اعتباره حالة خاصة لشعور الغرائبية الذي يحوي في الوقت نفسه اضطراباً للإدراك المميز للوضع وبداية الشعور بفقدان الشخصية " (11) فهذا الاضطراب يكون في صالح النص ، إذ يحمل المتلقي على التأمل والتفكير ، وبالتالي ممارسة فعل التأويل.

تبدو هذه الأعمال ، وبهــذه الكيفــية تحملنا على مناقشة بعض المسائل التي لا يمكن تجاوزها بســهولة ، ومنها إلى أي مدى يحتفظ العمل الفني الإبداعي بمكوناته وعناصره البانــية له ، إذا ما تم التــلاعب بقــضية

الشكل ، وبقضية اختزال المضمونات ، وهنا يمكن إبداء الرأي ؛ فأي اختزال للشكل والمضمون يستدعي البحث عن بدائل مهمة لإنجاز العمل بكيفية لا تخل بالحد الأدنى من السمات الإبداعية الواجب توافرها في العمل الأدبي ، والاختزال يقود بالضرورة – عندما نتعامل مع رواية – إلى البحث عن بدائل أخرى تعويضـية عما تم اختزاله ، فإذا كانت الرواية التقليدية ، كما نعلم ، تحتمل التفاصيل ، وتحتمل تعدد الشخصيات والأحداث ، وتوسـيع دائرة الزمان والمكان ، فإن الأمر هنا لا يحتمل التفاصيل الزائدة وهذا يستدعي تكثيف اللغة من جهة ، وتكثيف شعرية النص من جهة أخرى ، كما يمكن شطب وإلغاء بعض التفاصيل التي يمكن لها أن تزيد وتمدد النص ،وبهذا تكون فنـيات العمل مهمة عند محاولة كتابة رواية قصيرة أو قصة قصيرة جداً، والمزلـق الخطير هنا أن لا يحـتفظ الروائـي والقاص بالمكونات الرئيسة الواجب توافرها في العمل ، وأن لا يتـكلم بلغة مباشرة ومسهبة ... الخ ، سيحـتاج إلى استثمار كل كلمة في موقعها وكل بياض يتنزّل عليه الحرف والكلمة . ويكون نـجاح الروائي والـقاص وفشـله متعلق بمدى قـدرته على الاحـتفاظ بالفـنيات رغم قصر الشريط الزماني والمـكاني ، وعدد الصـفحات الورقية التي يكتب عليها .

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ضرورة الالتـفات إلى أهمية القارئ ودوره في النص ، إذ لا معنى للـنص من غير قارئ ، فهذا يستدعي أن يكون الروائي واعياً لمسألة التلقي ، فإذا كتـان عالماً بالعبء الذي يتـحمله من نتـيجة التكثيف ، وعبء اختزال المرجعيات التي سـيوظفها في العمل ، فكذلك الأمر بالنسبة للمتلقين ، حيث مثل هذه الأعمال تتطلب قارئاً له مرجعيات ترقى لمستوى العمل المدروس ، وهذا حقيقة ، يدعم وجهة النظر التي تقول أن من استراتيجيات النصوص الحديثة الرفع من سوية التفكير للمتلقين ، بحيث يقترب ، أو يساوي هذا التفكي، مستوى تفكير منشئ النص .

الباحث الحالي ، سيخـتار نموذجاً واحداً للتعامل مع هذا الكتاب ، يراه يعطي صورة واضحة لما يرمي إليه في هذه المقاربة البحثية ، وقد اختار الرواية الأولى الموسومة ( آدم الجديد) . قصي عسكر عندما كتب الرواية التي نتكلم عليها ، يدرك تماماً ويعي العصر الذي يعيش فيه والتحولات الإنسانية التي أصابت الكون ، مع أنه جرب الكتابة في الروايات الطويلة ، نسبياً . وإذا قلنا لماذا تظهر مثل هذه النصوص الروائية القصيرة والخيالية والتي تبدو أنها متجاوزة لزمنـها ، أو تحاول أن تتجاوز ، يمكن القول : إن طبيعة التحولات الحضارية والمعاصرة ، لا سيما ما يتعلق بالتحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... الخ . كل ذلك يميل إلى الاختزال والتكثيف في الأشياء ، فنجد الوجبة السريعة ، والسيارة الاقتصادية الصغيرة

، والآلات الدقيقة ، إلى غير ذلك ، وهذا النمط الحضاري يبدو أنه أصاب بالعدوى الأجناس الأدبية بوصفها منتج إنساني ، فظهر عبر الزمن الحديث : ( الرواية القصيرة والقصة القصيرة جداً والقصة الومضة ، والقصيدة القصيرة والقصيدة الومضة كذلك ، وقصيدة التفعيلة ، وقصيدة النثر ، والكتب القصيرة وما إلى ذلك ) ، فكأن روح العصر تتطلب مثل هذا ، حيث القيمة الزمنية عند الإنسان أخذت مفهومات مختلفة عما كانت عليه سابقاً ، فانشغالات الإنسان الزائدة لم تتح له زمنا كافيا للقراءة والجلوس التراخي ... الخ ، صارت الأشياء القصيرة المختزلة والمكثفة مطلب إنساني .

وفق هذه المعايير ، وربما غيرها، بدا أن مثل هذه الأعمال ، وبهذه الكثافة والقصر مبررة إلى حد واضح .قصي عسكر الروائي /القاص يعيش هذه الحضارة الغربية ،المتقدمة جداً ، خاصة بعد انتقاله للإقامة في بريطانيا ، وتفاعل مع الحضارة الغربية ومنتجاتها ، وفي الوقت نفسه نجد أنه ينتمي إلى حضارة ضاربة في القدم والعراقة ، حضارة الشرق ، وخاصة بلاد الرافدين ، وبهذا تتعدد لديه الأنساق الثقافية التي تشرب منها ، وفي هذا العمل يكون من الطبيعي انعكاس هذه المعطيات في تفكيره اللغوي والكتابي . فهو مثلا عندما يحاول الاستناد إلى الخيال وتوظيفه بوصفه من الأبعاد المهمة لإنتاج الإبداع ، فإنه يتوسل بأقصى ما توصل إليه الخيال العلمي الغربي والواقع الحضاري في الغرب ، وهذا ناتج عن مدى اطلاعه واحتكاكه بالثقافات الأخرى ، ويكون الأمر له أهمية أكثر عندما يدمج هذه المعارف والمرجعيات بثقافته ومعارفه الشرقية .

نقول ذلك لأن موضوع الرواية التي اخترناها هنا ( آدم الجديد) تقوم على فكرة الخيال العلمي وعلى الغرائبي والعجائبي وعلى معطيات سنقع عليها ، ما أمكن إلى ذلك سبيلا ، وبما يخدم الفكرة التي نسعى إليها، وتحيل إلى مرجعيات وحضارات مختلفة .

منذ البداية يقف القارئ أمام عنوان إشكالي ، يكسر لديه أفق التوقع والانتظار حسب تعبير ( آيزر وياوس ) ، فالأمر القار مرجعياً في ذهن القارئ هو (آدم ) الذي يعرفه وقرأ عنه في الديانات السماوية الثلاث وفي التاريخ والتراث الإنساني ، والذي هو ضمن سجله الإنساني والكوني ، أما القول ب (آدم الجديد) سيحيل التفكير إلى مواصفات مختلفة عن ( آدم ) مختلف ، وسيغير اتجاه التفكير، ثم من المتوقع أن يتساءل المتلقي ، ماهي تركيبة هذا المخلوق ؟ وما الجديد فيه ؟ وإلى أي مدى يكون الاختلاف ؟ وما الفائدة من ذلك ؟ وسيضع النص أمام المتلقي مهمة الكشف عن هذا المخلوق ، وستأخذه شهية القراءة المنتجة منذ الوهلة الأولى لمتعة النص – حسب تعبير رولان بارت ، في كتابه الشهير( لذة النص) . المعلومة الأولية هي أن آدم

هو أب للبشر ، لجنس الإنسان في الوجود ، وهو الذي يسكن الكون ويتعامل معه ويؤثر ويتأثر فيه ، والمعلومة المولدة هي على خلاف ذلك ، وتستدعي الكشف والإبانة ، واستخلاص العبر.

القراءة منذ العنوان ، بوصفه عتبة نصية ، تحيل إلى أن الروائي يريد التــشكيك في هذه المعلومة ، أو التحول والانحراف عنها ، بدليل أنه استبدله ب ( آدم الجديد ) ، هو يود محو وإلغاء آدم القديـم ، او البناء عليه ، واللعب في مكوناته التي نعرفها ، وبعثه بصــورة أخرى ، وهذا يشي بنية المؤلف في إلغاء الإنسان الحالي في الوجود والعالم . ثم إن الإسناد هنا في الجـملة ، إسناد الجِّـــدة إلى ( آدم ) ، يتضمن إثارة دلالات جديدة ومختلفة عما نعرفه عن آدم الواقعي ، والمرئي للعالم ، والذي يعيش في هذا الكون ، فكأني بالروائي يريد أن يقدم حكاية آدم للقارئ ، لكنها ليس آدم الذي عرفه ، وإنما (آدم) الذي سيعرفه ، مع أنه يعرف آدم القديم ، وله خبرة فيه ، وفي مكوناته وسلوكاته وتفكيره ، ولهذا يحاول التغيير والتعديل ، وصولاً غلى آدم آخر ، ومن هنا يدخل منشئ النص إلى قاعدة تأسيسية لعمله، يتمكن من العبور إلى عالمين في آن ، : عالم (آدم ) الذي نعرفه وعالم (آدم) الذي نريد أن نعرفه ، الأول هو الذي كان ويكون ، والثاني هو الذي يمكن أن يكون .

هذا المنحى لا يمكن أن يمضي ، ولا يترسخ في ذاكرة المتلقي المنتظر ، والمتوقع ، إلا عبر توسلات وغمكانيات يراها الروائي ، ومن هنا ينطلق من الخيال العلمي تحديدا ، لتبرير وجود آدم المختلف والجديد ، والذي يريد له أن يكون . وبهذا الوصف يكون قد أعطى لنفسه مشروعية الكتابة الروائية ، فيجد فضاءاً رحباً للكلام والسرد ، وللبنائ الشكلي والمضموني لروايته .

الروائي عندما أراد أن تكون الشخصية المركزية (آدم ) في روايته ، يشير إلى جنس آدم ، وبهذا أراد أن يكون الموضوع إنسانياً وليس فردياً أو ذاتياً ، ولا يصب في خدمة شريحة معينة وبسيطة من الناس ، ومن هنا نجد التبرير لغياب المسميات التقليدية للذوات الإنسانية ‘ فهو لم ينعته باسم عادي ومالوف ، ودليلنا على هذا أنه جعل ( آدم الجديد) يتكون من ذوات متعددة ، ومن أجساد مختلفة كذلك ، فهو وفق هذا التصور مجمل أسماء في إسم واحد ، ولا يليق بهذا المجمل إلا جامع الجنس البشري ، والذي يعني الذات والمجموع في آن ، وهو (آدم ) هنا .

المطالعة المتأنية للرواية تشيرإلى أن هناك مشروعاً يفكر فيه ( البرفسور- الطبيب) ، هذا الذي سيمثل الشخصية الملازمة للشخصية المركزية ، والتي ترافق الشخصية المركزية غالبية الوقت ، الطبيب ن في الرواية ، لديه مشروع بحثي ضخم ، ولديه حلم تجميع بقايا أجساد زبقايا خلايا بشرية ،فيها بقايا حياة ، بعد إصابتها بحوادث ناتجة عن فعل إنساني

على الأغلب ، في إشارة خفية لما يفعله الإنسان بالإنسان ، مثل الحروب وحوادث السير ...الخ ، وصولاً إلى إنتاج إنسان من بقايا حيوات متفرقة تنتمي إلى حضارات وعوالم مختلفة في الوجود الإنساني ، فها هي الشخصية المرافقة للشخصية المركزية المريض الذي قام بتجميعه وصار محلاً لتجربته ومشروعه يذكر:" إن علاقتي بك تمتد إلى زمن بعيد ، فهذا الجسد الذي يحمله آدم ، أنت ، جسدك الذي شككت فيه ، يتألف من أعضاء أخذت من عشرات الأشخاص ، أناس ماتوا بحوادث مختلفة ، أنسجة حية ، إن جزءا مثل اليد تجمّع من عشرة أشخاص أو أكثر ، كذلك الأمعاء والمعدة والكبد ، حتى تجمع لدي جسد كامل يمكن أن أركبه في شخص واحد " (12) وهذا يلفت انتباه المتلقي أننا إزاء تكوين إنساني مختلف ، وفيه سمات لا تنتمي لفئة بشرية بعينها .

الطبيب ، كما سلف له حلم / مشروع بحثي ، مشروع يستقي عناصره من آخر ما استجد من تقنيات وتجارب علمية في العالم ، في علم الطب والتشريح والخلايا ، والأنسجة، وينطوي على صناعة تكوين بشري له مواصفات شمولية ، بحيث يتشرب من عناصر ذائبة في الجنس البشري ، رغم اختلاف الأعراق والألوان والمشارب ، بحيث يمثل الإنسانية جمعاء ، لم يكن الروائي هو الأول في حلمه هذا ، من حيث انجاز رواية عالمية وتطمح لتحقيق سبق تقني روائي عالمي ، فقد حاول غيره أيضاً ، وإن كان يطمح غيره إلى توجيه خطاب معين ، فلكل رواية خطابها ، لكن المشترك هو خلق عنصر بشري يسبق زمنه ويحقق أقصى قدر ممكن من المعرفة والعدالة والخير ، فقد ذهب مثلاً ( صبحي فحماوي في روايته الموسومة ( الاسكندرية 2050) (13) إلى مثل هذا ، فجعل الشخصية المركزية تحلم بميلاد غنسان أخضر ، يتجاوز بأفعاله وسلوكياته كل ما هو مألوف ، وصولاً ، أيضا ، لخلق عالم إنساني مختلف يمتلئ بالحياة والأمن وخدمة الإنسانية جمعاء ، ويستقي الفحماوي كذلك بعض مرجعياته من علوم الطب الحديث .

الروائي قصي عسكر لم يكتف بهذه الرواية ، فقد حاول أيضاً اللعب على عنصر الزمن ، إضافة لصناعة شخصية تماثل إنسان المستقبل المرجو ، إذ عمد في إحدى قصصه في هذا الكتاب الضام لروايات وقصص أن يقدم لنا قصة قصيرة موضوعها الأساس الزمن وهي الموسومة ( قصة من عام 2784) (14) ، لكأني بالروائيين والمبدعين الذين يتوسلون بعنصر الزمن لتقديمه بكيفيات مختلفة عن الاعتيادي والمألوف ، يحاولون الخروج على زمنهم ، وفي الوقت نفسه يقدمون تجريبات مختلفة محاولة منهم للتقدم بمستوى الرواية ويحاولون الإسهام في التحولات المعاصرة لمسيرة الرواية العربية ، على أقل تقدير .

السؤال الذي يزداد حـضوراً في الذاكرة عند تلقـي هذه الرواية هو : ما الهدف من القفـز على الإنسان الحالي ، والبحث عن إنسان آخر ؟ الطـبيب العالم بهذا الفعل لا يقصـد أن يجـمع بقايا الأشـلاء التي يـمكن أن يستخلص منها بعض الأنسجة الحية قبل انتهـائها تماماً ، ولو كان الأمر كـذلك لظـهرت العبثية وتسـلطت على مجريات الأحداث ، ولا يسعى للترقية والحصول على جائزة عالمية ، وإن كان هذا مضمراً ، يبقى ثانوياً ، الأمر الذي يزداد ظهوراً وتسلطاً ، ويبدو أن له قيمة سامية هو السعي إلى إعادة صياغة الإنسان ، وإعادة الصياغة تثير إشكالية استهلاك الإنسان السابق ، بحث أصبح وكأنه غير ذي جدوى ولا فائدة منه ترجى ، أو أنه تعطل وازداد خرابه ، أو بدت عدم فاعليته وقدرته على أن يعمر الكون ويسير فيه ، ومن هنا يجري البحث عن استبداله والخلاص منه، أو على أقل تقدير شحنه بمكونات تجعله أكثر فاعلية ، ليليق بالكون والوجود والحياة .

ما ذهبنا إليه يمكن أن نصل إليه من خلال سياقات مختلفة في الرواية ، ومنها الحوار الذي يـجري بين البـروفسور – الطبيب – والمخلوق الخيالي – الإنسان الجديد/آدم الجديد – هذا الطبيب الذي يعي أنه أمام مخـلوق شمولي وهو من مجمل شخوص كانوا بأسماء حقيقية ويعيشون في الواقع ويسهمون في الوجود ومنهم ( بلْ وموشـيه و خالد ...الخ ) ، وفي الوقت نفسه هم من حضارات وثقافات ومرجعيات مختلفة ، وكلهم يحضرون في هذا الجسد الممدد على السرير في المتـستشفى ، وهاهوالكـلام يجري على لسـان المريض : " أنت أنا ، هو أنا ، مسلم مسيـحي بـوذي ..." (15) ، وفي إحـدى زيارات الطبيـب له راح ينـاديه مخـاطباً : " .. موشي ..بل .. كارل.. خالد .. ناموا .." (16) . ويرد على لسان الراوي موضحاً تشظي الشخصية وأنها كلٌ في واحد: "كان ذلك حين دخل البرفسور الغرفةالخاصة بالمريض ، هبت بوجهه احتجاجات واختلطت أصوات ولغات ، كل واحد من هذا الواحد الشاخص أمامه على السرير يحاول أن يثقب الزمن ليعرف حقيقة الوقت الذي ولد فيه "(17). إن ثقب الزمن هنا يشير إلى محاولة العبور في الزمن والخروج منه في آن ، ومن ثم القفز إلى زمن خارج الزمن الذي تعيشه الشخصيات المتمثلة في الشخصية الجديدة ( آدم ) ، العتراض محاولة أخرى لفهم الحياة التي لم تعد مفهومة ، اعتراض على ما يجري ، ومن هنا يظهر التوتر والنزق في الحوار بين الشخصية ( آدم الجديد) والطبيب .

الدراسة المتأنية لتحولات الشخصية المركزية داخل الرواية تظهر مدى تركيز الروائي على خلق شخصية يسند إليها وظائف فيها أبعاد غرائبية وعجائبية ، لكنها تنطوي على رمزية هادفة ، وهذا ما يثري العمل ويحسب

للروائي ، يتبين هذا عندما نجد المكونات الجسدية والروحية الذائبة في المخلوق الجديد تعود في أصولها التكوينية إلى الحضارات التالية : العربية الإسلامية الشرقية ، وأخـذت اسم خالد ، والحـضارة الغربية المـتمثلة بالرجل ( بلُ )، و(موشيه) ، الذي يشير إلى حضارة اليهود ، و(شوان) الذي يمثل الحضارة الصينية وآخـر بوذي يمثل الحضارة الهـندية ...والطـبيب عندما يحاول التحدث والحوار إلى (آدم) المركب من عدة حضارات وأشخاص ، يحاول أن ينـظم الحديث مع الكل المذاب في واحد ، ولحل هذه الإشكالية التواصلية مع المريض ، يقدم الحديث عبر جهاز كمبـيوتر ، حديث جداً ، يرتبط بالشخصية بأسلاك، وموجود على سرير المريض ، وعبر هذا الجـهاز، وعبر تقنيات أخرى واختراعات حديثة يعمل بكل جهده – الطبيب- على دمج شظايا الأجساد والأنسجة ،ودمجها علمياً في جسد واحد وروح واحدة .

المتلقي لمثل هذه الشخصيات عبر الرواية ، سيحيل كلامه وأفكاره إلى مرجعيات خيالية، وحلمية ، وغرائبية في الوقت نفسه ، ويبدو أن الروائي تمكن من توظيف هذا المنحى في روايته وذلك لإنجاز أمرين : الأول إنجاز عنصرالخيال وما يمكن أن ينطوي عليه من التشويق لدى القارئ ، إذ أن الانحراف السياقي يؤسس إلى تمـل الحالة المثارة في النـص وتخـيلها ، وبالتالي يسعى إلى كشفها وبكشفها ينتج لذة النص ، والآخر يبدو أن هذا الأمر يقود إلى إثراء عنصر الرمز ، وهي قضية مشروعة ومطلوبة في الـنصوص الحديثة ، بعيدا عن المـباشرة التي هي من سمـات النـثر العادي والخطابات التواصلية ، وهذا ليس من سمة الإبداع .

الغرائبية والعجائبية تزيد النص الروائي اكتنازاً ومتعة ، إذا ما أُحسن استثمارها ،عمقاً ودلالة ، والقص الحداثي يعني عند الناقد ( مالكلم برادبري ) : " التحليل والتأمل والهروب والخيال إطلاق العنان للأحلام "(18) . وهي " الفن الذي حوّل الواقع إلى خيال نسبي ... وهو يصور عوالم تكتنفها المخاطر والكوابيس والموت " (19)على حد تعبير الباحث نفسه .

الربط بين الواقع والخيال هنا يبلغا أوجه ، فالروائي يأخذ بعض اللقطات من الأفعال الإنسانية السلبية ويركز الضوء عليها ، ويحاول تقديمـها روائـياً من خلال حكاية سـيرة الإنسـان في الوجود ، فهو يحـكي على لسـان الشخصيات حكاية ممارسات سلبية اقترفها الإنسان بنـفسه وتؤدي إلى تدميره ، وبالتالي فهو يدينـها ، ومن خلال هذا التنـاول من الواقع لا يقدمه الروائي إلا بعد أن يختلق له تركيبة أسلوبية مناسبة ، أبرزها التوسل بالخيال والغرائبية ، ولكنه لم يوغل في الخيال كثيراً ، وإن حصرها بالخيال العلمي ، وكلمة العلمي تقرب المفاهيم وتجعلها أكثر قابلـية للتـصديق ، ولو في

الزمن القادم ، فالذي يبدو خيالاً اليوم ، ويدهش علمياً يصبح اعتيادياً بعد تداوله واكتشافه ، فصعود الإنسان على القمر كان محض خيال ، والكلام عليه قبل زمن وقبل اكتشافه كان لوناً من العبث ، لكنه أصبح حقيقة ، الأدب لا يقدم حقائق ، ولكنه يقدم إمكانيات ، وخيالات ممكنة التخيل والتأمل ، ويمكن الربط بين منتجاتها عبر الخيال ، وهذا أمر ملازم للإبداع ، ومن التوسلات الواقعية عند الروائي ، هي أخذه بعض الأحداث من حروب وحوادث سير .. الخ ، وهذه ممكنة الوقوع والمشاهدة في الواقع ، أما لملمة الأشلاء وجمعها بعد تفريقها وخلطها ، وبعثها من جديد ، فهو ضرب من الخيال العلمي البعيد.

هنا لا بد من استحضار الآية الكريمة ، التي تمثل مناجاة إبراهيم عليه السلام للحق سبحانه ، ليريه كيف يبعث الميت ، فنقرأ الآية (( وإذ **قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيّ الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أبعة من الطير فصرهن إليك ثيم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم))** (20) فقصة إبراهيم عليه السلام تمثل النص الأول الذي يحكي قصة تجميع إبراهيم عليه السلام لأشلاء الطير وضمها وخلطها ثم ينظر كيف تعود من جديد خلقاً حياً ، لعل الروائي هنا في حكايته لهذه القصة يتقاطع نصياً ، وإن بشكل غير مباشر ، على طريقة التناص المضمر مع هذه الآية ، فتبدو الآية وكأنها المرجعية الأولى والعميقة لهذا اللون من الكتابة الإبداعية ، حيث المرجعية الثقافية الإسلامية ممكن أن تترسب وتتسرب في منتجه الإبداعي ، ويمكن أن يفيد منها الروائي في أنتاج أعمال اكثراً لفتا للانتباه ، والتناص هنا مفيد في إثراء العمل ، حيث التقاطعات النصية تحمل المتلقين على المقاربة والمقارنة والخروج بوجهات نظر مختلفة ، وتستدعي شحذ التفكير للتعمق في ما وراء النص ، وما يثيره من دلالات .

الروائي أفاد من متناصات متعددة ، من العلوم والطب وعلم الإحياء والأدب ... لإنجاز هذا النص الخيالي العلمي الهادف . والتناص من الوسائل التي تحمل المتلقي على استحضار الماضي والواقع ، ليأخذ العبرة ويقارن ويستشرف المستقبل ، وقد نجح الروائي في اختياراته لمثل هذه الشخصية (آدم الجديد) لما أضفى عليها من أبعاد نفسية وجسمية وجسدية تخدم الهدف من النص.

الدمج بين الأشلاء في الآية الكريمة إعجازي ، والروائي هنا يقدم لنا دمجاً علمياً ، ولو أنه خياليا جداً ، لكنه متخيل الحدوث ، إبداعيا على الأقل ، الهدف وفق ما يبدو من حركة الشخوص والأحداث بالكيفية التي قدمتها الرواية هو محاربة الشر، وجعل عنصر الخير هو الأكثر وجوداً في الحياة ،

وقد سعى كثير من الكتاب عبر نصوصهم الروائية والقصصية والمسرحية إلى مثل هذا ، لا سيما المسرح الذي من أهم أهدافه واستراتيجياته التوكيد على عنصر ( التطهير) ، وتقنياً حاول الروائي مسرحة الأحداث ، حيث يمكن مشاهدة جسد مسجى على سرير في مستشفى ما ويمكن تمثيل ذلك على خشبة المسرح ، كما أن اعتماد تقنية شاهد العيان تدعم هذه الرؤيا وتعمقها ، إضافة إلى كثافة الحوار في الرواية ، بين الجسد المسجى – المريض – مع كل من الطبيب وأخته وزوجته وكل من يزوره ، أو حتى من يهمس لهم ويبدو وكأنه يتحدث إلى نفسه ، عبر تقنية تيار الوعي والاسترجاع المسموع لدى الزائرين له . وهنا يتداخل الواقعي مع الغرائبي ، والمنطقي المعقول مع اللامعقول ، كل ذلك ليؤسس لرمز مهم ودلالات تتفتح بالتدريج أما المتلقين بفاعلية القراءة وتكرارها.

**صياغة الإنسان صياغة للعالم :**

إن توكيد الروائي ، على لسان الشخوص ، ومن خلال نسج خيوط الرواية بهذه الكيفية يشير إلى هدف أسمى يسعى إليه منشئ النص ، ويمكن تمثيله بالمقولة لتالية ( إن إعادة صياغة الإنسان تمثل إعادة صياغة للعالم ) ، فالإنسان ، حقيقة ، هو مركز العالم والوجود والحياة ، وأي خلل في الإنسان يعني الخلل في والوجود والحياة ، لأن الوجود مخلوق لخدمة الموجود ، وعلى حد تعبير أحد الصوفيين الفلاسفة – التوحيدي – فإن الإنسان هو المركز عند قوله ( يا هذا – يعني الإنسان – أنت معنى الكون كله ) .

تتخذ الرواية نكهتها الخاصة ، والمؤثرة ، عندما نجد أنها تحاول التمركز حول دعم وجود الإنسان بشكل سوي ومعقول في الوجود ، ولها نجد الروائي يتمرك على إثارة الخلل الكامن في صراع الحضارات ، متخذا من النص الروائي سبيلا لذلك ، ومستنداً لمرجعيات ثقافية وعلمية يعيشها الإنسان . " التقدم العلمي والتكنولوجي نفسه ، الذي لا سابق له والذي وحد العالم بإلغاء المسافات ، قد احتوى المسافة داخل القوة التي تمتلكها الإنسانية لتدمير ذاتها بواسطة السلاح الذري . والحقيقة أن الإنسانية في الوقت الحاضر تجد نفسها في وضع يتحتم عليها فيه لا إرادياً الاختيار بين أن تبيد ذاتها – تنتهي- أو ان تتعلم كيف تعيش كما لو أنها تشكل عائلة واحدة " (21) ، ويبدو أن الرواية ومنتجها ، ووجهة النظر التي يطرحها الروائي في النص اروائي تميل لصالح الاتجاه الثاني عند ( توينبي ) ، ومن هنا بدأ العالم يعي بطريقة أو اخرى في أفكار ما بعد الحداثة ما تطرحه العولمة والتي تدعو في بعض توجهاتها إلى أن يكون العالم قرية واحدة ، ومجتمع واحد ، ويضيف الروائي فيما يبثه من أفكار متجاوزاً ذلك إلى أن يصبح الإنسان له قيمة وجودية

يستشعرها ويحافظ عليها بعيداً عن الصراعات والقتل والموت ، وفي العمق ينادي إلى إنسانية تخلو من الحروب والمناحرات ، ويحاول أن يوجه الإنسان إلى ضرورة التحاور والتعاون لخدمة الإنسانية بعامة ، بحيث تتحقق العدالة الاجتماعية والفكرية ، وإعطاء الحق له في ممارسة أفعاله بحرية وأمان في العالم ، وهذا بالطبع مطلب ومسعى نبيل يتمناه كل إنسان يمتلك الإحساس بقيمة الإنسان في وجوده.

لقد تمكن الروائي من نقل كثير من الوقائع السلبية ، وركز عليها وقدمها بثوب إبداعي يلفت الانتباه ، ليشير إلى بواطن الخلل ويلفت إليه ، ولهذا دمج هذا المعطى في إشكالية المشروع الحلمي للطبيب ، وهذا يتماهى مع المشروع الذهني للكاتب ، الذي يحلم بتطهير العالم من الحروب والشرور وما إلى غير ذلك ، ويتجلى هذا من خلال السياقات النصية الواردة في الرواية . إنه في هذا العمل بصدد إعادة الاعتبار للإنسان والحياة والوجود كما يمكن أن تكون خالية من التلوث والخلل ، فهو يريد على أقل تقدير أن يعقد مصالحة بين الإنسان والحياة ، لتسير بشكل صحيح ، ومن هنا عمل على تذويب الحضارات في ذاكرة المريض لتغدو حضارة واحدة ، والعالم المقسم لعوالم ليصبح عالماً واحداً ، والأجناس البشري المتعددة الأعراق لتصبح جنساً واحداً .

وهذا الذي نذهب إليه يسنده النص الوارد على لسان الراوي : " هذا الجسد الحي يتسلم أكثر من أمر ، اللوحة الألكترونية تسجل اضطراباً وفصلاً للجمل المتداخلة ، بين العبري والصيني والعربي والإسباني والانكليزي ...الخ ) الرواية ص 51 ، هذا التداخل في الجمل و الارتباك في الحديث ، كان لافتاً لأن الجسد في طور التكوين ويعاني للوصول إلى الجسد المثال المطلوب ، وهو أمر طبيعي ، ولوحة لتحكم تحاول ضبطه وتصحيح مساره في الوجود ، ليعتاد على الطريقة الجديدة والخلق الجديد ، وبالتالي ليتغير سلوكه وفعاليته ومنتجاته في الكون .

وفي موقع آخريقول الطبيب مخاطبا آدم :"عزيزي بل ...شارل ...أسماء مألوفة ، مع أنك تدرك جيداً أنك تنتمي إلى أرومة واحدة هي الجنس البشري المتمثل بالرمز آدم ، لذلك كله أرجو أن تدع لي حرية الاختيار في أني أخاطبك بهذا الاسم الذي يرمز إلى تلاقي أكثر من حضارة ، ويدل على أصل واحد عنه انحدر الجنس البشري الذي بدأ ينسى أصوله ، ولا بد من صدمة تعيده إلى جذوره الأولى " (22).

النظر لهذا النص على لسان الراوي يبدو أنه يشكل رابطاً جيداً للوصول للمرموزات والدلالات التي تختفي وراء السياق ، حتى أن الراوي على لسان الشخصية ينزلق بلسانه ليعطي مفتاحاً ، فها هو يقول " إنك تنتمي إلى أرومة

واحدة هي الجنس البشري المتمثل بالرمز آدم ... ويتابع أخاطبك بهذا الاسم الذي يرمز إلى تلاقي أكثر من حضارة"(23) ، كما سبق ، إذا (آدم) رمز يبنيه المؤلف ويقدمه ليشكل تحريفاً للواقع ، ويعطي مجالا للتفكير والتأمل في منتجات هذا الرمز . وفي السياق نجد إشارة إلى أن هذا المخلوق الجديد بدأ ينسى أصوله ، وهذا مطلب من مطالب البرفسور للوصول إلى جنس بشري مختلف وعالم مختلف ، ونسيان الأصول هنا محاولة للبدء بأصول جديدة لها تفكيرها وممارساتها ، وغير ملوثة بالشرور الناجمة عن الصراعات والحروب ، ونسيان الأصول يعني النجاح للفكرة الأساس التي من أجلها تم تجميع الشظايا والخلايا والأنسجة ، وما كان لمثل هذه الموضوعات في النصوص الأدبية ، وغير الأدبية أن تطرق لو أن العلم الحديث ، وعلوم التشريح والأنسجة والجينات ، التي راحت تتقدم في العالم زودتنا بمرجعيات مهمة تحمل خيالنا على التأمل والتفكير والإبداع . إذ تشكل مثل هذه العلوم مرجعية مهمة في ذاكرة الروائي من جهة ، وفي ذاكرة المتلقين ، من جهة أخرى ، لحمل القارئين على التأمل الإيجابي ، وحملهم على توقع ما يمكن أن يكون لو ذهنياً ، وفي ذلك إنتاج للذة الكشف ، وللوصول إلى أقصى درجة ممكنة من إجراء مقاربات تجاه المقرؤ .

والرمز قد يقود كذلك إلى محاولة مريرة ومتعبة لإعادة العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، مهما كانت جذوره وأصوله ، ومهما كانت ديانته وعرقه ، وهذا المطلب يقع في باب الحلم لتحقيق العدالة والتوازن ، وإعادة الاعتبار إلى الإنسان في صفائه ونقائه . ويبقى السؤال مفتوحاً حول إمكانية تحقيق ذلك.

**التشظي وفعل النص**

كثير هم المبدعون الذين مارسوا المسخ على شخصياتهم ، وحاولوا التجريب في هذا الاتجاه عند كتاباتهم في الرواية والقصة والمسرح ولن ننسى ( كافكا ) مـثلا في رواياته ،ومنـــها ( الصرصور) (24) وسارترفي ( الغثيان) (25) ومن العرب جبرا ابراهيم جـــبرا في روايته ( الغرف الأخرى ) (26) وســليم بركات في روايــته (فقهاء الظــلام ) (27) ، فالمتــلقي لمــثل هذه الروايـــات سيجد شخـصيات لا واقعيــة ، بل غـير معقـولة، وليس غريـباً أن يفـيد الكـــتاب العرب مما يــشيع من مرجـــعيات في العالم ، وفي التـــراث الأسطوري والتاريـخي القديم والحديث ، لكن اللافـت هنا أن مثل هذه التجريبات إن لم تـــكن واعية ستوقع الكاتب في مزالق .

وهذه الرواية التي اخترناها نموذجاً تسجل عبوراً لهذا النوع من الكتابات ، فهي ليست من النوع الغرائبي والعجائبي الذي تحدثنا عليه ، وإنما قد تسـير أيضا باتـجاه أدب اللا معقول ، حيث الشخصية المتجمعة من أشلاء متناثرة ، وتم جمعها من مساحات جغرافية شاسعة ، من أركان العالم ، لا يعقل أن تكوِّن جسداً بشريا وروحاً بشريا إلا في عالم الخيال واللامعقول ، لا سيما عندما تحاور وتشعر ويعاد إليها الذاكرة بشكل متدرج ، وتتحاور مع ذواتها التي تتشكل منها، إضافة إلى حوارها مع الآخرين ، إذا لماذا اللامعقول هنا؟

إن أدب اللا معقول راح يتسرب إلى الأدب بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ما أصاب العالم من دمار وتشوه وتشظي في الفكر والحياة ، وفقد الإنسان الثقة بنفسه وبالعالم ، ومن هنا راحت التفكيرات والأنفس تنقسم على نفسها ، وأصاب التشظي الفكر الإنساني غالباً ، لما أصابه من عجز عن استيعاب ما يجري . بنتيجة ذلك " راح الأدباء يتساءلون عن معنى وجودهم ، ويبحثون في معقولية الحياة ولا معقوليتها ، ويهاجمون العلم الذي أورثهم هذا الحال "(28) . ويمكن القول هنا أنه لا ضير من استخدام مثل هذه الأساليب لدى الكتاب للتعبير عن توجهاتهم ونظرتهم للكون والحياة والناس ، سيما وأن الرواية هي الأكثر اقتراباً من نقل حال الإنسان وانخراطه في عالم الوجود والحياة ، " ولا ضير من توظيف وسائل غي مفهومة في سبيل التعبير عن اندهاشهم وحيرتهم ، وأحياناً يأسهم ، إذ أن كل كاتب من هؤلاء الكتاب يسعى للتعبير عن رؤاه الذاتية للعالم " (29) . وقد اجتهد كتاب اللامعقول في اختراع أساليب سردية ودرامية تثير الدهشة وتصب في خدمة الأدب من هذا الباب ، الذي ينفتح على إثراء مضمونات النص الروائي ما أمكن.

لا يجد القارئ كبير عناء في اكتشاف أن الشخصيات هنا ، لاسيما المركزية يمكن أن تنتمي إلى مرتكزات اللامعقول ، حيث اختارها المبدع بعناية لافتة ، إذ لا يعقل أن يكون اللحم المتناثر بنتيجة شظايا قنبلة ، أو تدمير قوي أو حادث دهس من شاحنة قابلا بسهولة أن يتجمع ويعاد بناؤه ، ولو كان هذا جائز ، لما كان من الممكن تجميع الشظايا من العالم ، ومن مساحات على مدار الكرة الأرضية ، لأجساد متنوعة في الخلايا والأنسجة ، وهي مختلفة في أحماضها وتنوعها ، لا يمكن إلا في التصور الحلمي والخيالي ، ولم يكتف مبدع هذه الشخصية لملمة الشظايا ، وإنما راح يدرس إمكانية اجتماع واتفاق الحالات النفسية والفكرية والمرجعيات لكل الأجساد السابقة على صناعة هذه الشخصية ودمجها لتخدم الفكرة ، فمرجعيات الصيني غير مرجعيات البوذي وغير مرجعيات العربي المسلم وغير

مرجعيات اليهودي ...الخ ، وهذه العملية يراد لها تأسيس تقني أسلوبي معين ، ليدخل المتلقي إلى الموضوع دون إرباك وبقابلية قرائية معينة ، بحيث يتماشى مع العمل وصولاً لأهدافه النصية المتوقعة .

هذا التوجه الأسلوبي أضحى وسيلة للتعبير عن قضايا عالمية وإنسانية في آن ، ويمكن من خلال ذلك أن نقبل اعتراض (آدم الجديد/الشخصية المستقبلية) على ما يحدث في العالم وفي الإنسانية ، ويكون مخلوقاً له إمكانيات مختلفة وخارقة يمكن بوساطتها إحداث التغييرات الجوهرية في هذا العالم الذي أصابه العطب بفعل آدم القديم الذي بات مستهلكاً وعفناً ، بحيث وصل إلى نهاية العالم ونهاية الذات . يقول آدم الجديد في الرد على أسئلة محاوره : " العالم كله مفاجأة ، كم يموت يومياً وكم يحيا ؟ " (30) . يقول هذا والعالم حوله مشوش ، مرتبك ، وجسده في طور التشكل والاندماج ، فماذا بعد أن يكتمل ؟ ويتحدث الراوي بعد أن تصمت الأصوات حول السرير :" تهدأ الأصوات ، لحظة صمت مطبق ، (شوان ) يستعيد ذكرى التظاهرة الدموية ، تشوش تداعيات على خاطر (بل ) الذي كان يصوب النار على الأحراج ، وخالد يغتنمها فرصة ليطعن صدر نسمة بخنجر ، أما ( كارل ) فقد سطع في ذاكرته صوت نسمة وتحفزت كوامنه وأحاسيسه الشهوانية حين لمح باطن ركبتها ... الأمر الذي جعل كتفيّ الجسد الواحد ترتعشان بإيعاز تقززي من خاطر سريع غاضب لخالد " (31).

الكلام الذي يرد على لسان الراوي هنا يعبر عن حزم دلالية لافتة ، فهو ابتداء يسترجع ماضي الشخصيات المدمجة في الشخصية الجديدة والمستقبلية آدم ، واستثارة عوالم الشخصيات قبل التجميع تضع المتلقي في مواجهة مقارنات متضادة ، بين ما كان وما هو كائن ويكون . النص السابق يحيل إلى ما ينطق من باطن الشخصية العميق القديم ويتحدث عن ثلاثة شخصيات في شخصية واحدة ، وهي بالتأكيد أكثر من ثلاث شخصيات لكن الروائي ركز على ثلاث منها فقط ، الأولى ما تخمّر ، وما زال يسري في الشظايا والأنسجة المستخلصة من الضحية التي لاقت حتفها في مظاهرات للمطالبة بالديمقراطية والعدالة في الصين في تاريخ سابق ، والثانية الشخصية التي لقيت حتفها في قتل إنسان في الحراج في غابة ، بشكل عبثي ، والثالثة حاول الراوي التركيز على مسألة طعن الأخت لقاء الشرف ، إضافة إلى مسألة البعد الشهواني لأنثى غير الزوجة ... الكل ضحايا لممارسات إنسانية خاطئة ويمكن معالجتها بأساليب غير القتل ، وهنا يبرر إطالة فترة وجود المريض على سرير الاستشفاء ، وصولا إلا شفاء الشخصية الشمولية وتخليصها من رواسب الماضي بوصفها إنسان هذا الوجود الذي كان ملوثاً ، ثم في الوقت نفسه يشعر المتلقي بفعل النقد والإدانة لما كان يحدث مع

الشخصيات في تاريخها الماضي ، وتبدو القفلة لهذه الفقرة مبررة والتي تشير إلى حالة الامتعاض ، فهذه التصرفات المتناقضة وغير الحميدة تثير ( التقزز والرعشة الاعتراضية) التي لا تحتمل رؤية هذه الأفعال ، وبالتالي فإنسان المستقبل لن يقبل بمثل هذه الممارسات الخاطئة التي تشوّهخ وجه العالم ، وتخل بالتوازن الإنسانية ، وتعبث به وتدمره .

ويصل النقد مداه ، عندما تشعر الشخصية المسجاة على السرير بلحظة الانفصام والتشظي والجنون ، فها هي تقول " هل أنا مصاب بانفصام الشخصية ؟ " (32) ثم وعلى تقنية المنولوج الداخلي في حواره مع ذاته يقول : " لا .. إنه انفصام بعد انفصام ... لكن كيف يمكن أن أكتب بالعربية وأنا أتحدث الصينية فقط ؟ " (33) . وفي مكان آخر من الرواية ، نقف على الحوار التالي بين ( آدم المستقبل) وأخته نسمة – هي أخت من الماضي تتسرب من بقايا الجزء المقتطع من شظايا خالد الذي مات في حرب الغفران 1973 ، وضمّ إلى هذا الجسد - حيث نجد في السياق التالي على لسان السارد ، في كلامه علىالشخصية المركزية :" كان يتذكر آخر لحظاته ، لاكاد ينفرد بنفسه ، والآخرون ليسوا دخلاء على صفوه ، لم يكونوا جحيماً ، بل هو اكثر من واحد ، يعيش في مناطق مختلفة متباينة ... " (34). كيف سيدرك كله في هذا المجموع من مجمل بشر ومجمل أعضاء ومجمل خلايا وأنسجة؟ هذا يدخل في صميم اللامعقول ، ولا يتسنى لنا إدراك ذلك إلا بمعرفتنا بمرجعيات الأدب الخيالي في هذ1ا السياق، والإدراك الكلي لن يكون ، إلا بتوسل الروائي بتبرير يورده على لسان الشخوص ، ويجعل العلم وسيلة لتخليصه من هذه الإشكالية ، فيتحدث في الرواية عن تقنيات العلم الخارق ، ويزود المريض ، إلى جانب السرير بجهاز خاص ومبتكر ، يسهم هذا الجهاز في إحداث عملية التجميع للكل المذاب في الواحد ، على المستويين الفيزيائي والنفسي ، وهذا يتطلب مزيد من الإجراءات ومزيل من التصورات ، عند منشئ النص ومتلقيه .

التشظي هنا يصيب جسد الإنسان والحياة معاً ، وعندما يصاب الإنسان في دواخله ، إضافة لعوالمه الخارجية يكون الأمر أكثر تعقيداً ، فالانفصام السابق ناتج عن تراكمات لوقائع متفاوتة ، لكنها جميعاً ، وفق الانتقاء القصدي في النص ، يقود للموت والتدمير والهلاك ، ولهذا كان كل جزء من الجسد الجديد والروح الجديدة إضافة للذاكرات المتجمعة الآن في ذاكرة واحدة ، ما زالت مصابة ببقايا من التلوث والشر القديمين ، وهذا ما أطال شريط الزمان المكثف في النص ، وشريط الخيال الذي يزداد انفتاحا عبر التذكر والتخيل ، حيث تجبر ذاكرة المتلقي للعودة لماضي كل شخصية قبل الدمج ، وتاريخها وتاريخ حضارتها ومرجعياتها ...الخ ، ومن ثم تحاول

الربط مع الوقائع الخيالية المتسربة من خلال لغة الرواية وأسلوبيتها إلى ذاكرة المتلقين .

الروائي من خلال هذا الربط الدقيق لكثير من التفصيل الملتقطة ، اعتماداً على اختيارات فنية تشكل ومضات مدهشة وتستدعي التفكر والتأمل ، كان يسعى إلى تنوير الذاكرة الإنسانية المعاصرة ، ولفت انتباهها للخلاص من المنزلق والانحدار الذي تنزلق فيه ، وبالتالي محاولة للأخذ بيد الإنسانية نحو الأفضل ، الروائي أحسن صنعاً هنا عندما سلط الضوء على بواطن وكوامن الضعف في حضاراته ووجوده على هذه الدنيا ، فهو في هذا العمل الروائي ، ينتقد بفنية عالية الحروب والقتل الذي وصل مداه في الحربين العالميتين ، الأولى والثانية ، ولم يتعلم الإنسان مما أصابه ، بل ازداد شراسة في القتل والتدمير وصناعة الأسلحة التدميرية ، ومن هنا نراه يعرّج في الحديث من خلال التفاصيل المبثوثة هنا وهناك في الرواية ، على حرب 1948، والحرب الثلاثة على مصر عام 1956 ، وحرب 1968 ، وحرب 1973 ، وحرب فيتنام ...الخ.

هو يسلط الضوء على ما أنتجته السياسات السلبية للتفكير الإنساني في العالم ، التي أوصلت العالم لما أوصلته ، وهذا يدفع الإنسان إلى تغيير آليات التفكير والتعامل مع وجوده ومع الحياة والناس . والبحث عن علاج فعال يحفظ الأمن والاستقرار والعدالة والقيم النبيلة ، ولعل هذه الأخيرة تأخذ حيزاً لافتاً عند الروائي ، لما لها من أثير في انتماءاته الحضارية والفكرية ، فهو ابن الشرق وابن منطقة الديانات الثلاثة ، ويبحث دائماً عن تعزيز القيم والسلوكيات الإنسانية النبيلة ، ولهذا يستثمر ما يسمى بالقصة الإطار ، التي تنفتح على قصة أخرى ، وتتوالد منها ن وبذلك يبدو نصه أكثر كثافة عندما يتعامل مع القصص ذات الأبعاد الاجتماعية .

المثال على هذا البعد الاجتماعي ، تلك القصة التي أوردها في الرواية ، للشخصية الثانوية خالد ، التي تم إدماج بعض من جسدها وروحها وذكرياتها في شخصية (آدم المستقبل) . تحكي هذه القصة سيرة أخت خالد ( نسمة ) التي تسافر للدراسة خارج الوطن بعد قرار صعب من العائلة ، وبعدها تتعلق بشاب يصبح عشيقاً لها ، وبذلك تخرج على العادات والقيم الشرقية ، وتمارس حريتها بفرديتها دون الرجوع للعائلة ، ودون احترام – من وجهة نظر العائلة – لمبادئها وقيمها وديانتها ، ومن ثم يتم العلم بهذا الأمر ويتم التحريض على قتلها من الأب وحتى الأم – أم الضحية - تنساق وراء هذا الفعل وتقبل به ، ويتم طعنها من قبل الأخ بخنجر ، وهي القصة التي يعاد إبرازها وإظهارها على لسان (آدم ) المستقبل باعتبارها رواسب من الماضي .يتم القتل تبعاً للأعراف القديمة والعشائرية ، ليسلم الشرف الرفيع من الأذى؟

مع أن الأخ خالد يمارس مثل هذه الأفعال ويزيد في بلاد الغربة ، ولا يحاسبه المجتمع ، بل يمار الصمت عليه والتبرير له ، وهنا تقفز صورة المرأة الشرقية ، والأنثى المظلومة والمضطهدة ، وذكورة الرجل ، والقمع الذي يمارس عليها اجتماعيا وفكرياً ، وما إلى ذلك من قضايا .

نشير إلى هذه الحادثة من خلال السياق الوارد على لسان خالد : " أخوتي طارق وموسى ورشاد وأخواتي تحمسوا كثيراً للمقترح – السفر سابقاً والآن باتوا يلومون أنفسهم يوم وافقت العائلة على سفر الأميرة للخارج من أجل الدراسة ، - أنا أحببتها ، أما قصة الخيانة فآخر ما توقعته منها ..." (35) وفي مكان آخر يرد السياق التالي : " قالت لي أمي بنغمة يائسة : أختك فعلتها ، قالتها وعيناها إلى الأرض .." (36) . وفي مكان آخر نجد السياق : " قالت لي أمي إن أختي خرجت ولم تعد لحد الآن ، كانت تحب رجلاً أجنبياً ، رفضنا زواجها منه ..." (37 ).

مثل هذه القصة في الرواية ، على أهميتها ، لم يفرد لها الروائي مساحة ورقية كبيرة ، وقد جاءت في ثنايا التفاصيل المكثفة على مدار النص الروائي ، وقد أحسن الروائي صنعاً في هذا التوجه ، لتبقى فنية العمل الخيالي والعلمي هي المتسلطة على النص ، وحتى يبتعد ما أمكن عن الوقوع في المباشرة التي تقود إلى الرواية التقليدية ، أو أي نمط من الروايات الأخرى ، وحتى يبقى النص ضمن الدائرة التي رسمت له في نمط الخيالي والعجائبي واللاواقعي ، كما سلف .

**اللغة ورواية المستقبل :**

كلنا يعلم بأن اللغة وعاء الفكر ، وهي المنتج الذي يقدم للمتلقين الرؤية التي يحاول ان يقدمها منشئ النص إلى متلقيه ، ومن اللغة واستبطان سياقاتها، ووقوفاً على كيفيات الاختيار يتمكن المتلقي من الكشف عن المكنونات المثارة في النص المكتبوب ، لكن السؤال الذي قد يظهر ونحن نعالج روايات تتوسل الخيال المغرق ، او تحاول استشراف عوالم وطقسيات لم يرتدها أحد من قبل ، وتقع في دائرة ما يمكن أن يكون ، هو إلى أي حد يمكن للمؤلف/الروائي هنا من التعامل مع اللغة ؟ وكيف له أن يقيم عالما مفترضاً خيالياً يجذب له المتلقين ، ومن ثم يدعوه للانخراط في أجواء العمل ومنتجه واهدافه ؟ فلكل عمل لغته واسلوبه ومكوناته الخاصة به ، وبها ومن خلالها يظهر البعد الإجناسي لها ، ويظهر التفاعل الذي يمكن أن تقود إليه.

اللغة الإبداعية تفعل فعلها عندما تستثمر الغرائبي والعجائبي ، فغدو على منشئ النص عبء التطويع مضاعفاً ، وسيرهقه البحث والكد ليجد ما يتناسب والعوالم التي يطمح باستحضارها ، ولا يمكن لهذا الاستثمار أن يكون مؤثراً

ومنتجاً إلا إذا كان الروائي هنا واعياً لمثل هذه المسائل المهمة التي تثيرها اللغة عند تحويلها إلى كلام ، وعندما يحاول التعبير عما يدور في الذهن ليحدث مقاربة تجاه العالم والحياة والوجود ، فمن المفهومات الشائعة عن العجائبي مثلا ضرورة وجود " بناء لغوي ، ولقاء بين المألوف واللامألوف ، بين أدوات طبيعية وأخرى فوق طبعية غيبية لإيجاد حالة من الزج بالواقعي بكل وضوحه الكاذب واوهامه المغلقة في المأزق – مأزق الكتابةهنا – " (38).

مثل هذه التوجهات كانت موجودة عبر تاريخنا وتراثنا القديم ، والنهل من المنبع الغرئبي والعجائبي كان لافتاً في أشعار الجاهليين ، وكانت الطقسيات الغرائبية والخرافية لها مساحة واضحة في حياة الأنسان القديم ، وانعكس هذا الأمر في سرود الإنسان وتعبيراته وسلوكاته ، فالمتتبع للمدونات التراثية في الماضي و للنصوص القديمة الأدبية خاصة ، سيجد حضوراً لعالم الجن والخرافة ، منها حضور ( الهامة ) والتطيُّر ، وعالم الجان ، والغول ، والتمائم ، غضافة لبعض الطقسيات والاناشيد المشبعة بالخرافة والتي قد تجد فيها مسحة دينية ، أو بحث عن مأزق وجودي كان يعيشه الإنسان ويستشعره على الأغلب في صراعه مع الحياة والكون ، ونضر أمثلة على هذا استثمار بعض الكتاب والشعراء هذا المنحى في نصوصهم ، فكثير من الشعراء كان يدعي وجود جان يرافقه أو يلقّنه الشعر ، مثل حسان بن ثابت الذي بلغ به الأمر أن سمّى شيطانه وافتخر بذلك ( الشيسصبان ) ، لكن التوظيف الكتابي الممنهج ، والإبداعي الراقي بلغ أوجه في كتابات ابن شهيد الأندلسي ، كما فعل في مؤلفه : ( رسالة التوابع والزوابع ) (39) الذي أدار أحداث شخوصه في وادي الجن ، الذي يعرفه العرب، وتكلموا عنه كثيراً عنه في نصوصهم ، وهو (وادي عبقر) .

ومثله فعل المعري في كتابه الشهير ( رسالة الغفران ) (40) ، وفيها سرود تنهل بشكل واضح من عالم الغريب والعجائبي ، حيث شخوصه تتحرك والأحداث التي اختارها وتصورها المعري ، في بعض مواقع هذه الرسالة وهي كثيرة ، في عالم الغيب ، عالم الجنة والنار ، وتم استحضارهما بطريقة إبداعية تلفت الانتباه ، حتى بلغ به الأمر أن أنشأ قصيدة على لسان الجان في هذه الرسالة (41) ، وقسم المبعين – الشعراء – في مراتب يسكنهم في مواقع معينه في الجنهة او النار ويدور على ألسنتها حوارات خيالية بكيفيات إبداعية راقية .

إن ما يهمنا هنا هي اللغة التي أفاد منها الكتاب عامة في صناعتهم لعوالم تختلف عن العوالم التي في الواقع ، القارئ مثلاً لرسالة الغفران يستشعر وجوده في عالم مختلف تماماً ، وفي الوقت نفسه يجد له مقارب في عالم

الواقع ، بمعنى جعل لسياقاته وتخيلاته خيط يربط بين الواقع والخيال ، وهنا تكمن الجمالية ، وشعر المتلقي بجزالة اللغة وفخامتها ، وكأنه مستلة من عالم غير العالم الذي اعتاد عليه ، فوقع على تركيبات جملية تحيل إلى تصورات خيالية خارقة ،للعادي والمألوف ، وهنا تمكن المعري مثلاً من تطويع اللغة لاحتضان العالم المفكر فيه ، والذي يطمح لأن يقدمه للمتلقين .

الرواية /القص ، عندما تأتي بمقاربة للعالم والإنسان ' فإنها تتمثل كوناً خاصاً بها ، وتتلبّس عباءة اللغة ، لتظهر بكيفية مميزة ولافتة ، اللغة هي الشكل الحاضن والصانع لما سيذوب فيها ، ويسعى الروائي والكاتب عندما ينخرط في مثل هذه الكتابات إلى التكيّف مع الوقائع وينسلّ عبر مرجعياته وثقافته لينهل من اللغة ما يتناسب مع ما يعتقده وينوي الكتابة فيه ، وعليه أن يكون بارعا في التحرك في مساحات الخيال لديه ، والنص سيكون فيما بعد انعكاسا لسعة خياله وقدرته على استحضار عوالم مختلفة يمكن أن يصورها ويرسمها بالكلمات .

قد يسأل سائل لماذا هذا الابتعاد عن اللغة المتداولة ن والخرق والاختراق للمساحات الللغوية المتاحة ، لماذا على الكاتب ان يخلق لغة تليق وترتفع لمستوىالخيال ؟ وبالنتيجـة لماذا ( الفانتازيا ) . أن تقول الواقع ، كما هو فهذا ليس من شرائط الإبداع ، ولا يقود إليه ، ولا يسجل لصالحه ، حيث الإبداع ينطوي في كمونه الداخلي ، وفي أعماقه على الخلق المختلف على غير مثال ، حيث " في أعماق الفانتازيافي القص الحديث ثمة شك بخصوص العالم الذي تنتمي إليه _ أهو هذا العالم أم عالم مغاير تماماً ؟ " (42) . المتلقي لعالم فانتازي يبدأ في التشكك في العالم الذي عرفه وتعايش معه ، ومن هنا يساوره الشك فيما هو عليه ، وبالتالي يبدأ في الترحل والتفكير في هذا الطارئ ، ويذهب إلى محاولة فهمه والتفاعل معه ، وقد يتقبله أو يرفضه ، وذلك بعد معاينته ، لكنه في أثناء معالجاته لهذا المعالم الجديد عليه ، ذهنياً ، غالبا ما يتقبله ويتصوره لأن المساحة التي يشتغل عليها ، أثناء القراءة هي مساحة حلمية ، غالبا .

اللغة عندما تتعامل مع المدهش والغريب تنفتح على آفاق أخرى ، جديدة مختلفة في آن ، وفي المقابل تبني تصورات تستحث اللآخر على العبور إلى الأعماق والتفكر ، وتحثه على تغيير مسار التفكير وآليات التعامل مع النص ، فهو في مثل هذه الحالة إزاء بناء تختلف معابره ، وتختلف طبيعة بنياته ، ويضفي على النفس إيقاعاً تتلذذ النفس باكتناه أبعاده وتصوره ورؤاه ، ومن هنا يصبح المتلقي قارئاً من نوع خاص ، لا سيما عندما يجد نفسه مجبراً على تعديل أفق القراءة لديه .

**المستويات اللغوية في رواية ( آدم الجديد)**

يود الباحث الحالي أن يشير ابتداءً إلى أن الروائي تجنب استخدام العامية في نصه الروائي ، وبدلاً من هذا حاول تبسيط السياقات ما أمكن محاولة لمناسبة المقال للحال ، ولشعوره بأن الفصحى هي الأكثر وصولاً لأكبر قدر ممكن من الناس ، في العالم العربي على الأقل ، ليعطي موضوعه ونصوصه أكبر اهتمام ممكن من الناس ، ثم لشعوره بأنه يعيش في بلاد تتصف بالحضارة ، وينخرط في عالم يفترض أن يكون الأكثر تقدماً ، معرفياً وحضارياً ، إضافة لانتمائه لحضارة راقية لها جذورها ، فيبدو وكأنه في هذا الأمر يتسق مع نفسه ، بوصفه مثقفاً ، ومع المحيط الذي يعيش فيه وينتمي إليه ، وربما أخيراً لتجنب إشكالية الكتابة بالفصحى او العامية ، والجلية التي تدور حول هذه المسألة ، وعبر المستويات المختلفة يتجله البعد القيمي للغة في النص الإبداعي عامة ، والرواية خاصة ، إذ " لا تعتبر اللغة مجرد ألفاظ كما هو معروف لدى بعض الدراسات اللغوية ن لا سيما منها تلك التي تتبنىالرؤية التجريدية ، وغنما هي حقيقة ذات أبعاد نفسية وعقلية تحتضن كل ما يكتب بلسانها وتطبعه بطابعها " (43) .

وكثيرة هي الدراسات التي راحت تربط ، وتقيم علاقة بين اللغة والأبعاد السلوكية والنفسية للشخصيات في الرواية و القصة و الشعر، حيث اللغة عندما تتحول إلى كلام ، وتصبح نصاً ، تحتضن قدرا كبيرا من الدلالات التي تعكس حالة المبدع ، فهذا الباحث المسدي يفرد دراسة خاصة حول الشابي في هذا الاتجاه وأسماها ( مع الشابي بين المقول الشعري والملفوظ النفسي ) ويببين فيها المتقابلات الضاغطة من حصار الواقع الذي يتضافر فيه تسلط المستعمر وتردد الشعب على وعي الشاعر ، وحصار الزمن ، وكيف تجمع الماضي والحاضر على إحساس النفس ليدفع بها إلى رؤية المستقبل (44) ، ومثل هذا نجده في الرواية موضوع بحثنا هذا ، وكيف أن الحروب والانتكاسات الإنسانية وأزمة الإنسان ومزالقه المختلفة ، الفكرية والسياسية والاقتصادية ... كانت ضاغطة على نفسية الكاتب ، وعلى نفسية الشخصيات التي تم انتقاؤها وتوظيفها في هذا العمل ، بحي كانت اللغة تشكل معبراً هاماً لدراسة وفهم سلوكيات معينة لدى الشخصيات ، التي تقترب أو تبتعد من النماذج المعيشة في الواقع الإنساني .

1 - **اللغة الفصيحة ألأقرب إلى التداول** :

حاول الكاتب في هذه الرواية أن يستثمر مستويات لغوية مختلفة ، وفي هذا المستوى حاول الاقتراب من اللغة المتداولة لدى الناس ، لكنها ترتفع في مستواها عن اللغة المحكية ، وفي ذلك محاولة منه لإدخال المتلقين إلى النص

بسلاسة ويسر ، ودون الحاجة إلى الرجوع لمعاني كلمات ومرجعيات مرهقة للبحث عن الافكار التي يحاول بثها في النص . هي ليست مباشرة تماماً ، فيها بعض الإيحاء الشفيف القريب من التصور والتمثل .

إن توسلاته – المؤلف – بتقنيات السرد الحداثية أفادته كثيراً هنا ، ليجعل ذاكرةالمتلقي تتمركز حول الشخصيات المحكي عنها ، فجعل نفسه محايداً عندما استثمر ضمير الغائب ، وجعل الحديث على لسان الراوي بأنماطه المتعددة ، لكن الغالب كان استخدام ( ضمير الغائب ) ، ومثالنا على ذلك السياق التالي في تقديمه لتوصيفات تتعلق بالشخصية المركزية : " لم يعش في الصين ، بل عاش فيها ، ولم يزر الكاريبي ، لكنه ولد هناك ، شئ لا يطاق ن يدرك ما يقولون ، ويعرف نفسه ، ولا يدرك من هو ، لكن الوقت يخادعه أيضاً ..."(45). وعندما يتكلم على شخصية الطبيب المعالج للشخصية المركزية ، يقدم المؤلف الراوي بنمط ضمير الغائب أيضاً من خلالا السياق : " لم يكن يحب أن يستبق الأحداث قبل أن يمهد لمريضه القبول بالأمر الواقع ، من غير أن يُحدث له هزة عميقة ، أو إن كان ولا بد من الصدمة فلتكن وفق رأيه على مراحل ، ولكي يحقق هدفه في ضمان نجاح تجربته الجديدة التي لم يسبقه إليها أحد من قبل ، فإنه كثّف اتصالاته بشخصيات كانت ذات علاقة بكل هؤلاء الذين تحدثوا إليه بكامل وعيهم "(46).

بدا السارد هنا بلغة بسيطة قريبة من اللغة الإخبارية والتي تنقل أحداثا ومشاهد ، وترسمها على الذاكرة من خلال الكلمات ، وقد تمكن الراوي هنا من استبطان وجهةنظر الطبيب وما يريد أن يقدمه في مشروعه ، وبلغة قريبة إلى المنطق والعلم ، وهي لغة قريبة هنا من لغة الطبيب المثقف ، والعالم النفسي الذي راح يقدم وجهة نظر المريض والناس من حوله ، وبدت اللغة حاضنة ، وواصفة لأبعاد الشخصية المختلفة .

اللغة بهذه الكيفيات الأسلوبية يمكن لها أن تكون حاضنة لأكبر قدر ممكن من المعارف ، المراد إيصالها بيسر وسهولة للآخرين ، ولأكبر شريحة ممكنة من الناس ، ويمكن لها أن تحتضن في الوقت نفسه إمكانيات لافتة ، لا سيما الأحداث التي يراد إحداث مقاربة لها ليتمثلها المتلقي باكبر قدر ممكن من السلاسة ، وتاخذه بتدرج ودون عناء لتمثل مشاهد يقدمها الراوي وتصبح جسر عبور له لتمثل ما وراء الواقع الذي سنتحدث عنها في اللغةالعلمية المستخدمة في النص.

إن اختيار المشفى مكاناً لبعض اشخصيات ، واقصد هنا على وجه الغالب ،الشخصية المركزية وما يحيط بها ، نجد ان عوالم الطب والاستشفاء ، وعوالم المريض والمعالج تفرض نمطاص محددا من القول ، ونمطاً من

الأفكار التي يمكن ان يودعها الروائي في لغته ، فيكون عليه التقاط بعض الكلمات والسياقات التي تهم لغة التداول في مثل هذه الأمكنة ، إضافة لما تستدعيه مثل هذه الأمكنة من طقسيات نفسية وروحية معينة ترافق الحالات المرضية .

من الطبيعي إذا أن نجد اللغة التواصلية ، الأقرب إلى التداول والمباشرة والبعيدة عن التعقيد، لتناسب الحالة والوضع ، لكن هذا يستدعي دربة خاصة ودراية معينة لنقل اللغة إلى مستويات دلالية أخرى عند الاستخدام ، وذلك لتخدم استراتيجية النص والهدف منه ، وطالما أن الحدث المركزي هو تجميع خلايا وجينات من اجساد مختلفة ، فهذا يستدعي وجود كلمات تشير إلى التجارب والعمليات الجراحية والأدوات ، إضافة للممرض الطبيب ...الخ ، يقع الآن العبء على المؤلف في كيفية استحضار سياقات تحمل المتلقين أثناء القراءة على تمثل الحالة من جهة ، وتقديم سياقات تحملهم على الترحل عبر الخيال في رحلة لما وراء الواقع ، وهذا يتناسب مع كون الرواية تبحث في موضوع علمي خارق للعادة ومدهش ، ويؤسس لرؤى فيما وراء الأشياء والعالم .

الطبيب عندما يتكلم إلى المريض على سرير المستشفى ، وهو مسجى بين الصحو والغياب ، تنفلت منه لغة مباشرة ، لغة فيها التخاطب الواضح وتبدو تواصلية ، لكنها في الوقت نفسه صادمة للقارئيين ن عندما يجدون أنفسهم في تخيل لما ينتجه كلام الطبيب ، فها هو يخاطب مريضه قائلاً: " إن علاقتي بك تمتد إلى زمن بعيد، فهذا الجسد الذي يحمله آدم أنت ، جسدك الذي شككت فيه يتألف من أعضاء أُخذت من عشرات الأشخاص ، أناس ماتوا بحوادث مختلفة ، أنسجة حية ، إن جزءا مثل اليد تجمع من عشرة أشخاص أو اكثر ، كذلك الأمعاء والمعدة والكبد ، حتى تجمع لدي جسد كامل يمكن أن أركبه في شخص واحد " (47) ، وفي مكان آخر نجد السياق التالي ، وهو يرد على لسان الراوي : " كأنّ ما حدث كان بالأمس فقط ، منذ يوم أو يومين على أكثر احتمال ، شهر أو سنة مدة الغيبوبة عن الوعي ، لا شيءفي المشفى يشير إلى التاريخ ما عدا الأرقام والسنوات في رأسه " (48)
.

ويمكن أن نجد سياقاً آخر يحكي ويشير إلى الوجود في المستشفى وهو : " في هذه الأثناء – المعالجة – بدأ الدواء يسري في الجسد المضطرب " (49) .لا يمكن في مثل هذا الحوار ، أو في مثل هذه التعبيرات النصية أن تكون اللغة خيالية أو مشبعة بالصور الفنية والانحرافات السياقية ، هو يحاول إنسان بشري مريض ، ولغته لغة طبيب مثقف وعالم ، يحاول الطبيب أن

يذكر المريض بقدم العلاقة معه ، وهنا مع مجمل الأعضاء لديه ، ويخفي في طيات كلامه أنه يشير إلى قضية علمية نابعة من صميم عمله بوصفه جراحا وعالما في الأنسجة وتجميع الأعضاء ، والمتلقي عندما يتلقى هذه السياقات سيثور في ذهنه استحالة تجميع عشرات الأعضاء في يد او رجل أوالكبد ... فيبدأ بالاندهاش والتوسل بالخيال ليرى ما وراء الكلام ، وما يختفي وراءالسياق من معاني ، ليصل إلى نتيجة مؤداها أنه امام حالة لا واقعية وغريبة ومدهة ، ويفود لذلك كيفيات التجميع لهذا الجسد الغريب ... فلغة الطبيب على بساطتها تخفي في طياتها لغة حافلة بالمعاني وتحث على التفكير، وهي واضحة في سياق الحالة الراهنة للمريض ، وهو على سرير الشفاء في المشفى .

**2 - اللغة العلمية :**

تتضح بعض السياقات اللغوية وتظهر مشبعة بالكلمات المختارة والمنتقاة من المعجم اللغوي العلمي ، وطبيعة الموضوع هي التي غالبا ما تفرض معجما بعينه على الكاتب ، إضافة للعصر الذي يعيش فيه ، ثم اننا نظيف هنا حساسية الكاتب ليس للواقع المعاصر الذي يعيشه ، وإنما ذهب إلى تمثل المستقبل واستشرافه ، ومن هنا راح يتوسل بلغة تتفق والحالة هذه ، من حيث أنه راح يتوقع ما يمكن أن يكون من أبحاث وتجارب واختراعات ، وبناء على ذلك ذهب إلى توقع لغة معينة تناسب الزمن الاستباقي ، فتخيل في ذهنيته وذاكرته معجماً لغويا رافداً ، ويمكن له أن يغطي الإمكانيات التي يمكن استثمارها في الرواية ، شكلاً ومضموناً .

ولشعور المؤلف بضغط التسارع الزمني ، وإمكانيةالكتابة من المستقبل ، والذهاب إليه ، قام بإفراد لوحة كاملة ، تبدو كأنها مما يسمى قصة الإطار وإن جاءت شبه معزولة عن الرواية ، وقام بتسميتها(قصة من عام 2784) (50)، وبهذا أراد أن يزج بمتلقيه إى أزمنة قادمة ، وينتشله أو يخلصه من الزمن الآني والواقعي ، وطبيعي أن تكون الأحداث والشخوص واللغة هنا مختلفة ومتنوعة . ثم أن السارد يحاول أن يشعر المتلقي بأن الشخصية المركزية والشخوص الآخرين هم في أجواء علمية ، ويتعاملون في طقسيات خاضعة لتجارب العلمية ، ومن هنا تكون لغتهم وسلوكياتهم وفق هذه المقاييس ، ففي إحدى الحوارات يذكر السارد مخاطبا المريض بقوله : " عزيزي آدم المستقبل ... آدم الجديد... إنك لن تفهمني مالم تقبل الوضع الجديد الذي وضعك فيه العلم الحديث المتطور ، المنبثق من حضارة أفها خالد وكارل ، ومسميات أخرى تعايشت وامتزجت دون أن تنصهر تماما، فجاء دور العلم ليجعلها تذوب مع بعضها ، وتكوِّن كتلة واحدة يصعب الفصل

بينها ، إني كما تعرف البروفيسور (ج . حونسون) أمريكي من أصل بريطاني ، املك أكبر مشـفى في ( نيويورك) ، وآخر في (هونـج كونج) ، وثالثا ضخماً في لندن" (51).

الكلام السابق يحيل دون كبير عناء إلى عوالم حضارية لافتة ، وإلى أن ( البروفيسور) الطبيب من الشخصيات العلمية الكبيرة والذي يستثمر عن طريق علمه وأمواله ، ولهذا يمتلك المشافي في دول متقدمة حضارياً وفكرياً ، ولينقل لنا مدى إمكانياته وتقدمه في علوم الطب بشكل عام ، والجراحة والأنسجة بشكل خاص ، هذا السياق اللغوي ينطوي على معلومات إخبارية ، وتنقل لنا أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الطبيب والمريض والأجواء التي تسير فيها الاحداث ، ومن هنا لم يكن في الكلام الحواري إلا البعد التواصلي بأسلوب علمي ومباشر يخلو من التصويرات الفنية والإيغال في الغموض ، وما إلى ذلك ؛ فكلمات مثل ( آدم الجديد ) مثلاً تحيل إلى وجود تدخل في بنية هذا الإنسان وتكوينه ليكون بمواصفات تقنية وخلقية مختلفة عن آدم الذي نعرفه – القديم - ، ثم أن الوصف له با ( آدم المستقبل) ، يبدو منه أنه قد يكون ، أو تم تكوينه بإرادة قصدية لزمان آخر ولمكان آخر ليس واقعياً ولا معاصراً ، بل تم تجهيزه لوظائف ومهام مستقبلية ، وفقاً لمسيرة العلم ، اللغة هنا تقفز بك إلى عالم آخر سيكون ، وتحثك على الانفلات من العالم الكائن ، وهذا بالطبع من استراتيجيات النص المتجاوز والمتخطي ، فنياً وموضوعياً .

هذه اللغة تفرز أسلوباً يتلطف في تناول الواقع ، ويسحب المتلقي بهدؤ إلى عوالم افتراضية ويعاود نفسه للتفكر واستخراج العبر بعد أن يغيب في البحث عن الدلالات الكامنة في سياقات النص ، الغرابة هنا على حد تعبير حازم القرطاجني " لا تعني الشئ الذي لم تره العيون ولم تسمعه الآذان ؛ إنها على العكس متعلقة بشئ معروف ومألوف ، إلا أنه منسي ومدفون في أعماق النفس " (52).

ثم ما يلفت الانتباه في اللغة العلمية هنا أنها تقدم على صيغة إعلامية خبرية ، وهي أقرب في بعض المواقع إلى اللغة الصحفية ، ويمكن أن نجد تبريراً لهذه المسألة كون الحدث الذي يتعامل معه الكاتب غريباً ، ويريد أن يقدم خبراً عنه ، وتصوراً مشفوعاً برؤية علمية ما ليؤسس لبعد إقناعي يقود المتلقي علمياً ومنطقياً وبسلاسة للأحداث الغريبة التي ستقع ، قبل انزلاقه إلى لغة أخرى تجعله – المتلقي – يفارق القول ؛ بهذا الأسلوب المتوسل بمثل هذه اللغة ، يكون الخطاب السردي الذي يقدم الحكاية أكثر توافقاً مع جنس القص والرواية ، كونها حريصة أسلوبياً على تقديم مشاهد معينة يمكن تصورها في ذاكرة المتلقين .

يصبح الخبر المقدم في هذا البعد اللغوي الإجرائي والتقني للنص الروائي بمثابة الفن الذي يحتاج إلى دربة خاصة ، وقد التفت لمثل هذه المسائل الفنية غير ناقد ، في القديم والحديث ؛ فهذا محمد مشبال يذكر : " لاحتظ أكثر من باحث معاصر أن فن الخبر شهد مع الجاحظ ( - 255هـ ) عناية بالوظيفة الأدبية ؛ تجلّى ذلك في الهيمنة الواضحة لمكونات الخطاب السردي على حساب الحكاية أو محتوىالخبر ، كالتركيز على الوصف الداخلي والخارجي ، والحوار، والمكان، والزمان ، وغيرها من المكونات والسمات التي ينتقل بها الخبر من وظيفة الإعلام وتوصيل المعرفة إلى وظيفة الإمتاع والتخييل وتشكييل معان إنسانية وعلمية وخلقية " (53) .

اللغة بهذه الكيفية تحتضن ممكنات القول بأكبر قدر ممكن من العطاء ، وتكون موافقة لمقتضى الحال ، وتنسل الأحداث والأقوال إلى داخلها فتكون اكثر طواعية للذوبان في سياقاتها التي تنبني لخدمة دلالات معينة يريدها منشئ النص . وقد كان توظيف مثل هذه اللغة العلمية والقريبة من الإخبارية والمباشرة متوازناً ولم يغرق الكاتب فيجعلها تتسلط على مجمل النص ، فكان حريصا على توظيفها في المواقع المحددة التي يمكن أن تستخدم فيها .

**3- اللغة المتشظية الخارجة عن المألوف:**

القارئ لسياقات النص الروائي ، موضوع البحث ،سيقع على سياقات تبدو غير منظقية ، ولا تتسق مع الواقع ، وتثير إشكالية على مستوى المفهوم والدلالة ، لكن إذا ما تجاوز عتبات الحرف ، وتعمق في مكنوناتها ودلالاتها سيصل إلى المعاني المرادة والمقصودة لها . نحن نعلم ، عند اطلاعنا على المضمونات التي تثيرها الرواية اننا بصدد عوالم واأحداث تحاول الرواية أن تؤسس لها وتنجزها ، وهي ، في بعضها ، يقع في المتخيل السردي ، والحلمي ن والاستشرافي ، وتحيل إلى مسائل شائكة علمية وحضارية ، وتحاول في الوقت نفسه أن توظف الغرائبي والعجائبي واللامعقول ، كما سلف ، من هنا نفترض التعامل مع هكذا نصوص بآليات تفكير وتحليل مختلفة عن العادي والمألوف ، وسنجد لزاماً علينا البحث في ممكنات تحليلية وقرائية أخرى .

إن قراءة النص التالي من الرواية ، والذي يبدو غير متسق ، يفرض علينا البحث ما أمكن في ما يرمي إليه من دلالة ، وهذا النص على سبيل التمثيل نجده في الحوار :

**" صباح الخير**

**جود مورننك**

**جود مون**

**شلوم شلومخا**
**بوينس دياس**
**تاوان تاوان**
**شوان... خالد... موشي... بل... أنا ...هؤلاء ... هو..هم..أنا..**
**كأن يديَّ ليستا هما، قدماي أيضاً ، لا ينكر أنه حقيقة موجودة ، بل شخص في أكثر من واحد، ولكن لم هو؟ اختلاط الأزمان ، قد يكون هناك خطأما – ماشهو لو يسيدير- " (54).**
كما نجد النص التالي :
" ممرضة فاتنة حسناء تقف على رأسه – المريض - ، أمامها عربة لفطوره او غذائه ، وعلى بعد منها بضع ممرضات يحيينه :
**هاو آر يو**
**فينت**
**كوماستاس دي سالوت**
**ني هاو ما ...**
**أنت موشي ... شمي موشي ..اسمي خالد .. ، والعام هو 1973 ، والدك يهودي ، يملك صحيفة البولتكن ، الصحيفة الأوسع انتشاراً في كوبنهاغن .. كنت على متن دبابة ترسل التقارير الصحفية ثم حدث انفجار هائل ، فكيف انتقلت إلى الصين ، ومظاهرات عام 1986.. هل العالم يعيش الان عام 1986 أم 1973وإلا كيف تكون كارلوس ...تداخلات أم تناسخ أرواح حل بك أيها الأمير "(55).**

تبدو اللغة هنا والسياقات مرتبكة ، غير متسقة ، متشظية ، ومنالصعب إيجاد العلاقات المنطقية بينها ، لكن الذي سينقلها غلى المنطق والممكن هو العيش في داخل اللغة ، والبحث في أعماق النص متجاوزين المعاني السطحية لها.

الأمر ينجلي بعد قراءة العمل بكليته ، حيث التناول الجزئي سيُخلّ بالمعاني والمكونات ، ويجعلنا قاصرين عن اللحاق بالمعاني ، لكن عندما نعرف أن المتحدث هو الطبيب الجراح ، وصاحب الخبرة العالية في علم الجينات ، وأن المريض الذي يمثل الشخصية المركزية في هذا الحوار هو مجمل شخوص في شخص واحد ، ومجمّع من شظايا أجساد ، وخلايا المخ لديه انسجة تعود لأكثر من مخ بشري من مختلف الأقطار ...الخ .

سنجد بعد إعمال الفكر في هذه اللغة أن من الممكن ، خياليا ، أن يكون هذا ، فلسانه ليس لسانه الذي ينتمي لجنس أو عرق بعينه ، فهو : عربي ومسلمم ويهودي وصيني وهندي وامريكي وبريطاني ... ولهذا تكون لغته متشعبة ، مختلفة ، غير متسقة ، إضافة إلى لعبة السرد التي يبرع في

استخدامها الروائي هنا ، ويحاول استثمار طرائق السرد الحديثة ، لا سيما تلك التي تقوم على الإسترجاع ، وتيار الوعي ، وضمير الغائب وضمير المتكلم ، ومسرحةالأحداث عن طرق استخدام تقنية شاهد العيان التي ترد على لسان الراوي أحيانا، كل هذا وربما غيره يحملنا بعد قراءة العمل على تمثل هذه الحالة ، وبالتالي الموازنة بين مقولاتها وسرودها ، وما تعنيه في مرجعية الشخصية المتكلمة من جهة ، ومرجعية وثقافة الروائي من جهة أخرى ، وهذا يملي علينا ، بوصفنا قارئين حزم دلالية كبيرة ، يصير من الأجدى البحث في مكنوناتها الداخلية .

الحضارة التي نعيش وتحولاتها تفرز لغات ، وسلوكيات ، وطرائق تفكير ، ثم إن التقدم التقني والصناعي ، وما عاشته الشخصية ، ويعيشه الإنسان ، من انفلات لكثير من القيم والمعايير التقليدية القديمة ، ثم إن الصناعات والآلات والريبوتات ... خلقت وتخلق أنماطاً بشرية لها ميول وتفكيرات تختلف ويمكن أن تختلف باستمرار تبعاً للتحوالت العلمية المتسارعة والهائلة ، مثل هذه الرواية ، وغيرها من الروايات التي تختط المنهج نفسه ، تحاول عبر اللغة أن تقدم مدى أثر العولمة والتقدم الحضاري والصناعي على الإنسان خاصة ، ومن هنا يبرز الحلم لدى المثقفين والمفكرين والفلاسفة ...الخ بأن يخلصوا العالم مما يعلق به من شوائب تجلبها الحضارة العبثية غير المنظمة ، التي لا تأخذ بعين الاعتبار قيمة الإنسان ووجوده في هذا الكون ، بمعنى هناك رؤية مرعبة لما يمكن أن يكون عليه الكون في القادم من العصور ، اللغة المشحونة بالدلالات هنا تحاول أن تنقل للمتلقين مثل هذا الشعور ، وتحث على التفكير في أيجاد المخلص من المزلق الحضاري الخطير الذي يهدد الإنسانية .

يقول محمد مشبال " أما العلم فهو الذي صيّر أمور الحياة بهذا الشكل ، بحيث أصبح الإنسان لا يساوي شيئاً يذكر داخل حلزونيته " (56) . ويبلغ الأسى مداه عندما يتساءل مفكر آخر ، عن مصير الإنسان ، إن بقي أسيراً للآلة والتقنية والحضارة المتسارعة بهذه الكيفية السلبية ، فيقول : " هل نحن دمي صنعت في جهاز محاكاة إلكتروني ، بينما نصنع نحن بدورنا دمى اخرى ؟ " (57) . التشظي ، وعدميةالاتساق النسقي في الكلام ناجم عن وضع المتكلم ، الشخصية هنا ، المريض في النصين السابقين عندما ينطلق على لسانه سياقات من هذا القبيل تكعس وجوده ومفهوماته وسلوكاته في هذا الحياة ، فإذا كان نتاج تجميع شبه آلي ، وضمن تجريبات وتقنينات يمارسها طبيب عليه باسم الحضارة والتقدم العلمي ، فإنه يصير إنسانا مشوهاً، وبالتالي ستكون اللغة الواردة على لسانه مشوهة هي الأخرى ، لكن ما يشفع للروائي في هذا العمل أنه لا يترك الحضارة ،ولا رأي الطبيب هو الفيصل ،

وإنما يبث وجهة نظره ، والخطاب الذي يريد التأسيس له ، من خلال سياقات أخرى تظهر حرصه على خلق إنسان مختلف ، نقي من الشوائب والتلوثات الحضارية السلبية .

اللغة غير النسقية هنا إذا جاءت لتقدم خدمة لمعان كثيرة تقف خلف السياق ، إنه نوع من تطهير العالم وتنقيته ، فغير الممكن يصبح ممكناً ، علىمستوىالحلم والخيال ، على أقل تقدير، ولم يكتف الروائي بتقديم هذا المستوى اللغوي على لسان الشخوص ، بل حاول أن يظهر في مواقع أخرى من الرواية مدى تشظي الذات الإنسانية في واقعها ، ومدى التمزق الذي تعانيه من جراء ما يجري في العالم من تخريب .

إن فعل التشظي يبلغ مداه عندما تصرخ الشخصية ( آدم الجديد) في ذاته والآخرين : " كفى أهو حلم أم يقظة ؟ " (58) ، فيظهر أنه يتمزق ويعيش متشظياً بين حالتين : الواقع واللاواقع ، الصحو والحلم ، لذا يبقى أسيراً للتوتر والقلق والتأزم ، تماما كما هو حال الإنسان في الوجود أما ما يجري من قضايا في العالم ويصعب عليه فهم ما يجري ،فيرتد لذاته أويصرخ أو يمارس أية أفعال قد لاتليق به بوصفه إنساناً .

3 - **لغة التقارير والمذكرات** :

يمكن أن نصف أساليب الكتابة لهذين النوعين من الكتابة بالبساطة والمباشرة ، ويبدو الهدف منهما إيصال المعلومة المستقاة من وقائع مختلفة أو أحداث بيسر وسهولة ، وبالتالي تكون اللغة الحاضنة لهما قريبة التناول ما أمكن ، وأقرب إلى المنطق والعلم ، وبعيدة عن الخيال .

يعرف بعض الدارسين التقرير بأنه : " ضرب من ضروب الكتابة الوظيفية يتضمن قدراً من الحقائق والمعلومات حول موضوع معين ، أو شخص معين ، أو حالة معينة ، بناء على طلب محدد ، أو نفقاً لغرض مقصود " (59). وهذا ما تتصف به اللوحات النهائية للرواية ، موضوع بحثنا هنا ، مما سنبينه بعد قليل . أما المذكرات ، فهي إضافة لما ذكر تنطوي على الرصد الزمني للأحداث والوقائع وتسجيلها بشكل متدرج ، لتنقل ماضي الحدث أو الشخصية ، ويمكن معاودة ما فيها فيما بعد ، كي لا تتعرض للضياع والتلف والنسيان ، وفي الوقت نفسه تعطي تصوراً معيناً عن حياة شخصية معينة أو واقعه معينة عبر تاريخها . وقد حاول غير باحث إحداث مقاربة تعريفية لليوميات والتمذكرات عند قوله : " هي الكتابات التي ندون فيها الأحداث التي جرت معنا و أثرت فينا و على محيطنا في الماضي البعيد أو القريب. أي أننا نستذكر ماضينا و من ثم نكتبها. نحنُ لا نكتب في مذكراتنا ما نعيشها الآن، بل ما عشناها فيما مضى من أحداث مؤثرة، مثل الحروب و

الصراعات و العمليات و المواقف المؤثرة أو حتى التقاءنا بشخصيات كبيرة أو مراحل مهمة من حياتنا " (60) .

تبدأ اللوحات من ( 8- 10) في نهايات الرواية بتغيير مسارات السرد ، ويصبح تدخل الكاتب لافتاً فيها ، وإن كان الحديث على لسان الراوي بأنماطه المختلفة ، ولكن سيطر في اللوحة الثامنة مثلاً على مجمل المحكي فيها تقنية الراوي بضمير المتكلم ، وهنا لا يحتاج إلى سبر أغوار الشخصية بقدر ما يقدم الراوي معلومات ، ثم لا يحتاج إلى تسريع السرد زمنياً ولا الدخول في متاهات التقنيات الاخرى التي تستدعي الاسترجاع وتيار الوعي ..إلخ ، ومثال ذلك يمكن أن نقسم اللوحات ، أسلوبياً ، إلى نوعين ، اللوحة الثامنة اتخذت شكل الرسالة/المذكرة ، بينما اتخذت اللوحتان ( التاسعة والعاشرة ) نمط المذكرة والتقرير ، وهذا ما سنبينه تالياً .

لوحة الرسالة /المذكرة :

نجد العتبةالأولى الاستهلالية للوحة تبدأ بالـسياق : "عزيزي آدم المـستقبل .. آدم الـجديد .."(61) ، ومباشرة بعد ذلك يبدأ الكلام على لسان الراوي بضمير المتكلم : "إنك تعرف نفسك بعدة اسماء : خالد ، موشي ، بل ، كارل ، اسماء طويلة ومألوفة ، مع أنك تدرك جيداً أنك تنتمي إلى أرومة واحدة هي الجنس البشري ، المتمثل بالرمز آدم ، لذلك كله أرجو أن تدع لي حرية الاختيار ، في أن أخاطبك بهذا الاسم الذي يرمز إلى تلاقي أكثر من حضارة ، ويدل على أصل واحد انحدر منه العرق البشري " (62) ، وتتجسد هنا شخصية الطبيب المعالج في الراوي ، فيبدو الكلام صادراً من صاحب المشروع الذي يحلم بصنع إنسان له مواصفات خاصة تليق وتنسجم مع متطلبات المستقبل الإنساني . هذا الحوار يلفت الانتباه في مسائل عدة ، لعل من أهمها : أن الطبيب يريد ان يعطي رسالة للمخلوق الجديد ( آدم ) الذي ابتناه من خلايا واجساد وذاكرات متعددة ، يطمح في أنها تختزل جنس آدم منذ اليوم حتى ميلاد آدم وخلقه الأول ، ولهذا جعله رمزاً حسب ما ورد على لسانه قبل قليل ، ثم الرسالة التي يوجهها إلى هذا المسمى (آدم ) والمسجى على السرير ، وهو في مرحلة الاستشفاء ، ويلاحظ عليه بوادر النجاح والمعافاه ، التي راحت تلوح في الأفق ، وهذا يعني نجاح التجربة – تجربة الطبيب – وبالتالي نجاح الحلم ، الذي سيقود الأمن والسعادة والرخاء للبشرية ، وينطوي فيها رسالة إلى البشرية جمعاء فيما يمكن أن تكون عليه في القادم من الأيام ، ثم يلفت الانتباه ، ان الراوي يريد سلب حرية الاختيار من المريض في التسمية ، وربما في أشياء أخرى ، وهنا يبدو أن الطبيب يريد أن يكيّف الشخصية وفق مسارات محددة لا يكون فيها إلا الخير والأمن والسلامة للبشرية ، وبالتالي يحاول إنجاز مخلوق يخلو من الشر ، ويكون

الهدف الاستراتيجي للنص هنا متحققا ، وهو التطهير ،حسب التعبير المسرحي .

المشهد الذي يتقدم هنا ، يفيد مثل هذا التوجه ، ويلفت انتباه الدارس الحالي لهذه الرواية أيضاً ، أن الرسالة الشفوية التي يبدأ إنجازها في سياقات هذه اللوحة تلقى إلقاء على المعني بالرسالة ، وفي الوقت نفسه لا يتكلم ، او يرد من يتوجه إليه الرسالة ، وهذا يعني استسلام الشخصية – المريض هنا – لإرادة وتعليمات توجه إليه عبر الرسالة من محدثه ، وتبدو النوايا الخيرة عبر السياقات الشفوية المرسلة ، ولعل هذا ما يبرر تقبل المريض لما يتلى عليه في الرسالة ، إضافة لكون حالته المرضية في هذه المرحلة قد لاتساعده على الرد .

الرسالة نفسها تتحول عبر منتجها السياقي ، إلى رسالة تتضمن مذكرات وأحداث سابقة ، يحاول المتحدث أن يذكر بها السامع ، ويلفت انتباهه لها ، ليستثير فيه غريزة التعاطف والقبول ، من جهة ، ولكي يطمئن لما يمكن ان يكون عليه جسده وذاكرته بعد أن يبدأ عبور العالم ، بشكل جديد /حديث ، ويكون له آليات تفكير وتعامل مع العالم لم يعتد عليها .

تحاول الرسالة أن توضح ل (آدم ) الجديد أن عليه أن ينسلخ ما أمكن مما كان ، والعبور فيما يكون ، والتهيؤ للمرحلة القادمة ، ومن هنا يكون التبرير لحضور ماضي الشخصية المتوافرة الآن والمتجمعة من كيانا متعددة ، فها هو يذكر له عبر الرسالة ما يلي : " اسمك الجديد الذي أمنحك إياه – يعني آدم الجديد- وأظنك ستحبه بمرور الزمن ، سوف يحف لغز زمن غامض واضح ، تعاني منه ، لأنك لا تعيش بصفتك بل عام 1966 ، أو فرانس المنتحر في عام 1956 ، ، أو في أي عام آخر ، كما تتصور ذلك عام 1976 ، نحن الآن نعيش عام 1995 ، بالضبط في اليوم الأول من الشهر الرابع ، إنك لن تفهمني ما لم تقبل الوضع الجديد الذي وضعك فيه العلم الحديث المتطور " (63) ، وبالطبع هذا الزمن الأخير يشير إلى الشريط الزمني الذي ينغلق على نهايات الرواية الزمانية .

مجرد ذكر هذه التواريخ عبر الرسالة الشفوية الملقاة على المريض ، يقف المتلقي على ماضي الشخصية ، فيتداخل ، وفق هذه الأسلوبية ، جنس المذكرة مع جنس الرسالة ، وتتشابك المفهومات لإنتاج نص متداخل يخدم مسار الرواية التي نحن بصددها . ولم يكتف منشئ النص بذلك بل يدفع بسياقات أخرى تفيد وتذكر بماضي الشخصية ، موضوع خطاب الرسالة ، وها هو النص والكلام على لسان الطبيب ينفتح على السياق التالي ، الذي يؤيد ما ذهبنا إليه : " إن علاقتي بك تمتد إلى زمن بعيد ، فهذا الجسد الذي يحمله آدم أنت جسدك الذي ككت فيه ، يتألف من أعضاء أخذت من عشرات

الأشخاص ...سوف أبدأ معك من حيث تريد ، لكني أوضح لك أنك ستون عديم الفائدة كونك ميتاً ، فلم لا أبعث فيك الحياة بصيغة جديدة ، لأن كل الظروف ستكون في خدمتي .. زرت فيتنام خلال الحرب والصين ، وضعت خبرتي بأيدي الجميع من دون أن أفرق بين شيوعي أو رأس مالي ، عربي أو يهودي ، هدفي الوحيد أن أمزج العربي بالعبري والبو1ي مع المسيحي ، فسألت نفسي إن الإنسان المتعدد خلق حضارة واحدة ، فهل يمكنني أن أخلق إنسانا واحداً من مجمل حضارات؟ لم لا يكون هناك آدم جديد؟ "(64).

هذا السياق وغيره في الرسالة يبين تاريخ الشخصية ( المريض ) ويظهر ماضيها ، وفي الوقت نفسه يبين تاريخ الراوي الطبيب وماضيه ، وتندمج المعطيات معاً لإنتاج هدف أسمى للرواية ، يطمح إليه الراوي ، وقد يبدو هذا بعد دراسة وجهةالنظر في الرواية بكليتها ، أنه يمكن الوصول لفكر الروائي ، وكأني به يريد أن يقدم خطاباً مختلفاً للإنسانية ، ومشروعاً طموحاً ، فيه الدعوة إلى التغيير من الأفكار والسلوكيات والمفاهيم وآليات التعامل ، لفهم العالم من جديد وبطرائق تجلب له السعادة والخير . فتبدو الرواية انعكاس لشخصية الكاتب ، ويفوح منها تاريخ وسسيرةالذات الكاتبة ، وسيرورة الأحداث في هذا النص الروائي تقود إلى ما يظهر سرد لأحداث وظروف عاشتها الشخصية المركزية والشخصيات المرافقة والمساندة لها ، لكن البعد الفني فيها ، وانحيازها – نصيا- باتجاه اللامعقول ، والفانتازيا ، والغرائبية ، أنقذها من وصف السيرة الذاتية التقليدية ، فاللقطات التاريخية ، والمشاهد المختلفة ، قدمت بطرائق سردية متنوعة تشي بوجود مرموزات ودلالات أوسع من دلالات السيرة الذاتية ، ذلك أن " التعرّف إلى السيرة الذاتية لا يأتي بالنظر غلى المضمون بل إلى طرق بناء النص الروائي ، ومن النقاط التي يحددها النقاد للتعرفّف على السيرة الذاتية ، شكل التبيئير ، أو زاوية النظر – وجهةالنظر- والضمير المستعمل في السرد ، وذكر الميلاد ، وتفاصيل الأحوال الشخصية للشخصيات والموت وعلاقة المكونن الروائي إجمالا بالزمن والفضاء وغير ذلك " (65) . ووفق هذا المفهوم ، يجد الباحث التالي أن النص الروائي الذي بين أيدينا يقع في السيرة الذاتية وخارجها في الوقت نفسه ، بل كانت بعض مشاهد السيرة تشكل عبوراً لعوالم أخرى يقصد إليها النص ، وفي هذا منحى يلفت الانتباه لدى القارئين ، لتبدأ انشغالاته القرائية في الدلالات التي يمكن أن توجد خلف السياقات الفنية وغير الفنية .

أسلوب الرسالة ، بهذه الكيفية ، اختزل الكثير من الكلام ، ليعطي الروائي بهذا النهج ، أكبر قدر ممكن من ماضي الشخصية وحاضرها وما يمكن ان تكون عليه في المستقبل ، وبث في السياقات أبعاد رمزية تبدا باسم آدم وتمر عبر الأحداث في التواريخ سالفة الذكر وما تخللها من وقائع وظروف ،

وانتهاء بالخلق الجديد الذي يفرض ،أو يمكن أن يخلق معطيات جديدة ومختلفة للعالم والحياة ، وبالنتيجة يصبح من الممكن ، ولو خيالياً التنبؤ بوجود عالم جديد ، وحضارة جديدة ، خالية من القهر والظلم والشر ...الخ .

ثم إن الروائي عبر منتج هذه الرسالة قدم لنا ، بوصفنا متلقين ، بدايات ونهايات المسافة الزمنية الرحبة ، تلك التي حدث فيها انشغالات وأحداث ، لا تهم شريح معينة من الناس ، بل حاول أن يقدم أحداثا ومشاهد تؤثر في مساحر البشرية جمعاء ، فحرب 1956 ، وما تضمنه العدوان الثلاث على مصر، وما أعقبه ، له أثر واضح على مسار الاقتصاد العالمي وتحول القوى العظمى ، وارتباكاتها بعد إغلاق قناة السويس والصراعات الدموية وغير الدموية التي أفرزتها ، ثم حرب فيتنام الطويلة ، والتي استنزفت قدرات بشرية هائلة وضحايا ، وهزت العالم بمنتجاتها ، وخلخلت بنيات تفكير القوى العظمى ، كذلك فيما آلت إليه بعض مفهومات من سقوط وتراجع ، مثل الحرية ،والديمقراطية ، والعدالة ، الاجتماعية ،وحقوق الإنسان ..الخ ، فهد انهارت مفاهيم وصعدت أخرى ، وهنا يتضح مدى تداخل الفكر الأيديلوجي في بناء مثل هذه النصوص ، ومدى حضورها أثناء قراءة الرواية .

أما اللوحة التاسعة والعاشرة فقد سيطر عليها رؤية مختلفة ، وكانت أقرب إلى ضخ اكبر قدر ممكن من المعلومات عنالشخصية المركزية وظروفها وما كانت عليه في السابق ، وما يمكن أن تكون عليه في المستقبل ، وكان يبدو في سياق الحديث وجود كم من التعليمات والتوضيحات الواجب اتباعها مستقبلا ، ولعل هذا يقبل ، أو يمكن له أن يبرر كون المتكلم هو الطبيب المعالج الذي يتمثل دور الناصح والمرشد ، وهذا يمكن ان يكون جزءا من الوصفات العلاجية ، لكنها وصفات ، إضافة للوصفات المادية من حبوب وأدوية ...الخ ، تتخذ شكل المعالجات النفسية والروحية ، وصولاً لإعداد جسد وروح ضمن مواصفات معينة .

أما بالنسبة للوحتين (التاسعة والعاشرة) ، فإن العتبات السردية فيها ، والاستهلالات خاصة تشير إلى أسلوب المذكرات بشكل خالص ، وكأن المتلقي أمام مدونة نصية تستقي معلوماتها من مفكرة خاصة بالشخصية ، لكن هنا علينا أن نلتفت إلى أن هذه المفكرة هي تجميع لعوالم، ولشخوص ، ولأحداث ، متناثرة ومتشظية في حيوات مختلفة ، ودليلنا على هذا أن الشخصية المركزية ، آدم الجديد ، هو في الأساس تجميع لخلايا وشظايا من أجساد مختلفة ، وبهذا يكون لدينا في موضوعة المفكرة التي تسجل يوميات الطبيب ، وتصبح مدونة عن يوميات ما يحدث للمريض المسجى ، الخاضع للتعديل الخلقي ويتلقى العلاج اللازم ، وتصبح المعلومات اخباراً يزج بها الروائي هنا ، وتقدم لنا وجبة جاهزة على لسان الراوي ، هي عبارة عن

مكونات للشخصية المركزية ، التي هي في الحقيقة شخصيات قبل التجميع ، وبشكل أدق نحن أمام مفكرات في مفكرة واحدة ، وأمام إشكالية التأريخ لتواريخ مختلفة ، وأمام أزمنة وأفضية وأحداث وسلوكيات تتجمع عبر ماضي الشخصية /الشخصيات ، فالمعلومات التي نطلع عليها في هذه المفردة هي مجموع يذوب في فرد ، ومعلومات في كتاب ( المفكرة) إن جاز التعبير ، وهذا يجعلنا على اشتباك – أثناء القراءة مع عوالم عدة وتواريخ عدة ، ومرجعيات عدة ...الخ.

تبدأ هاتان اللوحتان بتوزيعة نمطية للوحات داخلية أصغر ، ويتصدر كل لوحة مصغرة بتسجيل اليوم والتاريخ لأحداث وقعت في الماضي ، يختار أياماً بعينهاً من مجمل أيام ، بمعنى أن الروائي أسقط الأيام التي لا يريدها ، أو لاتعني له شيئاً في هذا المسار ، ولا تخدم النص ، فنجد مثلاً الافتتاحيات التالية (66)، ففي اللوحة المصغرة الأولى نجد : " أوراق من مفكرة (ج) الخميس 22مارس 1966 ، المكان فيتنام الجنوبية مشفى هانوي " وفي الثانية ننجد : ( 13 أكتوبر عام 1973 " وفي الثالثة " 12 أكتوبر 1976 " وفي الثالثة " 12 أكتوبر 1976 " ، وفي الرابعة "الأربعاء 2 نوفمبر 1986 " وفي الخامسة : " الجمعة 11 فبراير 1990 : المكان بوينس آيرس " وفي السادسة " الثلاثاء 4 يونيه 1996 " ، ثم تتسارع الأيام – اليوميات في المفكرة فنجد السابعة " الأربعاء 5يونيه" وفيها سطر واحد ، والثامنة وفيها سطر واحد وهي " الخميس 6 يونيه 1996 " ويختم باللوحة العاشرة " السبت 22يونيه 1996 " . المتلقي لهذه السياقات النصية يقف أمام مفكرة وكانه يقلب صفحاتها ، وتبدو مستلة من مفكرة الطبيب ( ج ) وهو الذي يدير السرد هنا ويقدم الأحداث بوصفه راوياً وبضمير المتكلم والغائب ، ويتراوح في الحديث عن ذاته وعن المريض ، وهما قطبا المسألة في المفكرة /اليوميات .

الروائي ، وبهذه العتبات النصية التي صدر بها اللوحات ، يقدم أحدوثات ، وأخبار ، ويوميات تم التركيز عليها ، وتسجل مفاصل زمانية ومكانية في حياة الشخصية التي يسلط عليها الضوء ، والمراحل التي يمكن ان تقدم عوالم بعينها تفيد الناقد ، والمتلقي ، في الوقوف على الدلالات المثارة في النص الروائي ، لاسيما الجانب الذي يتعلق بتجربة الطبيب ، هذه التجربة التي تشكل تحولا ، عند نجاحها في مسار البشرية تجمعاء ، وبهذا يصبح النص الروائي هنا نصا متجاوزاً الإقليم والمنطقة ، والفئة ، وحتى الشعب والأمة ، تصبح الرواية بهذه المعالجات رواية عالمية بكل معنة الكلمة ، ومن هنا جاء التركيز ، موضوعياً ، على فترات النجاح ، والتحول على جسد وروح آدم الجديد ، واسلوب المذكرات واليوميات ، على مافيها من مزالق ،

قد تبعدها عن الفنية ، والانحرافات المتوقع تواجدها عند التعامل الفني مع نص إبداعي ، إلا أنها تمكنت – أسلوبية المذكرات – من إعطاء فكرة عامة ومهمة عن مسار الرواية ، وأصبحت جنساً مضافاً لجنس الرواية ، لتقدم خدمة في الموضوع ، والمتلقي حقيقة يشعر في قراءاته للوحات الأخيرة بهذا الإحساس ، وأجواء الابتعاد قليلا عن جو النص الروائي ، للوهلة الأولى ، لكنه سرعان ما يعاود عند استذكار ما قرأ من لوحات سابقة ، ويجد أنها يمكن أن تقدم شيئاً على مستوى الدلالة والرمز ، وتخدم استراتيجيات النص الروائي موضوع البحث .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، وإنما يتعداه ليبث الراوي عبر مسيرة السرد بعض الأفكار الأساسية والمهة في توجيه النص ، وصولاً إلا إنتاج وجهة نظر معينة ، وهي هنا تصب في وضع الإنسان بعامة على هذا الكوكب ، من حيث اختيار وقائع بعينها ، وتخيل وقائع أخرى يمكن أن تكون وتضاف إلى تاريخ الشخصية المركزية والشخصيات المحيطة بها ، الرواي عبر هذه الرؤيا ينسل من مرجعيات متعددة ، ومن ثقافات مختلفة لحضارات عدة ، ويحاول في الوقت نفسه أن يبثها بشكل لا يمكن أن تكون متطابقة في الواقع ، إنه يعيد – إن جاز التعبير – انتاج حضارة شاملة للإنسانية ، وعامة في إفادتها ، بعيداً عن التناقضات والاختلافات الفكرية والعقائدية ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بوساطة التوسل بالخيال ، والفانتازيا ، والعبور إلى ما وراء الواقع ، استناداً على الغرائبية والعجائبية ، وفي هذا المنحى يشكل عبة ذوقية جاذبة ، لتحصيل المتعة واللذة في القراءة ، وبالتالي التفكر لإنتاج نص آخر على النص، وفي هذه الأساليب تأخذ الكتابة الإبداعية مداها في التوسع وإعادة انتاج الرؤى والأفكار لدىالآخرين .

إذا عرفنا أن من أهداف المسرح التطهير ، وتنقيةالنفس الإنسانية من الشرور والأضرار، لصالح الخير ، وإقامة العدل والحياة الكريمة للإنسان ، يغدو هدف مثل هذه الروايات سامياً ويثير معالجات إنسانية وكونية يُعتد بها ، وبهذا تبتعد عن أسلوب غسداء التعليمات والإرشادات التقليدية والفوقية ، إن مسرحة بعض المقاطع ، عبر تقديم مشاهد بعينها ، وبتقنية شاهد العيان المحايد ، تحيل إلى أن المشاهد القبل لمسرحةالحدث تكون أكثر تمثلاً في الذاكرة الإنسانية المتلقية ، وأكثر إثارة للتعاطف والتفاعل ، ومن هنا يصبح فعل التطهير حسب ارسطو وبعض المنظرين للعالم المسرحي ، اكثر أهمية ،" حيث يمثل المسرح النافذة الأولى التي حاول الغنسان من خلالها أن يعبر عن علاقته معالآخر ، وبالتالي فقد جاءت هذه الوظيفة للمسرح – التطهير- مؤثرة في سلوكيات الإنسان وما يمكن أن يتشربه من المشاهدات التي يمكن أن تبني له أفكارا وتهدم أخرى "(67).

إن دخول المشهد المسرحي هنا على النص الروائي يثري النص ، ويعطي دفعات قوية للأبعاد الفنية فيه ، ويصبح قابلا للتمثل ، ويحمل المتلقي على المقاربة بين ماكان وما يمكن أن يكون ، وفي الوقت نفسه سكتشف المتلقي عر مسار القراءة بواطن الخلل والنقص في مسار الحياة الإنسانية ، هنا ، في مجتمع الرواية ، على أقل تقدير ، وبالتالي يبدو المؤلف وكانه ينقل بعض النقود السلبية والإيجابية للكائن الإجتماعي ، ويحاول النهوض به لتجنب كل ما من شأنه أن يضربالحياة الإنسانية ، وفي ذلك أسمى آيات النبل الإنساني ، ويجسد بهذا فكرة التطهير التي سبقت الإشارة إليها.

***

**الهوامش**

1 - Uneversity press. Cornell,Russian, ametappoetcs Seteiner Peter.London 1983-p.44/45.

2 - مالكولم براد بري وجيمس ماكفرلن ، الحداثة ج1 ترجمة مؤيد حسن فوزي ص 237.

3 - الحداثة ص 240/239.

4 - عسكر ( قصي ) روايات وقصص من الخيال العلمي ، القاهرة ، دار شمس ،2010.

5 - فورستر (إم ) ، أركان الرواية ، ترجمة موسى عاصي ، طرابلس/لبنان ، جروس برسال ضمن تعريفه للقصة والوراية في المقدمة.

6 - الزعبي (أحمد) ، وراء الضبع

7 - الزعبي (أحمد)، العنة ،

8 - الزعبي (أحمد) ، صم بكم عمي ،

9 - الزعبي (أحمد) ، لعنات شاكر ونعاس فارس ، ضمن الأعمال الكاملة ، منشورات وزارة الثقافة الأردنية ، 2006 .

10 - ابن عرفة ( عبدالعزيز) ، تبادل التقنيات والتيمات الروائية ، مجلة كتابات معاصرة ، المجلد 11، ع 43، 2001 ، ص 62.

11 - تودوروف (تزفتيان) ، مدخل إلىالأدب العجائبي ،القاهرة ، دار شرقيات ، 1994، ص88.

12 - رولان ( دوروف ) وفرانسواز بارو ، موسوعة علم النفس ، ترجمة فؤاد شاهين ، بيروت ، دار عويدات ، 1997 ، ص437.

13 - المصدر السابق ، ص437.

14 - عسكر (قصي) ، الرواية ، روايات وقصص من الخيال العلمي ،ص354.

15 - فحماوي (صبحي ) ، الاسكندرية 2050 ، القاهرة ،

16 - عسكر ( قصي) ، روايات وقصص من الخيال العلمي ، ص111 وما بعدها.

17 - المصدر السابق ، ص42 .

18 - المصدر السابق ،ص42.

19 - الحداثة ج1 ص71.

20 - الحداثة ج1 ص71.

21 - البقرة : 260.
21 – توينبي ( أرنولد) ، إيقاعية التاريخ والحضارة الواحدة ، ترجمة نبهان الهاشم ، مجلة كتابات معاصرة ، المجلد الأول ، ع 2 ، 1989.
22 - عسكر (قصي) ، روايات وقصص من الخيال العلمي، ص51.
23 - المصدر السابق، ص 53.
24 - كافكا ، الصرصور ،
25 - سارتر (جان بول ) ، الغثيان ،
26 - جبرا ( ابراهيم جبرا) ، الغرف الأخرى ،
27 - بركات ( سليم) ، فقهاء الظلام
28 - زين الدين (نوال ) ، اللامعقول والزمن المطلق في مسرح توفيق الحكيم ، القاهرة، الهيئة المصرية ، 1998،ص190.
29 - إسلين ( مارتن) ، دراما اللامعقول ،ترجمة صدقي عبدالله حطاب ، الكويت ، وزارةالإرشاد، 1997 ، ص7.
30 - عسكر (قصي) ، روايات وقصص من الخيال العلمي ،ص 41.
31 - المصدر السابق ، ص 42/41.
32 - المصدر السابق ، ص 20.
33 - المصدر السابق ، ص21..
34 - المصدر السابق ، ص18.
35 - المصدر السابق ،ص19.
36 - المصدر السابق ص 19.
37 - المصدر السابق ، ص18.
38 - حليفي (شعيبي ) بنيات العجائبي في الرواية العربية ، مجلة فصول ، ع ، 1997، ص19/118.
39 - الأندلسي ( ابن شهيد) ،رسالة التوابع والزوابع ، تحقيق بطرس البستاني ، بيروت دار صادر، 1967.
40 - المعري ( أبو العلاء) ، رسالة الغفران ، تحقيق محمد عزت نصرالله ، بيروت ، المكتبةالثقافية ،د.ت .
41 - المصدر السابق ن راجع مثلا القصيدة : ص 128 وما بعدها ، ومطلعها :

**مكة أقوت من بني الدردبيس فما لجنيٍّ بها من حسيس**

42 - آيتر( ت . ي ) ، أدب الفانتازيا ، مدخل إلى الواقع ، ترجمة صبار السعدون ، بغداد ، دار المأمون ، 1989 ،ص13.
43 - بوخالفة (فتحي) ، لغة النقد الأدبي الحديث ، اربد ، عالم الكتب الحديث ، 2012، ص146.
44 - المسدي ( عبدالسلام ) قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ، تونس، دار الجنوب ، 1984، ص58.
45 - قصي (عسكر) ، روايات وقصص من الخيال العلمي ، ص10.
46 - المصدر السابق ، ص47.
47 - المصدر السابق ، ص 54.
48 - المصدر السابق ، ص 24.
49 - المصدر السابق ، ص 45.
50 - المصدر السابق ، ص 111 وما بعدها .

51 - المصدر السابق ، ص 53.
52 - القرطاجني (حازم) ، منهاج البلغاء ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، د.ت ، ص 90.
53 - مشبال ( محمد ) ، السرد العربي القديم والغرابة المتعلقة ، مجلةالراوي ، ع 22، 2010 ، ص28.
54 - قصي (عسكر) ،روايات وقصص من الخيال العلمي ، ص 9.
55 - المصدر السابق 10/9.
56 - مشبال ( محمد) ، السرد العربي القديم والغرابة المتعلقة ، ص 61.
57 - غاينيو ( جان ) أدب الخيال العلمي ، ترجمة ميشال خوري ، دمشق ، دار طلاس ، 1990 ، ص 85.
58 - قصي (عسكر) ، روايات وقصص من الخيال العلمي ، ص51.
59 - الشنطي (محمد صالح) ، فن التحرير العربي ، ضوابطه وأنماطه ، ط 8، حائل/السعودية، دار الأندلس ، 2010، ص169.
60 - جان ( بولان ) ،فن كتابة اليوميات ، صحيفة الحوار المتمدن ، العدد 2768، تاريخ 912010/13 .
61 - قصي (عسكر) ، روايات وقصص من الخيال العلمي ، ص53.
62 - المصدر السابق ، ص 53.
63 - المصدر السابق ، ص 53 .
64 - المصدر السابق ، ص 55/54.
65 - سنفوفة (علال ) ، بنية المحكي السير-ذاتي في رواية (وشم على الصدر) لعثمان سعدي، مجلة دراسات أدبية ، الجزائر ، ع 6 ، 2010، ص 53.
66 - قصي (عسكر) ، روايات وقصص من الخيال العلمي ، 58 وما بعدها .
67 - مراشدة (عبدالرحيم ) وقاسم الحمد ، فن الكتابة والتعبير ، إربد ، منشورات جامعة جدارا، مكتبةالطلبة ، 1999، ص 47.

## المصادر والمراجع

ابن عرفة ( عبدالعزيز) ، تبادل التقنيات والتيمات الروائية ، مجلة كتابات معاصرة ، المجلد 11، ع 43، 2001 .
إسلين ( مارتن) ، دراما اللامعقول ،ترجمة صدقي عبدالله حطاب ، الكويت ، وزارةالإرشاد، 1997.
الأندلسي ( ابن شهيد) ،رسالة التوابع والزوابع ، تحقيق بطرس البستاني ، بيروت دار صادر، 1967.
الزعبي (أحمد) ، لعنات شاكر ونعاس فارس ، ضمن الأعمال الكاملة ، منشورات وزارة الثقافة الأردنية ، 2006 .
المسدي ( عبدالسلام ) قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، تونس، دار الجنوب ، 1984.

المعري ( أبو العلاء) ، رسالة الغفران ، تحقيق محمد عزت نصرالله ، بيروت ، المكتبةالثقافية ،د.ت .
الهاشم ، مجلة كتابات معاصرة ، المجلد الأول ، ع 2 ، 1989.
آيتر( ت . ي ) ، أدب الفانتازيا ، مدخل إلى الواقع ، ترجمة صبار السعدون ، بغداد ، دار المأمون ، 1989.
بوخالفة (فتحي) ، لغة النقد الأدبي الحديث ، اربد ، عالم الكتب الحديث ، 2012.
(تزفتيان) ، مدخل إلىالأدب العجائبي ،القاهرة ، دار شرقيات ، 1994.
توينبي ( أرنولد) ، إيقاعية التاريخ والحضارة الواحدة ، ترجمة نبهان
حليفي (شعيبي ) بنيات العجائبي في الرواية العربية ، مجلة فصول ، ع19 ، 1997.
رولان ( دوروف ) وفرانسواز بارو ، موسوعة علم النفس ، ترجمة فؤاد شاهين ، بيروت ، دار عويدات ، 1997.
زين الدين (نوال ) ، اللامعقول والزمن المطلق في مسرح توفيق الحكيم ، القاهرة، الهيئة المصرية ، 1998.
عسكر ( قصي ) روايات وقصص من الخيال العلمي ، القاهرة ، دار شمس ،2010.
فورستر (إم ) ، أركان الرواية ، ترجمة موسى عاصي ، طرابلس/لبنان .
فحماوي (صبحي ) ، الاسكندرية 2050 ، القاهرة ،
مالكولم براد بري وجيمس ماكفرلن ، الحداثة ج1 ترجمة مؤيد حسن فوزي.

Uneversity press. Cornell,Russian, ametappoetcs Seteiner Peter.London 1983

# لغة السرد في الكتابة النسائية

**الدكتور خالد بوزياني**
**أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر**

**إن ثمة قراءات تفعل بنا فعل الكتابة وتوصلنا إلى حيث لا نتوقع (أحلام مستغانمي)**

**ملخص البحث:**
تتمحور إشكالية الموضوع في مدى تحول اللغة في الرواية النسائية المعاصرة من مستوى الخطاب التواصلي الآني إلى لغة تحطم وتهدم وتتحول لتعطي شكلا جديدا للغوص في متاهات الذات والكشف عن المتناقضات النفسية والاجتماعية وهدم الموروث الثقافي المتمركز في سلطة ذكورية اللغة.

إن الموقف الخطابي هنا يستلزم وجود قواعد لعبة تفرضها ضرورة التعايش بين الأنا والآخر، فتصبح اللغة حينئذ غطاء يخفي وراءه حقائق قاسية أو ربما غير مناسبة في المواجهة بينهما وإن كان الموقف الخطابي يكشف ويعري الحقائق بين الكلمة والصمت.

إن هذه اللعبة التحاورية قلبت وحولت موازين المنطق في لغة الخطاب السردي بين ما نقوله أي ما تعنيه الكلمات ظاهريا ، وبين ما تعنيه الساردة بلغة إيحائية أي التأثير الذي تحاول متعمدة إحداثه في المتلقي من خلال إدراكه لهذا المقصد.

لقد استرجعت الساردة كل اختيارات استعمال الكلمات، من خلال جملة من التقابلات الضدية تتمحور في واقع مفعم بالصراعات، صراعات بين الرفض والقبول بين الثورة والاستسلام بين إثبات الذات وبين متاهات المجهول والنسيان، فتتحول اللغة إلى جسد والقراءة إلى لذة أو ما يطلق عليها (رولان بارث) لذة النص.

**محاور البحث:**

- سيميائية العنوان وأبعاده الإيحائية في فوضى الحواس
- تحولات اللغة من مستوى التخاطب الآني إلى مستوى اللغة الشعرية
- لذة النص وعناق الكلمات  قراءة في ثنائية النص والجسد في فوضى الحواس

**الكلمات المفتاحية للبحث:**
القراءة ـ التلقي ـ النص ـ الإيحاء ـ الانزياح ـ العتبات النصية ـ السيميائية

## 1 - سيميائية العنوان وأبعاده الإيحائية في فوضى الحواس:

لقد أصبح الخطاب الروائي المعاصر منظومة فكرية وجمالية متكاملة، ينفذ من خلالها الكتاب إلى تشريح الواقع بأدوات فنية تتيح لهم معرفة ما يجري حولهم من تطورات إيديولوجية وسياسية واجتماعية.
إن قراءة معمقة لفوضى الحواس تجعلنا ندرك أن الكاتبة تتمتع بمعرفة واسعة بتلك الطرحات النظرية التي اهتمت بالتقنيات المعاصرة في الكتابة الروائية، فطبقتها بطريقة عجيبة.
وهنا لا أريد في هذه البحث أن أتكلم عن الجانب النظري حول العتبات النصية وما كتب في ذلك من أطروحات وبحوث ودراسات في البلاد الغربية والعربية، ولكن دراستي تدخل في حيز الدراسات التطبيقية البحتة، والتي أردت من خلالها  أن أبحث في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي عن علاقة العنوان كأول عتبة للنص بالأبعاد الدلالية داخل المتن الروائي.
وهنا أجدني أطرح جملة من الأسئلة اللازمة والملحة في مثل هذه الدراسة، فما دلالة الحواس بمجمل الأحداث الروائية التي قدمتها إلينا الساردة؟ وإلى ما تحيلنا مدلولات لفظة "فوضى" وهل الانفعالات والأحاسيس والمشاعر يحكمها سلطان المنطق؟ أم أن السياقات والمواقف المعقدة هي التي فرضت على الحواس ترتيبها الخاص؟
إن الساردة كما قالت لم تجهد نفسها كثيرا في العثور على عنوان الرواية"[1] ولو أنها بحثت عن عنوان آخر لروايتها لما وفقت في ذلك، فالعنوان متغلغل في أحشاء المتن الروائي ومتصل به ودلالاته متواترة فيه بشكل يشدنا ضمنيا إلى أول عتبة فيه.
وبقراءة أولية لعنوان الرواية نشعر في تتبعنا لعبارة فوضى الحواس نوع من العنف   الممارس على القارئ بحيث يشده إلى التطلع بالقوة على فوضوية هذه الحواس.
إن تواتر العنوان بهذه الطريقة الانزياحية يخرق المنطق والمعقول من خلال ما تحمله هذه العتبة من علامات تكشف عن طبيعة الصراع بين الانفعالات الشهوانية وبين الرغبة في اكتشاف الذات، عبر العتبات النصية وما تحمله من مفارقات سيميائية عجيبة، توحي بدلالات تنأى بالنص من مستوى التبليغ

---

[1] ـ أحلام مستغانمي رواية فوضى الحواس دار الآداب الطبعة العاشرة بيروت 2000 ص 27

إلى مستوى تتمتع فيه السادرة بلذة عناق النص بحواس لا تعرف سوى ترتيبها الخاص.
يقول (رولان بارث) R.Barthes :"لذة النص هي تلك اللحظة التي يتبع فيها جسدي أفكاره الخاصة، لأن جسدي لا يملك الأفكار نفسها التي أملكها"[2]
فمنذ الوهلة الأولى تربط الساردة بين العنوان وبين أحداث الرواية مستعملة عبارة "ألغام الحواس" تقول:"يريد أن يربي حبا وسط ألغام الحواس"[3]، وهذه دلالة على أن هذه الحواس ستنفجر بمجرد الاقتراب منها أو لمسها ولو بحذر.
وبواسطة هذا الاستعمال الاستعاري للعبارة تفك الساردة الأحداث من منطقية العقل المتحكم في الحواس لتتحرر بعد ذلك وتنطلق لتصنع عالمها الخاص، هو الذي كما قالت "بنظرة خلع عنها عقلها".[4]
إن الساردة وفي حركة سريعة تصور لنا تفاعل كل حواسها في بوتقة معقدة ومتشابكة بكلمات قليلة وعبارات مقتضبة وهي تتحدث عن الذي أقود فيها هذه الحواس ابتداء بالحواس الخمس إلى كل أنواع الانفعالات المأساوية والشهوانية والشاعرية قائلة:
ـ"هو الذي يعرف كيف يلامس أنثى" [5] دلالة على حاسة اللمس.
ـ"تمتطي إليه جنونها وتدري للرغبة صهيل داخلي"والصهيل صوت مسموع وإن كان صراخا داخليا.
ـ"هو رجل الوقت سهوا، حبه حالة ضوئية في عتمة الحواس" دلالة على الحاسة البصرية
ـ"هو رجل العطر ليلا" دلالة على حاسة الشم.
ـ"هو الذي يخلع عنها عقلها ويلبسها شفتيه"صورة تتعلق بحاسة ذوقية .
وهكذا تتفاعل الحواس فيما بينها لتصنع عالما داخليا يلامس اللامعقول وينفذ عبر الذاكرة فيدمج الحاضر بالماضي ويحطم منطقية الزمان والمكان ويدمج الأنا بالآخر وتتحول الكلمات إلى جسد والقلب إلى مطفأة للسجائر، ويتحول الرجل إلى زمن، فهو رجل الوقت ليلا وسيد الوقت ليلا ورجل الوقت سهوا[6].

---

1-Roland Barthes ; Le plaisir du texte édition du seuil ;1973 Paris page 27

3 . المصدر نفسه ص 9

4 ـ المصدر نفسه ص 9

5 . المصدر نفسه ص 3

6 . المصدر نفسه ص10-11

وفي فوضوية هذه الحواس تتقاطع جملة من الخطابات التاريخية والسياسية والاجتماعية فيدمج الماضي بما يحمله من رموز الثورة التحريرية بالحاضر بآلام ومآسي الشعب الجزائري في العشرية السوداء. كل هذا يظهر من خلال الإهداء كعتبة ثانية والذي كتبت فيه الروائية قائلة :إلى محمد بوضياف,,,رئيسا وشهيدا,
وإلى سليمان عميرات الذي مات بسكتة قلبية وهو يقرأ الفاتحة على روحه..
وإلى رجال نوفمبر..."[7].

**2 - تحولات اللغة في الخطاب الروائي النسائي**

لقد كانت المرأة في معظم الخطاب الروائي العربي مجرد دمية تحركها أصابع الكتابة الذكورية، مسلوبة الإرادة بدون وعي ولا شعور، خاضعة إلى قرارات أملتها عليها ظروف قاهرة، مستسلمة إلى مصير فرضته عليها قوة الأشياء وسلطة المواقف التي وجدت المرأة نفسها مقحمة فيها بدون مبررات ولا اعتبارات لأسباب وجودها.

من هنا يمكننا أن نطرح جملة من التساؤلات حول اعتبارات وجود الكتابة النسائية ومشروعيتها الفنية كنمط جديد في الكتابة الروائية المعاصرة، وإذا كان الأمر كذلك فعلى أي مستوى من المستويات يمكننا التوصل إلى هذا النمط الجديد؟

لا يمكننا اعتبار المحتوى أساسا للبحث عن هذا النمط في الكتابة الروائية، كون المضامين والمحتويات تتحدد في القصة التي هي بدورها ملفوظ موضوعي، فعلى مستوى الشكل إذن تتدرج المشروعية الفنية للكتابة النسائية.

وهنا أشير إلى أن البحث في هذا المستوى يأخذ حيزا كبيرا ومكثفا من الدراسة والبحث لذا سأتناول قضية واحدة منه فيما يتعلق بتحولات اللغة في الخطاب الروائي النسائي.

**فعل السارد واغتصاب الكلمة**:

إن التجربة الفنية لا تعترف بالصدف فهي تخبئ لنا ما ليس في الحسبان، فالإنسان كما يرى (غاستون باشلار) يمتلك مقدرة نفسانية عظيمة تتجلى في إنتاجية التخيل[8] هذا التخيل الذي يؤدي إلى طمس المعالم التي تفصل بين ما هو ذاتي وبين ما هو موضوعي، فالشخصيات الروائية ما هي إلا نماذج اجتماعية تتحرك في عالم لا يختلف بكثير عن العالم الذي نعيش فيه إنها

---

7 – ينظر إهداء الكاتبة

[8]. ينظر غاستون باشلار ،شاعرية أحلام اليقظة ترجمة جورج سعد الطبعة الثانية المؤسسة الجامعية للنشر بيروت لبنان 1993 ص51

شخصيات تتحرك وتنفعل وتصارع من أجل إثبات الذات إنها وجدت لتواجه مصيرها بنفسها، غير أن هذا المصير في الكتابة الذكورية هو بيد السارد يفعل به ما يشاء ويرسم له الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكه بل ويجعل شخصياته تقول ما يشاء، وهنا نلاحظ أول تمرد ضمني في الكتابة النسائية على هذه الطريقة تقول الساردة:"قبل هذه التجربة لم أكن أتوقع، أن تكون الرواية اغتصابا لغويا يرغم فيه الروائي أبطاله على قول ما يشاء هو، فيأخذ منهم عنوة كل الاعترافات والأقوال التي يريدها لأسباب أنانية غامضة، لا يعرفها هو نفسه، ثم يلقي بهم على ورق، متعبين مشوهين، دون أن يتساءل، تراهم حقا كانوا سيقولون ذلك الكلام، لو أنه منحهم فرصة الحياة خارج كتابه؟"[9]
لقد فتحت الساردة شكلا جديدا في التعامل مع شخصياتها فهي لا تحركها ولا توجهها ولا تدفع بها إلى الخطأ، لقد اندهشت لما قرأت قصتها مرة ثانية وثالثة ولكنها لم يحدث يوما أن تعرفت إلى رجل يشبه هذا الرجل ولا إلى امرأة تشبهها هي إنها تنطق بعكس ما كانت ستقوله الساردة وتتصرف بعكس ما كانت هي ستفعله.[10]

**تقابل الأنا والآخر وتحولات اللغة:**

إن مقاربة الأنا بالآخر تفترض وجود علاقات يحكمها الموقف الخطابي ويحدد شروطها أيضا، ففي الكتابة الذكورية يتجسد الأنا في الرجل والآخر في المرأة، والعكس في الكتابة النسائية، ويتحدد الخطاب الموقفي[11] هنا بمدى فهم الأنا للآخر وفهم الآخر للأنا، وليس ذلك فحسب بل لا بد أن يعرف كل منهما الفكرة التي يحملها كل واحد منهما على الآخر.
إن إقامة جسر من العلاقات للفهم لا يقوم إلا بواسطة الكلمات، فالكلمات وحدها هي التي تغوص في عمق الذات لتكتشف كيانها وأفكارها ورؤيتها لما يجري حولها لتكتشف الساردة بعد ذلك أن تلك الكلمات، ما كانت لغة الآخر فحسب بل كانت أيضا فلسفته في الحياة.[12]
لقد حاولت الساردة أن تشّرح شخصية الآخر عن طريق تشريح الكلمات عندما تصبح الكلمات هي السبيل الوحيد لذلك، لقد" كان هو رجل اللغة

---

9 . أحلام مستغانمي رواية فوضى الحواس دار الآداب الطبعة العاشرة بيروت 2000 ص28

10 . المرجع نفسه ص26

11 . voir; Jean Dubois; Dictionaire de linguistique Matière Situation

12 . الرواية ص20

القاطعة كانت جمله تقتصر على كلمات، تتراوح بين "طبعا" و"حتما" و"دوما" و"قطعا"... أحيانا كان يبدو لها طاغية يلهو بمقصلة اللغة. كان رجلا مأخوذا بالكلمات القاطعة والمواقف الحاسمة. وكانت هي امرأة تجلس على أرجوحة (ربما).فكيف للغة أن تسعهما معا؟"[13]

إن اللغة في إطارها التخاطبي أثناء وضعيات خاصة تفتقد كثيرا من عناصر الوضوح ليختفي كل طرف وراء الكلمات فجملة :كيف أنت تحيل الساردة إلى جملة ثانية يفرضها الموقف الخطابي بقوة وهي: كيف أنت من دوني أنا؟[14] لتشير بذلك إلى تحول الخطاب من مجرد تواصل حميمي إلى صراع فاتر خفي يتدحرج بين الكلام والصمت "كانت تفاضل بين جواب وآخر عندما تنبهت إلى أن جلستهما قد أصبحت فجأة معركة عاطفية صامتة تدار بأسلحة لغوية منتقاة بعناية فائقة"[15].

إن الصمت هنا نوع من اللغة ألم يقولوا إن الصمت علامة الرضا؟ لقد حولت الساردة هذا الصمت الوديع المكلل بالرضا والقبول إلى عنف قاهر تسترد به سلطة الكلمة. تقول الساردة:"الصمت لا يزعجني وإنما أكره الرجال الذين في صمتهم المطبق يشبهون أولئك الذين يغلقون قمصانهم من الزر الأول حتى الزر الأخير كباب كثير الأقفال والمفاتيح بنية إقناعك بأهميتهم"[16]

إن هذا التحول في استرداد حق الكلمة كان من أساسيات الكاتبة النسائية، وعلى حد تعبير الكاتبة (أوديل أزناف Odile Cazenave):"إن سياق الكتابة وأخذ الكلمة قد تغير فالمرأة أقدمت على الكتابة بقوة[17]". وهنا بدأت الكتابة النسائية تشق طريقها نحو تجسيد شكل جديد فقد أصبحت الآن المرأة الكاتبة تعبر عن أفكارها وآرائها وطموحاتها دون أن تكون للكتابة الذكورية وصاية عليها، بل أكثر من ذلك أصبح للكتابة النسائية موقع تتحكم فيه باللغة تقول الساردة:"وهذا الرجل الذي كان يصر على الصمت وأصر أنا على

---

13 . المرجع نفسه ص[18] . 20

14 . المرجع نفسه ص 20

15 . المرجع نفسه ص 21

16 . المرجع نفسه ص 35

17 - voir;Odile Cazenave Vingt ans après Mariama Bâ, nouvelles écritures au féminin
http://www.arts.uwa.edu.au/AFLIT/OdileCazenaveAC.html

استنطاقه ..ها قد جعلته ينطق أخيرا يقول كلاما أردته أنا، فهل هزمته حقا؟"[18].

**لعبة المحادثة وتحول اللغة في الحوار بين الأنا والآخر:**

إن الموقف الخطابي هنا يستلزم وجود قواعد لعبة تفرضها ضرورة التعايش بين الأنا والآخر، فتصبح اللغة حينئذ غطاء يخفي وراءه حقائق قاسية أو ربما غير مناسبة في المواجهة بينهما فالرجل كما تقول الساردة :"هو الذي تنطبق عليه دوما مقولة (أوسكار وايلد) خلق الإنسان اللغة ليخفي بها مشاعره"[19] وإن كان الموقف يكشف ويعري الحقائق بين الكلمة والصمت"مازال كلما تحدث تكسوه اللغة ويعريه الصمت بين الجمل"[20].

إن هذه اللعبة التحاورية قلبت وحوّلت موازين المنطق في الخطاب بين ما نقوله أي ما تعنيه الكلمات ظاهريا وغالبا ما يقع تحت طائلة ما يمكن شرحه وفق شروط الحقيقة، وبين ما نعنيه نحن أي التأثير الذي نحاول متعمدين إحداثه في المتلقي من خلال إدراكه لهذا المقصد. إن الحدث الكلامي من الوجهة التداولية يفترض حسب (غرايس Grice ) أربع قواعد تتحكم في هذا المبدأ[21]:

1 ـ قاعدتا كيف للخبر:

أ ـ لا نقل ما نعتقده خطأ.

ب ـ لا نقل ما يعوزنا في البرهان الكافي.

2 ـ قاعدتا كم للخبر:

أ ـ لتكن إفادتنا للمتلقي على قدر حاجته.

ب ـ لا نجعل إسهامنا أكثر إخبارا مما هو مطلوب.

3 ـ قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال:

ـ وهي أن نجعل إسهامنا على صلة مباشرة بالموضوع.

4 ـ مبدأ الأسلوب / الكيفية:

ـ أن نكون واضحين في : ـ تجنب الإبهام ـ تجنب اللبس ـ الاختصار ـ الانتظام.

---

18 . الرواية ص 32

19 . المرجع نفسه ص 11

20 . المرجع نفسه ص 11

21 . عن مجلة اللغة والأدب لقسم اللغة العربية جامعة الجزائر عدد 17 جانفي 2006 ص 17

إن المنطق الذي يفرضه الموقف والأداء الكلامي ـ حسب التداوليين ـ حولته الساردة إلى منطق آخر فرضته قوة الأشياء وسلطة المواقف، منطق تتحول فيه القواعد المنطقية إلى قواعد لغة تهدم وتحطم من أجل قلب موازين التحكم في اللغة والحوار بل وامتلاك اللغة كلها. تقول الساردة:"يومها حفظَت الدرس جيدا وحاولت أن تخلق لغة جديدة على قياسه، لغة دون علامات استفهام تلك اللعبة تناسبها تماما هي المرأة التي تقف على حافة الشك ويحلو لها أن تجيب ((ربما )) حتى عندما تعني ((نعم))،و((قد)) عندما تقصد((لن))".[22]

إن الدور اللغوي الذي كان ذلك الرجل يتقمصه في استعماله للغة القاطعة التي تتراوح بين "طبعا" و"حتما" و"دوما" و"قطعا" تقمصته الساردة فأصبحت هي صاحبة اللغة القاطعة[23].

لقد استرجعت الساردة كل اختيارات استعمال الكلمات فتحكمها في طريقة الحوار جعلها تستقصي المجهول من خلال بطل روايتها. هذا البطل الذي يحمل سمات شخصية خالد بن طبال أحد أبطال روايتها الأولى تقول:"استوقفني حاملا ذلك الكتاب، قال مازحا وهو يمدني به يبدو لي الآن أيضا أنني أتطابق مع خالد في تلك الرواية."[24]

وبهذا تصبح الكتابة النسائية في مجال الخطاب الروائي نمطا جديدا على مستوى تحول اللغة من الاستعمال الخطابي الحيادي إلى مستوى التحكم في مسار الرواية عبر تلك الكلمات التي تستكشف المجهول للوصول إلى استقصاء متاهات الذات والبحث عن حقائق الأشياء بين المعقول واللامعقول.

**الإيحائية في اللغة السردية:**

لقد حولت الساردة اللغة من نمطها السردي المتموقع في المطابقة إلى لغة شاعرية بفضل التعبير الاستعاري المكثف لتصل إلى أقصى حدود الإيحاء، إن نصوصا من قبيل " **كخطى راقص على أرصفة الشغف تحت مطر السماء كانت الأقدام الحافية تنقل لنا إيقاعها العشقي منتعلة خفة شهوتنا**"[25] وكذلك "**لقد وفرنا لهم أعمارا لن ينفقوها في أوهامنا**"[26] أو عبارة "**سأنتظر موت**

22. الرواية ص 18

23. المرجع نفسه ص72

24. المرجع نفسه ص185

25- الرواية ص287

26- الرواية ص 303

**الأوهام حولك"**[27] وعبارة **"لا يمكن أن نخرج من عتبة الحبر لندخل عتبة الليل"**[28] كلها عبارات شعرية بعيدة كل البعد عن الدرجة الصفر:

| الدرجة الصفر | اللغة السردية | اللغة الشعرية |
|---|---|---|
| **المطابقة** | | **الإيحاء** |

إن انفعالات الساردة تتسارع في بضع كلمات وقليل من العبارات لتتمازج بين الانفعالات الشهوانية والانفعالات الشاعرية في مقطع سردي شاعري تقول:

**" في بهو الحزن الفاخر تعلمي الاختفاء ليلا بالألم ... كضيف مفاجئ.**
**هو ألم فقط.. فلا تستعدي له كما لو كان دمعك الأول.**
**متأخر هذا البكاء، لحزن جاء سابقا لأوانه، كوداع**
**فالوقت وداع .**
**يقول الحب ألو "نعم".**
**وتجيب الحياة:ألو. "لا". والملح يتسرب عبر خط الهاتف يجتاحنا بين استبداد الذاكرة وحياء الوعود تتابع الأشياء رحلتها.. دوننا"**[29].

وفي وصف مشهد مقتل سائق سيارة زوجها العسكري الذي كان يقلها لمشاهدة مدينة قسنطينة من الجسر المعلق، وبينما هي تتأمل المشاهد حتى سمعت طلقات النار مدوية المكان تقول الساردة:**"فجأة خطفتني من أفكاري طلقات نارية كانت على مقربة مني.وهزني دويها بقوة مباغتة،حتى لكأن رصاصها اخترقني"**[30]. وهنا أيضا تتدخل الاستعارة لمشهد احتضار السائق**"شعرت بأنني أقبل يد الموت، الموت الذي سيأخذه، والذي ينتظر الآن فقط بأدب، أن أرفع شفتي عنه ليسحبه ويمضي به"**[31] ونلاحظ هنا عبارة **أقبل يد الموت** وهي استعارة يكتنفها غموض على مستوى تفكيك المدلول الأول لكن عند تفكيكنا للمدلول الثاني وبفضل اللجوء إلى السياق

---

27– الرواية ص 160

28–الرواية ص 161

29. المصدر نفسه ص 330

30. فوضى الحواس ص109

31. المرجع نفسه ص 112

نتوصل إلى أن هناك انفعال قوي وشعور جارف انتابا الساردة في تلك اللحظة فكانت الاستعارة الوسيلة الوحيدة للتعبير على هذا الوقع العاطفي، والموقف نفسه يتكرر في وصف أرملة الكاتب الطاهر جعوط وهي تجهش بالبكاء تقول الساردة:

**"لقد أصبحت في لحظة امرأة لا أعرفها حولتها الفجيعة إلى امرأة أمية، بطقوس حزن بدائية وبنحيب مفاجئ مزق الصمت حولها..أهكذا ماتت الخنساء وهي تبكي أخاها؟ ولِمَ هي تبكي هكذا على كل قبر تصادفه خطاها، أفي كل قبر لها صخر؟"**[32]،

لو حاولنا إعادة ترتيب هذا المقطع السردي لتحول إلى قصيدة نثرية بفعل التكثيف الاستعاري وبفعل تركيز الكاتبة على ما يطلق عليه (جان كوهن) اللغة الشعرية[33]:

**لقد أصبحت في لحظة امرأة لا أعرفها**
**حولتها الفجيعة إلى امرأة أمية،**
**بطقوس حزن بدائية**
**وبنحيب مفاجئ مزق الصمت حولها..**
**أهكذا ماتت الخنساء وهي تبكي أخاها؟**
**ولِمَ هي تبكي هكذا على كل قبر تصادفه خطاها،**
**أفي كل قبر لها صخر؟**

لقد حوّلت الساردة المقاطع السردية إلى قطعة شعرية وإن لم تكن بلا وزن ولا قافية قطعة شعرية قوامها الانفعال أو كما يطلق عليه جان كوهن ( التمثيل العاطفي)"فمصدر اللغة الشعرية لا ينبغي البحث عنه في اختيار الكلمات وفي طريقة ضم بعضها إلى البعض الآخر لأجل تكوين جمل وعبارات ولا في الجرس والإيقاع والقافية والموسيقى ولكن في طريقة التمثيل"[34].

وعليه فإن الانفعال الذي يثيره هذا المقطع السردي يستحق بحق اسم شعر بالإمكان ترتيبه ضمن إحدى مقولات الحياة الانفعالية الفرح والحزن والخوف والأمل.[35]

---

[32]. المرجع نفسه ص 368-369

[33]. ينظر جان كوهن بنية اللغة الشعرية ترجمة محمد الولي ومحمد العمري الطبعة الأولى دار توبقال للنشر الدار البضاء المغرب1986 ص 11-12

[34]. المصدر نفسه ص 179

[35]. ينظر جان كوهن بنية اللغة الشعرية ص 197

وعلى هذا الأساس فإن طبيعة الانفعال الشاعري طبيعة خلاقة بسبب النشاط الحقيقي في تركيب المعاني التي يقوم بها فكر الإنسان وعلى حد تعبير (ببير غيرو)"إن ذهن المؤلف هو نوع من النظام الشمسي يجذب كل شيء إلى مداره"[36] ولذا قيل إن الفنان العبقري لا يبدع إلا في العذاب والشقاء[37].

وليس هذا وحسب بل إن الذكريات بدورها حركت في نفس الساردة تلك الانفعالات الشهوانية لتتبدد أمامها كل القوانين وسلطة المنطق والموروث تقول:"هي التي ضحك البحر لما رآها تبحر على زورق من ورق وترفع الكلمات أشرعة في وجه المنطق"[38] إنها الذات التي تبحث عن حبه تسكنه تلوح بشراعها في أمواج البحر العميق هي الذكريات التي مزقت ثوب الحقيقة هي تلك الذكريات التي حركت فيها الشهوة الأزلية وتستعمل الساردة هنا عبارة:"تفاحة الشهوة"[39] كإقونة دالة على الشهوة الغريزية التي أخرجت آدم وحواء من أبدية النعيم إلى جحيم الدنيا، إنها الرغبات الأبدية الجارفة كما تقول الساردة.[40]

**3 ـ لذة النص وعناق الكلمات قراءة في ثنائية النص والجسد في فوضى الحواس:**

لقد وقعت الساردة في حب بطلها خالد بن طوبال ذلك الكائن الحبري كما وقع (بغماليون) في حب تمثال صنعه بيده، ولا تخفي الساردة هذا الالتصاق بالنص وهي تقول:"إن شهوة الكتابة ولعبتها تغريك بأن تعيش الأشياء لا لمتعتها وإنما لمتعة كتابتها"[41] "إن مشكلة الكاتب أنه لا يقاوم أحيانا شهوة الخروج عن النص والتورط الأدبي مع الحياة حتى في سرير"[42]

"فأين العجب في أن يحب كاتب بطلا من أبطاله حتى يتوهم بدوره أنه موجود في الحياة وأنه حتما سيلتقي به يوما"[43],

---

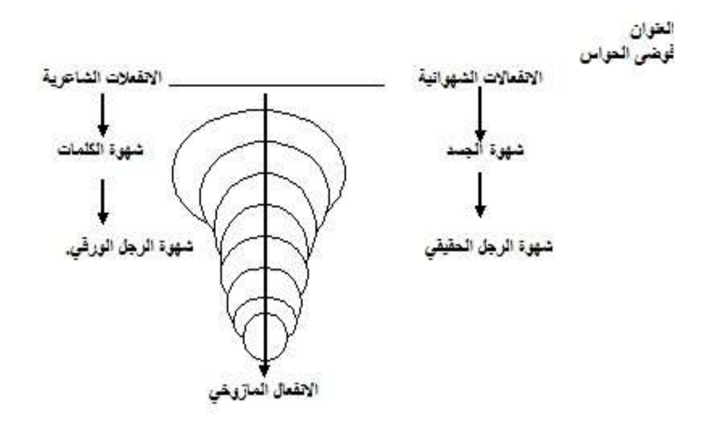
36. ميشال جوزيف شريمدليل الدراسات الأسلوبية ص 21
37. المرجع نفسه
38. الرواية ص 329
39. المصدر نفسه ص 330
40. المصدر نفسه ص 43.
41. – الرواية ص 308
42. – الرواية ص 308
43. – الرواية ص310

لقد كانت الساردة مشدودة إلى فكرة أوصلتها إلى عتبة الجنون عندما تذهب إلى موعد ضربه بطل في قصتها لامرأة أخرى[44].

**الحواس بين الانفعالات الشهوانية والانفعلات الشاعرية:**

**التصفية الذاتية والانفعال المازوخي:**

تتفاعل حواس الساردة في حركة حلزونية تبدأ بدائرة واسعة لتتقلص شيئا فشيئا إلى أن تنتهي نقطة صغيرة بانفعال مازوخي تتم فيه تصفية ذاتية للحواسautodestruction كما هو في هذا الشكل:




إن رواية فوضى الحواس هي عبارة عن التقاء مجموعة من الخطابات تتمثل في تجاربها في الكتابة عبر تفاعلات حواسها وانفعالاتها المختلفة حيث تتفاعل الحواس والعواطف لتنقل هذا الانفعال الشهواني من شهوة الجسد إلى شهوة الكلمات تقول الساردة:"هنالك أيضا تلك الكلمات التي لا لون لها، ذات الشفافية الفاضحة كامرأة خارجة توا من البحر".[45]وهنا تنتقل الساردة من شهوة الرجل الحقيقي إلى شهوة الرجل الورقي.

---

[44]-الرواية ص44

[45]. الرواية ص 32

**تصفية الحواس وعودة المعقول:**

إن مغامرة الحرية أو تلك التجربة الحلم التي عاشتها الساردة وهي تركض وراء حريتها تعيش نشوة الحب السعيد وتتنعم بدفء الحياة بطريقة رومانسية باريسية اصطدمت بجدار الشرعية لتعود من جديد إلى نقطة البداية إلى قسنطينة، قائلة:"الآن أترك عرش الحب خلفي.فالشرعية تناديني..وقسنطينة تنتظرني.والحياة التي استغفلتها وخرجت على قانونها تعيدني إلى بيت الطاعة، متوجة ببريق الذكريات"[46]

وهكذا تنهي الساردة قصتها بانفعال مازوخي يتم بتصفية ذاتية للحواس وهي منزوعة الشهوات. لم يبقى لها من تلك القصة سوى عطرا اختزنه جسدها.[47]

**خاتمة:**

يمكننا اعتبار رواية فوضى الحواس من الروايات التي استخدمت فيها أحلام مستغانمي تقنيات عالية على مستوى الكتابة النسائية المغاربية بصفة خاصة والرواية العربية بصفة عامة بواسطة التداخل النصي بين روايتيها فوضى الحواس وذاكرة الجسد وكان للعتبات النصية دور شاخص في دروب النصوص الروائية ومتاهات فصولها. فكل أحداثها مشدودة دلاليا بأول عتبة في النص ألا وهي العنوان وقد عرفت الكاتبة كيف تلف ذلك كله بخيوط عنكبوتية محكمة الوثاق.

---

[46]. الرواية ص 331[3]

[47]. المصدر نفسه ص 372

**بيبليوغرافيا:**

1 - أحلام مستغانمي رواية فوضى الحواس دار الآداب الطبعة العاشرة بيروت 2000

2 ـ جان كوهن بنية اللغة الشعرية ترجمة محمد الولي ومحمد العمري الطبعة الأولى دار توبقال للنشر الدار البضاء المغرب1986

3 غاستون باشلار ،شاعرية أحلام اليقظة ترجمة جورج سعد الطبعة الثانية المؤسسة الجامعية للنشر بيروت لبنان 1993

4 ـ ميشال جوزيف شريم دليل الدراسات الأسلوبية

5ـ مجلة اللغة والأدب لقسم اللغة العربية جامعة الجزائر عدد 17 جانفي 2006

6- Roland Barthes ; Le plaisir du texte édition du seuil ;1973 Paris

7- Jean Dubois; Dictionaire de linguistique Matière Situation

8-Odile Cazenave Vingt ans après Mariama Bâ, nouvelles écritures au féminin
http://www.arts.uwa.edu.au/AFLIT/OdileCazenaveAC.html

# مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب

**الدكتور سـلام عبد الله محمود عاشور**
أستاذ مشارك في النحو العربي والصرف
جامعة الأقصى / غزة كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية

**ملخص**

**يعرض هذا البحث لتأصيل هذين المصطلحين لغة واصطلاحاً لمعرفة الاستعمال الصحيح لهما، ومدى اتصال أيٍّ منهما بالحضارة العربية الأصيلة، ولقد عدل كثيرٌ من الباحثين عن الأصل، واتبعوا ما يستجد من الغرب بلا تنقيب في إرثنا الحضاري عن مصطلح من المصطلحات يعادل ويوازي المصطلح الغربي، أو أغمضوا العين عما في حضارتنا.**

**ويعرض لما يلاقيه الباحثون من عقبات ومشاكل عند تطبيقه كمصطلح غربي على اللغة العربية، كما ويعرض لبعض الأمثلة توضحه؛ ليستنير الباحثون ويحاولوا وضع الأمر في نصابه.**

**Abstract**

**Language deviation and avoidance in Arabic stylistics.**

**This research explores the origin of these terms of their professional and linguistic use in order to use them properly in addition to identifying their connection to traditional Arab civilization. Many researchers deviated from the traditional and followed Western neologisms without examining our cultural heritage, which have similar terms to Western ones.**

**The paper explores some obstacles and problems when applying western terms to Arabic, while presenting some examples showing how they differ and which ones are better, in order to enlighten researchers and make them use them properly.**

**مقدمة:**

يحرص كثير من النقاد واللغويين على استعمال مصطلح الانزياح في تعاملهم مع النصوص العربية عند تحليلها، وبيان ما بها من مواضع الجمال والإبداع الذي قدمه المُلقي للمتلقي في نص ما، فهل هذا المصطلح أفضل من غيره مما وجد في الثقافة العربية الأصيلةً؟ هذا البحث يحاول وضع إجابة عن هذا السؤال، ويفاضل بين هذين المصطلحين.

وليس معنى هذا أنَّ على العلماء تحميلَ مدلول المصطلح التراثي هذا مدلولات حديثة، وشحنه بطاقات معرفية جديدة، ليست منه بسبب؛ لكي يقوم بعبء التعبير عن المفهوم المعاصر، الذي يحتاجه اللسانيون. فهل عجزت العربية عن وضع مصطلح لما يريدونه؟ أم أنَّ هناك من ينبهر بالمصطلحات الغربية فيذهب إلى ترجمتها ترجمة حرفية، ويفضِّلها على العربية بدلاً من البحث والتنقيب في لغتنا، لكي يتضح ذلك ما علينا إلاَّ أنْ نوضح معنى هذا المصطلح وما دار حوله من خلاف ومشاكل، والفرق بينه وبين المصطلح العربي الأصيل وهو العدول، فما دلالتهما في اللغة والاصطلاح؟

ومما دفعني لبحث هذا الموضوع أنَّي لم أعثر على من تطرق لهذا الموضوع على حد علمي سوى الأستاذة سامية محصول، وقد فرقت بين الانزياح والانحراف فقط، وغلَّبت الانزياح على الانحراف لما في الأخير من إجبار، وأنَّ الانزياح فيه نوع من الفسحة والسعة على حد قولها، كما سيتضح من النقل عنها فيما بعد.

**تمهيد**

**الانزياح لغة:**

الانزياح في اللغة مصدر للفعل الخماسي: انزاح، وهو مطاوع الفعل الثلاثي زاح زيحاً، فتقول: "قسمته فانقسم، وكشفته فانكشف"(1)، والزيح معناه: "ذهاب الشيء، تقول: أزحت عِلَّته فزاحتْ تزيح زيحاً، قال الأعشى"(2):

**هَنَأْنا فلم تَمْنُنْ علينا فأَصْبَحتْ رَخيَّةَ بالٍ قد أَزَحْنا هُزالَها**

ومعناه ذهاب الشيء عن موضعه الذي كان مستقراً فيه، وقد بقي الشيء على ما كان عليه؛ أي زاحه من مكان إلى مكان آخر فقط، ولم يتغيَّر.

ومما يوضح ذلك قولهم: "أزاح الله العلل، وأزحت علته فيما يحتاج إليه، وزاحت علته وانزاحت، وهذا مما تنزاح به الشكوك من القلوب"(3)، وجاء في الصحاح: "زاح الشيء يزيح زيحاً؛ أي بعُد، وذهب، وأزاحه غيره"(4)

و يوضح ذلك ما جاء في لسان العرب: "زاحَ الشيءَ يَزيحُ زَيْحاً وزُيُوحاً وزَيُوحاً وزَيَحاناً، وانْزاحَ: ذهب وتباعد وأَزَحْتُه وأَزاحَه غيرُه. وفي التهذيب: الزَّيْحُ ذهابُ الشيء تقول: قد أَزَحْتُ علته فزاحتْ، وهي تَزيحُ ...، وفي حديث كعب بن مالك: "زاحَ عني الباطلُ"؛ أَي زال وذهب، وأَزاحَ الأَمرَ قضاه"(5)

فالانزياح مصدر للفعل المطاوع انزاح، للفعل زاح المتعدي، كما اتضح من النقول السابقة، فتقول: زاح الشاعر القاعدة فانزاحت؛ تباعدت عن موضعها؛ أي انتقلت فقط مع بقائها كما هي. وهذا ليس المطلوب من ذا المصطلح. وكذا عند ما تقول: انزاح الشاعر عن القاعدة انزياحاً، إلى أين؟ فليس الأديب أو المبدع هو الذي انزاح، وابتعد عنها، فكذلك هنا ليس هذا المعنى هو المطلوب من المصطلح.

**الانزياح اصطلاحاً**

معلوم أنَّ النص يتكون من "عمليات التأليف التي تشمل الوحدات الصغرى من حروف ولواحق وكلمات، والعمليات التي تتصل بمجموعات كبيرة من تلك الوحدات مثل الجمل والفقرات والفصول"(6)، والانزياح عند كثير من الغربيين الأسلوب نفسه، فقد عرفوا الأسلوب به إذ قالوا "إنَّ الأسلوب انزياح بالنسبة إلى القواعد"(7)، رغم أنَّ لديهم أربعة أنواع من الأسلوبية(8)

ويعرفه الدكتور منذر عياشي بأنَّه نوعان: "إما خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج على النظام اللغوي نفسه،...- ثم قال- وهو يبدو في كلا الحالين كما يمكن أنْ نلاحظ، وكأنَّه كسر للمعيار، وهو لا يتم إلا بقصدٍ من الكاتب أو المتكلم"(9)

أو كما قال بير جيرو: "إنَّ شبكة العلاقات هذه خاصة بلغة النص، وهي تختلف قليلاً أو كثيراً عن شبكة العلاقات في اللغة العامة، هذه الانزياحات تشكل قيماً أسلوبية هي مصدر نشوء الآثار الخاصة"(10)

وذهبوا تارة أخرى إلى أنَّ "الانزياح اللساني يتناسب مع بعض الانحراف عن القاعدة وذلك على مستوى آخر: المزاج، الوسط الاجتماعي، الثقافة، إلى آخره"(11)

وذهبوا أيضاً إلى أنَّه "قوة تتحول إلى فعل على حسب قدرة المتكلم وإبداعاته الأدائية"(12)، وبناء على هذا التعريف "انبثقت اتجاهات مختلفة تتجادل حول مجالات البحث الأسلوبي"(13)

فتراهم يقولون تارة: الأسلوب الانزياح، وتارة يشكل الانزياح قيماً أسلوبية، ومع ذلك فهم مختلفون في معنى الأسلوب كثيراً، فهم يقولون: "إنَّ

الأسلوب هو الرجل...، إنَّ الأسلوب مفهوم عائم فهو وجه بسيط للملفوظ تارة، وهو فن واعٍ من فنون الكاتب تارة أخرى، وهو تعبير يصدر عن طبيعة الإنسان تارة ثالثة"(14)

وذكر بعضهم أنَّ الانزياح يمكن أنْ يكون من طبيعتين: "خرق للمعيار النحوي من جهة، وتقييد أو تضييق لهذا المعيار بالاستعانة بقواعد إضافية من جهة ثانية"(15)، وقد ذكر بعض العلماء أنَّ الأسلوب محيرٌ متعدد التعريفات وذكر له ستة تعريفات(16)، ورفض أنْ يكون الأسلوب هو "النمط المخصوص من الأداء اللغوي الذي يركز على الانحراف عن الاستخدام المألوف فذلك ليس على سبيل الحصر"(17)، كما عدد غيره ثمانية تعريفات(18)، وهما هنا يسميان الانزياح انحرافاً، وهو يقوم عند الدكتور رجاء على استخدام المادة اللغوية بما "يتجاوز نمطية تركيباتها التقليدية، فإنَّ الأسلوب المعطى يكتسب فعالية تكسير سكونية البناء النحوي في نسقه المتسم بجهامة ثابتة، ورتابة نظامه"(19)، لاحظ أنَّه يجعله في النحو فقط.

وعدد د. عبد السلام المسدي أيضاً عدداً من التعريفات للأسلوب قد لا يفيد ذكرها هنا لعدم تكرارها(20)، بينما عرف الانزياح بأنَّه "الاستعمال النفعي للظاهرة اللسانية؛ مختارين في ذلك تسمية الشيء بوظيفته العملية وغائيته الواعية"(21)، وذكر عدداً من تعريفات الغربيين، منها أنَّه: الابتعاد عن الاستعمال المألوف فتوقِع في نظام اللغة اضطراباً. أو أنَّه مفارقات تلاحَظ بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي. أو أنَّه لحن مبرر. أو أنَّه انزياح عن النمط التعبيري المتواضع عليه(22)، ويلاحظ عليه أنَّه مرة يسميه انزياحاً، ومرة يقول: إنَّه انحراف. وعرَّفه آخر بأنَّه :"دراسة للإبداع الفردي وتصنيف للظواهر الناجمة عنه، وتتبع للملامح المنبثقة منه"(23)

وهذا مما جعل البعض يقول: "شعر الغربيون بصعوبة تحديد الأسلوب، فقال لامار: الأسلوب أصعب ملكات الإنسان تحديداً"(24)، ويرى بعضهم أنَّ هناك علاقة بين البلاغة والأسلوبية لما لكل واحدة منهما من دور في صنع الرسالة المرسلة للمتلقي "فالأسلوبية تركز على المجال التطبيقي المحدد، والبلاغة على النظري المجرد، ثم لا تلبث هذه العلاقة أنْ تنحل في مستوى أشمل منهما يبتلعهما معاً، وهو الذي يفتحه علم النص بطبيعته الكلية"(25)

فلا تعرف لهم تعريفاً واضحاً اقتنعوا به، فقد خلطوا بين الأسلوب والانزياح، فمنهم من جعله إيَّاه، ومنهم من جعله سوى ذلك مما ذكر، رغم أنَّ الانزياح ما هو إلا أداة لغوية يجنح إليها المبدع لرسم الصورة التي يريد إيصالها للمتلقي ليثيره ويفيده.

ولكنَّ بعضنا سار سيرهم وتفيء ظلهم، فتركوا الواضح الجلي الذي لا يحتاج إلى تأويل أو تحميله أكثر مما يدل عليه، ولا يخفى ما في الانزياح من انزياح عن دلالته اللغوية الأصلية، واتبعوا ما تُرجم عن الثقافة الغربية.

ومفهوم الانزياح قد وفد من ترجمة بعض المصطلحات الأجنبية إذ "إنَّ هذا المصطلح قد عُرف بالفرنسية على أنَّه écart ، وبالإنجليزية على أنَّه deviation، وبالألمانية abweichung، وقد اختلفت تسميات هذا المصطلح في النقد الغربي، وذلك باختلاف النقاد الذين تعاملوا معه، فقد عدَّه بول فاليري: تجاوزاً، وبارت يسميه: فضيحة، وتودوروف يدعوه: شذوذاً، وجان كوهن يطلق عليه تسمية: انتهاك، وتيري يسميه: كسراً، وأراجون يدعوه: جنوناً.

والانزياح يمكن أنْ نصطلح عليه بعبارة التجاوز أو نسميه بلفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة العدول، وفي الدراسات العربية هناك عدة مصطلحات لمفهوم الانزياح أهمها: الإزاحة (الانزياح)– العدول- الانحراف- كسر المألوف - الانتهاك - الخرق - التغريب - الأصالة – المفارقة"(26)

فهو مصطلح وافد من الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية المعاصرة، التي تحاول تحديد الواقع اللغوي الذي يُعدُّ بمثابة الأصل، أمَّا العدول فهو خروج عنه، واهتمت تلك الأبحاث والدراسات بظاهرة العدول؛ لأنهم عدُّوه ركناً أساسياً في بناء جماليات النص الأدبي، بوصفه حدثاً لغوياً يبدو في تشكيل النص وصياغته، ويبتعد عن نظام اللغة المألوف والمستعمل قليلاً أو كثيراً، ويعدل بأسلوب الخطاب عن سنن اللغة وقواعدها الأساسية، فيُحدِث في النص عدولاً يمكِّنه من إمتاع المتلقي وإفادته وإثارته، وتنبيه السامع ولفت انتباهه، إذ ينطلق العدول من لحظة التوتر التي يعيشها المبدع؛ ليخلق التفاعل و الانسجام مع النص المخاطَبِ به.

وكلما تصرف المبدع في اللغة وهياكلها من دلالة، أو صيغ تركيبية عُدَّ عدولاً، و هناك مَنْ فرَّق بين مصطلح انحراف و مصطلح انزياح فذهب إلى أنَّ "كلمة انحراف déviation تُعدُّ مرادفاً لكلمة انزياح écart على أنَّ الانحراف لا يخلو أيضاً من دلالة أخلاقية سلبية، فإنَّه مفروض بقوة التداول والشيوع، لذلك يظل إلى جانب الانزياح يتنازعان المفهوم، وإذا كان ولابد من مفاضلة بينهما، فإنَّ الانزياح في تقديرنا هو الأمثل والأفضل، كما أنَّ كلمة انحراف مقرونة بالإجبار في الزمان والمكان والكيفية، عكس الانزياح المقرونة بحرية الاختيار للزمان والمكان والكيفية، وهو ما يتفق مع مبدأ الاختيار في الأسلوبية"(27)

وهذا التفضيل للانزياح على الانحراف، وإنْ كان موضوعياً، فهو ليس بجيد، فقد حصرت الظاهرة بين المصطلحين فقط، رغم أنَّها فيما سبق ذكرت أكثر من مصطلح لهذه الظاهرة، والأفضل لنا جميعاً أنْ نستعمل مصطلح عدول لما فيه من دقة متناهية في التعبير عن هذا المعنى المراد، وليس عيباً أو تخلفاً أنْ نستخدمه، وهي لم تلاحظ ما في معنى الانزياح من انزياحٍ عن المعنى المطلوب فمعناه اللغوي لا يستقيم كثيراً مع معنى العدول عن القواعد المستخدمة في اللغة، كما سبق توضيحه من أنَّه زيح الشيء عن موضعه، مع بقائه على حاله، ولم يتغيَّر، لكن المقصود منه أنَّ المبدع قد عدل عن استخدام المستعمَل في اللغة الموافِق لقوانينها وقواعدها إلى شيء لا نظير له فيها لهدف في نفسه؛ لإخراج النص في أحسن صورة يتلقاها المتلقي؛ أي أنَّه غيَّر القواعد والقوانين وعدل عنها، ولم يزحها من مكانها إلى جانب آخر، كما يعطيه المعنى اللغوي للانزياح، كما أنَّها ألمحت إلى مصطلح العدول الذي استعمله القدماء في سياق محدد كما ذكرت في حديثها عن المفاضلة بين الانحراف والانزياح، ولم تفضله عليهما.

ولقد نظَّر كوهن للانزياح، وجعل له نظرية "تقوم على مجموعة من الثنائيات هي استراتيجية الشعرية البنيوية، تهيمن على كتابيه "بنية اللغة الشعرية" و"اللغة الرفيعة" ومن بين هذه الثنائيات ثنائية (المعيار/ الانزياح) وثنائية (الدلالة التصريحية/ الدلالة الحافة) وأشار كوهن عندما حدد المعيار إلى اللغة المستعملة العادية، ويراها تتجسد في النثر، فلغة النثر لغة طبيعية، ولغة الشعر لغة فنية مصنوعة، ويندرج ضمن النثر أنماط عديدة منها النثر الروائي، والنثر الصحفي والنثر العلمي، وقد اتجه مباشرة إلى الكاتب الأقل اهتماماً بالأغراض الجمالية وهو العالم، مع أنَّ الانزياح لا ينعدم عنده تماماً ولكنه قليل جداً"(28)

و مما سبق يمكن القول إنَّ مفهوم العدول هو استعمال المبدع اللغة من مفرداتٍ وتراكيبَ وصورٍ استعمالاً يخرجها عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يحقق المبدع ما يصبو إليهِ من تفرُّدٍ وإبداع وجذب للمتلقِّين.

فهو عدول لغوي قائم على استحضار المبدع غيرَ المتوقع من التعبير لغايات جمالية وفنية في تصور المتلقي وذهنه.

أما الأسلوب فيمكن تعريفه بأنَّه استخدام المبدع لوسائل لغوية للغة ما، لإيصال المتلقي للشغف برسالته أو نصِّه.

**من أنواع الانزياح ومجالاته:**

يمكن أنْ يكون للانزياح ثلاثة أقسام: الانزياح الإسناديّ, والانزياح الدِّلاليّ, والانزياح التركيبيّ .أما الانزياح الإسنادي: وهو ما أسند اسم إلى اسم أو ما ينزل منزلته(الجملة الاسمية). وإسناد فعلي، وهو ما أسند فيه فعل

إلى اسم (الجملة الفعلية). أما الانزياح الدِّلالي: فيُعنَى بدلالة اللفظ في المعجم، وما طرأ عليه من تطور دلالي، ويرى كوهن أنَّه "مجموع التأليفات المتحققة لكلمة ما"(29). أما القسم الثالث: الانزياح التركيبي فيتمثل في التقديم والتأخير والحذف والالتفات والاستعارة والمجاز والتشبيه وغيرها من وسائل تكوين أسلوب النص.

وقد ذكرت الأستاذة سامية محصول أنَّ الانزياح يتجلى في مستويات عدة أهمها:

انزياح على مستوى الحروف؛ أي وضع حرف مكان حرف.

انزياح على مستوى الألفاظ؛ أي وضع لفظ مكان لفظ.

انزياح بالحذف؛ أي حذف حرف، لفظ، جملة، بيت شعري.

انزياح على مستوى التعابير؛ أي وضع تعبير آخر غير شائع مكان تعبير شائع.

انزياح على أنماط التبليغ ووسائله؛ أي من التصريح إلى التلميح، تورية، تبليغ بتذكير بواسطة الربط.

انزياح على مستوى بناء النص؛ أي مثل الخروج عن معايير بناء رواية، أو بناء مسرحية.

انزياح على مستوى الأفكار؛ أي استعمال فكرة في غير موضعها، أو عرض فكرة للوصول إلى أخرى.

انزياح على مستوى استعمال الشواهد والأمثلة.

انزياح على مستوى توظيف المصادر السابقة؛ أي شعر، قصص، شخصيات أعلام، أخبار، التراث، القيم.

انزياح على مستوى توظيف الأهداف.

انزياح على المستوى الدلالي، التركيبي، الصرفي، الصوتي، المعجمي.

وقد يظن البعض أنَّ الانزياح يمس التعابير والتراكيب فقط، بل إنَّه يتعداها حتى في الصور والأفكار والمعاني، والأكثر من ذلك حتى على مستوى الحروف فما بالنا بالمستويات الأخرى؟(30)

ويلاحظ أنَّها قد جمعت بين المستوى الدلالي والنحوي والصرفي والصوتي مع المعجمي في الدلالي، وهذا غير سليم؛ لأنَّ النحو والصرف والصوتيات شيء آخر غير الدلالة، والأفضل صرفها إلى مستويات أخرى.

وكذلك وضعت حذف الحرف، و اللفظ، والجملة، وبيت شعري وغيره من الحذف، ومعلوم أنَّ الحذف أنواع، منه ما يدخل في النحو وما يدخل في الصرف وما يدخل في غيره من علوم اللغة، كما تركت التضمين الذي يمكن أنْ يكون صرفياً نحو: جعل المتعدي لازماً أو العكس، ويمكن أن يُعدَّ لغوياً أيضاً؛ لأنَّه إشراب كلمة معنى كلمة أخرى(31)، فتعدُّ من هذا النوع أو ذاك،

وحينئذٍ يدخل الانزياح الأول والثاني مما ذكرتْ فيه، كما يلاحظ أنَّها غفلت عن معنى اللفظ اللغوي، وهو معلوم أنَّه كل ما لفظ من الفم من كلمات أو غيره.

وذكر بعضهم أنَّ الانزياح قد ورد عند الأدباء العرب، وقسمه إلى:

1-انزياح عنصر من العناصر المكونة للنص عن مقصود عنصر سبق له مما يؤدي إلى قطع التتابع الدلالي، وكسر السياق، وتمزيق التناغم الداخلي.

2-انزياح النص عن وحدته المنطقية، واحتواؤه على المتناقضين.

3- مخالفة النص لنفسه وانزياح العبارة فيه عن غاية المتكلم.

4- انزياح النص عن الشفرة اللغوية المتعارف عليها.(32)

وجمع بعضهم أنواعه في:

1 - انزياح في التركيب(العلاقة بين الدلائل)

2 - وفي التداول(العلاقة بين الدليل والمرسل والمتلقي)

3 - وفي الدلالة(العلاقة بين الدليل والواقع)(33)

وقد جمع الدكتور سعد مصلوح الأنواع وعددها في:

التغيرات الشكلية، التغيرات الصوتية، التغيرات الصرفية، التغيرات التركيبية التغيرات الدلالية، التغيرات فيما فوق الجملة.(34) وربما كان هذا من أفضل التصورات له جمعاً واختصاراً.

ويشتق د.المسدي من تعريفه السابق للانزياح قواعد له فيقول: "اكتشفنا له قواعد تأسيسية تتجاوز المنظور الأسلوبي الضيق...، وصورة ذلك أنَّنا قد نبسط فرضية عمل نعتبر بها أنَّ الظاهرةَ اللغوية في ذاتها مصبٌّ جدولين، ونقطة تقاطع محورين: أولهما: الجدول النفعي...، وثانيهما: الجدول العارض، وهو الجدول المخدوم إذ محوره وضع اللغة الطارئ"(35)

بلا شك في أنَّ تراثنا كان يحتوي على مثل هذه اللمحات، وإنْ كان ليس مطلوباً منه الإحاطة بكل ما هو جديد حتى لا يتحمل ما في عصره و العصر الحديث، إذ إنَّ "الإحاطة ليست مطلوبة من أي تراث"(36)، فمفهوم "نقادنا القدماء للبلاغة قد ارتبط بالأسلوب ارتباطاً وثيقاً خاصة في المرحلة التي بدأ يُنظَّر فيها إلى البلاغة كوصف للكلام إذا امتاز بخصائص وسمات معينة"(37)، فلو نظرنا إلى تعريف بعض الأنواع البلاغية لاستقينا ذلك منها فعلى سبيل المثال: الالتفات هو التعبير "عن معنى بطريق من الطرق الثلاث التي هي التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاث، بشرط أنْ يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع"(38)

وكما هو واضح في تعريف الأسلوب الحكيم فهو: "تلقي المخاطب بغير ما يترقبه إمَّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمَّا حمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد"(39)

**فائدة الانزياح**

معلوم أنَّ مفردات اللغة موجودة كمواد أولية يتداولها الإنسان العادي والمبدع في أمور حياتهم المعيشية على حدٍ سواء، وهنا تكون اللغة معبرة عن حاجيات الإنسان المتواضعة والضرورية، لا إبداع فيها، ولا يلتفت لها المتلقي كثيراً إلا بما يساعده على تلبية هذا الطلب أو ذاك؛ لأنَّها من مألوف القول، فلا يثير في المتلقي أي إحساس؛ لأنه يجري بحسب الإلف و العادة اللغوية، وهنا يمكن القول: إنَّ الكلام الجميل لا يمكن أنْ يستمر "جامداً ضمن قواعد القواعديين...، فإذا كان الكلام تعبيراً عن الإنسان فإنَّه يتطور مع الإنسان ومع العادات، ومع مثاليات الأمة التي يعبر عنها"(40)، فالعدول يمنح اللغة الأدبية توهجاً وتألقاً، ويجعلها لغة خاصة تختلف عن اللغة العادية، وذلك بما للعدول من تأثير جمالي، وبعدٍ إيحائي.

لذا فإنَّ التجدد عند الإنسان يتابعه تجدد في اللغة وبراعة في أساليب بيانها، فالكلمات في النص الأدبي عند المبدع تختلف كثيراً أو قليلاً من ناحية وضعها في أنساق متسقة كمنظومة دلالية تتميز بأشياء عدة منها: تفجير المواقف بابتعادها عن القوانين اللغوية، فهذا الاختيار في كلمات اللغة يكون مخالفاً لما اعتادت عليه الناس، وعدولاً عنه، حتى يُحدِث الصدمة المطلوبة، ويُسهم في لفت انتباه المتلقي، ومن ثَمَّ التأثير فيه، وتوصيل الرسالة التي يريدها المبدع. وقد يكون منها: الاقتصاد والدقة في رسم الصورة المراد إيصالها في حقول دلالية جديدة حتى يحيل المبدع المتلقي بتحويلاته لهذه الكلمات عن المعنى الأصلي لها إلى معنى يثيره ويثريه، ويُحدَث رَدَّةَ فعل مفاجئة، غير متوقعة، وهنا تبرز المتعة الحقيقية للمتلقي في البحث عن الاختلاف بين ما سمع أو قرأ وبين قوانين اللغة، كما تبرز القدرة الإبداعية للملقي.

إنَّ الهدف من دعوة الأسلوبيين إلى العدول، هو التماس وجه يبدو فيه المعنى أكثر ملاءمة، ويكون الكلم أقل خضوعاً لسلطان التأويلات والتوهمات التي لا تحتملها طبيعة اللغة العربية. وبذا وبغيره "يكون التعبير الإبداعي أكثر أثراً في النفس وأداة للتطهير عبر ما يستعمله من أساليب يخص بُنى النسيج اللغوي صورة وإيقاعاً ومفردات، وذلك ببث حيوية مخصبة في الحياة الجميلة الهادئة الزاهية في أعراق تلك العلاقات التي يُزيل عنها رتابتها وينفض نمطيتها بعد أنْ فقدت اللغة مجازها اللصيق بها في نشأتها الأولى"(41)

وتظهر القوة الدلالية للعدول إذْ إنَّ بناءه اللغوي يُبنى على محطتين متعاقبتين هما: خلق العدول وعرضه من المبدع، ثم نفي العدول من المتلقي، أو إنَّه يشمل لحظتين في تركيبه "فاللحظة الأولى تكمن في أنَّ المؤلف يصنع انحرافاً ما، فإنَّ اللحظة الثانية تتمثل في أنَّ القارئ يحصر هذا الانحراف، وليس هذا الحصر شيئاً
آخر سوى التصويب الذاتي"(42)، ويلاحظ هنا أنَّه يسمي العدول انحرافاً، ويذهب إلى أنَّه لا بد للمتلقي من أنْ يعيد النص إلى تركيبه الأصلي وفق قوانين اللغة المعلومة لديه.

فالأسلوبيون يدْعُون للعدول؛ لأنَّه يميز لغة كل مبدع عن سواه، ويرى بعضهم أنَّه يهدمها؛ لأنَّ "ما يتغير هو معجم اللغة نظراً لارتباط اللغة بنشاط الإنسان الإنتاجي في كل مجالات عمله دون استثناء، أمَّا نظام القواعد فلا يتغير إلاَّ ببطء شديد نحو تحسين القواعد وأحكامها مجدداً، من هنا فإنَّ كل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة على أنْ لا يُفهم الانتقاء أنَّه انتقاء من أشياء جاهزة، بل هو خلق خاص"(43)، وهذا غير سديد؛ لأنَّ العدول كما سيتضح فيما بعد هو هدم للنص في مرحلة من مراحله، وليس الأمر متعلقاً بالمعجم فقط، بل يتناول المعجم وغيره من قوانين اللغة.

فالمبدع الحاذق هو الذي يُسخِّر إمكانات اللغة، ويتلاعب بتراكيبها، ومفرداتها وقوانينها التركيبية، والمعجمية، والصوتية، والصرفية، والبلاغية، مما يمنح نصه خصوصية تجعله يتميز عن غيره من النصوص الأدبية لغيره.

ولا شك في أنَّ المبدع يرتكز على بعض الأشياء في اللغة عندما يعدل عن قوانينها فيعوض القارئ عن هذا العدول في بعض استخداماته، فهو يستخدم "التقاليد والانحرافات معاً، غير أنَّ التقاليد منتظمة والانحرافات موضوعة عشوائية، والتقاليد لا تدهشنا والانحرافات مفاجئة لنا، مما يجعل التقاليد ترفع نسبة التوقع، وتؤدي إلى إشباعها، والانحرافات تخفضها وتؤدي إلى المفاجأة"(44)؛ أي وكأنَّه يقوم بعملية هدم لبعض القوانين - التقاليد - وإبقاء بعضها لتساعد القارئ على إعادة بناء النص في ذهنه مرة أخرى حسب مقدرته وثقافته اللغوية.

وبعضهم ذهب إلى أنَّ اللغة قاصرة والمبدع قاصر عن انجاز ما يريده المبدع، والعدول(الانزياح) يسد هذا القصور منهما، فهو "احتيال الإنسان على اللغة، وعلى نفسه لسدِّ قصوره وقصورها معاً"(45)، والقصور هنا ليس قصوراً في المعنى أو عطاء اللغة، وإنَّما في توصيل مشاعر المبدع للمتلقي.

**من صعوبات العدول (الانزياح)**

هناك مجموعة من الإشكالات التي يواجهها مصطلح العدول (الانزياح) عند نقله أو ترجمته من الانكليزية والفرنسية إلى العربية، وما يتصل بذلك من صعوبات تتعلق باللفظ التراثي واللفظ الحداثي، ذكرها بعضهم متسائلاً: "هل نُحمِّل أم نترجم المصطلح الذي يُفترض أنَّه يحمل بأمانة معالم المفهوم الغربي الحديث الذي يغدو عالمياً على الأغلب، وبذلك يصبح الاقتراب من روح المفهوم أكثر دقة في الدراسات النقدية الحديثة؟(46)

وهناك صعوبات عند تطبيقه على الأدب، قال بعضهم: إنَّه يجب عدم المبالغة في إحداث الانحراف الشعري لإنتاج الدلالات, مما يسقطه في وحل الغموض، ونرجع في ذلك إلى رأي د. رجاء عيد حيث يقول: "إذ ليس كل ما يدخل في باب الانزياح عن القواعد محققاً قيمة فنية، فاللغة في أصولها ومكونتها الأساسية تمثل المستند الذي يتكئ عليه المبدع أو الناطق بتلك اللغة، فإذا ما انحرف عن أصولها لابد أنْ يحسب حسابه لكي لا ينقض ذلك الأساس"(47)

وهناك بعض المآخذ عليه منها: "عدم تحديدها للمعيار تحديداً مباشراً دقيقاً. وإهمالها لمقولتي الكاتب والقارئ. وعدم أخذها بعين الاعتبار لاحتمال وجود انزياحات غير ذات أثر أسلوبي"(48)

فإذا كان هذا العدول (الانزياح) أو (الانحراف) عن طرائق اللغة وسننها، يجعلنا نصل بفهمنا قبل الآخرين إلى ما يُراد منَّا فهو جيد، وإذا كان يجعلنا نتفادى مشكلة أو عائقاً، فهو حسن، وإذا كان لصنع مفاجأة للمتلقي، فهو جميل، أمَّا إذا كان العدول عن القوانين والقواعد يجعلنا نهوي في الهاوية، أو يعرِّض فهمنا للخطر أو عدم الدِّقة، فلا فائدة منه، بل يدخل في عبثية الكلام أو التحذلق، ولا طائل وراء ذلك.

إنَّ العدول (الانزياح) قد يؤدي إلى غموض الرسالة وإضعاف بنيتها، وهذا يعني أنَّه كلما عمد المبدع إلى تعميق العدول (الانزياح) ازداد انفصاله عن جمهوره (المتلقي)، وذكر د. عبد السلام عدداً من المطاعن، قد يقع فيها المبدع، منها: صعوبة تحديد النمط العادي في التعبير. وأنَّ مفهوم الاستعمال نسبي، ولا يُمكِّن الدارس من مقياس موضوعي صحيح. وأنَّه يكاد يقصر قيمته الوظائفية على العناصر الجزئية في الكلام.(49)

وهناك بعض الملاحظات على العدول (الانزياح) ذهب إليها الدكتور صلاح فضل كالاعتراضات منها: أنَّ فكرة القاعدة اللغوية التي تحدد مستوى الانحراف لم تعد تعتمد على الاستعمال بتنوعه الشديد، وإنَّما أخذت ترتكز على مجموعة محدودة، وثابتة من القواعد الإجرائية.

وأنَّ البلاغيين البنيويين يضعون موضع الشك والتساؤل قدرة هذه الإجراءات البلاغية على اقتناص دلالة الشعر الكلية.
وأنَّ الواقعة الأدبية لا تتحمل التفكيك، وأنَّ جوهرها يكمن في طابعها الكلي الذي لا يقبل التجزئة، فإنَّ كل إجراء تحليلي سيكون مقضياً عليه مسبقاً بالإخفاق.(50)

فضلاً عما سبق فإنَّ الدكتور صلاح فضل يطرح تساؤلات حول مشاكل التحديد الإجرائي للأسلوب كانحراف، ونلخصها في أنَّه :

من النصوص لا يكون بها أي انزياح عن قاعدة ما معينة.
هناك صعوبة في تحديد القاعدة والانزياح بدقة علمية.
يتعرف على الانزياح بلا تتبع للخواص النوعية للانزياح.
هناك عدم تطابق بين الانزياحات والأسلوبية فهناك انزياحات لا يترتب عليها تأثير أسلوبي.
تتركز الدراسة على علاقة الظاهرة اللغوية في النصوص بالقاعدة المنشقة عنها.
لا تصلح نظرية الانزياح أنْ تطبق على مؤلفين يكتبون بأسلوب عادي.
التركيز على الانزياح وإهمال الملامح الأخرى للنص المدروس، مما يؤدي إلى قصور في نتائج الدراسة(51)

وقد ذكر أنَّ هناك نوعين من الأخطاء تقع عند تطبيق هذه النظرية على النصوص القديمة: خطأ الإضافة عندما نضيف انطباعاتنا على النص القديم ونُحمِّله ما ليس فيه. والثاني خطأ النقص فالقيم الأسلوبية القديمة لا يمكن التعرف عليها بسهولة(52)

كما أنَّ مشكلة رصد الأسلوب على مستوى العدول له عوائق أخرى إجرائية
متمثلة في الناقد أصلاً، والمنظِّر له، فمن أين لهما أنْ يرصدا كل المعايير المختلفة من حيث المكان ومن حيث الزمان؟ أضف إلى هذا أنَّه في جهة واحدة من اللغة الواحدة نجد آلاف المعايير، فمَنْ ذا الذي يرصد كل المعايير، ومن ذا الذي يحكم بأنَّ هذا معيارٌ، وهذا خروجٌ عنه، فقد يكون هذا العدول أو ذاك هو المعيار، ولكن ناقده يجهله فيضعه في العدول، وأنَّ كل مبدع يحتاج إلى دراسة لعدوله، فما كان عدولاً عند واحد منهم قد يكون معياراً عند غيره.

وبعضهم يصطلح على العدول اصطلاحاً آخر غير ما ذكر، فقد ذكر أنَّ علم الأسلوب انتفع عندما أدراك "أنَّ اللغة نظام وبنية ذات علاقات داخلية، وذلك بإنشاء المقابلة بين العبارة القياسية والانحراف أو (الترخص)"(53)، وهو يسميه انحرافاً، ثم يعدل عنه إلى مصطلح الترخص؛ لأنَّه ممن مهَّد لدراسة الترخص في العربية.

وهناك من أدرج بعض ما جاء فيه عدولٌ عن القواعد والقوانين للغة سواء أكانت صوتية أو صرفية تحت مصطلح آخر هو الازدواج، وفضَّله على مصطلح المحاذاة الذي درج عليه بعض العلماء، مثل ما نقله السيوطي عن ابن فارس إذ إنَّه قال: "ومن سنن العرب المحاذاة، وذلك أنْ تجعل كلاماً ما بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً، وإنْ كانا مختلفين فيقولون: الغدايا والعشايا، فقالوا الغدايا لانضمامها إلى العشايا"(54)، وغدوة لا تجمع على الغدايا جمع تكسير، وإنما تجمع على الغدوات(55)، وقد أدرج فيه د. مصاروة على سبيل المثال قول الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء اللواتي كن ينتظرن الجنازة: "ارجِعْنَ مأزوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ"(56)، قال: "و الأصل أنَّ كلمة مأزورات من الوزر وهو غير مهموز، فكان القياس يقضي أنْ يقال: ارجعن موزورات، لكن اقتران هذا اللفظ بلفظ مهموز وهو مأجورات صيَّره مهموزاً مثله لاسيما أنهما اتفقا وزناً وقافية"(57)، فتلاحظ أنَّ بعض العلماء العرب لم يرقه مصطلح الانزياح أو الانحراف.

**العدول لغة:**

العُدُولُ والعَدْلُ مصدر الفعل الثلاثي عدل، "والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه فتميله، عدلته عن كذا، وعدلتُ أنا عن الطريق، ...، عدلتُ الدابة إلى كذا؛ أي: عطفتُها فانعدلتْ، ...، ويقال: الطريق يُعدَلُ إلى مكان كذا، فإذا قالوا يَنعَدلُ في مكان كذا أرادوا الاعوجاج"(58)

وله معانٍ عدة منها النظير والشرك والسوء والفداء...، ولكنه فيما سبق واضح أنه يدلّ على أنَّ أيَّ ميل أو بُعدٍ عن الأصل الحقيقي للشيء، يُسمَّى عدْلاً أو عُدُولاً، ويعضد ذلك ما يأتي أيضاً.

فيقال: "عدَلتُه عن طريقِه وعدلتُ الدابةَ إلى طريقها: عطفتها، وهذا الطريق يعدِل إلى مكان كذا. وفي حديث عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملتُ عدَلوني كما يُعدَلُ السهمُ"(59)

ويقال: "عَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولاً: حاد، وعن الطريق جار وعَدَلَ إليه، عُدُولاً رجع، وما لَه مَعْدِلٌ ولا مَعْدولٌ: أَي مَصْرِفٌ، وعَدَلَ الطريقُ مال، ويقال: أَخَذَ الرجلُ في مَعْدِل الحق، ومَعْدِل الباطل: أَي في طريقه ومَذْهَبه. ويقال: انْظُروا إِلى سُوء مَعادِله، ومذموم مَداخِله: أَي إِلى سوء مَذَاهِبه ومَسالِكه، ...، وفي الحديث "لا تُعْدَل سارِحتُكم"(60)؛أَي لا تُصْرَف ماشيتكم وتُمال عن المَرْعى، والعَدْل أَنْ تَعْدِل الشيءَ عن وجهه، تقول: عَدَلْت فلاناً عن طريقه، وعَدَلْتُ الدابَّةَ إِلى موضع كذا، فإِذا أَراد الاعْوِجاجَ نفسَه قيل: هو يَنْعَدِل، أَي يَعْوَجُّ وانْعَدَل عنه وعادَلَ: اعْوَجَّ...، عَدَلَ عَنِّي يَعْدِلُ عُدُولاً لا يميل به عن طريقه المَيْلُ... ومنه قول المرأة

للحَجَّاج إنَّك لقاسطٌ عادِلٌ، قال الأَحمر: عَدَلَ الكافرُ بربِّه عَدْلاً وعُدُولاً إذا سَوَّى به غيرَه فعبَدَهُ"(61)، ومما يأتي بمعناه "الازْوِرارُ عن الشيء: العدولُ عنه"(62)

فالعدول مصدر للفعل عدل اللازم، كما اتضح من النقول السابقة، إذ تقول: عدل المبدع عن القاعدة؛ أي تركها، وعدل عنها إلى أسلوبٍ آخر؛ لأداء المعنى الأفضل في رأيه، وليس كذلك الانزياح، كما سبق.

**اصطلاحاً:**

وفي الاصطلاح هو خروج عن المألوف من قواعد اللغة العادية وقوانينها وخرقها، أو خرق توقع المتلقي من النص؛ أيّ أنَّه تغييرٌ ما فيما كان ينتظره المُتلقِّي من المُلقي.

ولكي نضع أيدينا على المعنى الحقيق للعدول عند علماء العرب، وتاريخ استخدامه، ما علينا إلاَّ أنْ نُلقي نظرة - ولو سريعة- على ما جاء عندهم ، فقد ورد عند كثير منهم، على حدٍ سواء من النحاة والبلغاء والأدباء والنقاد وأصحاب كتب الإنشاء، كما يتضح من هذا العرض لبعض ما جاء مرتباً تاريخياً، حتى تتضح مراحل تطور هذا المصطلح، فابن جني ذكره مراتٍ عدةٍ، منها ما ورد عند حديثه عن حركة عين الجمع بالألف والتاء، نحو: غرفة وكسرة، وتغيير حركة العين فيهما، فقال: "أفلا تراهم كيف سوَّوا بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمة، والكسرة إليهما"(63)

وعند حديثه عن معاني بعض الصيغ الصرفية، وكيف تتغير المعاني بتغير الصيغة المستخدمة، وذلك نحو "تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله، وذلك فعال في معنى فعيل؛ نحو: طوال؛ فهو أبلغ معنى من طويل وعراض؛ فإنَّه أبلغ معنى من عريض. وكذلك: خفاف من خفيف، وقلال من قليل، وسراع من سريع. ففعال - لعمري - وإنْ كانت أخت فعيل في باب الصفة، فإنَّ فعيلاً أخص بالباب من فعال؛ ألا تراه أشدَّ انقياداً منه؛ تقول: جميل ولا تقول: جمال، وبطيء ولا تقول: بطاء، وشديد ولا تقول: شداد، ولحم غريض ولا يقال: غراض. فلما كانت فعيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة، عدلت إلى فعال"(64) وغيرها كثير جداً.

وقد ورد عند الأدباء أيضاً وشراح الأدب على نحو ما جاء من قول بعضهم في تأويل ما يقوله الشاعر: "وإذا كان كذلك لا يجوز العدول عما قاله الشاعر إلى ما لم يقله"(65)

وكذلك عند أرباب البلاغة والبيان فقال بعضهم: "ولا نجيز العدول عنه، لأنَّ كلامنا إنَّما هو في فصاحة اللغة العربية"(66)

وعند بعض النحاة في حديثه عن إدغام المثلين أو المتقاربين، إذ قال: "وقد عدلوا في بعض ملاقي المثلين أو المتقاربين لإعواز الإدغام إلى الحذف، فقالوا في ظللت ومسست وأحسست: ظلت ومست وأحست"(67)

ومن أهل البلاغة من قال عند حديثه عن التقديم والتأخير: "ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو على العدول عنه كالمبتدأ المعرَّف فإنَّ أصله التقديم على الخبر نحو: زيد عارف، وكذي الحال المعرَّف فأصله التقديم على الحال، نحو: جاء زيد راكباً"(68)

ومن أهل النقد والبلاغة أيضاً من ورد عنده كثيراً، فقال: "ومن هذا النوع ألفاظٌ يُعْدَل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها، ولا يُسْتَفْتَى في ذلك إلاَّ الذوق السليم، وهذا موضع عجيب لا يُعْلَمُ كُنْه سِرِّه"(69)

وقال: "واعلم أيُّها المتوشح لمعرفة علم البيانِ أنَّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلاَّ لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلاَّ العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنَّه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً، وأغمضها طريقاً"(70)

ومن أهل البلاغة من قال: "أمَّا تركه فلنحو ما سبق في باب المسند إليه من تخييل العدول إلى أقوى الدليلين، ومن اختبار تنبُّه السامع عند قيام القرينة أو مقدار تنبُّهه"(71)

ومن أصحاب الموسوعات من قال: "الكنايات لها مواضع، فأحسنها العدول عن الكلام القبيح إلى ما يدل على معناه في لفظ أبهى منه . ومن ذلك أنْ يعظِّم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكنيته ، أو يكنى باسم ابنه صيانة لاسمه"(72)

ومن النحاة المتأخرين قال في اختلاف الحركات: "خلافاً لمن زعم أنَّ الفتح في نحو: غرفات إنَّما هو على أنَّه جمع غرف، ورُدَّ بأنَّ العدول إلى الفتح تخفيفاً أسهل من ادِّعاء جمع الجمع، ورده السيرافي بقولهم: "ثلاث غُرَفات" – بالفتح"(73)

ومن أصحاب كتب الإنشاء والمطولات من ذكره في نصائحه لكتَّاب الوزراء وذوي السلطان فقال: "إلاَّ أنْ يكون الخبر مما يوجب الأدب العدول عن لفظه الخاص به، والإخبار عنه بألفاظٍ تؤدي معناه، ولا يهجم على المخبر بما يسوء سماعه"(74)

ومن النحاة من ذكره عند حديثه عن العلامة الأصلية للبناء، فقال: "الأصل في البناء سواء كان في حرف أو في غيره أنْ يكون بالسكون؛ لأنَّه أخف، فلا يعدل عنه إلاَّ بسبب يقتضي العدول"(75)

ومن الأدباء والبلغاء من قال في حديثه عن العدول عن مقتضى الحال أو الظاهر، فقال :"إنَّ العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروج عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال"(76)

ومن أصحاب المطولات من ذكره فقال: "إذا أراد العدول عن لفظ فرس قال: جواد أو ساع أو صافن، أو العدول عن رمح قال: قناة أو صعدة أو يزني أو غير ذلك، أو العدول عن لفظ صارم قال: حسام أو لهذم أو غير ذلك"(77)

ومن أصحاب تعريف المصطلحات مَن قال في تعريفه: "العدول عن التصريح باب من البلاغة وإنْ أورث تطويلاً"(78)

ومن النحاة من ذكره في حديثه عن جواز عدم التثنية في المثنى، فقال: "وإنْ امتنع العدول عن التثنية إليه إلَّا لنكتة كقصد التكثير في: أعطيتك مائة ومائة، وكفصل ظاهر في نحو: رجل قصير، ورجل طويل"(79)

ومنهم من ذكره عند حديثه عن ترخيم المنادى المؤنث بالتاء المربوطة على لغة من لا ينتظر قال: "وقد يؤدِّي بعض الصور السالفة إلى اللبس، فيجب العدول عنه إلى ما لا لبس فيه"(80)

ولا يفوتنا ما يطلق عليه النحاة سبباً لمنع الاسم أو الصفة من الصرف وهو العدل فقد جاء اسم المفعول منه عند سيبويه نقلاً عن الخليل عند حديثه عن منع زحل من الصرف فقال: "وزحل معدول في حالة، إذا أردت اسم الكوكب فلا ينصرف" ثم قال: "وسألته عن جمع وكتع، فقال: هما معرفة بمنزلة كلهم، وهما معدولتان عن جمع جمعاء وجمع كتعاء، وهما منصرفان في النكرة"(81)، معلوم أنَّه يقصد الخليل في قوله: وسألته.

من هذا العرض السريع تجد أنَّ علماء العربية قد أدركوا ما للعدول من قيمة أدبية ولغوية وأدركوا أيضاً احتياج المُلقي للعدول أحياناً. وأنَّ مصطلح العدول قد ورد على لسان كثير من العلماء الذين احتاجوا له في معرض حديثهم عن العدول عن القوانين والقواعد المقررة للغة العربية، ويلاحظ أنَّ ابن جني قد أكثر من ذكره وهو أول من استخدمه فيما ورد من أقوال سابقة، ثم جاء مَن بعده واستخدموه الاستخدام نفسه. وتجد أنَّ المصطلح لم يختفِ من كتابات الأدباء أو النحاة أو غيرهم من أرباب القلم العربي، كما تجد أنَّ القرن السابع كان المصطلح فيه أكثر وروداً في المؤلفات من غيره من القرون التي عاشتها الثقافة العربية. كما تجد أنَّه قد استخدم من القرن الرابع الهجري إلى القرن الرابع عشر؛ أي أنَّ هناك من يستخدمه وإنْ كان بقلة نسبة لمن يؤلفون في هذا العصر.

وانظر إلى تقدير العلماء القدماء لهذه الظاهرة واعتدادهم بها؛ إذ يقول رائدهم في وصف مرتكب هذا العدول: "متى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أنَّ ذلك على ما

جَشِمه منه، وإنْ دلَّ من وجه على جَوره وتعسفه، فإنَّه من وجه آخر مؤذِن بصياله وتخمطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثله في ذلك عندي مثل مجرى الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسراً من غير احتشام"(82)

ويعزز هذا الرأي ما جاء في كتاب الانصاف في مسائل الخلاف عند تعليقه على قول سيبويه: "واعلم أنَّ ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنَّهم أجمعون ذاهبون، وإنَّك وزيدٌ ذاهبان؛ وذاك أنَّ معناه معنى الابتداء، فيُرى أنَّه قال: هم"(83)، فقد ذهب سيبويه إلى أنَّه غلط من بعض العرب، كما ترى، بينما ذهب الأنباري إلى أنَّ هذا وقع "لأنَّ العربي يتكلم بالكلمة اذا استهواه ضرب من الغلط فيعدل عن قياس كلامه، كما قالوا: ما أغفله عنك شيئاً!"(84)، فتعليق الأنباري يؤدي إلى التوسع في العدول، وأنَّ العرب كانوا يعدلون عن القوانين والقواعد في كلامهم، وقد تنبه قديماً العلماء لهذه الظاهرة ونظَّروا لها، كما تبين فيما سبق.

بل إنَّ بعض المواضع من العدول قد أصبحت أصلاً لا يُسمح بالرجوع عنه، فمثلاً الفعل قال، أصله: قول، كما هو معلوم، قد فتحت الواو وما قبلها مفتوح فقلبت ألفاً، فهي معدولة عن الأصل لكن لا يقول أحد: قول فلانٌ كذا، على الأصل، فهنا يعدُّ خطأً إذا عدنا إلى الواو، ولزمنا أنْ نلتزم بالعدول لأنَّه أصبح أصلاً، فلا تبقى الواو في ماضيه أو اسم الفاعل منه، بينما غيره نحو صيد وعور فتبقى لأنه لم يعدل عنها إلى الألف فتبقى كما تبقى في الماضي(85)

ورغم أنَّ نقادنا قد توصلوا إلى أنَّ "المبدع يتصرف بوجوه النحو طبقاً لمبدأ الاختيار والانتقاء الذي يمليه عليه المعنى أو الغرض المقصود، وهذا الذي نص عليه عبد القاهر الجرجاني –هنا- لا يختلف كثيراً عما نبَّه عليه النقاد الغربيون من حيث إنَّ طاقة الإبداع أو الإنشاء إنَّما تكمن في قدرة المتحدث على اختراق الأنماط المعجمية والنحوية للغة"(86)

إلاَّ أننَّي لم أعثر على مَنْ استخدم مصطلح العدول من أول بحثه إلى آخره سوى القلائل منهم الدكتور فريد حيدر، حيث تحدَّث عن العدول الصوتي والعدول الصرفي والعدول الدلالي النحوي(التضمين) والعدول الدلالي(87)، ومنهم الدكتور المتولي الأشرم حيث تحدث عن العدول عن الأصل في أبنية الكلم من إبدال وغيره مما يحدث في المصادر وما يشتق منها والنسب والتصغير وغيره(88)، وكذلك الدكتور أحمد الليثي حيث تحدث عن بعض مظاهر العدول في القرآن الكريم نحو ما يحدث من عدول من لفظ إلى لفظ ومن حرف إلى حرف وغيرها(89)

**من أمثلة الانزياح:**

يمكن القول إنَّ ما جاء فيما سبق قد يُغني عن كثير من الأمثلة، لكنَّ الأمر قد يحتاج إلى بعضها، فقد علم مما سبق أنَّ علماء العربية عدُّوا ما يحدث من نقل من وزن إلى وزن عدولاً، فإذا قلت: هذا شيءٌ مهم، فقد عدلت عن الأصل، وهو أنْ تقول: هذا شيء هام، فقد عدلت من اسم الفاعل للثلاثي إلى الرباعي، وهكذا.

وقد يكون العدول في المعنى، كما جاء العدول في "قول القبعثري للحجاج لمَّا توعَّده بقوله: لأحملنَّك على الأدهم مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب؛ أي مَن كان على هذه الصفة من السلطان وبسطة اليد، ولم يقصد أنْ يجعل أحداً مثله، وكذلك حكم غيره إذا سلك به هذا المسلك فقيل: غيري يفعل ذاك على معنى أني لا أفعله فقط من غير إرادة التعريض بإنسان"(90)

أو كما جاء في تعريف الكناية فقد ذكروا أنَّها "ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم، كما تقول: فلان طويل النجاد؛ لينتقل منه إلى طول القامة، وفلانة نؤوم الضحى؛ لينتقل منه إلى كونها مخدومة غير محتاجة إلى إصلاح المهمات بنفسها"(91)

**ما سبب ترك مصطلح العدول؟**

ما الذي دفع المحدثين للأخذ بمصطلح الانزياح وترك العدول المستخدم عند العرب قديماً وحديثاً ؟ ربَّما كان لكلمة ما آثارٌ في النفس ووقع في العقل، فذهب الباحثون لاستخدامها، فإذا كانت الكلمة "مجموعة من المقاطع المكونة من حروف وحركات والمؤلفة بنظام مناسب يسمح بتكرارها صوتياً"(92)، يمكن للمستخدم أنْ يترك غيرها ويتعلق بها.

فشكْلُ الكلمة يساهم - سواء "قصيراً كان أم طويلاً- في إعطائها كذلك قيمة أسلوبية، وذلك حسن تناغمها مع معانيها"(93)

على ما سبق إذا كانت الكلمة سهلة في مخرج حروفها يعطيها ذلك رونقاً من الفصاحة وخلواً من البشاعة، وتعقيد التركيب وحسن البيان مما يجعل السامع يتلقاها بشغف وتقبُّل، وكلمة العدول لا تخلو من ذلك، إلا أنَّنا وجدنا الكثير من العلماء يتجنب هذه اللفظة ويجنح إلى كلمة الانزياح، فهل كلمة الانزياح استهوتهم فاستعملوها رغم ما فيها من بُعدٍ دلالي عن المقصود، كما اتضح سابقاً، كما أنَّ القدماء لم يستخدموها وأحسنوا في اختيارهم لمصطلح العدول لما لها من دلالة ولما لها من صفات الفصاحة.

فكلمة عدول تتكوَّن من أربعة أحرف، وهي مصدر للفعل عدل الثلاثي، وتتكوَّن من العين والدال والواو واللام، وهي- بلا شك- أحرف مجهورةٌ كلها(94)؛ أي أنَّ خروج هذه الأحرف يحدث "ذبذبة الوترين الصوتيين في

الحنجرة"(95)، وهي أيضاً سهلة المخرج فالعين والدال من متقاربي المخرج(96)، وبينهما الواو تسهل خروجهما بما تعطيه من الطول(97) وهي مجهورة مع باقي أحرف العلة أيضاً(98)، وفي آخره حرف شديد هو الدال(99)، وباقي أحرفه بين الشدة والرخاوة(100)، وهذا مما يسهل النطق بها ويعطيها تناغماً وسهولة وليونة وسرعة في الاستخدام، مما يجعلها أفضل من غيرها.

أما كلمة انزياح فتتكون من ستة أحرف من الفعل الخماسي انزاح مطاوع الفعل زاح كما مرَّ، وهذه الأحرف مجهورة عدا الحاء مهموسة(101)، وأغلب أحرفها متوسط بين الشدة والرخاوة(102)، كما أنَّها قريبة المخارج من النون إلى الزاي المتقاربين في طرف اللسان(103)، إلى الياء والألف الهوائية، ثم مرَّة أخرى يعود اللسان إلى الحاء الحلقية(104)، مما يجعل حركة اللسان أكثر في الفم، وتحتاج إلى جهد واضح في إخراجها. هذا وما تقدم من فرق في المعنى يدلك على أنَّ اختيار القدماء لمصطلح العدول، كان موفقاً أكثر من اختيار المحدثين لمصطلح الانزياح.

**أهم النتائج**

تنبَّه علماؤنا القدماء لهذه الظاهرة قبل الغرب بكثير، وهو عندهم إجباري كما في قال، ونحوه، واختياري فيما غير ذلك.

مصطلح العدول كان مُستخدَماً عند القدماء بالمعنى نفسه الذي استخدم فيه مصطلح الانزياح حديثاً.

مصطلح الانزياح مترجم عن بعض اللغات الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.

مصطلح العدول بدأ استخدامه فيما تبيَّن من البحث في القرن الرابع الهجري حتى العصر الحديث، وقد استخدم الخليل وسيبويه اسم المفعول منه للمعنى نفسه.

معنى العدول أدق بكثير من معنى الانزياح للمعنى المقصود عند اللسانيين العرب.

مصطلح العدول كان أكثر وروداً في القرن السابع في المؤلفات من غيره من القرون التي عاشتها الثقافة العربية.

يطلق بعض المحدثين على هذه الظاهر مصطلح الانحراف أو الترخص أو الازدواج أو غير ذلك.

هذه الظاهرة برمتها تحفها المخاطر والمشاكل والعوائق كما تبين في البحث.

العدول أسهل في اللفظ والاستخدام من الانزياح.

يُفضَّلُ للباحثين أنْ يعودوا لمصطلح العدول حفاظاً على دقة المعنى، وعلى أصالة المصطلح وسهولته في البحث، واحتراماً لجهود علمائنا القدماء.

**فهرس الهوامش:**

1)ابن عقيل، عبد الرحمن،المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق د.محمد كامل بركات، دار المدني، جدة،1984م 605/2

2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد, العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار الهلال, بيروت, د ت 276/3(زيح)، والبيت في ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، دار صادر، بيروت، ب ت. ص 307

3)الزمخشري، محمود، أساس البلاغة،تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،1998م 1/ 428

4) الجوهري، إسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر،بيروت،1998م ، 332/1

5) ابن منظور المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ب ت 470/2والحديث في صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار الفجر للتراث،القاهرة،2005م 204/3، رقم 4418

6)علم الأسلوب والنظرية البنائية د. صلاح فضل، دار الكتاب المصري، القاهرة 2007م،548/2

7)جيرو، بير، الأسلوبية، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء، حلب،1994م ص 134

8)المرجع السابق ص75

9)عياشي، د. منذر، مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1990م ص 81

10)جيرو، بير، الأسلوبية ص129

11) المرجع السابق ص 84

12)عيد، د. رجاء، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الاسكندرية،1993م ص 44

13) جيرو، بير، الأسلوبية 44

14) المرجع السابق ص: 47،111

15) بليث، هنريش، البلاغة والأسلوبية، ترجمة وتعليق د. محمد العمري،أفريقياالشرق،المغرب،1999م ص57

16)البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ص83،14

17) المرجع السابق ص 151

18) مقالات في الأسلوبية، ص 35 وما بعدها

19)البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ص 229

20)المسدي، د. عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، د. ت ص69،68،67،65

21) المرجع السابق 98

22) المرجع السابق 103،102،101

23) فضل، د. صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1996م ص231

24) في الأسلوب الأدبي، د. علي أبو ملحم، المكتبة العصرية، بيروت، ب ت ص5

25) بلاغة الخطاب وعلم النص 248،249

26) محصول، سامية، الانزياح في الدراسات الأسلوبية، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للدراسات والبحوث، الجزائر، العدد الخامس، فيفري 2010م elcheyekhe.blogspot.com

27) المرجع السابق

28) جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص 194،بتصرف.

29)المرجع السابق ص194
30) الانزياح في الدراسات الأسلوبية، سامية محصول elcheyekhe.blogspot.com
31) ابن هشام، عبد الله، مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت،1991م 791/2
32) مقالات في الأسلوبية ص80،81
33) البلاغة والأسلوبية ص66
34) مصلوح، د. سعد، في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة،1993م ص28-34
35) الأسلوبية والأسلوب ص 105
36) البلاغة والأسلوبية، د. يوسف ص 164
37) عبابنة، د. سامي محمد ، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة للتراث النقدي، عالم الكتب الحديثة،أربد،2007م ص89
38) أبو العدوس، د. يوسف، البلاغة والأسلوبية ،الأهلية للنشر، الأردن،1999م ص 76
39) البلاغة والأسلوبية، د. يوسف ص79
40) جيرو، بير، الأسلوبية ص 38
41) عيد، رجاء، ، لغة الشعر، منشأة المعارف الإسكندرية،1985م ص .114
42) بلاغة الخطاب وعلم النص 254
43) الأسعد، محمد، مقالة في اللغة الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م ص 40
44) بلاغة الخطاب وعلم النص 257
45) الأسلوبية والأسلوب ص106
46)فضل، د. صلاح ،علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1998م ص 33
47) البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ص188
48) البلاغة والأسلوبية ص58
49) الأسلوبية والأسلوب ص 104
50) بلاغة الخطاب وعلم النص 259،260
51) فضل، د. صلاح، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة 2007م 200/1،201
52) علم الأسلوب والنظرية البنائية ص 195
53) حسان، د. تمام، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب،القاهرة،2006م ص 144
54) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وغيره، دار الحرم للتراث، القاهرة، د ت 339/1
55) ابن منظور المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ب ت (غدا) 116/15
56)القزويني، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، د ت رقم 1578، 502/1،503
57)مصاروة، د. جزاء، ظاهرة الازدواج في العربية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، مجلد 1 عدد 1 2005م ص 17
58)العين للخليل 39/2،40)، والصحاح 1314/2)
59)أساس البلاغة 638/1،والذهبي، شمس الدين محمد ،سير أعلام النبلاء، الشيخ شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت،1993م 372/2، وزاد في العين، وسير أعلام النبلاء: "في الثقاف".
60) الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، غريب الحديث، تخريج وتعليق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،1985م 473/1
61)لسان العرب (عدل)122/9
62)الصحاح (زور) 551/1

63)ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1999م 60/1
64) المرجع السابق270/2
65)شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، أحمد بن محمد، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،1991م 256/1
66) سر الفصاحة لابن سنان ، دار الكتب العلمية،بيروت،1982م 110/1
67)الزمخشري، محمود جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، قدم له د. محمد السعيدي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1990م ص 476
68) السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،1987م 236/1
69) أثير الدين، نصرالله بن محمد، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت،1990م 277/1
70) المثل السائر، لأثير الدين 12/2
71)الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، 1993م 103/2
72) النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004 م ط 1 194/3
73) المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي،2008م 1373/3
74)القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر، القاهرة، د ت 220/9
75) الجَوجَري، محمد شمس الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق د.نواف بن جزاء الحارثي، البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، 2004م268/1
76) العباسي، عبد الرحيم، معاهد التنصيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، علم الكتب،بيروت،1947م 1/ 180
77) المقري، أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1997م 565/3
78) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م 1 /1066
79) الخضري حاشيته على ابن عقيل، تحقيق تركي المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت،1998م 79/1
80) حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، 1996م 100/4
81) سيبويه،عمرو،الكتاب،تحقيق عبد السلام هارون،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،1968م 224/3
82)الخصائص 394/2
83) الكتاب سيبويه 155/2
84)الأنباري،أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار إحياء التراث، القاهرة، د ت 190/1
85) المفصل للزمخشري ص 447
86) الأسلوبية ونظرية النص، د.إبراهيم خليل،المؤسسة العربيةللدراسات والنشر، بيروت،1997م ص 42
87) شعر أبي القاسم الشابي دراسة أسلوبية، فريد د.حيدر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،2002م ص9-38
88) الخطيب القزويني، إيضاح في علوم البلاغة، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1998م 66/1
89) الأشرم، د. المتولي، العدول عن الأصل في أبنية الكلم، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة،2003م ص 11 وما بعدها

90) الليثي، د. أحمد، الاتجاه العدولي في القرآن،2003م، مؤتمر العربية وقرن من الدرس النحوي، دار العلوم جامعة القاهرة، ص 353-.399
91) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، بدر الدين،تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،2001م ص 185
92) بلاغة الخطاب وعلم النص 251
93) جيرو، بير، الأسلوبية ص 64
94) أنيس، د.إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، مصر،1979م ص 21
95)الأصوات اللغوية ص20، وانظر ابن جني،عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق د.حسن هنداوي،دار القلم، دمشق،7985م (321)،(229)، (189)، (573)
96) الأصوات اللغوية د. أنيس 46
97) المرجع السابق 154
98)عبد التواب، د. رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي،القاهرة،1982م ص 91
99) الأصوات اللغوية د. أنيس 48
100) المرجع السابق 64،88
101) المرجع السابق 88
102) المرجع السابق 66،76،88
103) المرجع السابق 76،66
104) المرجع السابق 87

## مصادر البحث ومراجعه:


1. ابن الناظم، بدر الدين،المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م
2. ابن جني،عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق د.حسن هنداوي،دار القلم، دمشق،1985م
3. ابن جني،عثمان،الخصائص، تحقيق محمد النجار،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1999م
4. ابن عقيل،عبدالرحمن،المساعدعلى تسهيل الفوائد، تحقيق د.محمد كامل بركات، دار المدني، جدة،1984م
5. ابن منظور المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ب ت
6. ابن هشام، عبد الله، مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت،1991م
7. أبو العدوس، د. يوسف، البلاغة والأسلوبية ،الأهلية للنشر، الأردن،1999م
8. أبو ملحم، د. علي ،في الأسلوب الأدبي، المكتبة العصرية،بيروت،ب ت
9. أثير الدين، نصرالله بن محمد، المثل السائر،تحقيق محمد محيي الدين،المكتبة العصرية، بيروت،1990م
10. الأسعد، محمد، مقالة في اللغة الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م
11. الأشرم، د. المتولي، العدول عن الأصل في أبنية الكلم، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة،2003م
12. الأعشى، ميمون بن قيس،دار صادر،بيروت،ب ت.
13. الأنباري،أبو البركات، الانصاف في مسائل الخلاف،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار إحياء التراث، القاهرة، د ت
14. أنيس، د.إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، مصر،1979م

15. البخاري،محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار الفجر للتراث،القاهرة،2005م
16. بليث، هنريش، البلاغة والأسلوبية ترجمة وتعليق د. محمد العمري،أفريقيا الشرق،المغرب،1999م
17. الجَوجَري، محمد شمس الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق د.نواف بن جزاء الحارثي، البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، 2004م
18. الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، غريب الحديث ، تخريج وتعليق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م
19. الجوهري،اسماعيل،تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر،بيروت،1998م
20. جيرو، بير، الأسلوبية، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء، حلب،1994م
21. حسان، د. تمام،مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب،القاهرة،2006م
22. حسن، عباس،النحو الوافي،دارالمعارف، القاهرة، 1996م
23. حيدر، د. فريد ، شعر أبي القاسم الشابي دراسة أسلوبية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،2002م
24. الخضري حاشيته على ابن عقيل،تحقيق تركي المصطفى،دار الكتب العلمية، بيروت،1998م
25. الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، 1993م
26. الخطيب،القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة،تحقيق الشيخ بهيج غزاوي،دارإحياء العلوم، بيروت، 1998م
27. الخفاجي، عبد الله ابن سنان، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية،بيروت،1982م
28. خليل ، د.إبراهيم، الأسلوبية ونظرية النص ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1997م
29. الذهبي، شمس الدين محمد ، سير أعلام النبلاء، الشيخ شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة،بيروت،1993م
30. الزمخشري، محمود جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، قدم له د. محمد السعيدي، دار إحياء العلوم،بيروت، 1990م
31. الزمخشري،محمود،أساس البلاغة، تحقيق باسل عيون السود،دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م
32. السكاكي،يوسف، مفتاح العلوم،تحقيق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية، بيروت،1987م
33. سيبويه،عمرو،الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،1968م
34. السيوطي، جلال الدين،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وغيره،دار الحرم للتراث،القاهرة، د ت
35. عبابنة، د. سامي محمد ، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة للتراث النقدي، عالم الكتب الحديثة،أربد،2007م
36. العباسي،عبدالرحيم، معاهد التنصيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، علم الكتب،بيروت،1947م
37. عبد التواب،د.رمضان،المدخل إلى علم اللغة،مكتبة الخانجي،القاهرة،1982م

38. عياشي،د. منذر،مقالات في الأسلوبية،اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1990م
39. عيد، رجاء، ، لغة الشعر، منشأة المعارف الإسكندرية،1985م
40. عيد،د. رجاء، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث،منشأة المعارف، الاسكندرية،1993م
41. الفراهيدي،الخليل بن أحمد,العين، تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي،دار الهلال,بيروت,د ت
42. فضل، د. صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1996م
43. فضل، د. صلاح، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة 2007م
44. فضل،د. صلاح ،علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1998م
45. القزويني،محمد بن يزيد،سنن ابن ماجة،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،د ت
46. القلقشندي، أحمد بن علي،صبح الأعشى،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصريةالعامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر، القاهرة، د ت
47. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م
48. كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986م
49. الليثي، د. أحمد، الاتجاه العدولي في القرآن،2003م، مؤتمر العربية وقرن من الدرس النحوي، دار العلوم جامعة القاهرة.
50. محصول ، سامية ، الانزياح في الدراسات الأسلوبية، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للدراسات والبحوث، الجزائر، العدد الخامس، فيفري 2010م elcheyekhe.blogspot.com
51. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن،توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،تحقيق د.عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي،2008م
52. المرزوقي،أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة ،تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون،دار الجيل، بيروت،1991م
53. المسدي، د. عبد السلام،الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، د. ت
54. مصاروة، د. جزاء،ظاهرة الازدواج في العربية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها،الأردن،مجلد 1 عدد 1 2005م
55. مصلوح، د. سعد، في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة،1993م
56. المقري، أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1997م
57. النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م ط 1

# تفاعل الكتابي والأيقوني في الرواية

**محمد العنوز**

**مقدمة**

يندرج هذا العمل ضمن إطار للتحليل يهم دراسة النص الروائي، متخذا له نموذجا مخصوصا هو الرواية المغربية، من خلال رواية **"سيرك عمار"**[48]، للمؤلف «**سعيد علوش**»، الذي تعد نصوصه مختلفة باختلاف طرقها في التدليل، وأنماطها في الاشتغال، من حيث إواليات البناء، وكيفيات تنظيم المعطيات النصية، والاستفادة من التقنيات البصرية في التعامل مع شعرية الكتابة.

انطلاقا من أهمية النص المدروس، يمكن بلورة الإشكالية العامة كالآتي:**هل يتكامل الكتابي والأيقوني[49] في رواية "سيرك عمار" أم ينفصلان ؟**

تعتبر مفاهيم السيميائيات البصرية (Sémiotique Visuelle) مثل: اللوحة والإطار والتصوير والنظرة المرسومة والكاريكاتير والتيبوغرافيا... إلخ أهم ركائز المنهج "السيميائي البصري"، مما دفع بنا إلى البحث في سيرورات التدليل، مادام اعتماد هذه المفاهيم يمكن من تحديد سيميوز "النص الأيقوني" (Iconotexte)، وطبيعة اشتغاله في هذا النوع من النصوص التي تمزج بين المرئي والمكتوب.

يطرح النص الأيقوني إشكالية حقيقية تتمثل في طبيعة العلاقة التي تربط المرئي بالمكتوب، هل هي علاقة تكاملية/تفاعلية؟ أم علاقة غير تكاملية/انفصالية؟ سنحاول في هذا المقال الإجابة عن هذا الإشكال من خلال البحث عن عناصر التدليل داخل النص الأيقوني.

---

* ذ. باحث في السيميائيات والأدب الرقمي بالكلية المتعددة التخصصات،ص.ب.**512** بوتلامين الرشيدية–المغرب.

(1) سعيد، علوش. سيرك عمار، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، **2008.**

(49) يقصد بالأيقون(**icône** ) حسب شارل ساندرس بيرس بكونه علامة محددة من خلال علاقات التشابه بينه وبين ما يحيل إليه في العالم الخارجي، وهو مخالف في الوقت نفسه للمؤشر الذي يميز بواسطة علاقات التجاور الطبيعية ، وللرمز المؤسس على التعاقد الاجتماعي انظر:

- GREMAS (AJ), COURTES (J). Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, T1, Ed. Hachette, Paris, 1979, P.177.

**- تحديد مفهوم النص الأيقوني.**

يتفق معظم المشتغلين بمفهوم النص الأيقوني (نذكر منهم ألان مونتادان (**Alain Montandon**) وليليان لوفيل (**Liliane Louvel**) ... ، أن استخدامه يرجع إلى ميشيل نرليش (**Michael Nerlish**) ، الذي وضعه في برلين سنة 1985، وتم بعد ذلك بمدة قصيرة التواضع عليه في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، ثم تطور ليصبح مكونا رئيسا يدخل ضمن اللغة النقدية للروايتين الفرنسية والإسبانية ...إلخ). [(50)].

أدى تطور هذا المفهوم إلى إدماجه ضمن المصطلحات السيميائية، ليهم بالأساس التعالق اللفظي-البصري (**Verbale-Visuel**)، داخل النص المكتوب، ويعد نتاج تعاون بين التشكيليين والفوتوغرافيين والكتاب، وغالبا ما نلفي أن من أبرز الذين يكتبون بطريقة يتناغم فيها البصري باللفظي نجدهم فنانين تشكيليين يمزجون بين الكتابة الخطية والرسم الآني.

سبقت هذا المفهوم ممهدات كانت سندا رئيسا لولادته نذكر منها:

- العمل الفني (**L'œuvre d'art**)، ويرتبط بالتشكيل عموما، وكان يعد بؤرة اندماج البصري باللفظي.

- الرواية - الصورة (**Le roman-photo**) وتهم بالأساس تلك الروايات التي سادت في القرن التاسع عشر الميلادي بالخصوص، حيث كانت تدمج في الغالب صورا تعد نواة معنوية تدور حولها أحداث الرواية.

-"الكاليغرام"(**Calligramme**) يرتبط بالشعر خاصة مع "غيوم أبولينير" (**Guillaume Apollinaire**) ، ويخص المقاطع الشعرية المكتوبة على شكل صورة (أنظر قصائد "المطر"و"القلب" و"الطائر" **لأبولينير**)، لقد كانت هذه الأشكال السيميائية، اللبنات الأولى لظهور النص الأيقوني.

وتشير ليليان لوفيل إلى "**أن النقد بصفة عامة والنقد الأنجلوساكسوني بصفة خاصة، قد استعمل مجموعة من الاستعارات التي استقاها من الفنون البصرية، شكلت النص الأيقوني منها: البصري (Pittoresque) واستعارات فضائية مثل: "بنية " (Structure)، "إطار"(Cadre)، "دائرية"(Circulaire)،"انفتاح" (Ouverture)**

[(3)] **MONTANDON Alain. Préface, In Signe/Texte/Image, Césura Lyon, Ed, Meyzieu, 1990, P.7.**

**"لون" (Couleur)، "نسيج" (Texture)، "صورة" (Image)، تدخل ضمن التقابل بين الصورة والنص "**[51].

إن ما يبرز حضور البصري في النقد هو الإحالة إلى الفنون البصرية داخل النص، ولعل هذا ما جعل رينهارد كريجر يرى أن **" تاريخ موضوع النص الأيقوني ليس بعيدا عن تاريخ الأدب، إنه مرتبط بتاريخ الفنون البصرية"**[52].

يمكن من خلال النص الأيقوني أن نتحدث عن شعرية للكتابة داخل أداتيتها البصرية، إننا بصدد التواجد المزدوج لنمطين من التعبير يحرص كل واحد منهما على خصوصيته المتفردة."**إننا نرى كما أننا نقرأ، وهذا يكون بطريقة ضمنية، فالنص يفترض تمازجا بين الصورة والنص بمعنى أنه يضع بعين الاعتبار الصورة في نمط سردي مخصوص"**[53].

تفرض خصوصية النص الأيقوني الحفاظ على المسافة بين اللفظي والصورة، مادامـا يشكلان كيانين لا يمكن أن يعبرا عن نفس الشيء. ويرجع الاهتمام بدمج هذين النسقين السيميائيين، من منظور نص أيقوني إلى فضاء الكتابة ومرئية العلامات المكونة للنص.

ينهل النص الأيقوني في نهاية التحليل من العناصر المكونة للنسقين معا، أي اللفظي والبصري، يكونان سيميوزا ( Sémiosis ) تدليليا باعتبارهما تابعان لنفس النموذج، " **فالنص المقروء في كلا الحالين يشكل صورة أو أيقونة دلالية"**[54].

نجد من حيث التدليل أن النص الأيقوني يرتبط باشتغال نسقين سيميائيين مختلفين، إذ تشتغل المعطيات البصرية في النص اللفظي بكيفية تحترم من خلالها خصوصيتها، وترتبط هذه الآليات البصرية أيضا بالطبيعة البصرية للنص، مما يجعل التساؤل حول طبيعة تشييد الدلالة أمرا واردا، هذا ما نصطلح عليه بالتدليل (Signification) ، أي كيف يقول النص ما يقوله استنادا إلى تكامل النص الأيقوني.

---

**(4) LOUVEL Liliane. Nuances du Pictural, In Poétique, N° 117, 2001, P. 180.**

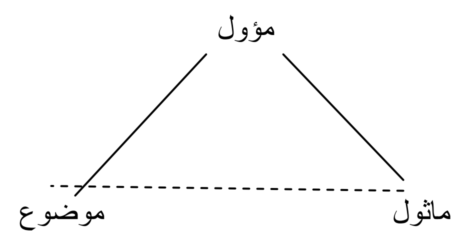
**(5) KRUGER Reinhard. L'écriture et la conquête de l'espace plastique, comment le texte est devenu image, In Signe/Texte/Image, op.cit,1990 , P.14.**

**(6) DIETERLE Bernard. Problèmes de l'iconotexte narratif, In Signe/ Texte/Image, op.cit, 1990, P.101.**

**(54) عبد المسيح ماري تريز. التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002، ص 15.**

**1- ما سيرورات التدليل؟**

إن التساؤل حول المعنى، عن طبيعته، وعن شروط إنتاجه، في علاقته بالنص، هو تساؤل عن طبيعة التدليل نفسه، أي الكيفية التي يأتي بها المعنى، مادام النص يشتغل بوصفه سيميوزا، ويقصد به السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما بوصفه علامة، يستدعي ذلك ثلاثة عناصر ينظر إليها بوصفها تخوما: ماثول ( Représentant ) يحيل على موضوع ( Objet ) عبر مؤول( Interprétant) وفق الخطاطة الآتية:




فالماثول كما يعرفه بورس (Peirce) **"شيء يعوض شيئا ما بأية صفة وبأية طريقة، إنه يخلق عند شخص ما علامة موازية أو علامة أكثر تطورا، إن العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولا للعلامة الأولى، وهذه العلامة تحل محل شيء هو موضوعها"**[55].

أما الموضوع فهو ("ما يقوم الماثول بتمثيله سواء كان هذا الموضوع واقعيا أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو غير قابل للتخيل.

أما المؤول فيشكل عنصر التوسط الإلزامي، ويجعل من إحالة الماثول على الموضوع أمرا ممكنا")[56].

إن سيرورة ( Processus) التدليل إذن، تعتمد على مجموعة من الأدوات التي تسهم في إنتاج المعنى، والقذف به نحو ساحة التداول، أي الخروج من الوجود بالقوة في العالم الممكن، إلى الوجود بالفعل عبر المعطيات النصية، من حدود الإمكان إلى التحقق عبر تجليه في آليات اشتغال له مخصوصة. انطلاقا من ذلك، وبالنظر إلى التعالق اللفظي – البصري، لا يمكن مفصلة هذين النسقين السيميائيين في تحديد أنماط الدلالة، إلا عن طريق

---

**(55) PEIRCE (Charles, S). Ecrits sur le signe rassembles, traduits et commentés par Gérard Deledalle, Ed, Seuil, Paris, 1978, P.121.**
**(56 ) Ibid, P. 122.**

التدليل أي الكيفية التي يشتغل من خلالها النص الأيقوني بوصفه سيرورة للدلالة.

يرتكز النص الأيقوني في التدليل على مجموعة من الآليات البصرية نذكر منها:

- **معمار النص** ( Archi texte): الذي ينتظم نصا أيقونيا باعتباره لوحة، تشتغل عبر مجموعة من العلامات البصرية.

- **عين النص**(L'oeil de texte ): تشتغل الصورة اعتمادا على العنصر السابق، بوصفها الكوة التي نطل من خلالها على المعطيات النصية، بوصفها نماذج بصرية، تهم تركيب الفضاء البصري والتيبوغرافيا المميزة للنص.

**2- إواليات التدليل.**

**1.2- معمار النص.**

**1.1.2- المعمار بين الحد والوظيفة.**

يخضع معمار النص من حيث تحديده، وطريقته في التدليل و الاشتغال إلى الجهاز النظري الذي يروم دراسة النص، أي مختلف المفاهيم الإجرائية التي تحدد المنهج الذي تتبناه النظرية بوصفها جهازا واصفا، له كفايته المخصوصة وطريقته في الاستدلال عموما.

يختلف معمار النص من هذا المنظور باختلاف الإطار النظري الذي يستند إليه في التحليل، وبالتالي فهو من جهة النص الأيقوني تركيبا للنص ينظر إليه بوصفه لوحة، تنتظم فيه المعطيات البصرية بشكل يجعل من اندماج النسق اللفظي والنسق البصري أمرا ممكنا. " **يشكل النص أيضا فضاء تلتقي فيه الكلمة المكتوبة والصورة المرئية**" [(57)]

يتم التمييز نصا أيقونيا بين عنصرين يشكلان معمار النص:

أ -**الغلاف**: حيث ينظر إليه بوصفه لوحة (Tableau) تشتغل باعتبارها صفحة تتميز عن الصفحات المشكلة للنص المتن بطابعها الدلالي الأيقوني، وبتنظيم العلامات البصرية بكيفية تجعلها تجذر (Ancrage) المتن النصي بأكمله، وتبرز كيف يأتي المعنى إليه.

ب - **النص/اللوحة**: ( Texte/Tableau) يشكل المتن النصي برمته، وطريقة تنظيم اللوحتين المشكلين لفضاء الصفحات اليسرى والصفحات اليمنى بصريا، حيث تعد لوحات تشكل محفلا لاندماج اللساني في البصري.

---

(57) **عبد المسيح ماري تريز. التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب ،مرجع سابق،2002، ص 26.**

### 2.1.2- نمطا تدليل معمار النص.

### 1.2.1.2الغلاف والدلالة الأيقونية:

**أ- التشكيل الأيقوني.**

تضعنا واجهة رواية "**سيرك عمار**" أمام تنظيم تتفاعل فيه الأشياء بطريقة مخصوصة، في رأس الصفحة نلفي إسم المؤلف "**سعيد علوش**"، مكتوبا باللون البنفسجي وبخط مضغوط. وفي موقع محوري يوجد عنوان النص مكتوبا بنفس اللون، وبشكل بارز، وتملأ الصفحة صورة بهلوان يرتدي ثيابا بهلوانية ذات اللونين الأبيض والأسود، ويمسك بيده اليسرى حذاء رجله اليسرى التي حدد فوقها جنس هذا الإبداع "رواية" مكتوبة بخط أقل بروزا وبنفس اللون البنفسجي. توجد في أسفل الصفحة دار النشر "أبي رقراق" كتبت بطريقة عمودية، تمتزج فيها عدة ألوان تسمها (الأسود و الأزرق و الأخضر و الأصفر والبرتقالي).

هذا كل ما يقوله المؤول المباشر لهذا التشكيل الأيقوني، إننا فقط قمنا بالوقوف عند حدود ما تصفه هذه العلامات البصرية بطريقة مباشرة، عند المعنى التقريري وحسب. لكن هذا لا يسعف في استكناه دلالات الغلاف إلا باستدعاء مؤول دينامي، يجعل الانتقال من المعاني المباشرة إلى المعاني الإيحائية أمرا واردا، إذ نستدعي تجربة جانبية سابقة في الوجود والاشتغال عن ما هو متحقق نصيا، وهي الكفيلة بتناسل المعنى وطرحه لمتاهات التأويل.

**ب – تأويل أيقونية الغلاف.**

يوجد إسم المؤلف "**سعيد علوش**" في رأس صفحة الغلاف مكتوبا بخط مضغوط خارج الإطار الأبيض، لإبراز الخصوصية والتفرد، في حين يقع عنوان الرواية "سيرك عمار" مكتوبا بخط بارز وبلون بنفسجي وسط مساحة بيضاء، إنها تشير إلى الفضاء المفتوح واللامحدود، والمركب الإضافي "سيرك عمار" هو تساوق أيقوني يعني صاحب، فهو يستعمل للتعبير عن الملكية. وقد يفيد في النص تحقيق الملكية العائلية للسيرك، إن العنوان "**سيرك عمار**" بالنظر إلى جماعه كله يمكن أن يختزل في: سيرك آل عمار أو سيرك شجرة آل عمار.

يعد استعمال "**السيرك**" دالا أيقونيا يحيل إلى نمط في التفكير وطريقة في الرؤية إلى العالم، إن الأمر يتعلق بكون قيمي قديم، لكنه يتطور وفق الأدوات والآليات الموظفة في السيرك.

يوجد العنوان "**سيرك عمار**" في الوسط، تجذيرا للنص بأكمله، ف"**سيرك عمار**" عنوان مستلهم من الأبطال الرئيسيين للنص، يختزل عدة مشاهد في مركب إضافي واحد "**الإخوة عمار**"، فتشاكل العنوان الدلالي

وموقعه في وسط الإطار الأبيض يجعل العين تتجه نحوه مباشرة، مما يشير إلى كون **"سيرك عمار"** سيكون من أشهر السيركات ومركز اهتمام لدى الجمهور في العديد من بلدان العالم. **" لم يعد "سيرك الإخوة عمار" يبرمج لجولاته، بل أخذت الدعوات تتقاطر عليهم من كل حدب وصوب، عاد لبلجيكا مرات حقق فيها نجاحات على سيركات دولية عتيدة بما فيها السيرك الملكي البلجيكي ...."** ص 94.

يشغل الحيز الأكبر للإطار الأبيض كائن إنساني يرتدي ثيابا بهلوانية وهو ما يحيل على الدور الرئيس الذي يلعبه البهلوان في العروض التي يقدمها السيرك للجمهور، ذلك أن البهلوان هو القادر على ارتداء ملابس خارقة وغير مألوفة لدى عامة الناس، وأيضا القادر على القيام بحركات بهلوانية وأشياء أخرى تثير الدهشة والضحك لدى الجمهور، ومادام الحذاء الذي يحمله البهلوان بيده اليسرى جاءت فوقه كلمة سيرك، فقد تعني "ملجأ" للجمهور وملاذا له، فكما يرتدي الإنسان الحذاء وقاية له من الحر والأشواك، صار السيرك كذلك، يلجأ إليه من أجل الترفيه ونسيان مشاكل الحياة، كما أن كلمة "عمار" جاءت فوق صورة البهلوان إشارة إلى دوره في متن النص. أي أن البهلوان هو عمار نفسه.

توجد دار النشر أبي رقراق في أسفل الصفحة وخارج الإطار الأبيض، كتبت بشكل عمودي تمتزج فيها عدة ألوان، وهي إشارة إلى حاضن النص وناشره والحافظ لجميع حقوق نشره.

يقع تحديد جنس هذا الإبداع الأدبي "رواية" تحت العنوان وفوق رجل البهلوان، مما يجعل هذا الجنس فضاء تدور فيه كل أحداث السيرك، وهو إشارة أيضا إلى الغلابة والمقهورين... فكما أن السيرك متنفس لمختلف مشاكل إنسان هذا العصر، ربما يرى المؤلف الدور نفسه للرواية، حيث صارت أسهل الأجناس تعبيرا عن هموم الناس ومشاكلهم، كما أن الخلفية البيضاء للإطار تحيل إلى الأصل والبداية، بداية حياة وأحداث جديدة.

**" هاهو أحمد عمار يتقمص دور كبير بهلوانات الغجر بلباسه المزركش يسير خلفه سعيد عمار، وقد ألصق حدبة نوتردام دوباري على كتفيه، يتبعه مصطفى عمار بوجه الأسيوي الأصفر، يتعثر بأذيال لباس الدايلالاما، يجمع كفيه أمام وجهه لتحية جمهور الغلابة ..."** ص 125.

تحضر كل هذه العناصر السالفة الذكر، بوصفها صورا مساعدة لعنوان الرواية، ترتبط بالحياة اليومية للإنسان بكل تفاصيلها، ومدخلا ميسرا لفهم وقراءة العمل الروائي، فكل قراءة تنطلق بقراءة المكتوب والبصري للغلاف قبل القراءة الأولية لمتن النص.

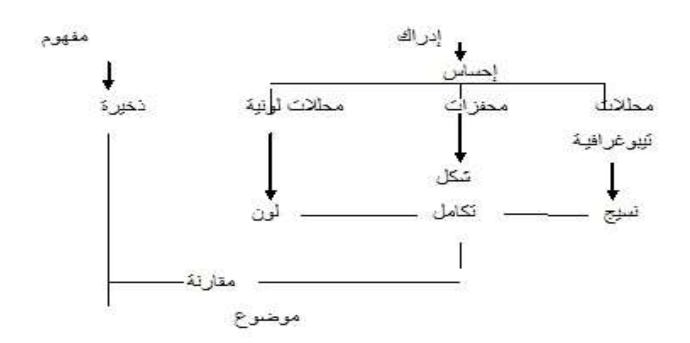
### 2.2.1.2- النص/ اللوحة

**أ- تحديد المفهوم:**

تتأسس العلاقة بين اللوحة والنص على قاعدة التبادل والقلب للسنن (Code) النصي،إذ يتم وصف اللوحة من خلال سنن متدرج للقراءة الخطية مما يخلق الحدث- اللوحة، يشير إلى إواليات الرسم دون الإحالة مباشرة على الرسم أو غيره.

توظف اللوحة على مستوى الشخصيات لأجل تجذير الوصف، حتى يصبح أشبه بالمرسوم، ويتم هذا من خلال **"إعادة إنتاج بعض الرسومات التشكيلية... التي تتضمن عنصرا حكائيا، حيث المسار الذي تقطعه العين يقدم السردية من خلال فضاءات تحرك قراءة الرسم، ويتم التمييز من خلاله بين فضاءين: الأول أيقوني و الآخر تشكيلي"(58).**

يتم هذا عن طريق التمييز بين العلامة الأيقونية ( Signe Iconique) والعلامة التشكيلية(Signe plastique) ، حيث عندما نصف سيرورة الأيقونية نضع بدءا التجلي التشكيلي بين المحافل الطبيعية والمحافل الثقافية. ويندمج التشكيلي والأيقوني وفق الخطاطة التالية:




فالتشكيلي يضم: الألوان والنسيج والأشكال، أي كل ما هو اصطناعي يخضع لتوافقات ثقافية، أي ما يعود إلى الثقافي. أما الأيقوني،

---

**(58) GAUTHIER Robert. La chute ou de l'iconisme à la narrativité, In Langages et significations, lire et ensigner le texte et l' image, Ed, Université de Toulouse - le- Mirail, 1989, PP, 221. 222.**

فيحيل إلى المعادلات الموضوعية كالجسد الإنساني والنظرة والوضعة (Pose)... إلخ ، أي كل ما تحبل به الطبيعة، ولا يتم التمييز بين التشكيلي والأيقوني إلا إجرائيا، وتقدم جماعة "مو" لهذا التمييز مثالا:("البقعة الزرقاء"، فعندما نكون أمامها نقول إننا بصدد علامة تشكيلية، أما عندما نقول إنها تمثيل للأزرق، فالأمر يتعلق بعلامة أيقونية) ، ولا يمكن الحديث عن علامة في حد ذاتها سواء كانت تشكيلية أم أيقونية، وإنما عن علامة بصرية تجمع بين البعدين، أي ما يعود إلى الذخيرة (Répertoire) أي الأيقوني وبين الاستعمال الاصطناعي أي التشكيلي.

**ب – تدليل اللوحة.**

تحضر إواليات الرسم في النص بأبعاد متعددة، كما تشير إليه الصور الآتية: **"تعودت الفنانة بوشعيبة البيضاوية الجلوس في الصفوف الأولى بقفطانها الأخضر، قفطان المليفة والفولار الشلحي الأصفر والشربيل الفاسي الأحمر، مما يثير الانتباه إلى الفنانة محبوبة الجماهير لحد أنها أصبحت جزءا من ديكور السيرك، وهي تعيط عيطاتها المرساوية"**. ص 214.

نلاحظ من خلال هذه الفقرة أنها مبأرة، تقع على المستوى التشكيلي أقرب إلى الوسط، حيث تتجه العين مباشرة نحوها، ثم تنزاح عبر الصفحة، كما أن مختلف الأشياء البسيطة الموصوفة تشبه عناصر اللوحة.

تنتمي التعابير في غالبيتها إلى مصطلحات الرسم من حيث التنضيد الجلي للمشاهد الجامدة،وهي التقنية نفسها الموجودة في الرسم مادام **"أن الرسم أكثر نجاعة من الكلمة "(59).**

إذا أخذنا بعين الاعتبار الفصول المتعلقة بالصور البصرية ( أولا: شجرة آل عمار. ثانيا: نساء سيرك عمار. ثالثا: خيمة آل عمار. رابعا: بهلوانات آل عمار. خامسا: حمان آل التيس. سادسا: متحف آل عمار.)، نجد حضور الرسم واضحا من خلال اللوحات الكثيرة بأشكالها التشكيلية المختلفة (كما في الصفحات: 451.305.277.229.138. ). تشبه الصفحة ضمن الصفحة." **إن أسهل ما يمكن إظهاره في صفحة كتاب من بين جميع الأشياء الخارجية هو صفحة كتاب آخر، فجميع الكلمات وجميع عبارات نص متتابع... مع ما فيها من فضلات وعناوين جارية: (..) وهذا ما يحدث مثلا**

---

**(59) VILLANT Pascal. Sémiotique des langages d'icônes, Ed, Honoré Champion, Paris, 1999, P.14.**

**في الرواية عندما نعيد التأثير الذي أحدثه إعلان ما أو كتابة ما رآها البطل فجأة " [60].**

### 2.2-عين النص.

#### 1.2.2- ضبط المفهوم.

تشكل الصورة عينا للنص بحضور نسقين سيميائيين، أي نسق لساني وآخر بصري، حيث وجود علاقة بين نسق خطي ونسق آني. إن التكامل بين العلامات البصرية والعلامات اللسانية هو ما يؤسس النص الأيقوني وبالتالي ف **" النص المكتوب يدرك بوصفه بنية من العلامات البصرية "[61]**.

تولد الصورة النص، إذ من هذا التوليد يتحقق النص الأيقوني، يهم بالأساس التعريف بوظيفة الصورة فيه، إذ هي إعداد للرؤية ارتبطت بالتصوير المتعلق باللوحة، مما يجعل النص صورة انطلاقا من اشتغال مادته الخاصة المرتبطة بالحرف.

تتأثر العين الرائية بإعداد الفضاء، وتلوين إيقاع الأبيض والأسود وشكل الحروف والكتابة المائلة ووضع الأسماء وعلامات الترقيم، كل هذا " **يستلم من قبل العين التي ترى بمقدار العين التي تقرأ" [62].**

تملك العين خصائص الوجود في كل مكان وتدرك مجموعات فرعية وتقارنها وتكشف اختلافاتها وتشابهاتها. تدرك التشابهات بين القوالب الخطية، لكن تدرك أيضا اختلافاتها في المكان، إذا لم يكن لهذا الاختلاف دلالة، فمن الممكن إلغاؤه.

### 2.2.2- طرق اشتغال عين النص.

#### 1.2.2.2- إعداد الصفحة.

يقصد بإعداد الصفحة ( Mise en page) المستطيل الذي يميزها وكيفية إعداده من حيث الهوامش وتنظيم الصفحة وتأثيثها فضائيا: فهي في نص "سيرك عمار" مستطيل متلاحم الأجزاء ومقسم إلى فقرات توضحها بعض العناوين.

---

(14) بوتور ميشيل . بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى ، 1971، ص 128.

(61) **KRUGER Reinhard. L'écriture et la conquête de l'espace plastique, comment le texte est devenu image, In Signe/Texte/Image, op.cit, 1990,PP.22−23.**

(62 ) **ROUSSET Jean. Un espace visible, les jeux de l' image et du texte "In Espace de texte ,Ed,La Boconniére Bourdry –Nenchatel, 1990, P.336.**

يتم إعداد الصفحة بالنظر إلى مرئية النص، إننا أمام كيانين بصري موجه للقراءة، " **فمنذ "مالارميه" بدأنا نعرف المنابع المسماة بصرية، وإعداد الصفحة "**(63).

أصبحت الرؤية والقراءة بفضل إعداد الصفحة" **تحددان تجربة الفضاء، وتحددان في تلاقيهما مع العناصر التي يتضمنها الفضاء الأدبي الحديث، بوصفه ليس فضاء مقروءا يتأسس على علامات النص بل فضاءا بصريا"**(64).

بناء على ذلك، فنص "سيرك عمار" من القطع المتوسطة الكتابة أفقيا مطبوعة تحترم في أغلب صفحاتها الهامش ما عدا بداية الفصول ونهايتها، فإذا كانت الدراسات التي اهتمت بإعداد الصفحة (خاصة دراسة "ميشيل بوتور" المشار إليها سلفا) تميز بين نمطين يهمان شكلين مختلفين للكتابة:

- كتابة أفقية: حيث تطبع صفحة الكتاب بشكل عادي، إذ يتم الحفاظ على التحديدات المعروفة للهوامش ونمط تناوب الأسود والأبيض.
- كتابة عمودية: تنتظم من خلالها الكتابة بطريقة عمودية غالبا تحتل يمين الصفحة، حيث تترك هامش الوسط والأيسر يتجاوز مساحة البياض المخصص لهما عادة، كما قد تحتل الكتابة العمودية أحد جهتيها وتترك الأخرى بياضا.

فإن إعداد الصفحة ينتظم في نص "سيرك عمار" على النمط التقليدي الأفقي، الأفقر دلالة من صنوه العمودي الذي تكون له صبغة تمييزية وأيقونية، هذا لا يعني الخضوع التام للنمط التقليدي، بل نجد حضور النمط العمودي حينما يتعلق الأمر بالحوارات وببعض الأناشيد والمقطوعات الغنائية.

**2.2.2.2- فضاء النص.**

**أ- حد فضاء النص.**

يشكل فضاء النص( Espace de texte) لوحتين متقابلتين،حيث تنساب العين عبر الصفحتين في الآن نفسه، إحداهما في

---

(63) **REUTER Yves. Un Problème de Légitimité Culturelle romans photos, des Editions de Minuit, In Signe/Texte/Image, op.cit, 1990, P.16.**

(64) **ZWICKY Beatrix. L'Espace Pictural dans le récit fantastique d'un tableau invisible à un texte illisible, In Littérature et espace,Ed, PULIM, 2001, P.617.**

مواجهة الأخرى، يقيم الارتباط بين الصفحتين برزخا تنعدم فيه الرؤية، لذا فانتقال العين من اليمين إلى اليسار حسب ما تفرضه طبيعة اللغة العربية يجعلنا نترك الصفحة اليمنى للاهتمام بالصفحة اليسرى، إنها الصفحة المفضلة لاعتبارات أهمها: أنها تدون فيها أرقام الفصول ومطالعها كلها، يمكن تقابل الصفحتين من تطابق الواحدة على الأخرى، وعندما يكون النص مفتوحا تتساوق سطور الصفحة اليمنى مع نظيرتها اليسرى.

وتعد **"الصفحة الفضاء الأول للنص، المساحة البيضاء- السوداء أسود على أبيض ثم المصفوفات (colones ) المطبوعة... حيث يقدم الفضاء للقراءة كما يقدم للرؤية أيضا"(65)**.

يميز هينري كيري (Henri Quéré) بين ثلاثة أفضية طوبولوجية هامة : الأول يسميه ( لوغوس (Logos) يهم تعيين المعنى المرتبط بترتيب العلامات المتمفصلة، والثاني يسميه الطوبوس (Topos) متعلق بالدلالات الظرفية، ومرتبط بتشكلات خطابية باعتبارها ميكرومحكي، والثالث يسميه البولموس ( Polemes) متعلق بالحقل الفضائي الذي تتواجه فيه المضامين والقيم غير المترابطة، إنه نسق التوتر) **(66).**

نحن دائما في تساؤل حول فضاء النص،فالتشكيلية( Plasticité)والنسيج(texture)، والتصويرية(Picturalité) واللون والخط والأيقونية (Iconocité)والمحيط (Contour) وأبعاد الأشكال، دائما هناك سؤال حول فضاء النص.

**ب- أنواع الفضاءات النصية.**

يمكن أن نقسم نص "سيرك عمار" استنادا إلى ما سبق، إلى فضاءات أهمها:

- الفضاء الذي يحيل إلى صفحة بيضاء ويكون مميزا الانتقال من فصل إلى فصل آخر، نسجل حضور اللون الأبيض، وغياب اللون الأسود، إنه يؤشر للأمل والبداية والتجدد، واللون الأبيض لون اللالون، واللون الأميري إنه الأصل للفضاء النصي، يحيل بشكل مباشر إلى تسريع في الزمن والأحداث. يحفز القارئ لملء الفراغ الأبيض، يشركه في إنتاج النص، إنه

---

**(65 ) ROUSSET Jean. Un Espace visible, les jeux de l'image et du texte In Escape du texte, op. cit, 1990 , P.35**.

**(66) QUERE Henri. le sens du sens, essai sur l'espace littéraire In Espace du texte,Ed. La Boconnière Bourday-Nenchatel. 1990, PP.65-66.**

يريح العين الرائية والعين القارئة، بعدما تتعب في التنقل عبر سطور الفصول باستثناء( 6-8 -10) من الفصل الأول، (13- 14- 16) من الفصل الثاني، (19- 22- 23) من الفصل الثالث، ( 25- 30- 31- 32- 34- 36- 37) من الفصل الرابع، حيث نجد غياب الصفحة البيضاء مما يجعل الانتقال من فصل لآخر يتبع مسارا متعبا، فالعين تنتقل بين اللوحتين بكيفية غير مريحة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار الفارق بين الفصول، إذ نجد أنفسنا أمام نسقين مختلفين لكل واحد مميزاته الخاصة.

نلفي فصولا تحيل إلى تناسل أحداث عبر حبكة فنية أساسها القص (السرد) ، وفصول أخرى تتلوها تنتمي إلى نسق سيميائي تواصلي بالغ التفرد، يتميز بخصائص تشكيلية وبصرية مختلفة تماما عن الأولى (الصور)، مما يجعل من ضرورة حضور الفضاء الأبيض بمثابة جسر للعبور من نسق إلى آخر.

- إن الفضاء الذي يحيل إلى بداية كل فصل له خصوصيته، حيث نجد أنفسنا أمام فضاء يتكون من شقين، النصف الأعلى أبيض يتخلله رقم داخل الفصل مكتوب بالأرقام اللاتينية وبخط مضغوط، يستثير العين لتتجه نحوه إننا أمام شبه نقطة سوداء في فضاء أبيض.**"فكل شكل يولد من النقطة التي هي الشكل الأول، لكل تعبير بصري، ولادة أي شكل يكون في الوقت الذي تخرج فيه النقطة عن حدودها، عن توترها، عن طبيعتها، ويمكن أن تأخذ مسارا محددا، ومنه يولد الخط"**[67]. فخروج النقطة عن توترها واتخاذها لحدود معينة وأشكال بالغة التفرد، هو الذي يفرق بين أرقام الفصول بصريا وليس شيئا آخر.

أما الشق الثاني الأسفل فيتساوى فيه الأبيض والأسود، يشير الأسود إلى المكتوب، في حين يرتبط الأبيض - الذي هو الأصل - بما يتركه المكتوب من فراغات، وعلى العموم يفرض هذا النسق على العين أن تتخذ مسارا يتواءم مع الكتابة، التي لا تحافظ على آنية الفضاء، بل تنزاح إلى خطية اللغة. ومنه تكون العين الرائية تابعة للعين التي تقرأ.

- يوجد إلى جانب ذلك فضاء عادي، يشتغل فيه الأبيض والأسود، يميز جل صفحات النص، ويمكن أن نميز داخل هذا النوع بين ثلاثة أصناف رئيسة:

**أ-** صفحات تتخللها لوحات، وهي التي تتوسط (13/12) من الفصلين الأول والثاني، (15/14) من الفصل الثاني، (20/19، 22/21) من الفصل الثالث،

---

**(67) KANDINSKY Wassily. Point et lignes sur plan, contribution à l’analyse des éléments de la peintures, Ed, Gallimard, Paris, 1991, P.17.**

(24/23) من الفصلين الثالث والرابع ثم ما بعد (38) من الفصل الرابع أي حضور فضاء ضمن فضاء آخر.

**ب-** صفحات مبأرة سواء كان التبئير متعلقا بأسماء الأعلام أو الأحداث أو الواجهات، إلخ...، ولا غرابة في أن التبئير يشير إلى أهمية الشيء المبأر، **"(أيها الجنود الأشاوش) وأحياني الله حتى أخذت أسمع من نفس الراديو... (مات الكل)بصوت أحد المورو..."** ص291.

**ج-** صفحات تميز فضاءات مخصوصة تتميز بتيبوغرافية بالغة التفرد تشبه الكتابة العمودية، كما في الصفحات: 329 ،330 ،331 ،332...

**"....**
**ينبعث صوت عذب**
**صوت المور الجميلة**
**وأبناء الحب**
**لذا كان فرحا**
**قويا ومقاتلا..."** ص330.

**3.2.2.2– التيبوغرافيا.**

تتعلق التيبوغرافيا (Typographie) بالمزدوجتين ونقط الحذف، إذ تعتبر المزدوجتان شكلان تيبوغرافيان، لا يمكن أن ينفصلا، وترتبط دلالتهما بالجمع بينهما، فوجود هذه العلامة، يحيل إلى تأطير لكلمة أو جملة أو فقرة، وهي ذات قيمة مقصدية، تحيل إلى السخرية أحيانا:

**" فان نكوك تشا "** ص301.

يستعمل المؤلف المزدوجتان لأجل إعطاء حمولة دلالية للكلمات والتمييز بينها وبين الكلام الخارج عنها.

تلعب نقط الحذف باعتبارها تركيبا يجمع ثلاث نقط دورا رئيسا في التعبير عن عدم العزم وإشراك القارئ في إنتاج النص وملء الفراغات كما في المشهد الآتي: **" والأدهى من كل هذا أنها تنتظر مولودا منه فقد غادرتها العادة الشهرية منذ ثلاثة أسابيع أيها الجد الموقر..."** ص77.

تصبح نقط الحذف في بعض الأحيان أكثر من اللازم لتدل على الإخفاء: **" لا بد أن يخضع الرجل للتشريح الطبي و...و...سارع الموتاتشو للاتصال بالأهل والأقارب والحماة تمده بأرقام الهواتف...وهو يبلغ الفاجعة..."** ص 406.

تعد نقطة الاستفهام الدرجة الثانية من التواصل بين المؤلف والقارئ وبين الشخصيات. "**تسمح بوضع وجهة للتواصل من خلال طبيعتها النبرية والبصرية فتعبر عن المفترض و اللامعروف إن لها علاقة بالتخيل**"[68]:

**" وكم من خلدون لم يخلد عبرا ولا خبرا؟**
**وكم من حسن وازن تحول إلى ليون إفريقي؟**
**وكم وكم وكم لم يعرفه كيفه؟"** ص 314.

تعبر نقطة التعجب "**عن حكم ورد فعل فردي وتعبير عن إحساس، تعد الدرجة الثالثة للتواصل، إنها تفرغ أحاسيس وتعيد ملء المشاعر انطلاقا مما يحضر وتترجم ما يجيش به القلب الإنساني وتصفه في كل الحالات**" [69].

**" وككل فقيه بادره**
**- ألا تقرأ آية الكرسي!**
**فتلعثم وهو يرد مخدرا** :
**ما أنا بقارئ ما قرأت..."** ص14

أما الفاصلة "**فهي التي تفصل بين الجمل وتميزها إذ تعبر عن نشاط يميل إلى المتواصل لا المتصل، وهي بخلاف نقطة النهاية التي تعد نهاية هذا النشاط**" [70].

تستعمل النقطتان التفسيريتان للتعبير عن وجهة نظر غير قابلة للتفكيك تؤدي معناها بناء على اندماجها :

**" يطلق مصطفى عمار صيحته المعهودة:**
**- أين كنتم يا أبناء الحرامية "** ص 217.

لا يقبل القوسان الفصل ويحيلان انطلاقا من هذا الاندماج، بناءا على مقصدية النص على إنتاج أثر معنى الازدراء:

**"( أدوية طبيب مستعجلات طبيب القرن)**
**كانت مثار تنذر الأطفال، لاقت إعجابهم وخاصة آذان الخنازير) و(أظلاف السباع) و(أسماك مجنحة) " ص 156.**

يمكن التمييز في الضغط على الحروف، بين الضغط على الكلمات أو الضغط على جمل أو الضغط على فقرات، إما بهدف إشهاري أو لإبراز

---

**(68) GREPY Roseline. L'interprétation des signes dans l'écriture,T 3, Ed, Delachaune et Niestlé, 1992, P.172.**
**(23) Ibid, P.182.**
(70) Ibid, P.13

قيمة الإسم المضغوط عليه، هذا النوع التيبوغرافي يهم بالأساس الصفحات الآتية :9 ،103 ، 135 ، 173 ، 209 ،227 ،261 ،303 ،427 .

**تركيب**

يتضح أن نص "سيرك عمار" اعتمد في تحقيق المعنى والقذف به إلى ساحة التداول مجموعة من الآليات التي تستند إلى تكامل اللفظي – البصري.كما أن النظر إلى النص من وجهة نظر تدليلية أبرزت أن السيرورات التي تشيد الدلالة قد اعتمدت على مجموعة من العناصر، التي جعلت من اعتبار النص الأيقوني سيميوزا أمرا واردا.

أبرز خصوصيته- نص سيرك عمار- في الوجود وتفرده في الاشتغال، مما يوضح بالأساس القدرة الكفائية التي يتمع بها النص نفسه في الاستجابة للمعطيات النص أيقونية، فكان إذن استثمار إجرائيته المفهومية يتساوق مع المعطيات النصية للمتن، شكل ذلك تجاوزا لها في شكلها الغفل أي قبل تمفصلها ومفهمتها، دون الإكتراث للتحقق النصي، باعتبارها أكسيولوجيات-علم القيم ويشمل البحث في قيم الأخلاق والدين وعلم الجمال-، ثم مقاربتها عبر تحولها إلى القيم التي يحب لبها النص لتنسل من وضعها الكموني إلى الوضع الفاعل داخله.

يبرز استثمار المفاهيم النص أيقونية في نص" سيرك عمار" مدى فعاليتها في اختبار كفايتها المنهجية والنظرية ثم تبيئتها في النصوص المغربية خاصة والعربية عامة، وسيفتح هذا آفاقا جمة أمام تجديد النظر في المقاربة التقليدية للرواية المغربية والعربية، باستثمار مفاهيم السميائيات البصرية المستندة إلى النص الأيقوني.

## بيبليوغرافيا


**- المراجع باللغة العربية:**

**- المتن:**

- سعيد، علوش . سيرك عمار، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2008.

**- المرجعان:**

- بوتور ميشيل . بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى ، 1971 .
- عبد المسيح ماري تريز. التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002.

**المراجع باللغة الفرنسية:**

-DIETERLE Bernard. Problèmes de l’iconotexte narratif, In Signe/Texte/Image, Césura Lyon, Ed. Meyzieu, 1990.
-GAUTHIER Robert. La chute ou de l'iconisme à la narrativité, In Langages et significations, lire et enseigner le texte et l' image, Ed. Université de Toulouse - le-Mirail, 1989.
-GREMAS AJ, COURTES J. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, T1, Ed. Hachette, Paris, 1979.
-GREPY Roseline. L’interprétation des signes dans l’écriture, T3, Ed. Delachaune et Niestlé, Paris, 1992.
-GROUPE µ . Traité du signe visuel, pour une rhétorique de l'image, Ed. Seuil. Paris, 1992.
-KANDINSKY Wassily . Point et lignes sur plan, contribution à l’analyse des éléments de la peintures, Ed. Gallimard, Paris, 1991.
-KRUGER Reinhard. L'écriture et la conquête de l'espace plastique, comment le texte est devenu image, In Signe/Texte/Image, Césura Lyon, Ed, Meyzieu, 1990
-LOUVEL Liliane. Nuances du Pictural, In Poétique, N° 117, 2001.

-MONTANDON Alain. Préface, In Signe/Texte/Image, Césura Lyon, Edition, Meyzieu, 1990.
-PEIRCE Charles, S. Ecrits sur le signe rassembles, traduits et commentés par Gérard Deledalle, Ed. Seuil, Paris, 1978.
-QUERE Henri. Le sens du sens, essai sur l'espace littéraire In Espace du texte,Ed. La Boconnière Bourday-Nenchatel, 1990.
-REUTER Yves. Un Problème de légitimité culturelle, les romans-photos , des Editions de Minuit, In Signe / Texte/ Image. Césura Lyon, Edition, Meyzieu, 1990.
-ROUSSET Jean. Un Espace visible, les jeux de l'image et du texte In Escape du texte,Ed. La Boconnière Bourday-Nenchatel, 1990.
-VILLANT Pascal. Sémiotique des langages d'icônes, Ed. Honoré Champion, Paris, 1999.
-ZWICKY Beatrix. L'Espace Pictural dans le récit fantastique d'un tableau invisible à un texte illisible, In Littérature et espace, Ed, PULIM, 2001.

# الفلسفة

## تحول التراث الأفلاطوني في الفلسفتين الشرقية (الإسلامية) والغربية

**أ.د. صلاح الدين خليلوف**

## كانط، نحو استراتيجية السلام العالمي

**الأستاذ سمير بلكفيف**

# تحول التراث الأفلاطوني في الفلسفتين الشرقية (الإسلامية) والغربية

**أ.د. صلاح الدين خليلوف**
مدير المجمع العلمي (الشرق و الغرب)

تلخيص

**يقوم المؤلف في المقال بتحليل مصير الفلسفة الأفلاطونية في الشرق والغرب واتجاهات تطورها الرئيسية بصورة مقارنة. ويشرح ان المشائيين في الفلسفة الاسلامية للقرون الوسطى لم ينشئوا مذاهبهم على أساس فلسفة أرسطو فحسب بل حاولوا الجمع بين رأيه ورأي أفلاطون والتوفيق بينهما. فيشير المقال الى امتداد التراث الأفلاطوني وتطويره بفضل آراء الفارابي.**
**أما الفلسفة الغربية فإنها أيضا تشهد تزايد ميول الرجوع الى التراث الأفلاطوني. على سبيل المثال يأتيالمؤلف في المقال على ذكر مذهب الوجود عند سارتر ويثبت بالأمثلة ان أفكار سارتر كأنها الرجوع الى رأي أفلاطون. فيظهر كيف تتكامل في واقع الأمرالأقطاب التي تضم أفلاطون والفارابي وسارتر التي تبدو غير متشابهة في الوهلة الأولى لتشكل مثلثا موحدا في الفضاء الفكري. وفي هذا السياق يتم تسليط الضوء على طريق التكامل المعقد الذي اجتازته الفكرةالأولى.**

ABSTRACT

Transformation of Plato's Philosophy in the Western and Eastern (Islamic) Philosophical Thoughts

The present paper offers a comparative analysis of the influence of the philosophy of Plato on Eastern and Western philosophical thought. It argues that the Medieval Islamic school of Peripatetics has not based only on Aristotelian philosophy, but derived from their skillful ability to compromise the philosophy of Aristotle with that of Plato. From this point the paper demonstrates the continuing development of Plato's ideas in the Farabi's teaching.

The Plato's ideas were influential also in the Western philosophical heritage, which is illustrated in the article throughout analysis of these ideas in the teaching of Jean-Paul Sartre as being some kind of return to Plato's philosophy. Thus the philosophical thoughts of Plato, Farabi and Sartre, which at first may seem rather different from each other teachings, in reality are mutually complementary and formulate a single whole in the form of triangle on the sky of philosophical thought. The paper sheds light on the intricate evolution of the first ideas.

ماهية الفلسفة الأفلاطونية أكثر شرقية من فلسفة الفارابي. لأن الفارابي لم ينتفع من أفكار أفلاطون فحسب، بل استقى من آراء أرسطوطاليس، وتناول في تفكيره العلوم الطبيعية والموضوعات العلمية الطبيعية فضلا عن الموضوعات الدينية الفلسفية، واستوحى من الفكر الغربي. وأصبح الفارابي فيلسوفا تركيبيا الى حد كبير.

ليس من قبيل الصدفة أننا نفرق بين الغرب والشرق زمنيا ليس جغرافيا. وكذلك ليس من قبيل الصدفة ان نقول ان الشرق كان موجودا منذ الأول والغرب نشأ بعده[71]. كان فيثاغورث وسقراط وأفلاطون مشرقيين مثل زرادشت وكونفوتشيوس وبودا. ونبغ أرسطوطاليس فيما بعد وهو يسعى إلى تكوين نظام فلسفي مبني على مجموعة المعارف العلمية المكتسبة من دراسة عالم الحس. مع محاولة إنزال الفلسفة من السماء الى الأرض اتخذ أرسطوطاليس خطوة من الشرق نحو الغرب. لكنه هو الآخر ما كان يعني غربا، بل كان بواكير الغرب لا غير. استغرقت عملية الولادة والنمو ألفي عام لا أقل ولا أكثر واستطاع الغرب دخول المسرح كطرف مستقل الا في العهد الجديد. تلاه عهد انحطاط الشرق وانتصار الغرب.

نعم، كان الفارابي أكثر انحيازا للغرب من أفلاطون، كما كان الفارابي يجسد بروز الفكر الغربي مثلما فعل أرسطوطاليس. ان الفارابي الذي استوعب جل معارف عصره العلمية وقام بتصنيفها كان أقرب بكثير روحيا الى أرسطو. يكتب مؤرخ الفلسفة التركي محمود قايا عن الطبيعة التركيبية لمذهب الفارابي قائلا: "التعليم الفلسفي للفارابي يعد أساس الوجود معنويا والى جانب هذا يعتبر الهندسة والمنطق أيضا أساسا ويرتقي من العلوم الطبيعية الى ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا). ان الأفكار المستمدة من أفلاطون وأرسطو والأفلاطونية المحدثة والمتشابهة بالتوفيقية أحيانا، انما تكون في الحقيقة متضامنة ومتلازمة ضمن النظام المنطقي الشخصي للفارابي"[72]. وليس من الصدفة، كانوا يسمونه بـ"أرسطو الشرق" – لا أفلاطونه، بل أرسطو بالذات. وكذلك ليس من الصدفة ان ابن سينا العظيم اعترف بان أغراض كتاب "الميتافيزيقا" لأرسطو انفتحت عليه إلا بعد قراءته في شرح الفارابي. حيث أثر كتاباه "فلسفة أرسطوطاليس"[73] و "أغراض كتاب ما وراء الطبيعة للمعلم الأول أرسطو"[74] تأثيرا قويا على المسار التالي للفكر الفلسفي في العالم الاسلامي بأسره.

مع هذا، فلم يكن الفارابي بمنأى عن آراء أفلاطون أيضا ولا يمكن له ذلك. إذ أنهما مرتبطان بروح شرقية واحدة. من الطريف ان الفارابي نفسه

---

[71] *S.Xəlilov*. Şərq və Qərb: ümumbəşəri ideala doğru. B., 2004. – 624 səh.

[72] *Mahmut Kaya*. İslam filozoflarından felsefe metinleri. İstanbul, 2003, s. 108.

[73] *Аль-Фараби.* Философия Аристотеля. – Историко-философские трактаты. Алма-Ата, 1985, стр. 209-331.

[74] *Аль-Фараби.* О целях Аристотеля в «Метафизике». – Историко-философские трактаты. Алма-Ата, 1985, стр. 331-343.

قام بمقارنة أفلاطون وأرسطو (بالمناسبة، هذا أحد نماذج التحليل المقارن الأولى في تاريخ الفكر الفلسفي) وسعى الى التوفيق بينهما [75].

ويقول الباحث الإيراني مهدي أمين رضاوي ان الفارابي دافع "في مجال المنطق والأخلاق وما وراء الطبيعة عن أفكار أرسطو، لكنه أخذ بآراء أفلاطون في معالجة المشاكل الاجتماعية"[76]. بالتأكيد، لا يمكن الاتفاق مع هذا الرأي بشكل تام؛ بحيث لم يكن الفارابي مؤيدا لمجرد أفكار أرسطوطاليس في مسائل ما وراء الطبيعة فحسب، بل إنه استلهم من أفلاطون، لاسيما نظريته للمثل، كذلك الفكر الاسلامي. مع هذا فإن ارتباط سوسيالوجيا الفارابي بمذهب أفلاطون أمر لا يمكن الجدل فيه. ونظامي كنجوي، أغلب الظن، استلهم من الفارابي في أفكار "الملك العادل" والمجتمع العادل و"بلد السعداء". طور الفارابي فكر أفلاطون حول " الحاكم لا يصلح ولا يكون إلا فيلسوفاً" ليخلص إلى القول إن دراية المعارف الفلسفية وحتى رسالة النبوة هما أحد الشروط الضرورية للملك العادل. ودافع عن فكرة بناء المجتمع نفسه على أساس مبدأ العدل وقدم أوصاف المدن (البلاد) من هذه الناحية.

ان رؤية الفارابي في فلسفة أفلاطون تلفت دائما أنظار الباحثين. حتى في الفكر الفلسفي السوفييتي لم تبق هذه المسألة خارج الاهتمام. فكرس ج.ب.شايمحمدوفا جزءا من كتابه عن الفلسفة المكتوبة بالعربية لهذه المسألة بالذات[77]. وتعتقد الباحثة جولشاد ان شرح الفارابي لفلسفة أفلاطون يختلف اختلافا كبيرا عن شرح شراحها الآخرين. مثلا، يشرح الفارابي أنطالوجيا أفلاطون في سياق وحدة الوجود بالرغم من الجدل حول أحادية أو ثنائية مذهب أفلاطون[78].

بيراع الفارابي تصبح تصورات أفلاطون سهلة الفهم وواضحة كما نجد أفكار أرسطوطاليس أوضح وأفهم في شرح الفارابي. ويضفي الفارابي الى تراث أفلاطون نور عهده.

---

[75] *Farabi*. Eflatun ile Aristotelesin Görüşlerinin Uzlaştırılması. – Mahmut Kaya. İslam filozoflarından felsefe metinleri. İstanbul, 2003, s. 151-214. أو : *Аль-Фараби.* Об общности взглядов двух философов – Божественного Платона и Аристотеля. – Философские трактаты, Алма-Ата, 1970, стр. 39-105.

[76] *Мехти Аминразави*. Ал-Фараби. – Великие мыслители Востока. М. Крон-пресс. 1998, стр.568.

[77] *Г.Б.Шаймухамбетова*. Арабоязычная философия средневековья и классическая традиция. М., «Наука», 1979. стр. 52-98.

[78] نفس المصدر , ص.97 .

لننظر نحن أيضا الى أفلاطون في ضوء الفارابي.

يبرز أفلاطون عند الفارابي كمتصوف كمال الإنسان. ويبحث أفلاطون هذا عن سعادة الإنسان في علمه ومعنويته، لا في كمال وجهه وجسمه، وكثرة ثروته وعلو موقفه الاجتماعي. حسب الفارابي، يجد ما قيل من آراء اتباعه في كتابي "طبيعة الإنسان" أو"آلكيبياس الأولى"[79] لأفلاطون الكتاب الذي يرجع المؤلف فيه أصول ملوك الفرس من جهة وملوك آسيا الآخرين من جهة أخرى الى زيوس ويخطو خطوة أخرى نحو فكرة إله واحد عام للبشرية. فإن أفلاطون عند حديثه عن أحكم الناس وأعدلهم وأذكاهم وأشجعهم في العالم يذكر أتباع سحر زرادشت. والطريف انه يقدم زرادشت كابن هورموزد. (يرفع أفلاطون زرادشت الى منزلة "ابن الله" الشريفة ذلك الاعتقاد الذي انتشر حينذاك عن الإغريق كما رفِع إليها عيسى فيما بعد)[80].

يدرس أفلاطون للفارابي في كتاب "تيتيت" المعرفة ويعتبر المعرفة غاية الغايات للانسان. يقارن الفارابي أفلاطون مع بروتاجوراس ويأتي على ذكر كلام بروتاجوراس الذي يفيد ما معناه أن الانسان لا يمكنه الحصول على معرفة الأشياء ما حوله؛ انما هو يملك المعارف فطريا[81]". (في الواقع فإن بروتاجوراس عند الفارابي هو أفلاطون بالذات، لأن أفلاطون كان يعرب بلسان محاورين في مؤلفاته ليس فقط عن أفكارهم المعروفة له فحسب، بل عن آرائه هو أيضا). عند تحليله لهذه المسألة في "محاورة بروتاجوراس" يظهر أفلاطون بلسان محاور ان التعلم والدراسة لا تنفع ولا تؤدي الى المعارف الصحيحة. لكنه يعلن كردٍّ على هذا الرأي ان الدراسة هي للحصول على المعارف بالذات. ويواصل هذا في محاورة "مينون" أيضا[82].

من الطريف ان أفلاطون كان حينذاك يعالج مسألة المعارف ليس من منظور الإدراك وحسب بل من منظور الفضيلة والفائدة أيضا. تولدت هذه الرؤية من جديد في فلسفة البراغماتية بعد ألفين وثلاثمئة سنة، لكن بفرق أن أفلاطون كان يفرق بين كل ما هو مفيد وخير في الحقيقة وكل ما يعتبره الناس مفيدا وخيرا. لأن الرأي العام كان قد لا يعرب عن الضرورة والحقيقة، وكان يحدث هكذا أساسا، على حد تعبير أفلاطون. أما الفارابي فيعلق على

---

[79] *Аль-Фараби.* Историко-философские трактаты. Алма-Ата, 1985, стр. 108.

[80] *Платон*. Собрание сочинений в 4-х томах. Том 1, М., «Мысль», 1990, стр. 246.

[81] *Аль-Фараби.* Историко-философские трактаты, стр. 109.

[82] *Платон*. Собрание сочинений в 4-х томах. Том 1, М., «Мысль», 1990. Протагор (стр. 418-476. Менон (стр. 575-612); *Аль-Фараби.* Историко-философские трактаты, стр. 110-111.

هذا الموقف ويميز ما هو مفيد ونافع. حسب الفارابي فإن المفيد (الخير) قد يكون بالضرورة بينما النافع قد لا يكون دائما بالضرورة وأمرا إيجابيا[83].

وما يميز الفيلسوف بغيره من أصحاب الفن هو انه يظهر الخلاف بين كل ما هو مفيد شرطيا وكل ما هو مفيد بالضرورة. يتناول في محاورته "المأدبة" كشف المعارف الضرورية كأحد المهام الرئيسية للفلسفة. أما مرافق الفنون الأخرى فإن المعارف فيها شرطية. مثلا، على ما ذكر في محاورته "إيون"، بما أن المعارف المكتسبة من خلال الشِعر بعيدة عن الحقيقة فإنها ليست مفيدة وحتى تبعد عن الغاية.

أما الفارابي فيعطي الأولية لواجب الوجود، لا للمعارف بالضرورة. "الحكمة معرفة الوجود الحق والوجود الحق هو واجب الوجود بذاته. والحكيم هو من عنده علم الواجب بذاته بالكمال"[84].

من أوجه الاتفاق بين أفلاطون والفارابي في هذه المسألة هو إعطاء الأولية لما هو واجب وحقيقي. أما الافتراق فهو أن أفلاطون يقصد بالوجود الحق وواجب الوجود المثال (الفكرة) بينما الفارابي يريد به أﷲ. على ما يرى الفارابي، "فلا حكيم إلا الأول لأنه كامل المعرفة بذاته"[85]. "الواجب لذاته هو الغاية إذ كل شيء ينتهي إليه وكل غاية فهي خير فهو خير مطلق"[86]

يذكر الفارابي هنا لتبرير رأيه الآية الـ٤٢ "وإن إلى ربك المنتهى" من سورة النجم للقرآن الكريم. بينما أفلاطون ينتقل بسهولة الى مفهوم "المعرفة الضرورية" بسبب كون مفهوم "المثال" عنده أكثر متحركا، ويجعل الفلسفة سهلة المنال للبشر. لكن مع هذا، الفلسفة هي للناس المتوصلين الى الماهية الإلهية، ليس للأشخاص العاديين.

وأفلاطون يعتقد ان الضرورة مماثلة للفكرة (المثال). وإدراك كل شيء يعني إدراك مثال هذا الشيء[87]. بما أن المثال عديم المنال بالنسبة للناس العاديين فانهم يتحدثون ويطلقون أفكارهم عن الأشياء عادة منطلقين من التجربة الحسية. إن المعلومات التي تأتينا عن طريق الاحساس لا تعني الحقيقة بعد (والمعرفة أيضا). كان أفلاطون يعارض كل الشهوانية والتجربة ويقول ان الحقيقة تأتي إلا بسبب أسبقية معرفة النفس بالمثل. يعتقد أفلاطون أن

---

[83] *Аль-Фараби.* Историко-философские трактаты, стр. 116.

[84] *Аль-Фараби.* Естественно-научные трактаты. Алма-Ата, «Наука», 1987, стр. 286.

[85]نفس المصدر.

[86]نفس المصدر .

[87] Н.Е.Скорцов. Платон о сознании в борьбе с сенсуализмом и эмпиризмом. – Платон: Pro et contra. СПб.: 2001, стр. 278.

المعارف الحقيقية معلومة للإنسان أصلا من البداية بسبب خلود النفس. والإنسان أصلا يتذكر فقط ما هو كان معلوما له[88]. لذلك فلا يجب تركيز الفكر على الشيء، بل النفس (الروح).
بالطبع، يفسر أفلاطون امتلاك النفس (الروح) فطريا المعارفَ كحقيقة قائمة بذاتها مع الحياة السابقة للروح وإذا في الحقيقة نتاج التجربة الحسية الوهمية. فيواجه أفلاطون مفارقة لم يسبق ملاحظتها. إن أفلاطون الذي لا يبدي أهمية لدرجة ما لدور التجربة الحسية في حياة الإنسان المعاصر يضطر من جديد إلى تفسير المعارف الحقيقية كنتاج التجربة الحسية (الوهمية). والحال ان هذه المعارف تجد لها تفسيرا أحسن في سياق "عطاء الله" أو "القضاء والقَدَر" عند الانطلاق من وجهات نظر الفارابي وابن سينا وشهاب الدين السهروردي، قصارى القول، من موقف الفلسفة الإسلامية. هذه المعارف حقيقة لأن الخالق نفسه يوحيها. ان مثال كل مخلوق يملكه خالقه وحده. أما الناس فيحاولون في مجال دراسة المخلوق عن طريق التجربة الحسية اكتسابَ المثال (الفكرة) الذي يصاغ عليه المخلوق. فيتحرك الفكر من التجسيد المادي نحو المثل، أي يبدو وكأنه الى الوراء.
إن مقارنة التراث الأفلاطوني بمؤلفات الفلاسفة المسلمين الذين يتعاملونه تعاملا إبداعيا تسمح بتسليط الضوء على العديد من المسائل الحساسة التي لا تلفت في أول وهلة، إحداها مسألة مصدر الحقيقة.
والفلاسفة المسلمون ينعتون كثيرا ما كشف الحقيقة بالإشراق. الفكرة مصدر النور وكلما تبتعد عن المركز يبدأ النور يتلاشى. ويضعف إلى أقصى حد. لكنه لا ينقطع أبدا. إن هذه التصورات المتعلقة بالإنسان تستمد من الأفكار مثل "الإنسان أشرف المخلوقات" أو "الإنسان خليفة الله في الأرض". لكن نور عقل الإنسان محدود وينتهي في مكان ما. لا يمكن أن يكون العالم الذي يحتل الانسان مركز بنيانه لامتناهيا وغير محدود بالفعل وإن كان كذلك بالقوة أي بالإمكان. كما ورد في القرآن الكريم، إن علم الإنسان له حدود.
إن عقل الإنسان ولو لا يستطيع إنارة السماء اللامتناهي فهو يبدو من خارج كمركز منوَّر في هذا السماء. كأن العالم مجرة وكل إنسان نجمة فيها. أما أحد من بين جميع الناس - الأنا فيبرق من بين النجوم كلها كأنه شمس ويدعي على أن يكون مركزا للعالم.
هل الذي يحتل المركز هو الإنسان؟ أم يجتذب الإنسان الى المركز بكونه متصفا بصفة من صفات الله؟ كل نقطة للعالم مركز. إذ توجد آية الله في كل نقطة. نور العقل البشري يظل ممكنا الا بفضل النور الأول أصلا. الله

88 *Платон*. Менон. Собрание сочинений в 4-х томах. Том 1, М., «Мысль», 1990, стр. 595.

وحده هو نور الأنوار الذي يضيء كل العالم (السهروردي). لكن الانوار الأخرى الخارجة من هذا النور تصبح مراكز نسبية لما حولها. فينبغي عدم النسيان أن هذه المراكز أو مصادر النور النسبية المستقلة هذه ليست مصدرا أصليا للنور في الحقيقة. والحديث هنا يجري حول فيض النور الثاني والثالث الى ما لا نهاية عن النور الأول. يكتب جيمس في كتابه "البراغماتية" حول مشكلة مماثلة قائلا إن بعض علماء النفس يعتبرون أن العقل (الوعي) يخرج من الدماغ كما يعتبر المسجون الذي يرى تسرب الضوء من القبة الزجاجية أن مصدر الضوء هو القبة، ليس الشمس. والحال أن الدماغ يكون هنا بمثابة أداة للتوزيع[89]. طبعا، فإن كل إنسان، ولو ظهر كمصدر النور ومركز العالم في السياق المعين، إنما هو في الواقع يبدو كمركز تركيز النور الذي يفيض عن الفكرة الإلهية فقط ويوزع النور فور الحصول عليه.

وحسب الاعتقاد المنتشر في الأفلاطونية المحدثة والهرمينيوطقية وفلسفة القرون الوسطى، إن الله موجود في كل نقطة للعالم، والعالم الباقي موجود حوله كفضاء لانهائي. كان أفلاطون يشبه في محاورته "تيماوس" الكون بموجود حي يتكون من الروح. حسب هذا الاعتقاد، فإن هذا الموجود الحي الملحوظ - السماء العملاق والجميل والكامل هو الله المحسوس في الواقع[90]. هنا يضع أفلاطون أسس وحدة الوجود الى جانب إشارته إلى الوحدانية التي كانت قليلة الانتشار* في اليونان وقتذاك.

وليس من باب الصدفة ان أغوسطين كان يعتقد أن أفلاطون كان على علم بمذهب موسى وذلك بعد أن يرى آراءه تتناغم كثيرا مع الإنجيل في بعض الأحيان. بحيث جاء في كتاب موسى أن الله يسمى نفسه برجاء موسى بيهوه، بكلمة أخرى، "موجودات"[91]. يكتب الباحث الروسي أ.و.آخوتين مقتبسا من الوصف الثالث من أصل ٢٤ وصفا لله ورد في "كتاب الأربعة والعشرين فيلسوفا" فيما يتعلق بهذه الفكرة المنتشرة في فلسفة الغرب للقرون

[89] *Джемс*. Прагматизм. М., 1910. – Бах: *А.Г.Спиркин*. Сознание и самосознание. М., Политиздат, 1972, стр.34.

[90] *Платон*. Сочинения в трех томах. Т-3, ч-1, М., 1971, стр. 541.

*يعتبر كسينوفان أول ممثل كبير للوحدانية في اليونان القديم. لكن هذه التصورات ما كانت تشمل الرأي العام فيها. ويمكن وصف الوحدانية بالنبوة بالكاد في هذه الفترة بسبب ارتباط مواضيع مؤلفات هوميروس بتصورات تعدد الآلهة.

[91] *Августин*. О граде Божием. ВЫЫЫ. 11. – أنظر: *А.В.Ахутин.* Понятие «природа» в античности и в Новое время. М., «Наука», 1988, стр. 25.

الوسطى: "الله كل في كل أجزائه"[92]. ثم يتم التأكيد في الاقتباس المأخوذ من أفلوطين (Plotin, Ennead III, 7.3) ان كل الموجودات تستمد وجودها من الواحد[93]. (بالمناسبة هذا الفكر يتناغم كثيرا ومذهب "توسع الكون" و"الانفجار الكبير" لعلم الفزياء الفلكية وعلم نشأة الكون المعاصرين.)

لكن في الواقع، أفلوطين بعيد عن فكرة توحد بين الله والموجودات[94]. حسب رأيه، في القمة يأتي الواحد الأول، وعنه يفيض العقل، وعن العقل تفيض النفس. حسب الفلسفة الشرقية، الأجسام (الكائنات) تفيض عن النفس بدورها. تتوسط بين العالم المحسوس والله مرتبتان على الأقل وهما عالم النفس وعالم العقل. والله لا يتمثل في أحداث وأشياء العالم المحسوس مباشرة، بل عن طريق المثل التي يحملها. ويحوي الله كل العالم، وإذن لا موجود بدون مثال. ويمتاز كل شيء أو حادث بدرجة هذه الفكرة (المثال)، لا بما إذا يملكه. وفي المصطلح الإشراقي هذا يدل على درجة الإشراق بهذا المعنى. لا يوجد في العالم المحسوس نور مطلق كما تنعدم الظلمة المطلقة فيه. بكلمة أخرى، إن العالم الذي نسكنه لا يحوي أقطاب الطريق المؤدي من انعدام الفكرة الى الفكرة، ومن الظلمة الى النور. بل هو في الوسط تقريبا.

إن كون الفكرة أمْ تمثيلها المادي وجودا حقا كان من المسائل المركزية للفلسفة طوال القرون.

فكيف يمكن فهم كون الفكرة وجودا؟

يضرب أفلاطون مثلا في الجزء العاشر من كتابه "الجمهورية" ليشرح موقفه ويقول ان لكل شيء ٣ مستويات للوجود. قد يكون للمنضدة أو السرير الذي صنعه النجار صوره الأخرى غيره. أي يرسم المصور في البداية شيئا صنعه النجار، إنما يحاكي شكله على الأقل. وهذا تقليد أو محاكاة.

فعلى أية صورة يصنع النجار المنضدة أو السرير، أو أية صورة يحاكيها؟ إذ أن كل النجارين يصنعون الأسرة في الأماكن المختلفة والأزمنة المختلفة فوراء كثرة الأسرة صفة مشتركة للسرير فيصنعها جميع النجارين على شكل ما وهذا أيضا محاكاة.

لكن محاكاة ماذا؟ وأفلاطون يعتقد وجود السرير (المثالي) الأول في صميم الطبيعة خارج إرادة النجارين، الذي خلقه الإله (الله).

من الطريف ان أفلاطون يتحدث هنا عن إله واحد على اختلاف تصورات تعدد الآلهة السائدة في الفكر اليوناني حينذاك. وهذا الصانع يصنع

---

92 *А.В.Ахутин.* Понятие «природа» в античности и в Новое время. М., «Наука», 1988, стр. 63.

93 نفس المصدر .

94 *Плотин*. Избранные трактаты. Мн., М., 2002, стр.3.

جميع الأشياء الأخرى، كل ما هو موجود في السماء أو في الأرض من جملتهم كل الآلهة[95].

يؤكد أفلاطون محاوره على ان صورة السرير التي رسمها المصور ليست سريرا حقيقيا (جوهرا) بل هي مظهر السرير، كما كان هذا في السرير الذي صنعه النجار إنما هو أيضا صورة ومظهر السرير الأول الطبيعي الذي خلقه الإله (الله). فما الذي يصنعه الناس هو محاكاة ما هو أول وحقيقي. فتكون هنا ثلاث أسرة: السرير (المثالي) القائم بذاته الذي خلقه الإله. ثانيا السرير الذي صنعه النجار وثالثا السرير الذي رسمه المصور. فهكذا يبين أفلاطون ثلاثة صانعين مختلفين لـثلاثة أسرة: الرسام والنجار والإله مشيرا الى ثلاث درجات مختلفة للوجود: الوجود الحق (الطبيعي) ومحاكاته ومحاكاة المحاكاة[96].

إن العلاقة بين عالم المثل وعالم الحس من جهة، بين المحسوسات وظواهرها المتجسدة من جهة أخرى توصف كمحاكاة، حسب رأي أفلاطون. كيف تصل الفكرة التي تعتبر كالوجود الأول والوجود الطبيعي إلى الناس المقلِّدين (المحاكين) (نموذج النجار في هذا السياق)؛ هل تصل مباشرة أم ضمنيا (غير مباشرة)، أو إلى أية درجة تكون الصورة التي رسمها المصور مماثلة للسرير الذي صنعه النجار؟ وما أشبه ذلك من الأسئلة لا يجيب أفلاطون عليها. والفيلسوف يهتم فقط بما هو أول (سابق)، وما هو بعده وما هو حقيقة وما هو مظهر. لكن الجوانب الأخرى للمسألة المتعلقة بـ"الأنا" للإنسان، و"الذاتية"، من الطريف، طرحت بعد مرور عدة قرون في سياق الفينومينولوجيا والوجودية. مثلا، لا يكتفي جان بول سارتر في كتابه "الخيالي: علم نفس الخيال الظاهراتي" بمعالجة مسألة الفرق بين الجسم نفسه وصورته الفوتوغرافية، بين الإنسان وصورته معالجة انطولوجية فيقوم بمقارنة الأحداث الذاتية المعينة. والحق أن سارتر لا يضرب مثالا السرير الجامد، بل الإنسان المعين وهو بيير [97] فهذه الفردانية والخصوصية بدورها تغير الوضع. يصعب علينا المقارنة بين مثال الإنسان (القائم بذاته) الذي خلقه الله وأفراد الإنسان الذين صنعوا من قبل الآخرين كمحاكاة له. إذ لا يمكن الأسطى (النجار) أن يصنع إنسانا ولا حيوانا ويمكن اعتبار الأبوين خالق الإنسان شرطيا. أما الوالدان فلا يحاكيان فكرة ما بصورة واعية وذلك على

---

[95] *Платон*. Собрание сочинений в 4-х томах. Том 3, М., «Мысль», 1994, стр. 390.

[96] نفس المصدر، ص. 391

[97] *Жан-Поль Сартр*. Воображаемое. Феноменологическая психология воображения. Санкт-Петербург, «Наука», 2001, стр. 53.

اختلاف النجار، والإنسان غير قادر على التوصل الى تحقيق أية فكرة (مثال) للإنسان الجديد الصنع. بالطبع، يحمل كل إنسان فكرة الإنسان العامة. لكن حسب ما يصف أفلاطون فإن أفراد الإنسان الواجب اعتبارهم كمحاكاة لهذا المثال خلقوا بدورهم من قبل الله أيضا. أي يلزم الاعتبار ان للناس خالقان على اختلاف كل الموجودات الأخرى.

إن النجار المذكور في المثال الذي ضربه أفلاطون فيما أعلاه يؤخذ كصانع (خالق) الأسرة الموجودة في عالم الحس. لا يعتبر أفلاطون الأسرة المختلفة وجودا حقيقيا بسبب أنها ليست مثال السرير نفسه، بل صورته أو محاكاته. لكن إذا اعترف أفلاطون "صياغة" كل سرير على حدة على مثال السرير الأول لكانت المسألة قد تبدو مغايرة تماما. في هذه الحالة تبرز مسألة وجود خالقين لكل سرير، ليس خالقا واحدا، بالأحرى، تظهر مسألة نقل الموجود الأول في هذا العالم إلى عالم الحس عن طريق المقلِّد. أي أن عالم الأحداث والأشياء هذا الذي نسميه عالم الحس، في الواقع، موطن المثل. فيتم مجرد استنساخ مثال وتوزيعه في جميع الأشياء التي تشترك فيه.

لنتصور المشكلة في منظور جديد نفترض نحاتا يصنع تمثال السرير، بدلا من رسام يصور صورته. وكل تمثال يصبح نفس السرير اذا اختيرت المقاييس والمواد اللازمة له. هكذا، في هذه الحالة، تتحد مرحلتا المحاكاة الثانية والثالثة في مرحلة واحدة. إذا قبلنا وجود المثل كوجود طبيعي وفقا لما قاله أفلاطون، وليست كنموذج فريد من نوعه، في المحسوسات والأشياء بالذات، ووجودها في أذهان الناس الذين يقومون باستنساخها وتوزيعها والذين يكونون كوسيط في هذا العمل، فتبرز المشكلة في شكل مغاير بكثير.

يستند أبو ترخان عند حديثه عن نسبة الوحدة والكثرة الى القرآن الكريم لتبرير فكرة تجلى المثال الأول في الأشياء المختلفة. يقال في الآية ٥٠ من سورة طه على لسان موسى " قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى". إن طبيعة الله وخلقه تتصور كروح أو مثال، لأنها ليست جسمانية. ولا شك أن الحديث هنا يدور عن "الشكل" و"الصورة" بالمعنى الأرسطي، أي عن "المثال" (الفكرة)، إذ أنه لا يصح الحديث هنا عن "صورة" الله و"شكله" في المعنى المستقيم. والله يوحي الأشياء بآية أي مثال مميز (نفخ الروح الى جسم الإنسان من هذا القبيل). و"الطريق المستقيم" (الهدى) اللاحق لكل شيءٍ مبرمجٌ في هذا المثال بالذات. أما "الهداية" فإنها في الواقع، هي "القضاء والقَدَر".

في هذه الحالة، يكون المثال المماثل لفرد بيير مثال فردي له، لا مثال الإنسان بشكل عام. أي يشمل هذا المثال الجوانب التي يتصف بها بيير بالذات ويمتاز بها من الناس الآخرين، والمصير الفردي لبيير. وينتقل مثال "الكل"

الى مثال "الجزء". وتتصف بهذه الصفة الكائنات التي يمكن التعبير عنها بأسماء العَلم، والتي تكسب الفردية معنى مستقلا. أي انها تملك المثل الفردية (مثلا، مثال بيير) الى جانب المثال العام (مثال الإنسان).

نقصد هنا فقط المثالَ العامَ إذ أن "مصير" النباتات والحيوانات المقبل (نباتية النباتات وحيوانية الحيوانات) كُتب فيها عندما كانت في حالة الجنين. بحيث ينبت القمح من القمح، والتفاح من التفاح ويكون ولد (شبل) الأسد أسدا. يبقى النوع ثابتا أيا كان. ما هو مبرمج في الجنين ومنقول وراثيا هو الصفات الجوهرية (العامة) للنوع، أما الصفات الفردية فهي تتشكل تحت تأثير البيئة ويسمى بـالطفرة.

نحن الناس نعتقد أن النباتات والحيوانات لا تملك مصيرا فرديا. وماهيتها متضمنة في أنواعها. في هذا السياق ان كل القمح من نوع واحد هو القمح ولا حاجة ولا امكان للتمييز بينها. انعكست هذه الرؤية الالكترونية الموجودة في الفيزياء في مبدأ الالكترونات المتكافئة الشهير. (بيد أن الجزيئات الأولية تختلف أحيانا في تصرفاتها وتخرج عن مبدأ التكافؤ وفي هذه الحالة يعتبر العلماء هذه المسألة أمرا غير مفهوم. مثلا، ان أحداث تصرف بعض الالكترونات بشكل غير عادي في نفس الظروف أدت الى تعمق المناقشات والجدال حول قضية "الإرادة الإلكترونية" وتبقى هذه القضية معلقة حتى الآن لعلماء الفزياء) .

حسب التصور الأناني للإنسان، لا يمكن أن تعيش أية حبة من القمح حياتها الفردية. إذ يرتبط كل وجودها بقمحيتها. هنا مثال عام فقط. ولا يمكن الحديث هنا عن الحياة الفردية والمثال الفردي. ومثال القمحية أو مثال السرير فقط وجود. وهو وجود وماهية على السواء. يتطابق هنا الوجود مع الماهية. ربما الانسان هو الكائن الوحيد الذي يحمل كل منه فكرة فردية مميزة وخاصة به إلى جانب ماهيته الإنسانية العامة. فتتطابق فكرة (مثال) الإنسان العام مع الماهية، أما فكرة الإنسان الفردي فهي تتطابق مع الظاهرة.

يذكر في "الأوبانيشاد" ان كل ما هو موجود هو جزء من كل لبراهمن. "ان الوجود السامي الوحيد هو البراهمن. وهو في الأرض والعلاء، في الغرب والشرق وفي الشمال والجنوب. وليس كل الكون إلا البراهمن." ويتناغم هذا الفكر تناغما مع الوحدوية الإسلامية (monism) أيضا. ان كون الله فوق كل مكان وفي الوقت نفسه احتوائه كل الأماكن هو أحد المعتقدات الأساسية للإسلام. لكن إبراز جوانب هذا الفكر المتعلقة بوحدة الوجود قد يؤدي الى التحريفات.

وتجد الفكرة الرئيسية لهذا التعليم تفسيرها الأوضح في الحوار الذي يجرى بين الأب أودالاكا والابن شفيتاكيتو في "الأوبانيشاد". "رجع

شفيتاكيتو الى بيته بعد أن أمضى اثني عشر عاما في الدراسة، لكن يبدو أنه لم يستوعب الحقيقة العليا (الذات) بعد. وبدأ أودالاكا يسعى الى تعريف ابنه بالحقيقة العليا وهي أتمان. طلب الأب من ابنه أن يعطي له ثمرة من شجرة التين الهندي ويفتحها. أعطى الابن هذه الثمرة وقال: "فتحتها يا أبتي"، سأله الأب "ماذا ترى؟"، أرى "فيها بضع بذرات صغيرة، يا أبتي"، وفقال الأب: "وقسّم تلك البذرات وقل ماذا ترى؟". فعلت، لا شيء، أبتي". أجاب الأب "فتنبت كل الشجرة من الكائن (الذات) الموجود في باطن البذرات، الذي تراه. وباطن البذرات حافل بتلك الذات. كل شيء مدينٌ في وجوده لتلك الذات، إنه الحقيقة، وهو الوجود القائم بذاته."[98]

ثم طلب الأب من ابنه أن يأخذ رشفة من الماء المالح ويقول له ما مذاقه. لكن الملح في الماء ليس مرئيا. ما الذي يعطي طعما هو غير مرئي. كذلك الأتمان ليس مرئيا رغم هذا فهو موجود باطن كل شيء وخارجه. "إنه عليم بكل شيء. لكن يستحيل العقل إدراكه ". فالوجود الحق قد يكون غير مرئي أيضا. إن ما هو مرئي وظاهر زائلٌ وفان، كذلك لا يشترط بالصفات والوظائف. إن الوظيفة الحقيقية لكل جسم أو حدث تكمن في برنامجه الجيني، وليس في ظاهره".

إن محاولات إعطاء الأولية للوجود المعقول والفكرة عند البحث عن الوجود الحقيقي، ومقارنة الوجود المحسوس بالوجود المعقول كانت سائدة ابتداء من العهود القديمة.

وفقا للمفهوم الذي نقترحه، موضوع التجربة الحسية هو الوجود المعقول في الواقع. أما مظهر الأشياء في "العالم المحسوس" فيتحدد بالأفكار المنفعلة (غير الفعالة) التي تحملها. وعملية الإدراك هي في الواقع عملية إشراق هذه الأفكار وانتقالها من الحالة المنفعلة الى الحالة الفعالة وإنعاشها، حيث أن الانسجام والتناغم الداخلي الناشئ بين الفكرتين المختلفتين اللتين يحملهما الإنسان يكون شرطا للحصول الى الحقيقة.

---

[98] نفس المصدر، ص. 29

# المصادر والمراجع

1. ابو نصر فارابي. الجمع بين رأي الحكيمين افلاطون الالهي وارسطوطاليس.
2. ابو نصر فارابي. أغراض ارسطوطاليس في كتاب مابعد الطبيعة.
3. *Kaya Mahmut.* İslam filozoflarından felsefe metinleri. İstanbul, 2003. (في التركية).
4. *Aurelius Augustinus.* De Civitate Dei.
5. *Аминразави Мехти.* Ал-Фараби. – Великие мыслители Востока. М. Крон-пресс. 1998. (في الروسية).
6. *Ахутин А.В.* Понятие «природа» в античности и в Новое время. М., «Наука», 1988. (في الروسية).
7. *James W.* Pragmatism // The works of William James. Vol. 1. Cambridge (Mass.)–L., 1975.
8. *The Dialogues of Plato* (Protagoras, Timæus, Meno).
9. *Plotinus.* The Enneads (translated by Stephen MacKenna), London, Medici Society, 1917-1930.
10. *Jean-Paul Charles Aymard Sartre.* L'Imaginaire. Paris, 1940.
11. *Скорцов Н.Е.* Платон о сознании в борьбе с сенсуализмом и эмпиризмом. – Платон: Pro et contra. СПб.: 2001. (في الروسية).
12. *Шаймухамбетова Г.Б.* Арабоязычная философия средневековья и классическая традиция. М., «Наука», 1979. (في الروسية).

# كانط، نحو استراتيجية السلام العالمي

**الأستاذ سمير بلكفيف ـ الجزائر باحث وأستاذ جامعي جزائري**

**ملخص:**

**ما من أمل ينشده الإنسان في عالمنا وزماننا ويتوق إليه بشغف، يفوق ما يتوق إليه في سلام أبدي وكوني، وهو سلام من شأنه أن يحرّر مستقبل الإنسانية من عنائها الأكبر الناجم عن التطور السريع الذي أحرزته صناعة الأسلحة الفتاكة، فغدت تهدّد الوجود البشري على الإطلاق. وفق هذه النظرة الاستشرافية التي يمتزج فيها البعد الأخلاقي والحضاري والإنساني التواصلي ـوالتي تطبعها الغائية المتفائلةـ نجد الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" (1724-1804)، ومن خلال كتابه "نحو السلام الدائم" يحرص على فكرة إنسانيةـعالمية، وذلك من خلال التشريع لسلام كوني وأبدي، مؤكدا أن خلاص الجنس البشري يكمن في تحقيق الكمال الأخلاقي الأقصى للإنسانية، وهو السلام الأبدي.**

**المقدمة:**

إننا نجد كانط، ومن خلال كتابه "نحو السلام الدائم" يقف عند مفترق طريقين، ويتجاوز ذلك من أجل إيجاد طريق ثالث، يعيد فيه الاعتبار لماهية السلام وآليات تحقيقه، فهو من جهة، يتجاوز النظرة المغالية في المثالية (الطوباوية)، والتي يمثلها أفلاطون، ذلك أن كانط كان أكثر جرأة من هذا الأخير، فهو لم يعمل على تأجيل سعادة البشر إلى ما وراء العوالم، وإنما بحث عن كيفية تحقيقها في عالمهم الواقعي، وهي السعادة التي لا يمكن أن تكون شيئا آخر غير بلوغ السلام الكوني، وهو من جهة أخرى، يتجاوز سخرية وتشاؤمية بعض الفلاسفة، أمثال لايبنتز، والذي أكّد أن السلام ليس سوى تصنعا ولهو غير مجد لحشد من السذج.

يبدو أن كانط إنسان مفرط في إنسانيته، فهو يثق في الإنسان ثقة مطلقة، وفي بعده الأخلاقي والعقلي يعوّل عليهما كثيرا في ضمانات السلام، الأمر الذي يجعل مشكلة السلام ـحسبهـ مشكلة أخلاقية، ذلك أن الأمل في سلام كوني وأبدي يسود العالم، ويستمر بصورة لانهائية مرهون كله بالتربية الأخلاقية، هذا من جهة، ومن أجل تكوين العقل النقدي؛ أي العقل الراشد المستنير، من جهة أخرى، على اعتبار أن تشريع السلام الكوني يقتضي

الاحتكام إلى سلطان العقل، وأن تعيين هذا السلام هدفا إنسانيا نبيلا يوجب- علاوة على ذلك- الإقرار بأخلاقيات التواصل بين الشعوب والدول حتى في حالة الحرب.

وعلى هذا الأساس، تكون إشكالية الموضوع كالتالي: كيف يمكن فهم السلام -بما هو مشكلة سياسية- فهما أخلاقيا ؟ ضمن أية رؤية ووفق أية استرتيجية يفكر كانط في موضوع السلام ؟ ثم ما الذي يجعل مطلب السلام الكوني مطلبا إنسانيا ملحا ؟ وإلى من يتوجه هذا الرجاء (السلام الكوني) أو ذلك النداء سواء كان سخرية أم هجاء ؟ هل يتوجه إلى الناس بعامة أم إلى الساسة بخاصة أم هو قول خاص بالفلاسفة ؟ ثم كيف يكون السلام الكوني حافزا للإنسان في الوصول إلى مواطنة عالمية ؟ وكيف يكون السلام الكوني كفيل كمرجعية إنسانية لحل المسائل الخلافية القائمة بين الدول ؟ وأخيرا كيف يكون السلام محركا أخلاقيا -في حقيقته- يطرح على مستوى الراهن بقوة ؟ أي هاجس هذا الذي يدفع بكانط إلى التفكير في مصير الإنسانية تفكيرا إتيقيا يظل راهنا حتى بعد موته ؟

**أولا-حول أهمية وضرورة السلام:**

إن تمسكنا بـ"كانط" كمرجعية فلسفية في موضوع السلام الكوني-الأبدي يفسره تأثيره الكبير في تشكيل الوجه الأبرز للحداثة الفلسفية "فلسفة القانون[(1)]"، سواء على مستوى المبادئ أو الإشكاليات، بيد أنه إذا كان كانط قد جعل من النقد والتأسيس شعارا لفلسفته، فقد أبى الفلاسفة اللاحقون عليه إلا أن يكونوا أوفياء لهذا الشعار، حينما رجعوا إليه ليستوعبوا فلسفته ويمارسوا عليها نقدا واسعا، إما لتوسيع مفاهيمها أو تجاوزها أو التضاد معها، ابتغاء بناء فلسفات جديدة[(2)].

ويأتي إسهام كانط في إرساء دعائم وأسس السلام، على اعتبار أن هذا الأخير ليس من فعل الطبيعة، إنما ينبغي أن تصنعه إرادة البشر؛ أي أن السلام يرتبط بالفعل الإرادي للإنسان، بحيث يتوجب عليه أن يعيّن سلوكه بشكل تصبح معه قوانين السلوك لكل واحد تقوم بموجب مبدأ الحرية والحق[(3)]. ونظرا، لأن البشرية تعرف في الوقت الراهن ما يسمى بالنزوع التخريبي، وهو أساس كل مظاهر النزاعات والحروب بما تتضمنه من هدم لقيم الإنسان، وتهديد لوجوده ذاته، ومن ذلك شبح التهديد بالحروب النووية أو الكيميائية أو البيولوجية، هذا الشبح الذي يبقى مسلطا على رقاب البشر دائما، إذا لم يتم السعي إلى التخلص من كل أسلحة الدمار الشامل[(4)].

إن الإنسانية لا تهددها الأخطار الناجمة عن اختلاف الأديان أو اللغات في ظل السلام الكوني-الأبدي، بل تغدو ممكنة في كنف من الحياة الإنسانية الحقيقية، لأن الالتزام الشخصي الحر إلى كونه قيمة أخلاقية في ذاته، يُنمي

حركة التقارب بين الشعوب، ويحفّز القوى الفعالة على التسابق نحو الأفضل، ذلك أن السلام الكوني القائم على العدل والحرية يؤلف أروع مكسب تحققه الإنسانية المتطورة[5].

إن كانط يبدو أكثر تفاؤلية حسب عبارة «Jean Paul Richter »، إذ بقي حتى موته يدافع عن السلام الكوني-الأبدي، ولقد كان على حق عندما أثنى على "هيوم" بوصفه أعطى الدواء البطولي، والذي بإمكانه أن يجلب الشفاء للإنسانية من الحروب وما تخلفه من آلام، حين شبه الأمم المتحاربة (أثناء الحرب) بشخصين ثملين يتشاجران بعصي في محل فخاري، ويلزمهم وقت طويل للشفاء من اللكمات المتبادلة، وفوق ذلك لا بد عليهم أن يدفعوا قيمة وثمن ما حطموه من أواني، بينما النتائج المؤلمة للحرب الحالية قادرة على أن تُحتّم على المتنبئين السياسيين بالإقرار بتوجيه قريب للإنسانية نحو الأحسن والأفضل، وسلام عالمي بدا يلوح في الأفق[6].

إن السلام الحقيقي ليس السلام المؤقت، بعد وقبل الحرب؛ أي عندما يبحث المنتصر عن الاستزادة من الغنائم، بينما يحضر المنهزم نفسه للثأر، بل السلام الحقيقي يتعلق بسلام راسخ ودائم (كوني)؛ أي سلام لا يحتوي منذ تأسيسه على تعقيدات قد تعيقه، فإن سلام مثل ذلك لا يمكن أن يكون كونيا، وهنا ينبغي أن نتعلم مجددا من التاريخ، فمعاهدات السلام كثيرة عبر التاريخ، لكن هذا النوع من السلام هو سلام اتفاق وهدنة، بيد أن السلام الكوني، والذي ينبغي أن يعقب ما يسمى خطأ حتى الآن بمعاهدات الصلح -وهي في الحقيقة اتفاقيات هدنة- ليس فكرة جوفاء، إنما هو مهمة تتحقق رويدا رويدا، وتقترب من غايتها بخطى واثقة ومستمرة، ولابد من الأمل بأن الفترات الزمنية التي تستغرقها هذه الخطوات الصاعدة باتجاه السلام الكوني تتسارع أكثر فأكثر [7].

وعلى هذا الأساس، يقصد كانط بالسلام في قوته كسلام دائم وكوني وعالمي، بما أن العائق يتأتى من الإخفاق في تحقيق مؤسسة عدل عالمية، الآن وقد أصبح الطريق مفتوحا وحتى لو بقي مصطلح السلام موضوع تفكير، فإن خلاص البشرية يتمثل في تحويل هذا التفكير إلى ممارسة سياسية-عملية[8].

**ثانيا- نحو تأصيل كوني للسلام أو في كونية المفهوم والمصطلح:**

يعرض كانط مشروعه -السلام الكوني- وفق إستراتيجية العقلانية الكونية التي تزدرى كل ما هو جزئي ومتغير، وتبحث عن منطلق يتجه نحو الشمولية، ولعل الدليل على ذلك من وجهة النظر الفيلولوجية هو عنوان الكتاب في حدّ ذاته "نحو السلام الدائم".

إن السلام الكوني هو الحافز الوحيد في بلوغ السياسة الكونية، وما يتبعها من مفاهيم كونية (مواطنة كوسموسياسية، قوانين سياسية كونية، تاريخ كوني، مجتمع كوني أخلاقي ...الخ)، والحقيقة أن المفهوم الكوني للسلام لا يتعلق بفكر يخص حضارة دون غيرها، أو قسما من الإنسانية دون غيره، فلا يعني السلام الكوني ما تقرّه أطروحات الفكر الغربي من مواثيق ودساتير - مع أن السياسة الغربية تنتهك ذلك- ذلك أن المساهمة في السلام تطرح -في نظرنا- طرحا خاطئا عندما نقيسها على مساهمات الغرب فحسب،كيف لا ؟ وهو الذي ينتج نقيضه (الحرب)، وإنما المقصود هنا بالسلام شكل من أشكال الحقيقة، وهو لا يحيل لأي معنى عرقي أو جغرافي أو قومي، إن السلام الكوني المقصود به هاهنا لا هوية له، وربما هو ما يتجاوز كل هوية، فليس هناك معاهدة أو سلام أصيل، كل ما هناك هو كيفيات أصيلة للمشاركة في إرساء السلام الكوني-الأبدي. لذلك فإن كل سؤال فلسفي لا مفر له اليوم من أن يجد نفسه منخرطا في إطار كيفية الحفاظ على النوع البشري-الإنساني، ولابد من أن يطرح على الفكر بما هو فكر إنساني كوني.

إن السلام يجب أن يرتبط بالبعد الإنساني، وبروح المواطنة[9] من أجل تكريس القيم الديمقراطية السامية، على اعتبار هذه الأخيرة كقيمة عالمية-كونية لا يمكن لها أن تقوم إلا في ظل سلام عالمي، لأن القضاء على السلام يعني القضاء على الديمقراطية.

إننا إذن مطالبون للمساهمة في الكونية، بيد أن هذه المساهمة لن تتأتى إلا لمن يقول بفكر شمولي-كوني، يتعالى عن الاختلافات اللغوية والفروق الحضارية والسياسية والأيديولوجية، وفي هذا السياق نجد كانط يثق ثقة مطلقة في الإنسان، على اعتبار النظرة العقلانية لضرورة السلام، والتي ستؤدي لامحالة إلى ربط الممارسة السياسية بالبعد الأخلاقي، ذلك أن العقل العملي (الأخلاقي) يستشرف الخطر الذي لا مهادنة فيه قائلا: "يجب أن لا تقوم حرب البتة، لا بينك وبيني في الحالة الطبيعية، ولا بيننا كدول مبنية داخليا"، هذا السلام الذي أفعل ما يكون في إنهاء الحرب القذرة، والتي ما فتئت جميع الدول من دون استثناء -حتى الآن- تحشد مؤسساتها الداخلية تجاهها، كما لو كانت هي الغاية الأسمى، وإذا كان السلام يظل بالنسبة إلينا مجرد أمنية غالية، فعلى الأقل لن نخطئ قط إذا اتخذنا كمبدأ لنا أن نصبو إليه بدون كلل، لأن هذا هو الواجب[10].

يظهر كتاب كانط "نحو السلام الدائم" سنة (1795)؛ أي قبل كتابه "المبادئ الأولى الميتافيزيقية لنظرية القانون"، حيث صاغه على هيئة معاهدات دبلوماسية، ويتألف من الأقسام التالية:

أولا- ستة مواد تمهيدية تصوغ الشروط السلبية للسلام.

ثانيا- ثلاث مواد نهائية تصوغ الشروط الايجابية العامة الداخلية والخارجية الدولية لقانون السلام.
ثالثا- ملحق أول: يبحث فيه كانط من الناحية الفيزيائية والمادية المحضة في الطبيعة بوصفها ضمان السلام.
رابعا-ملحق ثان: يدعو فيه كانط إلى إعطاء الفلاسفة في تنوير الدولة والحاكمين فيما يتعلق بالأمور السياسية.
خامسا- العلاقة بين الأخلاق والسياسة [11].

إن نصوص الكتاب (نحو السلام الدائم) تتقدم في شكل معاهدة سلام تنتظر التوقيع من الذين سيلتزمون باحترامها، وهو يبدأ "بمواد تمهيدية" تحدّد مجموعة من الشروط بحيث لا يمكن تصور مشروع السلام من دونها، وهناك ميزة أساسية تتمثل في الحذر من كل ما يجعل الثقة المتبادلة مستحيلة، ثم يأتي حينئذ نص المعاهدة المتمثل في "المواد النهائية"، والتي عددها ثلاث؛ يلتزم الموقعون بترقية الدستور الجمهوري في دولهم الخاصة بالدخول في فيدرالية للدول حرة، مؤسسة لحق الشعوب، وبسنّ قانون عالمي محدّد بإكرام عالمي (Hospitalité) -ضيافة كونية- وتنتهي المعاهدة بتذييلين يتعلق كلاهما بما يؤكد إمكانية دوام السلام، يخص الأول ما يضمن السلام، والذي ذهب في اتجاه ما قرره كتابه السابق "تاريخ كوني من وجهة نظر عالمية"، كما يضيف في طبعة لاحقة للكتيب ملحقا خاصا بالعلاقة بين السياسة والأخلاق[12].

:إن كانط نفسه يعتبر كتاب السلام الدائم، وبالرغم من صغر حجمه بمثابة التطبيق العقلي للنظرية السياسية، والتي وضعها في كتابه الشهير "الأصول الفلسفية لنظرية الحق"، ولقد عبّر عن هذا أبلغ تعبير في خاتمة الكتاب المذكور الذي صدر سنة (1797)؛ أي سنتين قبل وفاته.

**ثالثا- نحو إشعاعية كونية أو في تجاوز التاريخانية:**

بالرغم من اشتغال كانط على مستوى المقولات التاريخية [13] إلاّ أنه يتجاوزها في نهاية المطاف إلى إشعاعية كونية -على حد تعبير ميشال فوكو- بحيث تُختزل لديه كل المنظومات الواقعية إلى حدود لا نهائية، وتغدو معه القوانين السياسية ذات أبعاد كونية لانهائية، الشيء الذي يسمح بالمضي قدماً تجاه سياسة كونية عالمية، وبالتالي إمكانية الانخراط في مواطنة كونية عالمية من أجل التخفيف من وطأة الانتماء ومن ثقل الذاكرة التاريخية [14]، ذلك أن المشكلة الكبرى للنوع الإنساني -فيما يقول كانط- هي بلوغ مجتمع كوني يحكمه قانون كوني، وتفسير هذا أنه في المجتمع وحده يمكن تحقيق استعدادات الإنسان وبالتالي غرض الطبيعة، فيغدو المجتمع منظما وفق دستور كامل وعادل للمواطنين مع تمتع هؤلاء بكامل الحرية، هذه الأخيرة

التي تجد في القوانين السياسية الكونية ضمانا لها [15]. إن الكونية التي يفكّر وفقها كانط هي كونية اختزال الخصوصيات، بينما الكونية التي يبحث عنها هي كونية القانون وعالميته باعتباره قاعدة الفعل التي وضعها العقل الخالص العملي[16]، وهذا القانون ينطلق من الذات الإنسانية التي تقوم بتشريع ذاتي وكوني في الوقت ذاته، لأنها حينما تشرّع لذاتها فإنها تشرّع للآخرين.

إن السياسة الكونية تُحيل إلى ضرب من العالمية التي تتخطى أقنوم المجتمع وأقنوم الـدولة معا؛ فهي تؤسس للوطن الآخر، وطن المعنى، وهي تعيد طرح كل نظام وكل قانون وكل سلطة على محك المعنى الذي يمكن للفرد أن يرى نفسه من خلاله؛ أي بما تعنيه ذاته كإنسان، ولا تولّد المواطنة العالمية إلاّ عندما تُكسر دوائر الانغلاق الثقافي ويتاح للذات مباشرة صلتها الطبيعية بالعالم بتوسط الحرية وحدها، وهنا ليست الحرية سوى الإتيان بشيء من مساحة المعنى خارج السلطوي[17]، فيتعلم الإنسان فن العيش معا - بما هو إنسان- على وجه التواصل الكوني وخلق فضاء عمومي قائم على مبدأ العمومية بوصفه شرطا لكل علاقة مع الآخر، وباعتبار الإنسان كائنا عاقلا خاضعا لقوانين العقل العملي، وبوصفه كائنا مستقلا أو غاية في حدّ ذاته ينتمي إلى مجال الكائنات العاقلة بعامة، وباعتبار البشر كائنات أو مخلوقات أرضية تعيش في شكل اجتماعي يملك حسا مشتركا أو حس الجماعة[18]، فإن كل هذا يسمح بقيام ثقافة النزعة الإنسانية، والتي تأخذ بالبعد الإنساني أو إن شئنا الدقة-فيما يقول جاك دريدا- قيام ثقافة المواطنة الكونية[19].

إن مثل هذا الطموح الكانطي، والذي يأخذ معه مجموعة كبيرة من الفلاسفة غير قابل-على الأقل- للتفكير فيه على نحو خال من ضمانات تسمح ببلوغه، لذلك نجد كانط يعتمد على تمفصلات من شأنها إنجاح وتحقيق السلام الأبدي-الكوني، والذي لا يمكن أن يتأتى خارج أرضية أمنية، ورؤية تفاؤلية للمستقبل.

هكذا يكون الحاضر أفضل من الماضي والمستقبل أفضل من الحاضر، وتنعكس هذه الأفضلية الزمانية على مستوى الواقع، بحيث تستطيع الإنسانية بلوغ -ولو بالقدر القليل- مستوى النضج السياسي والأخلاقي، إذ تظهر الدساتير والقوانين التي من شأنها تعزيز الكرامة والبعد الإنساني وتحفظ حرية الفرد، ذلك أن الحقوق هي الشرط اللازم لتعايش الحريات الفردية، وهي أيضا أساس لتصور الدولة من حيث أن غرضها ليس هو إرشاد الناس إلى السعادة بل كفالة النظام لكي يتيسر للإنسانية أن تتقدم نحو الأحسن والأفضل، وحتى يصبح مخطط النمو والتقدم الذي يسير فيه التاريخ الإنساني

هو تعبير عن المثل الأعلى للحرية[20]، فالطبيعة والحرية إن اجتمعتا في فكر الإنسان بحسب مبادئ الحق الكامنة فيه تصبحان وحدهما القادرتين على تقرير هذا الأمر (التقدم) حتى وإن لم يكن ذلك إلا في صيغة غير محددة وكحدث عارض[21]، وإذا كان الحل الأمثل والكامل -حسب أفلاطون- لأي دستور أو لقوانين تامة وعادلة ذات صلاحية كونية يبدو مستحيلا على مستوى الواقع[22]، فإن كانط كان أكثر جرأة من أفلاطون، فهو لم يعمل على اختزال سعادة البشر في قوالب فلسفية ترتمي في عالم المثل خارج عن إرادتهم، وإنما حاول البحث عنها في عالمهم الواقعي عن طريق مشاركة حقيقية في اختيار المصير، وهي السعادة التي لا يمكن أن تكون شيئا آخر سوى بلوغ سلام كوني.

**رابعا- المواطنة الكونية في أفق السلام الكوني:**

إن الإيمان بالتقدم، سواء من ناحية تاريخ كوني أحسن وأرقى، أو من ناحية انتصار المثل الأخلاقية وقوى الخير في العالم، لا ينتج إلا من خلال ظهور شرعي لفكرة الحق، ولقد شهد المجتمع حادثة من هذا النوع هي الثورة الفرنسية (1789)، إلا أن كانط يدين تطرفها رغم أنها -حسبه- أيقظت في روح الشعوب حماسا خالصا وتفاؤلا بقرب سيادة القانون وسعادة البشر، وبالتالي استئصال النزعة العسكرية ونزع السلاح وإيقاف الحروب، هذه الأخيرة التي تعدّ أكبر مانع أمام التقدم الخلقي، وإذا كانت الحرب هي النتيجة الطبيعية للتعصب والقهر والسيطرة فإن هدف كانط هو أخذ الإنسانية إلى غايتها الكونية، وهي تحقيق سلام كوني-أبدي[23]، على اعتبار أن السلام ثمرة للنهج القانوني على الصعيد الداخلي للدولة ثم على الصعيد الخارجي (العلاقات بين الدول) [24]. إن السلام-فيما يقول كانط- الذي ينبغي أن يعقب ما يسمى خطأ حتى الآن بمعاهدات الصلح، وهي في الحقيقة اتفاقيات هدنة ليس فكرة جوفاء، إنما هو مهمة تتحقق رويدا رويدا، وتقترب من غايتها بخطى واثقة مستمرة، ولابد من الأمل بأن الفترات الزمنية التي تستغرقها هذه الخطوات الصاعدة باتجاه السلام الدائم تتسارع أكثر فأكثر[25].

إن كانط لم يحسم مسؤولية السلام ضمن مقال سنة (1796) إلا أننا نعثر لديه على إجابة شافية عما يكون مسؤولا على السلام الكوني في أحد هوامش كتاب "نزاع الكليات" (1798) في تعليقه عن يوطوبيات الفلاسفة، فلقد تم إخراج "أطلنطا أفلاطون" و"يوطوبيا مور"، و"أقيانوس هارينكتون"، و"سفير أنبيا آلاس"، إخراجا مسرحيا، لكن لم يحدث أبدا القيام بمحاولات تحقيقها، ذلك أن أملنا وتفكيرنا في ظهور كيان سياسي فاضل مهما كان الأمر متأخرا مثلما نفكر بذلك هو حلم عذب، ومع ذلك أن نقترب من ذلك أكثر فأكثر ليس فقط أمرا قابلا للتفكير من جهة أن ذلك يتطابق مع القانون

الأخلاقي[26]، وإنما هو واجب، لكنه لا يخص المواطنين فحسب بل يخص قادة الدول، وكانط يحدد للفلاسفة مالهم وللساسة ما عليهم[27]، للفلاسفة حق التفكير في السلام الكوني، وعلى قادة الدول واجب العمل على الاقتراب منه أكثر فأكثر[28]، لكن السؤال الذي يمكن طرحه في هذا السياق هو: ما هي دوافع وضمانات هذا الحلم العذب والجميل ؟ أو بتعبير آخر: ما هي الآليات التي تمكننا من تحقيق سلام كوني وأبدي أو على الأقل التمهيد له ؟

إن ميثاق السلام العالمي لا يؤلف جزءا من نظرية الحق فقط، بل هو الغاية النهائية بأسرها لنظرية الحق، ذلك أن حالة السلام هي الحالة الوحيدة التي فيها ما هو لي وما هو لك؛ أي حالة قانونية يسودها سلام ونظام، وهذا الأخير لا يمكن أن يُستمد من تجربة أولئك الذين رضوا به حتى ذلك الحين كمعيار لسائر الناس، بل يجب أن يُستنبط قبليا بواسطة العقل من المثل الأعلى لتجمع قانوني للناس تحت قوانين عامة، والواقع أن كل الأمثلة لا تستطيع إلا أن توضح لا أن تثبت، ولئن كان من المستحيل للوهلة الأولى تحقيق فكرة السلام الكوني، فإنه من الممكن أن تؤدي إليها بإصلاح غير مشعور به يتم تبعا لمبادئ راسخة تقودنا دائما إلى هذا الخير الأسمى في ميدان السياسة، ونعني به السلام الدائم بين جميع الدول والشعوب في هذا العالم [29].

إن أول ما يشترطه كانط -في سبيل تحقيق سلام كوني- هو ضرورة تجاوز المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد بين الدول، والتي يصطلح على تسميتها معاهدات السلام، ذلك أن هذه الاتفاقيات ما هي إلا مجرد هدنة -من أجل جمع قوة أكثر- لمباشرة الحرب من جديد: "لذلك ينبغي ألا تعتبر أية معاهدة صلح على أنها كذلك، إذا ما كان أطرافها قد احتفظوا ضمنا اللجوء إلى حرب جديدة، لأن معاهدة من هذا النوع لن تكون سوى مجرد هدنة وليست السلام الذي يعني انتهاء الأعمال العدائية كافة، ولا يمكن أن نضفي على هذا السلام المؤقت صفة الدائم (الكوني)"[30].

إن الخطوة الثانية نحو السلام الكوني-الأبدي هي ضرورة الحفاظ على استقلالية كل دولة :"فلا يحق لأي دولة من الدول أن تتدخل بالقوة في دستور دولة أخرى ونظام حكمها" [31]؛ أي عدم تدخل أي دولة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى، لأن أكثر شرور العالم وحروبها تبدأ بانتهاك دولة لحدود دولة أخرى :"فلا يسوّغ لأي دولة مستقلة (كبُرت أم صغُرت، فهذا لا شأن له في هذا المجال) أن تستحوذ على دولة أخرى لا بالميراث ولا بالمبادلة ولا بالثراء ولا بالهبة، فالدولة ليست ميراثا (على غرار الأرض التي تقوم عليها)، إنما هي مجتمع بشري لا يجوز لأحد أن يتحكم فيه، ولا يحق لأحد أن يتصرف به ما لم يكن من هذا المجتمع بالذات"[32]، هذا، وينبغي كذلك تجنب الوسائل التي من شأنها أن تدفع الدول إلى الحرب، كإزالة الجيوش باعتبارها

تعكس الاستعداد للحرب: "إنه يجب إذن -فيما يقول كانط- أن تزول الجيوش النظامية كليا مع الوقت، لأن ظهور هذه الجيوش الدائم على أهبة الاستعداد للقتال يجعلها تهدد الدولة الأخرى بالحرب تهديدا مستمرا، ومن شأن هذا الواقع أن يدفع بكل دولة من الدول إلى محاربة الأخرى من حيث حشد الأعداد غير المحدودة من الفرق العسكرية"(33). إن الحرب لا تعطل مشروع السلام الكوني فحسب، وإنما تجرّ الدول إلى أزمات مالية عالمية بفعل النفقات العسكرية المستمرة، لذلك: "لا يحق لأي دولة اعتماد الاقتراض لتمويل نزاعاتها الخارجية، فهذا النظام ابتكار بارع استحدثه شعب تاجر من شعوب هذا الجيل، ليضفي على المال قدرة خطرة، وهذا التدبير يمثل ثروة واقفة على أهبة الاستعداد للحرب" (34)، ولعل الأكثر من ذلك -وفق تحليل كانط- أن العلاقات القائمة بين الدول تحتاج إلى ضرورة الحرص على تجنب كل ما من شأنه أن يلغي الثقة القائمة بين الدول، خاصة الدول المتنافسة: "فلا يحق لأي دولة في حالة حرب مع دولة أخرى أن تسمح لنفسها بأعمال عدائية من النوع الذي يجعل الثقة مستحيلة بينهما بعد استتباب السلام، ومن هذه الأعمال مثلا استخدام عناصر تقوم بالاغتيال أو التسمم أو انتهاك حقوق الاستسلام أو التحريض على الخيانة في الدول المحاربة" (35).

هذا، وإن طبيعة النظام السياسي هي كذلك آلية من شأنها أن تقربنا من تحقيق فعلي لسلام كوني-أبدي، لكن السؤال الذي يطرحه كانط هاهنا: هل النظام الجمهوري هو النظام الوحيد الذي يمكن أن يؤدي إلى إيجاد السلام الكوني(36) ؟ ولما كان النظام الجمهوري هو وحده الذي يتطلب موافقة المواطنين إما مباشرة أو عن طريق ممثليهم على القيام بحرب ما، ولما كانت ويلات الحرب ونفقاتها وتخريبها، وما تجرّه من ديون يبقى عبؤها باهظا حتى أثناء السلام، فإن تقرير القيام بحرب ما لا يتم إلا بعد تقدير عميق وتفكير دقيق في كل النتائج المترتبة على الحرب، خصوصا، وأن المواطنين أنفسهم هم الذين سيقاتلون ويدفعون من أرزاقهم نفقاتها، وكل هذا يدعوهم إلى التفكير ألف مرة ومرة قبل الإقدام على خوض حرب ما، أما إذا كان أمر تقرير الحرب في يد شخص واحد هو الذي يملك السيادة بل ويعتبر الدولة كلها ملكا له، فإنه سيعتبر الحرب مجرد نزهة مثل نزهة الصيد(37)، ولا يخشى منها على متعه وملذاته، ولهذا فإنه يخوضها لأسباب تافهة ويوكل إلى الهيئة الدبلوماسية أمر تقديم المبررات، وهي هيئة في خدمة الحاكم مستعدة لتقديم ما يشاء من مبررات تقتضيها قواعد اللياقة في المعاملات ما بين الدول(38).

إن إرادة البشر تقتضي العمل من أجل تحقيق سلام أبدي، ولكن هناك على مستوى الواقع ما يناقض ذلك، إذ أننا نجد صراعات وحروب واعتداءات،

وهنا يقرّ كانط -على نحو ميتافيزيقي- على وجود خطة خفية في تقدم التاريخ نحو الأفضل توجّه الإرادة الإنسانية نحو سلام كوني، بحيث يكون لزاما علينا طرح سؤال يتعلق بجوهر البحث عن السلام الدائم وهو: ما الضامن- بالإضافة إلى إرادة البشر- لقيام سلام كوني-أبدي ؟ والجواب أفصحت عنه الطبيعة نفسها، الأمر الذي يجعلنا نتساءل مرة أخرى: ماذا تفعل الطبيعة في هذا الاتجاه لكي تقود الإنسان إلى الهدف الذي يفرضه عليه عقله بالذات كواجب، وبالتالي من أجل تعزيز نزعته الأخلاقية [39] ؟ الحقيقة أن الطبيعة هيئت الناس للعيش في كل أجزاء الأرض وشتتتهم بالحرب في كل الأقاليم حتى أكثرها استيحاشا ابتغاء عمارتها، ثم أرغمتهم بنفس الوسائل على عقد صلات متفاوتة في القانونية[40]، ذلك أن :"السلام ليس مجرد حسن الجوار بين حقين يتجنبان التصادم، إنما هو أكثر من ذلك تبادل في الأفكار والفوائد والبضائع لأن الناس يؤلفون جماعة"[41].

إن سلامة الجنس البشري تتطلب تحقيق الكمال الأخلاقي الأقصى للإنسانية، وتلك هي الغاية العامة للجنس البشري، وبتحققها يتحقق السلام بالضرورة [42]، ذلك أن العلاقة بين الدين الأخلاقي والسلام العالمي-في نظر كانط-هي علاقة تلازم، على اعتبار أن الدين يقوم على العقل، وحياة العقل هي حياة الإنسانية؛ أي فعل الخير والعدل والسلام والمحبة، وتحقيق السلام في تلازم ضروري مع الواجب الأخلاقي، لهذا يرى كانط-وهو محق تماما في هذا وليت العالم ينتبه إلى أهمية ما طرحه في هذا السبيل حتى يمكن تجنب ويلات الحروب الناجمة عن التعصب والتطرف والإرهاب- أن مشكلة السلام مشكلة أخلاقية، فالأمل في سلام كوني وأبدي يسود العالم ويستمر بصورة لا نهائية مرهون كله بالتربية الأخلاقية من أجل تكوين العقل النقدي؛ أي العقل الراشد المستنير -أليست بداية كل حرب جرت في الواقع سببها تهور واندفاعية ؟- والتربية الهادفة إلى تنمية المواهب واحترام الشخصية وفقا للمبادئ الأخلاقية[43]، خاصة وأن المبادئ والقواعد الأخلاقية تحمل البعد إنساني، وهو الشيء الذي يجعلها حينما ترتبط بالسلام تضفي عليه الشرعية الكونية؛ أي يحمل هو الآخر بعدًا كونيا إنسانيا على غرار الأخلاق الكونية[44]. وهكذا نجد كانط يطبق على الأفراد القاعدة الكونية في المجال السياسي من حيث السلام كوني، مثلما هو الشأن في المجال الأخلاقي.

إن الإنسانية الأخلاقية التي تحرك الفعل الخلقي لا تلبث أن تتحول إلى قوة داخلية تحرك العقل نحو تحقيق سلام كوني-أبدي، الأمر الذي يبين لنا أن الكونية ومعها العقل هي محور الفعل الأخلاقي السياسي إذ يظهر العقل كمشرع لما هو أخلاقي-سياسي، ومعه تظهر العلاقة بين الأخلاق والسياسة.

**خامسا- البعد الأخلاقي-الإنساني في الممارسة السياسية:**

لقد استشرف كانط إمكانية تحول الدولة الكوسموسياسية إلى كيان سياسي يتحكم بكل الدول، أو ما يسميه كانط بـ"مملكة كونية"، لذلك اكتفى ببناء فكرة الحق الكوسموسياسي على مجرد التزام أخلاقي واستعمال عمومي للعقل وإرشاد فلسفي للسياسة[(45)]، فالالتزام الشخصي الحر إلى جانب كونه قيمة أخلاقية في ذاته، ينمي -في نظر كانط- حركة التقارب بين الشعوب، ويحفز القوى الفعالة على التسابق نحو الأفضل حيث يغدو السلام الكوني-الأبدي القائم على العدل والحرية يؤلف أروع مكسب تحققه الإنسانية المتطورة [(46)]، وهنا يمكن أن نستحضر "Levinas" ذلك القارئ الجيد لكانط، والذي يتحدث عن العلو الذي يستحوذه الآخر عليّ أثناء لقائه، وعندئذ سيصبح ممكنا النظر إلى الغريب لا كعدو محتمل، ولكن كمواطن عالمي (كوني) على هذه الأرض المشتركة، وكمسافر شاهد على إمكانية الأمل وبحق في مكان تسوده العدالة والسلام [(47)].

إن كانط يبدو أكثر تفاؤلية حسب عبارة "Jean Paul Richter"، إذ بقي حتى موته يدافع عن سلام كوني-أبدي[(48)]، ولقد كان على حق عندما أثنى على "هيوم" بوصفه أعطى الدواء البطولي، والذي بإمكانه أن يجلب الشفاء للإنسانية من الحروب وما تخلفه من آلام، حين شبه الأمم المتحاربة (أثناء الحرب) بشخصين ثملين يتشاجران بعصي في محل فخاري، ويلزمهم وقت طويل للشفاء من اللكمات المتبادلة، وفوق ذلك لابد عليهم أن يدفعوا حق ما حطموه من أواني، بينما النتائج المؤلمة للحرب الحالية قادرة أن تحتم على المتنبئين السياسيين بالإقرار بتوجيه قريب للإنسانية نحو الأحسن والأفضل الذي بدا يلوح في الأفق[(49)].

إن فكرة السلام الكوني-الأبدي التي حرص كانط على صياغتها لم تكف أبدا عن التجذر والتطور في الفضاء السياسي الحالي منذ تأسيس المجتمع الأممي، فقد جعلت من الممكن أن يحتج الجميع على أي اعتداء يقترف بشأن أي إنسان في أي جزء من الأرض، وكانط يبدو على حق حينما قصر مهمة الفيلسوف على الدفاع عن حرية التفكير وعن التهذيب الأخلاقي للإنسانية من أجل توجيهها نحو مستقبل يكون فيه الإنسان غاية في ذاته، والوطن عالما بلا حدود والدولة حقا كوسموسياسيا قائما على ضيافة كونية، ذلك أن مهمة الفيلسوف -حسب كانط- ليست صياغة الدساتير الحقوقية فتلك مهمة المشرّعين والساسة والحقوقيين، إن دوره ليس مواجهة الدولة القائمة وإنما التفكير أمام الإنسانية برمتها؛ أي خارج سقف الملل والنحل، إنه مواطن

كوني في عالم يتسع للجميع[50]، ذلك أن الفيلسوف يريد دائما أن يضفي الشرعية الكونية على أرائه الفلسفية[51].

إننا نجد في حق المواطنة الكونية، التي بشّر بها كانط، والتي لم تعد في نظر "هابرماس" مجرد مبالغة متحمسة في مذهب الحق درجة الاكتمال القصوى الضرورية للحق المدني والعمومي، الشيء الذي جعل "هابرماس" يعترف بأهمية مبدأ العمومية الذي شدّد عليه كانط كمبدأ لكل عملية سياسية، ذلك أن كانط -في نظر هابر ماس- هو من حرص على صياغة العلاقة الحميمية بين التنظيم الحقوقي والثقافة السياسية لشعب ما، وأهمية ذلك في تجذر مفهوم الحرية في تحضر كل أمة وتقدمها.

لقد جعل كانط الحرية هي المرتكز، ذلك أن كل عمل إنساني إذا كان حرا فإنه سيكون في مستوى اللامشروط، وبالتالي في مستوى الكوني الذي يلتمس في كل مرة من حيث معاملة الإنسان كإنسان؛ أي كذات لها كرامة، مما يدل على أن الأخلاق لا تنفك عن الفكر السياسي حيث يلتقي الأخلاقي والسياسي في وحدة التشريع العقلي؛ أي في استناد القانون السياسي-ومعه الأخلاقي- إلى المبادئ القبلية-الأولية وفق مبادئ العقل العملي، فالقانون لا يمكن أن يستخلص مما هو موجود لأنه معياري، ولأنه مساعد لعلم الأخلاق بالمعنى الأوسع والضامن للحريات. إن كانط لم يكن-على حد تعبير بدوي- إلا أكبر "نبي" للنزعة العقلية في القانون.

**سادسا- ماذا نتعلم من كانط في عالم اليوم، أو في راهنية كانط ؟**

**1-الكونية:** ربما يمكننا القول أن كانط هو الفيلسوف "الكوني" الوحيد، أو على الأقل الأكثر من شرّع لعقلانية كونية وحرص على الدفاع عنها، فالسلام الذي دعا إليه كانط لا يبدو البتة حكرا على دولة دون أخرى أو مجتمع دون غيره، بل هو سلام كوني خاص بالإنسانية جمعاء، ولما كان الواقع السياسي يفرق أكثر مما يوحد ؛أي يسمح بظهور اختلافات وانتماءات، فقد دعا كانط إلى سياسة كونية تتجاوز التاريخ إلى تاريخ كوني للإنسانية.

إن كانط يراهن على الكونية ضد "الهوية-الخصوصي"، وعلى المدنية ضد القوميات، وعلى الجغرافيا السياسية والجيوفلسفة بدلا من التاريخ وفلسفة التاريخ[52]، وهو الشيء الذي أكد عليه "ميشال فوكو" عندما رأى أن نصوص كانط لا يمكن أن تساعد أي مؤرخ على تحليل التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي حصلت في منتهى القرن الثامن عشر، ذلك لأن مقصد كانط أكثر من ذلك بكثير، إنه مقصد إشعاعي وكوني-لا تاريخي[53]. إن البعد الكوني الذي طرحه كانط يساعدنا على التخفيف من وطأة الانتماء،

ومن ثقل الذاكرة التاريخية، ومن ضروب الأقليات إلى الاتجاه نحو أفق استكشافي كوكبي يشكل مواطنة كونية.

**2- فن العيش سويا:** يعلمنا السلام الكوني كيف يمكن أن نوجد معًا وكيف نستعمل سويا العالم والمدن بوصفنا مواطنين كونيين، ففي أفق المواطنة الكونية يمكننا تجاوز ما أسماه "فوكو" -ابتزاز الحداثة- أي تجاوز الثنائية المنطقية التي تهيمن على ممارساتنا الفكرية وتصيب عقولنا بضرب من العطالة والدوغمائية (هل نحن مع التنوير أم ضده ؟ هل نحن مع الحداثة أم ضدها ؟ ...الخ).

إن السياسة الكونية تعلمنا فن العيش معا والانتماء إلى وطن واحد هو العالم، وقيام فضاء مفتوح يتجاوز التاريخ والانتماء، ذلك أن هذا الأخير كرّس ثنائية الذات والآخر، وأصبح كل قطب يحمل دلالة (الشرق صورة الضحية أو هو المستعمَر والمتخلف وموطن الإرهاب، الغرب صورة البطل المستنير أو هو المستعمِر وموطن الديمقراطية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان ...الخ)[54].

**3- قوة الإنسان في العقل:** يعلمنا كانط أن العقل هو الذي ينتج السلام الكوني، وكل أهمية النظرية النقدية في كونها حصرت الاهتمام بكيفية إنتاج المفاهيم الكونية، والعقل -وفق مبادئه القبلية- يضمن الاتفاق والتفاهم، إنه مبدأ العمومية باعتباره يضمن آليات الحوار والنقاش، وقوته تظهر في أنه يربط بين الأخلاق والسياسة (مبدأ التشريع الذاتي). إن كانط يعلمنا الاقتراب أكثر من أنفسنا ومساءلة عقولنا.

**4- الراهنية:** يعلمنا كانط أنه ما من تفكير إلا ولابد أن يحمل في ذاته الشرعية الكونية؛ أي لابد أن يتجه نحو الراهنية، وكل إجابة يقدمها الفيلسوف لابد أن تكون نموذجا لا تاريخيا، إنها استمرارية ودوام اللحظة؛ أي تجاوز الأبعاد الثلاثية للزمان (ماض، حاضر، مستقبل) نحو إشعاعية لا تعرف اتجاها معينا ولا تأخذ بداية أو نهاية، والفيلسوف الحق هو الذي يضفي الشرعية الكونية على آرائه الفلسفية.

**5- التفاؤلية:** يعلمنا كانط ضرورة التفاؤل في تقدم التاريخ الإنساني نحو ما هو أفضل وأرقى، وليس من قبيل الحلم بالمستقبل مثلما تتغذى بذلك اليوتوبيات الحديثة، ومع كانط لم يعد بوسع الفيلسوف أن يكون بطلا، وإنما يجدر له أن يتخذ لنفسه مقاما يكون له فيه من الشجاعة على استعمال عقله، وقسط كبير من التفاؤل بالمستقبل، من أجل أن يكون الإنسان الكوني والحر والجريء على استعمال عقله قريب التحقق وليس مجرد حلم من أحلام الفلاسفة[55].

وقصارى القول، إن السلام الكوني عند كانط لا يحيل إلى ضرب من التفكير الخيالي، وإنما منطلق أخلاقي بالأساس وغاية أخلاقية في النهاية يُحرك الذات الإنسانية نحو الاتفاق مع الآخر.

**الخـاتمـة**:

لقد أكد كانط على ضرورة بلوغ السلام الكوني، وبالرغم من تشابك وتعقد الآليات التي تضمنه، سواء ما تعلق منها بالبعد الأخلاقي أو العقلي، فإن كانط يكون بذلك قد فتح قارة جديدة، وهي قارة الإنسانية التواصلية، على اعتبار أن مشكلات الإنسان يمكن حلها بالرجوع القهقرى إلى طبيعة الإنسان الخيّرة، والتي تنشد النبل والخير.

إن هذه الثقة المفرطة في الإنسان، والأمل الكبير فيه في تخليص الإنسانية من عنائها الأكبر، تجعل من كانط يقف في وجه أطروحات الفلاسفة والمفكرين الذين أرادوا تكريس الفكر التراتبي، والرؤية المركزية، والبعد الأيديولوجي، بدءا من فلسفة "لايبنتز" و"نيتشه" التي أقرّت بأن حالة السّلم هي دائما خطوة جديدة نحو حرب آتية لمحالة، وصولا إلى أطروحات المعاصرين، أمثال: "صموئيل هيدينغتون" و"فوكو ياما"، والتي حملت رؤية سوداوية عن التاريخ الإنساني ومصيره أيضا.

لقد آن لنا الأوان لكي نميّز بين فيلسوف الإنسانية قاطبة، والذي يحمل همّ الإنسان بما هو إنسان، وبين المشرّع السياسي-المؤدلج الذي يبرّر الحرب والغزو والاجتياح العسكري.

**الهوامش:**

**1**- إن الكلمة الألمانية (recht) ونظيرتها الفرنسية (droit) تدل على الحق وعلى القانون معا، ومن هنا قد يختلط الكلام عن كليهما دائما، ولهذا نرجو من القارئ الكريم أن يفهم المعنيين معا حين نستخدم أحد اللفظين: نقلا عن عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979، ص.05

**2**- محمد المصباحي وآخرون، فلسفة الحق، كانط والفلسفة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2007، ص119.

**3**- إيمانويل كانط ،نحو السلام الدائم، ترجمة، نبيل الخوري، دار صادر، بيروت،ط1، 1985، ص.12

**4**- وزارة التربية الوطنية، نصوص فلسفية مختارة، ص.116

**5**- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص 12.

**6**- Kant (Emmanuel, Pour la paix perpétuelle, projet philosophique, traduction et traduction, Joël Lefebvre, presses Universitaires de Lyon, 2002, p112.

**7**- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم المصدر السابق، ص.99

**8**- فرانسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، ترجمة، نعيمة حاج عبد الرحمن، مجلة أيس، الجزائر، العدد1، جوان، 2005, ص.52

**9**- وفي هذا السياق يمكن القول أن مشروع المصالحة الوطنية يعكس بحق مدى النضج السياسي للمجتمع المدني الجزائري، إذ أن تيقن الجزائريين والجزائريات من أنه من دون عودة السّلم والأمن، لن يثمر أي مسعى من مساعي التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالثمار التي يتوخونها منه. نقلا عن: République Algérienne Démocratique et Populaire, Projet de charte pour la paix et la réconciliation nationale,29 9 2005, p8.

**10**– إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص ص13.-14.

**11**– عبد الرحمن بدوي ، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص ص207-208.

**12**– فرانسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، المرجع السابق، ص .53

**13**- نقصد بها الظروف التاريخية التي أحاطت بنظرية كانط السياسية، ففي ذلك الوقت كان مذهب أو مدرسة القانون الطبيعي هو السائد، وكان كتاب "جروتيوس" "Grotius" (1583-1645) الموسوم بـ "في قانون الحرب والسلام" هو المتن المقرر في كثير من الجامعات الألمانية، ثم صار القانون الطبيعي أساسا في القانون العام السياسي المحلي والدولي, وعلى أساسه أقام "هوبز" نظريته في السيادة، و"لوك" رأيه في أنه لا ضرائب بدون تمثيل نيابي، و"روسو" مذهبه في الإرادة العامة أو الجماعية: نقلا عن عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص ص8-9.

**14**- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2006، ص7.

**15**- عبد الرحمن بدوي، فلسفة التاريخ عند كانط، أوراق فلسفية، العدد 11، 2004، ص88.

**16**- فرنسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، المرجع السابق، ص56.

**17**- مطاع صفدي، ماذا يعني أن نفكر اليوم ؟ فلسفة الحداثة السياسية، نقد الإستراتيجية الحضارية، مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس، ط2، 2002، ص88.

**18**- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص.33

**19**- جاك دريدا وآخرون، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، ترجمة، حسن العمراني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص.11

**20**- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ص127.

**21**- ميشال فوكو، كانط والثورة، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد38-39، 2004-2005، ص15.

**22**- منير الكشو،التاريخ والتقدم عند كانط، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد38-2004،39-2004، ص21.
**23**- حسن حنفي، الصراع بين الكليات الجامعية عند كانط،مجلة أوراق فلسفية، العدد11، 2004، ص ص124-125.
**24**- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص.15
**25**- المصدر نفسه، ص99.
**26**- إن ما يجعل كانط يؤسس للسلام الكوني-الأبدي هو تقدم التاريخ نحو الأفضل والأحسن، ولكن ليس كباقي الفلاسفة الذين ينظرون إليه كحتمية، وإنما لأن كانط يربط هذا التقدم التاريخي بالتقدم الأخلاقي.
**27**- لا ينساق كانط مع أفلاطون في دعوة هذا الأخير إلى أن يكون الفلاسفة حكاما أو الحكام فلاسفة، وكل ما يطلبه من الحكام ألا يكتموا أصوات الفلاسفة بل يتركونهم يبدون آراءهم بحرية، خصوصا وأنه لا خطر على الحكام من الفلاسفة، لأنهم لا يؤلفون أحزابا ولا جمعيات ولا نوادي سياسية. نقلا عن: عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص246.
**28**- أم الزين بنشيخة،كانط في فضاء هابرماس أو كيف الكلام على السّلم الدائمة ؟ مجلة أوراق فلسفية، العدد11، 2004، ص.411

**29**- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص ص201-202.

**30**- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص30.
**31**- المصدر نفسه، ص34.
**32**- المصدر نفسه، ص31.
**33**- المصدر نفسه، ص ص32-33.
**34**- إن تشريع السلام الكوني يقتضي الاحتكام إلى سلطان العقل، وإن تعيين هذا السّلم هدفا إنسانيا نبيلا يوجب-علاوة على ذلك- الإقرار بأخلاقيات التواصل بين الشعوب والدول حتى في حالة الحرب، حيث يفرض كانط على الدول المتحاربة ما يسمى بآداب الحرب، وهو ما من شأنه أن يذكرنا بآداب الحرب عند المسلمين في بواكيرهم الأولى، نقلا عن: المولدي عزديني، في راهنية العقل والأخلاق، موقعها في تشريع مطلب "السلم الأبدية" عند كانط، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 128-129، 2004، ص.86
**35**- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص.64
**36**- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص231.
**37**- لقد أجاب أحد الأمراء البلغاريين إمبراطورا يونانيا، كان هذا الأخير قد اقترح عليه الاقتراح الشهم؛ أي المنازلة المفردة لإنهاء الخلاف بينهما دون سفك دماء الرعايا، فقال: "الحداد الذي لديه ملقط لا يستخرج قطعة الحديد المحمّاة بيده". نقلا عن: إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص32.
**38**- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص232.
**39**- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص64.
**40**- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص188.
**41**- Emmanuel Kant, pour la paix perpétuelle, op.cit, p 42.
**42**- عبير سعد، الدين والسلام عند كانط، مجلة أوراق فلسفية، العدد 11، 2004، ص312.
**43**- المرجع نفسه، ص ص311-312.

**44**- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص191.
**45**- أم الزين بنشيخة، كانط في فضاء هابرماس أو كيف الكلام على السّلم الدائمة ؟ المرجع السابق، ص.420
**46**- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص.12
**47**- فرانسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، المرجع السابق، ص62.

**48**- Emmanuel Kant, pour la paix perpétuelle, op, cit, p42.

**49**- Ibid. p 112.
**50**- أم الزين بنشيخة، كانط في فضاء هابرماس أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص.516

**51**- يريد الفيلسوف دائما أن يضفي الشرعية الكونية على آرائه ونظرياته الفلسفية، وتاريخ الفكر الفلسفي يبيّن مدى إسهام الفلاسفة في وضع تشريعات ومبادئ كونية لا تقبل التغير والاستثناء، فنحن نجد -مثلا- في فلسفة أفلاطون أو أرسطو نموذجا حقيقيا لمحاولة بلوغ ما هو كوني،كما أننا نجد القديس "أوغسطين" يبحث في العصر الوسيط في إمكانية تجسيد الكوني الذي أسماه "مدينة الله"، وفي الفكر الإسلامي نجد "الفارابي" يشرّع لما هو كوني من خلال مدينة فاضلة ودولة عالمية واحدة تحمل في ذاتها قيمة كونية.

**52**- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص.217
**53**- صالح مصباح، التنوير الكلاسيكي في تنوعه وتاريخيته، راديكاليا ومعتدلا ومضادا، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد 38-39، 2004-2005، ص.66
**54**- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص.218

**55**- المرجع نفسه، ص219.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**1**- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2006
**2**- إيمانويل كانط ،نحو السلام الدائم، ترجمة، نبيل الخوري، دار صادر، بيروت،ط1، 1985

**3**- جاك دريدا وآخرون، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، ترجمة، حسن العمراني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2005
4- حسن حنفي، الصراع بين الكليات الجامعية عند كانط،مجلة أوراق فلسفية، العدد11، 2004

**5**- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979،

**6**- عبير سعد، الدين والسلام عند كانط، مجلة أوراق فلسفية، العدد 11، 2004
7- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت
8- فرانسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، ترجمة، نعيمة حاج عبد الرحمن، مجلة أيس، الجزائر، العدد1، جوان، 2005
9- محمد المصباحي وآخرون، فلسفة الحق، كانط والفلسفة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2007،

10- مطاع صفدي، ماذا يعني أن نفكر اليوم ؟ فلسفة الحداثة السياسية، نقد الإستراتيجية الحضارية، مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس، ط2، 2002
11- منير الكشو،التاريخ والتقدم عند كانط، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد38-39،2004-2004

**12** ميشال فوكو، كانط والثورة، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد38-39، 2004-2005

1-République Algérienne Démocratique et Populaire, Projet de charte pour la paix et la réconciliation nationale,29 9 2005

**2**Kant (Emmanuel, Pour la paix perpétuelle, projet philosophique, traduction et traduction, Joël Lefebvre, presses Universitaires de Lyon, 2002

# الفنون

## القيم الجمالية والرمزية للفن الإسلامي

## Aesthetic and symbolic values of Islamic art

د. شامخ زكريا مفلح علاونه أستاذ مساعد: قسم التاريخ

# القيم الجمالية والرمزية للفن الإسلامي

# Aesthetic and symbolic values of Islamic art

د. شامخ زكريا مفلح علاونه أستاذ مساعد: قسم التاريخ
جامعة القدس المفتوحة. فلسطين فرع رام الله والبيرة التعليمي

**Abstract:**

The research explored the subject of aesthetic and symbolic values for the Islamic religious Arts of its all kinds and patterns, whether different floral, architectural; inscriptions; paintings, photography and other Islamic patterns in the various Islamic arts> The research also discussed the components of aesthetic values represented in the elements of Islamic Art as parity, commitment ,repetition and uniformity and simplicity, time use values and other renewable values in Islamic Art.

The research also addressed the symbolic meanings of some of the graphics through the verses of the Holy Quran which are many as symbolic numbers and timings, punishments, fonts, and various symbolic graphics and other reflecting artistic images and religious and spiritual portrayals, a s well as natural symbolic of nature, life and the afterlife.

The research also focused on highlighting aesthetic values of the Islamic architecture which can be summarized in various elements and components of The Mousque. It also touched the subject of photography and the study of Islamic paintings, related to the Heavens, its people, their attributes and characteristics in the imagery, especially in the various palaces, baths and various building.

**ملخص:**
تناول البحث موضوع القيم الجمالية والرمزية الدينية للفنون الإسلامية بأنماطها المختلفة سواء الزخارف النباتية والمعمارية والنقوش الكتابية؛ واللوحات الفنية والتصوير الإسلامي وغيرها من الأنماط المختلفة في الفنون الإسلامية، كما وناقش البحث مكونات القيم الجمالية التي تتمثل في عناصر الفن الإسلامي كالوحدة والتماثل والالتزام والتكرار والتجانس والبساطة وملئ الفراغ وغيرها من القيم المتجددة في الفنون الإسلامية.

وعالج أيضاً رمزية ومدلولات بعض الرسومات من خلال آيات القرآن الكريم وهي كثيرة كرمزية الأرقام والمواقيت، والحدود، والخطوط، ورمزية الرسومات الخماسية والسداسية والثمانية وغيرها مما يجسد صور فنية بقوالب دينية وروحية ، وكذلك الرمزية الطبيعية للطبيعة والحياة والآخرة.

وركز البحث كذلك على إبراز القيم الجمالية للعمارة الإسلامية التي تتلخص في نموذج المسجد بعناصره المختلفة، كما تطرق إلى موضوع التصوير الإسلامي ودراسة نموذج اللوحات الفنية التي تتعلق بموضوع الجنة وأهلها وصفاتهم في التصاوير المختلفة خاصة في القصور والحمامات والعمائر المختلفة.

**مقدمة:**

إن وظيفة الفن هي صنع الجمال؛ والزخارف المختلفة تعتبر واحدة من الطرق المهمة التي تصنع هذا الجمال المنشود، لذلك فهي تتصدر المرتبة الأولى بين الفنون الإسلامية المختلفة، وبالتالي فالعمل الفني مهما كان نوعه ونمطه يقصد به الوصول إلى قيمة جمالية ظاهرة وأخرى روحية ورمزية باطنه، تعبر عن مكونات الجمال وهو ما تتميز به الفنون الإسلامية. ولكي نستطيع دراسة القيم الجمالية والفنية للفنون الإسلامية المتنوعة؛ لا بد من التعرف أولاً على هذه القيم الموجودة في الفنون الإسلامية المختلفة سواء كانت في العمارة الإسلامية أو التصوير الإسلامي أو الزخارف النباتية أو الهندسية، إضافةً إلى الخزف الإسلامي أو الخط العربي بأنماطه المختلفة، لأن جميع الفنون الإسلامية تحتوي بين ثناياها على قيم روحية وجمالية وفنية غاية في الإبداع والإتقان.

ومن أهم القيم الجمالية للفن الإسلامي التي تتمثل في موضوع العمارة الإسلامية والزخرفة النباتية والزخرفة الهندسية والتصوير الإسلامي والخطوط الإسلامية؛ علماً أنه يوجد خصائص وعناصر فنية لكل فترة

إسلامية والتي تتمايز عن الفترة التي تلتها كالفن الأموي على سبيل المثال الذي يتمثل بالزخارف النباتية والمعمارية التي لا زالت قائمة في قبة الصخرة والمسجد الأموي بدمشق وجامع قرطبة في الأندلس، وكذلك الفنون الفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية.

ولكن مهما كان التباين في مواضيع الفن فإنه غاية في الإتقان والجمال والأبهة من منطلق إيحائي من خلال قوله تعالى:"بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (البقرة، آية 177)؛ وكذلك قوله تعالى"هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِيءُ المُصوِّرُ لَهُ الأسماءُ الحسنى يُسبِّحُ لهُ ما في السمواتِ و الأرضِ و هو العزيزُ الحكيم"( الحشر،آية 24)، وغيرها الكثير من الآيات التي تدل وتدعو المسلم إلى الإتقان والتفاني والإخلاص في العمل من منطلق الفوز بسعادة الدنيا والآخرة، فالفن الإسلامي يتميز بتمايز أصالته وتكامله وتماثله في موضوع الطبيعة والكون، فسيطيع الإنسان أن يفهمه كما يشاء ظاهراً وباطناً وفي الخيال وبشكل محدود وبشكل يعبر عن اللا محدود كما هي مخلوقات هذا الكون الإنسانية بسلالاتها وأشكالها المختلفة؛ والنورانية والشمسية والطبيعية والحيوانية والنباتية.

**الجمالية الفنية والروحية للعمارة الإسلامية:**
**المسجد نموذجاً**

أُعتبر ولا يزال المسجد في الإسلام رمزاً من رموز العمارة الإسلامية وشخصية المدينة والقرية والتجمع السكاني والذي غالباً - وبصورة تقليدية - يتوسط تلك التجمعات السكانية للدلالة على الوسطية وعلى التساوي بين الناس من حيث القرب من المسجد من منطلق مركزي؛ فأول عمل قام به الرسول (ص) بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة 622م[99]، وهكذا أصبح دارجاً عند الخلفاء المسلمين أثناء الفتوحات بناء وتخطيط مسجد المدينة ومنه يتم تحديد الأحياء والأسوار والقلاع والمعسكرات بعد الفتوحات الإسلامية في الدولة الإسلامية ابتداءً من فترة الخلافة الراشدة وانتهاءً بفترة الخلافة العثمانية.

فالمسجد هو المكان الجامع، فيه تتم صلاة الجماعة، يلتقي الناس ضمن دائرة الحي، وفيه يلتقي المسلمون يوم الجمعة ضمن دائرة المدينة، كما ويلتقي الراغبون في العلوم الدينية، فهو مركز للثقافة، وفيه القيم الروحية

---

[99] كريزويل، ك. العمارة الإسلامية الأولى، نقله إلى العربية:عبد الهادي عبله، استخرج نصوصه وعلق عليه:أحمد غسان سبانو، دمشق، دار قتيبة، ط1،1984،ص16.

والجمالية التي يبحث عنها المسلم لذاته ولإشباع رغباته الدينية والروحية[100] فالمسجد ركن أساس لوحدة العقيدة الدينية في الإسلام وزخرفتها لم تخرج عن القواعد المتبعة في العمارة المدنية ، وقد اتخذت أشكالاً معمارية خاصة للتمايز بها عن بقية دور العبادة ولأسباب اقتضتها الحاجة العملية لتحديد جدار القبلة والصلاة[101].

يوجد في المسجد قيم جمالية ورمزية دينية وروحية تتجسد بذات العناصر التي يتكون منها المسجد، فبعد انتقال الخلافة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان من المدينة المنورة إلى دمشق سنة(42هـ/ 661م)، تم إدخال العناصر المعمارية وبجماليتها وزخارفها المختلفة كالمئذنة والمحراب والساحة المكشوفة والمداخل والقباب والمقرنص والزخارف النباتية المختلفة وغيرها من العناصر المعمارية في كل من مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق ومسجد قرطبة في الأندلس ومساجد شمال أفريقيا مثل مسجد القيروان في تونس والقيروان في مدينة فاس وغيرها من العمائر الإسلامية الأولى في الدولة العربية الإسلامية[102]. وقد أضيفت تلك العناصر المعمارية والفنية للمسجد في سياق أو ضمن المعايير الأخلاقية والدينية التي لم تغب أبداً من الخطاب الإسلامي حول الفن[103].

تتمثل جمالية العمارة الإسلامية في الكشف عن الجوهر الخالد، وهو الجوهر الكوني الذي لا يقبل التجزئة ولا يقبل التباين والاختلاف، وهذا الكشف يتم بإلغاء الجوانب الحسية الزائلة في شخص الإنسان وفي الطبيعة المحيطة لهذا الإنسان؛ وقد واجه الفنان المسلم بداية الأمر صراعاً داخلياً فيما يتعلق بالرؤية الروحية والرؤية الدنيوية لتجسيد هذه القيم، والمتأمل لهذه العمارة يشعر بنشوة وهو يتأملها، وبالغيبوية في مضمونها وشكلها فتثير فيه حالة من الإحساس بالبحث والتفكر في غيبويتها ومضمونها [104]. إن القيم الجمالية في الفن الإسلامية قيم فنية متجدد ومختلفة فعندما ندرس نمط المآذن

---

100 بهنسي، عفيف. الجمالية الإسلامية في الفن الحديث، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 1998، ص26.

101 كونل، أرنست. الفن الإسلامي، ترجمة د احمد موسى، بيروت: دار صادر، 1966، ص11.

102 سامح، كمال الدين. العمارة في صدر الإسلام، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، 1971، ص17.

103 كرابار، أوليغ. كيف نفكر في الفن الإسلامي، ترجمة: عبد الجليل ناظم وسعيد الحنصالي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط1996،1، ص39.

104 جودي، محمد حسين. خصائص العمارة الإسلامية خصوصيتها، ابتكاراتها، جمالياتها، عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1419 هـ/ 1998م، ص97.

الأولى في العمارة الإسلامية المبكرة نجدها تجددت من المئذنة المربعة إلى الأنماط المختلفة حيث تطور مفهوم ونمط وشكل المئذنة في الفترات اللاحقة(105)، فالجمال الفني نسبي وليس مطلق في كل الفنون وليس في الفنون الإسلامية وحدها، فالعمارة هي التلاؤم الجمالي المتزايد مع البيئة والفكر الإنساني، وقد لعبت البيئة دوراً مهماً في التنوع الجمالي للعمارة الإسلامية والفنون الزخرفية المختلفة حسب الاختلاف في نمط البيئة والبيئة المحيطة[106].

فالجمالية الفنية والرمزية والروحية للعناصر المعمارية في المسجد تتمثل في الجانب الديني أولاً والدنيوي ثانياً، فالمئذنة في الإسلام جمالية رمزية دينية وجمالية فنية تتمثل في كون المئذنة منارة للدعوة إلى الصلاة وللدلالة على المسجد(107)، كما تدل على امتدادات واتساعات فضائية نحو المطلق(108)، فغالبية المآذن تنتهي برأس مدببة لتخترق حجب السماء، وهي تعتبر رمزاً لارتباط المسجد بالسدة الإلهية(109)، كما أن المئذنة المكان المرتفع في المسجد، والمئذنة ليست بدعة وهي عنصر من العناصر الهامة في المسجد، ومن المعروف أن بلال الحبشي علا سطح الكعبة للآذان يوم فتح مكة ليؤذن فوقه، فالمئذنة تطورت مع مرور الوقت وعرفت كل منطقة في العراق والشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس نمطاً مختلفاً عن المناطق الأخرى(110)، وهي تدل على هوية البناء لغاية هذا اليوم وهي ركن أصيل في المسجد(111).

فالمآذن لها ثلاث قيم وهي الوظيفية والجمالية والمعنوية. وكما تتضمن قباب صغيرة تعلوها فهي غالباً ما ترمز إلى السماء وكما يعلوها الهلال

---

[105] بهنسي، عفيف. العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، د.ت.، ص23-37.

[106] المرجع السابق، ص109.

[107] كرابار، أوليغ. كيف نفكر في الفن الإسلامي، مرجع سابق، ص26.

[108] جودي، محمد حسين. العمارة العربية الإسلامية خصوصيتها، ابتكاراتها، جماليتها، مرجع سابق، ص98.

[109] عبيد، كلود. التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي،بيروت:مؤسسة مجد للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،1428 هـ/2008م،ص104.

[110] عكاشة،ثروت. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، القاهرة: دار الشرق، ط1،1414 هـ/1994،ص128.

[111] الشامي، صالح حمد. الفن الإسلامي التزام وإبداع، دمشق:دار القلم،ط1، 1410 هـ/1990م،ص304.

والذي يرمز للمواقيت والحج[112]. بسم الله الرحمن الرحيم "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ "(البقرة:189). وللهلال رمزية لا تكاد تحصى إذا أردنا التبحر في هذا الموضوع؛ فبه يتحدد مواقيت الصلاة الليلية الفجر والمغرب والعشاء، وبالتالي تحديد الأشهر الهجرية، وتحديد شهر الصيام شهر رمضان، ومن خلاله يتحدد بدء شعائر ركن من أركان الإسلام وهو الحج.ومع ذلك لم يستخدم الهلال كرمز ديني للديانة الإسلامية فترة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وقوله تعالى"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ" (يونس: 5)

لقد أنشئت القباب الأولى في الإسلام بشكل واضح في العصر الأموي وتمثل ذلك في قبة الصخرة والمسجد الأموي بدمشق[113]، فالقباب الأولى نصف كروية أو دائرية الشكل نصفها في السماء والآخر لا وجود له، فبذلك فالنصف الأعلى يمثل السماء والآخر معنوي لا وجود له ويمثل الأرض، فهذا يعني أنه يرمز للجانب الديني الروحاني المتمثل في الصلاة والأخر الدنيوي الذي يمثل الجانب الوظيفي المادي للمسجد للإنارة وتقليل استخدام الدعامات والأعمدة. فالرمز الروحي للقبة يعني شكل السماء الذي يشبه القبة التي تحيط بالأرض واتساع الفضاء من جانب آخر[114] أما المحراب كأحد العناصر الجمالية والمعمارية في المسجد ليست بالضرورة أن يكون المحراب على شكل حنيةً؛ ولم يكن في مسجد الرسول محراباً وقد كانت إشارة للدلالة على مكان الإمام في المسجد وقت الصلاة، ولم تعرف المساجد المحاريب إلا زمن الوليد بن عبد الملك حيث تطور نمط وشكل المحراب في الفترات اللاحقة منها ما عرف بالمحاريب الأموية والفاطمية والأندلسية والتركية والمغولية والعثمانية[115].

لقد زخرفت بشتى أصناف الرخام والرسومات المعمارية المختلفة كدليل على أهمية هذا العنصر المعماري والذي يرمز للإمامة والوحدة في أداء حركات الصلاة وطقوسها المختلفة خلف إمام المسجد في الصلاة، هذا بالإضافة إلى دلالات دينية أخرى ورد ذكرها في القرآن الكريم في أربعة

---

112 البدوي، مصطفى حسن. لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات، القاهرة، شركة الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، 1ط، 1429 هـ/2008م، ص39.

113 عكاشة، ثروت. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، مرجع سابق، ص131.

114 مصطفى، صالح لمعي. القباب أشكلها، مصادرها، تطورها، بيروت: دار الفكر العربي، 1977، ص11؛ وزيري، يحيى.موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ج2، ط1999، 1م، ص79.

115 مؤنس، حسين. المساجد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981، ص80.

مواضع بذكر كلمة المحراب نذكر منها كقوله تعالى" فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً"(آل عمران:37). كما نجد غالبية سجاد الصلاة في المساجد والبيوت تنسج على شكل محراب فهي بالتالي تأكيد المحراب ودوره في ذهن المصلي حتى وإن كان في غير المسجد، ومع وجود المحراب في المسجد فغالبية سجاد المسجد ينقش ويزخرف عليه شكل المحراب حتى يساعد المصلي في التركيز بالصلاة والخشوع ولم يرسم عليها رسومات أخرى. وربما ترمز للمسجد كونه المكان الديني الوحيد الجامع للصلاة فيه عند المسلمين(116).

والمنبر لا يعتبر حقيقةً من المعالم المعمارية في المسجد وإنما جزءاً منفصلاً عنها خاصة في بدايات الدولة الإسلامية فغالبية منابر المساجد في تلك الفترة منابر خشبية؛ وتشير المصادر التاريخية أن بعض الخلفاء كان يأخذ منبره معه عند الانتقال من ولاية إلى أخرى بعيدة إما كهدية لتلك الولاية أو لانه يعلم أن لا منبراً في مسجد تلك الولاية أو المدينة، كما كان يفعل معاوية، وكذلك منبر صلاح الدين وغيرها من الأمثلة، وأول المنابر الخشبية المتحركة كانت قد ظهرت في الأندلس؛ ومن مدلولات هذه المنابر من الناحية السياسية والدينية أنها كانت رمزاً للسلطان؛ ولكن ليست بالضرورة أن ترمز للسلطان؛ فوظيفتها دينية لإلقاء الخطب يوم الجمعة من قبل خطيب المسجد حتى يكون في مكان بارز او مرتفع قليلاً عن الناس لدواعي الصوت والانتباه والاهتمام بما يقوله شيخ المسجد أو إمام المسجد(117). أما الجانب الجمالي فقد نقشت عليها الآيات القرآنية غالباً وقليلاً منها ما زخرف بزخارف نباتية سوى بعض جدرانها الخارجية خاصة الرخامية منها، أما الخشبية فقد أستخدمت فيها شتى أصناف التعشيق والتكفيت والتربيع والزخارف الهندسية كالمثلثات والمربعات والمعين والأشكال المختلفة والأرابسك ، فعلى سبيل المثال فالأربسك يعتبر إتمام للعمل الفني في صورة تأكيد وتدعيم وإكمال للمنظر العام للزخرفة سواء كانت محراباً أو منبراً أو غيرها(118).

أما فيما يتعلق بالأعمدة التي توجد في غالبية المساجد الإسلامية فتمثل التناظر والتساوي والتعامد والتقاطع والإلتقاء من منطلق هندسي حسابي، فإذا نظرت بشكل متعامد أو متناظر من زاوية جانبية تشاهد مدى الدقة والتساوي

---

116 خليفة، ربيع حامد. الفنون الإسلامية في العصر العثماني،القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ص1، 2001، ص45-50.

117 مؤنس، حسين. المساجد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1981،ص82.

118 سعيد، حامد. الفنون الإسلامية أصالتها وأهميتها،القاهرة: دار الشروق، ط1، 1421 هـ/ 2001م، ص56.

في النسب والمسافات بين هذه الأعمدة في كثير من المساجد الإسلامية في كل من بلاد الشام ومصر والأندلس وشمال أفريقيا؛ ففي المقام الأول فهي قيمة معمارية هندسية حسابية مشتركة تمثل أحادية التخطيط والفكر الهندسي الإسلامي الذي يمثل أيضاً رؤية هندسية ودينية في آن واحد عند التفكير والبدء ببناء المساجد بحيث تشمل عنصر التساوي في الأعمدة من كل الزوايا ومن حيثما نظرت إليها لتنافس العمارة البيزنطية في تلك الفترة الإسلامية الأولى، وتظهر بما يليق بالمكان الديني الذي يؤمه المصلون في اليوم خمس مرات(119).

يتبين مما سبق ذكره من قيم جمالية فنية معمارية ورمزية في المسجد نموذجاً للقيم الجمالية المعمارية والرمزية الروحية، إذ لا ينفصل الجانب المادي عن الجانب الروحي أو الإيحائي بغض النظر عن نمط وشكل وطريقة الإيحاء بواسطة رموز أو إشارات ضمنية في الفنون الزخرفية الإسلامية، فنجد في القصور الأموية والحمامات والقلاع والأسبلة[120] وغيرها من المباني المعمارية ذات قيم جمالية لا مثيل لها في الفنون الأخرى وبالتالي أقتصر الحديث في الجزء الأول من هذا البحث على العناصر الجمالية والمعمارية في المسجد كنموذج لهذه القيم.

أن القيم الجمالية الخالدة في الفن الإسلامي الخاص بالجانب المعماري مثل التوازن والتماثل والتناغم في الأنماط المعمارية خاصة في الأعمدة والقباب والساحات المكشوفة والمنابر والأقواس تجسد أولاً شخصية الدولة الإسلامية من الناحية الدينية وتسجد ملامح الدولة الإسلامية من الناحية المعمارية بطابع إسلامي خاص، كما وتسجد الرمزية السياسية والاقتصادية للدولة الإسلامية، بحيث أصبحت إشارة المسجد أو بالتحديد المئذنة في جميع خرائط العالم السياحية خاصة في الدول غير الإسلامية كرمز لمكان المسجد وبالتالي كرمز للإسلام وبالتالي كرمز للعقيدة والشريعة وبالتالي كرمز للمسلمين بالإضافة لتحديد المكان.

فنجد تقريباً مثالية الفن الإسلامي كقيمة لا توجد في غالبية الفنون غير الإسلامية، فالفنان المسلم يسعى وراء المكونات الكامنة ووراء الأشياء، وانسجامها مع المعاني الإلهية، وبالتالي فبهذه المثالية لم يقصد الكشف عن

---

[119] فكري، أحمد. مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة: دار المعارف، 1961، ص81؛ نويصر، حسني محمد. الآثار الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 1998، ص 73؛ مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس،بيروت:دار الثقافة،1979، ص117.

[120] الحسيني، محمود حامد، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، القاهرة: مكتبة مدبولي،د.ت، ص92.

الغامض وإنما الكشف عن أعماق مضامينها المختلفة خاصة الإبداع والخلق والكون، فيذكر البهنسي أن معايير جمالية الفن الإسلامي تكمن في الحرية والإبداع، والبحث عن المثل، والتسامي والإطلاق، فمن هنا فقد تحققت حرية الفنان المسلم نتيجةً لارتباطه بالمطلق حسب منظور التوحيد الذي قامت عليه العقيدة الإسلامية، ومن خلال الفن يمارس الإنسان الإبداع في التصوير الحيواني خاصةً وهي مثُل يبحث عنها الفنان لإرضاء مكنون أو ظاهر النفس، وهنا في هذا الموضوع ليس هدف الفنان الخلق وإنما الإبداع، كما ويتضح موضوع التسامي من خلال تصوير الجنة ليس مضاهاةٍ لله سبحانه وتعالى وإنما إظهار قدرة الله وهنا الفرق بين تصوريين لهذا الجزء من الفن والزخرفة الإسلامية[121].

**الزخرفة النباتية:**

الله سبحانه وتعالى مهد الطريق للفنان المسلم من خلال آياته القرآنية بذكر الأشجار والنباتات في 112 آية في 47 سورة وذكر 16 نبتة بأسمائها في القرآن[122]، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كقوله تعالى" وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ... "(الأنعام: 99).

تعتبر الزخارف النباتية تجسيداً لما اخبر عنه الله في القرآن والمتمثل في أشجار الجنة المختلفة التي أخبرنا الله عنها بجانب الأنهار ، فبعض اللوحات تمثل وترمز إلى جنة الآخرة؛ وبعضها يمثل واقع جنة الدنيا بما فيها من نباتات وأشجار مختلفة، وبالتالي فقد زخرت المساجد الأولى في الإسلام بالزخرفة النباتية خاصة الأموية منها في مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى[123] والمسجد الأموي في دمشق والقصور الصحراوية فمثلاً نجد شجرة التفاح في خربة المفجر في أريحا مع أنها بيئة شبه صحراوية لا تصلح لزراعة التفاح رغم أن التفاح شجرة من أشجار الجنة[124]، وهذه الزخرفة تمثل قيم التماثل والتكرار وقد استخدمت بشكل منفرد أو مزدوج أو متقابل أو متعانق ضمن وحدة واحدة مؤلفة من مجموعة من العناصر النباتية الورقية

---

121 بهنسي، عفيف. الجمالية الإسلامية في الفن الحديث، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 1998، ص8-14.

122 ياسين، عبد الناصر. الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 2006،ص115-130.

123 بيضون، عيسى. دليل المسجد الأقصى المبارك، فلسطين: كفر كنا، ط1993،1، ص33.

124 تالبوت، رايس دافيد. الفن الإسلامي، دمشق: مكتبة جامعة دمشق، 1977، ص8.

والثمرية والزهرية المتداخلة والمتشابكة التي لا تكاد تنتهي في اللوحة الفنية أو الجدارية الواحدة؛ وقد تكون الزخرفة ثنائية الإتجاه وقد تكون ثلاثية. فظاهرة التكرار في الزخرفة النباتية عند بعض الباحثين[125] تفسر من منطلق ديني حيث ورد في القرآن الكريم" وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا"(الشمس:1-4). قد تكون هذه التفسيرات لا علاقة بالمنطلقات الدينية، وإنما من منطلق إكمال الوحدة الزخرفية من جانب ومن جانب آخر ملئ الفراغ، وقد يرمز إلى الديمومة واللانهاية لقدرة الله سبحانه وتعالى، وقد ترمز إلى تعاقب الليل والنهار ؛ وتعاقب الشمس والقمر، وقد ترمز للربيع والشتاء، وقد ترمز إلى النبتة أو الشجرة ذات الجذع الأصل وتتفرع منه الأوراق والأغصان المختلفة بتكرار إذا لا يعقل أن تكون شجرة واحدة وتخرج منها ورقة واحدة فقط وغيرها الكثير من التفسيرات المختلفة بهذا الخصوص[126].

أما ظاهرة التوازن والتنوع كقيمة جمالية في الفنون النباتية خاصة الإسلامية منها تفسر قدرة الله سبحانه وتعالى في اتزان حركة الأرض وثباتها؛ وعدم طغيان ما عليها من الخلائق على بعضها البعض، كلُ له قدره الموزون الذي يكفيه لأداء دوره على الأرض كما أراده خالقه كقوله تعالى" أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"( الحجر: 19) [127].

أما التناسق والترابط في الزخارف النباتية فهي تظهر إجتماع الخلائق في أصل واحد، ومصير واحد، فكل المخلوقات والرسومات لها ارتباط بالمنشأ، وارتباط في صفة الحياة التي تجمعهم في المصدر والمصير والخير والشر والنسب وغيره، ولكن من الناحية الجمالية فبدون التناسق لا قيمة جمالية للوحة فنية زخرفية فلا يعقل أن يكون لون زهرة اللوتس أصفر في شقها الأيمن بينما يكون أخضر في شقها الأيسر وبهذا الشكل تكون قد فقدت عنصراً جمالياً وخرجت عن المألوف في الفن وهكذا في الفنون الزخرفية الهندسية والكتابية وغيرها من الفنون المختلفة[128]. كقوله تعالى"... وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..."(آل عمران، 180).

---

125 ياسين، عبد الناصر. الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 2006،ص128.

126 محمد، مصطفى عبد الرحيم. ظاهرة التكرار في الفنون الإسلامية،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997،ص93.

127 قطب، محمد. منهج الفن الإسلامي، القاهرة: دار القلم،د.ت، ص133.

128 المرجع السابق، منهج الفن الإسلامي، ص134.

إن العناصر الفنية المختلفة التي عززت قيم جمالية في الفن الإسلامي في الأساس تدخل ضمن دائرة أولى وهي وحدة اللوحة الفنية كعنصر أساسي؛ وبدونها لا يمكن أن تتجمع أركان العمل الفني؛ وبمعنى آخر إطار يحدد اللوحة من جميع الجهات، ويأتي في المرتبة الثانية عنصر التكرار وفي المرتبة الثالثة التماثل وفي الرابعة التقابل وفي الخامسة الاتساق والسادسة التعامد والسابعة الارتباط والثامنة التوازن وهي في جملتها تعتبر مكوناً أصيلاً وأساسياً في الزخرفة الإسلامية سواءً كانت الهندسية أو نباتية وقيمتها الجمالية تطغى أحياناً على قيمتها الرمزية والدينية ومن هذا المنطلق فهي غالباً توحي بطريقة أو بأخرى عن مضامينها وأسرارها وجماليتها المختلفة.

إذا نظرنا إلى لوحة فنية زخرفية ثابتة في مكانها الأصيل ليس كما ننظر إليها في متحف فني، ففي مكانها نعي قيمة جماليتها كجزء من كل في مسجد أو قصر أو حمام أو غيرة، نربط البيئة بالإنسان بالروح والمادة بالتاريخ والحاضر بالوحدة والتنوع بالقدرة والإبداع؛ بينما لو نظرنا إلى تلك اللوحة في مكان منفصل عن ماضيها أو مكانها سنجدها ذات قيمة أقل من جميع الخصائص السابقة الذكر، أنظر الفرق بين شجرة التفاح أو الرومان او النخيل على جدران قصير عمرة أو المفجر أو المسجد الأموي ووجودها مجرد قطع فنية في متحف أسمنتي يعج بالضوضاء والأصوات المختلفة.

والفراغ غير محبذ في الفن الإسلامي وبالتالي التخلص منه يوسع رقعة الحياة بوصل ما بين السماء والأرض؛ والدنيا والآخرة، وما بين الإنسان والكائنات الأخرى؛ وما بين الإنسان والفرد والجماعة؛ وما بين الإنسان والفرد والإنسانية، وللخصائص السابقة الذكر نضيف قيم جمالية أخرى مثل الشمول والتعدد والإمتلاء تصبح الزخرفة الإسلامية خاصة النباتية منها أجمل وأكمل وأمنع، وتصبح أزخر بالحياة والحركة من كل لوحة تعرض جانباً واحداً من الجوانب، وبخصوص التكرار كعنصر جمالي فقد قصد الفن الإسلامي أن يلفت الحس إلى الناموس الأكبر الذي يحكم الكون والحياة والإنسان، وبهذا فقد أخذ من الإسلام شموله وسعته وتعبيره، ولذلك فهذا العنصر يعرض الحياة غير مقطعة الأوصال مفرقة الأجزاء[129].

فموضوع الزخرفة النباتية موضوع يطول التبحر فيه إذا ما أردنا دراسة كل نمط وفترة وخصائص كل منها تصلح لتكون بحثاً منفصلاً غني بالتفاصيل خاصة بالفن الأموي والأندلسي والذي يتضمن تفصيلات رائعة جداً عن أنماط مختلفة عن نباتات وأشجار أموية وأندلسية خاصة في مدينة الزهراء ومسجد قرطبة ومدينة الحمراء ومدينة اشبيله وغيرها من المدن

---

[129] قطب، محمد. منهج الفن الإسلامي، القاهرة: دار القلم،د.ت، ص198.

الأندلسية والتي تعتبر النموذج الباقي الأهم في الوقت الحاضر للفنون الإسلامية النباتية المختلفة[130].

**الزخرفة الهندسية**

لقد أتقن المسلمون استعمال الخطوط الهندسية وصياغتها ضمن أشكال هندسية وفنية رائعة؛ فقد ظهرت الأطباق النجمية المختلفة والمضلعات والدوائر والمثلثات والدوائر المتداخلة؛ فهي من جانب صفة مشرقة للفن الإسلامي وخير دليل على أقصى إستفادة وتوظيف للهندسة في الفن الإسلامي، والزخرفة الهندسية وهي ذات أهمية خاصة في الفن الإسلامي وهذا النمط من الزخرفة فرض نفسه بكل قوة في الفن الإسلامي، وهو ينقل الناظر إليه من الجزء إلى الكل وهو ما يمكن وصفة بالفن الهندسي المتجدد بإستمرار.

إن البحث في الجمال الهندسي والرمزية كقيمة جمالية في الفنون الإسلامية باعتبارها أحد أهم مكونات الفنون الإسلامية؛ يعتبر بمثابة دعوة إلى التفكير فيما وراء الزخرفة من خلال المقرنصات والمربعات والمثلثات وأشكال لظواهر كونية مختلفة من منطلق قوله تعالى" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. (آل عمران:191).

تعتبر الزخارف الهندسية التي زينت بها جدران ودعائم مسجد قبة الصخرة من أقدم الأمثلة على هذا النمط من الزخرفة الهندسية[131]، حيث نجد بعض رسومات للنجوم والأهلة، كما توجد رسومات وأشكال هندسية مختلفة من أجمل ما أبدعت يد الفنانين، فقد شاع في الفن الإسلامي أشكال النجوم والأهلة المتقابلة والمتجاورة؛ وقد أستخدم الهلال في الفترات الإسلامية المختلفة خاصة في الفترة العثمانية حيث وجدت الأهلة في النياشين العثمانية والرسومات العثمانية المختلفة وقد أتخذ الهلال كرمز ديني للدولة العثمانية[132]. لقد أستخدم في الفن الإسلامي أطباق نجمية سداسية بنمط زخرفة معمارية كما في خربة المفجر في أريحا، وأخرى ثمانية كما هو في

---

130 مالدونادو، باسيلو بابون. الفن الإسلامي في الأندلس الزخرفة النباتية، ترجمة علي إبراهيم علي منوفي، القاهر: المجلس الأعلى للثقافة،ط1، 2002، ص39.

131 حسن، زكي محمد. أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية، القاهرة:بدون دار نشر، 1956،أنظر شكل 953؛حسين، محاسنة وآخرون. تاريخ مدينة القدس،عمان: دار حنين للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 120-122.

132 مرزوق، محمد عبد العزيز.الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987،ص 113.

عدد كبير من الزخارف الجصية في الحمراء في مدينة غرناطة[133]، والخماسية في مناطق مختلفة من العمائر الإسلامية.

يقول الله تعالى في محكم تنزيله "وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ"(الحاقة:17)، هل هذه الآية هي الرمزية الروحية للنجمة الثمانية ؛ أم هي مجرد تداخل مربعين بشكل أو بآخر مع بعضهما البعض للوصول إلى طبق نجمي متعدد الزوايا؛ أم تمثل القوى الأربع في الطبيعة، الضلع الأعلى يمثل الهواء، والأسفل يمثل التراب أو الأرض، والأيمن يمثل النار، والأيسر يمثل النار، وهل المربع المتداخل الثاني يمثل الجهات الأربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب من منطلق كقوله تعالى"وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (البقرة:115).

التفسيرات المختلفة تكاد لا تنتهي فيما يتعلق بالأشكال النجمية المختلفة[134] والتي انتشرت في بلاد الشام ومصر؛ حيث أن التشكيلات النجمية الزخرفية الإسلامية تتكون في الحقيقة من عناصر نجمية منفردة، تستمر أضلاعها لكي تشكل نجوماً أخرى، أو لكي تتضافر مع نجوم أخرى في تشابك منسجم ومستمر قد يكون متقابلاً أو متناظراً أو متداخلاً في آن واحد، وبالتالي تشكل سمة أو خاصية اللانهاية ولكنها تشكل التناسق في مجموعها كوحدة واحدة[135].

تقترن القيمة الجمالية بالقيمة الرمزية للشيء فإذا اقترن المثمن بصفة العرش؛ والشكل الكروي يعبر عن السماء والدائرة عن الكون والخط المستقيم يمثل الفكر أولاً والاستقامة ثانياً، والمخمس يمثل الطبيعة، والمسدس يمثل أيام الخلق الستة، وأركان الإيمان وغيرها بحور من التفسيرات المختلفة فهل الفن الإسلامي حقاً ليس ذات دلالات رمزية حقاً بل ينظر إليها كقيمة جمالية إذا كانت غالبية الإشارات والرموز التي تستخدم بشكل عفوي من قبل الإنسان أثناء الكلام يفهم منها كذا وهكذا فكيف الفن الزخرفي الهندسي في الفن الإسلامي، فهذا الجزء من الفن منح الفن الإسلامي قيمة الدقة والقياس والحساب وبهذا استطاع الفنان المسلم إدخال كل ما أراد في موضوع فنونه المختلفة وبطرق مختلفة وبوسائل مختلفة. وعلى الرغم من ظهور الزخارف

---

133 الحمراء:عبارة عن عدد من القصور تم تأسيسها من قبل حكام الدولة الناصرية في مملكة غرناطة ولا تزال قائمة حتى يومنا هذا تشتهر بعمارتها الإسلامية الطابع وفنونها الإسلامي التي لا مثيل لها في التاريخ. أنظر: الخطيب، محمد بن عبدالله. اللمحة البدرية في اخبار الدولة الناصرية،بيروت: دار الآفاق الجديدة،ط3، 1980، ص 23.

134 جاد، محمد توفيق.تاريخ الزخرفية، القاهرة:دار المعرف،1976، ص183.

135 ياسين، عبد الناصر. الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 2006،ص107.

الهندسية المستقيمة الخطوط، إلا أنها نمط قد يعتبر معقداً متداخلاً ومتشابكاً لا يوحي لنهاية واضحة؛ إلا أنها في حقيقتها بنيت على أصول وقواعد هندسية ونسب قياسية رُوعيت فيها التبادلية المتكررة من حيث الشكل والمسافة وملئ الفراغ إلا أنها توحي للطمأنينة الحسية من خلال التأكيد على ذات النمط الهندسي المتكرر[136].

**فن التصوير الإسلامي**

لقد ازدهر فن الرسم والتصوير في الإسلام بحيث انطبع بالطابع الإسلامي الخاص بحيث ازدهر في المنممات والتوريق والتلوين والزخرفة والتكعيب الهندسي وبالتالي عبر عن تميز الروح في أساليب التعبير عن جمالياتها وهذا أمر طبيعي في تميز الأمم والشعوب في فنونها المختلفة، كذلك فإن هذا التميز لم يمنع من ازدهار فن التصوير في القصور والحمامات والأسبلة والنوافذ والمخطوطات وغيرها من أنماط الفنون الإسلامية[137].

استخدم التصوير في المساجد والكتب والحمامات والقصور بحيث استخدمت الألوان بجرأة رغم قلتها؛ وبالتالي فإن الرسومات وأنماطها سواء حيوانية أو نباتي فقد حورت بشكل زخرفي ورمزي وتجريدي، والفنان لم يمل إلى رسم الحيوانات إلا لما تمتع به من اشكالها من طبيعة زخرفية، بالإضافة إلى ما لحركاتها المختلفة من رشاقة وتآلف نغمي كان لها أن أغنت اللوحات الفنية بمستويات غنية في الحركة والتعبير، كما لم يتطرق التصوير الإسلامي إلى الموضوعات الدينية كثرا لحساسيتها، كما لم يعُن التصوير الإسلامي بالموضوعات الأسطورية، كما لم يتناول موضوع الملاحم الشعرية والموضوعات الدرامية؛ بل عبر عن قصص ورموز وأفكار سلوكية وسياسية واجتماعية وشاعرية، أما الموضوعات التي ركز عليها التصوير الإسلامي فهي صور الكتب والتصاوير الجدارية والتصاوير الزخرفية بالتلوين والفسيفساء، والنحت وصور الحمامات والقصور التي تحتوي على صور جدارية لأشكال آدمية، وقد توزعت قنوات التصوير على أماكن معمارية متعددة في الدولة الإسلامية[138].

لقد ظهر في الدولة الإسلامية عدة مدارس كانت قد تخصصت في موضوع التصوير في الفن الإسلامي، ومن هذه المدارس مدرسة بغداد والتي ظهرت في القرن الثالث عشر للميلاد ومن أشهر مصوريها الواسطي وعبد

---

[136] مالدونادو، باسيلو بابون. الفن الإسلامي في الأندلس الزخرفة الهندسية، ترجمة علي إبراهيم علي منوفي، القاهر: المجلس الأعلى للثقافة،ط1، 2002، ص37.

[137] عمارة، محمد. الإسلام والفنون الجميلة، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1991، ص128.

[138] عبيد، كلود. التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي،بيروت:مؤسسة مجد للدراسات والنشر والتوزيع،ط1428،1 هـ/2008م،ص141.

الله بن الفضل في كتاب( خواص العقاقير)؛ والمدرسة الإيرانية المغولية ظهرت في القرن السابع عشر ومن أشهر مصوريها بختيشوع في كتاب (منافع الحيوان) ومدرسة التصوير التيمورية ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي أشهر مصوريها جنيد، ومدرسة بهزاد التصويرية وأشهر مصوريها مؤسسها كمال الدين بهزاد مؤلف ومصور مخطوطة ( البستان) ومدرسة بخارى ظهرت في القرن السادس عشر ميلادي إشتهرت بكثير من تصوير المناظر الغرامية، والمدرسة الصفوية أشهر مصوريها آغاميرك ومخطوطة( خسرو على عرشه) والمدرسة التركية مصوروها من غير الاتراك، وآخر هذه المدارس المدرسة المغولية التي اختصت بتصوير النساك والصوفيين[139].

إن الخوض في تفاصيل التصوير الإسلامي عملية طويلة وشاقة جداً من حيث مواضيعها وتفصيلاتها المختلفة ولكن لا بد من التطرق إلى المواضع التي عالجها التصوير الإسلامي وما المنطلقات التي إعتمد عليها هذا النوع من الفنون، لقد عالج هذا الجزء من الفنون الإسلامية التصوير الذي يخص حياة الصيد والبيئة وصراع الحيوانات المختلفة وصور آدمية تظهر بعض أنواع الرياضات المختلفة كالمصارعة بالمفهوم الإسلامي وليس بالمفهوم الحديث للمصارعة الحالية، وقد تكون بعض التصاوير التي أظهرت عما هو خارج نطاق ضوابط الدين والشريعة الإسلامية خاصة في الفترة الفاطمية حيث ظهرت بعض التصاوير لعملية شرب الخمر على الخزف والأواني الخزفية وبعض الصور الآدمية في بعض الحمامات الأموية مع بعض التحويرات المختلفة وكثيراً ما عالجت هذه التصاوير الجنة وما يتعلق بكل تفاصيلها في القرآن والشريعة الإسلامية[140].

وهناك الكثير من الموضوعات التصويرية الفنية، التي يمكننا فيها تقصي البعد الديني والجمالي ومنها اللوحات الفنية التي تعالج جنة الفردوس وأهل النعيم فقد ظهرت أشكال وجوههم المستديره أو ما يطلق عليه النوع القمري وهي ذات أشكال وجوه أهل الجنة ويصف القرآن في عدد كبير من الآيات وجوه أهل الجنة بقوله تعالى: " تعرف في وجوههم نضرة النعيم"(المطففين:24)، وكذلك قوله تعالى" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(الغاشية:8-11) وعدد كبير جداً من الآيات التي تورد وصف مفصل عن تفاصيل وجوه أهل الجنة.

---

139 المرجع السابق، ص151.

140 ياسين، عبد الناصر. الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 2006،ص140.

كما وردت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم" أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر"، كما وظهر وجوه الأشخاص بدون لحى وشوارب وهذه صفات أهل الجنة كما ورد في حديث الرسول" يدخل أهل الجنة جُرداً مُرداً"، وتظهر عيونهم مكحلة، ويظهرون في أعمار متساوية، وبشكل مختصر في كثير من اللوحات لتصويرية التي تتفق وما ورد من آيات قرآنية قد تتحدث عن الجنة أو الحياة الدنيا بتصويرها الأشياء بنمط تصويري محدد لا يتعارض مع الدين الإسلامي، وقد مر التصوير الإسلامي بمراحل متعددة من طور الاقتباس والتقليد في عصر الخلافة الراشدة والدولة الأموية؛ وطور الممارسة والابتكار والذي يشمل عصر الخلافة العباسية بالعراق وعصر أحمد بن طولون، وطور الرقي والإبداع ويشمل عصر الدولة الفاطمية والطور الرابع وهو عصر الإنحطاط والذي يبتدئ من القرن السابع الهجري لغاية القرن العاشر[141].

الآيات القرآنية التي تصور أو تلخص مواضيع مختلفة في التصاوير الإسلامية موضوع الجنة كقوله تعالى" مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ¤ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " (الرحمن: ٧٦ – ٧٨ )، وقوله تعالى" أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا" (الكهف: ٣١)، وقوله تعالى" عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا " (الإنسان: ٢١)، فكل آية من الآيات التالية صورة جمالية رائعة تمثل شكل اللوحة الأخضر، والأساور الذهبية وغيرها من الصور الرائعة التي ظهرت في القرأن الكريم في وصف الجنة وأهلها.

لقد وجد نمطين من التصاوير أو الصور؛ منها ما يعرف بالصور الجدارية الفسيفسائية وأخرى بالصور الجدارية بالفريسكو، فالنمط الأول وجد في قبة الصخرة والجامع الأموي بدمشق وقبة الظاهر بيبرس بدمشق، والنمط الثاني وجد في قصي عمرة في الأردن وقصر الحير الغربي وجناح الحريم بالجوسق الخاقاني بسامراء وفي عمائر أخرى متعددة[142].

---

141 الأصمعي، محمد عبد الجواد. تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام، مصر: دار المعارف،د.ن.ص23.كذلك أنظر ياسين، عبد الناصر. الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 2006،ص142.

142 فرغلي، أبو الحمد محمود. التصوير الإسلامي،القاهرة: الدار اللبنانية المصرية، ط1، 1991، ص46.

**قيم جمالية في الخط العربي:**

أن الخط العربي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي، وبالتالي فإن المسلمين ينظرون لهذا الخط بتذوق وتمعن وبلذة حسية، لقد وظف الخط العربي من خلال الدين الإسلامي ولتقوية مشاعر وأحاسيس المسلمين في لحظات معينة وقليلة وهي مواقيت الصلاة وهذا يعني أن المسلمين أحسنوا توظيف الخط في المجال الروحي والجمالي بحيث تجمع بين الجمال الباطن والجمال الظاهر.

لقد أتاح نزول القرآن بالعربية لهذه اللغة أنواعاً من العناية لم تحلم بها أية لغة أخرى، فكان من ضمنها جمع اللغة وتدوينها، وضبط مفرداتها وتحديد معاني ألفاظها ومن ثم إعرابها وقد نتج عما سبق ما يعرف بحركات التشكيل والإعجام، وكل ذلك كان بدافع العناية بكتاب الله والحفاظ عليه وإيجاد الوسائل التي تجعله سهل المتناول قراءةً وفهماً، وكانت العناية بكتابته واحدة من وسائل القراءة الصحيحة، ومن هذا المنطلق أصبح تحسين الخط بغية العناية بالقرآن الكريم وذلك من أجل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى[143].فالخط العربي كتب بعدة أنماط تم تسميتها بأسماء المدن أو الدول أو الأماكن أو المدارس التي عرفت من خلالها؛ فهناك الخط الكوفي، والخط النسخي، وخط الثلث، والخط الأندلسي، وخط الرقعة والخط الديواني، وخط التعليق أو الفارسي وخط الإجازة ، هذا بالإضافة إلى تفرع أيضاً بعض هذه الأنماط إلى عدة أقسام فمثلاً عرف الخط الكوفي المورق والمزهر والمنحصر والمعشق أو الموشح وهكذا بقية الخطوط العربية الأخرى[(144)].

لقد أستخدمت أنماط متعددة من الخطوط والتي عرفت باسم الخطوط المزخرفة، فقد جعل الفنان المسلم للحرف في اللغة العربية جمالية نستطيع القول أنه تمكن من رسم الخط كمادة زخرفية، فتحولت الخطوط إلى لوحات جمالية زخرفية وتمكن الفنان المسلم من تنويع شكل ونمط الخط تارة برز الخط على الزخرفة وتارة أخرى برزت الزخرفة على الخط وبهذا أراد الفنان المسلم تقديم نمطين وراعي الذوق والاستمتاع المتعدد للإنسان أو توازن بين الخط والزخرفة ومن هنا القيمة الجمالية والفنية الظاهرة والباطنة في الخط العربي.

ومن هذه الأمثلة عبارة " ولا غالب إلا الله" التي نقشت بها جدران قصر الحمراء، حيث تظهر العبارة على أنها شكل وردة الأكانتوس أو الخرفيش باللغة العربية والجزء الأسفل خطوط العبارة المتشابكة وفي وسط العبارات

---

[143] الشامي، صالح حمد. الفن الإسلامي التزام وإبداع، دمشق:دار القلم،ط1، 1410 هـ/1990م،ص198.

[144] المرجع السابق،ص198.

مد طويل على شكل جذوع نبتة الأكانتوس، كما ظهر نمط آخر لهذه العبارة ولكن كانت الحروف العربية ظاهرة أكثر من الزخرفة، ونمط ثالث جمع بين النمطين الأول والثاني[145].

نتطرق إلى مثال آخر للجمالية الرائعة للخط العربي المتمثل بنموذج الطغراء فهي أرقي ما وصل إليه فن الجمال التزييني بالخطوط فيفها يهدف الفنان إلى الجمال المتناقض الرجراج بين الصراحة والغموض، وقد أختير الخط الهمايوني أو الديواني للكتابة بأسفل الطغراء وذلك لانسجامه ومجانسته كتابة الديوان الأعلى في الدولة التي يرأسها السلطان تميزاً لأسمه المقدس، وبعده عن العامة وإحلال هذا الخط في تميزه محل الخط الهيروغليفي عند الفراعنة القدماء من الخط الديموطيقي خط العامة[146].

أما القيمة الرمزية والجمالية فهي متلازمة في هذا النوع من الفنون، فأنماط الكتابة تؤدي وظيفة جمالية وروحية ووظيفية في آن واحد، لذلك لا بد من التطرق لبعض الملامح العامة لجماليات الخط العربي التي تكمن في دلالات حروفها فعلى سبيل المثال جر خر فر كر مر ...الخ لها صورة جمالية تتمثل في فيما يسمى بالحركة في هذه الكلمات، والدال مثل مد عد كد رد ففيها البذل وفيها قدسية دينية حيث تبدأ كثير من الآيات القرآنية بها[147]، أما شرط إتقان الجمالية في هذه الخطوط فلا بد من أن تكون الخط المجرد بالتحقيق، والمحلى بالتحديق، والمجمل بالتحويق، والمزين التخزيق، والمحسن بالتشقيق، والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتدقيق[148]، ودراسة الخطوط عملية طويلة زاخرة بالمعلومات التي لم نتطرق إليها فهي علم قائم بذاته من حيث نوعية الخطوط وطريقة كتابتها ودراسة أحرفها وأشكالها وتوريقها وزخرفتها ودلالاتها ورموزها.

**قيم جمالية في الفنون التطبيقية**

نذكر بعض الأمثلة على ما يعرف بالفنون التطبيقية خاصة المعدنية من أباريق وكؤوس وصحون وأواني مختلفة مثل المشكاة والتي غالباً ما

---

145 سلامة، إبراهيم محمد عودة. "دراسة تاريخية وأثرية حول زخرفة الزليج في قصر الحمراء".رسالة دكتوراه جامعة غرناطة،2000م)، ص139.

146 عبيد، كلود. التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي،بيروت:مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2008،ص68.

147 بهنسي، عفيف. جمالية الفن العربي،الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979، ص93.

148 المرجع السابق، ص106.

أستخدمت في عقود المحاريب والقباب وأروقة وكانت بمعنى أو بآخر قناديل الإنارة في المساجد والمقامات والأضرحة، حيث ترتبط المشكاة بقوله تعالى:" اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"(النور:35). أسرار الجمال في المشكاة أنها ترمز للنور والإضاءة من ناحية وجماليتها تكمن في وظيفتها وذكر هذه الكلمة مقترنة بالإيمان والاستقامة وهي ترمز إلى الله سبحانه وتعالى حيث وصف نور الله بنور المشكاة ومن هنا برزت أهمية هذه التحفة الجملية في صناعتها والجميلة في وظيفتها.

لا تقتصر الفنون التطبيقية على صناعة المعادن وإنما تشمل الأربسك وصناعة الخزف والسجاد والزجاج والجص والحفر على الخشب والحفر على الحجر والرنوق المختلفة وغيرها من الفنون المختلفة التي تحتوي على قيم جمالية رائعة فيكفي شهرة السجاد الإسلامي خاصة الإيراني والتركي والذي لا يزال يحافظ على جودته وجمالية رسوماته واتقانه من خلال الرسومات المختلفة.

هناك قيم جمالية كبيرة جداً في الفن الإسلامي من خلال مدلولاتها الرمزية فبعض الرنوق السلطانية التي لا تزال تزين واجهات البوابات أو الأبراج الإسلامية في مدن إسلامية عريقة كمدينة القدس وغرناطة والرباط ودمشق والقاهرة تظهر أهمية والقيمة الجمالية لهذه الرنوق، فمثلاً على بوابة الشريعة وهي أحدى بوابات مدينة غرناطة رنق ( المفتاح)، ورنق اليد التي يطلق عليها يد فاطمة وهي يد أو كف اليد بشكل مفتوح وهي كف اليد اليمنى، فهي أحياناً ترمز إلى أركان الإسلام وأخرى ترمز إلى الصلوات الخمس وأخرى ترمز إلى رد الحسد وكثيرة هي التفسيرات الدينية ولكن ما القيمة الجمالية لليد؟ زخرفة مدخل البوابة أولاً ترمز للسلطة كقيمة جمالية ثانياً ، توحي بقدرة الله سبحانه وتعالى، أما المفتاح فيرمز للقوة والسيادة والتحكم والسيطرة. وهي التي قد تحمل الكتاب للفائز يوم القيامة[149].

هذه بعض الأمثلة على الفنون التطبيقية والتي كانت ولا زالت نقطة وعامل جذب ودراسة للعاملين في حقل الحضارة الإسلامية وخاصة إنجازاتها المادية والتي بدون شك تعتبر جزء من تاريخ الحضارة الإسلامية فهي الوجه المادي المشرق للتطور الذي وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية حتى

---

[149] سلامة، إبراهيم محمد عودة. "دراسة تاريخية وأثرية حول زخرفة الزليج في قصر الحمراء".رسالة دكتوراه جامعة غرناطة،2000م)، ص158.

في مجال الفنون المختلفة فالدين الإسلامي قوى ودعم ومنح جانب التفكير والوعي والإبداع لدى الفنان المسلم كي يبتكر ويحقق ما يريد من خلال إلتزامه بالدين والعقيدة الإسلامية

**الخاتمة:**

إن العناصر الجمالية في الفن الإسلامي إرتبطت إرتباطاً وثيقاً بالدين والعقيدة الإسلامية من منطلق تكميلي وتطويري لا من منطلق تفسيرات مختلفة، فالدين أول من وجه الفنان المسلم ومن خلال الالتزام وبالتالي منحه عنصر الابتكار والإبداع من خلال الأطر الرئيسية التي منحها للفنان المسلم ومن خلال المواضيع التي منحها للفن الإسلامي من حيث البيئة والجمال والكون والتفكير بالبعد الروحي للفن لإعطائه ميزات تختلف عن الفنون الأخرى مهما كانت.

إن الحقيقة الجمالية للخصائص التي تعطي فناً معيناً قيمة عامة وعالية وعالمية هي خصائص خاصة بالفن الإسلامي، وهذا أعطى الفنان مساحة من القيم مثل التكرار اللا محدود في الابتكار والتماثل والتقابل والاتساق وغيرها من القيم التي أعطت خصوصية ثقافية للفن الإسلامي، فمثلاً الدقة في التخطيط المعماري بعناصره المختلفة التي تطرقنا إليها في الجزء الأول من هذا البحث برزت من خلال الجمالية الوظيفية للأبنية واكتسابها شخصية محددة تختلف اختلافاً كلياً عن العمارة غير الإسلامية.هذا منح العمارة الإسلامية عنصر الوحدة وبالتالي نجد المسجد في كافة الأقطار الإسلامية غالباً ما يحتوي على ذات العناصر نفسها من قبة ومحراب وجدار قبلة وساحة مكشوفة وغيرها من العناصر.

من أهم العناصر الفنية التي تحتوي على قيمة جمالية هي عنصر الوحدة الفنية التي تمتاز بها الفنون الإسلامية المختلفة التي تجعل الإنسان أن يدرك هويتها من خلال عنصر التعددية ضمن الوحدة الواحدة فزخرفة هندسية تتكرر فيها الأشكال السداسية او الثمانية أو المربعات أو المثلثات والتي تعني التنوع الغزير للفنون الهندسية وهذا لا يؤثر سلباً على جمالية هذا الفن.

إن القيمة الجوهرية الكامنة في الفن الإسلامي هي إيقاعه وتجريده؛ ويصاحب المتمعن بالفنون الإسلامية إحساس رائع وجميل لا يجاريه فيه أي فن أخر، ولاشك أن هذا الاتجاه يرجع إلى تصور المسلمين لله والعالم والإنسان، فالإنسان في نظر المسلم ضعيف، يحتاج للنجاة وأن الله هو الخالق البارئ المصور، ليس كمثله شيء، وأن الأيمان مطلق بعظمة الله ـ عز وجل ـ فإتجه الفنان للنظر إلى المطلق المجرد، ولم يهتم إطلاقاً بمحاكاة الأشياء، من أجل ذلك لم تكن وظيفة الفن الإسلامي نقل المرئي؛ والمتحرك، بل إظهار ما هو

غير مرئي، ومحاولة الإحساس بالقوانين الرياضية التي تحكم هذا الوجود، وتأكيداً لهذه القيم إتجه الفن الإسلامي إلى الهندسة والزخرفة.
إن الفلسفة الزخرفية في الفنون الإسلامية تقوم على تحقيق الجوانب الجمالية والفنية التي تتفق مع طبيعة والمناطق التي عالجتها؛ من بيئة جبيلة أو بيئة صحراوية والنباتات والأشجار التي تنمو فيها وبالتالي بالإضافة إلى أنها رسمت ووضحت فقد أرخت بيئة جغرافية وبيئة حيوانية في آن واحد وهذا يعتبر تجسيداً ولو لجزء بسيط للفنون الإسلامية.

**قائمة المراجع:**

_الأصمعي، محمد عبد الجواد. تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام، مصر: دار المعارف،د.ن

- البدوي، مصطفى حسن. لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات، القاهرة، شركة الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، ط1، 1429 هـ/2008م.
- بهنسي، عفيف. الجمالية الإسلامية في الفن الحديث، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 1998.
- العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، د.ت.
- جمالية الفن العربي،الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979.

_ بيضون، عيسى. دليل المسجد الأقصى المبارك، فلسطين: كفر كنا، ط1993،1.
_ تالبوت، رايس دافيد. الفن الإسلامي، دمشق: مكتبة جامعة دمشق، 1977.
_ جاد، محمد توفيق.تاريخ الزخرفية، القاهرة:دار المعرف،1976.
- جودي، محمد حسين. خصائص العمارة الإسلامية خصوصيتها، ابتكاراتها، جماليتها، عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1419 هـ/ 1998م.

_ حسن، زكي محمد. أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية، القاهرة:بدون دار نشر، 1956.
_حسين، محاسنة وآخرون. تاريخ مدينة القدس،عمان: دار حنين للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
- الحسيني، محمود حامد، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، القاهرة: مكتبة مدبولي،د.ت.

_ الخطيب، محمد بن عبدالله. اللمحة البدرية في اخبار الدولة الناصرية،بيروت: دار الآفاق الجديدة،ط3، 1980
_ خليفة، ربيع حامد. الفنون الإسلامية في العصر العثماني،القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ص1، 2001.
_سامح، كمال الدين. العمارة في صدر الإسلام، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، 1971.

- سعيد، حامد. الفنون الإسلامية أصالتها وأهميتها،القاهرة: دار الشروق، ط1، 1421 هـ/ 2001م.
_ سلامة، إبراهيم محمد عودة. "دراسة تاريخية وأثرية حول زخرفة الزليج في قصر الحمراء".رسالة دكتوراه جامعة غرناطة،2000م).
- الشامي، صالح حمد. الفن الإسلامي التزام وإبداع، دمشق:دار القلم،ط1، 1410 هـ/1990م.
- عبيد، كلود. التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي،بيروت:مؤسسة مجد للدراسات والنشر والتوزيع،ط1428،1 هـ/2008م.
_ عكاشة،ثروت. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، القاهرة: دار الشرق، ط1414،1 هـ/1994.
- عمارة، محمد. الإسلام والفنون الجميلة، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1991.
- فرغلي، أبو الحمد محمود. التصوير الإسلامي،القاهرة: الدار اللبنانية المصرية، ط1، 1991.
_ فكري، أحمد. مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة: دار المعارف، 1961.
- قطب، محمد. منهج الفن الإسلامي، القاهرة: دار القلم،د.ت.
- كرابار، أوليغ. كيف نفكر في الفن الإسلامي، ترجمة: عبد الجليل ناظم وسعيد الحنصالي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط1996،1.
_ كريزويل، ك. العمارة الإسلامية الأولى، نقلة إلى العربية:عبد الهادي عبله، استخرج نصوصه وعلق عليه:أحمد غسان سبانو، دمشق، دار قتيبة، ط1984،1.
- كونل، أرنست. الفن الإسلامي، ترجمة د احمد موسى، بيروت: دار صادر، 1966.

_ مؤنس، حسين. المساجد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1981.
_ محمد، مصطفى عبد الرحيم. ظاهرة التكرار في الفنون الإسلامية،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997.
_ مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس،بيروت:دار الثقافة،1979.
الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
_ مصطفى، صالح لمعي. القباب أشكلها، مصادرها، تطورها، بيروت: دار الفكر العربي، 1977.
_ مالدونادو، باسيلو بابون. الفن الإسلامي في الأندلس الزخرفة النباتية، ترجمة علي إبراهيم علي منوفي، القاهر: المجلس الأعلى للثقافة،ط1، 2002.
_نويصر، حسني محمد. الآثار الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 1998.
_ وزيري، يحيى.موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ج2،ط1999،1م.
_ ياسين، عبد الناصر. الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،ط1، 2006.

# الاقتصاد و إدارة الأعمال

**ملف العدد على شرف العالم العراقي**

**الأستاذ إبراهيم كبة**

**مفتتح لملف العالم الجليل إبراهيم كبة بقلم: الدكتور فليح حسن خلف**

---

**كتاب المفكر الماركسي الاستاذ أبراهيم كبة ***

**( دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي )**

**عرض..تقديم..تعليق الدكتور عباس الفياض**

---

**أهمية تبني معايير المحاسبة الدولية في الاقتصاد العراق**

**الدكتور صباح قدوري**

---

**التلوث البيئي وأثره على البيئة السياحية في مدينة إب**

**الدكتور محمد حسن النقاش**

---

**نظم المعلومات المالية الالكترونية للمصارف التجارية في فلسطين : العقبات والمخاطر- دراسة ميدانية على المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم**

**د. عمر محمود أبو عيدة**

**العالم العراقي الجليل الأستاذ إبراهيم كبة**



مفتتح لملف العالم الجليل إبراهيم كبة بقلم: الدكتور فليح حسن خلف العراق

## إبراهيم كبة الاستاذ والعالم والانسان والمفكر

كان ابراهيم كبه استاذا فاضلا وعالما قديرا وانسانا مبدئيا ومفكرا ثرا بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان ودلالات وتعجز الكلمات هذه وغيرها عن وصفه وتبقى كلمات الشكر والتقدير والعرفان قاصرة عما قام به وما قدمه في الجوانب والمجالات الاساسيه وعاشها معه زملاؤه وطلبته ومحبيه ومعارفه واذكر منها على سبيل المثال لا الحصر وبشكل مكثف ومركز ما ياتي :

اولا- كونه استاذا فاضلا وغزيرا في ما دته من خلال كون نسبة رسوب الطلبه الذين كان يدرسهم منخفضه جدا الى الحد الذي تكاد تصل الى الصفر لسببين اساسيين هما

1-الحافز القوي الذي يدفع طلبته الى متابعة المادة بكل تفاصيلها واستيعابها وفهمها والنجاح فيها لغزارتها حيث ان كل محاضرة من محاضراته تضيف الجديد لطلبته ان لم تكن المحاضره كلها تقريبا تتضمن مثل هذه الاضافة للطلبة 2- العمق والدقة والاحاطة التامة بمضامين المادة والطريقة التي يوصل بها المعلومة بكل تفاصيلها الدقيقة الى الطالب بوضوح وموضوعية وشمولية ولتاكيد ما سبق اذكر واقعة حصلت عندما تم اخراج بعض الاساتذة من الجامعات العراقية في منتصف السبعينات ومنهم الاستاذ الفاضل ابراهيم كبة كلف احدهم بتدريس مواده ومنها مادة تاريخ الفكر الاقتصادي رفض القيام بذلك لانه لم يرضى ان يضع نفسه بديلا عن استاذ فاضل وقدير وغزير في مادته وبحيث يتضاءل كثيرا بنظر الطلبة عندما يقوم بالتدريس بدلا عنه وهذا يؤكد بشكل واضح انه لا يمكن ان يضاهى كاستاذ فاضل

ثانيا – كونه عالما قديرا من خلال ما يلي

1-انه كان في محاضراته العلمية وبحوثه ودراساته وكتبه يحيط احاطة تامة ودقيقة بكل جوانب وتفاصيل ما يتم تناوله وبحيث ان المصادر التي كان يعتمد عليها والهوامش التي كان يشير اليها تغني علميا الموضوعات التي يتصدى لها

اذ انه في كل هذه يعرض ويحلل ويناقش ويقبل ويرفض ويضيف في كل هذه الجوانب وبالاستناد الى ادلة واثباتات علمية وافية ودقيقة ومتينة

2-انه كان حتى في تعقيباته على البحوث او الدراسات او الكتب التي تنشر يضيف اليها ويغنيها علميا وكان يقوم بشكل منتظم بمثل هذه التعقيبات في مجلة الاقتصاد التي تصدرها وزارة الاقتصاد والتي سبق ان كان وزيرا لها بعد تكليفه بحقيبتها اضافة الى وزارة الاصلاح الزراعي التي كلف وزيرا لها بعد ثورة 14 تموز 1958 واذكر هنا مرة اخرى مثالا واقعيا يؤكد ذلك وهو ان الدكتور الفاضل كاظم حبيب كان قد نشر بحثا قيما عن الريع الاقتصادي وقد عقب عليه الاستاذ الفاضل ابراهيم كبة وكان هذا التعقيب بمثابة بحث جديد اضاف الكثير الى البحث واغناه رغم غزارة وعمق ما تضمنه بحث الدكتور كاظم حبيب من افكار علمية

ثالثا – كونه انسانا مبدئيا والذي جسده في كل مواقفه الحياتية والتي كان فيها صريحا جريئا قويا في حجته لا يضعف ولا يلين وابرز ما يؤكد هذا هو دفاعه في التحقيق بعد شباط63 والذي مثل محاكمة وتعرية لنظام شباط ودفاعا شريفا وقويا وشجاعا عن افكاره ومواقفه المبدئية واذكر هنا مرة اخرى مثالا واقعيا يؤكد مبدئيته وهو ان احد طلبة ماجستير الاقتصاد كان قد اختاره مشرفا على رسالته للماجستير وكان عنوانها العبودية في العهد البابلي وقد تم رفضها لاسباب سياسية وغير علمية في بداية السبعينات باعتبار ان موضوعها يسئ الى تاريخ العراق وقد رد الاستاذالفاضل ابراهيم كبة هذا الرفض وسبب هذا الرد بحجج واسانيد علمية واستمر الرفض والرد لفترة غير قليلة وكان في كل ذلك ثابتا على موقفه ولم يتراجع وحتى ان الاستاذ الفاضل الدكتور محمد سلمان حسن اقترح عليه ان ياخذ توازن القوى بنظر الاعتبار والذي كانت تربطه معه علاقة قوية به كونه زميلا له في الجامعة وكونه كان مديرا عاما لوزارة الاقتصادعندما كان كبة وزيرا لها فرد عليه الاستاذ كبة بانه لم يدخل معركة حتى ياخذ توازن القوى بنظر الاعتبار وانما الموضوع موضوع علمي ويجب ان يقبل او يرفض على اسس علمية وليس على اسس سياسية وقد استمر الموضوع وهدد كبة برفع الموضوع الى جهات علمية عالمية كونه موضوعا مهما الى ان تراجعت الكلية والجامعة والوزارة عن موقفها بسبب مبدئيته واصراره وقبلت الموضوع ولكن بتغيير عنوانه بحيث يصبح دور الدولة في العهد البابلي والذي لم يغير من الموضوع ومضامينه وهو الامر الذي يؤكد مواقفه المبدئيه وعدم قبوله التراجع عن هذه المواقف لايمانه وقناعته بصحتها وصوابها

رابعا – اما كونه مفكرا ثرا فيبرز من خلال اثراؤه الفكر التقدمي وبالذات الاقتصادي من خلال مجمل اضافاته لهذا الفكر وكمثال على ذلك مساهمته البارزة بخصوص نظرية انماط الانتاج والتي تعتبر ابرزاساس لاشكال النظم الاقتصادية والتي تضمنها كتابه دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي مطبعة العاني بغداد 1973 ص 115-126 والتي لخصتها بشكل مركز في كتابي النظم الاقتصادية ص24-26 وساقتبسها من هذا التلخيص نصا وكما يلي يتم الاستناد الى ما يطلق عليه نظرية انماط الانتاج في تحديد طبيعة النظم الاقتصادية كاساس لتنوعها واختلافها وهي النظرية التي استندت اليها الاشتراكية وبالذات الماركسية في ذلك والتي ترى ان نمط الانتاج هو الذي يحدد طبيعة النظام الاقتصادي ونمط الانتاج هذا يتحدد بقوى الانتاج وعلاقات الانتاج وحيث ان قوى الانتاج تتمثل بالعمل الذي هو النشاط الواعي والهادف والذي يتصل باستهلاك قوة العمل والذي يؤديه الانسان وحده سواء كان جسمانيا عضليا اوعقليا فكريا وكذلك وسائل الانتاج والتي تمثلها الاشياء الماديه المستخدمة في الانتاج والتي هي اما مواد عمل اي مستلزمات انتاج وتشمل الموارد الطبيعية والمواد الخام والمنتجات شبه او نصف المصنعة وكذلك وسائل الانتاج التي تستخدم في الانتاج من خلال العمل بمواد العمل لتحقيق الانتاج ووسائل الانتاج هذه تمثلها المكائن والالات والمعدات والتي يؤدي بها العامل عمله ووسائل تساعد على القيام بالانتاج كالابنية والطرق

والمخازن والارض وغيرها وتمثل وسائل الانتاج اهمية خاصة في كونها الاكثر تاثيرا على الانتاجية وعلى تطور القوى المنتجة وبالذات عنصر العمل وان علاقات الانتاج ترتبط بوسائل الانتاج وتتحقق اثناء عملية الانتاج والتي تشكل مع علاقات التوزيع التي ترتبط بوسائل الاستهلاك العلاقات الاقتصادية وان من اهم العناصر التي تحدد علاقات الانتاج هذه الملكية حيث ان طبيعة الملكيةهي التي تحدد طبيعة علاقات الانتاج بتحديدها لملكية وسائل الانتاج التي تتحدد علاقات الانتاج بها وبالشكل الذي يتم من خلاله تحديد مدى التعاون او التناحر والصراع في هذه العلاقات حيث تكون العلاقات تعاونية في الملكية الاجتماعية وتناحرية في الملكية الفردية لوسائل الانتاج وكذلك تقسيم العمل في مداه وفي طبيعته وملكية وسائل الانتاج هذه التي تحددعلاقات الانتاج هي التي تحدد كذلك من يملك المنتجات التي تتحقق من خلال الانتاج ومن ثم فانها هي التي تحدد شكل توزيع الانتاج وطبيعته حسب المفهوم الماركسي وعلى اساس كل ما سبق فان نمط الانتاج الذي يتحدد بقوى الانتاج وعلاقات الانتاج المرتبطة بها والتي تمثل البنية التحتية والتي تتحدد بدورها بملكية وسائل الانتاج باعتبار ان ملكية وسائل الانتاج هي اساس علاقات الانتاج وهو الامر الذي يفسر ويحدد النظام الاجتماعي وما يرتبط به من بنية فوقية تمثلها العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية والوعي الاجتماعي والذي يفرز نظام الملكية لوسائل الانتاج وبذلك يتم التوصل الى ان نمط الانتاج هو الذي يفسر التاريخ الاقتصادي والتاريخ الاجتماعي والذي هو تاريخ تعاقب انماط الانتاج التي يستند كل منها على نمط انتاج محدد بخصائصه وسماته وطبيعته وهو الامر الذي يتم الاستناد فيه الى التقسيم الماركسي لمراحل تعاقب النظم الاقتصادية والتي هي النظام العبودي والنظام الاقطاعي والنظام الراسمالي والنظام الاشتراكي والتي يتسم كل منها بنمط انتاج خاص به

# عرض الكتب المهمة ومعالجتها

**نضع هذه الزاوية في مقدمة ملف الأستاذ إبراهيم كبة للأهمية ولعلاقة القراءة البحثية هذه بالملف مباشرة**

## كتاب المفكر الماركسي الاستاذ أبراهيم كبة *

**( دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي )**

**عرض..تقديم..تعليق**

**الدكتورعباس الفياض بريطانيا**

**يقول ارسطو ان "الرجل الرائع من يهب العطايا وليس من يكدس الثروة".**

يأتي كتاب الاستاذ( ابراهيم كبة ) تاريخ الاقتصاد و الفكر الاقتصادي واحداً من أهم الكتب في ميدان الفكر الاقتصادي ،الذي ساعدت جامعة بغداد على طبعته الاولى 1970 . وقبل الخوض في عرض الكتاب، نشير الى أن مؤلفه ربما يكون غنياً عن التعريف، فهو بحق من أبرز الاقتصاديين والمفكرين العراقيين أن لم يكن على مستوى الاقتصاديين في البلدان العربية والاجنبية، وأن نتاجه وجهده وعمله الفكري الكبير هذا يضعه بمصاف ما قام به المفكرون الاقتصاديون عبر عصور عديدة. في سبيل ايجاد مفاهيم وأفكار للظواهر الاقتصادية بغية معرفتها والتكيف او الحديث عنها، وجعلها أكثر ملاءمة للاستيعاب عند الضرورة ، علماً أن دراسة الاقتصاد وفهمه يرتهنان ايضاً بالمنهج الذي يستخدمه هذا الكاتب او ذاك، هذا الباحث او ذاك، هذا الفيلسوف او ذاك، لغرض فهمه وادراك أبعاده العلمية والاجتماعية.

**الفكرة العامة للكتاب**

يحتوي العمل على 560 صفحة من الحجم المتوسط، متضمناً مقدمة حول مواد الكتاب بالاضافة الى عشرة فصول ينتقل فيها لا عبر الزمن وأنما عبر الفكر والتاريخ،محدداًقيماً بينها ونقاط ألتقائها وتقاطعها .هذا الانتقال مكن المؤلف من تحقيق وتحليل مضمون الفكرة من دون أن يكتفي بمجرد العرض . القسم الاول ظهر تحت عنوان: تاريخ الاقتصاد، وهو مقسم الى اربعة فصول. اما القسم الثاني فيحمل عنوان: في تاريخ الفكر الاقتصادي، وقد ضم ستة فصول. هذا مع العلم ان(الاستاذ كبة) وضع لكل قسم او فصل من فصول كتابه هذا، فهرساً تفصيلياً خاصاً مع هوامش وحواشٍ وبعض المفردات المعرفية الخاصة بآراء المفكرين وتواريخ تناولهم للمادة المطروحة. فلم يكتف الكاتب بمراجعة المصادر الثانوية، بل بذل مجهوداً

كبيراً في الرجوع الى المؤلفات الاصلية لاصحاب المذاهب والآراء، وبلغاتهم الاصلية، موفراً مادة مليئة بالمعطيات التاريخية والفكرية، وبالوقائع والنظريات وبملاحظاته النقدية بشأنها، التي تشكل مادة غنية بين أيدي الدارسين والباحثين والقراء للاستفادة منها، وأن تكون حافزاً للتعمق اكثروللتحليل . فهولن

*أبراهيم كبة: أستاذ أكاديمي ووزير سابق بعد ثورة 14 تموز1958،ولد عام 1919 وتوفيه في2004-10-26 له عدة كتب وبحوث وترجمات قيمه ومن لغات عديدة.الامر الذي يتطلب من الحكومة العراقية أو أسرة الاقتصاديين العراقيين عقد مؤتمراً علمياً لتقييم أعماله وفاءأ له،وكتابه(تاريخ الاقتصاد وتاريخ الفكر الاقتصادي) كان عباره عن محاضرات قدمت للطلبة الدارسين في جامعتي المستنصرية و بغداد. صدرت الطبعة الاولى1970 والثانية1973

يكتفي بذلك ، بل ينتقل من الفكرة الى الحدث الذي يشكل تاريخ علم الاقتصاد جزأ من هذه الافكار.فماهي الاصول التي اعتمدها المؤلف؟

أن الكاتب سعى الى النظر الى علم الاقتصاد من زاوية رؤياه للعالم الذي تطورت فيه أفكار أقتصادية محددة...منذ التاريخ البشري وصولآ للرأسمالية حتى ظروفنا الحالية.(يستند الى منهجية قائمة على نظرة متكاملة موحدة للنشاط الاقتصادي وللعملية الاقتصادية، على أعتبار الواقع الاقتصادي والفكر الاقتصادي جانبين مترابطين لحقيقة واحدة ) .ص3

هذا يعني أن الاقتصادلايمكن فهمه أو لايجد بمعزل عن الحياة الاقتصادية ،وأن موضوعاتة التي شغلت أهتمام المفكرين منذ الآزل لم تكن البحث فقط عن نظرية القيمة أو الاسعار والتوزيع وغيرها وأنما شغلت هذه الموضوعات ذاتها هي التي اوصلت علم الاقتصاد الى أوج نضجه مع عموم الاقتصاديين الكلاسيكيين.

**المنهج العام للكتاب**

تناول" الاستاذ كبة" في القسم الاول التاريخ الاقتصادي، مقدماً مادة علمية منذ البدايات، تتناول أسسه المنهجية، حيث وضع عناوينه كمقدمة عامة في مادة التاريخ الاقتصادي، تشمل:

أ. موضوع التاريخ الاقتصادي :الذي يعنى حسب المؤلف بدراسة النشاطات الاقتصادية Activities . كما تجري في الواقع ، أو حسب تعبير أندرى بيتر يعني بتاريخ الحياة الاقتصادية Vie، أو بتاريخ الوقائع الاقتصادية Faits حسب تعبير مؤرخي الاقتصاد الفرنسيين أو بتاريخ الخبرات والتجارب الاقتصادية Experiences حسب تعبير شمبيتر في كتابه تاريخ

التحليل الاقتصادي الطبعة الثانية 1955ص12-13 ، أو بتاريخ تطور العمليات الاقتصادية كما هي متجسدة عبر الزمن Processes حسب تعبير أسكار لنجه ،أو بكلمة مختصرة يدرس "التاريخ الاقتصادي" تاريخ تعاقب النظم الاقتصادية Economic Systems .

ب – كما يتناول المؤلف أساليب عرض المادة في المؤلفات الاكاديمية، أي دراسة التاريخ الاقتصادي حسب التقسيم الاكاديمي التقليدي للتاريخ العام الى عصور قديمة ووسطى وحديثة، منتقداً عيوب هذه الطريقة، فضلاً عن الغموض والشكوك الحديثة حول هذا التقسيم. كما يشير الاستاذ كبة الى اقتصارها على الزوايا والأطر التاريخية فقط من دون التعمق، او في دراسة التاريخ الاقتصادي من زاوية القطاعات الاقتصادية (زراعية، صناعية، تجارة... الخ). ويفند هذه الطريقة بأنها تكمن في تجزئة العملية الاقتصادية بصورة مصطنعة، او في استعراضها تاريخ أجزاء من العمليات الاقتصادية، تعود لأنظمة اقتصادية مختلفة من دون ملاحظة وظائفها المتباينة. او الدراسة الاقليمية للتاريخ الاقتصادي، اي استعراض التاريخ من زاوية التوزيع الجغرافي للعملية الاقتصادية .

كما ان المؤلف يشير الى الدراسة المقارنة للتاريخ الاقتصادي، كما يفعل ولتر بكنكهام

W.Buckingham في مؤلفه "النظم الاقتصادية النظرية – دراسة مقارنة"، وهو يقارب بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي. وهناك خلط، كما يقول الاستاذ كبة، بين التاريخ الاقتصادي والنظرية الاقتصادية، او كما يفعل رالف بلوجت R. Blodgette في مؤلفه "النظم الاقتصادية المقارنة". وعيوب هذه الافكار والنظريات تكمن في أن الاسلوب قد يكون مفيداً من الناحية العملية، ولكنه مضر من ناحية اهماله للطابع العضوي لنظام الاقتصادي، او كما تجري الدراسة المؤسسيةInstitutional التاريخ الاقتصادي، أي التركيز على تاريخ المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية. وعيوب هذه الدراسة، بحسب المؤلف، انها تهمل في الحقيقة المفهوم العلمي للنظام الاقتصادي، فضلاً عن مفهومها الخاطئ للراسمالية والخلط بين الدراسة النظرية والواقع الاقتصادي. كما ويستعرض ايضاً دراسة النماذج النظرية أو Economic Models في التاريخ الاقتصادي، أي دراسة الخصائص الجوهرية للنظم الاقتصادية – التاريخية (اقطاع، رأسمالية، اشتراكية... الخ) بعد تجريدها من التفاصيل غير المهمة. وهنا يقف الاستاذ كبة الى جانب هذا الاسلوب من الدراسة للتاريخ الاقتصادي، معتبراً اياه خطوة لا غنى عنها لفهم جوهر الانظمة الاقتصادية التي تعاقبت. ولكن المنهجية العلمية تفترض ان يعقب التجريد عملية اخرى هي . Successive

Approximatio عملية التقريب او التمديد المتعاقب.كما ويشير"كبة" (أذا أكتفى المؤلف بدراسة النماذج النظرية وحدها ،كما يفعل الكثير من الاقتصاديين الاكاديميين، فأن دراساتهم تكون مشوبة بعيب التجريد والبعد عن التاريخ الحقيقي) ويطرح الاستاذ كبة مثالان عن ذلك بقوله أن مثالاَ ممتازفي حسن أستعمال النظرية يمكن العثور عليه في دراسة (بول سويزي) المعروفة عن (نظرية التطور الرأسمالي)،كما نشهد على طريقة ناقصة في أستعمال هذا الاسلوب بدراسة بكنكهام المشار اليها.

وينتهي الاستاذ كبة بالاشارة الى ان الطريقة الصحيحة، في رأيه، في عرض التاريخ الاقتصادي هي طريقة دراسة تطور وتعاقب النظم الاقتصادية (نظم الانتاج والتوزيع) بسائر مقوماتها العلمية، وفي اطرها الاجتماعية والتاريخية (أنظر ص 60). وفي الصفحات التي تليها يضع المؤلف قائمة بأسماء المؤلفات التي تساعد في دراسة المادة في الجامعات.

**أهم الاشكاليات التي تناولها المؤلف**

يرى د. كبة ان من المناسب الاشارة الى بعض النظريات حول مراحل التاريخ الاقتصادي، ويختار منها بعض نظريات التفسير الاقتصادي، تاركاً النظريات الاجتماعية الأخرى... الخ.

حول مراحل التاريخ الاقتصادي القومي، نظرية فون لست (F. List) وهومن رواد المدرسة التاريخية الالمانية والمدرسة الرومانتيكية الالمانية ومؤسس المدرسة الوطنية فيها. ويقوم نظامه الفكري على ثلاثة أركان: (نظري، عملي، تاريخي). وتستند نظريته الى اعتبار تقسيم العمل هو العامل الحاسم في التطور الاقتصادي، وهذا العامل ايضاً يكتسب أهمية من قبل آدم سمث، وقبله افلاطون وارسطو، إلا ان هذا العامل، حسب رأي الاستاذ كبة، لا يمكن ان يكتسب دلالته إلا ضمن نمط العلاقات الانتاجية بمجموعها.

ب. نظرية برونو هلدبراند (1812 – 1878) حول مراحل التطور الاقتصادي للامم. ويعد هلدبراند أحد مؤسسي المدرسة التاريخية الالمانية، والذي هاجم المدرسة الكلاسيكية البريطانية في مؤلفه "الاقتصاد السياسي للحاضر والمستقبل"، وهو يرى ان مهمة علم الاقتصاد يجب ان تقتصر على دراسة التاريخ الاقتصادي الحقيقي للامم .

ج. نظرية هنري مورغان لمراحل التطور الاقتصادي بفعل تطور أدوات الانتاج. يعد الانثروبولوجي الامريكي مورغان من الاوائل الذين ركزوا على أهمية العامل التكنولوجي (تطور أدوات الانتاج)، وممن اكدوا على نشوء وتطور وانحلال النظم الاقتصادية. وتعد نظريته، كما يشير الاستاذ كبة، احد المصادر الاساسية للنظرية الاشتراكية، وذلك بتأكيدها على عامل قوى

الانتاج، واعتباره الحافز الاول للتطور الاقتصادي والاجتماعي. ويلاحظ على هذه النظرية انها احادية الجانب one side لاعتبار ان التقدم التكنولوجي نفسه مشروط دائماً بالمحيط الاجتماعي.

د. نظرية بوخر في تطور الوحدات الاقتصادية. كان بوخر (1847 – 1930) احد أقطاب المدرسة التاريخية الالمانية الجديدة بجانب شمولر وماكس فيبر وسومبارت، وهو يشير في كتابه "نشوء الاقتصاد" (1893) الى ان الاقتصاد مر بثلاث مراحل تاريخية هي "المرحلة المنزلية، مرحلة اقتصاد المدن، مرحلة الاقتصاد الوطني". ونظريته لها تأثير في صياغة المدرسة الاقتصادية الامريكية – المؤسسية) Institutional كوفنر، ميتشل... الخ)، كما اشار لها بوضوح افلاطون وارسطو، كما اشار لها آدم سميث لتقسيم العمل.. الخ، وبسبب طابعها الميكانيكي هاجمها سومبارت، فضلاً عن الاقتصاديين المعاصرين.
هـ - نظرية روستو في مراحل النمو الاقتصادي. يرى روستو بأن جميع الاقطار تمر في تطورها الاقتصادي بخمس مراحل من المرحلة الدنيا الى الأعلى، وهي:

1. مرحلة المجتمع التقليدي Traditional
2. مرحلة الشروط المسبقة الانطلاقPreconditions of take off
3. مرحلة الانطلاق Take off
4. مرحلة السير نحو النضوجDrive toward maturity
5. مرحلة الاستهلاك الجماهيري المرتفع High mass consumption

وبعد ان يشير كبة لكل مرحلة وما يليها من المراحل الاخرى، يقدم ملاحظاته النقدية، في كونها تشكل مجموعة من أفكار البرجوازية، ولا تحتوي على عنصر جديد، لا في فكرها الاجتماعي او الاقتصادي، وهي خليط متنافر من آراء مجموعة الاشتراكيين التصحيحيين Revisionists والتكنولوجيين المعاصرين، وبعض الآراء الكنزية، الى جانب والعديد من الاراء المغرقة في الفاشية والنازية وموجهة لتحقيق أهداف محددة، وهي معارضة للاشتراكية ولحركة التحرر الوطني..

و. نظرية" اندريه بيتر" Piettre في ربط مراحل الفكر الاقتصادي بمراحل الحضارات الغربية أذ يقسمه الى ثلاث مراحل : الاولى يسميها مرحلة( أقتصاد الخدمة) Economie de service وتشمل

مجموع تاريخ الفكر الاقتصادي حتى القرن الثامن عشر – والمرحلة الثانية يسميها مرحلة ( أقتصاد الحرية)-

Economie de liberteوالاخيرة يسميها مرحلة ( أقتصاد التدخل) Economie de l'intervention ويربط "بييتر" هذه المراحل الفكرية كما يشير كبة بثلاث مراحل في تطور الحضارات الغربية (حضارات البحر المتوسط) اليونانية والرومانية والغربية وهي مراحل سيطرة التقاليد ( الدينية أو الخلقية أو القانونية..الخ) على المجتمع ، ويعلق" أ . كبة" فمرحلة التحرر من التقاليد المذكورة ونقدها (المرحلة الفردية)، ومرحلة تدخل الدولةفي الحياة الاجتماعية. تكون الحياة الاقتصادية (الواقع الاقتصادي ) مطابقة لهذه المراحل الثلاث في كل من الحضارات المذكورة.ففي المرحلة الاولى يكون الاقتصاد خاضعاً (Subordinate ) .وبحسب . ففي المرحلة الاولى تميزت بخضوع ا لاقتصاد للتقاليد حتى القرن الثامن عشر. اما المرحلة الثانية يكون الاقتصاد مستقلاً Independentوفي الاخيرةيكون سائداً Dominante فانها تتميز بتحرر المجتمع من هذه التقاليد وينزع الاقتصاد نحو التحرّر ويتحول من خاضع الى اقتصاد

مستقل ،وقد( دخلت اوربا في هذه المرحلة ابتداء من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والمرحلة الثالثة تتميز بانحلال عناصر الفردية وتحول الحرية الى فوضى والسلطة الى استبداد، بسبب الطابع اللاأخلاقي لتراكم الثروة، وتضطر الدولة للتدخل في الحياة الاقتصادية، ويتحول الاقتصاد الى الاقتصاد الموجهDirigee ، مرحلة تدخل الدولة.Estatimate

يوجه الاستاذ كبة سهام نقده الى هذه النظرية ويصفها بالمثالية والسطحية في عرضها لعلاقة الاقتصاد بالدولة، بقوله ان جوهر المراحل يتحدّد بطبيعة قوى الانتاج بعلاقات الانتاج والتفاعل بينهما، ونتيجة لهذه الرؤيا لا يفرق بيتر بين المراحل التي مرت بها البشرية (العبودي – الاقطاعي – العصور الحديثة... الخ) (ص 79.(

واضافة لذلك يوضح الاستاذ ابراهيم كبة العلاقة بين التاريخ الاقتصادي وتاريخ الفكر الاقتصادي، والخلط الذي تذهب اليه بعض المؤلفات الاكاديمية بين هذين العلمين. ويشير هنا الى ان التاريخ الاقتصادي هو علم وصفي، يتناول الواقع التاريخي للعملية الاقتصادية، علم وقائعFactual ، انه الوجه الواقعي (وجود – واقع) وجزء من القاعدة الاقتصاديةEconomic base ، جزء من علاقات الانتاج، في حين ان تاريخ الفكر الاقتصادي، هو تاريخ الصياغات النظرية للقوانين الاقتصادية، والوجه النظري للعملية الاقتصادية (فكر – نظرية)، وجزء من مفهوم الايديولوجية او مفهوم البناء الفوقي–

العلوي .Super structure وعليه فان التاريخ الاقتصادي، بحسب كبة، هو الاساس المادي لتاريخ الفكر الاقتصادي (ص 82.)

**كيف يرى الاستاذ ابراهيم كبة بعض الاشكالات من منظوره؟**

يتناول الاستاذ كبة الاسس المنهجية في دراسة نظرية انماط الانتاج في الفصل الثاني (ص 85)، واضعاً الاطار المنهجي لمجموع الدراسات الخاصة بهذا القسم. وفي دراسة مكثفة يأخذ في الاعتبار مجموع العوامل المادية والفكرية، التي توجه النظام الاقتصادي، مشيراً الى بعض المفاهيم الاقتصادية الاولية، معرفاً الاقتصاد السياسي بأنه العلم الذي يعنى بدراسة القوانين الاجتماعية التي تحكم انتاج وتوزيع البضائع لاشباع الحاجات الانسانية، سواء كانت هذه الحاجات حيوية (بايولوجية) او اجتماعية، والتي يقرّرها مستوى الثقافة العام في المجتمع، وقد تكون الحاجات فردية او جماعية... وغيرها من التعريفات التي ترتبط بعملية الانتاج والتوزيع والعمل، وكل ما يرتبط بالاقتصاد السياسي من قوانين.

وفي الفصل الثالث تناول نظام الاقتصاد البدائي او "المشاعي"، مؤكداً طابعه التاريخي الشمولي، رابطاً اياه بالاصول البايولوجية والانتروبولوجية للتاريخ الانساني، الذي يوفر بدوره شروط نشوء النشاط الاقتصادي، وأن الملكية المشتركة لوسائل الانتاج اساس العلاقات الانتاجية، وتطابق تعاونية العمل، وهذا التطابق بين الملكية وقوى الانتاج جاء نتيجة لضعف الفرد المنعزل وليس نتيجة جعل وسائل الانتاج اجتماعية... والقانون الاقتصادي الاساسي لنظام انتاج المشاعية هو ضمان وسائل المعيشة الضرورية للانسان بالاعتماد على أدوات انتاج بدائية، وعلى اساس مشاعية تملك وسائل الانتاج، والعمل الجماعي، وطريقة التوزيع المتساوي للمنتجات. وكان التقسيم الوحيد للعمل هو التقسيم الطبيعي "رجال ونساء" (ص 118.(

وفي الفصل الرابع (ص 139 – 261) يتناول المؤلف الاقتصاد العبودي معالجاً فيه مسائل نظرية حول نمط الانتاج العبودي والازمة العامة للنظام العبودي، ملقياً اضواء ساطعة على أهم معالم نشوء المؤسسات الحضارية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويمكن القانون الاقتصادي الاساسي للنظام العبودي في الانتاج مقدرا من فائض المنتوج Surproduit لاشباع حاجات مالكي العبيد، وذلك عن طريق الاستثمار (الاستغلال) الوحشي للعبيد على اساس التملك الكامل لوسائل الانتاج والعبيد من قبل مالكيهم، وعن طريق استرقاق asservissement والحاق الخراب بالفلاحين والحرفيين وتحويلهم الى عبيد مرحلة الانتقال الى العبودية – وكذلك عن طريق قهر واسترقاق شعوب البلدان الاخرى .

والنظام العبودي هو الذي كان قد مكن على نطاق واسع نسبياً من تقسيم العمل بين الصناعة والزراعة، وبالتالي من بلوغ العالم القديم الذروة في الحضارة الهيلينية .Hellenisme وبدون وجود العبودية لم يكن من الممكن وجود الدولة اليونانية او الفن والعلم الاغريقيان. الحال بدون قاعدة الحضارة الهيلينية والامبراطورية الرومانية، ما كان بالامكان ظهور اوربا الحديثة، (مقتبسة من انغلز "الرد على دوهرنغ Engels (Anti-Duhring "ص 199.

اما القسم الثاني من مؤلف ابراهيم كبة فمخصص للحديث عن "تاريخ الفكر الاقتصادي" (ص 263 – 556)، الذي تناول فيه بعض التيارات الفعالة في تاريخ الفكر الاقتصادي، بدءاً بالفكر اليوناني والروماني، وصولاً عبر السكولائية والماركنتيلية الى النظرية الكنيزية في الثلث الثاني من القرن العشرين.

حاول المؤلف ان يكرس جهداً كبيراً في دراسة الجوانب المنهجية والمبدئية والنظرية العامة، مستعرضاً الجوانب النقدية للمؤلفات الاكاديمية الحديثه، من وجهة نظره، مقدماً منهجاً علمياً شاملاً للافكار والمفاهيم والأسس المنهجية التي يمكن الاطمئنان لها، في دراسة تفاصيل التاريخ والأزمنة والوقائع والافكار الاقتصادية وفي تحديد المفاهيم الاساسية للعلوم الاقتصادية مثل المذهب، النظرية، النظام، المنهج، السياسة، المؤسسة، الفكرة، الفكر... الخ). اضافة الى تناول المناهج الاكاديمية (المنهج الكلاسيكي، التاريخي الأقطاعي، الاقليمي، المقارن... الخ، مركزا على العيوب البارزة التي تصاحب التجزئة، التجريد، الشكلية.. الخ، ومن منهجية اعتمدها المؤلف. حيث يتناول الموضوع خلال دراسته لنظرية انماط الانتاج باعتبارها إطاراً لمجموعة الدراسات المنهجية الخاصة في هذا القسم من الكتاب، مشيراً الى حداثة المادة المطروحة، كما يذهب الى ذلك اريك رول Eric Rollفي مؤلفه "تاريخ الفكر الاقتصادي A History of " Economic.

وفي القرن الثامن عشر ظهرت بعض المؤلفات في هذا الموضوع، يأتي في المقدمة منها من حيث الاهمية مؤلف (آدم سمث"Adem Smith ثورة الامم" )الذي يستعرض فيه الماركنتيلية، وما كتبه المؤرخون الاشتراكيون من الالمان في القرن التاسع عشر لتثبيت المنهج التاريخي مثل "شمولر" والناقدين للنظام الرأسمالي وفكره الاقتصادي من امثال "كارل ماركس "ونظريته في فائض القيمة و"دوهرنغ "في التاريخ النقدي للاقتصاد الوطني والاشتراكية، حتى اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث اصبح تاريخ الفكر الاقتصادي مادة مستقلة وأكثر مرغوبيةً .Popular

ويحدد الاستاذ كبة الاهمية لدراسة المادة، في انها:
-اولا، انها تؤكد الطابع العلمي لعلم الاقتصاد وتجنب المرء خطر "التجريد" الشائع في علم الاقتصاد الاكاديمي.
-ثانياً، في كونها تشكل مدخلاً لدراسة النظرية الاقتصادية المعاصرة واستيعاب الجدل القائم فيها بين الاقتصاديين، حول نظرية ارسطو في الطبقات الاجتماعية، او نظرية ريكاردو في الريع التفاضلي او آراء" توماس الاكويني" حول الربا او النظريات الفيزيوقراطية حول الزراعية، وكذلك "كينز" الذي احيى نظريات (مالتس وبرودون وسيسموندي) في أهمية الطلب الفعال ودوره في التحليل الاقتصادي. وهنا يؤكد الاستاذ كبة أهمية الجدل للنظريات الاقتصادية المعاصرة من جهة، والمفكرين الذين يمثلون هذه الاتجاهات .
- ثالثاً، اهمية دراسة المادة لتجنب تكرار الاخطاء في السياسة الاقتصادية ولضمان التقدم في هذا الميدان، والبناء على أسس الفكر السابق، وتجنب ما يسميه كونار الزيزفونية الفكرية Sisiphisme Intellectuelle في اشارة الى اسطورة" زيزيف "اليونانية المعروفة .
-رابعاً لاثبات استمرارية ووحدة الفكر الاقتصادي منذ العصور القديمة حتى الآن .
- خامساً، هو التأكيد على الطبيعة الاجتماعية للاقتصاد وارتباطه بجميع العلوم الاجتماعية الاخرى كالسياسة، الاخلاق، الفقه، والجماليات وعلم الاجتماع... الخ.
-سادساً هو ادراك نسبية Relativity الافكار الاقتصادية، وعدم تمتعها بقيم مطلقة وتوقفها على الظروف الزمانية والمكانية، مما يوحي بأهمية التطور من دون الثورة في زعم هاني Haney في مؤلفه "التاريخ الفكري للاقتصاد History of Economic "، كما يشير الى ذلك الاستاذ كبة .
- سابعاً، لأهمية التمييز بين "علم الاقتصاد" كمجموعة قوانين موضوعية، وبين الاقتصاديين الذين يختلفون في تفسيراتهم لهذه القوانين، تبعاً لاختلاف فلسفة الحياة واختلاف المنهج.Method
كما يشير الاستاذ كبة الى ان وراء كل فكر اقتصادي "قديم وحديث" فلسفة اجتماعية. ويميل المؤلف الى الربط بين الصلة الأكيدة بين التحليل الاقتصادي والفلسفة الاجتماعية، بقوله من الصعوبة فهم الاول من دون الثاني، وأن للفكر الاقتصادي جذرين، الاول الجذر الفلسفي، او ما يدعونه "الصورة العالمية للحياة الاجتماعية" والثاني الجذر العملي، "اي الآراء والحلول لمشاكل الحياة الاقتصادية العملية " التي تصدر عن الساسة ورجال الادارة ورجال الا عمال... الخ.

**نقاط الاختلاف ونقاط الالتقاء**

يخالف الاستاذ كبة آراء تيلر Taylor بقوله: "يبالغ تيلر في التأكيد على اندماج الفكر الاقتصادي بالفلسفة الاجتماعية، متجاوزاً الارتباط بين المادتين الى الرغبة في ادماج في مادة واحدة. ويرى ان الفرق بين المادتين ليس فرقاً في الطبيعة او في الدرجة، بل هو فرق في الموضوع، حيث ان الفلسفة السياسية، الاخلاقية، الاجتماع، الاقتصاد، مواد ولكل من هذه المواد موضوع محدد مختلف عن الموضوعات الاخرى, هذا المبرر لدراسة كل موضوع على حدة، لا يعني نسيان الترابط فيما بينهما.

كما يلاحظ كبة بعض التناقضات في استعراض "هاني" للخطوط العامة بين الفكر المادي والفكر المثالي، ويبرز عيوبه في الخلط بين الانواع المختلفة للمادية والمثالية في الحقول المتعددة للمعرفة (الحقل الوجودي – انتولوجيا، والحقل المعرفي – استمولوجيا، والحقل الاجتماعي – سوسيولوجيا). ويتوقف عند المنهج لهاني في الفكر الاقتصادي والمنهج الاقتصادي وأثره في تحديد الفكر الاقتصادي واختلاف المنهجية سبباً للخلاف في الفكر الاقتصادي بعد ان يضع "المنهج الاستنتاجي) Deductive "من العام الى الخاص)، والمنهج الاستقرائي) Inductive من الخاص الى العام) والمنهج الاحصائي يعتقدها بأنه الجمع بين المنهجين.

وبعد ان يحاجج( كبة) طروحات هاني ومنهجيته وبعض التطرف في تفسيره وتطبيقه بعض أقطاب المدرسة التاريخية الالمانية ونفي الطابع الشمولي لمسلمات المدرسة الكلاسيكية الانكليزية "الانسان الاقتصادي انسجام المصالح" ورفض تقسيم العمل الدولي، حرية التجارة الدولية... الخ، وصولاً الى انكار وجود علم للاقتصاد... يشير كبة الى ان تصنيف المنهجية في الاقتصاد لدى هاني الى استقرائية واستنتاجية احصائية، تؤكد ان هاني لا يستوعب كامل العملية المنهجية ولا حتى جوهر هذه العملية. غير ان كبة يتفق مع هاني في ربطه الفكر الاقتصادي بالفلسفة.

ولعل من المفيد الاشارة الى تفرد" شوميتر" Schumpetere في مؤلفه تاريخ التحليل الاقتصادي History of Economic Analysis من بين المؤرخين وانكاره اثر الفلسفة في تطور الفكر التحليلي في الاقتصاد، وحسب آرائه لا أثر للفلسفة الاغريقية القديمة أي مجموعة المعارف العلمية (العلم الكلي Universal Science مجموعة العلوم الطبيعية والاجتماعية والميتافيزيقية، التي بقيت سائدة حتى منتصف القرن الثامن عشر، والتي تمثل افكار كبار الموسوعيين من امثال ارسطو وتوماس الاكويني ولايبنتز وفيكو . اصحاب النظم الفكرية الشاملة، فان العلاقة معدومة في رأي شومبيتز بين فلسفة هؤلاء وبين آرائهم في الحقول المختلفة . لا اثر لفلسفة ارسطو في

نظرياته الفيزيائية والاقتصادية ولا أثر في لفلسفة لايبتيز (مونادولوجيا Monadolog آرائه في التجارة الحرة.

تدفع هذه القضايا الاستاذ كبة الى تفنيد افكار شومبيتر باشارته الى ان السلوك الاقتصادي يتأثر حتماً بالمعتقدات الفلسفية (دينية ام غيرها) ولهذا فان اثر الفلسفة اكيد في "السياسات" الاقتصادية التي يدعو اليها الاقتصادي، اي بالنسبة لفروض ونظريات وأدوات المحلل الاقتصادي. ومن المؤسف( يقول كبة) ان شمبيتر لا يقدم أية حجج لاثبات رأيه هذا، بل يحيل القارئ الى تفاصيل في كتابه الضخم: " تاريخ التحليل الاقتصادي". كما ويخالف كبة شوميتر في الفكر الاقتصادي والتحيز الايديولوجي Ideological bias كبة ، من ان من اكتشاف( ماركس وزميله انجلز) موجهاً انتقادات للمفهوم الماركسي للايديولوجيا.. الخ. ويشير كبة الى ان شومبيتر وحداني Monist التفسير للايديولوجيا، لا صلة له في الواقع، وعلى خلاف ما يضمن شومبيتر وأغلب المفسرين الاكاديميين المعاصرين، من ان المحلل الاقتصادي نفسه هو نتاج محيط اجتماعي محدد، وموقع معين في المحيط المذكور. وبالمقابل تناول الاستاذ كبة للفكر الاقتصادي في العهد الاقطاعي، وفي تحديد العصر الوسيط والجدل الحاصل بين المؤرخين الاكاديميين، حيث يشير احد المؤرخين الهولنديين الى ان تحدي الفترة الاقطاعية من 337 ميلادية التي انتهى حكم قسطنين الكبير، وعصر وسيط ينتهي بسقوط القسطنطينية 1453 ميلادية، وهي الفترة التي ساد فيها الحكم الاقطاعي في اوربا، والجدل الواسع بين الباحثين، .

وللأستاذ ابراهيم كبة رأي في هذا الجدل، يشير فيه الى أنه من العبث محاولة وضع نظرية عن الفترة الزمنية، ومن المهم تتبع تفاصيل عملية التحول الاجتماعية من النظام القديم (الرق) الى النظام الاقطاعي الجديد، وأن كل نزاع ينشأ في احضان النظام الذي سبقه يؤدي الى التصادم فيما بينهما. ويسجل واقع نشوء النظام الرأسمالي اثر انفجار الثورات السياسية البرجوازية في القرن السابع عشر والثامن عشر، مشيراً الى انه يمكن اعتبار النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، باعتباره نقطة التحول من نظام الرق الى النظام الاقطاعي، كما يمكن اعتبار القرن الخامس عشر الميلادي الفترة الحاسمة للانتقال من الاقطاع الى الرأسمالية (ص 387 – 388.(

لكن مصادر الفكر الاقتصادي الاقطاعي، كمال يقول الاستاذ كبة، بل ان الحياة الفكرية بمجموعها في العهدالاقطاعي، كانت تحت اشراف الكنيسة، فلا غرابة، اذن، ان ترتدي شكلاً دينياً سكولائياً، ولا غرابة اذا كانت الآراء الاقتصادية تشكل على الدوام فصولاً من كتب الفقه واللاهوت. ولكن الفكر السكولائي استمد عناصره الفكرية من ثلاث مصادر، هي الفكر اليوناني،

وتحديداً ارسطو، والفكر المسيحي القديم، وثالثا دور الكنيسة ومذهب توما الاكويني، الذي يقوم على التوفيق بين الافكار المسيحية الاولى وبين شروط النظام الاقطاعي. وهنالك آراء شومبيتر لدراسة الفكر السكولائي، رغم ان كبة يختلف اختلافاً جذرياً عن خطه العام، ولكنه يضع حيزاً كبيراً لافكار شومبيتر امانة للفكر في الصفحات 421 – 459.

لكنه ينتقد رأي شومبيتر في تقييم نظرية الفائدة عن السكولائيين المتأخرين واعجابه بها، ويعتبر" كبة" اي تفسير نقدي للفائدة مجرد مس سطحي للظاهرة الاقتصادية لا ينفذ الى جذورها في العملية الاقتصادية نفسها، وفي النظام الاقتصادي (النمط الانتاجي) الذي يفرزها او ان ربط الفائدة بالربح خطوة صحيحة ولكنها خطوة قاصرة. ان الحل يكمن في دراسة قوانين النمط الراسمالي وخاصة قوانين انتاج وتوزيع فائض القيمة، وهذا ما فعله مؤسسو الاقتصاد العلمي من وليم بتي حتى كارل ماركس )ص 459 .(

في الفصل الخامس: "الفكر الاقتصادي لعهد الرأسمالية التجارية، وضع الاستاذ كبة بعض العناوين التي تساعد على تناول الموضوع بسلاسة، بدأ من الاساس المادي (التراكم البدائي لرأس المال) وشروط نشوء الرأسمالية التجارية وشروط الانتاج وعملية التراكم، والفكر الماركينتيلي باعتباره جزء من الايديولوجية الرأسمالية. مشيراً الى أن آدم سمث، في كتابه "ثروة الامم"، هو اول من أطلق اسم "الماركينتيلية" والتي كانت تعكس ايديولوجيا نشوء وتطور الرأسمالية التجارية .Commercial Capitalism ويخلص الى القول ان المدرسة الماركينتيلية خدمت مصالح فئات الرأسمالية التجارية الى جانب الملوك وحاشيتهم البيروقراطية والفئات العليا الاحتكارية من الراسمالية التجارية. ويعزي الاستاذ كبة تخلفها، الى تغير الوقائع الاقتصادية وظهور خبرات جديدة نحو المؤسسات المصرفية وتوسع الاقتصاد السوقي + الثورة الصناعية، التي احلت "المنظم الصناعي Entrepreneur "محل التاجر باعتباره الشخصية الاساسية في النظام الاقتصادي (ص 526.(

اما الرأسمال الصناعي، فقد بدأ ينشأ ويتطور قبيل الثورة الصناعية (أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر). والمؤسسون الحقيقيون لعلم الاقتصاد يأتي على رأسهم وليم بتي و يرى ولادة الافكار للنظام الرأسمالي ولدت في احشاء المجتمع الاقطاعي في الفترة المذكورة نفسها .وبدوره يضع" كبة" تصنيفاً علمياً لتاريخ الفكر الاقتصادي بالربط العضوي بتاريخ (النظم الاقتصادية ) كما يلي : ص330-332

(1) الفكر الاقتصلدي للعهد العبودي (الرق) Slavery -الفكر اليوناني و"الروماني"- القرنان الخامس والرابع ق .م .

(2) الفكر الاقتصادي للعهد الاقطاعي Feudalism -500 -1500م (خاصة الفكر الاكويني-القرن 13م)

(3) الفكر الاقتصادي الرأسمالي: ويحددها

1- المدارس الرأسمالية:

أ- عهد الرأسمالية التجارية (القرن 15-18م) المدرسة الماركنتينية، وبعض الاتجاهات الطوبا ئية.

ب- عهد الرأسمالية الصناعية (اللبرالية)- القرن 18-1870)

(1) المدرسة الفيزيوقراطية –(محاولة توفيقية لبرجزة الاقطاع و القطاع الزراعي في فرنسا)-1750-1780 .

(2) المدرسةالكلاسيكية الانكليزية (سمث،ريكاردو) 1776-1848م .

(3) المدرسة التبريرية Apologetic (سي، باستيا، مالتس،كيري ) .

(4) المدرسة الانتقائية (جون ستيوارت مل) .

(5) المدرسة التاريخية الالمانية الاولى(روشر وتلاميذه).

(6)المدرسة الوطنية الالمانية (لست) .

2- مدارس البرجوازية الصغيرة- (سيسموندي ،برودون ،الاشتراكيات الطوبائية ) .

3- الماركسية .

ج-عهد الرأسمالية الاحتكارية (الامبريالية) -1870-1914 ويشير الى مدارسها:

(1) المدرسة النمساوية (مدرسة فينا)- (منكر ،جيفونتز ) حوالي 1870 .

(2) مدرسة التوازن (مدرسة لوزان)-(فالرأس ،باريتو)- أواخر القرن 19 .

(3) المدرسة المختلطة (مارشال و كلارك)- حوالي 1890 .

(4) المدرسة التاريخية الالمانية الثانية- شمولر وأنصاره.

(5) المدرسة النظمية (المؤسسية) الامريكية- فبلن وأنصاره .

د- عهد الازمةالعامة للرأسمالية(1914-1939)

1-المدرسة الاحتكارية اللبرالية (عدم تدخل الدولة) اللبراليون الجدد (الكلاسيكيون)Neo liberals –فون ميزس Mises ومدرسته، المدرسة السويدية (فكسل Wicksel ومدرسته) .

2- المدارس الاحتكارية التدخلية

أ-المدرسة الفاشية (تدعو للتأميم لغرض الحرب) .

ب- توجيه الدولةللقطاع الاحتكاري (الاقتصاد المختلط ) .

ج- تدخل الدولة لتحقيق القيمة (الكنزية)

3- المدارس البرجوازية الصغيرة (الاشتراكية الديمقراطية – مدرسة أقتصاد الرفاه- بيغو وأنصاره- مدرسة هوبزن و هلغردنغ .

4- أمتدادات الماركسية .
ومما يلاحظ ان الاستاذ كبة رغم أشارته الى المدرسة الاحتكارية الليبرالية و الليبراليون الجدد ، لم يشر أو يتوقف عند صندوق النقد الدولي و البنك الدولي ودور هاتين المؤسستين الدوليتين اللتين تشكلتا من قبل الدول المجتمعة مدينة بريتون وودز في الولايات المتحدة الامركية عشية أنتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1944 وما تمخض عنها من نظام" بريتون وودز" الذي كانت المهمة ،خلق حالة من التوازن بين الدول والاسواق عقب حالة الكساد الكبيرالذي أصاب الاقتصاد العالمي 1929-1933 وظهور النظرية الكنزية .حيث أضطلعت الدولة بدور أقتصادي أجتماغي واسع النطاق الى حد ما ،عبر مساحة الانفاق العام الجاري و الاستثماري،وعبر جملة من الاجراءآت والضمانات، من ضمنها حلحلة جوانب من مشكلة البطالة والتضخم و توازن الاسعار وغيرها من التدخلات الحكومية، وقد سجلت تلك الاجراءآت معدلات نمو مرتفعة نسبياً بالتوافق مع تطور ملحوظفي مستويات الرفاه الاجتماعيبشكل عام. ولكن في النصف الثاني من الستينات ، مع تصاعد حدة الازمة النقدية في منظور الاقتصاد العالمي ...وشهدت الدول الرأسمالية ظاهرة جديدة لم تكن معروفة في تاريخ الرأسمالية وهي ظاهرة تعاصر البطالة مع التضخم - Stagflation في منتصف السبعينات ( هذه الحالة لم يعاضرها الكتاب فلا تقلل من شأنه وأهميته) وهي ظاهرة يصعب فهمها وتفسيرها في أطار النظرية الكنزية ،الامر الذي الى صعود "النظرية النقدية" أو ما تسمى" بمدرسة شيكاغو" بقيادة (ميلتون فريدمان وفون هايك) الداعية بالعودة الى الجذور(سمث-ريكاردو) والى أبعاد الدولة ودورها في الحياة الاقتصاد ية وأطلاق قوى السوق ،وبدأت هذه التطبيقات في فترة مجيء رئيسة الوزراء البريطانية" تاتشر" عام 1979 ووصول الرئيس الامريكي" رولاند ريغان" الى البيت الابيض ،ووقوع البلدان النامية في (فخ المديونية ) في الثمانينات ، وتحولها بعد ذلك بضغوط من المؤسسات المالية(صندوق النقد الدولي و البنك الدولي) ووفقاً ل"توافق واشنطن" نحو أقتصاد السوق الهادفة نحو العولمة وأحتواء البلدان النامية. وجاء أنهيار البلدان الاشتراكية في أوربا الشرقية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات وتحولها نحو أقتصاد السوق كأحد الاسباب التي تصب لصالح الليبرالية الجديدة .

أما الفصل السادس الذي ظهر تحت عنوان: "الكامراليون الالمان الاوائل" (الصفحات 534 – 556)، فيشيركبة الى تطور العلم الكامرائي في المانيا والنمسا، وهو الاسم الذي أطلق على الماركينتيلية طيلة ثلاثة قرون في هذه البلدان، إذ ترجع افكارها الى بداية القرن السادس عشر، وبذورها لدى لوثرو

اوسا Ossa ((1506 – 1556 وبصورة اوضح لدى الحقوقيين جورج اوبرخت Obrecht وبزولد Besold في أواخر القرن المذكور. كما برز بورنتز Bornitz وكلوك .Klock ومجمل الافكار المشتركة لهؤلاء تتحدد من قبيل: أهمية النقود، زيادة السكان، ضرورة التدخل الحكومي، ولكنهما اختلفا حول نقاط أخرى من قبيل: اعتماد نفقات الدولة على موارد الدومية الملكي او تحديد معدل الفائدة تحديداً قانونياً، او مدة وطبيعة الحقوق والامتيازات المالية للملوك Regalien تجاه رعاياهم. كما ان الموضوعات التكنيكية (كالزراعة وصيد الاسماك وصناعة الحرير) كانت تحتل اهمية خاصة في كتاباتهم.

والملاحظ في الفكر الكامرالي والماركينتيلي في الفكر الاقتصادي المعاصر، كما يشير كبة، من ان هناك جملة اتجاهات متباينة لتصور العلاقة بين الفكر الكامرالي الجرماني والفكر الماركينتيلي بصوة عامة، وبخاصة نماذجه الانكليزية. ولا شك ان الاختلاف في هذا التصور يعود اساساً الى الاختلاف في النظرة الاصلية لطابع ومحتوى ودلالة الفكر الماركينتيلي نفسه. وهنالك من يعالج الفكرين في اطار واحد وضمن عنوان واحد، هو الفكر الماركنتيني، وخير مثال على ذلك الاقتصادي السويدي "هكشر" في مؤلفه المعروف "الماركنتينية" بينما يرى شومبيتر ذلك، لا كتيار من تيارات الفكر الماركينتيلي، بل كتيار من التيارات التي اطلق عليها اسم "أدب المستشارين الادارين"، وركز على فكرة "دولة الرفاه"، أي دولة التدخل الاقتصادي التي ترجع أولوية ظهورها في أورباعلى يد"بسمارك" عندما أعتمد (الرايخستاغ ) تشريعات توفر بشكل أولي تأميناً ضد الحوادث والمرض والشيخوخة،وبعدها في أنكلترا بسبب تعاظم دور النقابات وتأثير الحركة الفابية ومن ثم في العشرينات والثلاثينات ظهرت أقتصاديات الرفاهة ص552

ويتفق د. كبة مع الرأي الذي يفرد موضوعاً خاصاً للكامرالية الالمانية، لا باعتباره أدباً منفصلاً او متميز بسماته النوعية الخاصة، وأن خير من يمثل هذا الراي هو الاقتصادي الاميركي هاني (ص 554)، وقد اثرت الكامرالية تأثيراً مباشراً في الفكر الاقتصادي الالماني الحديث وحددت مساره التاريخي وطبعته بسماتها الخاصة.

**ملاحظات على الكتاب:- أسلوب العرض والمنهجية المعتمدة**

يقوم مؤلف الاستاذ ابراهيم كبة بالتعبير على نحو علمي، عن مهمة الاقتصاد وعلى دراسة صادقة للافكار وللحياة الاقتصادية. وتكمن قيمة الكتاب العلمية في انها تكشف عن القوانين والمفاهيم التي تتحكم بولادة

متخصص وعالم اقتصادي، كيف يبني أفكاره ومفاهيمه وكيف يعالج أفكار المفكرين الآخرين بدرجة عالية من الوضوح، وهذه بحد ذاتها، على ما اعتقد قيمة المؤلف. فثمة نقاط كثيرة اشار لها الاستاذ كبة وعمد الى شرحها بتوسع وبعضها اكتفى باشارات عابرة اليها. ولكنه، بالمقابل، دعم أفكاره بحواش ومصادر عديدة، فقد قسم الكتاب الى قسمين. القسم الاول يتضمن الجوانب التاريخية لعلم الاقتصاد مع تحليل لكي يكون العرض واضحاً قدر المستطاع . يسهل بلوغه للدارسين وللقراء، باستثناء بعض الجوانب الفكرية التي يحاجج فيها بعض آراء المفكرين وهو يوجه مؤلفه للدارسين والباحثين، الذين يريدون ان يبحثوا جدياً، ويريدون ان يأخذوا طريقهم بأنفسهم. فهو يطلع القارئ على العشرات من آراء المفكرين ويعرض أفكارهم بشكل سليم، ويعطي وجهات نظره حولهم، ناقداً او مؤيداً، مخالفاً او متفقاً، ويجري حواراته بطريقه تؤمن سلامة أنتظام سيرها ما أمكن..

وعلى ما يبدو، فان الامر لا يتعلق بطريقة عرض المؤلف لكتاب ما، بل بما يتعلق بفهم القوانين والأفكار والمفاهيم التي طرحها الكاتب، لكي يتمكن الدارس من رسم طريقه الخاص، لمتابعة تطور هذا العلم. أ . كبة تناول عرض الكتاب بمنهجية علمية وبروحية متخصص، وشغل حيزاً كبيراً لتحليل الجوانب التاريخية للمدارس او المذاهب الفكرية (القديمة والحديثة) التي تمكن الباحث من الاسترشاد منها..

أن هدف المؤلف على ما اعتقد، هو الكشف عن الطروحات غير العلمية التي تتناول موضوع الاقتصاد السياسي، وحركة المجتمع والمراحل التاريخية للتطور البشري، بعيداً عن الاسلوب الاكاديمي الانتقائي،الذي يكتفي بمجرد استعراض المدارس المختلفة على علاتها والوقوف متفرجاً منها، غير أن كبة يختلف فهو، يخضع جميع هذه الأفكار والنظريات لدراسة منهجية (المنهجية كما يشبر لها المفكر الاقتصادي المصري د. محمد دويدارهو" فن ترتيب الافكارترتيباً دقيقاً بحيث يؤدي الى كشف حقيقة مجهولة،أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة...). قائمة على نظرة متكاملة موحدة للنشاط الاقتصادي وللعملية الاقتصادية، مما يضفي على المؤلف الترابط العضوي للملامح البارزة فيه، موضحاً بعض المقولات الاقتصادية وتعريفه لها. وعندما يريد ان يشير الى شاهدة معينة في التاريخ الاقتصادي فانه يشير الى اين؟ ومتى؟ ومن الذي عبر عنها بوضوح؟.

وفي القسم الثاني يعرض الجوانب النظرية، فقد اعتمد طريقة في البحث في منتهى الدقة، بحيث تناول الافكار من مصادرها الحقيقية، وبلغة أصحاب هذه الافكار والنظريات وطبقها على الواقع بطريقة منهجية ماركسية. وهو بذلك يكون قد امتلك المادة بكل تفاصيلها، وحلّل اشكال نموها، وكشف عن

الارتباطات لبعض المذاهب الفكرية المطروحة في الكتاب، وتمكن من عرضها بمجموعها وبيناء هيكلي للمبادئ والافكار التي يتبناها المؤلف. ولاينسى الاشارة الى كبة كان متفقاً مع أوزنر(صاحب كتاب تطور الفكر الاقتصادي ) حول أهمية الثورات العلميةالثلاث في تاريخ الفكر الاقتصادي وهي ثورات (نيوتن و دارون و أينشتاين ) ص228 . كما أن كبة يأخذ باستنتاج بول سويزي في معرض( تحليله للمنهج العلمي في الاقتصاد) ص298، فيما يتعلق بأستنتاجات ونظريات "ماركس" في الجزء الاول منها ،هي ذات طابع مؤقت فقط ومن الضروري تعديلها عند مواجهتها بالواقع ، وأنها غير قابلة لأخذها كتوقعات للمستقبل، ويستشهد" سويزي" بقانون الشقاء المتزايد للبرولتاريا (وهو أحد القوانين الواردة في الجزء الاول من راس المال) ويؤكد بأنه قانون تجريدي، وأن ماركس نفسه أكد على أنه يخضع في التطبيق لعدة ظروف معاكسة جديرة بالتحليل . أما الجزأن الثاني والثالث من (رأس المال ) فهما تقريب متعاقب Succesive approximation للمجرد Abstract الى المحدد Concrete أي تقريب النمط النظري الى الواقع الفعلي . يبدو أن نظرة الاستاذ كبة هذه نابعة من رؤيته للتاريخ وتاريخ الفكر الاقتصادي بشكل خاص. فهو لاينظر الى حركة التاريخ على أنها آلية أو خطية.فالتاريخ لايتحرك من الحاضر أو من الماضي فقط وأنما من المستقبل أيضاً .

**الخلاصة :**

تناول مؤلف أ. ابراهيم كبة القيّم "دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي" جملة من الافكار والمفاهيم والنظريات لمدارس فكرية متنوعة ومختلفة. فقد تناول الفكر الاقتصادي والتاريخ الاقتصادي في العصور القديمة (العصر اليوناني والعصر الروماني) مروراً بالعصر الوسيط.
تناول الكتاب المسائل التي بحثها كلاً من افلاطون وأرسطو، والتي تتعلق بالقيمة والنقود من جوانب فلسفية وأخلاقية وسياسية، لأن الفكر الاقتصادي لم يعد علماً مستقلاً حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وفي العصر الوسيط، او كما يسمى عصر سيطرة الفكر اللاهوتي وتوما الاكويني أبرز الممثلين له، وتطرقه الى المسائل الاقتصادية ومعالجتها اخلاقياً تبعاً للتعاليم المسيحية. ويواصل " كبة "بحثه من ان الانسان وحياته الاجتماعية منذ بداية التاريخ البشري اتسمت بضرورة توفير الحاجات المتعددة للاستمرار في حياته، وتوفير الموارد القادرةلتلبية هذه المطاليب. ونتيجة لذلك تطورت معارفه الاقتصادية والاجتماعية، ومن هنا برزت الحاجة لامتلاك معرفة دقيقة لمختلف الظواهر والوقائع الاقتصادية، وبذلت محاولات جدية عديدة لمفكرين اقتصاديين، وفلاسفة كبار وفي مرحلة لاحقة ظهرت

المدرسة الماركينتيلية "التجارية" والمدرسة الفيزوقراطية "الطبيعية " ومفكريها، كما ظهرت المدرسة الكلاسيكية الاقتصادية. وسارت دراسته على نهج كبار أصحاب المذاهب الاقتصادية الكبرى من امثال ارسطو وتوماس الاكويني وآدم سمث وماركس وفيلن وكينز.
لقد اتسمت أفكار"كبة"في مؤلفه المذكوربكثير من الصرامة والدقة. أذ يلاحظ في كتابه، الذي يحتوي على 560 صفحة، وبالتبويب الذي يميز شخصية المؤلف ونظرته العميقة، فهو قد يتبنى أفكار كانت تتعارض مع أفكاره التى تناولها في "دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي"، بدأ من العصور القديمة والوسطى ومن المدارس (السكولائية، الماركينتيلية، الفيزيوقراطية والكلاسيكية) عدا ماركس وبعض المفكرين وصولاً الى الكنزية.
ويعتبر رائد من رواد الفكر الاقتصادي، حيث انبرى لمناقشة أفكار كبار أصحاب المذاهب الاقتصادية. وأبدى آراءه الخاصة حول القضايا المطروحة، متفقاً او مفنداً. وأن مناقشته وطروحاته وطريقته الايجابية وتلخيصاته لآراء المفكرين حول المسائل النظرية المبحوثة، تشكل مدرسة فكرية نستخلص منها الدروس لغرض تعميق بحوثنا النظرية في الميدان الاقتصادي.
وأن العمل الكبير الذي بذله د. كبة، يساعد على استيعاب المعلومات المعرفية، لعمل جيل الرواد الاوائل من الاقتصاديين على اختلاف مشاربهم الفكرية والايديولوجية والسياسية.
د. كبة الاقتصادي والأكاديمي البارز الذي عمل استاذاً في جامعتي بغداد والمستنصرية، والذي تناولت أعماله ومحاضراته، قضايا التاريخ والفكر والفكر الاقتصادي بشكل مكثف، كان قد شهد مراحل تطور البلدان النامية، وعاش الحرب الباردة وتنافس المعسكرين (الرأسمالي والاشتراكي) وأحاط بمعظم الأفكار والنظريات البارزة منذ نشوء المجتمع البشري. وقد تاثر بالفكر الماركسي، وبالبناء الاشتراكي، على ما أعتقد، وهذا الامر يتضح من أفكاره وآراءه التي تجعله قريباً للمدرسة الماركسية، وقربه لا يلغي حقيقة انه رائداً حقيقياً في علم الاقتصاد. وأرى في مؤلفه "دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي"، الذي نشر عام 1970 لا زال يحظى بالاهمية النادرة، وفي مقدمة الوثائق العلمية المتخصصة في عراقنا اليوم. وأن مؤهلاته العلمية وسعة معرفته سمحت له بمعالجة عدد من المسائل الفكرية الاقتصادية بقدر من العمق والدقة في التحليل. وستحتفظ ذاكرة الاجيال من طلبته وزملائه من الاساتذة بذكرى طيبة لاستاذ اقتصادي كبير، نظراً لاسهامته الغنية في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي.

هذا الكتاب يعيد سرد آراء أ. كبة ويفتح نافذة لتسليط الضوء على النواحي غير المرئية من الافكار الاقتصادية على المستوى العالمي ولاثارة نقاش عملي ومنهجي حول ما يجري الآن من متغيرات في الساحة الاقتصادية والسياسية والايديولوجية في ظل العولمة والخصخصة التي يتبارى حولها مفكرو ومنظرو الرأسمالية .

أن المؤلف والكتاب يدفع بأتجاه مواصلة البحث والاستخدام النظري والمنهجي العلمي استخداماً جدلياً ،بالترابط مع ما يجري في العالم ومع ظروف واقعنا في البلدان العربية بكل خصوصياتها ،وذلك وفق منهج فكري وألتزام سياسي بالديمقراطية ونشرها ومأسستها على الصعيد المجتمعي، ونقل ذلك التراث الى حالة الحركة والتجدد. في ظل الازمة الحالية للرأسمالية التي برهنت أن التوجهات الليبرالية الجديدة غير قادرة وحدها عن حل الاشكال بين الاقتصاد والسياسة في أطار السلطة السياسية والازمة تدفع بقوة أن المصلحة الاقتصادية أو الحالة الجدلية بين المؤسسة الخاصة و الدولة، فالسوق يواجه تراجعاً لصالح الدولة منذ أزمة (2008-2009 ) ولا زال ، هذا التراجع يتطلب تبريره نظريا من أصحاب "المدرسة النقدية" وهو مايدفع الى الصدارة البحث عن حلول وأفكار جديدة( خارج الاطار المذكور) وأيجاد صياغات لمقاربات تنموية في بلداننا العربية ،بسبب خيبة الامل لما أسفرت عنه النتائج من تطبيقات وصفات( الصندوق و البنك )الدوليين للبلدان النامية على أمتداد الثلاثين سنة الماضية، وهي مجموعة السياسات التي أنطلقت من "توافق واشنطن" الذي جسدت (الليبرالية الجديدة )برامجه الاقتصادية للاصلاح ، ولم تستطيع الدول التي ألتزمت بذلك أن تتخطى عتبة التخلف والتبعية وأنما عجزت من تحقيق أي ملمس تنموي للالفية الثالثة .هذه النظرة العلمية العميقة على "ما أعتقد "التي تجعل من الكتاب مصدراً ذو أهمية كبرى في تاريخ الاقتصاد وتاريخ الفكر الاقتصادي ،وهي ما تفسر الاهمية النسبية لمهمة الاستشراف عند الاستاذ أبراهيم كبة *.

# الـبحوث

# أهمية تبني معايير المحاسبة الدولية في الاقتصاد العراقي

**الدكتور صباح قدوري**
نائب رئيس جامعة ابن رشد\هولندا
رئيس قسم المحاسبة\كلية أدارة الأعمال
**الدنمارك**

ملخص:

تتوجه اليوم السياسة الاقتصادية العراقية نحو الليبرالية والانفتاح على الأسواق الخارجية. والانتقال إلى اللامركزية الإدارية في تسيير الاقتصاد، ومنهج التحول إلى اقتصاد السوق. ولاشك في أن هذه السياسة قد ساهمت في تفاقم نظام الفساد المالي والإداري في المؤسسات العامة والخاصة، الحكومية والحزبية، وخاصة بعد الاحتلال في عام 2003.

وأمام هذه الحالة تعاظمت الحاجة للتفكير بإجراء الإصلاحات الضرورية في الاقتصاد العراقي، ومنه النظام المحاسبي. وسيكون تطبيق معايير المحاسبة الدولية إحدى عوامل ذلك الانفتاح باتجاه تطوير نظام محاسبي يقضي على مشكلة الفساد في العراق، وقبل ذلك يساهم في توحيد الأنظمة المحاسبية المتعددة المعمول بها في القطاعين العام والخاص تسهيلا للعمل وضبطا نوعيا له. وربما كان ذلك أدعى في تطوير أساليب الرقابة المالية وجودتها، وأيضا في تحديث القدرات المهنية للعاملين في حقلي المحاسبة والإدارة في العراق الجديد.

وتتطلب هذه الحالة الانتقال إلى اقتصاد جديد للمحاسبة، واستخدام أدوات جديدة لمعالجة وظيفة النظام المحاسبي، من أجل توفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات المستثمرين والمالكين والممولين وغيرها.

Abstract

Today, Iraq's economic policy is leaning towards liberalism and openness to foreign investment. The transition to decentralization and market economy is in process, but not without costs.

The financial and administrative system is infested with corruption at all levels, especially after the occupation in 2003.This fatal situation requires the much needed reforms of the financial system, and hereby the accounting system. The application of international accounting standards could be one of the key factors in the development process of a multi-applicable accounting system, and the fight against corruption.

The implementation of contemporary accounting methods would not only enforce control and quality capabilities, but also the professional capacity of workers in the field of accounting and administration.
The situation requires a move towards a new accounting system, and the use of new tools to address the challenges of the current situation. It is within the country’s interest, that the accounting system can provide relevant and up to date information, which can fulfil the needs of investors, financiers and others.

**توطئة:**

إن ظهور النظام المحاسبي القياسي العالمي، يعدّ ضرورة أساسية لتطويرعلم [وفن] المحاسبة، وللابتعاد عن كافة السلبيات التي تواجه الطرق المحاسبية المختلفة في بلدان عديدة، ومنها العراق. إن تطبيق هذا النظام سيؤثر بلا شك على التوعية في أوساط المسؤولين والمشرعين في الدوائر والمؤسسات والوحدات الاقتصادية التابعة للدولة، وفي وحدات إدارة الأعمال. حيث أن تبني هذه المعايير يوفر مرجعا محاسبيا واحدا وثابتا. ويساهم في تعزيز مهنة المحاسبة على الصعيد العالمي. وفي تطويراقتصاديات دولية قوية،عن طريق ترسيخ وتشجيع الالتزام بالمعايير المهنية عالية الجودة. وتعزيز التقارب الدولي بين هذه المعايير والتعبيرعن قضايا المصلحة العامة والمسؤولية الاجتماعية، حيث تكون الخبرة المهنية أكثر ملاءمة. ويؤمن أيضا عملية ضمان وسلامة المعاملات الاقتصادية وتفسير المعلومات. ويوفر إفصاحا ماليا يسهل فهمه وقراءته ومعالجته والتعامل معه، ومحاسبة المسؤولين في الحكومة على أساسه. كما يضع أسسا موحدة لعملية التقييم والمقارنة وتوحيد المبادئ والأصول والقواعد المحاسبية في ظل تعقيد العلاقات الاقتصادية، ونتيجة للتطور السريع الذي يحدث في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وكذلك التوجه نحو ليبرالية العلاقات الاقتصادية العالمية من خلال الانفتاح المتزايد لنموذج اقتصاد السوق- الحر.

**أهمية البحث:**

وتكمن أهمية هذا البحث، في اتباع منهج تحليلي معرفي ووصفي، الأمر الذي يقود إلى بلورة تصور منطقي وآليات التنفيذ اللازمة لتطوير النظام المحاسبي، من خلال التأكيد على ضرورة الاستفادة من تطبيق معايير المحاسبة الدولية في الاقتصاد العراقي وأهميته.لا سيما وأن تفاقم نظام الفساد المالي والإداري في العراق وخاصة بعد الاحتلال في عام 2003، لاشك فإن تطبيق المعايير المحاسبية الدولية سيكون أحد العوامل، والمفتاح الحقيقي لتطوير نظام محاسبي من شأنه أن يقضي على هذه

المشكلة. لا سيما وأن الحالة الاقتصادية العراقية الحالية قد تكون مؤهلة، مع الأخذ بنظر الاعتبار دورالمنظمات المهنية الوطنية المحاسبية، وبرامج الحكومة والجامعات ومراكز البحوث المختصة لتطبيق ذلك.

**مشكلة البحث:**

فيما يمكن تلخيص مشكلة البحث في إمكان تبني هذه المعايير في القطاعين العام والخاص، وفي فرص تطبيقها بحيث تتلاءم وتتكيف مع البيئة الوطنية، وتوجه الاقتصاد العراقي نحو الليبرالية، واللامركزية الإدارية، وتطبيق نموذج اقتصاد السوق، محددا ذلك بضرورة إجراء الإصلاحات الضرورية والمهمة في البنية الهيكلية للاقتصاد والنظام المحاسبي العراقي المعمول به حاليا.

**هدف البحث:**

أما الهدف في هذا البحث، فيتمثل بأن تبني هذه المعايير، سوف يحقق مبدأ التوافق بين الأنظمة المحاسبية والتقارير المالية المتعددة المعمول بها في العراق، والتي تنظم أمورها مصادر مختلفة، كالقانون التجاري،الضريبي، قانون الميزانية العامة للدولة، قانون أصول المحاسبات العامة للدوائر والمؤسسات في القطاع العام والجمعيات، وقوانين وحدات إدارة الأعمال في القطاع الخاص، وغيرها.

**فرضية البحث:**

إن فرضية البحث تكمن في الفكرة الآتية، فلكي يؤدي النظام المحاسبي دوره الحقيقي والفعال في الاقتصاد العراقي، لابد من الاستفادة من تطبيق هذه المعايير بما يساهم بلا شك في توحيد الأنظمة المحاسبية المتعددة المعمول بها في القطاعين العام والخاص. ومن ثمَّ في تحسين أساليب الرقابة المالية وجودتها ومناهجها من الجانبين النظري والتطبيقي وتطويرها جميعا. والفرضية ترى بأن ذلك سيرفع من كفاءة الأداء المالي والمحاسبي والإداري وإنتاجيته، وكذلك في تطوير القدرات المهنية للعاملين في الحقل المحاسبي.

**<u>محاور البحث:</u>**

وفي ضوء ما تقدم ، يمكن إجمال محاور البحث بالآتي:-

المحور الأول: توصيف مكثف للحالة الاقتصادية في العراق الجديد.

المحور الثاني: لمحة مختصرة عن الأنظمة المحاسبية في العراق.

المحور الثالث: سرد مختصر ومكثف عن التطور التاريخي للنظام المحاسبي، ووظائفه.

المحور الرابع: المعايير المحاسبية الدولية، وإمكان تبنيها والاستفادة من تطبيقاتها في الاقتصاد العراقي.

المحور الخامس : الخلاصة والمقترحات

المحور الأول: <u>توصيف مكثف للحالة الاقتصادية في العراق الجديد</u>

يلعب الاقتصاد المعرفي اليوم دورا كبيرا في اقتصاديات البلدان المتطورة. وقد أصبح أكثر تأثيرا في الحياة من بين العوامل الأخرى المادية والطبيعية. وتلعب التكنولوجيا وخاصة المعلوماتية منها دورا مهما وبارزا في نمو وتطوير اقتصاد المعرفة. يقول الكاتب وليام اي. **هلال** وزميله كينيث ب. تايلور في كتابهما الموسوم "اقتصاد القرن الحادي والعشرون- الآفاق الاقتصادية - الاجتماعية لعالم متغير:"اليوم أصبح واضحا كون المعرفة وخاصة اقتصاديات المعرفة هي الأصل الأكثر استراتيجية في الوحدات، ومصدر الإبداع والابتكار والقيم والتقدم الاجتماعي- أي المورد الذي لا ينضب".

فالاستعانة بمفاهيم الاقتصاد المعرفي، يساعدنا على التعرف الحقيقي إلى بعض ملامح النظام الاقتصادي العراقي في المرحلة الراهنة وأنشطته، وذلك من خلال تحليله وتقييمه واستخلاص النتائج من أدائه، ووضع استراتيجية واضحة وشفافة لتفعيله. والتصور في آفاق تطوره المستقبلي، من خلال إجراء إصلاحات وتغيرات جذرية في البنية الهيكلية لهذا القطاع، الذي يعدّعصب الحياة للعراق الحالي والمستقبلي. ومما لا شك فيه أن هذه

الإصلاحات لابد أن تشمل الجانب المحاسبي أيضا، من خلال تطوير النظام المحاسبي وتحديثه على صعيدي القطاع العام والخاص.
وقبل أن ندخل في موضوع إمكان وضرورة تطبيق المعايير المحاسبية الدولية في العراق، لا بد من إعطاء صورة واضحة ومكثفة (من دون الدخول في التفاصيل)، عن طبيعة النظام الاقتصادي وميكانزمه،وهي كالآتي:-

**1 -** إن الاقتصاد العراقي الحالي، هو اقتصاد ريعي. ويعني ذلك تبعية الدولة أو المجتمع للمداخيل الناتجة من صادرات المصادر الطبيعية، مثل النفط، وهي المصادر التي تلعب دورا بارزا في كل أنشطة الدولة. بمعنى آخر فإنَّ الدولة تؤمِّن ميزانيتها بالاستناد إلى تصدير النفط. حيث تبلغ نسبة مساهمة القطاع النفطي بحدود( 75-80%) من الناتج المحلي الإجمالي. وتشكل عائدات النفط 98% من موارد الميزانية العامة للدولة**.**

2- غلبة طابع النشاط الاقتصادي الاستهلاكي، يرافقه تدني النشاط الانتاجي، وخاصة الصناعي والزراعي والخلل والقصور في البني التحتية لهما، الأمر الذي يساهم في خلخلة إمكانات خلق التراكم الرأسمالي للاقتصاد في المدى المنظور.
3- انعدام رؤية شفافة واستراتيجية و/أو أيديولوجية واضحة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة. وقد بلغت موارد الدولة العراقية منذ الأحتلال في2003 حتى الان نحو400 أربعمئة مليار دولار امريكي، لم تستثمر منها الا مبالغ قليلة جدا في تطوير القطاعات الأنتاجية ، وخاصة الصناعة والزراعة، ولا في مجالات بناء واعادة بناء البني التحتية، و/أو جلب التكنولوجيا المتطورة، ولا في تحسين وتامين الخدمات العامة الضرورية من الصحة والتعليم ومياه للشرب وكهرباء ومشتقات النفط، ولا خطط جادة للقضاء على البطالة الواسعة. وتبديد غالبيتها في مشاريع وسياسات لا علاقة لها بتحقيق التنمية الأقتصادية والأجتماعية والبشرية المستدامة. كما جرى نهب عشرات

المليارات منها من قبل المحتلين والفاسدين والمافيات على المستويات الإدارية والحزبية.
4- تدمير شامل ومبرمج للبني التحتية، نتيجة الحروب المجنونة في العهد السابق والاحتلال الأمريكي وحلفائه للعراق في عام2003.
5- احتل العراق على وفق تقرير منظمة الشفافية الدولية2011، المرتبة الثالثة في العالم بعد الصومال وأفغانستان، في تفشي نظام الفساد الإداري والمالي فيها، وتفاقم حدته بعد الاحتلال عام 2003.
6- حسب التقرير الصادر من الأمم المتحدة فإنَّ نسبة الفقر في العراق وصلت إلى 23%. ونسبة البطالة بحدود 30%، وخاصة في صفوف الشبيبة والخريجين والنساء. كما أن نسبة التضخم قد تقترب من رقم عشري.
7- الانفتاح غير المنضبط على اقتصاد السوق، وهونهج السياسة الاقتصادية الحالية المفروضة على العراق من المؤسسات المالية الدولية (الصندوق والبنك الدوليين ومنظمة التجارة العالمية). وضعف أداء القطاع العام، وخاصة في عملية إعادة البناء (البنية التحتية، وإدخال التكنلوجيا الحديثة، والخدمات الأساسية).كما أن أداء القطاع الخاص المحلي ضعيف أيضا.
8- ضعف ومحدودية مصادر القوى البشرية المتطورة وذات الخبرة اللازمة في العملية الإنتاجية. وضعف في البنى التحتية أيضا، ما يعرقل فضلا عن عوامل أخرى، عملية النمو والتطورالاقتصادي في العراق.
9- إن العقود المبرمة بين الحكومة الفيدرالية، بما فيها إقليم كردستان العراق والشركات الأجنبية العاملة على أساس عقود المشاركة في الإنتاج، تنقصها الشفافية العالية، وتشكل إجحافا كبيرا بالجانب العراقي. وعلى وفق بعض البيانات الأولية، فإن هذه العقود تمنح الشركات المذكورة، ولمدة طويلة قد تزيد عن 20 سنة، حصة أرباح عالية من النفط المستخرج، بكلفة زهيدة لهذه الشركات، مقابل تطوير الحقول النفطية العراقية.
10- وقد ساهمت السياسات الاقتصادية القائمة على تحرير الأسواق والأسعار بأشكال تتنافى مع السياسات الاقتصادية التنموية، مع غياب وانعدام المحاسبة والشفافية على الصعيدين الإداري وغيره، أقول ساهمت في تزايد حدة الاستقطاب

الاجتماعي، ما أدى إلى انقسام المجتمع، ونجم عنها فجوة كبيرة بين الفقراء والأغنياء، مسببا تركز الثروة بشكل كبير في يد الفئات المتنفذة في قمة الهرم الحزبي والإداري العام، وهي التي تسيطر على الميول الاقتصادية ورسم الاتجاهات العامة المعمول بها.

11- ضعف واضح في أداء التشريعات المالية والنظام الضريبي والمؤسسات المالية وعلى رأسها البنوك، وعدم استقرار قيمة العملة المحلية.

12- التردي المريع المتفاقم للخدمات كافة، البلدية والصحة والتعليم وغيرها.

13- هناك خلل بنيوي في تركيبة الموازنة، وذلك بسبب تفاوت كبير في نسبة توزيع نفقات الموازنة بين الإنفاق العام التشغيلي الذي يمثل نسبة أكثر من 70% فيما الإنفاق الاستثماري العام لا يشكل إلا ما نسبته 25-30% من مجموع الموازنة. وقد تسببت هذه الحالة في عجز الموازنة عن خلق ديناميكية مطلوبة على مستوى النمو الاقتصادي، والذي يشترط وجود استثمارات ضخمة يحتاجها البلد وخاصة في مجال بناء وإعادة بناء البنى التحتية، وإدخال التكنلوجيا الحديثة، وتأهيل القطاع النفطي، والنهوض بالقطاعات الإنتاجية ، وفي مقدمتها القطاعين الصناعي والزراعي، وتفعيل التجارة ووضعها بخدمة الخطط التنموية  العامة، تمهيدا للانتقال من اقتصاد ريعي الى اقتصاد القيمة المضافة مستقبلا.

المحور الثاني : <u>لمحة مختصرة عن الأنظمة المحاسبية في العراق</u>

نجد اليوم في العراق أنظمة محاسبية متعددة. وعلى الرغم من التزام القطاعين الصناعي والتجاري، بتطبيق النظام المحاسبي الموحد، إلا أن المؤسسات الحكومية والنشاط الاستثماري والمالي والاجتماعي ووحدات الأعمال الخاصة بقي يتبع أنظمة مختلفة. وهذه الأنظمة هي:

1- المحاسبة الحكومية، وتطبق في الدوائر والمؤسسات الحكومية المرتبطة حساباتها مركزيا بالخزينة، العامة للدولة.

2- النظام المحاسبي الموحد للقطاعين الصناعي والتجاري الحكومي.
3- النظام المحاسبي للنشاط الاستثماري، على وفق الخطط الاستثمارية لوزارة التخطيط .
4- الأنظمة المحاسبية المطبقة في البنوك وشركات التأمين.
5- أنظمة محاسبية مختلفة في وحدات إدارة الأعمال- القطاع الخاص.

ومن الطبيعي أن تختلف هذه الأنظمة فيما بينها من حيث التسجيل والسجلات والدفاتر والمبادئ والقواعد المحاسبية وإعداد الحسابات الختامية وإنتاج التقارير المالية والإفصاح المالي، ومن ثم إلى نتائج هذه التعددية والاختلاف فيما بينها.

إن النظام المحاسبي الموحد المطبق في وحدات الصناعية الحكومية، وضع في حينه لاحتياجات الاقتصاد الموجه أو المخطط، وفي ظل هيمنة القطاع العام في النظام المركزي لتسيير الاقتصاد وإنتاج البيانات لخدمة الاقتصاد الكلي أكثر من الاقتصاد الجزئي، ولم يتغير ذلك النظام حتى الآن.

وكما نجد ان العلاقة بين المحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف في تصميم النظام المذكور، جاءت لتركز على (الأول) على حساب (الثاني)، وبذلك أهمل دور وحدات إدارة الأعمال بوصفها المنتج الأساس للبيانات التحليلية التي تنتجها محاسبة التكاليف. وعليه يمكن القول بان النظام المحاسبي الموحد بشكله الحالي، ليس أكثر من مسودة النظام المحاسبي للتكاليف.

ولمزيد من التفاصيل بهذا الخصوص، يمكن الاطلاع عليها في البحثين للباحث، من خلال الرابطين المدرجين في نهاية قائمة المصادر.

وبناء على ما تقدم، يمكن القول، بعدم ملاءمة الانظمة المحاسبية المطبقة اليوم للمرحلة الحالية التي تمر بها السياسة الاقتصادية العراقية، وذلك للأسباب الآتية:-

1- توجه الاقتصاد العراقي نحو الليبرالية والانفتاح، واللامركزية الإدارية، وتطبيق مبدأ الاقتصاد الحر.
2- توفر المقومات الأساس لها من الموارد المالية والبشرية المناسبة.
3- توافر البنية الأساس للنظام المحاسبي.

4- سعة الوحدات الاقتصادية وأسواق مالها في المدى المنظور.
5- وجود كوادر مهنية متمثلة في المحاسبين ومكاتب المحاسبة.
6- مساهمة الجامعات العراقية، والمنظمات المهنية المحاسبية، ومراكز البحث العلمي في تطوير عملية النظام المحاسبي.

وقد فرضت هذه الحالة استخدام أدوات جديدة لمعالجة وظيفة النظام المحاسبي، من أجل توفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات المستثمرين والممولين. وبرأينا فإن الانتقال إلى اقتصاد جديد للمحاسبة، يتطلب تقديم اطار عمل مقترح يمكن تبنيه للتعامل مع معاييرالمحاسبة الدولية.وبهده المناسبة نود الاشارة إلى أن المعايير المحاسبية العراقية في أغلبها ترجمة للمعايير المحاسبية الدولية، الا أنها لم تجرِ عليها تعديلات او إعادة تفسيرها وصياغتها بحيث تتلاءم مع البيئة الاقتصادية الجديدة للعراق اليوم، ومع متطلبات العولمة والتطورات السريعة في العلاقات التجارية العالمية، وفي مجال التكنلوجيا المعلوماتية. ومن هذه المعاير على سبيل المثال وليس الحصر( المعايير في مجال التقارير المالية وعرض البيانات والافصاح المالي ومدى ملاءمتها للمؤسسات التجارية والشركات العالمية، استخدام الكلفة التاريخية في اعداد الحسابات الختامية من دون الأخذ بنظر الاعتبار معالجة التضخم للحسابات، استخدام طرق مختلفة في احتساب الاندثار، ويجب الاستقرارعلى اتباع الطريقة الواحدة من دون التغيير، تقيم الاستثمارات بكلفة الإنتاج، الشركات التجارية تتبع طريقة محاسبة المشتريات فى تسجيلاتها، تصنيف الشركات التي تخضع للتدقيق وتصديق حساباتها من مكاتب وشركات تدقيق الحسابات المرخصة، بعض معايير التدقيق الدولية في اصول مراجعة الحسابات، طرق معالجة الأخطاء وتسوية الحسابات الختامية، بعض معايير في محاسبة التكاليف والادارية ، توحيد السنة المالية لاعداد الحسابات الختامية على وفق السنة التقومية العالمية، معالجة الاحتياطيات والتخصيصات، معالجة الاصول غير الملموسة...وغيرها). فعليه ان الضرورة تقتضي إصدار معايير وطنية بالتوافق والتكيف مع معاييرالمحاسبة الدولية على وفق البيئة الوطنية الجديدة. والاستعانة بمبادئها وإصدار الارشادات والتفسيرات بأهميتها، وتحديد سقف زمني للشروع بتطبيقها.

المحور الثالث: سرد مختصر ومكثف عن التطور التاريخي للنظام المحاسبي، ووظائفه

قبل الدخول في موضوع المعايير المحاسبية الدولية، أرى من الضروري إلقاء نظرة سريعة ومختصرة عن عملية التطور التاريخي للنظام المحاسبي المعاصر، واستمرار هذه العملية بشكل متواصل. وهو حصيلة تفاعلات اقتصادية واجتماعية وقانونية وبيئية متطورة، وحسب متطلبات العلم وحاجات المجتمع.

إن نظرية المحاسبة الحديثة (نظام القيد المزدوج)، وضعها الرياضي الربان( لوكا باشيولي) في كتاباته (Summa de Arithmetica,Geometria,Proportioni et Proportionalita) تحت العناوين أو مبادئ ( الحساب، الهندسة، التساوي؛ المعادلة والنسب)، والتي صدرت في مدينة البندقية (فينسيا) ايطاليا سنة 1494 م. وهي المدينة التي كان قد تأسس فيها في عام 1581م أول معهد للمحاسبة.
ويعتمد جوهر نظرية القيد المزدوج [التي وضعها باشيولي] على مبدأ المدين والدائن، فجاءت كاحدى الاكتشافات الرياضية التي تقول: إن لكل قيد حسابي مدين يقابله قيد حسابي دائن، أي بمعنى آخر ان المجموع الجبري لجانب المدين يساوي المجموع الجبري لجانب الدائن، وان الفرق بينهما يساوي الصفر، وبذلك تحتفظ عمليات تسجيل المعاملات الاقتصادية بالموازنة في كل مراحلها حتى إعداد التقارير المالية الختامية المتعارف عليها بتقرير النتيجة، أي الأرباح والخسائر، والميزانية العمومية التي تعبر عن قيمة وسائل انتاج الوحدة الاقتصادية ومصادر تمويلها، معبرا عنها بوحدة النقد وفي وقت محدد، مع الأخذ بنظر الاعتبار تعديل هذين التقريرين، في حالة كون نسبة التضخم المالي عالية عند اعدادهما.
وينسب تاريخيا استخدام دفتر اليومية العامة (Journal) لتسجيل المعاملات الاقتصادية على وفق نظرية القيد المزدوج، لاول مرة، الى ايطاليين. في الوقت الذي تقترن عملية تطويرالسجلات

المحاسبية وترحيل المعاملات من دفتر اليومية الى الدفاتر الفرعية التي تسمى بدفترالأستاذ(ledger ) ،وترصيدها، باسم انكليز. كما تنسب عملية تطوير يوميات ذات الاعمدة المتعددة والمستخدمة في البنوك، وايضا في تطوير نظام محاسبة التكاليف، الى امريكيين.

تعتبر المحاسبة اليوم لغة الأعمال (language of business The) ، وهي جزء من نظام المعلومات الاقتصادي بالإشارة إلى العلم الكمي والمعلوماتية (سبيرنتك وانفورمتك cybernetics and informatics) ونحن نجد اليوم أن النظام المحاسبي بات يطبق ايضا عن طريق البرامج الألكترونية المتقدمة التي تلبي متطلبات تطور وتقدم المجتمع في مجال التكنولوجيا المعلومات.

ومنذ ذلك الوقت تجري باستمرارعملية تطوير وتحديث النظام المحاسبي عالميا. وأصبح اليوم نظريا وعمليا له علاقة ملموسة مع مختلف النشاطات البشرية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعملية، ويحتل مكانه الأساس بين كافة العلوم. ونتج عن ذلك ظهور فروع متخصصة له ، شملت كل اشكال النشاط الاقتصادي البشري.

المحاسبة كنظام من ناحية ، وفن من الناحية الأخرى . لها جانب نظري وجانب آخر تطبيقي. فالأول يتمثل في النظرية المحاسبية ومبادئها وقواعدها، والجانب الآخر يتكون من شقين، الأول يتضمن القوانين والأعراف والأنظمة، والثاني هو الجانب الفني- القيد المزدوج ، المستخدم في عملية انتاج البيانات الاقتصادية وقياس الأداء وتقييمه.

ان تركيب النظام المحاسبي، هوالذي يحدد وظائفه.اذ يمكن تقسيم تركيب النظام المحاسبي إلى الأنظمة الفرعية الآتية:-

1- قسم التبويب وتسجيل المعاملات الأقتصادية – مسك الدفاتر.

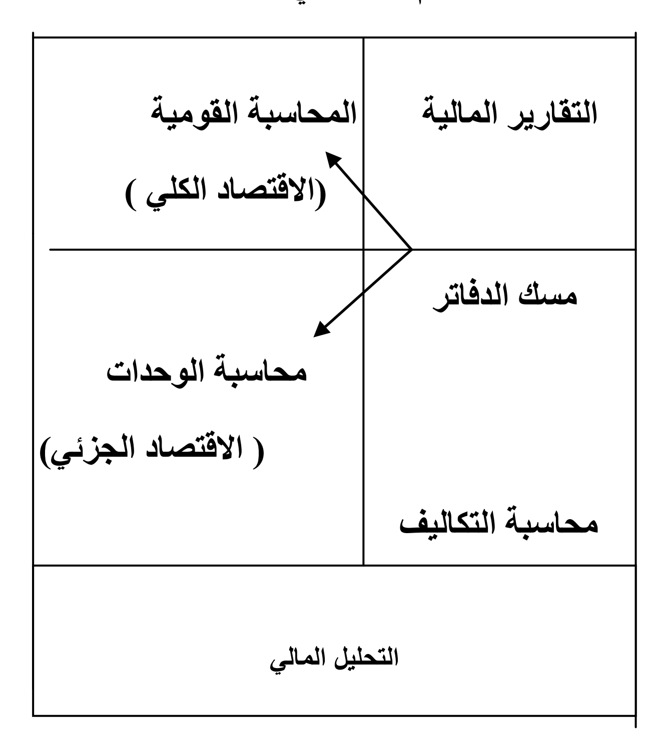
2- قسم الاحتساب، قياس الموارد الاقتصادية للوحدة – محاسبة التكاليف

3- التقارير المحاسبية، تمثل في انتاج البيانات، وعرضها. تزويد المستويات الإدارية المختلفة داخل وخارج الوحدة الأقتصادية بهذه المعلومات ، للاستفادة منها في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية والإدارية .

4- التحليل المالي ، ترجمة هذه البيانات بشكل عملي ، لتسهل على عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية والإدارية النهائية.

يمكن تعبير عن هذه الوظائف بالشكل الآتي:-

**النظام المحاسبي**




المصدر: عمل شخص

ان منهجية التسجيل وعملية الاحتساب وعرض النتائج على شكل التقارير المالية، ومن ثم تفسير هذه النتائج وتقديمها الى المستويات الإدارية المختلفة للاستفادة منها في عملية اتخاذ القرارات

الاقتصادية والإدارية، تشكل بمجموعها النظام المحاسبي، الذي يؤدي الوظائف الآتية:

**1**- تزويد المسؤولين في مختلف المستويات الإدارية للاقتصاد الوطني بالمعلومات الجارية والزمنية ، معبرا عنها بالأرقام والتي تعدّ ضرورية في عملية اتخاذ القرارات اللازمة لتوجيه النشاط الاقتصادي الكلي والجزئي، ويتم ذلك من خلال وسائل التسجيل وتقديم التقارير المالية، التي تهدف خدمة الأغراض الثلاث الرئيسة، وهي:-

ا- اعداد التقاريرالإدارية الداخلية للإدارة،التي تشتمل على البيانات اللازمة للتخطيط ورقابة الوظائف الروتينية الدورية.

ب- اعداد التقاريرالإدارية الداخلية للإدارة،التي تشتمل على البيانات اللازمة لاتخاذ قرارات غيرالروتينية، واعداد الخطط والسياسات المهمة- الاستراتجية للوحدة الاقتصادية.

ج- اعداد التقارير المطلوبة للجهات الخارجية ، وخاصة لأصحاب الوحدات الاقتصادية في القطاعين الخاص والعام، والجهات الضريبية، والبنوك، والمقرضين، والموردين، والعملاء، والمستثمرين، ومالكي الأسهم، وغيرها من الجهات الخارجية الأخرى.

2- خلق الظروف اللازمة لأداء عملية الرقابة الداخلية والخارجية للأنشطة الاقتصادية، وتحديد الحالة المالية للوحدة الاقتصادية من خلال قياس الأداء، وتحديد درجة تحقيق الأهداف الموضوعة في البرمجة او الخطة ، ومقارنتها بالمتحقق وبيان الانحرافات واسبابها والمسؤولين عنها. وتتم الرقابة الداخلية من قبل الجهاز الإداري لقسم المحاسبة والمالية في الوحدة الاقتصادية، اما الرقابة الخارجية ، فتجري من قبل الجهات الخارجية كمكاتب المحاسب القانوني المعترف بها والمسجلة عند الجهات الحكومية الرسمية،اومن قبل الإدارة الحكومية المتمثلة بالجهاز المركزي للرقابة المالية.

3- خلق الأسس اللازمة لإجراء المقارنة الجارية والزمنية بين الوحدات الاقتصادية ، عن طريق تحليل وتفسير البيانات المحاسبية ، وتظهر هذه الوظيفة من خلال تطبيق النظام المحاسبي للتكاليف.

4- اعطاء صورة واضحة عن الوضع المالي للوحدة في الاقتصاد الكلي والجزئي ، عن طريق عرض البيانات الموحدة والمستحصلة من عمليات التسجيل والأحتساب والتحليل ، والتعبير عنها بالحسابات الختامية والمتمثلة بحسابات النتيجة والميزانية العمومية على صعيد الوحدة الأقتصادية للأقتصاد الجزئي ، وكذلك اعداد الميزان القومي على صعيد الاقتصاد الكلي ، والأخيرة تعتمد على مدى درجة وجود النظام المحاسبي الموحد الذي يساعد على عملية انتاج البيانات اللأزمة لهذا الغرض.

المحور الرابع: المعايير المحاسبية الدولية ، وامكان تبنيها والاستفادة من تطبيقاتها في الاقتصاد العراقي

حدث في السنوات الأخيرة نمو كبير في الاقتصاد العالمي ، ما ادى الى عولمة الشركات، والأسواق المالية ، والاستثمارات الراسمالية عبر القارات واندماجها مع الشركات الوطنية. وكذلك التطور السريع الذي تشهده التكنولوجيا المتقدمة وخاصة في مجال الاتصالات والمعلومات، ما انتج صعوبات امام الشركات والمستثمرين في كثير من بلدان العالم في تفسير البيانات المحاسبية والمالية واستخدامها في عملية المقارنة. على الرغم من أن كثيرا من البلدان تستخدم معايير قياسية واعراف محلية في النظام المحاسبي، وهناك جمعيات مهنية وطنية تعني بتطوير مهنة المحاسبة، الا انها تستخدم طرق ومبادئ مختلفة لإنتاج هذه البيانات وتفسيرها لأغراض التقييم والأداء والمقارنة، مما سبب في ظهور مشاكل كبيرة في عملية الرقابة والفهم المختلف بين الشركات، في حالة حدوث النزاعات المالية والقانونية، وعدم اقرار البيانات الحسابية والتقارير الناتجة عنها. وأمام هذه المشكلة وصعوبة الرقابة وتدقيق حسابات ومكافحة ظاهرة الفساد المالي والاداري، والسيطرة على الأرباح الكبيرة التي تحققها الشركات العالمية الكبرى وخاصة الأمريكية والأوربية منها، اصبحت الحاجة الى ايجاد نوع من النظام المحاسبي القياسى العالمي ، الذي يعدّ من الضروريات الأساسية لتطوير علم المحاسبة وللابتعاد عن كافة السلبيات المحاسبية التي كانت تواجه الطرق

المحاسبية المطبقة في البلدان المختلفة منها العراق، بحيث يتم بموجبها تامين عملية ضمان وسلامة المعاملات الاقتصادية، وتفسير المعلومات المالية وعملية التقييم والمقارنة وتوحيد المبادئ والأصول المحاسبية التي تجري بين هذه الشركات في ظل عولمة وتعقيد العلاقات الاقتصادية الدولية.

إن انبثاق جمعيات وطنية واقليمية وعالمية مختلفة في مجال المحاسبة منها، قواعد تنظيم المحاسبة للجمعيات الوطنية، قواعد المالية والمحاسبية لدول الوحدة الأوربية ، النظام المحاسبي الموحد للأمم المتحدة، الاتحاد الدولي للمحاسبين، الدليل المحاسبي الأحصائي الموحد والتصانيف السلعية للجامعة العربية، لجنة توجيه المعايير المحاسبية في المملكة المتحدة عام 1969 ، مجلس معايير المحاسبة الامريكية في الولايات المتحدة عام 1973 ، الاتحاد العام للمحاسبين والمراجعين العرب، الجمعية العالمية لدارسة التطور التاريخي للمحاسبة، وغيرها.

وفي سنة 1972 ، انعقد المؤتمر الدولي للمحاسبين في سيدني باستراليا، واتخذت فيه قرارات مهمة بانشاء هيأتين، بهدف التفاعل مع المشكلات المحاسبة الدولية والاختلاف بين الانظمة المحاسبية المتبعة في بلدان المختلفة. وتم تاسيس الاتحاد الدولي للمحاسبين IFAC ، ولجنة معايير المحاسبة الدولية IASC. تحاول
الاخيرة الى ايجاد مبدأ التوافق بين الانظمة المحاسبية والتقارير المالية، التي تنظم امورها مصادر مختلفة، كالقانون التجاري، قانون الضريبي، قانون اصول ميزانية الدولة، قانون اصول محاسبات الشركات التجارية والصناعية والجمعيات وغيرها. والخروج بالمعايير القياسية بحيث تكون مقبولة على صعيد العالمي.

وتهدف الى تحقيق النتائج التالية:-
1- تقييم الكفاءة والأداء والحالة المالية للشركات الأجنبية التابعة والمشتركة.
2- تقييم اهلية فرص الاستثمار وامكانية تحقيقها.

3- التوافق في التركيبة التجارية والمعاملات المالية ، باسلوب يحقق اكثر نفعا في المجالين الضريبي والتقاريرالمالية المختلف عليها.

4- تقيم المعلومات المالية الخاصة بالمنافسين الأجانب، على الرغم من وجود تباينات كبيرة في التطبيق العملي لهذه المعلومات حول العالم، وذلك بسبب تعدد الأنظمة المحاسبية وقواعد اعداد هذه المعلومات .

5- وتعدّ ايضا الية لتطويرعلم المحاسبة.

ما يقارب من أربعة عقود، وبالتحديد من عام 1973، تجري محاولات جادة من قبل الجمعيات والمنظمات المحاسبية المختلفة المذكورة، والتي تساهم في عملية تطوير النظام المحاسبي، الى توحيد المبادئ والأسس والقواعد المحاسبية المختلفة عليها من قبل هذه الجمعيات. وذلك عبر عقد المؤتمرات الدولية ، وكتابة البحوث والمقالات واثارة المناقشات ، بهدف الوصول الى النظام المحاسبي القياسي العالمي يكون مقبولا من الجميع. ومنذ ذلك الوقت صدر عدد من المعايير الدولية للمحاسبة. وصلت حتى الان الى 41 معيارا محاسبيا، منها على سبيل المثال وليس الحصر ،(المعايير الدولية للافصاح المالي، والمعايير الدولية لمحاسبة القطاع العام، معايير ضرائب الدخل، معايير الأفصاح في البيانات المالية للبنوك والمؤسسات المالية المشابهة، معايير الاستثمارات العقارية، معايير المحاسبة الزراعية، ومعاييرالدولية لرقابة الجودة والتدقيق والمراجعة والخدمات ذات العلاقة، ودليل قواعد السلوك الأخلاقي للمحاسبين المهنيين، والمعيار المحاسبي المصري، وغيرها). ولا تزال عملية اصدار وتطوير هذه المعايير مستمرة، وقد ألغي بعض منها، وتجري على الأخرى ايضا التعديلات المطلوبة. حيث أصدرت اكثر من 30 تفسيرا لتلك المعايير، الا انه مايزال هناك اختلافات كثيرة في المعايير الدولية المتبعة محليا في كثير من بلدان العالم. وذلك بنتيجة اختلاف البيئة الوطنية الأجتماعية والاقتصادية والقانونية ، والجهات التي بحاجة الى هذه المعلومات المالية لاستخدامها في عملية اتخاذ القرارات من قبل، المستخدمين والمالكين، والمستثمرين، وحاملي الاسهم ، والبنوك، والدوائر والمؤسسات الحكومية ، وغيرها من الجهات.

ان اكثر المفاهيم المحاسبية التي هي موضوع الاختلاف بين هذه الجمعيات التي تتبع معايير المحلية،
يمكن اجمالها بالآتي :-
1- المعالجة المحاسبية للموجودات غير الملموسة، والتي تشمل:-
- شهرة المحل:اما اعتبارها من الموجودات(راسملتها)، ومن ثم تخضع للاندثار خلال فترة اقصاها 40 عاما، اوتستهلك مقابل تخصيص الاحتياطي لها ، او معالجتها بالطريقتين معا ، واندثارها في فترة لا تزيد عن5 سنوات .
- الاختراعات ، براءة التسجيل ، الامتيازات وعلامات الفارقة:تعالج الى حد ما بنفس الطريقة السابقة.
- تكاليف البحوث والتطوير والدعاية: اما ان تضاف مباشرة الى حساب الأرباح والخسائر بوصفها نفقات تستخدم لغرض كسب المال ، او عدّها موجودات (نفقات مصروفة مقدما) تخضع للاندتار-الأطفاء خلال 5 سنوات.
2- استخدام طرق مختلفة في تقييم البضاعة او موجودات آخر المدة.
3- استخدام طرق مختلفة في احتساب الاندثار، ويجب الاستقرارعلى اتباع الطريقة الواحدة من دون التغيير.
4- فرق تخفيض او زيادة قيمة الأوراق النقدية ، اما تحويلها الى حساب الأرباح والخسائر، او تعد موجودات تخفض بها قيمة الأوراق.
5- استخدام الكلفة التاريخية في عمل الحسابات الختامية(حساب الأرباح والخسائر ، والميزانية العمومية)
6- معالجة التضخم للحسابات الختامية وتعديلها.
7- طرق معالجة الأخطاء وتسوية الحسابات الختامية.
8- تقيم الاستثمارات بكلفة الأنتاج.
9- شركات التجارية تتبع طريقة محاسبة المشتريات فى تسجيلاتها.
10- الشركات التي تخضع للتدقيق ، هي شركات كبيرة ومتوسطة وبعض الشركات الصغيرة . ان مبدأ تصنيف هذه الشركات يكون على اساس ،الحد الأقصى لمجموع الميزانية العمومية ، الحد الأقصى لحجم المعاملات الاقتصادية( حجم

المبيعات) ، حجم راس المال، متوسط عدد العاملين ،مثلا 25 ،50 ، وغيرذلك.

ان فاعلية تاثير وجود النظام المحاسبي القياسي العالمي، هي خلق الحالة التوافقية بين الشركات العالمية التي تستخدم انظمة محاسبية قياسية محلية مختلفة حول العالم ، والتي يمكن اجمالها كالآتي:-

1- زيادة الفوائد الناجمة من البيانات والمعلومات والتقارير المحاسبية ، بسبب استخراجها على وفق اسس ومعايير القياسية العالمية ووضعها في اطار موحد.

2- يخدم على عملية مقارنة الحالة المالية والنتائج للشركات في البلدان المختلفة.

3- تقليل من مخاطر الاستثمارات الراسمالية في الأسواق العالمية، والناتجة عن اختلاف استخدام النظام المحاسبي والتقاريرالناتجة عنها، بسبب تطبيق القواعد القانونية المحلية.

4- ان توحيد الأسس والطرائق ومفاهيم المحاسبية ، يتطلب توحيد اسس وطرائق العمل وتطوره ، مما يزيد من امكانية تحقيقه، بعكس تعدد الأسس والطرائق المحاسبية الذي يستدعي تعدد طرق العمل وطرق التنفيذ ووسائله، مما يؤدي الى تشتت الجهود وتشعبها وضياع وقت التنفيذ والجهود المبذولة لأجلها ، ويسبب ايضا الى تزايد كلفة تصديق التقارير القانونية التي تتطلبها البلدان المختلفة.

ان وجود معايير دولية في مجال المحاسبي والمالي تغطي حسابات القطاعين العام والخاص، تساعد على تحقيق، مايلي:

1- ضرورة التوحيد والتنسيق والتوافق المحاسبي العالمي.

2- تسهيل عملية قراءة القوائم المالية الموحدة.

3- تخفيض التكاليف.

4- توثيق البيانات المحاسبية في الأسواق العالمية.

5- تسهيل المعاملات الأقتصادية بين المتعاملين دوليا.

6- مواكبة الحداثة وتطورات التكنلوجيا المعلومات والمعرفية في مجال النظام المحاسبي.

وهنا لابد من الاشارة والتاكيد على مسالة مهمة، وهي ان تطوير وتحديث النظام المحاسبي في اي بلد ، يتم عن طريق الدولة والجمعيات المهنية الخاصة بالمحاسبة. ففي الحالة الأولى ، يكون التطور محدودا ومقيدا بالقوانين والتعليمات التي تصدرها الدولة في كيفية تطبيق النظام المحاسبي . اما في الحالة الثانية، فيكون تطوير النظام المحاسبي وتحديثه مستمرا وبلا حدود. وبناء على ذلك نجد ان الواجب يلزم على الجمعيات المهنية الوطنية الخاصة بالمحاسبة في العراق ، ان تعمل على تشجيع سياسة توفيق المعايير الوطنية مع المعايير الدولية من خلال تقارب وازالة الاختلافات بين المعايير الوطنية والدولية تدريجيا. مع امكانية وضع سقف زمني مناسب للانتقال الى التقيد والالتزام بتطبيق المعاير الوطنية المتوافقة مع المعايير الدولية في وحدات القطاعين العام والخاص.

ان الوظيفة الاساسية للنظام المحاسبي كما ذكرنا سابقا هي، قياس الاداء وانتاج البيانات والمعلومات وعرضها على شكل القوائم المالية كمخرجات للنظام المحاسبي، على ان تلبي احتياجات مختلف فئات مستخدمي هذه البيانات المالية من داخل وخارج الوحدة الاقتصادية، من العاملين، والممولين، والمقرضين، والمستثمرين، وحاملي الاسهم، والجهات الضريبية ، وتقاسم الأرباح، والجهات الأحصائية، وعلى مستوى الاقتصاد الكلي في احتساب الدخل القومي ، اعداد جداول التشابك الصناعي، وغيرها، وذلك بهدف اتخاذ القرارت. لذا فانه يجب اتباع قواعد وسياسات محاسبية، والمعرفة المهنية للمعايير المحاسبية والمراجعة والتحليل المالي، والتي تساعد على ان تفصح هذه المعلومات والبيانات على اسس جودة النوعية بدلا من الكمية، وتعبرعن الحقائق والعلأقات الأساسية التي تتعلق بالوحدة الأقتصادية.
وتتضمن الأفصاح المحاسبي ( من دون الدخول في التفاصيل)، في ضوء معايير المحاسبة الدولية، المواضيع التالية:-
1- الأطار النظري والفكري، واسس ومقومات الأفصاح المالي.
2- المعلومات المطلوبة في افصاح عن القوائم المالية.
3- التقيد بمعايير المحاسبة الدولية بالأفصاح عن القوائم المالية.

بالنسبة للنقطة الأولى اعلاه، يعرف الافصاح المحاسبي، بانه اعداد البيانات والمعلومات المحاسبية الضرورية بصورة كاملة وصحيحة وموثوقة غير مضللة وملائمة، معبرة عن صورة واضحة وشفافة عن الوحدة الاقتصادية . وتقديمها الى مستخدميها على شكل القوائم المالية قابلة للفهم، بغرض الاستفادة منها في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية والإدارية. ويعتبر عملية الافصاح ايضا ، على انه اجراء يتم من خلالها اتصال الوحدة الاقتصادية بالعالم الخارجي. وان تساعد هذه القوائم المالية الجهة الخارجية على اتخاذ قراراتها الاقتصادية تجاه الوحدة. على ان تقدم تلك المعلومات والأفصاح عنها باساليب متنوعة وبصفة دورية.وتتضمن هذه القوائم بشكلها التقليدي المتعارف علية في العرف المحاسبي، كالأتي:

1- قائمة الدخل/النتيجة.
2- قائمة المركز المالي والتغيرات الحاصلة عليها.
3- قائمة الأرباح المحتجزة.
4- معلومات اساسية ترفق بالملاحظات.

وبخصوص النقطة الثانية اعلاه، تتضمن مواضيع منها، السياسات المحاسبية المتبعة في اعداد القوائم المالية، تحديد المستخدم للمعلومات، واغراض استخدام المعلومات، والبيانات المقارنة، واساليب وطرق الأفصاح. تحديد نوعية البيانات الواجب ان يتضمنها التقارير المالية ، وهي:-

1- قائمة المركز المالي.
2- قائمة الدخل.
3- قائمة مصادر الأموال واستخداماتها.
4- قائمة التدفق النقدي.
5- قائمة التغيرات في حقوق الملكية.

اما بخصوص النقطة الثالثة، فان المعيار المحاسبة الدولي الأول ، يتضمن موضوعات عرض البيانات المالية، وهي:-

1- عرض البيانات المالية لاغراض العامة وتكون قابلة للمقارنة.
2- يجب التقيد في المعيار عند عرض القوائم والبيانات المالية.
3- ان هذا المعيار ساري على كافة المؤسسات، بما في ذلك البنوك وشركات التامين.
4- يتولى مجلس الإدارة في الوحدة الاقتصادية مسؤولية مهمة اعداد وتقيم البيانات والقوائم المالية.

5- تقدم البيانات المالية عند عرضها معلومات عن:-
- ممتلكات الوحدة الاقتصادية.
- التزامات الوحدة الاقتصادية تجاه العاملين وغيرهم.
- ايرادات واعباء الوحدة الاقتصادية، بما فيها الأرباح والخسائر.
- التدفقات النقدية.

ونعرض هنا بعض المعايير المحاسبية الدولية عن الافصاح المحاسبي على سبيل المثال، وليس الحصر، ومنها :-

1- يتطلب معيار المحاسبة الدولي الاول، ان تعرض الوحدة الاقتصادية الموجودات المتداولة وغير المتداولة، والمطلوبات المتداولة وغير متداولة، مصنفة كمجموعات مستقلة في صلب الميزانية العمومية.

تحليل المصروفات والإيرادات قي صلب قائمة الدخل او في الأيضاحات.

2- يتطرق المعيار المحاسبي الدولي الثاني عن الموضوعات تخص المخزون السلعي: تعريف والمصطلحات، والمعالجة المحاسبية للمخزون، كتقيم المخزون تتماشى مع الاقتصاد التضخمي (بضاعة تامة الصنع، بضاعة تحت التشغيل، المواد واللوازم الانتاج، وتكلفة الخدمة)، تكلفة المخزون، قياس المخزون ، والطرق المستخدمة في القياس، وغيرها من المواضيع التي تتعلق بالمخزون السلعي والخدمي، وبمحاسبة التكاليف.

3- كما يتطلب معيار المحاسبى الدولي السابع، ان تقدم الوحدة الاقتصادية، بالتقرير عن التدفقات النقدية من الأنشطة المختلفة، التشغيلية والاستثمارية والتمويلية . ويفضل استخدام الطريقة المباشرة في العرض.

المحور الخامس: <u>الخلاصة والمقترحات</u>

في ظل تنامي عولمة الاقتصاد ،وانفتاح البورصات واسواق المال عالميا، يتبنى اليوم معايير المحاسبة الدولية بشكل متزايد على مستوى عديد من دول العالم. وتلتزم اليوم بتطبيق هذه المعايير من قبل 107 دول، من ضمنها الدول المتقدمة. وتتبنى ثمانية دول عربية منها، (السعودية، البحرين، مصر، الكويت، لبنان، عمان،

قطر ، الأمارات العربية المتحدة) تطبيق تلك المعايير، وخاصة في وحدات القطاع الخاص، بحيث يتفاعل تطبيق هذه المعايير مع البنية الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية. وهذا الالتزام ليس خيارا ، بل الزاما لكل بلد ينوي الانتقال المباشر الى مراحل التقدم والتطور العالمي المشهود، يضاف اليها امكانيات حل مشكلات جوهرية تطفو بوضوح في هذا البلد اوذاك ، كما تبرز حالة الفساد التي تحتاج لمعالجة محاسبية دقيقة ومنظمة بموضوعية في سياق محدد.

المبادرة في تشكيل الهيأة الوطنية لمعايير المحاسبة في العراق. تاخذ على عاتقها مهمة العمل والتنسيق مع لجنة معايير المحاسبة الدولية السابقة التي استبدلت حاليا [مجلس معايير المحاسبة الدولية] . والاستفادة من خبراتها العلمية والمهنية والعملية في مجال توحيد المفاهيم والمبادئ والقواعد والقوانين واعداد الحسابات الختامية والتقارير المالية ، وذلك بهدف تحقيق المهمات الاتية:-

1- اصلاح النظام المحاسبي في العراق ، بحيث يرتقي الى مستوى القياسي العالمي ، مما يعود ذلك بفوائد كبيرة على توثيق المعاملات التجارية الداخلية للشركات الوطنية والاجنبية او الشركات العالمية المشتركة.

2- تحديد الاختلافات فيما بين المعايير الوطنية الحالية والمعايير الدولية. وتعديل هذه الاختلافات للتوافق مع المعايير الدولية ، وبما تتلائم مع البيئة الوطنية.

3- الزام الوحدات الاقتصادية بتطبيق المعايير الوطنية المتوافقة مع معايير المحاسبة الدولية.

4- هناك تجارب الدول المطبقة لمعايير المحاسبة الدولية في القطاعات الاقتصادية المختلفة. يمكن الاستفادة منها وتطبيقها في الاقتصاد العراقي ، وخاصة القطاع العام . وذلك للمحافظة على المال العام من الهدر والضياع والسرقة والفساد .

5- النهوض بالمهام الرقابية بكل حيادية وموضوعية وشفافية وكفاءة مهنية عالية. ومواكبة التطورات المتسارعة في حقول الرقابة المالية ورقابة الاداء.

6- التركيز على الرقابة الوقائية وقبل الوقوع في الاخطاء. وبالنتيجة ايضا تقديم المشورة المحاسبية المالية للجهات الخاصة

للرقابة ، ليستفيد من موضوعاتها المالية المتخصصة ،العاملين في مختلف الدوائر والمؤسسات والوحدات الحكومية. وخاصة في الوقت الذي ما زال العالم يعاني من الأزمة المالية والاقتصادية واثارها.

7- الاستفادة من التقنيات والأساليب الحديثة في إنجاز الاعمال بمزيد من الفاعلية والجودة.

8- اصدار معيار وطني متوافق مع كل اصدار جديد للمعايير الدولية، وينسجم مع الأوضاع السياسية والاقتصادية للدولة.

9- ضرورة تاكيد على تدريس مادة المعايير المحاسبية الدولية في كليات الاقتصاد وادارة الأعمال. وكتابة البحوث والدراسات من قبل الأكاديميين والمعنيين بشؤون تطوير النظام المحاسبي في العراق . بحيث ان تكون هذه البحوث مرشدا لاستراتيجية الجمعيات المهنية الوطنية والجهات الحكومية الخاصة بتطوير واقع مهنة المحاسبة ومقومات المهنية ، ومنها معايير المحاسبة الدولية والمراجعة على المستوين النظري والتطبيقي .

10- ان معايير المحاسبة الدولية في القطاع العام تغطي الحسابات للوزارات والدوائر والمؤسسات الحكومية والشركات التابعة للدولة، كما تغطي احتساب العجز في الموازنة مشيراً الى ان اهم مشكلتين في اية دولة هما العجز في الموازنة العامة والدين العام.

ومن أجل ترجمة هذه المهمات الى حيز التطبيق، لابد ان تبادر وزارة المالية الجهة المسؤولة المباشرة عن شؤون الإدارة المالية في العراق،و\أو تبادر كلية الادارة والاقتصاد في الجامعة المستنصرية الموقرة، بالاشتراك مع كلية إدارة الأعمال بجامعة ابن رشد في هولندا، وأية جهات أخرى ذات الاختصاصات وتتبنى هذا المشروع، إلى عقد مؤتمر او ندوة علمية ومهنية لتعريف ولتوضيح أهمية تبني وتطبيق معايير المحاسبة الدولية في القطاع الاقتصادي العراقي. ومواكبة التطورات الدولية في مجال الرقابة والجودة والتدقيق والمراجعة المالية، وقواعد السلوك الأخلاقي للمحاسبين المهنيين، الصادرتين من الاتحاد الدولي للمحاسبين، والمترجمتين الى اللغة العربية عن المجمع العربي للمحاسبين القانونيين في اصداراته لسنة 2010، وبالتعاون مع اتحاد المحاسبين والمدققين العراقيين، وكليات الادارة والاقتصاد في الجامعات العراقية، ومراكز البحوث ،

وهيأتي الرقابة المالية والنزاهة، ومكاتب المحاسبين القانونيين، والبنك المركزي العراقي، ومراكز الاستشارات والتطوير الاداري، والخبراء والاختصاصيين في مجال النظام المحاسبي، والمجمع العربي للمحاسبين القانونيين، والبلدان العربية المطبقة فيها هذه المعايير. وذلك لتباحث ومناقشة هذا الموضوع الحيوي والمهم للاقتصاد العراقي. وبرؤية واضحة نحو التمييز الرقابي المهني المستدام لتعزيز المساءلة العامة، وتوطيد مفاهيم الإفصاح والشفافية. ومساعدة القطاع العام والخاص للعمل بكفاءة وفاعلية وبرسالة مباشرة للمساهمة في تحسين إستخدام وإدارة الموارد العامة للدولة. والمحافظة على المال العام من الهدر والضياع ، والحرص على سلامة الاقتصاد الوطني من خلال رقابة شاملة ومستقلة على المال العام.

على ان تنبثق من هذه الندوة ورش متخصصة لتقديم رؤية علمية وقانونية ومهنية وموضوعية واضحة بهذا الخصوص. والخروج بالقرارات والتوصيات الرشيدة من الندوة ، ومتابعة تنفيذها ضمن سقف زمني محدد ، ورفعها الى الجهات التشريعية والتنفيذية للبث فيها واصدار الأليات والمتسلزمات اللازمة لتنفيذها في المدى المنظور.

**<u>المصادر باللغة العربية:</u>**


1. **_الشجاعي، محمود محمود، النظام المحاسبي الموحد في ضوء المعايير المحاسبية ، المكتبة العصرية، المنصورة 2006 .**
2. **العشري فؤاد، حافظ عبد اللطيف، موريس واسيلى، النظرية والتطبيق في النظام المحاسبي الموحد،الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي ، القاهرة 1976 .**
3. **حجازي، وجدي حامد، تحليل القوائم المالية في ظل المعايير المحاسبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2011.**
4. **سلوم، حسن عبد الكريم ، بتول محمد نوري، دور المعايير المحاسبية الدولية في الحد من الازمة المالية العالمية، دراسة مقدمة الى المؤتمر العلمي الدولي السابع، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية ، جامعة الزرقاء، الاردن.**

5. شريف توفيق، حسن علي محمد سويلم، استراتيجيات توفيق المعاير الوطنية والعربية لتتوافق مع عولمة المعايير الدولية للمحاسبة، الزقازيق ، مصر 2004 .
6. قدوري، صباح، تحديث محاسبة التكاليف في وحدات الصناعي الحكومي العراق، رسالة، دكتوراه غير منشورة، باللغة البولندية، جامعة لودز، بولندا 1985 .
7. قدوري، صباح، تطور النظام المحاسبي في العراق، بحث منشور في العدد الاول من الدورية العلمية المحكمة، جامعة ابن رشد/ هولندا، كانون الاول/ديسمبر 2010 .
8. قدوري، صباح ؛ تحديث محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد للوحدات الصناعية العراقية، بحث منشور في العدد الثاني من الدورية العلمية المحكمة، جامعة ابن رشد/هولندا، نيسان/ ابريل 2011 .
9. هلال، وليام اي. (و) كينيث ب. تايلور، ترجمة: د. عبدالوهاب حميد رشيد (و) د. حسن عبدالله بدر، اقتصاد القرن الحادي والعشرين الآفاق الاقتصادية- الاجتماعية لعالم متغير، ISBN 978-91-633-2084-2
10. هيني فان جريوننج، معايير التقارير المالية الدولية: دليل التطبيق ، ترجمة طارق حماد ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة 2006 .

تقارير المنظمات الدولية والأكاديمية المعتمدة علميا:

1. الاتحاد الدولي للمحاسبين، إصدارات المعايير الدولية لرقابة الجودة والتدقيق والمراجعة وعمليات التاكد الاخرى والخدمات ذات العلاقة ، الجزء الاول ، طبعة عام 2010 ، باللغة العربية.
2. الاتحاد الدولي للمحاسبين، إصدارات المعايير الدولية لرقابة الجودة والتدقيق والمراجعة وعمليات التاكد الاخرى والخدمات ذات العلاقة، الجزء الثاني ، طبعة عام 2010 ، باللغة العربية.
3. الاتحاد الدولي للمحاسبين، دليل قواعد السلوك الاخلاقي للمحاسبين المهنيين، طبعة عام 2010 ، باللغة العربية.
4. تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام 2011 .
5. تقرير برنامج الامم المتحدة الانمائي في العراق لعام 2011 .وتقرير تحديات التنمية في الدول العربية2011 ، برنامج الامم المتحدة الانمائي ، المركز الاقليمي للدول العربية بالقاهرة.
6. لجنة المعايير المحاسبية الدولية، معايير المحاسبة الدولية الصادرة.
7. هيأة المحاسبة والمراجعة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، صناعة معايير المحاسبة الدولية التطور ودور المجالس والهيئات الوطنية والدولية، مركز الدراسات والمعلومات، ، مارس 2005 .وادناه موقعها الألكتروني.

www.gccaao.org

**المصادر باللغة الانكليزية:**

**1- Intermediate Accounting Comprehensive, Volume Fifth addition, Simons U.S.A**

**2- International Accounting Summaries, A guide for interpretation and Comparison, Coopers & Lybrand (International) 1991 John Wiley & Sons , INC.**

**3- IASC, International Accounting Standard , Presentation of Financial Statements, August London, 1997.**

**4- Luca Pacioli ,"Tractatus X1,de Computis et Scripturis, Summa de Arithmetica,Geometria,Proportioni et Proportionalita",SKwP, Warszawa 2007.**

**كتاب مترجم عن الايطالية من جمعية المحاسبين في بولندا، بمناسبة الذكرى المئوية لتاسيس الجمعية، (1907- 2007)، باللغة البولندية.**

**الروابط الألكترونية:**

**1- [http://www.averroesuniversity.org/pages/JOURNALofAVERROESUNIVERSITY01.pdf](http://www.averroesuniversity.org/pages/JOURNALofAVERROESUNIVERSITY01.pdf)**

**2- [http://www.averroesuniversity.org/pages/JOURNALofAVERROESUNIVERSITY02.pdf](http://www.averroesuniversity.org/pages/JOURNALofAVERROESUNIVERSITY02.pdf)**

# التلوث البيئي وأثره على البيئة السياحية في مدينة إب

**الدكتور  محمد حسن النقاش**
رئيس قسم السياحة وإدارة الفنادق
كلية التجارة والعلوم الإدارية ــ جامعة إب اليمن

**مستخلص**

**( التلوث البيئي وأثرة على البيئة السياحية في مدينة إب )**

مدينة إب أحدى محافظات الجمهورية اليمنية اشتهرت باسم( محافظة اللواء الأخضر ) ، تتمتع مدينة إب بخصوصيات جمال بيئتها المهيئة للاستخدامات السياحية ، وعلى وجه الخصوص السياحة البيئية ، كما أن مقومات الجذب السياحي الثقافية والتاريخية والطبيعية تجعلها من أفضل المناطق في اليمن للاستثمار السياحي ، إلا أن البيئة السياحية في مدينة إب تواجه اليوم مشكلة التلوث والذي أخذ يؤثر سلباً على البيئة السياحية باستنزاف الموارد الطبيعية والغير طبيعية ويجعلها غير صالحة للاستثمار السياحي وذلك مما يؤدي إلى ضياع فرص الاستثمار في هذه المدينة ، لآن التلوث ومصادره في مدينة إب إذا ترك لحاله يتعاظم التلوث بشكل كبير سوف تخسر المدينة جزء تنموي في مجال التنمية السياحية وبتالي يؤثر ذلك سلباً ، على اقتصاديات المدينة ، وفي ضوء ذلك جاء البحث ليتعرف على مصادر التلوث وأسبابه ومن المسوؤل عنه لغرض الوصول إلى معالجات تلبي حاجات الجيل الحالي وجيل المستقبل بخلق بيئة سياحية صحية ونظيفة وسليمة ومتعافية من الأمراض تسهم في زيادة الاستثمار السياحي وزيادة الطلب السياحي والمرتبط أساسا بمدى ملائمة البيئة للأغراض السياحية من حيث نظافتها وسلامتها وخلوها من الأمراض التي تستنزف قدراتها وإمكانياتها السياحية في إشباع رغبات وحاجات السكان والسياح ، وفي ضوء الاستنتاجات توصل الباحث إلى جملة مقترحات وآليات لغرض معالجة تلوث البيئة في مدينة إب وإيقاف الهدر البيئي وتمكين البيئة بمدينة إب من إعادة توازنها لتأمين متطلبات حاجات ورغبات السياح المحليين والدوليين أنياً ومستقبلاً .

**Abstract**

Pollution And Its Impacts on The Tourist Environment In Ibb City

Ibb , one of Yemen's governorates, is called" the Green province" as it is distinguished with beauty characteristics of its environment which is ready for tourist uses/attractions; the environmental tourism in particular. Besides, the factors of tourist, cultural, historical and natural attractions make Ibb city one of the best regions for tourist investment in Yemen. However, nowadays the tourist environment in Ibb has confronted pollution's problem which negatively affects on the tourist investment through depleting the natural and unnatural resources and making it useless for tourist investment. Consequently, that makes the investment's opportunities lost in this city. Moreover, Since the pollution and its sources in Ibb city is not taken into account, it will be escalated/increased badly and then the city must lose a vital part in the tourist development. Thus , this will affect negatively on the economic resources of the city.

On the other hand, according the what is mentioned beforehand, the research identifies with the pollution's sources and its reasons/causes together with the responsible for it so far to tackle the problem and find such solutions for satisfying the present and the upcoming generations through providing such tourist, healthy and clean environment which is devoid of diseases. As a result, this would promote the tourist investment increasingly and elevate up the tourist demand which is basically related to the environment's convenience for tourist purposes through its cleanliness, safety and devoiding of diseases which actually depleting its capabilities ad tourist potentialities in order to meet the population and tourist's' needs and desires.

Similarly, on the basis of the conclusions, the researcher has reached to such suggestions and mechanism so far to tackle with the pollution of environment in Ibb city and discontinue the environmental waste and reviving the environmental equilibrium in Ibb city in order to ensure the needs and the requirements of the local and international tourists sooner and later.

**المقدمة**

لقد استأثر موضوع البيئة السياحية والمحافظة عليها من التلوث اهتمام الباحثين على فائض الاستخدامات الصناعية والبشرية المختلفة والتي تعتبر المسئول المباشر بإلحاق الأضرار المختلفة للبيئة السياحية سواء منها الهواء الذي يتنفسه الإنسان ، و التربة التي يعيش عليها أو المياه التي تشكل 75% من مساحة الكرة الأرضية ، وبالإضافة إلى الأضرار البشرية للبيئة السياحية فهناك الأضرار الطبيعية والتي تتمثل بظاهرة الجفاف والعواصف الرملية والترابية والإشعاعات الشمسية الطويلة المدى وما يصاحبها من جفاف التربة والأضرار الزراعية ، وتعتبر مسببات التلوث البشري اخطر أنواع التلوث البيئي في البيئة السياحية مقارنة بالملوثات الطبيعية سيما وأن فضلات المعامل والمحلات التجارية والدور السكنية أو المزارع المتمثلة بالغازات والإشعاعات وما تحمله من مواد كيميائية وعضوية آخذة بالزيادة يوم بعد يوم ، وفي ضوء ذلك ستتناول الدراسة أهم مصادر التلوث في مدينة إب ومدى تأثير ذلك على البيئة السياحية آنياً ومستقبلاً ، ومن الطبيعي أن تلوث البيئة السياحية في مدينة إب لا يخدم توجهات الدولة بان تكون محافظة إب محافظة سياحية وبالتالي العاصمة السياحية للجمهورية اليمنية ، بعد أن تتوافر فيها إمكانيات استثمارية تنموية في مجال الخدمات السياحية والبنية التحتية والتي هي أساس قيام المشاريع السياحية ، وكل ذلك مرتبط أساسا بمدى ملائمة البيئة للأغراض السياحية من حيث نظافتها وسلامتها وخلوها من الأمراض التي تستنزف قدراتها وإمكانياتها السياحية في إشباع رغبات وحاجات السكان والسياح .

إن الاستثمار في إب يعتمد أساس حرية النشاط الاقتصادي والسوق الحرة المتبع في اليمن ويستفيد من مزايا قانون الاستثمار اليمني ومغرياته التي تساوي بين الاستثمار اليمني والأجنبي ، وتقدم كافة الإعفاءات والتسهيلات المحددة في القانون ، تشكل السياحة في إب عنصر الاستثمار الأول باعتبارها صناعة قائمة بحد ذاتها وعنصراً حيوياً للتنمية الشاملة ورافداً

متميزاً للاقتصاد المحلي والقومي يكتسب أهميته الكبرى في محافظة غنية بالخصوصيات والجمال وإب بكل ما فيها من تنوع يشجع السياحة الدولية والمحلية لا مثيل لها في اليمن ، وتحقق لمستثمريها فرصا واعده ومستقبلاً مبشراً كما أن مقومات الجذب السياحي الثقافية والتاريخية والطبيعية تجعلها من أفضل المناطق للاستثمار ، وفي ضوء ذلك جاءت الدراسة لغرض معالجة التلوث البيئي في مدينة إب والذي بقاءه يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على تلوث البيئة السياحية في المدينة ومما يؤدي ذلك إلى ضياع فرص الاستثمار السياحي في هذه المدينة ، لأن التلوث ومصادره في مدينة إب يساهم في استنزاف البيئة السياحية فيما إذا ترك لحاله وبالتالي نخسر جزء تنموي مهم في مجال التنمية الاقتصادية ، فيتطلب العمل على خلق بيئة سياحية صحية ونظيفة وسليمة ومتعافية من الأمراض تسهم في زيادة الاستثمار ومن ثم زيادة الطلب السياحي وبذلك يزداد الدخل السياحي الذي يسهم في زيادة الدخل القومي وهذا ما تعمل عليه الدول المتقدمة في مجال التنمية السياحية .

**منهجية البحث :**

**اولاً : مشكلة البحث** :

1. أصبح التلوث البيئي من اخطر التحديات التي تواجه التنمية السياحية المستدامة في مدينة إب .
2. ضعف الوعي البيئي السياحي لدى سكان المدينة .
3. ضعف التخطيط البيئي والسياحي لدى الجهات المسئولة عن البيئة السياحية
4. ضعف تطبيق القوانين والتشريعات البيئية والسياحية والرقابة والتفتيش في المدينة .

**ثانيا : أسباب اختيار موضوع البحث:**

1. تتمتع مدينة إب بموقع مرموق وهيغنية بمقومات ومغريات الجذب السياحي على مستوى الجمهورية اليمنية ، والأمر الذي يحتاج إلى مزيد من الاهتمام حتى تستطيع إب أن تقدم منتجاً سياحياً فريداً من نوعه.
2. الحاجة إلى فهم ورصد ظاهرة التلوث البيئي في علاقته بمجال تأثيرها على البيئة السياحية في المدينة .

**ثالثاً : أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى ما يأتي :

1. التعرف على مصادر التلوث في البيئة السياحية في المدينة .
2. فهم ورصد ظاهرة التلوث البيئي ومدى علاقتها بمجال التنمية السياحية .
3. إيجاد آليات للمؤسسات السياحية والبيئية والجهات الأخرى المعنية والمهتمة بهذا المجال لتقليل درجات التلوث البيئي وتدعيم المناطق السياحية من ناحية ، ولتحقيق نقلة نوعية للخدمات السياحية لتحقيق أعلى مستوى من مستويات الجذب السياحي في مدينة إب .

**رابعاً : فرضيات البحث :**

1. الفرضية الرئيسية : أن التلوث البيئي يؤثر سلباً على البيئة السياحية ويساهم في عملية استنزاف الموارد الطبيعية والغير طبيعية ويجعلها غير صالحة للاستثمار أو القيام بالمشاريع السياحية والأنشطة والفعاليات السياحية .

وتتفرع من هذه الفرضية فرضيات فرعية هي :

أ - هناك معوقات وصعوبات تواجه السياحة في مدينة إب بسبب التلوث .

ب - ضعف دور الجهات ذات العلاقة بالبيئة السياحية في معالجة هذه المشكلة .

ت - ضعف الوعي السياحي والبيئي لدى أفراد مجتمع مدينة إب .

**خامساً : أسلوب البحث :**

لتحقيق أهداف البحث من حيث الشكل والمضمون فقد تطلب استخدام عدد من وسائل البحث والتحليل تمثلت في :

1. الدراسات المكتبية التي زودت الباحث بالمفاهيم والأفكار والحقائق اللازمة فيما يخص الأدبيات المختلفة عن التلوث البيئي .
2. الدراسة الميدانية وكانت تمثل الركن الأهم والجديد في البحث .
3. استخدمت في الدراسة مستلزمات إجراء عملية استبيان لعينة عشوائية من داخل مدينة إب تتكون من (250) شخصاً ، وبلغ عدد

الاستمارات المستردة (237) استمارة . لغرض معرفة اثر التلوث البيئي على البيئة السياحية في مدينة إب ، ورأي الأفراد بما تقدمه المؤسسات ذات العلاقة بالبيئة والسياحة ، وقد تم استخدام التكرارات والنسب المئوية بالإضافة إلى المتوسط الحسابي في عرض وتحليل البيانات .

وفي ضوء ذلك تم تقسيم البحث وفق طبيعة الدراسة و أهدافها إلى :

- المبحث الأول : الإطار ألمفاهيمي للبحث .
- المبحث الثاني : مصادر التلوث البيئي في مدينة إب .
- المبحث الثالث : تحليل إجابات أفراد العينة .
- المبحث الرابع : الاستنتاجات والتوصيات .

## المبحث الأول : الإطار ألمفاهيمي :

### أولاً : البيئة :

يتعذر أحيانا وضع تعريف للفظ شائع الاستخدام يفهمه كل فرد في حدود استخدامه المباشر له . وكذلك هي البيئة ، فمن الصعوبة إعطاء تعريف محدد لها لان تعريفها يرتبط بكيفية العلاقة بينها وبين متداولها وبالمجالات التي تستخدم فيها ، فرحم الأم يعد بيئة الإنسان قبل ولادته يستمد منه مقومات نموه جنيناً ، ويتأثر بالبيئة الخارجية عن طريق تأثيرات أمه ، وبعد الولادة يعد البيت بيئته والمدرسة بيئته والمدينة بيئته والقطر بيئته والكرة الأرضية بيئته بل حتى الكون كله يعد بيئة له . وتتسع البيئة مع نمو الإنسان واتساع خبراته وتشعب متطلباته ، فتتشعب وتصنف معها البيئة إلى بيئات متعددة كالبيئة الصحية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية والبيئة الصناعية والبيئة الزراعية والبيئة الروحية والبيئة السياسية . وهكذا ... ومن هنا يتضح أن وضع تعريف شامل للبيئة يستوعب مجالات استخدامها المختلفة لا يتيسر بسهولة ويتطلب أن نلم بإطار كل هذه المجالات [1] . وعليه سوف نعرج على بعض تعاريفها وفيما له صلة بموضوع بحثنا . فقد أقرت منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة عام 1967تعريف الأستاذ النرويجي (س.ويك) لبيئة الإنسان على أنها (ذلك الجزء من العالم الذي يؤثر فيه ويتكيف له ) [2] .
أما G.G. MARTIN فقد عرف البيئة في بحثه الموسوم ( التنمية ومشاكل التلوث في العراق ) بأنها هي ( كل العالم المحيط بنا ، الهواء الذي نتنفسه ، الماء الذي نشربه ، الغذاء الذي نأكله ، الأرض التي نمشي عليها ، وكل الأشياء الحياتية الأخرى [3] . كما عرفت البيئة بأنها (ما يحيط بالإنسان من

تأثيرات فيزيائية وكيميائية وإحيائية ، بالإضافة إلى التأثيرات الاجتماعية التي لها تأثير واضح في صحة الإنسان والنشاط الاجتماعي له)[4] .
وقد أعطى مؤتمر ستوكهولم للبيئة في 5 حزيران عام 1972 مدلولاً و فهماً شاملاً للبيئة بحيث أصبحت تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية كالماء والغذاء والتربة والمعادن والنباتات والحيوانات ومصادر الطاقة بل عدت رصيد المواد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان ومتطلباته . وبعبارة موجزة وكما جاء في إعلان مؤتمر ستوكهولم ( أن البيئة هي كل شيء يحيط بالإنسان ) [5] . ويقصد بالبيئة بمفهومها العام ( الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان يتأثر به ويؤثر فيه ، بكل ما يضمه هذا المجال المكاني من عناصر ومعطيات سواء كانت من خلق الله سبحانه وتعالى كالصخور وما تضمه من معادن ومصادر وقود و التربة والتضاريس وموارد المياه وعناصر المناخ من حرارة وضغط ورياح وأمطار ، إضافة إلى النبات الطبيعي والحيوانات البرية أو المعطيات من صنع الإنسان من عمران وطرق ووسائل نقل واتصال ومزارع ومصانع وسدود وغيرها [6] .ومن خلال هذا المفهوم العام والشامل للبيئة يمكن أن نميز بين نوعين منها هما [7] :

1 - البيئة الطبيعية :
ويقصد بها كل ما يحيط بالإنسان من عناصر أو معطيات حية وغير حية ، وليس للإنسان أي دخل في وجودها كالماء والهواء والتربة والمعادن ومصادر الطاقة والنباتات والحيوانات ، وهذه جميعها تمثل الموارد التي أتاحها الله للإنسان كي يحصل منه على مقومات حياته ـ غذاء وكساء ودواء ومأوى ـ وهي عناصر أو معطيات وان كانت تبدو في ظاهرها منفصلة عن بعضها البعض إلا أنها ليست كذلك في واقعها الوظيفي ، إذ تعمل عناصر البيئة الطبيعية على وفق حركة ذاتية من ناحية وحركة توافقية مع بعضها البعض من ناحية أخرى على وفق نظام معين غاية في الدقة والانسجام يطلق عليه النظام الايكولوجي الطبيعي .
2 - البيئة الاجتماعية أو البيئة المشيدة :

وتتكون من البنية الأساسية المدنية التي شيدها الإنسان ومن النظم الاجتماعية والمؤسسات التي أقامها . وبعبارة أخرى هي كل ما أضاف الإنسان من عناصر أو معطيات بيئية تمثل نتاج تفاعله واستغلاله لموارد بيئته الطبيعية .
ومن ثم يمكن النظر إلى البيئة الاجتماعية أو المشيدة على أنها الطريقة التي نظمت بها المجتمعات البشرية حياتها والتي غيرت البيئة الطبيعية لخدمة الحاجات البشرية ، وتشمل العناصر المشيدة أو المبنية للبيئة العمران وطرق

النقل والمواصلات والمزارع والمصانع والمراكز التجارية والمستشفيات والمدارس والمعاهد والجامعات والموانى وغيرها من الأنشطة البشرية المختلفة.

ومن هنا يطلق على النظم الايكولوجية نظم إعالة الحياة ، ويصبح العمل على استمرارها بصورة متوازنة غير مختلة ضرورياً لإدامة الحياة واستمرارها . وهنا من الضروري الإشارة إلى أن مشكلة اختلال التوازن الايكولوجي في البيئة الطبيعية ليست مستقلة عن مشكلة التلوث البيئي بل هي بالتأكيد ناتج من نواتج تلك المشكلة .

**ثانياً : الصحة والبيئة :**

تعرف الصحة العامة public helth بأنها ( علم وفن حفظ الحياة ) وعرفت بعبارة أوجز بأنها (علم الحياة ) . وقد وضعت منظمة الصحة العالمية (W . H. O) تعريفاً عاماً لها وهو (أن الصحة ليست مجرد حالة عدم وجود مرض أو عاهة ، بل هي الكمال الجسمي والعقلي والرفاه الاجتماعي والاقتصادي وحتى الاستقرار السياسي ) [8] وجاء تعريف العالم ونسلو winslow للصحة العامة بما يفسر لنا هذا العالم تفسيراً وافياً وشاملاً ويزيل أكثر الغموض عنه ، إذ عرف الصحة العامة ( بأنها علم وفن منع المرض وإطالة الحياة وتنمية الصحة وكفاءتها من جميع الوجوه بواسطة جهود منسقة ومنظمة من قبل المجتمع ومنظماته واتحاداته ومؤسساته وذلك من خلال توفير البيئة الصحية والسيطرة على الأمراض الانتقالية المعدية وتثقيف الفرد صحياً وتنظيم وتوفير الخدمات الطبية والتمريضية للمجتمع مع تشخيص مبكر للأمراض وتوفير العلاج وتطوير الحياة الاجتماعية لتأمين العيش المطلوب لكل فرد وتأمين الصحة له على الدوام وإطالة عمره ) [9] .

وقد أصبح من الأمور البديهية أن للبيئة التي يعيش فيها الإنسان العائل أثرا كبيراً في تقرير مستوى صحته ، أي إصابته بالمرض أو سلامته منه . إذ تعتمد صحة الإنسان في نهاية المطاف على قدرة المجتمع على تنظيم التأثير بين أنشطة الإنسان والبيئة الطبيعية والحيوية بطرق تحمي الصحة وتدعمها ، ولكن من دون أن تهدد تكامل النظم الطبيعية التي تعتمد عليها البيئة الطبيعية والحيوية ، ويتضمن هذا صيانة استقرار المناخ والتوافر المستمر للموارد البيئية ( من تربة وماء عذب وهواء نقي ) . كما يتضمن أيضاً استمرار في أداء النظم الطبيعية التي تتلقى المخلفات الناتجة من المجتمعات البشرية منزلية وصناعية وزراعية ، من دون أن تعرض الناس للعوامل الممرضة وللمواد السمية . وللبيئة الطبيعية تأثير رئيس في صحة الإنسان من خلال درجة الحرارة والرطوبة والإشعاع ونوع التربة وتركيبها

الكيماوي وتركيب الهواء والماء وكذلك من خلال تفاعلها مع نمط توزيع نباتات وحيوانات الإقليم . وللبيئة الحيوية تأثير أساسي في الإمداد بالغذاء وفي آليات تكوين مستودعات الأمراض وآليات انتقالها (10) .
وتتضمن العوامل البيئية المؤثرة في الصحة ما يلي (11):

- العوامل المرضية ونواقلها ومستودعاتها ، كالبكتيريا والفيروسات والفطريات والاميبا والديدان . وما تسببه من أمراض .
- العوامل الفيزياوية والكيماوية الموجودة في البيئة بصورة مستقلة عن الأنشطة البشرية والقادرة على التأثير في الصحة كالنيوكليدات المشعة التي تحدث طبيعياً والأشعة فوق البنفسجية .
- عوامل فيزيائية وكيميائية ضارة تضيفها الأنشطة البشرية إلى البيئة كاكاسيد النتروجين مثلاً والمركبات الهيدروكاربونية و ذرات الهباب الناتجة عن احتراق الوقود الاحفوري والمخلفات الغازية والسائلة والصلبة التي تخلفه الصناعة والمخلفات المشعة .

وتعد الأوضاع المتردية للبيئة سبباً رئيساً في انتشار الأمراض المختلفة ، ففي البلدان النامية مثلاً تنتشر الأمراض المعدية والطفيلية كالكوليرا والملا ريا والبلهارسيا ، وأمراض سوء التغذية . حيث يعيش مليارات من البشر الذين ما زالوا يفتقرون إلى الضروريات الأساسية مثل المأوى الملائم وسبل الحصول على إمدادات المياه النظيفة والمرافق الصحية ومرافق التخلص من النفايات وغيرها ، وان تدهور الأوضاع البيئية التي يعيشون في ظلها يضاعف من انتشار العوامل المعدية وتكاثر ناقلات الأمراض ويزيد من خطر الإصابة بها (12) .
ويعد السرطان والعيوب الخلقية من الأخطار البالغة على الصحة والتي تنتج من التعرض للمواد الكيماوية السامة والإشعاع . وهو من العوامل الرئيسية للإصابة ويتوقف تأثير التعرض لملوث كيماوي على طول مدة التعرض وشدته ونوع المادة الكيماوية. ومما تجدر الإشارة إلية أن هنالك اتفاقاً عاماً الآن على أن حوالي 85% تقريباً من جميع حالات السرطان تنتج من عوامل بيئية مثل الإشعاع المؤين والمواد الكيماوية المسببة للسرطان في الهواء والماء والدخان والكحول والغذاء وبعض العقاقير (13) . وان دور الإشعاع المؤين المحرض لسرطانات من أنواع مختلفة هو دور ثابت ومؤكد (14) .
وتشير الإحصاءات إلى أن 60%ــ90% من إصابات السرطانات في الولايات المتحدة هي نتيجة المواد الكيماوية وتلوث البيئة (15) . وان التعرض للمعادن الثقيلة مثل الزئبق أو الرصاص قد يؤدي للإصابة بأورام الدماغ ،

وان التعرض إلى جرعات صغيرة من الرصاص في مدة الطفولة يؤدي إلى العجز في وظيفة الجهاز المركزي العصبي على المدى البعيد [16] .

**ثالثاً : التلوث :**

يعد التلوث من المشاكل الكبيرة التي يواجهها الإنسان المعاصر ، لا بل وأخطرها ، وهي بحاجة إلى تضافر الجهود كافة لمعالجتها والحد منها . ومما يزيد المشكلة تعقيداً إن للإنسان نفسه الدور الواضح في زيادة خطورته من خلال نشاطاته المختلفة التي أصبحت تهدد الحياة البشرية ، فضلاً عن تأثيرها في الكائنات الحية الأخرى مما يحدث تغييراً في التوازن الطبيعي للبيئة ومكوناتها المختلفة الحية منها وغير الحية . والعلماء وان اختلفت وجهات نظرهم وآرائهم في إيجاد تعريف عام وشامل للتلوث حيث تضمنت أغلب التعاريف على مفاهيم معينة . إلا أنهم يتفقون على تعريف تلوث البيئة بأنه يشمل الإخلال بالتوازن الطبيعي لمكونات البيئة الذي يؤثر في حياة الكائنات الحية [17].

وسوف نستعرض بعضاً من هذه التعاريف لنخلص بالفكرة الرئيسة للتلوث . فقد عرف التلوث بأنه التغير الحاصل في الخواص الفيزيائية والكيماوية والبيولوجية للهواء أو التربة أو الماء ويترتب عليه ضرراً بحياة الإنسان في مجال نشاطه اليومي والصناعي والزراعي مسبباً الضرر والتلف لمصادر البيئة الطبيعية [18] .

كما عرف التلوث البيئي بأنه التغيرات غير المرغوبة التي تحصل في محيطنا ، أهمها التي تنتج من نشاطات الإنسان ومن خلال التأثيرات المباشرة وغير المباشرة في تغيير شكل الطاقة ومستويات الإشعاع والبيئة الكيميائية والطبيعية للكائن الحي . وهذه التغيرات سوف تؤثر وبصورة مباشرة في الإنسان أو من خلال تزويده بالماء والزراعة والمنتجات الحية أو المواد الطبيعية أو الممتلكات ، أو من خلال المجالات الترفيهية أو الإعجاب بالطبيعة [19].

كما عرف التلوث البيئي بأنه (كل تغير كمي أو كيفي في مكونات البيئة الحية وغير الحية والذي لا تستطيع الأنظمة البيئية استيعابه من دون أن يختل توازنها ، والتلوث بهذا المعنى متنوع المسببات بيولوجياً أو كيميائياً أو فيزيائياً ، مما يتسبب في انتشار الملوثات وبنسب مختلفة في الهواء والماء والتربة ) [20] .

ويعرف التلوث أيضا بأنه ( إفساد المكونات البيئية حيث تتحول هذه المكونات من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارة ((ملوثات )) مما يفقدها الكثير من دورها في صنع الحياة ) .

حيث تتحول عناصر أي نظام ايكولوجي إلى ملوثات إذا ما فقدت كثير من صفاتها وكمياتها ( بالزيادة والنقصان ) التي خلقت بها بحيث تصبح في صورتها الجديدة عنصراً ملوثاً للبيئة [21] .

ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى أن التلوث هو حصول تغيرات أو تأثيرات غير مرغوبة في الصفات الفيزياوية والكيماوية والحيوية للبيئة (هواء ، ماء ، تربه ) والتي تؤثر في حياة الإنسان والحيوان والنبات بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وتدخل المادة الملوثة إلى البيئة بسبب بعض الحوادث كالحرائق و الانفجارات أو عن طريق المجاري أو الفضلات الأخرى أو كنواتج عرضية لبعض العمليات الصناعية آو من خلال بعض الفعاليات الأخرى للإنسان [22] .

**رابعاً : الملوثات :**

وهي المواد أو التأثيرات الموجودة في البيئة وغير مرغوب فيها بسبب أضرارها البيئية وأخطارها الصحية ، ويقصد بالأضرار البيئية هو التغير في نوعية وصفات البيئة وما ينجم عنها من تأثيرات في الحيوانات والنباتات أو الأحياء المجهرية . أما الأضرار الصحية فيقصد بها التأثيرات الضارة أو السامة أو الخطيرة على صحة الإنسان وأجياله القادمة [23] .

**خامساً : تقسيم الملوثات بحسب مصدرها :**

ويشتمل على ما يأتي [24] :

1. الملوثات الطبيعية : وهي التي تنتج من مكونات البيئة ذاتها دون تدخل الإنسان ، و تشمل الغازات الناتجة من البراكين كثاني اوكسيد الكبريت ، الأملاح في المياه ، دقائق الغبار في الهواء أو قد تكون ظواهر طبيعية كالحرارة والإشعاع .
2. الملوثات التكنولوجية والصناعية : وهي التي تتكون نتيجة لما استحدثه الإنسان في البيئة من تقنيات وما ابتكره من اكتشافات كتلك الناتجة عن الصناعات المختلفة والتفجيرات النووية ووسائل المواصلات .
3. ملوثات الإنسان والحيوان : وتشمل ما يطرحه الإنسان من فضلات نتيجة نشاطاته اليومية العادية ، كالملوثات الناتجة عن المدن والمجتمعات السكنية التي تشمل مياه المجاري بما تحويه من المواد العضوية بدرجة رئيسية ، وكذلك تشمل الفضلات الحيوانية . والجدير بالذكر أن هذه الملوثات بطبيعتها تزداد بازدياد عدد السكان وبارتفاع مقدار ومعدل حاجتهم المعيشية.

**سادساً : تقسيم الملوثات بحسب طبيعتها :**
وتشمل على ما يأتي :

1. الملوثات ذات الطبيعة الفيزياوية : وهي ظواهر فيزياوية مادية وتشمل الإشعاع (وهي اشد خطراً على البيئة والأحياء ) والحرارة والضوضاء والاهتزازات والأمواج الكهرو مغناطيسية .وهذه الملوثات تتداخل مع الخصائص الفيزياوية لعناصر البيئة أو المادة الحية (25) .
2. الملوثات ذات الطبيعة الكيماوية: وهي مجموعة واسعة من الملوثات الأكثر انتشارا في البيئة ، وتشمل عدداً كبيراً من المواد الطبيعية المنشأ كالنفط ومشتقاته والزيوت والشحوم والسموم الطبيعية والرصاص والزئبق والغازات المتصاعدة من البراكين وعدداً كبيراً من المواد المصنعة كالمبيدات الكيمياويات الزراعية والفضلات الصناعية من الأحماض والأملاح والقواعد والحرائق وعوادم السيارات والمصانع وكذلك الجسيمات الدقيقة الناتجة من مصانع الاسمنت والاسبست و الكيمياويات السائلة عندما تلقى في التربة أو الماء .
3. الملوثات الإحيائية : وهي كائنات حية مجهريه في الغالب وتعمل على تغيير بعض الصفات أو الخصائص البيئية عند وجودها فيها أو ذات أضرار بصحة الإنسان أو الأحياء الأخرى ، وهي على وفق الأسس العلمية لعلم البيئة فإنها تعد من المكونات الإحيائية الطبيعية ، ومنها ما هو طفيلي يعيش في أمعاء الإنسان أو الحيوانات ، وقد يسبب حالة مرضية كما هو الحال بالنسبة للطفيليات المعوية أو ليس له تأثير صحي ضار كما في حالة العديد من البكتيريا المعوية .وقد أدت ممارسات الإنسان الخاطئة تجاه البيئة مثل طرح الفضلات البشرية في الأنهار أو رمي الحيوانات النافقة في المصادر المائية إلى خلق مشاكل بيئية وصحية عديدة وبالتالي تحول هذه الأحياء إلى ملوثات بيئية . ولذلك فإن تعبير الملوثات الإحيائية يقتصر على المسببات المرضية فقط كالبكتيريا والطفيليات والفطريات والفيروسات وغيرها (26)

**سابعاً :السياحة والبيئة (27) :**
اهتمت الدول بالسياحة في العقود الأخيرة للقرن العشرين بعد أن كان الاهتمام يتركز على التنمية الاقتصادية التقليدية التي اتبعتها معظم الدول النامية منذ تحررها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبدء تنفيذ نماذجها التنموية والانفلات من التبعية للدول الاستعمارية ولم يتم الاهتمام بالنشاط السياحي والأنشطة المتعلقة به كهم من هموم ومسئوليات الدول منذ بداية تنفيذ

مشروعات التنمية الاقتصادية الخاصة بها . بل كان بدء الاهتمام بالسياحة اهتماما ثقافياً و ترفيهياً بجهود فردية غير مخططة وغير مركزية وتم الالتفات للتنمية السياحية عندما أدركت الدول أهمية السياحة والعائد الاقتصادي الهام الذي تحققه تلك الصناعة المستقبلية الهامة وأصبحت الدول الكبرى تتنافس على الاستحواذ على السائحين وعلى دفع عجلة صناعة السياحة إلى الأمام دفعات قوية ومؤخراً تم الالتفات للعوامل البيئية والمخاطر التي قد تتسبب من الاستخدام المكثف للموارد والسياحة والبيئة .

لقد بدأ مفهوم السياحة البيئية في الظهور في العقود الأخيرة من القرن العشرين بالنسبة إلى العالم كله وأصبحت السياحة البيئية جزء هام من السياحة العالمية والمقصود بها أنها تجوال وسفر لمناطق طبيعية من أجل الاستمتاع ومشاهدة الطبيعة والكائنات الحية في أماكن وجودها الطبيعية بحيث لا يتم التدخل في مجريات حياتها أو معاشها أو في المحمية الطبيعية وهذا التوجه قد بدأ يظهر في معظم دول العالم المتقدم وبشكل خاص في التوسع في المحميات والمنتزهات الطبيعية التي يبلغ عددها أكثر من 30 ألف منتزه ومحمية طبيعية في العالم . ومعظم الدول التي تهتم بالسياحة تقوم على الاستفادة من هذه المحميات في تزايد نسبة السياحة البيئية لديها واهتمت كثير من الدول بهذا النوع من السياحة لما له من أهمية في تحقيق أهداف التنمية السياحية والسياحة إلى المناطق الطبيعية في نطاقات جغرافية معينة في العالم تتميز تلك المناطق بنوع مميز من السمات الطبيعية وهذه هي التي لم يغير فيها الإنسان شيئاً كثيراً ولم يبذلها وإنما قام بتطويرها وزيادة جمالها بصورة لا تخل بأصلها أو بطبيعتها وخصائصها وهي بيئات مميزة تراعي التوازن الطبيعي والخصائص المميزة للمكان فالمناطق الجبلية والشلالات والصحاري والغابات والمحميات الطبيعية والثلوج والبحيرات والسواحل وغيرها كلها تصب في نفس هذا النوع من البيئات .

وهذه البيئات لها محبيها ومن يعشقون التردد عليها وقضاء الوقت في أحضانها بعيداً عن تلوث المدن أو صخبها وقد خصصت معظم الدول التي تمتلك من خصائص البيئات الطبيعية الكثير من الإمكانيات المادية والبشرية للحفاظ على البيئة الطبيعية لما تحمله للدولة من مردود مادي كبير من خلال السياحة الطبيعية التي يحبذها الكثيرين من السياح في كل المناطق الجغرافية وتنطوي السياحة البيئية على إبراز المعالم الجمالية لأي بيئة في العالم فكلما كانت نظيفة وصحية كلما أزدهرت السياحة وانتعشت وتبدو للوهلة الأولى أن السياحة هي إحدى المصادر للمحافظة على البيئة وأنها لا تسبب الإزعاج ولا تعد مصدراً من مصادر التلوث لكن هذا القول به الكثير من التجاوزات فبالرغم من الجوانب الايجابية للسياحة إلا أنها تشكل مصدراً من مصادر

التلوث البيئي والتي هي من صنع الإنسان والسياحة وتحقيق المصالح الاقتصادية والاجتماعية التي تقوم عليها ونتج ذلك كما يقرر العلماء من التصرفات السلبية للإنسان وعدم احترامه للتوازن البيولوجي وتلويثه للبيئة من خلال الأنشطة المختلفة وتعديه الجائر على البيئة وهذه التصرفات تعتبر كوارث لها تأثيرها على جميع الكائنات وأولها الإنسان .

ولضمان تنمية مستديمة محققة للتوازن وجب علينا المحافظة على البيئة الطبيعية بإمكانياتها المادية والبشرية ونشاطاتها المولدة للموارد التي تضمن التمويل الذاتي ومن أهم هذه النشاطات المتعلقة بالسياحة البيئية التي تعد من انجح الوسائل للانتعاش الاقتصادي وتسهيل الاتصال بالطبيعة وحماية التنوع البيولوجي .

لقد أصبحت السياحة البيئية ذات التوازن البيئي ظاهرة هامة محورها التأمل في الطبيعة والنباتات والحيوانات وتوفير الراحة للزائرين وأصبحت العلاقة بين السياحة والبيئة علاقة توازن دقيق بين التنمية والسياحة وحماية البيئة وهذا ما يؤكده إعلان مانيلا (1980) على أن الاحتياجات السياحية لا ينبغي أن تلبي بطريقة تلحق الضرر بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق السياحية أو البيئية أو بالموارد الطبيعية والمواقع التاريخية والثقافية التي تعتبر عامل الجذب الأساسي للسياحة ويشدد الإعلان على أن هذه الموارد جزء من تراث البشرية وأنه يجب على المجتمعات المحلية الوطنية والمجتمع الدولي بأكمله القيام بالخطوات اللازمة لكفالة الحفاظ عليها ويعتبر التخطيط الطويل الأجل والسليم بيئياً شرطاً أساسياً لإقامة توازن بين السياحة والبيئة لكي تصبح السياحة نشاطاً إنمائياً قابلاً للاستمرار .

ومع ذلك فإن كثيراً من البلدان النامية التي تنوء تحت عبء الديون الخارجية وتحتاج بشدة للعملة الصعبة طرحت جانباً مخاوفها من أن تؤدي السياحة إلى تردي البيئة الطبيعية ــ ووضعت سياسات سياحية غايتها تكثيف النشاط السياحي وأدت هذه السياسات القصيرة النظر في الحقيقة إلى تدهور ملحوظ في بيئة بعض البلدان مما أبعد عنها أعداداً متزايدة من السياح وسيستغرق علاج هذا التردي وتسريع السياحة من جديد سنوات عديدة كما سيتطلب موارد مالية ضخمة لتحسين وضع السياحة في هذه البلدان .

إن الإنسان بتطوره الصناعي وتقدمه العلمي وخلال رحلات حياته المتعددة لا يشغله شيء في بحوثه ومختبراته أكثر من محاولات الوصول إلى السيطرة على الطبيعة وما عليها والكون وما فيه و تتم له هذه السيطرة بامتلاك وسائل الدمار والفناء ، والسباق وإلى امتلاك الفضاء والعسكرة فيه ، والتطورات التقنية والبيولوجية التي تخل بتوازن البيئة وسلامة الإنسان ، وتمتعه بالسياحة رغم أنه لا سياحة بلا صحة ، ولا صحة بلا بيئة سليمة

فالبيئة الأساس في أي حقل سياحي وهذا ما يوجب علينا أن نبين مضامينها ومرتكزاتها وأخطارها .
تقع البيئة اليوم تحت تأثير مجموعة من الارهاقات والاستنزافات التي أدت وتؤدي إلى ظهور مجموعة من المشكلات الحياتية التي بدأت تهدد سلامة الإنسان بشكل خاص وسلامة المخلوقات بشكل عام .
وتعتبر مشكلة التلوث من أهم المشاكل البيئية ، لما تعكسه من الآثار الصحية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الآثار المتعلقة بالغذاء والإسكان والطاقة .
لذلك يرى العلماء والباحثين والمهتمين السير على طريق التعايش مع البيئة والحفاظ عليها ، لا أن نسير على طريق استنزاف الموارد البيئية مثل قطع الأشجار ، وجرف التربة ، والإفراط بالتصحر ، وهدر المياه ، والإكثار من استعمال الطاقة المولدة للغازات الضارة ، وإلقاء النفايات وإبقائها مكشوفة على قارعة الطريق ، والتي تنعكس علينا بالمزيد من الأوبئة والأمراض والإسراف في صيد الأسماك والطيور وغير هذا كثير لأننا بقدر ما نعطي البيئة من حيث الاهتمام النوعي والكمي تعطينا هي أيضاً وتدعم السياحة التي تعتمد اعتمادا كبيراً على البيئة النظيفة .
إن البيئة النظيفة هي عماد النشاط السياحي ، والبيئة كما هو معروف هي خزان الموارد من الهواء والشمس والأنهار والبحار والجبال والشعب المرجانية والواحات والمحميات والمناخ والتي تمثل أهم المغريات والمقومات التي يعتمد عليها الجذب السياحي وتستغلها الدول لعرض منتجها السياحي وأي استنزاف لهذه الموارد أو إتلاف لها يقوض دعائم النشاط السياحي ويعرضه لمخاطر مستقبلية بل قد يؤدي إلى فشل مشروعات التنمية السياحية ، مما يسبب في تراجع معدلات السياحة وتراجع نسبة قدوم السائحين إلى البلاد حيث ينبغي السائح البيئة النظيفة المريحة والاستمتاع بكافة المقومات البيئية التي تحقق له السياحة البيئية والثقافية بل كافة أنواع السياحات الرشيدة وتقوم استراتيجيات التنمية السياحية السليمة على إحداث التوازن بين تحقيق التنمية السياحية والمحافظة على البيئة نظيفة وعدم استنزاف الموارد البيئية والقضاء على المقومات البيئية الطبيعية التي تعتمد عليها السياحة كما تهدف للعمل على تحقيق التنمية الإقليمية المتوازنة بالمحافظة على المكان والبيئة .
لقد أخذت الأنشطة الإنمائية التي لم تضع الاعتبارات البيئية في حسبانها تسهم في إلحاق في المحيط البيئي ونتيجة للامعان في استغلال الموارد الطبيعية دون النظر إلى التوازن البيئي وإلى احتياجات الكائنات الحية الأخرى التي تعيش في البيئة نفسها لدرجة ظهرت العديد من التغيرات التي

تنذر بأخطار كبيرة والتي أحالت أجزاء كبيرة من سطح الكرة الأرضية إلى بيئة ملوثة غير صالحة لحياة الكائنات الحية والإنسان نفسه . وما يزيد من خطر تلوث البيئة أن الغلاف الحيوي ليس له مكان محدد وأن تلوثه في بلد ما قد يؤدي إلى تلوثه في البلدان المجاورة فتلوث نهري النيل والفرات مثلاً في كل من أوغندا وتركيا على التوالي سيقود حتماً إلى تلوثهما في الأقطار المجاورة الأخرى التي يمر فيها هذان النهران إضافة إلى تلوث مياه كل من البحر المتوسط والخليج العربي حيث يصب النهران على التوالي .

لقد أحدثت الأنشطة البشرية ومن بينها السياحة الكثير من التغيرات في البيئة مما كان لها آثار كبيرة في استنفاد المصادر الطبيعية وتلوث الوسط البيئي المحيط وإخلال في التوازن البيئي ومن أمثلة هذه التغيرات تمركز الصناعة في المدن وما يتبعه من نشاط تجاري واجتماعي وعلمي وزيادة في وسائل النقل والهجرة من الأرياف إلى المدن إلى العديد من المشاكل الاجتماعية والصحية ، وتحولت البيئة في كثير من المدن والصناعية منها بصفة خاصة إلى بيئة ملوثة بغازات متعددة مثل اوكسيد الكبريت والكربون والنيتروجين إضافة إلى الهيدروكربونات والدخان وغيرها من الملوثات .

إن الكثير من اتجاهات التنمية الحالية تؤدي إلى تدهور البيئة ( التصحر وتدهور الغابات وتلوث الهواء والماء والغذاء ) وكيف يمكن لهذه التنمية أن تخدم القرن الحالي الذي ستتضاعف فيه أعداد الناس الذين يعتمدون على البيئة اعتمادا كبيراً ... لذا فإن تحقيق أهداف التنمية تعتمد على تنفيذ برامج التنمية الصديقة للبيئة ويتطلب مساراً جديداً وهو التنمية المستدامة التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها ، لذا ينبغي أن تدخل البيئة بصورة مترابطة في عمليات صنع القرار وسن القوانين ليس بهدف حماية البيئة فحسب بل لحماية التنمية وتعزيز أهدافها ذلك أن التنمية والبيئة مرتبطتان بصورة كبيرة في تحسين أحوال وحياة الإنسان ومستقبلهم وهذا التوجيه مطلوب في بلداننا التي تعرضت لكثير من الظروف القاسية ولتعرض الموارد الطبيعية للاستغلال غير المنظم الذي نتج عنه التلوث والاستنزاف والتصحر في بعض المناطق وانقراض بعض الأنواع الحيوانية وانخفاض أعدادها انخفاضا بالغاً وغيرها من السلبيات .

## المبحث الثاني: مصادر التلوث البيئي في مدينة إب

**يعد** موضوع مصادر التلوث البيئي من المواضيع المهمة التي شغلت فكر واهتمام العلماء والباحثين المهتمين بشؤون البيئة لما له من آثار سلبية بعيدة المدى على حياة وأنشطة الإنسان المختلفة والواقع أن التلوث مشكلة بيئية

أصبح من المشكلات الخطرة جداً التي يواجهها العالم منذ عدة عقود وما يزال ، وقد أخذت تتفاقم بدرجة مذهلة حتى أصبحت أزمة بيئية معقدة ذات آثار متراكمة تهدد حاضره ومستقبله [28] فقد قفزت المشكلة فجأة على مسرح الأحداث العالمية وحظيت باهتمامات العلماء والباحثين منذ النصف الثاني من القرن الماضي عندما ازدادت حدة التلوث وتجاوزت الحدود المسموحة لتصبح مشكلة العصر بل ومن أكثر المشكلات البيئية خطورة وتعقيداً والتي باتت تؤرق بال المسئولين والباحثين الذين يجتهدون في وضع الضوابط الحاكمة والمعايير الآمنة التي تخلص البشرية من خطر هذه المشكلة المخيفة [29] . والتي يعد الإنسان سببها وضحيتها في آن واحد . فقد نجح الإنسان في تحقيق إنجازات علمية وتقنية كبرى لكنه لم ينجح في أن يوازن بين الآثار الايجابية والآثار السلبية لتلك الانجازات [30] . ومما يزيد المشكلة خطورة وتعقيداً عالميتها ، فخطر التلوث وإفساد البيئة يهددنا جميعاً نحن البشر وان هذا الخطر لا يقل أهمية عن أخطار الحروب والمجاعات والأوبئة [31] .

خاصة إذا ما علمنا أن الملوثات سواء كانت هوائية أم مائية قادرة على الانتقال والحركة من منطقة إلى أخرى ، ولنا في تزايد ثاني اوكسيد الكربون في الغلاف الجوي والثقب الذي اكتشف في منطقة القطب الجنوبي ونتائجهما العالمية ما يؤكد ذلك [32] .

إن قضية التلوث البيئي قضية شائكة ومتعددة المسالك لتعدد أسبابها وتشابك آثارها ومن الصعوبة الخوض في تفاصيلها كافة وتغطيتها إلا ما يتعلق منها بموضوع بحثنا وأدناه أهم مصادر التلوث في مدينة إب :

**أولاً – الهواء:**

يكون للمواطن في مدينة إب دور أساسي في تلوث الهواء في المدينة ، حيث ينجم التلوث عن فعالياته من خلال حياته اليومية ونشاطه الصناعي والتجاري والزراعي والعمراني وفي ضوء ذلك سنتطرق إلى أهم مصادر تلويث الهواء في المدينة وكما يلي :

1. وسائط النقل : تستخدم في مدينة إب المركبات والدراجات النارية المختلفة الطاقة المتمثلة بالبنزين والديزل أو الكيروسين والتي تعد أحد أهم المصادر المهمة في تلويث الهواء ، لا سيما وان أعداد المركبات والدراجات النارية في تزايد مستمر في جميع أنحاء مدينة إب ، وتعد المركبات والدراجات النارية من أهم وأخطر مصادر التلوث الهوائي وتأتي خطورتها مصدراً للتلوث في أن عوادم المركبات والدراجات النارية تحتوي على الكثير من الغازات الخطرة جداً مثل أول اوكسيد الكربون ، كما يحتوي على البنزوبرين الذي يتسبب في إصابة سكان المدينة بالسرطان والكاربوهيدرات والرصاص ومادة الكاديوم الخطرة وغيرها ، ومما يزيد من خطورة ملوثات

عوادم السيارات والدراجات النارية أنها تقذف في الطبقة الهوائية السفلية التي تتعامل معها الأحياء ( الإنسان والنبات والحيوان ) بشكل مباشر ومن ثم تنتقل الملوثات بسرعة وبشكل مباشر إلى أجسام السكان وإلى محاصيلهم الزراعية وثروتهم الحيوانية[33].

2. الصناعة : تعد الصناعة من أكبر مصادر التلوث لا سيما إذا ما كانت تعتمد على الوقود الحفري (الفحم ، النفط ، الغاز الطبيعي ) مصدراً رئيسياً للطاقة إذ ينطلق منها عادة عند احتراقها بكميات كبيرة جداً من الغازات والجسيمات التي تعمل من خلال تراكمها في الغلاف الجوي على إفساد تركيبة الهواء وبما يؤدي إلى حدوث خلل في نظامه الايكولوجي يصبح معه الهواء مصدراً لكثير من المخاطر والمضار التي باتت تهدد كل مظاهر الحياة وغير الحية ، ومهما كان نوع الصناعات المتواجدة في مدينة إب في أحيائها أو شوارعها أو مداخلها فهي تبعث الغازات من المصانع ثاني اوكسيد الكبريت وهو (غاز مهيج ) عديم اللون ، نفاذ الرائحة وخانق وغاز أول اوكسيد الكربون الذي يتمتع بقابلية كبيرة للاتحاد مع هيموجلوبين الدم مما يحد من قدرة الأوكسجين داخل الجسم على إتمام دورته العادية إضافة إلى قدرة الدم على استخلاص الأوكسجين من الهواء المستنشق مما يعرض الإنسان لخطر الاختناق ، أما غاز ثاني اوكسيد الكربون فجسيمات الكربون فيه قادرة على امتصاص الغازات السامة فيتحول بذلك إلى غاز خطر ، وهكذا تمارس الأنشطة الصناعية في مدينة إب دوراً مهماً في تلوث الهواء ، ويمتد تلوث الهواء ليشمل أيضا ما يتسرب من المصانع من غازات سامة وخاصة مصانع المبيدات الحشرية .

3. الاستخدامات المنزلية والحكومية : وتشمل الانبعاثات اليومية من المنازل ومختلف المؤسسات الحكومية والتجارية والخاصة حيث يستخدم الفحم والغاز الطبيعي والبترول ، كمادة للوقود ، حيث تنبعث نسب كبيرة من الدقائق العالقة (دخان ) وبعض الغازات كثاني اوكسيد الكبريت واكاسيد النتروجين [34] .

4. الملوثات الناتجة عن حرق النفايات : إن حرق النفايات له آثار سيئة على نوعية الهواء لانبعاث كميات من الدقائق العالقة (دخان ) وغازات ثاني اوكسيد الكبريت واكاسيد النتروجين والكربون وهي غازات سامة تؤثر على صحة الإنسان ونشاطه اليومي حيث تسبب أمراض الكوليرا والإسهال والتايفوئيد والزحار والتهاب العيون [35] .

5. المبيدات الزراعية والحشرية : إن أكثر أراضي مدينة إب تستغل للزراعة ، واستخدام المبيدات الزراعية بشكل واسع ساهم في صنع التلوث

الهوائي حيث يتطاير الكثير من مكونات المبيدات في الهواء ، فلقد ثبت أن بقايا المبيدات تبقى في الأرض الزراعية لمدة طويلة جداً تصل إلى أكثر من عشرين عاماً وأنها تتراكم عاما بعد عام لتصل إلى تراكيز عالية ، وفي الوقت نفسه يتم تبخرها من التربة إلى الهواء الجوي حيث تعد مصدراً دائماً للتلوث [36] .

إن ملوثات الهواء تسبب أمراض عديدة منها ( امرض الجهاز التنفسي والزكام والسعال والجهاز العصبي وأمراض القلب وتهيج العيون وسرطان الرئة وسرطان الجلد وغيرها من الأمراض ) .
أما بالنسبة للنباتات فيؤثر التلوث الهوائي على أنسجة الأوراق والمادة الخضراء بها مما يؤدي إلى ذبول وموت النباتات أو يبطئ من عملية نموها الطبيعي .

**ثانياً : التلوث الضجيجي (الضوضاء) : [37]**
تعد الضوضاء أحد مصادر التلوث ، وقد لاحظ المشرفون على الأعمال الصناعية أنها تعوم أنتاج الفرد وتؤدي إلى الشعور بالضجر والتوتر النفسي ووجد مجلس بحوث الصناعات أن الضوضاء تقلل من الكفاءة الإنتاجية في الأعمال الصعبة والمعقدة ، كما أن الضوضاء تفسد طبيعة الهواء وتحوله من هواء هادئ مفيد إلى هواء مزعج ضار ، لما للضوضاء من أخطار مرضية نفسية وجسمانية تصيب الإنسان إلى حد أصبحت معه الضوضاء أو الضجيج في الوقت الحاضر مشكلة بيئية خطرة في المدن والمناطق الصناعية والتجارية والأسواق والشوارع المكتظة بالسيارات وازدحام المرور وغيرها ، وتقاس الضوضاء (الأصوات )بوحدة قياس خاصة تسمى (ديسيبل ) والتي تتدرج بين واحد ديسيبل إلى كثر من (200) ديسيبل ، فالصوت الخافت يكاد لا يسمع بالأذن البشرية تبلغ حدته أو شدته واحد ديسيبل وهكذا ، وقد تكون شدة الصوت مقبولة وآمنة إذا كانت أقل من (75)ديسيبل ، أما إذا ازدادت شدة الصوت عن (75) ديسيبل تصبح الضوضاء خطرة ومسببة الكثير من الأمراض ومصادر الضوضاء في مدينة إب ربما يصل في تقديرنا إلى (75)ديسيبل فأكثر بسبب حركة السيارات والآت التنبيه في شارع العدين بالدرجة الأولى وشارع تعز وكذلك في المناطق الأخرى في منطقة الظهار حيث سوق القات والسوق المركزي وهذه المناطق تشكل حالة متميزة في مصادر الضجيج في المدينة ، أما الأمراض التي تسببها الضوضاء فهي :
ضعف القدرة على السمع ، تقلص وضيق الشرايين مما يسبب أزمات قلبية ، رفع ضغط الدم ، الأرق وزيادة إفراز العرق واضطراب عملية التنفس واضطرابات الجهاز العصبي حيث تكثر الأمرض العصبية و النفسية في

البيئات العالية الضوضاء ، حيث تؤدي الضوضاء إلى زيادة اندفاع مادة الادرينالين في مجرى الدم وما يعقب ذلك من توتر وعصبية ، كما أثبتت أن يحدث نقصاً في إفراز عصارة المعده، كما يؤدي إلى زيادة الصداع والشعور بالإرهاق .

**ثالثاً : مصادر تلوث المياه :**

للتلوث المائي مصادر متنوعة في مدينة إب يسهم كل منها في تلويث المياه بصورة أو بأخرى ، إلا أن معظمها مصادر تعود إلى سلوكيات الإنسان وتتمثل هذه المصادر بما يلي :

1. الصناعات :

الصناعة هي من أهم وأخطر مسببات التلوث للماء وخصوصاً التلوث بالمواد الكيماوية ( كالحوامض والقواعد والمواد السامة ) ، لأنها تحتاج لثلاثة أو أربعة أصناف ما تحتاجه نفايات المجاري من الأوكسجين ، وآخر ما في ذلك أن المواد السامة التي تدخل في تلك الصناعات تعود إلى الماء ذائبة مع النفايات الخطرة [38] . مباشرة إلى المياه أو بطريق غير مباشر من التربة إلى المياه الجوفية وهذا ما نخشاه كون مدينة إب تعتمد بالدرجة الأولى على مصادر المياه الجوفية ، ومما يزيد حجم المشكلة أن أغلب الصناعات تحتاج إلى المياه أثناء العمليات الإنتاجية ، فالماء إن لم يدخل في الصناعة كمادة أولية فإنه يستخدم لأغراض شتى كالتبريد أو غسل المواد أو تخفيفها [38] . والصناعات التي تسبب التلوث كثيرة ومتعددة ولكن يمكن حصرها في الصناعات التالية :

الصناعات الغذائية ، الصناعات النسيجية ، معمل دباغة الجلود ، الصناعات الكيماوية الصناعات النفطية ، مصافيها ، الصناعات المعدنية والتعدين ، الصناعات المطاطية ، الصناعات البلاستيكية والصناعات الورقية [39] .

2. مياه المجاري الصحية :

تمثل مياه المجاري الصحية مصدراً خطراً من مصادر التلوث ويزداد خطر هذه المشكلة في مدينة إب للكثافة السكانية العالية فيها ونتيجة لوجود خلل في بعض شبكات المجاري أو لعدم وجود تلك الشبكة و الاستعاضة عنها بالحفر الامتصاصية (خزانات المياه القذرة ) ، فإن المياه تتسرب إلى جوف الأرض مسببة التلوث في مصادر المياه الجوفية والسطحية ، وتشتمل هذه المصادر على الفضلات التي تطرحها الوحدات السكنية والتجارية التي تحتوي على ما يطرحه الإنسان من أوساخ ودهون ومنظفات وأملاح ذائبة ومود عالقة مسببة للأمراض وغيرها من الفضلات الناتجة عن الاستعمال اليدوي للماء ، كذلك فضلات الفنادق والمستشفيات والمدارس والكليات والسجون وغيرها

من الأبنية العامة ، بالإضافة إلى مياه الأمطار التي تغسل الشوارع وتحمل معها مواد ملوثة عند جريانها ، فعند تساقط الأمطار يتم غسل الهواء والشوارع في المدن بحيث أن مياه الأمطار الجارية تحمل معها أنوع كثيرة ومتعددة من الملوثات التي تصل عن طريق شبكة المجاري إلى أقرب مصدر مائي [40] .

3. استخدام المبيدات والأسمدة الكيماوية :
وتتعرض المياه الجوفية في إب للتلوث من خلال ما يتسرب إليه من المواد الكيماوية مع مياه الصرف الزراعي نتيجة أستخدم الأسمدة الكيماوية بمعدلات عالية ، وكذلك المبيدات الحشرية وهي من المركبات الكيماوية الشديدة التحمل والتي تحتفظ بوجودها في البيئات المائية لمدة طويلة مما يساعد على اختزانها وتراكمها في أجسام الأحياء المائية إلى الحد الذي يشكل خطورة بالغة على حياة الإنسان حيث وجد أن هناك علاقة بين المبيدات ومرض السرطان [41] .

أما الأسمدة الكيماوية فبالرغم من تحقيق الزيادة في الإنتاجية نتيجة استعمالها إلا أن لها آثار بيئية يمكن تلخيصها بما يلي [42] :

1. تسرب النترات إلى المياه الجوفية نتيجة لاستعمال الأسمدة ما يؤثر في نوعية المياه المستخدمة.
2. نتيجة التدهور الحاصل في التربة وخصوبتها يؤدي استعمال المبيدات والأسمدة الكيماوية بكميات كبيرة إلى زيادة التدهور في الخصوبة وربما يؤدي إلى التصحر [43] .

إن ملوثات الماء تسبب ما يلي [44] :

1. أمراض التايفوئيد ، الديزنتري ، التهاب الكبد ، شلل الأطفال ، وغير ذلك من الأمراض .
2. عدم صلاحية الماء للشرب لوجود الأملاح غير العضوية .

**رابعاً : مصادر تلوث التربة :**
أما التربة فهي الوسط الذي ينمو ويعيش فيه النبات ويتلق فيه ضرورياته وتلوثه سيؤدي إلى الأضرار بمكونات البيئة والمعروف أن بيئة مدينة إب يغلب عليها الطابع الزراعي وتتأثر بشكل كبير بمصادر التلوث البيئي من تلوث الهواء وتلوث الماء ، وكذلك فإن مصادر التلوث في المعادن الثقيلة ومياه الصرف الصحي ونتيجة استخدام الأسمدة النيتروجينية وزيادة الملوحة

والمبيدات والتي تعتبر أحد أهم المصادر في تكوين التربة وذلك عن طريق رش المحاصيل بكميات كبيرة منه ووضع المبيدات في التربة بكميات كبيرة إضافة إلى بقايا المحاصيل والمخلفات الحيوانية الملوثة بالمبيدات ، وتعتبر المبيدات الهيدروكربونية الأكثر انتشاراً وبقاءً في التربة ، كما أن الاستخدام المكثف للأسمدة ، خاصة الأسمدة النيتروجينية يؤدي إلى تدهور خواص التربة الكيميائية والفيزيائية و تلوث البيئة الزراعية .

**المبحث الثالث : تحليل إجابات أفراد العينة :**

**أولاً : مصادر المعلومات عن تلوث البيئة السياحية في مدينة إب :**

يتضح من الجدول (1) أن هناك معلومات ومعرفة لدى المبحوثين عن أهم الجوانب المتعلقة بالتلوث البيئي و تلوث البيئة السياحية في مدينة إب ، فقد جاءت الفقرة (الإنسان سبب التلوث وضحيته بالمرتبة الأولى من حيث مدى معرفة المعلومات ، حيث تعرفها الأغلبية من المبحوثين وكانت نسبتها أعلى من باقي النسب حيث بلغت معرفتها بدرجة تامة (84%) ومعرفتها إلى حد ما (14%) وعدم معرفتها (2%) وبمتوسط حسابي (2.83) ، ويليها في الأهمية الفقرة الخاصة بتسرب المياه من المجاري الصحية أو من خزانات المياه القذرة يساهم في تلوث المياه الجوفية ، حيث بلغت نسبتها (82%) أعرف تماما و (14%) أعرف إلى حد ما و (4%) لا أعرف وبمتوسط حسابي (2.78) ، وجاءت الفقرة الخاصة بالمركبات والدراجات النارية من أهم مصادر تلوث الهواء، حيث بلغت نسبتها (71%)أعرف تماما ، (27%) أعرف إلى حد ما ، (2%) لا أعرف ،وبمتوسط حسابي (1.43) ، وتليها باقي الفقرات حسب الأهمية في ضوء معرفتها من قبل المبحوثين .

**جدول (1)**

**العوامل المتعلقة بتلوث البيئة السياحية في مدينة إب**

| م | المعلومات | مدى معرفة المعلومات | | | | | | المتوسط الحسابي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | أعرف تماما | | اعرف إلى حد ما | | لا أعرف | | |
| | | عدد | % | عدد | % | عدد | % | |
| 1 | يعد موضوع التلوث البيئي من المواضيع المهمة التي شغلت فكر واهتمام العلماء والباحثين . | 145 | 61% | 76 | 32% | 16 | %7 | 2.46 |
| 2 | الإنسان سبب التلوث وضحيته . | 200 | 84% | 35 | 14% | 2 | %2 | 2.83 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 3 | المركبات والدراجات النارية من أهم مصادر التلوث في الهواء. | 170 | 71 % | 64 | 27 % | 3 | %2 | 1.43 |
| 4 | عوادم (دخان) المركبات والدراجات النارية تسبب مرض السرطان . | 130 | 55 % | 80 | 34 % | 27 | 11 % | 2.43 |
| 5 | الغازات والجسيمات الناتجة من الصناعات التي تعرض الإنسان لخطر الاختناق. | 131 | 55 % | 97 | 41 % | 9 | %4 | 2.51 |
| 6 | الغازات المنبعثة من جراء إحراق النفايات تسبب أمراض ( الكوليرا ، الإسهال ، التايفوئيد ، الزحار، التهاب العيون ..). | 67 | 28 % | 90 | 38 % | 80 | 34 % | 1.94 |
| 7 | إن المبيدات الزراعية والحشرية تبقى أكثر من (20) عام وتتبخر من التربة إلى الهواء ويحدث بالتالي التلوث الهوائي . | 52 | 22 % | 75 | 32 % | 110 | 46 % | 1.75 |
| 8 | ملوثات الهواء تسبب أمراض منها ( أمراض الجهاز التنفسي ، الزكام ، السعال ، الجهاز العصبي ، أمراض القلب ، تهيج العيون ، سرطان الرئة ، سرطان الجلد ) | 149 | 63 % | 78 | 33 % | 10 | %4 | 2.58 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | وغيرها من الأمراض . | | | | | | | |
| 9 | التلوث الهوائي يؤثر على أنسجة أوراق النباتات والأشجار والمادة الخضراء بها مما يؤدي إلى ذبول وموت النباتات أو بطئ عملية نموها . | 12 6 | 53 % | 82 | 35 % | 29 | 12 % | 2.40 |
| 1 0 | الصناعات أخطر مسببات التلوث للماء لأن أغلب الصناعات تحتاج إلى الماء كمادة أولية ، أو استخدامه لأغراض التبريد أو غسل المواد أو تخفيفها ، وان نفايات الصناعات السامة تعود مباشرة من التربة إلى المياه الجوفية . | 12 5 | 53 % | 84 | 35 % | 28 | 12 % | 2.40 |
| 1 1 | تسرب المياه من المجاري الصحية أو من خزانات المياه القذرة يساهم في تلوث المياه الجوفية . | 19 5 | 82 % | 33 | 14 % | 9 | %4 | 2.78 |
| 1 2 | ما يطرح الإنسان من أوساخ ودهون ومنظفات وأملاح ذائبة ومواد عالقة كذلك فضلات الفنادق والمستشفيات والمدارس والكليات والسجون وغيرها من الأبنية | 12 9 | 54 % | 92 | 39 % | 16 | %7 | 2.47 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | العامة ، بالإضافة إلى مياه الأمطار ، تسبب تلوث التربة وبالتالي تلوث المياه الجوفية . | | | | | | | |
| 13 | تتعرض المياه الجوفية للتلوث نتيجةً استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية بشكل عشوائي . | 123 | 52% | 81 | 34% | 33 | 14% | 2.37 |
| 14 | استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية بكميات كبيرة يؤدي إلى زيادة التدهور في خصوبة التربة وربما يؤدي إلى التصحر . | 151 | 64% | 59 | 25% | 27 | 11% | 2.52 |
| 15 | إن ملوثات الماء تسبب أمراض (التايفوئيد ، الديزنتري ، التهاب الكبد ، شلل الأطفال ، أمراض السرطان ) وغير ذلك من الأمراض ) | 62 | 26% | 108 | 46% | 66 | 28% | 1.98 |

**ثانياً : الاعتماد على مصادر المعلومات عن تلوث البيئة السياحية في مدينة إب :**

وفيما يتعلق بالجدول (2) بمصادر معلومات المبحوثين عن الجوانب المختلفة للتلوث البيئي والبيئة السياحية ، فقد أتضح أن البرامج التليفزيونية قد لعبت الدور الأهم ، حيث يعتمد عليها نحو (28%) بصفة دائمة من المبحوثين ، كما يعتمد عليها أحياناً نحو (36%) وبمتوسط حسابي (1.91)، أما الكتب العلمية فقد تبين أن نحو (27%) يعتمد عليها بصفة دائمة و(33%) بصفة جزئية ، وبمتوسط حسابي (1.87) وتمثل النشرات البيئية

مصدراً مهماً وبدرجة أقل ، حيث يعتمد عليها (23%) فقط من المبحوثين بصفة دائمة ، كما يعتمد عليها نحو (35%) منهم بصفة جزئية ، وبمتوسط حسابي(1.81) ، وهناك مصادر أخرى كالندوات والمحاضرات والبرامج الإذاعية والصحف والمجلات والانترنت ، لكن اعتماد المبحوثين عليها يبدو قليلاً نسبياً ، وتؤكد هذه النتائج ما يتمتع به التلفزيون من قوة اتصالية كبيرة إذا أحسن استغلالها في توفير المعلومات البيئية وتغير سلوك المشاهدين نحو التعامل العقلاني مع المكونات والعناصر المختلفة للنظام البيئي ، كما توضح أيضاً القوة والتأثير الذي تتمتع به الكتب العلمية على القراء وإمكانية استخدامها في الإرشاد والتوعية البيئية .

**جدول (2)**

**اعتماد مصادر المعلومات عن تلوث البيئة السياحية في مدينة إب**

| م | مصادر المعلومات | درجة الاعتماد عليها | | | | | | المتوسط الحسابي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | دائماً | | أحياناً | | نادراً | | |
| | | عدد | % | عدد | % | عدد | % | |
| 1 | البرامج التلفزيونية | 66 | %28 | 86 | %36 | 85 | %35 | 1.91 |
| 2 | الصحف والمجلات | 38 | %16 | 118 | %50 | 81 | %34 | 1.81 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 3 | البرامج الإذاعية | 46 | %19 | 89 | %38 | 102 | %43 | 1.76 |
| 4 | الكتب العلمية | 64 | %27 | 79 | %33 | 94 | %40 | 1.87 |
| 5 | الانترنت | 38 | %16 | 70 | %30 | 130 | %54 | 1.62 |
| 6 | الندوات والمحاضرات | 50 | %21 | 102 | %43 | 85 | %36 | 1.85 |
| 7 | النشرات البيئية | 55 | %23 | 83 | %35 | 99 | %42 | 1.81 |

**ثالثاً : نوع النفايات ودرجة انتشارها في البيئة السياحية في مدينة إب :**

وفيما يتعلق بالجدول (3) بنوعية النفايات ودرجة انتشارها في المناطق السياحية في مدينة إب ، فقد اتضح كما هو مبين في الجدول أن أكثر هذه النفايات انتشاراً هو الأكياس البلاستيكية فقد أجاب (84%) بصفة كثيرة و (13%) بصفة متوسطة وبمتوسط حسابي (2.81) ، ويليها في الترتيب العلب المعدنية للمشروبات حيث بلغت النسبة (63%) كثيرة و (29%) متوسط وبمتوسط حسابي (2.54) ويليها في ذلك العلب والأطباق البلاستيكية

حيث بلغت نسبتها (46%) بصفة كثيرة و (37%) متوسطة وبمتوسط حسابي (2.29) ، وأن باقي النفايات وبمختلف أنوعها هي أقل انتشاراً في مدينة إب

**جدول (3)**

**نوع النفايات ودرجة انتشارها في البيئة السياحية في مدينة إب**

| م | نوع النفايات | درجة الانتشار | | | | | | المتوسط الحسابي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | كثيرة | | متوسطة | | قليلة | | |
| | | عدد | % | عدد | % | عدد | % | |
| 1 | أكياس بلاستيك | 200 | %84 | 30 | %13 | 7 | %3 | 2.81 |
| 2 | العلب المعدنية للمشروبات | 149 | %63 | 69 | %29 | 19 | %8 | 2.54 |
| 3 | زجاجات بلاستيك | 98 | %41 | 88 | %37 | 51 | %22 | 2.19 |
| 4 | علب وأطباق بلاستيك | 110 | %46 | 87 | %37 | 40 | %17 | 2.29 |
| 5 | مخلفات غذائية | 107 | %45 | 88 | %37 | 42 | %18 | 2.27 |
| 6 | العبوات الزجاجية للمشروبات الغازية | 106 | %45 | 71 | %30 | 60 | %25 | 2.19 |
| 7 | العلب الورقية للمشروبات الغازية | 75 | %32 | 102 | %43 | 60 | %25 | 2.06 |
| 8 | مخلفات مواد البناء | 81 | %34 | 90 | %38 | 66 | %28 | 2.06 |
| 9 | أكواب وملاعق وشوك بلاستيك | 49 | %21 | 65 | %27 | 123 | %52 | 1.68 |
| 10 | مخلفات سيارات | 99 | %42 | 85 | %36 | 53 | %22 | 2.19 |
| 11 | صحف ومجلات | 52 | %22 | 95 | %40 | 90 | %38 | 1.83 |
| 12 | مخلفات مبيدات وأسمده | 52 | %22 | 77 | %32 | 108 | %46 | 1.76 |

**رابعاً : عوامل الجذب السياحي في مدينة إب من وجهة نظر المبحوثين**

تتمتع مدينة إب بالعديد من عوامل الجذب السياحي من وجهة نظر المبحوثين الذين شملتهم الدراسة ، وأن عوامل الجذب السياحي تمثل قوى دافعة للتنمية السياحية في هذه المدينة ، وتتمثل أهم هذه العوامل كما هو مبين في الجدول (4) في توفر أنماط سياحية متعددة من مناظر خلابة وجبال ووديان وسهول وشلالات وعيون ماء حيث بلغت نسبتها (82%) بصفة كثيرة جداً و (16%) بصفة متوفرة وبمتوسط حسابي (1.54) ، يليها فقرة توفر الجو المعتدل طوال أيام السنة والتي ذكرها (67%) من المبحوثين وبمتوسط حسابي (2.62) ثم تلتها الفقرة توفر التراث التاريخي والثقافي للمدينة والتي ذكرها (52%) من المبحوثين وبمتوسط حسابي (2.48) ويليها توفر الأسعار المناسبة لأغلب السياح والتي ذكرها (43%) من المبحوثين وبمتوسط حسابي (2.25) في حين هناك نسب متدنية ظهرت بالفقرات المتعلقة بالخدمات كما هو في الفقرة المتضمنة توفر الخدمات التي تلبي رغبات السائح كما كانت بنسبة (40%) غير متوفرة وخدمات الترويح من مدن الألعاب والمتنزهات ومهرجانات ترويحية غير متوفرة بنسبة (73%) وكذلك الخدمات الأخرى وهذا يستدعي إلى دراسة شاملة في هذا الموضوع لمعالجة هذه المشاكل في جانب الخدمات وتوفرها وجودتها لأنها تلعب دوراً كبيراً في زيادة الطلب السياحي وتكرار الزيارات من قبل السائحين وزيادة فترة إقامتهم في المناطق السياحية بشكل عام .

**جدول (4)**

**عوامل الجذب السياحي في مدينة إب من وجهة نظر المبحوثين**

| م | عوامل الجذب | درجة توفرها | | | | | | المتوسط الحسابي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | متوفرة كثيراً | | متوفر | | غير متوفر | | |
| | | عدد | % | عدد | % | عدد | % | |
| 1 | توفر أنماط سياحية متعددة من مناظر خلابة وجبال ووديان وسهول وشلالات وعيون ماء . | 195 | %82 | 39 | %16 | 3 | %2 | 1.54 |
| 2 | توفر الأمن والحماية للسائحين . | 57 | %24 | 144 | %61 | 36 | %15 | 2.8 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 3 | التراث التاريخي والثقافي للمدينة . | 123 | %52 | 107 | %45 | 7 | %3 | 2.48 |
| 4 | توفر خدمات البنية التحتية من طرق واتصالات وماء وكهرباء وغيرها . | 43 | %18 | 138 | %28 | 56 | %24 | 1.94 |
| 5 | الجو معتدل طوال أيام السنة . | 159 | %67 | 67 | %28 | 11 | %5 | 2.62 |
| 6 | الأسعار مناسبة لأغلب السياح . | 101 | %43 | 95 | %40 | 41 | %17 | 2.25 |
| 7 | التنوع في خدمات الإيواء السياحي من فنادق وشقق فندقية ومطاعم متنوعة . | 51 | %22 | 123 | %52 | 63 | %27 | 1.94 |
| 8 | توفر الخدمات التي تلبي رغبات السائح . | 20 | %8 | 122 | %51 | 95 | %40 | 1.68 |
| 9 | وجود صناعات وحرف تقليدية كمنتجات سياحية . | 46 | %19 | 111 | %47 | 80 | %34 | 1.85 |
| 10 | توفر خدمات الترويح ( مدن العاب ، | 16 | %7 | 47 | %20 | 174 | %73 | 1.33 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | منتزهات ، صالة العاب ، مهرجانات ترويحية ) . | | | | | | | |
| 11 | تكامل الخدمات وجودتها في داخل معظم المشاريع السياحية في مدينة إب . | 9 | %4 | 77 | %32 | 151 | %64 | 1.40 |
| 12 | كثرة وتنوع الأنشطة والمهرجانات والفعاليات السياحية مما يشوق السائح . | 20 | %9 | 69 | %29 | 148 | %62 | 1.45 |
| 13 | مواكبة المشروعات السياحية لتقنية العصر . | 11 | %5 | 59 | %25 | 167 | %70 | 1.34 |

**خامساً : المعوقات التي تواجه السياحة في مدينة إب :**

هناك العديد من المعوقات التي تواجه السياحة وتنميتها في مدينة إب ، وتتمثل أهم هذه المعوقات من وجهة نظر المبحوثين الذين شملتهم الدراسة والموضحة في الجدول (5) ما يلي : البيئة غير النظيفة تؤثر على النشاط السياحي والتي ذكرها أغلب المبحوثين نحو (84%) بصفة أوافق بشدة و (13%) بصفة أوافق وبمتوسط حسابي (2.81) ، وتليها الفقرة البيئة السياحية الغير متعافية تساهم في انخفاض الطلب السياحي والتي بلغت نسبتها (83%) وبمتوسط حسابي (2.79) ويليه الفقرة التخطيط التنموي لكافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والداعمة للنشاطات السياحية لا تأخذ بنظر الاعتبار حماية البيئة من التلوث عند قيام مشاريعها التنموية ، حيث بلغت نسبتها (71%)وبمتوسط حسابي (2.67) ، وتشكل مثل هذه المعوقات والمعوقات الأخرى الواردة في نفس الجدول تحديات جدية للتنمية السياحية في مدينة إب ، وينبغي العمل على مواجهتها من خلال

الجهود والبرامج المشتركة بين جميع الأطراف المهتمة والمستفيدة من الأنشطة والمشروعات السياحية في مدينة إب .

**جدول (5)**

**المعوقات التي تواجه السياحة في مدينة إب**

| م | المعـــوقـــات | درجة الموافقة | | | | | | المتوسط الحسابي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | أوافق بشدة | | أوافق | | لا أوافق | | |
| | | عدد | % | عدد | % | عدد | % | |
| 1 | معظم المشاريع السياحية صغيرة الحجم . | 152 | %64 | 82 | %34 | 3 | %2 | 2.62 |
| 2 | العشوائية في توزيع المنشآت السياحية . | 153 | %65 | 69 | %29 | 15 | %6 | 2.58 |
| 3 | عدم تكامل الخدمات داخل المشروع الواحد في بعض المشاريع والمناطق السياحية . | 143 | %60 | 85 | %36 | 9 | %4 | 2.56 |
| 4 | تشابه كبير من المشروعات السياحية وعدم التجديد في أفكارها . | 129 | %54 | 95 | %40 | 14 | %6 | 2.49 |
| 5 | نقص اكتمال البنية التحتية لبعض المنشآت السياحية . | 140 | %59 | 85 | %36 | 12 | %5 | 2.54 |
| 6 | قلة الانشطة والمهرجانات الترويحية . | 148 | %62 | 75 | %32 | 14 | %6 | 2.56 |
| 7 | عدم وجود كوادر بحثية ومؤهلة ومتخصصة في مجال السياحة . | 151 | %64 | 63 | %27 | 23 | %9 | 2.54 |
| 8 | عدم وجود الصناعات المدعمة والمكملة للأنشطة | 127 | %54 | 95 | %40 | 15 | %6 | 2.47 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الترويحية . | | | | | | | |
| 9 | موسمية السياحة مما يزيد من حجم المخاطرة التي يواجهها رأس المال المستثمر . | 95 | %40 | 98 | %41 | 44 | %19 | 2.21 |
| 10 | قلة الطرق التي تربط مدينة إب بالمناطق الأخرى في الجمهورية . | 50 | %21 | 90 | %38 | 97 | %41 | 1.80 |
| 11 | غياب الدور الإعلامي للتعريف بالسياحة والدعاية لها . | 127 | %54 | 77 | %32 | 33 | %14 | 2.39 |
| 12 | السياحة لا تعامل كصناعة من حيث دعم الدولة لها . | 110 | %46 | 85 | %36 | 42 | %18 | 2.28 |
| 13 | السير على طريق استنزاف البيئة السياحية مثل (قطع الأشجار ، هدر المياه ، الرعي الجائر ، والإكثار من استعمال الطاقة المولدة للغازت الضارة وإلقاء النفايات وصيد الطيور ) . | 139 | %59 | 72 | %30 | 26 | %11 | 2.47 |
| 14 | البيئة غير النظيفة تؤثر على النشاط السياحي . | 199 | %84 | 32 | %13 | 6 | %3 | 2.81 |
| 15 | البيئة السياحية النظيفة المتعافية السليمة تساهم في زيادة الطلب السياحي . | 196 | %83 | 34 | %14 | 7 | %3 | 2.79 |
| 16 | يؤخذ بنظر الاعتبار إحداث التوازن بين | 140 | %59 | 83 | %35 | 14 | %6 | 2.53 |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | تحقيق التنمية السياحية والمحافظة على البيئة . | | | | | | | |
| 17 | التخطيط التنموي لكافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والداعمة للنشاطات السياحية لا تأخذ بنظر الاعتبار حماية البيئة من التلوث عند قيام مشاريعها التنموية . | 168 | %71 | 60 | %25 | 9 | %4 | 2.67 |

**<u>المبحث الرابع : الاستنتاجات والتوصيات :</u>**

**أولا : الاستنتاجات :**

1. تبين وجود مستويات عالية نسبياً من المعلومات بين المبحوثين عن أهم الجوانب المتعلقة بالتلوث البيئي في مدينة إب ، إذ أن أغلبية المبحوثين يعرفون اغلب المعلومات المتعلقة بهذه الجوانب بدرجة عالية أو بدرجة جزئية وبالرغم من ذلك فقد تبين أيضاً أن هناك بعض المعلومات التي لاتعرفها نسب ليست بالقليلة من المبحوثين ومن أمثلة هذه المعلومات : أن المبيدات الزراعية والحشرية تبقى أكثر من 20 عام وتتبخر من التربة إلى الهواء ويحدث بالتالي التلوث الهوائي حيث بلغت نسبة المبحوثين في ذلك 46% من مجموع العينة وكذلك الغازات المنبعثة جراء إحراق النفايات تسبب أمراض (الكوليرا ، الإسهال ، والتايفوئيد ، والزحار، والتهاب الكبد والعيون ) بلغت نسبتهما 34% من مجموع العينة .

ومن الواضح أن وسائل الإعلام الجماهيرية تلعب دوراً مهماً في توفير المعلومات للمبحوثين عن التلوث البيئي حيث اتضح أن البرامج التلفزيونية والكتب العلمية والنشرات البيئية قد لعبت الدور الأهم في هذا المجال وتشير هذه النتيجة إلى أهمية التركيز على هذه الوسائل في ضوء اهتمام المواطن بها في مدينة إب في توصيل المعلومات البيئية لأفراد المجتمع وحثهم على

التصرف والتعامل مع المكونات المختلفة للنظام البيئي بطريقة تتسم بالصداقة والعقلانية وبما يؤدي إلى استدامة هذه المكونات .

2. تبين وجود درجات عالية نسبياً من التلوث البيئي ممثلاً بانتشار النفايات في مدينة إب وذلك من وجهة نظر المبحوثين الذين شملتهم الدراسة ، كما أتضح أن أكثر هذه النفايات انتشاراً هي الأكياس البلاستيكية والعلب المعدنية للمشروبات ويليها علب وأطباق بلاستيكية ، وتشير هذه النتائج إلى وضوح الحاجة إلى بذل المزيد من الجهود التي يمكن أن تقوم بها البلدية لازالت المخلفات والنفايات المسببة للتلوث ، هذا بالإضافة إلى الحاجة الملحة إلى تنظيم حملات إعلامية مكثفة لتوعية المواطنين والزائرين لهذه المواقع بأهمية التخلص السليم من المخلفات والنفايات المختلفة .

3. تتمتع مدينة إب بالعديد من عوامل الجذب السياحي من وجهة نظر المبحوثين الذين شملتهم الدراسة ، وتتمثل أهم هذه العوامل :

- مناظر خلابة وجبال ووديان وسهول وشلالات وعيون ماء .
- الجو معتدل طوال أيام السنة .
- توفر التراث التاريخي والثقافي للمدينة .
- توفر الأمن والحماية للسائحين .
- الأسعار المناسبة لأغلب السياح .

وتعتبر هذه العوامل قوى دافعة للتنمية السياحية في مدينة إب فيما لو أحسن استغلالها ،وينبغي التركيز عليها في محتوى الحملات الإعلامية التي تستهدف نوعية المواطنين والزائرين لهذه المنطقة بأهمية صيانة الموارد الطبيعية والسياحية بالمنطقة والتعامل العقلاني معها والحفظ على استدامتها .

4. تبين وجود العديد من المعوقات التي تواجه التنمية المستدامة للسياحة في مدينة إب وتتمثل أهمها في:

- البيئة في إب غير نظيفة وبذلك تؤثر على النشاط السياحي .
- البيئة في إب غير متعافية تساهم في انخفاض الطلب السياحي .
- التخطيط التنموي لكافة القطاعات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية والداعمة للنشاطات السياحية لا تأخذ بنظر الاعتبار حماية البيئة من التلوث عند قيام مشاريعها التنموية .
- العشوائية في توزيع المنشآت السياحية .
- تشابه كثير من المشروعات السياحية وعدم التجديد في أفكارها .
- عدم اكتمال البنية التحتية من (طرق ، مياه ، كهرباء ،وغيرها ) .
- عدم وجود كوادر بحثية ومؤهلة ومتخصصة في مجال السياحة .

- غياب الدور الإعلامي للتعريف بالسياحة والدعاية لها .
- الاستمرار في استنزاف البيئة .
- قلة الأنشطة والمهرجانات السياحية .

**ثانياً : التوصيات :**

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة نوصي بما يلي :

1. التركيز على وسائل الإعلام الجماهيري كقنوات ومنافذ اتصالية فعالة في توصيل المعلومات البيئية لأفراد المجتمع وحثهم على التصرف والتعامل مع المكونات المختلفة للنظام البيئي بطريقة تتسم بالصداقة والحكمة وبما يؤدي إلى استدامة هذه المكونات .
2. قيام البلدية بإزالة المخلفات والنفايات المسببة للتلوث في المدينة .
3. توعية السياح والزائرين للمناطق السياحية بالتخلص من النفايات والمخلفات المختلفة وعدم تركها في المناطق السياحية .
4. القيام بحملات نظافة تقوم بها المؤسسات التربوية بمشاركة الطلبة في تنظيف المدينة وتوفير المستلزمات اللازمة لذلك من قبل الجهات المعنية بالنظافة .
5. إدخال التوعية البيئية كمقرر منفصل في التربية كجزء من المقررات الدراسية لطلاب المدارس بمراحلها المختلفة .
6. الاهتمام بعوامل الجذب السياحي في مدينة إب والتركيز عليها إعلامياً .
7. إنشاء صرف صحي بالمدينة لمنع تلوث الآبار.
8. إحاطة المدينة بحزام أخضر والإكثار من المسطحات الخضراء تعويضاً لما يجري من الزحف العمراني على المناطق الخضراء .
9. إنشاء مصنع لتحويل القمامة إلى سماد عضوي .
10. فرض عقوبات وغرامات على كل من يقوم بأي مخالفة بيئية وكذلك مكافئة من يلتزم بالسلوك الصديق للبيئة
11. تقليل استخدام الأكياس البلاستيكية في المحلات التجارية والتحول التدريجي إلى استخدام الأكياس الورقية والمصنوعة من القماش .
12. منع استعمال آلة التنبيه المركبات السيارات في المناطق المزدحمة .
13. إعادة تخطيط شوارع المدينة بالاتجاه الذي يحقق أسلوب الطريق وحيد الاتجاه .
14. إعداد الدراسات الخاصة بالتلوث البيئي في إب مع توفير المستلزمات لذلك والاهتمام الموضوعي بهذه الدراسات والاستفادة منها في الميدان .

15. تشجيع وتكريم ذوي الاختصاص من الأساتذة والخبراء في تصعيد نتاجهم العلمي في مجال التلوث البيئي وتكريس الحوافز المادية والمعنوية لذلك .

## المصادر العربية والأجنبية :


1. الحمد ، رشيد وصابريني ، محمد سعيد ، البيئة ومشكلاتها ،سلة عالم المعرفة (22) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ،1979 ، ص11– ص23 .
2. هولي ، أم ، وآخرون ، الإنسان والبيئة ، ترجمة وتلخيص عصام عبد اللطيف ، الموسوعة الصغيرة ، العدد (39) ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ،1979، ص10 .
3. Martn C .G : DEVELOPMENT and problems of pollution in iraq . semainar on in dustcrial devdlopment and environment pollution . Iraqi federation of in dustrios . non . 1976 . p .2 .
4. كمونه ، حيدر عبد الرزاق ، أهمية حماية البيئة من التلوث ، مجلة الصناعة ، العدد (4) ، وزارة الصناعة والمعادن ، بغداد ،1978 ،ص73 .
5. الحمد ، رشيد ، مصدر سابق ، ص21 .
6. عبد المقصود ، زين الدين ، البيئة والإنسان ، دراسة مشكلات الإنسان مع البيئة ، ط 1 ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1990 م ، ص 25 .
7. عبد المقصود ، نفس المصدر ، ص21 – ص26 والحمد ، رشيد ، مصدر سابق ، ص27 – ص28 .
8. صالح ، عبد الرزاق مرتضى وأحمد ، حازم صبري ، أسس الثقافة الصحية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مؤسسة المعاهد الفنية ، بغداد ، 1982 ، ص10 .
9. المصدر نفسه ، ص11 .
10. منظمة الصحة العالمية ، صحتنا من سلامة كوكبنا ، تقرير اللجنة التابعة لمنظمة الصحة العالمية حول الصحة والبيئة ، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ، الإسكندرية ، ص6 – ص7 .
11. صالح ، عبد الرزاق ، مصدر سابق ، ص8 .
12. Lopes . A . D . causes of death : An A assessment of global patterns of mortality Around 1985 world Health statisties quarterly .vol . 43, 1990 p. 91 .
13. طلبة ، مصطفى كمال ، إنقاذ كوكبنا ... التحديات والأمل ، ط2،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1995 ، ص24 .
14. منظمة الصحة العالمية ، صحتنا من سلامة كوكبنا ، مصدر سابق ، ص27 – ص28 .
15. سهيل ، موسى زناد ، سباق التسلح ونظرية الشتاء النووي ، الموسوعة الصغيرة ، العدد (317) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990، ص21 .
16. Needelman. H .L . the long . tern Effeels of Exposure to low Doses of Lead in childhood new England journal of medieine vol . 322, 1990, p .83 .

17. مولود ، بهرام خضر (وآخرون ) ، علم البيئة ، وزارة التعليم والبحث العلمي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1992 ، ص39 ـ ص43 .
18. العزة ، شحاذة محمود ، حماية البيئة الإنسانية ( أضواء وتطلعات ) ، عدد خاص من نشرة الأبحاث السياحية ، وزارة السياحة والآثار ، المملكة الأردنية الهاشمية ، 1980 ، ص9 .
19. Andrews . William A and others : aguide to the study of environment . London . hall . Inc . 1972, p . 4 .
20. النقاش ، محمد حسن ، تقنيات التخطيط للسيطرة على التلوث البيئي ، مجلة الثوابت ، العدد (49) ، مطابع اليمن الحديثة للطبعة ، صنعاء ،2007 ، ص145 .
21. لافون ، روبرت ، التلوث ، ترجمة نادية القباني ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، 1977 ، ص27 وعبد المقصود ، زين الدين ، مصدر سبق ، ص189 .
22. H . M.Dix ، التلوث البيئي ، ترجمة د. كوركيس عبد أل ، جمعة البصرة ، 1988 ، ص14 .
23. العمر ، مثنى عبد الرزاق ، التلوث البيئي ، ط1 ، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ، 2000 ،ص19.
24. رشيد ، عبد الصامت ناجي ، الأسس التخطيطية لتوقع الصناعات الملوثة وغير الملوثة للبيئة في المدن العراقية ، رسالة ماجستير ، مركز التخطيط الحضري الإقليمي ، جامعة بغداد 1982 ، ص92 .
25. العمر ، مثنى ، عبد الرزاق ، مصدر سابق ، ص19 .
26. نفس المصدر ، ص20 .
27. النقاش ، محمد حسن ، التنمية السياحية ، ط1، اليمني للطباعة ، إب ، 2010 ، ص109 ـ ص113 .
28. النقاش ، محمد حسن ، تقنيات التخطيط ، مصدر سابق ، ص1 .
29. عبد المقصود ، زين الدين ، مصدر سابق ، ص187 .
30. النقاش محمد حسن ، مصدر سابق ، ص1 .
31. رشيد ، عبد الصاحب ناجي ، مصدر سابق ، ص18 .
32. عبد المقصود ، زين الدين ، مصدر سابق , ص187 .
33. عبد المقصود ، زين الدين ، نفس المصدر ، ص202 .
34. نفس المصدر ، ص200 .
35. التميمي ، كنعان عمران (وآخرون ) ، أساسيات المعرفة البيئية ، دائرة حماية وتحسين البيئة ، بغداد ،2001 ، ص36 .
36. عبد الجواد ، أحمد عبد الوهاب ، النفايات الخطرة ، ط1 ، سلسلة دائرة المعارف البيئية ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1992 ، ص59 ، والتلوث بالمبيدات الكيماوية ، نشرة المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية ، العدد العشرون ، أمانة المنظمة ، ابريل ، 1989 ، ص23 .
37. النقاش ، محمد حسن ، تقنيات التخطيط ، ص156 ـ ص157 .
38. عبد الجواد ، أحمد عبد الوهاب ، ص21 ـ ص22 ، ويونج ، جون . أ . ، الاستفادة من النفايات ، ترجمة شويكار زكي ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994 ، ص14 ـ ص17 .
39. العزة ، شحاذه محمود ، مصدر سابق ، ص20 .
40. العمر ، مثنى عبد الرزاق ، مصدر سابق ، ص173 ـ ص 174 .

41. لطيف ، باسل عبد الجبار ، تلوث البيئة والسيطرة عليه ، دار الحكمة ، بغداد ، 1990 ، ص144 ـ ص155 .
42. عبد المقصود ، زين الدين ، مصدر سابق ، ص244 .
43. أحمد ، أحمد شهاب ، ومهدي ، علي صالح ، الأسمدة الكيماوية وأثرها البيئي ، دائرة حماية وتحسين البيئة ، بغداد ، 2001 ، ص8 .
44. النقاش ، محمد حسن ، تقنيات التخطيط ، مصدر سابق ، ص56

**الجمهورية اليمنية**
**جامعة إب**
**كلية التجارة والعلوم الادارية**
**قسم السياحة وإدارة الفنادق**

**استمارة استبيان**

**موضوع البحث (التلوث البيئي وأثره على البيئة السياحية في مدينة إب )**

عزيزي المواطن / عزيزتي المواطنة : يعتزم الباحث إجراء دراسة ميدانية الغرض منها دراسة التلوث البيئي وأثره على البيئي وأثره على البيئة السياحية في مدينة إب ، ولذا نرجو الإجابة عن جميع أسئلة الاستمارة بصورة دقيقة وصحيحة لان مساهمتك في الإجابة هام وضروري في إنجاح هذا البحث مع العلم أن كافة البيانات التي سترد في هذه الاستمارة ستبقى سرية ولا تستخدم إلا لأغراض علمية بحتة .

**مع خالص الشكر والتقدير**

**الباحث :**
**د/ محمد حسن النقاش**
رئيس قسم السياحة وإدارة الفنادق
كلية التجارة والعلوم الإدارية ـ جامعة إب

**ضع علامة ( / ) في الحقل المناسب الذي تختاره وباعتماد معلوماتك الخاصة**

| م | أولاً : أهم العوامل المتعلقة بتلوث البيئة السياحية في إب . | أعرف تماما | اعرف إلى حد ما | لا أعرف |
|---|---|---|---|---|
| 1 | يعد موضوع التلوث البيئي من المواضيع المهمة التي شغلت فكر واهتمام العلماء والباحثين . | | | |
| 2 | الإنسان سبب التلوث وضحيته . | | | |
| 3 | المركبات والدراجات النارية من أهم مصادر التلوث في الهواء. | | | |
| 4 | عوادم (دخان) المركبات والدراجات النارية تسبب مرض السرطان . | | | |
| 5 | الغازات والجسيمات الناتجة من الصناعات التي تعرض الإنسان لخطر الاختناق. | | | |
| 6 | الغازات المنبعثة من جراء إحراق النفايات تسبب أمراض ( الكوليرا ، الإسهال ، التايفوئيد ، الزحار، التهاب العيون ..). | | | |
| 7 | إن المبيدات الزراعية والحشرية تبقى أكثر من (20) عام وتتبخر من التربة إلى الهواء ويحدث بالتالي التلوث الهوائي . | | | |
| 8 | ملوثات الهواء تسبب أمراض منها ( أمراض الجهاز التنفسي ، الزكام ، السعال ، الجهاز العصبي ، أمراض القلب ، تهيج العيون ، سرطان الرئة ، سرطان الجلد ) وغيرها من الأمراض . | | | |
| 9 | التلوث الهوائي يؤثر على أنسجة أوراق النباتات والأشجار والمادة الخضراء بها مما يؤدي إلى ذبول وموت النباتات أو بطئ عملية نموها . | | | |
| 10 | الصناعات أخطر مسببات التلوث للماء لأن أغلب الصناعات تحتاج إلى الماء كمادة أولية ، أو استخدامه لأغراض التبريد أو غسل المواد أو تخفيفها ، وان نفايات الصناعات السامة تعود مباشرة من التربة إلى المياه الجوفية . | | | |
| 11 | تسرب المياه من المجاري الصحية أو من خزانات المياه القذرة يساهم في تلوث المياه الجوفية . | | | |
| 12 | ما يطرح الإنسان من أوساخ ودهون ومنظفات وأملاح ذائبة ومواد عالقة كذلك فضلات الفنادق والمستشفيات والمدارس والكليات والسجون وغيرها من الأبنية العامة ، بالإضافة إلى مياه الأمطار ، تسبب تلوث التربة وبالتالي تلوث المياه الجوفية . | | | |
| 13 | تتعرض المياه الجوفية للتلوث نتيجةً استخدام | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية بشكل عشوائي . | | | |
| 14 | استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية بكميات كبيرة يؤدي إلى زيادة التدهور في خصوبة التربة وربما يؤدي إلى التصحر . | | | |
| 15 | إن ملوثات الماء تسبب أمراض (التايفوئيد ، الديزنتري ، التهاب الكبد ، شلل الأطفال ، أمراض السرطان ) وغير ذلك من الأمراض ) . | | | |
| ثانيا : اعتمادك على مصادر المعلومات عن تلوث البيئة السياحية في مدينة إب . | | دائماً | أحيناً | نادراً |
| 1 | البرامج التلفزيونية | | | |
| 2 | الصحف والمجلات | | | |
| 3 | البرامج الإذاعية | | | |
| 4 | الكتب العلمية | | | |
| 5 | الانترنت | | | |
| 6 | الندوات والمحاضرات | | | |
| 7 | النشرات البيئية | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ثالثا : في ضوء معلوماتك بنوع النفايات ودرجة انتشارها في المناطق السياحية المختلفة في مدينة إب | | كثيرة | متوسطة | قليلة |
| 1 | أكياس بلاستيك | | | |
| 2 | العلب المعدنية للمشروبات | | | |
| 3 | زجاجات بلاستيك | | | |
| 4 | علب وأطباق بلاستيك | | | |
| 5 | مخلفات غذائية | | | |
| 6 | العبوات الزجاجية للمشروبات الغازية | | | |
| 7 | العلب الورقية للمشروبات الغازية | | | |
| 8 | مخلفات مواد البناء | | | |
| 9 | أكواب وملاعق وشوك بلاستيك | | | |
| 10 | مخلفات سيارات | | | |
| 11 | صحف ومجلات | | | |
| 12 | مخلفات مبيدات وأسمده | | | |
| رابعا : عوامل الجذب السياحي من وجهة نظرك في مدينة إب . | | متوفر كثيرا | متوفر | غير متوفر |
| 1 | توفر أنماط سياحية متعددة من مناظر خلابة وجبال ووديان وسهول وشلالات وعيون ماء . | | | |
| 2 | توفر الأمن والحماية للسائحين . | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 3 | التراث التاريخي والثقافي للمدينة . | | | |
| 4 | توفر خدمات البنية التحتية من طرق واتصالات وماء وكهرباء وغيرها . | | | |
| 5 | الجو معتدل طوال أيام السنة . | | | |
| 6 | الأسعار مناسبة لأغلب السياح . | | | |
| 7 | التنوع في خدمات الإيواء السياحي من فنادق وشقق فندقية ومطاعم متنوعة . | | | |
| 8 | توفر الخدمات التي تلبي رغبات السائح . | | | |
| 9 | وجود صناعات وحرف تقليدية كمنتجات سياحية . | | | |
| 10 | توفر خدمات الترويح ( مدن العاب ، منتزهات ، صالة العاب ، مهرجانات ترويحية) | | | |
| 11 | تكامل الخدمات وجودتها في داخل معظم المشاريع السياحية في مدينة إب . | | | |
| 12 | كثرة وتنوع الأنشطة والمهرجانات والفعاليات السياحية مما يشوق السائح . | | | |
| 13 | مواكبة المشروعات السياحية لتقنية العصر . | | | |
| خامسا : المعوقات التي تواجه السياحة في مدينة إب . | | أوافق بشدة | أوافق | لا أوافق |
| 1 | معظم المشاريع السياحية صغيرة الحجم . | | | |
| 2 | العشوائية في توزيع المنشآت السياحية . | | | |
| 3 | عدم تكامل الخدمات داخل المشروع الواحد في بعض المشاريع والمناطق السياحية. | | | |
| 4 | تشابه كبير من المشروعات السياحية وعدم التجديد في أفكارها . | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 5 | نقص اكتمال البنية التحتية لبعض المنشآت السياحية . | | | |
| 6 | قلة الانشطة والمهرجانات الترويحية . | | | |
| 7 | عدم وجود كوادر بحثية ومؤهلة ومتخصصة في مجال السياحة . | | | |
| 8 | عدم وجود الصناعات المدعمة والمكملة للأنشطة الترويحية . | | | |
| 9 | موسمية السياحة مما يزيد من حجم المخاطرة التي يواجهها رأس المال المستثمر . | | | |
| 10 | قلة الطرق التي تربط مدينة إب بالمناطق الأخرى في الجمهورية . | | | |
| 11 | غياب الدور الإعلامي للتعريف بالسياحة والدعاية لها . | | | |
| 12 | السياحة لا تعامل كصناعة من حيث دعم الدولة لها | | | |
| 13 | السير على طريق استنزاف البيئة السياحية مثل (قطع الأشجار ، هدر المياه ، الرعي الجائر ، والإكثار من استعمال الطاقة المولدة للغازت الضارة وإلقاء النفايات وصيد الطيور ) . | | | |
| 14 | البيئة غير النظيفة تؤثر على النشاط السياحي . | | | |
| 15 | البيئة السياحية النظيفة المتعافية السليمة تساهم في زيادة الطلب السياحي . | | | |
| 16 | يؤخذ بنظر الاعتبار إحداث التوازن بين تحقيق التنمية السياحية والمحافظة على البيئة . | | | |
| 17 | التخطيط التنموي لكافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والداعمة للنشاطات السياحية لا تأخذ بنظر الاعتبار حماية البيئة من التلوث عند قيام مشاريعها التنموية . | | | |

# نظم المعلومات المالية الالكترونية للمصارف التجارية في فلسطين : العقبات والمخاطر- دراسة ميدانية على المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم

**د. عمر محمود أبو عيدة**
أستاذ الاقتصاد المساعد
قسم الاقتصاد كلية العلوم الإدارية والاقتصادية
جامعة القدس المفتوحة / فرع طولكرم
**فلسطين**

**ملخص البحث**

يهدف هذا البحث إلى التعرف إلى طبيعة المخاطر التي تهدد أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية في المصارف التجارية العاملة في فلسطين / مدينة طولكرم، وأسباب حدوثها ، وكذلك التعرف إلى إجراءات الحماية التي تتبعها المصارف التجارية للحد من هذه المخاطر والسيطرة عليها. أجري البحث على عينة قوامها 118 مفردة من العاملين في المصارف في مدينة طولكرم حيث توزعت العينة على الموظفين الذين لهم علاقة مباشرة في نظم المعلومات المالية المصرفية. اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي حيث تؤكد نتائج التحليل أن المصارف العاملة في مدينة طولكرم والتي شملت في عينة البحث قادرة على السيطرة على أسباب حدوث مخاطر نظم المعلومات المالية المصرفية وخاصة الداخلية منها بسبب إتباعها جملة من الإجراءات الإدارية والفنية والتي تعتبر قادرة على إبقاء مستوى المخاطر وحدوثها متدني جداً. كما تبين من التحليل أن المصارف تتبع إجراءات حماية صارمة وفعالة مما يعطيها الثقة الكاملة بنظم معلوماتها المصرفية ويكسبها الثقة اللازمة من قبل عملاءها . ومن أهم التوصيات التي تم اقتراحها ضرورة قيام الادارة العليا للمصارف بدعم أمن المعلومات لديها وأن تعمل على إنشاء قسم خاص بتكنولوجيا المعلومات في كافة المصارف وتوفير كادر متخصص في تكنولوجيا المعلومات.

**Electronic Financial Information Systems for Commercial Banks in Palestine: Obstacles and Risks - A Field Study On The Commercial Banks Working in Tulkarm City**

**Abstract**

The present research aimed to identify the nature of risks that threaten security of the commercial banking computerized financial information system in the banks working in Tulkarm city / Palestine and their causes , and also to identify the preventive measures taken by the banks in order to minimize the given risks and managed them probably .A sample of 118 bankers have been tested , the results revealed that the banks are well capable in managing the causes behind the occurrences of banking financial information system risks especially the internal ones as a consequence of management and technical actions are followed by the banks. Such results prove the capability of the banks in keeping the degree of risks and the possibility of it occurrence very low. The second main result of the research revealed that the banks follow very stricket and effective security measures which give absolute confidence in the computerized banking financial information system .The main recommendation of the research is that the banks must support their financial information system at its highest administration level by establishing special information technology department in all the banks and supply such department with a well - qualified and specialized man power in information technology.

**المقدمة**

لقد أحدث عصر العولمة وتقنية المعلومات ألحديثه نقله نوعية في التعامل التجاري فمع ازدياد حجم المعلومات التي يجب أن تخزن وتعالج ازدادت رغبة المصارف في اقتناء وتطبيق أحدث النظم والبرامج الالكترونية من خلال استخدام الحاسب الآلي لأداء العديد من الوظائف بوقت سريع وكفاءة عالية ، فكانت المصارف من أولى القطاعات التي تنبهت لأهمية هذه التقنيات ألحديثه وسعت بشتى الطرق والوسائل لاستخدام نظم المعلومات التي أحدثت تغيير شامل على البيئة المصرفية، فتحولت من استخدام النظم اليدوية إلى استخدام نظم المعلومات المحوسبة وأخذت تؤهل نفسها والعاملين ببيئتها بشكل يمكنهم من مجاراة هذه البيئة المتطورة في طابعها. وعلى الرغم من التقدم التكنولوجي الهائل إلا انه يحمل في طياته العديد من المخاطر التي تهدد أمن المعلومات ونظمها الالكترونية التي قد تتمثل بالمخاطر الخارجية مثل الاختراقات، أو المخاطر الداخلية من قبل العاملين فيها لعدم توافر الخبرات الكافية، لذا فحماية هذه النظم والحفاظ عليها يشكل تحد بحد ذاته، ولا يكون ذلك ممكنا إلا من خلال تحديد العقبات والمخاطر التي تواجه النظم المالية الإلكترونية المصرفية المعمول فيها، وأسباب حدوث هذه المخاطر.

وعليه وبهدف التعرف على هذه العقبات وأسباب حدوثها واختبار نموذج البحث فلقد تم تقسيم البحث إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: خطة البحث
المحور الثاني: الإطار النظري للبحث
المحور الثالث: الدراسات السابقة
المحور الرابع: الطريقة والإجراءات
المحور الخامس: اختبار الفرضيات ومناقشة النتائج
المحور السادس: النتائج والتوصيات

## المحور الأول: خطة البحث

**أولا: مشكلة البحث**

تتمثل مشكلة البحث الأساسية في العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية في المصارف التجارية وما هي الإجراءات الكفيلة بحماية هذه النظم من الاختراقات والتهديدات المحيطة بها ، فمن المعروف أن نظام المعلومات يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: (مدخلات ، معالجات ، مخرجات) ، وإذا لم يتم ضبط هذه المكونات الثلاثة من خلال

الأدوات الرقابية المتعددة فمن الممكن أن يتعرض نظام المعلومات المالي الالكتروني للاختراق، ومن ثم سرقة أو تسرب بعض المعلومات المهمة لجهات غير مرغوب فيها، وبالتالي فقدان مخرجات النظام مصداقيتها إذا ما كانت مدخلات النظام غير صحيحة ، وهذا قد يؤثر إلى حد كبير على مصداقية النظام لدى المصارف التجارية والمتعاملين معها على حد سواء إذا ما تسربت بعض المعلومات المهمة. وتكمن مشكلة هذا البحث في المحاولة على التعرف إلى أهم المخاطر التي تهدد أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية في المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم / فلسطين و أسباب حدوثها، و كذلك إجراءات الحماية التي تتبعها المصارف للحد من المخاطر التي تهدد نظم المعلومات المالية.ووفقا لهذا الطرح فانه يمكن وضع مشكلة البحث على شكل التساؤلات الآتية:

(1) ما هي العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية في المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم؟

(2) ما هي الأسباب التي تؤدي إلى حدوث مثل هذه العقبات والمخاطر؟

(3) ما هي السبل التي يجب على المصارف التجارية أن تتبعها من اجل تخطي هذه العقبات والمخاطر؟

**ثانيا: أهمية البحث**

تنبع أهمية البحث وبشكل رئيسي من أهمية الأهداف التي تسعى المصارف التجارية إلى تحقيقها بواسطة إتباع نظم المعلومات المالية كما يعد تطبيق واستخدام نظم المعلومات المالية المصرفية مواكبة للتطور التكنولوجي الحاصل والممتد إلى جميع مجالات الحياة العصرية. لذا فإن إيجاد طريقة أو آلية لحماية هذه النظم من قبل المصارف والمؤسسات المستخدمة لها بشكل واسع سوف يساعد المصارف على زيادة درجة المصداقية في تعاملاتها ونيلها الثقة اللازمة لرفع قدرتها التنافسية من خلال زيادة الكفاءة، والفاعلية، والأمان الخاصة بالتعاملات المالية. كما أن الكشف عن هذه العقبات وسبل علاجها سوف يشجع مؤسسات أخرى على مسايرة التقدم التقني الحاصل في تكنولوجيا المعلومات والقيام بالاستثمار فيه وتطبيقه مما يعني بأكثر من مقياس التقدم والتطور لهذه المؤسسات ولمسيرة التنمية الاقتصادية المستدامة، وبالتالي تحقيق عوائد كبيرة تساهم في تنمية الاقتصاد الوطني في شتى المجالات. وبما أن النظام المالي يعد العمود الفقري للنشاط المصرفي فإن تقويته وتقويمه سيساهم بشكل كبير في حماية المصارف ونموها بشكل أكثر فاعلية.

**ثالثا:أهداف البحث**

يسعى البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف والتي يمكن إجمالها كالآتي:

1- التعرف إلى طبيعة المخاطر التي تهدد أمن نظم المعلومات المالية المحوسبة في المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم.

2- التعرف إلى أسباب حدوث المخاطر والمشاكل التي تواجه نظم المعلومات المحوسبة المعمول بها في المصارف التجارية العاملة بمدينة طولكرم.

3- التعرف إلى إجراءات الحماية التي تتبعها المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم للحد من المخاطر التي تهدد نظم المعلومات المالية المحوسبة.

4- تقديم المقترحات والتوصيات التي من شأنها أن تساهم في إيجاد الحلول المناسبة للمخاطر وأسباب حدوثها ومعالجتها.

**رابعا: فرضيات البحث**

(1) لا يوجد علاقة ذات دلاله إحصائية عند مستوى دلالة=0.05 بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية المحوسبة للمصارف العاملة في مدينة طولكرم وأسباب هذه المخاطر.

(2) لا يوجد علاقة ذات دلاله احصائيه عند مستوى دلاله=0.05بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية المحوسبة و إجراءات الحماية المتبعة من قبل المصارف للحفاظ عليها .

**خامسا: سؤال البحث**

يمكن حصر سؤال البحث بإيجاد أجوبة للسؤال الآتي:

- **ما هي العقبات والمخاطر وإجراءات الحماية التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية المحوسبة في المصارف التجارية العاملة بمدينة طولكرم ؟**

**سادسا: منهجية البحث**

في ضوء طبيعة الدارسة والبيانات المراد الحصول عليها استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة كما هي في الواقع ويعبر عنها تعبيرا كميا وكيفيا بحيث يؤدي ذلك إلى الوصول إلى فهم لعلاقات هذه الظاهرة إضافة إلى الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعد في تطوير الواقع المدروس(أبو علام، 1998).

**سابعا: محددات الدراسة**

يتحدد هذا البحث في دراسة العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية المصرفية في المصارف العاملة بمدينة طولكرم. هذا بالإضافة إلى الصعوبات التي واجهت الباحث بالحصول على البيانات اللازمة للبحث لما تتميز به هذه المعلومات من الأهمية والخصوصية بالنسبة للمصارف على وجه التحديد.

**ثامنا:مصطلحات البحث**

النظام System:من المعروف بأن النظام يتكون من عدة عناصر مرتبطة مع بعضها البعض وذلك لتأدية وظيفة معينة أو عدة وظائف ، وبغض النظر إن كان ذلك النظام محوسبا أم لا ، فدوما تحكمه سياسات وإجراءات يتم إتباعها بشكل روتيني ، كما تتم مراقبة تلك الإجراءات من قبل المسؤول عن النظام للتأكد من عدم وجود أي اختراقات للسياسات الموضوعة. (طراد ، 2002 ، ص 142).

نظام المعلومات Information System: يعد نظام المعلومات المصدر الأساسي لتزويد الإدارة بالمعلومات المناسبة لعملية اتخاذ القرار الإداري. ويعرّف نظام المعلومات " بأنه مجموعة من المكونات المربوطة مع بعضها البعض بشكل منتظم من اجل إنتاج المعلومات المفيدة ، وإيصال هذه المعلومات إلى المستخدمين بالشكل الملائم ، والوقت المناسب ، من أجل مساعدتهم في أداء الوظائف الموكلة إليهم( صيام ، 2002 ،ص 57 ).

نظم المعلومات المالية Financial Information Systems:هو ذلك الجزء الأساسي والهام من نظام المعلومات الإداري في المؤسسة الذي يقوم بحصر وتجميع البيانات المالية من مصادر خارج وداخل المؤسسة ثم يقوم بتشغيل البيانات وتحويلها إلى معلومات ماليه مفيدة للمستخدمين من داخل أو خارج المؤسسة ( الحسيني والدوري، 2003 ،ص 187).

**المحور الثاني: الإطار النظري للبحث**

**أولا: ماهية نظام المعلومات**

أصبحت معظم المؤسسات المالية وغير المالية تعتمد اعتماد واسع على استخدام نظم المعلومات المحوسبة ، حيث أثبتت الدراسات في هذا المجال أن عدداً من هذه المؤسسات قد نجح في حين قد تعرض العديد منها إلى المشاكل والمخاطر، وهذه المخاطر عزيت إلى عوامل محددة لم تأخذ بالحسبان من قبل منظمات الأعمال، والمصممين، والمستخدمين لهذه النظم. (Bruwer,1984p 63) وفي هذا السياق أشار (Robey,1979,p19) إلى

أن نظام المعلومات يمكن أن يواجه مشاكل ومخاطر متى ما كان هناك إهمال لردود فعل المستخدم والعوامل التنظيمية المحيطة. وأن معايير نجاح النظام قد تختلف من مؤسسة إلى أخرى وان هناك مميزات عامة تصف النظام ألمعلوماتي الناجح وهي الدقة، وصحة النظام، والاستقلالية، والاستخدام الشامل من قبل جميع المعنيين، إذ أن وجود هذه المميزات تدعم النظام وترفع من جودته، ومن ثم يساعد المؤسسات على رفع جودتها وكفاءتها الإجمالية (السالمي، 1999 ، ص 17). أما فشل النظام أو تعرضه للمشاكل والصعوبات يعود إلى عدم استخدامه بطريقة فعالة، وكذلك إلى مشاكل في التصميم ،والبيانات، والتكاليف، والتشغيل.( سلطان،2000 ،ص 409) أما نجاح النظام فيعني أن يكون نظام المعلومات ذو جودة عالية يقوم بتحقيق جميع الأهداف والمتطلبات للمؤسسات والمستفيدين بشكل يغطي جميع إجراءات العمل المطلوبة الحالية والمستقبلية، ويعمل بتقنية صحيحة بدون أخطاء، وأن يكون سهل الصيانة والتطوير ( عيسى والنائب، 2002 ص 1). ويواجه تطبيق نظام المعلومات الناجح مجموعة من الصعوبات، ومن أهمها: ( السامرائي والزعبي، 2004 ،ص 61).

1 - التطور التكنولوجي وما يرافقه من عدم واقعية التوقعات في مستقبل التكنولوجيا.
2 - صعوبة البناء والتطوير والتعديل المستند إلى تكنولوجيا المعلومات.
3 - صعوبة التكامل بين النظم المستندة إلى تكنولوجيا المعلومات.
4 - صعوبة التنبؤ بالنتائج المستقبلية لتطبيق نظام المعلومات في المؤسسات.

مما تقدم يتضح بأن نظم المعلومات المالية كغيرها من العلوم الأخرى محكومة بنظام خاص بها ، يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: المدخلات، والمعالجة، والمخرجات. وكأي نظام آخر تحكمه عدة سياسات وإجراءات صارمة لا يجوز تجاوزها لأي سبب كان وبغض النظر عن حوسبة النظام من عدمه فنظام المعلومات المالي يمثل ذلك الجزء الأساسي والهام من نظام المعلومات الإداري في المؤسسة الذي يقوم بحصر وتجميع البيانات المالية من مصادر خارج وداخل المؤسسة ثم يقوم بتشغيل البيانات وتحويلها إلى معلومات ماليه مفيدة للمستخدمين من داخل أو خارج المؤسسة. ومن المفاهيم التي يمكن الاستدلال بها في هذا المجال ذلك الذي قدمه ذبيان على انه "نظام فرعي للمعلومات داخل المؤسسة يتكون من مجموعه من إمكانيات أليه وبشريه مسئولة عن توفير المعلومات التي يتم الحصول عليها من تشغيل البيانات التاريخية، ومساعدة الإدارة وفئات أخرى في عملية التخطيط والرقابة واتخاذ القرارات"( ذبيان ،1986،ص 105)

**ثانيا:مكونات ووظائف نظام المعلومات المالي الإلكتروني المصرفي**
**الجدول الآتي يوضح المكونات والوظائف الأساسية لنظام المعلومات المالي الإلكتروني المصرفي**
**الجدول رقم(1)مكونات ووظائف نظام المعلومات المالي الإلكتروني المصرفي**

| مكونات نظام المعلومات المالي الإلكتروني المصرفي | وظائف نظام المعلومات المالي الإلكتروني المصرفي |
| --- | --- |
| 1- الأشخاص المديرين للنظام | 1- تجميع المعلومات والتأكد من صحتها |
| 2- الخطوات والإجراءات اليدوية أو الآلية | 2- تصنيف هذه البيانات وترتيبها في ملفات وفقا لأسس معينه فمثلا يتم ترتيب البيانات الخاصة بحسابات العملاء وفقا لرقم العميل |
| 3- البيانات | 3- تلخيص البيانات ويتم بهذه العملية عرض البيانات المجمعة في تقرير واحد فمثلا يتم تلخيص الإيداعات في الحسابات الجارية يوميا في تقرير واحد |
| 4- البرمجيات المستخدمة لتشغيل البيانات | 4- تخزين البيانات وبهذا يتم حفظ البيانات في ملفات خاصة تمهيدا لاستخدامها في الوقت المناسب مستقبلا |
| 5- البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات | |

المصدر: تم إعداده من قبل الباحث

**ثالثا: المخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**
تعتبر نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة من النظم التي تواجه العديد من المخاطر التي قد تؤثر على تحقيق أهداف تلك النظم، وذلك نظراً

لاعتمادها على الحاسوب، حيث تزامن التطور الكبير للحاسبات وأنظمة المعلومات مع التطور في تكنولوجيا المعلومات وسرعة انتشار هذه المعلومات واستخدامها إلكترونيا، ولقد صاحب هذا التطور في استخدام المعلومات الإلكترونية العديد من المخاطر والمشاكل التي تؤثر على أمن المعلومات سواء كانت تلك المخاطر مقصودة أم غير مقصودة . وتعتبر المخاطر المقصودة أشد خطرا على أداء و فاعلية نظم المعلومات .وتكمن خطورة مشاكل أمن المعلومات في عدة جوانب منها تقليل أداء الأنظمة الحاسوبية،أو تلفها بالكامل، مما يؤدي إلى تعطيل الخدمات الحيوية للمصرف ، أما الجانب الآخر فيشمل سرية وتكامل المعلومات حيث قد يؤدي الاطلاع والتصنت على المعلومات السرية أو تغييرها إلى خسائر مادية أو معنوية كبيرة. ويمكن تصنيف المخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية المحوسبة بشكل عام إلى أربعة أصناف رئيسة:

**أ- مخاطر المدخلات**

وهي المخاطر التي تتعلق بأول مرحلة من مراحل النظام وهي مرحلة إدخال البيانات إلى النظام الآلي وتتمثل تلك المخاطر في البنود الآتية:

1-الإدخال غير المتعمد (غير المقصود) لبيانات غير سليمة بواسطة الموظفين.

2-الإدخال المتعمد(المقصود )لبيانات غير سليمة بواسطة الموظفين.

3-التدمير غير المتعمد للبيانات بواسطة الموظفين.

4-التدمير المتعمد المقصود للبيانات بواسطة الموظفين.

**ب- مخاطر تشغيل البيانات**

وهي المخاطر التي تتعلق بالمرحلة الثانية من مراحل النظام وهي مرحلة تشغيل ومعالجة البيانات المخزنة في ذاكرة الحاسب وتتمثل تلك المخاطر في البنود الآتية:

1-الوصول غير الشرعي(غير المرخص به) للبيانات والنظام بواسطة الموظفين.

2-الوصول غير الشرعي للبيانات والنظام بواسطة أشخاص من خارج المصرف.

3-اشتراك العديد من الموظفين في نفس كلمة السر.

4- استخدام الفيروسات وإدخالها على النظام المالي والتأثير على عملية تشغيل بيانات النظام.

5-اعتراض وصول البيانات من أجهزة الخادم إلى أجهزة المستخدمين.

**ج- مخاطر مخرجات الحاسب**

تتعلق تلك المخاطر بمرحلة مخرجات عمليات معالجة البيانات وما يصدر عن هذه المرحلة من قوائم للحسابات أو تقارير وأشرطة ملفات ممغنطة وكيفية استلام تلك المخرجات وتتمثل تلك المخاطر في البنود الآتية:

1- طمس أو تدمير بنود معينة من المخرجات.

2-خلق مخرجات زائفة /غير صحيحة.

3-سرقة البيانات /المعلومات.

4-عمل نسخ غير مصرح بها من المخرجات.

5-الكشف غير المرخص به للبيانات عن طريق عرضها على شاشات العرض أو طباعتها.

6-طبع وتوزيع المعلومات بواسطة أشخاص غير مصرح لهم بذلك.

7-المطبوعات والمعلومات الموزعة يتم توجيهها بشكل خاطئ إلى أشخاص غير مخولين باستلام مثل هذه النسخ.

8-تسليم المستندات الحساسة إلى أشخاص لا تتوافر فيهم الناحية الأمنية بغرض تمزيقها أو التخلص منها.

**د- مخاطر بيئية**

وهي المخاطر التي تحدث بسبب عوامل بيئية، مثل: الأخطار المتعلقة بأعطال الكهرباء، والحريق، أو مثل التي تسببها الكوارث الطبيعية كزلازل ،والعواصف، والفيضانات، والأعاصير، وهذه المخاطر سواء كانت تلك الكوارث طبيعية أم غير طبيعية فإنها قد تؤثر على عمل النظام المالي وقد تؤدي إلى تعطل عمل التجهيزات والتسبب في توقفها لفترات طويلة مما يؤثر على أمن وسلامة نظم المعلومات المالية المحوسبة.

**رابعا: أسباب حدوث المخاطر التي تهدد نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة**

**1- أسباب تتعلق بموظفي المصرف، نتيجة لقلة الخبرة والوعي والتدريب ومن أهمها:**

- عدم توافر الخبرة اللازمة والتدريب الكافي والخلفية العلمية والمهارات المطلوبة لتنفيذ الأعمال من قبل موظفي البنك .
- عدم إلزام الموظفين بأخذ إجازتهم الدورية.
- عدم الاهتمام الكافي بفحص التاريخ الوظيفي والمهني للموظفين الجدد.
- عدم الاهتمام بدراسة المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية لموظفي البنك.

-عدم الوعي الكافي لدى الموظفين بضرورة فحص البرامج أو الأقراص الممغنطة الجديدة عند إدخالها إلى أجهزة الكمبيوتر.

**2- أسباب تتعلق بإدارة المصرف، نتيجة لعدم وجود سياسات واضحة ومكتوبة، وضعف الإجراءات والأدوات الرقابية المطبقة ومن أهمها:**

- عدم كفاية وفعالية الأدوات والضوابط الرقابية المطبقة في المصرف.

-اشتراك بعض الموظفين في استخدام نفس كلمة السر.

-عدم الفصل بين المهام والوظائف المالية المتعلقة بنظم المعلومات الإلكترونية.

-عدم وجود سياسات وبرامج محددة ومكتوبة لأمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية بالمصرف.

-عدم توفر الحماية الكافية ضد مخاطر فيروسات الكمبيوتر في المصرف.

-ضعف وعدم كفاءة النظم الرقابية المطبقة على مخرجات الحاسب الآلي.

-عدم التوصيف الدقيق للهيكل الوظيفي والإداري الذي يحدد المسؤوليات والصلاحيات لكل شخص داخل الهيكل التنظيمي للمصرف.

**خامسا: إجراءات حماية نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

1- تقوم إدارة المصرف بإصدار قرارات إدارية خاصة لتجنب مخاطر أمن المعلومات.

2- تتابع إدارة المصرف موظفي تكنولوجيا المعلومات في تنفيذ إجراءات الحماية المطلوبة.

3- تقوم إدارة المصرف بوضع قواعد خاصة لحماية أمن المعلومات ومعاقبة الموظفين المخلين بالقواعد.

4- تقوم إدارة المصرف بوضع خطة حماية شاملة ومعمقة تشمل إغلاق منافذ الاختراق، والتدقيق في الإجراءات الداخلية، والاحتفاظ بنسخة احتياطية من المعلومات يمكن الرجوع إليها وقت الحاجة.

5- تقوم إدارة المصرف بصد الاختراق عند حدوثه وإصلاح الخلل الناتج عنه.

6- تقوم إدارة المصرف بتحليل المخاطر الخاصة بأمن المعلومات مثل العائد المتوقع مقابل تكاليف الإجراءات المضادة.

**المحور الثالث: الدراسات السابقة**

اتضح للباحث أثناء البحث عن الدراسات السابقة أن موضوع البحث يفتقر إلى الدراسات السابقة على مستوى المصارف العاملة في فلسطين ، وعليه فإن أهم الدراسات التي تناولت موضوع البحث تتبع إلى البيئة المصرفية والتجارية العربية وكذلك إلى البيئة الأجنبية. وسوف يتم التركيز في هذا

المحور من البحث على مجموعة من الدراسات التي يمكن من خلالها تأطير مشكلة البحث وتدعيمها من جميع الجوانب.

**أولا: الدراسات العربية**

ففي دراسة (الكخن ،1988) تناولت الرقابة المالية في ظل الأنظمة الإلكترونية وتطبيقاتها في المصرف المركزي الأردني. هدفت الدراسة إلى تتبع الإجراءات الرقابية المتبعة في دائرة الحاسوب في المصرف المركزي الأردني ، وفي نظامه المالي الإلكتروني ، ومقارنتها بالإجراءات الرقابية التي يجب أن تتبع ، ومن أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة أن الإجراءات الرقابية المالية المتبعة في دائرة الحاسوب في المصرف المركزي الأردني وفي نظامه المالي الإلكتروني تعد كافية لتحقيق الدقة والسرعة في المعلومات المستخرجة نتيجة لمعالجة البيانات المدخلة وفقا لإجراءات رقابية واضحة ومحددة ، وأن إجراءات الرقابة على التطبيقات كافية وجيدة وتضمن دقة وصحة للمعلومات المستخرجة نتيجة معالجة البيانات المدخلة إلى النظام بشكل دقيق وجيد. كما أوصت الدراسة بضرورة الحاجة إلى استكمال بعض نواقصها ، ولا سيما انه لم يتوفر قسم تدقيق داخلي مؤهل لمتابعة هذه الإجراءات.

وفي مراجعة للأنظمة المالية التي تعتمد على استخدام الحاسوب هدفت دراسة ( جاموس، 1991) إلى التعرف على نظم المعلومات المالية الآلية ، وعملية تدقيقها بالتركيز على استخدام الحاسوب بوصفه وسيلة أساسية لتنفيذ عملية التدقيق. حيث بينت الدراسة أن عملية التدقيق التي يتبعها مدققو الجهاز المركزي للرقابة المالية في سوريا لا ترتقي إلى مستوى معقول من التطور في الاستخدام. كما أكدت نتائج الدراسة عدم وجود إدارات متكاملة تختص بالحاسوب في اغلب الشركات التي شملتها عينة الدراسة، وكشفت الدراسة عن أن جميع أجهزة الحاسوب التي تمتلكها شركات عينة الدراسة متقادمة فنياً ولا تحقق الجدوى الاقتصادية منها، وبالتالي فإن استخدام النظم الالكترونية من قبل الشركات المشمولة في الدراسة يقتصر على تنفيذ عمليات حسابية بسيطة جداً كاحتساب رواتب وأجور العاملين.

وأضاف (الردايدة، 1998) دراسة بعنوان "اثر المعالجات الآلية على أنظمة المعلومات المالية ـ دراسة تطبيقية في دائرة الجمارك الأردنية". والذي هدف من خلالها إلى تتبع أثر المعالجات الآلية على أنظمة المعلومات المالية ، من خلال المدخلات والمعالجات والمخرجات. كما هدف كذلك إلى معرفة الأسس والضوابط المستخدمة في المعالجة الآلية للبيانات المالية في دائرة الجمارك مقارنة بالأسس والضوابط التي يجب أن تتبع، ويمكن تصنيف النتائج التي توصلت إليها الدراسة كالآتي:

**(1) النتائج المتعلقة بتحقيق مدخلات نظم المعلومات المالية في بيئة المعالجة الآلية لمتطلبات التعليمات المالية وجد أن:**

- هناك عدم اكتمال في عملية التعامل مع بعض المصادر بالطريقة التقليدية.
- إدخال البيانات وتسجيلها في الحسابات يحقق نسبة عالية من المصداقية بالمعلومات المستخرجة من نظم المعالجة الآلية.
- البرامج والتطبيقات المستخدمة في تنفيذ العمليات المالية ، قوية وتأخذ بالاعتبار ضرورة عدم السماح بتغيير أو إدخال بيانات مدخلة مسبقا لنظم المعالجة الآلية إلا بشروط محددة في البرنامج، وأن المراقبة على العمليات المنفذة لم تصل إلى المستوى المطلوب.
- الالتزام بالشروط العامة التي تمثل وجود بيانات واضحة وصحيحة يدل على وجود تدقيق جيد على مصادر البيانات.

**(2) النتائج المتعلقة بتحقيق المعالجة الآلية للبيانات المالية لمتطلبات معايير التدقيق الدولية التي تتعلق بدراسة وتحليل النظم المالية في بيئة المعالجة الآلية وجد :**

- انخفاض ملحوظ في استخدام الوسائل الرقابية.
- انخفاض ملحوظ في عملية تحديد صلاحيات التعامل مع نظام معالجة البيانات.
- وجود آلية توثيق متبعة ، إلا أن درجة المحافظة على تلك الآلية منخفضة.
- وجود عدم اكتمال لعملية تنفيذ الضوابط ، حيث وجد أن هنالك خلطاً في عملية استخدام الضوابط المناسبة لكل حالة.
- وجود درجة مقبولة تشير إلى سلامة أجهزة المعالجة الآلية واستمرارية عملها.
- وجود درجة رضا عالية من قبل أصحاب المصالح على مخرجات النظام.
- أن دائرة الجمارك تعنى بتطوير نظم المعالجة الآلية للبيانات المالية.
- وجود مشاركة فاعلة من قبل الماليين في الدائرة في تصميم أساليب المعالجة الآلية للبيانات المالية.

وفي مساهمة أخرى من (رمضان ، 1999) بعنوان " العوامل المؤثرة على نظم المعلومات المالية في الشركات الصناعية الأردنية المساهمة العامة"، هدفت الدراسة إلى قياس اثر كل من العوامل البيئية، والعوامل التنظيمية، وطرق صنع القرار على نظام المعلومات المالي الإلكترونية المستخدم في الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية،وقد خلصت الدراسة إلى أن

هناك ضعف في العلاقة بين النظم الإدارية المتبعة بهذه الشركات ونظم المعلومات المالية لها وأعزت الدراسة السبب إلى عدم وعي الشركات المفحوصة بدور الإدارة في إحداث الأثر الكبير على خصائص نظم المعلومات المالية. كما تناولت دراسة ( الحلو ،2000) " أثر استخدام نظم وتكنولوجيا المعلومات على الخدمات المصرفية المتكاملة في المصارف الأردنية من منظور القيادات المصرفية" والتي هدفت إلى إثبات أن المصارف التجارية في الأردن لن تستطيع الاستمرار بالعمل أو التنافس إذا لم تستخدم تكنولوجيا الحاسب الآلي والاتصالات بفاعلية في أداء أعمالها المختلفة ، كذلك سعت هذه الدراسة إلى تقديم صورة عن واقع أنظمة المعلومات والاتصالات المستخدمة في المصارف الأردنية من خلال استقصاء آراء مديري التخطيط الاستراتيجي ، ومديري التسويق ، ومديري تكنولوجيا المعلومات في هذه المصارف. وقد خلصت الدراسة إلى أن الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يؤدي إلى خفض التكاليف، وزيادة أرباح المصارف، وزيادة إقبال المودعين وأعدادهم ، ورفع مستوى الخدمة المقدمة للزبائن ، وإظهارها بشكل لائق. كما أكدت الدراسة أن المصارف لا تستطيع أن تستمر بعملها وتوفير الخدمات لعملائها دون استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وفي دراسة باللغة الانجليزية تناولت نظم المعلومات الخاص بالنظام المصرفي المصري قام (**Abu-Musa ,2001**) بمحاولة لإستكشاف واختبار المخاطر الهامة التي تهدد أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية في القطاع المصرفي بجمهورية مصر العربية، حيث تم عمل دراسة مسحية شملت جميع المصارف الرئيسة العاملة بجمهورية مصر العربية للتعرف على أراء كل من رؤساء أقسام الحاسب الآلي، ورؤساء أقسام المراجعة الداخلية، فيما يختص بالمخاطر الهامة التي تهدد أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية في المصارف التي يعملون بها. وتشير نتائج الدراسة إلى أن الإدخال غير المتعمد لبيانات غير صحيحة من قبل موظفي المصارف، والتدمير غير المتعمد للبيانات من قبل موظفي المصارف، وإدخال فيروس الكمبيوتر إلى النظام، والكوارث الطبيعية والكوارث التي هي من صنع الإنسان ، واشتراك بعض الموظفين في استخدام نفس كلمة السر، وكذلك توجيه البيانات والمعلومات إلى أشخاص غير مخول لهم بإستلامها تعد من أهم المخاطر التي تواجه أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية في المصارف المصرية.

**ثانيا:الدراسات الأجنبية**

من الدراسات الأجنبية التي تناولت مخاطر نظم المعلومات دراسة( Loch ,et al. 1992) حيث أجرت الدراسة مسح شمل على 675 من مديري نظم

المعلومات الإدارية في الولايات المتحدة ، استهدفت استكشاف مدى إدراك مديري نظم المعلومات الإدارية فيما يتعلق بالمخاطر الأمنية التي تواجه أمن النظم المالية الإلكترونية في بيئة الحاسبات الشخصية، والحاسبات الكبيرة، وكذلك شبكة الحاسبات الإلكترونية .ولقد قام(Loch) ورفاقه بتطوير قائمة تضمنت إثنى عشر خطراً من المخاطر المحتملة التي قد تواجه أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية .ولقد أوضحت نتائج الدراسة أن الكوارث الطبيعية والأحداث غير المقصودة لموظفي المنشأة قد تم تصنيفها ضمن الثلاثة مخاطر الهامة في جميع بيئات تكنولوجيا المعلومات، كما أعطى المشاركون في الدراسة أهمية أكبر للمخاطر الداخلية مقارنة بالمخاطر الخارجية لأمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية، كما أظهرت الدراسة أن التدمير غير المتعمد للبيانات، والإدخال غير المتعمد لبيانات غير سليمة بواسطة موظفي المنشأة، وكذلك الرقابة غير الكافية على الوسائل مثل الأشرطة والأقراص الممغنطة تعد أهم ثلاثة مخاطر تواجه أمن نظم المعلومات فيما يتعلق بأجهزة الحاسب الشخصية ، و أن أهم ثلاثة مخاطر تتعلق بأجهزة الحاسب الآلي الكبيرة تتمثل في :الإدخال غير المتعمد لبيانات غير سليمة من قبل موظفي المنشأة، الكوارث الطبيعية، والتدمير غير المتعمد للبيانات بواسطة موظفي المنشأة، بينما أظهرت الدراسة أن الكوارث الطبيعية، والدخول غير المصرح به للبيانات /النظام من قبل أطراف خارجية، قراصنة المعلومات وضعف الأدوات الرقابية المادية تعد أهم ثلاثة مخاطر تهدد أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية في بيئة شبكة الحاسب الآلي. وقاما (**Ryan & Bordolo,**1997) بتقييم مخاطر أمن المعلومات في النظم المالية الإلكترونية في المنشآت التي تحولت من نظام أجهزة الحاسوب الكبيرة إلى نظام خدمة العملاء، ولقد قام الباحثان بتطوير قائمة شملت خمسة عشر من المخاطر المحتملة التي قد تهدد أمن نظم المعلومات الإلكترونية، و توزيعها على مائة وعشرين شركة من الشركات الكبيرة والمتوسطة الحجم في الولايات المتحدة، . وأشارت نتائج تلك الدراسة إلى وجود فروق جوهرية بين المنشآت التي لديها نظام أجهزة الحاسوب الكبيرة وتلك التي تطبق نظام خدمة العملاء فيما يختص بمخاطر أمن المعلومات المالية الإلكترونية ومن أهمها: التدمير غير المتعمد للبيانات بواسطة موظفي المنشأة، الإدخال غير المتعمد لبيانات خاطئة بواسطة موظفي المنشأة، التدمير المتعمد للبيانات بواسطة موظفي المنشأة، الإدخال المتعمد لبيانات خاطئة بواسطة موظفي المنشأة، الخسائر الناجمة عن عدم إعداد نسخ إضافية (Backups)، أو الرقابة على ملفات الدخول للنظام (Log Files)،أو فشل النظام وسقوط الشبكات وقد أعترف الباحثان أن قائمة المخاطر المقترحة من

قبلهم قد تضمنت بعض العناصر التي لايمكن اعتبارها ضمن مخاطر أمن نظم المعلومات بالمعنى الدقيق . وفيما يخص اختراق أمن المعلومات ساهم (**Dhillon ,1999**) بدراسة تتعلق بطبيعة الاختراقات التي حدثت في أماكن مختلفة من العالم ، حيث ناقشت الدراسة العديد من خسائر أمن المعلومات التي تنتج عن الاحتيال على أنظمة الحاسوب، وبينت الدراسة أنه يمكن تفادي تلك الخسائر إذا تبنت المنظمات نظرة أكثر واقعية في التعامل مع مثل هذه الحوادث بالإضافة إلى تبني نظرة تحكم أمنية تضع تأكيدا متساويا للتدخلات الشكلية والرسمية والتقنية لأنظمتها الإلكترونية، ومن أهم المقترحات التي أوصت بها الدراسة أنه يجب السيطرة الكاملة على نظم المعلومات من خلال منع سوء استعمال الحاسوب، كما رأت الدراسة أن ارتكاب الاحتيال على أنظمة الحاسوب من قبل المستخدمين الداخليين، المتمثلة بمشاكل التخزين، واحتيال أنظمة الحاسوب عالية التقنية يصعب منعها بشكل كامل. وفي مساهمة أخرى قدم (Siponen , 2000) تصورا لبرنامج وعي أمن المعلومات في المؤسسات، وذلك لتقليل أخطاء المستخدمين، ولتحسين فعالية سيطرة الأمن المطبقة، وقد توصل الباحث إلى أن تقنيات أو إجراءات أمن المعلومات تفقد فائدتها الحقيقية إذا تم إساءة استخدامها، أو تم تفسيرها بطريقة خاطئة أو تم تطبيقها بشكل غير صحيح من قبل المستخدمين. كما تناولت دراسة (Whitman ,2003) التهديدات التي تواجه أمن المعلومات وهدفت إلى التعرف إلى درجة خطورة هذه التهديدات، وعدد مرات حدوثها (شهريا)، حيث قام الباحث بعمل تقييم لعدد من الأبحاث والمقالات في مجال أمن المعلومات، وحصر التهديدات التي تواجه أمن المعلومات.حيث قام الباحث بعمل دراسة مسحية شملت ألف موظف أغلبهم من مدراء نظم المعلومات، والمدراء و المشرفين. وأوضحت الدراسة أن التهديد حقيقي، وخطورته عالية، وأن الأنظمة المعرضة للتهديد يصعب حمايتها، وركزت الدراسة على أن الإدارة يجب أن تكون مطلعة أكثر على تهديدات أمن المعلومات، ويجب أن يزداد وعيها في كل المجالات، وأن مستوى فهمهم العام لأمن المعلومات متأصل من خلال علاقتها مع البيئة التي تعمل بها.

من خلال هذا السرد لهذه المجموعة من الدراسات السابقة يتضح بأن نظم المعلومات المالية والمحاسبية والإدارية المحوسبة تتعرض إلى مجموعة من المخاطر على جميع المستويات الإدارية، والتنظيمية، والفنية، والتطبيقية وغيرها، وهذا يعطي مشكلة البحث الحالي أهمية إضافية إذ أنها تحاول التعرف إلى هذه المخاطر وأسباب حدوثها وتقديم المقترحات التي من شأنها أن تساهم في إيجاد الحلول لمثل هذه المخاطر والتي سوف تكون في غاية

الأهمية التطبيقية من وجهة نظر المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم في فلسطين.

**المحور الرابع: الطريقة والإجراءات**

يتناول هذا المحور الطريقة والإجراءات التي اتبعها الباحث في تحديد مجتمع البحث والعينة وشرح الخطوات والإجراءات العلمية التي اتبعها الباحث في بناء أداة البحث ووصفها، ثم شرح مخطط تصميم الدراسة ومتغيراتها، والإشارة إلى أنواع الاختبارات الإحصائية التي استخدمت في البحث.

**اولا: مجتمع البحث والعينة**

تكون مجتمع البحث من موظفي المصارف التجارية في مدينة طولكرم والبالغ عددهم 160 موظف بحسب التقرير السنوي لسلطة النقد الفلسطينية(سلطة النقد الفلسطينية ،2011) والذي لهم علاقة مباشرة في نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية كمستخدمين ومدراء ورؤساء أقسام ومراقبين وغيرهم. ويمكن حساب عينة البحث بناءً على المعادلة الآتية:

$$n = \frac{\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.50)^2}{1 + \frac{1}{N}\left[\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.50)^2 - 1\right]}$$

حيث:

(N) تمثل حجم المجتمع

(Z) تمثل الدرجة المعيارية المقابلة لمستوى الدلالة 0.95 وتساوي 1.96

(d) تمثل نسبة الخطأ

وبتطبيق هذه المعادلة على مجتمع الدراسة والبالغ 160 موظف، فإن حجم العينة المطلوب هو 113 مفردة، ولكن العينة التي اختبرت أعلى من حجم العينة المفترض مما يعطي مصداقية أكبر للبحث. فقط تم توزيع 125 استبانة تم إعدادها من قبل الباحث بهدف جمع البيانات اللازمة والوصول إلى حجم العينة المطلوب، استجاب جميعهم، وتم استبعاد (7) استبانات من التحليل لعدم صلاحيتها، وبذلك يكون عدد أفراد العينة التي أجري عليها التحليل (118) مفردة وتعتبر هذه العينة فوق الحد المطلوب مما يعطي الدراسة المزيد من الصدق والثبات،وكان توزيع هذه العينة تبعا لمتغيرات الدراسة المستقلة كما في الجدول الآتي:

**الجدول (2)**
**توزيع عينة الدراسة تبعاً للمتغيرات المستقلة**

| 1- المستوى التعليمي | التكرار | النسبة المئوية(%) |
|---|---|---|
| دبلوم | 14 | %11.9 |
| بكالوريوس | 87 | %73.7 |
| ماجستير | 17 | %14.4 |
| المجموع العام | 118 | %100 |
| 2- المسمى الوظيفي | التكرار | النسبة المئوية(%) |
| مدير | 8 | %6.8 |
| مراقب عام | 8 | %6.8 |
| رئيس قسم | 16 | %13.6 |
| مراجع نظم معلومات | 9 | %7.6 |
| محاسب | 53 | %44.9 |
| موظف / تسهيلات ،صندوق، خدمة عملاء | 24 | %20.3 |
| المجموع العام | 118 | %100 |
| 3- سنوات الخبرة | التكرار | النسبة المئوية(%) |
| اقل من 3سنوات | 34 | %28.8 |
| من 3-6سنوات | 61 | %51.7 |
| من 7-10سنوات | 9 | %7.6 |
| من 15فاكثر | 14 | %11.9 |

| | | |
|---|---|---|
| المجموع العام | 118 | %100 |
| 4- نوع المصرف | التكرار | النسبة المئوية(%) |
| تجاري | 98 | %83.1 |
| إسلامي(تجاري) | 20 | %16.9 |
| متخصص | 0 | 0 |
| المجموع العام | 118 | %100 |
| 5- النظام المالي في المصرف | التكرار | النسبة المئوية(%) |
| آلي كامل | 32 | %27.1 |
| مزدوج(يدوي والآلي) | 86 | %72.9 |
| المجموع العام | 118 | %100 |
| 6- عدد المتخصصين في نظم المعلومات | التكرار | النسبة المئوية(%) |
| من 1-5 | 102 | %86.4 |
| من 6-10 | 16 | %13.6 |
| المجموع العام | 118 | %100 |

**7. أهم المخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

الجدول رقم (3) يوضح المخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية وتكراراتها:

**جدول(3)**

**يوضح فقرات تحديد تكرار كل خطر حسب ما حدث لكل بنك والنسب المئوية لكل فقرة من فقرات أهم المخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

| الفقرات | لا تحدث | | مرة يوميا | | مرة أسبوعيا | | مرة شهريا | | مرة سنويا | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ت | % | ت | % | ت | % | ت | % | ت | % |
| إدخال بيانات غير سليمة بواسطة الموظفين بشكل متعمد/غير متعمد | 48 | 40.7 % | 35 | 29.7 % | 9 | %7.6 | 26 | %22 | - | - |
| إتلاف البيانات بواسطة الموظفين بشكل متعمد/غير متعمد | 96 | 81.4 % | 5 | %4.2 | 8 | %6.8 | - | - | 9 | 7.6 % |
| الوصول غير المسموح فيه للبيانات بواسطة الموظفين | 92 | %78 | 17 | 14.4 % | - | - | 4 | %3.4 | 5 | 4.2 % |
| الوصول غير المسموح فيه للبيانات بواسطة أشخاص من خارج المصرف | 109 | 92.4 % | 4 | %3.4 | 5 | %4.2 | - | - | - | - |
| اشتراك العديد من الموظفين في نفس كلمة السر | 84 | 71.2 % | 26 | %22 | 4 | %3.4 | - | - | 4 | 3.4 % |
| دخول فيروسات على النظام والتأثير على عملية تشغيل النظام | 74 | 62.7 % | 44 | 37.3 % | - | - | - | - | - | - |
| تعرض البيانات للاختراق أثناء انتقالها من أجهزة الخودام إلى أجهزة المستخدمين | 109 | 92.4 % | 4 | %3.4 | - | - | 5 | %4.2 | - | - |
| تغيير بنود معينه من المدخلات | 82 | 69.5 % | 18 | 15.3 % | 4 | %3.4 | - | - | 14 | 11.9 % |
| خلق مخرجات زائفة غير صحيح | 93 | 78.8 % | 16 | 13.6 % | 4 | %3.4 | - | - | 5 | 4.2 % |
| تسرب البيانات | 110 | 93.2 % | 8 | %6.8 | - | - | - | - | - | - |
| عمل نسخ غير مصرح بها للمخرجات | 100 | 84.7 % | 13 | %11 | - | - | - | - | 5 | 4.2 % |

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الكشف غير المرخص به عن البيانات إما بعرضها على الشاشات أو طباعتها على الورق | 90 | 76.3 % | 19 | 16.1 % | 4 | %3.4 | 5 | %4.2 | - | - |
| طبع وتوزيع المعلومات بواسطة أشخاص غير مصرح لهم بذلك | 109 | 92.4 % | 4 | %3.4 | - | - | - | - | 5 | 4.2 % |
| المعلومات الموزعة يتم توجيها إلى أشخاص غير مخولين باستلام النسخة | 101 | 85.6 % | 8 | %6.8 | - | - | 9 | %7.6 | - | - |
| تسليم المستندات الحساسة إلى أشخاص لا تتوافر فيهم الناحية الأمنية بغرض تمزيقها أو التخلص منه | 100 | 84.7 % | 9 | %7.6 | 4 | %3.4 | - | - | 5 | 4.2 % |

**ثانيا: أداة البحث**

تكونت أداة البحث من استبانة أعدها الباحث وتحتوي على (24 فقرة) وقد تكون سلم الإجابة على كل فقرة من خمس إجابات (حسب مقياس ليكرت الخماسي) موزعة كما يلي :

موافق بشدة 5 درجات
موافق 4 درجات
متردد 3 درجات
غير موافق درجتين
غير موافق بشدة درجة واحدة

| البعد | عدد الفقرات |
|---|---|
| مجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة | (1-12) 12 فقرة |
| مجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة | (1-12) 12 فقرة |
| الدرجة الكلية | (1-24) 24 فقرة |

وبذلك تكون أعلى درجة في المقياس = 5 × 24 = 120 درجة
وتكون اقل درجة في المقياس = 1 × 24 = 24 درجة

**ثالثا:أسلوب وأداة جمع المعلومات**

من أجل تحقيق أهداف البحث قام الباحث بتصميم وتوزيع استبانه،أعدت خصيصا لهذا الغرض. وشملت الاستبانة على قائمه تضم مجموعه من المخاطر التي تهدد نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة، وقائمة تضم أسباب حدوثها وقائمة بإجراءات الحماية .

**رابعا: ثبات أداة البحث**

استخدم الباحث معامل الثبات كرونباخ ألفا وقد بلغ معامل الثبات للمجالات كما يلي:

| المجال | معامل الثبات |
|---|---|
| مجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة | 0.96 |
| مجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة | 0.97 |
| الدرجة الكلية | 0.96 |

**خامسا: إجراءات البحث**

تم إجراء البحث وفق خطوات علمية منظمة كي يخرج هذا البحث وفق ما تم الاستجابة له وهذه الخطوات هي:

1. وضع الاستبيان بصورة منظمة ومرئية.
2. دراسة مجتمع البحث وأخذ تحديد العينة التي تمثل موضوع البحث وتنطبق عليها شروط البحث.
3. توزيع الاستبيان وأخذ الاستجابات عليها من عينة البحث.
4. جمع الاستبيانات من أفراد العينة وفرزها وتصنيفها وإدخالها إلى الحاسوب بشكل رموز.
5. إدخال استجابات أفراد العينة إلى الحاسوب
6. عولجت البيانات إحصائياً عن طريق حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) ( Statistical package for social science).
7. الوصول إلى النتائج ونقدها ومناقشتها.

**سادسا: منهج وتصميم البحث**

تم استخدام الاستبيان وتوزيعه على عينة البحث، وتم أخذ استجاباتهم لهذه الإستبانات، وأجري التحليل الإحصائي لهذه المعلومات بعد فرزها وتصنيفها، وتضمنت الدراسة عدداً من المتغيرات:

1. **المتغيرات المستقلة:**

- ❖المستوى التعليمي: 1. دبلوم 2. بكالوريوس 3. ماجستير 4. دكتوراه
- ❖المسمى الوظيفي: 1. مدير 2. مراقب عام 3. رئيس قسم 4. مراجع نظم معلومات 5. محاسب 6. موظف (صندوق، تسهيلات، خدمة عملاء)
- ❖سنوات الخبرة: 1. أقل من 3 سنوات 2. 3-6 سنوات 3. 7-10 سنوات 4. 11-15 سنة 5. 15 فأكثر
- ❖نوع المصرف: 1. تجاري 2. متخصص 3. إسلامي
- ❖النظام المالي في المصرف: 1. يدوي 2. آلي كامل 3. مزدوج (اليدوي والآلي)
- ❖ عدد المتخصصون في نظم المعلومات:

**1. 1-5 2. 6-10 3. 11-15 4. أكثر من 20**

2. **المتغير التابع:** العقبات والمخاطر وإجراءات الحماية التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية.

**سابعا: المعالجات الإحصائية**

من أجل معالجة البيانات تم استخدام البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (spss) وذلك باستخدام المعالجات الإحصائية التالية:

1. المتوسطات الحسابية، والانحراف المعياري، والنسب المئوية.
2. معامل الارتباط بيرسون.

**المحور الخامس: اختبار الفرضيات ومناقشة النتائج**

هدف البحث إلى التعرف على العقبات والمخاطر وإجراءات الحماية التي تواجه نظم المعلومات المالية المصرفية المحوسبة إضافة إلى تحديد اثر متغيرات كل من المستوى التعليمي – المسمى الوظيفي – سنوات الخبرة – نوع المصرف – النظام المالي في المصرف – عدد المتخصصين في نظم المعلومات, وبعد عملية جمع المعلومات عولجت إحصائيا باستخدام حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) ( Statistical package for social science):

**أولا : النتائج المتعلقة بالسؤال الأول والذي نصه :**

**ما هي العقبات والمخاطر وإجراءات الحماية التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية ؟**

للإجابة عن السؤال استخدمت المتوسطات الحسابية، والانحراف المعياري، والنسب المئوية لكل فقرة ولكل مجال، والدرجة الكلية للإستبانة حيث تبين الجداول رقم (4)،(5)،(6) نتائج التحليل.

من أجل تفسير النتائج اعتمدت النسب المئوية كما يلي:

| درجة الأهمية | النسب المئوية |
|---|---|
| درجة قليلة جدا | اقل من 50% |
| درجة قليلة | 50%-59.9% |
| درجة متوسطة | 60%-69.9% |
| درجة كبيرة | 70%-79.9% |
| درجة كبيرة جدا | 80%فأكثر |

**(1) مجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

**جدول رقم (4)**

**المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية ودرجة الأهمية لمجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

| الرتبة | الرقم بالاستبانة | مجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية | المتوسطات الحسابية | الانحراف المعياري | % | درجة الأهمية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 1 | أسباب تتعلق بالموظفين العاملين بالمصرف | 3.50 | 1.47 | 70 | كبيرة |
| 2 | 7 | أسباب تتعلق بإدارة المصرف | 3.32 | 1.51 | 66.4 | متوسطة |
| 3 | 2 | عدم توفرا لخبره اللازمة والتدريب الكافي | 3.30 | 1.28 | 66 | متوسطة |
| 4 | 5 | عدم الاهتمام بدراسة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للموظفين | 3.20 | 1.40 | 64 | متوسطة |
| 5 | 3 | عدم إلزام الموظفين بأخذ إجازاتهم الدورية | 3.02 | 1.54 | 60.4 | متوسطة |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 6 | 6 | قلة الوعي الكافي للموظفين لضرورة فحص البرامج والأقراص الممغنطة قبل إدخالها إلى أجهزة الكمبيوتر للحد من اثر الفيروسات على النظام | 3.01 | 1.46 | 60.20 | متوسطة |
| 7 | 4 | عدم الاهتمام بفحص التاريخ الوظيفي والمهني للموظفين الجدد | 3.01 | 1.50 | 60.20 | متوسطة |
| 8 | 12 | عدم التوصيف الدقيق للهيكل الوظيفي الإداري الذي يحدد المسؤوليات والواجبات لكل شخص داخل المصرف | 2.80 | 1.46 | 56 | قليلة |
| 9 | 10 | عدم توفر الحماية الكافية ضد مخاطر الفيروسات في المصرف | 2.70 | 1.46 | 54.00 | قليلة |
| 10 | 8 | عدم وجود سياسات واضحة ومكتوبة لأمن نظم المعلومات | 2.70 | 1.31 | 54.00 | قليلة |
| 11 | 9 | عدم كفاية وفعالية الأدوات والضوابط الرقابية المطبقة في المصرف | 2.67 | 1.31 | 53.40 | قليلة |
| 12 | 11 | ضعف وعدم كفاءة النظم الرقابية المطبقة على مخرجات الحاسب الآلي | 2.64 | 1.46 | 52.80 | قليلة |
| | | الدرجة الكلية | 2.98 | 1.19 | 59.6 | قليلة |

يتضح من خلال الجدول رقم (4) أن درجة الأهمية كانت (كبيرة) على الفقرة رقم (1)، حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (73.40%) , و كانت درجة الأهمية (متوسطة) على الفقرات رقم (7 , 2 , 5 ,6، 3، 4 )، حيث تراوحت النسبة المئوية للاستجابة ما بين (60.2% - 67.2 %) , وكانت درجة الأهمية (قليلة) على الفقرات رقم (12 , 8 , 10 , 9 , 11)، حيث تراوحت النسبة المئوية للاستجابة ما بين (52.8 - 58.8 %).

أما بالنسبة للدرجة الكلية لمجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية فلقد كانت درجة الأهمية (**قليلة**) حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى(59.6%). وهذه النتائج تؤكد أن المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم قادرة على السيطرة على أسباب حدوث مخاطر نظم المعلومات الإلكترونية، وخاصة الداخلية منها بسبب إتباعها جملة من الإجراءات الإدارية والفنية والتي تعتبر قادرة على إبقاء مستوى المخاطر وحدوثها متدني جداً.

**(2) مجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

**جدول رقم (5)**

**المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية ودرجة الأهمية لمجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

| الرتبة | الرقم بالاستبانة | مجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية | المتوسطات الحسابية | الانحراف المعياري | % | درجة الأهمية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 5 | تقوم إدارة المصرف بوضع خطة حماية شاملة ومعمقة تشمل إغلاق منافذ الاختراق، والتدقيق في الإجراءات الداخلية والاحتفاظ بنسخة احتياطية من المعلومات يمكن الرجوع إليها وقت الحاجة | 4.12 | 1.21 | 82.40 | كبيرة جدا |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 2 | 1 | تقوم إدارة المصرف بإصدار قرارات إدارية خاصة لتجنب مخاطر أمن المعلومات. | 3.99 | 1.22 | 79.80 | كبيرة |
| 3 | 11 | تقوم إدارة المصرف بوضع سياسات خاصة بأمن المعلومات تشمل اختيار التقنية المناسبة والإجراءات اللازمة لجعل هذه التقنية فعالة | 3.99 | 1.34 | 79.80 | كبيرة |
| 4 | 10 | تقوم إدارة المصرف بتحديث طرق الحماية حسب التغيرات الحاصلة في بيئة التكنولوجيا. | 3.97 | 1.29 | 79.40 | كبيرة |
| 5 | 3 | تتابع إدارة المصرف موظفي تكنولوجيا المعلومات في تنفيذ إجراءات الحماية المطلوبة | 3.89 | 1.18 | 77.80 | كبيرة |
| 6 | 6 | تطبيق إدارة المصرف أهداف حماية أمن المعلومات مثل الخصوصية، وتجنب تغيير البيانات غير المصرح به، وتوفر البيانات في الوقت المحدد. | 3.86 | 1.19 | 77.20 | كبيرة |
| 7 | 12 | تقوم إدارة المصرف بتحليل المخاطر الخاصة بأمن المعلومات مثل العائد المتوقع مقابل تكاليف الإجراءات المضادة | 3.86 | 1.33 | 77.20 | كبيرة |
| 8 | 8 | تقوم إدارة المصرف بصد الاختراق عند حدوثه وإصلاح الخلل | 3.84 | 1.33 | 76.80 | كبيرة |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | الناتج عنه | | |
| 9 | 4 | تقوم إدارة المصرف بوضع قواعد خاصة بحماية أمن المعلومات، ومعاقبة الموظفين المخلين بهذه القواعد | 3.80 | 1.37 | 76.00 | كبيرة |
| 10 | 2 | تتعهد إدارة المصرف العليا بتطبيق أمن المعلومات | 3.76 | 1.17 | 75.20 | كبيرة |
| 11 | 9 | تقوم إدارة المصرف باكتشاف حوادث الاختراق من خلال التقارير، وتحديد ووصف نوع الاختراق. | 3.73 | 1.27 | 74.60 | كبيرة |
| 12 | 7 | تستفيد إدارة المصرف من خبرة المصارف العالمية في مجال امن المعلومات | 3.40 | 1.34 | 68.00 | متوسطة |
| | | الدرجة الكلية | 3.85 | 1.08 | 77.00 | كبيرة |

يتضح من خلال الجدول رقم (5) أن درجة الأهمية كانت (كبيرة جدا) على الفقرة رقم (5) حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (82.40%) , وكانت درجة الأهمية (كبيرة) على الفقرات رقم (1 , 10 , 11 , 3 , 6 , 8 , 12 , 2 , 4 , 9) حيث تراوحت النسبة المئوية للاستجابة ما بين (74.6 %-79.8%) , و كانت درجة الأهمية (متوسطة) على الفقرة رقم (7) حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (68%).

أما بالنسبة للدرجة الكلية لمجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية فلقد كانت درجة الأهمية (كبيرة) حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى(77%). وهذه النتائج تؤكد إتباع المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم إلى إجراءات حماية صارمة وفعالة مما يعطيها الثقة الكاملة بنظم معلوماتها الإلكتروني ويكسبها الثقة اللازمة من قبل عملاءها والمتعاملين معها.

**(3) الدرجة الكلية**

**جدول رقم (6)**

**المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية ودرجة الأهمية للعقبات والمخاطر وإجراءات الحماية التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية**

| الرتبة | العقبات والمخاطر وإجراءات الحماية التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية | المتوسطات الحسابية | الانحراف المعياري | % | درجة الأهمية |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | مجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية الإلكترونية | 3.85 | 1.08 | 77.00 | كبيرة |
| 2 | مجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية | 3.02 | 1.19 | 60.40 | متوسطة |
| | الدرجة الكلية | 3.44 | 0.99 | 68.00 | متوسطة |

يتضح من خلال الجدول رقم (6) أن درجة الأهمية كانت (كبيرة) على مجال إجراءات الحماية المتبعة لحماية نظم المعلومات المالية، حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (77%) , وكانت درجة الأهمية (متوسطة) على مجال أسباب مخاطر نظم المعلومات المالية، حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (60.4%).

أما بالنسبة للدرجة الكلية للعقبات والمخاطر، وإجراءات الحماية التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية فلقد كانت درجة الأهمية (متوسطة) حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى(68%). وهذه النتائج تتوافق مع التحليل السابق لفقرات الاستبيان والذي يظهر قدرة المصارف التجارية على السيطرة على المخاطر التي تتعرض لها نظم معلوماتها الإلكترونية بسبب تحكمها بأسباب حدوث مثل هذه المخاطر.

**ثانيا :** النتائج المتعلقة بفرضيات البحث

(1) **النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى والتي نصها:**

لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم وأسباب المخاطر.

من أجل فحص الفرضية تم استخدام علاقة الارتباط بيرسون بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم وأسباب المخاطر حيث كانت النتائج كما يبينها الجدول رقم (7).

**جدول(7)**

**نتائج اختبار معامل الارتباط بيرسون بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم وأسباب المخاطر**

| | علاقة الارتباط | مستوى الدلالة | حجم العينة |
|---|---|---|---|
| **العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة *أسباب المخاطر** | **0.863 | 0.000 | 118 |

** دالة عند المستوى ($\alpha = 0.01$)

يوضح الجدول رقم (7) أن علاقة الارتباط بيرسون قد كانت (**0.863) وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة أي انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم وأسباب المخاطر.

وبذلك نرفض الفرضية الصفرية ونأخذ بالفرض البديل على انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية , ويتضح من خلال الفرضية أن علاقة الارتباط بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم وأسباب المخاطر علاقة ارتباط طرديه قوية حيث انه كلما زادت العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم زادت أسباب المخاطر.

(2) النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية والتي نصها:

لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية و إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها.

من أجل فحص الفرضية تم استخدام علاقة الارتباط بيرسون بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم وأسباب المخاطر حيث كانت النتائج كما يبينها الجدول رقم (8).

**جدول(8)**

**نتائج اختبار معامل الارتباط بيرسون بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية و إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها**

| **العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة * إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها** | علاقة الارتباط | مستوى الدلالة | حجم العينة |
|---|---|---|---|
| | **0.831** | 0.000 | 118 |

** دالة عند المستوى ($\alpha$ = 0.01)

يوضح الجدول رقم (8) أن علاقة الارتباط بيرسون قد كانت (**0.831**) وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة أي انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية و إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها.

وبذلك نرفض الفرضية الصفرية ونأخذ بالفرض البديل على انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية , ويتضح من خلال الفرضية أن علاقة الارتباط بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية و إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها علاقة ارتباط طرديه قوية جداً حيث انه كلما زادت العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم زادت إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها، وهذا يتوافق مع مساعي المصارف للحفاظ على بيئة مالية أمنه.

## المحور السادس: النتائج والتوصيات

**أولا: النتائج**

يمكن تلخيص نتائج البحث كالآتي:

● تؤكد نتائج التحليل أن المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم قادرة على السيطرة على أسباب حدوث مخاطر نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية وخاصة الداخلية منها بسبب إتباعها جملة من الإجراءات الإدارية، والفنية، والتي تعتبر قادرة على إبقاء مستوى المخاطر وحدوثها متدني جداً.

● تؤكد النتائج إتباع المصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم إجراءات حماية صارمة وفعالة مما يعطيها الثقة الكاملة بنطم معلوماتها الإلكتروني المصرفي، ويكسبها الثقة اللازمة من قبل عملاءها، والمتعاملين معها.

● تؤكد النتائج قدرة المصارف العاملة في مدينة طولكرم على السيطرة على المخاطر التي تتعرض لها نظم المعلومات المصرفية بسبب تحكمها بأسباب حدوث مثل هذه المخاطر.

● هناك علاقة ارتباط طرديه قوية بين نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم وأسباب المخاطر حيث انه كلما زادت العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية زادت أسباب المخاطر.

● هناك علاقة ارتباط طرديه قوية جداً بين العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية و إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها، حيث انه كلما زادت العقبات والمخاطر التي تواجه نظم المعلومات المالية الإلكترونية للمصارف التجارية العاملة في مدينة طولكرم زادت إجراءات حماية المعلومات المتبعة للحفاظ عليها.

●إن أسباب مخاطر نظم المعلومات ذات الأهمية الأكبر والتي حصلت على اكبر استجابة هي مخاطر تتعلق بالموظفين العاملين في المصرف، أما الأسباب الأخرى التي تتعلق بإدارة المصرف، وعدم توافر الخبرة لدى العاملين حصلت على استجابة متوسطة.

● إن من أهم إجراءات الحماية المتبعة هي قيام المصارف بإتباع خطة شامله ومعمقة تشمل إغلاق منافذ الاختراق، والتدقيق، والإجراءات الداخلة، والاحتفاظ بنسخه احتياطيه من المعلومات، يمكن الرجوع إليها وقت الحاجة حيث كانت درجة الاستجابة عاليه.

● هناك أهمية كبيرة لإجراءات الحماية التي تتبعها المصارف التجارية بشأن نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية الخاصة بها وهذا يتوافق وخصوصية البيئة المصرفية.

**ثانياً: التوصيات**

في ضوء النتائج السابقة فإن الباحث يقترح التوصيات الآتية:

■ من الضروري أن تدعم الادارة العليا للمصارف التجارية أمن المعلومات لديها وأن تعمل على إنشاء قسم خاص بتكنولوجيا المعلومات في كافة المصارف، وتوفير كادر متخصص في تكنولوجيا المعلومات، بحيث يكون له مندوبون في الفروع ذوي خبرة وكفاءة عالية لأجل العمل على حماية أمن نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية لدى المصارف.

■متابعة التطور التكنولوجي الخاص بنظم المعلومات، وإكساب العاملين المهارات والخبرات الحديثة من خلال التدريب المتواصل في مجال أمن المعلومات و حمايتها.

■ ضرورة وضع إجراءات تضمن استمرارية عمل و جاهزية نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية، للعمل في حالة الأزمات من خلال استخدام تجهيزات منيعة، بحيث تستطيع اكتشاف المخاطر قبل حدوثها والحد من وقوعها.

■ ضرورة العمل على تعمية أو تشفير المعلومات عند الحفظ، والنقل، والتخزين على مختلف الوسائط كي لا يتمكن أحد من اختراقها.

■ وضع ضوابط أمن، ورقابة للمعلومات المتداولة بكافة أشكالها، سواء كانت ورقية، أم اتصالات سلكية، ولاسلكية، والإنترنت، والعمل على سن التشريعات اللازمة لأمن المعلومات الإلكترونية والنظم والشبكات المعلوماتية.

■ مراجعة نظم المعلومات المالية الإلكترونية المصرفية وأمنها من فترة إلى أخرى بما يتواكب مع المستجدات والتطورات التكنولوجية في هذا المجال.

▬

# المصادر والمراجع

## أولاً: المراجع العربية


1- أبو علام, رجاء" مناهج البحث العلمي" عمان , دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة, (1998)

2- ألحديثي، عماد صالح نعمة ،(1993)، "تقييم أنظمة الرقابة الداخلية للمؤسسات التي تستخدم الحاسوب ، دراسة ميدانية على المؤسسات المالية والمصرفية في المملكة الأردنية الهاشمية" ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ، عمان.

3- الحسني، فلاح حسين، و الدوري، مؤيد عبد الرحمن،(2003)،" إدارة البنوك: مدخل كمي واستراتيجي معاصر"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

4- الحلو، برهان صباح ،(2000)" اثر استخدام نظم وتكنولوجيا المعلومات على الخدمات المصرفية المتكاملة في المصارف الأردنية من منظور القيادات المصرفية" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، الأردن.

5- الردايدة، مراد خالد مصلح ،(1998)،" اثر المعالجات الآلية على أنظمة المعلومات المالية ، دراسة تطبيقية في دائرة الجمارك الأردنية"،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت ، عما ن.

6- رمضان، عبد الهادي حامد ،(1999)، "العوامل المؤثرة على نظم المعلومات المالية في الشركات الصناعية الأردنية المساهمة العامة" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان.

7- السالمي،علاء عبد الرازق,( 1999 )،"نظم المعلومات والذكاء الاصطناعي" الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.

السامرائي، إيمان و الزعبي، هيثم،( 2004 )،" نظم المعلومات الإدارية" ، الطبعة الأولى، دار صفا للنشر والتوزيع ، عمان.

8- السرحان ،بكر احمد عبد الله ،(1995) "العلاقة بين التكنولوجيا والهيكل التنظيمي ، دراسة ميدانية في الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية" ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ، عمان.

9- سلطان، إبراهيم،(2000 )،" نظام المعلومات الإدارية: مدخل النظم"، الدار الجامعية، القاهرة.

10- سلطة النقد الفلسطينية،(2012)،" التقرير السنوي،2011 " دائرة الأبحاث والسياسات النقدية، رام الله، فلسطين.

11- صيام، وليد،(2002)،" الميزة التنافسية للمصارف في عمان بعد تحديثها وإدخال نظام التداول الإلكتروني" ،معهد الدراسات التطبيقية، الجامعة الأردنية،عمان.

12- طراد، إسماعيل،(2002)،" العولمة وانعكاساتها على إمكانيات تطوير القطاع المالي والمصرفي العربي وتحقيق الميزة التنافسية- دراسة تحليلية"، منشورات جامعة عين شمس ، القاهرة.

13- العيسى، عادل موسى محمد ،(2000)، "دور نظم المعلومات في اتخاذ القرارات الإدارية في وزارة التربية والتعليم" ، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية ، عما ن.

14- عيسى، غسان، و النائب، إبراهيم،( 2002 )، " نحو بناء نظم معلومات معيارية ناجحة، مجلة الإدارة للعلوم التطبيقية، المجلد 1، العدد 1 ، جامعة العلوم التطبيقية الأهلية، عمان، الأردن.

15- الكخن ،دلال خليل ،(1888)،" الرقابة المالية في ظل الأنظمة الإلكترونية وتطبيقاتها في المصرف المركزي الأردني" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان.

16- ياسر، جاموس (1991)،" مراجعة الأنظمة المالية التي تعتمد على استخدام الحاسوب" ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب ، سوريا.

## ثانيا: المراجع الأجنبية

1- Abu-Musa, Ahmad A. (2001), "Evaluating The Security of Computerized Accounting Information Systems: An Empirical Study on Egyptian Banking Industry", PhD. Thesis, Aberdeen University, UK.

2- Abu-Musa, Ahmad A. (2004), "Important Threats to Computerized Accounting Information Systems: An empirical Study on Saudi Organizations" Pubic Administration, A Professional Quarterly Journal Published by The Institute of Public Administration Riyadh, Saudi Arabia, (Vol. 44, No. 3), pp. 1-65.

3- Bruwer.P.J.S,(1984),"A Descriptive Model of Success for Computer Based Information System Performance", Information & Management Journal, No 7.

4- Dhillon, G. (1999), "Managing and controlling computer misuse", Information Management & Computer Security, (Vol. 7, Number 4), PP.171-175.

5- Loch, Karen D., Houston H. Carr and Merrill E. Warkentin (1992), "Threats to Information Systems: Today's Reality, Yesterday's Understanding", MIS Quarterly, (June), pp. 173 - 186.

6- Robey d.,(1979),"User Attitude and Management System Use", Academy of Management Journal, Vol 22 , No 3.

7- Ryan, S. D. and B. Bordoloi (1997), "Evaluating Security Threats in Mainframe and Client / Server Environments", Information & Management, (Vol. 32, Iss. 3), pp. 137 - 142.

8- Siponen, M. T. (2000), "A conceptual Foundation for Organizational Information Security Awareness", Information Management and Computer Security, Bradford, (Vol. 8, Iss. 8), PP. 31- 44.

9- Whitman Michael E. (2003), "Enemy at the Gate: Threats to Information Security", Communication of the ACM, (Vol. 46, Iss.

# Gender, Self, and the Other in Sharon Doubiago's *South America Mi Hija*

**Abdullah H. Kurraz.**
Al-Azhar University – Gaza. Palestine

# Gender, Self, and the Other in Sharon Doubiago's *South America Mi Hija*

**Abdullah H. Kurraz.**
**Al-Azhar University – Gaza. Palestine**

**Abstract**

This paper explores the poetic feminist discourse of the South American poetess Sharon Doubiago's epic *South America Mi Hija* and how she engenders and maintains her gender's visions and beliefs in resistant masculine societies that still engulf the whole human world. She poetically defends herself and her gender refusing to submit to the standing patriarchal paradigm. She portrays herself as a modern spokesperson of her gender and its vulnerability to victimization. Doubiago also tries to cast her challenge against the dominant patriarchal power. Further, this paper sheds light on the poetess's optimism in winning the battle in the light of modern feminist analysis, providing relevant representations of her poetic discourse. It elucidates how the poetess publicizes her feminist and gender thoughts despite the domination of the masculine power. As a result, as a intimate feminist poetess, Doubiago succeeds in identification with her psyche and other similar selves that can assimilate with her soul and vision. In a broader sense, the focal hypothesis of this paper revolves around conceptualizing feminist poetics and gender in an appreciative receptionist way.

**Keywords**: feminism, gender, masculinity, critical feminist discourse.

# الجندر، والذات، والآخر في "بلدي الهيجاء أميركا الجنوبية" للشاعرة شارون دوبياقو.

**د. عبد الله حسين كراز.**
**أستاذ مساعد**
**جامعة الأزهر – غزة. فلسطين**

**ملخص بالعربية**

**تبحث هذه الورقة في الخطاب الشعري النسوي للشاعرة الأمريكية الجنوبية "شارون دوبياقو" في ملحمتها *"بلدي الهيجاء أميركا الجنوبية"* وفي كيف تولد الشاعرة و تحافظ على نسغ رؤى وأفكار جندرها في المجتمعات ذكورية السيادة والتي لا تزال تهيمن على العالم الإنساني . تدافع الشاعرة في شعرها عن نفسها و جنسها رافضةً الخضوع لأنموذج الأبوية المستدامة. كما وتصور نفسها على أنها الناطق الحداثي باسم جنسها حول تعرضه للإيذاء والاحتيال. وتحاول الشاعرة أيضاً أن تعمم تحديها ضد السلطة الأبوية المهيمنة. كذلك، تلقي هذه الورقة الضوء على تفاؤل الشاعرة في كسب المعركة في ضوء التحليل النسوي الحديث، موفرةً دلالات ذات صلة من خطابها الشعري. وتشرح الورقة كيف تعمم الشاعرة أفكارها النسوية والجندرية رغم هيمنة السلطة الذكورية ونتيجة لذلك، وكونها شاعرة نسوية حميمية فإن "دوبياقو" تنجح في التماهي مع نفسها الباطنية ومع أنفس مماثلة لها ممن يمكن أن يتماهن مع روحها ورؤيتها. وبمعنى أرحب، تحوم الفرضية المحورية لهذا البحث حول المفاهيم المتعلقة بالشعرية النسوية والجندر بطريقة استيعابية تذوقية.**

**كلمات مفتاحية: النسوية، الجندر، الذكورية، الخطاب النسوي الناقد.**

## **Gender, Self, and the Other in Sharon Doubiago's *South America Mi Hija***

Sharon Doubiago engenders a powerful exploration of the mother-daughter relationship, deriving from the Demeter and Persephone myth. Also, she engages in a related feminist discourse exploring man-woman relationships relying on her own understanding of female/feminine, as the self, and male/masculine, as the other. There are three main tracks that feminism works on: the critique of the established views of the self, the reclamation" of women's selfhood, and the "reconceptualization" of the self to incorporate women's experiences (Meyers, 2000). Doubiago masters such feminine knowledge and manifests it in *South America Mi Hija* (1992) . Julie Ellison (1990) regards the gendered self as the "locus of conversation among the many languages" of the mind and of the society, such as divination, desire, family, friendship, politics, and economy (p.223). Alicia Ostriker (2001) describes Doubiago's *South America Mi Hija* as "global in reach, formally experimental," for it foregrounds for a sincere experimental travel feminist discourse suitable to be a guide to every woman everywhere in our globe (p.257).

Besides, Irving Howe (1992) emphasizes the importance of the self in studying literature, since the self implies "an acceptance of the sufficiency of the human condition so that divinities, myths, and miracles slip into obsolescence" (p.252). It is a universal discourse that enables the poetess to go deep into the momentum of female-male exchange and mutual feelings and perspectives towards each other. Doubiago is aware of the two basic human types, male and female, thus, the way the relationship between women and

men is structured is a "basic model for human relations" (Eisler, 1987:168). Moreover, Jeanne Hong Zhang (2004) comments on women's poetry in the light of the twentieth century new critical schools saying that any feminist-based poetry is constituted by “female-authored poems that deal with gender-based themes, experience and psychology in a distinctive language usage” (p.16).

In *South America Mi Hija,* Doubiago travels with her daughter to Colombia, Peru
and Ecuador so that she can address her self, the other, and her daughter. We read the poetess's sufferings during such a journey where she and her daughter encounter thieves, beggars, and deviated people. Both of them visit different places and ruins where there are manifestations of a long history of human sacrifice, conquest, and revolution. The poetess aspires to deeply and freely communicate with the self and the other and debate about "gender war." It is traditional to blame "hormones" for the inability to communicate with the same gender in any society. In this sense, M. Lewis and J. Brooks-Gunn (1989) define gender as the "single most salient individual variable in the socialization process" that affects how people think of themselves and how others respond to them. In addition, both writers emphasize the role of language in the construction of the self, viewing language as a "discursive action" (p.162).

Furthermore, Doubiago experiences a lot of historical places and different people where she gets influenced by what she sees and then delivers this lengthy poem, all of which sustains her self-knowledge and self-discovery. In this sense, Doubiago's poetic discourse is the "medium for the commonality of thought" that allows the readers to understand the "feminine knowledge" in social and textual affairs (Ellison, 1990:88). The poetess mentions a lot of

goddesses' names and mythical figures, such as Isis, Ishtar, Europa, Demeter, and Persephone These mythical names are masterfully employed by the poetess to signify a variety of themes and issues such as gender relations and tensions, familial and social ties, seduction, betrayal, birth, death, nature, and femininity. Her landscape seems to be cosmopolitan without time to serve as a "point of departure" for most of her poems in this volume (Ullman, 1993:189). This collection of poems is enriched with names, facts places, quotes, and symbols, all of which serve as a powerful source for Doubiago's knowledge and to sustain her vision as a female figure.

In addition, Doubiago testifies in a plain language that man carries "both/the male and the female/ in his genital sacks" (1992:271). Whereas woman, our other first, carries ova, then a fetus in the uterus, then a child at her breasts. This testament allows the poetess to reflect her interior identity, as female, derived from women's "biological nature," which is manifest in the "genitalia" (Meyers, 2000). Catherine R Stimpson (1993) points to the poetess's poetics in privileging heterosexuality that is changed with "archaism and nostalgia," to redeem the sexualities of the "grubby, steely, killing" women in the process of regenerating life cycle (p.264). In this sense, Doubiago mythologizes sexuality, as it is a wide appeal across a modem spectrum of today's ideologies. Accordingly, the poetess seems conscious of the differences among women, too. Her consciousness is shown clearly when she travels through "Third World" countries, where women cannot escape the gaps among woman that class, race, and culture have established.

Throughout this personal travel biography, Doubiago expresses her feelings towards the conflicting positions between the male and female, extending this discourse to

include the conflicting relationships between mother and daughter, nation and nation, man and nature, man and woman, and the self and the other. Doubiago's feminist discourse emphasizes crucial features of selfhood such as "inter-subjectivity, heterogeneity, and social construction" (Meyers, 2000). Besides, she adopts a powerful didactic discourse in an attempt to convey a clear message to her audience about such issues. In this sense, Doris Lynch (2000) implies that Doubiago has the strong intention to present "a vital, feminist, and extremely sensitive self," which *South America Mi Hija* keeps showing in an aesthetic and influential way (p.277). Zhang maintains that such feminist writings are similar to a "web of inter-related metaphors from graveyards to snow, scissors to paradoxical images of motherhood and life itself," and this technique is employed by Doubiago in most of her poems in *South America Mi Hija* (2004:162).

Doubiago is fully aware of the tenderness and vulnerability of her daughter and her innocence as well. Accordingly, she tries to answer her daughter's question "what is a Virgin?" in a careful and responsible way:

But here at culture's altar
where she
is buried alive
here where she is forever veiled from the world
that dies for need of Her
here, where all the past uses of that word
Virgin
fall on her as stone
though I defined it without judgment or anger
my daughter, O Virgin undone
understands
Are there any good men, Mom?
(1992:189)

Here, this stanza reminds me of an ancient habit, where the fathers, before the dawn of our religions, used to bury their female infants alive. They claimed that females were the source of shame to their fathers. Yet who is responsible for these cultural and social habits? Is it the imperfect familial raising? I think it is something behind the poetess's control that she cannot tell or decide. Then the word "virgin" falls like a stone on the poetess's daughter's head because she does not know what a "virgin" is or what the society's attitude towards virgins is in such a modem world. The last three lines of the previous quote work as a didactic discourse to tell us readers that mothers are the advocate of their virgin daughters, and they should defend their innocence, chastity, femininity, and virginity as well. The last question resonates with the main question that the daughter raises and opens into sub-questions regarding cultural, religious, social, and political perspectives towards female position in society. Women and men feel in the same way "they need exercise for their faculties and a field for their efforts," argues Virginia Woolf (1989), she adds that women are victims of religious, cultural and social rigid restraints and maltreatments (p.101). Doubiago maintains and practices her creative faculties despite such constraints.

Doubiago's poetic journey allows us to explore her strong feelings such as her grief and compassion for the man whom she lost. This event is a tragic one in the poetess's life and intensifies her worry and grief. Ullman regards such an event as an opening into another major themes such as the yearning men and women have for one another and the impossibility of "satisfying that yearning" (1993:191). The theme is manifested in the poetess's

response to her daughter:

> Nothing will appease her fury and
> her three day-and-night orgy
> of crying, her grief
> for being born (1992:125)

This situation reflects the daughter's identification with her mother's psyche in lamenting the loss of her man. This signifies the common gender quality they share with each other, the gender identity that the poetess frequently invokes in her poems. In this sense, Doubiago seems to universalize the theme of her gender identity when she addresses her daughter in a didactic way, using phrases such as "universal culture of sexism," "reactionary psychology," "core relationship," and "masculine imbalance." This tone of didactic discourse draws Ullman's attention, noticing that the resulting "diffusion of consciousness" of the poetess is obvious in most of her poems, allowing her to diversify
and interweave her gender motifs and themes (1993:195). We see the mythical and the personal references fused into one multi-layered ballad of *South America Mi Hija.*
In another place, Doubiago searches for suitable words to frame her gender identity and subjectivity as the self against the male gender identity as the other. Her words represent a means of explaining and preventing the tragedies of her gender identity in an influential mythopoetic way. -For her, this process is the mechanism in which men "deny their mothers... to find/themselves/ to develop/ technology/ to make/ war" (1992:95). Meanwhile, Ostriker views different stances where Doubiago celebrates "a marriage of opposites" (2001:258)**.** It is the continuous gender conflict, as we will see. Also, the poetess notices that women deny "the feminine" in

themselves to keep their fathers. The poetess directs her quest in mythic terms linking her journey with Persephone's abduction "into the abyss" after being raped by Pluto. Doubiago portrays South America like Persephone, who represents her daughter suffering under patriarchy, "The Third World/ screams, it drops/ it pisses, it hisses, it/ sinks" (1992:100).

Doubiago embraces the whole landscape of South America and identifies it with her "self' and her daughter embodying the promise of the future in which the "gender balance/ of nature" will be resorted. In this regard, Doubiago's mastery of universal mythologies allows her to find universal significance and objective correlative for her personal stress. Such mythopoetics makes our understanding of the poetess's psychosexual equations easier, she admits that "all patriarchies/long for the father" who are the females' source of pleasure and prosperity. But Doubiago, armed with numerous mythical images and signifiers of Aphrodite and Demeter, keeps questing for the self, creating a kind of "revolution of the human beyond gender identity." Doubiago plainly intensifies the moment of being identified in gender where "each woman is a new goddess/ from which each man launched a new war/ the war of gender" (Ibid:230). In this poetic context, the self is hidden in the psyche of the individuals, and it appears only in their inner world.The quest for the self engages Doubiago's mind to locate the meaning of her gender identity and publicize it. In this sense, Howe gives another definition of the self, "a construct of mind, a hypothesis of being, so socially formed" (1992:249).

*South America Mi Hija* is characterized by the use of a set of binary oppositions and differences, such as the conflict between stasis and dynamic mobility, isolation and engagement, where the poetess touches her daughter's

"powerful flesh" and realizes that all civilizations have fallen down because of the terror of "flesh, women, nature, death, Eros, soul, the unknown, the unnamed, the unsaved inconsequential self." It is the tensest moment of the whole collection when the poetess refers to things that stand in the way of the possibility of rebirth for the self. While in the early poems the self is imaged in terms of its own possibilities of transformation, where "men are unable to love in the universal culture of sexism! deeper, more ingrained than racism" (Doubiago, 1992:14), in the later poems like "Psyche," the self is more often seen as trapped within a closed cycle where the "Psyche will hide from even the self... in her cocoon/on her butterfly wings" (Ibid:261). The poetess moves in a circular space back and forth, but she seems to move more often towards the starting point where her identity can be more sustained and recognized and her psyche "travels/ life after life my life, station! After station to be tried" (Ibid:138). Doubiago's poems record the self in the world where this self -as a female figure- can change, develop, transform, and be reborn. These possibilities of the self are intimately and inextricably bound up with those possibilities of the world where the "feminine part of Earth" is motivated by feelings of distinguished identity and belonging. These mature, distinguished qualities enable the poetess to stand on the opposite space of the male as the other.

Besides, the poetic discourse that the poetess follows shows us that the other should be understood according to the "spiritual discipline," which, I think, privileges the male authority as the only dominant power in the society. For Doubiago, this discipline engenders "self-betrayal" and "self-hatred" on the part of the females, where women know "complicity/at the core of the self/ with the patriarchy" (Ibid:266). In these words, there is a

confession that women take roles in engendering such equation of male- female relationship and submit peacefully-- or by intimidation-- to the other gender. This notion of submission of the self to the other is clear when the poetess touches the stone and sees "Isis/still searching for the phallus/through patriarchies/of an times all places" (Ibid:277).

Doubiago's metaphoric signs of fragmentation and reification-- the abstraction of the self as an individual-- are based on social, political, cultural, and historical facts. Such signs and allusions include the myths of Demeter and Persephone, Third World countries, Buddhism, Confucianism, the Sidewinder, Adam and Eve, and masochism. Other images that denote such metaphors include "culture's altar," "Marx," "Earth," and "Nature." It is Doubiago's consciousness of the other, the man, in terms of gender conflict and identity. According to the poetess, the man in the poem is finally defined by carrying both "the male and the female/ in his genital sacks." But the definition of the women shows her even more alienated, objectified, and dehumanized. While the man/male is the masculine figure who longs for woman to "find the answer/ the riddle of the Sphinx," the woman is the "feminine part of the earth" who should revolt and be motivated by feelings of love. Thus, women do not exist in the gender space unless men need and will them to. This notion of masculinity and femininity reflects the poetess's awareness of gender imbalance and the pains it causes to her gender in a dominant masculine milieu. She addresses her daughter, "O girl/we are the lost feminine/the world searches for/the feminine/the world dies for" (Ibid:94). Here, there is a hint to social and cultural injustices that deny women's right to be reborn, empowered, and recognized as an inextricable half in society. So, the poet

declares a revolution against such injustices telling us that her question is "To be / or not to be," because her culture hates women and the feminine, and this is unfair and "stupid." These significances reflect the poetess's dual consciousness of the self as both subject and object. As a result, Doubiago shows the characteristics of the literature of the oppressed classes in society.

*South America Mi Hija*, as a feminist epic lengthy poem, is vivid and dynamic; it moves from one space into another in a persuasive way so that we can understand that the poetess means to raise questions about her freedom of action, opinion as long as "Poetry depends on intellectual freedom" (Woolf, 1989:117). In this sense, Ellison says that such dual consciousness is characteristic of "revolutionary" literature, since it shows the "dialectical perception" of self as both subject and object (1990:132). Yet, does this dialectical consciousness of the self as object and subject reflect the poetess's particular social context? I think the poetess seems unable to develop a consciousness of herself in relation to other women. There is no collective identity and discourse; instead it is a subjective feminine discourse despite the many personas and objective correlatives she creates. This poetic device raises the question of how one woman can account objectively for herself and other women in terms of gender war and the injustices they encounter in society. In this regard, can the poetess also be objective and factual in her perception, free from myths and personas?

I think she does not show much of her objectivity in this poem, rather it is the dominant subjectivity that directs her discourse. In a poem like "Mamapacha the Loving Mother of Men," there is a suppressed hysteria where the poetess mixes surrealism, objectivity, and subjectivity. The images of the poem are predominating images of civil

war, betrayal, earthquakes, race, and bleeding:

> The earth quakes and the people float
> […]
> watch out, the Indian warned me, for those men with knives
> the people cry, parade in the Square of Weeping
> their black Jesus, Lord of the earthquakes. (Doubiago, 1992:196)

Then she shifts her poetic discourse to a new scene of her own images of hemorrhage where her blood was "pouring out of my vaginala hemorrhage can't stop/ the blood of a lost civilization, a flood," the blood that comes from inside woman, any woman (Ibid:197). These images suggest the poetess's emotional dissociation from the horrific images of killing and dying to the terrible detail of the hemorrhage image. These images also signify the poetess's sense of depersonalization, the splitting of herself on one hand, and the separation of society from itself. I think such dissociation reflects her worries about her gender identity and the ingratitude of her patriarchal society for women. Throughout the poem and being trapped inside her subjective vision, the poetess sees herself caught between nature and society, biology and intellect, Demeter and Persephone, Isis and Osiris, self definition and the expectations of others, as between two mirrors. This image of mirror occupies a relevant space in the poetess's discourse where she looks at herself, and she becomes blind exposing her inability to live her gender's problems and troubles.

Seemingly, the closer the women come to Macchu Picchu, the deeper Doubiago focuses on herself, presenting her personal memories and other cultural motifs. She tells us that Macchu Picchu is a woman's city and "American city

of Sapplo ... a nation! Of female warriors" (Ibid:208). So, it is her self-awareness of womanhood that gives her the impetus to present herself and other women as vital partners in the game of "gender war." She is fully conscious of this war, where she plays her feminine roles that vary from "the rough banality of the divine" (Stimpson, 1993:262). Hence, Doubiago witnesses and reports the pains, woes, helplessness, and sufferings of her gender. In this lengthy poem, the poetess shows a large sense of self that enables her to remember and witness the tiny detail of feminine microcosm in the sphere of the large universe, "I'm broken so badly, I'm every creature/ever trapped in matter and thought, civilization/calcified as rock" (1992:283). The self here is the poetess's "lens of scrutiny" with which she investigates the psychological states of her gender, and it is helpful for the study of anxiety, the condition that grows in "acuteness" as awareness of self increases (Howe, 1992:251). Also, Lynch pinpoints that Doubiago masters the feminine discourse where she holds in a hand her gender identity and in the other her national identity; both are fused in her lengthy epic in *South America Mi Hija*, where she offers her readers imaginative poems full of metaphor, poems that "thrum with a pulsing feminine sensibility" (2000:281).

Moreover, gender is the central dominant theme of this poem, and it is sustained by the many allusions and references Doubiago mentions ranging from myths, heroes, heroines, nature, herself, and her daughter. This theme is the focus of the feminist discourse in literature nowadays. This discourse attempts to "integrate social and political determinations with an analysis of the psychic ordering of gender" (Ellison, 1990:222). The poetess's poetic moral revolves around the words "gender,"

"hegemony," and patriarchy that she inserts in her lengthy poem. Her feminist discourse is centered on her "womb" and "vaginal space" where she bears the microcosm of her gender:

I wait
for the words to rise
out of my rising flesh
I can near the words
babbling in the creek of my womb
calling through vaginal space. (Doubiago, 1992:31)

Here, Doubiago creates her own theory about the nature of the relations between sex, which distinguishes females from males; and gender, which distinguishes the feminine from the masculine according to social and cultural roles (Tyson, 1999:84). Doubiago is aware of the profound relation between sex and gender, and she knows that the bodies and sexualities of women and men are different. Her poetry in *South America Mi Hija* belongs to a feminist school that "universalizes, stabilizes, and carnalizes" the interplay between the two words: men and women. For the poetess, sexuality means erotic desire, seduction, and gratification; besides, it is a means of procreation and generation. She mentions that men, our fathers, carry sperm that determine the sex of the infant. To the best of my knowledge there are two kinds of sperm: the male which has short life span, twenty four hours, and the female which has longer life span, up to seventy two hours. This suggests that the poetess is aware of this fact and sustains that females are capable of surviving hardships and troubles.

Therefore, Doubiago is aware of her feminist role in society, and this awareness is reflected in her thematic and

rhetorical ways of her discourse. On the level of gender subjectivity and identity femaleness unites women, while maleness unites men in the domain of heterosexuality. Mother, as the self in the gender war, occupies the main space of Doubiago's discourse. Also, she expresses her erotic feelings as a mother to her daughter passionately and didactically in "Earth Lagos Present:"

> .. .entered a strange stream, a sexual
> stream, the ecstasy of time and place
> like mountain, like seas at the risen continents
> I could hear time, a mechanic sound
> I could feel creation, my self in place
> for the first time (Doubiago, 1992:127-28)

In this context, Ostriker views strong feminist discourse and consciousness about the common feminist issues in every society, implying that Doubiago's lengthy poem is characterized by "its amplitude and tempo," offering clear feminist views of the beauty and poverty, squalor, cruelty and mystery "out the window," all of which alternate with "inside" meditations on mother-daughter, mother-son, male-female love and betrayal--biological, psychic, mythic (2001:260). Zhang views a wide and courageous step into "an aesthetic stream," whether "semantic" or "syntactic" (2004:16).

Moreover, for Doubiago, the personal is the political, the religious, the cultural, and the universal. This is why *South America Mi Hija* seems to lament in detail the "interlocking of patriarchal psychology," when family structure, state, and faith are examined. Obviously, Doubiago uses the pronoun "I" numerously expressing a striking feature for her own self and subjectivity throughout the poem. In this regard, Meyers (2000) views

the self as a subject of "enunciation," when the speaker uses the pronoun 1. For Howe, the self "attains the dignity of a noun" to register an "enhancement of authority" (1992:250). It is Doubiago's own way in referring to herself and her gender revealing her "sexed/gendered identity" freely and consciously.

No doubt, Doubiago's "historiography" tells us that women have neither accepted nor celebrated their bodies and sexuality, but they have imprisoned them in social, cultural, and psychological "cells" (Stimpson, 1993:266). Doubiago's feelings of misogyny are mentioned in different poems in her collection. She tells us that because some women have power, men have fought them, reduced them to objects and nothingness. In her poem "Mother," the poetess touches the stone and knows the male, knowing his identity, "must see his mother/female/must objectify her/woman" (Doubiago, 1992:265). Then she touches the stone and knows "the hatred of woman/is the hatred of nature" (Ibid:267). Also, she addresses her daughter in "Gender," telling her that male rejects "women/his mother and will identify himself... objectifying you/his first act of self' (Ibid:271). Commenting on this issue, Ostriker tells us that Doubiago employs a convention that "the male-female conspiracy to keep history mad has become impossible to sustain" which is a recurrent and agonizing motif throughout *South America Mi Hija* (2001:260).

For Doubiago, the war against women is civilization's war since women connect us to nature:

> The flesh and blood from which we come
> Mama
> first Virgin
> Unknown. Unconquerable
> female body, maker

of our death as well as our life, why
her, why we hate
Nature.
(1992:281)

Such hatred of both women and nature and the destruction of civilization are man-made a apocalypse" (Stimpson, 1992:266). It is Doubiago's sight and insight that see men write and act out patriarchal scripts, and rule women. They, men, also reduce female creativity to the figure of Isis, the goddess who must find and bind the fragments of a dismembered male body together:

Earth will explode
consciousness is a created
creative event
a bucket full of water
as we are creating it
We are not separate
but psyche will hide
from even the self (1992:261)

This is why she chose to travel with her daughter, not with her son. The mother-daughter relationship is crucial to the identity of each one of them because". .. the daughter is the core of the mother." This relationship is based on the fact that giving birth to a daughter, mothers give rebirth to themselves. It is, I think, universal fact and tradition.

Thematically, Doubiago also searches for the core of being, of framing her self, of defining her gender in the hegemonic patriarchal ideologies. She is aware of this system where all natural, human, and sacred activities are "organically' connected, establishing relations that "puns and words with double/treble meanings convey" (Stimpson, 1993:268). Woolf stresses that women and

men are different in a variety of ways; their nerves which feed their brains are different. It is right whenever it comes to writing poetry or fiction for they have different genes, mentalities, capabilities, attitudes, social norms, habits, desires, hopes, expectations and dreams (1989:99). Yet, Woolf cries to "Lock up your libraries … [and] to set upon the freedom of … mind," so she defies the patriarchal powers that enable men to be the superiors in any human society and calls women to decide upon their own paths (Ibid:111).

Later, Doubiago hopes to revolt with other women to change the dominant structures of gender within the self, family, and society. This gender revolution will end with the collapse of all other structures of domination and submission. The poetess also aspires to subvert the "male monopoly of positions of economic, political, and social power" (Tyson, 1999:84). This is ostensible in the poem "Amazon" where the poetess admits hysterically the dominance of the male 'masculinity" over women femininity through the sufferings, hate, heartbreak, labor, and birth on the part of women. Doubiago, however, does not surrender to such a system; she calls for reclaiming the female powers that the "patriarchs have removed from the public life" (Stimpson, 1993:270). She continues mentioning myths, legends, and feminine-nature images sustaining her popular consciousness in the arena of gender war. Replacing the refrain "out the window' with another one "I touch the stone," Doubiago emphasizes her gender unity against the patriarchal dominant society:

The son as Time, evolutionary
Savior, the sun the male
bounded to the mother
to the sister
to daughter

to woman
to Earth (1992:284)

This replacement asserts Doubiago's feminist vision of female's originality and capability of always being the center of the creation in the world. In brief, Doubiago presents her self-discovery as a woman and a mother emphasizing her perspectives of the gendered self and other. She also shows self-awareness and consciousness of her gender war in the dominant patriarchal societies. Her gender themes about the self and the other are conveyed plainly and extensivelyy. Yet, Woolf states that masculine-hegemonic beliefs and practices challenged women creativeness and voices:

> Since her pin money, which depended on the goodwill of her father, was only enough to keep her clothed, she was debarred from such alleviations as came even to Keats or Tennyson or Carlyle, all poor men, from a walking tour, a little journey to France, from the separate lodging which, even if it were miserable enough, sheltered them from the claims and tyrannies of their families. Such material difficulties were formidable; but much worse were the immaterial. The indifference of the world which Keats and Flaubert and other men of genius have found so hard to bear was in her case not indifference but hostility. (1989:52)

This means that women have to challenge the rooted power of men in order to set up a place for their own creativity and voices. Women also have to decentralize the

male authority to construct a unity for gender coherent self and authorial discourse. Woolf offers a cry to engender and strengthen feminist consciousness against the dominant masculine identity and authority.

## References


Doubiago, Sharon. (1992). *South America Mi Hija*. Pittsburgh: U of Pittsburgh P.

Eisler, Riane. (1987). *The Chalice and the Blade: Our History, Our Future.* New York: Harper and Row.

Ellison, Julie. (1990). *Delicate subjects: Romanticism, Gender, and the Ethics of Understanding.* Ithaca: Cornell UP.

Howe, Irving.(1992). "The Self in Literature." *The Construction of the Self.* Ed. George Levine. Rutgers UP, pp. 249-66.

Lewis, M. and Brooks-Gunn, J. (1989). *Social Cognition and the Acquisition of Self.* New York: Plenum.

Lynch, Doris. (2000). "Body and Soul." *Library Journal*. Vol. 125, pp. 276-283.

Meyers, Diana. (2000). "Self Understanding and Theory of Mind." *Stanford Encyclopedia of Philosophy.* Retrieved August 30, 2011 from http://Plato.standford.edu/entries/feminism-self/#A.

Ostriker, Alicia. (2001). "Beyond Confession: The Poetics of Postmodern Witness." *American Poetry Review*. Vol. 30, pp. 256-262.

Stimpson, Catherine R. (1993). "Demeter in South America." *Parnassus: Poetry in Review.* Vol. 17/18, pp. 258-71.

Tyson, Luis. (1999). *Critical Theory Today: A User-Friendly Guide.* New York: Garland

Publishing, Inc.
Ullman, Leslie. (1993). "Betrayal and Boundaries: A Question of Balance." *Kenyon_Review*. Vo1. 15, pp. 182-96.
Woolf, Virginia. (1989). *A Room of One's Own*. New York: Harcourt Brace.
Zhang, Jeanne Hong. (2004). *The Invention of a Discourse: Women's Poetry***.** Leiden: CNWS Publications.

# Journal of Averroes University in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**





Correspondence

**Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld**
**The Netherlands**
**Website www.averroesuniversity.org**
**E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org**

**NL242123028B01 Tax record - KvK 08189752 Registration number in the Netherlands**

All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.



Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO
DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O
AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND
LORSWEG4
3771GH
BARNEVELD
BIC ABNANL2A
IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| **Annual contribution** | **Individuals** | **Organizations** |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |



Sixth Issue June 2012




# Journal of Averroes University in Holland

Issue 6 Price €10,00

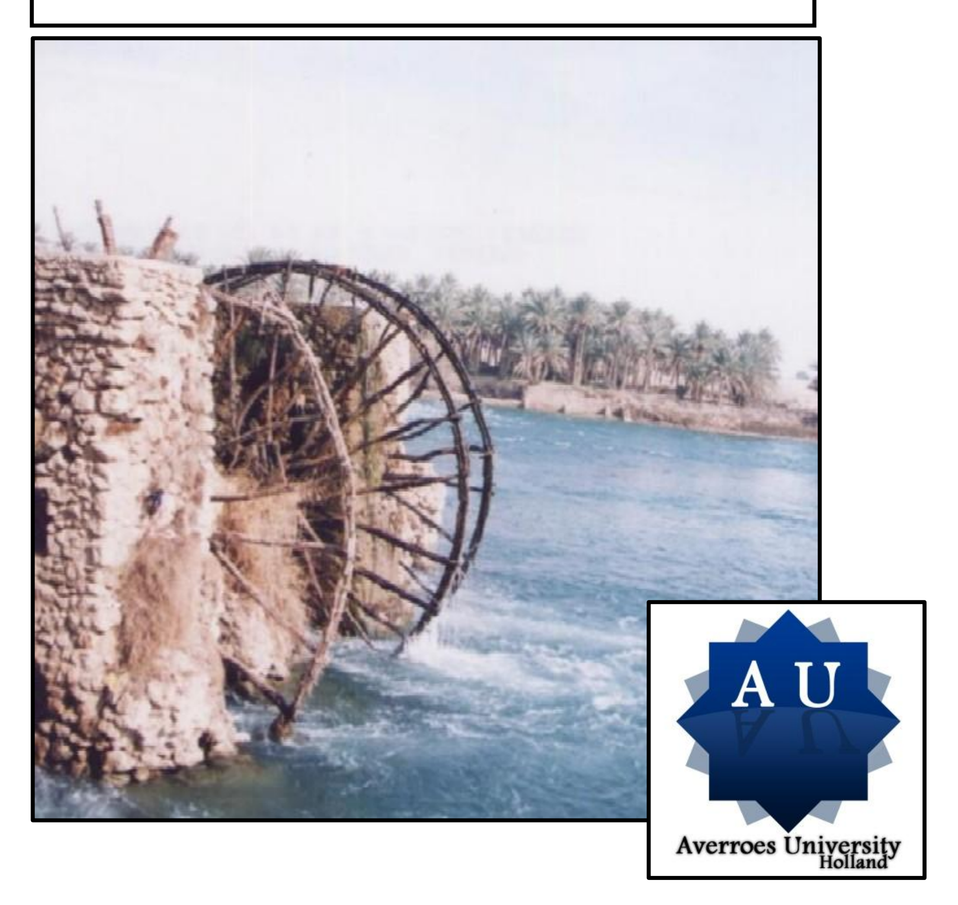
# مجلة

# جامعة ابن رشد

في هولندا

## دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

**العدد الاول** **السعر 10 يورو**



مجلة

# جامعة ابن رشد في هولندا

دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا



عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |




العدد الأول كانون أول ديسمبر 2010

# الفهرس


| | ص. |
|---|---|
| مفتتح | أ، ب |

| | |
|---|---|
| **الأدب وعلوم اللغة و الفلسفة** | 1 |
| أهمّ المظاهر السلبيّة لتوظيف الأسطورة في الخطاب الشعريّ الحديث<br>*د. محمد عبد الرحمن يونس* | 2 |
| مفهوم المؤسسة الأدبية وشروطها<br>*الدكتور عبد السلام فزازي* | 33 |
| دراسة فسيولوجية الأصوات عند إبن سينا من خلال كتابه "أسباب حدوث الحروف"<br>د. إسحاق رحماني | 51 |
| بين القيم الواقعية والجمالية في أعمال جاسم المطير السردية<br>*الدكتور تيسير عبدالجبار الآلوسي* | 65 |
| مشكلة الموت في الثقافة العربية<br>*حازم خيري* | 78 |

| | |
|---|---|
| **التاريخ** | **104** |
| سياسة الدولة الأخمينية<br>*رويدة فيصل النواب* | 105 |

| | |
|---|---|
| **الاقتصاد و إدارة الاعمال** | 124 |
| تطور النظام المحاسبي في العراق<br>*د. صباح قدوري* | 125 |
| التسويق الالكتروني باستخدام برمجية ARCGIS9.2<br>دراسة تطبيقية على مواقع السياحة العلاجية في الأردن<br>*د. ابراهيم بظاظو* | 152 |
| **الفنون** | 179 |
| الدلالة والمضمون في تصميم الملصق الإرشادي<br>*د. معتز عناد غزوان* | 180 |
| شعرية الجسد في بنية الفضاء المسرحي<br>*د. حسين الأنصاري* | 206 |

| | |
|---|---|
| 221 | **العلوم النفسية والتربوية** |
| 222 | العوامل التي تؤدي إلى  تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس<br>*د. عمر الريماوي* |
| 236 | **العلوم السياسية** |
| 237 | Changing face in Iraq: lessons and limitations<br>Identities and cultural diversity<br>*Dr. Hussain Shaban* |

# مفتتح

ثقة بأهمية البحث العلمي ومكانه ومكانته في الجامعات التي تحترم العقل العلمي وتعبّر عنه، تبنت جامعة ابن رشد في هولندا إنجاز دوريتها العلمية، مجلة محكَّمة تعنى بدعم البحث العلمي والعمل على توفير أدواته ومن أهم تلك الأدوات (المجلة العلمية) ذات الرصانة والمرجعية ممثلة بآليات العقل ومنطق فعله وخطى منهجه وتوجهه..

اليوم نشعر بالاعتزاز لأننا استطعنا أن ندلي بكلمة معرفية هي المفتتح لمسيرة نثق بأنها ستتعزز وتتسامى بفضل العقول العلمية الباحثة في ميادين المعارف والعلوم ومبادئ توظيفها في خدمة الحياة البشرية بكل مفاصلها.

إننا لسنا أكثر من مؤسسة علمية أكاديمية.. أما المضمون، أما المحتوى، أما الجهد الحقيقي الفاعل فيكمن في أقلام العقول الأكاديمية التي تلتئم سويا ومعا هنا في هذه المؤسسة لتكون مشرط الجراح لتشريح كل قضية تجابهنا بطريقة حكيمة حصيفة سديدة.. نحن الأداة وأنتم الأنامل التي تمسك بها وتمضي في إنجاز العمليات الرياضية التشريحية لتصل إلى حيث النتائج الأبعد ضمانا وتطمينا لإجابة جميع الأسئلة والقضايا..

باعتزاز، نضع بين أيدي الباحثين جهودنا المتواضعة هذه بمشاركة مكينة من علماء وأساتذة أجلاء أفاضل من مختلف البلدان؛ بخاصة هنا بالإشارة إلى من شاركنا في هذا العدد من العراق وفلسطين وزميلات وزملاء ممن يجمعون اليوم بين

هوياتهم الوطنية وإعدادهم العلمي هناك وبين تجاريبهم المهجرية في بلدان أوروبا وأمريكا وغيرها. وهذا هو الجسر المعرفي الفكري الذي نتطلع إلى نكونه بوساطة هذه الجامعة وانشطتها العلمية المعرفية..

فمباركة تلك الجهود.. ومعذرة من هفوات البداية وربما بعض مثالبها التي قد تظهر هنا وهناك.. لكن الإصرار على أن نكون، جعلنا نترك تلك الملامح (الهامشية) التي ما زالت بحاجة للتعديل لفطنة الآخر وإضافته ودوره..

وهذا ما نتطلع إلى أن يصلنا منكم وعبركم وبدورنا سنستقبل كل الملاحظات وكل أشكال النقد ومضانه بكامل الترحاب وتمامه؛ لأن غايتنا مشتركة موجودة هنا حيث التطلع للوصول إلى أفضل البحوث العلمية..

ومن جهتنا نتعهد في مستقبل غير بعيد بوضع مكافآت لأفضل البحوث في ميدانها ولأفضل الباحثين.. كما نتطلع لتبني الأعمال البحثية الميدانية المشتركة التي تدرس واقعنا وأسئلته.. والتوجه لتنفيذ الاستبيانات والاستطلاعات العلمية المناسبة لمطالب باحثينا وبحوثهم..

ومع تحايانا بمناسبة طي صفحة سنة وبدء صفحة عام جديد من الجهد والبحث والدرس والتحصيل؛

نؤكد بثقة أننا بكم ومعكم نتقدم.. سلمت الجهود الخيرة النيرة الرشيدة.. وتحية العلم لكم جميعا..

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة


أهمّ  المظاهر السلبيّة لتوظيف الأسطورة في الخطاب الشعريّ الحديث

مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة وشروطهـا

دراسة فسيولوجية الأصوات عند إبن سينا من خلال كتابه "أسباب حدوث الحروف"

بين القيم الواقعية والجمالية في أعمال جاسم المطير السردية

مشكلة الموت في الثقافة العربية

# أهمّ المظاهر السلبيّة لتوظيف الأسطورة في الخطاب الشعريّ الحديث .

د. محمد عبد الرحمن يونس(*)

من خلال ديوان الشعر العربي المعاصر نجد شعراء معاصرين تعاملوا مع الأسطورة، و لم يستطيعوا تشكيل صورة شعرية عميقة الدلالة، بل كانت الأسطورة بنية نصيّة، قُدّمت في شكلها الظاهري، دون أن تدلّ أو تشير أو توحي، و إن دلّت فإنّ دلالاتها كانت جدّ قريبة، بل بدت هامشية و غير جوهرية أو عميقة، و هذا هو أحد المظاهر السلبية لتوظيف الأسطورة في النص الشعري العربي المعاصر. و يمكن القول: « إنّ موضوع القصيدة العربية الحديثة في جلّ نماذجه ـ أصبح يكرر نفسه بلا انقطاع. أصبح الحاضر لا يرى إلاّ بباصرة الماضي، و من خلال رموز تبسيطية تفرز الماضي و الحاضر و المستقبل العربي فرزاً بدائياً و جزافياً بين جلاّد و مجلود، خليفة و خصيّ، رجعية عربية و تقدمية قرمطية »(1) .

يقول الشاعر التونسي رجب بن مهني في قصيدة بعنوان « شهرزاد تقتحم ضباب الحضارة »:

**أيا شهرزادُ التي قتلت شهريارَ بسيفِ الحضارةْ**
**رَمَتْهُ بسهم و أَلقَتْ به في ركام الدّعَارَة**
**أيّا شهرزادُ التي رفضت شهريارْ**
**و لمْ تَقْبل اليومَ جورَ الإمارَهْ**
**لقَدْ أقفَلَ الجهلُ بابَهُ لن تقبلي بالخساره**
**و أنتِ المنَاره.**
**أريدكِ رافضة الوهمِ ..**
**ضِدّ تضاريس وجه غبِيّ و أشباحهِ المستعاره**
**تَثورينَ، ثورَةَ قلبٍ**
**منَ العلمِ يقتبس الآنَ ألفَي شراره**
**وتنتصبين، شموخاً، سُمُوّا.**
**أصيخي لصوت التحدّي.**

**...**

**أيا شهرزاد**
**قفي و انظري للنجوم**
**هي الشمس تَمنحها النبضَ بالنور حينَ الظلامُ يَسُودْ**

---

(*) - جامعة ابن رشد، كلية اللغة العربية، قسم الأدب العربي، هولندا .

**قفي .. قاطرات الزمان تَسيرُ**
**و أنتِ الربيعُ الذي يحملُ الخِصبَ .. أنتِ البذورْ**
**قفي وقفةَ الحبّ .. ! شهماً مُثيرا**
**قفي .. أنتِ أعذبُ لحنٍ**
**طوتّهُ السنونْ**
**و أخفتْهُ .. داستهُ**
**ثمّ يفيقُ أخيراً .»(2) .**

يستخدم الشاعر هنا أسطورة شهرزاد و شهريار استخداماً لا يتعدى التسمية، دون أن يتعمّق في استخدام الرمز الإشاري للأسطورة و أبعاده. و يبدو هذا الاستخدام في أبسط أشكاله، و يمكننا أن نسميه استخداماً وظيفياً تزيينياً، إذ لا يبدو عميقاً أو قادراً على تجاوز البنية الشكلية و النصيّة للفظي شهريار و شهرزاد. هكذا تأتي الفكرة في القصيدة بسيطة و غير مرمّزة، و تفتقر إلى الإيحاء العميق. و يمكن أن نلخّص فكرة الشاعر رجب بن مهني بما يلي: مع تقدّم الحضارة، و تطور المعارف النظرية و العلمية، التي قضت على كثير من مفاهيم عصر الانحطاط و البداوة، يدعو الشاعر المرأة العربية المعاصرة أن تواكب هذه التطورات و أن تنفض عن كاهلها تركات الأزمنة البطريركية و السلطوية الشهريارية و أن تتمرد و تثور، و لكنّ هذه الرؤية الشعرية تفتقر إلى الإيحاءات الفنيّة العميقة التي يمكن أن تشكّلها الدلالات العميقة لأسطورة شهريار و شهرزاد.

و ثمة غاية أخرى لجأ إليها بعض الشعراء، و هي مجرد الاستعراض المعرفي و الثقافي لنصّ الأسطورة. بحيث بات استخدامها ترفاً شكلياً، ظناً منهم أنّ المتلقي للخطاب الشعري سيعطي للقصيدة قيمة فكرية و جمالية كلما امتلأت بأسماء الشخصيات الأسطورية، و بعض آخر ظنّ أنّ توظيفها بأية طريقة كانت سيموضع القصيدة، و يضعهم في حقل معرفي زمني يجعل من القصيدة رؤية معاصرة و حداثية، فظنّ هؤلاء أنّ استخدام الأسطورة أهم سمات الحداثة، إذاً فلتكن الأسطورة تمشياً مع موجة الحداثة، حتى لا يتخلفوا عن ركب الإبداع.

يقول الشاعر سليمان العيسى في قصيدة بعنوان: بطاقة حبّ إلى وضّاح اليمن:

**« أهزّكَ .. أقطع النّشوهْ**
**أعيدك قصّة حلوه**
**أزيح غطاءك الأزليّ ..**
**أمسح وجهك الدّامي بآلامي ..**
**أصبُّ بسمعك الحاضر**
**...**
**أتحمل من دمي قبسا ؟**

**حكايتنا بلا سمر**
**وهبت حروفها عمري**
***
**يُقال: تفجّر الصندوق يا وضّاح فاليمن**
**تجرُّ وراءها الكفن العتيق فيسقط الكفن**
**و تبحث عن خيوط الشمس حيث تحجّر الزمن**
**يُقال: تفجّر الصندوق يا وضّاح عن لهبٍ**
**...**
**يُقال: ستولدين على الطّوى .. يا أمّة العرب**
**سنبدأ رحلة القدر**
**من الجوع المُدمِّر، من ملاجئنا، من الحفر**
**سنبدأ رحلة الميلاد يا صنعاء، يا عدن ». (3)**

إنّ الشاعر سليمان العيسى يتعاطف مع ثورتي صنعاء و عدن في نضالهما التاريخي، الأولى ضد سطوة الإمامة، و الثانية ضد سلطة الاستعمار الانكليزي، و مع الأمّة العربيّة في نضالها التاريخي ضدّ الفقر و الجوع و التخلّف، و عبر بطاقة حبّ لصنعاء و عدن، يوظّف الأسطورة التاريخية « وضّاح اليمن »، الذي مات مدفوناً في صندوق، في قصر الوليد بن عبد الملك**(4)** في دمشق، نتيجة علاقة حبّ سريّة ربطته بزوجة الوليد « أم البنين »، كما تذكر بعض المصادر التاريخية. و توظيف هذه الأسطورة التاريخية لا يتعدّى كونها لصوقاً شكلياً بجسد القصيدة، و من خلال تعاطفه مع ثورتي المدينتين، فإنّه يتعاطف مع وضّاح اليمن، و يقسره للدخول في بنية القصيدة، و إن دلّ فإنّ دلالته قريبة جدّاً لا تتعدى اللفظة أو الإشارة.

إنّ قصة وضّاح اليمن التاريخية و الأسطورية لأعمق بعداً و تأثيراً في النفس الانسانية من هذه القصة الحلوة التي شكّلها الشاعر، و قسرها على رؤية التطور الحضاري و المعرفي الذي حصل في صنعاء و عدن بعد الثورتين « أعيدك قصة حلوة ». و يجعل الشاعر من نفسه ذاتاً متعالية و يضعها بشكل ندّي مع وضّاح اليمن، بل يسأل وضّاحاً: هل يستعير قبساً من ذات الشاعر ؟، و ليس هناك أي بعد رمزي على مستوى الرؤية الشعرية يجمع بين صندوق وضّاح اليمن، الذي أخفته أم البنين خوفاً من زوجها الوليد، و بين الصندوق و السور الذي صنعته السطوة الإمامية و الاستعمار الانكليزي، و دفنتا فيه الشعب اليمني و أعاقتا نموّه الحضاري و الانساني.

إنّ معطيات التراث تكون « بديلاً إسقاطياً يتكىء عليها (الشاعر) سليمان العيسى (...) ليكون الصوت الآخر الذي يعبّر الشاعر بواسطته عن رؤيته الخاصة، و لكن هذه الرؤية يعيبها أنها تكاد تكون مباشرة فلم يستطع الصوت الآخر أن يتخلص من صوت الشاعر فيما يشبه تداخلاً تكثيفياً أو قناعاً فنياً يبتعد فيه الشاعر عن الدلالة الواضحة وعن الحكم المباشر، و كان أشبه بمجرّد استبدال صوتي في لقطات جزئيّة »(5).

و مـن المظـاهر السـلبية لاسـتخدام الأسـطورة فـي الخطـاب الشـعري المعاصر: إبهام الرمز الأسطوري و انغلاقه على ذاته بالنسبة للمتلقي العادي، بحيث تبدو علاقة المتلقي بالباث أو المرسِل، و بالتالي علاقته مع القصيدة علاقة غربة و تنافر، إذ أمام انغلاق النص على بناه الأسطورية يجد القارىء نفسه عاجزاً عن فهم دلالات و إيحـاءات هـذا الرمـز الأسـطوري، و قلما يحاول فكّ استغلاقاته.

يقول أدونيس في مقطع بعنوان « أورفيوس » من قصيدة « ساحر الغبار »:

**عاشقٌ أتدحرجُ في عتمات الجحيم**
**حجراً، غير أني أُضيء**
**إنّ لي موعداً مع الكاهنات**
**...**
**كلماتي رياحٌ تهزّ الحياة**
**و غنائي شرار.**
**إنني لغةٌ لإله يجيءُ**
**إنني ساحرُ الغبار »(6).**

تقول أسطورة أورفيوس Orphée. أن أورفيوس:

**« كان موسيقياً قديراً، برع بصفة خاصة في العزف على القيثارة التي تلقاها هدية من أبوللو أو ميركور، و طوّرها فأضاف إلى أوتارها السبعة وترين. و كانت الأنغام التي ترسلها هذه القيثارة عذبة مشجيّة لدرجة أنها كانت تسحر أضعف الكائنات حساسية للنغم. كانت الحيوانات المتوحشة تهرع إليه، فتخلع ثوب الوحشية و الضراوة عند قدميه، و تأتي الطيور و تحطّ على الأشجار القريبة منه. بل إن الرياح نفسها كانت تحوّل أنفاسها ناحيته، و الأنهار توقف جريانها، و الأشجار تشكّل فرقة راقصة، كل هذا مجازات أو اطنابات شعرية تعبّر عن كمال مواهبه أو الفن الرائع الذي استطاع أن يستخدمه لتهذيب ما في طبائع أهل تراقيا من شراسة، و نقلهم من حياتهم المتوحشة إلى الحياة المهذبة الرقيقة الحلوة. و ذاع صيته بأنه حكيم و شاعر ملهم من قبل الآلهة في كل أنحاء العالم القديم»(7) .**

و الشاعر أدونيس يوظّف هنا هذه الأسطورة توظيفاً مبهماً و معقّداً في ديوانه أغاني مهيار الدمشقي، إذ يحاول أن يشكّل من أورفيوس الصورة النِّدِّية لقناعه مهيار الدمشقي، مهيار الجديد الرافض لكل القيم البالية، الثائر على بنيات مجتمعـه، و المتخطّـي لهـا .

يقول الشاعر:

**« وجهُ مهيار نارْ**
**تحرقُ أرضَ النجوم الأليفة،**
**هو ذا يتخطّى تخومَ الخليفة**
**رافعاً بيرقَ الأفولْ**
**هادماًً كلّ دارْ؛**
**هو ذا يرفضُ الإمَامَهْ**
**تاركاً يأسَه علامه**
**فوق وجه الفصول »(8) .**

مهيار الذي عرف الآخرين بسكونيتهم المميتة، و تصالحهم مع طغاة أزمنتهم، فعرّاهم و رمى فوقهم صخور رفضه:

**« عرف الآخرينْ**
**فرمى صخرةً فوقهم و استدار**
**حاملاً غُرّة النهارْ**
**و السنينَ التي تُهرول عذْريّة الجنين.**
**وجههُ عالِقٌ بالحدود الغريبهْ**
**ينحني فوقها و يُضيءُ،**
**حيث لا يلمح الآخرين استدارْ**
**حاملاً غُرّة النهارْ »(9) .**

لكن تبدو صورة مهيار النِّدِّية التي هي أورفيوس منفصلة عن مهيار و ارتباطاتها بها على المستوى الإنساني و الرؤيوي غير جوهرية. و« أرفيوس » في الأسطورة ينسى تعاليم الإلهيْن بلوتون وبروسيربينا القاضية بأن لا ينظر إلى خطيبته أوريديكا، إلا بعد أن يتخطّى حدود الدار الآخرة، و هذا هو شرط السماح له باستردادها من الدنيا الآخرة حيّة. و لكنه يستدير ناسياً هذا الشرط، فتنفلت متدحرجة إلى الأعماق إلى غير رجعة. فما هو المستوى الإشاري و الإيحائي الذي يقصده أدونيس بتدحرج أورفيوس إلى عتمات الجحيم، و ما هي الرؤية الإنسانية المعاصرة التي يمكن استشفافها من هذا الأمر ؟. و من هنّ الكاهنات اللاتي يرتبط بهن أورفيوس بموعد ؟ هل هنّ نساء تراقيا اللواتي كنّ يحتفلن بأعيادهن الفاجرة، فقمن بتمزيقه و ألقين برأسه في نهر الهيبر و هو من أنهار بلادهن ؟(10). و ما الحالة الإنسانية المعاصرة التي قصدها أدونيس و أراد أن يبرزها من خلال نظيرها الأسطوري و من خلال استخدامه للفظة « الكاهنات » ؟. و ما هي الرؤية الشعرية الإبداعية التي يريد إبرازها ؟ أسئلة لا يعرف الإجابة عنها بدقة إلاّ الشاعر أدونيس نفسه. و تبقى هذه الأسئلة قادرة على إثارة المزيد من الإشكاليات النقدية حول بنية الأسطورة و رموزها، و علاقتها بالخطاب الشعري العربي المعاصر.

أمام إبهام الرمز الأسطوري، و عدم وجود الصلة الجوهرية بين دلالة الرمز القديم، و بين موقف حضاري معاصر يريد الشاعر التأكيد عليه، تصبح القصيدة خطاباً مستغلقاً، فلا أورفيوس هو الصورة النديّة لمهيار النتشوي المتفرّد ، و لا هو

الصورة المعاصرة للإنسان المعاصر في رؤاه و أحلامه. و بقدر ما كانت صورة مهيار في المقطع السابق « وجه مهيار نار » مشعّة و مضيئة و موحية إلى دلالات حضارية و إنسانية، و متخطيّة لزمن القتامة و عاملةً على هدمه، بقدر ما كانت صورته في « أورفيوس » غائبة و مبهمة و مستغلقة. و يعلّق د.أحمد كمال زكي(11) على المقطع السابق «أورفيوس» قائلاً:

« و نحسّ على الفور بقصور الشاعر، فلم تدل صورته على أورفيوس الذي كان يحرك بقيثاره و شعره الجماد (...) و يهزّ أعماق « برسيفون » زوجة « بلوتو » الأرضي. فضلاً عن أنها لم يستقم لها المدلول المباشر بحيث تكشف عن واقع نفسي معين، و ليس أدلّ على فشل الشاعر من صيحته في آخر القصيدة:

**إنني لغة لإله يجيء**

**إنني ساحر الغبار ».**

و ليس غريباً أن تكون قصائد أدونيس الرمزية غامضة و مستعصية على القارىء طالما هو نفسه يرى أنه ليس ضرورياً أن يفهم المتلقي القصيدة فهماً شاملاً، يقول: « فعلى القارىء أن يعترف أحياناً أنه ليس من الضروري أن يفهم كل قصيدة فهماً شاملاً، مهما بلغت درجة فهمه. يكفي من جهة أخرى، أن يكون هناك قارىء واحد يفهم قصيدة ما لكي تزول عنها صفة الغموض .»(12) .

و من حوار بينه و بين قارئه يقول: « هو: هل أستطيع أن أستنتج بأنك تحب الغموض؟

أنا: نعم، و لكن بالمعنى الشعري الخالص، أي المعنى الذي يناقض الألغاز و التعمية و الأحاجي. فالقصيدة العظيمة لا تكون حاضرة أمامك كالرغيف أو كأس الماء. و هي ليست شيئاً مسطّحاً تراه و تلمسه و تحيط به دفعة واحدة. إنها عالم ذو أبعاد (...) عالم متموج متداخل كثيف بشفافيته .. تعيش فيها، و تعجز عن القبض عليها. تقودك في سديم من المشاعر و الأحاسيس، سديم يستقل بنظامه الخاص. تغمرك، و حين تهمّ أن تحتضنها تفلت من بين ذراعيك كالموج»(13).

و يصرّ بعض الشعراء على توظيف أساطير عديدة داخل النص الواحد تحمل دلالات و رموزاً متباينة، وتنفصل في آن عن الوحدة الموضوعية الشمولية للقصيدة، مما يجعل هذه الرموز مستغلقة و غير قادرة على الإيحاء، و إزاء ذلك يجد المتلقّي نفسه عاجزاً عن فهم هذه الرموز و فكّ استغلاقاتها، لأنها موظفة توظيفاً نصياً لا إبداعياً، فهي بدلاً من أن توسّع آفاق النص و تزيد ثراءه المعرفي و الدلالي، فإنها تحجبه و تحوله إلى شبكة من العلاقات المبهمة، من هنا فإنّه مطلوب من المتلقّي - و وفقاً لرؤية الشاعر - أن يتمثّل الموقف الأسطوري و دلالته الرمزيّة، حتى و لو وظّف هذا الشاعر الرمز الأسطوري توظيفاً غائياً و مستغلقاً.

فعلى سبيل المثال يلجأ الشاعر عبد الوهاب البياتي إلى شحن القصيدة بأساطير عديدة تأخذ كل منها دلالة مغايرة للأخرى، و تتكثف هذه الأساطير بحيث تبدو قلعةً مغلقةً أمام المتلقّي، الذي يظلّ عاجزاً عن فهم الرمز الأسطوري و علاقته

بالرموز الأخرى. يقول الشاعر في قصيدة « مرثية إلى عائشة » من ديوان الموت في الحياة:

**« يموت راعي الضأن في انتظاره ميتة جالينوس**
**يأكل قرص الشمس أورفيوس**
**تبكي على الفرات عشتروت**
**تبحث في مياهه عن خاتم ضاعَ و عن أغنية تموت**
**تندب تموز: فيا زوارق الدخان**
**عائشة عادت مع الشتاء للبستان**
**صفصافة عارية الأوراق**
**تبكي على الفرات**
**تصنع من دموعها، حارسةُ الأموات**
**تاجاً لحب مات »(14) .**

تغرق القصيدة في ضبابية كثيفة إزاء هذا الحشد من الأساطير، و تفقد الأسطورة قدرتها على الايحاء و تَمَثُّل الرمز. فما هي الملامح المشتركة بين أورفيوس المغني، و عائشة الشابة التي أحبها عمر الخيام، و التي يستخدمها البياتي كرمز أسطوري يجسّد الحب الأزلي الواحد، الذي يضيء ما لا يتناهى من صور الوجود كما يرى البياتي(15)، و بين عشتروت الباكية « تموزها » المقتول غيلةً، و جالينوس الرمز المعقّد الذي يشير إلى عادة قديمة تجري في مراسيم الندب و البكاء على تموز إله الخضرة (16) و الذي يستعيره البياتي من بيت المتنبي:

**« يموت راعي الضأن في جهله     ميتة جالينوس في طبه»؟ .**

إذا كان هناك ملامح مشتركة فإنها جدّ طفيفة، و أمام هذا التوظيف يجد المتلقي نفسه عاجزاً عن استيعاب رؤاها الموحدة، و دلالاتها البعيدة أو القريبة، إنّ هذا التكثيف يؤدي إلى فقدان القدرة على الإيحاء، و يزيد القصيدة تعمية و تعقيداً. صحيح أنّ « كل لغة شعرية تبدأ بكونها لغة أسرار، بمعنى خلق عالم شخصي، عالم منغلق على نفسه تماماً »(17)، لكنّ الابداع الشعري يحوّل لغة الأسرار هذه بطاقتها الرمزية، لتصبح لغة منفتحة على فضاءات جمالية انسانية و ثقافية و تاريخية، يمكن أن تؤول وتُفهم، بعد أن يستنفر المتلقي طاقاته و قدراته الثقافية، و يعمل على فك أسرار هذه اللغة.

إنّ الشاعرالمعاصر يلجأ أحياناً إلى تكثيف أساطيره، و شحنها برموز متداخلة غامضة، هو نفسه لا يستطيع أن يفكّ غموضها، بحيث تبدو القصيدة مجرد لعبة شكلية أهم سماتها الهذيان الذي لا ضابط له إلاّ بوصفه هذياناً سريالياً عالياً، شكّله شاعر مبدع، و عجز عن فهمه متلقٍّ متخلف مُطالَب بأن يقرأ كثيراً، و يفكر كثيراً، كما يرى مبدع هذا الهذيان السريالي، و هنا يمكن القول إنّ « الخيال الذي يعبّر عنه الترميز غالباً ما يكون خيالاً خاصاً، انعزالياً، جزافياً. و بالتالي فهو خيال لا اجتماعي (...) هذا إذا لم يكن خيالاً ضد اجتماعي، فالشاعر ينكفئ إلى الماضي باستمرار. إنه لا يرى الحاضر إلا من خلال رموز الماضي التي تشبه حشداً من المومياءات ينفخ فيها الحياة و يحرّكها بمهارة جاذب خيوط الدمى المختبئ وراء

المسـرح.
و هكذا فإن مخيلته تتحرك في مجال حيوي هو التاريخ، تستعير رموزها منه. بينما تهمل رموز المجتمع الراهن. و قد أصبح الترميز في أحيان كثيرة، حيلة يتوسل بها من أجل المرواغة و اصطناع غلالة تحجب حقيقة كون القصيدة لا تقول شيئاً »(18).

و يبقى استخدام الرمز في القصيدة سمة من سمات الحداثة، و ظاهرة فنية و صحيّة، لأنه عملية خلق عناصر و مكوّنات جديدة وفق رؤية ابداعية من جهة، و ابتعـاد عـن الخطابيـة و المباشرة من جهة ثانية، و يبقى سوء استخدام الرمز عائداً إلى الشاعر نفسه: « فإما أن يستخدم الشاعر الرمز القديم بوصفه مقابلاً عقلياً فيفقده طبيعة الرمز، و إما أن يكّدس هذه الرموز تكديساً يصعبُ معه تمثل دور كل رمز منها في السياق الشعوري للقصيدة»(19).

و من الشعراء الذين عرفوا بتكديسهم الرموز الأسطورية و حشدها في أعمالهم الشعرية، الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب، إذ جمع قسماً كبيراً من هذه الرموز في قصيدته « المومس العمياء »، بحيث باتت ظاهرة شكليّة، قُدِّمت فيها الشخصية الأسطورية تقديماً يفتقر إلى الإيحاء العميق، و إلى الرؤية الإبداعية التي تجعل من النص الأدبي طاقة تخيّليّة، بل تحيله إلى مجموعة من الألفاظ الأسطورية المتراكمة بعضها فوق بعض، إذ يصبح النص سجين هذه الألفاظ المنتقاة لغاية نفعية، هدفها صناعة القصيدة و تركيب جدرانها على نمط مُصنّع و مُشكّل سابقاً، تحضر الصنعة اللفظية و الشكلية و يتضاءل مدّ الرؤية الشعرية، و يطغى حضور الشخصية الأسطورية على بنية القصيدة و رؤيتها. و لا يستطيع القارئ أن يتمثّل جوانب هذه الرؤية إلاّ إذا اصطحب معجماً خاصاً للميثولوجيا و الأساطير القديمة، و حتى في حال رجوعه إلى كل أسطورة من هذه الأساطير و محاولته فهم أحداثها الأسطورية، و من ثمّ إيجاد رؤى معاصرة تشير إليها القصيدة، اعتماداً على الحقل المرجعي الأسطوري، سيجد أن كثيراً من هذه الرؤى غائبة، و سيتساءل: ماذا أضافت هذه الأساطير من رؤى جديدة، و لماذا أُقسِرت بهذه الغائية التعسفية و أُلصقت ببنية القصيدة ؟ و ما هي الغاية الجمالية التي حققتها ؟. و سيجد نفسه عاجزاً عن إيجاد جواب دقيق يرضي طموحه المعرفي، و استعداده النفسي لمحبة الشعرِ، و الإيمان بقدرته على توسيع آفاق المخيّلة، باعتباره فناً إبداعيا و جمالياً و إنسانيا.

يقول في قصيدته المومس العمياء:

**« و تفتّحت، كأزهار الدّفلى، مصابيح الطريق،**
**كعيون « ميدوزا » تحجّر كلّ قلب بالضغينة ».**
**و « قابيل، اخفِ دم الجريمة بالأزاهر و الشفوف ».**
**و « أحفاد « أوديب » الضرير و وارثوه المبصرون**
**(جوكست) أرملة كأمس، و باب « طيبة » مايزال**
**يلقي « أبوالهول » الرهيب عليه، من رعب ظلال ».**
**و « لا تنقلنّ خطاك فالمبغى « علائي » الأديم**

**ابناؤك الصرعى تراب تحت نعلك مستباح ».**
**و « مترقّباً ميلاد « أفروديت » ليلاً أو نهاراً ».**
**و « فاوست ، في أعماقهن يعيد أغنية حزينة**
**المال، شيطان المدينة، ربُّ « فاوست » الجديد ».**
**و « المومس العجفاء - لا « هيلين » و الظمأ اللعين ».**
**و « ستظلّ - ما دامت سهام التبر تصفر في الهواء -**
**تعدو و يتبعها « أبولو » من جديد كالقضاء ».**
**و « طلول مقبرة تضمّ رفات « هابيل » الجنين ؟**
**سور كهذا، حدّثوها عنه في قصص الطفولة:**
**« يأجوج » يغرز فيه، من حنق، أظافره الطويلة » (20).**

إن حشوداً أسطورية كهذه و غيرها، تدعو الناقد رجاء عيد(21) لأن يقول: « الخطورة تتربص بالشعر حين يعتمد على لصق أسطوري لا يضيف بعداً و لا يثري أداء و لا يخلق نماء. هذه الخطورة آفة لا يكاد يسلم منها شعرنا المعاصر فما أكثر ما تصادفك (بنيلوب) و (ايزيس) و (عشتروت) و (أرفيوس) و سيدهم المتربع على كل مائدة (السندباد) إلى آخر الحشد المكرور و الملول ».

و من المظاهر السلبية لاستخدام الأسطورة في القصيدة العربية المعاصرة، أن يكتفي الشاعر و لا يتجاوز حدود القيمة الفكرية للأسطورة، بحيث تبدو القيمة الفكرية التي يطرحها الشاعر هي الهدف الأول من توظيفها، و هنا يبدو توظيف الأسطورة عملية نقل نصّي و موضوعاتي لها، و من ثمّ إلصاقها ببنية القصيدة، دون أن يتعدى ذلك إلى الاهتمام بالجانب الفني و الجمالي. و « قد تكون الأفكار جميلة جداً، و لكنها لن تكون شعرية أبداً. إنّ غاية ما يمكن أن تؤديه الأفكار من نفع هي قيامها بدور المدخل إلى الشعر إذ من شأنها صفع الخيال و تحديد تيار من التصورات المحسوسة. و قد تكتمل فكرة تأملية بحلم يقظة متخذة في النهاية طابعاً شعرياً. إنّ الفكر تجميع و تركيز، و الشعر توزيع و توسيع، و هما حركتان متعاكسان و قد يتناوبان، و قد يتداعيان، و لكنهما يتنافيان بالضرورة. إن الشعر يبدأ دوماً منذ اللحظة التي يقف فيها التفكير و يحلّ محلّه حلم اليقظة » (22).

إنّ الدلالة النصيّة - و بخاصة في الشعر - لا يمكن أن تكون كل شيء. إنها مجرد عنصر بنائي من بقية مكوّنات البناء الشعري للقصيدة، و بناء القصيدة عملية جدّ متداخلة، إنها فكرية و نفسية، و رؤية إبداعية شمولية في آن، فـ « أجمل الأشياء و أنبل العواطف و أعظم المواقف لا تشكّل أثراً فنياً إذا نقلت نقلاً، فإذا بهرتنا منقولة لم تكن عظمتها متولّدة من فنيتها بل من خصائصها التي أُمكِنَ نقلها. و النقل تأريخ ناقص أما في الفنّ فلا بُدّ من إبداع علاقة، من توليد حركة تتجادل فيها العمومية و خصوصية الرؤية أو خصوصية اللحظة. الواقع الراهن و الواقع الممكن، صورة الشيء الحيادية و الصورة الحلميّة الإنسانية. بل إنّ أغرب الأحلام

لا يشكل أثراً فنياً إذا نقل حرفياً لأنّ نقله الحرفي يبقيه أسير حالته الانعكاسية و لا بدّ أن يتجاوز هذه الحالة الخاصة إلى محاورة العالم كي يكتسب الحضور الفني»(23).

يقول الشاعر يوسف الخال في قصيدة بعنوان الحرية:

**« ويحَ أَشُّور ! كم سكبتُ بها الدمع،**
**و غيّبت في ثراها النفوسا،**
**رافعاً فوقها من المجدِ مُلكا**
**يتحدّى - إذا تُطلُّ - الشموسا**
**أيُّ ملكٍ على العبوديةِ العمياءِ**
**يُبنى، و ما أَذِلّ و ديسا:**
**سلْ أشوراً، و رومةً ، و الفراعينَ،**
**و كسرى - سلْ نينوى، و المجوسا،**
**و الأولى طرّقت جيادُهُمُ البحرَ،**
**و صبّت نعالها هندوسا.**
**أيُّ ملكٍ كذاكَ يُبنى على القوّة**
**يبقى، فلا يزول و يبلى:**
**أين مجد العربان بعد ازدهارٍ**
**حطَّ في قمّة الجلال و حلاَّ ؟**
**أين جنكيزُ فاتحُ الشرقِ و الغربِ،**
**نذيرُ الهلاك أنّى أحلاّ ؟**
**أين « تيمور » قاهراً، و السلاطينُ**
**غزاةً، « والبونابرتيّ » مولى ؟»(24).**

الشاعر يوسف الخال يريد هنا أن يؤكد فكرة جوهرية، وهي أن المُلْكَ الذي يستمد أساس وجوده من الجبروت و الطغيان و التسلط هو مُلْكٌ زائل، و أن أساس قيام المُلك الحضاري هو تكريس الفكر و الحرية. و أن الطغاة و الجبابرة مهما وصلوا إلى قمة المجد و العظمة و القوة فإنهم في النهاية ظل زائل، و أن العقلَ و الفكرَ هما السيدان المُتوّجان الباقيان في تاريخ الحضارات الإنسانية، و لكي يؤكد هذه الفكرة الجمالية، فإنه يلجأ إلى الشخصيّات التاريخية التي عُرِفت بجبروتها و سطوتها، و تسلطها، و ينتزعها من حقلها التاريخي و المعرفي، ليلصقها بالقصيدة لتأكيد فكرته، إنها شخصيات وظيفية يدفعُ بها إلى القصيدة لإبراز الفكرة و استخدام هذه الشخوص التاريخية الكثيرة لا يتعدى حدودَ ما تبرزه من قيمة فكرية و حقيقة تاريخية، و بعد أن ينتهي الشاعر من سرد هذه الشخوص، يقرّر فكرته:

**« هكذا يمّحي ظلام الليالي**
**و يفيءُ الصَّباح مهما تولَّى**
**....**

**فتحكمت بالطبيعة، فانقادت**
**إلى فكرتي، سريعاً، و فكري**
**فإذا العقل سيِّدٌ و الأمانيُّ**
**حبالى بكلِّ حبٍّ و خير .»(25).**

و يؤكد سيادة الفكر، فلقد ساد فكر أثينا و حكمتها النيّرة، بينما زالت عروش الطغاة:

**« يا لفتح للفكر فتح أثينا،**
**أين منه فُتح السيوف البواتر ؟**
**تمَّحي دونه العروش، و يفنى**
**كلّ طاغٍ على الشعوب و قاهرْ.**
**يا لفتحٍ للفكر، مهّد للحقّ**
**سبيلاً، و زفّ خير البشائر »(26).**

و لو حاولنا أن نتابع آراء يوسف الخال ناقداً و مفكراً، لوجدنا أنّ هناك قطيعة معرفية بين ما يطرحه من فكر نقدي، في كتاباته التنظيرية لحركة الشعر الحديث، و بين رؤيته الإبداعية التي تتجلى في نصوصه الشعرية، مع ملاحظة أنّ هذه القطيعة ليست عند يوسف الخال فحسب، بل هي عند أكثر الشعراء الذين نظّروا لحركة الشعر الحديث، و أبدعوا في تشكيله في آن. يقول يوسف الخال: « الشاعر الحقيقي لا يلجأ إلى القوالب و الأشكال للتأثير على قرّائه، و لا يطمح إلى أن تكون هذه، رغم بيانها الرائع و شطارتها اللغوية، سبيله إلى التجديد، بل يغوص إلى أعماق نفسه، و يخرج منها بتجربة تأخذ في التعبير عن حجمها الحقيقي، و ألاّ يصبح التعبير النظري منقولاً لا صلة له بصدق التجربة و حقيقتها»(27).

و حدود الشعر و رسالته عنده، لا تتعدى عملية خلقه و إبداعه، يقول: « الكلام على رسالة الشاعر في المجتمع كلام هراء، بل هراء كل كلام عن غايةٍ للشاعر الأصيل غير عملية الخلق ذاتها. و هذا يكفي، و نتائجه على المجتمع أو الإنسان لا شأن للشاعر بها»(28)، لكنّ هذه الرسالة تظهر واضحة، و يغلب عليها الطابع الإيديولوجي العقائدي في أعماله الأولى: الحرية 1945، و هيروديا 1953.

و نأخذ مثالاً شعرياً آخر. يقول الشاعر أدونيس في مقطع بعنوان « سحر »:

**« رقَصت بين جفوني الخائفة**
**جثة الليل و حِرباء المدينة،**
**فتقنّعتُ بعشتار الحزينة**
**و رسمتُ العاصفة »(29).**

و لا تتعدى القيمة الجمالية لأسطورة عشتار هنا، إلا بكونها تشير إلى الحزن الشفيف في ظل أروقة الليل المرعبة، و أحوال المدينة المتبدلة بوجهها الحرباوي، و الذي تنفر منه الذات الشاعرة. إن فكرة الحزن فكرة جسّدتها أسطورة « أدونيس و عشتار» من خلال بكاء عشتار على أدونيس حين نزوله إلى العالم

السفلي، و قام الشاعر أدونيس بنقلها إلى قصيدته، لتشير إلى الحزن و تكتفي بدلالته على المستوى الفردي عنده.

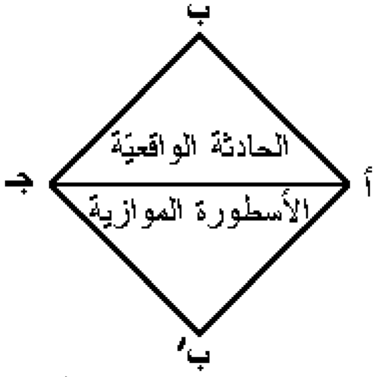
و من الأعمال الشعرية التي استفادت من القيمة الفكرية للشخصية التراثية، و نقلتها من حقلها التاريخي، لتصبّها في قالب شعري و درامي، قصيدة بعنوان « صوفيّ زاهد »، للشاعر التونسي نور الدين صمود. يقول الشاعر:

**« سفيان الثّوري .. رجل صوفيّ زاهد**
**ذاعت شهرته في الآفاق**
**حتى بلغت أسماع المنصور**
**ثاني خلفاء بني العبّاس**
**فدعاه المنصور إلى القصر و قال:**
**« اطلب ما شئت أبا عبد الله.**
**إنّي أقضي حاجاتك مهما كانت**
**فأجاب أبو عبد الله الثّوري:**
**أو تقضي حاجيّاتي مهما كانت ؟ ! »**
**فأجاب الصوفيّ الزاهد: « أطلب شيئين اثنين:**
**- لا تطلبني حتى آتيك**
**لا تمنحني شيئاً حتى أطلبه منك ».**
**و توارى من فوره، من قصر المنصور.**
**قال أبو جعفر**
**لمّا خرج الصوفيّ الزاهد من قصره:**
**« ألقوا الحَبَّ إلى كلّ العلماء**
**فحنَوا للحَبِّ رؤوسهُمُ**
**مثل الطير الجوعان.**
**...**
**إلاّ سفيان الثوريّ**
**فلقد أعيانا زهداً**
**و لقد أعيانا هربا ».» (30).**

و بالرغم من شفافية النقل، و وضوح اللغة الشعرية، فإنّ الشخصية التاريخية بقيت أسيرة الرؤية التاريخية، و الحدث التاريخي، و لم ترتبط بدلالات أخرى، و رؤى إنسانية معاصرة. بقي التاريخ أسيراً لحقله المعرفيّ، و الشاعر لم يشكّل رؤية إبداعية، بل صاغ الحادثة التاريخية بلغة سهلة معاصرة لا غموض فيها.

**إنّ « المقصود من إفادة الشعر الحديث بالأساطير القديمة هو خلق حادثة معاصرة موازية في بعض تفاصيلها للحادثة القديمة، بحيث تخلق هذه الموازاة انطباقاً بين ظلّ الحادثة القديمة و ظل الحادثة الجديدة، فيتكوّن عمق يشعر القارىء بعظمة التجربة الإنسانية و استمرارها. و بتعابير الهندسة نقول أنّ خطّاً وهمياً يسقط**

**من الحادثة القديمة إلى أسفل التاريخ، فينتج من هذا الامتداد عمقٌ عن طريق الموازاة في الزوايا بين الحادثة القديمة و الحادثة الجديدة دون حاجة إلى ذكر الأسماء و الصفات، بحيث تكون شخصية (ب) البطل الجديد مطابقة في مضمونها و حركتها للبطل القديم ( ب´) سواءً أورد ذكره أم لم يرد، كما هو مبيّن في الشكل التالي:**




**و كل خروج عن هذه الموازاة المتخيلة يفسد الشعر بحشو من أسماء و شروح و حوادث لا طائل وراءها، تمتص الطاقة الشعرية، و تعيق حركة المخيلة المبدعة، و تجفف تدفق الروح الغنائية »(31) .**

إنّ هذه الموازاة تشكّل رؤية شعرية معاصرة يستفيد منها الشعراء في أنسنة أخبار الأبطال الأسطوريين و مواقفهم الفكرية، و تطويع هذه المواقف لصالح المفهومات الجديدة، و القيم الحضارية الجديدة، التي تغنّى بها الشعراء الجدد.

و من المظاهر السلبية لاستخدام الأسطورة أيضاً، افتقاد الشاعر إلى الرؤية الشاملة لدلالات الأسطورة و أبعادها، و عدم النجاح في اختيار الشخصية الأسطورية أو التاريخية، مما يؤدي في أحيان كثيرة إلى ظهور حالة من العجز، في فهم و تمثل الموقف الإنساني المعاصر، و بالتالي: « إذابته في شبيهه الأسطوري، ليكوّن الكلّ الذي يعطي الإحساس بالصدق التلقائي »(32).

إنّ إيجاد علاقة وشيجة فكرية و رؤيوية على مستوى الفن و الموضوع، بين الموقف الإنساني المراد التركيز عليه، و الموقف الأسطوري، باعتباره موقفاً ميثولوجياً و تاريخياً يقتضي بالدرجة الأولى: « البحث عن السمات الدالّة في الشخصية أو الأسطورة، و أن يربط ربطاً موفقاً بينها، و بين ما يريد أن يعبّر عنه الشاعر من أفكار، و يراعي في ذلك أيضاً « الحداثة » و « السمة المتجددة » التي تحملها الشخصية التاريخية أو الأسطورية،

فبعض الشخصيات التاريخية أو الأسطورية، لا تصلح موضوعاً معاصراً على الإطلاق، و ذلك لانعدام السمة الدالة فيها، و من هنا تنشأ الصعوبة، ذلك لا بدّ للشاعر من قراءة التراث قراءة عميقة من خلال رؤية علمية فلسفية شاملة (84).
يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي في قصيدة بعنوان: « إلى مالك حداد »، من ديوان النار و الكلمات :

**« أقسمت يا جزائري الجديدة**
**أن أعبر المخاض**
**أن أنهض الليلة فوق الدم و الأنقاض**
**أن أجمع النجوم و المحارْ**
**إليكِ من شواطئ البحار**
**أقسمت للإنسان**
**للأمل الجديد في وهران**
**لأحرف القصيدة**
**أقسمت يا جزائري الجديدة**
**أن أحمل الصليب**
**أن أطأ اللهيب »**(34).

أن يُحمل الصليب في ظل ثورة جزائرية مات فيها مليون و نصف مليون مواطن، تلك مفارقة حادة. إنّ الثورة برجالها و المتعاطفين معها، بحاجة لأن تحمل مدفعاً و رشاشاً بدلاً من الصليب، و المفارقة الأخرى تكمن في أن يحمل المواطن الجزائري الذي هاجمته فرنسا بطائراتها و قواتها الشرسة و ذبحت منه مئة و خمسة و أربعين ألف رجل و امرأة و طفل في مذابح قالمة و خرّاطة و سطيف عام 1948، و خلال ثلاثة أيام فقط، صليباً و يطأ لهيباً في آن. و إذا كان المسيح رمزاً للمعاناة الإنسانية و النبل البشري و التسامح الإنساني بين بني البشر، فإنّ توظيف إشارة دالة عليه « الصليب » في مجال الصراع الحاد بين أشرس القوى الاستعمارية و بين شعب مضطّهدَ و مستعمَر - بفتح الميم - يبقى توظيفاً غائماً، و لا يبلغ إلى الهدف الذي أراده الشاعر، و يفتقد إلى الرؤية الثورية التي يفرضها المنطق الثوري في ظلّ الصراع المصيري بين الخير و الشرّ.

و لا يعني توظيف هذه الإشارة الدالة على الشخصية التاريخية المقدسة « المسيح » أنّ البياتي ليس متضامناً مع الإنسان في ثوراته العادلة، بل تقف أكثر قصائده التزاماً و تضامناً مع شرفاء العالم و مظلوميه. « و لعلّ البياتي - بين جيل رواد الشعر الحديث - خير مَنْ يمثّل منهج الالتزام باطراد خلال معاناته الطويلة، و كتاباته المتفرقة حوله »(35).

ويقول الشاعر صلاح عبد الصبور في قصيدة له بعنوان « أبي »:

**« لِمَ يبدو الموتُ في منزلنا**
**قدراً لا يخطئ ؟**
**و أبي يثني ذراعَهُ كهرقل**
**ثم يعلو بي إلى جبهته و يناغي**

**تارة رأسي و طوراً منكبي**

**...**

**و نرى طلعتَهُ بينَ الضباب**

**و أرى الموتَ، فأعوي يا أبي !**

**و أتى نعيُ أبي هذا الصباح**

**نام في الميدان مشجوج الجبين »(36).**

في القصيدة يبكي طفلٌ أباه الميت، فيصفه كهرقل، إن الصورة هنا لا تحتاج إلى هذا التشبيه الأسطوري، ولا سيما و أن الأب من خلال ذكريات الطفل عنه من أسرة فقيرة بائسة، يقول الشاعر:

**« و أتينا بوعاءٍ حجري**

**و ملأناه تراباً و خشبْ**

**و جلسنا نأكل الخبزَ المُقَدَّدْ »(37).**

بلا شك أنّ من حقِ أي طفلٍ عربي أن يصف أباه أنه كهرقل، باعتبار أنّ الأب يمثل نموذجاً أعلى و أسمى بالنسبة لهذا الطفل، و من حقّ الشاعر أن يجسّد هذه الفكرة، لكن نلاحظ أن ثمة قطيعة بين الموقف الإنساني الذي يريد الشاعر صلاح عبد الصبور التعبير عنه، و بين الموقف الأسطوري، فالموقف الإنساني المعاصر موقف الضعف و الجوع و الفقر في ظل أزمنة سوداء، في حين أن الموقف الأسطوري هو موقف القوة و الجبروت و التفوق بكل أبعاده.

و إذا كانت الرؤية الشعرية تتماهى و تختبئ وراء صورة الطفل في القصيدة من خلال تداعيات هذا الطفل و ذكرياته، و موقفه الفاجع من موت أبيه، فإنّ طبيعة الشخصية الأسطورية التاريخية هنا، لا تصلح لتمثل الموقف الإنساني و التعبير عنه، و لا تتفق مع رؤية الشاعر و موقفه الفكري و الإنساني المتعاطف مع هذا الطفل في فاجعته بفقدان والده، و «المفروض ـ ما دام الشاعر قد اختار للقصيدة أن تدور على لسان شخصية تعتبر معادلاً لأفكاره و عواطفه ـ أن يوائم بين طبيعة هذه الشخصية و ما تقوله، و أن يبلغ بهذه المواءمة إلى مداها»(38).

و أحياناً تطغى « الأنا » عند الشاعر، و تتضخم، إذ يعمد الشاعر بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تضخيمها، و ذلك عن طريق مباهاته و استعراضه لغزارته الثقافية و الفكرية، و معرفته بالتراث و التاريخ و الأسطورة، و هنا يبدو استخدامه للأسطورة مجرد استعراض معرفي، و مباهاة بغزارة ثقافته، و هكذا صُدمنا ـ على حدّ تعبير أحد الدارسين « ببروميثيوس و سيزيف و عشتار ممسوخين في معظم القصائد العربية، حيث وُضعوا كلافتات لعرض العضلات الثقافية بدون أن تكون هناك تجربة أصيلة تربط الإسم المذكور بحنايا القصيدة »(39).

و مع بروز و تضخّم « الأنا الشعرية »، تظهر الرغبة الجامحة في استخدام الأسطورة، و ذلك إعلاء لشأن « الأنا » المعرفي و الثقافي، و تمهيداً

لـــــــــــــــــــدخولها فـــــــــــــــــي العصـــــــــــــــــــــريّة و الحداثة و السباق المعرفي مع الغير، إمّا بتقليده و إمّا بتجاوزه، فتأتي هذه الرغبة تأكيداً مفتعلاً « للأنا » المعرفي و الثقافي، و بالتالي تشكّل خطاباً شعرياً مباشراً و تقريريـــــــــــــــــــــــاً للعصـــــــــــــــــــــــــرية و الحداثة التي ترغب « الأنا » بدخولها.

و لذا نجد كثيراً من الأساطير المستخدمة و قد « أُقسرت على الدخول في بناء القصيدة، دون تمثُّل لها و لأبعادها فوضح أنّها دخيلة قلقة في موضعها، أو أنّها جاءت أحياناً لا تؤدي سوى وظيفة تفسيرية و توضيحية، شأنها في ذلك شأن كثير من التشبيه في الشعر القديم، و أحياناً كان رصّ نماذج منها في نطاق واحد لا يقدم شيئاً سوى الشهادة على الدرجة الثقافية للشاعر، و لذلك قلّما ينبض الرمز بالحياة و تتشعب عروقها به » **(40)**.

و نأخذ نموذجاً لهذا الاستعراض المعرفي قصيدة للشاعر سليمان العيسى بعنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــوان « عودة شهرزاد ». يقول في أحد مقاطعها:

**« الشاعر: وأينَ كنتِ ؟**
**شهرزاد: على أُرْجُوعةِ القصبِ**
**تَموَّجَتْ في شعابِ النّخل أغنيةٌ**
**فغبتُ فيها ..**
**الشاعر: خذيني ..**
**شهرزاد: « في جد »:**
**لستَ للهربِ**
**مُسَمَّرٌ أنت في الصحراءِ متحِدٌ**
**بالأرضِ، ممتزجٌ بالكأسِ و العنبِ**
**بالحزنِ يحمِلُ تاريخاً برُمَّتهِ**
**في منكِبيه .. و حُلما في جفون نبي**
**مُعَذَّبُ أنتَ ..**
**مصلوبٌ على حُلُم ..**
**الشاعر: أنا الذي اخترتُ ..**
**شهرزاد: واصِلْ رحلةَ السَّغَبِ**
**لا تنشُدِ الظلّ، لا تحلمْ بزنبقةٍ**
**على الطريق .. تشرَّدْ وحدَكَ .. اغتربِ !**
**اقبِض على الريح و اسقِ الظامئينَ بها**
**و أطعِمِ الجوعَ و الجوعى دَمَ الحِقبِ**
**...**
**تَمزَّق وَحْدَك اغتربِ !**
**لا .. لستَ للهربِ**
**لا .. لستَ يا شاعرَ الأصفادِ للهربِ »(41).**

حتى يعبّر الشاعر سليمان العيسى عن رؤيته الخاصة و يقدّم نفسه على أنه ثائر كبير و معروف، يقف في صفوف الجياع و مع المظلومين، و أنه ملتصق بالأرض، لم يجد إلاّ شهرزاد، فيجعل منها سُلّماً يصعدُ فوقه إلى جماهيره، فيستعير صوتها، ليبرزَ نفسّه، و ينتزع شهرزاد من حقلها الأسطوري و التاريخي، ليجبرها على الدخول في فضاءاته الشعرية، التي تركّز تحديداً على بروز « الأنا » الشعرية عنده، فيحشر نفسّهُ مع شهرزاد بشكل تقريري لا علاقة له بطاقات الشعر الرؤيوية الرحبة، إنه يرجوها أن تعترف له بأنه شاعر الالتزام، و أنه ليس للهرب، و أنه مُتفَرِدٌ و مغترب، و متباين عن المجموع الإنساني، فهو المدافع عن قضاياهم و هو شاعر الأصفاد و هو الذي يحمل أحلام الأنبياء و أحزانهم، و تعترف شهرزاد له بكل ذلك مُجْبَرة، فتأتي الرؤية الشعرية تقريرية، وتترهل بالرؤية الإيديولوجية، إنه يرجو شهرزاد أن تقول له « تشرد وحدك .. اغترب »، و « تمزق وحدك اغترب ». ليس الشاعر سليمان العيسى وحده المغترب، إنّ كل الجماهير العربية مخنوقة بالاغتراب و الحزن و اليأس، و حتى لو اغترب فإنّ اغترابه سيظلّ فردياً، لأنه يحمل أعباء التاريخ برمته، و في جفونه تنام أحلام الأنبياء.

إن « اغتراب الشاعر السوري ليس اغتراباً إنسانياً على مستوى رفض الحضارة، بل هو على الأغلب اغتراب فردي أو جزئي أو مؤقت، يظهر حيناً ليختفي حيناً آخر، و يتشكّل أشكالاً مختلفة تبعاً للظروف العارضة التي تخلقه. إنه ليس اغتراباً مبدئياً، ينطلق فيه الشاعر من نظرة عامة إلى الحياة مبنية على عقيدة راسخة توجّه هذه النظرة، بل مجرد اغتراب رومانسي يستعذب فيه الشاعر النفي و الغربة بتأثير حدث خارجي مؤقت أو صفة نفسية متأصلة فيه، و هكذا يمكن للشاعر أن يبكي في سبيل حادث فردي، و إن كانت أمته تضحك للحادث نفسه »(42) .

و في قصيدة أخرى يجعل من نفسه ذاتاً متعالية، متفوقة على الزمان و التاريخ، فيستدعي الفرزدق، و جريراً و الأصمعي، و شهرزاد الجميلة إلى خيمة الأصمعي، و ينصّب نفسه أستاذاً، و يعطيهم النصائح، و يدعوهم إلى تغيير وجه التاريخ، باعتباره حاملاً لشعلة هذا التاريخ، تساعده في ذلك شهرزاد:

**« الأصمعي: « لشهرزاد » ..**
**صديقتي .. عنك أخذنا الرؤى**
**منكِ تعلّمنا عطاء السُّهاد**
**جرير: « للفرزدق » .. رائعة كالصّبح ..**
**...**
**الفرزدق: « متمتماً »: يا جسداً لو مَلَكْتُهُ يدي**
**نقعت منه غُلَّ حرّان صاد**
**الشاعر: « لنفسه »: يا شرقنا المسكين ..**
**على مدى الدهر و كرِّ السنين**
**يعيش في لحم امرأة**
**يموت في لحم امرأة**
**خياله، و عقله الحزين**

**.... (43).**

**شـهرزاد: « للأصـمعي »: مـاذا يقـول الليـل ؟ مـاذ تقول**

**أيّامك الغرُّ .. ذوات الحجول ؟ (44).**

**الأصمعي: لم يبقَ في الكوب سوى قطرة**

**أقمارنـا الخضر طواها الأفول**

**الشاعر: « مقاطعاً »: شرارة من عصرنا جئتكم**

**لنشعل التاريخ ..**

**الأصمعي: دربٌ يطول**

**حلم يهون العمر من أجله**

**أنْ يُشْعَل التاريخ .. حلم يهول**

**عظامنا باردة في الثّرى**

**فلا تطيلوا المكث فوق الطّلول**

**شهرزاد: لا تيأسوا ..**

**...**

**الشاعر: « في تصميم »: سنشعل التاريخ ..**

**شهرزاد: لا تيأسوا !**

**الأصمعي: و لا تطيلوا المكث فوق الطّلول »(45).**

آثرت أن أطيل المقاطع الشعرية التي أخذتها من القصيدة، حتى يتضح الخطاب الذي أراد الشاعر سليمان العيسى فرضه على شهرزاد و اعتبارها مصلحة و ناقدة تعيب على الشاعرين « جرير و الفرزدق »، اهتماماتهما الجسدية بها و بغيرها، و بالتالي تعيب على التراث الشعري العربي القديم مثل هذه الاهتمامات، و من خلال الاتكاء على شهرزاد، يبرز صوت الشاعر تقريرياً ليدين الشرق و الأمّة العربيّة المعطّلة طاقاتها، و ملكاتها العقليّة و الإبداعية، و المهدورة في أجساد النساء، و ينتزع الفرزدق من تاريخه الشعري، و يجبره لكي يتشهّى شهرزاد، و يطمع في جسدها المثير. فشهرزاد في هذه القصيدة لا تتعدّى أن تكون مثالاً وظائفياً (46)، و سلّماً يصعده الشاعر لإدانة الشرق و إبراز ذاته باعتبارها ذاتاً تتعالى على هذا الشرق.

إنّ شهرزاد من خلال حكاياتها الجميلة في ألف ليلة و ليلة تمثّل طاقةً من التخيّل الإبداعي و السحري، إذ يغيب الزمان و المكان، أمام أفق القصّ الرحب الممتد من بغداد إلى واق الواق إلى الصين و الهند و أماكن أخرى، لكنها عند الشاعر سليمان العيسى لا تتعدى أن تكون لفظة أو تسمية أو إشارة يشكّلها الشاعر كما يشاء، و يجبرها أن تقول ما يمليه عليها، و بالتالي يعطّل طاقاتها التخيليّة و الأسطورية الثرّة. إن الشعر « يتجاوز الاستعمال النفعي للّغة، و لا يخضع لنفس قواعد توليد المعنى التي تخضع لها بقية النصوص الأخرى. لأن الشعر لا يلجأ إلى العلاقة المباشرة بين الإشارة و الدلالة، بل يحاول الإطاحة بها و يخلق توتراً في علاقة الإشارة بدلالتها اللغوية المألوفة.»(47).

ثمة سؤال يطرح نفسه: هل يعني توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري العربي المعاصر لمجرد نظمها و التعريف بها، و إعادة تشكيل بنائها القصصي في قالب شعري، أو قسرها للدخول على بنية القصيدة لتكون أداة وظيفية يتّكىء الشاعر عليها لفرض ما يريده ؟. إذا كان ذلك هدف الشاعر فإن القصيدة الشعرية لا يمكن أن تشكّل خطاباً إبداعياً، لأنّ هذا التشكيل لا يتعدى أن يكون محاكاة نصيّة لبنية الأسطورة القديمة. و في هذه الحالة تبدو استفادة المتلقّي من الأسطورة القديمة أفضل بكثير فيما إذا تعرّف عليها ودرسها في مصادرها الأصلية، بدلاً من التعرف عليها و هي موظّفة توظيفاً شعرياً. فالقارىء المتذوّق للقصيدة الشعرية لا يهمّه هذا التكرار المملّ للشخوص الأسطورية و التاريخية، و لا للوظيفة التفسيرية التي يقوم الشاعر بالتأكيد عليها بقدر ما يهمّه هذا العالم الجمالي الإنساني الذي يمكن أن يُتخيَّل من جراء توظيف الأسطورة.

و من بين المظاهر السلبية لاستخدام الأسطورة في الخطاب الشّعري العربي المعاصر، حشد الكثير من الرموز الأسطورية و التاريخية و الأقنعة الفنية داخل النص الواحد، بحيث تبدو أسطورية مرّة، و أخرى تاريخية، و تنتمي إلى فضاءات مكانية و زمانية بعيدة جدّاً أو قريبة، و يحشد الشعراء هذه الرموز لاعتقادهم أنّهم يعملون بحشدها على تأسيس اقتصاد لغوي في لغة الخطاب الشعري، و على تعميق رؤيتهم الشعرية و زيادتها بعداً فنياً، لكنّ هذه الرموز الكثيرة المتجاورة تقسر الفضاء الشعري على احتوائها بدلالاتها الوظيفية و الغائيّة، عندها يقصر مدُّ الرؤية الشعرية، و يترهّل الفضاء الشعري بهذه الشخوص الكثيرة التي تفقد قدرتها بالتالي على الإيحاء، و إذا فقد الرمز قدرته على الإيحاء يصبح مجرد لغة عادية، بل مفتعلة في أحيان كثيرة، و « لغة الشعر بطبيعتها لغة رمزية تحوّل المفردات من عالم المعجم إلى عالم السحر والأسطورة بالمعنى العميق الشامل، حيث تصبح المفردات بذاتها كائنات »(48).

و لا يكون الرمز قادراً على الإيحاء إلاّ إذا لامسّ الجوهر، و كشف عن البنية العميقة لهذا الجوهر، و تخطّى حدود اللفظ العادي و التسمية و الإشارة التاريخية، كما يرى الشاعر أدونيس**(49)** حين حديثه عن الرمز: « فهو يكاد أن يكون في معظم هذا النتاج مجرد تسمية، مجرد إشارة تاريخية، مجرد لفظ، حين لا ينقلك الرمز بعيداً عن تخوم القصيدة، بعيداً عن نصّها المباشر، لا يكون رمزاً، يصبح رمزاً حين يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص. فالرمز هو قبل كل شيء معنى خفي و إيحاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة، أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة. إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشفّ عالماً لا حدود له، لذلك هو إضاءة و اندفاع نحو الجوهر ».

و تمتلئ القصيدة العربية المعاصرة بحشد من أسماء الشخوص الأسطورية

و التاريخية التي تبدو مُفتَعَلة في كثير من الأحيان مما يفقد الرمز إيحاءه العميق، و لا يتعدى كونه مجرد لفظ، فبدلاً من أن ينفتح الفضاء الشعري في القصيدة على آفاق

الحلم و التخيّل الإبداعي فإنّه يترهّل بهذه الأسماء الكثيرة. يقول الشاعر يوسف الخال في المشهد الأول من هيروديا:

**« هيروديا (مقاطعة): حسب تامار!**
**فأزكى من الطيوب خصالي:**
**هل « لحوّاء » يوم آدم إغواء**
**و شوقي إلى ارتياد المحال.**
**أم « لسارة» بعض الذي وهبت نفسي**
**و أملى على الزمان وصالي،**
**أم « لراحيل » زهوة الحبّ في قلبي**
**و ديباجة الصّبا في جمالي**

**...**

**أم « لإستير » رونقي. و ارتداد الشمس**
**عن طلعتي. و فرط جلالي**

**...**

**أم « لإيزابل » الدخيلة شيء**
**من صدود العذراء في إقبالي**

**...**

**و لو رآني سليمان**
**أما جُنَّ قلبه لدلالي**

**...**

**لا شلمِّيث تدّعي حبّه بعدي**
**و لا الألف من ذوات الحجال»**(50)

يريد الشاعر يوسف الخال أن يؤكّد جمال هيروديا المذهل، و مدى تأثيرها على هيرودوس ملك الجليل، فيتكئ على صور عديدة لنساء كان لهنّ دورهنّ المتميّز في التاريخ الذكوري، بفعل طغيان سحرهنّ الأنثوي، وتأثيره على الرجال المهمّين، و تصبح البؤرة المركزية في القصيدة هي تأكيد حالة الجمال هذه. فالفكرة بسيطة جداً، إنّ هيروديا ساحرة و جذّابة و كفى. و تبدو الشخصيات الأسطورية و التاريخيّة المحشورة داخل القصيدة عبئاً على فضاء النصّ الشعري، حتى أنّه يُدخل سليمان بن داود « النبي » في عالم النساء هذا.

إن توظيف الأسطورة هنا لا يتعدّى التشبيه، وتتضاءل قيمة الرمز الأسطوري، ليصبح مجرد لفظ، لا يتعدّى حدود التسمية والتشبيه، ومع تطور تقنيّات يوسف الخال الشعرية على مستوى الرؤية واللغة، ومع تجاوز القصيدة العربية المعاصرة لتقنيّات النظم الكلاسيكي والرومانسي، سيطوّر الشاعر يوسف الخال استخدامه للّغة، وبالتالي استخدامه للأساطير والرموز، باعتبارها بنية مهمة من بنى هذه اللغة، يقول الخال( **51** ) : « قد تكون هيروديا آخر ما سأنتجه من أدب في هذا الأسلوب الشعري العتيق. فمن العبث الاستمرار في أساليب شعرية لا تصحُّ بعد الآن

للتعبير الكامل الطليق عن خوارج النفس. ولا أعني القوافي والأوزان فحسب، بل اللغة ذاتها أيضاً (...) فأزمة الحياة العربية إجمالاً هي أزمة لغة كما هي أزمة عقل. ومهما طال الوقوف في وجه الحياة. فلا بدّ عاجلاً أو آجلاً من الانصياع إلى نواميسها. وإلى أن يتمّ ذلك يظلُّ الأدب العربي المعاصر أدباً قديماً، مصطنعاً، محدوداً، لا يتجاوب مع نفس القارئ ولا يعبِّر تعبيراً صادقاً عن حياته».

ويُعْتَبر الشاعر بدر شاكر السيّاب أيضاً، من الشعراء المولعين بتكديس الرموز الأسطورية، فتارةً يستمدّها من الأسطورة اليونانية، وأخرى من رموز التراث المسيحي، وأحيانا من التراث الإسلامي، وتتشعب الحقول المرجعية للأسطورة في فضاءات بدر شاكر السيّاب الشعرية، فتبدو بابلية وفينيقية وسومرية، وعربية قديمة، وتصبح أحياناً صينية، كما في قصيدته « من رؤيا فوكاي » **(52)**، وأحياناً يُزيحها من حقلها التاريخي، ليشكِّلها تشكيلاً ميثولوجياً، وأحياناً أخرى يقوم بصياغتها من شخصيات عادية، وذلك بأن يخرج هذه الشخصيات من حقلها المألوف ليدخلها ضمن دائرة الاستخدام الأسطوري، ومن النماذج الأسطورية المتداخلة في أعمال السيّاب قصيدته المعنونة بـ « مرثية الآلهة»، وفي هذه القصيدة يدين المدينة الغربية لانعدام القيم الإنسانية فيها ولتقديسها للذهب، واعتباره سيداً وإلهاً لها، ومن خلال هذه الإدانة تتزاحم الشخصيات الأسطورية من مصادرها المختلفة، ليضيق بها فضاء النص الشعري. يقول في القصيدة:

**«و يبقى « كربٌ » الجالب الكرب: كالصدى　　يغض المنادي بالردى، و ه**
**كقابيل يغتال الأشقّاء، راكلٌ　　-كأوديب- للخبز الإله**
**و هذا الإله الأملس الفظّ ما جلا　　لنرسيس يجثو عنده و ه**
**سوى وجه نرسيس الرخامي، شابه　　شحوبٌ يهوذيّ الـ　　تل**
**و أوفى من الأرباب جيلٌ يئمه　　على قمّة الأولمب ر**
**ترى « فحم » إذ يلقاه يلقاه راجفاً　　و « فولاذ » من تلماح عيني**
**و يا عهد كنّا كابن حلاج : واحداً　　مع الله إن ضاع الورى فهو**

و هناك إشارات أسطورية أخرى في القصيدة لم أثبتها ضمن فضاءاتها الشعرية
و داخل المتن، لئلاّ يطول الاقتباس الشعري، و هي: فرعون، و العنقاء، و تموز، و اللات،
و ميدوز، و لم يكتف السيّاب بهذه الأساطير، بل شكّل أساطير أخرى لأرباب جدد، بأن جرّد الكلمة من معناها الاصطلاحي لتصبح دالةً على إله مثل « فحم » و « فولاذ »، و هما من أتباع الإله زيوس الجديد - الذي عنى به الذهب. و قد ساهمت هذه الأساطير المتباينة في جعل القصيدة نصّاً مغلقاً، و متكلف الصنعة، فبات الخطاب الشعري مجرد استعراض لمعرفة السيّاب بالأساطير، و ثقافته الموسوعية فيها، حضرت الصنعة، و غاب الشعر بأفقه التخيّلي، و فنياته الإبداعية، و يلاحظ الدكتور محمد فتوح أحمد **(56)** « أنّ وظيفة هذه الرموز لم تتعد حدود الاستعارة أو التشبيه الصريح، و أنّ بعضها يمكن اطراحه دون ضير فني يُذكر، و أنها جميعا

تنحو إلى التفسير بخلع بعض الشخصيات الخرافية أو التراثية على أشياء و شخصيات حقيقية، بحيث تحلّ الأولى محلّ الثانية على سبيل التبادل ».

و تحت ظاهرة هذه الحشود الأسطورية، التي برزت في القصيدة العربية المعاصرة نثبت المقاطع الآتية للشاعر السوري محمد حمدان من قصيدة له بعنوان « جلجامش يتقلّد سيفاً »، تقول المقاطع:

**« في قاع البوغاز رماحٌ**
**يعطيها القوّة آداد و إنليل لتحرس سوراً**

**....**
**تغفو الشِّعرى بين ضلوع الفيض**
**بعيداً عن همجية ناماتار**

**....**
**نيسابا تطعم أهل القلعة**
**آنو يحرسهم**

**....**
**كنت أعيش بجوف الحوت المملوء سعالاً**

**....**
**غدوت مع الفينيق**
**أبحرت و أرشانابي**
**أفكر في ملكوت الشرق المتخم بالظلم**
**و سيدوري تسكره**
**إركالا تمسك جمّته**

**....**
**هل جئت لتطفئ شعلة عشتار و تموز ؟**
**أغرب عني يا مبعوث الشر**

**....**
**قال الفينيق: « بقية جلجامش في الأرض العربية»**

**....**
**دعه يتعلّمْ من عروة قرآن أبي ذر**

**....**
**صديق الرحلة أنكيدو**
**قتلته سجاح و مسيلمة الكذّاب على أبواب الغابة**
**جلجامش أضحى معزولاً و محاصر**

**....**
**لعلّ قصاصات آملة**
**تدعو ألاّ يركع وجه الشرق**
**لعجل الأصنام و ناب يهوذا و القسطنطينية**
**....**

**و الحلاّج تشقق مصحفه مذْ ضاع الركن الخامس منه**

**....**

**أكمات الليل تحاصر أنهار الوطن العربي**
**تبيع الطمي ليسكر ناماتار و سيدوري**
**تموت و لا تسأل عنها آيا**
**لا تخش الآتية فينيق**
**فجلجامش ليس عقيماً**
**شعب يحرق ذيل الطاووس و يحمل سيفاً**
**لن يقتله حمبابا**
**جلجامش حطّم حمبابا يوماً**
**جلجامش سوف يحطّم حمبابا يوماً » (57).**

و حتّى يدين الشاعر محمد حمدان الواقع العربي الأسود بهزائمه و فجائعه وظّف معظم شخصيات ملحمة جلجامش، و لم يكتفِ بهذه الشخصيات، بل أخذ شخصيات أخرى من التراث الإسلامي سواء أكانت سلبية: « سجاح و مسيلمة الكذّاب »، أم إيجابية: « الحلاّج، أبو ذر، عروة »، و استفاد من أسطورة « فينيق »، و أسطورة « تمّوز و عشتار».

إنّ فكرة الرفض للبنى العربية السوداء، و إن كانت شديدة السواد و التمزّق لا تحتاج إلى كل هذه الحشود الأسطورية و التاريخية، إذ يمكن أن تتخلّص القصيدة من نصف رموز أسطورة جلجامش، و نصف رموز الشخصيات العربية، و تبقى محافظة على رؤيتها الإنسانية و الحضارية. إنّ هذه الحشود الأسطورية و التاريخية حوّلت الخطاب الشعري إلى خطاب إيديولوجي، و مقولات عقائدية، فطغت الإيديولوجيا، و ترهّل الفضاء الشعري بالحمولات اللفظية الأسطورية على حساب الفنية الجمالية.

و يرى د. رجاء عيد أنّ من سوءات الشعر الحديث الإلحاح على الفكرة الواحدة، و يضرب أمثلة لهذا الإلحاح بعض المقاطع للشاعر عبد الوهاب البياتي، في اتكائه على المعتقد المسيحي حينما يقول:

**« يافا يسوعك في القيود**
**فالباب أوصده « يهوذا » و الطريق ... »**
**و « أنا هنا، وحدي، على الصليب ».**
**و « يا من رأى أحفاد عدنان على خشب الصليب مسمّرين ».**

**و « ... و هو يموت حاملاً صليبه و وطنه »(58) .**

إنّ توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري العربي المعاصر يعني إبداع مستوى من الترميز، قادر على تشكيل الشخصية التاريخية و الأسطورية تشكيلاً جديداً، و ليس لمجرد استعادتها فقط، فالاستعادة النصيّة هي استعادة ميكانيكية لا

تخدم الرؤية الشعرية بقدر ما تسطّحها. و« أن تسمي الشيء مباشرة معناه أنك تقضي على أكبر قدر من المتعة المستخلصة من قصيدة مثلاً، حيث أنّ هذه المتعة تتضمن في عملية الكشف التدريجي عن الشيء المقصود» على حد تعبير مالارميه(59). أما عملية الاستعادة الجديدة، أو التشكيل الجديد بالاعتماد على الرموز الإيحائية ذات الدلالات الجديدة و المعاصرة، فإنها قادرة على إحداث شبكة من العلاقات الجمالية بين الرمز و بين ما يطمح الرمز إلى تأكيده، بحيث يصبح الرمز شبكةً من التأويلات المفتوحة و المتداخلة في آن، لكنها قادرة على إحداث الخلل في البنى السائدة تمهيداً لتشكيل بنى جديدة، و الأسطورة التي لا تشكّل بنية جديدة قادرة على طرح مزيد من الأسئلة التي من شأنها أن توسّع أفق المخيّلة، فإنها تبقى مجرد لفظ أو إشارة لا تمتدّ و لا تنمو، بتعبير آخر إنها مجرد بنية نصيّة تفتقد إلى جماليات التوظيف أولاً، و إلى جماليات الحركة الشعرية شكلاً و مضموناً و رؤية من منحى ثانٍ، إنّ خلخلة المألوف والسائد و إحداث شرخ فيه، أمور باتت مهمة في الخطاب الشعري العربي المعاصر.

وهنا تبرز أهمية التوليد اللغوي، و أهمية التخيّل، و حتى لو أدّى ذلك إلى تبديل بنية الأسطورة القديمة ببنية جديدة سواء تفارقت معها أم ظلت متناصّة معها. و « يصبح الشاعر « صانع كلام »، فهو فضلاً عن كونه يفتح ذهن المتلقّي على رؤى جديدة، يقوم بخلق طرائق جديدة في التعبير يرفد بها النظام اللغوي »(60). و من أهم هذه الطرائق الجديدة: استخدامه طاقات الرمز و الأسطورة، و التاريخ الإيحائية، و بالتالي تشكيله لنظام لغوي يختلف عن نظام القصيدة التقليدية.

إن التجربة الشعرية الناضجة ثقافة و فنّاً لهي الخالقة للرمز و الأسطورة، و الصورة الشعرية، و بقية مكوّنات القصيدة، و عملية تشكيل الأسطورة في رؤية جديدة يتضمن موقفاً من دور الأدب و الفن في الحياة و المجتمع، و يتجسّد هذا الموقف من خلال استنفار التجربة الشعرية بعواطفها و أفكارها و مشاعرها المختلفة، و ذلك عن طريق التعامل مع اللغة التي هي المكوّن الرئيسي الأول لبنية القصيدة فكرياً و جمالياً، فـ « إذا كانت التجربة تنهض إلى اللغة وتختزنها هذه اللغة فإنّ ذلك يتم بواسطة الأساطير و الصور، و يمكننا في اللغة العربية أن نعثر على عدد كبير من الأساطير و الصور المَعِيْشَة التي تختزنها المفردات»(61).

إنّ مدى رهافة التجربة الشعرية و مكوّناتها تختلف من شاعر إلى آخر، و بالتالي فإنّ اللغة التي تعبّر عن هذه التجربة هي لغة متباينة، و لا تشكّل نسقاً واحداً، فلكل شاعر لغته الخاصة، التي تشكّل بنية هذه الرؤية. و « لكل شاعر أساطيره الشخصيّة، و نطاقه الطيفي، أو تشكيلته العجيبة من الرموز»(62).

و تبقى عملية توظيف الأساطير و الشخصيات التاريخية و التراثية في الخطاب الشعري العربي المعاصر عملية إبداعية، لأنها تشكّل النسق الشعري تشكيلاً جديداً، فالشاعر المجدد هو الذي يستطيع تشكيل أسطورته تشكيلاً فنياً من أُولى خصائصه أنه لا يحاكي النموذج الأسطوري أو التاريخي محاكاة حرفية، لأن هذا التشكيل يحاول أن يبدع من التاريخ

و الفكر الأسطوري ظاهرة فنيّة. ينزاح التاريخ ليصبح فكراً و فنّاً. و هذا التشكيل قد يبدع أسطورة جديدة أو شخصية تاريخية معاصرة، و قد يغيّر من الأسطورة أو الحادثة التاريخية القديمة، فيضيف عليها أو ينقص منها، أو يقيم بديلاً عنها مستفيداً من بنيتها ذاتها، و ذلك وفق قدرة الرؤية الشعرية على النفاذ إلى أعماق الحياة و الكون. و من نماذج هذا التشكيل قصيدة الشاعر ممدوح عدوان « خارجي قبل الأوان ». يقول فيها:

**« ... و إذا الحلم الذي جاهدت حتى أصنعه**
**بين كفيَّ تحطّم**
**و خيول الخصم تغزوني بداري**
**و عليّ قابع في الصومعة**
**و إذا فتيتنا بين المجالس**
**تركوا السيف ليغشوا حلقات الذِّكْر و التسبيح حوله**
**... و عليّ أغلق الجنّة باباً إثر باب و تعمم**
**و أنا ما عدت أعلم**
**فيما أهرقنا دمانا و وقفنا في الطريق ؟**
**و تركنا نسوة الحيّ على الدرب رقيق !**
**حينما صحت بهم: « لا تبدلوا بالحرب أخبار الحروب »**
**قيل لي: « إن لم تجد ماءً تيمم » !**
**... قلت : « مولاي، تطلّع نحوهم »**
**لم يتكلّم.**
**قلت: « مولاي، أما قلت لنا: إنّ الجهاد - ».**
**قطع الحاجب بالسيف النداء !**
**وعلي صامت لا يتكلّم**
**و لذا أعطيت سيفي لابن ملجم !! ».»**(63)

يؤكّد التاريخ أنّ الإمام علي بن أبي طالب( كرم الله وجهه)، ما تقاعس يوماً في الدفاع عن المسلمين و المظلومين و المُسْتَضْعَفين و نصرتهم، و دعا إلى الجهاد في مواقفه و خطبه إعلاءً لراية الحق و القيم الإنسانية العادلة، و حضّ قومه لرفع هذه الرّاية و الدّفاع عنها، و هو القائل:
« أمّا بعدُ فإنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه. و هو لباس التّقوى، و درعُ الله الحصينة، و جنّته الوثيقة، فمن تركه رغْبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ و شَمْلَة البلاءِ، و دِيْثَ بالصَّغَار و القَمَاء و ضُرِبَ على قلبه بالأسداد. » (64)

و يستثمر الشاعر ممدوح عدوان الموقف التاريخي، و يشكّله تشكيلاً جديداً، فتأتي الشخصية المعاصرة « علي »، متباينة عن شخصيّة الإمام « علي » التاريخية المضيئة،

و بوضعها الجديد من خلال الرؤية الشعرية المعاصرة، تصبح معادلاً لواقع الاستسلام و الهزيمة المعاصرة، الواقع الهشّ الذي يموت فيه الجهاد، و يصبح الصمت و الاستكانة من أبرز علاماته.

إنّ الرمز الإبداعي هو الذي يبعث في الظاهرة اللغوية نبضاً حيّاً متدفقاً بالجمال، قادراً على تشكيل رؤية تخيلية و إشارية عميقة في آن، و إذا فقد الرمز قدرته على الإيحاء يصبح مجرّد لغة عادية، بل مفتعلة في أحيان كثيرة.

و إذا كانت الأسطورة جزءاً من الماضي الثقافي و الحضاري للأمم و الشعوب، فإن دلالة الرمز الأسطوري ينبغي أن تكون متجاوزة للماضي، لأنّ هذه الدلالة تكتسب بعدها الإنساني بقدرتها على أن لا تخضع لبنيات الماضي، وأن تنفلت من سيطرته، و تأبى الخضوع له، و بالتالي فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجربة الإنسانية و الجمالية للإنسان المعاصر في علاقته مع الحاضر بكلّ إشكالياته و بنياته وصولاً إلى مستقبل أكثر إضاءة. يقول الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة:

**« الكلّ أقسم أن ينام**
**يا هذه المدن السفيهة**
**إنني الولد السفيه**
**لو كنت أعرف**
**أنّ الذين أتيتهم صبغوا الوجوه**
**و تلفّعوا بالصمت في هذا البلد**
**و أنا أريد بني أسد**
**قتلوا أبي و استأسدوا**
**ما عاد ينهرهم سوى الخيل الضّوامر و السيوف بلا عدد »**(65)

من المعروف تاريخياً أنّ قبائل « بني أسد »، المعادية لامرئ القيس غدرت بوالده و قتلته، و حاول أن يثأر لدم أبيه، فاستعان بقبائل أخرى و بقيصر الرّوم، لكنّهم خذلوه.

و يستفيد الشاعر عز الدين المناصرة من الرؤية التاريخية القديمة، ليشكّل منها تجربة معاصرة تتعلق بالواقع العربي المعاصر، و تحديداً قضية فلسطين، فالقبائل العربية المعاصرة في مدنها السفيهة - و تحديداً أقطار الوطن العربي - خذلت الشاعر و لم تطلب الثأر لدماء الشهداء في فلسطين. و من خلال الحادثة التاريخية يتشكّل فضاء النصّ الشعري رؤيوياً و إنسانياً ليشير إلى فضاءات سياسية و اجتماعية معاصرة، يُخْذَلُ فيها الفرد و يُهان أمام جبروت أعداء الأمة وطغيانهم.

إنّ الرمز الأسطوري حينما يُوَظَّف بشكل فنّي و معاصر و غير مُفْتَعَل أو غائي، فإنّه يشيد عالماً من التخيلي و الجمالي، بعد أن يهدم الصيغة الماضوية، و يفتتها، و يتجاوزها ليبني مستقبلاً متخيّلاً في ذاكرة الجماعات الإنسانية، عن طريق استثمار إمكانيات هذا الرمز،

و تجسّده في رموز وطنية و تاريخية و إنسانية، جسّدتها شخصيات معينة لعبت دوراً هاماً في تاريخ الإنسانية، حتى استطاعت أن تكون حلماً و تاريخاً مضيئاً بحد ذاتها، و عالم الإبداع الشعري ليس عالم النموذج التاريخي و الأسطوري، إنه تجاوز للتاريخ و الأسطورة و الواقع، لكنه مستفيد منها في آن، فالخطاب الشعري الإبداعي منفلت صوب الحرية، و غير خاضع للقوانين، و كل محاولة لقولبته داخل أطر و قـــوانين معينـــة، هـــي محاولـــة آنيـــة لتغييـــب إبداعـــه، و طموحه لأن يكون فعلاً ثقافياً مغايراً و مغيّراً في آن.

إن العمل الفني والإبداعي:

**« تشكيل يواجه تشكيلاً، تشكيل جمالي يواجه تشكيلاً تاريخياً اجتماعياً. بناء يواجه بناء. إنّ الفنان يدرك واقعه جمالياً، و العمل الفني هو تشكيل جمالي لموقف من هذا الواقع. إنّ الفنان يواجه واقعه بتشكيل مقابل، يقهر - رمزياً - التشكيل التاريخي، و يعيد بناء الواقع الحقيقي. و لذلك فإنّ الفن - أكثر من أي ضرب آخر من النشاط البشري - يحرر الواقع من المثول و الثبات و الجمود، لأنه يقهر - رمزياً - الضرورة في الواقع - الطبيعة و المجتمع - ليصل بهذا الواقع إلى الحرية. إنه يقهر و يحرر جمالياً و رمزياً، ثم تأتي كل الأعمال و الأنشطة البشرية لتقهر و تحرر فعلياً »(66).**

إنّ إعادة بناء الأسطورة و توظيفها في النص الشعري وفق رؤية جديدة للحيـــــــــــــــــــــــــــــــاة و العالم، عملية جدّ مهمة للتخلص من النموذج الماضوي المتعارف عليه. و قيمة التجربة الإبداعية تكمن بالدرجة الأولى في لحظة تواجدها و انبثاقها، و في قدرة هذا الانبثاق على تجاوز الماضي لبناء مجتمع الغد، انطلاقاً من الحاضر.

## هوامش الدراسة ومراجعها


(1) - **خلدون الشمعة، النقد والحرية** ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، الطبعة الأولى 1977 م، **ص 189.**

**(2) - مجلة الفكر، تونس، السنة 29، العدد الخامس، فيفري، 1984 م، ص 62 -63 .**

**(3) - سليمان العيسى، شعر سليمان العيسى، المجموعة الكاملة، المجلد الثاني، ديوان كلمات للألم، دارالشورى، بيروت، الطبعة الثانية، صيف 1981 م، ص 629 - 630.**

**(4) - الخليفة الأموي.**

**(5) - د. رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعةالأولى 1985 م، ص 204.**

**(6) - أدونيس، الآثار الكاملة، ديوان أغاني مهيار الدمشقي، دار العودة، بيروت، طبعة 1971 م، ص 377.**

**(7) - ب .كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، و مراجعة محمود خليـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــل**

النحاس، سلسلة الألف كتاب (الثاني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992 م، ص 238.
(8) - أدونيس، الآثار الكاملة، ص 345.
(9) - م، س، ص 351.
(10) - ب. كوملان، م، س، ص 239.
(11) - دراسات في النقد الأدبي، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، حزيران، 1980 م، ص 179.
(12) - زمن الشعر، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة 1983 م، ص 158.
(13) - المرجع السابق، ص 158 - 159.
(14) - ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972 م، ص 321.
(15) - نفسه، ص 416.
(16) - نفسه، ص 414.
(17) - Iliade, Mirsea. Shamanism, Archaic Techniques Of Ecstasy, Translated From French By Trask, Willard. R. Princeton: University Press, 1972, P.510.
عن / د. أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة والشعر العربي .. المكونات الأولى، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, مجلد 4، العدد الثاني، يناير، فبراير، مارس، 1984 م، ص 44.
(18) - خلدون الشمعة، النقد والحرية، ص 114.
(19) - د.عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة, بيروت, الطبعة الخامسة, 1988م, ص 213.
(20) - ديوان بدر شاكر السيّاب، مجموعة أنشودة المطر، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، طبعة 1989م، ص: 509، 510، 511، 512، 514، 515، 516، 529.
(21) - لغة الشعر، ص 332.
(22) - بول سوريو P.Souriau، الشعر والفكر، ترجمة د. ابراهيم الكيلاني، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 24، السنة السابعة، تموز 1980، ص 129.
(23) - د. خالدة سعيد، حركية الابداع (دراسات في الأدب العربي الحديث)، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية 1982 م، ص 16.
(24) - الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الحرية، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1979/1/1 م، ص 103- 104.
(25) - نفسه، ص 105.
(26) - نفسه ص، 108.
(27) - الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى 1978 م، ص 88.
(28) - نفسه، ص 94.
(29) - الآثار الكاملة، ديوان قصائد أولى، ص 71.
(30) - نور الدين صمّود. مجلة الشعر، دار مجلة الإذاعة والتلفزيون، القاهرة، العدد السابع عشر، يناير 1980 م، ص 146.
(31) - محي الدين صبحي، الأدب والموقف القومي، دار الأنوار للطباعة، دمشق، الطبعة الأولى، 1976 م، ص 80 - 81.
(32) - د.أحمد كمال زكي، دراسات في النقد الأدبي، ص 179.
(33) - عبدالوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، ، منشورات دار نزار قباني، بيروت، الطبعة الأولى، اكتوبر 1968 م، ص 34. ص 35 - 36.
(34) - ديوان عبدالوهاب البياتي، الطبعة الرابعة، دار العودة، بيروت، 1990 م، ص 507، المجلد الأول.

(35) ـ صالح جواد الطعمة، الشاعر العربي المعاصر، مجلة فصول، القاهرة، المجلد الرابع، العدد الرابع، سبتمبر 1984، ص 21.
(36) ـ ديوان صلاح عبد الصبور، مجموعة الناس في بلادي، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، طبعة 1988 م، ص 26.
(37) ـ نفسه، ص 24.
(38) ـ د. محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،الطبعة الثالثة، دار المعارف, القاهرة, 1984م، ص 318.
(39) ـ محي الدين محمد، الرموز عند بدر شاكر السيّاب، مجلة المجلة، القاهرة، عدد يوليو 1963 م، ص 88. عن / د. محمد فتوح أحمد، المرجع السابق، ص 319.
(40) ـ د. احسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثانية, دار الشروق, عمّان, 1992م، ص 129.
(41) ـ شعر سليمان العيسى، المجموعة الكاملة، ديوان أغنية في جزيرة السندباد، م3، دار الشورى، بيروت، الطبعة الثانية، صيف 1981 م، ص 67 - 68.
(42) ـ د. أحمد بسام ساعي، حركة الشعرالحديث من خلال أعلامه في سوريا، دار المأمون، دمشق طبعة 1978 م، ص 444.
(43) ـ تم حذف بعض المقاطع الشعرية التي تبرز فيها رؤية الشاعر خطابية، و تقريرية مؤدلجة، وهي تدين الشرق المعطلة طلقاته في الجنس، و ذلك حتى لا يطول الاقتباس الشعري.
(44) ـ اشارة إلى أيام العرب، كما يشرح الشاعر.
(45) ـ سليمان العيسى، من قصيدة بعنوان: في خيمة الأصمعي، ديوان أغنية في جزيرة السندباد، المجموعة الكاملة، ص 92 - 93 - 94.
(46) ـ نستعير مصطلح المثال الوظائفي من فلاديمير بروب في تحليله للحكايات الخرافية.
(47) ـ هشام علي، نقد الشعر، اشكالية المنهج، مجلة الثقافة الجديدة، عدن، السنة السابعة عشرة، العدد السابع، ديسمبر 1987 ، ص 125 .
(48) ـ أحمد عبد المعطي حجازي، مجلة آفاق عربية، بغداد، السنة السابعة، العدد الثاني، تشرين أول،1981م، ص 115.
(49) ـ زمن الشعر، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972 م، ص 239.
(50) ـ يوسف الخال، هيروديا، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 126 - 127.
(51) ـ نفسه، مقدمة هيروديا، ص 119.
(52) ـ ديوان بدر شاكر السياب، مجموعة أنشودة المطر، المجلد الأول، من: ص 355 إلى ص 358.
(53) ـ كربّ Krupp، صاحب معامل الأسلحة الألمانية الشهيرة كما يفسره السياب، ص 349، من المجلد الأول.
(54) ـ يقول السياب في تعليقه: جرّدت من الفحم و الفولاذ شخصين لإلهين من الأرباب الجدد، أتباع زيوس الجديد ـ الذهب ـ و عاملتهما كاسمي علم، و منعتهما من الصرف، ص 354 من المجلد الأول.
(55) ـ أنشودة المطر، المصدر السابق، ص 349 - 353 - 354.
(56) ـ د. محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، ص 298.
(57) ـ محمد حمدان، بين يدي المحيط، دار الحقائق، بيروت، الطبعة الأولى 1992 م، من ص 33، 35 حتى ص41.
(58) ـ د. رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي, الطبعة الأولى, منشأة المعارف, الإسكندرية, 1985م، ص 238.
(59) ـ عن / تشارلز تشادويك، الرمزيّة، ترجمة نسيم ابراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992 م، ص 40.

(60) - محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى, دار سراس، تونس, 1985م، ص 28.
(61) - خالدة سعيد، مجلة مواقف، بيروت، العدد 51 - 52، صيف وخريف 1984 م، ص 33.
(62) - نور ثروب فراي، الأدب والأسطورة، ص 27.
(63) - المقاطع الشعرية مأخوذة من كتاب: محي الدين صبحي، الأدب و الموقف القومي، ص 85 - 86.
(64) - الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه الشيخ محمد عبده، المطبعة الرحمانية بمصر، د. ت المجلد الأول، ص 75.
(65) - النص من ديوان «الخروج من البحر الميت»، عن / د. رجاء عيد، لغة الشعر، ص 239.
(66) - د. عبدالمنعم تليمة، مداخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى 1987م، ص 75.

## مفهـوم المؤسســة الأدبيــة وشروطهــا...

●الدكتور عبد السلام فزازي

جامعة ابن زهر بأغادير المغرب / شعبة اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب.
**fizaziabdeslam@hotmail.com**

إذا كـان الأدب خلقـا و نشـأ – مستبعديـن مصطلـح إبـداع لمـا فيـه مـن إيحـاء للخـيال، مقتصريـن على المفهـوم المـادي لمعنـى البـدء و التكـون في الشـيء-، فإنه محتـاج لا محالـة إلى حماية ورعاية، تسند لجهة تتكلـف بضمـان هذه المهمـة، و تجيد تحمـل المسؤوليـة، و أجدر من يقوم بهذه الوظيفـة مؤسســة تعـي دورهـا وتمارسـه، لا أن تحتكـر الاسـم والموقـع. و قد راعينـا في هـذا الصـدد التطـرق إلى المؤسســة الأدبيـة، فمـاذا نقصـد بهـا؟.

لنتطرق في البدايـة إلى تحديـد مفهـوم المؤسســة الأدبيـة، عند بعـض الدارسين، فكـل واحـد منهـم يبنـــي تصـوره لهـا و يقـدم تعريفـا خاصـا. و لأن الأدب كـان و لا يـزال عبر العصـور، موضوعـا يلقـى اهتمامـــا ودعمـا أحيانـا، وأحيانـا أخـرى يواجـه بالصـد والإهمـال، تبقى نظـرة المجتمعـات إليه تختلـف وتتمايـز حسبادخلت كل سيرتك في فايسبوك المتعلق بي
درجـة وعيهـا بالظـاهـرة. يـرى في هذا الصدد كليمـون مـوازان Clément Moisan أن « مـوضـوع الأدب ليـس فقـط النظـر في الوجـه الأدبـي، بـل أيضـا في الوجـه المؤسساتـي فيـه »1.

يقتضـي تنـاول موضـوع الأدب النظـر إليـه باعتبـاره مؤسسـة مثـل باقـي المؤسسـات، يشتغـل وينتـج في إطارهـا؛ في هـذا الصـدد يقـول سعيـد يقطيـن :« لا أدب يمكـن أن يبـدع في غيـاب أو تغييـب تصـور مـا للأدب السابـق أو المؤسســة الأدبيـة »2؛ و يفتـرض في هـذه المؤسســة أن تشمـل «

مجموعـة ممارسـات أدبيـة مقننة ( رمزيـة Symboliques ) ومنظمـة ( من قبـل أجهـزة Appareils ). لا تنتـج بل تنظـم وتشـرع، يتعلـق الأمـر بمجموعـة من إواليـات تنظيميـة تعطـي لنفسهـا قواعـد ومعاييـر خاصة للاشتغـال لها القـدرة على الاعتـراف للإنتاجيات الأدبيـة أو عـم الاعتـراف لهـا بالمصداقيـة و الشرعيـة »3.

بمعنـى أن المؤسسـة الأدبيـة جهـاز تنظيمـي يسهـر على جعـل الأدب يخضـع للتقعيـد والتنظيـم، هكـذا تلعب مؤسسـات، كالجامعة، والأكاديمية، والرقابة والجوائـز الأدبيـة، دورا وهـذا تدعيـم و تشجيـع تسهـر هـذه المؤسسـات على تحقيقهـا ومسايرتهمـا للأدب وأهلـه.

ويتبيـن من خـلال هـذه التصـورات المقدمـة لمفهـوم الأدب وعلاقتـه بالمؤسسـة، أنهـا تصـورات تنظيريـة ترمـي إلى خلـق مؤسسـة للأدب. هكـذا ننتهـي إلى تعريـف، انطلاقـا منـه نقـدم تصـورا لمفهـوم المؤسسـة الأدبيـة، وهي في نظرنـا مجموعـة من المؤسسـات الصغـرى التي تندمـج في ما بينهـا لتعطينـا، المؤسسـة الأدبيـة؛ التي تتكـون من الطباعـة والنشـر، والتوزيـع، والوسائـط السمعيـة ـ البصريـة، والمكتوبـة من جرائـد ومجـلات نقـد وجامعـي، وجمعيـات ثقافيـة، وكذلـك الانترنيت استشرافـا منـا له ببحـث مستقـل.

مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة.

نتنـاول في هـذا القسـم عناصـر المؤسسـة الأدبية: الطباعـة، والنشر والتوزيـع والوسائط السمعيـة البصريـة، والمكتوبـة من جرائـد ومجـلات ونقـد جامعـي، وجمعيـات ثقافيـة، والانترنيت، فمـا هي هـذه العناصـر ؟

1- الطباعـة :

تعتبـر الطباعـة عمليـة أولى لـولادة العمـل الأدبـي، بحيـث تضطلـع بنسـخ المطبوعـات الأدبيـة، وتوفيـر المتـن الأدبـي على شكـل كتـاب، و بذلك تكـون جـزءا رئيسـا من تشكـل المؤسسـة الأدبيـة.

و يتحـدد دور الطباعـة الهـام في كونهـا « تؤكـد (...) على عمليـة الطبع »5، ولم تكن لتعرف هذا المستوى من الإجرائيـة لولا ظـروف تاريخيـة أجملهـا نيوتـن Newton في « اختـراع الطباعـة والنشـر وتطورهمـا جـزءا من تطـور السـوق العامـة للبرجوازيـة الحرة »6. وينضـاف إلى ذلك، استقلاليتها عن النشر، رغم مـا قد يبـدو للوهلة الأولى من

أنهما متداخــلان، غير أن ذلك حاصـل لأمريـن : إما بهـدف تنسيقـي بينهما، أو لخلط مفهومـي لتاريخهما.

وفي هـذا التحديد يقـول أوكتافيـو بـات Octavio Path : « منـذ ظهـور الطباعـة والعـلاقــة بـين المؤلـف والناشـر مضطربـة »7. يتضـح من قـول أوكتافيـو أن الطباعـة مرحلة سابقـة، من جهـة على النشـر، و من جهـة أخـرى مستقلـة استقـلالا تامـا عنـه.

نستنتـج إذن، أن النشـر مرحلـة لاحقـة دورهـا لا يقـل أهميـة عن مرحلـة الطباعـة، وأن اضطراب العلاقـة بين المؤلـف والناشـر لدليـل على أن الطباعـة مستقلـة عن النشر. وفي رأينا، الطباعـة متعلقـة بطبع العمـل الأدبـي، أي نسخـه، والنشـر مرحلـة تأتي بعـد ذلك « فأهـل المطابـع الأقويـاء - نظرا للتعقيـدات المتزايـدة لصناعتهـم - سرعـان ما يتخلـون للاختصاصييـن بأمـر بيـع مصنوعهـم بالتقسيـط» 8 مـن خـلال هـذا النـوع مـن التخصـص يتبيـن أنـه يمكـن أن نضـع النشـر مقابـل التوزيـع لا الطباعـة مقابـل النشـر.

من هنـا، نجـد أن الطباعـة مرحلـة هامـة وعمليـة معقـدة وحاسمـة فـي إخـراج العمـل الأدبـي بالشكـل المتعـارف عليـه، والذي تتحـدد فيه أولـى ملامـح المؤسسـة الأدبيـة، لتجسـد لدينـا المفهـوم والتصـور النظـري.

2 النشـر :

إلى جانـب الطباعـة التي كانـت المظهـر الأول لتحديـد مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة، نجـد النشـر، باعتبـاره مظهـرا آخـر من مظاهـر تشكلهـا، يمثـل لنا مرحلـة نعتبرهـا بدايـة العمـل النقـدي في الترويـج للعمـل الأدبـي. و في هـذا الصـدد يقـول روبيـر اسكاربيـت Robert Escarpit) ( : « بالنسبـة للناشـر، إن للنقـد قيمـــة موضوعيـة لـرأي أدبـي هو الناطـق باسمـه »9.

نلاحـظ هنـا أن وظيفـة الناشـر تتجاوز العمـل الإداري، لتمثـل لنا العمـل الإداري في احتياجـه لهذه الرؤيـة؛ فالعمليـة النقديـة التي يجريهـا الناشـر على العمـل الأدبـي قبل الإقـدام على نشـره، يستشـرف من خلالهـا ما بعـد عمليتـه الآنيـة، وإن كـان الهـدف تجاريـا، فهو يراعـي في ذلك طرفـا فاعـلا في العمليـة الأدبيـة (المتلقـي) حيث إن « الحصـول على عينـة من الجمهـور النظـري من خلالـه يقنـن اختياراتـه »10 أمـر في غايـة الأهميـة.

و هكـذا، نجـد الناشـر يحسـم في تأديتـه لـدوره على أكمـل وجـه، فمجـرد نقـد العمـل الأدبـي قبـل النشـر، يعتبـر ترويجـا لـه، و قبـل ذلك

اعترافا بوجود هذا العمل؛ وبالإضافة إلى ذلك يمثل خلق متلق نظري عملية نقدية ثانية، وفي إطار العمليتين خدمة جلية للعمل الأدبي. وبمفهوم آخر، تحقق عملية النشر شكل المؤسسة الأدبية كما في تصورنا النظري.

3- التوزيع:

يمثل مفهوم التوزيع داخل المؤسسة الأدبية باعتباره جسرا يصل بين المنتج والمتلقي، ويرى اسكاربيت Escarpit أن « عملية التوزيع، بالمعنى الحقيقي والعام للكلمة هو البيع رغم وجود كتب موزعة مجانا. لأن البيع في الواقع هو تقريبا ضروري لكي يكون العمل الأدبي مكتملا»11 تحمل هاته القولة في طياتها جملة مفتاحا بالنسبة إلى ترويج عمل أدبي، فجملة " عملية التوزيع " نستشف منها الترابط اللصيق بين العمليتين، و أن إحداهما تستلزم الأخرى.

فدلالة " التوزيع " تعني وضع المطبوعات للتداول وبيعها بواسطة المكتبات أو الباعة، بحيث يتبين أن « التوزيع التجاري للقراءات الأدبية بكمية وفيرة بالأساس مؤمنة من طرف موزعي الكتب والمؤسسات من نوع دكاكين و أكشاك الجرائد » 12.

و تتضح أهمية التوزيع في تفعيل العمل الأدبي وحركيته، نظرا لأنها مرحلة هامة في منظومة المؤسسة الأدبية إذ نرى « التوزيع في الدول الرأسمالية العملية الأكثر صعوبة في عملية النشر » 13. مما يزكي أن عملية التوزيع، تمثل ركيزة أساسية لعقد النشر في الدول الرأسمالية، اعترافا منها وإيمانا بجسامة مهمة التوزيع.

التوزيع إذن، عملية دقيقة، تستمد منها المؤسسة الأدبية شكلا ينضاف إلى الأشكال السابقة؛ و لكونها كذلك، فهي تستحق العناية لأنها الحلقة الوسطى بين الثبات والتحول، بين آلاف النسخ و هي متراكمة، و بين مئات النسخ وهي تبحث لها عن قنوات تصريف، من بين القنوات التي تتوسط للعمل الأدبي انخراطا جديدا – دونما يصبح من المتعذر اليوم، التعرف لمجرد الصدفة على عمل أدبي خرج للوجود – وسائط تعرض لعناوين الأعمال الأدبية، وتقيم لقاءات وعروضا وندوات تقدم فيها قراءات نقدية جديدة تخلق لنفسها وللعمل الأدبي حلقة ضمن حلقات سابقة.

4 - الوسائـط:

إن محاولتنـا رصـد مختلـف العناصـر التي تدخـل في علاقـة مباشـرة مع المؤسسـة الأدبيـة، جعلتنـا نقـف على أبـرز عنصـر متكامـل، في الاسـم المشـاع عنـه، الإعـلام السمعـي البصـري، وسنعتمـد فـي تعبيرنـا الأدبـي صيغـة الوسائـط لما لهـا من معنـى علمـي.

أضحـت الوسائـط السمعيـة البصريـة اليـوم، تلعـب دورا خيـرا لا يقـل أهميـة عن باقـي الوسائـط المعتمـدة للتعريـف بالعمـل الأدبـي فـ « منـذ ظهورهـا في مجتمعنـا الحديـث أسهمـت مساهمـات جلـى في تطويـر الأدب وتوسيع دائـرة قـرائـه »14. و نجد الـرأي نفسـه لدى سعيد يقطيـن واردا عند اسكاربيت Escarpit إذ يقـول : « منـذ ظهـور وسائـل الاتصـال السمعيـة البصريـة، تغيـرت وضعيـة القـراءة شيئـا ما، لتصبـح في الإجمـال، استهلاكـا ثقافيـا في حركيـة داخليـة مـا زالـت غيـر معروفـة. فالاقتباسـات السينمائيـة والاتصـالات لاسلكيـة وخصوصـا التلفزيـة أثـرت بعمـق على الـرؤيـة الأدبيـة » 15.

و ظهورهـا كـان دورا مساهمـا ومؤثـرا في العمـل الأدبي، بالإضافـة إلـى ذلك نشر ثقافـة القـراءة وتوسيعهـا، وتطويرهـا للعمـل الأدبـي يتجلـى كذلك في إخضاعـه لأشكـال من الاستعمـال الآنـي، في عصـر تطبعـه العولمـة فـ « بفضـل (...) وسائـل الإعـلام، أصبحـت الأعمـال الأدبيـة في متنـاول الجميـع: سواء كانـت علـى شكل كتـاب الجيـب، أو الأشرطـة، أو أشرطـة الفيديـو أو الاقتباسـات السينمائيـة.. » 16.

و في هـذا التأقلـم مع المتطلبـات العصـر، مراعـاة حظ العمـل الأدبـي، وضمـان ترويجـه إلى أبعـد الحـدود بأشكـال متطـورة، آخـذة بعيـن الاعتبـار المحطـات التاريخيـة والتواصـل المؤطـر ضمنهـا. يقول كليمـون مـوازان Clément Moisan : « تساهـم وسائـل الإعـلام أكثر مما نظـن في إعادة الاعتبـار لضرورة التاريـخ بشكلـه الشفهـي » 17 ، وفي هـذا التصريـح المعلـن عنـه، نشيـر إلى نقطـة هامـة، فإذا كان المؤلـف قديمـا يلقـي ما ألفـه شفويـا على المتلقـي، ليـدون من بعـد، وتتسع المسافـة بينهما، فإن هذا العصر أصبـح الإلقـاء من جديـد شفويـا عن طريـق الوسائـط السمعيـة البصريـة.

1.4- الوسائـط السمعيـة البصريـة:

لقـد صـارت الوسائـط البصريـة اليـوم عنصـرا هامـا، تتجسـد أهميتهـا في اتصالها، بالجمهـور والاحتكـاك به يوميـا. وفي هـذا الإطـار كان لا بـد من إسهامهـا في توفيـر ولـو لوقـت قليـل مـن برامجهـا للعنايـة بالعمـل الأدبـي ونلحظ أن «الإعـلام بمختلف أنواعـه ... يساهـم في التعريـف

بمختلف الإنجازات الأدبية من الكتاب إلى مجموع الاهتمامات والقضايا التي تشغل بال المشتغلين والقراء » 18.

و يتجلى إسهام هذه الوسائط من خلال إيصالها للعمل الأدبي إلى عامة الجمهور. وما كان لهذا التواصل أن يتحقق لولا« أن التليفزيون خرج بالأدب من دائرته الأرستقراطية القديمة وجعله أدبا ديمقراطيا، يتصل بقوائم الشعب كله وحطم الأبراج العاجية في التذوق » 19.

و هكذا، فالوسائط السمعية البصرية ذات وظيفة تغييرية. فالوسيط السمعي البصري « لا يجب أن يكون سوى صلة لمعرفة أفضل للثقافة المكتبية، ويمكن كذلك من خلال إنتاجه الخاص حتى خارج " البث الثقافي " أن يصبح مبدعا ومعكسا للثقافة الجديدة والحقيقية للجماهير » 20 . وتتأكد لنا هذه الوظيفة، إذ « لم يعد التليفزيون اليوم في خدمة الثقافة نوعا من أنواع الرفاهية بل أصبح له دور في معالجة كثير من مشكلات الثقافة » 21.

وهذا النهج المتوالي لهذه الوسائط، في اتخاذها جملة من التغيرات مرة بعد مرة، يهيئ لتشابك وطيد تنصهر فيه الوسائط السمعية البصرية والمؤسسة الأدبية في الوظائف والأدوار، ومن ثم الانخراط في مشاكل الأدب الحقيقية. وقد يتحقق هذا الوعي إذا كانت « البرامج الثقافية في التليفزيون تهدف إلى تحسين حال المشاهد وتتبع في الواقع من أعمق تقاليد العلم والتوعية و الثقافة » 22.

ولن يظل الاهتمام السمعي البصري محكوما بثوابت المخططات السابقة وما قبل الوجود الفعلي لهذه الوسائل المشتغلة على المستوى الرسمي والشعبي إذ « لم تعد الثقافة في البرامج الثقافية ترتبط بالتقاليد التي كانت قبل ظهور التليفزيون مقتصرة على المحظوظين ممن كانوا يعيشون بالقرب من مراكز هذه الثقافات، ومن كانت أحوالهم الاقتصادية تسمح لهم بممارسة هذه النشاطات » 23.

إن شيوع الثقافة بين مختلف شرائح الجمهور، وتوسيع دائرة المستفيدين من الوسائط السمعية البصرية المناولة للأعمال الأدبية، أزالت الحواجز الزمنية وقبلها الطبقية بحيث أضحت « هذه البرامج لا تمنح إجازات دراسية أو شهادات إلا أن ما تقدمه من جهود تساعد على نشر الثقافة لا يمكن أن تقاس أو تقدر بثمن أو جهد » 24. وفي جهدها لخدمة الأدب وتطويره لم تغفل الكاتب باعتباره طرفا هاما في العملية ككل. بل إننا نجد من هذه الوسائط، وبالأخص التليفزيون، « حاليا ليست (.) بالنسبة إلى الكاتب مجرد وسيلة للتعبير وإنما هي كذلك مورد رزق » 25.

نستنتج أن هذه الوسائط في علاقتها بالعمل الأدبي، لم تهمل أي طرف في العملية الأدبية، الأدب والكاتب والمتلقي، مدركة أن غياب قطب واحد منه، إهدار لحقوق القطبين الآخرين. وفي تحديد دور الوسائط السمعية البصرية، وطبيعة تفعيلها للعمل الأدبي، يظهر لنا بجلاء أن تضافر الجهود ضروري وأساسي في دعم الأدب، وتكوين المتلقي، ومساندة الكاتب ومؤازرته. ورغم ذلك ستظل هذه الوسائط السمعية البصرية مجرد تقديم جاهز لكل ما هو أدبي، لتأتي الوسائط المكتوبة، لتجعل المتلقي مشاركا في العمل الأدبي، من خلال احتكاكه المباشر وسجاله الفكري، لأن ميدان السمعي البصري ضيق الزمن، بينما الوسائط المكتوبة تسمح بالقراءة المتعددة والمتفحصة، و لكي يفهم العمل الأدبي جيدا ويستوعب يجب أن يقرأ، مما يساعد على تمثله على أفضل نحو ممكن.

2.4- الوسائط المكتوبة :

نقصد بالوسائط المكتوبة الجرائد والمجلات والنقد الجامعي.

1.2.4- الجرائد :

تساهم الجرائد في تفعيل العمل الأدبي، باعتبارها وسيطا كتابيا علاقتها بالعمل الأدبي جعلتها معروفة، يقول في هذا الصدد روبير اسكاربيت Robert Escarpit : « يجب الأخذ بعين الاعتبار الطبعات ليس فقط عند دور النشر ولكن أيضا عند الصحافة التي هي عموما أكثر رواجا. فيما تبقى الطبعات الأخرى صعبة المنال » 26. من هنا نلمس قوة الجرائد في دعمها للعمل الأدبي والنشر معا. كما أن احتكاكها اليومي بالمتلقي، بمختلف شرائحه جعلها « تقوم (...) بالتعريف بالكتب المنشورة حديثا و المجلات بدورها تجعل المواضيع الأدبية الهامة في متناول الجمهور » 27 .

و هذا الشيوع الفريد لهذا الوسيط، لم يكن محض صدفة بل نتيجة تنويعها لمادتها بأنواع الموضوعات، يكون فيها للعمل الأدبي حظ؛ مما يجعل الجمهور المتلقي مقبلا عليها، حيث « توجد في الصحافة مثلها في النشر مجموعة كبيرة من النصوص غايتها وظيفية غالبا ما يحصل في التحقيقات وفي نقد الكتب، وسيكون من السهل الإشارة إلى عدد من

الأعمـال التقنيـة، أو العلميـة أو الفلسفيـة بمقاصدهـا المعلنـة. والتي تشكـل أعمـالا أدبيـة أصيلـة وتناولـها الجمهـور باعتبارهـا كذلـك » 28.

إن هذا الاهتمـام الجـاد الذي يتحـول بعمـل هـذا الوسيـط المكتـوب مـن غايتـه الوظيفيـة إلى استعمـال غير وظيفي، ليفسـح المجـال للعمـل الأدبـي عن طريـق الربورتاجـات Reportages ، ونقـد الكتـب الأدبيـة ليمتـد نطاقـه إلى نـوع من العمـل الأدبـي يقـول عنه فـاروق خورشيـد:« ليـس هنـاك في الواقـع لـون مـن ألـوان الإنتـاج الأدبـي تقبـل عليـه الصحافـة وتتهافـت على نشـره مثـل القصـة القصيـرة » 29 . تسوقنـا عبـارة خورشيـد عن القصـة، في تصريحـه بأن العلاقـة بينها وبين الجريـدة علاقة دين، تديـن فيها القصـة للجريـدة، بمـاذا ؟ يقصـد الانتشـار والـرواج. ولكـن السـؤال الـذي يطـرح نفسـه في هـذا المقـام هـو لمـاذا تتهافـت الجريـدة على نشـر هـذا اللـون من ألـوان الإنـتاج الأدبـي ؟ ونجـد الجواب متضمنا في قولـه: « كلما تطـورت الصحافـة وازدادت توزيعـا وازدادت حجمـا [ يقصـد عدد الصفحـات ] زاد مقـدار ما تفسحـه في صفحاتهـا للقصة، وزاد بالتالـي الإقبـال من الكتـاب على كتابـة هـذا اللـون الرائـج السريـع التـداول السهـل النشـر » 30. لتصبـح العلاقـة، تبادليـة: إفـادة واستفـادة من جهـة، ومن جهـة أخـرى دعمـا للعمـل الأدبـي وتشجيعـا لـه.

ومما تقـدم، يبـدو جليـا أن طريقـة تعامـل الجريـدة عمومـا مـع العمـل الأدبـي، ينـم عن وعـي منهجـي واستثمـار ذكـي لـهذا اللـون من ألـوان الإنتـاج الأدبـي، عن طريـق إعطائـه صفحـات يـزداد حجمهـا كلمـا ازداد توزيـع الجريـدة وتطورهـا، وفي ظـل هـذه العلاقـة يمكـن القـول، إنـه كلمـا ازدادت أعـداد الصفحـات في الجرائـد ازدادت كذلك الصفحـات المخصصـة للعمـل الأدبـي.

2.2.4- المجـلات :

ينضـاف إلى الجريـدة وسيـط كتابـي آخـر، هو المجـلات التي تساهـم بـدورها في تشكـل المؤسسـة الأدبيـة، حيث تعتبـر المجلـة عملا صحافيـا تختلـف عن الجريـدة في كونـها غير منتظمـة، تصـدر شهريـا أو سنويـا، وأحيانـا تغيـب لأنهـا « أبعـد الأشيـاء عن الصحافـة بمعناهـا المتعـارف عليـه، رغـم لجوئهـا لوسائـل الصحافـة فـي الظهـور إلى النـاس » 31 ، لأننـا نجـد هـذا التشابـه الشكلـي يخلـق خلطـا وظيفيـا فـ « إذا كنـا نظلـم الصحافـة في الظهـور حين نطلـب منهـا الأبحـاث المتخصصـة التي لا تهـم

سوى مجموعة من الناس، فإننا نظلم المجلة الأدبية حين نطلب منها غير هذه الأبحاث المتخصصة » 32.

ولن يبخس حق المجلة الأدبية لأنها واعية بالدور المنوط بها، تسعى جاهدة للانخراط في العمل الأدبي بممارسة تصل إلى حد أنه « تعود وظيفة المجلات إلى الدور الترويجي للنصوص وللمؤلفين خارج الحدود اللغوية والثقافية » 33، ولتجسد إسهامها القوي « تقوم بعض المجلات المتخصصة ب " تبادلات " أدبية مهمة سواء بنشر منتظم لوقائع تاريخية حول "الآداب الأجنبية " أو بشكل مباشر عبر ترجمة النصوص» 34 .

ولكي تبلغ شأو في هذا الجهد المضاعف « مطلوب من المجلة الأدبية أن تنافس على قدم المساواة المجلات الأخرى التي تصدر معها في نفس وبنفس الحجم وبنفس الثمن»35 ، يقصد بذلك تنبيه المجلة الأدبية لمسائل هامة، قد تعتبر خارجة عن إطار العمل الأدبي لمحتوى المجلة ولكنها أمر فاعل في تصورنا لمفهوم المؤسسة الأدبية.

ولتتأكد لنا جدية مساءلة المجلة الأدبية لنفسها، نجدها تهيئ أعدادها لـ « استقبال الأصوات الجديدة وتقديمها. فالأديب المنكود الحظ في كلا الحالتين: النشر المتأخر أو عدمه، لا يجد بدا من دفع نتاجه إلى المجلات الأدبية المحلية، فهي تؤمن له رواجا أوليا ملحوظا ما يلبث أن يندفع لتأسيس اسمه الأدبي».كما تعمل على التجديد في محتواها بحيث يعتبر « كل مشروع مجلة هو نوعا ما نتيجة مؤامرة : كمؤامرة جيل من الشباب ضد القدماء، أو مؤامرة جمالية ضد أخرى أو قيم طليعية ضد قيم مؤسسة أكاديمية »37.

ننتهي إلى أن استقبال المجلة الأدبية للأصوات الجديدة دليل على حركيتها وتجددها، وفي نشرها للعمل الأدبي تأكيد بأن المؤسسة الأدبية سلسلة حلقات، فقد حلقة واحدة منها يخل بالنظام والتصور معا.

### 3.2.4- النقد الجامعي :

لا يمكننا الحديث عن مفهوم المؤسسة الأدبية دون الإشارة إلى النقد الجامعي، الذي يكون "الأدب " بالنسبة إليه موضوعا للبحث والدراسة، و " النقد " وسيلته في المنهج و التحليل.

و يقدم هذا النقد إسهامات كبيرة في مجال دراسة العمل الأدبي، سواء منه النقد التقليدي الذي يدرس علاقة الإنتاج الأدبي بشخصية مبدعيه أو بالوسيط الذي نشأ فيه، أو " النقد الجديد " الذي يهتم بالنص ولا شيء غير النص؛ وكلا النقدين يروج للعمل الأدبي.

ولأن الجامعـة تشتغـل على النـص، وأداتهـا النقـد، فإنهـا وسيـط من خلالـه يتم تحقيـق مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة. وتتجلـى وساطتهـا في إصـدار منشـورات تتضمـن نـدوات، ورسائـل جامعيـة. وفـي مجمـل هـذه المجـلات تتضمـن ما يتصـل بكليـات الآداب والتخصصـات المنضويـة تحتهـا.

5- الجمعيـات الثقافيـة :

كمـا نجـد الجمعيـات الثقافيـة، ترصـد للعمـل الأدبـي برنامجـا خاصـا، وتضفـي علـى عملهـا الثقافـي أنواعـا من الأعمـال المسرحيـة والسينمائيـة (المقتبسـة مـن النصـوص الأدبيـة) والنـدوات الفكريـة والأدبيـة، وأحيانـا باستضافـة المبدعيـن والنقـاد، بالإضافـة إلى خلـق أنشطـة ثقافيـة مختلفـة؛ تتمثل في التعاقـد مع المكتبـات، وإقامـة معـارض للكتـب وحفـلات توقيـع الأعمـال الأدبيـة، وتنظيـم الأيـام الثقافيـة باستقطـابهـا للعناصـر الجديـدة من المبدعيـن، كما تعنـى بإصـدار الأعمـال الأدبيـة.

وننتهـي إلى أن الجمعيـات الثقافيـة، تضطلـع بـدور كبيـر فـي تكريـس مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة، بحيـث تجعـل الشبـاب المنضـوي تحتهـا يهتـم – منـذ بدايـة انخراطـه – بالأدب والأدبـاء.

6- الانترنيت :

أفـرز تطـور الإعلاميـات ظهـور شبكـة الانترنيت، الـتي أصبـح بالإمكـان عـن طريقهـا التنقل عبـر العديـد من المواقـع المشتملـة على مجموعـة من التخصصـات والمجـلات، وكثيـر من المعـارف والعلـوم.

وفي ذكرنـا لهـذا العنصـر، وعـي منـا بأهميـة هـذا الوسيـط المحـدث الـذي يطـرح نفسـه بديـلا مفضـلا لتوزيـع العمـل الأدبـي مكونـا بذلـك مؤسسـة أدبيـة تشمـل كـل العناصـر التي أسلفنـا ذكرهـا.

شـروط المؤسسـة الأدبيـة:

نناقـش في هـذا القسـم شـروط المؤسسـة الأدبيـة، التي بدونهـا لا يمكـن الحديـث عـن المؤسسـة الأدبيـة، وهـي علـى التوالـي: الشـرط الاقتصـادي، والشـرط السياسـي، والشـرط الاجتماعـي الثقافـي.

1- الشـرط الاقتصـادي :

يعتبـر الشـرط الاقتصـادي من الشـروط الرئيسـة في مقاربـة ظاهـرة الترويـج للعمـل الأدبـي. وعمومـا، يمكـن القـول إن القـارئ دور أساسـي: فإذا كان دخلـه اليومـي مرتفعـا، فسيكون مشجـعا على اقتنائـه للأعمـال الأدبيـة. ولأن القـدرة الشرائية تلعـب دورا حاسمـا في عمليـة الشـراء ككـل، نلحـظ بعـض دور النشـر الـتي تعمـل على تخفيـض أثمـان الكتـب؛ وذلك أمـر فيه اهتمـام بالقـارئ وترويـج للعمـل الأدبـي في الآن نفسـه. كما أننـا نلمـس المبـادرة نفسهـا لـدى أصحـاب المكتبـات التي تعلـق لافتـات لتخفيـض الأسعـار.

وحين يتحقـق الشـرط الاقتصـادي، باقتنـاء القـارئ لعمـل أدبي فـإن تلقيـه « يفتـح أمـام منتـج النـص الأدبـي أبوابـا أخـرى للشهـرة والـرزق وبالتالي للمزيـد من الاستقـلال المـادي والفكـري والفنـي » 38 ، فيستفيـد منتـج العمـل بالمقابـل، لأن اقتنـاء عمـل أدبـي يضمـن للمنتـج استمـرار فـي عملـه، ودعما ماديـا يشجعـه ليبدع في فضـاء أرحـب لا تطـارده الهواجـس الماديـة، والتوجيهـات الخارجيـة المكلفـة بدعمـه.

كمـا نلاحـظ أن حسـن التلقـي هـذا ينعكـس إيجـابا على المردوديـة لإنتـاج نصـوص لاحقـة، ممـا يجعلـه « يدفـع برؤسـاء تحريـر الدوريـات التي ينشـر فيها منتـج النـص الأدبـي نتاجه إلى استكتابـه من جديـد، ولربمـا الإلحـاح عليـه ليخـص دوريـة ما بهـذا النتـاج، باذليـن له مكافـآت أسخـى ورسومـا أغلـى ومفسحيـن له حيزا أوسـع وصفحـات أكثـر في دورياتهـم ، و ميسيريـن له حريـة أكبـر سـواء أكـان ذلك في مجـال التجريـب الفنـي أم في مجـال حريـة التفكيـر و التعبيـر عامـة » 39.

ولأن المتلقـي هـو المعـول عليـه في استهـلاك العمـل الأدبـي، أفـرز لنا ذلك، أسئلـة تتمثـل في أن العمل الأدبـي لم يعـد مجـرد إبـداع تتناولـه الأفكـار والأخيلـة، بل عمـلا تتداولـه الصناعـة والتجـارة، ويتأكـد ذلك « إذا قلنا أن الكتـاب " المستعمل " ليس سلعـة ماديـة، فلا نقصد بأي حـال أنه لا يدخـل ضمـن صناعـة لها مراميهـا التداوليـة التجاريـة أو أنـه منتـوج معنوي أثيـري مجرد لا يـرى ولا يلمس » 40 ، وفي اعتبار أن الكتاب تواصـل ثقافـي بين المبدع و القـارئ، ولا يلغي المعاييـر المادية، ولا يمكن استبعاد الأهداف التجارية؛ لأنه منتـوج معنوي لا يدخل في الاستعمال المادي بل مجـرد الرغبـة في الإطلاع عليه والحصول على نسخـة منه، سلعـة ماديـة تمـر عبر مؤسسـات.

وليتأكد ما قلناه، نجد مؤسسات في دعمها للعمل الأدبي، تحقق الشرط الاقتصادي، وتؤكد مفهوم المؤسسة الأدبية حيث « إن التحقق التقني للتاريخ الأدبي يستفيد أيضا من الوسائل المعلوماتية الحديثة. فبنوك المعطيات البيبليوغرافية تشكل مصدرا للمعلومات لإنجاز مؤلف ما »41.

ففي مساندة البنوك العمل الأدبي من خلال تهيئها له، بتقديم الوسائل الحديثة، وكونها تختص في المعطيات البيبليوغرافية، فإنها تسهل إنتاج عمل أدبي ما، وتدعمه ماديا مما ينم عن وعي في اتخاذ هذا الإجراء الذي تترجمه مثل هذه السلوكات الناجعة.

2 - الشرط السياسي :

يتمثل هذا الشرط في دعم الدولة للعمل الأدبي، بحيث « إذا كان من المظاهر التي يتبدى فيها رقي الأمم هو مدى مساهمتها في إنتاج المعرفة، وكان الكتاب من صميم تلك المعرفة، ومن قنوات توصيلها وحفظها، فإن وضع الكتاب في مشاريع التنمية الثقافية للدول، هو المبرهن على مدى إسهامها أو عدم إسهامها في الدفع بعجلة التنمية الثقافية والمعرفية إلى الأمام » 42.

هكذا يتضح لنا أن رقي الأمم مرتبط بمدى مساهمتها في إنتاج المعرفة. ولأن المعرفة تحفظ في كتاب، كان لا بد إذن من إدخاله في مشاريع التنمية الثقافية للدول لأن « إسهام الدولة في إنتاج الكتاب، هو إسهامها في ترويج الكتاب »43.

وسيظل العمل الأدبي في حاجة إلى مساندة الدولة وتهييئها لجو الإبداع، ومن جملة المبادرات التي قد تقوم بها « تحمل مسؤولية التوزيع بوساطة قطاعها العام 44، وأن تتكلف بالتوزيع لا يعني « مسؤولية (...) محصورة في توزيع الكتاب على نقط البيع، بل أيضا في خلق مراكز جهوية لاحتضان الكتاب حتى تتم الاستفادة منه من غير أن تبقى الاستفادة مقترنة بشرائه بالضرورة »45.

ولأن أي عمل أدبي هدفه الوصول إلى القارئ، سواء بشرائه أو إعارته، من خلال خلق الدولة لخزانات ثابتة ذوات مقرات معروفة، أو خلق مكتبات متنقلة تقرب العمل الأدبي إلى القارئ، أو إيجاد أشكال متعارف عليها تبقى « مسؤوليات الدولة في تسهيل شروط تداول الكتاب وتوزيعه، إقامتها لمعارض وطنية و دولية وجهوية » 46. ودعمها للعمل الأدبي المحلي يتجسد ذلك في تعريفها « بالكتاب في

دول أخـرى من خـلال معـارض أجنبيـة وأسابيـع ثقافيـة ومعاهـدات تبادل ثقافـي» 47.

ونخلـص إلى أن دعـم الدولـة للعمـل الأدبـي شـرط لابـد منـه، بل إن «توفيـر أسبـاب ازدهـار الأدب يستلـزم إيجـاد البنيـة الماديـة التحتيـة الضروريـة ».

3- الشـرط الاجتماعـي الثقافـي :

لقـد سبقـت الإشـارة في النقطتيـن السابقتيـن إلى ضـرورة تـوفـر شـروط أساسيـة تدعـم العمـل الأدبـي، وتخلـق له الجـو الملائـم لإنـتـاج أكثـر : شـرط اقتصـادي يتحكـم في رواج العمـل الأدبـي بالـدرجـة الأولـى، وشـرط سياسـي تضمـن فيه الدولـة شـروطا ماديـة ومعنويـة، ونضيـف هذا الشـرط الذي نتنـاولـه هنـا وهـو الشـرط الاجتماعـي الثقافـي.

وإذا تأملنـا قـول أوكتافيـو بـاث (Octavio Path ) : « يمكن أن نستـدل على صحـة المجتمع من حالـة الأدب فيه »49 ، نجـده يشتمـل على عنصريـن اثنيـن، نستـدل بأحدهمـا على الآخر، فالمجتمـع بنيـة تحتيـة، إذ دراسة الأدب لا يمكـن أن تتـم بمعـزل عنه وبالتالـي ف « تفسيـر الظواهـر الأدبيـة المهمـة، كنشـوء وتطـور الأجنـاس والتيـارات الأدبيـة، لا يكـون بإرجاعهـا إلى أسبـاب أدبيـة داخليـة فحسـب، بل بربطهـا بالمسببـات الاجتماعيـة التي أحاطـت بنشوئهـا و تطورهـا»50.

هكـذا إذن تكـون العلاقـة بين الأدب والمجتمـع، علاقـة تتجسـد في ضـرورة تنـاول الطرفيـن معا، ويقـول في هـذا الصـدد عبـده عبـود : « التطـور الأدبـي لا يـتم بفعـل العوامـل الأدبيـة الداخليـة وحدهـا، بل بفعـل تفاعـل الأدب مع المجتمـع وتعبيـره عمـا يجـري فيه من تطـورات» 51. بحيـث لا يمكـن أن نتصـور حصـول التطـور في الأدب دون حصولـه على صعيـد المجتمـع والعكـس صحيـح؛ فالأدب بنيـة فوقيـة : دراستـه لا يمكـن أن تتـم بـدون مواكبـة التطـورات أو المستجـدات الحاصلـة في المجتمـع حيث « إن دور الثقافـة (...) كبنيـة فوقيـة فاعـل في الحيـاة اليوميـة، و مـرآة صافيـة للكشـف عن تفاعـلات البنيـة التحتيـة »52. إذا أمعنـا النظـر في هـذه العلاقـة بين المجتمـع و العمـل الأدبـي، نـرى أن « العمـل الثقافـي بأوسـع معانيـه هو خلـق شـروط ملائمـة، لتنصهـر في ديناميكيـة إنتـاج ثقافـة جمـاهيريـة تمـارس حقهـا في الوجـود. تنتـج فعلهـا السياسـي، أي الانتقـال بالثقافـة العالمـة إلى مستـوى الثقافـة الشعبيـة، و صيـاغـة مفاهيـم معرفيـة جديـدة مرتبطـة بالهـم اليومـي للمواطنيـن، وهـذا النـوع من الممارسـة لا بـد أن يكـون قائمـا على النقـد الذاتـي ، نقـد كل مظاهـر البنيـة التحتيـة المعرقلـة لتطـور البنيـة الفوقيـة» 53.

وإذا أردنا أن نحلل هذا القول، فإننا نتوصل لشرطين، تطبيقهما يكفل للعمل الأدبي والمجتمع انسجاما وانصهارا تامين؛ نجد أولا: الانتقال بالثقافة العالمة إلى مستوى الثقافة الشعبية. ثانيا: صياغة مفاهيم ترتبط بالهم اليومي للمواطنين. ولتحقيق هذين الشرطين، لابد للنقد الذاتي من حضوره بقوة ليخلق لهذه الشروط أرضية صلبة، ولكي ينقد المجتمع ذاته.

إن النهضة في العمل الأدبي لا تتوقف على مدى قراءته بل« في حاجة لسند أساسي هو تحرر العقليات من المفهوم المجاني لمجانية الإبداع. وإذا شئنا نهضة في مجال الفكر، فلا بد من نهضة في مجال الكتاب الإبداعي، حتى لا يظل أعزل في العراء تطمره العقليات الضيقة السطحية» 54. لأن العمل الأدبي غايته أن يقرأ فالمتلقي عموما « قطب مهم وأساسي حيوي وفاعل في عملية التوصيل الأدبي» 55، وفي تلقيه « يخلق الحافز لدى المنتج على التفكير في كتابة نصوص جديدة ».56.

و يظهر دور القارئ في تفعيل العمل الأدبي، من خلال المنتج الذي يعول عليه، فهو حينما« يبث نصا يقصد به متلقيا ما يتلقاه، و يعجب به ويفيد منه ويعجب من ثم بصاحبه فيتلقى نصوصه الأخرى السابقة والتالية لهذا النص، ويتحول بالتدريج إلى نصير لهذا المنتج» 57. وهذا الاتصال بين القارئ والمنتج شرط ثقافي لتأسيس العمل الأدبي، ودعم الأول للثاني يتأكد إن هو ظل « يشتري كتبه، أو يحضر محاضرته، أو يتتبع أخباره، ويلاحقه بضروب الإطراء والتشجيع والمناصرة والمنافحة عندما يحاول خصومه أو منافسوه النيل منه أو من نصوصه »58.

ويتبين لنا أن حدود تدعيم القارئ للمنتج ولعمله الأدبي يتمظهر في أشكال متعددة : اقتناء عمله وتتبع أخباره وتشجيعه في الشدة. كما يمكن أن يتجسد دور القارئ في شكل آخر أكثر أهمية، حيث نجده « يؤثر في ناشره بشكل مباشر فيجعله يقدم شروطا أفضل للنشر، ويقدم عوائد أسخى»59. وحسن تلقيه يتمثل في أنه « يدفع الناشر إلى تحسين معاملته مع المنتج وربما تحسين شروط النشر وزيادة فرصه أمامه»60، عن طريق إغراء القارئ للناشر بإصدار طبعات جديدة.

ومن نتائج حسن التلقي أنه « يدفع المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية، والأدبية، القائمة إلى إعادة النظر في كثير من مسلماتها وقيمها ومقاييسها، وأعرافها، وقواعدها»61، فهذا التحفيز من القارئ عبر حسن تلقيه، يخلق للعمل الأدبي فضاءات تستقبله وتعيد النظر في تعاملها الضيق له.

كمـا أنه قد « يغـري مخرجـا أو منتجـا بالتفكيـر في تحويل النـص المنتـج إلى مسلسـل إذاعـي أو تلفزيونـي، أو فيلـم سينمائـي»62 ويمكننـا أن نقـول في هـذا الصـدد، إن دور المتلقـي، شـرط ثقافـي محـض يتجلـى في حشـده لكـل هـذه المحفـزات والظـروف المشجعـة على استجـلاب الدعـم للعمـل الأدبـي ليتسنـم المكـانـة اللائقـة بـه. و بكلمـة واحـدة، « إن هـذا المتلقـي هو طريـق المنتـج إلى محـراب البقـاء »63.

## خلاصـة

نخلـص من كل هـذا إلى أن المؤسسـة الأدبيـة عبـارة عن بنيـة تتمثـل عناصرها في مجموعـة من المؤسسـات الصغـرى، المترابطـة في ما بينهـا، وهي الطباعـة والنشـر والتوزيـع والوسائـط السمعيـة البصريـة، والمكتوبـة من جرائـد ومجـلات، ونقـد جامعـي، وجمعيـات ثقافيـة ومواقـع للانترنيت. ومفهومها هذا – كما تصورناه – لا يتحقق إجـراءا ولا يخلـق للعمـل الأدبـي مسيـرا فـي منظومـة العمليـة الأدبيـة: الأديـب والعمـل الأدبـي والمتلقـي، إلا إذا توافـرت بنيـة تحتيـة تمـر منهـا العمليـة الإبداعيـة بكاملهـا؛ فوسائـط تحشـد مـن التدابيـر والإجـراءات مما يدعـم العمـل الأدبـي ماديـا ومعنويـا؛ وشـروط اقتصاديـة وسياسيـة واجتماعية ثقافيـة تكفـل لـه الاستمـرارية والـدوام.

**المصادر والمراجع**


**بالتـوازي في إنتاج الكتب ونشرها >> (4)،**

**1- Clément Moisan : L'histoire littérature, PUF, Paris 1990, P.26.**

**2-سعيـد يقطيـن : الأدب و المؤسسة نحـو ممارسـة أدبيـة جديـدة ، منشـورات الزمـن ، الربـاط ، 2000، ص :28 .**

**3- Clément Moisan : L'histoire littérature, PUF, Paris 1990, P.55.**

**4- Jacques Leenhardt : << Sociologie de la littérature >>, Association CURSUS ,2000-2001, www ARFE CURSUS .COM, P.2.**

**5- Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7éd, 1986, P.58.**

**6- ك. م. نيوتـن : نظريـة الأدب في القـرن العشريـن ، ت ، عيسـى علـي العاكـوب ، عين للدراسـات و البحـوث الإنسانيـة و الاجتماعيـة ، الهـرم ، مصـر ، 1996 ، ص : 91.**

7- أوكتافيو باث : << مقالة عن الأدب و النشر >>، ت . علي القاسمي ، العلم ، الرباط ، 21نونبر 1998، ص : 12.

8- Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7 éd, 186, P .59.

9-المرجع نفسه ، ص : 82.

10- المرجع نفسه ، ص : 82.

11- Robert Escarpit: Sociologie de la literature, PUF, Paris, 7éd, 1986, P.58.

12 - المرجع نفسه ، ص: 83.

13- المرجع نفسه ، ص: 66.

14-سعيد يقطين: الأدب و المؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة ، منشورات الزمن ، الرباط ، 2000، ص: 96.

15- Robert Escarpit :<< Le literature et le social>> In: L e literature et le social, Paris, 1970 P .36. Flammarion,

16- Clément Moissan : L'histoire littérature, P.U.F, Paris 1990, P.112-113.

17- Clément Moissan : L'histoire littérature, PUF, Paris 1990, P.112-113.

18- سعيد يقطين: الأدب و المؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة ، منشورات الزمن ، الرباط ، 2000، ص: 101.

19-شهير جاد: البرامج التليفزيونية و الإعلام الثقافي: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.م) ، 1987، ص: 183.

20- رولان كايرول: الصحافة المكتوبة و السمعية البصرية، ت... مرشلي محمد، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص: 699.

21- سهير جاد: البرامج التليفزيونية و الإعلام الثقافي: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.م) ، 1987، ص: 132.

22- المرجع نفسه ، ص: 62.

23- المرجع نفسه ، ص: 62.

24- المرجع نفسه ، ص: 63.

25- Augusta Vitter: Histoire compare des literatures froncophones, Fernand Nathan, Paris III, 1980, P .159.

26- Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7éd, 1986, P.17.

27- E.Rothisberger : << La Statistique international des œuvres littéraires >>

In : La littérature et le social, Flammarion, Paris, 1970, P. 280.

28- Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7éd, 1986, P 20.

29-فـاروق خورشيـد : بين الأدب و الصحافـة ، منشـورات اقرأ ، بيـروت ، ط4 ، 1980، ص : 106.

30- المرجـع نفسـه ، ص: 107.

31-فـاروق خورشيـد : بين الأدب و الصحافـة ، منشـورات اقرأ ، بيـروت ، ط4 ، 1980 ، ص : 47.

32-المرجـع نفسـه ، ص : 47.

33- Corpet Olivier : << Revues littéraires >>, Association CURSUS 2000-2001, www .ARFE CURSUS. COM, P.4.

34- المرجـع نفسـه ، ص : 4.

35-فـاروق خورشيـد : بين الأدب و الصحافـة ، منشـورات اقرأ ، بيـروت ، ط4 ، 1980 ، ص : 40.

36- أحمـد فرحـات : أصـوات ثقافيـة من المغرب العربـي، الدار العالميـة للطباعـة و النشـر و التوزيـع ، بيـروت ، 1984 ، ص : 11.

37- Corpet Olivier : << Revues littéraires >>, Association CURSUS 2000-2001, www .ARFE CURSUS. COM, P.3.

3- عبد النبـي أصطيـف << النـص الأدبـي و المتلقـي> > ، علامـات في النقـد ، ج 21مجلـد 6، النـادي الأدبـي الثقـافـي ، جـدة ، سبمبتـر1996 ، ص : 56.

40- رشيـد يحيـاوي :<< الكتـاب المستعمـل>> ، قرطـاس ، ع 14 ، دار قرطـاس للنشـر ، الكويـت ، مـارس ،1997 ، ص :10.

41- Clément Moisan : L'histoire littérature, P.U.F, Paris 1990, P.112-113.

48)).

42-رشيـد يحيـاوي : << توزيـع الكتـاب : من الخطـاب التقنـي إلى الخطـاب الثقافـي >>، قرطـاس ، ع 15، دار قرطـاس للنشر ، الكويـت ، أبريـل ، 1997، ص : 26.

43-المرجـع نفسـه ، ص : 26.

44- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

45- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

46- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

47- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

48 – عبد الكبيـر الخطيبـي : في الكتابـة و التجربـة ، ت .محمـد بـرادة ، دار العـودة ، بيـروت ، 1980، ص : 112.

49-أوكتافيو باث : << مقالة عن الأدب و النشر اليوم >> ، ت. علي القاسمي ، العلم ، الرباط ، 21نونبر1998 ، ص :12 .

50- عبده عبود :<<  الأدب المقارن و الاتجاهات النقدية الحديثة>> ، **عالم الفكر** ، ع 1، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، 1999، ص : 281.

51- المرجع نفسه ، ص : 281.

52- عبد الغني أبو العزم : الثقافة و المجتمع المدني ، المتقي برينتر ، المحمدية ، 1996، ص : 70

53-عبد الغني أبو العزم : الثقافة و المجتمع المدني ، المتقي برينتر ، المحمدية ، 1996 ، ص : 29

54-رشيد يحياوي : << الكتاب الإبداعي في عراء التلقي >> ، **قرطاس** ، ع 15، دار قرطاس للنشر ، الكويت ، نوفمبر 1997، ص : 13.

55-عبد الغني أصطيف :<< النص الأدبي و المتقي >> ، **علامات في النقد** ، ج21 ، مجلد 6 ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، سبتمبر 1996 ، ص : 44.

56-المرجع نفسه ، ص : 56.

57- المرجع نفسه ، ص : 49.

58-عبد الغني أصطيف :<< النص الأدبي و المتقي >> ، **علامات في النقد** ، ج21 ، مجلد 6 ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، سبتمبر 1996 ، ص : 49.

59-المرجع نفسه ، ص : 49.

60- المرجع نفسه ، ص : 56.

61- المرجع نفسه ، ص : 57.

62-المرجع نفسه ، ص : 56.

63- المرجع نفسه ، ص : 49.

# دراسة فسيولوجية الأصوات عند إبن سينا من خلال كتابه "أسباب حدوث الحروف"


**د. إسحاق رحماني**



**الملخص:**

لقد تطور علم الأصوات في السنوات الأخيرة تطوراً سريعاً وملحوظاً، وذلك نتيجة التطور الهائل في الأجهزة الإلكترونية والتطور الهائل في مجالات التصوير بالأشعة، وجهود العلماء المخلصين، ومع هذا كله فقد بقى علم الأصوات بكراً، فيه مرتع خصيب، وميدان واسع لكثير من البحوث الجادة. لكن قام علماؤنا الأوائل بتسطير صفحات مشرقة في هذا المجال، دون أن يعتمدوا على أجهزة إلكترونية، بل إعتمدوا أحاسيسهم المرهفة، وسجاياهم الخلاقة.

ومن دراساتهم هي دراسة فسيولوجية الأصوات التي حظيت بمجهود كبير من العلماء نحو كتاب"الكتاب" لسيبويه، وكتاب" سر صناعة الإعراب" لإبن جنّي و"القانون" لابن سينا. ولعل من أهم المراجع في هذا المجال هو كتاب أو رسالة أسباب حدوث الحروف لإبن سينا.

وعلى الرغم من أن إبن سينا قد تحدث عن فِيزياء الصوت وفسيولوجية الكلام والسمع في بعض كتبه كالقانون في الطب، الشفاء وغيرهما، ولكن عرض في رسالته "أسباب حدوث الحروف "، الجوانب الفسيولوجية والفيزيائية للصوت بشكل عام وللأصوات العربية وبعض الأصوات الفارسية بشكل خاص.

هذه المقالة قد وقفت على آراء الفيلسلوف الكبير في اللغة وفي أدق فروعها ألا وهو فسيولوجية الأصوات ولعل المحدثين لم ينتبهوا كثيرا لهذا الكتاب لأن مؤلفه لم يكن من علماء اللغة إذ هو فيلسوف وطبيب معروف.



**الكلمات الدليلية:** اللغوية، الفسيولوجية، الأصوات، ابن سينا، حدوث الحروف


**المقدمه:**

نشأ علم الأصوات عند العرب في القرن الثاني للهجرة ضمن تطور الحضارة في تلك العصر، وصار هذا العلم أساسا لسائر علوم اللغة العربية من نحو وصرف. ومع مرّ العصور، وظّفت معطيات علم الأصوات في علوم اللغة العربية من جانب وفي القراءات القرآنية من جانب آخرحتى ظهر علم التجويد(محمدقدور،7/1998). نحن نرى النشاطات اللغوية لعلماء اللغة

العربية في كل العصور، ولكن أكثر آراءهم في مجال الأصوات تكون على أساس التجربة والأحاسيس دون إستخدام العلوم التجريبية والأجهزة الإلكترونية.

ويعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الأصوات عند العرب، ثم يأتي سيبويه، فهو بسط القول في مجال الأصوات من جهة بيان مخارج الحروف وصفات الحروف في كتابه الشهير"الكتاب ". وفي القرون التالية ظهر إبن جني وإبن يعيش في ساحة اللغة ولكن في مجال الأصوات ماقاموا بجديد فيها. في القرن العاشر الميلادي نرى فيلسوفا وطبيبا كبيرا في عالم العربى الذى بحث عن الأصوات والحروف من جهة الفيزيائية والفسيولوجية، يعنى بادر بتشريح الجهاز النطقي وحدوث الصوت بالشكل العام لأول مرة في ساحة اللغة العربية. فهو عالج بعلم الأصوات خلال مؤلفاته الطبية ككتاب "القانون" ورسالته المسمى بإسم "أسباب حدوث الحروف" خاصة.

هذا الفيلسوف الكبير ضيع حقه في البحوث اللغوية الحديثة، لأن العلماء المحدثين، لم ينتبهوا إلى أعماله القيمة في علم الأصوات، لعدم إشتهاره في اللغة. ونحن لانرى كتابا أو بحثا قيما فى رسالة إبن سينا وخدمته اللغوية الكبيرة، بل توجد إشارات عابرة في بعض الكتب اللغوِية وتقارير مختصرة في كتاب "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس. و ما وجدنا بحثا أو مقالة كتبت بالعربية فى هذا الرحاب، ورأينا مقالتين بالفارسية بإسم «نگرشي بر ديدگاههاى ابن سينا درعلم آواشناسى» لمحمد رضا ستوده نيا و«بوعلي سينا وآواشناسي» لمحمود شكيب أنصاري فحسب.

إن هذه المقالة عالجت بآراء إبن سينا في الجوانب الفسيولوجية والفيزيائية للأصوات خلال تفصيل آرائه وموازنتها بالآراء القديم والجديد من اللغويين، حتى أرتنا الجهود العلمية والعملية اللغوية لهذه الطبيب الكبير التي تكوّنت قسما عظيما من التراث الصوتي العربي.

**نبذة عن حياة إبن سينا:**

أبو علي الحسِين بن عبد الله فيلسوف ورياضي وطبيب فارسي. ولد قرب البخارى عام 980.م و توفي في همدان بفارس عام 1027.م فهو تعلّمت القرآن وعلوم الدين من أبيه و أجادها قبل أن يبلغ العاشرة، ثم بدأ دراسته للطب على يد عيسى يحيى المسيحي وأبي المنصور القمري. فتركهم جميعا وبدأ بأخذ العلم من الكتب والناس في الأسواق. وفي السابعة عشرة من عمره لم يكن منافسا له في الطب(ابن ابي اصيبعه،2/1882).

لما نجح إبن سينا في مداواة منصور بن نوح الساماني قرّبه الأمير وجعله وزيرا لنفسه، فإنتظمت حياته منذ هذا الوقت. ولكن مالبث هذا الإنتظام و وقع

إبن سينا مع حاشية الأمير وجنوده في خلافات، لأنه كان مغرور بنفسه وشديد الإعتزاز بها. فكدرت العلاقات بينه وبين الأمير وأصحابه، فلهذا توجه طبيبنا إلى إصفهان، وفي إصفهان إستقبله الإمير علاء الدين بالترحاب و الإكرام. فأستطاع إبن سينا أن يتفرّغ لشيء من التأليف والعمل بالفلک(نفسه/4).

كان لإبن سينا عقل قوي و ذاكرة ممتازة وبراعة خاصة في التوصّل إلى جذور المسائل. فله مؤلفات في الفلسفة والطب والطبيعيات، فهو في كتبه متأثر بالثقافة الإغريقية و اليونانية و الفارسية. من أهم كتبه هو كتاب "قانون في الطب" الذي كان يدرس السنين المتوالية في الجامعات الغربية. هذا الكتاب يشتمل على فصل في تشريح الحنجرة واللسان، فهذا علم الطب وبراعته في تشريح الجهاز النطقي وثقافته الوسيعة ساعد إبن سينا في كتابة رسالته المسمى بإسم "أسباب حدوث الحروف" وهذه الرسالة هي موضوع بحث هذا المقال لتعريف هذه الرسالة وبيان الوجوه البديعة في هذه الرسالة.

**رسالة أسباب حدوث الحروف:**

كتب إبن سينا هذه الرسالة بإلتماس أبو منصور الجبان وبإسمها(ابن سينا، 4/1348). هذه الرسالة تشتمل على ستة فصول، فهي: الفصل الأول: في حدوث الصوت، الفصل الثاني: في سبب حدوث الحروف، الفصل الثالث: في تشريح الحنجرة واللسان، الفصل الرابع: في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب، الفصل الخامس: في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب والفصل السادس: في إن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية. كما أسلفنا أسلوب إبن سينا في هذه الرسالة ممزوجة من الأسلوب الإغريقي و الهندي، فنحن نأتي بآراء إبن سينا في مجال الصوتيات وبعد نوازنه بآراء الأقدمين والمحدثين في هذا المجال، ثم نذكر النتيجة الأخيرة من هذه الموازنات ونأتي ببديع عمل شيخنا الكبير.

**إبن سينا وآرائه الصوتية:**

في الإبتداء يقول إبن سينا: "إن السببب القريب لحدوث الصوت التموج للهواء دفعة بسرعة وبقوة. والسبب الأكثري لهذا التموج هوالقرع، ولكنه ليس سببا كليا للصوت، لأن الصوت قد يحدث عن القلع وهو مقابل القرع"(نفسه/5). "أما في القرع فلإضطرار القارع الهواء إلى أن ينضغط و ينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف و شدة وسرعة، أما في القلع فلإضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منهما دفعة بعنف وشدّة"(نفسه/6). فهو بدأ القول بالبحث عن السبب

الكلي للصوت ودخل فيه بتفصيل هذه العملية. ولكنه ليس مطمئنا بهذا القول ويقول: كما أظن علة حدوث الصوت هي التموج وعلة التموج هي القرع والقلع(نفسه).

من المسائل التي يشير إليها إبن سينا في كتابه الآخر "الشفاء" هو: إن الصوت ليس الحالة التي حدثت في الأذن فحسب، بل يكون للصوت وجود خارج من الأذن، ومن أهم الأدلة التي تؤيد هذا النظر، هي، إن السامع يستطيع أن يدرک الجانب التي حدث الصوت منه والجانب الذي ينتهي حدوث الصوت فيها. فإن يحدث الصوت في الأذن فحسب لا يستطيع السامع أن يميز بين هذين الجانبين(ابن سينا، 261/1406).

في الفصل الثاني يأتي شيخ الرئيس بآرائه في أسباب حدوث الحروف، فيعدّ للحروف الصفتين:الحدة والثقل، ثم يأتي بتعريف الحرف. ويقول إن إتصال أجزاء المتموج وتملسها وتشظيها وتشذبها يفعل الحدّة والثقل. وحال المتموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف. والحرف هيئة عارضة للصوت يتميز الصوت بها عن الصوت الآخر مثله في الحدّة والثقل تميزا في المسموع(نفسه/7). ثم يقسم الشيخ الحروف على قسمين: الحروف المفردة والحروف المركبة، فالحروف المفردة تحدث عن حبسات تامة للصوت أوالهوء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة، فالحروف المفردة هى:«الباء، التاء، الجيم، الدال، الطاء، القاف، الكاف، اللام، الميم والضاد والنون أيضاً من وجه».والحروف المركبة تكون بقية الحروف التي نراها في اللغة العربية(نفسه/8).

يعرض الشيخ في الفصل الثالث تشريح الجهاز النطقي، فهو يتحدث عنه خلال تشريح اللسان والحنجرة. فبدأ الكلام بالحنجرة. إن الحنجرة مركبة من ثلاثة غضاريف: غضروف الدرقي أوالترسي، غضروف عديم الإسم الذي خلف الدرقي ومتصل به بالرباطات يمنةً ويسرةً، والغضروف المسمى بالمكبى أوالطرجهاري(نفسه/11). ثم يدخل في تشريح هذه الغضاريف و دورها في حدوث الصوت و العضلات التي إنقباضها و إنبساطها لها دور الأساسي في حدة وثقل الصوت. وفي نهاية تشريح الحنجرة يقول الشيخ: إن هذه العضلات وهيئتها تختلف في الناس(نفسه/14_12). ثم ينتقل الشيخ الى تشريح اللسان و عضلاتها يصف الشيخ في هذا المجال حالات اللسان عند التكلم، ولكن الشيخ لم يطوّل القول في وصفه كما كان يتحدث عن الحنجرة. وفي هذه الفصول الثلاثُة يركز على الجانب الفيزيايي للصوت وينظر إلى القضايا الصوتية كلغويٍ ثم طبيب بارع .

فهو في هذا الفصل يتمتع بعلمه الطبي وهذا البحث قد إكتمل بالمباحث التي طرحها الشيخ في كتاب القانون. إن وصف الشيخ للجهاز النطقي مطبّق على

حصيلة علم التشريح الحديث، إلا أنّ الشيخ لم يشر إلى الأوتار الصوتية ودورها الهام في حدوث الصوت.
الآن ننتقل إلى الفصل الرابع الذي خصّصه الشيخ لمخارج الحروف و طريقة حدوث هذه الحروف. فهو يذكر مخارج الحروف و عملية حدوثها من أبعد المخرج و هو الحلق حتى يصل إلى أقرب المخرج و هو الشفة. فهو في هذا الفصل يركز على الجانب الفيزيايي ولكن يشير إلى الجوانب الفيسيولوجية للصوت أيضاً، كذكر صفة الصفير للزاى وذكر صفة التكرير والإطباق والغنة للأصوات الأخرى(ستوده نيا،1383). إن الشيخ في هذا الفصل لايستطيع أن يكون متبايناً عن ثقافته الطبية، فيستخدم بعض المصطلحات الطبية لتعيين مخارج الحروف، فيقول: «والعين في الموضع الذي يناله هواء للتهوع...والغين تحدث في موضع التغرغر»(السابق/29)، فمصطلحا التهوع والتغرغر يكونا مصطلحين طبيين ولا لغويين(شكيب انصاري،1383).
يعرض إبن سينا في الفصل الخامس بالحروف الشبيهة بالحروف العربية و لكنها ليس في اللغة العربية الفصيحة، بل تكون في اللهجات القديمة أو في اللغات التركية و الفارسية، و ليس لبعض هذه الحروف المذكورة منشأ دقيق في بعض الأحيان.
مما يميز به إبن سينا هو الفصل السادس للرسالة فهو في هذا الفصل دخل في إحدى فروع جديدة للغة وهو فرع إنتاج الصوت. إن الشيخ يسعى أن يستنسخ بعض الأصوات النطقية عن طريق غير النطقية، خلال إستخدام الظواهر الطبيعية أو بعض الآليات. فهو في هذا الفصل بدأ الكلام بالحروف التي مخرجها أبعد من سائر الحروف و هو العين فذكر حدوثه عن الطريقة الإصطناعية. إن الشيء الذي أعجب النفس به ويعترف النفس بذكاوة الشيخ و تدقيقه في بحثه بعد فهم هذا، هوإقتراح الشيخ لإنتاج الصوت و الصلة القوية بين هذا الإنتاج غِير النطقية و الصفة النطقية لهذا الصوت(ستوده نيا،1383)، فيقول الشيخ نموذجاً: « إن الفاء تحدث عن حفيف الأشجار»(ابن سينا، 29/1348). فحفيف نوعٌ من هبوب الرياح بالضغط، فصوت الفاء تحدث إثر الحبس التام والضغط القوي و الإحتكاك، فهذه الصلة بين حالة هبوب الرياح و صفة هذا الصوت علامة تدقيق الشيخ وإختباره العلمى للوصول إلى هذا لإستنساخ(السابق). ثمّ الشيخ ذكر آليّة إنتاج الأصوات الأخرى عن الطريق الإصطناعي، وذكر طريقين لإنتاج صوت إحياناً، فيقول نموذجاً في صوت اللام يحدث « عن صفق اليد على رطوبة، أو وقوع شيء فيها دفعة حتى يضطر الهواء إلى أن ينضغط معه ثم ينصرف». فهو رائد علم إنتاج الأصوات الإصطناعية دون أن يستخدم أى

الأجهزة الإلكترونية التي يستخدمها علماء هذا الفرع في العصر الحديث(شكيب انصاري، 1383).

**الموازنة بين آراء القدماء وإبن سينا:**

إن شيخ الرئيس بدأ الكلام بحدوث الصوت عامةً، إن القدماء لم يبحثوا عن حدوث الصوت والحروف بشكل العام كما عالج به إبن سينا، بل هم عالجوا بمخارج ومحابس للحروف وصفات الحروف.فلهذا إبن سينا هو أول عالم بحث عن كلية الصوت، الصوت الإنساني أو الصوت الطبيعي والحيواني. ثم يدخل في طريقة حدوث الحروف. إن الشيخ يبِين لنا عملية حدوث الصوت خطوة بعد خطوة وخلال هذا يأتي بتعريف الحرف و هو في هذا الفصل كعالم طبيعي يشرح فيزياء الصوت، خلافاً للقدماء كسيبويه وإبن جني الذين بدأوا كلامهم بمخارج الحروف، يعني دخلوا في الفرع دون أن يأتوا بالكل. ونحن نرى هذا تقسيم إلى الصوت والحرف عند السيوطي أيضاً، فيقول: «الكلام:إما هو حرف أو صوت...» ثم يشيرإلى الجهاز النطقي التي يبدأ من أقصى الرئة إلى منتهى الفم(سيوطي، 36/1992).

إن إبن سينا يتمتع بعلمه الطبي في هذه الرسالة كثيراً، وفي تشريح الجهاز النطقي خاصةً. يقول الدكتور خانلري:إن العلماء العرب الأقدمين ما تحدثوا عن الجهاز النطقي، فإبن سينا هو رائد في هذا المجال (ابن سينا، 101/1348). أما الحقيقة يكون هكذا: إن العلماء الأقدمين تحدثوا عن الجهاز النطقي، و ذكروا أعضاء هذا الجهاز، لكنهم ما طوّلوا الكلام فيها، بل أشاروا إليه خلال معالجتهم لمخارج الحروف. وممايجدر بالذكر في هذا المقام هو: إن تشريح الشيخ الجهاز النطقي في قسمين يدل على تنبّه الشيخ للدور الأساسي لهذين العضوين، والقدماء لم يأتوا بهذا التقسيم فهم يركّزون على اللسان والحلق دون الإشارة إلى الحنجرة. فلسان عندهم أهم أداة لحدوث الصوت خلافاً لإبن سينا الذي يعتقد إن الحنجرة أهم عضوٍ في حدوث الصوت ثم اللسان(درار،2007/ 157).

إن الوجه البديع لعمل إبن سينا هو ذكر الحنجرة وتبيين دورها في حدوث الصوت. فالقدماء كالخليل و سيبويه وإبن جنى و تابعيهم لم يتنبهوا للحنجرة و دورها النطقي، و لكن الشيخ خلال ذكر الحنجرة، و وصف أجزاءها وصفاً مسهباً، جعلها مخرجاً لحرف الهاء و الهمزة. يعني الأصوات التي نسبوها الخليل و سيبويه إلى الحلق، نسبها إبن سينا إلى الحنجرة. فإن هذه الغفلة عن الحنجرة عند القدماء يكون ناشئاً عن عدم معرفتهم الطبية وعلم التشريح

وعدم ترجمة التراث الأجنبية الطبية التي نراها في عصر إبن سيناإيضاً(محمدقدور،51/1998).

بعض القدماء كإبن جني يعرّف لنا الحنجرة غير مباشرة عندما يتحدث عن الأصوات المختلفة وصفاتها و إختلاف مخارجها، فهو يستمد في تفهيم كلامه من آلة الغنى المسمى بآلة "الأرغن" التي مركبة عن ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس يضم بعضها إلى بعض، ورأس الزّق الأوسط زقّ كبير، ثم يركب على هذا أنانيب. إن هذه الآلة و أجزاءها قريب من شكل الحنجرة و غضاريفها الثلاثة(درار،143/2007). فيقول إبن جني: هذا الأرغن«يسمعک صوتاً عجيباً يبكي بكاءاً شديداً،ويسمعک صوتاً مرقداً ينيم صاحبه على المكان، ويسمعک صوتاً يسحر ويذهب به العقل»(إبن جني، سر صناعة الاعراب /4). فهذه آلالة معروف في عصر إبن جني وتكون آلة الغناء عند الروم و اليونان في الحقيقة. فنستنتج من هذا الكلام، أنهم دركوا موضع حدوث الأصوات الحنجرية و لكن لم يعرف الحنجرة و تركيبه بصورة دقيقة.

أما اللسان هو الجزء الآخر التي عالج به إبن سينا ويعد لها ثماني عضلات. فالشيخ يركز على حالات اللسان عند التكلم و دور هذه العضلات في تحرک اللسان يعني يتوجه إلى الجانب الفيزيايي للصوت، و لم يدخل أثناء تشريح اللسان في بحث مخارج الحروف و صفاتها التي ترتبط باللسان، و لكن العلماء الأقدمين خلال بحث صفات الحروف ذكروا أعضاء اللسان يعنى إنهم عالجوا بفسيولوجية الصوت أكثر من فيزياء الصوت. فسيبويه يقسم اللسان على تسعة أقسام وذكر لكل منهم إسماً(درار،157/2007). خلاف إبن سينا الذي ذكر دور عضلات مختلفة في اللسان دون أن يذكر لهم إسماً. وسبب هذا هو إن الشيخ طبيب و لا لغويٍ يكون همه اللغة وقضاياه.

إن إبن سينا لايتبع أسلوب سيبويه أوالخليل في ترتيب مخارج الحروف خلاف سائر اللغويين الذين إتّبعوا طريقة سيبويه، كإبن جني وإبن يعيش. فترتيب مخارج الحروف لإبن سينا يكون هكذا: " ء، ه، ع، ح، غ، خ، ک، ق، ض، ج، ش، ى، ل، ر،ط، ت، د، ث، ظ، ذ، ل، ر، ف، ، ب، م، ن، و، ي، ا"

فإبن سينا يأتي بالألف آخر المخارج، لأنه يعتقد إن هذه من المصوتات وحدثت إثر مر الهواء عن مجرى الحلق، فليس بإمكاننا أن نجعلها بعد الهمزه التي تكون مخرجها الحنجرة(آقا گلزاده، 1383).

لم يغفل إبن سينا في وصفه للإصوات العربية عن الحركات أو الصوائت الستة (-َ، -ِ، -ُ وآ، و، ي) ولو وصفه لهذه الحروف أقلّ دقةً من وصف

الصوامت. هو يعترف نفسه بعدم الدرک الدقیق لمخارج هذه الحروف(ابن سینا، 22/1348).

فهو يشير إلى المدة الزمنية التي يستغرقها نطق الحركات و لم يدخل في تعيين مخرج هذه الصوائت(باكلا، 1381). ولكن القدماء كسيبويه يعيّنون مخارجها، فيقول: "إن مخرج الياء هو وسط اللسان، مخرج الواو هو ما بطن الشفتين ومخرج الألف هو أقصى الحلق"(سيبويه، الكتاب/434). ولكن الخليل جعل مخرج الصوائت الطويلة والهمزة موضعاً يسميها الهاوي(الفراهيدى، العين/10).

إن بحث الشيخ في الحروف ليس بحثاً جديداً في اللغة العربية، بل نراه عند سيبويه و إبن جنّي أيضاً. فالشيخ يذكر تسعة من هذه الحروف ـ كالباء المشددة التي تقع في لغة الفرس «پ» و الفاء التي كالباء في لغة الفرس كالفاء في لفظة «فزوني» ـ ثم يذكر وجوه الإختلاف بين مخارج هذه الحروف و طريقة حدوثها و ذكر شباهة هذه الحروف بالحروف التي تكون مشبهة بها في اللغة العربية الفصيحة(الرسالة/92-86 ).

إن القدماء كسيبويه و إبن جني يقسم هذه الحروف على قسمين: الحروف المستحسنة و الحروف غير المستحسنة، فالحروف المستحسنة عند هما تكون هكذا: النون الخفيفة، الهمزة التي بين بين الألف التي تمال إمالة شديدة، الشين التي كالجيم... وحروف غيرالمستحسنة: نون الخفيفة، الهمزة المخفّفة، والألف الإمالة... وإختلافهما يكون: في أن إبن جنّي يعدّ الصاد التي كالزاى من الحروف غير المستحسنة وإختلاف آخر في تسمية بعض الحروف، فيسمّي إبن جنّي همزة بين بين بالهمزة المفخمّة والنون الخفيفة بالنون الخفيّة(إبن جنى،سر صناعة الإعراب/121وسيبويه، الكتاب/432 ).

نحن نرى بأن الشيخ لم يأتِ بهذا التقسيم الدقيق، بل يذكر هذه الحروف دون ترتيب خاص. و في الموارد التي لم يذكر الشيخ المخرج الدقيق لهذه الحروف بإمكاننا أن نقول هو متأثرة بالنظام اللغوي الإغريقي. إن إبن سينا في هذا الفصل يأتي بمقارنات بين الحروف العربية و الحروف الفارسية أو التركية. فهو في هذا الفصل يسعى أن يبين وجوه الشباهة الصوتية بين العربية والفارسية متأثراً بثقافته الفارسية أيضاً(ستوده نيا،1383). فدراسته في هذا الفصل دراسة غنيّة في مجال الدرس الصوتي المقارن(محمود ياسين/2002).

**إبن سينا وعلم اللغة الحديث:**

إن الشيخ يتكلم حول الجانبين من علم الأصوات: علم الاأصوات النطقي(الفيسيولوجى) و علم الاأصوات الفيزيائي(الإكوستيكي) و عمله و أسلوبه قريب من حصيلة عمل اللغويون الحديث لكنه ما دخل في علم الأصوات السمعي و يشير إلى دور الأذن أو الصماخ أثناء كلامه أحياناً فقط.

هو يذكر سبب حدوث الصوت و بعد يدخل في سبب حدوث الحروف. فغرضه من الصوت هو كل الأصوات في الطبيعة و غرضه من الحروف هو الأصوات الإنسانية(محمود ياسين/2002). فهذا الترتيب مطبق على ترتيب عمل المحدثين، فهم يأتون بتعريف الصوت و سبب حدوثه، ثم يتكلمون حول حدوث الحروف و مخارجها وصفاتها(ستوده نيا، 1383).

فعالمنا يعتقد بأن الصوت يحدث إثر التموج الهواء التي توجد بسبب القرع و القلع (ابن سينا، 5/1348). هذا الدليل لسبب حدوث الصوت قريب من آراء علماء اللغة الحديث فهم يقولون: إن الصوت يحدث إثر الذبذبات الصادرة التي تكون في الغالب من الحنجرة أو الوترين الصوتيين لدى الإنسان. فعند إندفاع النفس من الرئتين يمرّ بالحنجرة فيسبب تلك الإهتزازات التي تكون من مصدر الصوت، فخلا له الهواء الخارجي تنتقل الإهتزازات في شكل موجاتٍ حتى تصل إلى الأذن(صالح الضامن، 163/2007). الحقيقة التي يشير إليه إبن سينا في كتابه الشفاء و يقول: إن الصوت الظاهرة خارجية وداخلية وليس في الإذن فحسب هى منشأ بحوث العلماء الحديث وأدّى إلى إنتاج بعض الآلات الإلكترونية.

الآن ندخل في ذكر بعض وجوه الشباهة بين عمل الشيخ و عمل علماء في العصر الحديث فغرض الشيخ من الحروف الحادة و الثقيلة هو ما نبحث عنها اليوم في درجة الصوت وتعداد الذبذبات الصوتية في الأصوات الحادة والعميقة. فيقول غير مباشر: إن أجزاء المتموج في الأصوات الحادة مقترب إلى الأخرى، و في الأصوات الثقيلة مبعدة عن الأخرى، يعنى الشيخ في هذا المكان دخل في بحث عن سعة الموج الصوتي(أنيس،1374). فهو يعتقد بأن إختلاف الحروف يكون في هيئة الحروف(رساله/7)، وهذه الهيئة في الحقيقة هي الأمواج الصوتية الفرعية التي إختلط بالأمواج الأصلية، ويسميها المعاصرون بالأمواج المتناسبة(اقا گلزاده، 1383). عندما يتكلم الشيخ عن الحروف المفردة والمركبة، يتكلم عن الحروف الإنفجارية و الإحتكاكية في الحقيقة و يختلف تسميتها عنده فقط(مهند،1383).

إن إبن سينا يشير في كتابه «القانون» إلى: أن صوت الرجال من الأصوات الثقيلة و صوت النساء من الأصوات الحادة(ابن سينا، 418/1366 ). إن ننظر في كلام المحدثين نرى هذا الكلام بصورة أخرى، برأيهم إن درجة

صوت المرء يتناسب مع سنه و جنسه و عدد الإهتزازات في الثانية. إن الأطفال و النساء أحد أصواتاً من الرجال، لأن الوترين الصوتيين فيهما أقلّ ضخامةً و أقصر منهم، و هذا يؤدّي إلى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتها في الثانية، فيصير صوت النساء و الأطفال أحدّاً من صوت الرجال(صالح الضامن، 164/2007).

إن الشيخ في الفصليين الأول و الثاني لم يغفل عن فسيولوجية الصوت بل يشير إلى الحبس الأشد و ألين و حدة و ثقل الصوت، و لكنه لم يتناول به كثيراً كما يتناول بالجوانب الفيزيائية للصوت، لأنه طبيبٌ والأطباء يشتغلون بالفيزياء والتشريح ولا الفسيولوجيا(باكلا، 1380).

إن تشريح الشيخ للحنجرة واللسان دقيق جداً. فهو يذكر ثلاثة غضاريف للحنجرة ويتناول الناحية الوظيفية لهذه المكونات الحنجرية و دورها في حدوث الصوت. فهذا العمل كعمل علماء التشريح اليوم، لكن الشيخ لم يشرإلى الوترين الصوتيين ودورهما الهام في حدوث الصوت(شكيب انصارى، 1383). و من وجوه الإختلاف بينه و بينهم هى: إن مايسميها الشيخ عديم الإسم هو ما يسمونها اليوم لسان المزمار، و الذي يسميها الشيخ لسان المزمار هو مايسمونها فتحة المزمار(انيس،138/1374-137). علينا أن ننتبه إلى تعريف لسان المزمار، فهو لسان صغير شبيه برأس الملعقة و واقعة فوق الحنجرة، وظيفتها حماية الحنجرة و طريق التنفس حتى لايدخل شيئاً فيه أثناء البلع (الراجحي ، /29) فإن عمل هذا اللسان كعمل الذي يذكر الشيخ لعديم الإسم. و في تشريح غضروف الطرجهاري لم يشر إبن سينا إلى شعبتى هذا الغضروف تكونان كالمغرفة و لهما دور هام في حدوث الصوت(نفسه).

إن الشيخ في تشريح اللسان يقول: إن اللسان يتكون من ثماني عضلات، و علماء التشريح الحديث يعدون سبع عشرة عضلة للسان، فإن ننظر ونتأمل، ندرک بأن الشيخ يأتي بالعضلات ثناء و مثنى، ثم يأتي بعضلة وحيدة(اقا گلزاده، 1383).

إن ترتيب المخارج عند إبن سينا يكون خلافاً لعلماء الحديث، لأنهم يرتبون المخارج من أقرب المخارج «الشفة» إلى أقصى المخارج«الحنجرة»، و الشيخ يرتب عكس هذا. و من وجوه الشباهة في تعيين مخارج الحروف بينه و بينهم هو في تعيين مخرج الهمزة والهاء، فهو يجعل مخرجهما الحنجرة، و المحدثين يجعلون مخرجهما الحنجرة و لكنهم يركزون على دور الوترين الصوتيين في حدوثهما. فيقولون أن هذا المخرج يتحقق عندما تتوقف حركة الوترين الصوتيين و يتقلص الغشاء الداخلي، فهو مخرج الهمزة و الهاء(لوشن، 114/2008)، و الشيخ لا يشير إلى دور الأوتار الصوتي.

نحن نرى بديع عمل إبن سينا في الفصل الأخير من رسالته، هو يأتي بمعلومات التي تكون أسس العلم الذي ليس بعض جوانبه معروفة حتى الآن، نعم هورائد علم إنتاج الأصوات الإصطناعية. إن الشيخ في هذا الفصل يقرب إلى علم الأصوات السمعي و جوانبه الفسيولوجية أكثر فأكثر(باكلا، 1383). فهو يستخدم مظاهر الطبيعة وحالاتها و بعض الآليات، حتى يستنسخ بعض الأصوات و الحروف. إن حاصل عمل الشيخ في هذا المجال، يطابق على عمل علماء التجويد واللغويين الحديث. فيقول نموذجاً: إن صوت اللام يحدث عن صفق اليد على رطوبة أو وقوع شيءٍ فيها دفعةً، حتى يضطر الهواء إلى أن ينضغط معه ثم يتصرف وتتبعه رطوبةً(ابن سينا، 29/1348). فهو بهذا الإستنساخ يشير إلى صفة التي يعدها علماء التجويد للام، و هي صفة بين الرخوة و الشدة. يعني لايصل إلى إحتكاك الواو أو الفاء و لا إنسداد الهمزة. و في حدوث صوت السين يشير غير مباشر إلى صفة الصفير له، فعندما يمر الهواء عن أسنان المشط يحدث هذا الإحتكاك و الصفير بوضوح(ستوده نيا، 1383). فهذه النقاط يبين لنا، إن عمل الشيخ في مجال إنتاج الصوت يكون عملاً تجريبياً وعلمياً دقيقاً دون إستخدام الآليات، واليوم اللغويون المعاصرون يتباحثون حول هذا إنتاج الصوت الإصطناعي بالكمبيوتر والبرامج الخاصة لها.
ولكن علينا أن نشير إلى قول الدكتور إبراهيم أنيس في هذا المجال فيقول : إن هذا إقتراحات الشيخ قريب بآراء الحديثة. و لكن بعد إختبار بعض الطلاب في إقتراحات الشيخ في الأصوات الإصطناعية، نحن نرى بعض الإختلافات في إستنباطهم و إستنباط الشيخ. إن هذا الإختلاف يرجع إلى عاملين، الأول: كل شخص في حياته اليومية يدرب الأصوات و يأنس بالأصوات النطقية و غيرالنطقية في بيئته. لكن تجربة الشخص في هذا المكان و ذاك المكان مختلفة. و العامل الثاني: إن تفسير المخ من أثر السمعية لكل الأمواج الصوتية بين أفراد الناس مختلفة، فلهذا من الواضح أن نرى الإختلاف بين إستنباط الشيخ وإستنباطنا من بعض الظواهرالصوتية الإصطناعية. فلهذا لايمكننا أن نطبق هذا الإنتاج الإصطناعي للأصوات على كل اللغات و حتى على اللغة العربية في كل البلاد(انيس، 142-143/1374).

**النتيجة:**

فهذا شيخ الرئيس إبن سينا عالمنا و طبيبنا الذي إمتزج بين علمه اللغوی و الطبي و خلق أثراً بديعاً و خالداً في علم الأصوات. فهو في منهجه أقرب إلى علماء الحديث و لكنه هو في أسلوبه لا يتبع عالماً لغوياً حديثاً أوقديماً لأنه طبيب وينظر إلى الصوت كموجود له أجزاء مختلفة. فهو كعالم طبيعي دقيق يبدأ من الجزء ثم يدخل في الكل. فهو أول عالم عربي بدأ القول بالبحث عن الصوت بالشكل العام يعني ينظر إلى الطبيعة الإنسانية و غير الإنسانية و يدرک حقيقة الصوت فيها و يشرح طريقة حدوثه ثم يدخل في الحروف و هی الأصوات الإنسانية. فهو تطور تطوراً عميقاً في علم التشريح فهو يعرف للعلماء الحنجرة و دوره الهام في حدوث الصوت و لكنه لايشير إلى دور الأوتار الصوتية في حدوث الصوت.

إن الشيخ في ترتيب مخارج الحروف يأتي برأی جديد، والعلماء من قبله كانوا يتبعون منهج سيبويه ولكن الشيخ بعد تدقيق و تفكير عميق انحرف عن هذا المنهج و منهجه يطابق على علم اللغة الحديث. إن إبن سينا يتناول الجانب الفيزيائي للصوت أكثر من الجانب الفسيولوجي، و هذا من الواضح ، لأنه كان عالماً طبيعياً و طبيباً و كان يشتغل بالفيزياء و التشريح.

إننا نرى أروع وأبدع عمل شيخ الرئيس في الفصلين الآخرين اللذين يدخل فيهما إلى الفرعين الجديدين من علم اللغة و هما: فرع الدرس الصوتي المقارن و فرع علم إنتاج الصوت الإصطناعي الذي يكون موضع البحث والمناقشة عند المعاصرين و يعبرون عنه بعلم الاصوات العاطفي أحياناً. فهو يبدع و يخترع دون أن يحصل على الحاسوب و الآلات الصوتية الجديدة و دون أن يقف عمره في سبيل الصوت، فهو أهل العلم و الدقة و الجهد الكبير فعندما يدخل في طريق يأتي ببديع وجديد.

## المصادر والمراجع:


- ابن ابي اصيبعه؛ (1882) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهبية.
- ابن سينا؛ (1348) رساله أسباب حدوث الحروف، ترجمه:پرويز ناتل خانلري، تهران: انتشارات بنياد فرهنگي ايران.
- إبن سينا؛ (1366) قانون درطب: كتاب سوم، ترجمه: عبد الرحمن شرفكندى، تهران: اتشارات سروش.
- إبن سينا؛(1406) الشفاء: الطبيعيات، تحقيق: ابراهيم مدكور، قم: منشورات مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي.
- إبن جنى، ابوالفتح عثمان؛ سر صناعة الإعراب، مصر:دار الكتب المصرية.
- آقاگلزاده، فردوس؛ (1383) «يافته هاى زبانشناختي ابن سينا وزبان شناسي معاصر»، مجموعه مقالات همايش بين المللى ابن سينا. www.buali.ir
- انيس، ابراهيم(1374) آواشناسي زبان عربى، ترجمه: ابو الفضل علامى وصفر سفيدرو، تهران: انتشارات اسوه
- باكلا، محمد حسن؛ (1380) «إسهام العرب في الدراسات الصوتية»، آفاق الحضارة الإسلامية، السنة السادسة، الرقم: الحادي عشر.
- درار،مكي؛ (2007) الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه :خلفيات وامتداد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الراجحي، شرف الدين على؛ (د.ت) في علم اللغة عند العرب ورأى علم اللغة الحديث، اسكندريه: درالمعرفة الجامعيه.
- ستوده نيا، محمدرضا؛(1383) «نگرشي برديدگاههاى ابن سينا در علم آواشناسى»، مجموعة المقالات في المؤتمر ابن سينا، همدان،www.buali.ir
- سيبويه؛(د.ت) الكتاب،تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دارالجيل.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين؛ (1986) المزهر في علوم اللغة وانواعها، بيروت: مكتبة النهضة العربية.
- شكيب انصاري، محمود؛ (1383) «بوعلي سيناوآواشناسى»، مجموعة المقالات في المؤتمر ابن سينا، همدان،www.buali.ir
- صالح الضامن، حاتم؛ (2007) فقه اللغة، قاهره: دارالآفاق العربية.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد؛( 1999 م) العين، لبنان، دار ومكتبة الهلال.
- لوشن، نور الهدى؛ (2008) مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، قاهره: المكتب الجامعي الحديث.
- محمدقدور، احمد؛ (1998) اصالةعلم الاصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دمشق: دارالفكر المعاصر .
- محمود حسن ياسين، عاليه؛ (2003) الدرس الصوتي في التراث البلاغي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، جامعة النجاح الوطنية: كلية الدراسات العليا.
- مهند، محمد راسخ؛ (1383) «نگرشهاى زباني ابن سينا»، مجموعة المقالات في المؤتمر ابن سينا، همدان،www.buali.ir

## INVESTIGATING OF THE PHYSIOLOGICED AND PHYSICED LINGUSTIC OF THE PHONEMES BY THE IBN SINA

Science of the phonemes has improved dranaficly and quickly as result of huge changes and developmentsof electroniced devices, scan imaging, computer scienc and also attempts of sincere scientists

Nonthelees, science of phonemes and phonetics have remained origined and undisturbed and also thereare extersive fields for useful discussions in the context.

Primary scientesiet have submitted shing and honorable pages in related subjects, however, they had not been reliant to any electronical devices(linstrunents).In nfact, they were relied on their particular feedings and innate innovation.

Among this researches, investigatin phonemes physiology has attended by many consulfors including Sibevayh in the book of "Alketab", Ibn jeni in book of" Sere senat alerab" and Ibn sina in the book of "Ghanoon". The book of "Asbab alhodoos alhoroof" Ibn sina may be the most important resources in the mentioned fields.

As Ibn sina in so books like" Ghanoon", the book of"Shafa" and other his works has talked based on physiced aspects of phoneme and physiologiced of speech hearing, but all physiological and physical sides of phonemes demonstrated either general forms for Arabian phonemes or special forms for some Persian phonemes.

This research is considered at study the opinions of this great philosopher in linguistic fields and in the physiology of phoneme, one of the most precise branches.

While contemprory scientists may not have attended to this book because the author is not only one of the linguistic scientists but also is the formost philosopher and physician.

**Key wrds**: Investigating, Lingustic, Physiologiced, Phisced, Ibn Sina

## بين القيم الواقعية والجمالية في أعمال جاسم المطير السردية

الدكتور تيسير عبدالجبار الآلوسي

الأدبُ , الفن ، الجمالُ عوالم تعبيرية، الولوج فيها يقتضي وسائلَ مناسبة للحصول على ثمارها .. فالاشتغالُ على اللسانِ يفترضُ ضرورةَ العودةِ إلى البذرةِ الأولى التي يتحددُ انطلاقاَ منها , المعنى وذاته معاَ .. حيث يقدّم كلّ نشاطِ أدبي نفسَه في شكلِ مافوظاتٍ منتهية من الناحية الإنشائية البنائية .. تكون هذه الملفوظات هي المستهدفة في أي عمل تحليلي...

وإذا كان لازماَ أنْ نقرأ وظيفةَ للأدبِ فعلينا لتسويغ ذلك أنْ نعودَ أولاَ إلى ما للروايةِ من قيمة سيميولوجيةِ ( علاماتية , دلالية ) مزدوجة فهي من جهةِ ظاهرة لسانية بوصفها حكايةَ أو تعبيراَ جمالياَللتشكّل الأدبي , وهي من جهة أخرى مسار خطابي أي رسالة أو موضوع للتبادل.

و من البُعدَين يمكن الكشف عن مردود نفعي أو وظيفي للأدب يكمن في الكشف عن العلاقة بين الإنسان و عالمه المحيط به في اللجظة الحية , و بذلك فالأدبُ رسالةُ تفاهمِ تنشّط الوعي الجمعي لمتلقيه و تدفع به إلى مزيدِ من التوحّدِ و الاندماج..أسوق هذه المقدمة للقول :- إنّنا بصدد مجموعة من الأعمال الأدبية التي تظل بحاجة للمناقشة و الدرس و استكناه معطياتها الجمالية و الفكرية بالعمق الذي تستحقه في أبعد من هذه لمداخلة التحليلية المجملة.

إنً إيراد هذه الملاحظة يأتي للتأكيدعلى ما حصل مع أدبنا كثيراَ من تقصير النقد الذي ظل مراوحاَ في الغالب بين جدران الدراسات الأكاديمية والأعمال الصحفية المستعجلة.لذلك تحاول هذه القراءة على توسيع دائرة التساؤلات ومحاور القراءة بما يخدم المتلقي غير المتخصص أيضاَ...

و بغاية منح هذه القراءة وضوحها سنعرض لتقديم تعريف بالأعمال قيد المناقشة والمساءلة ومثل هذا التقديم هو من زاوية معينة رؤية نقدية ...

لقد كتب المطير زقاق الأقنان , تأملات سجان , رسائل حب خليجية , المولود في مدن القلق , الَزبْزَب ,و كذلك نهار النرجس ثم الخماسية القصصية : المقتدر بالله البغدادي ونسوانه , أنا عشيقة الوزير , لوفياثان , آه يا كاني ماسي , عراقسيس.

لقد توزعت هذه الأعمال بين الرواية و القصة و القصة القصيرة و للأهمية لابد أنْ أشير هنا إلى أنً بعض مَنْ قرأ في الخماسية نحا باتجاه عدّها رواية من جهة الاشتراك بالشخصية أو بالفكرة أو الموضوع وإذْ لا أنفي السمة الروائية ( مثلما لا أنفي أية سمات أدبية أخرى كالغنائية و الدرامية ) .. لا أجدني متعجلاَ لتجنيس هذه الأعمالالإبداعية في هذا النوع الأدبي أو ذاك.و مناسبة هذه الإشارة اعتقادي بدلالة الشكل الأدبي و تغيرها مع معطيات التغير النوعي للتعبير الأدبي و الفني.

و مثلما تتبدى تلك الأعمال حكائياَ أي في إطار ( الحكاية) جنساَ أدبياَ فإنًها تتبدى عبر جماليات التعبير الرمزي أو الواقعي. و في مستوى التعبير الرمزي نقرأ قصصاَ قصيرةَ مبنيةَ بشكلٍ هندسي مبدع يخضع لمعطيات هذا الجنس الأدبي كما هو حال مجموعة "" الزبزب"" فأغلب عناوين هذه المجموعة تستعير أسماء الحيوان رمزاَ يهيئ للتعامل مع أجواء البنية الفنية المعبرة عن مادتها.

الزبزب حيوان له جذور في الذاكرة الجمعية تشير إلى معالمَ و توصيفاتٍ خرافية في منحى و واقعية في منحى آخر وهو ما يحصل اليوم حيث يفتك بالمدينة :- " مجرم سفاك خطير تعذر على الأهالي رصده وقد سبق لهذا المجرم أنْ ظهر قبل مائة عام وألف عام" (1) والراوي بعد ذلك يمعن في عبارات توحي بما وراء سطورها بالإسطوري تعميقاَ لمعطيات القصة و عالمها. و لكن هذا العالم لا ينفصل عن الواقع المرتجى حين يتحدث الراوي

قائلاًَ:- " لأول مرة في تاريخ بغداد يتفق سكانها على حماية مدينتهم اعتماداًَ على رأي موحَّد..."(2)}و قد يكون في بعض ما يرمي إليه الروائي هو دعوة غير مباشرة لوحدة واجبة اليوم وهو أمر مفهوم الغاية}و القصة التي تتابع هذا الزبزب في جريمته لاتني تسلّط الضوءَ على صفاته, فغير كونه مثيراًَ للهلع و قاتلاَ ًبلا رحمة فهو يكنّ في داخله التوجس من الأموات و الخوف من الأحياء الذين إذا ما اتحدوا هرب منهم..

و الرمزية تظل بادية ليس في استخدام الأسماء بل في بنية الحكاية كما يحصل مع ( الفيالون) التي ينضافإليها متعة الجمع بين المعرفة و الفلسفة والسياسة و الأدب التي تشكل لوحة منمنمة من فسيفساء المعرفة الفاسفة..

فلقد قتل الفيل المُهدى من حاكم الهند لحاكم العراق طفلاًَ وها هو الراوي يقول :- " حدثنا أبو عمرو أنًّ ديكارت وسارتر وماركس وبيتهوفن و روبسبير لم يستبصروا حتى الآن عن تنبؤ تقريبي لما حدث للصبي في بطن الفيل"(3) .. ومن الطبيعي أنْ يقول المتلقي منكم:- إنًّ جميع هؤلاء لا علاقة لهم بالاستبصار وليس بينهم فتًّاح فأل و هذه الدعاية التي تنتهي بها القصة تعتمد في فتح مغاليقها على معرفة المتلقي تلك وفطنَتِهِ...

وفي " المراسيم وراعي الغنم" تصير المراسيمُ التي تكيل بلادَنا لعنةَ ًَ- أدركَ فيها بطلُ القصةِ أن ً مدينة الشط (البصرة) ستخلو من الحياة في ظل هذه المراسيم وفي الصفحة (27) من القصة يرى أنًّ البلد صار في ظل المخزيين سجناَ ًَ يبكي فيه كلّ مواطن .. لذا فهو يدعو درع النخيل أنْ ينهضَ أمام العواصف و أنْ يَنْطقَ الساكتُ و يتحرك للخلاص, طبعاَ ًَ يجري ذلك وراء شفرات النص فمثلاَ ًَ الأغنام أشرف الحيوانات, إنًّها لا تأكل بعضها بعضاَ ًَ, إنًّها لا تؤذي وهذه إشارة أو شفرة وا1ضحة الدلالة...

و باستمرار رصد الرمزية نشير إلى قصة " الكرات الحريرية" وهي لا تنطوي على الرمزية بمعناها المذهبي المعروف ولكنها تفرز ذلك من ثنايا توظيف طقوس أسطورية وأخرى تعود لبنية

الحكاية الخرافية.. فبطل هذه القصة نصف إنسان نصف حوت وهو إذْ يطلب شرطاَ لترك ( البصرة) آمنة يعود فيمنح المدينة أرائك زاهية للحالمين بالحكمة والفلسفة كما تقول الحكاية عندما يحصل على الفتاة\الشرط التي تلد للبلدة شاعراَ, راوية , طبيباَ , عالماَفي اللغة...

إنَّ ما تتصف به هذه المجموعة القصصية يتمثل في الخطوط العامة الآتية:-

الرمزية مع توظيف الطقوس الأسطورية... ومن ذلك نفهم أنَّ الأدب مايزال يعطي في إطار الآثار الفنية القادمة من الماضي البعيد ( الأسطورة , الخرافة , وغيرهما...) و هذا يعني أنَّ تلك الأشكال التعبيرية مازالت توفركفايات إيجابية لما لا يزال من الحاجات الجمالية محتفظاَ بصفات البقاء و العطاء. و هذا يعني( أيضاَ) أنَّنا بصدد قراءة وظائفية الأدب والفن في صلته بحياة الإنسان الروخية. ألا يستمدّ المطير هذا من الحكاية ( كما ألف ليلة.., كليلة و دمنة...).....

ألا يستمدّ من الأسطورة والخرافة....

ألا يوظّفها جميعاَ في قراءة موضوعة معاصرة بمعالجات جديدة ؟.....

إنَّهُ لكذلك.

فمن توظيف الأسطورة نجد وظائف من نمط كسر أو تجاوز الأطر البلاغية - التقليدية و تعميق التضمينات والرموز التي لا تقصد لذاتها بل لإحياء دلالة أو معالجتها , ومن انصهار شكلين جماليين أو جنسين أدبيين يمنحنا نص المطير تحولاَ بميكانزم ( آلية) اللغة العادية إلى شعرية ( بمعناها الواسع) الخطاب الروائي.

و المقصود هنا ظهور ثنائيات تقع على ضفافها تلك الشعرية مثل ثنائية:- واقعي \ أسطوري , حقيقي \ خرافي ,ثم توالد الدلالات عبر شفرة \ دلالة , متحوّلةَ في صيرورة تستغرق العملَ السرديً كلَّهُ. على أنَّني لابد أنْ أذكّر هنا إلى أن هذا التقابل لا يؤخذ على أساس إيقوني حيث الأفعى تقابل الشريرة مثلاَ ...

إنًنا بصدد أعمال سردية تفارق هذا المستوى الأولي للترميز و التشفير.
وبعامة يمكن القول إنًّ من سمات هذه المجموعة القصصية:-
الابتعاد عن الحكاية بنية والاقتراب منها موضوعاًَ....
عصرنة الموضوعة وتحديثها.. بالربط بين ماضي الحكايات و وقائع الحاضر....

و تختفي فيها المباشرة خلف حلول فنية مبدعة لا يمكن إغفالها...
و بغرض التنويع و الاختزال سأمر إلى مجموعة " نهار النرجس" و هي قصص واقعية تخلو من الفجاجة و التبسيط كما يحصل أحيانا مع بعض الأعمال التي تتناول وقائع اليوم العادي للإنسان...
المطير هنا يبحث عن معادل موضوعي يكافئ تلك التجربة الشخصية الثرّة التي تجمعت في حناياه .. لكن " أنا الراوي" عنده لا ينطبق على أية شخصية فعلية ملموسة ( رياضياًَ) و لا حتى شخصيته هو نفسه ( أي المطير )نًّ ما يبدو للوهلة الأولى أنًّه تعبير عن واقع محدد لا يلبث أنْ يتكشف عند التحليل النقدي والفحص الدقيق عن صيغة جمالية مفروضة على هذا الواقع.
إنًّ أي صورة واقعية تتحول لعمل أدبي تخضع لشروطه الجمالية..
فإذا قلت لي إنًّ " صورة فتاة اسمها دليلة" هي وصف منقول من محضر تحقيق في جريمة مقتل خليل الجزائري فإنًّني لن أخالف هذا القول إلاّ بالإشارة إلى النص لغةًَ و صورةًَ فليس من الملفات وصف إيماءات الوجوه و ارتجاف الأنامل وزاوية النظر للموضوع ومعالجته وليس منها تلك النهاية المتعلقة بصورة دليلة وإيحاءاتها بانفتاح على عالم آخر, عالم ما بعد تلك الجريمة ...

و لمتابعة المجموعة و طبيعتها الواقعية سنقرأ قصة " نهار النرجس" التي يخرج فيها الأب بعد خمس سنوات سجن ليكتشف مرارات تجرعتها عائلته من القريب قبل الغريب , ولكن ( صفاء

) ابنته التي كبرت وعركت مصاعب الحياة باكراَ هي ورقة هذه القصةو بؤرتها وعلى لسانها تأتي مجريات القصة التي تكشف مظالم حكمت حياتها و حياة نساء مدينتها فتدخل في محاكمة حتى مع أوضاع أبيها التي استجدت بعد خروجه من السجن ...وقد انفضً عنه حتى أعضاء الحزب الذي ينتمي إليه...

أما ليلة في القطار النازل فبطلها شاب يرافق والده في رحلاته الشهرية إلى البصرة { و لاحظوا معي ظهور البصرة كثيراَ في أعمال المطير } , وعبر الحكاية تتوالد حكاياتٌ متعددةٌ و متنوعةٌ لتتضخم القصة بهذا التوالد الحكائي , ولكن طبيعة تنظيم العلاقات داخل القصة و قوة السبك والبناء المحكم هو ما يقنعنا بالتجوال في أروقة تلك البنية المفتوحة.

إنُ البحث عن ( وثائق) في ثنايا الأعمال الواقعية أمر فيه وَهْمٌ كثير ذلك أنًنا نبحث في علاقة تقوم بين العمل وبين (خطاب) مبثوث يمتلك كلُ فرد يقرأ النص بعضاَ منه ... ولا يستطيع فرد واحد إدعاء امتلاكه لوحده . إنً أمر هذا الخطاب يقع في الوعي الجمعي حيث يتشكل الرأي العام وقيمُه الجمالية والفكرية...

و بالانتقال إلى الخماسية , فإنً قارئها يجدها تمتاحُ موضوعَها من واقع عرفناه نحن الذين نقرأ في هذه السطور , عن كثب عشنا أيام التحالفات والتصالحات والتقاطعات والاصطدامات , وكلها دموية بما فيها التحالفات .. فليس في الذاكرة إلاّ اعدامات .. اغتيالات.. اختفاءات وازهاق الحيوات بالجملة , هذاغير دم العذاربوالأجنة المجهضة وصدمات القلوب والأدمغة والثاليوم !!

<u>هل من المنطق أنْ تكون هذه هي تفاصيل يومنا العادي ؟!!</u>

منذ اللحظة الأولى لهذه المجموعات القصصية سندخل في عوالمٍ مفسًرةٍ موضوعياَ وأحاول هنا ترتيب أولويات الموضوعات ولغيرسبب تتقدم هنا موضوعة المرأة عند المطير أو في قصصه والإيروتيكية و طقوس العلاقات الإجتماعية

المريضة التي تجابهنا باستمرار في أعماله مثيرة لجدل يفرض وقفة متأنية ...
المرأة في هذه المجموعات في جميع الأحوال ساقطة هامشية لا تعرف من العلاقاتِ غيرَ أحابيل الخداع و الخيانة والغدر , إنَّها مريضةٌ غير سوية...
في لدغة النيران نجد الزوجة الباحثة عن حلول لمكانة زوجها المهددة بالضياع ولمنزلته ووظيفته , ومن ثم للجاهوالمال اللذين تمتلكهما نجدها تقدّم جسدها للعرّاف ثمناَ لذلك وتكشف لنا القصة عن نساء بالجملة ! فعَلْنَ الحكاية نفسَها ليحصلن على مطالب حياتية يمكن أنْ تأتي بغير هذه الوسائل الرخيصة.
وفي الطريق إلى كهف سوسياتا زوجة الهيبو(4) هي التي تنام في فراش العرّاف كرمان يحيى كرمان....
وفي طوبى للمحبين عالية تعاشر بدران وهي زوجة أخيه ( العرًاف )....
والمرأة في العبور إلى حقل الزهور هي الزوجة الثالثة التي لم تنجب لزوجها المسؤول الكبير في سلطة البلاد فتندلق على حكاية مع سائق سيارة زوجها لتنجب له من ذلك السائق.
أما في مجموعة أنا عشيقة الوزير فلا يختلف الأمر
إنَّنا نقرأ عن السكرتيرة المتمردة تمارس الخطيئة حتى مع المستشار نفسِهِ والأمر مع عشيقة الوزير التي يحظى بها سائقُهُ قبل أنْ يجلبها له كل أربعاء..
لماذا هذا التوصيف ؟؟!
قد يتساءل بعضنا هكذا بتعجب !
لكنَّ الإشكالية ليست في صورة المرأةِ سلبيةَ , ولا في إشكالية الإيروتيكية بل في توظيف هاتين الموضوعتين..
وعلى الرغم من أنَّ المعنى الأول لهذا التوظيف يحمل كسراَ لتابو ( أو محظور ) في حياتنا عندما يتعلق الأمر بالتقاليد والعادات وما تتضمن بشأن موضوعات المرأة , الجنس وما إليهما.. فإنَّ عالم هذه المجموعة هو عالم سلطة فاسدة .. ولأنَّ

المعالجة الفنية منصبَّة على كشف هذا العالم من الداخل , من خلال شخوصه فإنًّا لسنا أمام توصيف المرأة العراقية ولسنا أمام عالمها مثلما نحن لسنا بصدد الوجه الآخرلها, الوجه الإيجابي المعروف عنها.

إنً المطير يريد بهذا الاختيار وعرضه بارزا َ سائدا َ, يريد عرض خطل عالم السلطة الحاكمة وفساد قمة الهرم فيها .. من هنا نلاحظ باستمرار إشارات واضحة لتوصيف اللوفياثان أو الرئيس.. ها هو الرئيس في أنا عاشقة الوزير يضع توقيعه بالموافقة على الزواج الثاني لوزيره (( ووراء التوقيع أمر يمكن العودة إليه في النص)). وهاهو في جسدان ليس بينهما إلاّ الخوف يبعث بخطابه عبر الهاتف حيث ترى العشيقةُ الوزيرَ يقف مذعوراَ عارٍ مؤدٍ للتحية العسكرية... أما في لوفياثان فيوصف بأنًه لا يعرف الصداقة والقرابة ' غرس في نفسه حب الذات فقط.

ويمكن القول :- إنً جميع التوصيفات المتعلقة بحياة شخصيات هذه الأعمال هي توصيفات ماحول الرئيس الذي يأتي ذكره باستمرار بوصفه النبع والمصدر لما حوله من شرور ومآسٍ وسقوط أخلاقي شامل لايقف عند حدود شخصية المرأة وقد يكون في هذا بعض ما يفسر تلك الصورة...

إنً تفسيرا َ أدق لمثل هذه الشخصية المهزومة يعود لكون السخصية محصلة ميتا-رياضية لإفرازات المجتمع ولأنً المجتمع الموصوف واقع في تراجيديا هجوم شرس لقوى الاستغلال واستلاب لجميع القيم الإنسانية فيه , فلابد للنتيجة أنْ تكون بالصورة التي عمل على إبراز أحد أوجهها نصّ المطير(( ولاينبغي أنْ نحاكم عالم نص بمعيار عالم آخر, مع أنً هذه المحاكمة تعود إلى علم اجتماع الأدب وتختص به كما في قراءات كولدمان مثلا )).إنً قلق الشخصية المرسومة و خواءَها يعود إلى صراعات( داخلية ذاتية) و( خارجية موضوعية) .. وحل هذه المشكلة لا يتأتى إلاّ بإعادة التوازن عبر هدم العلاقات الاستغلالية و إقامة علاقات إنسانية جديدة بديلة.إنً تلك الشخصية المرضية

وباء المجتمع ولكنها في الوقت ذاته إعلان عن هزيمة المفهوم البرجوازي للمواطن حيث ارتباط الإنسان بالدولة وآليتها وهو ما تذهب به النظم الديكتاتورية إلى قمته فتتدخل حتى في غرف نوم الناس وفي قلوبهم وعواطفهم...

لقد اضطرذاك المسؤول الحزبي الكبير في ظل أحد المراسيم إلى طلاق زوجته ( وإنْ كان ذلك مراوغةَ) ليلحقَ بها هارباَ فيما بَعْد , بَعْدَ أنْ طفح الكيل به مع حزبه ( الإشتراكي إدعاءَ ) ورئيسه الذي لا قبله ولابعده سلطة ولا قرار. على أنَّه ينبغي هنا التأكيد على واحدة من سمات شخصيات قصص المطير فهي ليست كائناَ من لحمٍ و دمٍ بنفس المقدار الذي نقيسها فيه بوصفها تشكيلة من الدلالات بخاصة عندما تتغلب سمة تحميل الشخصية رؤيةَ معينة و تحويلها إلى رقم يخدم السياق العام للفكرة التي تستهدفها القصص المعنية, فإذا انطبق هذا التوصيف على عدد من شخصيات المطير فإنَّ اهتماماَ كلاسياَ نصادفه مع بعض آخر من تلك الشخصيات , وفي الحالة الأولى يكون توصيف الشخصية غفلاَوذلك لأمر مقصود أي تهميش هذه الشخصية وتبيان انسحاقها وفي الحالة الثانية بحث عن استكمال عناصر جماليات نص مرسوم بعناية حيث إن جملة الأفعال المجسمة للحركة في الرواية تتم وتتعدد قيمتها ويتقرر اتجاهها بمقتضى نوع المستقبل المنشود وهو في سرديات المطير يقع خارج العالم الذي يفضحُه ويدينه وإنْ كنا لانقرأ ذلك تصريحاَ بل مما وراء السطور.

**الزمان والمكان : - ( فضاء قصص المطير)**

ظاهرة الزمن في الرواية أو القصة تتبدى في التقاط الأشياء والحوادث المتناثرة في الواقع بكيفية فوضوية مبعثرة لتعيد تنظيمها وترتيبها لتخلق من هذا التنظيم قيمة جمالية برسالة ذات مدلول .. إنَّ الأدب إعادة تركيب للوجود ينفعل بفضائه زماناَو مكاناَ بمقدار ما تشاء من الأنساق الإيجابية التي تمتاحها من

اخضاعه لانسجامها الجمالي.وبهذا فالفضاء برمجة مسبقة لمجموعة من الأحداث وذلك عبر تخطيب سلسلة الأماكن والمقاطع الزمنية ومن ثمَّ منحه القيمة الفنية الدلالية المؤثرة .(5) لنلاحظ ما يفعله المطير لتخطيب الفضاء المكاني لنصه, فالأماكن عنده كتل مغلقة منعزلة جامدة حتى وهي تمثل المكان النسبي المتحرك(6) مثل السيارة (مكانا) فهو يصفها من داخل جدرانها, يضع شخوصَه قدرياَ داخلها, إنًهم يطلون على العالم من وراء حيطان غرفهم , من وراء جدران الزنازين ( حيث الجميع محاصر أو مسجون , أسير عالمه) . إنً هذا التجميد تعبير عن بيئة سلبية تجاه الفاعل فيها - لأنًه ليس فاعلاَ بالمعنى الأخلاقي الإيجابي , إنًه فاعل بوصفه مصطلحا بنائياَ.و المكان عند المطير لا مألوف بسببٍ من وقوعه في دائرة التهديد المستمر حيث لا حماية فيه فعلى الرغم من جدرانه والحراسات يظل مكشوفاَ من أية حماية... لاحظوا خواء شخصية المستشار و كيف يعوض عقدَه ومشاعر النقص باللجوء إلى مكتبه الفخم الوثير , إنًه غرفة معيشة وحتى غرفة نوم من تلك التي تدور فيها أعمال الفحش المعتادة المألوفة لمثل هذه الفئة المختارة في قصص المطير.جغرافياَ لدينا ما هو واقعي وآخر تاريخي وأسطوري من الأماكن ونحن أمام بغداد والبصرة وذكر عابر للرمادي لكنه ذكر بوصف وظائفي عندما يتعلق الأمر بأماكن تتوزع في مدينة الضباب (لندن) , فشقة في العنوان كذا وملهى في ذاك...

عوالم الأسطورة لها أمكنتها الغنية بالتأثير الطقسي والدلالي :- الصحراء واتساعها الأفقي وامتداد الأفق نحو الغموض. والنخلة بين جذورٍ ضاربة في أرض مدينة الشط وسعفها يعانق سماء البحر والنهر, أنًه يصنع منها درعاَ( في نصه) لحياة الناس.ينقطع المكان ويصير معتماَ ولاتنفع معه لا أبواب ولاشبابيك لتتلاءم مع(Atmosphere)ومن جهة الأجواء مزاج الشخصية وهو ملئ بالألوان , فسيح حيث يتحول فراش الخيانة إلى حجم ملعب للكرة...

وفي تخطيب الزمن نحن أمام لحظة متوقفة مجمَّدة على حركة داخلية أو على الزمن الذاتي وطغيان وجوده حيث الموضوعية ملغاة نتيجة للتحلل الجذري لتعاقب الزمن , وحيث الواقعة المعاشة محدودة بمستوى التجربة الخاصة , والفردانية تطغى على الجمعية , حتى يبدو الزمن الذاتي أعلى من الزمن الموضوعي على الرغم من كونه وليد الثاني ... على أنَّ مثل هذه المجابهة بين المتلقي والنص إنَّما يُراد من ورائها تصوير حياة شوهاء وشخصية سلبية مهشمة (( لأمثلة بهذا الخصوص يمكن العودة إلى أغلب النصوص المذكورة)).تقنياً على المستوى السردي الزمن عبارة عن قيمة كمية , الحركة فيها تجسد الوجود السلبي للشخصيات , والوضع الوحيد الذي يفلت فيه من هذه السلبية هو وقوعه على سهم زمنٍ يتضمن انفلاتاً من قيم الوضع العام المحيط.أليس هذا ما ترشحه حالات الانقطاع بين الشخصية و بيئتها عندما تترك زمنها لترحلَ إلى زمنٍ مغاير خارج جدرانه الجامدة الميتة..؟!
المطير بعد هذه الجولة القصيرة جدا في بعض أعماله نخلةٌ عراقيةٌ عصيّةٌ على عواصفِ الطغاةِ ....
إنَّهُ نخلةٌ إذا هَزَزْتَها تسَاقَطَتْ عليكَ قَصَصَاً جنيا....
ولايقف نص المطير عند انغلاق ذاتي بل يغدو جزءاً من الصيرورة العريضة للحركة المادية و التاريخية.أي أنَّ نص المطير عملَ على بناء المسرح المتنقل لحركته واتجاهه للفعل والتأثير بهذا ( المسرح ) إذْيطرح جانباً:-
1- المقدَّس حين يتخلص من اسراف بالالتزام بالقاعدة النحوية اللغوية المعجمية....
2- و انغلاق النص حين تنفتح معطياته الايجابية الموحى بها على الآخر الموجود في ذات المتلقي..
إنَّه يكسّر كل التابوات ( أو المحظورات) طالما وقع ذلك في إطارٍ موظّفٍ لأهداف الابداع الأدبي ...
إنَّ معطيات المحظور السياسي تُبرز ( في قراءة) أنَّ بطله ليس من دون تاريخ شخصي قذف به إلى الوجودبلا معنى وبلا قدرة

على فهم كنه هذا كما يرى (هايدجار) في إنسان عصره , إنَّه يقرأ متغير الشخصية حتمنها تلك التي وُضِعَتْ في إطار فئة نفعية في خيمة رمز السلبية "رأس النظام" ...
إنَّه يطابق رؤية (لوكاتش) الذي يرفض الاعتقاد بخلو الرؤية الأدبية من الحسّ التاريخي فيُدْخِل المطير قراءَتَه لتحلل الشخصية والمجتمع في حالة محمول يمتلئ بامكانات التطور التاريخي في مجتمعنا محدِداَ اتجاه الحركة وارهاصات المستقبل وإنْ بطريق جمالي لا سياسي ولا أيديولوجي مباشر . وطريق تعبيره يغتني بعمق (حدثه)و إنْ وجَدَ بعض النقاد تكراراَ أو استطراداَ وتفصيلاَ في بعض مواضعه .. فمسوغ هذا في المسار السردي هو بقاء (الوضعيات) حتى القريبة جداَ من حدث الرواية أوالقصة محايدة تجاه ذلك الحدث وغير متحققة فيه بصورة كاملة ولكنها تخدمه عبر طبيعة تركيب النوع السردي...
أما التناص الذي يتفتح فيه عمل المطير الأدبي فهو انفتاح على التاريخ القريب منه والبعيد , وانفتاح على الآخر الضد والحليف , وانفتاح على النصوص الابداعية الأحرى والأنواع الأدبية التقليدية والمحدثة.. كما هو حال الأسطورة والحكاية...
لعل قراءة مثل هذا التعدد في القيم النصية المتداخلة هو ما ينصح (باختين) بتحليله حيث من عملية السجال الداخلي و الأسلبة التنويعية المخفية تبدو لنا معطيات دلالية تخترق معجم المفردة ومعجم النص التقليدي.المطير يجمّد زمن الخطاب ولكنه يغني زمن التخيل حيث تدخلات في القبل والبعد و حتى في مداخلة( استرجاع- استباق - استرجاع ) وهي أدوات تقنية معروفة لكنها تتفرد هنا بخصوصية ملموسة هي التي أجلت الحديث فيها عن تجنيس أعمال المطير التي أراها تقدم لوناَ أدبياَ متحركاَ لا يقبل الخضوع لأشكال عبرت عن زمنها وبيئتها ليعبر هو عن بيئته التي نعرفها والتي أراد أنْ يعلنَ لنا أنَّها حرافية جمعت كل فنون الموت والاستلاب مثلما احتوت على بذرة فنائها في ذاتها المرتعبة من حركة الزمن إلى الغد.المطير يقدم رواية من نوع

جديد تتأقلم مع حاجات المتلقي المعاصر خاصة العراقي. إنَّه يقدم سيرةَ شاهدٍ على عصره فيفضح الجريمةَ ويعري أزلامها , إنَّه يعرض الجريمة بكل تفاصيلها واضعاً إياها تحت مجهر فن المطير لكشف أكداس الجراثيم وطبيعة فعلها من إفساد , دمار , وخراب .. كل ذلك في نظام من الخطوط البنائية المتوازية التي تترك للمتلقي فرصة التوقف في مرحلة أو البدء من مرحلة في سابقة إبداعية تحلّق بنا في عوالم شاعريته وفضاءات جمالياته ... ألسنا نبحر في عالم المطير الجميل ؟؟

## المصادر والمراجع


1. أمبرتو إيكو , القارئ في الحكاية, ترجمة : أنطوان أبو زيد
2. برند شبلنر , علم اللغة والدراسات الأدبية - دراسة الأسلوب والبلاغة
3. جاك دريدا , الكتابة والاختلاف , ترجمة كاظم جهاد
4. ديفد وورد , الوجود والزمان والسرد , ترجمة سعيد الغانمي
5. رجاء عيد , فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق
6. حسن ناظم , مفاهيم الشعرية
7. رشيد يحياوي , شعرية النوع الأدبي في قراءة النقد العربي القديم
8 . السعيد الورقي , مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف أدريس
9. سعيد بنكراد , مدخل إلى السيميائيات السردية
11. شكري عبدالوهاب , المكان دراسة في تاريخ تطور خشبة المسرح
12. رولان بارت , الأدب والواقع , ع.الجليل الأزري
13. غ. باشلار . جماليات المكان , ترجمة غالب هلسا
14. فراس السواح , الأسطورة والمعنى
15. كلود جرمان , علم الدلالة , د. نورالهدى لوشن , بنغازي
16. كولن ولسن , فكرة الزمان عبر التاريخ , فؤاد كامل
17. ل. غولدمان , المنهجية في علم اجتماع الأدب , مصطفى الشناوي
18. محسن الموسوي , عصر الرواية مقال في النوع الأدبي
19. ه. ميرهوف , الزمن في الأدب , أسعد رزوق
20. ميشال بوتور , بحوث في الرواية الجديدة , فريد انطونيوس
21. محمد الماكري , الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي
22. ميخائيل باختين , شعرية ديستويفسكي , ترجمة د. جميل نصيف
23. ف. بروب , مورفولوجيا الحكاية الخرافية , ترجمة أبو بكر أحمد باقادر
24. جاسم المطير الأعمال السردية:- ( الزبزب , نهار النرجس , لوفياثان, أنا عشيقة الوزير , المولود في مدن القلق , قصص المقتدر بالله البغدادي ونسوانه , )

# مشكلة الموت في الثقافة العربية

حازم خيري

**"فكرة أن الحياة ليست شيئاً دائماً**
**ساعدتني على تنوير ذهني،**
**إننا لسنا سجناء إلى الأبد**
**خلف سياج الحقائق المُتحجرة!"**
طاغور

عندما أنظر إلى حياتى الداخلية والخارجية ينتابني في أغلب الأحيان شعور بغموض! شعور بأغوار غير معروفة! واني لأحس بظمأ إلى فهم الحياة وإلى دفعها للأمام، وأحس أيضاً بحاجة إلى مُناهضة العبودية، إلزامية كانت أم مُختارة!

ثم يبدو لى أن السبيل لبلوغ هذا كله يتم أساساً عن طريق الذود عن حق أبناء أمتنا في الحرية وفي نُشدان الحقيقة، بحسب ما تهديهم قلوبهم وعقولهم الحرة. مع العلم أني أدرك أنه ليس ثمة إمكانية لمعرفة الحقيقة، الله وحده يملكها!

الصلة ـ على ما يبدو ـ وثيقة بين الانحطاط المُخيف والشامل لمجتمعاتنا، وبين إحجام فلاسفة الضرار(1) عن تعهد مشكلاتنا الفكرية بالبحث الفلسفي الحُر.

أوليس يُساعد على تكريس الانحطاط في مجتمعاتنا الغارقة في التخلف أن الدارس لمشكلة مُلحة ومُؤثرة، كـ "مشكلة الموت في الثقافة العربية"، لا يكاد يقع على جهد فلسفي عربي، يُغري بتثمينه، اللهم إلا دراسة للعملاق عبد الرحمن بدوي، ناقش فيها: كيف يمكن أن تكون مشكلة الموت مركزاً لمذهب في الوجود؟

فلاسفة الضرار ومُحترفو التبرير الديني دائمو التأكيد على أن انحطاطنا المُخيف محض كبوة، وارتداد عن كمال إنساني، بلغه أسلافنا! وأن محاكاة ـ تجديدية وتحديثية (!!) ـ لهؤلاء الأسلاف، تُبلغنا حتماً كمالهم الإنساني، وتُعيد لنا إمرة الأرض اغتصابا، على نحو ما تُغنينا "أم كلثوم"، في قصيدة "سلوا قلبي"!
حاجتنا ماسة لتأسيس مدرسة أنسنية في الفكر العربي، كخطوة واعدة على طريق بناء صرحنا الفلسفي! لم يعد مقبولاً أن نلوث بتخلفنا نقاء الحياة وطُهرها!

لم يُعد مقبولاً أن تذهب ملكات مفكرينا سدى! "فلسفة الضرار" مسئولة برأيي عن هدر ملكات المفكر المصري الراحل نصر حامد أبو زيد. فلو أنه خُلي بينه وبين طريق الفلسفة لربح وربحنا معه فيلسوفاً عظيماً. ولو أنه سلك طريق الفقه لربح وربحنا معه فقيهاً شهيراً! مازج الفقه بالفلسفة، كمازج الزيت بالماء!

لتكن صيحة الحرية: **"أعطوا ما للفقهاء للفقهاء، وما للفلاسفة للفلاسفة"**

صحيح أن الفهم العربي للحرية مُشوه، حتى أن فُقدان الحرية عند شعوبنا الكسيرة ليس يُفهم على أنه عُبودية، بل يُفهم على أنه وصاية تُمارس لخيرنا وخير الوجود بأسره! وصحيح أن الفهم العربي للاستقلال الوطني أضحى مضرب الأمثال في الرداءة! فالاستقلال حتمي، طالما خلت البلاد من الأجانب المُسلحين!

وصحيح أن الصروح الفلسفية لا تُشيد إلا بقلوب وعقول عاشقة للحرية، عارفة بأهمية النضال من أجل الحقيقة! كل هذا وأكثر صحيح، غير أن الأمل يظل قائماً في قيام مدرسة أنسنية في الفكر العربي، تُعبد الطريق نحو تفكيك البنية التحتية لفلسفة الضرار! خنوثة التخلف العربي تُحتم التمكين للفلسفة في ثقافتنا!

العالم المُعاش شديد الخضوع للأفكار الصحيحة والزائفة على السواء ـ للأسف الشديد ـ، لدرجة دفعت بعض الظرفاء للقول بوجود تناسب طردي بين الأثر الذي تُحدثه أية فكرة في حياة البشر وبين درجة الخطأ الكامنة فيها! أصحاب البصائر النفاذة هم وحدهم القادرون على إدراك الفاصل بين الصحيح والزائف!

في مقدمة أصحاب البصائر النفاذة يأتي الفلاسفة، فالفلسفة مُغايرة لغيرها من طرق نُشدان الحقيقة! إنها بحث مُستدام عن الحقيقة غير النفعية، كونها تتطلب من المشتغلين بها، في أوقات كثيرة، وقوفاً أليما في وجه رغباتهم الشخصية!!

على أية حال، أناقش في هذه المقالة "مشكلة الموت في الثقافة العربية"، رغم ضآلة الميراث الفلسفي العربي في هذا الصدد! تحدوني في ذلك رغبة صادقة في تزخيم رؤيتي المُقترحة للفكر الأنسني! ولسوف أبدأ بحثي بعرض مُطول نسبياً لما أورده الراحل عبد الرحمن بدوي في دراسته المُهمة المُشار إليها سلفاً(2).

ولتسمح لي قارئي الكريم ـ قبل أن أُخلي بينك وبين عرضنا المُطول لدراسة العملاق عبد الرحمن بدوي لمشكلة الموت ـ أن أضيف كلمة عن رأيي في الطريقة التى أنصحك بها في قراءة هذا العرض، وهي أن تتصفحه كله أولاً كما تتصفح "جرنال"، دون أن تُحمل انتباهك من أمره عسراً ودون أن تقف عند الصعوبات التى قد تعترض سبيلك فيه حتى تُلم الماماً عاماً بالنقاط التى تناولتها دراسة بدوي التشريحية. فإذا رغبت بعد ذلك في المزيد من الفهم استطعت أن تقرأ

العرض مرة أخرى لكي تلتفت إلى إرتباط أفكار بدوي واتصالها. واعتقادي أنه إذا بقيت بعد ذلك بعض الصعوبات، فلتمض قارئي قُدماً في قراءة بقية المقالة..

**هل للموت مشكلة حقيقية؟**

هل للموت مشكلة؟ أوليس الموت واقعة ضرورية كلية لابد لكل فرد أن يعانيها يوماً ما؟ أو لسنا نعرف جميعاً هذه الواقعة، لأننا نشاهدها لدى الآخرين؟

لكي يكون في مقدور الباحث الجاد أن يتحدث عن "مشكلة الموت"، وأن يتبين على أي نحو يمكن أن تكون للموت مشكلة حقيقية، عليه أن يبدأ بتحديد معنى "مشكلة" من ناحية، وأن ينظر نظرة ـ إجمالية من غير شك ـ إلى معنى "الموت" من ناحية أخرى. حتى إذا ما استطاع أن يتبينه، تيسر له أن يحدد عناصر هذه المشكلة ومداها، سواء من الناحية الوجودية العامة ومن الناحية الحضارية.

لكي نفهم معنى "مشكلة" يجب أن نُميز أولاً بين: إشكال Problematique وبين مشكلة Probleme. الإشكال صفة تُطلق على كل شيء يحتوى في داخل ذاته على تناقض، وعلى تقابل في الاتجاهات، وعلى تعارض عملي. أما المشكلة فهي طلب هذه الإشكالية بوصفها شيئاً يُحاول القضاء عليه. هي الشعور بالألم الذي يُحدثه هذا الطابع الإشكالي، وبوجوب رفع هذا الطابع وإزالته. هي تتبع هذه الإشكالية كما هي ذاتها أولاً، ثم محاولة تفسيرها تفسيراً يصدر عن طبيعة الشيء المشكل وجوهره. المشكلة تتضمن إذاً شيئين: الشعور بالإشكال ومحاولة تفسيره.

الحياة مثلاً تتصف بصفة الإشكال بطبيعتها، لأنها نسيج من الأضداد والمتناقضات. ولكنها ليست مشكلة بالنسبة إلى الرجل الساذج الذي ينساق في تيارها دون شعور منه بما فيها من إشكال، ودون محاولة ـ بالتالي ـ للقضاء على هذا الإشكال. وذلك لأن الشعور بالإشكال يقتضي من صاحبه أن يكون على درجة عليا من التطور الروحي، وأن يكون ذا فكر ممتاز على اتصال مباشر بالينبوع الأصلي للوجود والحياة، وأن يكون إلى جانب هذا كله على حظ عظيم من التعمق الباطن الذي تستحيل معه المعرفة إلى معرفة وحياة معاً. وبقدر هذا الحظ تكون درجة الإدراك. فضلاً عما يقتضيه الموضوع المشكل من شروط صادرة عن طبيعته هو الخاصة، دون غيره من الموضوعات المشكلة الأخرى.

فإذا أردنا الآن أن نُطبق هذا على الموت، وجدنا أنه يتصف أولاً: بصفة الإشكال. فمن الناحية الوجودية يُلاحظ: أولاً، أن الموت فعل فيه قضاء على كل فعل. وثانياً، أنه نهاية للحياة بمعنى مشترك. فقد تكون هذه النهاية بمعنى انتهاء

الإمكانيات وبلوغها حد النضج والكمال، كما يُقال عن ثمرة من الثمار إنها بلغت نهايتها، بمعنى تمام نضجها واستنفاذ إمكانيات نموها. وقد تكون هذه النهاية بمعنى وقف الإمكانيات عند حد، وقطعها عند درجة، مع بقاء كثير من الإمكانيات غير متحقق بعد. وقد تكون بمعان أخرى، نُفصلها في أجزاء أخرى من هذا العرض.

وثالثاً، إنه إمكانية معلقة، إن صح التعبير، بمعنى أنه لابد أن يقع يوماً. هذا يقيني لا سبيل إلى الشك فيه، ولكنني من ناحية أخرى في جهل مطلق فيما يتعلق بالزمان الذي سيقع فيه. يقول باسكال: "إنني في حالة جهل تام بكل شيء، فكل ما أعرفه هو أنني لابد أن أموت يوماً ما، ولكنني أجهل كل الجهل هذا الموت"!

ورابعاً، أن الموت حادث كلي كلية مطلقة من ناحية، جزئي شخصي جزئية مطلقة من ناحية أخرى. فالكل فانون، ولكن كلا منا يموت وحده، ولابد أن يموت هو نفسه، ولا يمكن أن يكون واحد آخر بديلاً عنه. وهذا عين مصدر الإشكال من ناحية المعرفة، إذ لا سبيل إلى إدراك الموت مباشرة بوصفه موتى أنا الخاص، لأنني في هذه الحالة ـ حالة موتى أنا الخاص ـ لا أستطيع الإدراك. ومعنى هذا أيضاً أنني لا أستطيع أن أدرك الموت إدراكاً حقيقياً، لأن إدراكي للموت سينحصر حينئذ في حضوري موت الآخرين ومشاهدة الآثار الخارجية التي يُحدثها الموت.

ومثل هذا الإدراك ليس إدراكاً حقيقياً للموت كما هو في ذاته، بل هو إدراك للموت في اثاره. ولا أستطيع أن أقول هنا إنني عند محاولتي إدراك الموت أضع نفسي موضع الآخرين الذين يموتون، لأن المرء لا يمكن أن يحمل عبء الموت عن غيره. هذا إلى أنه لو سلمنا جدلاً بإمكان إدراك موقف المرء بالنسبة إلى الموت، فإن هذا لا يفيدني شيئاً في معرفة حالة الميت نفسه، وإنما يخبرني عن حالة المُحتضر فحسب، لا عن حالة الموت نفسها. لا سبيل لإدراك حقيقة الموت!

وهكذا نرى أن الموت كله إشكال من الناحية الوجودية ومن ناحية المعرفة!

الشرط الأول إذاً قد تحقق، وأعني به وجود الإشكال. فمتى يكون الموت مشكلة إذاً؟ يكون الموت مشكلة حينما يشعر الإنسان شعوراً قوياً واضحاً بهذا الإشكال، وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة، وحينما ينظر إلى الموت كما هو ومن حيث إشكاليته هذه. ويحاول أن ينفذ إلى معناه من حيث ذاته المستقلة. يقتضي هذا كله أشياء من الناحية الذاتية، وكذا من الناحية الموضوعية.

- **من الناحية الذاتية:** يقتضي لمن يمكن أن يصير الموت عنده مشكلة:

**أولاً:** الشعور بالشخصية والذاتية: 1ـ لأنه بدون هذا الشعور لا يستطيع الإنسان إدراك الطابع الأصلي الجوهري للموت، وهو أنه شخصي صرف، ولا

سبيل إلى إدراكه إدراكاً حقيقياً إلا من حيث أنه موتى أنا الخاص. ولا يبلغ الشعور بالشخصية والوحدة درجة أقوى وأعلى مما هو في هذه اللحظة، لحظة الموت، لأنني أنا الذي أموت وحدي، ولا يمكن مطلقاً أن يحل غيري محلى في هذا الموت. ولهذا نجد أنه كلما كان الشعور بالشخصية عند الإنسان أقوى وأوضح، كان الانسان أقدر على ادراك الموت، وعلى أن يكون الموت عنده مشكلة. ولهذا أيضاً لا يمكن أن يكون الموت مشكلة لمن يكون ضعيف الشعور بالشخصية..

والنتيجة لهذا هي أن البدائي والساذج، نظراً إلى ضعف شعورهما بالشخصية، لا يمكن أن يصير الموت بالنسبة لهما مشكلة. واللحظة التي يبدأ فيها الموت بأن يكون مشكلة بالنسبة إلى إنسان ما، هي اللحظة التي تؤذن بأن هذا الإنسان قد بلغ درجة قوية من الشعور بالشخصية، وبالتالي قد بدأ يتحضر. ولهذا نجد أن التفكير في الموت يقترن به دائماً ميلاد حضارة جديدة، فإن ما يصدق على روح الأفراد يصدق كذلك على روح الحضارات. وهذه فكرة قد فصل فيها اشبنجلر وأوضحها تمام التوضيح. ولهذا أيضاً كان كل إضعاف للشخصية من شأنه تشويه حقيقة الموت، وهذا الإضعاف للشخصية أظهر ما يكون في حالتين:

حالة إفناء الشخصية في روح كلية، وحالة إفناء الشخصية في "الناس"!

فكل مذهب في الوجود يفنى الشخصية في الروح الكلية لا يستطيع أن يدرك المشكلة الحقيقية للموت، وهذا ما فعله مذهب المثالية، وخصوصاً في أعلى صورة بلغها هذا المذهب، ونعني بذلك المثالية الألمانية وعند هيجل بنوع أخص.

فإن الفرد بالنسبة إلى المثالية ليس له وجود حقيقي في ذاته، وإنما الوجود الحقيقي هو وجود المطلق، ولا قيمة وجودية للفرد إلا من حيث كونه مشاركاً في وجود المطلق، أياً ما كان الاسم الذي نعطيه لهذا المطلق: فسواء سميناه "الأنا المطلق"، وهو الأنا الذي يضع نفسه بنفسه، كما فعل فشته. أو سميناه "الروح الكلية"، وهي تلك "الصورة" التي تعرض نفسها على مر الزمان كما فعل هيجل - فإن هذا من شأنه أن يحجب عنا إحدى المميزات الجوهرية للموت، ونعني به ارتباطه بالفردية أو الشخصية أو الذاتية كل الارتباط. ولهذا لم يقدر لهذه المثالية أن تضع للموت مشكلة، وإن وضعتها لم تضعها وضعاً حقيقياً. وإذا كان هيجل نفسه قد عنى بهذه المشكلة عناية كبيرة، فإن مصدر هذه العناية لم يكن مثاليته، وإنما كان مصدرها عوامل أخرى أجنبية عن المثالية خضع لها هيجل.

**ثانياً:** فكرة الشخصية تقتضي بدورها فكرة الحرية، فلا شخصية حيث لا حرية، ولا حرية حيث لا شخصية. وذلك من ناحيتين: 1- أنه لا مسئولية إذا لم توجد الشخصية، ولا مسئولية إذا لم توجد الحرية، فلا وجود للشخصية إذن إلا مع الحرية. 2- أن الحرية هي الاختيار، ولا اختيار إلا بالنسبة إلى شخصية تُميز.

فإذا كانت الشخصية تقتضي الحرية، والموت يقتضي الشخصية، فإن الموت يقتضي الحرية. ويتضح هذا أكثر حينما ننظر إلى طبيعة الحرية وطبيعة الموت، فنرى حينئذ أن الحرية هي الإمكانية، كما أن الموت هو الإمكانية، بل هو الإمكانية المطلقة. وعلى هذا، فإنه من ناحية الإمكان أيضاً الموت والحرية مرتبطان أوثق ارتباط، وقدرة الإنسان على أن يموت هي أعلى درجات الحرية.

ومن هذا الارتباط بين الموت وبين الحرية نستطيع أن نستنتج أن كل المذاهب التي لم تقل بالحرية الشخصية على وجه التحديد ـ لم يكن حظها أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً. وهذا أيضاً من العوامل التي شوهت مشكلة الموت في المثالية الألمانية، لأنها وإن قالت بالحرية، فإنها لم تفهم الحرية على أنها الحرية الفردية، وإنما فهمتها على أنها الحرية الكلية ـ إن صح هذا التعبير ـ، فإنها تقول بحرية بالنسبة إلى الله، وبالنسبة إلى الكل، الأنا المطلق أو الروح المطلقة، لا بالنسبة إلى الإنسان الفرد، وأما ما هنالك من حرية في الأفراد فما هي إلا مظاهر متعددة لحرية واحدة هي الحرية الكلية، وليست حرية بالمعنى الحقيقي!

كما لاحظ هذا أيضاً أحد أتباع هذه المثالية في الدور المتأخر من أدوار تطوره الروحي ونعني به فردريك شلنج في الدور الأخير. فقد قال شلنج إن فكرة المثالية عن الحرية فكرة صورية جوفاء يجب أن تستبدل بها فكرة واقعية حية، هي أن الحرية هي القدرة على فعل الخير والشر بالنسبة إلى الإنسان الفرد. أي أنه لابد للحرية أيضاً أن تكون قدرة على فعل الشر، وإلا ـ أي إذا اقتصرت على فعل الخير وحده ـ فإنها لن تكون حينئذ حرية. ومن هنا فإن الحرية بهذا المعنى لا يمكن أن تكون صفة من صفات الله عند من لايجوزون على الله فعل الشر. ومن هنا جاء الارتباط الوثيق بين الحرية وبين الخطيئة: فحيث لا توجد الخطيئة لا توجد الحرية، وحيث توجد الحرية توجد الخطيئة بالضرورة..

**ثالثاً:** عن طريق هذا الارتباط بين الحرية والموت من جهة، وبين الحرية والخطيئة من جهة أخرى، كان الارتباط بين الخطيئة وبين الموت. والارتباط بين الخطيئة وبين الموت قد بلغ أول درجة عليا من درجات التعبير عنه في المسيحية، وصُور أصرح تصوير في عبارة القديس بولس: "بواسطة إنسان نفذت الخطيئة إلى العالم، وعن طريق الخطيئة نفذ الموت". فهذه العبارة تدلنا على أن المسيحية نظرت إلى الموت على أساس أن مصدره الخطيئة، أى أنها أدركت منذ ابتدائها ما هنالك من صلة وثيقة جداً، صلة العلة بالمعلول، بين الموت وبين الخطيئة.

وهي قد ربطت بينهما أيضاً عن طريق فكرة الحرية الفردية، خصوصاً إذا لاحظنا أن الحرية الفردية تحتل مقاماً عالياً في الفكر المسيحي، ومصدر هذا ارتباط الحرية بالخطيئة: فإذا كانت فكرة الخطيئة تلعب الدور الأكبر في الحياة الروحية المسيحية، كان لابد إذاً من القول بالحرية الفردية بل وتوكيدها، ما دامت

هي مصدر الخطيئة. وهكذا نرى أنه قد توافرت للمسيحية هذه العناصر الثلاثة الضرورية لوضع مشكلة الموت: ونعني بها الشخصية، والحرية، والخطيئة.

أى أن الناحية الذاتية كان من شأنها أن تهيئ للمسيحية أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً، إن توافرت إلى جانب الناحية الذاتية الناحية الموضوعية.

- **من الناحية الموضوعية:**

يُقصد بالناحية الموضوعية أولاً إدراك أن الوجود يقتضي بطبيعته التناهي، حتى يمكن أن يُنظر إلى الموت نظرة حقيقية على أساس أنه عنصر مكون في الوجود. وإلا، فإن الموت لن يكون له اذاً مكان داخل نظرة الانسان إلى الوجود، وانما سيكون شيئاً عرضياً يمكن إغفاله. وهذا هو السبب في أن الذين نظروا إلى الموت هذه النظرة لم يستطيعوا أن يضعوا المشكلة الحقيقية للموت. وعلى رأس هؤلاء جميعاً أفلاطون، فبرغم عنايته بالموت، وقوله عن الفلسفة انها تأمل للموت، لم يستطع أفلاطون وضع المشكلة الحقيقة للموت، على خلاف ما يعتقده البعض.

فالذى يقصده أفلاطون بقوله هذا هو أن الموت هو الوسيلة التى بها يتيسر بعد ذلك للفيلسوف أن يفكر جيداً، وذلك لأن حياة الفيلسوف عند أفلاطون هي حياة متجهة دائماً إلى تأمل الصور أو المُثل، ولا يتيسر تأمل الصور تأملاً حقيقياً ما دامت النفس سجينة في البدن، فلابد من الخلاص من البدن ـ أى لابد من الموت ـ، حتى يكون في مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أن يشوه عليه هذا التأمل مشوه. فكأن الموت في نظر أفلاطون إذاً جسر ومعبر ينتقل بنا من حياة النفس في البدن إلى عالم الصور. هو ابتداء أولي من أن يكون نهاية، لأنه ابتداء للحياة الروحية الحقيقية. حياة النفس حياة تأمل للصور. هو على وجه العموم باب يفتح على الأبدية. فلا يمكن إذن لمن ينظر إلى الموت هذه النظرة أن يجعل منه مشكلة.

وإنما يكون الموت مشكلة من الناحية الوجودية حينما يكون في نظر المرء من جوهر الوجود، وجزءاً جوهرياً مكوناً له. وهذه ناحية أدركتها المسيحية، فقال القديس بولس في نفس الآية السابقة: "وهكذا نفذ الموت في جميع الناس"، أى أن الموت عنصر مكون للوجود. وعن طريق هذا كله استطاعت المسيحية لأول مرة أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً من حيث أن الموت مشكلة فحسب. ولكنها حينما أرادت أن تعرف هذا الموت من حيث ماهيته اختلطت بالنظرة الأخلاقية، بل وضُحي بالنظرة الأولى، وكاد النظر أن يصرف عنها لحساب النظرة الثانية.

حتى أوشكت الناحية الوجودية أن تختفي بتأثير الناحية الأخلاقية، خصوصاً أنها قد وقفت من الناحية الأخلاقية موقفين. فقالت عن الموت إنه شر وقالت عنه إنه خير. أى أنه شر بوصفه ابن الخطيئة وهو خير من حيث أنه الواسطة بين المتناهي واللامتناهي، بين الانسان وبين الله، إذ هو أصل الفداء. ولذا كان

الشعور الذى يتم به ادراك ماهية الموت مزدوجاً: فهو قلق من ناحية بوصف الموت شراً، وهو سرور بوصفه خيراً من ناحية أخرى. وكانت نتيجة هذا أنها لم تستطع أن تصل إلى إدراك ماهية الموت إدراكاً حقيقياً، ما دامت لم تأخذ بالمصدر الأصلى الحقيقي للمعرفة فيما يتعلق بالموت، ونعني به القلق! وعلى كل حال، فإن المسيحية استطاعت أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً، ولهذا كان لها أثر كبير في جميع الفلاسفة، الذين حاولوا من بعد وضع مشكلة الموت.

والعلة في أن النظرة الأخلاقية قد حالت بين المسيحية وبين إدراك الموت إدراكاً حقيقياً هي أن نظرتها إلى الموت بوصفه شراً جعلتها تنظر إليه على أنه مضاد للحياة، مع أنها قالت إنه عنصر مكون للوجود. فالواقع أن هذا القول إذا فسر تفسيراً وجودياً صرفاً، وبصرف النظر عن كل تقويم أخلاقي، يدل على أن الموت جزء من الحياة. وأنه ليس مضاداً لها. فلكي تكون النظرة إلى الموت صحيحة يجب أن تجعل الموت جزءاً من الحياة، وهذا ما فعلته فلسفة الحياة. خصوصاً عند أشهر ممثليها من الألمان. فقد قال فردريك نيتشة: "حذار أن تقول إن الموت مضاد للحياة". ولكن كيف السبيل إلى جعل الموت جزءاً من الحياة؟

إن أصحاب المذهب الحيوي يقولون إنه ليس خارج الحياة شيء، فالحياة هي الكل. ومعنى هذا أن الموت يجب أن يُفسر أيضاً بالحياة وأن تُفسر الحياة بدورها بالموت. ولهذا يقول جورج زمل: "إن الحياة تقتضي بطبيعتها الموت، بحسبانه هذا الشيء الآخر الذى بالنسبة إليه تصير شيئاً، والذى بدونه لن يكون لهذا الشيء معناه وصورته". إن الحياة تقتضي الموت أيضاً إذاً، وما هو حي هو وحده الذى يموت وما الموت إلا حد للحياة، هو الصورة التى تلبسها الحياة وتحطمها من بعد، وهذه الصورة لا توجد في اللحظة الأخيرة فحسب، بل توجد في كل لحظة من لحظات الحياة، وتعين مضمون هذه اللحظات. هي صورة باطنة إذ توجد منذ بدء الحياة وبدونها ستكون الحياة منذ البدء شيئاً آخر. الموت باطن في الحياة ومُحايث لها إذاً، وليس عالياً عليها. الموت ليس حادثاً خارجياً عرضياً.

الخلاصة إذاً أن الموت حالة من حالات الحياة، حالة ضرورية تكون فيها الحياة منذ البدء، وهذا ما عبر عنه أحد كتاب العصور الوسطى في قصة الفلاح البوهيمي حين قال: "منذ أن يأتي الإنسان إلى الحياة، يكون بالفعل في شيخوخة الموت". فالنهاية إذاً في حالة الموت هي كانتهاء النمو والنضج بالنسبة إلى الثمار، فنحن في هذه الحالة لانقول عن النضج إنه جاء دفعة واحدة وفي اللحظة الأخيرة التى تم فيها النضج، وكأنه شيء منفصل قد ألصق بالثمرة أو كأنه خاتم ختمت به، وإنما النضج فعل مستمر ابتدأ منذ ميلاد الثمرة واستمر يساير حياتها لحظة بعد لحظة حتى أتت نهايتها، وهي تمام النضج. ومثل هذا أيضاً يُقال عن الموت، فهو موجود متطور منذ بداية الحياة، هو مقارن للحياة إذن لا ينفصل عنها أنى وُجدت.

وهنا تنشأ مشكلة أخرى: فهل صحيح أن الموت مثل النضوج؟ هل صحيح أن النهاية هنا معناها التمام والكمال وتحقيق كل الامكانيات؟ نظن أن نظرة

بسيطة إلى الطريقة التى بها يختار الموت ضحاياه تكفي لاقناعنا بعكس هذا، فهو تارة يطيل حياة الناس حتى لتكون قد استنفذت كل امكانياتها وزيادة. وطوراً آخر - لعله الأكثر حدوثاً - يقصر حياة الناس حتى لاتكاد هذه الحياة أن تكون قد حققت غير جزء ضئيل من امكانياتها، بينما ظلت بقية الامكانيات مؤجلة لاسبيل مطلقا إلى وفائها. ومعنى هذا أن النهاية يجب أن تُفسر تفسيراً آخر غير تفسيرها بأنها نضوج، تفسيراً إذن يجمع بين الوجود والموت من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يفترض وجود الموت في الوجود أو الحياة على صورة تطور نحو غاية، أعني أن الوجود يجب أن يُفسر من جديد على أنه يقتضي من حيث جوهره الفناء، وأن الفناء حالة وجودية يكون فيها الوجود منذ كينونته. وهذا معناه أيضاً إقامة مذهب في الوجود جديد على هذا الأساس، وهذا ما حاول أن يفعله هيدجر ثم ياسبرز.

بدأت هذه الفلسفة بحثها في الوجود بالكشف عن المصدر الحقيقي لمعرفة الوجود، فقبلت الوضع الذى وضعنا فيه ديكارت منذ أوائل العصر الحديث حين جعل الفكر أساس الوجود، مما أدى إلى قيام تلك المشكلة الكبرى - مشكلة نظرية المعرفة - وهي المشكلة التى تدور حول الصلة بين الذات والموضوع. فهل الموضوع من نتاج الذات، أو عال على الذات؟ وعلى أساس الوضع الذى اختاره المرء في نظرته إلى الصلة بين الاثنين قام المذهبان الرئيسيان في الفلسفة، وأعني بهما مذهب المثالية ومذهب الواقعية. واستمر النزاع قائماً بين المذهبين حتى جاء الألماني ادموند هُسرل في أوائل هذا القرن، فأقام بناء فلسفة جديدة هي فلسفة الظاهريات على أساس فكرة الاحالة المتبادلة. وخلاصة هذه الفلسفة هي أن هناك دائماً إحالة متبادلة بين الذات وبين الموضوع، فلا وجود للذات إلا من حيث كونها محيلة إلى الموضوع، كما أنه لا وجود للموضوع إلا على أنه محيل إلى ذات.

وحينئذ أتى تلميذه هيدجر فطبق هذه الفكرة على الوجود متأثراً من ناحية أخرى بمذهب الفعليين، فقال إن الوجود في هذا العالم بالنسبة إلى الأشياء وجود إحالة متبادلة على أساس أن كل شيء لابد أن يكون أداة لشيء آخر، أى "من أجل" شيء آخر، فإن الصلة إذاً بين الأشياء صلة "إهتمام"، بمعنى أن الانسان وقد قُذف به في هذا العالم سيجهل نفسه في هذا العالم، ولن يجهل هذه الأشياء التى هي مصدر عنايته وجزعه ومخاوفه وآماله. وإنما ستكون هذه الأشياء مصدراً "الاهتمامه" بها، أى معرفته إياها. ومن هنا فإن المعرفة لن تكون كما صورها الفلاسفة من قبل نوعاً من الانعكاس الخاص على النفس كما ينعكس أى شيء على مرآة، وانما ستكون المعرفة دائماً مطبوعة بطابع عاطفي انفعالي، فإذا أضفنا هذا العنصر العاطفي الانفعالي إلى صلة "الاهتمام" استحالت هذه الصلة إلى صلة "هم".

نحن قد استعملنا حتى الآن كلمة "وجود" استعمالاً عاماً. والواقع أنه يجب أن يفرق بين نوعين من الوجود: النوع الأول هو ما يمكن أن نسميه باسم "الآنية"، وهي ترجمة لكلمة ألمانية Dasein من العسير أن نجد لها مُقابلاً دقيقاً في أية لغة أخرى من اللغات المعروفة لدينا، ومعناها وجود الأشياء حاضرة بالفعل. أما النوع

الثاني فهو ما يمكن أن يُسمى باسم "الوجود الماهوي" Existenz، لأنه يقصد به ماهية الوجود. وهذه التفرقة تقوم على أساس التفرقة المشهورة والتى تلعب أخطر دور في الفلسفة، وأعني بها التفرقة بين الواقعية والامكانية: فالنوع الأول من الوجود هو الوجود الواقعي، والثاني هو الوجود الامكاني أو الماهوي.

ثمة خصائص رئيسية ثلاث "للآنية": ـ فمن حيث أن الآنية تشير مقدماً إلى إمكانيات لم تتحقق بعد تسمى الصلة اضماراً وتصميماً. ـ ومن حيث أن الوجود الماهوي انتقل إلى حالة تحقق فصار "الآنية"، وإن كان جزء ضئيل من الامكانيات هو فقط الذى تحقق تسمى الصلة واقعية. ـ ومن حيث أن "الآنية" هي وجود بين أشياء أو وجود في العالم تسمى الصلة حينئذ سقوطاً.

نحن قد قلنا إن "الهم" هو الطابع الأصلي للوجود، ونقصد بالوجود هنا "الآنية"، فلابد إذن أن نجد في "الهم" هذه الخصائص الرئيسية الثلاث "للآنية".

ولهذا نجد هيدجر يعرف "الهم" بأنه: "الوجود الذاتي/مع الامكان/ بالفعل/في العالم". وواضح أن تعريف هيدجر لـ"الهم" يعبر عن تلك الخصائص الرئيسية: فقوله "مع الامكان" يعبر عن الاضمار والتصميم، وقوله "بالفعل" يعبر عن الواقعية، وقوله "في العالم" يعبر عن السقوط. أما قوله "الذاتي" فراجع إلى "الآنية"، فقد قلنا إن الاحالة المتبادلة هي طابع الوجود، أعني أن كل شيء لابد أن يُحيل إلى شيء آخر. إلا أن هذه الاحالة إلى آخر لا يمكن أن تستمر إلى غير نهاية، بل لابد أن تصل إلى شيء لا يحيل إلى غير ذاته، وهذا الشيء هو "الآنية". فهو يحيل إذاً إلى ذاته، ومن هنا قلنا: "ذاتي" في تعريفنا للفظ "هم". وخلاصة هذا كله أن "الآنية" في "هم" من أجل ذاتها، أو بعبارة أخرى "الآنية" مهمومة بامكانياتها الذاتية.

ثم إن هذه الصفات تشير إلى طابع أصلي آخر للوجود. فاننا إذا تعمقنا في معنى الصلة الأولى وهي صلة الاضمار والتصميم لوجدنا أنها تدل على أن "هذا الوجود" يضمر ويصمم إمكانيات ذاتية باستمرار، أو بعبارة أخرى أن "الآنية" في تصميم بالنسبة إلى ماهيتها. والتصميم إشارة إلى شيء لم يتحقق بعد بالفعل ويمكن أن يتحقق في المستقبل، ومعنى هذا أن هذه الصلة تتسم بسمة الاستقبال. وعلى العكس من هذا نجد أن الصلة الثانية، وهي صلة الواقعية، تدل بوضوح على أن التحقق للامكانيات قد كان، أعني أنها تتسم بسمة المضي. وأخيراً نجد الصلة الثالثة مطبوعة بطابع الحضور، لأنها تدل على الوجود حاضراً بين أشياء. فكأن "الآنية" إذاً تتسم بسمة الاستقبال والمضي والحضور أى بآنات الزمان الثلاثة، أى أن جوهر الوجود هو الزمانية، فالزمانية إذاً طابع أصلي آخر للوجود..

وهنا يلاحظ أن الزمان قد فسر تفسيراً جديداً. هيدجر قد ثار على التفسير المألوف للزمان على أساس أنه عبارة عن خط مستمر مقسم إلى آنات ثلاثة متتالية، كما ثار قبله بقليل برجسون واشبنجلر، نظراً لما في هذه النظرة الآلية للزمان من

تشويه لحقيقته لأننا في هذه الحالة نتصور الزمان على أساس المكان، مع أن الزمان والمكان مختلفان كل الاختلاف. وكما نعت برجسون هذا الزمان متصوراً على هذا النحو بأنه زمان آلي، وصف هيدجر هذا الزمان بأنه زمان غير حقيقي، هو زمان الساعات والحياة العملية. أما الزمان الحقيقي فهو الزمان الوجودي أو الزمانية، وهو هذا الذى فسرناه منذ قليل، ومن هذا التفسير يتبين لنا بوضوح أن صفات الوجود الأصلية هي عينها صفات الزمانية. ومعنى هذا أن الوجود والزمان شيء واحد. فلننظر في ماهية هذا الزمان الوجودي أو الزمانية:

هيدجر يميز بين هذه الأحوال الثلاث للزمانية من حيث المرتبة فيجعل المرتبة الأولى للحالة الأولى وهي حالة المستقبل. فالزمانية الأصيلة الحقيقية تصير في حالة الزمانية ابتداء من المسنقبل الحقيقي، حتى انها لتوقظ الحاضر بأن تكون هي مستقبلاً قد كان، فالظاهرة الأولية للزمانية الأصلية الحقيقية إذاً هي المستقبل. ونستطيع أن نفسر هذا بعبارة أخرى فنقول: إن ماهية "الآنية" هي الامكانيات، والامكانيات أشياء لم تتحقق بعد، أى أنها في حالة الاستقبال. فالمستقبل إذن جوهر الوجود. ونظراً لأهمية المستقبل، علينا أن نحلل مضمونه.

في المستقبل تكون "الآنية" في حالة إضمار وتصميم وتوقع مستمر بالنسبة إلى ذاتها، نظراً إلى أن الوجود الكلي لم يتحقق بعد بتمامه بأن بقيت فيه إمكانيات أخرى لم تزل غير متحققة. ومعنى هذا أن "الآنية" ـ حالة المستقبل ـ لا يمكن أن تكون كلاً تاماً، بل لابد أن يوجد فيها باستمرار "نقص" بسبب عدم تحقق جميع الامكانيات. أى أن "الآنية"، على حد تعبير هيدجر، في حالة "تأجيل" باستمرار. وفكرة التأجيل هذه من بين الأفكار التى عني هيدجر بتعمق معناها إلى حد بعيد، نظراً لما لها من أهمية رئيسية بالنسبة إلى مشكلة الموت. وخلاصة ما قاله مارتن هيدجر في هذا التحليل أن معناها "ليس بعد"، وهذه يمكن أن تُفهم بمعنيين..

فقد تكون بمعنى أن شيئاً ليس في المتناول في لحظة ما، كما يُقال عن باقي دين لم يُدفع بعد، أى أننا في هذه الحالة نجزيء الشيء ونجعل منه أجزاء ميسرة الآن وأخرى ستأتي فتضاف ـ مجرد اضافة ـ إلى الأجزاء السابقة. وظاهر أن هذا المعنى لايمكن أن يكون المقصود من التأجيل حينما يُقال عن "الآنية" إنها في حالة تأجيل مستمر، لأن "الآنية" لا يمكن أن تُقسم إلى أجزاء هذا التقسيم الآلى، خصوصاً إذا لاحظنا أن المؤجل أو الذى "ليس بعد" عنصر جوهرى في "الآنية"، فهذا الوجود هو عينه مؤجله. وإذا كان كذلك، فإن من جوهر الوجود حينئذ هذا "الليس بعد" أو المؤجل، وهو موجود بوجوده. وهذا "الليس بعد"، الذى هو عنصر جوهري في الوجود، معناه النقص، أى أن "هذا الوجود" ينقصه شيء باستمرار، فهو إذن في حالة نقص مستمر. أجل، إن هذا "الليس بعد" إمكانية، ولكنها إمكانية ممتنعة التحقيق بالضرورة، لأنها عنصر جوهري في الوجود كما قلنا. بل هو أعلى درجة من درجات الامكانية، لأنه إمكانية عامة، ولكنه أيضاً أعلى إمكانية لأعلى امتناع، لأن الامتناع هنا مطلق.

خلاصة هذا كله أن من بين العناصر الجوهرية في الوجود يوجد عنصر الامكانية المطلقة. وهذا هو الموت. لأن الموت هو إمكان "هذا الوجود" أن لا يمكنه تحقيق حضور بعد، أو إمكانية الامتناع المطلق لهذا الوجود. وليس وراء هذه الامكانية حد، لأن الوجود لا يستطيع مطلقاً أن يتخطى الموت، وإنما يوجد دائماً من هذا الجانب من الموت ولا يمكن أن يكون وراءه. وما ليس له حد هو المطلق. إذن هذه الامكانية مطلقة. وعلى هذا فإنه لما كانت الامكانية إمكانية مطلقة، فالموت إذن هو الامكانية المطلقة للاامكانية المطلقة. وعلى هذا فإنه لما كانت الامكانية المطلقة للاامكانية المطلقة عنصراً جوهرياً في الوجود، فالموت إذن عنصر جوهرى في الوجود. فحيث يكون وجود، يكون بالضرورة موت.

وبهذا المعنى وحده يجب أن يُفهم الموت على أنه نهاية. فلفظ "نهاية" يُطلق بمعان عدة. فيقال مثلاً عن المطر إنه "انتهى"، بمعنى أنه انقطع انقطاع فناء. ويقال عن طريق في حالة بناء إنه "انتهى" هنا، بمعنى أنه انقطع ولكن لم يكمل بعد. ويقال ثالثاً عن طريق انتهى بناؤه إنه انقطع، أى ليس بعد هذا شيء منه باقياً. ويقال رابعاً عن لوحة تناولتها يد الفنان للمرة الأخيرة إنها انتهت، بمعنى أنها كملت وبلغت تمامها. ولا يمكن أن يقال عن الموت أنه انتهاء بأى معنى من هذه المعاني، لأنه لايوجد من بين هذه المعاني للنهاية ما يفترض في الشيء المنتهى أن الانتهاء موجود فيه منذ أن كان، بينما الموت ـ كما أثبتنا ـ موجود في الوجود منذ هو وجود أى منذ كينونته. وإنما يجب أن تفهم النهاية بالنسبة إلى الموت بمعنى أن الوجود منذ كينونته هو "وجود لفناء". وتلك هي المشكلة الحقيقية للموت، فهي مشكلة تناهي الوجود جوهرياً.

ولكن توجد إلى جانبها مشاكل ثانوية للموت قد تفيد في دراسة هذا المشكلة الحقيقية، لكن بشرط أن يكون الأساس في بحث هذه المشاكل الثانوية هو المشكلة الحقيقية. وأول هذه المشاكل الثانوية للموت، تأتي المشكلة النفسانية للموت، وتدور حول البحث في الشعور الانساني نحو الموت، أولاً بازاء موت الذات الخاصة، وثانياً بازاء موت الآخرين. مع ملاحظة أن البحث في هذه المشكلة ليس بحثاً في الأحوال النفسية عند الميت، بل هي بالأحرى في الأحوال النفسية عند المحتضر.

كذلك يمكن البحث في الموت من الناحية التقويمية، فنبحث في هل الموت خير أم شر. ولكن بحث كهذا لا يتيسر إلا إذا بحثنا من قبل ماهية الخير وماهية الشر من الناحية الميتافيزيقية الوجودية. كما نستطيع أن نبحث في الصلة بين الموت وبين مسائل الالهيات، خاصة فيما يتعلق بوجود الله والخلق من العدم.

وهكذا نجد أننا نستطيع أن نقيم مذهباً فلسفياً عاماً على أساس مشكلة الموت ينقسم تلك الأقسام الأربعة التقليدية للفلسفة. فيتناول أولا الناحية الفلسفية بعنوان "ظاهريات الموت"، ويتناول ثانياً الناحية التقويمية بعنوان" تقويمية

الموت"، وثالثاً الناحية الالهية بعنوان "الهيات الموت"، ويتناول رابعاً وفي الدرجة الأولى الناحية الوجودية بعنوان "وجوديات الموت". وهذا كله بشرط أن تكون الناحية الوجودية لمشكلة الموت هي الأساس في كل بحث فيه، كما هو ظاهر مما قلناه.

إن جعل الموت مركز التفكير في الوجود يؤذن أيضاً بميلاد حضارة جديدة، لأن روح الحضارة تستيقظ في اللحظة التى تتجه فيها بنظرها إلى الموت اتجاهاً يكشف عن سر الوجود. فكأن منطق الحضارة إذاً - سواء بالنسبة إلى الحضارة الغربية وإلى الحضارة الجديدة - يؤذن بوجوب قيام هذا المذهب الجديد اليوم. بهذه الكلمات اختتم بدوي دراسته التشريحية لـ"مشكلة الموت"..

**ملاحظات لابد منها:**

---

عبد الرحمن بدوي هو العملاق الذى يموت في وطنه، ويحيا خارجه!

الناس في بلادي - خاصة الشباب منهم - لا يعرفون الكثير عن هذا الفيلسوف المصري، وقد يكون لهم عذرهم في ذلك! لأنه فضلاً عن التحريم الذى يُحيط بالفلسفة والفلاسفة عندنا، قضى بدوي جُل سنوات عمره الخصب بعيداً عن مصرنا الحبيبة، لاستيائه الشديد من تخلف مٌخنث، أسهبت سيرته الذاتية المُهمة في تعريته(3)، لدرجة دفعت جورنالجي مصري - وياللحماقة - للتندر على فيلسوفنا بدوي، ومذهبه الوجودي، بقوله(4): "أنا أسب وأشتم إذن أنا موجود!"

في حوار له مع الجورنالجي نفسه، تحدث بدوي عن نفسه قائلاً(5):

"يبدو أن الكثيرين قد غاب عن بالهم أنني أزحف على جبهتين منذ إنتاجي العلمي الأول، الجبهة الأولى هي الجبهة الفلسفية الإنسانية (العامة والكلية) والجبهة الثانية هي الجبهة الإسلامية، ولا أعتقد أنني عندما أصدرت كتابي الأول عن نيتشه سنة 1939، ثم أصدرت كتابي الثاني عن التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، قد أتيت بذلك شيئاً نكراً.

"لقد اعتدت منذ بواكير حياتي الفكرية أن أسير على هذه الخطة حتى اليوم. فهذه المؤلفات الثلاثة التي ظهرت حول القرآن الكريم وحياة محمد والإسلام تلت كتابي ذي الأربعة أجزاء عن عمانويل كانت. وكتابي عن هيجل ثم موسوعتي الفلسفية وهكذا فعندما أضع مؤلفاً في الفلسفة العالمية لابد أن يعقبه كتاب آخر في الفكر الإسلامي.

"كم أود أن يفهم الناس على هذه الخطة حتى لا تنزلقوا في تفسيرات لا أساس لها من الصحة، كما قال أحمد بهاء الدين في مقالة له - ذات يوم - يفسر فيه

اتجاه طه حسين وبعض معاصريه للكتابات الإسلامية في أخريات أيامهم بأنها نوع من الرجوع أو العودة إلى المنبع التي تتماشى مع تقدم السن!"

قارئي الكريم، إدراكاً مني لسمو مكانة عبد الرحمن بدوي في الفكر العربي المعاصر، أعمد في الملاحظات التالية لتثمين سيرة الرجل، وإسهاماته الفكرية:

1. مشوار بدوي الفكري وحديثه مع الجورنالجي المصري يُعطيان العديد من الانطباعات المُؤرقة! **الانطباع الأول:** تباعد وانفصال الثقافة العربية عن الحضارة الإنسانية، وكأن أبناء أمتنا العربية استثناءًا من ناموس الحياة! في حين أن أبناء أي أمة لم ولن يفضلوا غيرهم إلا بقدر ما يُضيفوا للتراث الإنساني. فللإنسان في كل زمان ومكان الحق ـ كل الحق ـ بأن يوجد وأن يتميز بقدر ما يُضيف للحياة، وبقدر ما يُسهم في دفعها إلى الأمام.

2. **الانطباع الثاني:** إمكانية اكتفاء محبي الحقيقة، في سعيهم لتزخيم ثقافتنا، بالزحف على جبهتي الحضارة الإسلامية والإنسانية، دون السعي لحرث التراث والاشتباك مع الحضارة الإنسانية! ففي سعيه الدؤوب لتزخيم حضارتنا، اكتفى بدوي بالإبحار في روائع الحضارتين الإسلامية والغربية، فضلاً عن اهتمامه برصد تاريخ ومظاهر التأثير المُتبادل بينهما! وهو ما قد يُغري غيره من محبي الحقيقة بإتباع النهج نفسه، ويثير التساؤل حول طبيعة تصور الرجل لكيفية التعاطي العربي مع إشكالية الوافد والموروث!
3. **الانطباع الثالث:** إمكانية اتخاذ محبي الحقيقة لمعايير ضبابية في الحكم على الأمور!! فأحكام بدوي في معاركه الفكرية العديدة لا تستند في معظمها لمعيار واضح! فعلى سبيل المثال، النقيصة الوحيدة عند الجورنالجي أنيس منصور ـ في رأي بدوي ـ هي حبه للمفكر المُجتهد عباس العقاد! الأكاديمي المرموق محمد أركون هو تلميذ الاستشراق ومشكوك في وطنيته! الأكاديمي فؤاد زكريا تقطر كتبه سُماً على الإسلام والمسلمين!

4. **الانطباع الرابع:** تواضع إسهام بدوي الفلسفي، مقارنة بإسهام نظرائه من الموقظين العظام في الحضارات الأخرى، أو حتى مُقارنة بإمكانيات بدوي نفسه الفلسفية! صحيح أن طه حسين قال في مدح بدوي أثناء مناقشة رسالته لنيل الدكتوراه "الزمان الوجودي"(6): "لأول مرة نُشاهد فيلسوفاً مصرياً"، غير أني أظل على قناعتي بأن المفكر عبد الرحمن بدوي لم يتفلسف قدر اعتنائه بالفلاسفة، ومذاهبهم! ولشد ما يؤسفني هذا الأمر!

5. **الانطباع الخامس:** إمكانية تورط محبي الحقيقة في تلاسن ساذج مع أصحاب الفهم غير الفلسفي للأديان! فيلسوفنا بدوي أحجم على نحو غامض عن إيضاح التعريف الفلسفي للأديان؟ والأكثر إثارة للدهشة انه لم يكتف بالسكوت عن فلسفة الضرار، بل اتهم بعض مخالفيه بازدراء الأديان!

6. السؤال المُلح: هل يُعقل عدم إدراك الفيلسوف بدوي للبون الشاسع الفاصل بين الأصل الديني للإسلام وبين الإسلام كحضارة متكاملة؟! هل يُعقل أن يكون هذا قد حصل، رغم ما هو معروف عن الرجل من عبقرية فذة وشغف بالمعرفة، إلى جانب اعتزازه المُفرط بكرامته الشخصية واستقلاليته الفكرية، إضافة لعدم تكالبه على المناصب أو الجوائز والأوسمة..الخ!

7. صحيح أن الإسلام كحضارة كاملة نشأ وتطور في كنف الأصل الديني للإسلام، بيد أنه لا يصح أن تنسحب القداسة التي نعترف بها للأصل الديني على أمور هي من صميم الإسلام كحضارة كاملة، أعني حقوق الإنسان والتاريخ والسياسة والقانون والأخلاق...إلخ! أمور حياتية كهذه لا يصح أن تُشفر ضد النقد والتطوير! فحياة الإنسان في حراك دائم، ومن يحلم بتأبيد اللحظة يُراود المستحيل، ويُورث نفسه وأبناء حضارته العار والهوان!

8. أما بالنسبة لدراسة بدوي: "مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية"، والتي أوردنا في الجزئية السابقة عرضاً مُطولاً لها، فعنوانها ـ وكما نرى ـ يشي بعناية صاحبها بالفلسفة الوجودية، كونها أحدث "الموضات" الفكرية الرائجة إبان سفره إلى ألمانيا عام 1937 للدراسة، واعتقاد بدوي بكون الوجودية خير مذهب فلسفي يُطابق روح العصر آنذاك، ويُعبر عن حال الإنسان، ويهتم بكل ما يتعلق بالإنسانية. موقف كهذا لا يُحسب لبدوي!

9. الفيلسوف بدوي انبهر على ما يبدو بالمذاهب الفكرية الغربية، ولم يجرؤ على بناء مذهب فلسفي مُبتكر، تُلمس فيه تجربتنا الحضارية، ويرى معذبو أرضنا الطيبة في مرآته آلامهم، بل وخلاصهم إن أمكن! فالشائع في مجتمعاتنا المتخلفة أن نجد من يُميز نفسه على أنه وجودي أو ماركسي أو فيورباخي أو بنيوي أو تفكيكي أو سريالي..الخ! غير أن المُضحك حقاً هو أنك تجد بين هؤلاء الأتباع الأكفاء من هو أشد تشبثاً ورفضاً لنقد وتطوير المذهب الغربي من مُبتكر المذهب نفسه! ملكيون هم أكثر من الملك!

10. على أية حال، الوجودية، كبقية المذاهب الفلسفية (ومنها فكرنا الأنسني)، تُعنى ـ وعلى طريقتها الخاصة ـ بالإنسان، وحياة يعيشها ولم يطلبها!

11. لا يُقصد بالوجودية، وكما جاء في مُحاضرة لسارتر بعنوان "الوجودية مذهب إنساني"، سوى أن للانسان كرامة أكبر مما للحجارة أو المنضدة، لأنها تعنى أن يُقال إن الانسان يوجد أساساً ثم يُريد أن يكون، ويكون ما يريد أن يكون بعد القفزة التى يقفزها إلى الوجود!! الانسان يكون شيئاً، يمتد بذاته نحو المستقبل، وهو يعي أنه يمتد بها إلى المستقبل! فالانسان مشروع، مشروع يمتلك حياة ذاتية، بدلاً من أن يكون شيئاً كالطحلب(7).

12. هدف الوجودية إذن، وكما يتضح من كلمات الفيلسوف الوجودي سارتر، هو تعميق وعي الانسان بذاته، وبالحياة التي أُعطيت له، ولم يطلبها! من هنا، يأتي حرصنا على تثمين دراسة بدوي لـ"مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية"، والإفادة منها في تزخيم معالجتنا للمشكلة نفسها في ثقافتنا(8).

**لنبدأ من حيث انتهى بدوي:**

الفلسفة الوجودية، وعلى خلاف فكرنا الأنسني، تتسم بقدر يُعتد به من الغموض والتعقيد! ولا عجب، فروادها الأوائل استندوا في بنائها، وكما يتضح من عرضنا لدراسة بدوي، إلى ميراث فلسفي ضخم، يصعب توافره في الحضارات غير الغربية. كما أن صيتها ذاع في مجتمعات، ملآى بالأحرار ومحبي الحقيقة.

بعبارة أخرى، يمكن تفهم الغياب المنطقي لتجربتنا الحضارية عن الفلسفة الوجودية، كون الوجودية لا تُعنى بخلق وعي الإنسان بذاته وبالحياة، بقدر ما تُعنى بتعميق هذا الوعي! بُناة الوجودية ـ على ما يبدو ـ افترضوا قدراً يُعتد به من الوعي بالذات وبالحياة لدى المُتلقي الغربي وهم على حق فيما ذهبوا إليه!

الفلسفة الوجودية إذن مُحاولة لتعميق وعي الإنسان بذاته وبالحياة! ولا أدري كيف لمجتمعات كمجتمعاتنا العربية المتخلفة، أن تتمكن من تثمينها، في ظل ولع أبنائها الكارثي بـ"العبودية المُختارة"، وتسيد "تُجار الآلام" و"فلاسفة الضرار" للدوائر الفكرية والأكاديمية، ناهيك عن افتقاد مجتمعاتنا المنكوبة لبنية تحتية فلسفية، تسمح بحرث التراث والاشتباك مع الحضارة الإنسانية، على نحو مؤثر.

في دراسته لـ"مشكلة الموت"، خلص العملاق بدوي إلى النتائج التالية:

- الموت إشكالية، من الناحية الوجودية، ومن ناحية المعرفة.

- يكون الموت مشكلة حينما يشعر الإنسان ـ أي إنسان ـ شعوراً قوياً واضحاً بإشكال الموت، وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة، وحينما ينظر إلى الموت كما هو ومن حيث إشكاليته هذه. ويحاول أن ينفذ إلى معناه من حيث ذاته المستقلة. يقتضي هذا كله أشياء من الناحية الذاتية (الحرية/الشخصية/الخطيئة)، وكذلك من الناحية الموضوعية.
- ثمة حاجة لإقامة مذهب فلسفي عام على أساس مشكلة الموت، ينقسم إلى الأقسام التقليدية للفلسفة، فيتناول: 1ـ الناحية الفلسفية بعنوان "ظاهريات الموت". 2ـ الناحية التقويمية بعنوان" تقويمية الموت". 3ـ الناحية الإلهية بعنوان "إلهيات الموت". 4ـ الناحية الوجودية بعنوان "وجوديات الموت".

نتائج عديدة ومهمة لدراسة بدوي، ملت إنتظار من يحرص على تثمينها!

بالنسبة لي، أكتفي هنا بتطبيق بعض مقولات دراسة بدوي على مجتمعاتنا، بغية التعرف على مدى قوة ووضوح شعورها بإشكال الموت، وهل يحيا هذا الإشكال في نفوس أبنائها بطريقة عميقة، وهل ينظرون إلى الموت كما هو ومن حيث إشكاليته هذه. وهل يحاولون النفاذ إلى معنى الموت من حيث ذاته المستقلة.

من مقولات دراسة بدوي انه كلما كان الشعور بالشخصية أقوى وأوضح، كان الانسان أقدر على إدراك الموت! وكل إضعاف للشخصية يُشوه حقيقة الموت!

تخلف شعوبنا وضعف شخصيتها، لابد إذن وأن يُشوه ادراكها للموت!

فكرة الشخصية تقتضي بدورها فكرة الحرية، فلا شخصية حيث لا حرية، ولا حرية حيث لا شخصية. وذلك من ناحيتين: 1ـ أنه لا وجود للشخصية إذن إلا مع الحرية. 2ـ أن الحرية هي الاختيار، ولا اختيار إلا بالنسبة إلى شخصية تميز. من هذا الارتباط بين الموت والحرية، نستطيع أن نستنتج أن كل المجتمعات، ومنها مجتمعاتنا المتخلفة، التي تكتفي شعوبها بالحرية الموضوعية، دون الذاتية، لم يكن حظها أن تُدرك مشكلة الموت على نحو حقيقي غير مشوه.

في مقالتي الأخيرة(9): "أبطال عظماء أم باعة لصكوك الحرية"، أوضحت كيف أن الانسان الشرقي عموماً، والانسان العربي على وجه الخصوص، ينظر إلى الأوامر والقوانين على أنها شيء ثابت مُحدد ومُجرد، يخضع له في عبودية مطلقة، وأنه لا يتعين أن تلبي هذه القوانين أمانيه، وبالتالي فإن المواطنين يكونون للأسف أشبه بالأطفال الذين يُطيعون آباءهم بغير إرادتهم أو بصيرتهم الخاصة!

الحرية عندنا موضوعية لا ذاتية! الدولة هي الحياة الروحية الكلية التي يرتبط معها الأفراد بمولدهم بعلاقة ثقة ويعتادونها ويتمثل وجودهم وواقعهم الحقيقي فيها. العربي يفتقر إلى البصيرة، والإرادة، والشخصية. إنه يفتقر إلى الحرية الذاتية، التي لا تتحقق إلا في الفرد، ولا تتجسد إلا في وعيه بحرية عقله وقلبه. إنه حر بقدر ما يُسمح له، ولا يجرؤ على الدخول المُنفرد لملكوت الحرية.

مجتمعاتنا المتخلفة لا تعرف من الحرية إلا حرية الحاكم، أي حرية القوى الحاكمة! أبناء أمتنا لديهم قناعة راسخة انه انما ينهض بالأمة مستبد عادل، يتمتع هو وحده بالحرية الذاتية، بينما يُسمح لبقية أفراد المجتمع بالحرية الموضوعية.

الحالمون بالمُستبد العادل يفتقرون دوماً إلى البصيرة والإرادة والشخصية وينفرون ممن يسعى لاضاءة عقولهم وقلوبهم بمصابيح الحرية. الحالمون بالمستبد العادل/البطل المُخلص في أوطاننا لا يدخلون، بل لا يجرؤن حتى على مجرد التفكير في دخول ملكوت الحرية، دون اذن! البطل العربي بائع لصكوك الحرية!

فهم مُخنث كهذا للبطولة والحرية لابد وأن يقترن بادراك مشوه للموت!

الحرية هي القدرة على فعل الخير والشر بالنسبة إلى الإنسان الفرد. بمعنى آخر، لابد للحرية أن تكون قدرة على فعل الشر وإلا فإنها لن تكون حينئذ حرية.

من هنا جاء الارتباط الوثيق بين الحرية وبين الخطيئة: فحيث لا توجد الخطيئة لا توجد الحرية، وحيث توجد الحرية توجد الخطيئة بالضرورة. وعن طريق هذا الارتباط بين الحرية والموت من جهة، وبين الحرية والخطيئة من جهة أخرى، كان الارتباط بين الخطيئة وبين الموت. والارتباط بين الخطيئة وبين الموت قد بلغ أول درجة عليا من درجات التعبير عنه في المسيحية، وصُور أصرح تصوير في عبارة القديس بولس: "بواسطة إنسان نفذت الخطيئة إلى العالم، وعن طريق الخطيئة نفذ الموت". فهذه العبارة تدلنا على أن المسيحية نظرت إلى الموت على أساس أن مصدره الخطيئة، أى أنها أدركت منذ ابتدائها ما هنالك من صلة وثيقة جداً، هي هنا صلة العلة بالمعلول، بين الموت وبين الخطيئة.

هي أيضاً قد ربطت بينهما عن طريق فكرة الحرية الفردية، خصوصاً إذا لاحظنا أن الحرية الفردية - وبحسب دراسة بدوي - تحتل مقاماً عالياً في الفكر المسيحي، ومصدر هذا ارتباط الحرية بالخطيئة: فإذا كانت فكرة الخطيئة تلعب الدور الأكبر في الحياة الروحية المسيحية، كان لابد إذاً من القول بالحرية الفردية بل وتوكيدها، ما دامت هي مصدر الخطيئة. وهكذا نرى أن الناحية الذاتية كان من

شأنها أن تهيئ للمسيحية أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً، إن توافرت الناحية الموضوعية إلى جانب الناحية الذاتية، ونعني بها الشخصية، والحرية، والموت.

قارئي الكريم، لن أتطرق هنا للعلاقة بين الخطيئة والموت في ثقافتنا العربية، لأنه ـ ومقارنة بالمجتمعات الغربية مثلاً ـ ثمة غموض نسبي يكتنف هذه العلاقة، يزيد من حدته إحجام "فلاسفة الضرار" عن تعهده بالبحث الفلسفي!

قلنا سلفاً إن الانسان في مجتمعاتنا المتخلفة يفتقر إلى البصيرة، والإرادة، والشخصية. قلنا أيضاً إنه يفتقر إلى الحرية الذاتية، التي لا تتحقق إلا في الفرد، ولا تتجسد إلا في وعيه بحرية عقله وقلبه. إنه حر بقدر ما يُسمح له، ولا يجرؤ على الدخول المُنفرد لملكوت الحرية. إنه في انتظار أبدي لباعة صكوك الحرية!

وهكذا، ومادامت الحرية الذاتية، والتى هي مصدر الخطيئة أو هي القدرة على فعل الخير والشر بالنسبة إلى الإنسان الفرد، مهيضة الجناح في ثقافتنا العربية إلى هذا الحد المُتطرف، فلابد إذن وأن يتشح إدراك مجتمعاتنا للموت بالتشوه! صفوة القول ان ضعف الناحية الذاتية في ثقافتنا، وأعني بها الشخصية والحرية والخطيئة، ينال بشدة من قدرتنا على وضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً!
من مقولات دراسة بدوي أيضاً ما يتعلق بالناحية الموضوعية: انه لكي تكون النظرة إلى الموت صحيحة، يجب أولاً أن تجعل الموت جزءا من الحياة، وإلا فلن يكون له مكان داخل نظرة الانسان إلى الوجود، وإنما سيكون شيئاً عرضياً يمكن إغفاله! ويجب ثانياً ألا تجعل الموت مُضاداً للحياة، على نحو ما تفعل المسيحية!

ثقافتنا العربية ـ وكما هو واضح ـ استطاعت أن تضع الموت وضعاً حقيقياً من حيث أنه مشكلة فحسب. القرآن يقول(10): "كل نفس ذائقة الموت".

ثقافتنا العربية نفسها، حينما أرادت أن تُعرف هذا الموت من حيث ماهيته اتسمت نظرتها للموت بتشوه مُرعب، يجد المرء اثاره في كل زاوية من حياتنا!

ولمن لا يستسيغ كثيراً زعمنا بوجود ارتباط وثيق بين انحطاط مجتمعاتنا العربية وبين تشوه نظرتها للموت، أقول: ليست الفكرة مجرد معنى ذهني، ولكنها تحتوي في ذاتها على قوة دينامية قادرة على أن تحرك الأفراد، والشعوب، وتدفعهم إلى الاتجاه لتحقيق غايات بعينها، وخلق الأنظمة التى تساعد على ذلك.

أنظر إلى مجتمعاتنا العربية مثلاً، تجد هرماً من الأفكار الحاكمة ـ وفي مقدمتها نظرتنا للموت ـ، يُتهم في شرفه وكرامته من يتصدى لنقده وتطويره، كونه مُحاطاً بسياج مُخيف من الاجلال والتوقير، رغم تأثيره الشديد على حياة أمتنا وصياغة مستقبلها، وتحديد علائقها الاجتماعية. والسؤال الذى يفرض نفسه: هل من الحكمة أن تُترك هذه الأفكار الحاكمة ليبثها فينا من يشاء ويُبلورها في ضمائرنا من

يشاء؟ أم أن الحكمة أن يُخلى بين مُحبي الحقيقة عندنا، وبين هذه الأفكار(التى يمتزج فيها الشعور باللاشعور وما هو غيبي بما هو واقع..الخ).

**مواطن التشوه في النظرة العربية للموت:**

إنه لأمر طبيعي أن ترسخ في وجدان كل فرد نظرة الموت العامة السائدة في مجتمعه. فإذا ما طبق الفرد هذه النظرة السائدة على زواله شخصياً، لاعتنق كإنسان وجهة النظر عينها. وهذا ما يفعله غالبية الناس بنجاح، إذ أن أول ما يقابلون هي النظرة العامة مصحوبة بأوسع ما يمكن من القوة والسلطان والهيبة.

ما يحدث هو أن الجميع ـ فيما عدا الشخص نفسه ـ يستطيعون التفكير في موته على أنه موت شخص آخر غيرهم. أما بالنسبة للميت، فإن موته شخصياً إن هو إلا خبرة خاصة به وحده لا يستطيع المجتمع أن يتدخل أو يشترك فيها، وعلى هذا يعجز عند إصدار حكمه عليها. الجهد الفلسفي حتمي إذن لتوضيح أن الانسان إنما يموت وحده، في خلوة وانفراد. وكذا تعرية مواطن التشوه في نظرة المجتمعات للموت. من هنا، أحرص في هذه الجزئية على تعرية أبرز مواطن التشوه في نظرة مجتمعاتنا العربية المتخلفة للموت، على أمل الاسهام في محوها.

- **خلف باب الموت الموصد إله قاس كاره للحرية والأحرار!**

الديانة الإسلامية ـ وهي الآن الأكثر انتشاراً بين العرب ـ تبدو بسيطة واضحة في الركن الأول من أركانها، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. ومعنى هذا في الاسلام هو أن الله وحده هو الاله الحق دون سائر الآلهة التى كان يعبدها أهل مكة. شهادة لا إله إلا الله لم تتعرض لماهية الله، وإنما تعرضت فقط لبيان مقامه.

وعلى هذا فلفظ الجلالة "الله" كان ولا يزال اسم العلم الذى يُطلق على الخالق عند المسلمين. وهو يقابل ـ بحسب ماكدونالد ـ كلمة "يهوه" Yahwe عند اليهود، لا كلمة "إلوهيم" Elohim. وليس لكلمة "الله" جمع، وإذا أراد المسلمون الكلام عن الآلهة بالجمع فإنهم يلجئون إلى جمع كلمة "إله"، وهي إسم جنس يُرجح ماكدونالد أن كلمة الله اشتقت منه. القرآن الكريم يستعمل هذا الجمع عند كلامه عن الآلهة الأخرى، التى كان أهل مكة يشركونها مع الله (سورة الأنعام، الآية 19). وقد حذا المسلمون حذو كتابهم المقدس في ذلك، ولو أنهم ـ فيما يبدو ـ آثروا أن يُطلقوا على تلك الآلهة اسم الأصنام أو الأوثان تمييزاً لها.

على أنه وإن كان اسم "الله" واحداً عند أهل مكة وعند النبي محمد ـ كما ذكرت تواً ـ، فإن تصورهم لحقيقة الله لابد وأن يكون مختلفاً اختلافاً بيناً. فالواضح أن أهل مكة بوجه عام لم يكونوا يخافون الله، وإنما خوفه كان من أركان الديانه

الاسلامية. كان أهل مكة يظنون الله بعيداً عنهم بُعداً عظيماً، في حين يقول القرآن إن الله قريب جداً في كل لحظة، بل هو أقرب إلى الناس من حبل الوريد (سورة ق، الآية 16). أهل مكة لم يترددوا في عصيان الله وعبادة آلهة أقل شأناً. في حين عرفت رسالة النبي محمد الله بأنه الملك، المنتقم الغيور، وأنه سيحاسب الناس من غير شك ويعاقبهم في اليوم الآخر، وبذا تحولت تلك الفكرة الغامضة عن الله إلى ذات لها خطر عظيم(11). شرارة الخوف من الله في مُجتمعاتنا، وجدت على مر القرون، من ينفخ فيها ويؤججها، لتصير نيراناً تأكل الرحمة.

القرآن الكريم أتى بالحقيقتين الكبيرتين، وهما قدرة الله على كل شيء ومسئولية الانسان، وأن الصالحات يُثاب عليها والطالحات تُجازى. وقد جاهد المفكرون المسلمون بلا كلل لايجاد حل لهذا التناقض الظاهر. غير أن الصراع على ما يبدو حُسم بدربة وصرامة لصالح مُناهضي حرية البشر وباعة الأوهام، رغم أنه لايمكن للانسان في هذه المرحلة من تطوره أن يحسم هذه القضية والتى ليست قصراً على الاسلام وإنما تعرضت لها كل الأديان، فهي قضية عامة(12)!

من هنا، يشيع في مُجتمعاتنا العربية المتخلفة أن خلف باب الموت إله قاس، يكره الحرية والأحرار، يُثيب الجبناء فحسب، أما النبلاء فيُصليهم عذاب الجحيم! إله لا يبلغ مجده إلا على جماجم الثوار، وصراخ "مُحبي الحقيقة" في قاع الجحيم!

ما أشقانا نحن العرب بهذا الفهم المُشوه للخالق العظيم. لا يمكن أن يكون الله عز وجل بمثل هذه البشاعة والشراسة. إلهنا الرحيم يوجد حيث يسكن النور! كيف أصدق أن إلهاً عظيماً كإلهي، يمكن أن يعاملني بمثل هذه القسوة والوحشية! لا أصدق أن لالهي الرحيم مُعتقلات تُنافس في بشاعتها "سجن أبو غريب العراقي" و"سجن العقرب المصري" و"مُعتقل جوانتانامو الأمريكي" و"سجن المزة السوري"!

- **الحياة "أمة"، تُشتهى وتُعاشر، لكن لا تُعامل كـ"حرة":**

الوجدان العربي مُتشبع على نحو كارثي بقناعة بالية مفادها أن الانسان مخلوق آثم، شقي بالفطرة، يرفل في الشقاء، وأن العالم سيصل إلى نهايته يوماً ما، وأن ليست الحياة على الأرض غاية في ذاتها، ولكنها أشبه بتمهيد للجنة أو الجحيم. الوجدان العربي لا يستريح لفكرة وجود مستقبل زاهر للبشر الفانين!

الحياة عند شعوبنا تُسرع الخُطى نحو الفناء، والزمن يسير حتماً نحو الأسوأ! السلف لا يُعوض! والاستثمار الرابح لا يكون إلا في "ما وراء الموت"!

غير أن المدهش هو عدم نجاح قناعات كالمذكورة تواً في لجم تكالب أصحابها على مظاهر الرفاهة بمختلف أنواعها! بل والأكثر إثارة للدهشة هو عدم خُلوها من خطر عظيم، إذ غالباً ما تُتخذ كحجاب لستر دناءة أصحابها. فضلاًً عن وقوفها حائلاً دون إحترام أصحابها للحياة، وإحجامهم عن اثرائها ودفعها للأمام.

الحياة عندنا إذن "أمة" أو "بغي"، يقضى المرء منها لبانته، ثم يُلقي بها في عرض الطريق متاعاً للآخرين! بالنذالة وانتهازية تعامل أمتنا البائسة مع الحياة!

إن كلاً منا، معشر البشر، على الأرض في زيارة عابرة، نجهل سببها، ولكننا نعتقد في قرارة أنفسنا أننا نحس ونُدرك هذا السبب! بالنسبة لي، أراني قانعاً اننا هنا من أجل أولئك الذين نستمد كل سعادتنا من ابتسامتهم وبهجة حياتهم، فلذات أكبادنا وأحباؤنا، وكذلك أيضاً من أجل الجمع الغفير من الناس الذين وإن كنا لا نعرفهم، تربطنا وإياهم روابط الرفقة الإنسانية. إننا هنا للدفاع عن الحرية، هدية الله للبشر. الخصائص التي تتكون منها طبيعتنا البشرية، والتى تُميزنا عن بقية الكائنات المُحيطة بنا، إنما مُنحت لنا وأُعطيت كبذرة، يجب أن نستثمرها.

حياتنا الداخلية والخارجية تعتمد على جهود معاصرينا وأسلافنا، ولذلك حتماً علينا أن نسعى ما وسعنا بأن نرد جميلهم بقدر ما نلنا ومازلنا ننال من ثمرات جهودهم. مظاهر النجاح الظاهري، كالرفاهة المادية والشهرة، كلها بضاعة تعسة. الحياة أخطر من أن تكون مُجرد تمهيد للجنة أو الجحيم. الحياة رسالة(13).

إنها لقصيرة وعاجزة حقاً، حياة الانسان، فقد قُضي عليه اليوم أن يفقد أحباءه، وقُضي عليه أن يلتقي نهر حياته ـ هو نفسه ـ غداً صحراءه! يحدد الانسان معنى حياته بما يُضيفه إلى الانسانية. غير أن الانجاز أو بلوغ المأرب ليس المصدر الوحيد لمعنى الحياة! لأنه لو كان الأمر كذلك، لوجد أولئك الذين يُحرمون من إنجاز عمل، أن حيواتهم خلو من المعنى، لامناص. ولكن هناك أولئك الذين يؤدون عملاً تافهاً أو ضئيلاً، ويجدون ما يكفي من معنى للحياة في خبرة حبهم عندما يحبون ويحبون. في وسع الانسان أن يبقى كائناً بالرغم من عدم انجاز أى شيء فوق الحفاظ على ذلك التواصل الرائع، مع "الله" ورفاق الطريق!

لدى كثير من الناس شعور أو لعله اعتقاد وهمي، بأنهم مكلفون برسالة من نوع خاص عليهم إنجازها! الاقتناع بوجود مهمة يحول بينهم وبين الاحساس بالضياع والعدم. للحياة معنى ما دام الانسان مستمراً في الرقي وفي دفعها للأمام.

إن مجرد وجودنا على قيد الحياة قيمة. وعار ثقيل علينا، معشر العرب، أن نشتهي الحياة ونُعاشرها كـ"أمة"، وهي "الحرة الأبية"! ما الحياة إلا وقفة عز، وإذا كان لابد لنا أن نموت، فلنمت نبلاء، على حد تعبير الراحل النبيل إيميه سيزير!

- **ديمقراطية الموت لا تُجيز ديمقراطية الثروة والنفوذ:**

ثمة اصرار حديدي في ثقافتنا العربية المتخلفة على تحريم ووأد أية محاولة لمحاكاة ديمقراطية الموت وتطبيقها في ميادين أخرى كالثروة والنفوذ والسلطة! أتذكر نصاً قرأته للمفكر المصري فؤاد زكريا، لشد ما يعضد زعمنا. قال الرجل عما أسماه بالاسلام البترولي(14): "لا يجد الاسلام البترولي أي تناقض بين دعوته إلى شمول الشعائر(كالصلاة والحج..الخ)، ونشرها على كافة المستويات، وخصوصية الثروة والنفوذ وفردية القرار السياسي. انه باختصار، إسلام يوظف لحماية المصالح البترولية للقلة الحاكمة، وحلفائها من الدول الأجنبية المستغلة"!!

فعلاً، لشد ما يُعضد حديث فؤاد زكريا عن "الاسلام البترولي" زعمنا المذكور تواً بأنه ثمة اصرار في ثقافتنا المُتخلفة على تحريم ووأد أية محاولة لمحاكاة ديمقراطية الموت، وتطبيقها في ميادين أخرى كالثروة والنفوذ والسلطة!

تفرقة صارمة كهذه بين ديمقراطية الموت والشعائر وبين ديمقراطية الثروة والنفوذ والقرار السياسي، تعكس تشوهاً مُخيفاً في النظرة العربية للموت، لسببين: أولاً، تحقير هذه النظرة للـ"حياة" في عيون أبناء ثقافتنا، وابرازها في صورة العاجز عن محاكاة "ديمقراطية الموت"! ثانياً، تفريغ النظرة نفسها لواقعة الموت من مغزي أبدع طاغور في وصفه(15): "فكرة أن الحياة ليست شيئاً دائماً ساعدتني على تنوير ذهني، إننا لسنا سجناء إلى الأبد خلف سياج الحقائق المُتحجرة!"..

**التفلسف هو أن تتعلم كيف تموت(16):**

---

قارئ هذه الجزئية، لابد وأن يكون قد طالع ولو مقالة واحدة من تلك التى أنشرها بين الحين والآخر على "الانترنت"، وأتعهد فيها مذهبي الأنسني بالنقد والتطوير! فأنا في هذه المقالة، وخروجاً على عادتي، لن أعرض لمذهبي إلا بقدر ما يخدم ما أريد قوله هنا! وللقارئ الكريم أن يعود لمقالاتي إن هو أراد المزيد!

ليس لكاتب هذه المقالة، ولا لغيره من محبي الحقيقة، الحق في ادعاء القدرة على صياغة نظرة للموت وما وراءه لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. لا لشيء، وإنما لكون الموت وما وراءه مشكلة تجريبية، ليست لدينا معشر البشر بينة تجريبية عنها. إنها مسألة تتعلق بالحقيقة والتى لا مكان لها سوى صدر

الاله. كل ما نملكه إذن، ونرمي إليه، نحن محبو الحقيقة، هو حماية أنفسنا ورفاق الحياة، من مُشعلي حرائق الخوف. التفلسف هو خير وسيلة لقهر الخوف من الموت!!

خلصنا فيما سبق إلى ان ضعف الناحية الذاتية في ثقافتنا، وأعني بها الشخصية والحرية والخطيئة، ينال بشدة من قدرتنا على وضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً! كما خلصنا أيضاً إلى أن ثقافتنا العربية استطاعت أن تضع الموت وضعاً حقيقياً من حيث أنه مشكلة فحسب. بيد أنها حينما أرادت أن تُعرف هذا الموت من حيث ماهيته اتسمت نظرتها للموت بتشوه مخيف، يجد المرء اثاره في زوايا حياتنا! وعضدنا ذلك بعرض موجز لأبرز مواطن التشوه في نظرتنا للموت.

والسؤال، الذى لابد وأنه يجول بصدرك قارئي الكريم بعد فراغك من قراءة ما سبق، هو: من المسئول عن اضعاف قدرتنا على ادراك الموت على نحو صحيح؟ ومن المسئول أيضاً عن انتاج وتكريس هذا الفهم العربي المُشوه للموت؟

الاغتراب الثقافي للذات العربية، والآخرية العربية/المحلية الآثمة، مسئولان ـ برأي فكرنا الأنسني ـ عن انتاج وتكريس هذا الفهم العربي المُشوه للموت..

في تثمينها لقدر الإنسان في الزود بشرف عن حرية عقله وقلبه، تذهب رؤيتي المُقترحة للفكر الأنسني إلى القول بأن تطور التاريخ الإنساني إنما يُعد نتاجاً لصراع طويل ومرير بين إنسان (ذات) لا يملك سوى حرية عقله وقلبه التي وهبه الخالق إياها، ليستعين بها على ترويض الحياة، وبين (آخر) يُصر على الاستئثار بالحرية، ليتسنى له العبث بمقدرات رفاق الحياة! فـ (الآخر)، في رؤيتي المُقترحة للفكر الأنسني، عادة ما يعمد إلى آليات بعينها لتكريس تنازل أخيه (الذات) عن حقه في نقد وتطوير ثقافته، أي طريقة حياته الشاملة، ليظل هذا الأخ المسكين (الذات) تابعاً ذليلاً طيلة مقامه في ضيافة الحياة، يستهلك فقط ما يجود عليه به عقل (الآخر)، حتى أنه بمرور الزمن، يفقد هذا التابع الذليل تماماً قدرته على النقد والتطوير ويُصبح مسخاً عاجزاً، لا يملك سوى الانتظار الابدي!

من هنا، يتضح ضلوع الآخرية العربية/المحلية، ومن خلفها الآخريتين العالمية والاقليمية في أمرين: أولهما، انتاج وترويج نظرة عربية مشوهة للموت، تبرر الممارسات اللاانسانية في حق الذات العربية، وتُضفي أيضاً شرعية عليها!

الأمر الثاني، هو اضعاف قدرة الذات العربية على محو التشوه الحاصل في نظرتها للموت، عبر ادامة اغترابها الثقافي، أي إدامة تنازلها عن حقها المشروع في نقد وتطوير ثقافتها. الاغتراب الثقافي للذات لابد وأن يُديم ضعف الناحية الذاتية(الشخصية والحرية والخطيئة) في ثقافتنا، على نحو ما هو حاصل.

ادراك أبناء ثقافتنا العربية للموت على نحو صحيح وصحي مرهون إذن بكسر نير اغترابنا الثقافي واستعادة حقنا المشروع في نقد وتطوير ثقافتنا، كبقية شعوب الأرض. ومرهون أيضاً بتعرية الآخرية العربية/المحلية والسعي لتفكيكها.

لم يعد مقبولاً أن يُشوه الله "الرحيم" في عيون أبناء أمتنا، فيتصورونه جلاداً قاسياً، يسومهم سوء العذاب إن عن لهم يوماً تحطيم نير اغترابهم أو تعرية مُشعلي حرائق الخوف من الله. الله لم ولن يكون جلاداً للأحرار! الحرية هدية الله للبشر!

اعتقادي بأن المحبة تطرد الخوف، يزيدني حباً في الله وثقة في رحمته! واعتقادي بأن "الضمير" هو صوت الله داخلنا، يجعلني حريصاً على الانصات له!

قارئي الكريم: الموت عندي نهاية الحياة، لحظتها الأخيرة، لكنه ليس هدفها! الموت عندي أن ينفتح أمامي باب يُطل على الأبدية، وأن يضمني وآلامي حضن "الألوهة" الرحب الرحيم! الموت عندي أن أغادر في هدوء ورضا عندما يُطلب مني الرحيل! أنا لم أطلب هذه الحياة، لكنني عشتها، وفعلت أفضل مالدي!

## الهوامش ومصادرها:

**(1) كثيراً ما يُقال إن الغزالي قضى على الفلسفة في الحضارة الاسلامية قضاءً مُبرماً، لم تقم لها بعده قائمة، وهو قول أراني أقره! غير أني أزيد عليه أن الغزالي بمواقفه الكارهة والمناهضة لحق أبنا حضارتنا الاسلامية في التفلسف (النضال من أجل الحقيقة)، يُؤرخ على الأرجح لميلاد "فلسفة الضرار"! وأعني بها الفلسفة حين تتنكب لمهمتها، وينتهي بها الأمر إلى التهافت في دوجماطيقية، في معرفةٍ موضوعة في صيغ، نهائية كاملة، تنتقل من واحد إلى آخر بالتعليم! فلسفة الضرار تُصيب هدفين: أولاً، إضعاف قيمة وأهمية نُشدان الحقيقة. وثانياً، إشاعة العُقم الفلسفي، فأقصى ما يستطيعه فلاسفة الضرار هو فهم الفلسفات القائمة والتشدق بمقولاتها! للمزيد راجع مقالتي: "فلسفة الضرار واقع كارثي"، منشورة على الانترنت.**

**(2) عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقرية، (الكويت & بيروت: وكالة المطبوعات & دار القلم، بدون تاريخ).**

**(3) راجع: عبد الرحمن بدوي، سيرة حياتي 1&2، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000).**

**(4) انظر: سعيد اللاوندي، عبد الرحمن بدوى فيلسوف الوجودية الهارب إلى الاسلام، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2001)، ص 51-53.**

**(5) نفس المرجع، ص 154-155.**

(6) عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، (بيروت: دار الثقافة، 1973).
(7) للمزيد راجع: جان بول سارتر، ترجمة عبد المنعم الحفني، الوجودية مذهب إنساني، (القاهرة: مطبعة الدار المصرية، 1964).
(8) لا يختلف مفهوم الحضارة عن نظيره الخاص بالثقافة كثيرا، فكلاهما يشير إلى طريقة حياة شعب معين، غير أن الحضارة هي الكيان الثقافي الأوسع، أو بمعنى آخر هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى. وهى تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة، والتاريخ، والدين، والعادات، والمؤسسات، والتحقق الذاتي للبشر. وهناك مستويات للهوية لدى البشر، فساكن القاهرة قد يعرف نفسه بدرجات مختلفة من الاتساع: مصري، عربي، مسلم. والحضارة التي ينتمي إليها هي أعرض مستوى من التعريف يمكن أن يعرف به نفسه، أي أنها "نحن" الكبرى التي نشعر ثقافيا بداخلها أننا في بيتنا، في مقابل "هم" عند الآخرين خارجنا. وقد تضم الحضارات عددا كبيرا من البشر مثل الحضارة الصينية، أو عددا قليلا مثل الكاريبي الأنجلوفوني. وعلى مدى التاريخ وجدت جماعات صغيرة كثيرة ذات ثقافات مائزة وتفتقر إلى معين ثقافي أوسع لهويتها. وكانت الفروق تتحدد حسب الحجم والأهمية بين الحضارات الرئيسية والفرعية أو بين الحضارات الرئيسية والحضارات الجهيضة. وطبقا لهنتنجتون تتمثل الحضارات الرئيسية المعاصرة في الصينية، واليابانية، والهندية، والإسلامية، والغربية، والروسية الأرثوذكسية، والأمريكية اللاتينية، فضلا عن الأفريقية. إلا أن الباحثين وإن اتفقوا بشكل عام في تحديدهم للحضارات الرئيسية في التاريخ وتلك الموجودة في العالم الحديث، فإنهم غالبا ما يختلفون على إجمالي الحضارات التي وُجدت في التاريخ. لمزيد من المعلومات راجع: صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب، صدام الحضارات ـ إعادة صنع النظام العالمي، (القاهرة: سطور، 1998)، ص 67 - 80.
(9) راجع مقالتي: "أبطال عظماء أم باعة لصكوك الحرية"، منشورة على الانترنت.
(10) قرآن كريم، سورة العنكبوت، آية رقم 57.
(11) للمزيد راجع: ماكدونالد & كارديه، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية، الله، (القاهرة: مطابع دار الشعب، 1979).
(12) راجع: و. مونتجمري وات، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه القرون الثلاثة الأولى، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، 1998).
(13) العبارة للمُفكر الايطالي الشهير متسيني راجع: جوزيبي متسيني، ترجمة طه فوزي وسامي محفوظ، واجبات الانسان، (القاهرة: دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، سلسلة الألف كتاب، رقم 325، 1962).
(14) راجع: فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركة الاسلامية المعاصرة، (القاهرة: القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص27-34.
(15) رابندرانات طاغور، ترجمة صلاح صلاح، ذكرياتي، (أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، 1995)، ص218.
(16) جاك شورون، ترجمة كامل يوسف حسين، الموت في الفكر الغربي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984)، ص 107.

# التاريخ

## سياسة الدولة الاخمينية

# سياسة الدولة الاخمينية

الباحثة

رويدة فيصل النواب

قسم التاريخ- كلية الآداب/ جامعة بغداد
2010

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يزخر التاريخ القديم بالعديد من التجمعات البشرية والحضارية التي ساهمت عبر مراحل تطورها في تأسيس العديد من الدويلات والمدن والأوطان الحضارية. وقد تعاقبت على ارض السواد أو ارض بلاد ما بين النهرين، العديد من تلك الأقوام أو التجمعات الإنسانية التي ساهمت في خلق التعاشق والتعايش الحضاري، الذي ترك أبعاداً لا يمكن الاستغناء عنها من حيث الفكر وما يتصل به من وعي إنساني فضلاً عن قدرته الكبيرة في التأثير على إنسان وادي الرافدين.

فالاخمينيون وهم أقوام فارسية غزت ارض الرافدين واستطاعت بفعل قوة جيشها من بسط السيطرة على أجزاء كبيرة منه ولاسيما مدينة بابل رمز الإشعاع الفكري والحضاري في العراق القديم. من هنا تأتي أهمية البحث هذا في تسليطه الضوء الكثيف على سياسة الدولة الاخمينية بشكل عام وسياستها في العراق القديم بشكل خاص لتبين مدى التأثير والتأثر في تلاقح الحضارات والأفكار والتقاليد والديانات وما شاكل ذلك.

يهدف البحث في دراسته هذه إلى بيان التأثير السياسي للاخمينيين وما أحدثه هذا التأثير في الأفكار والتوجهات والمنطلقات الفكرية والإنسانية ومن ثم معرفة نتائج تلك التوجهات الفكرية ولاسيما في الحضارة العراقية القديمة المتجسدة بمدينة بابل.

يتكون البحث من فصلين، وقد تكون كل فصل من مبحثين، إذ تم التطرق في الفصل الأول منه إلى تكوين الدولة الاخمينية وسياساتها مع الحضارات الأخرى ولاسيما التي وقعت تحت سيطرتها. أما الفصل الثاني فقد تطرق إلى سياسة الدولة الاخمينية في وادي الرافدين تحديداً حتى سقوطها في نهاية المطاف على يد الاسكندر المقدوني على ارض بابل، فضلاً عن عرض موجز للثورات البابلية ضد الاحتلال الاخميني وما تلته من مخاضات وإرهاصات على أبناء بابل.

بعدها تم كتابة الاستنتاجات التي ترى الباحثة في إنها تعد مؤشرات نظرية تاريخية هامة تفيد الباحث والقارئ وتدله على أهم النقاط التي يمكن استذكارها كجزء من ميراث الحضارة والفكر. نأمل أن يكون البحث قد غطى جزءاً ولو كان بسيطاً من زمن حضاري كبير ترك بصماته على أوراق التاريخ والإنسانية والفكر العالمي. ومن الله التوفيق...

الباحثة رويدة فيصل موسى

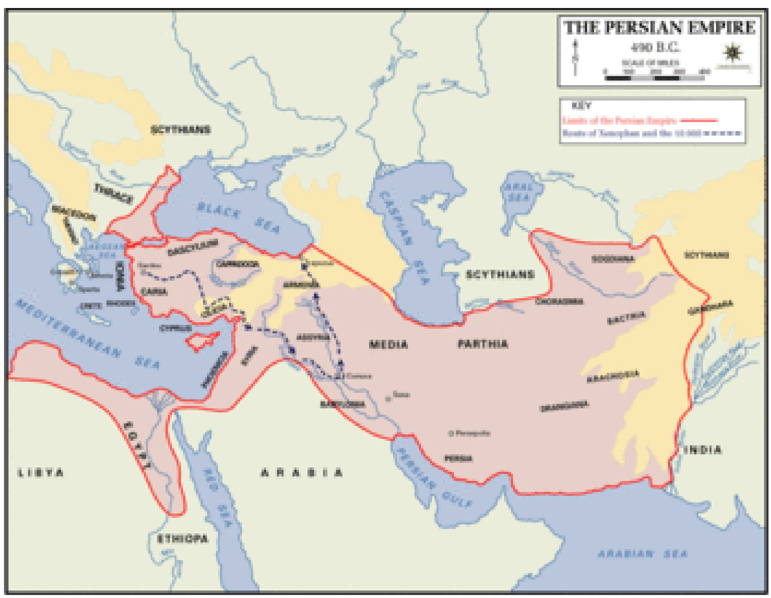
المحتويات

المقدمة
الفصل الأول (تكوين الدولة الاخمينية وسياساتها وعلاقتها مع الأمم الأخرى)
مدخل
المبحث الأول : تكوين الإمبراطورية الاخمينية
المبحث الثاني: سياسة الاخمينيين
الاخمينيون والإغريق
الاخمينيون وبابل
الاخمينيون واليهود
الفصل الثاني (سياسة الدولة الاخمينية في وادي الرافدين حتى سقوطها)
المبحث الأول: سياسة الدولة الاخمينية
السياسة الاخمينية في وادي الرافدين
المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية للدولة الاخمينية
سقوط الإمبراطورية الاخمينية
الاستنتاجات
المصادر والمراجع

الفصل الأول
تكوين الدولة الاخمينية وسياساتها وعلاقاتها مع الأمم الأخرى

مدخل
الأخمينيون أو الأخمينيديون (Achaemenides) هم أسرة ملكية فارسية كونت لها إمبراطورية في فارس عام 559 ق.م. واستولت علي ليديا (غرب الأناضول)إيران والهلال الخصيب ومصر، التي امتدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، من وادي السند إلى ليبيا، وشمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر؛ وقام ملوك الأخمينيين بإعادة بناء الطريق من منطقة (السوس Susa في عربستان) إلى ( سارديز Sardis) بالقرب من أفسس وسميرنا. أشهر ملوكها دارا (داريوس ) الذي حاول غزو أثينا باليونان فهزم. وأسقط الإسكندر الأكبر هذه الإمبراطورية عام 331 ق.م. و من ملوكها قمبيز وكورش . وتعتبر فترة حكم هذه الإمبراطورية هي فترة الحضارة الفارسية . استقرت قبائل الفرس البدوية في الجنوب عند منطقة سموها "فارس" (معناها السائب والغازي) قرب شيراز اليوم. ولا تكاد توجد أي نقوش تتكلم عن الفرس قبل كورش الأكبر (الثاني). تصفهم التوراة بأنهم "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً". جاء اليهود المنفيين ببابل بكورش الاخميني ونصبوه على شعوب المنطقة عنوة حيث دمر حضارتهم واستعبدهم وأزالهم عن الوجود عن بكرة أبيهم. قام كورش باحتلال مملكة مديا أولاً، عن طريق تأليب المعارضين لها وإثارة الفتن. وبعدما استولى عليها، قام بالهجوم على بابل. ثم توسع إلى بلاد الشام، وكذلك إلى غرب الأناضول إلى بحر إيجة. وتوسع شمالاً إلى جبال القوقاز. كما توسع شرقاً في آسيا الوسطى إلى أقصى ما وصلت إليه الحضارة (يعتقد بوصوله إلى حدود قرقيزستان). وقام ابنه من بعده باحتلال مصر، ثم انشغل أحفاده بحروب ضد اليونان وشعوب البحر الأسود. تنتمي الأسرة الاخمينية إلى الفرس، أحد الشعوب الإيرانية القديمة، الذي كان الموجة الأخيرة من موجات الشعوب الهندية - الأوربية (الآرية) التي اجتاحت أراضي إيران في مطلع الألف الأول ق.م.ظهرت الأسرة الاخمينية، التي لا يعرف أصلها، في مطلع القرن السابع ق.م.وبدأ نفوذ الأسرة يقوى بعد أن تخلصت تدريجياً من تبعيتها للعيلاميين واستقلت بإمارة أنشان التي كشفت آثارها في تل مليان والممتدة إلى الجنوب الشرقي من سوسة، ثم استولى أمير أنشان المدعو تشاهبيش (675-645ق.م) على بلاد بارسا في إقليم شيراز اليوم، وانقسمت

الأسرة على نفسها بعد ذلك فكان لفرع منها حكم فارس ولفرع ثان حكم أنشان. وكانت الغلبة لهذا الفرع بعد أن تزوج قمبير الأول (600-556ق.م) الأميرة ماندان ابنة أستياج ملك الميديين، وكان من ثمار هذا الزواج كورش (الثاني) الذي كان حكمه انعطافاً وتحولاً حاسماً في دور الأسرة الاخمينية في تاريخ إيران القديم.



الشكل (1) الدولة الاخمينية

المبحث الأول: تكوين الإمبراطورية الاخمينية :
استغل كورش حفيد استياجز من ابنته مركزه فاخذ يقوي نفسه، وأسس عاصمة جديدة (بزركاده)، واخذ يدبر أمر انفصاله واستقلاله على الماذيين وكان يحكم في بلاد بابل الملك (نبونهيد) الذي اعد الخطط للاستيلاء على بعض الأقاليم التابعة إلى مملكة ماذى، ولاسيما حران، فدارت مفاوضات سرية بين نبونهيد وكورش ليكونا حلفين، وكان الحلف بلا شك موجهاً ضد استياجز الذي شم رائحة المؤامرة من تابعه وقريبه فاستدعاه إلى العاصمة

(اكبتانا)، فرفض كورش الامتثال بالأمر، فلم ير الملك الماذي بداً من شن الحرب على كورش[1].

ثم قاد استياجز جيشاً آخر بنفسه لما تقدم كورش من العاصمة اكباتا لأخذها فدارت معركة مريرة دحر فيها جيش الملك الماذي ووقع أسيراً بيد كورش، ولكن هذا أحسن معاملته، بسبب صلة القربى. وهكذا صفا الجو لكورش فاتخذ اكباتا عاصمة المملكة المتحدة، وفتح عهداً جديداً في تاريخ إيران حيث اتحد الفرس والماذيون[2].

بعد انهيار الدولة الميدية أصبحت بلاد إيران تحت حكم كورش، وتم توحيد الشعبين الميدي، والفارسي تحت زعامته، واخذ كورش الآن يخطط للاستيلاء على الأراضي المحيطة به ولهذا ستتوزع جهوده في ثلاثة جهات رئيسية:

الأولى باتجاه آسيا الصغرى

الثانية نحو الأقاليم الشرقية لإيران.

الثالثة بابل والأقاليم الغربية[3].

لقد كون كورش من بعده ضمه بلاد ماذي في زمن جيل واحد من إمبراطورية معظمة شملت معظم العالم القديم المعروف، ممتدة من الهند إلى البلاد الإيجية والى البحر العربي وبفتح قمبيز لمصر وبفتوح دارا اتسعت هذه الإمبراطورية فكانت أعظم إمبراطورية عرفها العالم القديم[4].

بعد أن استتب له الأمر في الداخل توجه كورش صوب الشرق فحول مجرى الفرات وهاجم بابل وقتل (بيل شار اوتسور) (بيلشصّر) واسر الملك نبونيد. دخل كورش إلى بابل عام 539 وأعاد إلى اليهود المسبيين فيها الآنية الذهبية التي سبق أن استقدمت من هيكل أورشليم وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين في السنة الأولى من حصوله على لقب ملك بابل[5].

فقد تمكن كورش نفسه من التفوق على البابليين وتمكن نفسه وبسرعة أن يسيطر على آسيا الصغرى وتجارتها. وفي عام 539 ق.م وقعت جميع

---

[1] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – ج2 – دار المعلمين العالية ط2 1956 – ص400.

[2] – المصدر نفسه – ص 401.

[3] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب/ جامعة بغداد 2003 ،ص38.

[4] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – ج2 – ص403.

[5] – هنري.س.عبودي/ معجم الحضارات السامية – جروس برس 1991 – ص695.

الإمبراطورية البابلية في أيدي كورش وغير كورش في الحال سياسة ترحيل سكان الدولة المفتوحة وضربت هذه السياسة[6].

كان انتصار كورش الفارسي، وسقوط مدينة بابل إشارة بحدوث أفراح عامة في كل أرجاء الشرق الأدنى. فالأمم التي عانت قبل قرون، من مظالم ملوك نينوى وبابل، قد رأت في سقوط هاتين المدينتين المقيتتين تماماً، نهاية لمتاعبها وبداية لعصر من الاستقلال. لقد اضطر الماذيون الذين شاركوا في تدمير نينوى، إلى الاعتراف بسيادة كورش الذي كان في وقت من الأوقات تابعاً لهم، وبالأسرة الاخمينية التي ينتمي إليها[7].

وبعد توطيد كورش لمملكته في فارس وسع حدودها إلى آسية الصغرى فقضى على مملكة ليديه، واستولى على عاصمتها (سارديس) عام 547 – 546 ق.م، في عهد ملكها قارون (كروسوس). كما أن توسع آخر ملوك البابليين نبونهيد في سورية واستيلائه على حران نقض الحلف بين كورش وبين الملك البابلي أمراً لابد منه، ولذلك صمم كورش على تصفية الحساب مع بابل. أنهى كورش آخر الممالك السامية وأنهى حكم الساميين في الشرق القديم الذي سادوا فيه عدة آلاف من السنين[8].

اخضع كورش العرب وربما جعل ارض زينفون• ارض البحر ضمن بلاد العرب ولكن هذا الغزو الفارسي الذي نقرأ عنه إشارات قليلة ليس لدينا تفاصيل عنه في الوقت الحاضر إلا أن ارض البحر كانت جزءاً من الإمبراطورية الاخمينية وان مدينة شالامو في بلاد العرب كانت ضمن الإمبراطورية الاخمينية في السنة الثامنة من حكم كورش[9].

خلف كورش في الحكم ابنه الأكبر (قمبيز) (530- 522 ق.م) وكان هذا قاسياً غريب الأطوار، وقد أشركه أبوه في الحكم في خلال الثماني سنوات الأخيرة من حكمه فكان يلقب بملك بابل[10].

---

[6] – ساكز – هاري/ عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة – ترجمة د.عامر سليمان، دار الكتاب للنشر ، 1979، ص324.

[7] – بارو، اندريه / بلاد آشور – ترجمة د.عيسى سلمان وسليم طه التكريتي – وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1980، ص205.

[8] – باقر، طه/ مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص403.

• زينفون : مؤرخ وفيلسوف يوناني ولد في أثينا عام 430 ق.م، وهو تلميذ سقراط.

[9] – الأحمد ، سامي سعيد / تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي – جامعة البصرة –1987 – ص309.

[10] – باقر، طه/ مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص404.

كان أول عمل عسكري يقوم به قمبيز هو التحرك باتجاه مصر والواقع أن فكرة غزو مصر كانت من تنظيم كورش الكبير الذي كان قد اعد العدة لفتح مصر غير انه توفي قبل انجاز عمله العسكري. وكان قد أوكل مهمة تهيئة الحملة إلى ابنه قمبيز أثناء حياته[11].
وقد عمل جاهداً لإعداد العدة لتجريد أحمس الثاني من حلفائه، فقد تمكن من مخالفة بوليكراتس حاكم ساموس الحليف السابق لأحمس الثاني، كما تحالف مع ملك فينقيا الذي زود قمبيز بعدة سفن فينيقيه. فضلاً عن ذلك أن قمبيز قد حصل على مساعدة بدو خليج السويس، وهكذا قد وجد قمبيز لنفسه قاعدة قوية يتمكن بها من الهجوم على الأراضي المصرية بالتصريح لليهود ببناء معبد أورشليم، كما أن الفرس كسبوا إلى جانبهم عواطف الجنود المرتزقة اليهود الذين كانوا في خدمة الفرعون المصري[12].
عبر قمبيز صحراء سيناء بمساعدة البدو ووصل إلى مدينة رفح، فلاقى هناك بسماتيك الثالث الذي خلف أباه اماسيس حيث مات لحسن حظه قبل وصول الجيش الفارسي. وكان مع الجيش المصري جيش من الإغريق المرتزقة، وبعد معركة شديدة تقهقر الجيش المصري إلى (منفس)، فسقطت المدينة بيد الفرس ووقع الفرعون أسيراً فأرسل إلى سوسه[13].
وعند بلوغه مدينة بلوزيوم (الفرما) اندحر الجيش المصري وسقطت المدينة وأعقبها اقتحام عين شمس ثم منف عام 525 ق.م. ويخبرنا نص مصري موجود حالياً في الفاتيكان المرقم 158 عن دخول قمبيز لمصر:
أتى إلى مصر الملك العظيم لكل البلاد الأجنبية قمبيز على حين كان معه غرباء البلاد الأجنبية كلها، عندها استولى على هذه الأرض جميعاً هؤلاء الغرباء[14].
واعد قمبيز من بعد ذلك الخطط لثلاث حملات حربية أخرى لمد السلطان الفارسي على قرطاجة التي كانت تسيطر على سواحل البحر المتوسط الغربية، وأخرى على واحة (آمون) الموغلة في بادية طرابلس للسيطرة على الطريق المؤدي إلى ليبيا، والثانية ضد الحبشة. أما الحملة على قرطاجة فلم تنفذ بسبب رفض الفينيقيين بالسماح لأسطولهم في غزو أقربائهم القرطاجين. وتروي لنا المصادر اليونانية أن جيشاً قوامه (50000) أخفق في إحراز

---

[11] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص44.

[12] – المصدر نفسه – ص45.

[13] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص404.

[14] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 45.

نتيجة مهمة في واحة آمون بسبب الزوابع الرملية المخيفة، ومع ذلك فقد خضع إغريق ليبيا وقورينا وبرقة إلى سلطان الفرس[15].

أما الحملة الثالثة فكان وجهتها جنوباً وقد اختلف الباحثون في هدفها فقد ذكر بعضهم انه توجه نحو الحبشة (أثيوبيا) في حين عدها البعض أن هدفها هو بلاد النوبة. ويبدو أن قمبيز قد حاول في هذه الحملة التأكد من سلامة موقفه في حالة التحرك باتجاه الجنوب . ويقال أن قمبيز قاد حملته إلى نباتا مملكة الأثيوبيين طعماً في ذهبها[16].

تشير الأحداث التاريخية عن نهاية قمبيز في انه أقدم على قتل زوجته وابنه بريكسبس بسهم من قوسه ودفن اثنا عشر من أعيان الفرس أحياء وقضى بالإعدام على كروسوس ثم ندم على فعلته حين علم أن حكمه لم ينفذ ثم عاقب الموظفين الذين تأخروا عن تنفيذه كما قتل أخته روكسانا[17].

المبحث الثاني: سياسة الاخمينيين:

1- الاخمينيون والإغريق :

كان اليونان يلقبون الملك الفارسي بلقب (الملك العظيم) ولعل ذلك ترجمة اللقب الفارسي (ملك الملوك). ومع أن الملك الفارسي كان في الواقع قمة الهرم المكون منه المجتمع الفارسي ويمثل الحكم الاتوقراطي إلا أن سلطانه لم يكن مطلقاً كل الإطلاق، وإنما كان مقيداً نوعاً ما بالعرف والمآثر والتقاليد المرعية في بلاد فارس، فكانت معظم الأوامر والإرادات التي يصدرها إنما تصدر عن الملك وهو في مجلس شوراه[18].

كانت المدن اليونانية في آسيا قد خضعت جميعاً إلى دولة ليديا باستثناء مليتوس (ملطية)[19].

وفي نفس الوقت كانت تربط مصر علاقات تحالف وطيدة مع دولة ليديا وربما كان ملك ليديا قد ساعد بسماتيك الأول بجنود من الأيونيين والكاريين للعمل في الحبشة، في حين كان كورش يعمل على تضييق الخناق على دولة

---

15 – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص405.

16 – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 47.

17 – ول ديورانت / قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران،ج2 – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1977 – ص 406.

18 – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص 421.

19 – آ.بتري ، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم – ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز – دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الموصل 1977– ص 23.

ليديا فقد تمكن من إخضاع مدينة قبرص قبل عام واحد من تحركه باتجاه الدولة الليدية[20].
حاول كروسوس كخطوة أساسية لمحاربة كورش إقامة حلف واسع النطاق ليشمل إلى جانب ليديا كلا من إسبارطة ومصر وبابل للحصول على مساعداتهم. تقدم كورش من العاصمة اكباتا باتجاه الهاليس وبعث رسلاً إلى المدن الأيونية في غرب آسيا الصغرى حثهم بها على الثورة ضد كروسوس فرفضت ندائه وقد عبر كروسوس حدود دولته ربما قرب سهل بافرة على نهر الهاليس والتقى الطرفان في معركة عنيفة وقد تمكن كروسوس وكان جندياً متمرساً في الحرب أن يصمد في الحملة الأولى ولكنه عندما انسحب ليستريح ويريح جنده أثناء الشتاء لم يمهله كورش وسار ورائه متحدياً برد الشتاء في الأناضول، وخلال أسبوعين من المعارك سقطت قلعة سارديس نفسها التي لا تقهر بأيدي الفرس الذين اقتحموا القلعة متسلقين صخورها وكان سقوط ليديا هذه الإمبراطورية العظيمة القوية سقوطاً لم يعرف العالم اليوناني مثيلاً له[21].
2- الاخمينيون وبابل:
تمكن كورش نفسه من التفوق على البابليين. فقد اتجه آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة نبونئيد جنوباً وأمضى عشر سنوات بعيداً عن بابل[22].
إن غياب الملك البابلي نبونئيد عن بابل لأكثر من عشر سنوات، كان له البعد الإستراتيجي الذي زاد من تفاقم الوضع في بابل وسمح لخصوم الملك بشن دعاية واسعة النطاق ضده. إن سوء الوضع الاقتصادي في بابل ومحاولة نبونئيد إيجاد وسائل عديدة لحل الأزمة كانت وراء إقدام نبونئيد للذهاب إلى تيماء. وكانت تيماء تقع وسط سهل خصب ذات مناخ صحي وبها تلتقي الطرق التجارية القادمة من مأرب ومعين ونجران ويثرب وديدان والحجر ومنها يذهب فرع للعراق من تيماء نفسها، والثانية إلى بطرا عاصمة الأنباط، ثم الطريق القادم من الجرعاء (جرها) على الخليج العربي ماراً بالإحساء فالهفوف ثم بريدة الحالية[23].

---

[20] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 38.
[21] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 39.
[22] – ساكز – هاري/ عظمة بابل –ص 324.
[23] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص96.

كما كان اليهود يشكلون جالية مهمة في بابل في أعقاب السبي البابلي وان هناك من الأدلة التي قد تثبت التعاون اليهودي الفارسي ودوره في سقوط بابل[24].

لم يكن أمام كورش بعد أن تمكن من محالفة اليهود إلا أن يبدأ لإعداد العدة لإسقاط بابل، ولكن كان عليه قبل أن يحسم الأمر، عسكرياً أن يمهد ذلك بحروب واسعة ضد الملك البابلي. لقد كانت الأوضاع قبيل عام 539 ق.م ممهدة لكورش فالسخط الشعبي والكهنوتي ضد نبونئيد نتيجة التغيرات الدينية التي نفذها وغيابه عن العاصمة الذي ساهم في تعطيل الاحتفالات الدينية المهمة كان على أشده[25].

فقد باشر كورش بعمليات أولية ضد الإمبراطورية البابلية التي بدأها عام 547 ق.م وسيطر على أجزاء من شرق بلاد آشور. ولعله أراد بذلك أن يستبق هجوماً بابلياً على ميديا حيث أن الإقليم الذي اخذ كان الإقليم الذي يتخذ قاعدة لمثل هذا الهجوم المفاجئ الذي أدى إلى سقوطه[26].

وتوغل كورش بالتدريج إلى الأمام إلى جبال كردستان ولورستان إلى أن سيطر تماماً على جميع الأقاليم شرقي دجلة ومن هناك كان بإمكانه أن يقوم بهجوم على بلاد بابل نفسها. وعبر كورش نهر دجلة بالقوة عند اوبس Opis وزحف إلى سبار التي استسلمت ثم هوجمت بابل نفسها واستسلمت دون مقاومة تذكر[27].

فعندما دخل كورش إلى بابل ممثلاً فارسياً عنه للحكم هناك، كما حافظ على ممتلكات مدينة بابل من السلب أو النهب أو التدمير. وبذلك انتهت آخر سلالة وطنية في بلاد بابل وآشور فقد استمر الحكم الاخميني حتى عام 331 ق.م حيث وقعت بعد ذلك بلاد مابين النهرين فيما تبقى من الألف الأول قبل الميلاد في أيدي السلوقيين (الإغريق)[28].

---

24 – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص100.

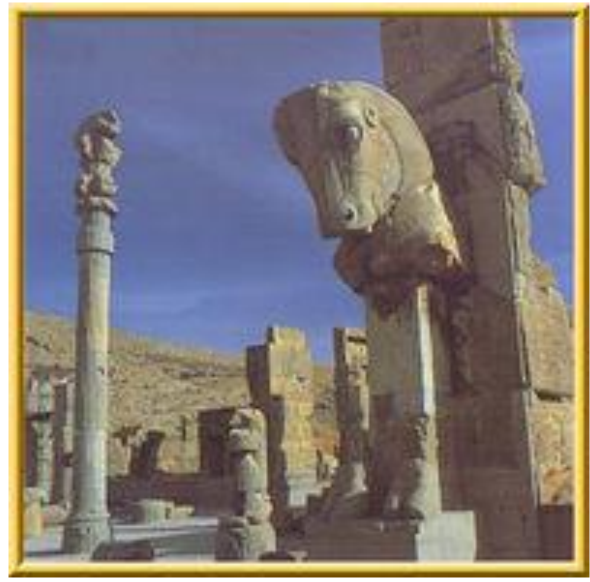
25 – المصدر نفسه – ص104.

26 – ساكز – هاري/ عظمة بابل–ص 180.

27 – المصدر نفسه – ص181.

28 – ساكز – هاري/ عظمة بابل –ص182.


الشكل (2)


الشكل (3)

## آثار الحضارة الاخمينية

3- الاخمينيون واليهود:

يتحدث پورپيرار عن دور إسرائيل في إعلاء الحضارة الإيرانية الساطعة قبل الإسلام لتعميق الهوة بين الإيرانيين والعرب. فالتاريخ الإيراني يستند في كتابته إلي بحوث قام بها اليهود. إذ بذلوا جهدا لإعلاء شأن الاخمينيين كمحررين لهم وكمدمرين لحضارة بين النهرين. فاليهود يسعون أن يقدموا الاخمينيين كمبدعين للثقافة والحضارة أو أي شيء يرغبونه وذلك بسبب الخدمة التي قدمها لهم الاخمينيون بتحريرهم من سبي نبوخذ نصر ملك بابل. فخذ علي سبيل المثال علماء الآثار والمؤرخون اليهود كـغيريشمن و داريشتيد و اشكولر ، كما إن 90% من مؤرخي التاريخ الإيراني هم من اليهود. أي أن اليهود قاموا بتهويل تاريخ الاخمينيين، فهؤلاء حاولوا خلال المائة سنة الماضية أن يصوروا كورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التوراة حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك. إذ لم يُعرف كورش في إيران حتى قبل 100 عام.

## الفصل الثاني
## سياسة الدولة الاخمينية في وادي الرافدين حتى سقوطها

المبحث الأول: سياسة الدولة الاخمينية:

إن حكم السلالة الاخمينية دام زهاء قرنين من الزمان (550 – 331 ق.م)، حكم فيها ابتداء من كورش الكبير احد عشر ملكاً تفرد منهم جملة ملوك امتازوا بحسن الإدارة والتنظيم والحنكة السياسية وعلى رأسهم كورش ودارا الأول حيث كان مؤسس الإمبراطورية واضطلع الثاني بتنظيمها[29].

السياسة الاخمينية في وادي الرافدين:

[29] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص416.

حاول كورش التأكيد على مبررات دخوله بابل واحتلالها بأنه قد حصل على تأييد من الآلهة المحلية الوطنية في بابل، فان الكثير لم يكن مقتنعاً بذلك، ومهما كان هناك عدد من الأفراد الموالين للفرس قد اعتبروا كورش محرراً فان الغالبية العظمى من السكان في بلاد بابل كانت ترى من الاخمينيين غزاة لا أكثر لم تتقبل الفرس[30].

وقد ولد ردود فعل كبيرة لسكان وادي الرافدين ولاسيما البابليين ليثروا على حكم كورش الاخميني، إذ شهدت بابل ثلاثة ثورات مهمة ضد الاحتلال الاخميني الذي دام طويلاً.

1- ثورة بابل الأولى (تشرين الأول 522 – كانون الثاني 521 ق.م):

لقد كانت ثورة بابل الأولى التي اندلعت عام 522 ق.م، أولى الثورات التي اندلعت بوجه الاخمينيين، ويبدو أن هذه الثورة لم تأتي نتيجة الصدفة المحضة إنما نابعة من تراكمات عدة، فالبابليين أدركوا منذ الأيام الأولى للاحتلال أن الفرس ما هم إلا غزاة، وأدركوا أيضاً أن الفرق بين كورش الفاتح الاخميني وبين نبونئيد[31].

أعلن أهل بابل الثورة ضد الاخمينيين وانظموا تحت لواء زعيم لهم يدعى ندينتي – بيل الذي أعلن ملكيته على بابل وأطلق على نفسه اسم نبوخذ نصر الثالث وربما يمت بصلة النسب إلى نبونئيد. ويبدو أن خبر هذه الثورة قد افزع دارا• الأول فقاد الأخير الجيوش التي سارت لإخماد الثورة ويظهر أن

---

[30] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص141.

[31] – المصدر نفسه – ص 141.

• يكون تسلسل الحكام الاخمينيون كما يأتي:

- أخمينس الفارسي
- تايسبس من أنشان, ابن أخمينس
- كورش الأول من أنشان, ابن تايسبس
- أريا رامنس الفارسي, ابن تايسبس ومشارك في الحكم مع كورش الأول
- قمبيز الأول من أنشان, ابن كورش الأول
- أرساميس الفارسي، ابن أريا رامنس ومشارك في الحكم مع قمبيز الأول
- قورش الثاني، الأكبر, ابن قمبيز الأول, حكم من ح.550–530 ق.م. (حاكم أنشان ح. 559 ق.م. – فتح ميديا 550 ق.م.)
- قمبيز الثاني, ابن كورش الأعظم, حكم 529–522 ق.م.

الزعيم العراقي الثائر قد استحوذ على معابر نهر دجلة وشكل قوة نهرية لهذا الغرض، ورغم الاستعدادات نجح دارا في عبور النهر وسار باتجاه بابل بعد أن أوقع هزيمة بالثوار[32].

2- ثورة بابل الثانية (آب 521 ق.م):

بعد فترة وجيزة من انتهاء الثورة البابلية الأولى، ثارت المدينة مجدداً في آب 521 ق.م، في وقت كان دارا في ميديا وكان الثائر يدعى اراقا وقد ادعى هذا الرجل الذي يسميه دارا بالارمني انه نبوخذ نصر الرابع بن نبونئيد وانه اتخذ لقب ملك بابل وقد بدأت الثورة في دوبالا جنوب بابل فأرسل دارا قواته لإخمادها[33].

---

- سميردس (برديا), ابن مزعوم لكورش الأكبر, حكم 522 BC (محتمل أن يكون غاصباً للعرش)
- داريوش الأول (داريوس الأول، الأكبر), صهر سميردس، وحفيد أرساميس، وحكم 521–486 ق.م.
- خشايارشا الأول (خرخس الأول)، ابن داريوش الأول، وحكم 485–465 ق.م.
- أردشير الأول الأخميني (أرتاخرخس الأول لونجيمانوس ابن خرخس الأول)، حكم 465–424 ق.م.
- خشايارشا الثاني (خرخس الثاني)، ابن أردشير الأول, حكم 424 ق.م.
- سغديانوس، أخ غير شقيق ومنافس لخشايارشا الثاني, حكم 424–423 BC
- داريوش الثاني (داريوس الثاني نوثوس)، أخ غير شقيق ومنافس لخشايارشا الثاني, حكم 423–405 ق.م.
- أردشير الثاني الأخميني (أرتاخرخس الثاني الشهير (منيمون))، ابن داريوش الثاني, حكم 404–359 ق.م. (انظر أيضاً خينوفون)
- أردشير الثالث الأخميني ((أرتاخرخس الثالث اوخوس)، ابن أردشير الثاني, حكم 358–338 ق.م.
- أردشير الرابع الأخميني (أرتاخرخس الرابع أرسيس) ابن أردشير الثالث، وحكم 338–336 ق.م.
- داريوش الثالث (داريوس الثالث كودومانّوس)، ابن حفيد داريوش الثاني, حكم 336–330 ق.م.

32 – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 142.

33 – المصدر نفسه – ص143.

لقد قتل نبوخذ نصر الرابع في 27 تشرين الثاني 521 ق.م، ودخل الفرس بابل ونهب الجيش الفارسي المدينة وسرق قبور الملك فيها ودمرها وتشير المصادر إلى أن 3000 رجل بابلي وضعوا على الخازوق عقاباً على ثورتهم[34].

3- ثورة بابل الثالثة:

لقد بقيت ولاية بابل هادئة تقريباً طوال عهد دارا، بعد إخماد الثورة الثانية بالرغم من أن المعلومات تشير إلى وجود اضطرابات في بابل في أواخر عهده. ويبدو أن هذه الاضطرابات تحولت إلى ثورة في عهد احشويرش ففي سنة 482 ق.م، ثارت بابل وقتل الثوار الوالي الفارسي زوبيروس وقد قاد الثورة رجل بابلي اسمه بيل – شيماني الذي اتخذ لقب ملك بابل وملك البقاع وقد وصلتنا وثائق مؤرخة باسمه في دلبات، وبورسبا تدل على زعامته للثورة[35].

واستطاع الملك الاخميني من إخماد هذه الثورة والتنكيل بالثوار وقتلهم وتعذيبهم ليتمكن من السيطرة التامة على المدينة، كما تم تدمير معابدها وأبنيتها الكبيرة وسويت بالأرض وتحطمت البنية التحتية لبابل تماماً.

<u>المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية للدولة الاخمينية:</u>

هنالك جملة عوامل مهمة عملت على ازدهار الحياة الاقتصادية في إيران، وحسنت التجارة الخارجية ما بين أجزاء الإمبراطورية. وعلى رأس هذه العوامل هي توحيد جميع آسيا الغربية والشرق الأدنى تحت حكم السلالة الاخمينية، وتقسيم هذه الرقعة الشاسعة إلى ولايات تحت إدارة مركزية، وإيجاد نظام من طرق المواصلات البرية والبحرية ونظام البريد لربط أجزاء هذه الإمبراطورية الواسعة وإيجاد نظام متوازن من الضرائب، وإدخال الأوزان والقياسات المطردة، وإدخال النقود المسكوكة. وقد بلغ حجم التجارة في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد مقداراً لم يعرف من قبل[36].

أما طرق التجارة فقد أصابها التدهور في حدود 700 ق.م، نتيجة هجرة القبائل الإيرانية بالرغم من انه لا يمكن إثبات ذلك في الوقت الحاضر وان التحركات العرقية في إيران قد غيرت اتجاه الطرق التجارية القديمة بصورة

---

[34] – نفسه –ص144.

[35] – نفسه – ص144.

[36] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص434.

مؤقتة بحيث إن جميع الطرق المتجهة إلى الغرب أصبحت تمر الآن عبر جنوب عيلام وبلاد بابل ثم إلى أعالي نهر الفرات[37].

وقد فسحت الوحدة السياسية لمملكتي ميديا وفارس تحت حكم كورش المجال لكورش أن يهدأ الوضع في جميع المناطق وأصبح من الممكن استخدام الطرق التجارية القديمة عبر شمال إيران ثانية وان من المتوقع أن يكون لذلك نتائج اقتصادية معاكسة بالنسبة لبلاد بابل[38].

عرف عن العهد الاخميني عن توسع في مراكز التجارة العالمية فقد كانت آسيا الصغرى وكريت وقبرص ولبنان والهند من مراكز تجارة الأخشاب الجيدة، كذلك كانت الفضة والنحاس والحديد موجودة في قبرص. وكذلك كان النحاس والفضة يجلب من آسيا الصغرى. وكان لبنان من مصادر النحاس والحديد أيضاً، وينتج إقليم كرمان الذهب والفضة. وكان إقليم سيستان مشهوراً بالقصدير، وجنوب القوقاز بالفضة والحديد. وكانت خراسان تنتج الفيروز والعقيق[39].

سقوط الإمبراطورية الاخمينية:

استطاع الاسكندر المقدوني من دحر الاخمينيين والإطاحة بهم في اغلب الدويلات والمدن التي تخضع إلى حكمهم. فبعد أن وصل إلى شمال مصر، قرر التقدم إلى الشرق.

ثم توجه بعد ذلك إلى العراق من قرب دير الزور، فسار شرقاً إلى دجلة وعبره بمسافة قليلة إلى شمالي الموصل. وسار إلى كوكميلة حيث وجد دارا معسكراً فجرت معركة كانت حاسمة في القضاء على الاخمينيين. بلغ جيش دارا كما يروي المليون رجل بضمنهم مرتزقة من الإغريق ومائة عربة ذات فؤوس، وكانت خيالة وحدها تربو على جيش الاسكندر بكامله. بعد أن تمهل الاسكندر قليلاً في اربل سار منحدراً إلى بابل. لم يلاق الاسكندر حرباً في بابل بل أن الحاكم الفارسي (مازيوس) سلم المدينة إلى الفاتح. واتبع الاسكندر في بابل سياسة التسامح والمداراة التي اتبعها في مصر[40].

وهكذا انتهت إمبراطورية كبيرة كانت قد اتسعت رقعتها من أقصى الشرق حتى أقصى الغرب.

---

[37] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 171.

[38] – ساكز – هاري/ عظمة بابل–ص 323.

[39] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 186.

[40] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص445.

الاستنتاجات

1- تصف التوراة الاخمينيون بأنهم "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً". جاء اليهود المنفيين ببابل بكورش الاخميني ونصبوه على شعوب المنطقة عنوة حيث دمر حضارتهم واستعبدهم وأزالهم عن الوجود عن بكرة أبيهم. قام كورش باحتلال مملكة مديا أولاً، عن طريق تأليب المعارضين لها وإثارة الفتن.

2- كون كورش من بعده ضمه بلاد ماذي في زمن جيل واحد من إمبراطورية معظمة شملت معظم العالم القديم المعروف، ممتدة من الهند إلى البلاد الإيجية والى البحر العربي وبفتح قمبيز لمصر وبفتوح دارا اتسعت هذه الإمبراطورية فكانت أعظم إمبراطورية عرفها العالم القديم.

3- بعد انهيار الدولة الميدية أصبحت بلاد إيران تحت حكم كورش، وتم توحيد الشعبين الميدي، والفارسي تحت زعامته، واخذ كورش الآن يخطط للاستيلاء على الأراضي المحيطة.

4- كان أول عمل عسكري يقوم به قمبيز ابن كورش، هو التحرك باتجاه مصر والواقع أن فكرة غزو مصر كانت من تنظيم كورش الكبير الذي كان قد اعد العدة لفتح مصر غير انه توفي قبل انجاز عمله العسكري. وكان قد أوكل مهمة تهيئة الحملة إلى ابنه قمبيز أثناء حياته.

5- كسب الاخمينيون إلى جانبهم عواطف الجنود المرتزقة اليهود الذين كانوا في خدمة الفرعون المصري.

6- لم يكن أمام كورش بعد أن تمكن من محالفة اليهود إلا أن يبدأ لإعداد العدة لإسقاط بابل، ولكن كان عليه قبل أن يحسم الأمر، عسكرياً أن يمهد ذلك بحروب واسعة ضد الملك البابلي.

7- صور اليهود كورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التوراة حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك. إذ لم يُعرف كورش في إيران حتى قبل 100 عام.

8- ظهرت ردود أفعال كبيرة لسكان وادي الرافدين ولاسيما البابليين ليثروا على حكم كورش الاخميني، إذ شهدت بابل ثلاثة ثورات مهمة ضد الاحتلال الاخميني.

9- عرف عن العهد الاخميني عن توسع في مراكز التجارة العالمية فقد كانت آسيا الصغرى وكريت وقبرص ولبنان والهند من مراكز

تجارة الأخشاب الجيدة، كذلك كانت الفضة والنحاس والحديد موجودة في قبرص.

10- استطاع الاسكندر المقدوني من دحر الاخمينيين والإطاحة بهم في اغلب الدويلات والمدن التي تخضع إلى حكمهم. فبعد أن وصل إلى شمال مصر، قرر التقدم إلى الشرق فوصل العراق وحرر مدينة بابل ودحر الدولة الاخمينية.

**المصادر والمراجع**


1- **الأحمد ، سامي سعيد / تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي – جامعة البصرة – 1987.**

2- **آ.بتري ، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم – ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز – دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الموصل 1977**

3- **بارو، اندريه / بلاد آشور – ترجمة د.عيسى سلمان وسليم طه التكريتي وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1980.**

4- **باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – ج2 – دار المعلمين العالية ط2- 1956.**

5- **ساكز – هاري/ عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة – ترجمة د.عامر سليمان، دار الكتاب للنشر ، 1979.**

6- **هنري.س.عبودي/ معجم الحضارات السامية – جروس برس 1991.**

7- **ديورانت / قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران،ج2 – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1977.**

8- **يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب/ جامعة بغداد 2003.**

# الاقتصاد و إدارة الأعمال

تطور النظام المحاسبي في العراق

التسويق الالكتروني باستخدام برمجية ARCGIS9.2

دراسة تطبيقية على مواقع السياحة العلاجية في الأردن

# تطور النظام المحاسبي في العراق

**د. صباح قدوري**

عميد كلية إدارة الأعمال \ جامعة ابن رشد في هولندا

المقدمة :

ما زلنا نجد عددا من الأنظمة المحاسبية المعمول بها في المؤسسات العراقية. على الرغم من التزام القطاعين الصناعي والتجاري بتطبيق النظام المحاسبي الموحد، إلا أنّ المؤسسات الحكومية، والنشاط الاستثماري والمالي والاجتماعي بقي يتبع أنظمة مختلفة.

إن أهمية هذا البحث تكمن في اتباع منهج تحليلي لسرد تاريخي، مناسب، لتطور النظام المحاسبي في العراق المعاصر. وكذلك تلمس مدى توافق الأنظمة المحاسبية المعمول بها حاليا في إنتاج البيانات بمستوى جودة مقبول، وذلك لتحقيق أهداف المحاسبة العديدة في الرقابة والتخطيط وتقييم البيانات، من أجل ترشيد عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية، على مجموع المستويات الإدارية المختلفة.

من جهة ثانية، يمكن تلخيص مشكلة البحث، في أنّ تعدد الأنظمة المحاسبية في المؤسسات والشركات العراقية للقطاعين العام والخاص، لا يساعد على بناء أنظمة المعلومات الادارية لإنتاج البيانات الموحدة، تلك البيانات التي تبقى ضرورية على مستويات الاقتصاد الكلي والجزئي، وتساعد بالتأكيد على برمجة التخطيط المركزي للميزانية العامة، واتخاذ القرارات على مستوى الوحدات الاقتصادية، خاصة ان العراق يحتاج في المرحلة الراهنة الى تعزيز دور القطاع العام في عملية التنمية الاقتصادية والبشرية المستدامة، بجانب تفعيل دور إيجابي مميز للقطاع الخاص في هذه العملية.

وفي ضوء هذه الإشكالية، يمكن القول: إنّ البحث يهدف الى عرض منهجي لهذه الانظمة المحاسبية المختلفة، ونقدها بإيجابياتها وسلبياتها، واستقراء ذلك عبر مراحل تطورها، ومدى ملاءمتها للمرحلة الحالية التي تمر بها السياسة الاقتصادية العراقية، تحديدا توجهها نحو الليبرالية والانفتاح، وتطبيق مبدأ اقتصاد السوق. ما يتطلب في هذه الحالة استخدام أدوات جديدة لمعالجة الشؤون المالية، من أجل توفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات المستثمرين والممولين. وبرأينا فإنَّ الانتقال الى اقتصاد جديد للمحاسبة، يتطلب تحديد معايير تتكيف مع معايير المحاسبة الدولية ومع البيئة الجديدة.

عليه فان البحث سيقسم على المباحث الآتية:-

## 1. النظرية والتطبيق في النظام المحاسبي للشركات والمؤسسات الحكومية في العراق

النظام المحاسبي في جمهورية العراق، يعمل على وفق مجموعة من القوانين والتعليمات، منها القانون التجاري رقم 60 لسنة 1943، المادة 47، كذلك قانون رقم 149 لسنة 1970 المادة 31 . حيث ألزمت هذه المواد التاجر العراقي، كما عرّفه القانون المذكور، بعدد من الموجبات. فكل تاجر يتم تسجيله وتصنيفه على وفق القانون التجاري العراقي في وزارة التجارة، ويكون عضوا في غرفة التجارة العراقية، عليه واجب ملزم بمسك الدفاتر المحاسبية المحددة.

فعلى وفق المادة الأولى [أي المادة47 من القانون التجاري رقم 60 لسنة 1943]، يلزم كل تاجر بمسك الدفاتر التجارية المدرجة في أدناه:

1. دفتر الموجودات: وهو دفتر محاسبي يسجل فيه التاجر معاملاته التجارية من الموجودات والمطلوبات عند بدء العمل.
2. دفتر اليوميـــــــــة: يسجل فيه يوميا على وفق المستندات الاصولية، كل المعاملات التجارية من شراء وبيع البضاعة، المدينين والدائنين، الاوراق المالية، وكذلك الايرادات والمصروفات كافة.

ويكون استخدام هذين الدفترين الزاميا. وفضلا عن ذلك فقد أجاز هذا القانون ايضا إمكان استخدام الدفاتر الاخرى المساعدة على وفق مقتضيات حجم اعمال الشركة لتسجيل بعض العمليات التجارية. ويلزم القانون التاجر ايضا، بوجوب الاحتفاظ بهذه الدفاتر لمدة 15 سنة، اعتبارا من تاريخ آخر المعاملات التجارية المسجلة في هذه الدفاتر.

وقد جعلت المادة 56 من القانون المذكور، من هذه الدفاتر التجارية حجة قانونية في فصل النزاعات بين التجار تلك التي تنتج عن المعاملات التجارية، وكذلك الاعتماد عليها من قبل الدوائر الضريبية. علما أنه تم تعديل القانون المذكور في أعلاه لسنة 1943، بقانون حديث صدر في سنة 1970، الذي ألزم التاجر العراقي باستخدام دفتر اليومية و دفتر آخر هو [أستاذ] العام، و حدد فيهما اسلوب تسجيل المعاملات التجارية. كذلك أجاز القانون استخدام دفاتر اخرى مساعدة لتسجيل المعاملات التجارية، و حدد نوع البيانات التي يجب أن تحتويها هذه الدفاتر.

وألزمت المادة هذه أيضا التاجر بأن ينهض بتصديق هذه الدفاتر عند كاتب العدل وختم صفحاتها وتحديد عدد الصفحات على خلاف الداخلي للدفاتر، حتى تكتسب هذه الدفاتر الشرعية القانونية. كل ذلك بغية توحيد الاجراءات المحاسبية في المعاملات التجارية للتجار.

ولمزيد من التوضيح [التاريخي] نشير إلى أنه كان قد صدر في سنة 1940، أول قانون في تنظيم المحاسبة الحكومية- الميزانية العامة، الذي كان يعتمد على القانون العثماني لسنة 1326، والذي يتضمن المبادئ العامة للمحاسبة، والنظام المالي الوارد في القانون 712 لسنة 1924 . إنّ قانون أصول المحاسبات العامة رقم 28 لسنة 1940 يعد خطوة جيدة لتطبيقات مماثلة في الدوائر التابعة للميزانية العامة. إذ ان القانون قد اوضح في فصوله الخمسة كل ما يلزم بخصوص ايرادات الدولة والرقابة على الصرف والدورة الحسابية وفي المراقبة والتدقيق، وكل ذلك جاء كما ذكرنا بهدف توحيد الاجراءات المالية للدوائر التابعة والمرتبطة حسابتها بالميزانية العامة كافة.

ويعدّ هذا بداية تطور النظام المحاسبي الحكومي، على الرغم من تاخير تسجيلات القيود المحاسبية، و إعداد التقارير المالية- النتيجة النهائية الموحدة للدوائر المرتبطة بالميزانية العامة. و هو ما يزال بعيدا عن النظام المحاسبي الحكومي الحديث من حيث المبادئ والاستخدام في التطبيق العملي، و لا يتلاءم مع الهيكلية المالية والتغيرات البنيوية الحالية للاقتصاد الوطني.

بعامة يمكن القول بأن هذا النظام يتصف بالمميزات الثلاث الآتية:

1. عدّ شراء الموجودات الثابتة مستهلكة دفعة واحدة عند شرائها، وهذا يعني عدم تطبيق نظام الاندثار على هذه الموجودات.
2. اعتماد الاساس النقدي في تسجيل المصروفات والايرادات، اي عدم تطبيق اسلوب المستحقات والمدفوعات المقدمة.
3. المركزية في اعداد الحسابات [الناجمة عن] المصروفات والايرادات والميزانية العامة.

بعد ثورة تموز1958 استخدمت بعض انظمة محاسبية مختلفة في بعض المؤسسات الصناعية والحكومية منها: معامل التبوغ والسيكاير العامة، الغزل والنسيج، الالبان، الاسمنت ، السكر، وغيرها، متبعة انظمة متقدمة عن سابقتها. وبعد اجراءات التاميم في سنة 1964 التي طاولت المؤسسات الصناعية مثل، شركات الدخان، والغزل والنسيج ، ومعامل فتاح باشا، والبنوك وشركات التامين الخاصة، اصبح هناك ضرورة لاستخدام النظام المحاسبي المتقدم في هذه المؤسسات، بغية المتابعة والتدقيق وانتاج البيانات اللازمة في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية . ولهذا الغرض تم اعداد انظمة متقدمة للمحاسبة من قبل:

1. مكاتب المحاسب القانوني المجازة والمعترف بها قانونيا، إذ أعدت انظمة محاسبية متطورة للقطاع الصناعي الحكومي والخاص.
2. المركز القومي للاستشارات والتطوير الاداري في العراق، الذي بدأ اعماله في سنة 1963، و أعد انظمة محاسبية متطورة للقطاع الانتاجي والتجاري والخدمي الحكومي، ولعب دورا مهما في تطوير

الانظمة الادارية والمحاسبية، خاصة في مجالات محاسبة التكاليف والتدقيق ورفع الانتاجية والرقابة النوعية، التحليل المالي، والميزانيات التخطيطية وغيرها، و إعداد دورات تاهيلية وتدريبية للعاملين ، بهدف رفع مستوى معرفتهم في امكان تطبيق الانظمة المحاسبية المتقدمة في المؤسسات الصناعية والتجارية الحكومية.

وبالعودة إلى ما قبل انبثاق النظام المحاسبي الموحد في العراق، حيث كان هناك انظمة متعددة للمحاسبة في المؤسسات الصناعية والتجارية ودوائر الحكومية، والانشطة الاستثمارية. فكانت تلك المؤسسات بالمحصلة تختلف فيما بينها من حيث احتساب الكلفة واسس إعداد الحسابات النهائية والتقارير المالية.

فمثلا كانت شركات القطاع الصناعي الحكومي تستخدم في تسجيل المعاملات الاقتصادية، الدفاتر التالية:

1. دفتر اليومية العامة: الهدف الاساس منه، هو تسجيل كافة المعاملات الاقتصادية فيه على وفق نظام القيد المزدوج.
2. دفتر الاستاذ العام: يرحل مجموع الدائن والمدين لكل حساب نوعي المسجل في اليومية العامة الى هذا الدفتر شهريا، ما يسهل عملية استخراج ارصدة هذه الحسابات وعمل الحسابات الختامية على اساسه.
3. دفتر يومية الصندوق: يسجل فيه المعاملات النقدية من الايرادات والمصروفات وكل انواع المدفوعات والمقبوضات النقدية، وترقم حسب التسلسل التاريخي للعملية النقدية وحسب الاصول، واستخراج الرصيد النقدي.
4. الدفتر المساعد للايرادات والمصروفات: يسجل فيه تفاصيل الايرادات والمصروفات المرحلة من اليومية العامة، ومصنفة حسب النوع، ما يسهل عملية الرقابة على المصروفات والايرادات، واستخراج ارصدة كل نوع من هذه الحسابات، ومطابقتها مع ارصدتها في دفتر الاستاذ العام.
5. دفتر تفاصيل الموجودات الثابتة: يسجل فيه قيمة الموجودات الثابتة وانواعها التي يتم شراؤها او بيعها واحتساب اندثارها السنوي، واستخراج الارصدة في نهاية السنة المالية لاعداد الميزانية العمومية.

6. دفتر المخازن: يسجل فيه حركة دخول وخروج قيمة المواد والبضائع، ويسهل على عملية الجرد الدوري لكميات واقيام هذه المواد والبضائع، و تحديد الموعد الأخير منها في نهاية السنة المالية لاعداد الميزانية العمومية.
7. الدفتر المساعد للمدينين والدائنين: ويسجل فيه بشكل تفصيلي حركة الدائنين والمدينين، واستخراج ارصدتها في نهاية السنة المالية لاعداد الميزانية العمومية.

ويتم على وفق التسجيلات الواردة في هذه الدفاتر استخراج التقارير الآتيية منها:

1. تقرير كلفة الانتاج
2. تقرير حساب النتيجة اي الارباح والخسائر على شكل مراحل
3. اعداد الميزانية العمومية

ومن أجل تصور أفضل يمكن أن تعود إلى نماذج هذه التقارير مرفقة في نهاية البحث

إن هيكل الاقتصاد العراقي قبل ثورة تموز 1958 والتاميم في سنة 1964 ، كان يتصف بضعف وصغر حجم المؤسسات وخاصة في القطاع الصناعي. ومعظم الشركات العاملة في هذا القطاع كان تنقصها الموارد المالية في تطبيق النظام المتقدم لمحاسبة التكاليف، ما عدا بعض الشركات التي كانت تمول من قبل الراسمال الاجنبي، او المختلط كما في القطاع النفطي وشركات التامين.

ونظام محاسبة التكاليف المطبق في هذه الشركات كان يعتمد على النظام الانكليزي من حيث التسجيل وتقسيمات الكلفة واحتساب الكلفة وتقارير الحسابات الختامية من الارباح والخسائر، واعداد الميزانية العمومية. والحالة هذه استمرت حتى سنة 1964، عندما تم تاميم قسم من القطاع الصناعي.

فبعد التاميم واتساع حجم القطاع الصناعي، بادر المركز القومي للاستشارات والتطوير الاداري، وكذلك مكاتب المحاسب القانوني

المجازة، باعداد النظام المحاسبي للتكاليف لقسم كبير من هذه الشركات المؤممة، ولكن لم يكن ملزما للتطبيق من قبلها. ولحد الان لا يوجد في المؤسسات الصناعية العراقية نظام محاسبة تكاليف موحد ومستقل بمعنى الكلمة، وهناك ايضا نقص في الكوادر المهنية والفنية في هذه المؤسسات لتطبيق هذا النظام.

بالمقابل يمكن الإشارة إلى أنه، ظهر إلى الوجود بعد فترة؛ نظام موحد للمحاسبة في المؤسسات التي كانت تابعة للمؤسسة العامة للتجارة. وقد أعدّ مركز البحوث الادارية المعروف بـ (اراك) في سنة 1969 نظام التسجيل والعمليات المحاسبية واللوائح القانونية اللازمة لتطبيق هذا النظام، ويتضمن كالاتي خارطة الحساب على أسس المجموعة، كما يلي:

1. الموجودات
2. المطلوبات
3. كلفة الانتاج اوالخدمة
4. كلفة البضاعة او الخدمة المباعة
5. الايرادات والمصروفات بما في ذلك الربح والخسارة
6. تقسيم الربح

وكل حساب من هذه الحسابات مقسمة على حسابات تفصيلية وفرعية.

وعلى سبيل المثال نشير إلى أن ادارة المؤسسة العامة للغزل والنسيج أصدرت قرارها المرقم 5 في1971.8.23 بتطبيق النظام المحاسبي الموحد. وفي 1972.4.1 تم تعميم تطبيقه في فروع شركات هذه المؤسسة كافة. وفي 1973.4.1 طبق هذا النظام على كل مؤسسات القطاع الصناعي العراقي.

وفي اطار هذا النظام تم معالجة بعض اشكاليات نظام محاسبة التكاليف، منها التعاريف والمفاهيم، طرق تسجيل الكلفة، احتساب الكلفة، تقييم البضاعة والمواد، كذلك توحيد طرق احتساب الاندثار.

واصبح هذا النظام اساسا في تكوين النظام المحاسبي الموحد الذي توسع تطبيقه فيما بعد، وشمل كل قطاعات الصناعية والتجارية الحكومية، والذي يمكن الاستفادة منه في التخطيط الاقتصادي-الاجتماعي في

العراق. ان هذا النظام المسمى بالنظام المحاسبي الموحد لم يشمل كل قطاعات الاقتصاد الوطني، منها النشاط الاستثماري وقطاع الخدمات الاجتماعية، في وقت من الضروري بل من الواجب تطبيقه ايضا في هذه القطاعات.

وعليه وفي ضوء نظرة مباشرة وعن كثب، نجد اليوم في العراق انظمة محاسبية مختلفة في التطبيق وهي:

1. المحاسبة الحكومية
2. النظام المحاسبي الموحد للقطاعين الصناعي والتجاري
3. النظام المحاسبي للنشاط الاستثماري على وفق الخطط الاستثمارية لوزارة التخطيط

ومن الطبيعي أن نشير هنا إلى أن هذه الانظمة تختلف فيما بينها من حيث السجلات والدفاتر والتسجيل واعداد الحسابات الختامية والتقارير المالية ومن ثم إلى نتائج هذه التعددية والاختلاف فيما بينها.

## 2. النظام المحاسبي الموحد في العراق

إن انبثاق هذا النظام قد ساعد على تطوير نظام المحاسبة المالية والادارية في وحدات القطاع الاقتصادي العراقي. حيث يتصف هذا النظام بمرونة. ويمكن تطبيقه يدويا والكترونيا في انتاج البيانات، ويطبق في الوحدات الصناعية والتجارية كافة.

لقد ساهم هذا النظام في توحيد اللوائح والقوانين المحاسبية، وعملية تسجيل البيانات المحاسبية على مستوى الشركات والصناعات النوعية و\أو على المستوى القومي باوسع معانيه، من جهة إعداد الحسابات الختامية والميزانيات التخطيطية في اطار محدد من الاسس والقواعد والمصطلحات والتعاريف المحاسبية. وهو يتناول مفردات رئيسة متضمنا المحاسبة المالية، والمحاسبة الادارية، ومحاسبة التكاليف. وعليه يمكن إجمال محاور [ونتائج] التوحيد بالاتي:

1. توحيد الاسس والمبادئ والقواعد والمصطلحات والتعاريف المحاسبية
2. توحيد اسس تقييم المخزون من المواد والمنتجات وبقية الاصول
3. توحيد معدلات الاندثار لكافة الاصول
4. توحيد السنة المالية مع توحيد تاريخ اعداد حسابات النتيجة وقوائم المركز المالي
5. توحيد الحسابات الختامية
6. توحيد حسابات الاحتياطيات والتخصيصات
7. توحيد الميزانيات التخطيطية النقدية والمالية والفنية
8. توحيد الدليل المحاسبي الذي يتم على اساسه، تحليل وتبويب وتصنيف وتقسيم العمليات والبيانات المحاسبية

### 3. تركيب النظام المحاسبى الموحد

ساعد النظام المحاسبي الموحد على سهولة تسجيل العمليات الحسابية وانتاج البيانات على مستوى الشركات والمؤسسات العامة النوعية والاقتصاد الوطني. لتضمنه، المحاسبة المالية، والمحاسبة الادارية، ومحاسبة التكاليف.وفي ضوء ذلك نرصد مفردات تركيبه الآتية:

1. الدليل المحاسبي الموحد والاطار العام له( خارطة الحسابات)
2. شرح الدليل المحاسبي
3. الدفاتر والسجلات المحاسبية

بينما يمكن القول استتباعا لمفردات تركيبه التي تضمنها أن النظام المحاسبي الجديد قد استخدم الآليات الآتية في إطار عمله:

1. توحيد الميزانية التخطيطية
2. توحيد حسابات النتيجة
3. تطبيق نظام الجرد المستمر والمتابعة

ومع ذلك وعلى الرغم من توحيد النظام المحاسبي، نجد ان العراق اليوم لا يطبق النظام بشكله الموحد في كل الوحدات الاقتصادية، وبعض منها ما تزال تستخدم المعالجات الخاصة من حيث التسجيل وانتاج البيانات وعرضها على المستويات الادارية المختلفة.

## 4. **الدليل المحاسبي وإطاره العام**

يعتمد الدليل المحاسبي في أسس تصنيف حساباته وترقيمها على تسعة مجموعات، كالاتي:

1- الأصول

2- الخصوم

3- الاستخدامات

4- الموارد

حسابات الميزانية

| 1.الاصول(الموجودات) | 2.الخصوم (المطلوبات) |
|---|---|
| 11.اصول ثابتة | 21. راس المال |
| 12. مشروعات تحت التنفيذ | 22. احتياطي وفائض مرحل |
| 13. المخزون | 23. تخصيصات |
| 14. قروض طويلة الاجل | 24. قروض طويلة الاجل |
| 15. استثمارات مالية | 25. بنوك دائنة |
| 16. مدينون | 26. دائنون |
| 17. حسابات مدينة اخرى | 27. حسابات دائنة اخرى |
| 18. نقدية في الصندوق والبنوك | 28. نتيجة العام |

حسابات النتيجة/الاستخدامات

| | |
|---|---|
| 3- الاستخدامات(المصروفات) | 4. الموارد( الايرادات) |
| 31. الاجور | 41. ايرادات النشاط الجاري |
| 32. مستلزمات سلعية | 42. اعانات |
| 33. مستلزمات خدمية | 43. ايرادات اوراق المالية |
| 34. مشتريات بغرض البيع | 44. ايرادات تحويلية |
| 35. مصروفات تحويلية جاري | 45. ارباح مشروعات التعمير والاسكان والاراضي |
| 36. تحويلات جارية تخصيصية | |

وتتفرع هذه الحسابات على المستويات الثالث والرابع والخامس والسادس.

مراكز الكلفة

5- مراقبة مراكز الانتاجية

6- مراقبة مراكز الخدمات الانتاجية

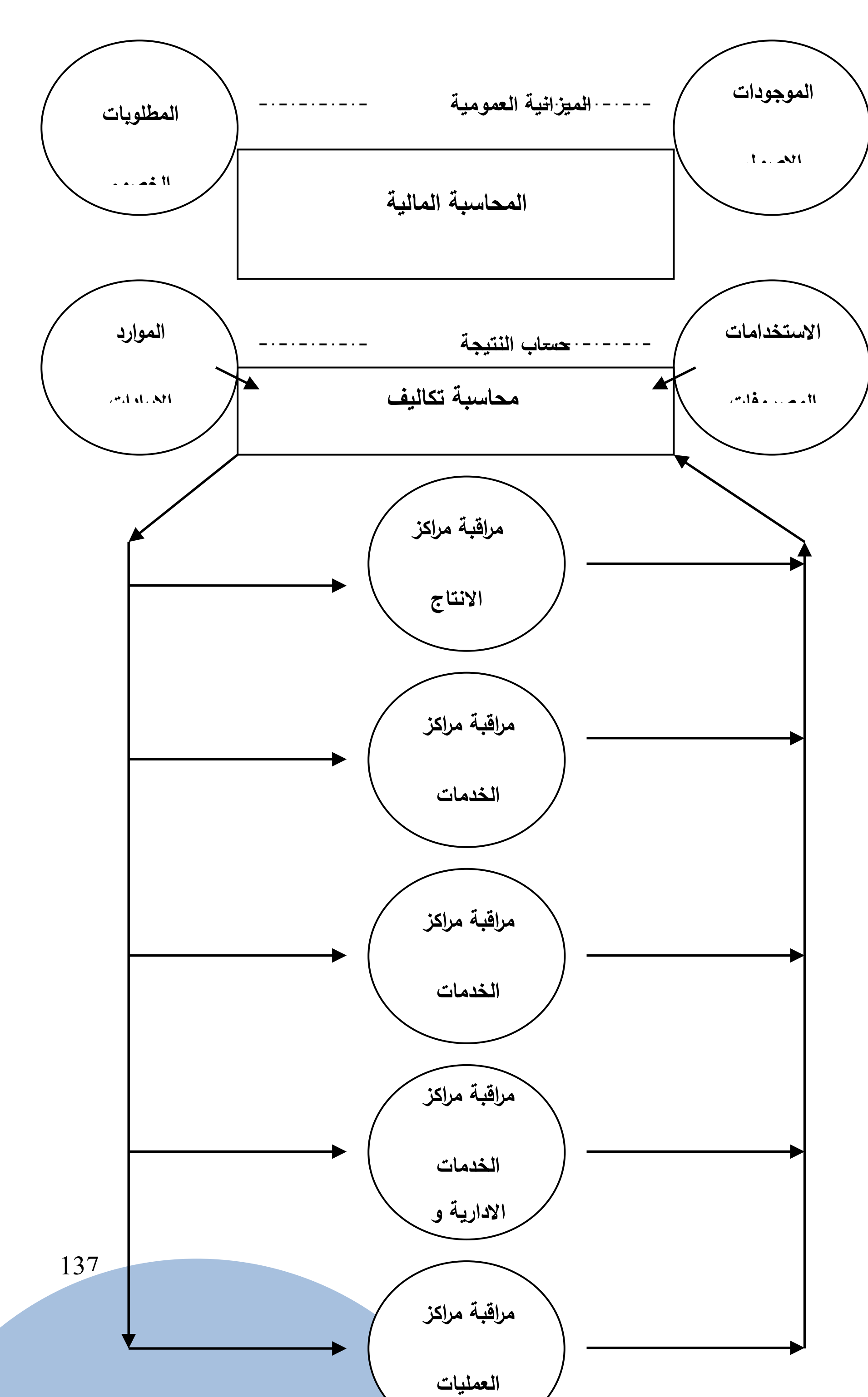
7- مراقبة مراكز الخدمات التسويقية

8- مراقبة مراكز الخدمات الادارية والتمويلية

9- مراقبة مراكز العمليات الراسمالية

ان الحسابات الاربعة الاولى من 1-4 والمذكورة في أعلاه تمثل حسابات اجمالية( المحاسبة المالية). اما محاسبة التكاليف، فقد خصصت لها حسابات اجمالية من 5-9. ويتاثر هذا التقسيم الى حد ما بالتقسيمات الموجودة في الادب المحاسبي للبلدان ذات اللغة الانكليزية والالمانية اي(انكلوسكسونية). وتقسم كل هذه الحسابات الى حسابات تفصيلية وفرعية متعددة، اذ اظهرت من خلال تطبيقها في القطاع الصناعي،بانها غير عملية، وتحتاج الى عمل و وقت كثيرين.

# العلاقة بين المحاسبة المالية و محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد



## 5. الدفاتر والسجلات المحاسبية

حدد النظام المحاسبي الموحد المجموعة الدفترية التي تجمع فيها العمليات والنشاطات المالية للوحدة الاقتصادية كافة، من عمليات القبض والدفع والبيع والشراء وكل التسويات خلال المدة المحاسبية. ومن هذه الدفاتر يتم استخراج الحسابات الاجمالية والعامة والمساعدة، لاعداد ميزان المراجعة، الذي بموجبه تصور الحسابات الختامية (حسابات النتيجة والميزانية العمومية). كذلك قيام ادارة التكاليف بامساك مجموعة دفترية ، تساعد على اعداد القوائم والحسابات الختامية ، وخاصة حساب الانتاج والمتاجرة والارباح والخسائر، فضلا عن بيانات اخرى يتطلبها متابعة الموازنة التخطيطية. وتقسم المجموعة الدفترية على:

1- دفاتر رئيسة

2- دفاتر تحليلية (استاذ مساعدة)

3- دفاتر الحسابات الشخصية (استاذ مساعدة – مفردات)

4- دفاتر وسجلات الكلفة وكشوف دورية

## 6. الميزانية التخطيطية

الميزانية التخطيطية كاداة تخطيط لرسم سياسة الوحدة الاقتصادية العينية والمالية والنقدية خلال الفترة المقبلة. فانها تتناول حجم الانتاج السلعي او النشاط الخدمي ومستلزماتهما، والامكانية الالية والبشرية المتوافرة لتنفيذ البرامج الانتاجية المخططة، كذلك انها تحدد حجم المبيعات والخدمات وطرق توزيعها او تقديمها،والسيولة النقدية ، ورسم الخطط التوسعية للطاقة

المضافة، واستكمال الطاقات الانتاجية للمشروع التي لم تستغل اقصى استغلال بعد، وربط هذه الميزانية بالميزانية التخطيطية للتكاليف ومراكزها.

### 7. **الحسابات والقوائم الختامية**

الزم النظام المحاسبي الموحد الوحدات الاقتصادية، باعداد الحسابات والقوائم الختامية السنوية في موعد اقصاه ثلاثة شهور من نهاية السنة المالية، التي تنتهي بالسنة التقويمية الدولية. و يراعى ان تعد هذه القوائم وتلك الحسابات على وفق ما تضمنه النظام المحاسبي الموحد من مصطلحات وتعاريف واسس وقواعد، وطبقا للنموذج الذي اشار اليه النظام.

وينبغي على الوحدة ان تطبق ايضا ما استقر عليه العرف المحاسبي في شان اعداد الحسابات والقوائم الختامية، بحيث يراعى اجراء كافة التسويات المحاسبية التي تكفل تحميل السنة بما يخصها من عناصر الاستخدامات والموارد طبقا لمبدأ الاستحقاق. كما يراعى ان تتضمن هذه القوائم كل ما تنص القوانين والانظمة على وجوب اثباته فيها. وقد الزم الوحدات ايضا باعداد التقارير المالية الداخلية شهريا ، وفصليا، ونصف سنويا، وكذلك سنويا وخاصة لحساب النتيجة والميزانية العمومية. واستخراج الميزان المراجعة شهريا، وذلك لتاكد مطابقة الارصدة الحسابية المختلفة مع قيود تسجيلاتها وترحيلاتها في الدفاتر والسجلات المحاسبية.

### **8. نظام الجرد المستمر والمتابعة**

الزم النظام المحاسبي الموحد الوحدات الاقتصادية ، بتطبيق نظام الجرد السنوي والمستمر، الذي بموجبه يتم جرد كافة الموجودات مهما كان نوعها وطبيعتها وحجمها، بصورة تدريجية ومستمرة خلال السنة الانتاجية او الخدمة، وعلى ان يكون الجرد شاملا لكافة الموجودات، ولكن

عدد مرات الجرد خلال الفترة تعتمد على حركة المادة ومعدل دورانها السنوي وقيمتها.

ولهذا الغرض أجبر النظام كل وحدة اقتصادية، بتشيكل لجنة خاصة باسم (لجنة الجرد المستمر والمتابعة)، على ان تضع هذه اللجنة في كل عام برنامجا سريا لدورات الجرد التي تجريها في كافة مخازن الوحدة، مع مراعاة ان تكون الدورة الاخيرة في تاريخ انتهاء السنة المالية او اقرب ما يكون الى هذا التاريخ بفترة مناسبة..

ويجب ان تشمل هذه الدورات كافة موجودات الوحدة الموجودة لديها او بحوزة الغير. كما يتم تحديد مدة الدورة للجان الجرد المستمر والمتابعة، بان يتم تبديل نصف اعضاء اللجنة كل ستة اشهر، مثلا بشأن اللجنة الاولى، يتم تبديل نصف اعضائها بعدة ستة اشهر من تشكيلها، ويستمر النصف الاخر في اعمالهم لمدة سنة كاملة، عدا رئيس اللجنة فمدته سنة كاملة. تقدم لجنة الجرد تقريرا بعملها على ان يتضمن الاخطاء في وصف وتصنيف البضائع ووحدات صرفها، سوء او نقص اجراءات حفظها وسلامتها، الاخطاء في القيد والسجلات او في طريق الخزن او اي مخالفات اخرى.البضائع التي تحتاج الى وقاية خاصة.الفروقات المكتشفة اثناء الجرد مهما كان مقدارها ونوعها، وتوصيات اللجنة لمعالجة الموقف.

## 9. إمكان تطوير النظام المحاسبي الموحد في العراق (الخلاصة)

ان النظام المحاسبي الموحد عندنا، ليس موحدا بالمعنى الدقيق [والمكتمل] للكلمة. حيث يعالج بشكل خاص مسائل نظام التسجيلات الخاصة بالنشاط الانتاجي التشغيلي والتجاري. ولم يتطرق الى كيفية معالجة تسجيلات النشاط الاستثماري والمالي والاجتماعي، هذا فضلا عن ان النظام لم يطبق بشكل موحد في كافة فروع الاقتصاد الوطني.

لذلك هناك حاجة ماسة لتحديثه و اجراء الاصلاحات الضرورية واللازمة في تركيبه، ليربط هذه الانشطة التي تزاولها عادة كل وحدة الصناعية المتوسطة والكبيرة في نظام محاسبي واحد ، بحيث يعالج تسجيلات هذه الانشطة، ومن ثم توحيدها بشكل يسهل عملية تطبيقه في كافة فروع الاقتصاد الوطني، حتى يستطيع النظام انتاج المعلومات الاقتصادية اللازمة لعملية اتخاذ القرارات على كافة المستويات الادارية المختلفة، ويساهم في عملية تخطيط ومراقبة ومتابعة تنفيذها، في خدمة تطوير الاقتصاد الوطني.

يتصف هذا النظام بكونه مقسما على نظامين أو فرعين هما، المحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف. يمكن تسمية الاول بالمحاسبة الخارجية، لانها تزود المعلومات المحاسبية لخارج الوحدة، فمثلا الجهاز الضريبي، والبنوك، والجهاز الاحصائي وغيرها، اما الثاني فيمكن تسميته بالمحاسبة الداخلية ، لانه يزود المعلومات لداخل الوحدة الاقتصادية.

فوائد هذا التقسيم هي، ان النظام ممكن ان يتكون فقط من المحاسبة المالية، من دون التكاليف، وخاصة للوحدات الصناعية الصغيرة، التي لا تحتاج الى استخدام محاسبة التكاليف بالشكل التحليلي، وكما يمكن عن طريق المحاسبة المالية، تزويد الجهات المسؤولة بالمعلومات المحاسبية الاجمالية الضرورية لعملية اتخاذ القرارات الاقتصادية، كما هو مطبق حاليا بهذا الشكل.

كذلك لا يمكن ان توجد محاسبة التكاليف من دون المحاسبة المالية وخاصة في الوحدات الصناعية المتوسطة والكبيرة، والتي تحتاج الى انتاج المعلومات الاقتصادية التحليلية لمستويات الادارية كافة. ومن فوائد هذا التقسيم ايضا، انه يوضح العلاقة المتينة التي تربط محاسبة المالية بمحاسبة التكاليف، من خلال مقارنة ومطابقة التسجيلات الاجمالية التي يتم تسجيلها في المحاسبة المالية، وتلك التسجيلات التحليلية التي تخص التكاليف والموارد، ويتم تسجيلها في محاسبة التكاليف عن طريق المستندات الخاصة بذلك.ويجري التقسيم الاولي لبنود التكاليف على وفق مراكز المسؤولية، ويتم تسجيلها في دفاتر وسجلات محاسبة التكاليف بشكل احصائي، اذ يمكن

استخدام القيود ايضا في تسجيلات هذه البنود، وخاصة في الوحدات الصناعية المتوسطة والكبيرة.

لم يتطرق النظام المذكور الى كيفية تصنيف التقارير في مجال محاسبة التكاليف. ان الوحدات الصناعية ملزمة بتقديم تقارير مالية تنتجها المحاسبة المالية الى الجهات المسؤولة في اوقاتها المحددة لاغراض الرقابة والضريبة.

و اهم التقارير الاساس التي حددها النظام هي:

1- الميزانية العمومية

2- حسابات النتيجة ( العمليات الجارية)

3- الحالة المالية

في التطبيق العملي، يلاحظ قلة فوائد هذه التقارير المالية لاغراض الادارة الفعالة. ولا تساعد المرؤوسين في الوحدات الصناعية المتوسطة والكبيرة ، كي يؤدوا وظائفهم الادارية بالشكل الامثل، لكونها تحتوي على معلومات تاريخية ومتاخرة.

وهي لا تعبر عن المعلومات الفعلية للخطط الموضوعة سابقا. الأمر الذي يجعل قوتها ضعيفة جدا في عملية الرقابة. حيث يصعب في هذه الحالة، باالاستناد الى هذه التقارير فقط اجراء مقارنات جارية بين الكلفة الحقيقية الفعلية والكلفة التاريخية، وايجاد الانحرافات واسبابها ومعالجتها في وقتها.

وعليه فان النظام المحاسبي الموحد بشكله الحالي، لا يعدو عن كونه مسودة للنظام المحاسبي للتكاليف. ومن هنا جاءت حاجة ماسة الى تطويره ليكون مناسبا ومقبولا في مجال قياس التكلفة لمختلف الاغراض، كتحديد اسعار الوحدات المنتجة محليا وللتصدير، تثمين الموجودات باشكالها المختلفة، قياس الاداء الانتاجي....الخ، وفي مجال الرقابة عليها.

ثم يجب ان يتسع مفهوم النظام لينتج المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات الاقتصادية على صعيد الوحدة، القطاع ، وعلى المستوى الوطني.

تتوجه اليوم السياسة الاقتصادية العراقية نحو الليبرالية والانفتاح، وتبني مبدأ الاقتصاد الحر، وادوات مالية جديدة لتوفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات المستثمرين والممولين. ولهذا فإن الانتقال الى اقتصاد جديد للمحاسبة، يتطلب تحديد معايير تتكيف مع معايير المحاسبة الدولية ومع البيئة الجديدة للوحدات الاقتصادية العراقية، وتفرض مجموعة من الالتزامات الجديدة على النظام المحاسبي الموحد المعمول حاليا، لكي يتوافق مع هذه المعايير، وحتى يتماشى مع الاتحاد الاوروبي وشركات متعددة الجنسية والمنظمات المالية والتجارية العالمية.

يوجد اليوم هيئة المحاسبة القياسية العالمية، التي تقدم الخدمات في المعايير الدولية لرقابة الجودة والتدقيق والمراجعة، وقواعد السلوك الاخلاقي للمحاسبين المهنيين، وتحاول ايجاد مبدأ التوافق بين الانظمة المحاسبية والتقارير المالية التي تنظم امورها مصادر مختلفة، كالقانون التجاري، الضريبي، اصول ميزانية الدولة، قانون اصول محاسبة الشركات التجارية والصناعية(في العراق النظام المحاسبي الموحد)، والجمعيات وغيرها، والخروج بالمعايير القياسية، بحيث تكون مقبولة على الصعيد العالمي.

ونجد اليوم في ظل تنامي عولمة الاقتصاد، تبني معايير المحاسبة الدولية بشكل متزايد على مستوى العديد من دول العالم من الالتزام بتطبيق المعايير تتفاعل مع البيئة الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية وهذا الالتزام ليس خيارا بل إلزاما لكل بلد ينوي الانتقال المباشر إلى مراحل التقدم والتطور العالمية المشهودة يضاف إليها إمكانات حل مشكلات جوهرية تطفو بوضوح في هذا البلد أو ذاك كما تبرز حالة الفساد التي تحتاج لمعالجة محاسبية دقيقة ومنظمة بموضوعية في سياق محدد كما مر معنا في عدد من إشاراتنا الاستقرائية في هذا البحث.

# The evolution of the accounting system in Iraq

Abstract

The uniform accounting system is not uniform in the strict sense of the word. This system addresses the particular issues of recording the productive activities, on an operational and commercial level. The system was not created to handle the recordings of other kind of activities like financial and social investments. The system was not created so it can be applied uniformly in all branches of the national economy.

There is an urgent need to modernize the accounting system and make the necessary reforms in order to link activities performed by the medium and large industries, and the government. The accounting system need to be uniformed or standardized to facilitate the process of application in all branches of the national economy, so the system can produce economic information necessary for decision-making process at all administrative levels, and contributes to the process of planning, monitoring and follow up their implementation, in the service of developing the national economy.

Today Iraq's policy of liberalism and openness, and the adoption of doctrine free economy is forcing change upon the accounting system. The accounting system should bee seen as a financial and statistical instrument that meets the needs of investors, financiers and donors.

The transition to a new structure of an accounting system requires the identification of standards according to the International Accounting Standards. With the new environment of economic units in Iraq, it is essential to impose a set of new obligations on a uniform accounting system, in order to work in line with the European Union, multinational companies and financial organizations and the WTO.

Today we use the committee of Accounting International Standard (IASC) as a referendum, which provides services in the standards of the International Quality Control, Auditing, Review, and the rules of ethical conduct for professional accountants.

This committee should try to find a new doctrine - acceptable at the global level - , that creates compatibility between the systems of accounting and financial reports, which regulate their affairs in a variety of sources.

These sources are for an example the commercial law, tax law, the state budget, the code of accounting for commercial and industrial companies (known in Iraq as a Uniform Accounting System), associations and others.

In the light of the growing globalization of the economy, we find today that the adoptions of Standards International Accounting are increased at all levels. In order to participate in the development of the global economy and establish good international economic relations, any government needs to review its accounting system, and implement new reforms if those are needed.

ملحق 1                قائمة  تقرير كلفة الانتاج للفترة من.......... الى ........2010

| المبلغ الاجمالي | المبلغ | البيان |
|---|---|---|
| | | .1كلفة المواد المستخدمة |
| | xx | مواد اول مدة |
| | xxx | مشتريات المواد+ |
| | xx | مجموع المواد |
| | xx | مواد اخر مدة- |
| xxx | | المواد المستخدمة فعلا في الانتاج= |
| xx | | الاجور. 2 |
| xx | | تكاليف اخرى. 3 |
| xxx | | ( 3+2+1 ) كلفة الانتاج . 4 |
| xx | | الانتاج غير تام اولمدة + .5 |
| xx | | الانتاج غير تام اخر المدة- . 6 |
| xxx | | كلفة صنع البضاعة . 7 |

ملحق 2 قائمة تقرير حساب النتيجة- الارباح والخسائر

| البيان | المبلغ | المبلخ الاجمالي |
|---|---|---|
| صافي المبيعات. 1 | | xxx |
| كلفة البضاعة المنتجة- | | |
| بضاعة تامة اول مدة | xx | |
| كلفة صنع البضاعة(7=) من تقرير السابق+ | xx | |
| قيمة البضاعة المعدة للبيع= | xx | |
| بضاعة تامة اخر مدة- | xx | |
| كلفة البضاعة المباعة= .2 | | xxx |
| اجمالي الربح او الخسارة( 1-2).3 | | xx |
| تكاليف البيع (التسويقية) والادارية، ممكن اظهارها بشكل تحليلي .4 | | xx |
| صافي الربح او الخسارة ( 3-4). 5 | | xxx |

1-3 تمثل حساب المتاجرة

4-5 تمثل حساب الارباح والخسائر

ملحق 3 الميزانية العمومية بتاريخ ........................2010

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الخصوم( المطلوبات) | | | الاصول( الموجودات) | | | |
| راس المال وحق الملكية | | | الموجودات الثابتة | | | |
| راس المال | xx | | الاراضي | | xx | |
| +- الربح او الخسارة | xx | | المباني | xx | | |
| - المسحوبات | xx | xxx | - اندثار المباني | xx | xx | |
| التخصيصات والاحتياطيات | xx | | الات والمعدات المكتبية | xx | | |
| مصروفات مستحقة غير مدفوعة | xx | | - اندثار الات والمعدات | xx | xx | |
| ايرادات مقبوضة مقدما | xx | | وسائل النقل | xx | | |
| اوراق الدفع | xx | | - اندثار وسائل النقل | xx | xx | |
| قروض طويلة الاجل | xx | | المكائن والمعدات الانتاجية | xx | | |
| بنوك دائنة | xx | | - اندثار المكائن والمعدات الانتاجية | xx | xx | xxx |
| دائنون | xx | | الموجودات المتداولة | | | |
| حسابات دائنة مختلفة | xx | xxx | مخزون بانواعها المختلفة | xx | | |
| | | | ايرادات مستحقة غير مقبوضة | xx | | |
| | | | مصروفات مدفوعة مقدما | xx | | |
| | | | اوراق القبض | xx | | |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | xx | استثمارات مالية | | | |
| | xx | xx | قروض مدينة، طويلة وقصيرة الاجل | | | |
| | | xx | مدينون | | | |
| | xx | xx | - احتياطي ديون المعدومة | | | |
| | xx | xx | حسابات مدينة اخرى | | | |
| | | | النقدية بالصندوق والبنوك | | | |
| | | xx | في الصندوق | | | |
| xxx | xx | xx | في البنك | | | |
| xxx | | | | xxx | | |

هذه الميزانية مستخدمة قبل ظهور النظام المحاسبي الموحد ، وهي على وفق النظام المحاسبي الانكليزي، اي الموجودات والمطلوبات الثابتة اولا،ثم الموجودات والمطلوبات المتداولة.

## المصادر:


1- صباح الدوره: تطور القطاع الصناعي في العراق –القطاع الخاص، بغداد 1968

2- كاظم حبيب: دراسة مشاكل تطور القطاع الصناعي العراقي، في فترة من 1963-1964و 1968-1969 نمر3 سنة 3 ، دار السلام، بغداد 1972

3- صاحب حميد المستوفي: النظام المحاسبي الموحد في العراق، دار الزمان، بغداد 1974

4-صاحب حميد المستوفي و عبد الرزاق خالد الحيالي: النظام المحاسبي الموحد والمعالجة الدفترية لحسابات، دار الزمان، بغداد 1972

5-عبد الباسط احمد رضوان:المحاسبة في منشات القطاع الاشتراكي( النظام المحاسبي الموحد)، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل 1977

6-عبد الطيف حافظ, موريس واسيلي، وفؤاد العشري: النظرية والتطبيق في النظام المحاسبي الموحد، الطبعة الثالثة ،دار الفكر العربي القاهرة 1976

6- حنا رزوقي صائغ: المحاسبة الحكومية، الطبعة الثالثة، دار الزمان ، بغداد 1971

7- ماهر صالح : نموذج( موديل) المحاسبة الحكومية في العراق، رسالة دكتوراه، جامعة ، لودز ، بولندا،1980 ،باللغة البولندية.

8- قانون 28 لسنة 1940 ، مبادئ المحاسبة، وزارة المالية ، مديرية المحاسبات العامة، جريدة الحرية، بغداد 1976

9-النظام المحاسبي الموحد في القطاع الصناعي الحكومي في العراق: ، وزارة الصناعة ، مديرية العامة للتخطيط والرقابة المالية ، المؤسسة العامة للغزل والنسيج 1972

10-النظام المحاسبي الموحد: لجنة اعداد النظام المحاسبي الموحد، جريدة الجمهورية في 26.6.1980 بغداد

11-صباح قدوري: تحديث محاسبة التكاليف في وحدات القطاع الصناعي الحكومي في العراق، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة لودز، بولندا1985، باللغة البولندية

12- محمد شريف توفيق، حسن على محمد سويلم: استراتيجية توفيق المعايير الوطنية والعربية لتتوافق مع عولمة المعايير الدولية للمحاسبة، الزقازيق، مصر 2005

13-Intermediate Accounting Comprehesive Volum Fifth Edition .Simons , U.S.A

14-International Accounting Summaries ,A Guide for interpretation and comparison Coopers & Lybrand (International ) 1991 John Wiley &Sons, INC.

# التسويق الالكتروني باستخدام برمجية ARCGIS9.2

## دراسة تطبيقية على مواقع السياحة العلاجية في الأردن

**د. ابراهيم بظاظو – رئيس قسمي التسويق والإدارة السياحية – جامعة الشرق الأوسط / الأردن**

**الملخص**

في ظل تنامي السياحة العلاجية التي غدت تشكل عنصراً هاماً في صناعة السياحة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية على المستوى الدولي والمحلي، فهي تمثل مورداً اقتصادياً مهماً وأساسياً للدول،وبخاصة التي تتميز بمحدودية الموارد، لذلك فإن هذه الدراسة تكتسب أهمية خاصة؛ لأنها تبحث في تأهيل أحد الوسائل الناجحة في مجال التسويق السياحي الالكتروني باستخدام نظام المعلومات الجغرافي. كما عزز أهمية هذه الدراسة أيضا تطرقها إلى أحد الأمثلة التطبيقية لاستخدام نظام المعلومات الجغرافي في تسويق مواقع السياحة العلاجية في الأردن .

**الكلمات الدالة:**

نظم المعلومات الجغرافية Geographic Information System (GIS) ، التحليل المكاني Spatial Decision Support System (SDSS)، التسويق الالكتروني E-Marketing ، السياحة الالكترونية E-Tourism

E-Marketing Using the Software ARCGIS9.2
An Empirical Study on the Sites of Curative Tourism in Jordan

**Abstract**

In light of the growing medical tourism, which has become an important element in the tourism industry and economic and social development at the international level and local level, they represent an important economic resource and essential to the States, particularly those characterized by limited resources, so this study is of particular importance; as they look in the rehabilitation of a successful means in the field of tourism marketing email using geographic information system. It also reinforced the importance of this study also Turning to a practical example of the use of geographic information system in the marketing of medical tourism sites in Jordan.

*Key words*: Geographic Information System (GIS) ، Spatial Decision Support System (SDSS) ،E-Marketing ، E-Tourism

**مشكلة الدراسة**

تُحاول الدراسة الكشف عن مقومات السياحة العلاجية في الأردن، ومحاولة تخطيطها وإدارتها وتسويقها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية Geographic Information System (GIS)،من خلال بناء قاعدة بيانات جغرافية يمكن من خلالها المساعدة في تسويق السياحة العلاجية في الأردن، للوصول إلى استغلال أمثل وتنميتها سياحياً ، وتسعى الدراسة إلى الإجابة على الإشكال المطروح والمتمثل في الكيفية التي يتم فيها الربط بين نظام إدارة المواقع السياحية العلاجية، ونظم المعلومات الجغرافية، وبما يؤدي إلى أن يستفيد التسويق السياحي المستدام في المواقع السياحية من مخرجات نظم المعلومات الجغرافية في تحقيق أهدافه المرجوة ورفع فعاليته. كما تتناول الدراسة كيفية الاستفادة من نظم المعلومات الجغرافية في بناء نظام مقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية في ظل الطلب المتزايد عليها؛ لما يوفره استخدام نظم المعلومات الجغرافية كتقنية متعددة الفوائد في توفير الإدارة المثلى في التسويق الالكتروني للمواقع السياحية.

**وقد حاولت الدراسة الإجابة على الإشكالية الأساسية الآتية:**

كيف يمكن تأهيل نظام التسويق السياحي الالكتروني في المواقع العلاجية من أجل تطوير الخدمة السياحية المقدمة للسائح عن طريق استخدام نظم المعلومات الجغرافية ؟

والتي تفرع منها الأسئلة التالية :

1. ما المدخلات اللازم توافرها في بناء قاعدة بيانات متكاملة لمنطقة الدراسة؟

3. هل يمكن تسويق المواقع السياحية العلاجية باستخدام مخرجات نظم المعلومات الجغرافية ؟

4. كيف يمكن الربط الأمثل بين احتياجات السائح العلاجي وبين مخرجات نظم المعلومات الجغرافية بما يرفع من فعالية التسويق الالكتروني للسياحة العلاجية؟

**أهمية الدراسة:**

تتمثل الأهمية العلمية للدراسة في مجال الاستفادة من تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في تسويق المواقع السياحية العلاجية، من خلال تصميم نموذج عملي مقترح لتطبيق نظم المعلومات الجغرافية في تسويق وتطوير المواقع العلاجية.

**مبررات الدراسة :**

1. قلة الدراسات التي تناولت التسويق السياحي الالكتروني باستخدام نظم المعلومات الجغرافية.
2. أهمية السياحة في الدخل الوطني حيث تشكل 14.7% من الدخل الإجمالي .
3. إمكانية استخدام نظم المعلومات الجغرافية بكفاءة عالية في تسويق المواقع السياحية ،وهو في تسويقه لهذه المواقع يربط بها كافة البيانات الوصفية المتعلقة بها ، مثل مكانها ، خدماتها ، أسعارها.

4. إن البيانات المطلوب إدخالها في قاعدة البيانات Data Base التي تختص بالموقع السياحي ، هي بيانات مكانية بالدرجة الأولى ، وترتبط بمواقع جغرافية محددة ، وهو ما تختص به نظم المعلومات الجغرافية.

5. القدرة العالية لنظم المعلومات الجغرافية بالتعامل مع عدة أنواع من البيانات، مثل: التقارير، الإحصائيات ، الجداول ، والخرائط ، وهو ما يضفى نوعًا من الإحكام والدقة على مخرجات النظام.

6. تعتمد النتائج المرجوة من النظام ، على عمليات التحليل الجغرافي لمواقع محددة ، وهو ما يتوافر بقوة في نظام المعلومات الجغرافي .

7. إن استخدام نظم المعلومات الجغرافية ، كأداة إعلامية وتسويقية هامة ،أجبر مديري التسويق والمبيعات في الشركات السياحية والفندقية على تغيير استراتجيات التسويق، والسبل الكفيلة بإنجاح الحملات الإعلانية من خلال التركيز على هذه الوسيلة الجديدة ،والتي سَتًمكْن الشركات السياحية والفندقية من التوسع في مجالات النشاط التسويقي، بغض النظر عن حجمها، من التنافس في السوق وفي حدود متساوية كما أنها ستَتَمكن من فتح قناة اتصال مباشرة مع السياح.

**الدراسات السابقة :**

تتصف الدراسات التي تناولت تسويق المواقع السياحية العلاجية في غالبيتها باهتمامها بدراسة الجوانب التقليدية في عملية التسويق، أما الدراسات المتعلقة بتسويق المواقع السياحية العلاجية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية موضوع البحث فما زالت قليلة ، ومنها: دراسة Harmsworth, G.R. 2006، بعنوان " تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي، وقد تناولت الدراسة كيفية الاستفادة من نظم المعلومات الجغرافية في تسويق المواقع السياحية في نيوزيلندا ، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج الآتية : أهمية نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي ، فضلاً عن إمكانية استخدام هذه النظم في إجراء التحليلات المختلفة.[1]

ومن أمثلة الدراسات التي تناولت تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في إدارة المصادر السياحية وتسويقها سياحياً باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ، تلك التي أجراها ( Walker, D. 2005 )، حيث يؤكد الباحث في هذه الدراسة أنه من الضروري تبني "مصطلح نظم المعلومات الجغرافية بشكل واسع من قبل مطوري النظم، ومن قبل المتخصصين في التسويق، ويحتاج هذا التطوير إلى الأخذ بعين الاعتبار طبيعة النظام التسويقي القائم على هذا النظام وضرورة اقتناع متخذ القرار بأهمية نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي [2]

وتأتي هذه الدراسة استكمالاً للدراسات السابقة ومحاولة بناء نموذج تطبيقي لاستخدام تكنولوجيا نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي من خلال التطبيق على مواقع السياحة العلاجية في الأردن .

**منهجية الدراسة :**

تجمع الدراسة بين النظرية والتطبيق ، لما تشتمل عليه من إطار نظري يتناول مفاهيم تسويق المواقع العلاجية سياحياً باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، وتطبيق عملي يسهم في إعداد قاعدة بيانات متكاملة تضم كافة المقومات العلاجية في الأردن، ويتطلب ذلك الجمع بين أكثر من منهج في آن واحد كالمنهج التنظيمي والمنهج الإدراكي التصوري ؛ بغرض إبراز الشخصية الإقليمية للمواقع السياحية، وفق شمولية المناهج سالفة الذكر، وتكاملها في إطار من التحليل

الموضوعي القائم على مدخلات النظم ،والمؤدي إلى مخرجاتها .وتشمل منهجية بناء قاعدة البيانات الجغرافية الخاصة بالدراسة المراحل الآتية :

المرحلة الأولى :جمع المعلومات والبيانات الخاصة بالدراسة .

المرحلة الثانية :إدخال البيانات الجغرافية ومعلوماتها الوصفية وبناء قاعدة المعلومات .

المرحلة الثالثة :إدارة ومعالجة قواعد المعلومات في نظم المعلومات الجغرافية .

**البرنامج المستخدم في تصميم النظام المقترح :**

النظام الذي يطرحه الباحث مصمم باستخدام برنامج (ARCGIS 9.2) ، حيث تم تجهيز كافة طبقات النظام المقترح من خلال هذه البرمجية ، وتم تحميل هذا النظام على شبكة الانترنت من خلال برنامج (ARCIMS 9.2) ، هو برنامج لنشر البيانات الجغرافية عبر شبكة إنترانت محلية يمكن أن يَطّلع عليها موظفو الشركات السياحية من خلال الإطلاع على كافة تفاصيل قواعد البيانات الجغرافية ، أو إنترنت عالمية يمكن أن يَطّلع عليها السياح في جميع أرجاء العالم من خلال إنترنت وأجهزة الهاتف المحمول والأجهزة اللاسلكية.[3]

أخذت الأحرف IMS من عبارة Internet Map Server أي "مزود خريطة إنترنت"، وقد استخدم الباحث كلمة مزود في مقابل Server، ولم يستخدم كلمة خادم أو مخدم أو نادل كما يرد في المعجم ، ويمكن من خلال هذه التقنية، بناء مواقع على شبكة الانترنت ،تكون مهمتها الأساسية تسويق المواقع السياحية بما تحتويه من كافة المقومات الطبيعية والبشرية من فنادق ومكاتب سياحية وشركات تأجير السيارات السياحية ،ويعد أحدث إصدارات هذا البرنامج هي ARCIMS 9.3، ويعتبر أحد مكونات حزمة ESRI ARCGIS، ولذلك يعتبر برنامج ARCIMS من شركة ESRI من البرامج المفيدة والمتخصصة في تسويق المواقع السياحية من خلال نشر بيانات نظم المعلومات الجغرافية عبر شبكة الانترنت، مما يُتيح إمكانية الوصول لهذه البيانات بسهولة من جميع أرجاء العالم.

يتكون نظام ARCIMS من جزئيين هما المزود (Server)، والسائح أو الزبون (Client).

المزود ARCIMS ، يعمل هذا الجزء على الجهاز المركزي، ويرتبط بالبيانات الجغرافية من خرائط وقواعد بيانات، وكافة التطبيقات السياحية من جهة، ومزود إنترنت من جهة أخرى، ويتعامل مع عدة أنواع من مزودي الانترنت مثل IIS وApache وPlanet، ويمكن لمزود ARCIMS الربط بين عدة مصادر وبيانات جغرافية بين أكثر من موقع سياحي على المستوى المحلي أو العالمي ، حيث يُمكننا مثلاً جلب خريطة الأساس (Base Map) المخزنة على حواسب شركة ما، ووضعها فوق طبقة الطرق أو الفنادق المخزنة في حواسب شركة سياحية أخرى في دولة ثانية. (4)

**الفرق بين الوسائل التقليدية والوسائل المعتمدة على استخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS في تسويق المواقع السياحية العلاجية :**

التحول الذي شهده العالم في مختلف المجالات بفعل انتشار التكنولوجيا ،لم يكن بمنأى عن مهنة التسويق السياحي ، التي شهدت هي الأخرى تغيراً ملحوظاً في طبيعتها ومؤهلاتها وفرص نجاحها، فضلاً عن المشاكل التي قد تعوق إتمامها، فقد تحولت الوظائف التسويقية إلى مفهوم جديد، وباتت تأخذ شكلا أكثر فاعلية مع التكنولوجيا من خلال استخدام نظم المعلومات الجغرافية ، إلا أنها لم تستبعد أو تنكر نظريات التسويق التقليدية، وإنما استطاعت الاستفادة منها في تطوير وإيجاد حلول لمشاكلها وأخرجت ظاهرة جديدة تسمى "التسويق السياحي من خلال نظم المعلومات الجغرافية ".(5)

انطلق قطاع التسويق السياحي باستخدام نظم المعلومات الجغرافية في العالم المتقدم بسرعة مذهلة خاصة في ظل ازدياد قدرته على توسيع السوق، وزيادة الحصة السوقية للمنشآت السياحية، بنسب تتراوح بين 3 إلى 22%، كما يتيح هذا النوع من التسويق عرض المنتج السياحي عن طريق رسائل E-mail للسياح، وتقديم كافة المقومات السياحية البشرية والطبيعية ، وإرسالها إلى السياح المحتملين عبر شبكة الإنترنت. ، إضافة لإمكانية حصول السياح على احتياجاتهم ،والاختيار من بين منتجات الشركات العالمية بغض النظر عن مواقعهم

الجغرافية، خاصة أن هذا النوع من التسويق لا يعترف بالفواصل والحدود الجغرافية،كما الحال في الوسائل التقليدية المستخدمة في التسويق السياحي .

يوجد مجموعة من الأمور المهمة التي يجب مراعاتها من قِبَلْ الأشخاص أو الجهات العاملة في التسويق من خلال نظم المعلومات الجغرافية، لتحقيق النجاح المطلوب من هذه العملية، وتتمثل هذه الأمور في الاستخدام الجيد للأدوات المتبعة في التسويق، والرؤية الواضحة للأسواق المستهدفة، وأسلوب إدارة العلاقة مع السياح . ويحتاج التسويق من خلال نظام المعلومات الجغرافي إلى إدارة جيدة وخطط واضحة لمواجهة التغيير المستمر في حركة الأسواق، سواء كانت محلية أو عالمية، والتسويق بطبيعته فن صعب ممارسته وليس من السهل في معظم الأحوال القيام به والخوض في مجاله إذا لم يتوفر له مختصون في هذا المجال.

تتميز تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي بمحدودية الانتشار، إلا أن دخول الوسائل التكنولوجية الحديثة والمتمثلة بالانترنت مجال التسويق السياحي، أتاح العديد من الفرص لهذه النظم في تسويق المواقع السياحية Location On-Line، ومع اندماج تقنيات نظم المعلومات الجغرافية مع الانترنت ،ولّدَ ذلك العديد من تطبيقات هذه النظم في مجال التسويق السياحي ، في كل من الطلب والعرض السياحي ، وفي التخطيط للتسويق من حيث التعرف على السياح وأماكن قدومهم ،والمواقع السياحية الأخرى المنافسة. [6]

يعتقد بون(Gardner, J. 2007 ) ،بأن التسويق السياحي الالكتروني، يعتمد وبشكل كبير على توفر المعلومات والأنظمة المتاحة لتحليلها وعرضها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ، من خلال الخرائط ،والتي يطلق عليها بالخرائط التفاعلية Virtual Map، والتي بنقرة واحدة Single Click يمكن التعرف على ملامح متعددة للموقع السياحي العلاجي [7]، ويؤكد(Gibson, C. 2006) أن التطور الكبير والسريع لصناعة السياحة باستخدام نظام المعلومات الجغرافي ،إلى جانب إلغاء بعض القوانين المقيدة لحرية الحركة ستعمل على تفعيل وسرعة المتغيرات التي ستطرأ على هذه الصناعة. [8]

## تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في جانب الطلب والعرض السياحي Demand Side

يُمكن استخدام نظم المعلومات الجغرافية في جانب الطلب السياحي Demand Side، في ما يعرف برسم خريطة السوق Market Mapping، فالأسواق السياحية قد تكون محلية أو إقليمية أو عالمية ، ولعل تقسيمها قد يكون في المقام الأول على أساس جغرافي ، إلى جانب عوامل أخرى ديموغرافية وسيكولوجية وسلوكية ، ويمكن من خلال خريطة السوق Market Mapping ،التعرف على مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأسواق على نطاق جغرافي واسع ، لتسويقها لمقابلة العديد من الاحتياجات والرغبات الخاصة بالسياح ، التي يتم التعرف عليها ودراستها من خلال نظم المعلومات الجغرافية ،وبشكل عام فإن نظام المعلومات الجغرافي قادر على الإجابة على الأسئلة الآتية :

**أولاً :أين يوجد السياح؟ وما أبرز خصائصهم ؟**

يرى(Harmsworth, G.R. 2006) أن تحليل صفات وخصائص السياح عملية معقدة ، لذلك فإن فهم رغبات السياح يتطلب الحصول على بيانات عن أماكنهم الأصلية ، وبيانات عن طريقة حياتهم ، وتستطيع تقنية نظم المعلومات الجغرافية القيام بهذا الدور؛ بواسطة ربط قوائم السياح التي يتم الحصول عليها من وزارة السياحة والآثار ،أو من دائرة الإحصائيات العامة ، بأماكنها الجغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ،حيث توضع هذه القوائم في قاعدة البيانات الجغرافية ،إضافة إلى إمكانية ربط البيانات الديمغرافية عن السياح بمواقعهم الجغرافية على الخريطة ، وهذه الطريقة توفر الجهد والوقت والتكلفة في عملية مسح الحركة السياحية ، عن طريق معرفة عناوين السياح والمناطق التي جاءوا منها ودخلهم ووظائفهم والعمر والتعليم وحالتهم الاجتماعية ، ومشترياتهم والأنشطة التي يمارسونها .[9]

**ثانياً :ما النصيب المتوقع من السوق السياحي العالمي للعرض السياحي المطروح في الأسواق الدولية ؟**

تزودنا تقنيات نظم المعلومات الجغرافية بالقدرة على إنجاز خرائط خاصة بالموزعين والمنافسين ، والتعرف على منافذ التوزيع الأخرى في المنطقة ، وقد

طَوّر(Jordan, G. 2003)نموذج قائم على استخدام نظم المعلومات الجغرافية، لتحديد العلاقات المكانية وحجمها بين المواقع السياحية في كندا ، عن طريق توافر معلومات عن عدد السكان في المناطق التي يأتي منها السياح ، ونصيب كل موقع سياحي من عدد السياح الكلي ، ومدى جاذبيته بالنسبة للسياح ، وكذلك حساب التأثيرات المستقبلية المتوقعة ،والتنبؤ بنصيب هذا الموقع من السوق في حالة تغير أحد العوامل السابقة .[10]

**ثالثاً : أين يجب وضع مكاتب التمثيل السياحي في العالم ؟ أو هل يجب توسيع مكاتب التمثيل السياحي القائمة؟**

توفر تقنية نظم المعلومات الجغرافية نظرة شمولية واسعة عن التوزيع الجغرافي لمكاتب التمثيل السياحي على خريطة العالم ، وتتمحور أهداف مكاتب التمثيل السياحي ،حول نشر الوعي عن المنتج السياحي ، وزيادة عدد شركات السياحة والسفر التي تقوم ببيع المقومات السياحية في الأردن كمقصد سياحي ،إضافة إلى مزاولة الحملات الإعلامية ومراقبة تنفيذها ومردودها .

تتميز الخريطة المنجزة من خلال نظم المعلومات الجغرافية ، بالسهولة والمرونة في استخدامها ،كما أنها تعرض كماً كبيراً جداً من المعلومات ، ولعلها في تسويقها للمواقع السياحية يمكن أن تحدد العناصر الآتية : أهم مواضع الجذب السياحي ، التوزيع الجغرافي للخدمات السياحية داخل الموقع ،المعلومات المناخية ، الطرق ، وهذه المعلومات يتم عرضها بشكل جذاب باستخدام الصوت والصورة والحركة ، ويمكن من خلال هذه الخرائط التعرف على أنواع المواصلات التي يمكن للسياح استخدامها ، وأقصر الطرق للوصول إلى مواقع الجذب السياحي ووكالات السفر والخدمات التي تقدمها ، والخدمات الصحية والمستشفيات، ومراكز الشرطة ، ومراكز التسوق.

ويمكن من خلال استخدام تقنية ARCIMS لتسويق المواقع السياحية العلاجية في الأردن ،عرض الصور المجسمة 3D والصور الفضائية ،والتي يمكن تكبيرها وتصغيرها و تحريكها وقلبها وإمالتها ، أو حتى الطيران الافتراضي فوقها ، كما توجد أدوات متطورة تتيح تحديد المسارات السياحية لأي موقع سياحي ، بالإضافة للعديد من الميزات الأخرى.[11]

يوجد عدد من الوسائل الأخرى من الممكن استخدامها في تسويق المواقع السياحية العلاجية كما يتضح بالشكل (1)،والتي تعمل من خلال برمجيات نظم المعلومات الجغرافية ، وهي أجهزة (PDA) Personal Digital Assistant ومنها Handled Computers :

1. (MVD) Map View Display .
2. (LVD) List View Display.
3. خدمة الهاتف المحمول من خلال GPRS


الشكل (1)




**أجهزة تعمل من خلال برمجيات نظم المعلومات الجغرافية**

**طبقات المعلومات التي يتضمنها النظام المقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية:**

تتضمن الخريطة السياحية لمواقع السياحة العلاجية ،والتي يتم استخدامها في التسويق السياحي عدد من الطبقات Layers ، وتحتوي هذه الطبقات على كافة المقومات الطبيعية والبشرية ، وتزودنا برمجية ARCIMS القيام بالعديد من التحليلات على الخريطة ، حيث أن كل ظاهرة Feature داخل الخريطة ،تم ربطها بجدول البيانات الوصفية Attribute Data، وهي البيانات التي تضم معلومات تصف البيانات المكانية / الجغرافية Spatial Data ، وترتبط هذه البيانات الوصفية بالبيانات المكانية عن طريق نظام الترميز Encoding.ويعد تحديد الهدف Define Objective من قاعدة البيانات المطلوبة، إلى جانب تحديد ما المطلوب إنجازه Decide What You Need to Achieve، دورا هاما في معرفة نوع البيانات المطلوبة ، وشكل المخرجات، ونستطيع من خلال قاعدة البيانات السياحية Data Bases Tourism الخاصة بالخريطة الاستعلام عن أي فعالية سياحية يريدها السائح والمستخدم لهذا النظام ، وتضم قاعدة البيانات السياحية عدداً من الجداول على شكل مجالات تتناول المستشفيات، والمواقع العلاجية الطبيعية .

يمكن للسائح من خلال النظام المقترح فتح الـ Link ـ الارتباط التشعبي ـ الخاص بأي موقع علاجي ،من خلال الأداة التي تسمى الاستعلام Identify ،ليظهر الجدول الخاص ببيانات هذا الموقع العلاجي ، وأما عن الحقل Price فهو يمثل السعر الأدنى للإقامة في المواقع العلاجية، ويمكن استخدام هذا الحقل في البحث باستخدام السعر حيث يختار النظام المواقع العلاجية التي توافق السعر الذي يتناسب والسائح . (12)

**العمليات التحليلية التي يقدمها النظام المقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية**

يوجد مجموعة من المعلومات التي يمكن للنظام المقترح أن يوفرها بدقة وبشكل دائم ،دون وجود أي اعتبار للزمان والمكان ، وهي الإدخال و المعالجة و الإدارة و الاستفسار و التحليل ،وهذا يتم من خلال وجود السائح على الشبكة

الدولية للمعلومات (الانترنت)، ويتميز النظام المقترح بسهولة استخدامه ومن أبرز الخدمات السياحية التي يقدمها:

**أولاً: تعريف معلم أو ظاهرة معينة .Identifying Specific Feature**

عند النقر Click على أي ظاهرة أو عنصر على الخريطة السياحية ، باستخدام الأداة Identify [i] يظهر جدول به اسم المعلم أو الظاهرة ونوعها والـ ID العنوان ، كما يتضح بالشكل (2) .

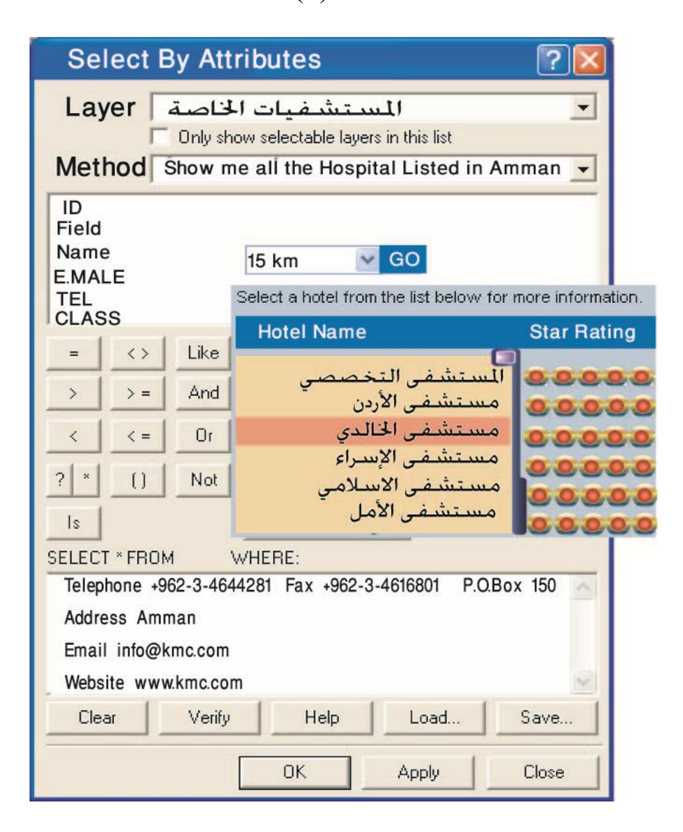
الشكل (2)




المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

**تعريف ظاهرة أو معلم معين أو مجموعة معالم بشرط معين . Identifying Features Based On Conditions** يزودنا النظام المقترح لتسويق المواقع العلاجية، إمكانية قيام السائح بالبحث عن المواقع السياحية العلاجية ضمن سعر معين أو تصنيف سياحي معين ، كأن يبحث السائح عن المستشفيات ذات التصنيف المرتفع ، أو المستشفيات ضمن أسعار معينة ، كما يتضح بالشكل (3) ، وقد يكون البحث معتمدا على الاسم ، أو بالنوع .

الشكل (3)

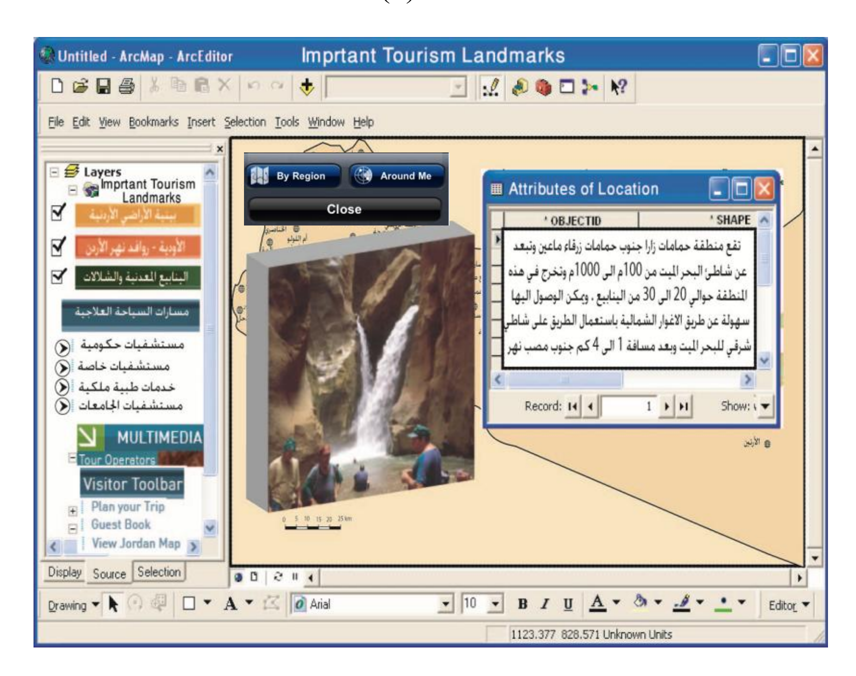



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

البحث من خلال النظام المقترح بواسطة الاسم By Name

ويمكن البحث بنفس الطريقة السابقة عن عنوان الموقع السياحي العلاجي المطلوب سواءً من حيث الاسم والعنوان والسعر ، كذلك إمكانية الاستفسار عن مختلف المقومات السياحية الطبيعية والبشرية ، من خلال النظام المقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية . ويزودنا النظام المقترح إضافة لما سبق ،إمكانية الوصول إلى الفعاليات السياحية، مصحوبة بالمعلومات المكتوبة والصور ولقطات الفيديو الحية ، والتي يتوفر لها موقعاً الكترونياً على شبكة الانترنت ، ومشتركة بهذا النظام المقترح ،مما يُمْكن السائح من الوصول إليها الكترونياً ، والإطلاع على مختلف الفعاليات السياحية التي تقدمها ، إضافة إلى إمكانية الحجز الالكتروني مباشرة من خلال الارتباط التشعبي Hyperlink .كما يتضح بالشكل (4) .

الشكل (4)

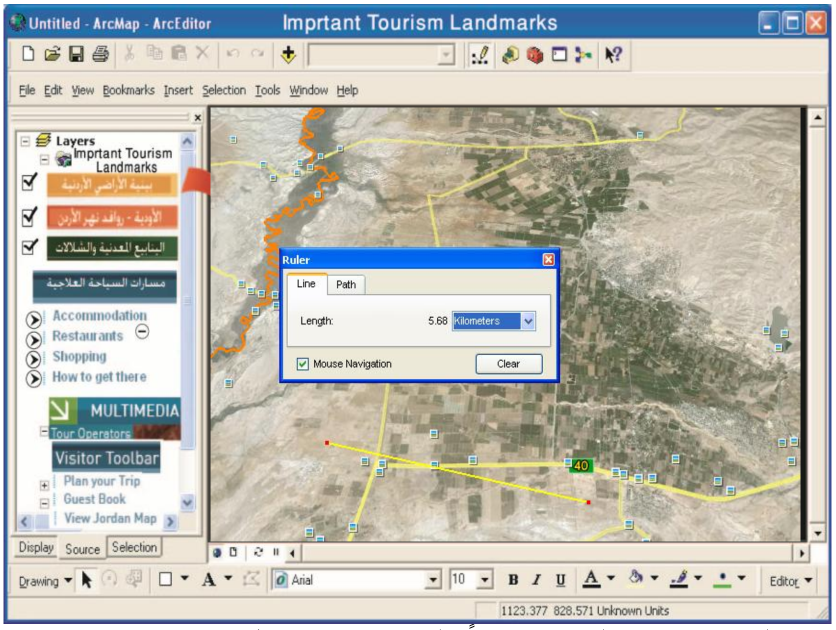



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

## تحليل القرب والبعد Proximity Analysis

يتم تحديد القرب أو البعد لظاهرة أو معلم معين عن معلم آخر بقدر معين يتم تحديده ، ويوضح الشكل (5) لتحليل القرب والبعد المعتمد على أكثر من طبقة معلومات Analysis Overlay، بمعنى أنه يمكن اختيار أحد المستشفيات من الطبقة المعلوماتية الخاصة بالمستشفيات، ثم الطلب من النظام أن يحدد اقرب فندق لهذا المستشفى، وبذلك يقوم النظام باختيار أقرب فندق من طبقة معلومات الفنادق بناءا على المستشفى الذي تم اختياره من طبقة المستشفيات، وهو بذلك قام بتحليل أكثر من طبقة معلومات للوصول إلى المطلوب .كما يتضح بالشكل ( 5).

الشكل (5)

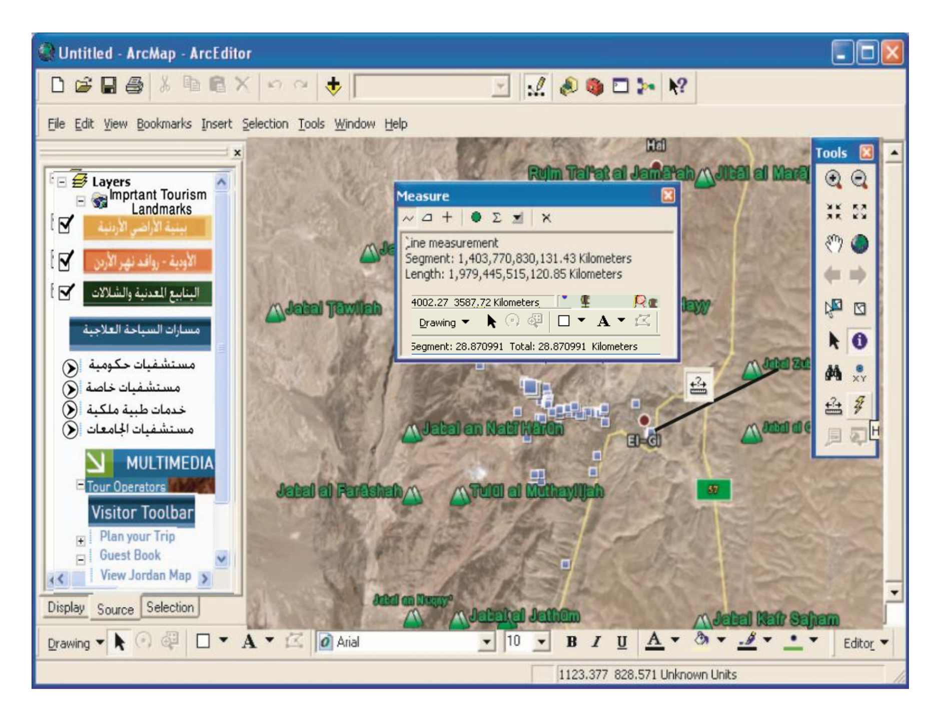



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

**تحليل شبكة الطرق Network Analysis وإيجاد أقصر طريق بين ظاهرتين أو معلمين سياحيين .**

يتم ذلك باستخدام الأداة Add Edge Flag Tool، حيث يتم وضع Flag في المكان المراد التحرك منه ، ثم Flag آخر في المكان المراد الذهاب إليه ، ثم اختيار الأداة Solve عندها يقوم النظام برسم المسار الواصل بين الموقعين ،ويمكن الاختيار للمسار بشروط معينة كأن يتم الطلب من النظام اختيار اقرب أو أسرع مسار بين ظاهرتين أو معلمين سياحيين .كما يتضح بالشكل ( 6) .ويتم ذلك باستخدام الأداة Measure، وتظهر هذه المسافة على الشاشة كالآتي:

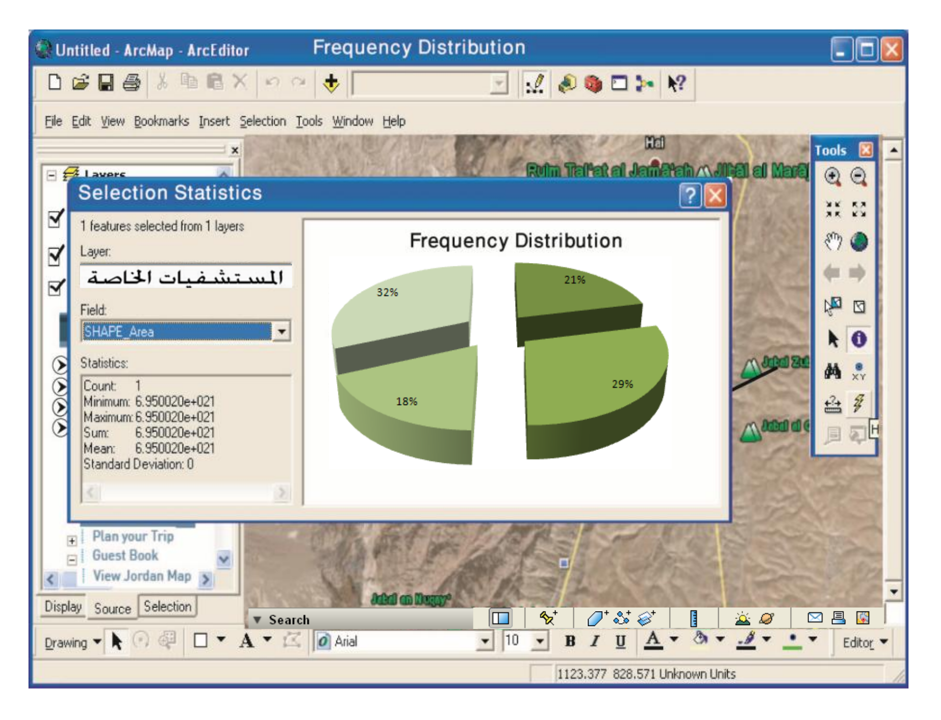
الشكل (6)




المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

يوفر النظام المقترح إمكانية القيام ببعض العمليات الإحصائية مثل حساب عدد المستشفيات التي تتبع تصنيف معين ،عن طريق الأمر Count،بما يحتويه من تحديد للحد الأدنى Minimum، والحد الأقصى Maximum، والمجموع Sum، والمتوسط Average، والانحراف المعياري Standard Deviation أو اختيار الحقل X من الجدول وضربه في المعامل I ثم جمعه على المعامل N وإظهار النتيجة في حقل جديد باسم المساحة الإجمالية مثلا مع إمكانية تمثيل ذلك بيانيا، كما يتضح بالشكل ( 7) .

الشكل (7)




المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

العمليات الإحصائية التي يقوم بها النظام المقترح

وبمكن تكبير أي من الأماكن في الخريطة السياحية باستخدام الأداة Magnifier حيث يتم بهذه الأداة تكبير الظاهرة أو المعلم إلى 400% ، كما يتضح بالشكل ( 8) .

الشكل (8)




إمكانية التكبير باستخدام الأداة Magnifier

بالإضافة لإمكانية التعديل في المعالم الجغرافية ويتبعها تعديل في الجداول الخاصة بها تلقائياً في قاعدة البيانات أو العكس التعديل في الجداول ويتبعه تعديل في الظواهر الجغرافية. كما يتضح بالشكل (9).

الشكل (9)

Attributes of Hospital

| OBJECTID * | SHAPE * | الموقع الجغرافي | اسم المستشفى | نمط المستشفى | البريد الالكتروني |
|---|---|---|---|---|---|
| 2 | Polygon | عمان | المستشفى التخصصي | خاص | info@specialty-hospital.com |
| 3 | Polygon | عمان | المستشفى الأردن | خاص | jorhos@jordan-hospital.com |
| 4 | Polygon | عمان | مستشفى الخالدي | خاص | info@kmc.jo |
| 6 | Polygon | عمان | مستشفى الحمايدة | خاص | hamaidh@wanadoo.jo |
| 14 | Polygon | عمان | مستشفى الإسراء | خاص | essrahos.mang@yahoo.com |
| 15 | Polygon | عمان | المستشفى الاستشاري | خاص | cig@batelco.jo |
| 16 | Polygon | عمان | مستشفى الحنان | خاص | no e-mail address |
| 17 | Polygon | عمان | مستشفى الملكة علياء | عسكري | nfo@hamzalhospital.com |
| 18 | Polygon | عمان | مستشفى الأمير حمزة | حكومي | nfo@istiklalhospital.com |
| 19 | Polygon | عمان | مستشفى الأمل | خاص | alamal@nets.com.jo |
| 20 | Polygon | عمان | مستشفى الحياة | خاص | alhayat@wanadoo.jo |
| 21 | Polygon | عمان | مستشفى المدينة الطبية | عسكري | qs-hospital@gmail.com |
| 22 | Polygon | عمان | مستشفى ابن الهيثم | خاص | ihh_96@wanadoo.jo |
| 23 | Polygon | عمان | مستشفى الاستقلال | خاص | nfo@istiklalhospital.com |
| 24 | Polygon | اربد | مستشفى اربد | خاص | info@irbids-hospital.com |
| 25 | Polygon | عمان | مستشفى الأهلي | خاص | no e-mail address |
| 28 | Polygon | العقبة | مستشفى الاسلامي بالعقبة | خاص | isha@cyberia.jo |
| 29 | Polygon | اربد | مستشفى النجاح | خاص | info@alnajah-hospital.com |

Record: 0 Show: All Selected Records (0 out of 19 Selected) Options

المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

إمكانية التعديل في المعالم الجغرافية

يزودنا النظام المقترح ، بإمكانية عرض المعالم السياحية مصحوباً بمساعدة Tips عند الوقوف على احد الظواهر أو المعالم يظهر اسمه أو مساحته أو عنوانه ،حسب ما يريد السائح أن يظهر كما يتضح بالشكل (10 ) .

الشكل (10)




المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

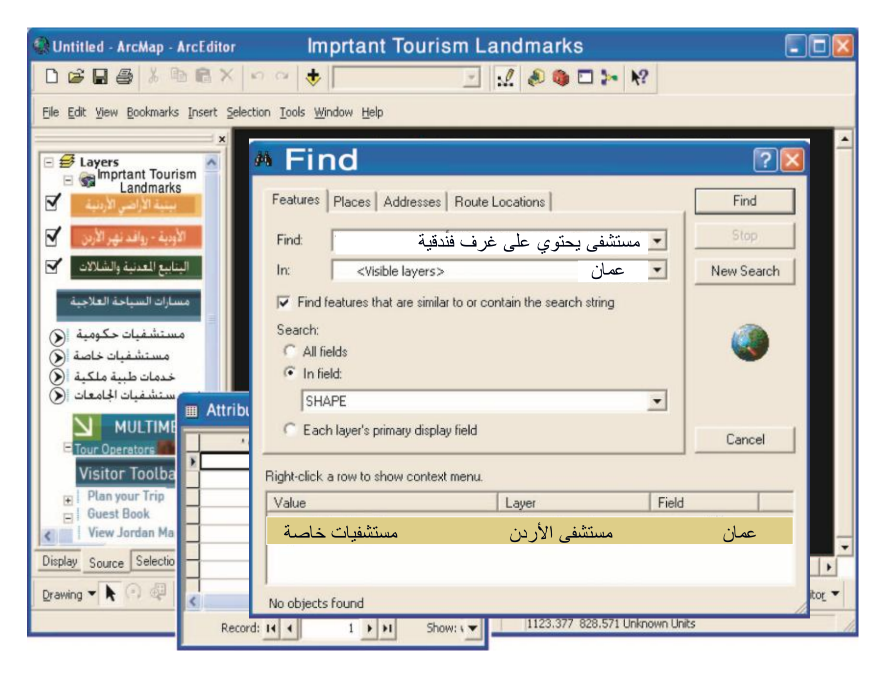
ظهور اسم حمامات متعين من خلال الأمر Tips

**إيجاد ظاهرة أو معلم بعينه Locate A specific Feature or Attribute**

.

ويتم ذلك باستخدام الأداة Find ،حيث يظهر للسائح صندوق حوار يطلب من السائح إدخال المعلم السياحي الذي يريد البحث عنه، وبعد إيجاد المعلم يتيح النظام للسائح مجموعة اختيارات تتمثل في Flash Feature أو Select Feature أو Zoom to Featureو Identify Feature أو Unselect Feature.كما يتضح بالشكل (11) والذي يوضح إيجاد احد المعالم على الخريطة مع عمل تحديد Select له وكذلك Zoom to Feature كالآتي :

الشكل (11)




المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

النتائج

1.من الأفضل عدم تطبيق نظم المعلومات الجغرافية لكل المواقع السياحية في الأردن على مرحلة واحدة ،وإنما يجب أن يكون هناك إستراتيجية واضحة لتطبيق هذا النظام ،تتعاون فيها مختلف الهيئات التي يمكن أن تقدم الدعم لتصميم وتعميم خطة عمل هذه النظم ، وملامح هذه الخطة كما يراها الباحث :

أولاً :تحديد المواقع السياحية في الأردن ،والتي يلزم تواجدها على الخريطة السياحية.

ثانياً : تحديد المواضع السياحية التي توجد داخل المواقع السياحية التي يلزم تواجدها على الخريطة السياحية لكل موقع من المواقع السياحية في الأردن .

ثالثاً : تصميم وتجهيز قاعدة البيانات الجغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية للمواقع السياحية في الأردن .

رابعاً : طرح النظام الذي تم تصميمه لكل موقع سياحي على حدا ،أو لكافة المواقع السياحية في الأردن على شبكة الانترنت ،باستخدام برمجية ARCIMS.

خامساً : توفير هذا النظام على شكل Hard Copy خرائط ورقية أو أطالس للمواقع السياحية كلها أو لكل موقع لوحده ، أو للأردن كلها .

سادساً : إنشاء بنك للمعلومات الجغرافية يتبع كل موقع سياحي ، يكون الهدف منه توفير كافة البيانات السياحية الحديثة عن أي موقع سياحي ، من خرائط ورقية أو رقمية بمقاييس رسم مختلفة، محدد عليها كافة المقومات السياحية البشرية والطبيعية والطرق.

2 - تبين من خلال نتائج الدراسة أهمية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في تأهيل وإدارة السياحة العلاجية وهذا نابع من قدرة نظم المعلومات الجغرافية على حل الكثير من المشكلات من خلال الأمثلة التطبيقية التي تم التطرق إليها حول استخدام نظم المعلومات الجغرافية في مجالات تسويق السياحة العلاجية في الأردن .

3. بما أن للسياحة العلاجية أهمية بيئية واقتصادية، فإن استخدام نظم المعلومات الجغرافية في تسويقها يسهم في الحفاظ على خصائصها، وفي الاستفادة من أهميتها الاقتصادية .

4. استخدام الوسائل والطرق التقليدية في إدارة وتسويق مواقع السياحة العلاجية يحتاج إلى جهد ووقت كبير مقارنة مع استخدام الوسائل المعتمدة على نظم المعلومات الجغرافية باعتماده على الصور الجوية والفضائية والخرائط الطبوغرافية بدقة عالية ، وإجراء التحليلات والوصول إلى نتائج دقيقة في فترة زمنية قصيرة جداً إذا ما قورنت بالمدة الزمنية اللازمة عند تسويق أي موقع سياحي علاجي ، ولكن التسويق باستخدام نظام المعلومات الجغرافي يحتاج في

الوقت نفسه إلى الجمع بين الفكر التسويقي والخبرة في استخدام الحاسوب ، والقدرة على استخدام برمجيات نظم المعلومات الجغرافية.

5. يستطيع نظم المعلومات الجغرافية القيام بالعديد من المهام في مجال تسويق مواقع السياحة العلاجية ، من خلال استخدام الخرائط متعددة الأغراض Multi Map ذات الصورة والصوت إلى جانب إمكانية النظام في إجراء التحليلات الإحصائية المختلفة وتحليل شبكات الطرق .

6. إن تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في تسويق مواقع السياحة العلاجية ، يمتاز بتوفر كماً هائلاً من المعلومات ، بالتالي يحتاج إلى طرق غير تقليدية في التعامل معها ، وقد بينت الدراسة أهمية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في ذلك.

**التوصيات**

1- أن يتم التوسع في الاعتماد على نظم المعلومات الجغرافية كأداة تطبيقية في كل مجالات إدارة وتسويق مواقع السياحة العلاجية، وذلك لما يمتلكه نظام المعلومات الجغرافي من مزايا تقنية متعددة، ولقدرته في حل الكثير من المشكلات المعقدة التي تواجه المخططين.

2. يحتاج نجاح التطبيق الواسع لنظم المعلومات الجغرافية في تسويق مواقع السياحة العلاجية إلى تهيئة الأرضية المناسبة لها، فلابد من إحداث نوعاً من التكييف من حيث إعادة صياغة النظم الإدارية، و إجراءات العمل التسويقي، بما يتناسب مع منهجية نظم المعلومات الجغرافية. كما يحتاج ضرورة توفير التمويل اللازم للأتمتة الحاسوبية، وإجراء التدريب المطلوب للقوى البشرية للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات.

3. إن الاهتمام بتطبيق نظم المعلومات الجغرافية يتطلب بضرورة أن يتم ذلك بشكل متوازي مع الاهتمام والتوسع في استخدام تقنية الاستشعار عن بعد. حيث تعتبر تلك التقنية أداة هامة لنظام المعلومات الجغرافية، وخاصة أن صور الأقمار الصناعية تمثل الأساس الفوتوغرافي التفصيلي الذي يشكل الطبقة الأساسية الأولى لنظم المعلومات الجغرافية.

4. إنشاء مركز لنظم المعلومات الجغرافية في مواقع السياحة العلاجية يتم تزويدها من قبل المؤسسات بالخرائط الرقمية والمعلومات الوصفية. ويقوم هذا المركز بالربط الالكتروني بين المؤسسات.

5. من الضروري وضع منهجية واضحة Terms of Reference لاستخدام نظم المعلومات الجغرافية في عمليات تسويق السياحة العلاجية في الأردن ، وقد حاولت الدراسة الوصول إلى منهجية واضحة لتطبيق نظام مقترح يعتمد على تكنولوجيا نظم المعلومات الجغرافية معتمداً على دراسة مواقع السياحة العلاجية وتطويرها سياحياً.

## References


1. **Harmsworth, G.R. 2006a: Māori values for land-use planning. *Broadsheet, newsletter of the New Zealand Association of Resource Management, February 1997*. Pp 37–52.**
2. **http://www.landcareresearch.co.nz/research/social/nzarmwebpap.asp**
3. **Walker, D. 2005: GIS Hui held 12-13 April 2005. Memo to the Motueka Iwi Resource Management Advisory Komiti (MIRMAK): Filenotes on GIS workshop held at Te Awhina Marae, Motueka, 12-13 April 2005. 2 p.**
4. **Barndt, M. 2004: Public participation GIS-barriers to implementation, *Cartography and Geographic Information Systems*, 25(2), 105–112.**
5. **Barr, J.J.F.; Dixon, P-J. 1998: Incorporating farmers' and fishers' knowledge into natural resources systems research on the Bangladesh Floodplains.**
6. **http://www.taa.org.uk/barrdone.htm**
7. **Bartolo, R.E.; Hill, G.J.E. 2008: Remote sensing and GIS technologies as a decision making tool for indigenous land management: a case study from northern Australia. *Indigenous Knowledge and Development 9(1)*: 8-11.**
8. **Netherlands Organisation for International Cooperation in Higher Education (Nuffic)**
9. **http://www.landcareresearch.co.nz/research/social/ikdmpap.asp**
10. **Crerar, J.M 1998: The use of remote sensing and GIS by indigenous people for natural resource management. Paper presented at the 9th Australasian Remote Sensing and Photogrammetry Conference Sydney, 20–24 July 1998. University of New South Wales.**
11. **Gardner, J. 2007: First nations cooperative management of Protected Areas in British Columbia: Tools and foundation.**

**Dovetail Consulting. Nativemaps.org. Aboriginal mapping network, Canada.**

12. **Gibson, C. 2006: Cartographies of the colonial/capitalist state: a geopolitics of indigenous self-determination in Australia. *Antipode 31*(1): 45–79.**
13. **Harmsworth, G.R. 2006: Indigenous values and GIS: A method and framework. *Indigenous Knowledge and Development Monitor*. Vol. 6(3): 3–7.**
14. **Netherlands Organisation for International Cooperation in Higher Education (Nuffic)**
15. **http://www.landcareresearch.co.nz/research/social/ikdmpap.asp**
16. **Jordan, G. 2003: A public participation GIS for community forestry user groups in Nepal: Putting people before technology. Paper presented at the NCGIA Specialist Meeting: Empowerment, Marginalization and Public Participation GIS, Santa Barbara, California, 15–17 October 2003, http://www.ncgia.ucsb.edu/varenius/ppgis/papers/**
17. **Lawas, C.M., Luning, H.A., 1996: Farmers knowledge and GIS. *Indigenous Knowledge and Development Monitor 4(1)*. pp 8-11.**
18. **http://www.nuffic.nl/ciran/ikdm/4-1/articles/lawas.html**

# الفنون

الدلالة والمضمون في تصميم الملصق الإرشادي

شعرية الجسد في بنية الفضاء المسرحي

# الدلالة والمضمون في تصميم الملصق الإرشادي

الباحث

**الدكتور معتز عناد غزوان**

مدرس -/ قسم التصميم – الفرع الطباعي
بغداد
2010م

## الفصل الأول: الإطار المنهجي

أولاً: مشكلة البحث:
يعد الملصق الإرشادي أحد أهم أنواع الملصقات التي تؤثر من خلال مكوناتها الفنية وعناصرها التيبوغرافية والطباعية بشكل مباشر وغير مباشر في الرأي العام والخاص، الذي يكون بدوره متحولاً بين الحين والآخر مع التغيرات البيئية التي تتكون من عوامل أربعة هي العامل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي. من هذا المنطلق وفي خضم التعقيدات والتحولات التي يشهدها العالم في معظم جوانب الحياة، ولاسيما بما يرتبط ومتطلبات الحياة الإنسانية التي تشكلها العوامل البيئية الأربعة الأنفة الذكر، فتأثيرها سيكون مباشراً في تصميم الملصق ولاسيما الملصق الإرشادي.
تؤدي الدلالة بمفهومها الفني ولاسيما في التصميم دوراً مهما يكمن في تحريك التصميم بما يتلاءم مع الفكرة والمعنى والاستجابة من خلال الرمز المؤثر في متلقيي التصميم ولاسيما الملصق الإرشادي، فضلاً عن أن الدلالة في الملصق الإرشادي تتحرك من خلال الرمز واللون والشكل والحجم وغيرها، كما أن للمضمون الفكري للملصق الإرشادي ولاسيما الصحي منه دوراً مهماً أيضاً، ولاسيما في الكشف عن الهدف وتوصيل الفكرة المعروضة إلى المتلقي بمختلف توجهاته الفكرية والاجتماعية وغيرها.
مما تقدم فان العالم اليوم يواجه العديد من التحديات التي تفرضها البيئة على المجتمع، ليكون دور الملصق الإرشادي الصحي بمثابة الموجه الفعال لهذا المجتمع من حيث المحتوى والهدف والشكل والمضمون، ولعل ما يواجه العالم اليوم من مخاطر كانتشار الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير) التي تعد مرض العصر وما يشكله هذا المرض من خطر على حياة الإنسان،

يتطلب التوجيه والإرشاد من اجل الوقاية منه في اقل تقدير. فمشكلة البحث هذا تكمن في:

هل تؤثر عناصر الدلالة والمضمون في طرح الفكرة للملصق الإرشادي لغرض الوقاية من هذا المرض الخطير؟

ومالذي تؤديه العلاقة مابين عناصر الدلالة في الملصق الإرشادي الصحي والمضمون الفكري من نتائج ملموسة على ارض الواقع؟

وكيف يكون دور المضمون الفكري والدلالة بوصفهما علاقة مترابطة مع بعضها في تحفيز المتلقي للوقاية من هذا المرض الخطير ونشر التوعية بشكل يضمن وصول الرسالة (تصميم الملصق) بشكل مباشر إلى المتلقي ونجاح عملية الاتصال؟

ثانياً: أهمية البحث:

يعد هذا البحث مهما في كونه يسهم في تحفيز المتلقي من خلال الملصق الإرشادي للوقاية من مرض خطير كالأنفلونزا الوبائية كما يصطلح عليها حالياً، والتنبيه لمخاطر هذا المرض من خلال مكونات الملصق من العناصر التيبوغرافية والتقنيات التنفيذية.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحديد الكيفية في تصميم الملصق الإرشادي من حيث عناصر الدلالة والمضمون الفني من اجل توعية المتلقي للوقاية من هذا المرض الخطير.

رابعاً: حدود البحث:

يمكن تقسيم حدود البحث الحالي إلى ما يأتي:

1- الحدود الموضوعية: دراسة الدلالة والمضمون في تصميم الملصق الإرشادي المعاصر.
2- الحدود الزمانية: 2009م- 2010م.
3- الحدود المكانية: الملصق الإرشادي العربي من خمسة دول عربية وهي (العراق، مصر، الأردن، البحرين، المملكة العربية السعودية)، وهي دول تعاني من انتشار واسع لهذا الوباء، وهذا الملصق صادر بشكل رسمي من وزارة الصحة في كل منها.

خامساً: تحديد المصطلحات:

يمكن تحديد المصطلحات في هذا البحث وكما يأتي:

1- الدلالة (Signification):
أ- لغةً: جاء هذا اللفظ من باب (دلل)، والدليل ما يستدل به والدليل الدال أيضاً، وقد (دله) على الطريق يدله بالضم، (دلالة) بفتح الدال وكسرها[41]. والدلالة علم الدليل ورسوخه[42].
ب- اصطلاحاً: توجد العديد من التعريفات لهذا المصطلح، فالدلالة هي أن يلزم من العلم بالشيء علم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، فإذا كان الدال لفظاً كانت الدلالة لفظية، وان كان غير ذلك، كانت الدلالة غير لفظية، وكل واحدة من اللفظية وغير اللفظية تنقسم إلى عقلية، وطبيعية، ووضعية[43].
2- المضمون (Content):
أ- لغةً: يأتي اسم (المضمون) من باب (ضمَن)، أي أشتمل عليه[44].
ب- اصطلاحاً: يعد المضمون في المفهوم الاصطلاحي بأنه المحتوى أو الوحدة التركيبية، والمضمون هو الموضوع وهو الأساس المهم الحامل لوجهة النظر، كما أن اتحاد المضمون مع الشكل أو العكس يخدم القضايا الفكرية على درجة عالية، ويؤلف الانسجام بينهما، وهو ما يعكس الحياة في الفن من صدق وإخلاص[45]. أما المضمون في التصميم الطباعي فهو لا يكون بمعزل عن الشكل (التصميم) ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً من خلال دلالاته المختلفة المؤلفة لرسالته البصرية الموجهة إلى مجتمع معين، فالمضمون يسير جنباً إلى جنب مع التصميم فهو المحتوى والموضوع الذي يكشف عن الهدف المكنون وراء الشكل (التصميم).

3- الملصق الإرشادي الصحي (Healthy Guide Poster):
يعد الملصق الإرشادي الصحي أحد وسائل الاتصال الجماهيرية التي ترتبط بالخدمات الصحية التي تقدمها المؤسسات أو الجهات الرسمية الصحية، فضلاً عن نشر الوعي الصحي وفق الأساليب الإخراجية المرتبطة بالعناصر

1- الرازي- محمد بن أبي بكر عبد القادر/ مختار الصحاح، دار الرسالة، (الكويت: 1982م)، ص209.
2- الفيروزآبادي/ القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت:1993م)، ص1292.
3- جميل صليبا/ المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، (بيروت:1982م)، ص563. وأنظر: سعيد علوش/ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ( بيروت:1985م)، ص91.
4- الفيروزآبادي/ القاموس المحيط، ص1564.
5- كمال عيد/ فلسفة الأدب والفن، الدار العربية للكتاب، (تونس:1978م)، ص288-289.

التيبوغرافيـة (كالصـور والرسـوم) أو التعبيـر بالكلمـات والمعـاني[46]. ويعـد الملصـق الإرشـادي الصـحي أحـد أنـواع فـن الملصـق (Poster Art) الـذي يكون موجهـا إلـى المجتمـع كرسـالة بصـرية ذات خطـاب يعتمـد علـى التوجيـه والحث والإرشاد الصحي ولاسيما الوقاية من الأمراض الوبائيـة التـي تواجـه الإنسان المعاصر.
الملصق الإرشادي الصحي هو احد أنواع الملصقات الإرشادية الأخرى ذات الأغراض التـي تختلف فـي ميدان عملهـا عن الميدان الصـحي، كالملصـقات الإرشـادية التعليميـة والتربويـة والتعبويـة التـي تـدعو إلـى اخـذ وسـائل الـدفاع والحذر من وقوع الكوارث أو المتفجرات أو الحرائق وغيرها.

## الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري:
المبحث الأول: الملصق الإرشادي وتأثيره في المجتمع:
يعد الملصق الإرشادي نوعاً من الملصقات الأكثر تماساً مع الفرد والمجتمع نظراً أنه يعالج قضية تخص المجتمع بشكل مباشر ويحث المتلقي إلـى إتبـاع الطرق السليمة والمنطقيـة فـي الوقايـة والاحتـراز والحمايـة، لان الإرشـاد مـن شأنه أن يمنع حدوث الخطر والتنبيه لـه مسبقاً، لذلك يراعـي مصمم الملصـق الإرشـادي هـذه التوجهـات وفـق الموضـوع المحـدد وتوجيـه الفكـرة للمتلقـي والمجتمع بصـورة عامـة. كمـا فـي توجيـه المتلقـي للابتعـاد عـن التـدخين كونـه يسـبب الإمـراض الخطيـرة للإنسـان وحـث المجتمـع للإقـلاع عنـه. لقد أراد المصـمم إرشـاد المجتمـع إلـى خطـر التـدخين علـى صـحة الإنسـان مـن خـلال استعماله العديـد مـن المفـردات كـأن يقـارن بـين رئـة الشـخص غيـر المـدخن الصـافية، ورئـة الشـخص المـدخن السـوداء، كمـا يمثـل شـكل السـيجارة بأنهـا سـجن لتـدمير الصـحة. يـرتبط الملصـق الإرشـادي علـى وجـه التحديـد بالبيئـة الاجتماعيـة وتحولاتهـا، إذ إن العلاقـة مـا بـين الملصـق الإرشـادي والبيئـة الاجتماعيـة علاقـة وطيـدة ولاسـيما مـا يـرتبط بـالقيم الإنسـانية والمعتقـدات والعادات والتقاليد، إذ يـؤدي الملصـق الإرشـادي هـدفين مهمـين للمجتمـع كمـا يأتي:
1- الهدف التوجيهي: ويقصد به التوجيه نحو سلوك صـحي محـدد علـى شكل حملـة إعلاميـة وترويجيـة كمعالجـة الحـالات المرضـية المعديـة أو الميـاه غيـر

1- العزاوي- نبيل احمد فؤاد/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية الصحية وإمكانية تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،(بغداد: 2004م)، ص5

الصالحة للشرب، وتنظيم الأسرة وحملات التلقيح والحث على الرضاعة الطبيعية وإرشاد الأم وحملات الوقاية والتنبيه من مرض الأنفلونزا وكذا هو الحال مع مرض الأنفلونزا الوبائية• (أنفلونزا الخنازير H1N1) التي تهدد حياة الملايين من البشر، كما عد هذا المرض الآن مرض العصر.

2- الهدف التربوي: يهدف إلى تحفيز المجتمع الذي يعاني من نسبة كبيرة من التخلف إلى حل مشاكله الصحية بالانتباه إلى طرق الوقاية والعلاج لتجنب المشاكل الصحية التي تصيب الإنسان في حالة عدم وجود التوعية اللازمة[47].

لذلك يلجأ المصمم إلى إعداد تصاميم إرشادية صحية توجه بالوقاية من هذا الوباء وخطوات تلك الوقاية باستعمال صور ورسوم واضحة ومباشرة للمتلقي.

يرتبط الملصق بجميع أنواعه بالرأي العام والجمهور الواسع غير المحدد بزمان ولا مكان، إذ تعد فكرة الملصق موجهة بشكل واسع المدى إلى المتلقي باختلاف مرجعياته ومعتقداته القومية والدينية والسياسية والفكرية. إذ ترتبط الملصقات الإرشادية بشكل عام بكافة الأفكار والخدمات والتوجهات ومجالات الحياة الاجتماعية المختلفة كالتعليم وتنظيم الأسرة والدفاع المدني

---

**• أنفلونزا الخنازير (بالإنجليزية: Swine influenza أو swine flu أو hog flu أو pig flu) هو أحد أمراض الجهاز التنفسي التي تسببها فيروسات أنفلونزا تنتمي إلى أسرة أورثوميكسوفيريداي (بالإنجليزية: Orthomyxoviridae) التي تؤثر غالباً على الخنازير. هذا النوع من الفيروسات يتسبب بتفشي الأنفلونزا في الخنازير بصورة دورية في عدد من الدول منها الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وأمريكا الجنوبية وأوروبا وشرق آسيا. فيروسات أنفلونزا الخنازير تؤدي إلى إصابات ومستويات مرتفعة من المرض، لكنها تتميز بانخفاض معدلات الوفاة الناتجة عن المرض ضمن الخنازير. وحتى عام 2009 تم التعرف على ستة فيروسات لأنفلونزا الخنازير وهي فيروس الأنفلونزا ج وH1N1 وH1N2 وH3N1 وH3N2 وH2N3. وتبقى هذه الفيروسات منتشرة ضمن الخنازير على مدار العام، إلا أن معظم حالات الانتشار الوبائية ضمن الخنازير تحدث في أواخر الخريف والشتاء كما هو الحال لدى البشر. كان انتقال فيروس أنفلونزا الخنازير للإنسان نادرا نسبياً وخاصة أن طبخ لحم الخنزير قبل استهلاكه يؤدي إلى تعطيل الفيروس. كما أن الفيروس لا يسبب أعراض الأنفلونزا للإنسان في معظم الأحيان ويتم معرفة إصابة الشخص بالمرض فقط بتحليل تركيز الضد في الدم. إلا أن احتمالية انتقال فيروس أنفلونزا الخنازير من الخنازير إلى البشر قد زادت مؤخراً نتيجة التحويرات الجينية التي حدثت في دنا الفيروس، وعادة ما تصيب العدوى الأشخاص العاملين في مجال تربية الخنازير فقط حيث يكون هناك اتصال مستمر مما يزيد من احتمالية انتقال الفيروس. منذ منتصف القرن العشرين تم تسجيل خمسين حالة بشرية مصابة بفيروس أنفلونزا الخنازير، وعادة تكون أعراض العدوى مشابهة لأعراض الأنفلونزا الشائعة كاحتقان البلعوم وارتفاع حرارة الجسم وإرهاق وآلام في العضلات وسعال وصداع. وما يزال هذا المرض يعد من الأمراض الخطيرة العصرية، إذ عد هذا المرض وباءً عالمياً. ينظر: www. wikipedia.org**

**1-** العزاوي/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية ، ص**9**.

والإسعافات الأولية وإدارة المرور والمركبات والشؤون المتعلقة بالتنمية الصناعية والزراعية وغيرها من الأمور المهمة في تقدم أية دولة متحضرة.
مما تقدم نستطيع أن نحدد وظيفة الملصق الإرشادي الصحي التي تتلخص في كونها وسيلة شد وجذب بصري للمتلقي وإدراكه للمعلومات من اجل الحصول على المعرفة واتخاذ الإجراءات الوقائية لمنع حدوث الخطر كالأمراض الفتاكة أو تدابير وتحذيرات عن مناطق انفجار الألغام أو المحافظة على البيئة[48]. لذا فان من واجبات المصمم الطباعي معرفة الواقع الاجتماعي والثقافي اللذين يرتبطان معاً من الناحية الفكرية والمعرفية بالملصق الإرشادي بشكل عام نظراً لما تحمله مكونات الملصق من رموز ذات دلالات تاريخية واجتماعية ومن ثم تكون وظيفة الملصق مباشرة وواضحة وناجحة[49]. إن الهدف الرئيس لهذه العملية الاتصالية المهمة هي تحقيق استجابة واضحة لدى المتلقي ووصول المعلومات وتحقيق الأهداف المطروحة من خلال الفكرة وقوة الإخراج الفني للملصق، فضلاً عن بساطة مكوناته أو عناصره الفنية البنائية. على ضوء ذلك فان الفكرة هي المحرك الأساسي لنجاح الملصق ولاسيما الملصق الإرشادي، إذ لابد أن تتوفر معلومات يراد توجيهها إلى الجمهور (المجتمع) كرسالة بصرية مهمة تحث المتلقي على الأخذ بها وتطبيق مضامينها ولاسيما الانتباه إلى التوجيهات ذات المضامين المختلفة.

المبحث الثاني: العناصر التيبوغرافية في تصميم الملصق الإرشادي الصحي:

يحدد الهدف الرئيس في تصميم الملصق الإرشادي ولاسيما الملصق الإرشادي الصحي في إرسال رسالة بصرية ذات أهداف تعليمية توجيهية فاعلة تؤثر في الفرد (المتلقي) والمجتمع، إذ يؤدي الملصق الإرشادي الصحي دوراً كبيراً في تحديد الأضرار التي تخلفها الأمراض الوبائية والفتاكة وترشد المتلقي لاتخاذ التدابير اللازمة للوقاية منها ومنع حدوث وانتشار الوباء بين أبناء المجتمع. تتجسد الوظيفة الأساسية للملصق الإرشادي الصحي في تثقيف المجتمع وتوعيته, أما الهدف الرئيس للملصق الإرشادي الصحي فيكون تربوياً وتوجيهياً بالدرجة الأولى، يتحدد ذلك الهدف من خلال الفكرة والمضمون الذي يحتويه الملصق[50].
مما تقدم لابد من معرفة أثر العناصر التيبوغرافية التي تسهم في بناء الملصق فنياً وتحقيق الترويج له وتقرب فكرته إلى المتلقي من حيث الأسلوب الفني للتنفيذ وأسلوب التقنيات الإخراجية التي يطبع أو ينفذ بها الملصق, إذ تشكل

---

**2– عساف محمود/ أصول الإعلان، دار النشر العربي، (القاهرة:1977م)، ص30.**

**1– عبد الله / فن التصميم، ص211.**

**2– العزاوي/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية ، ص16.**

الصـور والرسـوم والوسـائل الإيضـاحية المرئيـة الأخـرى الـدور الكبيـر فـي إضفاء نوع من الجاذبية والجمالية من خلال توليفها مع الكلمات والأشكال والخطـوط والألـوان والانطباعـات التصـويرية والمكتوبـة، لتعطـي التصـميم شكله النهائي وكأنه كل واحد وليس أجزاء منفصلة[51]. فالعناصـر التيبوغرافيـة كالصـور والرسـوم والنصـوص الكتابيـة والعنـاوين تسـهم فـي إدراك مكونـات الملصق الإرشادي الصحي، تكون تلك العناصر التيبوغرافية كما يأتي:

1- الصورة الطباعية: تعد الصـورة الطباعيـة من أهم العناصـر التيبوغرافيـة فـي تصـميم الملصـقات بصـورة عامـة والملصـق الإرشـادي الصـحي بصـورة خاصة، فالصورة تدعم الموضوع والفكرة ومضمونها الفكري والدلالي من خلال قوة تأثيرها ووضوحها وما تحدثه من تأثيرات نفسية عند النظر إليها.

ترتبط عملية توزيع الصور في تصميم الملصق بهدف جذب المتلقي بصـرياً إلى الفكرة الوظيفية والجمالية، فالصورة ذات الحجم الكبير تكون أكثـر تـأثيراً علـى المتلقـي ولاسيما فـي جذب الانتبـاه[52]. فالصـورة الطباعيـة فـي الملصـق الإرشادي الصحي ذات تأثير مباشر في المتلقي لاحتوائها على طاقة تعبيريـة عالية تتسم بخطابها للعوامل النفسية والفسيولوجية، لذا لابد أن يكون المصـمم حريصاً في استعمال الصـورة، فالملصـق الإرشـادي الصـحي الموجـه لتحذير الأطفـال مـن مـرض الأنفلـونزا الوبائيـة لابـد أن تكـون الصـورة الطباعيـة فيـه والموجهة للأطفال مختلفة عن الصورة الموجهة إلى البالغين وكبـار السـن، إذ يختار المصمم بعض الشخصيات الكارتونية المعروفة عند الطفل واستعمالها لإيضـاح الأمـر الخطيـر لشـد انتبـاههم نحـو الفكـرة، إذ نلاحـظ أن المصـمم قد استعمل بعض الشخصيات الكارتونية المعروفة لدى الطفل وألبسهم الكمامـات وعزل صديقتهم الخنزيرة الوديعة التـي اتسم دورهـا فـي تلـك الأفـلام بـالمحبـة والسلام والصداقة، وكأن الأمر الخطير وصـل بهم إلـى الابتعـاد عنهـا لكونهـا تسبب لهم المرض المميت والقاتل، لتحذير الأطفال وإرشـادهم وحثهم علـى ارتداء الكمامات للحد من انتشار الوباء،

كما يختلف هذا النوع من الصور عن الصور المستعملة عند الكبار في توجيه الأفكار والإرشـاد للمـرض الوبـائي فيكـون استعمال صـور مباشـرة وواضـحة ذات طاقـة تعبيريـة، وكـذلك اسـتعمال الصـور الأخـرى للتنبيـه نحـو خطـر التدخين بالنسبة للحوامل.

---

**1- العلاق- بشير/ الإبداع والابتكارية في الإعلان مدخل تطبيقي، دار اليازوري، (عمان:2009م)، ص157.**

**2- النوري- عبد الجليل مطشر محسن/ التنوع التقني ودوره في إظهار القيمة الجمالية التصميمية في الملصقات ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،(بغداد: 2002م) ، ص58.**

مما تقدم فان وظيفة الصورة رمزية بالدرجة الأولى، تعبيرية وواقعية لتكون أكثر صدقاً وتقريباً للحدث وآثاره الخطيرة، فالصورة لها السلطة الكبيرة لما تحمله من نفوذ يستند إلى الواقع[53]. كما أنها تؤشر وتحدد الخطر الكبير على صحة الإنسان بشكل عام، إذ تعد الصور في التصميم بمثابة النص الكتابي فوظيفتها قد تفوق قوة تعبير النص الكتابي لارتباطها بالرمز والدلالة.

2- الكتابة والرسوم: تعد النصوص الكتابية وحروفها الطباعية التي تختلف باختلاف اللغة مهمة جداً في التصميم بشكل عام والملصق الإرشادي الصحي بشكل خاص، إذ تمتلك الكتابة خصائص معينة من حيث الشكل والمضمون، تكون الحروف الطباعية من العناصر التيبوغرافية المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في التصميم،إذ تشكل الكتابة عنصراً رئيساً من عناصر تنظيم الملصق فكلما كانت النصوص المختصرة والمعبرة مرتبطةً بالموضوع ومكتوبةً بخط واضح يسهل قراءته بنظرة واحدة، يكون دورها فعالاً في إنجاح الملصق[54].

إن الهدف الأساسي من وجود المادة المكتوبة في الملصق هو إيصال الفكرة بأكبر قدر ممكن من البساطة والوضوح إلى المتلقي وليس الهدف جذب الانتباه إلى جمال النص، إذ إن الوظيفة الأساسية للكلمات والجمل هي خلق الصورة العقلية[55]، لذلك تكون الكتابة والحروف الطباعية أداة اتصال مهمة.

لابد أن تكون الكتابة واضحة ومختصرة في التعبير عن فكرة الملصق مع بساطة وسهولة قراءتها واختصارها، وإمكانية قراءتها بنظرة واحدة خاطفة وسريعة عند النظر إليها، كما تكون للخطوط وأشكالها دور كبير في شد الانتباه إذا كانت غامقة أو خفيفة أو قليلة الحدة، أو مكتوبة بشكل مائل أو مستقيم، كلها أمور مهمة تسهم في بناء الملصق الإرشادي الصحي[56]. يقوم المصمم باستعمال بعض الرموز المعروفة في دلالاتها لدى المتلقي ليوضح فيها خطر الأمراض الوبائية وطرق الوقاية منها من خلال الاعتماد على قوة الكتابة وطاقتها التعبيرية.

يميل المصمم إلى الاستعاضة عن الكتابة وحروفها الطباعية بالصورة أو الرسوم، إذ تشكل الرسوم دوراً كبيراً في بث الوعي والإرشاد بشكل سريع

---

**1**– نزار شقرون/ معاداة الصورة في المنظورين الغربي والشرقي، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت: **2009**م)، ص**10**.

**1**– النوري/ التنوع التقني ، ص**68**.

**2**– خليل إبراهيم/ المضامين الفكرية وعناصر التصميم الفني للملصقات في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،(بغداد: **1987**م)، ص**68**.

**3**– زمر– آن وفريد/ الصورة في عملية الاتصال، ترجمة د.خليل حماش، مراجعة عبد الودود العلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (بغداد:**1980**م)، ص**91**.

في الملصق، و يعد تأثيرها مهماً كما هو تأثير الصورة الطباعية، لذا يستطيع المصمم التعامل مع التخطيط والرسوم لتجسيد المظاهر الحسية[57] للصورة الطباعية والاستعاضة عنها ولاسيما في تصميم الملصق الإرشادي الصحي.

يراعي المصمم أسلوب الاختزال والبساطة في استعمال الرسوم في تصميم الملصق الإرشادي الصحي، لأنها تعد بمثابة وسائل إيضاح كما تتسم بالجمالية والألوان المتألقة والمنسجمة مع بعضها[58]. كما إن للألوان المتضادة مابين الرسوم والأرضية مع دراسة العلاقات اللونية ما بين العناصر التيبوغرافية الثلاثة (اللون والكتابة والرسوم)، ولاسيما عندما يركز المصمم على الرسوم بوصفها مركزاً سيادياً مهماً في الملصق، يكون التركيز على الموضوع في العلاقة ما بين الرسم والأرضية والنصوص الكتابية.

أما الرسوم الكاريكاتورية فهي تعد جزءاً مهماً من مكونات الملصق الإرشادي الصحي، إذ تؤكد على شخصية معينة تدور حولها الأحداث وتميزها بالخصوصية المطلوب تجسيدها، كما تتميز تلك الرسوم بالمبالغة أحياناً و بالفكاهة والنقد أيضاً.

الشكل (20) الشكل (21)

3- العنوانات: تعد العناوين من خلال سمك حروفها وألوانها ذات دور كبير في تحقيق الهدف الاتصالي ولاسيما في تصميم الملصق، إذ يعد العنوان بمثابة المفتاح الذي يتم الدخول من خلاله إلى محتوى الملصق، والمادة المكتوبة تحتل المكان البارز والمهم في الملصق الذي يعد عامل جذب مهماً لشد انتباه المتلقي أي انه سيمثل شكلاً تتحدد دلالته الشكلية تبعاً لموقعه في الفضاء العام[59]. إن المعالجة التيبوغرافية للعنوان كاختيار شكل الحرف وحجمه تؤثر بشكل وآخر على وضوح العنوان أمام عين المتلقي حتى يستطيع أن يؤدي دوره التيبوغرافي[60]، فيقوم المصمم بالتركيز على العنوان ليجعله بمثابة مركز سيادي مع الصورة.

مما تقدم فان اختيار العنوان وحجمه ولونه وعلاقته مع باقي الهيئات في الشكل العام له ابلغ الأثر في شخصية الملصق وفعاليته وفكرته[61].

---

**1- هادي نفل/ الإخراج الفني الطباعي في الرسم العراقي المعاصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،(بغداد: 1996م)، ص34.**

**1- النوري/ التنوع التقني ، ص63.**

**1- الدوري- سهاد عبد الجبار/ علاقة الفضاء والزمن وتأثيراتها في التصميم ذي البعدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، (بغداد:1998م)، ص82.**

**2- الياسري- قيس وآخرون/ الفنون الصحفية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،كلية الآداب/ جامعة (بغداد:1991م)، ص146.**

**3- خليل إبراهيم/ المضامين الفكرية ، ص68.**

4- الألوان: يعد اللون من أهم العناصر البنائية في التصميم فضلاً عن كونه من العناصر التيبوغرافية المهمة أيضاً ولاسيما في تصميم الملصق الإرشادي الصحي، يحقق اللون تأثيراً (فسيولوجياً) على شبكية العين، ففي حقيقة الأمر أن اللون ليس له أي حقيقة إلا بارتباطه بأعيننا التي تستمتع بحسه وإدراكه شرط وجود الضوء[62]. للألوان مواصفات خاصة يتميز بها هذا العنصر في العمل الفني ولاسيما التصميم كما يأتي:

1- أصل اللون (Hue).

2- مقدار تشبع اللون (Saturation).

3- قيمة اللون (Value)[63].

فالألوان المستعملة في التصميم هي الألوان المستمدة من الطبيعة ولاسيما الألوان التي تمثل الظواهر التي تؤثر على الإنسان وتجسيدها في تصميم الملصق بشكل عام. فالألوان تعد بمثابة التفسيرات المرئية وتشكل ما يسمى بالمنظر الطبيعي أو المشهد الطبيعي المرتبط بالتعبيرية والتأثير المباشر للحقائق[64]. كما يكون اللون موجوداً ضمن الرسوم والصور الطباعية داخل الملصق، أو يمثل لون الفضاء. يكون انتقاء واستعمال الألوان خاضعا لذوق المصمم فضلاً عن الحالة النفسية (السيكولوجية)، إذ إن اختيار الألوان أمر بالغ الأهمية في إيصال الفكرة، كما أن بعض الألوان لها دلالات ترتبط بالحالة النفسية والصحية وبعضها مرتبط بمعالجة الأمراض، فهي تحدث تأثيرات ملموسة في عمل المصمم.

تكون التأثيرات النفسية للألوان ذات تأثير مباشر وغير مباشر على نفسية المتلقي[65]، إذ يستعمل اللون الأصفر لمعالجة بعض الحالات العصبية الشديدة والأمراض العصبية، كما استعمل في معالجة مرض الأنفلونزا الوبائية.

أما اللون الأخضر فيستعمل لعلاج الأمراض العقلية كالهستيريا وتعب الأعصاب، أما اللون الأزرق فهو يستعمل لعلاج التوتر العضلي وضغط الدم ونبض القلب والتنفس السريع.

مما تقدم نستطيع تحديد وظيفة الألوان ولاسيما في تصميم الملصق الإرشادي الصحي وكما يأتي:

1- تؤدي الألوان دوراً واقعياً على الملصق وتكسبه الحقيقة والتعبير المباشر.

2- تؤدي الألوان في الملصق تفاعلاً نفسياً (سيكولوجياً) مابين الملصق والمتلقي.

---

1- عبد الهادي- عدلي محمد/ مبادئ التصميم واللون، مكتبة المجتمع العربي ، (عمان: **2006**م)، ص**13**.

2- صالح- قاسم حسين/ سيكولوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد للنشر، (بغداد: **1982**م)، ص**55**.

3- كلي- بول/ نظرية التشكيل، ترجمة عادل السيوي، دار ميريت للنشر، (القاهرة: **2003**م)، ص**467**.

4- يحيى حمودة/ نظرية اللون، (القاهرة: ب.ت) ، ص**131**.

3- تكون لوظيفة الألوان في التصميم الدور الكبير في جذب الانتباه وانتشار الفكرة.
4- ترسخ الألوان في تصميم الملصق، الظواهر والأفكار في الذاكرة لفترة طويلة ولاسيما إذا كان الملصق ذا درجة عالية في التعبير والتقنية الإخراجية.

ثانياً: الدراسات السابقة:

سبق الباحث عدد من الدراسات السابقة ولاسيما في دراسة الملصقات وما ترتبط به من عناصر وأسس وعلاقات، بيد أن دراسة الملصق الإرشادي الصحي لم تكن ذات اهتمام كبير بدراسة جوانبه الفنية والفكرية، وكانت تلك الدراسات قليلة جداً أو قد تكون دراسات مختصرة. أما الدراسة المتخصصة التي درست الملصق الإرشادي الصحي فكانت دراسة السيد نبيل احمد فؤاد العزاوي الموسومة ب (واقع تصاميم الملصقات الإرشادية الصحية وإمكانية تطويرها) رسالة ماجستير في اختصاص التصميم الطباعي في كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، عام 2004، إذ تطرق الباحث إلى دراسة الجوانب الفنية والفكرية لتصاميم الملصقات الإرشادية الصحية كواقع حال حدده مكانياً بالملصقات الصادرة من وزارة الصحة العراقية.

## الفصل الثالث
## إجراءات البحث

1- منهج البحث: تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في تحليل العينات.
2- عينة البحث: تم تحليل خمسة عينات منتقاة قصدياً من خمسة دول عربية (العراق، مصر، الأردن، المملكة العربية السعودية، مملكة البحرين). ولاسيما الملصق الرسمي الصادر عن وزارت الصحة في تلك الدول.
3- مجتمع البحث: جميع الملصقات الإرشادية الصادرة عن الدول العربية التي يحمل مضمونها الوقاية من الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازيرH1N1).
4- أداة البحث: تم إعداد استمارة تحليل للعينات المنتخبة بعد عرضها على الأساتذة المتخصصين للتأكد من صلاحيتها وتم تحليل العينات بموجب استمارة التحليل.




العينة: (1)
الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)
جهة الإصدار: وزارة الصحة/ جمهورية العراق
القياس: 30سمX21سم
تاريخ الإصدار: 2009م

1- المضامين الفكرية ودلالاتها: جسد المصمم المضمون الفكري في هذا الملصق في توجيه رسالة واضحة للمتلقي بضرورة إتباع واتخاذ الإجراءات الصحيحة والمنطقية للوقاية من الأنفلونزا الوبائية والحد من انتشار العدوى. إذ وضع المصمم خمسة صور طباعية تضمنت دلالات تعبيرية واضحة الخطاب ومباشرة في تحديد الهدف المطلوب (حث المتلقي لاتخاذ الإجراءات الوقائية).

قام المصمم بتوزيع هذه الصور بشكل متتابع في فضاء الملصق، كما ربط المصمم كل صورة مع النص المطلوب للتعبير عنها، إذ وضع بجانب كل صورة نصاً يرتبط بمضمونها.

2- العناصر التيبوغرافية: استعملت الصورة الطباعية ذات التعبير المباشر بشكل واسع في هذا الملصق، إذ حققت الصور الطباعية طاقة تعبيرية كامنة، من خلال هذه الصور استعرض المصمم الوسائل الوقائية بتنظيمها منطقياً، فقد وضع صورة في أعلى يسار الملصق، تمثل صورة لنساء يرتدين الكمامات إلى جانبها نص يرتبط بالصورة ذاتها في حث المتلقي إلى ارتداء الكمامات أثناء تواجده في الزحام أو الأماكن المغلقة والمزدحمة بالناس. أما الصورة التي تليها فتظهر فيها امرأتان أحداهما تعانق الأخرى، إذ وضع المصمم إلى جانبها نصاً يرشد فيه المتلقي إلى الابتعاد عن هذا النوع من التحية أو المصافحة. أما الصورة الثالثة فيظهر فيها شخص مصاب بالمرض وهو يراجع الطبيب عند شعوره بظهور الأعراض المرضية عليه، فقد وضع المصمم نصاً يدعو المريض إلى إتباع الإرشادات التي يوصي بها الطبيب عند ظهور أعراض المرض الوبائي، والإسراع بمراجعة الطبيب عند ظهور أي عارض للمرض مثل ارتفاع درجة الحرارة أو حرقة في البلعوم أو رشح أو سعال وغيرها.

أما الصورة الرابعة فتمثل طريقة غسل اليدين بالصابون والحث على النظافة لأنها السبيل الأمثل للوقاية من الأمراض ولاسيما الأمراض الوبائية الفتاكة. وضع المصمم صورة أسفل الملصق تظهر فيها امرأة وهي تستعمل المنديل عند العطاس أو السعال من اجل الحد من انتشار المرض إلى الشخص القريب من المريض أو الشخص السليم. مما تقدم فقد عدت معظم الصور الطباعية المستعملة في الملصق ذات طاقة تعبيرية كامنة واضحة ومؤثرة في المتلقي وتسهم في نقل الفكرة بكل وضوح ويسر وبساطة، فضلاً عن الانسجام الفكري مابين الصورة والنص المقابل لكل واحدة منها، إذ تميزت النصوص بتعبيرها الفكري الإرشادي المباشر والواضح واليسير.

3- الأسس التصميمية: قام المصمم باستعمال عناصر تيبوغرافية كثيرة ومتراكمة ولم يركز على صورة واحدة لتكون كمركز سيادي للتصميم، بيد انه وضع خطاً مائلاً أحمر كرمز للخطر أو جذب النظر إلى الصورة الثانية التي تحمل موضوع العناق كوسيلة لانتقال المرض، فقد ميز هذه الصورة أو قد تكون مركز السيادة في هذا التصميم، على الرغم من عدم التأكيد على هذه الصورة أو غيرها من الصور، و يرى الباحث أن من الصعوبة تحديد مركز السيادة فيه. التصميم متوازن من حيث توزيع الصور والنصوص مع ترتيب أو تنظيم العناصر بشكل متناسق ومتوازن ومتتابع لإيصال الفكرة بالشكل المنطقي والعلمي إلى المتلقي. تميزت الألوان بانسجامها نسبياً من حيث لون الأرضية (اللون الاوكر) مع لون الشعار الأخضر، مع قوة اللون الأحمر في الهلال داخل شعار وزارة الصحة العراقية.

4- العلاقات الشكلية: حقق المصمم علاقة تبادلية مابين الصور والنصوص بعد أن قسم فضاء الملصق بشكل متتابع ومتبادل إلى خمسة أقسام أفقية (نص مع صورة) يليها (صورة مع نص) و( نص مع صورة) ثم (صورة مع نص) وأخيراً (نص مع صورة).







العينة: (2)
الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)
جهة الإصدار: وزارة الصحة/ جمهورية مصر العربية بالتعاون مع منظمة اليونيسيف الدولية
القياس: 35سمX50سم
تاريخ الإصدار: 2009م

1- المضامين الفكرية ودلالاتها: أكد المصمم ضرورة إتباع واتخاذ الإجراءات الصحيحة والمنطقية للوقاية من الأنفلونزا الوبائية والحد من انتشار المرض، في توجيه خطاب مباشر في أعلى الملصق كأمر لابد أن يتبعه المتلقي (المصاب بالمرض أو الشخص السليم) ،((احمي نفسك من وباء الأنفلونزا)). فالفكرة جاءت مباشرة وذات رسالة بصرية واضحة ومؤثرة، إذ حقق المصمم دلالة تعبيرية واضحة من خلال الرسوم والألوان.
2- العناصر التيبوغرافية: استعملت الرسوم ذات التعبير المباشر بشكل كامل في هذا الملصق، إذ حققت الرسوم طاقة تعبيرية كامنة، كما وضعت نصوص باللهجة الشعبية المصرية لتسهيل عملية الاتصال وسهولة الاستجابة إلى مكونات الملصق الفكرية (الإرشادية) وجذب المتلقي. وزع المصمم الرسوم ضمن فضاءات أو تقسيمات أو مساحات لونية تميز كل مقطع عن الآخر، فقد وضع رسماً يمثل الطبيب إلى جهة اليسار والى جانبه نص يقول (استشر طبيب فوراً عند الشعور بأي أعراض)، نستطيع أن نحدد بداية تحديد الهدف من التصميم ولاسيما ما يرتبط بالحث والإرشاد للمتلقي ولاسيما الطفل ، فالرسوم قد توصل الفكرة للأطفال أكثر من استعمال الصور في بعض الأحيان، هذا ما نجده واضحاً في استعمال الرسوم كشخصيات تمثل الأطفال، إذ وضع المصمم رسوماً للأطفال وهم يؤدون الطرائق والتعليمات الوقائية من المرض (الأنفلونزا الوبائية تحديداً)، نلاحظ أن الطفل في الجهة اليمنى يقوم بغسل يديه بالماء والصابون، إذ وضع المصمم إلى جانب الرسم نصاً (اغسل أيدك بالميا والصابون باستمرار). أما الطفل في الجانب الأيسر فهو يقوم بشرب العصير في التأكيد على ضرورة شرب السوائل بكثرة للحد من انتشار المرض والقضاء على الجفاف (اشرب سوائل كتير)، بينما يظهر رسم لوجه طفل وهو يرتدي الكمامة والى جانبه علبة المناديل الصحية كدلالة لاستعمال الكمامة في الأماكن المزدحمة كرياض الأطفال والمدارس وأماكن اللهو واللعب كما يحث المصمم الطفل إلى استعمال المناديل الصحية عند العطس أو السعال، بينما يضع المصمم رسماً لطفلة وهي تنام بهدوء وسكينة وراحة عند ظهور أعراض المرض في سريرها لتكسب الجسم راحة وتساعد في الحد من انتشار المرض إلى الآخرين والاستجابة إلى العلاج.
3- الأسس التصميمية: قام المصمم بمراعاة دور الوحدة التصميمة وتنوعها في هذا الملصق من خلال التركيز على بث وحث المتلقي (الطفل تحديداً) على اتباع الوسائل الوقائية المنطقية ببساطة الألوان والأشكال والمساحات والحجوم وغيرها. لذلك يرى الباحث أن المصمم جعل من رسم الطبيب في أعلى يسار الملصق مركزاً سيادياً في هذا الملصق، لان الطبيب يعد الشخص الذي يوجه النصح والإرشاد إلى المريض ولاسيما الطفل، وكأن الطبيب هو

من يقوم بتدريب الأطفال على اتخاذ الوسائل الوقائية للمرض. تميزت الألوان في معظم فضاء الملصق بانسجامها وتنوعها بما يحقق الجمالية وجذب الانتباه، إذ استعملت ألوان كثيرة كالأزرق والأحمر والأصفر والأخضر والأرجواني، كما يعد التضاد اللوني في هذا الملصق عنصراً مهماً في جذب الانتباه ولاسيما الأطفال الذين يحبون كثرة الألوان وتنوعها. حافظ المصمم على التوازن في التصميم من خلال التبادل اللوني ما بين الرسوم و النصوص، كما خصص المصمم إفريزاً أسفل الملصق ليوضح فيه هوية وتبعية الملصق من خلال وضعه شعار وزارة الصحة المصرية في الجانب الأيمن وشعار منظمة الطفولة العالمية (اليونيسيف) في الجانب الأيسر ووضع المصمم رقم (105) وهو الخط الساخن لوزارة الصحة المصرية للاتصال بها حال ظهور حالة إصابة خطرة، إذ قام المصمم بتكبير حجم الرقم نظرا لما يشكله من أهمية في إسعاف المريض وجذب النظر.

4- العلاقات الشكلية: حقق المصمم علاقات بنائية وشكلية ناجحة في هذا الملصق لتكون محصلتها النهائية هو إرشاد وحث الأطفال لكونهم أكثر شريحة عرضةً للإصابة بالأمراض الوبائية ولاسيما (الأنفلونزا الوبائية). أكد المصمم على الفكرة المطروحة من خلال العلاقات الشكلية في هذا الملصق، إذ نلاحظ أن التماس متحقق في هذا الملصق لتوكيد عملية التواصل والإرشاد بالخطوات المنطقية للوقاية، كما لعب التداخل والتراكب الدور ذاته في هذا الملصق ليحقق المصمم النجاح في إيصال الفكرة وتحقيق استجابة لدى الأطفال لمكونات الملصق من رسوم وألوان ونصوص.




العينة: (3)
الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)
جهة الإصدار: وزارة الصحة/ المملكة الأردنية الهاشمية
القياس: 35سمX50سم
تاريخ الإصدار: 2009م

1- المضامين الفكرية ودلالاتها: اتخذ المصمم الأسلوب الوقائي من المرض والتوعية العامة للمجتمع في اتخاذ الإجراءات الوقائية للحد من انتشاره. عرض المصمم الفكرة من حيث الإجراءات والتوصيات الإرشادية على شكل نقاط ومؤشرات هي إجابة لسؤال طرحه في هذا الملصق وهو (كيف تحمي نفسك وأسرتك من الأنفلونزا؟).

2- العناصر التيبوغرافية: وزع المصمم الصور على جهة واحدة تقابلها النصوص على الجهة الثانية، إذ استعمل المصمم الرسوم الكاريكاتيرية لتوصيل الفكرة وتسهيل مهمة الاستيعاب للنصوص المقابلة لها فضلاً عن سهولة فهم مكونات الرسوم الكاريكاتيرية. وضع المصمم رسماً كاريكاتيرياً لفتاة صغيرة وكأنها من يقوم باستعراض تلك الحالات الموجودة ضمن

الرسوم داخل الملصق وهي الإجراءات والتعليمات للوقاية من المرض الوبائي الخطير. كما وضع المصمم رسوماً ذات تكوينات مثلثة الشكل بألوان أرجوانية تمثل الميكروبات والجراثيم المسببة للمرض وهي في حالة موت واستغاثة ليبين المصمم أن إتباع التعليمات المنطقية المجسدة من خلال الرسوم تكون محصلتها القضاء التام على الجراثيم المسببة للمرض.
وضع المصمم عنواناً كبيراً في أعلى الملصق يحث فيه المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص إلى محاربة الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير H1N1). فقد جاءت الرسوم الكاريكاتيرية جواباً أو حلاً لابد منه لمحاربة انتشار المرض الوبائي، من خلال إتباع الإرشادات الصحية، كغسل اليدين بالماء النقي والصابون (يضع المصمم رسماً لذلك)، ووضع المنديل عند العطاس أو السعال، وتنظيف الأسطح والأرضيات في المنزل بالمعقمات والمطهرات، واستشارة الطبيب عند الشعور بأعراض المرض فضلاً عن التزام السرير عند الإحساس بتلك الأعراض. لقد نجح المصمم في استعماله الرسوم الكاريكاتيرية والعنوانات الجانبية والرئيسة في الملصق لإرشاد المجتمع نحو مخاطر المرض الوبائي واتخاذ الإجراءات للحد من انتقاله أو انتشاره. استعمل المصمم اللون الأزرق كلون غالب في معظم فضاء الملصق علماً أن اللون الأزرق يستعمل لعلاج التوتر العضلي وضغط الدم ونبض القلب والتنفس السريع وهي من الأمور التي تكون كنتائج لتدهور حالة المريض أو المصاب بالأنفلونزا الوبائية.
3- <u>الأسس التصميمية</u>: شكل رسم الفتاة في أعلى يسار الملصق مركز السيادة أو التأكيد من حيث حجم الرسم وحركتها وكأنها هي من يوجه هذا الخطاب ويحذر من مخاطر المرض. تميز التصميم بوحدته الموضوعية والفنية وتكامل الوحدة من المضمون الفكري للملصق، كما تميزت ألوان الملصق بانسجامها وبرودة وهدوء خطابها ورسالتها البصرية، إذ جسدت القيم البيضاء في العنوان الرئيس للملصق قوة بصرية مؤثرة للمتلقي من خلال حجم وشكل الخط. وضع المصمم شعار المملكة الأردنية الهاشمية إلى أعلى يسار الملصق ليعطي توكيدا للمكان وتبعية إصدار هذا الملصق. التوازن متحقق في هذا الملصق من خلال توزيع الكتل على جانبي الملصق، إذ جسدت الصور الجانبية ونصوصها مع الشعار جهة تتوازن مع رسم الفتاة والجراثيم أو المكروبات المسببة للمرض الوبائي أسفل الجهة المقابلة. وضع المصمم أسفل الملصق عدة شعارات قد تكون جهات مساهمة في طباعة هذا الملصق، فضلاً عن وضع الهاتف الخاص أو ما يسمى بالخط الساخن لوزارة الصحة لإسعاف الحالات الطارئة في مساحة لونية زرقاء.

4- العلاقات الشكلية: لم تكن هنالك علاقات شكلية واضحة ومرئية، بيد أن العلاقات متتابعة ومتناسقة فكرياً، إذ انعكس ذلك بتنظيم الصور والنصوص بشكل متتابع ومنتظم، غير متراكب أو متداخل أو متعاكس.




العينة: (4)
الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)
جهة الإصدار: وزارة الصحة/ المملكة العربية السعودية
القياس: 70سمX50سم
تاريخ الإصدار: 2009م

1- المضامين الفكرية ودلالاتها: وجه المصمم سؤالاً في هذا الملصق، ليبدأ ببناء الفكرة وتنظيمها بشكل يتيح للمتلقي معرفة الإجابة على السؤال المطروح بكل يسر ووضوح. تدور الفكرة في إرشاد المتلقي في تنفيذ التعليمات والإرشادات الصحية للوقاية من الأنفلونزا الوبائية واتخاذ الطرق الصحيحة للوقاية من هذا المرض.

2- العناصر التيبوغرافية: استعمل المصمم رسوماً توضيحية مباشرة في دلالاتها الفكرية، كما استعمل رسوماً كاريكاتيرية تعرض المشكلة ذاتها، لإيصال المعلومات إلى المتلقي بمختلف الأعمار والأجناس. فقد استعمل المصمم ثماني صور توزعت بين الرسوم والرسوم الكاريكاتيرية، وقد وضع المصمم نصاً إلى أسفل زاوية اليسار ليعوض مكان صورة أو رسم ويحقق التوازن في التصميم.

وضع المصمم رسوماً تظهر شخصاً يضع المنديل على انفه أثناء العطس أو السعال ومن ثم يرمي المنديل في سلة المهملات ومن ثم يقوم بغسل يديه جيداً بالماء والصابون، من خلال هذه الصور الثلاث يستطيع المصمم أن يبن لنا النظام الوقائي لأي مرض معدٍ ولاسيما الأنفلونزا الوبائية ذلك بإتباع التعليمات والإرشادات الصحية. أما الصور الثلاث التي تليها فقد تضمنت رسوماً تمثل طبيباً يقوم بفحص المريض والتأكد من أعراض المرض وتحديد العلاج أو العقار المطلوب، ثم تليها صورة تمثل رسماً كاريكاتيرياً يرمز إلى شخصين متقابلين، احدهما سليم والآخر مريض، إذ رمز إلى الشخص المصاب أو المريض باللون الأسود وهو يقوم بالعطس والسعال ليتوجه رذاذ فمه إلى الشخص السليم ذي اللون الأخضر، لقد أراد المصمم أن يبين طريقة انتقال المرض مباشرة من الشخص المريض إلى الشخص السليم. أما الصورة التي تليها فقد ظهر المريض فيها وهو يرقد في الفراش ليباشر في العلاج. في أسفل الملصق وضع المصمم رسماً كاريكاتيرياً يمثل شخصين يتبادلان التحية بالمصافحة واحدهما مصاب بالمرض، كما وضع المصمم شخصاً يقوم بالعطس أو السعال على يديه. مما تقدم أراد المصمم أن يستعرض الحالات السيئة وغير الصحية في هذا الملصق وكأنك في سرد أو سلسلة متواصلة من النصائح والإرشادات لتحديد الكيفية في الوقاية من المرض الوبائي. لقد وضع المصمم نصوصاً أسفل كل صورة، قام المصمم بوضع نصوص إرشادية تحت كل صورة بلونين الأحمر والأسود. أما العنوان الرئيس فقد كان سؤالاً (كيف تحمي نفسك والآخرين؟) باللون الأزرق، أما العنوان الأكبر حجماً الذي يلي العنوان الأول فقد عرض المشكلة الحقيقية التي تواجه الإنسان وهي الإصابة بالأمراض الوبائية ولاسيما أنفلونزا الخنازير باللون الأحمر ليوحي بقوة الخطر.

3- الأسس التصميمية: لم يؤشر المصمم في هذا التصميم إلى تحديد مركز للسيادة واضح ومستقل إذ تميزت معظم الصور بتقارب حجمها وتوزيعها ومكوناتها ودلالاتها. كما تميز التصميم بوحدته الموضوعية والفنية وتكامل الوحدة من المضمون الفكري للملصق. استعمل المصمم التضادات اللونية التي تشكل أهمية كبيرة في إيصال رسالته البصرية. وضع المصمم شعارين

فـي أعلــى الملصــق، إذ وضــع شــعار وزارة الصــحة فــي المملكــة العربيــة السعودية ليعطي توكيدا للمكان وتبعية إصدار هذا الملصق، فضلاً عن شعار آخر لجهة أخرى مساهمة في هذه الحملة الصحية. حقق المصمم التوازن في هذا الملصق من خلال توزيعه للكتل (الرسوم) بشكل ثلاثة أعمدة، كل عمود يحتوي على ثلاث صور، باستثناء العمود الثالث فقد استعاض المصمم بالنص بدلاً عن الصورة لتحقيق التوازن.

4- <u>العلاقات الشكلية</u>: حققت الصور وعملية توزيعها نوعاً من التماس الفكري والتتابع المنطقي لإجراءات الوقاية من المرض، إذ تميزت الصور بترابطها مع بعضها البعض في وحدة موضوعية. لم يكن هنالك تعاكس أو تداخل بين العناصر التيبوغرافية في الملصق.




العينة: (5)

الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)

جهة الإصدار: وزارة الصحة/ مملكة البحرين

القياس: 50سمX30سم

تاريخ الإصدار: 2010م

1- المضـامين الفكريـة ودلالاتهـا: يختلـف هذا الملصـق فـي طـرح المضـمون الفكري من خلال استعمال صيغة الأسئلة فـي تحديـد الموضـوع وبنـاء الفكـرة وتحليل الدلالات المستنبطة منها من اجل وضع المتلقي أمام المشكلة التي تعد خطيـرة جـداً نظـراً لمـا يسـببه مـرض الأنفلـونزا الوبائيـة مـن مـوت محقـق للإنسان. لذلك جاءت الفكرة من خلال تحديد أسئلة بعنوانات مختلفة في الحجم واللون مع التسلسل المنطقي للوصول إلـى حل هذه المشكلة وإرشاد المتلقي للعمل بتلك الإرشادات والنصائح للحد من انتشار المرض. لقد نجح المصـمم في تحقيق هدفه ولاسيما إرشاد وحث المتلقي للوقايـة مـن المرض عند السفر والتنقل من مكان إلى آخر. كما حقق المصمم نوعاً من التواصل مابين عرض الفكرة وأسلوب الإخراج الفني للملصق.

2- العناصـر التيبوغرافيـة: استعمل المصمم الرسوم التخطيطيـة ذات الألـوان المختزلة، إذ استعمل الأسود في معظم التخطيطات التي وضعها في الملصق. كمـا وزع التخطيطـات بشـكل يضـمن متابعـة الخطـوات المنطقيـة والسـليمة لإتباع إرشادات الطبيب للحد من انتشار المرض الوبائي. حددت التخطيطـات بمسـاحات بيضـوية الشـكل وعـددها أربعـة فقـط. إذ وضـع المصـمم تخطيطـاً لشـخص وهـو يرتـدي الكمامـة لمنـع التمـاس مـع المصـابين أثنـاء الزحـام، أمـا التخطيط الثـاني فقد تضـمن امرأة وهـي تعطـس فـي منـديل تضـعه علـى انفهـا أثنـاء العطـس أو السـعال، والتخطـيط الثالـث فهـو يرشـد المتلقـي إلـى ضـرورة رمي المناديل الملوثة في سلة المهملات، أما التخطيط الرابع فقد ظهـرت فيـه عملية غسل اليدين بالماء والصابون للحفـاظ علـى النظافـة. كمـا اهتم المصـمم بتوزيـع العنوانـات الرئيسـة والثانويـة ووضـع مثلـث اصـفر اللـون يحتـوي فـي داخله عبارة (Caution) أي (أحذر)، وكأنه ربط مثلث التحـذير مـع العنـوان الرئيس للملصق الذي يوجه فـي رسـالته فـي التحـذير مـن السفر إلـى المنـاطق التي يؤشر فيها ظهور أو انتشار للمرض الوبائي، أما العنوان الثانوي فقد قـام المصمم بإدراج الأعراض المرضية التي يسـببها الوبـاء، ليصـل بـالمتلقي إلـى مغزى الفكرة في هذا الملصـق وهـو مراجعـة الطبيـب عنـد ظهـور الأعـراض المرضـية عليـه، كمـا يوصـي المصـمم بإتبـاع الإجـراءات الوقائيـة وتعليمـات الطبيب في الابتعاد عن التأثيرات الخطيرة لهذا المرض بعد إتبـاع الخطـوات الصـحيحة فـي الوقايـة التـي وضـعها المصـمم علـى شكل تخطيطـات بالأسـود والأبيض وحددها داخل الشكل البيضـوي. وضـع المصـمم الشـعار إلـى الجهـة اليمنى العليا من الملصق الـذي يمثـل شـعار مملكـة البحـرين / وزارة الصـحة، ليعطـي دلالـة ثابتة للمكان.

3- الأسـس التصـميمية: حـدد المصـمم الـدائرة البيضـاء ذات التفرعـات والتأشيرات الأربعة كمركز سيادي في التصميم. كما يعد مركزاً سيادياً يرسخ

الفكرة أيضاً، من خلال التوصية بمراجعة الطبيب عند الشعور بظهور أعراض المرض الوبائي، أما التأشيرات التي تنبثق من الشكل الدائري فهي تكون متجهة إلى التخطيطات والنصوص المتعلقة بها التي وضعها المصمم وتشير إلى إتباع الإجراءات الوقائية للحيلولة دون انتشار المرض. لم يستعمل المصمم ألواناً كثيرة في هذا الملصق، بل استعان بالانسجام اللوني بين درجات الألوان الحارة كالأحمر والأصفر، وركز على اللون الأحمر ليس فقط لكونه لوناً ذي طول موجي عالٍ، بل لأنه لون رئيس لمملكة البحرين. تميز الإيقاع بتوازنه واعتداله في شرح الفكرة وبيان أهميتها كما هو في توزيع الكتل الأربعة المتساوية التي تحمل داخلها التخطيطات التوضيحية وهي على نسق واحد من خلال الخط المنحني ذي اللون الأحمر. حقق التصميم توازناً بين مكوناته أو عناصره التيبوغرافية، من خلال الشكل الدائري والأشكال البيضوية الأربعة التي تتوزع إلى أسفله ويساره.
4- العلاقات الشكلية: لم تكن هنالك علاقات شكلية واضحة ومرئية، بيد أن العلاقات متتابعة ومتناسقة فكرياً، إذ انعكس ذلك بتنظيم التخطيطات مع العنوانات والألوان بشكل متتابع ومنتظم.

**نتائج البحث:**

من خلال تحليل العينات المنتقاة لابد من تأشير عدد من النتائج وكما يأتي:
1-استعان المصمم بفكرة مباشرة وواضحة موجهة إلى المتلقي من دون تعقيد من اجل توضيح طرق وأساليب الوقاية من المرض الوبائي.
2- للعناصر التيبوغرافية دور كبير في تحديد وتوصيف مخاطر المرض وأساليب الوقاية منه في طريقة عرضها وشكلها وتقنياتها الإخراجية والفنية، فضلاً عن ما تملكه تلك العناصر المنتقاة من قوة تعبيرية ووضوح ويسر.
3- يراعي المصمم التقنية المطلوبة في عرض الفكرة ولاسيما في اختلاف الغرض وطبيعة المجتمع، فالملصقات الإرشادية للأطفال تختلف عن غيرها، لذلك لابد من مراعاة أسلوب العرض والتوجيه وللأعمار المختلفة.
4- تكون الرسوم الكاريكاتيرية ذات طاقة تعبيرية مباشرة يستطيع المصمم من خلالها إيصال الفكرة بشكل مباشر ويعطي تجسيداً للحالات المرضية بأسلوب مبسط يعتمد على الفكاهة في طرح الفكرة أحياناً.
5- للرسوم دور كبير في تحفيز الأطفال على إتباع الإرشادات والتوجيهات الصحية من اجل الوقاية من الأمراض الوبائية، ولاسيما إذا كانت تلك الرسوم ذات ألوان جذابة ومتناغمة لتثير حماس الأطفال وزيادة تقبلهم للفكرة ومضمونها الإرشادي.

6- تؤثر عناصر الدلالة في تحقيق نجاح للمضمون الفكري الإرشادي من خلال قوة ترابط العناصر التيبوغرافية من صور ورسوم وتخطيط وعنوانات وألوان لتمثل المعيار الرئيس لتحديد ما إذا كان الملصق الإرشادي قد نجح في إيصال الفكرة من عدمه.

7- تشابهت معظم الملصقات الإرشادية في طريقة عرض الفكرة ومضمونها. وقد ساد بعض تلك الملصقات تنظيم يختلف أحياناً في طريقة عرض الفكرة.

8- تميزت بعض الملصقات الإرشادية بتعدد ألوانها، إذ استعمل المصمم ألواناً منسجمة تارةً والوناً متضادة تارةً أخرى ليسهم في عملية جذب المتلقي نحو الفكرة ومضمونها الإرشادي.

9- تؤثر تقنيات الطباعة وأساليب المعالجة الفنية في إخراج الملصق الإرشادي الصحي بشكل نهائي ولاسيما عند استعمال الصورة الطباعية، وعدم دراسة اختيار الصورة وتناغمها مع الفضاء التي تسهم في ترويج ونجاح هدف الملصق.

10- اهتم بعض المصممين باستعمال الأشكال الهندسية والخطوط على شكل أسهم إرشادية تشير إلى تحديد الحالات المرضية أو طرائق الوقاية منها.

11- يعد الشعار أساساً لتوكيد المكان الذي صدر عنه الملصق الإرشادي الصحي، فضلاً عن إكساب الملصق خصوصية وطنية تؤثر في الرأي العام المحلي قبل أن تؤثر فيه عالمياً.

12- استعملت عبارات متشابهة في معظم الملصقات المنتقاة في البحث، وهي عبارات تدعو إلى اتخاذ الإجراءات الوقائية ضد المرض الوبائي.

## المصادر والمراجع


**1- جميل صليبا/ المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت: 1982م.**
**2- خليل إبراهيم/ المضامين الفكرية وعناصر التصميم الفني للملصقات في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/جامعة بغداد، 1987م.**
**3-الدوري- سهاد عبد الجبار/ علاقة الفضاء والزمن وتأثيراتها في التصميم ذي البعدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كليةالفنون الجميلة/ جامعة بغداد، 1998م.**
**4- الرازي- محمد بن أبي بكر عبد القادر/ مختار الصحاح، دار الرسالة ، الكويت، 1982م.**
**5- زمر- آن وفريد/ الصورة في عملية الاتصال، ترجمة د.خليل حماش،مراجعة عبد الودود العلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد،1980م.**
**6- سعيد علوش/ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1985م.**
**7- صالح- قاسم حسين/ سيكولوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد للنشر،بغداد،1982م.**
**8- عبد الله- إياد حسين/ فن التصميم، ج1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،2008م.**
**9- عبد الهادي- عدلي محمد/ مبادئ التصميم واللون، مكتبة المجتمع العربيعمان،2006م.**
**10- العزاوي- نبيل احمد فؤاد/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية الصحية وإمكانية تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،2004م.**
**11- عساف محمود/ أصول الإعلان، دار النشر العربي، القاهرة،1977م.**
**12- العلاق- بشير/ الإبداع والابتكارية في الإعلان مدخل تطبيقي، دار اليازوري، عمان،2009م .**
**13- الفيروزآبادي/ القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت،1993م.**
**14- كلي- بول/ نظرية التشكيل، ترجمة عادل السيوي، دار ميريت للنشر، القاهرة، 2003م.**
**15- كمال عيد/ فلسفة الأدب والفن، الدار العربية للكتاب، تونس،1978م.**
**16- نزار شقرون/ معاداة الصورة في المنظورين الغربي والشرقي، مؤسسةالانتشار العربي ، بيروت، 2009م.**
**17- النوري- عبد الجليل مطشر محسن/ التنوع التقني ودوره في إظهارالقيمة الجمالية التصميمية في الملصقات ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، 2002م.**
**18- هادي نفل/ الإخراج الفني الطباعي في الرسم العراقي المعاصر، أطروحةدكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، 1996م.**
**19- الياسري- قيس وآخرون/ الفنون الصحفية، وزارة التعليم العالي والبحثالعلمي ، كلية الآداب/ جامعة بغداد،1991م .**
**20- يحيى حمودة/ نظرية اللون، القاهرة: ب.ت.**

**المصادر الالكترونية:**

**1- www wikipedia.org**

## نموذج استمارة التحليل

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| المضامين الفكرية ودلالاتها | المضمون الفكري | فكرة مباشرة | متحقق | |
| | | فكرة غير مباشرة | غير متحقق | |
| | الدلالة | دلالة مباشرة | متحقق | |
| | | دلالة غير مباشرة | غير متحقق | |
| العناصر التيبوغرافية | العنوانات | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | الرسوم والتخطيطات | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | الصورة الطباعية | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | الألوان | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| الأسس التصميمية | التكرار والإيقاع | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | التأكيد | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | التباين والتضاد | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | التوازن | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | الانسجام | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | الوحدة وتنوعها | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| العلاقات الشكلية | تماس | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | تداخل | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | تعاكس | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |
| | تراكب شكلي | متحقق | | |
| | | غير متحقق | | |

# شعرية الجسد في بنية الفضاء المسرحي

د. حسين الانصاري

## تمهيد

استثمرت حركة الجسد للتعبير عن حاجات الإنسان منذ إدراكه معنى الاتصال والتواصل وتطورت بظهور أنماط جديدة للتعبير،فإلى جانب اللغة المكتوبة والمنطوقة وما تحملانه من قدرة على التجريد والتكثيف واحتواء الاستعارات ضمن تحقيق الوظيفة الجمالية ـ البلاغية كان للحركة والإيماءة دورها التجسيدي النفعي للاتصال ، ولكن مع تطور مجالات البحث الأدبي والفني والجمالي لاسيما في الفنون التعبيرية وظهور النظريات والأساليب المختلفة وخاصة المجال الأدائي في المسرح كونه فنا تركيبيا شاملا يعتمد التجسيد الحي والاني في علاقته المباشرة مع الأخر، لقد أصبحت الحركة عنصرا جوهريا في استثمار لغة الجسد للاتصال والتعبير، ولامجال للشك هنا أن جسد الممثل أصبح محور المنظومة الإرسالية في المسرح كونه مركز التشفير وحامل نصوص العرض ، باعتبار إن الخطاب المسرحي هو تشكيل لنصوص متعددة ونظام علاماتي يوظف كثيرا من لغات التعبير وبكثافة سيميائية يكون جسد الممثل هو نقطة التقاء هذه النظم الاشارية جميعا ، ومن هنا أصبح الجسد مكمنا للتوليد الدلالي الذي يتطلب قدرة فائقة على الخزن والسيطرة والانتقاء والتوزيع والتوقيت والاستلام بما يجعل حالة الجذب والحضور متبادلة بين الجسد الباث والمتلقي المشارك في ملى فجوات النص لديمومة التواصل وإنتاج التأويل .

**تتناول هذه الورقة موضوع الشعرية في المسرح- جسد الممثل نصا من خلال المحاور الآتية:**

**الشعرية : دلالة المصطلح والمفهوم**
**الجسد : بلاغة النص المفتوح**
**الجسد : بؤرة التشفير ومركز الإرسال**
**قراءة الجسد في العرض المسرحي**

**الشعرية ودلالة المصطلح**

بالرغم من تداول مصطلح الشعرية في الأوساط النقدية ألان انه كمفهوم مازال يشوبه بعض الغموض والخلط مع مفاهيم أخرى فما زال الكثير يعتقدون أن الشعرية هي امتدادا للشعر أو اصطلاحا استحدث منه وليس له علاقة مع غيره من الأجناس الأدبية والفنية الأخرى.
ولكن من خلال الاستخدام والتوظيف تبين إن الشعرية قد امتد افقها بعيدا وشملت النصوص الشعرية والنثرية والحركية وكل ماله صلة بالإبداع فقد تطور استخدام المفهوم من مستويات اللغة المكتوبة إلى اللغات التعبيرية والموضوعات الذهنية ، وسنحاول من خلال بعض الآراء التي تناولت هذا المفهوم أن نستدل إلى جوهر ودلالة المصطلح وتوظيفاته في مجال بحثنا هذا
إن استخدام هذا المصطلح قديما ترجمه العرب إلى –بويطيقا- أو إلى –فن الشعر –وقد اعتبر عبد القادر الجرجاني إن اللغة المجازية هي نبض الشعرية وأصبحت الشعرية مع مرور الوقت فرعا من فروع علم الجمال الفلسفي لاسيما في ألمانيا مع بداية القرن الثامن عشر ، أما الاستخدامات الحديثة فقد تنوعت وتشعبت على مدار الساحة النقدية بمرادفات ومقابلات مختلفة تجاوزت مصطلح الشعرية منها على سبيل المثال الإنشائية ، الأدبية ، الشاعرية ، الجمالية وما إلى ذلك وهذا دليل على سعة الشعرية واتساع فضائها

يعرف –ياكوبسون- المفهوم وفقا للنصوص التي تعتمد الجانب اللغوي سبيلا للاتصال مع المتلقي فيقول إن الشعرية (( كل مايجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا )) (1)

في حين نجد إن تودروف يركز على البنى الداخلية للنصوص وكيفية انتظامها والتزامها بشروط الإبداع فيرى (( أن الشعرية لاتسعى إلى تسمية المعنى بل لمعرفة القوانين التي تنتظم ولادة كل عمل ))(2) ويوضح- جان كوهين- ذلك أيضا ويؤكد (( إن قانون اللغة العادية يعتمد على التجربة الخارجية في حين إن قانون اللغة الشعرية يعتمد على التجربة الباطنية ويختصر المتشابهات )) (3)

من خلال هذه الآراء وتعريفات أخرى غيرها نجد آن الشعرية مصطلحا يرتبط بجوهر النص و ما يتحقق فيه من تجاوزات للمألوف بما يجعله مؤكدا لوجوده وتحققه لدى المتلقي فالشعرية تجاوز استخدامها مستوى الأجناس الأدبية إلى ناحية النصوص التي تعتمد وسائل أخرى في التعبير والاتصال وتأتي حركة الجسد في مقدمة ذلك حيث يعتقد علماء النفس إن 60 بالمائة من حالات الاتصال البشري تنجز عبر الحركة وما تتضمنه من ألاف الإيماءات والإشارات والرموز والايحاءات واثبتوا إن الحركة أقوى تأثيرا من اللغة المنطوقة ومن هنا نستطيع أن نستدل إلى أهمية الجسد وكيفية استثماره في نقل الأفكار والمعاني وربط العلاقات مع الأخر واتخذ الفن المسرحي من بين عديد الفنون الجسد أداة للتعبير وتجسيد الرؤى وإنتاج الدلالات، وبما إن الوظيفة الشعرية يكون تركيزها على الرسالة ذاتها ، ففي المسرح تتحول من وسيلة اتصال إلى عرض مسرحي بكل نصوصه وشموليته وهنا تتجلى الشعرية من خلال بلوغ هذه النصوص مستوى المسرحة ، ولعل من أهم النصوص التي تقود عناصر العرض هو الممثل بكل ما يمتلكه من أدوات صوتية وروحية وحركية، ومازال تجارب المبدعين في هذا المجال متواصلة لاكتشاف المخزون من طاقات الجسد التي لم تكتشف بعد .

## الجسد وبلاغة النص المفتوح

إن الأداء المسرحي يتضمن شبكة متعددة العناصر التي تلتقي عند محور الممثل باعتباره مرتكز العرض وبؤرة المشهدية وبالتالي فهو حامل خطاب العرض ، بما يمتلكه من اسلوبية تتجلى عبر استخدام تقنيات الجسد وتوظيف الطاقة الكامنة فيه ضمن صيغ تعبيرية تختزن الرموز والدلالات، ويبلغ هذه الأداء مديات أوسع حينما ينحو باتجاه الشعرية ليعبر عن أدق التفاصيل بإشارات وتلميحات جسدية يمكنها أن تعوض عن اللغة المنطوقة إن لم تتفوق عليها ، ومن خلال المفهوم الحداثي للنص بوصفة لايتحدد بسلسلة الجمل والملفوظات بل انه وكما يقول ايفا نوف احد أعضاء جماعة موسكو الأدبية (( إن النص لايكون بالضرورة رسالة تبث باللغة الطبيعية ، لكن يجب أن تحمل معنى كاملا ، فقد تكون الرسالة رسما أو عملا فنيا آو مؤلفا موسيقيا آو بناية))(4)

أما فيليب سولير –فيرى (( إن كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدة ، فيكون في أن واحد، إعادة قراءة لها واحتذاء وتكثيفا ونقلا وتعمقا))(5) هذا التعريف ينسجم وما جاء به نقاد مابعد البنيوية الذين ركزوا في ذلك على مفهوم التناص.

ولكن جماعة القراءة والتلقي فأنهم يحيلون النص إلى القارئ كما يقول –ستانلي فيش- (( إن النص ليس شيئا آو موضوعا ولكنه تجربة أو عملية يخلقها القارئ))(6)

وفق هذه المفاهيم يمكننا أن نعتبر الجسد في المسرح نصا كونه يحمل وينقل رسائل متنوعة لاتقوم على اللغة المنطوقة بل يستثمر طاقة التعبير الحركي بشتى مستوياتها منتجا أنواعا من العلامات القابلة للقراءة وهو ما يقوم به المتلقي ليقوم بتحليلها وتأويلها وبذلك يتحقق جوهر النص.

لقد ارتبط التعبير بالإنسان منذ إدراكه كيف يتصل بالطبيعة والأخر لديمومة الحياة ، ومع استثمار وسائل الاتصال لأغراض غير نفعية ظهر التعبير الدرامي الذي يصفه –باتريس بافيس- في

قاموس المسرح (( ان التعبير الدرامي مثله كمثل كل تعبير فني وفقا للرؤية الكلاسيكية ، اظهرا لمعنى عميق او إبراز عناصر كانت خافية، وهذا المعنى يتضح على المسرح من خلال الأداء الحركي والجسماني للممثل بوصفه أهم عناصر الاتصال ))(7)

وخضع مفهوم التعبير الى تفسيرات متعددة بالنسبة للنص اللغوي فكيف الأمر حين يكون التعبير عبر لغة الجسد التي تسعى لتكوين دلالة موضوعية عبر مجموعة من التكوينات الحركية المتخيلة وهنا تكمن صعوبة التحليل والفهم والتأويل لنص الجسد

ومع تداول المفهوم الذي تناولته النظريات الفلسفية والعلمية كون التعبير دائما يقترن بالجسد الإنساني باعتباره الحل الأمثل للمشاكل الميتافيزيقية التي عرفها الانسان، وان تطور هذا المفهوم يعود إلى القرن السادس عشر بفضل نظريات سبينوزا وليبنتز وكليجز وانتشر استخدام المفهوم في أوربا مرتبطا بنظريات علم النفس العام والفينومينولوجيا الوجودية بعد هوسرل وانطولوجيا الجسد التي أنجزها ميرلوبونتي الذي يعد رائدا في دراسات الجسد فهو يرى في الجسد الأداة الرئيسة لفهم واكتشاف العالم

لقد عرفته هذه النظريات بوصفه احد عناصر الكشف عن أغوار الشخصية المراد تحليلها وكظاهرة عاطفية تؤدي إلى التعبير عن المشاعر والأحاسيس وكأحد وسائل الاتصال باعتباره ظاهرة ثقافية. وكما يقول الباحث والمفكر الياباني تاداشي سوزوكي (( إن المجتمع المثقف هو الذي تستخدم فيه القدرات التعبيرية والمدركة للجسد الإنساني إلى حدودها القصوى، لا من يزودنا بالوسائل الرئيسية لإقامة الصلات وتبادل الأفكار))(8)

إن الجسد –النص- في المسرح يتجلى عبر تعبيراته التي تقع في مستويين : المستوى الخارجي وهو كل فعل يرتبط بالجسد وحركته ضمن بنية فضاء العرض وما يحيط به أو يتواجد فيه من أشياء وكتل وشخصيات وفراغ وجمهور ومنه تنشأ حالة الاتصال والعلاقات المختلفة بين طرفي البث والاستقبال.

وهناك المستوى الداخلي الذي يركز على المتن التعبيري الذي

ينجم من خلال أسلوبية توظيف الطاقة المخزونة في جسد المثل وفقا للباعث الشعوري والانفعالي الذي يتحول إلى أفعال حركية في اتجاهات وزخم وسرعة ومسافات زمكانية يتحدد في ضوءها المستويين الدلالي والشعري في لغة الأداء.
إن جسد الممثل يظل قابلا للتكيف والخروج عن العادي والمألوف وبما يمكنه من إعادة بناء واقع بصري اعتمادا على مجموعة من المعطيات الفكرية والجمالية التي تشترك فيها نصوصا ساندة لأداء الممثل والتي تجعل طاقته التعبيرية أكثر حضورا وتكاملا ، إن نص الأداء يمثل النسق الأكبر لكل الأنساق الفرعية الكلامية والضوئية والصوتية ، من موسيقى ومؤثرات وما إلى ذلك وبهذا يكون جسد الممثل هو حامل العلامة الكبرى الدال ، آما المدلول فيكون في الموضوع الجمالي- الشعري الحاضر في الشعور الجماعي الخاص بالمتلقي الذي يتواصل مع قوة الإيهام المرجعي للعلامات المبثوثة من الجسد المتحول والمتشظي كونه نصا مفتوحا قابلا لقراءات متعددة

**الجسد مركز الجذب وبؤرة التشفير**

لقد ظل الجسد خطابا ملتبسا ومتلونا ومهددا ولكنه حاضرا وفاعلا ومؤثرا رغم كل ما أحاط به من حواجز وكبت ومحاولات تهميش وحجب لقدراته وحريته ، ولكن رغم كل ذلك مارس الجسد حراكا وتمردا في الحياة والثقافة كونه مكمن الخطورة وشرارة العواطف واتخذ تمرده سمات متعددة لاسيما بعد انعتاقه من طوق المقدس وان حضوره كان وما يزال استثنائيا في فضاء المسرح الذي ينحو لعوالم الخيال والافتراض مما وفر للجسد مكانا أمنا إلى حد ما لممارسة حضوره وإنشاء عوالمه واستبيان خطابه ،أن حضور الجسدي في نسق المسرحي كان مثار اهتمام المسرحيين على مر العصور كونه علامة ذات دلالة باتجاه سيميائي لها قابلية التحول والتوليد والمراوغة والانشطار وهي من ابرز مظاهر البنى المتحركة في العرض المسرحي وما يمنح الجسد قيمة التصدر

عندما يكتسب ذاتيته السيميائية ويوظف قدراته التعبيرية في تكوينات غير مألوفة وغرائبية تشحن البعد البصري قوة وتنوعا .

إن الجسد- النص- لايمكن أن يصبح بهذا المستوى مالم يخضع لسيطرة الممثل شعوريا وفسيولوجيا إذ إن الجسد في المسرح يتحرر من شروط الوظيفة الاستعمالية النفعية التي ترتبط بالواقع اليومي والعادي إلى المستوى الجمالي ، هنا يتوجب على الممثل أن يستغل طاقة الجسد في آلية حركية تستجيب لكل المواقف والأحاسيس التي يتطلبها الدور وهو يتجسد عبر سلسلة من التحولات بواسطة تموجات حركية ومنحنيات شعورية متلازمة لابد أن يتقن الممثل التحكم في توزيعها على مناطق الجسد المختلفة بحيث يصبح كل جزء منها يمثل أداة فاعلة في سيمفونية الأداء وكما يعبر عن ذلك المخرج الروسي- تايروف- الذي يشبه جسد الممثل بالآلة الموسيقية التي ينبغي أن يعزف عليها ويعبر من خلالها عن الدور الذي يقوم به ،
وليس هذا فحسب بل إن العديد مخرجي المسرح الحديث انصب تركيزهم على الجانب البصري في بنية العرض وكان جسد الممثل بالنسبة لهم المرأة التي تعكس رؤاهم وتخيلاتهم بل أصبح الممثل هو لسان حال فريق العرض وهو من ينوب عنهم حاملا أفكارهم ومحاولا التعبير عنها أمام جمهور يشاركه جدل الموقف و بناء الحدث وتطوراته في اتفاق ضمني بينهما، ووفق هذه الأهمية التي ينهض بها الممثل ركز البعض من المخرجين على إيجاد حلول تدريبية لرفع كفاءة الأداء والعمل على جعل طاقة الجسد ترتقي إلى مصاف التحولات والانفعالات التي تعتمل في أعماق الشخصيات ومن هنا انبرى هؤلاء المخرجين ليؤسسوا مختبراتهم في تدريب الممثل ولو تجاوزنا ما فعله المخرج الروسي الكبير ستانسلافسكي الذي أرسى القواعد الأساسية لعمل الممثل مع الدور ومع نفسه عبر نظريته التي تقوم على تمارين عملية ونظرية حول التقمص والإيمان بالدور واستخدام لو

السحرية في الانتقال من أجواء الواقع إلى عوالم الخيال المفترض مهدت لتجارب جديدة بغية إنقاذ الممثل من الوقوع في فخ التقولب والذوبان في أبعاد الشخصيات المرسومة سلفا وجاءت تجارب المنظر الألماني بريخت والروسي فيزفولد مايرهولد والفرنسي أنطوان ارتو والبولندي جيرزي غرتوفسكي والبريطاني بيتر بروك والايطالي يوجينو باربا وآخرين لا يتسع المجال لذكرهم جميعا هنا .تلتقي تجارب هؤلاء المبدعين في محاولة تحرير جسد الممثل مما لحق به من إضافات خارجية كبلته في دائرة ضيقة وحددت مستوى استثمار الطاقة الكامنة في الجسد ، إن معظم هؤلاء المخرجون كانت لديهم تأثيرات من المسرح الشرقي لاسيما –الهند ، الصين ، اليابان –والبعض منهم عايش تجارب الشرق ودرس أساطيرها وملاحمها ومسارحها كما هو الحال بالنسبة لمسرح النو والكابوكي والكاتاكالي واستلهموا منها الكثير في أساليبهم المسرحية وطرق توظيف جسد الممثل في الرقص والدراما و بناء عروضهم وتجاربهم

لقد كان الجسد وسيبقى الأداة الرئيسية في خلق التعبير وهو يتجاوز بحضوره كل النصوص الأخرى فهو العنصر الذي لا يمكن بدونه انجاز عرض مسرحي خلافا للعناصر الساندة التي يمكن الاستغناء عنها أحيانا آو استبدال مواقعها في تصدر المشهدية المسرحية ،

إن الأداء الذي ينجزه الممثل يقاوم أي تحديد آو نتائج مسبقة آو حلولا جاهزة فهو نص قائم بذاته كونه يتم في ألان وإلهنا وبوجود الأخر ، معتمدا عل توجيه الطاقة الحيوية الكامنة داخل الجسد ،حيث ينبغي من الممثل إن يتعلم كيف يجعل الجسد كله ينطق ويعبر حتى لوكان الممثل في حالة سكون فالصمت يكون أحيانا أكثر بلاغة من الكلام ، وهذا لايتحقق بسهولة لان إظهار القدرات التعبيرية للجسد ترتبط بالقدرة على التحكم بالذاكرة وقوة التركيز والاختزال والتكثيف والتي تعد صنو البلاغة والشعرية ، إن لغة الجسد تساهم في تشكيل صورا متعاقبة نتيجة سلسلة الأفعال

المنطقية أو المجتزأة والمتقطعة والتي تخضع لنسق أدائي يأخذ نموذجا تعاقبيا أفقيا ذو دلالة واضحة او ذات غموض مقصود وهو ما عرف بالانحرافات النصية او الانزياحات وبما يخلق فجوات النص القصدية أو العفوية التي تساهم في إثراء خيال المتلقي وإشراكه في إنتاج المعنى ، وإذا اعتبرنا الجسد نصا فأن هذا النص يشتمل على جوانب تعبيرية عديدة فقد تم تقسيم الجسد الى مناطق تشفير متعددة ولكنهم حددوا المناطق الرئيسية بمايلي:

منطقة الحوض وترتبط به الأطراف السفلى

منطقة البطن والمنطقة العليا وهي الصدر والقلب وهما مصدر والعاطفة

منطقة الرأس ومنها تتم السيطرة على القناع حيث يقسم الوجه الى منطقتين أيضا

منطقة نبيلة عليا وهي صامتة لاتتغير

منطقة الفم السفلى وفيها يتم التحكم بعضلات الوجه وإنتاج تعبيرات مختلفة

وقد أولى مدربو الحركة والمخرجون ومصمموا الرقص اهتماما كبيرا بالجوانب الفيزيولوجية التي تتعلق بالديناميكية العضلية والعضوية وبين الجوانب الروحية النفسية للممثل أو الراقص وذلك لتأهيل الجسد بكل أجزاءه لانجاز مختلف الحركات والسيطرة على الطاقة وفي مجال التمثيل وخصوصا في العروض التجريبية التي تعتمد الجانب البصري كما هو الحال في مسرح الصورة يقوم الممثل وفقا لمبدا الوظيفة الشعرية التي تركز على كل ماهو فني مسرحي وتجاوز الجانب التواصلي وهنا تكون الحركة وفق مبدأ الهدم والبناء ومن(( خلال تقويض حالة الترابط المنطقي بين الدال والمدلول وبين الرمز والشيء ، فالممثل هنا عبر تعبيرات الجسد يقوم بتحريف الأداء من مستواه

مستواه الاشاري –المرجعي - إلى مستواه الإيحائي))(9) إذ انه ينتج دوالا لاتدل على معان محددة أو أشياء مرجعية و نتيجة

انحرافها عن التعبير اليومي تحدث الانزياحات في الصورة الكلية مما تثير التساؤلات في ذهن المتلقي الذي يسعى هو الأخر لتكوين صورا ذهنية لما يستقبله ويراه كلما يزداد الانحراف كلما تحقق المزيد من التحدي والاستجابة لقوانين اللعب المسرحي

**قراءة الجسد الغروتسكي**

إن المسرح كخطاب شمولي وسيلته وغايته الإنسان ممثلا كان أم متلقيا وان تحقق هذا الخطاب لايتم دون وجود طرفي العملية التواصلية ،فالعرض المسرحي من الممكن أن يتخلى عن الكثير من عناصر ه باستثناء الجسد الذي تنتظم فيه عناصر ثابتة يتم توظيفها بحالات شتى وأفعال مختلفة ، ان الجسد انفتاح على الذات ومن خلالها على الحياة وهذا لايتحقق داخل منظومة الجسد فقط ولكن بين إرساليات الجسد وبين المتلقي باعتباره مشاركا وفاعلا في إنتاج المعنى.

إن خصوصية الاتصال في المسرح تقوم على اساس العلاقة بين عناصره أي النص المعروض والذي يتكون من مجموعة أنظمة علامية لفظية منها وغير لفظية وهي تؤلف شبكة من الوحدات السيميائية التي تنتمي إلى أنظمة مختلفة ومتداخلة ومركبة معا من ناحية والمتلقي من ناحية أخرى

إن النظام المسرحي هو شكل تعبيري واتصالي متغير سواء على مستوى الشكل أو المضمون لارتباطه بالظروف الاجتماعية والتغيرات التاريخية ويشكل الممثل والمتلقي ابرز عناصره وتفرده.

ولما كان الممثل ينوب عن جميع المرسلين الآخرين في العرض –المؤلف –المخرج –التقنيين –فأن ذواتهم تذوب في الممثل وبهذا تنتهي تداوليتهم لتبدأ تداولية بصرية من خلال نص الممثل ، وحين تتم عملية الاستقبال من النص إلى الممثل ومن المخرج إلى الممثل تتحول هذه الأنساق إلى علامات حسية وبصرية وهذا التحويل الذي يقوم به الممثل يؤثر على المسارات اللغوية ودلالاتها في العرض المسرحي (( إن عملية تحويل الإشارات اللفظية المسرحية المكتوبة والتي تمثل أفعالا إلى إشارات التمثيل التي تمثل الأجسام الفاعلة ستغير من معانيها بحكم المنجزات الخاصة بالممثل الذي يضع تعابير الوجه والإيماءات والحركات التي يفترض ان تمثل الشخوص الدرامية ))(10)

أن أوضاع جسد الممثل المشفرة تعمل بمثابة المنبه لحواس المتلقي وحالته النفسية وتثير لديه التطلع والتأمل لان الجسد لاينفصل عن الطبيعة والحياة ، وهذا يتحقق حين تستثمر حركة الممثل وفق علاقة تكاملية مع العناصر الأخرى والتي تساعده في إنتاج علامات مرجعية بين آليات البث والتلقي وبعكسه ينتج عن الحركة أوضاع عشوائية تؤدي إلى إنتاج دلالة غامضة لايمكن للمتلقي أن يفهمها ويصنفها في إطار دلالي وهذا التشويش وفوضى العلامات تشتت انتباه المتلقي وبالتالي تقطع صلته بالعرض.

ولكن هذا الأمر مختلف تماما مع استخدام تقنيات الجسد الغروتسكي الذي يحول المرئي من المستوى الإيهامي إلى المستوى التغريبي والبعيد عن سياق الحياة اليومية ، وبذلك يندرج ضمن كلية الخطاب المسرحي، الذي يجدد فاعلية اللعب الدرامي وكذلك التلقي باعتبار إن الممثل هنا يسعى إلى تقديم أشكال لاواقعية من خلال تجسيد بنية التضاد وعرض اللامألوف واللامنطقي عبرا لتشويه الجسدي وإثارة كل ماهو ساخر وعجائبي وهذا من شأنه أن يثير الاستغراب ويحفز ذاكرة

المتفرج ، إن توظيف الجسد الغروتسكي أضحى اليوم امرأ مألوفا في العروض المسرحية التجريبية التي تنحو بعيدا عما هو حسي وملموس تلك الأعمال التي تهدف إلى خلق المفارقات بين الدوال التي يجهد المتلقي في الوصول إليها وهو مايحقق لديه عنصر التغريب والانزياح وتجاوز نطاق المألوف في العروض الكلاسيكية.

وان التوظيف الغروتسكي للجسد لاينبغي إن يكون مقحما في بنية الأداء بل نابعا من منظومة العرض وأفكاره لان الممثل هنا يعتمد على نصوص أخرى مساندة تشكل بمجموعها المعنى المنتج بوساطة عمل الممثل الذي يستثمر طاقاته الشعورية والانفعالية والذهنية من خلال جسده إلى توحيد وتنظيم هذه النصوص بما فيها المتلقي الحاضر أنيا ضمن فضاء العرض لإقامة العلاقة المتبادلة بينهما.

وفي حال تلقي الجسد الغروتسكي فأن اللحظات الأولى ربما لاتخلق تكيفا مع الرسائل الواردة بوصفها رسائل تحمل بين طياتها الغموض والجنون والألغاز والو حشية والفزع والضحك وكل ماهو مرتبط بالنفس الإنسانية ولكنه يعرض بشكل غير طبيعي وغرائبي ولاتتحقق حالة الائتلاف معها بسهولة ، أي يكون موقف التلقي معقدا إلى حدا ما الأمر الذي يخلق نوعا من التعارض الثنائي بين المألوف / اللامألوف وان هذا التغاير من شأنه أن يعمل على تخييب أفق التلقي مما يدفع بالمتلقي إلى تثوير فعل التفكير والوعي فتخييب أفق التوقع يجعل المتفرج أكثر انشدادا وإثارة وبحثا للتواصل مع الحدث المسرحي.

إن أداء الجسد يطرح عديد التساؤلات التي تبلورت عبر تعددية النصوص المتفاعلة في منظومة العرض الذي يقوده الممثل منتجا

نصه من خلال التعبير الجسدي الذي تتخلله فجوات لابد أن يدركها المتلقي من خلال كفاءة القراءة ليتمكن من مليء تلك الفراغات وتحليل الشفرات بغية إكسابها المعنى وفقا لرؤيته ومرجعياته ، فقراءة تعبيرات الجسد تقع في مستوين ، المستوى الخارجي وهو كل مايتعلق بالجسد وحركته مع فضاء العرض ومحتوياته والمستوى الداخلي الذي يركز على المتن التعبيري ولغة الأداء والتي ينبغي أن ترتقي إلى مستوى الشعرية ، وهذه اللغة الشعرية المتأتية من تعبيرية الجسد لايمكن أن تتحقق مالم تكن مرتبطة بالمتلقي الذي عليه أن يشارك في التجسيد وتحقق الإنتاج الجمالي من خلال قدرته في معرفة أساليب التعبير ومدارسها وتطوراتها وامتلاك الكفاءة تعد من أهم شروط قراءة الجسد الغروتسكي الذي يتطلب قارئا قادرا على التأويل وإعادة إنتاج المعنى .

## خلاصة

يظل الجسد مركزا وينبوعا أساسيا للتعبير والتواصل في الحياة ، وتتعاظم أهميته في المسرح كون الجسد حاملا لخطاب العرض وخازن نصوصه المتعددة، وحين يستخدم الجسد في التعبير الغروتسكي تزداد إمكانياته التعبيرية كما ونوعا مما يسهم في في خلق حالات التوصيل والتحفيز والتأثير لدى المتفرج كون الجسد هنا يتجاوز الصيغ والأساليب التقليدية المألوفة وينجز أفعالا وحركات وأشكالا غرائبية وخيالية تنأى عن الحسي والملموس قصد تعميق المشهدية الشعرية

لكن هذا لايمكن أن يتحقق مالم يكن في الطرف المقابل متلقيا يتوفر على كفاءة وذو قدرات تحليلية في قراءة شفرات الجسد الغروتسكي ، هذا التحقق انتبه اليه المسرح الحديث وسعى إلى توظيف ذلك لشحن الفعل المسرحي والتواصلي بقدرات تعبيرية مضافة عبر أساليب ورؤى جديدة وهذا جاء في التجارب العبثية والسريالية وما ينتمي إلى مسرح الصورة، حيث يكون الاعتماد على جسد الممثل في بناء الخطاب البصري وفق أنساق إيقاعية وتعبيرية مختلفة من شأنها أن تنتج دلالات مجازية وحقيقية قابلة للقرأة والتأويل .

## **مصادر البحث**


**1- ياكابسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة ، محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال، الدر البيضاء ، المغرب ،ص19، سنة 1988**
**2- تودروف ، الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ،ص 23 ، سنة 1987**
**3- جان كوهين ، بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ،سلسلة المعرفة الأدبية، ص 202، سنة 1986**

**4- محمد عبد الله الغذامي ، الخطيئة والتفكير، جدة ، السعودية ، النادي الأدبي الثقافي ،ص8 ، سنة 1985**
**5- مارك انجينيو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ، ترجمة احمد المديني ، بغداد ، العراق، دار الشؤون الثقافية ،ق105، سنة 1987**
**6- محمد الهادي الطرابلسي ، بحوث في النص الأدبي ، طرابلس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، ص19 ، سنة 1988**
**7- اوجينوباربا، طاقة الممثل، ترجمة سهيرالجمل، أكاديمية الفنون ، وحدة الاصدرات ، القاهرة ، مصر،ص3، سنة 1986**
**8- تاداشي سوزوكي، الثقافة هي الجسد،ترجمة على كامل ، موقع الفوانيس المسرحية ، 24 أكتوبر ، سنة 2008**
**9- عواد علي ، شفرات الجسد، دار أزمنة ، عمان، الأردن ،ص 109، سنة 1996**
**10- ليشت فيشت، العرض المسرحي كمعنى للنص الدرامي ، مجلة الحياة المسرحية ، دمشق ، وزارة الثقافة ، العدد 40، ص،122، سنة 1994**

# العلوم النفسية والتربوية

**العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.**

# العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.

**الدكتور عمر الريماوي**

كلية العلوم التربوية- دائرة علم النفس
جامعة القدس- فلسطين

orimawi@arts.alquds.edu
rimawiomar@yahoo.com

العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.

الملخص
هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس، استخدم الباحث استبانه مكونة من (42) فقرة، وبلغ معدل ثباتها حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا (0.87)، أجريت الدراسة على عينة مكونة من (34) عضو هيئة تدريس من كلية الآداب، جامعة القدس.
أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائية لبعض متغيرات الدراسة (الخبرة، الجنس، الدرجة العلمية). إلا أنها كشفت عن وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى متغير (الصفة) حيث بلغت مستوى الدلالة (0.05).
الكلمات المفتاحية: عضو هيئة التدريس، التحصيل الدراسي.

Abstract
This study aimed at investigate the factors that lead to low academic achievement of students, from the standpoint of professors at the University of Jerusalem, the researcher used a questionnaire consisting of (42) paragraph, and the rate of persistence by equation consistency Cronbach alpha (0.87), study sample involved (34) faculty member from the Faculty of Arts, University of Jerusalem .
The results showed no significant differences for some study variables (experience, gender, degree). However, it revealed the existence of significant differences due variable (adjective), reaching significance level (0.05) .
Key words: faculty member, academic achievement

العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.

**مقدمة**

يعد موضوع التحصيل الدراسي من المواضيع الأساسية في التعليم الجامعي, لأنه مقياس لعملية التعليم لدى الطلبة، ومن القضايا التي شغل بها الباحثون هي معرفة العوامل المؤثرة في تحصيل الطلبة، وتحديدها، وتفسير التباين في هذا التحصيل. إن التعليم في مجتمعنا كما في مجتمعات أخرى مازال يشكل قيم المجتمع التقليدية الأبوية.

إن أي خلل في واقع التأهيل العلمي المطلوب للطلبة في الجامعة، سينعكس على مقدرة الطلبة على القيام بالمهام المطلوبة منهم. فالجامعة مؤسسة إنتاجية للقوى البشرية المدربة, تنتج الكفاءات والعقول المفكرة والقيادات التي تتحمل المسؤولية في المجتمع (أنيس، 1998) من هنا أصبح من المهم البحث في التعليم الجامعي من خلال العوامل المؤثرة في تدني التحصيل الدراسي للطلبة .

وكل ذلك يشير إلى أمر هام وهو أن وظيفة الجامعة بالنسبة للطلبة هي أكثر من مكان واسع يتلقون فيه العلم والمعرفة، وباختصار إنها مكان واسع

لعملية التفاعل الاجتماعي والثقافي، ومن هنا تأخذ العلاقة التربوية والتفاعل التربوي بين أعضاء الجامعة من مدرسين وطلاب أهميه بالغة الخصوصية.

وإذا كان الطلبة يلقون اللوم على مدرسيهم في كثير من الجوانب التي تتعلق بحياتهم الجامعية، فإن المدرسين بدورهم يذهبون إلى وصف أجيال الطلبة بالقصور والدونية والسلبية، وذلك بالطبع مرهون بطبيعة الرؤية التي ينظرون من خلالها إلى وظيفة الجامعة ودور الأستاذ وكل ذلك من شأنه أن يجعل طبيعة العلاقة بين المدرس والطالب مسألة تتصف بالصعوبة والتعقيد، وطفة (1993). وقد بين أبو حطب (1980) في دراسته انه حين يتوحد (يتقمص) التلميذ مع معلمه على درجة عالية من الدفء فان التلميذ يكون أكثر استعداداً لتمثل قيمه، كما يصبح أكثر واقعية للتعلم، وبالتالي الحصول على مستوى أعلى من التحصيل الأكاديمي. والمعلم هو القدوة التي يقتدي بها الطالب، فإذا أحب الطالب معلمه ووجد فيه الموجه والمرشد، والأخ والأب، كان تقبله أكثر للدراسة، والعكس من ذلك يسبب تدني تحصيله.

الدراسات السابقة

الترتير (2003) هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب التأخر الدراسي وأكثرها شيوعا لدى طلبة المرحلة الأساسية الدنيا (1-4) في محافظات شمال الضفة الغربية، من وجهة نظر المعلمين. أجريت الدراسة على عينة قوامها (617) معلما ومعلمة، منهم (286) معلما و (331) معلمة.

وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الصف الدراسي. بينما كشفت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي (دبلوم ، بكالوريوس) لصالح البكالوريوس. كما كشفت عن وجود فروق دالة إحصائياً لمتغير الخبرة بين من تراوحت خدمتهم اقل من خمس سنوات ومن 5-10 سنوات، وصالح اقل من خمس سنوات.

أل ناجي (2002) دراسة استكشافية لبعض العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي لطلاب الجامعة، أسفرت النتائج باستخدام بعض الأساليب الإحصائية المناسبة عن وجود اختلاف في الخصائص الواجب توافرها في الأستاذ الجامعي، والمنهج الدراسي من وجهة نظر كل من أعضاء هيئة التدريس والطلاب لرفع مستوى التحصيل الدراسي للطالب الجامعي.

دراسة أجراها الخصاونة ( 1998) هدفت للتعرف إلى مشاكل الاتصال بين طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة، وتكونت عينة الدراسة من (112) طالبا وطالبة. وأشارت نتائج

الدراسة إلى عدم وجود فروق في درجة إحساس الطلبة بهذه المشاكل تعزى إلى كل من متغير الجنس، والكلية.

أجرى شلبي (1996) دراسة في جامعة بير زيت حول العوامل المؤثرة في التحصيل الأكاديمي للطالب في الجامعات الفلسطينية. أظهر بان هناك مجموعة من المتغيرات المستقلة ترتبط خطيا بالمعدل التراكمي للطالب وتؤثر فيه بشكل دال إحصائياً على مستوى 0،05 وتختلف هذه المتغيرات باختلاف الكليات، وكان أهم هذه المتغيرات هو متوسط معدل علامات الطالب المدرسية في السنوات الثلاثة الأخيرة.
دراسة كاسبا وتانيس (Kaspa, Tanis 1995) دراسة عن تقرير المعلمين للكفاءة الاجتماعية، والتوافق المدرسي لدى الأطفال المتأخرين دراسيا في المدارس الابتدائية، وتألفت عينة الدراسة من (63) معلما وطالبا، منهم (33) معلما، (30) طالبا، وأكدت الدراسة أن مشكلات التأخر الدراسي لدى الأطفال ترتبط بعدم القدرة على التوافق وانخفاض المهارات الاجتماعية مقارنة بنظرائهم ذوي لتحصيل الدراسي العادي.
الزوي (1992) هدفت الدراسة إلى التعرف على العوامل المؤدية للتأخر الدراسي لدى مرحلة التعليم الأساسي، وتألفت عينة الدراسة من (535) معلما ومعلمة وولي أمر، منهم (430) معلما ومعلمة، و (105) ولي أمر. وبينت الدراسة أن أكثر العوامل المؤدية للتأخر الدراسة هي: عدم متابعة الأسرة لتحصيل واجبات أبنائها، نقص المعلمين المؤهلين، ازدحام الصفوف، والترفع الآلي، وقلة استخدام الوسائل التعليمية، وعدم مراعاة الفروق الفردية، وكثرة تنقلات المعلمين أثناء العام الدراسي، وقلة الدورات للمعلمين، وكراهية التلميذ للجو المدرسي.

تشير نتائج دراسة وطفة (1993) إلى انخفاض مستوى التفاعل التربوي في جامعة دمشق الى وجود تباينات دالة إحصائيا بين الجنسين ووفقاً لمتغير الاختصاص الجامعة. كما بينت الدراسة وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى التفاعل التربوي بين جامعة دمشق وجامعة الكويت فيما يتعلق ببعض المؤشرات التابعة المعتمدة، و إلى وجود تباين خاص بتسلسل أهمية المؤشرات المدروسة بين الجامعتين.
تؤكد دراسة كل من مارش وشابيرو ( Marsh، 1984؛ Shapiro، 1990) وجود درجة عالية من المصداقية لتقويم الطالب الجامعي لأستاذه ولا يوجد إلا مقدار ضئيل نسبيا من التدخل الذاتي.

تناولت دراسات عديدة العلاقة التي يتوقعها الطالب مع تقويمه لتدريس مدرسه, ومنها دراسة هوارد وماكسويل ( Howard and Maxwell 1984,) وضعت عدة تفسيرات لهذه العلاقة. منها تساهل المدرس في تقدير العلامة المستحقة, كأن يعطي المدرس الطلبة علامات أكثر مما يستحقون ليكون تقويمهم له أكثر من الواقع . والتفسير الآخر يستند إلى أن الطالب الذي يتعلم أكثر من مادة يحصل على علامات أعلى وبالتالي يقيم تدريس مدرسه بشكل أفضل.

مشكلة الدراسة:

إن مشكلة تدني التحصيل الدراسي مشكلة عامة وتراكمية يعاني منها معظم الطلبة من هنا جاء اهتمامي بهذا الموضوع انطلاقا من خبرتي كأستاذ جامعي. إذ التحصيل الدراسي مرتبط بعدة عوامل ترتكز على المعلم والمادة الدراسية, وطريقة التدريس . ويتضح أن التحصيل الدراسي ظاهرة معقدة تؤثر فيها مجموعة مختلفة من العوامل الوراثية والبيئية . وفي هذا البحث سوف أركز على العوامل المتعلقة بالبيئة الدراسية في الجامعة من خلال التعرف إلى وجهات نظر أعضاء هيئة التدريس حول الخصائص الايجابية والسلبية لهذه العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي .

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى التعرف على العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس تبعا لمتغيرات الدراسة ( الخبرة، الصفة، الجنس، الدرجة العلمية ، السنة الدراسية).

فرضيات الدراسة :

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$ ) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى أساتذة الجامعة.

2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر الأساتذة تعزى إلى متغيرات الدراسة (الخبرة، الصفة، الجنس، الدرجة العلمية).

أهمية الدراسة:

لقد شهد التعليم الجامعي في السنوات الأخيرة سواء أكان ذلك في أهدافه أم في محتواه وتقنياته, تقدما ملحوظا فأصبحت قضية تطوير التعليم الجامعي

وحسن استثماره وتحسين مستواه ورفع كفاية مخرجاته من القضايا الرئيسية المثارة في وقتنا الحاضر .

وهنا تكمن أهمية البحث الراهن في محاولة دراسة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة في الجامعة. لذا تعد أهمية البحث كبيرة سواء أكانت من الناحية الأكاديمية أم من الناحية التطبيقية. فمن الناحية الأكاديمية يلاحظ من يراجع الأدب التربوي ان هناك نقصاً في البحوث والدراسات في مجال العوامل المرتبطة بالتحصيل الدراسي الجامعي. وعليه سوف يساهم موضوع البحث الراهن, بالكشف عن أهم الخصائص التي يجب أن تتوافر في كل من الهيئة التدريسية, والمناهج الدراسية والطالب نفسه لرفع تحصيل الطالب الدراسي. أما الأهمية التطبيقية فتتلخص في الاستفادة من نتائج البحث في معرفة أهم العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس, ومن ثم العمل على إيجاد الحلول المناسبة لرفع التحصيل الدراسي للطلبة.

حدود الدراسة:

تحددت هذه الدراسة بالحدود الآتية:

البشرية: أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب.

المكانية: جامعة القدس- ابو ديس.

الزمني: الفصل الاول2009/ 2010.

تعريف المصطلحات:

عضو هيئة التدريس: المدرس المتفرغ وغير متفرغ للتدريس والبحث، الناطق باللغة العربية (وذلك لان أداة الدراسة باللغة العربية ) ومن حملة شهادة الماجستير أو الدكتوراه ( العباسي، 2004).

التحصيل الدراسي :(Academic Achievement) يوجد تعريفات عديدة، منها تعريف تشابلن (Chaplin,1979 ). بأنه مستوى من الانجاز أو الكفاءة أو الأداء في العمل المدرسي أو الجامعي يجري تقديره بواسطة المدرسين أو عن طريق استخدام الاختبارات المختلفة المخصصة لذلك.

وعرفه معجم وبستر(Webster,1979) بأنه أداء الطالب لعمل ما أو مهمة معينة من الناحية الكمية والكيفية للتحصيل.

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة: لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف خصائص الظاهرة، وجمع معلومات عنها وتحليلها، فقد تم استخدام هذا المنهج في صورته لأنه يلاءم

طبيعة وأهداف الدراسة معتمداً على أسلوب الدراسة الميدانية في جمع المعلومات، ليفي بأغراضها ويحقق أهدافها واختبار صحة فرضياتها وتفسير نتائجها.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من جميع اعضاء الهيئة التدريسية، كلية الآداب، جامعة القدس للفصل الأول 2010/2009 والبالغ عددهم (127) عضو هيئة تدريس، وذلك استنادا إلى إحصائيات دائرة شؤون الموظفين في الجامعة.

عينة الدراسة: اختيرت عينة طبقية عشوائية، من مجتمع الدراسة، عدد أفرادها (127 ) عضو هيئة تدريس ، وتعادل ما نسبته (27 %) من مجتمع الدراسة والجدول رقم ( 1 ) يبين خصائص عينة الدراسة وفق لمتغيراتها.

جدول رقم (1)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المتغيرات

| المتغير | المتغير | العدد |
|---|---|---|
| الخبرة | 1-2 سنة | 8 |
| | 2-4 سنة | 14 |
| | 4 فما فوق | 12 |
| الصفة | متفرغ | 26 |
| | غير متفرغ | 8 |
| الجنس | ذكر | 28 |
| | أنثى | 6 |
| الدرجة العلمية | أستاذ مشارك | 8 |
| | أستاذ مساعد | 22 |
| | محاضر | 4 |

أداة الدراسة:

قام الباحث بتصميم الاستبانة بصورتها الأولية، ومن ثم تم التحقق من صدق أداة الدراسة بعرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة، والذين ابدوا بعض الملاحظات حولها، وعليها تم إخراج الاستبانة بشكلها الحالي بصورتها النهائية.

صدق اداة الدراسة وثباتها:

وللتحقق من ثبات الاستبانة قام الباحث بحساب الدرجة الكلية لمعامل الثبات، لمقياس الدراسة حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا، وكانت الدرجة الكلية للأساتذة (0.87) وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يفي بأغراض الدراسة.

أدوات جمع البيانات:

بعد التأكد من صدق وثبات أداة الدراسة، وتحديد عينة الدراسة، قام الباحث بتطبيق الأداة على أفراد عينة الدراسة، وبعد أن اكتملت عملية تجميع الاستبيانات من أفراد العينة بعد إجابتهم عليها بطريقة صحيحة، تبين للباحث أن عدد الاستبيانات المستردة الصالحة والتي خضعت للتحليل الإحصائي: (34) استبانة. حيث تم استبعاد استبيانات لعدم استيفائها المعلومات.

وحتى يتم حساب متوسطات استجابة أفراد عينة الدراسة تم اعتماد الدرجات التالية:

جدول رقم (2)

| الدرجة | مدى متوسطها الحسابي |
|---|---|
| منخفضة | 2.49 فأقل |
| متوسطة | 3.49-2.5 |
| عالية | 3.5 فأعلى |

المعالجة الإحصائية

بعد جمع الاستبيانات والتأكد من صلاحيتها للتحليل تم ترميزها (إعطائها أرقاما معينة)، وذلك تمهيدا لإدخال بياناتها إلى جهاز الحاسوب الآلي لإجراء المعالجات الإحصائية المناسبة، وتحليل البيانات وفقا لأسئلة الدراسة وبيانات الدراسة، تمت المعالجة الإحصائية للبيانات باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبانة، واختبار (ت) (t-test)، واختبار التباين الأحادي (One Way ANOVA) ومعادلة الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha)، وذلك باستخدام الرزم الإحصائية (Statistical Package For Social Sciences) (SPSS).

عرض ومناقشة النتائج

أولا: النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

تنص هذه الفرضية على انه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى أساتذة الجامعة".

من اجل فحص دلالة الفروق في عوامل التي تؤدي الى تدني التحصيل، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أداة درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر الأساتذة. وتبين أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (2.91) وانحراف معياري (0.38) وهذا يدل على أن درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة جاء بدرجة متوسطة.

حيث حصلت الفقرة " عدم انتباه الطالب وإهماله لمتابعة شرح الأستاذ " على أعلى متوسط حسابي حيث بلغ (4.35).

في حين كانت أقل فقرة " الخلافات بين كل من الطالب والأستاذ " وفقرة " مدة الامتحان غير كافية" بمتوسط حسابي (2.05).

ثانيا: النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

تنص هذه الفرضية على انه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر الأساتذة تعزى إلى متغيرات الدراسة (الخبرة، الصفة، الجنس، الدرجة العلمية).

1- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الخبرة: من اجل فحص دلالة الفروق لمتغير الخبرة، تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة. ونتائج الجدول رقم (3)

جدول رقم (3)

نتائج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الخبرة

| الخبرة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| 1-2 سنة | 8 | 2.80 | 0.49 |
| 2-4 سنة | 14 | 3.02 | 0.39 |
| 4 فما فوق | 12 | 2.85 | 0.27 |

يلاحظ من الجدول رقم (3) عدم وجود فروق ظاهره في متوسطات وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي

للطلبة تعزى إلى متغير الخبرة، ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (4).

جدول (4)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الخبرة

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة "ف" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 0.32 | 2 | 0.161 | 1.101 | 0.34 |
| داخل المجموعات | 4.52 | 31 | 0.146 | | |
| المجموع | 4.84 | 33 | | | |

يلاحظ أن قيمة "ف " للدرجة الكلية (1.101) ومستوى الدلالة (0.34) وهي أكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الخبرة.

وتعارضت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة الترتير (2003) والتي كشفت عن وجود فروق دالة إحصائياً لمتغير الخبرة بين من تراوحت خدمتهم اقل من خمس سنوات ومن 5-10 سنوات، وصالح اقل من خمس سنوات.

2- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الصفة:

قام الباحث بفحص دلالة الفروق لمتغير الصفة بإيجاد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واستخدام اختبار (t)، لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات، الجدول رقم (5) بين نتائج هذا التحليل.

جدول رقم (5)

نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق لاستجابة أفراد العينة لدراسة لمتغير الصفة.

| الصفة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة"t" | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| متفرغ | 26 | 2.98 | 0.357 | 2.018 | 0.05 |
| غير متفرغ | 8 | 2.68 | 0.39 | | |

من خلال البيانات الجدول رقم (5) تشير إلى وجود فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الصفة، حيث بلغت مستوى الدلالة (0.05) .

يعزو الباحث وجود هذه الفروق في وجهات نظر الأساتذة لمتغير الصفة في التعامل مع الطلبة إلى العلاقة مع أدارة الجامعة. من حيث كونه مثبتاً وظيفياً أم غير مثبت، فالمثبت يشعر بالمسؤولية أكثر من غير المثبت.

3- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الجنس: لفحص النتائج المتعلقة بمتغير الجنس تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لاستجابات افراد العينة من الذكور والاناث، وكذلك تم استخدام اختبار (t) للعينات المستقلة لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات، الجدول رقم (6) يوضح هذه النتائج.

الجدول رقم (6)

نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الجنس.

| الجنس | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة"t" | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| ذكر | 28 | 2.91 | 0.37 | 0.086 | 0.93 |
| أنثى | 6 | 2.90 | 0.47 | | |

بالنظر إلى البيانات الواردة في الجدول رقم (6) نلاحظ عدم وجود فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الجنس، حيث بلغت مستوى الدلالة (0.93) وهي أكبر من ($\alpha \leq 0.05$).

اتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة الخصاونة (1998) ولتي هدفت للتعرف إلى مشاكل الاتصال بين طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك والتي أشارت إلى عدم وجود فروق دالة تعزى للجنس.

1- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الدرجة العلمية:

تم فحص المتغير المتعلق بالدرجة العلمية من خلال إيجاد المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياري، الجدول رقم (7) بين هذا التحليل.

جدول (7)

نتائج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الدرجة العلمية

| الدرجة العلمية | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| أستاذ مشارك | 8 | 3.12 | 0.33 |
| أستاذ مساعد | 22 | 2.81 | 0.40 |
| محاضر | 4 | 3.02 | 0.13 |

يلاحظ من الجدول رقم (7) عدم وجود فروق ظاهره في متوسطات وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الدرجة العلمية، ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (8).

جدول (8)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الدرجة العلمية

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة "ف" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 0.61 | 2 | 0.30 | 2.25 | 0.12 |
| داخل المجموعات | 4.23 | 31 | 0.13 | | |
| المجموع | 4.84 | 33 | | | |

يلاحظ أن قيمة ف للدرجة الكلية (2.25) ومستوى الدلالة (0.12) وهي أكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الدرجة العلمية.

وتشير نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائية وبهذا لم تتفق مع دراسة الترتير (2003) والتي هدفت إلى التعرف على أسباب التأخر الدراسي وأكثرها شيوعا لدى طلبة المرحلة الأساسية الدنيا (1-4) في محافظات شمال الضفة الغربية، من وجهة نظر المعلمين. والتي بينت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي (دبلوم ، بكالوريوس) لصالح البكالوريوس.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الباحث يوصي بما يأتي:

1- وضع برنامج إرشادي يهدف إلى رفع مستوى التحصيل الدراسي.
2- العمل على إيجاد علاقة ودية وثيقة متبادلة بين الطلاب وأساتذتهم.
3- العمل على عدم تراكم المادة الدراسية إلى نهاية الفصل الدراسي، وإعطاء مدة كافية للامتحانات.
4- إجراء دراسة مماثلة لتشخيص أسباب الرسوب من وجهة نظر الآباء والأمهات .

5- إجراء دراسة أفضل الوسائل والخطط العلاجية للحد من أسباب تدني التحصيل الدراسي.

## المراجع :


**ال ناجي، محمد عبد الله (2002). دراسة استكشافية لبعض العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي لطلاب الجامعة. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، جامعة دمشق: المجلد الأول، العدد الأول.**

**أبو حطب، صادق (1980). علم النفس التربوي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية.**

**أنيس، إسماعيل كنجو (1998). تحسين مردود التعليم من اين نبدأ. ندوة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية رؤى مستقبلية, الرياض: 22-25 فبراير.**

**الترتير، إبراهيم عبد الحميد (2003). أسباب التأخر الدراسي لدى طلبة الصفوف الأساسية الدنيا في محافظات شمال الضفة الغربية، من وجهة نظر المعلمين. رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.**

**الخصاونة، باتريشا قاسم (1998). مشاكل الاتصال بين طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة. رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن: جامعة اليرموك.**

**الزوي، عبد القادر خليفة (1992). التأخر الدراسي لتلاميذ الشق الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وحدة البحوث والدراسات، بنغازي: المعهد العالي للخدمات الاجتماعية.**

**شلبي، فاهوم (1996). العوامل المؤثرة في التحصيل الاكاديمي للطلبة في الجامعات الفلسطينية. عمان: مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد الحادي والثلاثون.**

**العباسي، عمر (2004). واقع نظام التعليم في جامعة القدس المفتوحة في ضوء معايير ادارة الجودة الشاملة من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس والطلبة. رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين: جامعة القدس.**

**وطفة، علي (1993). التفاعل التربوي بين الطلاب واعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة موازنة بين اراء طلاب جامعتي الكويت ودمشق. عمان: مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد الثامن والعشرون.**

**Chaplin,J.P.( 1979). Dictionary of psychology. New York: Dell Co., 8th ed.**

**Howard, G. S. and Maxwell S. E. (1982). Do Grades Contaminate student Evaluations of Instruction .Research in Higher Education,16**

**Kaspa, T. Tanis, B. (1995). Teachers rating of the social competence and school adjustment of students with elementary and junior high school, Journal of Learning Disabilities. Vol. 28, No. (1), 121-137.**

**Marsh H. (1991). Multidimensional Student Evaluations of Teaching Effectiveness, A Test of Alternative Higher-Order Structures, Journal of Educational Psychology,83:2.**

**Shapiro, E. G. (1990).Effect Of Instructor And Class Characteristics on Students Class Evaluation. Research in Higher Education, v. 31, n.2,p135-148.**

**Webster, S.(1979).International Dictionary of English language. Chicago: W.B.Co.**

# العلوم السياسية

## Changing face in Iraq: lessons and limitations
## Identities and cultural diversity

**I....... Relations Conference Series**
**Theme for year 2010:**
**"INDIAN and the PERSIAN Gulf: Security Perspectives"**

**Changing face in Iraq: lessons and limitations**
**Identities and cultural diversity**

- **An Intellectual, Academic Researcher, Legal Consultant and Author of over 50 books within International Law, Constitution Law Politics, Ideological conflict, Islam, culture, literature, Human Rights and Civil Society. Has over than 50 books : The Iraqi- Iranian conflict under the light of International Law, 1981. The ideological struggle in the International Relations,1985. America and the Islam , 1987.The New issues in the Arab-Israeli conflict, 1987. Islam and International Terrorism, 2002. The Tolerance in the Arab- Islamic Though, 2005. Storm on "The Land of the Sun", 1994.Panorama of the Gulf War. 1994. Smashing of mirror , Marxisist and Difference,2009. Saad Saleh: light and shadow –2009, Identities Controversy in Iraq, 2009. Indictment ,2010.**

**First: National identity and referential authority of the state**

On the 31 of the past August (2010) USA forces began to withdraw from Iraq as a first step under the US-Iraq agreement signed between the former US President George w. Bush and Iraqi Prime Minister Nuri al-Maliki.

Practical withdrawing included approximately 91000 US troops, where dozens of military bases have been dismantled, with five military bases and some 50,000 us, will be limited to train Iraqi forces, especially since their sites will be outside the cities and communities and participate in military missions only when needed and necessary, The U.S. President Barack Obama announced that battle gear for U.S. troops in Iraq is over. Thus be around seven and a half years have elapsed since the occupation of Iraq on 9 April 2003.

The war for which the result was a fait accompli did not last for more than three weeks, beginning with the American bombardment on the morning of 20 March 2003 and concluding with the fall of Baghdad. Not only did it target a tyrannical regime that had ruled Iraq for 35 years, Washington persistently sought the destruction of the entire Iraqi state by dismantling its military and security institutions after inflicting heavy damage to their infrastructures, viable facilities and economic establishments, in addition to it acts of rampant sabotage that larceny that swept the country. < /FONT>

The decision to disband the Iraqi armed forces as promulgated by US Administrator L. Paul Bremer- who succeeded Gen. Jay Garner- synchronized the law of the Ba'athi faction (The former ruler faction) which created a backlash, the impact of which still lingers in the political process once preconceived to serve as a prototype for the

US Government to market its own political project worldwide.

After the invasion, and in the absence of the state and order, Iraqis were forced to return to traditional authorities, if they even existed, which cannot serve as an alternative for the state that encompasses historic accumulation. Such authorities were various including religious, denominational, tribal, provincial, political and familial in orientation. The situation was terribly chaotic and reflected a bitter reality as some sectarian and ethnic powers established their own places in the 'new composition' and
would never step aside from these acquired privileges once they were won; on the other hand, some of those who participated in the quota system and the sectarian- and ethnic division started to feel that it was pointless. As such, a nebulous image of the new Iraq began to emerge, whereas the former image has already faded. After all, the state remained the unifying element that links all its components, structures and bureaucracies.

Throughout the last seven years and half, Iraq has passed through four phases. The first one witnessed a direct American administration represented by the military governor Jay Garner and lasting for several weeks (from 9 April until Paul Bremer's taking over the reins of power in 13 May 2003); this phase was characterized by chaos, absence of order and organized vandalism. Phase two was characterized by an American rule with pro forma participation by some Iraqi forces. This phase which had lasted for one year defined the stereotypical image of Iraq as had already been preconceived by Western- and American strategic and political circles two decades previous. The third phase was an American-International one in aspect, especially upon the issue of Resolution 1546

on 8 June 2004 by the Security Council and the formation of the interim government; whereas in the fourth phase, elections were held and a permanent constitution was drafted. These continuous phase, culminating in a new election in 7 March 2010, under intense competition between the number of electoral lists,no one could landslide victory, making State in floating situation, especially after failing to form Government and denominate an accepted Prime Minister, despite over eight months.

To understand 'the new Iraq', we have to focus on this phase with all its details and secrets given that what has been declared was, basically, the cornerstone of the American strategy which followed the theory of 'creative chaos' and which was implemented in the case of Iraq: dismembering the state and its institutions and rebuilding it by means of an American conception and which create large cracks in national unity with rising subsidiary identities to prohibitive community identity based on the idea of citizenship transient communities and ethnic groups, religions, languages, strains, which led to a real setback not only on an Iraqi level, but also on the American one, as it has stained the reputation of the United States and caused tremendous financial and human losses that accelerated- in turn- the occurrence of the financial crisis in the United States and throughout the world, and which raised issues such as mortgage, bankruptcy of banks and monetary institutions and witnessed the dissolution of major insurance companies.

In the second phase, Iraq was ruled by a ‘reputable’ civil governor-- as his fellow politicians would like to call him, namely Paul Bremer. He was the sole giver of orders including for members of the Governing Council which was instated by him as well. This period was rife with

administrative and financial corruption and was characterized by subjugation of the Iraqi powers which dealt with the occupier. It was often said that the first and second interim governments were merely 'non-governing governments'. Simultaneously, security conditions deteriorated, violence and organized crime surged, and resistance attacks increased, and uncontrollable violence.

It was Bremer- who came to set the foundations of "new Iraq" as President Bush - who promised that democracy would reign and freedom would become the rule- consolidated sectarian violence and ethnic tensions through the composition of the Governing Council, designating alien formulas for the various factions and which proved to have dire consequences as it awakened both old and new conflicts pertaining to political sectarianism.

**Second: Identity and political sectarianism**

Fueled by British occupation, contemporary political sectarianism began to take shape, and since the foundation of the modern Iraqi state in 1921, successive regimes occasionally endeavored to exploit such a trend in order to extend their influence and hegemony, mainly through nationality laws. These included in particular Law 42 of the year 1924 which had been promulgated even before the adoption of the first Iraqi Constitution (constituting basic law) in 1925 and Law 43 in 1963 as well as the ensuing discriminatory laws issued by the Iraqi Revolutionary Command Council in the period from 1968 to 2003, which resulted in the deportation of nearly half a million Iraqis and which transpired, remarkably, during the Iran-Iraq War and its aftermath (in accordance with reso lution 666 issued 7 May 1980)[4]. However, this political sectarianism would be transformed upon the invasion of Iraq in 2003 into an even graver form- or

perhaps at least a darker side of it, namely that of societal sub-sectarianism.
In either of the cases, and for both sides, after witnessing all this strife and these purges, sectarian- and ethnic violence became the most prominent feature which would define the polity known as the Iraqi State during the post-invasion period.
Sectarian (Shiite-Sunni) entrenchment has dominated the scene, noticeably after the bombing of the shrines of Imams Hassan Al Askari and Ali al-Hadi in Samarra on February 22, 2006. The Arab-Turkmen-Kurdish dispute with regard to Kirkuk has escalated, aggravated even more by Arab-Kurdish tensions concerning federal borders; and moreover, Christian Chaldean-Assyrian alignment as well as that of other religious and ethnic sects has become firmly consolidated. With such givens, we may borrow the late prominent Iraqi sociologist Ali Alwardi's epithet "sectarians without religion" to label those girded in the armor of sectarianism and sub-sectarianism; in fact, this expression is still applicable and is rath er the most precise description for such individuals in present times, as the devout Muslim is incapable of being sectarian as Islam rejects sectarianism. As for coexistence between sects, rather than being taken in a context of entrenchment and feuds, it should be considered a model paradigm for pluralism and diversity.
The second phase of the American rule sought to present Iraq in accordance with the American portrayal which has been circulated by tens of studies, research papers and articles in academic-, political- and strategic research centers; this image has reduced Iraq into sects and ethnicities, particularly during the last two decades, or even more than that, during the Iran-Iraq War which has been often either 'Islamiczed' through its consideration as

an Islamic-Islamic conflict, or even sectarianzed by considering it a Sunni- Shiite conflict, while still others have viewed it as an Arab-Persian conflict. In any case, it was a futile war far removed from all such characterizations; in fact, it was merely a venture in which each side sought to exterminate the other. < /o:p>

**Third: Identity and Iraq's 'new' form**

After the war waged against Iraq by Coalition Forces on 17 January 1991, which resulted in the ultimate defeat and withdrawal of Iraqi forces from Kuwait and forced Iraq- in the process- to capitulate to unjust resolutions, especially Resolution 687 issued by the UN Security Council on 3 April 1991, about 60 resolutions were issued in total. All imposed a strict embargo on the country for 13 years, during which time Iraq was portrayed as being nothing more than a collection of sects and ethnicities or minorities without any prevailing component that might define the Iraqi nationality. In this manner, the Iraqi nationality was approached as a deconstructive and fractionated prospect and was reduced into minor ethnic and sectarian sub-identities; it was never taken in i ts collective form within a unified state characterized by religious-, cultural- and ethnic diversity and comprised of sub-identities that inhere within the context of a larger one.

The talk about a "safe haven" mostly denoted the question of Kurds (latitude 36), and then there had been debate concerning protecting the - Shiite in the south through a 'no fly zone' (latitude 32). As for the Sunni population, they were often accused of collusion with the previous regime with all its drawbacks.

The fragmented image drawn for Iraq does not include Kurds, - Shiite and Sunnis only. In fact, other components were tackled such as Turkmens and Assyrians-Chaldeans,

as well as adherents of minor religions such as Mandaeans and Yezidis, but none of this was for the sake of rights of citizenship or equality, only to widen the divide between them.

If this mosaic structure of Iraq had always been a source of strength throughout ancient and contemporary Iraq's history, then addressing society's rights is an essential condition which cannot be overlooked with regard to norms of human rights. The 'Western' prejudicial image clearly harbors intent, taking advantage of voracious appetite for privileges and collecting as much 'booty' as one can, even if these come via the aid of the occupier and at the expense of the collective identity.

**Fourth: How to divide Iraq?**

Ethnically speaking, we can say that Iraq is composed mainly of Arabs who constitute the majority at 80% of the population which establishes Iraq's historic and contemporary identity in addition to Kurds, an ethnicity whose rights were partly recognized by Iraqi Constitutions since 1958 for being "partners in the national state of Iraq" (the 1958 Constitution) and for the fact that Iraq is comprised of two principal Ethnicities, Arabs and Kurds (the 1970 Constitution). Currently, Kurds are demanding more guarantees in accordance with the formula of federation in lieu of the previous autonomy formula of 1974. Additionally, Iraq has a minority of other ethnicities such as Turkmens and Assyrian-Chaldeans. [6]

It is not feasible to talk about an ethnic concord in Iraq without granting the ethnic rights of Kurds and cultural-and administrative rights of Turkmens, Assyrian-Chaldeans and other minorities, as well as guaranteeing human rights in a country established on the basis of equality and full citizenship; especially when former governments had disregarded rights of minorities and

human rights in general, precipitating- as a consequence- isolationist trends, which have been aggravated by the complexities of the post-invasion events, including the Law of Elections and Parliaments that ensued. In fact, such trends reflected an ethno-sectarian polarization which had already been propagated by Paul Bremer in the Governing Council.

On a religious basis, Iraq is comprised of Muslims who constitute approximately 95% of the population, Christians, Yezidis, Mandaeans and other minor religions. Islam, by far, is considered the dominant identity of the Iraqi society and has been the main component of the country for 1400 years, bearing in mind that Iraq was once the center of Arab-Islamic civilization. Undoubtedly, securing the rights of religious minorities will protect the unity of the entire Iraqi society; conversely, subduing ‘the other’ under the pretext of having been victimized in the past, or the pretence of representing the majority's voice in the present-- in addition to disregarding regular rights--are all precipitating factors in the collapse of Iraqi society and the disintegration of the national identity. < /P>

This is supposed to be the real image of a historic unifying Iraq, rather than being a virtual one, that is comprised of many Iraqs, many cities and provinces, many religions and ethnicities. Admitting distinction and uniqueness is an essential prerequisite just as paying respect to personal rights is a consolidation of the right of citizenship, especially upon adopting the indispensable principle of equality in accordance with charters of human rights.

**Fifth: Citizenship and Nationality in the Past and Present**

One feature that distinguishes Iraqi Law from any other is its stipulation that for an Iraqi individual to obtain

citizenship, he must obtain a Civil Status Identity Card and an Iraqi Nationality Certificate .According to my known there is no such bizarre law exists anywhere else in the civilized world. In point of fact, such practice is tantamount to an entrenchment of sectarianism in Iraq according to the formula of Sir Percy Cox and Miss Gertrude Bell- which would become legalized later on; the British rule of "divide and rule", especially after the 1920 Revolution in order to ferment schism among Iraqis, and Muslims in particular and up to the time of the more recent formula of Bremer-Negroponte-Khalil zada.

The first Nationality Law in Iraq was Code Number 42, issued in 1924 upon the entry of the Treaty of Lausanne into force on 6 August 1924, whereby Ottoman nationality was converted to Iraqi nationality (for all citizens bearing Ottoman nationality and residing in pre-independence Iraq) [7]. The aforementioned law regulated the conditions by which non-Ottoman individuals might obtain Iraqi nationality: "Any person had born in Iraq who has attained his majority and whose father was born in Iraq and was at the time of that person's birth ordinarily in Iraq provided that this item does not include those who were born before August 1924"[8]. This law further subdivided holders of nationality into Class-A "original", and Class B "sub-affiliation". < /P>

In 1963, the Iraqi Nationality Law was amended under Code 43, whereby new restrictions were introduced for obtaining Iraqi nationality; moreover, the Minister of the Interior was given the prerogative of considering those who were born in Iraq to a father who was born in- and is habitually resident of Iraq. This clause was invoked and implemented for those who failed to obtain the Iraqi Nationality Certificate before the entry of this law into force. It emphasized the principle of jus soli (for both the

father and the son) according to the province right, and the right of filiations on the condition that the father is continuously and permanently resident in Iraq, in addition, it demands applying in a written statement to the Minister of Interior for his approval [9]. This 'chauvinist and sectarian' aspect was c overtly consolidated by the Revolutionary Command Council's Regulations 131 of 1972 and 803 of 12 July 1977 which made the acquisition of an Iraqi nationality for an individual who is born (as well as whose father was born) in Iraq contingent on the Minister's discretion and the interest of the authorities. Not even compulsory military service- as in the case of much international law- can assist someone in obtaining Iraqi nationality.

In February 1980, the Revolutionary Command Council issued Regulation 180 concerning the granting of Iraqi nationality to foreigners married to Iraqis, whereby the Minister of Interior has the right to grant the Iraqi nationality to foreigners married to Iraqi men or women [10].

This coincided with the propaganda that was raging between Iraq and Iran after the Iranian Revolution and which stiffened the resistance of Iraqi authorities towards political currents, especially the opposition. The whole process did not stop only at the classification of "hostile" trends but rather launched a full-scale campaign of deportation against tens of thousands who were deemed a "fifth column", thus augmenting the cruelty of the Iraq-Iran War (1980-1988) and stirring up domestic unrest and contempt.

After these deportations, the Iraqi Government confiscated all assets belonging to the deportees and formed the committee for the so-called “Deportees' Assets Administration" to invest such properties thereby

transgressing all human rights considerations, where Article 17 of the Universal Declaration of Human Rights states: "Everyone has the right to own property alone as well as in association with others, and no one shall be arbitrarily deprived of his property."

The system of citizenship is a judicial one; it is not a contractual relationship that seeks consent of the two parties. In this sense, it is different from "nationalization" which is basically a voluntary action. Consequently, due to its bias and discrimination, the Iraqi law rendered nationality acquisition- which is a right for all citizens- just another version of "nationalization" that necessitates submitting a request to be approved by the Minister of Interior and the ruling authorities [11].

The administrative law set out some new regulations pertaining to nationality during the interim period and after the promulgation of the permanent Constitution, in which it is stated in Article 11 that every subject who holds the Iraqi nationality is deemed an Iraqi citizen who has full rights and obligations since his citizenship is the basis for his relationship with the state; however, such laws remained ambiguous and inconspicuous as they did not include a plain text that annuls the law of getting the Iraqi nationality certificate that necessitates that all Iraqi identity holders apply for the Iraqi nationality certificate, even when this requires an annulment of the law of getting the Iraqi nationality certificate whi ch was the main instigator of discrimination, and according to the Nationality Law 42 of 1924.

The law also permits that an Iraqi may hold more than one nationality, bearing in mind that two million Iraqi hold foreign nationality. In general, this law prompted many discrepancies that need to be addressed by the legislature. For instance, many Jews were forced to leave Iraq under

the notorious Law of 1950, which stripped many of their Iraqi nationality. Many of those Iraqi Jews and their sons have become active members in Israel Defense Forces and the Mossad, so if any such as these are restored their nationality, they will pose a threat to the security of Iraq and the entire Arab world, as Iraq is still at war with Israel according to law and is not a signatory in the Rhodes Armistice Agreement of 1949. Now the question that poses itself here is: "How can an Iraqi-born Israeli who is also a holder of Amer ican nationality be accepted as an Iraqi citizen under such ambiguous circumstances? The legislature should make exceptions that can avert such confusion.[12]

**Sixth: cultural diversity and sub-identities**

Taking interest in cultural diversity in regard to aspects of nationality or ethnicity, religion or sect, dynasty or dialect was never satisfactory; in fact, there is even a disregard for pluralism that could lead to intolerance and disrespect of ‘the other’, and denying others' rights will always disturb the unity of Arab societies. Perhaps, this is one of the deficiencies that has characterized the Iraqi state and undermined its unity.

Intellectual-, cultural- and political elites have often approached the question of cultural diversity in terms of generalities and have prioritized major centralist slogans at the expense of a reality replete with multiplicity and ethnic-, cultural- and lingual diversity; at other times, this reality has been overlooked altogether at the expense of recognizing ‘the other’. Diversity is not a set of superfluous minutiae; rather, it is an indispensable necessity.

Any authoritarian or arbitrary unity will necessarily pose a threat to other minorities living in the society; unfortunately, intellectual-, cultural- and political elites

have never established a "unified" legal and humanitarian position with regard to religious-, cultural- and lingual diversity. Consequently, many divisions of the society such as Christians, Kurds and Turkmens, as well as other non-Arab or non-Muslim minorities, were unable to hold senior positions in the state such as the office of the President or Commander of the Army or Chief Justice, while this would customarily be their right if we are before a modern state.

This myopic distortion of minorities residing in Iraq or the Arab world has been omnipresent for thousands of years, and doubting their loyalty was always a component of any given scenario being attributed at times to some historical considerations such as al-Barmakids, and Abou Muslem Al Kharassani, the crusaders wars and the likes of such. The Arab-Persian conflict and the role played by Populist were played upon and exploited quite heavily during the Iraq-Iran War, thereby igniting hatred between people--bearing in mind that it is not external influence or questioned loyalty that will prompt sedition, but negligence in delivering rights to citizens. Perhaps, discrimination and oppression will cause some people to adopt narrow-minded isolationist positions or even render them empowered by foreigners.

Recognizing minority rights and national diversity is a privilege that emphasizes the importance of sub-identities as being a primary component of a larger genuine identity in which no sub-identity can be eliminated or concealed. Now the question is: What is the difference between the single Arab culture and the unified Arab culture, that recognizes multiplicity in its own society, bearing in mind that the Arab world and the Iraq one in particular, have always been a magnet for other civilizations, cultures and religions?!

**Seventh: Identity and human rights**

The system of collective- and individual cultural human rights admits the right of any nation for equality between its entire people and considers all cultures- with all their differences and distinctions- to be an integral part of the common heritage of mankind. It emphasizes the importance of protecting culture and guaranteeing the right of all peoples to develop their own cultures in addition to securing every individual's right in participating freely within his own society, practicing arts and literature, contributing to scientific development and enjoying intellectual freedom, etc.

The International Bill of Human Rights maintains that all cultures are equal, rejects discrimination between nations and peoples, and deplores all concepts of superiority or hegemony; this has also been upheld by UNESCO and the Mexico City Declaration of 1982 in regard to the right of respect for cultural identity.

Peoples' right of cultural identity provides individuals and groups the right to practice their own cultures, as well as to coexist with other cultures according to both local and international criteria. To recognize the right to culture means the right of any culture to exist and develop by means of its own dynamics, independence and inherent characteristics and without neglecting common factors at the human-scale or values of cohabitation and interaction between nations, peoples and groups.

International law has witnessed positive progress during the last three decades in terms of minorities' rights, many international treaties and conventions have addressed the issue of discrimination. The issue of 'special rights' has also garnered major interest, especially after signing "The Declaration on the Rights of Persons Belonging to National or Ethnic, Religious and Linguistic Minorities",

which was adopted by United Nations General Assembly in Resolution 47/135 of 18 December 1992, and which became known as the "Declaration of Minority Rights". In 1995, a team was formed on the basis of cultural rights and took responsibility for concern over minorities' rights.

'Special rights' means the preservation of identity and personal characteristics, tradition and language in the context of equality and non-discrimination, and which was stated in The International Covenant on Civil and Political Rights promulgated by United Nations General Assembly in 1966.

The acknowledgement of cultural-, ethnic- and religious diversity in itself is a confession of a poignant reality resulting from the pointless denial of the rights of others, which was exploited by external powers to seed civil unrest, leading eventually to this state of fragmented national unity and undermined national security.

**Eighth: The American-International Phase**

The third phase through which the Iraqi state passed after the American invasion in 2003 is to be considered in outline: American-International with an "Iraqi" participation. In the forefront, were the promulgation of the administrative law for the interim government on 8 March, 2004; and the declaration of transferring "sovereignty" to Iraqis on 28 June in reaction to the Security Council's Resolution 1546 of 8 June, 2004. It confirmed the role played by Multi-National Forces under American leadership and paved the way for holding elections on 30 January, 2005.

Simultaneously, the third phase witnessed an escalation in resistance attacks on the one hand, and terrorist attacks (suicide bombs, sectarian and ethnic pogroms, decapitations, etc.) on the other; it was so severe and acute that it inflicted heavy casualties on the United States and

the Multi-Nationality Forces as well as financial losses [14]. Seven and half years have passed, and the occupying forces and the governmental forces are still losing their grip over the conditions in Iraq despite the relative improvement in security conditions in the country during mid-2008; the signing of the Status of Forces Agreement (SOFA) in late 2008; and the pledge to withdraw from Iraq made by President Obama during his electoral campaign which he re-emphasized upon entering the White House in the outset of 2009. Then he executed in August last 2010. Although, the decision to withdraw from Iraq did not materialize completely, it is, however, possible now, and this could be due to Baker-Hamilton recommendations of late 2006 which had been discarded by former President Bush or it might be due to the American stalemate in Iraq and the heavy losses in personnel, material and money, or possibly, it might be due to the massive financial crisis which started with mortgage, then reached major banks and insurance companies and ended by affecting all aspects of economy and life.

Phase four started after the 2005 elections; although the United Iraqi Alliance (Shiite) won the elections, the winners failed to form the government only after an arduous effort, after that the presidency, vice presidency and the national assembly.

According to a timetable already set by the American administration, a draft for a permanent constitution was promulgated on 15 August, for which a referendum was carried out on 15 October, and then on its basis elections were held on 15 December 2005, despite the reserved position taken by the "Sunni" Accord Front – the third component of the political apparatus which won 44 seats in the Parliament out of 275, and where the Kurdish list

won 53 seats coming in second during the elections behind the “Shiite” Alliance list which won with 138 seats.

Municipality elections precipitated a new reality by the big win of the State law list, headed by Al-Maliki, but the elections of March 2010, show a new political and sectarian and ethnic assembly.

Dr. Ayad Allawi and his list has got 91 seats and the list of Al-Maliki gets 89, the national coalition headed by Mr. Ammar al Hakim gets 70 seats.

The Kurdistan Alliance list has cracked by the victory of opposition, but generally remained combination Kurds more coherent Add to other small lists.

The Federal Court having brought the case issued the explanation that the larger cluster is not winning cluster but the winner was formed by the Parliamentary Bloc This has made a fortune in Maliki government could be formed and I think that this is what will be satisfactory of both major parties the United States and Iran.

That would become one of the challenges facing the political process, especially after the relative improvement that the security condition has witnessed and the relative retreat of the sectarian fragmentation, however, new problems will emerge the new government, especially in terms of the governorate authorities, the question of Kirkuk and that of oil agreements, alongside crumbling political alliances and blocs.

**Ninth: Iraqi Federations and the Identities Debate**

The question of federation and law of governorates -which was promulgated in the Parliament and then postponed another 18 months- cast many theoretical and practical problems over the unity and future of Iraq; these may coincide with many scenarios that depict the division of Iraq either directly or gradually, the latest of which was that proposed by Joseph Biden that plans to divide Iraq

into three federations (similar to cantons) with borderlines equipped with checkpoints between the three of them, and providing identity cards with 300,000 troops from “the coalition forces”. The estimated cost of this project reaches one billion dollars.

This law of governorates, along with the growing influence of warlords, rampant militias, rise of sectarian violence, dissemination of corruption and bribery, embezzlement of public funds, the trafficking of oil have all shrouded federation and federal law with confusion and ambiguity. Before that, the Iraqi Constitution had created such impression through making federal (union) authority and laws serve the authority of the governorate and their laws by the time that the two are in contrast.

This is not to forget the repercussions of the question of distributing revenues and the oil contracts signed by the Kurdistan Government without the federal authority noticing. Another issue is the confused state of powers enjoyed by the federal armed forces towards governorates, including the Peshmerga. It is necessary to investigate the issue of federalism and their relevance to the question of identity.

Federalism entered the Arab political literature two decades ago. In the 1990s and after the fall of the bi-polar world order and at the end of the Cold War, the ideological conflict entered into a new phase and the concept of federalism came to be ascendant, especially in Iraq and Sudan.

“Kurdish federalism” and the “federalism of South Sudan” are both open to discussion and ‘implementation’ with constitutional formulas that prompted controversy and induced many parts of the Arab world to consider this option and call for it whether on the basis of genuine or coveted privileges.

We are about to expound aspects of the Iraqi Federations and not only "Kurdish federation": prerequisites, requirements, challenges and threats facing it, and its reflections on the Arab reality whether to consolidate the national unity or to confront foreign challenges and potentials for fragmentation and division facing it.
After all, the project of the centralist state and monopoly of the political and administrative decision making are no longer feasible in a world heading towards de-centralization and expanding the circle of individual participation, especially with such an atmosphere of excluding 'the other'.

**Ten: the constitution and the complex situation**
One of the problematic and central issues that resulted in pugnacious dispute in the committee for drafting the Iraqi Constitution between political powers in and outside the National Assembly was the issue of federations or the so-called 'law of governorates'. Section five of Article 113 went on to define the components of the federal system by saying: it is composed of "a capital and non-central governorates and municipal administrations".
Although the Iraqi Parliament promulgated the law of governorates in 2006, its implementation was delayed for 18 months due to the conflicts it stirred up and the threats intimated by some powers about withdrawing from the government and which might undermine the entire political process. Its execution was halted pending amending the constitution or forging a new accord that could promote the law of governorates as per the Accord Front aspirations, meanwhile, the Alliance list bets on time to coerce the opposing parties to concede to the aforementioned resolution of the Parliament, bearing in mind that it represents the majority.

Despite the fact that Article 114 has already stated that the Province of Kurdistan is a federal province, the current debate revolves around: borders and authorities of the province and the discrepancies surrounding some items cited in the constitution that aggravate the confusion between it and the federal authority, especially in terms of extending the idea of provinces to the south and the center under pretexts of 'special nexus', 'sectarian cohesiveness', and 'historical grievance'.

As if all of that has no reference to the domination of a strict centralist state and limitation of authority in its hands at the expense of its relations with provinces and parties, not only in the south and the central region or for sectarian considerations, but also in the west and the north and the rest of Iraq. Such an issue is not well-understood by the parties calling for southern federation or perhaps yearning for privileges make them cling to any means in order to achieve the ultimate goal which they consider 'the haven to sect'. Baghdad, however, remains intractable to the process of division or sectarianism after all operations of sectarian cleansing and forced deportations for the purpose of altering its demographics, as it represents a melting pot in all religious, ethnic, and social dimensions.

If federalism were an administrative system that addressed urgent historic-, political-, social- and economic needs in order to organize a society and enhance governorates' participation in the responsibility of decision-making, whether in their specific issues or in the state's general affairs, then reasons such as 'adjudicating grievances' or 'achieving the right' or 'counteracting discrimination' are not sufficient to establish a federal rule. Without proper historical cultural development and a dire need for establishment and management of the affairs of the state and society, a federal system cannot be

established; as for issues of ‘grievance’ or ‘historic injustice’ or ‘sectarian formation’ or ‘discrimination’, they should be addressed in the Constitution and un der the section of rights and obligations, whether that constitution is federal or not.

Finally, to consolidate a national sense of belonging to Iraq as a country, discrimination has to be resolved, political sectarianism has to be banished, and national oppression has to be terminated. To preserve one’s unique identity and make it interact in the context of multiple and diverse Iraqi citizenship is an element of strength rather than weakness. A citizenship needs free citizens and a civil society devoid of sectarian, ethnic or tribal or political allegiances without which there will necessarily be a need for a ‘magic wand’ for existing problems and conflicts. In this sense, when we talk about conditions of democracy, we mean conditions of citizenship in a modern state, and a unified law and constitution, and not on the basis of the democracy of sects, ethnicities, quotas or other divisions remote f rom the essence of citizenship in its modern sense.

Finally, if there is any weakness in the Iraqi identity due to oppressed rights, especially of the minorities and the lack of freedoms, equality and full citizenship in a state of law, the occupation helped further destroy this state and tear apart the collective Iraqi identity, especially upon dismantling the Iraqi Army and promulgation of sectarian- and ethnic quotas, leading- in the process- to infighting.

## Sources and References:

[1] Bremer, Paul and Malcolm, McConnell. 2006. My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope, and Shaban, A. Hussain, 2007. "Ijtithath al-Ba'th….wa Shay' an al-Musalahah wa al-Musa'alah wa al-Azl al-Siyasi," in: Al-Zaman. 5 & 6 August.

[2] See: "Al-Iraq: Siyaqat al-Wihdah wa al-Inqisam: al-Nasr am al-Hazimah!" in:Hal al-Ummah al-Arabiyah 2006-2007: Azmat al-Dakhil wa Tahaddiyat al-Kharij, edited by Ahmad Yousef Ahmad and Nevine Massad (Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 2007).

[3] See Shaban's review for Bremer and McConnell. My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope, in: al-Mustaqbal al-Arabi, year 29, 329 (July 2006), pp. 156-174.

[4] Citizenship is a right no one can deny in accordance with article 15 of the Universal Declaration of Human Rights issued by the General Assembly of the United Nations in 1948. The international society tried to lessen cases in which no citizenship is granted to individuals by signing the international agreement "Convention on the Reduction of Statelessness) in 30 August 1959 (entered into effect in 1960); later it was adopted by the General Assembly of the United Nations in 1961 and was implemented in 13 December 1975. Among its clauses that any signatory state is required to grant citizenship to anyone who is born on its lands, also this citizenship is given as follows: a- after birth and according to law.

b- based on a written statement submitted to the concerned authorities.

See: Shaban, A. Hussain Man Huwa al-Iraqi?

[5] Shaban, A. Hussain, "tadaris al-kharitah al-siyasiyah al-iraqiyah," in: al-Mustaqbal al-Arabi, year 29, 333 (November 2006), pp. 48-68.

[6] See: Iraqi provisional constitutions of 1958 and 1970.

[7] See: Abu Hatem, "mualahazat amah ala tatbiq al-jinsiyah al-iraqiyah,", p. 7

[8] Compare with article 8 of law 42 in 1924.

[9] Compare with article 6 of law 43 in 1963.

[10] Shaban, A. Hussain, Asifah ala Bilad al-Shams, p. 231.

[11] See Law 43 in 1963.

[12] See law 1 of 1950.

[13] Minority rights declaration of 1992.

[14] See: "hal sa yusbi al-iraq aswa' al-hilul al-say'ah

[15] ibid.

[16] Shaban, A. Hussain, ”bayan ihtilayan: al-qadiyah al-kurdiyah bayna al-ta'tir wa al-tashtir".

See also: Shaban, Abdul Hussein –Jadal al Hawyat fi Al Iraq (conflict or controversial identities in Iraq), Al Mustaqbal Al Arabi journal, issue 369, November 11/2009.

See also: Jadal al Hawyat fi Al Iraq , Al Dawlah wa Al Muwatanah (conflict or controversial identities in Iraq, State identities and citizenship), Arab Scientific Publishers,Inc, Beirut, 2009.

[17] See the permanent Iraqi constitution.

**Contents**

**First: National identity and referential authority of the state**
**Second: Identity and political sectarianism**
**Third: Identity and Iraq's 'new' form**
**Fourth: How to divide Iraq?**
**Fifth: Citizenship and Nationality in the Past and Present**
**Sixth: cultural diversity and sub-identities**
**Seventh: Identity and human rights**
**Eighth: The American-International Phase**
**Ninth: Iraqi Federations and the Identities Debate**
**Ten: the constitution and the complex situation**

# Journal of Averroes University in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**





Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

# All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.



The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| **Annual contribution** | **Individuals** | **Organizations** |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |



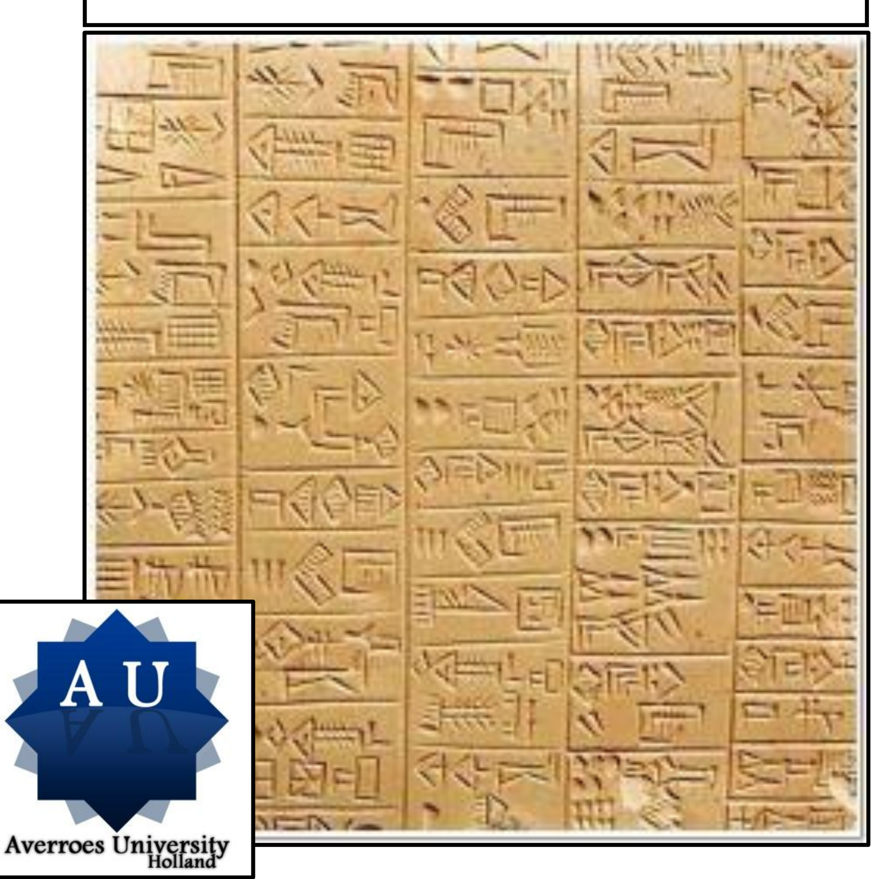

First Issue December 2010

# Journal

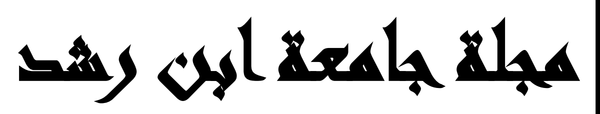
# Averroes University in Holland

**A scientific journal published quarterly**

**Issue 1** **Price €10,00**




في هولندا

# دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

السعر 10 يورو

العدد الثاني

مجلة

# جامعة ابن رشد في هولندا

دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا



عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |




العدد الثاني    أبريل نيسان 2011

# الفهرس


| | ص. |
|---|---|
| مفتتح | أ، ب |

| | |
|---|---|
| **الأدب وعلوم اللغة و الفلسفة** | 1 |
| النص السيرذاتي: قراءة في روايتي "الوطن في العينين" و"من يجرؤ على الشوق" لحميدة نعنع<br>*د. ليلى جباري كلية الآداب و اللغات جامعة قسنطينة –الجزائر* | 2 |
| مقاربات نظريّة في مفهوم الفضاء الروائي وبنيته ودوره السردي في النصّ الروائي<br>*د. محمد عبد الرحمن يونس جامعة ابن رشد ـ كلية اللغة العربية ـ هولندا* | 16 |
| دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم \ دراسة فونولوجية حاسوبية<br>*أ. م. د. أحمد راغب أحمد جامعة المدينة العالمية ـ ماليزيا* | 27 |
| الخصائص السردية و جمالياتها في رواية «الصبار» لسحر خليفة<br>**الدكتور فرامرز ميرزايى ـ أستاذ مشارك بجامعة بوعلى سينا**<br>*الدكتور على باقر طاهرى نيا ـ أستاذ مشارك بجامعة بوعلى سينا*<br>*روح اله مهديان طرقبه ـ طالب دكتوراه بجامعة بوعلى سينا* | 52 |
| نظرية ( الصفر) ونتائج تطبيقها على النحو العربي<br>*أ. د. سناء حميد البياتي* | 79 |

| | |
|---|---|
| **الاقتصاد و إدارة الاعمال** | 98 |
| KNOWLEDGE MANAGEMENT IN THE ADVANCED KNOWLEDGE BUSINESS ORGANISATIONS<br>*Abdulrahman Al-Juboori (PhD) College of Business Administration Averroes University – Holland* | 99 |
| تحديث محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد للوحدات الصناعية العراقية<br>*د. صباح قدوري عميد كلية ادارة الاعمال جامعة ابن رشد هولندا* | 148 |

| | |
|---|---|
| **الفنون** | 168 |
| الشفويات و المسرح أو تقاطع الانثروبولوجي والمسرحي<br>*أ. فاطمة ديلمي باحثة في المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ الجزائر* | 169 |

| | |
|---|---|
| الديكور المسرحي بين الفكر والتقنية<br>*د. معتز عناد غزوان كلية الفنون الجميلة- جامعة بغداد* | 181 |
| **العلوم النفسية والتربوية** | 191 |
| الضغوط النفسية على الأم الحامل، منطقة في رام الله – فلسطين<br>*د. عمر الريماوي جامعة القدس* | 192 |
| امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن<br>*أ.م. د. نذير سيحان محمد أبو نعير* | 215 |

..

*** لوحتا الغلاف للفنان التشكيلي العراقي قاسم الساعدي**

# مفتتح

يكون الواقع والتجربة العلمية والتحكيم المستنِد إلى النظريات هو الأساس الفاعل والأكثر سدادا وحكمة، في أيّ جهد أكاديمي ذي قيمة. ومن هنا تأتي العناية بالرصانة والموضوعية وبالمنطق العقلي التنويري الذي نتمسك به بثبات.. ونحن في إصدارنا هذا العدد من مجلة ابن رشد العلمية المحكمة، نرحب بملاحظات من يمد لنا يدّ المساعدة في قراءته لمحتوياته وفي تفاصيل الإخراج والعرض وبكل ما يمكن أن يساهم في تعزيز المسيرة ورفدها بالمفردات الداعمة لتقدمها وتطورها..

إننا لنشعر بالاعتزاز كوننا ندلي اليوم بكلمة معرفية وإنْ كانت مازالت في بداية المشوار؛ فنحن نثق بأنها ستتعزز وتنمو بفضل العقول العلمية المشاركة وتجاريبها في ميادين الحياة ومنتج الإنسان المعرفي والإبداعي الجمالي بما يخدم معالجة مختلف القضايا الحياتية المتنوعة.

وجامعة ابن رشد، المؤسسة الراعية لهذه الدورية العلمية، مازالت لا تعدو عن كونها مؤسسة علمية أكاديمية في أول خطواتها.. لكن منجزنا هنا لا يبدأ من الصفر؛ لأنه يستند إلى أعمدة الفكر والتحليل والمعالجة وإلى خبرات العقول الأكاديمية التي تلتئم سويا ومعا هنا في هذه المؤسسة..

نقدم، باعتزاز، في هذا العدد رؤى ومعالجات في العلوم الإنسانية بعضها يتضمن أسئلة وربما من الأفكار والمواقف ما يتطلب حوارا وتفاعلا نتأمل أن تتناوله أقلام النخبة الألمع بالتعديل

والتجريح النقديين بأفضل أدوات عصرنا ومعاييره العلمية... وربما عنَّ لباحثة أو باحث أن يقدم تفاعله بدراسة مقابلة في رؤية نظيرة معارضة وبحلول مختلفة للإشكالية ذاتها مُدرجة في بحث محكّم جديد، فمرحى به..

مباركين هنا لكل من ساهم بهذا العدد شاكرين لهم وجودهم معنا. وآملين بمساهمات نوعية جديدة تتقدم بنا خطوة أخرى بعيدا عما صادفنا ويصادفنا من هفوات و\أو ثغرات غير مقصودة.. أما الجديد الذي نعد به في أعدادنا التالية والذي نضعه بين أيدي مستشاري دوريتنا والأكاديميين جميعا، فيكمن في إقرار توجه استراتيجي لدوريتنا كيما تتحول إلى أسلوب يركز في كل عدد على محور رئيس فيه..

فعدد في الاقتصاد وشؤونه ومعضلاته نعمل على طبعه باسم المفكر المرحوم إبراهيم كبة وآخر سيحمل اسم عالم جليل آخر هو المرحوم عبدالجبار عبدالله وسيعالج موضوع التعليم العالي وآفاق تطويره وتحديثه.. فيما سنعالج موضوعات المسرح والمسرحية والفنون والآداب بعامة وارتباطها بعالمنا، في دراسات جمالية فكرية تستند إلى دور العلم في قراءتها بأعداد أخرى..

أيتها الزميلات.. أيها الزملاء ويا طلبة العلم نؤكد مجددا ودائما بأننا بكم ومعكم نتقدم.. سلمت مواقف دعمكم ومعاضدتكم للجهود العلمية.. وتحية العلم لكم جميعا..

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة

**النص السيرذاتي: قراءة في روايتي "الوطن في العينين" و"من يجرؤ على الشوق" لحميدة نعنع**

**مقاربات نظريّة في مفهوم الفضاء الروائي وبنيته ودوره السردي في النصّ الروائي**

**دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم**

**دراسة فونولوجية حاسوبية**

**نظرية ( الصفر) ونتائج تطبيقها على النحو العربي**

# النص السيرذاتي: قراءة في روايتي "الوطن في العينين" و"من يجرؤ على الشوق" لحميدة نعنع..

الباحثة : د. ليلى جباري[*]

**Titre de cette étude :**
Le texte autobiographique : dissertation de deux romans de Hamida Naana « al watan fil'ainain » et « man yajrou- alaschouk »
**Nom du chercheur** : Djebari Leila
**Grade** : Maitre de conférence en littérature comparée
***EMail*** : djebarix@yahoo.fr

---

(*) - الدرجة العلمية: أستاذة محاضرة في الأدب المقارن Constantine-Algerie.

**ملخص**

يأمل هذا المقال الاقتراب من الطروحات النظرية لرواية السيرة الذاتية وفقا لتصورات فيليب لوجون Philippe Lejeune ، جورج ماي Georges May و بلمان نويل Jean و تبين الدراسة أنّ السارد لا يقف عند تدوين تجاربه الذاتية إنما يعيد تشكيل الأحداث من Bellemen-Noêlمنظور مغاير عما هو مجسد في المرجع الذاتي الواقعي ؛ لذلك لا يمكن التلميح إلى حقيقة مطلقة حينما يتعلق الأمر بتسجيل السيرة الذاتية، و إن أوحى لنا الكاتب بذلك. و قد مثلنا لهذا الغرض روايتي"الوطن في العينين" و "من يجرؤ على الشوق" لحميدة نعنع، و اعتمدنا في مقاربة هذين النصين منهجا حداثيا ممثلا في الشعرية المعاصرة(التحليل النصي و النقد النفسي). و تكمن نتائج هذا البحث في كون النص السيرذاتي لا يجسد صدق التجربة الشخصية للكاتب،إنما يتم المزج بين المرجع الواقعي و التخييلي أينما يتعذر تجاوز أساليب التمويه و المراوغة .



***Résumé***

Cette étude se propose d'aborder les approches théoriques du roman autobiographique d'après les définitions proposées par Philippe Lejeune,Georges May et Bellemen-Noêl. L'analyse est penchée essentiellement sur le narrateur qui ne se contente pas de rapporter les évènements de sa vie privée, mais en jugeant les caractères

de ces évènements. Et même si l'auteur prétend d'être sincère, il est illusoire de croire à une vérité absolue dans une autobiographie. Nous nous baserons pour cela sur les deux romans de Hamida Naa-na « Alwatan-fil'ainain» et «Main yajrou-alaschouk », les textes ont été étudiés dans un cadre moderne tout en adoptant la poétique moderne (Textanalyse et psychocritique). Enfin l'écriture autobiographique ne propose pas une représentation fidèle de la personnalité de l'auteur, ou se rencontrent la dimension référentielle et la charge fictive, mais un mélange de fictif et d'authentique.

***مقدمة***

لعله من المفيد القول إن النص السيرذاتي نص منفتح يخضع لقراءات متعددة يشكل التخييل دورا مركزيا، فيكتسب الخطاب دلالات نفسية و شعورية و تضمينات تترجم ذاتية المبدع في صورة علامات نصية. و قد تتداخل شخصية المبدع مع بطل الرواية ، فيحيلنا الأثر الأدبي إلى مشاهد رمزية مستوحاة من تجارب مختلفة و إشارات سيرذاتية صريحة، و ربما يحدث هذا و بشكل خاص في النتاجات الأدبية التي تكتبها المرأة، فيخلط القارئ بين كاتبة النص و بطلاتها، و يوحى له أن ذلك لا يتعدى الاعترافات التي تبوح بها المرأة و التي استقتها من تجاربها الخاصة. إلا أن هذا التداخل لا يعني بالضرورة التطابق حدّ التماثل، فالنص يشكل عالما مفارقا لواقع المبدع لحظة الكتابة، إذ يتم توظيف الزمن النفسي الذي يخضع لمجموعة من الإحالات اللاشعورية، فضلا عن أهمية الفضاء التخييلي في تشكيل النص الاستعاري و خلق الهوة بين السارد و المؤلف.

***الكلمات المفتاحية***

ميثاق السيرة الذاتية - رواية السيرة الذاتية –الكتابة النسوية- التخييل- التمويه و المراوغة- التحليل النصي- النقد النفسي –الإيحاءات الترميزية – الزمن النفسي- الشخصية الحكائية- المقاصد اللاواعية- المذكرات الشخصية.

***التعرجات المفاهيمية لمصطلح السيرة الذاتية Autobiographie***

نسعى في هذا المبحث إلى الإحاطة بمصطلح السيرة الذاتية Autobiographie لما ينفرد به من تقنيات فنية مثل التخييل و التمويه أو عجز الذاكرة عن تشكيل الحدث. ففي ضوء الدراسات النقدية الحديثة، لا تمثل السيرة الذاتية لدى (رينيه ويلك Réné Wellek) نسخة مطابقة لحياة المؤلف " فالعمل الفني يصوغ وحدة على مستوى مختلف تماما، و بعلاقة تختلف تماما مع الحقيقة الواقعية عن علاقة كتاب مذكرات أو يوميات أو رسائل... حتى عندما يحتوي العمل الأدبي على عناصر تتأكد من مطابقتها لسيرة الكاتب، فيكون قد أعيد ترتيب هذه العناصر و تحويلها إلى عمل تفقد فيه كل معناها الشخصي لتصبح مادة إنسانية عينية، أو عنصرا متكاملا من عناصر العمل الفني. "(1)

و إذا كان أدب السيرة الذاتية قد لقي انتشارا واسعا في الآداب الغربية، فإن الأمر ليس كذلك في الأدب العربي، و لعل هذا مرتبط بمجال الحرية الإبداعية و الفكرية الذي يتحرك في إطارها المبدع العربي، إذ لا ينحصر الأمر في المكاشفة عن الذات، بل الإفصاح عن السياقات الثقافية و

الاجتماعية و السياسية التي لا يكاد يخلو منها نص سيرذاتي. ولم تتضح الأسس الفنية لأدب السيرة الذاتية إلاّ مع ظهور أدب المذكرات الشخصية في أوروبا خلال القرن الثامن عشر، كما الحال في اعترافات جان جاك روسو، Les confessions de Jean Jacques Rousseaux إذ كان لظهور هذا المصطلح الجديد في اللغة الفرنسية أهمية كبرى للاعتراف بهذا الجنس الأدبي. (2)

و بإلقاء نظرة على بعض التّعاريف النقدية لمفهوم النص السيرذاتي ، يتبين أن النص لدى جان بيلمان نويل J.Bellemeen -NOEL، مغاير عن شخصية الكاتب، كون السرد في السيرة الذاتية لا يقف عند وظيفة الإبلاغ، إنما ينهض أساسا على الخلق و التخييل، بما يزيح الذات عن النص الذي أعيد تشكيله. (3)

و السيرة الذاتية في تصور فيليب لوجون Philippe Lejeune " نص نثري استرجاعي يتولى سرده شخص ما، يروي من خلاله جزءا من حياته الشخصية و تاريخه الخاص، و يحدد ذلك بمجموعة من الركائز يقوم عليها جنس السيرة الذاتية أهمها التطابق بين المؤلف و السارد..."(4)

و ما يلفت الانتباه في هذا الموضع أنّ فيليب لوجون، و بعد سنوات عديدة من إصداره لمؤلفه ميثاق السيرة الذاتية Le pacte Autobiographique، وضع كتابا آخر "أنا أيضا" MOI AUSSI، ضمنه " انتقادا لمنهجه التجريبي الاستقرائي الذي افتقد إلى الدقة و المرونة، كما أحالنا إلى تصور جديد تمثل في كون السيرة الذاتية لا تقف عند رصد التجربة الشخصية، إنما في غالب الأحيان، يتم المزج بين المرجع الواقعي و التخييلي، و توظيف أساليب التمويه و المراوغة ."(5)

يعد أسلوب الاسترجاع و التذكر الذي ورد في تعريف فيليب لوجون من أهم تقنيات السيرة الذاتية و الإطار الخيالي العام الذي يتم من خلاله استعادة أحداث الماضي، يفضي ذلك إلى الحديث عن المطابقة المفترضة بين المؤلف و عمله الفني، إذ " يحقق الكاتب هدفه من ربط ما سيجري بما يحدث في الواقع... و ما انعكس على سيرته بفعل الزمان من أحداث و ما جرى فيها من وجهة نظر السارد دائما... "(6)

فنحن نلمس أحيانا تطابقا بين الراوي و الشخصية الفنية في تقديم النص السردي، ما يستدعي القول إن هناك تماثلا بينهما، إلا أن العمل الأدبي يتضمن تفاصيل غامضة و معدلة عن تجربة الكاتب الشخصية التي تختلف من دون شك عن تجربته الفنية. فقدرة النص على إعادة تشكيل الواقع من المقومات الأساسية التي ينهض عليها الأثر الأدبي. من أجل ذلك تقوم الصور " مقام الدليل المحرض على تداعي الأفكار، و تسمح بالكشف عن الأسطورة

الشخصية، و في العالم الروائي أو المسرحي كل شخصية على جانب من الأهمية تمثل وجها من وجوه التغيير يخص صورة أسطورية عميقة، و ليس المقصود دراسة شخصية لذاتها، بل حالتها في الشكل الكامل الخاص بالأثر، في معماريته."(7)

إن التماس الفني بين النص الأدبي (الرواية) و السيرة الذاتية يندرج في إشكالية تداخل الأجناس الأدبية، فغالبا ما نواجه صعوبة في التمييز بين السيرة الذاتية و الرواية، إذ يشكل الراوي حيزا هاما في بناء النص و تقديمه في صورته الجديدة. " فالسيرة الروائية هي نوع من السرد الكثيف الذي يتقابل فيه الراوي و الروائي، و يندرجان معا في تداخل مستمر و لا نهائي، يكون مصدرا لتخييلات الراوي، الكيان الجسدي و النفسي و الذهني للروائي، يشرح، و يعاد تركيبه، التجربة الذاتية تشحن بالتخيل، توفر هذه الممارسة الإبداعية حرية غير محدودة في تغليب التجربة الشخصية للروائي و إعادة صوغ الوقائع واحتمالاتها..."(8)

فالطابع التخييلي هو المهيمن على النص السردي، و السيرة لا تسترجع ماضي الشخصية بشكل صريح و بكل حيثياته، إذ يشكل الترميز الفني حيزا هاما في إنتاج النص الجديد. فأهمية " التجربة الذاتية المستعادة و المصاغة صوغا فنيا يناسب متطلبات السرد و التخيل و مقتضياتها، ذلك أن المادة التي يفترض أن تكون حقيقية أو أصلية، لا يمكن أن تحتفظ بذلك، فما إن تصبح موضوعا للسرد إلاّ و يعاد إنتاجها طبقا لشروط تختلف عن شروط تكونها قبل أن تندرج في سياق التشكيل الفني..."(9) مما يجعل الأثر الأدبي يخضع لقراءات متباينة مستوحاة من مدارس نقدية مختلقة، و يتيح للقارئ التأويل و البحث فيما وراء المقاصد الواعية للكاتب و تجنب إسقاط المفاهيم الجاهزة.

**مقاربة نقدية /**

شهدت فترة السبعينيات و ما بعدها في العالم العربي حضور المرأة مبدعة و بطلة للتجربة لتحقيق الذات النسوية من جانب، و تجسيد التأزم العربي و تشريح مآزق الذات من جانب ثان، واستبدلت الذكورة بالأنوثة بعدما كان الرجل الشرقي مركز الاهتمام. و لما كانت السيرة الذاتية تقع في دائرة المحظورات الاجتماعية، فإن المبدعة العربية اتخذت من المراوغة الميثاقية أسلوبا لممارسة محكياتها المتخيلة. فالنصوص الإبداعية ليست دائما بريئة، لذلك " يكتسب فعل الإبداع قيمة خاصة لدى المرأة الكاتبة... التي تمثل عملية تحرر من حيث أنها موضعة للتجربة و المعاناة و الحاجات و التصورات و الأحلام، تبني و تكشف و تعرض المكتوب للنظر العام و للتفاعل و الرد و الاستجابة و النقد في بنيان أوسع."(10)

ضمن هذا السياق، يمكن اعتبار المنجز الروائي فضاء تقتحمه المبدعة لسرد محكياتها من خلال اشتغالها على تقنية الاسترجاع لذاكرتها الشخصية، كما يبينه المشهد التالي:

" لم أعد أذكر شيئا لكنني وجدت نفسي في المساء أتجه إلى المقهى...ألقيت نفسي على الكرسي، و كأني أهوي إلى قاع الأرض المظلم البارد، و للحظات، مرت حياتي أمام عيني كشريط سينمائي لا علاقة له بالحقيقة: مولدي و طفولتي في ذلك الجنوب المحتل...هجرتي إلى بيروت ... الجامعة الأمريكية...الغربة في الوطن...الميناء المفتوح للجنوب و الحرية ... ندّت عنّي صرخة مكتومة أيقظت أصدقائي الثلاثة، ربما من رحلة مماثلة إلى الماضي تعلقت عيونهم بوجهي و أحسست أنني مطاردة بألوف الأسئلة المهيمنة التي لا أملك لها إجابات" (11)

ترد في الاقتباس حمولات دلالية تومئ بالتأزم الذي تعانيه البطلة مما حدا بها للبحث عن هوية ضائعة في مدينة باريس التي تشكل النواة المركزية، و استدعى ذلك استعارة بعض التفاصيل الرمزية التي تحيلنا إليها الروائية عبر تقنية الكشف عن حدّة المعاناة في ظل المحظورات و القهر الاجتماعي. و النص موزع على مجموعة من الإحالات سُخرت لتشخيص الطابع السيكولوجي للشخصية الروائية، و الخطوط تتقاطع بين الساردة و موضوع سردها مما يوحي للقارئ باحتمال صدق الأحداث و ووقوع الخطاب الروائي في مسار شخصي نمطي. و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الرواية أكثر الأجناس الأدبية تعبيرا و احتواء للغة البوح و المكاشفة، و ارتباط ذلك بانفعالات الذات ونوازعها النفسية؛ إذ " قد تكون الأعمال القصصية و الروائية من الأعمال الفنية الأكثر اقترابا من ميدان علم التحليل النفسي، و قد حظيت منذ تأسيس هذا العلم مع فرويد باهتمام خاص من قبله، تمثل في انكبابه على دراسة بعضها و باستشهاد متواصل بشخصيات و أحداث مختلفة." (12)

فكثيرا ما يشكل الحدث النفسي المركز الأساس في العمل الأدبي للتعبير عن مكنونات النفس، و تمرير الخطابات التمويهية التي تحددها دلالات اللاوعي في النص. لعلنا نلامس ذلك بجلاء في عديد من مقاطع رواية "الوطن في العينين"، إذ تتحول السيرة الذاتية إلى عمل تخييلي يتشكل من تجارب الكاتبة و ذكرياتها، على أنه يفترض أن يكون النص بناء مغايرا عن تجربتها الشخصية. تحيلنا "حميدة نعنع" عبر مجموعة من الرسائل و المذكرات إلى زمن الانكسار و التمزق الذي مر به لبنان في أثناء الحرب الأهلية وتجعله يتقاطع مع الزمن الباريزي:

" يأتي الثري الغريب إلى البيت و يعدُني بالفرح و المال و السعادة... ألمح الكلمات تخرج من بطنه و عينيه لتتبدد في سماء الغرفة كذبا.. . الأموال

لا تغريني...يرحل الثريّ الغريب و تبكي أمي حزنا عليه...أسقط مريضة ... أنتظر أياما... شهورا ... سنة ثم أرحل عن البيت. كان عليّ أن أرحل إلى أيّ مكان في العالم يخلصني العذاب الرهيب الذي أعيشه في عينتاب. عندما جاءني خالد يخبرني بترشيحه في بعثة تدريبية إلى فرنسا، قلت له و دون تردد: سأرافقك و في داخلي قرار اتخذته في لحظات وحدتي و هكذا جئت باريس أبحث عن المرأة في دمي، لكنني عبثا فعلت."(13)

فنحن نلمس لغة المكاشفة التي تحاول الكاتبة توظيفها ضمن خطاب تنكشف من خلاله دواخل النفس ومكنوناتها لتحقيق رغباتها اللاواعية (14)، مثلما يحيلنا المقطع ذاته إلى التقاطع بين الشخصية الفنية وذات الكاتبة، و قد يكون شكلا من أشكال الإسقاطات التي تلجأ إليه المرأة المبدعة مستفيدة من سيرتها الذاتية و تقنية المراوغة. و إن كنا لا نؤيد في هذا الموضع (فرجينيا وولف Virginia Woolf) فيما ذكرته من أسباب لجوء المرأة إلى كتابة السيرة الذاتية رغبة منها في التعبير عن معاناتها ، إذ " يمكن رؤية العملية الإبداعية باعتبار أنها شكل من أشكال النشاط العقلي المركب الذي يتجه الشخص بمقتضاه نحو الوصول إلى صورة جديدة من التفكير،اعتمادا على خبرات و عناصر محددة، يعتبر الإبداع قدرة على التفكير في نسق مفتوح و قدرة على إعادة تشكيل الخبرة في أشكال جديدة ."(15)

و في أكثر الأحيان، فإن مخيلة الكاتبة تقدم شخوصا لا تتفق –حتى في شكلها العام- مع شخصيتها و آرائها الخاصة، لكن قد يحلو لبعض القراء أن يخلطوا بين كاتبة القصة و بطلاتها، ظنا منهم أن ممارسة المرأة للإبداع ما هو إلا تعبير عن مشاعرها و تجاربها الذاتية. فهم " يرفضون أن يصدقوا أنهم يقرؤون عملا فنيا استوحته كاتبتة من أكثر من تجربة و أنشأت من الكل معمارا جديدا. و هم لا يستمتعون بما يقرؤون إلا باعتباره اعترافا تدلي به المرأة عن أسرارها الخاصة، أو لعل ما يساعد على هذا الوهم الشائع هو أن معظم قصاصاتنا يكتبن بضمير المتكلم، ضمير الاعتراف، ما يوحي أنهن يتحدثن عن تجربة شخصية، و لا يريد القارئ أن يصدق أن هذا الضمير إنما هو ضمير الشخصية الفنية و ليس ضمير الكاتبة. " (16)

و نحن نطالع رواية "الوطن في العينين" و ما تحيلنا إليه حميدة نعنع من تلميحات تقترب من عالم السيرذاتي، يتم تمرير الأفكار عبر سرد متدفق و دقة في عرض الأحداث، بما يجعل المتلقي مندمجا مع الشخصية الروائية و وقوع النص في مسار شخصي نمطي. و عبر مسار سردي ينهض على تقنية التذكر، و حيث تتداعى ملكة الخيال دونما قيد، تغوص الراوية في ذاكرة الماضي تعبيرا عن مكنوناتها الداخلية، و بحثا عن مساحات من الحرية لاختراق محظورات المجتمع الشرقي.

" موجة غضب تجتاحني... تنظر إليّ بشيء من التوسل و كأنني أفقأ في داخلك جراحا قديمة، لكنني عنيدة و قاسية في لحظات الإصرار، أشعر أنّ العالم ينبثق من داخلي و يتوزع على خيوط النور في الوقت الذي أشاء، هذا ما منحني لفترة طويلة إحساسا بالتفرد يقترب من النرجسية المطلقة في لحظات خطرة من عمري... "(17)

يُفصح الخطاب عن المستويات النفسية للشخصية الروائية التي يتمركز حولها السرد و حيث يتبين الترابط العلائقي بين الذاكرة و الزمن، غير أن التداخل بين نص السيرذاتي و المرجعية الذاتية لا يعني بالضرورة المماثلة حدّ التطابق، إ ذ يشكل المنجز السردي عالما مفارقا لعالم المبدع في أثناء مرحلة الكتابة و يتم تدوين الاعترافات تدوينا فنيا لا يتطابق مع تلك المرجعيات، بحيث يتم توظيف الزمن النفسي الذي يخضع بدوره للعوالم اللاشعورية للشخصية الروائية " فبناء الرواية يقوم من الناحية الزمنية على مفارقة تؤكد طبيعة الزمن التخييلية. فمنذ كتابة أول كلمة يكون كل شيء قد انقضى، و يعلم القاص نهاية القصة، فالراوي يحكي أحداثا انقضت و لكن بالرغم من الانقضاء، فإن الماضي يمثل الحاضر الروائي ." (18)

فالزمن في رواية " الوطن في العينين" زمن متخيل، يختلف عن زمن الواقع الذي تقدمه شخوص و أحداث الرواية، لذلك نميز في هذا الموضع بين زمنين زمن القص و هو زمن الحاضر الروائي أو الزمن الذي ينهض فيه السرد/حاضر الشخصية الرئيسية/ زمن سيكولوجي يوحي بمعاناة الراوية و بقلقها النفسي. بينما زمن الوقائع فهو " زمن ما تحكي عنه الرواية، ينفتح في اتجاه الماضي فيروي أحداثا تاريخية أو أحداثا ذاتية للشخصية الروائية، و هو بهذا له صفة الموضوعية و له قدرة الإيهام بالحقيقة ."(19) و الرواية ينفتح زمنها نحو الماضي حيث تسرد الراوية وقائع اجتماعية و ترصد حالات ذاتية، هذا الانفتاح ليس كليا يقطع الصلة بالحاضر، بل نجد الراوية لا تنفلت من أحاسيسها تجاه الواقع الرّاهن الذي تعيشه المرأة. و في لحظة الكتابة يتقاطع زمن القص مع زمن الوقائع و يكوّنان معا زمن الخطاب، و هو الزمن الذي يربط نص السيرة الذاتية بلحظة الكتابة، " فحقيقة الذكريات ليست إذن وقائعية بل نفسية. و الكتابة المتعلقة بالسيرة الذاتية إعادة كتابة طفولة و تاريخ ننقحها جميعنا طوال حياتنا بصورة حكاية."(20) حيث تنطلق الراوية من الحاضر لتسترجع أحداث الماضي و هو الزمن المتخيل المغاير عن زمن الوقائع المرجعية التي تلمح إليها الرواية، على أن التذكر الذي يتأسس في المتن الروائي يعرض خطابا مختلفا عن التجربة الذاتية، و يشتغل عنصر الإضافة على نسج عالم من التخييلات ، بحيث لا تنحصر

وظيفة السرد ضمن وظيفة التبليغ إنما تنسج عالما استعاريا مستوحى من الحاضر.

تتضح براعة حميدة نعنع في تقديمها لعالم تخييلي قد يحقق شرط الإقناع بمرجعية الأحداث التي ترويها الساردة ، بما يوحي أن المدون الحقيقي لهذه الوقائع هو مؤلفة الرواية نفسها، نستشف ذلك من المرويات التي وردت في المتن الروائي :

" بيروت تلاحقها كيفما اتجهت، فمن أين نبع ذلك العشق القاتل؟
بيروت...أخبار بيروت تطغى عليها، أخبار كثيرة و لبنانيون تائهون في شوارع باريس ... يوم غابت بيروت عن عينيها أصبح سهلا أن تكون أيّ امرأة أخرى غير نادية ... امرأة أخرى تتجه إلى أيّ مكان آخر... منذ غابت بيروت أصبحت مفردات الحياة اليومية التي كانت تمنحها كما تمنح أيّ إنسان هويته ، منذ غادرت بيروت أصبح عقلها هو الرباط بين هويتها و جسدها، لكن إلى متى يمكن للعقل وحده مع انعدام أيّ صلة محسوسة بالوطن أن يظل هو الرباط؟ "(21)

تستحضر الروائية شخصية "نادية " التي تمثل وظيفة مرجعية Fonction référentielle و الذات الفاعلة في المنجز الروائي (22)، فمن خلال الرؤية السردية التي اصطنعتها حميدة نعنع يتجلى النسق العلائقي بينها و بين شخصية" نادية". و في ضوء معطيات التحليل النفسي فإن رواسب الماضي تلاحق هذه الشخصية و تشكّل لها تداعيات ، تكشف عن إكراهات الماضي و الإحساس بالاغتراب عن الوطن ، و هي إسقاطات أساسها اللاوعي دفعت بهذه الشخصية إلى فقدان توازنها النفسي و البحث عن بدائل لمعاناتها ، " ذلك أن تحقق اللاوعي لا يعلن عن نفسه إلا بطرق و أساليب ملتوية، و مع كل الالتباسات المموهة لحقيقته و المخففة لوقع حضوره ."(23) هذا إذا أضفنا أنّ الخطاب الذي ينتجه كاتب السيرة الذاتية يوثق في أكثر الحالات بتوظيف الأساليب التمويهية ، بما يتيح قراءة النص من الداخل كما يؤكد ذلك جون بلمان نويل Jean Bellemeen- Noel.

و قد يتساوى الراوي مع الشخصية الحكائية على حد تعبير تودوروف Todorov، بحيث تكون معرفة الراوي على قدر معرفة الشخصية الحكائية (24) ،و يستخدم في هذا النوع من السرد ضمير المتكلم لتشكيل خطاب يقترن بالأنا النرجسية التي تمثلها الذات المتكلمة. فالراوي يكون مصاحبا للشخصيات، يتبادل معها الحكي و المعرفة، و يتجلى هذا النوع من السرد في الروايات ذات البطل الإشكالي و في الكتابات السيرية التي يلجأ فيها المبدع إلى المواربة و التخفي و حيث تُشكل المرويات عوالم سردية في ذاكرة الشخصية الروائية :

" النجمة على جبينها و وطنها في عينيها. تلك القادمة من الشرق ... الباحثة في مقابرنا عن حل لمشاكلها و مشاكل وطنها. صفع الغرب أبوابه في وجهها و أبواب بلادها مقفلة... دخلت نادية مكللة بتاج من النار. عيناها بحيرة ليلية... شعرها أسود كالليل الذي يتسلل إليه من الكوة في أعلى الجدار و لا نجوم في ليالي السجون. ثيابها بيضاء كعروس خارجة من البحر، جميلة فاتنة... تنتظر أن يتقدم إليها فيطبع على جبينها قبلة لقاء في منافي بعيدة عن الوطن."(25)

نلامس الذات المتعالية التي تنكشف عبر مدلولات النسيج الروائي و تفصح عن مستويات نفسية و تعبيرية ، بحيث تستثمر الكاتبة المرجع الشخصي و التاريخي موازاة مع استدعائها لإشارات ترميزية لإيهام القارئ باحتمال صدق الأحداث المروية ؛ فضلا عن الصيغ الكلامية التي تؤكد حميميّة العلاقة بين الكاتبة و الراوية، إذ لا يكاد يخلو نص روائي من ذاتية الكاتب التي تعد جزءا هاما من التجربة الإنسانية. فالتحليل النفسي " يسعى إلى معرفة خلفية الانطباعات و الذكريات الشخصية التي استند إليها الكاتب لبناء عمله، و هذا يعني أننا ننتقل من النص إلى السيرة الذاتية و من الشخصية إلى الكاتب." (26)

هناك ثنائية ملازمة للسيرة الذاتية ممثلة في الأنوثة و الذكورة ، تفصح "حميدة نعنع" من خلال عملها الفني و عبر هذين العالمين عن تاريخ الشخصية الروائية بوصفها كائنا ألسنيا لا وجود له خارج حدود النص على حدّ تعبير رولان بارت Roland Barthes (27)، و لإبراز حدّة معاناة البطلة فإن الروائية تخترق عوالمها الداخلية و تمزج بين المتكلم و المخاطب / الذات و الآخر:

" أنت بعيد ... بيننا قارات و بحار... و عينتاب التي تحترق في صدر البحر من الطرف الآخر ، أنت بعيد و العودة إلى بيتي تخيفني... أخاف وحدتي و صدر سريري و خارطة الوطن التي تستقر على الحائط المقابل كجثة ... في كل يوم أفتح التابوت الخشبي و أنظر إلى الجثة فأشعر بشيء من الفرح لأنها لم تتعفن، الوطن يموت أو بالأحرى مات، لكنه لم يتعفن... "(28)

مثل هذه المرويات الواردة في المتن الروائي تومئ بإسقاطات اللاوعي التي تبوح بها الكاتبة و تكشف عن مساحات واسعة من الهواجس و الأحلام المفتوحة على كل التأويلات الممكنة، إذ تقمصت "حميدة نعنع" دور الراوية و جعلتها تتولى توصيف الجانب السيكولوجي للشخصية الروائية بما أتاح لها الولوج إلى عوالمها الداخلية لتمثيل انكسارات الوطن و تشخيص قناعاتها الذاتية و الفكرية، مما يدعو القول إن الخطاب يتأرجح بين البوح الذاتي و الممارسة الإبداعية.

***نتائج البحث***

ترتكز روايتا "الوطن في العينين" و "من يجرؤ على الشوق" على الفضاء التخييلي لما له من أهمية في خلق الهوة بين الكاتبة و الراوية التي تسرد أحداث و وقائع النصين. فالمنجزات السردية و من بينها رواية السيرة الذاتية تتسم بالطابع الاستعاري، بحيث يشكل الترميز حيزا هاما في بناء النص و إعادة تشكيله و تقديمه في صياغته الجديدة.

و التجربة الروائية للأديبة اللبنانية "حميدة نعنع" بُنيت على تماه سيري فيه مزيج من المذكرات الشخصية و المرجعيات التاريخية، في الوقت ذاته الذي تم توظيف أساليب التنكر و المراوغة ؛ و يترتب على ذلك إقرار بتعدد قراءة النص السيرذاتي و بالترابط العلائقي بين ما هو سردي و نفسي، لتصبح اللغة و السرد هما الركيزتان الأساسيتان اللتان ينهض عليهما التحليل النفسي. فالمعاني المبطنة يتم تأويلها وفق مستويين، مستوى الأثر الأدبي و مستوى الشخصيات الروائية داخل النص، و الإسقاطات اللاواعية تكشف عن العوالم المتخفية التي تتجلى في أكثر الأحيان في شكل أقنعة، من أجل ذلك كان ضروريا اعتماد التحليل النصي، والاهتمام بالأثر الأدبي دون الوقوف عند كاتبة النص.

## مراجع البحث:


1- رينيه ويلك، أوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1981، ص80

2- Jeorges may, l'autobiographie, presses universitaires de France, paris, 1979.pp 18-22.

3- Jean Bellemeen-Noêl,vers l'inconscient du texte, presses universitaires de France, Paris 1996.p 52

4- Philippe Lejeune, le pacte autobiographique , collection poétique édition du seuil, Paris1975.p14.

5- Philippe Lejeune, Moi aussi, édition du seuil, Paris1986.p63.

6- حاتم الصكر: الرواية و السيرة الذاتية من المماثلة إلى المطابقة، نموذج (دملان) لحبيب عبد الرب سروري، متاح على الشبكة www.netnews -wekarticle

7- جان لوي كابانس : النقد الأدبي و العلوم الإنسانية، ترجمة فهد عكام، الطبعة الأولى، دمشق 1982 ،ص ص 53-54 .

8- عبد الله إبراهيم، إشكالية النوع و التهجين –متاح على الشبكة- www.nizwa.com

9- المرجع نفسه

10- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، أسئلة الإبداع و ملامح الخصوصية، الملتقى الثالث للمبدعات العربيات، دار كتابات و مهرجانات سوسة الدولي، الطبعة الأولى، تونس 1999، ص20 .

11- حميدة نعنع، من يجرؤ على الشوق، الطبعة الأولى، دار الآداب 1989، ص 7

12- سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي العربي، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1986، ص25

13- حميدة نعنع، الوطن في العينين،الطبعة الثانية ،دار الآداب ، بيروت1986، ص32

14-Voir Marie-Madeleine Touzin, l'écriture autobiographique , collections parcours de lecture, Bertrand Lacoste, Paris 1998.pp 82-83

15- ماجد موريس إبراهيم، سيكولوجية القهر و الإبداع، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت 1999، ص 90

16- يوسف الشاروني، القصة الثانية بعد الألف، مختارات من القصة النسائية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975،ص.15

17- حميدة نعنع، الوطن في العينين، ص ص 8-9

18- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكاتب، القاهرة 1984، ص 28

19- يمنى العيد، في معرفة النص، الطبعة الثالثة، دار الآداب، بيروت 1985، ص 227
20-عبد الله إبراهيم،إشكالية النوع والتهجين السردي،متاح على الشبكة: www.nizwa.com
21- حميدة نعنع ، من يجرؤ على الشوق ص ص 168-169
22-Vladimir Propp, Morphologie du conte, seuil 1970 Paris. p31
23- سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي، ص 41
24- Tzvetan Todorov, catégories du récit littéraire, in communications n°8, édition du seuil, Paris 1981. p149
25- حميدة نعنع، الوطن في العينين، ص ص 192-193
26- هان رايف تارييه، النقد الأدبي في القرن العشرين، ترجمة قاسم مقداد ، وزارة الثقافة السورية 1993، ص ص 195-196
27- Roland Barthes, l'effet du réel, communications n°11, Paris 1968, p25
28 - حميدة نعنع،الوطن في العينين، ص 70

.

# مقاربات نظريّة في مفهوم الفضاء الروائي وبنيته ودوره السردي في النصّ الروائي

د. محمد عبد الرحمن يونس .
قاص وباحث وروائي وأستاذ جامعي
جامعة ابن رشد ـ كلية اللغة العربية ـ قسم الأدب العربي، هولندا
younesmoon@hotmail.com

---

للمكان أهميّة كبيرة في بناء الحدث الحكائيّ، فهو البنية الأساسيّة من بنياته الفنيّة، و لا يمكن تصوّر أحداث قصصية إلاّ بوجود مكان تنمو فيه و تتشعّب، لأنّ المكان يحتوي على الأحداث و يبنيها و يشعّبها. و من داخل الفضاء المكانيّ تتم عمليات التخيّل و الاستذكار و الحلم، فلا يمكننا أن نتخيّل بطلاً أو شخصية قصصية تفكّر و تتفاعل مع أخرى، و تراقب و تحلّل الأوضاع الإيديولوجية و الاجتماعيّة، أو تثبت رؤاها إلاّ من داخل المكان ومن خلاله.

و يحدّد المكان في النصوص الحكائيّة مسار الشخصيات، و هو ضروري بالنسبة للسرد الحكائيّ، لأنّ السرد، و لكي ينمو و يتطوّر، فإنّه يحتاج إلى عناصر زمانيّة و مكانيّة، و الحدث « لا يُقدّم سوى مصحوب بجميع إحداثيّاته الزمانيّة و المكانيّة، و من دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدّي رسالته الحكائيّة »[1].

إنّ الفضاء المكانيّ بامتداداته و مكوّناته يساعدنا على فهم الشّخوص التي تقطنه، و وضعها الاجتماعيّ، و تكوينها السياسيّ و الفكريّ و الإيديولوجيا المعرفيّة التي تتبناها، و بالتالي يمكّننا من أن نفهم مجمل الأوضاع السياسيّة و الثقافيّة و الاقتصاديّة لمجتمع من المجتمعات، أو مدينة من المدن، فالفضاء المكانيّ « لا يتشكّل إلاّ عبر رؤية ما، بل و يمكن القول بأنّ الحديث عن المكان (...) هو حديث محوّر عن رؤية ذلك المكان و زاوية النظر التي يتّخذها الرّاوي عند مباشرته له. فالرؤية التي ستقودنا نحو معرفة المكان و تملّكه من حيث هو صورة تنعكس في ذهن الرّاوي و يدركها وعيه

---

**(1) – عن/ بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1990م، ص 29. و أخذ بحراوي عن/**
**Grivel, Charles: Prodoction de l`interet romansque, E.D Mouton, Paris, 1973, P. 101.**

قبل أن يعرضها علينا في خطابه »[2]. و الفضاء المكانيّ في النصوص الحكائيّة يكشف عن عادات سكّانه، وتاريخهم الثقافيّ و المعرفيّ و السياسيّ، بتعبير آخر إنّه يقدّمهم في صيرورتهم التاريخيّة و الحضاريّة. و يرى أحد الباحثين « أنّ المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنّه يجعل القصة المتخيَّلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة »[3].ويعدّ المكان (( البوابة الأقدر على تمكين القارئ من النفاذ إلى دواخل الروايات واكتناه أعماقها))[4]

و من هنا، فإنّ تشكّل الأحداث و سيرورتها يفترض صوراً جديدة للأمكنة، سواء أكانت واسعة أم ضيّقة[5]. و يرى بول كلافال أنّ المكان بالنسبة لقاطنيه يشكّل رمزاً للأمان، و مصدراً للاعتزاز و التعلّق. يقول[6]: « المكان هو أحد الدعائم المفضّلة للنشاط النموذجيّ، ينظر إليه من يسكنونه أو من يعطونه قيمة، و ذلك بطرق مختلفة، يُضاف إلى الامتداد الذي يشغلونه، و يتجوّلون فيه و يستعملونه، في فكرهم، امتداد يعرفونه و يحبّونه و الذي هو بالنسبة إليهم، رمز أمان، باعث عزّة، أو مصدر تعلّق ».

و يبدو أنّ دراسة بنية المكان و أوصافه و محتوياته في النصوص الحكائية ستساعدنا على فهم البنية المعرفيّة، و الوضع الاقتصاديّ و الطبقيّ للسكّان الذين ينتمون إلى هذا المكان، فـ « وصف الأثاث و الأغراض [داخل المكان] هو نوع من وصف الأشخاص الذي لا غنى عنه. فهناك أشياء لا يمكن أن يفهمها القارئ و يحسّها إلاّ إذا وضعنا أمام ناظريه « الديكور » و توابع العمل و لواحقه »[7]. و بشكل عام يظلّ بيت الإنسان امتداداً له، فإذا

---

(2) - م ن، ص 100 – 101.

- (3)du roman, P. O. F, 1980, P. 164.
Mitterand, Henri: Le Discoures
مستشهد به عند: لحمداني، د. حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء. الطبعة الأولى، آب 1991م، ص 65.

(4) ـ د. صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1997م، ص 25.

(5) ـ لحمداني، د. حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

(6) ـ المكان و السلطة، ترجمة د. عبد الأمير إبراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1410هـ/1990م، ص 24.

(7) ـ بونور، ميشال: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، الطبعة الثانية 1982م، ص53.

وصفنا البيت فقد وصفنا الإنسان[8]. فعلى سبيل المثال يُلاحظ أنّ محتويات منازل التجار والأثرياء في النصوص الحكائية العربية،[9] » ، تشير إلى الوضع الطبقي لهؤلاء التجار، و تشير إلى أي مدى قطعته هذه الطبقة - في الثراء الفاحش و تثمين الأموال، كما أنّها تكشف عن البنية الذهنيّة و السلوكيّة لنساء هاته الطبقة وأولادهن وبناتهن، التي تنحصر في العبث و اللهو، و معاقرة الخمرة، و تشير أيضاً إلى مدى عمق العلاقة التي تربط السياسيّ بالتجاريّ ، و إلى تقدير السياسيّ للتجاريّ و احترامه له، نظراً لأموال التجاري الكثيرة.

إن الرواية العربية المعاصرة تفوق بقية الخطابات الإبداعية الأخرى ، وذلك في قدرتها الكبيرة على تشكيل فضاءات متعددة ونامية، داخلية وخارجيّة، وتجسّد هذه الفضاءات حركة الشخصيات، وهمومهم وآلامهم وآمالهم وتفاعلاتهم مع محيطهم الثقافي والاجتماعي والمعرفي، وليس شرطا أن تكون هذه الفضاءات واقعية، بل كثيرا ما تكون تخيّليّة، أو منفيّة أو غائبة عن المكان المعروف بطبوغرافيته المحدودة، فتبدو بعض الأمكنة أسطوريّة أو خرافيّة أو حلميّة، أو موغلة في التاريخ القديم للأمم والحضارات القديمة والبائدة، غير أن الروائي العربي، وحين استحضاره لهذه الأمكنة، بشتى أشكالها ومظاهرها الأسطوريّة أو الخرافيّة، لا يبتعد كثيرا عن الفضاءات الواقعية العربية، بقيمها الكبرى وعاداتها وأعرافها، وبنيتها، وآفاقها المعرفية. وتتعدد صور الفضاء المكاني وأشكاله في الرواية العربية المعاصرة، ونظرا لهذه الصور الكثيرة، فإني سأكتفي بذكر الأمكنة المهمة التالية:

## 1 ـ فضاء المدينة في الرواية العربية

تشكل المدينة، في بعدها المعماري والسكاني إطارا تنظيميا واجتماعيا وسياسيا أكثر تعقيدا، وتشكّل فضاءاتها نمطين من العناصر: عناصر أساسية صغيرة كالبيوت الفردية، وعناصر كبيرة وضخمة باعتبار إشاراتها ودلالاتها، وهي: القصور والمساحات العامة وفضاءات العبادة والكاتدرائيات

---

(8) ـ وارين، اوستن؛ ويليك، رينيه: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الأدب، دمشق، الطبعة الأولى 1972م، ص 288.

(9) ـ لمزيد من الاطلاع يُنظر: ألف ليلة و ليلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة دون تاريخ، المجلد 47/1.

أوالكنـائس [9]، والأسـواق التجاريـة ودور المسـرح والسـينما، والمقـاهي، والحدائق العامـة، والملاهـي، والملاعب الرياضـية. وتتفرع عن مجمل هذه الفضـاءات الكبيـرة، فضـاءات فرعيّـة أخـرى كثيـرة جدا، وقد كانـت الروايـة العربيـة أكثـر الخطابـات الأدبيـة تعبيرا عن المدينـة، فقد ارتبط ازدهار الفن الروائـي بنشـأة المـدن الكبـرى، وانتشـار التعلـيم والجامعـات،(( كمـا ارتـبط بحصول المرأة على قدر من الحرية الاجتماعيـة، وبخاصـة حق العمل وحق الحب اللذين يتيحان شبكة من العلاقات تسمح بصنع نسيج فني متعدد الألوان، فيه من عناصر الكشف والتشويق ما يغري بالاستزادة))[10].

وإذا كانت الرواية، في بنيتها المعرفيّة (( تجمع بين التاريخ والاجتمـاع والفلسـفة وعلـم الـنفس، و تضـيف إلـى ذلـك الشـعر والتركيـب الموسـيقي، وعبقرية الفرد... الذي يعبّر عن وعـي أمتـه، ويصـوّر عمقـا من أعماق نفسـه هو أيضـا، بحيث يبقـى هو جزءا من الضمير الجمـاعي الكبير الـذي يتغلغل فيـه))[11]، فـإنّ هذا الكم المعرفـي التراكمـي، فـي أغـزر أشـكاله، يتشكّل فـي المدينـة. وإذا كانـت المواهـب الأولـى تنمـو فـي الريـف و فـي فضـاء القريـة وتترعـرع، فإنّهـا لا تتخـذ شـكلها الفاعـل الحضـاري إلاّ فـي المدينـة، و(( إذا أردت أن تـرفض الفـن فلـك أن تـرفض المدينـة، كلاهمـا توأمـان.. وإذا أردت الفن فعليك أن تعانق المدينة.. الريف لا ينتج إلاّ الفولكلور))[12].

وعلى الرغم من أهميـة فضـاء المدينـة وعلاقاتـه فـي الروايـة العربيـة، فـإنّ معظـم الـروائيين العـرب الـذين يشـكلون خطـابهم السـردي مـن داخـل هـذا الفضـاء يدينونـه، أو ينفـرون منـه، فهـو يبـدو فـي روايـاتهم فضـاء للاغتـراب والاستلاب والفاجع والقتامة، وجميع اللوثات المرضية، فضاء يفتقد المرء فيه إلـى حريتـه وكرامتـه وكبريائـه، إنّـه فضـاء غيـر نظيـف فـي قيمـه وعلاقاتـه المحكومة بالدونيـة والانحطـاط والكذب والريـاء، والنفـاق الاجتمـاعي، فضـاء يرتكب فيه قاطنوه أبشع أنواع المعاصي والموبقات سرا، لكنهم يخجلـون مـن ابتسـامة ود علنيّـة، فضـاء ملـوّث بشـراهة أسـطوريّة صـوب الاسـتهلاك

---

[9] ـ شواي، فرانسواز: " السماتية وتنظيم المدن"، ضمن كتاب كتب: معنى المدينة، ترجمة د. عادل العوا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م، ص 15.

[10] ـ عبد الله، د. محمد حسن: الريف في الرواية العربية ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 143، ربيع الآخر 1410 هـ/ نوفمبر، تشرين الثاني 1989م، ص 8.

[11] ـ جبرا، إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا ( دراسات نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، تموز، يوليو، 1979م، ص 80 ـ 81.

[12] ـ نفسه ، ص 83.

والامتلاك، استهلاك السلع ومنتجات الحضارة الماديّة، وامتلاك الأموال وتثمينها، والنساء وكثرة الابتناء بهنّ.ونلاحظ أنّ فضاء المدينة في الرواية العربية، وعلى الرغم من تعدديته وكونه فضاء حاملا للمعرفة، ومنتجا لها في آن، فإنه لا يحترم العلمي والمعرفي، ولا يقدّر العلماء والمبدعين والمثقفين ومنتجي المعرفة، فهؤلاء مهمّشون ومستلبون، و مهانون وفقراء وفاقدون لطمأنينتهم الروحيّة والإنسانية ، وغير قادرين على أن يكونوا فاعلين لا على المستوى الفردي أو الجمعي، ولا على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، أمّا الفاعلون في هذا الفضاء فهم التجار والمرابون والسماسرة، والفاعلون في التجارة والاقتصاد، يضاف إلى ذلك المغنيات والراقصات والنساء الجميلات اللواتي يلعبن دورا رئيسا وفاعلا في بنية فضاء المدينة، وفي تشكيل كثير من علاقاته وقيمه، وبالتالي في تشكيل كثير من بنياته السرديّة، وخطاباته وثقافته الاستهلاكيّة.

إنّ الرواية في فضاءاتها المكانية الناميّة والمتعددة، على حدّ تعبير كريستوفر كودويل (( فن يعتمد على أناس في مجتمع ما يعيشون أنماطا متباينة جدا من الحياة، وأنّ هذه الأنماط تتداخل وتتصادم في ما بينها فتوجد أحداثا تصوّر بدورها كيانات إنسانية متباينة جدا، وهذا كله يهيئ المادة التي يجعل منها الروائي فنا قصصيا. ولذا فإنّ الرواية لا توجد إلاّ في المجتمعات الناميّة والمدن الكبيرة. حيث تتوفر هذه الأنماط الحياتية المتفاوتة، وحيث هي دائما ممكنة، وفي صيرورة))[13] .

## 2 ـ فضاء الحانة

يأخذ فضاء الحانة بعدا معرفيّا مهما في النصوص الروائية العربية، وإن كان محدودا بمجموعة من الفضاءات الفرعيّة الأخرى، والأشكال الأخرى المتواجدة في الحانة، إلاّ أنّ له بعدا معرفيّا وإشاريا ذات دلالات بعيدة، وحمولات إيديولوجية، وإشارات رمزيّة لها ارتباطاتها المعرفيّة والبنيويّة ببنى الحياة العربية المعاصرة، إنّه يساعد الأنا الداخلة فيه (( على التعرف على ذاتها))[14]، وذلك من خلال سرد همومها واغترابها ويأسها في الواقع العربي المحبط، وبالتالي يسهم فضاء الحانة في كشف بؤر الواقع الفاسدة، اجتماعيا وسياسيا، ويسهم أيضا في فضح البنية المجتمعية السفلية والعليا معا، ولأنه مكان محرّم فهو فضاء مغر للأشخاص الداخلين فيه، ولأولئك الذين لم يجربوه بعد. وعلى الرغم من خطورته ، نظرا لبذاءة

---

(13) ـ نفسه، ص 86.

(14) ـ حافظ ، د.صبري " حول محطة السكك الحديد لإدوارد الخراط"، مجلة الأقلام ا، بغداد، العدد 11ن 12، عام 1986م، ص 71.

السكارى والمخمورين فيه، وصعوبة أمزجتهم المتقلبة، وميلهم إلى العنف والعراك الوحشي، ويأسهم من الحياة، فإنّه في كثير من الخطابات الروائية العربيّة المعاصرة، يبدو مألوفا وحميما لدى شخوصه، سواء أكانوا رجالا أم نساء. إذ تنشأ بين هؤلاء الشخوص صداقات معرفيةٌ وإنسانية عميقة، يتخذ منها الروائي شكلا من أشكال الرفض لبنى الحياة الواقعيّة والسوداويّة، سواء أكانت هذه البنى سياسية أم اجتماعية، أم مذهبية أم طائفية، أم قبلية أم عنصرية.

**3 ـ فضاء الريف**

من أهمّ مزايا الرواية العربية المعاصرة (( الامتداد والتنوع والابتكار))[15]، ومن داخل الفضاء المكاني يتمّ هذا الامتداد وهذا التنوع، فوصف العلاقات القائمة في المكان، بشتى أشكالها، هو الذي يسهم في نمو الفضاء المكاني، ولا نغالي إذا قلنا إن المكان هو الحاضن لمجمل الطرائق الفنيّة والجماليّة التي يقوم عليها البناء الروائي، فمن خلال المكان ينمو السرد ويتشعّب، ويتجدد الحوار، وتوصف الأشكال، وتنمو الشخصيات وتتوالد مشكّلة الرئيسة والثانوية منها في آن. وإذا كان ازدهار الفن الروائي مرتبطا بنشأة المدن الكبرى، وعلاقاتها المتعددة والمتباينة المتغايرة، وبالتالي المتنوّعة والمتناقضة، فإنّ هذا الارتباط لم يمنع الروائي العربي من الاحتفاء بفضاء الريف وعاداته وعلاقاته التي يراها لم تتلوث بعد، والإشادة بهذه العلاقات والعادات، وبخاصّة عند الكتاب الرومانسيين الذين يلوذون بفضاء الريف، ويعتبرونه ملاذا آمنا للطمأنينة الروحية والإنسانية، فلقد كانت ((الرومانسيّة ـ على المستوى العربي ـ نقطة البداية الصحيحة لرواية عربية تنهض على قيم فنيّة ناضجة، [ فـ] الرومانسية سمة غالبة على البدايات المتعددة في مناطق مختلفة من الوطن العربي))[16].

**4 ـ فضاء السجن في الرواية العربية**

يعدّ فضاء السجن من أهمّ فضاءات المدينة العربية في الرواية العربية المعاصرة، ولعلّه أكثر الفضاءات الموصوفة ذات الحمولات الإيديولوجيّة والسياسية التي يريد الروائي الإشارة إليها ترميزا أو تصريحا، فهو فضاء مظلم كريه يثير الرعب والخوف والاشمئزاز، والدخول إليه يعني التصفية الجسدية أو الجنون والهذيان، وهو (( فضاء للعزل القسري الفردي والجماعي ...وبما هو فضاء للحجز الجسدي فهو أيضا مجال للموت البطيء،

---

(15) ـ حسن عبد الله، د. محمد: الريف في الرواية العربية، ص 8.

(16) ـ المرجع السابق، ص 15.

والسريع، للعذاب الجسدي والنفسي وللرتابة القاتلة. السجن بهذا المعنى قبر وإقبار للجسد حيا... وفصم لكلّ ما يربط الذات بالآخر))[17].

وضمن(( هذا الأفق جرت تغطية العالم الذي يشكّله الفضاء السجني في الرواية، وذلك من خلال إبراز ملاحمه الطوبوغرافية المميزة والتعليق على أهمّ المظاهر التي تنشأ عنها. وقد أخصبت هذه الدلالة المزدوجة للمكان خيال الروائيين فراحوا يتأملون في فضاء السجن بوصفة عالما طارئا ومفارقا للمعتاد مستعملين في ذلك لغة شارحة غاية في التنوّع ))[18].

إنّ أفق الحريات الضيق في العالم العربي، أو غير المتنامي أو غير المتجدد، وعدم قدرة المثقفين والأدباء العرب على التصريح بآرائهم ومكنونات نفوسهم شكّل لديهم إيديولوجيا مضادة لإيديولوجيا الدولة التي يعيشون فيها، ولبنيتها المعرفية أيضا، فهم الطرف الأضعف والمسلوب الإرادة، في حين أن الدولة تشكّل منظومة قوية متكاملة من الأعراف والقوانين والمفهومات والنظريات التي يصعب اختراقها، لأنها (( تملك سلطة قسرية تعلو قانونا على أي فرد من أفراد المجتمع، أو أي جماعة من الجماعات التي هي جزء من هذا المجتمع. ومن ثمّ تكون الدولة وسيلة خاصّة لممارسة السلطة. وهي خاصّة لأنها عليا، وهي خاصّة أيضا لأنّها قسرية. وما من سلطة أخرى في المجتمع تستطيع أن تكون لها سلطة مماثلة ما لم تكن مفوّضة من الدولة في ذلك. فالدولة عموما، هي وحدها التي لها الحق الشرعي في أن تقتل وتسجن رعاياها، وأن تستخدم قوتها المسلحة لتجبرهم على قبول قراراتها))[19].

وإذا كان فضاء السجن في مهمته الأساسية يهدف إلى حماية الدولة والمجتمع والفئات التي تعيش في هذا المجتمع، من كل الذين يخترقون قوانين الدولة ويتخطونها، ويشكّلون خطرا عليها، وعلى مواطنيها وسلامتهم، وأمنهم الإنساني والاقتصادي، وإذا كانت من مهمات السجن الرئيسة، والتي وضعت له، إصلاح المارقين المجرمين، وتهذيب نفوسهم، وإعادة بنائهم بناء أخلاقيا ونفسيا يتواءم مع مجموع أنساق القيم المجتمعيّة السائدة، في مفهوماتها النظريّة والعمليّة، فإن هذا الفضاء يشكّل في الرواية العربية

---

(17) . الزاهي، فريد: الحكاية والمتخيل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م، ص 56.

(18) . بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ص 59 . 60.

(19) . لاسكي، هارولد: الدولة في النظرية والتطبيق، ترجمة: كامل زهيري وأحمد غنيم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 1963م، ص 169.

دلالات مغايرة وحمولات إيديولوجية، وإشارات معرفية جديدة، فنزلاء هذا الفضاء قلّما نجد بينهم مجرما، يدخلون أصحاء سليمي العقل والرؤية والتفكير، ويخرجون محطّمين مهمّشين، وفاقدين لأبسط قدراتهم الجسديّة والنفسيّة. إن استحالة مغادرتهم لعالم إقامتهم الجبريّة(( سيولد لديهم شعورا بالعجز التام أمام غياب كلّ إمكانية لاختراق هذا الفضاء الموصد ممّا سيجعل مواقفهم تبريرية كثيرا أو قليلا، وسينعكس كلّ ذلك الشعور على معنوياتهم وقدرتهم على المواجهة فنجد الواحد منهم يعاني العزلة والإحساس بالذنب فضلا عن افتقاد الحرية))[20].

ونستثني من ذلك نماذج معيّنة عرفت بقدرتها على الصبر والتحمل الشديدين، هذه النماذج ـ بقدرتها الاستثنائية ـ حوّلت فضاء السجن إلى فضاء للحراك الاجتماعي والسياسي، والقراءة والإبداع، وتشكيل المعرفة وتحصيلها، وإثارة الوعي، وبثّه في نفوس المساجين الآخرين، ويقف على رأس هذه النماذج فئة المثقفين والأدباء، وأصحاب النظريات السياسية. وتشير الإحصائيات الواقعية إلى أنّ نسبة لا يستهان بها، من أدباء العالم العربي وروائييه ومثقفيه، قد قضوا فترات طويلة أو قصيرة في فضاءات السجون الموحشة، وبعد خروجهم شكّلوا خطابات روائية أكثر نضجا، وعمقا إنسانيا ومعرفيا، وتجارب جمالية متميزة.

## 5 ـ فضاء المقهى

---

تتعدد صور المقهى في الرواية العربية المعاصرة وأشكاله ودلالاته، وإشاراته الرمزية، ووظائفه البنيوية أيضا، وتقسم المقاهي في الرواية العربية إلى عدة أقسام منها:

1 ـ مقاه مركزية ورئيسة وكبيرة واسعة، ومزخرفة زخرفة جمالية خاصة، ترضي أذواق الداخلين فيها، وتتوسط المدن العربية الكبرى، يرتادها الرجال والنساء معا، ويغلب على هذا النوع من الرواد صفات نفسية وأخلاقية واجتماعية خاصة جدا، فهم ارستقراطيو النزعة والطموح والتطلع، غالبا ما تجمعهم المصالح التجارية والاقتصادية الخاصة، ويصفهم الخطاب الروائي وصفا ساخرا، فهم انتهازيون ومتسلقون، وسماسرة ومرابون، ورجال أعمال يفتقدون إلى الكرامة والشرف والعفّة، يتاجرون بكل شيء، ويمارسون الدعارة ويتعاطون الحشيش والمخدرّات، ونفوذهم الاقتصادي والتجاري كبير جدا في مجتمعاتهم، ويمارسون كل ما هو منكر، رجالا ونساء، وبمرأى

---

[20] ـ بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ص 61 ـ 62.

ومسمع رجال السلطة  هذه المدينة أو تلك، لأنّ ثمّة مصالح مشتركة بينهم وبين رجال مرموقين في أعلى الهرم السياسي والاجتماعي. وتتركز هذه المقاهي في الروايات العربية التي تجري بعض حوادثها في مقاهي بعض المدن العربية الكبرى، ومنها: دمشق، وبيروت، والقاهرة، والرباط، والدار البيضاء وتونس، والعديد من المدن الأوربية التي يزورها العرب، والتي أشار إليها الخطاب العربي ووصفها، ولعلّ أهم هذه المدن هي: باريس ولندن ومدريد وروما وموسكو، وبوخارست، وبودابست،وغيرها. وتتوضع هذه المقاهي في الرواية العربية، في الشوارع المركزيّة الرئيسة في المدن الرئيسة التي يغلب عليها طابع الثراء والأبّهة. وأحيانا في بهو الفنادق السياحية الرئيسة والكبرى.

2 ـ مقاه خاصة بالرجال، ومحرّم عليها دخول النساء، وهي تشكّل لدى هؤلاء الرجال ـ أبطال الروايات ـ فسحات للحرية والهروب، الهروب من فضاء المنازل المغلقة والضيّقة، وما يدور فيها من مكايد الزوجات والنساء وجبروتهن واستبدادهن، وسعارهن الذي لا حدود له ، المحكوم برغبة الامتلاك والسطوة وقهر الزوج، وطلبات الأولاد التي لا تنتهي، والهروب من الفضاء الاجتماعي الواسع بامتداداته، الضيق برؤيته وعاداته وتقاليده وأعرافه. وينشد الأبطال في فضاه هذه المقاهي بديلا موضوعيا من همومهم واستلابهم وفواجعهم، إذ يأخذون الشيشة، ويلعبون الورق والدومينو، وأحيانا تنفجر همومهم ومصائبهم على شكل صراخ حاد حينا، وعراك وحشي بالشتائم والألفاظ الجارحة تارة، وبالمدى والسكاكين والأيدي تارة أخرى. وأحيانا يأخذون الحشيش المخدر وغيره من المخدرات، ويتسع فضاء هذه المقاهي أحيانا في بعض الراويات العربية ليصبح حانة في الوقت نفسه، يقدم فيها أنواع الخمور، وبخاصة الرخيص منها، ولعل الرواية السورية والمغربية والجزائرية والتونسية من أهم الروايات العربية التي تحتفي بنماذج هذه المقاهي.

3 ـ مقاه خاصة بالنساء، ومحرم عليها دخول الرجال، تدخلها النساء هروبا من الفضاءات الاجتماعية المغلقة، ومن مشاكلهنّ الزوجيّة والعائلية الخاصّة، وأحيانا النفسيّة المعقّدة، ويبدو دخولهن أحيانا لغاية وظيفيّة، تتحدد بالثرثرة والانتقام من العالم، وذلك من خلال فضح عيوبه الداخليّة والخارجيّة. وتتنوع النساء الداخلات في هذه المقاهي، فهنّ مطلقات هاربات من جحيم الأزواج، وهن مثقفات وأديبات أحيانا يطمحن إلى أن يكون العالم المحيط بهنّ أكثر نقاء ونظافة، وأكثر احتراما لعقولهن وثقافاتهن. وهن معلّمات ومدرسات وطالبات جامعيا ت أحيانا أخرى، وإذ يلذن بفضاء المقهى فإن ذلك يشكل هروبا من عناء أعمالهن الوظيفية، ومحاضراتهن العلمية، وهن مقاولات وتاجرات

ونساء أعمال يفقن الرجال في قدراتهن المالية ، ومكانتهن الاقتصادية. ويبقى حضور هذا النوع من المقاهي في الرواية العربية حضورا غير مركزي، إذ لا يسهم كثيرا في نمو السرد، وتشعبه، وتشكّل علاقاته، وخطاباته الفكريّة.

4 ـ مقاه خاصة بالمثقفين والأدباء والأديبات والفنانين التشكيليين، ومحبي الأدب وأنصاره ومتذوقيه، ويتسع هذا النوع من المقاهي في الرواية العربية، ليشمل أحيانا فضاء نوادي الصحافة، ونوادي اتحادات الأدباء والكتاب. والأندية الأدبية .

وبشكل عام، وعلى الرغم من تعدد أشكال فضاء المقهى وصوره في الرواية العربية يمكن القول: إنّ أبرز الدلالات التي تشير إليها فضاءات المقاهي، والتي يبرزها السرد الروائي العربي (( تحمل طابعا سلبيا يشي بما يعانيه الفرد من ضياع وتهميش، ومما يؤكد ذلك أن فضاء المقهى [ يكون] مسرحا للعديد من الممارسات المنحرفة، سواء كانت دعارة أو قمارا أو تجارة مخدرات، أو حتى مجرد عطالة فكريّة مزمنة.وتتكرر هذه الصور السلبية لفضاء المقهى في أكثر من رواية حتى توشك أن تصبح العصب الرئيسي الذي يحكم دلالته ويلتحم بها، فهي، ليست دلالة طارئة تأتي لخلخلة المألوف والسائد، وإنّما هي دلالة متأصّلة تندمج في بنية ذلك الفضاء وتجعل منه بؤرة للثرثرة واغتياب العالم، ومحطّة لتناقل الشائعات ... كشكل من أشكال التعويض على مأساة الذات الفرديّة الممزقة))[21]

---

انتهى المقال ويليه المصادر والمراجع

[21] ـ بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي ، ص 91.

## المصادر والمراجع


[(1)] - ألف ليلة و ليلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة دون تاريخ، المجلد الأول.

[(2)] - بوتور، ميشال: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، الطبعة الثانية 1982م.

[(3)] - بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1990م.

[(4)] - جبرا، إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا ( دراسات نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، تموز، يوليو، 1979م.

[(5)] - حافظ ، د.صبري " حول محطة السكك الحديد لإدوارد الخراط"، مجلة الأقلام ا، بغداد، العدد 11ن 12، عام 1986م.

[(6)] - الزاهي، د. فريد: الحكاية والمتخيل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م.

[(7)] - شواي، فرانسواز، وآخرون: معنى المدينة، ترجمة د. عادل العوا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م،

[(8)] - صالح، د. صلاح : قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1997م.

[(9)] - عبد الله، د. محمد حسن: الريف في الرواية العربية ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 143، ربيع الآخر 1410 هـ/ نوفمبر، تشرين الثاني 1989م.

(10) - لحمداني ، د. حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء. الطبعة الأولى، آب 1991م.

(11) – كلافال، بول : المكان و السلطة، ترجمة د. عبد الأمير إبراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1410هـ/1990م.

(12) - لاسكي، هارولد: الدولة في النظرية والتطبيق، ترجمة: كامل زهيري وأحمد غنيم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 1963م.

(13) - وارين، اوستن؛ ويليك، رينيه: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الأدب، دمشق، الطبعة الأولى 1972م.

(14)- Grivel, Charles: Prodoction de l`interet romansque, E.D Mouton, Paris, 1973, P. 101.

(15) -Henri ,Mitterand: Le Discoures du roman , Paris , P. O. F, 1980

# دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم
# دراسة فونولوجية حاسوبية

**د. أحمد راغب أحمد**
**أستاذ مساعد**
**جامعة المدينة العالمية ـماليزيا**

**موضوع الدراسة:** تتناول هذه الصفحات دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم، وذلك من خلال رصد زمن الحركات والمدود في عينة البحث ومحاولة استنباط العوامل المؤثرة في تقدير زمن الفونيم، وذلك عن طريق تحليل الأداء القرآني لعينة الدراسة التي مثَّلت مجموعة من المشايخ المشهود لهم بالإتقان وهم: **الشيخ الدكتور/** عبد الله بصفر، **والشيخ الدكتور/** محمد أيوب، **والشيخ/** مشاري بن راشد العفاسي، وذلك بهدف الوصول إلى إجابة للتساؤل التالي:

**هل النتائج المتعلقة بتقدير المدى الزمني للمدود في القرآن الكريم ظاهرة خاصة متعلقة بقارئ القرآن وحده وطبيعة قرآته وطرق أدائه أم أنها قاعدة عامة أو ظاهرة إنسانية لا يمكن الانفكاك عنها فسيولوجيًّا عند نطق القرآن الكريم؟**.

**أهداف الدراسة:**

يمكن إجمال الأهداف المرجوة من هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. رصد وتقييم المدة الزمنية للمد في الأداء القرآني ومعرفة العوامل والمؤثرات التي تؤدي إلى زيادة أو نقص هذه المدة الزمنية.
2. نقد وتقييم نظرية الحركة والحركتين التي اعتمدها علماء التجويد والقراءات في تحديد مقدار زمن الحركات القصيرة والطويلة في تلاوة القرآن الكريم.
3. رصد علاقة زمن المد بنوع الصامت السابق له.
4. رصد علاقة زمن المد بظاهرة النبر.
5. ترتيب أنواع المد من ناحية المدة الزمنية.

**وسيحاول البحث تحقيق هذه الأهداف من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:**

1. هل يتأثر زمن المد بنوع الصوت السابق له من حيث الجهر والهمس؟
2. هل يتأثر زمن المد بنوع الصوت اللاحق له من حيث الجهر والهمس؟
3. هل هناك اختلاف جوهري يعتري المد بسبب التفخيم والترقيق؟
4. هل يتأثر زمن المد بسبب عامل النبر في المد العارض للسكون؟

**التجربة التطبيقية لأصوات المد:**

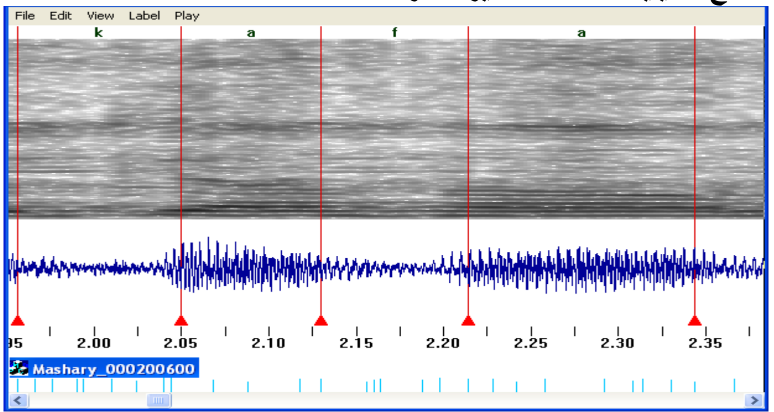
**قاعدة البيانات**

يقوم هذا البحث على تحليل آيات القرآن الكريم المقروءة على طريقة الترتيل بأصوات ثلاثة من أشهر قراء القرآن الكريم بإذاعة القرآن الكريم بمصر، وهم: الشيخ الدكتور/ **عبد الله بصفر**، والشيخ الدكتور/ **محمد أيوب**، والشيخ/ **مشاري بن راشد العفاسي**، ، وكانت المادة الصوتية مسجلة على أسطوانات أوديو، وكلها خالية من المؤثرات الصوتية الموجهة **-(Echo)**- وغير الموجهة **-(Noise)**-، وكان اختيار مادة البحث على اعتبار أنها المادة التي تمت مراجعتها واعتمادها لدى الشركة الهندسية لتطوير نظم الحاسبات **RDI** ضمن فعاليات مشروعات المعلم الآلي للتجويد **((حفص))**، وقد تم إعدادها بواسطة فريق الدعم اللغوي بقسم أبحاث ومعالجة الصوتيات بالشركة 2008 م.

**وقد تألفت قاعدة البيانات من:**

1. سورة الفاتحة - مكية -، من الآية (1) إلى الآية (7).
2. سورة البقرة – مدنية -، من الآية (1) إلى الآية (25).
3. سورة الأنفال – مدنية -، من الآية (1) إلى الآية (21).
4. سورة الكهف – مكية -، من الآية (1) إلى الآية (22).
5. سورة ق – مكية -، من الآية (1) إلى الآية (45).

**نماذج تحليلية: الفتحة القصيرة المرققة/a/ :**




شكل 1 يعرض صورة طيفية للفتحة القصيرة /a/ من خلال كلمة **كفروا** التي وردت في قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة/٦]، والتلاوة بصوت الشيخ مشاري بن راشد العفاسي.

ويظهر في الشكل صوت الفتحة القصيرة، والذي بدأ من الثانية 02:210، وانتهى عند الثانية 02:350، مستغرقًا زمنًا مقداره 0.240 ميللي ثانية، وتعرض هذه الصورة ثلاثة مستويات للتحليل الصوتي:

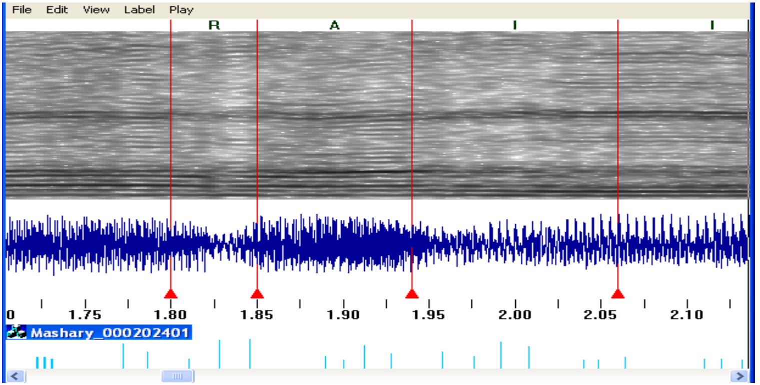
1. المستوى الأول الأعلى يعرض الشكل الموجي -(wave form)- ويبدو جليًا أنها لصوت مجهور؛ حيث وجود إشارة الذبذبات التي تقترن دائمًا بالأصوات المجهورة، بخلاف الصوت التالي أو السابق لها.
2. المستوى الثاني يعرض النغمة الأساسية أو منحنى التنغيم الأساسي -(Fundamental Frequency)- ونلاحظ اتصال الخط القاعدي لها، وهو أمر ملازم للأصوات المجهورة فقط.
3. المستوى الثالث formants يعرض المعالم الأولى والثانية والثالثة -(f1,f2,f3)- ونجدها موزعة توزيعًا منتظمًا متتابعًا مما يدل على انتماء هذا الصوت إلى مجموعة الأصوات المجهورة وعليه فإن صوت الفتحة القصيرة /a/ صوت مجهور لا تظهر فيه أية معالم من معالم الهمس.

وهذه الحزم الصوتية والتي يطلق عليها formants أو المعالم هي "الترددات أو مجموعة الترددات -(groups of frequencies)- التي تشكل نوع

الصوت -(Timpre)- وتميزه عن الأصوات الأخرى ذات الأنواع المختلفة"(1).

ومن استقراء القيم التي حواها ملف التحليل الصوتي نجد الآتي:
بلغ متوسط قيمة المعلم الأول 684 ذبذبة والمعلم الثاني 1602 ذبذبة والمعلم الثالث 2839 ذبذبة،
ونلاحظ أثناء تحليل قيم المعالم الثلاثة -(formants)- ارتفاع قيم المعلم الأول مع انخفاض قيم المعلم الثاني بشكل ملحوظ، وهو أمر مرده عملية الترقيق، وقد أدى هذا الانخفاض في قيم المعلم الثاني إلى التأثير في قيم المعلمين الأول والثاني لصوت "الفاء/f/ " التالي للفتحة؛ حيث أثرت هذه الفتحة القصيرة علي الصامت المجاورة فانخفضت بداية المعلم الأول للصوت اللاحق من 1072 ذبذبة/ثانية إلي 975 ذبذبة/ثانية، كما أثرت الفتحة القصيرة علي بداية المعلم الثاني للصوت اللاحق فانخفض من 2187 ذبذبة/ثانية إلى 2083 ذبذبة/ثانية.

**الفتحة القصيرة المفخمة /A/ :**




شكل 2 يعرض صورة طيفية للفتحة القصيرة المفخمة /A/ من خلال كلمة **النار** التي وردت في قوله تعالى: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين [البقرة/24].

(1) د. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 34.

ومن خلال رصد المدى الزمني للمدود في الصور الطيفية السابقة وفي الجداول الملحقة يمكنني مناقشة قضية الحركة والحركتين وعلاقتها بزمن المد التي تناولها علماء التجويد على النحو التالي:

**زمن المد:**

غلب على علماء التجويد تحديد زمن المد بالحركات، فإذا استوفى حرف المد نصيبه من المد انتقل بذلك من الحركة إلى الحرف، وهذه الخاصية ثابتة لحروف المد دون غيرها من الأصوات الجامدة "لا سيما الشديدة –الانفجارية- فإنها آنية الحدوث، وكذلك الرخوة –الاحتكاكية- فإنها وإن كانت زمانية يمتد بها الصوت مدة، لكن ذلك الامتداد لا يبلغ مقدار ألف، أي مقدار نطق حرف المد"(2).

وقد عقد الأستاذ الدكتور **غانم قدوري الحمد** مبحثا خاصًا بالمدود في كتابه القيم **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ذكر فيه أقوال علماء التجويد التي تباينت كثيرًا في تقدير زمن المد فذكر أن مقادير المد تكاد "تنحصر بين المد مقدار ألفين، أي ضعف المد الطبيعي، وبين المد مقدار خمس ألفات، وبين ذلك مراتب من المد بحسب مذهب القراء، وبحسب نوع المد ومكانه، وبحسب أسلوب القراءة من الحدر والتحقيق"(3).

ثم ذكر أن علماء التجويد قد حاولوا ابتكار وسائل لقياس مقادير المد وضبطها "فالقول أن مقدار المد ألف أو ألفان مثلًا لا يكفي لبيان الزمن الذي يحتاجه نطق المد، فلابد من إيجاد وسيلة تساعد في ضبط زمن نطق الوحدة المستعملة في قياس طول المد وهي الألف، أي زمن طق صوت الألف"(4).

ثم جمع نتائج دراسته لأقوال علماء التجويد في مسألة قياس وضبط زمن المد في وجود خمسة طرق "لقياس زمن نطق الألف الذي اتخذه علماء التجويد أساسًا لقياس مقادير المدود، وتلك الطرق هي:

1. أن تقول آ مرة أو مرتين أو أكثر، كل مرة تساوي نطق ألف.
2. العقد بالأصابع، ولعل معناه الطرق بأي من الأصابع على الإبهام، كل طرقة تقابل نطق ألف.
3. أن تعد عددًا، فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة..إلخ. وقد انفرد بذكر هذه الطريقة طاش كبرى زاده، وهو موضع نظر،

---

(2) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 536.

(3) السابق، ص: 539.

(4) السابق، ص: 540.

لأن كل واحد من الأعداد المذكورة يتضمن صوت الألف إلى جانب أصوات أخرى، فكل كلمة تعادل في النطق أكثر من ألف.

4. أن تمد صوتك بقدر قولك: ألف ألف.
5. أو كتابتها، أي كتابة ا وليس كتابة **ألف** فيما نرجح، وانفرد علي القاري بذكر هاتين الطريقتين"(5).

والحق أن كل هذه الطرق المذكورة لا تصمد ولو للحظات أمام البحث الموضوعي، بل هي في أغلب الأحيان حجة من لا يملك تعليلا، أو تعليل من لا يملك حجة. وقد شعر بذلك الأستاذ الدكتور **غانم قدوري الحمد** نفسه، فختم حديثه عن هذه المسألة – مسألة مقادير المدود- بما يشير من طرف خفي إلي عدم قناعته بكل تلك الطرق التي تبدو غير موضوعية، لكنه وجد لنفسه عذرًا في اعتمادها في بحثه لتعذر حصوله علي أجهزة دقيقة لرصد مقادير المدود "وإذا كان استخدام أجهزة القياس الدقيقة في ضبط مقادير المدود غير متيسر الآن، فإن الطرق السابقة التي ذكرها علماء التجويد تظل صالحة للاستخدام حتى يتيسر استخدام طرق أكثر دقة وتحديدًا لقياس مقادير المدود"(6).

والحق أنني قصدت عمدًا الإطناب في نقل جهود الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد في هذه المسألة لأؤكد أنني هنا لن أحاول مجاراته في جمع أقوال من هنا وهناك تبين القيمة الزمنية للمد، ولن أحلل مقولات لبعض علماء التجويد أو علماء الأصوات، لكنني سأبدأ من حيث انتهي؛ لأن العذر الذي وجده لنفسه والذي نقله نصًا من كتاب أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس(7) لم يعد بإمكاني أن أحتمي خلفه أو أستتر من ورائه، وعليه فقد شرعت في تحليل زمن المد في الآيات عينة الدراسة، حيث قمت بعرض الملفات الصوتية المذكورة علي تقنية برنامج HTK والذي قام بدوره بتحديد الأزمان التي استغرقها كل فونيم ورد في قاعدة البيانات بالميللي ثانية، ثم قمت بمراجعتها واعتمدها ضمن المواصفات التقنية لشركة RDI ، وعن طريق رصد نتائج تلك الجداول يمكن دراسة الأسباب التي قد تؤدي إلى زيادة أو نقصان المدى الزمني للفونيم، وذلك على النحو التالي:

---

(5) السابق، ص: 541.

(6) السابق، ص: 541.

(7) انظر: د. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص: 159.

**تفاوت مقادير المدود:**

**أولًا: الشيخ الدكتور محمد أيوب:**

| م الزمن | رمز الفونيم | م | م الزمن | رمز الفونيم | م |
|---|---|---|---|---|---|
| 1.786 | A4 | 9 | 1180. | i | 1 |
| 2.000 | a4 | 10 | 0.123 | A | 2 |
| 2.020 | i4 | 11 | 0.135 | u | 3 |
| 2.041 | u4 | 12 | 0.138 | a | 4 |
| 2.996 | i6 | 13 | 0.305 | a2 | 5 |
| 3.578 | a6 | 14 | 0.309 | i2 | 6 |
| ??? | A6 | 15 | 0.291 | u2 | 7 |
| | | | 0.293 | A2 | 8 |

جدول 1 يبين متوسط أزمان المدود المختلفة التي جمعت في قاعدة بيانات الدراسة

ولا تقتصر نتيجة هذا الجدول على إدراك زمن المد بأشكاله المختلفة بل تتعداه إلى إبراز العوامل التي تؤثر في تقدير زمن هذه الحركات، وذلك على النحو التالي:

**جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا سبقها صوت مجهور أو مهموس:**

| الحركة | متوسط الزمن بعد الصوت المهموس | متوسط الزمن بعد الصوت المجهور |
|---|---|---|
| /a/ | 0.113 | 0.113 |
| /i/ | 0.121 | 0.122 |
| /u/ | 0.115 | 0.138 |
| /a2/ | 0.293 | 0.299 |
| /i2/ | 0.269 | 0.291 |
| /u2/ | 0.25 | 0.291 |
| /a4/ | 2.004 | 1.87 |
| /i4/ | 1.979 | 2.091 |
| /u4/ | 2.091 | 2.043 |
| /a6/ | ______ | 3.578 |
| /i6/ | ______ | 2.996 |
| /u6/ | ______ | ______ |

جدول 2 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

ويُظْهِرُ الجدول بصفة عامة عدم اختلاف المدى الزمني للحركات والمدود إذا سبقت بصامت مجهور عن مثيلاتها المسبوقة بصامت مهموس.

**جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا تبعها صوت مجهور أو مهموس:**

| الحركة | متوسط الزمن قبل الصوت المهموس | متوسط الزمن قبل الصوت المجهور |
|---|---|---|
| /a/ | 1140. | 0.162 |
| /i/ | 0.105 | 0.125 |
| /u/ | 0.140 | 60.16 |
| /a2/ | 0.292 | 0.304 |
| /i2/ | 0.284 | 0.294 |
| /u2/ | 0.298 | 0.286 |
| /a4/ | ______ | ______ |
| /i4/ | ______ | ______ |
| /u4/ | ______ | ______ |
| /a6/ | ______ | 3.578 |
| /i6/ | ______ | 2.996 |
| /u6/ | ______ | ______ |

جدول 3 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

يظهر الجدول بصفة عامة زيادة القيم الزمنية للحركات والمدود إذا أتبعت بصامت مجهور عن مثيلاتها المتبوعة بصامت مهموس ويمكن توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التالية:

- بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 114 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 162 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 105 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 125 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 140 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 166 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 292 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 304 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الفتحة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 3578 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الكسرة الطويلة –حركتان- المسبوقة بصوت مهموس 284 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 294 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الكسرة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2996 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 298 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 384 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الضمة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس أو مجهور.

**نتائج الجداول:**

1. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مضمومة، وذلك مع كل الحركات عدا الكسرة الطويلة /i2/.
2. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون حتي كادت أن تصل إلى ضعف المد الطبيعي (402 ميللي ثانية) مع الأخذ في الاعتبار أن المشايخ عينة الدراسة التزموا جميعًا بوجه قصره على حركتين.

3. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة أكبر من من قيم الحركات القصيرة المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.
4. خلت العينة من المد الطبيعي المتبوع بالهمزة وذلك لأن الهمزة سبب من أسباب المد الفرعي.
5. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة (/a/ = 114 ميللي ثانية) أصغر من قيم الحركات المفتوحة المفخمة (/A/ = 162 ميللي ثانية).

**اختبار T Test**

لكي يتحقق الباحث من منطقية نتائج مخرجات الجداول السابقة عمد إلى إجراء اختبار الثقة المسمى بـ T Test، وهو اختبار لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطين، ويهدف الاختبار إلى التأكيد عما إذا كانت نتائج الجداول عشوائية أم أنها تعبر عن فروق ذات دلالة إحصائية.

**حالاته:**

الأولى : مقارنة متوسط عينة بمتوسط مجتمع ( One Sample T Test )
الثانية : مقارنة متوسطي مجموعتين مترابطتين ( Paired – Samples T Test )
الثالثة : مقارنة متوسطي عينتين مستقلتين ( Independent Samples T Test )

والحالات الثلاث موجودة في برنامج SPSS في القائمة Analysis ومنها نختار Comare Means لنحصل على حالات اختبار ( t ) سالفة الذكر.

**في الحالة الأولى والثانية** يتم مقارنة القيمة الناتجة في العمود ( sig.(2-tailed بمستوى الدلالة ( α =0.05 ) الذي يمثل مستوى الشك، بمعنى أننا نثق في قرارنا المتخذ بنسبة 95% ونشك بنسبة 5%، فإذا كانت القيمة الناتجة تحت (sig.2-tailed والتي تمثل P-Value أصغر من قيمة 0.05= α التي ارتضيناها دلَّ ذلك على وجود فروق ذات دلالة إحصائية، أما إذا كانت أكبر من قيمة مستوى الدلالة فلا توجد فروق ذات دلالة إحصائية.

**وفي الحالة الثالثة** تتضمن نتائج اختبار ( t ) قيما من أهمها: النسبة الفائية F ودلالتها الإحصائية sig، والتي تحدد مدى تجانس العينتين عن طريق اختبار ليفن لتجانس التباين Levene`s Test for Equality of Variances، ثم قيمة ( t ) ودرجات الحرية ومستوى دلالة ( t ) وقد حسبت مرتين، الأولى في حالة افتراض تساوي التباين Equal Variances assumed والثانية في حالة افتراض عدم تساوي التباين Equal Variances not assumed.

**نتائج الاختبار:**

بعد عرض جداول قاعدة البيانات التي تحتوي على كل أصوات على برنامج T Test أشارت نتائج صدق الافتراضات على النحو الآتي:

| م | الافتراض | النتيجة | نسبة الثقة |
|---|---|---|---|
| 1 | تأثير الصوت المجهور على الحركة السابقة له بالزيادة | قبول | 0.05% |
| 2 | تأثير الصوت المهموس على الحركة السابقة له بالنقص | قبول | 0.05% |
| 3 | تأثير الصوت المجهور على الحركة التالية له بالزيادة | رفض | 0.05% |
| 4 | تأثير الصوت المهموس على الحركة التالية له بالنقص | رفض | 0.05% |
| 5 | زيادة مدة المد العارض للسكون عن مدة المد الطبيعي | قبول | 0.05% |
| 6 | عدم تأثير الهمزة على زمن صوت المد بالزيادة أو النقصان | قبول | 0.05% |
| 7 | تأثير التفخيم على زمن صوت المد | رفض | 0.05% |
| 8 | عدم اختلاف زمن مد البدل عن زمن المد الطبيعي | قبول | 0.04% |

**ثانيًا: الشيخ الدكتور عبد الله بصفر:**

| م | رمز الفونيم | م الزمن | م | رمز الفونيم | م الزمن |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | i | 1010. | 8 | A2 | 0.267 |
| 2 | A | 0.103 | 9 | u4 | 1.001 |
| 3 | a | 0.104 | 10 | i4 | 1.091 |
| 4 | u | 0.106 | 11 | a4 | 1.140 |
| 5 | I2 | 0.220 | 12 | A4 | 1.335 |
| 6 | u2 | 0.235 | 13 | i6 | 2.416 |
| 7 | a2 | 0.258 | 14 | a6 | 2.422 |

جدول 4 يبين متوسط أزمان المدود المختلفة التي جمعت في قاعدة بيانات الدراسة

ولا تقتصر نتيجة هذا الجدول على إدراك زمن المد بأشكاله المختلفة بل تتعداه إلى إبراز العوامل التي تؤثر في تقدير زمن هذه الحركات، وذلك على النحو التالي:

**جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا سبقها صوت مجهور أو مهموس:**

| الحركة | متوسط الزمن بعد الصوت المهموس | متوسط الزمن بعد الصوت المجهور |
|---|---|---|
| /a/ | 0.100 | 0.101 |
| /i/ | 0.104 | 0.106 |
| /u/ | 0.105 | 0.106 |
| /a2/ | 0.267 | 0. 259 |
| /i2/ | 0.210 | 0.243 |
| /u2/ | 0.221 | 0.235 |
| /a4/ | 1.118 | 1.126 |
| /i4/ | 1.101 | 1.080 |
| /u4/ | 1.062 | 1.068 |
| /a6/ | _____ | 2.424 |
| /i6/ | _____ | 2.425 |
| /u6/ | _____ | _____ |

جدول 5 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

ويُظْهِرُ الجدول بصفة عامة عدم اختلاف المدى الزمني للحركات والمدود إذا سبقت بصامت مجهور عن مثيلاتها المسبوقة بصامت مهموس.

**جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا تبعها صوت مجهور أو مهموس:**

| الحركة | متوسط الزمن قبل الصوت المهموس | متوسط الزمن قبل الصوت المجهور |
|---|---|---|
| /a/ | 0.094 | 0.108 |
| /i/ | 5090. | 1070. |
| /u/ | 2110. | 0120. |
| /a2/ | 0.251 | 0.272 |
| /i2/ | 330.4 | 10.22 |
| /u2/ | 2020. | 2390. |
| /a4/ | ______ | 0.985 |
| /i4/ | ______ | 1.061 |
| /u4/ | ______ | 0.865 |
| /a6/ | ______ | 722.4 |
| /i6/ | ______ | 162.4 |
| /u6/ | ______ | ______ |

جدول 6 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

يظهر الجدول بصفة عامة زيادة القيم الزمنية للحركات والمدود إذا أتبعت بصامت مجهور عن مثيلاتها المتبوعة بصامت مهموس ويمكن توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التالية:

- بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 94 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 108 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 95 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 107 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 112 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 120 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 251 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 272 ميللي ثانية.

خلت أصوات العينة من صوت الفتحة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2427 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة الطويلة –حركتان- المسبوقة بصوت مهموس 433 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 221 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الكسرة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2416 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 202 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 239 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الضمة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس أو مجهور.

**نتائج الجداول:**

6. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مضمومة، وذلك مع كل الحركات عدا الكسرة الطويلة /i2/.
7. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون (940 ميللي ثانية) حتي تخطت مقدار المد المصل (0.875 ميللي ثانية).
8. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة أكبر من من قيم الحركات القصيرة المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات

المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.

9. خلت العينة من المد الطبيعي المتبوع بالهمزة وذلك لأن الهمزة سبب من أسباب المد الفرعي.

10. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة (/a/ = 106 ميللي ثانية) كانت مقاربة من قيم الحركات المفتوحة المفخمة (/A/ = 105 ميللي ثانية).

**اختبار T Test**

**نتائج الاختبار:**

بعد عرض جداول قاعدة البيانات التي تحتوي على كل أصوات على برنامج T Test أشارت نتائج صدق الافتراضات على النحو الآتي:

| م | الافتراض | النتيجة | نسبة الثقة |
|---|---|---|---|
| 1 | تأثير الصوت المجهور على الحركة السابقة له بالزيادة | قبول | 0.05% |
| 2 | تأثير الصوت المهموس على الحركة السابقة له بالنقص | قبول | 0.05% |
| 3 | تأثير الصوت المجهور على الحركة التالية له بالزيادة | رفض | 0.05% |
| 4 | تأثير الصوت المهموس على الحركة التالية له بالنقص | رفض | 0.05% |
| 5 | زيادة مدة المد العارض للسكون عن مدة المد الطبيعي | قبول | 0.05% |
| 6 | عدم تأثير الهمزة على زمن صوت المد بالزيادة أو النقصان | قبول | 0.05% |
| 7 | تأثير التفخيم على زمن صوت المد | رفض | 0.05% |
| 8 | عدم اختلاف زمن مد البدل عن زمن المد الطبيعي | قبول | 0.04% |

**ثالثًا: الشيخ مشاري بن راشد:**

| م | رمز الفونيم | م الزمن | م | رمز الفونيم | م الزمن |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | i | 1020. | 8 | A2 | 0.287 |
| 2 | A | 0.105 | 9 | u4 | 1.007 |
| 3 | a | 0.106 | 10 | i4 | 1.095 |
| 4 | u | 0.108 | 11 | a4 | 1.150 |
| 5 | I2 | 0.230 | 12 | A4 | 1.346 |
| 6 | u2 | 0.245 | 13 | i6 | 2.428 |
| 7 | a2 | 0.274 | 14 | a6 | 2.437 |

جدول 7 يبين متوسط أزمان المدود المختلفة التي جمعت في قاعدة بيانات الدراسة

ولا تقتصر نتيجة هذا الجدول على إدراك زمن المد بأشكاله المختلفة بل تتعداه إلى إبراز العوامل التي تؤثر في تقدير زمن هذه الحركات، وذلك على النحو التالي:

**تفاوت مقادير المدود:**

**جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا سبقها صوت مجهور أو مهموس:**

| الحركة | متوسط الزمن بعد الصوت المهموس | متوسط الزمن بعد الصوت المجهور |
|---|---|---|
| /a/ | 0.099 | 0.100 |
| /i/ | 0.106 | 0.106 |
| /u/ | 0.106 | 0.105 |
| /a2/ | 0.279 | 0.306 |
| /i2/ | 0.220 | 0.260 |
| /u2/ | 0.233 | 0.235 |
| /a4/ | 1.131 | 1.196 |
| /i4/ | 1.108 | 1.064 |
| /u4/ | 1.068 | 1.070 |
| /a6/ | _____ | 2.437 |
| /i6/ | _____ | 2.428 |
| /u6/ | _____ | _____ |

جدول 8 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

ويُظْهِرُ الجدول بصفة عامة عدم اختلاف المدى الزمني للحركات والمدود إذا سبقت بصامت مجهور عن مثيلاتها المسبوقة بصامت مهموس.

**جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا تبعها صوت مجهور أو مهموس:**

| الحركة | متوسط الزمن قبل الصوت المهموس | متوسط الزمن قبل الصوت المجهور |
|---|---|---|
| /a/ | 0.097 | 0.111 |
| /i/ | 0960. | 1070. |
| /u/ | 1140. | 1210. |
| /a2/ | 0.261 | 0.282 |
| /i2/ | 0.443 | 0.225 |
| /u2/ | 2060. | 2410. |
| /a4/ | ______ | 0.995 |
| /i4/ | ______ | 1.066 |
| /u4/ | ______ | 0.875 |
| /a6/ | ______ | 2.437 |
| /i6/ | ______ | 2.428 |
| /u6/ | ______ | ______ |

جدول 9 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

يظهر الجدول بصفة عامة زيادة القيم الزمنية للحركات والمدود إذا أتبعت بصامت مجهور عن مثيلاتها المتبوعة بصامت مهموس ويمكن توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التالية:

- بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 97 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 111 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 96 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 107 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 114 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 121 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 261 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 282 ميللي ثانية.

خلت أصوات العينة من صوت الفتحة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2437 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة الطويلة –حركتان- المسبوقة بصوت مهموس 443 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 225 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الكسرة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2428 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 206 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 241 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الضمة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس أو مجهور.

**نتائج الجداول:**

11. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مضمومة، وذلك مع كل الحركات عدا الكسرة الطويلة /i2/.
12. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون (1040 ميللي ثانية) حتي تخطت مقدار المد المصل (0.875 ميللي ثانية).
13. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة أكبر من من قيم الحركات القصيرة المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.
14. خلت العينة من المد الطبيعي المتبوع بالهمزة وذلك لأن الهمزة سبب من أسباب المد الفرعي.
15. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة (/a/ = 106 ميللي ثانية) كانت مقاربة من قيم الحركات المفتوحة المفخمة (/A/ = 105 ميللي ثانية).

**اختبار T Test**

**نتائج الاختبار:**

بعد عرض جداول قاعدة البيانات التي تحتوي على كل أصوات على برنامج T Test أشارت نتائج صدق الافتراضات على النحو الآتي:

| م | الافتراض | النتيجة | نسبة الثقة |
|---|---|---|---|
| 1 | تأثير الصوت المجهور على الحركة السابقة له بالزيادة | قبول | 0.05% |
| 2 | تأثير الصوت المهموس على الحركة السابقة له بالنقص | قبول | 0.05% |
| 3 | تأثير الصوت المجهور على الحركة التالية له بالزيادة | رفض | 0.05% |
| 4 | تأثير الصوت المهموس على الحركة التالية له بالنقص | رفض | 0.05% |
| 5 | زيادة مدة المد العارض للسكون عن مدة المد الطبيعي | قبول | 0.05% |
| 6 | عدم تأثير الهمزة على زمن صوت المد بالزيادة أو النقصان | قبول | 0.05% |
| 7 | تأثير التفخيم على زمن صوت المد | رفض | 0.05% |
| 8 | عدم اختلاف زمن مد البدل عن زمن المد الطبيعي | قبول | 0.04% |

**نتائج الدراسة:**

وختامًا فقد حاولت هذه الدراسة معالجة دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم حال النطق بأصوات القرآن الكريم معالجة حاسوبية، وقد خلصت إلى مجموعة من النتائج يمكن إبرازها كالتالي:

1. اعتمدت اللغة العربية بشكل أساسي على الصوائت، حيث وردت 210596 مرة، وشكلت نسبة 42.13% من قيمة الأصوات في القرآن الكريم.
2. تقارب متوسطات مد البدل مع متوسطات المد الطبيعي (292 ميللي ثانية).
3. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مكسورة أم مضمومة.
4. عدم تأثير الأصوات المهموسة أو المجهورة التي تأتي قبل الحركات مباشرة على تقدير زمن تلك الحركات.
5. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون حتي كادت أن تصل إلى ضعف المد الطبيعي مع الأخذ في الاعتبار أن المشايخ عينة الدراسة التزموا جميعًا بوجه قصره على حركتين.
6. ظهرت متوسطات قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة والتي ظهرت بقيم أكبر من من قيم الحركات المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.
7. مع أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة ظهرت بقيم أصغر من قيم الحركات القصيرة المفتوحة المفخمة إلا أن اختبار ( T Test) لم يقر هذه النتيجية لعدم انتظامها منطقيًّا ورياضيًّا.

## ثبت المراجع العربية


1. **أبو الفتح عثمان ابن جني:** سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
2. **أحمد راغب أحمد:** فونولوجيا القرآن "دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم الأصوات الحديث"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2004م.
3. **أحمد محمد قدور:** أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.
4. **أحمد مختار عمر:** دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، 2000م.
5. **إبراهيم أنيس:** الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو، ط 5 / 1975م.
6. **إبراهيم ضوة:** محاضرات في اللغة العربية والحاسب، دار الثقافة العربية، ط1، 2000م.
7. **إخوان الصفا:** رسائل إخوان الصفا، النسخة الإلكترونية، موقع الوراق.
8. **أرنست بولجرام:** في علم الأصوات الفيزيقي، ترجمة د. سعد مصلوح، ط1، 1977م.
9. **تمام حسان:** مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1394م، 1974م، ط2.
10. **جون ليونز:** اللغة وعلم اللغة، ترجمة مصطفى زكي التوني، دار النهضة العربية، 1988م.
11. **ديفيد كريستال:** التعريف بعلم اللغة، ترجمة د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.
12. **سعد مصلوح**، دراسة السمع والكلام، القاهرة، 1980م.
13. **سلمان حسن العاني:** فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، مطبوعات النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط1، 1403هـ - 1983م.
14. **صبحي عبد الحميد عبد الكريم:** النون وأحوالها في لغة العرب، مطبعة الأمانة، 1986م.
15. **عبد الرحمن أيوب:** الكلام إنتاجه وتحليله، ط جامعة الكويت، 1984 م.
16. **عبد الغفار حامد هلال:**
    - أصوات اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1988م.
    - تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، ط1، 2007م.
    - أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي، ط1، دار المحمدية للطباعة 1979م.

17. **عبد الصبور شاهين:**
- المنهج الصوتي للبنية العربية، القاهرة 1977م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم، 1966م.

18. **غانم قدوري الحمد:** أبحاث في علم التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن.
19. **محمد علي الخولي:** الأصوات اللغوية، مكتبة الخريجي، الطبعة الأولى 1987م .
20. **محمد فتيح:** الأصوات العامة والأصوات العربية، دار الثقافة العربية، القاهرة.
21. **مصطفى زكي التوني:** النون في اللغة العربية "دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم"، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية السابعة عشرة، 1416-1417هـ، 1996- 1997م.
22. **منصور بن محمد الغامدي:** الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط1، 2000م.

**ثبت المراجع الأجنبية**

1. ***L.Bloomfild***
   Language, London, 1979
2. ***Gleson H.,A., TR,***
   An Introduction to Descriptive Linguistics Reued, New York, 1961
3. ***Daniel Jones,***
   Cambridge University Press
4. ***Hefner,***
   General Phonetic, 1967
5. ***R.RK. Hartmann and F.C. Stark***
   Dictionary of Languagee and Linguistics, London, 1973
6. ***Potter S.***
   Language in the modern worled, Penguin, 1966
7. ***R.H. Robins***
   General Linguistics an Introductory Survey, Third Edition, 1980
8. ***E.D. Sapier***
   Language an Introduction to the studay of Speech, New York, 1921
9. ***F.D. Saussur***

Caurre in general Linguistics, New York, 1959

10. ***[Attia et al., 2008] Attia, M., Rashwan, M., Ragheb, A., Al-Badrashiny, M., Al-Basoumy, H.,***
    A Compact Arabic Lexical Semantics Language Resource Based on the Theory of Semantic Fields, LREC2008 conference http://www.lrec-conf.org/lrec2008, Marrakech-Morocco, **May 2008**.
11. ***[Ragheb, 2007] Ragheb, A.,***
    Phonetic Accompaniment and its Semantic Reflections on the Holy Qur'an; a Computational Phonological Study. (long Arabic essay), Symposium on Information Technology and Arabic & Jurisprudent Sciences, College of Computer and Information Sciences, University of Al-Imam Muhammad Ibn Sa'ud; http://www.imamu.edu.sa/ccsi/arabic/a-home.htm, Riyadh-KSA, **Mar. 2007**.
12. ***[Yaseen et al., 2006] Yaseen, M., Attia, M., Maegaard, Ragheb, A., B., .., et. al.,***
    Building Annotated Written and Spoken Arabic LR 's in NEMLAR Project, LREC2006 conference http://www.lrec-conf.org/lrec2006, Genoa-Italy, **May 2006**.
13. ***[Hifny et al., 2003, 2004] Hifny, Y., Qurany, S., Hamid, S., Rashwan, M., Attia, M., Ragheb, A.,***
    ArabTalk®; An Implementation for Arabic Text To Speech System, The proceedings of the 4th Conference on Language Engineering; CLE'2003, Sept. 2004, the Egyptian Society of Language Engineering (ESLE), and re-published also in the News Letter of Evaluation of Language Resources and Distribution Agency (ELDA), France, **May 2004** issue.

# الخصائص السردية و جمالياتها في رواية «الصبار» لسحر خليفة

**الدكتور فرامرز ميرزايى ـ أستاذ مشارک بجامعة بوعلى سينا**
الدكتور على باقر طاهرى نيا ـ أستاذ مشارک بجامعة بوعلى سينا
روح اله مهديان طرقبه ـ طالب دكتوراه بجامعة بوعلى سينا

**ملخص.**
خصصت سحرخليفة، الروائية الفلسطينية الشهيرة، معظم رواياتها بقضيتها الوطنية. فهى تنتمي في سردها الروائي إلى المدرسة الواقعية بوضوح. ففي روايتها «الصبار» كتبت عن واقع الضفة بعد نكبة حزيران (1967) مناقشة فيها أبرز القضايا الفلسطينية لتلك الفترة، و هى جدلية العمل في المؤسسات الصهيونية، و ضرورة المقاطعة و الكفاح المسلح. تجلت نزعة الكاتبة الواقعية في الخصائص الأسلوبية لروايتها، منها الأوصاف و التشابيه المستمدة من الظروف الفلسطينة الراهنة. كما أن للرواية خصائص سيميائية ممتازة يساعد فهمها القارئ في إدراك الأبعاد الجمالية للنص الروائي، فدلالة العناوين و الأوجه و العيون و الأصوات و الروائح و الألوان و الأنوار، إلى جانب التناص القرآني المباشر و ذكر بعض الأمثال و الأغاني الشعبية، كل ذلك يؤدي وظائف جمالية و دلالية في نفس الوقت.

**الكلمات المفتاحية:** سحر خليفة، السرد الروائي، الصبار، السيميائية.

Narrative properties and its aesthetics in the novel "Al-Sabbar" (Cactus) by Sahar Khalifah.

Dr.Faramarz Mirzaei,Associate professor,BuAlisina university
Dr.alibaqer Taherinia, ,Associate professor,BuAlisina university
Roholallh mahdiyan,Phdstudent,Arabic Language andLiterature, BuAlisina university

## Abstract:

The Palestinian famous novelist "Sahar Khalifah" allocated most of her novels to her national case. She belong in her narration to the realist school clearly, and sees the failure of the Palestinian resistance in the two main reasons, namely the retardation of women, and rampant ignorance in the society which is described at best naivety. Khalifah wrote in her novel "Al-Sabbar" about the reality of the west bank after the dread of June (1967), discuss the key issues of Palestinian cases in that period, which is a controversial of working in the institutions of Israel, and the need to interrupt and armed war. The writer tendency of realism demonstrated in the stylistic characteristics of the novel, including descriptions and derived from the extent of the current pushed the circumstances. As that of the novel properties of semiotics excellent help to understand the reader to grasp the dimensions of the aesthetic of the text of narration. The significance of names, faces, sounds, smells, colors, and lights along with intertexuality Quranic direct and mention some of prowerbs and folksongs, all of that performs the functions of aesthetic and tag at the same time. This paper addresses the characteristics of narrative (stylistic and semiotics) and its aesthetics in the novel "Al-Sabbar".

Keywords: Sahar Khalifah, Narrative fiction, popular, Semiotics, Realism.

**مقدمة.**
احتل السرد الروائي المكانة الاولى لاهتمام النقاد المعاصرين لانه أكثرالفنون الأدبيّة انتشاراً في البلدان العربيّة. فهو نص نثري تخيّلي سردي واقعي غالباً يدور حول شخصيات متورّطة في حدث مهم، لتمثيل الحياة و التجربة و اكتساب المعرفة[8] من ثم تعتبر دراسته من أكثر الدراسات النقدية الحديثة خصوبة و صعوبة و تعود خصوبتها إلى « كونها المدخل المناسب الذي يمكن من خلاله النفاذ إلى جوهر النص الروائي و غاياته و وسائله[9]»، و الى الحصول على نوع من المعرفة يمكن أن نُسمّيها «المعرفة الروائية» أو «الحكمة الروائية»[10]، الناتج عن التجربة الإنسانية العريضة التي تنشأ عن الحياة التي نعيشها ونتفاعل معها فيحكيها لنا كاتب في السرد الروائي و في خلق حياة قصصية قادرة على أن تطرح أزمات الواقع و إشكاليات الفكر و صراع الإيديولوجيات و تقديم أخطر القضايا بطريقةٍ فنيةٍ أخاذةٍ ملهمةٍ حيث الرواية تمنح القارئ فوائدَ متنوعةً لايستطيعها أيّ فنّ أدبي آخر لعذوبتها و قدرتها على الولوج في كل بابٍ. و أما صعوبتها فتنشأ من اضطراب مفهوم السرد و عدم وجود حدود قاطعة لمجالاته[11].

**أهمية البحث و الهدف منه**
للتحليل السردي أهميته الخاصة في فهم الأبعاد التعبيرية للرواية؛ حيث يساعد القارئ في التحليل الجمالي لها، وهو الهدف المنشود لتحليل أي نص أدبي، فمن منظار النقد الأدبي، يمكن القول بأن التحليل السردي يعد طريقة جديدة في نقد النص الروائي حلّ محل الطريقة القديمة المسماة: «تحليل عناصر الرواية». وتتكون من قسمين: الأول: «الأساليب السردية» التي ترتبط بكمية تدخّل السارد و كيفيته في استحضار الأفعال و الأقوال و الأفكار. و الثاني: «الخصائص السردية» التي تشمل الخصائص الأسلوبية مثل الوصف و التشبيه و التكرار، و الخصائص السيميائية مثل دلالة العناوين و الأوجه و العيون و الأصوات و الروائح و الألوان و الأنوار و أنواع التناص المختلفة.

---

[8] ـ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 99
[9] ـ عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص 8.
[10] -- منذر عياشي، المعرفة الروائية(التكوين والواقع)، **مجلة الموقف الادبي، العدد 307.**
[11] . عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص 8.

واستخدمت سحر خليفة هذه الأساليب و الخصائص السردية بشكل فنية في رواياتها – خاصة «الصبار»- لتنقل الواقع الراهن في بلادها المحتلة بكل تفاصيله و جزئياته إلى القارئ، فجاءت بأوصاف و تشبيهات ملموسة تذهب بالمخاطب إلى الأجواء الفلسطينية بطبيعتها و حدائقها و شوارعها وأزقتها و أسواقها و سكانها و جميع محاسنها و مساوئها، إلا أن كل ذلك يسيطر عليه ظل الإحتلال الثقيل. هذه الرواية محاولة لبيان الواقع في أسلوب فني و يبدو أن الكاتبة قد نجحت في الوصول إلى هذا الغرض. فهذا البحث يهدف إلى تبيين الخصائص السردية لرواية «الصبار» و الكشف عن جمالياتها الفنية في إطار التحليل السردي.

**منهج البحث**

يعتمد البحث على منهج « تحليل المضمون» مستمدا بالتحليل اللغوي للنص الروايي للكشف عن الخصائص السردية له. فمن الطبيعي أن يستمد من المنهج الوصفي لبيان ما يوصل اليه من النتائج و تحليلها وشرحها و الكشف عن جماليات النص الروائي فى رواية « الصبار».

**سحر خليفة روائية ناجحة**

تطورت الكتابة النسوية العربية، في الآونة الأخيرة فقدمت إبداعات متميزة فى مجال الادب الروائي حيث تتسم بموقف التمرد و المطالبة بالحقوق داخل البنية الإجتماعية. ومن تلك الإبداعات التي أثارت جدلا و نقاشا على الساحتين الثقافية و الفكرية العربيتين روايات «سحر خليفة» الروائية الفلسطينية، والتي ولدت في مدينة نابلس عام 1941م. كانت تحس و هي صغيرة، بأنها و أخواتها «عبء كبير على الأسرة»[12] ثم صارت حياتها مليئة باللعب و الحركات الصاخبة و الهوايات المتنوعة: رقص و غناء و موسيقى و رسم، و قراءة القصص حيث «توجّب على عائلتها أن تقحمها في زواج تعسّفي متسرع»[13]. وبعد سنوات وقعت هزيمة 1967م. و اكتشفت خليفة أن الهزيمة السياسية ما هي إلا انعكاسا للهزيمة الحضارية.

و خلال السنوات الثلاث الأخير من زواجها، بدأت تهيئ نفسها للمستقبل الأدبي، فقامت بعدة محاولات شعرية، ثم باشرت بكتابة الرواية، و صودرت منها روايتها الأولى «بعد الهزيمة» أثناء محاولة إدخالها إلى فلسطين لتطبع

---

[12] . كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ج1، ص568 .

[13] . راجع: فيصل درّاج، و آخرون، أفق التحولات في الرواية العربية، ص 160-165

داخل الأرض المحتلة[14]. و غادرت سحر زوجها عام 1972م. فدخلت جامعة بيرزيت طالبة في فرع اللغة الإنجليزية و آدابها. و أخيرا حصلت علي الدكتوراه في الأدب الأمريكي و الإنجليزي، و لها عشر روايات هي: «لم نعد جواري لكم» (1974 م) و «الصبار» (1976 م) و «عباد الشمس» (1980 م) و «مذكرات امرأة غير واقعية» (1986 م) و «باب الساحة» (1990 م) و «الميراث» (2002 م) و «صورة و أيقونة و عهد قديم» (2002 م) و «ربيع حار» (2004 م) و «أصل و فصل» (2009 م) و «حبي الأول» (2010).

**1- المضمون السردي لرواية «الصبار».**

«الصبار» هي أول رواية نشرتها سحر خليفة بعد الهزيمة (عام 1967م) و «تعد صرخة أدبية مغايرة في مجمل الأدب الفلسطيني[15]». ترسم رواية «الصبار» التي وقعت أحداثها في بداية السبعينيات، صورة الإنقسام السياسي الفلسطيني بين من يؤمن بالعمل المسلح سبيلا للتحرر، متمثلا في شخصية تدعى «أسامة» الذي أرسلته قيادة الخارج لتفجير باصات نقل العمال الفلسطينيين للعمل داخل إسرائيل، و بين من يؤمن بالمنهج السياسي للنضال و تكوين طبقة بروليتاريا (طبقة العمال) و تنظيمهم داخل المصانع الإسرائيلية، متمثلا في شخصية تدعى «عادل»، سليل الأسرة الإقطاعية. فهو ابن العائلة التي تعاني الفقر الآن، فاتجه للعمل في إسرائيل سرّاً، و ذلك تجنبا لردود الفعل الإجتماعية لاسيما من قبل عائلته، و كان تحاول دائما تحريض العمال للمطالبة بحقوقهم و «رفض الظلم المؤسسي[16]». هذا علما بأن الاحتلال و فرص العمل البديلة للعمال في مصانع إسرائيل، كانت من أهم أسباب انهيار مزارع عائلته. هنا يبدو عادل «ممثلاً لليسار الفلسطيني[17]». فالرواية «كشفت عن أفكار التناقض بين الانخراط و العمل في المؤسسات الصهيونية، و بين ضرورة المقاطعة و الكفاح المسلح، فكانت هذه الرواية إدانة لما يمكن تسميته القبول بالأمر الواقع الذي فرضه الاحتلال

---

[14] . روبرت كامبل، ، أعلام الأدب العربي المعاصر(سير و سير ذاتية)، بيروت: 1996، ج1، ص 563.

[15] . سحر عدنان خليفة، برنامج ركن الكتاب، راديو البلد، 13حزيران 2005.

[16] . أحمد جميل عزم، «روايات سحر خليفة ... اضطهاد المرأة الفلسطينية». http://www.awu-dam.org

[17] . المصدر السابق.

خلال السنوات الخمس التي تلت حزيران[18]»، و تنتهي «الصبار» بالمواجهة المسلحة بين الفدائيين و جيش الاحتلال.

حظيت هذه الرواية باهتمام كبير حيث لقبت سحر بـ «أم الصبار»[19]. و الرواية «توصف بأنها بانورامية، أي محاولة لنقل الواقع بشكل سردي، دون أن يفقد واقعيته أو تسجيليته، و دون أن يفقد جمالية السرد التي تجعل الواقعي أكثر خيالية من الخيال في ظل الاحتلال[20]».

**2- الخصائص الأسلوبية.**

الخصائص الأسلوبية هى مواصفات تقليدية موجودة في معظم النصوص الأدبية، و طبيعي أن لا يستطيع كل كاتب الخروج من جلده بتأسيس لغة كاملة جديدة؛ بل هو محكوم بالخضوع لأسلوبية اللغة التي يكتب بها، و للأدب الذي يكتب فيه[21]. فمن أهم هذه المواصفات الوصف، و التشبيه، و التكرار.

**2-1- الوصف.**

الوصف ظاهرة حتمية في السرد؛ إذ «يمكن، كما هو معروف، أن نصف دون أن نسرد، و لكن لا يمكن أبدا أن نسرد دون أن نصف[22]». للوصف علاقة حميمة بالسرد، و يصعب على القارئ فهم بعض المقاطع من الرواية لو لم يتدخل الوصف لتوضيحها. من مصاديق الوصف في كل رواية، وصف القامات، و العيون، و الوجوه،... بالإضافة إلى وصف الملابس، و المظاهر، و الحركات و السكنات. و كذلك وصف الظواهر الطبيعية كالريح، و المطر، و الشمس، و القمر، و ...، و وصف الأمكنة الحضرية كالشوارع، و الأحياء، و الساحات، و... . و لكن «كلما تدخل الوصف، توقف السرد، و توارى الحدث إلى الوراء. من أجل ذلك لا ينبغي أن يطغى الوصف على السرد، و إلا أساء إلى بنائه، و ربما أفقده بعض خصائصه فيضيعه تضييعا[23]».

---

[18] . حسين المناصرة، «تناقضات الذات والآخر في روايات سحر خليفة». ص6
http://knoll.google.com 2010/1/19

[19] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق. ن. ص.

[20] . حسين المناصرة، المصدر السابق. ن.ص.

[21] . عبد الملك مرتاض، «خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ» مجلة الفصول، المجلد التاسع، ص 208.

[22] . المصدر السابق. ن. ص.

[23] . المصدر السابق. ن.ص.

أما في رواية «الصبار» فاستفادت الكاتبة من الوصف لعرض مشاهد من الأرض المحتلة، خاصة مسقط رأسها «نابلس». فأكثر الأوصاف في الرواية تتعلق بمشاهد مختلفة لهذه المدينة و حياة سكانها اليومية بعد نكسة حزيران. وهكذا كانت المدينة على لسان الشخصية الرئيسية «أسامة» بعد رجوعه من مغتربه إلى نابلس: «لا شيء تغير في هذه المدينة. الدوار مازال في مكانه، لكن الأزهار نمت و استطالت. و لاشيء تغير! ... و لكن الناس لاتبدو عليهم شقاوة العيش ... و استطالت السوالف. و قصرت التنانير ... شيء ما قد تغير ... و أمام الحوانيت تتكدس البضائع الإسرائيلية، في الواجهات. و علي أبواب المتاجر. و علي الأرصفة[24]». هذا وصف واقعي عما يجري في مدينة نابلس بعد بضعة أعوام من النكسة.

فيذهب أسامة بعد ذلك إلى بيارات ضواحي المدينة و يرى أن البيارات أيضا قد تغيرت: «و كانت أشجار الحور و الدفلى تحجب البيارة عن نظره ... لكن المزارع كانت مهجورة ... و التغيير قد شمل الريف أيضا لا المدينة فحسب ... الأرض مازالت معطاءة، و الجداول مازالت رقراقة عذبة و الموسم خيراً ... لكن الأرض ما كانت تنبت إلا الأعشاب البرية. خبيزة و خرفيش و زعموط و علت ... و رأى بيارة أبوحافظ التي كانت مضرب الأمثال يوما، قاحلة جرداء ... فأسرع الخطو نحو بيارة خاله ... كانت أشجار الددونيا الصغيرة التي تزين المدخل مهملة تماماً، لم يعد لها شكلها الهندسي المنظم، أطرافها تمتد من غيرهدف، و الأعشاب البرية تغطي الممرات المتربة من حولها ...[25]». فالوصف يدل على إهمال الأرض ممهداً لحدث هام و هو ترك صاحب الأرض العناية بها، و العمل في المصانع الإسرائيلية: «فالخراب الذي امتد إلى الأرض لا بد أن يؤدى إلى ضعف النفوس و انهيار مقاومتها[26]».

يقابل هذا الوصف وصف عن مدينة «تل أبيب» حيث العمال و المواطنون من مختلف الأجناس  تجمعهم خطة الصهاينة: «... و كانت الشوارع مزدحمة. و الأرصفة مغطاة بشتى أصناف البشر. شرقيون، غربيون، آسيويون، إفريقيون، أروبيون، و أمريكان. مختلف الجنسيات، مختلف العروق، مختلف الألوان. و باتوا يحملون جنسية موحدة تنتمي للشرق الأوسط ...[27]».

---

[24]. سحر عدنان خليفة، الصبار، ص 26.

[25]. المصدر السابق، ص 38.

[26]. ماجدة حمود، «الخطاب الروائي عند سحر خليفة»، مجلة الموقف الأدبي، ، العدد 272، ص36.

[27]. سحر عدنان خليفة، المصدر السابق. ص 47- 48.

يحاول الراوي أن ينقل لنا الواقع الفلسطيني وذلك بوصف لبيت عادل و عائلته، و فيه يسكن أبوه الإقطاعي الذي لايفعل تجاه قضيته الوطنية غير إلقاء الكلام أمام الصحفيين و الإشادة ببطولات موهومة: «... دار كبيرة، قصر ضخم من قصور الأجيال السالفة. أعمدة رخامية. سقوف معقودة. ساحة سماوية مبلطة بالحجارة الضخمة. بركة تحيط بها أشجار الليمون و أصص الفل و الجميل. و زخارف عربية على الجدران. قناديل زجاجية ملونة. و خزائن مرصعة بالصدف. لكن الزمن فتّ من عضد كل شيء ... و لم يعد هناك خدم أو حشم. فالعمال يملأون مصانع إسرائيل. و أصبح أجر العامل يضاهي أجر السيد[28]».

سيطرت على هذه الصورة الوصفية تفاصيل المكان بمعزل عن الزمان و الإنسان؛ لكن الراوي لايسترسل في هذا العزل، بل يجمع بينهم في جملة «لكن الزمان فتّ من عضد كل شيء» دون الاسترسال في هذا الجمع، إذ ينتقل الراوي إلى الحديث عن معاناة صاحب الدار بعبارات قليلة فحسب[29].

توظف الكاتبة وصف الهيآت و الوجوه و الألبسة للشخصيات للدلالة، إلى حد ما، على سلوك الشخصيات و خصائصها الذاتية و أفكارها و طبقتها الإجتماعية. فتصور لنا امرأة تقليدية من قاع المدينة، واصفة اياها بهذه الأوصاف القليلة: «امرأة في الأربعين، بدينة، في وجهها آثار الكلف. تحمل في معصميها ما لايقل عن ربع كيلو من الذهب[30]». أو تصف هيئة شحادة، الذي قد نسي قضيته الوطنية في الخدعة الإسرائيلية: «كان شحادة يرتدي جاكيت له ياقة من الفرو. و كان شعره الأجعد يحيط رأسه بشكل هالة لا يقل طول نصف قطرها عن عشرة سنتيمترات. بينما تكوم إلى جانبي خديه سالفان غليظان كشجرتي نتش صغيرتين. و كان يمسك غليونه بيده المزوقة بخاتم ذهبي ثمين و يتكلم من جانب فمه كما يفعل كبار الممثلين الأجانب[31]».

يمكن القول بأن سحر خليفة تراعي في روايتها جانب الاعتدال في وصف الأشخاص و الأمكنة، إلا حينما تطلب المشاهد و مسيرة الرواية مزيداً من الوصف، كأداة لتبيين فكرة ما. و يحمل الوصف في الرواية وظيفة جمالية، إذ يسعى وراء تقريب القارئ إلى أجواء الرواية و شخصياتها بنقل أجزاء المشاهد و مواصفاتها، نقلا دقيقا كاملا. و من الملاحظ أيضا، أن أكثر الأوصاف تتعلق بشخصيتين رئيستين، هما أسامة و عادل؛ لأنهما يتمثلان التيارين المتعاركتين في هذه الرواية. و من بين المشاهد، يتعلق أكثر

---

[28] . المصدر السابق، ص 31.
[29] . ماجدة حمود، المصدر السابق. ص37.
[30] . سحر عدنان خليفة، المصدرالسابق، ص 70.
[31] . المصدر السابق، ص 77.

الأوصاف بالمشاهد المختلفة من مدينة نابلس و شوارعها و أزقتها و مواطنيها، لتقريب القارئ إلى الأزمة الموجودة على أرض الواقع، و لبيان آثار ما حمله العدوان الصهيوني لهذه الأرض من تقميع و تدمير و تهميش، و لأنها هي المكان الأصلي للرواية و يرجع إليها جمالية المكان في النص الروائي.

2-2- **التكرار.**

الرواية عالم صغير تحاكي عالما كبيرا، و هي حياتنا، بما فيها من تكرار. فالتكرار« سمة من سمات الأعمال الأدبية الخالدة؛ و ذلك لأن المرء حين يطول حديثه عن شيء، أو قصه لحكاية، يضطر إلى تكرار بعض الألفاظ، أو بعض الأفكار، أو بعض العبارات، لأسباب مختلفة[32]». و المهم في دراسة هذه المكررات هي المفاهيم المستنبطة منها و جمالية استخدامها في الرواية.

وأما في رواية «الصبار» فتتعمد سحر خليفة التكرار لبعض العبارات و الأفكار، كأنها تريد أن تثبّت تلك المفاهيم في أذهان القرّاء. مثال ذلك بعض أقوال أسامة- و هو يمثل التيار المؤمن بالعمل المسلح سبيلا للتحرر- التي تدل على أن الأوضاع تتردى يوما بعد يوم: «و غوصي يا بلدي في الأوحال»[33]،أو تكرار ما يدل على أن الفلسطيني المناضل يدرك الموقف و يتألم منه، و لكنه لاقدرة لديه على تغيير الواقع المفروض عليه في الداخل و الخارج: «عان يا شعب مرارة العين البصيرة و اليد القصيرة»[34]، أو ما يشير إلى أن غالبية الشعب لايمكنهم استيعاب الموقف كما يجدر به: «أنتم مصابون بعدم وضوح في الرؤية»[35]، أو ما يرينا الشخصية الرئيسية متشائمة يائسة لا ترى حلا لقضيتها الوطنية: «لنقل على الأرض السلام» أو «و لنقل على الوطن السلام»[36].

ثم أقوال مكررة على لسان عادل الذي يعتقد بأن القضية لا تنحصر في الاحتلال العسكري فقط؛ بل يشمل الثقافة و الفكر و السياسة و الإجتماع و الاقتصاد و كل ما يملكه الشعب الفلسطيني من الماديات و المعنويات. فيرى وجوها مختلفة للاحتلال ويعتقد أن للمقاومة أمامه أيضا طرقا مختلفة:

---

32 . عبد الملك مرتاض، المصدر السابق، ص 210.

33 . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 53، 54، 57، 60، 63، 71، 83.

34 . نفس المصدر، صص، 57، 58، 66، 144.

35 . نفس المصدر، صص، 23، 28، 57، 62، 71، 154.

36 . نفس المصدر، صص، 53، 54، 60، 149.

«للصورة أكثر من بعد واحد» أو «الاحتلال كلمة لها أكثر من معنى»[37]. فيبدو جمالية التكرارفي جدلية الموقف لدى الشخصيتين الرئيستين (أسامة و عادل)؛ فكل منهما يتمثل تيارا فكريا في المقاومة الفلسطينية أمام العدو الصهيوني: الأول يرى النجاح في استخدام قوة السلاح لتغلب على الصهاينة و أعوانهم الداخلية، و الثاني يرى الانتصار في العمل الثقافي و التنظيم السياسي، بتشكيل منظمات سياسية و اقتصادية و اجتماعية تهدف إلى تغيير الأوضاع لصالح الفلسطينيين، دون تعرضهم لأخطار الحرب و الدمار الناتج منها.

وأحيانا يأتي التكرار للدلالة على السخرية المرة من الناس البسطاء الذين قد شغلتهم الأمور التافهة من القضايا الوطنية، كأقوال «أبي سالم»، الفلاح الأمي الساذج الذي سجنه الصهاينة و لكننا لانجد في أحاديثه و سلوكه ما يدل على كونه مناضلا يستحق الإعتقال، عن بقرة له اسمها «مسعودة» مكررا هذه العبارة: «مسعودة ولدت عجلا أبيض»، المنقولة من رسالة تسلّمها في السجن من عائلته[38]. فهذه العبارة إضافة إلى سخريتها المرة، في طيها جمالية رمزية، و ذلك يكمن في دلالة الكلمتين «مسعودة» و «أبيض» على السعادة و النور. فيمكن اعتبارها رمزا لسذاجة الإنسان القروي الفطرية و رؤيته التفاؤلية إلى كل شيء، حتى أعقد القضايا الوطنية و السياسية و أصعبها. و يمكن اعتبارها، من جانب آخر، رمزا لتردّي الأوضاع على الساحة الفلسطينية، بحيث لايشعر فيها أحد بالسعادة و الهناء إلا هؤلاء الأغبياء الذين لا يهمّهم في الحياة إلا المأكل و المشرب و التوالد؛ كما هو الحال عند «مسعودة».

قد يأتي التكرار للدلالة على التضاد الماهوي بين طرفي المحاورة كما جاء في حوارالجندي الإسرائيلي مع أسامة على الجسر. فيلحّ كل منهما على تسمية المدينة بما يحب؛ الأول يسميها «شخيم» و يكررها و أسامة يصرّ على اسم «نابلس»:

«- كنا نسكن طولكرم، و مات الوالد فانتقلت أمي إلي نابلس.
– و لماذا انتقلت أمک إلى شخيم؟
- تعجبها نابلس.
– و لماذا تعجبها شخيم؟
- نابلس تعجبها لأنها مليئة بالأقارب.

---

37 . نفس المصدر، صص، 28، 37، 53، 62، 71، 75.

38 . سحر عدنان خليفة، ، المصدر السابق، صص،107، 108، 113، 116، 147، 148، 154، 155.

– و لماذا عدت من دول البترول إلى شخيم؟
- عدت إلى نابلس لأن الوالد مات ...[39]».

فـ «شخيم» و «نابلس» تتمثلان هويتين: الصهيوني، و الفلسطيني. و المحاورة بين الشخصيتين، تبرز للقارئ جدلية الغاصب المحتل و الوطني المدافع، حتى في تسمية البلد. فكما أن الفلسطيني يدفع الإسرائيلي، كذلك «نابلس» يدفع «شخيم» و ينفيه. و هذا تناقض ذاتي لايمكن جمعه في مكان واحد، و الذي هو خير دليل على بطلان فكرة التساوم و الانفعال، و الصلح بين الغاصب و المغصوب عنه.

و في الرواية نوع آخر من التكرار المسجوع للكلمات في جمل قصيرة، يقرب الى التلاعب بالحروف و الكلمات، فيزيد في الكلام موسيقى و نوعا من الغرابة: «و كان يعلم بأنها تعلم، و كانت تعلم بأنه يعلم بعلمها»، و «هتف بتشنّج: لا أصدق. لن أصدق. لا أصدق بأنک نسيت البلد و الاحتلال»[40].

و أحيانا يرد هذا التكرار في هيئة العكس و الطباق: «لا شيء جديد، بل كل شيء جديد. الجرح هو الجرح، و لكنه يتسع كل يوم»[41]، «في سبيل الوطن تهون الحياة ... و في سبيل الحياة يهون الوطن. أنت قلت هذا. ماركس قال. أنت قلت أم ماركس قال؟ لا أعرف. المغص في رأسي. و الصداع في بطني. و قد اختلط الاثنان»[42]. فهذه العبارات تدل على شخصية عادل المتزلزلة و آرائه المتناقضة. الجملة الأولى تدل على إيثار الوطن على الحياة، و الثانية تدل على إيثار الحياة على الوطن. و في الرواية أمثلة كثيرة من هذه المفارقات الساخرة التي تجيء في هيئة المقابلة و الطباق و التكرار: «شتان ما بين عادل و عادل. هذا عادل و ذاک عادل. و كم عادل غير عادل في الدنيا»، «و دموع سعدية و آلاف السعديات و التعسيات»، «... وأنک غير مسؤول عن اعتقال حمادة و باسل و الآخرين. و لكنک مسؤول! أنت مسؤول غير مسؤول!» [43].

و فيها عبارات كثيرة و مفاهيم مكرّرة وظّفتها الكاتبة لخلق ما أرادتها من سخرية مرّة. فهذه العبارات في الواقع هي ضحك على مرارة، ليدل على النفور الشديد من الواقع المضحک المبكي حيث القارئ يحس بمرارته أثناء قراءته للرواية.

---

[39] نفس المصدر، ص14.

[40] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 83، 160 (أسامة).

[41] . نفس المصدر، ص 161 (أسامة).

[42] . نفس المصدر، ص 115 (عادل).

[43] . نفس المصدر، صص،93، 94، 110 (زهدي).

**2-3- التشبيه.**

التشبيه معروف لدى أذهان المخاطبين العاديين، و لايخلو أي أسلوب أدبي منه. «فلزوم التشبيه للكتابة الأدبية أخص الخصائص الأسلوبية لأي إبداع[44]». و التجسيم هو أهم وظيفة للتشبيه، و هذا يعني التقريب إلى الذهن؛ كأننا نشاهد ما نقرأ. قد استخدمت سحر خليفة التشبيه بمختلف أغراضه، في صور موحية؛ مثل: «و تضاعف رثاؤه و تضخم. أصبح شاملا. متشعباً. كأذرع أخطبوط لامتناهية العدد. و إفرازات حبرية تملأ رأسه بسحابات قاتمة السواد[45]». فتشبيه الهموم و المصائب بأذرع الأخطبوط، يجعلنا نحس بالضغط و القلق الذي يعاني منه عادل، و تصوير الإفرازات الحبرية التي يطلقها الأخطبوط، يساعد هذا المشهد تأثيراً و إيحاءً.

و كثيرا ما وظفت الكاتبة التشبيه للسخرية من المشبه أو تشويهه للفكاهة و بهدف التلذلذ و هربا من الجفاف في النص الروائي، مثل: «... فتمايل الجسد الأعجف بين يديه ككيس من النخالة»، و «الأولاد كالجراد. يقرطون الأخضر و اليابس»، و «أنا آكل كالحصان لأظل في قوة الحصان»، و « كان سميناً ملظلظاً كالكرة المنفوخة»، و «... الرجل الضخم الذي بدا هائجاً كثور اسباني»[46]. و لكن أكثر التشبيهات في «الصبار»، جاء لبيان حال المشبه و توضيحه أو تجسيم الموقع و عرضه عرضا فنيا. فالكاتبة تشبه الخبز الإسرائيلي الجاف بجذع شجرة الزيتون، أو تشبّه دخول الخنجر في عنق الضابط الإسرائيلي بغوص الملعقة في وعاء اللبن[47]، لتزيّن العمل بالنسبة إلى عامله، لأنه يحلو له هذا العمل.

**3- الخصائص السيميائية.**

نعني بالخصائص السيميائية تلك الخصائص التي تعطي دلالة خاصة للقارئ للفهم الأصح و الأجمل من النص السردي كالعناوين و الأسماء الخاصة و العبارات ذات دلالات معينة التي تدل على تداخل النص مع النصوص الأخرى الدينية و التاريخية و أمثال ذلك.

**3 -1- العناوين.**

من الخطأ أن نحسب العناوين في الرواية الحديثة اعتباطيا، فلكل عنوان دلالته الجمالية و الوظيفية. أول ما يستلفت الإنتباه في رواية «الصبار»، هو

---

44 . عبد الملک مرتاض، المصدر السابق، ص 212.

45 . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 53.

46 . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 42، 43، 67، 68، 110.

47 . نفس المصدر، صص، 61، 150.

عنوان الرواية. فالصبار نوع من النبات يستطيع أن يتحمل أقسى الظروف المناخية و أصعبها، يتكيف مع إقليمه، مستفيدا أشواكه لحماية ثماره، و هذه الخصائص منحته صلابة و شدة متميزة بين النباتات. و أيضاً «الصبار» مشتق من الصبر، فهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل «صابر». إنه «الصبر المقاوم الذي يتسلح بالأشواك كصبر الفلسطينيين، داخل الأرض المحتلة، المتشبثين فيها رغم كل الظروف[48]».

أما أسماء الشخصيات، اختارتها الكاتبة بدقة و تأمل. فأسامة مثلا، يدل في التراث العربي على الشجاعة و الهيبة، و «عادل» الذي أُطلق على شخصيتين اثنتين في الرواية، يحمل دلالة إنسانية، هو إقامة العدل بين الناس، فكلاهما يرغبان فى المساواة و العدل، مع أنهما يختلفان في سماتهم الأخلاقية و سلوكهم الإجتماعية. و «باسل» اسم ذو دلالة ثورية أُطلق على مراهق فلسطيني مشتاق إلى النضال و تحقيق البطولات، ومُنح في السجن لقباً أرْضَى ميله إلى العزة و الكرامة: «أبو العزّ؟ شيء جميل. لقد أصبحتُ واحدا منهم. ما أروع أن تكون أباً لشيء ما، ترعاه و تربيه و تحافظ عليه. و أبوالعزّ اسم جميل. أجمل من كل ما قيل و ما سيقال[49]».

فهذا نموذج من الدلالات السيميائية للأسماء و العناوين في الرواية، الذي يدل على «أن الكاتبة قد اختارت أسماء شخصياتها بعد دراسة و تمعن[50]»، و سيلاحظ قارئ الرواية أن الشخصيات «تحمل مفاتيحها لعوالمها الداخلية و مواقفها من الحياة، في أسمائها[51]».

**2-3- التناص المباشر.**

قد درست هذه الميزة السيميائية بجدّية في السنوات الأخيرة في الأعمال النقدية و التحليلية. حيث قيل إنه لانص إلا التناص. التناص أو تداخل النصوص أو النصوصية يقابل مصطلح Intertextuality، و هو أن يتضمن النص الأدبي نصوصا أو أفكارا سابقة عليه أو معاصرة له عن طريق الإقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، ليتشكل نص جديد واحد متكامل. يبدو أن «التناص للنصّ الإبداعي كالأوكسجين الذي لا يشم و لا يرى، و مع ذلك لاأحد من العقلاء

48 . ماجدة حمود، المصدر السابق، ن.ص.
49 . سحرعدنان خليفة، المصدر السابق، ص 96.
50 . ماجدة حمود، المصدر السابق، ن.ص.
51 . محمد معتصم، الخطاب الروائي، و القضايا الكبرى (النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة)، ص 13.

ينكر أن كل الأمكنة تحتويه، و أن انعدامه في أيها يعني الاختناق المحتوم[52]».

ترد هنا إشارات إلى التناص المباشر الذي مرجعه المحفوظات. فهناك تناصات قرآنية، و تناصات عن النصوص الأدبية و المأثورات الكلامية الأخرى. بل يوجد في الرواية عبارات و أساليب يكون مرجعها الأدب القديم، أو الحديث، أو الثقافة العامة و المأثورات الشعبية.

**3-2-1- التناص القرآني.**

مازال القرآن الكريم و مضامينه العالية من أهم روافد الأدب العربي. فالأدباء الفلسطينيين أيضا وجدوا بين المفاهيم القرآنية و بين ما يجري في بلدهم تماثلا، «فاعتمدوا على هذه المفاهيم على سبيل التناص لإثراء نصهم الأدبي»[53].

جاء تناص قرآني في بداية الرواية بشكل فني جداً: «صنوبر جرزيم، صنوبر الطور، صنوبر رام الله. صنوبر وصبار و لوز و عنب، و التين و الزيتون و طور سينين، و هذا البلد الأمين، و هذا البلد الذي لم يكن أمينا في يوم من الأيام. بل ربما كان كذلك[54]». فالعلاقة وثيقة بين حديث السارد عن النباتات و الأشجار المستوطنة التي يراها أسامة حين دخوله إلى أرض فلسطين، و بين الآية الشريفة «و التين و الزيتون». والمقارنة طريفة بين البلاد المحتلة الطافحة بالظلم و الدمار، و بين الآية الشريفة «و هذا البلد الأمين». فسحر خليفة في عبارة «بل كان كذلك» تقول بشكل ضمني، إنها منذ فتحت عينيها لم تجد هذا البلد أميناً، فربما كانت أمينا قبل ذلك! و في هذه العبارة دلالة على جمالية المفارقة الساخرة بين ما يتمناه الله تعالى لهذا البلد، و ما يجرى في أرض الواقع.

ونموذج آخر للتناص فى وصف شخصية ثرية يبني بناء في خمسة طوابق من أموال غير مشروعة؛ و حينما يسأله عامل عن كيفية حصوله على هذه الثروة «عمارة خمسة طوابق»، يستغل الرجل الثري هذه الآية الشريفة للهرب من المؤاخذة: «من شر حاسد إذا حسد[55]». و فى حوار زهدي مع نفسه تناص قرآني طريف: «... جود يا باسط. و قل أعوذ برب

---

[52] . عبد الملک مرتاض، المصدر السابق. ص 212.

[53] . رقية رستم بور ملکی، «التناص القرآني في شعر محمود درويش»، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية و آدابها، العدد الثالث، خريف 1384ش. ص 31.

[54] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 7.

[55] . المصدر السابق، ص 76.

الناس. فلن يستمع إليك أمثالي من الممغوصين المصدوعين[56]». لتشير فيها الى القارئ المصري الشهير، عبد الباسط محمد عبد الصمد، الذي قد جاءت إشارات إليه و إلى صوته المدوي في الأجواء الشعبية التقليدية، في ثلاثة مواضع من الرواية على الأقل. فصوته إلى جانب صوت فريد الأطرش، و فيروز، و نداء الباعة، تشكل الصوت الغالب المتحكم على الأسواق و الشوارع الأصلية المزدحمة؛ ولكن دون مستمع!

والطرافة فى التناص القرآنى لتعبير عن الغلاء و التضخم الذي تعانيه طبقات الشعب الفلسطيني المسحوقة شُبّه بنارالله الموقدة: «و الأسعار نار الله الموقدة[57]». لتدل على مشاكل الناس اليومية في توفير حوائجهم الضرورية. ورد أيضا في الرواية إشارات إلى الآية الشريفة المعروفة بآية الكرسي، التي لها مكانة خاصة في عقائد المسلمين و تقاليدهم: «و قل لن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم. لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة و لانوم له ما في السماوات و ما في الأرض ...[58]». و أوردت الكاتبة كذلك عبارات من سورة «الفيل» المباركة: «و أرسلنا عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلناهم كعصف مأكول[59]».

فجَرَى المثالان الأخيران على لسان أم أسامة، تغمغم بها حين جاء الجنود الإسرائيليون يفتشون بيتها بحثاً عن ابنها، ليدل هذا على أن مثل هذه الآيات تقرأ حينما يشعر الناس بالخوف و الخطر، و تعتقد عامة الناس بأن هذه الآيات تدفع الشر عنهم.

**3-2-2- الأمثال.**

المثل أداة للإقناع أو إظهار القدرات البلاغية. المثل قول موجز ينمّ عن حكمة و خبرة بالغتين. هو حصيل تجارب الأجيال المتتالية. و قد وظفت سحر خليفة الأمثال في روايتها، كلما أحست بحاجة إليها. «فجاءت في مواقعها بالغة الأثر، واضحة الدلالة، مغلقة الباب أمام احتمالات قد تتراءى للقارئ[60]». فمن هذه الأمثال ما نراه في التراث العربي القديم، مثل: «اليد الواحدة لاتصفق»، و «علقم ابن دينك و لاعسل عدوك»، و «على نفسها

[56] . المصدر السابق، ص 114.
[57] . المصدر السابق، ص 67.
[58] . المصدر السابق، ص 140.
[59] . المصدر السابق، ص 141.
[60] . يحيى جبر «حضور المأثورات الشعبية في أعمال سحر خليفة»، 2010/1/4. www.Al-Naiah.blogs

جنت براقش»[61]. و منها أمثال شعبية تستخدمها الناس باللهجة العامية: «بكره الحبل يخليك بطة»، «الفجر أهو لاح و الليل رواح»، «و إن كان غريمك القاضي تشكي همك لمين؟»،[62]. فهذه الأمثال مستقاة من الأوساط الإجتماعية التي كانت سحر خليفة تتفاعل معها، و هي تعبر عن معتقدات الشعب و تجاربها.

**3-2-3- الأغاني.**

من أبرز مواصفات الأغنية الشعبية أن تكون جماعية و مشتملة على ملامح الأدب الشعبي من حيث «أن فيها تاريخاً شعبياً و فيها احتفاءً بالمعتقدات و الأعراف الشعبية[63]». و الأغاني الشعبية تعبّر عن أهواء الشعب و ميوله و «تصدر في وجودها عن وجدان شعبي[64]».

نرى في رواية «الصبار» أن الأهازيج و الأغاني متصلة في معظمها بكفاح الشعب ضد قوات الاحتلال. فالأغاني التي وظفتها خليفة في روايتها، هي أهازيج أو أغنيات ثورية، يرددها الناس في نشاطاتهم ضد الاحتلال. منها هذه الأنشودة المشهورة في الأوساط الفلسطينية:

«الأليف الله اكبر / البا باب الحرية / و الجيم جبهة شعبية / و الدال ديمقراطية / و الشين شمر دراعك / عرفات رمز التضحية / و الميم ميم المحبة / و الواو وحدة عربية»[65].

و من الأغاني التي تدل علي روح المقاومة و الكفاح بين الإنتفاضيين أيضاً هذه:

«كلبش أيدي كلبش أيدي / لما اعتقلني كلبش أيدي / ولدي يا ولدي كلبش أيدي / أنا و أخوي في الزنزانة / و المدافع من حوالينا / و من أكل السجون طعمونا / عدس مغلي و سمک مطحون / كلبش أيدي كلبش أيدي»[66].

و حينما تبلغ التضحية ذروتها، تهون الأرواح و الأولاد في سبيل حرية الوطن. و سحر خليفة تورد هذه القطعة المشهورة للتعبير عن المد الثوري، و هي تجري في الرواية على لسان فلاح والآخرون ينشدون معه:

---

[61]. سحر عدنان خليفة، صص، 24، 69، 122.

[62]. نفس المصدر، صص، 37، 102، 127.

[63]. أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، ج1، ص 290.

[64]. أحمد مرسي، الأغنية الشعبية، سلسلة المكتبة الثقافية ص 23.

[65]. سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 88.

[66]. سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 100.

«أوف أوف / يا جبل حيي السهل و الوادي / و حيي الشجر بسفوحها بلادي / و إن كان العدا حصدوا زرعنا / بزرع أنا في الأرض أولادي / أوف أوف»[67].

و هناك أيضاً شعارات يردّدها الأطفال و المراهقون و الرجال في كل شبر من فلسطين المحتلة؛ في الأزقة، في الشوارع، و في السجون: « المعارك مستمرة ... يا فلسطيننا يا حرّة ، ثورة ثورة حتي النصر، كلاشنكوف يا مدمر الدبابات / أربيجية يا محطم الطيارات، بلادي يا قطعة سما / اسمك علي لساني صلاة[68].

فتنقلنا خليفة بهذه الأناشيد و الأغاني إلى أجواء الإنتفاضة و تصور لنا ما يجري في ساحة المجتمع الفلسطيني تحت نير الاحتلال تصويرا واقعياً.

**3-3- الروائح.**

الرائحة، المنتنة منها و العبقة، لها دلالات تمنحها وظيفة سيميائية. و جمالية الروائح في الرواية تكمن في إحساس القارئ بالرائحة أثناء القراءة حتى يخيم الفضاء الروائي عليه؛ كأنه يشم الرائحة شما. «فهي أيقونة شمية؛ كما أن هناك أيقونة صوتية أو سمعية، وأيقونة لمسية، و هلم جرا...[69]». فإننا حينما نشم رائحة نتنة، نعلم أن تلك الرائحة إنما تنبعث من جيفة أو شيء قذر و كذلك الروائح العطرة و دلالاتها.

اعتمدت الكاتبة في رواية «الصبار» على سيميائية الروائح لتجسم لنا أيقونة مكتملة الجوانب من فلسطين المحتلة و مدينتها «نابلس» خاصة. فحينما يرجع أسامة إلى وطنه بعد سنوات الإغتراب، يحس بعبير الوطن قبل وصوله إلى الحدود الفلسطينية: «غمرته غمامات الصنوبر في مرتفعات العارضة الجبلية بعبير ذكّره بما ينتظره وراء الجسر ... والعبير الربيعي ينقله إلى ما وراء الجسر[70]». لكنه ما إن وصل إلى مسقط رأسه حتى صدمه الواقع المؤلم، و التخلف الذي لم يتغير خلال سنوات غيابه. فتستخدم الكاتبة، الروائح لتجسّم للقارئ الولقع المؤلم هذا: « وصفعت أنفه رائحة الرطوبة و العفونة في الأزقة المعتمة. و رائحة القذارة والنتن. خضار و فواكه فاسدة ملقاة بجوار الجدران و برميل صديء مليء بالسمك المهترئ ...»، و «صدمت أنفه رائحة العفونة و النتن»، و «رائحة العفونة

---

[67] . نفس المصدر، ص 136.

[68] . نفس المصدر، صص، 44، 88، 89، 96، 99، 100، 103.

[69] . عبد الملك مرتاض، المصدر السابق، ص 213.

[70] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص 7و 8.

اللاذعة»[71]، وهناك روائح أخرى غير رائحة القذارة و العفونة، لكنها أيضا تؤذي أسامة؛ مثل: «اتكأ [عادل] على الحائط و بدأ يتقيأ. و فاحت رائحة الكحول و العصارات الهضمية ... استدار [أسامة] برأسه محاولا الابتعاد بأنفه عن مصدر الرائحة القذرة»، أو «و رائحة الهيشة تصدع رأسه»، أو «عبير الطابون و الزبل المحروق»[72].

و الروائح العطرة في هذه الرواية تكاد تقتصر في رائحة زهر الليمون و البرتقال، التي يبدو أن لها علاقة وثيقة بأجواء فلسطين، و ربما يمكن اعتبارها رمزاً عن الوطن الحبيب المعطر: «فنفذت إلى أنفه رائحة زهر الليمون في الساحة السماوية»، و «على مشارف طولكرم تهب رائحة زهر البرتقال»[73].

فالكاتبة قد وظّفت الروائح، و المنتنة منها خاصة، توظيفا سيميائيا، بحيث أصبحت الروائح تدل على ما يجري في طبيعة الشخصيات و الأمكنة الروائية.

**3-4- العيون.**

للعيون دلالات سيميائية فائقة في النصوص السردية، ومنها الرواية. وجمالية استخدام العيون في الرواية ترجع إلى الحوار الذي يجري بينها؛ لأنه قد يجرى بلغة العين قبل اللسان و ربما تشير العين الى ما لا يقدرعليه اللسان. و نعلم أن «النظرة، و أداتها العين، و من ورائهما كل العوالم التي تلتعج في النفس، من التقنيات التي يركزون عليها في فن التمثيل ... فقد تكون نظرة ما، أكثر تعبيراً و أصدق دلالة من خطبة طويلة تلقى، أو كلام كثير يقال[74]». ففي رواية «الصبار» ورد العين و النظرة و ما في معناها و ما يرتبط بحالاتها، في زهاء مئة و سبعين موضع، للقيام بوظائف تعبيرية و جمالية و نفسية.

اتصفت العيون و النظرات في الرواية بمثل هذه الاوصاف: «نظرة طويلة غير مجدية»، «نظرة تحذير»، «أخذ يتملي في عيني الرجل البليدتين»، «نظرات نفاذة ... نظراتها القوية المغروزة في عينيه المغبشتين»، «و كانت نظراتهما زائغة، مليئة بالدهشة و الاستغراب»، «رمقها متفحصا»، «عينين كليلتين»، «تأمله الشيخ و هو يضيق عينيه

---

[71]. نفس المصدر، صص، 27، 70، 135.
[72]. نفس المصدر، صص، 58، 76، 150، 155.
[73]. نفس المصدر، صص، 55، 123.
[74]. عبد الملك مرتاض، المصدر السابق، ص 214.

الضعيفتين»، «و فتح عينين فارغتين مستديرتين»، «و عيناها منكستان»، «و خرج اليهودي و عيونه تقدم الشرار»، «رمقه بطرف عينه ... غض بصره»، «و بؤبؤ عينيه يختلسان النظر من تحت جفنين ثقيلتين»، «نظر إليه مستطلعا»، «عينين ذاهلتين»، «و تفحصه بنظرات قلقة ... و كانت العين الوحيدة في الوجه المشوه تنطق بالسعادة»، «و قد صُوّبت إليه العيون ... و نظر إلى صالح مستجيرا»، «و قد أشعلوا في العيون الغضب»، « و النظر في وجه المحقق باستخفاف و شراسة»، «و التقت عيوننا في ومضة كهربائية صاعقة، عيون غزلان و رموش دبّاحة ... و عيوننا تضرب صواعق و كتيوشا»، «و تبادل الاثنان نظرة تحدّ طويلة»، «و الناس ينظرون إليه بوجوم ... و بياض العينين النادبتين يطلق رياح باردة كعصف السموم»، «عيناه تحومان في الفضاء»، «و العينان مفتوحتان على سعتهما»، «جوبه بنظرة اشمئزاز طويلة»، «رفعت عينيها. يحدجها بغيظ»، «تسترق النظر»، «و التقت عيناه بعيني باسل الساخرتين»، « تجلى القرف في عيني عادل»، «لكنها هربت بعينيها منه»، «نظراتک الوقحة»، «عيناه جاحظتان»، «يتأملها بعين لاتطرف»، «انظر هاتين العينين. فيها تمتد آفاق الغد بدون حدود».[75]

فكل صفة أو حالة مما ذكرنا لها دلالات سيميائية تعين القارئ على إدراك ما يجري في داخل الشخصيات. ولم تغفل الكاتبة عن توصيف عيون الكلب ايضا: «مازالت نظرات الإلفة تبطن عينيه[76]»، لتشير إلى وفاء الكلاب المعروفة. و مما ترتبط بالعيون و حالاتها، هو البكاء. فذِكر العيون الباكية كذلك ورد في مواضع كثيرة من الرواية، و هذه ظاهرة طبيعية في الرواية التي تصور لنا ظروف الاحتلال و الإحراق و التدمير و القتل و السجن. بحيث قد تسري البكاء في مشهدين من الرواية إلى عيون اليهود أيضاً. فالأول حين التقى السجين السوري بابنه الذي لم يره أبداً، بعد خمس سنوات من مولده، و المشهد أبكى الجنديين الإسرائيليين[77]. و الآخر هو المشهد الذي قتل فيه ضابط اسرائيلي على يد أسامة، و ما تبعه من صياح

---

[75] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 15، 17، 22، 23، 28، 32، 41، 51، 55، 65، 67، 78، 81، 97، 99، 101، 102، 105، 118، 121، 133، 136، 138، 139، 140، 141، 163، 164، 165، 166، 168، 172، 174.

[76] . نفس المصدر، ص 40.

[77] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 124.

زوجته و ابنته و بكائهما[78]. و التعمق في سيميائية العيون في أية رواية يطلب بحثا مبسوطا، لامجال هنا لإيفائه حقه.

**3-5- الوجه و ملامحه.**

الوجه جامع للجبهة، و العينين، و الحاجبين، و الصدغين، و الشفتين، و الخدين، والأنف، و الذقن. و هو ذو خصوصية سيميائية عجيبة؛ فملامح الوجه تمثل السرور و الحزن والغضب و الشباب و الشيخوخة في الشخصيات، و تضع أمامنا أيقونة من أحوال الأشخاص و ما يجري في ضمائرهم. و الوظيفة التي يؤديها الوجه في النص السردي، شبيهة بوظيفة العيون و دلالتها السيميائية، لأن العين هي من أجزاءالوجه بل أهمها.

فنجد في «الصبار» وجوها مختلفة الحالات و مختلفة الدلالات، تعبر عن أحاسيس الشخصيات و مواقفهن تجاه الأحداث و القضايا. فمنها الوجوه الغاضبة و القلقة و العبوسة، و منها الوجوه الضاحكة الوضاحة. و نظرا إلى أن الرواية تتناول مأساة النكسة و ما تبعها من الانكسار، فالوجوه أيضا في معظم المشاهد متحيرة، مقطبة، عبوسة، حزينة: « لم يبك عادل، لكنه كان حزيناً شاحباً، محروق الوجه»، «جباههم مقطبة»، «التفت و العبوس يملأ وجهه الملطخ بالشحم»، «يرقب الجمع بوجه جف منه كل تعبير»، «و كانت الحياة قد بدأت تغادر وجه الرجل»، «اتخذت سحنته هيئة ديک حبش مستوفز»، «و قد على الوجوم وجوههم»، «و قد بدت على وجهه علامات الدهشة و المفاجأة»، «و تقلصت عضلات الوجه المكرشمة»، «و علامات الاستفهام مرسومة على وجوههم»، «لوى فمه بحيرة»، «يدان تخبئان وجها مذعوراً لصبية شقراء»، «و الرعب مرسوم على وجهها»[79].

قد مرّ في سيميائية العيون، الحديث عن البكاء؛ فهنا في سيميائية الوجوه و ملامحها، ترد إشارة إلى الابتسام و الضحک. و لكن ما يلفت الانتباه في هذه الرواية هو أن الابتسامات و الضحكات أيضاً لا يدل على الفرح و السرور و الانبساط في كثير من الأحيان؛ بل قد يكون التبسم أو الضحک من شدة الحيرة، أو اليأس، أو السأم والملال:

«فابتسم بسخرية»، «ابتسم أبوصابر ابتسامة صفراء»، «ابتسم أسامة بفتور»، «و ابتسم بشماتة ... ابتسم زهدي ببرود»، «ابتسم باشمئزاز»،

---

[78] . نفس المصدر، ص 133.

72. نفس المصدر، صص، 29، 43، 46، 47، 51، 78، 92، 94، 95، 97، 105، 108، 136، 146.

«تكلف زهدي ضحكة»، «أطلق ضحكة عصبية»، «ارتسمت ابتسامة هازئة على شفتي الوالد ... قهقه الوالد بسخرية»، «و ابتسم بمرارة»[80].

تدل حالات و سمات أخرى في الوجوه، إلى حد بعيد على مشاعر الشخصيات وأحوالهم النفسية بألفاظ قليلة. فالوجه أيقونة تصور ما يجري في باطن الشخصيات كالحزن الشديد: او الخجل: « وجهها الناحل تكسوه حمرة الانفعال»[81]، او محاولة فاشلة لكتمان الغضب: «احمرّ وجهه. خبأ انفعاله بضحكة صبيانية»[82]، أو الفرح الكثير: «تهلل وجه السوري»، «و رسم ابتسامة تجارية»[83].

**6-3- الأصوات.**

إن أصوات الشخصيات بجميع صفاتها الغليظة و اللطيفة، تعد من أجزاء العمل السردي التي لها وظيفة خاصة و دلالات سيميائية. فالصوت إلى جانب العين و ملامح الوجه في كل شخصية روائية، يعرض تصويرا عن الشخصية و خصائصها أمام القارئ.

يجدر الإشارة هنا إلى أن «الوجه، والنظر، و الصوت، خصائص ثلاث لم - يرد ذكرها غالباً، إلا تمهيداً لبناء حوار جار بين شخصية و أخرى[84]» وهذا ماحدث بالفعل في رواية الصبار: «و كانت تصيح: ياكلاب، يا كلاب ...»، «وصاح الجندي بحدة: امش»، «صاح بغضب: لأني فلسطيني»، «وهمس أبو محمد في أذنه: سيجمركونها»، «و صاح فجأة كمن يتقيأ: و أين الصمود؟ ... قهقه السائق بسخرية: للذين قبضوا ثمنه»، « و صاح مجهشا فجأة: أقنعني ...»، «صاح العمال بصوت واحد: يا عادل ... صاح الصبي لاهثاً: عادل»، « و همس مواسيا: شد حيلک يا أبوصابر»، « يهتف بلهجة منتصرة: شيش بيش»، «هتف بتشنج: لاأصدق»، «و هتف إحداهن بصوت حاد: أليف الله اكبر»، «صاح هادراً: ماذا قلت يا شلومو؟»، «فصاح بغضب: لست المسيح و حق الإله»[85].

---

[80] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 73، 79، 83، 90، 93، 158، 166، 174.

[81] . نفس المصدر، ص 34.

[82] . نفس المصدر، ص 65.

[83] . نفس المصدر، صص، 117، 131.

[84] . مرتاض، عبد الملک، المصدر السابق، ص 217.

[85] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 12، 16، 19، 22، 46، 47، 58، 76، 83، 89، 94، 95.

فالقارئ يجد أن الصياح هو النوع الغالب بين أصوات الشخصيات، حيث أفعال من مادة «صاح» و «صرخ» و «هتف» تكرر أكثر من 120 مرة في الرواية، بينما الكلام بالهمس لم يرد أكثر من عشرة مرات. ذلك لأن الإحتلال ليس إلا التشاجر و التصادم و الجلب و الضوضاء، و لأن الظروف الراهنة تكون بحيث لايجدي الهمس و الكلام العادي شيئاً، و كل ما بقي للفلسطينيين، هو الصراخ و الصياح و الهتاف. و هذا الصياح أكثر ما يسمع من أسامة؛ ثم عادل و زهدي و أبو الرعد الذي يدل سيميائية اسمه أيضاً، على الصوت الهادر المرعب.

أما الصمت أيضاً كنقطة مقابلة للكلام أو الصياح، فله وظيفة و دلالة. وأحياناً لا يدل الكلام على ما يدل عليه الصمت: « و ردد الشيخ بعد فترة صمت و كأنه يستفيق من حلم عميق»، «و لم يجبه الشيخ، بل استغرق في الصمت»، «و التفت عادل بعد دقائق صمت إلى الرجل»، «و سكت [عادل] و ماعاد بالإمكان إخراجه عن دائرة صمته ... مشوا بصمت»، «كان عادل يواصل سيره بصمت و شرود»، «والتزم الصمت»، «لم يجبه الرجل بل ظل صامتاً»، «فتناولها الشاب من يده بصمت»، «يصاب بنوبات حنين صامت»، «استمر صامتاً»، «لزم الصمت هو الآخر»، «و هما يتبعانه بصمت»، «و مشى صامتا»[86].

شخصية عادل، هو الذي يلجأ إلى الصمت أكثر من الشخصيات الأخرى. فواقع أمره شيء لايستطيع التفوّه به، خوفا من رد فعل عائلته و أبيه خاصة. فهو الذي قد ترك المزرعة و أصبح عاملا في مصانع إسرائيل. مع أنه يؤمن بلزوم تغيير الظروف الراهنة.

**3-7- الألوان**.

للألوان أيضاً دلالات في عملية معرفة الإنسان، فكل لون يرمز إلى سيميائية في الأعمال السردية أيضاً. ففي رواية «الصبار» يمكن تقسيم الألوان إلى ثلاثة: الأبيض و ما شاكله من الأنوار و الأضواء، و الأسود و ما في حكمه مثل الظلمة؛ و الألوان الأخرى.

أما اللون الأبيض و الأنوار و الأضواء فقد تكرر أكثر من خمس و سبعين مرة في الرواية. منها ثماني مرات تختص باللون الأبيض مباشرة، عشرين مرة تختص بالشمس و القمر و النجوم، أكثر من خمس و عشرين مرة تختص بالمصابيح و أضواء المدينة، و البقية تنقسم بين الأضواء و الأنوار الأخرى. فالنور في هذه التشكيلة اللونية، يتكرر أكثر من أي لون آخر. و قد

---

[86] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 40، 41، 50، 66، 67،97، 106، 111، 116، 117، 120، 160، 176.

نعتت هذه الأنوار بأوصاف مختلفة تبعاً للمواقف التي تعبر عنها؛ فالنور إما خافت، أو لامع، أو مرتجف، أو ساطع، أو متراقص و[87] ... . للدلالة على الفضاء الروائي المتناسب مع الحيز الروائي.

اما اللون الأسود و ما في حكمه فتردد في الرواية زهاء ست و أربعين مرة؛ ثلاثة عشر منها تختص باللون الأسود مباشرة، تسعة عشر مرة تختص بالظلام و ما شابهه من الليل و الدياجير و الأماكن المعتمة، و مابقي منها، ترتبط بلون الدخان و الغبار و الغيم وأمثال ذلک. و الكاتبة توظف هذه الألوان توظيفاً دلالياً، و يبدو أن السواد و الظلام و ما في حكمه أكثر ما ترد في النص يأتى للتهجين، أو الذم، أو التشاؤم: «الأزقة الضيقة المعتمة»، «و القرشين اللي معي لليوم الأسود»، «و الليل مازال أسود»، «تملأ رأسه بسحابات قاتمة السواد»، «كانت الغيوم الرمادية تتدفق من جهة الغرب»، «و كان الظلام منتشراً»، «و الدار الكبير يعلوها الغبار»، «نوارة الدار تبكي. دموع، مرض، غبار»، «سطل زبالة يسيل منه ماء أسود بلون القزحة»، و كان الظلام قد خيم علي المدينة ... و الرجال قد لاذوا ببيوتهم خوفا مما تحمله الظلمة من مفاجئات»، «وقفوا في الزوايا المعتمة كالفئران»، «يلقون بي في ظلام رهيب»، «و الجدّة المتلفعة بالسواد»، «تأملت هيكله المعتم»، «الغبار ... الضباب ...»[88].

وأما الألوان الأخرى فللأحمر الحصة الكبرى. فورد الأحمر و مشتقاته خمس عشرة مرة، منها ما ترتبط بالوجه و الانفعالات النفسية التي تبدو آثارها على الوجه، مثل الخجل أو الغضب: «فاحمر وجهه»، و «طفرت الحمرة إلى وجهه»[89]، و منها ما ترتبط بالدم ، مثل: «والسائل الأحمر يغوص في تربة رملية»، «بات [القميص] ذا لون أحمر غامق»[90]. مضافاً على ذلک قد ورد كلمة «الدم» و مشتقاته أكثر من عشرة مرات ، و هذه الكلمة تدل بنفسه على اللون الأحمر: «والضابط ارتمى على الأرض مضرجاً بدمه، «و الدم يتدفق كالنافورة»، «و هذه اليد ملطخة بالدم»[91].

---

[87] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 9، 10، 43، 58، 101، 102، 151.

[88] . نفس المصدر، صص، 27، 30، 43، 53، 56، 57، 62، 70، 71، 81، 87، 88، 101، 124، 133، 135، 148، 156، 175.

[89] . نفس المصدر، صص، 71، 159.

[90] . نفس المصدر، صص، 46، 50، 51.

[91] . نفس المصدر، صص، 102، 132، 137.

و الألوان الأخرى الواردة في النص هي: الأزرق (11مرة)، الأخضر (9مرات)، الأشقر (5 مرات)، والأصفر (مرتين). و هناک أيضاً «الرمادية» و «الحبرية» اللتان أحصيناهما ضمن اللون الأسود و أشباهه.

يبدو أن الكاتبة قد وظفت اللون توظيفا مكثفا وحسنا فی روایته للدلالة على الفضاء الروائي المخيم على النص و تصوير الواقع للقارئ وتقريبه اليه.

**الخاتمة.**

نستنتج مما مر، أن نجاح رواية الصبار يعود إلى استخدام سحر خليفة تقنيات سردية و فنونها فی النص الروایی استخداما حسنا. فيمكن تقسيم هذه الخصائص و التقنيات إلى قسمين:

**1-**الخصائص الأسلوبية التي يميز استخدامها أية رواية عن الاخرى. فمنها «الوصف» الذي استُخدِم في رواية الصبار لعرض مشاهد من الأرض المحتلة، خاصة مسقط رأسها «نابلس» و حياة سكانها اليومية تحت نير الاحتلال، و وصف الهيآت و الوجوه و الألبسة و كل شيء يتعلق بحياة الناس اليومية. فأكثر الأوصاف، من بين الأمكنة و المشاهد، يختص بنابلس بما فيه، لأنها مكان الرواية الأصلي و تهدف الكاتبة إلى تصوير واقعها المؤلم. و من بين الشخصيات يتعلق أكثر الأوصاف بشخصيتين رئيستين، هما عادل و أسامة، فجدلية المناضل و المتساوم تتجلى بوضوح بين هاتين الشخصيتين و أوصافهما و سلوكهما. و من الخصائص الأسلوبية «التكرار» بأنواعه التي تقوّي موسيقي الكلام و تضفي عليه طابعا شعرياً بعض الأحيان. فتكرار كلمة، أو عبارة، أو فكرة ما، يسبب ترسيخها في ذهن المخاطب؛ و قد يستخدم للسخرية المرة تجاه الظروف الراهنة في الأرض المحتلة. و «التشبيه» أيضا من الخصائص الأسلوبية التي استخدمها الكاتبة لبيان حال المشبه غالبا، و لتوضيحه و لتجسيم الواقع و عرضه عرضا فنيا. فأكثر التشبيهات في الرواية حسي ملموس لتجسيم الواقع و ترسيمه وليستوعبها القارئ العام.

**2-** الخصائص السيميائية هي قسم آخر من خصائص الرواية السردية، حيث ترتبط بدلالات الألفاظ و العبارات. فاهتم بها سحر خليفة، فصارت من أسباب

جاذبية خطابها السردي و جماله: كالتناصات المباشرة التي وظفت في النص السردي أحسن توظيف، و دلالة عنوان الرواية على الصبر و المثابرة، و دلالة أسماء الشخصيات كـ «عادل» و «أسامة» و «باسل» على مفاهيم و معان لها علاقة عميقة بسلوك الشخصيات و نفسياتها، و مثل الروائح العبقة و المنتنة التي استخدمت استخداما دلاليا متناسبا كتحسين أو تزيين أو تشويه و تقبيح، و مثل حالات العيون و أوصافها، و الوجوه و ملامحها، و الأصوات و كيفياتها التي تجسم للقارئ أحاسيس الشخصيات و مشاعرها و ما يجري في أعماق ضمائرها، و مثل الألوان بأنواعها المظلمة و المشرقة التي تدل بشكل موحية على الحزن و الفرح، أو اليأس و الأمل و ... . كل ذلك ذات دلالات سيميائية تعين الكاتبة في خلق أجواء يغرق فيها القارئ، و يشعر بأنه يرى بعينيه ما يصفه السارد، و يحس ما تحسه الشخصية الروائية.

هذه الخصائص السردية و فنونها التي مرّ ذكرها بالتفصيل كالأوصاف، و التشبيهات، و التكرار، و الخصائص السيميائية للأسماء، و الوجوه، و الأصوات، و الألوان و التناص... كل ذلك يدل على نجاح سحر خليفة في خلق أجواء فنية تقرّب النص إلى القارئ، فهذا هو سرّ المكانة المتميزة التى حازتها الرواية لدى الناقدين و القراء فى الأوساط الروائية العربية.

**المصادر و المراجع.**


1- الأسطة،عادل، «سحر خليفة و الدوران في الدائرة نفسها (قراءة لرواية الميراث)». جامعة النجاح الوطنية، فلسطين. فبراير 2005 http://najah.edu

2- جابر، عناية، «سحر خليفة: أدبي واقعي». جريدة السفير الفلسطينية، 2008/5/23 http://assafir.com

3- جبر، يحيي، *أبحاث و دراسات في الأدب الشعبي*، الدار الوطنية، نابلس: 2006، ط1.

4- جبر، يحيي، و حمد، عبير، «حضور المأثورات الشعبية في أعمال سحر خليفة». جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2009/6/2 http://www.Al-Naiah.blogs

5- جميل عزم، أحمد، «روايات سحر خليفة ... اضطهاد المرأة الفلسطينية». مجلة الحرية الفلسطينية، العدد 285، 2010/3/11 http://www.awu-dam.org

6- حمود، ماجدة، «الخطاب الروائي عند سحر خليفة»، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 272، كانون الأول 1993.

7- دراج، فيصل، و آخرون، أفق التحولات في الرواية العربية، مؤسسة عبد الحميد، شومان: 1999، ط1.

8- رشدي صالح، أحمد، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية: 1971، ج1.

9- زيتوني، لطيف، 2002، معجم مصطلحات نقد الرواية، الطبعة الأولي، مكتبة لبنان ناشرون- دارالنهار للنشر، بيروت-لبنان

10- عدنان خليفة، سحر، برنامج ركن الكتاب، راديو البلد، 13 حزيران 2005.

11- عدنان خليفة، سحر، الصبار، منشورات دار الآداب، بيروت: 1999، ط2.

12- العنتيل، فوزي، الفولكلور ما هو؟، دار المعارف بمصر: 1965.

13- عياشي،منذر، 1996، المعرفة الروائية(التكوين والواقع)، مجلة الموقف الادبي، العدد 307،دمشق، اتحاد الكتاب العرب، تشرين الثاني http://www.awu-dam.org

14- عيسي، راشد، «حوار مع سحر خليفة»، 2005/2/29 http://www.damascus.org

15- قاسم فرهود، كمال، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، حيفا: 1998، ج1.
16- القاسم، نبيه، «مذكرات امرأة غير واقعية، رواية سحر خليفة التي تجاهلها النقاد». 2006 www.nabih_alkasem.com
17- كامبل، روبرت، أعلام الأدب العربي المعاصر (سير و سير ذاتية)، بيروت: 1996، ج1.
18- الكردي، عبد الرحيم، السرد في الرواية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة: 2006.
19- مرتاض، عبد الملک، «خصائص الخطاب السردي لدي نجيب محفوظ»، مجلة الفصول، المجد التاسع، العدد الرابع، فبراير 1991.
20- مرسي، أحمد، الأغنية الشعبية، سلسلة المكتبة الثقافية (200)، الهيأة المصرية: 1970.
21- معتصم، محمد، الخطاب الروائي و القضايا الكبري (النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة)، الدار البيضاء: 1991.
22- المناصرة، حسين، «تناقضات الذات و الآخر في روايات سحر خليفة». http://knoll.google.com 2009/11/2

# نظرية ( الصفر) ونتائج تطبيقها على النحو العربي

د. سناء حميد البياتي

**ما هو الصفر في اللغة:**

اللغة إنجاز إنساني ميز الله تعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات ومكنه من أدائها لما يمتاز به دماغ الإنسان من قدرات هائلة، وتعد اللغة من أكثر إنجازات دماغ الإنسان تعقيدا ، وعند تحليل أية لغة من لغات البشر نجدها تتألف من مجاميع من الجمل ، والجملة هي ما تعبر عن فكرة تامة ، والأفكار تنشأ في دماغ الإنسان وفي دماغ الإنسان يتم تأسيس الجمل المعبرة عن تلك الأفكار نطقا أو كتابة، وفي الدماغ يتم تنظيم العلاقات والربط بين الأشياء التي تحتوي عليها الفكرة، وتعد مرحلة التنظيم التي يتم بها إنجاز الجمل وتحويل الفكرة التي تحتوي على أشياء متعددة إلى جملة تعبر عن أشيائها بكلمات مرتبطة بعضها مع بعض بعلاقات معنوية منظمة ، هذه المرحلة التنظيمية التي تسبق ولادة الجمل كافة هي مرحلة (الصفر) في اللغة ومقرها في دماغ الإنسان .

فالصفر في اللغة هو المرحلة الماثلة ما بين انبثاق الأفكار والجمل المعبرة عنها ، وبعبارة أخرى هو مرحلة تأسيس الجمل في الدماغ على وفق نظام معين مستقر فيه, وهذا النظام يرثه الإنسان كما يرث نظما متعددة لإنجاز فعالياته المختلفة ، وسأفصّل الحديث عن قواعد هذا النظام ، الذي يشغله الإنسان عندما تتهيأ له ظروف التشغيل . وكما أن الصفر في الرياضيات هو مرحلة بدء الأعداد وانطلاقها ، وهو مرحلة تتوسط ما بين الأعداد الموجبة والأعداد السالبة كذلك الصفر في اللغة هو مرحلة البدء لإنجاز الجمل أو لإنتاجها لأنه مرحلة التنظيم والتأسيس التي تسبق ولادة الجمل بجميع أنواعها ، وهو مرحلة تتوسط ما بين انبثاق الأفكار والجمل المعبرة عنها ، وكما كان اكتشاف الصفر حدثا علميا مهما في مجال الرياضيات كذلك الأمر بالنسبة لاكتشاف الصفر في مجال اللغة

.

**البحث عن الحقيقة سبب الاكتشاف :**

عندما تعمقت بالدراسة النحوية في مرحلة الماجستير وكان ذلك في أوائل الثمانينات وبعد أن استوعبت منهج النحو العربي التقليدي، لم اقتنع بكل ما جاء في ذلك المنهج القائم على (نظرية العامل) ذات الأصول الفلسفية ، كما لم أقتنع بالنظريات الحديثة رغم فوائدها ، وأخذت أبحث عن الحقيقة العلمية ، أي أبحث عن الأساس العلمي السليم الذي أبني عليه صرح منهج نحوي جديد يقوم على المعاني لأن اللغة هي وسيلة التعبير عن المعاني والأفكار ، وأبحث عن القواعد الرئيسة التي أنطلق منها لبناء المنهج الجديد ، ولما كان الكلام إنجازا إنسانيا له مستقر في دماغ الإنسان والجملة هي ما عبرت عن فكرة تامة لذلك حاولت أن أتحسس ما يجري في الدماغ بعد انبثاق الفكرة وقبل إنجاز الجملة وحاولت أن أدخل في معمل إنتاج الجمل في دماغي أي جعلت دماغي مختبرا لما أريد الوصول إليه ، وما أريد معرفته هو كيفية إنجاز الجملة في الدماغ كي أبدأ بوضع القواعد للمنهج الجديد من المنبع الذي تنبع منه جميع أنواع الجمل ، وبعد القراءات الكثيرة والتفكير العميق الذي شحذ ذهني وجعلني في حالة من التحسس تفوق الحد الطبيعي تمكنت ـ بفضل الله ـ من اكتشاف النظام الذي يعمل بموجبه الدماغ لإنجاز الجمل والذي يمثل مرحلة ( الصفر) في اللغة، فبدأت منها أي من مرحلة الصفر في إقامة المنهج النحوي الجديد .

**نظام مرحلة ( الصفر ) في اللغة :**

ذكرت أن مرحلة الصفر في اللغة تكمن ما بين الفكرة والجملة المعبرة عنها ، ويمكن القول أن الفكرة بعد انبثاقها وبعد أن يتخذ الدماغ قرارا بالتعبير عنها باللغة تدخل في مرحلة الصفر أي في معمل إنتاج الجمل ، وقد اكتشفت أن معمل إنتاج الجمل في الدماغ مكوّن من ثلاثة أقسام ونظام عمل كل قسم كما يأتي :

**القسم الأول :**

يتم فيه تحديد المعنى العام للفكرة فيما إذا كانت إخبارية مثبتة أو منفية أو استفهامية أو شرطية أو غيرها ، وتحديد المعنى للفكرة أما أن يكون بدون أداة وتلك هي الفكرة الإخبارية المثبتة أويكون تحديد المعنى العام للفكرة بأداة وتلك للفكرة الاستفهامية والمنفية والشرطية وغيرها مما يتم تحديد معناها العام بأداة أو بطريقة معينة في الإنجاز بحيث يتميز المعنى العام للفكرة .

**القسم الثاني :**

في هذا القسم توجد مديرية الربط بين أجزاء الفكرة ، ويتم في هذا القسم تحديد العلاقات المعنوية بين أجزاء الفكرة التي سبق أن تحدد معناها العام وهذه المديرية تعمل بنظام هرمي للربط ، وليس في اللغة عموما أكثر من أربعة معان ذهنية رئيسة رابطة تربط أجزاء الفكرة واحد منها معنى مركزي رابط عليه تبنى الجملة وهو ( الإسناد ) وثلاثة معان ذهنية أخرى ترتبط بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهي : ( التخصيص ) و ( الإضافة ) و (التوضيح) - ويمكن تسمية رابط الإضافة ( النسبة ) ورابط التوضيح (الإتباع ) - ويشكل الإسناد رأس الهرم في النظام الهرمي الذي يعمل بموجبه هذا القسم من الدماغ لربط أجزاء الفكرة ، وطرق الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة وهذه تدخل في نطاق قواعدها الخاصة بها.

**القسم الثالث :**

يتم فيه تحديد الكلمات المناسبة واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في هذا القسم ، وهذا القسم من الدماغ يخزن الكلمات باستمرار، فيتم اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن الأشياء التي سبق أن ارتبطت بالمعاني الذهنية المذكورة سابقا .

فتخرج الفكرة من هذا المعمل وقد أصبحت جملة ذات معنى عام ومؤلفة من كلمات مرتبطة بعضها ببعض بعلاقات معنوية منظمة .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن قانون الفروق الذي تعمل به كل اللغات لأمن اللبس ولإيصال الأفكار بوضوح يجعل تحديد المعنى العام للفكرة يتم إما بأداة ( كالفكرة الاستفهامية والفكرة الشرطية ) أو بدون أداة ( الفكرة الإخبارية المثبتة ) وتتباين الأدوات بتباين المعاني العامة ، فللنفي أدواته وللاستفهام أدواته وللشرط أدواته وإذا اشتركت أداة واحدة لأكثر من معنى عام ففي نظم الجملة وتأليفها أو طريقة أدائها ما يميز المعنى العام لإحداها عن الأخرى كالفرق الملاحظ في طريقة نظم الجملة وأدائها بين الجملة الاستفهامية والجملة الشرطية حينما تشتركان بأداة واحدة ، في مثل هاتين الجملتين : من يقرأ ؟ من يقرأ يستفد .

ولتوضيح كيفية تأسيس الجمل (الخبرية المثبتة) في الدماغ قبل ميلادها وهي النوع الأول نحاول أن نتحسس ما يجري في الدماغ بعد انبثاق فكرة معينة وقبل التعبير عنها بجملة ، ولنأخذ مثلا هذه الجملة (الكتاب مفيد) نحس أولا أن الفكرة انبثقت ولكنها ضبابية إلى حد ما- وهكذا كل الأفكار تنشأ ضبابية ولكنها تحتوي على مجموعة أشياء بصورة مفاهيم وهذه الأشياء هي أجزاء الفكرة أو أركانها - وعندما يتخذ الدماغ قرارا بالتعبير عن الفكرة باللغة تدخل

الفكرة في معمل إنتاج الجمل حيث يبدأ بتأسيس الجملة ويتم التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة ثم تنتقل إلى مديرية الربط حيث يتم تحديد العلاقة بين الشيئين أو الركنين اللذين يشكلان فحوى الفكرة وهما : مفهوم الكتاب ومفهوم الفائدة فيتم الربط بينهما بمعنى ذهني هو (الإسناد) حيث يسند أحد المفهومين إلى الآخر وطريقة الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة .

وفي المرحلة اللاحقة يتم تحديد الكلمات المناسبة واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في قسم من الدماغ ، فتتحدد كلمة (الكتاب) دون غيرها ويتم اختيارها من بين كلمات كثيرة مخزونة مثل (المقال ، الموضوع ، الصحيفة ، المجلة ....الخ) وتتحدد كلمة (مفيد) دون غيرها من الكلمات ويتم اختيارها من بين كلمات كثيرة مخزونة مثل ( نافع ، نظيف ، قيّم ...الخ ) ولكن لم يقع الاختيار على هاتين الكلمتين إلا بعد أن تحددت العلاقة بينهما وربطهما معنى ذهني هو ( الإسناد ) أي إسناد الفائدة للكتاب ، وهكذا هي المراحل حتى تولد هذه الجملة الخبرية المثبتة المؤلفة من المسند إليه ( الكتاب) والمسند (مفيد) مرتبطين بعلاقة (الإسناد).

أن طريقة الإشارة إلى هذا المعنى الذهني الرابط بين الكلمتين (الإسناد) تختلف من لغة إلى أخرى والعربية اتخذت من العلامات الإعرابية وسيلة للإشارة إلى المعاني الذهنية الرابطة بين أجزاء الفكرة وهذه تدخل في نطاق القواعد الخاصة بكل لغة .

ومثال آخر لمتابعة ما يجري في الدماغ بعد انبثاق الفكرة وقبل إنتاج الجملة نحاول أن نتحسس كيفية تأسيس هذه الجملة: (قرأ محمد قصة خيالية) نحس أولا أن الفكرة نشأت وانبثقت من منطقة أو مركز انبثاق الأفكار وهي فكرة إخبارية مثبتة ولكنها ضبابية إلى حد ما و تحتوي على عدة أشياء أو أجزاء وعندما يقرر الدماغ التعبير عن هذه الفكرة باللغة تدخل الفكرة في معمل إنتاج الجمل حيث يبدأ بتأسيس الجملة (ومن هنا يبدأ علم النحو) فيبدأ التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة ثم تنتقل إلى مديرية الربط بين أجزاء الفكرة فيتم الربط بين شيئين أو جزأين من أجزائها بعد إدراك العلاقة بينهما فيربطهما بمعنى ذهني هو (الإسناد) فالإسناد هوالرابط المعنوي المركزي الذي تبنى عليه الجملة وترتبط به بقية المعاني الذهنية الرابطة ، لذلك هو يشكل ( رأس الهرم ) بالنسبة للمعاني الذهنية الأخرى المرتبطة به ، وكلما يتحدد الرابط بين جزأين ينتقل الجزءان إلى المرحلة اللاحقة أي تحديد الكلمة المرتبطة بالكلمة الأخرى واختيارها ، فيتحدد الفعل (قرأ) من بين عدد كبير من الأفعال المخزونة في الدماغ وتتحدد كلمة (محمد) من بين عدد كبير من الأسماء المخزونة في الدماغ فيولد الإسناد بهاتين الكلمتين المحددتين المختارتين أما المعنى الذهني الآخر الذي يربط الجزء الثالث فهو

(التخصيص) الذي يخصص القراءة ويحددها بأنها قراءة (قصة) وليس كتابا أو مقالا أو شعرا وأخيرا رابط (التوضيح) الذي يحدد صفة القصة بأنها( قصة خيالية) وليست مؤثرة أو مسلية أو حزينة ، ويرتبط الموضِّح بالموضَّح ارتباط التابع بمتبوعه يلتصق به ولا ينفصل عنه وليس له كيان مستقل بذاته سواء أتأخر عن متبوعه كما في العربية أم تقدم عليه كما في الإنكليزية .

إن عملية اختيار الكلمات تأتي عقب عملية الربط بزمن غير ملحوظ فما أن يتم الربط بين جزأين بمعنى ذهني حتى ينتقل الإيعاز إلى خزّان الكلمات فيتم اختيار المناسب من الكلمات (دلالياً وصرفياً وصوتياً).

إن المعاني الذهنية الرئيسة الرابطة في كل أنواع الجمل لا تزيد على أربعة معان ذهنية هي : (الإسناد) وهو المعنى المركزي الذي يشكل رأس الهرم وعليه تبنى الجملة ، وهو يربط ما بين المسند والمسند إليه . والمعاني الثلاثة الأخرى التي ترتبط به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة هي : (التخصيص ) و (الإضافة) و(التوضيح). أما (التخصيص) فهو الذي يربط المفعولات بأنواعها كافة والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص ، فكلها لتخصيص الإسناد وتضييق إطلاقه وعمومه ، ولكن كل نوع من المفاعيل يتخذ اتجاها في التخصيص غير الاتجاه الذي يتخذه المفعول الآخر ، فبينما يخصص (المفعول به) الإسناد بما وقع عليه فعل الفاعل مثل (شرب الطفل الحليب) تجد (المفعول فيه) يخصص الإسناد باتجاه زمن حدوث الفعل (المسند) مثل : (سافر الرجل مساءً) أو (شرب الطفل الحليب صباحا).

وهكذا فإن (التخصيص) رابط معنوي رئيس كبير يتفرع باتجاهات متعددة وكلها ترتبط بالإسناد مباشرةً والإسناد هو الرابط المعنوي المركزي الذي يشكل رأس الهرم .

وأما (الإضافة) ويمكن تسميتها بـ(النسبة) فهي تعمل على ربط المضاف بالمضاف إليه من حيث نسبة أحدهما إلى الآخر ، وكلاهما (المضاف والمضاف إليه) يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، مثل : (ثوب الطفل نظيف) فالمعنى الذي يربط (الطفل) بـ(ثوب) هو (النسبة) أي نسبة الثوب إلى الطفل التي أدت إلى إضافة إحدى الكلمتين إلى الأخرى ولا ننسى أن إحدى الكلمتين هي مسند إليه (ثوب) لذلك فان الإضافة هنا ارتبطت بالإسناد (بالمسند إليه) مباشرة ، وقد ترتبط بالإسناد بطريقة غير مباشرة مثل : (يحفظ الطلاب شعر المتنبي) فنسبة الشعر إلى المتنبي ربطت بين هاتين الكلمتين بإضافة إحداهما إلى الأخرى ، ولا ننسى أن كلمة (شعر) مرتبطة بالإسناد- بالمسند يحفظ - بمعنى ذهني هو (التخصيص) حيث خصصت كلمة (شعر) ما وقع عليه فعل الفاعل ، لذا فإن الإضافة ارتبطت بالإسناد بطريقة غير مباشرة .

والملاحظ أن النسبة التي تربط المضاف بالمضاف إليه في هذا النوع من الإضافة أي الإضافة بدون أداة تجعلهما بمثابة كلمة واحدة تعبران عن شيء واحد فـ(ثوب الطفل) كلمتان في الشكل ولكنهما تعبران عن شيء واحد وليس شيئين. ولذلك فهما لا ينفصلان عن بعضهما وإذا ما تغيرت مواقع الكلمات يتقدمان معاً أو يتأخران معاً .
وهناك نوع ثان من الإضافة وهي بوساطة الأدوات المسماة في العربية بحروف الجر ، والمجرور هو مضاف إليه تمت إضافته بوساطة الأدوات حيث لا يمكن معه الإضافة المباشرة مثل : (ذهب الطالب إلى المدرسة) .
وأما (التوضيح أو الإتباع) فهو يعمل على ربط إحدى الكلمات بالأخرى لغرض توضيحها فيجعلها تابعة لها ومرتبطة بها ولا وظيفة لها من غير متبوعها كالصفة التي ترتبط بالموصوف فتوضحه وكلاهما الصفة والموصوف يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالارتباط المباشر، مثل (الرجل المهذب محترم) فكلمة المهذب ارتبطت بـ(الرجل) أي بالمسند إليه ، والارتباط غير المباشر، مثل (قابلت رجلا مهذبا) فكلمة (مهذبا) ارتبطت بـ (رجلا) لتوضيحها باتجاه الوصف وكلمة (رجلا) مرتبطة بالإسناد حيث خصصت ما وقعت عليه المقابلة لذلك فالارتباط هنا غير مباشر .
والملاحظ أن المعاني الذهنية الرابطة التي تتعلق بالإسناد كلها تتجه نحو تضييق العموم وتقييد الإطلاق في الإسناد وتحديد الفكرة تحديداً كاملا .
وهكذا فان كلمات الجملة مرتبطة بعضها ببعض بشبكة من العلاقات المعنوية تبدأ من رأس الهرم (الإسناد) وتتفرع باتجاهات معنوية متعددة .
فالإسناد يربط المسند بالمسند إليه وهو رأس الهرم والمعاني الثلاثة الرئيسة المرتبطة بالإسناد هي :
التخصيص : يربط المفعولات كافة بالإسناد وكذلك يربط الحال والتمييز والمستثنى والمخصوص وكل له جهة في التخصيص.
الإضافة أو النسبة: تربط المضاف بالمضاف إليه وهي نوعان : إضافة بدون أداة وإضافة بوساطة الأدوات أي بوساطة أدوات الإضافة المسماة بحروف الجر .
التوضيح أو الإتباع : يربط الصفة والتوكيد والبيان .
ولنلاحظ المعاني الذهنية أي المعاني النحوية التي ربطت أجزاء هذه الجملة : (يعبد الإنسان العاقل خالق الكون) .

1. الإسناد : الذي حدد العلاقة بين (يعبد) و (الإنسان العاقل) وربطهما ببعضهما .

2. التوضيح أو الإتباع: الذي حدد العلاقة بين (الإنسان) و(العاقل) وربطهما ببعضهما .
3. التخصيص : الذي حدد العلاقة بين (يعبد) و(خالق الكون) وربطهما ببعضهما .
4. الإضافة : التي حددت العلاقة بين (خالق) و(الكون) وربطتهما ببعضهما .

وقد تؤسَس بعض الجمل على بعض هذه المعاني الذهنية الرابطة كالإسناد والتخصيص . نحو (كتب الرجل رسالة) أو الإسناد والتخصيص والتوضيح نحو :(كتب الرجل رسالة مؤثرة) أو الإسناد والإضافة ، نحو: (رسالة الرجل مؤثرة) وفي كل الأحوال لابد من الإسناد (رأس الهرم ) عند تأسيس أغلب الجمل وتنظيم العلاقات بين أجزائها.

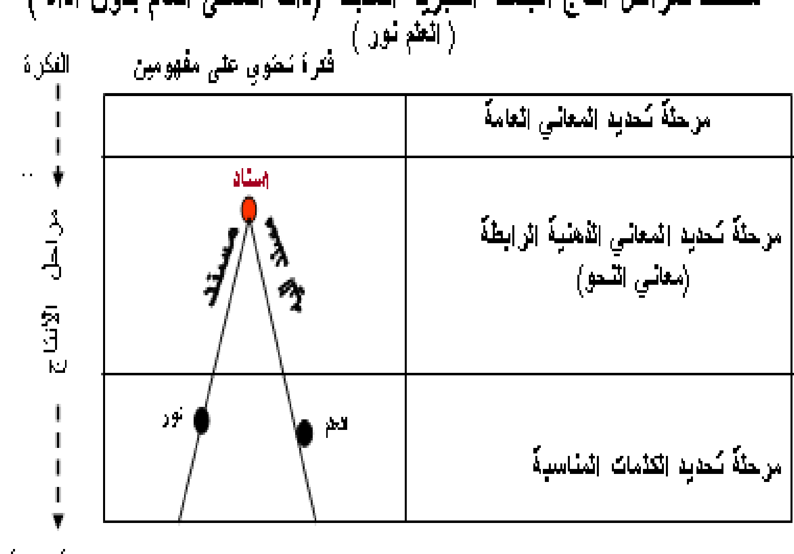
أما الجمل التي يتحدد معناها العام بالأدوات مثل الجمل الاستفهامية والجمل المنفية والجمل الشرطية فتحديد المعنى العام الذي يهيمن على جو الفكرة بأداة معينة هو المرحلة الأولى في تأسيسها وهذا ما يميزها عن الجمل التي يتحدد معناها العام بدون أداة ، فيتم تحديد المعنى العام بالأدوات كأدوات الاستفهام وأدوات النفي وترتبط الأداة بأحد أجزاء الجملة وهو – أي الجزء الذي ارتبطت به الأداة – واقع ضمن شبكة العلاقات ذات التنظيم الهرمي ، كهذه الجملة :

(هل فهم الطلاب الدرس؟) فالاستفهام هو المعنى العام الذي يحتضن الفكرة وقد جاءت الأداة (هل) لتعبر عن هذا الجو العام للفكرة ، وقد ارتبطت ( هل) بشبكة العلاقات ذات التنظيم الهرمي وهيمنت على الجملة من خلال ارتباطها بالمسند ( فهم) إذ تحددت العلاقات بين الأشياء وارتبطت بمعان ذهنية بتنظيم هرمي شكله (الإسناد) رأس الهرم الذي ربط المسند إليه (الطلاب) بالمسند (فهم) والمعنى الذهني الآخر (التخصيص باتجاه المفعول ) الذي ربط الدرس بالإسناد ، وهكذا يهيمن الاستفهام على الجملة ويختص بالجزء المرتبط به .

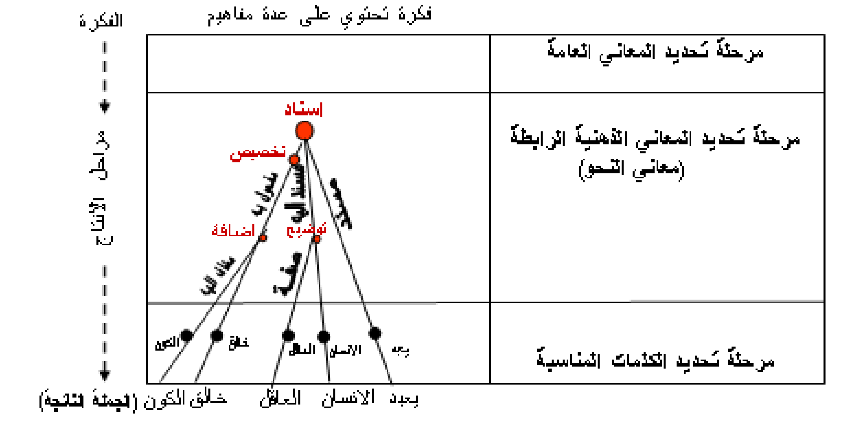
ويمكن ملاحظة مراحل إنتاج الجملة والتنظيم الهرمي للربط من خلال الرسم التوضيحي الآتي:

# مخطط لمراحل انتاج الجمل والتنظيم الهرمي للربط

## 1 – مخطط لمراحل انتاج الجملة الخبرية المثبتة (ذات المعنى العام بدون أداة )

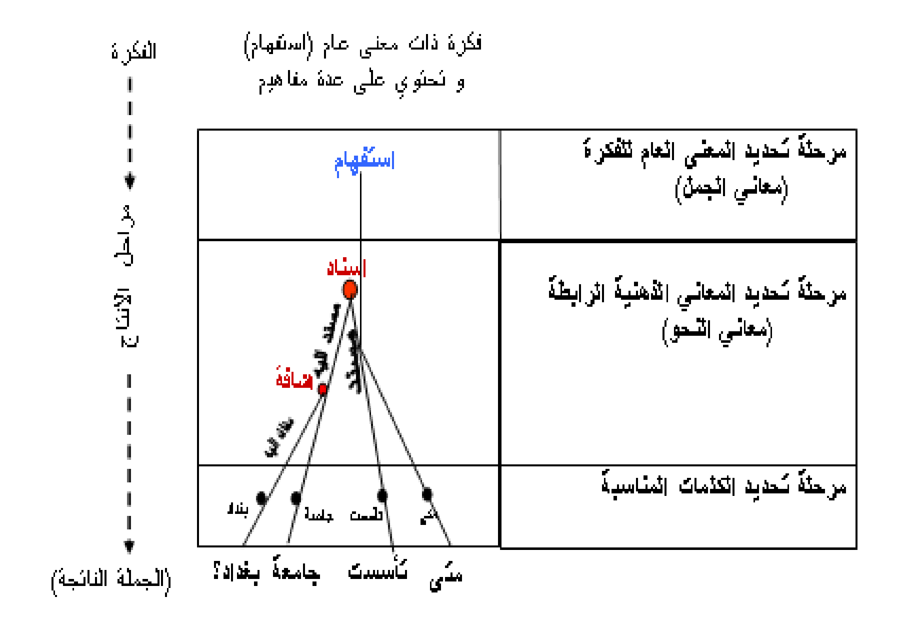



( يعبد الانسان العاقل خالق الكون )



## 2- مخطط لمراحل انتاج الجمل ذات المعاني العامة (بالأدوات)

متى تأسست جامعة بغداد؟



إن هذا التوضيح لكيفية تأسيس الجملة في دماغ الإنسان والمراحل التي تمر بها الفكرة إلى أن تولد في جملة لا يعني أن هناك زمنا ملاحظا يفصل بين الفكرة والجملة المعبرة عنها فما أن تنشأ الفكرة الاستفهامية حتى تعبر عنها الأداة المناسبة، وما أن تتحدد العلاقات بين الأشياء أو الأجزاء حتى يتم تحديد الكلمات المناسبة واختيارها فتولد الجملة بكلمات متعلقة بعضها ببعض وهكذا فان كل معنى ذهني رابط يقترن بالكلمات المناسبة ، والتعبير عن الفكرة يتم بعد انبثاقها بوقت غير ملحوظ ، أي أن الزمن المستغرق في تحويل الفكرة إلى جملة لا يكاد يلاحظ .

إن الانطلاق في دراسة نظم الجملة وتأليفها ابتداء من الدماغ هو الانطلاق العلمي الصحيح – على ما يبدو لي – خاصة بعد أن توصلت الدراسات التشريحية والدراسات المعنية بوظائف دماغ الإنسان إلى أنّ فيه مناطق خاصة باللغة وربط الكلمات ولكن مهما تبلغ دقة هذه الدراسات فإنها لن تستطيع أن تصل إلى تحديد دقيق للمعاني الذهنية الرابطة بين أجزاء الفكرة ولا يمكنها أن تكتشف ذلك التنظيم الهرمي المذهل الذي يعمل به الدماغ لتحديد العلاقات بين أجزاء الفكرة المعبر عنها بالكلمات وربطها ولا يمكنها أن تضع مسميات للمعاني الذهنية الرئيسة الرابطة والتي تتفرع منها الروابط كافة لأن هذا الأمر (بهذه التفاصيل الدقيقة) لا يتمكن منه إلا عالم اللغة الذي يتوصل إلى معرفة التنظيم الذي تتأسس بموجبه الجملة في الدماغ ويحدد المعاني الرئيسة الرابطة المشتركة في ربط أجزاء الجملة كافة فيضع لها المسميات حسب وظائفها اللغوية .

إن دراسة الجملة و المعاني الذهنية الرابطة بين الكلمات التي تتضمنها الجملة ودراسة الظواهر الشكلية للكلمات بعد الربط هو موضوع (علم النحو) والمعاني الذهنية الرابطة بين الأجزاء أو الأشياء التي تحتوي عليها الفكرة هي : (معاني النحو) وعند حصر معاني النحو الرئيسة التي تحدد العلاقات بين الكلمات في كل الجمل نجدها لا تزيد على (أربعة) تتخذ – في الدماغ - شكلا هرميا في تنظيم العلاقات بين الأجزاء وربطها ، فعلى (الإسناد) رأس الهرم تبنى العلاقات بين أجزاء الجملة ، ويمثل (الإسناد) الدائرة المركزية في مديرية العلاقات بين الكلمات ، أما المعاني الثلاثة الأخرى الرابطة فهي دوائر رئيسة ترتبط بالدائرة المركزية ومنها تتفرع كل العلاقات المعنوية الرابطة .

أن المعاني الرئيسة الرابطة ، تلك التي تعمل بتنظيم هرمي هي مرحلة الصفر في النحو وتشكل – على ما يبدو لي – المنطلقات الرئيسة والقواعد الأساسية المشتركة لعلم النحو في كل اللغات أي القواعد الأساسية

للنحو العمومي أو العالمي( Universal Grammar ) أما القواعد الفرعية فلكل لغة خصوصيتها في تلك القواعد .

**النتائج العملية لهذا الاكتشاف على المنهج النحوي:**

لقد مكنني هذا الاكتشاف من وضع منهج جديد للنحو العربي اعتمدت فيه على نظرية عربية أصيلة معروفة في تراثنا باسم (نظرية النظم) التي استخلصها العلماء من كتاب (دلائل الإعجاز) للعلامة عبد القاهر الجرجاني المتوفى في القرن الخامس الهجري (ت471هـ) وفي هذا الكتاب مباحث متنوعة أغلبها لإثبات أن القرآن الكريم معجز بنظمه وهي مباحث جليلة تتعلق بمعاني النحو ، وتعد نظرية النظم من أعظم نظريات اللغة التي تقوم على المعاني ، ولكن لم يتوصل العلماء- رغم إعجابهم بهذه النظرية- إلى وضع القواعد الثابتة لها كي تصبح نظرية نحوية فاعلة يمكن الامتداد بها وتطبيقها بشكل منهجي على اللغة العربية .
لقد شكل نظام مرحلة (الصفر) الذي اكتشفته القواعد الثابتة لهذه النظرية ، وبهذا يكون المنهج الجديد منطلقا من مرحلة (الصفر) في اللغة - وهي البداية الصحيحة لأي علم من العلوم - ومعتمدا على نظرية عربية أصيلة هي (نظرية النظم) ومستفيدا من كل ما هو مناسب من نتاج العلماء الأفذاذ الأوائل ومن الآراء السديدة التي قدمها العلماء المحدثون في سعيهم نحو إصلاح النحو العربي وقد طبقت هذا المنهج على اللغة العربية في كتابي (قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ) ، وربما يصلح هذا المنهج النحوي الجديد لمعظم اللغات الإنسانية لأن المراحل التي تمر بها الفكرة والتنظيم الهرمي لربط أجزائها إنما هو في دماغ الإنسان أيا كانت لغته وإنما الاختلاف في طرق الربط وفي الكلمات .
وبذلك يكون اكتشاف نظام مرحلة (الصفر ) في اللغة قد حقق الوصول إلى قواعد النحو العمومي ومنها تنطلق كل لغة لدراسة قواعدها الخاصة بها .

**النتائج العملية على قواعد النحو العربي :**

عندما بدأت من مرحلة الصفر في إقامة منهج جديد للنحو العربي وطبقت هذا المنهج بشيء من التفصيل على اللغة العربية في كتابي ( قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم) كانت النتائج قفزةً عالية باتجاه تطوير النحو العربي والخروج به من دائرة النحو التقليدي ذي الأصول الفلسفية إلى نحو أصوله علمية .

وسأذكر هنا بعض صفات المنهج الجديد وبعض نتائج التحليل فيه :

1- إنه منهج يعنى بالمعاني وبالعلاقات المعنوية بين الكلمات ويستند إليها في التبويب وفي التعليل ، ويقيم القواعد من خلال رؤية محددة هي أن المعنى والمبنى مرتبطان ارتباطا لا انفصام له ، وأن أي تغيير في معنى الجملة يتبعه تغيير في مبناها وأي تغيير في مبنى الجملة يتبعه تغيير في معناها

2- إنه منهج ينتقل من الكل إلى الجزء أي من الجملة إلى أجزائها فمعرفة أنواع الجمل هي أول ما يعنى به المنهج الجديد ، ثم الانتقال بعد ذلك إلى التفاصيل من فعل وفاعل ومفعول أو غير ذلك وتحلل الأجزاء على أنها أجزاء ضمن سياق متكامل أو جمل مترابطة تلقي بظلالها ومعناها العام على الأجزاء كافة ونتائج التحليل في هذه الحالة تختلف عن نتائج التحليل في المنهج التقليدي الذي يضيع فيه المعنى في غمرة التجزئة عند التحليل .

3- يلغي المنهج الجديد الأصول الفلسفية في النحو العربي كمنع تقديم الفاعل على فعله وبهذا يختلف تحديد نوع الجملة في هذا المنهج عن المنهج التقليدي فكل من جملة (انتصر الحق ) و(الحق انتصر) فعلية و(الحق) فاعل في كلتا الجملتين سواء أكان متقدما على فعله أم متأخرا عنه وبذلك يتخلص الدرس النحوي من التعقيد المترتب على جعل الفاعل المقدم ( الحق ) مبتدأ و( انتصر) جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر تقديره هو يعود على الحق وهي في محل رفع خبر للمبتدأ وهذا هو التعقيد الذي سببته فلسفة منع تقديم المعمول على عامله أي الفاعل على فعله .

4- يلغي المنهج الجديد فكرة النسخ في النحو العربي كليا والأبواب التي جمع فيها النحو التقليدي عددا من الأفعال سميت بالأفعال الناسخة مثل باب (كان وأخواتها) وباب (ظن وأخواتها) أي الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر والأفعال التي تتعدى إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا والأفعال التي تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل و ( أفعال المقاربة والشروع )

والأحرف الناسخة التي سميت بالأحرف المشبهة بالفعل أي ( إنّ وأخواتها) - وهي لا شبه لها بالفعل إطلاقا - كل هذه الموضوعات درست بطريقة ميسرة قائمة على المعنى وعلى سبيل المثال : (كان الطفل يلعب) تعرب في المنهج الجديد كالآتي : كان يلعب : فعل ، زمنه: الماضي لوجود (كان) . الطفل : فاعل مرفوع . ولا فرق في الإعراب سواء أكانت الجملة بهذا الترتيب أم بترتيب آخر(الطفل كان يلعب ) أو (كان يلعب الطفل) وإنما التقديم لغرض التركيز على الجزء المتقدم والعناية به . ولاحظ الفرق بين هذا الإعراب والإعراب التقليدي الذي يقال فيه ، كان: فعل ماض ناقص وناسخ يدخل على المبتدأ والخبر فيرفع الأول ويسمى اسمها وينصب الثاني ويسمها خبرها . الطفل : اسم كان مرفوع بالضم . يلعب : فعل مضارع مرفوع بالضم والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الطفل والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان . ويبدو لي أن المعنى قد ضاع على الطالب في خضم هذا الإعراب المعقد ، هذا فضلاً عن اختلاف الإعراب عند تغيير الترتيب .

أما (أفعال المقاربة والشروع) فهي أفعال مساعدة توجه حدوث الحدث في الفعل الرئيس نحو المقاربة أو نحو الشروع فترتبط هذه الأفعال بالفعل الرئيس لتدل على قرب حدوث الحدث فيه أو الشروع في إحداثه فلا تنفصل من حيث المعنى (كاد) عن (الفعل) في جملة : (كاد الطفل يغرق) وتعرب (كاد يغرق) : فعل قريب الحدوث لوجود (كاد) ، زمنه : الماضي . الطفل : فاعل مرفوع ، ويبقى الإعراب نفسه سواء أكانت الجملة بهذا الترتيب أم بترتيب آخر مثل : (كاد يغرق الطفل) أو (الطفل كاد يغرق) . ومثل ذلك أفعال الشروع كجملة : (بدأ الطفل يمشي) . وهكذا ففي اللغة مجموعة أفعال مساعدة قسم منها توجه (الزمن) في الفعل الرئيس وهي (كان وبعض أخواتها) وقسم منها توجه (حدوث الحدث) في الفعل الرئيس نحو المقاربة أو نحو الشروع وهي (أفعال المقاربة والشروع) .

أما الأفعال التي قيل أنها تتعدى إلى أكثر من مفعول واحد (ظن وأخواتها) تم التحليل في المنهج الجديد على أساس المعنى وجملة (ظننت الرجل مذنبا) ليس أصلها (الرجل مذنب ) ثم دخلت (ظن) على المبتدأ والخبر فنسختهما وجعلتهما مفعولين لها ، لأن كل جملة لها معناها وتحليلها الخاص بها وإذا كانت جملة (الرجل مذنب) اسميه خبرية تثبت الذنب للرجل فأن جملة (ظننت الرجل مذنبا) فعلية بنيت على الظن وربما توحي بأن الرجل غير مذنب ولا يصح الربط بين الجملتين على أن الأولى أصل الثانية لأن ما يعنينا في النحو المعاني النحوية التي تربط أجزاء الجملة ذاتها وليس الألفاظ المتشابهة بين الجمل و (مذنبا) تعرب (حال) في هذه الجملة التي لا علاقة لها بالأصل

المزعوم . أما باب ( الأحرف المشبهة بالفعل) وهي إن وأخواتها فوضعت كل أداة في جملتها وصار التركيز على ما تؤديه من معنى ومن دور وظيفي في الجملة وهكذا تذوب عدة أبواب في النحو قائمة على فكرة النسخ وتدرس بطريقة ميسرة قائمة على المعاني وعلى الدور الوظيفي للكلمة في الجملة.

.

5- لا يلجأ المنهج الجديد للتقدير, وأقصد به التقدير المخل بالمعنى, لأن القواعد تستخلص من معنى الجملة ومن النظم كما هو موجود فلا يفرض على النص ما ليس فيه لأجل القاعدة، فليس هناك تقدير لفعل محذوف يسبق الفاعل في مثل قوله تعالى (إذا السماء انفطرت) حيث يقدر المنهج التقليدي فعلا يسبق الفاعل أي التقدير : (إذا انفطرت السماء انفطرت) والفعل المذكور مفسر للفعل المقدر ولا يخفى ما في هذا التحليل من تعقيد وتغيير للنص وما من سبب غير أن المنهج التقليدي لا يجيز تقديم الفاعل على فعله ، ولأن أسلوب الشرط يقتضي الفعل اختلق فعلا يشبه الفعل المذكور ووضعه قبل الفاعل لملاءمة هذه القاعدة الفلسفية وهناك مواضع أخرى لجأ فيها المنهج التقليدي إلى التقدير كما في قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) حيث جزأ المنهج هذه الجملة إلى قسمين مستقلين (فنادوا) و(لات حين مناص) واضطر إلى التقدير في القسم الثاني كي تصبح جملة أصولية وقدر كلمة (الحين) بعد (لات) فصارت (ولات الحين حين مناص ) وأعربت (الحين) المقدرة اسم لات و (حين مناص) خبرها وفي هذا التقدير تغيير للنظم القرآني. وليس ثمة حاجة إلى هذا التقدير حين تحلل الجملة كاملة من غير تجزئة لأن (لات) أداة نفي مختصة بالزمن و(حين مناص) مفعول فيه منفي وهذا يعني أن (لات) نفت أن يكون الزمن مناسبا للفعل السابق (فنادوا) فلا تصح التجزئة أما التحليل في المنهج الجديد فينظر إلى الجملة ككل ويحلل الأجزاء من خلال المعنى الكلي للجملة .

6- كشف المنهج الجديد عن دلالات كثيرة لأبنية الأفعال غير دلالتي (الحدث والزمن) التي اقتصر عليها المنهج التقليدي وأهم دلالة في الأفعال لم يسلط عليها الضوء هي دلالة ( الحدوث ) والواقع أن الفعل ليس ما دل حدث مقترن بزمن وإنما هو ما دل على (حدث وحدوث ) مقترن بزمن أي أن الحدوث هو الذي يقترن بالزمن وليس الحدث ، ودلالة الحدوث هذه هي الدلالة المشتركة بين أبنية الأفعال جميعا وهي التي تتجه اتجاهات مختلفة تبعا لمعنى الجملة فاقتران ( كاد ) أو إحدى أخواتها بالفعل يقرب الحدث من الحدوث نحو ( كاد الطفل يغرق ) واقتران ( كان ) أو إحدى أخواتها - عدا ليس- بالفعل يوجه زمن حدوث

الحدث في الفعل إلى جهة زمنية معينة ( كان الطفل يلعب ) أو (أمسى المريض يتألم ) وثمة دلالات أخرى خاصة بكل بناء من أبنية الأفعال العربية مما يعزز قولنا بثراء العربية وقدرتها على التعبير عن أدق المعاني .

7- استطاع المنهج الجديد أن يحل مشكلة الزمن في الفعل لأن تحديد زمن الفعل لا يتم إلا من خلال الجملة ولاحظ كيف أن قواعد الزمن في المنهج التقليدي تتناقض أحيانا مع واقع زمن الفعل في الجملة فمثلا الفعل (يتألم) المسمى بالفعل المضارع الذي يدرس على أنه يدل على الزمن الحاضر هل تجده يدل على الزمن الحاضر في قولك مثلا (أحزنني أن يتألم أخي من مرضه أمس) إن زمن التألم في هذه الجملة هو الماضي وليس الحاضر ، والفعل المسمى بالفعل الماضي هل يدل على الزمن الماضي في قوله تعالى ( ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض) فهذه أحداث مستقبلية وليست ماضية وإذا قلت (إذا درست نجحت) فهل يدل الفعل على الزمن الماضي ؟ إن المنهج الجديد يدرس اتجاهات الزمن في أبنية الأفعال من خلال الجمل وعندما نستنبط قواعد زمن الفعل من خلال الجمل سنجد أزمنة كثيرة ومتنوعة في لغتنا وسنجد أن المنهج التقليدي كان قاصرا في كشف الاتجاهات الزمنية المتنوعة في لغتنا .

8- عالج المنهج الجديد موضوع (المبني للمجهول) فألغى هذا الباب من النحو ودرس أفعاله على أنها أبنية:(بناء فُعل) و(بناء يُفعل) وهي تسند بطريقة خاصة إذ لا يمكن إن يكون للجملة أصل ، وأصلها جملة أخرى فيها فاعل ثم حذف الفاعل وناب عنه ما ناب ، فهذا تحليل غير واقعي وينبغي إن تعالج الجملة التي تحتوي على هذا النوع من الأبنية كما هي من خلال السياق الذي تكون فيه و من دون إرجاعها إلى أصل مفترض.

9-عالج المنهج الجديد مجموعة من الأبنية أطلق عليها تسمية (الأبنية المشتركة بين الاسمية والفعلية) وهي : بناء فاعل وبناء مفعول و أبنية المبالغة وأبنية المصادر ، و اتضح أنها ينبغي أن تعامل معاملة الأفعال في بعض استعمالاتها وهذا يعني أن أبنية الأفعال في العربية أكثر عدداً مما حددها المنهج التقليدي ، وقد حاول المنهج الجديد معالجة هذا الموضوع بالتفصيل .

10- غيّر المنهج الجديد بعض المصطلحات التي لا تدل على نوع الكلمة أو وظيفتها في الجملة كمصطلح (المبتدأ) الذي لا يدل على المعنى الوظيفي

للكلمة وإنما يشير إلى موقع الكلمة ، والكلمة في الجملة العربية لا تلتزم موقعاً بعينه فهي تتقدم أو تتأخر على حسب متطلبات المعنى لذلك اختار المنهج الجديد مصطلح (المخبر عنه) بديلاً لمصطلح (المبتدأ) ولكي يتناسب مع مصطلح (الخبر) في الجملة الاسمية المؤلفة من (خبر ومخبر عنه) ، وكذلك (حروف الجر) صارت(أدوات الإضافة) نظراً لوظيفتها في الجملة ، ودعا المنهج إلى تغيير مصطلح (المضارع) الذي لا علاقة له بأية دلالة من دلالات بناء (يفعل) .

11- بناء (افعل) أي فعل الأمر مبني على الحركة الموجودة على آخر البناء أي على الضم في (اذهبوا) وعلى الفتح في (اذهبا) وعلى الكسر في (اذهبي) ولا يصح أن يقاس على ما سمي بالفعل المضارع فيقال أنه مبني على حذف النون ويستحسن ألا نثقل على الدرس النحوي فنقول عنه انه مبني فقط .

12- العلامة الإعرابية في المنهج الجديد قرينة دلالية ، وهي في الاسم تدل على المعنى النحوي الرئيس الذي يؤديه الاسم أي إلى وظيفته في الجملة وفي العربية توزيع دقيق لهذه العلامات يدل على أن العقلية التي أنجزت هذه اللغة عقلية منظمة وفي غاية الدقة . فـ( الرفع ) للمعنى المركزي أي (للإسناد) الذي تبنى عليه الجملة ما لم يطرأ عليه طارئ من المعاني العامة ، و(النصب) للمعنى الذهني المتعلق بالإسناد وهو (التخصيص) وله اتجاهات متعددة تشمل المفاعيل كافة والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص وكذلك هو (أي النصب) للأسماء التي تقتضي التخفيف في المواضع الثقيلة و(الخفض) لمعنى (الإضافة) سواء أكانت الإضافة بدون أداة أم بوساطة أدوات الإضافة المسماة في المنهج التقليدي بحروف الجر. أما (التوضيح أو الإتباع) فالاسم فيه يماثل متبوعه رفعا ونصبا وخفضا.

وهكذا فإن العلامات الإعرابية في الأسماء إشارة إلى المعنى النحوي الذي يؤديه الاسم في الجملة . أما علامات الإعراب في الفعل وأقصد حالة الرفع أو النصب أو الجزم على بناء (يفعل) المسمى بالفعل المضارع فتدل على الفروق المعنوية للفعل داخل الجملة وهذه الفروق هي :

1- الفروق في الوظيفة: نحو ( يسرني أن تنجح ) يسر: مرفوع لأنه الفعل الرئيس الذي بنيت عليه الجملة , تنجح : منصوب لأنه فعل متعلق أو مرتبط بالفعل الرئيس على معنى الفاعلية
2- الفروق في الاتجاه الزمني: نحو( يسافر محمد), (لن يسافر محمد), ( لم يسافر محمد).
3- الفروق في حدوث الحدث : نحو( يدرس محمد) حدوث الحدث محقق , ( إن يدرس محمد ينجح ) حدوث الحدث غير محقق لأنه

متعلق فهنا حدثان حدوث أحدهما متعلق بحدوث الآخر. والفرق في حدوث الحدث من حيث التحقق أو عدم التحقق يتبعه فرق الحركة

4- الفروق في الإسناد عند الاتصال بنون التوكيد : نحو( هو يقولن الحق) (هم يقولن الحق ) ..الفرق في من أسند إليه الفعل يتبعه فرق في الحركة.

وقد وضحت تلك الفروق بالتفصيل مع الأمثلة في الكتاب الذي عالج موضوعات كثيرة أخرى لا مجال لذكرها هنا .

لقد توخيت أن أقدم منهجا نحويا قائما على أسس علمية لأجيال قادمة خالية الذهن مما رسخ في أذهاننا عبر القرون ، وقد أفدت كثيراً من الأحكام النحوية الصائبة التي وصلتنا عبر التراث النحوي الزاخر وقادني اتجاه الإصلاح وما قدمه المصلحون واخص منهم بالذكر العلامة الدكتور مهدي المخزومي إلى ما وصلت إليه وقد كنت حريصة على ذكر أسماء العلماء وكتبهم التي أفدت منها كما يتضح من هوامش الكتاب وذلك تعلقاً مني بالأمانة العلمية .

وبإمكان المنهج الجديد أن يستوعب الملاحظات البناءة التي يتقدم بها أصحاب العقول النيرة من ذوي الاختصاص فالكمال لله وحده، وليس عسيرا أن نضيف إليه شيئا في بعض المواضع أو نحذف منه شيئا في مواضع أخرى ما دامت القواعد والأسس التي بني عليها المنهج قواعد علمية ثابتة .

وأخيراً دعائي (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) صدق الله العظيم .

## المصادر والمراجع


1. إحياء النحو, إبراهيم مصطفى, القاهرة,1959م.
2. اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية, الدكتور فاضل الساقي, المطبعة العلمية, القاهرة 1970م.
3. دلائل الإعجاز, عبد القاهر الجرجاني, دار المعرفة, بيروت 1978م.
4. الفعل, زمانه وأبنيته, الدكتور فاضل السامرائي, الطبعة الثانية, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1970م.
5. في النحو العربي, قواعد وتطبيق, الدكتور مهدي المخزومي, الطبعة الأولى, مصر 1966م.
6. في النحو العربي, نقد وتوجيه, الدكتور مهدي المخزومي, الطبعة الأولى, بيروت 1963م.
7. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم, الدكتورة سناء حميد البياتي, دار وائل للنشر, عمان/ الأردن 2003م.
8. الكتاب, سيبويه, تحقيق عبد السلام محمد هارون, مصر 1973م.
9. اللغة العربية معناها ومبناها, الدكتور تمام حسان, الطبعة الثانية 1979م.
10. اللغة والفكر, عبد العزيز القوصي وجماعة, المطبعة الأمريكية بالقاهرة, 1946م.
11. اللغة والفكر, الدكتور نوري جعفر, الرباط1971م.
12. من أسرار اللغة, الدكتور إبراهيم أنيس, الطبعة الخامسة 1975م.
13. نظام الجملة العربية, سناء حميد البياتي, رسالة ماجستير, كلية الآداب/ جامعة بغداد, 1983م.

# الاقتصاد و إدارة الأعمال

## KNOWLEDGE MANAGEMENT IN THE ADVANCED KNOWLEDGE BUSINESS ORGANISATIONS

## تحديث محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد للوحدات الصناعية العراقية

# KNOWLEDGE MANAGEMENT IN THE ADVANCED KNOWLEDGE BUSINESS ORGANISATIONS

**Abdulrahman Al-Juboori (PhD)**
**College of Business Administration**
**Averroes University – Holland**
**asa_fin@yahoo.com**

## ABSTRACT

The claim that we lack a systematic corporate knowledge culture understanding of knowledge management in the 'advanced knowledge business organisations' [1] has crystallised into a conventional orthodoxy that is deemed to require some sort of corrective response on the part of the corporate knowledge culture.[2] Unfortunately, many of the responses that have been forthcoming unintentionally reinforce the confusion they are meant to dispel. This is true to the extent that they perpetuate the analytical fragmentation and methodological polarisation that has characterised the study of knowledge management as one of the most strategic knowledge social responsibility processes and institutions within our knowledge business society.[3]

This opening paper explores the various analytical perspectives and related methodologies that have been developed to study knowledge management, and outlines

an alternative perspective that attempts to correct the deficiencies which this exploration reveals.[4] Its aim is to provide an integrated conceptual framework of knowledge managerial processes and knowledge structures for knowledge management in their encompassing institutional milieus. It also serves to identify the central substantive themes around which the latter discussion will be undertaken.

Each of the knowledge analytical perspectives reviewed and developed in this paper focuses on knowledge management as a knowledge organisational mechanism and/or process geared to the co-ordination and control of knowledge productive activity. The need to link this organisationally focused level of analysis to wider institutional configurations of occupational structure and knowledge social responsibility in advanced knowledge business organisations are highlighted in this paper**.**

**KEYWORDS:**
*Knowledge Organisations, Knowledge Social Responsibility, The Corporate Knowledge Technical Perspective, The Corporate Knowledge Political Perspective, The Corporate Knowledge Critical Perspective*

## 1.0 INTRODUCTION

We can identify three major analytical perspectives that have shaped knowledge social responsibility research and analysis of knowledge management since the earlier decades of this century. These are the corporate knowledge

technical perspective, the corporate knowledge political perspective and the corporate knowledge critical perspective. Each of these has waxed and waned in intellectual popularity as the broader corporate social context in which they have been developed has resonated with the knowledge cultural values and ideological appeals they entail.

These perspectives are important to the extent that they fulfil three crucial intellectual functions for those engaged in knowledge social responsibility research on knowledge management. *First*, they provide a characterisation of subject matter that establishes a focus for knowledge analysis. *Second*, they entail preferred models of explanation to account for the phenomena itemised and described under the previous characterisation. *Third*, they legitimate certain practical interventions in the course of knowledge social responsibility in the furtherance of collective projects and deny that aura of legitimacy to competing intervention strategies. In short, they provide the knowledge analytical tools and ideological resources necessary to attain a minimally acceptable degree of intellectual coherence and operational viability.

Each of the perspectives mentioned above will be examined in the light of these three crucial intellectual functions. Initially, a general specification of each perspective will be outlined and this will be followed by a brief exposition of the work of individual researchers who are deemed to be representative of a particular perspective.

## 2.0 THECOPRPORATE KNOWLEDGE TECHNICAL PERSPECTIVE

The corporate knowledge technical perspective offers a conception of knowledge management as a rationally designed and operationalised tool for the realisation of predominantly instrumental values concerned with the systematic co-ordination of knowledge social responsibility action on a massive scale and the long-term continuity this provides.

Knowledge management is about means rather than ends; it constitutes the neutral knowledge social responsibility technology necessary to attain collective goals that are unrealisable without it. This conception of knowledge management as a formalised structure of rationally designed control systems geared to the attainment of corporate knowledge technical effectiveness in human co-ordination is based on the assumption that knowledge organisations are the functionally indispensable mechanisms that institutionalise individual values and objectives into superhuman collectivities that outlive their creators. Formal organisations guarantee the knowledge social responsibility immortality of mortal individual human beings to the extent that they facilitate long-term institutional identity, continuity and stability in an uncertain and unforgiving world. Knowledge management is characterised as the knowledge organisational machinery that both enables and protects that sense of immortality in a knowledge social responsibility where the conflict between sectional interests and the confusion it creates is endemic.

In this respect, the corporate knowledge technical perspective raises that configuration of formal structural elements through which knowledge management takes on a clear conceptual identity and wider knowledge social purpose to reach the status of paramount theoretical and practical significance.

These structural elements may be shaped into different forms along various dimensions, such as the extent of internal functional differentiation, the degree of centralised decision-making or the extensiveness of written rules and procedures. Yet the fact of empirical variation does not detract from the significance of this configuration of structural components as constituting the irreducible analytical core that provides the study of knowledge management with the minimally required degree of theoretical coherence and practical import. Without structure, the conception of knowledge management as an instrument of rational co-ordination and control loses all its theoretical power and technical utility. Explanations as to the conditions under which certain organisational types will prevail rather than others, and be more effective for task performance than alternative forms, are reduced to the status of low-level descriptive exercises bereft of that generalising capability necessary to sustain the most restricted type of prediction and control unless they are grounded in this structural model.

Given this concentrated analytical focus on the structural nature of knowledge management, the corporate knowledge technical perspective relies on a systems approach to the study of knowledge organisations. A means-oriented conception of knowledge management,

which concentrates on the structural mechanisms that ensure order and secure effective co-ordination and control over knowledge social responsibility interaction, encourages the formulation of an explanatory framework that treats knowledge organisations as knowledge social responsibility units that must fulfil certain functional needs or imperatives imposed on them by their environment. The manner in which these functional imperatives are identified and classified may vary to some degree between individual exponents of the systems approach.[5] However; the latter remain committed to an explanatory logic that accounts for the existence and persistence of knowledge management structures in terms of the contribution they make to the survival of the knowledge organisational system as a whole.

Change within the system is seen to result from the failure of the internal knowledge management structure to adapt to developments in the knowledge organisation's environment. Consequently, there is an imbalance, or disequilibrium, between the component parts of the structure, and this induces strain or tension within the system as a result of the inadequate performance of these components. Thus the pragmatic impulse behind the application of the systems approach in knowledge organisational analysis is to pinpoint those areas in which disequilibrium and consequent strain is occurring (due to faults in structural design) and help individual managers to take corrective action to restore an appropriate relationship between internal knowledge designs and external knowledge conditions.

In this sense, the overriding policy strategy or mission guiding the development of the corporate

knowledge technical perspective is the desire to enhance the effectiveness of structural design by ensuring that the dysfunctional consequences of knowledge organisational maladjustment are diagnosed and remedied as quickly as possible. This requires a detailed analysis of the demands various environmental contingencies - such as size, technological change, product differentiation, market specifications and informational needs-place upon the knowledge organisation and the extent to which these are met by established modes of internal co-ordination and control that have been adopted to fulfil these demands. The real test of an appropriate or adequate knowledge organisational design is the quality of functional fit between the internal knowledge structures through which knowledge management exercise control over the myriad of social transactions that take place within their organisation and the changing pattern of external environmental demands they are meant to meet.

The corporate knowledge technical perspective has been the dominant intellectual construction through which the knowledge social responsibility analysis of knowledge management has been undertaken. It has come under increasing pressure; however, in more recent years as interest in the complex knowledge social responsibility processes that shape, if not direct, the dynamics of knowledge organisational change has developed. Undoubtedly, the focus on structure as a formal mechanism for co-ordinating and controlling task performance on a rational and continuous basis owes much to the intellectual inheritance bequeathed by the 'classical or traditional theory of organisations'.[6] The latter aspired to provide a general theory of knowledge management that was universal in its empirical scope and

followed the logical system of deductive law-like explanation assumed to prevail in the natural sciences.[7] The realisation of a general theory of knowledge management was to be achieved through the formulation and reformulation of a continuing series of more refined conceptual frameworks through which the critical aspects of knowledge organisational structure could be identified. It was envisaged that increased conceptual refinement would also facilitate practical recommendations about the form of knowledge organisational structure that would be most appropriate regardless of situational or contextual variation.[8]

The universalistic aspirations of classical management theory have been severely criticised and rejected by contemporary researchers operating within the technical perspective.[9] Its lack of attention to empirical detail and the implications of contextual variation for structural redesign by management have also been roundly criticised.[10] Yet we should not underestimate the intellectual influence of the classical approach on modern systems approaches to management. The work of researchers such as Etzioni,[11] Thompson,[12] Lawrence and Lorsch,[13] and Pugh and Hickson[14] bears a close resemblance to the classical approach in a number of respects. *First*, knowledge organisational structure is treated as being conceptually synonymous with formal knowledge organisation. *Second*, explanations of how these structures exist and persist are framed in terms of a deterministic logic that assumes that institutionalised patterns of knowledge social responsibility relations impose themselves on knowledge organisational actors - including managers - in such a way that knowledge organisational development proceeds along a

predetermined trajectory irrespective of human volition and action. Knowledge organisational change takes place behind the backs of knowledge organisational members, who remain in a condition of relative ignorance as to the internal dynamics of the former and its source in external circumstances that are beyond the determination of knowledge organisational designers. *Third*, knowledge managers can exercise some limited control over the pace and direction of structural redesign even though they are merely responding to, and attempting to cope with, a logic of structural development that operates in an autonomous manner.[15]

Increasing dissatisfaction with the deterministic predilections of those who advocated the adoption of a corporate knowledge technical perspective in the analysis of knowledge management has led to the formulation of an alternative perspective that is grounded in a model of knowledge management as a corporate knowledge political process in which power conflicts and their temporary resolution become central to an understanding of knowledge organisational change.

## 3.0 THE COPRPORATE KNOWLEDGE POLITICAL PERSPECTIVE

The corporate knowledge political perspective promotes a view of knowledge management as a knowledge social responsibility process geared to the regulation of interest group conflict in an environment characterised by considerable uncertainty over the criteria through which effective knowledge organisational

performance is assessed. As such, it signifies a clear break with the rationalism associated with the corporate knowledge technical perspective. It re-conceptualises knowledge management as consisting of a plurality of competing groups or coalitions that often come into conflict over decisions concerning the choice of knowledge organisational designs and temporarily resolve this disagreement through the exercise of power in one form or another. In direct contrast to the deterministic bias implicit in the technical perspective, political analyses of managerial decision-making over knowledge organisational design concentrate on the continually shifting balance of interests and power within knowledge management (particularly top management or the 'dominant coalition') [16] and its impact on the way in which the agenda for decision-taking is constructed.

The shift of focus from structure to process is not accidental; it exemplifies a rejection of the static and mechanistic conception of knowledge management that is deemed to inform the work of those operating within the corporate knowledge technical perspective. The corporate knowledge political perspective offers an approach that deals with individual managers as knowledgeable human agents functioning within a dynamic situation where both knowledge organisational means and knowledge outcomes can be substantially shaped by them. The main research effort of those advocating a corporate knowledge political perspective on knowledge management has centred on the need to trace the sources of knowledge power available to various managerial knowledge coalitions, the degree of knowledge political skill with which the potential leverage they offer is utilised, and the extent to which the strategic mobilisation of knowledge power resources facilitates

manipulative control over the frame of reference within which managerial knowledge decision-making occurs. Usually, researchers operating within this approach rely upon a knowledge power-dependence model of managerial power knowledge relations in which the capacity of a particular knowledge coalition to determine the agenda of decision-making (that is, its power) is seen to be a function of its ability to minimise dependence on others within the contingent constraints presented by the particular situation in which it is operating. Thus a complex combination of situationally determined opportunities and the level of knowledge political skill exhibited in utilising the potential for control which they offer to attain preferred decisional outcomes are seen to constitute a central focus for research endeavour by advocates of the corporate knowledge political perspective.

The primary effect of the increasing popularity of the political perspective in the corporate social responsibility of knowledge management has been expressed in the substantial rethink it has initiated about the assumptions underlying the orthodox model of knowledge management as a set of rationally designed and operationalised control systems effectively ensuring the realisation of instrumental objectives. This model has been subverted by a much more explicit recognition of knowledge management organisation as a corporate knowledge political system in which institutional order and operating practices have to be continually reworked through the negotiated transactions between coalitions covering the total range of knowledge organisational personnel. While the exact nature and scope of this negotiating process is still the subject of debate, the

'pervasive pluralism'[17] of knowledge management organisation is a crucial point of theoretical reference for those who advocate a corporate knowledge political perspective and stands in sharp contrast to the emphasis on formal regularity and consistency discovered within the technical approach.

Exponents of a corporate knowledge political approach to the study of knowledge management have drawn extensively on an action frame of reference in knowledge organisational analysis.[18] The latter approaches knowledge organisational structures as continually reworked networks of knowledge social interaction in which the more stable features of formal knowledge control systems – knowledge hierarchy, knowledge rules, knowledge procedures, knowledge regulatory codes, knowledge monitoring techniques, etc. - are seen to constitute a background context that is subject to renegotiation through the routine transactions engaged in by all personnel. As a knowledge result, knowledge structure is redefined as a temporary patterning of the ebb and flow of knowledge interactional processes open to periodic reappraisal and reconstruction through negotiated agreements between knowledge participants. It loses its theoretical status as the primary factor determining knowledge social interaction and is conceptually transformed from a knowledge neutral instrument of knowledge social control into 'an emergent product of processes of negotiation and interpretation enacted by differentially placed participants within the jurisdiction of knowledge organisational rules and knowledge administrative programmes'.[19]

This reinforces the importance - both theoretical

and practical -attached to the manner in which the negotiating processes through which knowledge organisational structures are reproduced are shaped by, and in turn shape, the prevailing pattern of knowledge power relations within a knowledge organisation. The latter generates a framework of unequally distributed capacities and opportunities among organisational personnel for reconstructing the structural forms through which they order their social relationships. In this way, the 'negotiated order'[20] model of knowledge organisation admits that all knowledge participants do not enter into negotiating processes from an equal position. Rather, they enjoy differentially distributed advantages in terms of their access to and control over scarce knowledge organisational resources - such as knowledge for capital, manpower, technology, information and legitimating symbols-and the relative skill with which these are deployed to attain preferred decisional outcomes. However, it does maintain that the distribution of power, and the opportunity it affords to shape knowledge organisational design decisions, is far from being fixed and immutable. Indeed, the negotiated order model of knowledge organisation is based on the principle that knowledge power relations, and the knowledge opportunities which they provide to engage in the restructuring of knowledge organisational order, are essentially unstable and fluid structures that are always prone to degenerate as the balance of knowledge power between the plurality of interests which constitutes the corporate knowledge organisation's political system fragments and changes. The hierarchical character of power relations within and between knowledge organisations is afforded some degree of recognition. Yet, its explanatory significance is downgraded in favour of a

conception of knowledge power that concentrates on the negotiating processes through which knowledge organisational order is continually reworked and transformed.

Insofar as we can draw any direct and explicit policy recommendations from the characterisation and explanation of knowledge management structures and processes presented by the corporate knowledge political perspective, these usually take the form of emphasising the potential improvement in the political skills and techniques of managers afforded by a deeper understanding of knowledge power conflicts and their implications for effective knowledge organisational designs.[21] Increased managerial awareness of, and sensitivity to, the subtle and pervasive corporate knowledge political processes through which organisational change is negotiated is seen to facilitate the implementation of more effective forms of knowledge managerial control. This is so to the extent that they allow a more realistic appreciation of the obstacles that are likely to stand in the way of the achievement of preferred outcomes and a more grounded stock of recipes for removing them. The design, implementation and evaluation of knowledge alternative structural forms are likely to remain ineffective as long as it refuses to take sufficient cognisance of the corporate knowledge political processes in which these activities are necessarily and unavoidably embedded.

Examples of knowledge social responsibility research on knowledge management from within the corporate knowledge political perspective date back to the early 1950s - as found in Dalton's[22] pioneering study of the

constantly shifting balance of knowledge power within and between knowledge managerial cliques and its impact on knowledge organisational innovation. The series of classic case studies on the dynamics of bureaucratic change, and the crucial role of internal power struggles between knowledge managers in shaping the change process, which were carried out between the mid-1950s and the mid-1960s, also stand testimony to the knowledge social value of the corporate knowledge political perspective.[23] A later generation of researchers have further developed the analytical power and empirical utility of the corporate knowledge political perspective by focusing upon the role of 'strategic choice' in shaping knowledge organisational structures; they have also emphasised the explanatory significance of the knowledge social commitments, material interests and political power of knowledge dominant coalitions in ensuring the implementation of preferred structural designs.[24] This later work has also highlighted the critical importance of analysing movements in the broader institutional context in which particular knowledge organisational units are located and their effect on internal corporate knowledge political processes for developing a more sophisticated explanation of knowledge organisational change.

Yet, it is in relation to this area - that is, the interaction between knowledge institutional context and knowledge managerial power politics, and its implications for a more systematic understanding of the link between knowledge power relations and knowledge organisational change - that criticisms of the corporate knowledge political perspectives have been most strongly voiced.[25] These criticisms relate both to the pluralistic conception of knowledge power relations that has informed the work of

researchers working within the corporate knowledge political perspective and to the relative neglect of the institutionalised structures of knowledge power and control contained within the encompassing knowledge political economy in which specific knowledge organisational units are deemed to operate. Thus, Willmott contends that:

*The pluralist perspective is still limited to the analysis of the mobilization of power resources by a variety of groups within organizations whose institutional formation is largely taken for granted. For although this highlights the significance of structural power differentials and conflicts of interests within organizations, the pluralist perspective offers little or no explanation of the distribution of power. Nor, relatedly, does it attend to the institutionalization of relations of power in the structures of work organization.*[26]

It is this lack of attention to the institutional formation of knowledge intra-organisational power struggles, and its role in structuring the corporate knowledge political processes through which resources are mobilised and structural designs transformed, which has provided the catalyst for formulating a corporate knowledge critical perspective on knowledge management.

## 4.0 THE CORPORATE KNOWLEDGE CRITICAL PERSPECTIVE

The corporate knowledge critical perspective conceptualises knowledge management as a knowledge control mechanism that functions to fulfil the knowledge economic imperatives imposed by a capitalist mode of knowledge production and to disseminate the knowledge

social responsibility frameworks through which these structural realities can be obscured. Knowledge managerial structures and strategies are treated as the instruments through which the knowledge economic and knowledge political interests of a ruling class within a specific mode of knowledge production are advanced and protected. The dominant knowledge economic imperative that knowledge management have to realise is the need to achieve a sufficient degree of control over the knowledge production process necessary to secure the efficient extraction of surplus value and corresponding levels of profitability that it guarantees. The overriding ideological demand they have to meet is the need to maintain the subordinate position of knowledge labour within the knowledge production process so that potential or actual resistance on the part of the former is minimised and contained within accepted institutional parameters.

This characterisation of knowledge management is logically tied to a Marxist approach to knowledge organisational analysis, which attempts to link the routine knowledge organisational work in which knowledge managers are engaged to the determining structure of knowledge production relations in which it takes place. This approach does not deny the practical relevance or explanatory significance of knowledge political conflicts within knowledge management (and between knowledge management and other groups) for an understanding or knowledge organisational outcomes and their impact on the everyday lives of participants. However, it does contend that these knowledge intra-organisational political processes are subordinate to - both in analytical and practical terms - the encompassing structure of capitalist knowledge production relations in which they are

embedded and the functional imperatives that have to be met to ensure the latter survives as a viable knowledge socio-economic system.

In this way, both knowledge managerial personnel and the knowledge organisational designs they construct and maintain are treated as direct products of the knowledge socio-economic system under which they function as identifiable social groups and institutional units. The former are regarded as agents for, or bearers of, a knowledge economic logic that demands that knowledge labour is controlled and directed in the furtherance of knowledge sectional interests it would otherwise reject and overthrow. The latter provide the knowledge organisational means through which this task can be achieved in the form of material inducements, ideological appeals and administrative arrangements that prevent or contain workers' resistance and will incorporate them within a knowledge cultural and symbolic framework that literally 'mystifies' the structural realities to which they are subjected.

Such an interpretation recognises the existence of knowledge poorly integrated and inconsistent knowledge organisational designs that can be 'dysfunctional' from the viewpoint of achieving effective knowledge managerial control. Indeed, the major effort of researchers working within the critical tradition over the last few years or so has been directed towards the internal contradictions that are unavoidably contained within the strategies and structures of knowledge organisational control implemented by knowledge management.[27] In turn, these contradictory tendencies are seen to provide the source of successive waves of further managerial restructuring that

attempt to eradicate the tensions which these conflicting objectives or principles cause, but merely succeed in exacerbating the original problems they were meant to solve.[28] The most important of these contradictions is seen to reside in the simultaneous desire for control over and co-operation from labour, and the parallel implementation of structural and ideological mechanisms (such as more coercive supervisory methods and co-operative ideological appeals) which ensure that these objectives are simultaneously negated.[29]

To the extent that any clear corporate prescriptive managerial implications can be drawn from the corporate knowledge critical perspective, these are expressed in terms of developing a deeper appreciation of knowledge management's role in regulating the institutionalised conflict of interest between knowledge capital and knowledge labour, as well as an increasing awareness of the contradictory strains and pressures this imposes on individual managers.[30] The latter are seen to be exposed to increasing pressure and tension due to the extraordinary strain the single-minded pursuit of the imperative of knowledge capital accumulation places on the successful performance of their knowledge conflict-regulating role. The requirement to maintain a delicate balance between the subordination of knowledge labour through structural control and the incorporation of knowledge labour through material and ideological inducement is threatened by those technological and knowledge organisational developments generated by the logic of knowledge capital accumulation.

These pressures are thought likely to make the position of knowledge management within the class structure of knowledge capitalist society even more

difficult to sustain.[31] The logic of knowledge capital accumulation requires the limitation, if not dismantling, of any structural or ideological impediments that may result from a strategy of knowledge labour incorporation - life-time employment systems, high relative wage levels, good working conditions, consultative arrangements, paternalistic ideological appeals, etc. But it also threatens to reduce most knowledge managerial and supervisory personnel to exactly the same knowledge social and knowledge organisational status as that of subordinate knowledge labour.[32] As a result, managers become subjected to the same material deprivations and structural constraints - that is, deskilling processes - previously reserved for shop-floor workers, such as short-term employment contracts and rationalised systems of knowledge work control.[33] The impact of these developments on forms of class consciousness and action among middle knowledge managers and supervisors is a matter of some considerable debate within the critical tradition.[34] However, there seems to be general agreement that they will have a destabilising effect on any ideological and political compromises that have been concocted to cope with the severe problems created by the contradictory class location of knowledge management i.e., contemporary knowledge capitalist societies.[35] Thus, both in terms of its class location and organisational function within a capitalist mode of knowledge production, critical theorists present a view of knowledge management as an ideological mystification and institutional compromise that is unlikely to survive the technological, economic and social upheavals occasioned by the knowledge culmination of the workings of the 'inner logic' of capitalist development at the close of the twentieth century. The long-predicted end of management[36] is

confirmed through a form of intellectual analysis that is itself underwritten by a watertight historical guarantee. We find the clearest expression of the growing influence of a corporate knowledge critical perspective within the knowledge social responsibility of knowledge management in that series of theoretical analyses and empirical studies of the knowledge labour process in knowledge capitalist societies set in motion by Braverman's[37] pioneering attempt to restate the superiority of a Marxist approach to the knowledge dynamics of knowledge work organisation and control. This work has been conducted over a wide range of issues,[38] but its main theoretical and substantive significance from the viewpoint of the knowledge social responsibility of knowledge management is the marked shift in emphasis away from a functionalist analysis towards a dialectical approach, and the considerable variation, not to say contradiction, in knowledge managerial control strategies and structures this has revealed.[39]

This shift of emphasis has resulted in less attention being directed towards the formulation of an abstract and formalistic account of the structural imperatives that impose themselves on capitalist forms of work organisation and the functional role of knowledge management in fulfilling them. In its place, a view of knowledge management as a mechanism that mediates between external knowledge economic constraints and internal knowledge work designs has been developed. This knowledge mechanism, it is further maintained, consists of ideas, techniques, methods and practices related to the effective control of work performance that necessarily contain incomplete and contradictory recipes for action which produce unanticipated and unwelcome outcomes.

At the same time, this model of knowledge management as a mediating mechanism which necessarily contains complex and contradictory recipes for action is further complicated by a clearer recognition of the multifarious forms of knowledge worker resistance that are mobilised in response to the implementation of knowledge innovative control systems. A growing realisation that 'the linkage between the logic of knowledge capital accumulation and knowledge transformations of the knowledge labour process is an indirect and varying one'[40] has provided the catalyst for a fundamental reworking of a model of knowledge management that is much more voluntaristic and pluralistic in its theoretical approach than that suggested by Braverman.

Nevertheless, an unresolved theoretical tension between a structuralist view of knowledge management - as a functional knowledge mechanism ensuring the maximisation of knowledge surplus value and a dialectical interpretation highlighting the inevitable ruptures occurring between macro-level knowledge economic imperatives and micro-level knowledge control systems, remains at the conceptual core of the knowledge labour process approach.

The theoretical perspectives reviewed in this section signify the development of a knowledge social responsibility of knowledge management that is much more closely attuned to the inherent complexity and diversity of the knowledge social practices embedded within such a crucial knowledge social institution. However, an increasing awareness of, and receptiveness

to, the dynamic quality of knowledge managerial practices has not resolved a number of crucial problems that confront any attempt to construct a coherent and integrated knowledge social responsibility of knowledge management. In certain respects, these problems have been exacerbated as sociologists have moved away from the over deterministic predilections of structural analysis and welcomed the relief from abstract formalisation that a more historically oriented approach seemed to provide. These problems are discussed in the following section, while Table 1 provides a summary of the theoretical knowledge culture perspectives.

*Table 1 corporate knowledge culture on knowledge management*

| | Subject matter | Explanatory model | Policy strategy |
|---|---|---|---|
| 1. Corporate Knowledge Technical Perspective | Knowledge Rationally Perspective designed tool for the realisation of instrumental objectives | Knowledge Systems theory | Enhanced effectiveness of Knowledge Structural Design |
| 2. Corporate Knowledge Political perspective | Knowledge Negotiated Social Process for the regulation of knowledge interest group conflict | Knowledge Action theory | Improved negotiating skills for Knowledge Practitioners |
| 3. Corporate Knowledge Critical perspective | Knowledge Control Mechanism geared to the extraction of knowledge maximum surplus value | Knowledge Marxist theory | Liberate practitioners from distorted view of knowledge social reality |

## 5.0 UNRESOLVED PROBLEMS FOR KNOWLEDGE BUSINESS ORGANISATIONS

Four major unresolved problems arise out of the review conducted in the previous section; *First*, the failure to develop a knowledge integrated analytical framework linking together the study of knowledge managerial behaviour, knowledge organisational structure and knowledge institutional context within one perspective. *Second*, the tendency to fall back upon either knowledge structural determination or knowledge strategic choice in the face of seemingly overwhelming evidence as to the explanatory primacy of either. *Third*, the recourse to a knowledge functionalist explanatory logic that knowledge treats managers as the knowledge agents or bearers of knowledge social forces that contend in a wider institutional arena of which they have little or no theoretical knowledge, and knowledge treats managerial processes and knowledge systems as epiphenomena of 'deep structures' that develop according to their own logic within this arena. *Fourth*, and consequent upon the previous three points, the consistent failure to recognise the unavoidable dilemmas of knowledge managerial practice and their deep-seated implications for a form of corporate social analysis which, whatever its particular theoretical bent, still remains wedded to a rational model of knowledge managerial action.

Corporate knowledge social research on knowledge management has tended to proceed in an extremely *ad hoc* and fragmented manner with, until of

late, little attempt to integrate the various levels of analysis at which it has been pursued. Thus, studies[41] of knowledge managerial work have progressed from a somewhat limited focus on task analysis and job characteristics to a 'political sociology'[42] approach that examines the key role played by certain knowledge managers in negotiating knowledge organisational order.

However, studies such as these remain trapped within a knowledge organisational setting in which there is very little, if any, attempt to relate internal knowledge political processes to the broader knowledge institutional framework that shapes them. The corporate knowledge technical analysis of knowledge organisational structure has made some belated attempt to link knowledge institutional change to redesign knowledge processes, but the relationship is theorised in terms of a set of restricted 'knowledge environmental contingencies' (such as knowledge market demand and knowledge technical pressures) which impinge on knowledge managerial behaviour without any reference to the source of the latter in macro-level developments. In short, the corporate knowledge social analysis of knowledge management is characterised by research effort conducted at a multiplicity of analytical levels, and shows little signs of achieving even a partial integration of the fragmented theoretical insights and empirical illustrations these studies reveal.

An understandable, if unfortunate, response in the face of this analytical fragmentation and empirical diversity is to fall back on a form of intellectual monotheism. This asserts the universal truth of one particular theoretical interpretation of the reality of knowledge managerial existence. It may express itself in

various philosophical and conceptual guises, but it usually boils down to a Hobson's choice between seeing knowledge managers as bearers of knowledge structural forces over which they have little or no control or viewing them as free agents relatively unconstrained by prevailing knowledge socio-economic conditions. In either case, a recourse to a knowledge functionalist explanatory logic of some kind or another usually follows, even if this is modified in certain respects by reference to an extremely restricted area of choice or to the minimum constraint introduced by a consideration of knowledge environmental factors.

The recourse to functionalism seems to be irresistible once we move from a description of, to an explanation for, those characteristics that are seen to constitute the essence of knowledge managerial existence. From the point of view of the corporate knowledge technical perspective, knowledge managers are treated as the agents for a formal or instrumental rationality focused on knowledge design faults that they may fail to appreciate and enact to its fullest extent in specific situations, but which will impose itself upon them eventually. Within the corporate knowledge political perspective, a different kind of rationality prevails - one dominated by considerations of short-term knowledge political advantage and knowledge power within the employing knowledge organisation. But it tends to reduce knowledge managers to the status of ciphers for micro-level processes of which they possess little understanding and even less control. For those operating within the corporate knowledge critical perspective, knowledge managers are best seen as merchants of morality. They act as the conduits for a knowledge economic logic that has to

be obscured, hidden and distorted in some way or another through the promulgation of various ideological mystifications.

In each case knowledge managers simply become the agents for knowledge functional imperatives that originate outside the knowledge social practice in which they are routinely engaged. As the carriers of an instrumental rationality or the public front-knowledge men for private knowledge organisational politicking or the playthings of inexorable knowledge social forces, they lose any viable claim to knowledge self-interpretation and knowledge sustainable cultural identity. This results in a denial of the unavoidable knowledge ethical and knowledge political dilemmas that knowledge managers confront in the performance of a knowledge social practice that is necessarily characterised by a considerable degree of empirical diversity, knowledge political uncertainty and knowledge moral ambiguity. An over-socialised model of knowledge management leads to a form of corporate knowledge social analysis in which the often fragmented, constrained and conservative quality of knowledge managerial conduct becomes overlaid by a theoretical gloss. This reflects these characteristics in the form of an idealised image that seems to bear little relationship to the reality it purports to represent.

Consequently, taken in isolation, none of the three analytical perspectives we have discussed exhibits a sufficient degree of theoretical and methodological sensitivity to the ambiguities of knowledge managerial practice. The *corporate knowledge technical perspective* assumes that, in the long run, knowledge managerial behaviour will be dominated by a neutral means-oriented

rationality, even if temporary deviations from this universal norm will sometimes be encountered in specific situations. Indeed, its focus on the key relationship between knowledge managerial task activity and knowledge formal structure[43] is motivated by a concern to reassert the determining force of a knowledge functionalist imperative that imposes itself on knowledge management action, but may need to be given a helping hand in cases of transient knowledge organisational pathology. The pro-active role of knowledge managers in generating and sustaining the knowledge organisational ambiguities and uncertainties they face is minimising to the point of virtual analytical extinction. It is recognised only as an obstacle that occasionally gets in the way of a more logical relationship between knowledge organisational design and knowledge environmental demands. The contribution of conflicting interests and values institutionalised within the wider knowledge society to the development of knowledge intra-organisational strains and tensions is reduced to a cluster of knowledge environmental pressures that are presumed to structure knowledge managerial decisions over knowledge organisational design. In turn, these decisions are regarded as outcomes of a procedure in which the relationship between knowledge organisational means and ends is treated as a particular example of a more general process that brings resources and objectives into rational alignment.

The inadequacies of a rational model of knowledge managerial decision-making provide the critical point of entry for those advocating a corporate knowledge political perspective on knowledge managerial behaviour and knowledge organisation. However, the conception of knowledge politics which informs this approach is

restricted to a concern with the way in which resource allocation processes are manipulated by non-rational considerations related to sectional interests and values - particularly those held by the dominant coalition within the organisation's managerial elite.[44] Knowledge politics is deemed to be synonymous with politicking. Any broader theoretical or practical concern with the general knowledge moral dilemmas and principles that may direct knowledge managerial behaviour, especially in knowledge conflict situations, is missing. As a result, the force of Anthony's argument that 'because they (knowledge managers) are concerned with social and political relationships in organisations, they have a real concern with moral relationships'[45] is completely lost within a debunking methodology that seeks to expose the sectional interests lying behind professed commitments to normative principles of justice, fairness and equality. Once more, the initial recognition of complexity and subtlety is overpowered by the search for *the* determining force necessary to explain knowledge managerial behaviour and knowledge organisation.

The reductionist tendency evident within the *corporate knowledge political perspective* neatly dovetails with the inclination of critical theorists to assume that knowledge managerial conduct is driven by an inexorable knowledge economic logic that can be resisted only at the cost of knowledge organisational destruction. The corporate knowledge intra-organisational focus of the corporate knowledge technical and corporate knowledge political perspectives is superseded by a knowledge political economy of knowledge managerial behaviour which contemptuously sweeps aside any remaining concern with the explanatory role of knowledge moral

values and knowledge commitments. In its place we find a model of the knowledge managerial organisation as a hierarchical control system in which multiple levels of knowledge managerial activity are closely conditioned by a centrally determined and co-ordinated strategy of knowledge capital accumulation. Within this model, individual managers are treated as the principal 'bearers' of the inner knowledge economic logic at work within capitalism:

*when examined from this perspective, the question of whether individual managers act with the intention of securing or advancing the interest of capital, or accept this account of their work, is irrelevant . . . managerial work is seen to be primarily governed by the structure of relations of production that it 'bears'. . . . As agents of capital, managers are seen to develop and/or implement strategies and structures that ensure the productive subordination of labour to the demands of capital. Fundamentally, managerial work is thus understood to involve creating and maintaining a structure of relationships in which those who are 'in control' act in the interests of capital.*[46]

Yet, this model of knowledge managerial organisation as a tightly sprung control system that programmes the thinking and conduct of individual managers at all levels receives little support from the actual empirical research carried out on the relationship - or lack of it -between corporate strategy and labour management strategy.[47] What it does reveal, however, is that the underlying commitment to a highly deterministic and rationalistic account of knowledge managerial strategy contained within the corporate knowledge critical perspective severely limits its capacity to cope with the

reality of a process shot through with inconsistency and incrementalism. Critical theorists[48] recognise the reality of inevitable contradictions and breaks within and between different forms and levels of control. Nevertheless, the theoretical framework they rely upon is based on a logic of explanation that marginalises the significance of these complexities and their implications for the kind of conceptual equipment we need for constructing more sensitive accounts of knowledge managers' efforts to knowledge organise and knowledge control productive activity.

The three perspectives discussed so far each reveal a crucial aspect of knowledge management practice. The corporate knowledge technical perspective focuses on the formal knowledge administrative structures through which knowledge managers attempt to co-ordinate knowledge organisational behaviour. The corporate knowledge political perspective highlights the knowledge social processes through which these knowledge structures are enacted; and the corporate knowledge critical perspective emphasises the wider knowledge material interests to which the latter are subordinated. However, we lack a general conceptual framework in which these important, but partial, insights can be integrated in a systematic and coherent fashion. An attempt will be made to provide such a corporate knowledge framework in the next section.

## 6.0 THE CORPORATE KNOWLEDGE FRAMWORK

The preceding assessment of the three corporate knowledge culture perspectives that have informed our thinking about knowledge managerial behaviour and

knowledge organisation suggests the need for a substantial reconsideration. We must look more carefully at the conceptual equipment through which we approach the theoretical, methodological and ideological issues that crystallise in the general theme of knowledge management. What we require is an approach that is sensitive to the empirical diversity and knowledge social ambiguity of those knowledge managerial practices through which collective knowledge social action becomes sufficiently structured to take on a coherent and reasonably stable institutional shape in the form of knowledge work organisations. This approach must also be able to link together the behavioural, organisational and institutional levels of knowledge analysis that are evident in the corporate knowledge culture of knowledge management. In this way, the interrelationships between knowledge managerial work, knowledge control strategies and macro-structural constraints can become more systematically theorised.

In recent years there has begun to emerge an approach that seems to provide a more promising response to these problems. This does not require an unquestioned theoretical commitment to a conception of knowledge management as a knowledge administrative structure *or* a knowledge socio-political process *or* a knowledge control mechanism. Instead, it attempts to integrate each of these analytical components within a view of knowledge management as a knowledge social practice. Over the last ten years or so this perspective on management as a social practice has emerged in the work of researchers such as Burns, Tomlinson,[49] Batstone[50] and Anthony.[51] Their work has highlighted the knowledge ethical and knowledge political dilemmas that knowledge managers necessarily

face in their struggle to cope with the inherent complexity and contradictions of knowledge work organisations. It has also served to emphasise the importance of understanding the knowledge social processes whereby these dilemmas are reflected in the makeshift, and often internally contradictory, assemblies of practices that constitute contemporary knowledge work organisations as *bricolages* of partially articulated and half-digested sets of principles or rationalities.[52] Recently, Tomiinson has provided a theoretical characterisation of management as consisting of:

*The containment of separate and other contradictory practices - a matter of keeping the show on the road. Management is then seen as facing such problems as 'How can the practices of sub-agency A be made compatible with those of B?' and 'How can the decisions of C be summarised in their negative impact on D?' rather than how the practices of A, B, C, and D can be subordinated to the goals of the enterprise.*[53]

In this way, knowledge management is treated as a process or activity aimed at the continual re-coupling or smoothing over of diverse and complex practices always prone to disengagement and fragmentation. It is based on the, usually contested, capacity to control the institutional mechanisms through which some degree of overall co-ordination and integration of knowledge social interaction can be secured. This implies a rather different view of knowledge work organisations to that conveyed in the more orthodox approaches we reviewed earlier in this paper. Within the practice perspective, knowledge work organisations are seen as points of intersection for a wide range of knowledge social practices that are subjected to various strategies of institutional combination and

recombination. This offers a more realistic and flexible conception than that which knowledge treats organisations as rigidly structured knowledge social units subordinated to the performance of an essential function within the economic, technical, administrative or political imperatives imposed by a particular knowledge socio-economic sector or system. It also indicates that knowledge work organisations are based on operating principles and rationales that generate both structural and processal contradictions that will be reflected within knowledge management practice. Not only will knowledge managers be called upon to secure knowledge organisational discipline and membership consent simultaneously, but they will also be internally divided, both between and within different specialisms, over how these mutually incompatible objectives are to be achieved.[54]

It may be appropriate at this point to offer a rather more formalised specification of the practice perspective which builds on recent development of the concept of knowledge social practice within social and political analysis, before moving on to its broader implications for the corporate knowledge culture of knowledge management. This can be achieved in three stages: first, by providing a general theoretical characterisation of the concept of knowledge social practice; second, by elaborating upon this basic conception in the form of a crucial distinction between primary and secondary knowledge social practices; and third, by developing this distinction in regard of knowledge management as a particular type of secondary knowledge social practice.

The concept of knowledge social practice has figured prominently in the recent contributions of a number of writers and researchers in the fields of philosophy, anthropology, sociology, organisational studies and economics. Harris provides a useful definition of the concept, which can form the starting point for further elaboration. To engage in a knowledge social practice involves:

*engaging in a class of actions which are intelligible in and through the concepts which inform them, which have to be understood as directed towards ends which all members of the community of practitioners share, and is defined through the means adopted to the achievement of those ends which are to be understood as determined by the conditions under which the practice is undertaken.*[55]

From this basic definition, it is possible to identify five interrelated conceptual components that together form the analytical framework for organising our thinking about knowledge management that is on offer within this chapter. Conceptualising knowledge management as an identifiable knowledge social practice requires that five distinct, but interrelated, factors are specified:

1. The class of knowledge actions in which practitioners are engaged as members of that community or practice.
2. The concepts through which certain knowledge shared aims or problems are identified in a meaningful way by practitioners as a basis for engaging in reciprocal knowledge interaction.
3. The knowledge shared aims or problems to which the practice is directed as communicated in the practitioners' conceptual vocabulary.
4. The knowledge means or resources (both “data”

material and symbolic) through which achievement of these meaningful projects is pursued.

5. The situational conditions or constraints under which these reciprocated knowledge activities, the resources they require, and the relationships they engender between practitioners, are shaped and directed.

All knowledge social situations are constituted through communities of practitioners related to each other by virtue of the concepts internal to the practices in which they are engaged and by the knowledge shared resources and conditions under which they are undertaken. However, practices have to he assembled in various ways by other practices to form distinctive and viable institutions.

The distinction between primary and secondary knowledge social practices provides further insight into the process whereby this assembly and regulation is managed. Primary knowledge social practices are aimed at transforming the environmental circumstances in which human life is carried on through the production of goods, services and the ideas that inform our conceptions of them.

Secondary knowledge social practices are directed at achieving overall integration and co-ordination of primary knowledge social practices through the design, implementation and monitoring of various judicial, political and administrative mechanisms. The latter serve to assemble the diverse and complex array of primary practices in which human populations are necessarily involved into institutional structures that exhibit a minimum degree of normative coherence, social cohesion and temporal continuity.

Considered in these terms, knowledge management can be broadly defined as that secondary knowledge social practice through which knowledge administrative regulation and control is established and maintained over those activities and relationships in which knowledge non-managerial practitioners are engaged by virtue of their membership of knowledge communities of primary knowledge productive practice. It is directed at assembling diverse and complex knowledge productive practices into institutional structures that exhibit an acceptable degree of conceptual and material coherence. This is achieved through the application of a range of knowledge physical and symbolic resources, and the implementation of various coordinating mechanisms through which incipient fragmentation and decay can be temporarily resisted. Consequently, knowledge management constitutes both a knowledge mechanism through which conflict over the possession and control of knowledge resources necessary for primary productive activity can be, at least temporarily, regulated and a process which provides a medium for struggle over the institutional arrangements through which this regulation is achieved.

This approach offers three main theoretical advantages over those discussed earlier in this paper. *First*, it provides a conceptual synthesis of three key aspects of knowledge management that have previously been isolated from each other - that is. Knowledge technique, knowledge process and knowledge mechanism. It realises this synthesis by conceptually reworking and recombining these elements within a model of knowledge management as a knowledge social unit of reciprocal interaction geared to the task of assembling knowledge productive practices

through the process of knowledge organisational structuring. Within the latter, a framework of rules, resources and supporting rationales will be constructed to provide the mechanisms by which knowledge managers strive to exert a satisfactory degree of control over and commitment from primary producers.

*Second*, it rejects the more orthodox treatment of knowledge management as a unitary control device that ensures the single-minded pursuit of an unambiguous knowledge technical, knowledge political or ideological imperative to which all aspects of knowledge social action, including knowledge managerial action, must be rigidly subordinated. In its place, the practice framework suggests that the task of knowledge management is to ensure a viable degree of overall co-ordination and control of diverse primary knowledge productive practices that contain very powerful centrifugal forces pushing in the direction of even greater complexity and fragmentation. It also indicates that, in pursuing this institutional containment and regulation, knowledge managerial practitioners will have to rely on a wide range of specialised mechanisms and supporting rationales to achieve their aims which may come into conflict with one another. The interests of those who own and/or control the strategic material resources and instruments necessary for primary knowledge productive activity in any knowledge society are likely to be the most influential consideration informing knowledge management's design and implementation of the various integrative mechanisms through which overall assembly and regulation may be attempted. However, knowledge managers will also be exposed to alternative sources of pressure and demands that will shape the particular knowledge mechanisms and

rationales they follow in attempting to recouple diverse primary knowledge productive practices that have become, or are in danger of becoming, disengaged. As such, they will be required to develop an acceptable, and necessarily shifting, *modus vividness* between competing rationales, each with their own internal logics and supporting justifications.

*Third,* the approach outlined in this section provides an integrated conceptual framework that can interrelate behavioural, organisational and institutional levels of knowledge analysis without falling prey to the deterministic knowledge functionalist analysis that alternative perspectives retreat into when faced with the complexity of knowledge managerial existence. This is achieved by focusing upon the range of regulative and co-ordinating strategies knowledge managers must rely upon to organise knowledge productive practices and the problems their usage presents to the continued integrity and viability of the institutional structures in which they are loosely grounded. In this way, knowledge managerial behaviour inevitably reflects the tension that necessarily arises between maintaining the long-term integrity and viability of the institutionalised control systems on which knowledge managers rely to achieve overall knowledge integration and the knowledge operational requirement for the application of specific devices and understandings that undermine the coherence and stability of the former. The contradiction between a bureaucratic logic that demands strict adherence to the rules of imperative co-ordination and an operational practice that requires the utilisation of devices, techniques and agreements which have no place within the former, provides the focal point for the conceptual framework we have developed in this section.

This contradiction also permits a clearer identification of the crucial role knowledge managers play in mediating between the internal pressures exerted by organisational stakeholders and the external demands issuing from coalitions located in the inter-organisational network of which their organisation is a part.

## CONCLUSION

The three views of knowledge management embodied in the analytical perspectives discussed in the earlier sections of this paper - as a formal knowledge structure, a negotiated knowledge social order and a knowledge control function - can be brought together in a conception of knowledge management practice as a loosely connected set of knowledge mechanisms, knowledge processes and knowledge strategies directed at the assembly of other practices concerned with the production of knowledge goods, knowledge services and knowledge ideas that transform the environment we inhabit. The connections between these three aspects of knowledge management practice, such as they are, are most clearly revealed when transformations in the situational conditions under which knowledge productive practices are assembled and regulated erode the knowledge traditional organisational arrangements on which knowledge managers have relied. Consequently, changes to the conceptual and material circumstances under which specific types of knowledge organisational design and knowledge control are implemented by knowledge managers - such as new management philosophies, innovative production technologies and the discovery of alternative markets - are likely to provide the

catalyst for reconsidering and reworking accepted arrangements.

Thus, the periods during which substantial knowledge organisational restructuring has to be initiated by knowledge managers against a backdrop of situational change are likely to prove most revealing in terms of the underlying tensions that are released between the logic of bureaucratic control and the operational demand for coping devices that radically undermine the former. It is also at this juncture that the need for knowledge managers to maintain a proper balance between their concern for the long-term integrity and viability of knowledge organisational machinery and the knowledge immediacy of short-term pressures for workable solutions to everyday crises becomes most pressing. In this context, the difficulties that many knowledge managers often face in reconciling the conflict between an instrumental rationality, which demands strict adherence to the protection of knowledge organisational means deemed necessary for survival, and a substantive rationality, which calls for an authentic concern with the moral ends to which managerial action ought to be directed, can become acute. This also provides further illustration of the intellectual poverty and practical impotency of a conception of knowledge management that treats its practitioners as clinical technicians or as mini-Machiavelli's or as prisoners of a structural logic that they cannot recognise, much less understand. In its place, it suggests that knowledge management practice consists of a complex web of interrelationships between the technical, political and moral dimensions of knowledge managerial conduct oriented to the assembly of those recalcitrant resources that enter into knowledge productive activity.

Within this general perspective, we can develop a view of individual managers as practitioners of an art that requires the possession and application of skills enabling them to cope with the contradictory demands and pressures of resources that stubbornly resist efforts to contain them within prescribed limits.

Knowledge managers cannot avoid these uncertainties and ambiguities; indeed, the very nature of what they do expresses the contingent and paradoxical quality of human action, which simultaneously denies and attempts to cope with the seemingly intractable problems that prevent them creating and sustaining order in the face of chaos. The public rhetoric of technocratic ideology conveys a Platonic image of the knowledge manager as a rational planner and controller of a knowledge organisational machine that is infinitely adaptable to rapidly changing conditions. The private language suggests a very different picture - somebody struggling to come to terms with a reality that stubbornly refuses to conform to this organisational blueprint or to fit the universal categories and laws it specifies. It is time that the credibility gap between public image and private reality was bridged by a theoretical perspective focused on the unavoidable dilemmas managers have to contend with in their struggle to construct a workable compromise between structural constraints and human recalcitrance.

This exploration of the contribution knowledge management has made to the process of structuring is pursued in relation to a number of crucial themes that recur in the knowledge social responsibility of knowledge management. *First,* we need to achieve a better understanding of the historical development of the various

forms of knowledge organisational control managers have tried to implement in different institutional settings as a means of securing effective structuring of knowledge work performance. *Second,* we must examine the impact of these forms of control on the nature and quality of knowledge managerial work in order to realise a more rounded and sensitive appreciation of its inherent dilemmas and the manner in which they are contained. *Third,* we shall review the response this knowledge organisational work has elicited from those subjected to the mechanisms of knowledge control, and do this with particular reference to the generation and regulation of knowledge industrial conflict within the employment relationship. *Fourth,* we shall discuss the implications of the previous analysis for the location and role of knowledge managerial groups within the organisational structure of advanced knowledge business organisations. *Finally,* the insights derived from the exploration of knowledge managerial structuring conducted above will provide the basis for a more general assessment of the knowledge alternative futures knowledge managers face in a business world that is unlikely to become completely amenable to their efforts to eradicate its inherent knowledge uncertainties and perversities.

## References and Notes


1. Al-Juboori, A., *Strategic Management* (Weal, Amman, 2005) pp. 141-3.
2. Al-Juboori A., *Project Management* (Al-Manahij, Amman, 2007).
3. Lowe, E.A., 'Introduction' to 'Critical Perspectives on Management Studies and Management Science', *Journal of Management Studies* Special Issue, vol. 21, No. 3, (1984).
4. Donaldson, R., *In Defence of Organisation Theory: A Reply to the Critics* (Cambridge University Press, Cambridge, 1985).
5. Massie, J., 'Management Theory', in March, J. (ed.). *The Handbook of Organizations* (Rand McNally, New York, 1995).
6. Waldo, D., *The Administrative State (Knopf*, New York, 1948); Wolin, S., *Politics and Vision* (Alien & Unwin, London, 1961); Mouzelis, N., *Organisation and Bureaucracy* (Routledge and Kegan Paul, London, 1967).
7. Lupton, T., *Management and the Social Services* (Penguin, London, 2nd edition, 2003).
8. Etzioni, A., *Modern Organisations* (Prentice-Hall, Englewood Cliffs, New Jersey, 1994); Woodward, J., *Industrial Organisation: Theory and Practice* (Oxford University Press, London, 1995); Thompson, J.D., *Organizations in Action* (McGraw-Hill, New York, 1997).
9. Mintzberg, H., *The Nature of Managerial Work* (Harper and Row, New York, 1993).
10. Etzioni, A., *A Comparative Analysis of Complex Organizations* (Free Press, New York, 2nd edition, 1975).
11. Thompson, J.D., op. cit., (1967).
12. Lawrence, P.R. and Lorsch, J.W., *Organization and Environment* (Harvard University Press, Cambridge, Mass., 1967).
13. Pugh, D.S. and Hickson, D.J., *Organisation Structure in its Context: The Aston Programme* I, (Saxon House, Farnborough, 1976).
14. Donaldson attempts to resolve this inconsistency, but his analysis is forced back on to the deterministic explanatory logic that informs systems theory. On this point see Donaldson, R., op. cit

15. Child, J., 'Organisational structure, environment and performance'. *Sociology,* vol. 6, No. 1, (1972), pp. 2-22.
16. The phrase is taken from Burns, T., 'A comparative study of administrative structure and organisational processes in selected areas of the national health service'. *Social Science Research Council Report*, Report Number HRP 6725, (1982).
17. For a general outline of this approach see Silverman, D., *The Theory of Organisations* (Heinemann, London, 1990)
18. Elger. A., 'Industrial organizations: a processual perspective', in McKinley, J.B. (ed.). *Processing People: Cases in Organizational Behaviour* (Holt, Rinehart and Winston, New York, 1975), p. 97.
19. For a further elaboration of this model see Strauss, A., *et al.*, 'The hospital and its negotiated order', in Friedson, E. (ed.). *The Hospital in Modern Society* (Macmillan, New York, 1963).
20. Fora recent example of attempts to develop this aspect of the political model see Lee, R. and Lawrence, P., *Organisational Behaviour: Politics at Work* (Hutchinson, London, 1985).
21. Dalton, M., *Men Who Manage* (John Wiley and Son, New York, 1999).
22. Selznick, P., *TV A and the Grass Roots* (University of California Press, Berkeley, 1949); Gouldner, A., *Patterns of Industrial Bureaucracy* (Collier-Macmillan. New York, 1954); and *Wildcat Strike* (Antioch Press, New York, 1954); Blau, P., *The Dynamics of Bureaucracy* (University of Chicago Press, Chicago, 1955); Burns, T. and Stalker, G.M., *The Management of Innovation* (Tavistock, London, 1961); Crozier, M., *The Bureaucratic Phenomenon* (University of Chicago Press, Chicago. 1964).
23. Child, J., 'Organisation: a choice for man', in Child, J. (ed.), *Man and Organisation* (Alien and Unwin, London, 1993); Pettigrew, A., *The Politics of Organisational Decision-Making* (Tavistock, London, 1993), and *The Awakening Giant* (Basil Blackwell, London, 1995); Pfeffer, J., *Power in Organisations* (Pitman, Massachusetts, 1991); Kotter, J.P., *Power in Management* (Amacon, New York, 1999) and *The General Managers* (Free Press, New York, 2002).
24. Day, R.A. and Day, J.V., 'A review of the current state of negotiated order theory: an appreciation and critique'. *Sociological Quarterly,* vol. 18, No. 4, (1977), pp. 126-42;

Whitley, R., 'Organisational control and the problem of order'. *Social Science Information,* vol. 16, No. 2, (1977), pp. 169-89; Salaman, G., *Work Organisations: Resistance and Control* (Longman, London. 1979); Burrell, G. and Morgan, G., *Sociological Paradigms and Organisational Analysis* (Heinemann, London, 1979); Willmott, H.C., 'Images and ideals of managerial work: a critical examination of conceptual and empirical accounts', *Journal of Management Studies,* vol. 21, No. 3, (1984), pp. 349-68.

25. Willmott, H.C.. op. cit., p. 361.
26. Benson, J.K., 'Organisations: a dialectical view', *Administrative Science Quarterly,* vol. 22, No. 1, (1977), pp. 1-21; Salaman, G., Towards a sociology of organisational structure', *Sociological Review,* vol. 26, No. 3, (1978), pp. 519-54; Littler, C.R., *The Development of the Labour Process in Capitalist Societies* (Heinemann, London, 1982).
27. For a number of specific illustrations of this general theme see Storey, J., *Managerial Prerogative and the Question of Control* (Routledge and Kegan Paul, London, 2003).
28. This issue is dealt with at some length in Littler, C. R. and Salaman, G., *Class at Work: The Design, Allocation and Control of Jobs* (Batsford, London, 1984).
29. On this point see Fox, A., *Man Mismanagement* (Hutchinson, London, 2nd edition, 1985).

30. This highly controversial thesis concerning the 'proletarianisation' of middle and lower level management has been most fully developed in Crompton, R. and Jones, G., *White Collar Proletariat: Deskilling and Gender in Clerical Work* (Macmiilan, London, 1984).
31. A more subtle appreciation of 'managerial deskilling and reskilling' is to be found in Ray.C.A., 'Images of skill reconsidered: the conceptual deskilling of line managers', University of California press. California.1985).
32. On this point see Salaman, G., 'Managing the frontier of control', in Giddens, A. and Mackenzie, G. (eds.), *Social Class and the Division of Labour* (Cambridge University Press, Cambridge, 1982).
33. The phrase is taken from Fletcher, C., '*The end of management'*, in Child.J., op. Cit., (1993).
34. Braverman, H., *Labour and Monopoly Capital: The*

*Degradation of Work in the Twentieth Century* (Monthly Review Press, New York, 1974).

35. These are discussed in Thompson, P., *The Nature of Work* (Macmillan, London. 1993).
36. Recent studies that illustrate this point include Zimblast, A. (ed.), *Case Studies on the Labour Process* (Monthly Review Press, New York, 1989); Wood, S. (ed.). *The Degradation of Work* (Hutchinson, London, 1992); Knights, D. and Willmott, H.C. (eds.). *Managing the Labour Process* (Gower, London, 1996).
37. Littler, C.R., op. cit., (1982), p. 34.
38. For two recent examples of this see Stewart, R., 'The nature of , management? A problem for management education', *Journal of ; Management Studies,* vol. 21, No. 3, (1984), pp. 321-30; and Mintzberg, H., The organisation of political arena', *Journal of Management Studies,* vol. 22, (1985), pp. 133-54.
39. On this point see Donaldson, L., op. cit., (1985).
40. Pettigrew's recent book on ICI is an excellent example of this approach. See Pettigrew, A., op. cit., (1985).
41. Anthony, P.O., *The Foundations of Management* (Tavistock, London, 1986), p. 186.
42. Willmott, H.C., op. cit., (1984), p. 362.
43. As discovered in Winkler, J.T., 'The ghost at the bargaining table: directors and industrial relations', *British Journal of Industrial Relations,* vol. 12, No. 2, (1974), pp. 191-212; Purcell, J. and Sissons, K., 'Strategies and practice in the management of industrial relations' in Bain, G. (ed.), *Industrial Relations in Britain* (Basil Blackwell, London, 1983); Gospel, H., 'The development of management organisation in industrial relations: a historical perspective', in Thurley, K. and Woods, S. (eds.), *Industrial Relations and Management Strategy* (Cambridge University Press, Cambridge, 1983); and 'Managerial structures and strategies: an introduction', in Gospel, H. and Littler, C.R. (eds.), *Managerial Strategies and Industrial Relations* (Heinemann, London, 1983); Rose. M. and Jones, B., 'Managerial strategy and trade union response in work re-organisation schemes at establishment level', in Knights, D., Willmott, H.C. and Collinson, *D.,Job Redesign: Critical Perspectives on the Labour Process* (Gower, London, 1985).

44. This point is given particular emphasis in Storey, J., The means of management control'. *Sociology,* vol. 19, No. 2, pp. 193-212.
45. Burns, T., *The BBC* (Macmillan. London, 1977).
46. Tomlinson, J., *Unequal Struggle: British Socialism and the Capitalist Enterprise* (Methuen, London, 1992).
47. Batstone, E.. 'Management and industrial democracy' in *Industrial Democracy: International Views* (Social Science Research Council, London, 1978).
48. Anthony, P.O., op. cit., (1986).
49. The idea of the work organisation as constituting a *bricolage* of practices assembled on the basis of ambiguous and contradictory principles is developed in Burns, T., op. cit., (1982).
50. Tomlinson, J., op. cit., (1982), p. 128.
51. For a recent development of this point see Armstrong, P., 'Competition between the organisational professions and the evolution of management control strategies', in Thompson, K. (ed.), *Work, Employment and Unemployment: Perspectives on Work and Society* (Open University Press, Milton Keynes, 1984).
52. Bordieu, R., *Outline of a Theory of Practice* (Cambridge University Press, Cambridge, 1977); Giddens, A., *Central Problems in Social Theory* (Macmillan, London, 1979); Donzelot, J., *The Policing of Families* (Hutchinson, London, 1980); Parkin, F., *Marxism and Class Theory: A Bourgeois Critique* (Tavistock, London, 1979); Maclntyre, A., *After Virtue: A Study in Morai Theory* (Duckworth, London, 1981); Runciman, W.G., 'On the tendency of human societies to form varieties', *London Review of Books,* 5 June 1986, pp. 16-18; Johnston, L., *Marxism, Class Analysis and Socialist Pluralism* (Alien and Unwin, London. 1986).
53. Harris, C.C., *Fundamental Concepts and the Sociological Enterprise* (Croom Helm, London, 1980), p. 29.
54. Ibid., pp. 64-5.
55. Some managers, particularly those who have direct operational responsibility for productive activity, may find the tensions more pressing than others. It is assumed here that, to varying degrees, all managers experience them.

# تحديث محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد للوحدات الصناعية العراقية

**د. صباح قدوري**
**عميد كلية ادارة الاعمال جامعة ابن رشد هولندا**

المقدمة :

في البداية أود الإشارة إلى أن، هذا البحث ذو صلة وثيقة ببحثي الموسوم بـ**"تطور النظام المحاسبي في العراق"** والمنشور في المجلة الفصلية العلمية المحكمة لجامعة ابن رشد/هولندا، العدد الأول، كانون أول/ديسمبر 2010 . وامتداد له في بعض مفرداته ومسارات معالجاته.

إن النظام المحاسبي الموحد المطبق في الوحدات الصناعية الحكومية، وضع في حينه لاحتياجات الاقتصاد الموجه أو المخطط، وفي ظل هيمنة القطاع العام في النظام المركزي لتسييرالاقتصاد، وإنتاج البيانات لخدمة الاقتصاد الكلي أكثر من الاقتصاد الجزئي، ولم يتغير ذلك النظام حتى الآن.

وفي ظل تنامي عولمة الاقتصاد، نجد اليوم بأن سياسة العراق الاقتصادية تتوجه نحو الليبرالية والانفتاح، وباتجاه تبني مبدأ اقتصاد السوق- الحر. والانتقال من تسيير الاقتصاد مركزيا إلى اللامركزية، وإلى تفعيل دور القطاع الخاص في معظم القطاعات الاقتصادية. والحالة هذه تستوجب البحث عن أدوات مالية جديدة لتوفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات الوحدات الصناعية، والمستثمرين والممولين.

وبناء على مثل هذا التحول نجد أن العلاقة بين المحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف في تصميم النظام المذكور، جاءت لتركزعلى (الأول) على حساب (الثاني)، وبذلك أُهمل دور الوحدات الصناعية بوصفها المنتج الأساس للبيانات التحليلية التي تنتجها محاسبة التكاليف.

إن اهمية هذا البحث، تكمن في اتباع منهج علمي تحليلي مناسب لتحديث محاسبة التكاليف، في إطار النظام المحاسبي الموحد، المطبق حاليا في الوحدات الصناعية العراقية، لكي يصبح نظاما متكاملا، للمحاسبة المالية، ومحاسبة التكاليف، والمحاسبة المسؤولية.

فيما مشكلة البحث تتلخص في، أن محاسبة التكاليف في إطار النظام المحاسبي الموحد في هذه المرحلة غير مجدية لأداء وظائفها في مجالات قياس التكلفة، الرقابة عليها، واتخاذ القرارات الرشيدة في الوحدات الصناعية.

وفي ضوء هذه الاشكالية ، يمكن القول بأن النظام المحاسبي الموحد بشكله الحالي، ليس أكثر من مسودة النظام المحاسبي للتكاليف. وعليه فإن الهدف من البحث سامثل هنا في ضرورة وحاجة ماستين إلى تطوير محاسبة التكاليف وتحديثها، لتكون مناسبة ومقبولة في مجال قياس التكلفة المختلفة لأغراض (تحديد أسعار الوحدات المنتجة، تثمين الانتاج والأصول باشكالها المختلفة، قياس الاداء الانتاجي ...الخ)، وفي مجال الرقابة على عناصر الكلفة، ثم يجب أن يتسع مفهوم محاسبة التكاليف لينتج المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات الرشيدة على كافة المستويات الادارية، ولتكن أيضا أساسا لتلبية احتياجات المستثمرين والممولين.

أحاول هنا باختصار شديد عرض دور محاسبة التكاليف في إطار النظام المحاسبي الموحد في مجالات قياس التكلفة، الرقابة عليها، وعملية اتخاذ القرارات الاقتصادية. ثم أتبع ذلك بما وجدته ضروريا لتطوير محاسبة التكاليف وتحديثها، حتى تكتمل وتصل الى المستوى العلمي، من خلال اقتراح نموذج (موديل) للنظام المحاسبي للتكاليف.
وفي ضوء ذلكم فإنَّ معالجتي ستنقسم على المباحث الآتية:-

1- في مجال قياس التكلفة:-

اقتصر النظام المحاسبي الموحد على توزيع عناصر الاستخدامات على مراكز التكلفة حسب الانشطة، ولكنه لم يذكر أو يتعرض لعلاقة قياس التكلفة بنظريات التكاليف. هذا باستثناء ما ذكره في مجال قياس تكلفة الانتاج تحت التشغيل. وأجد أنه من الضروري تطوير سجلات ودفاتر وجداول التكاليف في إطار النظام المحاسبي الموحد، بحيث يساعد على تصنيف بنود التكاليف على أساس النوعية الى تكاليف مادية وتكاليف غير مادية أي (انتاجية وغير انتاجية)[92] ، ومن ثم الفصل بين التكاليف المباشرة وغير

[1] ان التميز بين التكاليف الانتاجية وغير الانتاجية على صعيد الاقتصاد الوطني لها اهميتها في مفهوم احتساب الدخل القومي. ففي الاقتصاد الاشتراكي، يدخل في

المباشرة من ناحية، والمتغيرة والثابتة من ناحية أخرى، الأمر الذي له أهمية خاصة في تحديد تكلفة الانتاج والقرارات التي يمكن أن تترتب عليه، مثل استغلال الطاقة، وتحديد الحد الادنى للأسعار في المدى القصير، ودراسة العلاقة المثلى بين التكلفة وحجم الانتاج والربح. كذلك تبرز أهميتها الخاصة أيضا، عند إعداد الميزانيات التخطيطية، وفي مجال الرقابة والتخطيط، وعرض القوائم المالية . وهذا التطوير في السجلات والدفاتر، يسهل على تطبيق أية نظرية من نظريات التكاليف عند قياس التكلفة أي (التكاليف الكلية، التكاليف الحدية، والتكاليف المتغيرة ). وأكثر من ذلك يمكن قياس تكلفة الوحدة باكثر من اسلوب، وهذا في حد ذاته يعدّ انتاجا للمعلومات بما يتناسب مع الموقف المطلوب منه أو المصمم من اجله. كما ان هذا الاسلوب ، يرشد إلى تسعير المنتجات الضرورية ، وتلك التي تعدّ كـمالية، وتلك التي تنتج بهدف تصديرها الى الخارج.

ومن الامور التي اثارت اهتمامي، ما يتبع حاليا في النظام المحاسبي الموحد عند توزيع عناصر الاستخدامات(الكلفة) على مراكز التكلفة، وبالاخص ما يتبع بالنسبة لمركز رقم /9 ( العمليات الراسمالية)، والذي توزع عليه عناصر التكلفة المتعلقة بالمشغولات الداخلية، اي التكوين الاستثماري الذاتي، التي تنتجها الوحدة الاقتصادية للاستخدام الذاتي، فمن راي، هو:-

اولا:- ان العناصر التي توزع على هذا المركز ليست من عناصر التكلفة في شئ ،لانها تعتبر قيمة لاصول تكونها الوحدة الاقتصادية بنفسها لنفسها، وهذا لا يعتبر من الناحية النظرية من عناصر التكلفة. وقد تنبه النظام المحاسبي الموحد لتلك الحقيقة ، وامر بتوزيعه على هذا المركز تمهيدا لاضافته الى اصول الوحدة.

---

احتساب الدخل القومي القطاعات الانتاجية فقط، من دون الخدمية، والاخيرة لها حصتها من عملية توزيع الدخل القومي عن طريق الميزانية العامة للدولة. على عكس ما هو متبع في الدول الراسمالية ، حيث يجري احتساب الدخل القومي على اساس القطاعات الانتاجية والخدمية معا.

ثانيا:- ان ما يتبع حاليا بخصوص هذه العناصر في مركز/9 ، لا يتم التخصيص او التوزيع عمليا الا في نهاية السنة المالية. اي مرة واحدة تقريبا في السنة ، فهذا من الناحية التكاليفية لا يحقق رقابة فعالة. كما انها قد تؤدي إلى خضوع هذه العملية( توزيع الاستخدامات) لكثير من التقدير والاجتهاد، بحيث يمكن ان يكون متوسط تكلفة الوحدة في اتجاه يخالف المتوسط الفعلي او الحقيقي للتكلفة. وكما ان التوزيع على هذا المركز في نهاية الفترة المحاسبية، لا يحقق ما يمكن ان يسمى بالتوجيه من المنبع اى( من الأصل). وهذا يعتبر من الامور الهامة في مجالات التسجيل بالدفاتر[93] . كذلك اقترح ان تميز الوحدة في البداية بين المستندات المتعلقة بالانفاق على التشغيل العادي- الانتاجي- وتلك الخاصة بالتكوين الراسمالي الذاتي- اي (مركز/9) ، بحيث يمكن تجميع هذه المستندات المتميزة عن غيرها، وتخصيصها على مركز جديد احداثه تحت رقم/صفر، باسم( تكاليف الانشطة الاخرى/الاستثمارية والمالية) ، بدلا من رقم/9 ، دون ان تخضع هذه العملية لاجتهاد اوتقدير من جانب المحاسبين او المديرين، حتى تكون النتائج معبرة عن النشاط الفعلي او الحقيقي التشغيلي.

2- في مجال الرقابة على عناصر التكاليف:-

اكتفى النظام المحاسبي الموحد بالموازنة التخطيطية ، باعتبارها اداة من ادوات الرقابة على التكاليف، بل وعلى مختلف الانشطة التي تزاولها الوحدة الاقتصادية. وهذه الموازنة غالبا ما تعد ارقامها من متوسطات السنوات السابقة. وان حدث شئ من الاجتهاد او التطوير في اعدادها ، يكون على اساس تقديري او تخميني، غير مبني على اسس علمية صحيحة، أذ لم يلزم النظام اية من الوحدات الاقتصادية بضرورة اتباع اسلوب معين عند اعداد وتقدير ارقام الموازنة المذكورة. وبناء على ذلك يجد الباحث هنا الفرصة مناسبة لوضع معالجته بين أيدي المعنيين وللتوصية بعدد من المقترحات

---

[93] قارن، على محروس شادي( النظام المحاسبي الموحد) مكتبة غريب ، مصر ، القاهرة 1979 ، ص.10-16

المتعددة في هذا المضمار، وخاصة في الجانب المتعلق بعناصر التكاليف، وهي كالاتي:-

اولا:- اری من الضرورة اهتمام الوحدات الاقتصادية بما يسمى بنظام التكاليف المحددة مقدما. وان تذكر الوحدة في ذيل الموازنة على كيفية اجراء تقديرات ارقام التكاليف. هل من خلال المتوسطات للسنوات السابقة، او بتعديل تلك المتوسطات مع شئ من التقدير، او الاستناد على معايير عملية بجانبها المادي والمالي (الكمي والقيمي). كما على الوحدة ايضا ان تحدد لنفسها فترة تصل خلالها الى نظام المعايير ، وذلك تحت اشراف المؤسسة او القطاع المختص. ولا شك ان اعتماد الموازنة التخطيطية على المعايير ، يجعلها من ادوات الرقابة الفعالة من ناحية ، ومن الادوات الاقتصادية من ناحية اخرى ، والمقبولة من طرفي الادارة والمنفذين من ناحية ثالثة[94] .

ان هذه المعايير مهما كلفت الوحدة الاقتصادية، فان العائد منها في الاجل الطويل، سوف يعطي مردودا إيجابيا أعلى من تكلفتها، وتساهم بوساطة آلياتها بطريقة فعالة في تحقيق الاستخدام الامثل للموارد الاقتصادية النادرة في المجتمع.

ثانيا:- الاهتمام بالمعايير في مجالات التكاليف، سوف يسهل بلا شك على التمييز بين العناصر المباشرة وغير المباشرة للكلفة، ومن ثم التمييز تدريجيا بعد اكتساب الخبرة لدى الوحدة في التطبيق بين العناصر المتغيرة والثابتة، وعليه فان هذه تعتبر من الموضوعات المتشابكة ، والتي تخدم بعضها بعضا، ويحقق احدهما ما يسمى بالتغذية العكسية (Feedback)للاجراء، ويرفع من كفاءته.

ثالثا:- الاهتمام بنظام محاسبة المسؤولية ، وبالاخص في مجال التكاليف. وهذا يحقق مبدأ ربط التكلفة بالمسؤول عن حدوثها. ومن ثم فان عملية الرقابة تنصب هنا على الاشخاص المسؤولين عن صرف عناصر الكلفة وليست على العناصر ذاتها. ويعتبر هذا من احدث المداخل العلمية لعملية الرقابة. وحتى يمكن تطبيق نظام فعال لمحاسبة المسؤولية، ارى ان يوفر النظام

---

[94]على عبد الرحمن(الموازنات التخطيطية) مكتبة الفجالة، مصر ، القاهرة 1969 ، ص. 20-25

مجموعة من الادوات والمقومات لتحقيق هذا النظام وجعله فعالا. ومن اهم هذه الادوات[95]، هي:-

1- نظام للتكاليف المحددة مقدما ، ليكون مقياسا تقاس عليه الاحداث الفعلية
2- نظام للتقارير لتحقيق الاتصال بين مختلف المستويات الادارية
3- تنظيم اداري وخرائط تنظيمية واضحة تحدد المسؤوليات والسلطات
4- دليل لمراكز المسؤولية بجانب الخرائط التنظيمية
5- نظام مدروس للحوافز يثاب (يكافاء) الكفوء ويعاقب المقصر

وتحتاج كل واحدة من هذه الادوات والمقومات الى مزيد من البحث والدراسة، حتى تضمن وجود نظام كفوء لمحاسبة المسؤولية. وان هذا الاسلوب من العرض يتماشى مع مبدأ تقسيم النظام الكبير الى انظمة فرعية او جزئية، بحيث يعتني بكل جزء، ثم يتم تجميع هذه الانظمة اوالاجزاء بما يضمن تحقيق اعلى كفاءة وفاعلية. وارى ايضا ضرورة الاهتمام بتصميم نظام مستندي خاص بخطوط المسؤولية، وذلك حتى توجه التقارير في الوقت المناسب وبالشكل المطلوب الى المسؤول عن عنصر انفاق الكلفة . وفي هذا المجال يستوجب ضرورة تقسيم عناصر التكاليف الى ما يمكن التحكم فيه (خاضع للرقابة) وما لا يمكن التحكم فيه ( غير خاضع للرقابة) عند مستوى اداري معين. وحتى تكون الرقابة فعالة وموضوعية ، ارى ضرورة تحقيق الرقابة على الانفاق عند المنبع، اي مع حدوث الانفاق(الصرف)، وليس الانتظار وحتى مرور مدة معينة ، ثم تقسم التكاليف حسب مستويات المسؤولية والتحكم. وهذا يقتضي التمييز بين ما يمكن التحكم فيه وما لايمكن التحكم فيه من عناصر التكاليف عند المنبع ، اي وقت الانفاق.
ويمكن الاستفادة من الوسائل الالكترونية الحديثة في اعداد هذه التقارير الفورية، وتوجيه كل منها في قناة الاتصال المناسب، اي الى المستوى الاداري المناسب. واذا احسن تصميم انظمة التقارير، وحدد في خطوط تسييرها بوضوح، فسوف يؤدي هذا الى تكامل عملية الرقابة وتكامل في المعلومات ايضا.

رابعا:- الرقابة على التكلفة الادارية والتمويلية، غالبا ما توجه الادارة اهتمامها للرقابة على تكلفة الانتاج وتكلفة التسويق، وتجهل أو تغفل الاهتمام

---

[95] Horngren Ch.T Cost Accounting A Managerial Emphasis,4th Edition, Prentice/Hall International ,Inc., London 1977, ss.230-240

المطلوب بتكلفة النشاط الاداري، باعتبار ان هذه التكلفة تعبر عن نشاط الادارة ذاتها، التي تقوم بعملية الرقابة. فعليه ارى ضرورة توجيه المزيد من الرقابة الى عناصر بنود التكلفة الادارية، والتي حددها النظام عند توزيع عناصرالاستخدامات على مركز/8 (الخدمات الادارية والتمويلية) ، ولا سيما ان هذه التكاليف في تزايد يوما بعد يوم في الوحدات الاقتصادية. وممكن ان تحصر هذه التكاليف سنويا، تمهيدا لتوزيعها على المراكز الانتاجية على اساس التكاليف المباشرة لكل مركز تكلفة. اواعتبارها بشكل مباشر عبئا على حساب الارباح والخسائر للوحدة الاقتصادية. والاخيرة هي نظرة قاصرة لهذا البند الهام من التكلفة، وما يترتب عليه من حساب غير واقعي لاسعار المنتوجات. حيث ان الاساس المنطقي للتسعير، هو تخصيص وتوزيع جميع بنود التكاليف على وحدة المنتج النهائي، للوصول الى التكلفة الحقيقية، ومن ثم اظهار صافي حساب نتيجة التشغيل من ربح او خسارة على حقيقته ايضا.
ومن الضروري ايضا الفصل بين التكاليف الادارية والتمويلية. من ناحية يجب ان تخضع التكلفة الادارية للرقابة عند المنبع من قبل الجهات الاشرافية والرقابية على الوحدة الاقتصادية ، ولتكن المؤسسة او القطاع. كما انه من جانب اخر، يجب ان يتم تحليل التكلفة التمويلية ( الفوائد على القروض والسندات وللبنوك)الى بنودها المختلفة، وذلك لامكان الرقابة على انواع القروض. ان تكلفة التمويلية تنتج من بعض العناصر المذكورة في الخصوم اي التي تحمل رقم /2 في الدليل المحاسبي للنظام، ولا تعتبر من الناحية النظرية من عناصر التكلفة. ولذلك ارى من اللازم بتوجيه مزيد من الاهتمام الى تحليل العلاقة بين هذه العناصر في الخصوم او الالتزامات، وتحميلها تحت رقم / صفر(تكاليف الانشطة الاخرى/الاستثمارية والمالية)،المقترح في الفقرة الثانية المذكورة انفا، تحت عنوان في مجال قياس التكلفة ، وما يظهر بنتيجة لها في هذا المركز، بدلا من مركز/8، واعتبارها بشكل مباشر عبئا على حساب الارباح والخسائر للوحدة الاقتصادية، حتى يمكن ترشيد سياسات الاقتراض والرقابة عليها، واقترح بان تكون مناسبا لسداد هذه القروض او تجديدها او ابرام عقد قروض جديدة...الخ.

خامسا:- اقترح اضافة مركز مراقبة تكاليف الشراء تحت رقم/9 الى مراكزالتكاليف الواردة في النظام، وذلك بهدف الرقابة على هذه التكاليف من المنبع، وتوزيعها على قيمة المواد والبضائع والاموال التي تشتريها الوحدة الاقتصادية ، وذلك للوصول الى التكلفة الحقيقية . وما دام موجودا في النظام مركز تحت رقم/7 بعنوان الخدمات التسويقية ، اذن لماذا لم يكن هناك مركز لمراقبة تكاليف الشراء؟!. ان هذه الاضافة تؤدي الى تغير في طبيعة الدليل

المحاسبي للنظام، وتحويله من دليل غير صفري الى دليل صفري. وبرأيي ان هذا لا يؤثر على جوهر الموضوع، بقدر ما يؤثر على عملية استخدام النظام المذكور في البرمجة الالكترونية.

سادسا:- ضرورة الاهتمام بالرقابة على مستوى الجودة للمنتوجات بالاضافة الى الرقابة على مستوى التكلفة، وذلك للتاكد من بلوغ الجودة المطلوبة عند المستوى المطلوب اوالمناسب من التكلفة. وهذا النوع من الرقابة تضمن الاجهزة التخطيطية، بان مستوى التكلفة الذي يحدث، يتحقق معه مستوى مناسب ومقبول من جودة الانتاج. حيث قد يكون تخفيض التكلفة على حساب الجودة، او ان التكلفة تكون عند نفس المستوى ، ولكن مستوى الجودة قد انخفض عما كان عليه من قبل[96]

ويتم الرقابة على مستوى الجودة عن طريق تطبيق ما يسمى بمحاسبة تكاليف النوعية. وذلك من خلال تخطيط التكاليف اللازمة لعملية الرقابة النوعية في مراحلها المختلفة ، اي( مرحلة شراء المواد والخامات والبضائع، مرحلة الانتاج، وكذلك مرحلة تسويق وتوزيع الانتاج)، ومتابعتها بما يحدث من التكاليف الفعلية ، بحيث تستطيع الوحدة الصناعية تضمين مستوى جيد للجودة في كل مرحلة من هذه المراحل.

3- في مجال اتخاذ القرارات:-

أشار النظام المحاسبي الموحد بالنص الى مجموعة من التقارير، التي تقوم الوحدة الاقتصادية باعدادها وتقديمها الى الجهات الاشرافية والرقابية المختلفة. وغالبا ما يتم اعداد هذه التقارير بشكل يرضي ادارة الوحدة الاقتصادية من ناحية ، ويرضي الجهات الاشرافية من ناحية اخرى. وينشا هذا من عدم وجود قواعد او اطار يحكم اعداد هذه التقارير، وخاصة في كيفية تصنيف التقارير في مجال محاسبة التكاليف، وعدم تصنيف الاغراض والقرارات التي تنتج او تهدف من اجلها هذه التقارير. ان تلك التقارير الاساسية التي ينتجها النظام المحاسبي الموحد، يلاحظ عليها في التطبيق العملي قلة فوائدها لاغراض الادارة الفعالة في الوحدات الاقتصادية

---

[96]حمد السيد الجزار"محاسبة التكاليف قياس ورقابة اتخاذ القرارات،مكتبة عين شمس،القاهرة 1975 ص. 210-220

الصناعية، لكونها تحتوي على معلومات تاريخية متاخرة. اعتماد مبدأ التكاليف التاريخية(تكلفة الشراء او تكلفة الاقتناء) ، والمعروف بان هذا المبدأ يقر بتسجيل مكونات الميزانية على اساس تكلفة الاقتناء او الانتاج، مع افتراض ثبات قوة الشراء لوحدة النقد المستخدم في القياس المحاسبي. فعليه ان هذا المبدأ ، لا يعطي صورة حقيقية على حالة الوحدة الاقتصادية، وبالتالي تكون عملية اتخاذ القرارات غير عقلانية، لاعتمادها على الاسعار التاريخية، فالعديد من عناصر القوائم المالية ينبغي اعادة تقيمها بطريقة تتماشى مع الاقتصاد التضخمي، الذي لا يزال عاليا جدا في العراق.

لذا نقترح في إطار بحثنا هذا أن يجري تحديث النظام المحاسبي الموحد ليكون نظاما متكاملا للمحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف ومحاسبة المسؤولية، ويجب ان ينتج انواعا جديدة مضافة من المعلومات والتقارير ، تفيد في مختلف القرارات.

ويمكن تصنيف المعلومات التي يعد النظام لانتاجها، الى مايلي[97].

1- معلومات تفيد في اتخاذ القرارات الداخلية، اي على مستوى الوحدة الاقتصادية. وهذه البيانات يجب ان ينتجها النظام بصفة دورية وفورية، لتسهيل عملية اتخاذ القرارات اللازمة على مستوى الوحدة الاقتصادية.

2- معلومات تفيد في اتخاذ القرارات على مستوى القطاع اي ما يسمى بالمعلومات الخارجية. وهذه يمكن ان ينتجها النظام ، ويقدمها في تقارير الى الجهات الاشرافية للتنسيق بين مختلف الوحدات الاقتصادية التي يشرف عليها القطاع، ومعرفة اي الوحدات الاقتصادية يمكن ان يعطي عائدا اعلى للاستثمار. ويجب ان تعد هذه المعلومات والتقارير طبقا لقواعد واسس موحدة ينص عليها في اطار النظام، حتى تكون المؤشرات ذات معنى، وحتى يمكن اجراء المقارنة بين مختلف الوحدات الاقتصادية، ويسهل الامر على قياس ادائها.

---

[97] قارن: تشارلزت. هورنجرن،محاسبة التكاليف، مدخل اداري، الجزء الاول، دار المريخ للنشر والانتاج الفني، الرياض 1986 ص. 25-26

3- معلومات على المستوى القومي. وتزداد اهمية هذه المعلومات في ظل الاقتصاد الموجه او المخطط. ويمكن ان ينتجها النظام المحاسبي داخل الوحدة الاقتصادية ويرفعها الى القطاع المشرف عليها، ثم يقوم القطاع بدوره ، برفع هذه المعلومات عن مختلف الوحدات التابعة له، في محاولة للتنسيق بين مختلف القطاعات على المستوى القومي، حتى يمكن ترشيد السياسات العامة الاجتماعية المتعلقة بتخطيط الانتاج، والانفاق القومي، والسياسات الضريبية، وتسعير المنتوجات المختلفة لاغراض المحلي والتصدير، ودراسة عناصر الانتاج والطاقة الانتاجية،وسياسات التمويل، والقروض والاستثمارات سواء الداخلية او الخارجية.عملية احتساب الدخل القومي،والناتج القومي الاجمالي والصافي،واعداد جداول التشابك الصناعي، كما أنها تعبر عن وضوح الايدولوجية الاقتصادية – الاجتماعية للمجتمع، وغير ذلك.(input-output )

واقترح لتحقيق هذه الاهداف ما يلي:-

1- ضرورة وضع دليل لمراكز اتخاذ القرارات، وتصنيف هذه القرارات حسب اهميتها، وحسب المستوى الاداري التابع له. ويسهل هذه الخطوة على تحديد المسؤولية، حيث غالبا ما يكون مركز المسؤولية، هي نفسها مركزا لاتخاذ قرارات معينة.

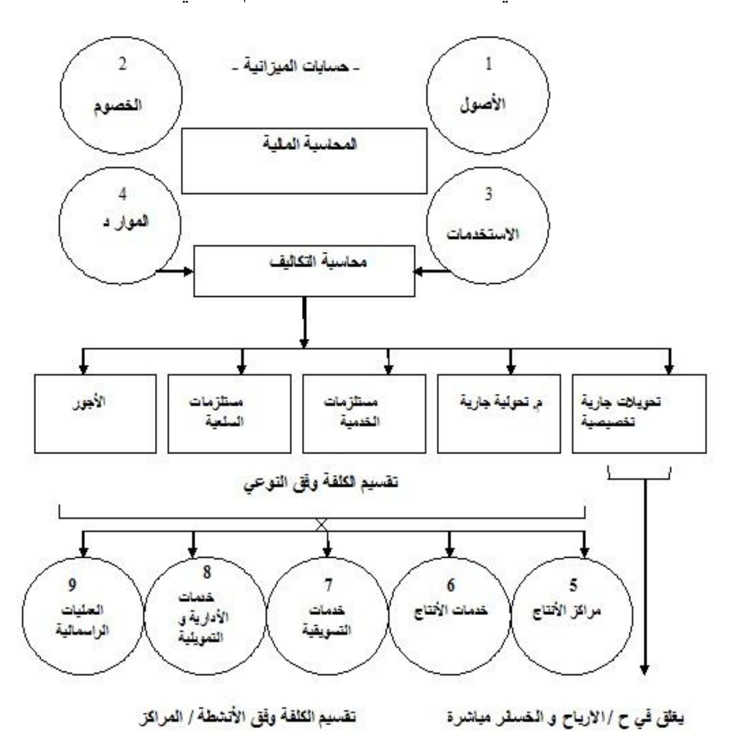
2- وضع اطار لطريقة اعداد المعلومات والبيانات المحاسبية اللازمة لا تخاذ القرارات ، والاسس التي يمكن الاستناد اليها عند اعدادها، وعرضها باشكال مختلفة( الجداول، والرسوم البيانية) للجهات المعنية، حتى لا تخضع في جانب كبير منها للتقدير والاجتهاد.ويمكن في هذا المجال الاستفادة من التحليل المالي ،والنسب المالية والمؤشرات الاقتصادية والمقارنات، والاستفادة من مفاهيم التكلفة المختلفة ، مثل، الفرص الضائعة، وتكلفة البدائل، والتكاليف التفاضلية ،والتكلفة المتغيرة... الخ .

3- ان عملية اعداد القوائم المالية تتطلب الشفافية،حتى تكون التقارير المالية قابلة للفهم، كذلك ينبغي ان يؤخذ بنظر الاعتبار الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية عند اعداد القوائم المالية والتكاليف.

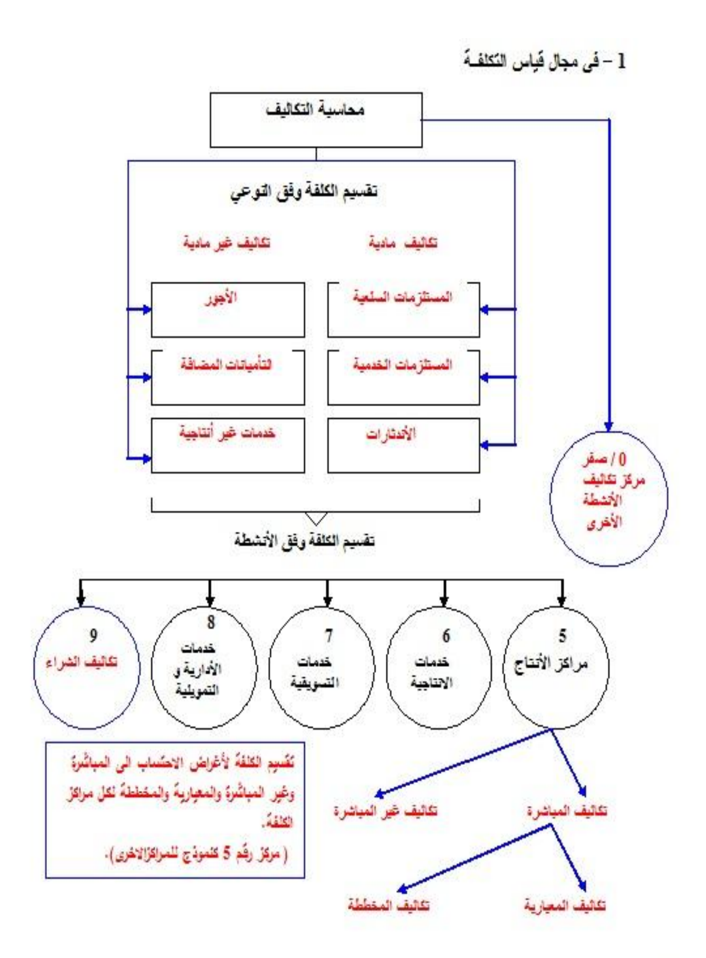
وفي ادناه الرسوم التخطيطية بالنظام المحاسبي الموحد الحالي ، والاضافات المقترحة كنموذج ( موديل) من قبلي، والمؤشرة باللونين الازرق والاحمر،

في ضوء ما جاء في البحث من معالجات وإشارات ، لتكون بمثابة جزء متمم وتوضيحي للبحث.

1- في مجال قياس التكلفة – النظام الحالي

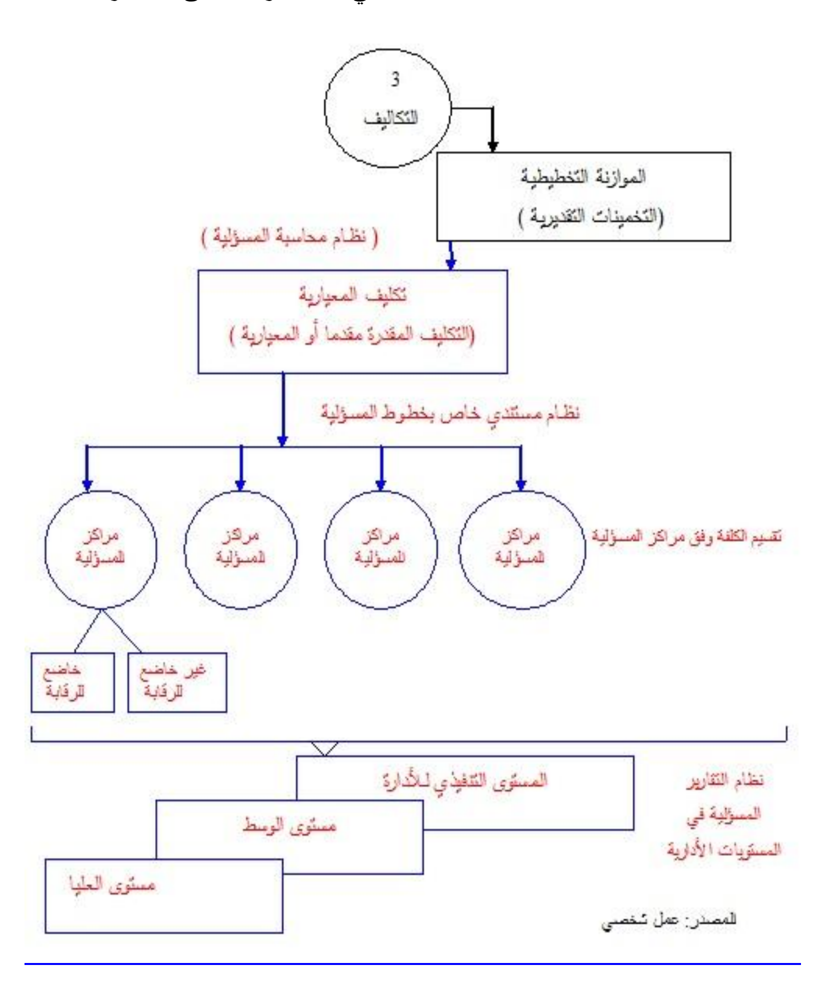


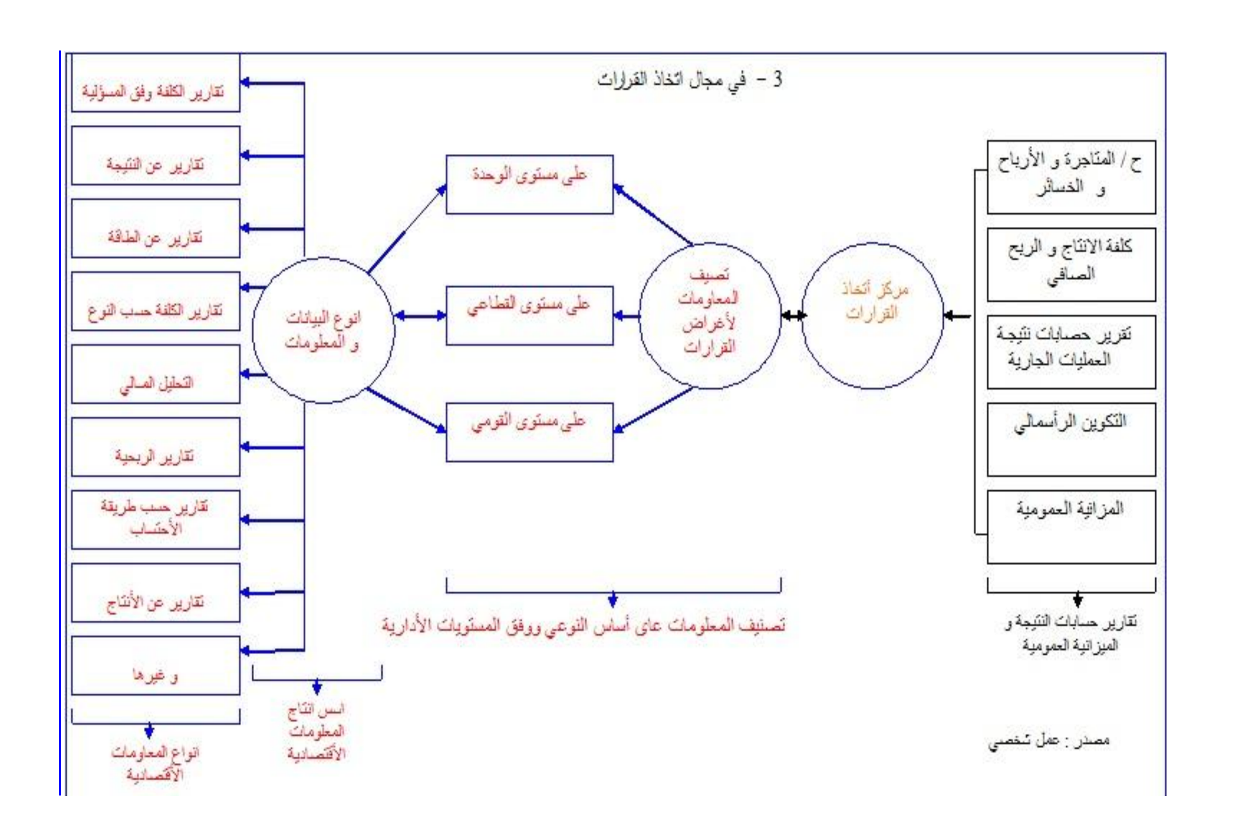

المصدر: عمل شخصي




المصدر: عمل شخصي

2 – في مجال الرقابة على عناصر التكلفة




3 – في مجال اتخاذ القرارات
ح / المتاجرة و الأرباح و الخسائر
كلفة الانتاج و الربح الصافي
تقرير حصابات نتيجة العمليات الجارية
التكوين الرأسمالي
المزانية العمومية
تقارير حسابات النتيجة و الميزانية العمومية
مركز أتخاذ القرارات
تصيف المعلومات لأغراض القرارات
على مستوى الوحدة
على مستوى القطاعي
على مستوى القومي
تصنيف المعلومات على أساس النوعي ووفق المستويات الأدارية
انوع البيانات و المعلومات
تقارير الكلفة وفق المسؤلية
تقارير عن النتيجة
تقارير عن الطاقة
تقارير الكلفة حسب النوع
التحليل المالي
تقارير الربحية
تقارير حسب طريقة الأحتساب
تقارير عن الأنتاج
و غيرها
انواع المعلومات الأقتصادية
اسس انتاج المعلومات الأقتصادية
مصدر : عمل شخصي

## الخلاصة والاستنتاجات

حدثت تغيرات عميقة وجذرية في السياسة العراقية الاقتصادية، خلال العقود الثلاثة المنصرمة.وذلك بسبب الحروب، وفرض الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي لمدة 13 سنة، و سقوط النظام السابق واحتلال العراق بعد2003، ولحد الان. واليوم تتوجه سياسة العراق الاقتصادية نحوالانفتاح وتطبيق مبأ اقتصاد السوق_الحر.الانتقال من الاقتصاد الموجه اوالمخطط ، الذي كان للقطاع الحكومي دور مميز في تسييره، حتى نهاية السبعينيات من القرن الماضي، الى خصخصة المؤسسات الاقتصادية، وتفعيل دور القطاع الخاص في الاقتصاد.

وقد انعكست هذه الحالة على اداء وظيفة النظام المحاسبي الموحد. واصبح هناك حاجة ضرورية الى التفكير في ايجاد ادوات فعالة اخرى للنظام، بحيث تتلائم وتستجيب لحالة اقتصاد جديد للمحاسبة.

فان تحديث محاسبة التكاليف في اطار هذا النظام، اصبح حاجة ضرورية لتلبية هذه التغيرات، وسيساهم ايضا في عملية تطوير وتحديث النظام المحاسبي الموحد في العراق، بعد اجراء الاصلاحات اللازمة والضرورية عليه، ليتواكب ويتكيف مع البيئة الجديدة ، ومعايير المحاسبة الدولية.

يرتكز المنهج الوظيفي في بيان الاسس العلمية التي يقوم عليه نمودجنا (موديل ) المقترح لنظام التكاليف، على مجموعة من الطرق والمبادئ والاجراءات، لغرض التطوير والتوحيد في مفاهيم الحديثة لقياس التكلفة، الرقابة على عناصرها، وبناء قاعدة لانتاج البيانات والمعلومات اللازمة، في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية.

ويستند النموذج ( الموديل) الى الفروض التالية:-

1- اعتماد تصنيف عناصر التكاليف الى اكثر من تبويب . اي على الأساس النوعي، محل انشائها(مراكز الكلفة)، على الأساس الوظيفي، وفق طريقة الاحتساب، اي اوجه التكلفة(المباشرة وغير المباشرة)، على وفق سلوك التكلفة تجاه التقلبات في مستوى النشاط ( الثابتة والمتغيرة والمختلطة)، وعلى وفق فترة التكلفة(التاريخية، والمحددة مقدما).

2- انتقال من تطبيق نظام محاسبة التكاليف الفعلية المعمول به حاليا الى نظام التكاليف المحددة مقدما، بالاستناد الى معاير علمية بجانبها المادي والمالي في تقدير الكلفة. والاهتمام بتطبيق نظام محاسبة المسؤولية ، وذلك بهدف ايجاد

ادوات الرقابة الفعالة على عناصر التكاليف من ناحية ، وهي ادوات اقتصادية من ناحية اخرى، والمقبولة من طرفي الادارة والمنفذين من ناحية ثالثة.

3- ان النظام المحاسبي الموحد بعد تحديثه ، ليكون نظاما متكاملا للمحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف والمحاسبة المسؤولية، يجب ان ينتج انواعا من المعلومات والتقارير، تفيد في مختلف القرارات والمستويات الادارية، وذلك من خلال وضع دليل لمراكز اتخاذ القرارات، ومن ثم تحديد مراكز المسؤولية. وضع اطار لطريقة اعداد المعلومات والبيانات المحاسبية، والاسس التي يجب الاستناد اليها عند اعدادها وعرضها باشكال مختلفة، وبشفافية تامة،وذلك لتحقيق مستوى من جودة المعلومات اللازمة في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية.

4- ان الاجراءات المطروحة مجتمعا في النموذج( الموديل) المقترح ، ستحقق بالتاكيد اهداف متعددة، منها: تصميم نظام موحد للتكاليف على اسس العلمية، بناء قاعدة المعلومات والبيانات التكاليف،اللازمة لعملية اتخاذ القرارات الاقتصادية ، تخفيض التكاليف، رفع من الكفاءة الانتاجية،العناية بالجودة والنوعية، تقيم كفاءة الادارية، تلبي احتياجات المستثمرين والممولين، تاهيل القوى البشرية المهنية والمدربة في مجال محاسبة التكاليف، وتحفزعلى مبداء التنسيق والتوافق والتوحيد مع معاير المحاسبة الدولية في هذا المجال.

## Summary and conclusion

During the past three decades, changes have been profound and radical in the Iraqi economic policy. Due to war and the imposition of economic sanctions on the Iraqi people for 13 years, and the fall of the former regime and the occupation since 2003 Iraq need a massive reformations of its accounting system.

Today, Iraq's economic policy is oriented towards openness and market economy. The country has witnessed

a transition from planned economy to marked economy which has its pros and cons. Until the end of the seventies the public sector played a distinctive role in the management of the national economy, but with the course of time privatization of the public sector activated the role of the private sector in the economy.

This situation has affected the performance and function of the uniform accounting system in Iraq. It became urgent to think about finding other effective tools and implement them to the accounting system, so it fits and responds to the new structure of the national economy. It is essential to meet these changes, and implement the necessary reforms by development and modernization of a uniform accounting system in Iraq, that meets the standards of international accounting.
Based on the research, the following key points are the fundamental issues that should be investigated in order to raise the efficiency level of the Iraqi accounting system.

The model is based to the following hypotheses:

1- Adoption of the classification of cost elements based on, quality, place of origin (cost centre), types of function, calculation methods of cost (direct and indirect), behaviour and size of the activities and the their costs (fixed and variable, and mixed) and cost period (historical, specific in advance).

2 - The transition from the application of the actual cost accounting system, currently active in Iraq, into a system that specifies the costs in advance, based on scientific criteria beside the physical and financial cost estimates. Furthermore more attention towards the application of

responsibility accounting system and its tools, in order to achieve effective control over the cost components, benefit from the economic instruments, and achieve acceptance by the parties in the administration and the implementation process.

3 - The uniform accounting system should be an integrated system of the financial accounting, cost accounting and accounting responsibility. This system should be able to produce various kinds of information and reports, useful in various resolutions and administrative levels. These reports and information should also contribute to the development of guidelines to decision-making situations on all levels, such as foreign investments and local financier.
Furthermore it is essential to develop a framework for a model of the preparation of the information and accounting data, which should appear fully transparent, and be able to reach a level of quality that would contribute in the process of economic decision-making.

4 - The measures proposed of the model, will facilitate the process of, multiple objectives including:
Design a uniform system of costs on the basis of scientific studies, build a base of information and data which are necessary for the process of economic decision-making, reduce costs, raise production efficiency, pay attention to the quality level, evaluate the administrative efficiency, meet the needs of investors and financiers and furthermore the rehabilitation of the human resources department in the area of cost accounting, so it meets the level of the International Accounting Standards.

## مصادر البحث


باللغة العربية:

1- حازم احمد ياسين" نظام التكاليف في المشروعات الصناعية"، دار النهضة العربية ، القاهرة 1980 .

2- عبد الحي مرعي " محاسبة التكاليف لاغراض التخطيط والرقابة" ،دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية 1980 .

3- على محروس شادي" النظام المحاسبي الموحد" ، مكتبة غريب ، القاهرة 1979 .

4- على عبد الرحمن " الموازنات التخطيطية" ، مكتبة الفجالة ، القاهرة 1969 .

5- عبد الباسط احمد رضوان" المحاسبة في منشات القطاع الاشتراكي" ( النظام المحاسبي الموحد) ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل 1977 .

6- محمد احمد خليل وعمر حسنين" محاسبة التكاليف الصناعية" ، مؤسسة شباب الجامعية، الاسكندرية 1978 .

7- محمد كمال عطية" نظام محاسبة التكاليف" ، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية 1976 .

8- محمد محمد السيد الجزار " محاسبة التكاليف قياس ورقابة اتخاذ القرارات" ، مكتبة عين شمس ، القاهرة 1975 .

9- محمد توفيق بليع " محاسبة التكاليف " مطبعة الشباب ، القاهرة 1985 .

10- صباح قدوري " تحديث محاسبة التكاليف في القطاع الحكومي- العراق" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة لودز، بولندا 1985 ( باللغة البولندية).

11- تشارلز. هونجرك " محاسبة التكاليف مدخل اداري " الجزء الاول ، دار المريخ للنشر والانتاج الفني ، الرياض 1986 .

باللغة الاجنبية

1- Bigg.W.W "Cost Accounts" Mac Donald & Evans, ltd , Great Britain 1972.
2- Horngren Ch.T " Cost Accounting A Managerial Emphasis 4th Edition, Prentice/Hall International, Inc; London 1975.
3- L.W.J Owler & J.L .Brown,Wheldons " Cost Accounting and Costing Methods" 30th Edition , Macdonald & Evans Limited

# الفنون

الشفويات و المسرح أو تقاطع الانثروبولوجي والمسرحي

الديكور المسرحي بين الفكر والتقنية

# الشفويات و المسرح أو تقاطع الانثروبولوجي والمسرحي

**فاطمة ديلمي**
باحثة في المركز الوطني للبحوث
في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ  الجزائر

**تمهيد**

إنّه من أبرز الظواهر التي ميزت الثقافة العالمية منذ نهاية  القرن التاسع عشر و خلال القرن العشرين خصوصا، هي ظاهرة تقاطع الانثروبولوجي والمسرحي و هي ظاهرة تجلت من خلال التفكير في الأصول و السعي للعودة إليها عبر  كثير من نشاطات الإنسان لا سيما الفنية و الإبداعية منها ، و من خلال المسرح  بشكل خاص.  و قد انطلقت الرحلة التي قادت إلى هذا التقاطع في بداية القرن العشرين حينما فرض المسرح الآسيوي على الغربيين التفكير ثم إعادة النظر في ماهية المسرح ، ثمّ تنامت إلى أن أثمرت مدرسة عالمية للأنثروبولوجية المسرحية لاتزال قائمة .  و في هذه الدراسة سنحاول أن نفهم بواعث هذه الظاهرة  و تجلياتها و آثارها.

**الخلفيات الفكرية أو فشل المشروع الحداثي الغربي:**

ظهر في أوربا نوع من الفكر المأزوم منذ القرن التاسع عشر، الذي بدأ يشهد فشل المشروع الحداثي في بلوغ غاياته و في تخليص الإنسان من آلامه ، وقد ازدادت حدة هذا التأزم  خلال القرن العشرين بظهور فكر مناهض لذاته و رافض للعقلانية التي كفرت بالمشروع الإنساني ، سمي هذا

الاتجاه أحيانا بفكر ما بعد الحداثة[98] Postmodernité و الذي تبلور في فكر مناهض أعاد النظر في الثقافة المسرحية الغربية مستلهما الثقافات الشفوية و لم يكن هذا التقاطع بين الوعي الأنثروبولوجي و المسرحي إلا استجابة لذلك التفكير الفلسفي الأعمق الذي أعاد النظر في العديد من الأسس التي قام عليها الفكر و الحضارة الغربيان ـ اللذان مثلما اغتالا الحياة بصنع آليات الدمار اغتالا المسرح بتوفير تقنيات الإيهام و التخدير و إخفاء التناقضات ـ و على رأس هذه الأسس فكرة " المركزية الغربية " ، فظهر مثلما ذكرنا فكر مضاد لذاته و مضاد لهذه المركزية، صار ينظر إلى ثقافة الآخر و الثقافة الشرقية على الخصوص كملجأ للخلاص من أزمة الفكر تلك، على النحو الذي عبّر عنه أونتونان أرطو حينما قال " إنّ الثقافة الأوربية قد أفلست في نظري ، و أعتقد أن أوربا بتطور آلاتها اللانهائي قد خانت الثقافة الحقيقية و بدوري أريد أن أخون المفهوم الأوربي للتقدم"[99] خاصة ذلك المفهوم الهيغلي الذي يجعل التقدم و الحداثة قطيعة متجددة و مستمرة مع الماضي.

و هكذا ظهرت في الفكر الغربي فكرة " العودة إلى الأصول " في كثير من الميادين ومنها المسرح إذ ظهر مسرح الأصول ، ليبرز سعي الغرب المأزوم للبحث عن ماض مفقود .

**البحث عن البديل**

[98]ـ ثمة من دعاه حداثة ثانية "seconde modernité "، كما أنّ هناك من اعتبره امتدادا لفكر الحداثة نفسه بناء على المفهوم الذي يرى أن الحداثة هي قطيعة مستمرة و متجددة مع الماضي.

[99] - Artaud Antonin. Messages révolutionnaires. Ed Gallimard Paris 1971 .p68

لقد ظهرت بوادر الوعي الأنثروبولوجي في الثقافة الغربية منذ القرن السادس عشر، و هو وعي ترجمه نشاط الرحالة إلا أن هؤلاء مثلما يؤكد ادوارد سعيد " لم يكونوا يبحثون عن حقيقة علمية ، بقدر ما كانوا يبحثون عن حقيقة غريبة مدهشة لكنها رغم ذلك ذات جاذبية خاصّة . و يصدق هذا بوضوح على الحجاج المتأدّبين ، بدءا بـ شاتوبريون ، الذين وجدوا في الشرق مكانا يتعاطف مع أساطيرهم و هوسهم و متطلباتهم الفردية الخاصة . و هكنا نلحظ كيف أنّ جميع الحجاج ، و خصوصا الفرنسيين ، يستغلّون الشّرق في أعمالهم من أجل أن يبرّروا ، بطريقة ملحّة مساربهم الوجوديّة "[100]

ثم تطورت علاقة الغرب بالشرق، و ظهر وعي جديد للشرق نتيجة لعوامل عدة منها:

*الشعور بإفلاس الفكر الحداثي الغربي

*الاكتشافات الحديثة في مجال التنقيب عن الآثار القديمة ، و التوصل إلى ترجمة النقوش و الألواح القديمة

*ظهور الباحث الانثبولوجي الجديد صاحب النظرة الموضوعية

هذا الوعي أدى إلى ظهور الحاجة إلى الدراسة الموضوعية، و من هنا بدأت عملية إعادة النظر في التراث الفكري و الأنثروبولوجي الذي قسم المجتمعات إلى بدائية متوحشة و متخلفة و مجتمع متطور و متمدن لأن هذا التقسيم هو الذي جعل الحداثة الغربية " تعني محق الاختلافات و...توحيد نمط العيش بحسب أنموذج الحياة الغربية ، وتعني كذلك إقحام الحضارات

---

[100] – سعيد ادوارد الاستشراق .ترجمة كمال أبو ديب . مؤسسة الأبحاث العربية . ط5 2001 . ص 175

المختلفة إقحاما باسم التنمية، في اتجاه واحد و هو اتجاه الحضارة الصناعية"[101]

فقد أثارت الأنثروبولوجيا الانتباه إلى :

*ضرورة الإقرار بالحق في الاختلاف و تثمين التعدد الثقافي و الجمالي .

*و وجود معايير أخرى للتطور ، غير المعايير المادية .

ما جعل الغرب يكتشف مجتمعات تملك نظرة مختلفة للإنسان ، و الزمن ، و التقدم ، و يفتح أعينه على حياة مختلفة يسيّرها الفكر الأسطوري والممارسة الطقوسية ، و هذا الانفتاح [102] أو " فهم ذلك السلوك غير المألوف إنما يضاهي الاعتراف به كسلوك يعبر عن أفعال إنسانية و يدل على ظواهر ثقافية و على إبداع من إبداعات العقل" [103] و هكذا وجد الأنثروبولوجي الغربي المعاصر نفسه أثناء لقائه بثقافة الآخر يبحث عن أجوبة لأزمة ثقافته مؤمنا أنّ "استعادة الزمان الأول ... وحده يستطيع تأمين التجديد الشامل للكون و تجديد الحياة و المجتمع"[104]

**تقاطع الانثروبولوجي و الفني**

تضافر عاملان اثنان مباشران و دفعا الإنسان الغربي باتجاه الاهتمام بالأصول بدراستها و الانتقاء منها و استلهامها في الفن:

---

[101] - التريكي رشيدة و التريكي فتحي . فلسفة الحداثة .مركز الإنماء القومي .بيروت 1992 ص13

[102] -Monique Borie .Antonin Artaud .Le théâtre et le retour aux sources .P14

[103]- ميريسا الياد .ملامح من الأسطورة.ترجمة حسيب كاسوحة .منشورات وزارة الثقافة .دمشق . 1995ص8

[104]- م ن ص 51

* الإخفاقات التي عاشها العالم و التي دلت على وجود أزمة عميقة في إفلاس مشروع الحداثة الذي كان متوقعا منه أن يجسد مبادئ العقلانية و حقوق الإنسان و التنوير و التقدم بشكل شمولي ، و الذي أدى بدلا من ذلك إلى انهيار هذه القيم ، و هو انهيار تجسد في : الحركات الكولونيالية و الاستعمارية الإمبريالية و السباقات نحو التسلح و الأنظمة الديكتاتورية، و الحروب العالمية...و التي ترتب عنها خوف من الدمار كشف عنه إلياد قائلا "نجد في زماننا الخوف الذي يهدد الإنسان بصورة متزايدة من انتهاء العالم بكارثة تسببها الأسلحة الحرارية النووية حسب شعور الغربيين ستكون تلك النهاية جذرية و حاسمة و لن يعقبها عالم جديد"[105] فكانت العودة إلى الأصول هي بحث عن ولادة أخرى لا مكان فيها للخراب و الدمار أو بتعبير آخر فإنّ "العودة إلى الأصل ...تسمح للإنسان بأن يحيا من جديد الزمان الذي تجلت فيه الأشياء و ظهرت للمرة الأولى على مسرح الوجود"[106]

* كما أنه في القرن العشرين أخذت الدراسة العلمية "للأصول" منحى آخر مغايرا بفضل نظريات التحليل النفسي ـ خاصة نظريات فرويد ـ التي خلصت إلى أن زمن الأصل أو زمن البداية هو زمن السعادة،إذ كما يذكر إلياد أنه "من الأمور ذات الدلالة أن يأتي انهيار اللغات الفنية مطابقا لانطلاقة التحليل النفسي و من الملاحظ أنّ علم نفس الأعماق زاد من الاهتمام بالأصول"[107]

و هكذا راح الفنانون يحاولون استعادة هذا الزمن الأول و هذه السعادة الضائعة و كان "الفنانون هم الأوائل من بين الناس الحديثين الذين

---

[105]- م ن ص 90
[106]- م ن ص48
[107]- م ن ص 91

أكبوا فعلا على هدم عالمهم بغية إعادة خلق عالم فني يتاح فيه للإنسان في الآن ذاته الوجودُ و التأمل و الاسترسال في الأحلام " [108]

**الانثربولوجي و المسرحي:**

و هكذا تأثر المسرح بهذا الجو الفكري و الفني العام و أصبح مهووسا هو الآخر بهذه الثقافة المفقودة، ثقافة الأسطوري و المقدس محاولا إيجاد حلول لأزمته و لأزمة الثقافة عموما حيث صار الاهتمام ودراسة الثقافات الشفوية و استلهامها مسرحيا يعني" العودة إلى الأصول " و لم يكن هذا التوجه اهتماما فرديا بل كان هاجسا مشتركا بين العديد من الاتجاهات المسرحية الغربية و لا سيما خلال القرن العشرين فـ "منذ بداية هذا العصر عرفت و على حد سواء كل من الفنون التشكيلية و الأدب و الموسيقى تغييرا جذريا إلى أبعد الحدود حتى بات بالإمكان الحديث عن انهيار اللغة الفنية و لقد بدأ هذا الانهيار في الرسم ثم امتد إلى الشعر فالرواية و أخيرا مس المسرح مع أونيسكو"[109] .

و هكذا اتجه بحث الغرب عن الأصول في مجال المسرح في اتجاه أساسي و هو اتجاه الأصول غير الغربية بالرجوع إلى ثقافة الآخر و ثقافات الشرق على الخصوص، فأبرز التجارب المسرحية الكبرى لسنوات الخمسينيات و الستينيات[110] و ما بعدها نظر أصحابها صوب الثقافة التي مازالت قريبة من الجذور.. ثقافة الأسطورة ،فقد رحل أرطو إلى المكسيك و غروتوفسكي إلى الهند ،و بيتر بروك إلى أفريقيا ، واتجه أوجينيو باربا نحو

[108]- م ن ص 92
[109]- م ن ص 90
[110]- لمعرفة المزيد عن هذه التجارب يمكن العودة مثلا: إلى مجلة الأقلام عدد خاص بالمسرح العالمي ع 1 السنة 15 تشرين الأول 1979

الشرق و أمريكا اللاتينية ، ...و على العموم رحل المسرحيون أنفسهم إلى مختلف الأماكن التي احتفظت بهذه الثقافة المفقودة و غالبا ما كانت هذه الرحلات العلمية جماعية و متعددة الجنسيات و كان هدفها الاقتراب من الممارسات الفرجوية في هذه الثقافة و إدراك تقنياتها لاستلهامها في المسرح و كان ذلك يتم عبر المساءلة و الانتقاء أي أن هذه الرحلات كان وسيلة للنظر إلى ما خلف الحواجز الثقافية و الاختلافات الظاهرية إلى مصادر الحياة التي جعلت هذه الأشكال الثقافية تستمر ،و هكذا صارت هذه الأصول و هي حية منبعا لتجديد المخيال وتنشيط الابداع و القضاء على التقاليد المسرحية الروتينية لإيجاد مسرح بديل.

**أشكال تجسيد هذا التقاطع :**

لقد عمت ظاهرة الاهتمام بالثقافات الشفوية المسماة بدائية و استلهامها مسرحيا في الولايات المتحدة الأمريكية و في أوربا بقسميها الشرقي و الغربي ، حيث ظهرت مجموعة من المسارح و الفرق التي سعت لتجديد المسرح بقطع صلته بالمعايير السائدة و باستعادة البدائي و الأسطوري الذي ظل حيا في بعض الثقافات خاصة الشرقية ، وقد بلغ التقاطع حدا صار معه الفصل بين الثقافة المسرحية الغربية و الثقافة المسرحية الشرقية غير ممكن إذ خلال القرن العشرين سحرت هذه الثقافات الشفوية المسرحيين الغربيين لدرجة تمازجت فيها مختلف المعارف وأعطت مسرحا و معرفة موحدين ،إذ ترجم ذلك التقاطع في شكل وعي معرفي و في شكل عروض فنية.

***فيما يتعلق بالوعي المعرفي**

بدأت ثمار هذا الوعي في العشريات الأولى من القرن العشرين باكتشاف الغرب للمسرح الياباني كابوكي théâtre Kabuki ، و اكتشاف آرتو للمسرح البالينى théâtre balinais ، و اكتشاف بريخت للمسرح الصيني ، و كانت الرحلة طويلة متعددة المحطات

*و كانت بداية رحلة تقاطع الانتبولوجي و المسرحي عبارة عن قضية طرحت للنقاش حول ما إذا كانت هذه " المسارح غير الغربية " مسارح حقا ، وأثمر الجدل عددا كبيرا من الدراسات مثل دراسة آرتو "المسرح و قرينه" Le théâtre et son double الذي طبع سنة 1938 مجموعة مقالات نشرت في الثلاثينيات

*ثم تلت مرحلة أخرى استمرت خلالها هذه الدراسات المسرحية ذات البعد الانثربولوجي كان هدفها دراسة هذه المسارح الشرقية لخلق مسرح جديد

كتاب ." Vers un théâtre pauvre" "نحو مسرح فقير " لـ غروتوفسكي سنة 1965 في الدانمارك ثم في الولايات المتحدة 1968 تقديم بيتر بروك و قد طبع الكتاب في العديد من بلدان العالم و صار عند العديد من الباحثين خلال سنوات الستينيات و السبعينيات بمثابة الكتاب المدرسي وهو كتاب يبرز كيف يكون أداء جسد و صوت الممثل مركزا على التقنيات الشرقية

بالإضافة إلى كتاب " المسرح و الطقس " Le théâtre 1969" et le rite الذي طبع سنة 1969

و كتاب بيتر بروك "المكان الخالي " " espace vide"

وقد ظهرت في هذا الإطار مصطلحات مثل

المسرح الباحث théâtre chercheur

المسرح المختبر Théâtre Laboratoire

و في سنة 1976 ظهر مصطلح مسرح الأصول Théâtre des Sources

* في مرحلة تالية تعاظم الاهتمام بمسرح الأصول وتوّج سنة 1980 بتأسيس المدرسة العالمية للأنثربولوجية المسرحية[111] L'ISTA (International School of Théâtre Anthropology) بفضل أوجينو باربا Barba Eugenio

ومن أشهر المؤلفات التي تمثل هذا الاتجاه كتاب باربا"زورق من الورق.. عرض المبادئ العامة للأنثربولوجية المسرحية" Le Canoë de papier, traité d'anthropologie théâtrale"

إلى جانب قاموس الأنثربولوجيا المسرحية " L'Energie qui danse, l'art secret de l'acteur, un dictionnaire d'anthropologie théâtrale

الذي ألفه باربا برفقة سافاريز Savarese Nicola

*و في التسعينيات ظهرت مقاربات جديدة نذكر منها خاصة الاثنوسينولوجيا ethnoscénologie و هي فرع علمي تأسس رسميا بفضل ملتقى تأسيسي جرى سنة 1995 بإنشاء المركز العالمي للإثنوسينولوجيا Centre International d'Ethnoscénologie تحت

---

[111]. وهي ذلك العلم الذي يدرس سلوك الإنسان البيولوجي و الثقافي في حالة عرض

إشراف اليونيسكو، يقترح أدوات لملاحظة، و وصف و تحليل الممارسات الفرجوية في تعددها، بهدف فهم كيفية تشكلها و تمييز ماهو مرتبط بالمتلقي مما هو متعلق بالمؤدي، و هذا بعيدا عن كل فكر مسبق، أو ايديولوجيا جاهزة، كل ذلك بهدف حماية التعدد الثقافي . و تعد مجلة Internationale de l'Imaginaire أهم منابر لنشر هذه الدراسات.

*** فيما يخص الأعمال الفنية وقد قدمتها فرق مثل**

**مسرح الحوادث** الذي تأسس سنة 1952 ، و قد توجه توجها طقسيا على يد آن هالبرين القائلة " لقد عدت إلى البدايات الطقسية للفن باعتباره تجربة حادة للحياة " [112]

**مسرح البيئة** ظهر في منتصف الستينيات ، و من سماته أنه مسرح يمتزج بالطقوس ، و يرفض النماذج الغربية التي خلقت ـ حسب مارغريت ميد ـ انفصالا بين الفني و الطقوسي و بين الفن و الجمهور و خلقت مفهوم النخبة في الفن[113].

و قبلها و أكثرها شهرة **مسرح القسوة، المسرح الحي، المسرح الفقير، المسرح الملحمي، المسرح الأسود، مسرح الخبز و الدمى...**

و الأصول التي سعى إليها الغرب في أعمالهم المسرحية هي تلك الخصائص التي فقدتها المجتمعات المسماة :المتحضرة أو المتطورة ... و التي ظلت قائمة في المجتمعات المسماة : المتوحشة ، البدائية ، الأولية...والتي تحيل إلى نمط محدد للوجود الاجتماعي للعلاقات التواصلية فيه ذات شكل مميز و مختلف ، فمجتمعات الأصول شفوية أي أنها تستند إلى

---

[112]– مجلة الأقلام عدد خاص بالمسرح العالمي . ص16 .

[113]– م س ص 18.

نظام لغوي يسود فيه الصوت و هو نظام " يتفق مع الميول التجميعية ...و هو يتفق كذلك مع النظرة الكلية .كذلك يتفق مع تنظيم له صبغة إنسانية للمعرفة التي تدور حول أفعال الكائنات..."[114] و هذا ما جعل دعاة الأصول يقترحون " استعمالا للعلامات تهيمن عليه الشفوية و الجسد "[115] و هو أمر كان يعني بالنسبة إليهم نسف النص وتحطيمه وتحرير المسرح من الكلمة التي أثقلت كاهله بهدف إعادته إلى طبيعته التحررية الدائمة التجدد، و استرجاع طابعه الاحتفالي والتركيز على الحركة ولغة الجسد التي كان لها طابعا قدسيا في الثقافات البدائية التي ثمنتها الأنثربولوجيا ، كل ذلك لدمج الجمهور في خبرة جمعية وغير لفظية،و لقد أدت هذه الرؤية الجديدة للمسرح إلى تغيير نمطي إنتاجه و تلقيه ، حيث تحول المسرح إلى طقس يستند إلى ممثل مبدع و جمهور ناقد.

---

[114] – والترج أونج . الشفاهية و الكتابية.ترجمة حسن البنا عز الدين .سلسلة عالم المعرفة فبراير 1994.ص151

[115] –Monique Borie .Antonin Artaud .Le théâtre et le retour aux sources .p16

مصادر البحث

1 - التريكي رشيدة و التريكي فتحي . فلسفة الحداثة .مركز الإنماء القومي .بيروت 1992

[2]- سعيد ادوارد الاستشراق .ترجمة كمال أبو ديب . مؤسسة الأبحاث العربية . ط5 2001 .

3. مجلة الأقلام عدد خاص بالمسرح العالمي ع 1 السنة 15 تشرين الأول 1979

[4]- ميريسا الياد .ملامح من الأسطورة.ترجمة حسيب كاسوحة .منشورات وزارة الثقافة .دمشق . 1995

[5]- والترج أونج . الشفاهية و الكتابية.ترجمة حسن البنا عز الدين .سلسلة عالم المعرفة فبراير 1994.

[6] - Artaud Antonin. Messages révolutionnaires. Ed Gallimard Paris 1971

# الديكور المسرحي بين الفكر والتقنية

الباحث
**معتز عناد غزوان**
مدرس/ كلية الفنون الجميلة- جامعة بغداد
2011

يعرف المسرح بأنه الصورة الفنية المثلى التي تبين الصراع الدائم بين الإنسان والمثل العليا قاعدتهم الأساسية تغطية الواقع في صيرورته التاريخية وتناقضاته والإيهام بذلك في مختلف العناصر التي تكون العمل المسرحي في شتى مظاهره واتجاهاته[116] .أما فن التصميم الداخلي أو ما يمكن الاصطلاح عليه بفن الديكور الذي يتغير تبعا للوظيفة والحيز أو الفراغ فضلا عن المساحة والفضاء لذلك علينا أن نفهم معنى فن التصميم بشكل عام قبل الانتقال إلى مفهوم فن الديكور بوصفه احد فروع فن التصميم الذي يضم التصميم الطباعي أو تصميم المطبوعات وتصميم الأقمشة والنسيج فضلا عن التصميم الصناعي وتصميم الأدوات وغيرها فالتصميم عملية تنظيم عناصر مرئية للهيئة الفنية والتصميم يرتبط بعناصر لازمة كالخط والشكل واللون والمسافة والضوء وملامس السطوح بحيث تتلاءم كلها لخدمة الشكل العام ولابد أن يحقق التصميم هدفا معينا نفعيا ويخدمه[117] .والتصميم كمصطلح فني يعد تخطيطا أولياً أو أسلوباً لخصائص رئيسية يمكن تنفيذها على الورق كتنفيذ الصور أو البناية أو الزخرفة أو التخطيط ويعني ترتيب هذه العناصر أو التفاصيل التي تصنع عملا فنيا ويكاد يكون التصميم مرادفا للتكوين أو

---

**116 – حبش – ضياء أنور / الدلالات البيئية في تصميم المنظر المسرحي العراقي ، رسالة دكتوراه غير منشورة**
**كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد –1997–ص25 .**

**117 – الشال – عبد الغني النبوي مصطلحات في الفن والتربية الفنية ، جامعة الملك سعود–الرياض 1984–**
**ص86.**

الترتيب[118]. وعرف بأنه العمل الخلاق الذي يحقق غرضه[119] . والتصميم عملية توزيع الخطوط والألوان بصورة معينة داخل شكل يتضمن درجة معينة من الانتظام والتوازن الدقيق من اجل التعبير عن الأفكار جماليا ووظيفياً[120]، وانه الابتكار الشكلي أو خلق أشياء جميلة ممتعة إذ تعتمد عملية التصميم على قدرة المصمم في الابتكار لأنه يسخر ثقافته وقدرته التحليلية في خلق عمل جديد أو تطوير عمل سابق[121]. والتصميم بشكل عام هو فن الشكل الوظيفي ولكل تصميم وظيفة وكل وظيفة لها علم وأصول وعليه فكل نوع من تصاميم الوظائف النفعية له أصول وجذور وفروع وأسرار علمية وتكنولوجية . لذلك فالتصميم ليس فنا فقط بل هو فن وعلم وإذا ما اجتمع الفن والعلم في موضوع واحد أصبح ثقافة، فالتصميم هو ثقافة و نظام إنساني أساسي وأحد الأسس الفنية لحضارتنا[122]، وهو عملية خلق وإبداع وابتكار، ذلك باستعمال عناصر مرئية بنائية كالنقطة والخط واللون والملمس وتحديدها وربطها بالأسس التصميمية كالوحدة والتكرار والتناسب لتحقيق عمل فني يتسم بالوظيفة والنفعية فضلا الوظيفية. أما مفهوم التصميم الداخلي أو فن الديكور فهو يختلف حسب طبيعة المكان وضغوط الزمان ومتطلبات وظيفة الإنسان. وطبيعة التعبير الجمالي للديكور الذي يرتبط ارتباطاً مفاهيمياً بالمسرح بوصفه احد الفنون الجميلة والتعبيرية التي تبحث عن الجمال والتأثير بالمتلقي أو المتذوق لطبيعة العرض المسرحي ولتعكس موضوع المسرحية من خلال جمال القطع المكونة للديكور في المسرحية وهنا فان الديكور في المسرح ذي وظيفة جمالية تكاد تكون قريبة للواقع المجسد من خلال سيناريو المسرحية، أما فن تصميم الديكور بمفهومه العام فهو يسعى إلى أداء جمالية وظيفية تخدم المتلقي أو ما يمكن أن يسلك سلوك المستهلك هنا، لذلك فان مصمم الديكور المسرحي يجب أن يراعي الاختلاف في

---

3--j.f.mills-Dictionary of arts-London 1965-p.56.

[119] - سكوت – روبرت جيلام/ أسس التصميم – ترجمة د.عبد الباقي محمد إبراهيم ومحمد محمود يوسف، دار نهضة مصر القاهرة 1968 – ص5.

[120] - الحسيني – إياد حسين عبد الله /التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم ، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد -2002-ص11.

[121] - أبو هنطش – إبراهيم /مبادئ التصميم ،دار البركة للنشر ،عمان ط3 -2000-ص28.

[122] - الغول-علي فايز/ مفهوم الفن التشكيلي المعاصر ودور الجامعات في تنمية المهارات الفنية جامعة اليرموك اربد 1996-ص5.

الحوائط الثابتة والمتحركة والزخارف والأبعاد وتسليط الأضواء الخافتة والقوية ودرجات الصوت وغيرها من الأمور التي تدخل في نطاق هذا الفن وغيرها. كما أن المسرح يحتاج لإمكانيات خاصة تتطلب سرعة تغير المناظر التي تعد الآن من الأساسيات في سياق القصة، فالمسرحية الآن تعتمد اعتماداً كبيراً على الديكور[123]. لذلك فان الهدف المقصود من وراء تصميم الديكور هو سد حاجات سواء كانت إنسانية أو اجتماعية معينة لان لكل تصميم وظيفة يقوم بها، وتوثر في عملية الإخراج الفني. هذه العوامل هي الخامات والأدوات الأدائية المتصلة بها وكذلك الغرض أو الوظيفة من هذا التصميم وأخير موضوع التصميم[124]. مما تقدم لابد من تعريف عام وشامل لمفهوم فن التصميم الداخلي أو تصميم الديكور بشكل عام إذ يمكن تعريفه بأنه عملية الابتكار ثم الإبداع أولاً ومن ثم التنفيذ أو الإخراج. لذلك فان تصميم الديكور لا يبحث في مشكلات معمارية بحته فقط بل يبحث أيضاً في حل تلك المشكلات ولاسيما الداخلية منها والتي تبدأ بخطوط عريضة وتنتهي بأدق التفاصيل كما انه يعالج ويجد الحلول لكافة الصعوبات التي تدخل في مجال الحركة، كذلك جعل الجو الداخلي مريحاً وهادفاً مستوفياً كافة الشروط الجمالية وأساليب المتعة[125]. لذا فان الديكور يعيد واقعية الزمان الماضي إلى زمان ومكان حاضر يفرض وجود الواقع ويجسده على حقيقته ويكشف عن دلالاته وأهدافه ولاسيما في المسرحيات التاريخية والتراثية ذات الارتباط بالزمكان الحضاري والثقافي والإنساني. فالتصميم الداخلي أو فن الديكور هو فن معالجة الفراغ أو المساحة وكافة عناصرها على نحو جمالي يساعد على العمل داخل المبني، أرضيات، حوائط ، سقوف، تجهيزات (أثاث , إضاءة)، ومجالاته ( سكني , عام )، تجاري (معارض , مسارح )[126]. إن فن الديكور المسرحي هو فن إنساني مستقل عن باقي الفنون الأخرى فضلاً عن كونه احد أهم مكونات المنظر المسرحي لذلك على المصمم أن ((يختار الخامات والوسائل الأدائية التي تساعد على التعبير وكذلك الروية البصرية المتذوقة للفن بالإضافة لمهارة الصانع[127].

---

[123] - مصطفى احمد / فن صناعة – دار الفكر العربي –القاهرة ب.ت-ص9.

[124] - يونس خنفر /أسس التصميم الداخلي وتنسيق الديكور –دار مجدلاوي للنشر ، عمان 1983-ص11.

[125] - المصدر نفسه/ ص9.

[126] - يوسف-عقيل مهدي / أقنعة الحداثة –مكتب سناريا-بغداد2006-ص67

[127] - عبد الهادي – عدلي محمد /مبادئ التصميم واللون ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ،عمان، 2006-ص44.

العناصر الجمالية للديكور المسرحي :
هنالك عدة عناصر مهمة لنجاح الديكور المسرحي الذي يؤدي الوظيفة الجمالية ويكشف عن مكونات النص المسرحي ولاسيما المسرحيات ذات الطابع التاريخي والملحمي فضلاً عن المسرح الاستعراضي الذي يلعب فيه الديكور المسرحي دوراً أساسياً كبيراً يساهم في شد عين المتلقي وتفاعله مع النص أو القصة التي يعرضها الممثلون، والتعبير الصادق للقصة فضلاً عن العلاقة التي تربط الممثل وحركته من جهة، والإضاءة والديكور التي تجتمع معا لتأليف المنظر المسرحي. فالمنظر المسرحي هو البيئة التي يعيش فيها الممثل ويتحرك داخلها[128]، والديكور هو الذي يجعل المتلقي ينتقل في زمان ومكان معين يتعلق وموضوع المسرحية ونصها لذلك فهو تنظيم البيئة في النص الأدبي برؤى إبداعية ذات أفكار ومعاني محددة إلى شكل مرئي شامل لكافة العناصر البصرية للعرض المسرحي [129]. وهنا يميل المصمم المسرحي إلى التأكيد على البيئة المسرحية المطابقة للبيئة الحقيقة فقد اهتم بالأشياء الصغيرة والمكملات في البيئة المسرحية والتي أحياناً لا ترى كلها من قبل المشاهد لكنها تنفع الممثل إذ يصبح أكثر قوة وامتلاء بالحياة وتقمصا للشخصية التي يؤديها[130]. إن المصمم المسرحي هو الذي يجسد البيئة المختصرة أو المصغرة للبيئة الحقيقية سواء كانت تاريخية أو طبيعية، لذلك يصف (برخت) المصمم المسرحي بأنه الذي ((يقدم صورة عن العالم، والعالم يتغير وفق قوانين لم تكشف بعد بصورة نهائية ))[131] .هنالك علاقة كبيرة وقد تكون تلقائية هي التي تجمع المصمم وتجعله يقوم بتصميمه لاشعوريا من خلال التفاعل الذي قد يصل إلى حالة من التقارب أو الاستنساخ مع البيئة في العرض المسرحي ولاسيما المناظر ذات الطبيعة التاريخية كقطع ترمز إلى الجداريات القديمة أو القطع الأثرية، على سبيل المثال وهذا

---

[128] - هوايتنغ – فرانك .م./المدخل إلى الفنون المسرحية – تر: كامل يوسف وآخرون – القاهرة – دار المعرفة مطبعة الأهرام -1970-ص331.

[129] - الكواز-عماد هادي عباس/ جماليات المنظر في الفضاءات المفتوحة العروض المسرحية العراقية –رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد2004-ص 7.

[130] - حبش – ضياء أنور/ مصدر سابق –ص 27.

[131] - برخت – برتولت / نظرية المسرح الملحي – تر:د. جميل نصيف – وزارة الثقافة والإعلام – دار الحرية للطباعة –بغداد ب.ت-ص 235

ما قام بـه الفنـان الـدكتور نجـم حيـدر• عنـدما قـام بتصـميم المنظـر الأثـري فـي مسـرحية ( حـب ومـرح وشـباب ) التـي كتبهـا الفنـان قاسـم محمـد وأخرجهـا الفنـان محسن العزاوي عام 1991 إذ قام المصمم بعمل قطع كبيرة من مادة (الفلين) ونحـت عليهـا منظـر يمثـل جداريـة بابليـة قديمـة فضـلاً عـن وضـع قطعتـين منفصلتين من مادة الفلين تمثل جزء من تلك الجداريـة، علـى جـانبي الجداريـة المركزية، لتجعل من المنظر المسرحي متكاملاً من حيث المضمون والفكرة والهـدف فضـلاً عـن الوظيفـة الجماليـة , لقـد أراد المصـمم هنـا إثـارة مـا يمكـن الاصـطلاح عليـه بالمعـادل المرئـي لمفـردات الـنص الـدرامي , فـالمنظر فيـه فطريـة الرسـم ,وقـيم تصـويرية بسـيطة، ومعالجـة لونيـة للسـطوح والوجـوه، وجماليات التشكيل من خط ومسـاحة ,وشـكل ,ولـون,وملمس تختـرق تخيلاتهـا ورموزهـا وسـتائر الضـوء وأعمدتـه ومسـتوياته وألوانـه وعتمتـه وتتفاعـل مـع الضوء[132],ويمكن التعرف على العناصر الجمالية للديكور المسرحي كما يأتي :

1- اللـون (Coluor):

هو التأثير الفسيولوجي الناتج على شبكة العين ,فـاللون لـيس لـه أي حقيقـة إلا بارتبـاطه بأعيننـا التـي تسمح بحسـه وإدراكـه بشـرط وجـود الضـوء[133]. فالقاعـدة الفيزيائية تقول لا يمكن إدراك اللون بـدون وجـود الضـوء , ويعتمـد اللـون فـي قياساته على عدة عوامل وهي :

أ-صفة اللون ( Hue ) وهـي الخاصـية التـي يتميـز بهـا لـون عـن لـون آخـر , وتتغير صفة اللون عند مزجه مع لون آخر.

ب-تشـبع اللـون ( Saturation ) هـو درجـة نقـاوة اللـون وتشـبعه وتتغيـر درجة التشبع وفقا لتسليط الضوء في الإضـاءة المسرحية التي توجـه بشـي مـن التركيـز علـى قطعـة ديكـور مهمـة .ويميـل مصـممو الـديكور المسـرحي إلـى استعمال الألوان بشكل واقعـي للاقتـراب مـن الحقيقـة، فعنـدما اختـار المصـمم نجم حيـدر المنظـر الأثـري الـذي سـبق وان تحـدثنا عنـه، وضـع ألـوان الحجـر والرخام فضلاُ عن إكسـاب القطعـة الأثريـة شيئا من الواقعيـة وكأنـك تنظـر إلـى إحـدى الجـداريات العراقيـة القديمـة ، هنـا نجـح المصـمم فضـلا ًعـن المنفـذ فـي إخـراج الـديكور المسـرحي بشـكله التعبيـري والقريـب مـن الواقـع .وعليـه فـان

---

• الدكتور نجم حيدر / أستاذ مساعد – كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد –ومصمم ديكور لعديد من المسرحيات في مؤسسة السينما والمسرح العراقية.

132 - يوسف –عقيل مهدي /المصدر السابق –ص 253-254.

133 - عبد الهادي –عدلي محمد/المصدر سابق—ص13.

اللون احد العناصر التي يمكن قياسها من خلال مناطق الضوء والظل فضلاً عن تأثير تلك المناطق في حيوية وتوهج أو عدم توهج القطع الديكورية .فالإشارة والخطوط والألوان هي الوجود الحقيقي للديكور[134].

2-الشكل ( Shape ) :

يعد العنصر الأساسي في العمل الفني، أما الحيز الذي يحيط بهذا العمل الفني فهو الأرضية ,والشكل والأرضية أساس كل الفنون المختلفة[135].

ويرتبط الشكل وأهميته الجمالية بقدرة المصمم على الإحساس بالجمال وتذوقه، وفي المسرحيات الاستعراضية يميل المصممون إلى التركيز على تشخيص الأشكال والتعبير عنها من خلال العلاقة المتبادلة ما بين القطع الديكورية، بوصفها شكلاً، من جهة ،والأرضية أو خلفية المسرح من جهة أخرى.

3- الملمس( Texture ):

هو تعبير يدل على الخصائص السطحية للمواد، وهذه الخصائص تدرك بالملمس[136]. ويتحدد الملمس من خلال إدراك العين، ولاسيما عين الفنان المصمم بوصفه المبتكر الذي يقرب المواد والخامات المتوفرة للوصول إلى الملمس الطبيعي من خلال تصميم الديكور المسرحي، الذي يؤلف من خلاله بيئة مصغرة عن البيئة الحقيقية ولاسيما البيئة الطبيعية، ففي مسرحية (حب ومرح وشباب )التي سبق وان تحدثنا عنها ,قام المصمم بتصميم منظر يمثل غابة ذات أشجار تنتشر أغصانها وفروعها لتتشابك مع بعضها وتجعل من الملمس أساساً للإحساس بالطبيعة، اذ رسمت الأغصان على قطع الخشب، ومن ثم وضع المنفذ عدد من قطع الخشب غير المنتظمة بطريقة عشوائية وغطيت بقماش سميك ما يصطلح عليه بالعامية العراقية (بالكونية )التي تم معالجتها وتغطيسها بخليط من الجبس (البورك) والماء .وتغطي هذه الكونية جذع الشجرة الافتراضي ,وبعد جفافها يقوم المنفذ بتلوينها بألوان الجذع الحقيقة ومعالجتها ببعض الألوان المساعدة لإحداث الظل والضوء مع إعطائها ملمساً يوحي بقوة الشجرة وثباتها وكأنك تجلس قرب جذع شجرة حقيقي. أما مكونات الشجرة الخضراء فقد وضعت الأقمشة المختلفة الأحجام في خليط من البورك والماء أيضاً تضاف إلى الخليط صبغة خضراء ,ومن

---

[134] - سعد اردش/المخرج في المسرح المعاصر-عالم المعرفة –الكويت 1979-ص103.

[135] - عبد الهادي –عدلي محمد/المصدر سابق——ص53.

[136] - أبو هلطش-محمود/المصدر سابق-ص67.

ثم تبنى جسور خشبية مختلفة الأحجام والأطوال لتعلق عليها الأوراق المفترضة ,وبعد أن تجف نقوم بمعالجتها بمشتقات اللون الأخضر والأصفر من اجل إضفاء الملمس الحقيقي للأشجار وتأثرها بالضوء من خلال الإنارة أو الإضاءة المسرحية التي تساهم بالتالي في خلق مشهد أو منظر يتسم بالتألق والتعبير عن حقيقة البيئة وصورتها الافتراضية. من خلال هذا المشهد يمكن إدراك دور الملمس في تحقيق الجمالية التعبيرية في المنظر المسرحي عن طريق الإحساس البصري بمكونات البيئة ومعطيات الخامة .إن من أولويات مصمم الديكور المسرحي هي مراعاة العتمة والشفافية، والنصف شفافية، من خلال ما يمكن استعماله من خامات مكمله للقطع الديكورية كالزجاج الاعتيادي أو الملون ,فضلاً عن الورق الشفاف أو الملون، الذي يمكن أن يصطلح عليه (الجلاتين) , التي تكون فعالة في إضافة حيوية إلى العرض المسرحي، وتعطى ملمساً بحسب موقعها في العرض , ويكون هذا الملمس مدركاً للمتلقي من خلال الإضاءة أو الإنارة المسرحية .من خلال ما تقدم فان المؤثرات البيئية في تفاعلها مع الاستعداد الإبداعي لدى الفنان هي التي تخلق الفنان المصمم, وهي عملية لاشعورية تتم تلقائياً، تتعامل مع مخزونه من الكم المعرفي، من لون وخط وكتل وفراغ وتأثيرات تراثية وتقاليد وأعراف تجتمع كلها لتكون مقترباً بين المؤثرات وعناصر التصميم[137], فالخامات والأدوات نتاج مستحدث ومستنبط من البيئة التي يعيشها الفنان والتي تندمج بها لتكون طابعا شخصيا للفنان[138].

4-الحركة (Movement):

تعد الحركة احد أهم العناصر الجمالية في العرض المسرحي ولاسيما في التحكم بالديكور ومسار حركته في العرض وانتقال الممثل بين أجزائه .وتكون حركه الممثل أو الراقص مرتبطة بالديكور , إذ أن على المصمم أن يراعي عدة قضايا مهمة توثر في تصميمه وكما يأتي:

أ-حركة الممثل والذي يقوم في أداء حركاته التمثلية ويقوم في الوقت نفسه بالتحكم بالقطع الديكورية ونقلها من هنا أو هناك حسب متطلبات المشهد.

ب – حركة الإضاءة المسرحية من خلال تسليط الضوء المباشر أو الحركة السريعة للضوء عن طريق متحكمات الضوء في المسرح والتي تودي إلى الإحساس بحركة الديكور وحيويته وتألقه في العرض المسرحي.

5-الخط :يعد الخط أحد ابرز العناصر الجمالية للمسرح فضلاً عن الزخرفة وكيفية التعامل مع الخط والزخرفة في تصميم الديكور المسرحي ,إذ على المصمم مراعاة رصانة الخط وخصوصيته وهويته فضلاً عن الزخرفة

---

[137] - -حبش – ضياء أنور/المصدر سابق-ص 49.

[138] - المصدر نفسه/ ص48.

بمختلف أنوعها ومرجعياتها,كل حسب موقعه بالنسبة للنص والهدف من التصميم .

التراث في تصميم الديكور المسرحي:
هو الميراث والأصل والأمر القديم ,توارثه الآخر عن الأول وقد تعني الكلمة البقية من كل شي[139] . يلعب التراث دورا كبيرا في التأثير في شخصية المصمم وتصميمه وينعكس ذلك على المسرحيات ذات الطابع التراثي أو الحضاري ولاسيما ما يرتبط بالموروث الحضاري لكل دولة , فالصينيون لهم خصوصيتهم في تصميم الديكور الخاص بمسرحياتهم ,إذ يختلفون عن الهنود أو العراقيين أو المصريين , فعندما صمم مشهدا من مسرحية تعود إلى العهود الرومانية يقوم المصمم بتصميم أعمدة وعقود مع إكسابها لونا يشبه لون المرمر والرخام , إن محاكاة التراث له دور كبير في تصميم الديكور المسرحي ولاسيما ما يتعلق بالية التنفيذ وقدرة المنفذ على التعبير أو التمثيل الحقيقي لما يريده المصمم . لذا فان المسرح فن لا يكتمل بمعزل عن الجمهور ,لذلك جاءت دلالاته التراثية في المحتوي والشكل استجابة لمتطلبات هذا الجمهور فاستعار الشيء الكثير من البيئة المحلية لخلق هذه الموازنة فيما بينهما[140] .وعليه فان المصمم المسرحي الناجح هو من يستطيع التعبير عن النص المسرحي ويجعله متألقاً ومعبراً عن عصره بأسلوب حديث ومعاصر، هو من يكون ناجحاً وبالتالي فانه سيشارك فريق العمل المسرحي نجاح عملهم .ويتميز كل مصمم عن غيره بعده قضايا وكما يأتي :
أ- أسلوب التعبير المباشر .
2-أسلوب التنفيذ وخصوصيته .
فعندما يقرا المصمم نصاً مسرحياً ليقوم بتصميم ديكورها المسرحي كأن يكون النص ((قاعة محكمة ,ذات بابين,هناك شعارات عديدة,في الوسط مقعد القاضي وبجواره هاتف على اليسار ينضب قفص الإبهام ,وفي المستوى الأدنى من مقعد القاضي مكان هيئة الادعاء العام وفي الوسط يوجد المكان المعد للمراسل الصحفي وبجانبه هاتف وفي الواجهة لافتة كتب عليها :إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ورسوله))•. وفي نص آخر ((المهرج يتجول

---

[139] – الفيروزبادي /القاموس المحيط –دار الرسالة –بيروت، ط3 1993–ص210.

[140] – حبش–ضياء أنور/مصدر سابق–ص53.

• نص مقتبس من مسرحية (المحاكمة )- للمؤلف والمخرج المسرحي أ.د. فيصل المقدادي – من كتابه الموسوم (المحاكمة ومسرحيات أخرى )- مكتبة الفتح-بغداد 2006-ص51.

في شوارع ملونة بمدينة صاخبة، يقف متأملاً أمام إعلان ضوئي كبير، يبدأ الإعلان بالتضخم حتى تتورم كل أجزاء المرأة التي كانت جزءَ مهماً في تكوينه))•. وفي نص تاريخي مسرحي ((يدخل الناس رجالاً ونساءً حاملين رايات كبيرة، وكل راية لها في قمتها رمانة كبيرة، وسفينة ضخمة مطرزة بالأضواء والأجراس يحملها أكثر من عشرة رجال))•، فكيف سيفكر المصمم؟ إن الديكور يبدو جاهزاً من خلال النص ومكوناته إذ أن الوصف الذي يترجمه المؤلف في وصفه للظاهرة والأثاث وما يحتويه المشهد المعين من أدوات ومكملات للديكور يستطيع المصمم استثمارها من خلال النص .
إن مهمة المصمم المسرحي مهمة ليست باليسيرة بل أنها رحلة لسبر أغوار النص المسرحي من اجل الوصول إلى تصميم معبر وناجح. أما الأسلوب الفني للمصمم فيظهر من خلال استفادته الفكرية والاجتماعية وكذلك على إمكانياته الجمالية والحسية ذات التأثير الفلسفي للواقع كل ذلك يتجسد في المؤثرات البيئية من خلال التراث أولاً , والتعبير الجمالي ثانياً والمؤثرات الأخرى ثالثاً[141].

• نص مقتبس من سيناريو صوري/ أ.د.صلاح القصب/ سيناريوهات صورية عزلة في الكريستال، مجلة المسرح، السليمانية، 2010، ص86.
• نص للمخرج والمؤلف المسرحي د.جواد الاسدي، ليالي احمد بن ماجد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص30.
[141] - حبش- ضياء أنور/ المصدر السابق، ص51.

## المصادر والمراجع


1- أبو هنطش – إبراهيم /مبادئ التصميم –دار البركة للنشر –عمان ط3-.2000
2- الاسدي- جواد / ليالي احمد بن ماجد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، .2003
3- القصب- صلاح/ سيناريوهات صورية عزلة في الكريستال، إصدارات مجلة المسرح، السليمانية، .2010
4- برخت –برتولت /نظرية المسرح الملحمي –تر:د. جميل نصيف – وزارة الثقافة والإعلام – دار الحرية للطباعة –بغداد ب.ت.
5- حبش –ضياء أنور/الدلالات البيئية في تصميم المسرحي العراقي –رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد -.1997
6-الحسيني –إياد حسين عبدا لله/التوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم- دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد .2002
7-سعد اردش /المخرج في المسرح المعاصر-عالم المعرفة –الكويت .1979
8-سكوت-روبرت جيلام/أسس التصميم-ترجمة د,عبد الباقي محمد إبراهيم ومحمد محمود يوسف-دار نهضة مصر القاهرة .1968
9-الشال- عبد الغني النبوي /مصطلحات في الفن والتربية الفنية –جامعة الملك سعود –الرياض1984 .
10-عبد الهادي –عدلي محمد/مبادئ التصميم واللون-مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع-عمان-2006 .
11-الغول-علي فايز(الدكتور)/مفهوم الفن التشكيلي المعاصر ودور الجامعات في تنمية المهارات الفنية –جامعة اليرموك اربد 1996 .
12-الفيروزبادي/القاموس المحيط –دار الرسالة –بيروت ط3 1993 .
13-الكواز-عماد هادي عباس /جماليات المنظر في الفضاءات المفتوحة للعروض المسرحية العراقية –رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الفنون الجملية /جامعة بغداد2004 .
14-مصطفى احمد/الديكور فن صناعة –دار الفكر العربي- القاهرة ب ت .
15-المقدادي-فيصل / المحاكمة ومسرحيات أخرى- مكتب الفتح-بغداد2006 .
16-هوايتنغ-فرانك.م./ المدخل إلى الفنون المسرحية –تر: كامل يوسف وآخرون-القاهرة – دار المعرفة مطبعة الأهرام -1970.
17-يوسف –عقيل مهدي /أقنعة الحداثة-مكتب سناريا –بغداد 2006 .
18-يونس خنفر/أسس التصميم الداخلي وتنسيق الديكور-دار مجدلاوي للنشر- عمان .1983

# العلوم النفسية والتربوية

الضغوط النفسية على الأم الحامل في منطقة رام الله - فلسطين

**إمكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين**

# الضغوط النفسية على الأم الحامل في منطقة رام الله - فلسطين

**د. عمر الريماوي**
كلية العلوم التربوية- دائرة علم النفس
جامعة القدس- فلسطين

rimawiomar@yahoo.com

**الملخص**
هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الضغوط النفسية على الأم الحامل في منطقة رام الله- فلسطين، استخدم الباحث إستبانة مكونة من (43) فقرة، بلغت عينة الدراسة (187) امرأة من مجتمع الدراسة.
أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيا لبعض متغيرات الدراسة (المستوى التعليمي، صلة قرابة بالزوج). إلا أنها كشفت عن وجود فروق دالة إحصائية في المتغيرات (العمر عند الحمل الأول، المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول، عدد مرات الحمل ، السكن مع الزوج).
وفي ضوء النتائج تمت صياغة جملة من التوصيات التي يمكن أن تسهم في تخفيف الضغوط النفسية.

**الكلمات المفتاحية**: الضغوط النفسية، الحمل.

**Abstract**

This study has aimed an investigation of psychological pressure on the pregnant mother in the area of Ramallah - Palestine, the researcher used a questionnaire consisting of (43) paragraph, study sample has covered (187) women from the population.

The results showed that there was no statistically significant differences for some variables of the study (educational level, family connection to the husband). However, it revealed the existence of significant differences to the variables (age at first pregnancy, the duration between marriage and the start of the first pregnancy, number of pregnancies, live with husband .(

As a conclusion of study, results has been formulated a set of recommendations that could contribute to minimize stress .

**Key words: psychological pressure, pregnancy**

**المقدمة**

يحتل موضوع الضغوط النفسية مكانة متميزة في تراث علم النفس, ويتضح ذلك من خلال تعدد الأبحاث سواء الخاصة بعلاقة أحداث الحياة الضاغطة بالأمراض البدنية أو تلك المتعلقة بالمتغيرات النفسية والتوافق والاضطرابات العقلية.

ونظرا لأهمية دور الأم في المجتمع، وضرورة العناية بالأم الحامل، ينظر الباحث إلى أهمية هذا الموضوع وهو (الضغوط النفسية على الأم الحامل) من أجل الاهتمام النفسي والاجتماعي بالأم الحامل؛ وذلك لتوفير كافة أسباب الراحة النفسية، الاجتماعية والصحية، لطمأنينة الأم طوال فترة الحمل، وما بعدها والمحافظة على صحتها، ومساعدتها على أن تضع وضعا "طبيعيا سهلا".

تعد الضغوط النفسية من أهم سمات العصر الراهن، الذي يشهد التطورات وتغيرات سريعة في جميع مجالات الحياة، وأصبحت الضغوط النفسية تشكل جزءا من حياة الإنسان نظرا لكثرة التحديات التي يواجهها في هذا العصر، وقد تعددت آراء الباحثين حول مفهوم الضغوط إلا أنها تجتمع حول ضرورة توفير مواقف ضاغطة تتبعها استجابة من الفرد لهذه المواقف.. فيرى لازاروس أن الإنسان عندما يدرك عدم قدرته علي التوازن بين متطلبات المواقف وقدرته علي الاستجابة لهذه المتطلبات في موقف ذي أهمية، فانه يشعر بهيمنة الضغوط عليه ولكن إذا استطاع الاستجابة لتلك المتطلبات فان الضغط يكون مقبولا (نشأت 1996، ص 362).

و يرى غولد و روث (Gold & Roth, 1994) أن الإنسان يشعر بالضغط النفسي عندما يواجه مشكلات معينة لفترة طويلة من الزمن، إذ إّنه لا يتلقى خلال هذه الفترة الدعم اللازم من المقربين؛ فيشعر بأّنه متورط ولا حل أمامه للتخلص من هذا الوضع.عندها يحدث الضغط النفسي كنتيجة أخيرة عندما لا يستطيع الفرد أن يتكيف مع الضغوط النفسية التي يدرك بأنها مهددة. وتترك الضغوط النفسية لدى الشخص آثارًا مهمة في مهنته ومستوى أدائه وفي جوانب شخصيته والجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية .كما تؤثر سلبًا في التكيف النفسي الأمر الذي يعد من أهم الآثار الناتجة عن الضغوط النفسية.. (الزيودي 2007، ص194)

إن معرفة حجم الضغوط النفسية على المرأة الحامل، ومعرفة العوامل التي تؤدي إلى هذه الضغوط، تمكن الباحثين من معرفة إمكانية التخفيف من

الضغوط الاجتماعية والجسمية. كما أن توفير الاستعداد لمواجهة أية مشكلات أو طوارئ على الأم الحامل ذو أهمية بالغة.

إن الصورة العامة للمرأة الحامل هي صورة جميلة وسعيدة؛ تمر فترة الحمل بدون أي مشاكل صحية ونفسية. هذه هي الصورة العامة كما يراها أو كما يتخيلها الناس بشكل عام! أو الصورة التي يخلقها المجتمع للمرأة الحامل! فهل هذا صحيح ؟

ورد في القرآن الكريم عن المرأة الحامل ما يلي يقول الله تعالى :_ "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا **حملته أمه كرها ووضعته كرها"** " سورة الأحقاف (الآية 15).

(**حملته أمه كرها"**) أي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبا من وحم وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة (ووضعته كرها") أي بمشقة أيضا من الطلق وشدته. (ابن كثير د.ت).

ويقول الله تعالى : " وَ وَصيْنَا الانسنَ بِوَلِدَيْهِ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْن** وَ **فِصلُهُ** فى **عَامَينِ**" سورة لقمان (الآية 14)

في قوله تعالى: " **حملته أمه وهنا على وهن** " تسجيل لحقيقة قاطعة وهي أن الأم تبقى واهنة ضعيفة متعبة- والوهن هو الضعف – طيلة مدة الحمل. ويبدأ وهنها منذ بداية الحمل؛ ويتمثل في أمراض " الوحم" و"التقيؤ" ويستمر ذلك حتى تضع حملها.. ويستمر إلى ما بعد الوضع . ولم تقيد الآية الوهن بصورة من الصور بل جعلته مطلقا عاما ليشمل كل صور الوهن وحالاته وآفاقه. فهو وهن في الجسم؛ ووهن في النفس؛ ووهن في الشعور؛ ووهن في القوة؛ ووهن في العمل والأداء؛ ووهن في الخلق والسلوك؛ ووهن في الصلات والتصرفات؛ ووهن في المشاعر والأحاسيس إلى غير ذلك. (الخالدي 1989 ص174).

قد ينعكس اتجاه المرأة الحامل نحو حملها على حالتها الانفعالية. ويلاحظ أن المرأة التي تكره أن تكون حاملا أو لا ترغب في الحمل قد تكون أكثر ميلا إلى الاضطراب الانفعالي.. وان الاتجاه السالب نحو الحمل يصاحبه عادة الغثيان والتقيؤ. هذا إلى جانب أن الانفعال والاضطراب وعدم النضج الانفعالي والصراع بين الزوجين وسوء التوافق بينهما يرتبط بعدم التوافق مع الحمل وظهور بعض الضغوط الاجتماعية الجسمية عند الأم. وربما يبدو ذلك بصورة واضحة في حالات التخلص من الجنين ولذلك من الضروري الحرص على حدوث التوافق النفسي الاجتماعي بالنسبة للحامل (زهران 1981_، ص89)

من جانب آخر بين كل من راش (Rache, 1997) وماهونى (1997, Mahoney) أن البحث والدراسة في مجال أحداث الحياة والضغوط النفسية

المرتبطة بها وآثارها على الإنسان ينبغي ألا تتوقف بل ويجب أن تستمر الدراسات العلمية والنظرية.
كما أن النتائج التي تخرج بها هذه الدراسة قد تساهم بشكل إجرائي في تطوير وإعداد الكثير من البرامج والعلاجات الخاصة بالتحصين ضد الضغوط والإقلال من حدتها وخطورتها فالتصدي لدراسة موضوع ضغوط أحداث الحياة الاجتماعية لا يقف فقط عند حد عرض المؤشرات الكمية والكيفية للدراسات، وإنما الاستفادة الإجرائية منها في تصميم وإعداد البرامج الإرشادية والعلاجية والتدريبية.

**الدراسات السابقة:**
دراسة (Homayoun et al, 2009) الموسومة ب " الشخصية والضغوط" وكان هدف الدراسة: معرفة العلاقة بين أبعاد الشخصية والضغوط. استخدم الباحث قائمة هون للشخصية كمقياس للضغوط النفسية في الدراسة على عينة تتكون من (200) طالب جامعي وأربع جامعات تراوحت أعمارهم بين (19-23) سنة. وكانت النتائج: وجود ارتباط إيجابي بين الانطواء والضغوط، وجود ارتباط سلبي بين الانبساط والاجتهاد، وجود الضغوط أكثر لدى الإناث منها إلى الذكور.
دراسة حسين (2000) بينت أن للضغوط النفسية علاقة وثيقة بالاضطرابات السيكوماتية مثل ضغط الدم والسكر وتصلب الشرايين وعسر التنفس والقولون العصبي والصداع؛ كما أنها تؤدي إلى ضعف التركيز والذاكرة وتضاؤل القدرة على حل المشكلات والإدراك الخاطئ للمواقف والأشخاص كما أنها تؤدي إلى اضطرابات اجتماعية مثل الانسحاب الاجتماعي والشك والعجز عن التوافق الاجتماعي .

قام سبحي (1998) بدراسة هدفت إلى معرفة أكثر الضغوط شيوعاً لدى موظفي البنوك بمدينة مكة المكرمة وآثارها النفسية عليهم, هدفت للتعرف فيما إذا كانت هناك فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغيرات : السن والجنسية والحالة الاجتماعيةوالخبرة والمؤهل الدراسي.
دراسة الوابلي (1995) التي تناولت مستويات الاحتراق النفسي لدى المعلمين في مكة المكرمة باستخدام مقياس ماسلاش للاحتراق النفسي على عينة مكونة من (457) معلمًا ومعلمة فقد أشارت النتائج إلى أنه ليست هناك فروق بين الذكور والإناث تعزى لمتغيرات العمر والمؤهل التعليمي.
أما دراسة بنجامين (Benjamine, 1987) أن الضغط النفسي الشديد يرتبط بعدد من الاضطرابات والأمراض؛ مثل: الذبحة الصدرية والأمراض النفسية

وآلام الظهر وارتفاع ضغط الدم والأمراض النفسجسمية الأخرى.. وأن معظم الذين يتعرضون للضغط النفسي يواجهون ظروفاً صعبة ومؤلمة ويعانون من أمراض جسمية مختلفة وأن معامل الارتباط بين الضغط النفسي والمرض الجسمي كان مرتفعاً, كما أشارت النتائج أن هناك ارتباطاً عالياً وذا دلالة بين الضغط النفسي وبين القلق والاكتئاب من جهة والأعراض الجسمية من جهة أخرى.

وقد اتفق كل من هولاهان وموس (Holahan & Moos, 1985) مع كوبازا وبوكيت (Kobasa & Puccetti ,1983) في أن هناك متغيرات نفسية واجتماعية تساعد الفرد على الاحتفاظ بصحته الجسمية والنفسية رغم تعرضه للضغوط حيث أشارا إلى أن البيئة الأسرية التي تتسم بالدفء والحب والتماسك وحرية التعبير عن الرأي والمشاعروالدعم والتشجيع أثناء التعرض للضغوط تجعل الفرد أكثر مناعة واستقرارا..

وأظهر جانيلين وبلاني (Ganellen & Blaney, 1984) أن الصلابة النفسية تتفاعل مع المساندة الاجتماعية كي تخفف من حدة وقع الضغوط على الفرد؛ كما أن المساندة الاجتماعية تقوي المصادر النفسية وتزيد من شعور الفرد بالقيمة والأهمية ومن قدرته على التحدي مما يجعله أكثر نجاحا في مواجهة الضغوط كما أشارا إلى وجود ارتباط موجب دال بين إدراك الضغوط وبين الاكتئاب إلا أن هذه العلاقة تقل مع وجود الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية اللذان يخففان من وقع الضغوط.

أكثر صلابة وفاعلية وقدرة على المواجهة وأقل اكتئابا كما أشارا إلى أن هناك فروقا بين الذكور والإناث في متغيرات الشخصية والمساندة الاجتماعية فالرجال أكثر ثقة بالنفس وأكثر صلابة من النساء، بينما النساء أكثر سعيا للمساندة الاجتماعية في مواجهة الضغوط.

ويؤكد بيك وآخرون (Beck & Others، 1983) من خلال دراستهم أن تأثيرات ضغوط الحياة على الأفراد يعود إلى فقدان المساندة الاجتماعية وأن أحداث الحياة الضاغطة ترتبط ايجابيا ببعض جوانب الشخصية مثل سمة القلق والاكتئاب. والأفراد يختلفون في سرعة تأثرهم بالضغوط الحياتية تبعا لحالتهم النفسية, حيث إن الحالة النفسية للفرد تتوسط العلاقة بين أحداث الحياة الضاغطة والاضطرابات النفسية والجسمية.

**مشكلة الدراسة:**

تكمن مشكلة الدراسة في أنها تعود إلى قلة الدراسات المهتمة والمختصة في هذا المجال وقلة المراكز والمؤسسات في القرى والمدن الفلسطينية المهتمة بالمرأة الحامل من الناحية النفسية . وتحددت مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال ما هي الضغوط النفسية على الأم الحامل؟

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- التعرف إلى حجم الضغوط النفسية على الأم الحامل.
- التعرف إلى الفروق في الضغوط النفسية على الأم الحامل تبعاً لمتغيرات الدراسة.
- التوصل الى صياغة التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تساهم في المساعدة على تخفيف الضغوط النفسية على الأم الحامل.
- محاولة الإجابة على السؤال الدراسة 1- ما مدى درجة الضغوط النفسية على الأم الحامل؟

**فرضيات الدراسة:**

1) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير العمر عند الحمل الأول.
2) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول.
3) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل.
4) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي.
5) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى صلة قرابة بالزوج.
6) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج.

**أهمية الدراسة:**

تنبع أهمية الدراسة من أنها تركز على دراسة الضغوط النفسية على الأم الحامل, وهي الفترة التي تعيشها كجزء غير قليل في حياتها. كما أنه لا يوجد دراسات كثيرة في هذا المجال وخاصة المحلية التي تتناول هذا الموضوع من أجل رفع الوعي في هذا المجال. والاستعداد لمواجهة أي مشكلات أو طوارئ على الأم الحامل.

**الأداة:**

بعد اطلاع الباحث على الأدبيات المتصلة بهذا الموضوع وكذلك استشارة عدد من المختصين في هذا المجال في إطارعلم النفس وأطباء الصحة الإنجابية. وكذلك قيام الباحث بإلقاء مجموعة من المحاضرات في هذا المجال. تم اعداد استبيان خاص لهذا الغرض بلغ عدد فقراته بصيغتها الأولية ( 46) فقرة . قدم إلى مجموعة من الخبراء للحكم على صلاحية فقراته للقياس فتم حذف ثلاث فقرات منها وبذلك أصبح عدد فقرات الاستبيان بصيغته النهائية ( 43 ) وبعد أن تم التأكد من ذلك طبق الاستبيان على عينة الدراسة الحالية.

**حدود الدراسة:**

الحدود الزمانية: العام 2009-2010م.
الحدود المكانية: منطقة رام الله ـ فلسطين.
الحدود البشرية: الأم الحامل ( الأم التي أنجبت طفلا أو أكثر).

**تعريف المصطلحات:**

**الضغوط النفسية**: حالة نفسية تنعكس في ردود الفعل الداخلية الجسمية والنفسية والسلوكية الناشئة عن التهديد الذي يدركه الفرد عندما يتعرض للمواقف أو الأحداث الضاغطة في البيئة المحيطة السمادوني (1993).
**الضغوط النفسية**: عبارة عن حالة من التوتر الناشئة عن المتطلبات أو المتغيرات التي تستلزم نوعاً من إعادة التوافق عند الفرد وما ينتج عن ذلك من آثار جسمية نفسية السيد عبيد (2008)

ويعرف اثكين وسكولش (Aithken & Schloss, 1994) الضغط النفسي بأنه حالة نفسية وجسدية ناتجة عن مواجهة الفرد لحوادث مزعجة تودي إلى شعوره بالتهديد.

**الحمل**: هو عملية حمل أنثى - واحدا أو أكثر من الأجنة في جسدها. يدوم الحمل عند البشر نحو 9 أشهر بين وقت آخر دورة طمث والولادة (38 أسبوعا بعد الإخصاب). يطلق لقب جنين علي ما تحمله المرأة من وقت الإخصاب حتى الولادة.

**منهجية الدراسة وإجراءاتها**

لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة, اتبع الباحث المنهج الوصفي وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف خصائص الظاهرة وجمع معلومات عنها.. فقد تم استخدام هذا المنهج في صورته لأنه يلاءم طبيعة وأهداف الدراسة معتمداً على أسلوب الدراسة الميدانية في جمع المعلومات, ليفي بأغراضها ويحقق أهدافها واختبار صحة فرضياتها وتفسير نتائجها.

**مجتمع الدراسة وعينتها**

تكون المجتمع الأصلي للدراسة من جميع النساء اللاتي مررن في فترة الحمل في منطقة رام الله – فلسطين حيث تم أخذ عينة ميسرة تعتمد هذه العينة على مبدأ ما هو متاح بحيث يختار الباحث العينة حيث بلغت (187) امرأة من مجتمع الدراسة، والجدول رقم (1) يبين خصائص العينة.

جدول رقم (1)
**توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة.**

| المتغير | المستوى | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| **العمر عند الحمل الأول** | من 16-20 سنة | 104 | 55.6 |
| | 21-23 سنة | 55 | 29.4 |
| | 24-28 سنة | 25 | 13.4 |
| | 29- 32 سنة | 3 | 1.6 |
| | من 33 سنة فما فوق | 0 | 0 |
| **المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول** | من 1- 3 أشهر | 78 | 41.7 |
| | 4-12 شهر | 59 | 31.6 |
| | اكثرمن1 – 2سنة | 41 | 21.9 |
| | أكثر من2-3سنوات | 7 | 3.7 |
| | أكثر من 3 إلى 5سنوات | 2 | 1.1 |
| **عدد مرات الحمل** | مرة واحدة | 18 | 9.6 |
| | مرتان | 43 | 23.0 |
| | ثلاث مرات فما فوق | 126 | 67.4 |
| **المستوى التعليمي** | اقل من توجيهي | 79 | 42.2 |
| | توجيهي | 42 | 22.5 |
| | أعلى من توجيهي | 66 | 35.3 |
| **صلة قرابة** | يوجد قرابة | 71 | 38.0 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| **بالزوج** | لا توجد قرابة | 116 | 62.0 |
| **السكن مع الزوج** | منفصل, وقريبة من عائلة زوجي | 92 | 49.2 |
| | مع عائلة زوجي | 37 | 19.8 |
| | منفصل, وبعيدة عن أهل زوجي | 58 | 31.0 |

**أداة الدراسة**

بعد التأكد من صدق وثبات أداة الدراسة وتحديد عينة الدراسة؛ قام الباحث بتطبيق الأداة على أفراد عينة الدراسة وبعد أن اكتملت عملية تجميع الاستبانات من أفراد العينة بعد إجابتهم عليها بطريقة صحيحة تبين للباحث أن عدد الاستبانات المستردة الصالحة والتي خضعت للتحليل الإحصائي: (187) استبانه فقط .

**صدق الأداة**

تم التحقق من صدق أداة الدراسة بعرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة والذين ابدوا بعض الملاحظات حولها, وعليها تم إخراج الاستبانة بشكلها الحالي بصورتها النهائية ومن ناحية أخرى تم التحقق من صدق الأداة أيضاً بحساب معامل الارتباط بيرسون لفقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للأداة واتضح وجود دلالة إحصائية في معظم فقرات الاستبانة ويدل على أن هناك التصاق داخلي بين الفقرات.

**ثبات الدراسة**

وللتحقق من ثبات الاستبانة قام الباحث بحساب الدرجة الكلية لمعامل الثبات, لمقياس الدراسة حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا وكانت الدرجة الكلية **(0.83)** وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يفي بأغراض الدراسة.

**المعالجة الإحصائية**

بعد جمع الاستبانات والتأكد من صلاحيتها للتحليل تم ترميزها (إعطائها أرقاما معينة) وذلك تمهيدا لإدخال بياناتها إلى جهاز الحاسوب الآلي لإجراء المعالجات الإحصائية المناسبة وتحليل البيانات وفقا لأسئلة الدراسة وبياناتها, تمت المعالجة الإحصائية للبيانات باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبانة واختبار (ت) ( t-test), واختبار التباين الأحادي (One Way ANOVA)ومعادلة الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) وذلك باستخدام الرزم الإحصائية (Statistical Package For Social Sciences) (SPSS).

**عرض نتائج الدراسة:**

توصل إليها الباحث عن موضوع الدراسة وهو درجة الضغوط النفسية على الأم الحامل وبيان أثر كل من المتغيرات من خلال استجابة أفراد العينة على أداة الدراسة, وتحليل البيانات الإحصائية التي تم الحصول عليها. وحتى يتم تحديد درجة من خلال متوسطات استجابة أفراد عينة الدراسة تم اعتماد الدرجات التالية:

الدرجات التي تم استخدمها لتحديد مدى متوسطها الحسابي استجابة أفراد عينة الدراسة

| **الدرجة** | **مدى متوسطها الحسابي** |
|---|---|
| منخفضة | 2.49 فأقل |
| متوسطة | 3.49-2.5 |
| عالية | 3.5 فأعلى |

**عرض ومناقشة النتائج:**

**عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة:**

ما مدى شدة الضغوط النفسية على الأم الحامل؟

للإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات الاستبانة التي تعبر عن الضغوط النفسية على الأم الحامل.

وتبين أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (3.45) وانحراف معياري (0.45) وهذا يدل على أن درجة الضغوط النفسية على الأم الحامل جاءت بدرجة متوسطة كما وتشير النتائج أن فقرة " كان زوجي سعيد في استقبال خبر حملي " على أعلى متوسط حسابي (4.59), يليها فقرة " كنت فرحة في استقبال خبر الحملي " بمتوسط حسابي (4.42) بينما حصلت فقرة " تدخل أهل زوجي بي كان سلبيا أثناء حملي " على أقل متوسط حسابي (2.18). يعزو الباحث بان رغبة الحمل كانت أعلى عند الزوج من الأم الحامل نفسها، لذلك كانت الفرحة اقل عندها. كما أن تدخل أهل الزوج بحمل الأم الحامل يشكل ضغطا نفسيا عليها كما أوضحت النتائج.

**مناقشة الفرضيات:**

**نتائج الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير العمر عند الحمل الأول.**

لفحص الفرضية الصفرية الأولى تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (2).

جدول (2)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| العمر عند الحمل الأول | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| من 16-20 سنة | 104 | 3.36 | 0.43 |
| 21-23 سنة | 55 | 3.64 | 0.45 |
| 24-28 سنة | 25 | 3.35 | 0.40 |
| 29- 32 سنة | 3 | 3.65 | 0.41 |

يلاحظ من الجدول رقم (2) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير

العمر عند الحمل الأول, ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (3).

جدول (3)
نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة "F" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| **بين المجموعات** | 3.12 | 3 | 1.04 | 5.47 | 0.001 |
| **داخل المجموعات** | 34.79 | 183 | 0.19 | | |
| **المجموع** | 37.92 | 186 | | | |

يلاحظ أن قيمة ف هي (5.47) ومستوى الدلالة هي (0.001), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أنه توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير العمر عند الحمل الأول ولصالح من 29-32 سنة وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية الأولى.
يعزو الباحث من أنه على الرغم من التقدم في الطب قد قلل من خطورة عمليتي الحمل والوضع بالنسبة للأم وبالنسبة للجنين بصفة عامة، إلا أن هناك بعض الدراسات ما زالت تؤكد بأنه كلما ازداد عمر الأم أثناء الحمل ازدادت احتمالات حدوث مشكلات بالنسبة للأم والجنين.
وكما يتضح من نتائج الجدول (3) على وجود فروق دالة وبهذا تتفق مع دراسة سبحي (1998 ) التي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغير السن.
ولم تتفق الدراسة مع دراسة الوابلي ( 1995 ) التي أشارت النتائج إلى أنه ليست هناك فروق تعزى لمتغير العمر.

**نتائج الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول.**

لفحص الفرضية الصفرية الثانية تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (4).
جدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| من 1- 3 أشهر | 78 | 3.35 | 0.41 |
| 4-12 شهر | 59 | 3.47 | 0.50 |
| اكثرمن1 – 2سنة | 41 | 3.60 | 0.38 |
| أكثر من2-3سنوات | 7 | 3.32 | 0.46 |
| أكثر من 3 إلى 5سنوات | 2 | 3.62 | 0.78 |

يلاحظ من الجدول رقم (4) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (5).

جدول (5)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة "F" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 1.94 | 4 | 0.48 | 2.46 | 0.04 |
| داخل المجموعات | 35.97 | 182 | 0.19 | | |
| المجموع | 37.92 | 186 | | | |

يلاحظ أن قيمة ف هي (2.46) ومستوى الدلالة هي (0.04), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) أي أنه توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول ولصالح من3-5 سنوات وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية الثانية.

**نتائج الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل.**

لفحص الفرضية الصفرية الثالثة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانة درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (6).

جدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| عدد مرات الحمل | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| مرة واحدة | 18 | 3.50 | 0.37 |
| مرتان | 43 | 3.65 | 0.47 |
| ثلاث مرات فما فوق | 126 | 3.37 | 0.43 |

يلاحظ من الجدول رقم (6) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل, ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي ( one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (7).

جدول (7)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة "F" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 2.58 | 2 | 1.29 | 6.71 | 0.002 |
| داخل المجموعات | 35.34 | 184 | 0.19 | | |
| المجموع | 37.92 | 186 | | | |

يلاحظ أن قيمة ف هي (6.71) ومستوى الدلالة هي (0.00), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل ولصالح (مرتان) وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية الثالثة.
يستنتج الباحث أن عدد مرات الحمل يتأثر بالحالة الانفعالية للام أثناء الحمل باتجاهها نحو هذا الحمل، فالأم التي تشعر بالضيق من كونها حامل، تكون عرضة للاضطرابات النفسية بسبب انفعالاتها المستمرة وتفكيرها الدائم. وان نسبة الأمهات يشعرن بالسعادة في حملهن الأول اكبر من نسبة السعيدات في الحمل الثاني. وذلك لان الأم تلقى رعاية خلال الحمل الأول من جانب الزوج ومن جانب المحيطين بها، ولكنها خلال مرات الحمل التالية لا تلقى مثل هذه الرعاية، مما يجعلها تشعر بالاستياء من الحمل وقد لا تقبله ومن ثم فهي في الحمل الأول تكون اقل اضطرابا.

**نتائج الفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي.**

لفحص الفرضية الصفرية الخامسة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (8).

جدول (8)
المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| المستوى التعليمي | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| اقل من توجيهي | 79 | 3.50 | 0.44 |
| توجيهي | 42 | 3.31 | 0.46 |
| أعلى من توجيهي | 66 | 3.46 | 0.44 |

يلاحظ من الجدول رقم (8) عدم وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي, ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (9).

جدول (9)
نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة "F" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 1.01 | 2 | 0.50 | 2.52 | 0.08 |
| داخل المجموعات | 36.91 | 184 | 0.20 | | |
| المجموع | 37.92 | 186 | | | |

يلاحظ أن قيمة ف هي (2.52) ومستوى الدلالة هي (0.08), وهي اكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي, وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية الرابعة.
اتفقت الدراسة مع دراسة الوابلي ( 1995 ) التي أشارت النتائج إلى أنه ليست هناك فروق بين الذكور والإناث تعزى لمتغير المؤهل التعليمي.
ولم تتفق مع دراسة سبحي (1998) التي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغير المؤهل الدراسي.

**نتائج الفرضية الخامسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى صلة قرابة بالزوج.**

لفحص الفرضية الصفرية الخامسة تم حساب اختبار "ت" لاستجابة أفراد عينة الدراسة على فقرات استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير صلة القرابة بالزوج. وهي كما في الجدول رقم (10).

جدول (10)
نتائج اختبار "ت" للعينات المستقلة لاستجابة أفراد العينة في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| صلة قرابة بالزوج | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة"t" | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| يوجد | 71 | 3.43 | 0.40 | 0.40 | **0.68** |
| لا يوجد | 116 | 3.46 | 0.47 | | |

يتبين من خلال الجدول السابق أن قيمة مستوى الدلالة (**0.68**) وهي اكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$), أي أنه لا توجد فروق درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير صلة القرابة بالزوج, وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية الخامسة.

**نتائج الفرضية السادسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج.**

لفحص الفرضية الصفرية السادسة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (11).

جدول (11)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| السكن مع الزوج | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| منفصل, وقريبة من عائلة زوجي | 92 | 3.32 | 0.39 |
| مع عائلة زوجي | 37 | 3.56 | 0.48 |
| منفصل, وبعيدة عن أهل زوجي | 58 | 3.31 | 0.46 |

يلاحظ من الجدول رقم (11) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (12).

جدول (12)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة "F" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 2.80 | 2 | 1.40 | 7.34 | 0.001 |
| داخل المجموعات | 35.12 | 184 | 0.19 | | |
| المجموع | 37.92 | 186 | | | |

يلاحظ أن قيمة ف هي (7.34) ومستوى الدلالة هي (0.001), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أنه توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج, ولصالح مع عائلة الزوج وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية السادسة.

ويتضح من نتائج الدراسة وجود فروق دالة ولهذا تتفق الدراسة مع كل من دراسات جانيلين وبلاني (Ganellen & Blaney,1984) إلى وجود

ارتباط موجب دال بين إدراك الضغوط وبين الاكتئاب إلا أن هذه العلاقة تقل مع وجود الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية اللذان يخففان من وقع الضغوط.

ودراسة كل من هولاهان وموس (Holahan & Moos, ,1985) مع كوبازا وبوكيت ( Kobasa & Puccetti ,1983) التي أشارا إلى أن هناك فروقا بين الذكور والإناث في متغيرات الشخصية والمساندة الاجتماعية فالرجال أكثر ثقة بالنفس وأكثر صلابة من النساء,بينما النساء أكثر سعيا للمساندة الاجتماعية في مواجهة الضغوط.

**التوصيات:**

في ضوء النتائج التي أسفر عنها البحث يوصي بما يلي:

1- ضرورة المساندة الاجتماعية للأم الحامل.
2- توفير المراكز والمؤسسات المهتمة بالرعاية صحية والنفسية للمرأة الحامل.
3- ضرورة التخطيط والاستعداد الصحي والمادي والمعنوي والنفسي لاستقبال المولود الجديد وخاصة من قبل الأم ومن ثم من حولها.
4- ضرورة رغبة الأم بالحمل وليس بالإكراه أو رغبة أحد من أفراد الأسرة بذالك.
5- إجراء المزيد من البحوث حول الضغوط النفسية وعلاقتها بالأم الحامل.

**المراجع:**


ابن كثير, إسماعيل (د,ت). **تفسير القران العظيم**, دار الكتب المصرية، الجزء الرابع, ص157.

حسين, محمود (2000). **الضغوط النفسية وآثارها الفسيولوجية والنفسية والعقلية والسلوكية**, ورقة عمل, جامعة البترا, عمان.

الخالدي, صلاح عبد الفتاح (1989). **مع قصص السابقين في القران**، دار القلم، دمشق: الطبعة الأولى , ص 174.

زهران, حامد عبد السلام (1981). **علم النفس النمو "الطفولة والمراهقة**, دار العودة، بيروت: ط5, ص71-98.

الزيودي, محمد (2007). مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات. **مجلة جامعة دمشق**، المجلد، 23 العدد الثاني ص194.

سبحي, ممدوع محمد درويش (1998). **ضغوط العمل وأثارها النفسية لدى موظفي البنوك بمكة المكرمة**. رسالة ماجستير , مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

السمادوني, شوقية (1993). **الضغوط النفسية لدى معلمي ومعلمات التربية الخاصة وعلاقاتها بتقدير الذات**. رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية ببنها, جامعة الزقازق.

السيد عبيد، ماجد بهاء الدين (2008). **الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية**. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

نشأت, شرف الدين (1996). تطبيق نظام الثانوية العامة. **مجلة التربية**, جامعة الأزهر عدد47.

الوابلي, سليمان ( 1995 ). **الاحتراق النفسي لدى معلمي التعليم العام بمدينة مكة المكرمة في ضوء مقياس ماسلاش المعرب**. مركز البحوث التربويي. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

Aitken C & Schloss J.(1994).**Occupational stress and burnout amongst staff working with people with an intellectual disability**. *Behavioral Interventions*. **9**, 225-234.

Beck, A., Rush, A., Shaw, B. & Emery, G. (1981). **Cognitive Therapy of Depression.** New York. Allyn and Bacon.

Benjamine, L. (1987). "**Understanding and Managing Stress in the Academic World**", Eric Clearinghouse on Counseling and Personal Services. ,Washington, Michigan, pp.1 – 3..

Ganellen, R. & Blaney, P. (1984). Hardiness and social support as moderators of the effect of life stress. **Journal of Personality and Social Psychology, 47**(1), 156-163.
Gold, Y & Roth, R. (1994). *Teachers managing stress and preventing burnout: the professional health solution,* 2nd edition. The Falmer Press. London.
Holahan, C. & Moos, R. (1985) Life and health: Personality, coping, and family support in stress resistance. **Journal of Personality and Social Psychology, 49**(3), 739 – 747.
Homayoun,A. Aghajanipou.G.A.& Nikpou,A(2009): ***Personality and stress: Personality factors that affect on emerge of stress***, *uropean Psychiatry*,vol 24,pp203-248.
Kobasa, S. & Puccetti, M. (1983). Personality and social resources in stress resistance. **Journal of Personality and Social Psychology, 54(**4), 839 – 850.
Mahoney, N. (1997). Cognitive therapy and research: A question of questions. **Cognitive Therapy and Research,40** (1) 5 -17.
Rash, R. (1997). The Path Way Between Subject's Recent Life Changes and Their Near - Future Illness Reports**: Representative Results and Musicological Issues**. New York: Wiley.

# إمكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين

**الدكتور نذير سيحان محمد أبوانعير**

استاذ مساعد /قسم العلوم الأساسية

جامعة البلقاء التطبيقية /كلية الأميرة رحمة الجامعية

natheer.sihan@gmail.com

**الملخص**

هدفت الدراسة إلى التعرف على امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ، وقد تكوَّن مجتمع الدراسة من جميع مدراء التربية في وزارة التربية والتعليم ، والبالغ عددهم (37 ) مديرا للتربية، في حين تكونت عينة الدراسة من (18) مديرا للتربية ، تم اختيارهم بالطريقة القصدية ، وقد تم تطوير استبانه مكونة من 20 فقرة ، واستخدمت الأساليب الإحصائية المناسبة لتحليل المعلومات . وأظهرت نتائج الدراسة أن امكانية تطبيق المبادئ التربوية للمدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن جاءت بدرجة تقدير متدنية ، وأظهرت نتائج الدراسة أن امكانية تطبيق المبادئ الاقتصادية للمدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن جاءت بدرجة تقدير متدنية ، وأشارت النتائج أيضا أن امكانية تطبيق مبادئ الرقابة للمدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن جاءت بدرجة تقدير متدنية ، وفي ضوء نتائج الدراسة قدم الباحث مجموعة من التوصيات التي من المؤمل أن تفيد واضعي ومخططي السياسة التربوية في الأردن ، من حيث عقد دورات للمعلمين لتعريفهم بالمدارس المستقله وماهيتها وآلياتها، وضرورة اجراء المزيد من الدراسات في موضوع المدارس المستقلة.

**الكلمات المفتاحية** : (الخبراء التربويين، المدارس المستقلة) .

# The ability in applying the independent school principles from the educational experts point of view in Jordan

**Dr: Natheer Sihan Abu- Nair**
**Assistant Professor / princess Rahma College**
**Dept. of Basic Sciences**
**Al Balqa Applied University**

## Abstract

The study has aimed to acknowledge the ability in applying the independent schools from the educational experts point of view in Jordan. The study Society was formed from all the educational principles in Ministry of Education, their No. have reached (37) principles for education. Where as the study sample was formed of (18) principles for education that were chosen by the Willful method. A questionnaire of (20)paragraphs was formed , and the SPSS (statistical analysis) was used for the analyses of the information.

The study results have revealed that the ability to apply the educational principles for independent schools from the educational experts point of view in Jordan have low estimated degree. Thus the study results have revealed that the ability in applying the economical principles for the independent schools from the educational experts point of view in Jordan has low degrees. Thus the results have also revealed that the ability in applying the supervision principles for the independent schools from the educational experts point of view in Jordan has low degrees two. Concerning the study results, the researcher

had submitted several recommendations that may help the educational political planners in Jordan, from making the courses for teachers to acknowledge them of the independent schools, their identifications and methods . In addition to the ability in making more studies concerning the independent schools .
The keywords: ( the educational experts, independent schools)

## خلفية الدراسة وأهميتها

### المقدمة:

للتربية أثر كبير في تطور الفكر وتقدم المجتمع ، ذلك أن النظام التربوي نظام مفتوح على الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لذا فان من الضروري تطوير وتجديد النظام التربوي ليواجه ما أنتجه التطور والتقدم من الانفجار المعرفي والتطور التكنولوجي وسهولة وتوفر وسائل الاتصال الحديثة ، حيث أصبحت التغيرات المتسارعة سمة مهمة من سمات هذا العصر ، ونتيجة لهذه التغيرات ظهرت الحاجة الماسَة الى التطوير والاصلاح التربوي المبني على التخطيط الاستراتيجي السليم للواقع التعليمي وللتحديات المختلفة التي تجابهه ، واصبح لزاما على كافة المؤسسات المختلفة أن تتوافق أوضاعها مع الحياة العصرية التي تتطلبها تكنولوجيا المعلومات .

وتلعب المدرسة دورا هاما في تربية النشئ واعداده وتنشئته وتعليمه ليتكيف مع المجتمع ، وكذلك في تجديده وتطويره وتغيره وبنائه والمحافظة على التراث وتوفير فرص الابتكار والابداع للطلبة ، والتفكير العلمي وتنمية شخصيته واعداده للحياة [ناصر ،2006 ص201].

ويقول جون ديوي في المدرسة : بامكان المدرسة أن تغير نظام المجتمع الى حد معين ، وهو عمل نعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية [ديوي ،1948 ص4] . ومن ذلك تعرف المدرسة بأنها تلك المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتتولى تربية نشئه الطالع ، وهي تلك المؤسسة القيمه على الحضارة الانسانية [ناصر ،2006 ص201].

وظهر مفهوم المدرسة المستقله كأحد أهم الأسس في تطوير واصلاح النظام التربوي والذي يهدف الى ايجاد مجتمع متكامل متجانس معتمدا على

القـدرات التكنولوجيــة الحديثــة وخـدمات الاتصــال ، وتعـرف المــدارس المستقله علـى انهـا مـدارس ممولـة حكوميـا ولهـا الحريـة فـي تنفيذ رؤيتهـا ورسالتها وأهدافها التعليمية الخاصة بها مع الالتزام بالشروط المنصوص عليها في العقد المبرم مع المجلس الاعلى للتعليم [المجلس الأعلى للتعليم ، 2006 ص27].

وتمتـاز المـدارس المستقلة مـن حيـث الأسـس التربويـة الموضـوعة لاعـداد الطلبـة وكيفيـة ترغيبهم للدراسـة وكذلك طريقـة غـرس المهـارات التعليميـة والحياتيـة لـديهم فـي مختلـف المجـالات التعليميـة والتـي تصـقل مـواهبهم وتعمـل علـى تشـجيع الابتكـار وتحسـين أداء الطالـب مـن خـلال استقلالية المدرسة. وتهتم هذه المدارس بقدرات الطلاب في التفكير النقدي ، واتخاذ القرار ، وحل المشكلات ، والعمل الجماعي ، والابداع فـي التعليم ، والقـدرة علـى اسـتخدام الوسـائل التكنولوجيـة والتواصـل الفعـال [سـلامه ،2008، ص2] .

وتقوم المدارس المستقلة على تقديم تعليم نـوعي يركـز علـى تـدريس المواد العلمية وذلك انطلاقا من الرغبة الطموحة والإرادة القوية في تطوير التعليم أولا ولتزويد القطاعـات الاقتصـادية حاجتهـا مـن العناصـر المؤهلـة لميدان العمل ثانيا وهذا يعني تحقيق مبادرة تطوير التعليم العام تحت شعار (تعليم لمرحلة جديدة) لذا أضافت تلك المدارس إلـى قائمـة مقرراتهـا العلـوم الإنسـانية إضـافة إلـى مـا تطرحـه مـن مقـررات علميـة وذلـك لتأهيل الطلبـة لسوق العمل بكافة قطاعاتـه وتخصصـاته [سـلامه ،2008 ،ص2]
ويعطى مدير المدرسـة المستقله كامل الصلاحيات في ادارة المدرسـة المستقلة ، تبـدأ مـن وضـع خطـة شـاملة لمـدة عـام دراسـي كامـل ، مـرورا بتعيينات الموظفين والمعلمين والفنيين ، ووضـع المنـاهج التعليميـة الدراسـية والاشراف على سير العملية التعليمية التعلميـة داخـل المدرسـة بوجـود هيئـة عليـا للمدرسـة المسـتقله وجهـة للمراقبـة والاستشـارة . ويشـترط فـي مـدير المدرسة المستقله أن يكون لديه مؤهل علمي عالي ومتفرغ لادارة المدرسـة ويقدم خطة متكاملة لعام دراسي على الاقل، للجهة الحكومية المسؤولة عن هـذه المؤسسـات ، والتـي بـدورها تـوفر لـه مدرسـة حديثـة المبـاني وتمنحـه ميزانية مالية مقابل كل طالب في المدرسة [مشعل، 2008 ،ص 31].

ونلاحظ أنه في المدارس المستقله لابد من وجـود هيئـة تعليم مشـرفة على تلك المدارس وتقدم الخدمات لها ، وتنصب وظيفتها في تطوير معـايير المناهج في جميع المواد الدراسية للارتقاء بمستوى الطلبة ، وتـوفير فـرص التطـوير المهنـي لتمكين الهيئـات الاداريـة والتدريسية مـن مواكبـة التقنيـات

الادارية والتعليمية ، وضمان المسؤولية المالية للمدارس المستقله عبر نظام الرقابة المالية، وهذا مايطبق الآن في دولة قطر بوجود المجلس الاعلى للتعليم في قطر ، كمشرفا على هذه المدارس المستقله [مشعل ، 2008، ص32].

تختلف المدارس المستقلة عن مدارس وزارة التربية والتعليم في الأسس التربوية الموضوعة لاعداد الطلبة وكيفية ترغيبهم في الدراسة وطريقة غرس المهارات التعليمية والحياتية والتي تصقل مواهبهم ليواكبوا تطور التكنولوجيا ، وتعمل على تشجيع الابتكار وتحسين أداء الطالب من خلال استقلالية المدرسة ، كما وتنصب اهتمامات هذه المدارس على قدرات الطلاب في التفكير النقدي واتخاذ القرار وحل المشكلات والعمل الجماعي والابداع في التعليم والقدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية والتواصل الفعال [مشعل ،2008، ص34].

حيث تتميز المدارس المستقلة عن غيرها من مدارس وزارة التربية والتعليم بعدد من السمات و الخصائص ، والتي يمكن أن نجملها بالآتية : [مشعل ، ،2008 ،ص38] .

– الأستقلالية وتعمل المدرسة المستقله بصورة ذاتية مع مراعاة الشروط المنصوص عليها في العقد محدد المدة.

– المحاسبية وتعد المدارس المستقلة مسؤولة أمام الحكومة ، وهي خاضعة للمساءلة من خلال عمليات الرقابة وعمليات تقييم الطلبة وبوجود مجلس أمناء وملاحظات اولياء الأمور .

– التنوع حيث يتوفر عنصر الاختيار وتتمتع كل مدرسة مستقله بحرية في تحديد الفلسفة التعليمية والخطة العملية الخاصة بها .

– حرية الاختيار ويتمتع أولياء الأمور بحرية اختيار المدرسة الملائمة لاحتياجات أبنائهم .

وانتشرت المدارس المستقله في بدايات هذا القرن بشكل كبير في الولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا ودول اوروبا ،ذلك لما تحظى به من خاصية التميز العالمي في التعليم ، وتعد هذه المدارس تجربة جديدة في منظومة التعليم العربي ، وأخذت دولة قطر بهذه التجربة لتتميز في مستوى تعليمها ، وظهرت رؤى النجاح في التجربة القطرية حيث بلغ عدد المدارس المستقله فيها مايقارب 70 مدرسة ،يدرس فيها أكثر من نصف

طلبة قطر في مختلف مراحل التعليم ،وتلتزم بالمعايير التي يضعها المجلس الاعلى للتعليم في قطر ، والتي تقع تحت مسؤولية مجالس الأمناء لتحقق مبادئ الاستقلالية والمحاسبية والمشاركة المجتمعية، وتم ايجاد مكتب معايير المناهج بوصفه مسئول عن وضع معايير مناهج لأربع مواد: اللغة العربية واللغة الإنجليزية، والرياضيات، والعلوم، ويتم تطبيق المعايير الدولية عليها ، كما يكون هنالك تقويم تربوي شامل لهذه المواد الأربع فقط وذلك لأن كفاءة الطلبة في هذه المواد تعتبر ضرورية للطالب القطري للمنافسة ومواكبة متطلبات هذا العصر، فاللغة العربية واللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم تعد من المواد الأساسية، حيث إن نجاح الطالب فيها يكون مؤشراً لنجاحه في باقي المواد، وتدرس هذه المواد فى كل دول العالم لكافة الطلبة في جميع المراحل حتى التخرج، كما سيتم تدريس مواد أخرى والتي تختلف من مدرسة إلى أخرى [المجلس الأعلى للتعليم ، 2006 ،ص26].

وبالنظرالى مدارسنا وما تحتاجه في مواجهة المشكلات الحقيقية المؤثرة في دورها وفي أداء معلميها للواجبات والمسؤوليات حتى تكون مدارس فاعلة قادرة على إنتاج جيل مرتبط بالإبداع والتميز ومحصن بالمعرفة ومبادئها ، جاءت هذه الدراسة للكشف عن امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن .

**أهداف الدراسة وأسئلتها :**

تهدف الدراسة إلى التعرف على مفهوم المدارس المستقله امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال المحوري التالي :

**ما امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ؟**

**أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الدراسة في الدور الذي تلعبه المدارس المستقله في عملية الارتقاء بالمجتمع والنهوض به، وجاءت الأهمية كذلك في محاولة التعرف على اهتمام الخبراء التربويين في الأردن بالمدارس المستقله ، وكذلك تنبع أهميتها من أهمية موضوع المدارس المستقلة وحداثة وجودها في دول العالم ، وقلة الأبحاث والدراسات في هذا الموضوع ، ومن المؤمل أن يستفيد من نتائج البحث الحالي القائمين على التطوير الاداري

بالمعلومات الجديدة والدقيقة من خلال معرفة اتجاهات الخبراء التربويين نحو مبادئ المدارس المستقلة ، ولعل هذه الدراسة ستكون الدراسة الاولى في الأردن التي تتناول موضوع امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين.

**مصطلحات الدراسة :**

لتحديد الإطار المفاهيمي للدراسة ، تمت مراجعة الأدب التربوي المتعلق بالموضوع . وقد تمَّ تحديد المصطلحات والمفاهيم الأساسية المتعلقة بهذه الدراسة على النحو التالي :

المدارس المستقلة: وهي مدارس ممولة حكوميا ولها الحرية في تنفيذ رؤيتها ورسالتها واهدافها التعليمية الخاصة بها الالتزام بالشروط المنصوص عليها في العقد المبرم مع المجلس الأعلى للتعليم [المجلس الأعلى للتعليم ، 2006 ،ص26].

الخبراء التربويين: ويقصد بهم في هذه الدراسة القيادات العليا في وزارة التربية والتعليم وهم مدراء التربية من ذوي الخبرة والاختصاص.

**الدراسات السابقة:**

أجرى مشعل (2008)دراسة هدفت الى الكشف عن اتجاهات مديري لمدارس ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر ، وتكونت عينة الدراسة من (133) فردا منهم (46) مديرا ومديرة و(87) وكيلا من العاملين في المدارس المستقلة في دولة قطر للعام الدراسي 2008/2007 ، ويمثلون مانسبته (74%) من مجتمع الدراسة الأصلي ، وتم اختيار العينة بالطريقة العشوائية .حيث بنيت اداة الدراسة من خلال الاطلاع على الأدب النظري والدراسات ذات الصلة ،وجرى التحقق من صدقها وثباتها ، وتم تطبيق أداة الدراسة على افراد العينة وتم اجراء التحليل الاحصائي ، وقد توصلت الدراسة الى النتائج التالية : ان مستوى اتجاهات مديري ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر من وجهة نظرهم كان متوسطا ، وكان مستوى اتجاهات مديرات المدارس ووكيلاتهن نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر من وجهة نظرهم كان متوسطا ، وان هنالك فروقا ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة في اتجاهات المديرين والمديرات ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة حسب متغير المرحلة الدراسية ، في كل من مجالي : ضغوط

العمل ، والرضا الوظيفي ، والمجموع الكلي لصالح المرحلة الثانوية، ولم تظهر الدراسة وجود فروقا ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة في اتجاهات المديرين والمديرات ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقله حسب متغير الوظيفة لكافة المجالات والمجموع الكلي.

وأجرى كل من فوربيسا و وينيرب (2008) & Forbesa Weinerb دراسة بعنوان : قوى المدارس المستقلة الاسكتلندية ، خصائصها واهدافها ، وقدمت هذه الدراسة نظرة شاملة لخصائص المدارس المستقلة الاسكتلندية ،موقعها ، دمائها ، رسومها ، والتمييز بين وجهات المدارس المختلفة في القطاع ، والجزء الرئيسي من هذا البحث هو تحليل لفظي للنصوص لثلاثة مدارس مستقلة ،كدراسة حاله من أجل اظهار كيفية بناء هذه المدارس لأنفسهم.

وأجرى بالفريمان (2007) Palfreyman دراسة بعنوان المدارس المستقلة :المركز الداعم والفائدة العامة ، وتناولت الدراسة المدارس المستقلة في بريطانيا ، حيث ان المدارس المستقلة فيها لها مركز داعم خاص بها ، وقد عقد امتحان لتحديد كمية المال المزود والرعاية لهذه المدارس ، واقترحت هذه الدراسة أن هذا الأمتحان سوف يكون بشكل جيد حيث يتضمن التكلفة المادية والفائدة لهذه المدارس المستقلة.

وأجرى حسنين (2007) دراسة هدفت الى الكشف عن دور مراكز مصادر التعلم بالمدارس المستقلة في دولة قطر في تحديث العملية التعليمية والتربوية: دراسة للواقع وتخطيط للمستقبل ، حيث شهد التعليم في دولة قطر خلال السنوات الماضية مجموعة من التطورات وذلك بهدف النهوض به والوصول به إلى مستويات عالمية. ومن بين هذه التطورات التي ظهرت إنشاء ما يعرف بالمدارس المستقلة. ( المدرسة المستقلة هي مدرسة ممولة حكومياً ولها الحرية بتنفيذ رسالتها وأهدافها التعليمية الخاصة بها مع الالتزام بالبنود المنصوص عليها في العقد المبرم مع المجلس الأعلى للتعليم) ، حيث تبلغ ميزانية التعليم في قطر 6 مليارات ريال ، التي خطت خطوة نوعية بإيقاع طريقة التعليم المستقل منذ عام 2004 والتي بدأتها ب (12) مدرسة والآن أصبح عددها 46 مدرسة تعطي الإدارة المدرسية فيها الطلاب حرية اختيار الكتب المدرسية وطرق التعليم وبرنامج الدروس . ومما يعزى نجاح أي مدرسة بصورة أولية إلى نوعية التعليم الذي تزود به طلابها؛ و تأكيداً لحقيقة أن كل طالب يجب أن يزود بالاستجابات الأولية للتعلم ، فإن البيئة التي يحدث فيها هذا التعلم يجب أن تتكون من كفاءات، و

قدرات ، و مثيرات ، و طرق تدريس ، و ما يشبه هذه العوامل التي تترابط و تتداخل مع بعضها و يحتمل أن تؤثر على تلك البيئة . و حيث أن التعلم هو نشاط فردي عالي المستوى فإن مركز مصادر التعلم يؤكد مبدئياً على خدمة العديد من احتياجات الطلاب المتنوعة وأساليب تعلمهم ضمن مفهومه العام.ومما لاشك فيه أن المكتبة مهما كان الاسم الذي يطلق عليها يجب أن تحتل دوراً مركزياً في المصادر التعليمية للمؤسسات التربوية.

وأجرت مايربيرغ Myrberg (2007) هدفت الى قياس تأثير تعليم التعليم الرسمي على تحصيل القراءة لدى طلبة الصف الثالث في المدارس الحكومية والمستقلة في السويد ، وبحثت هذه الدراسة في تأثير كفاءة المعلم عن التحصيل القرائي للصف الثالث ،وبلغ عدد أفراد العينة 10.000 طالب من طلبة المدارس المستقلة ، وحصل هؤلاء الطلبة على تقدير عالي في امتحان القراءة عند ضبط عينة الآباء المتعلمين ، ولم تظهر الدراسة أي فروق احصائية لدى المعلمين تعزى الى متغيرات الخبرة التدريسية ، الجنس ، والعمر .

وأجرى داونز Downes(1998) دراسة تحليلية بعنوان : لا لمسألة التبعية المالية ؟ مرونات المساعدات للمدارس المستقلة . حيث انه كان هناك تصور بأن الوضع المالي للمدرسة المستقلة في المدينة والتي تعتمد عليها خمس مناطق واسعة في ولاية نيويورك يخلق عائقا أمام تحقيق المعايير. وجاءت الدراسة كمحاولة لتقييم تأثير الاعتماد المالي على الإنفاق على التعليم. وتشير النتائج إلى أن مستويات الإنفاق بصورة منتظمة قد يكون أقل من ذلك في المناطق التي يوجد بها مدرسة مستقلة. و مع ذلك هنالك أدلة تذكر على أن حكومات الغرض العام لهذه المناطق هي التي تعتمد ماليا "سرقة" حصة غير متناسبة من مساعدات الدولة للتعليم. وأختتم كلمتي تقييم السياسات التي يمكن أن تخفف من أي أثر ضار أن الاعتماد المالي قد يكون. تقييم هذا يقودني إلى الاستنتاج بأنه ، حتى لو مستويات الانفاق ليست كافية ، والتخلص من التبعية المالية قد لا تكون أفضل سياسة لمعالجة هذه المشكلة. بدلا من ذلك ، يمكن لواضعي السياسات النظر في التغييرات التي من شأنها أن تسهل وتخصص عائدات مالية ثابتة إلى هذه المدارس وتنظمها.

وأجرى فري Frey(1995) دراسة تحليلية ومراجعة للكتاب الذي ألفه باس Bass(1992) ، والذي كان بعنوان: مدارس مستقله ومفكرين مستقلين . وهدفت الدراسة التحليلية التعرف على مفهوم المدرسة المستقلة وآلياتها، وعرف المدرسة المستقلة بأنها التي تكون مستقلة من حيث التمويل والإدارة ، فهي لا تعتمد على الحكومة الوطنية أو المحلية من أجل تمويل عملياتها ولا تعتمد على مساهمات دافعي الضرائب ، وبدلا من ذلك يتم تمويلها من خلال مزيج من الرسوم الدراسية ، والهدايا ، و في بعض الحالات على العائد من الاستثمارات. و يحكمها مجلس الإدارة الذي يتم انتخابه من قبل وسيلة مستقلة ونظام الحكم الذي

يضمن عملها المستقل. و قد تتلقى أموالا حكوميةومع ذلك يجب أن تكون مستقلة عن مجلس الإدارة. و في كثير من الأحيان وخاصة في الاستخدام الشعبي تستخدم المدارس المستقلة والمدارس الخاصة كمرادفات ، وهذه التعاريف العامة للمدرسة المستقلة يمكن ان تنطبق على التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي ، ومؤسسات التعليم العالي.

والخلاصة أن موضوع المدارس المستقلة يفتقر الى الدراسات والابحاث التي تخوض فيه بشكل مباشر ، واستفاد الباحث من هذه الدراسات المتوفرة في وضع هدف الدراسة الحالية وأسئلتها ، وأهم مايميز هذه الدراسة عدم تطرق أي دراسة سابقة الى امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين، وتحديدا في الأردن و الدول العربية .

## الطريقة والإجراءات:

### منهجية الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة ، بجمع البيانات عنها وتبويبها وتحليلها ، والربط بين مدلولاتها.

### مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من (37) مدير تربية في مديريات التربية والتعليم التابعة لوزارة التربية والتعليم .

### عينة الدراسة

تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة القصدية ، مع مراعاة معايير الخبرة والتميز، من المجتمع الكلي حيث تكونت من (18) مدير تربية في مديريات التربية والتعليم التابعة لوزارة التربية والتعليم .

### حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على الخبراء التربويين الذين اعتمدتهم الدراسة، وتتحدد نتائج هذه الدراسة بنتائج واستجابات افراد عينة الدراسة، ويتحدد زمن اجراء الدراسة في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 2010/2009.

## أداة الدراسة

من خلال الدراسات السابقة ، وخاصة دراسة مشعل (2008) ، ودراسة المجلس الاعلى للتعليم في قطر (2006) ، ولتحقيق الغرض من الدراسة أعد الباحث استبانه تحددت فيها مجالات الدراسة ، وقام الباحث بوضع عدد من الفقرات تحت كل مجال من المجالات والتي يمكن أن تمثل مبادئ المدارس المستقلة في الأردن ، والمبادئ هي :الاقتصادية ، التربوية ، و مبادئ الرقابة.

وقد استخدم الباحث تدريج خماسي يمثل درجة الاستجابة على فقرات الأداة ، ولأغراض تحليل البيانات اعتمد الباحث ترتيب المتوسطات الحسابية للفقرات كالتالي:

المتوسطات 4 فأعلى تمثل درجة عالية والمتوسطات 3-3.99 تمثل درجة متوسطة والمتوسطات 2.99 فما دون تمثل درجة متدنية .

## صدق الأداة

تم التحقق من صدق الأداة عن طريق عرضها على لجنة من المحكمين والمتخصصين من أساتذة الجامعات الأردنية في مختلف التخصصات التربوية للاسترشاد برأيهم حول درجة انتماء الفقرات ومناسبتها للمجالات التي تم تحديدها وإضافة وحذف وتعديل ما يرونه مناسباً .

## ثبات الأداة

للتحقق من ثبات الأداة تم حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي من خلال معادلة كرونباخ ألفا( Cronbach Alpha) ، وقد بلغ معامل الثبات للأداة ككل (0.88) واعتبرت هذه القيم مقبولة لأغراض الدراسة، والجدول (1) يبين ذلك.

الجدول (1) معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا للمجالات للأداة ككل

| المجال | معامل الثبات |
|---|---|
| المبادئ التربوية | 0.90 |
| المبادئ الاقتصادية | 0.86 |
| مبادئ الرقابة | 0.88 |
| المبادئ ككل | 0.88 |

**المعالجة الإحصائية**

للإجابة عن أسئلة الدراسة، تم إجراء المعالجات الإحصائية المناسبة بعد إدخال البيانات على جهاز الحاسوب لتحليلها على برنامج (SPSS) ومعالجتها إحصائيا ، وقد تم استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف على آراء عينة الدراسة ودرجة موافقتها على كل مفردة .

## نتائج الدراسة ومناقشتها

### عرض النتائج المتعلقة بالسؤال المحوري ونصه: " ما امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ؟

وللإجابة على هذا السؤال تم عرض مبادئ المدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن من وجهة نظر الخبراء التربويين.

### 1.المبادئ التربوية:

يبين الجدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ التربوية

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ التربوية

| الرقم | الفقرات | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة التقدير |
|---|---|---|---|---|
| 1 | تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة بالابداع في التعليم والقدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية والتواصل الفعال | 3.01 | 1.11 | متوسطة |
| 2 | تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة على التفكير النقدي واتخاذ القرار | 2.97 | 1.26 | متدنية |
| 3 | تشجع هذه المدارس على الابتكار لدى الطلبة | 2.73 | 1.15 | متدنية |
| 4 | تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة على حل المشكلات والعمل الجماعي | 2.55 | 1.19 | متدنية |
| 5 | وزارة التربية والتعليم هي الجهة المشرفة على انشاء المدارس المستقلة | 2.16 | 1.08 | متدنية |
| 6 | توفر طرائق تدريس خاصة بكل مادة تدريسية | 2.05 | 1.03 | متدنية |
| 7 | توفر برامج تدريبية لرفع مستوى المعلمين | 1.97 | 1.38 | متدنية |
| 8 | مناهج المدرسة المستقلة ضمن معايير دولية وتواكب متطلبات هذا العصر | 1.91 | 1.27 | متدنية |
| 9 | المدرسة المستقلة لها الحرية في اختيار خطتها التعليمية وطرقها | 1.83 | 1.16 | متدنية |
| 10 | في المدارس المستقله يتمتع أولياء الامور باختيار المدرسة الاكثر ملائمة لاحتياجات ابنائهم بين المدارس المستقله | 1.77 | 1.09 | متدنية |
| الكلي | | 2.29 | 1.01 | متدنية |

يبين الجدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ التربوية للمدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن ، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين الفقرات في هذا المجال (3.01) في حدها الأعلى وكانت لفقرة " تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة بالابداع في التعليم والقدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية والتواصل الفعال " ، وبين (1.77) في حدها الأدنى وكانت لفقرة " في المدارس المستقله يتمتع أولياء الامور باختيار المدرسة الاكثر ملائمة لاحتياجات ابنائهم بين المدارس المستقله ". وجاءت باقي فقرات المجال على درجة متدنية من الأهمية من قبل الخبراء التربويين . ويعزى ذلك أن تطور التكنولوجيا والمعرفة الذي حدث في الأردن في مجالات التربية والتعليم من حيث ادخال الوسائل التكنولوجية الحديثة في منظومة التعليم الأردني ، وتطوير قدرات المعلمين وادارة المدرسة لتواكب عصر الاقتصاد المعرفي ، أوجدت البدائل المتطورة التي تتماشى والتقدم العالمي في مجال التعليم من حيث ايجاد مدرسة المستقبل الذكية والمدرسة الالكترونية. إلاَ ان هذا التطور والتقدم يحتَم علينا أخذ المفيد من التجارب العالمية في مجال التربية والتعليم والتي تتماشى وفلسفة التربية والتعليم في الاردن ، حيث ان تطبيق مبادئ المدارس المستقبلية في الأردن ليس مستحيلا ، رغم ما تمليه ثقافتنا العربية والاردنية تحديدا من الخوف والحذر من تطبيق ماهو جديد من الافكار والرؤى الحديثة . وبوجود أنموذج ناجح للمدارس المستقلة والمطبق حاليا في دولة قطر والذي ساعدها على دخول مرحلة جديدة ومتميزة في التعليم من حيث الجودة والتميز على مستوى العالم ، يدعونا لمحاولة الخوض في تجربة تعليم نوعي جديد في الاردن ، وذلك باعتبار الاردن من الدول العربية المتقدمة في مجالات التعليم والتطوير التربوي وفي تدعيم الرؤى الاستراتيجية لاستثمار الانسان . ونلاحظ ان البيئة التعليمية للمدارس المستقلة هي محفزة للطلبة والمعلمين ، فالطلبة يكونوا مستقلين وقادرين على حل المشكلات ذاتيا ، بوجود معلمون أكفاَء يتمتعون بأدوار متجددة في المدارس المستقلة.

**2.المبادئ الاقتصادية:**

يبين الجدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ الاقتصادية

جدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ الاقتصادية

| الرقم | الفقرات | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة التقدير |
|---|---|---|---|---|
| 1 | تقوم وزارة التربية والتعليم بتمويل المدارس المستقلة لدعم الطلبة | 2.41 | 1.08 | متدنية |
| 2 | تقوم وزارة التربية والتعليم بتمويل المدارس المستقلة لدعم البرامج التعليمية ذات الطابع الابتكاري | 2.36 | 1.11 | متدنية |
| 3 | وزارة التربية والتعليم هي التي تدعم وتساند المدارس المستقله للاشراف على خططها المالية | 1.93 | 1.27 | متدنية |
| 4 | يوجد بهذه المدارس مجلس أمناء يساهم في زيادة مواردها المالية . | 1.78 | 1.38 | متدنية |
| الكلي | | 2.12 | 0.97 | متدنية |

يبين الجدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ الاقتصادية للمدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن ، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين الفقرات في هذا المجال (2.41) في

حدها الأعلى وكانت لفقرة " تقوم وزارة التربية والتعليم بتمويل المدارس المستقله لدعم الطلبة " ، وبين (1.78) في حدها الأدنى وكانت لفقرة " يوجد بهذه المدارس مجلس أمناء يساهم في زيادة مواردها المالية ". وجاءت باقي فقرات المجال على درجة متدنية من الأهمية من قبل الخبراء التربويين. ويعزى ذلك إلى تردي الأوضاع الاقتصادية الحالية على صعيد الاردن بشكل خاص ، وعلى الصعيد الدولي بشكل عام ، و في ظل الازمة المالية العالمية المعاصرة ، و بوجود عجز مالي في موازنة الدولة الاردنية ، فان مثل هذه المبادئ والتي تحتاج لميزانية مالية كبيرة ونفقات كبيرة من حيث انشاء المدارس المستقلة والتي تتميز بمباني كبيرة وضخمة وتجهيزات حديثة من وسائل تكنولوجية وخدمات عالية الجودة ، ونفقات الرواتب والاجور (النفقات التشغيلية للمدرسة ) حيث أن رواتب العاملين في مثل هذه المدارس تكون أعلى مقارنة بمن يعملون في مدارس الحكومة ، وجميع هذه النفقات يتم تمويلها من قبل الدولة ،لايمكن تنفيذها حاليا أو الاخذ بها في الواقع الاردني ، من وجهة نظر خبراء التربية في الاردن.

ولكننا ان امعنا النظر بالمبادئ الاقتصادية للمدارس المستقلة والتي من الممكن تطبيقها في الأردن ، فيمكن لنا في ظل الاوضاع الراهنة ايجاد حلول لتطبيق هذه المبادئ ،مثل اصلاح مدارس حكومية وترميمها وتحويلها الى مدارس مستقلة ضمن مواصفات الجودة المطلوبة لمباني المدارس المستقله ، وبمشاركة من المجتمع المحلي الممثل بمجلس أمناء المدارس المستقلة والذين من واجباتهم توفير التمويل اللازم والدعم المالي لخوض غمار هذه التجربة الفريدة في معظم دول العالم العربي ، والتي ترفع من سوية وتميز الطالب الاردني.

### 3.مبادئ الرقابة:

يبين الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال مبادئ الرقابة

جدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال مبادئ الرقابة

| الرقم | الفقرات | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة التقدير |
|---|---|---|---|---|
| 1 | تزود مجلس أمنائها وأولياء أمور الطلبة والمسؤولين عن مدى تحقيق دورها كونها خاضعة للمسائلة والمحاسبة | 3.46 | 1.12 | متوسطة |
| 2 | تخضع لتقييم دوري من قبل وزارة التربية والتعليم | 2.73 | 1.18 | متدنية |
| 3 | تقوم بمساعدة الطلبة على تحسين أدائهم وتطويره | 2.28 | 1.06 | متدنية |
| 4 | تبلغ المدرسة المستقلة بنتيجة أداء الطلبة للجهات المسؤولة عنها | 1.70 | 0.97 | متدنية |
| 5 | تخلق في طياتها كوادر ادارية وفنية ذات مهارات وكفاءة عالية | 1.66 | 1.16 | متدنية |
| 6 | تراقب المدرسة المستقله أداء جميع الطلبة باستمرار دون استثناء | 1.51 | 0.93 | متدنية |
| الكلي | | 2.22 | 0.89 | متدنية |

يبين الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال مبادئ الرقابة للمدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن ، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين الفقرات في هذا المجال (3.46) في حدها الأعلى وكانت لفقرة " تزود مجلس أمنائها وأولياء أمور الطلبة والمسؤولين عن مدى تحقيق دورها كونها خاضعة للمسائلة والمحاسبة " ، وبين (1.51) في حدها الأدنى وكانت لفقرة " تراقب المدرسة المستقله أداء جميع الطلبة باستمرار دون استثناء ". وجاءت باقي فقرات المجال على درجة متدنية من الأهمية من قبل الخبراء التربويين. ويعزى ذلك إلى أن النظام التربوي الاردني قائم على مبادئ الشفافية والمسائلة والمحاسبية ، وأن جميع مدارس وزارة التربية والتعليم في الأردن تخضع لبرامج الرقابة الأدارية والتربوية ، وأن الادارة المدرسية في الاردن تقوم بابلاغ الطلبة بنتائجهم ، وتقوم برامج التطوير والتدريب في وزارة التربية والتعليم بمتابعة سير تطوير المعلم الأردني من حيث عقد دورات تدريبية وورش عمل لرفع سويته ، وأقرت وزارة التربية والتعليم في الأردن شرط الترقية للمعلمين بالحصول على رخصة القيادة الدولية للحاسوب "ICDL". ومع كل هذا الاهتمام والتطور الذي حققه الاردن في النظام التربوي فلا مانع لنا من الاستفادة من تجارب الغير في تطوير النظام التربوي للأفضل لتحقيق مستقبل تزهو به الأجيال الواعدة.

ونلاحظ في نتائج الدراسة أن المتوسط الكلي لمجالات امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ،جاءت بدرجة متدنية ، والجدول (5) يبين ذلك.

الجدول (5) المتوسط الكلي لمجالات الدراسة ككل

| المبادئ | المتوسط الحسابي | درجة التقدير |
|---|---|---|
| المبادئ التربوية | 2.29 | متدنية |
| المبادئ الاقتصادية | 2.12 | متدنية |
| مبادئ الرقابة | 2.22 | متدنية |
| الكلي | 2.21 | متدنية |

أشارت نتائج الدراسة الى أن المتوسط الكلي لامكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ، بلغ (2.21) للمبادئ ككل و بدرجة تقدير متدنية . ويعزى ذلك الى التقدم والتطوير الذي تتبناه وزارة التربية والتعليم وما حققه في مجال التحول نحو الاقتصاد المعرفي في النظام التربوي الاردني ، وهذا لايمنع أن نبدأ بالتحول الى تجارب جديدة ومفيدة لنظامنا التربوي فإن ما تحققه المدارس المستقله من تطوير في الأهداف التربوية وما تسخَره لتنمية الطلبة وتطويرهم باعتبارهم محور العملية التعليمية التعلمية من خلال استخدامها لأحدث اساليب التدريس القائمة على الحوار والنقاش . وكذلك تلبية المدارس المستقلة للشراكة المجتمعية في التعليم في تحقيق التعليم للجميع وربط التعليم باحتياجات المجتمع.

**التوصيات**

- عقد دورات تدريبية في وزارة التربية والتعليم لتعريف المعلمين بالمدارس المستقلة من حيث مفهومها وماهيتها وآلياتها.

- العمل على اعداد استراتيجية تربوية مستقبلية على مستوى النظام التربوي الاردني تكون واعية ومرشدة للتطور التربوي العالمي خلال القرن الحادي والعشرين.

- السعي إلى بناء كوادر تعليمية فاعلة في ظل عالم يحكمه مجتمع المعرفه .

- الأخذ ببعض المبادئ التي تقوم عليها المدارس المستقلة من حيث تفعيل الرقابة على المدارس التابعة لوزارة التربية و التعليم.

- إجراء المزيد من هذه الدراسات في هذا مجال المدارس المستقلة، بحيث تتضمن متغيرات أخرى ، ومقارنة للمدارس الحكومية .

## أولا:المراجع العربية


سلامة محمد ،2008. قضايا محلية : *المدارس المستقلة.. تجربة يجب تعميمها للربط بين قطاع التعليم وسوق العمل* ، صحيفة الدستور اليومية العدد (136) بتاريخ 2008/6/12 ،الاردن .

ناصر ، ابراهيم 2006 . **أسس التربية** ، ( ط2 ). عمان : دار عمار للنشر.

مشعل ، صالح 2008 . *اتجاهات مديري المدارس ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر* ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا ، عمان ، الاردن.

الهيدوس، صباح (2007) . **المدارس المستقلة** . www.lakom-qa/vieww-ebisode

العميان ، محمود سليمان (2002) . السلوك التنظيمي في منظمات الاعمال . عمان : دار وائل للنشر والتوزيع.

المجلس الأعلى للتعليم بدولة قطر (2006).*مجلة تعليم لمرحلة جديدة* ، (الجزء الاول)، قطر.

حسنين ، مصطفى (2007) ، *دور مراكز مصادر التعلم بالمدارس المستقلة في دولة قطر في تحديث العملية التعليمية والتربوية: دراسة للواقع وتخطيط للمستقبل*، محور المكتبات ومحو الأمية.المؤتمر القومي الحادي عشر لاخصائي المكتبات والمعلومات في مصر 26-28يونيه 2007 .

## ثانيا:المراجع الأجنبية


-Dewey,j, 1943. Quoted in kilputrical w.1 . **Source Book in philosophy of educayion** , p4.
-Downes, Thomas A (1998**) .** *Does fiscal dependency matter? Aid elasticities for dependent and independent school districts* , Department of Economics, Tufts University, Medford, MA 02155, USA.

**-** Forbesa,JandWeinerb, G.2008 *Under-stated powerhouses* **:** *Scottish independent schools, their characteristics and their capitals*. Studies in the Cultural Politics of Education . Vol. 29, No. 4, December 2008, pp 509 525.

-Frey , Donald (1995).' *Book review Independent schools, independent thinkers : Edited by . San Francisco: Jossey-Bass, 1992*'. Economics of Education Review Volume 14, Issue 1, March, Pages 92-97.

-Myrberg ,Eva (2007) .*The effect of formal teacher education on reading achievement of 3rd-grade students in public and independent schools in Sweden*. Educational Studies , Vol.33 . No.2 ,june 2007,pp.145-162.

-Palfreyman , David (2007) . *Independent schools: charitable status,public benefit and UDI* **.** Education and the Law, Vol. 19, Nos. 3/4, September December 2007, pp. 167 175.

Journal of

# Averroes University

in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**



Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.



The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| **Annual contribution** | **Individuals** | **Organizations** |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |

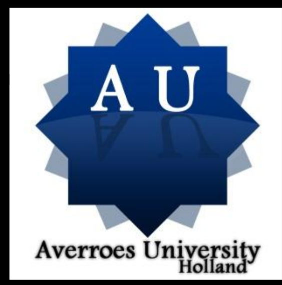


Second Issue April 2011




# Journal of Averroes University in Holland

**Issue 2** **Price €10,00**




# مجلة جامعة ابن رشد

في هولندا

## دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

السعر 10 يورو

العدد الرابع

# مجلة
# جامعة ابن رشد في هولندا

## دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا





عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411



رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |




العدد الرابع　　　ديسمبر كانون أول 2011

# الفهرس


| | ص. |
|---|---|
| مفتتح | 007 |
| **الأدب وعلوم اللغة** | 009 |
| **المَـثـلُ فـي الـعِقد الـفـريـد**<br>الـدكـتـور مُـحسن اسـمـاعـيـل مـحـمّـد جـامـعـة غـرنـاطـةـ اسبانـيا | 010 |
| **القصة القصيرة الشابة ، وغياب المنهج النقدي في دراستها**<br>الدكتور محمد عبد الرحمن يونس سوريا | 021 |
| **إطلالة على قصيدة النثر العربية\اختلاف المفاهيم داخل نفس المعجم الباحث** المهدي عثمان تونس | 033 |
| **القاعدة النحوية ودورها في تحديدا لحكم الفقهي من خلال الحديث النبوي الشريف** الدكتورة: خديجة بنت عبد العزيز عطية الله الصيدلاني السعودية | 071 |
| **الدراسات القانونية** | 122 |
| **الجوانب القانونية والسياسية للشركات العسكرية الدولية الخاصة**<br>الدكتور السيد مصطفي أحمد أبو الخير الخبير في القانون الدولي مصر | 123 |
| **العلوم الإدارية والاقتصادية** | 168 |
| **نظام محاسبة التكاليف ووظائف الإدارة في وحدات إدارة الأعمال** الدكتور صباح قدوري | 169 |
| **أوراق عمل وبحوث في المؤتمرات العلمية** | 195 |
| **مناهضة التعذيب في الدول العربية الإطار القانوني و أفق الإصلاح**<br>ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الحوار العربي الاوربي السادس<br>حول مناهضة التعذيب و سيادة القانون11-13 مايو 2011 ( برلين)<br>**الدكتور عبدالحسين شعبان** إستاذ القانون الدولي - خبير دولي في مجال حقوق | 197 |

الإنسان
**الدكتور أسامة ثابت الآلوسي**
أكاديمي ..مختص في القانون الدولي لحقوق الإنسان

**History**
239

240 The impact of Spoken narration history on the Palestinian contemporary history recording د. أسامة أبو نحل

269 **Administration**

270 CRITICAL MANAGEMENT THEORY AS CRITICAL ACTION LEARNING IN BUSINESS ORGANISATIONS IN THE STATE OF KUWAIT
**Dr. Abdulrahman Al-Juboori**

**Dr. Hamad Saleh Al-Duaij**


*** لوحتا الغلاف للفنان التشكيلي العراقي ستار كاووش**

# مفتتح

تمضي سفينة الاستكشاف العلمي والبحث الأكاديمي في أجواء تكتنفها مصاعب وعراقيل عديدة؛ إلا أنّ الجهود تتصل مستمرة بدأب وإصرار على تحقيق منجز علمي، يخدم مسيرة تطمين الحاجات العملية للإنسان وتلبي مطالب شعوبنا في حياة أسهل، عبر أنسنة الحياة وإخضاعها لقوانين التقدم والحداثة ومنطقها العقلي الصائب. إنّ توجهنا إلى تعزيز مسيرة البحث العلمي لن يقف عند حدود استكتاب علمائنا وأساتذتنا تجريديا هنا بين دفتي الدورية العلمية لجامعة ابن رشد حسب بل نتجه إلى بحوث ميدانية في علوم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة وإدارة الأعمال واللغة والأدب والفن لنزاوج بين مختبرات البحث ومعاييرها وبين مختبرات الواقع وما يجابهنا فيها، وهو الأمر الذي ندعو فيه الشركات والمؤسسات المختلفة لتبني تلك المشروعات التي رسمناها ودعمها بالملموس المادي الذي لا يُخْرِج الأكاديمي عن أدائه وضوابطه ومستهدفاته بقدر ما يخلق التفاعل بين أطراف الفعل الإنساني موضوعيا..مؤكدين على أهمية اتحاد إيجابي بين رأس المال المالي ورأس المال العلمي بقصد البشري وقدرات العطاء المعرفي الأكاديمي البحثي. وهذا ما تبقى عشرات ومئات من مؤسساتنا العاملة بحاجة لنتائجه وتطبيقاته. ونحن نزعم امتلاكنا مفردة مما يلبي تلك الحاجة الأمر الذي ينتظر علاقات مباشرة مع تلك المؤسسات ومتطلبات عملها الموجودة إجاباتها لدى باحثاتنا وباحثينا...

إنّنا هنا نؤكد احتضان جامعة ابن رشد تلك المهمة البحثية الإنسانية عبر دوريتها وعبر مراكز البحث العلمي فيها منفتحين هنا على أشكال الدعم غير المشروط بما هو غير أكاديمي أو غير علمي. متطلعين لكل الجهات المعنية باستثمار نتائج تلك البحوث لمصلحة الإنسان وحقوقه وحاجاته.. وفي ضوء هذا النهج يجد القارئ المتفحص موضوعات هذا العدد قد تحولت بالنظري إلى جملة ما تتحصل عليه من أداءات نفعية ملموسة بمختلف العلوم ومحاور البحث فيها..

ومجددا نؤكد أنّ الرؤى الفكرية والمعالجات الموجودة تظل بانتظار حوار علمي ربما يجد الحافز الموضوعي المكين لاستيلاد منجز جديد قد يتعارض مع الأول ولكنه بالتأكيد يستقي منه أسس عمله للوصول للأنضج والأكثر صوابا ودقة في النتائج العلمية نظريا وعمليا...

وقد آلينا على أنفسنا أن ننفتح على تجاريب من جنسيات متعددة، مؤجلين بعضا من جهود زميلاتنا وزملائنا في الجامعة، لنتوسع في التفاعل مع الآخر من خارج مؤسستنا الفتية؛ وللتفاعل مع المتغيرات الجارية التي نتطلع لأن

تتجه اتجاها يتمسك بقوة بالمنطق العقلي المعرفي للعمل ومن هنا فإنّكم تجدون مساهمات من المغرب والجزائر وتونس مثلما تجدونها من مصر وفلسطين حيث معالم التغيير بتلك البلدان وكذلك من بلدان باتت ترصد المليارات للعلوم والبحوث وللجامعات كما في المملكة العربية السعودية والكويت إلى جانب الباحثين في ظروف استثنائية كما أولئك العلماء من العراق.. وكل هذه التجاريب التي تنتمي إلى جامعات بلدان المنطقة تتفاعل وتجاريب علمائنا المقيمين في بلدان أوروبا الغربية ومختبراتها المعرفية لتنتج خطابا علميا حداثويا جديدا يخرجنا من قعر مقياس الاعتماد الأكاديمي العالمي من جهة ويقدم إيجابيا أساتذة جامعتنا وباحثينا من جهة أخرى...

إنّنا لن نمارس غرورا؛ فنحن نعرف وندرك معنى البدايات ومعنى أن يكون حجمنا المادي متواضعا، ونحن نسير متحسسين ما تحت أقدامنا لكي تكون خطواتنا ثابتة راسخة، ولكي ننتقل إلى المراحل التالية تدريجا من دون حرق إحداها ومن ثمّ احتمال التعثر...

ومن هنا فإنّنا نجدد دعوتنا إلى جميع المعنيين بدعم البحوث العلمية كيما يساهموا معنا في تفعيل المسيرة وتبنيها.. ولتكون خططنا الاستراتيجية مشتركة متضافرة في جمع أكثر من جهة لصبّ جهودها في بوتقة متماسكة قادرة على إنتاج الثمار العلمية الأنضج والأغنى...

**أيتها الزميلات.. أيها الزملاء نجدد التوكيد على أننا معا وسويا يمكننا تحقيق أفضل المنجزات المعرفية المنتظرة سواء لطلبة العلوم والمعارف أم لحاجات البشرية في مسيرتها من أجل تطبيع الحياة وتطويعها لتلبية مستهدفاتها النبيلة السامية ونحن بكم ومعكم نتقدم.. نحيِّي هنا بهذه المناسبة مواقف الدعم ومعاضدتكم للجهود العلمية بوجودكم في هذه المؤسسة الأكاديمية غير الربحية وليس من ربح لنا سوى نتاجنا العلمي يخدم الإنسانية وشعوبنا.. وتحية العلم لكم جميعا...**

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة


**المَـثـلُ فـي كتاب العِـقـد الـفَـريـد**

الـدكـتـور مُـحـسن اسـمـاعـيـل مـحـمّـد          جـامـعـة غـرنـاطـةـ اسبانـيا

**القصة القصيرة الشابة ، وغياب المنـهج النقدي في دراستـها**

أ.م.د. محمد عبد الرحمن يونس   جامعة ابن رشد ـ هولندا

**القاعدة النحوية ودورها في تحديدا لحكم الفقهي من خلال الحديث النبوي الشريف**

الدكتورة: خديجة بنت عبد العزيز عطية الله الصيدلاني جامعة الملك عبدالعزيز السعودية

# المَثلُ في كتاب العِقد الفَريد

الدكتور مُحسن اسماعيل محمّد جامعة غرناطة_ اسبانيا

## لمحة تاريخية للمثل

تؤكّد كُتُب الأمثال المكانة الخاصّة التي تَبوّأها المثل عند شيوخ العلم، ويُعدّ عبيد بن شرية الجرهمي[1] أوّل مؤلّف للأمثال. وقد نسجت حول هذه الشّخصية أقاصيص تكاد تكون أسطورية، حتى قيل إنّه عمّر ثلاثمائة سنة[2] ، وقيل أدرك خلافة عبد الملك بن مروان[3] ، وعلى الرّغم من ذلك فإنّنا نَعدّ النّصف الأوّل من القرن الثّاني الهجري بداية الإهتمام بالمثل.

ويُعدّ المفضّل الضّبي[4] مؤلّف كتاب" أمثال العرب" أوّل مؤلّف في هذا الميدان اذا استثنينا أبا عمرو بن العلاء[5] لفقدان كتابه.

---

[1]- مؤرخ اخباري مخضرم. توفي سنة 686/67 للميلاد. ينظر الفهرست: 132، ومعجم الأدباء: 78/12.

[2]- ينظر المعمّرون والوصايا: 50، ووفيات الأعيان: 4/ 417.

[3] ينظر معجم الأدباء: 12/ 78.

[4]- هو أبو طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم الضّبي: صاحب التّصانيف المشهورة في فنون الأدب ومعاني القرآن . توفي سنة 290 للهجرة. راجع ترجمته في: الفهرست لإبن النّديم ص109، و مراتب النّحويين لأبي الطّيب اللّغوي ص154.

[5]- هو أبو عمرو بن العلاء زبان المازني النحوي المقرئ: أحد القراء السبعة المشهورين، عُني بلغات العرب وغريبها وأشعارها وأيامها. توفي بالبصرة سنة 770/154. أنظر في ترجمته: طبقات النحويين ص 28، والمدارس النحوية لشوقي ضيف ص 27 وما بعدها.

في حين يُعدّ أبو المحاسن محمّد بن علي الشّيبي[6] مؤلّف كتاب" تمثال الأمثال" آخر مؤلّف في هذا الميدان، وإنّ مجموع كتب الأمثال التي وصلت الينا هي خمسة عشر كتاباً من مجموع ثمانية وأربعين كتاباً.[7]

لقد اهتمّ الإنسان بالمثل وصاغه بعبارة دقيقة وبألفاظ رقيقة وبمعانٍ عميقة... فجاء بإيجاز نافع، وببلاغة جميلة. ومضت قرون، وجاءت أخرى، وظلّ المثل في خلالها سائراً بين أفراد المجتمع، باختلاف طبقاته، وتباين ثقافة ابنائه... فهو عنصر مهمّ من عناصر الحضارة، لأنه يعكس مباشرة من حيث المضمون سمات انتاج الأمّة وحياتها.

**الدّلالة اللّغويّة**

**ثمة دلالتان لكلمة (مثل)** كغيرها من الكلمات الأدبية لغوية واصطلاحية، فالمثل مأخوذ من التّسوية وهي" الشّيء يُضرب بالشيء ويُجعل مِثله"[8]ومنه قوله تعالى:" مَثَلُ الجَنّةِ التي وُعِدَ المُتّقونَ "[9] فهذا يعني إنَّه يتمّ على وفق المساواة والقياس، وقال ابن فارس[10]:" الميم والثاء واللّام أصل صحيح يدلّ على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره"[11] والمِثل، والمَثَل ايضاً[12]، ويُقال:" هذا مِثْلُه ومَثَلَه كما يُقال شَبْهُهُ"[13].

---

[6]- أديب اخباري من الفقهاء، كان لرحلاته أثر كبير في معرفة العلماء والوقوف على الأحداث. توفي سنة 1433/837. ينظر الأمثال العربية القديمة: 223-225.

[7] المرجع نفسه.

[8]- العين: مادة مثل 228/8.

[9]- سورة الرعد: الآية35.

[10]- هو ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: لغوي وأديب مشهور. توفي بالري سنة 1004/395. ينظر: وفيات الأعيان: 118/1-120، ومعجم المؤلفين: 40/2-41.

[11]- معجم مقاييس اللّغة: مادة مثل: 256/5.

[12]- المصدر نفسه انموذجاً انسانيّاً يشكّل.

[13]- لسان العرب: مادة مثل: 131/14.

ويرى ابن بري[14] أنَّ ثمّة فرقاً بين المساواة والمُماثلة" فالمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتّفقين، لأنّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص"[15]وأمّا المُماثلة " فلا تكون الاّ في المتّفقين"[16]ويضيف الجوهري[17] قائلاً:" ومَثَلُ الشيء أيضاً صفته"[18]، ومن معانيه أيضاً العبرة والآية والحديث.[19]

**الدّلالة الاصطلاحية**

أمّا الدّلالة الإصطلاحية للمثل فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدّلالة اللغوية، لأنَّها جاءت مقترنة بالمثيل والمشابه كما أكّدت المعجمات ذلك.[20] فالمثل في رأي المبرّد[21] مأخوذ من المِثل، وهو قول سائر يُشَبَّهُ به حال الثّاني بالأوَّل، والأصل منه التَّشبيه، فقولهم: مَثُلَ بين يديه اذا انتصب معناه أشبه الصّورة المنتصبة، وفلان أمثل من فلان أي أشبه بما له من الفضل، والمثال القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأوَّل، فحقيقة ما جعل كالعلم للتّشبيه بحال الأوَّل"[22] .

[14]- أبو محمّد عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي: فقيه لغوي راوية مشهور، كان واسع الإطلاع. توفي بمصر سنة 1186/582. ينظر: وفيات الأعيان: 108/4؟109.

[15]- لسان العرب: 14/ 131-132.

[16]- الصّحاح تأج اللّغة وصحاح العربية: مادة مثل 5/ 1816.

[17]- هو ابو نصر اسماعيل: لغوي من العلماء

[18]- الصّحاح تأج اللّغة وصحاح العربية: مادة مثل 5/ 1816.

[19] - المصدر نفسه.

[20] - ينظر المعجمات أنفسها والصفحات أنفسها.

[21]- هو ابو العباس محمّد بن يزيد الأزدي، المعروف بالمبرّد: لغوي من علماء البصرة، من أهم مؤلفاته كتاب "الكامل". توفي ببغداد سنة 898/285. ينظر: الفهرست 87-88.

[22] - مجمع الأمثال: 7/1.

ويقول ابن السكّيت[23]: " المَثَلُ لفظٌ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللّفظ شبَّهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره"[24].

وقد حدَّد الدكتور شوقي ضيف الدّلالة قائلاً:" وهي عبارات تضرب في حوادث مشبه للحوادث الأصلية التي جاءت فيها"[25].

ومن هذه الآراء يمكن القول: أنَّ المثل مفهوم حصل نتيجة تجربة عكست مدلولاً واضحاً مستقرّاً يطلق على كلّ حالة مماثلة لحالته الأولى شريطة ألاّ تتغيّر مفردات المثل مهما كان الظرف أو الصّيغة، لأنَّ الصّيغة النّهاية التي شاع بها هي الصّيغة المستقرّة، وهكذا يبقى المثل صورة في لفظه ومعناه الى كلّ ما يصح قصده به من غير تغيير يلحقه معقولاً ومعروفاً بجوهر المثل لا بجوهره، ومن هذه الدّلالة يكون المثل مصدراً لمعرفة المحمول وسبر أغواره لكي تتكشَّف المعتمات ممّا يُجْهلُ من المحمول له.

أجمع الباحثون على أنَّ المثلَ ضرب من النَّثر الفني[26]، ويبدو الحكم جليّاً وقد استُقي ممّا أطلق على المثل من الأحكام النَّقدية التي اكتنفتها الدِّقة في التّحليل، فوصفه ابن عبد ربّه بأنَّه:" وشي الكلام وجوهر اللَّفظ وحلي المعاني...تخيَّرتها العرب وقدَّمها العجم، ونُطِقَ بها في كُلّ زمان وعلى كُلّ لسان، فهي أبقى من الشّعر وأشرف من الخطابة لم يَسر شيء مسيرها، ولا عَمَّ عمومها

---

[23]- هوأبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكّيت ، والسكّيت لقب أبيه إسحاق ، وعُرِف أبوه بهذا اللقب لفرط سكوته.كان ابن السّكيت اماماً في اللغة والشعر. صنّف كتباً كثيرة منها: اصلاح المنطق ، قال فيه المبرّد: ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب اصلاح المنطق. توفي سنة 859/244. أنظر : طبقات النّحويين 202 وما بعدها.

[24]- مجمع الأمثال: 7/1.

[25] - الفن ومذاهبه في النّثر العربي: 20.

[26] يُنظر جواهر الأدب: 1/ 287، وأدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: 255، وتاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي: 408، وتطوّر الأساليب النَّثرية: 86، وتاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام: 58، والنَّثر الفني وأثر الجاحظ فيه: ص 38.

حتى قيل: أسير من مثل"[27]،" ومن أبلغ الحكمة"[28]، آنق للسّمع"[29]، " ونهاية البلاغة".[30]

## المَثَلُ في كتاب العقد الفريد[31]

يُعدّ كتاب العقد الفريد منجما فكريّا، جامعا لفنون الأدب، وألوان الثّقافة حتى نهاية القرن التاسع الميلادي جلا فيه مؤلّفه وجه الحضارة العربية والإسلامية. فقد حرص فيه ابن عبد ربّه على أن يكون واحداً من بُناة النّهضة الثّقافية والأدبية في عصره بما نقل من علم المشرق وأدبه، وبما اختار من اخباره، وفنون آثاره لتكون زينة المجالس، وأنس النّفوس وغذاء العقول والقلوب، كما ابتغى بها أن تُسهم في اعلاء شأن الأندلس. صنّف ابن عبد ربه عقده في الوقت الذي كانت فيه قرطبة في أوج ازدهارها. كان منهجه في تقسيم الكتاب وتنسيقه مما حبب إليه عشاق الأدب فتداولوه، وراج في المشرق كما يقول محمد كرد علي على مر العصور، هذا القول متناول ولكنه غير علمي ويعكس غطرسة المسرق على المغرب! وكتاب العقد الفريد لم يكن بضاعة المشارقة التي ردت إليهم.

ولا خلاف في أنّ اسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو (العقد) وأن صفة (الفريد) نعت لحق الكتاب في وقت متأخر، والفريد هو الحجر الكريم النادر والثمين معا ولعل أول من نعته بالفريد هو الأبشيهي في كتابه "المستطرف من كل فن مستظرف 9/1"، وقال ابن خلكان في وفياته.....:"

---

[27] العقد الفريد: 63/3.
[28] تمثال الأمثال: 1/ 100.
[29] مجمع الأمثال: 1/ 8.
[30] المصدر نفسه1/ 8.
[31] - طبع الكتاب مرات كثيرة، كان أولها طبعة بولاق (1292هـ 1875م) قال الدكتور السعيد الورقي: وقد تم حديثاً اكتشاف عدد من مخطوطات العقد في مكتبات المغرب لم تكن معروفة من قبل، الأمر الذي يجعل من المفيد إعادة تحقيق الكتاب في ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد. انظر: العقد الفريد بين المشرق والأندلس، حازم عبد الله، مجلة آداب الرافدين، العدد 4 (1976)،ص351.

وهو من الكتب الممتعة، حوى كل شيء" واختصره أبو إسحق الوادي ، وابن منظور.

وقد أوضح صاحب العقد منهجه في تأليف الكتاب بقوله: " ألفتُ هذا الكتاب وتخيرت نوادر جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان وسميته بالعقد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً، كلّ كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءاً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، فأولها كتاب اللؤلؤة في السلطان".

أفرد ابن عبد ربّه[32] باباً للأمثال سمّاه" كتاب الجوهرة في الأمثال" في الجزء الثالث من العقد الفريد حيث إنَّه جاء في ستٍّ وسبعين صفحة ابتداء من الصّفحة الثّالثة والستين وانتهاء بالصّفحة التّاسعة والثلاثين بعد المائة، وجاء كتاب الجوهرة في الأمثال مبوّباً منهجيّاً ابتدأ بأمثال القرآن الكريم قائلاً:" قال اللّه عزّ وجل:( يا أيُّها النّاس ضُرِبَ مثَلٌ فاسْتَمعوا لهُ)[33] وقال: ( وضربَ اللّه مثلا رجُلين)[34]. ومثل هذا كثير في آي القرآن"[35].

وقد أوجز ابن عبد ربّه القول في الآيتين السابقتين تاركا الخيار للقاريء اذا اراد المزيد؛ لذلك جاء تصنيفه مستقرّاً وسليماً.

حيث إنَّه أفرد العنوان الأوَّل لأمثال رسول اللّه (ص) من الصّفحة الثّالثة والستين الى منتصف الصّفحة السّادسة والسّتين، ومن أمثلة

---

[32] هو أحمد بن محمّد بن عبد ربِّه، أبو عمر القرطبي الأندلسي، نشأ بقرطبة وتثقَّف ثقافة عصره من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض، كان محبّاً للموسيقى والغناء وظهر أثر ذلك كلّه في كتابه" العقد الفريد".
لقد اكتسب بعلمه وشعره مكانة متميّزة بين علماء الأندلس وأدبائها وفي بلاط أمرائها. وصفه ابن الأثير بقوله:" كان من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين...". وللمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية 230/11، و ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس 38، وابن خلّكان: وفيات الأعيان 1/ 110-112، واحسان عبّاس، تاريخ الأدب العربي - عصر سيادة قرطبة 166- 185.
[33]- سورة الحج: الآية 22
[34]- سورة النحل: الآية 16
[35] العقد الفريد: 3/ 63.

الرّسول الكريم(ص):" لا تّرفع عصاك عن اهلك"[36] إنَّما هو الأدب بالقول، ثُمّ جعل العنوان الثّاني امثال ورَثها العلماءُ محصوراً بين الصفحة السادسة والسّتين والسّادسة والسّبعين فضلاً عن كونه جعل عنواناً لكلّ خصلة من القيم والأعراف.

وثبَّت في منتصف الصّفحة السّابعة والسّتين عنواناً للمثل في الرّأي، ومَن ضرب به المثل من النّاس في نهاية الصّفحة التّاسعة والسّتين، ومن يضرب به المثل من النّساء في بداية الصّفحة الواحدة والسّبعين وفي منتصف الصّفحة الثّانية والسّبعين ما تمثَّلوا به من البهائم، وما ضرب به المثل غير الحيوان في بداية الصّفحة الرّابعة والسّبعين غير أنَّه جعل في منتصفها وممّا ضربوا به المثل.

بيد أنَّه جعل منتصف الصّفحة السّادسة والسّبعين لأمثال اكثم بن صيفي[37] وبزرجمهر الفارسي[38]، ومنها:" الخمرُ مفتاحُ كُلِّ شرٍّ "[39] و "كفى بالمرء كِذباً إن يُحدِّث بكلّ ما سَمِع."[40]

غير انَّه انتقى من أمثال العرب ممّا روى أبو عبيد[41]في بداية الصّفحة الواحدة والثّمانين وصنّفها في حفظ اللّسان، واكثار الكلام وما يُتَّقى منه، وفي الصَّمت، والقصد في المدح، وصدق الحديث، ومَن أصاب مرّةً وأخطأ مرّة، ومَن صمت ثُمّ نطق بالفاهة، والمعروف بالكذب يصدق مرّة، والمعروف بالصّدق يكذب مرّة، وكتمان السِّرّ، وانكشاف الأمر بعد اكتتامه، وابداء السِّرّ، والحديث يتذكَّر به غيره، والإعتذار في غير موضعه، والتّعريض بالكناية، والمَنُّ بالمعروف، والحمد قبل الإختبار... حتى ينتهي في الصّفحة التّسعين باليمين الغموس.

---

[36] المصدر نفسه: 3/ 63.
[37] حكيم العرب في الجاهلية وأدرك النّبي (ص) فكان يوصي قومه باتِّباعه. وله حكم كثيرة ومشهورة. يُنظر وفيات الأعيان: 147/6، وتاريخ بغداد: 14/ 191.
[38] هو بزرجمهر بن البختكان حكيم الفرس، كان وزيراً لكسرى أنوشيروان. لقد بلغ في فنّ الكتابة شأواً كبيراً.
[39] العقد الفريد: 3/ 77.
[40] المصدر نفسه:3/ 80.
[41] ينظر أمثال أبي عبيد ضمن " التُّحفة البهية والظرفة الشَّهية.

وفي الصّفحة التّالية للصّفة السّابقة يبدأ بعنوان جديد سمّاه " أمثال الرّجال واختلاف نعوتهم"، وصنَّفهم بناءً على ذائقته حيث انَّه جعل الصّنف الأوَّل الرَّجل المُبرَّز في الفضل ثُمّ النَّبيه الذّكر ثُمّ العزيز يُعذِّبهُ الذّليل، ثُمّ الصَّعب، ثُمّ الأريب الدّاهي، وهكذا يتدرّج نازلاً الى الأحمق المائق، ثُمّ الضَّعيف الرّأي، ثُمّ الذي يكون ضاراً ولا نفع عنده، ثُمّ الرَّجل الذي يكون ذا منظر ولا خير فيه، وينتهي بالرَّجل الذي يرى لنفسه فضلاً على غيره، ثُمّ المكافأة في الصّفحة المئة.

أمّا في الصّفحة الأولى بعد المئة فقد جعل أمثال القربى عنواناً جديداً مبتدئاً بالتَّعاطف مع ذوي الأرحام، ثُمّ حماية القريب وإن كان مبغضاً، ثُمّ اعجاب الرَّجل بأهله، ثُمّ تحاسد الأقارب، وتنتهي هذه المجموعة في السَّطر الأوَّل من الصَّفحة الرّابعة بعد المئة، ثُمّ جعل عنواناً جديداً في الصَّفحة نفسها " الأمثال في مكارم الأخلاق".

وقد ابتدأ بالحِلْم الذي عدَّه العلماء ركناً اساسيّاً من أركان الحكمة لأنَّ الحكمة قد عرّفها علماء اللُّغة بالحلم والعلم والعدل ثُمّ نزل الى العفو عند المقدرة، ثُمّ المساعدة وترك الخلاف، ثُمّ مداراة النّاس، ثُمّ مفاكهة الرّجال لأهله، ثُمّ اكتساب الحمد واجتناب الذَّم، ثُمّ الصَّبر على المصائب، ثُمّ الحضّ، ثُمّ القناعة والدّعة، ثُمّ الإنتفاع بالمال، ثُمّ المروءة مع الحاجة، ثُمّ الحضّ على الكسب، ثُمّ الخبير بالأمر البصير به، ثُمّ انتحال العلم بغير آلته، ثُمّ مَن يوصي غيره وينسى نفسه، ثُمّ الإستعداد للأمر قبل نزوله، ثُمّ طلب العافية بمسالمة النّاس.

وينتهي في الصَّفحة السّادسة والثّلاثين بعد المئة عند ترك الزّيارة، وفي نهاية الصَّفحة حصر ما جاء من الشِّعر القديم بهيئة المثل أي الأبيات التي صارت أمثالاً تُضربُ وقد ابتدأ ببيت الحطيئة[42]:

[42]- هو ابو مليكة، جَرول بن أوس بن مالك العبسي، من الشعراء المخضرمين، أسلم، كان سليط اللّسان لم ينج أحد من هجائه. توفي سنة 665/45. ينظر: الشعر والشعراء 110.

لا يذهبُ العُرف بين اللّه والنّاس   مَن يفعل الخير لا يُعدم جوازيه

وهي مجموعة أبيات كلّها حكم وديباجة تنشرح لها النُّفوس وتستأثر بجوهرها وإن دلَّ هذا على شيء فإنَّما يدلّ على ذوق المنتقي، فهو دون أدنى ريب صاحب ذائقة فنّية وإبداعيّة نثراً وشعراً ديباجة وصورة.

**المصادر والمراجع**


- القرآن الكريم.
- البستاني . بطرس . أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام . طب دار المكشوف ودار الثّقافة، ط10، بيروت، 1986.
- الأدب الصّغير: عبد اللّه بن المقفّع، ضمن المجموعة الكاملة، دار البيان، دار القاموس الحديث، ط4، بيروت، 1970.
- أمثال أبي عبيد: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، ضمن التُّحفة البهية والطرفة الشّهية، مطبعة الجوانب بالقسطنطينية 1302هـ.
- الأمثال العربية القديمة: ودلف زلهايم، ترجمة رمضان عبد التَّواب، مؤسَّسة الرّسالة، ط2، بيروت، 1982.
- البداية والنهاية: ابن كثير، القاهرة.
- تاريخ الأدب العربي - عصر سيادة قرطبة: احسان عبّاس، عمّان، 1997.
- تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام: محمّد حسن درويش، مكتبة الكلّية الأزهرية، 1971.
- تاريخ علماء الأندلس: ابن الفرضي ابو الوليد عبد اللّه بن محمَّد، الدّار المصرية للتّأليف والتّرجمة، 1966.
- تطوّر الأساليب النّثرية في الأدب العربي: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1968.
- تمثال الأمثال: أبو المحاسن محمّد بن علي العبدري الشّيبي، تحقيق الدكتور أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط1، بيروت، 1982.
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: السّيد أحمد الهاشمي، المكتبة التّجاريّة الكبرى، مطبعة السّعادة، مصر، 1960.
- الشعر والشعراء: ابن قتيبة، عبد اللّه بن مسلم، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة 1966.
- الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حمادة الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

- العقد الفريد: ابو عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربِّه الأندلسي: تحقيق أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ط2، القاهرة، 1956.
- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السّامرائي، دار الرّشيد، وزارة الثّقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1981.
- الفن ومذاهبه في النّثر العربي: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط5، ت.
- الفهرست: ابو الفرج محمّد بن أبي يعقوب النّديم، دار المعرفة، بيروت.
- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين محمّد بن مكرّم الأنصاري، طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق، الدّار المصرية للتّأليف والتّرجمة، د.ت.
- مجمع الأمثال: ابو الفضل احمد بن محمّد الميداني، تحقيق محمّد ابو الفضل ابراهيم، ط2، دار الجليل، بيروت، 1987.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، مطبوعات دار المأمون، مصر، د.ت.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار احياء التراث، بيروت.
- معجم مقاييس اللّغة: احمد بن فارس، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1970.
- المعمّرون والوصايا: ابو حاتم السّجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربية، 1961.
- النّثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه: عبد الحكيم بليغ، مكتبة الأنجلد المصرية، القاهرة، 1955.
- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزّمان: ابو العبّاس شمس الدّين احمد بن محمّد بن ابي بكر بن خلّكان، تحقيق الدكتور احسان عبّاس، دار صادر، بيروت.

# القصة القصيرة الشابة ، وغياب المنهج النقدي في دراستها

أ.م.د. محمد عبد الرحمن يونس
قاص وروائي وباحث وأستاذ جامعي
جامعة ابن رشد، رئيس قسم الأدب العربي بكلية اللغة العربية

---

كثرت في الآونة الأخيرة الكتابات الإبداعية سواء أكانت نصوصا قصصية أم مقاربات نقدية لهذه النصوص، وتعددت الأسماء الجديدة ، وأخذت الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية تطالعنا يوميا بالعشرات من هذه النصوص، إلاّ أنّ النقد الحقيقي الذي يموضع هذه النصوص داخل حقل معرفي ينهل من أسس النقد العلمي ومعارفه كان غائبا، فكثرت المذاهب وتعددت الرؤى، إلاّ أنّها في مجملها تفتقر ـ في بنيتها العميقة ـ إلى الرؤية الشاملة والموضوعية التي يمكن أن تفتح أفقا ، وتشير إلى طاقات النص الإبداعيّة على المستوى الجمالي والبنيوي، وتضيء جماليّاته الداخلية والخارجية، فالمقاربات النقدية الصحافية لا تزال تتمحور حول حساسية تقليدية لا تزال سائدة حتى وقتنا هذا. ولا تتعدى هذه المقاربات مجمل التأثيرات الوصفيّة والانطباعيّة والتأثريّة السريعة.

**2**

لقد ترهلت المفاهيم النقدية التي تكررت مرارا في الصفحات الثقافية، فكثيرا ما نلاحظ أنّ الأحكام الجاهزة، والمفاهيم الثابتة تتكرر وتُلصق بالخطاب القصصي المدروس. ومن هذه الأحكام: قصة تقليدية أو كلاسيكية، أو معاصرة ، أو حديثة، أو رومانسيّة ، أو شبه رومانسية، أو واقعية ، أو واقعية اشتراكيّة. وهذه الحساسية النقديّة الجامدة والقديمة على مستوى التنظير كان لها الدور الأساسي في إهمال طاقات النصّ القصصية لغويا وبنيويا وجماليا، وما يمكن أن يطرحه هذا النص خارج هذا التأطير التاريخي الذي ذُكر سابقا .

إننا مطالبون جميعا ـ قراء وكتابا ـ للإسهام في تشكيل حساسية رؤيوية جديدة بتقنيات حديثة قادرة على استنفار مجمل البنى الدالة التي يمكن أن يسهم استنفارها في خلق ثغرات جوهريّة داخل الأنماط التي اعتدنا عليها، بل التي فرضت علينا، فعلى مستوى الشكل الفني لم يعد مهما هذا الترتيب السردي والوصفي الذي ألفناه، ولا هذه العقدة التي ينبغي أن تُفك بانتهاء القصة، كما عودتنا المقاربات النقدية الصحافية، ولم يعد مهما أن يكون

الوصف أو الحوار سائرين في اتجاه أفقي واحد. إنّ التأكيد على طاقات اللغة الإيحائية، وإضفاء مستوى الترميز، وإحداث نسق جديد في بنية اللغة الخطابية التقريرية ، وتوسيع دلالات الواقع عن طريق الحلم والتخييل والأسطورة ، والخرافة، واستنفار البعد التاريخي ، أمور باتت مهمة للخروج من حساسية الأربعينيات والخمسينيات. هذه الحساسية التي لا تزال تهيمن على بنية النقد الصحافي بفعل مؤثّراتها، وتركيبتها الموروثة اللاناميّة، واللامتشعبة. و قيمة النص القصصي تكمن في كونه إبداعيا جماليا يستنفر الحالات الإنسانيّة، ويوظّفها بفنيات عالية بعيدا عمّا يفرزه الخطاب الإيديولوجي ، لأن الإيديولوجيا كثيرا ما تعيق حركة النمو الداخلي للخطاب القصصي، بحيث يتحوّل إلى خطاب أطروحة، قبل أن يكون خطابا جماليا.

وهنا لا يمكن أن ننفي الوظيفة الاجتماعية للأدب، أو نقصر الخطاب القصصي على وظيفته الفنيّة فقط ،( أي الفن لأجل الفن فقط ) ، بل نأمل أن يكون الخطاب القصصي غير متورط في التقريرية والخطابية والمباشرة السطحيّة، وقد يظن البعض أنّ مهمة المقاربة النقدية تتجلى في التقييم، والتصحيح ،ووضع البديل.

**3**

إنّ مهمة النقد القصصي ينبغي أن تكون هذه العين الداخلية التي تسلط أضواء التحليل والكشف عن مجمل البنيات الرؤيوية، وأن تعمل على استنباط العلاقات الفنيّة الجمالية القائمة بين السرد والحوار، والتداعي والمونولوج ، والتقطيع السينمائي، وغير ذلك من الفنيات.

إنّ النص القصصي ينبغي أن ينظر إليه كجنس أدبي مستقل بذاته، بعيدا عن الأجناس الأدبية الأخرى، وهذا لا يعني نفي تبادل التأثير والتأثر بينه وبين هذه الأجناس الأدبيّة. وليس من مهمة القصة القصيرة أن تكون مقامة ولا مسرحيّة، ولا فصلا من مسرحيّة، ولا حكاية ولا رواية، ولا فصلا أو مقطعا من رواية، ولا مشهدا سينمائيا مستقلا بذاته . ولنفترض أنّها جمعت ضروبا من هذه لأجناس الآنفة الذكر، فإنّ مهتمها الأساسيّة تكمن في كونها فضاء إنسانيا ببعديه الزماني والمكاني ، وتكمن أهمية هذا الفضاء في قدرته على أنسنة النص بعيدا عن الاستهلاك اللفظي داخل الحقل الدلالي الذي تشكّله بنية اللغة، وبنية العبارة القصصيّة، فضاء يشيد عالما من الحرّية للمبدع والمتلقي في آن.

إذا كان النص القصصي ذا وظيفة اجتماعيّة فلا يعني أن تكون المقاربة النقديّة أحادية الرؤية والطرح، ولا يعني إهمال الشكل الفنيّ على حساب المضمون الاجتماعي، فالفنيات الرديئة في النص القصصي ليست محايدة تماما بل إنها تعمل ـ بطريقة أو بأخرى ـ على خلخلة المضمون

وتشويهه، والعكس صحيح. والقصة القصيرة ليست لعبة شكليّة، إنّها تقنية، ولا تتحدد أهمية هذه التقنيّة الشكليّة إلا بمدى ما تطرحه القصة من مفاهيم ودلالات متعددة على أكثر من مستوى.

وهنا نستحضر قول ابن جني: (( إذا رأيت عناية العرب بالألفاظ فلا يخدعك صنيعهم، فما ذلك إلاّ لأنّها قوالب للمعاني التي هي الغرض من كلامهم))[1].

**4**

إذا كان الأدب ـ والقصة جزء مهم منه ـ تعبيرا عن رؤية للعالم بتحديدات لوسيان غولدمان، فإن الوعي بهذه الرؤية ليس وعيا فرديا ، إنّه وعي جمعي، وهنا ينبغي على النقد أن يعمل على كشف الجوهري بين النصوص القصصيّة وبين الرؤيات للعالم التي يستنفر بعدها الإنساني ـ بالدرجة الأولى ـ الجماعات البشريّة والطبقات الاجتماعية، والسؤال الذي يمكن طرحه : هل أسهمت المقاربات النقديّة التي تطالعنا بها الصحف اليوميّة في بناء نقد علمي منظم بعيدا عن حياة هذا المبدع أو سيرته الشخصيّة، أو انتماءاته الإيديولوجيّة؟. سؤال يبقى معلقا و قادرا على إثارة عدد من الإشكاليات اللامنتهيّة، والتي لم يستطع النقد الصحافي الإجابة عنها حتى الآن.

**5**

و من بين المصطلحات النقديّة التي طالعتنا بها الصحف، والنقد الصحافي مصطلح الإبداعات الشابة، أو القصة القصيرة الشابة، أو ما شابه ذلك.

وبادئ بدء لابدّ من التساؤل حول خصوصية القصة القصيرة الشابة ـ إذا جاز استخدام هذا المصطلح ـ مع القناعة بعدم جدوى استخدامه في هذا المقال ـ : هل ثمّة قصّة قصيرة شابة بخصائص فنيّة وموضوعيّة تتباين مع الحقل المعرفي والدلالي العام الذي يرسم القصة ما بعد الشابة، ويسمها؟

إن استخدام مصطلح القصّة الشابة هو استخدام غائم ضبابي يفتقر إلى الدقّة و الموضوعيّة في آن، ويبتعد ابتعادا واضحا عن علم النقد وأدب النقد ومصطلحاته. ليس هناك قصة شابة، أو قصة عجوز ، أو إبداعات شابة أو إبداعات مكتملة كما اعتادت الدوريات أن تطالعنا بمثل هذه التسميات. بل هناك فن جميل، أو جنس أدبي أصطلح على تسميته بالقصة القصيرة، أو ما يسمى باللغة الانكليزية ( The short story ) . والقصة القصيرة هي الفضاء الكتابي المحدد بزمانه و مكانه، وبنياته الفنيّة ـ وبطبيعة الحال تختلف

---

[1] ـ عن الشمعة، د. خلدون : النقد والحريّة، دار الأنوار للطباعة، دمشق ، طبعة أولى، 1977م.

مكوّنات هذا الفضاء الفكريّة والجماليّة والتقنيّة من قصة إلى أخرى ـ والذي يعتبر جنسا وسطا بين القصة The story ، والرواية The novel، وهذا الفضاء ببنيته العامة لم يستطع بعد، أو ليس بقادر على وضع مقاييس فنيّة وجمالية ونقدية يمكن الاعتماد عليها لتخصيص جنس أدبي، وتسميته بالقصة العجوز [2]. وكل المحاولات من هذا القبيل هي محاولات جزئية وفرديّة لا تشكّل نظاما معرفيّا نقديا و موضوعيا، ولا يمكن أن تشكلّ وعيا جمعيا قادرا على استخدام مصطلح دقيق يحدد مقوّمات القصة القصيرة الشابة. إنّ القصة القصيرة ، سواء أكانت شابة أم عجوزا، تتناص بطريقة أو بأخرى مع بنيات معرفية متشعّبة الرؤى والثقافات، أو تحديدا مع حقول معرفيّة تشكّلت عبر فضاءات نفسيّة و زمانيّة ومكانيّة، وهذه الفضاءات لا تقتصر على فرد من دون آخر، والفضاءات هذه تشكّل بؤرة مركزيّة، لكنها تمتدّ من داخل النص القصصي إلى خارجه بحيث يصبح الخارج إطارا مرجعيا يعتمد عليه القص le recit، والسرد narration . إنّ (( لكلّ كلمة بل لكل حرف في العمل الأدبي امتدادات خارج حدود النصّ))[3]. فالفضاء القصصي بؤرة مركزيّة ( focus)، لكنها تنمو وتتشعب لتمتح من فضاءات أخرى: واقعية ورمزية ، وتاريخية وحضارية ، وتراثية شعبية وفولكلوريّة وميثولوجيّة ( mythologie) ، وتتجلى قدرة القاص في الإفادة من مرجعيات هذا الفضاء، ومن تشعبه وتناميه، وامتداده عبر ثنائية الزمان والمكان ز و لغة هذا الفضاء لا يمكن أن تكون جامدة ، أو تقريرية، أو مباشرة الطرح، إلاّ إذا فقد الكاتب ـ سواء أكان شابا أم عجوزا ـ القدرة على ضبطها، والتعامل معها بتقنيات عاليّة. إنّها لغة إحاليّة ، بتحديدات رامان جاكبسون لوظائف اللغة [4].

**6**

الفضاء القصصي بنية نامية، وتتحدد بالمقدرة والموهبة الأصيلة، والوعي العميق للصيرورة الحضاريّة والتاريخيّة, وتَمَثّل المثاقفة Acculturation بين الأمم والحضارات والآداب العالميّة بمختلف توجهاتها، والمثاقفة هنا تشكّل وعيا حضاريا، وفعلا إبداعيا وثقافيا قادرا على تمثل الآفاق العالمية التي يطرحها الأدب الإنساني بعامة ، وهذا الفضاء في مكوّناته ليس شرطا أن يولد في القصة العجوز، وينمو من داخلها،

---

[2] ـ د. يونس، محمد عبد الرحمن: " مدخل نقدي في فهم القصة القصيرة "، مجلة الحكمة، اتحاد الأدباء اليمنيين، عدن ، العدد 166، نوفمبر 1989، ص 20.

[3] ـ باختين ،ميخائيل: " حول منهجية علم الأدب" ن ترجمة : زهير الشلبية ، مجلة المعرفة ، وزارة الثقافية، دمشق ، العدد 261، تموز 1985م ، ص 102 .

[4] ـ مصطلح رامان جاكبسون، عن : مقال لبطرس الحلاق، مجلة الكرمل ، قبرص، العدد الرابع ، خريف 1981م، ص 66.

ويغيب عن القصّة القصيرة الشابّة، ولذا فإنّ استخدام مصطلح القصّة الشابة لا يخلو من تعسف وإلغاء لكثير من النصوص الإبداعيّة التي يكتبها شبان حديثو العهد بالكتابة، فقد تكون هذه النصوص أهمّ بكثير من النصوص التي يكتبها قاصّون مارسوا الكتابة لسنوات طويلة، وأخصب منها.

القاعدة هنا ليست عامة، بطبيعة الحال، لأنّ معظم المقاييس والأحكام النقديّة نسبيّة، ولا يمكن أن تكون جاهزة مطلقة. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تحددت مواصفات القصة الشابة، أو العجوز بحقبة زمنيّة تحدد عمر الكاتب القاص، أو بفترة تاريخيّة معيّنة من ثقافة هذا الكاتب أو ذاك، أو ببعض العوامل الثقافيّة والمؤثّرات الحضاريّة في فكر كاتب ما؟ . (( إنّ الفنّ عموما يتأبّى على (...) التحديد، إذ هو كالكائن الحيّ الذي تمتدّ جذوره في الماضي، وتنتشر فروعه في المستقبل. إنّ التحديد الزمني مقياس خارجي قد يفيد في تقريب الحقيقة، ولكنه في الوقت نفسه قد يُضلل فيوحي بأفكار تعسفيّة))[5].

إن اللجوء إلى الفترة الزمنيّة والحقبة التاريخيّة من ثقافة الكاتب القاص، واعتبارها إطارا مرجعيّا لفهم نصّه لا يسهم كثيرا، ولن يسهم في دراسة بنيات القصّ و مكوّناته وبنائيته الحكائيّة والسرديّة والوصفيّة، وتقنياته الأخرى.

واعتماد التأطير التاريخي لا يختلف كثيرا عن اعتماد الخطاب الإيديولوجي، فكثيرا ما يعملان معا على الانطلاق من أحكام نقديّة سطحيّة ومدرسيّة جاهزة تعمل على تهميش النصّ، ورفض مكوّناته الإبداعيّة، غير أنّ القصة القصيرة، سواء أكانت شابة أم عجوزا، وكعمل إبداعي له فرادته، تفوق هذا التأطير، وتتباين معه، باعتبارها ـ أي القصّة ـ نسقا خاصا عصيا على التأطير والأرشفة الزمنيّة. و من هنا فإنّ الحقل المعرفي للتأطير التاريخي والإيديولوجي لم يثبت إلاّ فشله على مستوى دراسة الإبداع وطبيعة مكوّناته الداخليّة والناميّة، وفهمه، لأن التأطير ظاهرة خارجيّة ـ أي أنّها أفقيّة ـ أنّ في حين أنّ الجوهر يبقى غائما ضبابيا وعصيا على الفهم إذا ما طُبقت عليه الظواهر الزمنيّة الخارجيّة.

وإذا ما تمثّلنا طبيعة الإبداع الكامن في الخطاب القصصي، فإننا سنجد أنّه من الصعب تماما وضع قسمات وملامح معيّنة لنص إبداعي شاب، وإيجاد قسمات أخرى لنص إبداعي عجوز, هذه العملية التصنيفية باتت أمرا مرفوضا، لأن الاهتمام ينبغي أن يتركّز في بنية النصّ الأدبي، في علاقاته وتناصّه مع نصوص أخرى، في طريقة معماريته وبنائه، في الرؤى

---

[5] ـ إبراهيم، د. عبد الحميد :القصة اليمنية المعاصرة، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1979م، ص 19.

المتشعبة والدلالات التي يطرحها هذا النصّ، لا في العمر الزمني لكاتبه ولا حتى في سيرته الشخصيّة، وظروف حياته، التي قد تؤثر على النص سلبا أم إيجابا.

**7**

القصة القصيرة نافذة نطلّ منها على العالم بتشكّلاته وعلاقاته، بغضّ النظر عن العمر الزمني لكاتبها. وهي، كما يرى ولتر آلن Water Allen أكثر الأنواع الأدبيّة فعالية في عصرنا الحديث بالنسبة للوعي الأخلاقي، وذلك لأنّها تجذب القارئ لتدمجه في الحياة المثلى التي يتصوّرها الكاتب، كما تدعوه ليضع خلائقه تحت الاختبار، إلى جانب أنّها تهبنا من المعرفة ما لا يقدر على هبته أيّ نوع أدبي سواها، وتبسط أمامنا الحياة الإنسانيّة في سعة وامتداد وعمق وتنوّع[6]. وهنا نلاحظ أن ولتر آلان لا يقصد القصة القصيرة تحديدا، بل إنّ هذا الامتداد والعمق والتنوّع سمات أساسيّة من سمات القصة والقصة القصيرة والرواية .

و حتى يكون النقد موضوعيا قادرا على كشف الغطاء عن هذه البنيات الأساسية العميقة والمتنوعة والممتدة من بؤرة الفضاء القصصي ـ الذي ذكرناه سابقا ـ ينبغي أن يبتعد عن سيرة الكاتب ـ أي النقد ـ وعن حياته وصيرورته التاريخيّة والثقافيّة، تلك أمور خارجة عن بنيّة النصّ ودلالاته ومكوّناته الداخليّة. إنّ ما يهمّ القارئ والناقد في آن هو النص المكتوب وليس صاحبه، وعندما يتحوّل الخطاب النقدي إلى إطار مرجعيّ ليؤرّخ حياة الكاتب وظروفه، وظروف تشكّل نصّه على المستوى الإيديولوجي والسياسي، فإنّه يصبح وظيفيا وشخصيا ولا إبداعيا، ويغلب عليه المزاج التأثري والانفعالي والاتجاه الذاتي Subjective. وإذا تأمّلنا معظم النصوص النقدية الصحافية السائدة الآن ـ باستثناءات محدودة ـ لوجدناها ذات اتجاه وصفي وتأثري، وانطباعي وأيديولوجي ، يغلب عليه الطابع الشخصي والذوقي والذاتي[7]. وهنا ينبغي أن يكون النص الذي بين يدي الناقد والقارئ هو المرآة الأولى والأخيرة التي تعكس جوهر النصّ وبنياته الداخليّة وعلامات الإبداع المميّزة فيه .

---

[6] - Wlter Allen, The English novel , penguin . عن : د. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف بالإسكندرية، مارس 1983م ، ص 3 .

[7] . يونس ، د. محمد عبد الرحمن:" مدخل لفهم القصة القصيرة"، جريدة الوحدة ، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ، سوريا ، العدد 1349، الإثنين ، 1/23/ 1989م، ص 3.

إن مصطلح القصة الشابة أو الإبداعات الشابّة يفرز بدوره نقدا تعسفيّا لأنه يقرأ النص قراءة أفقيّة وإيديولوجية، وهي كثيرا ما تبتذل فنياته وطريقة بنائه وخطاباته الفكرّية، وتطمسها، فالقراءة الأفقيّة للنص الإبداعي الذي تسميه بعض الصحف والمجلات بـ (( الإبداعات الشابّة)) لم تسهم إلاّ في حجب النص وتسفيهه، وتغييب صاحبه باعتباره شابا غير مكتمل التجربة، ولا يكون هذا التغييب إلا من بعض الذين أطلقوا على أنفسهم تعسفا بالمتخصصين في نقد الإبداع الشاب والتنظير له.

لقد باتت الأنساق اللغوية التي استخدمت في قراءة الأدب الشاب مصطلحات ممجوجة ومكرورة ومترهلة، ولم تستطع حتى الآن إضاءة أي جانب من جوانب النصّ الإبداعي، ولم يستطع النقاد انفكاكا منها باعتبارها مستوردة من كتاب شاخوا من خلال طريقة مدرسيّة جاهزة، وتتلمذوا عليها.

إن معظم مصلحات النقد التي عولج بها النص الأدبي الشاب ـ نقول الشاب ـ تجاوزا ـ هي مصلحات ستاتيكية حفظها النقاد عن ظهر قلب، وباتت مسطرة يقيسون عليها كلّ قصة قصيرة شابه، أو باتت قالبا رخاميا، وكل قصة قصيرة ترفض ليّ عنقها، وترفض أن تدخل هذا القالب هي قصة مرفوضة فنيا وإبداعيا، وشكلا ومضمونا.

إن المتتبع لآراء نقاد القصة القصيرة الشابة الذين ضاقت الصحف والشبان بهم، والذين لم يستطيعوا الخروج على مدرسيّتهم وقوالبهم، سيلاحظ أن معظم مصطلحاتهم من هذا النسق اللغوي المكرور في كلّ نصوصهم النقديّة : (( ميلودرامي ـ مبالغات ـ قصة غير مكتملة ـ ساذجة ـ خطابية ـ فاجأني هذا النصّ ـ مستوى غير مقبول ـ رديء ـ رائع ـ متداول ـ رائج ـ أصالة موهبة لا جدل في أهميتها البالغة ـ طراوة ـ حلاوة ـ جدارة ـ مواعظ ـ ندب ـ لطم على الخدود ـ موهبة تؤكد أصالتها ...الخ))[8].

ولو أحصينا مجمل هذه المفاهيم المدرسيّة الجاهزة، والتي يتبناها من يظنون أنهم عمالقة النقد ليلجموا بها طاقات النص الإبداعية، وقدرته، وبحثه عن أفق مفتوح، وشمس ولآلئ، ونوارس بحريّة ، لوجدناها تتكرر في كلّ مرة على معظم القصص القصيرة الشابة التي تناولها النقد المزاجي.

---

[8] . هذه المصلحات مأخوذة بكل أمانة من عدة أعداد لإحدى الصحف التي تنظر للقصة القصيرة الشابة، والتي يستخدمها أحد المدرسين في مرحلة التعليم الثانوي، بعد أن طرح نفسه كناقد متخصص في نقد القصة القصيرة الشابة، إذ تتكرر هذه المصلحات وبالحرف نفسه في معظم نصوصه النقدية ، وقوالبه التنظيرية ، وتلصق تعسفا بكل قصة قصيرة شابة يتناولها.

إن القصة القصيرة من خلال اعتمادها سرد الحدث، أو الأحداث، ومن خلال بنائها الفنيّ تشكّل علاقات متنامية، وشخصيات متنامية ومتنافرة في آن، وهذه الشخصيات بدورها كلّما عمّقت دور التنامي الداخلي في ما بينها وبين شخصيات أخرى بدت القصة أشدّ جمالية وفنيّة، وتعقيدا فنيا في طبيعة الحكي القصصي وطبيعة السرد، والمصطلحات النقديّة ـ آنفة الذكر ـ عاجزة تماما عن كشف الجوهري والمتميّز في البنية الداخلية المتنامية للخطاب القصصي، لأنها لا تمسّ إلا سطحه.

إن الخطاب القصصي هو الذي يفرز المصطلح النقدي القادر على التعامل معه من خلال بنية الحكي، وعلاقات الشخوص في ما بينها، وبنية الفضاء الزماني والمكاني والمعرفي ـ وليس العكس ـ باعتبار أنّ القصة وحدة متكاملة ومتنامية، وكلّ نصّ قصصي يشكّل وحدة مغايرة عن أي نص آخر، ولذا فإنّ قراءة أيّ نص قصصي تفرض نصا ثانيا مغايرا لأية قراءة آخرى.

الخطاب القصصي هو النص الأول، والمصطلح هو نص ثان، وما يولّد النص الثاني هو النص الأول، وليس العكس. إن النص القصصي ليس وليد مصطلح ثابت وجامد، كما يرى نقاد القصة القصيرة الشابة، بل المصطلح هو نتيجة منطقية لرؤية عميقة يمكن استكناهها من خلال دراسة النص القصصي دراسة لا وظيفيّة، لا غائيّة، لا إيديولوجية، فالوظيفيّة التي سيطرت على الفكر النقدي المدرسي المبتدئ، من خلال حفظ المصطلح، وتكراره برتابة، ودون تمثّل هذا المصطلح، وتذوّقه تذوقا جماليا. هذه الوظيفيّة هي التي أسهمت، وتسهم في فرز هذا النقد التعسفيّ، الذي لا يعرف التركيز إلا على قشور المضمون، في حين تلغى طاقات النص الشكليّة ، وقدرة هذه الطاقات على تأسيس الظاهرة الإبداعيّة، والحداثة الرؤيوية والفكرية.

إنّ المصطلحات النقديّة التي يتبناها أدعياء النقد الصحافي، والقصة القصيرة الشابة، تعاملت مع ((الظواهر الإبداعيّة بمفاتيح المسلمات لا بأدوات الاستكناه أي القراءة المتجددة التي تمتلك تراكمها الخاص، وتحاول النفوذ به إلى التراكم الخصوصي للنص إذا توفّر ( من هنا) بات من الضروري كسر رتابة ما يتبدى [ بديهيا] وهو ليس كذلك، [والأداة في ذلك] كما هي أداة كلّ معرفة هي طرح الأسئلة ومزيد من الأسئلة، وصوغ المقولات، لا في شكل حذلقة نقديّة، لكن من أجل استدراج البنيّة أو البنيات الغائبة في أدبنا وحصرها بما يمكن أن تحصر به قضايا إبداعنا)).[9]

---

[9] ـ المديني ،د. أحمد:أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، فبراير 1985م، ص 6.

إن النقد الصحافي السريع والمزاجي الذي واكب، ويواكب القصة القصيرة الشابة، لم يسهم ولن يسهم في كشف جوهر البؤرة المركزيّة للنص الإبداعي، وبقية البؤر الفرعيّة التي تضيء مكمن الإبداع داخل الخطاب القصصي، وتدلّ عليه، فمهمة هذا النقد هي الإلغاء والتغييب قبل أن تكون الكشف. وقديما أشار الناقد عبد القاهر الجرجاني إلى : (( النقد هو كلام على الكلام ))، لكن أن يكون الكلام على الكلام أدنى وأقلّ قيمة من الكلام الأصل فمن الأفضل ألاّ يقال.

إن شيوخ النقد الصحافي وأدعياءه لم يقولوا حتى الآن إلا كلاما على الكلام، لكنه كلام لا إبداع فيه ولاجديد، ولا قيمة معرفيّة فيه، ولم يكتف هذا الكلام بنفي الإبداع عن النصّ الأصل، بل عمد إلى تشويهه وقسر هامته على الانحناء المبتذل للمصطلح النقدي الفاقد لخصوصيته.

ويستغرب القارئ ـ باختلاف درجات وعيه ـ عن طبيعة المقاييس النقديّة التي فرزت هذا الكلام.

إن من أهمّ شروط الإبداع، سواء أكان شابا أم عجوزا، أن يرضي إحساسنا بالجمال والفن، وينمي هذا الإحساس، ويكشف عن الزيف المتجسّد في البنيات الاجتماعية والثقافية والفكرية، و لا يعني أن تكون مهمة الخطاب القصصي مهمة إبداعية فقط، تتبنى نظرية الفن للفن، L'art pour K l'art, وذلك بتبني الاعتبارات الجماليّة على حساب الاعتبـــــارات الأخلاقيّة [10].

و هنا لا يدعو هذا المقال إلى أن يكون الفن وظيفيا مؤدلجا يتحكّم به خطاب (( الأطروحة))، بل يرى ضرورة تشكيل نصّ من شأنه أن يؤنسن الفن، ويخلق فضاء إبداعيا لا افتعال ولا أدلجة سياسية فيه. إنّ المصطلح النقدي الذي واكب الإبداعات الشابّة، لم يستطع إضاءة أي رؤية من تلك التي يطرحها الخطاب القصصي الشاب، باعتباره مصطلحا جامدا من جهة، ومن جهة ثانيّة فإن الخطأ في تطبيقه كثيرا ما يفقده القدرة على إضاءة العلاقة بين الدال والمدلول في الخطاب القصصي، بحيث تبدو هذه العلاقة غائبة أو مغيّبة، (( فالتقسيمات الحاسمة القطعيّة في نقدنا الأدبي البئيس كثيرة ومتكاثرة، ومن شدة ابتئاسها أنها لا تعني شيئا قدر ما تفيد وضعيّة محبَطة على مستوى السلطة المباشرة، تسلطها على صعيد السلطة النظريّة المزدوجة في إحباطها، وهي باسم الدفاع عن مبادئ مجهضة، أصلا على مستوى

---

(10) ـ الفن للفن، Art for art: شعار النزعة الجمالية التي سادت الأدب الفرنسي، في أواسط القرن التاسع عشر والأدب الانجليزي في أواخره ، عن : Magdi Wahba , A dictionary of literary terms , librairie du liban , p n : 30 – 31

التنظير،ورغم التطبيق النقدي تقع فريسة تناقض مأساوي، إذ يظلّ النص المطلوب المنشَد الأصل منفلتا منه، وحتى ولو وُجهت إليه كل السهام والضغائن))[11] .

11

إن الدراسات التي تهتمّ بالقصة القصيرة، والتي تقترب من بنيتها الداخليّة اقترابا موضوعيا تكاد تكون غائبة عن الساحة الأدبية ، على الرغم من تشعّب هذا الفن، وتعدد مشاربه، وتعدد النزعات الرؤيوية التي تسود مسار الخطاب القصصي ـ باستثناءات محدودة جدا ـ في بعض البلدان العربيّة . وعلى الرغم من أن إنتاج القصة يتسع يوميا، وبالرغم من محاولات بعض أدعياء النقد الصحافي المهتمين بالأدب القصصي الشاب، فإن هذا النتاج لم يقابل بعملية نقديّة تسبر غوره، وتكشف عن إمكاناته ، فثمّة إهمال واضح لكثير من النصوص القصصية الجديدة، إذ بات النقد ظاهرة شخصيّة لأنّه تركّز على بعض النصوص الإبداعيّة لقاصين معروفين ومقرّبين إلى هذا الناقد أو ذاك، بينما أُهملت نصوص أخرى لا تقلّ إبداعا، فالتركيز الواضح على بعض الأعلام المعروفة في الساحة الأدبيّة ، والتي أقحم البعض منها نتيجة لمواضعات عديدة ـ يعرفها معظم القراء ـ قابله إهمال مقصود وواضح لبقية الأعلام ـ والتي يطلقون عليها شابة ـ والتي تشقّ طريقها بصعوبة بالغة وسط هذا الخضم الأدبي الواسع من أدباء وقاصّين ونقاد فُرض البعض منهم على حقل الإبداع.

ووسط هذا الخضم تُمارس عملية تغييب وإلغاء مقصودة وواضحة للأصوات الجديدة التي قلّما تجد طريقها إلى النشر إلا بصعوبة بالغة. هذا إذا اعتبرنا أنّ ما ينشر في أكثر الأحيان لشيوخ قاصين، وصحافيين ليس دليلا كافيا على مصداقيته، ومشروعية إبداعه . انتـــــــــهى

[11] ـ المديني، د. أحمد : أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر، ص 88.

## المصادر والمراجع


(1) ـ الشمعة، د. خلدون : النقد والحريّة، دار الأنوار للطباعة، دمشق ، طبعة أولى، 1977م.
(2) ـ د. يونس، محمد عبد الرحمن: " مدخل نقدي في فهم القصة القصيرة "، مجلة الحكمة، اتحاد الأدباء اليمنيين، عدن ، العدد 166، نوفمبر 1989.
(3) ـ باختين ،ميخائيل: " حول منهجية علم الأدب" ن ترجمة : زهير الشلبية ، مجلة المعرفة ، وزارة الثقافية، دمشق ، العدد 261، تموز 1985م .
(4) مقال لبطرس الحلاق، مجلة الكرمل ، قبرص، العدد الرابع ، خريف 1981م.
(5) ـ إبراهيم، د. عبد الحميد :القصة اليمنية المعاصرة، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1979م.
(6) ـ د. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف بالإسكندرية، مارس 1983م
(7) ـ يونس ، د. محمد عبد الرحمن:" مدخل لفهم القصة القصيرة"، جريدة الوحدة ، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ، سوريا ، العدد 1349، الإثنين ، 23/1/ 1989م.
(8) ـ المديني ،د. أحمد:أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، قبراير 1985م.
(9) ـ المديني، د. أحمد : أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر.
(10) ـ الفن للفن، Art for art: شعار النزعة الجمالية التي سادت الأدب الفرنسي، في أواسط القرن التاسع عشر والأدب الانجليزي في أواخره ، عن : Magdi Wahba , A dictionary of literary terms , librairie du liban , p n : 30 – 31

# إطلالة على قصيدة النثر العربية \ اختلاف المفاهيم داخل نفس المعجم

المهدي عثمان   باحث في الأدب والنقد الأدبي  تونس

ونحن نحاول رصد أهمّ المقاربات لرواد قصيدة النثر، لا بدّ أن ننتبه إلى التعريفات التي قُدّمت لها.

ونحن بذلك سنرصد مواقف شعراء قصيدة النثر من هذا الجنس من الكتابة وسنلامس حتما ـ ولو عرضا ـ مواقفهم من الشكل والإيقاع والموضوع والتلقي و الأغراض ... وهي أهم المسائل التي تجعل الجدل مشتعلا، لما يتعلق الأمر بقصيدة النثر.

من هنا اخترنا ـ وفي اختيارنا تعسف ـ الأسماء التي نعتبرها من الرواد، لما يتعلق بقصيدة النثر العربية. لعلّ أهمهم أدونيس و الماغوط ويوسف الخال وأنسي الحاج، وهم من كتاب مجلة " شعر ". مضيفين إليهم أحمد بزون وعز الدين المناصرة باعتبار أهمية ما قدماه من كم نقديّ على الأقل لما يتعلق الأمر بكتابهما " قصيدة النثر العربية ( 1996) و إشكاليات قصيدة النثر ( 2002) على التوالي.

فالأول قدّم أهم منجز نقديّ عن قصيدة النثر منذ ظهورها وإلى سنة إصدار الكتاب. و الثاني قدّم بالمثل أهمّ منجز أكاديمي، حاول من خلاله أن يرصد ظاهرة قصيدة النثر من حيث تراكمها ومواقف كتابها على المستوى العربي. وهو عمل نعتقد أنه من الأهمية بحيث يجب الانتباه إليه. خاصة من جهة قسم الاستفتاء الذي لامس آراء ومواقف شعراء عرب من كل الأقطار العربية. و أن مجرد جمع تلك الآراء والمواقف، يقربنا من فهم الظاهرة أكثر، فهمها باعتبارها ظاهرة عربيّة.

ومن جهة أخرى سنحاول رصد مواقف عديد الشعراء العرب الرافضين لقصيدة النثر والمتعاطفين معها أو المترددين في قبولها. وكيف استْطاعوا مقاربتها سلبيا أو ايجابيا، لنتمكن من الاقتراب أكثر من فهم الشعراء التونسيين الذي سنحاول مقاربة تجاربهم بالدرس والتحليل.

**1 ـ تعريفات الرواد:**

ما هي قصيدة النثر؟

أي تعريف يمكن أن نمنحه لهذا الجنس من الكتابة الذي ما زال مراوغا ومتمردا ؟

أيّ تراكم معرفيّ سنعوّل عليه لنحفر ذلك الحفر الأركيولوجيّ، ونعثر على ما به نؤثث هذا التعريف؟

" إننا نبحث عن معالم واضحة لهذه القصيدة. وقد يحتاج الأمر إلى جيل أو جيلين للوصول إلى ذلك... فحتى الآن ليس هناك تراث كاف لقصيدة النثر لاستخلاص سماتها العامة. وهذه مهمة الدارسين والباحثين وليس الشعراء"(1)

هذا ما صرّح به أنسي الحاج في وثيقة أُعدّت سنة 1988 ونُشرت سنة 2002. وقد قدّم لها نوري الجراح بمجلة نزوى العمانية.

أنسي الحاج، أحد المحررين الرئيسيين في مجلة " شعر" وأحد المؤسسين. إضافة إلى يوسف الخال و أدونيس.

و يعدّ أنسي الحاج من أوائل من كتب ونشر قصيدة النثر العربية. دون أن ننسى ثريا ملحس

( النشيد التائه ـ 1948 / قربان ـ 1952) وتوفيق صايغ ( ثلاثون قصيدة 1954) وسليمان عواد ( أغاني بوهيمية 1956) وربما حتى أمين الريحاني ( هتاف الأودية 1910) ... نقول ربما باعتبار شكنا في عدم توفّر مبدأ " القصدية " أثناء كتابة تلك النصوص.

مع ذلك وصل أنسي الحاج إلى قناعة أنّ قصيدة النثر العربية، ما زالت تبحث عن " معالم واضحة " و ما زلنا نحتاج إلى وقت أطول لإيجاد " سماتها العامة ".

فهل هذا المأزق ناتج عن عدم توفّر " تراث كافٍ " يمدّ الدعم للتعريف الممكن لقصيدة النثر؟

أم ما زال التراكم النصّي غير قادر على أن يكون أرضا خصبة لإعمال معاول النقد واسْتخراج المعنى المفاهيمي ؟

وهنا لا يمكننا الحديث عن تعريفات. لأنّ تعددها ـ مثلما سنوضح ـ مردّه عدم وضوح الرؤية وانعدام الملامح.

فرغم التراكم الشعريّ، والامتداد الجغرافيّ ( الوطن العربي ) وتعدد الفضاءات، من صفحات أدبية ودواوين وأمسيات ولقاءات و فضاءات الكترونية ..فإن تعريف قصيدة النثر " لم يزدد مع انصرام السنين إلا غموضا وضبابية " (2)

بل يذهب حسن مخافي إلى أبعد آيات السخرية، حين يعدّ قصيدة النثر حمار الشعراء

" يمتطيها كل من يفتقر إلى توازن كي يصعد سلّم الشعر الطويل والصعب " (3)

وإن نذهب إلى ما ذهب إليه مخافي من جهة السهولة التي صار يعتمدها الشعراء أثناء كتابة قصيدة النثر، إلا أننا نتساءل عن دواعي المقارنة ـ دائما وفي كل المنابر النقدية ـ بين قصيدة النثر والقصيدة الموزونة. أو بين الأجناس الأدبية أصلا.

لماذا نصرّ دائما على مقارنة قصيدة النثر بالقصيدة العمودية؟

هل لأنّ الأولى كسرت ما يسمّى انتظار القارئ / الناقد، وهو يراقب ما سيؤول إليه تطوّر حركة الشعر العربي ؟

أم أنّ أيّ خروج عن الثوابت ( وفق المعجم الفقهي) هو خروج عن الجماعة؟

مع التأكيد على أنّ الثوابت هنا هي العروض والإيقاع والموسيقى و الصرامة اللغويّة وغيرها من الشروط.

المسألة على صعوبتها، تمنحنا فرصة التساؤل:

لماذا لا نمنح لأنفسنا حيادا ما، في تعاملنا مع قصيدة النثر؟

لماذا لا يتعامل الناقد والقارئ مع قصيدة النثر باعتبارها " هي "؟ أي باعتبارها " جنسا كتابيا مستقلا " كما يعبر عن ذلك عز الدين المناصرة؟

إنّ إيجاد تعريف واحد ودقيق لقصيدة النثر، يستدعي كما هائلا من الدعم النقديّ والتراكم النصّيّ ( نقدا وشعرا). مع ذلك سنحاول ـ بجهد مشتت ـ أن نجمع ما تناثر من التعريفات عن شعراء هذا الجنس من الكتابة، ومن كتّابه نقدا. وحتى الذين لهم وجهة نظر مغايرة ورافضة لقصيدة النثر.

**أ ـ أدونيس:**

يعرّف أدونيس قصيدة النثر باعتبارها " كلمات عادية مشحونة بطاقة غامضة ـ شكل يجري فيه الشعر كتيار كهربائي عبر جمل وتراكيب لا وزن لها ظاهريا، ولا عروض ـ عالم متشابك كثيف مجهول غير واضح المعالم " (4)
إنّ مثل هذه التعبيرات المراد بها تعريفا أو شرحا أو تفسيرا أو حتى إبداعا ( شعرا أو نثرا ) ... هذه التعبيرات، هي التي ساهمت في جعل قصيدة النثر غامضة ومعتّمة وأقرب إلى الإبهام منها إلى الوضوح.
فأنْ يقول أدونيس إنّ قصيدة النثر " مشحونة بطاقات غامضة ـ شكل يجري فيه الشعر كتيار كهربائي " إنما هي محاولة من أدونيس للهروب من التفسيرات الواضحة لمثل هذا الجنس الكتابي المستعصي .
فاللغة هنا تحدّثنا عن غموض في قصيدة النثر بلغة غامضة، وكأنّ ما ينطبق على تلك الجملة، هو ما ينطبق على قصيدة النثر.
كيف يمكن إذن، مقاربة مفهوم قصيدة النثر عند أدونيس وهذه الأخيرة غارقة في " عالم متشابك كثيف مجهول (و) غير واضح المعالم " ؟
إذن، كيف نفهم مثل هذا القول ؟
هل قياسا على مقولة بول فاليري " لقصائدي المعنى الذي يُسْند إليها "؟
فنقول
" لمقولاتي المعنى الذي يسْند إليها "؟
و إنْ كان ذلك صحيحا لمّا يتعلّق بالشعر، باعتباره يسْتدعي ذلك الاختلاف والتنوّع في القراءات، دفاعا عن " أبدية " الشعر وتجدده " فكل قراءة تقويض لقراءة... ولا يحمل هذا التقويض معنى الإلغاء والإفناء " (5)
بالمثل لا يحمل الوقوف عند فكرة واحدة ومعنى واحدا اعترافا أنه ما اصطلح على تسميته " بجمالية التلقي" لما نتحدث عن العلاقة بين النص القارئ و هذا مفهوم ترجمه سعيد خرو عن كلمة Rezeptionsasthetik
إذا كان الأمر كذلك لما يتعلق بالشعر، فإنّ تأويل "النثر " يستدعي الوقوف والتمهل.
فهل مقولة أدونيس في تعريفه لقصيدة النثر، أريدَ بها توضيح للمفهوم أم إيغال في التعتيم ؟

هل يمكن أنْ نجزم أنّ قولا غير مفهوم ومعتّم وزئبقيّ، هو قول لا يقول شيئا؟ أم " أنّ ذلك العالم المتشابك الكثيف المجهول " يمكن أنْ يفكّك و يُبسّط ويصير واضحا ؟

أم أنّ مثل هذا التحوّل الجوهري لعالم قصيدة النثر من شأنه أنْ يُفقدها جوهرها ومعناها الحقيقي أو طبيعتها التي هي ذلك " التشابك " و " الكثافة " و " الغموض " ؟

فهل هذا ـ إذن ـ ما قصده أدونيس أنّ " على قصيدة النثر ألاّ تتعارض مع صفات المجانية والغموض والكثافة " (6) ؟ وهي نفس الفكرة المأخوذة عن سوزان برنار بل حتّى شعراء من أمثال بودلير و رامبو و مالارميه " أكّدوا مفهوم الغموض في الشعر وكتابة قصيدة النثر " (7) وهذا ما يدعّم فكرة أنّ الإبهام / التعتيم من شأنه أنْ يبتعد بالقصيدة عن الشعور والعواطف، نحو الفكر والفلسفة .

فإذا وضعنا على طاولة التشريح، نصوص نزار قباني ـ مثلا ـ يصعب أنْ نعثر على عتبات قصيدة واحدة معتمة وعقلية أو ذهنية أو " موضوعية " *، بحيث تدفع القارئ إلى البحث أو لاسْتخدام المعاجم الفقهية والفلسفية والسياسية . و إن كنا باسْتدعائنا لنزار قباني، لا نخلط بين قصيدة النثر والقصيدة الحرة التي يكتبها هذا الشاعر... إلا أنه لما يتعلق بالغموض، يبدو جليا اقتراب قصيدة النثر من هذه الجهة المعتمة نحو الإبهام.

فأدونيس يؤكد في نصوصه " ذلك التلازم الدائم (..) بين الشعر والفكر. حتى أنّ أشعاره ليست إجمالا في منأى عن إعمال الفكر " (8)

فالجُمل الشعرية تكاد تكون مقتطعة من كتب فلسفية، بحيث من الطبيعي أنْ يكون " تلقي هذا الشعر أكثر صعوبة من تلقي غيره " (9) بسبب ما يلتصق به من غموض وضبابية وربما الوصول إلى التعتيم أو الإبهام المطلق.

وإن بدا أدونيس غير مقتنع بفكرة الوصول بالشعر إلى مرحلة " الإبهام المطلق " إلا أنه يعترف بضرورة أنْ لا يناقض النصّ " العامل الحضاري " (10) بل يتماهى معه تجسيدا

" للبعد والحدس والعمق في الشعر " (11) .

لذلك يقول أدونيس في " زمن الشعر " بضرورة ربطه ( الشعر ) لا بالعاطفة والمشاعر فقط، بل الشعر مع ذلك " هو ما يمكن أنْ نسميه الفلسفة. فهؤلاء الشعراء ( يقصد غوته و دانتي وشكسبير ) عبروا خلال عواطفهم

وانفعالاتهم عن العالم . كان لهم معنى آخر . رأي في العالم وموقف منه ... كانت لهم فلسفة " (12)

نفهم باطلاعنا على أدبيات دانتي وغوته وشكسبير، مدى ما وصل إليه أولئك الشعراء في تعاملهم مع الواقع ودفعهم نحو تغيير السائد، وأخذ موقف من الرداءة ... غير أننا لا نذهب مع أدونيس في اعتبار قصيدة النثر العربية أخذت تلك الوجهة، باسْتثناء بعض التجارب .

فالحداثة غيّرت في الغرب ما لم تغيّره و ما بعد الحداثة والعولمة مجتمعة في العرب .مع ذلك " فالموقف " يكاد يكون غائبا عند شعراء قصيدة النثر . وهو ما جعل " حزب المحافظين " يعتبرها بداية أو بالأحرى نتيجة للأزمات المختلفة التي يعيشها الراهن العربي . من ذلك أنّ عبد المعطي حجازي اعتبرها نتيجة للعولمة أو الأمركة ( وهو خلط ينمّ عن جهل ) وهزيمة 1967 " مما أدى إلى انحطاط اللغة وتوقف الإبداع واسْتفحال التيارات المعادية للعلم والحرية " (13)

و إنْ كنت تعرضت لمواقف حجازي المتطرفة من قصيدة النثر، إلا أنّ موقفه ذاك هو صدى لمواقف أخرى متعددة.

فقصيدة النثر عند نسبة كبيرة من شعرائنا لا تتبنّى " موقفا " من السائد والراهن، بل عوّلت Egocentrisme على الذاتيّ والتمحور حول الذات

بل تذهب قصيدة النثر إلى أبعد من ذلك بطموحها " إلى الانفصال عن الواقع (..) والنأي عن تمثيله " (14)

و لما نسْتدعي هذا الواقع، إنما نسْتدعي ما أثير حول هذا النصّ من شبهات. و خاصة بإصدار مجلة " شعر " التي تزامن إصدارها لأول مرّة مع العدوان الثلاثي على مصر، ثمّ توقفت وعادت إلى الصدور قبل انطلاق حرب 1967 بأشهر.

مع أنّ أغلب المؤسسين يحملون توجهات قومية، بل هم أعضاء في أحزابها، مثل يوسف الخال وخليل حاوي. بل احتضنت مجلة شعر إبداعات ليبرالية وحتى شيوعية .

نذكر نازك الملائكة و السياب و فدوى طوقان وسعدي يوسف و البياتي وعبد الصبور وسلمى الخضراء الجيوسي ..(15)

إننا هنا ـ ونحن نسْتحضر قصيدة النثر ـ كأننا أمام مدارس تشْكيلية، كالتكعيبية و الدادائية ... مدارس عند انفصالها عن الفن الكلاسيكي، أو بالأحرى عند

اكتمال مشْروعها فصلتْ بالمثل مع الواقع .و صار من المسْتحيل أنْ نعثر على موضوع تمثله اللوحة التكعيبية.

صحيح أنّ اللوحة لا تخلو من موضوع، لكن أيّ موضوع ؟

إننا نقف أمام مادة زئبقية يصعب الإمساك بها، وصارت هذه الزئبقية هي مطلب الفنّ.

إننا بحق أمام " الاعتباطية ". بمعنى أنْ تقول كلّ شيء عدا أنْ تقول ما يتعلق بالراهن والسائد و الواقعيّ. و إنْ كان ذلك صحيحا، لما يتعلق بالنهضة الأوروبية وما وصلت إليه تلك الحضارة، من حالة رفاه وسَمتْ حالة المجتمعات، وقطعت تلك الشعوب مع الفقر والأوبئة والتخلف... إنْ كان ذلك ممكنا فإنه لما يتعلق الأمر بالعالم العربي، تبدو محاولة إيديولوجية سافرة ومشْبوهة، الغرض منها التعتيم على الواقع وتجميل القبح. فهل " على القصيدة أنْ تقطع جميع الحبال التي تربطها بما يبررها " كما نادى بذلك كوكتو ؟

يبدو أنّ هذا ما ينفيه أدونيس .

ولكن هذا الموقف ( عدم القطع مع الواقع ) تبناه العشرات بل المئات من كتاب قصيدة النثر، وحتى أدونيس نفسه يحب أنْ يعترف أنّ رفضه للقطع مع الواقع، لا يعني التعبير عنه بمفاهيم ومواقف وجمل مبهمة لا يفهمها إلا هو .

أي أنه مطالب بالإجابة عن سؤال :

لمَ لا تقول ما يفهم ؟

وكيف نفهم قوله مثلا :

توسّدوا سندسَ الله،
أو اسْتسْلموا لدولاب الآلة ،
سوف يقْتفي، وهو الجامح، طبقات التكوين السّفلى
مُزوّدا بماءٍ يحمل الغواية
في كينونة ـ نصْفها رصاص ونصفٌ أسْطورة
في فيض أشْلاء
حيث تشْطح العناصر وتتهتّك المادة (16)

أعرف قدرة البعض على ارتداء الأحزمة الناسفة للتفسير والتأويل .بل ربما قدرة على التعسّف على المعنى... إرهاب المعنى.

إنّ تأويلا قسريا، معناه تنزيل مفهوم " الإرهاب " من معجمه السياسي إلى المعجم الشعري ، أي أنّ هؤلاء بإمكانهم ـ تبعا لذلك التعسف ـ أنْ يمارسوا إرهابا ما على المعنى .
نحن لسنا ضدّ التأويل و الشرح والتفسير، لكن ضد إدخال الأرجل في الأحذية الضيقة. فالشعر " نشاط بشريّ يتجاذبه قطبان: العادة والإبهام. و قدره يتمثل في الإفلات من كليهما، حتى يهادن العادة ولا يرتاد الإبهام " (17)
ذلك ما ذهب إليه محمد لطفي اليوسفي مؤكدا أنّ في " داخل ذلك الحيز الرجراج يوجد الغموض" (18)
فكيف يسْتريح الشعر في ظلّ هذا التجاذب بين العادة والإبهام ؟
فمحمد لطفي اليوسفي ( والقول له ) موقن أنّ الوقوف على العادة رداءة وتكرار، والذهاب إلى الإبهام طلاسم وتعتيم واختناق. وهذا موقف سانده فيه الكثير من النقاد.
وقد علمْنا أنّ المتلقي إذا عجز عن فكّ أزرار المعنى، معناه بتر حبال التواصل بينه والشاعر/ الباث .
لذلك يذهب اليوسفي إلى أنّ " الغموض " هو سرير الشعر ومخدعه... هو المكان حيث يسْتريح .
وبعودتنا لإلى أدونيس نصطدم بسؤاله :
لمَ لا تفهمون ما أقول ؟
ردّا على سؤال: لم لا تقول ما يُفهم ؟
لندخل تبعا لذلك في جدل التوادد والسجال بين الباث والمتقبل . أيهما مطالب بالتواطؤ مع الآخر.هل ينزل الشاعر إلى أرض الداصة والدهماء كما يقول الجاحظ ؟ أم ترتفع العامة إلى النخبة لتقطع مع الاسْتسلام للمرئي السهل ضدّ المقروء الذي يتدنّى يوما بعد يوم كما ذهب إلى ذلك إلياس لحود ؟
إنّ أدونيس مع ذلك واحد من أهمّ المنظّرين لقصيدة النثر العربية، ورغم هذا الامتياز أو السبق، ما زال غير قادر تماما على تحديد ملامح ذلك الجنس من الكتابة . بمعنى لم يسْتطع إعطاءها لباسها المفاهيمي . حتى أنه ـ وهو يردّ على أسئلة بعض القراء لجريدة الحياة اللندنية سنة 2001 ـ اعتبر أنّ مصطلح قصيدة النثر " مفكك ومتشعب ومتناثر، حتى أنه يكاد يفقد دلالته الأساسية. حيث تحوّل في الكتابة العربية إلى طينة يمكن أنْ نسميها الكتابة الشعرية . نثر " (19)

وهذا المفهوم تداولته الأقلام النقدية، واعتمده بعض النقاد والشعراء . بل هو( الكتابة الشعرية.نثرا) من الأسماء التي جمعها عز الدين المناصرة في كتابه " اشكاليات قصيدة النثر " إضافة إلـى 23 اسما .

إنّ ما طرحه أدونيس في الإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحها عليه القراء في جريدة الحياة اللندنية، أضاء عديد الزوايا المعتّمة الحافّة بقصيدة النثر، لعلنا نلخصها في النقاط التالية والتي كان أدونيس يخشى حدوثها :

1 ـ شيوع الكلام على أنّ قصيدة النثر بدأت تحلّ محلّ الشعر أو محل قصيدة الوزن وهذا كلام يتبناه المحافظون الذين يتهمون كتاب قصيدة النثر بتبني القول الذي معناه إقصاء قصيدة النثر لأصناف القول الأخرى والحلول محلها.

و هذا ما ذهب إليه أحمد عبد المعطي حجازي في كتابه الأخير بالقول إنّ قصيدة النثر يقدمها الشعراء باعتبارها " نوعا مسْتقلا (..) بل يعتبرونها بديلا عن القصيدة الموزونة " (20) وهذا قول مرده التسرع و عدم الفهم . لأن جميع رواد قصيدة النثر يتفقون على أنها ليست بديلا لأيّ جنس آخر من الكتابة . من ذلك ما ذهب إليه أنسي الحاج في مقدمة ديوانه " لن":

" كلّ مرادنا إعطاء قصيدة النثر ما تسْتحق : صفة النوع المسْتقلّ . فكما أنّ هناك رواية وحكاية وقصيدة وزن تقليديّ وقصيدة وزن حرّ، هناك قصيدة نثر " (21)

2 ـ أما النقطة الثانية، فهو شيوع الكلام على أنّ قصيدة النثر اسم يتسع لجميع " المسمّيات" أو أشكال الكتابة الشعرية.نثرا .

وهذا موقف ـ وإن كان يخشاه أدونيس ـ إلا أنه شاع وانتشر حتّى بين كتاب قصيدة النثر أنفسهم . حتى بتنا نسمع " حلول " القصة والرواية والخاطرة في قصيدة النثر .

وبتنا نقرأ تجارب تجمع كلّ هذه الأجناس على صفحة واحدة وتسميها قصيدة نثر بتعلة أنّ قصيدة النثر يمكنها أن تتسع لها جميعا . وهي تجارب نعتقد أنها جاهلة بالمفاهيم وغير مدركة لطبيعة قصيدة النثر.لذلك كثيرا ما نقرأ خلطا بين " قصيدة النثر" و " الشعر المنثور " و " في غير العمودي والحر "... و هذا الخلط هوّ الذي جعل عديد النقاد يحفرون في التراب الشعريّ بحثا عن " قصيدة نثر " تراثية أي سبقت في التوقيت مجلة شعر.

من ذلك ما ذهب إليه الشاعر التونسي سوف عبيد حين اعتبر الشابي ومصطفى خريف وأبو القاسم محمد كرو من كتاب قصيدة النثر.

وإن حدد سوف عبيد نصوص مصطفى خريف مع انطلاق ديوانه " شوق وذوق " سنة 1965 ، وهو تاريخ يجعل من إمكانية كتابة قصيدة النثر بشروطها التي حددتها سوزان برنار و أدونيس بعدها ... إمكانية متاحة.
إن ذلك ممكن مع خريف، لكنه لا يمكن تبني نفس الموقف لما يتعلق الأمر بالشابي ومحمد كرو . فالأول توفي سنة 1934، ولم يشهد حضور قصيدة النثر بمعناها الحالي كما هي الآن.و أما النصوص التي أبرزها سوف عبيد باعتبارها قصائد نثر، فإنها نصوص ضعيفة وتافهة لا يمكن أنْ تتجاوز حدّ الاختلاجات أو الخواطر. ثمّ إنّ احترامنا للشابي لا يجعل منه نبيا لكلّ العصور . و اعتباره كاتب قصيدة نثر، هي محاولة مردودة على أصحابها، لأنه لا تتوفر عند ألشابي " قصدية " ما ليكتب ذلك الجنس من الكتابة .وهذا ينطبق على الثاني.
3 ـ اعتماد كتاب قصيدة النثر ( الكتابة الشعرية نثرا) على القول أنّ ما يكتبونه مرحلة متطوّرة للشعر العربي.ويصروّن على اسْتخدام كلمة "قصيدة"، "فالقصيدة" هي القصيدة منذ حددها القرطاجنّي بشروطها العروضية والإيقاعية المضبوطة والمحددة .
و هذا المفهوم وشبيهه لا يمكن أنْ نلصقه بقصيدة النثر أو " بالكتابة الشعرية نثرا"، لأن أدوات و أساليب و أشكال قصيدة النثر مختلفة وربما متناقضة مع مفهوم " القصيدة " باعتبارها عروضا.
وتبعا لذلك، أي تبعا لوجود ذلك الاختلاف والتناقض فإننا ـ وتبعا لتحديدات أدونيس ـ لا يمكن اعتبار قصيدة النثر مرحلة متطوّرة للشعر العربي .
هي مرحلة من مراحل الشعر العربي ... لنقل لاحقة أو متقدمة ( لا نعني في الزمن الكرونولوجي ). وإن كان مفهوم التطور لا يعني الأسبقية أو السبق بالضرورة. ذلك أنّ التطوّر قد يعني التقدم أو التأخر... يعني الحركة .
حركة قد تكون في اتجاه ما، ولكن ليس الاتجاه إلى الأمام دائما .
4 ـ كتّاب ( الكتابة الشعرية نثرا) ينزوون وينكمشون في عدد محدود من الصياغات الكلامية، مسبوكة في جمل تتشابه حدّ التطابق. مما ولّد انطباعا بأنهم أخذوا يوغلون في تنميط النثر نفسه. أي أنّ هؤلاء الكتاب / الشعراء " جاءوا إلى الحرية كيْ يقيّدوها " (22).

وهذا واضح لما تتصفح نصوص كتاب قصيدة النثر لتكتشف " التطابق " و" التماثل " الحاد بين النصوص. بلْ إنك قد تكتشف تعويل عديد الشعراء على نفس المعجم الطبيعي أو السياسي أو الجنسي...

إذن، يمكن أن نلخّص أفكار أدونيس حول قصيدة النثر أو الكتابة الشعرية نثرا، بالقول إنّ أدونيس وضع إصبعه على الجرح الغائر فعلا، وهو يتلمس هذا الجنس من الكتابة .
و لا غرابة فهو أول من وضع دراسة نقدية عربية واضحة المعالم والأركان عن قصيدة النثر.وإن كانت دراسته عوّلت على كتاب سوزان برنار " قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا "، إلا أنّ " التناصّ " لا يُنقص مما قدّمه أدونيس شيئا .
وإن كان حراس الشعر العمودي قد اتهموا أدونيس بمجاراة الغرب والأخذ عن حضارة أخرى مناقضة لنا من حيث الثقافة والتقاليد والإرث الحضاري .
ولم أسمع أنّ أحدا عارض أخْذ المسرح والسينما والفنون التشكيلية والعلوم بأنواعها ...
فلماذا هذا النقيق حول قصيدة النثر تحديدا ؟

إنّ أدونيس بطرحه لتلك المخاوف الأربعة، إنما خَلص إلى أنّ بنية الشعر غير زمنيّة، وإن ارتبطت بزمن ما .
بمعنى أنّ ما يميّز الشعر " الحق" حسب أدونيس هو بنيته وليست زمنيّته ... هذا أولا.
أما ثانيا، فيرى أدونيس أنّ الشعر لا يجب أنْ يحاكي الحياة .لأنه سيتحوّل من قيمة متعالية
و سرمديّة إلى سرد و تأريخ، وهو ما يعجّل بفنائه.
على أنّ الشعر ـ مرة أخرى ـ لا يجب أنْ يناقض " العامل الحضاري " بل ينصهر فيه
و يتماهى معه .
فالشعر " لم يعد ـ بمعنى آخر ـ للفائدة والمنفعة، بقدر ما أصبح عملا إبداعيا داخليا يجد فيه الشاعر تعزيته وخلاصه " (23) وهذا الخلاف / الاختلاف الجوهري بين مضمون القصيدة العمودية وقصيدة النثر.

فالقصيدة العمودية الحاضرة في البيئة الجاهلية والعربية البسيطة لا يمكن لها أنْ تتجاوز واقعها ذاك وماديتها.

فالشاعر عصرئذ متماثل مع المادة وحاضر فيها و بها . لذلك يبني رؤاه ونظرته انطلاقا من واقع الصحراء والخيمة وخبب الخيل وقرع السيوف ... و لا يمكن ـ تبعا لتلك البيئة المادية البسيطة ـ أنْ يعبّر الشاعر عن رؤى وجودية وفلسفية وذهنية، لأنه لم يدركها.

خلافا لقصيدة النثر الحاضرة في زمن التحولات الكبرى، زمن ميزاته " تفعيلة الحياة لا تفعيلة الخليل : رفع فخفض وانطلاقة فنكوص واسْتتباب فانقلاب وأرض مطمئنة فزلزال وجفاف فطوفان وسلام عليهم وقنابل على العرب وفيتنام وتخمة ومجاعة وناس تمشي عراة . آخرون يتقلبون مع الموضات وواحد يصنع طائرة والآخر " يملّسْ كانون " و أبولو والسرطان ساق على القمر وساق في القبر وجسم ناشط فشكل وعرق نابض فسكتة قلبية.

توقيع العصر مكسور مبتور بلا انتظام بلا انسجام لا مستفعلن ولا فعولن ويعدّ فاصل الشعر عند العرب الحداء والحداء قدّ على وتيرة الإبل في سيرها. أفيركب الشاعر منا اليوم السيارة والقطار والطائرة ويزن الشعر بخطو الجمل... هو شعر عصريّ " (24)

هذا ما كتبه توفيق بكار وهو يقدّم لديوان صالح القرمادي " اللحمة الحية " .. و هذا ما شدّني لأعبّر عن واقع متداخل متمازج فوضويّ ساخر كاذب متهالك مخادع مخاتل... واقع يحتّم على قصيدة النثر الآن أنْ تجاريه و تلبسه.

هذا التضارب بين واقعين مختلفين، طرحه أدونيس في كتابه " مقدمة الشعر العربي " وهو يقارن بين القصيدة الجاهلية وقصيدة النثر (ضمنيا ) :

" القصيدة الجاهلية كالحياة الجاهلية : لا تنمو ولا تُبنى . وإنما تتفجّر و تتعاقب . والشعر الجاهلي صورة الحياة الجاهلية : حسّيّ، غنيّ بالتشابيه والصور المادية . و هو نتاج مخيّلة ترتجل وتنتقل من خاطرة إلى خاطرة، بطفرة ودون ترابط (... ) و لا تقدّم لنا القصيدة الجاهلية مفهوما للعالم، وإنما تقدّم لنا عالما جماليا.

المفهوم يتضمّن موقفا فلسفيا، والفاعليّة الشعرية عند الجاهليّ انفعالية بعامة لا تُعنى بالمفاهيم بل بالتعبير والحياة والواقع " ( 25)

أما ثالثا، فيرى أدونيس أنّ ما يجعل من الشعر شعرا ليس الوزن وليس النثر، بل هناك أشياء أخرى ومقاييس أكثر أهميّة وعمقا .

" لا وزن، لا نثر، هناك معيار آخر لتمييز الشعر "

فما هو هذا المعيار ؟

إنها معايير لا نعرف إنْ وُفّق أدونيس في إنزالها إلى تربة الشعر العربي . ذلك أنه ـ و تماهيا مع كتاب سوزان برنار ـ التقط أهمّ المفاهيم، بل كلّ المفاهيم / الأعمدة التي قامت عليها قصيدة النثر الأوروبية ، وهي حسب سوزان برنار :

* الوحدة العضوية
* المجانية
* الإيجاز

وقد حوّلها أدونيس أو عرّبها أو دجّنها أو غيّر خارطتها الجينيّة لتصبح :

* إرادة البناء مقابل الوحدة العضوية
* لا غاية لها خارج ذاتها مقابل المجانية
* الوحدة والكثافة مقابل الإيجاز

" فإرادة البناء" أو " الوحدة العضويّة " هو " قصد " بناء النصّ الشعريّ بناءً واحدا / وحدة لا تقبل التجزئة ولا التفصيل ولا يمكن اقتطاع أبيات لقراءتها منفصلة عن الأخرى. مثلما يحصل مع الشعر العمودي.

وهذه الإرادة عند أدونيس تفترض " درجات عليا من التحكم في بناء القصيدة " (26)

أما القصيدة باعتبارها " لا غاية لها خارج ذاتها " ( المجانية )، فإنها لا زمنية. بمعنى أنها لا تتقدّم إلى غاية أو هدف مثل الرواية أو القصة أو المسرحية أو المقالة، بل تفرض ذاتها باعتبارها كتلة لا زمنية.

أما" الإيجاز " أو " الوحدة والكثافة "، فهو أنْ لا تتعمّد القصيدة الإطالة والتمطيط والتكرار الذي لا هدف له. وأن تبتعد قصيدة النثر ما اسْتطاعت عن الاسْتطراد والوعظ والتفسير.

وتبعا لهذه الشروط الثلاثة " على قصيدة النثر ألا تتعارض مع صفات المجانية والغموض والكثافة التي هي خاصية الشعر " ( 27)

رابعا، يعتبر أدونيس أنّ معنى القصيدة " ليس في الكلمة أو الجملة، وإنما هو في حركة القصيدة، بوصفها كلا " ليتحقق شرط الوحدة العضوية حسب سوزان برنار، أو إرادة البناء حسب أدونيس . وهذا خلافا للقصيدة العمودية التي يمكن أنْ يحكي عنها بيت واحد أو حتى صدر أو عجز، كأن تقول :

الخيل والليل والبيداء تعرفني

دون أن تكمل بقية البيت للمتنبي.

خامسا، إنّ القول الشائع إنّ الشاعر صوت القبيلة أو نبراس الأمة، أو حامل همومها والمدافع عن قضاياها، هو قول بائد. ذلك أنّ أدونيس يرى اسْتحضار هذا القول من قبيل البكاء على الأطلال . ذلك أنه يجب أنْ يُنظر إلى الشاعر باعتباره معرفة، لا باعتباره مرآة تعكس واقعا.

سادسا، إنّ قصيدة النثر أو " كتابة الشعر نثرا "، هي تجربة الحواس بامتياز

.

بمعنى أنْ ينتبه الشاعر أكثر إلى التفاصيل والأشياء، وحتى المهمل والقبيح. عوض الاحتفاء بالقبيلة والزعيم الأوحد .

" فأنْ تكتب شعرا، هو أنْ تُخرج الأشياء من صمتها أنْ تجعلها تتكلم. والشعر يحيل القارئ إلى ما تقوله الأشياء " (28)

و لما تتكلم الأشياء عبر نافذة قصيدة النثر، إنما تتكلم بملء قوتها وبكثافة حضورها وأن قصيدة النثر باعتبارها فضاء رحبا متسعا وممتدا في اللغة والكلمات وامتداد السواد على بياض الورقة... يجعل من الأشياء لها قدرة فائقة على التجلي و القول والتعبير.

فشكل قصيدة النثر يمنحها إمكانيات متعددة للقول تفوق ما لغيرها من الأجناس

( نقصد القصيدة العروضية )وأنا بهذه الملاحظات لا أخلق مفاضلة أو ترتيبا، وإنما أقدّم رؤية حاضرة كما أراها.

فقصيدة النثر لن تسْكن " في أيّ شكل، وهي جاهدة أبدا في الهروب من كل أنواع الانحباس في أوزان أو إيقاعات محدودة . بحيث يتاح لها أنْ توحي بالإحساس بجوهر متموّج لا يدرك إدراكا كليا ونهائيا .لم يعد الشكل جمالا وحسب . ففكرة الجمال بمعناها القديم ماتت ( ..) إنّ وقع القصيدة كلها: لغة غير منفصلة عما تقوله، ومضمون ليس منفصلا عن الكلمات التي تفصح

عنه.فالشكل والمضمون وحدة في كلّ أثر شعريّ، ويأتي ضعف القصيدة من التفسخات والتشققات التي تسْتشفّ في هذه الوحدة " (29)

و إن كان مثل هذا التعريف لقصيدة النثر ما زال غامضا وزئبقيا، فذلك يعود إلى تشتت المعنى وعدم اكتمال تجربة كتابة قصيدة النثر.

فأدونيس يقدّم تعريفا في كلّ مرة، ليلحقه بآخر حول الإيقاع أو البناء أو الموسيقى أو الشكل أو ... وحتّى تكتمل الصورة علينا بجمع التعريفات التي بالضرورة يتعارض بعضها مع تعريفات أخرى قدمها يوسف الخال و الماغوط وأنسي الحاج تنضاف إليها تعريفات قدمها بعض النقاد .

**ب ـ رواد مجلة شعر:**

رواد مجلة " شعر " جمعهم التحول الثقافي والسياسي عصرئذ. وأثرت فيهم النزعات القومية واليسارية السائدة.

و لعلّ الاختلاف الذي كان يحكم الثقافة العربية، هو الذي أفرز مثل تلك التوجهات نحو تأسيس مجلة " شعر".

و إن اتهمت المجلة بتوجهاتها القومية، إلا أنها احتضنت الليبراليين و اليساريين. ولعلنا هنا نستعيد قول جمال باروت نقلا عن أحمد بزون، وهو يعدد كتاب المجلة :" إنّ أغلب العاملين في ' حركة مجلة شعر ' كما أقرّ ذلك يوسف الخال كانوا من القوميين الاجتماعيين، وعلى رأس الشعراء والكتاب يوسف الخال و خليل حاوي وأدونيس وعصام محفوظ وفؤاد رفقة ومحمد الماغوط والنقاد خالدة سعيد وعادل ضاهر وأسعد رزوق وحليم بركات"(30)

و على خلاف عديد الدوريات العربية عصرئذ، والناطقة باسم فكرة أو إيديولوجيا أو تيار سياسي، جمعت مجلة " شعر " كل التيارات والأفكار والمواقف، من سوريين ولبنانيين وعراقيين وأدباء مهجر ..

لذلك جاءت مجلة " شعر " غنية وثريّة ومربكة في الساحة الثقافية اللبنانية والعربية.

فقد جمعت كل من يوسف الخال (1917 ـ 1987) و أدونيس ونذير العظمة ومحمد الماغوط وخليل حاوي (1919 ـ 1982) وانضم إليهم لاحقا أسعد رزوق وأنسي الحاج والناقدة خالدة سعيد.

غير أنّ هؤلاء الأوائل الذين يحملون فكرة" قصيدة النثر" انظم إليهم ( إلى المجلة ) عصام محفوظ وفؤاد رفقة ونازك الملائكة و السياب و فدوى طوقان وسعدي يوسف والبياتي وعبد الصبور وسلمى الخضراء الجيوسي .. وغيرهم. وكلهم من كتاب القصيدة العمودية. بل من المؤسسين لظهور القصيدة الحرة، كنازك الملائكة وبدر شاكر السياب.
وإن كان بعضهم حافظ على توجهه و كلاسيكيته، فإن البعض الآخر اخترق التجريب وكتب قصيدة النثر.
إن ذلك الاختلاف الإيديولوجي والانتماء الجغرافي والمواقف المختلفة من السياسة والثقافة والتراث والحداثة واللغة، إضافة إلى موقف التيارات السياسية المتناقضة أحيانا من الأحداث الحاصلة بين العرب و إسرائيل... كل ذلك جعل الرؤى مختلفة بعض الشيء وربما متناقضة من تلك المسائل، وإن جمعتهم قصيدة النثر الحداثية.
إنّ تبيان هذه المواقف والتعريفات المختلفة لقصيدة النثر وعناصرها ( اللغة والشعرية و الإيقاع ..) يستدعي الالتفات إلى أهم الكتاب وليس جميعهم. فبعضهم بقي فاعلا في الساحة الثقافية العربية، وبعضهم انسحب ( وفاة يوسف الخال وخليل حاوي ) وآخرون انقلبوا على قصيدة النثر، بعد أن اقتنعوا بها وكتبوها، مثل نازك الملائكة.
ولعلّ اهتمامنا بأدونيس منفردا، وتخصيصنا له الحيّز الأكبر، إنما إيماننا ( ككل العارفين والمتطلعين) بأهمية تنظيراته و الجدل الذي يحف به و بنصوصه. و هو أهم الرواد الفاعلين حاليا، وأهم من تؤخذ بنصوصه وأفكاره، كلما تعلق الأمر بقصيدة النثر، بل بالحداثة أيضا.

*** يوسف الخال:**

يوسف الخال، يعد الشاعر الأكثر أهمية، من حيث علاقته بمجلة " شعر" والأكثر إثارة للجدل.
فقد تسلم عن أدونيس سكرتارية التحرير في العدد السابع والعشرين من السنة السابعة، بعد أن انسحب أدونيس من المجلة. ويعدّ يوسف الخال من " الثائرين" على القديم وعلى التراث. و الدافعين إلى البحث عن بدائل مغايرة للتعبير. مقتنعا أن التغير في الحياة يفترض تغيرا في أنفسنا، من حيث الخطاب وأدواته وأساليبه. لذلك كانت علاقة يوسف الخال باللغة، علاقة

متوترة ومثيرة للجدل. بل ربما كانت مواقفه سببا في انسحاب عديد كتاب مجلة " شعر" وانتقادهم لها لاحقا. من ذلك ما قاله خليل حاوي:

" إنهم ( في مجلة شعر) باستثناء القلة منهم يكتبون بلغة لا يحفلون بها، ولشعب انفصلوا بهمومهم عن همومه، ويلتصقون من الخارج بحضارته التي يجهلونها، وهم في الوقت نفسه يذوبون صبوة إلى الحضارة الغربية" (31)

ولعل ما قاله خليل حاوي وهو يشير به إلى يوسف الخال، ربما ينطبق على عديد الشعراء وكتاب قصيدة النثر الذين يملؤون صفحات الجرائد ومنابر الملتقيات والندوات. وأن ما يكتبونه لا علاقة له بالإبداع، إلا من جهة تسمية هؤلاء " شعراء".

أما يوسف الخال، فكان " يعتقد أنّ اللغة العربية في شكلها الفصيح السائد لم تعد قادرة على مواكبة الحركية المتنوعة الضخمة في الحياة وفي الثقافة و على الإفصاح عنها" (32)

كما صرّح بذلك أحمد بزون في كتابه " قصيدة النثر العربية"(1996) . وكأن يوسف الخال وهو يتمرد على المناحي الكلاسيكية في الشعر، إنما يتمرد أيضا على كل قديم وكل موروث وكل ماضوي. معتقدا أنّ اللغة توقفت عن أن تقوم بدورها، ولا بدّ من تغييرها أو بالأحرى تغيير مصطلحاتها.

بل ذهب أبعد من ذلك بكثير، حين طالب بتنزيل العاميّة أو الدارجة بَدل اللغة العربية الفصحى. وهو خطاب ما كان له أن يجد متسعا من الرحابة و الاهتمام، بل اعتبر خروجا عن الهوية و " مروقا " عن الدين أو ارتماء في أحضان الغرب الذي كلما اسْتحضرناه، حضرت نظرية المؤامرة.

و إن كان يوسف الخال واصل ـ إلى آخر أعداد مجلة شعر ـ كتابة القصيدة العمودية، إلا أن مواقفه من الموروث ومن القوالب الجاهزة، مواقف تسْتدعي الوقوف عندها.

فقد نادى " بالتحرر في صناعة الشعر من جميع القوالب الفنية الموروثة، المفروضة على الشاعر خارج موهبته الفردية وذوقه الشخصي. أي أنّ المفهوم السائد للشعر في تراثنا الأدبي القائل بإخضاع العمل الشعري إلى وزن معيّن وبناء فنيّ معيّن لم يعد يتماشى مع حاجة شاعر هذا العصر إلى التعبير الحرّ عن تجربته الكيانية و رؤياه المبدعة"(33)

إنّ مثل هذا القول الساخر من " إخضاع العمل الشعري إلى وزن معيّن"، لا يمكن اعتباره رفضا للقصيدة العمودية ـ وإن كان القول صريحا ـ باعتبار أنّ

يوسف الخال واصل كتابة ذلك الجنس من الشعر في ذات الوقت الذي يشرف فيه على مجلة " شعر"، ويكتب قصيدة النثر في آن.

فهل صريح القول يفترض معنى مغايرا؟

أم أنّ " القوالب الفنية الموروثة " ليست الوزن ولا العروض؟

ومن قال إنّ العروض وباء يجب الشفاء منه ؟

إنّ يوسف الخال وهو ينادي بالقطع مع التراث، إنما يقصد المفاهيم السائدة والاستعارات الكلاسيكية والصور الشعرية " اللازمة " في كل نصّ شعريّ كلاسيكيّ. وكأنه يقصد الصورة والموضوع و الإيقاع و اللغة.. ولا يقصد العروض.

ولعلّ الخال يدرك ـ باعتبار اطلاعه على الشعر الغربي ـ أن أهمّ الشعراء واصلوا الكتابة باعتماد العروض، كهنري ميشو و بيير ريفردي و ريني شار و بودلير و رامبو و مالارميه و غيرهم كثير. وأنّ مراوحتهم بين الوزن والنثر أبقت على أسبقيتهم، ولم تحجب شيئا من شاعريتهم، " فليس هناك مشكلة اسمها مشكلة الشكل "(34) كما صرّح بذلك أدونيس.

و كأنّ قصيدة النثر ليست قالبا جاهزا يتسع لجملة من المفردات والصور والمعاني هي أساسا ـ باعتبارها كذلك ـ جاهزة مسبقا. وأنّ معانيها ومفاهيمها هي نفسها عند الشعراء و النقاد والقراء.

بل قصيدة النثر كما يراها يوسف الخال إبداع لشكل شعريّ جديد. ذلك أنه علينا باعتبارنا شعراء ( والقول ليوسف الخال) " أن نبدع شكلنا الشعري للتعبير عن حياتنا التي تختلف " (35) عن حياة الشاعر الجاهلي.

وخلافا للقصيدة العمودية القائمة على التعقيد والانضباط الصارم في البحور الخليلية والقوافي، وعلى الخطابية والتعقيدات البلاغية .. خلافا لذلك تبدو سمات قصيدة النثر

" قوامها البساطة، الحرية، البعد عن الخطابية والبهلوانية البلاغية والبيانية التي ترادف البساطة" (36)

وكأن هذه الأفكار تتماهى شيئا ما مع أفكار أدونيس، و تختلف عنها من جهة نظرتها للغة وللتراث.

فأدونيس يذهب مع يوسف الخال إلى اعتبار الشعر كيانا ثائرا على النمطية والقواعد العلمية والأشكال البلاغية التي كثيرا ما نظّر لها النقاد والباحثون.

" إذ ليس الشعر علما ينمّيه ويطوّره شيئا فشيئا بحّاثون وعلماء. ليس مجموعة من القوانين والقواعد والأشكال والأنظمة "(37)

غير أنّ هذا التناغم في المواقف بين الخال وأدونيس من جهة الخروج عن الثوابت، وعن التنميط والخطابة، قابله اختلاف حول اللغة والهويّة، ومدى استعداد اللغة العربية للإفصاح عن المشاعر وهموم العصر.

ففيما يعتقد أدونيس أنّ اللغة ثريّة في معانيها وصورها وحتى تأويلاتها، مستشهدا بالنصّ القرآني والفكر الصوفي، وحتى البعض من الشعر الجاهلي. كان بالمقابل لا يتوانى عن التكثيف من الاستعارات و " التناص " من/ مع الشعر الصوفي والنص القرآني والتاريخ الإنساني بما في ذلك الحضارة الغربية. كل ذلك دعما لفكرته المتشيّعة للغة العربية، التي يعتقد أنها حمّالة كل المعاني وكل الأفكار دون اسْتثناء، وأن العجز فينا لا في اللغة.

ففيما يعتقد أدونيس ذلك، كان يوسف الخال ـ العائد من الولايات المتحدة الأمريكية والمطلع على التيارات والمدارس الشعرية الأدبية في الغرب ـ يرى خلاف ذلك.

و خلافا لأغلب الفاعلين في مجلة " شعر "، فقد كان يوسف الخال " يردّ الضحالة في الإبداع العربي إلى ( وضعية ) اللغة العربية " (38) باعتبارها " كيانا " غير متجدد ومتكلس، حتّمت عليها تلك الوضعية أن تبني جدارا فاصلا " بينها وبين الحياة، وبينها وبين الفكر " (39).

وكأن أدونيس يعي مسألة الاختلاف تلك مع يوسف الخال، حتّى أنه صرّح أن بعض النصوص التي كانت تحتضنها " شعر " كانت تجد جدلا كبيرا ونقاشا حادا حول أهميتها ومدى حداثتها. خاصة من جهة اللغة المعتمدة. وصرّح أدونيس أنه من " بين القضايا الأساسية التي كنا نختلف فيها، قضية اللغة " (40)

ذلك أن يوسف الخال يؤمن بعدم قدرة اللغة العربية على مواكبتها لحركيّة الحياة المتطوّرة دائما.

هذا الخلاف الذي تطوّر شيئا فشيئا بانسحاب عديد الشعراء من مجلة "شعر "، ثمّ انسحاب أدونيس، وتوقف المجلة، كان بسبب " الاصطدام بجدار اللغة " (41).

فانسحاب أدونيس وخليل حاوي ومحمد الماغوط وسلمى خضراء الجيوسي وخالدة سعيد وآخرون .. جعل الخلاف يتعمق والجدل يشتدّ. حتى أنّ محمد الماغوط اتهم يوسف الخال

" بالحقد على كل ما يمتّ إلى هذه البلاد وتاريخها المشرّف بصلة ّ "(42) باعتبار تحامل الخال على اللغة العربية وعلى التراث العربي الإسلامي.

بالمثل اتهمته سلمى خضراء الجيوسي بأنه "يتحدّث كما لو كان غريبا " (43)

كل هذه الحيثيات دعّمت مواقف المتحاملين على قصيدة النثر، وتخوين كتابها واتهامهم بالانبتات والعمالة.

ولعل بيان توقف مجلة " شعر " (1964)، دعّم ذلك الخلاف وأبانه. فلم يكن الخلاف فنيا

و إبداعيا، ولم يكن شكليا، وإنما جاء ليمس جوهر قصيدة النثر أو بالأحرى جوهر النص الإبداعي.

" وهكذا اصطدمت الحركة بجدار اللغة، فإما أن تخترقه أو تقع صريعة أمامه، شأنها شأن المحاولات الشعرية التجديدية، بما في ذلك التوشيح الأندلسي. و جدار اللغة هذا هو كونها تكتب ولا تحكي، مما جعل الأدب ( وخصوصا الشعر، لأنه ألصق فنونه باللغة ) أدبا أكاديميا ضعيف الصلة بالحياة حولنا " (44) وإن كنت أعتقد أنّ الخلاف ـ عصرئذ ـ ما كان ليأخذ تلك الأبعاد من الجدل والتخوين، لولا الوضع المتفجر من جهة الإيديولوجي والدينيّ. باعتبار أنّ الجمهور العربي ما زال يتلمس هويته، ويبحث عما يحصّن به ذاته من الاستعمار الأجنبي و الاغتراب.

ولعلّ نظرة متأنية لقصيدة النثر العربية الحالية، تدفعنا إلى الاعتقاد أنّ اللغة ليست ذات أهمية. على الأقل من جهة الجدال حول اللهجة واللسان العربي والمصطلحات الغربية التي ما زالت تغزو المعجم العربي دون توقف... و غيرها من المسائل التي كانت تثير جدلا واسعا بين شعراء مجلة " شعر ".

*** أنسي الحاج :**

أنسي الحاج من القلائل الذي يصرحون برفضهم لقصيدة الوزن وللشعر الكلاسيكي. وإن أقرّ بأنّ ما يكتبه في بداياته لم يكن شعرا، ولم يقتنع بشاعريّته ولا بنصّه.

فإلى حدود 1956 التاريخ الذي عرض فيه يوسف الخال على أنسي الحاج الانضمام إلى مجلة " شعر "، كان هذا الأخير يقول "لم أكن أظنّ نفسي شاعرا وما كنت أظن أنّ ما أكتبه هو شعر " (45)

و هذا الاعتراف نفسه، يبعد فكرة أسبقية أنسي الحاج في كتابة قصيدة النثر. من حيث جهل هذا الشاعر بجنس ذلك الصنف من الكتابة.

فأنسي الحاج كان يعتقد أنّ ما يكتبه مجرد خواطر وكتابة حميمية تعبر عن مشاغل خاصة وجدانية. وفي ظل المدّ الشعري الهائل لشعراء من أمثال البياتي و السياب ونازك الملائكة

و نزار قباني .. والتصاق نصوصهم بالإيقاع وبالوزن، ظل شعور أنسي الحاج يتراوح بين الخوف و التردد من نشر نصوصه التي لم يكن يؤمن بأهميتها ولا بانتمائها إلى جنس الشعر، عدا ما يعتبره يوسف الخال كذلك.

فقد صرّح أنسي الحاج في حوار أجراه مع نوري الجراح في مجلة نزوى العمانية ( جانفي 2002) أنه كان يخجل من نصوصه و يتخيل سخرية القراء منه " وظللتُ لمدّة من الوقت مصابا بصدمة لأنني سمعت آراء ساخرة مما كتبتُ " (46)

و منذ صدور كتبه " لن " (1961) ذاع صيت أنسي الحاج وأصبح من أكثر الشعراء المرحّب بنصوصهم. وبات يمثّل مع محمد الماغوط أكثر الشعراء الراديكاليين العرب. بالمثل صار قدوة الشعراء العرب اللاحقين.

أنسي الحاج - مع أدونيس - كانا دليلهما كتاب سوزان برنار النقدي، الذي اطلعا عليه وترجماه للقراء في مجلة "شعر".

وكان هذا الاطلاع التنظيري قد جعل أنسي الحاج شديد الالتصاق بالثوابت التي جاءت في كتاب " قصيدة النثر من بودلير حتى أيامنا ".

هذا خلافا للماغوط و الصايغ وجبرا إبراهيم جبرا ويوسف الخال الذين لهم اطلاع واضح على قصيدة النثر الغربية الأمريكية منها ( يوسف الخال ) والأوروبية ( جبرا إبراهيم جبرا )

فأنسي الحاج ظل لصيق الأركان الثلاثة لبناء قصيدة النثر وهي " الإيجاز " و " التوهج "
و " المجانية ". وهي نفس الأركان التي جاءت في كتاب سوزان برنار، واتخذها أنسي الحاج و أدونيس نبراسا لنصوصهما و تنظيراتهما النقدية.
رغم أنّ أنسي الحاج كان له سبق كتابة نوع من النصوص قبل مجلة " شعر " وقبل إصدار كتاب سوزان برنار.
هذه النصوص التي كان يقول عنها أنسي الحاج " لقد تهيّبتُ أنْ أطرح ما أكتبه على أنه شعر " (47) هذه النصوص نفسها أُخضِعت إلى قوالب نقدية قسرية، من صنع أنسي الحاج في مقدمة كتابه " لن" .
هذه المقدمة النقدية / التنظيرية، جاءت مسقطة وغير مبررة. ذلك أنّ التنظيرات اللاحقة أرادها أنسي الحاج أن تحتضن تجربة سابقة. شعاره في ذلك أنّ التنظير لاحق على النصّ.
يقول أنسي الحاج " وحتى مقدمة (لن) لم أكتبها إلا بعد أن أنجزتُ العمل على الديوان" (48)
و لعلّ مكمن الخطورة هنا ـ وهذه الخطورة ما زالت تتكرر إلى الآن ـ أنّ نصوص أنسي الحاج الأولى والتي تضمن ديوان " لن " بعضها ليست " قصائد نثر"، وأنّ تلك الصفة اكتسبتها من تسمية يوسف الخال لها.
ذلك أنّ تلك النصوص لم تتوفر على " القصدية " أثناء كتابتها " أي أنها بعيدة كل البعد عن القصد الأدبي " (49)
هذه ملاحظات لا بدّ من الإشارة إليها لتوضيح مسألتين:
الأولى: أنّ أنسي الحاج كان يكتب قصائده بعفوية وبفكرة أنّ تلك النصوص " لم يكن لها هوية واضحة بل يمكن وصفها بأنها نصوص لقيطة غير معترف بها وغير مصنفة في إطار الأنواع الأدبية السائدة " (50)
وباقترابه من يوسف الخال ومجموعة مجلة " شعر " وترجمة كتاب سوزان برنار، أصبحت نصوص أنسي الحاج شديدة الصرامة من حيث علاقتها بالأوتاد الثلاثة لقصيدة النثر، كما بينتها برنار وهي " الإيجاز " و " التوهج " و " المجانية ".
الثانية : لا بدّ من الإشارة إلى مفهوم مهم جدا في علاقة بالنصّ الأدبي، وهو مفهوم " القصدية " .

هذا المفهوم المرجعي لا بدّ من التعويل عليه لتصنيف النصوص " فكي تكون القصيدة قصيدة عليها أن تكون مقصودة " (51) بمعنى أنّ النص لا تصنيف له إلا من جهة الوعي بالمقصد.

رغم ذلك، فإن أدونيس يعترف أنّ أنسي الحاج هو " الأنقى " بين الجميع. هو اعتراف ينمّ عن وعي أدونيس بأهمية نص أنسي الحاج. هذا الأخير الذي أعلن في أكثر من مناسبة رفضه لقصيدة الوزن، إلا أنه لم يرتم في أحضان النصّ الغربي، رغم اتهامه بذلك. ولم يتشبّث ـ متعصبا ـ بقوانين قصيدة النثر، كما نظرت لها سوزان برنار، رغم ذكره لها في مقدمة " لن".

خلافا ليوسف الخال مثلا الذي ثار على التراث، واعتبر اللغة العربية قاصرة يجب تغييرها أو تعديلها.

أو خلافا لأدونيس الذي ظل مترددا بين التراث الصوفي والفكر الغربي .

فأنسي الحاج يؤمن أنه لا يجب " أن نهرب من القوالب الجاهزة لنجهز قوالب أخرى، ولا ننعى التصنيف الجامد لنقع بدورنا فيه" (52) بل يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو يتحدث عن العناصر اللازمة لكتابة قصيدة النثر " فعناصر الإيجاز والتوهج والمجانية ليست قوانين سلبية، بمعنى أنها ليست للإعجاز ولا قوالب جاهزة تُفرغ فيها أي تفاهة فتعطي قصيدة نثر ( .. )إنها عناصر " ملازمة " لكل قصيدة نثر نجحت، وليست عناصر مخترعة لقصيدة النثر كي تنجح. لكن حتى هذا الانسجام بين الشروط والشاعر ليس نهائيا "(53)

فعناصر مثل " الإيجاز " و " التوهج " و " المجانية " يعدها أنسي الحاج أدوات معينة لنجاح قصيدة النثر، وليست " لازمة " و ضرورية. بمعنى أنها ليست قواعد ثابتة كالعروض مثلا في القصيدة العمودية.

لهذا جاءت نصوص أنسي الحاج متمرّدة ومشاكسة، لا هي مقتربة من نصوص أدونيس، ولا هي مقتفية تجربة يوسف الخال. ولا هي ـ بالمثل ـ يمكن إخضاعها إلى تنظيرات سوزان برنار، ولا للأفكار التي تبنتها مجلة " شعر ".

إذن، ما أهمية تلك الأفكار التي استلهمها أدونيس و أنسي الحاج من تنظيرات سوزان برنار ؟ كذا تساءل أمجد ناصر في شهادته التي قدمت إلى مؤتمر " قصيدة النثر " الذي عقد في الجامعة الأمريكية ببيروت في ماي 2006.

ذلك أن أمجد ناصر يعتقد أنّ مثل تلك التنظيرات " لم تعد تنطبق (...) على شعر أنسي الحاج نفسه بعد نحو عملين له " (54) وكأن أنسي الحاج كتب نصوصه النثرية ( سميت قصائد نثر لاحقا ) ثم ظل يبحث لها عن اسم " راحت تضيق به وتخرج منه " (55)

وإن كانت الركائز الثلاث التي عوّل عليها كل من أدونيس وأنسي الحاج في كتابتهما لقصيدة النثر، وهي " الإيجاز " و " التوهج " و " المجانية "، إلا أنها ركائز ظلت محلّ انتقاد وغموض. وهي فكرة أشار إليها أكثر من ناقد وشاعر.

**2- تعريفات قوس قزح :**

ما زالت قصيدة النثر تثير جدلا واسعا بين كتابها فيما بينهم، وبين كتابها ومعارضيها. وثالثا بين كتابها والقراء ثم النقاد.

ولا أستطيع الجزم - خلافا لغيري - بأن قصيدة النثر " كائن مكتمل "، وله هويته التعريفية، وسماته الخاصة وقوانينه التي تحكم حضوره وغيابه.

غير أن الشاعر الفلسطيني سميح القاسم وهو يردّ متحاملا على قصيدة النثر، يعتبر أنّ هذا " الكائن " ( قصيدة النثر ) " ما زال يناضل من أجلب الشرعية الشعرية، وقد يكتب لهذه التجربة النجاح بمثل ما قد يكتب لها الفشل"(56)

و لسنا هنا بصدد الردّ على المواقف ولا تصحيحها، وإنما رصدها وتقديم ما يدعمها أو يناقضها، بغية تلمّس مزيد من أغصان هذه الغابة المتشابكة والممتدّة. فما يعترض طريقك ليس دائما ما يطمئنك ويؤنسك، بل قد تجد ما يعرقل مسيرك أو يجعلك تتوقف أو تتردد.

إنّ قصيدة النثر الذي أثار ظهورها حالة من الذعر ومن الفوضى، تزامن مع الرفض والقبول والحياد، جعل البعض يردّ حضورها إلى التطوّر الحاصل سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

.. إنها الحداثة بمعناها الأشمل والأعمّ.

و إن كان مفهوم الحداثة بدوره يسْتدعي الكثير من التساؤل والتوقف، غير أنه - وبتفكير بسيط - يرى البعض أنّ كل تطوّر سياسي واقتصادي واجتماعي، يستدعي تطورا ثقافيا، تجلى هنا في قصيدة النثر.

إنه ذلك الجدل المتكرر والمتجدد بين البنيتين الفوقية والتحتية، يطرح الإشكال التالي:

من يأتي لاحقا على الآخر ؟ البناء الثقافي أو البناء الاقتصادي و السياسية؟

و هل لا بدّ من القول إن لكل تحوّل اجتماعي واقتصادي وسياسي، ثمة تحوّل ثقافي؟

أسئلة، لا ندّعي أننا سنجيب عنها، لأنها ليست مجال بحثنا الآن، ولسنا الجهة المختصة لنفعل ذلك.

إنّ هذا التفاعل بين البنيتين الفوقية والتحتية، وضّحه أحمد بزون بالقول إنّ " التجديد في مفهوم الشعر ليس منفصلا عما يجري من تجديد في المفاهيم الفلسفية والفكرية والسياسية والاجتماعية" (57)

وفي تعريفه لقصيدة النثر - رغم هذا الفاصل الزمني وهذا التراكم في النصوص - رسّخ أحمد بزون فكرة اسْتحالة تعريف هذا الجنس من الكتابة، و استحالة انتظامه في هياكل وقوالب وقواعد محددة سلفا، على غرار القصيدة الكلاسيكية:

" إنها لا تُقوْنَن ولا تنتظم في أيّ هيكل نظري، وهي خارجة عن أيّ قانون يوضع لها، ومنفلتة من أيّ إطار يحددها ويحصرها" (58) إنها فعلا لا يحدها أي إطار قانوني تعريفي أو هوية تعريفية، كما يدعي أغلب كتاب قصيدة النثر. إنها نوع إذا عُرّف مات، وإذا قُنّن تلاشى، ولهذا صار بإمكان أي كان أن يكتبها، طالما لا شيء ولا قانون يفصل بين هذا النص وذاك باعتباره قصيدة نثر. و أن لا شيء من ذلك عدا الذائقة الشعرية، وبعض ما تراكم من معرفة بأصول هذه الجنس من الكتابة.

هذا رغم إقرار بزون، أنّ المحاولات ما انفكّت تتكرر لإيجاد قوانين أو قوالب لقصيدة النثر. و ما مفاهيم " الإيجاز " و " التوهج " و " المجانية" التي يعول عليها كثير من الشعراء، تماهيا مع تنظيرات سوزان برنار، إلا محاولات لقولبة قصيدة النثر الرافضة للقولبة أصلا.

إنّ قصيدة النثر " المغايرة" و " المختلفة" ( ولا نقول المناقضة) عن القصيدة العمودية، تعدّ أركان بنائها مغايرة ومختلفة بالمثل. اختلاف من جهة شكل كتابتها وصورها وإيقاعاتها و موضوعاتها. ولعلّ مردّ هذا الاختلاف أنّ

قصيدة النثر لا تعوّل على الوزن و على العروض في بنائها أو في تركيبتها. أو هي تعتمد " على الجملة بدل البيت الشعري " كما يقول أمجد ناصر.

إنّ شكل كتابتها يجعل الناظر المحايد، يعدّها قصّة أو مقطعا روائيا أو خاطرة. و أنّ فكرة " الشعر " لا تحضر البتّة في علاقة بهذا الشكل من الكتابة. باعتبار الصورة/ الأنموذج الحاضرة في ذهن المتلقي العربي، والتي مفادها أنّ الشعر في علاقة ـ دائما ـ بالصدر والعجز. وفي أحسن الأحوال بالقصيدة الحرّة التي تمتاز بأشطرها ( أو بالتشطير) الموزونة بالمثل.

وهذه الفكرة حاضرة حتى في الفكر الغربي، وفي أدبيات شعرائه ونقاده. من ذلك يعتبر " ديفيد ليمان" أنّ قصيدة النثر" قصيدة مكتوبة بالنثر بدلا من النظم، وهي تبدو على الصفحة كمقطع نثريّ أو كقصة قصيرة مشظّاة لكنها مع ذلك تعمل كقصيدة" (59)

و إن كنا ( ولسنا هنا لنقارن) لا نتوفر ـ في تجارب شعراء قصيدة النثر إلا ما ندر ـ على نصوص تحمل تلك الصفة التي وضحها " ديفيد ليمان "، أي تلك النصوص التي نراها على الصفحة ككتلة القصة القصيرة أو الرواية، على غرار نصوص بودلير و " أندريه بروتون " و ماكس جاكوب " ...

وهذا مثال من نصوص جاكوب بعنوان " حياتي " :

" المدينة التي علينا أخذها تقع في غرفة. غنيمة العدوّ ليست ثقيلة ولن يحملها معه لأنه ليس في حاجة إلى نقود، إذ أنّ الأمر حكاية مجرّد حكاية. للمدينة أسوار مصنوعة من خشب مصبوغ: نقطّعه حتّى نلصقه على كتابنا. ثمّة فصلان أو قسمان. ذا هو ملكٌ أحمرُ ذو إكليل ذهبيّ يرتقي منشارا: هذا الفصل الثاني، أما بصدد الفصل الأول فإنني لم أعد أتذكّره"(60)

وإن كان الشكل المعتمد في كتابة قصيدة النثر، شكلا متنوعا ومختلفا وغير ثابت، تبعا

للاثبوتية قصيدة النثر من جهة تعريفها، إلا أنّ هذا الشكل ليس نثرا، رغم اتخاذه شكل كتابة القصّة، واعتماده الجملة من أقصى الهامش الأيمن إلى أقصى الهامش الأيسر.

وما ذهب إليه " ديفيد ليمان "، سانده فيه " راسل إيدسون" بقوله إنّ قصيدة النثر " شعر متحرر من محدودات الشعر ونثر متحرر من احتياجات القصّ " (61).

فهو شعر دون أن يخضع لضوابط و قوانين القصيدة الكلاسيكية. وهو نثر دون أن يتزيا بلباس القصّ. إنه ما لخّصه أمجد ناصر بقوله:
" قصيدة النثر لها خاصية القصّ تارة، السرد تارة أخرى، الأمثولة، الاستطراد. و لها ما للنثر أيضا من إخبار، وبرهنة وتحليل. و لكن ليس للوصول إلى إخبار وبرهنة، يتوقف المعنى عندهما، بل يتجاوزهما في ذهن القارئ الذي تظلّ تدوّم فيه تلك الأسئلة والتيارات والتوترات التي يخلقها هذا النثر المنتظم في إطار يسمّى قصيدة "(62)
وخلافا لهؤلاء وغيرهم الذين كثيرا ما اهتموا بمسألة الشكل، فإن بعض المتقدّمين على غرار محمد الماغوط، اعتبر أن فكرة الشكل لا أساس لها من الأهمية، ولا داعي للحديث عن شكل القصّ أو شكل القصيدة الكلاسيكية.
لذلك صرّح بالقول" أنا أكتب نصوصا قطعا، فليسمها النقاد ما يشاؤون" (63)
غير أنّ الماغوط ـ وهو أحد الفاعلين في حركة مجلة شعر وأحد المؤسسين لهذا التيار ـ ظل متمردا على الإيديولوجيا وعلى الشكل، حتى أنه لم يكن يعنيه " الدفاع عنها والذود عن حياضها المنتهكة من أكثر من طرف أو جهة " كما صرّح بذلك سيف الرحبي.
ولعلّه ليس الوحيد من أنصارها الذين لم يدافعوا عنها. فعز الذين المناصرة أحد كتابها كان دائما يتحاشى تسميتها قصيدة نثر. فقد صرّح في كتابه إشكاليات قصيدة النثر (2002) بأنه " غير مقتنع إلا بتسميتها كتابة خنثى ونص مفتوح وجنس ثالث" رغم اعترافه بحقّ هذا الجنس في الشرعية. وكأنه بذلك ينفي عن قصيدة النثر صفة " الشعرية" أو " الشاعرية" أو " الشعر " ( على علمنا بالفرق بينها).
وهو نفس الموقف الذي تبناه محمود درويش. غير أن هذا الأخير كانت تصريحاته حول قصيدة النثر متغيّرة ومتناقضة.
فدرويش مرّة مع قصيدة النثر، ومرة ضدها، وأخرى لا موقف له منها:
" مثلي متورطا في الشعر منذ ربع قرن مضطرا إلى إعلان ضيقه بالشعر. وأكثر من ذلك يمقته، يزدريه، ولا يفهمه، إذ كيف تسنى لهذا اللعب العدميّ أن يوصل إلى إعادة النظر
و التشكيك بكامل حركة الشعر العربي الحديث و يغرّبها عن وجدان الناس إلى درجة تحوّلت فيها إلى سخرية " (64)

واضح إذن، أن محمود درويش يقطع في موقفه من قصيدة النثر باعتبارها ذلك " اللعب العدميّ". في حين أنّ درويش غيّر رأيه لاحقا. ولا نعرف هل بسبب اقتناعه بهذا " النص"؟ أم بسبب " الخوف " من كتاب قصيدة النثر، إذا ما قال إنّ قصيدة النثر ليست شعرا؟

ففي سنة 2004 أدلى محمود درويش بحوار لجريدة الصريح التونسية، جاء فيه موقفه ملتبسا:

" موقفي من قصيدة النثر ملتبس، أحبها ولا أحبها حينا آخر. و لكن في المحصلة لا أستطيع ثقافيا أن أرفض أيّ اقتراح شعريّ جديد. ما يهمني هو أن أجد تحقق الشعريّة في القصيدة سواء كانت عروضية أو شعرا حرا أو قصيدة نثر" (65)

بل يذهب محمود درويش إلى أبعد من ذلك بإقراره أنه بإمكانه أن يكتب قصيدة نثر " إذا ما اتضح لي أني عاجز عن التعبير عن نفسي إيقاعيا . وأنّ الإيقاع التقليدي للشعر كما يقولون، أصبح قيدا على مخيّلتي الشعريّة، عندما أشعر بهذا الفقر ـ ولا أشعر به حتى الآن ـ سألجأ إلى هذا الخيار" (66)

بمعنى أنّ خلاف محمود درويش مع قصيدة النثر، هو خلاف حول الإيقاع والموسيقى. فطالما أنّ قصيدة النثر " لا أصول لها في الإيقاع التقليدي " كما يقول كمال أبو ديب، فإن درويش لا يكتبها. أو هو لا يشعر أن الإيقاع التقليدي قد صار يمثل قيدا على مخيلته. كما يعتبر درويش أنّ الشعر دون إيقاعه خرج عن كونه كذلك.

و على علمه بالفرق بين الإيقاع والموسيقى، وبين الإيقاع الداخلي والخارجي، وبين الإيقاع المتأتي من الوزن والآخر عن طريق الدلالات والعلاقات بين الكلمات و الأصوات.. على علمه بذلك، فإنه كان حاسما في اعتبار أنّ خلوّ النصّ من الإيقاع، هو ابتعاد عن الشعر.

" فالشعر ( حسب درويش) إذا تخلى عن إيقاعه لا يعود شعرا مهما يكن مصدر الإيقاع، سواء أكان داخليا أم خارجيا أم آتيا من الوزن أم كان من غير وزن(..) شعر من غير ايقاع لا يعرَّف جنسه " (67)

إنّ موقف محمود درويش " الخائف " / المتردد، هو نفسه موقف بعض الشعراء الآخرين، على غرار عبد العزيز المقالح، الذي يحمل نفس الموقف السلبي من قصيدة النثر من جهة الإيقاع. و أنه يعتقد أنّ القصائد لتكون عظيمة لا بدّ أن تصدر عن شعراء عظام.

وفي الحقيقة فإن عبد العزيز المقالح، لمْ يُبد موقفا سلبيا صريحا من قصيدة النثر، بل كان يعترف بشرعية وجودها. حتى أنه لم يشكك البتّة في اسمها خلافا لدرويش. فقال :

" أعترف أنني لا أجد نفسي كثيرا في القصيدة التي تخلو من الإيقاع، كما أجد صعوبة في الاقتراب من كثير من النثريات. في حين أنّ بعض هذه النثريات و بخاصة عندما تصدر عن شعراء كبار تكون أكثر شعرية من الشعر السائد"(68)

مع العلم أنّ عبد العزيز المقالح رغم أنه كاتب قصيدة كلاسيكية، عمودية وحرّة، إلا أنه يعدّ من أنصار قصيدة النثر خلافا لمحمود درويش وأمل دنقل (المتردد) وأحمد عبد المعطي حجازي وسميح القاسم و غيرهم.

و هذا الانتصار لقصيدة النثر، مكّن عبد العزيز المقالح من أن يكون واعيا ومطلعا على حركيّة الشعر العربي و تحولات مساراته وهو بذلك ـ مدعما رأي أدونيس ـ لا يعتبر قصيدة النثر " أداة هدم" للقصيدة العمودية ولقصيدة الوزن عموما . ولا يعتقد بالمثل أنها ذلك البديل الذي نزل في ساحة معركة الثقافة العربية رافعا سلاح " الاجتثاث".

فقصيدة النثر ليست بديلا عن أجناس أخرى " فمن قال إنّ قصيدة النثر هي البديل عن الشعر في أشكاله المعروفة ؟ قصيدة النثر في أحسن أحوالها و أرقى نماذجها، رافد من الروافد الجديدة أو الأجدّ لشعرنا في أشكاله المتنوعة. ولم تكن قصيدة النثر بديلا عن قصيدة التفعيلة كما لم تكن قصيدة التفعيلة بديلا عن القصيدة العمودية "(69)

وهذا ما ذهب إليه أدونيس محاولا أن ينفي فكرة أن قصيدة النثر عوّضت الشعر العمودي

و الحر ،أو هي جاءت لهدم التراث والماضي . وفي حوار أجراه أدونيس في جريدة الحياة اللندنية (2001) اعترف أدونيس بوجود التباس مهمّ لا بدّ من رفعه عن ذهن القراء والنقاد سواء، بل حتّى عن ذهن بعض الشعراء اللاحقين. و هذا الالتباس هو " شيوع الكلام على أنّ قصيدة النثر بدأت تحلّ محلّ الشعر أو محلّ قصيدة الوزن" (70)

إنّ قصيدة النثر مثيرة للجدل دائما، باعتبار حضورها الفجئي و اللاشرعي من جهة انتمائها " العائلي" أو إن صحّ التعبير عدم تطابق حامضها النووي مع أيّ حامض نووي ثقافي سابق لها.
و باعتبارها ذلك الطفل الذي التقطه رواد مجلة شعر من أحياء المدن الأوروبية، لينمو في أحضان مجلة شعر متدثرا بعباءات الرفض و التمرّد.
هذه الفجائية في الحضور زيادة على رفض هذا الكائن للراهن الثقافي و السياسي، جعل خفافيش السائد المتكلس تثور عليه باعتباره ابنا غير شرعي، يتنافى مع فقهنا الديني / الثقافي.
ففيما اعتبر محمد لطفي اليوسفي قصيدة النثر " مأخوذة بكسر مساحة الزمن الموضوعي"، اعتبرها أمل دنقل تجربة " تقود العقل العربي إلى الوراء متدثرة بعباءة الحداثة".
وبين الانتصار لهذا الجنس والرفض، يرى مكي الربيعي أنّ الزمان لا علاقة له بالإبداع. فليس النصّ الكلاسيكي متخلفا وغير حداثي، لأنه أُنتج في زمن قديم، وليس النصّ الحديث ـ بالمقابل ـ نصا حداثيا لأنه أُنتج في الحاضر. فالحداثة حسب مكي الربيعي ليست حداثة الزمان " بل حداثة في الزمان"(71)
بمعنى أنّ التهافت على الكلمات الغربية والشواهد المأخوذة عن شعراء غربيين وترصيع النصّ بمصطلحات تقنية أو علميّة وبلغات شتّى ... لا يجعل من هذا النص نصا حداثيا.
فقد فهم عديد الشعراء قصيدة النثر ضمن الحداثة التي تحوّلت غالبا إلى رطانة عامة وإلى كلمات وألفاظ مصنّعة بأدوات هشة جعلها كأصنام معبودة أو طهرانية مضحكة أو تعصب أشبه بالتشويه.
وكثر الجدل واللغط حول التراث والنص الديني والقصيدة العمودية.حتى أنه صار من الممكن أن تكون حداثيا بمجرّد أن تتهكم على النصّ الديني وتشتم قصيدة الوزن وتسخر من اللغة العربية.باعتماد أساليب أشبه بالتهريج يسمّونها " تجريبا". وأغلب هؤلاء سكارى بمفاهيم لا يعونها، يفسرونها على هواهم. فلكل منهم معناه الخاص والمتفرد عن التجريب، ولكل حداثته.
ولا أحد من هؤلاء يعي أنّ الآخر مرّ بالحداثة كالشهب وتركها إلى ما بعد الحداثة وأبعد من ذلك بكثير.

فما جدوى الحداثة إذا ظلت ترقص على إيقاع عرس في مأتم ما زال أهله حزانى منذ سنوات؟

" وما جدوى التحديث إذا ما رفض المجتمع وعامة الناس هذا المشروع واقتصرت الحداثة على نخبوية اصطناعية "(72)

ولأنّ قصيدة النثر كائن " ما زال يناضل من أجل الشرعية والشعريّة " (73) كما يقول سميح القاسم، فإنه ما زال ـ بالمثل ـ يدّعي أصحابه أنهم يجربون و يبحثون، رغم من ادعى أنه اهتدى إلى المعنى المكتمل والأخير لقصيدة النثر. مما جعل إحسان عباس يمتعض من هذه السنوات التي لم تنته من التجريب والبحث. وكأنها محاولات لن تنتهي أصلا، بل لعلّ قصيدة النثر هي التجريب دائما.

فهل الفنّ حتّى يكون كذلك عليه أن يكون ثابتا و محددا بقواعد و ضوابط يمكن من خلالها الإمساك به أو محوه؟

أم الفنّ جهة خامسة يصعب تحديدها أو ضبط البوصلة نحوها ؟

لهذا يرى إحسان عباس أنّ الفنّ ـ وتحديدا الشعر ـ لا يمكن أن يكون تجريبيا.. هو جمل من القطع التركيبية المختلفة و المتنوعة .. هي نفس القطع أمام كل شاعر بالضرورة. غير أنّ الفرق بين شاعر وآخر، هو كيفية ترتيبه لتلك القطع وكيفية تعامله معها.

" فأنا لا أفهم إطلاقا أن يكون الشعر تجريبيا، الشعر تجربة. أما التجريب فمعنى ذلك أننا نحاول شيئا دون أن نعرف حدود المحاولة إلى أين تنتهي. الشعر لا يكون تجريبا، ليس عالم الفن مختبرا. في المختبر تُجرى تجارب، أما في عالم الفن فأنت تبني، تركب من أشياء بناء جديدا. إذا لم تكن مؤمنا بأنّ هذا البناء يستحق أن يُبنى لا تستطيع أن تبنيه. إذا كنت تجرب أن تبنيه كي ترى بعدئذ كيف يكون شكله، فأنت لست فنانا، والذي يعتقد أن الشعر تجريبيّ يمتهن قيمة الشعر في نظري" (74) .

إذن أليس التجريب كما يرى إحسان عباس هو جهل بالموضوع ؟

فالشاعر إن كان يدرك أنّ طينه اختمر وأنّ الشكل الذي سيسوّيه بذلك الطين ـ معوّلا على ذاكرته وخياله وأصابعه ومشاعره ـ هو شكل محدد مسبقا هو قصيدة النثر، فلماذا التجريب ؟

أم أنّ قصيدة النثر فكرة كالنطفة تماما، وما على الشاعر إلا أن ينحت بنانها ؟

وأما النحت فكل حسب معرفته، وكل حسب قدراته واتساع مملكة خياله وعنفوان مشاعره.

وإن أردنا التوغل أكثر في السجال أليس من حقنا أن نسأل: ما الحرج في التجريب ؟

أليس التجريب مهنة المبدع أبدا ؟ في الشعر والرسم والنحت و الموسيقى ...

غير أنّ جبرا إبراهيم جبرا يعتقد خلافا لإحسان عباس أنّ التجريب " عمل مشروع " طالما أنّ المبدع يعي جيدا أنّ ما يفعله هو التجريب. وأنّ التجريب فعل نتاجه غير مكتمل دائما. بمعنى أنّ المبدع طالما يشتغل على النصّ مجربا، فإنّ النصّ يتشكل متغيّرا و متبدّلا .. منحنيا.. مستقيما.. ممتدا .. حارا .. باردا ..وأن الانتهاء من فعل التجريب لا يعني أنه الانتهاء إلى " الاكتمال " .

فنادرا ما ينتهي التجريب إلى الإبداع، بل وكثيرا ما ينتهي التجريب إلى التشويه والمسخ.

لذلك فالتجريب عادة هو الاشتغال على التشويه لتأسيس الإبداع، وليس الاشتغال من الفراغ.

فلا اشتغال من الفراغ في العمل الأدبي.

فجبرا إبراهيم جبرا، يعتقد أنّ " التجريب عمل مشروع، لكن الذي يختلط في ذهن المجرب أحيانا هو أنّ العملية التجريبية نفسها هي بالضرورة إبداع ناضج، يجب أن يُدرك المجرّب أنّ التجريب نفسه ليس بالضرورة هو العمل المنتهي. التجريب قد يؤدي إلى عمل منتهٍ وقد لا يؤدي. أحيانا العملية التجريبية قد تكون بارعة بحيث إنها في حدّ ذاتها تكون عملا منتهيا"(75)

إنّ المعضلة عند كتاب قصيدة النثر أنّ أغلبهم لا يعي أصلا فعل التجريب. ولا يعي أنّ نصه الذي أنتجه ليس شيئا آخر غير كلمات موزعة على بياض، يتبجح صاحبه أنه " قصيدة نثر".

و الأنكى أنّ أغلب هؤلاء الشعراء لا يفرقون أصلا بين القصيدة النثر و الشعر الحر و الشعر المنثور. ويذهب في اعتقاد أغلبهم أنّ قصيدة النثر هو النصّ الخالي من الوزن. في حين أنّ الفرق الجوهري بين الشعر العمودي و التفعيلي، وبين قصيدة النثر ليس هو الوزن بالضرورة. وإن كان الوزن أحد الفروقات المهمة.

وهذا ما ذهب إليه نزار قباني ( وهو ليس من كتاب قصيدة النثر) الذي أظهر وعيا بالشروط الموضوعية لظهور أنماط الشعر العربي بقوله أنّ " الوزن والقافية ليسا شَرطين حتميّين في العمل الشعري " (76)

و يدرك قباني أنّ ظهور قصيدة النثر في الساحة الثقافية العربية، إنما هي حركة طبيعية ومنطقية لحراك المجتمع و طموحاته الثورية. فكما كان المجتمع تواقا إلى الانعتاق والتغيير ورفض الراهن والمتكلس، كلما كان متجها إلى إنتاج أدوات المعرفة والنهضة الثقافية.

" فكما بدأ الإنسان العربي يتململ من شروطه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فمن الطبيعي أن يتململ من شروطه اللغوية والتعبيرية" (77)

غير أنّ السؤال الواجب طرحه هو لماذا جاء التململ فقط مقتصرا على الشروط اللغوية والتعبيرية؟

أين الشروط السياسية والقانونية والحقوقية و الإنسانية ؟

ثمّ هل بدأ الإنسان العربي يتململ فعلا ؟ أم أنه ما زال راكدا يسبح في أمواج التراث والمعاصرة، لا يعرف أين يضع موطأ قدمه الأولى ؟

بل نذهب إلى أبعد من ذلك بكثير حين نضع على طاولة التشريح السؤال التالي:

هل أنّ هذا التململ في الشروط اللغوية والتعبيرية ـ إذا سلمنا جدلا أنها حصلت فعلا ـ غيّرت شيئا في الذهنية الثقافية والسياسية ؟

أم أنّ الشعر ليس من أدواره التغيير؟

إنّ هذا التوادد والسجال بين التجريب والرغبة في تغيير " الشروط اللغوية والتعبيرية " بأدوات كثيرا ما تكون منبتّة ولقيطة، أو محشورة خارج تربتها. إضافة إلى جهل أغلب شعراء قصيدة النثر بالشروط الموضوعية والذاتية لهذا الجنس من الكتابة في ساحة ثقافية خالية من النقد والنقاد. كل ذلك جعل قصيدة النثر تصطدم بجدار التلقّي، ولا يُفرش لها غير العزوف.

و ما رأي عبد الوهاب البياتي الرافض لقصيدة النثر، إلا أحد الآراء المتعددة من الشعراء والنقاد، فما بالك بالقراء.

يقول البياتي :"لم أستطع قراءته. فقط قرأت سطرين منه ورميته جانبا، لأنه ليس بشعر ولا بنثر، بل هو جنس ثالث هجين مفكك ليس فيه صورة أو فكرة أو تجربة، ويدل على أن كاتبه مصاب بمرض يستعْصي شفاؤه" (78)

مع العلم أنّ البياتي كان أحد الذين احتفت مجلة شعر بنصوصهم. مع نازك الملائكة وشوقي أبي شقرا وغيرهم ..

إنّ إطلالتنا على هذا الكم الهائل من الأسماء الشعرية العربية في علاقتها بقصيدة النثر، إنما ابتغينا منه وضع قصيدة النثر على طاولة التشريح، لمعرفة مختلف الآراء والمواقف والمؤاخذات من / على ذلك الجنس من الكتابة.

وهي آراء تراوحت بين الرفض والانتصار لها، بل إنّ بعض الشعراء يغيّرون مواقفهم منها بين فترة و أخرى، وحسب الظروف. وقد مررنا على أهم الأسماء الفاعلة في المشهد الشعري العربي :

أولا باعتبار القيمة الشعرية لهؤلاء رغم اختلافنا معهم.

وثانيا، باعتبار امتدادهم الزمني البيولوجي منذ ظهور مجلة شعر ( ظهور قصيدة النثر) إلى الآن.

وهذا الامتداد ـ إضافة إلى اشتغال أغلبهم على الوزن ـ جعل بعض آرائهم أكثر أهمية من شعراء ولدوا " نثريين"، ولم يجايلوا كتاب قصيدة الوزن.

على أنه لم نتمكن من الاطلاع على كل الآراء والأفكار لهؤلاء الشعراء حول قصيدة النثر، باعتبار قلة الدراسات والمراجع. وأنّ ما نتوفر عليه هو شذرات من مقالات نقدية أو حوارات مبعثرة على صفحات المجلات والصحف.

**الهوامش:**

1 ـ نوري الجراح: شهادة أنسي الحاج، ص45.
2 ـ حسن مخافي: الأسس النظرية لقصيدة النثر في الأدب العربي الحديث، ص 129.
3 ـ حسن مخافي: نفس المصدر السابق، ص129.
4 ـ عز الدين المناصرة: نفس المصدر السابق، ص35.
5 ـ عبد الرحمان محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ـ الكويت، مارس 2002، ص205.
6 ـ عز الدين المناصرة: نفس المصدر السابق، ص29.
7 ـ عز الدين المناصرة: نفس المصدر السابق، ص30.
8 ـ عبد الرحمان محمد القعود: نفس المصدر السابق، ص31.
9 ـ نفس المصدر السابق، ص31.
10 ـ نفس المصدر السابق، ص31.
11 ـ نفس المصدر السابق، ص32.

12 ـ أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط 3، ص173.
13 ـ أحمد عبد المعطي حجازي: قصيدة النثر أو القصيدة الخرساء، إصدارات مجلة دبي الثقافية، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، نوفمبر 2008، ط 1، ص37.
14 ـ عبد الرحمان محمد القعود: نفس المصدر السابق، ص .181
15 ـ أحمد بزون: قصيدة النثر العربية، دار الفكر الجديد ـ بيروت 1996، ط 1، ص96.
16ـ أدونيس: تنبأ أيها الأعمى، دار الساقي، بيروت 2003، ط 1 .
17 ـ محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر، ص148.
18 ـ نفس المصدر السابق: ص148.
19 ـ جريدة الحياة اللندنية: 1 جانفي2001.
20 ـ أحمد عبد المعطي حجازي: نفس المصدر السابق، ص65.
21 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص25.
22 ـ جريدة الحياة اللندنية: نفس المصدر السابق.
23 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص.25
24 ـ سوف عبيد: حركات الشعر الجديد بتونس، جريدة الحرية، سبتمبر 2008، ط 1، ص 83.
25 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .25
26 ـ مجلة الحياة الثقافية: حوار مع شربل داغر، ديسمبر 2002، ص .99
27 ـ عز الدين المناصرة: نفس المصدر السابق، ص .29
28ـ جريدة الحياة اللندنية: نفس المصدر السابق.
29 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .47
30 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص96.
31 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص104.
32 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص102.
33 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص93.
34 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .81
35 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .64
36 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .59
37 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .25
38 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .102
39 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص102.
40 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص102.
41 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص104.
42 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص104.
43 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص 104.
44 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .103
45 ـ نوري الجراح: شهادة أنسي الحاج، نفس المصدر السابق، ص 42.
46 ـ نوري الجراح: نفس المصدر السابق، ص .43
47 ـ نوري الجراح: نفس المصدر السابق، ص 43.
48 ـ نوري الجراح: نفس المصدر السابق، ص 44.
49 ـ نوري الجراح: نفس المصدر السابق، ص 43.
50 ـ نوري الجراح: نفس المصدر السابق، ص 42.

51 ـ أمجد ناصر: مقاطع من شهادة قدّمت في مؤتمر قصيدة النثر الذي عُقد في الجامعة الأمريكية ـ بيروت في ماي2006.
52 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص 62.
53 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .63
54 ـ أمجد ناصر: نفس المصدر السابق.
55 ـ أمجد ناصر: نفس المصدر السابق.
56 ـ موسى برهومة: حوار مع سميح القاسم، مجلة نزوى العمانية، مؤسسة عمان للصحافة و الأنباء والنشر والإعلان، العدد 23 ـ يوليو 2000، ص 102.
57 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .24
58 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .17
59 ـ أمجد ناصر: نفس المصدر السابق، ص .197
60 ـ ماكس جاكوب: كوب الزار (مقدمة 1916)، ترجمة عبد القادر الجنابي.
61 ـ أمجد ناصر: نفس المصدر السابق، ص .197
62 ـ أمجد ناصر: نفس المصدر السابق، ص .197
63 ـ حوار مع محمد الماغوط: جريدة النهار اللبنانية، بيروت 3 مارس .2001
64 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .109
65 ـ محمود معروف: حوار مع محمود درويش، جريدة الصريح التونسية، الأحد 22 فيفري 2004.
66 ـ محمود معروف: نفس المصدر السابق.
67 ـ جيزيل خوري: حوار مع محمود درويش، جريدة القدس العربي، السنة الثالثة عشرة، العدد 3862، الجمعة 12 أكتوبر .2001
68 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .108
69 ـ عبد العزيز المقالح: مدارات في الثقافة والأدب، إصدارات دبي الثقافية، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، ط 1، ديسمبر 2008، ص .60
70 ـ جريدة الحياة اللندنية: نفس المصدر السابق.
71 ـ مكي الربيعي: الشعر بين السياب و أدونيس ـ اشتباك في اللغة و اختلاف في الآراء، جريدة الزمان العراقية، السنة الرابعة ـ العدد 1081، الجمعة 23 نوفمبر 2001.
72 ـ ناظم عودة: أدونيس والحداثة ـ نقد قراءة الغذامي / تناقضات نقده الثقافي تستل أدونيس من عجين الاتهام، جريدة القدس العربي، السنة الرابعة عشرة ـ العدد 4119، الأربعاء 14 أغسطس .2002
73 ـ موسى برهومة: حوار مع سميح القاسم، نفس المصدر السابق، ص .102
74 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .110
75 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .111
76 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .108
77 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص .108
78 ـ أحمد بزون: نفس المصدر السابق، ص 109.

## المصادر والمراجع


أحمد بزون: قصيدة النثر العربية، دار الفكر الجديد ـ بيروت 1996، ط 1.

أحمد عبد المعطي حجازي: قصيدة النثر أو القصيدة الخرساء، إصدارات مجلة دبي الثقافية، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، نوفمبر 2008، ط 1.

أدونيس: تنبأ أيها الأعمى، دار الساقي، بيروت 2003، ط 1 .

أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط 3.

أمجد ناصر: مقاطع من شهادة قدّمت في مؤتمر قصيدة النثر الذي عُقد في الجامعة الأمريكية ـ بيروت في ماي2006.

جيزيل خوري: حوار مع محمود درويش، جريدة القدس العربي، السنة الثالثة عشرة، العدد 3862، الجمعة 12 أكتوبر 2001.

حسن مخافي: الأسس النظرية لقصيدة النثر في الأدب العربي الحديث.

سوف عبيد: حركات الشعر الجديد بتونس، جريدة الحرية، سبتمبر 2008، ط1

عبد الرحمان محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ـ الكويت، مارس 2002.

عبد العزيز المقالح: مدارات في الثقافة والأدب، إصدارات دبي الثقافية، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، ط 1، ديسمبر 2008.

محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر.

مجلة الحياة الثقافية: حوار مع شربل داغر، ديسمبر 2002.

موسى برهومة: حوار مع سميح القاسم، مجلة نزوى العمانية، مؤسسة عمان للصحافة و الأنباء والنشر والإعلان، العدد 23 ـ يوليو 2000.

ماكس جاكوب: كوب الزار (مقدمة 1916)، ترجمة عبد القادر الجنابي.

محمد الماغوط: حوار جريدة النهار اللبنانية، بيروت 3 مارس 2001.

محمود معروف: حوار مع محمود درويش، جريدة الصريح التونسية، الأحد 22 فيفري 2004.

مكي الربيعي: الشعر بين السياب و أدونيس ـ اشتباك في اللغة و اختلاف في الآراء، جريدة الزمان العراقية، السنة الرابعة ـ العدد 1081، الجمعة 23 نوفمبر 2001.

ناظم عودة: أدونيس والحداثة ـ نقد قراءة الغذامي / تناقضات نقده الثقافي تستل أدونيس من عجين الاتهام، جريدة القدس العربي، السنة الرابعة عشرة ـ العدد 4119، الأربعاء 14 أغسطس 2002.

# القاعدة النحوية ودورها في تحديدا لحكم الفقهي من خلال الحديث النبوي الشريف

إعداد: الدكتورة: خديجة بنت عبد العزيز عطية الله الصيدلاني
أستاذ النحو والصرف المشارك بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة كلية الآداب
والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية "فرع البنات" 1432هـ /2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة**

الحمد لله الحكيم العليم ,الذي جعل العربية لغة الدين , والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد ابن عبدا لله المعلم الأمين , وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فقد تأثر الدرس النحوي العربي بالعلوم الشرعية منها: القراءات القرآنية, وعلم الحديث

,وعلم الكلام, وعلم الفقه وأصوله ,وغيرها، وقد كان النحو العربي ومازال وثيق الصلة بالقرآن الكريم، بل إن القرآن كان مصدر الدراسات اللغوية، فكان أول المصادر التي استقى منها النحويون شواهدهم، واعتمدوا عليها في تقرير القواعد الصرفية والأحكام النحوية ,وكذلك يبدو تأثر النحويين واللغويين بعلم الحديث واضحا في استخدامهم لكثير من مصطلحاته. من أمثال: الجرح والتعديل، السفه، الكذب، الغفلة، الشذوذ، التصحيف، التحريف، الغريب، المستدرك، المستخرج، السماع، الإجازة، وغيرها .وقد أشار السيوطي في مقدمة المزهر في علوم اللغة وأنواعها إلى أنه اتبع ترتيب أبوابه ترتيب المحدثين فقال: (هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبوبه في علوم اللغة وأنواعها، وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم و الأنواع)(1)

وتأثر النحو العربي وأصوله بعلم الكلام الذي سبقه في الظهور, ومن مظاهر تأثير علم الكلام في أصول النحو وجود مصطلحات مثل (الدور والمنزلة بين المنزلتين، وترافع الحكام، والحكم الطارئ، والسبر والتقسيم، والمعارضة، التناقض، والتعارض، والاستدلال، والعكس، والدفع، والمنع، وغيرها)(2)

وكان ظهور علم أصول الفقه متقدما على نشأة النحو وأصوله، ودليلنا على ذلك (أن المؤلفات النحوية التي اهتمت بالتفريع وقياس الفرع على الأصل، والأشباه والنظائر، وبيان العلل، هذه المؤلفات كلها كتبها أصحابها بعد زمن الأئمة الأربعة... هؤلاء الأئمة الذين وضعوا علم أصول الفقه وأرسوا

قواعده، وهذا يظهر لنا بجلاء أن علم أصول الفقه سبق النحو وأصوله، ومن ثم كان الأول هو المؤثر في الثاني وليس العكس)(3)

ومن أوجه الشبه بين الإعراب والفقه ظاهرة الخروج عن الاطراد والتي تدل على تأثر النحو بالفقه، التي يقول عنها أبو القاسم الزجاجي (الأصل في الإعراب أن يكون حركة، ولكن قد يخرج عن هذا الاطراد فيكون حرفا، وهذا الخروج عن الأصل ليس في النحو فقط ولكنه موجود في سائر العلوم الأخرى)(4)

ومما سبق يتضح لنا العلاقة الوثيقة التي تربط العربية بغيرها من العلوم الإسلامية , فللعربية إذن أثر واضح في استنباط الأحكام من النصوص التشريعية، وقد اخترت هذا البحث الذي يربط بين النحو والفقه الإسلامي , وخصصته بالسنّة المُطهّرة فقط،لأسباب ستضح ـ إن شاء الله تعالى ـ من خلال البحث ,ولذا جاء مَوْسُوماً بعنوان: «القاعدة النحوية وأثرها في تحديد الحكم الفقهي من

الحديث النبوي الشريف» أما التراكيب النحوية فقد خاض النحاة في تفسير ماهيتها قديماً وحديثاً، ، إلا أنَّ المقصود بالقاعدة النحوية في هذا البحث هو التركيب الذي اجتمع فيه شرطان مهمان هما: الإفادة، والإسناد .

أَمّا تخصيص هذا البحث بالسنّة المطهرة فيرجع إلى أمور منها: نُدرة ما كُتب في هذا المجال، وكثرة ما كُتب في العلاقة بين العربية واستنباط الأحكام التشريعية من القرآن الكريم , ولعل من أهم الأسباب التي دعتني إلى تطبيق القاعدة النحوية على السنة النبوية ما أثير حول رأي النحويين في الاستشهاد بالحديث , واختلاف مذاهبهم .

فمن المشهور أن الأئمة الأعلام على اختلاف الأعصاروالأمصاركانوا يحتجون بالحديث النبوي الشريف منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي ا لذي قال عنه الدكتور حسين نصار عندما تحدث عن معجم العين في المعجم العربي نشأته وتطوره : (وأكثر من الاستشهاد بالحديث) (5)

وجاء في مقدمة المعجم الوسيط (واستفادت اللجنة في شرحها للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها , وعززته بالاستشهاد بالآيات القرآنية , والأحاديث النبوية, والأمثال العربية) (6)

أما في النحو فأول من احتج بالحديث النبوي الشريف ـوإن كان احتجاجه محدوداـ أبو عمرو بن العلاء شيخ الخليل وسيبويه , واستمر الاحتجاج به في التوسع والكثرة حتى زمن الزمخشري , وابن الشجري , وابن الأنبا ري , حيث كثر عندهم الاحتجاج به(7)

ولكن التوسع بالاستشهاد بالحديث في ميدان النحو يبتدئ بالإمام السهيلي , ثم ابن مالك الذي أفاض فيه(8)

وقبل انتهاء القرن السابع ظهر ابن الضائع , ثم أبو حيان في القرن الثامن , وهما اللذان ذهبا إلى أن أئمة النحو والمتقدمين من بصريين وكوفيين لم يحتجوا بشيء من الحديث النبوي الشريف , وأخذا يعللان لذلك( 9)
وإنصافا لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام , ولتوثيق العلاقة التي تربط بين العلوم الإنسانية, وبخاصة علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية, اخترت هذا البحث
وخصصته بالقاعدة النحوية دون إطلاق الدلالة ليشتمل على حروف المعاني وغيرها من المسائل النحوية رغم ثراء حروف المعاني في هذا المجال؛ وذلك لكثرة التصانيف قديماً وحديثاً في أثر حروف المعاني في استنباط الأحكام الشرعية،ومما يجب الإشارة إليه هنا أن اختياري لمصطلح «الحديث الشريف» بدلاً من مصطلح «السنّة المطهرة» يرجع إلى ترادف المصطلحين.
* وقد جاء هذا البحث في فصلين تسبقهما مقدمة، وتليهما خاتمة ثم ثبت بفهرس الهوامش والتعليقات , وفهرس بالمصادر والمراجع.
أما **الفصل الأول** فعنوانه هو: (**علاقة اللغة العربية بالعلوم الشرعية**» وقد اشتمل على ثلاثة مباحث هي:-
**1- المبحث الأول:** اشتمل على تعريف المصطلحات الآتية لغة واصطلاحا (النحو,الوظيفة النحوية,النظم ,الإسناد,الكلام , الإعراب, الفقه, مصادر الفقه الإسلامي )
**2- المبحث الثاني: وعنوانه**(المصادر المتفق عليها:
القرآن الكريم, والسنة النبوية , الإجماع, القياس)
**3- المبحث الثالث: وعنوانه**(علاقة اللغة العربية بالعلوم الشرعية)
والفصل الثاني وعنوانه: (القاعدة النحوية وأثرها في تحديد الحكم الفقهي من الحديث النبوي الشريف),وقد اشتمل على أحد عشر مبحثا وهي:
المبحث الأول:الضمير
المبحث الثاني :اسم الإشارة .
المبحث الثالث:المبتدأ والخبر.
المبحث الرابع:الأفعال الناسخة.
المبحث الخامس:الفعل المبني للمجهول
المبحث السادس:الاستثناء
المبحث السابع:الحال
المبحث ا لثامن:حروف الجر.
المبحث التاسع:الإضافة.
المبحث العاشر:التوابع.

المبحث الحادي عشر:إعراب الفعل
وقد تناولت كل ذلك بأسلوب سهل , بذكر مذاهب النحويين وحججهم ؛,من غير تطويل ممل , ولا إيجاز مخل بغية الفائدة
وأما الخاتمة ففيها ذكرٌ لأهم النتائج التي تَوصّل إليها البحث، ثم ثبت بالمصادر والمراجع
وأخيرا أسأل المولى عزوجل أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم , فإن أصبت فهو بتوفيق من الله عزوجل , وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وحسبي أنني بذلت ما في وسعي , وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت , وبه أستعين.

## الفصل الأول: علاقة اللغة العربية بالعلوم الشرعية

## المبحث الأول: تعريف النحو والفقه الإسلامي

**** تعريف النحو لغة:**

النحو لغة : القصد والطريق ,نحاه ينحوه وينحاه نحواً وانتحاء , ونحو العربية , وهو في الأصل مصدر شائع ( نحوت نحواً ), كقولك:( قصدت قصداً), ثم خصً به انتحاء هذا القبيل من العلم , والجمع أنحاء ونحوٌ, ونحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرَفه , ومنه سمي النحوي ؛ لأنه يحرف الكلام إلى وجوه عدة (10)

**** تعريف النحو اصطلاحا : تعددت تعاريف النحو عند النحويين,وممن عرًفه:**

ابن السراج (ت316) بقوله :"النحو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة "(11)
ابن جني (ت 392) بقوله" انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك "(12)
ابن عصفور (ت597هـ)" علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أجزائه التي تأتلف منها " (13)
وعرفه كل من : الفاكهي , والخضري , وخالد الأزهري , والصبان , بقولهم : " علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباَ وبناء "(14)
**تعريف الوظيفة النحوية:** " المعنى النحوي الذي تؤديه الكلمة , والنابع من علاقتها بغيرها من الكلمات داخل التركيب " (15)
**أو "** الموقع الإعرابي الذي يتحدد من نظام بناء الجملة وعلاقة الإسناد ,وعلاقة العناصر الإسنادية بغيرها " (16)

ومصطلح الوظيفة النحوية يقابل " معاني النحو" في نظرية النظم عند عبد القاهر حيث يقول : " ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم .," (17) ويقول أيضاً " وإنك إذا عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضاً من غير أن تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تدعى به مؤلفاً , وتشبه معه بمن عمل نسجا أو صنع على الجملة صنيعا, ولم يتصدر أن تكون قد تخيرت لهما المواقع " (18)
ومعاني النحو عند عبد القاهر أعم من مصطلح النحو لدى علماء اللغة المعاصرين , فهو عنده يشمل كل المعاني الوظيفية (غير المعجمية) التي تؤديها الكلمات المؤلفة في نسق كلامي سواء أكانت تلك الوظائف منبثة عن قوالب تلك الكلمات وبنايتها الصرفية أم عن ترتيبها والموقع النحوي الذي يشغله كل منها (19)

فالنظم يعتمد على مراعاة المعاني النحوية وقواعد تركيبها وهذه المعاني التي ترتب داخل السياق هي المعاني الوظيفية ولو ضعت كلمة "الوظائف" مكان كلمة "المعاني" في نص الجرجاني لما اختلف القصد (20)
إذن الوظيفة تستلزم التركيب , والتركيب يستلزم أن يكون مفيدًا منسجمًا وتلك خاصية النظم. يقول عبد القاهر : (إنك لم تجد ماوجدت من المزية الظاهرة , والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض , وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة) (21)
ويقول: (...لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس , فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق )(22)
وهذا التركيب المنسجم هو مايسمى الرتبة أو المنزلة بين المباني أو التعليق.
من خلال ماسبق يتبين أن الوظيفة النحوية معنى نحوي يأتي من التأليف داخل السياق , وأنها ترتبط بالمصطلحات الآتية: النظم , النحو , الإعراب , الإسناد , الرتبة , الكلام,لذا يتطلب هذا البحث توضيح معانيها ؛ليتضح من خلال ذلك ارتباطها بالوظيفة النحوية.
**النظم لغة:** التأليف , نظمه ينظِمه نظما ونظامًا ونظمه فانْتَظَم وتَنَظَّم , وكل شئ قرنته بآخر أو ضمت بعضه إلى بعض فقد نظمته. (23)
**والنظم اصطلاحًا :** عرفه الإمام عبد القاهر الجرجاني فقال : (... ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض , وجعل بعضها بسبب من بعض )

وقال: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو , وتعمل على قوانينه وأصوله , وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنهما , وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشئ منها)(24).
وضرب الأمثلة لتوضيح ذلك , ومنها النظر في الوجوه التي تكون في نحو : قولك: زيد منطلق , وزيد ينطلق , وينطلق زيد , ومنطلق زيد , وزيد المنطلق , والمنطلق زيد , وزيد هو المنطلق , وزيد هو منطلق.

**الإسناد**

**الإسناد لغة :** سند إلى الشئ يسند سنودا واستند وتساند وأسند وأسند غيره , وكل شئ أسندت إليه شيئًا فهو مسند (25) .
**وفي تعريف النحاة:** عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة , أي على وجه يحسن السكوت عليه (26) .
يقول سيبويه:( هذا باب المسند والمسند إليه .. وهما مالا يغني واحد منهما على الآخر , ولا يجد المتكلم منه أبدا , فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه , وهو قولك: عبد الله أخوك , ومثل ذلك يذهب عبد الله , فلابد للفعل من الاسم , كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر والابتداء)(27)
والقسمة العقلية بين الاسم والفعل والحرف تقتضي ستة أقسام لايكون من بينها الكلام والإسناد
إلا في الاسمين أو في الاسم مع الفعل , لأن الكلام يشترط الإفادة , وهي لاتتحقق إلا في القسمين السابقين , والإسناد يستلزم مسندًا ومسندًا إليه وهما غير متحققين ـ كذلك ـ إلا في القسمين السابقين (28).
وهذا رأي جمهور النحاة خلافا لابن طلحة (29) , وللفارسي الذي يجيزه في الاسم مع الحرف, (30), وللشلوبين الذي يجيزه في الفعل والحرف .(31)
**تعريف الكلام لغة :** القول معروف , والكلام من الكلم وهو الجرح ,كأنه لشدة تأثيره ونفوذه في الأنفس كالجرح , فهو إن كان حسنا أحدث في النفوس السرور , وإن كان سيئا أحدث في النفوس الحزن , وإن كان في غالب الأمر ينزع إلى الشر , لما يجنيه أكثر الأمر على المتكلمة (32)
**تعريف الكلام اصطلاحا :** ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا مقصودا لذاته (33)
ومما اتفق عليه النحاة : أن الكلام يوافق معنى الجمل المفيدة , يقول في ذلك سيبويه : " واعلم أن قلت إنما وقعت في كلام العرب على أن يحكى بها ,وإنما تحكي بعد القول ما كان كلاما لا قولا , نحو : قلت : زيد منطلق , لأنه يحسن أن تقول : زيد منطلق ولاتدخل "قلت", وما لم يكن هكذا أسقط القول عنه"(34)
**تعريف الإعراب لغة:** مصدر بمعنى الإيضاح والإبانة , يقال : أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان عنها , وتأتي بمعنى التحسين نحو قوله تعالى .{عربا

أترابا}" الواقعة 37":أي حسانا , وبمعنى التغيير يقال : عربت معدة الرجل أي تغيرت في معنى أعرب الكلمة أزال غربيها أي فسادها (35)

**تعريف الإعراب اصطلاحا :**

جاء في الإعراب تعريفان :

أحدهما تعريف معنوي : " تغير آخر الكلمة لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا"(36)

والآخر لفظي ," أثر ظاهر أو مقدر يجليه العامل في آخر الكلمة "(37)

والتعريف المعنوي أكثر ارتباطا بمصطلح الوظيفة النحوية , لأنه يعني بالحركات إضافة إلى دورها في إبراز المعنى داخل السياق , بينما التعريف اللفظي أي الحركات وما يجري مجراها دون النظر إلى المعنى , كما أن التعريف المعنوي يتفق مع العلة التي ساقها النحويون للإعراب ألا وهي تجلية المعاني وإبرازها وتمييزها , والمعنى شديد الصلة بالإعراب .

ومن خلال ما سبق يتبين أن الإعراب في تعريفه المعنوي , والوظيفة النحوية يلتقيان معا في استلزام تركيب يتأتى منه المعنى.

**تعريف الفقه:** عرًف اللغويون الفقه بقولهم:

هو العلم بالشيء , والفهم له , والفطنة . تقول: فقهت الشيء إذا أدركته , وإدراكك علم شيء فقه (38). وتقول: فقهت عنك فقهًا : فهمتُ , وفَقَه فقهًا : صار فقيهًا حاذقًا , وفقهتُ الرجل: غلبته في الفقه. واستعمال القرآن له يدل على أنه أدق من العلم ؛ يقول الراغب:

(الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ؛ فهو أخص من العلم ) (39)

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ((فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا)) [النساء:78] .

وهو أخص من الفهم , يقول ابن قيم الجوزية: (والفقه أخص من الفهم , وهو فهم مراد المتكلم من كلامه؛...) (40). ونخلص من ذلك كله إلى أن الفقه :هو دقة الفهم , ولطف الإدراك, ومعرفة غرض المتكلم.

**الفقه في الاصطلاح:**

عرًف في الاصطلاح بقولهم:

هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المكتسبة عن أدلتها التفصيلية (41). وعرفه الإمام الغزالي بقوله:(عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة)(42).

**أما مصادر الأحكام الفقهية فعرفوها بقولهم:**

هي الأدلة الموصلة إلى الفقه , وهذه قد وردت في: القرآن الكريم , والسنة النبوية المطهرة, ودلائل أخرى أقامها الشارع ؛ للاهتداء بها عند انعدام النص(43).

وتلك المصادر هي موضوع علم أصول الفقه ـ وهو :عبارة عن القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام العملية من الأدلة التفصيلية (44) ـ وهذا العلم الجليل ذللّ الطريق ويسرها أمام المجتهدين ؛ فبه تعرف حاجية الأدلة , وطرق الاستنباط , وما يعرض لها.

والناظر في كتب أصول الفقه , يجد الخلاف عريضًا بين أهل العلم , فيما هو حجة من المصادر وفيما ليس بحجة.

**المبحث الثاني**

**المصادر المتفق عليها**

**أولاً: القرآن الكريم:**

**القرآن لغة: قرأ :** تأتي بمعنى الجمع والضم. والقراءة: ضم الحروف , والقرآن مصدر مشتق مهموز من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا , وقيل غير ذلك (45).

**وفي الاصطلاح:** هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته(46).

والقرآن الكريم هو أول المصادر النقلية , وأقواها ؛ إذا هو قطعي الثبوت , وأما دلالته على الأحكام فقد تكون قطعية ومن ذلك قوله تعالى: {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ماخلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر } [البقرة:228]. فالقرء هنا يدل على أكثر من معنى , يقول الإمام ابن السيد البطليوسي: (ذهب الحجازيون من الفقهاء إلى أنه ـ القرء ـ الطهر , وذهب العراقيون إلى أنه : الحيض , ولكل واحد من القولين شاهد من الحديث واللغة) (47).

وشاهد اللغة يعلله ابن السكيت بقوله : (ويقال : قد أقرأت المرأة , إذا طهرت وإذا حاضت , وهذا من الأضداد. والقَرْءُ: الطهر والقَرْءُ : الحيض)(48).

**ثانيًا: السنة النبوية:**

**السنّة لغة :** الطريق الحسنة, أو السيئة , وسنَّة كل إنسان: طريقته , سواء من الأمور المحمودة أم المذمومة (49).

**وأما في الاصطلاح :** فقد عرفها الأصوليون , والفقهاء , والمحدثون تعاريف عديدة ومتنوعة , وذلك حسب اختصاص كل أهل فن وشغلهم (50).

فالسنَّة عند الأصوليين: هي ماصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول, أو فعل , أو تقرير.

وهي عند الفقهاء : كل ماثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفروض , فهي بمعنى المندوب وعبّر عنها الإمام الخطيب البغدادي بقوله: (إنها ما رسم ليحتذى استحبابًا).

وأما المحدثون فالسنّة عندهم : هي كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول , أو فعل , أو تقرير , أو صفة خلقية , وغير ذلك من أمور السيرة , سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها ؛ لأن المحدثين رواة أخبار وشمائله , سواء دلت على حكم شرعي أم لم تدل . والمهم في ذلك كله هو تعريف الأصوليين.

**ثالثًا: الإجماع:**

**الإجماع لغة:** العزم والاتفاق , أجمعت الأمر وعلى الأمر: عزمت ,وأجمع راية على شيء إذا ثبت وجزم (51).

**وفي الاصطلاح :** هو اتفاق المجتهدين , من الأمة الإسلامية في عصر من العصور بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي (52).

**رابعًا: القياس:**

**القياس لغة:** التقدير , قست الشيء على الشيء , قدرته على أمثاله , ومنه المساواة (53).

وفي الاصطلاح له تعريفات عديدة منها: ماعرّفه به الإمام التلمساني : (إلحاق صورة مجهولة الحكم , بصورة معلومة الحكم , لأمر جامع بينهما يقتضي ذلك الحكم ) (54).

وعرّفه الشيخ عبد الوهاب خلاف بقوله : (هو إلحاق واقعة لا نص على حكمهما , بواقعة ورد نص حكمهما , في الحكم الذي ورد به النص ؛ لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم) (56).

**المبحث الثالث :علاقة اللغة العربية بالعلوم الشرعية**

من عظيم نعم الله على بني الإنسان أنْ خصهم باللسان , الذي هو عمدة البيان , فبه إلى حاجاتهم يتوصلون , وبه بينهم يتحاورون ...

ومن هذا نعلم فضيلة عظيمة , ومنقبة شريفة لعلم اللغة , عندما قال سبحانه وتعالى :

{وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم مصدقين} [البقرة:31] , وتوقف أحد المفسرين عند هذه الآية فقال (57): (أفادت هذه الآية: أن علم اللغة فوق التحلي بالعبادة فكيف علم الشريعة(58)؟!).

والعربية شرفها الله سبحانه وتعالى بأن جعلها لسان كتابه العزيز , ونص على ذلك في آيات عديدة , من ذلك قوله سبحانه وتعالى: {وكذلك أنزلناه عربيًا} [الرعد:37] , و{ إنه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين*على قلبك لتكون من المنذرين*بلسان عربي آمين} [الشعراء:192-193].

وعقب ابن فارس على هذه الآية بقوله:(فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي بالبيان , علم أن سائر اللغات قاصرة عنه , وواقعة دونه) (59).
وهذا اللسان منفي عنه العوج بقوله سبحانه وتعالى: {قراءنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون} [الزمر:28] , وهو براء من العجمة بقوله سبحانه وتعالى: {ولو جعلناه قراءنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد}[فصلت 49] ,وقال الإمام الشافعي:( ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا شيء على عامتها حتى لايكون موجودا فيها من يعرفه) , ويقول أيضا: ( وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي , ولا يجوز ـ والله أعلم ـ أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد , بل كل لسان تبع للسانه , وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه )(60)
ولما كانت الشريعة الإسلامية مأخوذة من كتاب الله عزوجل , ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم , وهما عربيان كان لابد من معرفة العربية , ودراستها قال الإمام القنوجي في أبجد العلوم (ومعرفتها ـ العربية ـ ضرورية على أهل الشريعة , إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والستة , وهي بلغة العرب , ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب , وشرح مشكلاتها من لغاتهم, فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة)(61)
وقال الإمام الشافعي مبينا أن تعلم العربية فرض على كل مسلم :( فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده , حتى يشهد به : أن لاإله إلا الله , وأن محمداً عبده ورسوله , ويتلو به كتاب الله , وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير , وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك )(62)
وذكر كثير من العلماء أن من علامات الإيمان حب العربية , والدفاع عنها , وحب العرب , من هؤلاء الإمام ابن تيمية الذي أفاض في الحديث عن العربية , وما يستفيده المتكلم منها , وتحدث عن العرب وفضلهم ,(63)
والجهل بالعربية سبب في الضلال , قال الإمام الحسن البصري ـ عندما سئل عن سبب الضلال ـ (إنما أهلكتهم العجمة)(64)فالجهل بالأساليب العربية نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها , مما أدى بهم إلى الضلال .
وقال ابن تيمية :(ولابد في تفسير القرآن والحديث , من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ , وكيف يفهم كلامه ؟ فمعرفة العربية التي خوطبنا بها , مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامهم , وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا

السبب , فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه , ولا يكون الأمر كذلك)(65)
وقال الإمام الزمخشري في افتقار العلوم الشرعية للعربية : (وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها , وعلمي تفسيرها وأخبارها ,إلا وافتقاره إلى العربية بين لايدفع , ومكشوف لا يتقنع)(66), وجعل الإمام الشاطبي العلاقة بين العلوم الشرعية والعربية علاقة طردية حيث قال :( الشريعة عربية ,وإذا كانت عربية , فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم , لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز , فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية , فهو مبتدئ في فهم الشريعة , أو متوسطا ؛ فهو متوسط في فهم الشريعة , والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية, فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة............)(67)

**وحاجة علم التفسير-** وهو العلم الذي يبحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية , وبحسب ما تقتضيه قواعد العربية - إلى العربية بينة وواضحة , فهذا ابن عباس - رضي الله عنه -يقول:(إذا خفي عليكم شيء من القرآن فأبتغوا في الشعر فإنه ديوان العرب) (68)
**وعلم العقيدة -** وهو العلم الذي يبحث بما يجب اعتقاده شرعا من التوحيد والإيمان والإسلام وأمور أهل السنة -فأثر العربية فيه ظاهر يقول ابن جني :(اعلم أن هذا الباب - باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية- من أ شرف أبواب هذا الكتاب , وإن الانتفاع به ليس إلى غاية , ولا وراءه من نهاية , وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها , وحاد عن الطريقة المثلى إليها , فإنما استهواء واستخف حلمه ضعفه في اللغة الكريمة الشريفة)(69)

**وأما علم الحديث** فالحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي , ولغة نصوصه هي العربية , ومن هنا اهتم علماء المسلمين بإعراب الحديث النبوي , وبشرحه ,وإظهار أوجه إعجازه, وصار من شروط طالب علم الحديث : أن يتعلم من النحو واللغة ما يسلم به من اللحن والتصحيف, ووصل الأمر بهم إلى أن أحدهم يستغفر من اللحن إذا وقع فيه , فهذا حماد بن زيد (70)يقول :( كنا عند أيوب , فحدثنا فلحن , وعنده الخليل بن أحمد , فنظر إلى وجهه الخليل فقال أيوب : أستغفر الله)( 71)
ويذهب الأصمعي إلى أبعد من ذلك فيعد اللحن ضربا من ضروب الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم :( إن أخوف ما أخاف على طالب العلم , إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من كذب

علىَ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ) ؛ لأنه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه )(72)
وقد تأثر علم العربية بعلم الحديث من حيث : المنهج , والمصطلح , نجد المنهج متشابها إلى حد كبير بين العلمين في طريق الأخذ , والجرح والتعديل , والتصنيف ..., وفي المصطلح نجدهما متشابهين , فكل واحد منهما يورد الصحيح , والحسن , والضعيف , والموضوع , والمقطوع ...., يقول السيوطي في مقدمة كتابه المزهر:( هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه , واخترعت تنويعه وتبويبه , وذلك في علوم اللغة وأنواعها , وشروط أدائها وسماعها , حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع , وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع)(73)

**أما علم أصول الفقه** فهو عبارة عن القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام العملية من الأدلة التفصيلية., وهذا العلم مستمد من ثلاثة أشياء :علم العربية , وأصول الدين , والفقه (74).
ويقول الزمخشري:( يرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه , ومسائله مبنيا على علم الإعراب )(75) ويقصد بعلم الإعراب : علم النحو, ويقول الزركشي أيضا:( إن الأصوليين
دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب , لم تصل إليها النحاة ولا اللغويون ؛فإن كلام العرب
متسع والنظر فيه متشعب , فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة , التي تحتاج إلى نظر الأصولي زائد استقراء اللغوي ....وكذلك في كتب النحاة , في الاستثناء من أن الإخراج قبل الحكم أوبعده وغير ذلك من الدقائق التي تعرض لها الأصوليون وأخذوها من كلام العرب باستقراء خاص , وأدلة خاصة لاتقتضيها صناعة الإعراب )(76).
وتنبه أهل العربية إلى أهمية علم أصول الفقه فأخذوا يحكمون علم النحو بمثل هذا المنهج , ولقب عندهم ب"علم أصول النحو" قال الأنبا ري في مقدمة كتابه لمع الأدلة:( أصول النحو : أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعه وفصوله , كما أن أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عتها جملته وتفصيله.)( 77), وإذا كان للفقه أدلته المتفق عليها : الكتاب, والسنة , والإجماع , والقياس , كان كذلك للنحو أدلته المتفق عليها : السماع , والإجماع , والقياس .والعلاقة بين العربية والقواعد الفقهية واضحة وجلية, فالقاعدة لغة : الأساس , وهو كل ما يرتكز عليه الشيء, وتجمع على قواعد , وهي أسس الشيء وأصوله , حسياً كقواعد البيت , أو معنوياً كقواعد الدين(78)

**وفي الاصطلاح تعرف بأنها:** حكم كلي ينطبق على جميع جزئياته أو أكثرها , لتعرف أحكامها منها (79).
وقد سلك علماء العربية بها مسلك أهل الفقه فتأثروا بهم في منهجهم , يقول الإمام السيوطي عن سبب تأليفه كتابه " الأشباه والنظائر":(إني قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه , وألفوه من كتب الأشباه والنظائر)(80)
**جاء في مجالس العلماء :**أن الفراء جمعه مجلس مع الإمام محمد بن الحسن الشيباني
**فقال الفراء :** من برع في علم واحد سهل عليه كل علم .
**فقال محمد ـ وهو ابن خالته ـ :** فأنت قد برعت في علمك , فخذ مسألة أسألك عنها من غير علمك, ما تقول فيمن سها في صلاته , ثم سجد لسهوه فسها في سجوده أيضاً؟
**قال الفراء:** لاشيء عليه .
**قال محمد:** وكيف؟
**قال الفراء :** لأن التصغير عندنا لايصغر , فكذلك السهو في سجود السهو لايسجد له ؛ لأنه بمنزلة تصغير التصغير , فالسجود للسهو هو جبر للصلاة , والجبر لايجبر كما أن التصغير لايصغر .
**فقال محمد :** ماحسبت أن النساء يلدن مثلك (81)
**أما الفقه فهو** :العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.
وقد سبق تعريفه يقول الإمام الجو يني في البرهان في أصول الفقه :(وينبغي أن يكون المفتي عالما باللغة , فإن الشريعة عربية , وإنما يفهم أصولها من الكتاب والسنة من بفهمه يعرف اللغة...ويشترط أن يكون المفتي عالما بالنحو , والإعراب , فقد يختلف باختلافه معاني الألفاظ ومقاصدها ) (82)
وبين لنا الإمام الجرمي أهمية علم العربية بقوله:( أنا منذ ثلاثون سنة أُفتي الناس في الفقه
من كتاب سيبويه ؛ وذلك أنا أبا عمرو كان صاحب حديث ؛ فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الدين والحديث ؛ إذكان ذلك يتعلم منه النظر والتفتيش)(83)
وهذا الأنبا ري يقول في مقدمة كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف :(فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين , والأدباء المتفقهين , المشتغلين علي بعلم العربية بالمدرسة النظامية ـ عمر الله مبانيها ورحم الله بانيها ـ سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة ,على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة) (84)

**<u>الفصل الثاني: القاعدة النحوية ودورها في تحديد الحكم الفقهي من خلال الحديث النبوي الشريف</u>**

**المبحث الأول : الضمير**

**الحديث الأول:**

**جاء في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود:عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بمكة عام الفتح :(**إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ,فقيل :يارسول الله , أرأيت شحوم الميتة , فإنه يطلى بها السفن , ويدهن بها الجلود , ويستصبح(85)بها الناس , فقال : لا, هو حرام , ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : قاتل الله اليهود , إن الله لما حرم شحومهما جملوه (86)ثم باعوه , فأكلوا ثمنه )(87)

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في حكم الانتفاع بشحوم الميتة وانقسموا على مذهبين :(88)

**المذهب الأول** :ـوهو مذهب أكثر أهل الفقه ـ أنه لاينتفع من الميتة أصلاً إلا ما خص الدليل وهو الجلد المدبوغ.

**المذهب الثاني** :ـ وهو مذهب جماعة من أهل الفقه منهم الإمام الشافعي ـ أنه يجوز الانتفاع بشحم الميتة , والاستصباح بها وغير ذلك , فيما ليس بأكل ولافي بدن الآدمي .

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل أصحاب المذهب الأول بأن الضمير (هو) يعود إلى الانتفاع ,يقول ابن حجر في فتح الباري:(ومنهم من حمل قوله( وهو حرام) , على الانتفاع , فقال : يحرم الانتفاع بها , وهو قول أكثر العلماء , فلا ينتفع من الميتة أ صلا عندهم إلا ما خص الدليل , وهو الجلد المدبوغ .) (89)

ـ واستدل أصحاب المذهب الثاني بأن الضمير (هو)يعود إلى البيع لا إلى الانتفاع , يقول الإمام

النووي في شرحه لصحيح مسلم : (وأما قوله صلى الله عليه وسلم:(لا, هو حرام ), فمعناه

لاتبيعوها , فإن بيعها حرام , والضمير في ( هو) , يعود إلى البيع لا إلى الانتفاع , هذا هو

الصحيح عند الشافعي وأصحابه :أنه يجوز الانتفاع بشحم الميتة في طلي السفن , والاستصباح بها وغير ذلك , مما ليس يؤكل ولافي بدن الآدمي , وبهذا أيضا عطاء بن أبي رباح, ومحمد بن جرير الطبري)(90)

وأيد أصحاب المذهب الثاني رأيهم **بثلاثة أدلة** :

**أولاً:** إن الضمير في قوله( هو) يعود على البيع , كأنه أعاد تحريم البيع بعدما بين له فيه منفعة, إهداراً لتلك المنافع التي ذكرت (91)

**ثانيًا:** إن سياق الحديث يشعر بأن الضمير يعود على البيع ,ويؤيده ما جاء من طريق ثان , إن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"لعن الله اليهود ـ ثلاثاً ـ إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها, وإن الله حرم على قوم شيئا حرم ثمنه"(92)

**ثالثًا:** إن الإجماع منعقد على جواز إطعام الميتة للكلاب , ولو كانت كلاب صيد , وهذا الإجماع فيه الدلالة على الانتفاع من الميتة (93)

**الحديث الثاني:**

**جاء في صحيح البخاري , وصحيح مسلم , وسنن أبي داود , وسنن الترمذي , وسنن النسائي :عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال:** " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب , فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا ألا إله الله وأن محمدا رسول الله , فإن هم أطاعوا لك بذلك , فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة , فإن هم أطاعوا لك بذلك , فأخبرهم إن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم , فإن أطاعوا لك بذلك , فإياك وكرائم أموالهم ,واتق دعوة المظلوم , فإنه ليس بينه وبين الله حجاب "(94)

**الحكم الفقهي:**

اختلف أهل الفقه في حكم نقل الزكاة من البلد الذي تستخرج منه مع حاجة فقراء أهل البلد لها , وانقسموا على مذهبين)(95)

المذهب الأول : مذهب الحنابلة , ووافقهم جماعة من الشافعية أنه لايجوز النقل.

المذهب الثاني : مذهب الأكثرين من الحنفية والمالكية والشافعية أنه يجوز النقل مع الكراهة إذا كان في البلد من يستحق الزكاة.

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل أصحاب المذهب الأول بأن الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم: (فترد على فقرائهم )يعود إلى المخاطبين , فيختص بذلك فقراء أهل تلك البلدة ؛لأن الأصل في الضمير أن يعود إلى الاسم المتقدم يقول ابن قدامة : " المذهب على أنه لايجوز نقل الصدقة من بلدها إلى مسافة القصر ... ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ : أخبرهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم , وهذا يختص بفقراء بلدهم"(96).

ـ واستدل أصحاب المذهب الثاني بأن الضمير في قوله ( فترد على فقرائهم), عام يعود على المسلمين, فأي فقير منهم ردت فيه الصدقة في أي جهة كان , فقد وافق عموم الحديث , وذلك لأن الضمير الغائب قد يعود إلى غير ملفوظ به , كالذي يفسره سياق الكلام (97)
قال صاحب إحكام الأحكام :" وقد استدل بقوله عليه السلام : أعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم , على عدم جواز نقل الزكاة عن بلد المال , وفيه عندي ضعف ؛ لأن الأقرب أن المراد : تؤخذ من أغنيائهم من حيث أنهم مسلمون , لامن حيث أنهم من أهل اليمن , وكذلك الرد على فقرائهم , وإن لم يكن هذا هو الأظهر فهو محتمل احتمالاً قوياً , ويقويه : أن أعيان الأشخاص المخاطبين في قواعد الشرع الكلية لاتعتبر , ولولا وجود مناسبة في باب الزكاة لقطع بأن ذلك غير معتبر , وقد وردت صيغة الأمر بخطابهم في الصلاة ولا يختص بهم قطعاً ـ أعني الحكم ـ وإن اختص بهم خطاب المواجهة "(98)
والمختار ـ والله أعلم ـ أن نقلها جائز لوجود المصلحة, وأما عود الضمير فلا يدل دلالة قطعية على ما أراده المانعون ؛ لأن ضمير الغائب قد بعود على غير ملفوظ (99)

**المبحث الثاني: اسم الإشارة:**

**الحديث:**

**جاء في صحيح البخاري , وصحيح مسلم , وسنن النسائي** :عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ " أهدى لرسول الله  صلى الله عليه وسلم فرُوج حرير , فلبسه , ثم صلى فيه ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً ـ كالكاره له ثم قال : لاينبغي هذا للمتقين "(100)

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في حكم افتراش الحرير والجلوس عليه إلى مذهبين (101)

المذهب الأول : مذهب الجمهور وهو عدم جواز ذلك .

المذهب الثاني : مذهب أبو حنيفة وهو جواز ذلك .

**القاعدة النحوية:**

استدل الجمهور ـ أصحاب المذهب الأول ـ أن اسم الإشارة (هذا) يعود إلى الحرير في الظاهر,وبذلك يمنع استعمال الحرير في اللبس والافتراش ونحوهما للرجال .

واستدل أبو حنيفة ـ صاحب المذهب الثاني ـ أن اسم الإشارة (هذا ), قد يعود إلى اللبس , ويبقى الافتراش موضع نزاع (102)

وقد أجاب الحنفية الجمهور بقولهم : "إن لفظ (نهى)ليس صريحا في التحريم , ويحتمل أن يكون النهي ورد عن مجموع اللبس والجلوس لاعن الجلوس بمفرده , وأيضا فإن الجلوس ليس بلبس, ..."(103)

والمختار - والله أعلم - مذهب الجمهور واستدلوا على ذلك **بدليلين** :

**أولاً:** إن الإشارة إذا كانت راجعة إلى الحرير نقدر ما هو أعم من اللبس , وهو الاستعمال . وإن كانت الإشارة راجعة إلى اللبس فإن الافتراش يسمى لبساً , إذ هو لبس للمقاعد ونحوهما , وليس كل شيء بحسبه (104)

**ثانيًا:** إن الحديث الذي رواه حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - " نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة , وأن نأكل فيهما ,وعن لبس الحرير والديباج , وأن نجلس عليه"(105) لا يجوز تأويله , إذ لا دليل على ذلك يقول ابن حجر:" وأن نجلس عليه , وهي حجة قوية لمن قال : يمنع الجلوس على الحرير , وهو قول الجمهور..."(106)

**المبحث الثالث :المبتدأ والخبر**

**الحديث الأول:**

**جاء في سنن الترمذي , ومسند الإمام أحمد بن حنبل , وسنن الدار مي , وسنن أبي داود:** عن على بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"مفتاح الصلاة الطهور , وتحريمها التكبير , وتحليلها التسليم "(107)

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في حكم التسليم من الصلاة , وذلك على مذهبين (108)

المذهب الأول : مذهب الجمهور , وجوب إصابة لفظ التسليم كي يخرج المصلي من صلاته .

المذهب الثاني : مذهب الحنفية , تعيين لفظ التسليم غير فرض , إذ يجوز بغيره أن يخرج العبد من الصلاة .

**القاعدة النحوية:**

استدل الجمهور على صحة مذهبهم : بأن قوله صلى الله عليه وسلم " وتحليلها التسليم ", مبتدأ وخبر معرفتان يفيدان الحصر(109) جاء في معالم السنن : " في الحديث بيان أن التسليم ركن الصلاة , كما أن التكبير ركن فيها ,وإن التحليل منها إنما يكون بالتسليم دون الحدث والكلام ؛ لأنه قد عرفه بالألف واللام وعينَّه كما عيَّن الطهور وعرًفه ,فكان منصرفاً إلى ما جاءت به الشريعة من الطهارة المعروفة , والتعريف بالألف واللام مع الإضافة يوجب التخصيص , كقولك : فلان مبيته المساجد , تريد أنه لامبيت له يأوي إليه غيرها "(110)

أما الحنفية فلم يستدلوا بهذا الحصر ؛ لأنه من جملة المفاهيم , والتسليم ثبت بخبر الواحد , وهو لا يكفي لثبوت الفرضية (111)
ومن الحنفية من يرى أن الإضافة تقتضي المغايرة ,أي إن المضاف غير المضاف إليه , لذا فقوله صلى الله عليه وسلم :" تحريمها التكبير وتحليلها التسليم " متروك الظاهر ؛ لأن الشيء لايضاف إلى نفسه . (112)
وقد أجاب الجمهور عن الحنفية **بأربعة أدلة:**
**أولاً:** إن الذي يدل على الخروج من الصلاة بغير التسليم , لايدل على ذلك إلا بضرب من دليل الخطاب, وهو مفهوم ضعيف عند الأكثر , وإن الألف واللام التي للحصر أقوى من دليل الخطاب في كون حكم المسكوت عند ضد حكم المنطوق (113)
**ثانيًا:** إن الإضافة في قوله صلى الله عليه وسلم( وتحليلها التسليم), جازت للملابسة بينهما , يقول الإمام النووي " والجواب عن قولهم : الإضافة تقتضي المغايرة , إن الإضافة ضربان : أحدهما , تقتضي المغايرة كـ(ثوب زيد), والثاني: تقتضي الجزئية كقوله :( رأس زيد)و( صحن زيد), فوجب حمله على الثاني"(114)
**ثالثًا:** إن الذي اتفق عليه كبار البيانيين إن قوله صلى الله عليه وسلم :(وتحليلها التسليم ) , يفيد الحصر نطقاً. يقول صاحب الفروق:" تحليلها التسليم : يقتضي الحصر في التسليم دون نقيضه الذي هو عدم التسليم , وضده الذي هو النوم والإغماء , وخلافه الذي هو الحدث , غير ذلك من التعظيم والإجلال وغيرهما , فلا يحرج من حل الصلاة إلى حرمانها إلا بالتسليم فقط "(115)
**رابعًا:** إن " اللام " في قوله ( التسليم ) ليست لاما للعموم ,وإنما أريد بها حقيقة الجنس الذي هو القدر المشترك لا العموم , لأن ما ذكر معه من الطهور المحلى بـ (اللام) إنما أريد به الفرد المقارن للأول فقط , فكذلك التكبير لا يدخل فيه إلا بالمقارن الأول , وكذلك يحمل السلام على المقارن لآخر الصلاة تسوية بينه وبين ماقرن معه ؛ ولأنه متبادر إلى الذهن. (116)
قال ابن القيم الجوزية : ( وأما الباب الذي يخرج منه فهو باب السلام المتضمن أحد الأسماء الحسنى , فيكون مفتتحًا لصلاته باسمه تبارك وتعالى , ومختتمًا لها باسمه , فيكون ذاكرًا لاسم ربه أول الصلاة وآخرها , فأولها باسمه وآخرها باسمه فدخل فيها باسمه وخرج منها باسمه , مع مافي اسم السلام من الخاصية والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله,... فإذا انصرف من بين يدي الله مصحوبًا بالسلام لم يزل عليه حافظ من الله إلى وقت الصلاة الأخرى,... ومجئ السلام هنا معرفًا ليكون دالًا على اسمه السلام) (117).

**الحديث الثاني:**

**جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال:** (إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى , فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى) (118).

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في صلاة الليل , هل يزاد فيها على ركعتين ركعتين أو يقتصر عليهما؟ على مذهبين:(119)

المذهب الأول: مذهب الامام مالك إلى أنه لايزاد عليها في صلاة الليل.

المذهب الثاني: مذهب الجمهور جواز الزيادة , والأفضل الاقتصار عليهما.

**القاعدة النحوية:**

-استدل الإمام مالك على مذهبه بأن قوله صلى الله عليه وسلم: (صلاة الليل مثنى مثنى) , يقتضي الحصر , يقول ابن دقيق العيد : (قوله صلى الله عليه وسلم: صلاة الليل مثنى مثنى , أخذ به مالك رحمه الله , في أنه لايزاد في صلاة النفل على ركعتين , وهو ظاهر هذا اللفظ في صلاة الليل,... لأن المبتدأ محصور في الخبر , فيقتضي ذلك حصر صلاة الليل في ماهو مثنى , وهو ذلك المقصود , إذ هو ينافي الزيادة , فلو جازت الزيادة لما انحصرت صلاة الليل في المثنى) (120).

-استدل الجمهور على مذهبهم بأن هذا الحصر محمول لبيان الأفضل , لما صح من فعله صلى الله عليه وسلم بخلافه , ولم يتعين أيضًا كونه لذلك , بل يحتمل أن يكون للإرشاد إلى الأخف , إذ السلام بين كل ركعتين أخف على المصلي من الأربع (121).

-ومما يعزز رأي الجمهور أن هذا المفهوم قد خرج عن سؤال فلاحجة فيه كما هو ظاهر(122). يقول الصنعاني : (الحديث دليل على مشروعية نافلة الليل مثنى مثنى , فيسلم على كل ركعتين, وإليه ذهب جماهير العلماء, وقال مالك: لاتجوز الزيادة على اثنتين ؛ لأن مفهوم الحديث الحصر, لأنه في قوة: ماصلاة الليل إلا مثنى مثنى , لأن تعريف المبتدأ قد يفيد ذلك على الأغلب , وأجاب الجمهور بأن الحديث وقع جوابًا لمن سأل عن صلاة الليل فلا دلالة فيه على الحصر , وبأنه لو سلم فقد عارضه فعله صلى الله عليه وسلم , وهو ثبوت إيتاره بخمس , كما في حديث عائشة عن الشيخين , والفعل قرينة على عدم ارادة الحصر)(123).

**المبحث الرابع :الأفعال الناسخة**

**كان وأخواتها:**

**الحديث الأول :**

**جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:** ( كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر :{تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين* تنزيل} [السجدة: 1و2] , و {هل أتى على الإنسان} [الإنسان:1] )(124)

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في حكم المداومة على قراءة سورتي : السجدة والدهر في صلاة فجر الجمعة , وانقسموا إلى فريقين(125)

المذهب الأول: مذهب جماعة من العلماء أن المستحب الاستمرار عليهما.

المذهب الثاني: مذهب جماعة من العلماء إ أنه يستحب قراءة هاتين السورتين , بشرط أن يقرأ غير ذلك أحيانًا لئلا يظن الجاهل أنه لايجزئ غيره أو يؤدي إلى هجران الباقي وإيهام التفضيل.

**القاعدة النحوية:**

-استدل أصحاب المذهب الأول بأن "كان" لفظ يفيد الاستمرار لغة , أي: استمرار ثبوت خبرها لاسمها , يقول الباقلاني: (وقول الراوي: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل كذا), يفيد في عادة الاستعمال أهل اللغة ذكر الفعل وتكرره ؛ لأنهم لا يقولون: كان فلان يطعم الطعام, ويحسي الرمان , ويحافظ على الجار, إذا فعل ذلك مرة أو اثنين , بل يخصون به المداوم على ذلك, وقد قال سبحانه وتعالى: {وكان يأمر أهله بالصلاة} [مريم:55] , يريد دوام ذلك منه, وقال: {وكان أمر الله مفعولاً} [النساء:47] ,{وقدرًا مقدورًا} [الأحزاب:38] , يريد الإخبار عن مضي ذلك , فأدخل "كان" لمضي الفعل لا لتكثيره , ويجب بأقل مايخرج عليه كلام الراوي)(126). لذا يقول ابن حجر: (وفيه - الحديث - دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين في هذه الصلاة من هذا اليوم , لما تشعر الصيغة به من مواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك أو اكثاره منه, بل ورد من حديث ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله عليه وسلم على ذلك , أخرجه الطبراني, ولفظه: "يديم ذلك" , وأصله في ابن ماجة بدون هذه الزيادة , ورجاله ثقات , لكن صوب أبو حاتم إرساله) (127). ويرى هؤلاء أن السنة لا تترك من أجل ظن الجاهل , بل يتعين تعريف الجاهل بما يجهله وإعلامه بالشريعة (128).

-استدل أصحاب المذهب الثاني بأن "كان" لفظ لا يقتضي التكرار والمداومة , جاء في شرح

-الرضي: (وذهب بعضهم إلى أن "كان" يدل على استمرار مضمون الخبر في جميع زمن
الماضي, وشبهته قوله تعالى : {وكان الله سميعًا بصيرًا} [النساء:134] , وذهل أن الاستمرار مستفاد من قرينة وجوب كون الله سميعًا بصيرًا , لا من لفظ "كان" ألا ترى أنه يجوز كان زيد نائمًا نصف ساعة فاستيقظ , وإذا قلت: كان زيد ضاربًا , لم يستفد الاستمرار) (129).
- يقول العيني: (أكثر العلماء على أن "كان" لايقتضي المداومة , والدليل على ذلك ماروناه مسلم من حديث النعمان بن البشير , قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين و في الجمعة بـ { سبح اسم ربك الأعلى} , و {هل أتاك حديث الغاشية} ...) الحديث.
-وروي أيضًا من حديث الضحاك بن قيس , أنه سأل عن النعمان بن بشير , ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ به يوم الجمعة ؟ قال: سورة الجمعة , و {هل أتاك حديث الغاشية} , وروى الطحاوي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم , أنه كان يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة و {إذا جاءك المنافقون} .
والراجح أن "كان" تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي , وأما الاستمرار وعدمه فيستفاد من دليل آخر(130).
وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية: (وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في فجره ـ يوم الجمعة ـ بسورتي { الم* تنزيل} , و {هل أتى على الإنسان}, ويظن كثير ممن لاعلم عنده أن المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة , ويسمونها سجدة الجمعة , وإذا لم يقرأ أحدهم هذه السورة استحب قراءة سورة أخرى فيها سجدة , ولهذا كره من كره من الأئمة المداومة على قراءة هذه السورة في فجر الجمعة , دفعًا لتوهم الجاهلين.
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة , لأنهما تضمنتا ماكان ويكون في يومها , فإنهما اشتملتا على خلق آدم , وعلى ذكر المعاد , وحشر العباد , وذلك يكون يوم الجمعة , وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون , والسجدة جاءت تبعًا , ليست مقصودة حتى يقصد المصلي قراءتها حيث اتفقت فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة(131)
الحديث الثاني:.
**-جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا ؛ فإنه لا يدري أين باتت يده) (132) .

**-الحكم الفقهي:**
اختلف الفقهاء في أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على مذهبين(133)
المذهب الأول: مذهب الجمهور أن هذا الحكم يشمل نوم الليل ونوم النهار.
المذهب الثاني: مذهب الإمام أحمد بن حنبل أن هذا النوم مخصوص بنوم الليل.
**القاعدة النحوية:**
-استدل أصحاب المذهب الأول بأن "بات" هنا خرجت مخرج الغالب , فهي تشمل نوم الليل والنهار, والحكم معلل معقول المعنى , يقول ابن رشد : (ومن فهم من هؤلاء من لفظ "البيات" نوم الليل , أوجب ذلك من نوم الليل فقط , ومن لم يفهم منه ذلك , وإنما فهم منه النوم فقط, أوجب ذلك على كل مستيقظ من النوم , نهارًا أو ليلاً , ومن رأى أن بين هذه الزيادة والآية - آية الوضوء - تعارضًا , إذا كان ظاهر الآية المقصود منه حصر فروض الوضوء , كان وجه الجمع بينهما عنده أن يخرج لفظ الأمر عن ظاهره الذي هو الوجوب إلى الندب)(134)
-استدل أصحاب المذهب الثاني بأن لفظ "بات" يطلق عل مبيت الليل جاء في كتاب العين (والبيتوتة: دخولك في الليل , تقول: بت اصنع كذا , إذا كان بالليل , وبالنهار ظل , ومن فسر "بات" على النوم قد أخطأ , ألا ترى أنك تقول: بت أراعي النجوم , معناه: بت أنظر إليها)(135).يقول ابن قدامة: (والمبيت يكون بالليل خاصة , ولا يصح قياس غيره عليه لوجهين: أحدهما: أن الحكم ثبت تعبدًا , فلا يصح تعديته , والثاني : إن الليل مظنة النوم والاستغراق فيه وطول مدته, فاحتمال إصابة يده لنجاسة لايشعر بها أكثر من احتمال ذلك في نوم النهار , قال أحمد: في رواية الأثرم: الحديث في المبيت بالليل , فأما النهار فلا بأس به) (136).
- ومعنى قول الإمام : لا بأس به , أي غير واجب في النهار , أما في الليل فالأمر عنده للوجوب.
- وعزز أصحاب المذهب الأول رأيهم بثلاثة أدلة:
**أولاً:** إن "بات" بمعنى "صار" (وقد حكى الزمخشري , وابن حزم , والآمدي , وابن برهان أنها تكون بمعنى "صار" فلا تختص بوقت) (137).
**ثانيًا:** إن قوله صلى الله عليه وسلم: "من نومه" عام في كل نوم , يقول ابن حجر: (قوله: "من نومه" , أخذ بعمومه الشافعي والجمهور , فاستحبوه عقب كل نوم) (138).

**ثالثًا:** يقاس نوم النهار على نوم الليل , والحديث قد أخرج مخرج الغالب , والذي يدل على ذلك ماجاء في رواية : (فإن أحدكم لايدري أين باتت يده , أو أين كانت تطوف يده) (139).

**المبحث الخامس :الفعل المبني للمجهول**

**الحديث:**

**جاء في سنن أبي داود وسنن الترمذي " عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :** الغلام مرتهن بعقيقته يُذبَح عنه يوم السابع ,ويسمى ويحلق رأسه "(140)

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في حكم أن يعق غير الأب عن ولده , وانقسموا إلى مذهبين : (141)

المذهب الأول : مذهب جماعة من العلماء أنه يصح أن يتولى العقيقية القريب عن قربيه , وغير ذلك .

المذهب الثاني: مذهب الشافعية إلى أن العقيقية تتعين على من تلزمه نفقة المولود , وذهب الحنابلة إلى أنها تتعين على الأب إلا إذا تعذر بموت أو امتناع ..

**القاعدة النحوية:**

-استدل أصحاب المذهب الأول بأن الفعل في قوله صلى الله عليه وسلم : "يُذبح" مبني للمجهول , وبذلك لم يعين الفاعل , ومادام لم ينص عليه يجوز أن يتولى الذبح أي كان .

يقول ابن حجر: (وقوله: "يُذبح" , بالضم على البناء للمجهول , فيه: إنه لايتعين الذابح) (142).

ويقول الشوكاني: (بضم الياء من قوله: "يُذبح" وبناء الفعل للمجهول , وفيه دليل على أنه يصح أن يتولى ذلك الأجنبي كما يصح أن يتولاه القريب عن قريبه) (143).

وقد أيد هؤلاء رأيهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن الحسين بن غلي رضي الله عنهما , ولكن للعلماء هاهنا تأويلات لايتسع المقام لذكرها(144).

**المبحث السادس :الاستثناء**

**الحديث:**

**جاء في صحيح مسلم وسنن أبي داود عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله , فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة , فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة , فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناَ , ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه , ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه) (145).

**الحكم الفقهي:**
اختلف علماء الفقه هل الأفضل أن يأذن الرجل في سلطانه ـ بيته ونحوه ـ لرجل آخر في إمامته للصلاة أولا؟ على مذهبين(146):
المذهب الأول : مذهب جماعة من العلماء أنه لابأس في ذلك إذ أذن صاحب السلطان.
المذهب الثاني: مذهب جماعة أنه من الأفضل ألا يأذن.
**القاعدة النحوية:**
ـ استدل أصحاب المذهب الأول بأنه إذا ذكرت جملاً عطف بعضها على بعض, فإن الاستثناء ينعطف على الجمل كلها , ولا يختص بالجملة الأخيرة(147).
وبذلك يكون الإذن راجعًا إلى جميع ماكان قبل الاستثناء وهو جواز أن يؤمه في الصلاة في سلطانه , وأن يجلسه على فراشه , وذلك إذا إذن له.
ـ استدل أصحاب المذهب الثاني بأن الكلام إذا اشتمل على جمل وعطف بعضها على بعض , رجع الاستثناء إلى الجملة الأخيرة(148).
لذا يكون الإذن متعلقًا بالجلوس على الفراش والله تعالى أعلم.
**المبحث السابع: الحال**
**الحديث:**
**جاء في صحيح البخاري وسنن أبي داود عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ـ عندما أهوى لينزع خفيه ـ :**
(دفع الخفين , فإني أدخلت القدمين الخفين وهما طاهرتان , فمسح عليهما) (149).
**الحكم الفقهي:**
اختلف علماء الفقه : هل يشترط إكمال الطهارة للقدمين للبس الخفين أو لا على مذهبين(150):
المذهب الأول: مذهب الشافعية ومن وافقهم اشتراط كمال طهارة القدمين عند لبس الخفين.
المذهب الثاني: مذهب الحنفية ومن وافقهم عدم اشتراط ذلك , فإذا غسل إحدى رجليه ثم لبسها وغسل الأخرى ثم لبسها , صح له أن يمسح عليها.
**القاعدة النحوية:**
ـ استدل أصحاب المذهب الأول بأن قوله : "وهما طاهرتان" حال , فيصير التقدير:
أدخلت كل واحدة في حال طهارتها , وذلك إنما يكون بكمال الطهارة (151) , يقول الخطابي: (فيه ـ الحديث ـ دليل على أن المسح على الخفين لايجوز إلا بأن يلبسا على كمال الطهارة , وأنه إذا غسل إحدى رجليه فلبس عليها إحدى

الخفين , ثم غسل رجله الأخرى , ثم لبس الخف الآخر لم يجزئه ؛ لأنه جعل طهارة القدمين معًا قبل لبس الخفين شرطًا لجواز المسح عليهما وعلة لذلك , والحكم المعلق بشرط لايصح إلا بوجود شرطه , وهو قول مالك, والشافعي , وأحمد , وإسحاق) (152).
فيرى هؤلاء أن الجملة الحالية كالصفة في إفادتها التقييد , فالقيد كما يتحقق بمضمون المفرد يتحقق بمضمون الجملة (153).
ـ استدل أصحاب المذهب الثاني بأنه لادلالة في الجملة الحالية على ذلك الحكم ؛ لأن الحديث جاء برواية أخرى: (دعها فإني أدخلتهما طاهرتين) (154).
يقول ابن دقيق العيد : (فلا يمتنع أن يعبر بهذه العبارة عن كون كل واحدة منهما أدخلت طاهرة , بل ربما يدعي أنه ظاهر في ذلك , فإن الضمير في قوله: أدخلتهما يقتضي تعليق الحكم بكل واحدة منهما )(155).
ويقول العيني: (ولو قلت: دخلنا البلد ونحن راكبان , يشترط أن يكون كل واحد راكبًا عند دخوله , ولا يشترط اقترانهم في الدخول,فتكون كل واحدة من رجليه عند إدخالها الخف طاهرة إذا لم يدخلهما الخفين معًا وهما طاهرتان لأن إدخالها معًا غير متصور عادة , وإن أراد إدخال كل واحدة الخف وهي طاهرة بعد الأخرى فقد وجد المعدي) (156).

**المبحث الثامن: حروف الجر**

**إلى:**

**الحديث:**

**جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود:** عن عثمان بن عثمان رضي الله عنه أنه: (دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما , ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق , ثم غسل وجهه ثلاثًا , ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار , ثم مسح برأسه , ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين , ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ نحو وضوئي هذا , ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه , غفر له ماتقدم من ذنبه) (157).
بين الحديث أن اليدين من الأعضاء الواجب غسلها في الوضوء , وكذا قوله سبحانه وتعالى: {يأأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق} [المائدة:6]

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في دخول المرفق في وجوب الغسل , وذلك على مذهبين:(158)
المذهب الأول: مذهب الجمهور أن غسلهما فرض , وبذا لا يصح عندهم وضوء من لم يغسل المرفقين .

المذهب الثاني: مذهب طائفة من العلماء أن غسل المرفقين سنة وليس بواجب, منهم: بعض أصحاب أبي حنيفة , وبعض أصحاب مالك , والظاهرية.

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل أصحاب المذهب الأول أن ما بعد (إلى) داخل في حكم ماقبلها في هذا الموطن , يقول ابن دقيق العيد: ( إن كلمة "إلى" المشهور فيها أنها لانتهاء الغاية , وقد ترد بمعنى "مع" , فمن الناس من حملها على مشهورها فلم يوجب إدخال المرفقين في الغسل , ومنهم من حملها على معنى "مع" فأوجب إدخالها.

وقال بعض الناس: يفرق بين أن تكون الغاية من جنس ماقبلها أو لا , فإن كانت من الجنس دخلت كما آية في الوضوء , وإن كانت من غير الجنس لم تدخل كما في قوله سبحانه وتعالى: { ثم أتموا الصيام إلى الليل} [البقرة: 187] ) (159).

ـ استدل أصحاب المذهب الثاني بأن أكثر النحاة (160) قد رجحوا عدم دخول مابعدها فيما قبلها عند عدم القرينة ؛ لأن ما ماكان غاية للشيء كان خارجًا عنه فلا يدخل المرفقان في وجوب غسل اليدين , لأنها غاية للغسل.

والراجح ـ والله أعلم ـ ماذهب إليه الجمهور ؛ وذلك **للأدلة الآتية:**

**أولاً:** ذكر أكثر النحاة عدم دخول مابعد الغاية فيما قبلها ليس حكمًا عامًا في كل موطن , فهي هنا مما تدخل فيه ؛ لأن من النحاة من يرى دخوله إذا كان من جنسه , والمرفق هنا من جنس اليد ,ولا يدخل إذا لم يكن من جنسه , نحو قوله سبحانه وتعالى:{ ثم أتموا الصيام إلى الليل}[البقرة:187] ؛ لأن الليل ليس من جنس النهار (161).

**ثانيًا:** إن "إلى" قد ترد في اللغة بمعنى "مع" , إذا ضممت بها شيئًا إلى شيء , نحو قوله سبحانه وتعالى: {من أنصاري إلى الله} [آل عمران: 52] , و "إلى" في الحديث محتملة لذلك (162).

**ثالثًا:** إن انتهاء الغاية قد يلابس موضعًا من المواضع , فيكون ذلك الموضع نهاية الغاية بسبب تلك الملابسة , وأكد ابن يعيش ذلك بقوله: (وتحقيق ذلك أنها لانتهاء غاية العمل , كما أن "من" لابتداء غاية العمل , إلا أنه قد يلابس الابتداء موضعًا من المواضع , فيكون من أجل تلك الملابسة انتهاء للغاية , وذلك نحو "خرجت من بغداد إلى الكوفة" , فعلى هذا يكون المرفقان داخلين في الغسل) (163) .

**رابعًا:** إنما دخل المرفقان , لأن "إلى" هاهنا غاية للإخراج لا للإدخال ؛ فإن اسم "اليد" يطلق على العضو إلى المنكب , فلما دخلت أخرجت عن الغسل مازاد على المرفق , فدخل في الغسل(164).

**خامسًا:** إن فعل النبي صلى الله عليه وسلم مبين لهذا الحكم , ففي رواية: ( وغسل وجهه, ويديه إلى المرفقين حتى مس أطراف العضد) (165) , وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه: (غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد , ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد)(166) , وفعل هذاالصحابي يزيد مانقل عن النبي صلى الله عليه وسلم توكيدًا.

**<u>الباء:</u>**

**الحديث:**

**جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود عن سهل بن سعيد الساعدي رضي الله عنه قال:** (إني لفي القوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم , إذ قامت امرأة فقالت: يارسول الله إنها قد وهبت نفسها لك , ففر فيها رأيك. فلم يجبها شيئًا . ثم قامت فقالت: يارسول الله إنها قد وهبت نفسها لك , ففر فيها رأيك. فلم يجبها شيئًا , ثم قامت الثالثة , فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك , ففر فيها رأيك , فقام رجل فقال: يارسول الله أنكحنيها , قال: هل عندك من شيء ؟ قال: لا , قال: اذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد , فذهب وطلب , ثم جاء فقال: ماوجدت شيئًا ولا خاتمًا من حديد , قال: هل معك من القرآن شيء ؟ قال: معي سورة كذا و سورة كذا , قال: اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن) (167).

**الحكم الفقهي:**

اختلف علماء الفقه في صحة أن يكون تعليم القرآن والعلم صداقًا للمرأة , وذلك على مذهبين (168)

المذهب الأول: مذهب الجمهور جواز ذلك إن رضيت المرأة .

المذهب الثاني: مذهب الحنفية عدم جواز ذلك ؛ لأنه ـ تعليم القرآن ونحوه ـ ليس مالاً متقومًا.

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل أصحاب المذهب الأول بأن "الباء" في قوله صلى الله عليه وسلم: "بما معك" , "باء" العوض والمقابلة (169) , وهي الباء (الداخلة على الأعراض , نحو: اشتريته بألف , وكافأت إحسانه بضعف , وقولهم: هذا بذاك) (170) . لذا يقول الخطابي: ( و "الباء" في قوله: "بما معك": باء التعويض. كما تقول: بعتك هذا الثوب بدينار أو بعشرة دراهم) (171).

ـ استدل أصحاب المذهب الثاني بأن "الباء" هنا "باء" السبب , وهي التي تصلح غالبًا في موضعها "اللام" (172) . نحو قوله سبحانه وتعالى: {إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل} [البقرة:54].

لذا يقول الكاساني : (تأويلها: زوجتكها بسبب مامعك من القرآن , وبحرمته وبركته , لا أنه كان ذلك النكاح بغير تسمية مال , وعلى هذا الأصل مسائل: إذا تزوج على تعليم القرآن , أو على تعليم الحلال والحرام من الأحكام ... لاتصح التسمية عندنا ؛ لأن المسمى ليس بمال , فلا يصير شيء من ذلك مهرًا ) (173).

وقد رد الجمهور على المذهب الثاني بما يأتي:

**أولاً:** إن "الباء" هنا لاتكون بمعنى "اللام" , بل هي بمعنى العوض , وهذا هو الظاهر من سياق الحديث , وإلا لم يكن لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم إياه : (هل معك من القرآن شيء؟) فائدة, إذ يجوز نكاح من يحسن القرآن ومن لايحسنه (174).

**ثانيًا:** لايجوز أن تكون "الباء"سببية , إذ لو كانت كذلك لصارت المرأة بمعنى الموهوبة , والموهوبة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم (175).

**ثالثًا:** قد جاء في بعض روايات الحديث مايبين أن تعليم القرآن كان مهرًا (176) , لذا بوب النسائي بابًا عنوانه: "التزويج على سور من القرآن" (177).

**<u>حتى:</u>**

**الحديث:**

**جاء في صحيح البخاري وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (لاتقبل صلاة من أحد حتى يتوضأ) (178).

**الحكم الفقهي:**

اتفق العلماء الفقهاء على أن الوضوء لايجب لكل صلاة ؛ لأنه في صدر الإسلام كان واجبًا لكل صلاة ثم نسخ.( 179)

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل العلماء بأن مابعد "حتى" مخالف لما قبلها ؛ لأن معناها انتهاء الغاية (180) , يقول ابن دقيق العيد: (استدل بهذا الحديث على أن الوضوء لايجب لكل صلاة , ووجه الاستدلال به أنه صلى الله عليه وسلم نفى القبول ممتدًا إلى غاية الوضوء , وما بعد الغاية مخالف لما قبلها, فيقتضي ذلك قبول الصلاة بعد الوضوء مطلقًا , وتدخل تحته الصلاة الثانية قبل الوضوء لها ثانيًا) (181).

**<u>اللام:</u>**

**الحديث:**

**جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (صوموا لرؤيته , وأفطروا لرؤيته , فإن غُمي عليكم فأكملوا العدة) (182).

**الحكم الفقهي:** لايجوز أن يتقدم أحد رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه (183). ولكن نبتت نابتة ترى الصيام قبل رؤيته , معتمدين على هذا الحديث (184).

**القاعدة النحوية:**

ترى طائفة المجوزة أن "اللام" في قوله صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته...) لام التعليل (185) , والمعنى مستقبلين لها (186) وقد رد المانعون قول هؤلاء بما يأتي:

**أولاً:** إن "اللام" إذا كانت إذا كانت للتعليل هنا , فلا يلزم منها تقديم الصوم على الرؤية , فإذا

قلت: "أكرم زيدًا لدخوله" , فلا يقتضي تقديم الإكرام على الدخول (187)

**ثانيًا:** إن "اللام" هنا يمكن أن تحمل على غير معنى التعليل نحو:

(أ)أن تكون بمعنى الوقت , وهذا من معانيها المعروفة عند العرب, يقول الطيبي: (صوموا لرؤيته: اللام فيه كما في قوله سبحانه وتعالى: (( أقم الصلاة لدلوك الشمس)) [الإسراء:78], أي: وقت دلوكها , وقولك: جئت لثلاث خلون من شهر كذا) (188).

(ب)- أن تكون بمعنى "بعد" , وهذا من معانيها المشهورة , يقول ابن الشجري : (واستعملوها في مكان "بعد" ... ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته , أي: بعد رؤيته) (189).

**ثالثًا:** قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لاتقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين ؛ إلا رجل كان يصوم صومًا فليصمه) (190) , نص في المسألة لا يجوز العدول عنه , لأنه إذا صام قبله كان قد تقدم عليه وهذا منهي عنه(191).

الصحيح ما ذهب إليه المانعون , ولكن ينبغي الإشارة إلى أن معنى "اللام" الراجح فيه هنا هو أن تكون بمعنى "بعد" وذلك لما يأتي:

**أولاً:** إن هذا المعنى ـ أي بمعنى بعد ـ هو الذي نص عليه أئمة النحاة (192).

**ثانيًا:** حمل "اللام" على بمعنى الوقت يوقع في إشكال. يقول ابن دقيق العيد: ( وحمله على التأقيت لابد فيه من احتمال تجوز وخروج عن الحقيقة , لأن وقت الرؤية وهو الليل لايكون محلاً للصوم) (193), لذا عقب عليه ابن حجر بقوله: (وتعقبه الفاكهاني بأن المراد بقوله: صوموا , انووا الصيام , والليل كله ظرف للنية. قلت: فوقع في المجاز الذي فرّ منه , لأن الناوي ليس صائمًا حقيقة بدليل أنه يجوز له الأكل والشرب بعد النية إلى أن يطلع الفجر) (194).

**الحديث:**

**من  جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولاتتخذوها قبورًا)(195).

**الحكم الفقهي:**

حث النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل المرء نصيبًا من صلاته في بيته , ولكن الفقهاء اختلفوا في المعني منها , أهي بعض الفرض أم النافلة ؟ على مذهبين(196):

المذهب الأول: مذهب جمهور العلماء أن نصيب البيت من صلاة المرء النافلة.

المذهب الثاني: ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لابأس أن يجعل المرء بعض فرضه في بيته ليقتدي به أهله.

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل الجمهور بأن "من" تحتمل وجهين:

(أ)بمعنى "بعض" , نحو : "كل من هذا الطعام" ؛ إذ يصح أن تقدر بـ "بعض" (197) , وعلى هذا يراد بها النوافل , يقول النووي: (والمراد به صلاة النافلة , أي صلوا النوافل في بيوتكم) (198).

(ب)ـ أن تكون زائدة (189) , وهذه وضحها سيبويه بقوله: ( وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيمًا , ولكنها توكيد بمنزلة "ما" إلا أنها تجر , لأنها حرف إضافة) (200).

يقول الزرقاني: (قيل: النافلة , وقيل المكتوبة ؛ لتعليم الأهل الصلاة معاينة , وهو أثبت أحيانًا من التعلم بالقول , و"من" على الأول زائدة) (201). والتقدير: اجعلوا صلاتكم في بيوتكم , ويكون المراد منها النوافل.

ـ استدل أصحاب المذهب الثاني بأن "من" تبعيضية , والمراد بها الفرض , يقول الباجي: (ذهب بعض الناس إلى أن المراد بذلك:  أن يجعل بعض فرضه في بيته , ليقتدي به أهله ) (202).  والمختار ماذهب إليه الجمهور من أن المراد بـ "من" التبعيض , والمراد بها النافلة , وذلك لما يأتي:

**أولاً:** إن جعل "من" زائدة ـ وهو توجيه قسم من علماء الجمهور ـ ضعيف , وذلك لأن "من" الزائدة لاتزد إلا بشرطين عند الجمهور (203):

(أ)  أن يكون مجرورها نكرة.

(ب) أن يكون الكلام منفيًا أو شبيهًا بالمنفي , وشبه النفي: النهي والاستفهام , لذا يقول الإمام العيني: (على أن الأصح منع مجيء "من" زائدة في الكلام المثبت , ولا يجوز حمل الكلام على الفريضة ؛ لا كلها  ولا بعضها) (204).

**ثانيًا:** إن الذي يدل على أن المراد من الصلاة المأمور بها في البيت صلاة النافلة أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ( إذا قضي أحدكم الصلاة في مسجده , فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته, فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا) (205) , و قوله صلى الله عليه وسلم (صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة) (206).

**المبحث التاسع: الإضافة**

**الحديث:**

**جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم:** ( إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا) (207). يدل الحديث على ما جاء به الإسلام من تشريع , أقام أحكامه على الطهارة من جميع جوانبها , والحديث هنا دليل على غسل جميع الآنية لا يخص إناءً معينًا (208).

**القاعدة النحوية:**

**ـ يرى العلماء أن قوله صلى الله عليه وسلم (إناء أحدكم) , إضافة تدل على العموم (209). يقول ابن دقيق العيد: (الإناء: عام بالنسبة إلى كل إناء ) (210) , ويقول ابن حجر: (ظاهرة العموم في الآنية) (211) , يقول الصنعاني: ( الإضافة ملغاة هنا ؛ لأن حكم الطهارة والنجاسة لا يتوقف على ملكة الإناء) (212).**

**المبحث العاشر: التوابع**

**<u>الصفة:</u>**

**الحديث: جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم و سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (لايبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لايجري ثم يغتسل فيه) (213).

**الحكم الفقهي:** واختلف الفقهاء في هذا النهي هل هو مخصوص بالماء غير الجاري أو لا؟

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم الذي لايجري ثم يغتسل فيه , لئلا يلوثها عليهم يكرهها , لأن هذه الفضلات القذرة سبب في انتشار الأمراض الفتاكة.

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل قسم من العلماء أن قوله صلى الله عليه وسلم : (الذي لايجري) , صفة مؤكدة لـ "الدائم" .

يقول النووي: ( وأما: دائم , فهو الراكد , وقوله صلى الله عليه وسلم: (الذي لا يجري) , تفسير الدائم, وإيضاح لمعناه , ويحتمل أنه احترز به عن راكد لا يجري بعضه كالبرك ونحوها)(214).

ـ ومنهم من يرى أن (الذي لايجري) صفة مخصصة لـ "الدائم" , وذلك لأنها من الأضداد , يقول القاضي عياض: (ونهى عن البول في الماء الدائم , أي الذي لايجري: الراكد الساكن , قال ابن الأنباري: هذا من حروف الأضداد , يقال: للساكن دائم , وللدائر دائم). لذا عقب على هذا المعنى ابن حجر بقوله: ( وعلى هذا فقوله (الذي لايجري ) , صفة مخصصة لأحد معنيي المشترك) (215).

**<u>التوكيد اللفظي:</u>**

**الحديث:**

**جاء في سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل , فنكاحها باطل , فنكاحها باطل) (216).

**الحكم الفقهي:**

اختلف العلماء في حكم النكاح بغير ولي على مذهبين:

المذهب الأول: يرى الجمهور بأن النكاح لاينعقد .

المذهب الثاني: ذهبت الحنفية إلى أن النكاح ينعقد ؛ لأن الأيّم أحق بنفسها من وليها , إلا إذا كانت صغيرة ونحو ذلك.

**القاعدة النحوية:**

ـ يرى الجمهور بأن قوله صلى الله عليه وسلم (فنكاحها باطل...) توكيد لفظي , يمنع المجاز الذي ادعاه معارضوهم في قوله صلى الله عليه وسلم: (لانكاح إلا بولي) (217) , أي: على نفي الفضيلة والكمال. في حين يرى الجمهور أن النفي هنا مسلط على الصحة ؛ فلما جاء هذا الحديث الذي فيه التوكيد رفع ذلك المجاز الذي ادعى فيه. يقول الرضي ـ وهو يعدد أغراض التوكيد ـ : (والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزًا , وهو ثلاثة أنواع : أحدهما: أن يظن به تجوزًا في ذكر المنسوب , فربما تنسب الفعل إلى الشيء مجازًا , وأنت تريد المبالغة , لا أن عين ذلك الفعل منسوب إليه , كما تقول: قتل زيد , وأنت تريد: ضرب ضربًا شديدًا , أو تقول: هذا باطل , وأنت تريد: غير كامل , فيجب أيضًا تكرار اللفظ حتى لايبقى شك في كونه حقيقة , نحو قوله عليه السلام: أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل ) (218).

ـ مذهب الحنفية أن التوكيد هنا لايدفع ماقرروه ؛ لأن قوله صلى الله عليه وسلم: (لا نكاح إلا بولي) , محمول على نفي الكمال وأن الولاية أنواع, ولاية استحباب على العاقلة , وولاية إجبار
وهي الولاية على الصغيرة (219).
لذا قرر هؤلاء أن التكرار في الحديث (فنكاحها باطل ) متأول.
يقول القاري: (فنكاحها باطل: كرر ثلاث مرات , للتأكيد والمبالغة) ولكن الجمهور عززوا رأيهم بأدلة أخرى ؛ لذا يقول الزركشي: وهو يعدد ترجيحات المتن: (المقرون بالتأكيد , بأن يكرر أحدهما ثلاثًا , والآخر لم يؤكد , فيرجح المؤكد على غيره , لأن التأكيد يبعد احتمال المجاز والتأويل كقوله: (أيما امرأة نكحت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل ؛ فإنه راجح على مايرويه الحنفية: الأيم أحق بنفسها من وليها , لو سلم دلالته على المطلوب ) (220).
**العطف**
***أو: الحديث: جاء في صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:** (لعلك آذاك هوامك ؟ قال: نعم , يا رسول الله , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احلق رأسك وصم ثلاثة أيام , أو أطعم ستة مساكين , أو أنسك بشاة) (221).
دل الحديث , وكذا قوله سبحانه وتعالى: ((فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)) [ البقرة: 196] , على ما يفعله الحاج إذا وجبت عليه الفدية , والذي يوجب الفدية هاهنا حلق المحرم رأسه في حالة إحرامه بالحج أو العمرة , أو عمله شيئًا من محظورات الإحرام من أجل مرضه.
**الحكم الفقهي:**
وقد أجمع العلماء على أنه مخير في فعل واحد من الصيام , أو التصدق , أو النسك (222).
**القاعدة النحوية:**
ـ إن هذه الخصال الثلاث عطفت على بعضها بـ "أو" التي هي للتخيير , وضحها ابن هشام بقوله: (هي الواقعة بعد الطلب , وقبل مايمتنع فيه الجمع , نحو: تزوج هندًا أو أختها , وخذ من مالي دينارًا أو درهمًا , فإن قلت: فقد مثل العلماء بآيتي الكفارة والفدية للتخيير مع إمكان الجمع , فقلت: يمتنع الجمع بين الإطعام والكسوة والتحرير اللاتي كل منهن كفارة , وبين الصيام والصدقة والنسك اللاتي كل منهن فدية , بل تقع واحدة منهن كفارة أو فدية والباقي قربة مستقلة خارجة عن ذلك) (223). فوجه الدلالة أن التخيير هنا هو عدم جواز الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه , وقد تحقق لـ"أو" ما اشترطه النحاة من وقوعها بعد الطلب إذا كانت للتخيير , وهذا هو معناها

الحقيقي لذا لا يصرف عنه إلا بقرينه (224) , يقول ابن يعيش: (إذا لم يكن معك في الكلام دليل يوجب زيادة معنى على هذا المعنى ـ التخيير ـ لم يحمل في التأويل إلا عليه) (225) .

ومن هنا يقول ابن دقيق العيد : (ولفظ الآية والحديث معًا , يقتضي التخيير بين هذه الخصال الثلاث ـ الصيام , والصدقة , والنسك ـ ؛ لأن كلمة "أو" تقتضي التخيير) (226).

***ثم: الحديث: جاء في صحيح البخاري و صحيح مسلم وسنن أبي داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه :** (دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما , ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق , ثم غسل وجهه ثلاثًا ,ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار , ثم مسح برأسه , ثم غسل رجليه ثلاث مرارًا إلى الكعبين , ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ نحو وضوئي هذا , ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه , غفر له ما تقدم من ذنبه) (227).

**الحكم الفقهي:**

اختلف العلماء في ترتيب أعضاء الوضوء على مذهبين(228) :

المذهب الأول: مذهب الشافعية ومن وافقهم إلى أن الترتيب واجب.

المذهب الثاني: مذهب الحنفية ومن وافقهم إلى أن الترتيب غير واجب.

**القاعدة النحوية:**

ـ استدل اصحاب المذهب الأول بأن "ثم" تفيد الترتيب , يقول سيبويه في هذا المعنى: ( ومن ذلك: مررت برجل ثم امرأة , فالمرور هنا مروران , وجعلت "ثم" الأول مبدوءًا به , وأشركت بينهما في الجر) (229).

يقول الصنعاني: ( واعلم أن الحديث قد أفاد الترتيب بين الأعضاء المعطوفة بـ "ثم" (230).

ـ استدل أصحاب المذهب الثاني أن هذا الفعل بمجرده لايدل على الوجوب يقول الشوكاني: (وقد استدل بما وقع في حديث الباب من الترتيب بـ "ثم" على وجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء , وقال ابن مسعود , ومكحول , ومالك , وأبو حنيفة , وداود , والمزني , والثوري , والبصري , وابن المسيب , وعطاء , والزهري , والنخعي: أنه غير واجب , ولاينتهض الترتيب بـ "ثم" في حديث الباب على الوجوب , لأنه من لفظ الراوي , وغايته أنه وقع من النبي صلى الله عليه وسلم على تلك الصفة , والفعل بمجرده لايدل على الوجوب) (231).

وقد يستدل لهؤلاء بما قاله قوم من النحاة من أن "ثم" لاتدل على الترتيب , فقوله سبحانه وتعالى : (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) [الزمر: 6] , فإن خلق الزوج ليس بعدم خلقهم من نفس واحدة (232).

*** الفاء: جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** ( إنما الإمام ليؤتم به , فلا تختلفوا عليه , فإذا كبر فكبروا , وإذا ركع فاركعوا , وإذا قال: سمع الله لمن حمده , فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد , وإذا سجد فاسجدوا , وإذا صلى جالسًا فصلوا جلوسًا أجمعون.)(233)

اختلف علماء الفقه في معنى متابعة المأموم للإمام على مذهبين :

المذهب الأول : مذهب جمهور علماء الفقه أن المتابعة تكون بالتعقيب , لذا تكره عند هؤلاء المقارنة , أي مقارنة أفعال المأموم للإمام .

المذهب الثاني : مذهب الحنفية ومن وافقهم من الفقهاء أن المتابعة تكون بالمقارنة .(234)

**الأثر النحوي** :استدل أصحاب المذهب الأول أن الفاء هنا فاء التعقيب , وهو أن المعطوف وقع بعد المعطوف عليه بغير مهلة , أو بعده بمدة قريبة , جاء في الكتاب لسيبويه : "والفاء تضم الشيء إلى الشيء , كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في أثر بعض , وذلك قولك : مررت بعمرو فزيد فخالد " (235), وجاء في المقتضب للمبرد :"وهي توجب أن الثاني بعد الأول وأن الأمر بينهما قريب"(236)وبناء على ذلك يقول ابن قدامة في المغني : " وقوله : فإذا ركع فاركعوا , يقتضي أن يكون ركوعهم بعد ركوعه ؛ لأنه عقبه به بـ " فاء التعقيب " فيكون بعده , كقولك : جاء زيد فعمرو , أي : جاء بعده , وإن وافق إمامه في أفعال الصلاة فركع وسجد معه أساء وصحت صلاته "(237) واستدل أصحاب المذهب الثاني ـ الحنفية ـ أ ن الفاء هنا جوابية , تفيد الربط ؛ لأنها وقعت جواباً للشرط , وعلى هذا لاتقتضي تأخر أفعال المأموم على الإمام .والراجح ـ والله أعلم ـ مذهب الجمهور للأسباب الآتية :

1ـ أن التعقيب يستفاد من تقدم الشرط على الجزاء .

2ـ بينت السنة أن أفعال المأموم تكون متأخرة عن الإمام , إذ جاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم : " إنما جعل الإمام ليؤتم به , فإذا كبر فكبروا , ولا تكبروا حتى يكبر , وإذا ركع فاركعوا , ولا تركعوا حتى يركع ..."(238)

يقول الإمام النووي : " وفيه ـ الحديث ـ متابعة المأموم لإمامه في التكبير , والقيام , والقعود , والركوع , والسجود ,وأنه يفعلها بعد الإمام , فيكبر تكبيرة الإحرام بعد فراغ الإمام منها , فإذا شرع فيها قبل فراغ الإمام منها لم تنعقد صرته , ويركع بعد شروع الإمام في الركوع وقبل رفعه منه , فإن قارنه أو سبقه فقد أساء ولكن لايبطل ..." (239)

ـ جاء في صحيح البخاري , وصحيح مسلم , وسنن أبي داود : " عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا ؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه " (240)
اختلف علماء الفقه في موضع تأمين المأموم على مذهبين :
المذهب الأول : مذهب الجمهور أن تأمين المأموم يقارن تأمين الإمام .
المذهب الثاني : مذهب جماعة من أهل العلم أن تأمين المأموم يتأخر عن تأمين الإمام.

**القاعدة النحوية :**

استدل أصحاب المذهب الأول ـ وهم الجمهور ـ أن " الفاء " هنا ليست للتعقيب , بل هي الرابطة ؛ لوجود قرينة تصرف إلى هذا المعنى , جاء في فتح الباري : "وقوله : إذا قال الإمام :"ولا الضالين " فقولوا : " آمين " , معناه : قولوا مع الإمام حتى يقع تأمينكم وتأمينه معاً, فأما قوله : " إذا أمن فأمنوا " فإنه لا يخالفه ولا يدل على أنهم يؤخرونه عن وقت تأمينه , وإنما هو كقول القائل : إذا رحل الأمير فارحلوا , يريد : إذا أخذ الأمير فتهيؤوا للارتحال , ليكون رحيلكم مع رحيله . " ( 241)
واستدل أصحاب المذهب الثاني أن الفاء للتعقيب والحديث على ظاهره يقول ابن حجر : " قوله : " فأمنوا " استدل به على تأخير تأمين المأموم عن تأمين الإمام ,لأنه رتب عليه بالفاء ." ( 242)
والراجح ـ والله أعلم ـ مذهب الجمهور لما يأتي :
1ـ إن" الفاء" تدل على التعقيب إلا إذا قامت قرينة على خلاف ذلك , فقوله عليه الصلاة والسلام : " إذا أمَّن فأمنوا "أي إذا شرع في التأمين , وهذا من سنن العرب في كلامهم , فمن عادتهم أنهم يعبرون بالفعل عن إرادته , وأكثر ما يكون ذلك بعد أداة الشرط ,.(243)
2ـ جاءت السنة مبينة لهذا المعنى , فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا قال الإمام : {غير المغضوب عليهم ولا الضالين } ( الفاتحة 7) , فقولوا ( آمين ), فإنه من وافق قوله قوا الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه " (244).

**<u>حرف العطف الواو:</u>**

جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم : " عن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : " لا تسأل الإمارة , فإنك إن أوليتها عن مسألة وكلت إليها , وإن أوليتها من غير مسألة أعنت عليها ,وإذا حلفت على يمين فرأيت خيراً منها , فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير "(245)
اختلف علماء الفقه في حكم تقديم الكفارة بعد الحلف وقبل الحنث وانقسموا على مذهبين :

المذهب الأول : مذهب أكثر أهل العلم جواز تقديم الكفارة على الحنث .
المذهب الثاني :مذهب الحنفية أن الكفارة لا تجزيء قبل الحنث ؛ لأنها لاتجب عليه بنفس اليمين , وإنما يكون وجوبها بالحنث .(246)
القاعدة النحوية :
استدل الجمهور بأن الواو قد تقتضي الترتيب , يقول صاحب الإحكام : " للحديث تعلق بالتكفير قبل الحنث , ومن يقول بجوازه قد يتعلق بالبداءة بقوله عليه السلام : فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير " (247), واستدلالهم بأن الواو تدل على الترتيب ضعيف ,؛ لأن الواو لا ترتب , وللحديث رواية أخرى " فائت الذي هو خير وكفر عن يمينك " (248)
ويستفاد تقديم الكفارة على الحنث من قوله عليه السلام :فكفر عن يمينك ثم ائت الذي هو خير " (491)
قال الخطابي : " فيه دليل على جواز تقديم الكفارة على الحنث , وهو قول أكثر أهل العلم . " (250)
**المبحث الحادي عشر إعراب الفعل :**
**جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم ,وسنن أبي داود ,والنسائي** " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا ينولن أحدكم في الماء الدائم الذي لايجري , ثم يغتسل فيه " (251)
**القاعدة النحوية :**
الرواية الصحيحة " يغتسلُ" برفع اللام , ولا يجوز النصب , والجزم ليس بشئ , فالنصب لايجوز ؛ لأنه لاينصب بإضمار "أن" بعد "ثم".(252)
وأما الجزم " ثم يغتسل" بالعطف على " لايبولن" فليس بشيء, إذ لو أراد ذلك لقال " ثم لا يغتسلن" , لأنه بذلك يكزن عطف فعل على فعل , لا عطف جملة على جملة وحينئذ يكون الأصل مساواة الفعلين في النهي عنهما ,وتأكيدهما بالنون المشددة , فإن المحل الذي تواردا عليه هو شيء واحد وهو الماء , فعدوله عن "ثم لا يغتسلن " إلى " ثم يغتسل " دليل على أنه لم يرد العطف , وإنما أراد التنبيه على مآل الحال , ومعناه إذا بال فيه قد يحتاجه فيمتنع عليه استعماله ؛ لما وقع فيه من البول .(253)
وذهب ابن مالك إلى جواز الأوجه الثلاثة : الرفع :على تقدير : ثم هو يغتسل فيه والجزم:عطفا على " يبولن"؛ لأنه مجزوم الموضع بـ"لا" الناهية , ولكنه بني على الفتح لتوكيده بالنون , والنصب : على إضمار "أن " وإعطاء "ثم" حكم "واو الجمع" , (254).
وفي شرح صحيح مسلم : جواز الوجهين الرفع والجزم ,وأما النصب فلا يجوز؛ لأنه يقتضي أن المنهي عنه الجمع بينهما دون إفراد أحدهما ,وهذا لم يقله أحد ,بل البول فيه منهي عنه سواء أراد الاغتسال فيه أو لا .(255)

والراجح ـ والله أعلم ـ هو جواز الأوجه الثلاثة كما ذهب إلى ذلك ابن مالك .
جاء في صحيح البخاري " عن أبي هريرة رضي الله عنه :أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" (256)
أجمع العلماء على أن السواك سنة مستحبة .

**القاعدة النحوية :**

"لولا" حرف يدل على انتفاء الشيء لوجود غيره , جاء في الجني الداني " لولا على أربعة أوجه أحدها :أن تدخل على جملتين اسمية ففعلية ؛ لربط امتناع الثانية بوجود الأولى , نحو : لولا زيد لأكرمتك , أي لولا زيد موجود , أما قوله عليه الصلاة والسلام :"لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " , فالتقدير : لولا مخافة أن أشق على أمتي لأمرتهم , أي أمر إيجاب ,وإلا لانعكس معناها إذ الممتنع المشقة , والموجود الأمر" (257)
جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود: " عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل "(258)
اختلف علماء الفقه في حكم غسل الجمعة , هل هو غسل للصلاة , فلا يتأخر بعد الجمعة , أو هو غسل ليوم الجمعة فيجزيء تأخيره إلى ما بعد الصلاة , وانقسموا إلى مذهبين :
المذهب الأول : مذهب الجمهور أن الغسل للصلاة , فيكون قبل الصلاة
المذهب الثاني : مذهب الظاهرية أن الغسل إنما هو ليوم الجمعة لا للصلاة , وأوله من بعد فجر الجمعة إلى قبيل الغروب (259)

**القاعدة النحوية:**

استدل الجمهور بأن قوله صلى الله عليه وسلم :"إذا جاء"بمعنى : أراد ؛ لأن العرب تعبر بالفعل عن إرادته. وفي ذلك يقول ابن هشام " وأكثر ما يكون ذلك بعد أداة الشرط نحو {فإذا قرأت القرآن فأستعذ بالله }" النحل :98" (260)
واستدل الظاهرية على صحة مذهبهم بأن "الفاء " في الحديث تعقيبية, وبذلك يعقب الفسل المجيء(261)
والراجح ـ والله أعلم ـ مذهب الجمهور للأسباب الآتية:
ـ إن جميع النصوص الواردة في هذه المسألة تدل على أن الغسل لصلاة الجمعة , في ذلك يقول ابن حجر " من اغتسل يوم الجمعة ثم راح , فهو صريح في تأخير الرواح عن الغسل , وعرف بهذا فساد قول من حمله على ظاهره , واحتج به على أن الغسل لليوم لا للصلاة "(262)

ـ أن قولهم بأن "الفاء للتعقيب" لايستقيم ؛ لأن الحديث فسر برواية أخرى , وهي قوله صلى الله عليه وسلم :" إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة فليغتسل "(263)ويكون المعنى ـ والله أعلم ـ : إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة فليغتسل , يقول فيذلك الإمام النووي :" إذا أراد أحدكم الجمعة فليغتسل " وفي رواية : من جاء منكم الجمعة فليغتسل , وهذه الثانية محمولة على الأولى , معناها : من أراد المجيء فليغتسل." (264)

**الخاتمة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد

فقد منَ الله علي بإتمام هذا البحث الذي كان يدور حول القاعدة النحوية وأثرها في تحديد الحكم الفقهي من خلال الحديث النبوي الشريف, حيث اتضح من خلاله العلاقة القوية التي تربط بين علوم اللغة العربية ـ وبخاصة النحو والصرف ـ والفقه الإسلامي, ومن أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث مايلي:

**1 ـ اتضح من خلال هذا البحث وأمثاله أثر الفقه وأصوله والحديث وعلومه في النحو العربي وأصوله ,وقد ظهر ذلك جليا في النواحي الآتية: المنهج، المصطلح، التداخل بين العلمين:**

(أ) من حيث المنهج : أفاد اللغويون بجمعهم اللغة من منهج المحدثين عند جمعهم للحديث ، فكان عند اللغويين من علوم اللغة ما كان عند المحدثين من علوم الحديث إلى حد كبير .وإن علم أصول النحو جاء ثمرة من علم أصول الفقه ، وقد سلك بالتصنيف في النحو على شكل التصنيف في القواعد الفقهية في بعض المصنفات

(ب) من حيث المصطلح : تأثرت العربية من حيث المصطلحات بعلم الحديث ، وعلم أصول الفقه ، وعلم القواعد الفقهية ، وعلم الفقه

(ج) من حيث الاستنباط : إن العربية كانت العدة للمحدث في قبول الخبر وشرحه ، وللفقيه في استنباط الحكم الفقهي ، وللأصولي في بناء قواعده وأحكامها

2- إن اللغة العربية كانت من الأسباب الأساسية لاختلاف المجتهدين من فقهاء هذه الأمة ، ويجب على طالب العلم الشرعي أن يأخذ حظه من هذه اللغة ، فالعلاقة بينهما طردية كما بين ذلك قسم من المحققين ، فلا تتحقق المعرفة الشرعية إلا بالمعرفة العربية , والإعراب فرع المعنى.

3 ـ حروف المعاني من أهم المباحث النحوية التي دخلت كتب أصول الفقه, وكتب شروح الحديث ، وكتب الفقه .

4- - عند تفسير نص شرعي بمقتضى اللغة يجب أن يراعى المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو االقليل .

5- إن اختلاف الأئمة رحمهم الله أمر وارد ولا لوم عليهم ؛ لأن أسباب الاختلاف موجودة ، فاختلافهم مقبول غير مذموم ، فهو من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد .

6- هناك كثير من الأحكام الفقهية اتضحت وحددت من خلال فهم القاعدة النحوية .

7- إن علماء الفقه وأصوله هم في الأصل نحويون ينتمون لأهل النحو ورجاله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**1. فهرس الهوامش والتعليقات**

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها،جلال الدين السيوطي ص 1
(2) مصطلحات علم أصول النحو، أشرف ماهر النواجي ص 123.
(3) ظاهرة الإعراب في النحو العربي، مد سليمان ياقوت: ص 72.
(4) الإيضاح في علوم النحو، أبو القاسم الزجاجي ص73
(5) 268/1
(6) 11-10/1
(7) انظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ص424
(8) انظر السابق 339- 343.
(9) انظر : الاقتراح 40, وخزانة الأدب 9/1
(10) انظر: العين , تهذيب اللغة , مقاييس اللغة , لسان العرب مادة(ن ح ا)
(11) الأصول في النحو 35/1
(12) الخصائص 34/1
(13) المقرب 45/1
(14) انظر : الحدود في النحو 14/1 , و حاشية الخضري على شرح ابن عقيل 11/1, شرح التصريح على التوضيح 14/1, حاشية الصبان على شرح الأشموني16/1.
(15) انظر : دور الرتبة في الظاهرة النحوية المنزلة والموقع د زام محمد غريب إ شريدة ص22 .
(16) انظر : بناء الجملة العربية للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف 75
(17) دلائل الإعجاز300
(18) السابق283.
(19) انظر المعنى في البلاغة العربية 36.
(20) انظر دور البنية الصرفية لطيفة النجار 145.
(21) انظر: دلائل الإعجاز 137.
(22) ) انظر: السابق40.
(23) انظر: لسان العرب مادة " ن ظ م"
(24) انظر: دلائل الإعجاز 64 وانظر تعريفه ص67 وص 300
(25) انظر: لسان العرب مادة "س ن د"
(26) انظر: التعريفات 43 , وانظر أ يضا مفتاح العلوم 38.

(27) انظر: الكتاب 23/1.
(28) انظر: دلائل الإعجاز 359 , والإيضاح في شرح المفصل 62/1 , شرح الكافية 19/1 - 20.
(29) انظر رأيه في الهمع 33/1.
(30) السابق 33/1.انظر الخصائص 14/1 -21 , لسان العرب (ك, ل , م)
(31) السابق
(32) انظر : شرح الكافية للرضي 1/ 19.
(33) الكتاب 1/ 122 .
(34) انظر الخصائص 26/1, لسان العرب ( ع , ر, ب).
(35) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك38.
(36) شرح الجمل لابن عصفور28/1.
(37) انظر: حلية الفقهاء 23 , والقاموس المحيط : (فقه).
(38) انظر: مفردات ألفاظ القرآن 642.
(39) انظر:إعلام الموقعين 219/1.
(40) انظر: المجموع المذهب 14/1 , ومفتاح السعادة 2/ 173 , وأبجد العلوم 400/2.
(41) انظر: المستصفى 4/1.
(42) انظر: مدخل الفقه الإسلامي 68 , ومصادر الفقه الإسلامي 3.
(43) انظر: المعتمد 9/1 , واللمع 4 , وبيان المختصر 14/1.
(44) انظر: مجاز القرآن 1/1 , والصحاح: (قرأ) , والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام 24/1.
(45) انظر: مناهل العرفان 15/1 , ومباحث في علوم القرآن 20.
(46) انظر: الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف 31 - 32.
(47) انظر: إصلاح المنطق 276.
(48) انظر: أساس البلاغة : (سنن) , ولسان العرب(سنن).
(49) انظر: السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي 7 , وأصول الحديث 18.
(50) انظر: فتح الباري 340/13 , والسنّة النبوية وبيان مدلولها الشرعي : 7-8.
(51) انظر: لسان العرب "ج م ع "
(52) انظر: الوجيز في أصول الفقه 179.
(53) انظر: لسان العرب"ق ي س "
(54) انظر: مفتاح الأصول129.
(55) انظر: علم أصول الفقه52.
(56) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل33
(57) المقصود بالشريعة : هي الأحكام التي شرعها الله لعباده , ليكونوا مؤمنين عاملين , على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة . وجماع هذه الأحكام: العقيدة , والفقه , ومستمدهما من الكتاب والسنة . فعلوم القرآن خادمة لكتاب الله , وعلوم الحديث خادمة للسنَّة , وعلم أصول الفقه خادم للفقه وتفرعت عنها علوم كثيرة , وسأشير هنا إلى أهمية العربية بالنسبة لكتاب الله المتمثلة بعلم التفسير , وأهمية العربية لعلم العقيدة.
(58) انظر: الصاحبي40.
(59) انظر : الرسالة 42, 46
(60) 70/2
(61) الرسالة :48

(62) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم 362/1-405.
(63) انظر : فضائل القرآن :350
(64) كتاب الإيمان111-112, وانظر أيضا : منهاج السنة النبوية201/1
(65) المفصل :3
(66) الموافقات53/5
(67) انظر المستدرك 499/2 , وانظر أ يضا أبجد العلوم 172/2
(68) الخصائص245/3, وانظر أ يضا انظر نشأة علوم الشريعة وتطورها وعلاقتها باالوحي237/1
(69) حماد بن زيد الأزدي شيخ الطرق في الحديث ت179هـ . انظر ترجمته في :سير أعلام النبلاء 156/7.
(70) ) المحدث الفاضل 525 , وانظر أ يضا إعراب الحديث النبوي29
(71) غريب الحديث 64/1
(72) 1/1
(73) انظر المعتمد 9/1
(74) مفتاح السعادة163/2
(75) المفصل3
(76) انظر قوله في :البحر المحيط 11/1
(77) 80
(78) تهذيب اللغة 202/1"قعد"
(79) الوجيز في شرح القواعد الفقهية 3
(80) 1/ 23 ,وانظر أيضا المزهر:3/2
(81) 191, وانظر أيضا هذا المجلس في تاريخ بغداد 14/ 151
(82) 1330/2والإمام الجو يني هو: عبد الملك بن يوسف أبو المعالي الشافعي "ت478هـ" انظر ترجمته في :
مجالس العلماء :191
(83) 5/1
(84) معنى ذلك : يستضيئون بها , إذ يجعلون الشحم زيتاً للمصابيح . انظر تيسير العلام 177/2
(85) أي: أذابوه حتى صار ودكا ,فيزول عنه اسم الشحم . انظر: معالم السنن 757/3
(86) صحيح البخاري 533/4, صحيح مسلم 1207/3, سنن أبي داود 756/3- 757
(87) انظر هذين المذهبين في:؛المفني 340/9,وإحكام الأحكام 142/2, وفتح الباري 535/4.
(88) 535/4
(89) 9/11
(90) انظر: إحكام الأحكام 142/2
(91) سنن أبي داود 758/3
(92) انظر فتح الباري: 535/4
(93) صحيح البخاري 455/3, "كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا 1496", وصحيح مسلم 50/1,وسنن أبي داود 242/2,وسنن الترمذي 21/3, وسنن النسائي 55/5.
(94) انظر المغني 283/2و وفتح الباري 456/3.
(95) انظر المغني 283/2

(96) انظر: الأصول في النحو115/2, وشرح الرضي4/2

(97) 404/1

(98) انظر: الكوكب الدري 90

(99) صحيح البخاري 10/ 330 صحيح مسلم 1646/3,وسنن النسائي 200/8.

(100) انظر الهداية شرح بداية المبتدى 81/3

(101) انظر فتح الباري 359/10.

(102) انظر عمدة القاري 14/22-15.

(103) انظر : طرح التثريب 221/3.

(104) الحديث في صحيح البخاري 10/ 359.

(105) فتح الباري :359/10..

(106) سنن الترمذي 9/1 , والمسند 125, وسنن الدار مي 175/1,و سنن أبي داود411/1

(107) انظر : البرهان في أصول الفقه317/1.

(108) السابق وانظر أيضا: أما لي ابن الحاجب698/2- 700

(109) 411/1

(110) انظر شرح بداية المبتدى 1/ 53

(111) انظر السابق , و انظر أ يضا تبيين الحقائق 103/1.

(112) انظر: بداية المجتهد 1/ 134

(113) انظر: المجموع شرح المهذب254/3

(114) 43/2.

(115) انظر: إحكام الفصول 444/1 , والفروق 44/2 - 45 , والأشباه والنظائر في النحو 56/2-57.

(116) انظر: بدائع الفؤاد 196/2-197.

(117) صحيح البخاري 606/2, صحيح مسلم 516/1.

(118) انظر: شرح الزرقاني 235/1 , و انظر أ يضاأوجز المسالك 322/2.

(119) انظر: بداية المجتهد210/1.

(120) انظر: إحكام الأحكام 339/1.

(121) انظر: فتح الباري 608/2.

(122) انظر: فتح الباري 608/2 , و انظر أ يضا تيسير علم أصول الفقه325.

(123) انظر: سبل السلام 14/2.

(124) صحيح البخاري 479/2 , , صحيح مسلم 599/2 , وسنن أبي داود 648/1 , وسنن الترمذي 398/2.

(125) انظر: فتح الباري 480/2.

(126) التقريب والإرشاد 92/3, 93.

(127) احكام الاحكام 130/1.

(128) انظر: فتح الباري 480/2.

(129) انظر: شرح الرضي 293/2.

(130) انظر: البحر المحيط 172/3 , ومعاني النحو 230/1.

(131) انظر: زاد المعاد 375/1.

(132) انظر: صحيح البخاري 349/1 , وصحيح مسلم 233/1 , وسنن أبي داود 76/1 , وسنن الترمذي 36/1.
(133) انظر: معالم السنن 76/1 - 77 , وإكمال إكمال المعلم 56/2.
(134) انظر: بداية المجتهد 12/1.
(135) 138/8 - 139 .
(136) المغني 71/1.
(137) انظر: تيسير العلام 27/1 , شرح المفصل 106/7..
(138) انظر: فتح الباري 350/1.
(139) انظر: سنن أبي داود 78/1
(140) سنن أبي داود 259/3, وسنن الترمذي 4/ 85 .
(141) انظر: طرح التثريب 207/5 , وحاشية الروض المربع 243/4.
(142) انظر: فتح الباري 743/9.
(143) نيل الأوطار:133/5
(144) انظر: المغني 364/9, وفتح الباري 743/9 , وسبل السلام 183/4.
(145) انظر: صحيح مسلم 465/1 , سنن أبي داود 390/1 - 391.
(146) انظر: معالم السنن 392/1 , وشرح صحيح مسلم 178/5 , والآداب الشرعية 427/1.
(147) انظر: البرهان في أصول الفقه 263/1, وشرح الرضي 244/1 .
(148) انظر: تيسير التحرير 302/1.
(149) انظر: صحيح البخاري 409/1 , وسنن أبي داود 105/1.
(150) انظر: بداية المجتهد 25/1 , وشرح صحيح مسلم 173/3 , وعمدة القارئ 103/3.
(151) انظر: إحكام الإحكام 112/1, والمنهل العذب المورود 111/1
(152) انظر: معالم السنن 105/1 - 106.
(153) انظر: شرح الرضي 211/1 , والبحر المحيط 44/4 , وسبل السلام 94/1 .
(154) انظر: صحيح البخاري 409/1 .
(155) إحكام الأحكام 111/1.
(156) انظر: عمدة القارئ 103/3.
(157) انظر: صحيح البخاري 344/1 , وصحيح مسلم 205/1 - 294 , وسنن أبي داود 78/1 - 79.
(158) انظر: بداية المجتهد 14/1 , والمغني 1/ 84 , وعمدة القارئ 9/3.
(159) انظر: إحكام الأحكام 76/1.
(160) انظر: شرح الرضي 324/2 , ومغني اللبيب 104/1 .
(161) انظر: الأزهية 283 , شرح المفصل 15/8.
(162) انظر: شرح الرضي 324/2 , ومغني اللبيب 104/1.
(163) شرح المفصل 14/8 - 15.
(164) انظر: إحكام الأحكام 76/1.
(165) انظر: سنن الدار قطني 83/1 , سبل السلام 66/1 , المغني 83/1.
(166) انظر: صحيح مسلم 216/1 , (246).
(167) انظر: صحيح البخاري 256/9 , وصحيح مسلم 1041/2 , وسنن أبي داود 586/2.
(168) انظر: مغني اللبيب 141/1 , رصف المباني 146, شرح الكوكب المنير 269/1.

(169) انظر: معالم السنن 587/2.
(170) انظر: الجنى الداني 105 , ومعاني النحو 21/3.
(171) انظر: بدائع الصنائع 277/2.
(172) انظر: معالم السنن 587/2 , وزاد المعاد 178/5.
(173) انظر: فتح الباري 265/9 .
(174) انظر: السابق 265/9 - 266.
(175) انظر: سنن النسائي 113/6.
(176) انظر: صحيح البخاري 312/1 , سنن الترمذي 110/1.
(177) انظر: فتح الباري 312/1 , وفيض القدير 452/6.
(178) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 598/2 , والجنى الداني 498 , والبحر المحيط 318/2.
(179) انظر: إحكام الأحكام 56/1.
(180) انظر: صحيح البخاري 150/4 , وصحيح مسلم 762/2.
(181) انظر: بداية المجتهد 313/1 .
(182) انظر: إحكام الأحكام 3/2.
(183) انظر: المقتضب 39/1 , و7/2 - 44 , ورصف المباني 223.
(184) انظر: سبل السلام 306/2.
(185) انظر: إحكام الأحكام 3/2 , وسبل السلام 306/2..
(186) انظر: الكاشف عن حقائق السنة النبوية 61/2.
(187) انظر: أمالي ابن الشجري 616/2 - 617.
(188) انظر: صحيح مسلم 762/2 , وسنن أبي داود 750/2.
(189) انظر: شرح صحيح مسلم 201/7.
(190) انظر: الصاحبي 113 , الجنى الداني 147 , مغني اللبيب 281/1..
(191) انظر: فتح الباري 161/4.
(192) انظر: صحيح البخاري 696/1 , صحيح مسلم 538/1 , وسنن أبي داود 632/1.
(193) انظر: شرح صحيح مسلم 314/6 , وأوجز المسالك 263/3.
(194) انظر: الأزهية 232 , ورصف المباني 323 .
(195) انظر: شرح صحيح مسلم 314/6.
(196) انظر: الجنى الداني 320 .
(197) انظر: الكتاب 225/4.
(198) انظر: شرح الزرقاني 341/1 - 342 .
(199) المنتقى 299/1.
(200) انظر: رصف المباني 234 , ومغني اللبيب 425/1 .
(201) عمدة القارئ 187/4.
(202) انظر: صحيح مسلم 539/1 .
(203) انظر: سنن أبي داود 632/1 - 633 .
(204) انظر: صحيح البخاري 364/1 , صحيح مسلم 224/1 , وسنن أبي داود 57/1 - 58.
(205) انظر: طرح التثريب 119/2.

(206) انظر: الأصول في النحو 5/2 , وارتشاف الضرب 501/3 , والأشباه والنظائر في النحو: 107/2 - 112.
(207) انظر: إحكام الإحكام 71/1 .
(208) انظر: فتح الباري 365/1 .
(209) انظر: سبل السلام 29/1.
(210) انظر: صحيح البخاري 456/1 , صحيح مسلم 235/1 , سنن أبي داود 56/1..
(211) شرح صحيح مسلم 191/3.
(212) انظر: فتح الباري 457/1 .
(213) انظر: سنن أبي داود 566/2 , سنن الترمذي 407/3- 408.
(214) انظر: معالم السنن 566/2 , نيل الأوطار 119/6.
(215) انظر: فتح القدير 157/3.
(216) انظر: سنن أبي داود 568/2.
(217) انظر: شرح الرضي 329/1.
(218) انظر: فيض الباري 282/4 .
(219) انظر: البحر المحيط 168/6.
(220) انظر: صحيح البخاري 14/4 - 15 , صحيح مسلم 859/2 , وسنن الترمذي 197/1 - 198.
(221) انظر: الجامع لإحكام القرآن 243/2 , وشرح صحيح مسلم 370/8 .
(222) انظر: مغني اللبيب 87/1 - 88.
(223) انظر: الكتاب 169/3 , والخصائص 348/1 , والأزهية 115 , ورصف المباني 131.
(224) انظر: شرح المفصل 97/8.
(225) انظر: إحكام الأحكام 60/2.
(226) سبق تخريجه في مبحث " حروف الجر معنى " إلى"
(227) انظر: إحكام الأحكام 57/1.
(228) انظر: الكتاب 438/1.
(229) انظر: سبل السلام 67/1 - 68.
(230) انظر: نيل الأوطار 141/1.
(231) انظر: مغني اللبيب 159/1 , ومعاني النحو 232/3 , وقد رد هذا الرأي بأجوبة كثيرًا.
(232) صحيح البخاري 266/2, وصحيح مسلم 309/1 - 310 , سنن أبي داود 401/1.
(233) انظر: المغني 309/1, وفيض الباري 22/2.
(234) 217/4.
(235) 10/1
(236) 309/1
(237) سنن أبي داود 404/1
(238) شرح صحيح مسلم 375/4.
(239) صحيح البخاري 333/2 , وصحيح مسلم 1/ 306 , وسنن أبي داود 1/ 576 .
(240) انظر : إ حكام الأ حكام240/1, وانظر أ يضا: فتح الباري 336/2.
(241) 326/2 والنص منسوب إلى الإمام الخطابي
(242) معالم السنن 1/ 575

(243) انظر : مغني اللبيب 902/2 , والمزهر 1/ 331.
(244) الحديث في صحيح البخاري 338/2
(245) صحيح البخاري 633/11 , وصحيح مسلم 3/ 1273 .
(246) انظر : معالم السنن 585/3.
(247) 273/2
(248) انظر : صحيح البخاري 11/ 745
(249) الحديث برواية ثالثة في سنن أبي داود 2/ 585
(250) انظر : معالم السنن 585/3.
(251) سبق تخريجه في مبحث حروف الجر, ومبحث حروف العطف..
(252) انظر فتح الباري 1/ 459 .
(253) انظر : شواهد التوضيح 220
(254) 191/3
(255) انظر : صحيح البخاري 476/2.
(256) انظر : فتح الباري 476/2.
(257) مغني اللبيب 359/1.
(258) صحيح البخاري 453/2و وصحيح مسلم 579/2, وسنن أبي داود 323.
(259) انظر : المنتقي 186/1, فيض القدير 323/1.
(260) مغني اللبيب 903/2.
(261) انظر فتح الباري 455/2.
(262) السابق
(263) صحيح مسلم 579/2, 844
(264) شرح صحيح البخاري379/6.

## 2. فهرس المصادر والمراجع


1- أبجد العلوم , صديق بن حسن القنوجي البخاري , منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي , دمشق 1980م

2- الإتقان في علوم القرآن ,عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة المصرية , صيدا , لبنان , 1988م.

3- أثر الحديث النبوي في اختلاف الفقهاء , عبد الله الحديثي , جامعة بغداد , 1996م .

4- الإجماع , محمد بن إبراهيم , ابن المنذر , تحقيق عبد المنعم أحمد , دار الثقافة , الدوحة 1987م.

5-إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام , محمد بن , ابن دقيق العيد , تحقيق مجمد حامد الفقي , مطبعة السنة المحمدية , القاهرة , 1955م .

6- إحكام الفصول في أحكام الأصول , سليمان بن خلف , أبوالوليد الباجي , تحقيق عبد الله الجبوري , مؤسسة الرسالة , بيروت, 1989

7-ارتشاف الضرب من لسان العرب ,محمد بن يوسف , أبو حيان الأندلسي , تحقيق د/ مصطفى أحمد النماس , مطبعة المدني و1984م.

8- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من الأصول , محمد بن علي الشوكاني , دار الفكر , بيروت ( ب. ت).

9- الأزهية في علم الحروف , علي بن محمد الهروي , تحقيق عبد المعين الملوحي , دمشق , 1971م.

10-أساس البلاغة , محمود بن عمر الزمخشري , دار صادر , بيروت , 1980م.

11- الاستشهاد بالحديث في اللغة . محمد الخضر حسين , بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية , ج / 3, القاهرة .1936

12- الاستيعاب , ابن عبد البر , تحقيق علي مجمد البجاوي , مطبعة نهضة مصر ( ب. ت)

13- أسرار البلاغة , عبد القاهر الجرجاني , تحقيق محمود محمد شاكر , مطبعة المدني ,ط 1991م .
14- الأشباه والنظائر , عبد الوهاب تاج الدين السبكي , تحقيق عادل عبد الموجود , وعلي عوض , دار الكتب العلمية , بيروت 1411هـ
15- الأشباه والنظائر في النحو , عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي,راجعة وقدم له : فائز ترحيبي , دار الكتاب العربي , بيروت 1984م .
16- الإصلاحات الفقهية , الشيخ عبد الوهاب خلاف , بحث منشور في مجلة اللغة العربية , ج 7 , القاهرة 1953م .
17- الأصول في النحو , ابن السراج , تحقيق عبد الحسين الفتلي , مؤسسة الرسالة , بيروت 1987م.
18- إصلاح المنطق , ابن السكيت , شرح وتعليق أحمد شاكر , وعبد السلام هارون , دار المعارف , مصر 1970م .
19- الاعتصام , الشاطبي دار المعرفة, بيروت ( ب ،ت ).
20- إعراب الحديث النبوي ,أبو البقاء العكبري, تحقيق عبد الإله نبهان , دمشق ,1986 م.
21- إعانة اللهفان من مصائد الشيطان , ابن قيم الجوزية , تحقيق محمد حامد الفقي, دار الفكر عمان (ب. ت )
22- الإغراب في جدل الإعراب , أبو البركات الأنبا ري , مطبعة الجامعة السورية , 1957م .
23- الاقتراح في علم أصول النحو ,السيوطي قدم له د/أحمد سليم الحمصي , د/محمد أحمد قاسم ,مطبعة جروس برس , ط 1988م .
24 -الإكليل في استنباط التنزيل , السيوطي , تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب , دار الكتب العلمية , بيروت 1985 م .
25- أمالي ابن الحاجب , عثمان بن عمرو , ابن الحاجب , تحقيق د/ فخر صالح سليمان , دار عمان , عمان 1409هـ
26 - أمالي الزجاجي , عبد الرحمن بن إسحاق , عبد السلام هارون ,دار الجبل , بيروت 1987م .
27 - أمالي ابن الشجري , هبة الله بن علي , تحقيق محمود أحمد الطناحي , مكتبة الخانجي , القاهرة 1992م .
28 - الأم , الشافعي , تحقيق محمد زهري النجار , دار المعرفة , 1973م .
29 - الإنصاف في مسائل الخلاف , أبو البركات الأنبا ري, تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , دار الجبل , بيروت ,1982م .
30- أوجز المسالك إلى موطأ مالك , محمد زكريا الكاندهلوي , دار الفكر ,1989م .
31-00أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ابن هشام الأنصاري , , تحقيق,محيي الدين عبد الحميد , المكتبة العصرية , صيدا (ب 0ت )
32 -البحر المحيط , أبوحيان الأندلسي , دار الفكر , 1978م .
33- البحر المحيط في أصول الفقه , الزركشي , , تحقيق مجموعة من العلماء , الكويت , 1988م .
34-بدائع الفوائد , ابن قيم الجوزية , دار الفكر (ب .ت)
35 -بداية المجتهد ونهاية المقتصد , محمد أحمد راشد ,دار القلم ,1988م .
36 -البرهان في علوم القرآن , الزركشي , تحقيق مصطفى عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية , بيروت 1988م.
37 -بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة , السيوطي , , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبةالعصرية , صيدا (ب .ت)
38-تاج العروس من جواهر القاموس , الزبيدي , دار الفكر , (ب .ت)
39- تاريخ بغداد , الخطيب البغدادي ,دار الكتاب العربي , بيروت (ب .ت )
40 -التبصرة في علوم الفقه ,أبو إسحاق الشيرازي , , تحقيق محمد حسن هيتو , دار الفكر , دمشق 1400هـ.
41- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق , عثمان الزيلعي , دار المعرفة , بيروت (ب . ت) .
42- التحرير في أصول الفقه ,ابن الهمام , مصطفى البابي الحلبي وأولاده , مصر 1350هـ.
43-تحصيل عين الذهب , الشنتمري , , تحقيق زهير عبد الحسن سلطان , دار الشؤون الثقافية , بغداد 1982م

44- تذكرة الحفاظ , الذهبي , دار الكتب العلمية , بيروت ( ب . ت)
45- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد , ابن مالك , , تحقيق مجمد كامل بركات , دار الكتاب العربي ,مصر 1967م.
46-التعريفات , الجرجاني ,دار الكتب العلمية , بيروت 1988م .
47- التفسير الكبير , الرازي ,دار إحياء التراث العربي , بيروت (ب .ت )
47- تلخيص المستدرك , الذهبي ,دار النصر الحديثة , الرياض( ب .ت )
49- تهذيب التهذيب , ابن حجر , حيد آباد 1320هـ.
50- تهذيب سنن أبي داود , ابن قيم الجوزية , دار المعرفة , بيروت 1980م .
51- تهذيب اللغة , الأزهري , , تحقيق مجموعة من العلماء , الدار المصرية للتأليف والترجمة , القاهرة , 1967م .
52-تيسير التحرير , الحنفي , مصطفى البابي الحلبي وأولاده , مصر, 1350هـ .
53-تيسير العلام شرح عمدة الأحكام , آل بسام , دار أولي النهي , بيروت 1994م .
54-جامع البيان عن تأويل آي القرآن , الطبري , دار الفكر 1988م .
55- الجامع لأحكام القرآن , القرطبي , دار الكتب العلمية , 1988م .
56-الجمل في النحو , الزجاجي , , تحقيق على توفيق الحمد , مؤسسة الرسالة , بيروت 1988م .
57- الجني الداني في حروف المعاني , المرادي , , تحقيق د/طه محسن , بغداد 1976م .
58،جواهر البلاغة , الهاشمي , مصر 1960م .
59- حاشية الصبان على شرح الأشموني , محمد بن غلي , مصطفى البابي الحلبي وأولاده , مصر ( ب .ت)
60- الخصائص , ابن جني , , تحقيق , النجار , دار الكتاب العربي , بيروت ( ب. ت)
61- دلائل الإعجاز , الجرجاني , , تحقيق محمود شاكر , مكتبة الخانجي , القاهرة 1984م .
62-دور الرتبة في الظاهرة النحوية"المنزلة والموقع",عزام محمد ذيب إ شريدة,دار الفرقان للنشر والتوزيع ,الأردن 2004م
63- الرسالة , الإمام الشافعي, تحقيق أحمد شاكر مصطفى البابي الحلبي وأولاده , مصر 1940م .
64-رصف المباني في شرح حروف المعاني , المالقي , تحقيق , تحقيق أحمد الخراط , دمشق 1975م .
65-زاد المعاد في هدي خير العباد , ابن قيم الجوزية , , تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدا لقادر الأرناؤوط , مؤسسة الرسالة 1987م .
66-سبل السلام شرح بلوغ المرام , الصنعاني , تحقيق محمد عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية , بيروت 1988م .
67-سنن ابن ماجة , مجمد بن يزيد , , تحقيق محمد عبد الباقي , دار إحياء التراث ( ب. ت)
68 - سنن أبي داود , سليمان بن الأشعث , , تحقيق عزت عبيد الدهاس وعادل السيد , دار الحديث , دمشق 1973م.
69-سنن الترمذي , محمد بن عيسى , تحقيق أحمد شاكر , ومحمد عبد الباقي, وكمال يوسف الحوت , دار الفكر 1988م .
70- سنن النسائي , أحمد شعيب , دار الحديث , القاهرة 1407هـ.
71 -شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك , عبد الله بن عقيل, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد , مكتبة دار التراث , القاهرة 1980م.
72-شرح الرضي على الكافية , رضي الدين الأسترابادي , دار الكتب العلمية , بيروت (ب .ت).
73-شرح صحيح مسلم , النووي , تحقيق خليل الميس , دار القلم , بيروت 1987م .
74- شرح القواعد الفقهية , أحمد الزرقا , تحقيق مصطفى أحمد الزقا ,دار القلم ,دمشق 1996م .
75- شرح الكوكب المنير , الفتوحي , ابن النجار, تحقيق د/ محمد الرحيلي , ونزيه حماد , جامعة أم القرى 1987م .
76-شرح المفصل , ابن يعيش ,عالم الكتب , بيروت (ب .ت).
77- الصحاح , الجوهري , , تحقيق أحمد عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين 1405هـ.

78- صحيح البخاري , البخاري , تحقيق عبد العزيز بن باز ,ومحمد فؤاد عبد الباقي , دار الكتب العلمية , بيروت 1989م.
79ـصحيح مسلم , مسلم , تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي , دار إحياء التراث العربي 1955م .
80ـطبقات النحويين واللغويين ,الزبيدي , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ,دار المعارف ,مصر1914م .
81 - طرح التثريب في شرح التقريب , العراقي وولده ولي الدين العراقي ,دار إحياء التراث العربي ,(ب.ت)
82ـالعدة في أصول الفقه , أبو يعلي الفراء , , تحقيق أحمد بن علي , مؤسسة الرسالة بيروت 1980م.
83- عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد , السيوطي , , تحقيق أحمد تمام , وسمير حلبي ,دار الكتب العلمية 1987م.
84- عمدة القاري شرح صحيح البخاري , العيني , دار إحياء التراث (ب.ت)
85ـفتح الباري شرح صحيح البخاري , العسقلاني , , تحقيق عبد العزيز بن باز ,ومحمد فؤاد عبد الباقي , دار الكتب العلمية , بيروت 1989م.
86- فتح القدير , ابن الهمام , دار إحياء التراث العربي(ب.ت).
87- 0فيض الباري على صحيح البخاري , الكشميري , دار إحياء المعرفة بيروت (ب.ت).
88- فيض القدير شرح الجامع الصغير , محمد عبد الرءوف المناوي , دار الفكر بيروت (ب.ت).
89- القاموس المحيط , الفيروز أبادي , المطبعة الحسينية ,مصر 1344هـ .
90ـالكتاب , سيبويه , , تحقيق عبد السلام هارون , عالم الكتب 1983هـ.
91- لسان العرب , ابن منظور ,بيروت 1968م.
92ـالمبسوط , السر خسي ,مطبعة السعادة مصر 1324هـ.
93ـالمثلث , ابن السيد البطليوسي, تحقيق صلاح مهدي علي الفرطوسي , دار الحرية بغداد 1982م.
94- المجموع شرح المهذب , النووي , مطبعة الإمام , مصر (ب.ت).
95ـمرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح , القاري , المطبعة الميمنية مصر 1309هـ.
96- المستصفي من علم الأصول , الغزالي ,دار الكتب العلمية بيروت 1987م .
97ـالمسند الإمام أحمد , بيت الأفكار الدولية ,الرياض 1998م .
98- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ,الرافعي , , تحقيق عبد العظيم الشناوي , دار المعارف مصر 1977م.
99- معالم السنن , الخطابي , , تحقيق عزت الدعاس ,وعادل السيد ,دار الحديث ,دمشق 1969م ,
100ـمغني اللبيب عن كتب الأعاريب , ابن هشام الأنصاري , , تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله , دار الفكر ,بيروت .1985
101ـمفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ,ابن قيم الجوزية , نشر مكتبة الأزهرية 1358هـ.
102ـالمقتضب ,المبرد , تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة , عالم الكتب بيروت (ب.ت).
103- مكمل إكمال الإكمال , السنوسي ,دار الكتب العلمية (ب.ت).
104- المنتقى شرح الموطأ, الباجي , دار الكتاب العربي بيروت (ب.ت).
105ـمنجد المقرئين ومرشد الطالبين ,ابن الجزري ,دار الكتب العلمية بيروت 1980م.
106ـموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ,د/خديجة الحديثي و دار الرشيد 1981م .
107- نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار , الشوكاني , دار الحديث , القاهرة بيروت (ب.ت).
108ـالهداية شرح بداية المبتدى , المرغيتاني,مصطفى البابي الحلبي وأولاده ,مصر (ب.ت).
109ـهمع الهوا مع شرح جمع الجوامع , السيوطي , تحقيق غبد العال سالم مكرم , دار البحوث العلمية الكويت 1977م .
110 - الواضح في أصول الفقه , د/ محمد سليمان الأشقر , الكويت 1987م.
111ـالوجيز في شرح القواعد الفقهية ,د/ عبد الكريم زيدان , مؤسسة الرسالة بيروت 1998م.

# دراسات قانونية

**الجوانب القانونية والسياسية للشركات العسكرية الدولية الخاصة**

الدكتور السيد مصطفي أحمد أبو الخير الخبير في القانون الدولي
مصر

# الجوانب القانونية والسياسية للشركات العسكرية الدولية الخاصة

الدكتور السيد مصطفي أحمد أبو الخير الخبير في القانون الدولي مصر

مقدمة

تتناول هذه الدراسة الجوانب القانونية والسياسية للشركات العسكرية الدولية الخاصة لبيان مدي شرعية وجود هذه الشركات وشرعية المهام التي تقوم بها في فصولين، الفصل الأول أختص بالجوانب السياسية لهذه الشركات وتكون من ثلاثة مباحث، الأول لنشأة وتطور ظهور هذه الشركات وفي الثاني ذكرنا أسباب ظهور هذه الشركات وفي الثالث أوضحنا المهام التي توكل إلي تلك الشركات وقد تبين لنا أنها ذات المهام الموكلة إلي الجيوش النظامية وقوات الأمن والشرطة في الدول وأساليب وطرق عمل تلك الشركات التي تميزت بالسرعة والقسوة غير المبررة. والفصل الثاني بعنوان الجوانب القانونية للشركات العسكرية الدولية الخاصة وتكون من ثلاثة مباحث الأول عرضنا فيه لموقف كل من المؤيدين والمعارضين لوجود وعمل تلك الشركات، وفي الثاني تناولنا الجهود الوطنية والدولية بشأن تلك الشركات من جهود دول الدول والمنظمات الإقليمية والعالمية، وفي الثالث بينا التكييف القانوني لهذه الشركات في القانون الدولي.

الفصل الأول

الجوانب السياسية للشركات العسكرية الدولية الخاصة

ظهر ت علي الصعيد الدولي بسرعة ـ رغم وجودها منذ زمن- ظاهرة الشركات العسكرية الدولية الخاصة التي تأخذ من القتل والحروب تجارة لها، وكانت مأساة العراق وما أثارته من مشاكل وأزمات سببا لظهور هذه الشركات علي السطح، مما استلزم دراستها وبيان الجوانب القانونية والسياسية لها، ونتناول في هذا الفصل الجوانب السياسية لهذه الشركات في مباحث ثلاثة الأول: لنشأة وتطور هذه الشركات والثاني لأسباب ظهور هذه الشركات والثالث لمهام وأساليب وطرق عملها.

## المبحث الأول

### نشأة وتطور الشركات العسكرية الدولية الخاصة

ترك الاستعمار الغربي لدول العلم العربي والإسلامي في أفريقيا وآسيا خلفه ظاهرة بغيضة تسمى (المرتزقة) أو (mercenaries) عبارة عن مجموعات من العسكريين الغربيين المتقاعدين ممن يبيعون خدماتهم العسكرية للحكومات أو رؤساء دول وصلوا إلى الحكم بانقلابات عسكرية مدبرة وبغير رغبة شعوبهم، حتى أصبح من الطبيعي أن نشاهد

حاكما من دول العالم الثالث يحرسه مرتزقة أجانب، أو حكومة ديكتاتورية تستأجر عملاء ومرتزقة أجانب لحمايتها بقوة السلاح من شعبها والتصدي لحركات المقاومة الوطنية..

وساعد على انتشار هذه الظاهرة في الربع الأخير من القرن الماضي الصراع بين القوى الدولية على ثروات العالم الإسلامي مع غياب وعجز الأمم المتحدة عن القيام بدورها في حفظ السلم والأمن الدوليين، وقد أنشئت أول شركة لذلك من طرف عضو سابق في الفرقة البريطانية الخاصة (جيم جونسون) وكان زبائنه في البداية من شخصيات سياسية وتجارية دولية، وكان العمل يقتصر على توفير الحماية وتدريب الحراسات الخاصة، وقد أدي التنافس بين الشركات الخاصة إلي تنشيط هذه المهنة وسرعان ما انتقل عمل هذه الشركات من الحماية الأمنية الخاصة إلى المشاركة في النزاعات والحروب كما حدث في انجولا وزائير ثم انتقلت الفكرة إلي أمريكا وبدأوا في تأسيس شركات أمن خاصة وكانت أهمها (كي بي أر) المملوكة من طرف (هليبورتون) من عام 1962م، ثم نوعت نشاطها من عام 1980م، وقد تطور هذا السوق وتلك التجارة من خلال إقامة علاقات بأجهزة المخابرات البريطانية والأميركية ووزارة الدفاع الأميركية([43]).

إن اللاعبين الأساسيين في هذا السوق الشركات الأميركية الكبرى خاصة شركات كي بي أر، بلاك ووتر، دين كورب وهي قادرة على تقديم عاملين على خطوط الجبهات الأمامية والخلفية، والجيش الأميركي هو الزبون الأهم في العالم لهذه الشركات، ففي حرب الخليج الثانية(1991م) قامت شركات اللوجستيك بتحصيل مبالغ مالية كبيرة نظير توظيفها ما يعادل(1%) من القوة العسكرية الأميركية ويحصلون يوميا علي ثلث موازنة الجيش الأميركي في العراق والبالغة 30 مليار دولار سنوياً، حيث يشغلون(10%) من القوة العسكرية الأميركية وتعد شركة (كي بي أر) الأكثر أهمية من بين شركات اللوجستيك في العراق حيث تشغل نحو 50 ألف مرتزق بعضهم للقتال لكن الأغلبية تعمل في الخدمات اللوجستية من طباخين وسواقيين وميكانيكيين والتموين ولديها عقد مع "البنتاجون" يصل إلى(11) مليار دولار([44]).

---

[43] – انظر في تفاصيل ذلك: ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير، التحالف الأسود وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات والصحافة ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة العدد(446)، الطبعة الأولي، 2002م. والنسخة الإنجليزية Whiteout The CIA, Drugs and the Press ALEXANDER COCKBURN and JEFFREY ST.CLAIR VERSO London, New York, 1999 .

44- الأستاذ/ توفيق المديني، دور المرتزقة في الحرب الأميركية على العراق، جريدة المستقبل العدد 2544 الصادر في 2007/3/1م، ص:20. ترجمة كتاب: طريق الجحيم العراقي تأليف: جون جيدس

وقد تطورت هذه الشركات فنشأت شركات عسكرية (قطاع خاص) في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وإسرائيل وجنوب أفريقيا وغيرهم من الدول، تقدم خدماتها لمن يطلبها نظير المال، مثل قلب نظام حكم ما (تكرر هذا السيناريو كثيرًا في أفريقيا) أو حماية رئيس دولة أو القيام بحرب صغيرة من الباطن ضد دولة مجاورة، وربما حماية آبار بترولية أو مناجم ماس.

وقد اشتهرت مجموعات فردية كثيرة من هؤلاء المرتزقة كما اشتهرت شركات لهم تتولى القيام بهذه الأعمال القذرة مقابل المال مثل جماعة (مايك المجنون) التي يقودها عسكري يدعى (هوار) لعب دورًا في قلب عدة حكومات أفريقية منها انقلاب جزر سيشيل عام 1981م وجماعة (السترات السوداء) بقيادة الفرنسي بوب دينار الذي شارك عدة مرات في قلب نظام الحكم في جمهورية جزر القمر الإسلامية، ومجموعة (تيم سبايسر) التي لعبت دورًا في المحاولة الانقلابية الفاشلة في بابوا (غينيا الجديدة) وغيرها الكثير)([45]).

ظهرت في الفترة التي يطلق عليها البعض العولمة ويسميها البعض الآخر الأمركة ويقول عنها فريق النظام الدولي الجديد، أيا كانت التسمية فنحن في عصر ما بعد الحرب الباردة([46])، شركات الحماية الأمنية أو شركات الأمن الخاصة سواء علي الصعيد الوطني أو الدولي بشقيه الإقليمي والعالمي، أي الشركات العسكرية الأمنية الخاصة، أو شركات الحماية الأمنية، أو شركات الأمن الخاصة أو الموظفون الأمنيين المتقاعدون أو المقاولون، أيا كانت تسميتهم فهي تخوض الحروب نيابة عن دول (الحروب بالوكالة) تحت زعم أن القطاع الخاص إذا كان شريكا في الأرباح فلا بد أن يكون أيضا شريكا في المخاطر، وأصبحت هذه الشركات من سمات وآليات العولمة وفرض الهيمنة ليس علي الدول فقط ولكن علي المجتمع الدولي والنظام العالمي وسوف نقوم بدراسة هذه الظاهرة من حيث النشأة والتطور والمهام والأهداف ونلقي الضوء علي ومهامها وأماكن عملها وأساليبها ومدي شرعيتها من حيث الوجود ومدي شرعية مهامها وأهدافها أي هل يمكن خصخصة العمل العسكري الحروب طبقا للقانون الدولي([47])؟

يعد ظهور هذه الشركات بمثابة انقلابا في الشئون العسكرية فهذه الظاهرة سوف تحدث تغييرا هائلا في الطريقة التي سيتم بها تنفيذ الحروب مستقبلا ورغم وجود سوابق تاريخية إلا أن هذه الظاهرة لم نشهدها منذ حوالي (250) عاما،

---

John Geddes: Auto route vers l'enfer Paru en November Editions Movie Planet. 2006 aux

45- الأستاذ/ خالد القرعان، في حروب الولايات المتحدة علي العراق وشعبه(3/1) جريد القبس الصادرة يوم 2007/5/14م بتصرف من المؤلف.

46 - الدكتور/ أحمد علي سالم، دراسات عن الحرب والسلام.. مراجعة لأدبيات الصراع الدولي، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام الصحفية، القاهرة العدد(170)،أكتوبر2007م، ص: 17.

47 - راجع للمؤلف، استراتيجية فرض العولمة الآليات ووسائل الحماية، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م. ص: 78 وما بعدها.

فلأول مرة في تاريخ الدولة القومية تتنازل الحكومات طواعية عن أحد أهم حقوقها وهو احتكار استخدام القوة بشكل شرعي وإعطائه لهذه الشركات وظاهرة البنادق المؤجرة أو خصخصة الحرب بدأت في التنامي بعد انتهاء الحرب الباردة وهي عبارة عن استبدال الجنود في أي مكان في العالم بمدنيين يملكون بنادق مؤجرة ولا يخضعون لأي من الإجراءات العقابية وفق المعايير العسكرية المعروفة والمتفق عليها على مستوى القانون الدولي([48]).

وقد شهد عقد التسعينات نموا متزايدا لهذه الشركات وعرفت باسم (Firms Private Security) وعملت الحكومة الأمريكية علي إتاحة المجال أمام هذه الشركات لأنها من جهة تمنح الحكومة الأمريكية فرصة شن حروب فيما وراء البحار بدون الحاجة للحصول علي موافقة من الكونجرس الأمريكي، وبدون علم وسائل الإعلام ويستخدم البنتاجون حاليا حوالي(700.000) عنصر من هذه الشركات وتدر صناعة الخصخصة العسكرية ربحا سنويا يقدر(100) بليون دولار من عمليات عسكرية أمريكية في حوالي خمسين دولة، وهذه الشركات الخاصة تحكمت في شن الحروب إلى الدرجة التي يصعب على الجيش الأمريكي أن يشن حربا بدون الاستعانة بمجهودات هذه الشركات، ورغم حالة السرية التي تفرض علي تعاملات البنتاجون مع هذه الشركات إلا أن بعض التقارير الصحفية تشير إلي أن حوالي ثلث الميزانية التي خصصت للعمليات العسكرية في العراق والمتضمنة أيضا عمليات وسط آسيا وأفغانستان (87 بليون دولار) سيتم إنفاقها علي عقود مع الشركات الخاصة([49])

أن ظاهرة استخدام مقاتلين في الحروب مقابل أجر مادي دون أن يكونوا من جنود تلك الدول أي يتمتعون بجنسية الدولة التي يحاربون معها ومن أجلها، أمر معروف في التاريخ الإنساني على مر الدهور وكر العصور، فالرومان كانوا من أوائل الإمبراطوريات الاستعمارية التي استخدمتهم فقد استغلت البرابرة من الجرمان والسلاف والهون في حروبها.

وفي القرون الوسطي زادت هذه الظاهرة انتشارا وتحديداً في حرب المائة عام التي قادتها الشركات العسكرية وتعد من أشرس المعارك الحربية التي قاتدها هذه الشركات، وحاول ملك فرنسا (جان الثاني لوبون) القضاء علي هذه الشركات لتنامي دورها وقوتها ولكنها اتحدت فيما بينها وسحقت القوات الملكية في معركة بريني في العام 1362م.

ويري البعض أن بداية تلك الظاهرة يعود لأيام إمبراطور اليونان كوزينوفون الذي جند عشرة ألاف يوناني للمحاربة في بلاد فارس مقابل مال([50]) بينما يري البعض الأخر أن تاريخهم الحقيقي يبدأ قبل الثورة

---

48 - أنظر للمؤلف كتاب الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة، دراسة قانونية سياسية، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

49- الأستاذة/ أميمة عبد الطيف، البنادق المؤجرة في العراق(1)، مجلة العصر، 2004/5/1م.

50- ميشال سايان، المرتزقة في العراق نهاية مثيرة للجدل/ مجلة الايكونومست، ترجمة محمد على حريصي، جريدة السفير اللبنانية، في 2006/11/8.

الفرنسية 1789م، ولكنها ظهرت بوضوح في الثلث الأخير من القرن الماضي خاصة في الدول الإفريقية التي تركها الاستعمار الفرنسي والبريطاني.

وبدأ التعاون بين شركات العسكرية والجيوش النظامية منذ حرب فيتنام وخصوصاً من قبل (السي آي إيه) ضمن برنامج سري عرف باسم (العمليات السوداء) فكان المرتزقة يرسلون لتنفيذ عمليات اغتيال وتخريب ضد مواقع وشخصيات فيتنامية لا تريد الحكومة الأمريكية التورط فيها مباشرة([51]).

ونظرا لسلوك الجنود المرتزقة وممارساتهم غير المقبولة وغير المسئولة مما جعلهم عنصرا مرفوضا من المجتمعات بصورة عامة، فقد وجدت في كثير من المجتمعات واشتهرت المرتزقة بأدوار منافية لقيم المجتمعات الإنسانية مقابل أجر دون أن تكون لهم قضية يقاتلون أو يقتلون من أجلها، وغالبا ما يكون المرتزق من العسكريين المتقاعدين خاصة الذين سبق وعملوا رسميا كأفراد حماية لمسئولين في دولهم أو حماية الأثرياء والمصارف وغيرها والمرتزق عادة ما يكون محترفا حياة الجندية التي يكتسب منها قدرة قتالية وكفاءة عالية لا تتوفر لمن لا يعيش حياة الجندية بصورة دائمة ويستخدم المرتزقة من قبل أنظمة أو دول أو جيوش أو شخصيات لتنفيذ سياساتها وتحقيق غاياتها بوسائل يحددونها([52]).

وقد انحسر دور هذه الطبقة المحاربة نتيجة تنامي دور الدولة القومية وتنامي المشاعر الوطنية التي ربطت المواطنةوالجندية بمدى انتماء الفرد أو الجندي بدولته من خلال الالتحاق بالجيش الوطني كتعبير عن انتمائه والتزامه بقضايا دولته، لكن أخذ هذه الدور يتنامى مرة أخرى في عصر العولمة مع انحسار التشريعات الوطنية التي تحظر على الفرد أو المواطن الانضواء في مؤسسات أو شركات تمتهن العمل العسكري لغايات الربح المادي بل زاد الطلب على هذا النوع من المحاربين من قبل مؤسسات ومنظمات منها بعض المنظمات التابعة للأمم المتحدة) ودول نظرا لاعتبارات مختلفة أبرزها الحرفية والكفاءة التي يتمتعون بها وسرعة تعبئتهم لأداء المهام التي تطلب منهم دون الدخول بإجراءات بيروقراطية وإجرائية التي تأخذ وقتاً طويلاً حتى يتم تجنيد قوة محاربة.

كان لتداعيات عصر العولمة أعظم الأثر فى التغيير الذي طال العلاقات الدولية وتنامي دور الشركات متعددة الجنسية بحيث أصبحت لهذه المؤسسات الضخمة والمندمجة دوراً كبيراً في رسم بعض السياسات الخاصة لبعض الأطراف على حساب القواعد السائدة في الدولة القومية فالأخيرة لم تعد تتحكم

---

51 - أنظر: ويليام بلوم، الدولة المارقة دليل إلي الدولة العظمي الوحيدة في العالم، ترجمة، كمال السيد، المشروع القومي للترجمة، العدد(463)، إصدار وزارة الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولي2002م.راجع النسخة الإنجليزية: William Blum, ROGUESTATE. AGuide to the World’s Only Superpower, Zed Books ltd,U.K New updated edition,2002.

52- القانون الدولي والشركات العسكرية والأمنية الخاصة، الصليب الأحمر الدولي، 2006/5/23.

وسائل الإنتاج في هذا العصر حيث أصبح للقطاع الخاص دورا رياديا في توجيه الدول حتى لو اقتضى الأمر تغييب الدولة ومؤسساتها مقابل مصالح فئات مختلفة ومن هذه الشركات أخذت دوراً قيادياً في توجيه مصالح الدول القومية المتعلقة بتوفير الأمن والحماية وهي تعبير للمزاوجة بين القطاعين العام والخاص حيث يوكل الأول للثانية بعض المهام التي تدخل في صميم عمله ليقوم بها([53]).

ومع زيادة الصراعات الدولية علي الصعيد الدولي والإقليمي والوطني فقد انتشرت ظاهرة الشركات العسكرية الخاصة للقيام بوظائف جديدة كانت من قبل تدخل ضمن مهام الجيوش الوطنية كتأمين إمداد القوات المحاربة بالمؤن والسلاح والقتال أيضا كما جرى في حروب أهلية في بعض الدول الأفريقية وفي يوغسلافيا السابقة وأفغانستان وفي العراق حاليا ([54]).

ومن ذلك في 2004/3/7 جرى في زيمبابوي القبض على طائرة كانت تحمل سبعين من المرتزقة متجهين إلى غينيا الاستوائية لتدبير انقلاب مسلح، لأن تلك الدولة الصغيرة النامية هي ثالث أكبر منتج للبترول في جنوب الصحراء بعد نيجيريا وأنجولا. وفي 4002/8/25 اعتقلت سلطات جنوب أفريقيا مارك نجل مارغريت تاتشر رئيس وزراء بريطانيا الأسبق لعلاقته بتلك المحاولة الانقلابية تمهيداً لمحاكمته في جنوب إفريقيا فعلت ذلك تطبيقا لقانون صدر قبل سنوات قانوناً بتحريم وتجريم أعمال الارتزاق من هذا النوع.

وفي معظم الحالات يكون المرتزقة عسكريون سابقون يتم استئجارهم لتنفيذ مهام سرية لا تريد دولهم وشركاتهم تحمل مسؤوليتها علنا ومن أشهر الوقائع محاولة التخلص من باتريس لومومبا زعيم الكونغو وحادث الطائرة الذي مات فيه داج همرشولد أشهر وأفعل أمين عام للأمم المتحدة. لكن ما كان يجري على استحياء في سنوات الستينات اتسعت أبعاده تماماً بعد نهاية الحرب الباردة وانكشاف العالم الثالث أمام أكبر موجة لنهب موارده بالسياسة أحيانا وبالقوة الصريحة أحيانا وبالمرتزقة بين وقت وآخر أو بمزيج من الثلاثة في بعض الحالات([55]).

---

[53] - Robert Keohane:, After Hegemony, Cooperation and Discord in the World Political Economy, Princeton University Press, 1984.PP,11/12

[54] - Robert Goodin,( How Amoral, Is Hegemon? ) Perspectives on Politics, 1.1, 2003, PP124.

55- الأستاذ/ محمود عوض، المرتزقة.. بأوامر عليا، جريدة الحياة، 2004/9/5.

وتعمل هذه الشركات حاليا بحراسة رؤساء الدول القادمين عبر الانقلابات في دول العالم الثالث والتي عادة ما تكون مدبرة من الخارج، أو حماية حكوماتها وحماية آبار النفط ومناجم الماس في أفريقيا، وحتى القيام بانقلابات علي أنظمة الحكم التي ترفض الهيمنة كما حدث في جزر القمر بقيادة المرتزق الفرنسي بوب دينار، وفي دول أخرى مثل غينيا وجزر سيشل وغيرها من الدول.

يضاف إلى ما سبق وظائف جديدة خاصة بعد تنامي عمل الشركات الأمنية الخاصة على نطاق واسع في عصر العولمة لتشمل تقديم خدمات تدريب القوات وتقديم الاستشارات العسكرية لقوات الجيش والشرطة في البلدان التي يعملون فيها إضافة لبعض الوظائف التي تنجزها أجهزتها الأمنية الخاصة بها منها تقديم الدعم اللوجستي للانتشار العسكري وصيانة نظم الأسلحة وحماية المباني والمنشآت وحماية الأشخاص وتدريب قوات الجيش والشرطة وجمع المعلومات العسكرية وتحليلها واحتجاز واستجواب السجناء وفي بعض الحالات المشاركة في القتال وولاء هذه الشركات للمال وللشخص الذي يدفع أكثر مما دفعها إلى بالتورط بأعمال خطف مقابل الحصول فدية مالية.

وفي عصر العولمة تطورت المهام الموكلة لهذه الشركات بشكل لا سابق له في تاريخهم أو تاريخ الجيوش النظامية عامة والجيش الأمريكي والبريطاني خاصة، حيث توكل إليهم مهام حراسة مشاريع ما يسمى إعادة و أعمار العراق، وحماية الشخصيات المهمة كالحاكم المدني بول بريمر ومسئولين أمريكيين آخرين وحماية قوافل الإمدادات التي تمر في مناطق تقع تحت سيطرة المقاومة العراقية، وحماية العديد من المؤسسات الحكومية العراقية الحساسة ومقر الحكومة وقوات الاحتلال التي تعرف بالمنطقة الخضراء.

وتحاول الولايات المتحدة أن تصور للعالم أن أفراد هذه الشركات مقاولون أو متعاقدون تقتصر مهامهم على أعمال الحراسة وتأمين حماية المنشآت، ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما فالواقع أن هؤلاء يمارسون مهام قتالية ضد المقاومة العراقية إضافة إلى ارتكابهم جرائم ضد المدنيين العراقيين، وحاليا يوجد آلاف الشركات التي توفر المرتزقة في العالم ويوجد في العراق حاليا أكثر من خمسين شركة وأغلبها أمريكية إضافة إلى شركات بريطانية وإسرائيلية و جنوب أفريقية أيضا، ومن هذه الشركات من تمتلك أسطول طائرات هيلكوبتر([56])وتعقد هذه الشركات اتفاقيات مع بعض العشائر المحلية بالعراق.

وتشير الإحصائيات إلى وجود أكثر من 20 ألف مرتزق في العراق عام 2004 أصبحوا(100) ألف عام 2006م كما أن وجودهم الآن أصبح واضحاً وهم يتجولون في عربات مدرعة وكثير منهم مدججون بأسلحة للقتال بالغة التقدم وقد شكلت بعض الشركات العسكرية قوات للرد السريع ووحدات مخابرات خاصة بها تصدر يومياً تقاريرها الاستخباراتية التي تعتمد فيها على خريطة تواجدها في المناطق الساخنة وهذه في حقيقتها مهام تناط

---

[56] - صحيفة نيويورك تيمز في 2004/4/20م.

بالجيوش النظامية وليس بالشركات العسكرية وعناصرها مما يزيل الحدود بين ما هو مدني وما هو حربي في عمل هذه الشركات وهناك محاولات أميركية لتنظيم أكبر جيش خاص في العالم يضم هؤلاء وفرق إنقاذ خاصة ووحدات استخباراتية([57]).

وعمل هذه الشركات مع قوات الاحتلال في العراق مستور بالتعتيم الإعلامي من حيث المهام والعدد الحقيقي لخسائرها في العراق وأفراد هذه الشركات لا يرتدون الزى العسكري مما يجعلهم خارج الإحصائيات الرسمية التي يتولى البنتاغون الإعلان عنها وتحتل الشركات العسكرية الخاصة المرتبة الثالثة في القوات التي تدعم الجهود العسكرية الأمريكية والبريطانية في العراق ويبلغ الأجر اليومي الذي يتلقاه الفرد الواحد(1500) دولار يومياً.

كما ذكرت صحيفة الوطن السعودية أن ثلاثة شركات عسكرية خاصة تنفذ مهمات التدخل المسلح قد أغلقت أبوابها في بغداد ورحلت نهائيا عن العراق علي إثر تكبدها خسائر مادية وبشرية فادحة بفعل هجمات المقاومة العراقية ونقلت الصحيفة عن مصدر عراقي موثوق قوله أن هذه الشركات هي (كومبانيا الرومانية و اكزكيوتيف أوت كومس جنوب الإفريقية وساند لين البريطانية) ليرتفع بذلك عدد الشركات العسكرية التي تغلق أبوابها بالعراق إلى خمس شركات منذ نوفمبر عام 2003م ويرجع سبب مغادرة هذه الشركات لتدهور الوضع الأمنى وقلة العوائد والأرباح مقارنة بالمخاطر العالية وتكاليف التامين الباهظة.

وعلى الرغم من ذلك إلا انه حسب تقديرات غربية فان جيوش هذه الشركات بات الآن اكبر جيش اجتبى بالعراق بعد القوات الأمريكية وأصبح يفوق مجموع كافة القوات الأجنبية الأخرى غير الأمريكية بالعراق، وقد كشفت صحيفة "نيويورك تيمز" الأمريكية عن أن الولايات المتحدة تعتمد الآن على الشركات العسكرية لتنفيذ مهام حيوية بالعراق بصورة هائلة تفوق ما فعلته في أي حرب أخرى على مدى التاريخ العسكري الأمريكي كله. وأضافت أن البنتاجون يعتمد الآن على هذه الشركات لتوفير من تطلق عليهم الصحيفة (بجنود الظل) لتنفيذ أعمال حيوية كانت تكلف بها الجيش الأمريكي سابقا، وأشارت الصحيفة إلى أن هؤلاء من جميع أنحاء العالم فمنهم جنود كوماندوز عملوا سابقا في القوات البحرية في نورث كارولينا ومنهم عسكريون من نيبال وجنود خدموا نظام الفصل العنصري البائد في جنوب أفريقيا وقد أتوا بالآلاف إلى العراق وهناك العشرات من شركات الأمن الخاصة التي أقامت معارض لسلعتها في بغداد والأكثر أجرا بين هؤلاء هم الذين خدموا في وحدات القوات الخاصة المرموقة في العالم.

وتنفذ الشركات العسكرية عمليات قتالية أسوة بالجيوش النظامية على الرغم من إصرار قوات الاحتلال على عدم مسؤوليتها القانونية عن الأعمال الإجرامية التي يقوم بها أفرادها، وإن كان ثمة محاكم يفترض أن يقدموا إليها، فيجب أن تكون في

---

57 - أنظر: جيرمي سكيل، المرتزقة قادمون بلاكووتر كبري شركات تصدير فرق الموت، ترجمة الدكتورة فاطمة نصر و حسام إبراهيم، دار السطور الجديدة، القاهرة، 2007م.

والنسخة الإنجليزية: Jermey Scahill, BLACKWATER The Rise Of The World’s Most Powerful Mercenary Army, Nation Books, 2007.

.

موطنهم الأصلي وليس في العراق أماكن ارتكاب الجرائم، وبدأت الشركات العسكرية الدولية تعرض خدماتها على الحكومات في الدول المحتلة مباشرة للمساعدة في حفظ الأمن الداخلي وقد اتفقت الحكومة البريطانية مع إحدى هذه الشركات لحماية سفارتها في بغداد مقابل(15) مليون جنيه إسترليني.

وقد بدأت الخطوات العملية لخصخصة حرب العراق بدلا من القوات البريطانية والأمريكية تتم من خلال استبدال جنود الاحتلال الأمريكي والبريطاني بما تطلق عليهم الولايات المتحدة موظفي شركات الحماية الأمنية أو المتعاقدين الأمنيين مما يدل علي أن عملية انسحاب القوات الأمريكية والبريطانية قد بدأت في العراق وبلغت نسبة القوات البريطانية النظامية في العراق إلى قوات المرتزقة هي(1 إلى 6) حيث يبلغ إجمالي عدد أفراد هذه الشركات(41) ألف([58]).

المبحث الثاني

أسباب ظهور الشركات العسكرية الدولية الخاصة

يرجع ظهور الشركات في المجتمعات سواء القديمة أو مجتمعات العصور الوسطي والحديثة والمعاصرة إلي عدة أسباب سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية بل ودينيا نبينها.

**أولا: الأسباب السياسية([59]):** تعددت الأسباب السياسية التي يمكن اعتبراها من ضمن أسباب ظهور هذه الشركات العسكرية نجملها فيما يأتي:

1 – وجود مشروع إمبراطوري لبسط الهيمنة والسيطرة من قبل دولة استعمارية كبيرة بغية تمرير مشروعها وفرضه علي المجتمع الدولي أو النظام العالمي وقتئذ، كما فعلت الأمبراطرية الرومانية من قبل وهو ما تحاول فعله حاليا الولايات المتحدة الأمريكية وتتطلب هذه المهمة الكبيرة أعدادا كبيرة من الجنود لا تتوفر لهذه الدولة ولكن يتوافر المال اللازم لشراء واستخدام هذه الشركات.

2 – انحسار عصر الاستعمار العسكري مما جعل الدول الاستعمارية تستعمل حكام عملاء تحميهم بمثل تلك الشركات لحماية هؤلاء الحكام من شعوبهم لأنهم يؤدون لهذه الدول الاستعمارية خدمات أفضل وأرخص من الاستعمار العسكري.

---

58- صنداي تيمز في 2005/11/28م.

59 - أنظر في ذلك: مايك فبذرستون وآخرون، محدثات العولمة، ترجمة عبد الوهاب علوب، المشروع القومي للترجمة العدد(93)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995م. والنسخة الإنجليزية:

Mike Featherstone, SoottLash and Roland Robertson, Global Modermities, London, Sage, 1995.

- بنجامين باربر، عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة العدد(42)، 1998م. والنسخة الإنجليزية: BENJAMIN R. BARBER, Jihad vs. Mc World Published by Times Books, New York,1995

- الأستاذ / السيد ياسين، الحرب الكونية الثالثة عاصفة سبتمبر والسلام العالمي، مكتبة الأسرة، 2003م.

- الأستاذ خالد يوسف، الإمبراطورية الأمريكية التاريخ الأسود والعقيدة الفاسدة، سلسلة استراتيجيات، السنة الأولي العدد (4/3)، يناير أبريل 2005م، ص ،28.

3 – تفشي ظاهرة الظلم في المجتمع الدولي الذي أدي إلي قيام تنظيمات تدافع عن نفسها بدرء الظلم عنها أو يطلق عليه الغرب مصطلح (الإرهاب) مما هدد مصالح الدول الكبرى وظهور ازدواجية المعايير في التعامل مع القضايا والمنازعات علي الصعيد الدولي بل ظهرت حاليا ظاهرة تعدد المعايير في التعامل مع مثل تلك القضايا والمنازعات([60]).
4- عودة ظاهرة البلطجة الدولية أو بمعني أصح ظاهرة الدول الاستعمارية التي تريد فرض هيمنتها علي العالم ومن ذلك ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية وريثة الإمبراطورية الرومانية والاستعمار البريطاني والفرنسي ويؤيد ذلك ما ردده البعض من أن المبادئ الأربعة عشر التي نادي بها الرئيس الأمريكي ولسون أبان الحرب العالمية الأولي كان الغرض منها تفتيت الإمبراطورية البريطانية التي كانت لا تغيب عنها الشمس.
5 – يعتبر ظهور شركات الحماية الدولية أو الشركات العسكرية خطوة في طريق هدم بناء الدولة الحديثة حيث مر هذا البناء بعدة مراحل حتى أكتمل البنيان فمن الدولة الحارسة إلي الدولة المتدخلة إلي الدولة الحارسة مرة أخري التي تقتصر مهمتها علي حفظ الأمن العام داخل الدولة إلي الدولة ذات الدور المحدود فقد بدأت مرحلة انسحاب الدولة من كافة الأنشطة الاقتصادية ليقتصر دورها علي مهام الأمن والحراسة ثم بدأت مرحلة خصصت الأمن وعرضه في الأسواق مثل بقية السلع المادية لتنتهي بذلك الدولة كنظام سياسي قطعت البشرية ردحا طويلا من الزمن لبنائه، ويكون ذلك عن طريق عولمة كل ما هو داخلي فتنهار الدولة ولا يعد لها أدني دور، فالناحية الاقتصادية يتولاها القطاع الخاص والناحية الاجتماعية تتولاها منظمات المجتمع المدني التي تدار من الخارج لتحقيق أغراض وأهداف تمرير الهيمنة والسيطرة، والناحية العسكرية الأمن يتم خصخصته عن طريق الشركات العسكرية الخاصة التي بدأت تنتشر في كل رجا من أرجاء الأرض([61]).

ففي داخل الدولة الواحدة تجد شركات الأمن الخاصة لحماية الشخصيات التي ترغب في الحماية ولحماية الشركات التي بدأت تولي مهمة حفظ الأمن داخلها وخارجها ليلا ونهارا إلي شركات خاصة لتوفير نفقات إدارة الأمن داخل الشركات، إذا لا يبقي للدولة كمؤسسات ونظام أي دور حيث تخضع كافة الأنشطة للقطاع الخاص الذي يدار عن طريق الشركات متعددة الجنسية فما الداعي إذن لبقاء الدولة، خاصة وأن البرلمانات أصبحت تحت رحمة وسيطرة رجال الأعمال الذين أصبحوا نوابا في البرلمان فتم خصخصة السياسة وسنت هذه البرلمانات الخاصة قوانين لمصلحة رجال الأعمال دون النظر إلي المصلحة القومية العليا للدولة ودون وضع الشعوب ومصلحتها في

---

[60] - الدكتور: مصطفي سلامة حسين، ازدواجية المعاملة في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987م، 289.

61- الدكاترة: درية شفيق بسيوني والدكتور السيد عمر والدكتورة أحلام محمد السعدي فرهود، العلاقات الدولية والنظم الدبلوماسية والقنصلية، كلية تجارة، جامعة حلوان، 2006، 24 وما بعدها.

الاعتبار حتى أننا نجد أن هناك عائلات محدودة تتحكم في نشاط معين في الدولة كلها([62]).

**ثانيا، الأسباب العسكرية:**

1 – الرغبة في تنفيذ عمليات خارجة عن القانون من قبل دولة ضد حكومة دولة أخري أي القيام بانقلابات عسكرية لتغير الحكومات التي ترفض الهيمنة والسيطرة دون التورط علانية في مثل هذا العمل كما حدث في جزر القمر وبعض الدول الإفريقية.

2 – للتقليل من قتلي الدول التي اشتركت في حرب حتى لا يقوم الرأي العام الداخلي ضدها لكثرة القتلى من جنودها ولإخفاء هزيمة أو للانسحاب خفية حتى يظهر للعالم وللرأي العام داخلها هزيمتها كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا حاليا في العراق([63]).

3 – القيام بعمليات قذرة تخشي الدولة فعلها في العلن لما فيه من مخالفات جسيمة للقانون الدولي والقيم الأخلاقية كما فعلته الولايات المتحدة في فيتنام من عمليات اغتيال قادة وقتل بالجملة.

4 – تفشي ظاهرة الانقلابات العسكرية واعتلاء الحكم حكام عملاء للخارج يصلون إلي الحكم دون رغبة شعوبهم فيضطرون إلي حماية أنفسهم بمثل تلك الشركات، وهؤلاء الحكام تجدهم غالبا في الدول النامية الغنية بالموارد الطبيعية أو صاحبة موقع جغرافي متميز يتحكم في أحدي الممرات الدولية الهامة.

5 – من العوامل التي أدت لظهور هذا النوع من الشركات عمليات تسريح العديد من الجيوش التي تمت نتيجة لنهاية الحرب الباردة ومنها الجيش الأحمر وجيش ألمانيا الشرقية ونهاية نظام الأبارتيد في جنوب إفريقية وتسريح طبقة الضباط البيض وتم تكوين شركة لهم في جنوب أفريقيا وكذلك عملية تقليص الجيش الأمريكي إلي (60%) مما كان عليه في الماضي، مما خلق فائضا هائلا من العمالة العسكرية والخبرة التي كان يجب أن يتم الاستفادة منها بشكل أو بآخر في خدمة مد النفوذ الأمريكي وحمايته فيما وراء البحار فتم أنشاء مثل هذه الشركات لاستغلال الفائض في العمالة العسكرية المستغني عنه ولتنفيذ مشروع الإمبراطورية الأمريكية.

6 – وجود الشركات العسكرية الخاصة التي تنتج الأسلحة كما في الولايات المتحدة الأمريكية المجمع الصناعي العالمي وحسب أيديولوجية هذه الشركات تعتبر الشركات العسكرية الدولية مكملة لغرض إنشاءها لاستكمال منظومة الإنتاج والتوزيع مما يوفر لها منافذ للبيع، وقد ردد البعض أن ما دفع الولايات المتحدة لحربها ضد كل من

---

62- راجع في دور الدولة الحديثة الأستاذ الدكتور/ رمزي طه الشاعر، الأيديولوجيات وأثرها في الأنظمة السياسية المعاصرة، والقسم الأول الأيديولوجية التحريرية، مطبعة جامعة عين شمس، عام 1988م

[63] - الدكتور: عبد الله يوسف سهر، دوافع وتداعيات التدخل العسكري الأمريكي في العراق، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام الصحفية، القاهرة، العدد(170)، أكتوبر 2007 م، ص : 24 وما بعدها.

أفغانستان والعراق هو المجمع الصناعي العسكري حتى ذهب البعض إلي أنهم هم الذين قاموا بحادث الحادي عشر من سبتمبر([64]).
7 -إن استراتيجية الاعتماد عسكريا على الشركات الأمنية والعسكرية الخاصة أي (عسكرة الشركات وخصخصة الحروب) هي استراتيجية اعتمدها البنتاجون ومفادها خصخصة الكثير من المهمات التي كان يضطلع بها الجيش الأميركي ونظرية 'خصخصة' المهام العسكرية قامت على فكرة تحمس لها ديك تشيني نائب الرئيس الأميركي تدعو إلى إسناد الكثير من المهمات التي تقوم بها القوات النظامية التي تخوض حرب مثل حرب العراق إلى شركات خاصة بصفة 'مقاولات' بين البنتاجون وبين تلك الشركات، بحيث يؤدي ذلك إلى تخفيف عبء الكثير من المهام عن كاهل الجيش وهذه الفكرة فتحت الباب لشركات اميركية عديدة تقوم بمهام التموين والأعمال اللوجستية والأمنية وباتت تلقى قبولا في صناعة الجيوش الحديثة([65]).

إذا كانت كافة الأنشطة التي تمارسها الدولة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والاجتماعية خصصت وأصبحت سلعا تخضع لقوانين وآليات السوق فلماذا المحافظة إذن علي الدولة كنظام وبناء؟ حيث لا انتماء إلا إلي الربح ورأس المال الأجنبي الذي تدخل حتى في التشريع عن طريق رجال الأعمال الذين أصبحوا يسنون القوانين والتشريعات لمصلحتهم ولتحقيق أكبر قدر من الربح المالي دون اعتبار لأي قيم أو مبادئ.

**ثالثا: الأسباب الاقتصادية:**

1 – يستند أنصار هذه الشركات علي ضرورة مشاركة القطاع الخاص في الأخطار كما يشارك الدولة في الأرباح في قطاع الاستثمارات.
2 – انتشار البطالة في كافة دول العالم خاصة وأن مرتب الفرد في هذه الشركات قد يصل في اليوم إلي ما يقارب ألفي دولار.
3 – في الدول الغنية تزداد فيها الرفاهية مما يجعل شباب هذه الدول لا يقبلون علي حياة الجندية الخشنة التي فيها خطر الموت محتملا خاصة وأن معظم تلك الدول لا يوجد فيها تجنيد إجباري مما تعد معه الجندية وظيفة لاكتساب الرزق أي مثله مثل أي عمل مدني.

**رابعا: الأسباب الدينية:**

يري البعض منهم الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل في حديثة لقناة الجزيرة في ابريل2007م(إن الجيش الأميركي يستخدم فرسان مالطا كجيش بديل في العراق من اجل استمرار وجودها في العراق وتقليل نسبة الخسائر بين صفوفها وان احد فرسان مالطا كوّن شركة لتجنيد الناس لتقديمهم إلى الجيش الأميركي لاستخدامهم في العراق ودارفور تحت شعار

[64] - تييري ميسان، 11 سبتمبر 2001 الخديعة المرعبة، ترجمة الدكتورة داليا محمد والدكتورة جيهان حسن، شركة كاسف القاهرة باريس، الطبعة الأولي عام 2002م.
65- **زهير الدجيلي**، ثلث موازنة الحكومة العراقية تذهب للحماية

الصليب) أوضح هيكل([66])(أن وجود قوات المرتزقة بالعراق ليس مجرد تعاقد أمني مع البنتاجون تقوم بمقتضاه هذه القوات بمهام قتالية نيابة عن الجيش الأمريكي، بل يسبقه تعاقد أيديولوجي مشترك بين الجانبين يجمع بينهما، ألا وهو "دولة فرسان مالطا"([67] )الاعتبارية آخر الفلول الصليبية التي تهيمن على صناعة القرار في الولايات المتحدة والعالم) وقال هيكل: (لأول مرة أسمع خطابا سياسيا في الغرب واسعا يتحدث عن الحروب الصليبية.. هناك أجواء حرب صليبية)، مشيرا إلى حقائق كشف عنها الصحفي الأمريكي جيرمي سكيل في كتابه الحديث - السابق الإشارة إليه - عن شركة "بلاك ووتر" أكبر الشركات الأمنية المتعاقدة مع الإدارة الأمريكية في العراق، حيث أظهر العلاقة "الدينية" التي تجمعهما أن الغرض من إنشاء هذه الشركات غرض ديني أو بالأصح غرض صليبي هدفه إحياء الحروب الصليبية التي حدثت في الماضي، وقد استشهدوا علي ذلك من العلاقة الحميمة بين هذه الشركات ومنظمة فرسان مالطا أو فرسان المعبد أو فرسان القديس يوحنا، التي توقف وراء بعض هذه الشركات، وأيضا العلاقة والأساس الذي قامت عليه كبري هذه الشركات وهي شركة بلاووتر في الولايات المتحدة التي يقف وراء إنشاءها وتمويلها التحالف المسيحي الصهيوني أو المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية([68]).

**المبحث الثالث**

**مهام وأساليب وطرق عمل الشركات العسكرية الدولية**

**أولا: مهام الشركات**: اختلفت وتعددت المهام والوظائف التي تؤديها وتقوم بها الشركات العسكرية الخاصة وارتبطت ارتباطا وثيقا بأسباب نشأتها وسبب ظهورها، فقد كانت مهامها في بداية نشأتها تقتصر علي حراسة مداخل ومنافذ الشركات الخاصة الاستثمارية داخل الدولة حيث تقوم كل شركة استثمارية بعمل إدارة للأمن بالشركة تتكون من أفراد يقومون بحراسة الشركة ليلا ونهارا، ولما كثرت الشركات الاستثمارية الخاصة وبدأت حلقات

---

[66] موقع - www.curriki.org

[67] – للتعرف علي فرسان مالطا أنظر الموقع التالي: http://www.kwtelecom.com/heraldry/stjohn/sovord.html7

[68] - راجع تفصيلات عن اليمين المتطرف كتاب كيمبرلي بلاكر، أصول التطرف اليمين المسيحي في أمريكا، ترجمة هبة رءوف وتامر عبد الوهاب، مكتبة الأسرة، 2006م

- أنظر في تفصيلات أثر الدين علي السياسة الأمريكية كتاب: مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الجزء الأول مكتبة الشروق، الطبعة الأولي، 2001، ترجمة د/عصام فايز ود/ ناهد وصفي، والجزء الثاني، ترجمة د/زين نجاتي ومهندس نشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولي، 2002م.

التنافس والمضاربة تتزايد بينها وبين أصحابها عمد هؤلاء إلي حماية أنفسهم من منافسيهم باتخاذ ما يطلق عليه (بودي جارد) ثم انتشرت هذه الظاهرة بين رجال الأعمال وأصبح من المألوف أن تري أحد رجال الأعمال يتقدمه حرسه الخاص، ثم تطورت الظاهرة وأخذت بعدا أخر فقد انتقلت من عالم رجال المال والأعمال إلي مجال الفن حيث كانت الملاهي الليلية قديما تتخذ فتوات لحمايتها، وكذا كل طالب شهرة فقد رأينا بعض الفنانين يتخذون حرسا خاصا بدعوى حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم من منافسيهم، ومن رجال الفن إلي رجال الفكر والأدب وغيرهم.

وباتت معظم الشركات على مستوى العالم تولي أهمية قصوى لأمن المعلومات الخاصة بها وعمدت الكثير منها إلى وضع المعايير التي تعمل على رفع كفاءة سياساتها للحفاظ على البيانات من عمليات الاختراق والتسلل غير الشرعي وبرغم الجهود الضخمة في هذا المجال إلا أن المخاطر التي تهدد أمن المعلومات والشبكات قد زادت في الآونة الأخيرة مما دفع معظم الشركات للبحث عن حلول تقنية تحميهم من هذا خطر سرقة المعلومات الخاصة بهم.

وأصبح أمن المعلومات يحظى باهتمام بالغ من قبل الشركات في الشرق الأوسط خلال السنتين الماضيتين. وكنتيجة لذلك قامت عدة شركات باتخاذ إجراءات شاملة لتعزيز أمن البيانات لديها ورغم ذلك فأن عدد التهديدات القابعة في العالم الافتراضي يتزايد يوما بعد يوم بصورة سريعة وبناء على ذلك تقوم الشركات المحلية بإعادة النظر وتقييم أمنها ثانية لضمان عدم تعرضها لهجمات تخترق بياناتها وأنظمة المعلومات لديها مما قد يؤدي إلى تدميرها([69]).

وكانت الحراسات الخاصة تقتصر في السابق علي رجال الحكم من رؤساء و وزراء و محافظين وغيرهم تحت زعم الخوف عليهم من المعارضة وأنصارها ولكن في ظل العولمة وما ترتب عليها من احتكار وظلم وسرقات جعل كل شيء خاضع لآليات السوق وظروفه وملابساته، فأصبح الأمن سلعة تباع وتشتري مثل كافة السلع المادية.

ثم انتقلت تلك الظاهرة إلي الصعيد الدولي عن طريق توريد رجال الأمن فبدلا من توريد العبيد والرقيق في السابق أصبح الآن يتم توريد عبيد ورقيق ولكن لوظيفة محددة هي حماية شخصيات عامة وخاصة منها رؤساء دول وحكومات ووزراء و أنظمة دكتاتورية أو عسكرية أو مساعدة قوات الاحتلال في بعض المناطق المحتلة أو مساعدة قوات مسلحة في القيام ببعض المهام التي كانت في السابق من ضمن مهام القوات المسلحة الوطنية وما لبثت أن تطورت إلى شركات تمارس نشاطاها علناً في معظم دول العالم.

ومع تزايد حدة وعدد الصراعات الدولية أسندت لهذه الشركات مهام جديدة كتأمين إمداد القوات المحاربة بالمؤن والسلاح كما جرى في حروب البلقان وأفغانستان وفي العراق حيث كانت مهامهم ترتكز على حراسة

---

[69] ـ الدكتور: نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد(276، ديسمبر 2001م، ص 119 وما بعدها.

رؤساء الدول القادمين عبر الانقلابات في دول العالم الثالث أو حماية الحكومات نفسها وحماية آبار النفط ومناجم الماس في أفريقيا، وحتى القيام بقلب أنظمة حكم ما، كما حدث في جزر القمر بقيادة المرتزق الفرنسي بوب دينار، وكذلك في دول أخرى مثل غينيا وجزر سيشل وغيرها من الدول، يضاف إلى ما سبق مهام أخري خاصة بعد تنامي عمل هذه الشركات بعد الحرب الباردة لتشمل تقديم خدمات تدريب القوات وتقديم الاستشارات العسكرية لقوات الجيش والشرطة في البلدان التي يعملون فيها إضافة إلى بعض الوظائف التي تنجزها أجهزتها الأمنية الخاصة بها، حيث تقوم هذه الشركات (بتقديم الدعم اللوجستي للانتشار العسكري وصيانة نظم الأسلحة وحماية المباني والمنشآت، وكذلك حماية الأشخاص وتدريب قوات الجيش والشرطة، وجمع المعلومات العسكرية وتحليلها واحتجاز واستجواب السجناء، وفي بعض الحالات المشاركة في القتال )([70]). وتقوم هذه الشركات إضافة إلي ذلك بالمهام الآتية:

-الأمن الشخصي: Personnel Security للأشخاص والموظفين خصوصاً الوكالات الأمريكية والأجنبية والأمم المتحدة العاملين في مجال الدبلوماسية )كرول وكنترول ريسك

- خدمات المرافقة Escort Services :

- توفير خدمات الاتصال والمواصلات.

-إدارة الأزمات وحالات الاختطاف.Management

- استشارات الأمنية وتقدير المخاطر Risk Advisory Consulting and : assessment.

- تأمين المواقع والمنشآت والبعثات الدبلوماسية والشركات المدنية المنخرطة في إعادة الأعمار Site Security

- توفير الحماية الألكترونية ولقواعد البيانات.

- تطوير أنظمة الحماية والرقابة.

- الدعم اللوجستي والإسناد.

- مرافقة قوافل الإمدادات والأغذية سواء لجيوش الائتلاف أو للقطاع الخاص.

- تولي متابعة وتطبيق تنفيذ العقود التي تدخل في باب إعادة الأعمارفي العراق حيث تكلف هذه الشركات بالقيام بأعمال إدارية ووكالات لتنفيذ مهام المتعاقد الأساسي الذي يخشى تنفيذ هذه الأعمال بصورة مباشرة ([71]).

**ثانيا: أساليب عمل الشركات العسكرية:** الشركات العسكرية لها أساليبها الخاصة وقواعدها الداخلية التي تحكم عملها لتحقيق الهدف الذي تعمل لتحقيقه وهو تقديم أفضل الخدمات العسكرية و الحماية الأمنية فهي شركات تجارية غايتها الأساسية الربح كغيرها من الشركات التجارية تستخدم أساليب وطرق تسويقية للترويج لسلعتها، وتقاس قدرة الشركة وكفاءاتها بحجم وعدد القتلى من أفرادها فكلما زاد عدد القتلى بين صفوفها زاد الطلب على خدمات هذه الشركة باعتبار أن ذلك كفيل ببناء الثقة بهذه الشركة وتقوم الشركات ضمن خطتها التسويقية بضرب هالة من الرهبة على نشاطها وعلى أفرادها

---

70- موقع المختصر، 2005/11/18.

71- دار بابل للدراسات والأعلام موقع شبكة البصرة.

بحيث تتخذ هذه الشركات أوصافاً مختلفة مليئة بالعنف والقوة من منها عمليات الصقر والعين الحمراء والعسكريون المحترفون وغيرها من الأوصاف التي تدخل في النفس رهبة وخوف، بالإضافة لذلك فهي تتخذ أساليب أخرى سواء لنجاح عملها ولكسب مزيد من العملاء تتمثل في الآتي:
1 - تدريب موظفيها على الطرق المثلي لتجنب الخطر وتحديداً على المهام التي تدر أرباحاً عالية مثل التدريب على التعامل مع حالات الاختطاف وهي من أبرز مهام هذه الشركات وتوليها اهتماماً خاصاً نظراً للأموال الطائلة المحققة من وراءها.
2 - الاختطاف مقابل المال مما أجبر شركات الحماية تعيين أفراد ذو مهارات خاصة استقطبت مستشارين ومحللين سياسيين ومخبرين واستعانت بعدد من المخضرمين في هذا المجال.
3 - استخدام المواقع الإلكترونية للترويج لخدماتها ونشر ثقافة القتل والعنف وقد وضعت إحدى هذه الشركات وهي شركة (Aegis)فليماً على موقعها تعرض فيه قيام أفرادها بإطلاق النار باتجاه المدنيين العراقيين القريبين من عرباتهم ذات الدفع الرباعي وتقوم هذه الشركات في سبيل تقديمها لخدماتها باستخدام الأساليب الآتية:
1 - دفع مبالغ ضخمة مقابل الحصول على المعلومات الأمنية والإستخباراتية.
2 - عقد دورات تدريب وإرشاد لأفرادها حول طرق التعامل مع الخطر.
3 - تزويد العملاء بإرشادات تجعلهم هدفا يصعب الحصول عليه.
4 - استخدام السلاح دون اعتبار لإجراءاته وأوقات استخدامه.
5 - استخدام مختلف التقنيات سواء على صعيد الاتصال أو على صعيد الأسلحة حيث تستخدم جزء من هذه الشركات تقنيات عالية في مجال الاتصالات.
6 - تلجأ بعض هذه الشركات إلى العمل بعيداً عن القواعد والقوانين السارية في البلاد بحيث تمنح بعض هذه الشركات لنفسها صلاحيات احتجاز المواطنين ونصب الحواجز على الطرق دون ترخيص.
7 - وتقوم هذه الشركات باتخاذ العديد من الأساليب التي تحقق نجاحاً لمهماتها حتى لو انتهكت حياة وخصوصية الإنسان([72]).
وتتعدد الأساليب والطرق التي تعمل بها هذه الشركات وأغلب هذه الأعمال أو الأساليب المتبعة لا تحكمها قواعد قانونية أو إجرائية محددة، فالحصانة القضائية ضد الملاحقة القانونية التي يتمتع بها أفراد هذه الشركات جعلتهم بحل من الالتزام بأي قوانين، وفي العراق حيث تقوم هذه الشركات بعمليات قتل وتدمير وتدبير انفجارات عن طريق تلغيم السيارات المملوكة للأهالي عند تفتيشها وتنفجر هذه السيارات دون معرفة أصحابها ويذهبون ضحية هذه الأعمال القذرة، وقد قامت هذه الشركات بإشعال نار الفتنة الطائفية في العراق عن طريق تدبير انفجارات في مناطق السنة والشيعة وتفجير المساجد والمنازل مما أدي إلي سقوط ألاف الضحايا.
وقد استعانت الولايات المتحدة بهذه الشركات لكي تخفف من عدد قتلاها حتى لا تثير الرأي العام الأمريكي الذي بدأ يطالب بالانسحاب الفوري من

---

[72] - موقع: http://islammemo.cc/article1.aspx?id=45301

العراق بعد تزايد أعداد القتلى من الجنود الأمريكيين وقد قامت هذه الشركات بأعمال قذرة في العراق تعد انتهاكات جسيمة للقانون الإنساني وقانون الحرب وكل القيم والأعراف الدولية المستقرة والمطبقة في الحروب فهذه الشركات لا تقيم وزنا للقانون ولا للقيم والمبادئ والمثل الإنسانية العليا. وفي محاولة للحد من تزايد ضحايا هذه الشركات فقد ألزمتها وزارة الداخلية العراقية بعدد من الإجراءات هي:

1 - تم التنبيه علي جميع الشركات العسكرية العراقية والأجنبية لغرض تقديم جميع أولياتها ومعلوماتها وبشكل تفصيلي لوزارة الداخلية.

2 - إلزام الشركات العسكرية بوضع علامة خاصة بالشركة علي صدر أفرادها وعلى السيارات التي تستخدمها.

3 - إلزام الشركات العسكرية بمراجعة دوائر الضريبة وجلب براءة ذمة ومراجعة وزارة العمل والشئون الاجتماعية لضمان حقوق موظفيها من العراقيين.

4 - قامت وزارة الداخلية العراقية بمخاطبة مختلف البعثات الدبلوماسية والمنظمات الدولية وغيرها من المؤسسات والشركات بعدم التعاقد مع أي شركة عراقية أو أجنبية غير مجازة من وزارة الداخلية.

أن جزءا كبيرا من هذه التعليمات تم تطبيقها على الشركات العراقية فقط دون الشركات الأجنبية التي تعتبر نفسها فوق القانون ولا تتقيد بهذه التعليمات ولا بأي قانون ويقدر عدد العاملين العراقيين في هذه الشركات بحوالي المائة ألف شخص وقد قامت ولا زالت بأعمال حربية ضد عناصر المقاومة لصالح الجيش الأمريكي. لا تقتصر مخاطر هذه الشركات على قيامها بالأعمال الحربية المباشرة أو انتهاكاتها لحقوق الإنسان دون أي ملاحقة قضائية وإنشاء مليشيات مسلحة وعصابات تعيش على الاغتيال والخطف بل أنها تهدد البنية الأمنية لعراق المستقبل حيث يدخل العراق عبر بوابة أو غطاء الشركات الأمنية المئات من أجهزة المخابرات الأجنبية خاصة الإسرائيلية.

**الفصل الثاني**

**الجوانب القانونية الشركات العسكرية الدولية الخاصة**

إن من مستلزمات الوطنية الدفاع حتى الموت عن الوطن، ومن توابع الجنسية القتال دفاعا عن الوطن، فالوضع الطبيعي أن يدافع أبناء الوطن عنه ويفدونه بأرواحهم وأموالهم وينالون شرف الجندية في جيشه وقواته المسلحة للدفاع والذود عن أمنه وأمانه وعن سيادته وأرضه واستقلاله وحريته.

إلا أن هذا لأمر وطبقا لقاعدة ليس صحيح علي إطلاقه(فلكل قاعدة استثناء) هناك حالات يوجد بين المدافعيين عن الوطن والأرض والعرض جنود غير أبنائه، ففي حالات أقرها الشرع الإسلامي حيث جعل الدفاع عن أرض الإسلام فرض كفاية وواجب علي كل المسلمين حتى قال الفقهاء أنه في حالة احتلال جزء من أرض الإسلام يجب علي كل مسلم ومسلمة أن تخرج للجهاد والدفاع لتحرير هذا الجزء وتخرج المرأة بدون أذن وليها أو زوجها، فالدفاع هنا عبادة وطاعة لله أي لغرض إسلامي وليس غرضه وهدفه الحصول علي الكسب المادي فالمشاركة هنا تكون لصد عدوان وليس

للاعتداء علي أحد، وقد حدث ذلك منذ فجر الإسلام حتى الآن في أفغانستان والبوسنة والهرسك وفلسطين والشيشان والعراق([73]).

وقد أقر القانون الدولي للدول بصفتها الرسمية حق مساعدة الدولة التي تتعرض للعدوان ومساعدة حركات التحرر الوطني، فيحق لها أن السماح لمواطنيها بالقتال جنبا إلي جنب مع القوات العسكرية والجيوش النظامية للدولة المتعرضة للعدوان ومع أفراد حركات التحرر الوطني، ولها أيضا أن تمدها بالسلاح وذلك للدول فرادي وجماعات ولا تثريب علي الدول أن هي فعلت أيهما سواء في حالة الدفاع الشرعي طبقا للمادة(51) من ميثاق الأمم المتحدة وحالة الأمن الجماعي الدولي([74]).

ولكن منذ فترة بدأت ظاهرة (المرتزقة) تظهر علي الصعيد الدولي والإقليمي ولكن بشكل جديد في صورة (شركات عسكرية وأمنية خاصة) حيث جمعت العاطلين والعسكريين السابقين للقيام بأعمال عسكرية وأمنية واستخباراتية مقابل مبالغ مالية كبيرة، فيقوم أفراد تلك الشركات أما بالاشتراك الفعلي في القتال أو حراسة الشخصيات السياسية من رؤساء دول أو حكومات أو القيام بانقلابات عسكرية علي حكومات شرعية كما حدث في جزر القمر، وتمتلك تلك الشركات كافة أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة والأساطيل والطائرات، كما تقوم تلك الشركات ببعض الأعمال الأمنية منها حراسة الشركات الاقتصادية والتجارية.

مما يدل علي أن نعمة الأمن والأمان أصبحت سلعة تباع وتشتري كأي سلعة مادية أخري مثل السلع الغذائية والأجهزة الكهربائية والمنزلية المختلفة، وهذه الشركات العسكرية الدولية الخاصة سمة من سمات النظام الدولي الجديد(العولمة) التي جعلت من السوق آلها وخضعت نعمة الأمن والأمان لقانون العرض والطلب أي لمن يدفع أكثر دون الوضع في الاعتبار أي قيم أخلاقية أو مبادئ أو مثل إنسانية أو دينية المهم الكسب المادي.

ونظرا لخطورة ذلك علي السلم والأمن الدوليين ولأهمية الدور الخطير لهذه الشركات وتأثيراته علي السلم والأمن الدوليين، عرضنا كل ذلك علي مبادئ وقواعد وأحكام القانون الدولي المعاصر لنري مدي شرعية تلك الشركات من حيث النشأة والدور والهدف وتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث الأول لرأي الفقه الدولي في الشركات العسكرية الدولية الخاصة والثاني الجهود الوطنية والدولية بشأن الشركات العسكرية الدولية الخاصة والثالث: التكييف القانوني لهذه الشركات العسكرية الدولية.

**المبحث الأول**

---

[73] – راجع في ذلك: الدكتورة خديجة النبراوي، موسوعة أصول الفكر الإسلامي السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة النبوية الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، الجزء الخامس، دار السلام، القاهرة، 2004م، ص 2831 وما بعدها.

[74] – أنظر للمؤلف: النظرية العامة للأحلاف العسكرية، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص: 355 وما بعدها.

**رأي فقه القانون الدولي في الشركات العسكرية الدولية الخاصة**

اختلفت مواقف الدول وأرباب السياسة وأصحاب القرار وفقهاء القانون الدولي من الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة ما بين مؤيد لها ومتحفظ ومعارض لها فأنقسم الرأي حولها إلي قسمين ولكل أسبابه ومبرراته.

**الرأي الأول: مؤيد لوجود الشركات العسكرية والأمنية الخاصة(75):**

يقف علي رأس هؤلاء أصحاب تلك الشركات ومؤسسيها والعاملين فيها ومن وراءها وهذا منطقي وطبيعي، لأنهم يدافعون عن تجارتهم ومصدر رزقهم وعملهم الذي يدر عليهم دخلا أكثر من أي عمل أخر، ويستند هؤلاء في ذلك علي ما يلي:

1 – أنه لا فرق بين الشركات العسكرية والأمنية الخاصة والشركات العاملة في أي مجال اقتصادي أخر فأنشطتها مشروعة بدليل وجود قوانين تنظم نشأتها وعملها في دول المنشأ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية توجد عدة قوانين فيدرالية وأخري خاصة بالولايات تطبق علي أية شركة تعمل في مجال الأمن فلا بد أن تحصل علي تصريح حكومي قبل الدخول في أي ارتباط يرتب تقديم سلع أو خدمات عسكرية أو أمنية لأي عميل أجنبي سواء هذا العميل حكومة أو شركة.

2 – يصر أصحاب هذه الشركات علي وجود فروق بين ما تقدمه الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة من خدمات وأعمال وبين أنشطة المرتزقة، فهذه الشركات قواتها تحارب إلي جانب الحكومات الشرعية ذات السيادة ومن ثم فإن لها معايير أخلاقية تحكم وتتحكم في عملها واشتراكها في النزاعات، خلافا للمرتزقة الذين يهدفون إلي الكسب المادي من تدخلهم، كما أن وجود هذه الشركات يعزز التحول الديمقراطي في الدول التي تتدخل فيها، بدليل أن شركة(EO ) أصرت علي مطالبة حكومة ستراسر في سيراليون بتحول ديمقراطي حقيقي وأصرت علي ضرورة وضع جدول زمني لهذا التحول وهددت بالانسحاب عندما حاول النظام عدم الالتزام بتعهداته في هذا المجال.

3 – أن استعمال هذه الشركات أفضل من الناحية العملياتية عن القوات العسكرية النظامية في الآتي:

أ – سرعة نشر الأفراد التابعين لهذه الشركات.

ب – انخفاض نسبة القلق العام حول استخدام القوة.

ج – العمل كقوة مقابلة للقوات العسكرية المحلية في الدول ذات المؤسسات السياسية الضعيفة.

---

755– راجع في ذلك:

– تقرير مركز المراقبة الديمقراطية للقوات المسلحة بجنيف سالف الذكر.

– دراسة مجلة أفاق أفريقية، شركات الأمن ودورها في أفريقيا، العدد(20)، إصدار الهيئة المصرية العامة للاستعلامات، القاهرة.

4 – يري البعض أن تكلفة هذه الشركات أقل من تكلفة الجيوش النظامية للآتي:
أ – يمكن للشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة توظيف أفراد من شركات غير غربية تدفع لهم رواتب أقل بكثير من التي تدفع للأفراد الغربيين.
ب – يمكن للحكومات تقديم مزايا خفية لهذه الشركات مثل معاشات التقاعد والرعاية الصحية والتسهيلات المعيشية علما بأن هذه الأمور لا ينص عليها عقد العمل مع هذه الشركات.
ج – يمكن لهذه الشركات زيادة حجم القدرات التابعة لها دون الحاجة لدفع تكاليف صيانة طويلة الأجل للقدرات العسكرية أو عمليات شراء كامل الحصص والتي تحدث عادة عندما تخفض الجيوش النظامية من عدد قواتها.
د – ومن خلال تنفيذ عمليات أساسية لا تتعلق بالنزاعات المسلحة تسمح هذه الشركات للقوات المسلحة بالتركيز علي المهمات الجوهرية والمنوطة بها.
5 – واقترح البعض أن يتم شن تشريع ينظم عمل هذه الشركات العسكرية علي أن يراعي الأمور التالية:
- تحديد الأعمال والخدمات التي يسمح لهذه الشركات القيام بها أو تقديمها عن طريق وضع قائمة شاملة بالأعمال المسموح بها والخدمات التي يمكن تقديمها.
- إخضاع الأنشطة التي تضطلع بها هذه الشركات علي الصعيدين المحلي والخارجي للقوانين الجنائية والمسئولية المدنية.
- تنظيم كافة مراحل عملية إبرام العقود بما في ذلك التعاقد من الباطن والتدقيق المالي والقواعد العامة للمشتريات.
- إدراج شروط معيارية خاصة بهذه الشركات مثل تسجيل الشركات ومؤهلات المدير التنفيذي والطاقم الإداري والأمني وتحديد شروط خاصة بالأفراد المتقدمين للعمل بها وحفظ الملفات الخاصة بأنشطة الموظفين.
- تحديد جهة رقابية تكون مسئولة عن مراقبة تلك الشركات كوزارة الدفاع أو الداخلية أو كليهما أو أنشاء هيئة رقابية خاصة.
- يجب أن تخضع هذه الشركات للقوانين الأخرى المطبقة علي الأجهزة الأمنية التابعة للدولة وخاصة في البيانات والاتصالات نوعية الأعمال والخدمات.

**الرأي الثاني: المعارض لنشأة ووجود الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة:**

يذهب أنصار هذا الرأي إلي عدم مشروعية نشأة ووجود الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة، واعتبروا أفرادها مرتزقة كما أن وجود هذه الشركات يهدد السلم والأمن الدوليين كعادة المرتزقة علي مر الدهور وكر العصور، فظاهرة المرتزقة ليست حديثة فقد ظهرت في العصور القديمة حيث لم تكن الجيوش النظامية قد تكونت ومع قيام الدولة بمفهومها الحديث ومع تكوين الجيوش النظامية أستمر أيضا استخدام المرتزقة.
وقد بدأت ظاهرة المرتزقة تظهر علي السطح أبان ظهور حركات التحرر الوطني والاستقلال فقد استعانت بهم الدول الاستعمارية في إخماد حركات المقاومة الوطنية في المستعمرات التي تناضل من أجل الاستقلال

وخاصة أفريقيا واستعانت بهم الدول الاستعمارية في تشجيع الحركات الانفصالية فقد قاتل المرتزقة مع قوات تشومبي الانفصالية في كينشاسا في الفترة من 1962إلي 1964م، كما ظهر نشاط المرتزقة في الحرب الأهلية 1967 إلي 1970م، وفي الحرب الأهلية أنجولا عام 1976م وفي غزو جزر القمر وإسقاط الحكومة، فقد كان المرتزقة وقود الحروب التي يشعلها ويوجدها الاستعمار في أفريقيا([76]).

يمثل خطاب وزير الدفاع الأمريكي السابق(رونالد رمسيفلد) في (2001/9/10م) شهادة ميلاد تلك الشركات، والملاحظ أن هذا الخطاب الانقلابي قبيل أحداث(9/11) حيث قال(أننا نواجه اليوم عدوا خطيرا يهدد أمن أمريكا وكل من يرتدي الزى العسكري ربما ينصرف ذهنكم إلي أحد الطغاة في العصور السابقة ولكنه يحيا بين ظهرانينا أنه البيروقراطية التي تعتل وزارة الدفاع. وأنا لا أنوي مهاجمة البنتاجون بل تحريره من ذاته)، وفي صيف 2002م أزاح رامسفيلد الغموض الذي ورد في الخطاب السابق تحت عنوان التحول الثوري بالعسكرية الأمريكية فقال(لقد قررت تبني نموذج تجاري بالبنتاجون يعلن الحرب علي النمط البيروقراطي لنرتدي ثوب المغامرين الرأسماليين).

وفي النشرة الفصلية للبنتاجون(2006م) أعلن رامسفيلد عن خطته التي أطلق عليها(خريطة طريق من أجل التغيير)أشار إلي أن تطبيقها الفعلي بدأ عام 2001م حيث صنفت قوات وزارة الدفاع إلي قوات عاملة واحتياطية وخدمة ميدانية ومرتزقة وهؤلاء جميعا يشكلون الكثافة والقتالية لوزارة الدفاع) ولم يكن رامسيفلد صاحب الفضل الوحيد علي تلك الشركات بل شاركه وربما تفوق عليه(بول بريمر)الحاكم المدني السابق في العراق بإصداره القرار(17) الذي منح الشركات العسكرية والأمنية الخاصة حصانة ضد أية إجراءات قضائية([77]).

فالمرتزقة يشتركون في نزاعات مسلحة ذات طابع دولي رغبة في الحصول علي مزايا شخصية ويتم الاستعانة بهم في وقت السلم لغزو بلد معين من أجل قلب نظام الحكم فيه أو لشل الحياة الاقتصادية أو لإرهاب السكان المدنيين أو لمنع ممارسة شعب لحقه في تقرير المصير، ويزداد الطلب علي المرتزقة في كل النقاط الساخنة في العالم لأن اللجوء إليها بمثابة(حرب غير علنية) أو أداة للتدخل المقنع تلجأ إليه بعض الدول كقوة ردع أو إرهاب ضد دول لا تتفق معها أي لا تشاطرها ميولها السياسية([78])

76- **د. عبد الغني محمود**، القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة 2004، ص524./525.

77- **الأستاذة/ إيمان عمر الفاروق**، جيش المرتزقة في العراق يقتل مليون عراقي، مقال بمجلة الأهرام العربي، العدد513 السنة الحادية عشرة، يونيه 2007م، إصدار مؤسسة الأهرام الصحفية، القاهرة، ص11.

78- **د. أحمد أبوالوفا**، الفئات المشمولة بحماية القانون الدول الإنساني، بحث في كتاب القانون الدولي الإنساني دليل التطبيق علي الصعيد الوطني، إصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، عام 2003م، ص172.

**ويستند أنصار هذا الرأي لما يأتي:**

1 – أن الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة يدفعها تحقيق الربح وليس واجبها الوظيفي المنوط بها، حيث يعتبر التزام هذه الشركات محدود جدا مقارنة بالتزام القوات العسكرية النظامية أي الجيوش النظامية.

2 – أفراد هذه الشركات لا يخضعون لنظام التسلسل القيادي المعمول به في الجيوش النظامية، مما يعطي حرية كاملة لهم ينتج عنها العديد من الانتهاكات ليس لقانون وأعراف الحرب فقط بل لكل القيم والمثل والمبادئ الإنسانية.

3 – أن القوات المسلحة للدول لديها نطاق واسع من التدابير التأديبية إضافة إلي القانون العسكري ذاته مما يساعد علي الانضباط واحترام القانون الدولي الإنساني وتحقيق القيادة والسيطرة علي القوات الخاضعة لإمرتهم فضلا عن أدوات القيادة مما يكفل النظام وضمان المسئولية الجنائية المحتملة لتلك القوات ضباطا وجنودا وبالتالي فأن مسئولية القيادة تعد أداة لمنع انتهاكات القانون الدولي الإنساني من قبل الجنود والضباط خلال العمليات العسكرية، وهذا النظام غير موجود في الشركات العسكرية والأمنية الخاصة مما يستحيل معه ملاحقة عناصر هذه الشركات.

4 – لا يمكن أن تغطي العقود مع هذه الشركات العسكرية كافة الظروف الطارئة المحتملة بشكل مسبق، مما يؤدي إلي تقليص قدرة هذه الشركات علي التكيف مع ظروف النزاعات كما أنه من الممكن أن يؤدي ذلك إلي انعدام قدرتها علي التعامل مع الأوضاع غير المتوقعة.

5 – يفتقر الموظفون الذين لا يعملون في مجال النزاعات في هذه الشركات للتدريب الشامل الذي يمكن أن يعزز القدرات العسكرية لهذه الشركات عند الحاجة.

6 – أن الضغوط التي تمارس علي هذه الشركات لتخفيض نفقاتها قد تؤدي إلي اتخاذ قرارات تعرض حياة طاقمها للخطر وتمني مهمتها بالفشل مما يؤدي زيادة التوترات وعدم الاستقرار.

7– وفي حالة فشلها في أداء مهامها لأي سبب من الأسباب فإن هذه الشركات تعيق وتعرقل قدرة الجنود النظاميين علي تنفيذ المهام الموكولة إليهم.

8 – يتم دفع تكاليف لهذه الشركات علي أساس العقد مقابل للمهمات التي يؤديها عدد من جنودها في الميدان فمن الصعوبة إجراء مقارنة بين التكاليف التي تدفع لهذه الشركات وتلك التي تدفع للجيوش النظامية علي أساس تقييم العمل محل العقد ودرجة الإتقان والأداء.

9 – غالبا ما يتلقى موظفو هذه الشركات العسكرية تدريبا توفره الدولة لهم باعتبارهم أفرادا منتسبين للجيوش النظامية الوطنية في بلدانهم إلا أنهم حينما يتركون عملهم في القوات المحلية للعمل في وظائف توفر لهم دخلا أعلي في القطاع الخاص فإن التدريب الذي حصلوا عليه تعتبر عملية مساعدة لتنفيذ عمليات هذه الشركات العسكرية الخاصة وبالتالي يعمل علي تقليص الفائدة التي تعود علي القوات المسلحة الوطنية عند تدريب أفرادها.

10 – عادة يكون التعاقد مع هذه الشركات من الباطن حيث يتم تحرير العقد الواحد بين عدد من الشركات المختلفة مما يؤدي لتقليص الرقابة أو تراجع مستوي فعالية الخدمات التي تقدمها هذه الشركات للجهات المعنية إلي حد بعيد.

11 – الأموال التي تدفع لهذه الشركات تخرج من الدولة وعادة ما تكون بالعملة الصعبة(الدولار) مما يؤثر علي عملية التنمية الاقتصادية، أما الأموال التي يحصل عليها أفراد الجيوش النظامية للدولة فلا تخرج من الدولة ويعاد صرفها داخل الدولة مما يدفع عجلة التنمية الاقتصادية في هذه الدول.

12 – في كافة الدول التي تنشأ فيها هذه الشركات تعاني التشريعات الخاصة بها من الضعف الشديد لا سيما ما يتعلق بالخدمات التي تقدمها تلك الشركات في الخارج وبالتالي تنعدم الرقابة الفعالة علي هذه الشركات، ويمكن للحكومات استخدام هذه الشركات وسيلة للالتفاف علي القيود التي تفرضها آليات الرقابة التي تعتمدها مؤسسات تلك الحكومات.

13 – أن هذه الشركات لا تكشف عن نطاق أنشطتها أو أي تفاصيل للعمليات التي تقوم بها أو نفقاتها، ولا تخضع هذه الشركات ولا موظفوها للقواعد التأديبية الخاصة بالخدمة العسكرية كما أنهم غير مدربين علي تنفيذ عملياتهم وفقا لقوانين النزاعات المسلحة، كما أن هذه الشركات يمكنها حل عملياتها أو إنهائها فلا يمكن ملاحقة موظفيها ومساءلتهم عما ارتكبوه من انتهاكات قانونية. وذلك مع غياب القانون الواجب التطبيق علي هذه الحالات.

14 – أن وجود هذه الشركات علي أي صعيد سواء الدولي أو الإقليمي أو الوطني يمثل خطرا وتهديدا للسلام والأمن الدوليين والاستقرار الداخلي للدول وعلي استقلال وسيادة وحرية الدول، حيث يمكن – وقد حدث – استغلالها لزعزعة الأمن في دولة ما أو إسقاط حكومة شرعية، والواقع الدولي يؤكد ذلك ويبين خطورة هذه الشركات علي الأمن والسلم الدوليين وزعزعة الاستقرار الداخلي للدول فقد لجأت إليها حكومات ديكتاتورية لقمع حركات التحرر والمعارضة.

15 – أن هذه الشركات تنشأ بموجب قانون داخلي لدولة ما وهذا القانون يسري فقط علي إقليم هذه الدولة ولا يمتد خارجه، فالسلطات التشريعية في الدول اختصاصها محصور داخل الدولة فقط، وطبقا لمبدأ السيادة فعمل هذه الشركات في دول غير دول المنشأ يعد انتهاكا لمبدأ السيادة وللقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، ومبدأ السيادة من القواعد الآمرة في القانون الدولي العام التي لا يجوز ليس مخالفتها فقط بل لا يجوز الاتفاق علي مخالفتها([79]).

---

[79] – راجع للمؤلف كتاب الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة دراسة قانونية سياسية، دار ايتراك للطباعة والنشر القاهرة، 2008، ص 174 وما بعدها.

## المبحث الثاني
## الجهود الوطنية والدولية بشأن الشركات العسكرية الدولية الخاصة

تعددت الجهود التي بذلت لمحاولة تقنين وتجريم ظاهرة الشركات العسكرية والأمنية الخاصة فقد سنت بعض الدول تشريعات تنظم عمل هذه الشركات وتحدد مجال عملها كما حظرت بعض الدول تلك الظاهرة وقدمت مبادرة من أحدي الدول لتنظيم عمل هذه الشركات

أما علي الصعيد الدولي فأن اللجنة الدولية للصليب الأحمر الوحيدة التي ناقشت هذه الظاهرة وبحثتها، ولكن باقي الجهود ركزت علي أفراد المرتزقة فقط فأبرمت اتفاقيات منها منظمة الاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة وأصدر مجلس الأمن عدة قرارات تصب في خانة تجريم المرتزقة وعدها من الجرائم ذات الاختصاص العالمي والتي يمكن محاكمة مرتكبيها في كافة دول العالم بصرف النظر عن مكان ارتكابها.

**1 – الجهود الوطنية بشأن الشركات العسكرية والأمنية الخاصة:**

لم يقم سوي عدد قليل من الدول لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة علي سن تشريعات لتنظيم عمل الشركات العسكرية والأمنية الخاصة علي أراضيها أو خارج حدودها، أو الإنشاء مع إتباع تلك الشركات التعليمات الواردة في هذه القوانين، ونصت هذه القوانين علي حماية أفراد تلك الشركات وتختلف باختلاف الظروف فقد سنت كل من جنوب أفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية تشريعا ينظم إنشاء وعمل هذه الشركات.

تقدمت الحكومة السويسرية بمبادرة لتعزيز احترام الشركات العسكرية والأمنية الخاصة للقانون الدول الإنساني وجاءت الفكرة من وزارة الخارجية السويسرية بسبب تزايد تواجد هذه الشركات في دول تعاني النزاعات المسلحة، والخطوات التي ينبغي علي الدول اتخاذها من أجل تعزيز احترام القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان من قبل تلك الشركات، وقد شاركت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في هذه المبادرة.

وبناء علي هذه المبادرة انعقدت في يناير2006م ورشة عمل تضم خبرات من الدول صاحبة الخبرات ذات الصلة إضافة إلي عدد صغير من ممثلي الصناعة وغيرهم من الخبراء، وكانت ردود الفعل إيجابية للغاية، وعقد اجتماع ثان في نوفمبر2006م بهدف طرح القضية علي المؤتمرات و الاجتماعات الدولية أو الإقليمية لا سيما المؤتمر الدولي الثلاثون للجنة الدولية للصليب الأحمر الذي عقد في نوفمبر2007م، لبحث تزايد واستمرار النزاعات التي توجد فيها الشركات العسكرية والأمنية الخاصة، ومن المتوقع حضور عدد من الدول وأصحاب بعض شركات الأسلحة والشركات العسكرية والأمنية الخاصة وعدد من الخبراء.

وتهدف المبادرة إلي تأكيد مسئوليات الدول والشركات العسكرية والأمنية وموظفيها في ظل القانون الدولي والإقرار بها، ويمكن عن طريق هذه المبادرة إصدار وثيقة توفر الإرشاد للدول في علاقاتها مع الشركات العسكرية والأمنية الخاصة وقد تقترح الوثيقة خطوات تستطيع الدول اتخاذها من أجل تعزيز احترام القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان سواء عند استئجار هذه الشركات العسكرية أو عندما تعمل علي أراضيها أو عندما ترغب هذه الشركات القائمة علي

أراضي الدولة تقديم خدماتها خارج دول المنشأ، وقد تعتمد أيضا خيار اعتماد معيارا وطنيا من شأنه أن يوفر أساسا قانونيا للتعامل مع هذه الشركات.

ومن الدول التي أصدرت قانونا لتنظيم عمل هذه الشركات الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب أفريقيا، وقد تبني كل منهما أسلوبا مختلفا في معالجة هذا الموضوع، حيث يتناول قانون تنظيم تصدير الأسلحة في الولايات المتحدة الأمريكية الصادر عام 1968م وتعديلاته مسألة تصدير الخدمات الأمنية بنفس الطريقة التي ينظم بها تصدير البضائع، وينظم هذا القانون وتعديلاته بشكل صارم الجهات التي يتم تصدير هذه الخدمات إليها، إلا أنه لا ينظم الطريقة التي يتم بها استخدام هذه الخدمات، ويشترط هذا القانون علي الشركات الأمريكية التي تقدم خدمات عسكرية للأجانب داخل الولايات المتحدة أو خارجها الحصول علي ترخيص من وزارة الدفاع الأمريكية وذلك بموجب الأنظمة الخاصة بنقل الأسلحة.International Transfer of Arms Regulation والتي تنظم تصدير الأسلحة.

وعلي أية حال لا تتبع عملية الترخيص ذاتها إجراء عاما، حيث لا تتوافر رقابة رسمية بعد إصدار هذه الرخص، ولا ينص علي أحكام قانونية لضمان الشفافية باستثناء العقود التي تتجاوز قيمتها(50)مليون دولار فيجب إبلاغ الكونجرس بها قبل إبرامها، وتقع مسئولية تنفيذ أنظمة منح التراخيص الخاصة بالخدمات التي تصدرها الشركات العسكرية الأمريكية الخاصة لأغراض تجارية علي عاتق المسئولين في سفاراتها في الدول (وهم الملحقون العسكريين)بالإضافة إلي دائرة الجمارك فيما يتعلق بالأسلحة والمعدات العسكرية الأخرى([80]).

في عام 1998م أصدرت جنوب أفريقيا قانون تقديم المساعدات العسكرية للجهات الأمنيةForeign Military Assistance Act ينظم تصدير الخدمات الأمنية وقد أتسم هذا القانون بالتالي:

1 – تعتبر الأنشطة التي تنفذها المرتزقة والتي تعرف علي أنها الاشتراك في النزاعات المسلحة لتحقيق مكاسب خاصة محظورة داخل جنوب أفريقيا وخارجها مع الأخذ بعين الاعتبار أن القانون لا يتعرض للمواطنين الأجانب الذين يرتكبون جرائم خارج إقليم هذه الدولة.

2 – يجوز تقديم المساعدة العسكرية والتي تعرف علي أنها الخدمات العسكرية من قبل أفراد مرخصين وحاصلين علي موافقة محددة من الحكومة علي كل عقد من العقود التي يبرمونها فقط.

3 – اللجنة القومية لتنظيم الأسلحة التقليدية هي جهة الرقابة المسئولة عن الترخيص ويرأسها وزير من وزارة حكومية لا يرتبط بصورة مباشرة بمؤسسة الدفاع.

وقد حقق قانون تقديم المساعدة العسكرية للجهات الأجنبية بعض النجاح، فقد أغلقت عدد من الشركات العسكرية الخاصة في جنوب أفريقيا كما تم نقل عدد أخر منها خارج جنوب أفريقيا، ولكن اقتصرت العقوبات التي طبقتها المحاكم علي غرامات مالية قليلة، وهذه الغرامات القليلة ليست رادعة للشركات أو الأفراد مما سمح لبعض الشركات العسكرية والأمنية باستغلال

80- تقرير جنيف السابق الإشارة إليه، ص5.

الضعف في القانون لإنشاء شركات خاصة وسمح لأفراد بعض أجهزة النظام العنصري السابق في العمل لدي شركات الحماية الأمريكية والبريطانية في العراق.

وبسبب وجود عدد كبير من رعايا جنوب أفريقيا كحراس أمنيين في العراق وفشل محاولة الأنفلاب في جمهورية غينيا الاستوائية عام 2004م، لجأت الحكومة لاقتراح تشريع جديد فصدرت لائحة عام(2005م) بشأن حظر وتنظيم الأنشطة التي تنفذها قوات المرتزقة وحظر وتنظيم نشاطات محددة في منطقة تشهد نزاعا مسلحا، تناولت هذه اللائحة كافة الأنشطة التي يضطلع بها الأفراد والشركات التي تشارك في النزاعات المسلحة الذين من خارج القوات المسلحة.

كما تسعي هذه اللائحة لحظر أية مشاركات في الأنشطة العسكرية الخاصة والتي لا يصدر التفويض الصريح بشأنها من قبل اللجنة القومية لتنظيم الأسلحة التقليدية وتمنح المحاكم اختصاصات قضائية تتعدي الحدود القومية لدولتها علي أية شركة عسكرية خاصة موظفيها.

وقد اهتمت اللجنة الدولي للصليب الأحمر بموضوع الشركات العسكرية والأمنية الخاصة وتمثل اهتمامها باحترام هذه الشركات وأفرادها للقانون الدولي الإنساني أثناء النزاعات المسلحة ووضعت حد أدني للعناصر الضرورية وهي:

1 – يجب أن يكون موظفو الشركات العسكرية والأمنية الخاصة ملمين بالإطار القانوني الذي يعملون داخله بما في ذلك القانون الدولي الإنساني.

2 – يجب أن تمتثل عملياتهم للقانون الدولي الإنساني أي أن تكون قواعد اشتباكهم وإجراءات عملهم الاعتيادية موافقة للقانون الدولي الإنساني.

3 – يجب أن يتم اتخاذ تدابير ترمي إلي كفالة هذه العناصر من قبل الشركات العسكرية والأمنية الخاصة ذاتها والدول التي تستأجر خدماتها والدول التي تكون الشركات مسجلة فيها والدول التي تعمل علي أراضيها ومن الممكن التعامل مع الحالتين بواسطة اعتماد إطار ضابط وحتى الآن لم تقدم سوي عدد قليل من الدول علي اعتماد تشريع يحدد إجراءات يتعين علي الشركات العسكرية والأمنية المؤسسة علي أراضيها الامتثال لها لكي يتم السماح لها بالعمل في الخارج ولا تضبط سوي قلة من الدول نشاط الشركات العسكرية والأمنية الخاصة.

ولم تكن الأمم المتحدة بعيدا عن هذا النشاط وتلك الظاهرة فأصدر مجلس الأمن قرارات بشأن المرتزقة وكونت الجمعية العامة لجنة لدراسة هذه الظاهرة وأقرت اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية بشأن القضاء علي أنشطة المرتزقة وأقرت الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم.

وتسعي مجموعة من الخبراء برعاية الأمم المتحدة لإعداد مدونة حسن سلوك لهذا القطاع المزدهر للأمن الخاص إلي جانب العمل علي تعريف جديد للمرتزقة يأخذ في الاعتبار المعطيات الجديدة علي الأرض، وتتكون هذه المجموعة من أثني عشرا خبيرا وقد عقدت اللجنة منذ عام 2001م ثلاثة اجتماعات في المقر الأوربي للأمم المتحدة في جنيف لمناقشة هذه القضية.

وأوضحت مقررة اللجنة أن الغرض من اللجنة(تقديم النصح للدول الأعضاء في الأمم المتحدة حول ما يمكن فعله لمراقبة نشاطات المرتزقة

الذين يهددون الحكومات ويعرضون سلامة واستقلال أراضي الدول للخطر وينتهكون حقوق الإنسان في العالم إلا أنها اعترفت بأنه لا يمكن معاملة كل أجهزة الأمن المتخصصة بالحماية كمرتزقة).

وقد تم اقتراح عدد من المداخل التي تهدف إلي تنظيم سلوك الشركات العسكرية والأمنية الخاصة علي نطاق دولي، فقد اقترح البعض فرض حظر عام علي أنشطة محددة، إلا أن البعض أفاد بأن هذه الشركات تؤدي دورا ضروريا، كما أنه من غير المحتمل أن تجرم الدول استخدام أي نوع من أنشطة الشركات الخاصة بشكل مطلق.

واقترح البعض أنشاء هيئة دولية لتنظيم الشركات العسكرية الخاصة، ولكن يشير هذا الاقتراح إلي أنه يتوجب علي الدول التخلي عن احتكارها التقليدي لعمليات التصدير المتعلقة بالخدمات وهذا يبدو بحد ذاته غير ممكن، بينما اقتراح البعض أبرام اتفاقية تحدد الحد الأدنى من معايير الرقابة والإدارة الخاصة بتلك الشركات بما في ذلك المعايير التالية:

1 – وضع نظام للترخيص يشتمل علي قائمة محددة بالخدمات التي تقدمها الشركات العسكرية والأمنية الخاصة والإبلاغ قبل طرح العطاءات إضافة ألي تسجيل الأفراد العاملين لدي هذه الشركات.

2 – تحديد الحد الأدنى من الشروط المطلوبة للترخيص فيما يتعلق بتوظيف الأفراد في الشركات العسكرية والأمنية الخاصة والهيكل التنظيمي للشركات وصلاحياتها وسياستها تجاه القانون وتنفيذ قانون النزاعات المسلحة وحقوق الإنسان.

3 – قيام رقابة برلمانية مستقلة علي الأنشطة التي تنفذها الشركات العسكرية والأمنية الخاصة.

4 – تعيين الحد الأدنى من الشروط المتعلقة بالمنافسة والشفافية في عمليات الشراء وطرح العطاءات وإبرام العقود.

وقد يكون من الصعب تطبيق مثل هذه الخطة ولكنها تفيد في حماية قيام السلطات القومية بتنظيم الشركات والعسكرية والأمنية الخاصة التابعة لها إضافة إلي أن هذا الاقتراح يترك للجمهور العام في الدولة حرية تفسير تفاصيل معينة يمكن أن تشكل عوائق أمام التوصل إلي اتفاق حول معاهدة دولية.

وقد أصدر كل من الجمعية العامة ومجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة قرارات تدين وتندد بممارسات المرتزقة خاصة ضد الدول النامية وحركات التحرر الوطني منها القرار رقم(74/40الصادر في 1985/12/11م) وقرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي رقم(43/1986 المؤرخ في 1986/5/23م) الذي أدان فيه المجلس تزايد تجنيد المرتزقة وتمويلهم وحشدهم ونقلهم واستخدامهم والقرار رقم(102/41 الصادر في 1986/12/4م)بشأن المرتزقة كوسيلة لانتهاك حقوق الإنسان ولإعاقة ممارسة الشعوب لحقها في تقرير المصير، الصادر عن الجمعية العامة في جلستها العامة رقم(97)ويتكون هذا القرار من ديباجة طويلة من (12) فقرة إضافة إلي سبعة بنود، وأشار القرار في المقدمة إلي كل القرارات السابقة الصادرة عن الأمم المتحدة سواء من الجمعية العامة أو مجلس الأمن أو المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وأكدت علي أن حق الشعوب في تقرير مصيرها غير قابل للمساومة، وأكد القرار أن الارتزاق

يشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين ويخالف المبادئ الأساسية للقانون الدولي مثل عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول والسلامة الإقليمية والاستقلال، كما أنها تعرقل حق الشعوب في تقرير مصيرها وكفاحها المشروع ضد الاستعمار.

أما عن بنود القرار فقد أدان تزايد اللجوء إلي تجنيد المرتزقة وتمويلهم وتدريبهم ونقلهم واستخدامهم لأنها تقوض الاستقرار في الدول النامية، ونددت بأي دولة تلجأ إليهم أو تساعدهم وطالبت كافة الدول باتخاذ كل السبل لمنع ومحاربة سواء الإدارية منها والتشريعية بموجب القوانين الداخلية، كما طالبت الدول بتقديم كافة المساعدات الإنسانية لضحايا الأوضاع الناجمة عن استخدام المرتزقة وقررت الجمعية العامة أن تولي هذه المسألة الاهتمام الواجب في الدورات اللاحقة([81]).

وفي 1980/12/4م أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم(48/35)الذي أنشأت بموجبه اللجنة المختصة لصياغة اتفاقية دولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدام وتمويلهم وتدريبهم([82])وتم وضع مشروع الاتفاقية في صورته النهائية وعرض علي الجمعية العامة في 1989/12/4م في الجلسة العامة رقم(72) وتم إقرار الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم في القرار رقم(43/44)الصادر في1989/12/4م([83]).

وهذه الاتفاقية تتكون من ديباجة وأحدي وعشرون مادة، ففي الديباجة أكدت الاتفاقية علي المقاصد والمبادئ الواردة في ميثاق الأمم المتحدة وإعلان مبادئ القانون الدولي المتصلة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وأن أنشطة وتجنيد واستخدام المرتزقة تنتهك مبادئ القانون الدولي مثل المساواة في السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية للدول وحق الشعوب في تقرير مصيرها واعتبرت ما سبق جرائم ذات اختصاص عالمي ينبغي محاكمة أو تسليم من يرتكبها، وصدور هذه الاتفاقية يعد اقتناعا منها بخطورة المرتزقة ودورهم الخطير واعتماد هذه الاتفاقية من شأنه المساهمة في التخلص منهم ومن دورهم الخطير وسوف نلقي مزيدا من الضوء علي هذه الاتفاقية في التكييف القانوني للشركات.

وأصدرت الجمعية العامة عدة قرارات بشأن المرتزقة منها القرار رقم(150/49) الصادر في( 1994/12/23م) والقرار رقم(138/50) الصادر في 1995/12/1م والقرار رقم (83/51) والقرار رقم(83/15) الصادر في( 1996/12/12م) والقرار رقم(112/52) الصادر بالجلسة العامة رقم(70) في (1997/12/12م) بشأن استخدام المرتزقة كوسيلة لانتهاك حقوق الإنسان وإعاقة ممارسة حق الشعوب في تقرير المصير.

والقرار الأخير يتكون من ديباجة تتكون من سبعة فقرات أكدت فيها الجمعية العامة خطورة المرتزقة وعدم شرعية تمويلهم أو تدريبهم أو حشدهم أو نقلهم أو استخدامهم لمخالفة ذلك لميثاق الأمم المتحدة مبادئ وأهداف وقواعد القانون الدولي وحثت الدول علي الانضمام

---

81- راجع وثائق الأمم المتحدة الوثيقة رقم.A/32/310

82- وثيقة الأمم المتحدة رقمA/44/43.

83 - وثيقة الأمم المتحدة رقِمA/C8/44/L9.

إلي اتفاقية الأمم المتحدة بشأن المرتزقة سالفة الذكر، وأكدت علي عدم شرعية المرتزقة في كافة صورها وأشكالها([84]).

وأكدت الجمعية العامة في البند الثاني من القرار سالف الذكر علي عدم شرعية المرتزقة بكافة صورها وأشكالها لمخالفتها ميثاق الأمم المتحدة، وحثت جميع الدول علي اتخاذ الخطوات اللازمة وممارسة أقصي درجات اليقظة واتخاذ كافة التدابير التشريعية لمحاربة المرتزقة وطالبت الدول كافة بضرورة التعاون علي ذلك وطالبت مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان بالإعلان عن الآثار الضارة للمرتزقة علي حقوق الإنسان والسلم والأمن الدوليين، وطالبت الأمين العام أن يقوم بدعوة الدول لتقديم اقتراحات لتبني تعريف قانوني أوضح للمرتزقة وقررت أن تناقش موضوع المرتزقة في الدورة الثالثة والخمسين.

وقد أصدر مجلس الأمن عدة قرارات بشأن إدانة أي دولة تعمل علي إجازة أو إباحة تجنيد المرتزقة وتقديم التسهيلات لهم بهدف الإطاحة بحكومات دول أعضاء في الأمم المتحدة، منها القرار رقم(1967/239م) في 1967/6/10م والقرار رقم(1977/405م) الصادر في 1977/4/14م والقرار رقم (1997/419م) 1977/11/24م، والقرار رقم(1981/12/1/946م، والقرار رقم(1982/507) في 1982/5/28م.

وقد أصدر مجلس الأمن القرار رقم(2003/1467م) في جلسته المعقودة في 2003/3/28م) الذي قرر فيه المجلس اعتماد البيان المرفق بشأن الأسلحة الخفيفة والأسلحة الصغيرة وأنشطة المرتزقة والأخطار التي تهدد السلام والأمن في غرب أفريقيا ويتكون القرار من ديباجة أربعة فقرات وستة بنود،

في الديباجة طالب القرار السالف الدول الأفريقية بوقف دعم أنشطة المرتزقة في منطقة غرب أفريقيا واتخاذ كافة التدابير لمحاربة المرتزقة وأعرب عن قلقه البالغ من أنشطة المرتزقة وطالب بتوعية الدول بخطر المرتزقة وطالب الدول الإقليمية والدول غير الإقليمية بضرورة التعاون لوضع حد لظاهرة الاتجار في الأسلحة الصغيرة وأنشطة المرتزقة.

## المبحث الثالث

## التكييف القانوني للشركات العسكرية الدولية الخاصة

بعد أن انتهينا من إلقاء الضوء علي الموقف من الشركات العسكرية والأمنية الخاصة وكذلك الجهود الوطنية والدولية، نتناول بعد ذلك التكييف القانوني لها وطبيعتها القانونية ونري مدي مشروعيتها من عدمه هل هي شرعية أم أنها غير شرعية؟ وهل يوجد فرق بين المرتزقة وبين عناصر وأفراد هذه الشركات؟ نبدأ بتعريف الشركات العسكرية والأمنية الخاصة والفرق بينها وبين المرتزقة.

### 1 – تعريف الشركات العسكرية والأمنية الخاصة:

اختلفت الآراء حول ماهية الشركات العسكرية والأمنية الخاصة ووضع تعريف لها فتعددت التعريفات والمصطلحات والمسميات التي تطلق علي هذه

---

84 – وثائق الأمم المتحدة الوثيقة رقم(A/52/495).

الشركات، وعادة ما يطلق عليها شركات تجنيد وتأجير المرتزقة أو شركات المرتزقة أو المرتزقة فقط وهذا المصطلح ظل يلازمها منذ أمد بعيد، ولكن ذلك كان في فترة عدم ظهور شركات متخصصة في ذلك ولكن بعد ظهور شركات تمتهن تقديم الخدمات العسكرية والأمنية فقد أطلق عليها الشركات العسكرية الخاصة وتارة الشركات الأمنية الخاصة أو شركات الحماية الأمنية أو المقاولون أو المتعاقدون المدنيون أو خصخصة الحرب([85]).

وقال عنهم(كريستوفر بيز)المدير الإداري لشركة الأمن البريطانية(آرمور جروب) (أن السمة الغالبة للمرتزقة هي أنهم يقومون بعمليات دفاعية وليست بهجمات أننا نقدم جهاز حماية هو بتعريفة غير دفاعي) ويصفهم رئيس لجنة القوات المسلحة السابق في الكونجرس السناتور جون وورنر بأنهم(الشريك الصامت) وتطلق عليهم الصحف الأمريكية(المتعهدين المدنيين).

وقد أورد التقرير الموجز الصادر عن مركز جنيف للرقابة الديمقراطية علي القوات المسلحة الصادر في مارس2006م تعريفا لها(تمثل الشركات العسكرية الخاصة شركات تجارية تقدم خدمات متخصصة تتعلق بالحروب والنزاعات بما فيها العمليات القتالية والتخطيط الاستراتيجي وجمع المعلومات الاستخباراتية والدعم العملياتي والدعم اللوجستي والتدريب وشراء الأسلحة والمعدات العسكرية وصيانتها ويتم تمييز هذه الشركات من خلال الصفات التالية:

**الهيكل التنظيمي**: الشركات العسكرية الخاصة هي شركات تجارية مسجلة تمتلك هيكلا تنظيميا خاصا بالشركات.

**الدافع:** تقدم الشركات العسكرية والأمنية الخاصة خدماتها بهدف تحقيق الربح بشكل أساسي وهي لا تسعي إلي تنفيذ أجندة سياسية.

تتفاوت هذه الشركات في أحجامها إلي حد كبير حيث تتراوح في حجمها من شركات صغيرة تقدم خدمات استشارية وضخمة تتعدي الحدود القومية للدول التي أنشئت فيها، علي الرغم من بداية ظهورها خلال الحرب العالمية الثانية فإن التغييرات السياسية والطبيعية بالإضافة إلي أعادة هيكلة العديد من القوات المسلحة في عدة دول عقب نهاية الحرب الباردة سارعت في نمو الشركات العسكرية الخاصة، وفي هذه الأيام تتزايد عدد الشركات في القطاع العسكري والأمني يوما بعد يوم حتى انتشرت في أكثر من (50دولة).

ورأي التقرير السالف ضرورة التفرقة بين الشركات العسكرية الخاصة التي تقدم خدماتها في القطاع العسكري وبين الشركات الأمنية الخاصة التي تقدم خدماتها في القطاع الأمني والتي تخصص في الحراسات الأمنية سواء

---

85:http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc08.asp?DocID=102592&TypeID=8&TabIndex=2

للأفراد أو المؤسسات إلا أنه يصعب التمييز بين الأدوار التي تنفذها تلك الشركات فلا توجد شركة متخصصة في القطاع العسكري وأخري في القطاع الأمني ولكن هذه الشركات تقدم خدماتها في المجالين العسكري والأمني معا.

وطالب البعض بضرورة وضع إطار قانوني لتنظيم نشاطات كل هذه الشركات دون وصفها بالمرتزقة وطالب في ذات الوقت التحديد الواضح لمن يعتبر مقاتلا في نظر القانون الدولي لأن ظهور هذا النوع الجديد من الشركات يؤدي إلي الخلط ورأي أنهم –أفراد هذه الشركات – يعتبرون من المدنيين طبقا للقانون الإنساني الدولي ولكنهم يقومون بعمليات شبة عسكرية.

وعرفها البعض بأنها(تلك الجيوش التي تتشكل من(جنود محترفين)يعرضون خدماتهم لطرف أجنبي في مقابل الحصول علي أموال ) فهؤلاء الجنود يشاركون في الصراعات المسلحة لأطراف خارجية إما مباشرة من خلال المشاركة في العمليات القتالية أو بصورة غير مباشرة من خلال تقديم الاستشارات العسكرية.

وعرفها أخر بأنها( تلك المنظمات التي تتجاوز خدماتها مجرد المساعدة السلبية لأطراف صراع ما إذ تقدم هذه الشركات التدريب والمعدات لتطوير القدرات العسكرية لعملائها وتوفر لهم الميزة الاستراتيجية والعملياتية الضرورية لقمع معارضيهم، أو حتى تذهب لأبعد من ذلك من خلال لعب دور نشط جنباً إلى جنب مع قوات العملاء كمضاعف للقوة، من خلال نشر قواتها الخاصة في أرض المعركة")([86])

ونحن نعرف هذه الشركات بأنها(شركات تجارية تقدم خدماتها في القطاعين العسكري والأمني خارج حدود دولة المنشأ أو بداخلها بهدف تحقيق الربح المادي) ومن ناحية التسمية نري أن يطلق عليها(الشركات العسكرية

---

86 - أنظر: موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، كلود فوالا الخبير في اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

– القانون الدولي والشركات العسكريّة والمنية الخاصّة، مجلة الصليب الأحمر الدولي، 2006/5/13.

–مسؤولية الدول التي تنشأ عليها الشركات الخاصّة ، مجلة الصليب الأحمر الدولي،2006/5/23م .

–القانون الدولي والشركات العسكريّة والأمنية الخاصّة ، مجلة الصليب الأحمر الدولي ، 2006/5/23.

– خصخصة الحرب والتفويض الخارجي للمهام الخارجية، مجلة اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر الدولي، 2006/5/23.

- خصخصة الحرب والتفويض الخارجي للمهام العسكريّة، مجلة اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر الدولي، 2006/5/23.

والأمنية الدولية الخاصة) وبناء علي هذا التعريف فأن هذه الشركات تتضمن العناصر الآتية:
1 – أن هذه شركات تجارية لأنها تقدم خدماتها مقابل الحصول علي مكسب مالي أي بغية الربح مثلها مثل بقية الشركات التجارية والاقتصادية التي تتاجر في السلع الغذائية و المادية.
2 – هذه الشركات تعمل في المجالين العسكري والأمني أي تقدم خدمات تقوم بها أو من اختصاص الجيوش النظامية الوطنية، والمجال الأمني حيث تقدم خدماتها في حراسة أشخاص سواء رؤساء دول أو حكومات وهي مهمة الأجهزة الأمنية في الدول أو وزارات الداخلية في الدول لذلك فهي شركات عسكرية وأمنية.
3 – هذه الشركات مملوكة لأفراد وليست مملوكة لحكومات أو دول لذلك فهي شركات خاصة تنشأ لحساب الأفراد المؤسسين لها.
4 – مهنة أو حرفة هذه الشركات التجارة في الأمن والأمان بتوريد مقاتلين أو توريد وشراء الأسلحة والمعدات العسكرية أو التدريب أو الاستخبارات.
5 – هذه الشركات تتدخل في صراعات خارج دولة المنشأ أي أنها تعمل عادة خارج دولة المنشأ التي أنشئت فيها.
6 – هذه الشركات تمتلك هيكلا تنظيميا وبها إدارات كبقية الشركات التجارية الأخرى فلها رئيس مجلس إدارة وأعضاء مجلس الإدارة ومدير إداري وموظفون إداريون.
ويلاحظ أن الاتفاقيات الدولية عرفت المرتزقة وركزت عليها دون التعرض للشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة صراحة لسببين هما:
1 – أما لحداثة هذه الظاهرة فلم يتمكن الفقه الدولي من تناولها والحديث عنها، رغم وجودها منذ فترة ليست بالقصيرة، ولكن يمكننا رد هذا لكلام، لأن الفقه الدولي دائما يسارع إلي بحث كل ظاهرة وتقنينها سواء من خلال المؤلفات العلمية أو لجنة القانون الدولي بالأمم المتحدة أو أكاديمية القانون الدولي بلاهاي، خاصة وأن الأمم المتحدة من خلال مجلس الأمن والجمعية العامة قد تعرضت لهذا الموضوع في العديد من القرارات والتوصيات.
2 – أن الفقه الدولي اعتبر هذه الشركات والعناصر التي تعمل فيها من قبيل المرتزقة ويتضح ذلك من تعريفات اتفاقية الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة وحتى فقهاء القانون الدولي ركزوا شروحهم علي المرتزقة ونحن نري أنه لا يوجد فرق بين المرتزقة وتلك الشركات بل أنها شركات للمرتزقة.
ويتضح ذلك من المهام التي تقوم هذه الشركات عن طريق عناصرها من ممارسة الأعمال التي تقتصر علي الجيوش النظامية فهي تشترك في القتال في نزاعات دولية أو داخلية لا علاقة لهما بها من قريب أو بعيد أو القيام بأعمال في القطاعين العسكري والأمني، وهو ما تقوم به عناصر المرتزقة.
إن الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة تعمل في ظروف خطرة تجعلهم علي اتصال مباشر بالأشخاص المعرضين للخطر الذين تحميهم اتفاقيات جنيف الأربعة لعام1949م والبروتوكولان الإضافيان لعام 1977م، فالدول تلجأ إلي هذه الشركات لسد

العجز لديها في الإمكانيات العسكرية من أسلحة وخبرة تدريبية، فيتم استخدام هذه الشركات لاستكمال هذا النقص([87]).

والغريب في الأمر أن مؤيدي تلك الشركات تري أن المنظمات الدولية الإقليمية والأمم المتحدة يمكنها استخدام هذه الشركات في قوات حفظ السلام، ونحن نري أن ذلك محاولة خبيثة من أصحاب هذه الشركات لإضفاء الشرعية علي نشأة وعمل هذه الشركات، ولا يمكن اشتراك أفراد هذه الشركات في قوات حفظ السلام سواء التي تقوم الأمم المتحدة أو المنظمات الإقليمية لما يأتي:

1 – اختلاف الغرض بين الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة وبين قوات حفظ السلام فالأخيرة مهمتها رسالة تؤديها لحفظ السلم والأمن الدولي في منطقة معينة، بينما الشركات غرضها وهدفها تجاري محض أي أنها تعمل من أجل الربح فمن مصلحتها عدم إنهاء النزاع بل الأفيد لها وهذا ما ستحاول عمله فعلا إطالة أمد النزاع وإشعاله، أما قوات حفظ السلام سوف تعمل علي تهدئة الأوضاع وإعادة الاستقرار، فالهدف والغرض مختلف لكل منهما، فهدف وغرض الشركات العسكرية والأمنية غير مشروع بينما الهدف من قوات حفظ السلام مشروع.

2 ـ أن أنشاء هذه الشركات للتجارة في الأمن والأمان فهي تعمل علي زيادة بؤر التوتر في العالم، بينما قوات حفظ السلام تعمل علي تحقيق وحفظ السلم والأمن الدوليين، فالمنطق والواقع يقول أن بينهما عداء مستحكم وليس تفاهم وتعامل.

3 – أن اشتراك هذه الشركات في قوات حفظ السلام يضفي عليها نوعا من الشرعية والمشروعية، مع العلم بأن كافة قرارات الأمم المتحدة والاتفاقيات الدولية تؤكد علي عدم شرعية المرتزقة وبالتالي إنشاء وعمل هذه الشركات.

4 – أن الشركات العسكرية والأمنية الخاصة ولائها للربح والكسب المادي فهي تبيع ذلك لمن يدفع أكثر ولا يهمها السلام العالمي والأمن والاستقرار، لذلك يمكن لأحد طرفي النزاع شراء ولاء هذه الشركات وأفرادها مما يعيق عمليات حفظ السلام، فهم يبيعون ولائهم مقابل المال فلا يهم عندهم إذا كانت هذه الحرب مشروعة أم لا ما دامت تحقق لهم مكسبا ماديا وستدفع لهم مقابل خدماتهم الذي يطلبونه فهم يبيعون مبادئهم وأخلاقهم لمن يدفع أكثر.

إن مهام هذه الشركات وعملها لا يختلف عن عمل المرتزقة في شيء بل هو نسخة متطورة من عمل المرتزقة وأكثر اتساعا وشمولا من المرتزقة، نستطيع القول أنها نسخة متطورة من المرتزقة استعانت بالتقدم العلمي والتكنولوجي لتطوير نفسها وبالتالي فلا فرق بينها وبين المرتزقة في شيء بل العكس أنها أخطر من المرتزقة لإمكانياتها الواسعة والمتقدمة والمتطورة منها أنشطة الدعم اللوجستي للانتشار العسكري والعمليات وصيانة نظم الأسلحة وحماية المباني والحماية الوثيقة للأشخاص وتدريب القوات المسلحة(الجيوش النظامية) وقوات الشرطة في الداخل أو في الخارج وجمع المعلومات الاستخباراتية وتحليلها واحتجاز واستجواب السجناء.

ونتيجة مذهبهم القاضي ببيع كل شيء حتى المبادئ والقيم من أجل الكسب المادي فقد كونت هذه الشركات عصابات للجريمة المنظمة وتاجروا

---

87 – راجع للمؤلف، مستقبل الحروب، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م، ص 319 وما بعدها.

في المخدرات والرقيق الأبيض وأداروا بيوت الدعارة حتى أن بعضهم أسس شبكات تقوم باختطاف الأطفال والأشخاص وخاصة الأطفال لاستئصال الأعضاء البشرية مثل الكلي والكبد للمتاجرة فيها كما تاجروا في الآثار، كما أن هذه الشركات تتفق مع المرتزقة في الهدف فالمرتزقة هدفه من اشتراكه في العمليات العسكرية والأمنية الربح، والشركات العسكرية والأمنية الخاصة هدفها الربح، أذن فلا فرق بينهما إلا في التطوير والإمكانيات واستخدام أحدث الأسلحة والمعدات العسكرية والأمنية.

وعملية التعاقد مع عناصر هذه الشركات تتم علي مراحل ففي الولايات المتحدة وهي تعد أكبر مستخدم لمثل تلك العناصر تبدأ المرحلة الأولي بتكليف البنتاجون أحدي الشركات العسكرية الخاصة أو شركات الحماية الأمنية الخاصة بتنفيذ مهمات معينة والمرحلة الثانية التعاقد مع وكلاء شركات أصغر يقومون بتجنيد الأفراد غالبا ما تكون الشركات الأخيرة غير مسجلة والراغبين في العمل يتم تحويلهم في مرحلة ثالثة إلي شركات أخري مسجلة رسميا حيث تتم مقابلتهم.

ويتم كتابة عقد بين الشركة والشخص الذي وقع عليه الاختيار يكون عادة بلغة لا يعرفها الفرد المراد تجنيده حتى لا يعرف مضمون العقد والالتزامات والحقوق لأنه ينطوي أساسا علي بنود مبهمة وغير واضحة منها التخلي عن حقوق أساسية مثل حق الحياة والتأمين والمعاش، والعقود سرية لا يمكن الإطلاع عليها من قبل الغير لأن الشركات تعتبر ذلك من أسرارها التي لا يجب الإطلاع عليها، والمرحلة الأخيرة يتم نقلهم إلي مقر العمل عن طريق شركة أخري([88]).

وتقوم الشركات العسكرية والأمنية الخاصة بصرف مرتبات مرتفعة جدا نظرا للخطورة الشديدة للمهام التي يقوم بها عناصرها حيث يصل مرتب الفرد الواحد في اليوم(من 500دولار إلي 1500دولار) ويصل مرتب البعض منهم إلي (15000 دولار) في اليوم، وتلك سمة غالبة علي عقود هذه الشركات لأغراء الأفراد بالعمل في هذه الشركات([89]).

الاتفاقيات الدولية التي تناولت موضوع المرتزقة محدودة منها اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية بشأن القضاء علي أنشطة المرتزقة والتي اعتمدها مؤتمر رؤساء وحكومات منظمة الوحدة الأفريقية في دورته العادية الرابعة عشرة المعقودة في ليبرفيل في الفترة من 1977/6/5/2م التي تدين وتجرم الاترزاق العسكري وآثاره الضارة علي استقلال الدول الأفريقية وسلامتها الإفريقية، فنصت في المادة الأولي علي تعريف المرتزقة(بأنه الشخص "الذي يختار محلياً أو دولياً للقتال في صراع مسلح، ويشارك بصورة مباشرة في الأعمال القتالية، وتشكل رغبته في الحصول على كسب شخصي الدافع من وراء مشاركته في القتال، وغالباً ما يكون قد وعد بالحصول على تعويضات مادية لقاء مشاركته في القتال إما من قبل أحد طرفي النزاع أو من ينوب عنه)([90]) طبقا للتعريف السابق يشترط في المرتزقة ما يلي:

---

88 - **الأستاذ/ محمد علي حريصي،** المرجع السابق.

89 - تقرير CNN عام 2004م.

90- راجع دراسة مجلة أفاق أفريقية الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للاستعلامات، القاهرة، العدد(20)، ص3/2.

1 – أن يشارك بصورة مباشرة في الأعمال القتالية.
2 - أن يكون دافعه من وراء الاشتراك في الأعمال القتالية المكسب المادي.
3 – أن يقدم التعويض المادي من قبل أحد طرفي النزاع أو من ينوب عنه.

أما الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم الصادرة عن الأمم المتحدة فقد عرفت المرتزقة في المادة الأولي منها فنصت علي(لأغراض تطبيق هذه الاتفاقية:

1 – (المرتزق)هو أي شخص:
(أ) يجند خصيصا، محليا أو في الخارج، للقتال في نزاع مسلح:
(ب) ويكون دافعه الأساسي للاشتراك في الأعمال العدائية هو الرغبة في تحقيق مغنم شخصي، ويبذل له فعلا من قبل طرف في النزاع أو باسم هذا الطرف وعد بمكافأة مادية تزيد كثيرا علي ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة لذلك الطرف أو ما يدفع لهم:
(ج) ولا يكون من رعايا طرف في النزاع ولا من المقيمين في إقليم خاضع لسيطرة طرف في النزاع:
(د) وليس من أفراد القوات المسلحة لطرف في النزاع:
(هـ) ولم توفده دولة ليست طرفا في النزاع في مهمة رسمية بصفته من أفراد تواتها المسلحة.

2 – وفي أية حالة أخري، يكون المرتزق أيضا أي شخص:
(أ) يجند خصيصا، محليا أو في الخارج، للاشتراك في عمل مدبر من أعمال العنف يرمي إلي:
1- الإطاحة بحكومة ما أو تقويض النظام الدستوري لدولة ما بطريقة أخري: أو
2 – تقويض السلامة الإقليمية لدولة ما:
(ب) ويكون دافعه الأساسي للاشتراك في ذلك هو الرغبة في تحقيق مغنم شخصي ذي شأن يحفزه علي ذلك وعد بمكافأة مادية أو دفع تلك المكافأة:
(ج) ولا يكون من رعايا الدولة التي يوجه ضدها هذا العمل ولا من المقيمين فيها:
(د) ولم توفده دولة في مهمة رسمية:
(هـ) وليس من أفراد القوات المسلحة للدولة التي ينفذ هذا العمل في إقليمها.)

يلاحظ علي المادة السابقة أنها توسعت في تعريف المرتزقة عن المادة الواردة في اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية بشأن القضاء علي أنشطة المرتزقة، فلم تقتصر مهمة المرتزقة علي الاشتراك في الأعمال العدائية فقط بل مدت حكمها إلي أعمال العنف أيضا، فيكون الشخص مرتزقة إذا أشترك في أي عمل من أعمال القطاع العسكري أو قدم خدمة من الخدمات التي تقدم في الأعمال العسكرية، أو أشترك في أعمال العنف أي أعمال القطاع الأمني فقد شملت هذه المادة الأعمال العسكرية والأعمال الأمنية أي الشركات العسكرية والأمنية الخاصة، فالمرتزقة طبقا لاتفاقية الأمم المتحدة يشترط فيه الآتي[91]:

91 – أنظر:
– الأستاذ الدكتور/ سعيد سالم جويلي، المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، دار النهضة العربية القاهرة، 2003م، ص:294 وما بعدها.

1 – أن يجند خصيصا سواء محليا أو خارجيا للقتال في نزاع مسلح.
2 – أن يكون دافعه علي الاشتراك في الأعمال العدائية مغنم شخصي يتمثل في مكسب مادي.
3 – أن يدفع له المقابل المادي من قبل طرف في النزاع أو من ينوب عنه.
4 – أن يزيد هذا المقابل المادي عما يتقاضاه أمثاله من ضباط وجنود في القوات المسلحة الوطنية (الجيوش النظامية).
5 – ألا يكون من رعايا أي طرف من أطراف النزاع أو مقيم في إقليم خاضع لأي طرف من أطراف النزاع.
6 – ألا يكون من أفراد القوات المسلحة لأي طرف من أطراف النزاع.
7 – ألا يكون موفدا بصفة رسمية من قبل أي دولة من الدول لكونه من القوات المسلحة لهذه الدولة.
8 – يعتبر مرتزقا أيضا طبقا لهذه المادة من يجند داخليا أو خارجيا للقيام بأي عمل من أعمال العنف بهدف إسقاط حكومة شرعية أو تقويض النظام الدستوري لأي دولة من الدول أو تهديد السلامة الإقليمية لأي دولة من الدول شريطة الآتي:
أ – أن يكون دافعه الأساسي للاشتراك في أعمال العنف السابقة وغيرها الحصول علي مغنم شخصي مكافأة مالية.
ب – ولا يكون من رعايا الدولة التي يوجه ضدها هذا العمل من أعمال العنف ولا من المقيمين فيها.
ج – ولم يوفد في مهمة رسمية من قبل أي دولة من الدول.
د – إلا يكون من أفراد القوات المسلحة للدولة التي ينفذ علي إقليمها عمل من أعمال العنف.

ورغم قدم ظاهرة المرتزقة إلا أنه لم يوضع تعريفا لها إلا في عام(1977م في البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام1949م بناء علي اقتراح تقدمت به نيجيريا في مؤتمر جنيف الدبلوماسي بشأن القانون الدولي الإنساني في دورته الثانية عام 1976م وقد رحبت بالاقتراح دول العالم الثالث خاصة الدول الأفريقية التي عانت من هذه الظاهرة وقد اعتبر قرار الجمعية العامة الخاص بتعريف العدوان رقم(29/3314) الذي اعتبر إرسال المرتزقة للقيام بأعمال عنف عملا من أعمال العدوان، وقد نصت المادة(47) علي([92]):
(1- لا يجوز للمرتزق التمتع بوضع المقاتل أو أسير الحرب.
2- المرتزق هو أي شخص:

---

- Les dimension internationles des humanitaaire,ED.Apedone, paris,1986. – الأستاذ الدكتور:عامر الزمالي، الفئات المحمية بموجب أحكام القانون الإنساني، ورقة عمل قدمت إلي مؤتمر الإقليمي العربي الذي أنعقد في القاهرة في الفترة من 16/14 نوفمبر1999م بمناسبة الاحتفال بالوبيل الذهبي لاتفاقيات جنيف(1999/1949) ص:111 وما بعدها.

[92] – راجع للمؤلف مستقبل الحروب، المرجع السابق، ص 429 وما بعدها.

أ ) يجرى تجنيده خصيصاً، محلياً أو في الخارج، ليقاتل في نزاع مسلح
ب) يشارك فعلاً ومباشرة في الأعمال العدائية
ج ) يحفزه أساساً إلى الاشتراك في الأعمال العدائية، الرغبة في تحقيق مغنم شخصي، ويبذل له فعلاً من قبل طرف في النزاع أو نيابة عنه وعد بتعويض مادي يتجاوز بإفراط ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة لذلك الطرف أو ما يدفع لهم
د ) وليس من رعايا طرف في النزاع ولا متوطناً بإقليم يسيطر عليه أحد أطراف النزاع
هـ) ليس عضواً في القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع
و ) وليس موفداً في مهمة رسمية من قبل دولة ليست طرفاً في النزاع بوصفه عضواً في قواتها المسلحة.)

أن الشروط الواردة في المادة السابقة لن تحد من ظاهرة المرتزقة في المجتمع الدولي لأن المجند للاشتراك الفعلي في الأعمال العدائية لحساب دولة ليس من رعاياها ولا متوطنا فيها بقصد الحصول علي مغنم مادي يتجاوز بإفراط ما يحصل علية المماثلون له من مقاتلي جيش الدولة التي استعانت بهم، فالمعيار الذي أوردته المادة معيار غامض ويصعب الاعتماد عليه في هذا الشأن، ومن ناحية أخري فأن الشخص المعني لا ينطبق عليه وصف المرتزق إذا كان ما وعد به:

1 – لا يتجاوز ما يحصل عليه المقاتلون من ذوي الرتب المماثلة في القوات المسلحة التابعة لطرف النزاع الذي استعان به.
2 – أو كان ما وعد به هؤلاء أو ما يدفع لهم لا يتجاوز ما يحصل عليه مماثليهم في الجيوش النظامية.

مما يعني أن هذا الشرط لن يقضي أو يحد من ظاهرة المرتزقة لأن كان من يقبل بأقل مما يحصل عليه أفراد الجيوش النظامية خاصة وأن بعض الجيوش تعطي مرتبات عالية ومزاياها كثيرة لأفراد القوات المسلحة([93]).

وقد اعتبرت تلك الاتفاقية في المادة الثانية منها(كل شخص يقوم بتجنيد أو استخدام أو تمويل أو تدريب المرتزقة، وفقا لتعريفهم الواردة في المادة(1) من هذه الاتفاقية، يرتكب جريمة في حكم هذه الاتفاقية) وأضافت في المادة الثالثة اعتبار (1 – كل مرتزق، حسبما هو معرف في المادة(1) من هذه الاتفاقية، يشترك اشتراكا مباشرا في أعمال عدائية أو في عمل مدبر من أعمال العنف، تبعا للحالة، يرتكب جريمة في حكم هذه الاتفاقية.
2 - ليس في هذه المادة ما يحد من نطاق تطبيق المادة(4) من هذه الاتفاقية.)

وقد توسعت الاتفاقية فاعتبرت الشريك مرتكبا للجريمة والشروع اعتبرته جريمة كاملة أيضا فنصت في المادة الرابعة منها علي(يعتبر مرتكبا لجريمة كل شخص:
1- يشرع في ارتكاب أي من الجرائم المنصوص عليها في هذه الاتفاقية:
2- يكون شريكا لشخص يرتكب أو يشرع في ارتكاب أي من الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقية.)

ورغم ذلك فقد انتقدت هذه المعاهدات لعدم الدقة في استعمال مصطلح (المرتزقة) لأنها تركز علي الدافع وراء الأعمال التي تنفذها القوات المرتزقة والتي تمثل صعوبة

---

93- **د. عبد الغني محمود**، المرجع السابق، ص527/526.

في تحديدها بحد ذاتها فعلي سبيل المثال يزعم عدد من الشركات الأمنية الأمريكية المتعاقدة للعمل في العراق بأنها بنفس الدافع الوطني التي يدفعها للعمل بهدف تحقيق المكاسب المادية.

بعد بيان تعريف كل من الشركات العسكرية والأمنية الخاصة وتعريف المرتزقة أتضح لنا أنه لا فرق بينهما بل أن أنشطة الشركات هي نسخة متطورة من المرتزقة، ولا شك أن أنشطة المرتزقة تخالف العديد من المبادئ المستقرة في القانون الدولي العام مثل مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول ومبدأ استقلال الدول ومبدأ السلامة الإقليمية ومبدأ احظر استخدام القوة ومبدأ العيش في أمن وسلام، كما أنها تعرقل حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة كما أنها تتعارض مع حرية الدولة في اختيار نظامها السياسي والاقتصادي، كما أنها تمثل اعتداء علي حقوق الإنسان، وقبل كل ذلك أنها تمثل تهديداً للسلم والأمن الدوليين فأنها تمثل سببا مهما من أسباب تهديد السلم والأمن والدوليين([94]).

لذلك فأن كافة صور المرتزقة سواء الاستخدام أو التدريب أو الجلب عملا غير مشروع طبقا للقانون الدولي مهما كان الهدف منها خاصة المواد من (31/29) من اتفاقيتي لاهاي لعامي 1899م/1907م بشأن قوانين وأعراف الحرب البرية والمادة (5) من اتفاقية جنيف الرابعة والمادة(46)من البرتوكول الإضافي الأول لعام1977م لاتفاقيات جنيف الأربعة لعام1949م([95]).

وهناك دليل آخر علي عدم شرعية إنشاء شركات عسكرية وأمنية خاصة في نص المادة الخامسة من الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم الصادرة عن الأمم المتحدة فقد نصت علي:

(1 – لا يجوز للدول الأطراف تجنيد المرتزقة أو استخدامهم أو تمويلهم أو تدريبهم، وعليها أن تقوم، وفقا لأحكام هذه الاتفاقية، يحظر هذه الأنشطة.

2 – لا يجوز للدول الأطراف تجنيد المرتزقة أو استخدامهم أو تمويلهم أو تدريبهم لغرض مقاومة الممارسة الشرعية لحق الشعوب غير القابل للتصرف في تقرير المصير، حسبما يعترف به القانون الدولي، وعليها أن تتخذ الإجراءات المناسبة، وفقا للقانون الدولي، لمنع تجنيد المرتزقة أو استخدامهم أو تمويلهم أو تدريبهم لذلك الغرض.

3 – تعاقب الدول الأطراف علي الجرائم المنصوص عليها في هذه الاتفاقية بعقوبات مناسبة تأخذ في الاعتبار الطابع الخطير لهذه الجرائم.)

إضافة لما سبق فأننا أوردنا في الجهود الدولية العديد من القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة الجمعية العامة ومجلس الأمن تدل دلالة واضحة لا لبس فيها علي تحريم وتجريم المرتزقة في كافة صورها بل الاستخدام والتجنيد والجلب والاستعمال مما يدل علي أن هذه الشركات غير شرعية من حيث النشأة والمنهج والاستعمال أي بكافة الأشكال أي نشأة ومنهجا، ولا

---

[94] - راجع للمؤلف: كتاب المبادئ العامة في القانون الدولي المعاصر، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2006م

95- **د. أحمد أبو الوفا**، المرجع السابق، ص:171.

يجوز التذرع بأي سبب لإباحتها أو إضفاء الشرعية ليس علي التعامل معها فقط بل ونشأتها أيضا، فما تفعله هذه الشركات أنها تجند المرتزقة وتستخدمهم وتمولهم وتدربهم أليس هذا هو عمل هذه الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة.

لم يتوقف القانون الدولي عند حظر المرتزقة استخداما وتجنيدا وتدريبا بل وصل الأمر إلي اعتبارها جريمة من الجرائم ذات الاختصاص الدولي([96])، ونظرا لخطورة هذه الجريمة نصت الاتفاقية السابقة علي جعل الشروع والاشتراك فيها جريمة من الجرائم التي يجب معاقبة من يرتكبها وجعلتها من الجرائم التي تستوجب تسليم المجرمين حتى في حالة عدم وجود معاهدة تسليم بين الدول واعتبرت الجريمة وقعت في علي أراضي الدولة الذي قبض علي المتهم فيها وذلك في المادة(15)منها التي نصت علي أن(
1 – تعتبر الجرائم المنصوص عليها في المواد(4/3/2)من هذه الاتفاقية في عداد الجرائم التي تستدعي تسليم المجرمين في أية معاهدة لتسليم المجرمين نافذة بين الدول الأطراف، وتتعهد الدول الأطراف بإدراج تلك الجرائم بوصفها جرائم تستدعي تسليم المجرمين في كل معاهدة تسليم تعقد فيما بينها.
2 – إذا تلقت دولة طرف تجعل تسليم المجرمين رهنا بوجود معاهدة طلب تسليم من دولة طرف أخري لا ترتبط بمعاهدة لتسليم المجرمين جاز لها إذا شاءت أن تعتبر هذه الاتفاقية الأساس القانوني للتسليم فيما يتعلق بهذه الجرائم وتخضع عملية تسليم المجرمين للشروط الأخرى التي يقضي بها قانون الدولة التي يقدم إليها الطلب.
3 – علي الدول الأطراف التي لا تجعل تسليم المجرمين رهنا بوجود معاهدة أن تعتبر هذه الجرائم من الجرائم التي تستدعي تسليم المجرمين فيما بينها مع مراعاة الشروط التي يقضي بها قانون الدولة التي يقدم إليها الطلب.
4 – تعامل الجرائم لغرض تسليم المجرمين بين الدول الأطراف وكأنها قد ارتكبت لا في المكان الذي وقعت فيه فحسب بل أيضا في أقاليم الدول المطلوب منها إقامة ولايتها القضائية وفقا للمادة(9) من هذه الاتفاقية.)

وطالبت الدول بالتعاون القضائي لأقصي درجة من درجات التعاون نظرا لخطورة جريمة المرتزقة علي السلم والأمن الدوليين، فنصت في المادة(13) منها علي(1 – تتبادل الدول الأطراف المساعدة إلي أقصي حد فيما يتعلق بالإجراءات الجنائية التي تتخذ بشأن الجرائم المنصوص عليها في هذه الاتفاقية بما في ذلك تقديم جميع ما بحوزتها من أدلة لازمة لتلك الإجراءات ويسري في جميع الحالات قانون الدولة المطلوب مساعدتها.
2 – لا تمس أحكام الفقرة(1)من هذه المادة الالتزامات المنصوص عليها في أية معاهدة أخري فيما يتعلق بالمساعدة القضائية المتبادلة.)

---

[96] - راجع في تفصيلات ذلك، الأستاذ الدكتور/إبراهيم محمد العناني، النظام الدولي الأمني، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، 1997م، ص: 111 وما بعدها.
- الأستاذ الدكتور:صلاح الدين عامر، جرائم الحرب، بحث منشور في كتاب المحكمة الجنائية الدولية المواءمات الدستورية والتشريعية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر القاهرة، الطبعة الثانية2004م، ص:141 وما بعدها.

كما فرضت الاتفاقية السابقة علي الدول اتخاذ عدة إجراءات لمحاكمة المتهم سواء كان من مواطنيها أم لا، بينتها في المادة العاشرة منها فنصت علي أن(1 – تقوم أي دولة طرف يوجد في إقليمها الشخص المنسوب إليه ارتكاب الجريمة، لدي اقتناعها بأن الظروف تبرر ذلك بحبسه وفقا لقوانينها أو اتخاذ تدابير أخري لضمان وجوده الفترة اللازمة لإتاحة اتخاذ أية إجراءات جنائية أو إجراءات تسليم، وتجري هذه الدولة الطرف فورا تحقيقا أوليا في الوقائع.

2 – عندما تقوم أي دولة طرف، عملا بهذه المادة، بحبس أحد الأشخاص أو باتخاذ التدابير الأخرى المشار إليها في الفقرة (1) من هذه المادة، عليها أن تخطر بذلك دون تأخير، سواء مباشرة أو بواسطة الأمين العام للأمم المتحدة، ما يلي:

(أ) الدولة الطرف التي ارتكبت فيها الجريمة:

(ب) الدولة الطرف التي ارتكبت الجريمة ضدها أو شرع فيها ضدها:

(ج) الدولة الطرف التي يكون الشخص الطبيعي أو الاعتباري الذي ارتكبت الجريمة ضده أو شرع فيها ضده من مواطنيها:

(د) الدولة الطرف التي يكون الشخص المنسوب إليه ارتكاب الجريمة من مواطنيها، أو يكون محل أقامته المعتاد في إقليمها إن كان عديم الجنسية:

(هـ) أي طرف دولة معنية أخري تري من المناسب أخطارها.

3 – يحق لكل شخص تتخذ بشأنه التدابير المشار إليها في الفقرة(1)من هذه المادة:

(أ) أن يتصل دون تأخير بأقرب ممثل مناسب من ممثلي الدولة التي يكون من مواطنيها أو التي لها بأية صورة الحق في حماية حقوقه، أو إذا كان شخصا عديم الجنسية، الدولة التي يكون محل أقامته المعتاد في إقليمها،

(ب) أن يزوره ممثل تلك الدولة.

4 – لا تخل أحكام الفقرة (3) من هذه المادة بحق أية دولة طرف، لها حق الولاية القضائية ووفقا للفقرة (1/ب)من هذه المادة(9) في أن تدعو لجنة الصليب الأحمر الدولية إلي الاتصال بالشخص المنسوب إليه الجريمة وإلي زيارته.

5 – تبادر الدولة التي تجري التحقيق الأولي المتوخي في الفقرة (1)من هذه المادة بإبلاغ نتائج تحقيقها للدول المشار إليها في الفقرة(2)من هذه المادة وتبين ما إذا كانت تعتزم ممارسة ولايتها القضائية.)

يتضح من نصوص هذه الاتفاقية واتفاقية منظمة الاتحاد الأفريقي لمناهضة المرتزقة، والقرارات الصادرة من كل من الجمعية العامة ومجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة والسابق ذكرها، أن احتراف مهنة المرتزقة غير شرعية وتقع خارج دائرة الشرعية الدولية والقانون الدولي، كما أنها تعد جريمة دولية خطيرة ذات اختصاص عالمي، فضلا عن أن استخدام المرتزقة يعد غير مشروع وتجنيد المرتزقة وهو ما تفعله الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة غير مشروع بل جريمة خطيرة من الجرائم الدولية ذات الاختصاص العالمي، ويمثل تدريب المرتزقة

أيضا جريمة من الجرائم الدولية الخطيرة ذات الاختصاص العالمي([97])، وكل ما سبق تفعله الشركات العسكرية الدولية الخاصة.

وتتحمل الدول التي صرحت وسمحت بإنشاء تلك الشركات علي أراضيها والدول التي تستخدمها المسئولية الدولية كاملة عن أعمال هذه الشركات والجرائم التي يرتكبونها في أي دولة من الدول طبقا لما ورد في مواد اللجنة القانونية الدولية حول (المسئولية الدولية لعام2001)والتي نصت علي أنه( تقع علي عاتق الدول مسئولية الأعمال التي تقوم بها الجهات غير الحكومية بالنيابة عن الدولة) والشركات العسكرية والأمنية الخاصة تقوم بذلك.

مما سبق يتبن أن الشركات العسكرية والأمنية الخاصة شركات للمرتزقة مهما أطلق عليها من تسميات مضللة خادعة، ومهما قيل في تبريرها وجودا وحياة فهي غير شرعية بل أنها تعد من أخطر جرائم العصر فهي تهدد السلم والأمن الدوليين في كل رجا من أرجاء الأرض، فالجرائم التي يرتكبوها والمذابح التي يقدمون عليها بدم بارد في كل من البوسنة والهرسك وكوسوفا وفي أفغانستان وفي أفريقيا علي مدي عقود طويلة وفي العراق، ولا نغالي في القول إذا قلنا أنهم وراء كل بؤر التوتر وعدم الاستقرار في العالم فيه حقا تهدد السلم والأمن الدوليين فمن يجرؤ بعد ذلك علي القول بشرعيتها وضرورة وجودها في الحياة إلا تجار الحروب والموت والدمار والخراب أصحاب المجمع الصناعي العسكري الخاص وأنصارهم وأذيالهم من ضعاف النفوس والخونة والعملاء من الحكام.

## المصادر والمراجع


إبراهيم محمد العناني، النظام الدولي الأمني، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، 1997م.

أحمد أبو الوفا، الملامح الأساسية للمحكمة الجنائية الدولية، بحث منشور في كتاب المحكمة الجنائية الدولية المواءمات الدستورية والتشريعية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر القاهرة، الطبعة الثانية2004م.

**أحمد أبوالوفا،** الفئات المشمولة بحماية القانون الدول الإنساني، بحث في كتاب القانون الدولي الإنساني دليل التطبيق علي الصعيد الوطني، إصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، عام 2003م.


[97] – الأستاذ الدكتور: أحمد أبو الوفا، الملامح الأساسية للمحكمة الجنائية الدولية، بحث منشور في كتاب المحكمة الجنائية الدولية المواءمات الدستورية والتشريعية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر القاهرة، الطبعة الثانية2004م، ص: 31 وما بعدها.

أحمد علي سالم، دراسات عن الحرب والسلام.. مراجعة لأدبيات الصراع الدولي، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام الصحفية، القاهرة العدد(170)،أكتوبر2007م.

**إيمان عمر الفاروق،** جيش المرتزقة في العراق يقتل مليون عراقي، مقال بمجلة الأهرام العربي، العدد513 السنة الحادية عشرة، يونيه 2007م، إصدار مؤسسة الأهرام الصحفية، القاهرة.

**السيد مصطفى أبو الخير، استراتيجية فرض العولمة الآليات ووسائل الحماية، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.**

السيد مصطفى أبو الخير، كتاب الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة، دراسة قانونية سياسية، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

السيد مصطفى أبو الخير، كتاب المبادئ العامة في القانون الدولي المعاصر، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2006م

السيد مصطفى أبو الخير، مستقبل الحروب، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

السيد ياسين، الحرب الكونية الثالثة عاصفة سبتمبر والسلام العالمي، مكتبة الأسرة، 2003م.

ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير، التحالف الأسود وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات والصحافة ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة العدد(446)، الطبعة الأولي، 2002م. والنسخة الإنجليزية Whiteout The CIA, Drugs and the Press ALEXANDER COCKBURN and JEFFREY ST.CLAIR VERSO London, New York, 1999 .

بنجامين باربر، عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة العدد(42)، 1998م. والنسخة الإنجليزية: BENJAMIN R. BARBER, Jihad vs. Mc World Published by Times Books, New York,1995

**توفيق المديني،** دور المرتزقة في الحرب الأميركية على العراق، جريدة المستقبل العدد 2544 الصادر في 2007/3/1م. ترجمة كتاب: طريق الجحيم العراقي تأليف: جون جيدس

**John Geddes:** Auto route vers l'enfer Paru en November Editions Movie Planet. 2006 aux

تييري ميسان، 11 سبتمبر 2001 الخديعة المرعبة، ترجمة الدكتورة داليا محمد والدكتورة جيهان حسن، شركة كاسف القاهرة باريس، الطبعة الأولي عام 2002م.

جيرمي سكيل، المرتزقة قادمون بلاكووتر كبري شركات تصدير فرق الموت، ترجمة الدكتورة فاطمة نصر و حسام إبراهيم، دار السطور الجديدة، القاهرة، 2007م. والنسخة الإنجليزية:- Jermey Scahill, BLACKWATER The Rise Of The World's Most Powerful Mercenary Army, Nation Books, 2007.

**خالد القرعان،** في حروب الولايات المتحدة علي العراق وشعبه(3/1) جريد القبس الصادرة يوم 2007/5/14م بتصرف من المؤلف.

خالد يوسف، الإمبراطورية الأمريكية التاريخ الأسود والعقيدة الفاسدة، سلسلة استراتيجيات، السنة الأولي العدد (4/3)، يناير أبريل 2005م.

خديجة النبراوي، موسوعة أصول الفكر الإسلامي السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة النبوية الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، الجزء الخامس، دار السلام، القاهرة، 2004م.

درية شفيق بسيوني والدكتور السيد عمر والدكتورة أحلام محمد السعدي فرهود، العلاقات الدولية والنظم الدبلوماسية والقنصلية، كلية تجارة، جامعة حلوان، 2006.

رمزي طه الشاعر، الأيديولوجيات وأثرها في الأنظمة السياسية المعاصرة، والقسم الأول الأيديولوجية التحريرية، مطبعة جامعة عين شمس، عام 1988م

**زهير الدجيلي،** ثلث موازنة الحكومة العراقية تذهب للحماية موقع www.curriki.org

سعيد سالم جويلي، المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، دار النهضة العربية القاهرة، 2003م.

- Les dimension internationles des humanitaaire,ED.Apedone, paris,1986.

صلاح الدين عامر، جرائم الحرب، بحث منشور في كتاب المحكمة الجنائية الدولية المواءمات الدستورية والتشريعية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر القاهرة، الطبعة الثانية2004م.

**عبد الغني محمود،** القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة 2004.

عبد الله يوسف سهر، دوافع وتداعيات التدخل العسكري الأمريكي في العراق، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام الصحفية، القاهرة، العدد(170)، أكتوبر 2007 م

كيمبرلي بلاكر، أصول التطرف اليمين المسيحي في أمريكا، ترجمة هبة رءوف وتامر عبد الوهاب، مكتبة الأسرة، 2006م

مايك فبذرستون وآخرون، محدثات العولمة، ترجمة عبد الوهاب علوب، المشروع القومي للترجمة العدد(93)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995م. والنسخة الإنجليزية:
Mike Featherstone, SoottLash and Roland Robertson, Global Modermities, London, Sage, 1995.

**محمود عوض**، المرتزقة.. بأوامر عليا، جريدة الحياة، 2004/9/5.

مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الجزء الأول مكتبة الشروق، الطبعة الأولي، 2001، ترجمة د/عصام فايز ود/ ناهد وصفي، والجزء الثاني، ترجمة د/زين نجاتي ومهندس نشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولي، 2002م.

مصطفي سلامة حسين، ازدواجية المعاملة في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987م، 289.

**ميشال سايان**، المرتزقة في العراق نهاية مثيرة للجدل/ مجلة الايكونومست، ترجمة محمد على حريصي، جريدة السفير اللبنانية، في 2006/11/8.

ويليام بلوم، الدولة المارقة دليل إلي الدولة العظمي الوحيدة في العالم، ترجمة، كمال السيد، المشروع القومي للترجمة، العدد(463)، إصدار وزارة الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولي2002م.راجع النسخة الإنجليزية: William Blum, ROGUESTATE. AGuide to the World's Only Superpower, Zed Books ltd,U.K New updated edition,2002.

Robert Keohane:, After Hegemony, Cooperation and Discord in the World Political Economy, Princeton University Press, 1984.PP,11/12

Robert Goodin,( How Amoral, Is Hegemon? ) Perspectives on Politics, 1.1, 2003, PP124.

أميمة عبد الطيف، البنادق المؤجرة في العراق(1)، مجلة العصر،2004/5/1م.
نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد(276، ديسمبر 2001م، ص 119 وما بعدها.
القانون الدولي والشركات العسكرية والأمنية الخاصة، الصليب الأحمر الدولي، 2006/5/23.
دراسة مجلة أفاق أفريقية، شركات الأمن ودورها في أفريقيا،العدد(20)، إصدار الهيئة المصرية العامة للاستعلامات، القاهرة.
وثائق الأمم المتحدة الوثيقة رقم.A/32/310\وثيقة الأمم المتحدة رقمA/44/43.\وثيقة الأمم المتحدة رقمA/C8/44/L9.\الوثيقة رقم(A/52/495).

## نظام محاسبة التكاليف ووظائف الإدارة في وحدات إدارة الأعمال

الدكتور صباح قدوري جامعة ابن رشد - هولندا

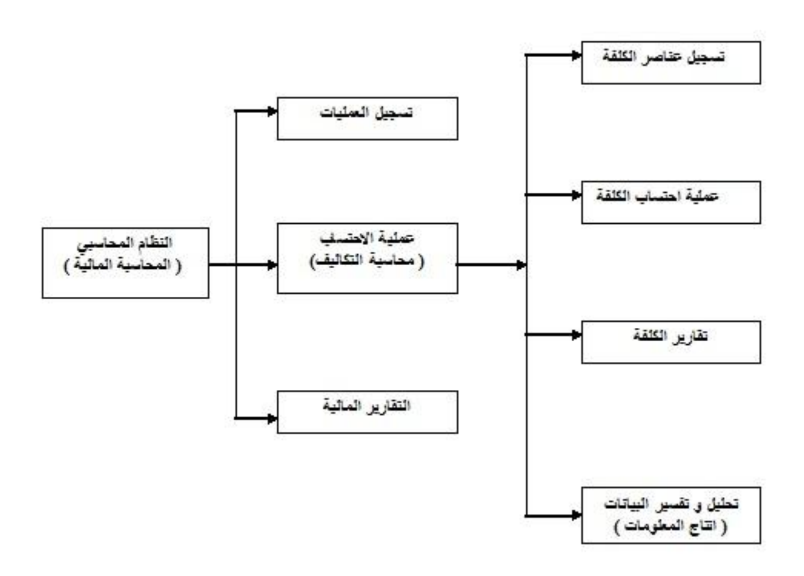
# نظام محاسبة التكاليف ووظائف الإدارة في وحدات إدارة الأعمال

**الدكتور صباح قدوري**
نائب رئيس جامعة ابن رشد في هولندا
رئيس قسم المحاسبة/كلية إدارة الأعمال

## المقدمة

لقد تطور مفهوم عمليات تسجيل المعاملات الاقتصادية خلال المراحل التاريخية المختلفة، من مفهوم ضيق أي مسك الدفاتر إلى أن أصبح معروفا بمفهوم النظام المحاسبي الذي يستند على نظرية القيد المزدوج ( double entry system). اليوم يعدّ النظام المحاسبي جزءا من نظام المعلومات الاقتصادية علم الضبط أو الكمي والمعلوماتي ( cybernetics and informatics) . وهو العلم الذي يهدف إلى تجميع البيانات الاقتصادية وتصنيفها، تسجيلها ومعاملتها وتفسيرها، وتحليلها وعرضها وتقديمها على شكل تقارير معلوماتية، معبرا عنها بوحدة نقدية وفي وقت محدد. و تزويد المستويات الإدارية المختلفة بهذه المعلومات لتستفيدة منها في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية والإدارية. ويعدّ نظام محاسبة التكاليف من أهم أجزاء أو مكونات هذا النظام. والعلاقة بينهما توضح كما في المخطط رقم 1.

العلاقةُ بين النظام المحاسبي و محاسبةُ التكاليف
مخطط رقم 1




مصدر : عمل شخصي

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الدراسة الحديثة لنظام محاسبة التكاليف تبنى على فرضية، معرفة الربط بين كل من وظائف النظام والإدارة. وبمعنى آخر دور هذا النظام ومساعدته للمحاسب الإداري والقادة الآخرين في وحدة إدارة الأعمال، في ممارسة مهام التخطيط والرقابة وعملية اتخاذ القرارات.

وتنصب محاسبة التكاليف، التي تسمى أيضا بالمحاسبة الداخلية، على قياس تكلفة الانتاج، وانتاج البيانات لأهداف المحاسبة المالية، وتسمى بالمحاسبة الخارجية وكذلك المحاسبة الإدارية. وتنصب هنا على انتاج المعلومات على شكل تقارير لأهداف عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية قصيرة وطويلة الأمد. وترتبط محاسبة التكاليف مع المحاسبة المالية عبر احتساب كلفة الوحدة المنتجة. إلا أن دور محاسبة التكاليف برز أوضح في المحاسبة الإدارية لوحدات إدارة الأعمال، في انتاج المعلومات الاقتصادية اللازمة لعملية اتخاذ

القرارات على المستويات الإدارية المختلفة، وذلك في نهاية القرن الماضي، وفي الأدب المحاسبي في الربع الأخير منه.

ولكي يؤدي نظام محاسبة التكاليف دوره الوظيفي في الادارة، لابد من اعتبار تبويب عناصر الكلفة مدخلا أساسيا في هذه العملية. وبيان كمية ونوعية المعلومات التي تنتجها كل من هذه التبويبات في التطبيق العملي. وكيفية الاستفادة منها في خدمة وظائف الادارة الفعالة على صعيد وحدات إدارة الأعمال.

وتكمن أهمية هذا البحث، في تحليل أنواع تبويبات عناصر الكلفة ، وكيفية الاستفادة منها لأغراض خدمة الوظائف الادارية الفعالة في وحدة إدارة الأعمال، وتاثير هذه التبويبات على نظم ونماذج ونظريات التكاليف المعروفة في التطبيق العملي.
فيما يمكن تلخيص مشكلة البحث في كيفية ربط العلاقة في الاختيار بين هذه الانواع من تبويبات عناصر الكلفة، ومدى احتياجات وحدة إدارة الأعمال لكل نوع منها محددا ذلك بالعوامل التي تؤثر على هذا الاختيار.

أما الهدف من هذا البحث فيتمثل في توضيح مفهوم تبويبات عناصر الكلفة مدخلا أوليا لمعالجة مواضيع نظام محاسبة التكاليف، وكيفية استفادة وحدة إدارة الأعمال منها لاغراض وظائف الادارة الفعالة.

إن فرضية البحث هي، لكي تمارس الوحدة الاقتصادية وظائفها الادارية بشكل فعال، يجب ان يكون هناك الاختيار الملائم لأنواع من تبويبات عناصر الكلفة في التطبيق على اسس مدخل التكلفة- المنفعة. وبمعنى آخر الى اي حد يمكن ان تساعد هذه التبويبات على تحقيق أهداف الادارة بتكاليفها، بهدف تطوير تسجيلات عناصر الكلفة في السجلات والدفاتر، بحيث تسهل تطبيق أي نظرية من نظريات التكاليف عند قياس التكلفة، أي (التكاليف الكلية والتكاليف المتغيرة)، والرقابة على عناصر الكلفة، أي ( تكاليف تاريخية وتكاليف مقدرة مقدما)، واتخاذ القرارات عن طريق قياس تكلفة الوحدة المنتجة باكثر من اسلوب. وهذا في حد ذاته يعدّ انتاجا لمعلومات تتناسب مع الموقف الذي يطلب من أجله.
وفي ضوء ما تقدم، يمكن اجمال مادة البحث في الموضوعات الآتية:-

1. وظائف الإدارة الفعالة، وموقع محاسبة التكاليف منها.

2. تحليل أنواع تبويبات عناصر التكلفة، وبيان درجة الاستفادة منها في خدمة وظائف الادارة على مستوى وحدات إدارة الأعمال.
3. الاستنتاجات والخلاصة.

أولا:- وظائف الإدارة الفعالة ، وموقع محاسبة التكاليف منها
في بداية القرن العشرين وتحديدا في العشرينيات منه، كانت وظيفة محاسبة التكاليف تخدم انتاج البيانات عن الكلفة والرقابة على عناصرها. وذلك بهدف تخفيض كلفة الانتاج واحتسابها على أساس الكلفة الكلية، وتحديد سعر ملائم للبيع في السوق. في بداية الثلاثينيات في الولايات المتحدة الامريكية والاربعينيات في أوروبا أصبح اهتمام الوحدات الاقتصادية ينصرف نحو وظائفها الداخلية، والتركيز على الانتاج الواسع، ما أثر على توسيع وظيفة محاسبة التكاليف والحاجة الى تصنيف عناصر الكلفة الى تكاليف مباشرة وغير مباشرة ، ومن ثم الى تصنيف عناصر الكلفة الى الثابتة والمتغيرة. وفي توسيع مفهوم الرقابة على عناصر الكلفة الى استخدام محاسبة التكاليف المعيارية والقياسية، ومقارنتها بالتحقق الفعلي لغرض الوقوف على الانحرافات ومعالجتها في حينه. أصبحت الحاجة الى استخدام معايير لقياس وظائف الوحدة الاقتصادية في ضوء درجة العائد المرجع على رأس المال على وفق الصياغة الهرمية، Du Pont[98] واستخدام الطاقة الانتاجية المتاحة، وزيادة المبالغ المرصدة للابحاث في ايجاد أسواق
لتصريف البضائع على اسس تخفيض الكلفة، ورفع جودة الوحدات المنتجة، ومجابهة المنافسة في الاسواق بهدف تحقيق رغبات المستهلكين.

في ظل السوق الحر أصبحت نظرية محاسبة تكاليف الكلية غير مجدية، وذلك للاسباب الآتية:
1. عدم استجابة تركيبة الكلفة لتغيرات في استخدام الطاقة الانتاجية، وكذلك السوق.
2. تحديد كلفة الوحدة المنتجة على اسس الكلفة الكلية للوحدة الاقتصادية، وعدم الأخذ بنظر الاعتبارعلاقة الانتاج في السوق، وذلك بسبب ضعف المنافسة انذاك.
3. انتاج البيانات على وفق الكلفة الكلية، كانت غيركفوءة وكافية لاتخاذ القرارات الاستثمارية.

---

98 R.S Kaplan, H.T. Johnson Relevance Lost: The Rise and Fall of Management Accounting, Harvard Business School Press, Boston 1987 p. 84-87

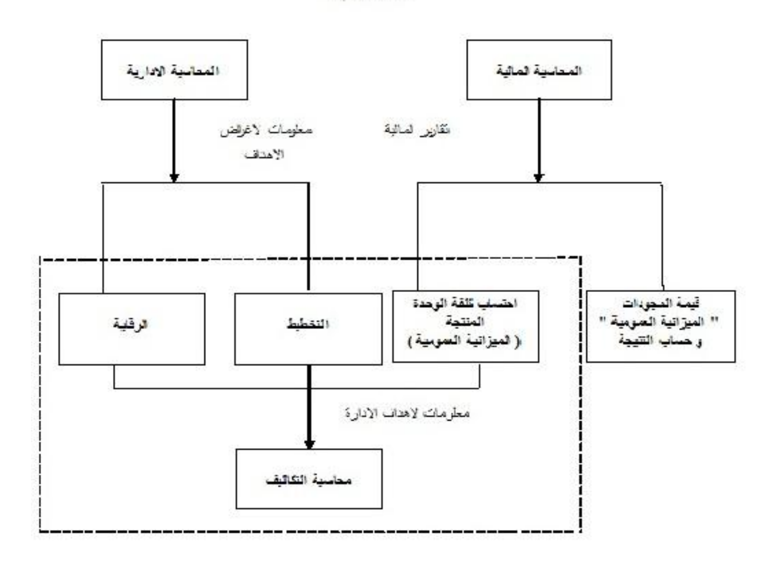
وبدلا من الاعتماد على مفهوم تحديد كلفة الوحدة المنتجة على أسس نظرية الكلفة الكلية وعلى وفق فرضية الحقيقة المطلقة، ظهرت فكرة، الحقيقة النسبية أي (كلف مختلفة لأهداف مختلفة)، ونماذج مختلفة لاتخاذ قرارات مختلفة، وبذلك ظهرت الحاجة الى استخدام نظرية التكاليف المتغيرة ( تقسيم عناصر الكلفة الى المتغيرة والثابتة) لاحتساب كلفة الوحدة المنتجة، وبذلك تم التخلص أيضا من صعوبة ومشكلة احتساب التكاليف الثابتة التي تحسب عادة بطريقة غيرمضبوطة.

وأثرت هذه النظرية على تطوير طريقة تحليل الكفاءة الربحية والاستثمارية. وبذلك أصبحت وظيفة محاسبة التكاليف، اداة معلوماتية تقاريرية فعالة في تقييم الموجودات وحسابات النتيجة للمحاسبة المالية. واداة قراراتية فعالة للمحاسبة الادارية، عبر تزويدها معلومات مختلفة لعملية اتخاذ القرارات الاقتصادية، والمعلومات عن درجة تنفيذ الخطة عن النتائج المتحققة، والوقوف على الانحرافات ومعالجتها في وقتها.

ولمزيد من الإيضاح تجد العلاقة بين محاسبة التكاليف كمصدر للمعلومات والمحاسبة المالية والمحاسبة الادارية ، معبرا عنها المخطط رقم 2 في الصفحة التالية

علاقة محاسبة التكاليف بالمحاسبة المالية والادارية

مخطط رقم2




المصدر : عمل شخصي

وفي ضوء مجمل ما تقدم، يمكن تصنيف وظائف محاسبة التكاليف، كالاتي:

1. احتساب الكلفة وتحديد السعر
2. الرقابة الاقتصادية
3. اتخاذ القرارات المتعلقة بتخطيط الانتاج
4. تحديد النتيجة وتقييم الموجودات
5. تقييم الكفاءة الانتاجية لمختلف المنتوجات والعاملين
6. التحليل ومراقبة تغيرات الهيكلية للوحدة في مراحل تطورها المختلفة.

تعدّ محاسبة التكاليف أداة لمساعدة الادارة على اداء مهامها الحالية والتنبؤ بالمستقبل. ويتم ذلك عن طريق تحديد الأهداف من بين البدائل المتاحة- التخطيط، والتنبؤ بنتائج محتملة التحقيق في ظل بدائل تحقق هذه الاهداف- الرقابة، ومن ثم اتخاذ القرارات اللازمة للحصول على النتائج[99]. وتنتج عن كل هذه العمليات تغذيةFeedback عكسية للمعلومات، ويقصد بها خدمة هذه الوظائف بعضها لبعض نتيجة المقارنة بين ماهومستهدف طبقا لما موضوع في الاهداف ونتائج الاداء الفعلي.

إن نظام محاسبة التكاليف من خلال أدائه الوظيفتين الرئيستين ، التحليلية والرقابية، ينتج المعلومات لاغراض الادارة ، يمكن اجمالها كالاتي[100] :-
أولا:- تزويد المعلومات اللازمة لعملية اعادة الانتاج الذي يساعد على:-
أ. تزويد المعلومات لعملية التخطيط والانتاج وتحديد السعر.
ب. قياس العائد على الاستثمار.
ج. عمل حساب النتيجة وتقويم المخزون.
ثانيا:- تساعد على عملية اتخاذ القرارات الداخلية لتنفيذ خطط وأهداف متوسطة وقصيرة الأجل ذات صفات خاصة.
ثالثا:- ان انتاج المعلومات يساعد على عملية تحليل الكلفة ومقارناتها في:-
أ.أوقات مختلفة.
ب. بين الوحدات المتشابهة للاقتصاد الوطني.
ج.على صعيد العالمي.
د. تحليل النفقات الادارية والتسويقية.

أما عملية الرقابة فتعتمد على مقارنة التكاليف المخططة مع التكاليف الفعلية. والتأكد من تحقيق الاهداف في ضوء المعايير المحددة، والوقوف على الانحرافات إن وجدت وتحليلها، وتحديد المسؤولية عن هذه الانحرافات. ان مهمة الرقابة تساعد وحدة إدارة الأعمال في معرفة كفاءة العاملين وتحديد المسؤوليات من خلال تطبيق نظام محاسبة المسؤولية، اي ربط التكلفة

---

[99] A .Wakar صاغ
عملية الادارة بوظائفها الثلاثة: الاسعار – طرق الاحتساب – التحفيز. الاسعار يعني اتخاذ القرارات ، طرق الاحتساب. التكاليف – اي التخطيط والرقابة ،التحفيز .اي اعداد وتنمية روح العاملين.
A.Wakara; Morfologia bodzcow ekonomicznych, PWW, Warszawa 1963s.12باللغة البولندية
[100] تشارلز ت . هونجرن . محاسبة التكاليف ، مدخل اداري ، الجزء الاول ، دار المريخ للنشر والانتاج الفني ، الرياض 1986 ص. 25-26

بالمسؤول عن حدوثها، بحيث تنصب عملية الرقابة على الاشخاص المسؤولين عن صرف عناصرالكلفة، وليست على العناصر ذاتها. ويعد هذا النظام من أحدث المداخل العلمية لعملية الرقابة. تمارس مهمة الرقابة أيضا في التأكيد على صحة القرارات المتخذة، تقييم الاداء من خلال متابعة وظائف الاداريين والمديرين، بهدف قياس عملية الاداء والمساهمة في تنفيذ الاهداف الموضوعة. ان الوظائف المذكورة ، تكمل إحداها الأخرى ، والاختلاف بينها يرجع الى تعددها المنهجي.

إن اعداد التقارير المالية بدقة تتطلب بيانات تكاليف موثوقة، تلك التي تنعكس فيها طبيعة الانتاج، نوعية وكمية البيع والمخزون، انتاجية العمل، الاستفادة من الطاقة المتاحة للانتاج، السياسة السعرية، وغيرها من البيانات الضرورية التي تحتاجها الادارة في عملية التخطيط والرقابة وتحديد المسؤولية ، وعملية اتخاذ القرارات الادارية والاقتصادية.

ثانيا:- تبويب عناصر التكلفة

بعد عرضنا الموجز والمركز للعلاقة الوظيفية بين نظام محاسبة التكاليف والادارة في الفقرة السابقة، نحاول ان نعالج في هذه الفقرة اهم تبويبات عناصر التكلفة، وكيفية الاستفادة منها في خدمة وظائف الادارة الفعالة.

يقصد بتبويب عناصرالتكلفة تسهيل عملية تسجيلها وتوجيهها ومتابعتها وتحليلها ومن ثم الرقابة عليها، تمهيدا لمرحلة احتسابها وتحميلها على وحدة التكلفة التي تتخذ اساسا لقياس تكلفة الانتاج او الخدمة قياسا نقديا. ومن هذا التوصيف يتبين ان اتباع اي أسلوب في تبويب عناصر التكلفة ، لابد ان يؤثر مباشرة على كمية ونوعية المعلومات المطلوبة، على وفق حاجة ورغبة معينة للوحدة الاقتصادية. كما ان عملية التبويب تعد المرحلة الاولى- المدخل ضمن مراحل المعالجات المحاسبية في نظام محاسبة التكاليف. وعليها تتوقف النتائج بوصفها منبعا ومصدرا لاعداد تقارير الكلفة وتحليلها وتفسيرها في مرحلتها الاخيرة.

ويمكن تبويب عناصر التكلفة بطرق عديدة، كالاتي[101] :-

1. التبويب النوعي( التبويب الطبيعي).
2. تبويب حسب محل انشاء الكلفة، اي تجميعها (مراكز الكلفة)، او على الأساس الوظيفي.
3. تبويب على وفق طريقة الاحتساب ، اي بحسب امكانية تتبع الكلفة وعلاقتها بوحدة النشاط- أوجه التكلفة(المباشرة وغير المباشرة).
4. التبويب على وفق سلوك التكلفة تجاه تقلبات في مستوى النشاط، اي تبويب عناصر الكلفة الى( التكاليف الثابتة والمتغيرة والمختلطة).
5. التبويب على وفق مدة التكاليف ( تكاليف تاريخية، وتكاليف مقدرة مقدما- معيارية).

وسنحاول هنا تحليل كل نوع من هذه التبويبات بما تنتجه من المعلومات في خدمة الادارة الفعالة لوحدات إدارة الأعمال.

اولا: التبويب النوعي لعناصر التكلفة

تتلخص العملية الانتاجية في وحدات إدارة الأعمال في شراء المواد الاولية، واجراء مجموعة من العمليات التحويلية عليها عن طريق تضافر مجموعة من عوامل الانتاج ، بهدف الوصول الى المنتج النهائي. وتمثل عناصر التكاليف على وفق هذا التبويب، وبشكلها الاولي المتعارف عليه في الادب المحاسبي الراسمالي، الى:-

أ. المواد والخامات
ب. قوة العمل- الاجور
ج. الخدمات الاخرى

اما لاغراض الاقتصاد الموجه والمخطط ، فيمكن التعبير عن هذ التبويب بشكل اكثر توسعا وتحليلا. وتبويب عناصر الكلفة من وجهة نظر احتساب

---

[101] متناول هذا الموضوع كثير من الباحثين والمختصين في حقل محاسبة التكاليف ، نذكر بعض منهم على سبيل المثال وليس الحصر.

Bigg W.W ; Cost Accounts, Mac Donald and Evas ITD Great Britain 1972.
Owler L.W.J Brown J.L; Cost Accounting and Costing Methods; Great Britain 1975
Charles T. Horngren ; Cost Accounting A Managerial Emphasis; Fourth Edition, PHI, London 1977

الدخل القومي ولاغراض الاقتصاد الكلي ومن(دون الدخول في التفاصيل)، الى:-

أ.التكاليف المادية، وهي عناصر ترتبط بشكل مباشر بعملية الانتاج (الاندثار، المواد والطاقة، الخدمات الانتاجية من الغير، الخدمات المادية- النقل ،الصيانة وغيرها).
ب. التكاليف غير المادية، وهي عناصر التي لا تشترك بشكل مادي مباشرة في العملية الانتاجية، على الرغم من ان قوة العمل ، هي عنصر أساس في الانتاج ، الا ان مساهمتها في كلفة الانتاج يعد عملا بشريا اجتماعيا غير مادي.
ج. خدمات اخرى غير مادية.

إن التبويب النوعي لعناصر الكلفة، يعد المدخل الاولي لحسابات التكاليف، والمتفق عليه من جميع محاسبي التكاليف، بوصفه تبويبا أساسيا يجب استخدامه.
وتعدّ البيانات التي ينتجها هذا التبويب قليلة الفائدة لاغراض الادارة، وخاصة من وجهة نظر اداء وظيفة الرقابة وتخطيط التكاليف، ومن ثم تحليلها وتحديد نتيجة نشاط الوحدة والتعبير عنها في التقارير الدورية بشكل دقيق، وذلك للأسباب الآتية:-

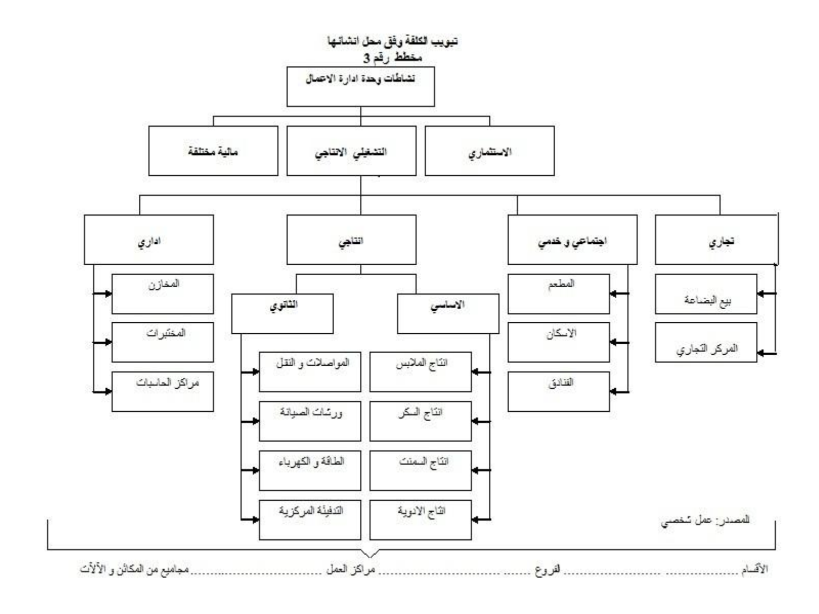
أ. إن هذا التبويب يعبر بشكل اجمالي عن عناصر الكلفة التي تحمَّل بها الوحدة الاقتصادية، لذا من الضروري الرقابة عليها، وخاصة بالنسبة الى التشكيلات الانتاجية المختلفة.
ب. وهي تتضمن تكاليف عن الفترات القادمة، لذا يتطلب تحليلها في العمليات الجارية ، وتحميل نصيب كل فترة بالكلفة الحقيقية التي تخصها (مثلا شهريا).
ج. لا تساعد على اجراء عملية مقارنة بشكل مباشر بين التكلفة المخططة والفعلية، لانها تعتمد على التقديرات الاجمالية للفترات السابقة.
د.ان هذا التبويب لا يميز تاثير سلوك الكلفة بالنسبة لتغير حجم الانتاج او المبيعات، اي لا يفصل بين( التكاليف المتغيرة والثابتة)، والتي تعد مهمة في عملية تحديد الاسعار، وتنظيم التقارير الداخلية للادارة على وفق اسس تحليل: التكلفة/الحجم/ الربح.

ان هذا التبويب يساعد على انتاج البيانات التي تخدم اغراض الاقتصاد الكلي في عملية ( تخطيط السياسة الاقتصادية، عمل جداول المستخدم- المنتج، احتساب الدخل القومي والناتج الاجمالي والصافي، فحص التركيب الكلفوي بشكل اجمالي للوحدات الاقتصادية وفروعها، واجراء مقارنة فيما بينها)، اكثر من ان يخدم الاقتصاد الجزئي- وحدات إدارة الأعمال، وهذا هو موضوع بحثنا ومعالجاته.

ثانيا: تبويب الكلفة حسب محل انشائها اي تجميعها ( مراكز الكلفة)، او على الأساس الوظيفي.

ان محل انشاء او تجميع الكلفة ، يمكن ان يكون الاقسام او الفروع المختلفة ، او ان يكون محل العمل او مجاميع من المكائن والالات . كما يتوقف نوعيته على طبيعة الانشطة التي تزاولها الوحدة الاقتصادية، الهيكل التنظيمي، حجمها والتشكيلة الانتاجية لانتاجها وغيرها.

ويمكن التعبير عن تبويبات الكلفة على وفق محل انشائها ، كما موضح في مخطط رقم3   في الصفحة التالية




ان نوع النشاط الذي تزاوله الوحدة الاقتصادية ، له تاثير كبير على محل تجميع الكلفة ، فمثلا في النشاط الاستثماري، يعد محل تجميع الكلفة ( الابنية، المعدات، المكائن، وانتاج موجودات ثابتة اخرى). ففي الانشطة المالية المختلفة التي يجري تمويلها عادة من التخصيصات الخاصة بذلك، قد يكون محل انشاء الكلفة مثلا ( الخدمات الاجتماعية، السكنية، الصحية ، نفقات روضة الاطفال العائدة للوحدة الاقتصادية).اما النشاط التشغيلي فهو النشاط الاساس للوحدة الاقتصادية فيمكن تقسيمه الى النشاط الاساس، وتجمع فيه التكاليف على وفق الاقسام الرئيسة للانتاج . فمثلا في (صناعة الغزل والنسيج، قد يكون كلفة الغزل، وفي صناعة السكر ، السكر، وفي الخبز ، الخبز)، وهكذا. والى النشاط الثانوي ( المساعد) ، وتصنف فيه التكاليف على وفق الاقسام الخدمية والمساعة للانتاج، فمثلا (محطات توليد الطاقة، ورشات الصيانة والتصليح، المختبرات، وغيرها). ففي مجال النشاطات الاجتماعية، يكون محل انشاء الكلفة مثلا (الوحدات السكنية، الفنادق، المطاعم، دار الحضانة وروضة الاطفال ، العائدة للوحدة الاقتصادية). اما في مجال التكاليف الادارية، فيكون محل انشاء الكلفة الوحدات الادارية المختلفة، فمثلا

(ادارة المخازن، حسابات الكلفة، استخدام الحاسبات اللالكترونية لانتاج البيانات).او ان تكون مراكز الكلفة تطابق مع الوظائف النوعية للوحدة (الانتاجية ، الخدمات الانتاجية ، التسويقية ، الخدمات الادارية).
إن تبويب عناصر التكلفة حسب محل انشائها ضرورية لتحقيق الغرضين الاساسين، وهما:-

1. الرقابة على هذه العناصر.
2. احتساب الكلفة ( تحديد كلفة الوحدة من الانتاج).

ان هذا التبويب يساعد الى حد ما على إجراء عملية الرقابة وتحديد مسؤولية الاشخاص عن التكاليف الناشئة في اقسام ومحلات العمل المختلفة. الا انه نجد في بعض الحالات ان مراقبة كل التكاليف التي تنشأ في القسم المعين غير ممكن لصعوبة تحميل بعض التكاليف بشكل المباشر في هذا القسم او المحل، وخاصة التكاليف غير المباشرة( الادارية العامة).
ومن المعلوم ان مثل هذه التكاليف توزع على الاقسام والانتاج بالطرق الفعلية او النسبية،وعلى وفق الاسس المتفق عليها في محاسبة التكاليف، فهي اذن تقديرية ، قد تعرقل عملية اجراء الرقابة الفعلية الفعالة على محل انشاء التكاليف في الاقسام. كما ان المسؤولين الاداريين لبعض الاقسام ليس لهم تاثير على بعض التكاليف التي قد تنشأ في اقسامهم، ففي هذه الحالة تؤدي الى تجاوز التكاليف الفعلية عن المخطط لها، ما يصعب عملية الرقابة عليها، واعتبار مركز انشاء الكلفة هو مركز مسؤولية عملهم ايضا. ومن اجل اداء عملية الرقابة الفعالة على التكاليف التي تنشأ في الاقسام المختلفة ، وتحديد المسؤولين عنها ، يجب تجميع هذه التكاليف ( المباشرة وغير المباشرة) منها وتحميل الاقسام المختلفة بها بشكل محدد.
اما بخصوص احتساب الكلفة ، فنجد ان محل انشاء الكلفة في الاقسام المختلفة، يسهل على عملية احتساب لكل قسم بشكل مستقل، ومن ثم تجميع تكاليف هذه الاقسام في نهاية الفترة المالية، واعداد التقارير للوصول الى الكلفة النهائية لوحدة الانتاج ، بغض النظر عن انشائها في القسم المعين او المنتقل اليه من قسم اخر، وخاصة في الانتاج الذي يتكون من عدة مراحل او عمليات متتابعة ومتعددة.
ان تبويب الكلفة حسب محل انشائها، يعد في بعض الحالات غير كاف لعملية احتساب كلفة الوحدة المنتجة بشكل دقيق، ومن هذه الحالات ما يلي:-
1- في الاقسام قد تكون هناك مكائن او معدات مختلفة تستخدم قسم منها بشكل (يدوي والاخر آلي) . فان تقسيم جزء من تكاليف الاقسام الخدمية على الاقسام الرئيسة بشكل متساو، قد يؤدي الى عدم تحديد كلفة الانتاج النهائي لهذه الاقسام بشكل دقيق، اذ ان تكاليف ما تنتجه المكائن الآلية في القسم قد

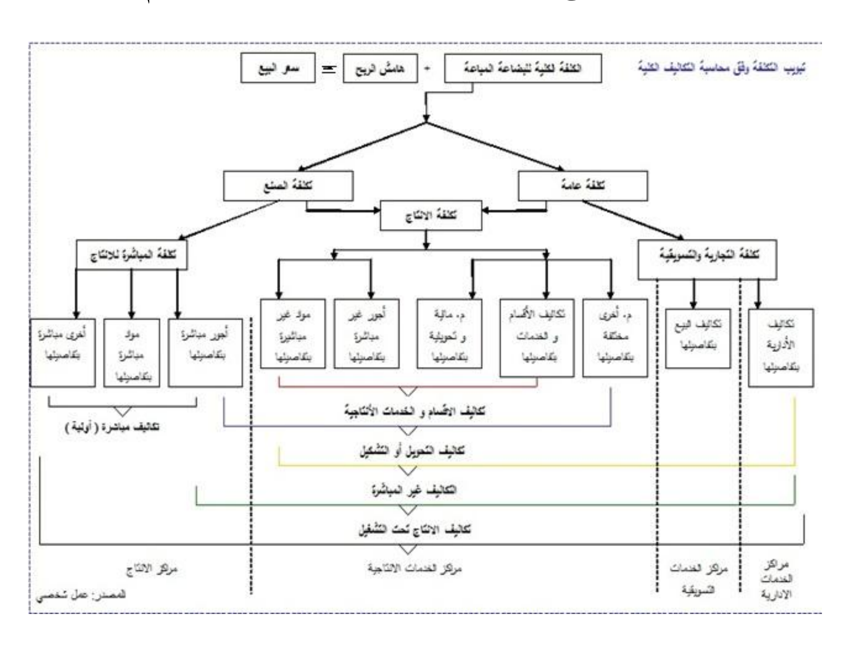
تكون اقل من تكاليف المكائن اليدوية، عليه يجب تقسيم تكاليف الاقسام الخدمية على هذه الاقسام بنسب مختلفة.
2- تختلف درجة استفادة الطاقة الانتاجية للمكائن المختلفة . ففي حال استخدام نسبة المعدل في توزيع تكاليف الاقسام الخدمية ، نجد ان المكائن المستخدمة بكامل طاقتها الانتاجية، تكون تكاليفها في انتاج الوحدة اقل من تلك المكائن التي لم تستخدم بكامل طاقتها الانتاجية، وتسبب هذه الحالة في تكاليف اضافية يتحملها القسم. لذلك يجب اخذ بنظر الاعتبار هذه الحالات ، واستخدام معدلات مقاربة للواقع، بهدف ازالة هذه الفروقات في تحديد كلفة الوحدة الواحدة للاقسام المختلفة.
في ضوء ما تقدم ، فالنسبة ( لمحل انشاء الكلفة) للمكائن والمعدات المتماثلة في تركيب العمل الى حد ما (كالخراطة، والمبرادة، والمثقابة، والمصقلة) والموضوعة في المساحات المحدودة ، والتي نسبيا تنفذ نفس الوظائف، يتطلب امر تجميعها وبحسب كلفة العمل لها على اساس مثلا ( دينار واحد من الاجور المباشرة) ، ما يقرب هذا من دقة في احتساب الكلفة.

ثالثا:- تبويب عناصر التكلفة على وفق طريقة الاحتساب ، اي بحسب امكانية تتبع الكلفة وعلاقتها بوحدة النشاط او اوجه التكاليف
( المباشرة وغير المباشرة).
ان عملية احتساب الكلفة تعني تحميل عناصر تكاليف الانتاج للتشكيلة البضائعية او مجموعة منها او على اساس البضاعة التامة او العمل او الخدمة، وذلك لتحديد تكلفة المنتج لغرض تقييم المخزون وتحديد الدخل. تعد عملية احتساب الكلفة من الاجزاء الرئيسة لنظام محاسبة التكاليف. يتم تبويب عناصر الكلفة الرئيسة بحسب امكانية تتبعها لوحدة التكلفة الى عناصر مباشرة وغير مباشرة. فالاولى هي عناصر الكلفة التي يسهل تمييزها وتحمل مباشرة على وحدة المنتج النهائي. اما الثانية فلا يمكن تتبعها وتحميل وحدة التكاليف معينة منها من دون الرجوع الى قواعد واجراءات تحكيمية.

فالتكاليف المباشرة والتكاليف غيرالمباشرة ، يمكن ان يشار اليهما بالتكاليف التابعة والتكاليف العامة . ان تبويب التكاليف الى مباشرة وغير مباشرة ، يعتمد بدرجة اولى على وحدة التكلفة التي تحتسب تكلفتها. ان معيار التبويب يقوم اساسا على ايضاح العلاقة بين عناصر الكلفة من ناحية ووحدة المنتج من ناحية اخرى. ان التكلفة التي تتحملها الوحدة تكون خاصة ولازمة لوحدات منتج معين على وجه التحديد ، فهي بذلك تكون عناصر مباشرة. اما ان الوحدة تتحمل تلك التكاليف عادة وبصفة عامة للنشاط كله مثل مرتب

المدير والادارين او ماشابه ذلك ، تكون عناصر غير مباشرة. ان عناصر التكاليف المباشرة يتم تبويبها وتحميلها واحتسابها على وحدات المنتج النهائي مباشرة من خلال واقع المستندات المصدرية والاصلية. اما عناصر التكاليف غير المباشرة فيتم احتسابها على وحدات المنتج النهائي على وفق المعدلات او النسب والقواعد المعمول بها في نظام محاسبة التكاليف، لذا لايمكن تحميلها مباشرة من المستندات الاصلية. ويمكن تبويب تكالف غير المباشرة على وفق محل انشائها الى تكاليف الاقسام وتكاليف الادارية العامة. وتكاليف الاقسام هي الاخرى تقسم الى تكاليف ذات العلاقة بحركة وتشغيل المكائن والمعدات الانتاجية ، وهي عادة تكون متغيرة ، وكذلك تكاليف العامة للاقسام وتكون ثابتة.ان مثل هذا التبويب يعتمد بشكل مباشر اوغير مباشر ، بعلاقة الكلفة مع مراحل الاحتساب.

يمكن التعبير عن ذلك على وفق محاسبة تكاليف الكلية، بالمخطط رقم 4




ان تسجيلات الكلفة على وفق هذا التبويب ، يساعد الوحدة الاقتصادية على معرفة وفحص وتقييم تركيب الكلفة الحقيقية للانتاج الوحدة المنتجة. يسهل على عملية المقارنة بين الكلفة الفعلية المتحققة والمخططة سابقا، بهدف الوصول الى تخفيض كلفة الانتاج مستقبلا.

ان المراحل والمعلومات المطلوبة في عملية الاحتساب، تخضع الى نوع الانتاج، اسس تخطيط ومراقبة الكلفة، الامكانية الفنية اللازمة لاحتساب كل حالة من هذه المراحل.
ان احتساب الكلفة حسب هذا التبويب، تساعد الوحدة الاقتصادية على عملية اتخاذ القرارات الادارية والاقتصادية في المجالات التالية:-
1- التغيرات في التشكيلة الانتاجية عن طريق اضافة انتاج جديد في مراحل الانتاج ،او زيادة في انتاج التشكيلة الموجودة.
2- تحديد حجم الانتاج من كل تشكيلة انتاجية.
3- اختيار الطرق الفنية اللازمة في تحديد وحدة المنتج.
4- معرفة مستوى استخدام المواد والعمل في احتساب كلفة الوحدة المنتجة، ومن ثم معرفة ربحية الانتاج او الخدمة ، وذلك من خلال الرقابة الفعلية المباشرة على عناصر المواد والعمل المباشر ، والرقابة غير المباشرة على عناصر التكاليف غير المباشرة ، من خلال تخطيطها في ضوء معرفة وخبرات الوحدة الاقتصادية لتكاليف الانتاج.
ان عملية احتساب الكلفة على وفق تبويب عناصرها الى مباشرة وغير مباشرة تكون اسهل من عملية احتسابها على وفق محل انشائها. وهذا ناجم عن حقيقة انه، على وفق التقسيم الاول هناك لوائح وتعليمات توضح المفاهيم والاسس والبيانات التي تتضمنها كل مرحلة من مراحل احتساب كلفة الوحدة المنتجة، مما يساعد هذا على تحديد تركيب عملية احتساب الكلفة للفروع التابعة للوحدة، وكذلك حصول على البيانات اللازمة والضرورية لعملية تخطيط وتسجيل التكاليف ، وكما تسهل ايضا في اجراء عملية المقارنة بين تكاليف الوحدة المنتجة لهذه الفروع. ان كفاية البيانات الناتجة عن تبويب الكلفة على اساس الاحتساب ومحل انشائها في عملية اتخاذ القرارات الادارية ، تتوقف بدرجة كبيرة على مدى تحليل عناصر الكلفة في مراحل تسجيلها على وفق هذين التبويبين.

رابعا:التبويب على وفق سلوك التكلفة تجاه التقلبات في مستوى النشاط، اي تبويب عناصر الكلفة الى التكاليف الثابتة والمتغيرة والمختلطة.

ان تحديد تكلفة الانتاج يتطلب فصل مجموعة بنود التكاليف الناشئة في سبيل استخدام عوامل الانتاج، عن مجموعة البنود التي تتحملها الوحدة بنتيجة السياسات العامة الاقتصادية والاجتماعية . ان لهذا الفصل اهمية ، وذلك من اجل اظهار العائد الحقيقي لكل وحدة اقتصادية ولكل قطاع نوعي، ورسم السياسة السعرية السليمة. تتفاوت عناصر التكاليف بحسب علاقتها بحجم

الانتاج اوالمبيعات.هناك عناصر تكاليف معينة تميل عموما الى التغير في مجموعها مع التغير في حجم النشاط، وبهذا تسمى بالتكاليف المتغيرة . في حين تبقى بعض العناصر الاخرى ثابتة ، وتسمى بالتكاليف الثابتة.ان مقدار تكلفة الانتاج يرتبط ارتباطا وثيقا بالتغيرات التي تطرأ على حجمها، اي ان تكلفة الانتاج لابد ان تكون دالة في حجم الانتاج. ويمكن التعبير عن درجة خضوع الكلفة وعلاقتها بتغير حجم الانتاج ، بالمعادلة التالية:

د = $\Delta$ ك:$\Delta$ أ ( د. درجة خضوع الكلفة لتغيرات حجم الانتاج، $\Delta$ ك. دالة زيادة الكلفة الحقيقية ، $\Delta$ أ. دالة زيادة حجم الانتاج).

وعليه فان علاقة مجموعة من عناصر التكلفة ، بتغير حجم الانتاج ، يمكن ان تكون باشكال مختلفة.
مجموعة التكاليف الثابتة نسبيا يمكن ان تكون العلاقة د = صفر. بالنسبة لمجموعة بنود التكاليف التي تتغير بشكل متناسب ، بتغير حجم الانتاج، تكون د = 1 واحد . اما بالنسبة لمجموعة بنود تكاليف شبه ثابتة ، متغيرة ، فان العلاقة تكون 1> د > صفر.
التكاليف الثابته تنشأ عادة خلال فترة زمنية معينة ، نتيجة ايجاد طاقة انتاجية او فنية او بيعية او ادارية ، استعدادا للانتاج. ان اكثر بنود هذه التكاليف تنشأ نتيجة لقرارات الادارة العليا، سواء كانت لفترات طويلة أم متوسطة من الزمن. لذلك نجد صعوبة الرقابة عليها من المستويات الادارية المختلفة في فترات قصيرة ، لكونها لا ترتبط مباشرة بحجم الانتاج.
اما التكاليف المتغيرة ، هي عناصر التكاليف المسموح بها لاستخدام الطاقة في الانتاج وتسويق وحدات الانتاج ، طالما بقيت العناصر الاخرى على ماهي عليه. وهي تتميز بانها تتغير بشكل يتناسب مع التغير في حجم النشاط، وتحمل بها الوحدة المنتجة مباشرة. وتخضع للرقابة في الفترة القصيرة ، لكونها تكاليف انتاج الوحدة الواحدة، لذا تسمى بتكاليف الانتاج . وهي تاخذ اشكال مختلفة( تكاليف تناسبية ، تصاعدية ، تنازلية).
هناك مجموعة من التكاليف تجمع بين خصائص عناصر التكاليف الثابتة والمتغيرة. فهي تتغير بتغير حجم الانتاج ، ولكن بنسبة بسيطة . كما انها تنشأ حتى لو كان حجم الانتاج صغيرا، لذا تسمى بتكاليف شبه متغيرة. اما تكاليف شبه ثابتة ، فهي خليط ما بين التكاليف التابتة والمتغيرة ، ولكنها اقرب الى الثبات منها الى التغير.
ان تبويب عناصر التكلفة الى الثابتة والمتغيرة، له اهمية كبيرة من وجهة نظر الوظائف الادارية، وذلك لاغراض التخطيط والرقابة والتنبؤ بالارباح

وتحليلها، وفي عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية والادارية. الاستفادة المثلى من استخدام الطاقة الانتاجية ، بهدف زيادة الانتاج وتخفيض الكلفة، ومن ثم تحديد الحد الادنى لمستوى الاسعار في الفترة الزمنية القصيرة ، وما له من تاثير كبير على السياسة البيعية واختيار المفاضلة في العروض المقدمة ، وخاصة للمنتوجات المعدة للتصدير. ويمكن تلخيص ذلك كالاتي:-

1- في مجال تحديد تكلفة الانتاج لاغراض التسعير: تحديد متوسط التكلفة المتغيرة للمنتوجات ذات الاهمية ، اذ لا تستطيع الوحدة الاقتصادية ان تحقق ارباحا من حجم معين ، الا اذا كانت الاسعار المحددة تغطي تكلفتها النقدية التي تتحملها في سبيل الانتاج. بينما يمكن تحديد الاسعار باقل من التكلفة الكلية (المتغيرة+ الفترية) وتحقيق الربح، وذلك لان تحقيق الربح يتوقف على عائد اوهامش المساهم (المبيعات- التكاليف المتغيرة) المتحصل عليه من بيع المنتجات المختلفة في تغطية الاعباء الفترية للوحدة.

2- في مجال المراقبة: بما ان التكاليف المتغيرة تتاثر بالنشاط السائد، فان عملية تخطيطها ومن ثم الرقابة عليها تكون سهلة من خلال حصر مسؤولية الانحرافات الخاصة بعناصرها التي تكشفها عملية المقارنة، وتقع على عاتق المشرفين بالاقسام والمراكز الانتاجية.

3- في مجال التخطيط: بما ان عملية حصر عناصر تكاليف متغيرة ممكنة وتحديدها مسبقا وتنسيبها مباشرة الى النشاط السائد، فان عملية تخطيطها تكون سهلة . ونجد ان عملية المقارنة والمفاضلة بين تكلفة كل امر اوسياسة والايراد المنتظر منها تقوم على مقارنة عناصر التكاليف التي تتاثر بهذه السياسات وتنحصر في عناصر التكاليف المتغيرة.

4- في مجال قوائم التكاليف: ان عرض البيانات للقوائم المالية على اساس التفرقة بين التكاليف المتغيرة والثابتة ، تعطي للادارة فكرة واضحة عن حجم اعبائها التي تشير لمدياتها الزمنية، ومدى نجاحها في تغطيتها، وتسهل على عملية اتخلذ القرارات الادارية . فتقسيم مراحل قياس الربح على اساس من هامش الربح اولا( صافي المبيعات – تكلفة المتغيرة) ، ومن ثم صافي الربح في المرحلة الثانية، هو اكثر دقة من التقسيم التقليدي ، الذي يقوم على اساس من مجمل الربح ( المبيعات – تكلفتها الكلية) ، وصافي الربح واظهارهما بمرحلة واحدة. ففي الحالة الاولى يظهر هامش الربح الحقيقي من النشاط البيعي، ويظهر صافي الربح مدى نجاح الادارة في تغطية الاعباء الدورية. اما في الحالة الثانية ، فيتضمن مجمل الربح بعض عناصر التكاليف الفترية التي تخص نصيب المخزون السلعي ، وذلك بترحيلها الى السنة التالية، ومن ثمّ لا يمثل مجمل الربح، الارباح الحقيقية التي تحققت من النشاط الانتاجي ، ومن ثم لا تستطيع الادارة قياس ادائها في مدى نجاحها في تغطية الاعباء

الفترية.وتستخدم هذه الطريقة في عرض التكاليف، عادة في اعداد قوائم تكاليف لاغراض الداخلية.

خامسا: تبويب عناصر الكلفة على وفق مدة التكاليف

على وفق هذا الاسلوب يتم تبويب عناصر التكلفة على الأساس التاريخي- الفعلي. وهذا يعني تجميع عناصر التكلفة واحتسابها حسب حدوثها الفعلي، وبذلك فانه يمد الادارة بالبيانات التاريخية بعد انتهاء فترة النشاط ، ما يكون قليل الفائدة للاعتماد عليه في مجالات المقارنة والتخطيط والرقابة وعملية اتخاذ القرارات. ان هذا التبويب لا ياخذ بنظر الاعتبارالظروف المستقبلية .

وفي مجال الرقابة ستعتمد الادارة في اكتشاف الانحرافات على مقارنة القوائم الفعلية للفترة الحالية بالقوائم الفعلية للفترة السابقة والفترة المماثلة من العام المنصرم ، ومن ثم فان نتيجة المقارنة قد لا تكون دقيقة، وذلك لاختلاف الظروف السائدة في الفقرات التي اتخذت اساسا للمقارنة. وان هذا التبويب لا يساعد الادارة والمرؤوسين في وحدات ادارة الاعمال، بان يؤدوا وظائفهم الادارية على وجه فعال، لكونها تعبر عن عناصر الكلفة بمعلومات تاريخية متاخرة. استخدم هذا التبويب بشكل واسع في الماضي ، عندما كانت انظمة محاسبة التكاليف تركز فقط على هدف او غرض واحد يتمثل في تحديد تكلفة الانتاج، وذلك لتقويم المخزون وتحديد الدخل. اما نظم التكاليف الحديثة ، فهي تهدف فضلا عن ذلك الى انتاج وتوفير عديد من بيانات التكاليف لخدمة مجموعة كبيرة من القرارات الاقتصادية ، لعل اهمها، مايلي:-

1- اي المنتجات يجب ان تنتجها الوحدة ، وايها يجب التوقف عنها؟

2- هل من الافضل تصنيع جزء من الانتاج النهائي ، او الحصول عليه من مصادر اخرى؟

3- ماهي الاسعار التي يتم بموجبها تسعير الانتاج؟

4- هل يجب التوسع في الاقسام الانتاجية ، او توقف عن بعض خطوطها؟

5-هل يتم الانتاج للتسويق المحلي ام للخارج؟

6- هل يلزم تغير طرق التصنيع؟

ونتيجة لذلك ظهرت الحاجة الى تبويب عناصر التكلفة على اساس مخطط مقدما ، اي يتم تخطيط عناصر التكلفة مقدما ، وخاصة بالنسبة لعناصر التكاليف الصناعية غير المباشرة المنتظر تحقيقها خلال الفترة القادمة. اما التكاليف الاولية للانتاج ، فتعتمد على اساس فعلي ، وبهذا تتالف التكلفة الصناعية من العنصرين ( التكاليف الاولية الفعلية + التكاليف الصناعية غير المباشرة المخططة). او تحاول الادارة التنبؤ بعناصر التكاليف من المواد

والاجور والتكاليف غير المباشرة المنتظر تحقيقها خلال الفترة التالية. وبالتالي فان الانتاج الذي يسلم للمخازن، يقوم على اساس تقديري- مخطط( يحمل عادة بالتكاليف التي يجب ان تكون عليه، بدلا من التكلفة الفعلية) . بحيث تكون التكلفة الصناعية عبارة عن ( التكلفة الاولية المخططة+ تكاليف صناعية غير مباشرة مخططة ايضا). ففي هذه الحالة تظهر عملية الرقابة بشكل فعال، ويمكن مقارنة بين ماهو المقدر او المخطط سابقا ، وما يتحقق فعلا ومعالجة الفروقات في نهاية الفترة حسب الاصول. على وفق هذا التبويب يمكن انتاج المعلومات التي تساعد المرؤوسين واقسام الادارة المختلفة للوحدة ، واستخدامها لاغراض عمليات التخطيط ، والرقابة ، واتخاذ القرارات الادارية والاقتصادية.

**سادسا: الاستنتاجات والخلاصة**

من خلال ما عرضناه انفا، نستطيع استنتاج اهم النقاط الرئيسة فيما توصل عليه هذا البحث، يمكن اجمالها بما يلي:-

1- ان المعلومات التي يمكن الحصول عليها من اتباع تبويب عناصر التكلفة حسب النوع ، تخدم بالدرجة الاولى الاقتصاد الكلي . وهي قليلة الفائدة للاقتصاد الجزئي. لذلك تظهر اهمية هذا التبويب وبشكل اكثر تفصيلا في النظام المحاسبي للتكاليف في الاقتصاد المخطط او الموجه، عنها في اقتصاد السوق. فمثلا في المؤسسات الامريكية التي **تاثر** المحاسبة نسبيا في عملية اتخاذ القرارات الادارية ، لا يعاد الاهمية الى هذا التبويب، ولا يظهر بشكل مفصل، بل يعتمد على تبويب عناصر الكلفة على وفق الوظيفي، وحسب امكانية تتبع الكلفة وعلاقتها بوحدة النشاط ( الاحتساب) [102].

ان الأخذ بهذا التبويب ، هو امر ضروري ولابد منه ، لانه يعد المدخل الاولي لحسابات الكلفة . وبمعنى اخر يشكل حلقة الوصل بين حسابات نظام المحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف.

2- ان البيانات التي ينتجها اسلوب تبويب عناصر التكلفة حسب امكانية تتبع الكلفة وعلاقتها بوحدة النشاط –اوجه التكلفة ، تخدم بالدرجة الاولى الاقتصاد الجزئي( على مستوى الوحدة الاقتصادية). وهي سهلة التطبيق وخاصة تكون هناك عادة لوائح وتعليمات توضح المفاهيم والاسس والبيانات التي تتضمنها كل مرحلة من مراحل احتساب كلفة الوحدة المنتجة.

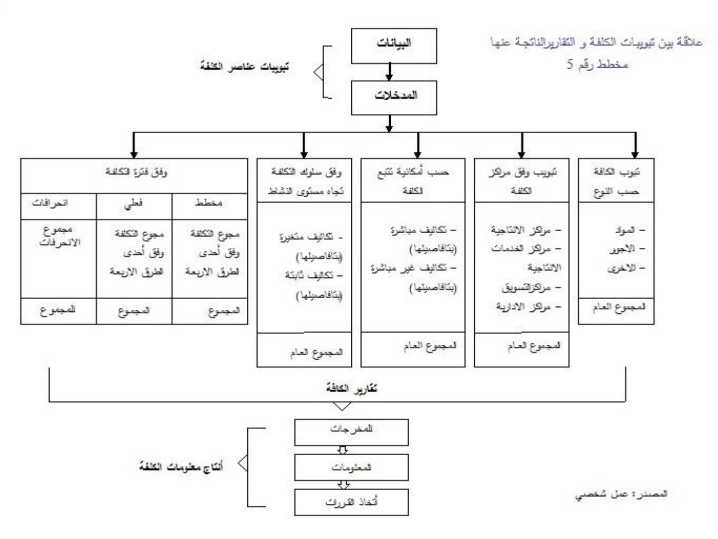
3- ان استخدام اسلوب تبويب عناصر التكلفة الى المتغيرة والثابتة والمختلطة ، يساعد على تطبيق نظرية التكاليف المتغيرة في عمليات احتساب الكلفة

---

102 T. Lang ; Cost Accountants, Hand book, New York 1945 P.117-118

وتقييم المخزون وتحديد الدخل ، وكذلك انتاج المعلومات عن طريق اعداد التقارير الداخلية وما تحتويه هذه المعلومات من الفوائد في عملية تحليل( الكلفة/ الحجم/ الربح)[103] ، واتخاذ القرارات الداخلية. ومن جهة اخرى نجد ان هناك صعوبة في تطبيق هذا الاسلوب في الحياة العملية ، ويحتاج الى جهود وخبرة كبيرتين لتحليل وفصل بين عناصر الكلفة.

4- من الضروري استخدام اكثر من تبويب واحد لعناصر التكلفة عند تطبيق النظام المحاسبي للتكاليف. فمثلا في الوحدات الاقتصادية الصغيرة التي تتميز أنشطتها بالمحدودية ، ولا تحتاج طبيعة عملها الى انتاج كمية كبيرة من المعلومات الادارية ، يمكن الاكتفاء بنوعين من هذه التبويبات على ان يكون من ضمنه التبويب النوعي. اما في الوحدات المتوسطة والكبيرة ، يفضل اتباع اكثر من تبويبين في ان واحد ، بل في بعض الاحيان ( اذا توفرت المستلزمات اللازمة بذلك)، اتباع كل هذه الانواع من التبويبات المذكورة ، واعداد التقارير الكلفة على وفق كل نوع منها، كما موضح هنا في مخطط رقم 5.




---

[103] لمزيد من التفاصيل انظر . تشارلز ت . هونجرن ، المصدر السابق ص. 86-116

فمثلا اعداد تقرير عن التكلفة على وفق التبويب النوعي للجهات الخارجية- المركز- للاستفادة منها في اغراض الاقتصاد الكلي. كذلك اعداد تقريرعن التكلفة على وفق تبويب امكانية تتبع الكلفة( المباشرة وغير المباشرة)، وبيان مراحل متعددة لاحتساب الكلفة مبينا فيه بنفس الوقت تبويب عناصر الكلفة على الأساس التاريخي والمقدر مقدما، وذلك لاغراض المقارنة والرقابة الفعلية. كذلك اعداد تقرير عن الكلفة على وفق التبويب على اسس مراكز الكلفة لاغراض تحديد المسؤوليات ومتابعة وتوجه عناصر الكلفة وهكذا.

ومن جهة اخرى نجد ان اتباع اكثر من تبويب لعناصر الكلفة تشكل صعوبة كبيرة في الحياة العملية، من حيث تعدد التسجيلات والسجلات والزيادة في الموظفين، ولا سيما اذا كان تطبيق النظام يقوم على الاداء اليدوي. ويمكن القضاء على هذه الصعوبات باستخدام البرامج الالكترونية في عملية انتاج المعلومات، ما يسهل عملية تطبيق اكثر من تبويب واحد لعناصر الكلفة عبر مراحلها المحتلفة، ومن ثم اعداد التقارير الفورية وتوجيهها في قناة الاتصال الى المستوى الاداري المناسب. واذا احسن تصميم انظمة التقارير ، وحدد في الخطوط تسييرها بوضوح ، فسوف يؤدي الى التكامل في عملية الرقابة وانتاج المعلومات [104].

5- يمكن تبويب انواع التكلفة هذه، وخاصة تبويب التكلفة حسب (مراكز الكلفة)، وذلك باضافة تبويب اخر لعناصر التكلفة، وهو حسب ( مراكز المسؤولية)، اي ربط التكلفة بالمسؤول عن حدوثها وليست على العناصر ذاتها. ان مركز المسؤولية في هذه الحالة يختلف عن مراكز التكاليف المعروفة فيتحميل التكاليف على وحدات النشاط . في حين ان مركز المسؤولية يضم فقط تلك المجموعة من العناصر التي تحدث بمعرفة شخص معين وتحت المسؤولية الشخصية. ففي هذه الحالة يستوجب ضرورة تبويب عناصر التكاليف عند المنبع ، اي مع حدوث الانفاق( الصرف) الى ما يمكن التحكم فيه ( خاضع للرقابة) وما لايمكن التحكم فيه ( غير خاضع للرقابة) عند مستوى اداري معين. وذلك حتى نستطيع تطبيق نظام محاسبة تكاليف المسؤولية، التي تعد من احدث المداخل العلمية لعملية الرقابة[105] .

والخلاصة يمكن القول ان اختيارالوحدة الاقتصادية في تطبيق اي من هذه التبويبات المذكورة ، تتحدد بعوامل كثيره، نذكر اهمها على سبيل المثال وليس الحصر، فيما يلي:-

---

[104]منير محمود سالم " انظمة المحاسبة الالية" مكتبة الجلاء الحديثة بالمنصورة مصر 1969 ص. 10-20

[105] Charles T. Horngren ; Cost Accounting A Managerial Emphasis; Fourth Edition, PHI, London 1977 P.250-260

1- حجم وطبيعة نشاط الوحدة الاقتصادية.
2- طبيعة ونوع الانتاج والتشكيلة الانتاجية التي تنتجها.
3- الهيكل الاداري والتنظيمي للوحدة.
4- درجة تنظيم وتطبيق النظام المحاسبي بشكل عام ، والتكاليف بشكل خاص في الوحدة.
5- النظام الاداري المعمول به ( المركزية واللامركزية).
6- التكنيك والتكنولوجيا المستخدمة في العمليات الانتاجية.
7- استخدام البرامج والموديلات الألكترونية في تطبيق نظام محاسبة التكاليف.
8- امكانية وخبرات الكوادر الموجودة في الوحدة.
9- الغرض من كمية ونوعية المعلومات المنتجة للأغراض الادارية.
10- توفير الامكانيات الفنية والادارية والمالية في تطبيق النظام . وغيرها


## ABSTRACT

This study of modern cost accounting system is linking the functions of the cost accounting system and the administration. In other words, the role of the system for helping administrative accountants
and other leaders, in the unity of business administration- in exercise of planning, control and decision- making process.

In order to be able to operate the cost accounting system within an administration, it is necessary to consider the types of the cost elements, as fundamental in the process. The quantity and quality of information, produced by each kind of these cost elements, should benefit in practice. This data can be used in order to facilitate effective management functions, in a business administration unity.

In order to exercise their administrative functions effectively, the business administration unity have to make appropriate choices, during their selection of the types of cost elements.

Therefore the selection should be based, upon the cost – benefit theory.

In other words, these choices can help the unit to optimizes and facilitate the collection process of information, that is to be used in measuring the cost (total cost / variable cost), control over the cost
elements (historical / estimated) and decision- making. This can be achieved by more than one method, when measuring the unit cost.

We can conclude that the choosing process of types of the cost elements, is in practice affected by many factors. The most important for example are as the following:

1- The size and the economic activity, of the unit.
2- Types of production.
3- The organizational structure of the unit.
4- The level of organization and implementation of the accounting system in general within the unit,
 and particularly the cost accounting of the unit.
5- The administrative system in place (centralized or decentralized).
6- Technique and technology used in the production processes.
7- Use of software and designs models.
8- The possibilities and the experience of already existing accounting members in the unit.
9- The effect of the quantity and the quality of information, produced for administrative purposes.
10- Possibilities of the technical, administrative and financial implementation in the system.

## المصادر

### باللغة العربية


1- محمد السيد الجزار "محاسبة التكاليف " مكتبة عين شمس 1970 .
2- محمد كمال عطية " نظم محاسبة التكاليف" دار الجامعات المصرية 1975 .
3- منير محمود سالم " انظمة المحاسبة الآلية" مكتبة الجلاء الحديثة بالمنصورة ، مصر 1969
4- محمد احمد خليل، عمرحسنين " محاسبة التكاليف الصناعية"مؤسسة شباب الجامعية ، الاسكندرية 1978 .
5- عبد الحي مرعي" محاسبة التكاليف لاغراض التخطيط والرقابة" دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية 1980 .
6- عباس شافعي " التكاليف المتغيرة " مكتبة عين شمس 1974 .
7- صباح قدوري " محاسبة التكاليف في معامل تبوغ العراقية والبولندية: التحليل والمقارنة"، جامعة لودز- قسم الاقتصاد والاجتماع، بولندا 1979(باللغة البولندية).
8- صباح قدوري " تحديث محاسبة التكاليف في القطاع الصناعي الحكومي- العراق"، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة لودز، بولندا 1985 ( باللغة البولندية).
9- تشارلز ت.هورنجرن" محاسبة التكاليف – مدخل اداري" الجزء الاول ، دارالمريخ للنشر والانتاج الفني، الرياض 1986 .


### باللغة الاجنبية


1-Abdallah W.M ., International Transfer Pricing Policies. Decision-Making Guidelines for Multinational Companies, Quorum Books, London 1989.

2-Arnold J, Hope T., Accounting for Management Decisions, second edition, Prentice Hall, 1990.

3-Barfield J.T., Rainborn C.A; Dalton M.A., Cost Accounting. Traditions and Innovations, West Publishing Company ,St. Paul, 1991.

4- Benke R.L., Jr Edwards J.D., Transfer Pricing. Techniques and Uses, National Association of Accountants, New York 1980.

5- Burch J.G., Cost and Management Accounting. A Moderns Approach, West Publishing Company, New York 1994.

6- Bigg.W.W .Cost Accounts , Macdonald & Evans. ltd, Great Britain 1972.

7- Deakin E.B., Maher M.W., Cost Accounting, second edition, Irwin, Homewood, Illinois, 1987.

8- Drury C., Management and Cost Accounting, second edition, Chapman & Hall, 1991.

9-Emmanuel C.R., Mehafdi M., Transfer Pricing, Academic Press, London 1994.
10- Horngren Ch.T., Cost Accounting, A Managerial Emphasis, Prentice-Hall Inc., Englewood Cliffs, New Jersey 1991.
11- Horngren Ch.T.,SundemG.l., Introduction to Management Accounting, seventh edition, Prentice-Hall International 1987.
12-Kaplan R.S., Atkinson A.A., Advanced Management Accounting, third edition, Prentice Hall International 1998.
13-Killough L. N., Leininger W. E., Cost Accounting . Concept and Techniques for Management. West Publishing Company, St. Paul 1984.
14- Kotas R., Management Accounting for Hotels and Restaurants, second edition, Chapman & Hall, London 1994.
15- L.W.J Owler & J.L.Brown., Wheldons, Cost Accounting and Costing
Methods, thirteenth.edition. Macdonald & Evans Limited 1975.
16- Wakar A; Morfologia bodzcow ekonomicznych, PWW, Warszawa 1963.

# أوراق عمل ودراسات في المؤتمرات العلمية

**مناهضة التعذيب في الدول العربية الإطار القانوني و أفق الإصلاح**

الدكتور عبدالحسين شعبان \ الدكتور أسامة ثابت الآلوسي

# مناهضة التعذيب في الدول العربية الإطار القانوني و أفق الإصلاح

ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الحوار العربي الاوربي السادس
حول مناهضة التعذيب و سيادة القانون11-13 مايو 2011 ( برلين )

**د. عبدالحسين شعبان**
إستاذ القانون الدولي - خبير دولي في مجال حقوق الإنسان
**د. أسامة ثابت الآلوسي**
أكاديمي ..مختص في القانون الدولي لحقوق الإنسان

**المحتويات**

**المقدمة**
**الإطار المرجعي:**
أولا - أهداف الورقة .
ثانياً- منهجية الورقة.
ثالثاً- أهمية الورقة.
**المبحث التمهيدي: مناهضة التعذيب..جذور المسألة**
أولا- تطور فكرة منع التعذيب والمعاقبة عليه.
ثانياً- تطور اهتمام الجماعة الدولية بمنع التعذيب والمعاقبة عليه.
**المبحث الأول: الإطار القانوني الدولي القائم المخصص لمناهضة التعذيب والمعاقبة عليه :**
المحور الأول : الجوانب التشريعية .
المحور الثاني : الجوانب الإجرائية .
المحور الثالث : الجوانب المتعلقة بتمكين و إسناد الضحايا وتقوية شعورهم بالعدالة.
المحور الرابع : الجوانب المتعلقة ببناء ثقافة مناهضة للتعذيب لتحصين المكلفين بإنفاذ القانون من ممارسة التعذيب .
**المبحث الثاني : وضع المسألة في الميثاق العربي لحقوق الإنسان والاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان .**
**المبحث الثالث : الإطار القانوني لمناهضة التعذيب في الدول العربية :**

أولا- واقع مناهضة التعذيب في الدساتير .
1. مغزى و دلالات حظر التعذيب في الدستور .
2. الاتجاهات الأساسية لحظر التعذيب في الدساتير العربية .
ثانياً- واقع مناهضة التعذيب في التشريعات الجنائية العربية.
**المبحث الرابع : مناهضة التعذيب في الدول العربية..التحديات و خطوات الإصلاح:**
أولا- التحديات .
ثانياً- الفجوات (الثغرات).
ثالثاً- الفرص.
رابعاً- خطوات الإصلاح.
**خاتمة**
**المراجع والمصادر المعتمدة**

**إن تعذيب الإنسان للإنسان شرٌ لا يوصف. هنري ميللر**

**مقدمة**

أحدث التقرير الذي قدمته اللجنة الدولية للصليب الأحمر في شباط (فبراير) 2004 الى قوات التحالف (القوة المتعددة الجنسيات لاحقاً بعد حلّ سلطة الإئتلاف المؤقتة في حزيران (يونيو/2004) ضجة كبرى في الأوساط القانونية والحقوقية والانسانية حيث تضمن وصفاً للانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي الانساني ، لاسيما ضد أشخاص محميّين خلال القبض عليهم وبداية اعتقالهم، وتسببت تلك الانتهاكات أحياناً بالوفاة أو بجروح عميقة فيزيولوجية ونفسية خصوصاً باستخدام أساليب التعذيب وسوء المعاملة.
وكان عرض ما جرى في سجن أبو غريب من صور للتعذيب والاغتصاب الجنسي على الرأي العام في نيسان (ابريل) 2004 قد تسبب في صدم المشاعر وإثارة أشكال من الغضب في جميع أرجاء العالم، لا إزاء ما حصل حسب، بل كان القلق يتسع إزاء جرائم التعذيب على المستوى العالمي، لاسيما إزاء الأفعال الشنيعة والانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي، وهو ما ذكرته منظمة العفو الدولية في تقريرها.
ولعل ما جاء من معلومات عن الذي حصل في **سجن أبو غريب وسجن غوانتانامو** وفيما بعد في **السجون السرية الطائرة** أو **السجون السرية العائمة** قد وضع المجتمع الدولي أمام مسؤولياته الجسيمة فيما يتعلق بجرائم التعذيب والمعاقبة عليها، لاسيما من خلال تطور اهتمام الجماعة الدولية بها.

ولما كانت جريمة التعذيب ما تزال متفشية في الكثير من البلدان، لاسيما بلدان العالم الثالث، فإن بحث الجوانب القانونية والتشريعية والاجرائية مسألة تحظى باهتمام كبير، خصوصاً فيما يتعلق بنشر الثقافة المناهضة للتعذيب من جهة لتحصين المجتمع، ومن جهة ثانية لتمكين الضحايا من خلال جبر الضرر ووضع حد للظاهرة ومنع تكرار ما حدث، وهو الأمر الذي يقود الى تقوية الشعور والإحساس بالعدالة، ناهيكم عن السعي لإصلاح النظام القانوني ووضع عقوبات شديدة إزاء ممارسة التعذيب.

ولعل الاهتمام بالبحث العلمي العربي في قضايا التعذيب لا يزال في بداياته خصوصاً وأن هناك قصوراً في تحديد الظاهرة وملاحقتها وإيجاد السبل القانونية الكفيلة للحد منها، ناهيكم عن توفير بيئة ثقافية واجتماعية لتحجيم دورها، لهذا اقتضى الأمر تسليط ضوء حول الميثاق العربي لحقوق الانسان مقارنة بالاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان من خلال عرضهما.

ولكي تأخذ المسألة حدودها الدستورية، فلا بدّ من متابعة موضوع التعذيب في الدساتير العربية، من خلال أهميته ودلالته ارتباطاً بالواقع الجنائي العربي، وذلك للوصول الى تحديد أهم التحديات والخطط الاصلاحية، ومن ثم تسليط الضوء على الثغرات القائمة والفرصة الممكنة للاصلاح، وختمنا البحث بمجموعة توصيات عملية يمكن للمشرّع ولجهات المجتمع المدني العربي، الاستفادة منها، إضافة الى جهات إنفاذ القوانين والمؤسسات الاجتماعية ذات العلاقة.

التعذيب ظاهرة مشينة وهمجية تعود الى الماضي، حتى وإن استمرت في عالمنا المعاصر، ففي الدولة المدنية المتطورة حيث المواطنة التامة وسيادة القانون واحترام حقوق الانسان يمكن من خلال المساءلة والشفافية ملاحقتها وتطويقها وإنزال العقوبات بمرتكبيها، خصوصاً وأنها ظاهرة مستهجنة ومدانة قانونياً وإنسانياً ودينياً وأخلاقياً. وإذا كانت ظاهرة التعذيب متفشية بل تكاد تكون روتينية في عالمنا العربي والاسلامي وبلدان العالم الثالث عموماً، فإن البلدان الغربية ليست بريئة منها سواءًا إبان تورطها في حروب خارجية واحتلالات عسكرية أو عقوبات جماعية وحصارات دولية، أو حتى في سجونها كما أشار الى ذلك التقريرالمفصّل لمنظمة العفو الدولية الذي صدر عام 1998. وتعاظم الامر بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر ) 2001 الارهابية التي استخدمت ذريعة للتجاوز على الحقوق المدنية في الولايات المتحدة في الحملة التي شنتها على الارهاب الدولي.

يشكّل القضاء أو الحد من ممارسة التعذيب تحدّياً من أهم التحديات التي عنيت بها المجتمعات الوطنية، والجماعة الدولية على حد سواء، إذا كان ينظر إلى التعذيب على أنه من أشد انتهاكات حقوق الإنسان خطورة وأكثرها

هدراً للآدمية، وامتهاناً للكرامة الإنسانية، حيث يعدّ اعتداءً على الحق في السلامة الجسدية، وقد يؤدي إلى استلاب حق الأفراد في الحياة، إلى جانب ما يخلفه من ندوب وآثار نفسية وبدنية وإحساس عميق بالقهر والمهانة للضحايا على المدى القريب والبعيد، وذلك لكونه ممارسة همجية مخالفة على نحو جوهري لفكرة نشوء حياة سوّية متحضرة وإنسانية يحكمها القانون .

وفي سياق هذا المعنى يصف **كوفي عنان** الأمين العام السابق للأمم المتحدة التعذيب بقوله: " يعدّ (التعذيب) انتهاكاً شنيعاً للكرامة الإنسانية، أنه يقتلع صفة الإنسان من الضحية، ومن مرتكب التعذيب على السواء. إن الألم والرعب اللذين يلحقهما إنسان بإنسان يتركان جروحاً لا تندمل وكوابيس متكررة تبقى الضحايا في حالة خوف دائم ، أن الأمان من التعذيب حق إنساني أساسي يجب حمايته في ظل جميع الظروف" .

وعلى الرغم من أن الغالبية الساحقة من التشريعات الوطنية للدول تحظره وتجرّم ممارسته، وتسلّم بهمجية وبربرية ( التعذيب) لكونه يجسد إنفلاتاً للغرائز العدوانية على الكرامة الإنسانية المتأصلة في الذات البشرية، مما يجعله مداناً ومستنكراً على نطاق واسع وعابر للحدود الوطنية، إلاّ أن الواقع ما زال بعيداً عن القضاء على هذه الجريمة التي أصبحت ملازمة لفكرة السلطة واستمرارها في العديد من بلدان العالم، والأدهى من ذلك أن ما يحصل من تجاوزات وانتهاكات "المبدأ حظر التعذيب"، أو بالأحرى "لحق الإنسان في عدم التعرض للتعذيب ولغيره من ضروب المعاملة المهينة أو اللاإنسانية" يظل بمنأى عن دائرة المساءلة الجنائية، ووجوب التعويض عن الضرر، خصوصاً باستمرار ظاهرة "الإفلات من العقاب"، ناهيك عن غياب ما يقتضي من تدابير وإجراءات وقائية تكفل منع هذه الجريمة أو الحد منها .

لا غرابة إذاً أن تشدّد الجمعية العامة للأمم المتحدة، الهيئة الأوسع تمثيلاً للمجتمع الدولي المنظم، من خلال اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاانسانية أو المهينة، الصادرة في كانون الأول (ديسمبر) العام 1984 وفي ديباجتها تحديداً، على الحكومات الطلب مرتين للنظر في توقيع الاتفاقية والتصديق عليها كمسألة ذات أولوية، وهو أمر ينطوي على دلالة واضحة تفصح عن خطورة هذه المشكلة التي تحوّلت إلى ظاهرة بفعل استمرارها وانتشارها ولما تثيره من ردود فعل نافذة الصبر حتى لقد أضحت واحدة من قضايا الرأي العام التي تجسد محنة حقوق الإنسان في أرجاء مختلفة من العالم، مما جعل القواعد المنظمة لها تندرج ضمن القانون الدولي العرفي، وبات أمر حظر التعذيب من طبيعة مطلقة لا تبيح ممارسته تحت أية ذريعة أو ظرف أو استثناء .

## الإطار المرجعي

**أولاً- أهداف الورقة :** تسعى هذه الورقة لاستجلاء الحقائق المتعلقة بالمسائل التالية حول مناهضة التعذيب .

1. الوقوف على وضع المسألة في الدساتير العربية، كونها وثائق قانونية وسياسية ناظمة لسلوك الأفراد والمجتمعات والسلطات .
2. استظهار واقع مناهضة التعذيب في التشريعات الجنائية العربية ( قوانين العقوبات والإجراءات في الدول العربية التي هي طرف في الحوار العربي الأوروبي حول قضايا حقوق الإنسان، على الأقل) باعتبارها المرجعية المباشرة لأداء الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون وإقامة العدل ( شرطة، نيابة، قضاء) .
3. رصد أبرز الفجوات، والتحدّيات، التي تشكّل عقبات فعلية إزاء مناهضة التعذيب .
4. تحديد الفرص المتاحة التي من شأنها تفعيل الأطر القانونية القائمة وما يرسم من سياسات لمناهضة التعذيب .
5. تحديد خطوات الإصلاح التي تكفل ردم الفجوات، وتجاوز التحديات واستثمار الفرص .

## ثانياً- منهجية الورقة وحدودها

تعتمد الورقة على المنهج الوصفي التحليلي في معالجة موضوعها، معتمدة على أسلوب تحليل مضمون البيانات الجاهزة الموضحة في الآتي:

1- وثائق قانونية دولية " إتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، والبروتوكول الاختياري الملحق بها ".
2- وثائق قانونية إقليمية " الميثاق العربي لحقوق الإنسان، الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان" .
3- وثائق قانونية عربية " دساتير الدول العربية، تشريعات جنائية في الدول العربية الطرف في الحوار العربي الأوروبي حول حقوق الإنسان" .
4- التقارير الوطنية المرفوعة من قبل بعض الدول العربية إلى لجنة مناهضة التعذيب وملاحظات اللجنة عليها.

5- تقارير الفريق العامل في الأمم المتحدة المعني بحالة الاستعراض الشامل لحالة حقوق الإنسان في الدول العربية .

6- أبحاث ودراسات معتمدة لخبراء ومختصين في القانون الدولي وحقوق الانسان.

7-

**ثالثاً- أهمية الورقة**

تكتسي الورقة أهميتها ذلك أن طرحها ومناقشتها في مؤتمر الحوار العربي الأوروبي السادس حول مناهضة التعذيب وسيادة القانون سيكون مناسبة للوصول إلى قناعات مشتركة ومقاربات قانونية وفكرية حول المسائل المتعلقة (بمناهضة التعذيب)، وما يتعلق بها من إشكالات في إطار المنظورين الغربي والعربي، وفي ذلك محاولة لمقاربة كونية لقاعدة مناهضة التعذيب باعتبارها قاعدة تمثل المشترك الانساني وهي قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي، لصيقة بالقواعد الأخرى، أي أنها Jus Cogens، وهي لا تسقط بالتقادم .

**المبحث التمهيدي- مناهضة التعذيب..جذور المسألة .**

أولاً- تطور فكرة منع التعذيب والمعاقبة عليه .

رافق التعذيب حقباً مختلفة لتطور المجتمعات الإنسانية، وما يحكمها من أعراف وقيم أخلاقية ونظم قانونية تباينت في نظرتها إلى (فكرة الإنسانية)، من جهة، ومدى (مشروعية التعذيب) من جهة أخرى . وترجع أصول التعذيب تأريخياً إلى عهد دولة المدينة في أثينا القديمة التي تنظر إلى التعذيب نظاماً مسوّغاً في التحقيق مع العبيد والأجانب لانتزاع المعلومات والإفادات منهم عن الجرائم المرتكبة، إلاّ أن التعذيب كان محظوراً مع المواطنين، إلاّ في حالات ارتكابهم لجريمة (الخيانة العظمى) . ولعل ما يثير الدهشة أن فيلسوفاً مثل **أرسطو** عدَّ التعذيب أحد الوسائل الخمسة المشروعة للحصول على الأدلّة، أما الوسائل الأربعة الباقية فهي **(القانون والعرف والشهود واليمين).**

وإذا كان التعذيب "مبرّراً" (وهو غير مبرر إطلاقاً) لدواعي تتعلق بطبيعة النظام السياسي والسلَّم الطبقي والإجتماعي عند الإغريق، فإن الرومان أضفوا عليه صفة المشروعية حين ضمَّنوه في قانونهم، ولم يتردّد أحد القانونيين الرومان حين وصف التعذيب بأنه " **البحث عن الحقيقة باستعمال الألم والمعاناة الجسدية " .**

وقد استمر التعذيب في أوروبا بوسائل متعددة كان القانون يحميها حتى نهاية العصور الوسطى، وتحديداً من القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن السادس عشر لغرض محاربة البِدَع ومعارضة التفسيرات الدينية التي تؤول إلى انهيار النظام الديني عبر استجوابات وحشية وقاسية لجأت إليها محاكم التفتيش .

ولم تقتصر هذه الظاهرة خلال هذه الفترة على أوروبا أيضاَ ، وإنما مورست بذات القسوة والشدّة في الشرق أيضاً، سواءً في العهود القديمة السومرية والآكدية والبابلية، وكذلك في مصر الفرعونية وما بعدها، ولم تكن بعيدة عن بعض الممارسات في العهد الاسلامي، وعلى الأخص في عهد الدولة المملوكية حيث يكشف تاريخ التعذيب، أن سلاطين هذه الدولة كان يعتمدون على القوة الغاشمة في إخضاع الشعب. وهكذا فإن الثقافة القانونية السائدة سواءً بشقها التشريعي أو جوانبها العملية، وعلى المستوى العالمي، كانت تجد بعض المبررات أو الذرائع للتعذيب، إن لم يكن الأمر قانونياً، فثمت أمور أخرى سرية وعملية تلجأ اليها الأنظمة السياسية ضد خصومها.

وفي ظل مناخات الازدهار الفكري وسيادة العقل، التي سادت عصر الأنوار في أوروبا علت أصوات مفكري هذا العصر برفض التعذيب والاعتراض عليه لا باعتباره جزءًا من النظام القضائي فحسب، بل لكونه ممارسة غير إنسانية، ليلغى التعذيب بشكل رسمي في العديد من دول أوروبا منذ القرن العشرين بمراسيم وتشريعات في كل من انكلترا واسكتلندا وبروسيا .

وكانت الثورة الفرنسية العام 1789 منعطفاً تاريخياً مهماً ضد التعذيب، لاسيما صدور اعلان حقوق الإنسان والمواطن لمنع التعذيب ، حيث مهّدت له مواقف مشهودة للفيلسوف الفرنسي **فولتير ضد التعذيب** وكذلك **رسالته حول التسامح** ومؤلفات شهيرة من قبيل **"الجرائم والعقوبات"** المنشور عام 1764 للفقيه الإيطالي **بيكاريا** الذي أدان فيه وحشية التعذيب وعقوبة الإعدام، وكذلك كتابات **مونتسكيو** لاسيما كتابه **"روح الشرائع"** وكتاب **جان جاك روسو** حول **"العقد الاجتماعي"** .

بعد هذا العرض لجذور المسألة التي يستبان منها أن (فكرة التعذيب) والمعاقبة عليه لم تثر من الحساسية أو ردود الفعل إنسانياً وأخلاقياً على مدى قرون، بل كانت مبررة لأغراض سياسية ودينية واجتماعية، ومع أن الشريعة الإسلامية التي أعلت قيمة الإنسان وكرامته بدليل قوله تعالى " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً (سورة الإسراء/70)، الاّ أن التعذيب استمر كظاهرة في البلاد الإسلامية على الرغم من التحريم النظري وقد حاول باحث جاد مثل **هادي العلوي** نبش ظاهرة التعذيب في الاسلام لتسليط الضوء على

الممارسات السلبية على الرغم من وجود الكثير من الآيات القرآنية التي تحرّم ذلك كقوله تعالى " والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً " (سورة الأحزاب/ 58)، كما ورد في الحديث النبوي الشريف "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا ".
وحين نتعرض ذلك فإن الأمر يعود الى قبل أربعة عشر قرناً خلت من منع التعذيب والمعاقبة عليه بنصوص قانونية أممية، لكن الأمر لم يكن كذلك على الصعيد العملي. وهنا يمكن الإشارة الى تاريخ التعذيب في موسوعة من سبعة مجلدات **للكاتب عبود الشالجي**، وذلك تحت عنوان **" موسوعة العذاب"** حيث يقول في مقدمة الجزء الأول: العذاب شعبة من شعب الظلم، والظلم يبدأ من الشتيمة والمعايرة بالعاهة والصناعة والنسب والصفات السيئة والعارضة مروراً بالعذاب بالتغطيس في مستودعات القذر وصولاً الى القتل بالطبع.

**ثانياً- تطور اهتمام الجماعة الدولية بمنع التعذيب والمعاقبة عليه**

تعدّ اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الأول (ديسمبر) من عام 1984، المرجعية القانونية الدولية الرئيسة المعنية بحظر التعذيب، إلاّ إنه سبقتها وأعقبتها وثائق دولية في هذا المجال زخر بها القانون الدولي بفروعه المختلفة القانون الدولي لحقوق الإنسان، القانون الدولي الإنساني، القانون الدولي الجنائي، وبتركيز شديد يمكن الاشارة الى أهم الوثائق في هذا المجال وكالآتي:

1- **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** لعام 1948: وفي المادة (5) منه يؤكد بالقول أنه " لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة".
2- **العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية** لعام 1966 ومن خلال المادة (7) منه يحظر التعذيب ويزيد على ذلك " بعدم جواز إجراء أية تجربة طبية أو علمية على أحد دون رضاه الحر"، كما تضمنت المادة 2/4 من هذا العهد الإشارة إلى " أن الحق في عدم التعرض للتعذيب غير قابل للتصرف ولا يجوز للدول أن تتحلل من التزاماتها بحمايته في حالات الطوارئ و الظروف الاستثنائية التي تهدد حياة الأمة".
3- **القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء** المعتمدة من قبل مؤتمر الأمم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين لعام 1955، وعبر القاعدتين (3/2/1/22،32) تحظر توظيف العقوبات القاسية أو

المعاملة اللاإنسانية أو المهينة بوصفها عقوبات تأديبية، ومن قبيل هذه العقوبات الحبس المنفرد في زنزانة مظلمة وأي عقوبة تلحق الأذى بصحة السجين الجسدية والعقلية .

4- **المدوّنة الخاصة بالقواعد التي تنظم سلوك الموظفين المكلفين** بإنفاذ القانون لعام 1979 تشير في المادة (5) منها بأنه " لا يجوز لأي موظف من الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون أن يقوم بأي عمل من أعمال التعذيب أو غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية، أو اللاإنسانية أو المهينة أو أن يحرض عليه، أو أن يتغاضى عنه".

5- **مبادئ آداب مهنة الطب** المتصلة بدور الموظفين الصحيين ولا سيما الأطباء في حماية المسجونين والمحتجزين من التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لعام 1982 تفرض مجموعة من المبادئ من أبرزها مراعاة هؤلاء الموظفين والأطباء "بعدم استخدام معارفهم ومهاراتهم للمساعدة في استجواب السجناء والمحتجزين على نحو يضر بالصحة أو حالتهم البدنية والعقلية ".

6- **القانون الدولي الإنساني.. التعذيب جريمة حرب:** حيث نظر القواعد الأساسية لاتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 والبروتوكول الإضافي الأول الملحق بها لعام 1977، إلى التعذيب كونه أحد الانتهاكات الخطيرة التي تصدم الضمير العالمي والتي إذا ما تركت دون عقاب فإنها ستؤدي إلى انحطاط الشخصية وتدهور فكرة الإنسانية التي تقوم عليها هذه القواعد حيث قضت بالآتي :" لا يعرض أحد للتعذيب البدني أو العقلي أو العقوبات البدنية أو المعاملة الفضة أو المهينة، يعد التعذيب أو المعاملة اللاانسانية بما في ذلك التجارب الخاصة بعلم الحياة من الانتهاكات الخطيرة لأحكام اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 والبروتوكول الملحق بها ".

وينظر إلى التعذيب كونه جريمة دولية بوصفها " جريمة حرب" : المواد 50/ج1، 51/ج2، 130/ج3، 146/ج4 والمادتين 85.11 من البروتوكول الأول الملحق باتفاقيات جنيف.

7- **القانون الدولي الجنائي..التعذيب جريمة ضد الإنسانية:** يندرج (التعذيب) بوصفه جريمة ضد الإنسانية إلى جانب أفعال من قبيل " القتل، الإبادة، الاسترقاق، السجن، الإغتصاب، الإضطهاد لأسباب سياسية أو عرقية أو دينية، التعقيم القسري، الإختفاء القسري، سائر الأفعال غير الإنسانية متى ارتكبت على نحو منهجي وواسع النطاق ضد مجموعة من السكان المدنيين عملاً بسياسة دولة أو منظمة تقضي

بذلك" (م2/1/7 من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية)، وبذلك فقد أضفى القانون الدولي الجنائي على التعذيب في حال ارتكابه بالشروط والظروف آنفة الذكر صفة( الجريمة الدولية)، لجهة انتهاكه مصلحة حيوية تهمّ المجتمع الدولي ككل وذلك بطعن إحساسه بالإنسانية وقيمة الجنس البشري، وما يترتب على ذلك من عالمية إخضاع التعذيب للعدالة الجنائية الدولية .

التعذيب باختصار عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسدياً أكان أم عقلياً (نفسياً أم معنوياً) يلحق عمداً بشخص ما، بقصد الحصول على اعتراف منه على عمل ارتكبه أو يشتبه بأنه ارتكبه هو أو شخص آخر أو تخويفه أو إرغامه.

**المبحث الأول- الإطار القانوني الدولي المخصص القائم لمناهضة التعذيب ( المعايير الدولية لمناهضة التعذيب)**

يمكن القول بأن الإطار القانوني الدولي القائم لمناهضة التعذيب إنما يتمثل باتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة التي تم اعتمادها من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1984، والبروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية لعام 2003، وقد حددت الاتفاقية المقصود بالتعذيب على وفق المادة (1) منها بالقول: " أنه أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد جسدياً كان أو عقلياً يلحق عمداً بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث على معلومات أو على اعتراف أو معاقبته على عمل ارتكبه، أو يشتبه في أنه ارتكبه هو أو شخص ثالث، أو يشتبه في أنه أرتكبه أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب من الأسباب يقوم على التمييز أيا كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه، أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص أخر يتصرف بصفته الرسمية، ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية أو الملازم لهذه العقوبات الذي يكون نتيجة عرضية لها" ومن خلال هذا المفهوم فإنه يمكن استخلاص العناصر الأساسية للتعذيب على النحو الآتي:

- عمل يلحق عمداً بشخص ما ينتج عنه عذاب شديد بدنياً كان أو عقلياً .
- أن القصد منه الحصول على معلومات أو اعتراف أو لغرض المعاقبة أو التخويف أو الإكراه أو التمييز .

- ملازمة الصفة الرسمية للأشخاص الذين يرتكبون أفعال التعذيب.
- أنه يخرج عن فكرة ( التعذيب )، الألم أو العناء الشديد نفسياً أو جسدياً المرتبط بعقوبات قانونية .

وبشأن المعايير الدولية لمناهضة التعذيب فإنه يغدو ممكناً استخلاصها وتوزيعها على جوانب عدّة وكالآتي:

1- الاعلانات الدولية التي تحرّم تجرّم التعذيب كما تمت الاشارة اليها وتشمل:

أ-الاعلان العالمي لحقوق الانسان (المادة الخامسة).

ب- اعلان حماية جميع الأشخاص من التعرّض للتعذيب (1975)- (المادة الثالثة).

2- اتفاقيات دولية تحرّم التعذيب

أ-اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 (المادة الثالثة من اتفاقية جنيف لحماية ضحايا الحرب).

ب- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (المادة السابعة)

ج- اتفاقية مناهضة التعذيب.

د- النظام الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998 والذي دخل حيز التنفيذ العام 2002 (المادة الخامسة والسابعة والثامنة).

**المحور الأول: الجوانب التشريعية**

ويتضمن هذا المحور على :

1. التصديق على الاتفاقية والبروتوكول .
2. تجريم أفعال التعذيب بموجب التشريعات الداخلية للدول الأطراف .
3. توفير الضمانات القانونية( لمنع التعذيب) .
4. عدم جواز التذرع بالظروف الاستثنائية كمبرر للتعذيب .
5. عدم جواز التذرع بطاعة الأوامر كمبرر للتعذيب .
6. عدم الاعتداد بأية معلومات يثبت أنه تم الإدلاء بها تحت وطئة التعذيب كدليل في مراحل الإجراءات الجنائية .

**المحور الثاني: الجوانب الإجرائية**

ويشمل هذا المحور على ما يأتي:

- توطيد التعاون القانوني والأمني والقضائي ما بين الدول الأطراف لملاحقة الفاعلين .
- إعمال مبدأ الرقابة الدورية والمنظمة على قواعد التحقيق والاستجواب مع المتهمين .
- ضمان قيام السلطات المختصة بإجراء تحقيق نزيه وبأسرع وقت ممكن في قضايا التعذيب .

**المحور الثالث: الجوانب المتعلقة بتمكين وإسناد الضحايا وتقوية شعورهم بالعدالة**

إن تمكين الضحايا وتعزيز ثقتهم بالعدالة وإحساسهم بالإنصاف يتطلب:

- تمكين الضحايا ( المجني عليهم ) من رفع شكوى أمام السلطات المختصة، أو عوائلهم أو من يمثلهم .
- ضمان حق الضحايا في المطالبة بتعويض عادل ومناسب إلى جانب إعادة تأهيلهم على أكمل وجه طبياً ونفسياً ومادياً .

**المحور الرابع: الجوانب المتعلّقة ببناء ثقافة مناهضة للتعذيب لتحصين المكلفين بإنفاذ القانون من ممارسة التعذيب**

إن بناء ثقافة لمناهضة التعذيب وتحصين المكلفين بإنفاذ القانون من ممارسة يستوجب:

- توظيف آليات التدريب ( برامج بناء القدرات) لتحصين الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون، وإقامة العدل والعاملين في ميدان الطب وغيرهم من الموظفين العموميين ممن لهم علاقة باحتجاز الأشخاص أو سجنهم أو استجوابهم من ممارسة التعذيب .
- دمج حظر التعذيب في القوانين واللوائح المنظمة لخدمة فئات الأشخاص المنوه عنهم .

**المبحث الثاني: وضع المسألة في الميثاق العربي لحقوق الإنسان، والاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان**

كانت الحرب العالمية الثانية محطة مهمة في تطوير وتعميق الثقافة الحقوقية بشكل عام وخصوصاً بعد الويلات التي تعرّضت لها البشرية وإزهاق أرواح

ملايين البشر وقد ساهم انتشار الوعي الحقوقي والديمقراطي بشكل عام في تعزيز وتعميق ثقافة المشروعية وحقوق الإنسان في أرجاء العالم كافة، والتي وجدت تعبيرها في ميثاق الأمم المتحدة وعدد من الصكوك الدولية لحقوق الإنسان، العالمية منها أو الإقليمية، وذلك من خلال التفاعل والتواصل بين الحضارات والثقافات المختلفة وإجماعها على قيم إنسانية أساسية مشتركة تؤكد على احترام الكرامة الإنسانية المتأصلة في الذات البشرية، وقدر ( الإنسان الفرد ) ومصيره وإنقاذه من ألوان العسف والقهر والتمييز وتحريره من الخوف والحاجة معاً .

ومع أن العالم العربي لا يزال حسب التقارير الدولية المعتمدة في أسفل السلّم بشأن قضايا حقوق الانسان نظرياً وعملياً، فقد ظل الجدل واسعاً وطويلاً بشأن انبثاق ميثاق عربي لحقوق الانسان. وتشكلت لجنة حقوق الانسان العربية في إطار جامعة الدول العربية في العام 1968 عشية مؤتمر طهران العالمي لحقوق الانسان، وتقرر ابرام **ميثاق عربي لحقوق الانسان** بعد تشكيل لجنة خاصة بإعداده، في العام 1971 لكن اللجنة كانت تنام وتستيقظ لمدة 23 عاماً، حتى أبرم الميثاق في العام 1994، وجاء أدنى بكثير من الحد الأدنى للمعايير الدولية، ومع ذلك لم تتم المصادقة عليه ولم يدخل حيّز التنفيذ، وكانت اعتراضات مؤسسات المجتمع المدني ضده شديدة، وتم تشكيل لجنة خبراء عربية ساهمت في إعداده لعرضه على القمة العربية السادسة عشر التي استضافتها تونس بتاريخ 23/مايو- (أيار)2004، حين تم إبرامه ودخل ذلك حيّز التنفيذ في 15 آذار (مارس) 2009 .

وإذ أبان الميثاق العربي لحقوق الإنسان عن الأساس الفكري والثقافي الذي يقوم عليه والمتمثل "بإيمان الأمة العربية بكرامة الإنسان الذي أعزه الله منذ بدء الخليقة، وبأن الوطن العربي مهد الديانات وموطن الحضارات ذات القيم الإنسانية السامية التي أكدت حقه في حياة حرة كريمة على أسس من الحرية والعدل والمساواة وتحقيق المبادئ الخالدة في الدين الإسلامي الحنيف والديانات الأخرى في الأخوة والمساواة والتسامح بين البشر.." (ديباجة الميثاق)، فقد عالج " الحق في عدم التعرّض للتعذيب" وذلك في العديد من النصوص التي أظهرت مواكبة الميثاق لبعض من المعايير الدولية لمناهضة التعذيب الواردة في اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 حيث جاءت المادة (8) من الميثاق مؤكدة على حظر التعذيب ومنعه وعدم سقوطه بالتقادم إضافة إلى إنصاف الضحايا وقد ورد نصها كالآتي:

" 1. يحظر تعذيب أي شخص بدنياً أو نفسياً أو معاملته معاملة قاسية أو مهينة أو حاطة بالكرامة أو غير إنسانية .

2. تحمي كل دولة طرف كل شخص خاضع لولايتها من هذه الممارسات وتتخذ التدابير الفعالة لمنع ذلك، وتعد ممارسة هذه التصرفات أو الإسهام فيها جريمة يعاقب عليها ولا تسقط بالتقادم".

أما **الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان** المبرمة في نطاق مجلس أوروبا في روما في 4 تشرين الثاني (نوفمبر) 1950 فقد أفصحت بالمقابل عن عزم الحكومات الموقعة عليها "بوصفها حكومات لدول أوروبية تسودها وحدة فكرية ذات تراث مشترك من الحرية والمثل والتقاليد السياسية واحترام القانون على اتخاذ الخطوات الأولى نـحو التنفيذ الجماعي للحقوق الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" .

وأقرّ الميثاق كذلك مبدأ حظر ممارسة التعذيب في ظل الظروف الاستثنائية (حالات الطوارئ)، فقد ورد في المادة (4) الفقرة(2) منه بأنه " لا يجوز في حالات الطوارئ الاستثنائية مخالفة حكم المادة (8) كما لا يجوز تعليق الضمانات القضائية اللازمة لحماية هذا الحق" .

وثمة نص آخر يوفر حماية للحق في السلامة الجسدية يمكن أن يندرج ضمن مبدأ منع التعذيب والتحوّط من ممارسته وهو نص المادة (9) من الميثاق التي أكدت على "عدم جواز إجراء تجارب طبية أو علمية على أي شخص أو استغلال أعضاءه من دون رضاءه الحر وإدراكه الكامل للمضاعفات التي تنجم عنها "،

وفضلاً عمّا سبق فقد كفل الميثاق حق المتهم في عدم التعرّض للتعذيب وذلك حين أشير إليه كضمانة من بين الضمانات التي يتمتع بها المتهم خلال إجراءات التحقيق والمحاكمة، على وفق المادة 16 منه الفقرة (8) التي جاء نصها بالقول "وفي جميع الأحوال للمتهم الحق في إن تحترم سلامته الشخصية"، على قاعدة أن ظروف التحقيق والمحاكمة إنما تشكل بيئة مؤاتية لاحتمالات تعرض المتهم لظروب الإكراه البدني والمعنوي، الأمر الذي يقف وراء مغزى المادة 1/20 من الميثاق التي جاء نصها كالآتي "يعامل جميع الأشخاص المحرومين من حريتهم معاملة إنسانية تحترم الكرامة المتأصلة في الإنسان"، مما يسبغ ضمانة لحماية نزلاء المؤسسات العقابية والإصلاحية . أو ما أصطلح على تسميتها بدور التأهيل الاجتماعي أو السجون، من التعرض للتعذيب وإن لم تأت على نـحو صريح .

ويقابل النصوص آنفة الذكر في الميثاق ما ورد في الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان وتحديداً في المادة (3) منها التي جاء نصها بالقول " لا يجوز إخضاع أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبة المهينة للكرامة".

جدير بالذكر أنه قد يبدو للمرء ومن خلال مقاربة أولية للنصوص الواردة في كلتا الوثيقتين الإقليميتين بشأن تنظيم مسألة مناهضة التعذيب، أن ليس ثمة فروق جوهرية بينهما، على صعيد الإقرار بالحق في عدم التعرض للتعذيب سيما في إطار إجراءات العدالة الجنائية، لكن المسألة الأهم من إقرار الحقوق في الصكوك الدولية والإقليمية، هو توفير الآليات الفعالة لحمايتها في مواجهة أي انتهاك يحتمل أن تتعرض له من قبل السلطات وآية ذلك أنه :

ففيما اشتمل الميثاق العربي لحقوق الإنسان على آلية تعاهدية تتمثل بلجنة حقوق الإنسان العربية، المنشأة بموجب المادة 45 منه، حيث تقتصر مهمتها على دراسة التقارير الدورية التي ترفعها الدول الأطراف بشأن التدابير التي اتخذتها لإعمال الحقوق والحريات المنصوص عليها في الميثاق وبضمنها الحقوق التي كفلها بشأن حماية الأفراد من التعرض للتعذيب، وبيان التقدم المحرز للتمتع بها ، ومناقشتها وإبداء الملاحظات بشأنها بحضور من يمثل الدول المعنية لمناقشتها حيث يعقب ذلك قيام اللجنة بتقديم توصياتها إلى الدول ومن ثم إلى مجلس الجامعة عن طريق الأمين العام، وهي آلية لا ترقى في فعاليتها واختصاصاتها لمستوى لجنة مناهضة التعذيب المنبثقة عن اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984، نلحظ أن الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان لعام 1950، قد أنشئت بموجب المادة (19) منها **آلية متقدمة** لحماية الحقوق التي تنطوي عليها وتتمثل "بلجنة أوروبية لحقوق الإنسان"، أشير إليها فيما بعد باسم "اللجنة" و"محكمة أوروبية لحقوق الإنسان" أشير إليها لاحقاً باسم "المحكمة".

ووفقاً للاتفاقية فإنه يحق للأفراد اللجوء إلى ( اللجنة) التي تمتلك الصلاحية بالبت في الشكاوى الفردية ضد الدول التي يدعى إنها قامت بانتهاك الحقوق المحمية بموجب الاتفاقية، وهنا تستطيع اللجنة أن تقوم بالتوفيق بين الفرد والحكومة المعنية ، حيث يستطيع صاحب الحق في هذه الحالة أن يحصل على تعويض، وفي حالة قبول اللجنة للشكوى مع عدم إمكانية التوفيق تستطيع أي دولة أخرى من الدول التي صدقت على الاتفاقية أن تتبنى القضية وتقاضي الدولة المشكو منها أمام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وقد استمر هذا النظام قائماً حتى العام 1998 حيث صدر الملحق الحادي عشر للاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، الذي ألغى اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان وأسند عملها للمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وعلى ذلك فقد أضحى بمقدور المحكمة النظر في الشكوى من حيث مدى مقبوليتها والقيام بإجراءات التوفيق بين الفرد والحكومة المدعى عليها، وفي حالة عدم إمكانية التوفيق ترفع الدعوى تلقائياً إلى المحكمة مع عدم اشتراط تبنى دولة طرف

في الاتفاقية للدعوى كما كان الحال فيما سبق، وفي هذه الحالة تدرج القضية باسم صاحب الدعوى ( المدعي) ضد الدولة المدعي عليها .

ويتعزز النظام الإقليمي الأوروبي لمناهضة التعذيب بالاتفاقية الأوروبية لمنع التعذيب والمعاملة أو العقوبة اللاإنسانية أو المهينة ( الوثيقة 24)، وقد ورد ضمن دواعي إصدار هذه الاتفاقية قناعة الدول الأطراف " بأن حماية الأشخاص المسلوبة حرياتهم من التعذيب يمكن تدعيمها بطرق قضائية ذات طابع مانع تقوم على أساس الزيارات" .

وهكذا فقد أنشأت هذه الاتفاقية لجنة للتفتيش على السجون الأوروبية حيث تقوم عن طريق هذه الزيارات بالتحقيق في معاملة الأشخاص المسلوبة حرياتهم وتدعيم حمايتهم من التعرض للتعذيب، إضافة إلى قيامها بإصدار تقاريرها عن حالة السجون ومعاملة السجناء، حيث يصار من ثم إلى نشر تلك التقارير وتوزيعها توزيعاً عاماً .

**المبحث الثالث: الإطار القانوني لمناهضة التعذيب في الدول العربية**

سنعرض لواقع مناهضة التعذيب في الدساتير العربية، وفي نماذج من التشريعات الجنائية العربية ( العقابية والإجرائية)، بالنظر لما ينطوي عليه بحث المسألة من أهمية خاصة نابعة من خصوصية الدستور وثقله في البناء القانوني للدولة، ولجهة أن قانوني العقوبات، والإجراءات الجنائية، إنما يمثلان المرجعية المباشرة الأقرب في تنظيم المعاقبة على أفعال التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية، واللاإنسانية وتحديد الآثار القانونية الناجمة عن ممارستها في إطار الإجراءات الجنائية كافة من ( تحرٍّ واستدلال وتحقيق، ومحاكمة).

**أولاً- واقع مناهضة (التعذيب) في الدساتير العربية**

**1- مغزى ودلالات حظر التعذيب في الدستور**

قد يبدو للمرء وللوهلة الأولى أن ليس ثمة ضرورة تقوم للنص على حظر التعذيب وغيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية أو المهينة في الدساتير، كونها في الأساس معنية بتحديد المبادئ العامة التي تحكم حركة الدولة والمجتمع، وتعيين مساراتها الرئيسة، وطالما أن التشريعات الجنائية، الموضوعية منها ( القوانين العقابية ) والشكلية ( قوانين الإجراءات والأصول الجزائية )، تتولى بحكم وظيفتها تنظيم هذه المسألة، إلاّ أن الأمر في حقيقته ليس كذلك لإعتبارات تتعلق بطبيعة الدستور الخاصة والمركبة، لجهة كونه وثيقة قانونية وسياسية في آن واحد، مما يحمل على تحليله استناداً لمقاربات فكرية وسياسية وإجتماعية، إلى جانب الإعتبارات القانونية والفنية

البحتة، والتي تفضي جميعاً إلى آثار ونتائج ايجابية من شأنها تعزيز وضمان حقوق الإنسان .
وينظر إلى الدستور بوصفه وثيقة سياسية، لأنه يتكفّل بتنظيم ممارسة السلطة في الدولة، وتعيين حدودها، وتحديد أنواعها ( الهيئات التنفيذية، والتشريعية، والقضائية )، واختصاصاتها وضمان التوازن في ممارسة هذه الاختصاصات، إلى جانب تحديد الواجبات والحقوق والحريات الفردية والجماعية، على نحو تتضح من خلاله الأسس الصحيحة التي تقوم عليها علاقة الحاكم بالمحكوم، إذ تجعل كلاً منهما دائناً ومديناً في ذات الوقت بالتزامات وحقوق متبادلة مما يجسد ( فكرة المواطنة) التي ينظر من خلالها إلى المحكومين في دولة الحداثة أنهم مواطنون يملكون مصائرهم وخياراتهم، لا رعايا مستلبي الإرادة والفعل والحقوق .
الدستور بهذا المعنى يضحى عقداً اجتماعياً بين المواطن والسلطة لا تغدو الأخيرة بناءً عليه، كائناً غريباً عن الجماعة الوطنية وقيمها وما تواضعت عليه من رؤى وخيارات اقتصادية وإجتماعية وثقافية وغيرها، بقدر ما تعبر السلطة عن نفسها في الدستور بوصفها، ممثلة عن الإرادة العامة ومفوضةً عن المجتمع في تحقيق بنود ( الدستور- العقد)، بوصفه الحكم الذي يلتجأ إليه الطرفان في حال إضطرب الميزان، واعتلّت العلاقة، وتعمّقت الفجوة بين النص الدستوري، وما يكتنف الواقع من معطيات في الاتجاه الخطأ .
وهكذا وعلى أساس من فهم هذه المقاربة فإن توافر الدستور على نص يحظر التعذيب وغيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة إنما يعني تواضع السلطة والمجتمع، على اعتبار حظر التعذيب، قيمة إنسانية وإجتماعية، هي جزء من الضمير الجمعي الذي شكله إرث الجماعة الوطنية الثقافي ومنظومتها القيمية، لا محيد عنها وغير قابلة للمصادرة أو الانتقاص .
وعلى مستوى آخر من التحليل فإن (الدستور)، إنما يعدّ وثيقة قانونية وهي وثيقة تحتل المرتبة الأولى في سلّم البناء القانوني الداخلي، تعلو في قيمتها المراتب التشريعية المختلفة في النظام القانوني الوطني من ( قوانين، ونظم ولوائح )، ومن مظاهر هذه العلوية، ما أصطلح على تسميته بـ(التدرّج التشريعي )، الذي يجعل المرتبة الأدنى في الهرم التشريعي تستمد قيمتها القانونية وصحتها استناداً إلى اتفاقها مع المرتبة الأعلى وصولاً إلى الدستور، الذي يتوجب أن تتفق القوانين كافة مع نصوصه وجوهره وروحه، وبهذا يعد الدستور الأب الروحي للقوانين بجانب كونه الناظم لسلوك السلطات والأفراد والجماعات سواء بسواء .
وعلى ذلك فإن النصوص التي تقرّ حقوق الإنسان، وبضمنها النص على حظر التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية، أو المهينة التي تحفل بها

الدساتير، ليست ديكوراً يؤثث الأخيرة ويجملها، بقدر ما تنطوي عليه هذه النصوص الدستورية من أثر قانوني بالغ الأهمية في تحصين الحقوق التي تكفلها وتقرها من أي انتقاص أو مصادرة، قد ينطوي عليه عمل التشريع أو القضاء أو الإدارة حيث تنهض إمكانات الطعن بلا دستوريته ومن ثم ببطلانه .

ولذا فإنه لم يكن من باب البلاغة المصممة أن قيل بأن الدستور بحق هو **"حامي الحقوق والحارس الأمين للحريات"** .

**2- مناهضة التعذيب في الدساتير العربية ..الاتجاهات الأساسية**

لا يمكن فهم مسألة ( مناهضة التعذيب) في الدساتير عموماً ومنها الدساتير العربية، من خلال توافرها على نص أو أكثر يحظر التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة فحسب وإنما عبر الوقوف على هذه المسألة استناداً إلى الإعتبارات الرئيسة الموضحة في الآتي :

- واقع أو بالأحرى المكانة التي تحتلها موضوعة ( حقوق الإنسان) في متن الوثيقة الدستورية .
- ما توافر عليه الدستور من ضمانات كفلها لحماية الحقوق والحريات العامة .
- الضمانات الخاصة التي كفلها الدستور لحق الأفراد بعدم التعرّض للتعذيب وأي أذى جسماني أو معنوي .

وفيما يلي تفصيل بذلك :

**أ- المكانة التي تحتلها موضوعة ( حقوق الإنسان) في متن الدساتير العربية**

شغلت النصوص التي كفلت بعض مبادئ حقوق الإنسان المدنية والسياسية، أو الاقتصادية و الإجتماعية والثقافية، حيزاً غير كاف في الدساتير العربية، حيث جاء تنظيمها منظوياً ضمن فصول أو أبواب تحت عناوين تصب في ذات المعنى من قبيل **( حقوق المواطنين وواجباتهم)** أو **( الحريات والحقوق والواجبات العامة )**، أو **( حقوق المواطن وواجباته الأساسية)**، أو ماسمي **(بوثيقة الحقوق)** كما أن البعض من الحقوق والحريات الأساسية ورد ضمن فصول خاصة بـ**(المقوّمات الأساسية للدولة والمجتمع ).**

وفيما انطوت معظم الدساتير العربية على نصوص عامة لكفالة بعض الحقوق الإقتصادية والإجتماعية والثقافية من قبيل ( الحق في التعليم و الصحة والعمل وحرية الاستثمار والملكية وحرية البحث العلمي والمشاركة في حياة المجتمع الثقافية، والضمان الاجتماعي، ورعاية الأسرة وحماية الأمومة والطفولة وغيرها)، فإن الأمر كان يحتاج الى حقوق متوازنة لاسيما

الحقوق المدنية والسياسية منها على سبيل المثال: "الحق في الحياة والعيش بسلام ودون خوف والحق في التعبير وحق الاعتقاد والحق في التنظيم الحزبي والنقابي والمهني والحق في المشاركة وتقلّد المناصب العليا دون تمييز بسبب الدين أو اللون أو العرق أو الجنس أو اللغة أو الاتجاه السياسي أو المنحدر الاجتماعي أو لأي سبب كان، وإذا كانت هذه الحقوق أساسية، فإن الحق في الترشيح والانتخاب، والحق في اللجوء السياسي والحق في التمتع بجنسية وعدم انتزاعها تعسفاً، والحق في الإقامة والتنقل، والحق في صيانة الحرمات الخاصة هي حقوق لا غنى عنها وتندرج في هذا الإطار، هذا إضافة إلى طائفة من الحقوق القانونية والقضائية بما فيها الحق في شخصية معنوية والمساواة أمام القانون وغيرها من حقوق المواطنة.

لعل الإختلاف في التناول بين الحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يفصح عن نقص في وعي المشرع الدستوري العربي بقضية الترابط ما بين هذه الحقوق، باعتبارها منظومة شاملة لا يمكن تجزئتها أو الانتقاص منها لأي سبب كان، وأن هذين النمطين من الحقوق إن هما إلاّ هي كل واحد لا يتجزأ وبهما تتكامل نظرية الحقوق بركائزها المادية وتجلياتها المعنوية.

ويبدو ملائماً هنا ولأغراض هذا البحث أن نشير إلى أن ورود النص الدستوري الخاص بحظر التعذيب وغيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية أو المهينة وسط هذا الحشد من الحقوق والحريات العامة، إنما يجعل هذا الحق محفوفاً ببيئة حقوقية دستورية نصية، يمكن النظر إليها على إنها تكفل ضمانة أو حماية عامة ( لنص حظر التعذيب )، طالما سلمنا بأطروحة جدلية أو تكامل الحقوق ووحدتها، لكن ذلك غير كاف مع إيجابيته .

لكن هذا المعطى الإيجابي في علاقة ( نص حظر التعذيب ) بالنصوص الأخرى المتعلقة بالحقوق والحريات الأساسية، إنما تتبدى على نـحو أكثر قوة في النظر لعلاقة ( النص محل البحث ) بالحقوق القانونية والقضائية، التي تتوزع إلى حقوق قانونية وقضائية عامة تشمل عموم الأفراد، وذات الحقوق التي تخاطب الفرد بوصفه (متهماً )، بعبارة أخرى حين يكون محلاً للإجراءات الجنائية من ( تحرٍّ واستدلال، وتحقيق ومحاكمة)، وفيما يتعلق بالنوع الأول من هذه الحقوق فإنها تشمل ( مساواة الأفراد أمام القانون)، ( والحق في التظلم ومخاطبة السلطات العامة )، ( والحق في الإلتجاء إلى القضاء ) .

وقد وردت هذه الحقوق في الدساتير العربية غالباً ضمن الأبواب المخصصة ( للمقومات الأساسية للمجتمع ).

أما النوع الثاني من الحقوق القانونية والقضائية فقد وجد تعبيره في العديد من المبادئ والضمانات القانونية للمتهم في إطار الإجراءات الجنائية التي وردت في الدساتير العربية وغالباً في الفصول الخاصة ( بالحقوق والواجبات ) ومن أبرزها:

- عدم جواز القبض على أحد أو تفتيشه أو حجزه أو تقييد حريته في الإقامة والتنقل إلاّ وفقاً لأحكام القانون . ( شرعية الإجراءات الجزائية ) .
- قانونية الجرائم والعقوبات .
- شخصية العقوبة . ( حظر العقوبات الجماعية ) .
- الحق في قرينه البراءة ( المتهم برئ حتى تثبت إدانته ) .
- الحق في الدفاع عن النفس، وتوكيل محام .
- حظر التعذيب وضروب الإكراه البدني والنفسي كافة .
- عدم رجعية القانون الجنائي على الماضي .
- مساواة الجميع أمام القضاء .
- الحق في محاكمة مستقلة ونزيهة وعلنية .

ومع وجود هذه النصوص في معظم الدساتير العربية، لكن الواقع العملي يعطينا رؤية أخرى إزاء انتهاكات هذه الحقوق والحريات وقد كشفت التغييرات الأخيرة والانتفاضا الشعبية التي حصلت في العالم العربي، لاسيما في تونس ومصر عن وجود حالات صارخة للتعذيب الروتيني والمنهجي وتجاوز القوانين الدولية لحقوق الانسان والقانون الدولي الانساني.

**ب**- ما يتوافر عليه الدستور من **ضمانات عامة لحماية الحق في عدم التعرض للتعذيب** وغيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية .

توافرت في العديد من الدساتير العربية ضمانات لحماية الحقوق والحريات الواردة فيها وبضمنها " الحق في عدم التعرض للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية ".. لعل أبرزها :

- تمكين الأفراد من التظلّم : وذلك من خلال كفالة حق الأفراد في مخاطبة السلطات العامة، وهو ما يفضي إلى تمكين الأفراد من التظلم عما يحتمل أن يلحقهم من أضرار مادية أو معنوية بفعل إجراءات السلطة، وبضمنها احتمالات أن تقع هذه الأضرار بفعل إساءة استعمال السلطة، التي يعدّ التعذيب والمعاملة اللاإنسانية، وممارسة الشدة أو القسوة التي تقع من موظف عمومي في مواجهة الأفراد وسواء في إطار الإجراءات الجنائية أو خارجها، من أبرز مظاهرها .

جدير بالذكر أن بعضاً من الدساتير العربية قد عزز هذا الحق على نحو مؤسسي من خلال النص على تشكيل ديوان للمظالم للنظر فيما يتقدم به الأفراد المتضررون من مظالم .

ولعل هذا الأمر يستجيب لنص المادة الثانية من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الفقرة (3) منه التي ورد فيها " تتعهد كل دولة طرف في هذا العهد:

أ- بأن تكفل توفير سبيل فعال للتظلم لأي شخص انتهكت حقوقه أو حرياته المعترف بها في هذا العهد، حتى لو صدر الانتهاك عن أشخاص يتصرفون بصفتهم الرسمية .

ب-بأن تكفل لكل متظلم على هذا النحو أن تبت في الحقوق التي يدعى انتهاكها سلطة قضائية، أو إدارية، أو تشريعية مختصة أو أي سلطة مختصة أخرى ينص عليها نظام الدولة القانوني...).

ويتوائم مع نص المادة (13) من اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 التي ورد فيها ما يلي "تضمن كل دولة طرف لأي فرد يدعى بأنه تعرض للتعذيب في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية، الحق في أن يرفع شكوى إلى سلطاتها المختصة، وفي أن تنظر هذه السلطات في حالته على وجه السرعة وبنزاهة .." .

لكن الناس بشكل عام تبدي حذراً شديداً من اللجوء الى هذه الأساليب أو تلتجئ اليهاعلى نحو محدود، وفي حين أن مثل هذا الأمر يأخذ جانباً شفاهياً في بعض بلدان الخليج ويعتمد الى حدود كبيرة على مكرمة يقوم بها الحاكم لرفع الحيف أو الظلم عن المواطن، الأمر الذي يكون تأثيره محدوداً ولا يكتسب صفته القانونية.

- **الرقابة القضائية على دستورية القوانين :** أن توافر النص في الدستور على أن تنشأ في النظام القانوني الوطني آلية للرقابة القضائية على دستورية القوانين، إنما ينظر إليه على أنه أحد أبرز الضمانات التي من شأنها كفالة الحقوق والحريات العامة من أي تشريعات يمكن أن تنتقص أو تضعف أو تصادر هذه الحقوق أو تفرغها من محتواها .

وتتبدى قيمة الرقابة القضائية على دستورية القوانين، في كفالتها حماية أحكام الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان من احتمال تعرضها للانتقاص أو حتى الإلغاء بفعل تشريعات لاحقة هذا على الرغم من المصادقة على هذه الاتفاقيات ودمجها في القانون الداخلي، وهو أمر متوقع، مرده على الأرجح عدم رسوخ ثقافة قانونية دولية، أو ضعف القناعة بضروراتها، لدى المشرع الوطني وميله للبناء والتأسيس على أصول وقواعد قانونية داخلية في عملية التشريع على الرغم من تعارضها مع المعايير القانونية الدولية .

ولذا فإنه لم يكن مصادفةً أن ينظر إلى الرقابة القضائية على دستورية القوانين على إنها جزء لا يتجزأ من الآليات الوطنية لحماية حقوق الإنسان في النظم القانونية الوطنية للدول، وبضمنها الدول العربية التي جاءت هذه الآلية معبرة عن نفسها في العديد من دساتيرها التي نصت على قيام محكمة دستورية للنهوض بهذه المهمة .

**- دعم حكم القانون ( سيادة القانون )، واستقلال القضاء .**
يكاد لا يخلو دستور عربي من الإشارة إلى مبدأ سيادة القانون الذي يعد بحق لافتةً عريضةً لدولة المؤسسات والحكم الرشيد واحترام حقوق الإنسان، فسيادة القانون يعني (مشروعية ) تصرفات السلطة والأفراد، بعبارة أخرى خضوع كليهما لسلطة القانون .
ولذا فلم يكن من المستغرب أن يحتل هذا المبدأ مكان الصدارة في الفصول أو الأبواب المخصصة ( للمقومات الأساسية للدولة والمجتمع ) في الدساتير العربية وفيما يتعلق بإستقلال القضاء فهو نتاج طبيعي لمبدأ ( الفصل ما بين السلطات )، الذي يمنع تغوّل بعضها في مواجهة البعض الآخر، الأمر الذي ينعكس إيجاباً لصالح حقوق الإنسان والمواطن، وبخلاف ذلك تضطرب الموازيين، وتنتهك الحقوق، وتضيع فكرة الدولة .
وهكذا فقد تماثلت الدساتير العربية في النص على " أن القضاء سلطة مستقلة" و إن القضاة مستقلون ولا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون" و " إن شرف القضاة وعدلهم أساس الحكم وضمان الحقوق والحريات ، وغير ذلك من النصوص التي تصب في ذات المعاني. وفي هذا السياق فإن بعضاً من هذه الدساتير قد تميّز بتعزيز ودعم مبدأ سيادة القانون واستقلال القضاء وذلك عبر تبنّيه مبدأً مفاده " حظر النص في القوانين على تحصين أي قرار أو عمل إداري من رقابة القضاء "،
- **احترام العهود الدولية:** وردت الإشارة إلى هذا المعنى في ديباجة معظم الدساتير العربية حيث أظهر البعض منها الالتزام بميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وميثاق جامعة الدول العربية كما عبر البعض الآخر في الأبواب المخصصة للأحكام الأساسية في صدر الدساتير، عن التزام الدولة بأحكام المواثيق والمعاهدات الدولية التي صادقت عليها، أو انضمت إليها، كما قضت في أحكام أخرى إلى أن هذه المعاهدات بعد المصادقة عليها تكون لها قوة القانون، فيما أقرت دساتير أخرى احترامها ليس لقواعد القانون الدولي الإتفاقي (المعاهدات ) فحسب، وإنما لقواعد القانون الدولي المعترف بها بوجه عام ( القواعد العرفية ) أيضاً .

وثمة دساتير منحت أحكام الاتفاقيات الدولية المصادق عليها في قيمتها القانونية أرجحية على القوانين الداخلية، وفي الجملة فإنه من كل ما تقدم نخلص إلى أن تضمين الدساتير ما يجسد الالتزام بالمعاهدات الدولية، إنما يعبر عن إرادة سياسية في احترام المعايير القانونية الدولية (وبضمنها المعايير الدولية لمناهضة التعذيب) وذلك لجهة الطبيعة السياسية للوثيقة الدستورية .

- **حق الفرد في الإلتجاء إلى قاضيه الطبيعي:** واستكمالاً لمبدأ استقلال القضاء، فقد تميّز البعض من الدساتير العربية في إقرارها لحق الفرد بالتقاضي، بأن اشترطت أن يكون أمام قاضيه الطبيعي وليس أمام محاكم استثنائية التي تغيب فيها عادةً ضمانات المحاكمة العادلة وبضمنها عدم تعريض المتهم لأي لون من ألوان الإكراه البدني والنفسي والمعنوي .

وثمة أحكام أتت في هذه السياق زخرت بها العديد من الدساتير العربية جاءت لتؤكد على ضرورة اختصاص المحاكم العسكرية بمحاكمة عناصر القوات المسلحة والأمن فقط ( إلاّ في حالات الطوارئ ) .

- **إنشاء المؤسسات أو المفوضيات أو الهيئات الوطنية لحقوق الإنسان**: إذ بات معروفاً إن هذه المؤسسات إنما تحكم عملها مبادئ باريس الخاصة بالمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان، وهي هيئات وطنية مستقلة وسيطة شبه رسمية، بين الجمهور والمجتمع المدني من جهة والحكومات من جهة أخرى، وتمارس مهام متابعة ضمان مختلف الحقوق والحريات في الدولة، ونشر الوعي بمفاهيم حقوق الإنسان، وموائمة التشريعات الوطنية بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان، وبذلك تعد في مقدمة الآليات الوطنية لحقوق الإنسان، ما يعنينا هنا أن النص على إنشائها في بعض الدساتير العربية إنما يعزز استقلاليتها يمنحها قوة خاصة، في مواجهة أية معوقات يمكن أن تصادف عملها الذي يكتسي صبغة دستورية في الرقابة على أوضاع حقوق الإنسان في الدولة .

**ج- الضمانات الخاصة التي كفلها الدستور لحق الأفراد بعدم التعرض للتعذيب، وللمعاملة اللاإنسانية .**

يجري التعبير عن هذه الضمانات، من خلال نصوص دستورية تكفل حماية خاصة ومباشرة ( للحق في عدم التعرض للتعذيب أو المعاملة اللاإنسانية ) الذي تم إقراره في معظم الدساتير العربية بنص أو أكثر في كل منها، حيث تناولت حظر التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو المهينة، وسواء عند إلقاء القبض على متهم أو عند احتجازه أو التحقيق معه أو محاكمته

إضافة إلى نصوص تحظر تعريض الأفراد لأي أذى جسماني أو معنوي، وعدم تعريض الفرد لأي تجربة طبية دون رضاه .
وبشأن هذه الضمانات فإنه لم يفصح عنها في كل الدساتير العربية وإنما أختص بها البعض منها دون الآخر وهي الموضحة في الآتي .

**ـ عدم الاعتداد بأي اعترافات تنتزع تحت وطأة التعذيب أو التهديد أو الإكراه** ، وعدم التعويل عليها وهدرها من قبل القضاء، وهو ما يوائم منطوق المادة (15) من اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 التي جاء نصها بالقول : "تضمن كل دولة طرف عدم الاستشهاد بأية أقوال يثبت أنه تم الإدلاء بها نتيجة للتعذيب كدليل في أية إجراءات، إلاّ إذا كان ذلك ضد شخص متهم بارتكاب التعذيب كدليل على الإدلاء بهذه الأقوال".

**ـ عدم جواز الحبس أو الحجز في غير الأماكن المخصصة في قوانين السجون** المشمولة بالرعاية الصحية والإجتماعية والخاضعة لرقابة السلطة القضائية، الأمر الذي ينسجم مع منطوق المادة (11) من اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 التي أوجبت على الدول الأطراف إخضاع ".. الترتيبات المتعلقة بحجز ومعاملة الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال التوقيف، أو الاعتقال، أو السجن في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية " للاستعراض المنظم وذلك بقصد منع حدوث أي حالات تعذيب .

**ـ التأكيد على الفلسفة المعاصرة للعقوبة:** وقد جرى التأكيد على أن السجن فضلاً عن كونه مكاناً لتنفيذ العقوبة ، إلاّ أنه إلى جانب ذلك مكان **للتقويم والتهذيب**، وأن القانون يحظر المعاملة القاسية أو المهينة التي تتنافى مع الكرامة الإنسانية أو تعرض صحة السجناء للخطر، وتلك ضمانة تفضي إلى منطق مفاده أنه بقدر ما تكون العقوبة أداة لإنصاف الضحايا وتقوية شعور المجتمع بالعدالة، فإن **للمذنب بالمقابل حق على الدولة والمجتمع في حفظ كرامته وإعادة تأهيله تربوياً ونفسياً ومهنياًُ** تمهيداً لدمجه في الحياة العامة عضواً نافعاً ومنتجاً، الأمر الذي يستجيب للمعايير الدولية الخاصة بالحد الأدنى لمعاملة المذنبين، ويتفق مع روح اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لعام 1984.

**ـ تحصين الحق في عدم التعرّض للتعذيب في حالات الطوارئ :** حيث جرى النص على عدم جواز انتقاص الحرمة من التعذيب إلى جانب الحق في

الحياة، وعدم الاسترقاق، وعدم التمييز، وحرية المعتقد، والحق في التقاضي والحق في المحاكمة العادلة، في الظروف الاستثنائية .
وبذلك فإن هذا النص إنما يتماهى مع المادة 2/4 من العهد الدولي للحقوق المدنية و السياسية التي عالجت ذات الموضوع وإلى حد التماثل كما وتستجيب هذه الضمانة الدستورية لمقتضيات المادة الثانية/ الفقرة 2 الواردة في اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984، التي أكدت على عدم جواز التذرع بأية ظروف استثنائية وبضمنها حالات الطوارئ كمبرر للتعذيب .
- **حظر تسليم اللاجئين السياسيين أو المتهمين (بجرائم سياسية).**
يندرج هذا المبدأ ضمن قواعد القانون الدولي العرفي بالنظر لتواتر العمل به في إطار التعامل الدولي، والنص عليه في الاتفاقيات الدولية الخاصة بتسليم المجرمين وسواء الجماعية منها (متعددة الأطراف)، أو الثنائية ذلك فضلاً عن النص عليه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والاتفاقية الدولية الخاصة بوضع اللاجئين لعام 1951 وملحقها لعام 1967، ويأتي إقرار هذا المبدأ متلازماً في هذين الصكين مع الإقرار بحق كل فرد في إلتماس حق الملجأ في بلد آخر تحت وطئة خوف من الإضطهاد له مايبرره بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو إنتماءه إلى فئة إجتماعية معينة، أو آراءه السياسية ( م/2/1/14) من الإعلان و م/1/أ/2/1 من الاتفاقية .

**ثانياً- واقع المسألة في تشريعات الجنائية العربية**
استخلصت ورقة العمل عبر نماذج من القوانين الجنائية العربية ( قوانين العقوبات والإجراءات الجنائية )، والقوانين الخاصة ذات الصلة اتجاهات رئيسة في مجال (مناهضة التعذيب)، وحماية حق الأفراد من التعرض له ولأي ضرب من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، وسنعرض لهذه الاتجاهات التي تستجيب لمقتضيات اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984، على نحو شديد التركيز . وقبل الخوض في تحديد هذه الاتجاهات، فإنه من الملائم التذكير بمدركين مهمين هما:
- إن عموم الحقوق القانونية والقضائية وعلى الأخص ذات الطابع الإجرائي التفصيلي التي تم إقراراها في الدساتير العربية، تم تعزيز حمايتها وتنظيمها في التشريعات الجنائية العربية عموماً .
- إن القوانين الأساسية في المجال الجنائي ( قانون العقوبات وقانون الإجراءات)، لم تكن هي لوحدها من يوفر الحماية الجنائية والضمانات القانونية الفعلية لحق الأفراد من التعرض للتعذيب، وإنما اصطفت مؤازرة لهذين القانونين، قوانين رئيسة أخري ويمثلها ( القانون المدني) وقوانين خاصة من قبيل:

- قوانين الخدمة الخاصة بالعسكريين أو العاملين في قوى الأمن ( القوانين التي تحكم عمل الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون ) .
- قوانين الخدمة المدنية التي تحكم عمل الموظفين العموميين .
- القوانين الخاصة بالموظفين المكلفين بإقامة العدل ويقصد بها بصفة خاصة ( قوانين النيابة العامة، والتنظيم القضائي ) .
- القوانين الخاصة بالسجون ( القوانين التي تحكم عمل دور الإصلاح والتأهيل ، أو المؤسسات العقابية والإصلاحية ) .

وفيما يخص الاتجاهات التي تم استخلاصها فيمكن توزيع أهمها على الأصعدة الموضحة في الآتي :

1. **مسألة التعريف :** يمكن القول بأن هذه المسألة لم تعالج إلاّ حديثاً في البعض من القوانين العقابية العربية ، إلاّ إنها تفاوتت في ذلك، فالبعض منها تضمن تعريفاً يطابق مفهوم التعذيب كما هو قائم في المادة (1) من اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984، في حين انطوى البعض الآخر على تعريف مختصر ينصرف إلى المقصود بالتعذيب على إنه " كل عمل ينتج عنه عذاب أو ألم شديد جسدياً كان أو عقلياً يلحق عمداً بشخص ما مهما كان سببه ".

فيما أورد نمط ثالث مفهوماً يتضمن كامل عناصر التعريف الأممي لكن نطاقه أتسع ليشمل (فكرة التعذيب ) ودون أن تقتصر على ارتكاب أفعال التعذيب من قبل الموظف العمومي .

2. **مسألة تجريم التعذيب :** تولت عموم القوانين العقابية العربية تجريم التعذيب سيما حين ترتكب الأفعال المكونة له في إطار إساءة استعمال السلطة وتجاوز الاختصاصات ، وسواء ارتكبت من قبل الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون وإقامة العدل في نطاق الإجراءات الجنائية، أو من قبل الموظفين العموميين في استخدامهم لأوجه الشدة والقسوة وسوء المعاملة والأضرار المتعمد في مواجهة الجمهور ( أصحاب الشأن)، وذلك بمناسبة أداؤهم الوظيفي، كما تصدّت هذه القوانين لتشديد العقوبة على الأشخاص عند ارتكابهم لجرائمهم العادية وعلى الأخص تلك الماسة بحرية الإنسان وسلامته المصحوبة بالتعذيب، حيث عدت الأخير ظرفاً مشدداً في المعاقبة عليها .

ويلاحظ بأن المشرع الجنائي العربي قد أغلظ العقوبة على الموظف العمومي الذي يرتكب جريمة التعذيب مشدداً هذه العقوبة في الحالات التي تفضي فيها إلى عاهة مستديمة، أو التعطيل عن العمل، أو الوفاة، أو حين تكون أفعال

التعذيب مصحوبة باستخدام السلاح، أو عندما ترتكب في حق القاصرين، أو المسنين، أو النساء الحوامل:" تتراوح مدة العقوبة على التعذيب في القوانين العقابية العربية بالحبس ما بين 5 إلى 10سنوات أو 15سنة في حال ارتكاب هذه الجريمة في الظروف العادية، وإذا ما ارتكبت مقترنة بظرف مشدد فقد تصل إلى 20 سنة أو إلى السجن المؤبد وذلك بحسب نوع الظرف، كما وتصل في البعض من هذه القوانين إلى الإعدام في حال أفضت إلى الوفاة ".

3. **عدم الإعتداد بالبيانات المنتزعة تحت وطأة التعذيب :** كفلت عموم قوانين الأصول الجزائية العربية مبدأ مهماً في إطار الإجراءات الجنائية مفاده هدر البيانات أو الدلائل التي يتم الحصول عليها بفعل الإكراه البدني أو المعنوي، وعدم الاعتداد بها كأساس قانوني أو قرائن ثبوتية في الحكم على المتهمين في القضايا الجنائية ، واللافت هنا أن البعض من هذه القوانين قد عدّ ( اعتبار بطلان اعتراف المتهم المنتزع بفعل التعذيب ) جزءاً من النظام العام على قاعدة أن تطبيق هذا المبدأ يحقق مصلحة عامة تهم المجتمع، قبل أن يحقق مصلحة شخصية تخص ( المتهم ) الذي تحول هنا إلى ضحية .
4. **الآليات القانونية والقضائية التي تمنع تعرض الأشخاص للتعذيب :** تضمنت قوانين الأصول والإجراءات الجنائية العربية نصوصاً تتيح لأي شخص يدعي أنه تعرض للتعذيب بتقديم شكوى، ذلك فضلاً عن نصوص أخرى تمنح النيابة العامة حق تفتيش السجون وأماكن احتجاز الأشخاص على ذمة التحقيق، وذلك للتثبت من ملائمة أوضاعها لحقوق الإنسان وعدم وجود محتجز أو سجين بصفة غير قانونية، إضافة لقبول أي شكوى من النزلاء والمحتجزين وبضمنها التظلم من تعرضهم للتعذيب، كما ونص على هذه الصلاحية الممنوحة لأعضاء النيابة العامة، في قوانين النيابة العامة، وقوانين تنظيم مراكز الإصلاح والتأهيل، أو السجون، حيث سمحت الأخيرة لرؤوساء المحاكم وأعضاء النيابة العامة كل في منطقة اختصاصه الدخول إلى السجون ومتابعة أي شكوى مقدمه من النزلاء حول إساءة المعاملة أو التعذيب .
5. **إقرار مبدأ التعويض عن الضرر الذي يلحق الضحية :** ضمنت قوانين الإجراءات والأصول الجزائية العربية حق ضحايا التعذيب بالتعويض في مواجهة الفاعلين، وذلك بالإحالة إلى المبادئ القانونية الراسخة التي خولت لكل متضرر الحق في التعويض عما لحقه من ضرر شخصي والواردة في القوانين المدنية، وذلك أمام ذات المحكمة المختصة التي تنظر الدعوى الجنائية، أو أمام محكمة مدنية،

وثمة آليات حمائية في البعض من القوانين الجنائية العربية لصالح ضحايا التعذيب تقر بمطالبة الدولة بالتعويض عن الضرر الذي يلحق الضحايا على أساس مسؤوليتها عن الخطأ الصادر عن موظفيها وهي مسؤولية المتبوع عن أعمال تابعه التي تقضي بها القواعد العامة في القانون المدني، ويشمل التعويض، قيمة الضرر البدني والمعنوي، كما يشمل إعادة تأهيل الضحية في حال تعرضها لاضطرابات نفسية أو جسدية لاحقة، إلاّ أن اللافت هو ما تميزت به بعض القوانين العربية التي ألزمت المحكمة التي تقضي بإدانة أحد الموظفين العموميين لمقارفته جناية التعذيب بنشر الحكم الصادر في مواجهته في صحيفة أو عدة صحف، أو بتعليقه في أماكن معينة وذلك للتشهير بواقعة التعذيب وفداحة العقوبة المقررة لارتكابه، وهو ما يشكل رد اعتبار للضحية والمجتمع في آن واحد، ناهيك عما يحققه من ردع للفاعلين .

6. **عدم تسليم المتهمين بارتكاب جرائم سياسية** أقرّت عموم القوانين الجنائية العربية مبدأ عدم تسليم المتهمين بارتكاب جرائم سياسية، كما وأقرت حصانة اللاجئ السياسي من التسليم أيضاً وذلك اتفاقاً مع ما ورد في اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 التي أقرت في المادة (3) الفقرة (1) بعدم جواز طرد أو إبعاد شخص أو تسليمه إلى دولة أخرى إذا توافرت لديها أسباب حقيقية تدعو إلى الاعتقاد بأنه سيكون في خطر التعذيب ويلاحظ أن قوانين بعض الدول المتعلقة بدخول وإقامة الأجانب قد قضت بعدم إبعاد أي أجنبي نـحو بلد آخر، إذ ثبت أن حياته أ حريته معرضتان للتهديد أو أنه معرض للمعاملة اللاإنسانية .

كما أن البعض منها أشار إلى أن من بين الحالات التي لا يجوز فيها التسليم هو أن يكون طلب التسليم قدم بهدف محاكمة أو معاقبة الشخص المطلوب تسليمه لإعتبارات تتعلق بالعنصر أو الدين أو الجنسية أو الرأي السياسي وبما يؤول إلى إساءة معاملته أو تدهور أوضاعه الإنسانية أو الإجتماعية .

ومن جهة أخرى فأن جرائم التعذيب إنما تعد من الجرائم التي يجوز التسليم فيها في عموم القوانين الجنائية العربية وذلك لاستيفائها معيار الجسامة، والمعاقبة عليها من قبل كل الدول، وفي حالة غياب الترتيبات التعاهدية بين الدول العربية المصادقة على الاتفاقية فإن الأخيرة تصلح أساساً لإجراء التسليم .

**المبحث الرابع ـ مناهضة التعذيب على الصعيد العربي .. التحديات وأفق الإصلاح**

سنعرض في هذا المبحث لحزمة من المسائل التي تشمل التحديات التي تواجه واقع مناهضة التعذيب على الصعيد العربي ، و ما يكتنف هذا الواقع من ثغرات أو فجوات ، فضلاً عما يزخر به من فرص وإمكانات على المستويات القانونية و الإجرائية و المؤسسية ، معززاً بجملة من خطوات الإصلاح ، و بنـحـو مركّز و بما يحقق أغراض هذا البحث و كالآتي :

**أولاً ـ التحديات من أهم التحديات التي يتم مواجهتها هي:**

1. حالات الطوارئ وما يرتبط بها من محاكم خاصة **"محاكم عسكرية ، محاكم أمن الدولة"** التي تغيب فيها معايير المحاكمة العادلة و تتعرض فيها النزاهة و الاستقلالية و الشفافية إلى الخطر .
2. قوانين مكافحة الإرهاب : التي تتأثر فيها سلباً المعايير الدولية الخاصة بحقوق الإنسان في سياق مكافحة الإرهاب .
3. ظاهرة الفساد بأشكاله المختلفة و انعكاساتها السلبية على استقلال القضاء و أداء الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون في توطيد العدالة الجنائية.
4. تغليب مبدأ الفاعلية في مكافحة الجريمة على مبدأ المشروعية و احترام حقوق الإنسان في إطار الإجراءات الجنائية ، و التي تسوّغ ضروب الإكراه البدني و المعنوي للوصول إلى حقيقة الوقائع الجنائية، وهو أمر سائد لدى الجهات الأمنية في الغالبية الساحقة من الأجهزة الغربية .
5. المنازعات المسلحة الداخلية و الإحتلالات العسكرية التي تشيع فيها ظواهر الاختفاء القسري و السجون السرية ، مما يفتح الباب مشرعاً أمام سلسلة طويلة من انتهاكات حقوق الإنسان ، و بضمنها الحق في عدم التعرض للتعذيب و غيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية، حيث يتم تبرير اللجوء الى التعذيب أو السكوت عنه بمبررات الحروب والنزاعات المسلحة وظروف الاحتلال الأجنبي .
6. غياب عنصر النقد بسبب شحّ الحريات والافتقار إلى الشفافية ، مما ينعكس سلباً على إمكانات نقد الأداء الحكومي و رصد انتهاكات حقوق الإنسان .

7. الافتقار إلى آليات رقابة إقليمية محلية أو عربية ( تعاهدية و غير تعاهدية ) على أوضاع حقوق الإنسان ترتقي في فعاليتها إلى مستوى الآليات الرقابية الأممية و الأوربية.
8. ضعف مؤسسات الرأي العام ولاسيما الفاعليات والأنشطة الفكرية والسياسية، وضعف أجهزة الاعلام أو عدم استقلاليتها، الأمر الذي يحول دون مساهمته في الكشف عن جرائم التعذيب أو ملاحقة المرتكبين وكذلك ضعف وعدم الاعتراف بمؤسسات المجتمع المدني بشكل عام وافتقار الكثير منها الى الوسائل المهنية والحقوقية للمراقبة والرصد.

**ثانياً- الفجوات ( الثغرات )**

أما أهم الفجوات والثغرات التي يحفل بها الوضع العربي فيمكن تلخيصها بما يأتي:

1. افتقار البعض من الدساتير العربية لنص يحظر التعذيب و غيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية ، ذلك إن هذا النص يعبّر عن اعتراف حقيقي وهام من قبل الدولة بأن التعذيب يمثل جريمة خطيرة و مستقلة و انتهاكاً لحقوق الإنسان و عن عزمها على مكافحة إفلات مرتكبيه من العقاب .
2. غياب تعريف متكامل للتعذيب في العديد من القوانين العقابية العربية يتماهى مع التعريف الوارد في إتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 وإصرار العديد من البلدان العربية بحجة الخصوصية على عدم الاستجابة للمعايير الدولية بخصوص انتهاكات حقوق الانسان، ذلك إن منظومة التعريف بعناصرها المختلفة إنما تعد دليلاً مرشداً لجهود مواجهة جرائم التعذيب وغيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية و كشفها و المعاقبة عليها و بما يساهم في تحقيق هدف الإتفاقية الشامل بمنع التعذيب .
3. عدم توافر نص في العديد من قوانين الأصول الجزائية العربية بإستثناء جرائم التعذيب من مبدأ ( **التقادم** )، الأمر الذي يغذّي ظاهرة إفلات مرتكبي هذه الجرائم من العقاب .
4. عدم تصديق معظم الدول العربية على البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية مناهضة التعذيب المبرم عام 2003 ، والذي يقرّ آلية رقابية إجرائية و قضائية فعالة لمنع التعذيب .
5. عدم تعامل بعض من قوانين العقوبات العربية مع التعذيب بإعتباره جريمة خطيرة مستقلة و إنما بإعتباره **جنحة** حيث لا يعاقب عليه على

النحو الذي يتناسب مع خطورته ، و بما يتفق مع اتجاه تجريم التعذيب في الإتفاقية، بل أن بعض القوانين أو العادات الاجتماعية حتى وإن اتخذت تسبيباً دينياً، تجيز جلد من يصدر بحقه حكم " بالجلد"، الأمر الذي يتعارض مع الاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب ومع فلسفة مكافحة التعذيب أساساً، ولعل هذه الممارسة لا تعود الى عالمنا المعاصر بقدر ارتباطها بممارسات عفا عليها الزمن ويمكن الاستعاضة عنها بوسائل عقابية حديثة لأنها تندرج في خانة ممارسة التعذيب التي تحرّمها القوانين الدولية والوطنية .

6. تحفّظات الدول على مقتضيات المادة 22 من اتفاقية مناهضة التعذيب التي تفيد بجواز قيام "أي دولة طرف في اتفاقية مناهضة التعذيب بأن تعلن في أي وقت إنها تعترف باختصاص لجنة مناهضة التعذيب في تسلم و دراسة بلاغات واردة من أفراد يخضعون لولايتها القضائية و يدعون أنهم ضحايا لإنتهاك دولة طرف أحكام الإتفاقية " و عدم جواز قيام اللجنة بتسلم أي بلاغ إذا كان يتصل بدولة طرف في الإتفاقية لم تصدر مثل هذا الإعلان، الأمر الذي يشل إمكانية أن تأخذ اللجنة مداها المطلوب في الرقابة على أداء الدول في مجال ضمان الحق في عدم التعرض للتعذيب و غيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية .

7. التأخير الذي يحصل في تقديم الدول لتقاريرها الوطنية إلى لجنة مناهضة التعذيب، حول تنفيذها لأحكام الإتفاقية ، الأمر الذي يعوق عمل اللجنة في الوقوف على أوضاع حقوق الإنسان في هذه الدول قدر صلتها بضمان الحق في عدم التعريض للتعذيب ، و تحليلها و تقديم التوصيات الملائمة بشأنها .

8. الصعوبات القانونية و الإجرائية التي تفضي إلى بطئ عملية مواءمة التشريعات الداخلية للمعايير الدولية الخاصة بمناهضة التعذيب و كما هي في واردة في الاتفاقية.

9. العقبات القانونية و الإجرائية القائمة في بعض الدول العربية و التي تقف حائلاً إزاء التطبيق الفوري لأحكام الإتفاقية بعد المصادقة عليها فقد لوحظ أن ثمة فجوة زمنية ما بين التصديق على الإتفاقية و نشرها في الجريدة الرسمية ، علماً بأن الإتفاقية لا تعد نافذة في مواجهة المشرع و الإدارة و القضاء و الكافة إلا بعد هذا النشر .

10. النص في بعض القوانين الجنائية على ما يتعارض و مبدأ عدم اعتبار " **طاعة الأوامر**" مبرراً لارتكاب أفعال التعذيب الوارد في الإتفاقية ، و ذلك بالقول " انه لا يعدّ الإنسان مسؤولاً جزائياً عن أي فعل إذا كان قد أتى ذلك الفعل طاعة لأوامر صدرت إليه من مرجع ذي

اختصاص يوجب عليه القانون طاعته"، علماً بأن قواعد القانون الدولي الانساني لا تعفي من المسؤولية من قام بإصدار الأوامر أو تنفيذها، سواءً بطلب من المرؤوسين أو دون طلب مباشر منهم، ولعل هذه القواعد تحرّم استخدام التعذيب وغيره من شروط المعاملة القاسية، الأمر الذي يحتاج الى تربية القوات المسلحة وجميع أصحاب العلاقة بروح هذه القواعد مع تبصيرهم بالتبعات القانونية والعقابية الصارمة في حال خرقها أو انتهاكها .

11. عدم مصادقة العديد من الدول العربية على الإتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لعام 1951 وملحقها الصادر العام 1967، تلك التي تؤمن الحماية المؤقتة للاجئين و تحول دون إعادتهم إلى دول يكونون فيها عرضة للتعذيب، إضافة إلى عدم وجود قوانين خاصة باللجوء فيها ، علماً بأن عدم التصديق على الإتفاقية و على غياب القوانين آنفة الذكر لم يقف عقبة دون حماية اللاجئين في هذه الدول لإعتبارات إنسانية بحتة ، إلاّ أن الأمر على الرغم من ذلك يشكّل فجوة قانونية من الملائم تلافيها

**ثالثاً ـ الفرص**

هناك فرص عديدة يمكن الاستفادة منها لتأمين الالتزام بالقواعد والقانونية الدولية لمناهضة التعذيب، منها:

1. تبنّي بعض الدساتير العربية، نصوصاً إيجابية وصريحة تؤكد بأن الأحكام الخاصة بالحقوق و الحريات لا يجوز تعديلها إلاّ إذا كان ذلك بهدف زيادة الضمانات المقدمة للأفراد ، الأمر الذي يضفي حصانة على هذه الأحكام في مواجهة المشرّع الدستوري نفسه مما يجعلها في مرتبة القواعد الآمرة التي لا يجوز الانتقاص منها أو مصادرتها تحت أي ظرف، وهو الأمر الذي يمكن الاستناد اليه في توسيع دائرة الملاحقةلمن يمارس التعذيب .
2. تعاظم الوعي بحقوق الإنسان و رسوخها في الذهنية العامة و النظر إلى فكرة الحقوق كونها لا تعنى تلبية الاحتياجات المادية فحسب ، و إنما هي أيضاً معادل لإنسانية الفرد وكرامته و وجوده ، و ما يتبع ذلك من رفض لشتى أشكال القهر و العسف بما فيها التعرّض لضروب الإكراه المادي و المعنوي و المعاملة اللاإنسانية أو المهينة ، و ما الثورات الشعبية العربية الراهنة إلا دليل هذا الوعي بصيغته الحضارية و السلمية الراقية المناهضة لعنف السلطة و استبدادها .

3. تنامي دور المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان في عدد من الدول العربية التي تسترشد بعملها في ضوء قرارات **مؤتمري باريس وبرلين** (1990-1991)، في تعزيز و ضمان الحقوق و الحريات العامة في هذه الدول و رصد أوضاع حقوق الإنسان فيها ، و إذكاء الوعي الحقوقي ، و السعي لمواءمة التشريعات الوطنية مع الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، والمساهمة في بناء القدرات الوطنية في مجال حقوق الإنسان، مما ينعكس إيجاباً على حقوق الإنسان القانونية و القضائية و منها "الحق في عدم التعرض للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية" ، وأداء الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون وإقامة العدل ، وبما يفضي إلى ضمان هذه الحقوق و حمايتها من أي انتهاك أو تجاوز .

4. الثورة الهائلة في مجال الاتصال و تقنية المعلومات و انتشار القنوات الفضائية التي جعلت العالم (غرفة صغيرة) لاسيما في ظل تكنولوجيا الاعلام والطفرة الرقمية " الديجيتل"، حيث أسهمت في إشاعة الوعي الحقوقي ، وحوّلت الإعلام و الإتصال الالكترونيين إلى سلطة رابعة حقيقية وضعت أوضاع حقوق الإنسان في الصدارة، ولاسيما ما يرتكب من تجاوزات لها تحت مجهر التحليل و النقد الأمر الذي ساعد على إنضاج و تشكيل رأي عام محلي و إقليمي و عالمي مناصر لهذه الحقوق متضامن مع ضحاياها ، ضاغط على المجتمع الدولي باتجاه وضع المتجاوزين حكاماً أو محكومين تحت طائلة العدالة الجنائية و آلياتها الوطنية أو الدولية .

5. حضور آليات مؤسسية رسمية في العديد من الدول العربية تعدّ جزءاً من المنظومة الوطنية لحقوق الإنسان: مكاتب و إدارات حقوق الإنسان في وزارات العدل والداخلية ، ومكاتب أو دواوين المظالم ، التي تمارس دوراً رقابياً على أوضاع حقوق الإنسان في إطار الإجراءات الجنائية فضلاً عن التثبت من مدى ملائمة أوضاع ( السجون ) لمعايير الحد الأدنى لمعاملة المذنبين ، و تمكين الأفراد من ممارسة حقهم في التظلّم و تقديم الشكوى و تيسير نقل همومهم و مظالمهم إلى سلطة القرار بغية الانتصاف لحقوقهم .

6. تبنّي برامج وطنية للتربية على حقوق الإنسان و إشاعة القيم الإنسانية في قطاعات خطيرة وحيوية ، وبصفة خاصة في مجالات الصحة والتعليم والعمل ، وفي الأوساط الأمنية والقضائية ، والسعي لبناء قدرات ضباط الشرطة وأعضاء النيابة والقضاة في مجال حقوق الإنسان و سيادة القانون و مناهضة التعذيب ، ومشروعية الإجراءات

الجنائية، ومعايير المحاكمة العادلة و غيرها ، و ذلك بالتنسيق مع الأجهزة المعنية في الأمم المتحدة ( المفوضية السامية لحقوق الإنسان ، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ) .

7. تصديق الدول العربية على صكوك دولية ذات صلة باتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984منها ( اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ، واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية ، وبروتوكول منع و قمع و معاقبة جرائم الاتجار بالبشر ، والنظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية وغيرها ).

8. الاتجاه المتصاعد نـحـو رفع التحفظات العامة على الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان التي تصادق عليها الدول العربية و منها اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 ، و سحب التحفظات على المادتين 21 22 الخاصة بقبول اختصاص لجنة مناهضة التعذيب التعاهدية .

9. وضوح صوت مؤسسات المجتمع المدني العربية في مجال حقوق الإنسان و دورها في رصد الإنتهاكات لهذه الحقوق لاسيما حق الأفراد في عدم التعرض للتعذيب و غيره من ضروب المعاملة اللاإنسانية أو المهينة، وذلك في أثناء التحقيقات في قضايا جنائية أو سياسية ، وتعرية وفضح هذه الإنتهاكات وحشد الرأي العام لمحاسبة الفاعلين .

10. وجود مؤسسات معنية بتقديم خدمات إعادة التأهيل النفسي والإجتماعي لضحايا إساءة المعاملة و العنف في الأسرة و المجتمع من النساء والأطفال ذلك إلى جانب أقسام متخصصة في المؤسسات الصحية ، معدة ومجهزة لإعادة تأهيل ضحايا العنف و بصفة خاصة ضحايا التعذيب طبياً ونفسياً، حيث بدات بعض البلدان العربية تأخذ بهذه التجارب المهمة .

11. إعمال مبدأ الرقابة القضائية على تصرفات الإدارة في العديد من النظم القانونية العربية وذلك من خلال القضاء الإداري و قوانين الفصل في المنازعات الإدارية حيث جعلت هذه القوانين من التعسف في استعمال الحق ، و إساءة استعمال السلطة بما في ذلك تعريض الإفراد للقسوة أو الشدة ، أو المعاملة المهينة ، سبباً لإلغاء القرار الإداري و التعويض عنه ، لصالح المتضررين .

12. تبنّي العديد من الدساتير العربية مبدأ الرقابة القضائية على دستورية القوانين من خلال النص على ( محكمة دستورية ) تكون ضامنة لحقوق الأفراد و حرياتهم في مواجهة أي إنتهاك يحتمل أن

تتعرض له بفعل( مبادرات المشرّع ) ، و بذلك تكون هذه المحكمة صمام أمان بإزاء انحراف السلطة التشريعية و الحيلولة دون ( تقنين الاستبداد ).

13. استصدار بعض الدول العربية قوانين خاصة بمكافحة جرائم التعذيب إمعانا ايجابياً في الاتجاه الذي تنطوي عليه اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984 بأن تكون جريمة التعذيب جريمة مستقلة عن جرائم العنف و الإيذاء العمد في متن قوانين العقوبات .

**رابعاً- خطوات الإصلاح**

نعتقد أن أهم خطوات الاصلاح يمكن أن تتم من خلال :

1- إرساء عملية إصلاح شاملة نابعة من البيئة العربية وخصوصياتها والمشترك فيما بينها مع مراعاة تمايزاتها أيضاً، وذلك في إطار الأوضاع الدولية الملائمة لتدعيم أسس الدولة المدنية الحديثة القائمة على دعم حكم القانون، واستقلال القضاء، والإدارة الرشيدة والتي يتمتع فيها المواطنون بجميع حقوقهم وحرياتهم الأساسية وبضمنها حقهم في الكرامة وعدم التعرض للتعذيب والمعاملة اللاإنسانية، وذلك تكون هذه المبادئ هي قيم عالمية لكن البشر بغض النظر عن دينهم وجنسيتهم وعرقهم ولغتهم وسلالتهم وانحدارهم الاجتماعي واتجاههم السياسي .

2- أن يراعى في قوانين مكافحة الإرهاب التي يستعاض بها عن قوانين الطوارئ، تحقيق الموازنة بين الإعتبارات الأمنية، والضمانات الإنسانية والسعي ما أمكن للاسترشاد بالمعايير الأممية الخاصة باحترام حقوق الإنسان في سياق مكافحة الإرهاب، وبضمنها على وجه الخصوص عدم المساس بمبدأ الحظر المطلق للتعذيب . ولا بدّ من إعادة النظر بالاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب، خصوصاً وأنها جاءت في ظرف ملتبس عربياً ودولياً حين قدّمت الجوانب الأمنية على الجوانب الانسانية المتعلقة بالكرامة، الأمر الذي بحاجة الى سياسات ومناهج عقلانية لمكافحة الفقر والأمية والتخلف، باعتبارها الأسباب الأساسية لتفشي ظاهرة الإرهاب، لاسيما في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والقانونية.

3- معالجة الأسباب والعوامل الموضوعية الدفينة في الواقع الإجتماعي التي تكرس لثقافة العنف والتعذيب ومن ذلك "العنف الأسري" و"التطرف الفكري"، و"العقاب البدني" في المدارس وغيرها .

4- تبنّي استراتيجيات شاملة لمكافحة الفساد بأشكاله المختلفة وإعمال مبدأ الشفافية، وتفعيل آليات المحاسبة، مما ينعكس إيجاباً على حماية حقوق الإنسان وضمان عدم انتهاكها .
5- دعم وتفعيل الآليات المؤسسية الرسمية وشبه الرسمية الوطنية لحقوق الإنسان المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان، مكاتب حقوق الإنسان في الوزارات، والمجالس والهيئات المعنية بحقوق الإنسان، في الرقابة على أوضاع حقوق الإنسان والمساعدة على ضمانها وحمايتها"، وعلى الأخص ما يتعلق منها بالحقوق القانونية والقضائية .
6- تعزيز السلم الأهلي، وإرساء المصالحات الوطنية الشاملة واحترام التنوع الثقافي، لتفادي التوترات الإجتماعية والسياسية التي تشكل البيئة الحاضنة لمظاهر العنف وهدر آدمية وكرامة الأفراد والجماعات وتهديد سلامتهم الجسدية وحياتهم .
7- توسيع دائرة المساءلة الجنائية في القوانين العقابية العربية، لتشمل أفعال التعذيب وكذلك الشروع في ارتكابها، فضلاً عن صور الاشتراك التي تتمثل بالتغاضي، والتحريض، والاتفاق والمساعدة والتستر.
8- إعمال مبدأ عدم التقادم على جرائم التعذيب، وما يتبع ذلك من عدم تقادم الدعوى المدنية للمطالبة بالتعويض عما يلحق الضحية من ضرر جراء ارتكابها .
9- العمل على إصلاح أنظمة السجون وتحسين ظروفها والعمل على موائمتها مع المعايير الأممية الخاصة بالحد الأدنى لمعاملة المذنبين .
10- تفادي العقوبات السالبة للحرية ما أمكن، واللجوء على سبيل المثال إلى الإفراج بكفالة، أو الحكم بالغرامات، أو ما يسمى بعقوبات التشغيل الإجتماعي، أو العمل للمنفعة العامة، وذلك لتفادي النمط الأول من العقوبات الذي تقوم معه احتمالات التعذيب أو المعاملة اللاإنسانية أو المهينة .
11- السعي لإنشاء قانون خاص في المجال الطبي يصلح إطار تنظيمياً لكل ما يتعلق بالتزامات الأطباء في مواجهة مرضاهم ومن ذلك عدم إخضاعهم لتجارب طبية وعدم تعريضهم للتعذيب، وإعادة تأهيل ضحايا التعذيب .
12- إعداد المدوّنات التوجيهية الوطنية الناظمة لأداء الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون وإقامة العدل، ومواثيق الشرف المهني في هذا المجال مع التشديد على ما تعلق منها بسيادة القانون وحفظ كرامة الأشخاص وصيانة حرماتهم وسلامتهم الجسدية مع التذكير بالتبعات والعواقب

القانونية التي تترتب جراء العمل بخلاف ذلك، لاسيما في حال ممارسة الجلد أو أي عمل من أعمال الممارسة القاسية والحاطّة للكرامة .

13- رفع القيود على الحريات الصحفية ووسائل الاتصال الالكتروني ونشاط المدونين على مواقع الانترنيت، ومنظمات المجتمع المدني، في نقدها للأداء الحكومي ورصد الانتهاكات، لاسيما في إطار الإجراءات الجنائية والتعامل معها على أنها قوة بناء مجتمعية من شأنها تصويب وتصحيح عمل السلطات، وليس قوة احتجاج فحسب .

14- عدم تحصين أي تصرف أو قرار إداري من ولاية القضاء من منطلق تعزيز حق الأفراد في الإلتجاء إلى القضاء، وتكريس مبدأ استقلال القضاء كضامن للحقوق والحريات العامة والحيلولة دون إفراغه من محتواه أو تعطيله .

**خاتمة**

في ضوء ما خلص إليه هذا البحث من معطيات بفعل بحثها للإطار القانوني لمناهضة التعذيب في الدول العربية ، لاسيما وضع المسألة في الدساتير كونها وثائق قانونية وسياسية تكشف عن رؤية كلية وطنية جامعة حول قضايا ممارسة السلطة ، وضمان الحقوق والحريات الأساسية ، والخيارات العامة على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وبضمنها التعاطي مع المعايير الأممية لحقوق الإنسان في إطار العلاقة ما بين القانونين الدولي والداخلي، فإن الدلالات التي تنطوي عليها الجوانب الدستورية وتطبيقاتها لا تزال محدودة وهي بحاجة الى حوار شامل على المستوى الوطني وخصوصاً من جانب الفاعليات والأنشطة الفكرية والحقوقية والسياسية، وعلى المستوى الدولي، وسيكون مفيداً جداً، بل وجديراً بالحوار العربي الأوربي في مؤتمراته المقبلة مناقشة هذا الوضع تحت عنوان " النص الدولي والدساتير العربية .. مقاربة من أجل حقوق الإنسان مع الدساتير الأوروبية" .

وعلى النطاق العربي فإن هذا البحث يتضمن دعوة لإحياء فكرة **إنشاء محكمة عربية لحقوق الإنسان** في إطار جهد قانوني شامل لإرساء و تطوير آلية رقابة عربية متكاملة (تعاهدية وغير تعاهدية ) على أوضاع حقوق الإنسان في الدول العربية و مدى تنفيذ الأخيرة لأحكام الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، وهو ما سبق أن اقترحه **الفقيه القانوني العراقي حسين**

**جميل،** إضافة الى اقتراحه **إنشاء محكمة عدل عربية** بتحديد اختصاصات كلا المحكمتين ونجد أنه آن الأوان لإخراج هاتين الفكرتين الى حيّز التنفيذ.
كما أن بحث إمكانات **إنشاء صندوق عربي** لدعم إعادة تأهيل ضحايا التعذيب في الوطن العربي تتنوع مصادر تمويله ( الحكومات ، الجامعة العربية، الأمم المتحدة ، مجتمع الأعمال ) و غير ذلك من مصادر دعم دولية، بما فيها الاتحاد الاوروبي، مسألة مهمة، مثلما هي مسألة **إرساء آليات تعاون أوربي عربي في إطار تبادل الخبرات و التجارب في مجال مناهضة التعذيب** و حماية و إعادة تأهيل ضحاياه ، و بناء قدرات الموظفين العموميين المعنيين في هذا المجال .
ولعل تشكيل **مجموعات تفكير مستقلة** تضم خبرات عربية و أوربية لبحث وتحليل الموضوعات الإشكالية و الخلافية في العلاقة ما بين المعايير الأممية لحقوق الإنسان والشريعة الإسلامية، وعلى أن تعرض نتائج عملها على مؤتمر للحوار العربي الأوربي ، يكرس لبحثها وتحليلها بغية الوصول إلى مقاربات تخدم قضية حقوق الإنسان عربياً وأوربياً وعالمياً .
ونجد أن تطوير بحث ( فكرة التعذيب) ينطوي على أهمية خاصة، لاسيما باستخدامها بمعناها الحصري المرتبط بإساءة استعمال السلطة من قبل الموظفين العموميين ، والعاملين منهم بصفة خاصة في مؤسسات العدالة الجنائية ، والانطلاق بعملية البحث إلى فضاءات أوسع تتناول: التعذيب بوصفة (الألم) الناجم عن "عنف السلطة ضد المجتمع" وما يصحبه من إحتكار للقرار وإقصاء وتهميش للآخر، الأمر الذي يوفر المناخات المؤاتية للتمييز وضروب القسر والمعاملة المهينة وصولاُ إلى الإيذاء البدني والنفسي والمعنوي الذي يستهدف السلامة الشخصية.
إن بحث موضوع التعذيب بمعناه الواسع فكرة ( الألم ) الناجم عن إشكالات الاندماج الإجتماعي للسكان وعلى نـحـو خاص موضوع اندماج المهاجرين العرب في المجتمع الأوربي مسألة في غاية الراهنية والحساسية ،لاسيما في ظل رياح التعصب والزينافوبيا (كراهية الأجانب) وظهور بعض الاتجاهات الفاشية الجديدة ضد الأجانب ، وما يترتب عليها من توترات اجتماعية وإحساس بالغبن والمراتبية لدى المهاجرين، وذلك من منظور حقوق الإنسان ، وقيم التسامح والتعايش ، وضمان الحق في التنوع الثقافي.

**المراجع والمصادر المعتمدة:**

**المؤلفات**


1- وليم نجيب جورج نصار /مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت/ الطبعة الأولى/ 2008 .

2- حسين جميل/ حقوق الإنسان في الوطن العربي/ مركز دراسات الوحدة العربية/ سلسلة الثقافة القومية (1)/ مركز دراسات الوحدة العربية/ الطبعة الأولى/ بيروت/ كانون الثاني/ يناير/ 2001.

3- د.محمود شريف بسيوني/ الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان المجلد الثاني/ الوثائق الإسلامية والإقليمية/ دار الشروق/ الطبعة الثانية/ القاهرة/ 2005 .

4- عصام نعمة إسماعيل/ دساتير الدول العربية( جمع وتنسيق)/ منشورات الحلبي الحقوقية/ الطبعة الأولى/بيروت/ 2008 .

5- د. عبد الحسين شعبان- الانسان هو الأصل- مدخل الى القانون الدولي الانساني وحقوق الانسان، إصدار مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، القاهرة، 2002.

6- د. عبد الحسين شعبان ، العراق: الدستور والدولة، من الاحتلال الى الاحتلال، دار محروسة، القاهرة، 2004.

7- د. عبد الحسين شعبان – جذور التيار الديمقراطي في العراق: هل انقط نسل الليبرالية العراقية؟ ( قراءة في أفكار حسين جميل)، دار بيسان، بيروت، 2007.

8- عبود الشالجي، موسوعة العذاب ، سبعة أجزاء ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، السنة (بلا).

**الدراسات**

1. د.أسامة ثابت الألوسي/التعذيب من المنع إلى الوقاية، قراءة قانونية وإجتماعية في المعايير الدولية لمناهضة التعذيب/الصحيفة/ مجلة حقوقية نصف سنوية تصدر عن اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان القطرية/ العدد التاسع/ مايو/ 2010 .
2. منصف المرزقي/ التعذيب/ الإمعان في حقوق الإنسان/ موسوعة عامة مختصرة/ الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق/2006 (إعداد د. هيثم منّاع).
3. سيد قاسم المصري/إتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة/ حقوق الإنسان في القانون والممارسة/ تحرير د.علي الصاوي/القاهرة/2005-2006 .
4. باسيل يوسف بجك- الآليات القانونية لإفلات قوات الاحتلال من تبعات جرائم التعذيب- مجلة المستقبل العربي- حزيران /يونيو 2006 (العدد 328).
5. د. عبد الحسين شعبان- شهادة حيّة على التعذيب في سجن أبو غريب، مقابلة مع علي القيسي، مجلة المستقبل العربي، كانون الأول (ديمسبر) 2007 العدد 346.
6. د. عبد الحسين شعبان ، حكاية تعذيب، جريدة العرب (القطرية) العدد 8023، 31 أيار (مايو) 2010.

**الصكوك الدولية لحقوق الإنسان**

1- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948 .
2- اتفاقيات جنيف الأربع الخاصة بحماية ضحايا الحرب، من جرحى وغرقى وأسرى وسكان مدنيين/ أغسطس/1949 وملحقيها لعام 1977.
3- الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لعام 1951 وملحقها لعام 1967.
4-العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام 1966 .
5-القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء لعام 1955 .
6-المدونة الخاصة بالقواعد التي تنظم سلوك الموظفين المكلفين بإنفاذ القانون لعام 1979 .

7-مبادئ آداب مهنة الطب المتصلة بدور الموظفين الصحيين ولا سيما الأطباء في حماية المسجونين من التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لعام 1982 .

8-إتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو ا لعقوبة القاسية، أو اللاإنسانية أو المهينة لعام 1984 .

9-النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية المنشأ بموجب اتفاق روما لعام 1998.

10-البروتوكول الاختياري لإتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لعام 2002 .

**وثائق خاصة**

- حقوق الإنسان/ لجنة مناهضة التعذيب/ الرسالة رقم 17/ الحملة العالمية لحقوق الإنسان/ مركز حقوق الإنسان/ الأمم المتحدة/ جنيف .
- فهم القانون الإنساني/ القواعد الأساسية لاتفاقيات جنيف وبروتوكوليها/ اللجنة الدولية للصليب الأحمر (crc) .

**شبكة الأخبار الدولية ( الأنترنيت)**

* موقع ( لجنة مناهضة التعذيب) . http://www2.ohchr.org/arabic/bodies/cat/index.htm

* موقع مجلس حقوق الإنسان ( الفريق العامل) . http://www2.ohchr.org/english/bodies/hrcouncil

* الموسوعة الجنائية العربية . http://www.arablegalportal.org/criminal-laws/index.aspx

# History

## The impact of Spoken narration history

## on the Palestinian contemporary history recording

# The impact of Spoken narration history on the Palestinian contemporary history recording

**Dr. Osama Abu Nahel**
Professor in Modern and Contemporary History
Department of History,
Faculty of Arts and Human Sciences,
Al-Azhar University – Gaza, Gaza (Palestine)

**Abstract**

No history has ever been fabricated or subjected to forgery like the history of Palestine whether in ancient or in modern history. In ancient history the children of Israel took advantage of the verbal narrations which they circulated through consecutive generations and integrated in the Torah to accentuate their right of Palestine, in contrast to what is known of the Palestinian people precedence of the land ownership.

In modern and contemporary history after Jews' relationship with the land of Palestine had been halted, they tireless attempts to link their contemporary history to the ancient history of Palestine, corroborated politically and militarily by the west, whom they wanted of such support of the Jews to be the Western domination spearhead in the Middle East.

After the Jews managed to establish their state in Palestine after looting the rights of its natives, which called; "State of Israel". The Palestinians tried their best to preserve and protect their national and historical identity through preserving their heritage and elders who have lived through the dramatic events that have passed the

history of Palestine by keeping their interactions with their ravished country through collecting verbal stories and narrations of Palestine history starting of 1948 war to present.

Some research institutes specialized in spoken and verbal narration history at Palestinian universities have succeeded to collect a fair amount of anecdotal narrations of some individuals who either decision makers at the time, or lived through such outrageous events whether substantive or exaggerated stories, but it is the role of equitable researcher to cull such narrations.


**ملخص**

لم يتعرّض تاريخ أي بلد من البلدان في العالم للتزوير، كما تعرّض تاريخ فلسطين سواء في التاريخ القديم أو في التاريخ المعاصر؛ ففي التاريخ القديم استغلَّ بنو إسرائيل الروايات الشفوية، التي تناقلوها عبر الأجيال ودمجوها في توراتهم لإبراز أحقيتهم في ملكية أرض فلسطين، وذلك بعكس ما هو ثابت بأحقية الشعب الفلسطيني بملكية تلك الأرض.

وفي التاريخ الحديث والمعاصر، وبعدما كانت علاقة اليهود قد انقطعت بأرض فلسطين، أعادوا محاولاتهم الدؤوبة في ربط تاريخهم المعاصر بتاريخ فلسطين القديم، مدعومين بالتأييد السياسي والعسكري لقوى غربية؛ أرادت من وراء هذا التأييد أن يكون اليهود رأس حربة للهيمنة الغربية في منطقة الشرق الأوسط.

وبعدما تمكّن اليهود من تأسيس دولة لهم في فلسطين على حساب سكانها الأصليين، أُطلق عليها اسم "دولة إسرائيل"، حاول الفلسطينيون قدر جهدهم الحفاظ على هويتهم الوطنية وعلى تاريخهم الوطني من خلال حفظ تراثهم، وذلك بتفتيق قريحة كبار السن من الفلسطينيين، الذين عاصروا الأحداث الجسام التي مرّت بتاريخ فلسطين، للإبقاء على جذوة تفاعلهم مع تاريخ وطنهم المسلوب، وذلك من خلال جمع الروايات الشفوية الخاصة بتاريخ فلسطين، بدءاً من حرب فلسطين عام 1948 وحتى يومنا هذا.

وقد نجحت بعض المراكز البحثية الخاصة بالتاريخ الشفوي في الجامعات الفلسطينية، في جمع قدر لا بأس به من الروايات المحكية من بعض الأشخاص، الذين إما كانوا في موقع صنع القرار وقتذاك، أو من الأشخاص الذين عاصروا الأحداث بعينها فنقلوها كما هي، سواء أكانت موضوعية أو مبالغ فيها. لكن يبقى دور الباحث المنصف في تنقية تلك الروايات، مما علِقَ بها من مبالغات.

## Introduction

No history of any country ever; in the past or at the present has been exposed to distortion and forgery like the history of Palestine at the hands of researchers who are giving in to their religious or political motives. Many Israeli resources and references on one hand and researchers who orbits within the Israeli policy on the other to defuse the world that the Palestinian History in general monopolized by Israelis.

Since the Old Testament was the only source and history regulations of the Children of Israel, there are several and various problems related to it, its creation time and method of classification, which make the Israelis History subjected of controversy; as it was adopted primarily on narrations passed around the Children of Israel from generation to another until it was put down in record in the Old Testament in subsequent periods.

After the Zionist gangs occupied more than 78% of Palestinian historical land in 1948, and established their country (Israel), the Palestinians didn't collect their history and heritage inherited from their fathers and ancestors, but after the occupation of the entire land, they proceed to preserve their history through establishing Palestinian Studies Institutions subordinated by the PLO. Somme Palestinian universities undertook to establish spoken and verbal narration history centers to collect spoken and verbal narrations from elders, who lived and witnessed the Palestinian Catastrophe or were part of the disastrous events.

The study, which in our hands proceeded to show the difference between narrative and written history, afterwards demonstrated the importance of each of them; also it showed that spoken and verbal narration is a

supplement of the written history, but not an alternative. The study mentioned the importance of spoken and verbal narration for Palestine modern history, its mission to save it from extinction

The study relied on samples of spoken and verbal narrations of Palestine modern history, and explained the extent or lack of objectivity, so as to preserve a pure history of exaggerations regarding the history of Palestine during the twentieth century.

This study adopted the analytical critical method of the narration which researchers derived from the contemporary narrators of historical events into their studies; without panting behind its contents and chapters, and not contravene with its main objective, which is spoken and verbal narration and its strength or weakness.

The call for historical information was old and for several centuries, happens exclusively verbally, but with the advent of writing and human knowledge to historic recording, Peoples began to adopt exclusively for ages documentation to obtain information about the past, but with the passage of time verbal and oral communications have been lost. With scientific progress, which has become hallmark of the twentieth century, with the advance of sounds recording technology, many of those who were interested with spoken and verbal narration able to gather considerable amount of information of the past, as well as information relating to utterance and narration. Therefore, the spoken and verbal narration requires recorded interviews with individuals from the past, or their memories as well.

No history of any country ever; in the past or at the present has been exposed to distortion and forgery like the

history of Palestine at the hands of researchers who are giving in to their religious or political motives. Many Israeli resources and references on one hand and researchers who orbits within the Israeli policy on the other to defuse the world that the Palestinian History in general monopolized by the Israelis; and the inhabitants of Palestine - natives - are subsidiaries have fallen under their control, ignoring the historical facts that abrogate and eliminate their fabrications and plots.

The Old Testament was the only source and basic characteristics of the history of Children of Israel; Although the information provided by the Old Testament is not uniform in all its chapters; it can be said that the Israeli history was known widely, and it was part of religious Education and Culture in Europe, but there are several and various problems related to the Old Testament, its creation time and method of classification, which make the Children of Israel History subjected to controversy; it relied primarily on spoken and verbal narrations passed around the children of Israel from generation to generation until it was recorded in the Old Testament in subsequent ages [i].

Whereof confirms what was previously indicated; that, in the Genesis, Exodus and Numbers are a mix of history, popular history, legends and myths have been collected, classified and checked out in a relatively late date of the Children of Israel; those scholars at the time believed that scientific criticism of Torah would not harm as it was part of their religious heritage; but it strengthens the value of this heritage, which must be rejected one day if it dealt with superficially, because it contains many things not to be accepted or approved by the mind [ii].

The language the Torah was written with was the Egyptian language of hieroglyphics, which makes Hebrew logging a late long time event after Moses; especially the Israelis had lived in Egypt for more than four centuries as stated in the Old Testament itself, accordingly, they were speaking the ancient Egyptian language; also Moses grew up in Egypt at the pharaoh palace, and this refutes the statement on the cover of the Old Testament that the languages of the Genesis was Hebrew and Chaldean; and some parts were written in Aramaic, and other parts written in Assyrian after the Babylonian captivity, Ezra the priest had used most parts of the Old Testament in that language [iii].

It was mentioned in the Old Testament several narrations showed the contradiction in inscribing, particularly those mentioned in Genesis; that in the same text book were similar several times, for example; in chapter twenty: that Abraham moved to the land of the South, and dwelt between Kadesh and Shur in the land Canaan, and sojourned in Gerar; and Abraham said that his wife Sarah was, that Abimelech the king of Gerar took her [iv], while in another book in the same chapter twenty-sixth of the Genesis: and Isaac dwelt in Gerar, and the men of the place asked him of his wife he said she is my sister: for he feared to say, She is my wife; lest, said he, the men of the place should kill me for Refekah [v], then continued: "And it came to pass, when he had been there a long time, that Abimelech king of the Philistines looked out at a window, and saw, and, behold, Isaac was sporting with Refekah his wife. And Abimelech called Isaac, and said, Behold, of a surety she is thy wife; and how saidst thou, She is my sister? [vi].

It is clear from the foregoing; that the two narrations are alike and the incident is one; the first recounted on Abraham before the birth of his son Isaac, in the town Gerar with King Abimelech himself, and the other recounted on Isaac the same city and king; the second had forgotten that Isaac dwelled in a tent and not in a brick house which has a niche (balcony) for Abimelech to look into the house.

**Spoken and verbal narration significance in contemporary historical studies of Palestine history:**

Spoken and oral narration became essential for recording researcher modern history of any nation or people, spoken and verbal narration become a complementary and necessary to confirm the statement in the official documents issued by governments; but historian should not consider that narration alternative to what was stated in the documents for any reason; narrator may interpose by attention, he might mention what he pleases from facts with some exaggeration, especially if he was opponent of his government policy which events took place at its time.

Therefore, the duty of researcher who is seeking the truth; not to be paid by enthusiasm to accept specific narration simply as it has self inclination, it must be scrutinized and examined; if doubted the sincerity of the narration, it must be avoided, so he won't be taken for it, as he is responsible first and foremost what reported of historical events.

Spoken and verbal history is considered as a methodology research to examine the past through spoken word stored in the memory of humankind, and transmitted

orally through narrations from individuals of their memories to the events of their lives, experiences and observations, especially those who participated personally, or were eyewitnesses [vii].

In fact, spoken and verbal history or if we may say oral narration existed long ago, and spoken word is still a mean to pass on necessary information, news and experiences from generation to generation, despite new innovations of today, especially print media invention, people around the world are still use spoken and verbal narration to pass on information, news and knowledge [viii].

History in general is all what around us, in our homes, families as well as societies, rooted in memories of experienced living elders, who tell us of facts what we don't know or events we have not to be coeval with, each of them has a personal narration of an event that may be contemporary with or was effectively done, especially those narrations that has befallen upon the Palestinian people, such as their memories of the British Mandate, or 1948 war, the consequent by the loss of Palestine, or the tripartite aggression against Egypt and the Gaza Strip, 1967 war, which resulted in the loss of what is left of Palestine, and the first Palestinian Intifada in 1987, known in modern history, which have had a profound effect on the restoration of part of the land of Palestine in 1994 [ix].

Writing Palestinian contemporary history is just a form of resistance, resistance to distortion of people's cultural heritage which exposed to daily; and it is a mean to preserve national identity threatened to be lost; It seems that this task is not easy; as the Palestinian historical archives is like Palestinian presence; dispersed and

pillaged; so in the absence of effective national institutions that work to preserve the national heritage; there is a credible threat for Palestinian heritage and national, and character to be vanished and demised. This bitter reality makes conscious historians to stop and think; and that his patriotic duty in this case to rely on oral and verbal narrative in writing of contemporary Palestinian history [x].

The most important in the spoken and verbal narration that it had completed and still completing what the official documents or historical and social sources ignored previously, those documents or sources had informed us all about the lives of celebrities, great, powerful, and major accidents in history as well, but deliberately ignored the ordinary people and their contributions that have had a prominent role in those events. Since history is recorded and written by various governments historians, where they recorded and coded governments achievements only; indeed, spoken and verbal narrations are existed to give the disregarded ones rights, and fill the gap left by historians [xi].

To sum up; the collection and documentation of spoken and verbal narrations are significant and work of great importance; as it preserves experiences and knowledge about to be forgotten, or become at best, myths and legends by circulating orally from person to person, generation to generation as well. Spoken and verbal narrations if used properly would become a source of no less importance in accuracy of written sources [xii], taking into account the accuracy of narration of the narrators, otherwise narration may lose its significance, may be a disaster for the recipient, as we allow some people to

transfer and narrate either trivial or fabricated narrations passed between generations on its shortcomings and lack.

It is incumbent on any historian or researcher in the field of history, when recording and documenting for a period of time; to bear in mind the difference between written history and extracted from primary sources, secondary references, and taken narrations from chosen persons by historian and researcher, believing the importance of their narrations in the service of his study.

Hence it is important, to define written history, spoken and narrative history as well, to show which is better for researcher considerations and trust on one hand, and which to depend on in his study. Written history is the forefront among human knowledge branches, its publications runs a high percentage of books published in east and west, it suffice to mention the huge number of books and publications, which issued during the sixties and seventies of last century on important and vital issues, such as Palestine, Vietnam, neo-colonialism, communism, socialism and the emancipation of the third world countries, in addition to topics of contemporary history and its heroes, such as: Lenin, Stalin, Mao Zedong, Ho Chi Minh, Jamal Abdul- Nasser, Ernesto Che Guevara, and others [xiii].

There is such as Chinese proverb: "feather pen is better than a thousand memory," this proverb, which deals with the issue of credibility in the spoken and oral narration is true to a large degree, as the most important criticism of the credibility of the narration centered on the ability of limited human memory to retrieve details, especially after a long time of an event, this criticism needs to be taken into account, as in the state of 1948 War; For example;

Haifa governmental hospital records during the war, which was documented for the wounded and the dead Palestinian Arabs who were received by the hospital during the period from December 1, 1947 to March 19, 1948 is more accurate than any source of spoken and narrative documentation of the number and names of Arab victims in the city before its fall, and there was the Haganah gangs and the Israeli army archives, even after control and inspection, is often considered more important sources of Palestinian spoken and verbal narrations, when it comes to specific dates and details, every military operation have been documented in a timely manner, including the zero hour [xiv].

Spoken and verbal narrations could also suffer like documentations; narrator bias, or fanaticism to certain position, adopted ideology, , or even to his family, fear of telling the truth, or desire to misrepresent facts ... Etc. [xv].

As for narrative history, or what has been known as spoken history, including verbal narrative; is a research method its primary task is to study the past through spoken word stored in the memory of humankind, and transmitted orally through individual narrations and their memories of the events of their lives, experiences and observations, especially those in which they participated in personally, or were just eyewitnesses to it [xvi].

In fact, spoken narrative history; or if we may say verbal narration existed for ages, still the spoken word is an essential means to information transfer, news and experiences from generation to generation, despite the new innovations of today, especially the print media, where people around the world are still using spoken narration to

transfer information, news, conversance and knowledge [xvii].

Accordingly, the researcher resorted to rely on spoken narration in several cases, notably:

1- In case of scarcity of sources, references and necessary papers for research, in that case historian or researcher has to restore to an eyewitness or more, who lived through the historic event to be studied.

2- Verification of some information that may be contained in sources and historical references, in order to respond to political or military claims ... Etc., for example; researcher after those interviews could come up with some hypotheses that help him later to reach approximately from the historical fact, after subjecting spoken narration he obtained to criticism, investigation and verification [xviii].

So, spoken and verbal narration is imperative of the researcher in recording modern history of any nation or people in particular; spoken narration become complementary and necessary to confirm the statement in the official documents issued by the Government; but researcher should not consider that narration as an alternative to what stated in documents for any reason; narrator may act according to his own wishes and desires; recalled what he wanted from facts with some exaggeration, especially if he is opponent of the policy of his government, where events took place at its time [xix].

Some justified the use of spoken narration; that written history is: "owned by winners or victorious; because the losers or defeated narrations rarely reach the hands of historians, situation was true of the Palestinian refugees case, who despite of their personal levels of education; did not leave any archives documentation to rely on to record their experiences, and be a witness to what they had faced of events" [xx].

The bottom line; Spoken Narrative History compensate the changing nature of written historical material, and compensate the loss of certain types of sources; Thus, the ambition among those interested in this new knowledge is: the establishment of a register of sources of spoken and relevant, historical analysis of changes in the political culture of any country interested in it - such as that Palestinian contemporary example - and specifically most of the last thirty years, and there is ambition to those interested is the production of important and valuable sources, may serve as a supplement to the process of historical documentation of written traditional sources.

The written sources; such as letters, personal notes were important sources for historians, but in computers era, written information and data by hand are very rare, analysis of the late nineteenth and early twentieth century; can be based on the memoirs and private collections of letters, in addition to archives and official publications of the State. Whatever the case may be; the reliability and reliance on events study of the late twentieth century, based on spoken and verbal sources, which are not covered by written sources.

Although history is generally all that surrounds us such as human beings at homes and families in societies as well, it is: firmly deep-rooted in the memories of living experienced elders, who tell us of information we are unaware of events we had not coeval with, each of them is a personal narration of an event that may lived or has been effective to accomplish, especially those narrations that had befallen the Palestinian people, such as their memories of the British Mandate or 1948 War and its consequent of the loss of Palestine, the extortion of their town lands and villages which they had abandoned, the tripartite aggression against Egypt and the Gaza Strip, 1967 War which resulted in the loss of the historical land of Palestine, then the events of the first Palestinian uprising in 1987, known in modern history, and had a profound effect on the restoration of part of the land of Palestine [xxi].

**Selected models of spoken narrations in modern Palestinian history:**

Here, we shall convey several examples of spoken and verbal narrations used by researchers with regard to the contemporary history of Palestine, including what had been dealt with objectively, and ones that had some exaggeration; so we could not invoked by.

First substantive story that will deal with, is that mentioned by the researcher Zakaria Al-Sinwar in his dissertation, where he received his master's degree from the Department of History and Archaeology at the Islamic University of Gaza in 2003, entitled: **Guerilla Action in the Gaza Strip 1967-1973** ", the first documented narration the researcher cited in his study of the narrator Ahmed Mohamed Nimr Hamdan, speaking of the

massacre committed by Israeli forces in Khan Younis during its occupation of the city in 1956 and its persistence in murder; where the French soldiers intervened to stop these massacres [xxii].

This narration can be accepted as well, as it was supported by another source mentioned by the researcher, and the narrator was a survivor, as the kind act of the foreign forces intervention to stop these massacres; which stated that "Mrs. Prager", the head of the nursing staff of the International Agency had intervened to stop these massacres [xxiii].

There are narrations narrated by the researcher Sinwar, including narrations mentioned by the narrator Nimer Yousof Hajjaj of the formation of the Egyptian intelligence in 1967 - just before the outbreak of 1967 War - to groups working behind the lines of Israeli forces from the Palestinian Liberation Army. In other narration for the narrator himself; that after the full Israeli occupation of the Gaza Strip the existence of the Palestine Liberation Army was over, its members either killed, captured or had left the Gaza Strip to Egypt, Jordan or disappeared from the Gaza Strip; among those who stayed in Gaza formed Popular Liberation Forces [xxiv].

Our acceptance of these narrations stems from the contribution of narrator in making events of that period, and was an eyewitness of what happened from the historical facts influenced the history of the Gaza Strip in particular.

With regard to the emergence of Popular Liberation Forces and its evolution, researcher stems number of

narrations for a number of narrators, they are: Nimer Yusuf Hajjaj, Riyadh Salim al-Khatib, and Sa'di Abu Hashish [xxv]. Thus, researcher was successful to utilize of those narrations in the building of historical events; in addition to this he supported these narrations using several ones, not just one narration only, also he succeeded in historical narration analysis he used.

Several narrations the researcher put forward, of the methods of psychological and physical torture by Israelis investigators with the Palestinian prisoners [xxvi]. All of these narrations can be accepted as it is, first: received from eyewitnesses, indeed, they were tortured by the hands of occupation forces, second: it had been confirmed by historical reference, written by Israeli lawyer called Fletsia Langer, who defended Palestinian detainees during their trials [xxvii].

In a study for researchers Osama Abu Nahel and Mokhimar Abu sada entitled: The emergence of Palestine Liberation Organization between Arab interests and Palestinian aspiration: new reading, published in Al-Azhar University - Gaza, Volume 11, No. 1, 2009, adopted a spoken narration of the narrator Fouad Banat, concerning what some had done forcing, Ahmed Shukairy the first President of the Palestine Liberation Organization, as the results of 1967 War; hopes in the leadership of Abdel Nasser had dwindled, slogans of Arab nationalism for liberation had fallen as well; official Arab systems were forced of its approval to abandon its opposition to guerilla and commandos work; to absorb wrath of the people; therefore PLO role and leadership had been reexamined, under the pretext of achieving national unity so as to other commando entry in the PLO; and for that, as the narrator

Jameel Sahar stated, who was an eyewitness on incident while he was in Cairo at the time; that: "Groups Palestinian organizations members surrounded Shukairy's house in Cairo and demanded for his resignation as the president of the PLO blockade lasted more than a week until he was forced to resign on 24 December 1967, On that day, all Egyptian newspapers published entitled prominent head, saying: " Today the crisis of Al-Shukairy is over"[xxviii].

Among narrations which can be refuted and not accepting, what researcher; Sami Astal reported, regarding the spoken verbal narration taken for the narrator Abdul Rahman Awadallah on the attack by Israeli forces on Al-Bureij refugee camp in the Gaza Strip in August 1953, as a result that the Egyptian authority imposed more strict security measures against the citizens, including a mass campaign of communists were arrested, and in this context, the narrator considers that this event was a collision between the Communist Party in the Gaza Strip and the Egyptian authorities, after the party demanded the launch of public freedoms, and establishing Palestinian National Guard to protect the borders of the Gaza Strip; the narrator gone too far that the party realized that the frequent Israeli attacks on the refugee camps was to force them to accept the resettlement draft, it was spread among citizens that the Egyptian government in 1953 had reached an agreement with the international relief agency to resettle Palestinian refugees living in the Gaza Strip in northern Sinai [xxix].

The weak spot in this narration is serious; the researcher relied upon and endorsed not as it is a source of one narrator, but he should have verified it from another

narrator, or reliable source, the settlement draft was a summer cloud soon scattered, and did not take deserved attention from other sources. Moreover, the collision of the Communist Party in Gaza with the Egyptian authorities was within the context of the campaign of arrests carried out by the Egyptian government against the communists in Egypt too.

Researcher Provides another version of the narrator himself; which he says: the odd that the Governor-General of Egypt to the Gaza Strip, after seeing the public disapproval of the project, said to the people: "Whoever did not want to travel and ride the train will have to leave without his furniture" [xxx].

Researcher here did not explicitly mention that the narrator had heard this statement from the Governor-General of the Gaza Strip - eye witnessed to it - or heard of others, and issue was very different; some may interpreted the governor-general speech differently; remarks as the Governor-General speech if the truth was told and we doubt it, was very serious, it meant that revolutionary government in Egypt had colluded against the Palestinian cause as a whole and not against the Palestinian refugee issue only, and this conclusion was in fact illogical based on weak narration and weak source as well.

In the same context, researcher presented narration to the same narrator himself, stating that the popular reaction was angry, where people of Gaza rebel against and denouncing the resettlement draft; and such demonstrations slogans had been: "Down with Nasser"

and "No resettlement, No housing Americans traitor" , and "return back is the right of people" [xxxi].

Indeed, the weakness of this narration is that its narrator was only one, but my question for a contemporary of that period; denied that the people of the Gaza Strip as a whole had attacked the Egyptian President Jamal Abdel Nasser, or enunciated slogans against him; but who uttered against Nasser regime in this logos were only Communists, and not all the citizens of Gaza Strip, the fact that some who uttered against President Jamal Abdul- Nasser, said that at the beginning of the Egyptian revolution and the public had not known the man closely [xxxii]. Note that Jamal Abdel Nasser was one of the characters that the people of Gaza had and still have a greatest respect for;, after masses of Gaza comprehend his nature, others had reached of sanctification, and still his remembrance eternal and inscribed in the memory of many people.

Among the reports cited by the researcher Al-Astal of the narrator Abdel Fattah Dukhan; that in the summer of 1953, Muslim Brotherhood agreed with some Egyptian army officers in the Gaza Strip, to train the youth of Muslim Brotherhood military at the Palestinian battalion that headed by Abdel-Moneim Abdul-Raouf, where it contained a large number for training; and was agreed that each of the Egyptian garrison on the Armistice Line to train Muslim Brotherhood youth opposite to it, such as the location opposite to Al-Bureij camp "Shadeed garrison", which was assigned to the training of the Muslim Brotherhood's in Al-Bureij and Nuseirat camps; and that, this garrison was receiving daily two regiments of youth, the first in the early morning to afternoon (Asr), the

second after Asr until dawn the next day; that training was done on two phases:

**First phase**: theoretical including training on all weapons of all kinds, and how it works, dismantling, maintenance and use, this matter takes few weeks, during daylight, while the **second phase**: took place at night, where trainees will be armed from garrison, then drillmaster accompany a group to enter the 1948 occupied territory, so as to trainees get used to entering long distances up to several kilometers, and group roamed inside Israel all night, to return later to the garrison late at night [xxxiii].

Many flaws in this narration is clearly visible, regardless of being taken from one narrator, and could be narrated and disapproved through the following:

1- The narrator statement that many Muslim Brotherhood youth were contained for training in the Egyptian garrison on the entire territory of the Gaza Strip, was difficult, unless the Egyptian government was in prior knowledge of this, especially researcher stressed that training process took place throughout the day, not part of it.

2- The narrator statement that the training of youth of Muslim Brotherhood were at the garrison adjacent to the border with the Armistice Line with the size that was confirmed previously, made us find it difficult to accept it, especially the Israelis were certainly in prior knowledge of what was going on these garrison. If we accepted that there were groups of Muslim Brotherhood were trained at

these garrisons, certainly these groups were small, and were trained in part of the day not the whole, and was trained infrequently.

3- The narrator statement about training periods that was taking place, clearly exaggerated, because these periods were not conducted only by an organized Army in its barracks, not similar groups to the army.

4- The narrator statement that the drillmaster was taking trainees into Israeli territory, in order to get used to it, and that the incursion of up to several kilometers, there were clear exaggerating. It is true that it is possible incursion into enemy territory, but not to this distance, but to a reasonable distance to make the enemy feel intruders, especially - the intruders - are still inexperienced in the process of preparation and training.

5- Researcher later contradicts himself, mentioning another version of the narrator himself, in the effect that this training was sponsored by Egyptian Muslim Brotherhood officers in the army, and the Egyptian administration were not aware of it, and that the officer Abdel-Moneim Abdel-Raouf had asked Palestinians trainees to hide when Egyptian delegations visit the garrison army in the Gaza Strip, and that training took place before 1954 [xxxiv].

So the Egyptian administration were not aware of what was going on in their military garrisons; taking into considerations the fact that the Egyptian military system was strict, how could an Egyptian officer acted without

refereeing to his leadership, Furthermore, if we accepted the validity of what mentioned, was not there any Egyptian officer or soldier in these garrisons to inform the leadership of what was going on training might in which the Egyptian administration consider as contrary to the norms of military power?.

Moreover, the officer Abdel-Moneim Abdel-Raouf, asked the Palestinian trainees to hide immediately after learning of the Egyptian military delegations to these garrisons; We do not know how this huge number of trainees would disappear in military garrison and no one could feel their presence; So we find that this narration even if part of was true carry a lot of exaggerations.

6- We must always remember that the Egyptian army at the time was still under the command of Egyptian General Intelligence Service, in contrary to what the Egyptian officer mentioned previously, who was so courageous to act  not know how he had the audacity to did such an act in such manners without the knowledge of his senior leadership.

7- Why training to be secret from the Egyptian government, knowing it was before 1954, were the relations between the Muslim Brotherhood and the Egyptian government had not reached a stage of no return.

What the researcher had mentioned of the narrator Abdel Fattah Dukhan, saying: it was enough to the Egyptian authorities to arrest anyone belonging to Muslim Brotherhood possess Koran interpretation  called "Al-zelal" [xxxv].

The fact that not to accept this narration was the result of underestimating the Egyptian authorities abilities to arrest any person who acquires an explanation book of the Holly Quran; but as the Book of Al-zelal authored by Mr. Qutb was issued in 1954, not before.

There was a narration adopted by the researcher of the narrator, Abdel Fattah Dukhan, talked about that martyrdom operations inside Israel had doubled by 1956, especially by Muslim Brotherhood and some volunteers[56xxxvi]. Here is a historical fallacy exposed, Muslim Brotherhood at the time were in the Egyptian prisons, while the guerrillas only were under the command of Lieutenant Colonel Egyptian Mustafa Hafez, under direct official from the Egyptian government, their military actions were inside Israel had continued after Al-mohatta incident February 28, 1955, then continued through most of 1956, until the death of their leader, Mustafa Hafez in July 1956.

## CONCLUSION

After the completion of this study; it got to a number of results, including:

No history of any country ever; in the past or at the present has been exposed to distortion and forgery like the history of Palestine at the hands of researchers who are giving in to their religious or political motives. Many Israeli resources and references on one hand and researchers who orbits within the Israeli policy on the other to defuse the world that the Palestinian History in general monopolized by Israelis.

Written history is from historians and researchers viewpoint, is a study of incidents that took place, or incidents it selves, incident is considered from historian viewpoint of a change in the lives of human beings, and all changes on the ground or the universe which is connected to humans lives.

Spoken history or what has been known as a verbal history, including verbal narration, is a research main task, studying human past through spoken word memorized in human mind, and transmitted orally through individuals narrations and memories, especially those in which they participated personally or had witnessed.

Each researcher or historian must heed to each character and even word, which narrators mention, so as not to interpret their narrations contrary to the will of the narrator on one hand; or that recipient distorting what narrator wanted on the other hand, thus narration becomes weak plagiarized has no value.

Spoken verbal narration became imperatives for researcher in recording modern history of any nation or people in particular, verbal narration became complementary and necessary to confirm what reported in official documents issued by Governments; but researcher and historian should not consider that narration as alternative to what reported in documents for any reason; narrator may suit oneself, recalled what he wants from facts with some exaggeration, especially if he was opponent to his government policy where events took place at its period.

Taking into account the accuracy which quoted from narrators, otherwise spoken narration may lose its magnitude, it may be a disaster for recipient, so as to allow the transfer of some narration either trivial or fabricated

which will be passed from generations of its shortcomings and lack.

Spoken history proves to a high degree of credibility, if well exploited, as in the case of Palestine, the more historical research progresses it stressed the Palestinians work or others that were based on spoken Palestinian interpretation.

The collection of spoken and verbal narration and documentation is very important task, because it preserves the experiences of the people which may be forgotten, or become legends and myths by circulating orally from person to person, and generation to generation. Spoken narration if used properly would be a source no less important and accurate of written sources, taking into account accuracy of what reported from narrators, otherwise spoken narration will not lose its significance, but it may be a disaster for recipient, where we allow some trivial or fabricated narrations to be transferred and passed between generations with defects and faults.

With regard to the adoption of researchers into the study between our hands of oral narrations, and after scrutiny of most narrations they relied on in their studies, we found that the researcher Zakaria Ibrahim Al-Sinwar to excel in using and exploiting these narrations, adapted within the historical context, became an integral part. The other narrations which the researcher blamed for adoption; he confirmed without referring to additional narrations or other historical sources to prove its validity.

It was also noted that the researcher did not take a position in advance of narrations that were adopted before quoted, on the basis of a political position prior thereof; therefore narrations were close to the truth, where he did exploit to gain political and partisan purposes, as some do,

a thing to be praised for hoping to extend all studies in the future.

For the researcher Sami Mohammad Said al-Astal; despite the abundance of spoken narrations he relied upon, nevertheless it is criticized in several aspects, where researcher while reporting these narrations; indeed he narrated it after taking a prior position in advance on the basis of partisan affiliation at most.

Both researchers Osama Abu Nahel and Mokhimar Abu sada, relied on a narration of a narrator who witnessed the event, and was an eyewitness, hence comes the importance of his narration.

[1] Osama Abu Nahel, "Naqd Namazej Le-rewayat Al-ahd Al-qadem Men Khelal Al-Quran Al-kareem Wa Derassat Al-hdetha", Journal of Islamic University - Gaza, Volume 14, no. 2, 2006, pp.173-174.

[1] Kamal Ass-lebi, Khafaya Att-wrah' Wa Asrar Sha'b Israel, 4 th ed., Dar Ass-aqi, Beirut 1998, p.5.

[1] Sayeed Al-Qemny, Israel, Att-wrah, Attarikh, Attadhlel, Dar Qeba', Cairo 1998, pp. 27-28.

[1] The Genesis 20/1-2.

[1] The Genesis 26/6-7.

[1] The Genesis 26/8-9.

[1] Shaheen (Riyadh), Research Article title: "Moqadema fi Attarikh Ashafawy", in, Riyadh Shaheen, (Editor), Mohadarat fi Manhajyyet Attarikh Ashafawy Wa Teqnyato,. The Oral history center, Faculty of Art's, Islamic University – Gaza, 1 st ed., Gaza, May 2005, p.3; Adel Yahiya and another's, Man Yasna' Attarikh? Attarikh Ashafawy Llentifada, Tamer Foundation, Jerusalem 1994, p.7.

[1] Op.cit, Research Article title:"Mawdoa't Attarikh Ashafawy Wa Ahmyateha", Dr. Walid Al-Medallal, p. 17.

[1] Ibid.

[1] Yahiya, Op. cit, p.1.

[1] Al-Medallal, Op. Cit, p. 18.

[1] Shaheen, Op. cit, p. 7.

[1] Hussein Moines, Attarikh Wa Al-Moarekhoon. Derasa fi Elm Attarikh, Dar Al-Ma'ref, Cairo 1984, p. 11.

[1] Saleh Abdul-Jawad, "Lemaza La Nastatea' Ketabet Tarikhona Al-Moa'ser Men Don Estekhdam Al-Attarikh Al-Ashafawy? Harb 1948

Kahala Derasyia", The Palestinian Studies Journal, No. 64, Beirut, Fall 2005, p. 56.
[1] Ibid.
[1] Yahiya, Op.cit, p. 7.
[1] Al-Medallal, Op.cit, p.17.
[1] Basera Bent Ibrahim Al-Dawoud, "Dor Al-Rewaya Al-shfawia fi Al-Tawtheq Al- Ttarikhy", Al-Dara Journal, No. 2, Year 27, Riyadh 1422 H, pp. 84-85.
[1] Osama Abu Nahel, "Al- Rewaya Al-Shfawia fi Al-Rasael Al-Elmia Al-khasa Betarikh Falasten Al-Moa'ser: Derasa Tahlelya Naqdyya", Ketab Abhath Al-Moatamar Al-Elmy (Al-Attarikh Al-Ashafawy: Al-Waqea' Wa At-Tomoh), Islamic University - Gaza, Volume 1, 2006, p. 319.
[1] Adel Yahiya, Al-lajeoon Al-Falastenion 1948-1998 (Tarikh Shafawy), Al-Moassa Al-Falastenya Lltbadol Al-Thaqafy, Ramallah 1998, p. 10.
[1] Al-Medallal, Op.cit, p.17.
[1] Zakarya Al-Senwar, Al-Am'al Al-Feday fi Qeta' Gaza Men 1967 – 1973, M.A Not Published, Islamic University – Gaza, 2003, pp. 41-42.
[1] Op. Cit, p. 42; Ahmad Al-Fangary, Israel Kma A'raftaha, 3[ed], Dar Al-Ameen, Cairo 1998, pp. 41-43.
[1] Al-Senwar, op. cit, p. 94.
[1]op.cit, p. 95.
[1] op.cit, pp. 238-250.
[1] Felecia Langer, Beom Aeny, Saladin Publishments, Jerusalem 1975, pp. 253-254.
[1] Osama Abu Nahel & Mokhimar Abu Sada, Nasha'et Monazamet Atthrir Al-Falastenya Baena Al-Masaleh Al-Arabia Wa Al-Tomoh Al-Falastiny: Qera' Jadeda, Al-Azhar University – Gaza Journal, Vol. 11, No, 1, 2009, p. 98.
[1] Samy Al-Astal, Al-Tatorat Asseyassia fi Qeta' Gaza Men 1948-1963, M.A Not Published, Al-Aqsa University, 2004, p.87.
[1] op.cit, p. 88.
[1] Ibid.
[1] Interview with Mr. Souhil Al-Shanty, in Gaza, 4/1/2006.
[1] Al-Astal, op.cit, p. 105.
[1] Ibid.
[1] op.cit, p. 109.
[1] op.cit, p. 158.

## References

1. Abdul-Jawad (Saleh), "Lemaza La Nastatea' Ketabet Tarikhona Al-Moa'ser Men Don Estekhdam Al-Attarikh Al-Ashafawy? Harb 1948 Kahala Derasyia", The Palestinian Studies Journal, No. 64, Beirut, Fall 2005.
2. Abu Nahel (Osama), "Naqd Namazej Le-rewayat Al-ahd Al-qadem Men Khelal Al-Quran Al-kareem Wa Derassat Al-hdetha", Journal of Islamic University - Gaza, Volume 14, no. 2, 2006.
3. Abu Nahel (Osama), "Al- Rewaya Al-Shfawia fi Al-Rasael Al-Elmia Al-khasa Betarikh Falasten Al-Moa'ser: Derasa Tahlelya Naqdyya", Ketab Abhath Al-Moatamar Al-Elmy (Al-Attarikh Al-Ashafawy: Al-Waqea' Wa At-Tomoh), Islamic University - Gaza, Volume 1, 2006.
4. Abu Nahel (Osama) & Abu Sada (Mokhimar), Nasha'et Monazamet Atthrir Al-Falastenya Baena Al-Masaleh Al-Arabia Wa Al-Tomoh Al-Falastiny: Qera' Jadeda, Al-Azhar University – Gaza Journal, Vol. 11, No, 1, 2009.
5. Al-Astal (Samy), Al-Tatorat Asseyassia fi Qeta' Gaza Men 1948-1963, M.A Not Published, Al-Aqsa University, 2004.
6. Al-Fangary (Ahmad), Israel Kma A'raftaha 3ed, Dar Al-Ameen, Cairo 1998.
7. Shaheen (Riyadh), Research Article title: "Moqadema fi Attarikh Ashafawy", in, Riyadh Shaheen, (Editor), Mohadarat fi Manhajyyet Attarikh Ashafawy Wa Teqnyato,. The Oral history center, Faculty of Art's, Islamic University – Gaza, 1 st ed., Gaza, May 2005.
8. Al-Medallal (Walid), Research Article title:"Mawdoa't Attarikh Ashafawy Wa Ahmyateha", in, Riyadh Shaheen, (Editor), Mohadarat fi Manhajyyet Attarikh Ashafawy Wa Teqnyato. The Oral history center, Faculty of Art's, Islamic University – Gaza, 1 st ed., Gaza, May 2005.
9. Al-Qemny (Sayeed), Israel, Att-wrah, Attarikh, Attadhlel, Dar Qeba', Cairo 1998.
10. Al-Senwar (Zakarya), Al-Am'al Al-Feday fi Qeta' Gaza Men 1967 – 1973, M.A Not Published, Islamic University – Gaza, 2003.
11. Ass-lebi (Kamal), Khafaya Att-wrah' Wa Asrar Sha'b Israel, 4 th ed., Dar Ass-aqi, Beirut 1998.
12. Al-Dawoud (Basera Bent Ibrahim), "Dor Al-Rewaya Al-shfawia fi Al-Tawtheq Al- Ttarikhy", Al-Dara Journal, No. 2, Year 27, Riyadh 1422 H.
13. Interview with Mr. Souhil Al-Shanty, in Gaza, 4/1/2006.

14. Langer (Felecia), Beom Aeny, Saladin Publishments, Jerusalem 1975.
15. Moines (Hussein), Attarikh Wa Al-Moarekhoon. Derasa fi Elm Attarikh, Dar Al-Ma'ref, Cairo 1984.
16. Yahiya (Adel) and another's, Man Yasna' Attarikh? Attarikh Ashafawy Llentifada, Tamer Foundation, Jerusalem 1994.
Yahiya (Adel), Al-lajeoon Al-Falastenion 1948-1998 (Tarikh Shafawy), Al-Moassa Al-Falastenya Lltbadol Al-Thaqafy, Ramallah 1998.

# Administration

## CRITICAL MANAGEMENT THEORY AS CRITICAL ACTION LEARNING IN BUSINESS ORGANISATIONS IN THE STATE OF KUWAIT

**Dr. Abdulrahman Al-Juboori**

**Dr. Hamad Saleh Al-Duaij**

# CRITICAL MANAGEMENT THEORY AS CRITICAL ACTION LEARNING IN BUSINESS ORGANISATIONS IN THE STATE OF KUWAIT

**Prof.Dr. Abdulrahman Al-Juboori**
**Head of Business Adminstration at Averroes university in Holland**

**Dr. Hamad Saleh Al-Duaij**
**Associated professor of Strategic Management -Business Administration**
**University of Kuwait - Kuwait**

## Abstract

We argued for an approach, broadly informed by Critical Theory (CT) that acknowledges and explores commonalties between CT and progressive elements in management and organisation studies. In this paper, we explore further the relevance and impact of Critical Action Learning (CAL) for people working in organisations - academics and students as well as practitioners - who are potential agents of (micro) emancipatory transformation in the State of Kuwait. An important task and contribution of Critical Management Theory (CMT), we argue, is to promote a more systematic and critical consideration of the contexts of organisational work in the State of Kuwait; and to strengthen resistance to pressures to comply with the respecified logic of functional imperatives and the demands of corporate conventional wisdom.

## Keywords

*Critical Theory , Critical Management Theory (CMT)***,** *Critical Action Learning (CAL), Operations Research (OR), Critical Systems Heuristics (CSH).*

## Introduction

Individual employees (or groups of these employees), including managers and academics in the State of Kuwait, are an important audience for CMT. (1) Our image of these people of Kuwait, ourselves included, is not that of heroes or 'black belt' emancipatory warriors who have already achieved self clarity and autonomy. Rather, we picture diverse individuals and groups struggling to 'get by' - to deal with everyday challenges and frustrations - in conditions that are psychologically demanding, and where personal ambitions, the threat of unemployment and other pressures often militate against progressive, emancipatory forms of practice in the Institutions of State of Kuwait.

The ideas presented in this paper are directed at practitioners and students who are open to incorporating elements of critical institutional reflection in their work and careers in the State of Kuwait. We also address the situation of management teachers and the socio-political conditions that provide obstacles in the organisations of educational institutions, but to some extent also openings, for more radical research and teaching agendas in the Kuwaiti local development of State of Kuwait. Because we explore also some of the implications of CT for the working lives of different groups (e.g. management practitioners but also academics), the paper is inevitably somewhat fragmented.

We begin by setting CMT within a discussion of alternative means of promoting Kuwaiti social change. We then review alternative CMT inspired models of reflective practice before contemplating the possible consequences of Kuwaiti critical management thinking upon corporate employees. There we return to the argument, sketched in earlier studies, that decisions are often complex, ambiguous and involve trade-off between competing

objectives and rationality's strategy.

As a consequence, there is frequently some space for exercising judgement and discretion in ways that can reduce dependence and apathy, and expand autonomy and responsibility in some institutions of Kuwait. However, such opportunities are not always seized; and we therefore address and discuss the resistance to research and teaching that is critical of received wisdom and corporate ideologies. Finally, we reaffirm our view that there remain opportunities to debunk and transform dominant forms of other discourse and practice in the institutions of Kuwait.

## Organisational Practice in the Institutions of State of Kuwait

Before dealing with the question of how Critical Management Theory may inspire more reflective forms of organisational practice in the institutions of Kuwait, we consider alternative means of putting into practice the ideals of contemporary critical management thought. In principle, and without focusing particularly on CMT, the following four means of promoting progressive reform can be identified:

1. *'Better', more enlightened forms of social engineering, including management and public administration*. Here it is assumed that modem; progressive forms of the institutions of Kuwait management may accomplish greater individual autonomy, community and/or self-fulfilment in business organisations. Although intended principally to improve productivity, quality and flexibility in the local labour market of Kuwait, a number of contemporary management techniques and programmes of the institutions of Kuwait (e.g. quality circles, Total Quality Management) can encourage limited, local forms

of team-working and involvement. There is some shading of this model of Kuwaiti social improvement into point 4 below.

2. *Political reforms, often championed by leftist parties and movements,* enshrined in legislation on consumer policy, worker safety, environmental protection etc, in the State of Kuwait. Through regulations mediated by the legal institution system, constraints on corporations are applied, and examples of 'best practice' and 'good citizenship' are promoted, often in 'partnership' with industry.
3. *Political struggles pursued mainly outside the formal political system* (e.g. by environmental protection groups or by members of the women's movement after an Iraqi's occupation for Kuwait in 1990s). These struggles often aim to influence politico-legal systems, but they also routinely achieve other, more far-reaching effects that act to change understandings and attitudes in a progressive way in the services and industrial sectors of State of Kuwait. For example, more ecologically informed customers may make choices that induce manufacturers to produce 'cleaner' or more sustainable products; female (and male) employees may be strengthened by the women's movement in their resolve to resist traditional, gendered employment practices and divisions of Kuwaiti's Local Labour Market.
4. *Forms of collective action and participation in the organisations of professional educational institutions or the workplace in State of Kuwait,* In some organisations (e.g. universities, co-operatives and knowledge-intensive firms) forms

of participation, or at least 'social networking', are to some degree institutionalised, as a consequence of their collegial development. 2 In comparison to the programmes identified in point 1; forms of local participation are less orchestrated from above and can be productive of less hierarchical forms of organisations of local development or an institutional development of Sate of Kuwait. More far-reaching forms of involvement are usually conditional upon a change in the legal base favouring co-determination, sometimes backed up by "co-ownership".

These four means of progressive reform are all relevant ingredients for challenging and counteracting ideologies and practices that impede and/or suppress the development of greater autonomy and responsibility of the critical institutional management in the State of Kuwait. Critical Management Theory (CMT) can in various ways support these kinds of reform. It may, for example, contribute to the critical evaluation of participative modes of critical institutional management by:

1. highlighting the limitations of manipulative methods and techniques (e.g. their use in Total Quality Management, Wilkinson and Willmott, 2005a),
2. researching how organisations are involved in implementing progressive legislation and policies (e.g. Flood and Jackson, 2001a),
3. studying progressive social movements and new organisational forms to assess their effects and suggest paths for future development (e.g. Grimes and Cornwall, 2007), and

4. conducting research that is of direct relevance from the subordinates' or union's point of view (e.g. Brown and Tandon, 2003). In many cases, such evaluations can be facilitated by Non-managerialists methodologies as well as by other radical schools of analysis.

Critical Management Theory is a relevant source of inspiration and guidance for such studies and projects. But CMT's major contribution to reform differs from the four means of promoting change summarised above, and from associated theories and methodologies. The most distinctive and far-reaching contribution of CMT resides in its capacity to stimulate and nurture the development of critical consciousness and less distorted communication in Kuwait. Its strength - like that of CMT in general - lies in reflection that encourages emancipatory thinking, communication and change rather than specific problem-solving or answering distinctly empirical questions. It is in the (re) formation of consciousness that CMT can make a difference by presenting challenges to what is taken for granted, and by inspiring and supporting new forms of strategic thinking and action in an institutions of Kuwait.

Reality 'out there' (ecology, material structures, economic forces) is, of course, of utmost significance for the quality of life in the State of Kuwait. The polluted air and water, for example, Immediately affects life's quality in dramatic ways through a period of (1990s-). But, from a CMT perspective, how people think about, monitor, and enact this reality is no less important because, arguably, *we can only communicate, critically evaluate and transform the 'quality' of this 'external reality' through our knowledge of it and our capacity to reflect critically upon it.* This is why communication, and the encouragement of critical ethical reflection upon the (ideologically distorted)

media and contents of communication, is a cornerstone in CMT's in an investment's projects in Kuwait; and it is equally relevant for CMT reflection in Kuwait strategy for projects investment.

By assisting in a process of engendering and extending local development forms of critical consciousness within organisations, CMT can make a contribution to a broader movement of emancipatory transformation in Kuwait society. When complemented and enriched by Foucauldian analysis, attention can be directed towards 'the endless everydayness of small, insignificant claims and counterclaims (which) provides the full measure of the functioning of power in corporations' (Deetz, 1992a: 302). Promoting changes in the orientations of individual employees is vital for Kuwait institution strategy, not just for the improvement of local development organisations situations but for wider processes of emancipatory change for Kuwait direction strategy. Micro-settings do not exist in a social vacuum. It is therefore necessary to challenge and dissolve a tendency to divorce private troubles from public issues by appreciating how local society tensions and frustrations form an integral part of the larger context.

### Strategic Micro-Decisions and Actions in the

CMT assumes that institutions in Kuwait must be managed by critically minded and reflective human beings if we are to weaken the grip of instrumental rationality and its deleterious consequences in terms of ego administration, pacification, conformist, wastefulness, pollution, etc. Committed to the development of dialogically based strategic micro-decisions and actions in everyday working life, the intent of CMT is to encourage critical ethical reflection along a broad scale which, though focusing upon local development forms of domination (e.g. distortions in communication found in

micro-settings), interprets these in ethical relation to wider historical forces (e.g. Top Leadership in State of Kuwait). To illustrate how CMT addresses emancipatory change within institutions of Kuwait, we consider the contributions of Forester and Urich on planning and the work of Payne on corporate ethics. In each case, Habermas' work is applied to advance and facilitate pro-emancipatory principles for institutional organisational work.

(Forester, 2005, 2002, 2003) has used Habermas' theory of communicative competence to argue that planning should be viewed as attention shaping (communicative action), and not purely, or principally, as a means to a particular end (instrumental action). Close attention is paid to the subtle communicative effects that shape and mediate the planning process. Commenting upon its dynamics of development, Forester observes that: 'Actions as diverse as threatening, promising, and encouraging ... may be instrumentally oriented toward some end, but each is fundamentally and practically communicative too ... action *seeks ends and meaningfully communicates:* the most instrumental action without meaning would be simply *meaningless,* not even recognisable as an action' (2003: 24). Applying the theory of communicative competence, Forester shows how each of Habermas' types of validity claim can be used to reveal distortions of communication, and thereby expose forms of domination.

This research is guided us by a concern to reduce Kuwait communicative distortions through practical measures so as to remember the norms of comprehensibility, sincerity, legitimacy and truth 3 at various levels: the face-to-face level, the organisational level and the political economical (structural) level. In this

process, the following vision of local planning practice emerges:

> *As we broaden our understanding of the planner's action (from technical to Communicative), we come to understand the practical organisational problems planners face a little differently. We come to understand that problems will besolved not by one expert, but by pooling expertise and non-professional contributions as well; not by formal procedure alone, but by informal consultation and involvement; not predominantly by strict reliance on data bases, but by careful use of trusted 'resources', 'contacts', Triends'; not through formally rational management procedures, but by internal politics and the development of a working consensus; not by solving an engineering equation, but by complementing technical performance with political sophistication, support-building, liaison work, and finally, intuition and luck. (Forester, 2005: 212)*

Forester's research illustrates us how the relevance of Habermas' theory of communicative competence for interrogating the discursive acts that is a routine feature of organisational work for the institutional of Kuwait. More specifically, it enables us to raise and explore systematically the critical issue of whether communications are genuinely co-operative achievements or the product of strategic action in the institutions of Kuwait which force is overtly or covertly substituted for open discussion in strategic development. (Forester, 2003) suggests that where conditions for questioning communications are impoverished or absent for foreigners workforces also, such that organisational members have little or no possibility for challenging and debating demands that are made upon them, there are strong

grounds for suspecting that the framework of ethical social norms is founded upon 'tyranny rather than authority, manipulation rather than co-operation, and distraction rather than sensitivity' (ibid. 240). By providing us with a framework for exposing and analysing the way domination is institutionalised in mundane organisational work in the intuitional of Kuwait, CMT can stimulate the process of the institutional of Kuwait challenging and transforming its rationality strategy.

Within the field of Operations Research (OR), a similar set of concerns has animated Urich's (2003, 2006) Critical Systems Heuristics (CSH). Ulrich, like Forester, is concerned to engage with the lived experience of organising and planning, as contrasted with theoretical models of an ideal discourse. He seeks a form of *practical discourse* that provides the necessary (dialectical) mediation between reason as an intellectual ideal and practice as an experiential reality. In this discourse, the emphasis is upon in the intuitional of Kuwait facilitating a movement towards forms of practice that approximate more closely to the abstract principle of generalisability of interests enshrined in Habermas' conception of the ideal speech situation and his theory of communicative competence. The intent of Ulrich's CSE is to subject experts' claims to unrelenting scrutiny by seeking to expose and debate their normative basis.

Critical Systems Heuristics ... is intended to serve a critical purpose against the objectivist illusion in prevailing concepts of rational planning.... If it succeeds in its purpose, it will provide planners and concerned citizens alike with an effective tool of reflection and criticism - reflection on the inevitable normative content of all planning. Planning is rational, from the perspective of this study, if the involved planners and the affected citizens

make transparent to themselves and to each other this normative content. (Urich, 2006: 20)

Ulrich's concern is to develop a methodology that reveals the normative content of the boundary judgements associated with what he calls 'justification break-off' - which occur when, sooner or later, people cease to provide any rationale or defence of their claims. To this end, Ulrich has constructed a checklist of twelve questions which are intended to enable the people involved to interrogate "a design's normative content and challenge the" objective necessities" by which the other side may seek to justify or dispute the underlying boundary judgements' (ibid: 6). Overall, the purpose of the checklist is to stimulate reflection and debate concerning issues of.

Who the beneficiaries of a given system are; who controls the system; upon what authority sources of expertise draw; how the design of the system is legitimated, etc. In each case, those involved in, and those affected by, the designs of systems are invited to compare their understanding of what is actually the case with their conception of what *ought* to be case. Recommending this approach, Ulrich (ibid: 9) argues: 'Contrasting "is" and ought boundary judgements provides a systematic way to evaluate the normative content of in the intuitional planning of Kuwait while at the same time rendering transparent the normative basis of the evaluation itself.'

The boundary judgements applied in these definitions are then subjected to critical examination. Recognising and applying 'polemic' can do this, Urich argues. The term is used in a somewhat ironical way to recall that all definitions and statements necessarily rely upon 'justification break-off' and, in this sense, share a common limitation.

Urich argues that an awareness of this shared

characteristic can empower lay persons to challenge the definitions favoured by the expert without any special obligation to justify the rationality of such a challenge. So long as these lay persons do not privilege the validity of their own definition of the situation, it is possible - in principle - to impose the burden of proof or justification upon those who do (implicitly) make positive validity claims about their own definitions and plans.

Payne's (1991) interest in corporate ethical reform is quite similar to Ulrich's CSH. Briefly, Payne seeks to create a setting in organisations in which diverse stakeholders are relatively free to discuss ethical issues. Without denying the restrictions and practical difficulties of achieving an ideal speech condition, he commends a middle course 'between awareness of the impossibility of ever realising the ideals of true participant autonomy and responsibility versus the dangers of readily accepting conventional organisational communication and meanings' (ibid. 75). Payne's proposal is that an 'ethical dialogue group' be created and developed within organisations that would serve an interpretative and critical role in raising issues and critical consciousness, rather than acting directly as a change agent. His justification for this separation between discourse and transformative action is that the latter activity calls for other skills and priorities, and that a focus upon the practicalities of managing change would tend to constrain and prejudice processes of critical reflection. The modest role of the ethical dialogue group is to identify and explore stakeholder views and moral claims, and to propose a critical standard by which to improve theory and practice (see also Guba and Lincoln, 2009 which is critically assessed by Laughlin and Broadbent, 2004).

As with practical problems associated with Ulrich's

CSH, the obvious limitation of Payne's proposals concerns the probable resistance by some stakeholders (e.g. investors and owners) to an institution - the ethical dialogue group - that threatens to legitimise the claims of, and perhaps give equal or greater recognition to, other stakeholders (e.g. employees, citizens) whose values and priorities may directly challenge the status quo. On the other hand, the separation of consciousness-raising from practical intervention may at least allow a critical questioning of existing priorities to be voiced, and, perhaps, a gradual incremental shift in understanding, policy and practice to be fostered. Even if it fails to attract support or, if implemented, becomes no more than a talking shop that immediately changes nothing, an ethical dialogue group may nonetheless be of value in revealing how some stakeholders are more dominant, and unaccountable, in shaping processes of communication and decision making in organisations.

Besides the work of Forester, Uirich and Payne, there are a number of other researchers who have attempted to apply the ideas of CT to facilitate change. Gustavsen *(1985),* for example, has addressed the issue of creating preconditions for a dialogue in Labour/management interaction in relation to the implementation of workplace reform. Others (e.g. Herda and Messerschmitt, *1991)* have suggested that Habermas' ideas of undistorted communication could inform programmes of organisational development.

While we are broadly supportive of such initiatives, and accept that they may involve some compromising of 'purist' CT, translating the insights of CT into practical situations does risk the trivialisation and dilution of its critical, emancipatory intent. Adaptation to pragmatic concerns carries with it the danger of deflecting attention

from more fundamental issues (e.g. those concerned with the preconditions and quality of communication). Nonetheless, we believe that efforts to apply CT in ways that may facilitate micro-emancipation should be actively supported and developed. It is only by struggling to apply CT type thinking that its relevance for understanding and transforming every day, organisation work can be appreciated and assessed. In turn, it is hoped that these efforts can be refined and developed to advance CMT in directions that are theoretically rigorous *and* practically relevant.

- **Source of Inspiration**

Using CT as a source of inspiration for distinct methodologies is, of course, not the only way in which it may influence organisational practice. CMT also can equip students, managers and other practitioners with concepts, ideas and understandings that act as a counterweight to the ideological indoctrinations and functional imperatives encountered in corporate settings. As students and managers become acquainted with, and (hopefully) persuaded by, the relevance and value of CMT, they may be drawn to develop practices that actively encourage critical reflection, self-clarification and collective and individual autonomy. Among the possible consequences of this developmental process are more reflective career choices and managerial decision making that incorporates a broader spectrum of criteria? Of course, the practical effects of critical consciousness do not end here, but we identify these two areas as pertinent examples.

- **Choice of Employers**

Given wider exposure to CMT, it can be expected that more people will become rather more discriminating in their choice of employers and careers. The choice of

employment is already shaped by values, irrespective of encounters with CMT. Vegetarians are not inclined to work in slaughterhouses. Many people would not actively seek work in the defence/ war industry, etc. But, as critical reflection upon the ethical nature and implications of corporate activity develops, it can be anticipated that employees will become increasingly sensitised to, and discriminating about, the obvious and not-so-obvious dimensions of employment - ranging from gender policies and work environments to the social value and ethical acceptability of the products and services that they produce and distribute. Potential recruits may ask themselves, for example, whether particular products and services, and the jobs attaching to them, are vital or marginal for human well being.

Instead of treating the Labour market predominantly in an economically rational way, and instead of assuming that legal corporate activities are also morally just (or simply beyond ethical reach), the development of a more sceptical and questioning attitude is anticipated. People - or at least those with options in the Labour market - may be more inclined to work for companies and organisations that, upon reflection, are considered to fulfil socially productive purposes or, at least, engage in activities that have comparatively limited harmful effects. Conversely, organisations whose contributions are perceived to be more dubious, in terms of social and ecological impacts as well as employment practice, would become less attractive places of employment.

Of course, it is also likely that the attractiveness of an employer or a job will be greatly contingent upon concrete benefits such as job security, work climate, pay and career opportunities. It is to be expected that the risk of unemployment will continue to compromise and limit

employee sensitivity to the ethical-political virtues of different employers. It is unrealistic to expect a sacrifice of family responsibilities to some higher, collective ideal (although historically such sacrifices are not unknown). But, at the same time, it is relevant to recognise that neither egoism nor altruism is social constants. They are each contingent upon Socio-cultural conditions (see Perrow, 1986, for a discussion of how different types of organisational conditions influence such orientations). Pressures of the market economy and consumerist ideology in respect of, for example, undergraduate (Business) education in the Kuwait and elsewhere tend to promote a self-centred, instrumental 'consumption' of education. But against this pressure is a countertendency, especially among the younger generation, towards an appreciation of the interdependent, synergistic nature of human activity, and an emergent awareness that self-interested actions are frequently counterproductive for personal as well as social development. This is perhaps most evident in growing ecological awareness.

Without denying that unconditional altruism is unlikely to become, in the foreseeable future, a stable or reliable basis for occupational and career choice, the influence of CMT can make a valuable contribution to shifting perceptions and priorities - for example, by focusing attention upon otherwise neglected or 'hidden' dimensions of corporations with regard to such matters as employee involvement, recruitment and promotion policies, environmental policies, etc. At the very least, exposure to CMT is likely to challenge conventional views on the importance of pay and consumption 'needs' in relation to other concerns - such as the ecological soundness or the social contribution of one's job. CT shows that consumptionism is an unreliable source of happiness.

Critical insights into consumption may encourage new priorities in life.

Having said this, it is necessary to acknowledge that CMT provides no ready-made answers or blueprints for action. Its contribution is to encourage broader reflection upon what is rational and valuable, and, relatedly, to counteract ideologies and discourses that pre-structure choice in accordance with narrow sets of ascribed needs and values. Consequently, it is not possible to predict outcomes following exposure to CMT. Any such specification would be inconsistent with the understanding that processes of interpretation whose patterning and effects cannot be reliably predicted mediate action. The contribution of CMT is to unsettle the rationality of what is taken for granted, not to provide an alternative source of authority that can be blindly or mindlessly accepted.

- **Decision Making**

As we have argued in earlier chapters, corporate life produces and reproduces a number of social and environmental irrationalities. These include unsustainable growth, pollution and class, gender and ethnic forms of domination and exploitation, in addition to the construction of compulsive (consumer) 'needs' and identities. CMT can prompt managers and other corporate participants to:

(a) consider the implications of their work for these wider concerns and

(b) take these effects into account in decision making, so as to limit unnecessary suffering and increase opportunities for emancipatory action.

One example of socially irrational decision making that can also have devastating human and ecological consequences is the design and operation of systems that are unsafe and result in major industrial accidents. In

many cases, such accidents could have been avoided if only a more reflexive and less cavalier approach to the management of risk had been adopted. However, it is all too easy to attribute blame for such accidents to careless individuals or rogue organisations when, arguably, the absence of reflection and care is symptomatic of a politico-economic system in which short-term advantage is sought without regard for the longer-term consequences -human and ecological.

As Gephart and Pitter *(1993)* have argued, accidents are 'often seen to be caused by the failure of individuals to acquire, possess, or implement (relevant) skills or traits' (ibid. 248) when they are more plausibly interpreted as a manifestation of a web of social and economic relationships in which a blind eye is turned, more or less knowingly, to the risks inherent in particular activities. Analysing accidents in the oil and gas industries, Gephart and Pitter (ibid.) apply Habermas' *(1976)* ideas on the connection between economic, political, legitimisation and motivation crises to argue that 'rational' decisions, inadvertently, produce major industrial accidents; and that risks inherent in the pressures of capitalism4 (e.g. to reduce costs and increase returns) are transferred from corporations, via the State, to individual citizens who either suffer directly the consequences of these pressures or, as taxpayers, pick up the tab for remedying their effects. The Challenger disaster provided an exceptionally traumatic and shocking example of the effects of such pressures.

We are not (quite!) naïve or idealistic enough to believe that increased awareness among decision makers of the negative consequences of their decisions will make them more willing to sacrifice profits and, by implication, their jobs or career prospects. But, to a considerable extent,

irrationality and socially unnecessary suffering is a consequence of narrow, technocratic thinking that simply disregards alternative priorities and forms of action that could be supported without necessarily damaging profits or jobs.

Even though the market economy routinely condones wastefulness (e.g. packaging and disposability) and promotes a predatory attitude to nature, it is often possible to develop designs and processes that are humanly and ecologically less destructive and equally, if not more, profitable. The idea that there is only one 'best' (i.e. profitable) way of managing organisations has long since been debunked. Neither this myth, nor the reactionary Leftist resistance to all reform on the grounds that it extends the life of capitalism, should impede the reduction of needless suffering and waste.5

To summarise, we have briefly explored three areas in which critical thought may have an influence on managerial decision making:

5. when there is scope for letting various values and criteria make a difference, and enabling other ideals to complement, if not replace, profit maximisation;
6. when there is a non-competitive relation between business goals and other ideals; and
7. when decisions are sufficiently ambiguous to permit the inclusion of alternative means of achieving conventionally 'acceptable' outcomes.

People who have developed a capacity to think critically, and thereby challenge conventional wisdom, we believe, are better equipped to shift the balance away from established priorities and objectives towards other, more socially and ecologically defensible goals. CMT can inspire and guide a cognitive shift in which wider

concerns put their imprints on the criteria and considerations governing decisions and actions. Despite the pressures of capitalism and its promotion of egoism, 'common decency' and 'good intentions' continue to play some part in the shaping of management practices and organisational development. CMT at once supports and appeals to such orientations. But critical thought then seeks to stiffen such well-intentioned, liberal concern.

- **Different Orientations in Terms of Reflectiveness**

We now illustrate elements of the preceding argument by giving examples of two top executives who exhibit very different orientations in terms of reflectiveness. We highlight

(a) variations in terms of managers' ways of relating to what they are doing,

(b) the possibilities for reflection, and

(c) the relevance of reflection.

The first case is taken from John Sculley's book *Odyssey (1988),* Sculley, subsequently CEO at Apple, describes his time as a top executive at Pepsi when the company was embroiled in the so-called 'Cola Wars'. The following is an extract from an important executive meeting:

> *Like the other meetings, this one was a ceremonial event. We marked it on our calendars many weeks in advance. Everyone wore the unofficial corporate uniform: a blue pinstriped suit, white shirt, and a sincere red tie. None of us would ever remove his jacket. We dressed and acted as if we were at a meeting of the board of directors. (Ibid. 2)*

During the meeting, Pepsi is declared now to be Number One in the USA market. It had captured a *30.8* per cent share compared to Coca-Cola's *29.2* per cent. The executives were, to say the least, elated:

> *It was one of those moments for which you worked your*

*entire career. We always believed, since the early seventies, when Pepsi was widely viewed as the perennial also-ran, that we could do it. All of us started out with that objective, and we never took our eyes off it. (Ibid. 3)*

John Sculley then goes on to disclose, with a touch of self-deprecation, his own attitude towards this enterprise:

*If I was brash or arrogant on my way to the top, it mattered little to me. I was an impatient perfectionist. I was willing to work relentlessly to get things exactly right. I was unsympathetic to those who couldn't deliver the results I demanded. (Ibid. 4)Winning to me, was an obsession. I was driven not only by the competition but also by the force of powerful ideas. I demanded the best of myself. If I walked away from an assignment not totally consumed or absorbed to near exhaustion, I felt guilty about it. Dozens had failed at this regimen, but to me, Pepsi was a comfortable home. (Ibid. 7)*

Sculley assures his readers that the rules at Pepsi were fair, even though executives who failed were quickly replaced ('either your numbers went up and continued to grow, or you began to comb the classifieds for a job elsewhere'). He and his colleagues (Pepsi appears to have been populated exclusively by male executives) 'didn't complain'. Being critical of the company was taken as a mark of personal failure to adjust and deliver. Complaining was simply inappropriate behaviour among the Pepsi managers who regarded themselves as:

*the best of the best. In a corporation populated with bright, ambitious achievers ...*

*they had proven they were intellectually and physically fit survivors in*

*America's corporate Marine Corps. (Ibid. 2)*

Sculley and his colleagues appear to have behaved like the members of a religious cult whose prospects of salvation were measured in the sales of sweetened water. In this context, it became unreasonable to ask: What is the purpose of the Pepsi Corporation? Does it accomplish anything socially valuable? Work was self-evidently purposeful so long as more sweetened water was sold, and the ultimate prize was to outsell Coca-Cola. A person working for the Red Cross, saving people from starving to death, a member of a resistance group fighting a cruel dictator, or a researcher tracking the mystery of cancer or Aids, could not have been more committed than Sculley was to increasing Pepsi's sales. Through rigid codes (e.g. dressing), and through carefully orchestrated rituals ('public hangings' for poor performance), discipline and conformity at Pepsi were tightly maintained. According to Sculley, executives willingly subordinated their working lives to a strict logic of winning market share.

Friendship, family and other interests were pushed to the margins. This corporate hegemony was so strong that no sign of complaints; doubts or questioning was tolerated. When working for Pepsi, the purpose was self-evident and unquestioned: to be Number One. To doubt, or to become deflected from this purpose was heresy.

When instrumental rationality exerts such a powerful, hegemonic influence, the purpose and the reason guiding the objectives are of no interest. For Pepsi executives, the sales figures were more significant and real to them than anything else. To raise questions about this priority, save to question how sales might be further increased, was viewed as a symptom of personal inadequacy or irrationality, if not insanity. Commenting upon the values and priorities routinely pursued by capitalist corporations, Braverman (1974) has suggested that capitalists are the

contemporary equivalents of King Ahab who boasted 'my means are wise, my goals are insane'. Reading Sculley's account of the Pepsi Corporation gives the critical reader a similar feeling, except that the ascription of wisdom to the means might be deemed a tad generous.

In responding to such censoriousness, it may be objected that CT acts as a killjoy: it draws attention only to hidden psychological injuries following from the discrepancy between the manager as a rational broker of diverse stakeholder interests and the executives at Pepsi who were consumed with the mission of becoming Number One; or between the grandiose images of the product commercials and the less perfect looks and 'lifestyle' of the viewer. 6 Our response to this criticism is that the demands placed upon Pepsi executives (by peer pressure as much as by any 'external force', notably shareholders) are symptomatic of a capitalist economy in which the pursuit of profitable growth - in this case, by increasing market share -can come to take priority over all other concerns, for individual managers as well as corporate investors. It simply doesn't matter how profit is made -in terms of the usefulness of the product or the conditions under which employees are required to work.

Profitable growth alone dictates where human effort is to be directed in the production of goods and services. Enormous amounts of human effort are therefore marshalled and expended in selling sweetened water and similar goods in preference to other activities that, by almost any criterion, would be of greater personal and social value. Executives and consumers are pawns in the game of increasing market share and maximising profit as they are persuaded that the good things in life are obtainable only by devoting their lives to, or spending money on, commodities whose significance is constructed

wholly through an association with other desirable and pleasurable forms of activity. From this perspective, the senior executives at Pepsi, no less than the consumers of their products, are victims as well as perpetrators of a mind-numbing fantasy that mystifies and distorts what, upon critical reflection, is of greater personal and social importance.

A different orientation is articulated in an interview with Mr Harald Agerley, chairman of one of Denmark's largest industrial companies (published by the Danish daily newspaper *Information*, 14 October 1991). Agerley, a businessman nearing retirement, describes how, for many years, his company invested heavily in the cleaning of waste, reducing the usage of water and energy consumption, and reducing pollution from heavy metals, etc. He stresses the possibility and importance of greener strategies in business life. But he also offers the opinion that this is *not sufficient.* For he questions whether ecologically sound business practice can be fully reconciled with profitable operation. He acknowledges that his own company has traded on a positive image (which, in common with an increasing number of PR-conscious executives - such as Richard Branson, Chairman of Virgin - he promotes without cost through newspaper interviews). But Mr Agerley argues that the commercial contribution of securing a favourable 'green' image is quite limited. The commercial payoffs of ecologically correct business policies, he suggests, are much exaggerated (because they rarely are worth the opportunity cost in terms of delivering requisite levels of profitable growth).

In Mr Agerley's judgement, the idea that companies will reform their policies by being persuaded that ethical and ecological soundness is 'good for business' is seductive but ultimately chimerical. For substantial change to be

achieved, he argues, governments must intervene to reform business practice. *Inter alia,* the following measures are identified: forcing companies to provide information about the ecological consequences of their products, taxing materials that are in short supply, increasing taxation on energy usage, and requiring companies to dispose of exhausted products.

Unusually for a businessman (even one nearing retirement!), doubts are also publicly raised about the wisdom and sustainability of continuing economic growth, at least in the industrialised world. Given the standard of living enjoyed by a majority of people in the West, Mr Agerley asks whether 'we have not arrived at a point where we should end our apparently insatiable hunger for more material goods'. He suggests that the West could sensibly produce more only if this were directed to the development of other countries.

When considering the respective reflections of Mr Scully and Mr Agerley upon their business experiences, it is a little too easy to identify Sculley as 'the bad guy' and Agerley as 'the saint'. It is true that Sculley does not directly question Pepsi's mission or its business practices - including its cavalier treatment of staff Nonetheless, his account provides a wealth of insights into the values and priorities of companies like the Pepsi Corporation.

Although Sculley does not relate his observations to the logic of capitalist enterprise, his account of Pepsi is not uncritical and can indeed stimulate critical reflection upon its purpose and demands, as we seek to show in a later section of this chapter. In the case of Agerley, it is worth noting that the company's success in decreasing pollution is partly a function of its previously high levels of energy consumption and pollution, which occurred when Agerley was also its CEO. It can also be argued that the expression

of such views by people like Mr Agerley (and us) is a luxury that cannot be afforded by those who are less comfortably off. Nonetheless, the views expressed by Mr Agerley, in particular, suggest that there is considerable scope for the development of theory and practice through an alternative logic to that routinely followed by business (see Nord and Jermier, 1992).

## Decision Making in Modem Organisations

In earlier chapters, we have argued that decision making in modem organisations tends to be represented, and idealised, as the product of an instrumentally rational process. Executives are obliged to wrap up their proposals in rhetoric of rationality and to articulate their decisions in the language of efficiency and effectiveness (Meyer and Rowan, 1977; Gowler and Legge, 1983). In a similar vein, March and Olsen (1976) have suggested that the rhetorical gloss of rationality can belie the extent to which decision making is so often a 'non-rational' activity, and that decisions are frequently the product of more or less random, unsystematic and unpredictable processes.

Prefiguring elements of later processional analyses of managerial work and strategic management, March and Olson suggest that decision makers find themselves in a more complex, less stable, and less understood world than the one described by standard theories of organisation and organisational choice.

Decisions, March and Olsen claim, are outcomes of four relatively independent 'streams' of activity within organisations: problems, solutions, participants and choice opportunities. A choice situation, they argue, 'is *a meeting place for issues and feelings* looking for decision situations in which they may be aired, solutions looking for issues to which they may be an answer, and participants looking for problems or pleasure' (ibid. 25).

To simplify, we identify two intertwined issues that are looking for decision situations. First, those related to the sphere of instrumental rationality (efficiency, profits, etc.); and, secondly issues falling within the politico-ethical sphere (ecology, democracy, autonomy, equality, etc.). With these two types of issue in mind, it can be suggested that the contents of March and Olsen's four streams may be more or less consistent with the ideals of CT. The process may be more or less distorted in communicative terms; the problems addressed and the solutions chosen can be more or less subordinated to profit maximisation/satisfying logic; and the minds of the participants can be more or less technocratically oriented. However, as we have repeatedly argued, the *ambiguity* of many situations may stimulate and promote critical reflection. The iron grip of instrumental rationality is loosened to the extent that decision situations are resistant to closure by its logic (see the earlier discussion of Critical Systems Heuristics). If we combine the notion of a *potentially* reflective and critical manager, as a person capable of instantiating critical discourse, with the ambiguity of decision processes, we can then posit critical reflection as a fifth stream running alongside the other four. When a capacity for critical reflection intercedes with a particular problem (people/solution/choice opportunity), it may be activated and inform a person's efforts to influence a decision (see Forester, 1981, 1993).

At least two kinds of links between critical reflection and the other four streams can be made. The first concerns interpretation. Problems are normally open to many interpretations - upon which the possible solutions depend - which may be more or less technocratic or critically reflective. Deetz (1992a) speaks of the politics of representation, arguing that the language used to perceive

and describe a phenomenon is of critical importance. A critical interpretation serves to highlight how 'favoured' representations routinely operate to reproduce the prevailing pattern of domination as alternative representations are marginalised or suppressed, we used the example of a top manager explicitly identifying his audience as the managers of the company in order to illustrate this point. The same goes for solutions: there are alternative solutions available for most problems, but conventions and institutionalised thought patterns restrict the options. The contribution of critical thinking is to open up awareness of other possibilities for interpreting and acting upon streams of problems and solutions.

A second link between critical reflection and garbage-can decision processes concerns the way that 'the meeting place for issues and feelings' can trigger processes of critical reflection when found by a 'fifth' stream of activity (see Mumby and Putnam, 1992). Diverse politico-ethical dimensions of issues may then be discerned and addressed - including domination, gender inequality, exploitation of personnel, environmental pollution, waste of resources, communication of misleading (dishonest) images to the public, marketing strategies that have harmful social and psychological effects, acquisitions of companies to gain a monopoly position, etc. Given critical thinking, there is a possibility that the decision making situation - the problem and the solution - is interpreted in a way that is attentive to wider circumstances and effects, and not just those most tightly coupled to growth or profits. Such thinking may not be continuous. Indeed, it is more likely to be sporadic - though accumulative - as it is provoked and developed by issue specific circumstances. As Deetz has observed:

> *The struggle is not against some powerful force out there that directs thought and action, but against the*

*forgotten, hidden, misrecognized, suppressed conflict - the disciplinary power - of the momentary practice. Understanding the micro-practices of closure in the corporation, and as they extend out of the corporation, is a first step. The idea is to engage in corporate discourse in a way that regains significant conflict and reopens experience on critical social issues. (Deetz, 1992a: 290)*

Despite the destructiveness of corporate discourse - well illustrated by Sculley's account of the meeting at the Pepsi Corporation (and see below) -it is often possible to devise skilful means of unsettling conventional wisdom and stimulating critical reflection without suffering outright rejection. Disrupting the habitual tendency towards cognitive closure is certainly not easy. Yet as many of the new management gurus are also proclaiming, it is necessary to 'undo' embedded assumptions, thought patterns and institutional practices if corporations are not to become moribund.

The authority ascribed to such views may, for example, enable employees to appeal to the ideology of 'empowerment' and 'constant change' (Peters, 1988) as they raise questions about the status quo (Binns, 1993; Wilkinson and Willmott, 1995a). Of course, improving the odds for discursive openness and critical thought in corporations is not a panacea. But recognising and contributing to the existence of critical thinking in the contents of the 'garbage cans' is nonetheless an objective worth pursuing. As we now contend, management education can provide important inputs into such projects.

## Education and Research in the State of Kuwait

For CMT to have a role in managerial practice, it is of decisive importance that managers and managers-to-be become acquainted with critical thinking during their

education. What is the prospect of CMT influencing management research and education? This is less an issue of the strength of CMT in intellectual terms than the politics and practice of educational institutions and learning media. While we recognise that much management education and training occurs, formally or informally, 'in-house' within workplaces, we restrict our discussion to the content and delivery of management education within educational establishments.

Perversely, perhaps, current ideological and material conditions favour the appointment of critical scholars within colleges and university management and business schools, where academic credibility is at a premium. Despite reservations about their ideological credentials, CT-oriented or receptive staff continues to be recruited and promoted, perhaps because they are often highly committed to education, can provide some intellectual weight and are less likely to exploit their position to attract private consultancy work. For a variety of reasons, then, business schools are becoming an increasingly common location for people who are concerned with the development and application of critical reason. While it is probably unrealistic to expect this group to exert a leading or dominant influence in the field of management, the current situation presents interesting opportunities.8 The number of students taking management courses continues to grow as increasing numbers of students in other disciplines, such as engineering and languages, elect or are required to take courses in management as an integral part of their studies.

- **Management departments and business schools in the State of Kuwait**

Management departments and business schools in colleges and Universities in the State of Kuwait are becoming key

socialising agencies for the intelligentsia of advanced capitalist societies. By dint of their numbers alone, management teachers and academics are exerting an increasing influence - over university committees, for example, where they are set to become more directly involved in shaping the very meaning and future of education. Such openings and opportunities are particularly precious from the standpoint of CT because, in contrast to traditional Muslimism, CT does not claim the support of any particular class or party (or unions), which means that all educational media become primary channels for facilitating change. Working in management departments can offer opportunities for gaining research and advisory access to decision making centres in society. In turn, this can facilitate the generation of findings and the dissemination of ideas that provide a more grounded illumination, illustration and critique of the operation of the 'purposive-rational subsystems' in contemporary society (see, for example, Sikka and Willmott, 1995). While acknowledging the pressures upon management academics to comply with the expectations of managerial 6lites and the temptation to undertake lucrative consultancy projects, Rosen has observed that:

*Although such forces reduce the likeliness of critical scholarship, they at the same time provide management academics with a varied tool kit - professional and technical skills, social legitimacy and esteem, access to funding, access to various forums for communication, and so on - to develop the praxis concept by engaging contradictions as a conscious force for change. (1987: 579)*

Teaching and the wider dissemination of critical thinking is a key aspect of this praxis. The approach to education most consistent with CT is one of dialogue,

rather than formal lecturing, in which students are enabled to see themselves and their situation in a new and meaningful light (Comstock, 1982; Grey et al., 1996). What Forester (1993) has said of public planners is no less true of management teachers and researchers. Namely, that they are not simply engaged in information processing or even problem-solving but are actively involved in shaping attention and agenda setting: 'In their everyday, ordinary questioning of possibilities, planners and policy analysts open or foreclose possibilities, alert or ignore others, call forth or disregard particular concerns, and spread or narrow the bases of design, criticism, participation, and thus decision making' (ibid. 27).

That said, many management teachers and researchers continue to adhere to the view that their mission is to present potential or existing managers with the techniques that, it is anticipated, will equip them to improve corporate and employee performance; and not, for example, to reflect upon the political and ethical significance of issues of ownership and managerial control.9 In effect, the latter issues are marginalised as matters for the consciences of individual managers or for legislation by the State.

It is necessary to acknowledge that the world of business, management and organisation is widely associated with values and practices that conflict with those of Critical Theory. These include the treatment of human beings as means rather than ends, the conformist associated with cultural-ideological control and the manufacturing of consumer identities, 'the bottom line' as the criterion of effectiveness, the reckless pursuit of wealth regardless of the social costs and ecological consequences, etc. (see Grey and Mitev, 1995b). Whereas Critical Theory is identified with the idealist pursuit of an ethics of community and collective self-realisation, management is

routinely absorbed in the instrumental quest for corporate expansion and careerist gratification. As Fischer has tellingly observed:

> *As long as the political model remains only a theoretical challenge to technocracy, the stakes are largely relegated to the intellectual realm. Once it is introduced as a central theory in the education and training of aspiring managers, however, it begins to take the form of a challenge to existing organisational relations. (1990: 293)*

Cultural resistance to CMT is fuelled by external dependencies on the labour market, business, government and political fifties - dependencies that frustrate, as well as stimulate processes of critical reflection. But, equally, when making comparisons between the respective worlds of management and CT, there is a danger of succumbing to an un-dialectical view: a view that is capable only of grasping points of difference as it overlooks possible points of rapprochement and commonality For, arguably, there is an important (albeit partial and precarious) overlapping of concerns with regard, *inter alia*, to 'the exposure of issues that politic-economic structures would otherwise bury from public view [and] the opening and raising of questions that otherwise would be kept out of public discussion' (Forester, 1993: 6). Despite institutional and ideological resistance to its claims, critical thinking is beginning to infiltrate the management sciences, as our review of the growing literature indicates.

- **Thinking, planning and managing processes**

Thinking, planning and managing processes are guided by taken for granted assumptions about what makes 'good sense'; and managers are not wholly immune to changing expectations and values in society. So, despite efforts to

justify and rationalise the making of judgements according to impersonal, technically rational criteria, it is difficult to deny that the process of identifying and applying technical criteria is a product of political and ethical choice). Only in the world of 'decisionism', as Habermas (1974) characterises it, is it assumed that the values currently dominating corporate activity are natural or lie beyond the reach of rational debate.

These criticisms are paralleled by senior practitioners who have questioned the curricula of business schools in which there is an emphasis upon the acquisition of techniques, to the neglect of interpersonal and communications skills *(Harvard Business Review,* September-October and November-December, 1992). To be sure, quite different concerns and values - notably, worries about global competition and eroding competitive advantage, generally motivate their criticisms. Nonetheless, *each problematizes the value of a techniques orientation to the theory and practice of management* (see also Reed and Anthony, 1992). Each recognises that knowledge of techniques is of limited value when abstracted from the practical (i.e. morally and ethically charged) realities of human relations and organisational politics (Willmott, 1994b; Fox, 1994a, 1994b). The advocates of Action Learning who have developed an alternative to mainstream educational practice have addressed such concerns most directly.

Action Learning encourages participation in sharing knowledge and constructively criticising others' diagnoses and prescriptions (McLaughfin and Thorpe (1993). This process is directed to, and by, self-development rather than a concern to learn about theories or models merely as a means of passing exams. Action Learning thus depends upon, and aspires actively to contribute towards, a process

of maturation in which ignorance; confusion and uncertainty are openly acknowledged and shared. Instead of concealing these seemingly negative attributes and emotions behind an often-defensive front, they are positively valued as a basis for becoming better informed, gaining greater clarity and coming to terms with uncertainties. Some key differences between traditional management education and Action Learning are set out in Table 1.

Table 1 *Traditional and Action Learning approaches to management education (adapted from McLaughlin and Thorpe, 1993)*

| | **Traditional management education** | **Action Learning** |
|---|---|---|
| **World-view** | The world is something to learn about<br>Self-development is somewhat important<br>Some notion of correct Management practice, established by research, defines the curriculum<br><br>Managers should learn theories or models derived from research | The world is somewhere to act and change<br>Self-development is very important<br><br>Curriculum defined by the manager or organisation<br><br>Managers should be facilitated by a tutor to solve problems |
| ***Modus operandi*** | Experts decide on what should be learnt, when and how much<br><br>Models, concepts, ideas are provided to offer tools for thinking and action | Experts are viewed with caution<br><br>Models, concepts, ideas are developed in response to problems |

An important feature of the Action Learning process is a growing appreciation of, and sensitivity towards, 'darker' aspects of organisational life that are routinely marginalised, or coded, within everyday management practice. As McLaughlin and Thorpe (1993: 25) have observed: 'At the level of their own experience, managers undertaking Action Learning programmes can come to know themselves and their organisation much better. In particular, *they can* become aware *of the primacy of politics, both* macro and micro, and *the* influence *of* power on decision making and non-decision making, not to mention *the 'mobilisation of* bias' (emphasis added). As this reference to 'the primacy of politics' and 'the "mobilisation of bias- implies, there is a direct link to be made between the embodied insights generated by Action Learning and the theoretical contributions of diverse traditions of critical analysis explored in the previous chapters. However, this linkage is by no means automatic. It depends upon the meaning and significance that is attributed to the embodied insights of Action Learning.

It is illuminating to compare and contrast three possible ways of responding to the insights into 'the primacy of politics' generated through processes of Action Learning. *The first response* is to regard these insights as just another 'nugget of knowledge' about people, organisations and society. In which case, they have little more significance for the life of the learner than his or her knowledge of a complex chemical formula. In effect, as this 'nugget' is 'banked', there is a 'cutting off' or compartmentalisation between knowing and being (Freire, 1972). A *second response* is to integrate the insights of Critical Action Learning into the individual's established repertoires of knowing and acting. In effect, the insights add to, or refine, the individual's range of tools and techniques for

pursuing an established schedule of priorities. This response is distinguished and circumscribed by limited critical reflection on the question of why the new 'insight' into 'the primacy of politics' had been previously hidden. Was it no more than a simple accident or oversight? Or was it symptomatic of the interplay of power and knowledge in society The second response either understands a prior ignorance of politics as a 'one-off' oversight or, more cynically, understands it to be symptomatic of dominant power/knowledge relations but treats this understanding as a 'nugget of knowledge' that is equivalent to a chemical formula. In short, the second response effectively disregards, or is blind to, tensions or discontinuities between established knowledge, which had marginalised the significance of politics, and the new knowledge that accords it 'primacy'. Perhaps the recognition and experience of such tension undermines the sense of self-identity that has been invested in the pursuit of established priorities to an extent that makes it too threatening to embrace.

*Finally*, a *third response* explores further the possibility that some forms of knowledge, and methods of learning, are *systematically* encouraged as other forms of knowledge and insight are routinely marginalised, devalued or suppressed. As we noted above, the second response may integrate this insight, instrumentally, into the pursuit of an established schedule of priorities (see Kotter, *1979;* Pfeffer, *198 1* a). In contrast, the *third* response mobilises the new insight in a way that interprets the previous lack of awareness as m some way *a medium and outcome of power relations.* Instead of assuming that the insight into 'the primacy of power' is either irrelevant for, or that it can be integrated within, existing repertoires of knowing and acting, the individual is provoked into

reflecting upon, and reassessing, the value of previously established priorities and their means of attainment (Coopey, *1995)*. Of course, this reflection may be partial and temporary: it may not be sustained. Nonetheless, it shows a seed of tension and doubt that may subsequently be regenerated.

Before proceeding, it is perhaps worth emphasising that the distinction between the three responses is heuristic. If, instead of differentiating the types of response, our focus were upon the lived experience of individual people, we would doubtless discover a complex and dynamic mix of responses. Few individuals, if any, would consistently embody any one type of response. Instead, we would find tensions and alternations between the three types of response - not least because the practical, embodied meaning of 'the primacy of power' takes time and effort to develop, and because individuals invariably experience both personal regression as well as social resistance as they - and we - struggle to change our priorities and repertoires of thought and action.

Critical discourses on management resonate with Action Learning's challenge to traditional approaches to learning and, more specifically, with the insights into power generated by unplanned as well as organised forms

**Table 2**

Table *2 an alternative approach to management education using a framework adapted from McLaughlin and Thorpe (1993)*

| | **Conventional Action Learning** | **Critical Action Learning** |
|---|---|---|
| ***World-view*** | The world is somewhere to act and change<br>Self-development is very important<br><br>Curriculum defined by the manager or organisation<br><br>Managers should be facilitated by a tutor to solve problems | The world is somewhere to act and change<br>Self-development and social development are interdependent<br><br>The interdependence of beings means that no individual or group can gain monopoly control of the curricula<br><br>Managers are potentially receptive to, and be facilitated by, the concerns of other groups, in addition to individual tutors, when identifying and addressing problems |
| *Modus operandi* | Experts are viewed with caution<br><br>Models, concepts, ideas are developed in response to problems | Received wisdom, including that of experts, is subject to critical scrutiny through a fusion of reflection and insights drawn from critical social theory<br>Models, concepts and ideas are developed through an interplay of reflection upon practice and an application of ideas drawn from critical traditions |

of Action Learning. This fusion, which can be described as Critical Action Learning (CAL), understands that 'the encouragement to think' is provoked by the contradictory forces that play upon everyday life; and that the attentiveness of critical thinking to 'the primacy of power' makes it capable of providing explanations that are rationally more persuasive than those offered by traditional theory (see Table.2).

The role of CT and CMT, we have suggested, is to prompt and sustain critical reflection by identifying and challenging forces (e.g. patriarchy, consumerism, technocracy) that are productive of socially unnecessary suffering and/or inhibit critical reflection upon their rationality. Its intent is to nurture legitimise and give momentum to everyday processes of reflection. These processes may be developed and sustained to the point of transforming the conditions that are productive of the tension. Or reflection may be truncated, weakened and overwhelmed by other forces. It is difficult and potentially dangerous (and, indeed, not a little contradictory!) to provide a formula or blueprint for what is a complex and varying process of critical action learning. However, because it can also be helpful to illustrate what may otherwise be viewed as a highly abstract notion, we offer the following schematic view. We then illustrate the early stages of this schema by reference to John Sculley's account of his experience at Pepsi-Cola that was sketched earlier in this chapter (for a more extended discussion of these issues, see Kjonstad and Willmott, 1995).

In broad outline, the process of Critical Action Learning involves the following moments:

1 an experience of tension (e.g. anxiety or doubt) or the identification of contradiction (e.g. success *and* unhappiness).

*2* The interpretation of tension/contradiction as avoidable, i.e. as a social
and political phenomena rather than as a 'given' or a natural law.

3 Analysis of the tensions/contradictions, including the conditions that are understood to produce them.

4 Recurrent efforts to resolve tensions/contradictions through struggles to change their conditions of possibility. This includes strengthening the capacity to identify and analyse tensions/contradictions.

5 an experience of new tensions and/or the identification of contradiction's arising from the process of struggle. Go back to point *2*.

One way of reading Sculley's account of his time at Pepsi (see above) is as a confession that usefully moves beyond the purely self-celebratory books penned by 'heroic' senior executives in recent years. While clearly keen to stress the exceptional talents and quality of Pepsi executives, and thereby trumpet his own outstanding abilities, Sculley (1988) is also somewhat reflective, and even mocking, about the managerial culture at Pepsi in which 'everyone wore the unofficial corporate uniform', including 'a sincere red tie'. He also describes himself, unflatteringly, as 'an impatient perfectionist' who was 'unsympathetic' to anyone who failed to performing to his standards. This is perhaps suggestive of an admission of personal weakness rather than a celebration of macho strength. So, however partial and self-indulgent Sculley's account of his time at Pepsi may be, we suggest that it is expressive of *some degree* of critical reflection. Consider, more specifically, the following passage where Sculley draws attention to the experience of tension, in the form of guilt, that occurred whenever he was not totally consumed with, or absorbed by, his work:

*Winning to me, was an obsession. I was driven not only by the competition but also by the force of powerful ideas. I demanded the best of myself. If I walked away from an assignment not totally consumed or absorbed to near exhaustion, I felt guilty about it. Dozens had failed at this regimen, but to me, Pepsi was a comfortable home.*

Reflection upon his time at Pepsi enabled Sculley to appreciate how his sense of identity and purpose had become totally invested in the Pepsi Corporation - to the extent that it had become his 'comfortable home'. With the benefit of hindsight, he recognises how he was captivated by the force of the powerful idea that Pepsi could become Number One in the USA market, even though his commitment to the realisation of this idea resulted in expelling family, friends and other interests to the margins of his life. Slavish devotion to the success of the corporation led Sculley to give Pepsi the 'best' of himself, leaving only the residue for others.

Sculley's book can be read, and possibly was intended, as a cautionary tale for executives (and academics! like ourselves, for whom 'writing' or 'publishing' might be substituted for 'winning' in the above quotation from Sculley) who are vulnerable to the seductions of 'the powerful ideas' generated within corporations. To this extent, the experience of tension is represented as an *avoidable* product of corporate seduction. Sculley's realisation that slavish devotion to the corporation was not inevitable (even though it might have meant dismissal from 'America's corporate Marine Corps') gives a critical edge to what might otherwise have been a purely celebratory account of Pepsi culture. It makes it possible for Sculley to be self-deprecating about his obsessive concern to win the 'Cola Wars' (the academic equivalent in

the UK being the 'Rating Wars' between different universities and departments, see Willmott, 1995a). However, the lack of *analysis* of Pepsi culture and Sculley's participation within it, ultimately results in a comparatively entertaining read that offers only minimal stimulation and support for critical reflection - an outcome that we associate with Sculley's inclination to naturalise capitalism and egoism (and, of course, the conventions of the genre of popular management books), governed by common-sense ideas and understandings about the value of commercial success.

Sculley entertains us by poking fun at the specifics of the Pepsi culture (e.g. 'the sincere red tie') and its managers who fancied themselves as the 'corporate Marine Corps'. But he makes little connection between the pressures applied to Pepsi managers and the organisation of capitalism as a politico-economic system that demands the co-modification and exploitation of those who sell their Labour to its corporations. The title of Sculley's book, *Odyssey*, alludes to the Homeric original discussed at length by Horkheimer and Adomo in *Dialectics of Enlightenment* (1947a), where it is deployed to illustrate the difficulties that attend the realisation of critical reason.

In contrast, Sculley tells his story but incorporates little direct reflection upon the significance of his experiences. In effect the process of Critical Action Learning plateau at stage 2. The naturalising of capitalism impedes any further reflection and, relatedly, by the idea that Pepsi executives were sovereign individuals who freely chose to devote themselves to its objectives and felt guilty when they did not. The natural and irreversible egoism and careerism of individuals is assumed to explain the behaviour of the Pepsi executives. No link is made between a confession of 'brashness' and 'arrogance', and the process of socialisation

that actively fostered and rewarded these 'winning' qualities, precisely because they are conjoined with an obsessive willingness 'to work relentlessly to get things exactly right'. Nor, most crucially, does Sculley connect his commitment to Pepsi values and objectives with a process of socialisation and education (to a high level) that seemingly incapacitated him and other senior Pepsi executives from taking or developing a more critical and autonomous position in relation to 'the powerful ideas' internally marketed by Pepsi.

Analysis of the tensions and contradictions identified by Sculley is truncated by the lack of critical thinking about the conditions that were productive of these problems. This limitation should not be that diagnosed in terms of Sculley's personal failure but, rather, in relation to his education and social positioning as a senior executive. As a consequence of this positioning, he is unlikely to be familiar with critical thinking and, even if he were, is unlikely to disclose or apply this knowledge - not just because it might disrupt the telling of an entertaining story but because it would involve a demanding process of personal transformation (from that of apologist to critic of corporate capitalism).

In his Odyssey, Sculley identifies and describes some of the perversities of corporate capitalism but lacks the analytical tools (and probably the inclination) to diagnose them. His limited reflections upon corporate practices are not sustained. Pepsi executives, himself included, are gently lampooned. But there is scant appreciation of how a reduction in the tensions and contradictions described by Sculley is conditional upon struggles for social development as well as self-development. These struggles, it can be speculated, would include efforts to challenge and change ideologies and practices that are productive of

an obsessive commitment to what, upon reflection, are very likely to be viewed as trivial objectives, such as those described by Sculley. They would also involve an effort by Sculley, probably through a process of dialogue with others, to move beyond self-deprecation to address directly whatever frustrations, unhappiness or sense of inadequacy fuels his obsessive (macho) concern with winning - an obsession that offers a socially acceptable, yet contradictory, means of escape. Needless to say, personal struggle is an important condition for participation in processes of social transformation that is not driven by a (sadomasochistic?) urge, institutionalised in the 'comfortable home' of Pepsi culture, to dominate and dispose of those who, in Sculley's words, *'couldn't deliver the results I demanded'*.

## Conclusion

We have suggested that the irrationalities and contradictions associated with the theory and practice of management make it fertile ground for the application and development of critical thinking in general and CT in the State of Kuwait in particular. Tensions within organisational practices and relations can promote critical reflection as established recipes for survival and success, both individual as well as organisational, are found to fail; and this pain spurs a search for fresh ideas and perspectives. When investigating the world of management and organisation, the challenge is to show and explore how the abstract reflections of CT and related critical thinking can have relevance for illuminating and transforming mundane realities of organisational work. As Luke and White have noted of the different meanings that are currently being assigned to the development of 'post-industrial', informational capitalism:

*One set of alternatives, based on corporate capital's instrumental rationality, points towards an informational transformation of labour in the production and consumption of information. Another range of ecological alternatives, based on communicative rationality, decentralised institutions, vernacular cultures, and global moral consciousness can empower producers and citizens with the competence to decide for themselves the meanings and direction of the informational revolution. (1985: 49)*

A key contribution of Critical Theory (CT) and Critical Management Theory (CMT) is to highlight the interpenetrating of the technical and practical dimensions of social life and, in doing so, to question common-sense discourses and established practices - including much of management theory and practice - that subordinates the moral practical to the technical - instrumental. As Ray (1993: 25) has observed, 'even when actors are behaving in a purely instrumental fashion, in a market or in a bureaucracy, their communication must be bound by shared norms and beliefs which can be reconstructed and critically examined'. By undertaking analyses and disseminating research findings that are 'empirical, historically situated, phenomenological cogent, normatively insightful' (Forester, 1993: 13) and accessible to students and practitioners of management, CT can provide a timbale contribution to the reconstruction of management education and practice.

If the ideals of CT are to be realised, it is necessary to stimulate and advance a process of dialogue in which its insights make a forceful contribution to the self-understanding and practice of managing and organising. To this end, CMT must move beyond abstract theorising to address and critique the mundane realities of

management theory and practice. Otherwise, as Agger (1991: 133) has argued, CT is accessible only to a small group of academic devotees who 'ignore the contribution their own argot makes to hierarchy, empowering only those who speak in the arcane phrases of European high theory'. As we have repeatedly acknowledged, the project of applying critical reason to make sense of management is likely to encounter considerable resistance as it contests the rationality ascribed to conventional wisdom and established practices. But these sources of resistance can be enlivening and inspiring rather than threatening and disheartening. Resistance can be viewed as carborundum for sharpening the human capacity to cut through the claims of conventional wisdom in ways that redress the imbalance of instrumental and communicative rationality.

## References and Notes

1. In contrast to the breadth of concerns explored within CT - such as legitimisation crises within advanced capitalist states and Habermas' (1989b) identification of social and political movements outside of the workplace as the most promising source of modernisation along non-capitalist paths.
2. This working principle is, however, always subject to erosion by divisive pressures, such as individual incentives - as is clearly evident in the continuing reforms of higher education (Willmott, 1995a).
3. The *truth* claim concerns the veracity of the statement. When accepted, this claim has the effect of shaping the listener's beliefs. A *comprehensibility* claim concerns the clarity of the statement's expression which, when it is registered, shapes the listener's attention. A *sincerity* claim concerns the speaker's good faith. When accepted, this gains the listener's trust. Finally, there is a *rightfulness* claim this concerns the appropriateness or legitimacy of the statement. When accepted, it facilitates the listener's co-operative involvement.
4. Gephart and Pitter (1993) acknowledge that industrial accidents also occur in industrialised State socialist societies and, indeed, argue that the lack of separation between political and economic sectors in these economics makes industrial accidents more likely as they are more easily covered up by the State, and the citizenship has even fewer means of articulating its opposition to a system that claims to represent the interests of the people while simultaneously exposing them to high levels of risk.
5. In common with many other high-margin consumer products, soft-drinks are heavily marketed by appealing to idealised images of youth, popularity, freedom, lifestyle, etc. - the fantastic quality of which has been exposed by Pepsi's recent difficulties in promoting media heroes whose lifestyle is subsequently alleged to be tarnished by a real involvement in drugs and unorthodox sex in addition to (the by now safely co-modified and commercialised) rock and roll. Positively, its advertising campaigns celebrate health and freedom. Partly in order to counteract adverse publicity and to gain public attention and support,

corporations like Pepsi often make substantial contributions to charitable organisations. However, ideas about ageing, self-esteem and health education is not left untouched or undamaged by powerful campaigns showing (and celebrating) young, beautiful, healthy people drinking sugared water. Indeed, nothing particularly commendable would seem to flow from the enormous effort devoted by Pepsi executives to their corporation - in terms of personal development, healthier customers or other, comparable outcomes.

6. Of course, the logic of communicative rationality - undistorted dialogues grounding good decisions - may also be subverted by garbage-can processes and decisions. However, in the current situation, where instrumental rationality is dominant, ambiguity may more often favour efforts to loosen, if not counteract, its domination.
7. it is instructive to look at the membership of the editorial boards on, say, *Organisation, Accounting Organisations and Society* and MIS *Quarterly.*
8. here it might be objected that 'business ethics' is an established and expanding specialism within the field of management. We concur with this objection and see this specialism as a promising area for the development of an orientation informed by Critical Theory. In our view, CT provides a much firmer foundation for exploring the ethics of business since it incorporates an attentiveness to issues of domination and indoctrination that are largely absent from business ethics courses. For a fuller exploration of this argument, see Deetz, 1985. See also Payne (1991) and Kjonstad and Willmott (1995).
9. the following paragraphs have been extracted and revised from Willmott (1994b).
10. A notorious example of this syndrome is the conversion of Maslow's radical exploration and critique of the institutionalised neglect of the 'further reaches of human nature' into a 'needs hierarchy' that individualises the problems of, and solutions to, psychic and economic alienation within modem work organisations (Knights and Willmott, 197-415).

# Journal of Averroes University in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**





Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411



رقم تسجيل الجامعة في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

# All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.




Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO

DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O

AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND

LORSWEG4

3771GH

BARNEVELD

BIC ABNANL2A

IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| Annual contribution | Individuals | Organizations |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |





Forth Issue December 2011




# Journal of Averroes University in Holland

**Issue 4** **Price €10,00**




# مجلة جامعة ابن رشد

في هولندا

## دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

السعر 10 يورو                العدد السابع

# مجلة
# جامعة ابن رشد في هولندا

## دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا





عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411



**رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01**

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |


طبعت بمطابع مجلة كه وانة [القوس] الكوردستانية ومسجلة برقم





العدد السابع ديسمبر كانون أول 2012

# الفهرس


| | ص. |
|---|---|
| مفتتح | أ، ب |
| **الأدب وعلوم اللغة و الفلسفة** | 001 |
| شهريار وشهرزاد في الخطاب الشعري العربي المعاصر الدكتور محمد عبالرحمن يونس | 002 |
| لســانيــات النص من المفهوم إلى الآليات الإجرائية الدكتورة عايدة حوشي | 042 |
| عتبـــة الإهـــداء الدكتور جميل حمداوي | 065 |
| دراسة جديدة فى السجع نشأته و مراحله الفنيه فى العصر الجاهلى الدكتور: غلامرضا كريمي فرد، و احمد سرخه | 081 |
| **الفلسفة** | 96 |
| إسهامات الفلاسفة المسلمين في الحركة النقدية ابن رشد – نموذجا- الدكتور سليم بتقه | 97 |
| **الفنون** | 106 |
| الكتابة الجديدة في المسرح العراقي يوسف العاني نموذجاً أحمد شرجي | 107 |
| **الاقتصاد و إدارة الاعمال** | 136 |
| قطاع الطاقة والأزمة المالية العالمية أستاذة آسيا طويل | 137 |
| **العلوم النفسية والتربوية** | 174 |
| اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للتدريس الدكتور محارب علي الصمادي | 175 |
| الحديقة المزخرَفة في حواشي القهوة المرتشَفة أ. عادل لخضر | 203 |

..

## * لوحتا الغلاف للفنان التشكيلي العراقي الأستاذ عادل كامل

**الغلاف الأمامي**

نحت بارز (رليف)
مواد مختلفة
من وحي بغداد
35×45 سم
1997

**الغلاف الخلفي**
نحت بارز (رليف)
مواد مختلفة
من وحي بغداد
35×40 سم
1996

السيرة الموجزة جداً

ـ عادل كامل: ولد في ذي قار عام 1947 وأكمل دراسته في معهد وأكاديمية الفنون الجميلة ببغداد.
ـ أقام سلسلة من المعارض الشخصية ونشر مجموعة من الكتب في القصة والرواية والنقد الفني.
ـ عضو رابطة نقاد الفن [الايكا]
ـ متفرغ للعمل الفني منذ 1988.

## مفتتح

إصدار مجلة علمية محكَّمة ليس أمرا هينا عابرا، وهو يستند إلى عمل أكبر من جهد جامعة تنفرد بالعمل بوساطة منتسبيها، إذ يتطلب في أحيان عديدة للاستعانة باستشارة علمية وتحكيم من خارج الجامعة أي بعمل مؤسسي كبير ينتشر باتساع جغرافيا انتشار الباحثين والأساتذة والعلماء بحسب التخصص وطبيعة البحث الذي تستقبله المجلة. ومثلما هي حالات استقبال البحوث من مختلف الزميلات والزملاء بانتسابهم لجامعات تنتشر بين بلدان كوكبنا، فإننا نعمل على تدقيق قراءة البحوث وتحكيمها من زميلات وزملاء من مختلف الجامعات عالميا.

في مثل هذا الخضم نعاني أحيانا من تأخر تقويم أو أوضاع مفاجئة غير محسوبة تضعنا تحت ضغوط ظرفنا وإمكانات المعالجة العاجلة. وهي قضية لا تكون قطعا على حساب التقويم والتحكيم ما يحد من سرعة المعالجة ومن ثمّ ظهور التأخر في صدور هذا العدد أو ذاك. ونحن نجدد التعهد بالعمل ضمن المتاح من محددات عملنا كيما نكون أكثر دقة في مواعيد الصدور.

من جهة أخرى عملت إدارة التحرير على طباعة المجلة وإضافة المطبوع الورقي إلى النشر الألكتروني، الأمر الذي تطلب جهدا ماديا كان يُنتظر أن تسدده مساهمات الزميلات والزملاء وهو ما لم نطبقه حتى هذه اللحظة محاولة منا أن نكون العون العلمي أولا وأن نسعى بقدر المتاح كيما نحافظ عل هذا العون. غير أننا نأمل من جهة الباحثين التنبه على هذا الشرط بخصوص النشر لنكون

معا وسويا في مجابهة هذه العقبة التي تعقّد المسيرة أو تقف عثرة في طريقها.

بودنا هنا ألا نقف عند العقبات والمصاعب، وأن نشير في الوقت ذاته إلى أننا اتفقنا مع جهات عديدة لتوسيع النشر واعتماده رسميا وهو ما ستجدونه في عدد من مؤسسات النشر الألكترونية الكبيرة والمهمة. ونحن نعمل على تطوير أشكال الاعتماد والتسجيل وهو ما ستلمسونه بأقرب فرصة.

وبودنا في نهاية عام أكاديمي من العطاء العلمي الرصين أن نوجه التحية والتقدير لجميع الزميلات والزملاء في الهيأة الاستشارية وبهيأة التحرير ولصبرهم ودعمهم وتفاعلاتهم البناءة كل بحسب ما استطاع من منح فرص من وقته الثمين وبمجال تخصصه. ونشكر لهم الوعد في تفعيل الجهود وتوسيعها في متابعة جدية ملموسة للتوسع الذي جرى في مراسلات الباحثات والباحثين وما بات يردنا من بحوث علمية من مختلف الجامعات والبلدان.

ونعول على جهودهم العلمية التعاونية في التبني المكين للعطاء العلمي وتحديث ما فيه من أساليب أداء وتمكينا له من الانتشار والوصول إلى أبعد من ينتظر نتائج البحث تطويرا لمستويات الأداء العلمي المعاصر.

نأمل بجهدنا المتواضع هذا أن نكون قد قدمنا ما كان متاحا ضمن ظروفنا المخصوصة وأن نجد مزيدا من المؤازرة والدعم من مجموع زميلاتنا وزملائنا لنواصل المسار معا وسويا

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة

## شهريار وشهرزاد في الخطاب الشعري العربي المعاصر

الدكتور محمد عبالرحمن يونس

## عتبـــــة الإهـــــداء

د.جميل حمداوي

## لســـانيـــات النـص من المفهوم إلى الآليات الإجرائية

الدكتورة عايدة حوشي

## دراسة جديدة فى السجع

## نشأته و مراحله الفنيه فى العصر الجاهلى

الدكتور: غلام رضا كريمي فرد، و أحمد سرخه

# شهريار وشهرزاد في الخطاب الشعري العربي المعاصر

**الدكتور محمد عبدالرحمن يونس**
جامعة ابن رشد في هولندا
سوريا

ملخص البحث
تحاول هذه الدراسة أن تتبع توظيف أسطورة شهريار وشهرزاد في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ومن خلال أهمّ أعلامه في العصر الحديث, وتشير إلى أهمّ دلالاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية في القصائد المدروسة، نظرا لأهمية هذه الدلالات ودورها في طرح مزيد من الرؤى الإيديولوجية والمعرفية التي أرادت هذه القصائد أن تبرزها.

وإذا كانت شخصية شهريار في ألف ليلة وليلة، تحيل إلى مجموعة من الممارسات الاستبدادية السياسية في كثير من الأمم والحضارات التي ورد ذكرها في حكايات ألف ليلة وليلة، فإنّ توظيف هذه الشخصية الأسطورية في الخطاب الشعري العربي المعاصر لا يخرج عن هذه الإحالات الرمزية والإشارية والإيحائية تارة، والغامضة تارة أخرى.

وتحاول هذه الدراسة منطلقة من القصائد المدروسة، أن تبرز هذه الإحالات، وخلفياتها المرجعية، وارتباط هذه الحالات بالتاريخ من جهة، وبالواقع المعاصر من جهة أخرى . أمّا الشعراء الذين درست أعمالهم هذه الدراسة فهم : عبد الوهاب البياتي، وخليل حاوي، و أمل دنقل، وكمال عبد الرحمن، وسوف عبيد.

مدخل :

توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري العربي المعاصر جزء أساسي من مثاقفة حضارية متنامية في امتدادها بين الماضي و الحاضر، و بين الحاضر و الثقافات الأجنبية بمختلف تياراتها، و قد أدّت هذه المثاقفة بدورها إلى صياغة أشكال شعرية جديدة، تتباين تبايناً واضحاً مع النموذج الشعري التقليدي و إحداث فجوات في الأنماط الخليلية، و بالتالي تغيير

جذري أو جزئي في شكل القصيدة أو مضمونها، فالمضمون الجديد يخضع للتحول التاريخي

و الحضاري الذي يعمل عمله في الواقع، بالإضافة إلى تأثير الفلسفات و الأدبيات الأجنبية، و الشعرية على الذهنية العربية، و لا يعني أن يكون هذا التحول الجديد منقطعاً أو متبايناً مع القيم الحضارية و التراثية الفكرية للإنسان العربي المعاصر، و توظيف الأسطورة نزعة تتضافر قيم نفسية و روحية و جمالية في تأجيجها و الدفع بها صوب الماضي الذي كان مضيئاً و مشعّاً في بعض قسماته، و مظلماً و كابوساً في قسمات أخرى. و عندما يكون الواقع المعاصر مظلماً و قاسياً، فإنه يحيل إلى حقل تاريخي مظلم، و مهمة الأسطورة حين تُوظف في القصيدة أن تشير و تدلّ على ما هو مظلم في الحاضر انطلاقاً من بنية الماضي نفسه.

إنّ ذاكرة التاريخ لهي حاضرة في الوعي الجمعي للجماعات البشرية في حاضرها و مستقبلها، و « الإنسان المتحضر يحتفظ دون وعي منه بمعارف مما قبل التاريخ أدرجها بصورة غير مباشرة في الأسطورة. فإن صحّ ذلك، فإنّ هذا التخمين يفسّر الرغبة الغامضة بعض الشيء في الاستماع إلى القصص الأسطورية على الرغم من أنّ ما فيها من عناصر خارقة لم يعد لها أية سيطرة تعبدية » كما يرى كارل يونج(1).

و البطل الأسطوري باعتباره بنية معرفية من التاريخ فإنه في القصيدة المعاصرة شاهد إدانة لكل العثرات و السوءات من مآسٍ و فجائع مرت بها الأمة، و لا تزال تمرّ، و هو معرّ و فاضح لبنية خطاب السلطة التاريخية و المعاصرة و بطشها و تجاوزاتها، هذا الخطاب

«الذي يولّد الخطأ عند كل من يتلقاه وبالتالي الشعور بالإثم (...)، ينتظر منا البعض نحن المثقفين أن نقوم، في كل مناسبة، ضد السلطة بصيغة المفرد. بيد أنّ معركتنا تدور خارج هذا الميدان، إنها تقوم ضد السلطة في أشكالها المتعددة. و ليست هذه بالمعركة اليسيرة: ذلك أنه إن كانت السلطة متعددة في الفضاء الاجتماعي، فهي في المقابل، ممتدة في الزمان التاريخي. و عندما نبعدها و ندفعها هنا، سرعان ما تظهر هنالك، و هي لا تزول البتّة. قم ضدها بثورة بغية القضاء عليها،

و سرعان ما تنبعث و تنبت في حالة جديدة. و مردّ هذه المضايقة و الشدة و الظهور في كل مكان هو أنّ السلطة جرثومة عالقة بجهاز يخترق المجتمع و يرتبط بتاريخ البشرية في مجموعه، و ليس بالتاريخ السياسي وحده»(2). على حدّ تعبير رولان بارت .

إنّ تاريخ السلطة السياسي و الاجتماعي في توجهاته و رؤاه هو تاريخ القمع و الممارسات اللا إنسانية و اللا أخلاقية على أفراد الجنس الإنساني، و ضماناً لاستمرار السلطة و امتيازاتها الاجتماعية و الطبقية داخل القطاعات البشرية التي تحكمها، فإنها تعتقد أنّ القمع و السطوة الاستبدادية هما من أهم الوسائل التي تكفل لها استمراريتها، و هي تلجأ إلى خلق وضعية اجتماعية و أخلاقية، و إنسانية مشوّهة. سواء على مستوى العلاقات الإنسانية و التواصلية أم الأنظمة الفكرية التي تحكم طبيعة هذه العلاقات و توجهاتها، و قانون السلطة في حقيقته هو قانون قمعي و استبدادي. فإذا كانت عصور الرقّ و العبودية قد انتهت على المستوى الظاهري المعروف منذ زمنٍ بعيد، فإنّ الإنسان المعاصر لا يزال يرزح تحت وطأة أصناف عديدة من العبوديات الجديدة، إذ يُجبر الناس جميعاً على أن يصبحوا أبناء للسلطة، و من حقها عليهم أن يدينوا لها بالأبوة و الولاء و الطاعة، و بالتالي تصبح جميع ممتلكات الجنس الإنساني من اقتصاد و فكرٍ و ثقافة و فن هي ملك للسلطة المتوَّجة إما بفعل إلهي، كما يدّعي بعض الحكّام لشعوبهم بأن أنسابهم تنتمي إلى نسب الأئمة و الرُسل، و إمّا بحق السلطة المُكْتسب باعتبارها لنفسها حامية لهؤلاء الناس من الأخطار الداخلية و الخارجية، و بالتالي ادعاؤها تأمين الأمان و السعادة و الطمـأنينة لهم. و « لأنهم يزعمون الاعتناء بسعادة المجتمعات، ينتحل الحكام حقوق المرور عن طريق حسابات منفعة، دون اعتبار للخسارات و شقاء البشر الذي تسببه قراراتهم أو تسمح به إهمالاتهم »(3)، وفق رؤية ميشيل فوكو . و أمام الحالة هذه يُستَلب الكائن الإنساني سياسياً و ثقافياً و اقتصادياً و تسير كل العلاقات الاجتماعية وفق رؤية السلطة و تفكيرها.(( إذ يُعْـزَلُ الفرد و يزداد رفض العالم له ))(4). كما يرى ارنست فيشر.

إن عصر شهريار الذي ذكرته ليالي ألف ليلة و ليلة، يحيل إلى ممارسات سلطوية، لم تنته بعد، إنها مستمرة في الواقع المعاصر، فكم من شهرزاد مقموعة تُبتزُ يومياً ؟. و كم من الغلمان و العبيد و الوصيفات و

الإماء و السراري يرزحون تحت وطأة القهر ؟ صحيح أنّ أسماءهم قد تغيرت بفعل التحولات الحديثة المعاصرة، لكن أدوارهم و مواقفهم و أفعالهم هي نفس مواقف العبيد و الإماء بتحويرات جدّ طفيفة، و بالرغم من التحولات المهمة في تاريخ القرن المعاصر، فإنّ جذور شهريار بأبعاده الذكورية، و السلطوية و السادية لا تزال تتوغل في فضاءات الحياة العربية المعاصرة.

إنّ فعل السلطة فعل شمولي و متنام، و متوالد، إنها ـ أي السلطة ـ « متعددة مثل الشياطين. متغيرة كالحرباء. إنها يمكن أن تعرف نفسها بكونها ذات أسماء عديدة، و توجد في كل الأمكنة و الخطابات من الأسرة إلى الدولة، من التابو إلى الليبيدو، من العلم إلى الإيديولوجيا، من المستشفى إلى السجن، من العقل إلى الجنون، من المدرسة إلى الكنيسة.»(5)، على حدّ تعبير عمر أوكان. و حضور شهريار المستمر في أمكنة السلطة و بنيتها المعرفية، يعني حتمية الذل و العبودية للنموذج الأضعف، من شهرزاد، حتى أبسط رجل و امرأة، و شهرزاد باعتبارها طرفاً مُستلباً، فإنها مجبرة لاستحضارِ ليالٍ جديدة، و تشكيلها تشكيلاً سحرياً بفعل القصّ إرضاء لسطوة شهريار و رجولته.

إنّ شهرزاد الأسطورة و التي تمثّل معاناة جنسها من حرائر و وصيفات و جَوار تقف مسلوبة الإرادة أمام استغلال شهريار لجسدها و روحها و لياليها. و بالرغم من بعض الدراسات التي تؤكد أنّ شهرزاد تمثل وعياً متفوقاً على بناتِ عصرها، من خلال قدرتها السحرية على تقديم العلاج الشافي لشهريار، عن طريق تناغم القصّ و سحريته، و انقطاعه، و سحر حبكاته إلاّ أنها تظل مجبرةً لأن تحكي، لا حباً في الحكي، بل هروباً من سيف السيّاف.

أذكر أني قرأت مقالاً قبل عدة سنوات، و مفاده: أنّه في لحظة احتضار الجنرال الأسباني « فرانكو »، تجمعت الجماهير الأسبانية في باحة قصره، فسأل الجنرال أحد معاونيه:

لماذا يحتشد الشعب هنا ؟.

فأجاب المعاون: جاء لتوديعك يا سيدي ؟.

فاستغرب الجنرال قائلاً: و إلى أين يسافر الشعب ؟.

و بمثل هذا التصور و الرؤية تفهم الشهريارية الحديثة، أو السلطة المعاصرة حركية الزمن و التاريخ. إنّ واجب الزمان و التاريخ و مهمتهما يتجسدان في كونهما أمينين لاستمرارية بقاء السلطة. إنّها المطلق الأبدي الحاضر المتواصل، و باقي الوجود الإنساني بأحلامه و طموحه و حركيته، ما هو إلاّ ظلّ زائف أو حالة عرضية طارئة على خارطة الزمان.

و من أهم رموز خطابات السلطة التي ارتبطت بتاريخ البشرية و أساطيرها شخصيتا شهريار و شهرزاد، إذ أثّرت هاتان الشخصيتان في الفكر و الفن و الأجناس الأدبية كافة، إنهما تمثلان طرفي علاقة استلابية بين الحاكم و المحكوم، بين السيد و العبد، و بالتالي في بنية الحياة سياسياً و اجتماعياً و اقتصادياً في زمن الليالي. شهريار القامع بأدوات سلطته، و شهرزاد المقموعة بخوفها و رعبها و جسدها و كرامتها، تاريخياً و أسطورياً لهما ما يماثلهما في بنية الحياة العربية، « فزمان الليالي واحد لا يختلف كثيراً في المؤثرات التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية التي تتحكم فيه، زمان الاستلاب و شعور الفرد بالعجز أمام كل ما يحيطه سواء أكان هذا الزمان أموياً أم عباسياً أم غير عربي، و المكان إذا اتسعَ و تشعبَ فإنّ ثمة بنيات و قسمات مشتركة تسمُ هذا الاتساع و التشعب حتى يبدو واحداً بخصوصيات متقاربة جداً»(6).

هذا الزمان لا يزال يفعل ببنيته الاستلابية في جسد الحياة العربية المعاصرة، إذ قلّما نجد سلطة معاصرة إلاّ و تتجسد في سلوكها و مواقفها الرؤية الشهريارية سطوة و بطشاً و نفوذاً، و الشاعر العربي كان مرآة عصره، و كثير من الشعراء لا يزالون هذه المرآة بشفافيتها و قدرتها على التعرية، و على تجسيد الملامح الدقيقة لما يسم العصر، و يكشف تناقضاته، و لذا فإنّ الخطاب الشعري العربي المعاصر كان خطاب إدانة للسلطة السياسية

و الاجتماعية، و قد استفاد من الدلالة العميقة لطبيعة العلاقة بين شهريار و شهرزاد،

و بالتالي بين السلطة و جماهير المضطَهدين ـ بفتح الطاء ـ.

و من الشعراء الذين وظّفوا أسطورة شهريار و شهرزاد في أعمالهم الشعرية: خليل حاوي من لبنان، و عبد العزيز المقالح من اليمن، و أمل دنقل

و كمال عبد الرحمن من مصر، و عبد الوهاب البياتي من العراق، و سعاد الصباح من الكويت، و سوف عبيد من تونس وغيرهم كثيرون جدا.

وتأتي هذه الدراسة لتدرس بعض النماذج الشعرية المعاصرة لبعض هؤلاء الشعراء محاولة أن تظهر السمات الأسطورية فيها، و علاقة بعضها بالتاريخ من جهة، و بالواقع المعاصر من جهة أخرى.

شهرزاد الأسطورة و الواقع المعاصر

عند عبد الوهاب البياتي

لعلّ عبد الوهاب البياتي من أكثر الشعراء العرب المعاصرين الذين استفادوا من الدلالات الرمزية العميقة لشخصية شهرزاد الأسطورية، فهو يركّز على استخدامها في أعماله الشعرية، و بخاصة في دواوينه: أباريق مهشّمة، و المجد للأطفال و الزيتون، و الموت في الحياة. و توظيف البياتي للرموز التاريخية و الشخصيات الأسطورية ينطلق من رؤية عميقة تؤمن بالإنسان هدفاً أسمى، و قضية أساسية، و لذا فالقصيدة عنده ذات توجه إنساني و إيديولوجي، يهدف إلى تعرية نظام المجتمع و نظام السلطة بعلاقاته المتردية، و إدانة الزيف الكامن في بنياته، إنّ للشعر عند البياتي وظيفة اجتماعية تحريضيّة، تسهم في تثوير الواقع و إعادة صياغته انطلاقاً من التزام الشاعر بحاضر مجتمعه و الإيمان به. يقول البياتي(7):

« فالشاعر الذي لا يعلن ولاءه للحاضر، و لا يحدد موقفه منه بصورة واضحة صريحة. و لا يأخذ مكانه بين صفوف كادحيه و جماهيره، لن يكون له شرف منح المستقبل مثل هذا الولاء.».

و يقول في قصيدة الجرادة الذهبية من ديوان الموت في الحياة:

« رأيتُ شهرزاد
جاريةً في مدنِ الرماد
تُباع في المزاد
رأيتَ بؤسّ الشرق
و نجمة الميلاد في دمشق
رأيت مجدّ فقراء الأرض في الفيتنام
و في خيامِ اللاجئين سيد الآلام
منتظراً خيلَ صلاح الدين

و صيحة الفرسان في حطين »(8).

من خلال الرؤية الشعرية تظهر ثنائيات: الظلام و الضياء، البؤس و الفرح، الذل و المجد، هذه الثنائيات تسم فضاء النص الشعري، و من خلالها يستحضر البياتي صفحات مضيئة من تاريخ العصور الذهبية التي مرت بها الأمة العربية « خيل صلاح الدين ـ الفرسان في حطين ». و صفحات أخرى قاتمة، من بيع الإنسان في أسواق الرقيق العربية، وفقره وبؤسه.

إنّ شهرزاد الجارية في القصيدة تخرج من حقلها الأسطوري و دلالتها الرمزية في ليالي ألف ليلة و ليلة لتصبح واقعاً أسود، إنه واقع العصر الحالي، واقع بيع الإنسان و انتهاك كرامته و حريته و إنسانيته، فشهرزاد في القصيدة، و التي تُباع في مدن الرماد تشير على مستوى البنية الرمزية إلى كل امرأة فاقدة كرامتها و كبرياءها، و لا ينحصر وجود هذه المرأة في مدينة بعينها، إنها في فضاءات المدن العربية جميعها، « مدن الرماد » مدن الشرق المحترقة، المدن التي احترقت فيها كل رؤى الفرح و الثورة، فأصبحت أسواقاً للرقيق، و للمزادات، و حمّى البيع، على أن شهرزاد لا تعني تحديداً المرأة العربية فقط، إنها الكل الإنساني المحترق في مدن الشرق، الذي انطفأت فيه جميع جمرات الثورة و طموحاتها، و صارت رماداً، و هي فضاءات الشرق بكامله، باعتبار أنّ المرأة كثيراً ما ترمز في الأدب و الفن، إلى الأرض و الوطن و الأمة، و الولادة و الثورة، و أمام فضاءات الشرق السوداء، و بؤسها، يستشرفُ البياتي سطوع نجمة مشّعة في سماء هذا الشرق. و استخدام الشخصية الأسطورية شهرزاد في القصيدة، ركّز على حسّ الإنسان المعاصر بالفاجع و المأساة، و امتهان إنسانيته، و بيعه في المزاد، و تشرده في الخيم، و شقائه في مجتمعه و مدنه السوداء الرمادية. و هنا تكمن « مهمة الفنان (في) أن يلتقط اللحظات الأهم و الأعمق في هذا التيار الواسع و المستمر من الشقاء »، فالقمع و السجن و الهزيمة حالات يعيشها كل مواطن لأنها تغلغلت في دمه(9)، كما يرى عبد الرحمن منيف.

و إذا كانت مهمة الشاعر ـ كما يرى البياتي ـ الكشف عن جوهر الإنسان، و الانتماء بشرف إلى كادحي العالم، فطبيعي أن يؤمن بميلاد نجمةِ نورٍ، تسطع لتنير ليل هذا الإنسان، و طبيعي أن تنتصر ثورة الإنسان في فيتنام، و يبني

الفقراء مجد انتصارهم، و أن تنطلق خيول صلاح الدين المعاصرة، بأصوات فرسانها لتزرع الفرح في خواء الصحراء، و لتردّ المعتدي المعاصر و تدحره.

إنّ استخدام البياتي لأسطورة شهرزاد يشير إلى واقع معاصر يتقاطع في كثير من حالاته، مع عصور الاستبداد و الظلم، عصور الرقيق في مدن ألف ليلة و ليلة، فالأسطورة ظاهرة معرفية جسّدت تجربة الإنسان و علاقته بما حوله منذ العصور القديمة، و هي لا تزال قادرة على تجسيد تجربة الإنسان المعاصر، و علاقة هذه التجربة بماضيه التاريخي و الثقافي. إنّ « الأساطير بأشخاصها و حركتها تجسّد نواحي نفسية، عميقة الجذور في الإنسان و عظيمة الخطر في حياته. لقد غدت الأساطير مع الزمن رموزاً لتجربة الإنسان الأولى للحياة، هذه التجربة الطويلة التي رسبت إلى أعماق اللاوعي الجماعي عند كل واحدٍ منا.»(10). على حدّ تعبير جبرا إبراهيم جبرا.

و يقول الشاعر البياتي في قصيدة بعنوان « العراق الأعمى »، من ديوان الكتابة على الطين:

« لم تقل مولاي، شيئاً، شهرزاد
فهي في تابوتها نائمة تبكي،
و لكني المغني و الرماد.
و دم القلب وثلج الظلمات
لم يزل يسقط فوق المدن الكبرى، فيخفي
وجهها تحت القناع
ها أنا أشنق نفسي مثل عصفور بخيط من شُعاع
تحت مصباح عمود النور في الليل، لكي تُبعَثَ بعدي
شهرزاد »(11).

في حركة شهرزاد العميقة مع مسار حكاياتها و أبطالها، و جواري العصور اللواتي تسرد عنهن، تظلّ أمّاً مقموعة، تهدهد رجلاً شرساً، لا تعرف لحظة انقضاضه، إنها فريسة تهدهد ذئباً بألف حيلة، لتكبح وحشيته، و عندما تتعقد الحكاية، و يصل الحدث إلى ذروة تشويقه، يضطر شهريار لأن يلغي فعل القتل، أملاً في أن تفكّ شهرزاد حبكة الحكاية، و عندما تفكّ عقدة الحكاية يدخل شهريار على المستوى النفسي في عالم سحري غرائبي منعش،

و يخرج من فضاء حيوانيته مؤقتاً، إنها تؤجل فعل قتلها، و إذا ما انتهت الحكاية، فإن شبح القتل يلوح من جديد، و كأنّ الحكايات السابقة التي سهرت الليالي و هي تسردها، لم تفعل شيئاً، و لم تهذّب سلوك شهريار.

و من هذه الرؤية يوظّف البياتي أسطورة شهرزاد في هذه القصيدة. فبعد أن تنتهي الحكاية تعيش شهرزاد حالة موت، و إذا ما انتهى فعل الحكي و القصّ، فإنّ تابوتاً ينتظرها، و هي تموت على المستوى الروحي و النفسي كل ليلة. « لم تقل مولايّ، شيئاً، شهرزاد .. فهي في تابوتها تبكي »، و هنا تستمر السطوة الشهريارية، و يجد الفعل الإنساني نفسه، سواء أكان من شهرزاد أم من غيرها، عاجزاً عن خلق الحكايات، و بالتالي عاجزاً عن ردع شهريار، و إيقاف سلوكه الهمجي و شهوته للقتل. و في الحالة المعاصرة لا تستطيع شهرزاد أن توقف بطش شهريار المعاصر، مهما حكت له، و يظلّ القلب ينزف دماً، و تظلّ فضاءات الأمكنة و المدن العربية الكبرى مسكونة بكابوس الدم، و الظلام، و الثلج الذي يشير رمزياً إلى موت الحياة و تجمدها، في حين أنّ لفظة « الظلمات » تدلّ على التخلف و الاستعباد، و الحرية المُغتَالة، في فضاءات هذه المدن.

و ها هي شهرزاد العربية المعاصرة انتهت من حكاياتها، و كأنها لم تقل شيئاً، فاستسلمت لقدرها المحتوم، و دفنت نفسها في تابوتها انتظاراً لتعليمات السيّاف القاضية بدفنها. إنّ انتهاء الحكايات معناه الموت، و استمرار الحكايات يعني بقاء شهرزاد حيّة. لأنّ شهريار سيتكرم عليها بنعمة البقاء طالما هي تحكي. و يبقى منطق الحكاية هو منطق المصالحة مع القمع، هذا إذا عرفنا أنّ الليالي جميعها، تقوم على منطق الإرهاب و الاضطهاد، و القمع الشهرياري لإنسانية شهرزاد. « احكي حكاية و إلا قتلتك »(12)، هذا الشرط هو سرّ تواصل شهرزاد مع زمانها، و رحلتها مع هذا التواصل رحلة كلها مخاطر، إنها على حافة جرف، ما إن تنتهي الحكاية حتى ترتعد من أن يرميها شهريار من أعلى هذا الجرف. فالبطر السلطوي الشهرياري سواء في الماضي أو الحاضر، لا يُحكم بضابط أخلاقي أو إنساني، أو ثقافي يكبح جماحه، إنه مستعدٌ في كل لحظة لإغراق المكان و الزمان بسيل الدماء.

« احكي حكاية و إلا قتلتك »، هو موقف السيّاف من الضحية، و لا يوجد موقف معتدل أو وسط من قضية القتل. و موقف شهرزاد الفاقدة قدراتها

موقف مهادنة و تصالح و ذل، و استرحام من واقع البطش لكي يبقيها حيّة، موقف الجسد الذي يجّتر لياليه مُستباحاً عاجزاً عن القيام بأي فعل بديل من شأنه التغيير و التثوير، و انطلاقاً من إيمان البياتي بقدرات الإنسان على التغيير و صنع المستقبل، فإنه يرى أنّ حالة العبودية و الذل المعاصرة حالة مؤقتة، فالانبعاث الحضاري ضرورة حتمية، و لتأكيد فكرة هذا الانبعاث يوظف بشكل غير مباشر أسطورتي أورفيوس و العنقاء في نفس القصيدة: « فهي في تابوتها تبكي، و لكني المغني و الرماد ». إذ تشير لفظة المغني إلى أورفيوس، و كلمة الرماد إلى الرماد الذي ينبعث منه طائر الفينيق أو العنقاء متجدداً بعد أن يحرق نفسه، و بالتالي إلى الفعل الإنساني القادر على المغامرة و اقتحام المجهول، و تبديد ظلام العالم، و بعث هذا العالم و تجدده، هذا الفعل هو الكفيل بتحرير شهرزاد ـ الإنسان المُستلب ـ و مساعدتها على تخطّي حواجز الأسر، و كسر توابيتها المفروضة عليها قبل موتها. « فرغم كل القهر و الاضطهاد و القسوة و حتى الموت الذي يمكن أن ينزله الجلاد في الضحية تبقى الضحية هي الأقوى، و هي القادرة أن تتحدى، و الضحية لا تعني الفرد الذي انتهى، و إنما تعني الفرد الذي نشأ و ظهر و سيواصل الطريق»(13)، و إذا كانت شهرزاد نائمة تبكي في تابوتها منتظرة مصيرها الأسود، فإنّ الوعي الشعري يستنهض « أورفيوس » الموسيقي الذي يشيع بقيثارته الحياة في الصخر، و يستنفر الإخاء الإنساني في تعامله مع بني جنسه، و يثبت غير هيّاب أمام أقسى حراس جهنم، و يصمم على لقاء « بلوتو » إله الجحيم، مصرّاً على استرجاع زوجته « يوريدس » من الأسر(14).

إنّ « أورفيوس » بما يشير إليه من ثبات و تصميم و شجاعة، و بعث للحياة، هو المقابل لهذا الفعل الإنساني الذي أصرّ الشاعر على حضوره و استنفاره، و هذا الفعل هو في آن الخلق و التجدد و الانبعاث الذي تشير إليه أسطورة العنقاء، و إذ تجعل الذات الشاعرة نفسها فداء للجنس الإنساني، حاملة همّه و قضيته، مدافعة عن مصيره، فإنها تأمل بذلك أن تبعث بعدها شهرزاد عربية مستقبلية تتباين مع شهرزاد الأسطورة، في كون المستقبلية تشكّل حالة من الوعي الثوري، و تدافع عن وجودها، و تقف رافضة عبوديتها، و ظروف استلابها أمام الطغاة. إن الشعر عند عبد الوهاب البياتي

« سلاحٌ يستّله من غمده في لحظة خاطفة حاداً و مستعداً للمواجهة »(15). كما يرى صبري حافظ.

و في قصيدة أخرى بعنوان « شيء من ألف ليلة و ليلة » من ديوان الموت في الحياة، يقول:

« رأيت خائنَ المسيح في بلاط الملك السعيد
يلعق نعل الملك الجديد
رأيته في مدن الإسمنت و الأصفاد و الحديد
داعيةً و مخبراً و كاتباً.
و راقصاً على الحبال لاعباً
طردته فعاد
نفخت في عيونه الرماد.
و أدرك الصباح شهرزاد »(16).

في هذه القصيدة تصبح شهرزاد وعياً، و حضوراً معرفياً و ثورياً، إذ يحررها الشاعر من أسرها، و يشكّل منها أداةً للإدانة وتصبح قناعاً للرؤية الشعرية، التي ترى الأشياء على حقيقتها، حقيقة المنتهزين من مخبرين و كتّاب و دعاة، و مهرّجين، تنحصر مهمتهم في أن يكونوا أداة بيد السلطان، مروّجين لسياسته، فإذا كان دور شهرزاد في الليالي الأسطورية مجرد إسفنجة لامتصاص أرق و ذكورة السلطان، و هدهدته، حتى تحدث له حالة من التناغم و التراخي في أجواء السحر و الغرابة و روائح الجسد، فإنها في القصيدة هنا حالة أخرى، إنها تستعيد إنسانيتها، و كرامتها المفقودة، و تمتلك الشجاعة لتسمي الأشياء بحقائقها مهما كانت قاسية، و تدين بطانة الخليفة و أعوانه، و قبل أن يدركها الصباح لتسكت عن الكلام المباح، لا بدّ من أن تقول كل ما سمعته و رأته من مآسٍ و فجائع في عالم أسود، مليء بالخونة و الضمائر المهزومة. « رأيت خائن المسيح في بلاط الملك السعيد ». و في النسق الميثولوجي الديني، تشير عبارة خائن المسيح إلى « يهوذا الاسخريوطي ». خائن السيد المسيح، و الذي دلّ عليه أعداءه رؤساء الكهنة، كما ورد في الإنجيل، و تخرج هذه العبارة « خائن المسيح » من حقلها التاريخي و الديني لترتبط بالواقع المعاصر، و تشير إلى خونته من أعداء القيم الإنسانية، و المنتهزين و الخونة في بلاطات الحكّام المعاصرين، فجواسيس السلطان و كتّابه و مهرّجوه، هم حقيقة قائمة منذ أقدم العصور، و

منذ أن وجدت السلطة، و تشير الرؤية الشعرية إلى امتدادهم، عبر الفضاءات المكانية و الزمانية المعاصرة « طردته فعاد ». و ما إن يُجتثوا حتى يعودوا إلى بنية الحياة.

و إذا كان الفنان الحق مميّزاً عن غيره و فريداً في آن، فإنّ أهم ما يمكن أن يصل إليه في فنه هو خلقه أسلوباً خاصاً به(17)، و تكمن ميزة البياتي في توظيفه للرموز و الأساطير، و الأقنعة التاريخية، في أنّ أسلوبه مشحون بالرفض و الثورة، و الإدانة لكل أعداء الجنس الإنساني من سلاطين، و انتهازيين. « فعبد الوهاب البياتي شاعر عاش شريداً و طريداً و منفيّاً لسنوات طويلة. عاش دائماً في قلب المعركة، في أتونها المشتعل، في اللحظة المكثفة المتوترة العميقة البعيدة تماماً عن الهدوء و الاسترخاء الكسول (...) هو عبد الوهاب البياتي الحقيقي المتفرّد صاحب التجربة الخاصة جداً، الذاتية و العامة في آن، عبد الوهاب البياتي الشاعر ذو الصوت المتميز الواضح، الذي تعرفه فور سماعك إياه. تستخرج قصائده من بين عشرات القصائد حتى لو لم يوقّع عليها »(18). وفق رؤية صبري حافظ.

إنّ شعر عبد الوهاب البياتي في مجمل توجهاته و القضايا الفكرية و الإنسانية التي يركّز عليها، يأتي دفاعاً عن الإنسانية المُعذَّبة، و ضرباً من ضروب الالتزام، و الإيمان بدور الطبقات الفقيرة و المظلومة التي « تساهم مساهمة هائلة في التوجّه الإنساني العام للإنسان (...)، و التي لا تناضل من أجل مصالحها الطبقية فحسب، بل هي مدعوة لحلّ مهمات تاريخية »(19)، هذه الطبقات التي استمدّ الشاعر عبد الوهاب البياتي من حياتها و تاريخها و صراعها مع جلاديها، أجمل قصائده خلال رحلته الشعرية الطويلة.

شهرزاد في شعر خليل حاوي

نلاحظ أن خليل حاوي مقل في استخدام رمز شهريار في أعماله الشعرية إذ يذكرها مرة واحدة، و ذلك في قصيدة بعنوان عودة « سدوم ».

يقول الشاعر خليل حاوي في هذه القصيدة:

« عدت في عيني طوفان من البرقِ
و من رعد الجبال الشاهقة،
عدت بالنار التي من أجلها

عرضت صدري عارياً للصاعقة،
جرفت ذاكرتي النار و أمسي
كل أمسي فيك يا نهر الرماد:
صلواتي سفر أيوب و حبي
دمع ليلى، خاتم من شهرزاد
فيك يا نهر الرماد
و ليمت من مات بالنار
حملت النار للفندق، للبيت المخرّب
فيه أطمار أبي، عكّازه
و يضيء، البيت خفّاش مذهّب
دونه يخشع أهلي، اخوتي،
نسل السبايا
خلّفتهم غزوات الشرق و الغرب لصوصاً و بغايا » (20).

عندما يعود الشاعر خليل حاوي و في عينيه طوفان من البرق، فإنه يعود عودة الرائين، إذ تهبط عليه رؤيا الكشف من الجبال الشاهقة، حاملة بشائر الخلاص ليطهّر بها سدوم (21)، و هو رمز تاريخي و أسطوري يرد مراراً في أعمال خليل حاوي. و إذا كان هذا الرمز يشير إلى هلاك القوم الفاسقين و الناكلين و المتعبدين للأصنام (22)، في حقبة تاريخية ماضية، فإنه من خلال التوظيف المعاصر يشير إلى فضاءات المدن العربية، السوداء التي هي بحاجة إلى التطهير ليعود إليها نقاؤها و علاقاتها الإنسانية الأخلاقية و النبيلة، و التطهير عند خليل حاوي يكون بالنار التي تحمل بذرة الخلاص الجديدة للبشرية، و بالتالي رؤيا الانبعاث الحضاري للمدن العربية الجدباء، و تتجلى وظيفة النار عند خليل حاوي في إبادة كل ما هو معكّر من أدران متراكمة في فضاءات المدن العربية و من قيم بالية رثّة لا تزال تتراكم من أيام شهرزاد حتى التاريخ المعاصر. فرؤيا خليل حاوي هي رؤيا الأبطال الأسطوريين، الذين وقفوا مع بني الجنس الإنساني ضد الآلهة، و النار هنا تشير إلى نار بروميثيوس الذي سرقها لخدمة بني البشر. و تذكر الأساطير أن بروميثيوس:

« لم يكن إلها يتمتع بالحذق و البراعة، و إنما هو على الأرجح مبتكر لاحظ أنه لا يوجد بين المخلوقات كلها، مخلوق واحد قادر على اكتشاف قوى الطبيعة و دراستها و استخدامها و الهيمنة على الكائنات الأخرى، و إقامة النظام و الانسجام بينها، و الاتصال بالآلهة عن طريق الفكر، و الإحاطة بذكائه لا بالعالم المرئي فحسب، و إنما أيضاً بمبادئ الأشياء كلها و جوهرها، و من ثم خلق الإنسان من طينة الأرض، و أعجبت منيرفا ببديع صنعه، فمنحته كل ما من شأنه أن يسهم في تحسين « هذا الإنسان ». و قبِل بروميثيوس شاكراً منحة الآلهة، و لكنه أردف قائلا إنه لكي يختار ما يلائم المخلوق الذي أبدعه، لابد له من أن يرى بنفسه المناطق السماوية، فحملته منيرفا إلى السماء التي لم يرجع منها إلا بعد أن اختلس النار، ذلك العنصر الضروري لنشاط البشر، ليعطيها للإنسان. و يقال إن بروميثيوس أخذ تلك النار السماوية التي أتى بها إلى الأرض. من مركبة الشمس، و أخفاها في داخل عصا مجوفة » (23). على حدّ تعبير ب . كوملان .

هذه النار لن تطهر « سدوم » المعاصرة في قصيدة خليل حاوي فحسب، بل ستطهر الذاكرة و التاريخ أيضاً، تاريخ العبودية و الهزيمة، و هي ستحرق الأمس السكوني الراضخ المستسلم للغيب و المآسي، و المصائب. الصابر على كل ألوان العسف و الهوان، كصبر النبي أيوب أمام مصائبه التاريخية. و يعني الأمس في النص الشعري الماضي بإنسانه المخذول في حبه و تطلعاته، حيث لا جدوى من الحب، فبدلاً من أن يثمر عطاء و خصباً، فإنه يصبح بواراً باعتباره حباً محبطاً، مستسلماً للدموع و الحسرات « و حبي دمع ليلي ». و يأتي استخدام الرمز الأسطوري « شهرزاد » ليشكل بنية مساندة للفكرة الشعرية، و إذا كانت شهرزاد - في بعض المواقف و الرؤى التي يطرحها خطاب القص في ألف ليلة و ليلة - تكرس نفسها جارية مطيعة للسلطان شهريار، و بالتالي ترفض الثورة عليه، و تستكين لرغباته و نزواته، و تعمل على تكريس مفهوم السحرية و الغيبية الاستسلامية و الاتكالية، بواسطة خاتم « شبيك لبيك أنا بين يديك »، و بقية الموتيفات السحرية الأخرى التي تصنع العجائب دون أي جهد عقلي أو عملي، فإنها تصبح أيضاً

داخل الرؤية الشعرية رمزاً للعطالة و اللافعل اللذين تحكما في الماضي المستلب الذي ذكره الخطاب الشعري. من هنا فإن نار الرؤية الشعرية ستطهر هذا الماضي من كل الأفعال السكونية الإتكالية سواء أكان الماضي الخانع و المهزوم أمام مآسيه و مصائبه « سفر أيوب »، أم الماضي المحبط في توجهاته و تطلعاته، و المستسلم للخيبة و الدموع و الحسرات « دمع ليلى »، أم الماضي الملغى فيه فعل الثورة و الرفض، والغارق في السحر و الاستكانة « خاتم من شهرزاد ».

إن « شهرزاد » الأسطورة تتساند مع الرمز الديني « أيوب »، و مع الرمز التراثي « ليلى المفجوعة في حبها »، لتصبح الفكرة الشعرية أشد إيحاء و بعداً في دلالتها الرمزية، و لتعمق الوعي الشعري بمأساة المدينة العربية المعاصرة المفجوعة في تطلعاتها، و المحكومة بماضٍ تلغى فيه كل تطلعات الذات صوب الثورة و الفعل الحضاري، فكل رمزٍ من الرموز السابقة مساند للآخر في مدلوله داخل فضاء النص الشعري: « و معلوم أنه في الشعر، كما في النثر أيضاً، لا تبقى اللفظة منعزلة عما يجاورها من الألفاظ في الجملة. كما أن مجاورتها لغيرها من الألفاظ لا تبقيها هي و الكلمات التي جاورتها ألفاظاً مجردة و منعزلة عما أريد لها أن تحمله من معنى، أو من جملة من المعاني(24). كما يقول خالد سليمان. و هذه النار البروميثيوسية ستحرق « عكازة الأب »، أي أنها ستحرق القديم بالنسبة للذات الشاعرة، و حتى لو كان هذا القديم أقرب الأشياء إليها، باعتباره رمزاً مستكيناً لظواهر الضعف و الانكسار.

إن « خليل حاوي يسعى عبر الرموز المكثفة و الشفافة إلى التعبير عن مكامن العطب و التخاذل في الوجود ليحل من دونها رموز القوة و الخصب و الفعل الفاعل و الخلق و تلك الحرية التي لا يكون المرء إلا بها. و ها أنه يبدو، الآن، غير حافل بأهله و لا بذويه و لا بصحبه و لا بأي أمر آخر» (25). و ستحرق نار الرفض الشعرية « الخفاش المذهب » الذي يقدسه باحترام عميق الأهل و الأخوة و الأقارب و سكان سدوم المعاصرة. و هذا الخفاش يشير دلالياً إلى المصادفات الذهبية التي تؤمن بها الذهنية العربية من تعاويذ الحظ، و قدوم الفرص الذهبية بطريقة سحرية و أسطورية و غيبية، و قد أشارت إليه الفكرة الشعرية سابقا في « خاتم من شهرزاد». بحيث يصبح الواقع في « سدوم » المعاصرة - من خلال الرؤية الشعرية -

واقعاً انهزامياً يعتمد على الحظ و المصادفات و الغيب، و يلغى منه الفعل بحركيته الخلاقة. و داخل فضاء هذا الواقع المنحط تتناسل السبايا و البغايا و اللصوص، إنه واقع ألف ليلة و ليلة، واقع الغزو و السطو، واقع تتلاقى فيه كل أخطاء الشرق و غاباته المظلمة، مع شهوات و نزوات الغرب المتهتكة. واقع الوصيفات و الجواري و الإماء و الخصيان الذين ذكرتهم شهرزاد في الليالي، و الذين لا يزالون مستمرين في بنية الواقع المعاصر الذي تطمح الرؤيا الشعرية إلى حرقه و بعثه مشرقاً و إنسانياً.

إن « القصيدة تقدم ترجمة للعالم، إنها العالم خلال وقت ما. و مثلما أن لغة القصيدة واسطة رمزية مرنة تبرز فيها العناصر الذاتية و الموضوعية ككل متكامل، فإن كل كلمة في القصيدة منطلق ممكن و تقاطع طرق رمزي يمكن من خلاله أن تنظر إلى القصيدة بأجمعها» . (26). كما يقول تشارلز فيدلسون الابن . و قد كانت قصائد خليل حاوي عبر دواوينه الثلاثة: نهر الرماد،

و الناي و الريح، و بيادر الجوع، ترجمة لواقع العالم العربي المعاصر في رماده و اتكاليته و مآسيه، و كان اعتماد خليل حاوي على الرموز الدينية و الأسطورية و التاريخية قادراً على إثارة مزيد من إشكاليات هذا العالم في سلبيتها، إذ تقاطعت هذه الرموز و تداخلت في فضاءات النصوص الشعرية عنده، و كانت تؤسس لهدف واحد بالرغم من تعدديتها، و هو إعادة تشكيل الحياة العربية المعاصرة نضرة مشرقة قوية و قادرة على تخطي ماضيها الأسود، و واقعها المحبط في كل توجهاته و آماله.

شهريار وشهرزاد في أعمال الشاعر أمل دنقل

و يوظف الشاعر أمل دنقل أسطورة شهرزاد و شهريار في قصيدة بعنوان: « حكاية المدينة الفضية ». و هي القصيدة الوحيدة في كل أعماله التي تذكر هاتين الشخصيتين. و بالرغم من اتكائه الشديد على معطيات التراث الفرعوني أحياناً، و العربي الإسلامي أحياناً كثيرة، إلا أنه لم يستند كثيراً على ألف ليلة و ليلة. و في أعماله تبرز الرموز التاريخية و التراثية الأسطورية بشكل واضح، إذ لا يخلو عمل واحد منها، ابتداء من ديوانه

« مقتل القمر »، مرورا بالبكاء بين يدي زرقاء اليمامة، و تعليقاً على ما

حدث، و العهد الآتي، و أقوال جديدة عن حرب البسوس، حتى أوراق الغرفة 8، و هي مجمل أعماله الشعرية. و في قصيدة « حكاية المدينة الفضية » تبرز الشخصيات الآتية: شهرزاد، شهريار، سليمان، بدر البدور، مسرور السياف، و هي شخصيات ذكرتها ألف ليلة و ليلة.

تبتدئ القصيدة بملمح سندبادي خفيّ، إذ يغامر الشاعر السندباد طارقاً باب المدينة، لكنّه لا يحمل تجارة أو مالاً و لا جواهر و لا حريراً، إنّه صاحب قلم يفتح به مدينة مقفلة، طالباً ظلاًّ و فيئاً و أماناً و طمأنينة. يقول الشاعر:

« كنت لا أحمل إلاّ قلماً بين ضلوعي
كنت لا أحمل إلا .. قلمي.
في يدي: خمس مرايا
تعكس الضوء (الذي يسري إليها من دمي)
.. طارقاً باب المدينة:
- « افتحوا الباب »
فما ردّ الحرس
- « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاًّ ..»
قيل: « كلاّ ». » (27).

لكنّ المدينة العربية الغارقة في حمّى الاستهلاك و البيع و التجارة و التجهيل
- و من خلال الرؤية الشعرية - ترفض أصحاب الأقلام الذين يكتبون تاريخها المفجوع،
و يصورون واقع طرقاتها القذرة. و عموماً تأخذ المدينة في الأدب العربي شعراً و قصّة و رواية و مسرحاً أهمية واضحة جدّاً، إذ تبدو فضاء أساسياً من فضاءات النصوص الأدبية، لكنها لا تبدو من خلال هذه النصوص فضاء جمالياً للحلم و الفرح و الحرية، بل تبدو عالماً قاتماً تشرّش فيه كل الأوبئة و الأمراض و لوثات السلطة. يقول جبرا إبراهيم جبرا عن المدينة:

« المدينة العربية الجديدة، بكل ما فيها من متناقضات و تيارات و آمال و مخاوف. المدينة اليوم ليست مجرّد « قصبة » فيها دار للحكومة: إنها ملتقى سيول بشرية من الريف و شبه الريف. ملتقى الأجناس و الطوائف و النحل. المدينة بوتقة هائلة لم

تنصهر فيها العناصر انصهاراً تاماً بعد. هل من موضوع أعظم من ذلك ؟ في المدينة يشتدّ المحافظون محافظة و المتمردون تمرّداً. فيها سلطة القانون و سلطة الشرطي و سلطة المخبر الرهيبة. فيها صوت الله و صوت الشيطان يبثّان على نفس الموجة. المدينة هي ساحة الصراع على المستوى الفردي و المستوى الجماعي، فيها يصب التاريخ سيولاً من الحضارات المتعاكسة المتشابكة، و منها تنطلق قوى الهدم و البناء إلى هدف و غير هدف. المدينة مازالت تسحرني و تستحثّني على الكتابة و تصوير الشخصيات الناهشة المنهوشة فيها، كما تسحر البدوي القادم إليها من الصحراء لأول مرّة. و لكنني قد أبكي عليها، كما بكى المسيح على القدس، لأنني أريد لها الخصب و الصحة، لا الجدب و المرض. » (28).

و عبر مرايا الشاعر السندباد المغامر، الداخلية و الخارجية، التي تطمح إلى اكتشاف عالم المدينة، تنعكس صورة قاتمة لهذه المدينة و سكانها و قمامتها و كلابها. يقول أمل:

« يا طريق التل ( حيث القبة الملساء
تبدو صنماً ضخماً تحدى المستحيلا)
يا طريق التل:
مازالت على جنبيك آلاف النفايات ..
لسكان القباب المصمتة
من قمامات البقايا الميتة
و زجاجات خمور فارغة
و كلاب والغة
و رماد، و ورق !
آه .. يا ذكرى الحنين المحترق
آه، كم كنا ـ كما كنت ـ نرش النور و الشوق النبيلا
و تهدجنا غناءً ..
و تهدجنا بكاءً ..
و تهدجنا فضولا
ثم .. لم نلق من الحبِّ عدا: بابا بخيلا !!» (29).

و بعد هذا الملمح السندبادي، و هذه الصورة القاتمة للمدينة تبرز صورة أخرى للمدينة الحلم بشفافية نسائها، و حياة الرفاهية و الدعة فيها، و سحر حكاياتها، و تظل المدينة هاجساً، و حلماً بالنسبة للذين لا يملكون مقومات العيش فيها، و لا يخلو هذا الهاجس من دافع جنسي و انتقامي من نساء المدينة الأرستقراطيات، لكن هذا الهاجس يعود تحديداً إلى المكبوت السياسي القمعي و إلى المكبوت الاجتماعي الذي يحاصر الشاعر في أحلامه و حريته، و من فضاء هذا الهاجس يبدو للسندباد الذي أراد أن يفتح المدينة بالعلم و المعرفة و القلم، أنه حصل على أجمل و أرفع امرأة في المدينة، إنها ملكة المدينة ذاتها، و هي الملكة بدور، أو شهرزاد نفسها، و يعتقد السندباد المعاصر أن هذه الملكة ستمنحه الأمان و الطمأنينة و الظل و سحر الليالي. و تقف العربة الملكية و تطلب منه الملكة بدور أو شهرزاد أن يصعد معها. يقول الشاعر:

« فرقعت في الصمت حولي عجلات المركبة »
- « أوقف الخيل »
أطلت:
- « من ترى أنت ؟ »
فأومأت مجيباً
قالت: « اصعد » ..
- آه يا ذات العيون الطيبة
كل شيء يتنهد
كل شيء في دمي .. لا يتحدد
أنا لا أملك حتى كلمات الشكر .. ولّت !
- « أغريب ؟ »
قلت: ما عدت غريباً
بيتنا كان على ربوة نجمة
كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيراً
عن جبين يهب العمر تناهيد و رحمة
و رسمنا وجهك المعبود فوق المنزل
و على صدر الربيع المقبل
و تعشقناك: حزناً أرجوانياً أميرا

و تعشقناك: شعراً كستنائياً غزيرا
و تعشقناك: ثوباً جدلته الحور ..
و عشقنا فيك: حتى خفّك المجلوب من وادي القمر ! » (30).

من خلال المقطع السابق تتضح رؤية العشق و اللهفة لاقتحام المدينة، و معرفة خباياها و أسرار نسائها، و لا تتحدد الملكة بدر البدور أو شهرزاد بالجسد الأنثوي فقط، بل هي ترمز إلى المدينة كلها، بتناقضاتها و علاقات طبقاتها و سلوك سلطتها، و يتوهج حلم الرؤية الشعرية عند الشاعر ليدخل في الفضاء الحميمي لشهرزاد، إذ تأخذه شهرزاد إلى قصرها الأسطوري الذي تتضاءل أمامه قصور النبي سليمان. و ينزاح القصر هنا من حقله الأسطوري، ليصبح مشيراً إلى قصور الحكام و أبنائهم و بناتهم و زوجاتهم، و ما وصلت إليه من بذخ و ترف و ثراء أسطوري، و هنا « ربما وجبت معاملة النص لا كموضوع مقدس (موضوع لفقه اللغة)، و لكن كفضاء لغوي و كمعبر لعدد لا متناه من الاستطرادات الممكنة. ينبغي الانطلاق إذن من عدد من النصوص لإبراز مجموعة من القواعد المعرفية التي تعمل فيها » (31). كما يقول رولان بارت . و من خلال هذا العدد اللامتناهي من الاستطرادات يمكن أن نعتبر بدر البدور هنا أية امرأة سلطوية معاصرة سواء أكانت زوجة حاكم، أو أية امرأة أخرى تقف في أعلى سلم السلطة،

و يمكن أن نعتبر قصرها إشارة رمزية إلى قصور المدن العربية التي تنتمي تحديداً إلى طبقات السلطة.

يقول الشاعر:

« و أشارت نحو قصر القبة الملساء
ثم استطردت:
إنه ملك أبي » !
عندما كان (سليمان) وليّا
لم يكن يملك هذا القصر ذا المليون باب
قيل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..
أحلام شباب
قيل في الساحة نافورة خلد

و على الباب نقوش أثرية.
آه . يا حراسه .. هذا أنا !!
ارفعوا الأيدي و أدّوا إلي التحية
ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير
« يد مولاتي » ..
و مدّت يدها (بدر البدور)
نصعد السلّم: يا معراج ما كنت نبيا !
أنا في البللور حولي في السنا: ألف أنا
فامضِ يا معراجنا نحو الجناح
و أعزفي يا جوقة الميلاد لحن الافتتاح !»

(32)،

و في قصر شهرزاد الأسطوري يعيش الحلم الشعري ليلة عابقة بفضاءات اللذة و الخمور، و لا ينسى الشاعر أن يثبت في هذه الليلة رؤيته الإيديولوجية، إذ يصرّح أن ليالي السكر و العربدة، و موائد هذه الليالي و ما يصرف فيها من أموال، مسروق من دماء الناس الذين يحلمون بالأمان و الحب و السعادة، إذا ما دخلوا المدينة:

« ألف خيطٍ من دمانا .. يستبد »

و اعتماد الشاعر على شخصيتي شهرزاد و شهريار هو « بمثابة خلفية للموقف الشعوري الذي يعبّر عنه الشاعر: و في « مثل » هذه الصورة ينحلّ الرمز القديم إلى واقعة إنسانية عامة ذات مغزى رمزي. و إذا كان الشاعر إنما يحدثنا عن واقعه الشعوري الذي يرتبط في الوقت نفسه ارتباطاً شعورياً وثيقاً بتلك الواقعة الرمزية القديمة، فإنّ تعبيره عندئذ عن هذا الواقع إنّما يأخذ طابعاً رمزياً، لأنّه استطاع أن يربط بين واقعته الشعورية الخاصّة و الواقعة الأسطورية العامة.» (33).كما يقول عزالدين إسماعيل .

و تتضح هذه الحالة الإنسانية العامة من طبيعة العلاقة التخيلية بين المواطن المستلَبو السلطة السياسية، إذ يأمل هذا المواطن على مستوى الحلم أن تزول الفوارق بينه و بين التركيبة السلطوية، فهو في مستوى التخيل يصل إلى جسد الملكة « شهرزاد »، و خمورها، و فضاءاتها السحرية. يقول الشاعر:

« سكرت كاساتنا من خمر بابل

ألف خيطٍ في دمانا .. يستبد

- آه يا سيدتي: أنتِ مَلك ..

أنا لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعي ..

فخذيه .. إنه أثمن ما عندي .. خذيه »

و مشت راحتها فوق جبيني،

هتفت بي: « شهريار »

« شهرازدي: اسكبي شهد الرحيق المتواصل

ثم قصي من حكاياك الجديدة

من زمان لم أعد أسمع أشياء جديدة

اسردي .. »

- « لبيك يا مولاي .. قالوا ..

ثم لم نملك قوانا

و على الجدران لوحات فريدة

لرغيفٍ .. و زجاجات من الخمر .. و راعٍ .. و قطيع !» (34).

و يصل الحلم ذروته حينما تدعو شهرزاد المواطن البسيط، المثقف و الشاعر الذي تأخذه إلى قصرها بـ « شهريار ». و ماذا يملك هذا المواطن الذي يعتقد أن المدينة واحة طمأنينة و أمان ؟ ماذا يملك إلا وعيه الثقافي و قصائده الشعرية التي يظن أنه سيفتتح بها المدينة الحديدية المقفلة و قببها الملساء، التي تشير إلى الأفكار الجامدة المحنطة، و إذ تكون المدينة كالقبة، فإن هذا يعني أنها محصنة ضد كل وافد جديد من ثقافة أو فكر أو وعي حضاري.

إن الشاعر لا يملك إلا قصائده و وعيه وفكره و ها هو يقدمها إلى ملكة هذه المدينة: « أنا لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعي ...

فخذيه .. إنه أثمن ما عندي .. خذيه ».

و يظن أنه حقق بهذا القلم أي بوعيه الثقافي حالة الأمان المنشودة، لكنه يُفاجأ في الصباح بعد تلك الليلة الهانئة في قصر شهرزاد، أنها تطلب من السياف أن يأخذ هذا المواطن و يقطع رأسه عقوبة له لأنه تجرّأ و دق باب المدينة الموصد، و طلب الأمان في ظل سلطتها. و تتجلى تقنية الرمز الأسطوري عند أمل دنقل في أنه يبدل الحادثة القصصية في ألف ليلة و ليلة،

فشهريار هو الذي كان يقتل كل يوم مواطنة من نساء مدينته بعد أن يقضي لذته معها، أما في القصيدة فإن شهرزاد هي التي تقتل مواطناً بسيطاً و مثقفاً و مبدعاً بعد أن تسقيه من خمورها و جسدها، فسلوك السلطة في بنيته العميقة ذو توجه واحد سواء أكان ذكوريا أم أنثويا. و من يقرأ الليالي جيداً سيلاحظ أن سلوك زوجات السلاطين و نساء السلطة بصفة عامة هو سلوك عدواني و متعطش للدماء، و لا يتوانى عن القتل لأي سبب كان، إذ كانت هاته النسوة تفتك بالعبيد و الخدم. فالملكة بدور في الليالي الأسطورية، و التي استفادت منها الرؤية الشعرية في هذه القصيدة و وظفتها تحت اسم بدر البدور و شهرزاد معروفة بشراهتها للقتل، فقد كانت تريد أن تقتل ابن زوجها الأمير الأسعد لأنه رفض أن يكون عشيقاً لها باعتبارها زوجة لأبيه الملك قمر الزمان، و قد قتلت قهرمانتها لمجرد أن القهرمانة أكدت أنها لم تشاهد غلاماً جميلاً دخل القصر، فأجابتها بدور: « يا خائنة تكذبين علي و تقولين ما كان أحد بائتاً عندك و تحلفين لي بالله باطل، فقالت القهرمانة و الله ما كذبت عليك، و لا حلفت باطلاً، فاغتاظت منها الملكة بدور، و سحبت سيفاً كان عندها و ضربت القهرمانة فقتلتها » (35)، كما تؤكد حكايات الف ليلة وليلة . و نقرأ في الليالي كيف أن السيدة دنيا البرمكي أخت جعفر البرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد أمرت بقتل زوجها محمد بن علي الجوهري لأنه غاب عنها في لحظة تريد فيها دنيا أن تحقق تواصلا جسديا معه، و لو لا شفاعة جواريها و وصيفاتها به لما نجا من القتل، عندئذ تكتفي بجلده جلداً وحشياً يبقى شاهداً أبدياً على جسده لأنه خرج من المنزل، ثم تطلقه بعد ذلك (36).
و بدر البدور أو شهرزاد المعاصرة، أو المدينة العربية المعاصرة هي الأخرى تستلذ بمرأى القتل، و بدلاً من أن تمنح هذه المدينة الوعي الشعري و الثقافي الأمان و الحرية، فإنه ما إن يلوح الصباح حتى تأمر سيدة المدينة السياف بقتل صاحب هذا الوعي.

يقول الشاعر:

« . « قد أتى الصبح .. فقم »
شدني السياف من أشهى حلم
حاملاً أمر الأميرة
- « أنا يا مسرور معشوق الأميرة
ليلة واحدة تُقضى .. بدم ؟ !

يا ترى من كان فينا شهريار ؟ !
أنا يا مسرور .. »
مسرور على الباب: رخام
- « أنا يا مسرور لم أسعد من الدنيا بفرحة
أنا لم أبلغ سوى عشرين عام
خذ ثيابي .. خذ مراياي المنيرة .. ».» (37).

و يستنكر السندباد المعاصر الذي يدخل المدينة حاملاً سلاح الوعي و الفكر، كيف أن مسروراً السياف سيقتله، - أي يقتل الوعي المعرفي - و هو قبل ساعات قليلة كان شهرياراً متوجاً بالمعرفة على عرش الملكة، أي أن الرؤية الشعرية تطمح إلى أن يكون الوعي المعرفي الذي يشير إليه القلم، هو السيد الحقيقي المتوج في المدينة بدلاً من شهريار، و بالتالي تصبح السلطة هي سلطة المعرفة بدلاً من سلطة البطش، و لكنّ هذه الرؤية ستفاجأ بالحقيقة المرّة، فالمدن المعاصرة تقف جداراً حصيناً ضد الوعي كبنية ثقافية و معرفية، و السلط فيها ترفضه باعتباره فعلاً تثويرياً يعمل على هدم ما بنته من تكلّس و قمع و جمود، فيبدو الجدار شاهقاً صلداً، و يقف عائقاً في وجه المعرفة، و يبقى المثقفون و حملة الأقلام طيلة حياتهم يجاهدون حتى يثقبوا ثغرة في هذا الجدار ليمر النور منها إلى أبناء هذه المدن.

يقول الشاعر:

« آه .. ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق !
ربما ننفق كل العمر كي ننقب ثغره
ليمر النور للأجيال .. مرّة !
.. .. .. ..
ربما لو لم يكن هذا الجدار:
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !! » (38)

هي المدن السوداء التي تقتل كل المواهب و أصحاب الأقلام و الآراء الحرة فيها. و يشير الدكتور عبد العزيز المقالح إلى بعض مما عاناه الشاعر أمل دنقل داخل جدران هذه المدن المليئة بمحاكم التفتيش قائلا: « و بعد أن طهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر الكبير و جسده الهزيل، و عندما رحل إلى جوار ربه الغفور الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه

من أنصار محاكم التفتيش و دعاة التكفير، و لكن هل اعتذر له هؤلاء هل حاولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير، ذنب اتهام المبدعين و ذنب قتل المواهب ؟(39).

و يبدّل الشاعر أمل دنقل من الفكرة الأسطورية و التاريخية حينما يوظفها في القصيدة، فإذا كانت ليالي ألف ليلة و ليلة تؤكّد أن مسروراً سياف الخليفة هارون الرشيد لا يخالف للخليفة أمراً، بل يقتل كل الذين أصدر الخليفة عليهم حكماً بالقتل، فإن مسروراً داخل القصيدة الشعرية يعفو عن صاحب القلم و يترك له فرصة لأن يهرب و لا يعود أبدا إلى المدينة:
« حسنا، فاهرب من الباب الذي في آخر الممشى و لا ترجع هنا »(40).

و فكرة العفو عند الجلادين في ألف ليلة و ليلة هي واردة أيضاً، لكنها ليست عفواً عن الثائرين على السلطان، و الناشرين بذور الوعي و التحريض ضده، بل إن العفو تحديداً يقع على المقرّبين من الجلاد نفسه، إذ يعمل على تهريب هؤلاء المدانين خارج أسوار القصر، شرط ألا يعودوا إلى المدينة، و لا يقوم الجلاد بتهريب هؤلاء المدانين، إلا إذا تأكد أنهم تعرضوا لمكيدة و أنهم أبرياء، أو قدموا رشوة كبيرة لهذا الجلاد.

و تنتهي القصيدة ليُطرد صاحب القلم أو حامل الوعي الثقافي و التنويري خارج المدينة المعاصرة المسطّحة الرافضة لحركات التغيير و التجديد، ليعود إلى حالة الحزن و الضياع، متشرداً خارج أسوارها المحاطة بالنفايات و الكلاب الوالغة، فاقداً كل آماله فيها، بعد أن كانت قائمة في ذهنه كحالة حضارية يمكن أن يحقق فيها الأمان و الحرية و الطمأنينة. يقول الشاعر:

« يا طريق التل حيث القبة الملساء .. خلفي
حيث ما زالت على جنبيك آلاف النفايات ..
لسكان المدينة:
الكلاب الوالغة ..
و زجاجات الخمور الفارغة ..
و أنا .. أحمل أقدامي الحزينة !!» (41).

و يخرج الشاعر من المدينة التي لا تمثّل له إلا كومة من النفايات، و سلطاً تحتقر العلم و المعرفة، و تمجّد القتل و الجهل، و السطوة. و عموماً يبقى الشاعر الحديث حاقداً على المدينة لأنه لم يرَ فيها « سوى علّة للمفاسد الاجتماعية بما فيها من عادات مستهجنة و خلاعة تؤدي إلى انسحاق

الرجولة، و بما فيها من محرمات و موبقات كالمسكر و القمار التي غالباً ما تؤدي إلى الانتحار و الإفلاس. و هذه الأمور جميعاً تجسيد لموت الإنسان و تفريغه من أصالته. »(42).

و لا يكتفي الشاعر أمل دنقل بإدانة مدينته المعاصرة، بل تقف أشعاره من خلال تركيزه الشديد على الرمز التاريخي و الأسطوري شاهد إدانة و تعرية للمجتمعات العربية بهزائمها و انتكاساتها ماضياً و حاضراً، و لذا فإن الرمز عنده يخرج من حقله الماضوي ليشير إلى حالة معاصرة تتعلق بوضع اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي يرفضه الشاعر باعتباره وضعاً مشوهاً لا إنسانياً. إن شعر أمل دنقل « يعتبر شاهداً حياً صادقاً على عقدين .. عقد الستينات .. و عقد السبعينات .. سنوات التفسخ و الاهتراء الاجتماعي و السياسي في الأمة العربية، و هو شعر عفّ و علا على الهبوط إلى مشاركة جوقات الاستجداء .. و الاستثمار .. و إحناء الرؤوس و إراقة ماء الحنايا و الوجوه. و هو شعر ينتصر للقيم الإنسانية و للحرية .. حيث يمتد كيان الفرد إلى الوطن .. و يمتد كيان الوطن إلى المجتمع الإنساني العام. و هو شعر « ا لتراث العربي و الإسلامي ». بل شعر « التراث الإنساني » .. استرفده أمل، و جعل منه عصارة حية .. تسري في أعطاف قصيدة بمفاهيم جديدة، و دلالات عصرية متوهجة. (43).على حدّ تعبير جابر قميحة.

كمال عبد الرحمن وخطاب إلى شهرزاد

و يكتب الشاعر كمال عبد الرحمن قصيدة بعنوان « خطاب إلى شهرزاد ». لا تبدو فيها شهرزاد بنية أسطورية أو رمزية تشير إلى حقل تاريخي أو أسطوري، يرتبط بدلالات قريبة من الواقع المعاصر، بل تعتبر مدخلاً لقصيدة تشير إلى حالات عشق و هوى رومانسي مع امرأة معاصرة يطلق عليها الشاعر اسم شهرزاد، و ليس لهذه المرأة المعاصرة من حقول مرجعية أسطورية تتعلق بشخصية شهرزاد الأسطورية إلا مستواها اللفظي فقط، و كونها امرأة غنية كشهرزاد. و إذا كانت شهرزاد الأسطورة امرأة تابعة منقادة لشهريار، و لا إرادة لها أمام رغباته، لأنها مجبرة لأن تمنحه الحب و الحكايات متى شاء، فإن المرأة المعاصرة التي يحبها الشاعر امرأة

متفوقة عليه مركزاً و طبقة، و هو أسير لحالات عشق عميقة يحسها نحوها، يقول الشاعر:

لست بشهريار ...
ستدركين أبداً بأنني لا أملك الآن سوى هواي ...
! (44).
و ما احتويت منذ مولدي
سيفاً و لا جارية...
و لا اعتصمت بالقصور و الرياش.
و لا ملكت مركباً يموج في باطنه الياقوت و
الذهب ... !
و لا انتصرت للغني ضد عبده ... !
لست سوى عاشق روح هاجرت ...
صوب الولايات التي قد آمنت بالعشق قبل موتها
...
فارتفعت في سوحها ...
رايات أهل الأرض حين يعشقون ... ! » (45)

إن هذا المواطن البسيط الذي يحب امرأة أرفع منه مالاً و مكانة طبقية، يتقدم بخطابه فارداً كل أوراقه، طالباً حباً و ظلاً منها، بالرغم من أنه يفتقد إلى الملكية و القوة، فلا سيف و لا جارية له، و ينتمي منذ ساعة ميلاده إلى فضاء اجتماعي يتحدد بالطبقة الفقيرة التي لا تعرف القصور الوثيرة، و هو يفتقد إلى أي شكل من أشكال الثراء، أو إلى أي احتمال أن يكون ثرياً يوماً ما، لأنه لن يكون يوماً ما سندباداً يملك « مركباً يموج في باطنه الياقوت و الذهب ... !». و إذا كان مستلباً أمام هذه المرأة المهيبة الثرية، فإنه لم يفقد حسه الجمالي و الإنساني، إذ لم يقف مع غني ضد فقير، بل وعى حقيقة التباين الطبقي. و كونه لا يملك ما يجعله في طبقتها، لم يمنعه من أن يغامر في عشقها، طالما أنه يملك شفافية الروح العاشقة التي تهاجر إلى كل مكان، و تظل مؤمنة بالعشق كقيمة جمالية، و قد يبتعد مفهوم العشق هنا عن دلالته القريبة، ليكون عشقاً لكل مفاهيم الحق و الخير و الحرية، و قد تشير الولايات التي تؤمن بالعشق إلى فضاءات بعيدة يتحقق فيها كل ما تصبو إليه الروح. و

تبلغ حالات العشق بالشاعر أوجها ليتحدد إبحاره و حركته داخل فضاء مكاني يمتد من عينيها و لينتهي بعينيها.

و هنا تصبح هذه المرأة قضية كليّة بالنسبة إليه، فهي الأميرة التي من أجلها يصرخ في سكان الأرض منبّهاً إلى أهميتها، و عندما لا يصل إليها بالرغم من عشقه الراعف لها. فإنه يطلب من هؤلاء السكان أن يوصلوا خطاب حبه إليها. يقول الشاعر:

« ستدركين أبداً أيتها الأميرة ...
بأنني موزَّع ما بين عينيك و عينيك ... !!
أبحر في يسرهما .. كيما أرى جنوني القديم.
أطوف حول قصرك الناهض من مراراتي ..
أصرخ يا أهل الأرض ... و سّعوا المدى
أميرتي آتية لا ريب ... !
و طيّبوا الدروب بالروائح الزكية ...
و أطلقوني عاشقاً من شرفة الحياة.
و أوصلوا وصيتي بسرّ هذا الخطاب ... !!»

(46).

و يتساءل الباحث: هل يتحدد مدلول الأميرة هنا، بكونه يشير إلى مجرد امرأة غنية و متفوقة و تملك صفات خاصة تتفوق بها على بني جنسها من النساء، يحبها الشاعر، و من شدة ولهه بها يسميها أميرة، أو يشير إلى رؤية شمولية أكبر من ذلك، تتعلق بقضية كبرى في الحياة. يبدو أن الاحتمالين قائمان هنا، « إن العمل المعين يستعمل في آن عدة أنماط من علاقات وحداته فيما بينها، و هو تبعاً لذلك يخضع إلى عدة أنظمة.» (47)، حسب تعبير تزفيتان تودوروف. و العمل الشعري هو أكثر الأعمال الأدبية التي تستعمل عدة أنماط من الإيحاءات و الدلالات المتباينة التي تنمو داخل حقول معرفية جد مختلفة، و هذه الحقول بدورها تفرز رؤى مغايرة، و من ميزة النص الشعري الحديث أنه لا يخضع لتفسير نهائي، بل يظل أي تفسير له ناقصاً، و قابلاً لأن يعارض بتفسير جديد قد يتباين معه، و قد يلغيه نهائياً، « إن النص الأدبي لا يمثّل بنية لغوية متسقة منطقياً، تخضع لتقاليد ثابتة يمكن الكشف عنها، بل يمثل (تركيبة) لغوية تعارض نفسها من الداخل، و

تعج بالكسور و الشروخ و الفجوات على نحوٍ يجعل النص قابلاً لتفسيرات و تأويلات لا نهاية لها.» (48). كما يرى كريستوفر بطلر.

و إزاء التفسيرات التي لا نهاية لها و التي يفرزها النص الشعري يمكن التكهن بمجموعة من الحالات اللا نهائية، فربما تكون هذه المرأة مجرد حالة وهمية أو تخيلية، أو مجرد نزوة من نزوات العشق، أو امرأة حقيقية كان لها وقع خاص في نفس الشاعر فشكّل منها أميرة، و حلماً ذهبياً، أو حالة جمالية خاصة بالشاعر، أو رؤية تتعلق بإيديولوجيا معينة يؤمن بها الشاعر، و يسعى إلى تحقيقها. لكنها تبقى في كل الأحوال معزولة عن سياق المرأة الأسطورية شهرازد، و حتى لو افترضنا أنها ليست معزولة، فإن الرؤية التي تطرحها القصيدة غير قابلة لأن تدخل في حقل معرفي أسطوري، و تجد مقابلاً لها في حقل الواقع. إنها رؤية رومانسية خاصة، قريبة إلى الوهم أو الحلم، لكنها بعيدة عن الرمز التاريخي أو الأسطوري، يقول الشاعر:

« في تلك الساعة من نزوات العشق أتيت
أستجلي أوهام الحلم الذهبي.
و أدور بصحراء العربان .. و ألهث
يتبعني شيء من بعض بكاء مطلق ... !
فأخطّ بدمعي دائرة للغفران .. و أصحو مخموراً
بلقاء خادع. » (49)،

و نلاحظ أن المقطع الشعري السابق يتناص مع قصيدة مظفر النواب
« وتريات ليلية »، من حيث الفضاء اللغوي، يقول مظفر النواب:

« في تلك الساعة من شهوات الليل
و عصافير الشوك الذهبية
تستجلي أمجاد ملوك العرب القدماء.
...
في تلك الساعة حيث تكون الأشياء بكاء مطلق.
كنت على الناقة مغموراً بنجوم الليل الأبدية.
استقبل روح الصحراء
يا هذا البدوي الممعن بالهجرات تزوّد
بلقاء الربع الخالي بقطرة ماء. »(50).

و تشتد حالة العشق، و تبدو المرأة، أماً، و ربيعاً، و قدراً حتمياً، أو وطناً، أو حالة سحرية، يصعب تحديدها تماماً. و يبدو لي هنا أن الشاعر كمال عبد الرحمن استفاد في المقطع الآتي من ألف ليلة و ليلة. يقول:

« أهوي من أعلى قمم الدنيا ...
مرتطماً بالنوء ...
و بالصخر ... و بالموج ..
و أصرخ جئتك دون أموت ... !
فضميني كرضيع الأيام الأولى ...
و هبيني أزهار المطر الذهبي ...
من صادف عينيك برؤيا ...
من حلمٍ ليس يموت .. !
من جالس ذكراك الأولى.
لا تدركه الآلام.
لا يعرفه الموت ... ! ». (51)

و إن كانت الفكرة الشعرية مغايرة للفكرة الأسطورية في بنيتها المعرفية، فإن فكرة السقوط من أعلى القمة هي فكرة أسطورية وردت كثيراً في ألف ليلة و ليلة، فعلى سبيل المثال، عندما يصل الأمير موسى بن نصير إلى مدينة خراسان لجلب قماقمها السليمانية. بناء على رغبة الخليفة عبد الملك بن مروان، يعجز جنوده عن الدخول إلى المدينة نظراً لاستحالة فتح بابها الحصين، فيصعد هؤلاء الجنود إلى أعلى سور المدينة. و يصابون بالدهشة حينما يشاهدون نساء ساحرات الجمال داخل المدينة تومئ لهم بالهبوط إليهن. و يبدو إغراء هذه النسوة أمراً مثيراً لا يقاوم، فيندفع هؤلاء الجنود بسعير أجسادهم، ليقفزوا واحداً بعد الآخر إلى هاته النسوة، و لكنهم سرعان ما يموتون عندما يرتطمون بالصخر في أسفل السور الشاهق، لأن المدينة مسحورة على هيئة هاته النسوة الجميلات جداً (52). و جنود الأمير موسى بن نصير يصرخون جميعاً صرخة الفرح و هم يهوون ساقطين كما تذكر الليالي، و الشاعر هو الآخر يصرخ مرتطماً بالصخر دون أن يموت، و هنا المفارقة عن السقوط في ألف ليلة و ليلة.

هي المرأة السحرية، أو الجنة الأسطورية التي يرمي الشاعر نفسه من أعلى قمم الدنيا، واثقاً أنه لن يموت إذا صادف عينيها، و تبقى هذه المرأة

حلماً عصياً، أو لؤلؤة يستحيل القبض عليها، إنها السراب الهارب أبداً، أو النار التي تحرق عاشقيها، و يختتم الشاعر القصيدة بالمقطع الآتي، بعنوان ليلة من تلك الليالي:

« الغائب لا يرجع قبل الموت .. !
قالت .. و انسحبت خلف ظلامٍ من دم.
فأدرت دموعي صوب الغسق النابت في العينين الراحلتين.
و صرخت .. حنانيك سؤال .. !
و كطير البرق امتثلت ثانية ..
قالت .. ويحك هل تجرؤ ؟
قلت .. الرحمة إن صفاتي تركتني (منذ) جراح ..
و حياتي احترقت برماد خطاب.
ضحكت بجنون .. تركتني كرماد و رماد .» (53).

و نلاحظ تعدد مستويات الترميز التي تشير إليها المرأة، بحيث يبقى كل مستوى قابلاً لأن يفسر تفسيرات تناقض بعضها، لكن يبدو لي أن هذه المستويات لا تحيل إلى الفضاءات الرمزية الأسطورية التي تتعلق بشخصية شهرزاد، و لا تشير إلى بنية هذه الشخصية الرمزية، و اسقاطات هذه البنية، و أبعادها الإشارية و الإيحائية و الرؤيوية.

خاتمة

و اختتم هذه الدراسة بقصيدة قصيرة بعنوان « شهريار » للشاعر التونسي « سوف عبيد »، و يشير فيها إلى عبثية و عدم جدوى الفعل الشهرياري الأسطوري في علاقاته الكثيرة مع نساء مدينته، و التي هي علاقة انتقامية و قمعية لهن، و مهما كانت محاولاته الكثيرة الرامية للوصول إلى رأس النبع العذب، و بالتالي تحقيق أمنيته في الحصول على امرأة لا تعرف الخيانة، بعد أن فقد كل ثقته بنساء مدينته، فإن هذه الأمنية تصبح سراباً أيضاً لتهرب في فضاءٍ خاوٍ « الجيب، المثقوب »، و ما نساء مدينته غير أذناب أفاعٍ و حراشف، و بالتالي من الصعب الحصول على امرأة نقية لم تعرف الخيانة بعد، داخل المملكة الشهريارية، و يصبح شهريار هو نفسه « جيفة »، أي

حالة دونية تافهة أو « ذاتاً » بواراً خاوية في زمن بور مالح، و ستصبح حكايات شهرزاد عبثاً في عبث، و تفقد قيمتها الجمالية و الحكائية، و بالتالي تفقد فعلها في تهذيب طبائع شهريار، و سيظل الليل طويلاً و ينتهي ألق الليالي، فشهرزاد أمست خرساء، أي أن الفعل و تأثيراته داخل الرؤية الشعرية المعاصرة يلغى، و يصبح الزمان خاوياً لا وفاء و لا نماء فيه، و يمكن أن تكون حالة البوار هذه حالة معاصرة، كما كانت حالة أسطورية أو تاريخية. يقول الشاعر:

« أيها الغارف البحر .. بالحفنة
و المغربل فيه عن الحصاة التي تنزّ
بالنبع العذب
إن النساء اللواتي تخللن أصابعك.
يا ما انسابت ذوائب ضفائرهن
على سدر صدرك الصحراء
ثم انسلخن من قبضتك
كالأمنيات
في الجيب المثقوب
و يحك ما مسكت غير أذناب الأفاعي
و حراشف.
مرغت عليها جسد الجيفة .. في فجاج الملح..
الليلة ستنتظر الديك كثيراً
فشهرزاد أمست خرساء (54).

لقد كان لكتاب ألف ليلة و ليلة الصدارة بين الأعمال العربية و العالمية الكبرى، في الفلسفة و التاريخ و علم الاجتماع و الأساطير و الخرافات و السحر و القصة و الرواية. و قد « ساهمت في المقام الأول حكايات ألف ليلة و ليلة في خلقِ الصور الرومانسية الخيالية عن الشرق، إذ حملته معها و نقلته إلى الغرب. و تسنّى للغرب من خلال حكايات شهرزاد اكتشاف الشرق. و لا يوجد مؤلَّف شرقي أثّرَ تأثيراً قوياً في الأدب الأوروبي مثل تلك الحكايات الشعبية الرائعة و الجذّابة. و بين ليلة و ضحاها أصبح هذا الكتاب جزءاً لا يتجزأ من الأدب العالمي تماماً مثل « إلياذة - Ilias » هوميروس، و« آينيز Aeneis »، و« فرجيل Vergil »، و « ديكاميرونة

Decamerone »، و « بوكاتشيو Bocaccio »، و الملحمة الألمانية القديمة المسماة« Nibelungenlied » (55). كما ترى أردموته هللر .

و إذا كان لهذا الكتاب مثل هذه المكانة المتميّزة فإنّ لشهرزاد الفضل الأول في جعله يتخطّى حدود الإقليمية، ليأخذ صبغة عالمية بين آداب شعوب العالم.

و يرى البروفسور « جون جو لميير »(56) أن لشهرزاد أثراً في تاريخ المرأة الأوروبية، يقول بهذا الصدد: « إنّ شخصية شهرزاد أثّرت تأثيراً حاسماً في تاريخ المرأة الأوروبية، و جعلت القرن الثامن عشر أعظم القرون في حياتها، و كان لجمالها و ثقتها بنفسها، وتصديها وحدها لشهريار الذي عجز كل الرجال عن أن يوقفوه، و استخدامها لسلاح الأنوثة و المعرفة معاً، كان لهذا كله أثرٌ كبير في تكوين شخصية المرأة الأوروبية ».

و لم تتأثر القصيدة العربية المعاصرة بشخصية شهرزاد فحسب، بل تأثرت القصيدة الفرنسية و الانكليزية و الألمانية و الفارسية بهذه الشخصية الأسطورية التي تدفع الخيال إلى مزيد من الجموح و الأحلام و الإبداع، « إنّ قصص شهرزاد شبيهة بالأحلام، إذ أنها لا تبعدنا عن الواقع و لكنها تعطينا صورة مغايرة له، تلك الصورة التي لا يقدر على إدراكها العقل »، كما يرى كولريدج(57)، و من خلال هذه الصور التي لا يدركها العقل تشكّلت أجمل الرؤيات الشعرية التخيّلية و الإبداعية في شعر العالم المعاصر.

و على صعيد الأدب العربي و العالمي لم تتأثر القصيدة الشعرية وحدها بشخصية شهرزاد فحسب، بل تعدّى ذلك إلى الأجناس الأدبية النثرية كافة، و الى الرسم و الموسيقا و المسرح و السينما، و لا تزال هذه الأجناس تتأثر باستمرار بحكايات ألف ليلة و ليلة، باعتبارها منبعاً ثرّاً لا ينضب من حيث طاقاتها التخيّلية القصوى التي قلما نجدها في أي عمل أسطوري أو قصصي آخر سواء أكان عربياً أم عالمياً.

## هوامش الدراسة ومراجعها


(1) - عن / ويلبر سكوت Wilbur. S. Scot، " خمسة مداخل إلى النقد الأدبي "، ترجمة د. عناد غزوان اسماعيل وجعفر صادق الخليلي، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام، بغداد، الطبعة الأولى، 1981 م، ص 266.

(2) - رولان بارت، درس السيميولوجيا،ترجمة عبد السلام بن عبد العالي ، الطبعة الثانية ،دار توبقال للنشر / الدار البيضاء ( المغرب) ، 1986م، ص 11 - 12.

(3) - ميشيل فوكو، عن / عمر أوكان، مدخل لدراسة النص و السلطة، دار أفريقيا للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1991 م، ص 8.

(4) - ارنست فيشر، ضرورة الفن، ترجمة د. ميشيل سليمان، دار الحقيقة, بيروت, د. ت، ص 63.

(5) - عمر أوكان، مدخل لدراسة النص و السلطة، ص 11.

(6) - محمد عبد الرحمن يونس، " خطاب الحب و الجنس و السلطة في ألف ليلة و ليلة "، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت، العدد 10 / 11 اغسطس، سبتمبر، 1990 م، ص 93.

(7) - عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، دار نزار قباني, بيروت، الطبعة الأولى 1968م، ص 33.

(8) - عبد الوهاب البياتي، ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972 م، ص 397.

(9) - د. عبد الرحمن منيف، مجلة اليسار العربي، باريس، العدد 59، نوفمبر، 1983 م، ص 30.

(10) - جبرا ابراهيم جبرا، الحرية و الطوفان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982 م، ص 133.

(11) - ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، ص 424 - 425.

(12) - د. عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة و التجربة، ترجمة د. محمد برادة، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1980 م، ص 115.

(13) - د. عبد الرحمن منيف، مرجع مذكور، ص 31.

(14) - دريني خشبة، أساطير الحب و الجمال عند اليونان، المجلد الأول، دار التنوير بيروت، الطبعة الأولى، 1983 م، ص 149، 151، 153.

(15) - د. صبري حافظ، استشراف الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1985 م، ص 188.

(16) - ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، ص 385.

(17) - ي. غروموف، الواقعية الإشتراكية، ترجمة عدنان مدانات، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة الأولى، حزيران، 1975 م، ص 19 - 20.

(18) - د. صبري حافظ، استشراف الشعر، ص 186 - 187.

(19) - زاموشكين وآخرون، الفلسفة و العملية الثورية، ترجمة فهد كم نقش، دار التقدم، موسكو، الطبعة الأولى، 1982 م، ص 252 - 253.

(20) ـ خليل حاوي، ديوان خليل حاوي،( مجموعة نهر الرماد)، دار العودة ، بيروت، الطبعة الثانية, 1979م، ص 119 - 120.
(21) ـ سدوم: فعول من السّدم، و هو الندم مع غمّ، قال أبو منصور: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها
يقال له سدوم، و قال أبو حاتم في كتاب المزال و المفسد: إنّما هو سذوم بالذال المعجمة، قال: و الدال خطأ، قال الأزهري: و هو الصحيح و هو أعجمي، و قال الشاعر:
كذلك قوم لوط حين أضحوا كعصف في سدومهم رميم.
و هذا يدل على أنّه اسم البلد لا اسم القاضي، إلاّ أنّ قاضيها يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم.و ذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سدوم هي سرمين بلدة من أعمال حلب معروفة
عامرة عندهم،و كان من جوره أنّه حكم على أنه إذا ارتكبوا الفاحشة من أحد أخذ منه أربعة دراهم.
ينظر: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت،
طبعة 1979 م، الجزء الثالث، ص 200.
(22) ـ ايليا حاوي، خليل حاوي في سطور من سيرته و شعره، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، حزيران 1984 م، ص 63.
(23) ـ ب. كوملان، الأساطير الاغريقية و الرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة، طبعة 1992م، ص 87.
(24) ـ خالد سليمان، " خليل حاوي، دراسة في معجمه الشعري "، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، المجلد الثامن، العددان 1 / 2، مايو 1989 م، ص 47.
(25) ـ ايليا حاوي، " خليل حاوي في سطور من سيرته و شعره "، دار الثقافة, بيروت، الطبعة الأولى، بيروت, حزيران, 1984م،ص 113.
(26) ـ تشارلز فيدلسون الابن، الرمزية و الأدب الأمريكي، ترجمة د. هاني الراهب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق, 1976م، ص 76.
(27) ـ أمل دنقل الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تعليق على ما حدث، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثانية، 1 / 4/ 1985 م، ص 233.
(28) ـ جبرا ابراهيم جبرا، الحرية و الطوفان،المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت 1982م، ص 133 - 134.
(29) ـ أمل دنقل الأعمال الشعرية الكاملة، ص 234 - 235.
(30) ـ نفسه، ص 235 - 236.
(31) ـ رولان بارت، درس السيميولوجيا، ص 78.
(32) ـ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 237.
(33) ـ د. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية، دار العودة , بيروت ، الطبعة الخامسة، 1988م،
ص 214 - 215.
(34) ـ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 238.
(35) ـ ألف ليلة و ليلة، المجلد الثاني، المكتبة الشعبية للطباعة و النشر،بيروت ، دون تاريخ، ص 111.

(36) ـ تفاصيل الحكاية في ألف ليلة و ليلة، المجلد الثاني، المكتبة الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، 1981 م، ص 309. و كذلك دراسة محمد عبد الرحمن يونس المفصّلة لهذه الحكاية بعنوان: " نقد خطاب الحب و السلطة في تاريخنا الليلي "، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت، العدد الثاني و السبعون، السنة الرابعة عشرة، ابريل، يونيو، 1993 م، ص 103.

(37) ـ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 239.

(38) ـ نفسه، ص 238 - 239، و إشارات التعجب و الفراغات من وضع الشاعر.

(39) ـ د. عبد العزيز المقالح، " أمل دنقل .. أحاديث و ذكريات"، مقدمة الأعمال الشعرية الكاملة لأمل دنقل، ص 38 - 39 - 40.

(40) ـ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 240.

(41) ـ نفسه، ص 240.

(42) ـ د. محمد حمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 م، ص 257.

(43) ـ د. جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، دار هجر للطباعة و النشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1987 م، ص 5 - 6.

(44) ـ اشارات التعجب و النقاط هي من وضع الشاعر.

(45) ـ كمال عبد الرحمن، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، العدد الثاني، السنة 17، آذار 1982 م، ص 4.

(46) ـ نفسه، ص 138.

(47) ـ تزفيتان تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت و رجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر , الدار البيضاء, 1990م، ص 58.

(48) ـ كريستوفر بطلر، التفسير و التفكيك و الإيديولوجية،ترجمة د. نهاد صليحة, مجلة فصول, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة، المجلد الخامس, العدد الثالث, ، ص 80.

(49) ـ كمال عبد الرحمن، م س، ص 5.

(50) ـ القصيدة مسجّلة بصوت الشاعر على شريط كاسيت، بحوزة كاتب هذه الدراسة.

(51) ـ كمال عبد الرحمن، م س، ص 6.

(52) ـ لمزيد من الاطلاع حول هذه الحكاية تراجع: ألف ليلة و ليلة، المجلد الثاني، المكتبة الشعبية للطباعة و النشر، ص 160، و ما بعدها.

(53) ـ كمال عبد الرحمن، م س، ص 7.

(54) ـ سوف عبيد، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، العدد 47، جانفي، 1988 م، ص 27.

(55) ـ أردموته هللر، شهرزاد و الحركة الرومانتيكية في أوربا، مجلة فكر وفن، دار ميونخ، ألمانيا، العدد 42، العام 22، سنة 1985 م، ص 52.

(56) ـ عن / مجهول المؤلف، شهرزاد في ألف ليلة و ليلة، مجلة الجيل، باريس، المجلد الرابع، العدد العاشر، اكتوبر 1983 م، ص 57.

(57) ـ عن / اردموته هللر، شهرزاد و الحركة الرومانتيكية في أوربا، ص 57.

## مصادر الدراسة ومراجعها

1- الكتب العربية


(1) - إبراهيم جبرا، جبرا: الحرية و الطوفان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982 م.

(2) - إسماعيل، د. عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية، دار العودة , بيروت ، الطبعة الخامسة، 1988م.

(3) - أوكان، عمر: مدخل لدراسة النص و السلطة، دار أفريقيا للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1991.

(4) - البياتي، عبد الوهاب: تجربتي الشعرية، دار نزار قباني, بيروت، الطبعة الأولى 1968م.

(5) - البياتي، عبد الوهاب: ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972 م.

(6) - جبرا، جبرا إبراهيم: الحرية و الطوفان،المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت 1982م.

(7) - حافظ، د. صبري: استشراف الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1985 م.

(8) - حاوي، خليل: ديوان خليل حاوي،( مجموعة نهر الرماد)، دار العـــودة ، بيروت، الطبعة الثانية, 1979م.

(9) - حاوي، إيليا: خليل حاوي في سطور من سيرته و شعره ، دار الثقافة, بيروت، الطبعة الأولى، بيروت, حزيران, 1984م.

(10) - حمود، د. محمد: الحداثة في الشعر العربي المعاصر، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني،

(11) - الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة 1979 م، الجزء الثالث.

(12) - خشبة، دريني: أساطير الحب و الجمال عند اليونان، المجلد الأول، دار التنوير بيروت، الطبعة الأولى، 1983 م.

(13) - دنقل، أمل: الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تعليق على ما حدث، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثانية، 1 / 4/ 1985 م.

(14) ـ قميحة، د. جابر: التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، دار هجر للطباعة و النشر، القاهرة، الطبعة
الأولى، 1987 م.
(15) ـ مجهول المؤلف: ألف ليلة و ليلة، المجلد الثاني، المكتبة الشعبية للطباعة و النشر،بيروت ، دون تاريخ.
(16) ـ مجهول المؤلف: ألف ليلة و ليلة، المجلد الثاني، المكتبة الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية،
1981 م .

## 2ـ الكتب الأجنبية المترجمة

(1) ـ الابن، تشارلز فيدلسون: الرمزية و الأدب الأمريكي، ترجمة د. هاني الراهب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق, 1976م.
(2) ـ بارت، رولان: درس السيميولوجيا،ترجمة عبد السلام بن عبد العــــــالي ، الطبعة الثانية ،دار توبقال للنشر / الدار البيضاء ( المغرب) ، 1986م.
(3) ـ ب، كوملان: الأساطير الاغريقية و الرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة، طبعة 1992م
(4) ـ تودوروف، تزفيتان: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر , الدار البيضاء, 1990م.
(5) ـ الخطيبي، د. عبد الكبير: في الكتابة و التجربة، ترجمة: د. محمد برادة، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1980 م.
(6) ـ زاموشكين، وآخرون: الفلسفة و العملية الثورية، ترجمة فهد كم نقش، دار التقدم، موسكو، الطبعة
الأولى، 1982 م.
(7) ـ سكوت، ويبر: Wilbur. S. Scot، " خمسة مداخل إلى النقد الأدبي "، ترجمة د. عناد
غزوان إسماعيل وجعفر صادق الخليلي، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، الطبعة الأولى،
1981 م.
(8) ـ غروموف، ي: الواقعية الاشتراكية، ترجمة عدنان مدانات، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة
الأولى، حزيران، 1975 م.
(9) ـ فيشر، ارنست: ضرورة الفن، ترجمة د. ميشيل سليمان، دار الحقيقة, بيروت, د. ت.

## المقالات المنشورة في المجلات العربية

(1) ـ بطلر، كريستوفر:" التفسير و التفكيك و الإيديولوجية"،ترجمة د. نهاد صليحة, مجلة فصول, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة، المجلد الخامس, العدد الثالث.
(2) ـ سليمان، د. خالد: " خليل حاوي، دراسة في معجمه الشعري "، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الثامن، العددان 1 / 2، مايو 1989 م،
(3) ـ عبد الرحمن، كمال: « خطاب إلى شهرزاد »، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، العدد الثاني، السنة 17، آذار 1982 م.
(4) ـ عبيد، سوف:« شهريار »، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، العدد 47، جانفي، 1988 م.
(5) مجهول المؤلف:" شهرزاد في ألف ليلة و ليلة"، مجلة الجيل، باريس، المجلد الرابع، العدد العاشر، اكتوبر 1983 م.
(6) ـ منيف، د. عبد الرحمن: مجلة اليسار العربي، باريس، العدد 59، نوفمبر، 1983 م .
(7) ـ المقالح، د. عبد العزيز: " أمل دنقل .. أحاديث و ذكريات"، مقدمة الأعمال الشعرية الكاملة لأمل دنقل. دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولى، القاهـــــــــــــــــــرة، الطبعة الثانية، 1/ 4/ 1985 م.
(8) ـ هللر، أردموته:" شهرزاد و الحركة الرومانتيكية في أوربا"، مجلة فكر وفن، دار ميونخ، ألمانيا، العدد 42، العام 22، سنة 1985 م.
(9) ـ يونس،د. محمد عبد الرحمن: " خطاب الحب و الجنس و السلطة في ألف ليلة و ليلة "، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت، العدد 10 / 11 اغسطس، سبتمبر، 1990.
(10) ـ يونس، د.محمد عبد الرحمن : " نقد خطاب الحب و السلطة في تاريخنا الليلي "، مجلة الفكر العربي، معهد الانماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت، العدد الثاني و السبعون، السنة الرابعة عشرة، ابريل، يونيو، 1993 م.

# لســـانيـــات النـص من المفهوم إلى الآليات الإجرائية

**الدكتورة عايدة حوشي**
جامعة بجاية

ملخص
**تهدف هذه الدراسة إلى إبراز فاعلية البلاغة في لسانيات النص من خلال إسهامات البلاغيين الغربيين و العرب القدامى، ممّا لجهودهم من أثر بارز في المفاهيم المعاصرة التي واكبت لسانيات النص بعد الستينيات من القرن التاسع عشر، ناهيك عن الآليات الإجرائية التي تهم تحليل لغات النصوص و أساسياتها الوظيفية، إلى جانب المداخل التي عنيت بالتحولات من نحو الجمل إلى نحو النصوص. لأجل إبراز هذه المسائل يأتي هذا المقال لتفعيل فكرة البلاغة و لاسيما الأسس الإجرائية المعتمدة في لسانيات النص.**

Abstract
This study aims to highlight the effectiveness of the rhetoric in text linguisticsthrough contributions of western rhetorician and ancient Arabs than for their efforts a significant impact oncontemporary concepts that had accompanied the text linguistics afterthe sixties of the nineteenth century,not to mention the procedural mechanismsinterest to the analysis of the languages of the texts and its functional principles, along with portlets that are interested in transformations from sentences grammar to texts grammar. In order to highlightthese issues this article comes to activate the idea of rhetoric, especially proceduralgrounds in text linguistics.

اهتم البلاغيون القدامى بالظاهرة النصية قبل ظهور لسانيات النص بوقت طويل، حيث شكّلت الدراسات البلاغية الكلاسيكية[1] الأرضية الخصبة لهذا المجال العلمي الهام عبر فن المرافعة و مسألة الإقناع، فلقد اعتمد السوفسطائيون* الخطابةَ في التأثير على الجماهير، وكانوا المؤسسين الفعليين لها والممهدين لأعمال أفلاطون (Platon)و أرسطو(Aristote)، حيث اشتهر جورجياس (Gorgias)" بقدرته على استعمال الكلمات الشعرية ليؤثر بذلك في المستمع ويتلاعب بعواطفه، و كان أول خطيب ينبري لإظهار أهمية الخطابة باعتبارها من أهم مقومات الممثل و السياسي بما لها من قدرة على التأثير والإقناع"[2]؛ فإقناع الآخر من أهم العوامل المساهمة في توصيل لغة النص بطريقة تجعله أكثر إبلاغا من نص قد لا يقنع ولا يؤثر في مستقبليه، لأنه في هذه الحال يعيق التواصل حسب أفلاطون[3]، حيث ينبغي علينا في مستوى الشعر مثلا " أن نراقب الشعراء ونحملهم على أن يبرزوا في إنتاجهم صورة الخلق الخير، و إلا عاقبناهم بالحرمان من التأليف"[4]؛ لأن الفائدة من النص ليست حفظه وحسب إنما حفظه بفهمه وإيصاله إلى الآخر بالطريقة المثلى. أمّا الخطابة فقد لحقت بالشعر في رأيه؛ لأنه لم يكن يعتبرها آداة للتكوين السياسي للمواطن كما أنّها تتغذى من أفكار مائعة.
ارتبطت ظاهرة المرافعة بمسألة الخطابة كما تناولت كل واحدة منهما(الخطابة والمرافعة) عملية توصيل النص إلى الآخر، فهما عنصران هامان يدخلان ضمن الإرهاصات التأسيسية للسانيات النص الحديثة. لقد شرع أرسطو فن المرافعة في كتابه الخطابةبهذا التساؤل:" كيف نؤثر في نفوس الحكام؟"[5]لأنّ المرافعات من مشمولات الخطابة كما يواصل أرسطو الشرح:"ومن أجل أنّ الريطوريقا (الخطابة) إنما تكون في أمور الحكومة؛ لأنهم قد يحكمون في المشورات ثم الأحكام أيضا من الحكومة؛ فقد يجب اضطرارا أن ينظر ليس في المُثبْتَت المُصَدَّق من الكلام فقط و أنْ كيف يكون، بل الذي يُصيِّر الحاكم إلى الضَّعْف و المَيْل أيضا، فإنّه قد يختلف التصديق جدا، و لاسيما في المشورات ، ثم في الحكومات من بَعْدُ بأن يَعْرف الحاكم أيُّ امرئ هو...و أمّا المعرفة بالمتكلم أي امرئ هو فإنّها تعين بزيادة عند التشاور، و أما المعرفة بالسامع بأية حال هو ففي الحكومات، لأنه ليست أحكامهم فيمن أحبوه ومن قلدوه شيئا واحدا و لا فيمن كانوا غضابا عليه أو كافّين عنه بل هي مختلفة البتة، أو مختلفة في العدد و المبلغ، فإن الحاكم قد يتلون في الحكم على من يحكم عليه..."[6]. الذي يلفت انتباهنا في هذا المقطع من كتاب (الخطابة)هو أن النّص قد شكل بالنسبة لأرسطو وسيلة توصيلية هامة لمجموع من الأفكار و الرؤى في المحاكمات، و الهام في هذه المسألة أنها أخذت أبعادها بحسب أصحاب النصوص و الغاية التي رسموها

لها، حيث وصف أرسطو ظواهرها بشكل كلي غير تخصيصي للسمات البلاغية و اللغوية عموما، و ذلك رغم كونه قد أسهب عبر الكتاب نفسه في شرح الجوانب البلاغية للخطابة والعلامات النصية المختلفة. و لعله قد أراد في ذلك أن يهتم بإبراز الفاعلية الكبرى لما يحيط ببنية النص اللغوية و يخدمها في الوقت نفسه.

يقول فولفجانج هاينه مان (Wolfgang Heinemann) و ديتر فيهجر (Dieter Viehweger):" يحتل بؤرة التفكير البلاغي دائما السؤال عن تحقق تأثير اتصالي مثالي( على نحو ما يمكن أن نقول اليوم)، حدوث نجاح في الإقناع بمساعدة وسائل بلاغية خاصة، و بهذا المعنى يمكن أن تفهم البلاغة على أنها مجموع المفاهيم والقواعد الخاصة بمواجهة مؤثرة في الجمهور، أي فن الخطاب الجيد.(فن قول شيء جيد مصيب، على أنها القول البليغ؛ الذي كان يعنى دائما بالتشكيل الزخرفي والمنمق لموضوع ما"[7]؛ لأن الإقناع في أي نص من النصوص يؤدي إلى حدوث الاتصال الإيجابي بين النص و مستقبليه؛ لأجل هذا حدد أرسطو"مسألة إثارة الانفعالات( كالشفقة، والخوف، و الغضب، و ما شابه ذلك)"[8]؛ أي ضمن الحدود اللغوية التابعة للنص ومستلزماته الإيصالية، كعيّنة من جملة العيّنات التي تساهم في الإقناع على اختلاف طرائقه اللغوية و غير اللغوية و على اختلاف أجناس النصوص.

تشغل مسألة المطابقة و فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية مساحة هامة من مساحات الاشتغال بالنص ومقوماته اللغوية و غير اللغوية، فـ" البلاغة في الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها"[9]، لاسيما أنّ مقتضى الحال هو:" ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص، و لن يطابق الحال إلاّ إذا كان وفق عقول المخاطبين، و اعتبار طبقاتهم في البلاغة، و قوتهم في البيان و المنطق، فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه، والغرض الذي يبنى له و لسراة القوم و الأمراء فن آخر لا يسد مسده سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات..."[10]، ناهيك عن مستويات النصوص من الناحية اللغوية و التي تتحكم بدورها في المقتضى، إلى جانب الكفاءة التي يجب أن تلف النصوص بما تمليه من قدرات صاحب النص، حيث عليه أن يراعي العقل المستقبل لنصه في حدود الطبقة الموجه إليلها الملفوظ أو المكتوب على السواء، فهذا ما من شأنه أن يجعل للبلاغة أهمية بارزة في تشكلات النصوص و لاسيما الظروف المحيطة بها أيضا.

ترجع بدايات هذه الفكرة إلى بشر بن المعتمر؛ حيث شكّلت " محورا أساسيا في صحيفته، ولعل أول نصوص هذه الصحيفة تعبيرا عن فكرة (مقتضى الحال)، كلام بشر حين(مرّ بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة و هو يعلم فتيانهم الخطابة... فكنّ في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، و فخما سهلا، و يكون معناك ظاهرا مكشوفا، و قريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، و إما عند العامة إن كنت للعامة أردت، و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، و كذلك ليس يتضّع بأن يكون من معاني العامة، و إنّما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال، و ما يجب لكل مقام من المقال)؛ و يدل سياق هذا النص على أن فكرة مقتضى الحال إنما أتت في إطار التنظير لبلاغة الخطابة... لذا ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما و لكل حالة من ذلك مقاما"[11]. نفهم ممّا تقدم أنّ فكرة مقتضى الحال هي فكرة تلف النصوص ضمن أبعاد بلاغة الخطابة، فما من نص يمكنه تفاديها و إلا ذهبت عنه القصدية فهي من الشروط الواجب توفرها في النصوص التواصلية. يقول أبو هلال العسكري:" فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك؛ مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم و قوتهم في المنطق"[12]. إن الغاية من النص هي العمل على تبليغه بالطريقة المثلى، سواء بمراعاة موضوع الرسالة و كاتبها معًا/ أم بمراعاة الرسالة والمكتوب إليه معًا/ أم بمراعاة الكاتب و المكتوب إليه و موضوع الرسالة معًا. لأنك قد تراعي المسند/ أو المسند إليه/ أم العلاقة الإسنادية بشكل عام، لأن" ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، و هو الذي نسميه مقتضى الحال"[13].أمّا الخطيب القزويني فيحدد ذلك قائلا:" و أمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[14]. تعتبر فكرة مقتضى الحال إذن طريقا إلى تحقيق بلاغة الكلام، إلى جانب العناية بنظم الجمل النظم الحسن حسب المقامات المناسبة لها و التي هي على التوالي: "

- المقاصد: التشكر/ الشكاية...
- المخاطب: بناء الكلام على استخبار أو إنكار/ الكلام مع الذكي أو الغبي.
- سياق المقال: مقام الكلمة مع الكلمة.

وما أجمله السكاكي من أحوال و مقتضيات فصّله على مدار أربعة فنون:

- الفن الأول:في تفصيل اعتبارات الإسناد الخبري.
- الفن الثاني:في تفصيل اعتبارات المسند إليه.
- الفن الثالث:في تفصيل اعتبارات المسند.
- الفن الرابع:في تفصيل اعتبارات الفصل و الوصل و الإيجاز و الإطناب.

و حين نقرأ تفصيل كل فن من هذه الفنون، و نرصد كل حال و ما تقتضيه، يتبين لنا أن الأحوال تنحصر في ثلاثة:

1 ـ المتكلم 2 ـ علم النحو 3 ـ السامع

و أنّ أكثرها تأثيرا أو اقتضاء هي تلك التي تتصل بالمتكلم، و أقلها تلك التي تتصل بالسامع، و بينهما تأتي المتصلة بعلم النحو"[15]. و إذًا فلقد اهتمت البلاغة العربية بالتقعيد للمناحي التي تحيط بالنص وتضمن إبلاغيته بما هو حَسَنٌ من خلال حدوث النجاح في الإبلاغ، فحددت الخطى اللغوية و غير اللغوية المساعدة على ذلك حيث ظهرت فكرة مقتضى الحال إلى جانب مسألة الإقناع بلغة النص وسياقاته المختلفة و ما إلى ذلك من الإرهاصات الهامة المساهمة في تبلور لسانيات النص.

مفهوم لسانيات النص وموضوعها:

لسانيات النص:"فرع علمي بكر، تشكل تدريجيا في النصف الثاني من الستينيات و النصف الأول من السبعينيات، و منذ ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهارا عظيما، و تشهد المراجع المتخصصة الوفيرة على القدر الكبير الذي شارك به هذا الوافد الجديد، مشاركة فعالة مع العلوم اللغوية في استمرار تطور علم اللغة على وجه الإجمال"[16]، فلسانيات النص من الفروع العلمية التي عُنيت بلغة النص وفق طرائق متعددة رغم صعوبة الإجماع على موضوع هذه الدراسة العلمية؛ لماذا؟ لأن مشكلة تحديد السمات الجوهرية للنص بوجه عام؛ أي خصوصيته من خلال الوحدات التي أُنتجت في الماضي أم التي يحتمل أن يَنتج منها لم تُحَل إلى يومنا هذا.

لقد تطور هذا العلم بشكل ملفت للانتباه في العشرين سنة الأولى من ظهوره، ناهيك عن كونه قد نظر إلى النص بشكل شمولي عبر كل ما ارتبطت به اللسانيات من علوم، وهو ما أبرزه بشكل واسع استفحال الغموض[17] في توسيع رقعته اللغوية عبر اتجاهات مختلفة؛ أي تطوره نحو اتجاه شامل، حيث أثارت هذه الخاصية حفيظة من انتقدوه، و"يدفع ذلك بأن توسيع مدى علم اللغة ليشمل نصوصا وكيفية عملها داخل الاتصال لا يشكك مطلقا في الحاجة الملحة إلى وصف دقيق لكل وحدة من الوحدات اللغوية الأساسية: الوحدات الصوتية (الفونيمات)، و الوحدات الصرفية (المورفيمات) والوحدات المعجمية (اللكسيمات)، و الوحدات النحوية غير المستقلة(السنتجميمات) و الجمل، ومشروعية ذلك الوصف، بل يجب كذلك أن تستكمل مثل هذه الدراسات اللغوية، بل و تعمق، حيث ينبغي أن يلعب جانب الكيفية المحتملة لأدائها في طرز نصية محددة و بشروط اتصال معينة دورا في ذلك أيضا"[18]؛ معنى هذا أن: لسانيات النص ذات موضوع محدد

هو دراسة لغة النص لكنه مجال تتقاسمه عدة علوم ولكنّها لا تلغي خصوصيته، لماذا؟ لأنّ كل العلوم التي تعينه و يستمد منها موضوعه هي علوم تنطلق من اللغة و تعود إليها حتى و إن لم تكن من مشمولات العلوم اللغوية كـ علم الاتصال مثلا... إنّه لمن العلمية إذن؛ أن نعترف بحاجة العلوم لبعضها البعض، ولو ضمن حدود إبستيمولوجية دقيقة؛ فلا مبرر لفصل علم لغة النص مثلا عن علم لغة الجملة و لا عن علم الاتصال، كما أنّه لا يمكن أن نبرر تطابقها بشكل تعسفي/ أي العمل وفق الحدود التكاملية دون التداخلية.

كيف يمكن للسانيات النص أن تكون علما شاملا أسسه لغوية و غير لغوية؟
ورد في كتاب مدخل إلى علم لغة النص أنه "لا يمكن أن يفهم علم لغة النص على أنّه علم شامل، وليس كذلك على أنه " علم النص" بمفهوم فان دايك Van Djik بل يجب أن ينحصر علم لغة النص في بحث أبنية النص و صياغاته، و ذلك من خلال تضمنها في سياقات اتصالية وسياقات اجتماعية و نفسية بوجه عام. و بناء على ذلك يجب أن تظل النصوص هي منطلق البحث اللغوي النصي و هدفه، و من الجائز حقا أن يعد تداخل الاختصاصات (تضافر العلوم) في معالجة النصوص في الوقت الحاضر شرطا ضروريا لمدخل منهجي موفق، دون توسيع مبالغ فيه لمجال الموضوع.ومن ثم يشكل النص نفسه الموضوع الأساسي و الأصلي لعلم النص. و هي المهمة المحورية لعلم لغة النص على الإطلاق"[19]. كيف ذلك؟ إن الإقرار بحاجة لسانيات النص إلى علم الاتصال مثلا لا يلغي فائدة ما هو غير لغوي؛ لكن الأهم في هذا هو الالتزام في هذا المستوى من الدراسة بما يخدم الصياغات اللغوية لا أكثر، " و نحن نعد مثل ذلك الوصف الشامل لوقائع الاتصال في إطار علم الاتصال أمرا ضروريا بلا ريب. غير أننا نقصر مفهوم النص( مع مراعاة المفهوم الشائع للنص أيضا) مؤقتا على إنتاج إشارات اتصالية لغوية وتلقيها. أما وصف أبنية الإشارات الاتصالية غير اللغوية ووظائفها (التي لها أهمي كبرى لفهم النص في الاتصال المنطوق)، و كذلك الربط بين منطوقات لغوية و تعبيرات غير لغوية ـ الذي لم يدرس إلى الآن إلا درسا محدودا ـ فلا يمكن أن يدرج بشكل منظم في دراستنا في الوقت الحالي"[20].لأن مجال العلامات النصية غير اللغوية ليس من صميم الدّرس اللساني، بل يدخل ضمن علم أوسع من اللسانيات وهو السيميولوجيا(Sémiologie) / أو السيميوطيقا (Semiotics)[21].

فضل سوسير في لسانيات النص:

لقد خلفت لسانيات سوسير المنحى الرئيس الذي سيمد لسانيات النص بمشمولات الأسس الدراسية العلمية. يقول تودوروف (Todorov):" تحدد اللسانيات موضوع بحثها في الجملة، وفي حالة قصوى؛ كما هو الحال عند سوسير فإن ما يمكن أن يعرف لسانيا يتوقف عند الكلمة أو عند التركيب. و لقد أرادت البلاغة الكلاسيكية أن تجعل لضوابط بناء الخطاب شرعة، و لكن قصدها المعياري وإهمالها للأشكال الكلامية الواقعية، جعلا ميراثها يشتمل على قليل من المعلومات التي يمكن استخدامها"[22]. لماذا؟ لأن " الملاحظ على علاقة النص بلسانيات الجملة أن التحليل اللساني قد توقف" بنفسه خلال زمن طويل عند الجملة، فقد كانت هذه مصممة بوصفها إطارا للإدماج الإجمالي لكل الوحدات الملائمة لسانيا، من غير اهتمام بالمستويات المحتملة للتنظيم العالي، و حتى الجملة بالنسبة إلى سوسير على كل حال باستثناء الجملة المصطنعة ـ فإنها لا تعد جزءا من لسانيات اللغة، و لكن من لسانيات الكلام:"الجملة هي نموذج التركيب الأمثل، و لكنها تنتمي إلى الكلام و ليس إلى اللغة"[23]. و بهذا يكون الدور الذي قام به سوسير هو إماطة اللثام عن الفروقات الجوهرية بين نمطي التمثيل النصي و لو في حدود الجملة. " وقد كان بلومفيلد من جهته يرفض أن يأخذ على عاتقه الوحدات الاستبدالية الأكثر امتدادا من الجملة"[24]. أما لسانيات هيلمسليف المنظوماتية(الغلوسيماتية) (Glossématique) " فإنها تبدو استثناء لأنها تعطي النص لنفسها ضمنيا بوصفه معطى منذ بداية التحليل، و لكن على الرغم من هذا المبدأ، فإن التحليلات المنجزة فعلا في إطار المنظوماية قد بقيت عموما في إطار قواعد الجملة"[25].رغم كون هيلمسليف من أبرز اللسانيين الذين طوروا اهتمامات سوسير إلى ما يسمى بالسوسيرية المحدثة.

يعود الفضل في المجهودات التي قام بها سوسير إلى موقفه في " منع التطابق غير المشروط للمبادئ العاملة على مستوى تركيبات الجملة، و إذا كان هذا هكذا، فإن اللسانيين عندما بدأوا بالاهتمام بالتنظيم النصي على نحو خاص، فقد حاولوا على العكس من ذلك، في فترة أولى أن يغيروا مواضع النموذج القاعدي للجملة، و هكذا فقد قام تحليل الخطاب (Z Harris) بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة: تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه. فالتحديد يريد لنفسه أن يكون نحوا محضا، أي إنّه لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقات الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوا"[26]. أي إننا نبني بهذا المنهج نصوصا غامضة و هنا علينا القول: إن القيود التي تحكم النصوص لا يمكن

أن تُختزل إلى قيود لسانية تعمل على مستوى الجملة و حسب؛ بل ما يتعدى الجملة إلى جمل تشكل الجملة الكبرى (النص).

التوجهات النصية بعد سوسير:

الشكلانيون الروس و البحث عن الأدبية:
لم تكن التصريحات و الأفكار في روسيا تتجاهل روح العصر الذي تنتمي إليه، لذلك فقد ظهرت فكرة التجريد بشكل ملفت للانتباه داخل الغليان السوفييتي و الثورات في روسيا، كما برزت مظاهر التجديد في صفوف الشكلانيين في الثلث الأول من ظهورهم؛"إلى أن سُحق هؤلاء المفكرون والمبدعون من قبل (الكانوسا الإيديولوجية) على حد تعبير واحد من الممثلين لهذه التصفية/ج جورباتشوف/ في المؤتمر الأول للكتاب السوفييت في 1934/كانت المناقشات مرفوضة و إدانة الشكلانية و الحداثة(و كذا الفرويدية قضية مسموعة)، و قد نشر ابتداء من 1965 عدد من النصوص (النظرية)للشكلانيين الروس بفرنسا و بالخصوص في مجلات -_ Change Poétique و في مختارات نظرية الأدب. و نلقى في نظرية الأدب دراستين: (الفن كطريقة) لـ: شكلوفسكي 1917، و(نظرية المنهج الشكلي)1925 لـ إيخنباوم. و نلقى أيضا (الشكلانيون الروس تحت المحك)، 1924"[27].
الشكلانية الروسية كما يحددها أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر في القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان هي" اتجاه معروف جيدا في فرنسا، وذلك بفضل الأهمية التي كانت لها في تطوير البنيوية أثناء الستينات، و لقد كانت الشكلانية تمثل العنصر النواة لتطورات الشعرية في القرن العشرين بلا ريب، و إنه ليعود إليها أنها ألحت خصوصا على إمكانية دراسة الأعمال الأدبية و فائدتها بوصفها ((سلسلة)) خاصة، لا تختزل إلى مختلف القوى السببية الخارجة على الأدب و التي تمارس عليها، يجب على نظرية الأدب أن تحاول استخراج أدبية المؤلفات، أي الإجراءات التي تعد بها جزءا من الفن و من العمل الجمالي للسان، و بهذا فإن دراسة الأعمال العامة لم تعد تتحدد بكونها أدوات تاريخية فقط لمحاصرة خصوصية العمل الفردي، و لكنها صارت معترفا بها بوصفها هدفا إدراكيا مستقلا"[28]؛ و هو ما ظهر في أعمال "إخنباوم/ شكلوفسكي/ بروب/ فينوغرادوف/ جاكوبسون/تينيانوف/ توماشيفسكي.
نفهم مما تقدم أن الشكلانية الروسية هي الاتجاه الذي سلط الضوء على الجانب الجمالي لسانيا كما سعى إلى إبراز قيم الأدبية في النصوص عبر الجوانب الأسلوبية التي تبرز النواحي اللغوية للنصوص الأدبية، لاسيما و أن

من مثلها هم الضليعون في هذا الجانب، لأنها تدرس كما يقول إخنباوم:" الأدب بوصفه سلسلة من الظواهر الخصوصية، و تنظر إلى تاريخ الأدب على أنه تطور ملموس و خصوصي للأشكال و التقاليد الأدبية"[29].علما أن الشعرية تعود إلى أرسطو في إطار دعوته إلى الفنية المرتبطة بالخطابات النصية لأجل هذا لا يمكن نفي قيمة مجهوداته بوصفها أولى إرهاصات النصية و مستلزماتها[30].لقد:" عرفت الشكلانية الروسية تطورات و انعطافات ملحوظة في إطار الحلقة اللسانية لبراغ، المؤسسة في عام 1926، و التي سيشكل جزءا منها قدماء الشكلانيين الروس، مثل جاكوبسون أو أبوغانيريف، ولقد اقترح ممثلها الأكثر أهمية (ج/ميكاوروفسكي) شعرية و اقترح بشكل أوسع جمالية) بنيوية ووظيفية في الوقت نفسه:لقد رأى أنّ الأدب يتحدد بوصفه شكلا من أشكال التواصل الكلامي الخاص، و هو شكل تهيمن عليه الوظيفة الجمالية"[31].الشكلانيون الروس هم إذًا تلك الجماعة من المفكرين الشبان الذين أرادوا التوصل إلى الأبعاد الحقيقية لأدبية النص الأدبي من خلال إضفاء الطابع الجمالي اللساني إلى جانب التركيز على الأبعاد الفنية التي تضمن الأدبية للنصوص.

يقول عبد القادر الغزالي:" إن الشعرية من العلوم التي عرفت تنوعات عميقة عبر مراحل تاريخية و اتجاهات فنية مختلفة. و يمكن أن نميز في تاريخ الشعرية بين لحظة قديمة يمثلها أرسطو بكتابه (الشعرية) الذي يعالج فيه أنماط الخطاب وصولا إلى الشعريات العربية و الأوربية الكلاسيكية وإلى لحظة حديثة ترتبط بحركة الشكلانيين الروس و ما أعقبها من توجهات عميقة في حقل الشعرية"[32].فالشعرية لا تزعم أنها نظرية للأدب[33] و لا يمكنها أن تكون كذلك؛ لأنها تعتبر جزءا من علوم اللسان لأنها تدرس الفن الأدبي لا بوصفه عملاً قِيمِيًا إنما بوصفه عملا تقنيا ذا إجراءات تقود إلى فهم أدبية النص الأدبي من حيث اللغة. موضوع الشعرية إذًا هو:" قبل كل شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا؟... و بما أن تنوعات البناء اللغوي تعتبر طرفا من الأطراف المنبثقة عن البناء اللغوي الأولي(الأصلي). فإن دراسة القيم المهيمنة في الأثر اللفظي تستند أساسا إلى معطيات اللسانيات و علم البنيات اللغوية الشامل، و هكذا فإن الشعرية كما يؤكد رومان ياكوبسون: تهتم بقضايا البنية اللسانية، تماما مثلما يهتم تحليل الرسم بالبنيات الرسمية، فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات و يترتب عن هذا التحديد ما يلي:

· اعتبار الشعرية فرعا من فروع الدراسة اللسانية التي تهتم بتنوعات البنية اللغوية- خاصة التنوع الذي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية -

· التركيز على القيمة المستقلة للأثر الفني مع انفتاحها على الأنساق الدلالية الأخرى.
· اعتماد نظرة متفتحة لمجالات اشتغال اللسانيات"[34].

نفهم من هذا أن الشعرية قد عمدت إلى توضيح القيمة اللغوية لأدبية النص و فنيته ولاسيما تواصلية النصوص التي تشكل الدافع الأكبر الذي اهتم به جاكوبسون حتى يوضح البعد الفعلي لأي نص من النصوص[35].يقول ديكرو و سشايفر:" ثمة فكرة واعدة أكثر كان جاكوبسون قد دافع عنها والتي بموجبها يزود الأدب بوظيفة خاصة هي الوظيفة الشعرية. وقد كان لهذه الأطروحة الفضل خصوصا في إعادة تحليل النصوص الأدبية إلى المستوى الذي هو لها؛ أي إلى مستوى الأفعال الاستدلالية وليس إلى مستوى النسق اللغوي المستقل. و هذا لا يمنع أن الوظيفة الشعرية كما حددها جاكوبسون(تركيز للرسالة على شكلها الخاص)تميز الشعر خصوصا بالمعنى الضيق للمصطلح و لا تستطيع أن تزعم بأنها تكشف عن وظيفة القصة الأدبية"[36]. هذه الوظيفة التي يجب الانتباه إلى ان فنيتها أو أدبيتها لا تتحقق بعيدا عن التشكلات النحوية و لا البلاغية و لا الدلالية.

لسانيات الجملة و النص (من النحو إلى الجُمَل):

لم تنل الدراسات النحوية حقّها من التجديد حتى الثلاثينيات من هذا القرن حيث كان من الواجب الاعتناء بفهم الجملة من خلال العلاقات القائمة بين الأجزاء التي تكونها مع التركيز على الأطراف المشاركة فيها من الداخل و من الخارج. و الذي لفت الانتباه إلى هذا الإجراء هو: بوهلر وجاردنر. حيث أضحت الجملة نموذجا فيزيائيا يتجاوز البعد الذهني السابق فحددت "بأنها وحدة لسانية وحّد التنغيم بين أجزائها ـ وهي الكلمات ـ ليشكل منها بنية كلامية مفردة، و قد تبنى هذا التعريف على سبيل المثال عالم النحو الدانماركي أ/ دي جروت A . De Groot"[37]، فالجملة ليست انشغالا نحويا صارما دون حاجة إلى الصرف، و هو ما ركز عليه رواد النحو و الصرف معا في مدرسة ييل. لأجل هذا اهتم اللسانيون بالمقاربة التوزيعية خاصة جيل بول جرافينPaul Gravin كما ظهر النحو التوليدي( grammarGenerative )حتى يتم الكشف عن القواعد المتحكمة في بنية الجملة، فاعتاد العلماء في هذه المرحلة إطلاق مصطلح النحو التحويلي(Tranformational grammar) على نمط من أنماط النحو التوليدي*. يقول أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر:" يعود الفضل إلى سوسير في منع التطابق غير المشروط للمبادئ العاملة على مستوى النصية مع المبادئ العاملة على مستوى تركيبات الجملة، و إذا كان هذا هكذا، فإن

اللسانيين عندما بدأوا بالاهتمام بالتنظيم النصي على نحو خاص، فقد حاولوا على العكس من ذلك في فترة أولى أن يغيروا موضع النموذج القاعدي للجملة.

تم التغلب على الوصف النحوي الخاص بالجملة المفردة فتوسعت نظرية النحو التي قدمت مفهوم الجمل المتجاورة التي تشكل النصوص المختلفة، و يعتبر العالمان (الروسي بشكوفسكي Peskovskij و الألماني بوست Boost) ممهدا الطريق إلى هذا المفهوم الهام، حيث وُسع مجال القواعد[38]، و أضحت المناهج التي تدرس الأسس الخاصة بالجملة تختص كذلك بالنصوص التي تتكون أساسا من جمل مفردة سيهتم بها نحو النص). لكن بشرط هام هو أن النصوص ما هي إلا كليات متجاوزة للجمل. يقول(قولفجانج هاينه مان) و(ديتر فيهجر):" و لما كان تجاوز حد الجملة أمرا أساسيا لإدراك النصية فقد وصفت النصوص بأنها كليات متجاوزة للجمل(فهي متجاوزة للجمل، لأنها تعرض وحدات خلف حد الجملة"العبارة"Phrase beyond the sentence"[39]. لقد بدأت البراهين بافتراض أوجه اتفاق بين الخواص الكلية للجمل و النصوص بهذا الشكل:

- " لا يمكن تحديد عدد نهائي من جهة الكم للجمل أو النصوص في كل لغة على حدة.
- تعد كل من الجمل و النصوص ناقلات للموضوعات و مصوغة صياغة زمنية.
- كلتا الوحدتين لهما في حد ذاتهما طابع بنيوي و يتكونان من عناصر لكل منهما علاقة بالآخر.
- يمكن أن تأتلف الجمل و النصوص على أساس نماذج معينة في أقسام، و تقوم هذه الأقسام بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة و تلقيها"[40].

و بهذا تجسدت المحاولات الأولى في الانتقال من تحليل الجملة إلى أزواج من الجمل كما كان إيزنبرجH Isenberg/ أول من حاول تطوير نحو شامل للنص. و بذلك تشكلت داخل قواعد توليد الجملة المستخدمة في الأنحاء التوليدية لإنتاج الجمل "قاعدة النص" التي يمكن أن توسع بمساعدتها الجملة المفردة في النص"[41].الجمل في لسانيات النص إذًا هي " عبارات نصية في الدرجة الأولى بوصفها (سلسلة من الجمل)، و ستسمى مثل هذه السلسلة (التتابع)، و يكون مثل هذا التتابع منظما"[42].لأنها تعكس بنية نصية لابد أن تتماسك أجزاؤها و وإلا مسها التفكك و خرجت إلى مستويات أقل؛ أي إنها

لن تشكل بعيدا عن التماسك بالتتابع اي ارتباط بمشمولات النص و لن تسمى حينئذ جملة كبرى.

محاولة هاريس من خلال تحليل الخطاب:
شكل عمل هاريس مرحلة ما بعد بلومفيلد، حيث ظهر كتابه( مناهج اللسانيات البنيوية) عام 1951( Zelling Harris, Methods in structural linguistics)، والذي قدم من خلاله منطق العلاقات التوزيعية، ثم مالبث عدل عن ذلك و تحول إلى فكرة التحويل منذ عام 1952في مقال عنوانه( الثقافة و الأسلوب في الخطاب المطول)( Culture and style in extended discourse). يقول أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: " و هكذا فقد قام تحليل الخطاب (Z Harris) بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه. فالتحديد يريد لنفسه أن يكون نحوا محضا، أي أنه لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقة الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوا"[43].فمنهج هاريس مع احترامه لهذه المعايير إلا أنه يحيلنا إلى إمكانية بناء نصوص غامضة لأن بنية نص ما لا يمكنها أبدا أن تقتصر على الحدود اللسانية الخاصة بالجملة[44].
لقد قام هاريس بدراسة الجمل وفق الوحدات الممكنة في لغة من اللغات بمعنى كما يقول أحمد يوسف في تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات:" يجب أن تتوافر فيها القابلية للتحقيق بهذا التصور لقواعد الجمل. يظل تحليل الخطاب يبحث عن معرفة المقاييس و بنائها، و كذلك اعتبار مجموعة من السلسلات الوصفية على أنها متتاليات لجمل ملفوظة(Phrases-enonces) فهي تتشكل في نظر هاريس مؤسسة لشبكات من التكافؤ بين جمل و جمل متتالية"[45]؛ حيث تتفرع إلى هذه الجمل إلى قسمين اثنين:
· "مفهوم الأصولية: هي الجملة الصحيحة نحويا و منطقيا.
· مفهوم دلالة الجملة:من مشكلات اللسانيات أنها تجد صعوبة في " تحديد ماهية الجملة؛ فإذا كانت تتألف من عناصر تعود إلى ثبت مغلق، ومن أصوات محدودة العدد ترتبط بالمعنى... و لكن...هناك أيضا بنى و جمل تختلف في معناها و تتحقق بأشكال متشابهة، و هناك أيضا بنى و جمل تتشابه في معناها و تتحقق بأشكال مختلفة.
إن تحليل الخطاب دفع هاريس إلى تعريف مجموعة من التكافؤ و التقارب بين ملفوظين؛ حتى يبرز طريقته المنهجية التي ركزت على النص الإشهاري..."[46]، و هي من الدراسات المعاصرة التي دفعت بالنصوص إلى الآلية و تنوعاتها التحليلية والتواصلية. لقد سمي القرن العشرين بامتياز

قرن النص بكل ما شهده من نظرات علمية وعملية اهتمت بمفهوم النص و تفاعلاته المختلفة، حيث أوجدت هذه التنوعات مفاهيم موازية هي: الخطاب، المدونة...، و هو ما أثمر تطورا مس المفهوم والتصور في الوقت نفسه وهو ما نلاحظه عبر ما يلي:

أولا:
مثلما أشرنا في علاقة النص بلسانيات الجملة فإن النّص قد أخذ منذ سوسير طريقا إلى تفعيل حركية الجمل التي تشكل النصوص بداية من أعمال هاريس في تحليل الخطاب.
ثانيا:
المحاولة الثانية بالذهاب بعيدا في مفهوم النص هي كما ورد في القاموس الموسوعي لعلوم اللسان:" على نحو خاص الوصف المستوحى من من اللسانيات البنيوية: يحلل النص هنا تبعا لمميزات المستوى نفسها وهي تعمل على مستوى بنية الجملة، و لقد اقترح تودوروف (1969- 1971) أن نميز بين الوجه الشفاهي للنص، وهو الوجه الذي يتكون من كل العناصر اللسانية بالذات(صوتية، قاعدية، إلى آخره) للجمل التي تكونه، والوجه النحوي الذي يحيل ليس إلى نحو الجمل ولكن إلى العلاقات بين الوحدات النصية(جمل، مجموعات من الجمل، إلى آخره)، و الوجه الدلالي، و هو إنتاج معقد للمضمون الدلالي للوحدات اللسانية، و تحتوي دراسة الوجه الشفوي أيضا دراسة الوقائع الأسلوبية، و كذلك أيضا دراسة الظواهر الأكثر بدائية مثل طول النص، إلى آخره"[47].أضف إلى ما تقدم أن الاهتمام بالنص قد تنوع ضمن اهتمامات تعليمية و أخرى نفسية واجتماعية لكنها كلها صبت في إطارين هما:
الإطار الأول:بنيوي اهتم ببديهية "التماثل بين التنظيم اللساني للجملة و تنظيم النص"[48].
الإطار الثاني:اختص به التوليديون عبر "وجود القواعد النصية العميقة و التي لها نفس المكانة التي لقواعد الجملة"[49].
نفهم مما تقدم أن النص قد شكل حلقة هامة التف حولها الباحثون و أولوها العناية البارزة التي و رغم التطورات التي تحياها تبقى بحاجة إلى إسهامات متعددة و حثيثة خاصة وأننا أمام تحدي النصوص الآلية و الرقمية التي تتطلب المجهودين اللساني والآلي.

قضايا لسانيات النص

أ ـ تحديد مفهوم النص و إشكالياته

أولا: النص من منظور لغوي بحت:

ورد في لسان العرب أنّ:" النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا؛ رفعه وكل ما أُظهر فقد نُصَّ... و أصل النص أقصى الشيء و غايته، ثم سمي به ضرب من السير السريع..."[50].

النص (Texte) هو: "مجموع ملفوظات توضع للتحليل، النص إذًا هو عينة لسلوكات لسانية يمكن أن تكون مكتوبة أو منطوقة، يأخذ لويس هيلمسليف كلمة نص في معناها الأكثر اتساعا على أنها تعني بهذا ملفوظا مهما كان سواء منطوقا أم مكتوبا؛ طويلا أم قصيرا، قديما أم جديدا."توقف" هو نص أحسن بكثير من رواية " الوردة". كل مادة لسانية مدروسة تشكل بالضبط نصا، الذي ينحدر من لغة أو من عدة لغات..."[51]، كما يعود إلى الكلمة اللاتينية (Textus)/و التي تعني: النسيج أو الأسياج المضفرة. من الفعل: (Textere) أي: نسج أو ضفر، كما تطلق كلمة Texteعلى الكتاب المقدس كما عنت منذ العصر الإمبراطوري ترابط حكاية أو نص. يقول جولفجانج هاينه: "وأمثلته: الرسالة، الرواية، المقالة العلمية... غير أن هناك متشابهات كثيرة: فهل يطلق عن محادثة الهاتف نصا! على أغنية أو رسم دال على رمز أو فكرة أو إعلان بمكبرات الصوت في محطة القطار ؟ هل تعد إشارات المرور الضوئية بألوانها المختلفة، و بما يتوصل بها من معلومات أيضا(( نصوصا))...عند الإجابة عن هذه الأسئلة تختلف الآراء كثيرا... و من ثم يجب على علم النص أن يحاول قبل كل شيء إزالة أوجه التناقض عند تحديد المفهوم، و تقليل أشكال الغموض بالكشف عن معايير لتحديد النصوصمن اللانصوص بل لتحديد الأقسام المختلفة للنصوص أيضا"[52]. لأن الإشكال الحاصل لا يمس لسانيات النص بشكل عام بقدر ما يمس تقاطع المفاهيم المختلفة بين مجموعة من المصطلحات كـ:الرسالة، الملفوظ، المدونة...و لأجل هذا لا نكاد نعثر على تحديد نهائي لها لأن تقاطعاتها أكثر بكثير من تميزها الواحد عن الآخر(المصطلح عن الآخر). نفهم من هذا أن النص هو تلك الحمولة اللغوية التي لا يهم طولها أو قصرها، كما لا يهم كونها المنطوق أو المكتوب...

ثانيا: المفهوم الموسع للنص:

المفهوم السيميولوجي:

النص من المنظور السيميولوجي هو ما يعتبر "ملفوظا، فالنص مقابل للخطاب انطلاقا من محتوى العبارة؛ سواء أكان مكتوبا أم متلفظا به، موظفا

لظهور الفعل اللساني، حسب بعض اللسانيين رومان جاكوبسون: العبارة الشفوية و الخطاب بالنتيجة هو الفعل الأول. الكتابة لن تكون إلا مشتقة؛ أي ترجمة للإظهار الشفوي"[53].فالنص خطاب شفوي أو مكتوب، أي إن الخطاب هو الفعل المترجم للنص من الجانب الشفوي؛ وهو مجموع ملفوظات تعكس العلامات اللغوية و غير اللغوية بموجب مبادئ السيميولوجيا التي لا تتوقف عند الجوانب اللغوية و حسب، أضف إلى هذا أنّ النص من الوجهة السيميولوجية هو مجموع علامات لغوية وغير لغوية، أظهرها إلى الوجود السيميائيون السرديون ومن حمل معهم لواء تحليل النص سيميائيا سواء منه السردي مع المدرسة الغريماسية أم مع مولينو في دراسته للنص الشعري، وللتبسيط أكثر، فإن السيميوطيقي في تعامله مع النص الحكائي أو السردي يدرس على المستوى السطحي البرنامج السردي ومكوناته الأساسية، وعلى المستوى العميق يدرس المكون الدلالي، لأنّ التحليل السيميائي هو ذاته تحليل للخطاب، وهو يميز بين "السيميوطيقا النصية " وبين اللسانيات البنيوية لأن التحليل السيميائي للخطاب ينطلق مما انتهت إليه جهود اللسانيين حول النظرية العامة للغة. فالخطاب يطرح في كل الأحوال مسألة علاقته بالتلفظ وبالتواصل. ولكن المجال السيميائي يهتم بأطره المرجعية مثل الإيحاء الاجتماعي ونسبته للسياق الثقافي المعطى المستقل داخل تحليله التركيبي أو الدلالي.

تتطلب دراسة النص تحليل " النسق الدال الذي ينتج ضمنه لسان ولغة مرحلة ومجتمع محددين[54]؛ أي إنه معطى أولي مفتوح على التحليل عن طريق مستقبل مفكك للسنن في ضوء الطبقات الدلالية والأوصاف اللّسانية. نستنتج مما ذهبت إليه جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) أن تموضع النّص على هذه الشاكلة يحوي قاعدة تمكن اللّسانيات من أن تصبح النموذج العام لكل سيميولوجيا، بالرغم من كون اللّسان ليس سوى النسق الخاص ضمن الأنساق السيميولوجية، فبهذا" فتحت أمام السيميائيات إمكانية الانفلات من دلالة الخطابات كأنساق للتواصل"[55]. نَلفي ضمن الإطار نفسه تقريبا أنّ طبيعة النّص موجهة بشكل أو بآخر لوظيفته التواصلية، كما يمكننا أن ننظر" إلى النّصوص كتشييدات من متتالية من الجمل، فالجملة عنصر أو وحدة أو مكون في نص ما، والنّص مُشَكّل من جمل بالمعنى العادي"[56]، أي ما يخص وحدات النّص التي تكون جملة كبرى، حيث تصبح بنيته محتملة كونها نسقا جمليا، أو جملة يؤلفها نسيج ذو عناصر تركيبية تظهر أهميتها التنظيمية داخل البنية، و من خلال مستويات تتشكل الإنتاجية الدلالية[57].

ثالثا : تحديد خصائص النص:

1 ـ التماسك (الاتساق و أدواته):

يشير مصطلح التماسك كما ورد في القاموس الموسوعي لعلوم اللسان "إلى الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية أو بين الجمل، ولاسيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع، و لكنها تحافظ أيضا على التوازي، و على التكرار أو على الحشو. ويعد تماسك الجملة المنتقلة جزءا مباشرا من التحليل النصي"[58]. معنى هذا أنّ: التماسك مرتبط ارتباطا وثيقا بالمستوى النحوي، حيث يخضع من الناحية النحوية إلى إعادتين إعادة صريحة و أخرى ضمنية؛ فأما الإعادة الصريحة فهي التي" تكمن في تطابق الإحالة( تساوي الإشارة) لتعبيرات لغوية معينة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يكرر تعبير معين(كلمة أو ضميمة مثلا) من خلال عدة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية، ويعني مفهوم المطابقة الإحالية...أشخاصا، أشياء، و أحوالا، ووقائع، و أفعالا، وتصورات..."[59]. مثال ذلك: " كان رجل في الطريق على عجلة، و أراد ( هو) أن يصعد (هو) جبلا، فرأى( هو)شيئا ملقى على الأرض، فتوقف( هو) عنده،كان الرجل يدعى أوبرستالن ، و لم يكن يرى( هو) في نفسه شيئا ذا قيمة، و لم يكن ليلفت نظر أحد..."[60]، فلقد قادتنا الإحالة الصريحة إلى تقديم نص متماسك نحويا بضمائر معينة سمحت من خلال احترام القاعدتين الصرفية والنحوية معا بتحقيق التماسك النصي و تفعيله بتفادي التكرار المخل بالمعنى والتركيب كذلك.

أمّا الإعادة الضمنية فهي:"على النقيض من الإعادة الصريحة، بأنه لا توجد بين التعبير المستأنِف (بكسر النون) ... و التعبير المستأنَف (بفتح النون) ، أية مطابقة إحالية. فكلا التعبيرين يستند إلى أصحاب إحالة مختلفين، أي إنه يُتَحَدث عن أشياءَ مختلفة وأشياء من هذا القبيل، و لكن بين هذه الأشياء توجد علاقات محددة، من أهمها علاقة الجزء بـ الكل أو علاقة الاشتمال"[61].مثال ذلك: " كان بيت الجملون الرمادي الذي نشأ فيه يوهانس فريدمان، عند البوابة الشمالية للمدينة التجارية القديمة الكبيرة إلى حد ما. دخل رجل من خلال باب البيت دهليزا واسعا مبلطا بالحجارة، يوصل منه سلم له داربزين مدهون باللون الأبيض إلى الأدوار، تظهر بطانة جدران غرفة الجلوس في الدور الأول مناظر ريفية باهتة"[62]؛ يُظهر هذا النص كفاءة عالية في الإعادات الضمنية التي تُمكِّننا من ربط أجزاء النص و الحصول على التماسك الضمني دون جهد؛ فالإعادة بنوعيها وسيلة هامة لتكوين النصوص المختلفة، و لكن علينا أن نعرف أنها ليست تحقيقا للترابط

دائما، فليس كل تتابع للجمل في نص من النصوص هو تماسك نحوي صارم مثلما يعكسه النص الأخير.
مثلما كان النحو أساسا في تحقيق التماسك فإن للموضوع دوره أيضا في ضبط التماسك، إذ لا يمكن أن تتحقق وحدة نصية ما دون أن يكون هناك انسجام بين مكوناتها أي تراكيب النص و سياقاته المختلفة." إنه لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، و لكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي، بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية (آدام 1989): يتضمن الانسجام التتابع و الاندماج التدريجي للمعاني حول(موضوع للكلام). وهذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناء عقليا. و يمكن للروابط بين المتصورات أن تكون من طبيعة مختلفة:سببية، غائية، قياسية، إلى آخره "[63].

رابعا:الانسجام:
ورد في القاموس الموسوعي أنّ الانسجام" لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، ولكنّه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية.يضمن الانسجام التتابع و الاندماج التدريجي للمعاني حول (موضوع للكلام)، وهذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناء عقليا، و يمكن للروابط بين المتصورات أن تكون من طبيعة مختلفة: سببية، غائية، قياسية، إلى آخره"[64].كما أورد أحمد مداس في كتابه لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري أنّ البحث في الانسجام يستند على" الوصل و الإحالات و الاستبدال والحذف".[65]
تكاد الفروقات الفعلية بين المصطلحين لا تظهر للوهلة الأولى، لأنهما متداخلان وأحدهما يقود إلى الآخر، " و إن مشكلة الحدود بين التماسك و النصي( الذي تحققه أدوات لسانية محضة)، والانسجام النصي( الذي يستخدم سيرورات إدراكية غير لسانية) مشكلة ومعقدة. وهكذا... لأنّه من المحتمل أن عددا معينا من الوقائع النصية التي نعدها عموما جزءا من الانسجام، تستطيع أن تفسر بمصطلحات التماسك. أي بمصطلحات لسانية محضة"[66]. ما معنى هذا؟ معنى هذا أن التماسك أو الانسجام لا يكونان إلا بالنمو النصي مثلما ستوضحه لنا العناصر الموالية:
من التماسك و الانسجام إلى السمات الدلالية :
السمات المعجمية و الأوجه الدلالية للنصوص من خلال التماسك:
هي نظرية تعود إلى غريماس (Algirdas Julien Greimas) زعيم مدرسة باريس السيميائية. حيث ركز في هذه الفكرة على مصطلح

التناظر(Isotopie) القائم على عنصر التكافؤ الدلالي بين الوحدات المعجمية في النصوص، "و تشكل الوحدات المعجمية للنص ذاته المترابط على ذلك النحو سلسلة تناظر/ سلسلة بؤرة. و في حال النصوص الكبيرة تشكل عدة سلاسل من التناظر للنص الكامل التي تعد بدورها ذات كفاءة تفسيرية حاسمة لتماسك النص، و يمكن أن تبرز الأشكال التالية لتشكيل تلك السلاسل من التناظر بعضها من بعض.

· إعادة بسيطة/ التكرير/: سائق- سائق
- استئناف متنوع
o من خلال لفظ أشمل: سائق – قائد وسيلة نقل
o من خلال لفظ مضاد: سائق – مار
o من خلال عبارة مفسرة: سائق – هو
- استبدال عنصر نحوي به: سائق – هو
و يستكمل هذا التكافؤ المنظم بملامح خاصة بدلالة النص (التكافؤ الوظيفي)
o كارين.....
o ......صغيرتنا
o ...............الشقراء
o .......هي..........
o ......كارين........
o ........صديقها.......

إنّ سلاسل التناظر تبلغ السامع في أثناء عملية الفهم أوجه الترابط الدلالي"[67].نفهم مما تقدم أن الوجه الدلالي هو ما يوجه التماسك في ضوء السمات المعجمية المتناظرة والتي تساهم بشكل أو بآخر في ربط التلاحم العقلي بين الدلالات المختلفة انطلاقا من السلسلة المعجمية المتناظرة داخل النصوص. لكن دائما في إطار تطابق الإحالة التي تعد من شروط الجمل الكبرى أي النصوص. أمّا في حال غياب التماسك فنلاحظ أن العلاقات الدلالية قد تفقد قيمتها في وحدة النص، فلا يمكن فهم النص بناء على السمات المعجمية وحسب، فرغم وجود سمات دالة متكررة وجمل متجاورة متتابعة إلا أنها لم تشكل نصا.
نخلص مما تقدم إلى القول: إن علم النص من العلوم الحديثة الموغلة في الأسس اللغوية سواء منها البلاغية أم النحوية أم الدلالية و المعجمية. إنّه علم يخضع في المشكلات التي تعترضه إلى كل الصعوبات التي تخص النص و

مفاهيمه الإجرائية الدقيقة، ناهيك عن صعوبة عملية التواصل التي كانت و لا تزال مشكلا منذ العقود السالفة، لأن من جملة الإشكالات التي تضاف إلى النص مهما كان النص، أنه قد شهد التطور و مسته اللسانيات الحاسوبية (Computational lnguistics ) بخصوصيتها بوصفها نقلت المعالجة النصية إلى الحوسبة ذات الذكاء الاصطناعي، هن هنا تنفتح مجالات العلوم على تطور البحث اللساني ذاته و الذي يعطي للبعد الإجرائي الآلي مكانته في الموحلة القادمة من مراحل لسانيات النص في مواجهتها لتحديات النصوص الرقمية.

**الهوامش:**

---

[1] بعد الجهود البلاغية الهامة التي أرساها أرسطو و البلاغيون العرب القدامى، نلاحظ بروز البلاغة الجديدة التي نمت مع الخمسينيات من القرن الماضي(20)، حيث" ولد مصطلح "البلاغة الجديدة" ذاته عام 1958 في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولوني المولد البلجيكي المقام' بيريلمان Perelman، تحت اسم مقال في البرهان:البلاغة الجديدة..وقد عرفت هذه المدرسة بمدرسة بروكسل و تفرعت إلى تيارات عديدة متحالفة في الأعوام التالية..أما التيار الثاني في البلاغة الجديدة..فقد نشأ في منتصف الستينيات من هذا القرن وامتد مشروعه خلال العقدين التاليين... وقد نشأت هذه البلاغة الجديدة في حضن البنيوية النقدية ذات النزوع الشكلاني الواضح... يمثلها:جيرار جنيت، تودوروف، جان كوهين...أنظر: صلاح فضل. بلاغة الخطاب و علم النص. مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان1996. ص:90. 91. 92. (بتصرف).

*ظهروا في اليونان ما بين عامي:450/400 ق م. و هم جماعة من المعلمين اتخذوا التدريس حرفة ينتقلون من مدينة إلى أخرى يعلمون الناس فنون الخطابة و البلاغة و الجدل و الرياضيات...

[2]عباس أرحيلة. الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.الرباط المغرب. 1999. ص: 146، 147.

[3]لفقد اختار أفلاطون الحوار طريقا له أخذه عن أستاذه سقراط، و بما أن النص الشعري يشبع الإحساس فإن الانفعال بالنسبة إليه لابد أن يموت جوعا، لذا طُرد الشعراء من الجمهورية؛ لأن إثارة الانفعالات لا تُرضي الفلاسفة. و لذا فعلى المستمع أن يفهم النص الموجود أمامه، لأنّ المنشد لا يكون منشدا إذا لم يفهم كلام الشاعر، إذ يجب عليه أن يفسر الكلام للمستمعين. أنظر:المرجع نفسه. ص: 155-156.

[4]أفلاطون. جمهورية افلاطون. نظلة الحكيم. محمد مظهر سعيد.دار المعارف مصر1963. ص:53.

[5]أرسطو طاليس.الخطابة.(الترجمة العربية القديمة). تر: عبد الرحمن بدوي. وزارة الثقافة و الإرشاد القومي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. 1959.ص:80.

[6]المصدر نفسه. ص: 80-81.

[7]قولفجانج هاينه مان و ديتر فيهجر. مدخل إلى علم لغة النص. تر: سعد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.ط1. 2004.ص:11.

[8]أرسطو طاليس. كتاب أرسطو فن الشعر. ملحق به أوثق ترجمة إنجليزية للعلامة إنجرام باي ووتر.تر: إبراهيم حمادة. المكتبة الأنجلو مصرية. 1989.ص:176.

السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع. دار الفكر بيروت.2003.ص:29. [9]

[10] المرجع نفسه. ص: 29 (الهامش).
[11] جميل عبد المجيد.البلاغة و الاتصال. دار غريب. القاهرة.2000. ص:22،21
[12]أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين. تحق: علي محمد البجاري. و محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار الفكر العربي. ص: 160
[13] السكاكي.مفتاح العلوم . ط2. مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر. 1990. ص:95.
[14]الخطيب القزويني. الإيضاح . شر و تع. محمد عبد المنعم خفاجي. الشركة العالمية للكتاب. 1989. ص:80.
[15] البلاغة و الاتصال.ص: 34، 35.
[16] قولفجانج هاينه مان و ديتر فيهجر. مدخل إلى علم لغة النص. ص: 13.
[17]أنظر: المرجع نفسه. ص:13 (بتصرف)
[18] السنتجميمات هي تعريب لـ Syntagmes؛ أي الوحدات النحوية غير المستقلة( التابعة لبعضها البعض). أنظر: المرجع نفسه. ص: 6.
[19] المرجع نفسه. ص: 8 - 9.
[20]المرجع نفسه.ص: 9.
[21]ظهر مصطلح السيمياء*في العديد من المدونات لكنّ العلم في حدّ ذاته وتجلّيه في شكل نظرية لا يختلف حوله اثنان من أنّه قد ظهر مع بورس الأمريكي بمصطلح " السيميوطيقا" (Semiotic)، و عند سوسير بمصطلح السيميولوجيا(Sémiologie)، ". أنظر: جيرار دورودال. السيميائيات أو نظرية العلامات. تر: عبد الرحمن بوعلي. دار الحوار. ط1 2004. ص:41.
[22] مجموعة من الباحثين. العلاماتية و علم النص. تر: منذر عياشي..المركز الثقافي العربي.ط1. 2004.ص:109.
[23] المرجع نفسه. ص:120.
[24]المرجع نفسه. ص: ن.
[25] المرجع نفسه. ص: 120 - 121.
[26] المرجع نفسه. ص: 121.
[27]آن إينو. تاريخ السيميائية.تر: رشيد بن مالك. مراجعة: عبد القادر بوزيدة. بد الحميد بورايو. منشورات مخبر الترجمة والمصطلح. جامعة الجزائر و دار الوفاق.2004.ص:90،89.
[28] أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. تر: منذر عياشي. المركز الثقافي العربي.ط2. 2007.ص:187.
[29] تاريخ السيميائية.ص:90.
[30]أنظر القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 177.
[31]المرجع نفسه:179.
[32] عبد القادر غزالي.اللسانيات و نظرية التواصل.دار الحوار. سوريا.ط1، 2003.ص:43.
[33]أنظر القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 177.
[34] اللسانيات و نظرية التواصل. ص:45،44.
[35]ملاحظة هامة: الشعرية ليست خاصة بالشعر فقط، إنّما تدرس أيضا في أشكال الرسائل اللفظية الأخرى، و غير اللفظية، كما تعمل الوظيفة الشعرية على إبراز قيمة الكلمات والأصوات و التراكيب...مُكسبة إياها قيما مستقلة المرجع نفسه. ص:50.
[36] ورد في القاموس الموسوعي ما يلي: " لقد سعت الشعرية خلال زمن طويل إلى استخلاص خصوصية الأدب انطلاقا من التأليف بين السمات النحوية والدلالية، و إنه ليكفي أن نذكر هنا المحاولات المتكررة و الهادفة إلى إنشاء لغة خاصة، هي اللغة الشعرية. فلقد صاغ الرومانسيون أطروحة من هذا القبيل. و قد ذهبوا إلى حد القول إنّ اللغة الشعرية تستخدم لنفسها نموذجا من العلامات الخاصة، إن الرمز بما إنه علامة محفزة لتتعارض مع العلامات القسرية للغة الناقلة. و قد كان هذا المشروع منذورا للفشل، و ذلك لأنّ كل التحليل غير المتوقع يبين بسهولة أنّ الكاتب، مثل أي واحد يستخدم اللغة العامة. أنظر: المرجع نفسه. ص:186 -187.
[37] المرجع نفسه . ص: 378.

* وهو ما أظهرته دراسات تشومسكي التحويلية و التي تحدد أصناف القواعد التي تعمل بعد التوصل إلى الخاص ببنية العبارة / أي المكون الذي ينتج البنية الأساسية للجملة (.المرجع نفسه. ص:379).

[38]أنظر: مدخل إلى علم لغة النص. ص: 19.

المرجع نفسه. ص: ن.[39]

المرجع نفسه. ص: 20. [40]

المرجع نفسه. ص: ن. [41]

[42] العلاماتية و علم النص. ص:148.

القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 534. [43]

[44]المرجع نفسه. ص:534.

[45] http.://maamri-ilm2010.

[46] Ibid.

[47]القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص:534،544.

المرجع نفسه. ص: 539. [48]

[49]المرجع نفسه. ص:539.

[50]ابن منظور. كتاب لسان العرب. تحق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله.هاشم محمد الشاذلي. دار المعارف. http://b.m93b.com/

[51] Jean Dubois et autres. Dictionnaire de linguistique et des sciences du langages.Larousse-Bordas/ HER.1999. P : 482.

مدخل إلى علم لغة النص. ص: 4. [52]

[53] A. J Greimas, J Courtès .Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie -390.3891979 . T2. 1986 p : .1 :du langage. Hachette- supérieur T

[54]جوليا كريسطيفا.علم النّص. تر : فريد الزاهي مرا: عبد الجليل ناظم توبقال لنشر.2. 1997.ص.10.

[55]المرجع نفسه. ص:15.

[56]روجر فاولر.اللّسانيات والرواية. تر: لحسن أو حمامة. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.ط1. 1997. ص:22.

[57]يقول برنار توسان: " نظريات جوليا كريستيفا صعبة إلى حد بعيد" من هنا فإننا نسعى جاهدين لفهم ما ترمي إليه نظريتها بدءا من: 1السيماناليز:هي التركيب بين الخطاب السيميولوجي و التحليل النفسي النظري. 2تعدد الأصوات:وهو ما يعتمد على التفاعلات الأساسية الإيديولوجية و التاريخية الدالة بين الموسيقى/ النص الأدبي...و غيرهما، و هي محاولة تنظيرية سعت إليها كريستيفا لكنها ظلت محاولة يائسة...أنظر: برنار توسان. ما هي السيميولوجيا. تر. محمد نظيف. أفريقيا الشرق. 2000. ص: 91.

[58]القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص:540.

[59]كلاوس برينكر.التحليل اللغوي للنص. مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج. تر: سعيد حسن البحيري. مؤسسة المختار. ط1 2005. ص: 38.

[60]المرجع نفسه.ص : 38. 39. ( بتصرف)

[61]المرجع نفسه. ص:49.

المرجع نفسه. ص: 49. [62]

القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 541.[63]

المرجع نفسه. ص: 541. [64]

[65]أحمد مداس. لسانيات النص. نحو منهج لتحليل الخطلب الشعري. جدار للكتاب العالمي/ عالم الكتب الحديث/إربد الأردن. 2007. ص: 247.

[66]المرجع نفسه. ص: 247.

[67] مدخل إلى علم لغة النص.ص: 34.

## قائمة المصادر و المراجع:


1. ابن منظور. كتاب لسان العرب. تحق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله. هاشم محمد الشاذلي. دار المعارف. http://b.m93b.com/
2. أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين. تحق:علي محمد البجاري. و محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار الفكر العربي.
3. أحمد مداس. لسانيات النص. نحو منهج لتحليل الخطلب الشعري. جدار للكتاب العالمي/ عالم الكتب الحديث/ إربد الأردن. 2007. ص:.247
4. أرسطو طاليس.الخطابة. (الترجمة العربية القديمة). تر: عبد الرحمن بدوي. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. .1959
5. أرسطو طاليس. كتاب أرسطو فن الشعر. ملحق به أوثق ترجمة إنجليزية للعلامة إنجرام باي ووتر.تر: إبراهيم حمادة. المكتبة الأنجلو مصرية. 1989.
6. أفلاطون. جمهورية افلاطون. نظلة الحكيم. محمد مظهر سعيد.دار المعارف مصر.1963
7. آن إينو. تاريخ السيميائية.تر: رشيد بن مالك. مراجعة: عبد القادر بوزيدة. بد الحميد بورايو. منشورات مخبر الترجمة والمصطلح. جامعة الجزائر و دار الوفاق..2004
8. أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. تر: منذر عياشي. المركز الثقافي العربي.ط2. .2007
9. برنار توسان. ما هي السيميولوجيا. تر. محمد نظيف. أفريقيا الشرق. 2000.
10. جميل عبد المجيد.البلاغة و الاتصال. دار غريب. القاهرة.2000.
11. جوليا كريسطيفا.علم النّص. تر : فريد الزاهي مرا: عبد الجليل ناظم توبقال لنشر.2. 1997.
12. جيرار دورودال.السيميائيات أو نظرية العلامات. تر: عبد الرحمن بوعلي. دار الحوار. ط1 2004.
13. الخطيب القزويني. الإيضاح . شر و تع. محمد عبد المنعم خفاجي. الشركة العالمية للكتاب. 1989.
14. روجر فاولر. اللّسانيات والرواية. تر:لحسن أو حمامة. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.ط1. 1997.
15. السكاكي. مفتاح العلوم . ط2. مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر. 1990
16. السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع. دار الفكر بيروت.2003.
17. صلاح فضل. بلاغة الخطاب و علم النص. مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان.1996
18. عباس أرحيلة. الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط المغرب. 1999.
19. عبد القادر غزالي. اللسانيات و نظرية التواصل.دار الحوار. سوريا.ط1، 2003.
20. فولفجانج هاينه مان و ديتر فيهجر مدخل إلى علم لغة النص. تر: سعد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق.القاهرة. ط1. .2004
21. كلاوس برينكر. التحليل اللغوي للنص. مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج. تر: سعيد حسن البحيري. مؤسسة المختار. ط1 2005.

22. مجموعة من الباحثين. العلاماتية و علم النص. تر: منذر عياشي.. المركز الثقافي العربي.ط1. .2004

23. A. J Greimas, J Courtès .Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Hachette- supérieur T :1 .1979 . T2. 1986 p :389-390.

24. Jean Dubois et autres. Dictionnaire de linguistique et des sciences du langages.Larousse-Bordas/ HER.1999. P : 482.

# عتبـــــة الإهـــــداء

**د.جميل حمداوي**
**المغرب**

**توطئـــــة:**

يرفق كثير من الكتاب والشعراء والمبدعين نصوصهم الإبداعية بذكر الإهداء ، باعتباره نصا موازيا للعمل الأدبي، يقدم النص، و يعلنه، ويؤطر المعنى، و يوجهه سلفا[1]. وقد يعتقد البعض أن الإهداء علامة لغوية لا قيمة لها، و لا أهمية لها في فهم النص و تفسيره، أو تفكيكه و تركيبه؛ بل هي إشارة شكلية مجانية أو ثانوية لا علاقة لها بالنص، ولا تخدمه لا من قريب و لا من بعيد. بيد أن الشعرية الحديثة (Poétique)أعادت الاعتبار لكل المصاحبات النصية أو العتبات المحيطة بالنص التي تشكل ما يسمى بالنص الموازي.وأصبح من الضروري قبل الدخول في النص الوقوف عند عتباته، و مساءلتها بشكل عميق ودقيق، قصد تحديد بنياتها، واستقراء دلالاتها، ورصد أبعادها الوظيفية. لأن الشكل مهما كان – عتبة أو تعبيرا أو صياغة أو مادة مطبعية- يحمل دلالات معينة، يقصدها المبدع أو لا يقصدها. و تؤخذ هذه الدلالات الشكلية بعين الاعتبار في قراءة النص الإبداعي وتأويله تشريحا وتركيبا.إذاً، ماهو الإهداء لغة واصطلاحا؟ وماهو تاريخه الغربي والعربي؟ وماهي أهم الدراسات التي اهتمت بالإهداء بنية ودلالة ووظيفة؟ وماهي مكونات الإهداء؟ و ماهي المقاربة المنهجية الصالحة لدراسة الإهداء في علاقته بالعمل من جهة، وارتباطه بالنص من جهة أخرى؟ هذه هي مجمل الأسئلة التي سوف نحاول رصدها في هذا الموضوع.

**☚ مفهـــوم الإهـــــداء:**

يرتبط الإهداء في اللغة العربية بالهدية والعطاء والتبرع والهبة. وفي هذا الصدد، يقول ابن منظور في لسان العرب:" أهديت الهدي إلى بيت الله إهداء.وعليه هدية. أي: بدنة.الليث وغيره: ما يهدى إلى مكة من النعم وغيره

---

[1]- د. شربل داغر: **الشعرية العربية الحديثة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988، ص: 22.

من مال أو متاع، فهو هدي وهدي، والعرب تسمى الإبل هديا، ويقولون: كم هدي بني فلان؛ يعنون الإبل، سميت هديا لأنها تهدى إلى البيت..."[2]

هذا، ويقصد بالإهداء ما يرسله الكاتب أو المبدع إلى الصديق، أو الحبيب، أو القريب، أو الزميل، أو المبدع، أو الناقد، أو إلى شخصية هامة، أو مؤسسة خاصة أو عامة، وذلك في شكل هدية أو منحة أو عطية رمزية أو مادية ، والهدف من ذلك هو تأكيد علاقات الأخوة، وخلق صلات المودة، وتقوية عرى المحبة، وتمتين وشائج القربى، وعقد روابط الصداقة ، ونسج خيوط التعارف، مع تبادل الهدايا الرمزية والمشاعر الرقيقة، سواء أكان المهدى إليه شخصية أم جماعة ، واقعية أم متخيلة[3]. وقد يقترن الإهداء بالهدية من جهة، أو بلحظة البيع والتوقيع من جهة أخرى.

وإذا تأملنا الإهداء – ولاسيما في الخطابات التخييلية السردية أو الشعرية- فسنجد انتقالا من الأنا نحو الآخر، فتتحول الكتابة الإبداعية إلى ممر وسيط بين الأنا و الهو ، وذلك في إطار ميثاق تواصلي بين الأنا والغير، قائم على المحبة والصداقة ، أو العلاقة الحميمة الوجدانية المشتركة، أو على تبادل القيم الفنية و الرمزية نفسها التي يجسدها العمل الأدبي.ومن ثم، يعد الإهداء بمثابة كتابة رقيقة، قد تكون نثرية أو شاعرية، تقريرية أو إيحائية، توجه إلى المهدى إليه، الذي قد يكون فردا معروفا، أو مجهولا، أو جماعة معينة أو غير معينة.

وعليه، يعد الإهداء- حسب الباحث المغربي بنعيسى بوحمالة:" تقليدا ثقافيا ينم، بلا شك، عن لباقة أخلاقية إن لم تكن واجبة فهي، على الأقل، مستحبة.فهو شبيه بالتقريظ الذي كان معمولا به في العصور الأدبية العربية القديمة، ولكونه من خارجيات النص المهدى إلى اسم معين أو إلى جهة مخصوصة، فقد كان يجري تهميشه والقفز عليه، وذلك اعتقادا في لاجدوى المردودية في الاستيعاب الوافي والمستدق للأعمال الأدبية. سيحظى الإهداء بعناية البحث الأدبي ليرتفع بذلك من نطاق الممارسة الرمزية، الباذخة، والمزيدة، إلى مستوى الفعل الكتابي الدال والحائز على مشروعية التوازي مع النص الذي يتم إهداؤه.فمادام العنوان يمتلك وظائفه، فإن للإهداء وظائفه، التي يتكفل بها، هو الآخر، انطلاقا من موقعه وصيغته، وارتكازا كذلك على محتوى وإرساليته ونوعية المرسل إليه.

---

[2]- ابن منظور: **لسان العرب**، الجزء الخامس عشر، دار صبح، بيروت، لبنان، أديسوفت، الدار البيضاء ، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.ص:59.

[3]- Gérard Genette : **Seuils**,collection poétique, éd. .Seuil, 1987, p : 110.

ولأن الإهداء ينتمي إلى خانة الموازيات النصية الإرادية.أي: التي تقع تحت مسؤولية المبدع، فلعل هذا ما يمنحه طابع مسلك رمزي مفكر فيه، متقصد، ومتوقع له إبلاغ المهدى إليه،وضمنيا الجمهور والقارئ الواسع، إشارة خاصة حول علاقة المبدع المهدي، أو النص المهدى، بالمهدى إليه، وكلما قلت فإن إهداء العمل الأدبي هو الملصق الصادق أولا الخاص بعلاقة ما على ها النحو أو ذاك تربط بين المبدع وبين بعض الأشخاص أو المجموعات أو الكيانات المعنوية.[4]"

وعليه، فالإهداء تقليد ثقافي وفني، يدخل المبدع أو المؤلف بواسطته مع المتلقي أو القارئ ، وذلك في علاقة وجدانية حميمة، قوامها التواصل العلائقي البناء والهادف إنسانيا ، سواء أكان سياسيا أم اجتماعيا أم ثقافيا أم فنيا أم أدبيا.

**☚ تاريـــخ الإهـــداء:**

تعد ظاهرة الإهداء ظاهرة ثقافية وفكرية قديمة قدم الكتاب، فقد ارتبطت به ارتباطا وثيقا، سواء أكان ذلك الكتاب مسودة أم مخطوطة أم مطبوعة أم مدونة رقمية. وهذا ما تؤكده حفريات الكتاب. ويرى جيرار جنيت G. (Genette) أن جذور الإهداء تعود على الأقل إلى الإمبراطورية الرومانية القديمة. فقد عثر الباحثون على نصوص وأعمال شعرية مقترنة بإهداءات خاصة و عامة، ولاسيما إذا تحدثنا عن إهداء النسخة[5]. وقد ازداد إهداء النسخة غنى وانتشارا وتداولا، وأصبح ظاهرة لافتة للانتباه في العصور الكلاسيكية، وأصبح الغلاف في القرن السادس عشر " يتضمن بالإضافة إلى اسم المؤلف، و عنوان الكتاب، و مكان الطبع، وسنة الطبع، بعض المعطيات الأخرى، كاسم موزع الكتاب، وبعض الإهداءات الطويلة، و التفسيرات المختلفة، تحت العنوان والرسوم التي كانت تزداد غنى مع الوقت، و إشارة الطابع أو إشارة الناشر"[6].

هذا، وقد أصبح الإهداء في الكتابات الغربية حتى القرن التاسع عشر ملفوظا إهدائيا مستقلا بنفسه، في شكل عبارة عامة أو جملة إهدائية مختصرة ومقتضبة. وفي الوقت نفسه، هناك إهداءات كانت ترد في شكل خطاب طويل

---

[4]- د. بنعيسى بوحمالة: **أيتام سومر في شعرية حسب الشيخ جعفر**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:66.

[5] - Gérard Genette : **Seuils** p : 110.

[6]- ألكسندر ستيبتشفيتش:**تاريخ الكتاب**، الجزء الثاني، عالم المعرفة،الكويت، العدد 170، ص: 228.

ومفصل. علاوة على ذلك، يرى جيرار جنيت بأن الإهداء تقليد فيودالي (إقطاعي) من ناحية، ورعاية بورجوازية وبروليتارية من ناحية أخرى[7]. وبعد أن كان الإهداء موجها إلى الملوك والرؤساء والنبلاء والشخصيات الكبيرة في المجتمع، أصبح الإهداء في العصر الحديث يوجه إما بطريقة ذاتية إلى المبدع نفسه، أو إلى من يحبه الكاتب أو المبدع، أو يوجهه إلى من يكرهه. وقد أعلن بلزاك(Balzac) في القرن التاسع عشر الميلادي نهاية زمن الإهداء، حينما قال :" **سيدتي، لقد انتهى زمن الإهداءات**"[8]، على الرغم من كونه من أكثر الكتاب الغربيين اهتماما بالإهداء، وذلك في جل رواياته الواقعية[9]، وقد نحى مونتيسكيو (Montesquieu)منحاه الرافض للكتابة الإهدائية في كتابه:" أفكار/Pensées"، حيث نص قائلا:" **لن أكتب رسالة إهداء: لأن من يجعل مهمته قول الحقيقة، لا ينبغي عليه أن يلتمس حماية على الأرض**"[10].

ويعني كل هذا أن هناك ما يسمى بالإهداء الكلاسيكي والإهداء المعاصر، فالأول مرتبط بالشخصيات المتميزة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا، والثاني مرتبط بالشخصيات العادية التي يحبها الكاتب، سواء أكانت واقعية أم متخيلة...وهناك من يرفض استعمال الإهداء في كتاباته جملة وتفصيلا.

ومع مرور الزمان، صار الإهداء تقليدا أدبيا و خلقيا و منهجيا في الأعمال الإبداعية إلى يومنا هذا. وهو أيضا تقليد عرفه الشعر العربي القديم والحديث، فكان الشعراء يهدون القصيدة إلى هذا الأمير أو ذاك، وذلك طلبا للتكسب من جهة، أو كان مدحا خالصا من جهة أخرى. وصار الإهداء في شعرنا العربي الحديث و المعاصر يحمل دلالات مغايرة، يقدم لرموز سياسية، أو لشخصيات اجتماعية ، أو لأشخاص عاديين أو مجهولين أومغمورين؛ وبذلك: " بات يدل على عقد ضمني بين مضمون الخطاب الشعري وحاجة جماعة مناضلة".[11]

هذا، ولا يقتصر الإهداء على ماهو سردي ودرامي من قصة ، ورواية، وقصة قصيرة جدا، ومسرحية، بل يتجاوز ذلك إلى الشعر، وقد عرف عن

---

[7]- Gérard Genette :Ibid : 112.

[8] - Gérard Genette :Ibid : 115.

[9] - Gérard Genette :Ibid : 114.

[10] - Gérard Genette :Ibid : 114.

[11]- شربل داغر: **الشعرية العربية الحديثة**، ص: 22-23.

الشاعر الفرنسي بودلير صاحب ديوان:**" أزهار الشر"** بأنه كان مولعا بوضع الإهداءات التواصلية. وأصبح هذا التقليد الموازي ساري المفعول في الشعرين: الغربي والعربي على حد سواء، وازداد انتشارا وتداولا ومقصدية مع القصيدة المعاصرة ، سواء أكانت قصيدة تفعيلة أم قصيدة نثرية.

**☚ الشعريـــة والإهـــداء:**

ثمة مجموعة من الدراسات الشعرية الغربية التي اهتمت بالإهداء بشكل من الأشكال، و تبقى دراسة جيرار جنيت (Gérard Genette)هي الرائدة في هذا المجال إلى يومنا هذا، وهي تحت عنوان:" **العتبات"** (Seuils)[12](1987م)، حيث يخصص جنيت الإهداء بدراسة تربو على ثلاث وعشرين صفحة من الحجم المتوسط، وذلك من الصفحة (110) إلى ( 133) صفحة.
أما عن أهم الدراسات العربية التي اهتمت بشعرية الإهداء، بطريقة من الطرائق، فنستحضر منها دراسة عبد الفتاح الحجمري :" **عتبات النص: البنية والدلالة"** (1996م)، حيث يخصص الكاتب للإهداء خمس صفحات[13].
وهناك أيضا مقالة جميل حمداوي تحت عنوان:" **مقاربة الإهداء في شعر عبد الرحمن بوعلي"[14](2007م)**، ودراسة نبيل منصر: " **الخطاب الموازي في القصيدة العربية المعاصرة" (2007م)**، حيث يخصص الإهداء بالمبحث الثالث ضمن الفصل الخامس[15]، ودراسة عبد القادر الغزالي:" **قصيدة النثر العربية"** (2007م)، حيث يدرس الإهداء في القصيدة النثرية عند الشاعر محمد الماغوط [16]، ودراسة بنعيسى بوحمالة تحت عنوان:" **أيتام سومر" في شعرية حسب الشيخ جعفر"** (2009م)، حيث يخصص الباحث الإهداء بصفحتين، بعد أن درس مجموعة من العتبات الأخرى، كالعنوان، والهامش، وغيرها من العتبات النصية المصاحبة[17]...

---

[12]- G.Genette **: Seuils,** collection Poétique, Seuil, 1987.PP :110-133.

[13]- د.عبد الفتاح الحجمري: **عتبات النص: البنية والدلالة**، شركة الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1996م، صص:26-30.

[14]-د.جميل حمداوي: (مقاربة الإهداء في شعر عبد الرحمن بوعلي)، **مجلة نزوى**، سلطنة عمان، المجلد51، 2007م، ص:274.

[15]- نبيل منصر: **الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، صص:48-55.

[16]- د.عبد القادر غزالي: **قصيدة النثر: الأسس النظرية والبنيات النصية**، مطبعة تريفة، بركان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، صص:201-202.

[17]- د.بنعيسى بوحمالة: **أيتام سومر في شعرية حسب الشيخ جعفر**، صص:66-68.

**بنيـــــة الإهـــــداء:**

يكون الإهداء على مستوى البنية التركيبية والمعمارية كلمة أو نصا قصيرا، أقله جملة واحدة، وغالبا ما تكون هذه الجملة اسمية أو شبه جملة أو جملة فعلية، و قد يكون نصا طويلا من جهة، وقد يكون نصا أدبيا قصيرا جدا، يحتوي عناصر القصة القصيرة من شخصية، وحدث، وفضاء، وإحالة على واقع مرجعي معين، أو موضوع متخيل. وقد يشكل الإهداء ملفوظا مستقلا بنفسه. وغالبا ما يكون في بداية العمل الأدبي، مقترنا بصفحة التقديم، أو محاذيا للعنوان الخارجي للديوان، أو حاشية فرعية للعنوان النصي الداخلي، أو يكون نفسه عنوانا. و يرد الإهداء في شكل جملة أو نص أدبي قصير، يتضمن عناصر التواصل الأساسية: من مرسل، ومرسل إليه، و إرسالية، و مرجع، و قناة، و لغة التشفير، و فك سننها. و قد يتحول الإهداء من نص قصير إلى نص طويل( Macro texte)، يحتوي على الحدث، و سياقه، وشخوصه، والإحالات المرجعية والرمزية، كما يبدو ذلك جليا في ديوان الشاعر الفلسطيني عبد الفتاح محمد: **"قصائد على الحدود"**[18]، و ديوان: **"زمن الانتظار"** للشاعرة المغربية فاطمة عبد الحق[19].

ويلاحظ أيضا أن الإهداء يكون في بداية الكتاب أو مستهل العمل الإبداعي، وبه يتصدر الكتاب نفسه.لذا، يحتل الإهداء مكانة المقدمة أو التصدير. ومن ثم، فللإهداء –كما قلنا سابقا- وظيفة تقديمية، يحل محل المقدمة أو التصدير، ويقوم بالوظائف نفسها التي يقوم بها التصدير أو المقدمة الافتتاحية. علاوة على ذلك، يمكن أن يتحول الإهداء إلى رسالة مهداة إلى شخص معين أو غير معين، وقد يتخذ هذا الإهداء مقطعا نصيا سرديا أو شعريا أو دراميا، أو يتحول إلى مقدمة مستفيضة، تشرح دواعي العمل وظروفه وحيثياته الذاتية والموضوعية، كما رأينا ذلك جليا عند فيلدينغ (Fielding) ، حيث يقول:" **في الحقيقة، تركت نفسي تنقاد على كتابة مقدمة، فيما كنت أنوي إنجاز مجرد إهداء.لكن كيف يمكن تفادي ذلك؟[20]"**

---

[18]- عبد الفتاح محمد: **قصائد على الحدود**، المطبعة المركزية، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1984م، ص: 7.

[19]- فاطمة عبد الحق: **زمن الانتظار**، المطبعة المركزية، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1995م، ص:3.

[20] - G.Genette **: Seuils,**.PP :116-117.

وإذا تأملنا موقع الإهداء، فقد كان الإهداء الكلاسيكي منذ القرن السادس عشر الميلادي مثبتا في الصفحة التي تلي مباشرة صفحة العنوان. وبعد ذلك، سيلتصق الإهداء بتلك الصفحة نفسها. ويمكن أن يكون الإهداء في وسط الكتاب، ويمكن أن يرد كذلك في آخره، وإن كانت هاتان الحالتان نادرتين جدا.هذا، ويتعرض الإهداء لخاصية الإضافة والحذف والتغيير والتعويض، حينما تتعدد طبعات الكتاب، فنجد الطبعة الأولى مرفقة بإهداء شخصي ما، ثم لا نجد ذلك الإهداء في طبعات داخلية أخرى، والعكس صحيح أيضا. وقد نجد نسخة مؤشرة بإهداء شخصي ما، ثم يغير الكاتب إهداءه في نسخة ثانية وأخرى، فيهديها إلى شخص آخر.

علاوة على ذلك، تتكون صيغة الإهداء من مجموعة من العناصر الرئيسية، مثل: المهدي، والمهدى إليه، وصيغة الإهداء، وسياق الإهداء، وذلك في شكل أسباب ودوافع ذاتية وموضوعية، وعقد الإهداء، والعبارات الرقيقة والصيغ الشاعرية، وتوقيع المهدي، وزمان الإهداء ومكانه. ويعني هذا أن الإهداء قد يكون موقعا أو مؤشرا بحيثيات مكانية أو زمانية، وخاصة في ما يسمى بإهداء النسخة، حيث يوقع الكاتب نسخة المتلقي بعبارات إفصاحية وبوحية رقيقة، ثم يرفقها بتاريخ الإهداء ومكانه. وقد يكون المهدي أو الذي يرسل الإهداء إلى شخص واقعي أو خيالي الكاتب الخارجي للعمل، والذي يسمى بالمؤلف أو المبدع أو الأديب، ويمكن أن يكون مترجمه إذا كان العمل ترجمة، ويمكن أن يكون هو الناشر أو الطابع أو الناسخ أو الموزع أو شخص آخر، كالمحقق الذي يتولى توثيق العمل وتحقيقه. أما المهدى إليه فقد يكون الكاتب نفسه، أو شخصا مجهولا أو معينا، أو شخصا خاصا أو عاما أو اعتباريا كالمؤسسة والشركة. وقد تكون هناك مجموعة من العلاقات التي تربط بين المهدي والمهدى إليه، كالعلاقة العائلية ( المهدى إليه فرد من أفراد العائلة الصغيرة والكبيرة)، والعلاقة الاجتماعية( إهداء لشخص ذي مكانة اجتماعية)، والعلاقة الاقتصادية( إهداء للممول)، وعلاقة المحبة والصداقة( علاقة قائمة على الحب والصداقة والزمالة)، وعلاقة المهنة أو الحرفة ( من مبدع إلى مبدع أو ناقد)، وعلاقة عمل( علاقة المبدع بصاحب العمل)، أو علاقة رسمية مؤسساتية ( إهداء إلى مؤسسة أو شركة أو مقاولة ما)، أو علاقة مجهولة ( إهداء إلى شخصية مجهولة)، أو علاقة ذاتية ( إهداء الكاتب إلى نفسه)...وقد تكون علاقة فنية، وثقافية، وسياسية...إلا أن هناك فرقا واضحا بين إهداء العمل وإهداء النسخة. فإهداء العمل يكون ثابتا بصيغته التعبيرية، وبتوجيهها العام إلى مهدى معين، يختاره الكاتب أو شخص آخر، بينما يتوجه إهداء النسخة إلى مهدى إليه متعدد ، يختاره الكاتب أثناء التبرع أو التوقيع.لذا، يكتب اسمه على الصفحة الأولى غالبا، ثم يؤشر عليه بتوقيعه

في الزمان والمكان، مصحوبا بعبارات رقيقة من المشاعر والانفعالات.ويعني هذا أن توقيع النسخة يوجه إلى مهدى إليه خاص . ويتسم هذا الإهداء بخاصية التغير والتنوع والتبدل، ويتغير من شخص إلى آخر. وقد يكون المهدى إليه فردا أو مجموعة، كما عند الروائي الفرنسي ستاندال(Stendhal)[21]، وقد يكون المهدى إليه متلقيا أو قارئا، وقد يتخذ طابعا دينيا أو لاهوتيا ، حينما يهدي الكاتب عمله إلى الله أو الكنيسة أو القس أو الكاهن أو البابا...وقد يكون الإهداء موجها من المؤلف إلى إحدى شخصياته داخل عمله، كأن يكون بطلا أو بطلة داخل قصة أو رواية أو مسرحية. ومن ناحية أخرى، قد يكون المهدى إليه شخصية واقعية أو متخيلة، شخصية معروفة أو مجهولة أو مغمورة، شخصية خاصة أو عامة. وغالبا ما يتضمن الإهداء ( أو المهدى إليه) أسماء العلم الذكورية والأنثوية ، والتي يقول عنها مولينو (Molino) بأنها:" تداعيات معقدة، تربطها بقصص تاريخية وأسطورية، وتشير قليلا أو كثيرا إلى أبطال وأماكن، تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان"[22].

وإذا انتقلنا إلى صيغة الإهداء، فقد تكون صيغة ذاتية في شكل كتابة شاعرية ذاتية، أو كتابة عاطفية رقيقة. وقد تكون صيغة موضوعية، تحيل على عوالم الكتابة وحيثياتها التكوينية.ومن ثم، فالصيغة الإهدائية في إهداء النسخة يكون إهداء إنسانيا حيا من جهة، وإهداء رمزيا ووجدانيا وانفعاليا مؤثرا من جهة أخرى. في حين، يكون إهداء العمل خطابا عاما غير إنساني، موجه إلى متلق عام جاهز ومنمط.

### ☚أنـــــواع الإهـــداء:

ينقسم الإهداء إلى أنواع عدة، فهناك من جهة الإهداء الذاتي والإهداء الغيري.ويكون الإهداء ذاتيا (auto dédicace)،حينما يوجه الشاعر الإهداء إلى نفسه، كما هو الأمر عند جيمس جويس (J.Joyce) الذي استهل بعض نصوصه السردية بالعبارة الإهدائية التالية:" **أهدي العمل الأول في حياتي إلى روحي الخالصة** "، ويمكن للإهداء أن يخصص أيضا لشخصية متخيلة، كما في روايات والتر سكوت (Watter Scott) [23]. وقد يكون الإهداء غيريا، حينما يوجه إلى الغير أو الآخر، ويكون بدوره خاصا أو عاما.

[21] -Gérard Genette :Ibid, p :124.

[22] - -Gérard Genette: Ibid, p: 110-133.

[23] --Gérard Genette: Ibid, p: 126.

وقد يكون الخاص اعتباريا، مثل: المؤسسة، والشركة، والجامعة، والكلية، والمركز العلمي...أو طبيعيا مثل: أديب، أو فنان، أو وطني، أو من الأهل، و الأحباب، و الأقارب، أو شخصية قومية أو عالمية إلخ...ويرى جيرار جنيت أن الإهداء الخاص— privé -موجه إلى شخص معروف كثيرا أو قليلا، فتكون العلاقة بين المرسل و المرسل إليه ذات طابع عام و رمزي، كأن تكون علاقة ثقافية، أو فنية، أو سياسية، أو غيرها من العلاقات العامة[24].

و من جهة أخرى، فالإهداء كذلك نوعان: إهداء العمل La dédicace d' œuvre، وإهداء النسخة La dédicace d'exemplaire؛ فالأول مرتبط بالكتاب أو العمل المطبوع، وهو فعل رمزي، ذو طابع عام. ويقترن الثاني بالنسخة الموقعة، ويحمل توقيع المؤلف المباشر، سواء أكان مرتبطا بالكتاب أم بالمخطوط. والآتي، أنه – من جهة أخرى- هو فعل حميمي، متميز ذهنيا ووجدانيا وحركيا، و تواصل خاص مع القراء، يحمل دلالة من نوع خاص.ويعتبر الإهداء، سواء أكان عاما أم خاصا، عتبة نصية مؤثرة، لا تنفصل دلالتها عن السياق العام لطبيعة النص الشعري أو السردي أو الدرامي، و عن أبعاده الإيحائية والمرجعية.ولهذا الاعتبار، يتصدر الإهداء النصوص، سواء أكانت سردية أم شعرية أم درامية، ، باعتباره أحد المداخل الأولية لكل قراءة ممكنة للنص. ويعني هذا أن النصوص الشعرية قد تحمل إهداءين: إهداء عاما موجها إلى جميع القراء بصفة كلية، وإهداء خاصا موجها إلى المهدى إليه.علاوة على ذلك، إذا كان المهدى إليه في إهداء العمل محدودا وثابتا ومقيدا بشخص معين أو بالمتلقي العام، فإن إهداء النسخة متعددا ومتغيرا، فكل نسخة موجهة إلى متلق خاص باسمه، ومكتوبة بكلمات شاعرية رقيقة خاصة به، ومؤشرة بالتوقيع في الزمان والمكان، ويعبر هذا الإهداء عن فطرية العمل وعفويته وطبعه وسجيته، خاصة إذا كان الإهداء مكتوبا بقلم أو خط المؤلف نفسه. وإذا كان إهداء العمل يرتبط بظهور المطبعة، فإن إهداء النسخة قديم بقدم الكتاب نفسه.وهذا ما يثبته تاريخ الكتاب في الثقافة العربية، فكان المؤلفون أو الناسخون يهدون كتبهم إلى شخصيات عامة أو خاصة ، تحمل في طياتها توقيعهم واسم المهدى إليه، قبل أن تظهر المطبعة بقرون عدة.

وعليه، فالإهداء :" عتبة نصية لاتخلو من قصدية، سواء في اختيار المهدى إليه( إليهم)، أم في اختيار عبارات الإهداء...وفي هذا السياق، يمكن التمييز بين نوعين من المهدى إليهم: الخاصين والعامين، ويقصد بالمهدى إليه

---

[24]- Gérard Genette : **Seuils**, p : 123.

الخاص (Le dédicataire privé) شخصية إما معروفة وإما غير معروفة لدى العموم.ويهدى إليها العمل باسم علاقة شخصية: ودية أو قرابة أو غيرهما...أما المهدى إليه العام أو العمومي (Le dédicataire public)، فهو شخصية أكثر أو أقل شهرة، ويبدي المؤلف نحوها العمل لعلاقة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو جمالية أو فنية... ومن ناحية أخرى، يمكن الحديث في مجال الشعر على الخصوص عن إهداء الديوان الشعري، وإهداء القصيدة الشعرية، وخاصة في القصيدة العربية المعاصرة. ويعني هذا أن هناك على العموم إهداء خارجيا وإهداء داخليا.

**☚ دلالات الإهـــــــداء:**

ثمة مجموعة من العلاقات التي تربط الإهداء بالعمل، قد تكون علاقة خارجية أو علاقة داخلية، ويمكن أن تكون علاقة موازية أو علاقة نصية، ويمكن أن تكون علاقة مجانية زائدة، أو علاقة نصية بنيوية عضوية، لايمكن فهم النص إلا من خلال استكشاف الإهداء واستقصائه بنية ودلالة ووظيفة. وقد تكون علاقة الإهداء بالديوان الشعري أو نصوصه إما علاقة مباشرة وإما علاقة غير مباشرة. ويتم الترابط بين الإهداء والعمل إما من خلال ترابط اتصال و إما من خلال ترابط انفصال، وذلك عبر مجموعة من العلاقات الدلالية والمنطقية ، كالإحالة، و الانعكاس، والتعيين، والتضمين، والإيحاء، والترميز، والتناص، والتفاعل، والتماثل، و التقديم ، و التوجيه السياقي، و التوليد الدلالي و المرجعي والمقصدي، إلى غير ذلك من العلاقات النصية والموازية الأخرى التي تجمع بين الإهداء والعمل المعروض.

**☚ وظائـــف الإهـــداء:**

من المعروف أن الإهداء في نصوصنا الشعرية والسردية العربية المعاصرة ليست تحشية زائدة ومجانية، بل لها وظائف عدة ، إذ يساهم الإهداء في إضاءة النص، وكشف بنياته الصوتية والصرفية والتركيبية والبلاغية، وتحليل آليات النص الدلالية ومقصدياته. وللإهداء علاقة وطيدة بالنص الإبداعي التخييلي، وخاصة الشعري منه، إذ يلخصه، ويوضحه، ويشرح علاماته ، ويوضح دلالاته، ويلمح إلى سياقه النصي والذهني والخارجي.
هذا، وللإهداء عدة و وظائف نصية و تداولية ، خاصة الوظيفة العلائقية العامة التي تجمع بين المهدي والمهدى إليه، فتتوزع إلى مجموعة من الوظائف البارزة ، كالوظيفة الاجتماعية( التواصل الحميم بين الأصدقاء و

أفراد العائلة)، والوظيفة الاقتصادية (رعاية العمل الأدبي، وتمويله ماديا...)، علاوة على وظائف أخرى: ثقافية، وجمالية، وسياسية، ودلالية، وتأثيرية، ورمزية[25]، بله عن الوظائف التأويلية والسياقية التي تساعد الناقد و القارئ في تذوق النص، وإعادة بنائه من جديد. زد على ذلك، يرشدنا الإهداء إلى سياق الإبداع، فيرصد دواعيه الذاتية والموضوعية، ثم يبين كيفية انكتابه، وتكوينه، وطبعه، ونشره، وتوزيعه، وتلقيه...كما يقدم الإهداء معلومات موثقة عن طبيعة العمل مضمونا وشكلا ومقصدية، مع تحديد ظروف كتابته، وكيفية إخراجه إلى حيز الوجود. وقد يكون الإهداء بمثابة تعليق عن النص، و شرح لدلالاته الظاهرة والثاوية، وكشف لخصائصه الفنية والشكلية والجمالية. وقد يرد الإهداء أيضا في شكل تقديم أو تصدير استهلالي، يفسر حيثيات النص، ويستقصي أبعاده الدلالية والفنية والمرجعية. ومن هنا، يقوم الإهداء بوظيفة تقديمية أو تصديرية إلى جانب الوظائف السابقة، كالوظيفة الرمزية، والوظيفة الاجتماعية، والوظيفة الاقتصادية، والوظيفة الإيحائية، والوظيفية السيميائية، والوظيفية الأيقونية، والوظيفة التكوينية أو التفسيرية، والوظيفة المرجعية...وفي هذا الصدد، يمكن الحديث عن إهداء رسمي وإهداء شخصي، ولكل إهداء وظائف خاصة به.

وعليه، فللإهداء وظائف سيميائية ودلالية وتداولية عدة، يمكن حصرها في وظيفة التعيين التي تتكفل بوظيفة تسمية العمل وتثبيته. وهناك أيضا الوظيفة الوصفية التي تعني أن الإهداء يتحدث عن النص وصفا وشرحا وتفسيرا وتأويلا وتوضيحا. ونذكر كذلك الوظيفة الإغرائية التي تكمن في جذب المتلقي، وكسب فضول القارئ لشراء الكتاب، أو قراءة العمل، أو تلقي النص. كما يؤدي الإهداء وظيفة التلميح، والإيحاء، والأدلجة، والتناص، والتكنية، والمدلولية، والتعليق، والتشاكل، والشرح، والاختزال، والتكثيف، وخلق المفارقة والانزياح ، وذلك عن طريق إرباك المتلقي، بله عن الوظيفة التصديرية أو الافتتاحية...

زد على ذلك، تختلف وظائف إهداء النسخة عن وظائف إهداء العمل، فوظائف الإهداء الأول متعددة، ذات أبعاد علائقية ورمزية خاصة، ومرتبطة بلحظة التوقيع والتأشير على الكتاب المهدى. في حين، نجد أن وظيفة الإهداء الثاني محدودة وعامة، ومرتبطة بقارئ عام وثابت، غير متغير[26]. ويعني كل هذا أن:" الوظيفة الاقتصادية المباشرة للإهداء قد اختفت اليوم، لكن دوره في الرعاية أو الكفالة الفكرية أو الجمالية قد اقتصر على الأهم: التماس الدعم

[25] -Gérard Genette :Ibid,p :127.
[26]-Gérard Genette :Ibid,p : 132-133.

والسند المعنوي من المهدى إليه الذي يصبح بشكل ما، مسؤولا عن العمل، وعن استحقاقه الثقافي داخل فضاء التبادل الرمزي.
تتصل وظيفة التماس السند بإهداء الكتاب، أما إهداء النسخة فتختلف بحسب الوضع الاعتباري للمهدي إليه. فالإهداء العام للنسخة يمكن أن يرتبط ببعض المناسبات، ينتهي بتوقيع نسخ للجمهور الراغب في الظفر بإمضاء المؤلف. وعادة ما يكون هذا التوقيع مصاحبا بكلمة احتفاء أو بتعليق موجز على العمل.أما الإهداء الخاص للنسخة فلا يرتبط بالضرورة بمثل هذه المناسبات، وإنما يرتبط بخصوصية العلاقة القائمة بين المؤلف والمهدى إليه، ثم بين المهدى إليه والعمل نفسه.لهذا، يتجه المؤلف، في نص الإهداء، نحو تخصيص هذه العلاقة وتعليلها، من خلال تعليق ذاتي على العمل.وهذا التعليق وما يفصح عنه من معلومات أو تقييم، هو ما ينهض وظيفة تجعل الإهداء الخاص يستحق وضعه الاعتباري كنص مواز. وفي كل الأحوال، إن إحدى الافتراضات المسبقة للإهداء تتمثل في كون الكاتب ينتظر، في المقابل، من الشخص الحاصل على النسخة المهداة التكرم بإنجاز قراءة للعمل.وبذلك، يصبح تملك العمل مقترنا بقراءته، وليس فقط بمجرد الحصول على نسخة منه.[27]"
وهكذا، نصل إلى أن للإهداء وظائف جمة وعدة، يمكن رصدها عبر التموقع السياقي. ويعني هذا أن الإهداء ليس عتبة زائدة، بل عتبة مهمة في استكشاف دلالات النص، واستقراء بنياته، وتحديد مقاصده، سواء من خلال قراءة أفقية أو قراءة عمودية.

### ☚ منهجيــة دراســـة الإهـــداء:

تستوجب دراسة الإهداء في النص الإبداعي أو التخييلي التركيز على أربعة ثوابت محورية: البنية، والدلالة، والتركيب، والقراءة الأفقية والعمودية والسياقية. ويعني هذا أن الباحث في موضوع الإهداء يجب عليه أن يغربل بنية الإهداء، من خلال التوقف عند صيغته ، وتبيان مكوناته الصوتية، والإيقاعية، والصرفية، والتركيبية، والبلاغية، والنصية. وبعد ذلك، ينتقل الدارس إلى تبيان علاقة الإهداء بالنص المعبر عنه، هل العلاقة كلية أو جزئية، أو هي علاقة إحالية أو رمزية أو إيحائية أو تضمنية أو تضادية، أو تكون علاقة تطابق أو علاقة انعكاسية أو علاقة مفارقة...؟ ويمكن الاستعانة في مجال المقصدية بنظرية الوظائف اللسانية. إذ إن الإهداء- كما هو معلوم - عبارة عن رسالة ، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل و المرسل إليه ،

---

[27]- نبيل منصر: **الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة**، ص:55-56.

فيساهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية ، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة، وترسل هذه الرسالة، ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية، عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال. وفي هذا السياق، يمكن الاستفادة من وظائف اللغة، كما أرساها رومان جاكبسون (R.Jackobson). فللإهداء وظيفة مرجعية، ترتكز على موضوع الرسالة، باعتباره مرجعا وواقعا أساسيا، تعبر عنه الرسالة. وهذه الوظيفة موضوعية لا وجود للذاتية فيها، نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر. وهناك الوظيفة الانفعالية التعبيرية التي تحدد العلائق الموجودة بين المرسل و الرسالة. وتحمل هذه الوظيفة في طياتها انفعالات ذاتية، وتتضمن قيما، و مواقف عاطفية، و مشاعر وإحساسات،يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة المرجعي. وهناك الوظيفة التأثيرية التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين المرسل والمتلقي، حيث يتم تحريض المتلقي، وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية. وهناك الوظيفة الجمالية أو الشعرية التي تحدد العلائق الموجودة بين الرسالة و ذاتها، وتتحقق هذه الوظيفة أثناء إسقاط المحور الاختياري على المحور التركيبي، وبالذات عندما يتحقق الانتهاك و الانزياح المقصود. وتتسم هذه الوظيفة بالبعد الفني والجمالي و الشاعري . ويمكن الحديث أيضا عن الوظيفة الحفاظية أو الاتصالية للقناة الإهدائية، إذ تهدف هذه الوظيفة إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبلاغ، وتثبيته أو إيقافه، والحفاظ على نبرة الحديث والكلام المتبادل بين الطرفين. بله عن الوظيفة الوصفية المتعلقة باللغة، وتهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية، بعد تسنينها من قبل المرسل، والهدف من السنن هو وصف الرسالة لغويا وتأويلها، مع الاستعانة بالمعجم أو القواعد اللغوية و النحوية المشتركة بين المتكلم و المرسل إليه. ونضيف الوظيفة البصرية أو الأيقونية كما عند ترنس هاوكس[28]، وتهدف هذه الوظيفة إلى تفسير دلالة الأشكال البصرية و الألوان والخطوط الأيقونية، وذلك بغية البحث عن المماثلة أو المشابهة بين العلامات البصرية ومرجعها الإحالي.

ومن باب التنبيه، فنحن ، هنا، نحتكم إلى القيمة المهيمنة ( La valeur dominante)كما حددها رومان جاكبسون،لأن الإهداء في نص ما، قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى، فكل الوظائف التي حددناها سالفا متمازجة، إذ قد نعاينها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبة على الوظائف الأخرى ، وذلك حسب نمط الاتصال.

---

[28]- ترنس هوكس: (مدخل إلى السيمياء) ، **مجلة بيت الحكمة**،المغرب، العدد5، السنة الثانية، سنة 1987م، ص:120.

وعلى وجه العموم، عندما نريد مقاربة الإهداء، فلابد من الانطلاق من أربع خطوات أساسية، وهي: البنية، والدلالة، والوظيفة، والقراءة السياقية الأفقية والعمودية. ويعني هذا أن البنية تستوجب قراءة الإهداء صوتيا وإيقاعيا وتنغيميا وصرفيا وتركيبيا وبلاغيا وأيقونيا. في حين، تستلزم الدلالة دراسة الإهداء في ضوء علاقة الإهداء بالدلالة، متسائلين عن طبيعة العلاقة: هل هي علاقة كلية أو جزئية؟ وهل هي علاقة مباشرة أو غير مباشرة؟ وهل هي علاقة تعيين أو علاقة تضمن؟ وهل هي علاقة حرفية أو علاقة إيحائية؟...

أما فيما يخص الوظيفة، فلابد من تحديد مجمل الوظائف السياقية التي يؤديها الإهداء داخل النص (الوظيفة الانفعالية، والوظيفة التأثيرية، والوظيفة الشعرية، والوظيفة التناصية، والوظيفة التعيينية، والوظيفة البصرية،...)، وذلك في ضوء قراءة فعالة مرنة، تنطلق من القمة إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى القمة، ومن الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل. وفي هذا الصدد، فأول الحيل التاكتيكية هي الظفر بمغزى الإهداء، و" المفهوم المحلي الذي نستخدمه لهذا الغرض هو: من القاعدة إلى القمة (Top-down)، ومن القمة إلى القاعدة (Bottom)، ومعنى هذا، أنه يجب فهم معاني الكلمات المعجمية وبنية الجملة، ومعناها المركب. أي: "من القاعدة إلى القمة"، وعلى أساس هذه الجملة نتوقع ما يحتمل أن يتلوها من جمل. أي: من القمة إلى القاعدة".[29]

ولابد كذلك من مراعاة السياق المحلي أثناء مقاربة الإهداء وتأويله، وإلا تعسف المحلل السيميولوجي - مثلا - في التفسير و التحليل. و إذا:" كانت المشابهة وما تدعوه من توقع و انتظار بناء على معرفتنا المتراكمة للعالم، تجعلنا نقتحم عالم القصيدة الرحب في اطمئنان ، اعتمادا على ما أوصى به **[الإهداء ]** ، فإننا مع ذلك، سنقيد أنفسنا بمبدأ التأويل المحلي، لكيلا نسقط على القصيدة كل ما تراكم لدينا من تجارب، ونقولها مالم تقل." [30].

وهكذا، فإن الإهداء في الحقيقة بمثابة رأس للجسد، والنص تمطيط له وتحوير، إما بالزيادة والاستبدال تارة، وإما بالنقصان والتحويل تارة أخرى. يشكل الإهداء بالنسبة للسيميولوجي بؤرة منهجية أساسية في الاستكشاف والاستقصاء النصي، ونواة تمهيدية لقراءة القصيدة الشعرية ، يمدها بالحياة الحقيقية، و الروح المتحركة ، والمعنى النابض:" إن **[الإهداء ]** يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، ونقول هنا :إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط

---

[29]- د. محمد مفتاح: **دينامية النص**،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ص:.60

34- د. محمد مفتاح: **دينامية النص**، ص:60.

انسجام النص، وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة، فهو- إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد- والأساس الذي تبنى عليه، غير أنه إما أن يكون طويلا، فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه. و إما أن يكون قصيرا، وحينئذ، فإنه لابد من قرائن فوق لغوية توحي بما يتبعه".[31]
ومن باب الإضافة، لابد للمحلل أن يستعين بنظرية شارل بيرس ، ويتمثل جهازه المفاهيمي التأويلي الذي يتمثل في: الرمز، والإشارة، والأيقون. كما عليه أن يتمثل تصورات فرديناند دي سوسير اللسانية والسيميائية، ويستفيد أيضا من آراء جيرار جنيت، و رومان جاكبسون، ورولان بارت، وكريماص، وليوهويك، وكلود دوشيه، وهنري ميتران، وشارل كريفيل، وأمبرطو إيكو، وآخرين...

**تركيــب استنتاجي:**

يتبين لنا ـ من كل هذا- بأن الإهداء عتبة ضرورية في قراءة النص الأدبي بصفة عامة، والنص الشعري بصفة خاصة. والإهداء أيضا ليس عنصرا مجانيا زائدا، كما يعتقد الكثير من الباحثين والدارسين، بل هو من أهم المصاحبات النصية التي تسعفنا في تفكيك النص وتركيبه، أو فهمه وتأويله.
اضف إلى ذلك، فظاهرة الإهداء تقليد أدبي قديم، يرتبط بظهور الكتاب، لكن هذا الإهداء سينتقل من إهداء النسخة إلى إهداء الكتاب المطبوع مع ظهور المطبعة. ومن ثم، فقد استفاد الإهداء من إيجابيات الصناعة الطباعية على مر العصور. ولم يقتصر الإهداء على السرد والمسرح فقط، بل تجاوزهما إلى الشعر وباقي الأجناس الأدبية والكتابات الأخرى.
هذا، ويتكون الإهداء من عناصر عدة، وهي: المهدي، والمهدى إليه، والصيغة، وزمان الإهداء، ومكانه. كما ينقسم الإهداء إلى إهداء ذاتي وغيري، وإهداء خاص وعام، وإهداء العمل والنسخة، وإهداء رسمي وشخصي. وفي الأخير، لا يمكن مقاربة الإهداء إلا باحترام المحطات الأربع، وهي: البنية، والدلالة، والوظيفة، والقراءة الأفقية والعمودية.

---

[31]- د. محمد مفتاح: نفسه، ص:72.

**المصادر بالعربية**

[1]- ابن منظور: **لسان العرب**، الجزء الخامس عشر، دار صبح، بيروت، لبنان، أديسوفت، الدار البيضاء ، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

[2] - ألكسندر ستيبتشفيتش:**تاريخ الكتاب**، الجزء الثاني، عالم المعرفة،الكويت، العدد 170

[3]- د. بنعيسى بوحمالة: **أيتام سومر في شعرية حسب الشيخ جعفر**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م

[4]- د. شربل داغر: **الشعرية العربية الحديثة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988

[5]- د.عبد الفتاح الحجمري: **عتبات النص: البنية والدلالة**، شركة الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1996م

6- عبد الفتاح محمد: **قصائد على الحدود**، المطبعة المركزية، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1984م

[7]- د.عبد القادر غزالي: **قصيدة النثر: الأسس النظرية والبنيات النصية**، مطبعة تريفة، بركان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م

[8]- فاطمة عبد الحق: **زمن الانتظار**، المطبعة المركزية، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1995م

[9] - د. محمد مفتاح: **دينامية النص**،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى

10- نبيل منصر: **الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م

الدوريات

[1]- ترنس هوكس: (مدخل إلى السيمياء) ، **مجلة بيت الحكمة**،المغرب، العدد5، السنة الثانية، سنة 1987م

2-د.جميل حمداوي: (مقاربة الإهداء في شعر عبد الرحمن بوعلي)، **مجلة نزوى،** سلطنة عمان، المجلد51، 2007م

المصادر باللغات الأخرى

[1]- Gérard Genette : **Seuils**,collection poétique, éd.  .Seuil, 1987

[2]- G.Genette **: Seuils,** collection Poétique, Seuil, 1987.

# دراسة جديدة فى السجع
# نشأته و مراحله الفنيه فى العصر الجاهلى

**أعد هذه المقالة:**
**الدكتور: غلام رضا كريمي فرد، استاذ مشارک في جامعة الشهيد چمران- اهواز.**
**احمد سرخه، ماجستير لغة عربية ، جامعة الشهيد چمران ـ اهواز.**

Summary

Assonance is one of the arts of literature. It maybe the oldest one that emerged among them. It is the first form of the musical system in literature when the first shapes of rhymes at the ends of sentences were written and arranged upon pauses and syllables which had a great influence on the audience.

As the researchers say the assonance is the rife of the poetry. It is the first technical shape of literature. Some of them say: "Assonance or (rhymed and rhythm less prose) must be the oldest Arabic technical form."

Assonance is of three divisions: First religious assonance which is the religious hymns and anthems. Second assonance of clergymen which is was done by clergymen. Third assonance of orators which it was invented by eloquent men of Aljahili Arabs.

In the article we will try to study assonance and its types at Aljahili time and also the technical features of each types and the causes of its appearance.

Key words: Assonance - Religious assonance - Priests assonance - Orators assonance - Th arts of literature

**خلاصة:**

السجع فن من فنون الادب، ولعله اقدم الفنون الادبية نشأةً او هو اقدم و اول اشكال النظام الموسقي في الادب، حيث وُضعت اولى القوافي لنهايات الجمل و رُتبت على فواصل و مقاطع ذات جرس و تأثير على السامع.

كما يذكر كثير من الباحثين ان اصل الشعر هو السجع و انه الشكل الفني الاول للأدب و يقول بعضهم : « ينبغي ان يكون اقدم القوالب الفنية هو السجع اي النثر المقفى المجرد من الوزن »( بروكلمان. ج110/1 ).

و السجع ثلاثة اقسام: السجع الديني و هو التراتيل و الاناشيد الدينية؛ و سجع الكهان و هو السجع الذي كان يمارسه الكهنة؛ و سجع الخطباء و هو السجع الذي ظهر على يد البلغاء من عرب الجاهلية.

وفي هذه المقالة نحاول الوقوف على السجع وتطوره وانواعه في العصر الجاهلي و الخصائص الفنية لكل نوع منه واسباب ظهوره.

**المقدمة:**

اتفق اغلب الباحثين في الادب العربي على ان السجع هو الانطلاقة الاولى للكلام الفني، و قال بعضهم ان الانطلاقة الاولى للسجع كانت دينية، الا ان موضوع السجع و تطوراته الفنية في العصر الجاهلي لم تأخذ من الباحثين المعاصرين الكثير من الاهتمام، الا اشارات عامة في معرض الحديث عن جذور الشعر العربي او غيره من الموضوعات . وقد تناول القدماء السجع عامة بوصفه فناً ادبياً ، الا انهم لم يبحثوا في جذوره و نشأته الاولى و تطوراته الفنية في العصر الجاهلي و هو العصر الذي ظهرت فيه فنون الادب. الا انهم نقلوا لنا تراثاً ضخماً من السجع الجاهلي يمكن ان تقوم عليه دراسات علمية و بحوث في اصوله و تطور مراحله الفنية. و سنتناول في هذا البحث فن السجع في العصر الجاهلي بانواعه و مراحله الفنية المختلفة. و نحاول الوقوف على انواع السجع في العصر الجاهلي و اهم الخصائص الفنية لكل نوع منها ومميزاته و اسباب ظهوره.

**السجع لغة و اصطلاحاً:**

جاء في لسان العرب في معنى السجع لغةً: «سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً ... و سَجَعَ الحَمامُ يَسْجَعُ سَجْعاً هَدَلَ على جهة واحدة... ... وسَجْعُ الحمامةِ موالاة صوتها على طريق واحد، وسجَعت الناقة سَجْعاً مدّت حَنِينَها على جهة واحدة يقال ناقة ساجِعٌ... وسجَع له سَجْعاً

قصَد وكلٌّ سَجْع قَصْدٌ والساجِعُ القاصِدُ في سيره ...هذا معنى السجع لغة وهو الاستواء و الاستقامة القصد الى جهة واحدة و طريق واحد .

امّا فى الاصطلاح فقد جاء فى لسان العرب « و السجع الكلام المقفى والجمع اسجاع و اساجيع و كلام مسجّع وسجع يسجع تسجيعاً تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن » و ذكر بعض الباحثين ان « السجع فى تعريف العلماء له: الكلام المقفى ، او موالاة الكلام على روى واحد » ( جواد على،ج373/16 ) وقال المبرد: « السجع من الكلام: ان تأتلف اواخره على نسق، كما تأتلف القوافي، و هو في البهائم: مُوالاة الصوتِ... » ( ج2 /178 ).

**بداية السجع:**

يذكر الباحثون ان اصل الشعر هو السجع و انه الشكل الفنى الاول للادب، يقول بروكلمان: « ينبغى ان يكون اقدم القوالب الفنية العربية هو السجع اى النثر المقفى المجرد من الوزن » (ج110/1 )، و يقول د. داود سلوم: « علينا ان نفترض ان الانسان قد اكتشف فجأة ومن خلال استعمال الحوار واللغة انه يمكن تنغيم بعض الجمل اذاما قطّعها تقطيعاً خاصاً او وضع في نهاياتها الفاظاً متشابهة الجرس ...» ( ص 24 ) و هذا ما يُدعى بنظرية ( الاكتشاف الفُجائى للنغم ) و فحواها ان المصادفة قادت الى ظهور السجع حين وَقَعت بالصُدفة أثناء الحوار سجعتان قادتا الى التفكير في تنغيم الجُمل وتقطيعها ووَضْعِ نهايات متشابهة الجرس لها ، فكان السَجع الشكل الاول للادب. و هذه النظِرية تتوافق مع منطق نمو الانواع، و تُوضِّح كيفية ظهور السجع وكيف اكتشف الانسان ذلک بالمصادفة، و هذه العملية لابد ان تكون قد اخذت زمناً طويلاً حتى استوى السجع فناً ادبياً و هذا هو منطق نمو الانواع بشكل تدريجي. ولابد ان يكون هذا الحدث المهم على صعيد الكلام او فن الادب قد حدث فى مراحل التطور البشري الاولى في الحضارة و الفكر و الثقافة. « ولوسلمنا بمبدأ التطور في اللغة واساليب الكلام عند الانسان عامة والانسان العربي في الجزيرة العربية خاصة فالارجح ان مثل هذا التطور في الكلام، و التفنن في صياغته لابد ان يكون قد حدث في اهم الموضوعات لدى الانسان في حياته. ولعل الدين هو اهم جانب في حياة الانسان عامة و الانسان القديم خاصة. و الجدير بالذكر ان الانسان بالمطلق - اذا اعتمدنا الاخبار الدينية و هي الاصدق لحد الآن - لم يكن في زمن من الازمان بلا دين، فمنذ ان نزل آدم (ع) و هو ابو البشر و اول الانبياء، فان معرفة الانسان بالله مستمرة. ابتدأت به ولم تنقطع حيث انتقلت هذه المعرفة الى الاولاد و الى اولاد الاولاد فالمجموعات البشرية...الخ. و كلما تقادم

الزمن و نسي الناسُ امرَ دينِهم فان الله كان يرسل اليهم نبياً ليجدد لهم هذه المعرفة بالله حتى لا تكون للناس حجة على الله، فلو سلمنا بهذه الحقيقة و هي من معطيات الدين و الرواية الدينية، علمنا ان الدين كان اول فعالية و نشاط انساني، بعد الانشطة الغريزية و الطبيعية لدى الانسان »، اذن علينا ان نبحث في مجال الدين لتتبع تطور الكلام الى اشكاله الفنية الاولى و هو السجع. و عندما نريد ان نبحث في الدين لا مناص من ان نرجع الى الكتب الدينية، و البحث الادبي ليس مبتدعاً في ذلك فعلم التاريخ و علوم اخرى اعتمدت على الكتب الدينية و رجعت اليها.

و الدين هو النشاط الانساني الاول ومناجاة الله هي اول النشاط الديني للإنسان، وذلك من منطلق الخطيئة الاولى التي عوقب عليها ابونا آدم (ع) فأُنزلَ الى الارض. حيث كان هاجس آدم الاول هو ان يَرضَى عنه الله ويَغفر له خطيئته فسعى لذلك و قد علَّمَه الله كلمات، قال تعالى: ( فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . البقرة:37) وبهذه الكلمات ناجى آدم ربه وطلب المغفرة فتاب عليه. و معرفة الله و الايمان به اي الدين موجوداً دائماً عند الانسان الا انه يضعف او يُحرّف في حِقَبٍ زمنية تطول او تقصر، عندما ينقطع الوحي فلا يكون رُسُل كما جاء في القرآن في قوله: (...عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ.../ المائدة: 19 )

و الذي يعنينا من كل ذلك في بحثنا هذا و الذي ادى الى تطور هائل في الكلام ، هو تلك الفترات التي يضعف فيها الدين او يُحَرَّف، فان الانسان في محاولة فطرية لتتبع خيط المعرفة بالله .. - المعرفة التي ضيعها- ، والعودة الى ربه، يسلك كل طريق، صحيحاً كان ام خطأً. و من الطرق التي يلجأ اليها الانسان، هي طرق التعبد التي تكون مناسبة لمعرفته و علمه و رُوحِهِ و نفسه. و من اكثر ما يؤثر في النفس و يُضفي على العبادة روحاً و جواً دينياً عند الانسان القديم خاصة، هو الكلمات التي تُنتقى انتقاءً، و تحمل جرساً مؤثراً في النفس. و تلك هي الاسجاع التي يصوغ بها تراتيله الدينية في اماكن العبادة، و لعل من هذه الاماكن و لهذه الاهداف بدأت محاولات القول بطريقة فنية مختلفة عن لغة الحوار اليومي. و لأن مكة هي أول بيت عبادة لله كما اخبرنا الله بذلك و إن إبراهيم(ع) هو الذي أعاد بنائها و شرع يدعو الى التوحيد من هذا المكان بعد ان خرج من بابل، فلعل من هذا المكان و على يد ابراهيم (ع) و ابنه اسماعيل (ع)، بدأت التراتيل الدينية. و بذلك تكون اولى محاولات القول الفني هي الاسجاع الدينية.

**انواع السجع:**

سنقسم السجع في هذا البحث الى ثلاثة اقسام: السجع الديني، سجع الكهان، و سجع الخطباء و سنوضح كلاً من هذه الانواع.

### 1. السجع الديني:

لا نعني بالسجع الديني، تلك الأسجاع التي رُوِيَت من العصر الجاهلي ممَّا كان يَستَعمِلهُ الكُهانُ في المَعَابِد، و لا السجعَ الذي قاله خطباءِ العرب و بلغاؤهم في مُناسباتٍ دينية او غيردينية، او الذي كان فيه مضموناً دينياً، او الذي يُشير منها الى الدين مِن بَعيدٍ أو مِن قريب، إنما المقصود بالسَجَعِ الديني، الانطلاقة الاولى للسجع في مهده الاول و موضوعه الاول، و ربما الانطلاقة الاولى للتعبير الفني الاول عند الانسان بواسطة اللغة. قال تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. البقرة:37 » فلعل هذه الكلمات هي النواة الاولى للتعبير الادبي عند الانسان فيما بعد. فقد ناجا آدم ربه و استغفره و دعاه بهذه الكلمات، فتاب عليه و غفر له فكتب له الجنة مرةً اخرى. و لابد ان في هذه الكلمات طريقة التعبد الاولى للانسان و هي كما في الآية موحاة من عند الله و ليست من ابتكار آدم(ع).

و لان الخطيئة استمرت بعد آدم (ع) في حياة بنيه، و لان الحاجة الى الله مستمرة و لان الاستغفار ضرورة لنيل رضى الله، فإن من الطبيعي ان يناجي الانسان ربه و يسعى اليه تقرباً و يدعوه خوفاً و طمعاً، و لعل تركة آدم (ع) من هذه الكلمات التي ورثها عنه بنوه، كانت مُعيناً لهم لنيل رضى الله. الا اننا لا نملك نصاً من هذه الكلمات التي تلقَّاها آدم (ع) من ربه. و لو افترضنا جدلاً انها مُحيَت بالكامل ولم يبقَ منها شئ، فان العدل الالهي يوجب على الله أن يدل الناس على نفسه، فكان الأنبياء و الرسل يُبعثون على فترات. و منهم ابراهيم(ع) و اسماعيل(ع) الذَين كان لهما اثر بالغ في حياة البشر عامة و العرب خاصة. حيث يعتبر اسماعيل (ع) ابو العرب و اول من تكلم بالعربية القرآنية و هو موجد الخط العربي - حسب الروايات - حيث أرْجَعَ القدماءُ العرب، اللغةَ العربيةَ و الخطَ العربي، الى نبيِ اللهِ إسماعيل (ع)، و رَوَوا في ذلك احاديث مرفوعة. و في التراث العربي أخبارٌ و روايات كثيرة، منها: قال ابن سلام فى الطبقات: « و قال يونس بن حبيب: أول من تكلم بالعربية، و نسي لسان أبيه، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما » ( ج2/1 )، و جاء في المزهر: « أن رسول اللّه صلى الله عليه و سلم تلا: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ثم قال: أُلْهِمَ إسماعيلُ هذا اللسان العربيَّ إلهاماً » (ج30/1). و قد فسر البعض، ان المقصود باسماعيل(ع) هو ابناؤه او قومه فيما بعد، و بذلك يكون تطور اللغة على مراحل و بالتدريج و ليس دفعةً واحدة. الا ان حديث الرسول (ص) - إن كان صحيحاً - واضح الدلالة بأن اللغة أُلهِمت الى اسماعيل (ع) الهاماً.

وكان اسماعيل (ع) يدير شؤون الناس في مكة و له المكانة الدينية و الدنيوية فيها هو و ابوه عليهما السلام. فقد بنَيَا الكعبة و دعى ابراهيم (ع)

الناسَ بأمر الله الى حج البيت و توحيد الله. فكانت الديانة الحنيفية الابراهيمية، و تعبَّد الناس كما علَّمهم ابراهيم(ع) و اسماعيل (ع).

و قد افترض بعض الباحثين ان طريقة التعبد كانت بالتراتيل و الاناشيد الدينية، و هذه التراتيل و الأناشيد الدينية هي الجذور الاولى للشعر العربي. فقد كان الدكتور نجيب محمد البهبيتي و هومن الباحثين في العصر الحديث، يُؤمِن بأن الشعر العربي إنما جاء على لسان نبي في بادئ الامر. حيث يرى « بان ابا الشعر العربي الاول نبيٌّ، و هو اسماعيل (ع)، نشأ بعمله في العاربة ، و اتخذ اول اشكاله على صورة اناشيد يتغنى بها المُصَلّون في صَلاتِهم بالمعبد، ينظمها لهم امامهم الديني الذي تولى قيادتَهم الدينية بعد ان تَرَكَ له ابوه رِعايتهم و تعليمهم دين التوحيد الجديد ... و لذا وَجَدَ إسماعيلُ نَفسَهُ مَسؤلاً عنِ الصغيرة و الكبيرة فيه فهو الامام، و هو ناظم الاناشيد، و هو مرتلها، و المُصَلون من ورائه يُرَدِدُون، و الصلاة في المَعابد الاولى كلها كانت اناشيد مَنظومة...» ( محمد بلوحى،ص22 )، و هذا الرأي ينسجم مع كثير من الروايات و التفسيرات القديمة حول اللغة العربية و الكتابة العربية و الشعر العربي، التي تجعل من اللغة و الكتابة و البيان امر توقيفي من عند الله ابتداءً، ثم حدث في اللغة الوضع و الاصطلاح، و في الكتابة التوافق، و في البيانِ الإنشاء و الابداع. حيث استندوا على بعض الآيات القرآنية فالآية: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا... / البقرة:31 » استندوا بها فيما يخص اللغة، و الآية : «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)/الرحمن » فيما يخص الكتابة و العلوم، و الآية: « عَلَّمَهُ الْبَيَانَ. /الرحمن: 4 » فيما يخص التعبير الادبي الفني. و يتفق هذا الرأي مع نظرية القوى الخفية في الهام الشعر حيث كانت هذه القوى آلهة و ملائكة عند بعض الامم و شياطين و جن عند اخرى. و لعل ارجاع الشعر الى الآلهة عند الامم القديمة كان ينطلق من منطلقات دينية.

ومهما كانت الكيفية التي استدل بها اسماعيل(ع) على طريقة تعبده فانها قادت الى نوع خاص من الكلام ارتقى الى مستوىً فني رفيع على شكل جمل و فواصل مع ايقاع و ترنم، كل ذلك انسجاماً مع موقف المتعبِد الذي يبتغي التقربَ الى الله خائفاً من ذنب ارتكبه او طامعاً في نعمةٍ او شاكراً على نعمة، و هو موقف تسوده المشاعر و الاحاسيس و تسيطر عليه العاطفة اكثر من اي شئ آخر.

وبعدُ.. فنحنُ الى اليوم لم نعثر على نصٍ من السجعِ الديني المفترض الذي قاله اسماعيل (ع). ونظرية إرجَاعِ الشعرِ الى السَجَعِ الديني، إنما تعتمد على التحليلِ المَنطِقي و على المُعطَى الديني.

**مميزات السجع الديني:**

ذكرنا ان المشاعر و الاحاسيس هي المسيطرة على جو التعبد، و على التراتيل و الاناشيد التي يؤديها المتعبد، و ذلك طبيعي لان الموقف يستدعي ذلك. و الحقيقة ان الادعية و الصلوات و المناجاة لا تجد لها قبولاً عند الله الاّ اذا كان فيها صدق عاطفي و حضور ذهني. و كلما كانت العاطفة اصدق و المشاعر اوضح و الاحاسيس اقوى، كان القبول من الله اسرع. جاء في حديثٍ شريف: « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم و لا إلى صوركم و لكن ينظر إلى قلوبكم » (مسلم، ج4/1986). اذاً فالاسجاع الدينية الاولى ( المفترضة )، لابد انها كانت مفعمة بالعاطفة و الاحساس و الشعور، و ذلك ابرز مايميز السجع الديني في بداياته الاولى. و الواقع اننا لا نستطيع ان نذكر مميزات السجع الديني بأكثر مما ذكرنا و على وجه الدقة والتحديد، وذلك لان السجع الديني هو سجع افتراضي، لم نعثر على نص له الى هذا اليوم، وما هو مهم مما قد يتميز به السجع الديني هو سيطرة الجو العاطفي و صدق المشاعر عليه، خلاف سجع الكهان الذي ابرز ما يتميز به الغموض و الابهام و سيطرة جو الشعوذة عليه.

**سجع الكهان:**

ان الحاجة الى الله ظلت مستمرة منذ آدم (ع)، و الله جل جلاله هو القدرة المطلقة و القوة الجبارة و هو الكمال المطلق، و الانسان ضعيف محتاج اليه، و لكن الانسان ينسى نعم الله عليه و ينسى ان الله هو الذي هداه. لذلك ارسل الله الرسل و الانبياء باستمرار و لعل في عدد الانبياء و الرسل من قِبَلِ الله للانسان مِصدَاقاً لذلك، فقد بلغ عدد الانبياء و الرسل عشرات الآلاف حسب الروايات، و لكن كانت هناك فترات يتباعد فيها الوحي، فيضل فيها الانسان، و ينسى الله و نعمه، و يدفعه ضعفه الى البحث عن قوى خفية اقوى منه ليستقوي بها كان يتقصاها في الغيبيات و عالم الميتافيزيقيا بعيداً عن واقعه المحسوس بعد ان فقد المعرفة بالله و الايمان به قدرةً و ربَّاً وخالقاً، فظهرت طبقة من الناس لعبت دور الوسيط بين هذه القوى الخفية و الناس. هذه الطبقة من الناس هم الكُهَّان أو الكَهَنة. و كان لكل كاهن رِئْيٌ، او تابع من الجن يخبره بعض الاخبار الصادقة فيخبر بها الناس بعد ان يزيد عليها، فيظن الناس ان للكاهن معرفة باخبار السماء و ما يحدث للناس، فكان كثيرٌ من الناس يتحاكمون اليهم، و يلجأون اليهم في حل بعض النزاعات بينهم. و كان الكُهَّان يُسيطرون على الناس باسلوب الكلام الغامض و المبهم المتضمن على بعض الاخبار التي تَلَقَّاهَا من الرئي، او التابع من الجن. يقول المسعودي في الكهانة: « تنازع الناس في الكَهَانة: فذهبت طائفة من حكماء

اليونانيين و الروم إلى التكهن، و كانوا يدَّعون العلوم من الغيوب، فادَّعى صنف منهم أن نفوسهم قد صَفَتْ فهي مُطلِعة على أسرار الطبيعة، و على ما تريد أن يكون منها؛ لأن صور الأشياء عندهم في النفس الكلية، و صنف منهم ادعى أن الأرواح المنفردة - و هي الجن - تخبرهم بالأشياء قبل كونها، و أن أرواحهم كانت قد صَفَت، حتى صارت لتلك الأرواح من الجن متفقة... و طائفة ذهبت إلى أن التكهُن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع، و قوة النفس، و لطافة الحس... و ذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه، و أن الشياطين كانت تسترق السمع و تلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون إلى الناسَ الأخبار، بحسب ما يرد إليهم... و طائفة ذهبت إلى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكى... و ذهب كثير ممن تقدم و تأخَّر أن علة ذلك علل نفسانية، و أن النفس إذا قويت و زادت قهرت الطبيعة، و أبانت للإنسان كل سر لطيف، و خبرته بكل معنى شريف...» (مروج الذهب، ج237/1 )

و أتخذ الكُهان السجع مطيةً لبلوغ مآربهم فظهر سجعٌ خاصٌ بهم يسمى سجع الكهان. يقول الاستاذ جواد علي: « و قد ألِف (الكهان) النطق بالسجع، حتى غلب على كلامهم، و اختص بهم، كما اختص الشعر بالشعراء، فعُرف لذلك بـ (سجع الكهان) » ( جواد علي، اج373/16 ) و اختلف سجع الكهان عن التراتيل و الاناشيد الدينية - المفترض وجودها اولاً - لاختلاف المصدر لكلٍ منهما و المغزى من وجود كل منهما. و عليه فسجع الكهان هو صورة مشوهة للسجع الديني من حيث المغزى و الاتجاه، و هو انحراف في العقيدة و الديانة الحنيفية الابراهيمية، و الكهانة استعانة بالشياطين و الجن. اما السجع الديني فهو تقرب الى الله و ارتباط به وتَعَبُّد له. و قد نهى الرسول (ص) عن الكهانة و عن السجع الذي اشبه سجع الكهان، « قال الأزهري و لما قضى النبي صلى الله عليه و سلم في جَنِينِ امرأة ضربتها الأُخرى فَسَقَطَ مَيِّتاً بغُرّة على عاقلة الضاربة[32] قال رجل منهم: كيف نَدِيَ من لا شَرِبَ و

---

[32]. اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة. فقال رجل من عصبة القاتلة: كيف نَدِيَ من لا شَرِبَ و... ثم إن المرأة التي قضى عليها بالغرة توفيت فقضى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ميراثها لبنيها وزوجها. وجاء في (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،ج480/6): « و في هذا الحديث أيضا من المعاني إنكار الكلام إذا لم يكن في موضعه وكان جهلا من قائله وقد زعم قوم أن في هذا الحديث ما يدل على كراهية التسجيع إنما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم تسجيع الهذلي في هذا الحديث لأنه كلام اعترض به قائله على رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتراض منكر وهذا لا يحل لمسلم أن يفعله وإنما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التغليظ عليه في الإنكار... وفي قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إنما هذا من

لا أَكل و لا صاحَ فاسْتَهَلَّ و مِثْلُ دمِه يُطَلّْ قال صلى الله عليه و سلم إياكم و سَجْعَ الكُهّان » ( تاج العروس، ج180/21 ) و في روايةٍ قال صلى الله عليه و سلم: «أسجع كسجع الكُهّان » (لسان العرب: «سجع» ) و في شرح النووي على صحيح مسلم: « إنما هذا من إخوان الكُهّان، من أجل سجعه الذي سجع »( ج177/11 ).

وقد ورد في كتب الحديث ان بعض الناس سأل الرسولَ (ص) عن صدق بعض الكهانة : «سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ عَنْ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَنَا أَحْيَاناً بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقّاً. فَقال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ» (الحميدي،ج66/4).

ومن الكهانة ما كان تحريضاً على الثورة و الخروج عن السلطان و سبباً للحرب، مثل الذي تَكهَّنِ به عوف بن ربيعة الأسدي بمقتل حِجْر بن الحارث (أحمد زكي صفوت، ج79/1 )

و الكهانة خلال التاريخ اختلطت بالتنجيم و الخبرة و الفراسة و الدجل. و على مر العصور و في شرق الارض و غربها، اُستُخدِم التكهن و الكهان من قبل الحكام ، للسيطرة على الشعوب و التحكم في رقابهم، و اُستُخدِم من قبل معارضي الحكام للتحريض على الثورة على الحكام و مازالت الكهانة تُمارَس لمثل هذه الاغراض و لغيرها من مكاسب مادية و مآرب اخرى. يقول ابن خلدون: « و قد زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة، و أن ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن، و الكهان إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين، فبطلت الكهانة من يومئذ. و لا يقوم من ذلك دليل، لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم

---

إخوان الكهان دليل على أن الكهان كانوا كلهم يسجعون أو كان الأغلب منهم السجع...» و الحقيقية اننا لا نعلم على سبيل الجزم هل كان سؤال الرجل:(كيف ندى...) اعتراضاً على قضاء الرسول(ص) ام استفساراً و تفقهاً عن الدين الجديد، لا سيما و ان مثل هذه الحوادث لا تحدث كثيراً و حدوثها بعد مجئ الاسلام يوضح حكماً جديداً لم يعهده الناس قبل الاسلام. ثم اننا لا نستغرب سؤال الرجل اذا علمنا ان علماء المسلمين و فقهاءهم اختلفوا فى تحديد الغرة هل هى العبد ام الامة ام خمسون درهم ام الشئ الابيض بمعنى الثمين من الاشياء او اوساطها و كل ذلک واكثر منه موجود في كتب اللغة و كتب شروح الحديث و الكتب الفقهية. و من ثم فلم يأت ان الرجل امتنع عن دفع الدية معترضاً على الحكم و لو كان سؤاله اعتراضاً لامتنع عن دفع الدية، فالارجح ان الرجل سأل هذا السؤال الاستنكاري على سبيل الاستزادة في العلم، اي التفقه في الدين الجديد. و على هذا يصح ان نورد الرواية و كلام الرسول شاهداً على كراهة الرسول للسجع في مثل هذا المقام، الذي فيه قضاء وحكمٌ ديني يترتب عليه فقه، واحكام في قضاء القضاة المسلمين فيما بعد.

أيضاً كما قررناه. و أيضاً فالآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء و هو ما يتعلق بخبر البعثة، و لم يمنعوا مما سوى ذلك. و أيضاً فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط، و لعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه، و هذا هو الظاهر، لأن هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة، كما تخمد الكواكب و السرج عند وجود الشمس، لأن النبوة هي النور الأعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب » ( ابن خلدون، ص116-117) و مهما يكن من امر، سواء تلقى الكهان اخبارهم من الشياطين ام من نفوسهم ام من كليهما، فقد نهى الرسول عن كل ذلک و نهى عن تصديق الكهان « قال النبي (صلى الله عليه و آله ): من صدق كاهنا أو منجما فهو كافر بما أُنزل على محمد (صلى الله عليه وآله » (الحُر العاملي, ج144/17 ) و في رواية: « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيه [و آله] و سَلَّم » (أحمد البوصيري, ج113/6 ).

**مميزات سجع الكُهَّان وبنيته الفنية:**

أهَمُّ مميزات سجع الكهان، الغموض و الابهام و قصر الفقرات و التزام التقفية و تساوي الفواصل بين الفقرات، و لغة الكاهن الغامضة و عباراته الشائكة و معانيه المستغلقة، توحي للناس بان الكاهن يتلقى علمه من قوى خفية، فيبعث ذلک الهيبة و الخشية في نفوسهم من الكاهن، « لان الناس يومئذ اذا لم يفهموا شيئاً و صعب عليهم ادراک كنهه تهيبوه و قدسوه» (نوري حمودي القيسي، ص359) يقول الاستاذ جواد علي: « و لسجع الكهان، طريقة خاصة به، ميزته عن سجع غيرهم، فهو قصير الفقرات، يلتزم التقفيه و تساوي الفواصل من كل فقرتين أو أكثر، يعمد إلى الألفاظ العامة المبهمة المعماة، و إلى تكوين الجمل الغامضة، ليمكن تأويلها تأويلات متعددة، و تفسيرها بتفاسير كثيرة، لا تُلزم الكاهن، فيقع في حرج، كالذي يقع لو تكلم بكلام واضح صريح فيظهر بمظهر الجاهل الكاذب » (ج379/16-380 ).

**سجع الخطباء:**

اصل السجع كله السجع الديني بل ان التعبير الادبي بدأ بدايةً دينية، و من السجع الديني تفرع سجع الكهان الذي قام اساساً على فسادٍ في العقيدة و انحراف في الدين و ابتعادٍ عن الحق. فعقيدة الكهان فاسدة و باطلة، حيث اتخذ الكهان من الجن و الشياطين مصدراً لنبوءاتهم و اخبارهم عن الغيب، فكان لذلک الاثر الكبير في شكل اسجاعهم الغامضة المبهمة.

لكن في مقابل هذا النوع من السجع كان هناک نوعٌ آخر من السجع سار في خط موازٍ لسجع الكهان، هو سجع الخطباء و البلغاء و ارباب الكلام من العرب، فالحياة ليست كهانة فحسب بل ان الكهان اشخاصٌ معدودون في المجتمعات، و في الحياة انواع متعددة من النشاطات الاجتماعية و غيرها مما يحتاج الى التعبير فيها بكلام فني في الافراح و الاتراح التي تعرض للانسان. فكانت الخطب و الكلمات التي تلقى في المجالس و عند الملوک و في مناسبات التزويج و في الوصايا...الخ مما يكون فيه حاجةٌ الى الكلام البليغ المؤثر في نفوس السامعين، فنشأ النثر المسجع الخالي من التكهن و الإخبار بالغيب، و سار هذا النوع من السجع في خط بعيد عن الدين و الكهانة فلا هو مناجاة او اناشيد او تراتيل دينية، و لا هو كهانة و إخبار عن الغيب، بل هو كلام بليغ فيه من الحكمة و العقل و النصح و الارشاد و الفخر و غير ذلک مما ينم عن الخبرة بالحياة و الدراية بالامور.

و هذا السجع مسموح به محمود و مرغوب فيه تكلم به كل بليغ و خطيب. قال الجاحظ في معرض كلامه على السجع و قول الرسول في السجع الذي قاله الرجل في قضية المرأتين: « و كان الذي كرَّه الأسجاعَ بعينها و إن كانت دون الشعر في التكلف و الصنعة، أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، و كانوا يدّعون الكهانة، و أن مع كل واحد منهم رئيًا من الجن، مثل حازي جهينة، و مثل شقّ و سطيح، و عُزى سَلمَة، و أشباههم: كانوا يتكهنون، و يحكمون بالأسجاع، ... قالوا: فوقع النهيُ في ذلك الدهر، لقرب عهدهم بالجاهلية، و لبقيتها في صدور كثير منهم، فلما زالت العلة، زال التحريم. و قد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فيكون في تلك الخُطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم» (ج289/1-290 ). ان الرسول لم ينهَ عن سجع الكهان من حيث هو كلام فني اي لم ينه عنه من جهته الفنية، بالفقرات و الفواصل والقوافي التي فيه، إنما نهى عن فحوى سجع الكهان و مغزاه ومافيه من تنبوٍ وإخبارٍ بالغيب بغير حق. و قد ورد ان الرسول(ص) كان قد سمع قُس بن ساعدة في الجاهلية و قد سأل عن قُس عندما جاءه و فد إياد، جاء في رواية عن الرسول: «كأني أنظر إليه بسوق عكاظ راكباً على جمل أحمر أورق يضرب إلى خضرة كالرماد أو إلى سواد يكلم الناس بكلام له حلاوة لا أحفظه فقال بعض القوم نحن نحفظه فقال هاتوه » (المناوي، ج64/2).

و النثر المسجع عند العرب لم تختص به طبقة من الناس كسجع الكُهَّان انما كان يقوله زعماء القوم و سادتهم، و يقوله من افراد القبيلة الآخرين على حدٍ سواء، و نجد الطفل خطيباً بالسجع احياناً كما نجد المرأة، و كان الخطباء من الاغنياء و من الفقراء الصعاليک و قطاع الطرق و من

سائر الناس، لبلوغ اللغة العربية مبلغاً راقياً في فن القول عند العرب. فليس هذا الامر مختص بطبقة اجتماعية او دينية، انما يعود الامر الى ملكة فنية و موهبة ابداعية تصقل بالدربة و طول المران في مجالس الكلام في عصر كانت البلاغة اهم ميزاته.

و الملاحظ ان هذا السجع لم يكن موضوعه الدين فلا هو مناجاة او تراتيل او ادعية و اناشيد دينية، ولا هو تنبؤ و كهانة و إخبار بالغيب. بل خرج الى اغراض اخرى في مناسبات مختلفة في الحياة، و ذلك عندما اتخذ بعض العرب ممن يمتلكون قدرة خاصة في فن القول و اساليب الكلام، طريقة السجع الديني و سجع الكهان، طريقةً للتعبير في مناسباتهم الاجتماعية، و سعوا الى تطوير طرق التعبير و الارتقاء بها الى السجع غير الديني اي النثر المسجع الذي يقال في الخطب و المناسبات. و ساعدهم في ذلك ما تتمتع به لغتهم من صفات. فصوت الحرف العربي و الكلمة العربية بما احتوت عليه من موسيقى، ساعد في الدفع بهذا الاتجاه. و بذلك اخرج العربي السجع الى اغراض اخرى غيرالدين و الكهانة، فكانت خطبهم تعُجُّ بمثل هذا الاسلوب في الكلام، و راحت الاسجاع تُقال في مناسبات شتى في حياة العربي، من ذلك خطبة لعبد المطلب بن هاشم «**يهنئ سيف بن ذي يزن باسترداد ملكه من الحبشة لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه ومنهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم فاستأذنه في الكلام فأذن له فقال: إن الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا و أنبتك منبتا طابت أرومته و عزت جرثومته و ثبت أصله و بسق فرعه في أكرم معدن و أطيب موطن فأنت أبيت اللعن رأس العرب و ربيعها الذي به تخصب و ملكها الذي به تنقاد و عمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد سلفك خير سلف و أنت لنا بعدهم خير خلف و لن يهلك من أنت خلفه و لن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله و ذمته وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي فدحنا فنحن و فد التهنئة لا وفد المرزئة**» ( أحمد زكي صفوت، ج76/1). و من ذلك خطبة لقس بن ساعدة الإيادي و هو من اشهر خطباء العرب قبل الاسلام، بسوق عكاظ فقال: «**أيها الناس إسمعوا و عوا مَن عاشَ مات ومن مات فات و كل ما هو آت آت...**»( أحمد زكي صفوت، ج38/1). و من الاسجاع قول أيوب بن القرية و قد كان دُعيَ لِكلام فاحتَبَسَ القولُ عليه فقال: « **قد طال السمر و سقط القمر و اشتد المطر فماذا ينتظر.** فاجابه فتى من عبد القيس فقال: **قد طال الارق و سقط الشفق و كثر اللثق فلينطق من نطق»**. ( الجاحظ، ج398/1).

و قال أعرابي لرجل: «**نحن و الله آكل منكم للمأدوم و اكسب منكم للمعدوم و أعطى منكم للمحروم**». ( الجاحظ، ج398/1).

و وصف اعرابي رجلا فقال: « **ان رفدك لنحيح و ان خيرك لسريح و ان منعك لمريح سريح** » ( الجاحظ، ج398/1).

و شيئاً فشيئاً ظهر النغم او الوزن في الاسجاع في المرحلة الاخيرة، ثم توحدت القافية، فظهر عندهم الشعر في ابسط اوزانه في بداياته الاولى.

**نتيجة البحث:**

تناولنا في هذا البحث السجع في العصر الجاهلي، و اتضح لنا ان السجع هو البداية الاولى لفن القول عند العرب، و ان تاريخه يعود الى التراتيل و الاناشيد الدينية التي كانت تمارس للتعبد، التي يُرجَح ان واضعها الاول هو النبي اسماعيل (ع)، و خلصنا الى ان فن القول عند العرب انما استُلهم من هذه الاناشيد و الادعية و الصلوات و التراتيل الدينية، لما كانت تقوم عليه من نظام موسيقي مؤثر في السامع تمثل بالنهايت المرسومة بالقافية الموحدة للجمل المنتظمة المبنية على مسافات موسيقية متناسبة.

ومن خلال الدراسة تواصلنا الى ان السجع ينقسم على ثلاثة انواع هي:

1. السجع الديني، و هو تلك التراتيل و الاناشيد ادينية، و هذه النوع من السجع لم يصلنا منه نصوص، لانه موغل في القدم و نصوصه ابعد من قدرة الرواية الشفوية، و هو افتراضه نفترض وجوده من خلال المعطيات الدينية و الاستنتاجات المنطقية.
2. سجع الكهان، و هو السجع الذي كان يمارسه الكهنة في العصر الجاهلي لاغراض الدجل و الشعوذة و الدين المنحرف عن الحق بغية الحصول على ثمن بخس و السيطرة على الآخرين من خلال استغلال جهل الناس و حاجتهم الى قوى خفية.
3. سجع الخطاء، و هو السجع الذي ظهر على يد البلغاء من عرب الجاهلية ممن تمكنوا من التوصل الى بناءٍ فني للكلام وظفوه لاغراض متعددة و في مناسبات اجتماعية مختلفة و ذلك لحاجة الانسان الى مثل هذا النوع من الكلام الفني في كل عصر و مكان للتعبير عما يجول في ذهنه و يخطر على عاطفته.

و كان هذا النوع الاخير من السجع و هو سجع الخطباء هو مرحلة سابقة لنوع آخر من انواع الادب، حيث انتظم الكلام في نظام موسيقي اكثر تعقيداً من نظام السجع، كذلك طرء على مضمونه و اسلوبه و اغراضه تطور كبير، تمخض عن لونٍ جديدٍ لفن القول سمي شعراً.

## مصادر البحث:


1. **القرآن الكريم** .
2. ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 2004 م.
3. ابن منظور، **لسان العرب** .
4. بروكلمان، **تاريخ الادب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار.
5. بلوحى. محمد، **اليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م.
6. البوصيري .أحمد, **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**, ط1، دار الوطن, الرياض, 1420 هـ - 1999 م, عدد الأجزاء: 8.
7. الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق و شرح: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ، 1988م، عدد الأجزاء: 4.
8. الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، دار المدني - جدة، تحقيق : محمود محمد شاكر،عدد الأجزاء:2.
9. الحميدي محمد بن فتوح.، **الجمع بين الصحيحين البخاري و مسلم**، تحقيق: علي حسين البواب، ط 2، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ - 2002م، عدد الأجزاء:4.
10. الزَّبيدي أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، عدد الأجزاء / 40.
11. سلوم. داود، **مقالات في تأريخ النقد الادبي**، دارالطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
12. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، دار الكتب العلمية - بيروت ط1، 1998، تحقيق: فؤاد علي، منصور عدد الأجزاء: 2.
13. صفوت. أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، المكتبة العلمية، بيروت، عدد الأجزاء:3.
14. علي. جواد، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الساقي ط:4، موقع مكتبة المدينة الرقمي http://www.raqamiya.org.
15. المبرد. أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة و الأدب**.
16. المسعودي، **مروج الذهب**، موقع الوراق http://www.alwarraq.com ، ج237/1
17. المناوي. زين الدين عبد الرؤوف، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، ط2، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، 1408هـ، 1988م، عدد الأجزاء:2.
18. النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2 ، 1392، عدد الأجزاء: 18.
19. النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، 1387تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، عدد الأجزاء: 24 .
20. نوري حمودي القيسي، عادل جاسم البياتي، مصطفى عبد اللطيف، **تاريخ الادب العربي قبل الاسلام**, دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979م.
21. النيسابوري .أبو الحسن مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء 5.

# الفلسفة

إسهامات الفلاسفة المسلمين في الحركة النقدية \ ابن رشد نموذجا
الدكتور سليم بتقه

# إسهامات الفلاسفة المسلمين في الحركة النقدية
## ابن رشد ـنموذجاـ

د/ سليم بتقه

كلية الآداب واللغات     قسم الأدب العربي
جامعة محمد خيضرـ بسكرة ـ الجزائر

**ملخص:**

لم تكن تأملات الفلاسفة المسلمين منصبة على مسائل الفلسفة على ما فيها من اختلاف في النظرة والحكم، بل تعدى الأمر إلى مجال الفن و الشعر، ولا غرو في ذلك فالشعر أهم الظواهر الفنية عند العرب وأحبها إلى نفوسهم، فألف في ذلك الكندي، و الفارابي و ابن سينا، و كان لابن رشد وهو خاتمة الفلاسفة المسلمين موقف من الشعر العربي، و نظرة في الشعر عامة، بل أنه نظم الشعر في شبابه ثم أحرقه في كهولته فيما يحدثنا ليون الإفريقي و كان لابن رشد اطلاع واسع على أشعار العرب و نفاذ في معرفتها، وذوق ممتاز في تمييز خصائص الشعر الرفيع و نقده .

يمتاز تلخيص ابن رشد لكتاب "فن الشعر" لأرسطو بمحاولته تطبيق قوانين الشعر على الشعر العربي، فاستشهد بنماذج منه في عديد من المواضيع في هذا الكتاب.

في هذه المقاربة سنحاول أن نوضح بعض الملامح البارزة في الفكر النقدي عند الفيلسوف ابن رشد، ونظرته للشعر العربي على وجه الخصوص، مما لا يمكن فهمه إلا بالعودة إلى كتب الفلسفة اليونانية التي ترجمت إلى العربية ثم تناولها فلاسفة العرب بالتلخيص، مازجين التلخيص بالتفسير في معظم الأحيان.

Les philosophes musulmans n’ont pas de réflexions axées sur des questions de philosophie quoi qu’elles ont de différence de perception et de jugement, mais aussi dans le domaine de l'art et la poésie, et sans surprise, le phénomène artistique est le plus important chez les arabes, ainsi écrit Al-kindi ,Al-Farabi et Ibn Sina. Ibn Rushd qui a été le dernier des philosophes musulmans avait une perception générale sur la poésie, aussi, il a composé des poèmes dans sa jeunesse, puis les a brûlé en son âge mûr d’après Leo l 'Africain. Ibn Rushd avait des connaissances

assez vastes sur la poésie arabe et un goût excellent pour spécifier ses caractéristiques et enfin le critiquer.

Le résumé Ibn Rushd « l'art de la poésie » se distingue pour sa tentation d'appliquer des lois de la poésie sur la poésie arabe, de citer des modèles dans beaucoup de sujets dans ce livre.

Dans cette approche, nous allons essayer d'expliquer les principales caractéristiques de la pensée critique du philosophe Ibn Rushd, sa perception sur la poésie en particulier, cela ne peut être compréhensible seulement en revenant aux livres grecque qui ont été traduits en arabe, et ensuite examiné par les philosophes arabes par la traduction, mélangeant souvent entre interprétation et traduction.

**مقدمة:**

عرف النقد الأدبي في معظم الثقافات الإنسانية، إن لم يكن كلها، فإذا كانت تلك الثقافات عرفت الأدب سواء كان شعرًا أم قصا أم تمثيلا في مراحل مبكرة، فإن من الطبيعي أن يفرز ذلك آراء نقدية حول ما يقدمه المبدعون. وقد حفظ التاريخ أراء نقدية قديمة، حيث كان لليونانيين دور بارز في تطوير فكر نقدي ما يزال مؤثرًا حتى اليوم بفضل تفاعل المفكرين والنقاد العرب المسلمين معه قبل قرون.

لذا فإن دراسة النقد عند الفلاسفة المسلمين لا تتضح إلا في ضوء النقد عند اليونانيين ذلك أن الثقافة العربية تدين للثقافة اليونانية التي تلقفها العرب وأفاضوا في تفسيرها والإضافة إليها، حيث تأثر الفلاسفة والأدباء والنقاد والبلاغيون العرب بمن سبقهم من فلاسفة اليونان كأرسطو وأفلاطون، حيث بدا هذا التأثر واضحا خاصة في كتاب (فن الشعر) لأرسطو على الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابي وابن سينا وابن رشد خاصة بعد أن قام بشر بن متى سنة (328هـ) بترجمة كتاب (فن الشعر)، ومن ذلك الوقت توالت التلخيصات والترجمات لهذا الكتاب، فقد قام بتلخيصه الفارابي، ثم قام بترجمته مرة أخرى ابن سينا وابن رشد، ومن ثم بدأت نظرية أرسطو في الشعر تجد صداها في نقد الشعر العربي، مع أن هؤلاء الفلاسفة لم يخصصوا كتابات مستقلة بعينها للشعر أو للنقد.

**أولا: الشعر عند ابن رشد:**

ينظر *ابن رشد* (ت595) إلى طبيعة الشعر أنها تقوم على الخيال، فالشاعر عنده شخص غلبت قوته الخيالية على قوته النظرية، فالشعر بهذا الاعتبار يعود مصدره إلى عنصر نفسي هو إبداع الصور الخيالية المشوبة بالصور الحسية ولا علاقة له في جوهره بغيرها من الصور العقلية الخالصة، والصور الحسية، التي لا أثر للخيال فيها.

وإذا كان *أفلاطون* (427-347ق.م) يرى كل الفنون ومنها الشعر قائمة على التقليد (المحاكاة)، وكذلك *أرسطو* (384-322ق.م) الذي ارتبطت به نظرية المحاكاة، فإن الفلاسفة الإسلاميين ومنهم *ابن رشد* اعتبر المحاكاة العمود والأساس في المديح، وربط بين المحاكاة والتشبيه، وهو أمر لم يقصده *أفلاطون* ولا *أرسطو* من هذا الاصطلاح .يقول:" والتشبيه والمحاكاة هي مدائح الأشياء التي في غاية الفضيلة".

ترجع جودة الشعر عند *ابن رشد* وتمامه وجماله في الوصف إذا بلغ الشاعر في وصفه مبلغا يخيل إلى السامعين كأنه محسوس أمامهم يبصرونه، ويرى أن هذا اللون من الوصف الرائع يتوفر عليه الشعر العربي، ويذهب إلى أن *المتنبي* أفضل من يوجد له هذا النوع من التخييل و من وصف الأحوال الواقعة في الحروب،(1) وكذلك الأمر لدى *امرئ القيس وذي الرمة*.

يلجأ الشعراء العرب في أشعارهم إلى استعمال ما يسميه *ابن رشد* بالتخيل وهو المقصود عنده بالمطابقة فقط، بمعنى وصف الأشياء الخارجية من الجماد والحيوان والنبات، وهذا اللون من الوصف كثير في أشعار العرب. ويغلب على الشعر العربي في نظر *ابن رشد* محاكاة أشياء محسوسة بأشياء محسوسة، وجل تشبيهاتهم راجعة إلى هذا. كما يوجد فيها تشبيه أمور معنوية بأمور محسوسة بكثرة.

بيد أنه يحكم على شعر المتنبي بأنه "أقرب إلى المثلات الخطبية من المحاكاة الشعرية"(2) وذلك أنه يستعمل الإقناع والتصديق الأمر الذي يليق بالخطابة وبالمنطق العقلي، ويلاحظ ابن رشد أن الشعر العربي يعتمد كثيرا على المحاكاة التي تقع بالتذكر، ويعني به أن يورد الشاعر شيئا يتذكر به شيئا آخر، فتذكر الشعراء العرب الأحبة بالديار والأطلال مشهور في شعرهم، ومن هذا الضرب أيضا تذكر الأحبة بالخيال أو الطيف وإقامته مقام المتخيل.

قال *ابن رشد* : "وتصرف العرب والمحدثين في الخيال متفنن، وأنحاء استعمالهم له كثير ولذلك يشبه أن يكون من المواضع الشعرية الخاصة بالنسيب وقد يدخل في الرثاء كما قال *البحتري*:

خلا ناظري من طيفه بعد شخصه فيا عجبا للـدهر فقد على فقد (3)

وأما النوع من الشعر الذي يبالغ صاحبه في الكذب فيعتقد *ابن رشد* بكثرته في أشعار العرب (4) والمحدثين وهو ما يستعمله من دعاهم بالسفسطائيين من الشعراء، يقول: "وهذا كثير موجود في أشعار العرب، ولكن قد يوجد للمطبوع من الشعراء منه شيء محمود مثل قول *المتنبي* :

لبسن الوشي لا متجمـلات ولكن كي يصن به الجمـــالا
وضفرن الغدائر لا لحســن ولكن خفن في الشعر الضـــلالا (5)

ومن السمات التي يتميز بها الشعر العربي ما يسمي بالتشخيص، حيث يضفي الشاعر الحياة والنطق على الجماد. قال *ابن رشد* : "وها هنا موضع سادس مشهور يستعمله العرب وهو إقامة الجمادات مقام الناطقين في مخاطبتهم ومراجعتهم إذ كانت فيها أحوال تدل على النطق مثل قول الشاعر:

وأجهشـت للتوبـاذ لما رأيته وكبر للرحمـن حين رآني
فقلت له أين الذين عهـدتهم حواليك في أمن وخفض زمـان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى سوى الحدثـان (6)

**ثانيا: وظيفة الشعر عند ابن رشد:**

وإذا كان للشعر فعله في نفسية المتلقي، فإن فإن *ابن رشد* اهتم بالجانب الأخلاقي في هذا التأثير، ولذلك قارن بين اليونان والعرب في هذا المجال فقال : "وأما اليونانيون فلم يكونوا يقولون أكثر ذلك شعرا إلا وهو موجه نحو الحث على الفضيلة، أو الكف عن الرذيلة، أو ما يفيد أدبا من الآداب أو معرفة من المعارف". (7) فالشعر اليوناني يحث على الفعل الخلقي و يمجده، أما الشعر العربي فيصف الأشياء والذوات والانفعالات، فالشعر العربي فيما يذهب إليه عبد الرحمان بدوي ذاتي عاطفي، و الشعر اليوناني إرادي يكاد يكون موضوعيا، أي أن الشعر اليوناني ذو طابع أخلاقي فعال، في حين أن الشعر العربي ذو طابع انفعالي فهو شعر المتعة و اللذة. فالشعراء اليونان يمدحون الأفعال الخلقية و ينفرون من الأخلاق غير الخلقية. (8) لذلك نجد *ابن رشدي* يهاجم شعر الجاهلية هجوما عنيفا قائما على معيار خلقي يقول: "ولكون أشعار العرب خلية من مدائح الأفعال الفاضلة، و ذم النقائص أنحى الكتاب العزيز عليهم و استثنى منهم من ضرب قوله إلى هذا الجنس".(9) مشيرا بذلك إلى قوله تعالى : ((والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله وانتصروا من بعدما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)).(سورة الشعراء،224_227).

فالشاعر يصور هوى نفسه، و مشاعر ذاته، وهيمان هواجسه، وهذا الرأي ذهب إليه الفرابي أيضا فيما يذكر *ابن راشد*: "و إن كانت أكثر أشعار العرب إنما هي كما يقول أبو نصر في النهم والكدية".(10)

جعل *ابن رشد* للشعر مقياسا أخلاقيا تربويا، حيث جعل له وظيفة اجتماعية منصبة على أثره في السلوك الإنساني، وبناء على ذلك هاجم الشعر الجاهلي لأنه في أغلبه يعبر عن الأهواء واللذات والرغبات والتكسب بالمدح وخاصة النسيب الذي ينطبق عليه تفسير *فرويد* للأدب على أنه لغة الرغبة، فيدعونا لقراءة الأثر الفني على أنه لغة الشهوة. قال *ابن رشد*: "و ذلك أن النوع الذي يسمونه النسيب إنما هو حث على الفسوق، لذلك ينبغي أن يتجنبه الولدان". (11)

ومع ذلك فهو يعترف بوجود قدرا من صور الفضائل في الشعر الجاهلي، فهو يقر بما له من نماذج تعبر عن الكرم و الشجاعة، وهذا النوع من الشعر هو الذي ينبغي أن نهذب به الأطفال ونؤدبهم فقال :"و يؤدبون من أشعارهم بما يحث فيهم على الشجاعة و الكرم فإنه ليس تحث العرب في أشعارهم من الفضائل على شيء سوى هاتين الفضيلتين و إن كانت ليس تتكلم فيهم على طريق الحث عليهما، وإنما تتكلم فيهما على طريق الفخر". (12)

ويذهب *ابن رشد* في تلخيصه لجمهورية أفلاطون إلى أن شعر العرب في الجاهلية يعج بوصف اللذات الحسية، وهو أمر يضر بالشباب لذا يجب تحذيرهم الشباب من الاستماع إلى هذا الشعر وما أشبهه. (13)

ويجب أن تهمل العبارات التي تؤدي إلى الاهتمام باللذات، فالشباب ينبغي أن يستمعوا إلى العبارات التي تحذرهم اللذات والانغماس فيها لأن مراقبة النفس كما قال أفلاطون لا يمكن أن توجد إلا مع الاعتدال وتجنب اللذات الحسية.(14)

ويرى وجوب منع هذه الأشعار التي تجري على عادة الجاهلية في وصف الأشياء التي لا ينبغي أن توصف (صهيل الحصان ونهيق الحمار) ولا يسمح للشعراء في المدينة أن يحاكوا كل شيء كما اتفق حفاظا على الذوق والخلق، وعلى سلامة المدينة وقوتها، فإن تقليد الأشياء الرذيلة، أو التي ليس لها تأثير فيما إذا كان شيء ما ينبغي اختياره أو تجنبه كما هو الحال في كثير من أشعار الجاهلية أمر ليست تدعو له أية ضرورة في المدينة، والشعراء في هذه المدينة بالأحرى يجب أن لا يسمح لهم إلا بوصف النساء اللامعات وأمانتهن، وبصفة عامة الفضائل الخلقية، كما أنه لا يسمح لهم بوصف أي شيء اتفق، وهذا أيضا ينطبق على الرسامين فلا يجوز لهم أن يرسموا الرذائل، لأن المدن الفاضلة في حاجة إلى أن يكون أطفالها لا يسمعون الأقوال الجميلة

فحسب بل يرون أيضا الأشياء الجميلة. وهكذا فإن الأفعال الجميلة تغرس في أنفسهم بجميع أوجهها. (15)

لم يجعل *ابن رشد* للشعر و الفن وظيفة أخلاقية تربوية فحسب، بل جعل وظيفة اجتماعية سياسية، ولذلك هاجم الشعراء الذين يمدحون الطغاة والمستبدين من الحكام ويفضلون التملق إليهم والعيش في كنفهم، و يخبرونا ابن رشد أنه رأى كثيرا من الشعراء ومن الذين نشأوا في المدن الأندلسية يفضلون هذا اللون من الحكم الطاغي، ويعتقدون أنه الغاية القصوى، وأن هناك ميزة وفضيلة في النفس الطاغية، و يرون الدوام لهذا الحكم. (16)

يمكن القول بأن *ابن رشد* قاس الشعر بمقياس فلسفي أخلاقي وجعله خاضعا لخدمة المجتمع وللتربية الصالحة، و إذا كانت الغاية من الفن عند أرسطو هي اللذة الجمالية، فإنه مع ذلك لم يضح بالقيمة الخلقية، فهو لا يرضى للبطل في التراجيديا أن يسقط أخلاقيا. إن ابن رشد ابن حضارته والحضارة الإسلامية حضارة ذات طابع أخلاقي وليس معنى هذا أنها تنكر القيمة الجمالية وإنما تعطي الأولوية للحق وللخير إذا اقتضى الأمر، على الجمال.

ومن جهة أخرى فإن حكم *ابن رشد* على الشعر العربي يبدو شديد القسوة، ولكن الواقع أنه يقصد به الشعر الجاهلي، إذ يذكر "شعر العرب" مقابلا "لشعر المحدثين" تمييزا بذلك بين شعر الجاهلين وشعر الإسلاميين فلا يمكن أن ننكر العناصر الأخلاقية في الشعر الإسلامي، بل أنه لا يمكن لنا أيضا أن ننفي الصبغة الأخلاقية نفيا كليا عن الشعر الجاهلي إذ أن *ابن رشد* نفسه يعترف بما في الشعر الجاهلي من تمجيد للكرم وأن كان يقصر الصبغة الأخلاقية في الشعر الجاهلي على صفتي الشجاعة والكرم فحسب، و يشارك الفارابي ابن رشد في هذا الحكم القاسي.

وما كان يخلو منه شعر العرب في الجاهلية قد وجد في القرآن و لذلك قال *ابن رشد*: "وينبغي أن تعلم أن أمثال أنواع هذه المدائح الأربعة للفعل الإرادي الفاضل غير موجودة في أشعار العرب، وإنما هي موجودة في الكتاب العزيز كثيرا". (17) وتنبه *ابن رشد* إلى أهمية الشعر القصصي وإلى عدم توفر الشعر الجاهلي عليه، فبين أنه قليل في هذا الشعر، ولكن توجد القصص في القرآن وأشار إلى أن الشعر القصصي له تأثير بالغ فيمن صدق به، وأشار إلى قصة *يوسف* و إلى قصة *إبراهيم* الخليل -عليهما السلام- وإلى ما لهما من أثر في النفس سواء كان الحزن أو الخوف كما في قصة *إبراهيم* أو الرقة وما يحث على العمل كما في القصة *يوسف*، و ما إلى ذلك من القصص القرآني الذي يقصد به عظة النفس وتحريك الدوافع الأخلاقية، و يلاحظ ابن رشد أنه

إذا وقع أي شك في هذه القصص فإنها تفقد تأثيرها وذلك: "هو السبب في أن كثيرا من الذين لا يصدقون بالقصص الشرعي يصيرون أراذل".(18)

**ثالثا:بين ابن رشد، أفلاطون، وأرسطو:**

ويبدو *ابن رشد* قد تأثر بأفلاطون في وضعه الشعر والفن عامة في المرتبة الثالثة من الحقيقة، و في طرده للشعراء من مدينته الفاضلة لأنهم يؤثرون تأثيرا سيئا فيمن عداهم من الناس، ويشوهون الحقائق، ولا يفهمون ما يعبرون عنه، وما يصفونه من أشياء وأفعال، ولكن ابن رشد لا يوافق نظرية أفلاطون في نظرية المثل ولذلك فإنه غلبت عليه المعايير الأخلاقية والاجتماعية من جهة، والمنطقية من جهة أخرى إذ ليس القول الشعري والخطابي والجدلي كالقول البرهاني، فالشعر عاطفي خيالي لا يصلح إلا للجمهور، بل إنه يؤثر تأثيرا سيئا في الجمهور إن كانت صبغته غير أخلاقية .

والواقع أن *ابن رشد* تبعا *لأرسطو* يرى أن من عيوب الشعر أن يترك المحاكاة الشعرية وينتقل إلى الإقناع والأقاويل التصديقية، وخاصة إذا انضاف إلى ذلك أن كان القول هجينا قليل الإقناع، و أن كان قد يحسن إذا حسن الإقناع أوكان صادقا، (19) ومن ثم فهو لا يتمسك كثيرا بالجانب المنطقي في الشعر إذ طبيعة الشعر لا يمكن أن تكون خاضعة لقوانين المنطق العقلي خضوعا تاما، فيبقى ابن رشد إذن متمسكا أشد التمسك بالمعيار الأخلاقي متفقا في ذلك مع *أفلاطون* الذي فهم من الشعر أنه يغذي الأهواء و يضعف الرجولة و يعزل العقل الذي ينبغي أن يسيطر على الأهواء ويحد من رغبة الإنسان الطبيعية إلى ذرف الدموع وأدرك أفلاطون من اللذة اللذات الحسية، إذ يرى أن الموسيقى أيضا قد تفسد الناس لأنها تهدف إلى إرضاء الجمهور فلا ينبغي للشاعر أن يثير الانفعالات، ولا يأذن أفلاطون إلا بمدائح الأبطال والأناشيد الدينية التي تلتزم الحقيقة. أما *أرسطو* فلا يرى أن الشعر مدرسة تعلم الأخلاق والتربية الصالحة وإن كان لا يقبل أن يعرض على المسرح الانحطاط الخلقي، وأن بطل القصة ينبغي أن يكون ذا خلق ممتاز، و هذا الموقف الأرسطي يخالف التقاليد اليونانية التي ترى أن رسالة الشاعر تهدف إلى تهذيب الشعب و ترقية أخلاقه

فموقف *ابن رشد* ليس أرسطاطاليسا محضا ولا أفلاطونيا محضا، وإنما هو موقف حضاري إسلامي يرى أن الشعر والفن عامة مرتبط بالالتزام ، والفن في نظر الرسالات والمصلحين والثائرين إنما هو في خدمة المجتمع، وخدمة الرسالة الخلقية أما إذا انساق الشاعر مع أهوائه ولذاته فقد نزل شعره من أن يكون فنا وأصبح ضربا من وحي الشيطان، لذلك نزه القرآن النبي من أن يكون شاعرا يهيم في أودية الخيال، أو كاهنا يسحر الناس بسجعه وأخيلته

وتصويره لما سيحدث من الحدثان، قال الله تعالى: ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)) و قال: ((وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون إن هو إلا ذكر للعالمين)) .

**خاتمة:**

يعد ابن رشد واحدا من الفلاسفة الذين ترجموا كتاب (فن الشعر)، و يعتبر أيضا الوحيد الذي اختلفت ترجمته عن باقي الترجمات والشروح ، فقد لوحظ عليه سوء الفهم للمصطلحات الواردة في الكتاب، ورأى البعض أنه أخطأ في ترجمته، وذلك يرجع إلى تخلصه من الأمثلة التي أوردها أرسطو للنصوص الأدبية اليونانية واستبدلها بالنصوص العربية من شعر وآيات قرآنية، وهذا هو ما جعل الكثير من النقاد و الباحثين يظنون أن ترجمة ابن رشد لكتاب أرسطو عبارة عن كتاب مستقل تمتزج فيه أقوال أرسطو مع أقوال ابن رشد، ولكنه استطاع أن يسهم في تحولات كثيرة، تجلت فعاليتها النقدية في قضايا عدة.

وإذا كان ابن سينا والفارابي قد توليا طرفاً من التحول الفلسفي للنقد في المشرق العربي، فإن ابن رشد قد عرف الأندلسيين بكتاب (الشعر) لأرسطو، وأعطى النقد بعداً فلسفياً لا نحسبه يماثل ما توصل إليه المشارقة.

لقد ساهم الفلاسفة المسلمون في تنشيط الحركة النقدية الأدبية مستفيدين من ثقافاتهم ومعارفهم التي تلقوها عن الفلاسفة اليونان ومن ثراء النقد العربي وحركته المكثفة التي سادت ذلك العصر، ساعين في ذلك إلى توثيق التواصل بينهم وبين النقاد مضيفين لبنة في صرح الحضارة العربية الإسلامية.

**الهوامش:**

1-ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر، تحقيق سليم سالم، القاهرة، 1971، ص124-125

2-المرجع نفسه

3-المرجع نفسه، ص: 118

4-يبدو أنه يقصد بالعرب هنا الجاهليين.

5-المرجع السابق، ص:121

6-المرجع نفسه، ص:122

7-المرجع نفسه، ص:68

8-عمار طالبي: موقف ابن رشد من الشعر، مجلة الأقلام، دار الجاحظ بغداد، عدد 11، 1980، ص:74

9- الشعر، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص:17

10- المرجع نفسه، ص:67

11- نفس المرجع، نفس الصفحة.

12- نفس المرجع، نفس الصفحة.

13- نفس المرجع ، نفس الصفحة.

14- المرجع نفسه، ص:24

15- عمار طالبي: موقف ابن رشد من الشعر، ص:74

16- المرجع نفسه، ص:141

17- ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر، ص:128-104-105-123

18 - المرجع نفسه، ص:104

19- المرجع نفسه، ص:161

# الفنون

## الكتابة الجديدة في المسرح العراقي
## يوسف العاني نموذجاً

أحمد شرجي

# الكتابة الجديدة في المسرح العراقي
# يوسف العاني نموذجاً

**أحمد شرجي**
**مرشح دكتوراه جامعة ابن طفيل**

مدخل:

عـرف المسـرح العراقـي الـنص المسـرحي بوقـت مبكـر، حيـث كانـت مسـرحية (لطيـف وخوشـابا 1893) لنعـوم فـتح الله السـحار، اول نـص مسـرحي، ظهـر فـي الموصـل، ظلـت هـذه المسـرحية ، مسـرحية رائدة في الكتابة المسرحية العراقية.

وظـل المنجـز المسـرحي العراقـي فقيـرا علـى مسـتوى الكتابـة الدراميـة، علـى الـرغم مـن وجـود المظـاهر الدراميـة المليئـة بالـدراما، مثـل طقـوس (التعزيـة الحسـينية) التـي كـان مـن الممكـن ان تكـون أحـداثها مصـدر الهـام للكتـاب والـدراميين، والتـي تشـكل تفاصـيلها مقتـل الحسـين وأولاده ، بحيـث يمكـن أن تخـدم مسـرحتها معالجـة بعـض مـا يعيشـه العـراق مـن اضـطرابات سياسـية بطريقـة جماليـة مسـرحية مخصوصـة، لكنهـا للأسـف أجهضـت، لأسـباب شـتى، وممـا سـاهم بعـدم تعـرف العـراقيين إلـى مثـل ذلـك العـرض المسـرحي بوقـت مبكـر، لـو إنـه جـرى تطـوير تلـك الواقعـة مـن الممارسـة الطقسـية إلـى حيـث تشـكل عرضـا مسـرحيا ، خاصـة مـع تـوافر عناصـر مسـرحية كثيـرة فيهـا، مـا يساهم في ترسيخها.

ظـل المؤلـف المسـرحي يتـأرجح بـين الاقتبـاس والترجمـة، كحـال أقرانـه فـي المنطقـة العربيـة، واسـتمرت عمليـة الاقتبـاس والترجمـة وانتشـرت بـدءا مـن القـرن التاسـع عشـر، إلـى أوائـل القـرن العشـرين في الموصل وبغداد.

دخـل العـراق القـرن العشـرين وهـو محمـل بتـداعيات الهيمنـة العثمانيـة، ومـا ولدتـه مـن اضـطهاد وتعسـف وكبـت للحريـات، ثـم جـاءت ثـورة العشـرين بفكـر ثـوري ، مناهضـا لكـل أشـكال الاحـتلال والهيمنـة الأجنبيـة \ الإنكليزيـة، ظهـرت بـوادر المسـرحية التاريخيـة التـي تسـتنهض روح الأجـداد وتنقـب عـن مـآثرهم البطوليـة، فكـان مـن رواد هذه المرحلة (يحيى عبد الواحد، سليمان الصائغ ).

فـي الثلاثينيـات وبعـد تأسـيس الدولـة العراقيـة فـي 23 شـباط 1921، ظهـرت المسـرحية الاجتماعيـة التـي تطالـب بإصـلاح المجتمـع وتوعيتـه، فناقشـت القـيم الفاسـدة التـي بـدأت تترسـخ فيـه، ومـن هـؤلاء

الكتاب( سليم بَطي، نديم الاطرقجي)، ثم استمر المسرح العراقي بتقديم المسرحيات الاجتماعية ، والسياسية، التي تناولت قضايا مناهضة الاحتلال الإنكليزي، وبث روح المواطنة والحس القومي.
ارتبط تاريخ المسرحية الحديثة في العراق بقيام ثورة 14 تموز 1958، التي أسقطت النظام الملكي وقيام نظام جمهوري، انتشر فيه هامش الحرية، وتعددت الأحزاب لتمارس عملها بشكل علني داخل المجتمع العراقي ، ما ساهم بتغير الخطاب المسرحي الذي بدا يحمل فكرا تقدميا، تنويريا ، ومنهم "صفاء مصطفى، توفيق لازم ، شهاب القصب ، يوسف العاني، طه سالم، نورالدين فارس، عادل كاظم، علي حسين البياتي"[33].
لا يمكن لأي باحث ان يكتب عن التطور الدرامي في المسرح العراقي، من دون التوقف عند تجربة الكاتب والممثل يوسف العاني، لأنه كان مجدداً فيها ، من خلال ملامح تجربته التي سار فها بشكل علمي ، بدأها بالواقعية الاشتراكية لغوركي الذي تأثر به وبالأدب الروسي كثيرا.
ومن بين أولى أعماله مسرحية (راس الشليلة 1951) التي كانت أشبه بالتمثيلية الإذاعية، مغرقة بالصور الواقعية، على وفق متطلبات المرحلة التي كانت مليئة بالتناحرات السياسية، تلك الأوضاع العامة التي انعكست بمعالجات الكاتب العاني وزملاؤه بانتهاج الواقعية، أو الأسلوب الواقعي، الأمر الذي ميز أغلب تجارب العاني في فترة الخمسينيات من القرن الماضي.
في الستينيات كتب العاني أعمالا مسرحية أخرى منها (صورة جديدة 1964) التي مهدت لظهور أسلوب جديد في الكتابة المسرحية في المسرح العراقي بشكل عام، وتجربة العاني المسرحية بشكل خاص، حيث تتوج تجديده الأسلوبي في (مسرحية المفتاح 1967) وقدمت على المسرح عام 1968 ، بإخراج الأستاذ سامي عبد الحميد.

الجديد في المفتاح، هو ذلك التناول الأسطوري للحكاية الشعبية، منطلقا من المنهج البريشتي (الملحمي)، حيث كان التقطيع، و اللوحات، والمواقف، وتوظيف الأغاني الشعبية، التي استلهمها من التراث العراقي، هذا التغير كان واضحا داخل النص منذ القراءة الأولى.
ساهم النص بتغير نوعية الكتابة الدرامية وشكلها في المسرح العراقي، بتعرفه إلى أساليب جديدة، حكايات شفاهية متداولة في

---

[33]- ينظر –الطالب،عمر، المسرحية العربية في العراق، النجف الاشرف، ج2،ط1، عام 1971

يومياتــه، تجســد علــى خشـبة المســرح بشــكل فنــي، تحمــل خطابــا فكريــا ، أراد لـــه العـــاني ان يصــل بوســـاطة رســـائل يبثهـــا الـــنص ، بشـــكل ســـلس وبســيط، لكنــه عميــق فــي داخلــه ، لمــا يحملــه مــن مضــامين تنويريــة، لان العـــالم يتغيـــر ويتطـــور ، ونحـــن مازلنـــا نســـير علـــى وفـــق العقليـــة التقليدية التي تؤمن بالخرافات والأساطير.

بعــد المفتــاح ، انتقــل العــاني لمســاحة أكثــر بريقــا وإشــعاعا، متمــثلا بالمســـرح التســـجيلي ، ورائـــده الألمـــاني (بيســـكاتور) فـــي مســـرحية (الخرابـــة 1970) وأخرجهـــا قاســـم محمـــد وســـامي عبدالحميـــد إخراجـــا مشـــتركا، وفيهـــا عـــرف المســـرح العراقـــي كيفيـــة توظيـــف الأفـــلام التســـجيلية، الوثـــائق، الشـــهادات فـــي العـــرض المســـرحي، كمـــادة أســـاس يرتكـــز عليهـــا العـــرض المســـرحي، وجســـد المخرجـــان ذلـــك مـــن خـــلال نصب شاشتين سينمائيتين على جوانب المسرح لهذا الغرض.

يتســـاءل المخـــرج العراقـــي فاضـــل خليـــل: هـــل ان العـــاني هـــو وارث المســـرح العراقـــي الحـــديث؟ ويجيـــب بنفســـه عـــن تســـاؤله بلـــى ، لأنـــه "مـــن القلـــة التـــي اســـتثمرت مخزونهـــا المعرفـــي، أفكـــارا وحكايـــات وقصـــا متراكمـــا، ومـــا رافقـــه مـــن ذكريـــات غنيـــة، وأجنـــدة خزنـــت الكثيـــر مـــن المـــدونات الخاصـــة التـــي أرخـــت لحقـــب عاشـــها العـــاني ويعيهـــا بأمانة.فاستثمرها وصاغها بحذاقة الحريف".[34]

هــذا التحــول فــي الكتابــة الدراميــة ســاهم بظهــور كتابــات أخــرى لكتــاب آخــرين، مثــل الكاتــب (طــه ســالم) الــذي كتــب مســرحية(طنطــل ) ، التــي تنتمـــي لـــدراما اللامعقـــول، وذكـــر ســـالم بأنـــه دون احلامـــه علـــى شـــكل نــص مســرحي، وهنــاك ايضــا الكاتــب (نــور الــدين فــارس) فــي مســرحية (البيـــت الجديـــد 1968،والغريـــب، والعطـــش 1972، وجـــدار الغضـــب 1974).

ســنحاول فــي هــذا البحــث ان نتعــرف علــى ماهيــة الكتابــة الجديــدة التــي جــاء بهــا العــاني فــي مســرحية (المفتــاح)، ولكــي نتعــرف إلــى ذلــك يجــب علينـــا أولا ان نســـتعرض كتاباتـــه الاولـــى التـــي كانـــت تتســـم بالواقعيـــة الاشتراكية ، ذات لغة خطابية مباشرة ، في اغلب الأحيان.

والجــدير ذكــره ، ان العــاني قــدم اغلــب مســرحياته فــي فرقــة(المســرح الفنـــي الحـــديث 1952)،التـــي كانـــت تضـــم خيـــرة الطاقـــات الفنيـــة بـــالعراق ، وقـــد ســـاهمت الفرقـــة كثيـــرا بايصـــال تجربـــة العـــاني والتعـــرف إليـــه كاتبــا وممــثلا مهمــا فــي تــاريخ المســرح العراقــي والعربــي، وأيضــا لمــا تحتلـــه الفرقـــة مـــن مكانـــة مهمـــة ومؤسســـة للمســـرح العراقـــي الحـــديث، والتـــي تعـــد "إحـــدى أهـــم الفـــرق المســـرحية العراقيـــة التـــي كرســـت معنـــى

[34] – خليل، فاضل،جريدة الزمان الدولية، يوسف العاني كاتبا، ممثلا، ودراماتورجيا، العدد 2197،في 25-8-2005، ج1

الارتبـــاط بـــين المســـرح والمجتمـــع وقـــدمت للمجتمـــع العراقـــي بكافـــة تنوعاتـــه وانتماءاتـــه ، فكـــرا أدبيـــا ملتزمـــا بقضـــايا النـــاس وهمـــومهم اليوميـــة، وعبـــرت عـــن أحلامهـــم وأمـــالهم وقلقهـــم وخـــوفهم، كـــل ذلـــك كـــان يتشكل عبر أعمال مسرحية غاية في الرهافة والحساسية.."[35]

الواقعية عند يوسف العاني

منـــذ ان اعتلـــى العـــاني خشـــبة المســـرح لأول مـــرة فـــي 24 شـــباط 1944، كـــان كاتبـــا وممـــثلا للعمـــل، فقـــد صـــاغ فكـــرة العمـــل مـــن مزحـــة ســـمعها مـــن احـــد أصـــدقائه، علـــى الـــرغم مـــن أنّـــه كـــان نصـــا متواضـــعا كمـــا يـــذكر العـــاني، لكـــن المثيـــر للانتبـــاه فـــي هـــذا العمـــل، اســـتثماره وانتباهـــه علـــى المتـــداول اليـــومي، ألشـــفاهي المتـــداول ســـنجده يكبـــر ويشـــكل جـــوهر تجربـــة العـــاني فـــي الكتابـــة الواقعيـــة، الحيـــاة، الشـــارع، هـــي مركـــز الشخصـــيات وتشـــظيها فـــي كتاباتـــه، الإنســـان ومـــا يعانيـــه مـــن تراكمـــات سياســـية، انقلابـــات، ثـــورات، تغيـــر نظـــام الحكـــم، الحركـــة السياســـية النشـــطة ، تعـــدد الأيـــديولوجيات، الشـــيوعية ، القوميـــة، الدينيـــة ، كـــل هـــذا عرفـــه العـــاني ودونـــه بكـــل تفاصـــيله، "أبـــرزت تفاصـــيل الحيـــاة اليوميـــة للشخصـــيات، وفســـرت أفعالهـــا ودوافعهـــا فـــي ضـــوء انتماءاتهـــا الاجتماعية وأوضاعها النفسية".[36]

ذلـــك التـــدوين اســـتفاد منـــه العـــاني ، ومـــن ثـــم توظيفـــه، كحـــوادث ، وشـــخوص كأبطـــال لمســـرحياته،دخل للبيـــت العراقـــي ووضـــع يـــده علـــى مشاكله اليومية، وأسقطها على المجتمع العراقي بأكمله.

رأس الشليلة 1951

فكـــرة المســـرحية كانـــت تـــدور حـــول الفســـاد الإداري إبـــان الحكـــم الملكـــي فـــي العـــراق، كانـــت أشـــبه بالتمثيليـــة الإذاعيـــة، امتـــازت المســـرحية بالواقعيـــة المغرقـــة بالمحليـــة، وهـــذا نلمســـه مـــن العنـــوان(راس الشـــليلة)، ومعنـــاه راس القيـــادة بعمـــل مـــا، ، هـــدفها نصـــرة المظلـــومين مـــن أبنـــاء الشـــعب ، إزاء مـــا يحـــدث لهـــم مـــن اســـتغلال ، وجشـــع وتســـلطية الرؤساء.

تناقضـــات الحيـــاة الاجتماعيـــة والسياســـية ، هـــذه التناقضـــات جســـدها العـــاني فـــي مشـــاهد ســـاخرة مثيـــرة للضـــحك، يعلـــن فيهـــا رفضـــه واســـتنكاره لكـــل المظـــاهر التـــي تســـاهم بتـــأخر المجتمـــع العراقـــي، مـــن

---

[35]– الاسدي ، جواد،المسرح جنتي،دار الاداب، بيروت،ط1، عام 2008، ص 10

– الياس ،ماري وحسن، حنان قصاب _المعجم المسرحي،مكتبة لبنان نشارون/ ط1 ،عام 1997،ص 517 [36]وما بعدها.

الفســـاد الإداري، حـــاول معالجتهـــا بنظـــرة تقدميـــة ، داعيـــا المتفـــرج ، المشـــاركة فـــي التغييـــر والتفكيـــر بحلـــول جديـــدة ، تكـــون ثـــورة علـــى كســـر الســـائد الـــذي اعتـــاد عليـــه المجتمـــع العراقـــي، وراس الشـــليلة مـــا هـــي الا بدايـــة للمـــنهج الـــواقعي الـــذي اتخـــذه العـــاني فـــي كتاباتـــه فـــي مرحلـــة الخمسينيات ، والتي اسميناها بالمرحلة الأولى.[37]

فلوس الدواء 1952

تناولـــت التنـــاقض الطبقـــي داخـــل بنيـــة المجتمـــع العراقـــي، شخصـــيات مهمشـــة ، تعـــيش حيـــاة فقيـــرة معدمـــة، حيـــاة أخـــرى لا يعرفهـــا شـــريكها الآخـــر فـــي المجتمـــع، الـــذي يعـــيش حيـــاة باذخـــة الثـــراء، وكـــل طـــرف مـــن هـــذه المعادلـــة هـــو بعيـــد عـــن الآخـــر، لعـــل فكـــر(العـــاني)التقـــدمي ، الـــواعي، الـــذي يتخـــذ الإنســـان ورفاهيتـــه ، هـــدفا لـــه ، هـــذا الإنســـان المعـــدم، الـــذي يعـــيش فـــي الظـــل، جعـــل مـــن الطبقـــة البرجوازيـــة تقصـــيه تمامـــا مـــن الشـــراكة فـــي المجتمـــع، وبالتـــالي لا تمتلـــك حتـــى ثمـــن [فلـــوس] الـــدواء لمعالجـــة مرضـــه، هـــذه الصـــرخة التـــي تســـاند المظلـــوم، ومعاناتـــه، كتبهـــا العـــاني علـــى وفـــق مشـــاهد حياتيـــة شـــاهدها فـــي الحيـــاة ونقلها على المسرح بكل تفاصيلها.[38]

ستة دراهم 1954

لـــم تبتعـــد هـــذه المســـرحية عـــن الـــنهج الـــواقعي كمـــا ذكرنـــا ســـابقا، فتناولـــت بأســـلوب نقـــدي لاذع، شـــريحة الأطبـــاء وجشـــعهم واســـتغلالهم للفقـــراء مـــن دون الرأفـــة بحـــالتهم الاقتصـــادية المترديـــة، اتخـــذ نموذجـــا ســـيئا مـــنهم، حـــين يطلـــب مـــن احـــد المرضـــى أجـــرة الفحـــص وهـــي (ســـتة دراهـــم) ، لكـــن المـــريض لا يملـــك هـــذا المبلـــغ، إلا إن الطبيـــب يصـــر علـــى حصـــوله علـــى الأجـــرة كاملـــة، جشـــع الطبيـــب جعـــل المـــريض ينـــتقم منـــه بطريقتـــه الخاصـــة، حيـــث يجـــد بطاقـــة دعـــوة لحفلـــة ســـاهرة تعـــب الطبيـــب للحصـــول عليهـــا، يأخـــذها المـــريض معـــه وهـــو يخـــرج، وعنـــدما يعـــود للطبيـــب لـــدفع فلـــوس العـــلاج، يمـــزق الـــدعوة ويرميهـــا بوجهـــه، معلنـــا عـــن ســـخطه وازدرائـــه مـــن جشـــعه ، علـــى الـــرغم مـــن أنَّ رســـالته إنســـانية داخـــل المجتمـــع، وأي مجتمـــع لا يمكنـــه ان يســـتغني عـــن وجـــود الأطباء.[39]

---

[37] – العاني يوسف،10 مسرحيات من يوسف العاني،المؤسسة العربية للدراسا والنشر، بيروت،ط1،1981،ص29.

[38] –نفسه،ص53.

[39] – نفسه،ص69.

انا امك يا شاكر 1955

سجلت هذه المسرحية أول تأثير للأدب الاشتراكي في المسرح العراقي ، لتناص شخصية(ام شاكر) مع شخصية(الام) عند غوركي ذائعة الصيت ، فلقد حملت ام شاكر ، كثيرا من صفات الام لغوركي، صلابتها ، قوة شخصيتها، جلادة قلبها، الوعي التقدمي، الروح الوطني، هذا التأثير يرجع لوجود الأدب الاشتراكي، والفكر الماركسي الكبير داخل الثقافة والمجتمع العراقيين آنذاك، وتنامي الحركات اليسارية التقدمية التي تعمل على إيصال خطاب تنويري داخل المجتمع.

تأثر العاني بالأدب الروسي كثيرا، بسبب ولعه بالإنسان والهم الإنساني، فكانت آثار (تيشخوف،غوركي، تولستوي، غوغول) واضحة على أعماله وفيها، وخاصة في هذه المرحلة ، وبدراية يعترف بها ، وقد ضمت المسرحية منولوجا كاملا من حوارات (الام)، والذي أهدى إليه العاني فيما بعد إصداره الأول(مسرحياتي).( هامش يكتب بالاسفل- اهداء يوسف العاني- الى الاديب الانساني الكبير مكسيم غوركي، مؤلف قصة الام):

الام: هل تعلموون لماذا يقدمون ابني ومن معه الى المحاكمة؟ لسوف أقول لكم هذا....
وانتم ستصدقون قلب ام وشعرها الشائب، لقد قدموهم الى المحاكمة بكل بساطة لأنهم يقولون "الحقيقة" لسائر الناس..

الحقيقة التي أراد العاني ان يوصلها للجمهور، دفعته لاستخدام اللهجة الدراجة لإيصال خطابه المسرحي والفكري، للاميين من المجتمع الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، وكما يقول العاني ، فان هذا هو هدف الكتابة والمسرح الحقيقي، وإلا فما جدوى المسرح وهو يتحدث بلغة متعالية ، فخمة ، لا يفهمها الناس.

ستجد لنا ذلك من خلال قراءتنا للنص ، فنتعرف من خلاله على فكر الكاتب اليساري، وكيف استطاع أن يوظف عملية الاعتقال له ولزملائه في عمل مسرحي،اختزل المجتمع العراقي ، بعائلة، على الرغم من فقرها لكنها ترفض الانصياع للمحتل ومهادنته، ، وأنا أمك يا شاكر"قُدمت من فولاذ: الأم ذات الإرادة الحديدية والوعي السياسي غير العادي، وأولادها:شاكر وسعودي وكوثر... وإيمانها الذي لا يتزعزع في حتمية الثورة الوطنية وضرورة انتصارها ...

كــل هــذا يحمــل عوامــل القــوة فــي المســرحية"[40]،الابــن الأكبــر (شــاكر) قتلــه الطغــاة، الثــاني (ســعودي) ســيموت قبــل نهايــة المســرحية، البنــت( كــوثر) يقــبض عليهــا أيضــا، هــذا حــول حــال ام شــاكر/ الام العراقيــة، بينمــا نجــد شــقيق ام شــاكر، لا يهمــه شــيئا ســوى جمــع المــال ، نتيجــة موقفــه المهــادن للاحــتلال ، وهــو عكــس موقــف شــقيقته وأولادهــا، لا يهمــه ان خــرج المحتــل أم لــم يخــرج ، لان القضــية لا تعنيــه، لهــذا فلــن يكــون غريبــا اذا كــان الشــقيق يتنكــر لاختــه وانتســاب ام شــاكر لعائلتــه، وأيضــا فإننــا نجــده يبــرر تصــرفات ولــده بالتجســس علــى الــوطنيين والثوار ، وأخبار السلطات و عن أماكن وجودهم.

هــذا التنــاقض الفئــوي داخــل المجتمــع ، تجســد فــي مســرحية انــا امــك يــا شــاكر، حيــث وقفــت ام شــاكر شــامخة صــلبة عنــد ســماع خبــر استشــهاد ولدها الآخر سعودي والقبض على ابنتها كوثر.

نمــوذج ام شــاكر اســتقاه العــاني مــن اليــومي العراقــي، وظفــه دراميــا، و دوَّن بــذلك لجــزء مهــم مــن حيــاة المجتمــع العراقــي بكــل تناقضــاته وقســاوته، موقــف ام شــاكر ، أراده العــاني مــن كــل ام عراقيــة حتــى يتحرر الوطن:

سعودي السبع ما تنطفي ناره
يا الله يا شعب ناخذ بثاره[41]

هــذا المنحــى الخطــابي المباشــر ، ولغــة التحــريض ،هــو الــذي قصــدناه بالمرحلــة الأولــى مــن كتابــات العــاني ، وفقــا لمتطلبــات المرحلــة التــي عاشــها، بحيــث "لــم نجــد هنــاك تحــول فــي الشخصــيات ، بــل تبقــى كمــا عليــه طيلــة المســرحية ، غيــر ان هــذا اللــون القــوي مــن المســرحيات يحمــل فــي ثنايــاه أيضــا بعــض عوامــل الضــعف.هــذه صــورة مثاليــة فــي وضــوحها وشــفافيتها:الأخيــار أخيــار تمامــا، والأشــرار أنــذال حتــى النهاية"[42].

ســعى العــاني فــي جــل كتاباتــه لإبــراز جوانــب الــنفس البشــرية، مصــدرها الحيــاة والشــارع العراقــي بكــل مــا يحملــه مــن تناقضــات، يجلــب لنــا صــورا منهــا ، ويقــدمها بشــكل تهكمــي ســاخر ، مثيــر للضــحك، هــذه الروحيــة فــي الكتابــة جعلتــه "يتغلغــل فــي الحيــاة العراقيــة وينتــزع منهــا صــورا رائعــة قويــة مظهــرا تناقضــاتها الغريبــة بشــكل

---

[40]- الراعي،علي، المسرح غي الوطن العربي، عالم المعرفة،الكويت،ط2،عام1999،ص320 وما بعدها.

- العاني يوسف،10 مسرحيات من يوسف العاني،المؤسسة العربية للدراسا والنشر،

[41]بيروت،ط1،1981،ص95.

[42]- نفسه،ص321.

قــوي مــؤثر يثيــر الضــحك والاســتنكار فــي آن واحــد، وهكــذا يعطــي يوسـف العـاني مـثلا سـاطعا علـى قـول غوغـول مـن ان التمثيـل الهزلـي عــرض لحالــة وحكــم عليهــا"[43] ، صــور مســرحياته مألوفــة للمتفــرج، وليســت غريبــة عنــه، فهــي منــه واليــه، لكــن طريقــة تناولهــا والســخرية التــي كتبــت فيهــا ، تجعلهــا غريبــة عــن لغــة المنطــق والعقــل ،ناهيــك عــن اللهجة الدارجة التي يكتب فيها العاني مسرحياته.

شــخوص هــذه المرحلــة حملــت بعضــها أســماء مترســخة فــي المجتمــع العراقــي مثــل(شــاكر، ســعودي، كــوثر، ام شــاكر،عبدالجبار، ابــو نعيمــة،...الــخ)، وأيضــا بعضــها صــفات أو مهــن، وصــف بهــا أصــحابها، حتــى أمســت كُنيــة لهــم ، ضــمن ســياق اجتمــاعي مغلــوط، حتــى نســي النــاس أســماءهم الحقيقيــة، مثــل(الاطــرش، الخــادم، الفــراش، الأعمــى، وغيرهــا)، كــل ذلــك كــي يــدعم طروحــات توجهــه الــواقعي فــي تلك المرحلة.

لكننــا ســنجده ينتقــل ، انتقالــة مهمــة وكبيــرة فــي مســرحية (صــورة جديــدة 1964 ، وقــدمت علــى المســرح 1967)، لأنهــا عمقــت الصــراع بــين الشخصــيات، شخصــيات تتصــادم فيمــا بينهــا ، وأيضــا التمــايز الطبقــي الــذي وجــد فــي مســرحية (فلــوس الــدواء)، لكنــه فــي (صــورة جديــدة) كــان متميــزا واضــح المعــالم كمــا يؤكــد جميــل نصــيف التكريتــي "ففــي فلــوس الــدواء نحــس هــذا الانقســام بشــكل غــامض،....... امــا فــي صــورة جديــدة. فالتمــايز واضــح المعــالم وقــد كانــت هــذه المســرحية قــد نــأت بأســلوب المؤلــف عــن أســلوبه التقليــدي القــديم وخطــوة هامــة لظهــور مسرحية المفتاح."؟

نستشــف مــن هــذا بــان مســرحية صــورة جديــدة ، كانــت النقطــة الفاصــلة فــي تجربــة العــاني الدراميــة، تفصــل بــين أســلوبين، زمنــين، حيــث يبــرز لنــا أســلوب أكثــر عمقــا ووعيــا علــى مســتوى الشــخوص والمعالجــة الدرامية ، تقطيع النص إلى لوحات.

كــذلك فــان صــورة جديــدة قــد مهــدت للنقلــة المهمــة والكبيــرة، علــى مســتوى الكتابــة الدراميــة فــي المســرح العراقــي ، التــي تمثلــت فــي مســرحية المفتــاح ، لأنهــا حملــت بــوادر تجريبيــة مهمــة علــى مســتوى الكتابة والانتقال الإخراجي في المسرح العراقي.

حملــت ملامــح كتابيــة جديــدة لــم يألفهــا المســرح العراقــي آنــذاك، ولقــد كــان العــاني ســباقا ، باتخــاذ مــنهج المســرح الملحمــي لبرتولــد بريشــت ، منهجا ينطلق منه نحو تغيير هائل ، كان للعاني شرف الريادة فيه.

---

[43] – خالص، صلاح، مقدمة 10 مسرحيات من يوسف العاني،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط1،1981،ص12

مسرحية المفتاح
البناء الدرامي للحكاية
تبدأ المسرحية بعرض الحكاية كما هو الحال عند برتولد بريشت، حتى يكون المشاهد متأهبا لإعطاء رأيه او التعليق عليه، تخبرهم الراوية بأنهم سيقدمون لنا حكاية، حدثت في الماضي، وهي غير مألوفة، ولا تنتمي لزمن محدد، ولا مكان محدد، لكن نريدكم ان تسمعوها:

الراوية: عندنا حكاية حلوة محنَاية
هي حكاية وليست حكاية
هي سالوفة لكنها غير مالوفة
هي قصيدة بلا اساس
بلا ذيل وبلا راس
وبلا وزن ولا قياس[44]

الحكاية عن الزوج(حيران) وزوجته (حيرة)، وشقيق حيران (نوار)، الذي يمتاز بالوعي والثقافة، انه نموذج للجيل الجديد، يختلف عن جيل أخيه (حيران) وزوجته (حيرة)، حيرة التي تحلم ان يكون لها طفلا، كأي امرأة، لكن حيران يرفض فكرة الطفل هذه، لأنه لا يملك ضمانات لبقاء ابنه سليما معافى ولا يقتله الجوع وبؤس الحال، على الرغم من إصرار حيرة، لكنه يرفض ذلك وبشدة، تستنجد بنوار، شقيق حيران، لعله يستطيع إقناع أخيه بتحقيق حلمها، كونه العقل المدبر، الواعي، المثقف، داخل الأسرة، لكن من دون أي تطور ايجابي من حيران، لأنه ببساطة لا يملك ضمانات.

تجد حيرة حلا بتوفير الضمان لابنها كما يرد الوعد في الأغنية الشعبية، فتقنعهم بتتبع حركة كما حلقات الأغنية/الحكاية، وهناك سيحظون بالضمان، على الرغم من عدم اقتناع نوار بهذا الأمر، وحكايات الخرافات والأساطير، التي يجب على المجتمع ان يتخلص منها لكي يتطور ويبدع، لكنه يرضخ لطلب حيرة وشقيقه، وتبدأ الحركة بتتبع الأغنية:
يا خشيبة نودي نودي

---

[44] – العاني يوسف،10 مسرحيات من يوسف العاني،المؤسسة العربية للدراسا والنشر، بيروت،ط1،1981،ص239.

وديني على جدودي
جدودي بطارف عكا
يعطوني ثوب وكعكعة
والكعكعة وين اضمها
اضمها بصنيديكي
صنيديكي يريد المفتاح
والمفتاح عند الحداد
والحداد يريد فلوس
والفلوس عند العروس
والعروس بالحمام
والحمام يريد قنديل
والقنديل واكع بالبير
والبير يريد حبل
والحبل بقرون الثور
والثور يريد حشيش
والحشيش بالبستان
والبستان يريد مطر
والمطر عند الله
لا إله إلا الله
لا إله إلا الله [45]

البناء الدرامي للمسرحية اعتمد على الأغنية الشعبية، الموجودة في التراث العراقي، منبعها الأساطير الشعبية، ولها نظائر في بلدان عربية كثيرة، كانت الأغنية هي المدخل الأول الذي ينطلق منه النص ومن ثم العرض ، ليس من خلال تنوع (العُقد) في داخلها، أيضا في تنوع الأماكن الذي تشير إليه الأغنية، وكذلك الشخوص ووظائفهم، بحيث عمد العاني لإظهار تأثره في منهج بريشت ، عندما نلاحظ تقطيع النص ، إلى لوحات، كل لوحة تشكل عقدة منفصلة ، متصلة مع العقد الأخرى، ومن ثم فإنَّ حل كل عقدة مرتبط بالأخرى،هذه اللوحات التي شكلت جسد النص الدرامي، في كل لوحة نكتشف شخوصا جددا، مكانا جديدا، زمنا جديدا، عقدة جديدة، هذا التنوع كله وجد أصلا في المتن السردي للاغنية.
تستمر الرحلة الى الأماكن التي حددتها الأغنية، والشخوص أيضا، كما في الجدول الاتي:

[45]- نفسه،ص322 وما بعدها.

| النص | الشخصيات | المكان | العقدة |
|---|---|---|---|
| 1- يـــا خشــيبة نـــودي نـــودي وديـنـــي على جدودي<br><br>وديـنـــي علـــى جـــدودي.... جـــدودي بطرف عكا<br><br>يعطوني ثوب وكعكعة | حيـــــــــــران +حيرة+ نوار<br><br>+<br><br>الجدود | عكا | الحصـــول علـــى الثـــــــــوب والكعكعة |
| 2- الكعكعة وين اضمها..<br><br>اضمها بصنيدكي<br><br>صنيديكي يريد المفتاح | نفسها | نفسها | المفتاح |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 3- والمفتاح عند الحداد<br>والحداد يريد فلوس<br><br>4- والفلوس عند العروس...<br>والعروس بالحمام<br><br>5- والحمام يريد قنديل...<br>والقنديل واكع بالبير | حيـــران+حيـــرة+ نوار<br>+<br>الحداد<br><br>حيـــران+حيـــرة+ نوار+العروس<br><br>حيـــران+حيـــرة+ نوار<br>+<br>البئر | دكـــــــــان الحداد<br><br>الحمام<br><br>البئر | الفلوس<br><br>ايجاد العروس<br><br>الحصـــول علـــى القنديل |
| 6-البير يريد حبل<br>والحبل بقرون الثور | حيـــران+حيـــرة+ نوار +البئر | البستان | الحصـــول علـــى الحبل |
| 7- والثور يريد حشيش....<br>والحشيش بالبستان | حيـــران+حيـــرة+ نوار+الراعي | البستان | الحصـــول علـــى الحشيش |
| 8- والبستان يريد مطر....<br>والمطر عند الله | حيـــران+حيـــرة+ نـــوار+ صـــاحب البستان | البستان | الحصـــول علـــى المطر |

حيــران وحيــرة، يتبعــون المــتن الحكــائي للأغنيــة ، ومــن ثــم يحصــلون علـــى الشـــيء الـــذي يحصـــلون عليـــه مـــن طبقـــة الفقـــراء ، والمتمثلـــة بالحـــداد ، والتـــي لا يجـــدونها عنـــد الطبقـــة البرجوازيـــة، المتمثلـــة بـــ (العــروس – قلعتهــا)، علــى الــرغم مــن ان الحــداد يمــر بأزمــة ماليــة، أصـــدر القضـــاء علـــى أثرهـــا أمـــرا بإلقـــاء القـــبض وغلـــق دكانـــه، والخطـــاب الفكـــري واضـــح داخـــل الـــنص، وان المســـاعدة تـــأتي فـــي الغالــب مــن الفقــراء والبســطاء، والطبقــة البرجوازيــة، تعــيش فــي عــالم مخملـــي، ويعـــودون لفـــتح الصـــندوق فيكتشـــفون بـــان لـــيس هنـــاك ثوبـــا وكعكعــة بداخلــه، وإنمــا كــانوا يتتبعــون وهمــا ، وخيــالا، وكــل مــا حــدث مجرد محض خيال، الذي لا ينتمي للواقع بشيء.

عنـــدها يصـــرخ حيـــران، بعـــد كـــل ذلـــك الشـــقاء، لا أريـــد طفـــلا ، والانتقــال مــع الحكايــة مــن مكــان الــى مكــان، تفاجئــه حيــرة بأنهــا حامــل ، وإنهـــا أحســـت بـــالجنين يتحـــرك فـــي أحشـــائها ، منـــذ كـــانوا فـــي البســـتان ينتظـــرون المطـــر، يطلـــب مـــنهم نـــوار بـــالركض حتـــى يلحقـــوا بزمنـــه - زمــن الطفــل- ويــنظم الجميــع لهــم ماعــدا الوصــيفة (وصــيفة العــروس)، وهنـــا إقصـــاء ، قصـــدي مـــن المؤلـــف للطبقـــة البرجوازيـــة، والـــركض، هو للحاق بالزمن الذي يسير بسرعة.

الشخصيات

كتـــب العـــاني شـــخوص مســـرحيته علـــى وفـــق مســـتويات خمـــس ، كـــل مســـتوى يمثـــل حالـــة، حالـــة اجتماعيـــة، وظيفتهـــا، عقـــدتها، مشـــاكلها ، مســـتواها الطبقـــي، محـــور العمـــل تمركـــز فـــي شخصـــيات(حيـــران، حيرة، نوار):

المســتوى الأول: يتمثــل بــ حيــران ، دلالــة الحيــرة، الحيــرة فــي المشــاكل التـــي يعـــاني منهـــا المجتمـــع بأكملـــه، وحيـــرة ، حيـــرة الفتـــاة التـــي تحلـــم بإنجاب طفل، حيرة وسط المعضلات الاجتماعية،
حـــالمون ، مثـــل أي فـــرد مـــن أفـــراد الشـــعب، أنهـــم الشـــعب، الطبقـــة الكادحـــة ، التـــي لا تحلـــم بـــأكثر ممـــا هـــو منطقي،طفـــل ، تتـــوافر لـــه ضـــمانات العـــيش الكريمـــة، لـــيس غنيـــا، لكـــن يتـــوافر علـــى قـــوت يومـــه، شخصـــيات بريئـــة ، تقتـــرب مـــن الســـذاجة، تـــؤمن بالأســـاطير والخرافـــات ، وسيرهم خلف الحكاية:

حيـران: اريـد ضـمانا لابنــي، أريـد لــه العـيش الرغيـد منـذ ان يفـتح عينيـه ويرى الدنيا حتى يصبح شيخا.

هنـــاك شخصـــيات تنتمـــي لهـــذا المســـتوى وهـــي مـــن عامـــة الشـــعب ، جـــاءت ضـــمن ســـياق الأغنيـــة/الحكايـــة/ الإحـــداث ، وهـــي الحـــداد، الراعي.

المســـتوى الثـــاني: الجـــدود- الـــذين يلجـــأ إلـــيهم حيـــران وحيـــرة بطلـــب مســـاعدتهم، للحصـــول علـــى الضـــمانات، يمثلـــون رمـــزا للماضـــي ، الـــذي اعتمـــدت عليـــه الحكايـــة، تـــاريخ العائلـــة/المجتمـــع، يـــذهبون لهـــم يشـــكون زمانهم وعالمهم:

الجـدود: عـالم عـالم عجيـب لـم نقـدر ان نفهمــه، لـم نسـتوعب مـن كلامكـم إلا القليل ، القليل جدا.[46]

انهـــم رمـــز الماضـــي، وهـــذا العـــالم قـــد تغيـــر كثيـــرا، هنـــاك ثـــورات، جيفـــارا ، حقـــوق المـــرآة، الكهربـــاء، وغيرهـــا مـــن الأمـــور التكنولوجيـــة التي تغيرت عن عالمهم/زمانهم.

المســـتوى الثالـــث: تمثـــل فـــي نـــوار- يحيلنـــا الـــى عنـــوان المســـرحية (المفتـــاح)، جيـــل هـــذا الزمـــان المتنـــور، الفكـــر التقـــدمي، الثقافـــة ، الـــوعي، الـــذي لا يـــؤمن بالأســـاطير والخرافـــات، يـــرفض كـــل مظـــاهر التخلـــف التـــي تعيـــق تقـــدم المجتمـــع، الجيـــل الجديـــد الـــذي ينتمـــي اليـــه الكاتب:

نوار: نحن ظاهرة جديدة، جيل آخر ينظر الى الامام دائما. [47]

المســـتوى الرابـــع: العـــروس، ووصـــيفتها، تمـــثلان الطبقـــة البرجوازيـــة التـــي لا يراهـــا العامـــة فـــي أمـــاكن وجودهـــا، وإنمـــا يكلمـــونهم عبـــر وســـيط ، الوســـيط هـــو الوصـــيفة، يعيشـــون داخـــل قلاعهـــم، ولا يكترثـــون للبسـطاء، علـــى الـــرغم مـــن ان الشخصـــية لـــم تظهـــر بشـــكل مـــادي داخـــل الـــنص لكـــن حضـــورها قـــوي ، وقـــوي جـــدا، لمـــا يحملـــه مـــن ثقـــل فـــي الأغنيـــة/الحكايـــة، وهـــي الفئـــة التـــي رفضـــت تقـــديم المســـاعدة لحيـــران

[46]-نفسه،ص 334.
[47]- نفسه ،335.

وحيـــرة، بإعطـــائهم الفلـــوس التـــي طلبهـــا الحـــداد ،أجـــرة عمـــل المفتـــاح للصندوق:

الحـــداد: لعـــن الله الفلـــوس، لتـــنم عليهـــا العـــروس، لاتتحركـــوا مـــن هنـــا.... هاكم المفتاح.[48]

المســـتوى الخـــامس: الراويـــة، هـــي المحـــور الـــذي ســـار بالعمـــل علـــى وفـــق المحطـــات التـــي فرضـــتها الأغنيـــة الشـــعبية، هـــي الشـــاهد علـــى الأحـــداث ، والرابط بين زمنيين:

- زمن حيرة وحيران
- زمن الجدود

كـــل شخصـــيات المفتـــاح هي،شخصـــيات شـــعبية ، باســـتثناء (الراويـــة)، التقطهـــا العـــاني مـــن داخـــل البيئـــة العراقيـــة، أحـــداثها/ صـــراعها ، هـــي مشـــاكل المجتمـــع العراقـــي، وهـــذا مـــا يميـــز كـــل أعمـــال العـــاني، شخصـــيات حياتيـــة ، نشـــاهدها بيومياتنـــا، يـــأتي بهـــا الـــى الخشـــبة، بشـــكل فنـــي ، بمعالجـــات حديثـــة، شخصـــيات تنتمـــي لبيئتهـــا، وهـــذا مـــا يؤكـــده العـــاني " انـــا ابـــنُ بيئـــة شـــعبية واعـــرف الحكايـــات الشـــعبية وبـــدأت اتجـــه شـــيئا فشـــيئا نحـــو اســـتلهام التـــراث بشـــكل مـــن أشـــكال تأصـــيل المســـرح العربي، فظهر نوع من التغير في كتاباتي المسرحية..".[49]
وضـــع العـــاني شخوصـــه بمواجهـــة الأحـــداث لاكتشـــاف الحقيقـــة، ولقـــد تركهـــا العـــاني "تتحـــرك وتواجـــه قـــدرها دون ان يبـــدر منـــه أي تـــدخل من شأنه ان يفقد الشخصية حريتها وعفويتها".[50]

لغة الشخصيات

المرحلـــة التـــي كتـــب فيهـــا العـــاني الـــنص، الاضـــطرابات السياســـية، ملاحقـــات الشـــيوعيين ، الخطـــاب الـــديني، تركـــت أثـــرا فـــي لغـــة الـــنص، التـــي طغـــى عليهـــا المباشـــرة والخطابيـــة فـــي أحيـــان كثيـــرة، كتـــب العـــاني كـــل أعمالـــه باللهجـــة الدارجـــة، انـــه يريـــد الكتابـــة بلغـــة الشخصـــيات التـــي

---

[48]–نفسه،ص 386.
[49]– جريدة الوطن، عُمان،العدد 8798،السنة37، الثلاثاء 28-8-2007
[50]– يوسف يوسف، البطل في المسرح العراقي، الموسوعة الصغيرة،بغداد، عدد 13، ص48

عاشـــت الأحـــداث، داخـــل المجتمـــع العراقـــي، كـــل شخصـــية تتحـــدث بلغتهـــا التـــي اعتـــادت عليهـــا ، ولـــيس هنـــاك لغـــة مصـــطنعة، تتـــوع الشخصـــيات داخـــل المجتمـــع، يحـــتم عليـــه الكتابـــة بلغـــاتهم، وهنـــا يتجلـــى لنـــا ، الإغـــراق فـــي العاميـــة الـــذي ذكرنـــاه ســـابقا فـــي تجربـــة العـــاني، مـــنح الشخصـــية لغـــة جديـــدة، دخيلـــة عليهـــا ، أمـــر لا يحبـــذه العـــاني، بـــل إن الكاتـــب "يجـــب ان يغنـــي شخصـــياته بـــالحوار وبحوارهـــا بالتحديـــد ولـــيس بـــالحوار الـــذي يقولـــه الكاتـــب نفســـه وارى ان هـــذا مـــا يقـــع فيـــه العديـــد مـــن الكتـــاب حيـــث يحشـــون المفـــردات التـــي يتقنهـــا هـــو ككاتـــب فـــي حـــوار إحـــدى شخصـــياته فتبـــدو غيـــر مقنعـــة"[51]، لـــذا يســـعى العـــاني بعـــدم اســـقاط لغتـــه الشخصـــية ككاتـــب علـــى لســـان شخصـــياته، هدفـــه المحافظـــة علـــى روح الشخصـــية، والانتمـــاء للـــزمن الـــذي تعيشـــه، تلـــك الروحيـــة تبـــدا مـــن امـــتلاك الشخصـــية لغتهـــا الخاصـــة " فلغـــة مثقفـــة متخرجـــة مـــن الجامعـــة تختلـــف عنـــدي عـــن لغـــة شخصـــية "عتـــال" وهـــذا امـــر طبيعـــي حيـــث ان لكـــل شخصـــية مـــن هـــذه الشخصـــيات مفرداتهـــا وان فعلـــت غيـــر ذلـــك فســـوف اخلـــق فجـــوة وبعـــداً بـــين المتلقـــي وهـــذه الشخصـــية او تلـــك لأنـــه يشـــعر بغربـــة ويســـتغرب المشـــاهد ان يـــتكلم رجـــل بســـيط كالعتـــال مـــثلا بمفردات يستخدمها المتعلم والمثقف"[52].
لكـــن هـــذا لايعنـــي بـــان لغـــة شخصـــياته مثاليـــة ، او تقتـــرب مـــن المثاليـــة، لقـــد طغـــى عليهـــا المباشـــرة واللغـــة الخطابيـــة كمـــا قلنـــا، وهـــذا مـــا نجـــده تقريبـــا فـــي لغـــات كـــل الشخصـــيات، حتـــى لـــو كانـــت بســـيطة كالعتـــال مـــثلا، هـــذه المباشـــرة، قللـــت كثيـــرا مـــن متعـــة القـــراءة للـــنص علـــى الـــرغم من ان النص كتب في زمان بعيد:

حيران: الحياة أصبحت غالية.. غالية جدا...
لكـــن الأطفـــال فـــي بعـــض الأمـــاكن يـــذبلون مـــن ســـوء التغذيـــة وآلاف الآلاف مـــن المشـــردين العـــرب يموتـــون مـــن البـــرد والحـــر... طـــردوهم من أراضيهم بليلة سوداء.. سوداء [53]
هولاكو الجديد يريد سحق البشرية وتدمير العالم

حيـــرة: وشـــباب يقلـــدون النســـاء.يلبســـون مـــثلهم، ويمشـــون مـــثلهم ويتصرفون مثلهم.[54]

---

[51]- جريدة الوطن العُمانية،سبق ذكره.

[52]-نفسه.

[53]- العاني،يوسف ، سبق ذكره،ص334.

[54]-نفسه،ص 335.

الراويــــة: النـــور خـــدم البشـــرية... النـــور لـــه فضـــل علـــى تقـــدم الزراعـــة والصناعة ، له فضل حتى على الحضارة.[55]
نـــوار:يجـــب ان أتحـــرك.. يجـــب ان اركـــض ســـيخلق جيـــل جديـــد اذا لـــم أبـــدا بـــالركض مـــن الآن فلـــن الحـــق بـــه، يجـــب ان نـــركض كلنـــا، انـــتم يجب ان تركضوا.[56]

هـــذه النمـــاذج للغـــة الشخصـــيات، يـــدعم راينـــا ، للمباشـــرة والخطابيـــة التـــي سيطرت على النص
، وان كانـــت توثـــق لحـــالات ومواقـــف لمجتمـــع بأكملـــه، وأيضـــا الأحـــداث ، مثـــل احـــتلال فلســـطين، وفضـــل النـــور علـــى الزراعـــة والحضـــارة،لكن يبقـــى هـــذا الحـــوار لـــيس بحـــوار مســـرحي، لا يتـــوافر علـــى لغـــة دراميـــة، وإنمـــا لغـــة توثيقيـــة، فرضـــها الواقـــع الـــذي يعـــيش بـــه العـــاني، تـــأثيرات البيئة والمحيط.

**زمكانية النص**

قسم الكاتب نصه زمنيا ، على زمنين:

- زمـــن الســـفر: هـــو الـــزمن الـــذي ســـافر بـــه (حيـــران، حيرة،نـــوار) إلـــى عكـــا، وهـــو الـــزمن الأول داخـــل الـــنص، لكنـــه أيضـــا فرضـــته الأغنيـــة، بمعنى انه في الأساس زمن الأغنية.
تضـــمن هـــذا الـــزمن، ثمانيـــة منـــاظر ، ثمانيـــة حـــالات/مواقـــف، هـــو زمـــن الرحلة من عكا إلى زمن العقد الموجودة داخل الأغنية.

زمـــن الرجـــوع: تمثـــل بـــالزمن العكســـي ،هـــو الرجـــوع مـــن عكـــا ، الـــى البيـــت، ممـــا يشـــبه الحركـــة الدائريـــة ، والمـــرور بالأمـــاكن والأزمـــان ذاتها ،لعملية السفر، واحتوى هذا الزمن على خمسة مناظر.

فـــي الـــزمن الثـــاني تتوقـــف الأمـــاكن ، وهـــو زمـــن الرجـــوع، وفيهـــا إحالـــة إلى مرور الزمن ، ونحن مازلنا في أماكننا ذاتها.

تعـــدد الأمكنـــة لا نجـــده فـــي كتابـــات العـــاني الســـابقة، ومـــن ثـــم أصـــبحت مســـرحية(المفتـــاح)، المفتـــاح الحقيقـــي لبوابـــة الكتابـــة الجديـــدة فـــي

---

[55]-نفسه،ص 353.
[56]-نفسه،ص 390.

المسرح العراقي، والنقلة المهمة في استخدام التراث الشعبي وتوظيفه، محاولة في تأصيل شكل المسرح العربي، وان كان هذا الشكل بآلية اشتغال بريشتية، لأننا "لا نستطيع ان نتصور نهضة مسرحية شاملة في العراق، من دون نهضة حقيقية لفن التأليف المسرحي، فالمسرحية المكتوبة برؤية وروح وموهبة عراقية، هي وحدها التي تستطيع استيعاب وتناول واقعنا الجديد بمعطياته، ومتغيراته الحضارية والاجتماعية.وإعطاء ملامح دقيقة لكفاءتنا ومستوى فهمنا لفن التأليف الدرامي ،هذا الفن الصعب الذي لا يبدع فيه إلا من أوتي موهبة نادرة".[57]

طالما العمل اتخذ المنهج الملحمي، كأرضية للكتابة وآلية الاشتغال، فانه من المؤكد ان يقطع عمله على وفق نظام اللوحات، حيث يجسد لنا التقطيع أماكن الحدث/الأحداث، حالة/حالات،موقف/مواقف، عقدة/عقد، وهذا التقطيع قد مهد له العاني في مسرحيته (صورة جديدة 1964)، والتي ضمت سبع لوحات، تأسست على مكانين وزمن واحد، وأعطى لكل لوحة اسما( المشكلة، الخطوبة، العقدة، الضوء، الموقف،والنتيجة)، لكن في المفتاح ، انفتح الزمن على الماضي، ومن ثم يعود للحاضر ، وتداخل الخيال بالواقع ، والوهم بالحقيقة، ترك الزمن هو عنوان للوحات ، من دون ان يسميها، وعنونها، بالمنظر، المكان والزمن هو الذي يحيلنا الى العقدة، الأحداث، لذا نجد بان وظيفة الشخصية، تصنع لنا المكان ، وليس العكس، وسار النص بهذا المسار، كما في الشكل التالي:

الحداد← دكان الحداد

العروس← القصر(القلعة)

الحبل ←البئر

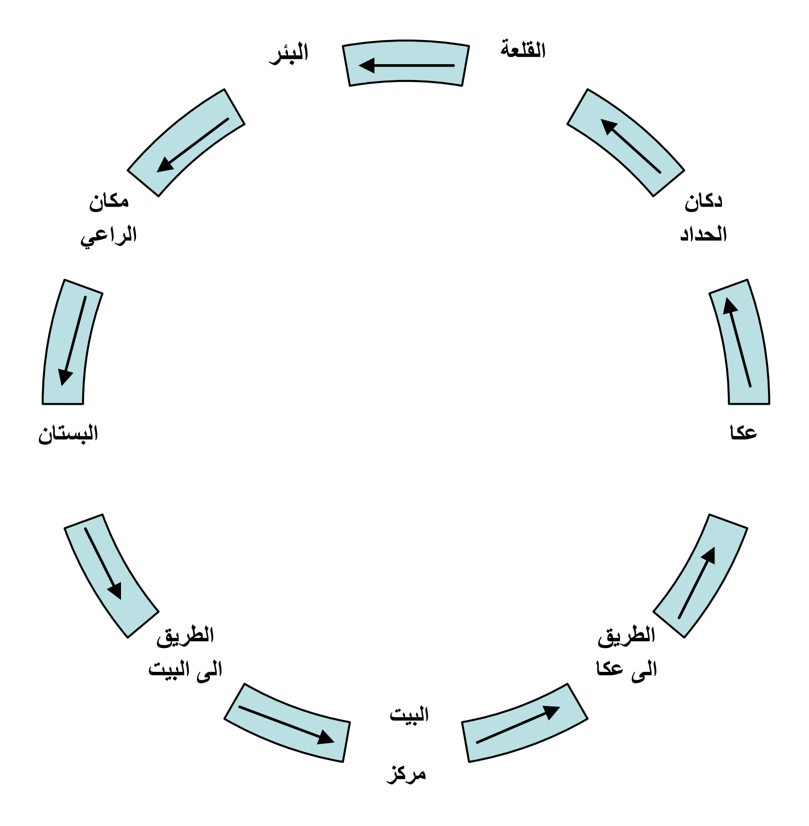
الحشيش← البستان

الراعي← المرعى

نستنتج من ذلك بان النص كان يسير بشكل دائري، ومركز الدائرة هو بيت حيران وحيرة، كما في الشكل الأتي:

---

57– علي،عواد، المألوف واللامألوف في المسرح العراقي،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد 1988،ص 112




لـم يتجمـد الـنص فـي زماكنيـة واحـدة ، تـداخل الأزمنـة ، وتعـدد الأمـاكن ، أهم ما يميز تجربة مسرحية المفتاح.

تكمـن قيمـة مسـرحية المفتـاح فـي اسـتخدامها طـابع الاصـالة، الـذي ميزهـا عـن المسـرحيات العراقيـة فـي حينهـا، اتخـذت مـن الفلكلـور والحكايـة الشـعبية كمرتكـز لبنيـة الـنص السـردية، فـي طـابع محلـي، هـذا الاسـتخدام سـاهم بإنجـاح المسـرحية، وتركيـز الجمهـور علـى خطابها الفكري.

تعد المسرحية فتحا في الكتابة المسرحية الجديدة في العراق، هذه الريادة تجسدت في لجوء الكاتب للفلكلور الشعبي وتوظيفه، لإسقاطه بما يلائم الحكاية المعاصرة "ومهما اختلفنا في تحديد قيمة التجربة التي اقدم عليها المؤلف فستبقى الحركة الأولية عموما والمسرحية منها بوجه خاص معترفة بهذا الفضل. كما سيكون تطوير هذه المحاولة واغنائها بالتجارب من اختصاص كل المشتغلين بالحقل الأدبي"[58].

الإرشادات المسرحية

لعبت الإرشادات المسرحية دورا مهما في تعريف القارئ/المخرج/الممثل/مصمم الديكور/ المؤلف الموسيقي، بالأسلوب الذي انتهجه النص، وبتوفير معلومات كافية لاغناء تصوراتهم للمسرحية.
عمد الكاتب ان يضع الجميع داخل إطار منهج المسرح الملحمي، منذ الصفحة الأولى،وضع الممثلين بواجهة الجمهور كنوع من التقديم المسرحي للتعريف بالشخصيات، وتقديم أنفسهم للجمهور بوصفهم شخصيات محايدة تنقل لهم الواقعة، وبأنهم سيحكون لهم حكاية، و ما هم(الممثلون)إلا وسطاء للحكاية بين زمنين.
عرفتنا الإرشادات المسرحية على صور كاملة، سهلت كثيرا من التصور الإخراجي للعرض على الخشبة، وإحالته إلى مصادر النص الأصلية:
"يسود المسرح الظلام لينار ثانية على مجموعة من الاطفال يحملون البالونات الملونة، ويتأرجحون فرحين..."[59].
الأسلوب السردي، الذي اتخذه الكاتب بوساطة الحكاية الشعبية، وتقديم الشخصيات من قبل الممثلين أنفسهم:
حيران: ( يتقدم الى الجمهور) انا حيران...
حيرة:(تتقدم ايضا) انا حيرة...[60]
هذه الآلية في الاشتغال تفرض على المخرج وقارئ النص، الأسلوب الذي أراده الكاتب لنصه، بحيث لا يمكن لأي عنصر من عناصر العملية المسرحية، ان يحيد عن التصور الذي أشار إليه الكاتب، لأنه كتب نصه على وفق نظام التقطيع، كان ذلك البوابة التي فتحها الكاتب لنصه.

---

[58]- التكريتي ،سبق ذكرهنص 20.

[59]- العاني، سبق ذكره، ص322.

[60]- نفسه، ص 325.

عملية كسر الإيهام التي انتهجها برتولد بريشت ، كانت حاضرة بقوة في الإرشادات المسرحية، ومن ثم جاءت الإرشادات لتدعم المنهج البريشتي:
حيرة: "تلتفت الى حيران ويقفان وجها لوجه يتناقشان بمعزل عن الجمهور".[61]
ساهمت أيضا بالتعرف والتعريف على المكان ، الذي سافر إليه أبطال الحكاية، مكان الجدود مثلا، يهدف بذلك استحضار الماضي، كحدث وطرحه أمام المتفرج ، ومعرفته بان الذي يحدث أمامه هو مجرد لعبة مسرحية.
حفلت الإرشادات بكثير من الإيضاحات والاستدلالات التي ضمنها النص، منها:
مكانية: لغرض التعرف إلى المكان، وذلك لكثرة الأماكن التي ولجها أبطال الحكاية، الذي فرضتها الأغنية الشعبية،أرشدت إلى عملية الانتقال" من /الى"المنظر الجديد، من خلال رفع اللوحات التي تشير الى المكان.

زمنية: للتعرف على زمن الجدود/الماضي، وبين الآن/ نحن، ليس فقط لفريق العمل، بل حتى للقارئ العادي للنص، بحيث ترشده الى التداخل الزمني، والفصل بينهما.

تمثيلية: عرفت الممثل على الحالات، عملية الانتقال من حالة الى أخرى، وخاصة في الرجوع لزمن الجدود،وفي ضوئه أصبحت الأرضية التي استند عليها الممثل لتجسيد الحالة والموقف.

موسيقية: تخلل النص عشرة أغاني شعبية، استند عليها النص بأكمله، كانت الأغنية، تنقل الحدث من مكان إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، فلا يمكن للمؤلف الموسيقي الاستغناء عنه، لابد له ان يؤسس موسيقاه، على إرشادات الكاتب، لأنها جزء مهم من العمل المسرحي، وبهذا حدد الكاتب المؤلف الموسيقي، بنوعية وأسلوب الموسيقا التي يحتاجها العرض المسرحي.

تعليمية: جهد الكاتب لإيجاد نظائر لكلمات الأغنية الشعبية العراقية، في البلدان العربية، وفي أحيان كثيرة يفسر المفردات التي يصعب ان يفهمها القارئ العربي، كون العمل يستند إليها.

---

61- نفسه، ص 325.

حتـــى يجعـــل مـــن نصـــه حيـــا، لأجيـــال أخـــرى، أشـــار الـــى ضـــرورة توظيـــف الأحـــداث الجديـــدة التـــي تعيشـــها المنطقـــة العربيـــة، بمـــا تلائـــم الـــزمن الـــذي يقـــدم فيـــه العـــرض المســـرحي بحيـــث لا يبقـــى الـــنص أســـير الحقبـــة الزمنيـــة التـــي كتـــب فيهـــا، ذلـــك ان الكاتـــب تنـــاول موضـــوعات سياسية واجتماعية واقتصادية تنتمي لزمن النص المسرحي.

علـــى الـــرغم مـــن ان المخـــرج والمنظـــر الإنكليـــزي(إداورد كـــوردن كريـــك)، طالـــب برفـــع الإرشـــادات المســـرحية مـــن الـــنص المســـرحي، لأنهـــا تصـــادر الخيـــال، ووظـــائف الآخـــرين ، وتفـــرض علـــيهم أســـلوب الكاتـــب فـــي العمـــل، وعـــدّه تـــدخلا ســـافرا بالعمليـــة المســـرحية مـــن قبـــل الكاتـــب، لكـــن فـــي نـــص المفتـــاح ، لا يمكـــن الاســـتغناء عنهـــا، تكمـــن ضـــرورتها بتعريـــف الممثـــل والمخـــرج ومصـــمم الـــديكور والمؤلـــف الموســـيقي، بأســـلوب المؤلـــف، وهـــو أســـلوب جديـــد فـــي الكتابـــة المسرحية العراقية.
فلقـــد نجـــح العـــاني بإيصـــال خطابـــه، وأســـلوب الكتابـــة، وفرضـــه كأســـلوب جديد، لم يطرقه كاتب مسرحي عراقي قبل العاني.

**تأثيرات برتولد بريشت**

البحـــث عـــن تـــأثيرات المســـرح الملحمـــي فـــي نـــص المفتـــاح، لـــيس بـــالامر العســـير، حتـــى لـــو اننـــا لا نعـــرف شـــيئا عـــن تجربـــة العـــاني ورحلتـــه إلـــى ألمانيـــا فـــي عـــام 1957 ، والتقائـــه بــــ (هيلينـــا فايجـــل)، وحضـــوره بروفـــات فرقـــة(البرلينـــر انســـامبل)، وحضـــوره لكثيـــر مـــن العـــروض المســـرحية البريشـــتية ، فـــي بـــرلين، ميونـــغ، لايبـــزك، فينـــا، وغيرهـــا مـــن المدن الأوروبية، التأثير كان واضحا، من خلال:

- الحبكـــات المتعـــددة التـــي تكتنزهـــا الأغنيـــة الشـــعبية، ولقـــد "اتخـــذت الحكايـــة معنـــى محـــددا عنـــد بريشـــت لانـــه لـــم يطرحهـــا كقصـــة متسلســـلة وإنمـــا كحـــدث متقطـــع يـــرى المتفـــرج اجـــزاءً منـــه، وبـــذلك تختلـــف الحكايـــة عنـــده عـــن الحبكـــة فـــي المســـرح الـــدرامي. والقطـــع فـــي الفعـــل الـــدرامي يتجلـــى لديـــه علـــى كـــل المســـتويات: مســـتوى الخطـــاب المســـرحي الـــذي يتضـــمن الحـــوار والســـرد والأغـــاني، ومســـتوى

المضمون ومستوى الأداء"[62]،وبما ان الحكاية حدثت في الماضي فان بينة العمل تعتمد على التقطيع، التقطيع الى لوحات، واللوحات تشكل نموذجا او موقفا، على وفق الحكاية وزمنها، وتعدد أماكنها،و تعتمد على الجانب السردي.

- استخدام التراث والفلكلور الشعبي، لكنه حمل حمولات فكرية ذات أبعاد عربية، سياسية واجتماعية واقتصادية.

- توظيف الأغاني الشعبية ،(تخلل العمل عشرة أغاني شعبية ،من التراث العراقي).

- التعريف بالمكان، من خلال اللافتات ، التي تحملها الشخصيات للدلالة على المكان " حيران وحيرة يتقدمان الى مكان الجدود، لوحة كتب عليها- عكا- يحملها نوار ويضعها على المسرح".[63]

- كسر الجدار الرابع ، مخاطبة الممثلين للجمهور، للتعليق على الحدث:

نوار:( الى الجمهور) ماذا قلت قبل قليل؟ لايصدقون كلامي (يخرج) .[64]

- استخدام الماضي والرجوع اليه، لتغريب الحدث ، الحدث ليس مهما ، بقدر السؤال عن كيف حدث، بما يصنع الإجابة التي اعتمد عليها في كسر الإيهام عند المتفرج وأيضا كشاهد ومعلق على الحدث.
- التناقضات داخل المجتمع، ليس تناقض الشخصيات، الشخصيات هي التي تجسد الحدث، الوسيط بين العرض والمتفرج، حوامل لإيصال الخطاب الفكري الذي يهدف إليه الكاتب.

- شخصية الحكواتي، لم يكن العاني هو الوحيد من وظفها، بل اتخذها كثير من الكتاب العرب شكلا مسرحيا عربيا، جذوره التراث العربي، التي أصبحت قريبة من المسرح الشعبي للإنسان العربي.

---

[62]- المعجم المسرحي، سبق ذكره،ص457 ومابعدها.

[63]- العاني، سبق ذكره،ص 320.

[64]- نفسه،ص 328.

- الخطاب السياسي والفكر التنويري، وان كان هذا الخطاب قد جاء بصورة مباشرة.

عرف العاني كيفية الاستفادة من الإرث البريشتي، وتكييف المفاهيم البريشتية، مع التراث الشعبي وبيئته المحلية، حيث كان في نص المفتاح "يخطو خطوات متقدمة في كتابة مسرحية ذات بناء درامي حديث مستثمرا التراث الشعبي من خلال أغنية فلكلورية شائعة...."[65]، ومسرح بريشت هو الذي فتح عيون المسرحيين العرب لاستخدام التراث والموروث في عروضهم المسرحية، استخدام التاريخ العربي، استحضاره، وطرحه برؤية محايدة، الأغاني، الأناشيد، شخصية الراوي ، ساهم كل ذلك في البحث عن الشكل لتأصيل المسرح العربي ، بما يعتمد التراث والفلكلور المحلي، مادة للعمل المسرحي.

لعل الظروف السياسية التي مرت بها المنطقة العربية، كانت احد الأسباب باللجوء الى بريشت ، الذي وجدوا في طروحاته ما يتناسب وتطلعاتهم السياسية "ان نظرية بريشت حول المسرح الملحمي دخلت العالم العربي بزخم بين المثقفين لان طروحاته الإيديولوجية توافقت مع فكرة الالتزام السياسي التي سادت في تلك الفترة، مع الرغبة في إيجاد قالب مسرحي يتوجه للجماهير العريضة.من المسرحيين العرب من تعرف على نظرية المسرح الملحمي عن طريق التعامل المباشر مع فرقة البرليز انسامبل، وهذه حالة العراقي يوسف العاني 1927 ، الذي عمل مع الفرقة اعتبارا من عام 1958،...)[66].

- ضم النص كثيرا من الأحداث والأفكار التقدمية، التي أفرزتها تلك المرحلة (التحرر والحرية، منظمة عصبة الأمم، نكسة حزيران 1967،التخلف الاجتماعي، اغتصاب فلسطين)، الأحداث المهمة كانت تجسد على شكل صور كخلفية الأحداث، دافعا المتفرج إلى التدخل في الأحداث التي تجري امامه على الخشبة.

المنحى الاجتماعي يحضر في المسرح الملحمي بقوة ، كخطاب تنويري، على الرغم من لغته المباشرة في نص المفتاح، وفكرة

---

65- علي ،عواد، الزمان الدولية، العدد 1748، في 4-3-2004

66- المعجم المسرحي،سبق ذكره،ص 460.

بريشت الرئيسة هي "ان الناس المعاصرين يتقبلون الواقع إذا عرض عليهم كواقع كتغير، فعلى جميع الأشكال الفنية خدمة المهام الاجتماعية والسياسية".[67].

واخيرا نقول....

منذ ان تعرف العرب إلى العرض المسرحي، على وفق التيارات الحديثة، كانت طروحات المؤلفين، سباقة لتأصيل شكل المسرحي العربي، سعوا لإيجاد تلك الخصوصية بالعودة لاستلهام التراث والموروث والفلكلور الشعبي، اغلب الطروحات كان مصدرها الكاتب، امتازت الكتابة المسرحية في الوطن العربي، بأنها نظرت لتأصيل المسرح العربي، شكلا مسرحيا مغايرا عما ينتجه الغرب، هذا الشكل نابع من المظاهر الدرامية في الثقافة العربية، وقد يكون ذلك غريبا، بان يسعى الكتاب للتأصيل، وليس المخرجون.

توفيق الحكيم بقالبنا المسرحي، تعدد مشروعه ، على الرغم من انه لم يطالب بفك الارتباط بالثقافة الغربية، بل استلهامها، وقراءتها قراءة عربية، فكانت اوديب ملكا ، اللغة المبسطة، كي يقرب المسرح للجمهور ، وكان المسرح الذهني، حيث الرجوع إلى المنابع الأولى قبل ان يتعرف العرب إلى فن التمثيل والمسرح.

يوسف ادريس ، وفرافيره التي أراد لها ان تتداخل مع الجمهور ، كي يكون الجمهور مشاركا بالعملية المسرحية، فطرح مشروع السامر.

سعدالله ونوس ومسرح التسييس، منقبا في التراث العربي ، كان مشروعه يستند إلى مشروع المسرح الملحمي لبرتولد بريشت، وعزالدين المدني واستخدامه للتراث، وغيرهم.

ارتبطت خصوصية الأرق المسرحي العربي في البحث عن شكل مغاير، بنتاج الكتاب، كانت هذه الطروحات، بعد ان ترسخ مفهوم المسرح الواحد، في الاقتباس، وتقليد طروحات المسرح الغربي ،

---

36- سورينا، تمارا، ستانسلافسكي وبريشت، ترجمة ضيف الله مراد، منشورات وزارة الثقافة-المعهد العالي للفنون المسرحية،دمشق 1994،ص53.

"لقد بدأنا نبحث عن المسرح العربي، بعد ان قيدنا انفسنا بمسرح واحد، هو الذي يعاني سكرات الموت على حد تعبير جان جينيه"[68].

من هذا المنطلق نجد تجربة يوسف العاني تجربة غنية ومتنوعة ، هذا التنوع، نتيجة غناه المعرفي والتمثيلي، كونه احد أعمدة التمثيل في العراق، وصف الكاتب علي الراعي موهبته وإبداعه، بان مكانة العاني في العراق، تظاهي مكانة توفيق الحكيم في مصر، لكن العاني اعترض على ذلك، معتبرا الحكيم قامة معرفية كبيرة ، امتازت تجربته بشمولية مذهلة ما بين الرواية، الفكر، التنظير، الكتابة للمسرح.

لكن تبقى تجربة العاني، متميزة ورائدة في العراق، وما يميزه "أحاطته بالفن الشعبي وبشكل واعي وكذلك استفادته من تجارب وخبرة المسرحيين الغربين الذين تأثر بهم"[69]، كذلك فانه انطلق من داخل اللعبة المسرحية،ممثلا، ومن هناك جاء للكتابة المسرحية وهو واع تماما لشروط الكتابة المسرحية، وقد كتب أعماله لتمثل على الخشبة وليس للقراءة، وكان يراعي ذلك كثيرا بكتاباته، كيفية تنفيذ النص على الخشبة إخراجيا، اذن فليس من الغريب ان نلمس المراحل الانتقالية في تجربته المسرحية وتقدمها تدريجا ، طالما انه ابن المسرح، وقد حاولنا تقسيمها على مرحلتين:

- المرحلة الاولى: الواقعية الاشتراكية التي تأثر بها بالأدب الاشتراكي، وخاصة غوركي، كانت هذه المرحلة جل ما كتبه في الخمسينيات من القرن الماضي.

- المرحلة الثانية: في الستينيات من القرن الماضي، حيث كان التطور والانتقال كبيرا، ونقلة كبيرة في مسيرة المسرح العراقي، وذلك في استخدامه الواعي للحكاية الشعبية، متأثرا بمسرح بريشت، كان ذلك التأثير بإدخال شخصية الراوي، والبناء الدرامي، هذه المرحلة كانت بعد عودته من ألمانيا، وإقامته لمدة عام كامل في كنف فرقة (البرليز انسامبل)، حيث تعرف هناك على مسرح بريشت بشكل أوسع، نظريا وعمليا، ويعد العاني تأثره في بريشت

---

[68] - ونوس،سعدالله، بيانات لمسرح عربي جديد، دار الفكر الجديد، 1988،ص 95.

[69] - الطالب،عمر، المسرحية العربية في العراق، النجف الاشرف،ج2،ط1، 1971

أمــرا مفروغــا منــه ، فهــو جــزء لا يتجــزأ مــن تفكيــره وخيالــه، وأيضــا طروحــات ومواقــف بريشــت السياســية، أفكــاره، اتخــذها العــاني قاعــدة لأعمالــه المســرحية أســلوب أشــبه بالأرضــية التــي ينطلــق منهــا العمــل، ولــيس كاســتعارة خارجيــة أو تــزو يــق ، فلقــد "بــرزت أوضــح علامــة مــن التــأثير البريشــتي فــي مســرحية المفتــاح 1968، او قــل إن مســرحية المفتــاح كانــت المفتــاح للتــأثير البريشــتي البــارز فــي عمــل يوســف العــاني.وتعتبــر هــذه المســرحية انعطافــا فــي عملــه مــن ناحيــة الشــكل والموضــــوع معــــا.إذ يســــتخدم العــــاني هنــــا،ولأول مــــرة شخصــية"الــراوي" فيوظفهــا فــي إطــار حكايــة شــعبية تغنــى عــادة للأطفال.والقالب هذا نفسه جديد في عمله".[70]

لقــد اســتفاد العــاني مــن بريشــت وطروحاتــه ، فــي تغييــر شــكل الكتابــة المســرحية فــي العــراق، التــي عرفــت أشــكالا أخــرى بعــد تجربــة العــاني المتميزة.

---

[70] – العماري،لميس، برتولد بريشت والمسرح في العالم الثالث،مجلة الموقف الادبي، اتحاد الكتاب العرب،دمشق، العدد 127، تشرين الثاني 1981

المصادر والمراجع


أولاً: المعاجم:

1- الياس،ماري،قصاب حسن،حنان، المعجم المسرحي،مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض، مكتبة لبنان نشارون، بيروت،ط1 ،عام 1997.

ثانياً: المراجع باللغة العربية:

1- العاني، يوسف،10 مسرحيات من يوسف العاني،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1،عام 1981.

2- الطالب،عمر، المسرحية العربية في العراق، النجف الاشرف،ج2،ط1، 1971

3- الاسدي ، جواد،المسرح جنتي،دار الاداب، بيروت،ط1، عام 2008

4- الراعي،علي، المسرح غي الوطن العربي، عالم المعرفة،الكويت،ط2،عام1999

5- يوسف يوسف، البطل في المسرح العراقي، الموسوعة الصغيرة،بغداد، عد،13

6- علي،عواد، المألوف واللامألوف في المسرح العراقي،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد 1988

7- ونوس،سعدالله، بيانات لمسرح عربي جديد، دار الفكر الجديد، 1988

8-عباس،علي مزاحم، سلاما ايها المسرحيون"مقالات نظرية في المسرح العراقي"،مطبعة العمال المركزية، بغداد، بلا.

ثالثاً: المراجع المترجمة الى العربية:

1- سورينا، تمارا، ستانسلافسكي وبريشت، ترجمة ضيف الله مراد، منشورات وزارة الثقافة-المعهد العالي للفنون المسرحية،دمشق .1994

2- قصاب حسن،حنان، و الياس، ماري/ تمارين في القراءة الدراماتورجية والارتجال"جاك لاسال وآلان كناب في محترف مسرحي"، منشورات المعهد العالي للفنون المسرحية،دمشق .1988

3- مجموعة مؤلفين، ترجمة، اشرف الصباغ، السرد والمسرح،المجلس الاعلى للثقافة،مصر،.2000

4- برنار دُورت، ترجمة،جورج الصائغ، و ماري لور سمعان، منشورات وزارة الثقافة،دمشق،1997.

رابعاً:المجلات الدورية والجرائد:

أ- المجلات:

- مجلة الموقف الادبي، اتحاد الكتاب العرب،دمشق، العدد 127، تشرين الثاني1981.

ب- الجرائد:

- الزمان الدولية، الاعداد، العدد 1748، في 4-3-2004، و2197،في 25-8-2005، ج1

- الوطن، عُمان،العدد 8798،السنة37، الثلاثاء 28-8-2007

# الاقتصاد و إدارة الأعمال

## قطاع الطاقة والأزمة المالية العالمية

**آسيا طويل**

# قطاع الطاقة والأزمة المالية العالمية

**آسيا طويل** الرتبة: أستاذة مساعدة صنف * أ *
المؤسسة: جامعة سعد دحلب – البليدة – الجزائر
كلية العلوم الإقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

**ملخص**

عندما إنفجرت الأزمة المالية العالمية في 15 سبتمبر 2008 وألقت بأثرها علي القطاعات المختلفة في دول العالم فيه قطاع الطاقة ( السوق البترولية) ، حيث أدي التدهور الإقتصادي العالمي إلي إنخفاض العالمي حاد في الطلب علي النفط وعلي أسعاره. مما أدي إلي إلغاء الكثير من المشاريع البترولية الرئيسية في البلدان المصدرة والمستهلكة علي حد سواء ، وشهدت منطقة الشرق الأوسط خلال نفس الفترة إرتفاع وتيرة التوتر السياسي في عدد من البلدان المصدرة للبترول وإنعكست سلبا علي الصناعة البترولية .

لازال العالم يغط في نوم عميق ، ولم يدرك مدي خطورة هذه الأزمة المالية والإقتصادية التي لا سابق لها والتي لا سابق لها والتي قد تقود إلي حدوث الحرب العالمية على الرأسمالية وخاصة على قطاع الطاقة وهي الأزمة الحالية العالمية وسعر النفط.

**Abstract:**

When the global financial crisis erupted in September 15, 2008 and delivered to their impact on various economic sectors in the world, including the energy sector (oil market), where the valley of the global economic downturn to a sharp decline in oil demand and in prices. Which let to the suspension of many major oil projects in the exporting and consuming countries alike? Saw the Middle East during the same period rising pace of political tension in a number of the Petroleum Exporting Countries and impacted negatively on the petroleum industry.

Still the world covered in a deep sleep and did not realize the seriousness of this financial and economic crisis, which is not unprecedented and that could lead to the risk of the global war on capitalism and especially the energy sector, and is only the current crisis and global price of oil.

**Résumé**

Lorsque la crise financière Mondiale a éclaté en Septembre 15 2008 et remis à leur impact sur les différents secteurs économiques dans le monde, y compris le secteur de l'énergie (marché du pétrole), où la vallée de la crise économique mondiale à un forte baisse de la demande de pétrole et des prix. Qui a conduit à la suspension de nombreux projets pétroliers majeurs dans les pays exportateurs et consommateurs aussi bien. Scie du Moyen-Orient au cours de la même période le rythme croissant des tensions politiques dans un certain nombre de pays exportateurs de pétrole et un impact négatif sur l'industrie pétrolière.

Toujours dans le monde l'objet d'un profond sommeil et ne se rendent pas compte de la gravité de cette crise financière et économique, que n'est pas sans précédent et qui pourrait conduire à un risque de guerre globale contre le capitalisme et en particulier le secteur de l'énergie, et n'est que la crise actuelle et le prix mondial du pétrole.

## مقدمة

هل الأزمات المالية مقدمة أزمة لطاقة الأكثر إيلاما يعيش العالم اليوم من حيث لا يدرك الكثيرون على حافة الوقوع في أزمة إقتصادية ومعيشية لا يعلم مداها إلا الله ، وذلك بسبب النقص المتوقع في مصادر الطاقة التي هي عصب الحياة ، ولا تلمح على الوجوه أثر إهتمام بحالة المستقبل المشترك المجهول ، فالمصادر النفطية الرخيصة التي عشنا عصرها الذهبي ، منذ أوائل القرن الماضي أوشكت ألان على إطلاق الإنذار بوصول الإنتاج إلى الذروة التي ما بعدما إلا بداية نقص الإمدادات . هذه حقيقة لا يختلف عليها إثنان وإن حاول البعض إستبعاد حدوث أزمة في إمدادات الطاقة خلال المستقبل المنظور والأمر محسوم بقاعدة " لكل شئ نهاية " ويكفي أن نعلم أن دول كثيرة كانت منتجة للنفط تصدر الفائض عن حاجتها إنضمت اليوم إلى قافلة المستوردين ، ومنها أمريكا وبريطانيا وإندونيسيا وعدة بلدان أخرى ، والباقي على الطريق ، والذي سيحدد الوصول إلى الذروة هو تساوي كمية الإستهلاك العالمي من النفط مع أعلى كمية من الإنتاج ، وهو ما يؤكد بعض المتخصصين أنه قد حصل فعلا.

وأننا يعيش اليوم فترة الإنتاج الثابت الذي يسبق بداية الإنخفاض ، ولعل الكثافة الضبابية التي تحيط بما تبقي من الإحتياطي النفطي العالمي.ونقصد النفط التقليدي منتجي التكلفة ، ونجعل من الصعوبة بمكان يغير المنتجين ومن واقع الأمر ، وهذا ما يتسبب في وجود أزمة ثقة بين الدول المنتجة والدول المستهلكة ، أو حاصل بالفعل ويكفي أن تستخدم المنطق لذلك أن أرقام الإحتياطي النفطي للكميات القابلة الإنتاج التي يتداول الإعلام لم تغير مقاديرها ( تريليون و 200 مليار برميل ) منذ أكثر من 20عام ، على الرغم من أن الكميات الهائلة التي تم إنتاجها خلال تلك الفترة من الزمن ، وهو ما يقارب 50 مليار برميل وعدم إكتشاف حقول جديدة زادت الإحتياطي كبير .وربما أن نسبة من المتمين بشؤون الطاقة أنفسهم لا يدركون أنه حتي رقم تريليون و200 مليار المتداول حاليا قد تعرض للتضخم غير مبرر ومنتصف الثمانينيات من القرن الماضي بنسبة تتراوح بين 25و50 في المائة .وعلى وجه الخصوص في دول منظمة الأوبك ومن معلوم أن الجديد في تقنية الإستكشاف والإنتاج قد ساهم في إضافة كمية من الإحتياطي النفطي لم يكن ممكنا قبل عقدين من الزمن .

يمر الإقتصاد العالمي منذ منتصف عام 2008 بأزمة مالية عالمية إنعكست آثارها السلبية على مختلف القطاعات الإقتصادية بما فيها القطاع الطاقة ( السوق النفطية) ، حيث أدى التدهور الإقتصادي العالمي إلى إنخفاض حاد في الطلب على النفط وعلى أسعاره ، مما أدي إلى تأجيل أو إلغاء عدد مشاريع البترولية الرئيسية في البلدان المصدرة والمستهلكة على حد سواء .وشهدت منطقة الشرق الأوسط خلال نفس الفترة إرتفاع وثيرة التوتر السياسي في عدد من البلدان المصدرة للبترول وقد إنعكست تلك الآثار السلبية على الصناعة البترولية ، العماد الرئيسي الإقتصاد العالمي .ومع بدء الإحداث الأخيرة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط تغيرت العوامل التي تحرك أسواق النفط .لكن الإتجاه هو نفسه إرتفاع الأسعار في بداية العام الحالي كانت أسواق النفط مدفوعة بتحسن توقعات النمو الإقتصادي العالمي.أن أسواق النفط العالمية لم تكن في حاجة إلى التحول بصورة كبيرة من المخاطر الجيوسياسة منذ بداية الأزمة الإقتصادية الأخيرة ، حيث إن أسعار النفط يعد الأزمة الإقتصادية وحتى أوائل 2011 كانت مدفوعة في المقام الأول بتوقعات وتيرة الإنتعاش الإقتصادي العالمي ووتيرة الإنتعاش في الطلب العالمي على النفط المستويات الحالية المرتفعة من المخاطر الجيوسياسة حفزت العديد من البنوك والمحللين إلى دفع توقعاتهم الأسعار النفط عام 2011 .

ومع ذلك يرى هؤلاء أن حركة أسعار النفط خلال أيام الماضية ماهي إلا إرتفاع إستثنائي ، حيث من المرجح تنخفض تلك الأسعار مرة أخرى .لكن المخاطر لا تزال في الإتجاه التصاعدي في الوقت الحاضر ، هذا الخطر ينعكس نظرة السوق إلى إمكانية إستعمال الإضطرابات السياسية البيئة ، المضطربة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط .التي شهد هذا منطقة خلال نفس الفترة إرتفاع وتيرة التوتر السياسي في عدد من البلدان المصدرة للبترول .وقد إنعكست تلك الآثار السلبية على الصناعة البترولية.

هناك أسئلة وجهيه عدة ينبغي طرحها بعدد دراسة هذه الأزمة المالية العالمية الحالية تثير تساؤلات كبيرة بشان مستقبل أسعار الطاقة ، والسياسات التي ستعتمد للتعامل مع تلك الأزمة.

أثار الأزمة العالمية على قطاع الطاقة ، تداعيات الأزمة على شركات الطاقة ؟

إذا كان مثل هذا الإهتمام البالغ الذي توليه القوى الإقتصادية الكبرى في العالم النفط هو فقط من أجل ضمان إمداداتها النفطية بالشروط الملائمة وخدمة لمصالح لشركاتها النفطية ؟

- ماهي ملامح النظام النفطي الدولي كما تبدو في المستقبل ؟
- هل الأزمات المالية مقدمة الأزمة الطاقة الأكثر إيلاما ؟
- هل تنطفئ الأنوار أفاق الطاقة في العالم ؟
- الطاقة في ظل الأزمة هي أكثر أم أقل أمنا ؟

تهدف هذه الدراسة إلى القاء الضوء على مستقبل القطاع الطاقة ، وتداعيات الأزمة المالية العالمية عليه ، بإعتبارات الطاقة إحدى المصدر الأساسي للانتاج ، وإن الأزمة المالية العالمية المستمرة تداعياتها لحد الأن ، لها تأثير كبير على مستقبل قطاع الطاقة على صعيد العالمي . ولتحقيق هذا الهدف فقد إتبعت المنهج التحليل الوصفي والموضوعي للدراسة ، والذي يقود إلى إيجاد العلاقة بين

الموضوعين من خلال الإجابة بدقة وإختصار على الأسئلة المذكورة في اعلاه وإغناء محتوياتها وفق المواضيع الثالية :

أولا: وصف مركز القطاع الطاقة العالمي وآفاقة المستقبلي

ثانيا: أثر تداعيات الأزمة المالية العالمية على رسم سياسة قطاع الطاقة العالمي مستقبلا

ثالثا: الإستنتاجات

رابعا: الخاتمة ( نتائج )

**1-أزمة النفط عام 2008 [1] :**

إرتفعت أسعار النفط بشكل جنوني بنهاية عام 2007 حيث كسرت حواجز قياسية إستمرت في الصعود من 60 دولار للبرميل في 2007 وفي بداية 2008 كسر حاجز 80 دولار وفي شهر مارس كسر حاجز بـ100 دولار للمرة الأولى ووصل إلى أعلى مستوياته في التاريخ في شهر يوليو من سنة 2008 والذي كان حوالي 147.27 دولار للبرميل لكنه سرعان ما إتجه السعر نحو الهبوط وذلك بسبب المخاوف على الطلب العلمي بسبب الركود الإقتصادي العالمي والذي كان سببه أزمة الرهن العقاري في شهر أكتوبر من عام 2008 وصل النفط إلى 60 دولار للبرميل أدنى مستوى منذ أكثر من عام حيث يعتبر أكتوبر أسوأ شهر للنفط حيث خسر حوالي 32٪ من قيمته في أكتوبر فقط .

**-أسواق النفط وتداعيات الأزمة المالية العالمية [2]**

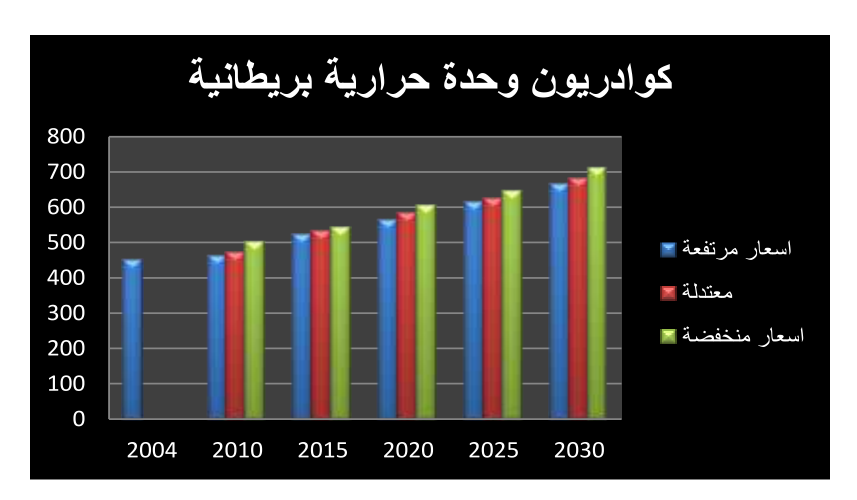
حينما إنفجرت الأزمة المالية العالمية في 15 سبتمبر من العام 2008 ألقت بطلاها على القطاعات الإقتصادية المختلفة في دول العالم ولم ينج من تبعات وويلات تلك الأزمة أحد ، من : خسائر ، وإفلاس وبطالة ، وهبوط بورصات ، وتقلب وتراجع أسعار ، وفقر ، وركود وكساد وقد ألقت الأزمة المالية العالمية بطلاها على سوق النفط العالمي الذي شهد إنكماش كنتيجة طبيعية لتلك الأزمة ، فقد إقترب سعر برميل النفط قبل الأزمة المالية العالمية من حاجز 150 دولار .ومع إنفجار الأزمة وما نتج عنها من إنتشار الركود الإقتصادي وتنامي معدلات البطالة في العدد من دول العالم وإنخفض الطلب على السلع والخدمات .وهو ما أدى بالطبع إلى إنخفاض الطلب على النفط .بإعتبار النفط من السلع التي تمثل عاملا أساسيا في أنتاج السلع والخدمات ، وكذ بلغ هذا الإنخفاض نحو نسبة 60٪ من سعر برميل قبل الأزمة وبصورة أكثر تحديدا ، فقد تأثر سوق النفط بالأزمة المالية العالمية من خلال تأثر قوى السوق سواء من جانب الطلب الإستهلاك أومن جانب العرض في الإنتاج .

---

**1** – Http: // an. Wikipedia. org /w/ index. php ? TiTle = % D9 % 86 % D9% 81% 18% B7. Oldid = 7981899Opec Facts and figures.

**2-** آشرف محمد دوابه ، مجلة آراء حول الخليج ، 20أبريل 2010 ، العدد 456، صفحة 5.

**-إضطراب أسعار النفط في الأسواق العالمية** [1] ينعكس إرتفاع النفط في الأسواق العالمية على إنخفاض الطلب على المشتقات النفطية ، ونظرا لكثرة العوامل المؤثرة في تحديد الأسعار بدءا من توفر الطاقة الإنتاجية الكافية لتأمين حاجة الأسواق من الإمدادات النفطية ، ومرورا لاضطرابات الجيوسياسية، والكوارث الطبيعية وحتى الأزمات المالية العالمية ، فإن هذه الظروف تزيد من المخاطر التي تهدد صناعة التكرير.وتزيد من صعوبة توقع الطلب المستقبلي على المشتقات النفطية ويبن الشكل رقم01 " تغيير الطلب على المشتقات النفطية مع تغيير أسعار النفط في الأسواق العالمية "




**المصدر – كريستوف روهل ،« منظور الطاقة القضايا والتحديات في ظل المعطيات الاقتصادية والجيوسياسية الجديدة » - ندوة الحادية والثلاثون للطاقة – كلية سانت كاترين – بجامعة اكسفرود – خلال الفترة مابين 27 يوليو و6 اغسطس 2009 .**

**-الطاقة: إنشغال عالمي** [2]

تزايدت المخاوف المتعلقة بأمن التموينات بالطاقة بشكل رهيب خلال السنوات الثلاث الأخيرة . إذا في هذا المجال يشير تقرير فصلي صادر عن الوكالة الدولية للطاقة ، يشمل الفترة من 2004 إلى 2030. أن " المخاطر **المتعلقة بالأمن الطاقوي ستخدم على المدى القريب "**

---

**1** – كريستوف رومل « **منظور الطاقة القضايا و التحديات في ظل المعطيات الاقتصادية و الجيوسياسية الجديدة** » ندوة الحادية و الثلاثون للطاقة كلية سانت كاترين – بجامعة اكسفرود – خلال الفترة ما بين 27 يوليو و 6 أغسطس 2009 .

**2-** مجلة شهرية للجيش الوطني الشعبي – الجزائر – العدد 523 فيفري 2007. صفحة 23 – 24.

تعد تتعلق بالصادرات البترولية في الشرق الأوسط فحسب ، بل إمتدت لتشمل مجمل النظام العالمي الإنتاج ، والتكرير ونقل البترول والغاز الطبيعي .
وبرأي الخبراء ، فإن الإستهلاك العالمي سيزيد خلال إل 25 سنة القادمة بنسبة 50٪ ، مع العلم أن إرتفاع الإستهلاك الأكثر أهمية سجل في الصين بنسبة قدرت ب 7.6% سنة 2003 و15.8% سنة 2004.

معطيات السوق دفعت بالدول المنتجة للبترول إلى زيادة إنتاجها بأكثر من 5.5 مليون برميل يوميا أي الوصول إلى أقصى قدراتها في مجال الإنتاج التكرير والنقل.

وبطبيعة الحال ، فإن مثل هذه الوتيرة تؤدي حتما إلى تقريب الآجال المعلنة لنفاذ الإحتياطي الموجود في العالم بالنسبة لولايات المتحدة الأمريكية من الضروري أن تقلص تبعيتها لإستيراد المحروقات وتجاوز " إقتصاد قائم على البترول " .إما بالنسبة للجانب الأوروبي ، فإن المسألة تعد حاسمة ، وتبعية الإتحاد للشرق الأوسط وروسيا في جدول أعمال عدة إجتماعات للخبراء .وبصفته أكبر رهانات القرن 21 فإن الإنتاج العالمي للبترول سيبلغ ذروته .كما أن تزايد طلب ( الولايات المتحدة الأمريكية ، الصين ، البرازيل ، الهند ) من شأنه أن يؤدي سريعا إلى إختلال بين العرض والطلب ، وهو ما ستنجم عنه أزمات دولية لامتناهية ونزاعات إجتماعية من طبيعة أخرى .

في كتابه المعنون " نهاية البترول ، التحدي الحقيقي للقرن إل 21 " كتب جميس هوارد كينسلار إنه في كل الحالات ، فإن عهد وفرة الطاقة بأسعار معقولة قد انتهى ومن ثم فإن سكان الولايات المتحدة الأمريكية الذين يعتمدون على هذه الطاقة بشكل كبير ، سيعانون أكثر فأكثر " .
بفعل ذلك ، إتجهت الأنظار إلى الطاقات المتجددة ، التي يستدعي ترقيتها إستثمارات ضخمة .وعليه فإن النووي ، الطاقة الشمسية ، أو الهوائية ، والوقود غير الملوث ، وهي اليوم خيارات يتم إستغلالها لكن في نطاق محدود.وقصد تحضير عهد ما بعد مرحلة البترول. إرتفعت أصوات في العالم لمطالبة كبرى الشركات البترولية للقيام بالمزيد من الإستثمارات في الطاقات المتجددة .والحقيقة إنه بعد قرن ونصف القرن من الإستغلال المكثف للمصادر البترولية ، تمكنت الشركات البترولية ذاتها من تحقيق أرباح خرافية.

وحين أن البترول محكوم عليه بالندرة وإرتفاع سعره أكثر فأكثر ، فإن مشكلة الأمن الطاقوي تستدعي مقارنة شاملة مختلفة عن تلك التي كانت سائدة قبل ثلاثين سنة . الخصوم ومخاطر النزاعات لم

تعد قائمة بين الدول المنتجة والدول المستهلكة ، لكن بين أكثر الدول إستهلاكا للبترول ، حيث يؤدي تزايد الإحتياجات وتراجع الإنتاج العام بالضرورة إلى تعاظم التبعية للصادرات خصوصا من الشرق الأوسط .
فالطرق التقليدية ، مثل تنويع المصادر الجغرافية للتموين أو التموين أو الضغوطات الممارسة على الدول المنتجة لمواصلة الإستفادة من بترول وفير وبسعر معقول ، لم تعد صالحة ، من ثم فإن التحديات لا يمكن رفعها سوى في إطار علاقات متوازنة كل الأعضاء المجموعة الدولية .

**- الأزمة المالية العالمية تستمر في عرقلة إستثمارات الطاقة :**

تأجيل تنفيذه 40مشروعًا نفطيًا بدول الأوبك وتجاوزات الإغضاء تغرق السوق البترولية
دفع تقلص الطلب على الطاقة بفعل التباطؤ الإقتصادي نتيجة الأزمة المالية التي تلف إقتصاديات دول العالم حاليا بعض دول الأوبك إلى تأجيل تنفيذ بعض مشاريعها الطاقوية التي كانت تنوي إنجازها هذا العام أو نهاية العام القادم إلى مابعد 2013 م في خطوة تهدف إلى الإنتظار لمعرفة الأساس الأزمة المالية وتأثيرها المتوقع على النمو الإقتصادي وللحيوية دون الدخول في أعباء مالية تثقل كاهل إستثماراتها البترولية في ظل تدني أسعار النفط إلى مستويات لا تمكنها من المضي قدما في تمويل هذه المشاريع التي تكلف مليارات الدولارات .
وأظهرت إحصائيات جديدة غير رسمية أن 40 مشروعا نفطيا بدول الأوبك من أجل 150 مشروعا كانت الدول المنتجة تنوي تنفيذها هذا العام ثم تأجيل تنفيذها إلى ما بعد عام 2013م أو إلغائها كليًا كما أخضعت بقية المشاريع إلى مراجعة لجدوالها الإقتصادية بهدف التقليل من النفقات بعد هبوط أسعار البترول إلى أقل من 40 دولار للبرميل بينما أن معظم دارسات الجدوى الإقتصادية السابقة بينت من أساس إن النفط لن يقل عن 80 دولار للبرميل على مدى الخمس سنوات القادمة ،غير أن سفن الإقتصاد العالمي سارت بما لا يشتهي مستثمر لنفط الذين يساورهم الوجل من أن الأسعار لن تعود إلى هذه المستويات السعرية على مدى الثلاثة أعوام القادمة في ظل التباطؤ المرجع الإقتصاد الدولي .
وقد شجع إرتفاع أسعار النفط إلى مستويات قياسية تخطت 147 دولار للبرميل خلال عام 2007 دول الأوبك على التخطيط لتنفيذ 150 مشروعا نفطيا بتكاليف تزيد على 500 مليار دولار خلال خمس سنوات القادمة لمواجهة الطلب العالمي على النفط .الذي كان متوقعا أن يصل إلى 88 مليون برميل يوميا عام 2010 وان يواصل الارتفاع في السنوات القادمة ليتجاوز

90 مليون برميل يوميا ما حفز الشركات النفطية على مضاعفة إستثماراتها في مجالات الإستكشاف والتنقيب والإنتاج وكذلك بناء مصافي التكرير يوميا عام 2009 متراجعا من 85.7 مليون برميل يوميا عام 2008 كبح طموح المستثمرين النفطيين في الحصول على عائدات مجزية الإستثمار وتنمية الصناعة البترولية وتناور دول الأوبك منذ فترة من أجل إنعاش أسعار النفط التي تهاوت بسرعة كبيرة مقارنة بأسعار السلع العالمية الأخرى وذلك من خلال التقليل من التدفقات البترولية ، بيد أن تجاوز بعض أعضاء الأوبك لحصصهم المقررة طمعًا في دعم مصادرهم المالية الوقاية من تبعات الأزمة المالية العالمية أفضى إلى الإستثمارات الطاقوية التي تعتمد بصورة أساسية على مستقبل منافذ الصناعة البترولية والبتروكيمياوية على حد سواء .

**2- الطاقة العالمية..ونظرة مستقبلية:**

وضع سوق الطاقة العالمي خلال عام 2008 عاملين مهمين هما [1]

**أولا:** التقلبات الشديدة في أسعار الطاقة: حيث شهدت بدايات العام صعدوا قياسيًا لأسعار البترول.ثم مرحلة الهبوط منذ منتصف العام وأشار إلى أن الإنكماش في الإقتصاد العالمي خلال عام 2008 ، يعتبر الأسوأ منذ الحرب العالمية الثانية .

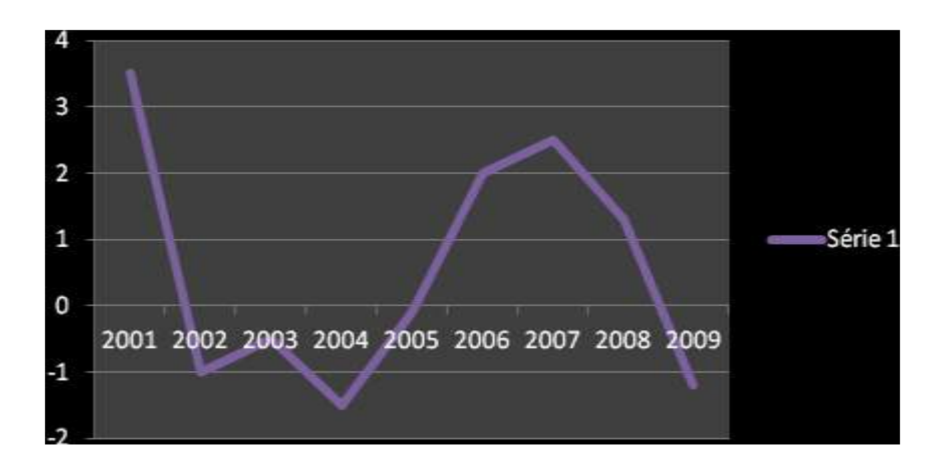
**ثانيا:** تفوق إجمالي إستهلاك الطاقة في البلدان خارج منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ( Non-Oced ) للمرة الأولى ، حيث بلغ نسبة 51٪. ومقارنة مع البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (Oced) بنسبة 49٪.

بأن بعض بلدان خارج منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ، شهدت خلال سنوات الخمس الأخيرة نموا إقتصاديا ملحوظا. وسيطرت على نمو الطلب العالمي على الطاقة منذ مطلع الألفية الثالثة .وبين أن أسعار الطاقة لعبت دورا في تفاقم الركود الإقتصادي .وأنها ستلعب دورا في ما سيحدث بعد ذلك ، إن العالم حقق نموا إقتصاديا في عام 2008 بلغ 2٪ ، وهو الإنخفاض الأول في نسبة النمو منذ عام 2003.

---

**1 -** كريستوف روهل ، **"الطاقة العالمية "** كبير الباحثين الاقتصاديين – بريتيش بترو ليوم المملكة المتحدة – ندوة حول الطاقة العالمية – 2008.

كما هو في الشكل التالي رقم **02.« سياسية أسعار الفائدة الأمريكية الفعلية ونمو الناتج المحلي الإجمالي»**




**المصدر : كريستوف روهل ، "الطاقة العالمية " كبير الباحثين الاقتصاديين – بريتيش بترو ليوم المملكة المتحدة – ندوة حول الطاقة العالمية – 2008 .**

من خلال هذا الشكل تبين تحليل بأن حالة الركود الإقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية بدأت منذ ديسمبر 2007 إي قبل بدء الأزمة المالية العالمية التي أظهرت المشاكل الإقتصادية العالمية بجلاء. وركزعلى ثلاثة مسائل ذات صلة بالركود الإقتصادي وهي:

1- بقاء أسعار الفائدة الحقيقية في الولايات المتحدة سلبية منذ عام 2001؛
2- إثيتت تداعيات الأزمة المالية العالمية – خاصة في قضية نقض السيولة المالية – الإرتباط الوثيق بين إقتصاديات دول العالم بصورة لم تكن متوقعة ؛

3- أصبحت السياسات الإقتصادية في وقتنا المعاصر مهمة أكثر من أية فترة مضت ، وذات تأثير مباشر على النمو الإقتصادي في المستقبل .

عندما تقوم الدول الإقتصادية الكبرى بإستبدال القروض الممولة من الإستهلاك الخاص مع عجز في تمويل الإنفاق الحكومي ، فإنها بذلك تكون قد عرضت إقتصادها لمشاكل جمة ، وجعلت من مسألة تحقيق معدلات عالية من النمو الإقتصادي مسألة صعبة المنال .

إن إنعكاسات الأزمة المالية العالمية على أسواق الطاقة كانت مفاجئة وحادة ،إذ شهدت أسواق الطاقة إنكماشا منذ منتصف عام 2008 ، تسبب في حركة قوية وهبوط في أسعار جميع أنواع الوقود الإحفوري بلغت ذروتها في فصل صيف ذلك عام ، ومن ثم إنخفضت بحلول أنواع شهر يناير 2009 حيث إنخفض مؤشر برنت بنسبة 75٪ ، وسوق هنري للغاز ( مقايضة الغاز الطبيعي الآجلة) بنسبة 58٪ وشمال غرب أوروبا ( الفحم ) بنسبة 62٪ ، وشهدت الطاقة الأولية تباطؤا في النمو بلغ 1.4٪ ، وكان النمو في الإستهلاك الغاز هو الابطا منذ عام 2001 ، والنمو في إستهلاك الفحم الأبطأ منذ عام 2002 وإنخفض الإستهلاك العالمي للنفط للمرة الأولى منذ عام 1993 . فيما شهد النمو في منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ، أدنى مستوى له منذ عام 1992.

وجهة أخرى إلى أن قطاع التكرير قد عاني مصاعب جمة في عام 2008 ناتجة عن تراجع الطلب على المنتجات ، وتراجع هوامش أرباح عمليات التكرير ، ووجود طاقات إنتاجية فائضة في المصافي وبذلك يعد العام هو الأسوأ منذ عام 2004 ، وذلك حتى وإن كان لا يزال ضمن متوسط العشر سنوات الأخيرة .

قد شهد خلال عام 2008 منعطفا حادا ، إنعكس بصورة مباشرة على التقلبات في سوق الطاقة وأكد بأن العمل على وضع الخطط الإقتصادية طويلة الأمد ، بات مسألة ذات أهمية قصوى وذلك لتفادي مثل هذه الأزمات في المستقبل .

**- تحديات صناعة النفط والطاقة** (1)

توقع إرتفاع إجمالي الطلب العالمي على النفط من 85.9 مليون ب/ ي في عام 2007 إلى 06.4 مليون ب/ ي في عام 2030 ، وأشار إلى أن التقديرات على إجمالي الطلب على النفط في العالم ستكون كما في الجدول **رقم 01 "طلب النفط في العالم"**

| العام | مليون ب/ي |
|---|---|
| 2007 | **85.9** |
| 2015 | **94.4** |
| 2030 | **106.4** |

المصدر : جان بيير فافنك "تحديات صناعة النفط والطاقة ،الاحتياطيات ،والأسعار ،والبيئة " ، مدرسة المعهد الفرنسي للبترول – فرنسا

إن تقديرات الإحتياطيات النفطية العالمية لم تختلف بدرجة كبيرة خلال العشر سنوات الأخيرة .وفي مقابل إرتفاع الطلب على النفط ، وتوقع أن يبلغ الإنتاج ذروته في عام 2020. ومن ثم يدخل في مرحلة الهبوط إما مرحلة ما بعد عام 2020.فإن معظم إحتياطيات النفط سوف تكون من النوع النفط الثقيل (Heavy Oil) هناك عوامل المؤثرة في أسعار النفط وعدد تلك العوامل بالعوامل الجيوسياسية والفنية والإقتصادية ، وأوضح بأن السوق النفطية ومنذ بداية عقد السبعينيات من القرن الماضي تأثرت بالأحداث السياسية والحروب التي درأت رحاها في منطقة الشرق الأوسط على مدى الأربعة عقود الماضية ، إن الصناعة النفطية مرت بثلاثة صدمات نفطية :

**الصدمة الأولى** بين أعوام 1974 – 1979 ، ومن أبرز سماتها ، تأميم الشركات النفطية ، وبروز منظمة أوبك كلاعب رئيسي في السوق النفطية ، وحرب أكتوبر 1973 ( الخطر النفطي) ؛
**الصدمة الثانية** بين أعوام 1980- 1986 إبان اندلاع الثورة الإسلامية في إيران ، والحرب العراقية الإيرانية ؛
**الصدمة الثالثة** منذ عام 1987 والأحداث التي درأت في المنطقة وفي العالم ، ومنها أزمة الخليج في عام 1990 ، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية . والصدمة أكبر أن السوق النفطية تأثرت بشكل مباشر من الأزمة المالية العالمية وقد ظهر ذلك جليًا من خلال هبوط أسعار النفط ، أن سعر البرميل خلال النصف الثاني من عام 2009 يتراوح بين 80- 70 دولار للبرميل.

---

**1** – جان بيرفاقك ، ندوة « **تحديات صناعة النفط و الطاقة ، الإحتياطات الأسعار ، البيئة** » مدرسة المعهد الفرنسي للبترول فرنسا – 2009 .

**- أثر الأزمة المالية على قطاع النفط وصناعة البتروكيميات [1]**

1- أسباب الأزمة المالية ونتائجها وتأثيرات الأزمة على الإقتصاد العالمي ؛
2- الأزمات المالية التي واجهت العالم مثل أزمة الكساد العظيم؛
3- تأثير الأزمة على سوق النفط حيث أن الإقتصاد العالمي أصبح أهم عامل يؤثر على إستهلاك النفط وأن الإستهلاك العالمي على النفط سوف ينخفض؛
4- العوامل المؤثرة على نمو الطلب على النفط وذكرت منها التحول إلى البدائل مثل الطاقة الحيوية كذلك المضاربات السعرية وحركة الإستثمار بدون قيود وكذلك العوامل الجيوسياسية ؛
5- توقعات الطلب على النفط وسعر النفط ؛
6- تأثير الأزمة على البتروكيميات وصادرات البتروكيميات في السعودية .وعن وضع الشركات البتروكيمياوية العالمية بأنها مرتبطة مباشرة بأسعار النفط والنمو الإقتصاد العالمي والدورات البتروكيميات
7- التحديات التي تواجه صناعة البتروكيميات .

**3-الإقتصاد العالمي والطاقة والبيئة :**

بالحديث عن نمو الإقتصاد العالمي وأشار إلى أن معظم السيناريوهات طويلة الأمد، تتوقع أن تتراوح معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي من 2 - 3٪ سنويا على مدى العشرين عاما القادمة ، أما في حالة تجاوز مرحلة الركود الإقتصادي الحالي فمن المتوقع أن تبلغ نسبة النمو 4 - 5٪ .بأن الأزمة المالية العالمية تثير تساؤلات كبيرة بشأن مستقبل أسعار الطاقة .[1]

---

**1-** نوره اليوسف ، محاضرة بعنوان **" أثر الأزمة المالية على قطاع النفط وصناعة البتروكيميات"** كلية إدارة الأعمال – جامعة ملك سعود –المملكة العربية السعودية ، 20 جانفي 2009 .

فإن عدم قدرة الإقتصاد العالمي على التعامل مع إرتفاع أسعار النفط والسلع الإستهلاكية الرئيسية
أثناء الطفرة الإقتصادية التي سبقت الأزمة ، وعدم كفاءة النظام المالي ، بالإضافة لبعض السياسات الإقتصادية الصينية تعتبر من العوامل الرئيسية التي أدت إلى نشوء الأزمة المالية العالمية .بأن أزمة الإئتمان في الولايات المتحدة ساهمت بشكل رئيسي في تعقيد الأزمة المالية .وحول السياسات الإقتصادية الأزمة لمواجهة اللازمة المالية العالمية ، تتمثل في :

- ✓ خفض أسعار الفائدة؛
- ✓ معالجة العجز المالي في إقتصاديات جميع الدول بالإضافة إلى القطاع الخاص؛
- ✓ تعميم عمليات السوق المفتوحة؛
- ✓ تقديم الدعم اللازم لسوق البورصة ( الأسهم – العقارات )؛
- ✓ تعديل سياسات صرف العملات المحلية ؛
- ✓ تعديل القوانين واللوائح المنظمة للتدفقات المالية بين الدول.

إن إرتفاع نسبة العجز والديون العالمية يعد التحديات الرئيسية في الأزمة المالية العالمية بأن مشكلة تعود لعدم وجود توازن إقتصادي عالمي ، وان العبء الرئيسي في مواجهة الأزمة المالية يقع على
الإقتصاديين الأمريكي والصيني .وأن السوق النفطية تأثرت بشكل مباشر من الأزمة المالية العالمية وقد ظهر ذلك جليا من خلال هبوط أسعار النفط وعدم إستقرارها ، وإنخفاض الطلب على النفط وأن السعر البرميل خلال النصف الثاني من عام 2009 سوف يتراوح بين 80 – 70 دولار للبرميل ، ويبن أن الحوار بين المصدرين والمستهلكين له أثار إيجابية على تعافي السوق النفطية

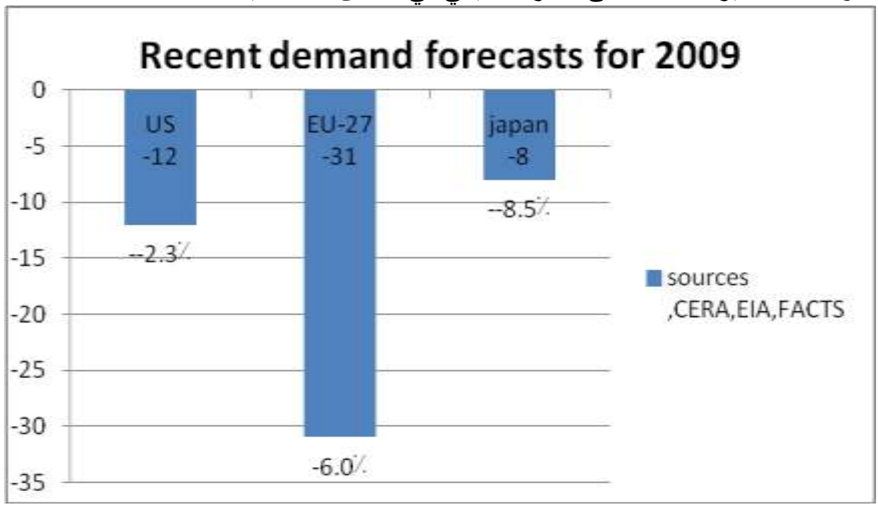
**4- الغاز في أوروبا – التحديات والتطورات :**

إن الإقتصاد العالمي يواجه في عام 2009 أزمة مالية غير مسبوقة ، أدت إلى إنخفاض الناتج المحلي الإجمالي في دول الإتحاد الأوروبي بنسبة 4٪ ، وهبوط الإنتاج الصناعي خلال الربع الثاني من عام 2009 في ألمانيا ( كبرى الإقتصاديات الأوروبية ) بنسبة 8٪ ، وانخفاض أسعار النفط العالمية من 145 إلى 40 دولار للبرميل في غضون 6 أشهر ، بالإضافة إلى تأجيل كثير من مشاريع الطاقة . وإنخفاض الطلب العالمي على الغاز منذ بداية 2009 بنسبة 5٪ ، أي يقدر بحوالي 150 مليار متر مكعب ، في دول

---

**1**– كريستوفر السوف « **الإقتصاد العالمي و الطاقة** » ندوة الحادية الثلاثون ، مدير معهد ، اكسفرد لدراسات الطاقة ، سنة 2009.

الأوروبي واليابان والولايات المتحدة ،[1] وذلك حسب الشكل رقم 03 « التوقعات الأخيرة للطلب على الغاز الطبيعي في البلدان الصناعية ».



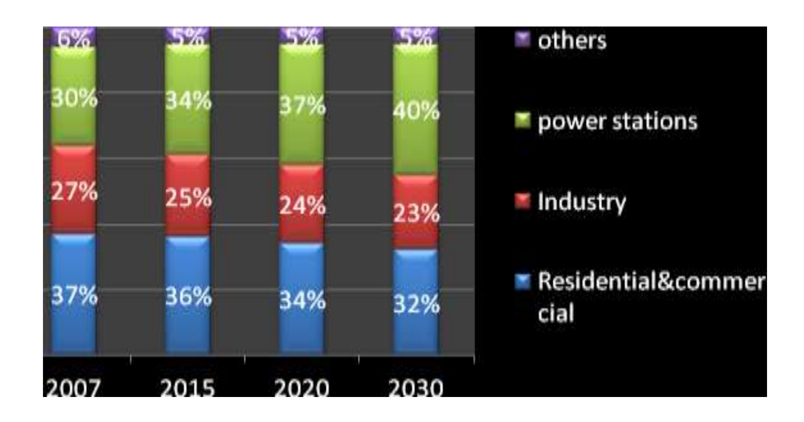

**المصدر د- برنهارد رويترسبرغ – نفس مرجع السابق**

إن صناعة الغاز في أوروبا تواجه أربع تحديات رئيسية هي :
- الطلب المتزايد على الغاز ؛
- أمن الإمدادات؛
- المنافسة المفتوحة بين مصدري الغاز ؛
- الاستدامة.

توقع الإرتفاع حصة قطاع توليد الكهرباء في الطلب على الغاز في أوروبا من 30٪ في عام 2007 إلى 40٪ في عام 2030 ، مقابل القطاعين الصناعي والمنزلي ، وذلك يبين الشكل **رقم 04« نمو الطلب على الغاز في بلدان الإتحاد الأوروبي الى 27 حسب القطاعات »**

---

**1** – دبرنهارد روتيرمبرع « **الغاز في أوروبا** » رئيس مجلس إدارة شركة ، إي ، اون رور غاز إي حلي ، ألمانيا سبتمبر 2009 .




**المصدر: د برنهارد رويترسبرغ – نفس المرجع السابق**

حيث بأنه على المدى المتوسط فإن الإمدادات تبدو أمنة ، ولكن المخاوف تبدو بشأن الإمدادات على المدى الطويل ، وذلك بسبب سياسات مواجهة ظاهرة التغير المناخي والتحول نحو الطاقات المتجددة .

**أولا: إتجاهات الطاقة تعكس الإتجاهات الإقتصادية :**

في إعقاب تفكك الإتحاد السوفيتي ، عاشت بلدان أوروبا وآسيا الوسطى ست سنوات من التراجع الإقتصادي الكبير ، أعقبه إنتعاش إقتصادي نشط ، مما ساعد المنطقة على أن تصبح واحدة من أكثر مناطق العالم حيوية من الناحية الإقتصادية ، وإنعكس الأداء الإقتصادي على قطاع الطاقة بالمنطقة وصاحب التراجع الأولى في النشاط الاقتصادي إنخفاض حاد في أنتاج وإستهلاك الطاقة .ولكن مع تعافي الأوضاع الإقتصادية في المنطقة ، زاد كل من الإنتاج والإستهلاك ومع هذا تخلف الإستثمارات خاصة في صيانة وتحديث أصول ومرافق الطاقة ، مما جلب مع شبح أزمة الطاقة.

الجدير بالذكر أن هذه المنطقة كانت الأكثر تضررا من جراء الأزمة المالية العالمية التي بدأت عام 2008 مما أدى إلى كبح الطلب على الطاقة بدرجة كبيرة وإنتاج ذلك متنفسا إلا أن هذا كان مجرد مهلة مؤقتة فبل أن تصبح مدى توفر الطاقة مصدر خطيرا للقلق مرة أخرى ، وبمجرد أن

ستعيب النمو عافيته ستأخذ معدلات إستهلاك الطاقة في الإرتفاع مرة الأخرى.

**ثانيا: حاجة الإستثمار لدرء الأزمة :**

وفق التقرير البنك الدولي ، فإنه إن أريد الإبقاء على مستويات الإنتاج الحالية أو زيادتها لتلبية إحتياجات أوروبا من الطاقة من الضروري القيام بالإستثمارات كبيرة وتشير التقديرات إلى أن الإحتياجات المتوقعة لتطوير مصادر الطاقة الأولية ستكون في حدود 1.3 تريليون دولار في الفترة 2010-2030 وذلك لضمان توفير النفط والغاز والفحم بالإضافة إلى ذلك ، فإن البنية الأساسية للطاقة الكهربائية في المنطقة في حاجة ماسة التحديث ولم تشهد قدرات لتوليد الكهربائية زيادة تذكر منذ أوائل التسعينات من القرن الماضي في الوقت الذي تتقادم فيه المحطات وتقدر إلى خمسة العشرين عاما القادمة بحوالي 1.5 تريليون دولار مع الحاجة إلى 500 مليار أخرى مطلوبة للتدفئة الإحياء السكنية وضاف تومسون " أن تدهور قدرات التوليد الكهربائية لم يتحول هي إلى أزمة تامة بسبب تراجع الطلب خلال التسعينات ولنقص الحالي في الطلب الناجم عن الأزمة المالية ".

**5-صندوق أوبك للتنمية وفقر الطاقة (1)**

إن التحديات التي تواجه البلدان الفقيرة والأشد فقرا في مسألة التغلب على فقر الطاقة تتمثل في :

**1-** التكلفة المرتفعة : حيث تحتاج قارة إفريقيا لإستثمار حوالي 35 مليار دولار سنويا ، على المدى المتوسط من أجل نقل التكنولوجيا الموارد البشرية ؛

**2-** السياسات : من حيث سوء التخطيط ، والإفتقار إلى الشفافية ، وضعف منظمات المجتمع المدني المعنية بالبيئة والطاقة ، وعدم كفاءة الأطر التنظيمية لتفعيل التعاون الإقليمي ؛

**3-** الفقر : من حيث تدني مستوى نصيب الفرد من الدخل القومي ، مما يضعف من قدرته على المساهمة في تفعيل الدورة الإقتصادية .

---

**1** – سليمان الحريش ، **«صندوق اوبك للتنمية»** ، مدير عام صندوق اوبك للتنمية ندوة الحادية و الثلاثون للطاقة ، جامعة اكسفرود ، 2009 .

للتخلص من فقر الطاقة بأنها تكمن في تنويع مصادر الطاقة المتجددة والتركيز على تفعيل المشاريع الإقليمية المشتركة منخفضة التكاليف في مجال الطاقة ، ودعم مرافق الطاقة القائمة .بالإضافة إلى تشجيع الحكومات على تطوير قوانينها وتشريعاتها ، لتشجيع القطاع الخاص الإستثمار في مشاريع الطاقة .ورؤية صندوق أوبك للتنمية بشأن التخلص من فقر الطاقة ، أنها تتمثل في دعم مبادرة خادم الشريفين ( الطاقة للفقراء) بالإضافة إلى تشجيع ودعم المبادرات الرامية إلى التخفيف من حده الفقر .

**6-مستوى الموارد النفطية في العالم :**

إن التمعن في الإحصائيات المتعلقة بالموارد والإحتياطيات النفطية يبين لنا بشئ من الدقة بأنه منذ دخول النفط في النفط العالمي الإستهلاك الطاقة إلى غاية نهاية القرن العشرين ، يكون العالم قد إستهلك حوالي 50٪ من الموارد النفطية المتاحة .وحسب تقديرات الخبراء فإن الإحتياطيات النفطية المتبقية في العالم بتاريخ 2005 ، التي تبلغ حوالي 1278 مليار برميل ، تكفي لحوالي 42 سنة حسب وتيرة الإستهلاك العالمي الراهنة ( 85 مليون برميل يوميا ) ، إما الموارد النفطية فهي قد تكفي لحوالي 90 أو 100 سنة قادمة .وتعبر كلا الفترتين قصيرة بالتأكيد بالنسبة لتاريخ الأمم والمجتمعات ، مما يجعل الموضوع مثيرا للقلق ويدعو إلى التساؤل حول ما إذا كانت مثل هذه الفترة تكفي جهود البحث العلمي الإيجاد بدائل للنفط ؛ وبالتالي تجنيب العالم التعرض الأزمة طاقوية قد تكون خطيرة ووخيمة العواقب ؟ يبدو أنه ليس هناك في الأمد المنظور ما يدعو للتفاؤل بقدرة البحث العلمي على إيجاد بديل منافس للنفط.وهو في تقديرنا العامل الحاسم في تفسير إحتدام المنافسة فيما بين المستهلكين الكبار من أجل تأمين إمداداتهم في المستقبل ، وبالتالي هو السبب الحاسم كذلك الذي يدفع باسعار النفط نحو الإرتفاع خلال سنوات والعقود القادمة .أي ميل الموارد النفطية نحو النضوب هو سبب ميل الأسعار نحو الإرتفاع .بهذا الصدد ، يقول المدير الحالي للدراسات بالمنظمة الدولية للطاقة : **إن مستوي الإنتاج في البلدان غير الإغضاء في أوبك سوف يأخذ في التناقص بعد 2010 ؛ وان القيام باستثمارات كافية ، وإستقرار الأسعار عند مستويات مشجعة ومعقولة ، وحدهما الكفيلان بالمحافظة على مستوى الإنتاج العالمي**

**مستقرا لبعض الوقت . ذلك قبل أن يأخذ في الأفول. بالمقابل فإن كون الأسعار والإستثمارات دون**
**المستوى المطلوب سوف تعجل من الأفول الحاد في الإنتاج خارج أوبك ، مما يزيد من درجة التبعية إلى بلدان منطقة الشرق الأوسط "[1]**

بهذا الصدد ، تجدر الإشارة إلى أن تبعية الولايات المتحدة الأمريكية لنفط الشرق الأوسط في عام 2005 هي في حدود 20٪ ، إي حوالي 2.35 مليون برميل يوميا .أما تبعية أوروبا له فهي 25.5٪ وكلاهما مرشحة للزيادة الكبيرة في المستقبل المنظور.وهو في تقديرنا ما يفسر الإهتمام البالغ والمتزايد الذي توليه هاتان القوتان الإقتصاديتان الكبيرتان وغيرهما لمنطقة الشرق الأوسط بل ولغيرها من المناطق النفطية الأخرى في العالم .فالولايات المتحدة الأمريكية التي تقوم سياستها الطاقوية على أساس التوليف بين ثلاث مقارنات ( الإستمرار في الإعتماد على المحروقات ، إيجاد طاقات بديلة للنفط ، تحقيق أكبر قدر من الوفورات في إستهلاك الطاقة ) تفضل المقارنة الأولى مع اللجوء إلى جيوسياسة إمبريالية لتأمين إمداداتها النفطية في المنبع **(2)**

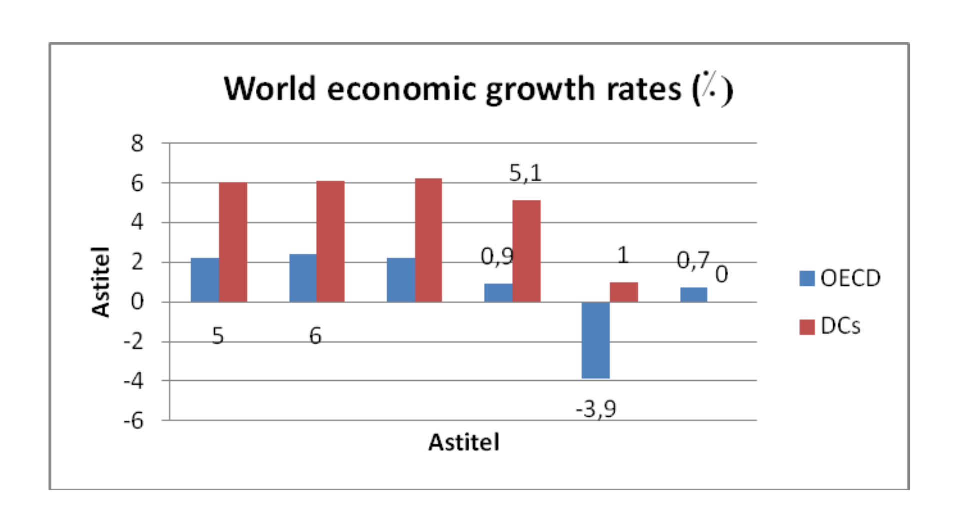
**7-تحديات سوق النفط وسياسة أوبك**

حيث يمر الإقتصاد العالمي بحالة من الركود الشديد ، أدت إلى إنخفاض النمو في دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ، بنسبة تتراوح بين 2.9 – 5.2 ٪ وفي البلدان النامية بنسبة 11٪ ، رغم ذلك وجود بعض المؤشرات الجيدة حول تحسن في إقتصادات بعض الدول الكبرى هذا التحسن قد يكون المدخل لإنعاش الإقتصاد العالمي حيث قدرت حجم الخسائر نتيجة الأزمة المالية على المدى المتوسط بحوالي 4.1 تريليون دولار .وذلك كما يوضح الشكل **رقم05 « معدل النمو الإقتصادي العالمي ( 2005-2009) »**

---

**1** – le monde du 13 septembre 2005.

**2** – le projet de loi d’orientation sur les énergies du française, in supplément économique, le monde du 17 février 2004.




**المصدر: حسن قبازرة ، «تحديات سوق النفط» ، مدير دائرة الأبحاث ، اوابك ، فيينا ، النمسا.**

وعن العوامل الرئيسية التي أثرت حركة أسعار النفط خلال عام 2008 هبوط قيمة الدولار والإنكماش السريع في الإقتصاد العالمي وهبوط سوق الأسهم أدى إلى إنخفاض حاد في الطلب على النفط ، وفائض في الإمدادات ، وأضاف بأن عام 2009 شهد تفاؤلا بشأن إنتعاش الإقتصاد العالمي وفي ظل تحسن أسواق المال العالمية وسعر الدولار ،ولإرتفاع التدريجي في التدفقات المالية إلى السلع الأولية وتقليل الفائض من الإمدادات .هناك علاقة وثيقة بين تقلبات أسعار النفط والأسواق المالية وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية كبرى الدول المستهلكة للنفط .

إن تباطؤ الإقتصاد العالمي قد أثر على الطلب على النفط بصورة كبيرة ، حيث أدى إنخفاض النمو الإقتصادي العالمي بنسبة 1.4٪ في عام 2009 ، إلى إنخفاض الطلب العالمي على النفط بمقدار 2.5 مليون برميل يوميا خلال نفس الفترة وان الطلب العالمي على النفط شهد خلال عامي 2008-2009 إنخفاضا للمرة الأولى منذ عقد الثمانينات من القرن الماضي.

إن أمن الطاقة مسؤولية مشتركة بين الدول المصدرة والمستهلكة ، وإن السوق النفطية أصبح بحاجة ماسة إلى حوار متعمق بين جميع الأطراف ، للتوصل إلى رؤية مشتركة حول التحديات التي تواجه الصناعة النفطية بصورة عامة ، والسوق النفطية بشكل خاص .

**8- مستقبل سوق النفط :**

رغم تأثير الأزمة المالية على جانب الطلب والعرض فإن سوق النفط بطبيعته يعيش على أزمات متباينة ومتجددة ، يلعب المضاربون الدور الأكبر فيها خاصة من خلال عقود المشتقات وبتضاؤل دور المنتجين قياسا بدور المضاربين الذين لم يتوقف عملهم حتى في ظل الأزمة المالية العالمية وإذا كان الإقتصاد العالمي تأتيه بين العتبة والأخرى تبعات الأزمة المالية وأخرها ما وصل إليه حال الإقتصاد في اليونان وما تعرضت له صناعة السيارات .إلاإن الأفق يحمل نهاية لهذا الأزمة وإذ بدا ذلك خلال ما لا يقل عن عامين لتعافي الإقتصاد العالمي ، وهو ما يبرز إن تأثير الأزمة على سوق النفط سوف يعود إلى سابق عهده قبل الأزمة وإن كان بنسبة نمو أقل.

ومع ذلك يبقي سوق النفط ألعوبة في أيدي المضاربين الذين يتحركون بالسعر صعودا وهبوطا لتحقيق إرباح على حساب المنتجين ، كما يبقي عرضة لسياسات الدول الغربية في التحكم في سعره تحت أسم أمن الطاقة وحماية البيئة ومحاربة التغير المناخي .

**الإستهلاك عام 2011 وتوقعات المستقبل (1)**

يستهلك العالم 85 مليون برميل نفط يوميا ، تستهلك منها الولايات المتحدة وحدها نحو 21 ٪.أي أن 4٪ من سكان العالم يستهلكون نحو 25٪ من الإنتاج العالمي للبترول.ويستهلك حركة المرور والموصلات في الولايات المتحدة النصيب الأكبر من تلك الكمية . وتستلك الصناعة والتجارة والإستهلاك المنزلي 30٪ منها.

وطبقا الإحصائيات هيئة العالمية أن الإنتاج البترول العالمي قد وصل ذروته خلال الأعوام بين2008 و2011 إنه سوف يقل تدريجيا في المستقبل طبقا لنظرية " هوبرت" فيختلف الإنتاج للبترول في العالم يشكل كبير عن متدل الإنتاج .وتقول الإحصائية أن إحتياج العالم للبترول عام 2020 سيكون 100 مليون برميل في اليوم بينما لن يزيد الإنتاج عن نحو 60 مليون برميل سنويا .فمن المنتظر أن يرتفع سعر البترول مستقبلا كما نتنبأ إحصائيات أن إنتاج البترول سيظل ينخفض حتى يصبح الإنتاج العالمي نحو 44 مليون برميل يوميا في حين أن الإستهلاك سوف يزيد إلى نحو 115 مليون برميل يوميا .

---

1 – San Antoni: Texas: Shell Développement company, pp 22, 27, retrieved, 18/01/2008.

**تقرير الوكالة الدولية للطاقة :**

الوكالة الطاقة الدولية تتوقع إنخفاض الطلب العالمي على النفط بسبب الأزمة المالية وكادت الطاقة الدولية للشهر الثالث على التوالي النظر في توقعاتها ، مما دل على تراجع الطلب العالمي على النفط العامين 2011 و2012 بسبب الأزمة ، وذلك في تقريرها الشهري [1].

وقالت الوكالة في هذا التقرير " بسبب الغموض الإقتصادي المتواصل وأسعار النفط التي تبقي مرتفعة " إعتبرت الوكالة أن الإستهلاك النفطي سيكون أدنى بواقع 70 ألف برميل في اليوم مقارنة بالتوقعات السابقة لعام 2011 ، وأدنى بواقع 20 ألف برميل في اليوم مماهو متوقع للعام المقبل وبالتالي فإن الطلب سيبلغ 89.2 مليون برميل في اليوم 2011 ( + 1٪ مقارنة ب 2010 ) و90.5 مليون برميل في اليوم المقبل ( +1.5٪ مقارنة ب2011) أن الطلب هذا العام تأثر بطلب أقل مماهو متوقع في الفصل الثالث في الولايات المتحدة الأمريكية والصين واليابان وهو ما لم يتم تعويضه إلا جزئيا بإستهلاك أكبر في كوريا الجنوبية والهند والبرازيل والطلب مستقر في أوروبا وسيرفع في اليابان والأشهر المقبلة .تتوقع الوكالة الإستهلاك مماهو متوقع هذا العام بشكل طفيف في الدول الغنية والأعضاء في منظمة التعاون والتنمية الإقتصادية التي تشكل وكالة ذراعها في مجال الطاقة .لكن أكثر بقليل مماهو متوقع العام المقبل وسيكون إستهلاك الدول الأعضاء في منظمة التعاون والتنمية الإقتصادية أعلى بقليل مماهو متوقع هذه السنة والسنة المقبلة ، بفضل الهند وأمريكا الاتنية اللتين عوضتا للتو حركة طلب أقل مماهو متوقع في الصين ومن جهتها ، أبقت منظمة للدول المصدرة للنفط "أوبك" على توقعاتها لجهة الطلب على النفط الخام لعامي 2011 و2012 من دون تغير مشددة على أن الصعوبات الإقتصادية في أوروبا أمريكا الشمالية تزيد الغموض ، بحسب التقرير الشهري للمنظمة.

ومنظمة أوبك التي تضح نحو 40٪ من النفط الخام العالمي ، وتبقي توقعاتها على الطلب الخام لعام 2011 عن 87.81 مليون برميل في اليوم ، إي 0.88 مليون برميل في اليوم أكثر من 2010 ، وبالنسبة إلى 2012 تراهن أوبك مع ذلك على الطلب يبلغ 89.01 مليون برميل في اليوم ، وهو لم يتغير منذ تقريرها الأخير.

---

1 – Copyright: 1978 – 2012 © HH Sandi Research and Marketing LTD.HLL Rights Reserved.

وبحسب الوكالة الطاقة الدولية فإن العرض العالمي من النفط إرتفع بواقع مليون برميل في اليوم في أكتوبر ، خصوصا بفضل لدول غير الأعضاء في أوبك والإنتاج الأتي الدول الأعضاء يزداد بشكل طفيف بفضل ليبيا والمملكة العربية السعودية وانغولا التي تعرض جزئيا تراجعا في الإنتاج لدى الدول الأعضاء الأخرى .هناك عدة توقعات من طرف الوكالة الدولية للطاقة هي كمايلي :

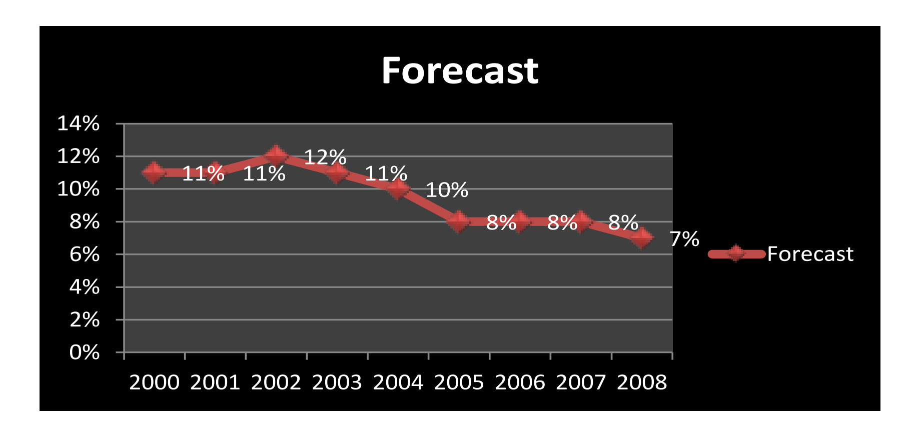
- ❖ للطلب العالمي على النفط مع إستمرار تهديدات منذ منتصف 2010 في منطقة اليورو والقيود على ائتمان القطاع الخاص ؛
- ❖ خفضت الوكالة توقعها لنمو الطلب العالمي على النفط 2012 بواقع 220 ألف برميل يوميا كما ذكرته في تقريرها السابق إلى 1.1 مليون برميل يوميا؛
- ❖ أن المراجعات المتوقعة بالخفض التوقعات الناتج المحلى الإجمالي العالمي تسير تخفيضات في تقديرات إستهلاك النفط وأضافت أن خفضا نسبة الثلث في معدل النمو الناتج المحلى الإجمالي سيسفر عن إستمرار إستهلاك النفط هذا العام عند نفس مستوياته في 2011؛
- ❖ أن السيناريو البديل ستتند إلى إحتمال حقيق بأن تظل الإضطرابات المالية والإقتصادية في أوروبا في حين دخلت العديد من الدول بالفعل في بدايات مرحلة ركود دون حل مما أسفر عن تباطؤ مخلوط في النمو بمناطق أخرى؛
- ❖ أسهم إعتدال إلى الطقس والمخاوف الأوروبية وإرتفاع أسعار النفط كذلك في خفض الطلب في الربع الأخير من 2011 بمقدار 300 ألف برميل إلى 89.5 مليون برميل يوميا ودفع الطلب مرة أخرى في إتجاه هابط بوضوح على أساس سنوي الأول مرة منذ أزمة الإئتمان العالمية؛
- ❖ وأبقت التوترات مع إيران بشأن برنامجها النووي إلى جانب المخاوف المتعلقة بالإمدادات من نيجيريا والعراق والأسعار فوق مستوي مئة دولار للبرميل ؛
- ❖ خدرت إيران جيرانها من دول الخليج من رفع الإنتاج التعويض صادراتها التي قد تفقدها بسبب العقوبات الدولية التي تواجهها ، كما هددت بإغلاق مضيق هرمز الذي يمركيزه خمس إنتاج النفط العالمي ؛

❖ من المرجع حرمان شركات التكرير في دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية من جزء من صادرات إيران النفطية التي تبلغ 2.5 مليون برميل يوميا خلال النصف الثاني من 2012.

**الأزمة المالية العالمية وإنعكاساتها على الإقتصاد المملكة العربية السعودية (1)**

إن المشروعات النفطية تمثل حوالي 91٪ من إجمالي المشروعات في المملكة العربية السعودية. ولفت إلى التأثير المباشر لأسعار النفط على الناتج المحلي الإجمالي في السعودية .بأن التأثير متفاوت بين القطاعات ، فقد تأثرت قطاعات البيع بالتجزئة والتأمين والقطاع المالي ، والطاقة المرافق الخدمية والإستثمارات الصناعية ،وبالأزمة بصورة رئيسية فيما تأثرت قطاعات أخرى بصورة أقل كالإتصالات والعقارات والبتر وكيماويات .وان إنخفاض إجمالي الواردات السعودية من 6.1 مليار سعودي في عام 2008 إلى حوالي 122.2 مليار سعودي في عام 2009 .وان التضخم في المملكة العربية السعودية بلغ ذروته في عقد الإلفينيات خلال عام 2008 بنسبة 6.2٪ ثم إنخفض خلال منتصف عام 2009 إلى حوالي 5.5٪ ، التي ترتبط بشكل أساسي بأسعار النفط صعودًا وهبوطًا.أن الأزمة المالية تسبب في إنخفاض مساهمة القطاع المالي في الناتج المحلي السعودي وذلك:

**حسب الشكل رقم 06 « مساهمة القطاع المالي في الناتج المحلي الإجمالي »**




**المصدر: إحسان علي بوحليفة « الأزمة المالية العالمية الإقتصادية » رئيس مركز جواتا الاستشاري لتطوير الأعمال ، مدير مؤسسة الوطن الإستثمارات و الأوراق المالية – الرياض – م ، ع ، س ، 2009.**

---

**1** – إحسان علي بوحليفة ، مرجع سابق.

هناك تفاؤله بقدرة الإقتصاد السعودي على تجاوز الآثار السلبية الأزمة المالية العالمية ، بأن المملكة تمتلك فرصا واعدة كي تصبح جاذبة الإستثمارات في منطقة الشرق الأوسط وذلك نظرا لما تتميز به من موقعا الجغرافي الهام ، ومتانة قطاعها المالي ، وقوانينها المشجعة للمستثمر الأجنبي .

**بعض الحقائق المؤلمة**

هناك حقائق كثيرة تؤكد ضرورة أن يتوجه إهتماما أولا إلى قضايا أمن إمدادات الطاقة ، وعلى الرغم من أنها مؤلمة ، إلا أننا يجب أن نعترف بها حتى نتمكن من تفادي الكارثة أهمها [1] :

**الحقيقة الأولى :** سيكون العالم قبل إنتهاء عصر النفط أكثر إعتمادًا على النفط من أي وقت مضى وبالتحديد سيكون أكثر إعتمادًا على نفط منطقة الشرق الأوسط المضطربة .حيث يتوقع المحللون أن يرتفع الطلب العالمي إلى 99 مليون ب/ي بحلول 2015 والى 116 مليون ب/ي عام 2030 . وفي الحقيقة سيرتفع أكثر من المتوقع ، ففي عام 2007 بلغ الطلب 81 مليون ب/ي ، ولو عدنا إلى توقعات المحللين في التسعينات من القرن المنصرم لرأينا انه كان من المتوقع أن يصل عام 2005 إلى 65 مليون ب/ي فقط.وهذا يدعو إلى ضرورة تغيير المسار في سياسات الطاقة .

**الحقيقة الثانية:** يوجد صراع بين الحاجات المتنامية إلى الطاقة لدى الدول النامية هواجس البلدان الصناعية بشأن تغير المناخ.فجميع البلدان النامية ، بما قيها الصين والهند تعتبر أن مسؤولية تغير المناخ تعود على الدول الصناعية فقط ، بسبب سلوكها الإستهلاكي للطاقة ليصل إلى كميات مرعبة لتلبية متطلبات النمو السريع الذي تشهده ، وتخطط حاليا لبناء 560 محطة طاقة تعمل على الفحم بحلول عام 2012. ونفس الأمر بالنسبة للهند ، مما تشير إلى أن ميزان العرض والطلب في أسواق النفط العالمية ستبقي تعاني من أوضاع حرجة في ميزان العرض والطلب.

**الحقيقة الثالثة :** التوازن بين العرض والطلب في أسواق النفط غير مستقر ، لدرجة أن حدوث صدمة في أية لحظة سترفع الأسعار إلى مستويات عالية جدا .والسبب هو عدم وجود طاقة إنتاج إحتياطية كالتي كانت متوفرة في الثمانينات .حتى المخزون الإستراتيجي الذي تستخدمه أمريكا أصبح يشكل أزمة .لأن أي إنخفاض في قيمته يعطي إشارة لأسواق فتتغير الأسعار، ولا يستطيع المنتجون تعديلها من خلال التحكم بكمية الإمدادات.وسيكون الوضع أكثر خطورة لو تمكن الإرهابيون من شن هجمات على منشات النفط في المملكة العربية السعودية ، أو غيرها.كذلك لو تعرضت إيران لهجوم أدى إلى إغلاق مضيق هرمز .

---

**1** – مجلة « **النفط و التعاون العربي** » مجلد الخامس و الثلاثون، الكويت، العدد 131، خريف 2009 صفحة 292، 293.

**الحقيقة الرابعة :** عجز الحكومات عن إتخاذ القرارات الحاسمة حول تحديد الإستثمارات الضخمة بعيدة المدة في البنية التحتية التي عليها أن تدعمها ، وغالبا ما تخفي هذه الحكومات ضعفها وتقصيرها بحجة القيام بمراجعات ، أو الحديث عن دراسة خيارات أخرى .ويعود السبب في ذلك إلى ضخامة تكاليف مشاريع الطاقة.

**الحقيقة الخامسة :** تواجه أوروبا خطورة بالغة نتيجة تنامي إعتمادها على نظام متشابك من خطوط الأنابيب التي تضخ النفط والغاز في أنحاء متفرقة من العالم وقد أحست بهذه الخطورة عندما قطعت روسيا الغاز عن أوكرانيا في 2 يناير / كانون الثاني 2006 .فضلا عن أن هذه الشبكة تعتبر هدفا مكشوفا لعمليات تخريبية.

**الرهانات الإستراتيجية المستقبلية**

في الوقت الراهن ،يبدوأن الولايات المتحدة الأمريكية ، بإعتبارها القوة العظمى الأوحد في العالم لم تعد راضية بوضعها القانوني كما هو الآن .وإلا فكيف يمكن تفسير تجاهلها لرفض أعضاء دائمين لشنها الحرب على العراق ورغبتها في إخضاع الأسرة الدولية بكاملها لإرادتها .ينبغي أن نتساءل كذلك عن الأسباب الحقيقية ، خاصة الخلفية الإقتصادية ، لغزوها للعراق من قبل ، ومحاولتها زعزعة النظام فنزويلا ، وتزايد إهتمامها بأفريقيا الغربية ؛ من أجل تأمين العالم من تهديدات أم أن الخلفية الإقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية لشن الحرب هي مراقبة منابع النفط في منطقة الشرق الأوسط؟ في حالة الإيجاب ، فإنه ينبغي أن نتسائل عن الأهداف الإقتصادية والجيوسياسية للولايات المتحدة الأمريكية من الحرب ، هل هي السيطرة على منابع النفط في منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى ، ومن ثم ربح الرهانات خلال القرن الحادي والعشرين بإعتباره قرن الطاقة النفطية ؟ [1] قبل شن الحرب على العراق كانت الشركات النفطية الأمريكية تسيطر على حوالي 62% من نفط العراق ، في حين أن تبعيتها لنفط منطقة الشرق الأوسط لا تتجاوز 20%. كما كانت حصة الولايات المتحدة الأمريكية من سوق الشرق الأوسط للسلع والخدمات تبلغ تقريبا 15% ، وهي أكبر حصة على الإطلاق مقارنة بحصص الدول الكبرى الأخرى. وعليه ألم يكن بإمكان الولايات المتحدة تحقيق تأمين الإمدادات النفطية وتعزيز تواجدها الإقتصادي والسياسي دون اللجوء للقوة العسكرية ، أي سعيا للمراقبة المباشرة لمنابع النفط ، أم أنها تريد

---

**1** – Paul Sindic, Le pétrole arme de domination, pour un fonds international de l’énergie, Le Monde diplomatique, décembre.1990, p.26.

أن تضمن كذلك تغلغل شركاتها النفطية في مناطق التحكم في كل من مستوى الإنتاج والأسعار وتوظيفهما
من أجل تحقيق مصالح حيوية كثيرة ، وذلك على حساب القوى الإقتصادية الكبرى الأحرى في العالم .إذا كانت هذه هي مساعي الولايات المتحدة الأمريكية ، فماهي ياترى مواقف وإستراتيجيات الرد لدى القوى الإقتصادية الأحرى مثل الصين والهند وروسيا والإتحاد الأوروبي وغيرها.
حسب تقديرات الخبراء ، سوف يزداد الإستهلاك العالمي من النفط بمعدل لا يقل عن 2% سنويا خلال الفترة 2000- 2020 ، ليبلغ بذلك حوالي 111 مليون برميل يوميا بحلول عام 2020 [(1)] . بما أن الإقتصاديات الكبرى والصاعدة هي المعنية الأكثر بهذه الزيادة ، فإن تبعيتها المرتفعة في الوقت الراهن للنفط المستورد وهو ما يبينه الجدول **رقم 02 " نسبة التبعية إلى الواردات النفطية "**

| **البلد** | **الصين** | **الهند** | **الولايات المتحدة الامريكية** | **الاتحاد الاوروبي** | **اليابان** |
|---|---|---|---|---|---|
| **النسبة** | % 45 | % 77 | % 60 | % 55 | % 99 |

**Source : le Monde du 6 avril 2005.**

إن درجة تبعية هذه البلدان وغيرها سوف تستمر في الزيادة مثلما حصل خلال الفترة السابقة . فبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، بإعتبارها المستهلك الأكبر للنفط والغاز في العالم ، والتي كانت تبعيتها في عام 1985 في حدود 22% ، سوف تبلغ عند منتصف العشرينات حوالي 70% .بينما الصين التي كانت حتى غاية 1993 تكتفي ذاتيا فهي الآن تابعة للنفط المستورد بما لا يقل عن 45% ، وسوف تزداد هذه التبعية لتبلغ مع نهاية الثلاثينات حوالي 80% .نفس التطور سوف تعرفه الهند والإتحاد الأوروبي وغيرها من القوى الإقتصادية الصاعدة .كل هذه التطورات تتم في سياق عالمي يتميز بنضوب مرتقب لبعض أهم منابع النفط خارج منظمة أوبك .من بينها نفط بحر الشمال والمكسيك ، وفي مرحلة لاحقة احتياجات كندا .بصفة عامة ، هناك 48 بلدا منتجا للنفط في العالم ، منها 33 بلدا يعرف فيها مستوى الموارد النفطية أفولا [(2)] في خضم هذه التطورات ، فإن منابع النفط التي يعول عليها – على الأقل في الأمد المنظور – هي بالدرجة الأولى منطقة الشرق الأوسط ، وتأتي بعدها مباشرة أفريقيا الغربية ، فمناطق أخرى ، مثل

**1 –** P.A.Delhommais, La croissance de l’énergie augmentera moins vite que la croissance mondiale dans les prochaines décennies, supplément économique, le Monde du 5 juillet 2005.
**2 –** Ph. Chalmin, le pétrole de choc en choc, supplément de l’économie, le monde du 27/11/2007.

روسيا وبحر قزوين وشمال أفريقيا .إن النقطة الجديرة بالإهتمام هنا ، هي أن روسيا كبلد نفطي كبير للمحروقات ، يسعى منذ عام 2004 إلى إستعادة سيطرته على قطاع المحروقات ، في هذا السياق المحفوف بالمخاطر والتخوفات ، تسعى مختلف القوى الكبرى والقوى الصاعدة لتأمن إمداداتها النفطية المستقبلية ، وذلك من خلال دعم شركاتها النفطية الوطنية بالفوز بعقود إمتيازات في أكبر عدد ممكن من البلدان النفطية [1] . بعبارة واحدة ، إنها المنافسة والصراع ليس فقط من أجل تأمين الإمدادات النفطية والغازية المستقبلية ، بل وربح رهانات إستراتيجية مستقبلية عدة ؛ المنافسة والصراع اللذان يتخذان أشكالا عديدة ، أهمها:

- إستخدام مختلف الوسائل من قبل القوى الإقتصادية الكبرى من أجل الوصول إلى أكبر عدد ممكن من منابع النفط في العالم ؛
- إن الشكل الثاني للمنافسة يتعلق بمستوى الربح الذي تتقيد به الشركات النفطية الكبرى في العالم ، فالشركات النفطية للبلدان الرأسمالية المتقدمة مقيدة بسقف 20% ، وهو النسبة التي يتشبث بها المساهمون الكبار ، وذلك على غرار ماهو جار العمل به في المؤسسات الإقتصادية الأخرى .إن مثل هذا الهامش العالمي للربح من شأنه أن يضعف قدرتها التنافسية مقارنة بالشركات النفطية لبلدان صاعدة مثل الصين والهند والبرازيل؛
- أما المستوى الثالث للمنافسة فيتعلق بالمخاطر المتعلقة بحياة العاملين في الشركات وهي تمارس أنشطتها المختلفة.فالشركات الغربية ليست مستعدة لتحمل المخاطر بالقدر الذي تقبل به مثيلاتها التابعة للبلدان الصاعدة وهذا ما ينطبق على حالة السودان ونيجيريا في الوقت الراهن ؛
- التفاهم والتقارب ، إن لم نقل التحالفات الإستراتيجية ، فيما بين بعض المنتجين والمستهلكين الكبار : فعلى سبيل المثال ، هناك العلاقات الوطيدة ما بين البلدان النفطية الخليجية والبلدان الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، هذا من جهة ؛ ومن جهة

---

**1** – A.Reverchon, les compagnies du sud sont de plus en plus actives dans le grand jeu pétrolier, supplément économique, le Monde du 28 juin 2005.

أخرى هناك توطيد للعلاقات في مجال المحروقات ما بين المملكة العربية السعودية والصين خلال الفترة الأخيرة . ناهيك عن التعاون الإستراتيجي فيما بين الصين وكل من إيران وروسيا .بصدد هذا المستوى الأخير للدخول إلى سوق الإتحاد الإوروبي لتوزيع المشتقات النفطية والغاز ، خاصة وأن هذا الأخير في تبعية كبيرة الأولى (25% من احتياجات الإتحاد يتم سدها من قبل روسيا ) ؛ وهي

تنوي تغيير الوجهة إلى السوق الآسوية في حالة ما إذا إعترضت سبيلها صعوبات أو عراقيل ، وهي بذلك تمارس نوعا من الضغوط على عملائها الأوروبيين .

هذه بعض أهم أشكال المنافسة والصراعات فيما بين المنتجين والمستهلكين الكبار حول منابغ المحروقات في العالم بهدف تأمين الإمدادات المستقبلية . بكل تأكيد أنها سوف تعرف أشكالا وتطورات أخرى في المستقبل وعليها تتوقف الرهانات الإستراتيجية المستقبلية مع هذه الازمة العالمية.

**هل يكون هنالك نفط سنة 2050 ؟**

معدل إنخفاض إحتياطي البترول في البلاد المتخلفة إبتداء من عام 2004 على أساس إنتاج عالم 80 مليون برميل يوميا ،المنحنيات الملونة تتبع ترتيب الدول ، وتأتي الولايات المتحدة الامريكية في المركز 11 ( من اعلى الى اسفلي) بالنسبة الى إنتاجها من النفط .

وتيرة الإستهلاك الحالي والتي تقدر ب 3.5 مليار طن سنويا تعمل على نضوب معظم الأبار النفطية في العالم ما عدا الدول العربية حيث من المتوقع أن تنتج البترول كما في حالة الكويت حتى عام 2100 ولكن من الواقع أيضا أن نضوب النفط في بلاد كثيرة مثل الولايات المتحدة واسكتلندا والنرويج خلال العشرين أو الثلثين سنة القادمة ، ستزيد صراع الدول الصناعية على إستقراضها بترول الشرق الأوسط وسيعمل هذا الصراع على إرتفاع أسعار البترول مما يعود على المنتجين بالخير إلا أن الصراع قد يؤدي في نفس الوقت الى القلقلة السياسية والإجتماعية في تلك البلدان بسب التدخل الأجنبي .

إنها حقا لخسارة كبيرة للناس أن يستهلك الانسان ما تولد في الارض غير مئات ملايين السنين بإشعال وحرق ذلك الناتج القيم فالبترول في المقام الأول مادة كميائية معتبرة جدا قابلة للتحويل الى مواد اخرى قيمة ونافعة .

العرب وباقي بلاد العالم ليسوا بمسؤولين على أن تستهلك الولايات المتحدة مخزونها من النفط بهذا المعدل كبير ، وهذا التبذير الفظيع حيث تستهلك الولايات المتحدة نحو ربع الإنتاج العالمي وحدها إي تستهلك 4٪ من سكان العالم نحو ربع الإنتاج العالمي لذلك فلا عجب من أن ينتهي الإنتاج الامريكي من النفط ربما خلال 10-20 سنة قادمة .

**الإستنتاجات**

من خلال هذا البحث توصلت إلى الإستنتاجات التالية:

**-1- الأزمة المالية العالمية وسوق الطاقة**

تميز سوق الطاقة العالمي خلال عام 2008 ، بعاملين هما : التقلبات الشديدة في أسعار الطاقة ، والإنخفاض الحاد منذ منتصف العام ، مع بدء الأزمة المالية العالمية ، التي تسببت في إنخفاض الطلب العالمي على النفط وإنخفاض في أسعار جميع أنواع الوقود الاحفوري بلغت ذروتها في فصل صيف عام 2008 ، ثم تواصل مع بداية شهر يناير من عام 2009.

ومن بين الإجراءات المالية المقترحة لمواجهة الأزمة المالية العالمية ، خفض أسعار الفائدة وتعميم عمليات السوق المفتوحة ، وتقديم الدعم اللازم لسوق البورصة ( الأسهم – العقارات ). وتعديل سياسات صرف العملات المحلية .وتعديل القوانين واللوائح المنظمة للتدفقات المالية بين الدول.

**2- العرض والطلب**

من المتوقع أن يرتفع إجمالي الطلب العالمي على النفط من 85.9 مليون برميل يوميا في عام 2007إلى مليون برميل يوميا في عام 2030.من المتوقع كذلك بإن تستائر دول خارج منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية بنسبة 100٪ من إجمالي الزيادة في الطلب العالمي على النفط خلال عام 2014 .

يعتبر قطاع النقل ، المحرك الرئيسي لزيادة الطلب على النفط ، فمع حلول عام 2030 سوف يستأثر قطاع النقل بحوالي 50٪ من إجمالي إستهلاك النفط .

**3- الغاز الطبيعي**

تأثرت سوق الغاز في العالم وأوروبا بشدة خلال عام 2009 نتيجة الأزمة المالية العالمية ، حيث إنخفضت صادرات الغاز الروسي إلى أوروبا خلال النصف الأول من عام 2009 بنسبة 32٪ مقارنة مع نفس الفترة من عام 2008.

من المتوقع أن يرتفع الطلب على الغاز في قارة أوروبا خلال الفترة ( 2005- 2017) ، بنسبة 1.5٪ سنويا ، بما يعادل حوالي 120 مليار متر مكعب .

**4- الطاقات المتجددة**

تمتلك الطاقات المتجددة فرصا واعدة لزيادة حصتها في مزيج الطاقة العالمي ، في ظل الجهد العلمي المبذول لتطويرها ، ولكنها لا تزال تفتقد للبنية الإقتصادية والتنظيمية المتكاملة.

طبقا لوكالة الطاقة الدولية ، فمن المتوقع أن تتضاعف إستخدامات الطاقات المتجددة في توليد الكهرباء بحلول عام 2030 وان تستأثر بنسبة 23٪ من إجمالي الطاقة الكهربائية المولدة في العالم.

من المتوقع أن ترتفع حصة الوقود الحيوي في عام 2030 من 1.5 ٪ إلى 5٪ من إجمالي الوقود المستهلك في بلدان منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية.

**5- البيئة وتغير المناخ**

- يحتل الفحم المركز الأول من حيث كمية الإنبعاثات .
- مواجهة التغير المناخي يتطلب من العالم تخفيض 50٪ من نسبة الإنبعاثات الحالية بحلول عام 2050 مع إستهلالك نفس الكميات الحالية من الطاقة .
- يعتبر تحسين كفاءة إستخدام الطاقة من الوسائل الرئيسية لتخفيض الإنبعاثات .
- تخفيض إبنعاثات غازات الدفيئة ، يتطلب تعاون كافة أطراف المجتمع الدولي ، من شركات عالمية ووطنية وحكومات ، وعلى الأخص الدول ذات النسبة الأكثر في الإنبعاثات .

**6-** عند تتبع إنعكاس الأزمة المالية على أسعار النفط وعلى أسعار النفط وعلى العائدات النفطية الأقطار الأعضاء ، تشير التقديرات الأولية إلى أنه عندما إنخفضت أسعار النفط إلى مستوى 52.5 دولار للبرميل خلال الربع الأخير من عام 2008 صاحب ذلك إنخفاض حاد في العائدات النفطية التي وصلت إلى 82 مليار دولار فقط ، إي بنسبة إنخفاض بلغت 57٪ بالمقارنة من الربع السابق عندما بلغت 191 مليار دولار ، وبنسبة 44٪ بالمقارنة مع الربع الأول من العام عندما وصلت إلى 146 مليار دولار .

## الخاتمة

تباين أراء الخبراء الإقتصاديين والمحليين الماليين حول خروج الإقتصاد العالمي من الأزمة المالية العالمية وتعافيه من عدمه ، مرره إلى أن البعض يؤكد جازما أن العالم قد تجاوز الأسوأ في الأزمة ، وأن الأسوأ فيها قد أصبح حدثا تاريخيا وماضيا لا يستحق التفكير فيه ، مثله مثل أزمة الكساد العالمي الكبير ، التي حلت بالإقتصاد العالمي في عام 1929 ، وتمكن العالم من تجاوزها في حدود خمس سنوات ، كما أن البعض يؤكد أن الأزمة المالية العالمية لاتعدو كونها دورة إقتصادية ، ستنتهي بمجرد إنتهاء العوامل ، التي تسببت في حدوثها ، ولا سيمي أن العالم وفق وقفة الرجل الواحد في وجهها ورصد لها مليارات الدولارات .

وعقد لها عددا كبير من القمم والمؤتمرات والندوات العالمية للتعامل معها والمعالجة أسبابها وتفادي حدوثها في المستقبل.

البعض الأخر يؤكد جازما أن العالم لا يزال يعيش تبعات وتداعيات الأزمة ، وأنها مازالت تتفاعل في خبيات الإقتصاد العالمي وتضرب بأطنابها يمنه ويسره ، وأن العالم لو يتجاوز أسوأها حتى اليوم وما يؤكد ذلك تساقط وتهاوي يوميا مؤسسات وشركات عالمية وكذلك القطاع الطاقة مرموقة على مستوي العالم في مستنقع الأزمة .

في تصوري أن الإقتصاد العالمي لا يزال يعيش إرهاصات الأزمة وبالذات أن تبعاتها وتداعياتها تخطت حدود المؤسسات والشركات العالمية ، لتطول الميزانيات العامة للحكومات وللمؤسسات العامة على مستوى العالم مثل حكومة أيسلندا ، اليونان ، واسبانيا ، البرتغال ، إيرلندا ، ...الخ كما أن الأزمة ضاعفت وفاقمت حدة عدد كبير من المشاكل لإنمائية والإقتصادية على مستوى العالم ، وبالذات تلك المشاكل التي تعاينها إقتصاديات الدول النامية والفقيرة ، مثل قضايا الجوع والفقر والبطالة والأمن الغذائي والأمية .... إضافة إلى أنها قد تسيبت في تفاعل وبروز عدد من القضايا والمشاكل الإقتصادية والمالية الجديدة على السطح ، مثل حرب العملات ، قضايا الحمائية والإغراق.

وفي تصوري أن تروج الإقتصاد العالمي من نفق الأزمة المالية العالمية وتعافيه ، سيطل امرأ مرهونا بمدى قدرة دول العالم وأنظمتها الإقتصادية والمالية والمصرفية والطاقة والإستثمارية المختلفة على مواجهة معها بالجدية المطلوبة ، وبالذات فيما يتعلق بالأحكام الرقابة على العمليات والأنشطة المصرفية والمالية عابرة الحدود أو كما يطلق عليها أحيانا بعابرة القارات.

من خلال معالجتها لهذا الموضوع نلخص إلى مجموعة النتائج التالية:
**1-** بعد أن تأكدت فكرة كون النفط سوف يظل المصدر الرئيسي للطاقة خلال القرن الحادي والعشرين ، وفي سياق عالمي تسوده منافسة شرسة فيما بين القوى الكبرى ، تسعى كافة الدول الكبرى والدول الصاعدة ، بإعتبارها المستهلك الأكبر للنفط ، الى تأمين إمداداتها النفطية المستقبلية ، مستخدمة في سبيل ذلك كافة الوسائل ، المالية والدبلوماسية وحتى القوة العسكرية أحيانا .
**2-** في سياق دولي شديد المنافسة ، تسعى الولايات المتحدة الأمريكية ، القوة العظمى الوحيدة في العالم إلى دعم مركز شركاتها النفطية المتفوقة تكنولوجيا ورأسماليا ، ومن ثم مراقبة أهم منابع النفط في العالم وتوظيفه كسلاح لخدمة مأربها.كل ذلك بهدف ربح الرهانات المستقبلية المتمثلة أساسا في حماية مصالحها الحيوية وتعزيز تفوتها .غير أن ربح الرهان مع بلدان صاعدة ذات قدرة تنافسية كبيرة يبدو صعبا ، إي أن موازين القوى لن تكون إطلاقا لصالح قوة واحدة فقط كما تسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية ، خاصة وأن بلدا كبيرا مثل احتياطي نفطي ضخم وعلى حوالي ربع احتياطي غاز العالم صعب المنال بل مستحيل.
**3-** في ظل سوق نفطية عالمية حرة ، كماهي خلال فترة العقدين الأخيرين ( 1986-2006 ) ، ونظرا لميل الموارد النفطية العالمية إلي النضوب في المستقبل المنظور ، وعجز البحث العلمي بالى حد ألان عن إيجاد بدائل لها ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية نظرا للزيادة المعتبرة في الطلب العالمي على النفط خلال السنوات القادمة ، فان ميل أسعار النفط نحو الارتفاع المستديم في السوق العالمية هو نتيجة حتمية لا مفر منها .وعلى العالم أن يستعد ويحضر نفسه لذلك .
4 - يمكن للبلدان المنتجة والمصدرة للنفط ، إذا لم تفقد سيادتها على مواردها النفطية ، أن تستفيد من الميل الموضوعي والمستدام لأسعار النفط نحو الزيادة بسبب كون العالم يتوجه نحو فترة ما بعد النفط .
5 - في إطار قدرت وكالة الطاقة الدولية أنه من أجل إستيعاب النمو المتوقع في الطلب وللتعويض عن نضوب حقول النفط الحالية ، يتطلب الأمر الحاجة الإستثمارات تبلغ نحو 5 تريليون دولار حتى سنة 2030 ، لكن نظرا الأسعار المنخفضة حاليا وعدم اليقين حول حركة الأسعار في المستقبل ، قد تؤدي إلى ركود الإستثمارات ومن ثم إمكانية تقلبات أسعار النفط مستقبلا .
6 - تشير هذه المتغيرات إلى أن ضمان أمن الطاقة بات أصعب مما كان عليه قبل الأزمة ليس هذا وحسب ، بل لقد أظهرت الأحداث الأخيرة أن امن الطاقة قادر على التفريق بين دول الإتحاد الأوروبي ، من جهة ، وبين الدول

والولايات المتحدة من جهة الأخري ، لذا يتعين على شركاء ضفتي الأطلس أن يبذلوا قصارى جهدهم لتفادى أي إنقسام حول قضايا الطاقة .

7 - في الحقيقة تنتج الأزمة الإقتصادية الراهنة فرصا جديدة لتعاون مع الدول المصدرة للطاقة ، فالتعاون العلمي والتقني مع الدول المصدرة للطاقة قادرة على تعزيز كفاءة إستخدام موارد الطاقة وقد يساعد أيضا في حماية البيئة.

**قائمة المراجع :**


**1 –** Http: // an. Wikipedia. org /w/ index. php ? TiTle = % D9 % 86 % D9% 81% 18% B7. Oldid = 7981899. ، OPEC facts and figures

**2-** آشرف محمد دوابه ، مجلة آراء حول الخليج ، 20أبريل 2010 ، العدد ،456 ،صفحة .5

**3-** كريستوف روهل ،« **منظور الطاقة القضايا والتحديات في ظل المعطيات الاقتصادية والجيوسياسية الجديدة** » - ندوة الحادية والثلاثون للطاقة – كلية سانت كاترين – بجامعة اكسفرود – خلال الفترة مابين 27 يوليو و6 اغسطس 2009 .

**4-** مجلة شهرية للجيش الوطني الشعبي – الجزائر – العدد 523 فيفري 2007.

**5-** كريستوف روهل ، ″**الطاقة العالمية** ″ كبير الباحثين الاقتصاديين – بريتيش بترو ليوم المملكة المتحدة – ندوة حول الطاقة العالمية – .2008

**6-** كريستوف روهل ، ″**الطاقة العالمية** ″ كبير الباحثين الاقتصاديين – بريتيش بترو ليوم المملكة المتحدة – ندوة حول الطاقة العالمية – 2008 .

**7-** جان بيير فافنك ″**تحديات صناعة النفط والطاقة ،الاحتياطيات ،والأسعار ،والبيئة** ″ ، مدرسة المعهد الفرنسي للبترول – فرنسا – .2009

**8-** نوره اليوسف ، محاضرة بعنوان ″ **أثر الأزمة المالية على قطاع النفط وصناعة البتروكيميات**″ كلية إدارة الأعمال – جامعة ملك سعود –المملكة العربية السعودية ، 20 جانفي 2009 .

**9–** كريستوفر السوف « **الإقتصاد العالمي و الطاقة** » ندوة الحادية الثلاثون ، مدير معهد ، اكسفرد لدراسات الطاقة ، سنة .2009

**10–** دبرنهارد روتيرمبرع « **الغاز في أوروبا** » رئيس مجلس إدارة شركة ، إي ، اون رور غاز إي حلي ، ألمانيا سبتمبر 2009 . - نوره اليوسف ، محاضرة بعنوان ″ **أثر الأزمة المالية على قطاع النفط وصناعة البتروكيميات**″ كلية إدارة الأعمال – جامعة ملك سعود –المملكة العربية السعودية ، 20 جانفي 2009 .

.11- سليمان الحريش ، «**صندوق أوبك للتنمية**» ، مدير عام صندوق اوبك للتنمية ندوة الحادية و الثلاثون للطاقة ، جامعة اكسفرود ، 2009 ..

**32**

**12-** إحسان علي بوحليفة « **الأزمة المالية العالمية الإقتصادية** » رئيس مركز جواتا الاستشاري لتطوير الأعمال ، مدير مؤسسة الوطن الإستثمارات و الأوراق المالية – الرياض – م ، ع ، س ، 2009.

**13-** مجلة « **النفط و التعاون العربي** » مجلد الخامس و الثلاثون، الكويت، العدد 131، خريف .2009

**14-** حسن قبازرة « **تحديات سوق النفط** » مدير الدائرة الأبحاث ، أوابك ، فيينا – النمسا 2009 .

**15 -** le monde du 13 septembre 2005.

**16 –** le projet de loi d'orientation sur les énergies du française, in supplément économique, le monde du 17 février 2004.

**17 -**san Antoin : Texas ; Shell Développement company , pp 22,27,retrieved ,18/01/2008

**18 –** Paul Sindic, Le pétrole arme de domination, pour un fonds international de l'énergie, Le Monde diplomatique, décembre.1990, p.26.

**19-** le Monde du 6 avril 2005

**20 –** P.A.Delhommais, La croissance de l'énergie augmentera moins vite que la croissance mondiale dans les prochaines décennies, supplément économique, le Monde du 5 juillet 2005.

**21–** Ph. Chalmin, le pétrole de choc en choc, supplément de l'économie, le monde du 27/11/2007.

**22 –** A. Reverchon, les compagnies du sud sont de plus en plus actives dans le grand jeu pétrolier, supplément économique, le Monde du 28 juin 2005.

23- copyriht: 1978-2012©HH Sandi research and Marketing LTD.HLL Rights Reserved.

# العلوم النفسية والتربوية

## اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للتدريس

الدكتور محارب علي الصمادي

# اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للتدريس

**د. محارب علي الصمادي**
جامعة البلقاء التطبيقية

**الملـــخص**

هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم في المدارس التابعة لمدرية التربية والتعليم لمحافظة عجلون نحو الخطة اليومية للدرس في ضوء بعض المتغيرات.ولتحقيق هدف الدراسة تم تطوير استبانه لهذا الغرض مكونة من31 فقرة. وقد تكونت عينة الدراسة من(255) معلماً ومعلمة(57%من مجتمع الدراسة). أظهرت النتائج أن اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم كانت بالغالب متوسطة نحو خطة الدرس.كما أظهرت النتائج انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاه المعلمين نحو خطة الدرس تعزى لمتغيرات:الجنس ,والتخصص, والمؤهل العلمي).بينما توجد هناك فروق جوهرية في اتجاهات المعلمين نحوى عمليات التخطيط الدراسي تعزى لمتغير الخبرة التدريسية ولصاح المعلمين ذوي الخبرة العالية(أكثر من 10 سنوات).

**الكلمات المفتاحية: تخطيط التدريس، تدريس الرياضيات والعلوم**

**Abstract**

**Attitudes of Math's and Science Teachers in Ajloun Governorate towards Instructional Planning Processes**

The study aimed at recognizing the attitudes of math and science teachers in schools of Ajloun directorate towards the lesson plan in the light of some variables. To fulfill the Aim of the study, the researchers designed questionnaire of "31" items. The sample consists of (225) female and male teachers (57% of study population). The results revealed that their is no significant statistical difference in the attitudes of teachers toward the lesson plan due to the Variables of "sex, Specialization, and qualification". While there are significant differences in attitudes of teacher towards the processes of instructional planning due to the variable of instructional experience (More than 10 years).

**Keywords: Instructional Planning, Math and Since Instruction**

**المقدمة:**

يعد التخطيط أحد المتطلبات الأساسية للنجاح في تنفيذ معظم النشاطات الحياتية التي نقوم بها فالمعلم الناجح يحتاج إلى الوقت ليقضيه في إعداد خططه التدريسية، فالخطة الدرسية هي بمثابة ترجمة حقيقية لأهداف ومحتوى المنهج المدرسي إلى خطة إجرائية، وإن المعلم الذي يتصف بالحيوية والنشاط لا بد و أن يستعين بالإعداد والتخطيط لدروسه لكي يكون سيد الموقف الصفي (عقيلان،2000؛ Ratcliffe,1998)، فالتخطيط يجعل المعلم يسير بخطى ثابتة نحو تحقيق الأهداف المرجوة، وإلا سيتصف نشاطه وردود أفعاله بالعشوائية ألأمر الذي من شأنه أن يعيق عملية تحقيق الأهداف بسهولة ويسر، لذا لابد من أن يستعين المعلم بالخطط الدراسية المتنوعة لكي تكون أنشطته التي ويضفها والتحركات التي يقوم بها واستجابات الطلبة لها مدروسة ومتفقة مع ذلك المحتوى المحقق للأهداف المرجوة(الصمادي،2010).

لقد أصبح التخطيط للدرس يمثل منهجاً وأسلوباً وطريقة منظمة للعمل، كما يمثل الرؤية الواعية لجميع عناصره وأبعاد العملية التعليمية التعلمية وما يقوم بين هذه العناصر من علاقات متداخلة تؤدي على تحقيق الأهداف المنشودة(جردات، وآخرون،1986، ص64).

فلم تعد الطريقة التي تعتمد على حفظ المعارف والمعلومات غيباً غير صالحة في عملية التدريس، لان هذه الطريقة لا تظهر الطبيعة الحقيقية للمعرفة ولا تزود الطلبة بمهارات التفكير المختلفة التي من شأنها مساعدة الطالب على التكيف مع متطلبات الحياة العصرية التي يعيشها(زيتون،2005). كما أن اقتصار عمليات التخطيط للتدريس على محتوى الكتب المدرسية أدى إلى إغفال الكثير من مصادر التعلم الأخرى، والتي تلعب دوراً كبيراً في تنفيذ الأنشطة الصفية و اللاصفية مثل الأفلام المتلفزة، والصحف والانترنت(Howe &Disineger,1998).

كما أن التخطيط لتزويد الطلبة بفرص مناسبة لممارسة أنشطة لا صفية يعد من الاتجاهات ذات الدور الفعّال في إكساب الطلبة المفاهيم العلمية ويعمل على تحسين اتجاهاتهم نحو العلوم(Palamberg&Kuru,2000)، فالتخطيط لممارسة الأنشطة اللاصفية في البيئة له أثر كبير في تنمية اتجاهات ايجابية لدى الطلبة نحو ما يتعلموه، ومنسجم مع الهدف العام من التربية وهو إعداد الفرد للتكيف مع بيئته ومجتمعة، وقد التفت الى هذا كل من مورد وزملائه (Ford et at,1993) عندما أشاروا الى أن التخطيط للتدريس خارج غرفة الصف يعتبر خطوة أولى لزيادة فهم المتعلم لما يتعلمه مما يساعده على انتقال اثر التعلم في حل المشكلات الحياتية التي قد تواجهه.

ولا بد للمعلم أن يلتفت أثناء التخطيط للتدريس للوسائل الإيضاحية ويخطط لكيفية استخدامها في الوقت المناسب مما ييسر على الطلبة عملية الفهم (Roethler,1998) فضلاً عن أنها تحظى بمكانه مرموقة في تطوير تعلم الطلبة الذين لا يزالون يتعلمون باستخدام الوسائل المحسوسة(Bruner,1966).

يعرّف التخطيط للتدريس على انه " عملية تصور مسبق للأهداف التدريسية، والمواقف التعليمية /التعليمية، بما في ذلك اختيار النشاطات التدريسية وأساليب التقويم المناسبة وتحديد دور كل من المعلم والطالب في أثناء عملية التنفيذ وكذلك الزمن اللازم لتحديد كل موقف من هذه المواقف(أبو زينه،2010).

والتخطيط للتدريس يتضمن "تحديد النتاجات الخاصة المراد تحقيقها في الحصة الصفية عن طريق التخطيط لاستخدام أفضل الطرق والوسائل لعرض المفاهيم والتعميمات والمعارف التي تحقق المحتوى المرجعي لهذه النتاجات" و( الصمادي والفريحات، 2008،ص737).

ويرى الباحثان أن التدريس الفعال يحتاج دائماً للتخطيط سواء أكان ذلك للمعلم المبتدئ أم للمعلم المتمرس، فلا بد لأي عمل يراد له أن يختم بالنجاح من تخطيط مسبق، فمن خلاله يتم اختيار الأساليب العملية لتحقيق الأهداف.

**أهمية التخطيط للحصة اليومية:**

إن التخطيط لتدريس الرياضيات والعلوم ، كما هو الحال في أي مادة أخرى يهدف إلى بلوغ أهداف محددة، وبلوغ هذه الأهداف يعتمد إلى حد كبير على كيفية التخطيط لها سواء أكان ذلك على المستوى طويل ألأمد (التخطيط السنوي) أم على المستوى قصير الأمد( التخطيط الدرسي أو التخطيط لوحدة دراسية). فإذا أريد للأهداف الفصلية أو الأهداف السنوية المرجوة من تدريس مادة محددة أن تتحقق يجب أن يكون هناك تخطيط طويل الأمد(أبوزينة،2010؛ جرادات، 1996). فالتخطيط للتدريس يساعد المعلم على أن يوضح له رؤيته عما يريد أن يتحقق لدى الطلبة من معارف ومهارات واتجاهات (الشهابي، 2007، ص8).

**مستويات التخطيط الدراسي:**

يختلف التخطيط باختلاف الفترة الزمنية التي يتم في ضوئها تنفيذ الخطة، فهناك تخطيط على مستوى الحصة الصفية(أو يوم دراسي)، وتخطيط لشهر دراسي، أو سنة دراسية، ويمكن القول أن هناك مستويين من التخطيط هما: ( قنديل،1993)

- التخطيط بعينة بعيد المدى مثل الخطط السنوية، والفصلية.

- التخطيط قصير المدى مثل التخطيط لحصة دراسية، أو لأسبوع دراسي، أو لوحدة دراسية.

ويمر التخطيط الدراسي لحصة صفية أو لمجموعة حصص بعدد من الخطوات هي: (العساف وأبو لطيفة،2009؛عايش،1992؛ قنديل،1414هـ)

1. تحليل محتوى الدرس أو مجموعة الدروس إلى أصناف المعرفة المختلفة التي يتضمنها المحتوى الدراسي مثل: المصطلحات، المفاهيم، التعميمات ونظريات، المهارات، مشكلات.
2. تحديد الأهداف الإجرائية السلوكية لكل درس وللمحتوى الذي يحقق هذه الأهداف.
3. تحديد النتاجات التعليمية التي يجب أن تظهر على سلوك المتعلم بعد مروره بالخبرة التعليمية التي تستهدفها خطة الدرس.
4. تحديد الاستعداد القبلي(المتطلبات السابقة واللازمة للتعلم الجديد).
5. تحديد الوسائل المناسبة لكل هدف سلوكي.
6. تحديد الأسلوب التدريسي والإستراتيجية التدريسية المناسبة لكل هدف.
7. تدوين النشاطات التدريسية والخبرات التي يراها المدرس ضرورية لتحقيق الأهداف، والزمن اللازم المخصص لكل نشاط ولكل هدف.
8. إبراز أنشطة التقويم وأساليبه سواء أكان التقويم التكوين أم التقويم الختامي.

**مشكلات التخطيط الدراسي:**

يواجه المعلم العديد من المشاكل والعقبات التي تحد من فاعلية خطته الدرسية، فقد أظهرت نتائج دراسة الصمادي والفريحات(2008، ص751) المشكلات والصعوبات التالية:

1. صعوبة تحديد الزمن اللازم لتحقيق كل هدف.
2. صعوبة إعداد الوسائل التعليمية المناسبة لكل هدف.
3. أن المعلمين يواجهون مشكلات في التخطيط بحسب اختلاف المواد ومستوى الصفوف التي يدرسونها.
4. صعوبة تحديد النتاجات التعليمة المرتبطة بالأهداف السلوكية.
5. صعوبة في اختيار وتطبيق أساليب التدريس المناسبة لتنفيذ ألأهداف التي يسعون إلى تحقيقها.
6. صعوبة تحديد مؤشرات نجاح الهدف

ويبدو جليا مما سبق أن المسؤولية الملقاة على عاتق المعلم هي مسؤولية كبيرة وعظيمة وتتجلى في تحقيق الأهداف المتوخاه من تدريس المنهاج المدرسي، لذا يجب التعرف على اتجاهات المعلمين نحو عمليات

التخطيط الدراسي ، فاتجاهات المعلم الايجابية نحو التخطيط للدروس اليومية يجعل خطة الدرس خطة عملية قابلة للتنفيذ وتجعل المعلم يتبنى التحركات والاستراتيجيات التي تسعى هذه الخطة إلى تنفيذها من أجل تسهيل عملية بلوغ الطلبة للأهداف التعليمية المرجوة .

**مفهوم الاتجاه:**

لقد اختلف الباحثون على تعريف الاتجاه، لما يتصف به مفهوم الاتجاه من تعقيد وتداخل مع بعض الظواهر النفسية كالقيم والآراء والمعتقدات.

وقد عرفت دائرة المعارف وعلم النفس الاتجاه على انه" الميل للاستجابة المؤيدة أو المعارضة، نحو الأشخاص أو الموضوعات أو الأحداث، وهو بناء فرضي لا يمكن ملاحظته بصورة مباشرة، لكن يمكن الاستدلال عليه من خلال التقويمات الموجبة والسالبة للأفراد موضوع الاتجاه(Encyclopedia of Pssycology,1984,p99).

وقد قدمت النظرية السلوكية تفسيرا لتعلم الاتجاه يقوم على أن عملية تكوين وتعديل الاتجاه تشبه تماماً عملية التعلم، كما أكدوا على وجود ثلاثة متغيرات هامة في تعلم الاتجاه الجيد، هي الانتباه، الفهم، والقبول، كما يرى أصحاب الاتجاه السلوكي انه سواء أكان السلوك سوياً أم غير سوي ، فان علاج السلوك يعتمد بالدرجة الأولى على عملية التعلم، أو إعادة التعلم أو تصحيح للتعلم الخاطئ، وان الذي يعمل على تغيير السلوك هو المنفعة المتمثلة في التدعيم الايجابي أو تجنب الألم(كفافي،1999، ص277).

وأشارت دراسة كيو إلى أن الاتجاهات نحو مهنة التعليم ترتبط بالاحتراق النفسي للمعلمين؛ بمعنى أنه كلما كانت اتجاهات المعلمين نحو مهنة التعليم وعملياتها سلبية كان هؤلاء المعلمون أكثر شعوراً بالاحتراق النفسي(Kuo,1990,p71-97).كما أشارت دراسة ستارنمان و رفاقه (Starnman& et al r,1992,p49) إلى أن هناك علاقة ارتباطيه قوية و موجبة بين عدم الاقتناع بمهنة التعليم والإخلاص لها.

ويرى الباحث إن عملية الإعداد الجيد للخطة التدريسية تؤثر ايجابيا في الطالب من خلال تأثره بالجوانب غير المباشرة للمنهج ويكتسب عادات وقيم سليمة تساعده في حياته مثل التنظيم وتقدير الوقت واستغلاله استغلالاً أفضل. وكذلك فإن تحديد الأهداف و التخطيط لها بعناية يؤدي إلى استخدام وقت الحصة بدقة إذ يستطيع المعلم أن يحدد زمناً تعليميا للأنشطة وفقا للقيمة والوزن النسبي الذي يعطيه المعلم لكل هدف من أهداف خطة الدرس(يوسف،2007، ص53). ولكن قيام المعلم بإعداد خطة تدريسية جيدة

يرتبط إلى حد كبير باتجاهه نحو مهنة التعليم، ونحو المنهج المتوجّب عليه إعداد الخطة بموجبه. فالاتجاهات تؤدي دوراً مركزياً وفعّالاً في العملية التربوية؛ لأنه بموجبها يتحدد مدى تفاعل المعلم مع عمله، فاقتناع المعلم بمنهج ما في العمل يدفعه إلى الإنجاز الدقيق والحرص الدائم على تطويره.

**مشكلة الدراسة :**

بالرغم من أهمية التخطيط لدروس الرياضيات والعلوم **إلا أن** بعض المعلمين ينظرون إليه على انه عملية روتينية مملة فهي في نظرهم مجرد كتابة على كراسة المذكرات لإرضاء كل من مدير المدرسة والمشرف التربوي. كما أشارت بعض الدراسات أن المعلمين يعترضون على التقيد بعمليات التخطيط للتدريس بحجة أن ذلك، يحد من حرية المعلم، ويقلل من تلقائية العملية التعليمية(الصمادي والفريحات،2008؛ يوسف،2007،ص47؛ جابر جابر وآخرون، 1977 ،ص102). كما أظهرت نتائج دراسة كلاً من الصمادي والفريحات(2008) أن عملية إعداد الخطة التدريسية ليست بالعملية السهلة دائماً، إذ يلاحظ أن كثيراً من المعلمين يصادفون صعوبات في التخطيط للتدريس الفعال.

ولعل تكوين اتجاهات ايجابية لدى المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس يساهم في تشكيل استعداد نفسي للتغلب على هذه الصعوبات. لذا فان الباحثان يوجهان رسالة إلى المعلمين بإعطاء أهمية أكبر لعمليات التخطيط للتدريس، والتأكيد على أن التخطيط للدروس اليومية لا يقيد حركة المعلم داخل غرفة الصف كما يظن البعض، بل يجعل هناك فرص متعددة لاختيار العديد من البدائل التي تواجه كل موقف وتجعل المعلم يعرض بثقة المواقف الصفية والتحركات التي يقوم بها، فالتخطيط الذي نسعى إلى تحقيقه هو ذلك التخطيط الذي يوفر للمعلم العديد من الفرص التي يمكن أن يستغلها المعلم ويختارها حسب ميول واتجاهات وحاجات طلابه ضمن الإمكانات المتاحة للوصول إلى الأهداف التي بني المنهاج أصلاً من اجل تحقيقها .

لذا حاول الباحث في هذه الدراسة بيان اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للدروس اليومية ، وبالتحديد حاولا الإجابة عن الأسئلة التالية :

1. ما مستوى اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للدرس ؟
2. هل تختلف اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للدروس اليومية باختلاف (الجنس، التخصص، المؤهل العلمي، الخبرة التدريسية)؟

**أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الدارسة الحالية في النقاط الآتية:

1. قلة الدراسات التي تقصت وبحثت في اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو خطة الدرس اليومية،وقد تكون هذه الدراسة الأولى – في حدود علم الباحث- التي تبحث في موضوع اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم في الأردن نحو التخطيط للحصة الصفية، لذا يؤمل من الدراسة الحالية أن تسلط الضوء على اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط الدراسي، مما قد يوجه المشرفين التربويين الى مراعاة نتاج الدراسة الحالية أثناء إعداد المعلمين أثناء الخدمة.
2. تسهم هذه الدراسة في وضوح رؤية المختصين في الميدان التربوي لدى المؤسسات المسؤولة في الأردن وبالخصوص واضعي المناهج الدراسية، والمعديين لبرامج التنمية المهنية، فيما يخص اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للدروس ، واتخاذ ما يلزم
3. تقديم أداة لقياس الاتجاهات نحو عمليات التخطيط للدروس اليومية في مبحثي العلوم والرياضيات.
4. يقدم إطاراً نظرياً لخطة التدريس اليومية وهو أمر مفيد للمعلمين والمعلمات.

**أهداف الدراسة:**

**تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على:**

1. التعرف على مستوى اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو خطة الدرس اليومية بشكل عام.
2. التعرف على الفرق بين اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للدرس تبعاً لمتغيرات الجنس و التخصص و الخبرة والمؤهل العلمي.

**محددات الدراسة:**

تتحد نتائج هذه الدراسة بمجموعة من العوامل التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، عند تعميم النتائج هي:

1. اقتصار الدراسة على المعلمين الذين يدرسون الرياضيات والعلوم في المدارس الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم

في محافظة عجلون، مما يجعل تعميم النتائج مقتصرا على مجتمع الدراسة، أو أي مجتمع مماثل .

2. كما تتحدد نتائج الدراسة بأداة الدراسة، وبدلالات صدقها وثباتها لذا قد تتغير النتائج بتغير أداة الدراسة.
3. نفذت الدراسة في الفصل الثاني من العام الدراسي 2011/2010.

**التعريفات الإجرائية:**

الاتجاه نحو عمليات التخطيط الدراسي: يعرف الاتجاه نحو عمليات التخطيط للدروس تعريفا إجرائياً بأنه" مفهوم يعبر عن محصلة استجابات معلمي الرياضيات والعلوم نحو تخطيط الدروس وذلك بالقبول أو الرفض، والمتجمعة من خلال استجاباتهم على مقياس الاتجاه نحو عمليات التخطيط للدروس المستخدم في هذه الدراسة".

**معلمي الرياضيات والعلوم: هم جميع المعلمين العاملين في مديرية تربية وتعليم محافظة عجلون، ويقومون بتدريس الرياضيات، أو العلوم في الفصل الثاني من العام الدراسي 2011/2010.**

**تخطيط الدروس:** هو إحدى المهام الاساسية للمعلم، تشمل تحديد جميع التحركات التي سيقوم بها المعلم او الطلبة لبلوغ أهداف الحصة. و بعارة أخرى هو تصور مسبق ومرن لما سيقوم به المعلم من أساليب وأنشطة، وإجراءات واستخدام أدوات أو وسائل تعليمية من أجل تحقيق الأهداف التربوية المرغوبة للدرس.

**الدراسات السابقـــة**

**أولاً: الدراسات العربية:**

اجرى كلا من الصمادي و الفريحات(2008) دراسة هدفت إلى التعرف على أبرز المشكلات التي تواجه معلمي الرياضيات في التخطيط للدرس .ولتحقيق هدف الدراسة تم تطوير استبانه لهذا الغرض مكونة من (22فقرة). أظهرت أن من ابرز المشكلات التي تواجه المعلمين هي: تحديد الزمن اللازم لتحقيق كل هدف، إعداد الوسائل اللازمة لتحقيق كل هدف، اختلاف المواد التي يدرسها المعلم ، اختلاف مستوى الصفوف التي يدرسها المعلم ، قلة الوقت الكافي لدى المعلم.كما أشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق في مستوى مشكلات التحضير اليومي لدى معلمي الرياضيات تعزى لمتغير الجنس أو لمتغير المؤهل العلمي .بينما توجد فروق ذات دلالة

إحصائية تعود للخبرة التدريسية في مستوى مشكلات التحضير اليومي لدى معلمي الرياضيات.

لقد أجرى يوسف (2007) دراسة هدفت الى تعرّف اتجاهات معلمات مدارس التعليم الأساس في سلطنة عُمان تخصص(معلمة مجال أدبي، معلمة مجال علمي)، واتجاهات الطالبات الخريجات في كلية التربية بعبري نحو تخطيط الدروس وفق المنهج السلوكي. تكونت أداة الدراسة من (39) فقرة موزعة على أربعة محاور هي: تخطيط الأهداف، وتحليل المحتوى، وتخطيط الأنشطة التعليمية ووسائلها، وتخطيط أساليب التقويم. وتم تطبيقها على عينة مكونة من 61 معلمة و148 طالبة. أظهرت نتائج الدراسة أن هناك اتجاهات ايجابية لدى الطالبات والمعلمات نحو المنهج السلوكي في تخطيط الدروس، كما أظهرت النتائج أنه ليس هناك فروق جوهرية في اتجاهات افراد عينة الدراسة نحو الاتجاهات نحو المنهج السلوكي للتخطيط الدروس يعزى الى متغير المجال (أدبي وعلمي) وفي كل محور وفي المتوسط الكلي للمقياس.

لقد أجرى الشهابي(2007) .هدفت إلى التعرف على اتجاهات معلمي الكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة في مدارس التعليم الثانوي الحكومي في مدينة تعز اليمنية نحو الخطة اليومية للدرس ، وقد تكونت عينة الدراسة من (130)معلماً ومعلمة. ولتحقيق هدف الدراسة قام الباحث بتطوير استبانه تكونت من (30) فقرة. ولقد أظهرت نتائج الدراسة إلى أن اتجاه معلمي الكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة كان ايجابياً نحو خطة الدرس اليومية. كما أظهرت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المعلمين نحو خطة الدرس تعزى لمتغيرات الجنس والخبرة والتخصص.

وفي الدراسة التي أجراها البركات(2004). فقد هدفت الى الكشف عن تصورات معلمي الصفوف الثلاثة الاولى للتخطيط التدريسي الملائم لتنمية الوعي البيئي لدى الطلبة. تكونت عينة الدراسة من 73 معلماً ومعلمة. أظهرت النتائج عن وجود فئة قليلة من أفراد عينة الدراسة لديهم تصورات جيدة نحو عمليات التخطيط للتدريس كاختيار أهداف متنوعة، ويركزون على طرق تدريس متنوعة، وتكليف الطلبة بتنفيذ الأنشطة الصفية في بيئتهم المحلية. بينما غالبية افراد عينة الدراسة لديهم تصورات تقليدية حول التخطيط للتدريس.

أما دراسة مسمار(2004) فقد هدفت الى التعرف على واقع ممارسة معلمي التربية الرياضية في قطر لكفايات التخطيط للتدريس.تكونت عينة الدراسة من (58)معلماً ومعلمة تم تعريضهم لاختبار معرفي من نوع الاختيار من متعدد تكون من 24 سؤالاً لقياس كفايات التخطيط للتدريس

لديهم. أظهرت النتائج توافر كفايات التخطيط للتدريس لدى المعلمين ولكن ليس بالقدر الكافي، كما أظهرت النتائج وجود فروق جوهرية في مدى امتلاك المعلمين لهذه الكفايات ولصالح المعلمات وذوي الخبرة الأدنى.

وفي دراسة أجراها عبيدات(1995) دراسة هدفت للتعرف على موقف معلمي ومعلمات الدراسات الاجتماعية من الخطة اليومية. وقد تكونت عينة الدراسة من (335)معلماً ومعلمة. ولقد أظهرت نتائج الدراسة أن موقف المعلمين والمعلمات من التخطيط للدروس اليومية هو موقف سلبي. كما أظهرت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المعلمين نحو خطة الدرس تعزى لمتغيرات الجنس والخبرة والمؤهل العلمي.

ولقد أجرى ( القيسي ،1995) دراسة حول اتجاهات معلمي الرياضيات نحو مهنة التعليم في المدارس الحكومية في إقليم جنوب الأردن ، ولقد استخدم في دراسته مقياس دليل المهنة(JDI) لتحقيق أهداف دراسته ، ويشتمل هذا المقياس على (72) فقرة موزعة على خمسة أبعاد للرضى عن المهنة هي بعد ممارسة المهنة الحالية(8) فقرات،بعد الإشراف (18)فقرة وبعد الراتب (9) فقرات وبعد فرص الترقية المتاحة (9) فقرات وبعد زملاء العمل(18) فقرة. أظهرت النتائج أن اتجاهات معلمي الرياضيات نحو مهنة التعليم هي اتجاهات ايجابية متوسطة على الأبعاد (بعد العلاقة مع الزملاء، وبعد ممارسة المهنة الحالية)، كما أظهرت النتائج ان اتجاهات المعلمين سلبية نحو بعد الإشراف، ونحو بعد الراتب وبعد فرص الترقية المتاحة.ويأخذ الباحثان علي القيسي عدم تناوله لموضوع أعباء التدريس بشكل عام وبعد التخطيط للدرس بشكل خاص. فهو أشار إلى بعد ممارسة المهنة الحالية دون التعرض على جزئيات هذه المهنة بل تحدث عنها بشكل عام وعلى عجالة.

**ثانياً: الدراسات الاجنبية**

اجرى دون وشيرنر (Dunn&Shriner,1999) دراسة هدفت إلى تقصي معتقدات واتجاهات المعلمين نحو النشاطات المقصودة( النشاطات التي لها علاقة بشكل كبير في تحسين الأداء والتي تحتاج إلى جهد فعّال من الفرد من أجل بدئها، وصيانتها، وإدامتها). ولقد تكونت عينة الدراسة من (136) معلماً. ولتحقيق هدف الدراسة طور الباحثان استبانه لهذا الغرض تضمنت الأنشطة المقصودة التالية: القراءة المحترفة، حضور ورشات العمل، عمل الهيئات، المناقشات بين المعلمين، المناقشة مع الأشخاص المسؤولين عن مصادر التعلم، مراقبة الآخرين وهم يعملون، التخطيط المكتوب، التخطيط الذهني،التقييم). وأظهرت النتائج أن جميع النشاطات المذكورة ينطبق عليها وصف النشاطات المقصودة ولها علاقة بتحسين

الأداء. كما أظهرت النتائج أن المعلمين يعتبرون أن النشاطات المتعلقة بالتخطيط والتقييم والمناقشات مع محترفي التدريس لها علاقة أكبر من النشاطات الأخرى في تحسين كفايات المعلمين.

كما أجرى وادي (Wade, 1999) دراسة هدفت إلى معرفة وتقييم اثر عنصر رئيس في برامج الإعداد التربوي وهو ( Community service- Learning) على ممارسة المعلمين المبتدئين . وكانت نتيجة الدراسة أن الغالبية العظمى من المعلمين كانت لهم تجربة ايجابية في تطبيق ما تعلموه (وكان التخطيط للتدريس جزء من هذا التطبيق ) وابدوا التزاما بتطبيقه بعملهم، 30% طبقوا مفاهيم التخطيط للتدريس خلال السنوات الأولى من خدمتهم، وكثيرا منهم ارتدوا عن تطبيقه حيث أصبح من وجهة نظرهم انه ليس مطلوبا.

أما دراسة شافلسن(Shaveson,1987) فهدفت الي التعرف على أثر استخدام الأهداف السلوكية في تخطيط الدروس اليومية، وأثرها في تحسين تعلم الطلبةواثرها على رفع فاعلية أداء المعلمين والمشرفين التربويين .أظهرتنتائج الدراسة إلى أن استخدام الأهداف السلوكية يكسب أداء المعلم والمشرف التربوي الفاعلية والايجابية.

قام فرودين(Frudden,1984) بدراسة استهدفت تحديد مدى تأثير التخطيط للتدريس على أداء المعلمين التدريسي. استخدمت الدراسة أداة جورجيا لتقييم التدريس(GTA) . أظهرت النتائج أن التخطيط للتدريس قد ساعد بشكل كبير في تحسين الأداء التدريسي وتطويره، وبالتالي جعل المعلمين أكثر فاعلية وتأثيراً من حيث تنظيم الانشطة الصفية بشكل منطقي وانسيابيتها، وتوظيف الوقت بشكل أفظل.

**تعقيب على الدراسات السابقة:**

استخلص الباحث من الدراسات السابقة النقاط التالية:

1. تناولت الدراسات السابقة اتجاهات المعلمين نحو التخطيط لمباحث مختلفة كالكيمياء، والفيزياء، والعلوم الحياتية، والدراسات الاجتماعية، والتربية الرياضية(البدنية) وتخصص معلم مجال (الشهابي،2007؛ يوسف،2007؛ مسمار ،2004).
2. كما تناولت الدراسات السابقة اتجاهات المعلمين نحو مهنة التدريس والنشاطات المقصودة( النشاطات التي لها علاقة بشكل كبير في تحسين الأداء والتي تحتاج إلى جهد فعّال من الفرد من أجل بدئها ، وصيانتها، وإدامتها) (القيسي، 1995؛ Dunn&Shriner,1999؛ Wade, 1999).

3. أثر النشاطات المتعلقة بالتخطيط والتقييم والمناقشات مع محترفي التدريس على تحسين كفايات المعلمين ( Frudden,1984؛Dunn&Shriner,1999 ).
4. اثر عنصر رئيس في برامج الإعداد التربوي وهو الاتصال على ممارسة المعلمين المبتدئين(Wade, 1999 ) .
5. أثر استخدام الأهداف السلوكية في تخطيط الدروس اليومية(يوسف،2007 ؛Shaveson,1987؛ Frudden,1984)
6. أظهرت الدراسات ان هناك اتجاهات ايجابية نحو التخطيط للتدريس مثل(يوسف،2007؛ الشهابي،2007؛)، كما اظهرت دراسات اخرى وجود اتجاهات سلبية نحو عمليات التخطيط للتدريس مثل(البركات،2004؛ مسمار،2004؛ Wade, 1999؛ عبيدات،1995 ).
7. أظهرت الدراسات السابقة عدم وجود فروق جوهرية في اتجاهات المعلمين نحو التخطيط للتدريس تعزى للجنس، او للتخصص، او للمؤهل العلمي، أو للخبرة التدريسية(يوسف،2007؛ الشهابي،2007؛ عبيدات،1995)
8. أظهرت بعض الدراسات السابقة وجود فروق جوهرية في اتجاهات المعلمين نحو التخطيط للتدريس تعزى للمعلمين ذوي الخبرة التدريسية المتدنية وذوي الخبرة التدريسية العالية، مقارنة مع المعلمين متوسطي الخبرة(مسمار،2004).

وتتفق الدراسية الحالية مع الدراسات السابقة في كونها بحثت في اتجاهات المعلمين نحو التخطيط للتدريس، وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بأنها تحاول التعرف على اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم، في حين توجهت الدراسات السابقة الى دراسة الاتجاه نحو مواد دراسية مختلفة، او التجاه نحو المهنة، ودور التخطيط للتدريس في تطوير كفايات المعلمين، والرضا الوظيفي للمعلمين.

**الطريقة والإجراءات:**

**مجتمع الدراسة وعينتها:**

تكون مجتمع الدراسة من كافة معلمي ومعلمات الرياضيات والعلوم في المدارس الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم لمحافظة عجلون وقد بلغ عددهم (444) معلماً ومعلمة موزعين كما يلي فيها ( 218) معلما ومعلمة لمبحث الرياضيات، و(226) معلماً ومعلمة لمبحث العلوم.**واختيرت**

**عينة مكونة من** (255) معلماً ومعلمة شكلوا ما نسبته 57% من مجتمع الدراسة، تمّ اختيارهم بطريقة سحب العينة العشوائية عبر جدول الأرقام العشوائية، وحصل الباحث من مديرية التربية والتعليم لمحافظة عجلون على أعداد معلمي ومعلمات الرياضيات والعلوم وتوزعها على المدارس، والجدول (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب التخصص، والجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة في التدريس:

الجدول (1) **ةتوزيع أفراد عينة الدراسة حسب التخصص والجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة في التدريس**

| الجنس | | التخصص | | المؤهل | | | | | الخبرة | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ذكور | إناث | رياضيات | علوم | دبلوم | بكالوريوس Bsc | بكا+ دبلوم | ماجستير | بلا تحديد | 5-1 سنوات | 10-5 سنوات | أكثر من 10 | بلا تحديد |
| 96 | 157 | 121 | 132 | 29 | 161 | 28 | 23 | 12 | 108 | 67 | 56 | 22 |

**أداة الدراسة:**

لما كان الغرض من الدراسة بيان اتجاهات معلمي الرياضيات نحو عملية التخطيط اليومي لهذه الدروس قام الباحث ببناء وتطوير استبيان أُعد خصيصاً لهذا الغرض تكون في صورته الأولية من 38 فقرة، وذلك بناءً على الأسس الآتية:

1. الاستئناس بآراء عدد من ذوي الخبرات والمختصين في المناهج وأساليب التدريس، والقياس والتقويم في الجامعات الأردنية وجامعة البلقاء التطبيقية، ومشرفي الرياضيات والعلوم في ووزارة التربية والتعليم.
2. مراجعة الأدب التربوي المكتوب في طرائق التدريس والاطلاع العميق على بعض الدراسات السابقة(الصمادي والفريحات، 2008؛ يوسف، 2007؛الشهاب، 2007؛مسمار، 2004؛ Shveson,1987 ) ذات العلاقة باتجاهات المعلمين نحو التخطيط للتدريس، و بطرائق واستراتيجيات التدريس والمشكلات التي تعترض طريق المعلم في التخطيط لتحقيق الأهداف المرجوة لدى الطلبة.

**صدق الأداة وثباتها:**

فيما يتعلق بصدق البناء للأداة فقد تم من خلال رأي لجنة المحكمين في كل خطوة من خطوات إعداد الاستبيان(الأداة) ، ومدى ملائمة الفقرات لقياس هذه الاتجاهات ،وقد تكون في صورتها النهائية من 31 فقرة. وقد تم اختبار ثبات الاستبيان بطريقة كرومباخ وقد بلغت قيمته (0.85)، وتعتبر هذه القيمة مقبولة لأغراض البحث. فضلاً عن ذلك حسب ثبات الأداة بطريقة الإعادة، حيث طبقت الأداة على مجموعة استطلاعية من خارج عينة الدراسة تكونت من 30 معلما ومعلمة للعلوم والرياضيات في الفصل الثاني من العام الدراسي 2011/2010، وأعيد تطبيق الأداة بعد أسبوعين من تاريخ التطبيق الأول على المجموعة ذاتها، وحسب معامل الثبات بلغ (0.86) واعتبرت هذه القيمة مرتفعه(عودة،2010،ص363)، مما يطمئن إلى استخدام أداة الدراسة.

**طريقة تصحيح الأداة:**

- عدد فقرات الأداة ( 31 ) فقرة .
- الأوزان في حالة الفقرات ذات الاتجاه الموجب :
  - معارض بشدة ( 1 ) - معارض ( 2 )
  - محايد ( 3 ) - موافق ( 4 ) - موافق بشدة(5)

- الأوزان في حالة الفقرات ذات الاتجاه السالب :
  - معارض بشدة ( 5 ) - معارض ( 4 )
  - محايد ( 3 ) - موافق ( 2 ) - موافق بشدة(1)

**الفقرات السالبة على الأداة هي :** (3، 4، 8، 13، 14، 15، 21 ، 23)
- بقية الفقرات هي الفقرات الموجبة على الأداة.

**الإجراءات:**

بعد تحديد المدارس التي اشتملتها عينة الدراسة بناء على المعلومات والإحصاءات التي تم جمعها، قام الباحث بزيارة لتلك المدارس وتحدث مع كل مدير ومديره حول الدراسة وأهدافها وأهميتها لتقديم التسهيلات اللازمة لنجاح الدراسة وتم تحديد المعلمين والمعلمات الذين سيخضعون للإجابة على الاستبيان واتفق على كيفية توزيع الأداة والإجابة عليها واستعان الباحث بمشرف تربوي وبعض معلمي الرياضيات والعلوم

في المدارس التي شملتها العينة لتوزيع الأداة، بعد أن وضح لهم طبيعة البحث وأهدافه، وكيفية إدارة تطبيق الأداة ولجأ الباحث للاستعانة بهؤلاء لأن المدارس بعيدة عن بعضها البعض بحيث يصعب على الباحث تغطيتها جميعا في يوم واحد وفي وقت واحد.

**المعالجة الإحصائية :**

بما أن هدف الدراسة هو تحديد اتجاهات معلمي الرياضيات نحو التخطيط للدرس ، فان المتغيرات المستقلة هذه الدراسة هي :

1. الجنس وله مستويان( ذكر، وأنثى).
2. التخصص وله مستويان (معلمي الرياضيات، ومعلمي العلوم) .
3. المؤهل العلمي وله أربع مستويات هي: (دبلوم متوسط،بكالوريوس، بكالوريوس+دبلوم تربية، ماجستير).
4. الخبرة التدريسية ولها ثلاث مستويات هي :(1-5 سنوات،5-10سنوات، أكثر من 10 سنوات).

**المتغيرات التابعة:**

للدراسة متغير تابع واحد هو:اتجاه المعلمين نحو عمليات التخطيط للدروس اليومية.

ولمعرفة أثر المتغيرات الثلاث المستقلة على المتغير التابع استخدم الباحث :

- اختبار (ت) لبيان مستوى الاتجاهات نحو خطة الدرس وللمقارنة مستوى هذه الاتجاهات لدى معلمي الرياضيات والعلوم تبعاً لمتغير الجنس والتخصص.
- استخدم الباحثان تحليل التباين الأحادي(ANOVA ) لمعرفة أثر المتغيرات :المؤهل العلمي، والخبرة التدريسية على المتغير التابع .

نتائج الدراسة ومناقشتها:

- **للإجابة عن السؤال الأول والذي ينص على: ما مستوى اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو خطة الدرس اليومية؟**

حسبت الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الأداة و للأداة ككل ، وتم اعتبار المقياس التالي لبيان قوة الاتجاه: (الفقرات التي وسطها الحسابي أقل من 2 تمثل اتجاه متدني، والفقرات التي وسطها الحسابي أكثر من 2 تمثل اتجاه متوسط، والفقرات التي وسطها الحسابي أكثر من 3 تمثل اتجاه مرتفع)، كما هي موضحة في الجدول(2).

الجدول رقم(2) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على فقرات مقياس الاتجاهات نحو خطة الدرس

| رقم الفقر | رقم الفقرة | الوسط حسابي | الانحراف معياري | النسبة المئوية % | قوة الاتجاه |
|---|---|---|---|---|---|
| 2 | التخطيط للدرس مفيد للمعلم والطالب معاً | 3.33 | 0.717 | 83.25 | قوي |
| 1 | التخطيط للدرس ضروري جداً بالنسبة للمعلم | 3.32 | 0.740 | 83 | قوي |
| 10 | التخطيط للتدريس يجعلني اختار أساليب التدريس المناسبة لتحقيق كل هدف | 3.19 | 0.734 | 79.75 | قوي |
| 18 | التخطيط للدرس يجنب المعلم من الوقوع في المواقف المحرجة | 3.13 | 0.808 | 78.25 | قوي |
| 6 | التخطيط للتدريس يجعلني اختار أهداف متنوعة(معرفية ، وجدانية ، و مهارية) | 3.13 | 0.753 | 78.25 | قوي |
| 11 | التخطيط للتدريس يجعلني اختار المحتوى التعليمي المناسب لكل هدف | 3.07 | 0.715 | 76.75 | قوي |
| 19 | التخطيط للدرس يسهل عملية تحقيق الأهداف المرجوة بأقصر وقت وأقل جهد | 3.07 | 0.810 | 76.75 | قوي |
| 17 | التخطيط للدرس يجنب المعلم العشوائية في التعليم | 3.06 | 0.841 | 76.5 | قوي |
| 9 | التخطيط للدرس يساعدني على النجاح في عملي | 3.04 | 0.838 | 76 | قوي |
| 12 | التخطيط للتدريس يجعلني اختار أساليب التقويم المناسبة | 3.03 | 0.774 | 75.75 | قوي |
| 5 | التخطيط للدرس يساعدني على الاستفادة من بعض المراجع | 3.02 | 0.725 | 75.5 | قوي |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | والمصادر | | | | |
| 25 | التخطيط للدرس عملية منهكة للمعلم | 2.98 | 0.900 | 74.5 | متوسط |
| 7 | التخطيط للتدريس يجعلني اختار أهداف متنوعة(معرفية،وجدانية،و مهارية) | 2.96 | 0.817 | 74 | متوسط |
| 28 | التخطيط للدرس يحمل المعلم على معرفة و وعي أهداف المنهاج ، و وضع كل هدف يسعى إلى تحقيقه في موقعة من الإطار العام للأهداف | 2.86 | 0.778 | 71.5 | متوسط |
| 26 | التخطيط للدرس يساعدني على الالتزام بالوقت المحدد للحصة الصفية | 2.84 | 0.838 | 71 | متوسط |
| 16 | التخطيط للدرس يميز المعلم الناجح عن غيرة من المعلمين | 2.83 | 0.895 | 70.75 | متوسط |
| 27 | التخطيط للدرس يساعدني على النمو المهني المستمر | 2.80 | 0.799 | 70 | متوسط |
| 23 | استطيع أن أعطي أي حصة حقها دون الحاجة إلى تحضير أو تخطيط مسبق | 2.75 | 0.965 | 68.75 | متوسط |
| 30 | أشعر بأنني بحاجة إلى دورات تدريبية على استراتيجيات التدريس والتقويم | 2.59 | 0.934 | 64.75 | متوسط |
| 14 | التخطيط للتدريس لا يكون ضرورياً إلا للمعلمين حديثي التعيين | 2.57 | 0.961 | 64.25 | متوسط |
| 29 | أشعر بأنني بحاجة إلى دورات تدريبية تساعدني على صياغة الأهداف بشكل أدائي وسلوكي | 2.52 | 0.905 | 63 | متوسط |
| 31 | أشعر بأنني بحاجة إلى دورات تدريبية لتحقيق ما جاء بالخطة بشكل فاعل. | 2.52 | 0.956 | 63 | متوسط |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 13 | التخطيط لتدريس الحصة الصفية لا يكون ضرورياً إلا في حالة تغير المنهاج | 2.51 | 0.923 | 62.75 | متوسط |
| 4 | التخطيط للدرس غير لازم للمعلم القديم في مهنة التعليم | 2.49 | 0.904 | 62.25 | متوسط |
| 15 | وجود دليل المعلم يغني عن التخطيط للتدريس الصفي | 2.35 | 0.961 | 58.75 | متوسط |
| 22 | الخطة اليومية لا تساعدني على الابتداع داخل غرفة الصف | 2.34 | 0.920 | 58.5 | متوسط |
| 8 | اخطط للحصة الصفية دون قناعة مني بأهميتها (مجرد عمل اداري) | 2.33 | 0.956 | 58.25 | متوسط |
| 24 | أطبق ما جاء في خطتي بشكل دائم ودقيق | 2.20 | 0.856 | 55 | متوسط |
| 21 | التخطيط اليومي للدرس عملية روتينية مملة | 2.18 | 0.992 | 54.5 | متوسط |
| 3 | التخطيط الذهني للدرس يغني عن الخطة اليومية المكتوبة | 2.12 | 0.898 | 53 | متوسط |
| 20 | التخطيط للدرس يعطى المعلم الشعور بالثقة والطمأنينة | 1.91 | 0.817 | 47.75 | ضعيف |
| | **الدرجة الكلية** | **2.74** | **0.366** | **68.5** | **متوسط** |

يلاحظ من الجدول السابق تفاوت بين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين على فقرات مقياس الاتجاهات نحو خطة الدرس اذ تراوحت المتوسطات الحسابية بين(3.33-1.91)، ونلاحظ أنها جاءت في الغالب اتجاهات متوسطة حيث بلغت المتوسط الحسابي لاتجاهات أفراد عينة الدراسة على الأداة ككل (2.74)أي أن 68.5 % اتجاهاتهم سلبية نحو التخطيط للتدريس، كما نلاحظ أن 83% يرون أن التخطيط للدرس مفيد للمعلم والطالب معاً، وأن 79.75% يرون أن التخطيط للتدريس يجعل المعلم قادراً على اختار أساليب التدريس المناسبة لتحقيق كل هدف، وأن 78.25% من المعلمين يرون أن التخطيط للدرس يجنب المعلم من الوقوع في المواقف

المحرجة كما يلاحظ من الجدول السابق أن 64.25 %من المعلمين يرون أن التخطيط للتدريس ضروري فقط للمعلمين الجدد من المعلمين يرون، أن 55% من المعلمين فقط يطبقون ما جاء في خطتهم بشكل دائم ودقيق ، وأن 54.5% من المعلمين يرون أن التخطيط اليومي للدرس عملية روتينية مملة.

**وللإجابة عن السؤال الثاني والذي ينص على: هل تختلف اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للدرس باختلاف(الجنس،التخصص، المؤهل العلمي، الخبرة التدريسية)؟**

- أولاً: لمعرفة أثر كلاً من الجنس والتخصص على اتجاهات المعلمين حسبت ألأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وتم تطبيق اختبار "ت"، ويبن الجدول(3) نتائج تحليل اختبار "ت" لدراسة الفروق بين الأوساط الحسابية لاستجابات المعلمين حسب متغيري الجنس والتخصص على مقياس الاتجاهات نحو عمليات التخطيط الدراسي.

الجدول(3)نتائج تحليل اختبار "ت" لاستجابات المعلمين على مقياس الاتجاهات نحو عمليات التخطيط

| المتغير | | عدد المعلمين | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة"ت" المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الجنس | (ذكور) | 96 | 2.70 | 0. 350 | -1.44 | 0.149 |
| | (إناث) | 157 | 2.76 | 0.374 | | |
| التخصص | رياضيات | 121 | 2.756 | 0.317 | 0.538 | 0.591 |
| | علوم | 132 | 2.731 | 0.407 | | |

يظهر من الجدول أعلاه عدم وجود فروق جوهرية في اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط الدراسي تعزى لمتغيري الجنس والتخصص.

- ثانياً: لمعرفة أثر المؤهل العلمي على اتجاهات المعلمين حسبت ألأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية كما هي مبينة في الجدول(4)

الجدول (4)
الأوساط الحسابية والانحراف المعياري لاستجابات المعلمين على مقياس الاتجاهات نحو عمليات التخطيط تبعاً لمتغير المؤهل العلمي

| المؤهل | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| دبلوم متوسط | 2.784 | 0.416 |
| بكالوريوس | 2.728 | 0.353 |
| بكالوريوس+دبلوم تربية | 2.69 | 0.369 |
| ماجستير | 2.78 | 0.446 |

يظهر من الجدول أعلاه تقارب المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين حسب متغير المؤهل العلمي، ولمعرفة فيما إذا كانت هذه المتوسطات دالة إحصائياً تم تطبيق اختبار "تحليل التباين الأحادي"كما هي موضحة في الجدول رقم(5).
الجدول(5).
نتائج تحليل اختبار "تحليل التباين الأحادي" لدراسة الفروق بين الأوساط الحسابية لاستجابات المعلمين على مقياس الاتجاهات نحو عمليات التخطيط تبعاً لمتغير المؤهل العلمي.

| | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة الإحصائي ف | مستوى الدلالة sig. |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 0.178 | 3 | 0.059 | 0.428 | 0.733 |
| الخطأ | 32.91 | 237 | 0.139 | | |
| المجموع | 33.09 | 240 | | | |

تشير النتائج الموجودة في هذا الجدول (5)إلى عدم وجود أثر للمؤهل العلمي في اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للدرس

**ثالثاً: لبيان أثر متغير الخبرة في اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس**، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على مقياس الاتجاهات نحو عمليات التخطيط للتدريس، كما هو موضح في الجدول (6)

الجدول(6)

الأوساط الحسابية أو الانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على مقياس الاتجاهات نحو عمليات التخطيط تبعاً لمتغير الخبرة التدريسية

| الخبرة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| 1-5 سنوات | 2.713 | 0.374 |
| 5-10 سنوات | 2.650 | 0.3778 |
| أكثر من 10سنوات | 2.889 | 0.3446 |

نلاحظ من الجدول أن الوسط الحسابي لعلامات المعلمين على حسب متغير الخبرة التدريسية متقارباً ولمعرفة إن كانت هذه الفروق دالة إحصائياً أم لا تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي(ANOVA) كما هو موضح في الجدول رقم (7)

الجدول رقم (7)
نتائج تحليل التباين الأحادي لبيان أثر الخبرة التدريسية على اتجاهات معلمي الرياضيات نحو عمليات التخطيط للتدريس

| | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة الإحصائي ف | مستوى الدلالة sig. |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 1.857 | 2 | 0.929 | 6.842 | 0.001 |
| الخطأ | 30.946 | 228 | 0.136 | | |
| المجموع | 32.803 | 230 | | | |

يظهر من الجدول أعلاه وجود فروق جوهرية في مستوى اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس تعزى لمتغير الخبرة ،ولمعرفة لصالح من تعود هذه الفروق تم تطبيق اختبار توكي، كما هو موضح في الجدول (8)

الجدول(8)
نتائج اختبار توكي (Tukey) للمقارنات البعدية

| الخبرة | 1-5سنوات | 5-10 سنوات | أكثر من 10 سنوات |
|---|---|---|---|
| 1-5 سنوات | | 0.06311 | -0.17559* |
| 5-10 سنوات | -0.06311 | | -0.23870* |
| أكثر من 10 سنوات | 0.17559* | 0.2387* | |

يظهر من الجدول أعلاه وجود فروق جوهرية في مستوى اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس تعزى لمتغير الخبرة ولصالح المعلمين ذوي الخبرة أكثر من 10 سنوات مقارنة مع المعلمين من ذوي الخبرة ( 1-5 سنوات، والمعلمين من ذوي الخبرة 5-10 سنوات).في حين أنه لاتوجد فروق دالة بين ذوي الخبرة القليلة والمتوسطة.

**مناقشة النتائج:**

يتضح من الجدول (2) أن اتجاهات المعلمين جاءت في معظمها في المستوى المتوسط الفقرات رقم (31،30،29،28،27،26،25،24،23،22،21،16،15،14،13،8،7،4) بينما كانت الفقرات رقم (1،2،5،6،910،11،12،17،18،19) جاءت اتجاهات المعلمين نحوها مرتفعة. فبالرغم من تقدير المعلمين العالي لدور عمليات التخطيط للتدريس في اختار أساليب التدريس والتقويم المناسبة لتحقيق كل هدف، وتجنيب المعلم من الوقوع في المواقف المحرجة ، إلا أن 64.25 %من المعلمين يرون أن التخطيط للتدريس ضروري فقط للمعلمين الجدد من المعلمين يرون، أن 55% من المعلمين فقط يطبقون ما جاء في خطتهم بشكل دائم ودقيق ، وأن 54.5% من المعلمين يرون أن التخطيط اليومي للدرس عملية روتينية مملة وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة( Wade, 1999) حيث أظهرت أن الغالبية العظمى من المعلمين كانت لهم تجربة ايجابية في تطبيق ما تعلموه (وكان التخطيط للتدريس جزء من هذا التطبيق ) وابدوا التزاما بتطبيقه بعملهم، إلا أن 30% فقط طبقوا مفاهيم التخطيط للتدريس خلال السنوات الأولى من خدمتهم، وكثيرا منهم ارتدوا عن تطبيقه حيث أصبح من وجهة نظرهم انه ليس مطلوبا . كما تتفق مع نتائج دراسة (مسمار،2004) حيث أظهرت النتائج توافر كفايات التخطيط للتدريس لدى المعلمين ولكن ليس بالقدر الكافي وعدم الالتزام الكامل من المعلمين في التخطيط للتدريس .

وان دل هذا على شيء إنما يدل على وجود فجوه بين قناعات المعلمين ومدى تطبيق هذه القناعات، ولعل السبب في ذلك أن تركيز المشرفين التربويين على عملية التخطيط للتدريس هو تركيز شكلي مما سبب في تدني اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس ألأمر الذي يجعلهم ينظرون إلى عملية التخطيط عملية روتينية لإرضاء كل من مدير المدرسة والمشرف التربوي( الصمادي،2010). وتتفق هذه النتيجة مع دراسة(الشهابي، 2007) والتي أظهرت مستوى متوسط في اتجاهات معلمي الكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة نحو الخطة اليومية.

كما يتضح من الجدول (3) والذي يبين نتائج تحليل اختبار "ت" لاختبار أثر كل من الجنس والتخصص في اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للتدريس ، عدم وجود فروق جوهرية(α=0.o5) في اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس تعزى لمتغيرات الجنس والتخصص. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من (الشهابي،2007؛ يوسف،2007؛ عبيدات،1995) . ويرى الباحثان أن

هذه النتيجة منطقية، ومتوقعة ولعل الاهتمام بالمرأة وتبني قضيتها من قبل الكثيرين في المجتمع وتطور النظرة الإيجابية نحو تعلم المرأة أمر غرس في نفوسهن أن التعليم أصبح يناسبهن والمجتمع يقر هذا الحق ويدعمه ما أدي إلى عدم وجود أية فروق تعود في الجنس في اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس.

كما أن التشابه بين مبحثي العلوم والرياضيات في المجال العلمي ودرجة الصعوبة وتحركات تدريس كل منهما الأمر الذي جعل من اتجاهات معلمي كلا المبحثين يتبنون اتجاهات متقاربة نحو عمليات التخطيط لتدريس هذان المبحثان العلميان.

ويمكن تفسير عدم وجود فرق دال إحصائيا بين متوسط الاتجاه لدى معلمي الرياضيات والعلوم داخل كلية العلوم هو متقارب، كما أن معلمي الرياضيات والعلوم يتلقون نفس الورش والدورات التدريبية أثناء الخدمة، كما أن معلمي الرياضيات والعلوم الذين تلقوا دراستهم في كليات التربية يتلقون نفس مساقات طرائق التدريس الخاصة النظرية والعملية فمعلمي الرياضيات والعلوم يدرسون الاستراتيجيات الخاصة بالتخطيط للأهداف واشتقاقها، وتحليل محتوى كتب المرحلة الاساسية الدنيا، ويتدربون نفس عدد الساعات في مساق التربية العملية (1؛ 2) مما شكل لديهم اتجاهات متقاربة نحو مهنة التدريس بشكل عام ونحو عمليات التخطيط للتدريس بشكل خاص.

كما يتضح من الجدول (5) والذي يبين نتائج تحليل اختبار "التباين الأحادي" لاختبار أثر المؤهل العلمي على اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للتدريس، عدم وجود فروق جوهرية(α=0.o5) في اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس تعزى لمؤهلهم العلمي، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (الشهابي،2007؛عبيدات،1995؛ )، ولعل السب في ظهور هذه النتيجة هو أن المعلمين ذوي المؤهل العلمي المتدني كانت خبراتهم التدريسية عالية مما أدي إلى عدم وجود أية فروق تعود للمؤهل العلمي في اتجاهات المعلمين نحو التخطيط لدروس الرياضيات والعلوم . هذا بالإضافة إلى برامج تأهيل المعلمين حيث تعمل على إعادة تأهيل المعلمين الحاصلين على شهادات دبلوم كليات المجتمع مما أدى إلى تقلص عدد حاملي هذا المؤهل.

كما يتضح من الجدول (7)، والذي يبين نتائج تحليل اختبار"التباين الأحادي" لاختبار أثر الخبرة التدريسية على اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للتدريس ان هناك فروق جوهرية عند مستوى الدلالة (α=0.o5) في اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للتدريس تعزى لخبرتهم التدريسية. كما يتضح من نتائج اختبار(Tukey) للمقارنات

البعدية أن هذه الفروق كانت بين المعلمين من ذوي الخبرة ( 1-5 سنوات) والمعلمين ذوي الخبرة (أكثر من 10 سنوات) ولصالح المعلمين من ذوي الخبرة(أكثر من 10 سنوات). و أن هناك فروق جوهرية بين المعلمين من ذوي الخبرة ( 5-10 سنوات) والمعلمين ذوي الخبرة (أكثر من 10 سنوات) ولصالح المعلمين من ذوي الخبرة(أكثر من 10 سنوات).

وتعتبر هذه النتيجة منطقية حيث أن المعلمين ذوي الخبرة المرتفعة قد تعرضوا لمواقف تعليمية متعددة ومتنوعة أدركوا من خلالها أهمية التخطيط للتدريس والمتمثلة في احتواء المواقف الحرجة، ومعرفة مواطن القوة والضعف في المنهاج، وتحديد الزمن المناسب اللازم لتنفيذ تحركات التدريس وأنشطته.

**التوصيات :استناداً إلى نتائج الدراسة توصي الدراسة الحالية بما يلي :**

1. توفير وقت كافي للمعلم كي يقوم بعملية التخطيط لدروس الرياضيات والعلوم على أكمل وجه وهذا يأتي عن طريق :إشراك المعلمين في برامج تدريبية تستهدف تنمية مهاراتهم نحو التخطيط للحصة الصفية من خلال تزويدهم بالمعرفة النظرية والعملية عن هذا التخطيط.
2. إجراء دراسات تهدف إلى تحديد اتجاهات المعلمين نحو عمليات التخطيط للدرس في مناطق المملكة الأردنية الأخرى.
3. دراسة واقع برامج الإعداد للمعلمين أثناء الخدمة، ومدى تركيزها على تزويد المعلمين باستراتيجيات عملية للتخطيط للتدريس.
4. إقامة مشاغل خاصة بمهارات تحليل المحتوى و إتقانه، وتصميم الأنشطة التعليمية ، وتحركات التدريس واستراتيجياته لمعلمي وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع كليات التربية في الجامعات الأردنية.
5. تشكيل لجان مشتركة بين مديريات التربية والتعليم و وزارة التربية والتعليم لتوحيد منهجية علمية لإعداد وتنفيذ الخطط التدريسية.

## المصادر والمراجع:

## المراجع العربية:


1. أبو زينة ، فريد.(2010). **تطوير مناهج الرياضيات المدرسية وتعليمها.** دار وائل للنشر والتوزيع،عمان: الأردن.
2. البركات، علي(2004). تصورات معلمي الصفوف الاساسية الثلاثة الأولى للتخطيط للتدريس الملائم لتنمية الوعي البيئي لدى التلاميذ. **مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية**، المجلد 16، العدد 2.
3. جابر، جابر وآخرون(1998). **مهارات التدريس**،ط3، دار النهظة العربية،القاهرة: مصر.
4. جرادات، عزت وآخرون(1996). **التدريس الفعال: المكتبة التربوية المعاصرة**، دار وائل للنشر والتوزيع،عمان: الأردن، ص64.
5. زيتون، عايش،( 2005). **أساليب تدريس العلوم**. ط5، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
6. الشهابي، مصطفى(2007). اتجاهات معلمي الكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة في مدارس التعليم الثانوي الحكومي في مدينة تعز نحو الخطة اليومية للدرس.**مجلة بحوث جامعة تعز**، العدد العاشر، ص7-22.
7. عايش، حسني (1992).فلسفتي في إعداد المعلم الجيد: المقدمة والأبعاد الأربعة.**المجلة الثقافية**،الجامعة الأردنية، العدد 26،ص 52-61.
8. عبيدات، سليمان(1995). موقف معلمي ومعلمات الدراسات الاجتماعية في الأردن من الخطة اليومية. **مجلة دراسات، الجامعة الأردنية**، المجلد 22، العدد 1.
9. العساف،جمال وأبو لطيفة، رائد(2009). **مناهج رياض الأطفال**.مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع،عمان: الأردن.
10. عقيلان، إبراهيم(2000).**مناهج الرياضيات وأساليب تدريسها**. دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان: الأردن.
11. قنديل، يس(1414هـ).**التدريس وإعداد المعلم**.دار النشر الدولي، الرياض: السعودية.
12. القيسي، تيسير (1995) **أثر المؤهل العلمي والخبرة والجنس في رضا معلمي الرياضيات عن مهنة التعليم في المدارس الحكومية في إقليم جنوب الأردن**،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة ،الكرك ، الأردن .
13. صباح، محمد (1998). **المشكلات التي تواجه معلمي العلوم في المرحلتين الأساسية والثانوية في مدارس جنوب فلسطين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، فلسطين.
14. الصمادي، محارب (2010).**استراتيجيات التدريس بين النظرية والتطبيق**. دار قنديل للنشر والتوزيع.عمان: الأردن.
15. الصمادي، محارب والفريحات، باسم(2008)**.**مشكلات التخطيط للدروس اليومية لدى معلمي الرياضيات في محافظة عجلون، **مجلة كلية التربية،جامعة طنطا**، العدد(39) المجلد (2)، ص 737-757.
16. عوده، أحمد (2010). **القياس والتقويم في العملية التدريسية**.ط4، دار الأمل للنشر والتوزيع. إربد: الأردن.
17. كفافي، علاء الدين(1999). **الإرشاد والعلاج النفسي الأسري، المنظور النسقي الاتصالي**، دار الفكر، القاهرة:مصر.

18. مسمار، بسام(2004). دراسة تحليلية حول معارف المدرسين في المرحلتين الابتدائية والاعدادية بدولة قطر في بعض كفايات التخطيط لتدريس التربية الرياضية. **مجلة دراسات، العلوم التربوية**،المجلد 31، العدد 1.

19. يوسف، آصف(2007). تقويم اتجاهات معلمات التعليم الاساسي وطالبات كلية التربية بعبري في سلطنة عمان نحو تخطيط الدروس وفق المنهج السلوكي. **مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس**، المجلد الخامس، العدد الاول.

## المراجع الأجنبية:

20. Bruner, J (1966). **Towards of Theory Instruction**. New York : Norton Publisher.

21. Dunn, G, and Shriner, C (1999). Deliberate practice in Teaching : What Teacher do for Self-Improvement**.Teaching and Teacher Education.** 43(3).pp631-651.

22. **Encyclopedia of Psychology** (1984).John Wiley and Sores . vol.1.p99

23. Ford ,P . Blanchard, J. and Blanchared, A. (1993). **Leadership and Administration of Out-door Pursuit .** State College, PA: Venture Publishing, Inc.

24. Frudden,S.J.(1984). Lesson Plans Can Make a Difference hn Evaluating Teachers.**Education.**10(4), p351-353

25. Howe, R and Disinger , J (1998). Teaching Environmant Education Using Out-of- School Setings and Mass Media,**Eric, ED320759.**

26. Kuo, S.(1990). A discrimination Analysis of Teacher Burnout Based on Teacher Stress and Professional Attitudes .**Bulletin of Educational Psychology ,** 23(2).pp 71-79.

27. Palmberg, I. and Kuru, J(2000). Outdoor Activates As a Basis for Environmental Responsibility. **Journal of Environmental Education,** 31(4), pp 32-36.

28. Ratciffe, M (1998). Introduction : The Professional Development of Teachers. In Ratcliffe, M(ed).**ASE Guide to Secondary Science Education.** Cheltenham : Stanley Thornes.

29. Rothler,J (1998). Reading in Color: Children's Book Illustrations and Identify Formation For Plack Children in the United states . **African American Review.**32(1), pp95-105.

30. Shavelson, B.(1987). Direct Instructional Objective. **Journal of Teacher Education,** 11(2),pp 24-37.

31. Starnman,S et al. (1992). A Test of A Causal Model of Communication and Burnout in The Teaching Profession. **Communication Education,** 41(1), pp 40-54.

32. Wade Rahima C. (1999). Novice teachers' experiences of community service-learning. **Teaching and Teacher Education**, PP 684-697.

# عرض الكتب المهمة ومعالجتها والمشروعات البحثية

"الحديقة المزخرَفة في حواشي القهوة المرتشَفة"

لمحمد بن عبد الرحمن الديسي(1270-1339هـ/1854-1921م)

تعريفا بالجهود البحثية وتوسيعا للصلات بين ما يجري في جامعاتنا بتعدد جغرافيا انتشارها نضع بين ايدي باحثاتنا وباحثينا بعضا مما يردنا من ملخصات موجزة وسنعمد في المرات القابلة لتوسيع عرض أكبر عدد من التجاريب وبإيجاز أكثر مع الاحتفاظ بهذه الزاوية لعرض الكتب المهمة ومعالجتها نقديا.

# "الحديقة المزخرَفة في حواشي القهوة المرتشَفة"

لمحمد بن عبد الرحمن الديسي(1270-1339ه/1854-1921م)

إعداد الأستاذ: عادل لخضر،
كلية الأداب والعلوم الاجتماعية جامعة سعد دحلب البليدة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله والرضا على صحابته أجمعين.

أما بعد:

فإنه من يطّلع على كتب تاريخ المغرب الإسلامي وكتب الطبقات والتراجم كعنوان الدراية للغبريني (ت 704ه)، أو وفيات ابن قنفد (810 ه)، أو البستان لابن مريم المليتي (1014ه) أو تعريف الخلف للحفناوي(ت بعد 1936م) ليعلم كم كانت الجزائر عامرة بدور العلم المختلفة ما بين كتاتيب ومدارس وجوامع في المدن والحواضر الكبرى والقرى، والزوايا المنتشرة في البوادي وفي رؤوس الجبال، وكانت تنافس مدارس المشرق والأندلس سمعة وعطاء علميا، وأكثر من ذلك كانت مقصد طلاب العلم والعلماء على حدّ سواء، ولاسيما في فترات قوة الدول التي كانت تحكم المغرب العربي وازدهارها كبجاية وتلمسان وبلاد زواوة وغيرها كثير.

وكان يقوم على هذه المؤسسات العلمية علماء بلغت شهرتهم وحسن صيتهم الشرق ومؤلفاتهم لاقت القبول عند العام والخاص، وتنافس الأمراء والحكام في الاهتمام بالعلم والعلماء فقربوهم منهم وأجزلوا لهم العطاء، فجاء إنتاجهم العلمي وافرا ومتنوعا شمل علوم الدين والدنيا.

ثم يدرك بعد ذلك سرّ عظمة هذه الأمة بما أنجبته من علماء عظام ساهموا بقسط وافر في ترقية الحضارة الإنسانية؛ بما قدموه من جهود علمية تدريسا وتأليفا في شتى مجالات العلم، علماء من أمثال: الغبريني وابن مرزوق الجد والحفيد وابن قنفذ، والسنوسي صاحب العقائد، وابني الإمام والشريف التلمساني والونشريسي، والمقرّي والثعالبي والمغيلي والشاوي، وقدورة وابن عمار والبوني، وأبي راس المعسكري، وعبد القادر المجاوي

وعبد الرحمن الديسي وغيرهم كثير لا يسعنا المقام لذكرهم وذكر مآثرهم العلمية.

فعلى قدر ما يأخذنا الإعجاب بهم والإعظام لهم والتقدير لأعمالهم العلمية يأخذنا الأسى على الغفلة أو التغافل عن التراث العلمي الكبير الذي خلّفوه لنا، وعلى تركه عرضة للضياع وقد أخذ منهم كل جهودهم وحياتهم، فلولا جهود بعض الأساتذة الذين انبروا للقيام بمهمة إخراج هذا التراث إلى النور وبعث الحياة فيه من جديد، ثم صونه وتقديمه لطلاب العلم، وأعظم بها من مهمة فقد حفظوا ما استطاعوا من درر علمية نفيسة، ولكن تبقى جهودهم غير كافية بالنظر لضخامة هذا التراث ما لم نحمل نحن المتحصصين اليوم في تحقيق المخطوطات معهم وعنهم ثقل هذه المهمة، مستفيدين من خبراتهم التي حصّلوها بعد سنوات من الجهد المضني في سبيل تحقيق وإخراج بعضها.

وفي هذا الإطار وتكملة للمسار الذي سلكته من أجل تحضير شهادة الماجستير في هذا التخصص، وبعد أن نقّبت عن بعض هذه الكنوز المخبوءة في بطون المتون والفهارس، وجهني - مشكورا - أحد الأساتذة المهتمين بإحياء التراث إلى درة نفيسة، هي من أنفس الدرر التي ورثتها فخر الجزائر[71] ومعلّم زاوية الهامل ببوسعادة الأول وإمامها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين ميلادي؛ الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الديسي (1270-1339هـ/1854-1921م)[72]، الذي لم يسافر كثيرا في طلب العلم - كعادة طلبة العلم في ذلك الوقت - ولم يأخذ عن كثير من المشايخ فقد أخذ عن الشيخ ابن بلقاسم بن عروس والشيخ محمد الصديق في قريته القرآن وعلوم العربية، ثم انتسب إلى زاوية سيدي السعيد بن أبي داود في جبل زواوة فأخذ عن شيخها محمد الطيب، ثم أخذ عن الشيخ محمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الهامل التصوف لما انتسب إليها معلّما ولكنه مع ذلك حصّل علوما جمّة تنوعت بين علوم اللغة والأدب كالنحو والصرف والبلاغة والشعر والرسائل والألغاز والمناظرات، وعلوم القرآن والعقيدة والفقه وأصوله، وعلوم الحديث والتصوف والمنطق والذي يبعث على العجب أن بصره كفّ وهو صبي، فهو بحق كما وصفه

---

([1]) فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني(562/2).

([2]) تنظر ترجمته في: فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني(10/1)، و(856/2)، ومعجم المؤلفين(281/11)، وهدية العارفين (باب اللام)(157/2)، وتعريف الخلف برجال السلف(399/2، و400)، والديسي حياته وآثاره وأدبه لعمر بن قينة. ص: 13، ونهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة لمحمد علي دبوز.(562/2).

الكتاني في فهارسه: فخر الجزائر وشمسها و" مجدد رسوم الحديثية، ومحيي دارس الآثار المصطفية بالمغربين، بل حافظ الخافقين، المشرق نوره بالمشرقين، بلا مرية ولا مين "(73)، ولا غرو وقد كان الشيخ ابن باديس يراسله مستفتيا في بعض المسائل(74).

قضى حياته كلها بزاوية الهامل في خدمة الناس وطلبة العلم معلما وإماما ومفتيا ومؤلفا ولا يكاد ينافسه في التأليف في مختلف الفنون منافس إلا الشيخ عبد القادر المجّاوي ولكن الديسي يفوقه في كثرة التأليف، ومع ذلك كله لم يحظ تراثه العلمي بالدراسة والتحقيق اللهم إلا دراستين أكاديميتين حقق فيهما له عملان هما المشرب الراوي على منظومة الشبراوي(75)، والقهوة المرتشفة في شرح منظومته على الجمل "الزهرة المقتطفة"(76)، وكلاهما في النحو.

وأما الدرة النفيسة التي وُجهت إليها ـ كما أشرت إلى ذلك آنفا ـ فهي حاشيته على شرحه "القهوة المرتشفة" لنظمه في الجمل "الزهرة المقتطفة" والتي سماها "الحديقة المزخرفة" وبعد اطلاعي عليها في نسختين تحصلت عليهما من جمعية الديسي بالهامل (بوسعادة) وجدتها بحق حديقة مزخرفة تنوعت فيها الأزهار والرياحين وفاحت بكل شذى وطيب، فهي ليست حاشية كما هو معهود في الحواشي بل لست أغالي إن قلت: إنها أكثر مؤلفاته اللغوية والأدبية فائدة وأغزرها علما وأكبرها حجما ففيها النحو والصرف والبلاغة والعروض والأدب والعلوم الشرعية والتصوف وقد فرغ من تأليفها في 17 رمضان 1302 هـ.

لهذه الأسباب والدواعي أزمعت على كشف اللثام عن حسنها وعرضها على المهتمين وطلاب العلم محققة ومقدمة بدراسة مستفيضة حول الشيخ وعصره، والزوايا ومساهمتها العلمية والثقافية في حفظ هوية هذه الأمة من عمليات المسخ والسلخ، التي مارسها المستدمر الفرنسي آنذاك، وذلك بتقديمها مشروع دكتوراه في تحقيق المخطوطات.

---

([1]) فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني(10/1).

([2]) الديسي حياته وآثاره وأدبه. ص: 41.

([3]) حققه بو عبد الله لعبيدي ونال به شهادة الماجستير من قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر: 2001.

([4]) حققه عبد الحفيظ جوبر ونال به شهادة الماجستير من قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر: 2001.

هذا وقد ظفرت بنسختين من أصل ثلاثة نسخ للكتاب، فالنسخة الأولى وهي جيدة موجودة عند جمعية الديسي بالهامل، وقد يكون مصدرها زاوية الهامل! وهي في: 131صفحة (وجه و ظهر) مؤطرة، بمسطرة: 23 سطر×12كلمة، وخطها مغربي جميل أسود، والكلمات المفاتيح ملونة بالأحمر والأخضر والأزرق والأصفر، وفيها التعقيبة، والشرح مكتوب على الهامش، كتبت في حياته بيد الشريف بن الحاج محمد المقراني باش آغا في 23 شوال 1329 هـ.

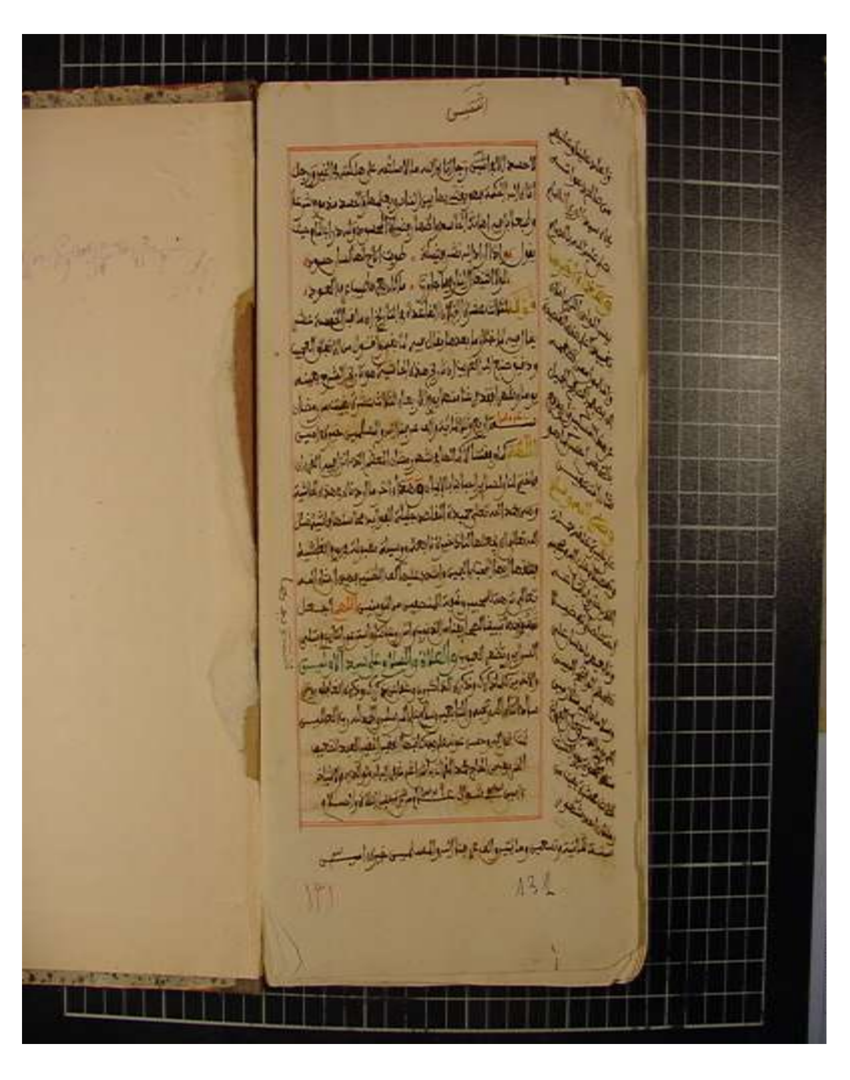
وأما النسخة الثانية فإنها لا تقل عن الأولى جودة، وخطها نسخي جميل وهي موجودة عند جمعية الديسي كالأولى وهي مؤطرة بالأحمر في 117 صفحة بمسطرة: 25 سطر×10كلمة، واستعملت فيها الألوان المختلفة، وكتب الشرح على الهامش ولا تعقيبة فيها، وهي منقولة عن النسخة الأولى حرفيا وناسخها مجهول.

وأما النسخة الثالثة فلم تقع بعد في يدي إذ وعدني بها أحد المهتمين بالمخطوطات لهذا لا أعلم لها وصفا.

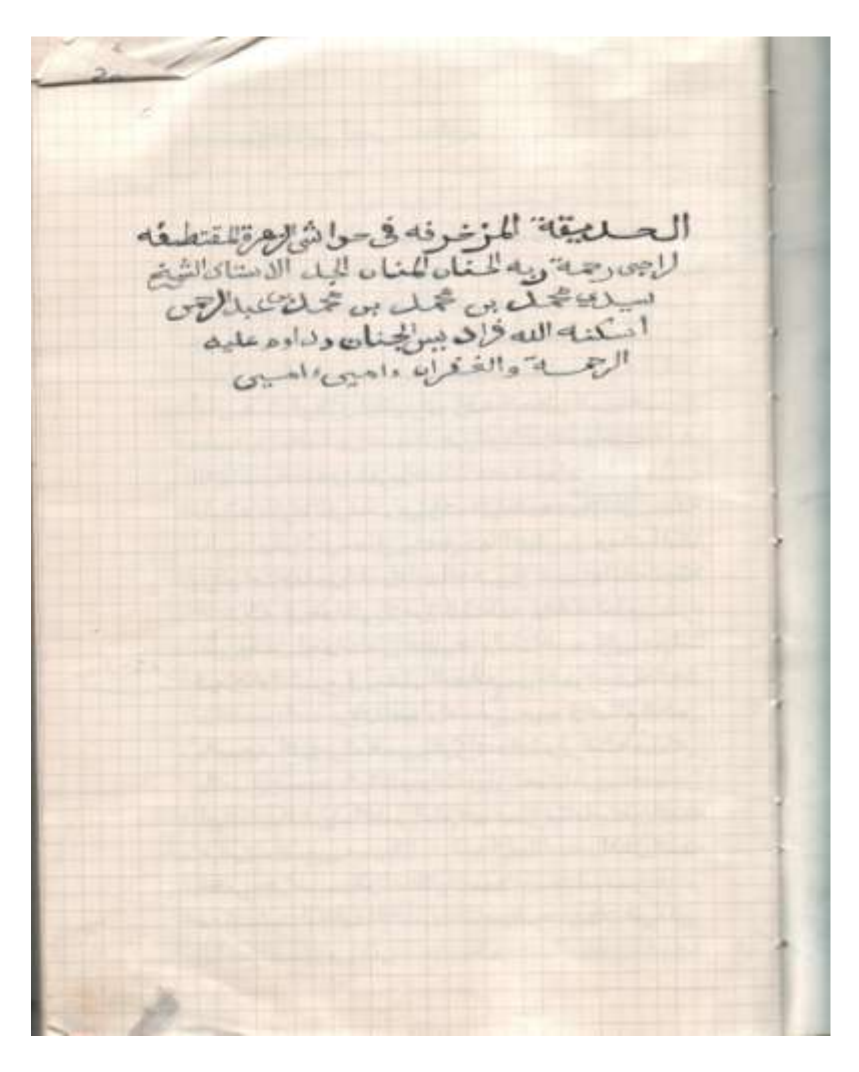
وهذه صور لبعض صفحات النسخة الأولى، وقائمة أولية بالمصادر والمراجع المستعملة.



ظهر الورقة الأولى ووجه الورقة الثانية من النسخة الأولى(الأصل).



ظهر الورقة الأخيرة من النسخة الأولى(الأصل).


الحديقة المزخرفة في حواشي الزهرة المقتطفة
لراجي رحمة ربه الحنان المنان العبد الأستاذ الشيخ
سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
أسكنه الله فراديس الجنان وداوم عليه
الرحمة والغفران آمين آمين

غلاف النسخة الثانية.



199

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي ألهم الاعراب عن المقاصد بالألسنة الفصاح
ومنح العلم وصقل الفهم ونزل الحواشي من الشروح منزلة
الارواح من الاشباح والصلاة والسلام على سيدنا محمد
خير خلق الله جملة وتفصيلا وعلى آله الاخيار واصحابه
الابرار وتابعيهم بإحسان بكرة وأصيلا
أما بعد فيقول الفقير إلى رحمة الحنان المنان محمد بن
محمد بن محمد بن عبد الرحمن أذاقه الله وأحبته حلاوة
الايمان وعامله وإياهم بإحسان هذه حواش شريفة
وإشارات
وفوائد جليلة منيفة وعبارات شيقة معجبة منيقة
مطربة وعرائس معان يبتهج بها الجليس وبنات أفكار
يرتاح لعناقها ورشف رضابها الانيس سميتها بالحديقة
المزخرفة في حواشي الزهرة المقتطفة وذلك لما سره
علي بعض إخواننا من الطلبة وفقنا الله وإياهم لما
فيه رضاه الشرح في رمضان المعظم من شهور سنة ثلاث سنة 1303
وثلاثمائة وألف عرفنا الله والمسلمين خيره في المقام الانور
والمسجد الازهر المعمور بالبركات والانوار المشحون بالخيرات
والاسرار مسجد شيخنا ومولانا وولي نعمتنا سيدي محمد بن
أبي القاسم الشريف الهاملي أدام الله عمارة مقامه ما بقي الاسلام
بجاه رسوله وحبيبه سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة وأفضل السلام
فطلبوا بعض كلمات وفوائد طلبوا جمعها فأسعفتهم بمرادهم
وإن كنت لست أهلا لهذا الشأن ولا أنا من فرسان هذا الميدان

وجه الصفحة الأولى من النسخة الثانية.



الصفحتين الأخيرتين من النسخة الثانية.

قائمة المصادر والمراجع التي لها علاقة بموضوع الدراسة

1. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. د/ ابو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. ط2: 1990.
2. إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر. محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان. طبع وإشهار: داود بريكس، تلمسان. ط1(1422هـ/2001م).
3. إرشاد المتعلمين. الشيخ عبد القادر المجاوي. طبعة حجرية. مصر. ط: 1294هـ/1877م.
4. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت، لبنان. ط10: 1992.
5. أعلام المغرب العربي. محمد الصالح الصديق. موفم للنشر، الجزائر. ط:2000.
6. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. د/ يحي بوعزيز. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان. ط1: 1995.
7. إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ. الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مر: د/ محمد عبد المعيد خان. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط2: 1406 هـ/1986م.
8. الإنصاف في مسائل الخلاف. كمال الدين أبو البركات الأنباري. ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان. ط1: 1424هـ/2003م.
9. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. جمال الدين بن هشام الأنصاري، ومعه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. (ط د ت).
10. باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. الحاج محمد بن رمضان شاوش. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ط: 1995م.
11. البلغة في تاريخ أئمة اللغة. الإمام مجد الدين محمد الفيروز آبادي. تح: بركات يوسف هبود. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. ط1: 2001م.
12. بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى الحلبي وشركاه. (ط د ت).
13. تاريخ الجزائر الثقافي. د/ أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لنان. ط1: 1998.

14. تاريخ الجزائر العام. عبد الرحمن الجيلالي. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ط7: 1415هـ/1994م.
15. تاريخ العرب الحديث. د/ زاهية قدّورة. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. ط1405هـ/1985.
16. تاريخ قسنطينة. محمد الصالح العنتري. مراجعة وتقديم وتعليق: أ. د/ يحي بوعزيز. دار هومة الجزائر. ط:2005م
17. تاريخ المغرب الكبير. د/ السيد عبد العزيز سالم. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. ط:1981.
18. تاريخ المغرب وحضارته. د/ حسين مؤنس. العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط1: 1412هـ/1992م.
19. تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، المدية، مليانة. الشيخ عبد الرحمن الجيلالي. نشر وزارة الثقافة الجزائر. ط2: 2005م.
20. تاريخ مدينة السلام. الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. تح: د/ بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. ط1: 2001م.
21. تهذيب الأسماء واللغات. الحافظ النووي. إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. (ط د ت).
22. تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. دائرة المعارف النظامية، الهند. ط1: 1325هـ.
23. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. الحافظ جمال الدين المزي. تح: د/ بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط3: 1994م.
24. تهذيب اللغة. الأزهري أبو منصور محمد. تح: عبد السلام هارون. الدار المصرية للتأليف والترجمة. ط(1384هـ/1964م).
25. جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري. تح: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط1: 1420هـ/2000م.
26. الجزائر في التاريخ. مجموعة من الأساتذة. وزارة الثقافة والسياحة. الجزائر. ط:1984م.
27. الحركة الوطنية الجزائرية. أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. ط1

28. كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون. مصطفى بن عبد الله الرومي( حاجي خليفة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط(1413هـ/1992م).

29. كشاف اصطلاحات الفنون. تأليف الشيخ العلامة محمد علي بن علي محمد التهانوي الحنفي (ت1158هـ)، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1(1418هـ/1998م).
30. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. الحافظ أبو نعيم الأصفهاني. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. (ط د ت).
31. خزانة الأدب ولب لباب العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي. تقديم وتهميش وفهرسة: د/ محمد نبيل الطريفي. د/ إميل بديع يعقوب. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ( ط د ت).
32. دائرة المعارف الإسلامية. كارل بروكلمان. مترجمة إلى العربية.
33. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. ابن حجر العسقلاني. تح: د/ سالم الكرنكوي الألماني. دار الجيل، بيروت، لبنان. ط1414هـ/1993م.
34. الديسي: حياته وآثاره وأدبه. عمر بن قينة. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. (ط د ت).
35. سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. أبو الفوز محمد أمين البغدادي. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. ط:1409هـ/1989م.
36. سير أعلام النبلاء. الحافظ شمس الدين الذهبي. تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط10: 1414هـ/1994م.
37. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. (ط د ت).
38. شرح لامية الأفعال. بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله. تحقيق: هلال ناجي. عالم الكتب، بيروت، لبنان. ط1: 1420هـ/1999م.
39. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ابن العماد الحنبلي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (ط د ت).
40. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي. ومعه حاشية: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للعلامة أحمد بن محمد الشمنيّ. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان. ط(1409هـ/1988م).
41. الشعر والشعراء. ابن قتيبة. بيروت، لبنان. ط2: 1969م.
42. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها. أبو الحسن أحمد بن فارس. تعليق وحواش: أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1(1418هـ/1997م).
43. صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان. تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط2: 1414هـ/1993م.

44. صحيح البخاري. الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. وضع فهارسه: د/ مصطفى ديب البغا. موفم للنشر، الجزائر، ودار الهدى عين مليلة الجزائر. ط:1992م.
45. صحيح مسلم بشرح النووي. موافق للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث. بإشراف: حسن عبّاس قطب. دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية. ط1(1424ه/2003).
46. صفة الصفوة. الإمام جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي. تح: محمود الفاخوري. دار الوعي حلب، سوريا. ط1: 1390ه/ 1970م.
47. الصلة. أبو القاسم بن عبد الملك(ابن بشكوال). الدار المصرية للترجمة والتأليف. ط1966م.
48. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. الإمام شمس الدين محمد السخاوي. منشورات دار مكتبة الحياة. (ط د ت).
49. طبقات الحفاظ. جلال الدين السيوطي. ضبط لجنة من العلماء. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ط2: 1414ه/ 1994م.
50. طبقات الشافعية. ابن قاضي شهبة. تح: د/ الحافظ عبد الحليم خان. عالم الكتب، بيروت لبنان. ط1: 1987م.
51. طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي.

Journal of

Averroes University

in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**



Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
NL242123028B01 Tax record - KvK 08189752 Registration number in the Netherlands

# All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.




Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO

DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O

AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND

LORSWEG4

3771GH

BARNEVELD

BIC ABNANL2A

IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| **Annual contribution** | **Individuals** | **Organizations** |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |





Seventh Issue December 2012

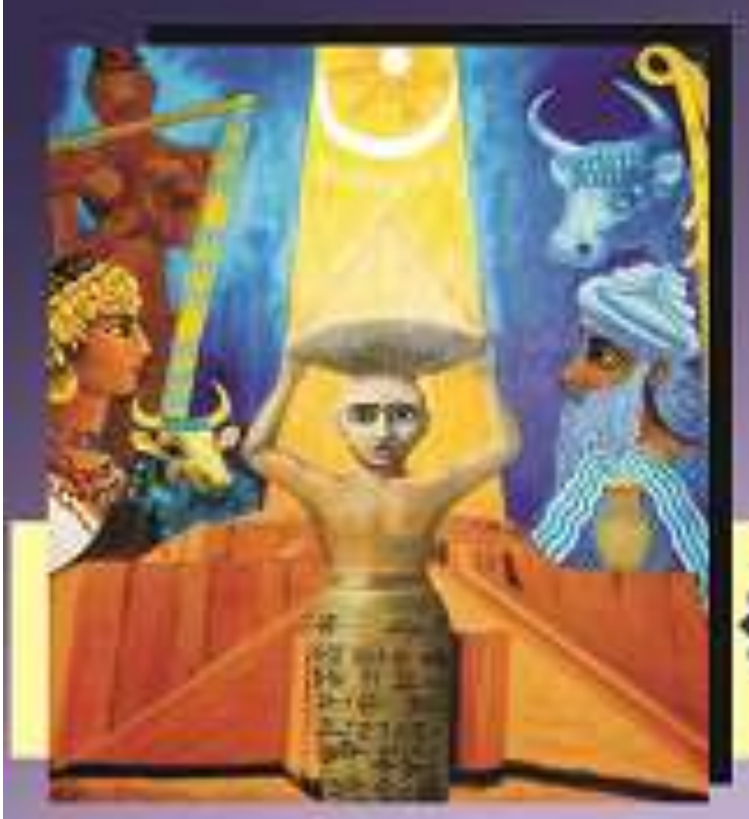



# Journal of Averroes University in Holland

Issue 7 Price €10,00




العدد الثامن





# مجلة

# جامعة ابن رشد في هولندا

## دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا





عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411



رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |

طبعت بمطابع مجلة كه وانة [القوس] الكوردستانية ومسجلة برقم



العدد الثامن آذار مارس 2013

# الفهرس


| التصنيف | ص. |
|---|---|
| **مفتتح** | أ، ب |
| **الأدب وعلوم اللغة** | 001 |
| جمالية الوصف في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنا مينة د. عيسى متقي زاده \د. فرامرز ميرزايى \سجاد اسماعيلى \ دانش محمدى | 002 |
| في شعرية الفضاء الدكتور سعيد بن علي الجعيدي | 029 |
| صورة العربي لدى مولانا جلال الدين الرومي604-672هـ الدكتورة ماجدة حمود | 051 |
| دلالة اللفظ بين المعجم والسياق | 065 |
| دورُ النَّحو كَمقياس علميّ في صِياغَة نَظرِّية النَّقد الأدبِّي عندَ العَرَبِ الدكتور عبد العزيز شويط | 084 |
| **التاريخ** | 114 |
| المرأة الليبية في قورينا وسؤال الهوية الأستاذ الصديق بودوارة | 115 |
| **الاقتصاد و إدارة الاعمال** | 129 |
| الادارة الرشيدة ودورها في الحد من الفساد الاداري والمالي في الاردن في ظل العولمة الاقتصادية الأستاذ: غسان مصطفى احمد القضاة \ الدكتور علاء زهير الرواشدة | 130 |
| **العلوم النفسية والتربوية** | 164 |
| تقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي في المدارس الحكومية في مدينة جنين الدكتورة بتول مصلح غانم | 165 |
| تأثير المعرفة المسبقة بالأهداف السلوكية على تحصيل الطلبة الأكاديمي الآني والمؤجل في تدريس التربية الوطنية الدكتور فخري رشيد خضر | 208 |
| **Acceptance and Rejection Responses Towards the Opposite Sex among the Students** of Al- Quds OU | 249 |

* تصميم الغلاف الدكتور معتز عناد غزوان

* لوحتا الغلاف للفنان التشكيلي العراقي الأستاذ فيصل لعيبي

## مفتتح

ماذا أنجزت مجلة ابن رشد العلمية المحكمة؟ ما تفاصيل جهودها طوال عامين من العطاء؟ للإجابة عن هذين السؤالين لابد من الإشارة إلى أن مجمل البحوث التي وردتنا احتاجت إلى ثلاثة أمثالها عددا لتشكيل لجان التحكيم، كيما نراجع المنجز العلمي الذي وردنا. وتطلبت اتصالات مع باحثين من خارج الجامعة لتغطية مفردات العمل وإتاحة فرصة أوسع لصدور أعداد المجلة. وكان هذا في إطار تعاوني ربط بين الأساتذة بمختلف الجامعات من بلدان شرق أوسطية وأوروبية وآسيوية وأفريقية. فكان مفخرة في تلبية هدف من أهداف وجود جامعتنا بمدها جسور التفاعل العلمي الأكاديمي وتناقل الخبرات وعرض المنجز بين منطقي التأسيس والتأصيل والحداثة والتجديد.

لقد رفضت إدارة التحرير عددا من البحوث بسبب عدم التزامها بالشروط الشكلية من مثل موضوع حجم البحث الذي كان أحيانا يصلنا بما يعادل الـ100 صفحة وأكثر والشروط المنهجية وتماسك آليات اشتغال البحث.. وفي الحال الأولى لم يعنِ ذلك أن البحث غير جيد ولكن ظروف النشر في مجلتنا تتطلب تحديدا للحجم، غير أنّ السبب الآخر كان يعني رفض البحث لمجانبته شروط العلمية ومنهجيتها وهو ما كان يتقرر بأصوات الباحثين مع دور تكميلي مهم من هيأتي الاستشارة والتحرير...

من جهة أخرى ينبغي الإشارة إلى أننا امتلكنا وفرة في بعض الأبواب والتخصصات من بحوث عديدة وردتنا، ما دفع لوضعها في تسلسل للنشر في الأعداد التالية بحسب تواريخ ورودها، مع هذا فإن ما نُشر يعد بالقياس لحداثة صدور دوريتنا حجما نوعيا مهما فضلا عن حجمه الكمي الطيب.

فقد ساهم في أعدادنا السبعة الأولى 73 باحثة وباحثا منهم 16.44% من الباحثات و83.56% من الباحثين؛ نشروا 75 بحثا علميا محكَّما توزعت على التخصصات الآتية: ففي باب الأدب

واللغة جاءت النسبة الأولى وهي 37.33% فيما احتلت النسبة الثانية بحوث الاقتصاد بنسبة 17.33% يُضاف إليها حقل الإدارة بنسبة 1.33%. وجاء على التوالي تخصص العلوم النفسية والتربوية بنسبة 13.33% ثم الفنون بنسبة 10.66% فالفلسفة والتاريخ ولكليهما نسبة 5.33% يعقبهما العلوم السياسية بنسبة 2.66% وتتشارك أخيرا علوم الإدارة والقانون والإعلام بنسبة 1.33%. وكانت نسبة النشر باللغة العربية تعادل 92% فيما النشر بالأنجليزية كان بنسبة 8%.

إننا نتمنى توافر إمكانات تعزيز حجم الدورية وفتح مجال أوسع للمشاركات البحثية الرصينة. كما نؤكد على أننا نبحث في أبواب التجديد والتحديث ونعتذر من تلك البحوث التي تقع في ميادين تقليدية بحتة يمكنها أن تجد فرصها في دوريات أخرى نحترم جهدها وتوجهها أيضا. ونتطلع لجذب جهود الباحثات من العاملات في هيأة التدريس ومراكز البحوث من النسوة. آملين للجميع مزيدا من النجاحات التي يحققونها في رسم معالم بحثية نظرية وميدانية تخدم مسيرة التغيير و التقدم في بلداننا.

ومن جهتنا كما لاحظ الباحثون والباحثات فقد جمدنا طوال المدة الماضية العمل بالشرط المالي، الأمر الذي لا يمكننا الاستمرار فيه مستقبلا لكننا نأمل معالجة الأمر بالطريقة المناسبة. علما أن هذا الشرط حتى عند تطبيقه لن يكون سوى مفردة عينية رمزية غير مؤثرة.

نعد هنا بإصدار العدد التالي في فرصة أقرب بما يتجاوز تراكم التأخير في مواعيد بعض الأعداد السابقة. ونأمل بجهدنا المتواضع هذا أن نكون قد ساهمنا بالقدر المتاح، بحسب وضعنا المخصوص، وأن نكون قدمنا دعما جديا لحركة البحث العلمي. متمنين أن تصادف هذه الجهود مؤازرة جدية ودعما من زميلاتنا وزملائنا من أجل ديمومة العطاء واستمراره؛ ومعا وسويا نمضي إلى أمام.

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة


جمالية الوصف في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنا مينة في شعرية الفضاء

صورة العربي لدى مولانا جلال الدين الرومي604-672هـ

دورُ النَّحو كَمقياس علميّ في صِياغَة نَظرِّية النَّقد الأدبِّي عندَ العَرَبِ

# جمالية الوصف في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنا مينة

د. عيسى متقي زاده[1]
د. فرامرز ميرزايى[2]
سجاد اسماعيلى[3]
دانش محمدى[4]

**الملخص**

يعتبر الراويّ حنا مينة من أهم و أشهر الروائيين المناضلين في سوريا. فكانت رواياته منبراً سياسيا تصدّى بها للعدوّ الأجنبي المتمثّل في الدول الاستعمارية مثل الفرنسا، و للاضطهاد السياسي الذي فرضته الحكومة السورية على الأدباء و المثقفين في القرن العشرين. و قد استطاع مينة أن يصوّر الحالة السياسية المتوتّرة التي عاشها المثقفون و الأدباء السوريون في صورة روائية فنية. فجاءت رواياته متميّزة بالعناصر الفنّية و الجمالية. و قد سيطر عنصر الوصف على العناصر الفنّية الأخرى حيث وظّفه الكاتب توظيفا مكثّفا في رواياته. تحتل رواية «الثلج يأتي من النافذة» مركزا رئيسا من بين روايات حنا مينة من حيث الجمع بين الرؤية السياسية للكاتب و بين الجمال الفنّي المتمثّل في عنصر الوصف.

هذا المقال محاولة لدراسة عنصر الوصف في رواية «الثلج يأتي من النافذة» فينطلق من فرضية مفادّها أنّ الأوصاف في هذه الرواية تناسقت مع الحالة المتوتّرة التي عاشها البطل و أوحت حالة الاغتراب السياسيّ الذي عانى منه إثر هروبه من البلد و إلتجائه إلى بيروت.

الكلمات الدليلية: الرواية السورية، حنا مينة، الثلج يأتي من النافذة، الوصف.

## زیبایی‌شناسی وصف در رمان «الثلج يأتي من النافذة» اثر حنّا مینه

د. عيسى متقي زاده[5]
د. فرامرز ميرزايى[6]

---

[1] – أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تربية مدرس في طهران.

[2] – الأستاذ في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلي سينا في همدان.

[3] – ماجستير في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس في طهران.

[4] – دكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس في طهران.

[5] – استاديار گروه زبان و ادبيات عربى دانشگاه تربيت مدرس تهران.

سجاد اسماعیلی[7]
دانش محمدی[8]

**چکیده**

حنا مینه به عنوان یکی از نویسندگان مشهور و مبارزه‌طلب سوری، به خاطر رمان‌هایی با درون‌مایه‌های سیاسی از شهرت و محبوبیت خاصی برخوردار می‌باشد. وی در رمان‌هایش که جان‌مایه‌ی آنها مبارزه‌طلبی با دولت‌های استعمارگری همچون فرانسه هست از وجود شکنجه‌های سیاسی دولت سوریه در قرن بیستم بر مردم، ادبا و قشر تحصیل‌کرده، انتقاد می‌کند و سپس این اوضاع سیاسی متشنج را به زیبایی هرچه تمام و در قالب اوصافی کاملا هنری و بدیع به تصویر می‌کشد. لذا همین گره‌خوردگیِ محتوای سیاسی با عنصر وصف، عنصر غالب و مسلط رمان‌های وی گردیده است. یکی از رمان‌های مشهور نویسنده رمان «الثلج يأتي من النافذة» است؛ این رمان به خاطر جمع بین محتوای سیاسی- انتقادی با عنصر وصف یکی از مهم‌ترین رمان‌های او به شمار می‌رود.

این مقاله نیز با استفاده از روش توصیفی تحلیلی سعی در کشف عنصر وصف و زیبایی شناسی آن در این رمان دارد. برخی از مهم‌ترین یافته‌های پژوهش نشان داد که نویسنده در این رمان با الفاظی بسیار لطیف و زیبا، عنصر وصف را با اوضاع سیاسی وقت خویش در هم آمیخته و بدین طریق حس نوستالژیک سیاسی عمیقی که در پی خروج اجباری‌اش از سوریه به بیروت در وی به جود آمده را به تصویر کشیده است.

واژگان کلیدی: رمان سوریه، حنا مینه، الثلج يأتي من النافذة، وصف.

Description aesthetics in the novel *AthaljYa'ti Min Al-Nafezah* by Hanna Minah

Dr. Isa Mottaghizadeh[9]
Dr. Faramarz Mirzaei[10]

---

[6] – استاد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه بوعلی سینا همدان.

[7] – دانشجوی کارشناسی ارشد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس تهران.

S.esmaili20@gmail.com   تلفن: **09139203967**

[8] – دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس تهران.

D.mohammadi64@gmail.com

[9] . Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Department of Tarbiat Modarres University, Tehran.

Sajjad Esmaeili[11]
Danesh Mohammadi[12]
Abstract
Due to novels with political themes, Hanna Minah as one of Syrian famous and argumentative writers, has a special fame and popularity. In his novels which spirit is defiance against colonial governments such as France, he criticizes Syria's government political tortures against people, scholars, and educated stratum in the twentieth century and then illustrates these convulsive political situations very beautifully and in artistic and exquisite descriptions format. Therefore, this political content knotting with description element has become the dominant element in her novels. One of the famous novels of writer is the novel *AthaljYa'ti Min Al-Nafezah;* Because of bringing political-critical content and description element together, this novel is one of her most important novels.
Using descriptive-analytic method,this article tries to discover its description element and aesthetics in this novel. Some of the most important discoveries of the research showed that in this novel the writer has combined description element with her own times political situations by the means of very subtle and beautiful terms, and in this way she has illustrated a deep nostalgic-political feeling came out after her mandatory exit from Syria to Beirut.
**Keywords**: Syrian novel, *AthaljYa'ti Min Al-Nafezah*, Hanna Minah, Description.

---

10 . Professor of Arabic Language and Literature, Department of buali sina University, hamadan.

11 . Graduated student of Arabic Language and Literature,
, Department of Tarbiat Modarres University, Tehran.
12 . PHD student of Arabic Language and Literature, , Department of Tarbiat Modarres University, Tehran .

**التمهيد**

الرواية بصفتها قطعة من الحياة الاجتماعية تحولّت إلى جنس نثري أدبي جميل، يصف فيها الكاتب الحياة البشرية بشخوصها وأحداثها وصورها الاحتمالية مستخدماً في ذلك جميع التقانات والأساليب التي ورثها من أجداده والتي يصادفها في الحياة، والفنون، والمعارف، والآداب ويهيمن عليها(الموسى، 2006: ص20). وأصبحت اليوم ديوان العرب و الأكثر تأثيراً والأوسع انتشاراً عن أزمات الإنسان العربي المعاصر وحلّت بجدارة محلّ الشعر الذي كان فنّ العربية الأول في النصف الأول من القرن العشرين ( وادي،2002: 259)، فتمنح الرواية القارئ فوائد متنوعة لا يستطيعها أيّ فنّ أدبي آخر لعذوبتها وقدرتها على الولوج في كلّ باب (ميرزايى، 1390: 47-74).

أما الرواية في سورية فهي رواية الأفكار الثورية والسياسية بدءاً من روايات **حنا مينة**[13] المتتالية إلى سواه من الروائيين السوريين، حتّى إنّ صفحات الرواية تحوّلت في أحيان كثيرة إلى دعوات للنضال الوطني والسياسي والاجتماعي، ونالت قضية الحرية السياسية نصيباً كبيراً من هذه الصفحات(م.ن، 2006: 34). تطرق مينة في غالبية أعماله الروائية من قريب أو بعيد لموضوع النضال الوطني ضد الفرنسيين. و حتى في رواياته التي تناولت مرحلة ما بعد الاستقلال، كان يعرّج من خلال ذكريات أبطاله على مسألة النضال الوطني. و قد علق أوسمة الكفاح ضد المستعمرين الرئسيين على صدور معظم شخوص رواياته، وفي حين كان اهتمامه محدودا بقضية التغيير الاجتماعي التي برزت كمسألة أساسية بعد التحرر من الانتداب الفرنسي. إذن بالجملة يمكن أن نعتبر رواياته كمرآة تنعكس أحداث عصره (مراد، 1991: 11- 12).

---

[13]- أحد الروائيين المشتهرين في سورية، الذي ولد في سنة 1924 في مدينة ساحلية اللاذقية و لقد عاش في عائلة فقيرة. إنه ذاق طوال حياته جميع الأجواء الاجتماعية و السياسية التي أحاطت به؛ تلك الأجواء هي التي أثرت في حياته الفردية و آثاره الابداعية و في تصوراته تجاه الأدب و الفنّ ومجالات الحياة المختلفة.( ر. ک: البادري، 1993: صص 10-13) وبدأ يكتب في مجالات شتى من القصة و الرواية وبذلک أصبح کاتبا بارعا في عصره. بحيث يتجاوز عدد هذه الأعمال الأدبية حتى حدود سنة 1986 ثلاث عشرة رواية و مجموعتين قصصيتين و خمسة مؤلفات نقدية، لكن فقد احتلت الرواية في مؤلفاته مكانة متميزة. (مراد، 1991: صص 11- 12)

وهكذا روايته الشهيرة « الثلج ياتي من النافذة» رواية سياسية تهتم بالنضال السياسي المتجسد في صورة الكاتب المناضل الذي تلاحقه السلطة الحاكمة، وذلک في الوصف المكثّف الطويل المتلاحق للأحداث والشخصيات والأمكنة والأزمنة فيها. فالوصف في هذه الرواية من أبرز العناصر السردية التي يوظّفها الكاتب لتصوير حالة البطل النفسية. فهذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء علی الجانب الوصفي في هذه الرواية و تنطلق من فرضية مفادها أنّ الكاتب وظّف في هذه الرواية عنصر الوصف كأداة لتجسيد حالة الاغتراب التي عاشها البطل من خلال هروبه من السلطة الحاكمة و التجائه إلی لبنان.

**الدراسات السابقة**

حظيت الرواية عامة والرواية السورية بالكثير من الدراسات. وقد جرت عدّة دراسات في الروائي الشهير حنا مينة واختصت الكثير منها بدراسة شخصيته و رواياته على الاطلاق؛ منها دراسة الباردي المعنونة بـ«حنا مينة روائي الكفاح والفرح»، فجاء كلّ محاولة الباحث على دراسة حياة حنا مينة الاجتماعية والسياسية والثقافية وذلک كمدخل لدراسة أدبه وفكره.

ولكن هذه الدراسة مع ما لها من القيمة النقدية، تحاول الكشف عن جمالية الوصف في إحدى رواياته أي رواية «الثلج يأتي من النافذة» لتكن إسهاما في إستجلاء جماليات رواياته.

**1- وظائف الوصف الرئيسة**

إنّ اللغة الروائية المتشكلة بالكلمة، والجملة، والفقرة، والعبارة، والألوان، والظلال، والنسب، والأبعاد والشخوص، والدلالات، والأزمنة والأمكنة، وعلائقها بالانسان وبموحياته النفسية والاجتماعية والإيدئولوجية، تشكل جميعها فضاء النص الروائي في حقل سردي حكائي له خصوصيته، تميزه عن غيره من النصوص. لكن ما يزيّن و يوضح ويفسّر هذا النص السردي هو الوصف.

فالوصف يتداخل مع السرد في كلّ عمل روائي. إذا كان السرد يشكّل أداة الحركة الزمنية في الحكی و يشير إلی السيرورة الزمنية، فإن الوصف أداة تشكّل صورة المكان و يشير إلی المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث و «عن طريق التحام السرد و الوصف ينشأ فضاء الرواية» (لحمداني، 2000: ص 80) كما يقول «جيرار جنيت»: «كلّ حكي يتضمن-سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغير-أصنافاً من التشخيص لأعمال أو أحداث تكوّن ما يوصف بالتحديد سرداً. هذا من جهة، ويتضمّن من جهة أخرى تشخيصاً لأشياء أو لأشخاص، وهو ما ندعوه يومنا هذا وصفاً (Description) » (Genette. 1976: II. P. 56).

أما وظيفة الوصف فهي خلق البيئة التي تجري أحداث القصة فيها و على الكاتب أن يوظفه في تأدية دور ما، في بناء الحدث و أن يقدم الأشياء لموصوفه، ليس كما يراه هو، بل كما تراه شخصياته، و أن تكون اللغة قريبة من لغة الشخصية، لكي تحقق شيئاً من المنطقية الفنية، لأنّ الشخصية هي التي ترى الشئ و تصفه و تتأثر به (عظيمي، 2009: 7).

للوصف وظائف عامة كـ «وظيفة واقعية: تقديم الشخصيات و الأشياء و المدار المكاني والزماني كمعطيات حقيقية للإيهام بواقعيتها؛ وظيفة معرفية: تقديم معلومات جغرافية أو تاريخية أو علمية أو غيرها، مما يهدد بتحويل النص إلى نص وثائقي أو تعليمي، وظيفة سردية: تزويد ذاكرة القارئ بالمعرفة اللازمة حول الأماكن و الشخصيات و تقديم الإشارات التي ترسم الجو أو تساعد في تكوين الحبكة و وظيفة جمالية تعبر عن موقع الكاتب داخل نظام الجمالية الأدبية (الزيتوني، 2002: صص171-172).ولكن يذكر للوصف وظيفتين الأساسيتين وهما: الوظيفة الجمالية، فيقوم الوصف في هذه الوظيفة بعمل تزييني و هو يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية، ويكون وصفا خالصاً لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكي. والثانية هي الوظيفة التوضيحية أو التفسيرية، تكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكي.(لحمداني، 2000: ص 79)

وكذا يقدم الكاتب جميع عناصر الرواية عن طريق الوصف لأنّ الوصف يتناول الأشياء في مظهرها الحسي و العيني، ويؤدي وظيفة إيهامية؛ إذ يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي مشعراً القارئ بأنه يعيش في عالم واقعي حقيقي لا عالم متخيل (أحمد قاسم، 1984: ص 82).

**2-فذلكة عن رواية «الثلج يأتي من النافذة» ومضمونها السردي**

ترسم رواية «الثلج يأتي من النافذة» حياة المناضل السياسي الذي يواجه واقعاً اجتماعياً غير عادل، وتأخذ مادتها من المجتمع السوري في عصر الكاتب. وهي تعمد إلى تصوير المعاناة التي يعيشها البطل أو المواطن السوري آنذاک.

إنّ البطل الروائي «فياض» الكاتب والأستاذ الجامعي والمنتمى إلى الحزب الشيوعى السوري، يهرب من سوريا إلى لبنان ملتجئاً إليها ولكنّ الأمن يظلّ يلاحقه و لذلک يضطرّ أن يعيش في بيروت، مختفياً في دار صديقه خليل. تتأزم أحوال البطل في بيت صديقه خليل المناضل النقابي، حيث يضطر فياض أن يخضع لتجارب صعبة تجعله يدرک أنّ الغربة أقسى من السجن. ثمّ تصف الرواية المسار الجديد الذي حدده البطل لنفسه، فيمرّ بمجموعة من الاختبارات التي ستجعل منه مناضلاً ملتزماً يخضع النظرية للواقع و

الممارسة. إنّه أجبر نفسَه على تعاطي عمل يدوي في مطعم، كشفاً عن الوجه الآخر للحياة وحقيقة العالم الصغير والقاسي في نفس الوقت، وقد أثّر في مساره الجديد ثلاثة أحداث مهمة، وهي حكاية المقامر وحكاية الرجل الذي انتحر بسبب عشيقة وقصة صاحب المطعم الذي أجبر على غلق محله ليصبح أجيراً في مطعم السيدة. بيد أنّ فياضاً في تجربته الأولى لم يستطع أن يصمد، فعاد إلى بيت صديقه خليل ليكتب، ولكنه يفشل أيضا في مشروع الكتابة بسبب تدخّل الرقابة و يلتجيء البطل إلى أحد المناضلين الشبّان ويدعى جوزيف، هو مناضل مولع بالأدب ويقوم بالثورة على طريقته الخاصة. ولكنّ البطل يجد نفسه في بيت جوزيف يعيش ظروفا صعبة أيضاً. فيقرر تجديد حياته بواسطة العمل، فيصبح عاملاً في حظيرة بنّاء في كرم الزيتون وقد انتحل اسماً مستعاراً (سليمان). و لكنه سرعان ما يترك هذا العمل ليصبح حرفّيا في معمل قديم للمسامير و هناك تتعقد أزمته رغم طرافة صاحب المعمل و فلسفته الاجتماعية الخاصة. فقد تضافرت مجموعة من العوامل الذي جعلته يختفي ولا يظهر إلا بعد سنة.لكنه و قد اكتُشِفَ مختبئاً صحبةَ آلة طباعة استعملها لتوزيع المناشير الثورية يُسجن لسنوات. وبعد السجن يقرّر أن يعود إلى الوطن بعدما أدرك أنّ البرد لا يأتي من الثلج بل من الغربة.

بنى الكاتب سردية هذه الرواية على أساس شخصية رئيسة مهمة و كمّ من الشخصيات الفرعية التي تعاملوا في تقدم الرواية، وبيان مضمونها. لكن المضمون الرئيس لها ينقل عن طريق فياض وهو بطلها، بحيث يذوق هذا الشخص عددا غفيراً من المعاناة في طريق إثبات وكشف ذاته، ويقول: «الإنسان كالماء، إذا لم يجر، يأسن، فدعني أجري، كساقية ضائعة، ذلك أفضل من البقاء راكداً كبركة تسرح فيها الضفادع..انسانيتي نفسها غدت بحاجة إلى إثبات، فالتحلل يتهددها، وعليّ أن أدفع عنها الفساد»[14].

يستخدم الكاتب في هذه الرواية لغة فصيحة أدبية تعتمد على الأوصاف الكثيرة. يكثر من الحوار فيها خاصة الحوار الباطني أو المونولوج عند بطل الرواية (فياض). يوظّف الكاتب الحوار الباطني حتى يفسح المجال للشخصية الروائية كي تقدم رؤيتها للعالم و لكنها تظل مطابقة لرؤية السارد.

**3- الوصف في رواية «الثلج يأتي من النافذة»**

حنا مينه في روايته هذه قام بوصف جميع الأحداث و العناصر الروائي كوحدات سردية مهمة؛ بحيث يصف الشخصيات من الرئيسية إلى الفرعية، والمكان، والزمان، والأحداث كلّ لأهداف إما تجميلية و إما توضيحية.

---

[14]- الثلج يأتي من النافذة، ص 214.

**1- 3- وصف الشخصيات**

تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب الإيديولوجية والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لنوعها ولا لاختلافها من حدود. وتعتبر كلّها بمثابة مرآة تعكس كلّ طبائع الناس الذين يشكلون المجتمع الذي يكتب له، وعنه، بما كان فيهم من عيوب، و بما كان فيهم من عواطف، وبما كان في قلوبهم من أحقاد، و بما كانوا يكابدونه من آلام و أهوال في حياتهم اليومية ( مرتاض، 1998: 73) و الشخصية تسخر لإنجاز الحدث الذي وكّل الكاتب إليها انجازه، وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب و تقنيات إجرائه، و تصوراته وأيديولوجيته أي فلسفته في الحياة.

الشخصيات تصنف بحسب أطوارها إلى ضروب مختلفة منها الشخصية المركزية التي تصاديها الشخصية الثانوية، والتي تصاديها الشخصية الخالية من الاعتبار، و منها الشخصية المدورة و الشخصية المسطحة، و منها الشخصية السلبية و منها الشخصية الثابتة و الشخصية النامية (م.ن ، ص 87).

إنّ الشخصيات في روايات حنا مينة تحمل الدور الوطني غالباً، خاصة الروايات التي تناولت مرحلة الانتداب و مرحلة ما بعد الاستقلال. كان شعور أبطال حنا مينة غامراً و متفجراً أثناء صراعهم ضد سلطة الانتداب الفرنسي في حين كانت المواقف الطبقية والاجتماعية لشخوص الروايات الأخرى فاترة وحيادية تجاه الاقطاع والرأسمالية، فلم يسجن أحد منهم في معارك الصراع الاجتماعي ضدّ البرجوازية أو سلطات الاستبداد العسكري التي توالت على السلطة بعد الاستقلال (مراد، 1991: ص 13).

**1-1-3- الشخصيات المركزية (المدورة، النامية)**

هي تلك المركبة المعقدة التي لا تستقرّ على حال، ولا تصطلي لها نار، و لا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقاً ماذا سيؤوّل إليه من أمرها.إنها متغيّرة الأحوال، ومتبدلة الأطوار؛ فهي في كل موقف على شأن. إنها تغني الحركة التي تكون داخل العمل السردي، و لها القدرة العالية على تقبل العلاقات مع الشخصيات الأخرى، والتأثير فيها. وأخيراً إنها الشخصية المغامرة الشجاعة المعقدة بكلّ الدلالات التي يوحي بها لفظ المعقدة و التي تكره و تحب، وتصعد و تهبط و تؤمن و تفكر، و تفعل الخير كما تفعل الشرّ؛ و تؤثّر في سوائها تأثيراً واسعاً. (مرتاض، 89)هذه الرواية لها شخصيتان مركزيتان تكوّنان عمود الرواية وتحملان دورا ريادياً فيها. الأول هو «فياض» الذي تميز بالهرب واللجوء من القوة الظالمة والمثابرة في إثبات الذات. والثاني هو خليل الذي تميز بالصمود والتصدي والمواجهة. قدّم الكاتب فيهما كليهما المثقفين الثوريين المتمسّكين بالثورة كلّ على حدّ ذاته.

**3-1-1-1- فياض**

«فياض» بصفته بطل الرواية يمثّل دور المثقف البرجوازي الصغير الذي لاحقته السلطة السياسية لأفكاره اليسارية، وألقت القبض عليه، وزجّت به في السجن حيث تعرض على أيدي الجلادين للتعذيب الشديد؛ والكاتب يصف حالته هذه هكذا: «في كل ليلة أجرّ إلى التحقيق، وفي كل ليلة أجلد بالسياط، وحين يغمى عليّ يسكب الماء البارد على جسدي، ينقعونه جيداً، كالجلد قبل وضعه على السندان ينقعونه ويضربونه حتّى يتمزق...»[15]. لكن لم يتوقف فياض عن مزاولة النشاط السياسي، بعد خروجه من السجن، فلوحق واشتد الحصار عليه، وقرّر الهرب إلى لبنان، لينجو من عيون السلطة المنتشرة في كل مكان، وليجرب النضال في بلد آخر. قد تجلّى البعد النضالي له بصورة البطل الكسيح، العاجز عن الفعل الثوروي والذي لا تتعدى تطلعاته حدود التحسس الطبقي، والعواطف الرومانسية الثورية. (مراد، 1991: ص 13) قد هرب من الرجعية الحاكمة في سورية و قد لوحق لانّه يساري و كاتب معارض فاضطرّ إلى الانقطاع عن التدريس، و اختبأ فترة فلمّا اشتدت الملاحقة نصح بمغادرة البلاد لمواصلة المعركة و قد التجأ إلى بيروت و في ظنه إنه سيستمتع بالحرية؛ فقد وقع هناك أسيرَ التردد بين أن يبقى مصرّاً على موقفه ومبادئه، محتملاً في سبيل ذلك شتى أنواع الحرمان والعذاب، وبين أن يترك النضال، وينعم بالدفء والراحة والمرأة: «أمامك سور يا فياض، وأنت لاتستطيع هدم السور... أنا أنصحك فاقبل نصيحتي... ارجع... تعال إليّ، انظر إلى الوراء: بيت فخم، مكتب أنيق، فراش وثير وامرأة جميلة...»[16]. لكنه يبقى متشردا و مطارداً في سبيل أفكاره.

الكاتب بسرد عبر الوصف هيئات فياض الخارجية وأحواله النفسية في مراحل مختلفة. منها حين دخوله إلى دار خليل و مواجهته بزوجة خليل و طفله: « حدق فياض في وجه المرأة والطفل بصعوبة.. كان يرتجف من البرد والتعب، والمقعد تحته تبلل.. و كان شعره مشعثا، و صفرة تكسو وجهه. صفرة عميقة إلى درجة أن المرأة أجفلت حين تفرست فيه...»[17]فاستعمال الكاتب فعلَين (حدق، ويرتجف) واسمين (مشعثاً، وصفرة عميقة) وصفٌ لهيئة فياض في ذلك المشهد.

أو عندما يريد السارد وصفَ قلق فياض لما أصابه في بيروت من التشرد والمطاردة، يصفه من لسان فياض نفسه ويقول: «أنت في كرم الزيتون و

---

[15]- الثلج يأتي من النافذة، ص97.

[16]- م.ن، صص 193-194.

[17]-م.ن، ص 8

ليس في شارع الحمراء، و غمامة الحرية لا تفيء على الحيين بنفس المقدار. مفهوم الحرية لا يشملك، بل حق اللجوء لا يشملك. أنت مطارد، هنا و هناك و في كل مكان مطارد...»[18].وفي مشهد آخر يصف حالة فياض النفسية حينما كان حبيساً في غرفة هيّأها له خليل: «كان يتألم بصمت و عجز و شعور بالخيبة. يذكر اخوانه الذين في السجن و الذين يعملون في الخفاء، و يستعيد كلمات خليل (كان عليك أن تصمد أكثر) فيستشعر الندم والانكسار، ويغضب لخروجه من وطنه ونزوله ضيفاً على هذه العائلة الفقيرة. و ذا تمرّ الأيام، دون خبر جديد و لا أمل جديد، يبهظه طول الانتظار...»[19] إذن من خلال هذه الأوصاف يمكن تجسيم تلك الحالات النفسية عند فياض بالسهولة؛ فهذه الأوصاف تظهر فياض حزينا ومتضايقاً لعيشه فى دار خليل، بحيث يصور نفسه كسجين لا يعرف متى يرحل من السجن.
وتارة أخرى يصف السارد حالة فياض في محطة الباص، وهو منتظر لتأتي آنسة وتذهب به إلى المطعم: «...و راح يرصد الأتوبيسات..كان يبحث عنها من بعيد، و تتعلق عيناه بها و هي تتقدم، و ما إن يقف اتوبيس حتى يقول هذا، و ينزل الركاب و لا أحد يتقدم منه، فتحزّ أعصابه وتتكهرب، ويلاحظ ذلك فيعمد إلى الضغط الداخلي، و يبتسم في سرّه...»[20].فالسارد يسرد تلك الحالة من خلال الأفعال (يرصد، يبحث، تتعلق، تتقدم، يلاحظ) التي تصف حالة انتظار فياض.
ومن الأوصاف الأخرى التي تبين حالة فياض النفسية هي وصفه عنما كان عاملا في المطعم وحدثت له ثلاثة حوادث أثّرت فيه: «راح فياض المدهوش والناقم، ينطوي في ذاته على شعور بالسخط والخيبة أمام هذا الفساد الداب في كلّ ما حوله: منظر المقامر والفتاة، صاحب المطعم المجاور، وكل المشاهد المماثلة، جعلته يشعر بالقرف والغضب ..كان يتألم إذ يرى اصحاب هذا الفساد وضحاياه على السواء لا يجدون غرابة فيه...»[21]. وثمّ وَصفه كشخص يشعر بعقدة النقص و يرى المطعم سجناً له: «ظلّ ينتجب و لا دموع، و كيانه يهتزّ لفرط تأثره. وأصبح على درجة من رهافة الأعصاب تهدد بالانفجار في كلّ لحظة، ولأنه لا ينفجر، فهو يحسّ بتعاسة آكلة...»[22].
ذات يوم كان فياض يتجول في غرفته بدار خليل، وفجاءة يرى النافذة التي

---

[18]- م.ن، ص 33
[19]- الثلج يأتي من النافذة، ص 36
[20]- م.ن، ص 54.
[21]- م.ن، ص 77.
[22]- م.ن، ص 95.

كانت مطلة على دار خليل و رأى فتاة تنظر إليه بتعمد، لذلك يغرق فياض في أفكاره ليعرف من كانت هي التي تحدق إليه من تلك النافذة. والسارد يصف حالة فياض في ذاك الحين ويقول: « استلقى على سريره و راح يحملق في بياض السقف، و ينقل طرفه بين الأشياء، و يراقب انعكاسات النور الخارجي، و ظلال شجرة المشمش، و الشعلة الصغيرة المتقدة. كانت الأفكار السريعة البهيجة، تأتي و تذهب، تحوم كالسنونو و مثلها لا تستقر على حال، فتح كتابه و طوى...وحتى الأفكار اليومية المعتادة تراجعت واحدة بعد أخرى، و أفسحت المجال للفكرة الوافدة الطاغية: من هي هذه المرأة التي نظرت بهذا التعمد من النافذة؟»[23]. ثمّ يصف حالته النفسية و رهافة أعصابه هكذا: «ظلّ ينتحب و لا دموع، و كيانه يهتزّ لفرط تأثره. و أصبح على درجة من رهافة الأعصاب تهدد بالانفجار في كلّ لحظة، فهو يحس بتعاسة آكلة..»[24]

والوصف الآخر هو وصفه في الورشة؛ السارد يصف في ذلك المشهد حالة فياض النفسية أمام الكوارث التي حلت به طوال تشرده و يجعله كشخص خضع أمام وضعه المأساوي: «بات المنطق يجد له قبولا كافياً لأخذ الواقع بما ينبغي من تقدير.. تطاول المعركة لم يعد عامل ترهيب بذاته، كان سابقا كجندي مكشوف أمام العدو، وكجندي محاصر دون ذخيرة أو غذاء، وتغير الوضع قليلا...»[25].

إذن إنّ جميع الأوصاف المتعلقة بفياض تدلّ على شخصيته المصابة بالازدواجية والتناقض؛ شخص يخاف من إلقاء القبض عليه، شخص يبحث عن ذاته المفقود، وشخص ينادي الحرية والخلاص من مأساة أصابته. كما يفهّمنا الكاتب في وصف آخر لفياض معنى الحرية والمثابرة والصمود وعدم المكوث، و ذلك من خلال قول فياض نفسه: «الإنسان كالماء، إذا لم يجر، يأسن، فدعني أجري، كساقية ضائعة، ذلك أفضل من البقاء راكداً كبركة تسرح فيها الضفادع.. انسانيتي نفسها غدت بحاجة إلى إثبات، فالتحلل يتهددها، وعليّ أن أدفع عنها الفساد»[26].

**3-1-1-2- خليل**

كان «خليل» من أصل سوري، عرف السجن منذ شبابه وتعلّم فيه بعض المفاهيم المتعلقة بالاشتراكية؛ ناضَل ضدّ فرنسا في عمل سنديكايي وذاق

---

[23]- الثلج يأتي من النافذة، ص 109.

[24]- م.ن،ص 95.

[25]- م.ن، ص 225.

[26]- م.ن، ص 214.

مرارة السجن إثر تلك المناضلة، لكنه لم يتنحّ عن المناضلة وظهر كشخص مقاوم عزم المثابرة على النضال، على الرغم مما آلت إليه حال أولاده: «يا خالتي لا تكوني مثل أمي... لا أريد تذكيري بالجوع والأولاد، أنا أبحث وأتألم، ولكني لا أعثر على عمل... / كانوا يلاحقونه، وكان بلا قانون عمل - بلا حماية- يكفي لا تذكريني بأولادي. لن أبكي عليهم مثل النساء»[27].

السارد يصف تارة شخصية خليل شخصية حميمة؛ شخصية يُسكِنَ فياضَ في بيته عندما اقتفت الحكومة أثره، ويشجعه على العمل والكتابة في داره ويلاطفه حين يراه قلقاً على وضعه وغارقا في أفكاره. كما نراه موجهاً النصائحَ إلى فياض للصمود أمام المصائب: «أواه يا فياض! ...لا تزعل مني..تتعذب؟ واضح... كثيرون يتعذبون...كثيرون يتركون أعمالهم ويتشردون، يدخلون السجن ويخرجون وقد يدخلونه مرات و يخرجون...فكّر إنهم يفتقرون الى روح المثابرة وينقصهم الصمود أمام المصاعب الصغيرة أحياناً.. التجربة هي المحك، فقبل التجربة جميع الناس مناضلون، وربّما أبطال»[28]. وهذه الفقرة وصف لمعاطفة خليل حيال صديقه فياض وتشجيعه على المثابرة.

ويصف السارد خليلَ من لسان بعض الشخصيات المرتبطة به، مثل أمّه حينما تريد تعريفه لفياض: « اسمع يا فياض، خليل صار صاحب بيت و أولاد، و ذلك لا يترك المجامع..إنه يرسل امرأته الى مجامع النسوان.. و تأخذ حقوق المرأة.. وهو (خليل) سيأخذ حقوق العمال...»[29]. وهذا الوصف يدلّ على المهنة الخطيرة التي يعمل فيها خليل وشكوى أمه له.

وفي فقرة أخرى يصف ماضي خليل من لسان فياض وهو منزعج من بعض تصرفات خليل: « كان خليل فتى جميلاً (قبل خمسة وعشرين عاما) في ذلك الحين.. كانت له دراجة..كانت عتيقة، و لكن ماذا يهم؟ لم يكن في الحي سواها، و لم يكن في الحي من يقرأ ويكتب سواه، و كانت بنات الحي ترغب فيه، و لكنه لم يفكر بالزواج...»[30]. وهذا وصف لاختلاف حال خليل في الماضي والحاضر.

وفي مشهد آخر نرى السارد يصف تعب خليل في حياته المعيشية؛ وذلك عن طريق بعض النعوت: «كان خليل منكسراً، تعباً، جائعاً، يرى عدوه بشكل

---

[27]- م.ن، ص311- 312.

[28]- الثلج يأتي من النافذة، ص 38

[29]-م.ن، ص 20

[30]- م.ن، ص 43

أجلى...»[31]. بحيث يصفه كشخص عاطل وشاغر يفتش عن عمل ولايجد و يرجع بخفي حنين: «ولكن خليل يبحث عن عمل، ...شهور مضت وهو يمارس رياضة المشي. جسمه منخور كالخشبة المتختخة في سقف هرم، وهذا الجسم يحمل سقف العائلة كله»[32].

إذن الكاتب يصف خليل كصديق وفيّ لفياض أوّلا، وثانياً كمناضل سياسي أتعب الأسرةَ لأعماله السياسية، وأخيراً كشخص تَعِبَ من واقعه المعيشي في تلك الأجواء السياسية. ولذلك ربما تعتبر هذه الأوصاف أوصافاً توضيحية أكثر من كونها تزيينية. لأنّ الكاتب يوضح من خلالها مهمة خليل السياسية التي أتعبته نفسه وعائلته.

**3-1-2- الشخصيات الثانوية:(المسطحة أو الثابتة)**

هي الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير و لا تتبدّل في عواطفها و مواقفها و أطوار حياتها بعامة.لا يمكن أن ترد في العمل الروائي من دون غَناء عنها؛ بل كثيراً ما تتوهج الشخصية المدورة، أو ما يعادلها في الاصطلاح (النامية، الإيجابية)، بفضل هذا الضرب من الشخصيات. (مرتاض، 89)

وقسمنا الشخصيات الفرعية في هذه الرواية حسب الأهمية إلى قسمين؛ قسم للرجال وقسم للمرأة. وأوضحنا دورهما في الرواية من خلال الأوصاف التي وردت فيهما ولهما.

**3-1-2-1- جوزيف**

كان جوزيف هو الشخص الثالث الذي كان له دور حاسم في تقدّم أحداث الرواية. إنه كان له ثلاثة أعمال وهي: المحاسبة، والمندوب المتجول لإحدى الشركات، والتجارة في ملحقية تجارية، لكنه فقد الجميعَ و اشتغل في معمل للمفروشات الخشبية والمعدنية يملكه شريكان. وهذا واضح في وصف السارد في قوله: « تعلمتُ المحاسبة وعملتُ مندوبا متجولا لاحدى الشركات، واشتغلتُ في ملحقية تجارية، وانغمستُ في التجارة والمحاسبة إلى اذني و قطعتُ كلّ صلة بيني وبين الادب والثقافة..»[33]إنه عاش زمنا في جو غير مناسب و في غياب عن الحياة العقلية و العلمية والأدبية بين شركائه في معملهم، ولكنه لم يكن في منأى عن الأدب والكتابة بل كان يكتب بعض اليوميات في موضوعات مختلفة فردية أو اجتماعية وهو يكتب شعرا منثورا

---

[31]- م.ن، ص 267.

[32]- م.ن، ص 353.

[33]- الثلج يأتي من النافذة، ص 169

مرة و يترجم قصيدة لناظم حكمت و يبدأ مقالة و يتركها. و في بعض كتاباته يتضايق من الناس لأنهم لا يأبهون لكلماته التي يكتبها.
لعب جوزيفُ دورا مهما في إخفاء فياض من الملاحقة كما فعل خليل لبرهة من الزمن. قد أعدّ لفياض جميع أدوات الرخاء والترف، هيّأ له بيتا هادئاً ومكتبة مليئة بالكتب ليطالع ويهتم بالكتابة عن كل ما يريده. لذلک نرى السارد يصفه كشخص حنون يشتاق لقضاء أوقاته الفارغة مع أديب مثل فياض:« ذلک ما كنتُ أحلم به.. كنت أحسب أن الحياة العقلية غابت عنّي، و ها هي حياة عقلية في متناولي... ستتفتح أزهاري و يصبح في وسعي أن أسمع رأياً في محاولاتي الأدبية...»[34]. وفي حين آخر أيضا نرى السارد يصف جوزيف شخصا عطوفا يقلق على حال صديقيه خليل وفياض وحالهما المأساوي: «أضاع جوزيف الباقي من توازنه طوال الأيام التي أعقبت زيارته لبيت خليل. بلغ اعجابه بخليل وتأثره لحال العائلة حداً كبيراً، و ضاعف اختفاء فياض من ورشة البناء هذا التأثر، فانفعل و ثار وسخط و...»[35]«وَسار في الشارع و هو يقلب هذه المعاني، ويحترق بنار داخلية تطلّ في نظراته تحديا يصيح بالمارة...»[36].
وفي بعض المشاهد يصف حالة جوزيف الشخصية والنفسية أمام عائلته: «بعد دقائق اقتحم الصالون شاب وسيم، فارع القامة، ابيض البشرة، يحمل الصغيرة على ذراعه، ويمسح بيده على شعر اختها، ومن نظراته و حركاته يتبدى المرح و الأناقة»[37] «كان من عادته ومهما تكن متاعبه، أن يدخل البيت بضجة تنبئ بمقدمه. فهو يتكلم ما إن يلج العتبة، و يذهب إلى المطبخ فيضع ما يحمل من حاجيات، فإذا ما لحقت به الصغيرة الخمعاء حملها و قبلها و منحها فيضاً من حبه... ثمّ يتبادل مع هناء بعض العبارات، أو يقذف لسبب بسيط أحياناً بعض الشتائم، أو يسأل عن بعض الأشياء...»[38]. ويكفينا لأهمية هذا الوصف أننا نجسمه كأننا نعيش في ذاک الجوّ مع جوزيف.
لكن جوزيف أيضا كخليل أصبح يشكو في بعض الأوقات لأنه فقد بعض أعماله بسبب خصومات نشبت بينه وشركائه وأدت إلى تهور موقفه في حياته اليومية. فالأوصاف تغير حسب هذه الأجواء و تتمايل نحو الشكوى والانتقاد: «سرتُ اليوم في بيروت بدون عمل و دون هدف... كنتُ أجفُّ في بحر

---

[34]-م.ن، ص 141
[35]- الثلج يأتي من النافذة، ص 306.
[36]- م.ن، ص 306.
[37]- م.ن، ص 143.
[38]- م.ن، ص 211-212.

ضياء.. وقد أخفقتُ للشهر الثالث في الحصول على عمل، اللعنة!...»[39].
ولهذا من الطبيعي أن يسأم جوزيف من حياته تلك؛ فيصفه السارد كشخص متوتر الأعصاب: «حمل جوزيف الرسالة إلى غرفة الطعام، و قرأها مرة و مرة، وجاء بزجاجة عرق و صب قدحاً و اخر.. راح يدخن و يدخن..ثم تخدر دماغه ...»[40]. أو كشخص ساخط مغضب لا يستطيع الكتابة: «حبس نفسه ساعات، واحترق كمية من السيكارات، و شرب كثيراً في المساء وجمع حوله كدسة من الكتب و قلّب صفحات من كل كتاب، ونام مقهورا لأنه لم يتوصل إلى إفراغ أفكاره بالقالب الأدبي الذي يريد..»[41].
إذن جوزيف من خلال هذه الأوصاف شخص يشبه خليل في بعض تصرفاته الشخصية والنفسية لكنه لم يكن كخليل شخصا مناضلا في شؤون السياسية بل تبرز الأوصافُ هوايةَ جوزيف الثقافةَ والأدبَ عند الكتاب المثقفين مثل فياض.

**3-1-2-2- المرأة**

وقد حظيت المرأة باهتمام الرواية السورية، فصور الروائيون شخصية المرأة، زوجة وأماً وأختاً، وحبيبة، ورصدوا علاقة الرجل بها، وموقفه منها، مثقفاً أو غير مثقف. ووقفت الرواية السورية عند شخصية المرأة المثقفة، ورصدت موقفها من شرطها الاجتماعي، وإن كان ذلك بدرجة أقل من عنايتها بموقف الرجل المثقف من قضايا المرأة. وثمة شخصيات مثقفة وقفت من المرأة موقفاً رجعياً، يفضل الرجل على المرأة، ولا يرى في المرأة إلا كائناً ناقصاً وقاصراً، لا يرقى إلى مستوى الرجل صاحب الامتيازات.( رياض وتار، 1999: ص72-74)
أما موقف الشخصيات من المرأة في روايات حنا مينة فقد ينمّ على انتقاص هذه الشخصيات من قدر المرأة، وتقزيمها لدورها، وتبخيسها لقدراتها. والأوصاف لها تكون بحيث يمكن تقسيم دورالمرأة في رواية «الثلج يأتي من النافذة»إلى القسمين المختلفين: الأول هو دورالشخصية الحساسة والعاطفية التي تشفق على الزوج و الأبناء، والثاني دور الشخص الذي يحتقر من قبل الرجال. كما يصف السارد «أمّ خليل» كأمّ حنون تشفق لإبنها والتي تقلق على مصيرته وتشكو من حضوره في حقول السياسة: «زوّجتُه وقلتُ: ينفض يدَه من المجامع و يقعد في بيته.. صار له أولاد فقلتُ: يترك السياسة! أصبحنا أنا

---

[39]- م.ن، ص 177

[40]- م.ن، ص 214.

[41]- م.ن، ص 308.

و والده عاجزين، فقلتُ: يشفق علينا و يخزي الشيطان...»[42]لكن في حين آخر أنها تواجه مخالفة أبي خليل و ضحكة فياض أيضاً، بحيث يسخر منها أبو خليل و يقول لفياض: « لا تضحک يا فياض.. ابک...» و كذلک ينسبها أبو خليل بالواشية حينما عرفوا بأنّ شخص غريب يفتش عن فياض: « و لطمت أمّ خليل خديها و سألت: عرفوا بوصول فياض إلى بيروت؟ فردّ عليها خليل: لا تستعجلي.. و قال الأب: إذا كانوا قد عرفوا، فالسبب هو لسانک. و قالت أمّ خليل: لساني؟ أنا لم أخرج من البيت»[43].

ومرة نرى السارد يصف زوجة خليل قليلةَ الكلام وقلقةً على فياض وخاضعة لأوامر زوجها: «كانت زوجة خليل قليلة الكلام كعادتها، وقد انكمشت منطوية على قلق بالغ، داعية له في باطنها بالسلامة و التوفيق، و لم تأت بحركة حتى دعاها إلى النوم...»[44]

أو امرأة فتنة كفتاة النافذة «دينيز» بالنسبة إلى فياض تعتبر كحجر عثرة في طريق الرجل الثوري، لذا رفضها فياض وفضّل أن يعيش حياة أشبه بحياة القديسين والأولياء: «وصاحت به نفسه لابدّ من امرأة، وصاح بنفسه: أفهم... أفهم، أنا لا أرفضها، ولكن في مثل وضعي ماذا أفعل بها؟ تسير في طريقي، أم تميل بي إلى طريقها؟ هناء أخرى؟" يا جوزيف ثلاجة، غسالة، سيارة، أم فتنة كالتي راودتني أمس: جذع عار، ونهدان مسكران؟ وأنا؟ والدرب الطويل؟ وحدي أم معي امرأة؟ صليب وامرأة؟ أم امرأة بدون صليب؟ أم صليب بدون امرأة؟ إيه يا نفسي لا تعوجي سبيلي المستقيمة»[45].

أو كثيرا ما نرى أنّ السارد يصف «هناءَ» زوجة جوزيف بمثابة امرأة ثرثارة كثيرة الطلبات، تهان من قبل جوزيف؛ خاصة عندما يرجع جوزيف إلى البيت و يرى بأنّ فياض منكمش على ذاته لكثرة الضيوف التي جاءت لهناء، في ذلک الحين يصرخ جوزيف في وجه هناء: «وسمع جوزيف مساء فثار و شتم بكل ما في قاموس كسروان من شتائم، و جاء بهناء إلى غرفة فياض و قال لها امامه: اسمعي رِجل الاستاذ أشرف من الذين سيتقولون ...»[46]. أو مرّة يشكو من زواجه بها عند فياض وينسبها بالعنقاء: «وعلق جوزيف مغضباً: خاصة إذا تزوج الانسان من عنقاء فظهر انها ببغاء...»[47]

---

[42]– الثلج يأتي من النافذة، ص 26

[43]– م.ن، ص30

[44]– م.ن، ص 223.

[3]– الثلج يأتي من النافذة، ص 200.

[46]– م.ن، ص165

[47]– م.ن، ص 167

إذن أوصاف الكاتب حول المرأة ترسم الاجحاف في حقّ المرأة ويبين بأنّ شأنها يكون أسفل من الرجال في شؤون المجتمع عامة والسياسة خاصة. فالكاتب يجعل المرأة حقيرة، يتماهى الرجال في الرواية ويحقنهم بإيديولوجيتهم وأفكارهم، ويدفعهم للوقوف من المرأة موقفاً سلبياً ورجعياً.

**4- وصف الحيز الروائي (المكان)**

يقصد بالحيز المكان أو الفضاء في الرواية. ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي (L,espace geographique) فالفضاء هنا هو معادل لمفهوم المكان. ولا يقصد به بالطبع المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي كتبت بها الرواية، و لكن ذلك المكان الذي تصوره قصتها المتخيلة (لحمداني، 1991: 53). ويهدف الكاتب من خلال اتكائه على المكان إلى إعادة تشكيل الواقع وفق نظامه الخاص، فالمكان في الرواية بناء رمزي تخيلي وليس تسجيلا للحياة أو صورة فوتوغرافية لها. ومن هنا فإن كل روائي أو فنان يسعى جاهدا لإيجاد مجالات مكانية تستطيع أن تنقل القارئ إلى عوالمه مألوفة أو غير مألوفة، فليس هناك رواية بلا مكان أو فضاء(نمر عدوان، 2001: 20).

للمكان مظاهر معروفة يمثل فيها المظهر الجغرافي وهو وصف الأرض مع أشكاله المتنوعة كالجبال و السهول و هلمّ جر... و الثاني المظهر الخلفي أي التعبير غير المباشر عن الحيز الجغرافي بأفعال أو جمل تحيل على عوالم لا حدود لها مثل: سافر، خرج، دخل، أبحر، و...(مرتاض، صص 122-125).أما الوصف فهو الأداة الأساسية لتصوير المكان وبنائه، وتجسيد المشهد الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما يصف، لا يصف واقعا مجرداً، لكنه واقع مشكّل تشكيلا فنياً، ومن الواضح أنّ الوصف للمكان ليس غاية في ذاته، إنما هو وسيلة لخلق الفضاء الروائي الذي لا يتحقق إلا من خلال حركة الشخصيات في المكان، و تفاعلها معه(زياد محبک، 2005: 4-7، و بحراوي، 1990: 36). فتوظيف الوصف فنياً في تجسيم الأمكنة الروائية يعطيعها قوّة دلالية وجمالا فنيا لمتابعة الحوادث ومصير الشخصيات و التعاطف معها من قبل القارئ ( ميرزايي، و ديگران، 1390: صص 47-74).

الأمكنة في رواية «الثلج يأتي من النافذة» كلها وصفٌ للفضاء الذي يعيشه فياض المتشرد وهي بيروت والامكنة الثانوية التي مرّ بها طوال تشرده. ويمكن تقسيم الأمكنة حسب الأحداث المحدثة لبطل الرواية إلى بيروت عامة، بيت خليل، المطعم، بيت جوزيف، ومعمل المسامير.

**4-1- بيروت عامة**

الكاتب يصف بيروت ومظاهرها المختلفة كالشوارع والساحات ومبانبها الشاهقة لأنّ جميع أحداث الرواية تحدث فيها. والمهم في هذه الأوصاف هي أنها تكون من لسان بطل الرواية في مشاهد مختلفة وفي أحداث تحدث له؛ ولعلها ترجع إلى مدى اغترابه المكاني.

كما يهتم السارد بوصف شوارع بيروت و ساحاتها و واجهات حوانيتها، حينما كان فياض واقفا في محطة الباص وينتظر أن يأتي أحد ويذهب به إلى المطعم: «وكانت الساحة كقرية نمل بشري، و الضجيج من حوله على أشده، والأزياء تتكاثر و تتباين.. الطربوش والقبعة والملاية واللف والديكولتي. فقال في نفسه: باريس لا تسبق بيروتَ في الموضة، ..»[48]. فيرينا هذا الوصفُ احساسَ فياض بالحزن والتحسّر من أجل فقده تلك الأمكنة الجميلة.

وفي مشهد آخر يصف السارد بيروت عندما يخرج فياض من المطعم و يرى ظواهر الجمال في بيروت مرة أخرى: «الزحام شديدٌ على البرج. فالوَقفَة على الرصيف صعبةٌ، و قد حاول أن يتشبّث بمكانه فجرفه المارة. ترك نفسه للتيار، و راح يحملق في الواجهات التجارية. رأى لوحاتٍ زجاجية سوداءَ، معلقةً في صدور المحلات، مكتوب عليها بمختلف اللغاتِ السعرُ محدودٌ، ....و كان الناسُ ينسون أنفسهم أمام حوانيت المجوهرات، و قد بهرَته الكنوزُ السليمانية التي تعرضها و ضايقت نظره.. و في الطرف الآخر للساحة كانت تلال من الأقمشة التي تباع بالقطعة، و أكوام من الأحذية و أرتال من عربات اليد المحملة بالمانيفاتورة، ومخازن متنوعة للسجاد العجمي. و من السوق النورية كان صياح المتشاجرين قد جمع الناس...»[49]. فالسارد يريد من خلال هذه الأوصاف اثبات الحضارة المدنية المترقية لبيروت وما لا يراها فياض في سوريا.

وتارة أخرى يصف السارد بيروت من منظار فياض المتحسر وذلك عندما انتهى فياض من اليوم الأول لعمله عند البنّاء وخرج ليتسكع في مدينة بيروت: «أبنية شاهقة، ترتفع من الهضبة إلى البحر، أبنية ذات طوابق، وأدراج، ونوافذ ملونة، وسكان لا يدري من هم، ولكنه يعرف إنهم موجون... وأبنية كأبراج بابل الأبنية، تلامس السماءُ الأبنية، وظهور مقوسة، تدبّ على الأرض و في الخنادق و على السلالم صاعدة هابطة.»[50].فهو من

---

[48]- الثلج يأتي من النافذة، ص 52.

[49]- الثلج يأتي من النافذة، ص84.

[50]- م.ن، صص 206-207.

خلال كلمات نحو(الشاهقة، ذات أطباق، أدراج، نوافذ، أبراج بابل، صاعدة) يصف كيف هي البنايات العالية والفخمة في بيروت.
لكنه مرة يصف الجمال الطبيعي ببيروت في العبارات الأدبية الرائعة، بحيث يشخّص بيروت ويقول في وصفها عن طريق ما يخيله فياض المتشرد: «تراءت له بيروت محصورة بين الرابية التي يجلس عليها و شاطئ البحر، و خيل إليه أن أبنيتها قد تحولت إلى خيول حجرية تزحف في كلّ اتجاه و بدون نظام. فهي تكبر و تكبر من كل الجهات، و تتصل على امتداد الشاطئ، و تفتح ذراعيها فتحتوي البحرَ»[51]. فإعطاء الذراع للشواطئ فهو تشخيص يستحسنه ويجسمه خيالُ القارئ باستماعه. وكذلك في ذلك الحين يصف السارد الظواهر الطبيعية ببيروت من الجبال، والروابي، والشواطئ: «وبدا الجبل الموشى بالدروب المضاءة يتراجع خطوة أو خطوتين، مفسحا المجال لهذا الشريط من العمران العجيب الذي يؤلف الساحل»[52]«وكانت الأنوار في الجبال، تتراءى كالعناقيد و تتدانى الروابي من الماء فتجاوره، وتطلّ عليه بإنحناء، حتى ليخيل إلى المرء إن في وسعه الجلوس على طرف الجبل و غمس قدميه بالبحر»[53].
وفي مشهد آخر يصف السارد بيروت و مظاهر جمالها من رؤية فياض عندما كان يعمل في ورشة بناء و كان يرى ذلك المشهد من الطابق الثالث: «كانت الشمس قد أشرقت لتوها، وخصل تتدلى من النوافذ وتتساقط على الأرض والأدراج، وبيروت تستيقظ على صفير البواخر وقعقعة الرافعات ونسيم صباحي لطيف يهب من الشرق، و البحر الأزرق اللانهائي يتمطى..»[54].
إذن تعتبر بيروت في أوصاف حنا مينة، مدينة مترقية متحضرة تملك كلّ مظاهر الجمال. وهو مكان يلتجاء به بطل الرواية ليقلل من همومه وآلامه النفسية.

**2-4- بيت خليل**

بيت خليل هو مكان التجأ فياض به هرباً من الحكومة. و هي غرفة خالية هيّأها خليلُ ليعمل فيها أعماله الكتابية والسياسية. والسارد يصف ذلك البيت وصفا خارجياً يمكن أن تجسمه تجسيما واقعياً:«كان البيت يتألف من غرفتين، أو غرفة واحدة مستطيلة جعلها قسمين جدارٌ فيه فتحة كبيرة سدتها

[51]- م.ن، ص 209.
[52]- م.ن، ص 209.
[53]- م.ن، ص 210.
[54]- م.ن، ص 202.

خزانة، اضافة إلى مطبخ صغير و مرحاض يستعمل كحمام، وحديقةٌ على امتداد الغرفتين تليها الطريق مباشرة، و كان على فياض، لكي لا يراه احد من الخارج، أن يغلق النافذة الوحيده في غرفته، أو يسدل الستارة نهارا، و يظلّ الباب الفاصل بين الغرفتين مغلقا بصورة دائمة، لا يسمح لغريب بولوجه...»[55]. وفي مشهد آخر يصفه بيتاً مزدحماً فيه ما فيه من الضوضاء و الجلبة: « وضجة الصغار في الصباح تجعل البيت كحمام قطع ماؤه، و زعيق الراديو و خشخشة يفتتان أعصابه، حتى إذا ارتفع الضحى و فرغ البيت انتشر السكون،..»[56]. لكن فياض لم يكن في تلك الغرفة مرتاح البال ودائما كان يفكر للخروج منها. لذلك نرى السارد يصف تلك الغرفة من لسان فياض وصفا يدلّ على ازعاج فياض منها.

**4-3- المطعم**

المطعم هو مكان التجأ فياض به للعمل و للاختفاء حقيقة، يصف الكاتب هذا المكان وصفا يدلّ على معاناة فياض خلال عمله هناك. بحيث يصف الأدوات و الأطعمة من خلال تشبيهات رائعة: « ومع هذا كان الأدوات و أطباق الطعام تتراكم على المجلي. كانت أكوامها كجبال صغيرة، مشوهة و مقرفة، لا طاقة على رفعها و لا قدرة و لا قابلية على غسلها...»[57] و في حين يصف السارد الطابق العلوي للمطعم وصفاً يثبت الترف و البذخ فيه: «هنا العطور و الخمور و الأجساد هي العناصر الأساسية، ...كان شاب يجالس فتاة جميلة، ...»[58]. وفياض الذي يرى هذه المشاهد في المطعم، تؤثر فيه هذه الأوصاف وينطوي في ذاته على شعور بالسخط و الخيبة أمام هذا الفساد الدابّ في كلّ ما حوله.

**4-4- بيت جوزيف**

بيت جوزيف هو المكان الآخر الذي التجأ فياض إليه للاختفاء. يصفه الكاتب وصفاً خارجيا يدلّ على وسعة البيت و تزيينه بأدوات الجمال: «كان الصالون واسعاً، جيد الأثاث، و على الجدران صورة أو صورتان فوتوغرافيتان مكبرتان، و له باب جانبي على شكل قوس من الأعلى، تليه غرفة صغيرة للطعام و الشراب، يحسب الداخل اليها أنه يلج كهفا في أحد المشارب الحديثة. و في نهاية الصالون نافذة واسعة جدا، بعرض الجدار كله عليها ستارة

---

[55]- الثلج يأتي من النافذة، ص 35.

[56]- م.ن، ص 89.

[57]- م.ن، ص 62.

[58]- م.ن، ص 72.

مخملية»[59]. وفي حين آخر يصفه بيتا نظيفاً والفضاء فيه واسع جدا: « كان البيت نظيفاً مرتباً، و حين وقف إلى نافذة الصالون العريضة طالعته الحديقة التي تتوسط اضلاع البناية الكبيرة، تظل عليها الشرفات و النوافذ المقابلة والمجاورة»[60].أو مرة يصف غرفة الطعام هكذا: «سار أمامه إلى غرفة الطعام التي بابها مقوس كالكهف، و كان على المائدة بعض الطعام و طبق من الفاكهة، وزجاجة عرق، و مجلات و كتب نظرية»[61]. يبدو أنّ هذه الأوصاف أيضا تشير إلى الحياة الاجتماعية المترفة في بيروت.

**5-4- معمل المسامير**

المكان الأخير الذي التجا فياض به هو دار كان فيها معمل للمسامير. إنه كان يعمل هناك ليلا و في الورشة نهارا. يصف الكاتب هذا المكان مكانا قذرا غير نظيف يفوح منه رائحة نتنة ويشبهه بالكهف لظلمته: «انما هو كهف على شكل غرف محفورة في الجبل تحت الدار، ولم يكن للغرفة التي أشار إليها سوى باب خشبي من ألواح مسمرة، وحين دخلها هبت عليه رائحة عفن جائفة...»[62].وفي حين آخر يصف ذلك المكان هكذا: «كانت تشيع رائحة العفونة في فضاء الغرفة، و يتدلّى العنكبوت من الزوايا و يتمدد شبكاً للذباب فوق موجودات المكان»[63]. إذن الوصف لهذا المكان يثبت مدى معاناة فياض في أعماله، فتبعه مدى اغترابه في ذاك المكان.

**5- وصف الزمن الروائي**

يقع اسم الزمان على كل جمع من الأوقات؛ و كذلك المدة؛ إلّا أن أقصر مدة، أطول من أقصر زمان. الزمن مظهر نفسي لا مادي، ومجرد لا محسوس؛ ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال مظهره في حد ذاته. فهو وعي خفي لكنه متسلط و مجرد، و يتمظهر في الاشياء المجسدة. (مرتاض، 171- 173) الزمن ذو علاقة وطيدة بالحيز؛ فإذا لا يرى أي وضع حيزي إلا مصبوبا في وضع زمني. كدَوَران آلة من الآلات، أو محرك من المحركات؛ فإنّ الحركة تدلّ على الزمن، و تنظرف فيه؛ إذ يستحيل حدوث أي حركة أو أي تحريك خارج إطار النظام الزمني المتسلط. (م.ن 174)

---

[59]- الثلج يأتي من النافذة، ص 138.

[60]- م.ن، ص 142.

[61]- م.ن، ص 151.

[62]- م.ن، ص 231.

[63]- م.ن، ص 259.

الزمن في هذه الرواية ينبعث عن تكدّر الأوضاع السياسية في سورية او الاختناق المسيطر أمام الكتاب الوطني، بحيث يخرج فياض بصفته كاتبا منها إلى بيروت ملجأ للكتابة و الإبداء عن آرائه. لذلک نرى أنّ الزمن الروائي يدور حول كلّ ما حدث في تلک الآونة لفياض ببيروت. يبدأ الزمن فيها من دخول فياض إلى دار خليل ملتجأً، ثمّ خروجه منه إلى المطعم للعمل، ثمّ انصرافه عن ذلک المكان إلى بيت جوزيف و ثمّ خروجه منه إلى حظيرة بنّاء للعمل وأخيراً خروجه من بيروت منحيا نحو وطنه سوريا. وفي تلک الأزمنه حدث لبطل الرواية حوادث عديدة يصفها الكاتب في كلّ زمن بشكل خاص يبين مدى خطورة وضع البطل و مصيرته. الكاتب لا يصف الأزمنة من لسان شخص واحد بل يجمع بين جميع الشخصيات؛كما يعرّف تفاقمَ الزمن في بيروت عن لسان فياض تارة، و عن لسان خليل تارة أخرى.

يعرّف السارد الزمن في بادئ الرواية، حينما يصف دخول فياض دارَ خليل، وتراه أمّ خليل وتبدي عن طول انتظارهم له منذ زمن: «أهلا و سهلاً.. أهلا...أمس كنّا في سيرتک، بل نحن منذ شهور في سيرتک.. كنا نتساءل: هل أفلت فياض؟ و كان عمّي يقول: مستحيل لو أفلت لجاء إلينا. ويقول خليل: ربما كان مختبأً حتى تسنح له الفرصة... أما امرأة عمي فلاتزال تضرب على صدرها و تبكي كلما ذكروک...لم ينسوک ليلةً.»[64]. هذا وصف يثبت مدى انتظارهم فياضَ طيلة أيام طويلة، ويثبت أنّ فياض كان هاربا من مكان وملتجأ إلى دار خليل وذلک من خلال أفعال وأسماء وجمل نحو (أفلت، مختبأ، كنا في سيرتک، منذ شهور)؛ والوصف يكون بحيث يفهم القاري أنّ زمن دخول فياض في الدار يكون النهار لأنّ أم خليل تتحدث عن انتظارهم له، الأمس والليلة المنصرمة.

أما الوصف الآخر الذي يعرفنا خطورة الوقت الراهن للرواية، هو وصف كيفية حياة خليل السياسية: «أصبح يدخل السجن في كلّ وقت، و صار الاشتراک في المظاهرات والإضرابات جزاء من حياته، وقد جرح في مظاهرة ضد تتريک اللواء، و في النهاية دخلت تركيا اسكندرون فهاجر مع عائلته إلى بيروت، وهناک تزوّج و صار له أولاد، وصارت أمه عجوزاً، وأبوه شيخاً، و صار هو كهلاً وظلت صورته منطبعة في ذهن فياض على نحو ما كانت عليه في لوحة...»[65]. فهذا الوصف يشير إلى الزمن الذي تحكم فيه الأعمال السياسية والنقابية. فإشارة أخرى هي أنّ سوريا و الحكام فيها آنذاک لم يكونوا عادلين في قراراتهم و لم يعتنوا بالكتاب و جميع هذا، قد

---

[64]- الثلج يأتي من النافذة، ص 7.

[65]- الثلج يأتي من النافذة، ص 49.

سبب خروج الكتاب من بلده إلى بلاد أخرى متحملا جميع مشاكل اللجوء والهرب.

أمّا السارد فلم يصف هذه الأحداث السياسية إلا من خلال وصفه النهارَ، والليلَ، والشتاءَ؛ فيصف كلّ ما حدث لبطل الرواية نهارا و ليلا و شتاءً. ففي ذلك دلالات سلبية تؤثر في خوالج بطلها. كما نراه يصف زمناً كان فياض منتظراً في محطة الباص وهو قلق: «و كراكب الطائر لأول مرة ، أخذ مرور الوقت يبعث في نفسه الطمأنينة، لكنه لم يستطع برغم يقظته إن يمنع ذهنه من الشرود في أثر هذه أو تلك.. تمثل يديه على خصر، و احس بالظماء و رفع رأسه إلى فوق...»[66].فهذا الوصف للزمان دلالة على مدى تشرّد فياض و قلقه لحالته الطارئة.

وفي فقرة أخرى يصف العصرَ، وفيه دلالة على هرب فياض من إلقاء القبض عليه: «عند العصر كان العرق ينعقد كثيفاً على جبينه.. و كانت وجوه شيطانية لرجال يعرفهم آخرين لم يرهم قبلاً، تكشّر من حواليه..و قال في نفسه: يا للأسنان الكريهة! كان الرجال يحاولون القبض عليه و هو يهرب...»[67].

والسارد في وصفه الليلَ يصفه زمانا يثير القلق و الحزن في كيان البطل: « بعد قليل ازدادت العتمة في الغرفة، و منها استدلّ أنّ المساء حلّ..سيان لديه الوقت.. ليس من عمل ينتظره...»[68] أو «كان يستلقي و عيناه مطبقتان..و خياله يزدحم بالرؤى..هو هو و ليس هو..إنه النقيضان: الوطن و الغربة، و القرب و البعد، الرجاء و اليأس...»[69].

أما الشتاء فهو الزمن الذي بنيت الرواية على أساسه، سمّى السارد روايته بـ «الثلج يأتي من النافذة» فهذا دليل لزمانها وهو الشتاء، وربّما تسمية الساردُ الروايةَ بهذا لها دلالاتٌ كلُها تثبت الحزن والانكماش والقلق عند بطل الرواية وبعض شخصياتها الفرعية. فيبدأ السارد بداية الرواية طوراً يدلّ على أن الجوّ كان بارداً و ذلك من خلال وصف هيئة فياض حين دخوله دار خليل: « كان يرتجف من البرد و التعب، و المقعد تحته تبلل.. و كان شعره مشعثاً و صفرة تكسو وجهه. صفرة عميقة إلى درجة أنّ المرأة أجفلت حين تفرست فيه...»[70].ويشير إلى الشتاء من خلال التشخيص الرائع وهو إعطاء الأشجار

---

[66]– م.ن، ص 53.

[67]– م.ن، ص 12.

[68]– م.ن، ص 14.

[69]– م.ن، ص 16.

[70]– الثلج يأتي من النافذة، ص 8.

لباسا أبيض كالثلج: «حتى الأشجار بدت مدثرة بعباءات بيضاء تكاد تنحني من ثقلها»[71].أو في وصفه الثلج الكثير على الجبال: «كان الثلج قد ارتفع أمتاراً على القمم القريبة، و البساط الأبيض غدا سميكاً، و البرد يلسع فلا يجرؤ الناس على مدّ رؤسهم، والجوّ الضبابي الكثيف يبعث شعوراً بالضجر و بالحاجة إلى الهرب»[72].وفي مشهد آخر يصف معمل المسامير وصفا يثبت برودة الجو هناك: «في معمل المسامير، حيث لا فارس و لا سيف، كانت البرودة ترشح من الجدران الرطبة، وتبعث الشمس المحجوبة بالغيوم، وجهامة الحديد الصدى و العتمة الدبقة و الانقباض الشديد في النفس»[73].فهذا الوصف يُظهر الشتاءَ بكلمات نحو (البرودة، الغيوم) ويثبت دلالته السلبية وهي الانقباض في النفس.إذن يبدو أنّ الأوصاف حول الشتاء والبرودة تسبب اشعار الحرمان والغربة عند فياض في بيروت.

وأضافة إلى هذه الأزمنة الثلاث، النقطة المهمة الأخرى بالنسبة إلى وصف الزمن في هذه الرواية، هي أنّ الزمن يرجع إلى الزمن الماضي و ذلك عن طريق الفلشبكات المتعددة. كما نرى أنّ في القسم الثاني من الرواية يصف الكاتب حالة تذكّر فياض أيامَه الأولى في المدرسة: «محفظة قماشية تتدلى من العنق و الكتف. ها هي ذي المدرسة.. الصف الأول.. الصف الثاني.. الصف الثالث.. المدرسة تضج.. حادث فوق العادة...»[74].

**6- وصف الأحداث**

تعتبر الحوادث عنصراً مهماً في بناء كلّ عمل سردي والسرد ينقل لنا الحوادث من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية بجزئياتها سائرة نحو هدف معين (ميرزايى، 1389: 47-74) أهمّ أحداث رواية «الثلج يأتي من النافذة» تجري في مدينة بيروت بدلالته السياسية البليغة. والسارد يصف هذه المدينة كملجأ يلتجئ به المطاردون السياسيون مثل فياض الكاتب المناضل وبطل الرواية. فيصف بيروت من لسان فياض الذي كان متشردا فيها؛ واعتبرها سجنا وجهنما لا مناص منها.

لكن الحوادث فيها كلها قد تكون موضوعيا (سياسياً، اجتماعياً) أو ذاتياً يتعلق بالحياة الشخصية للبطل وتتواتر بصفة تلفت الانتباه عليها وهي ما يجعل الحبكة متوترة. كما أنّ الحادثة التي تتوارد في هذه الرواية هي الحادثة التي وقعت لفياض وجعلته مطاردا في بيروت، مشتغلا بأعمال لا يليق بكاتب

---

[71]- م.ن، ص 361.

[72]- م.ن، ص364.

[73]- م.ن، ص 259.

[74]- م.ن، ص 89.

مثله. والسارد يصف الأزمات التي حدثت لفياض في بيروت كلّ على حدّ ذاتها؛ كما نراه يصف حالة فياض و شكواه عن عيشته متشردا وبقائه في دار هيّئه خليلُ له: «وقال في نفسه وهو يتظاهر بالموافقة: سأبقى بين هذه الجدران أدور فيها كحيوان في قفص.. لماذا خلقت حساسا إلى هذا الحد؟...»[75]. وهذه الحالة كثيرا ما نرى تحدث لفياض في جميع الأمكنة التي مرّ بها طيلة تشرده ببيروت؛ مثلا عندما يعمل في المطعم مارماتوناً يضيق العمل به وينكفيء على ذاته ويبث شكواه ثانية: «هتف في ذاته آه لو كان لي مكان آخر.. يا دنيا! يا دنيا! لماذا ضقت في وجهي؟... تصاعد إحساسه بأنّ الدنيا تضيق فتصاعد، بمقدار مماثل، جزعه ورغبته في أن تتغير الاحوال بسرعة، وشدّ قبضتيه وصاح: سحقا للصبر! إى الشيطان العقل و المنطق!»[76]. أو نرى السارد مرة أخرى يصف الأزمة النفسية عند فياض وذلک عندما كان في غرفة جهزها جوزيفُ له: «تناول فياض قهوة الصباح وهو يحسّ بانقباض، حين يكون الطقس غائما يسيل غيم رقيق في صدره. نهر الحزن يتفجّر من مكان فيه...»[77].

**7- النتائج**

- الوصف في هذه الرواية يمثّل دوراً توضيحيا وتجميلياً لأحداث الرواية، والسارد أبلى بلاء حسنا في توظيفه لما يوحى به النص من الأوضاع السياسية والاجتماعية عند الكتاب السوريين.

- جاءت أكثر الأوصاف في هذه الرواية لتصوّر حالة الاغتراب السياسي التي عاشها بطل الرواية فتتلائم هذه الأوصاف مع حالة البطل النفسية المتوتّرة بعد لجوءه إلى بيروت وما حدث له من جرّاء ذلک.

- أثبت السارد جدارته في وصفه المكان المركزي والأمكنة الجزئية، حيث يمكن أن نقول أنّ وصف المكان يحتلّ المركز الأول في أوصافه من حيث تعدده وجماله الفني والايحائي. فالأوصاف هذه قد ثبتت مظاهر الجمال في بيروت و أثرها قي تحسّر أصاب به فياضُ. فيوحي جميع الأمكنة إشعار بطل الرواية باغتراب المكان، وأخيراً اغتراب الذات.

- أما الأوصاف حول الأزمنة في الرواية تثبت بأنّ سوريا كانت في جوّ مضطرب و مختنق بحيث يرغم الكتّاب الخروج أو الهرب من البلد هذا من جهة و من جهة أخرى هذه الأوصاف تثبت حالة التوتر والاضطراب النفسي

---

75- الثلج يأتي من النافذة، ص 40.

76- م.ن، ص 95.

77- م.ن، ص 157.

عند فياض؛ بحيث يلجاء السارد مرة في وصفه للزمن إلى وصف الليل ومرة إلى الشتاء بما فيهما من إيحاءات و دلالات الحزن والقلق والاضطراب.
- كانت أوصاف الحوادث كلّها ترتبط بحالة الكاتب السوري أو بطل الرواية؛ وهذه أرشدتنا إليه الأوصاف التي كانت تميل نحو فياض وحالاته النفسية في بيروت.

**المصادر**


- أحمد قاسم، سيزا، 1984: **بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البارديي، محمد، 1993: **حنا مينه روائي الكفاح و الفرح**، ط3، دارالآداب.
- بحراوي، حسن، 1990: **بنية الشكل الروائي**، المركز الثقافي العربي، بيروت: الدار البيضاء، ط 1.
- رياض وتار، محمد، 1999: **شخصية المثقف في الرواية السورية**، اتحاد كتاب العرب.
- الزيتوني، لطيف، 2002: **معجم مصطلحات نقد الراوية**، ط1، بيروت، لبنان: دار النهار للنشر.
- عظيمي، كاظم، حامد، صدقي، فيروز حريرچي، 2009: **تحليل العناصر في قصة «ابنة خالتي كاندوليزا»**، نشر في مجلة ديوان العرب.
- لحمداني، حميد، 1991: **بنية النص الروائي**، الاطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر.
- مراد، كاسوحة، 1991: **الرؤية الإيديولوجية والموروث الديني في أدب حنا مينة**، دار الذاكرة: سورية.
- مرتاض، عبد الملک، 1998: **في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد**، الكويت: عالم المعرفة.
- مينة، حنا، 1977: **الثلج يأتي من النافذة**، ط2، بيروت: دار الآداب.
- الموسى، خليل، 2006: **ملامح من الرواية العربية في سورية**، دمشق: اتحاد كتاب العرب.
- ميرزايي، فرامرز، و ديگران، 1390: **جماليات اللغة السردية عند ميلسون هادي** (دراسة الوصف في «حلم وردي فاتح اللون» نموذجاً، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها، فصلية محكمة، العدد 19.
- نمر عدوان، عدوان، 2001: **تقنيات النص السردي في أعمال جبراء ابراهيم جبراء الروائية**، رسالة الماجستير بجامعة نجاح الوطني كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية وآدابها، نابلس، فلسطين.
- وادي، طه، 2002: **الكتابة السردية وأزمات الحرية**، الحرية والإبداع: بحوث المؤتمر العلمي السادس لكلية الآداب والفنون، من منشورات فيلادلفيا، ط1.
- G. Genette:**Figures**.I.II.III.seuil 1976.

# في شعرية الفضاء

**الدكتور سعيد بن علي الجعيدي**
**أستاذ مساعد ، رئيس قسم اللغة العربية**
**كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الباحة**
**المملكة العربية السعودية**

ملخص الدراسة
تسعى هذه الدراسة لمقاربة ( شعرية الفضاء ) في الحقل الأدبي والنقدي، وفقا لما يطرحه عدد من الدارسين المتخصصين في هذا السياق، من الغربيين والعرب المعاصرين، فتشكل مفهوم الفضاء مرهون عندهم – فيما نزعم – بمحاور ثلاثة: ( الزمان والمكان والإنسان ). وهم متأثرون في ذلك بحقول معرفية أخرى ، ولاسيما الحقل العلمي الحديث والمعاصر ، وتحديدا بما تطرحه النظرية النسبية ، وبهدف تسليط مزيد من الضوء على هذا المفهوم ، فإن الدراسة وقفت بإيجاز عند عدد من القضايا والإشكالات : كمفهوم الفضاء في اللغة والفلسفة والنظريتين ( النسبية ،والكوانتية ) ،وفي الفكر والإبداع العربي ، والفرق بين الفضاء والمكان ، وعلاقته بالزمان ، وأبرز ملامحه ومحاوره في الشعرية السردية ،000.
لتخلص في النهاية إلى تقرير المفهوم المشار إليه فيما تقدم ، مؤكدة في ثناياها على نجاعته – باعتباره إجراء نقديا - في مقاربة النص الأدبي ولاسيما السردي. فهو عنصر من عناصر الخطاب الأدبي والنقدي ، وتقنية من تقنيات الإبداع .

Abstract
This study tries to approximate the poetics of space in the literary and critical field according to a number of contemporary western and Arab specialists. Their conception of space is formed, as I can tend, of time, place and man. This conception is influenced by other fields of knowledge such as the modern and contemporary scientific field and more especially by the relativity theory. To shed more light on this conception, the study addresses in brief some issues and concepts such as: The concept of space in language, philosophy as well as the

relativity of universe theories, in the Arab thought and creativeness, the difference between space and place, its relation to time, its most distinctive characteristics and directions in the poetic narration ,…etc. the study conducts with approving the aforementioned conception emphasizing its maturity considering it a critical procedure, in approximating the literacy text and specifically it narrative one. Its one of the literacy of critical discourse elements of one of the creativeness techniques.

**1 – الفضاء لغةً**

الفضاء جمع أفضية: ما اتسع من الأرض/ الساحة.
يقال: مكان فضاء، أي: واسع.
أصلها (فضو)، فضا، فضاءً وفضواً.
المكان: اتسع، خلا فهو فاض، وفضواً.

ويتبين أن مادة (فضاء) تتمركز معانيها عند عدد من أصحاب المعاجم حول: ((الاتساع، الفراغ، الحيز، العراء، الخلو)) [1] . إلا إنها ومن خلال سياقاتها الواردة عند ابن منظور تشير في عمقها الدلالي:((بالمسافة والمساحة والامتداد المحدود الذي يمكن تخيله وتحديده ذهنياً إن لم يكن واقعياً)) وكل من أتى من بعد ابن منظور من أصحاب المعجمات العريقة اللاحقة، وتناول كلمة (فضاء) بقي يدور في فلك مفهوم اللسان.... وبقي الحال على ذلك حتى جاء ((التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون)) وإن لم يكن قد أفرد لها باباً مستقلاً إلا أنه عرض لها من خلال ما أفرده من أبواب لكلمات من مثل: (الزمان، المكان، الحيِّز)، فباستقرائها –بحسب أحد الباحثين- يمكن الاستنتاج بأن (التهانوي) ميَّز بينها تميزاً دقيقاً بخلاف من سبقه، وإن بقيت في الوقت نفسه متداخلة ومتكاملة، وبدت من خلال ذلك وكأنها تمثل ((عناصر ومكونات لما يسمى الفضاء)) وهذا ما يتوافق إلى حد كبير مع مفهومه الحديث كمصطلح علمي وفلسفي، وكان التهانوي في أبواب الكلمات المشار إليها أعلاه حريصاً إلى حدٍّ بعيد على الاستشهاد فيما يذهب إليه بالآراء العلمية والفلسفية إلى زمنه [2].

2 ـ الفضاء فلسفياً

بالرغم من أن بعض الفلاسفة اليونانيين ولاسيما (أفلاطون 347ق.م) آمن بوجود المكان والفضاء الذائب فيه، وصرَّح بكلمة الفضاء في بعض كتاباته، إلا أنه لم يفصل بشكل واضح بين المكان والفضاء، شأن آخرين، فيما بعد.....

أما (أرسطو 322ق.م)، فلم يصرح بلفظة (فضاء) كمصطلح، ويبدو أن ذلك لم يكن عمداً أو إغفالاً منه ،حيث يتبين من جدلياته وأطروحاته المتناثرة أنه كان يعي مفهومها في ذاكرته ،وإن لم يستخدمها في اصطلاحاته ، فمفهومها في ذهنه ، جاء مبثوثا عبركلامه عن مثل : (الخلاء ،والملاء ، والمكان ، والفراغ ، والحركة) (3)

وإذا ما انتقلنا إلى الفلسفة الإسلامية يتبين لنا أنها أسهمت في تطور مفهوم الفضاء شيئاً فشيئاً، مستفيدة في ذلك من الفلسفات السابقة عليها ولا سيما اليونانية.... وأولى الإشارات في هذا المجال، كانت مع ((إخوان الصفا)) نهاية القرن الثاني الهجري فلهم أقوال صريحة تردُّ آراء من صرَّح أو مزج بين المكان والفضاء، ووصفوا من يقول بذلك بـ(( الظان الذي لا يمحص الأمور ويدقق بها)) فهم يعزلون بين المكان والفضاء مما يشي ببعد نظرهم....

فالفضاء عندهم غير المكان وهو يتشكل في المخيلة (في النفس) والذاكرة.

وعندما نصل إلى ((ابن سينا 428هـ)) نجده يحاول تقسيم المكان إلى قسمين: حقيقي وغير حقيقي، ((وهذا المنحى يوضح أن المكان عند ابن سينا هو مكانان –أو مجمل أمكنة- خاص وعام: الأول يحيط بالحاوي للشيء.

والشيء: الجسم، وهنا نسأل: ألا يمكن أن يشي هذا الكلام بأن المكان العام هو (الفضاء) العام الحاوي والمحيط، أو الحيز الذي يشغله الشيء والمكان الخاص؟.... ومع ذلك بقي مصطلح الفضاء غير محدد)) [4]

ويؤكد عبد الرحيم مراشدة ((بأن أكثر آراء الفلاسفة العرب اقتراباً من مفهوم (الفضاء) كانت لـ(ابن سينا وابن رشد) لقدرتهما على تقديم توصيفات وأمثلة علمية وفلسفية جديدة بحيث يقف المتلقي على مفاهيم المكان والزمان والخلاء والأبعاد، وبالتالي الفضاء الجامع لها جميعاً. ويبدو عدم إفراد باب أو فصل متخصص لمفهوم الفضاء كان بسبب عدم حاجة مقتضيات العصر آنذاك لهذه المسألة بشكل موسع؛ ولهذا بقيت الآراء حول الفضاء بهذه الكيفية المقتضبة)) [5].

ويبدو لنا أن ما أورده الباحث أعلاه، لا يخلو من مبالغة في وجه من وجوهه، من حيث تحميله لآراء وأقوال الفلاسفة العرب وغير العرب ما لا تحتمل ولا تطيق.

### 3 ـ الفضاء ونظرية النسبية

وفي العصر الحديث اكتسبت كلمة (الفضاء) مفهومها العلمي ؛ ومن ثم بُعداً معرفياً بظهور نظرية النسبية.... عندما غزا ذلك المفهوم العلمي مختلف مجالات وتخصصات المعرفة الإنسانية. وهي في الأصل تقوم على حقائق علمية مستعينة في توجيهها بالفلسفة وعلم النفس وعلوم أخرى (6). وكان عدد من علماء الفيزياء والرياضيات قبل (أينشتاين) يقول بالمكان المطلق والزمان المطلق.... ومن أبرزهم (كوبرنيك، جاليلو، نيوتن، لبينتز)، حتى جاء (أينشتاين) بأطروحته حول نسبية المكان ونسبية الزمان، ابتداءً بنظريته حول النسبية الخاصة ثم انتهاءً بنسبيته العامة....

ومن أبرز ما طرحته نظرية النسبية الخاصة:

1 – يُتَعامل مع (الفضاء/ الزمكان) ككيان واحد موحَّد مع التمييز بين الاتجاهات شبه الزمنية وشبه المكانية

2 – الكون ذو أربعة أبعاد (الطول + العرض + العمق + الزمن).

3 – سرعة الضوء ثابتة ومحددة بـ(300) ألف كيلو متر في الثانية في كافة الأحوال، ومهما اختلفت اتجاهاته ومصادره. ومصدره الرئيس (الشمس).

4 – المكان الفضاء نسبي.

5 – الزمن نسبي.

أما أبرز ما طرحته النسبية العامة:

1 – في أوسع مفاهيمها: ((يكون الفضاء/ الزمكان = محدباً)).

2 – وهذا التحدب ناجم عن تأثير مجال الجاذبية ((وفي غياب الجاذبية يكون الفضاء مسطحاً)).

3 – تحدثت عن نظرية الانفجار الكبير/ الكون المتمدد، ومما طرحته في هذا السياق القول بوجود الزمن مع الفضاء/ المكان، بعد هذا الانفجار الكبير. أما قبل ذلك فلم يكن ثمة زمن؛ لأن وجوده مرتهن بالمكان/ الفضاء.

4 – (المكان والزمن) غير متجانسين – فوِفْقاً لما تطرحه النظرية النسبية ليس من الضروري أن يكون الفضاء كروياً في كل مكان (أي

محدباً)، فقد يكون في بعض الأماكن وَعِراً ومتموِّجاً، وفي مقابله فضاء أكثر سهولة وانسياباً، أي أن المكان/ الفضاء غير متجانس....

والزمن كذلك غير متجانس أيضاً، حيث يختلف تصرمه باختلاف الظروف، وهذا الأمر يسهم أيضاً كأحد الأدلة على دحض مقولة (إسحق نيوتن) حول (المكان والزمان المطلقين).

ومجمل القول فيما يتعلق (بالمكان والزمان) تذهب النسبية إلى القول بنسبيتهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى تقول باندماجهما واستحالة الفصل بينهما، أو تصور أحدهما بدون الآخر، وهذه الفكرة في مجملها تـختزل من خلال مصطلحي: (الفضاء/الزمكان) (7).

وعلى ضوء ذلك فلقد اعتمدنا مصطلح الفضاء للدلالة على (الزمان والمكان) باعتبار الأول يمثل فضاء زمانيا, والثاني فضاء مكانياً, على الرغم من أن أغلب المتقدمين من الدارسين والباحثين في حقل الأدب والنقد يستخدمون الفضاء للدلالة على المكان فحسب في مقابل «الزمن» ؛ كما يتبين لنا ذلك من خلال أقوالهم الواردة في مظانها، وليس من وكدنا هنا تتبعها ، فهي من الشهرة بمكان . أما نحن هنا فلقد ارتضينا أن يكون الفضاء دالاً على الزمان ودالاً على المكان بحسب التصور العلمي لهما إذ لا يدرك أحدهما بدون الآخر, . و كما قرر ذلك مؤخرا عدد من الدارسين والباحثين والنقاد وعليه استخدمنا الفضاء الزماني كمقابل للفضاء المكاني.

4 - الفضاء والنظرية الكوانتية

ثم جاءت بعد النسبية النظرية الكوانتية على يد العالم الألماني ماكس بلانك (1858- 1947م) نسبة إلى الكوانتوم وهو: ((أصغر كمية من الطاقة يمكن إطلاقها أو امتصاصها)) وهي بذلك تنظر إلى الضوء بوصفه حبات من الطاقة تنتقل بسرعة، لا بوصفه يسري على شكل موجات، كما قالت بذلك النسبية.

وفيما يتعلق بقضية الزمان والمكان تذهب الكوانتية إلى القول باستحالة تحديد موقع الجسم (المكان) وسرعته (الزمان) في آن واحد.

وهذا يطرح من جديد مشكلة العلاقة بين الزمان والمكان طرحاً يختلف عن الشكل الذي طرحته به نظرية النسبية؛ ففي نظرية النسبية كنا نتحدث عن زمان الملاحظ (الزمان الخاص)، ومكانه (منظومته المرجعية)، وبعبارة أخرى كنا نربط الزمان بالمكان بالشخص الملاحظ، أما هنا في النظرية الكوانتية فإننا نتحدث عن زمان ومكان الجسيم، أي: الموضوع، وكما قال «بياجي»: في نظرية النسبية، أي في مجال العالم الأكبر تندمج

الذات في الظواهر موضوع القياس، أما في نظرية الكوانتا، أي: في مجال العالم الأصغر فيحصل العكس، إن الظاهرة هنا هي التي تندمج في عمل الذات في قياساتها وأدوات هذا القياس، كل هذه المسائل تطرح مشاكل أخطر وأعم: النظرية الفيزيائية وحدودها الحقيقية العلمية وطبيعتها، دور كل من العقل والتجربة في بناء المعرفة العلمية، إلى غير ذلك من القضايا الايبستيمولوجية (8).

5 – الفضاء في الحقل الأدبي والنقدي

وبتأثير النظرية النسبية في مختلف مجالات العلوم والمعارف، تمَّ استنبات هذا المصطلح (الفضاء) في الحقول المعرفية المختلفة طبيعية وإنسانية....

ومنها حقل الأدب والنقد....

وفي هذا الحقل تعددت المفاهيم وتنوعت اجتهادات الأدباء والنقاد حول (الفضاء)....

وسنشير فيما يلي إلى أبرز ما ذكر في هذا الشأن، مع علمنا بأن ما سنورده لا يخلو من اضطراب، وما ذلك إلا صدى لما يعتري هذا المفهوم عند الدارسين ويتغشاه من ضبابية وإبهام.

فهذا أحد الدارسين يقرُّ بأن الفضاء ومفهومه ما يزال مجالاً للاجتهاد والتصورات المتعددة التي لم تصل إلى حد بلورة نظرية عامة للفضاء، رغم بعض الاجتهادات التي أنجزت بصدد أعمال روائية خاصة أو مجموعة من الأعمال الروائية، أو حاولت تقديم أسس نظرية عامة [9].

وهذا آخر يقول: من الواضح أن الفضاء ((ليس من المعطيات الأولية الراسخة في ثقافتنا العربية، بل كانت ولا تزال للزمن مكانة الصدارة في الوعي العربي، كما هو واضح كذلك عدم إدراك مستويات التبادل الوظائفي بين الفضاء والزمن لدى الإنسان العربي؛ إذ يمكن القول بأن تشغيل الوحدة الفضائية- الزمنية لأينشتاين في تجربتنا اليومية العادية يظل صعباً جداً، بل ولعله ليس بالسهولة المتوقعة في تجربة الفكر والإبداع عندنا)).

ويرى أن مفهوم (الفضاء)في الفكروالإبداع العربي ، ـ والذي يسميه الفلاسفة العرب: (المكان، الخلاء، الملأ، الأين) ـــ في بعديه الميثولوجي والفلسفي ظل يتطور تاريخياً، إلا أنه لم يلتحق بحقل النقد العربي القديم، إلا في بعده النحوي كظرف (ظرف مكان)، ونحن نعلم مستوى تبخيس ظرف المكان مقارنة مع ظرف الزمان، أو في بعده البلاغي البسيط، كما ظهر في

إنتاج القاضي عبدالجبار، وعبد القاهرالجرجاني، لكن تتعين الإشارة إلى الأهمية النظرية التي منحها ابن سينا لإشكالية الفضاء بمختلف أبعادها ومستوياتها، وما بذله من جهد في إثبات هذا المفهوم ودحض الطروحات المعتقدة بعدم وجوده. أما المدينة الفاضلة للفارابي فقد كانت شكلاً متقدماً لإدراك ومساءلة الفضاء في علائقه المثيرة بالمتخيل وبالمعرفة؛ ذلك أن فهمنا للعالم يصبح منتظماً بحسب فهمنا للفضاء.... غير أن متحفنا التراثي الأدبي حفل منه الشعر الجاهلي بالخصوص بانفتاح كبير وعميق وواع على أهمية الفضاء في صياغة الوجود المادي والإبداعي، الوعي بالفضاء كمكان أولاً، ثم كعلائق وكذاكرة، وكحنين، كما يحلل ذلك أدونيس في مقدمته لديوان الشعر العربي، مؤكداً على الطابع الفاجع للفضاء عند الجاهلي، إن الفضاء بما هو صحراء في الوجود وفي المتخيل على السواء يجسد ـ هذا الذي يسميه أدونيس ـ (جدلاً فاجعاً) بين الفضاء والزمن كل شيء فيه ((ملك الإنسان، وهو لا يملك أي شيء (.....) إمكان خالص ، لحظة هي استحالة خالصة)) (10).

وتعود هذه الإشكالية حول الفضاء ومفهومه إلى أن (لفظة: فضاء) كمصطلح تستضمر بنية مفهومية متصورة متسعة؛ إذ لها مرجعيات متعددة: (علمية وفلسفية ونفسية ولغوية وأدبية ونقدية.... إلخ) بحيث نصادف فضاءات متوالية ومتناسلة ومتداخلة ومتعددة بتعدد الحقول المعرفية وتداخلها.... حدّ التشابك والتعقيد والإبهام؛ ولذلك فإن مصطلح (فضاء) كمفهوم وأداة لا يخلو من ضبابية، سواء في الدراسات الغربية أو العربية المعاصرة، حيث إن المفهوم المتصور للمصطلح الذي نحن بصدده: ((يعاني في العمق من صعوبة التحديد والضبط.... حتى بالنسبة للدارسين الأوربيين أنفسهم؛ الذين أنشأوا المصطلح وتعاملوا معه على نطاق واسع....))، وإن كانوا يتعاملون معه أو في ضوئه بوعي وموضوعية واضحة مقارنة بما هو عليه الحال بالنسبة لمجمل الدارسين العرب.

وعلاوة على تعدد مرجعياته فإن مما زاد ضبابيته كذلك أن ظهوره والاهتمام به (كمفهوم وأداة) في الدراسات والأبحاث النقدية المعاصرة غربياً (ثم عربياً لاحقاً)، بدأ في زمن متأخر جداً؛ إذ يعود أقدمها (في الغرب) تقريباً إلى منتصف القرن الميلادي الماضي (القرن العشرين)، وتزايد الاهتمام به في الفترة الأخيرة بسبب التقدم العلمي بصفة عامة وما حققته الأبحاث السيميائية في سياقاتها المتعددة الأدبية والنقدية منها بصفة خاصة.

إن (الفضاء L's space ) مفهوماً وأداة إجرائية قد تجاوز معناه اللغوي/المعجمي الذي يعني في اللغة العربية أساساً – كما سيتبين لنا لاحقاً- المكان الطبيعي الجغرافي المشترك والمحايد....

حيث غزا مفهومه على المستوى (السيميائي) المدرك حتى بعض حقول العلم المحض، أو شبه المحض كالقانون، وعلم النفس، والاجتماع، واللسانيات، فضلاً عن الأجناس الأدبية والفنية المتعددة، فصرنا نقرأ مثلاً في الدراسات والأبحاث الغربية المعاصرة ومعها الدراسات العربية تالياً: الفضاء الأدبي، الأدب والفضاء، أدبية الفضاء، الفضاء واللغة، فضاء الرواية، فضاء القصيدة، فضاء اللوحة، فضاء النص، الفضاء النصي.... هذا على المستوى السيميائي، أما على المستوى الفلسفي/السيكولوجي، فكانت فضاءات متعددة من نحو:

الفضاء المتخيل، الفضاء المنفتح، الفضاء المنغلق، فضاء الداخل، فضاء الخارج، فضاء العتبة، فضاء اللقاء، فضاء الافتراق، الفضاء السيري، الفضاء الكرنفالي، الفضاء الحميمي، الفضاء المعادي، الفضاء المحايد.

وبالتالي صار لكل فضاء من هذه الفضاءات مفاهيم وتصورات وأنسقة ورموز خاصة بها لا يمكن قراءتها أو فك مستغلقات رموزها إلا في ضوء علوم متعددة كعلم اللغة، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا وغيرها [11].

إن نظرية النسبية في الأدب قد تأثرت بنظرية النسبية في العلم، وإن كان الفارق بينهما أن النسبية العلمية تتعامل مع الفراغ والزمن والجاذبية معاً، في حين تتعامل النسبية الأدبية مع التجربة البشرية في موقفها بالنسبة لهذه العناصر الثلاثة.... والنسبية –شأنها شأن معظم المواقف الفلسفية الوسطى- أعقد من النظريات الأسبق منها، فهي تحاول أن تكون أكثر تحرراً وشمولاً من النظريتين الموضوعية والذاتية معاً، وهما النظريتان اللتان تعدهما أضيق مما ينبغي. فالنظريتان الأخريان تسلكان الطريق السهل وهما تفرطان في تبسيط التقدير؛ إذ تجعله النظرية الموضوعية مجرد إعطاء للدرجات أو حدس، على حين أن النظرية الذاتية تجعله مجرد ما يشعر به أي شخص.

أما النسبية فلديها جهاز معقد من المفاهيم، ويؤكد أصحاب هذه النظرية أننا نحتاج إلى كل هذه المفاهيم لكي نوفي وقائع التقدير والنقد حقها... هنا تكمن القيمة الجمالية التي تميز النظرية النسبية، فالقيمة الجمالية ليست سمة مطلقة أو شعوراً مباشراً، وإنما هي صفة للموضوعات، تتميز بأنها إمكان أو قدرة على إحداث تجارب لها قيمة باطنة؛ فالقيمة الجمالية تعتمد على العلاقات والأبعاد النسبية تماماً. كما نجد أن النسبية ذات الأبعاد الأربعة ليست غير قابلة للتغيير، لكنها تتوقف على توزيع الكتل المنجذبة في الفراغ وحركتها كذلك، فإن القيمة الجمالية هي واحدة من السمات التي تنتمي إلى شيء معين نتيجة لما يفعله هذا الشيء عند اتصاله بكائن عضوي بشري.... فالنسبية تقبل التنوع الزاخر للعمليات النقدية. وإنه لمن الجمود التام في الرأي أن يقال إن ثمة معياراً واحداً هو وحده الصحيح. فهناك عدد من المبادئ الفنية

الرفيعة بحق، والتي هي مع ذلك متعارضة، ظهرت نتيجة للتجربة الحساسة المدربة وللبحث الفكري والاستعداد الحضاري، ولا يمكن إصدار حكم قاطع يفاضل بين هذه المبادئ بعضها وبعض. ويقول (هيفل): ((إن أي حكم منفرد لا يمكن أن يكون ملزماً للآخرين إلا إذا كانوا يشبهون الناقد في تكوينهم، فلا بد أن يشاركون أوجه التشابه الأساسية في مزاجهم وتعليمهم وبيئتهم)) ؛ وعلى ذلك فإن الأحكام النقدية لا تكون بصفة عامة ملزمة إلا لأولئك الذين يعيشون في نفس العصر الحضاري.... ولا شك أن أكبر إنجاز لنظرية النسبية في الأدب أنها تؤكد أنه ليس من حق أحد أن يحتكر الحقيقة ويفرض وصايته عليها. كما أن أحداً لا يستطيع التنبؤ بطريقة معصومة من الخطأ، فمعرفتنا بالفن والنقد شأنها شأن أية معرفة أخرى تتطور ببطء وبالتدريج.... ومن هذا العرض يتضح لنا التوازي بين النسبية في الأدب والنسبية في العلم. فإذا كانت نظرية النسبية العامة عند أينشتاين، تبرهن على أن الخواص الهندسية لمستمرة الزمن والفراغ ذات الأبعاد الأربعة، قابلة للتغيير ومع ذلك تتوقف على توزيع الكتل المتجاذبة في الفراغ وحركتها، فإن نظرية النسبية في الأدب تؤكد أن الخواص الفنية المتعددة قابلة للتغيير، لكنها تتوقف على الآثار التي تحدثها الأعمال الفنية في الذوق العام، ومن ثمَّ تجدُّد صياغة التقاليد الفنية، وتوسع من رقعتها، فالأعمال الفنية هي الكتل المتجاذبة في وجدان الإنسان وحركتها هي التي تشكل هذا الوجدان الذي يمثل المحصلة النهائية لدور الأدب في حياتنا [12].

وبما أن النظرية العلمية كما سبق تقرُّ باندماج المكان والزمان، باعتبار الزمان يمثل بُعداً رابعاً إضافة إلى الطول والعرض والارتفاع، وبالتالي ظهر مصطلح (الفضاء أو الزمكان) ليعبر عن ذلك الاندماج بحيث يستحيل إدراك أحدهما بدون الآخر، فضلاً عن فصل أحدهما عن الآخر فمن هنا سعت الدراسات المتعددة التي تناولت الفضاء في الأدب ولا سيما الفضاء السردي من خلال محورين هما المكونان لما اصطلح عليه بـ(الفضاء/الزمكان) وهما:

1 – الفضاء المكاني.

2 – الفضاء الزماني.

وعليه بدأت تلك الدراسات الأدبية والنقدية تتمثل ذلك الإقرار العلمي حول (الفضاء/الزمكان)، وذلك نتبنيه في أطروحاتها.

ففرقت بداية بين (الفضاء والمكان)، ثم قرنت بعد ذلك في حديثها الفضاء بالزمان....

**أ – الفضاء والمكان:**

فالفضاء أوسع من المكان، إنه: ((مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي، سواء تلك التي تمَّ تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تُدرك بالضرورة، وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية، ثم إن الخط التطوري الزمني ضروري لإدراك فضائية الرواية، بخلاف المكان المحدد، فإدراكه ليس مشروطاً بالسيرورة الزمنية القصصية)) (13).

والفضاء ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة: (( لأنه يُعايش على عدة مستويات من طرف الراوي... ومن خلال اللغة، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ، الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة )) (14).

علاوة على أنه يرتبط بعدد من القضايا الأسلوبية والنفسية والفكرية، فالفضاء: ((هو الذي يكتب القصة حتى قبل أن تسطرها يد المؤلف)) (15).

فهو ليس مجرد تقنية أو قيمة أو إطار للفعل القصصي: ((بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ولكل كتابة أدبية....)) (16)، هذا خلافاً لدلالته الحضارية والاجتماعية، والتي يشير إليها أحد الدارسين بقوله: ((إن للفضاء أهمية قصوى في تشكيل الفرد وأحاسيسه وانفعالاته منذ مراحله المبكرة، ومن هذا الارتباط يبرز الوعي والإحساس عند الفرد بالانتماء إلى الفضاء المحدد.... إنه بسبب الارتباط ينسب الأشخاص سواءً في العالم الواقعي أو العوالم التخيلية إلى الفضاءات التي ولدوا فيها، وارتبطوا بها ارتباطاً خاصاً، فصاروا يميزون في فضاءات أخرى باسم الفضاء الذي انتموا إليه: الفارسي، الغرناطي،.....)) (17).

وانطلاقاً مما تقدم يمكن القول بأن تاريخ الإنسان هو: ((تاريخ تفاعلاته مع الفضاء (مثلما مع الزمن)، وبالتالي فإن الفضاء يلعب دوراً حيوياً على مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية....)) (18).

**ب – الفضاء والزمان / والفضاء الزماني:**

أصبح الحديث عن الفضاء/المكان في الخطاب الأدبي كما سبقت الإشارة يقرُّ ويعترف بالعلاقة مع مكون أساس هو الزمان، فكل تصور أو تجسيد للمكان في محدوديته، أو الفضاء في اتساعه لا يتمُّ إلا بالحديث عن الزمن، وفي ضوء هذا التصور جمع بعض النقاد بين الزمان والمكان فيما سُمي بـ(الزمكان)؛ وذلك لشدة ترابطهما، ولهذا ذهب بعض الدارسين إلى

القول باستحالة ((الفصل بينهما، أو تصور أحدهما بمعزل عن الآخر إلا بتحليل تجريدي)) (19).

فالعمل القصصي هو: ((رحلة في الزمان والمكان على حد سواء)) [20]. فكل قصة تقتضي نقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان: ((أو على الأقل يجب أن تعلن عن أصلها الزماني والمكاني معاً)) [21].

فإشكالية الأدب القصصي عامةً، هي إشكالية زمنية في الجوهر ولا سيما أدب القرن العشرين، إذ إنّ أهم الحركات:((العلمية والفلسفية والأدبية والفنية التي نشأت في عصرنا تتخذ من هذه الفكرة (الزمن) محوراً لها.... إنه القاسم المشترك الذي يجمع ممثلي حضارة هذا القرن....)) [22].

ومن هنا فإن إدراك الفضاء القصصي مرتبط بالضرورة –كما سبق وقرر حميد الحميداني-، بالسيرورة الزمنية القصصية، فالفضاء: ((يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن...)) [23]، حيث إن الزمن هو: ((الصورة الذهنية التي من خلالها يتحقق تمثل المسافات الفضائية، بل وتصور الفضاء نفسه....)) [24] وهنا نلحظ إلى أن الباحث السابق يلمح إلى «الفضاء الزماني».

ومما يجب الإشارة إليه هنا وفي ضوء هذا الحديث، التأكيد على أن هذا الارتباط بين هذين المكونين، لا يعني التشابه المطلق في الوظيفة المؤداة من قبل كل منهما في السرد القصصي، بل لكل منهما وظائف خاصة، يقوم بها داخل العملية السردية.... إضافة إلى أن هناك اختلافاً بين طريقة إدراك الزمن، وطريقة إدراك المكان، حيث إن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي، كما أنه ليس للزمن وجود مستقل يستطيع الباحث أن يستخرجه من النص كالشخصية، أو الأشياء التي تشغل المكان، ((فالزمن يتخلل العمل القصصي كله ولا يستطيع الباحث أن يدرسه دراسة تجزيئية، مع الأخذ في الاعتبار أيضاً أنه يترتب عليه عناصر التشويق، والإيقاع، والتتابع، وهو أيضاً محرك للسببية....)) [25].

ومن هنا تنبع أهمية تحليله ودراسته، ولذلك كله فهو يستدعي أكبر قدر من عناية المبدع والدارس.

### 6- شعرية الفضاء الأدبي السردي

ومع مرور الوقت بدأت تبزغ في الدراسات الأدبية والنقدية (شعرية خاصة بـ(الفضاء).... فوسعت من مفاهيم الفضاء في الدراسات النقدية، ولا سيما ما يتعلق منها بالفضاء السردي عموماً، والروائي خصوصاً، وسعت إلى تأسيس جهاز مفاهيمي نقدي، يمتح من مختلف النظريات النقدية الحديثة ومن الفنون المتعددة ولا سيما البصرية منها ومن تصورات المبدعين أنفسهم عن أعمالهم السردية، ويمكن أن نشير إلى أبرز ما تطرحه الدراسات النقدية فيما يتعلق بـ(شعرية الفضاء) فيما يلي:

فبداية نشير إلى ما أورده (ميخائيل باختين) حول مفهوم (الزمكان) وأهميته بالنسبة للعمل الأدبي، وتأكيده على أن تمايز الأجناس الأدبية يعود بالدرجة الأولى إلى ذلك المفهوم حيث يقول:

((من جهتنا سوف نطلق على العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعاباً فنياً اسم (Chronotope) (كرونوتوب) مما يعني حرفياً الزمان المكان.... هذا المصطلح يستخدم في العلوم الرياضية وقد أدرج فيها وبرر استخدامه على أساس نظرية النسبية (أينشتاين)، أما نحن فلا يهمنا المعنى الخاص الذي لهذا المصطلح في نظرية النسبية، بل ننقله إلى هنا، أي: إلى علم الأدب، على أنه استعارة تقريباً – تقريباً وليس تماماً- أن ما يعنينا فيه هو تعبيره عن الترابط الوثيق بين المكان والزمان (الزمان بوصفه البعد الرابع للمكان).... وما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك. ومشخص الزمان هنا يتكثف يتراص يصبح شيئاً فنياً مرئياً. والمكان أيضاً يتكثف يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثاً، أو جملة أحداث، والتاريخ علاقات الزمان تتكثف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمان، هذا التقاطع بين الأنساق وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني. وللزمكان في الأدب أهمية جنسية جوهرية، ويمكن القول مباشرة أن الجنس وأنواعه تتحدد بالزمكان بالذات، زد على ذلك أن الزمان فيما يخص الأدب هو العنصر الأساسي في الزمكان، فالزمكان بوصفه مقولة شكلية مضمونية يحدد أيضاً –وإلى مدى بعيد- صورة الإنسان في الأدب، وبالتالي فهذه الصورة هي دائماً زمكانية بشكل جوهري)) [26].

ويقول أيضاً في موضع آخر: ((إن الفن والأدب مخترقان بقيم زمكانية من مختلف الدرجات والأحجام، وكل موضوع جزئي، وكل لحظة مجتزئة من المؤلف الفني هي قيمة من هذه القيم)) [27].

ويتحدث جيرار جينيت عن (الأدب والفضاء)، فيؤكد على أن العمل الأدبي يتحقق زمنياً في المقام الأول، ويرى أن من أبرز مكونات شعرية الفضاء هي لغته (الفضاء اللغوي)، فاللغة هي الأنجع في مقاربة الفضاء في الأدب إضافةً إلى ((وصف الأمكنة، والمساكن والمناظر الطبيعية، وإجمالاً الافتتان بالمكان ومظاهره))، فهذه الأخيرة في نظر (جينيت)، أيسر طريقة لمقاربة الفضاء، وأقلُّها ملاءمةً، ومظاهر الفضاء اللغوي عنده:

1 – التفضية اللغوية.
2 – الوسائل البصرية للنص (كالخط وشكله.... هيئة الكتابة).
3 – الأسلوب/الصور = الفضاء الدلالي الإيحائي.
4 – التناص/الفضائي لأزمنة النص/دمج الماضي بالحاضر (28)

بينما يرى (جـ. كولدستين) [29] أن أبرز تقنيات تشخيص الفضاء من وجهة نظره هي (الوصف)، وتحدث عن (وظائف الفضاء) فذكر منها تسع وظائف:

1 – جعل التخيل المقبل محتملاً.
2 – تأثيره في الشخصية وتشكليها ووصفه يساعد في بيان مزاجها وطبعها.
3 – الوظيفة الرمزية.
4 – التمكين لسير الأحداث.
5 – يسهم الفضاء في تطوير العقدة.
6 – قد يشارك في بعض الأعمال السردية الشخصيات الرئيسية في تكوين الحدث، ويكون فاعلاً حقيقياً في سير الأحداث فيها بعامة.
7 – للفضاء تأثير بالغ على إيقاع الرواية من حركة وسكون وإقامة وتنقل وخارج وداخل وعلوي وسفلي.
8 – يغني الفضاء عن التحليل والتعليق من قِبَلِ السارد عندما يسند إليه مهمة الإيحاء بحالة نفسية أو طموحات في نفس البطل أو إحدى الشخصيات.
9 – يتيح للسارد الوسائل لتنويع صيغ التشخيص السردي.

بينما يركِّز (ميشيل رايمون) تحت عنوان: (التعبير عن الفضاء) [30]، على أهمية الربط بين (الفضاء) و(القيم)، فالفضاء لا يرى بالعينين وحسب، وإنما هو وسط محمَّلٌ بالقيم التي لا شأن لها: ((بذكر الأشكال والألوان، ولا يسع الباحث في هذه الأمور إلا أن يسترشد بالتحليلات الجميلة التي جاء بها (باشلار) كحديثه عن الانكماش الحميمي وتمثل الشساعة....)) [31].

ومن هذا المنطلق جاء حديثه عن موضوعات من نحو: المنزل الأم، فضاء السعادة....

أما (شارل كريفل) فقد انصبَّ اهتمامه فيما كتبه تحت عنوان (المكان في النص) [32]، على أهمية تعيين المكان في النص بمختلف التقنيات كالتسمية، وأن ذلك مما يضفي على المحكي طابع الحقيقة والصدق.... محذراً في الوقت نفسه من البحث عن المكان الوارد في النص، خارج النص، في الواقع، إذ إن المكان الوارد في الرواية لا وجود له إلا فيها...... ولا نظير له على الإطلاق على أرض الواقع....

ويتحدث (رولان أوبلي) عما أسماه (معضلات الفضاء) (33) ، وهي تتمثل من وجهة نظره في ضعف التماسك الفضائي الذي قد يبلغ حدَّ التهاوي والانهيار، والذي يكون من أسباب بلوغه، عدم إتقان توظيف تقنية (الوصف) في نسيجه توظيفاً إيجابياً. وحاول أن يتلمس الفضاء باعتباره قاسماً مشتركاً بين: (السرد والفن التشكيلي).

فتحدث عن التبادل بين الوصف في السرد والرسم التشكيلي، مشيراً إلى أن الوصف يفيد من اتجاهات فن الرسم، ويستعمل طرائقه موضحاً أن بعض الروائيين الكبار وظفوا في سردهم كثيراً من الرسامين، وساهموا في التعريف بهم وبفنهم، وبعضهم ضمَّن محكياته وصفاً للوحاتهم وصوراً فوتوغرافية.... فهناك قرابة بين الأدب والرسم، وبين الأدباء والرسامين، نقع عليها من خلال مظاهر عدَّة، أبرزها:

1 – الفضاء.

2 – صيغ السرد.

بينما نجد (جوزيف كيسنر) في كتابه (شعرية الفضاء الروائي) [34] يسعى إلى اجتراح ما سماه بـ(المنهج الفضائي) في دراسة السرد، ويوضح بأن ذلك المنهج يقوم على دمج المعارف والفنون، حيث إن الفضاء قاسم مشترك بين الأدب والعلم والفن، يقول: ((يشكل المنهج الفضائي بمعنى دراسة الفضائية في الرواية مقاربة نقدية ملازمة يتعين عليها إدماج عدة حقول. تتضمن النظرية الأدبية والفكر العلمي والممارسة الفنية الفضائية والبحث الفلسفي. من ثمة يتعين علينا دراسة الفضائية في الرواية في سياق الفضاء، كما في سياق الأدب: ما دام الفضاء ليس خاصية الأدب فحسب، وإنما خاصية العلم والفن أيضاً، فعلى دراسة الفضاء في الرواية أن تكون بالتالي إدماجية)) [35].

ويتحدث المؤلف عن الوظائف التي يقوم بها الفضاء في الرواية (السرد) ويلخصها في أربع وظائف: ((ثمة إذن، أربع وظائف ممكنة للفضاء في الرواية أولاً: وظائف الفضاء من حيث هو إيهام ثانوي فعال في النص،

وواسطة عبرها تتحقق الخصائص الفضائية في الفن الزمني. وتجلو الوظيفة الثانية نفسها من خلال الأنواع الهندسية كالنقطة والخط والمستوى والمسافة، أما الوظيفة الثالثة فتكمن في علاقة الرواية بالفنون الفضائية: الرسم والنحت وفن العمارة، حيث تصوِّر (بروست) بأن الشخصية (محتملة) في نحت كتدرائية، ما يمد بمصطلح مفيد لتوصيف هذا الشكل الثالث من الفضائية. وأخيراً تؤثر الفضائية على الفعل التأويلي من حيث إن النص يخلق حقلاً (مطابقاً مولداً) بإدماجه القارئ في علاقة دينامية مع هذا النص، على أنه يتعين دراسة هذه الوظائف إزاء خلفيات الدراسات السابقة الإدماجية للفنون)) (36).

في ضوء ما تقدم يتبين لنا بأن مفهوم الفضاء يتخذ أشكالاً عدَّة، من أبرزها: (الفضاء الجغرافي، وفضاء النص، والفضاء الدلالي، والفضاء كمنظور)، إضافة إلى ما اعتبرناه نحن فضاء ألا وهو «الفضاء الزماني» والذي ستجلي مفاهيمه لاحقاً إلا أن المفهومين الأولين هما اللذان يشكلان مبحثين حقيقيين في فضاء الحكي، أما المبحثين الثالث والرابع فيمكن أن يتناولا تحت عناوين أخرى، نحو: الصورة في الحكي، وزاوية النظر عند الراوي.

**والفضاء الجغرافي هو:**

((مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون فيه. وفضاء النص هو فضاء أيضاً، غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الحكائية، باعتبارها أحرُفاً طباعية على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب: (طول السطر، علو الصفحة، سمك الكتاب الذي يقاس عادة بعدد الصفحات)).

ويشمل ذلك أيضاً طريقة تصميم الغلاف ووضع المطالع، وتنظيم الفصول، وتغيرات الطباعة، وتشكيل العناوين وغيرها.

إن الفضاء النصي قد يسهم أحياناً في تحديد طبيعة تعامل القارئ مع النص الحكائي، وقد يوجه القارئ إلى فهم خاص للعمل (37)

ومن هذا المنطلق أشار عدد من الدارسين إلى نجاعة (الفضاء) كإجراء ومنهج للدراسات الأدبية والنقدية، فأصبح بالتالي مفتاحاً من مفاتيح القراءة بيد الخطاب النقدي المعاصر، يفتح به مغاليق النص الأدبي. ومنطقة يلج منها القارئ والدارس إلى تضاريس النص القصصي بقصد استنطاقه وتلمس جماليات دلالاته.

وبهذا فإن الفضاء يرتبط بالسرد ارتباطاً مباشراً؛ لأن السرد هو

المنظم لظهوره، كما أن الفضاء ينظم تمفصلات الأحداث في النص السردي، ويعمل على ربطها، ويقوم على انسجامها وتماسكها. ولا تقتصر أهمية الفضاء على علاقة التأثر بينه وبين السرد.... وإنما تتجاوز العلاقة ذلك المدى السردي عندما يتمدد الفضاء الروائي بتأثيره في آليات البناء الفني للرواية. فالفضاء الروائي مرتبط بالزمن ارتباط الاستدعاء الشرطي؛ لأن الزمان والمكان وسيلتا الإدراك العقلاني، فالفضاء الروائي يستدعي زمنه، والزمن يستدعي فضاءه الروائي، والفضاء الروائي يقوم بمهمة تأثيره الفائقة في شخوص العمل الروائي؛ لأن النسق الوصفي للمكان يرتبط بالشخصية الروائية ارتباط التطابق والتمازج ـ حالة طبيعية ـ، أو ارتباط المفارقة القصدية لغاية دلالية تعبر عن خصومة واغتراب، أو لتوليد سؤال حائر. ولذلك فإن تعاملنا مع الفضاء الروائي لم يعد لغاية جمالية محددة، وإنما لفاعلية تأثيره التي تتمدد إلى عمق الشخصية الروائية، مما يخلق بدوره أبعاداً دلالية تتسع للتفسير والتأويل. ويقول (ميشال بوتور): ((إن للأشياء تاريخاً مرتبطاً بتاريخ الأشخاص؛ لأن الإنسان لا يشكل وحدة بنفسه)). و(باشلار) يرى ضرورة العناية بتفصيلات المكان حتى تتكون رؤية صادقة وشاملة. ويعزز (آلن روب جرييه) الأهمية من منظور علاقة الفضاء الروائي بالشخصية، فيقول: ((كل حائط وكل قطعة أثاث في الدار كانت بديلاً عن الشخصية التي تسكن هذه الدار، بالإضافة إلى هذه الأشياء كانت تجد نفسها خاضعة لنفس المصير ونفس الحتمية)) (38).

ونختم هذه الوقفة مع الفضاء في الأدب بالتأكيد على أن الفضاء السردي مثله مثل كل فضاء فني ((يبني أساساً في تجربة جمالية... أي أن مجاله هو حقل الذاكرة والمتخيل، لكنه مع هذا البعد عن الواقع الفيزيائي يظل متصلاً في كل الأحوال ببنية تاريخ التجربة الأدبية والذاتية للكاتب(ة)، بل وللقارىء أيضاً.... إذن فالفضاء الروائي (القصصي) في النهاية لن يكون إلا فضاءً وهمياً وفضاءً إيحائياً)) (39).

وما سبق لا يمنع من التأكيد على حقيقة مهمة تتمثل في أنه: ليس في الإمكان فهم وتأويل الفنون التعبيرية، ومنها (السرد) تحديداً ـ ويتميز عنها بأنه لا ينحاز للمكان على حساب الزمان، والعكس صحيح أيضاً، وإنما يتكئ بالدرجة نفسها على كليهما، عبر مختلف العصور والأحقاب ـ بمعزل عن: ((القيم الزمكانية الخالدة التي تحقق في الواقع تجليات الإنسان الفزيقية والروحية معاً. وهذا يؤكد على أن كل الفنون التي ينتجها الإنسان، ملتصقة، أو بالأحرى مندغمة بالعصر الذي أنتجها، ومن ثم تظل مشبعة بما تسميه (كرستيفيا) ـ : (أيديولوجيم) المرحلة، أو طابع الحقبة التاريخية.... أي تظل مشبعة بروائح الأرض، عتاقة الزمان، وعرق الإنسان، وميتافيزيقاه

المستضمرة، وما قد تنتجه هذه الأطراف المذكورة كلها من قيم حضارية وثقافية وفكرية عامة....)) [40].

وفي مختتم هذه المقاربة يمكننا أن نردد وباطمئنان قول أحد الباحثين في هذا الشأن:

((كما أن الأدب من دون سرديات يكون أدباً ناقصاً، في أي لغة من اللغات؛ فإن السرد من دون (فضاء) لا يمكن أن تتم له هذه المواصفة، إنه لا يستطيع أن يكونه لو أراد. بل لا ندري كيف يمكن تصور وجود أدب خارج علاقته مع (الفضاء).... و(الفضاء) لم يكن قط وقفاً على الأدب وحده، وما كان ينبغي أن يكون له كذلك، بل هو مظهر يمثل لكل الذين يتعاملون معه بالفكر، والقلم، والريشة، والصورة جميعاً. ولكن لما كان الأدب هو الأصل.... فإنه قد يكون المجال الذي يتمكن فيه (الفضاء) بامتياز...)) [41].

((فكأن الفضاء هو الذي يجسِّد عبقرية الإبداع....)) [42]

وخلاصة القول, وعلى ضوء ما تقدم من أقوال وآراء اللغويين والفلاسفة والعلماء والنقاد والأدباء, حول «الفضاء» ومفهومه, نستنتج بأنه يتشكّل وفق محاور ثلاثة, مندمجة مع بعضها البعض ومندغمة, بحيث لا يتصوّر «الفضاء» إذا اختفى أو غاب أحد تلك المحاور الثلاثة, فهي بالتالي كمثلث يختلّ تصوّره ومفهومه ومسمّاه, عند اختفاء أو غياب أحد أضلاعه. تلك المحاور الثلاثة تتمثل فيما يلي:

1- الزمان الذي يستدعي بالضرورة مكانه, فهو يتضمن البعد الوجودي, والبعد الرابع, والبعد الإلهي السماوي, والكوني, والبعد الزمني الطبيعي, والبعد الذاتي النفسي... وكل ذلك مرهون بالضرورة أيضاً برؤية ورؤيا الإنسان.

2- المكان الذي يستدعي بالضرورة أيضاً زمانه. وتشكلاته لا حصر لها, وأنواعه عديدة, وذلك نابع من أنه يمثل حجر الزاوية في العلاقة الحميمة مع الإنسان. فالإنسان بدون مكان, والمكان بدون إنسان هو أمر يخلو من سطوة المنطق...

3- الإنسان المستدعي بالضرورة لكليهما: «الزمان والمكان» بدءًا.

فعبر هذا الوسيط يجتمع الزمان والمكان... كما إن هذا الوسيط ذاته لا يفهم ولا يتصور بالتالي إلا من خلال «الزمان والمكان» فالإنسان هو الذي يتضمن القيم الإنسانية والروحانية والاجتماعية, إضافة إلى حيثيات العقل والحقوق والواجبات والأخلاق وعلاقة الإنسان بالإنسان...

وذلك كلّه لا يتحقق له إلا من خلال المكان والزمان, وفقاً لتجربته فيهما, ورحلته عبرهما... إلا إن الزمان والمكان في كلّيتهما ليسا من صنع الإنسان, كما إن الإنسان في الوقت نفسه في كليّته ليس من صنعهما.

ومع ذلك ؛ فإن هذه المحاور الثلاثة ، كما يشير أحد المعماريين ،،لا يمكن – بحال - فصل أحدها عن الأخر, فالإنسان وحده لا يكفي, والمكان الخلاء بدون عمران الإنسان لا يعني شيئاً, وكذلك المكوث في الزمان لا يعني سوى الالتصاق بالتاريخ والتراث وعدم التطور... [(43)] وهذا ما تجليه لنا بوضوح أكبر, الدراسات الأدبية والنقدية الجديدة المؤسسة ( للفضاء ), تنظيراً وتطبيقاً, من خلال هذه المحاور الثلاثة المشكّلة لمفهوم الفضاء في كلّيته, والمتشكلة عبر اندماجها به:

1- الفضاء الزماني.
2- الفضاء المكاني.
3- الإنسان ، الرابط بينهما \ المرتبط بهما ،والمشكل لهما \ والمتشكل بهما في الوقت نفسه : مبدعا ، ومتلقيا ، وشخصية وعليه فإن فصل الفضاء الزماني, عن الفضاء المكاني,في الدراسات الأدبية والنقدية سواء النظرية أو التطبيقية ؛ لا يعدو بالتالي, من أن يكون مجرّد إجراءٍ نظري ــ إذ هو ممتنع منطقاً وعلماً وتجربة ــ بهدف معرفة المزيد من خصائصهما, وليسهل تناولهما في التطبيق عبر النصّوص موضع الدراسة عند الباحثين والدارسين فحسب .

**الهوامش**

(1) (أ) محمد الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط(1) 1412هـ, 1992م، 4/542.

(ب) لسان العرب،دارا الفكر وصادر ،بيروت ، (د.ت ) مادة (فضو)،.

(جـ) لويس المعلوف ، المنجد في اللغة،دارالمشرق،بيروت ، ط (33) 1986م ، مادة (فضو)، ص(587).

(2) انظر ما تقدم ومناقشة ما أورده محمد بن علي التهانوي في هذا السياق: د. عبد الرحيم مراشدة: الفضاء الروائي، الرواية في الأردن نموذجًا، وزارة الثقافة، الأردن، 2002م، ص(2- 8).

(3) عبد الرحيم مراشدة، الفضاء الروائي، مرجع سابق، ص(11- 15).

(4) عبد الرحيم مراشدة، مرجع سابق، ص(15- 23).

(5) عبد الرحيم مراشدة، مرجع سابق، ص(15- 23).

(6) د. عبد القادر بشته: النسبية بين العلم والفسلفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط(1)، 2002م، ص(101- 119).

(7) حول ما تقدَّم انظر: مقدمة د. محمود الشربيني لكتاب: ألبرت أينشتاين: نظرية النسبية، النظرية الخاصة والعامة، ترجمة: د. رمسيس شحاتة، مراجعة د. محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م، ص(9- 38).

والملحق الخامس للكتاب، بقلم المؤلف: (النسبية ومشكلة الفضاء)، ص(202- 228).

(8) انظر: د. محمد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط(4)، 1998م، ص(365- 385).

(9) انظر: د. سعيد يقطين: قال الراوي،البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ( 1 ) ، ص(238).

(10) انظر: حسن نجمي: شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط(1)، 2000م، ص(36- 38).

(11) انظر تفاصيل أوسع حول ما تقدم: محمد منيب البوريمي: الفضاء الروائي في الرواية المغربية الحديثة، الإطار، التنسيق، الدلالة، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، 2001م، ص(35- 39).

(12) انظر تفاصيل ما تقدم: د. نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب، نحو نظرية عربية جديدة, لونجمان, بيروت, القاهرة, ط(2) 1993م، ص(122- 134).

(13) حميد لحمداني: بنية النص السردي، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي, المركز الثقافي العربي, بيروت, الدار البيضاء, ط(2) 1993م, ص(64).

(14) د. أحمد زياد محبك: دراسات نقدية، دراسات من الأسطورة إلى القصة القصيرة, دار علاء الدين, دمشق ط(1), 2001م, ص(150).

(15) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص(29).

(16) حسن نجمي: شعرية الفضاء، ص(59).

(17) د. سعيد يقطين: قال الراوي، مرجع سابق، ص(241- 242).

(18) حسن نجمي: شعرية الفضاء، مرجع سابق، ص(33).

(19) سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ, دار التنوير, بيروت, ط(1) 1985م, ص(75).

(20) سيزا قاسم: بناء الرواية، ص(100).

(21) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص(29).

(22) نجيب العوفي: مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، من التأسيس إلى التجنيس, المركز الثقافي العربي, بيروت, الدار البيضاء, ط(1) 1987م, ص(119).
(23) سعيد يقطين: قال الراوي، مرجع سابق، ص(269).
(24) سعيد يقطين: قال الراوي، مرجع سابق، ص(272).
(25) سيزا قاسم، بناء الرواية، مرجع سابق، ص(33- 36).
(26) ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية،ترجمة يوسف حلاق ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ص(5).
(27) ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية، مرجع سابق، ص(220).
(28) انظر التفاصيل: مجموعةٌ من الباحثين: الفضاء الروائي، ترجمة: عبدالرحيم حُزَل، تقديم: سيد البحراوي، أفريقيا الشرق العربي، لبنان، 2002م. جيرار جينت: (الأدب والفضاء)، ص(11- 18، 391).
(29) الفضاء الروائي، الجغرافيا الفضائية، ضمن بحوث المرجع السابق، انظر التفاصيل ص(23- 41).
(30) المرجع السابق، التفاصيل ص(43- 69).
(31) المرجع نفسه، ص(57).
(32) المرجع السابق، التفاصيل ص(71- 85).
(33) المرجع نفسه، التفاصيل ص(87- 122).
(34) ترجمة لحسن أحمامة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط(1)، 2003م.
(35) كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، مرجع سابق، ص(13).
(36) كيسنر، مرجع سابق، ص(30).
(37) حميد لحمداني: بنية النص السردي , مرجع سابق ص(55- 56، 62).
(38) محمد التلاوي: الذات والمهماز، دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص(113- 114).
(39) حسن نجمي، مرجع سابق، ص(47).
(40) محمد البوريمي: الفضاء الروائي، مرجع سابق، ص(161- 162).
(41) د. عبد الملك مرتاض:في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة الكويت ، 1998م ص (بتصرف).
(42) د. عبد الملك مرتاض: نظرية الرواية، مرجع سابق، ص(156- 157– 161) (بتصرف).
(43) انظر د. علي ثويني: معجم عمارة الشعوب الإسلامية, دار حوران, دمشق, ط(1), 2005م, ص(452-456).

# المراجع

## (1) المراجع العربية:


- آبادي، محمد الفيروز: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، ط(1)، 1412هـ- 1991م، الجزء الرابع.
- ابن منظور، أحمد: لسان العرب، دار الفكر وصادر، بيروت، (د.ت).
- بشته، عبدالقادر: النسبية بين العلم والفلسفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط(1)، 2002م.
- البوريمي، محمد منيب: الفضاء الروائي في الرواية المغربية الحديثة، الإطار التنسيق، الدلالة، دراسة في أعمال غلاب، العروي، زفزاف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم (52)، سلسلة بحوث ودراسات رقم (15)، وجدة، المغرب، ط(1)، 2001م.
- التلاوي، محمد: الذات والمهماز، دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- ثويني، علي: معجم عمارة الشعوب الإسلامية، أعلام ومعلومات, دار حوران، دمشق، ط(1)، 2005م.
- الجابري، محمد: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط(4)، 1998م.
- راغب، نبيل: التفسير العلمي للأدب نحو نظرية عربية جديدة، لونجمان، بيروت، القاهرة، ط(1)، 1997م.
- العوفي، نجيب: مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، من التأسيس إلى التجنيس، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط(1)، 1987م.
- قاسم، سيزا: بناء الرواية، دراسة مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط(1)، 1985م.
- لحمداني، حميد :بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركزالثقافي العربي ، بيروت ،ط ( 2 ) ، 1993م .
- محبك، أحمد زياد: دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط(1)، 2001م.
- مراشدة، عبدالرحيم: الفضاء الروائي، الرواية في الأردن نموذجاً، وزارة الثقافة، الأردن، 2002م.
- مرتاض، عبدالملك: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، شعبان، 1419هـ، ديسمبر 1998م.
- المعلوف، لويس: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط(33)، 1986م.
- نجمي، حسن: شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط(1)، 2000م.
- يقطين، سعيد: قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط(1)، 1997م.

**(2) المراجع المترجمة:**

- أينشتاين، ألبرت: نظرية النسبية النظرية الخاصة والعامة، مقدمة: محمود الشربيني، ترجمة: د. رمسيس شحاتة، مراجعة: د. محمد أحمد، الهيئة العامة للكتاب، 2003م.

باختين، ميخائيل: أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاَّق، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1990م.

- كيسنر، جوزيف: شعرية الفضاء الروائي، ترجمة: حسن إحمامة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط(1)، 2003م.
- مجموعة من الباحثين: الفضاء الروائي، ترجمة: عبدالرحيم حُزَل، تقديم: سيد البحراوي، أفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، 2002م.

# صورة العربي لدى مولانا جلال الدين الرومي604-672هـ

الدكتورة ماجدة حمود

**ملخص**

تتيح لنا دراسة صورة الآخر عند مولانا جلال الدين الرومي معايشة الانفتاح على الآخر عند أحد أبرز المتصوفة! وقد لمسنا هذا الانفتاح عند الجاحظ (155 – 255هـ) أي منذ بداية اللقاء بين الأتراك والعربي.

جسّد لنا (مولانا جلال الدين الرومي) صورة غير نمطية للمتصوف المسلم، إذ رفض العزلة والتواكل، كما دعا إلى الاجتهاد، أي استخدام العقل!

امتلك العربي، لديه، صورة متميزة لكونه حاملاً للدعوة الإسلامية، وقد شاركته في هذه الصورة اللغة العربية!

لم يعترف بالحدود الجغرافية، حتى إنه نظر إلى العالم على أنه بيت واحد، لكنه أحبّ مدنا عربية لأسباب عدة:

(مكة) بسبب موقعها الديني، فهي المدينة التي يحج إليها المسلمون

(بغداد) بسبب موقعها الحضاري

(دمشق) بسبب موقعها الوجداني، إذ التقى فيها بالمؤثر الأكبر في حياته (شمس الدين تبريزي) وابن عربي.

لقد شكلت، لديه، لغة الدين الإسلامي (القرآن، الحديث) بنية الصورة المنفتحة على الآخر.

وهكذا تجسّد لنا الإيمان بالآخر في لغة مولانا جلال الدين الرومي، فاستطاع أن يرسم صورة الذات والآخر (العربي، وغير العربي/والمسلم وغير المسلم) بريشة واحدة، تعلي من شأن الحب، وترفض الكراهية.

Résumé
L’image de l’arabe chez Jalal El Dine Rumi(604-672 de l’Hégire)

Etudier l’image de l’autre chez Jalal El Dine Rumi nous permet de côtoyer la question de l’ouverture à autrui chez l’un des plus éminents soufis.Cette question est déjà présente chez Jahiz (155-255 de l’Hégire), soit dès la rencontre entre turcs et arabes.

En refusant l’isolement, l’absence d’initiative, en défendant la réflexion personnelle par l’usage de la raison, Jalal El Dine Rumi incarne une image atypique du soufi musulman.

En tant que défenseurs de la religion musulmane, les Arabes ont acquis à ses yeux une image particulière, à l’élaboration de laquelle la langue arabe a elle aussi participé.

Rumi refusait de reconnaître les frontières géographiques, et considérait le monde comme une seule maison. Cependant il aima plusieurs villes arabes pour de nombreuses raisons : La Mecque, pour son statut religieux, Bagdad, pour sa grande civilisation, et Damas, pour la place qu’elle occupait dans son cœur : c’est là-bas en effet qu’il rencontra l’homme ayant eu le plus d’influence sur sa vie : Chams El Dine Tabrîzi, ainsi qu’Ibn Arabi.

C’est avec la langue de la religion musulmane (le Coran et les Hadiths) que Rumi élabora son ouverture à autrui. C’est ainsi queprit corps « la foi en l’autre »,pour parler son langage. Il parvint à dessiner d’une même plume l’image de soi et de l’autre, (l’arabe /le non arabe, le musulman/le musulman), s’élevant vers l’amour et refusant la haine.

## صورة العربي لدى مولانا جلال الدين الرومي 604-672هـ

لابد في البداية أن نطرح التساؤل التالي: لماذا دراسة صورة العربي لدى مولانا جلال الدين الرومي؟

إن دراسة هذه صورة الآخر عند أديب متصوف تتيح لنا معايشة لحظة انفتاح على الآخر، انبثقت من روح الدين الإسلامي، متجاوزة أهواء السياسة، ومبتعدة عن تأثير الحروب، أي كل ما يؤدي إلى تعزّيز سوء التفاهم وتشويه صورة الآخر بشكل سلبي! وكذلك تستعلي هذه الروح على المصالح المادية الضيقة التي قد تسعى إلى تجميل الصورة، وتشوّهها بشكل إيجابي، لذلك يمكن القول بأن المتصوف أكثر الناس قدرة على تقديم صورة نقية منسجمة مع روح الدين والفطرة الإنسانية السليمة نحن اليوم أحوج ما نكون إليها.

إننا لو عدنا إلى الصورة التي شكلها اللقاء في الماضي البعيد بين العرب والأتراك لوجدنا أنها لم تحمل ملامح العداء، فمثلا حين نتتبع الصورة التي رسمها الجاحظ (توفي 255هـ) مع بداية صعود نجمهم في بغداد، نجد أن ملامحها إيجابية، فهم **"لا يعرفون الملق ولا الخلابة، ولا النفاق ولا السعاية، ولا التصنع ولا النميمة ولا الرياء...ولا البغي على الخلطاء، ولا يعرفون البدع ، ولم تفسدهم الأهواء..."(1)** وقد وصل الإعجاب إلى ذروته لدى الجاحظ، حتى إنه يقول: **"والتركي الواحد أمة على حدة."** وبذلك يلمح إلى اجتماع قيم العصر ومفاخره لدى هذا التركي، إذ يحمل ملامح استثنائية في الشجاعة والأخلاق التي ترسم صورة الفارس النبيل، لكونه يعيش حياة فطرية، لم تشوهها المدينة والترف!

وكذلك وجدنا صورة إيجابية للذات العربية لدى الأتراك، إذ **"كان للنصر العربي الساحق في بلاد ما وراء النهر، وللتسامح الديني المعروف عن العرب أثرهما الكبير في دخول الأتراك الدين الإسلامي اعتبارا من منتصف القرن التاسع الميلادي."(2)**

إن دراسة ملاح صورة الآخر في كتب الأدب، باعتقادنا، أكثر صدقا من كتب التاريخ اللصيقة بالمؤسسات الرسمية، وبرجال الحكم، إذ إن الكتابة

الإبداعية على صلة مباشرة بروح الإنسان ووجدانه، أي على صلة بحقيقة الإنسان وجوهره! في حين تغلب على كتب التاريخ السياسة والمصالح الآنية، فتشيع فيها مجاملة الحاكم، وتشويه من يخالفه الرأي أو العقيدة أو ...! ومن هنا كان اختيارنا لأديب متصوف، لا يهتم بما يلهث وراءه الكثير من البشر! كي نطّلع من خلاله على صورة الآخر، ولكن، هنا، لابد أن يبزغ سؤال: ما مدى مصداقية دراسة هذه الصورة لدى أديب متصوف ينأى بنفسه عن العالم الخارجي، ويعيش في عزلة!؟

هذه ملامح صورة نمطية يرسمها المتلقي للمتصوف المسلم، فقد عايشنا لدى مولانا جلال الدين الرومي صورة غير نمطية، إذ لم نجده يقنع بحياة العزلة، التي تعتمد التواكل، وتسعى إلى إلغاء العقل والذات أمام القائد الروحي، خاصة حين يصبح المتصوف مريدا له، يدور في فلكه، ويسعى إلى تقليده!

لا نستطيع أن ننـزّه مولانا عن مرحلة التلمذة للآخرين، لكن ما يميّز تجربته هو انتباهه لأخطاء تلك المرحلة وممارسته النقد الذاتي حين كان تابعا ومريدا! فيرى ما هو سطحي، ويدور حول ظاهره، ويضيع ذاته، فيضيّع حقيقته وجوهره!

**اخترت نفسي مدة مقلداكنت أسمع اسمي ولا أرى نفسي(3)**

لهذا لن يكون غريبا أن نجد لديه صورة غير نمطية للمتصوف، فقد امتلك وعيا منفتحا على الإسلام الحقيقي، الذي يبتعد عن التواكل والضعف، وبذلك يحاول أن يبني روح الإنسان على أسس عقلية، ليبتعد عن التقليد، فـ**"لا يتوقف عن الاجتهاد، ويظل يدور حول نور جلال الحق دون هوادة ودون قرار...."**(4)

إن ما يلفت النظر، هنا، حيوية الصورة وحركيتها، إذ بدا الإنسان المؤمن الذي يتبع نور الحق دون توقف، فيبني ذاته على أسس عقلية، تستنير بنور الإيمان، وهكذا حطّم الإطار التقليدي الذي تسجن فيه صورة المسلم، وبيّن أن الاجتهاد يعني استخدام العقل، الذي جعله منسجما مع روح الإيمان بالله تعالى، وليس غريبا عنه، وبذلك نعايش صفاء الإيمان لدى مولانا، الذي

يربط ربطا مدهشا بين طريقي العقل والقلب! مما خلق لديه عزيمة لا تخاف في الحق لومة لائم، لهذا وجدناه يواجه الحكام حين ينحرفون عن جادة الدين، ويحالفون أعداء المسلمين من المعول! كما فعل مع الوزير السلجوقي (بروانه)(5)

**ملامح صورة العربي:**

يحتفظ الأتراك في لا وعيهم بصورة مشرقة للعرب، هؤلاء الذين أنجبوا الرسول (ص) حتى إنهم أطلقوا عليهم في العصر العثماني "القوم النجيب"(6) لذلك بدت صورة العربي لدى مولانا هي صورة محببة **"جاء الحبيب المدهش، بيده رمح، مثل العربي."(7)**

جسّد، هنا، إعجاب الأتراك بصورة العربي المجاهد، فبدا في هيئة فارس يحمل رمحه، يقاتل أعداءه، وينشر إسلامه! لذلك لن يتوانى مولانا عن إحاطته بألفاظ محببة ذات دلالات إيجابية (المجاهد في سبيل الإسلام، الحبيب ذو الصفات المدهشة)

إذاً لقد رسمت ملامح الصورة أنامل محبة، لذلك تمّ تشبيه أحب الناس إلى قلبه بالعربي! وبذلك يرفع مكانته، ليجعلها تقف إلى جوار حبيبه!

إذاً امتلك العربي صورة متميزة لكونه حاملا للدعوة الإسلامية، وقد شاركته اللغة العربية هذه المكانة، فقد شاع حبها واحترامها مع انتشار الإسلام بين الأتراك، حتى عدّت اللغة الرسمية لدولة السلاجقة والدويلات التي تأسست في بلاد الأناضول حتى القرن الميلادي الثالث عشر."**(8)**

وقد لاحظنا هذه المكانة في عصر مولانا جلال الدين الرومي، الذي حدثنا في "كتاب فيه ما فيه" عن حاكم تركي يمدح باللغة العربية، فيظهر استحسانه، وحين سأله غلامه في ساعة صفا: **"هل يعرف العربية؟ قال: والله لا أعرف العربية. أما تحريكي رأسي واستحساني، فذاك أني عرفت مقصوده من نظم ذلك الشعر، فهززت رأسي، واستحسنت."(9)**

مازالت العربية فيما يبدو ثقافة مهيمنة، ورغم ذلك تتمتع بالاحترام، لهذا كان من المناسب أن يمدح بها الحاكم التركي، واللافت للنظر أن رجل الدولة يجد من المعيب أن يصرّح بأنه يجهلها!

أعتقد أن المرجعية الدينية هي إحدى أسس البناء الروحي للإنسان ، وهي التي دفعت التركي لهذا الاحترام، وقد أكّد لنا مولانا هذه المكانة الرفيعة التي تحتلها العربية بسبب هذه المرجعية، فهي تحمل رسالة الإسلام، لهذا لن يهتم بما هو ظاهر، أي في **"أن تكون الألفاظ عربية أو فارسية أو تركية، فإن المعنى العربي هو المهم."(10)**

إنه لا يهتم بأصوات اللغة وبحروفها المتباينة بين لغة وأخرى، بل يبدو معنيا بالمعنى الذي ينبع من وجدان الإنسان المتدين، الذي يرى جوهر الدين متجليا في القرآن الكريم، لهذا جعله مرادفا للمعنى العربي، بما أنه ينطق **بـ"لسان عربي مبين" (سورة آية 103)**

من هنا يمكننا القول بأن العربية في الدولة السلجوقية كانت لغة الثقافة، حتى إن مولانا نظم الكثير من الأبيات بها، لكنها لم تكن لغة الحياة اليومية، لهذا رأيناه يأمر صديقه قائلا: **هيا تحدث الفارسية، رغم أن العربية أحلى.. (11)".**

يلفت نظرنا هذا الإقرار الذي يعلن جمال اللغة العربية، وتفوقها على الفارسية، ولا ننسى أن مولانا من مواليد إحدى مدن فارس (بلخ) ومن الصعب على المرء أن يقرّ بتفوق لغة أخرى على لغة نطق بها في سني طفولته الأولى، لكن يبدو أن النشأة الدينية التي تربى عليها، والتي تعلي مكانة العربية لكونها ترتكز على حفظ القرآن الكريم، جعلته يعلن أفضليتها على الفارسية! التي رآها أصلح لحديث الأصدقاء في شؤون حياتهم اليومية، في حين تحتل العربية مكانة روحية وثقافية، حتى لتكاد تبدو أقرب إلى اللغة النخبوية!

وقد لاحظنا في رباعية (1613) كيف جسّد لنا روح الحضارة الإسلامية التي يجتمع فيها الفارسي بالعربي، وذلك عبر خطابه لذاته قائلا:

**يا من فارسيتك وعربيتك مخفية رأى الروح القدح، ولم يشرب الخمرة**

فهو ليس معنيا بالقدح وبما يضمه في الظاهر، إنه يعتمد على الباطن الذي يوّحد المختلف، لذلك يصغي للغة القلب التي ابتكرها العرب والفرس! فشكلت كيانه الروحي والثقافي! مثلما شكلت أحد أبعاد الحضارة الإسلامية.

وقد تجلت لنا في المثنوي روح المتصوف، التي ترفض التمييز بين الأسماء، مادام المعنى الإنساني واحدا، كأنه في ذلك يستند إلى قوله تعالى **"ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة"** (سورة لقمان، آية 28) لهذا يبيّن أن من يبحث في المظاهر والأسماء سيقع في العداوة والصراع، فقد **"وقع الاختلاف بين الخلق من العكوف على الاسم، وعندما اتجهوا إلى المعنى حلّ الصفاء."** وكي يقنع المتلقي بوجهة نظره هذه، أورد حكاية بسيطة، استمدت أحداثها من وقائع الحياة اليومية، فقد أعطى رجل أربعة أشخاص من جنسيات مختلفة (تركي، عربي، فارسي، رومي) درهما، فدبّ الخلاف بينهم، مع أن كل واحد يريد أن يشتري عنبا، لكنهم اختلفوا في نطق اسمه تبعا لاختلاف لغتهم، لهذا استحقوا هذا التعليق **كانوا شديدي الجهل، وخاوين من المعرفة.**(12)

هنا يضع يده هنا على مكمن الصراع بين الأمم المختلفة، إنه الجهل بحقائق الأمور، وعدم معرفة الآخر، وقد تجلى هذا الجهل في اللهاث وراء المظاهر، وترك الباطن، مع أن في هذا الباطن تكمن إرادة مشتركة ، توحدها الرغائب والأحلام! وبذلك تكون معرفة أعماق الذات طريقا لمعرفة الآخر واللقاء معه، فرغم ما يبدو من تنوّع مظاهر البشر فإن ثمة ما يوحّد باطنهم!

**دور المكان العربي في رسم صورة الآخر:**

لا يعترف المتصوف بالأبعاد الجغرافية، التي قد تمزّق طريق البشر، فهو يرى أن **"العالم كله ليس سوى بيت لا أكثر، سواء أذهب** (الإنسان) **من هذا البيت إلى ذلك البيت، أو من هذه الزاوية إلى تلك الزاوية، أليس هو في النهاية في البيت نفسه."(13)**

ثمة بيت لا يتغير، يقع في الأعماق، حيث تسكن الروح، لهذا تغيير المكان وتبديل البيت لن يعني سوى تغيير الأشكال والمظاهر، أما الجوهر، فيقبع في مكانه (في الباطن)لا يتغير مهما تغيّرت الأمكنة والأزمنة! لهذا نجد الروح ترفرف متجاوزة الحدود والدول، حتى إن كلام العارف يصبح **"دواء لحك السؤال والجواب والقيل والقال لدى المشرقي والمغربي، ذلك لأن كلام اللب لب..."(14)**

بما أن كلام المتصوف يصدر من أعماقه، فلابد أن يعكس جوهر الإنسان، عندئذ يصل إليه في أي مكان سواء في المشرق أم في المغرب، لهذا باتت لغته دواء يلغي توتر طرح الأسئلة وقلق البحث عن أجوبة، مثلما يلغي المشاكل التي يوجدها القيل والقال! فينشر السلام والود بين البشر.

رغم رفض مولانا الاعتراف بتعدد الأمكنة، وتأكيده أن القلب هو المكان الوحيد الذي يركن إليه الإنسان، ويحس فيه بالطمأنينة، لكن ثمة أمكنة عربية رددها في شعره، وبدت تحتل مكانة خاصة لديه (مكة المكرمة، دمشق، بغداد...)

ورد ذكر (مكة) في أدبه، وأهمية زيارتها بصفتها المدينة التي يؤدي المسلم فيها شعائر فريضة الحج، لهذا كانت أهميتها تنبع من أهمية هذه الفريضة، ما إن يذكر الحج حتى يتوارد إلى الذهن بصورة لا شعورية اسم هذه المدينة الصحراوية **"وإنما يساوي الحج معاناة الرمال والصحارى، وشرب لبن النوق، ونهب الأعراب."(15)**

نلمس هنا حرص مولانا على أداء فريضة الحج في مكة، رغم صعوبات السفر الطويل عبر الصحراء، التي ذكر لنا بعضها كالمتاعب التي تثيرها الرمال، وقسوة الطعام، ونهب قطاع الطرق للقوافل، هنا يحسن أن نشير إلى أننا لم نجد لدى مولانا ذلك الشطط في إسقاط فريضة الحج، كما فعل بعض المتصوفة!

يلفت نظرنا هنا حديثه عن **نهب الأعراب**، مما يجسد صورة سلبية لبدو الصحراء (الأعراب) الذين يعيشون على مهب القوافل! وهذه الصورة ترددت في كتب التراث العربي، وليس فقط لدى مولانا!

أما مدينة بغداد فتبقى أفضل المدن في المخيلة الشعبية، وقد أكّد مولانا ذلك عبر قصة أوردها ، تتحدث عن قافلة تبحث عن ماء، وبعد معاناة طويلة، وجدوا بئرا، فأنزلوا دلوهم، فتقطّع الحبل، وحين نزل رجل منهم اختفى، فتبعه عاقل منهم، فسأله "**مخلوق أسود مرعب على نحو مفاجئ... أي مكان أفضل؟ قال العاقل: أنا أسير ومسكين بين يديه، إذا قلت بغداد أو غيرها، فربما أكون قد نلت من بلده وموطنه، بعدئذ قال بصوت مسموع: خير مكان للعيش هو المكان الذي يكون فيه للمرء مؤنس، ولو كان في قعر الأرض، لكان خير مكان، ولو كان غار فأر لكان خير مكان..."(16)** فأعجب هذا المخلوق الأسود المؤذي بحكمته، وسمح للقافلة أن ترتوي من البئر، يلفت نظرنا هنا الدلالة السلبية للون الأسود، فقد ألحق بمخلوق مؤذ، مما يشي بخضوع مولانا للسياق الاجتماعي السائد، والذي لقي بظلاله على المخيلة التي تقرن السواد بالأذى، دون أن يعني هذا القول أن مولانا كان من أنصار النظرة العرقية التي تناقض الروح الصوفية المنبثقة من تعاليم الدين السمحة.

سافر مولانا إلى مدينة دمشق عدة مرات، وأقام فيها أربع سنوات من أجل أن يتعلم، فقد كانت هذه المدينة في عهده مجمعا للعلم والمعرفة، وملاذا للفارين من فتنة المغول، وقد التقى في تلك الفترة بالشيخ الأكبر (محي الدين بن عربي) الذي كان في ذروة نضجه.

ارتبطت دمشق بحياة مولانا، وتدلّ غزلياته وأبياته في وصفها على أنه كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بها، خاصة أنه التقى فيها بالمؤثر الأكبر في حياته وتصوفه (شمس الدين تبريزي) **(17)** فقلب هذا اللقاء حياته رأسا على عقب!

**"لا تجهد نفسك في النظر إلى البستان، وانظر في قلب العاشق إلى دمشق والغوطة، رياض الورد والنيرب.**

**وما دمشق؟ إنها جنة مملوءة بالملائكة والحور، وقد حارت العقول في تلك الوجوه والغباغب!**

**لا ينشأ عن نبيذها اللذيذ قيء وخُمّار.**

**ولا ينشأ عن حلاوة حلواها الدُّمّل والحمى.** "(18)

تتضح لنا، هنا، المكانة المميزة لمدينة دمشق، التي اشتهرت عبر التاريخ بغوطتها الغناء، وحين نتأمل ملامح صورتها في وجدان مولانا، فنجدها محاطة بمجموعة من الدلالات الإيجابية، ويبدو أن جمال المدينة ليس بزهورها بل بسكانها أيضا، لهذا عدّها منبع الجمال والعشق الإلهي، ولابد أن يعذر في هذا التشبيه، فقد التقى فيها بأبرز أركان التصوف في عصره (ابن عربي وشمس الدين التبريزي) لهذا شبّهها بقلب العاشق الإلهي (منبع الحب والعطاء والسلام) وجعلها جنة يسكنها بشر أشبه بالملائكة، قد أمعن في منحها صفات الجنة التي لا تقتصر على حور العين، بل لديها شراب يشبه خمر الجنة، التي أحلّها الله للمؤمنين، لكونها لا تذهب العقل ولا تقتل الصحة **"يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم"**(سورة الطور، آية 23)

وقد أمعن مولانا في منح دمشق صفات استثنائية، حتى وصل الأمر تنزيه حلواها اللذيذة عن الأذى الصحي، الذي يمكن أن يصاحب الحلوى عادة!

لقد ظفرنا بهذا الوصف المدهش للمكان العربي الذي هو انعكاس لانفتاحه على الإنسان العربي وحبه للغة العربية، التي هي لغة الدين الإسلامي، الذي اتخذه منهجا لحياته!

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن اللغة الإسلامية شكّلت بنية الصورة المنفتحة على الآخر لدى مولانا، فلم نجده يميز بين (الأنا) والآخر، فقد شكّل القرآن الكريم وقوله تعالى **"إن أكرمكم عند الله أتقاكم"** (الحجرات، آية 13) مرجعيته الثقافية والأخلاقية، وبذلك يؤسس لعلاقات إنسانية تعزّز وحدة المسلمين كما أمرها الله تعالى، وترفض التنابذ! لهذا يقول:

**"وهيا من اختلافكم صوب الاتحاد، وأسرعوا من كل جانب سعداء، حيثما كنتم فولوا وجوهكم نحوه..."**(19)

هنا يتخذ من التناص القرآني **"ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا وجوهكم فثمّ وجه الله"** (سورة البقرة، آية 115)

لقد استطاع مولانا أن يجعل اللغة القرآنية جزءا من جمالية لغته، مثلما جعل روح القرآن تخفق في قلبه، وتشكل وعيه ومنهاج حياته، وبذلك رأى روح العبادة لا طقسها، فتوجه المسلم أثناء الصلاة بقلبه نحو الله تعالى، يعني أن ثمة وحدة تلمّ شعث المسلمين، وتؤلف قلوبهم.

لم يكتفِ بالتناص القرآني من أجل رسم الصورة وتحديد منهاج الحياة للمسلم، بل لجأ إلى استخدام التناص مع الحديث الشريف، كي يذكّر المتلقي المسلم بقانون أخلاقي يضبط تعامله مع الآخر، ويؤسس لرسم صورة موضوعية له وللآخرين، لهذا يذكر حديث الرسول (ص) **"المؤمن مرآة أخيه"** وينصح هذا المؤمن قائلا: **"أبعد ذلك العيب عنك، لأن ما يؤلمك فيه يؤلمك في نفسك."(20)**

تفلح هذه اللغة الدينية في نزع فتيل الحقد والكراهية، بل يسعى هذا الحديث الشريف، الذي اتخذه نبراسا له، إلى إغناء الذات وتهذيبها، بل لفت النظر إلى أنها تملك من العيوب مثلما يملك غيرها، لهذا استند مولانا على الحديث الشريف لينصح المؤمن ألا ينظر في عيوب الآخرين قبل أن ينظر في عيوب نفسه! عندئذ يستطيع أن ينظر إلى الآخر بعين العدل! ويرسم صورة موضوعية له، كما فعل مولانا.

وهكذا تجسد الإيمان بالله في لغة مولانا، فاستطاع أن يرسم لنا صورة ترسم الذات والآخر (المسلم وغير المسلم) بريشة واحدة **"فاليهودي والمشرك والمسيحي والمجوسي، صاروا جميعا في لون واحد، من تأثير ذلك العظيم."(21)**

****

**الحواشي:**

1. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "رسائل الجاحظ" فصول مختارة من كتب الجاحظ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، شرحه وعلّق

عليه محمد باسل عيون السود، المجلد (1) دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص50

2. د. إبراهيم الداقوقي "صورة العرب لدى الأتراك" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1992، ص15
3. "رباعيات مولانا جلال الدين الرومي" ترجمة د. عيسى العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004، ص24
4. مولانا جلال الدين الرومي "كتاب فيه ما فيه" ترجمة د. عيسى العاكوب، دار الفكر، ط1، دمشق، 2002، ص65
5. المصدر السابق، ص110
6. "صورة العرب لدى الأتراك" ص230
7. "يد العشق" مختارات من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي، ترجمة د. عيسى العاكوب، المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، ط1، 2002، ص36
8. صورة العرب لدى الأتراك" ص18، بتصرف.
9. "كتاب فيه ما فيه" ص55-56
10. أنيماري شيمل "الشمس المنتصرة" ترجمة د. عيسى العاكوب، وزارة الثقافة، طهران، 1420، ص105
11. "الديوان الكبير" عن طريق المرجع السابق، ص354
12. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، الكتاب الثاني، ترجمه وقدّم له د. إبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1997 ص305، بتصرف.
13. "كتاب فيه ما فيه" ص94
14. مولانا جلال الدين الرومي "المجالس السبعة" ترجمة وتقديم د. عيسى العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004، ص64
15. "مختارات من ديوان شمس الدين تبريزي لمولانا جلال الدين الرومي، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000’ ص172
16. "كتاب فيه ما فيه" ص134-135
17. بديع الزمان فروزانفر "من بلخ إلى قونية" سيرة حياة مولانا جلال الدين الرومي، ترجمة د. عيسى العاكوب، دار الفكر دمشق،، 2006،ص85، بتصرف
18. يد العشق" ص63
19. "المثنوي" الجزء الثاني، ص310

20. "كتاب فيه ما فيه" ص57
21. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، الكتاب السادس، ص179

**المصادر:**


1. "يد العشق" مختارات من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي، ترجمة د. عيسى العاكوب، المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، ط1، 2002
2. "مختارات من ديوان شمس الدين تبريزي لمولانا جلال الدين الرومي، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000
3. "رباعيات مولانا جلال الدين الرومي" ترجمة د. عيسى العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004
4. مولانا جلال الدين الرومي "كتاب فيه ما فيه" ترجمة د. عيسى العاكوب، دار الفكر، ط1، دمشق، 2002
5. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، الكتاب الأول، ترجمه وقدّم له د. إبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1996
6. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، الكتاب الثاني، ترجمه وقدّم له د. إبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1997
7. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، الكتاب الخامس، ترجمه وقدّم له د. إبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1997
8. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، الكتاب السادس، ترجمه وقدّم له د. إبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1996
9. "رسائل مولانا جلال الدين الرومي" تحقيق توفيق هـ. سبحاني، ترجمها إلى العربية وقدّم لها د. عيسى العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008
10. مولانا جلال الدين الرومي "المجالس السبعة" ترجمة وتقديم د. عيسى العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004

**المراجع:**


1. آنيماري شيمل "الشمس المنتصرة" ترجمة د. عيسى العاكوب، وزارة الثقافة، طهران، 1420
2. د. إبراهيم الداقوقي "صورة العرب لدى الأتراك" ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1992.
3. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "رسائل الجاحظ" فصول مختارة من كتب الجاحظ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، شرحه وعلّق عليه محمد باسل عيون السود، المجلد (1) دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000
4. بديع الزمان فروزانفر "من بلخ إلى قونية" سيرة حياة مولانا جلال الدين الرومي، ترجمة د. عيسى العاكوب، دار الفكر دمشق،، 2006

# دلالة اللفظ بين المعجم والسياق

الأستاذ:بن الدين بخولة
دراسات عليا/جامعة وهران

Il est connu que dans les lames de texte et le contenu et les symboles pour chaque sens sens lexical déterminé contextuelle du même contexte, mais peuvent entrer en conflit concernés menant à qui résultent de cet anticorps bilatérale qui, contrairement à contrastive bilatérale, est un anticorps bilatérale dans la différence entre le signifiant et le signifié dans la nature que peut exercer signifié qui affectent le contexte global du texte.
Et anticorps bilatérale qui signifie Akhrōhoualemkablh implicite et qui ne peut pas être atteint mais que la réalisation de l'art et du goût qui varient bien sûr d'un bénéficiaire à Akhrfalakl vue et lire le texte.

L'être Palmagama: leçon sens de Almagamat différent, et représente le sens originel positif du terme, qui est appelé la signification centrale Oalosas La signification contextuelle est celle qui découle de systèmes verbaux et morale de la parole et l'emplacement des systèmes pense que le contexte général des mots, comme le sont les mots des rapports de la morale et des circonstances actuelles et expressives environnantes, qui Aotlv uns avec les autres pour montrer la signification particulière de ce mot, qui est appelé le supplémentaire ou marginal ou des nuances de sens

من المعروف أن في النص شفرات ومضامين ورموز لكل منها معنى معجمي ومعنى سياقي يتحدد من السياق ذاته ولكن قد يتعارض المعنيان مما

يؤدي إلى أن ينتج عن هذا الثنائية الضدية وهي عكس الثنائية التقابلية، تتمثل الثنائية الضدية في الفرق بين الدال والمدلول من خلال الطبيعة التي قد يحملها المدلول والتي تؤثر على السياق العام للنص.
وللثنائية الضدية معنى آخروهوالمقابلة الضمنية والتي لا يمكن التوصل إليها إلا بإعمال الفن والذوق وهي بطبيعة الحال تختلف من متلق إلى آخرفلكل وجهة نظره وقراءته الخاصة للنص .

إذ يُراد بالمعجمي: المعنى الذي نَستقيه من المعجمات المختلفة ، ويُمثّل المعنى الوَضعي الأصلي للفظ ، الذي سُمّيَ المعنى المركزي[1] أوالأساس[2].
أمّا المعنى السياقي فهو الذي يُستقى من النَظم اللفظي والمعنوي للكلمة وموقعها من ذلك النَظم [3] أومن السياق العام للكلام، إذ تخضَعُ الكلمة للعَلاقات المَعنويةّ والظروف الحاليّة والتعبيريّة المُحيطة بها، التي يأتلِفُ بعضُها مع بعضٍ لتبيّن المعنى الخاص لتلك الكلمة الذي سُمّي الإضافي[4]، أو الهامشي[5]، أو ظِلال المعنى[6] .

والفارق الأساسي بين المعنيين المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني[7] ومن هنا فقد أدرك الأوائل أثرَ السياق في توجيه المعنى وتحديده، كما أوْلى المحدثون عنايةً خاصّةً بالسياق في تفسير الحدَث الكلامي فهو لدى فندريس المُعين على تحديد قيمة الكلمة؛ لأنّه يُحدّدها ويُجرّدها من كلّ الدَلالات التي يمكن أن تتبادَر إلى الذهن عند سَماعها منفردة[8] . كما أنّه لدى **ستيفن أولمان** وحدَه القادر على مساعدتنا في إدراك المتبادل بين المعاني الموضوعية والعاطفية والانفعالية، ولذا فهو يَعدّ نظرية السياق حجرَ الأساس في دراسة المعنى[9] . ويمكن القول إن لكلّ كلمة معنىً معجمياً، يُمثّل معناها الحقيقي ومعنىً تاريخياً تكتسبه بفعل الاستعمال العُرفي، ومعنىً ظرفياً آنياً تكتسبه في سياقات خاصة وظروف محددة يعيشها المتكلم[10] .فالمعجم قنن المعنى للفهم التقريبي المشترك بين الناس،( وتقنع كل لغة بذلك الفهم التقريبي، ويقنع معها اللغوي عادة بما يشيع بين الناس من دلالات قاصرة،

---

[1] دلالة الألفاظ : 213 .
[2] المصدر نفسه 106 ، وعلم الدلالة (مختار)36، واللغة والمعنى والسياق35.
[3] دورالكلمة في اللغة 62 .
[4] علم الدلالة (مختار) 37.
[5] دلالة الألفاظ 107 - 109 .
[6] المصدر نفسه 85 ، ودور الكلمة في اللغة 90 - 94 .
[7] اللغة العربية معناها ومبناها 325 .
[8] اللغة 228 - 231 .
[9] دور الكلمة في اللغة 59 .
[10] أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية 25 .

فبضع معجمهِ ويفسر ألفاظاً على قدر فهم جمهور الناس لها)(11). فللكلمة أكثر من معنى تصريحي وآخرإيمائي نظرا للتداعيات التي يمكن أن تحدثها أثناء الاستعمال، فأي كلمة قد تستدعي قيما اجتماعية أو ثقافية أوحتى قيم انفعالية تعكس صورة قائلها فتحدد بعض ملامح الجانب النفسي (12). فالنص في كلام المتكلم لا يوجد منفرداً عن بقية أجزاء الكلام ونصوصه بل هو مساق معها سوقاً، ليؤدي المجموع المعاني التي يريدها المتكلم .

ومن هنا تبدو نظرية السياق من نتائج البحث الدلالي الحديث، لكن جذورها ممتدة الى علمائنا ولغويينا القدماء ، مما يبدو واضحاً من اهتمامهم بالنص وتحليله ويدل لفظ (السياق) عند اللغويين المعاصرين على الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أوأكثر. فيشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة ويرادفه القرينة. وله أهمية كبيرة في البحث اللغوي المعاصر ، لغرض تحديد الدلالة ، حتى يصبح نظرية متكاملة ترتبط بتخصيصات كثيرة.

واستعمال المعنى في السياق هوالذي يوضّح الصورالمختلفة (لتناوب المعاني)(13) الأخرى مع المعنى المركزي الثابت.

فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى الكلمة ، والقرائن المسوقة داخل السياق ، ولا تتحدد قيمة أي عنصر لغوي نهائياً وكلياً إلا منْ خلال سياقه وما يحيط به منْ ألفاظ تحدد معناه ، ولتغيير الحركات والمورفيمات تأثيرٌ في التغيير الدلالي ، وأي تغيّر دلالي هو تغّير معنوي والقيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها .

لقد تساءل "**كوهين**"(Cohen) في صدر كتابه" **The diversity of meaning**" قائلاً: « هل يتغير المعنى؟، ثمّ أجاب قائلاً:إنّ نفس الكلمات ـ بسبب تطور اللّغة خلال الزمن ـ تكتسب معنى آخر، و تشرح فكرة أخرى، و على هذا فإنّ ما نعنيه بتغير المعنى هو تغيير الكلمات لمعانيها»**(14)** ويقول "**أولمان**": « لقد سبق أن عرّفنا المعنى بأنّه علاقة متبادلة بين اللّفظ و

---

(11) دلالة الألفاظ:إبراهيم أنيس، 104

(12). علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: ، منقورعبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، سوريا - دمشق 2001م.

(13) ينظر، دور الكلمة في اللغة:64.

14) A.Arlotto, introduction to historical linguistics; U S A,1972; p 165- 166 نقلا عن أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ، .

المدلول... و على هذا يقع التغيير في المعنى كلما وجد أي تغير في العلاقة الأساسية» [1].

ومعنى هذا أنّ تغير المعنى يمس اللّفظ بصورة أساسية، وأنّنا حينما نعالج موضوع تغيرالمعنى لا نعالجه منعزلاً، وإنّما في ضوء الألفاظ التي ترتبط بالمعاني المتغيرة و تعبّر عنها0 [2]. إنّ الكشف عن المعنى لايكون إلاّ بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة، إذ يتحصّل المعنى بحُكم العَلاقة بين الألفاظ وما يجاوِرُها .

وإنّ دراسة المعنى تتطلّب تحليلاً واعياً للسياقات والمَواقف التي ترد فيها الألفاظ حتى ما كان منها غير لغوي، فقد دَعت إلى اعتماد المقام أوالعناصرالمُحيطة بالمَوقف الكلامي ، مثل طبيعة الكلام ودَلالاته المختلفة ، وأثره الفعلي على المُتلقّي ، وشخصيّة المتكلّم والمُتلقّي والظواهر اللغويّة الاجتماعيّة الُحيطة بالنصّ .

وقد يبالغ بعضهم فيُلغي أيَّ دورٍ للكلمة في تحديد المعنى ويُعطي السياق الدور الأول في ذلك، إذ ذكر **جون لاينز** أنّه (لايمكن فَهم أيّ كلمة على نحوٍ تامٍّ بمعزَل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها، والتي تُحدّد معناها) [3]، وفي هذا إلغاء لتفرّد المعنى المعجمي الأصلي للكلمة المفردة بالدلالة، وتقليل لأهميته الانفرادية ؛ لأنّ الواقع اللغوي يؤكّد ( أنّ في كلّ كلمة نواةً صلبةً من المعنى ـ نسبياً ـ ويمكن تكييفها بالنصّ ضمن حدود معينة) [4] ؛ إذ لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم.

فالمستوى الدلالي ينقل الدراسة إلى تناول المعاني الثانية التي تختفي خلف المظاهر الخارجية للألفاظ ، وهذه الدلالة الوضعية العقلية عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بعبارة (المعنى) و(معنى المعنى) ، فيقول (الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ...وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى

---

1) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص، 235، نقلاً عن استيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، ط 1، د ت ط.

(2) أحمد مختار عمر،علم الدلالة، ص 236.

(3) اللغة والمعنى والسياق 83 .

(4) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث 94 .

دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل) [1].

وعليه فإن معاني الكلمات تأتي على النحو التالي:

1. المعنى الحرفي المعجمي وهو المعنى الأساسي للمفردة.
2. المعنى المجازي للكلمة وهو استعمال الكلمة لتدل على معنى جديد غير المعنى الحرفي لها فعندما نقول أن فلان أسد فأننا نقصد أنه شجاع.
3. المعاني المختلفة للكلمة مثل كلمة (عين) ويتحدد معناها بالسياق الذي ترد فيه.
4. العلاقات بين المفردات كالترادف والتضاد والاشتمال.
5. السمات الدلالية للكلمة فكل كلمة لها عدة معاني التي تميزها عن غيرها فكلمة مربع مثلا تشمل على السمات الآتية:سطح، مستو، له أربع أضلاع متساوية وزواياه قائمة.
6. المعنى الاجتماعي. 7. المعنى الوجداني.[2]

فلكل كلمة معنى أساسي هو معناها المعجمي الذي وضعت له أساسا والبعض يدعوه المعنى الحرفي أو المعنى الدلالي، وهو المعنى الذي تدل عليه الكلمة أساسا.ويتحقق المعنى الأساسي بالالتزام باستعمال الكلمة وفقا لسماتها الدلالية، فمثلا نقول:شرب الولد الماء. وهنا استخدم كل كلمة وفقا لسماتها الدلالية.

ولكن عندما نقول شرب الولد الثقافة. يصبح استخدام (شرب )هنا مجازيا،لأن مفعولها مما ليس يشرب أساسا. [3]

وخرق قوانين السمات الدلالية يخرج الاستعمال من معناه الأساسي(المعجمي)إلى معناه المجازي.والاستعارة والمجاز يتحققان على هذا النحو :

إخراج الكلمة من معناها الأساسي إلى معناها المجازي عن طريق خرق قوانين التتابع الأفقي العادية. [4]

ومن هنا يرى (دي سوسير) [5] أن السياق يتركب من وحدتين متتاليتين فأكثر، وان الكلمة تكسب قيمتها من موقعها، مما هو سابق ولاحق

---

[1] دلائل الإعجاز : 258 .

[2] فارغ شحدة وآخرون ،مقدمة في اللغويات المعاصرة،176_184.

[3] الخولي ،محمد علي ،مدخل إلى علم اللغة(دار الفلاح ،الأردن،ط2، 2000)136.

[4] نفسه،137.

[5] هو عالم لغوي ألماني ( بنيوي شهير ) ( 1857 - 1913م ) : ( البنيوية في اللسانيات – الحلقة الأولى : د محمد الحناش ، ص181 ، ط1 - دار الرشيد الحديثة – الدار البيضاء – 1401هـ = 1980م ) .

بها. وقال (فندريس): (الذي يعين قيمة الكلمة هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الرغم من المعاني المتفرعة التي في وسعها أن تدل عليها. والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها . وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية)[1].

لكل كلمة إذن معناها الأساسي ومعناها السياقي، فالسياق هو الذي يحدد معنى الجملة، أما الاسم فيوحي في كل حالة من هذه الحالات بمفهوم معين.

ولن يكون ثمة تورية خارجاً عن ألعاب الكلمات أو التوريات، وقد تظل القاعدة الداعية على اعتبار المعنى الواحد ناشئاً عن اسم واحد ناهية، واللغة بذاتها تلغي كل إمكانات الالتباس التي يمكن أن تنشأ في أثناء تطورها، وذلك هو أيضاً أحد أسباب التبدل في المعنى كما يرى **غيرو**: " إن الانمساخات الناشئة عن التحول الصوتي والدلالي تؤدي بدورها إلى إنشاء أشكال يمكن لمعانيها أن تختلط فيما بينها في السياق ذاته؛ ثمة إذاً تصادم وصراع جناسيان، فاللغة تسعى في الحالة هذه إلى الرد بأن تسمي أحد الأضداد ". [2]

فالمعنى الأساسي والمعنى السياقي لا يتراكبان، ثمة دائماً معنى واحد في موقف معطى، وهو المعنى السياقي. وتتعلق كل كلمة في سياقها بصورة مفهومية. وفي هذا يقول أولمان: " إن أكثر الأشياء تحديداً ووضوحاً قد يكون له جوانب أو وجوه عدة، غير أن وجهاً أوجانباً واحداً فقط هو الذي يناسب متكلماً بعينه أو موقفاً بالذات [3]

إن القيمة الفنية للألفاظ تظهر من خلال السياق و(الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أومما أشبه ذلك مما يتعلق له بصريح اللفظ) [4].

فـ ( الألفاظ لاتفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف) [5] ولا تكشف عن جمالها أوقبحها أورقتها إلا بعد أن توضع في سياق العمل الفني الذي يضفي عليها الصفات التي تكسبها جماليتها، فقد يعتقد بأن ألفاظا معينة قد تكون شاعرية ولكنها تؤدي بالعمل الفني إلى الإخفاق إذا لم تستعمل بالشكل الصحيح[6].

---

[1] اللغة لفندريس 231 ، وينظر: البحث الدلالي عند الشوكاني 901 .

[2] غيرو: علم الدلالة، ص 84 – ص85، ترجمة أنطوان أبي زيد، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1986م.

[3] أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص 109. الطبعة الثانية عشرة، ترجمة كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة

[4] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. محمد رضوان الداية و د. فايز الداية: 92

[5] أسرارالبلاغة، عبد القاهرالجرجاني، تحقيق هـ. ريتر:3.

[6] ينظرعلم الجمال والنقد الحديث، عبد العزيز حمودة: 5-6.

فالسياق اللغوي يشكل أسلوبا يتوجب على المتكلم مراعاته حين يوجه خطابه فهذه الأسلوبية السياقية تركز على دراسة المتغيرات الأسلوبية في بنية الخطاب وتتخذ من المفردة اللغوية أداة طية لمعرفة الدور الذي تقوم به، فالكلمة في الخطاب قد تكون هي محور الحديث فتؤدي صورا مختلفة ويمكن أن تتميز عن بقية الكلمات بإسناد صفة ما تبرزها وتجعلها ذات خاصية تعبيرية فالكلمة في أسلوبية السياق هي المحور الذي تركز عليها الدراسات التركيبية [1]

وهنا ننبه إلى أن الكلمة إذا تحدد معناها داخل السياق الكلامي فلا تجد الدلالات الأخرى طريقا إليها، فالكلمات المتعددة الدلالات لا يظهر معنى سوى المعنى الذي حدده سياق النص ،أما المعاني الأخرى فإنها تبقى بعيدة ، فالسياق يقدر القيمة الحضورية للكلمة بمعنى تخليص الكلمة من دلالاتها الماضية المتراكمة في الذاكرة وخلق قيمة حضورية[2] لها.

فالألفاظ المفردة أو الأشكال التركيبية النحوية مثلا لا يكون، لها أهمية إلا حيث ترتبط بالسياق الذي يضعها فيه صاحب النص، وبغير ذلك قد يؤدي تفسير نص من النصوص بالاعتماد والمعزول على المفردات أو التراكيب، إلى تفسيرات غير دقيقة، وربما متعسفة، وقد يحاول كل دارس أن يفرض تلك المعاني والتفسيرات المتعسفة على النص اللغوي، وعليه فإن المعول عليه في إبراز المعاني وتحديد الدلالات الدقيقة إنما هو مراعاة التفاعل القائم بين مختلف العناصر اللغوية المشكلة للنص من جهة، وبينها وبين طبيعة الظروف والملابسات المحيطة بالنص، أي مراعاة من السياق، سياق لغوي داخلي، وسياق حالي خارجي، ولعل عبارة علماء العربية القدامى: " لكل مقام مقال" أحد ما يفسر هذا المنهج.

فسياق الكلام هو الغرض الذي ورد الكلام لأجله[3]، و للسياق أثر بالغ في تعيين المراد من اللفظ ، فقد يرد اللفظ الواحد في أكثر من موضع و له في كل موضع معنى يختلف عن معناه في الموضع الآخر، والذي يعين على معرفة معانيه المختلفة في تلك المواضع هو سياق الكلام وقد نبّه أهل العلم في ردودهم على المبتدعة على دور السياق في تعيين المعنى فقد يأتي المبتدع

---

[1] ينظر: الأسلوبية في الخطاب الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري د.عواطف كنوش المصطفى أطروحة دكتوراة ، كلية الآداب، جامعة البصرة،1995م.

[2] ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث، د.علي زوين: ،مجلة آفاق عربية السنة الخامسة عشرة ، آيار 1990م.

[3] دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي، في قصة موسى، فهد بن شتوي، ص، 14

إلى لفظ حمله أهل العلم في سياق معين على معنى فيذهب هذا المبتدع إلى سياق آخر ورد فيه هذا اللفظ بمعنى مختلف فيجعل هذا المعنى هوالمعنى المراد في كل سياقات الكلام جاهلا بسياق الكلام في توجيه المعنى .

وتتجلى أهمية السياق الداخلي في الفصل بين دلالتين مختلفتين لكلمة واحدة واستعباد معنى آخر؛إذ أن للفظ دلالته المعجمية داخل السياق وعن توظيفه داخل نظم من الكلام يكون له دلالة أخرى وأدائه الجمالي تبعا لتغاير السياقات إلى استخدام فيها، فالكلمة الواحدة كما قال القاضي عبد الجبار:(إذا استعملت في معنى يكون أفصح منها إذا استعملت في غيره)[1].

وتغير المعنى يحصل (في العلاقة بين المدلولات وبين الألفاظ)[2] وهو الذي يوضح نوع المعنى الجديد، بمعنى أنّ التغير لايحدث في المعنى دون اللفظ، بل في كليهما وقد يتغير اللفظ نتيجة لذلك، أويتحّور. واستعمال المعنى في السياق هوالذي يوضّح الصور المختلفة (لتناوب المعاني)[3] الأخرى مع المعنى المركزي الثابت.

ويتجلى اثر الاستعمال في تغير الدلالة في صورتين:[4] الاستعمال الثابت والاستعمال المتكرر. ويقصد بالصورة الأولى ورود المفردة دائما في عبارة محددة وهذا التحدد في الاستعمال يسمح بفرصة حدوث الخطأ في هذا المعنى أكثر من المعنى المستعمل كثيراً. وفي هذه الحالة يحدث التغير في المعنى (بابتعاد اللفظة عن المعنى الأصلي بسبب المعنى الزائف المضاف إليه).[5]

وقد بيّن كثير من علماء التفسير أنّ فهم المعنى القرآني لا يتحقّق إلا بعد مَعرفة سياق الكلام، فبه يزول الإشكال ويتعيّن المُتحمَل ويُخصّص العام ويُفسّر المُبهَم[6] وهو أمرٌ لا يُدرِكه إلاّ ذوي القدرات المُتميّزة والبَصائر النافذة والأذواق السليمة .

وقدعُني علماء التفسيرمنذ عهد مُبكّربالإشارة إلى المعاني السياقية المختلفة للفظ الواحد، وتشهد لذلك كتب الوجوه والنظائر المتعدّدة . كما عُني بها أيضاً الأصوليون واستندوا إليها في تحديد الأحكام الشرعية، ولذا فقد زَخِرَت كتبهم بدراساتٍ سياقيّة متميّزة، ومن أقدم هذه الإشارات ما وَرد عن الإمام الشافعي (ت 204هـ) في رسالته الفقهيّة، إذ أشارَ إلى أثر السياق في فهم المَعنى المحدّد للألفاظ وفي تخصيص المعنى العام للآيات أو العكس[7].

---

(1) المعنى في أبواب التوحيد، 200/16

(2) علم الدلالة، احمد مختار عمر:164، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع الكويت 1982م

(3) ينظر، دور الكلمة في اللغة:64. سيفن أولمان، 1997، تح، بشر كمال، دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة

(4) الوجيز:468

(5) اللغة: 253.

(6) ينظر: بدائع الفوائد 9/4 - 10 ، والبرهان في علوم القرآن 199/2 .

(7) رسالة الشافعي 51 - 52 ، 54 ، وينظر السياق ودلالته في توجيه المعنى 28 - 30 .

فالكشف عن المعنى لايكون إلاّ بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة ، إذ يتحصّل المعنى بحُكم العَلاقة بين الألفاظ وما يجاوِرُها .كما أن دراسة المعنى تتطلّب تحليلاً واعياً للسياقات والمَواقف التي ترد فيها الألفاظ حتى ما كان منها غير لغوي ، فقد دَعت إلى اعتماد المقام أوالعناصر المُحيطة بالمَوقف الكلامي، مثل طبيعة الكلام ودَلالاته المختلفة، وأثره الفعلي على المُتلقّي، وشخصيّة المتكلّم والمُتلقّي والظواهر اللغويّة الاجتماعيّة الُحيطة بالنصّ .

ويمكن القول إن لكلّ كلمة معنىً معجمياً ، يُمثّل معناها الحقيقي ومعنىً تاريخياً تكتسبه بفعل الاستعمال العُرفي، ومعنىً ظرفياً آنياً تكتسبه في سياقات خاصة وظروف محددة يعيشها المتكلم[1] .

واللفظ يتنازعه مستويان: المستوى المعجمي، والمستوى السياقي، ودلالة الكلمة تختلف بين هذين المستويين.فالمستوى المعجمي للمعنى العرفي الذي تتم به أجزاء الكلام ويتعامل مع اللفظ مجرد وبعيد عن عوامل السياق اللغوي ويعزلها عنه فتنتج لنا دلالتها المجردة في أصل الوضع، أي الدلالة الأولى للكلمة التي وضعت عليها في الاستخدام الأول، فاللفظة في المعجم تشير على شيء في العالم الخارجي وهي تختلف عمها في السياق الذي قد يعرض عليها دلالات جديدة تتناسب والسياق الجديد بمقتضياته اللغوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية،و من هنا ننظر إلى المعجم على أنه لا يفي بالهدف إذا بحثنا عن المعنى الدقيق لدلالة اللفظة، فالمعنى في المعجم هوإبراز المعنى المشترك الذي يتفرع إلى مجموعة الدلالات الجزئية التي تختلف بعدد السياقات التي تحل فيها[2].

وقد شكلت العلاقة بين اللفظ والمعنى المحورالأساسي في الدراسات السابقة واللاحقة، إذ ظهرت ملامح هذه المسألة عند قدماء وعلماء وفلاسفة الإغريق(أرسطو) الذي أشارعلى هذه الفكرة، إذ رأى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى اصطلاح ناجم عن اتفاق بين البشر، وسقراط، وأفلاطون الذي ذكرها في محاوراته[3].كما أولى اللغويون العرب لهذه الفكرة كالجاحظ ومعاصريه عندما تحدث عن العلاقة بين اللفظ والمعنى في قوله:(والألفاظ مطروحة في الطريق يعرفها المعجمي، والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيُّر اللفظة، وسهولة المخرج،

---

[1] أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية 25 .

[2] علم الدلالة العربي،د.فايز الداية، ص، 217، وينظر،المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د.محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ط1، بيرون، 1996، ص، ص، 94، 97.

[3] تاريخ علم اللغة منذ نشأتها من ق20، جورج مونان، تر، بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، حلب، 1981، ص، 91.

وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنَّما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير)[4].

فأهمية الكلمات إنما تتأتى من وجودها في السياق، ولعل أبرز من تناول هذا الجرجاني الذي وضع نظرية السياق التي تعدُّ نقلة نوعية في الدراسات الدلالية، إذ يرى(الجرجاني)أنَّ اللفظة تكتسب معناها من خلال السياق الذي يتحدد عنده بالنَّظم.والألفاظ عنده رموز للمعاني المفردة فلا قيمة للفظة داخل المعجم.

ونظرا لأهمية اللفظ والمعنى عموما وارتباطهما بكثير من العلوم ومجالات المعرفة الإنسانية، لم تقتصر دراستهما قديما وحديثا –عند العرب وغيرهم- على مجال اللغة وحده الذي يعد أكثر ميادين العلوم اهتماما بهما[1]، بل إن كل المجالات المعرفية ذات الصلة بهذه القضية درست ما يخصها منها. ولذلك نجد أن قضية اللفظ والمعنى في تراثنا مسألة أساسية مشتركة في العلوم والدراسات العربية التي تتصل بالكلمة واللغة حيث إنها "هيمنت على تفكير اللغويين والنحاة وشغلت الفقهاء والمتكلمين، واستأثرت باهتمام البلاغيين والمشتغلين بالنقد، نقد الشعر والنثر، دع عنك المفسرين والشراح الذين تشكل العلاقة بين اللفظ والمعنى موضوع اهتمامهم العلني الصريح".[2]

وقد كان من إسهام اللغويين العرب في هذا المجال: وضع معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ودراسة اتصال معاني الألفاظ المتحدة الأصول ومحاولة ربط بعضها ببعض فيما عرف باسم الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر، وكذلك بحث المطابقة بين اللفظ ومعناه من حيث مناسبة كل منهما للآخر[3].

---

[4] الحيوان، الجاحظ، تح، د/عبد السلام هارون، البابي، الحلبي، ط2، القاهرة، 1965، ص، 130.

[1] انظر: جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1987،1، ص16

[2] محمد عابد الجابري: اللفظ والمعنى في البيان العربي، فصول، المجلد السادس، العدد الأول، 1985، ص21

[3] انظر ابن جني: الخصائص، باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني وباب قوة اللفظ لقوة المعنى، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986، ج2، ص154 و ج2ص267.

فالجرجاني في نظرية النظم يدرس المعنى في الدرس اللغوي الحديث ضمن ما يعرف بعلم الدلالة، وهذا العلم افرز بدوره شكلين من إشكال دراسة المعنى هما:علم الدلالة المعجمي، وعلم الدلالة النحوي أو ما عبَّر عنه الدكتور كمال بشر السيمانتيك المعجمي والسيمانتيك النحوي، والفرع الثاني يلتقي في كثير من جوانبه مع نظرية النظم لدى الجرجاني؛ إذ كلاهما يجري وراء تجلية المعنى عن طريق النظر في النحو وقواعده كما ظهرت فكرة تخص السيمانتيك لدراسة المعنى على مستوى اللفظة والعبارة في

إطار اجتماعي ووفق زاوية معينة هي زاوية الاستعمال الحسي[4].فالمعنى المعجمي للَّفظة ليس كافيا لإبراز المعنى، إنَّما هناك عوامل تتظافر لتقديم المعنى من خلال مستويات، أهمها المستوى الصوتي الذي يدرس الظواهر الصوتية في تغير المعنى فليس للأصوات في ذاتها دلالات، لأن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، فمهمة الأصوات أن تشكل الوحدات الدلالية الأخرى في المستويات التركيبية بدءا بالصرف وانتهاء بالجملة. والمستوى النحوي أو ما يسمى التركيبي الذي يشغل حيزا في بيان الدلالة وتبيانها من خلال العلاقات البنائية والتركيبية للجملة وعلاقة كل لفظة بجارتها في الجملة، فعلم النحو يدرس من جانبين اثنين: جانب تركيب الجملة العربية، وجانب الإعراب، ومعرفة هذين الجانبين تفضي إلى المعرفة بالدلالة النحوية، إذ إن هندسة الجملة العربية تحتم ترتيبا خاصا وفق قواعد اللغة المعمول بها، وإذا اختلفت هذه الهندسة وكان الاختلاف مخلا بقواعد اللغة فإن السامع قد يضل عن مقاصد الكلام، فلو قال قائل: ضرب موسى عيسى لاقتضى هذا التركيب الجملي أن تكون الدلالة المستفادة منه أن موسى الفاعل، وعيسى المفعول به، ولو قال آخر: هن حواج بيتِ الله لكان المعنى المتعين من هذه الحركة الإعرابية أن النساء قد حججن . وإذا ما قيل : هن حواج بيتَ الله، فإن المعنى من هذه الحركة الإعرابية أن النساء يردن الحج ولمّا يفعلن[1] .وهناك المستوى المعجمي الذي يبحث في دلالة الألفاظ ومعانيها في المعجم، وهناك المستوى الدلالي الذي يركز على دلالة اللفظة ومعناها في السياقات.

إنَّ المعنى المعجمي معنى يملك وجها واحدا للمفردة ولا يفي بغرض الدراسة الدلالية، فالدلالة المعجمية للمفردة الواحدة لا تمثل إلا جانبا واحدا

---

[4] دراسات في علم اللغة، د.كمال بشر، دار المعارف، مصر، 1969، 153/2.

[1] ذكر هذا المثال ابن فارس في الصاحبي.

من دلالتها، والدلالة المعجمية العامة تقتصر في العادة على ما تمثله المفردة في العالم الخارجي.[2]

أما السياق فله الدور الأبرز في تحديد معنى اللفظة وهذا ما أكَّده اللغويون العرب والغربيون القدامى والمحدثون من أمثال الجرجاني وانتهاء بعلماء اللغة المحدثين وأبرزهم **تشومسكي وسبنس** الذي يعرف السياق بأنه موضع الكلمة داخل الجملة أوالحدث الذي تعبر غنه الكلمة داخل الجملة ن مرتبط بما قبلها وما بعدهما كما أنَّه في حالة الكلام يتمثل في العلاقة القائمة بين المتكلم والمقال الذي يتكلم فيه وتكوينه الثقافي[3].إذ يرون جميعا أن الغرض المقصود من كلام المتكلم، أي الدلالة لا يدرك إلا من خلال السياق الذي يحقق الإدراك وهذا ما نجده عند ابن قيم الجوزية الذي قال:(وبالجملة فأهل العربية يشترطون القصد في الدلالة فيما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولا للفظ عندهم، فإنَّ الدلالة عندهم في فهم المقصود لا في فهم المعنى مطلقا[1]. وفي هذا القول ما يؤكد أن اللغويين أكَّدوا في موضوع المعنى أو الدلالة وفهمها على السياق الذي يوضح قصد المتكلم لا على معنى الكلمة في المعجم.

والسياق يقسم بحسب ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية، وما يحيط بها من ظروف اجتماعية وثقافية ونفسية إلى عدَّة أقسام هي الساق اللغوي، والسياق العاطفي وسياق الموقف، والسياق الثقافي.[2]

والسياق اللُّغوي نوعان:

ـ سياق نحوي أو تركيبي: يبين موقع اللفظة في الجملة من حيث هي وحدة نحوية.

ـ سياق معجمي: يبين دلالة لكلمة م،ن حيث هي وحدة معجمية ، وفيما يتعلق بالنوع الأول ضمن المتعارف عليه أن الكلمات لا تتوالى في الجملة على نحو عشوائي، بل يخضع ترتيبها لأنساق تركيبية مضطردة وعلاقات شكلية داخلية معقَّدة تشكل في مجموعها قواعد التركيب النحوي في لغة ما. ومعنى الجملة ليس مجموع الكلمات المفردة التي ترد فيها؛إذ إن التغيير في البنية النحوية، وعلاقات الكلمات ووظائفها ومواقعها من الترتيب من شانه أن يبدل في المعنى حتى لوحظ على الكلمات ذاتها دون زيادة أونقصان وإسهام الكلمة المفردة في المعنى الكلي للجملة يتقرر من الموقع الوظيفي الذي تحتله في سياق التركيب الجملي، وعلاقتها بالكلمات الأخرى[3].

---

[2] التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، 1986، ص، 74.

[3] علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، د/أحمد نعيم الكراعين، ص، 100، نقلا عن ensyclopaedia.information and control.al meethanK pergamon press.ltd.hungary.1969.p502

[1] أعلام الموقعين عند رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مراجعة، طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة1968، 350/1، 351

[2] مبادئ اللسانيات،د/ احمد قدور، ص، دار الفكر ، ط 2، دمشق، 1999

[3] التطور الدلالي من لغة الشعرالجاهلي ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة، ص75.

ففي اللغة كلمات لا تحمل معنى معجميا، إنما يظهر معناها في السياق من خلال وظيفتها في التركيب مثل أدوات الشرط، وأحرف الجزم، إذا فالعلاقات النحوية هي التي تعطي الكلمات معناها، وتجعل من اجتماع هذه الكلمات وترابطها عبارات ذات معنى.

أما السياق المعجمي فهو تلك العلاقات البنيوية الأفقية التي تقوم في العبارة بين المفردات بوصف هذه الأخيرة وحدات معجمية دلالية لا بوصفها وحدات نحوية أو أقساما كلامية عامة. فالجملة قد يكون صحيحة من حيث انسجامها مع قواعد

التركيب النحوي، ولكنها تُعد في الوقت نفسه شاذة من الناحية الدلالية[1] وهذا يعني أن الجملة قد تتسم بالسلامة التركيبية النحوية ولكنها قد لا تكون سليمة فيما يتعلق بالدلالة المعجمية وفي علاقتها مع الكلمات، فالمعنى المعجمي للكلمة يختلف عن معناها السياقي الذي تكتسبه من خلال علاقتها بغيرها من كلمات، ولكن هذا لا ينفي أهمية المعنى المعجمي ودوره في إبرازمعنى الكلمة.

ومن هنا تعد نظرية السياق أحد المناهج الحديثة في دراسة المعنى ، وقد أخذت هذه النظرية مكانة متميزة في البحث الدلالي عند علماء اللغويات في العصر الحديث [2] ويعني السياق: تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة ، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود [3]، فهو كل( ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى) [4] وهذا ينطبق على القرائن اللفظية والحالية معا .

إن المعاني المعجمية للكلمات ليست هي كل شيء يمكننا من خلاله إدراك معنى الكلام فثمة عناصر لغوية وغير لغوية تساهم بشكل كبير في تحديد المعنى ويمكن أن نعدها جزءا أو أجزاء من الكلام الذي لا يمكن الوصول إلى معناه الدقيق بدونها [5]، إذ( تمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة ) [6] ، فعلى الرغم من دقة وشمول المعاجم في منحنا دلالات كثيرة للكلمة الواحدة أو تعيينها لبعض المواضع التي تستخدم فيها تلك الدلالات غيرأنه ينظرالى المعاجم على أنها لاتفي بالغرض إذا ما رغبنا في حصر دقيق للدلالة بحسب

---

[1] المرجع السابق، ص، 76.
[2] ينظر : علم اللغة (السعران) 309-313
[3] ينظر معجم مصطلحات الأدب مجدي وهبة 288 ومعجم المصطلحات اللغوية والأدبية د. علي عزة 83.
[4] المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : محمد احمد أبو الفرج:116.
[5] ينظر : علم اللغة ( السعران) : 288.
[6] اللغة والمعنى والسياق (جون لاينز) :83.

السياقات وتنوعها أو المواقف الكلامية التي تستخدم فيها عبارة الكلام [7] ، لذلك فان تحديد معنى الكلام بشكل دقيق بتطلب الاستعانة بوسائل أخرى غير المعجم ومنها معرفة نسق الكلام ونظمه وكذلك الموقف والحالة الكلامية التي ترافق الكلام [8]. ولذلك فان دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي، لان معنى الكلمة يتعدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها اللفظة[9] ، وفي هذا يقول (فندريس): إن الذي يعين قيمة الكلمة في الحالات كلها: (إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، فالسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها هن تدل عليها ) [1]. ذلك انه ما من معنى مقبول أوحقيقي إلا ذاك المتمثل في نص معطى، وعليه يعد السياق عاملا حاسما في تحديد دلالة اللفظ والتراكيب وهي في نسقها ونصها، أي في صورتها التركيبية لا المعجمية حيث إن معاني الكلمات كما يرى **امبسون**:(هي نتائج لا يتوصل إليها إلا من خلال تفاعل الإمكانيات التفسيرية لكامل الكلام أي لمجموع مكونات النص السياقية ) [2] كما نظر فيرث إلى المعنى على انه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة فهو ليس وليد لحظة معينة لما يصاحبها من صوت وصورة ، ولكنه أيضا حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث أي من خلال سياق الحال ورأى وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يسمى بالمقام ولكي يتم معنى الجملة يرى انه لابد من مراعاة الخطوات التالية [3]:

1- أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، أي النظر في الأحداث اللغوية نفسها ، أي العبارات المنطوقة بالفعل وكيفية نطق الجملة أو الجمل من حيث التنغيم .
2- ما يصاحب الأحداث اللغوية من الأحداث غير المنطوقة كالحركات وتعابير الوجه.
3- الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللغوي .
4- الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي .

---

[7] ينظر : علم الدلالة العربي : 217-218.
[8] ينظر علم اللغة الاجتماعي عند العرب د. هادي نهر 189-190 .
[9] ينظر علم الدلالة (عمر ) :69
[1] اللغة : فندريس :231.
[2] المبدأ الدلالي 126.
[3] ينظر : دراسات في علم اللغة (كمال بشر) 2/ 172-175، وينظر علم اللغة (السعران) :338_341.

5- اثر العبارات اللغوية المنطوقة بالسامعين وفقا لمعتقداتهم واتجاهاتهم .
من هنا يتحدد مفهوم ( فيرث) للمعنى على انه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي ، بحيث تتحدد معاني تلك العناصر وفقا لاستعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة وبناءا على هذا الفهم يقسم أصحاب نظرية السياق إلى عدة أنواع [4] هي :

1- السياق اللغوي : وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ، الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة ، والنص الذي ترد فيه [5] أي موقعها من الجملة والنص وما يكسبها من توجيه دلالي [6].

2- سياق الموقف: ويقصد به السياق الخارجي للغة ويشمل كل ما يحيط باللفظ من عناصر غير لغوية تتصل بالمكان والزمان أو شخصية المتكلم أوالمخاطب أوالحركات والإشارات التي تساهم في تحديد وبيان دلالة الكلمة [1].
3- السياق العاطفي: وهو المعني بتحديد درجة القوة والضعف في الانفعال ، فكل كلمة أيا كانت توقظ في الذهن صورة ما بهيجة أو حزينة رضية أو كريهة فهو يميز بين المعنى الموضوعي والمعنى العاطفي للكلمة [2].
4- السياق الثقافي:(ويقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ) [3]
5- السياق السببي: ويقصد به ما يراد في المعجم من تعليل لاستعمال الصيغة اللغوية على ما هي عليه وما يرافق الصيغة من تغيير في الاستعمال نتيجة لتغيير المواقف والظروف والأسباب الداعية لإطلاقها .

ويمكن أن نختصر هذه التقسيمات بسبب تداخل بعضها مع البعض الآخر إلى قسمين هما : السياق اللغوي وسياق الموقف أو الحال .
ويهتم السياق اللغوي بدراسة مستويات الكلام اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فيشرح مفردات الكلام ومدلولاتها إذ ترتبط أجزاء الجملة بعضها ببعض وتدل على مختلف العلاقات اللغوية بينها [4]، ومن هنا تظهر

---

[4] ينظر: علم الدلالة (عمر) :69.
[5] ينظر : دور الكلمة في اللغة ( اولمان) : 54-55.
[6] منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية (داحمد نصيف الجنابي) 162.
[1] ينظر: علم اللغة ( السعران ) :310-311.
[2] ينظر: علم الدلالة (عمر) 70-71.
[3] علم الدلالة (عمر): 71.
[4] ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين (عواطف كنوش) :48

قيمتها الدلالية بحسب وضعها في السياق وتعالق بعضها ببعض ويكون الأثر الأساسي للسياق اللغوي هو تحديد هذه القيمة للكلمة ودلالتها في النظم وكذلك ترتيب النصوص اللغوية من حيث الوضوح والخفاء فضلا عن الدورالأساس الذي يؤديه في اختيار بعض البدائل(الصيغ) التي تؤثر في المتغيرات اللغوية باعتماده على قرائن سابقة أو لاحقة أو جمل سابقة أو لاحقة تتغير دلالة عنصرمن عناصرها فيسبب تغيرا في دلالة النص أوجزء من النص [5] ( لأنَّ العناصر المكونة للجملة لن تبقى بدون تغيير إذا صرف عنصر منها عن دلالته الأولى بقرينة ما) [6].

**الخاتمة**

وفي الأخير نخلص إلى:

ـ السياق له أثر كبير في تحديد معنى الكلمة ، والقرائن المسوقة داخل السياق، ولا تتحدد قيمة أي عنصر لغوي نهائياً وكلياً إلا منْ خلال سياقه وما يحيط به منْ ألفاظ تحدد معناه، ولتغيير الحركات والمورفيمات تأثيرٌ في التغيير الدلالي، وأي تغيّر دلالي هو تغّير معنوي والقيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها .

ـ اللفظ والمعنى كان محط أنظار العلماء قديماً وحديثاً ، ودرس هذه المسألة أي مسألة(اللفظ والمعنى) كثير من العلماء كلاً حسب اختصاصه فاختلفت النظرة

ولله الحمد أولاً وآخراً

---

[5] ينظر: المصدر نفسه :48.

[6] النحو والدلالة ( محمد حماسة لطيف) :117.

## قائمة المصادر والمراجع:


1. دلالــة الألفــاظ 107 - 109 .إبـراهيم أنــيس، الطبعــة الخامســة ـ ســنة1984 نشر مكتبة الأنجلو المصرية
2. اللغـــة العربيـــة معناهـــا ومبناهـــا 325 . تمـــام حســـان عمـــر الناشر: عالم الكتب الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م
3. أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية 25 .
4. علم الدلالـة أصوله ومباحثـه فـي التراث العربـي: ، منقورعبد الجليل، اتحـاد الكتـاب العرب، سوريا ـ دمشق 2001م.
5. علم الدلالة العربي 32، ومعجم علم اللغة النظري : مادتي: Situational context context , ، والسياق في الفكر اللغوي عند العرب: د. صاحب أبو جنـاح، ص116، مجلة الأقلام، العدد 403 ، آذار- نيسان 1992م .
6. A.Arlotto, introduction to historical linguistics; U S A,1972; p 165J
7. علم الدلالـة، أحمد مختـار عمر ص، 235، نقلاً عن استيفن أولمـان، دور الكلمـة فـي اللّغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، ط 1، د ت ط.
8. اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز، المترجـــم: د. عباس صادق الوهاب، مراجعـة: د. يوئيل عزيـز، دار النشـــر: دار الشؤون الثقافيـة العامـة ، مكـان النشر: بغداد – العراق ، سنة النشر: 1987
9. مـنهج البحـث اللغـوي بـين التـراث وعلـم اللغـة الحـديث د.علـي زويـن، المطبعـة: دارالشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام) العراقية،الطبعة:الأولـى، العراق -بغداد .سنة الطبع: 1986
10. مقدمة في اللغويات المعاصرة ،
11. مدخل إلى علم اللغة، الخولي ،محمد علي (دار الفلاح ،الأردن،ط2، 2000)136.

الحلقة الأولى : د محمد الحنـاش ، ص181 ، ط1 ـ دار الرشيد الحديثـة – الدار البيضـاء – 1401هـ = 1980م ) .

12. اللغـة ، ج. فنـدريس تعريـب: عبـد الحميـد الـدواخلي ـ محمـد القصـاص الناشـر: مكتبـة الأنكلو المصرية ـ مطبعة لجنة البيان العربي – 1950
13. البحث الدلالي عند الشوكاني 901 . د/ محمد عبدالله العبيدي -.جهـة النشر: وزارة الثقافة

والسياحة- اليمن . ط1، 2004.

14. علـم الدلالـة، غيـرو: ترجمـة أنطـوان أبـي زيـد، الطبعـة الأولـى، منشـورات عويـدات، بيروت، باريس، 1986م.
15. دور الكلمـة فـي اللغـة، أولمـان: الطبعـة الثانيـة عشـرة، ترجمـة كمـال محمـد بشـر، دار غريب، القاهرة
16. دلائل الإعجاز، عبد القاهرالجرجـاني، تحقيـق د. محمد رضـوان الدايـة ود. فايزالدايـة: 92
17. أسرارالبلاغة، عبد القاهرالجرجـاني، تحقيـق محمـود شـاكر ، مطبعـة المدنى بالقـاهرة ... محمد كرد علـي، مطبعـة لجنـة التـأليف والترجمـة والنشـر ، القـاهرة الطبعـة الثالثـة 1946.
18. علم الجمال والنقد الحديث، عبد العزيز حمودة: 5-6.

19. الأسلوبية في الخطاب الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري د.عواطف كنوش المصطفى ، أطروحة دكتوراة ، كلية الآداب، جامعة البصرة،1995م.
20. ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث، د.علي زوين:مجلة آفاق عربية السنة الخامسة عشرة ، آيار 1990م.
21. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي، في قصة موسى، فهد بن شتوي،
22. المغنى في أبواب التوحيد،أبي الحسن الأسد آبادي، 2002، دار إحياء التراث العربي
23. الوجيز: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن دار النشر : دار القلم , الدار الشامية - دمشق بيروت – 1415
24. بدائع الفوائد 9/4 - 10 ، والبرهان في علوم القرآن 199/2 .
25. رسالة الشافعي 51 - 52 ، 54 ، وينظر السياق ودلالته في توجيه المعنى 28 - 30
26. علم الدلالة العربي،د.فايز الداية، ص، 217، وينظر،المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د.محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ط1، بيرون، 1996،
27. تاريخ علم اللغة منذ نشأتها من ق20، جورج مونان، تر، بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، حلب، 1981، الحيوان، الجاحظ، تح، د/عبد السلام هارون، البابي، الحلبي، ط2، القاهرة، 1965- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية 25
28. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1987،1، - اللفظ والمعنى في البيان العربي، محمد عابد الجابري فصول، المجلد السادس، العدد الأول، 1985
29. 28 - الخصائص، ابن جني باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني وباب قوة اللفظ لقوة المعنى، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986
30. دراسات في علم اللغة، د.كمال بشر ، دار المعارف، مصر، 1969- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، 1986،
31. علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، د/أحمد نعيم الكراعين عن ensyclopaedia.information and control.al meethanK pergamon press.ltd.hungary.1969
32. أعلام الموقعين عند رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مراجعة، طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة1968- مبادئ اللسانيات،د/ احمد قدور، ص، دار الفكر، ط 2، دمشق، 1999
33. التطور الدلالي من لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة - معجم مصطلحات الأدب مجدي وهبة 288 ومعجم المصطلحات اللغوية والأدبية د. علي عزة
34. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : محمد احمد أبو الفرج.
35. علم اللغة الاجتماعي عند العرب د. هادي
36. المبدأ الدلالي - دراسات في علم اللغة (كمال بشر) 2/ 172-175، وينظر علم اللغة (السعران)
37. منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية (داحمد نصيف الجنابي

# دورُ النَّحو كَمقياس علميّ في صِياغَة نَظرِّية النَّقد الأدبِّي عندَ العَرَبِ

الدكتور عبد العزيز شويط جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل

**مقدمة ( النقد و النحو ، مسوغات الاجتماع )**

إن إطلالة فاحصة ،وإن تكن عابرة ،في مصنفات النقد الأدبي العربي،قديمه وحديثه ،وبما في ذلك معاجمه عند العرب وعند الغرب، لتُنبئُ بتواجد النحو كمصطلح قار،دائم التواجد بين أدوات الناقد الأدبي ذي المنزع اللغوي.كما لا تعدم وجود ما شاء الله من النصوص الأدبية الفنية الجميلة، شعرا كانت أم نثرا ،كشواهد نحوية يستدل بها علماء اللغة والنحو على صحة تأليف الكلام،وتحقق أو اضطراد قاعدة نحوية معينة.وليس مصطلح النحو وحده المتواجد في قاموس الناقد الأدبي،بل العديد من المصطلحات التي تشترك معه في ذات الحقل الدلالي العلمي،ومنها على سبيل المثال لا الحصر مصطلحات من قبيل:الحذف،الأسلوب،الدلالة،المدح، النظم ...الخ.،إلى درجة القول:بأن((الشعر العربي مصدر من أهم مصادر اللغة،و المطولات من المعجمات تشهد بذلك،فهي تزخر بالشواهد الشعرية، ذلك أن علماء اللغة الأقدمين كانوا يثبتون الكلمة،ودلالتها مقيدين ذلك بما قاله فلان أو فلان من الشعراء الجاهليين والإسلاميين،و ربما شذ عن هؤلاء العلامة الزمخشري في استشهاده بالمولدين فقد استشهد بأبي نواس وغيره ممن جاء بعده بزمان طويل))[89]،بل وحتى في ظل اللهجات العربية المختلفة ،والموزعة بين القبائل العربية،وفي ظل ثنائية الشاذ والصحيح الذي تمثلته لغة قريش وجيرانها،نجد من الشعراء من ظلت لهجته القبلية تتحكم فيه طبيعة.وهو ما شكّل من شعره استدلالا على الشذوذ النحوي،وهذا الأمر من بين الأمور التي كانت سببا في خلق المشاكل بين الشعراء واللغويين النحويين ، في زمن كان الخروج فيه عن دائرة الاحتجاج اللغوي يمثل عيبا كبيرا و خطأ فادحا،يؤاخذ عليه الشعراء أيما المآخذ .((وقد حدثت إبان ذلك العصر المتقدم حوادث بين النحاة و الشعراء،ظهر فيها إصرار الشعراء على تمثيل ما تعلموه من طبائع اللغة وتقاليدها في أشعارهم،وميل النحاة إلى تقييدهم بالقواعد،و اعتبار ما خرج

89 - إبراهيم السمرائي : لغة الشعر بين جيلين ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 1980 ، ص : 09 ، 10 .

عنها لحنا يحاسبون عليه...))[90].و إن يكن لهذا الأمر من مغزى يذكر ، فهو تواجد سدنة النحو و اللغة بالمرصاد لمن تسول له نفسه التعدي على المعلوم من قواعد اللغة بالضرورة،ينتقدون الشعراء كلما أحسوا بأنهم جانبوا الصواب العام المشهور من النحو و اللغة .

و الحق أن الغاية من مآخذ ومعايب العلماء على الشعراء لم تكن خالصة لوجه النقد ، كما لم تكن لوجه الفن ولا الأدب.ذلك أن الهدف من هذه التصويبات اللغوية والنحوية ليس هو عيون الأدب و الشعر بقدر ما كان الهدف هو الخوف على اللغة وعلى قواعدها التي استقرت،من تعبيرات الشعراء التي يرونها غير صحيحة،والشعر أكثر الكلام نشرا للصحيح أو الخطأ من اللغة كما يرى ذلك النقاد اللغويون ، هذه القواعد التي يدافع عنها النقاد والنحاة قد استقرت بالمغالبة ، بالتغليب،بالأمر الواقع ... لا يهم .المهم هو الحفاظ عليها في صورتها الحالية،وعدم ترك الفرصة للشاذ منها فيحل محل القاعدة . فعل اللغويون النحاة ذلك و هم لا يعلمون أنهم يسدون خدمة لا تقدر بثمن لعلم آخر هو النقد . إنها خدمة جليلة يكون لها ما يكون من فضل التأسيس و التأصيل فيما بعد.و عليه لم يكن الأمر مجرد مساهمة صوبت إلى الهدف أصابته أم أخطأته.، بل يتم العثور على التواجد الرئيسي للنحو كمقياس من مقاييس هذا النقد ، قديمه و حديثه ، و منذ النقاد العلماء الأوائل ممن كان يضمهم حيز وقيم الموسوعية العلمية ، و يجمعون بين التبحر ،و حتى الميولات اللغوية النحوية و يجمعون معها الميولات أو التبحر في علوم الأدب من رواية ،و نقد و ما إلى ذلك.فـ ((لم يكن هذا الانصراف إلى الشعر والاهتمام به من لدن الشعراء وحدهم،فقد شاركهم في ذلك العلماء النقاد،ومن بين هؤلاء علماء اللغة الذين استهواهم الشعر فوقفوا عليه وقفات.واتخذوا منه مادة أفادوا منها في بحوثهم ودراساتهم فأبو العباس المبرد،و أبو العباس ثعلب،وأبو الفتح ابن جني،من أصحاب النحو واللغة ولكنك لا تعدم أن تجد هؤلاء ممن عنوا بالشعر،وكتبوا في معانيه وقواعده. ووقفوا من لغته وقفة طويلة.))[91]هذه الوقفة قد أفادت بحق وبشكل لا يوصف الدرس النقدي عند العرب ، و ساهمت مساهمة فعالة في سبيل تأسيس نظرية نقدية عند العرب ، لا بد من أن تنبني على أركان ، و إن كان النحو العربي ممثلا للغة عمود من أعمدتها ، و خطوة منهجية لا بد أن يمر بها الناقد القديم و هو ينقد النصوص الأدبية . من الضروري إذن أن يمر بها سيد قطب و هو يطبق منهجه الفني في نقد الأدب العربي الحديث ، و لا بد أن يمر بها أيضا الناقد البنيوي المعاصر و هو يطبق المستوى النحوي على السرد أم على الشعر الحر و

[90] - عبد الصبور شاهين : في علم اللغة العام ،ص : 234 .

91 - إبراهيم السمرائي : لغة الشعر بين جيلين ، ص : 09 .

شعر التفعيلة ،و لا بد أن يمر بها أيضا الشكلاني الروسي بشكل آخر مغاير لما رأينا عند الجرجاني في نظرية النظم ، و النحو أحد أركانها إن لم يكن ركنها الرئيس ، إن يكن ذلك ، فالبلاغة و العروض و الأفكار أو الموضوعات و غيرها هي باقي أعمدة هذه النظرية النقدية .

في مسار التأصيل لا ينكر الدارسون اللسانيون المعاصرون للنص الأدبي الجذور الأولى للدرس اللساني العربي الذي يتخذ النص الأدبي مادة لدراسته ، فهذا الباحث محمد عزام يقول معترفا بجهود العلماء الأوائل ، نقاد الأدب اللغويون في نقد الأدب و إرساء قواعد فن أو علم النقد الأدبي العربي :((أما في مجال النقد اللغوي فقد كان للغويين والرواة ملاحظات على الشعراء،حيث أحصوا هفواتهم في استعمال الألفاظ، وضبطها،وإيثارهم إياها دون غيرها،و نبهوهم إلى مخالفاتهم منهج العرب في كلامهم.و كان ضابطهم ومقياسهم في هذا النقد ما عرفوه من استعمالات العرب للألفاظ))[92]، و ضوابط الكلم عندهم من خلال النحو ،و نظم الكلام على نحو ما نظمته العرب من المفردة إلى الجملة ، إذا جاز لنا استخدام لفظة النظم ، نقلا عن الجاحظ أولا باستعمال التركيب ، و نقلا عن الرماني و الخطابي و غيرهما في نظم القرآن و إعجازه ، و نقلا عن الجرجاني ثانيا و تاليا باستخدام آخر يعني العلاقات التجاورية بين هذه الألفاظ حتى تؤدي معنى من المعاني ، حتى رأينا الرجل يلح و يؤكد على ((أن فساد التركيب النحوي يؤدي إلى فساد المعنى.))[93] مادامت اللغة تفيد بالمعنى وفق تركيب ما، فإذا ما غيرت أجزاء هذا التركيب تم الحصول على معنى آخر مغاير و ربما تم الحصول على "اللا /معنى" .قال الإمام عبد القاهر الجرجاني ،رحمه الله ،أيضا في دور النحو في استقامة المعنى و صولا إلى حسن النظم و جودته:(( واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،و تعمل على قوانينه وأصوله،وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها))[94]. و الإمام الجرجاني من خلال هذا الكلام يجعل من النحو شرطا لا يصح النظم إلا به .و هل يستقيم أدب أصلا بلا نظم ؟ !.

لا لم يكن الأمر مجرد مسّ النقد لكل شيء بطرف ، على عادة مادته الخام ( الأدب ) . و إنما تعمقت الرؤية ، و توثقت أواصر القربى ، حتى بات

---

92 - محمد عزام : التحليل الألسني للأدب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،الجمهورية العربية السورية ، د ط ، 1994 ، ص : 13 .

93 - محمد عزام : التحليل الألسني للأدب ،ص : 147 .

94 - عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي ،مكتبة القاهرة ،مصر ،ط 01 ، 1969 ، ص: 117 .

يلاحظ قيام علوم مهمة تحقق هذا التقاطع بين هذين الحقلين المعرفيين .و من ذلك ما يعرف قديما بالنقد اللغوي و منه النقد النحوي ، و حتى النقد البلاغي الذي يمسّ فيما يمسه نقد الجرجاني المبني على نظرية النظم ،و ما تقتضيه هذه النظرية من المرور على العلاقات النحوية التجاورية بين الألفاظ ، و ما إليه من نحو الجملة.و حتى رأينا ما بات يعرف حديثا بالنقد اللساني الحديث و المعاصر، و فيه المرور بأحد مستوياته و مستويات البنيوية فيه ، و هو المستوى النحوي . إذن و الحال هذه ، لم يعد النحو بمعزل عن النقد الأدبي من حيث الوظيفة و من حيث النية و القصد . كما لم تكن علاقة النحو بالنقد علاقة عابرة ،و نحن أمام هذه المظاهر الجلية، وهذه التجليات الواضحة في هذه الشبكة من العلاقات بين علمي النحو و النقد عند العربي قديما و حديثا و حتى عند الغرب . على الأقل يوم حدث الاتصال العظيم بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط الشمالية و الجنوبية ،منذ حملة نابليون على مصر و حتى يومنا هذا . أما الاتصال العربي بالثقافة اليونانية منذ العصر العباسي ، فقد أفاد العرب في الجوانب الفلسفية ،و منها أثر هذه الأخيرة في نقد قدامة ابن جعفر و حازم القرطاجني . و إن كنا لا نعدم أثرا للمنطق على اختلاف المدارس النحوية عندنا ، و هو ما من شأنه أن يفضي إلى فكرة أخرى تعبر عن توزع حتى النقاد على المدارس النحوية السائدة في الثقافة العربية القديمة : مشرقها و مغربها ، كوفتها و بصرتها و بغدادها و حتى أندلسها ، و ما تتكون منه هذه المدارس من أئمة و أساطين ، خاصة و هم ينقدون – و إن شئت قلت : يصوبون - الأدب وفق هذا التوزع المذهبي اللغوي و المدرسي النحوي ، و تخندق كل ناقد نحوي و لغوي في خندق مذهبه النحوي ، و انتمائه إلى هذه المدرسة النحوية دون تلك .ولذلك فـ((لا شك في أن هناك دراسات قديمة اتصلت بالنص الأدبي تتناوله من حيث الصحة اللغوية،وتحاول أن تستمد منه كثيرا من الشواهد التي تفيد في مجال الدرس النحوي،وأن تتخذه دليلا على صحة رأي معين أو قاعدة خاصة.و هناك – كذلك – دراسات أخرى تجاوزت مسألة الصواب والخطأ،واتصلت بالعملية الإبداعية بدءا بالمفرد ووصولا إلى الجملة))[95] . فأصبح النقد الأدبي طريقا غير مباشر عند النقاد اللغويون العرب القدامى لمساندة مذاهبهم النحوية و اللغوية ، و تأكيد شواهدهم النحوية أيضا .

<u>النحو العربي بين عظيم خطره و شرف منزعه</u>

---

95 - محمد عبد المطلب : جدلية الإفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان ، و الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان القاهرة مصر ، ط 01 ، 1985 ، ص : 82 .

إذا قُدّر لنا أن نعتبر النقد العربي بنية مستقلة من حيث تكوينها المنتظم ، و تضافر عدّة عناصر في تشكيل و صياغة هذه البنية التامة.وإذا سلمنا بأن النقد لا بد أن يأخذ من كل شيء بطرف، كما أسلفنا . إننا إذا فعلنا ذلك فسوف نجد أنفسنا أمام عنصر أساس من هذه البنية و هو النحو العربي بالقدر الذي تكون فيه نسبة البنية الصغرى إلى البنية الكبرى . هذا المجال العلمي المعرفي الذي تنبه إليه و إلى خطورته في استقامة الكلام العربي جمع غفير من أرباب دولة الإسلام الأولى و على رأسهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ((فعن عبد الله بن مسعود (ض) أنه قال:" لحن رجل أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أرشدوا أخاكم فقد ضل))[96].يضاف إلى هذا ما ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه من قوله :" لئن أقرأ فأسقط أحب إليّ من أن أقرأ فألحن".وما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع رجلا ممن أساء الرمي بالسهام يلحن ،إذ يقول مبررا سوء رميه بالسهام:"إنا قوم متعلمين" فقال له عمر:"والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم". أضف إلى ذلك أمره (عمر) رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري أن يضرب كاتبه سوطا حين أخطأ في الكتاب وكتب في أوله :"من أبو موسى الأشعري".ودون أن ننسى ما كان يعرب عنه عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من كرهه للحن،ومنعه حاجات الملحنين وقوله رحمة الله عليه:" أكاد أضرس إذا سمعت اللحن" [97].
كل ذلك من شأنه أن يبين دور النحو في استقامة الألسنة ، و الابتعاد عن الكلام الناشز المستكره في الكلام العادي ، فضلا عن تواجده في الكلام الفني الأدبي الذي هو بالضرورة أرقى من الكلام العادي . و الذي يزعم أنه ، و لفنيته و جماله ، يمج الاستكراه و الركاكة و القبح .

فهكذا إذن تنبه المسؤولون عن دولة العرب إلى خطورة هذا الأمر،و تفطنوا إلى الأبعاد التي يمكن أن يصل إليها التغاضي عن مثل هذه الأخطاء ، فحاولوا جهدهم ، من خلال ، تصرفاتهم الرادعة ، و التي تشكل شبه قوانين و عقوبات لمن يخطئ في علم النحو ، مرهبين من مغبة الزيغ في الكلام . إنهم إذ يفعلون ذلك يمنعون الحياد عن الفطرة اللغوية و يدعون إلى استقامة الكلام و من ثمة استقامة المعنى ، و هم الفصحاء البلغاء ، و منهم من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه و سلم ، كما أنهم بعملهم هذا يمنعون سوء الفهم الذي قد يصيب النص القرآني الكريم ، فكانت تصرفاتهم هذه قومية و دينية و اجتماعية و علمية و حضارية .فأما الجانب القومي منها فهو المحافظة على

---

96 - ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق الدكتور يوسف البقاعي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2003 ، ص : 05 .

97 - المرجع نفسه ، ص : 05 ، 06 .

لغة الوطن العربي ، و اللغة تعني الهوية ، و أما الجانب الديني فهو الخوف على القرآن الكريم فلا يساء فهمه بالسوء و الخطأ في قراءته ، و أما الجانب الاجتماعي فمشتق من وحدة اللغة و وحدة المجتمع و أما الجانب العلمي فبالحفاظ على القواعد و قبلها الحفاظ على السليقة و سنن العرب في كلامها و هي سنن علمية و معرفية انتشرت و سادت المجتمع و أما الجانب الحضاري فمن خلال المحافظة على تراث الأمة اللغوي و رصيدها البلاغي و البياني و المحافظة على فصاحتها .

في البداية كان النص المركزي ( استقامة المعنى المقصود كحد أدنى )

ما كان العرب الجاهليون في قبائلهم ، و في بواديهم ، و حتى في حواضرهم يدرون ما النحو و ما الصرف و ما الإعراب .و مع ذلك كانوا ينطقون اللغة العربية المعربة ، و إن كانت بعض القبائل تخالف بعضها ، و تخالف قريشا في مكة و ما جاورها في بعض الظواهر الإعرابية و بعض الظواهر النحوية و الصرفية .حتى حذا بأبي عمرو بن العلاء أن يقول :"ما لغة حمير بلغتنا و ما عربيتهم بعربيتنا "و هو يقصد بعضا من الألفاظ و التراكيب ،وبعضا من ظواهر الإعراب.و مع ذلك فقد كانت القبيلة أو مجموع القبائل المشتركة في نمط لغوي واحد هي المجتمع السيد الذي تواضع على اللغة .و هو من يفرضها و يحدد الصواب و الخطأ فيها ، هكذا على السليقة .
و مثله متى قعدت القواعد من قبل الدوائر العلمية العربية و مراكز الثقافة ، فبعد أن أشّرت عليها السلطة السياسية صارت هذه الدوائر التي تسود المجتمع ،فهي نخبته و ممثلته و مسنودة السلطة فيه ،هي التي تحدد الصواب و الخطأ .ذلك بعد أن أوكلت إليها المهمة ،الرسمية أم الأدبية الاعتبارية و الاجتهادية ، في أن تقعد القواعد ،و تجمع و تضبط اللغة . لقد كانت هذه المراكز هي مدارس النحو العربي التي ارتضاها المجتمع و رضيت السلطة عن عملها،و خلاصة الأمر يعبر عنه عبد الصبور شاهين فيقول:((إن الصواب اللغوي مرتبط أشد الارتباط بالصورة التي يرتضيها المجتمع للغته،وإن الخطأ اللغوي هو نقيض هذه الصورة،لأن المجتمع هو الذي يملك اللغة وليست اللغة هي التي تحكم المجتمع))[98].و متى رأى المجتمع أن هذا صواب فهو صواب والعكس صحيح.والحق أن التطور هو من يحكم المجتمع و يحكم اللغة ،وهو من يفسح المجال للمجهول الذي قد يحمل بين طياته ما كان خطأ فيصبح صحيحا. على الرغم من وقوف جهات عديدة تنزع منزع المحافظة سدا منيعا أمام تغير ، و حتى لا نقول تطور اللغة ، و أعني بها

98 - عبد الصبور شاهين : في علم اللغة العام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط 04 ، 1984 ، ص : 231 ، 232 .

الدوائر الدينية و الدوائر السلطوية ، خشية تغير اللغة العربية فتختلف اللغة المتغيرة عن لغة القرآن الكريم ، فيذهب معنى الإعجاز بالفصاحة و البلاغة و باللفظة و بالنظم من عقول العرب المحدثين و من قلوبهم .

لقد كان النحو على الدوام خادما للنص الفني مثلما كان خادما بدرجة أقل قيمة ، و أوسع تمثلا لِلُغَةِ التواصل العادي عند العربي.، فلقد نشأ النحو العربي في خدمة القرآن الكريم .و من ثمة لا نستبعد أن يتم هذا التواصل ليكون النحو خادما للنص الأدبي الفني البشري كما كان في منشئه في خدمة النص الأدبي الفني الإلهي . دون أن تشوب الخدمة شائبة ، أو أن ننتقص من قدرها و من شرفها قيد أمّلة ، أو قدر حبة من خردل ، كما يقولون .،فلقد كان النص الفني ، الأدب ، سابقا للنص العلمي، النحو .يشهد على ذلك تاريخ الأدب الراجع إلى الجاهلية ، و تاريخ النحو الراجع بنا إلى عهد علي بن أبي طالب و قصته المشهورة مع أبي الأسود الدؤلي في "ما أجمل السماء "مع ابنته و في " أن الله بريء من المشركين و رسوله "[99] في قراءة رجل للقرآن الكريم ، و من ثمة فالسابق أشرف من المسبوق و المتبوع أشرف من التابع . و لو من منظور نقاد الأدب الذين ، بالضرورة ، يختلفون مع النحويين و اللغويين في هذا الطرح الذي هو طرح المزية و القيمة . و مع ذلك يحتج النقاد بأن السابق في، هذه الحال، غاية و المسبوق وسيلة . و هذه المفاضلة لا تغبط النحو حقه من الشرف الذي نوهنا إليه في مقدمة هذه المقالة و لا تحرمه منزلته تلك . و هو ما دعا كل عاقل إلى ضرورة احترام علم النحو و تحكيمه في الكلام و المنطق ، بل و محبته لأنه مطية الشرف،و منير الدروب و مبدد الظُلَم الحوالك في المعنى ، و لاسيما حين يتعلق الأمر بكتاب الله أشرف كلام و أقدسه ، فقد قال في ذلك علي الأصفهاني :

أحبب النحو من العلم فقد ** يدرك المرء به أعلى الشرف
إنّما النحويّ في مجلسه ** كشهاب ثاقب بين السدف
يخرج القرآن من فيه كما ** تخرج الدرة من جوف الصدف .[100]

وقال في ذلك أيضا العبرتائي الكاتب :

على أن للإعراب حدا و ربما ** سمعت من الإعراب ما ليس يحسن
و لا خير في اللفظ الكريه استماعه ** و لا في قبيح اللحن و القصد أزين
و يعجبني زيّ الفتى و جماله ** فيسقط من عينيّ ساعة يلحن .[101]

---

99 - سورة التوبة ، الآية 03 .
100 - ابن قتيبة : أدب الكاتب ، ص : 08 .
101 - المرجع نفسه ، ص : 08 .

و هو - كما يتضح – تحذير شديد اللهجة ، جاء في قالب النظم ليحفظ و يذاع و ينتشر ، لمن يقع في اللحن ، و لا يحترم قواعد الإعراب، و تخويف له مما ينتظره من زلل القدم في مهاوي الذلة و الاستصغار و الاحتقار ،و الحكم عليه بالجهل و عدم الإبانة في المجتمع ، فهو شاذ بين الناس بخطئه هذا . و من ثمة عدم دركه الحاجة مهما كانت هذه الحاجة مادية أم معنوية ، كما سنرى، فيما بعد ، مع عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز . فما كان أولى لمن يبتغي تجنب المعايب إلا أن يتعلم أولا النحو و((اللغة في رأي من يعتبرها لائحة كلمات وبنى نحوية بالإمكان تعليمها بسهولة))[102] . و ثانيا احترام هذا العلم الذي تم تعلمه بتطبيقه و استخدامه في أرض الواقع بأحسن صورة و أدق طريقة .

ما النحو و ما النقد ؟ ( التماس و التجاذب في المفهوم )

الحق أن رؤية النقاد العرب القدامى للنقد الأدبي لم تختلف كثيرا عن رؤية النقاد و الدارسين العرب المحدثين و المعاصرين له . فهو يكاد يكون كعلوم اللغة و الدين عند العرب ، لم يترك فيها الأول للآخر شيئا .على الأقل بالنسبة للمحاور الرئيسة في هذا العلم أو ذاك ، و عليه فالنقد الأدبي عند القدماء هو تلك الضوابط و المقاييس التي يعرف بها جيد الأدب من رديئه ،فكما قال قدامة بن جعفر بشأن الشعر ونقده:((ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر تخليص جيده من رديئه كتابا))[103].ولم يخرج الدكتور إحسان عباس ،و هو يؤرخ للنقد الأدبي عند العرب،وحتى وهو ينقد الأدب العربي ، عن مفهوم النقد عند القدماء ،وعلى رأسهم قدامة بن جعفر فيقول:((ولكن النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق،أي القدرة على التمييز،و يعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم – خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى،وهي متدرجة على هذا النسق،كي يتخذ الموقف نهجا واضحا موصلا على قواعد – جزئية أو عامة – مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة التمييز))[104].فهذا المفهوم الذي أعطاه لنا لم يخرج عن فكرة التمييز بين جيد الأدب ورديئه،وإن كان اشتغل على التفاصيل فزاد الملكة الذوق،واشترط التعليل والتفسير والتحليل والتقييم .و إن

---

102 - ميشال زكريا:مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ، بيروت لبنان،ط 01، 1984 ،ص: 15 .

103 - قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، دط ، د ت ، ص : 61 .

104 - إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 1971 ، ص : 14 .

كان بعضها متضمن في كلام قدامة السابق.،مما يعني أن النقد عنده هو تمييز جيد الأدب– تعميما – من رديئه.أو هو عند ابن طباطبا العلوي عيار الشعر،فإن جاز لنا التعميم قلنا عيار الأدب.وقد عرفه ابن طباطبا العلوي أيضا بقوله:((وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب،فما قبله واصطفاه فهو واف،وما مجه ونفاه فهو ناقص.))[105] و الملاحظ أن إطلاق الحكم بالوفاء والنقصان هي ثنائية ضدية بديلة لثنائية ( الجيد و الرديء ) عند بقية النقاد العرب ،بمن فيهم ابن طباطبا العلوي صاحب هذا القول في غير هذا الموضع .

وأما النحو هو أيضا ، كما أسلفنا ، و مثله مثل النقد ، ضوابط و مقاييس يُعرف بها صحة القول و استقامته من علته و اعوجاجه أو فساده، كما أن المنطق – مثلا - هو الضوابط و المقاييس التي يعرف بها صحة القياس من فساده .

و سوف لن أطيل في سرد تعاريف النحو و إنما سأكتفي بقول علي الكسائي في تعريف هذا العلم :

إنما النحو قياس يتبع ** و به في كل أمر ينتفع . [106]

و إن كانت لفظة النحو في النقد الأدبي لها معنى آخر و مدلول مغاير لما هي عليه في علم العربية ، فهي ((بمعنى الاتباع والتقليد. يقال:نحا نحوه سار على نهجه،واتبعه وقلده.وهكذا كان استخدام محمد بن الحجاج الجراداني في حديثه عن محمد بن مناذر الذي كان يقلد أو ينحو نحو عدي بن زيد في شعره."قلت لابن مناذر:من أشعر الناس؟قال:من كنت في شعره،فقلت:من ذاك؟فقال:عدي بن زيد ،وكان ينحو نحوه في شعره،ويقدمه ويتخذه إماما))[107] . و في الحقيقة يمكن اعتبار المشكاة التي يصدر منها النحو في الأدب و النحو في اللغة العربية واحدة ، مادامت اللفظتان ترميان إلى معنى الإتباع و التقليد ، الأول مسار اللغة و قواعدها بالاستقراء و القياس و الثاني بالمشابهة و التقليد .

بل من هنا عرفنا ما للتقارب الحاصل حتى بين النحو و النقد من حيث المفهوم ، أو على الأقل من حيث الماصدق ، فكل منهما قياس و معيار يقاس به الكلام أو الأدب ، على ما بين الكلام و الأدب من تداخل كبير ، إن لم

---

105 - ابن طباطبا العلوي:كتاب عيار الشعر ، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سورية ، د ط ، 2005 ، ص : 06 .

106 - ابن قتيبة : أدب الكاتب ، ص : 07 .

107 - محمد مهدي الشريف : معجم مصطلحات علم الشعر العربي : منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2004 ، ص : 148 . نقلا عن الأغاني ج 18 ص 150 .

يكونا شيئا واحد في مستويين اثنين .إذا نظرنا إلى مستويي الأدب الشعبي و اللغة الجاهلية الأدبية الممتازة ، و هما معا ( النقد و النحو )ضوابط يحتاج إليها الكلام ليستقيم المعنى منه ، الأول لغويا عبر الإفادة ،و الثاني جماليا عبر الحسن أو الإفادة الفنية الممتازة الممتعة .

لماذا علم النحو أولا و ما شبهة ضرورة احترامه كمقياس في النقد ؟

سوف لن أناقش هاهنا مسألة لماذا النحو ؟ فهذه المسألة قد تم مناقشتها و الإجابة عما يختلج النفس و الحاجة العلمية من أسئلة بذكر حدها و تعريفها ، و إنما أناقش هنا مسألة لماذا أولية النحو تطرح نفسها دائما بالنسبة للعلوم التي تمس الأدب بطرف . بما في ذلك البلاغة و العروض فيما يتعلق بحاجة الشعر إليها ؟، فقد يحتمل التنازل عن العروض نسبيا أو كليا فتكون القصيدة مجزوءة أو منهوكه أو مشطوره أو موشحة أو حرة تفعيلية أو نثرية ، كما رأينا في آخر الصيحات التطورية للشعر العربي .و قد تنزل القصيدة في مستواها الإشاري التلميحي الترميزي إلى الخلو من الخيال إلى المبشرة .، و لكن أن نتصور نصا أدبيا دون نحو أو دون مجاراة للعرب في سنن كلامهم ، من حيث اللغة و الصرف و النحو ، فذلك ما لا يرضاه كهان النقد و اللغة و الأدب . لأن المسألة لا تتعلق بدنو أو تطور أو تبدل و تغير لبعض المعطيات الفنية ، بقدر ما تعني ذهاب المادة و ذهاب اللغة . و ما لهذا الأمر من خطورة الثورة الجذرية على السائد ، و ما تجره خلفها من ذهاب الخصوصية و الهوية و كل مصطلحات الرهبة و القاعدية ، و لاسيما حين يتعلق الأمر بلغة كلغة القرآن الكريم ،و حضارة كحضارة الأمة العربية و الإسلامية .

قال إسحاق بن خلف البهراني في هذا الشأن :

النحو يصلح من لسان الألكن ** و المرء تعظمه إذا لم يلحن
فإذا طلبت من العلـــــوم أجلها ** فأجلها منها مقيم الألسن.[108]

و قال علي الكسائي أيضا في ذات الشأن :

فإذا ما نصر النحو الفتـــــــــى ** مر في المنــــــــــطق مرا فــــــاتسع
فاتقـــــــــــــــاه جل من جـــالسه ** من جلـــــيس نــــــاطق أو مستمع
و إذا لم ينصر النحو الفتى ** هــــــاب أن ينــــــطق جنبا فانقطع
فتـــــراه يرفـــــــــع النصب وما ** كان من خفض ومن نصب رفع
يقرأ القــرآن لا يعرف مــــــــا ** صـــــــــــرف الإعراب فيه و صنع
و الـــذي يعـــــــــــــرفه يقرؤه ** فإذا مــــــــــا شك في حرف رجع

108 - ابن قتيبة : أدب الكاتب ، ص : 08 ، 09 .

نـــــاظرا فيه و في إعـــــــــــرابه ** فإذا مــــــــــــــا عرف اللحن صدع
كم وضيع رفع النحو وكم ** من شريف قد رأينـــــــــــــاه و ضع .[109]

فبالنظر إلى الخطورة التي لاحظناها في إفادة الأبيات السابقة ،تتحدد أولية النحو العربي في الكلام العربي عاديه فنيه.ثم أليس من الملفت للانتباه حضور القرآن الكريم كلما تم الحديث عن الدعاوي التي تدعو إلى ذهاب النحو أو حتى تغيير بعضا منه و التنازل عن بعض ؟! نعم إن الأمر لكذلك ،وهوفي حقيقة الأمر،مثار الخوف والرهبة و الخطورة.

و بناء على ما تقدم نقول بأنه تشترك في العملية النقدية العديد من الحقول المعرفية ، من مثل المنطق و الحساب و البلاغة و الغريب و الأنساب و الأيام و العروض و الصرف و فقه اللغة و غيرها .و لذلك قلنا عن دخول النحو عملية البناء النقدي أنه مشاركة منه في الصياغة ، و أي مشاركة هي ؟ ! إنها مشاركة في التأسيس و التركيب لخلق نظرية نقدية عربية ، و من دونه تصبح العملية النقدية غير مجدية ، و لا تؤدي دورها المنوط بها ،وصولا إلى أهداف التمييز بين الجيد و الرديء .على أن لا يكون هذا التمييز مجرد حكم ذوقي ، بل يجب ، لعلميته و موضوعيته ، أن يرفق بالتعليل و التقييم ثم بالتقويم في العملية النقدية .فضلا عن محاولة صياغة نظرية نقدية عربية بكل ما تعنيه النظرية من رقي تنظر إلى الممارسة النقدية العشوائية و حتى المنهجية من عل . فلماذا كان النحو العربي على رأس أو أول هذه الحقول المعرفية دخولا في العملية النقدية ؟ يتعلق الأمر بالعملية الجنيسة ، فمن خلال الانتماء الذي يحققه النحو إلى النقد الأدبي ، و من خلال التقارب المحقق بينهما من حيث المادة الخام منهجيا و تكوينيا ( فالنقد قول على قول و قواعد قولية لصلاح القول ) و النحو ( قول للقول ، و قواعد قولية لصلاح القول ) أيضا ، مع فارق بسيط يتمثل في استظلال الأول بالذوق و الفن و استظلال الثاني بالسائد الموجود ، و بالواقع اللغوي الغالب و المشهور أولا ثم بالقواعد المستقرة ثانيا . فالأول معياري و الثاني وصفي ، و من هاهنا فقد اشتركا في أكثر مما اختلافا فيه . فضلا عن أن هدف كل منهما هو واحد، و هو صلاح القول ،سواء القول العادي أو القول غير العادي في مستواه الأدبي الفني . مع احتمال تواجد التداخل و التقاطع بينهما ، على اعتبار أن النحو يمتد إلى القولين في المستويين و النقد يمتد إليهما معا أيضا في حالة توفر شرط واحد و هو التطابق بين المستويين في شرط الفنية ، في كل من الخطابة و الوصية و المثل و الحكمة غير الشعرية ، و هذه الأجناس الأدبية

109 - المرجع نفسه ، ص :07 ، 08 .

تكون أحيانا في مستوى فني راق مع أنها في الأصل لم يقصد بها الفنية و المتعة كما رأينا مع الشعر .

و ليست العلمية و التجانس هما ما يبرران التمسك بالنحو في النقد الأدبي فحسب ، و إنما يضاف إليهما رهبة السائد، و الخوف من تبدل الألسنة ،و حدوث الطفرات، و كل ما تعنيه الثورة من رهبة و خطورة . فضلا عن دوره في استقامة الكلام على القياس أو على ما ألفه العرب في كلامهم ،و ما جرت عليه ألسنتهم ،و ما نطقت به سنن كلامهم ، و لاسيما الأدبي الفني منه .، و لذلك يثبت ابن وكيع التنسي صلة النحو العميقة بالأدب شعرا و نثرا أكثر بكثير من الكلام العادي و الخطابات اليومية التواصلية التي تدخل ضمن حد اللغة التي هي" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" كما ذهب إلى ذلك ابن جني في مشهور ما أطلقه من تعريف للغة. يقول التنسي :

يحسن النحو في الخطابة و الشعـ ** ـر و في لفظ سورة و كتاب

فإذا ما تجـــــــــاوز النحو هـــــــذي ** فهو شيء من السمامع نـاب .[110]

بل من خلال هذين البيتين تتضح لنا الصورة أكثر في أن علماءنا القدامى لم يكونوا يخشون على اللغة التي يتعاملون بها في حديثهم اليومي ساعة ذهاب النحو بقدر ما كانوا يتشددون في استحضار النحو رقيبا دائما للكلام و عيارا نافذا عليه في الكلام الفني الجميل ، و هو الأدب أو ما جرى مجراه من الكلام الرسمي في الرسائل و ما يُتخاطب به من كلام في النوادي و المعاهد العلمية و المجالس الثقافية و السياسية .

الاتجاه اللغوي اللساني في تحليل الأدب خير مسوغ لالتقاء النقد بالنحو ، و لعل التجانس المتمثل في اللغة هو المبرر للجمع بين حقلين متجانسين في اللغة ، اللغة العلمية المنهجية ، مادام كلاهما من العلوم ، و إن كان يحكم النقد ما يعرف بالذوق و هو ذو منزع ذاتي أكثر من أخذه شيئا من الموضوعية من خلال ما يعرف بالذوق العام .

<u>ارتباط النحو بالبلاغة ( الاجتياز و التعدي )</u>

كفى الأدب ميلا نحو الغموض بالترميز والخيال والتجريد والإلغاز أحيانا.إننا إذا بالغنا في ذلك وتعدينا حد الملح في الطعام ،والحلاوة في اللسان ،والفنية والرمزية في الأدب اخلولج أمر البيان والتبيين،الإفهام التفهيم والإفصاح والتفصيح الذي من أجله وضع الأدب .

مسألة علاقة النحو بالبلاغة العربية التي هي من صميم مكونات النص الأدبي لاسيما إذا عرفنا ما للبلاغة العربية من ارتباط وثيق بالنقد حتى

---

110 - المرجع نفسه ، ص : 07 .

سيطرت عليه و أصبحت هي هو ، هذه المسألة نجدها عند الجرجاني من خلال علاقة النحو العربي بالنظم الذي يقترحه الجرجاني بديلا عن الطروحات القديمة للفصاحة و البلاغة العربية. و لاسيما مسألة اللفظ و المعنى عند الجاحظ و عند غيره ، و لهذه صلة بين نظرية النظم الجرجانية بالبلاغة القديمة ، و من ثمة تعلقها بالأدب أو المستوى الفني للكلام العربي[111]. التي لاكتها الألسن في هذه السنوات الأخيرة .ولا أريد هاهنا أن أناقش مسألة استقامة المعنى المقصود - وأضع سطرا تحت كلمة المقصود هنا – من خلال استقامة القواعد النحوية، وما يتبعه من تغيير أماكن الألفاظ و تبديلات نظمها ،مما هو مسجل في دلائل الإعجاز للجرجاني حول بيت امرئ القيس في مطلع معلقته حيث يقول :

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل ** بسقط اللوى بين الدخول فحومل[112]

و ما يتبعه بعد ذلك من تغير للمعنى ، إن لم نجزم بذهابه على الإطلاق .، و ليس أدل على ذلك من قراءة الآية الكريمة:(( إنما يخشى الله من عباده العلماء ))[113] و إنما عنيت هنا بالضبط تلك المآخذ التي أخذها العلماء على الشعراء .

هذا وأن الإمام عبد القاهر الجرجاني ليعطي قيمة كبيرة للنحو ، فهو في معرض نقده لطائفة من الناس استقلوا دور النحو في استقامة المعاني ،وخاصة في النص الأدبي ومنه الشعر،يقول عبد القاهر الجرجاني:((ولما لم تعرف هذه الطائفة هذه الدقائق وهذه الخواص واللطائف لم تتعرض لها ولم تطلبها.ثم عن لها بسوء الاتفاق،رأي صار حجازا بينها وبين العلم بها،وسدا دون أن تصل إليها،وهو أن ساء اعتقادها في الشعر– الذي هو معدنها وهو المعول فيها–وفي علم الإعراب الذي هو لها كالناسب الذي ينميها إلى أصولها،ويبين فاضلها من مفضولها،فجعلت تظهر الزهد في كل واحد من النوعين،وتطرح كلا من الصنفين،وترى التشاغل عنها أولى من الاشتغال بهما،والإعراض عن تدبرهما،أصوب من الإقبال على تعلمهما...وأما النحو فظننته ضربا من التكلف،وبابا من التعسف،وشيئا لا يساند إلى أصل،ولا يعتمد فيه على عقل.وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب،وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ.فهو فضل لا يجدي نفعا،ولا تحصل منه على فائدة،وضربوا له مثلا بالملح – كما عرفت – إلى أشباه لهذه الظنون في القبيلين،وآراء لو علموا مغبتها وما تقود إليه لتودوا بالله منها،ولأنفوا لأنفسهم

---

111 - محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية ، مناشرون و الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مصر ، ط 01، 1994، ص : 39 .

112 - امرؤ القيس : الديوان ، ضبط و تصحيح : مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د ط ، 2002 ، ص : 110 .

113 - سورة فاطر ، الآية : 28 .

من الرضا بها،ذلك لأنهم بإيثارهم الجهل بذلك على العلم:في معنى الصاد عن سبيل الله،والمبتغي إطفاء نور الله تعالى).)[114]وحجة الجرجاني،حسب ما يبينها في الصفحات التالية دينية خالصة ، لا تخرج عن تحول الناس- إن عم استهزاؤهم بالنحو وتقليلهم من قيمته- إلى ذهاب العلم بالقرآن الكريم ،والحفاظ على لغته ،والتبحر في إظهار إعجازه.فالنحو عند الجرجاني مرتبط بمسألة الإعجاز القرآني[115].

للأسف الشديد الدكتور محمد زكي العشماوي – و هومن أبرز المتحدثين عن قضايا النقد العربي و الدارسين له – لم ينقب عن آراء الجرجاني النقدية فيما يتعلق بالنحو وعلاقته بالنقد الأدبي العربي،بقدر ما أتانا بملاحظات تتعلق باللغة عموما .،بما في ذلك استخدام اللغة استخداما فني أدبي.[116] و لكن نظرة فاحصة إلى كتاب دلائل الإعجاز من شأنها أن تتدارك ما أغفله الدكتور محمد زكي العشماوي بقصد عدم التطرق و الاكتفاء ،أم بغير قصد نسيا .

في قضية ارتباط النحو بالبلاغة العربية ،ضمن سياق النقد الأدبي،تطالعنا مسألة النقد البلاغي وارتباطه في علميته بعلم الكلام ،و لاسيما القياس و العلة و ما إليه من مصطلحات المناطقة ، ما كان للنقد أن يمسها لو لا ارتباطه بالبلاغة ،و البلاغة المرتبطة بالمنطق الإغريقي سيرا خلف خطا النحو و أصوله كعلم مستحدث عند العرب ، و قد تجلى ارتباط النقد بالبلاغة ذات الصلة بالمنطق الأرسطي عند ابن قتيبة و عند حازم القرطاجني ،كما وجد أيضا عند تقسيمات القزويني و السكاكي . إن هذا الارتباط هو إضافة جديدة للنقد ماشيا على درب الحيازة العلمية في علاقته بالنحو من خلال أصول النحو والبلاغة المرتبطة هي بدورها بعلم الكلام عند العرب .

مسألة أخرى ذات صلة وثيقة جدا بالبلاغة ، إن لم تكن هي البلاغة و أعني بذلك الأسلوب ، و مادامت البلاغة تشتغل على الكلام المنظوم و به يعرف الأسلوب ، فإن((هناك جوانب كثيرة في هذا النقد يمكن ربطها بطبيعة بناء الأسلوب،وهي تلك الجوانب التي اتصلت بالدراسة النحوية الجمالية والدراسة البلاغية،من مثل الحديث عن الأدوات وحروف المعاني وخروجها إلى معان إضافية تكتسبها من السياق.والحق أن البحث النحوي قد أمد النقد بقيم موضوعية كثيرة ساعدته على تخطي ذاتيته في محاولة بناء نظرية لغوية في فهم النص،بحيث تبدأ من الصياغة و تنتهي بها،وترصد الخواص

---

114 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تعليق و شرح ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة مصر ، ط 01 ، 1969 ، ص : 56 ، 57 .

115 - محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية ، ص : 57 ، 58 .

116 - محمد زكي العشماوي:قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث،دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت لبنان ،د ط ، 1979 ، ص : 288 .

الجمالية التي تتصل بالتعبير والكشف عنها في التراكيب اللغوية،و تقيم علاقة وثيقة بين الدوال ومدلولاتها في صور الكلام ومستوياته المختلفة))[117]. و هنا بالذات تتضح قيمة النحو العربي في البلاغة العربية ، و يظهر دوره من خلال كونه أحد مكونات الأسلوب ، و الأسلوب غاية البلاغة و البلاغة هدف الأدب ، و النقد هدفه الأدب الجيد ، و لاسيما حين يعتمد التقويم بعد التقييم و الشرح و التفسير لهذا النص .

الكلمة المفردة التي لطالما اشتغل عليها النحاة في نحو المفردات و في الصرف العربي ، إذا اجتزنا وادي الحدود الفاصلة بين الحقول المعرفية وجدناها عند النقاد جميعا ،و على رأسهم الجاحظ في ثنائية اللفظ و المعنى. يقول الباحث محمد المطلب عن "الكلمة" التي هي عند النحاة "المفرد":((الحق أن نمو البحث اللغوي القديم فيما يتصل بالمفرد قد ضم مساحة كبيرة كانت محجوزة للنقد الأدبي،ومن هنا اتصلت مباحث اللفظة بطبيعة الأسلوب.))[118]و هو يقصد بذلك اللفظ و ما يتمخض عنه من معنى ، و قد لاكت هذه الثنائية كثيرا الدراسات النقدية العربية منذ الجاحظ إلى آخر نقاد عصر الضعف والانحطاط .

يقول أيضا محمد عبد المطلب عن "الكلمة" التي حاول اللغويون القدماء تعريفها بأنها اللفظ المفرد أو القول المفرد:((ومهما يكن من شيء،فإن اللغة تحوي مجموعات صوتية يمكن أن ندرك عند سماعها أنها كلمة لها مدلولها كالأسماء والأفعال،وهو الذي يعنينا فيما نحن بصدده من دراسة دورها في بناء الأسلوب.وليس الأسلوب مجرد ضم مجموعات من هذه الألفاظ كيفما جاء واتفق،وإنما المسألة تتجاوز عملية الضم إلى عملية التعليق،بحيث تلعب العلاقات النحوية دورها في خلق هذا الأسلوب فيتحقق فيه المستوى اللغوي والمستوى الأدبي معا.والإفادة هنا أمر محتمل بالنسبة لمجموعة الملاحظات الشكلية التي أفرزتها البلاغة،حتى يتوفر في الأسلوب النية الجمالية تغلفه.))[119] فمن خلال الأسلوب الأدبي برز دور النحو الذي لا يكون الأسلوب إلا به ، فالتعليق الذي يشير إليه الدكتور محمد عبد المطلب يعني إيجاد رابط و علاقة و تعالق بين الكلمة و ما سبقها و ما لحقها أيضا من كلمات ، أو لعله الذي قصده علماء العربية الأوائل بقولهم : الإسناد ،و المسند ،و المسند إليه ، فهو الذي يبرر التعالق بين الألفاظ ضمن الجملة الواحدة .

<u>النحو و النقد أخيرا ( اتحاد العلمية بالذوقية الفنية )</u>

117 - محمد عبد المطلب : جدلية الإفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، ص : 83 .
118 - محمد عبد المطلب : جدلية الإفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، ص : 86 .
119 - محمد عبد المطلب : جدلية الإفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، ص : 87 .

إن النقاد و مؤرخي النقد يجمعون على كينونة العلاقة بين النقد و النحو من خلال شبكة العلاقات التي تربط النقد بباقي العلوم. فـ((من الواضح أننا لا ننكر أن صور المعرفة الإنسانية متداخلة في جملتها وأن فنون العلم عامة متصل بعضها ببعض،وأن اتجاهات النشاط العقلي متشابكة متبادلة.،فهذه قضية عامة لا تحتمل المراء والجدل.ولكن تداخل العلوم محدود–في حقيقة الأمر–بحدود العلاقات التي تصل بينها،والجهات التي تتماس فيها موضوعاتها،وهي موضوعات مقصورة.))[120]وهو ما تم التنبيه عليه بتغليب مسألة التجانس ، فكل علم أو فن تكون نسبة علاقاته بالعلوم التي هي من جنسه أكثر من باقي النسب العلائقية بباقي العلوم التي لا تتجانس و إياه ،و مثار القضية في تحقيق التجانس في مسألة هذا العلم ( النقد ) و علاقاته بغيره و خاصة النحو العربي هي اللغة .

إن ذلك - و الحق يقال – من صميم ثقافة الأديب و منه الناقد ، لأن الناقد هو ناقد الأدب مادام ابن خلدون يعرف الأدب بأنه الأخذ من كل شيء بطرف في مشهور تعريفه .و من ثمة كان على الناقد أن يتسلح بالثقافة التي يتسلح بها الأديب حتى يستطيع أن ينقده ، ومن أطراف هذه الثقافة النحو.فكلما ذكرت ثقافة الأديب والناقد ذكر النحو على رأس صنوفها،أو علومها. بالإضافة – طبعا – إلى ما يعرف بعلوم الأدب . وعلوم الأدب((المقصود منها هذه القواعد والمعارف التي يستعينها الطالب لفهم الأدب وتذوقه والقدرة على إنشائه،كاللغة والنحو والبلاغة ونحوها)).[121]والحق أن الكثير من المؤلفين و المصنفين و المشتغلين على التأريخ للعلوم في العصور السابقة كانوا يصنفون النحويين والبلاغيين وغيرهم من علماء اللغة على أنهم من الأدباء .[122]

لقد سعى النقد الأدبي العربي جاهدا إلى اكتساب العلمية ، و أنى له أن يحققها و الذوق مادته و الميول أو الذاتية و العاطفية و العصبية والنزعة الدينية و غيرها أَكَلَةٌ تتجاذب الطعام في قصعته . لقد أراد أن يقتبس من نور العلم على مستوى المنهج ، بأن تكون له خطوات ثابتة يسير عليها ليحقق أهدافه المرسومة ،و يصل إلى غاياته المرجوة من خلاله ، و حتى على مستوى المفهوم .فيتعدى الفنية إلى العلمية.ولا سبيل له إلى تحقيق ذلك إلا بالاقتباس من نور المتجاورات العلمية و المتعاملات معه بحكم التجانس و المخالطة و هي – و الحق يقال – مواد علمية ، و على رأسها علم النحو ،و

---

120 - محمد طه الحاجري:في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت لبنان،د ط، 1982،ص 09 .

121 - أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة مصر ، ط 07 ، 1964 ، ص : 46 .

122 - المرجع نفسه ، ص : 46 ، 47 .

علم البلاغة ،و علم العروض الخليلي . و هذه سبيله يلتمس نورا لنفسه من أنوار هذه العلوم . فلقد جذب مغنطيس العلمية كل النشاطات البشرية فهي تسعى إلى أن تتقمص شخصيته، و تتلمس خطاه ،و تلبس عباءته ، و تحتمي بقدسيته ورهبته .

إن الجاحظ مثلا يعبر بلفظ العلم و هو يقصد الفن ، هذا إذا تحدث عن الشعر . أما إذا قصد من الشعر كل ما يدور في فلكه و منه ما يعرف به صحيحه من سقيمه و جيده من رديئه ،و هو النقد فهو أدعى إلى أن يستعمل مصطلح العلم لأن النقد أكثر من الشعر علمية . هذا دون أن ننسى أن الشعر كان يعد علما كما ورد عن أبي حفص عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه – تعريفه بأنه "علم قوم لم يكن قوم هم أعلم به منهم "، و يمس الشعرَ العلمُ بأطراف الخاصية العلمية من خلال الأنساب و المثالب و المحاسن و اللغة و البيان و فنون القول و صنوفه لنسوِّغ استخدام المصطلح في الشعر ، بله صلاحيته للنقد .((قال الجاحظ:"طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه،فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه،فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب،فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب"فمعرفة الغريب وحدها لا تكفي،وكذلك لا يكفي معرفة الإعراب والأيام والأنساب،بل لا بد من ثقافة شاملة،ولذلك كان أدباء الكتاب ذوو الثقافة الواسعة هم أهل العلم بالشعر وأحق الناس بتقديره ونقده في رأي الجاحظ.))[123]وأعتقد أن هذه الجملة الأخيرة هي التي تبرز صلة ما أورده الجاحظ من حديث عن الشعر، بما نقصد إليه في هكذا طرح ،و هو علاقة النحو بالنقد . فالمعرفة بالشعر تقتضي المعرفة بالنقد ، على الأقل نقد الشعر ،و ما أدراك ما نقد الشعر، إذا علمنا أنه يمثل في الشعريتين العربيتين القديمتين الكتابية و الشفوية حجر الزاوية الأساس . فقد كانت له السيادة دون باقي أجناس الأدب الأخرى .

و لكن هذا لا يعني أن ما تحدث عنه الجاحظ من ضرورة توفر الشمولية في المسعى النقدي ، ليشمل علوم العربية و غيرها من العلوم ، بما في ذلك العلوم الوافدة من الضفة الأخرى ، و أعني بها علم الكلام و المنطق . لأننا لطالما نصطدم بهذا المطلب عند كل من قدامة بن جعفر و حازم القرطاجني .

إن لفظة المقياس تعني القانون الذي وجب احترامه حتى يتم إحراز الجودة ، و الرضا من قبل الدوائر النقدية العربية سواء أكانت علمية أم كانت سياسية أم كانت أرستقراطية عربية .و لأن النحو العربي كان له السلطان الأوفر حظا في التغلغل في الدوائر العلمية و السياسية العربية و حتى الدينية.

---

123 - أحمد أحمد بدوي:أسس النقد الأدبي عند العرب،دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة مصر ،دط ، 2003 ، ص : 82 .

بكل ما يمثله سلطان الدين من علو شأن و خطر تأثير و عظيم ثقل منذ خطابه رضي الله عنه ( علي بن أبي طالب)لأبي الأسود الدؤلي: " انح نحو هذا " إلى يومنا هذا .خصوصا ساعة التحام الدين بالسياسة ، أو بعبارة أوضح التحام الدين بسدة الخلافة . بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من الخطابات الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و عن صحابته و خلفائه رضي الله عنهم ،و هي خطابات دينية لها قدسيتها و احترامها ونفاذها ، نجد ارتباط النحو بالنص المقدس ، الذي هو عربي مبين و معجز بلفظه و معناه .و من ثمة ضرورة احترام الصيغة التي نزل عليها دون تغيير أو تحريف في قراءته ، ولاسيما صيغة النطق به فيما جرت به سنن العرب في كلامها، من حيث النحو و الإعراب ، وحسب ما قعدت به القواعد وصفا فيما بعد ،مع احترام الشذوذ واختلاف اللهجات العربية ،وقد احترمها القرآن الكريم و راعاها .

إننا حيال هذا الأمر نعترف بأن مقياس النحو – كما يقول الدكتور أحمد أحمد بدوي، على الرغم من أننا نختلف معه فيما ذهب إليه من تقزيم حجم هذا المقياس بجعله عند طائفة دون غيرها انزواء به نحو الجزئية .حيث يقول :((هو مقياس من أهم المقاييس عند طائفة من نقاد العرب،وهم طائفة من النحاة الذين أخذوا يقفون بالمرصاد للشعراء يحصون عليهم ما يقعون فيه من أخطاء،يخالفون بها القواعد المرسومة في علم النحو،و كثيرا ما كانت تحدث الخصومات بين الشعراء والنحاة إذا وقع الأولون في خطأ نحوي،كما يروى أن الفرزدق أنشأ قصيدة منها هذا البيت :

و عضُّ زمان يا ابنَ مروانَ لم يدع ** من المالِ إلّا مُسحَتا أو مَجرّفٌ[124]

فقال له عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي العالم النحوي : على أي شيء رفعت مجلفا ؟ قال : على ما يسوؤك ، عليّ أن أقول ، و عليكم أن تحتجوا . و لكن ذلك لم يقنع عبد الله ، بل أخذ يعد عليه سيئاته النحوية ، حتى غضب الفرزدق ، و قال يهجوه :

فلو كان عبدُ الله مولى هجوته ** و لكنّ عبد الله مولى مواليا [125]

و قد أخذ عليه عبد الله في هذا البيت أيضا فتحة الياء في مواليا ، و من الواجب أن يقول مولى موال .

ومن ذلك أيضا هذه الخصومة التي شبت بين بشار بن برد والأخفش .

والأخطاء النحوية كثيرة منصوص عليها في كتب النحو،وهذه المخالفات تدل على أن الشاعر غير متمكن من المادة التي يصوغ منها

---

124 - الفرزدق همام بن غالب : الديوان ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ، ج 02 ، ص: 26.

125 - لا أثر لهذا البيت في الطبعة التي تم الاعتماد عليها من ديوان الفرزدق .

كلامه،ويوقع السامع في القلق.،لأنه خرج من المألوف وما اعتادت الأذن أن تسمعه.ومن المعقول أنه ما دام الشعر عربيا أن يخضع للقواعد التي رضيها العرب،.وإن هذه القواعد في حقيقة الأمر هي التي تعقد الصلة بين الشعر العربي القديم والشعر الحديث،فيصبح الأدب العربي سلسلة متصلة الحلقات .

وإذا كان شعراء الجاهلية قد وقعوا فيما لم يجر عليه القياس المطرد فإن بعض نقاد العرب عدوا ذلك خطأ وقع فيه هؤلاء الشعراء.))[126] مما يعني أنه بمجرد أن قعِّدت القواعد النحوية و الصرفية ،بناء على منهج وصفي استقرائي للكلام العربي ،مع مراعاة ما بين مناطقه من اختلافات حددت و دونت و أصبحت في حكم المعلوم ،ما عاد بالإمكان الخروج على هذه القواعد من قبل الأدباء ،و حتى جميع مستخدمي اللغة في مستواها الرسمي الذي تحميه الدوائر السياسية و العلمية و الثقافية و الدينية .

و الحق أن الثورة على الفرزدق و أضرابه ممن يلحنون في الشعر من قبل علماء النحو لم تتوقف عند ما ذكر فحسب، بل((لم يكد هؤلاء العلماء ينظرون في شعر الفرزدق حتى أخذوا في مهاجمته،بما في أيديهم من قواعد النحو،هاجمه أولا عنبسة الفيل،وقد كان- كما يقول المرتضى-يتبع شعره و يخطئه ويلحنه.ومن ذلك تخطئته له،في قوله من قصيدته التي يمدح بها يزيد بن عبد الملك:

مستقبلين شمال الشام تضربنا ** بحاصب كنديف القطن منثور
على عمـــــــــائمنا يلقى و أرحلنا ** على زواحف تزجى مخها رير [127]

فأخذ عليه أن جعل كلمة"رير"مجرورة،وحقها الرفع كما تحكم بذلك قواعد اللغة التي استكشفوها.،وينظر الفرزدق بسليقته فلا يرى عيبا فيقول:"ما يدريك يا ابن النبطية؟"ولكن ابن النبطية يغلبه على أمره،ويحل عقدة عزيمته،إذ لا يلبث أن يدخل قلبه شيء،فيستجيب لهذه الريبة،ويغير البيت فيقول:"على زواحف نزجيها محاسير"كما يحكي أبو عبيدة.

وهكذا نرى إلى أي حد بدأ النحو منذ ذلك الوقت المبكر يبسط سلطانه على الشعر والشعراء،ويفرض أحكامه على السليقة العربية،فلا نرى رجلا كالفرزدق،ممن يمثل الشاعرية الأصيلة والسليقة القوية،يخضع لهذا اللون من النقد العلمي.،وإن كان لم يلبث أن عاد إلى قوله الأول،وأضرب عما عدل إليه،كما يقول أبو عبيدة وهو يحكي هذا الخبر:"فلقيه عبد الله ابن أبي إسحاق،وقد نجم تلك الأيام،واشتغل عنبسة،فقال:عيب عليك بيتك،وقد قال

---

126 - أحمد أحمد بدوي:أسس النقد الأدبي عند العرب، ص : 470.

127 - البيتان من القصيدة موجودان في ديوان الفرزدق ، المصدر نفسه ، ج 01 ، ص : 213 . مع تغيير في البيت الثاني حيث وضعت عبارة " نزجيها محاسير " مكان " تزجى مخها رير " .

الأعشى:(كل ملث صوبه ماطر).فقال:قد والله علمت ذاك،ولكن ابن النبطية شككني،فعاد إلى قوله الأول.ولكن منذ أن تشكك الفرزدق في أمره،وسلم لعنبسة،فقد مكن بذلك لهذا اللون من النقد، قوي جانب العلماء إزاء الشعراء))[128].و الحق أن هذه المساجلات بين العلماء و الشعراء في ذلك الوقت لم يكن لها مبرر بعد ،و ما تزال اللغة في عنفوان قوتها لم تشبها بعد شائبة ،و لاسيما عند أمثال الفرزدق . قد كان يجدر بالعلماء اتخاذ ذلك الموقف مع من جاء بعد الفرزدق ،و قد تفشى اللحن. و إن كان قد لوحظ حتى على القارئ الحجاج بن يوسف الثقفي – على فصاحته و بلاغته – أنه يلحن ، و أعني بالعصر الأدعى لثورة العلماء على المخطئين في قواعد اللغة من الشعراء العصر العباسي ،و قد تفشى الاختلاط في اللغة ،و ما تبعه من تفش في للحن .

إن الاستثناء الوحيد الذي جُعل للشعراء هو في حالة استقامة الوزن ، لأنهم يصطدمون بالوزن في حال احترام جميع القواعد النحوية .فـ((مما يتصل بمقياس النحو ما تحدث عنه النقاد من الضرورات التي تقع في الشعر.والضرورة عند الجمهور هي ما وقع في الشعر مما لا يقع في النثر،سواء أكان الشاعر يستطيع التخلص منه أم لا.وقد ألف العرب في ضرورات الشعر،وفصلوا القول فيها،حتى لكأنهم لم يدعوا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها،ولعل كتاب الضرائر من أوفى الكتب التي ألفت في هذا الموضوع.وإن كان ابن رشيق القيرواني يفرد للضرورات الشعرية في كتابه"العمدة في محاسن الشعر و نقده"بابا ويسميه:باب الرخص في الشعر،قد تحدث فيه عن جميع أنواع الجوازات أوالضرورات أوما أسماه بالرخص بالزيادة أوبالحذف ولاسيما ما يتعلق منه بالنحو.[129]

وموقف النقاد من الضرورات مختلف:منهم المتسامح مع الشاعر الذي لا يعد له ارتكاب الضرورة هفوة يحصيها عليه،ومنهم المتشدد الذي يرى واجبا على الشاعر أن يخلص قريضه من الضرورات اللسانية،وعليه أن يهجرها.،لأنها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة.

والحق أن الشعر المثالي الرائع هو الذي يخلو من ارتكاب ضرورة يجفوها السمع،و تبعد بالكلام عن أن يكون متسقا مع الشائع المألوف من كلام العرب.))[130].و لعل هذا التشدد بتحبيب ترك الضرورة وجعل ذلك دليل

---

128 - محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد و المذاهب الأدبية ، ص : 118 - 120.

129 - راجع في ذلك : ابن رشيق المسيلي القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و نقده ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة مصر ، ط 03 ، 1963 ، ج 02 ، ص : 269 و ما بعدها

130 - أحمد أحمد بدوي :أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص : 471 .

المقدرة وعنوان الأدبية والشعرية ، وحتى الفصاحة ، هو الذي أرجع الضرورة إلى حجمها الطبيعي .وهو الاستثناء والشذوذ لكيلا تصبح قاعدة تجر إلى ما هو أسوء خطرا وأبعد أمدا مما وضعت له في الأصل.ولهذه العلة قيدت هذه الضرورات وحددت ، أو قل بالأحرى ، حوصرت درءا لانفراط عقدها ،و تمزق حدودها ،فتبتعد عن مركز أصلها ،وعن القاعدة .فلا يقُدر عليها ،ويتم الوقوع فيما خُشيَ منه من ذهاب السنن ،ومن ثمة ذهاب اللغة الأنموذج .

والحق أن كتاب الضرائر " ضرائر الشعر " لابن عصفور الإشبيلي قد اشتغل على مسألة الضرورات الشعرية ،في إطار ما يتحتم على الشاعر القيام به خروجا عن المألوف من القياس اللغوي في العربية ،و حسب ما اطرد عند الشعراء حتى عد قاعدة للشذوذ .و هو المعبر عنه بـ" يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره". وإذا تساءلنا:أي الضرورات يتحدث عنها ابن عصفور ،إذا علمنا أن الضرورات تكون في النحو ،كما تكون في البلاغة ،كما تكون في العروض ،كما تكون في الصرف و في اللغة عموما ؟ أجابنا واقع التأليف عند ابن عصفور في هذا السفر الجليل القدر أن الضرورة التي يتحدث عنها كانت ضرورات نحوية بالدرجة الأولى .هذا إذا علمنا أن الصرف شقيق النحو ،و أنه منه ، فالمعنى أن الضرورة فيهما معا مع بعض الخروج إلى الضرورات البلاغية ،بالنظر إلى ارتباط البلاغة العميق بالنحو كما تمت الإشارة إليه من قبل .

فعبر فصول: (الزيادة ،النقص ،التقديم ،التأخير والبدل)يتحدث ابن عصفور الإشبيلي عن الضرورات التي اضطر إليها الشعراء، وهو عندهم متكرر منتشر مشهور لا يبلغ حد العيب والابتداع عند شاعر دون الآخر.وليس أدل على ذلك من أن ابن عصفور ذاته يبين أن العرب هي التي أجازت ذلك وليس شاعرا واحدا منفردا قد فعل ذلك .والهدف عنده ـ طبعاـ هو استقامة الوزن.فهو السبب الذي لأجله وردت هذه الضرورة.يقول ابن عصفور الإشبيلي :((اعلم أن الشعر لما كان كلاما موزونا يخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن،و يحيله عن طريق الشعر،أجازت العرب فيه ما لا يجوز في الكلام،اضطروا إلى ذلك أم لم يضطروا إليه،لأنه موضع ألفت فيه الضرائر.))[131] فمثلما سبقت الإشارة إليه يركز ابن عصفور على الغرض الذي وضعت لأجله الضرورات ،أو الأساس العُرفي (العرف الأدبي) المسوغ لوجود مثل هذه الضرورة . فلا يعقل ،بأي حال من الأحوال ،التطرف و الاعتذار بمقولة "يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره "فيلحن الأديب

131 - ابن عصفور الإشبيلي : ضرائر الشعر ، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس ، ط 02 ، 1982 ، ص: 13 .

في كلامه ، ثم يحسب اللحن على الضرورة ،و يتسع مجال الضرورة فلا يُقدر على الإمساك به .

إذن النحو من العلوم العربية التي حققت التجانس مع النقد العربي . و لاسيما حين نعرف أن الهيكل الذي يقوم عليه كل من النحو و النقد هو اللغة ،و من ثمة فالهيكل الذي يقوم عليه التعبير الأدبي الفني ( اللغة هو بدوره ) هو النحو.فلم ينقد العلماء العرب القدماء النصوص الأدبية نقدا نحويا أم بلاغيا أم صرفيا أم صوتيا أم نقدا ذا علاقة بفقه اللغة الأدبَ فقط ، بل نظروا إلى حاجة الأدب لاستقامة هذه الأمور والعلوم في الأدب ، ولحاجة الأديب والناقد إليها جميعا لكونها من أساسيات البناء الشكلي للنص العربي ،ولكونها من عوامل وأدوات صلاح النقد الأدبي،فهذا الجرجاني(عبد القاهر صاحب نظرية النظم)يشدد مرة أخرى في كتابه دلائل الإعجاز على مسألة أهمية النحو ، ويهاجم من عدوا النحو غير ضروري للأدب وللنقد فيقول :((وأن النحو عنده أكثر ارتباط بعلم المعاني والبلاغة منه بالقواعد المنطقية الجامدة التي لا تسمح بأي دور دلالي ثانوي.))[132]وبما أن النقد البلاغي كان هو الطاغي في العصور المتقدمة ،ولا غنى لناقد عن البحث عن الصور وبلاغية البيانية والكشف عنها وعن طبيعتها في النص الأدبي ، على اعتبار أن الأدب هو البيان ، فقد اعتُمد ،في مثل هذا النقد ،النحوُ المعبِّر عن التراكيب الإسنادية ،من تقديم و تأخير وتراكيب الصور البيانية ، أكثر مما عُرضت فيه قضايا النحو المنطقية والفلسفية .

النحو العربي و النقد الأدبي الحديث ( الاستمرارية و التواصل المحتشم )

قد علمنا أن النقد عند غير العرب يجعل العلوم اللغوية في الحسبان ، و من الأهمية بمكان بما في ذلك النحو،أو قواعد اللغة التي كتب بها الأدب . و إن كان في سابق نقد الأدب عند العرب ذلك محقق ، فقد تغلغل تحققه وراثة و حتى تأثرا ، مادمنا نعتمد اليوم في مناهج نقدنا على أوروبا ، وهي في مثل حالتنا هذه اللغات و الآداب و المدارس النقدية الأوروبية.،فـ(( عندما نعالج الصلات بين النقد الأدبي والعلوم الإنسانية،نريد ضمنا وعلى الأخص صلات التحليل النفسي،وعلم الاجتماع وعلم اللغة بالدراسات الأدبية أتحتفظ الفاعلية النقدية بخاصيتها المميزة أمام اتساع النماذج الطرائقية الموروثة عن العلوم الإنسانية؟))[133] . و لعل أبرز اتجاه ظهر فيه دور النحو في النقد الأدبي الغربي عند ظهور اللسانيات و ما تنبني عليه من مستويات التحليل اللساني ،

132 - محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص : 302 .

133 - جان لوي كابانس:النقد الأدبي والعلوم الإنسانية،ترجمة الدكتور فهد عكام ،دار الفكر ،دمشق سورية ، ط 01 ، 1982 .ص : 07 .

هو النظرية البنيوية منه وشموليتها للمستويات الصرفية والنحوية والتركيبية وغيرها .[134]

ما يزال النقد العربي لم ينغلق بابه بعد ، ذلك أن منظومته ما تزال منفتحة على مشارب و تطورات لا عد ولا حصر لها .سواء تعلقت بالحداثة و مناهجها الغربية أو بما بعد الحداثة و منبعها أيضا غربي أو حتى عند أنصار النقد الثقافي في الغرب و عند من تأثر بهم في هذا الميدان من الحداثيين العرب . و على العكس من ذلك رأينا المنظومة النحوية العربية تمت ،و أغلق باب الاجتهاد فيها . ذلك أن المادة الغضة الطرية التي كان يتصور أنها ما تزال منفتحة على البحث ،و هو الاختلاف بين النحويين في مدارسهم المختلفة سواء بالبصرة أم الكوفة أم بغداد أم مصر أم الأندلس ، و بناء هذا الاختلاف على الاختلاف الحاصل بين القبائل العربية تارة ،و على غيره من الأسباب تارة أخرى ، أقول حتى هذا الباب وقد أغلق. اللهم ما بقي من محاولات النحاة العرب المحدثين في تيسير – لكي لا أقول تجديد – النحو العربي و هو تام البنية ، و كامل المنظومة و مغلق باب الاجتهاد المؤدي إلى التجديد فيه . و لذلك نرى أنفسنا الآن أمام إشكالية و ثنائية المكتمل و غير المكتمل – لكي لا أقول أيضا الناقص – و أمام المنفتح و المنغلق .هذا إذا تحاشينا الحديث عن نحو عربي جديد متعدد بتعدد اللهجات و العاميات العربية الحديثة أمام سد القرآن المنيع في التصدي لهذا الانفتاح غير الباني بقدر ما هو هادم للغة العربية الأم .

ضمن فصل " لغة المسرحية بين الفصحى و العامية " يعرض الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه " في النقد المسرحي " إلى الصراع بين العامية و الفصحى – على ما بين الأمرين من صلة العلاقة . اللهم أن العامية تحريف و تغيير للفصحى في النطق أو في قواعد النحو – و ذلك من خلال مقال للدكتور محمد مندور منشور في مجلة الكاتب الصادرة في ديسمبر سنة 1961 .[135]

---

134 - راجع على سبيل المثال علاقة النقد باللسانيات في كتاب جان إيف تادييه : النقد الأدبي في القرن العشرين ، ترجمة :قاسم المقداد ، منشورات وزارة الثقافة و المعهد العالي للفنون المسرحية ، الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، د ط، 1993 ، ص : 267 و ما بعدها . كما يمكن مراجعة : العديد من الكتب التي تحدثت عن النقد الغربي سواء التقليدي المتطرق إلى النحو أو الحداثي من خلال علاقته بالأسلوبية و بالنظريات اللسانية و المناهج الشكلية الحديثة و تأثر العرب بها للدلالة حتى على حضور النحو حتى في نقد الحداثة العربية من خلال التأثر بالنقد اللساني الأوروبي ولاسيما الشكلاني الروسي ومن خلال ما ورثوه من الموروث النقدي الفني العربي المبني على دعامة النحو من بين الدعائم الأخرى .

135 - محمد غنيمي هلال : في النقد المسرحي ، دار العودة بيروت لبنان ، د ط ، 1975 ، ص : 77 و ما بعدها .

و على الرغم من أن المسألة قد تبدو لأول وهلة بعيدة شيئا ما عن مجال دراستنا في هذه المقالة ،و هو دور النحو في صياغة النظرية النقدية عند العرب ، إلا أن المسألة المثارة عميقة الصلة بحق بموضوعنا هذا ، ذلك إذا تفرسنا بدقة فيما يفرق العامية عن الفصحى. و معنى هذا أن مقياس النحو سوف يستبعد من ميدان دراسة الآداب الشعبية و الفلكلورية ،و لاسيما الناطقة منها بالعامية . مما يعني ظهور بدائل أخرى تحل محل النحو ،كمقياس نقدي ، وقد ظهرت ظهرت في النقد العربي الحديث .،لوجود آداب لا يسري عليها النحو العربي كما يسري على غيرها من الآداب الفصيحة قديمها و حديثها . فقد كانت من الهامش و أصبحت من صلب الثقافة الأدبية الرسمية و لم تتبن ببناء النحو العربي ، و مع مع ذلك فهي عربية .

إن كلاما كقول جبران خليل جبران:(( لكم لغتكم ولي لغتي،لكم من اللغة العربية ما شئتم ولي منها ما يوافق أفكاري وعواطفي...لكم منها ما قاله سيبويه والأسود وابن عقيل ومن جاء قبلهم و بعدهم من المضجرين المملين،ولي منها ما تقوله الأم لكفلها،والمحب لرفيقه والمتعبد لسكينة ليله))[136] ليشهّي كهان النحو و اللغة القديمة إلى التشمير عن سواعدهم و تسديد سهامهم و رماحهم النقدية ،إن لم نقل الاتهام بالزندقة للرجل ، و لكن جبران لم يتعد حرمة اللغة العربية ،و لا امتهن كرامتها، و لا مس نحوها بسوء. و إنما الرجل بصدد الإعلاء من شأن الفكرة على القوالب ،و المعنى على الأساليب .و ما أشبهه بالأسد الذي يزمجر حتى لا يقترب أحد من منطقته ، أو مذهبه .و ما هو بمعتد على من لم يعتد عليه . هي صيحة تخويف أطلقها جبران ،و إن كان جبران قد تعرض للنقد اللاذع من قبل العديد من نقاد عصره فيما يتعلق بلغة شعره ،على الرغم مما أحدثه ميخائيل نعيمة من دفاع عنه مبرئا ساحته مما اتهم به . فكما يقول العقاد في مقدمة كتاب الغربال لميخائيل نعيمة:((وزبدة هذا الخلاف أن المؤلف يحسب العناية باللفظ فضولا،ويرى أن الكاتب أو الشاعر في حل من الخطأ ما دام الغرض الذي يرمي إليه مفهوما مفيدا،ويعن له أن التطور يقضي بإطلاق التصرف للأدباء في اشتقاق المفردات وارتجالها...إن الكتابة الأدبية فن،والفن لا يكتفي بالإفادة،ولا يغني فيه مجرد الإفهام،و عندي أن الأديب في حل من الخطأ في بعض الأحيان،ولكن على شرط،أن يكون الخطأ خيرا وأجمل وأوفى من الصواب))[137] و هو تبرير – كما هو ملاحظ – من العقاد يتماسّ و الضرورة الأدبية وفق قول القدماء : " خطأ مشهور خير من صحيح مهجور " في

136 - حلمي مرزوق:تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين،دار النهضة العربية،بيروت لبنان،د ط، 1983 ،ص: 246 .

137 - المرجع نفسه ، ص : 239 .

تحقيق الوظيفة التواصلية للكلام عامة و الأدب المبين على وجه الخصوص . و ما قيل عن الصرف هنا و عن اللغة عموما يقال عن النحو و هو شقيق الصرف و ابن اللغة ، كما رأينا عند العقاد الناقد الذي لم يكن شديد اللهجة عليهم و هو – و إن كان لا يتفق معهم – قد التمس لهم الأعذار ،و جعل لفعلهم الشروط حتى يوافق الحق . إن العقاد هنا بصدد التقديم لكتاب نعيمة الذي يؤازر جبران و أضرابه في مسعاهم .

و الحقيقة أننا - و حسب ما رأينا من دعاوى القوم و الغلواء – نرى الكثير من الأدباء بدعوى التجديد ((يستخفون بالقواعد فإن أخذوا بأغاليطهم زعموا أنهم يحاولون جديدا على نحو من الأنحاء التي قدمناها.))[138]وقد انبرى لهم النقد فناصبهم العداء ،و استعدى عليهم قوى السياسة و الدين و المجتمع ، و حذر منهم و مما ذهبوا إليه.((وخلاصة القول أن دعوى التجديد في هذا الصدد من الدعاوى الفضفاضة التي لا نخرج منها بطائل في اللغة والأسلوب كما كانوا يزعمون.))[139]وهي الخلاصة التي وصل إليها النقد العربي الحديث في إقراره و اعترافه بالأهمية الكبرى للمقياس النحوي ،في صياغة النظرية النقدية العربية ،على الأقل عند النقاد العرب المحدثين من مثل نعيمة و العقاد و الحمصي و الخالدي و الرافعي و طه حسين و حتى عند مندور و من جاء بعده من الحداثيين ، و من نقاد المناهج اللسانية و السياقية الحديثة من العرب ، ممن يعطون القيمة للمقياس النحوي .و من ثمة دوره الرئيس في صياغة النظرية النقدية العربية .و إن كان المحدثون أقل تشددا بالنسبة للقدماء استمساكا بهذا المقياس ، فقد عده الأوائل دليل الأدب الجيد، و ربطوا جودة الجودة بوجوده .و تقليل المتأخرين من قيمته ،ليس بنكرانه، و إنما بالابتعاد عن النقد به ،و التأكيد على قيمته و أهميته في غير ميدان النقد سبيلهم .

لقد استفاد النقد العربي الحديث و المعاصر كثيرا من التطورات التي حصلت في الدرس اللساني في القرن العشرين ، بل و أصبح العديد من المناهج النقدية الحديثة و المعاصرة ترتكز على اللسانيات ، حتى بات يعرف للنقد مناهج لسانية ، فقد ((قد تعددت مناهج (النقد الألسني).وتداخلت مع المناهج النقدية الأسلوبية والبنيوية...منهج إمكانيات النحو،ومنهج النظم...منهج إمكانيات النحو:

يرى هذا المنهج أن الأسلوب الأدبي يستغل(إمكانيات النحو) لتوفير العنصر الجمالي.ومن أشهر رواده:ريتشارد أوهمان R. Ohman الذي يقول بالنحو التوليدي،ويرى أنه يكشف عن طبيعة الاختيارات التي ينزع إليها الشاعر في

138 - المرجع نفسه ، ص : 239.

139 - المرجع نفسه ، ص : 251.

تشكيل بناه السطحية،معتمدا على قواعد النحو التحويلي الذي يتيح الإجابة عن اختيار الأديب لنوع معين من البنيات اللغوية،وعلى البنيوية التي تبدو مصدرا للتشكيلات المتنوعة للبنيات السطحية))[140].ومهما كان الأمر يتعلق بالنحو التوليدي،أم بالبنيوية كمنهج ذي مرتكزات لسانية ، فالأمر ينبئ عن اتصال وثيق بين النقد الأدبي من خلال مناهجه الحديثة و المعاصرة و النحو العربي كركن رئيس في اللسانيات الحديثة التي أخذ منها النقد بعض خطواته المنهجية ليمارس اشتغاله على النص الأدبي .

ومع الوعي التام بأن هذه التطبيقات لا تختص باللغة العادية التخاطبية و إنما تتعلق بالنص الأدبي كمجال اشتغلت عليه هذه المناهج اللسانية أو المدارس النقدية ذات العلاقة باللسانيات . و لا يتعلق الأمر بالبنيوية و النحو التوليدي من خلال رائده"ريتشارد أوهمان" فحسب ، بل يتعدى الأمر إلى الأستاذ زيلغ سابيتي هاريس" Zelling Sabbetai Harris)و التلميذ زيلغ سابيتي هاريس" Zelling Sabbetai Harris)كعلمين من أعلام الدراسات النحوية و اللسانية في القرن العشرين .، فمن خلال اعتراف نوام شومسكي التلميذبأبحاث أستاذه"زيلغ سابيتي هاريس" وتحوله تحولا تحويلي،فقد((حدد هاريس بوضوح مفاهيم القاعدة والتعليمات الضرورية لتوليد جملة لغة ما،(انطلاقا من جمل لغة أخرى)كما حدد الفكرة المركزية لتحويل الجمل إلى رموز على شكل أصناف كلمات، أي تحويل البنى اللغوية إلى رموز))[141] فيقول هاريس في هذا المسعى:((إن الارتباط بين اللغة والمعنى يصبح أكثر اتساعا عندما ننظر إلى ترابط الكلام" connected discourse"(ويعلق جورج مونان فيقول:)وطالما أنه بالإمكان كشف هذه البنية الشكلية(التوزيعية)في الكلام،فهي بطريقة أو بأخرى مرتبطة بمعنى ما يقال.ويظهر هذا بشكل واضح في الأسلوب العلمي النموذجي،وفي شروح الأعمال التجريبية وفي الخطاب الرمزي(نصوص البراهين)وفي الرياضيات والمنطق بشكل أوضح...ولا نشعر أبدا بأن هاريس قد تجاوز في هذا المجال العموميات التي تسعى إلى أن تكشف من جديد أن توزيعات الجمل في الكلام تخضع لقواعد منطق وبلاغة قديمة كبلاغة شيشرون وبوردالو،أو جديدة كبلاغة بيرلمان مثلا))[142]متمنيا لو كانت هذه التطبيقات على نص أدبي من قبيل هذه النصوص التي ذكرها من خلال ما قال به من خضوع توزيعات الجمل في الكلام لقواعد منطق و بلاغة قديمة ، أو بعبارة أخرى كائنة في

---

140 - محمد عزام : التحليل الألسني للأدب ، ص : 101، 102 .

141 - جورج مونان:علم اللغة في القرن العشرين،ترجمة :نجيب غزاوي،وزارة التعليم العالي،الجمهورية العربية السورية ،د ط ،د ت .ص : 177 .

142 - جورج مونان:علم اللغة في القرن العشرين،ص: 193 .

النص الأدبي.و هو – في حقيقة الأمر – تمظهر من تمظهرات ارتكاز النقد الأدبي على اللسانيات و ما تنطوي عليه من عنصر النحو في اللغة ، من خلال حديث هاريس عن التوزيعية و تعليق جورج مونان على تطبيقاتها على النصوص البلاغية الأدبية القديمة ،و من خلال حديث ريتشارد اوعمان عن منهج " إمكانيات النحو " و عن علاقة البنيوية و الأسلوبية باللسانيات الحديثة و منها النحو .

كما نعثر أيضا على تجل آخر من تجليات علاقة النقد باللغة والنحو واللسانيات،وأعني بذلك ما يسمى بـ((منهج النظم:ويرى أن الأسلوب الأدبي يتميز بما يوفره من(نظم)أجزائه وتناسقها في إطار التركيب النموذجي.وعناصر التراكيب(الصوتية،النحوية،الدلالية) تؤلف شبكة من العلاقات المتناسقة لا تتوافر في اللغة وحدها فالكلمة،والعبارة،والشكل اللغوي الدال،تدخل في ألوان متنوعة من التضام، لتشكل أنماطا جديدة من البنى اللغوية،ويحدد تناسق عام في الأصوات والدلالات والأنماط التركيبية))[143]و هو أمر لا مناص منه مادامت اللغة تتكون من بنى تنتظم مع بعضها .

آخر تجل من ارتكاز النقد على الدراسات اللسانية نجده في النقد البنيوي من خلال ما يعرف بـ (( المستوى التركيبي ( النحوي ): و هو دراسة تراكيب معينة ، تنطلق من الظواهر اللغوية النحوية ، للكشف عن القوانين الداخلية التي تساهم في ضبط الممارسة الكلامية ، من حيث التسلسل و التناسق بين أجزاء الكلام ، كالتحكم في اندراج الكلمة مع الكلمة لتكوين الجملة ، و الجملة مع الجملة لتكوين الخطاب ، حيث تعد الجملة المحرك القوي للنص))[144]و حين يطبق هذا المستوى و يستخدم في تحليل النصوص الأدبية يكون هو النقد بعينه،ويثبت بالضرورة اتكاء النقد الأدبي على النحو من خلال تطبيقه لهذا المستوى .

خاتمة ( الصياغة و النظرية )

من خلال ما رأيناه من مسوغات اجتماع النقد بالنحو من حيث كونهما من علوم العربية ، و من خلال مفهوم كل حقل منهما و اشتراكهما في الضبط ، ضبط الكلام المفيد و ضبط الكلام الجميل ، و من خلال التأكيد على أهمية علم النحو و شرفه ، في النقد أو في غير النقد ، تحقق لدينا أن النحو مقياس من مقاييس النقد الأدبي عند العرب في القديم و في العصر الحديث ، فأما في القديم فقد تحقق ذلك من خلال تدخلات النحويين و اللغويين عموما في أشعار الشعراء حتى استقام حقل كامل من حقول النقد يسمى بالنقد اللغوي ، ارتبط

---

**143** – محمد عزام : التحليل الألسني للأدب ، ص : **102** نفسها .

**144** – محمد عزام : التحليل الألسني للأدب ،ص : **146** ، **147** .

في تلك الفترة بالنظم و بلاغته ، ثم ارتبط في العصر الحاضر بالأسلوب و باللسانيات و بالبنيوية و التحويلية و ما إليها من مستويات التحليل للكلام في مناهج النقد الأدبي الحديث و المعاصر و مدارسها و مذاهبها المختلفة ذات الاتجاه الأسلوبي البلاغي و اللساني اللغوي .

فهكذا إذن يحقق النقد الأدبي علميته ، من خلال سعيه وراء الموضوعية العلمية أولا ، و من خلال نشدانه الحقيقة المبررة بالذوق و بالمنطق ، و بالمنهج العلمي ثانيا ، و من خلال اعتماده على مقاييس علمية ، وعلى رأسها علم النحو ، و اللسانيات ثالثا .

إن النقد الأدبي العربي من خلال تعدد مشاربه و مناحيه و مقاييسه قد سعى دوما إلى التشكل ليكون نظرية نقدية ترتبط بمنهج علمي ، أقل ما يمكن أن يقال عن هذه النظرية المنهجية أنها شاملة ، شاملة من حيث الضوابط و المقاييس و الخطوات المنهجية متعددة المشارب المعرفية ، تجانسا و تغايرا ، و شاملة من حيث طرقها لجميع أجناس الأدب المتعددة و المتنوعة مع التنازل أحيانا عن بعض الخطوات المنهجية في النظرية الشاملة مراعاة لطبيعة هذا الجنس الأدبي أو ذاك .

النحو العربي كان أحد هذه المقومات و الخطوات المنهجية في صياغة و تكوين هذه النظرية النقدية العربية ، و أي كينونة له في هذه الصياغة ؟ ! لقد كان له شرف التجانس مع النص ،و كان له شرف الحضور الدائم ، على الرغم من تعدد النصوص من حيث الجنس الأدبي ، ثم كانت له ضرورة التواجد التي لا تكون النظرية من دونه، فلا يمكن التنازل عنه مطلقا . و من ثمة كان له الدور المحوري البارز و المكانة الرئيسة الخطيرة في صياغة و تكوين النظرية النقدية العربية من غير منازع أو مدافع أو مزاحم .

## قائمة المصادر و المراجع /

01- القرآن الكريم رواية ورش عن نافع .

02- إبراهيم السمرائي : لغة الشعر بين جيلين ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 1980 .
03-ابن رشيق المسيلي:العمدة في محاسن الشعر ونقده،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة، مصر،ط 03، 1963
04-ابن طباطبا العلوي:عيار الشعر،تح :عبد العزيز بن ناصر المانع، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق سورية ،د ط ، 2005 .
05- ابن عصفور الإشبيلي :ضرائر الشعر ، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس ، ط 02 ، 1982 .
07- ابن قتيبة:أدب الكاتب،تح: يوسف البقاعي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2003 .
08- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 1971 .
09- أحمد أحمد بدوي :أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة مصر ، دط ، 2003 .
10- أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة مصر ، ط 07 ، 1964.
11- امرؤ القيس : الديوان ،ضبط و تصحيح : مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د ط ، 2002 .
12- جان إيف تادييه : النقد الأدبي في القرن العشرين ، ترجمة : قاسم المقداد ، منشورات وزارة الثقافة و المعهد العالي للفنون المسرحية ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية ، د ط ، 1993 .
13- جان لوي كابانس:النقد الأدبي و العلوم الإنسانية ، ترجمة :فهد عكام ، دار الفكر، دمشق سورية ،ط 01 ، 1982 .
14– جورج مونان:علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: نجيب غزاوي ،وزارة التعليم العالي ، الجمهورية العربية السورية ،د ط ،د ت .
15- حلمي مرزوق:تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين،دار النهضة العربية،بيروت ،د ط، 1983.
16– عبد الصبور شاهين : في علم اللغة العام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط 04 ، 1984 .
17- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تعليق و شرح ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة مصر ، ط 01 ، 1969 .
18- الفرزدق همام بن غالب : الديوان ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ، ج 01 و 02 .
19- قدامة بن جعفر:نقد الشعر،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،دط،دت.

20- محمد زكي العشماوي:قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت لبنان،د ط، 1979 .
21- محمد طه الحاجري:في تاريخ النقد و المذاهب الأدبية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، د ط ، 1982 .
22- محمد عبد المطلب:البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون و الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان مصر، ط 01، .1994
23- محمد عبد المطلب:جدلية الإفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان ، و الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان القاهرة مصر ، ط 01 ، 1985 .
24- محمد عزام : التحليل الألسني للأدب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،الجمهورية العربية السورية ، د ط ، 1994 .
25- محمد غنيمي هلال : في النقد المسرحي ، دار العودة بيروت لبنان ، د ط ، 1975 .
26-محمد مهدي الشريف:معجم مصطلحات علم الشعر العربي ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط 01، 2004 .
27- ميشال زكريا:مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،ط 01، 1984.

# التاريخ

## المرأة الليبية في قورينا وسؤال الهوية ..

# المرأة الليبية في قورينا وسؤال الهوية ..

أ . الصديق بودوارة
أستاذ التاريخ القديم بجامعة عمر المختار / فرع درنة

الملخص
امتزجت قصة وصول الاغريق إلى ليبيا بالأساطير، وكذلك كانت قصة التواجد الأول للمرأة الإغريقية على الساحل الليبي لأول مرة ، مختلطاً بأسطورة اقتران الإله الاغريقي "أبوللو" بالحورية "كيريني" التي شاهدها للمرة الأولى في غابات "تساليا" اليونانية ، فطار بها إلى ليبيا حيث تزوجها هناك ، لتمهد هذه الأسطورة للتواجد الاغريقي على الأرض الليبية ، وكأنها تقدم مبرراً مبكراً للاستعمار المنتظر .

وإذا كان هيرودوتس قد كتب في تاريخه أنه (( خلال عهد "باتوس" المؤسس الذي حكم لمدة أربعين عاماً ، وخلال عهد ابنه الذي حكم ستة عشر عاماً كان عدد الكيرينيين الذين يسكنون المدينة نفس عدد الذين أُرسلوا في البداية للمستعمرة )) فأن هذا ينبهنا إلى أنه من الصعب تجاهل ملاحظة المؤرخ الفرنسي "فرانسو شامو" بخصوص استحالة أن يتمكن هذا العدد الصغير من تشييد مبان ضخمة في مدينة كيريني في ليبيا كمعبد أبوللو ، والمنطق يقتضي هنا أن العديد من المهاجرين قد بدأوا في التوافد على المستعمرة ، وهذا يعزز من فرضية قدوم إغريقيات إلى "كيريني" ، أو زواج الاغريق من ليبيات ، وهو ما تؤيده روايات الكتاب الكلاسيكيين الاغريق وبالتالي يمكن القول إن أسراً جديدة قد تكونت هناك ، منها الأسر الإغريقية الصرف ، ومنها ذلك الزواج المختلط الذي تم بين الإغريق والليبيات .
ولهذا فنحن نتحدث عن أزمة الهوية التي عانت منها المرأة الليبية وابنائها في الإقليم ، رغم أنها تأغرقت ، وعاشت مع مثيلتها الاغريقية في نفس الظروف ، ومارسن معاً نفس الطقوس وجمعتهما نفس العبادات ، لكنها ظلت أسيرة نظرة اعتبرتها مواطنة من الدرجة الثانية ، رغم أسبقيتها في التواجد ، وحضورها بدايات التأسيس .

## Summary

The arrival of the Greekian to Libya was merged with legends as was the existence of Greek woman on the Libyan coast for the first time. This was also mixed with the legend of the Greekician god "Apollo" with the mermaid "Kereny" whom he saw for the first time in the Greek Tsaliya forests and flew her off to Libya where he married her, opening up the road to the existence of Phoenicians on Libyan lands as if preparing an early alibi for the expected colonization.

Even in the history written by Hirodots stating that in the era of Patos, who ruled for 40 years, followed by his son who rules for 16 years, it was clear that the population did not experience any noticeable increase in numbers. This face makes it hard for us to ignore the notes of the French writer "Francois Shamo" when he dismissed any chance of a small population building such huge buildings in Kereny city as Temples for Apollo in Libya.

The logical explanation behind this great architectural achievement is that more immigrants started arriving to the colony, which suggests the arrival of Kereny women to the colony or the marriage of Phoenicians to Libyan women; a fact that is stated in various classical Greekian stories resulting in the creation of new families of pure Greekians and others of a Greekian and Libyan marriages

Therefore, we are facing an identity issue of which the Libyan woman and her children have suffered from in the region. Although she was "Greekianized" and lived as her fellow Greekians under the same circumstances and performed the same rituals and religious practices, yet she remained the prisoner of being a second degree citizen regardless of her pre-existence and presence in the early stages of establishment

**عناوين فرعية :**

# مجرد الاختلاف حول هوية أفراد "طبقة البيركوي" يُعتبر دليلاً على أن المرأة الليبية التي تأغرقت لم تكن تحظى بنفس المكانة التي حظيت بها الإغريقية النقية الأصل.

# في تاريخ الإغريق ما يؤيد فكرة أنهم لم يساووا في المنزلة بين أبناء المتأغرقات والإغريقيات ، كما حدث في اسبرطة بين الدوريين والسكان الأصليين .

# تقول الإسطورة إن المؤله " أبوللو" أُغرم بحوريةٍ تدعى "كيرينى" عندما شاهدها تصرع أسداً في غابات تساليا ، فانتزعها من عالمها طائراً بها إلى "ليبيا" حيث المكان الذي سيؤسس فيه الإغريق مدينتهم " كيريني" فيما بعد .

**البحث**

**تمهيد لا بد منه**

" قورينا " هي الاسم المعرب لكيريني ، المدينة التي بناها الاغريق في ليبيا عام 316 ق.م ، لتصبح واحدةً من أكبر وأشهر المدن الاغريقية في العالم القديم آنذاك .

لكن الإغريق ليسوا من ( أهل الدار ) كما يحاول البعض أن يروجوا ، وهم أيضاً ليسوا مجرد عشاق وأدباء وصلوا إلى الشاطئ الليبي في نزهة بريئة فامتزجوا ( فجأة ) مع السكان الليبيين وأنشأوا حضارةً عالية المقام ذائعة الصيت .

كل هذه أوهام لا تتكئ على تاريخ ، ولا تستند إلى شواهد أثرية ، كما أن الاعتقاد بها يدفع أصحابها ( دون قصد ) إلى تجاهل عذاب ومعاناة بشرٍ عانوا الأمرين من مرارة الغزو الإغريقي لأرضٍ ليبية في غابر الزمن .

إنهم بذلك يرشون السكر على جرحٍ ينبغي أن يُغمر بالملح كي لا ينام .. فالإغريق كانوا غزاةً حقيقيين ، كغيرهم من الغزاة الذين استباحوا تراب هذا الوطن ، وكل من كان هنا عانى من اثر قدومهم ، وأنا في هذه العجالة أحاول أن اتلمس جانباً من مرارة ما عانته المرأة الليبية من وضع اجتماعي لم يكن

بالتأكيد متساوياً مع مكانة المرأة الإغريقية الوافدة ، فليس الحاكم كالمحكوم ، وليس المنتصر كمن حاقت به الهزيمة وإن نسجت في خلاف ذلك الأوهام .

**مسألة تواجد المرأة الإغريقية في بداية التأسيس**

من الغريب أن التواجد الأول للمرأة الإغريقية في تاريخ الإقليم كان ممتزجاً بالأسطورة بعيداً عن الواقع ، إذ يورد بنداروس * في بوثيته التاسعة أن المؤله " أبوللو" أُغرم بحوريةٍ تدعى كيرينى عندما شاهدها تصرع أسداً في غابات تساليا ، فانتزعها من عالمها طائراً بها إلى كيريني حيث المكان الذي سيقيم فيه الإغريق مدينتهم فيما بعد .

ورغم انه لا يمكننا أن ندعى أن ولادة هذه الأسطورة كانت إيذاناً بقرب تنفيذ قرار الغزو ، لأن المدينة أسست في عام 631 ق.م ، بينما سبق للشاعر "هزيوديس " الذي عاش في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد إن ذكرها ، فهي إذن أسطورة قديمة ربما استعملت من جديد ، حتى إن " شامو" يعتقد أنه ربما كان انتقال الحورية من "تساليا" إلى "كيريني" عملاً قُصد به إضفاء المزيد من الشرعية على الغزو (1) ، كما أن مغزى زواج مؤله إغريقي ذائع الصيت مثل أبوللو بحورية تدعى كيريني لم يكن يرمى إلا إلى الإيحاء بأن قدوم الإغريق إلى الشاطئ الليبي كان أمراً قررته الآلهة قبل أن يعلم به البشر ، وليس صدفةً إن من ابتكر هذه الأسطورة قد اختار اسم كيريني بالذات للحورية الحسناء وهو نفس الاسم الذي اختاره الإغريق فيما بعد لمدينتهم الأولى في الإقليم ، إذ أن المعنى الرمزي يبدو واضحاً في هذه الأسطورة وضوح الشمس .

ومن المثير أن الأنثى قد اختيرت كنقطة بداية للتواجد الإغريقي منذ أن كان فكرةً تختمر في رؤوس أصحابها ،ويقول هيرودوتس إن عرافة دلفي كانت قد أخبرت أهل جزيرة ثيرا أن أحوالهم ستتحسن إذا ما أسسوا مع باتوس كيريني (2) ، وهذا يعنى إن اسم المستعمرة كان قد تحدد سلفاً مما يعطى المزيد من التأكيد على أن إعادة استحضار أسطورة الحورية والإله كانت مجرد تمهيد للغزو ، وأن هذه الفكرة لا تختلف في شئ عن ما ابتكره الاستعمار الحديث من أسباب واهية لتبرير احتلاله للعديد من الدول العربية في مطلع هذا القرن ، وإذا كان المؤرخ الكبير قد أورد في كتابه الرابع أن باتوس قد أبحر للمرة الأولى مع رفاقه بمركبين من ذوات الخمسين مجدافاً مما يعطي انطباعاً عن العدد المحدد الذي قدم إلى الشاطئ الليبي للمرة الأولى إلا أنه يجيب تقريباً على السؤال الذي يتعلق بإمكانية وجود نساء إغريقيات

على ظهر المركبين قائلاً إن أهل جزيرة ثيرا قرروا أن يرسلوا واحداً من بين كل أخوين يتم اختياره عن طريق القرعة ، ورجالاً من جميع أقاليم البلاد السبعة ، وأن يكون باتوس قائداً وملكاً لهم ، وهذا يعنى أنه لم يكن ثمة نساء مع القادمين الأوائل إلى ليبيا ، وتتطابق رواية هيرودتوس مع نص قسم المؤسسين الذي أورده فرانسوا شامو والذي يرد فيه : (( حيث أن أبوللو قد أمر باتوس والثيرانيين صراحة بالعمل على إنشاء كيرينى ، فإن جميع الثيرانيين قرروا إرسال باتوس إلى ليبيا كقائد وملك ، ولسوف يبحر الثيرانيون صحبته ، وعليهم أن يركبوا البحر في أحوال متساوية ومتشابهة بالنسبة لكل أسرة ، بواقع ابن عن كل منها ، ولتعلن في جميع القرى قوائم بأسماء الرجال الراشدين ، ويحق لكل رجل حر ولديه رغبة في الإبحار من بين بقية الثيرانيين أن يبحر . )) (3)

وهكذا نعرف أن النساء الإغريقيات تغيبن عن بداية تأسيس المستعمرة ولم يحضر سوى الرجال ، ويعزز هذا التصرف من قبل الإغريق ما عُرف عنهم من ميل إلى إبقاء المرأة داخل البيت تغزل خيوط الصوف وتعتني بالأطفال وتتولى شؤون الطبخ (2) ، إلا أنهن كن من ضمن الشهود على ساعة الميثاق الأول الذي تحدد بموجبه هذا القسم ، إذ يرد بالنص في قسم المؤسسين أنهم بعد أداء القسم (( استمطروا جميعاً اللعنات على كل من ينتهك هذا القسم ولا يفي به ، سواءً من بين أولئك الذين سيستوطنوا ليبيا أو من بين الذين ظلوا هنا في ثيرا ، ثم صاغوا تماثيل من الشمع وأحرقوها مستمطرين جميعهم ـ رجالاً ونساءً وأولادا وبناتاً ـ اللعنات التي تقول : ليذب كل من لا يفي بهذا القسم وينتهكه فينصهر شأن هذه التماثيل الشمعية هو وذريته وما ملكت يداه . )) (4)

وهكذا نرى أن حضور المرأة في بداية التأسيس كان بقدر ما تسمح به تقاليد الرجل الإغريقي ، وأن العدد المحدود من القادمين لأول مرة كانوا كلهم رجالاً ، مع ضرورة الإشارة إلى ما اعتقده فرانسوا شامو من إمكانية زيف قسم المؤسسين هذا (5) ، وهذه مسألة لا يشملها هذا الموضوع ، وإن كان قبولنا باعتقاد شامو سيجعل من التسليم بعدم اصطحاب النساء موضع شك هو الآخر ، لكننا ومن خلال الإطلاع على تاريخ الإغريق نرى أنهم لم يصحبوا معهم زوجاتهم لدى قيامهم بحصار طروادة الشهير ،كما أن الأوديسا الإغريقية المشهورة كانت كلها رحلة تصور عودة الرجل المحارب اوديسيوس ـ وهو أحد أبطال حصار طروادة ـ إلى منزله حيث تنتظره زوجته بعد طول غياب ، أي أن عدم اصطحاب النساء في الحروب والبعثات الاستكشافية لا يتناقض أبداً مع تقاليد المحارب الإغريقي ، لكن ومن ناحية أخرى وعند العودة إلى هيرودوتس نراه يذكر أن البعثة الأولى أبحرت سريعاً

إلى ليبيا واستوطنت بلاتيا كمرحلة أولى لمدة سنتين ، ثم عادوا بعدها إلى دلفي ، حيث أمرهم الوحي بالعودة مجدداً ، وهنا يمكن طرح احتمال وجود نساء مع العائدين الذين وصلوا إلى إزيريس هذه المرة ، حيث سكنوها لست سنوات ، وأقاموا على ما يبدو علاقات حسنة مع الليبيين في المنطقة بدليل أن هيردوتس يقول إنهم قادوهم ليلاً إلى موقع كيريني حيث أُنشئت المدينة ، وحيث يحتمل أن علاقات القادمين الجيدة مع الليبيين قد وفرت لهم اتصالاً مع ليبيات ، وإن كان الشك يعترينا حيال هذه العلاقات التي يقول العديد من البحاث إنها كانت جيدة ، لأن مجرد إقدام الليبيين على بذل الوعود بأن يجدوا لهم مكاناً أفضل يوحى بأن شعوراً من عدم الارتياح كان يسود بين الجانبين ، لأن الليبيين كان باستطاعتهم استيعاب هذا العدد القليل دون أن يضطروا إلى محاولة التخلص منه بإرشاده إلى مكان آخر ، ولكن يبدو أن قرار الانتقال الي موقع كيريني كان قراراً إغريقياً أملته رغبة الغزو والتوسع ، فنحن لا نستطيع القبول بأن قوماً من الإغريق ـ الذين اشتهروا بحبهم للتجوال والمغامرة وارتياد المجهول ـ سيمكثون لست سنوات كاملة في مكان واحد ودون حراك بانتظار أن يخبرهم الليبيون بوجود مكان آخر أخصب أرضاً وأوفر مياهاً ، وكذلك يمكن القبول باحتمال أن يكون هؤلاء القادمون قد عادوا بنسائهم في المرة الثانية بعد أن أصبحوا أكثر معرفة بالأرض وأكثر تأكداً من الفراغ الحضاري الذي كان يسود المنطقة وخلوها من المخاطر المفترضة ، ثم اكتشفوا بعد ذلك أن هناك أرضاً تتمتع بمواصفات أفضل فرحلوا إليها ، ويزيد من هذا الاحتمال ما ذكره هيرودوتس عندما قال إنه (( خلال عهد باتوس المؤسس الذي حكم لمدة أربعين عاماً ، وخلال عهد ابنه الذي حكم ستة عشر عاماً كان عدد الكيرينيين الذين يسكنون المدينة نفس عدد الذين أُرسلوا في البداية للمستعمرة )) (6) ، وهذا يبعث بالتأكيد على التساؤل عن ماكان يعنيه هيرودوتس ، إذ أنه من غير المنطقي أن ينقطع هذا العدد الصغير عن موطنه الأصلي دون أي اتصال ودون أن يتضاعف عدد أفراده طيلة ستة وخمسين عاماً ، وإذا كان وجود النساء الليبيات معهم كان احتمالاً شبه مؤكد ، فإن احتمال استغنائهم طيلة هذه الفترة الطويلة عن وجود نساء إغريقيات من بنات جلدتهم يبدو احتمالاً ضعيفاً ولا يقره المنطق ، وخاصة منطق الإغريقي المعتز دائماً بثقافته ومستواه الحضاري وتميزه عن بقية الشعوب بحيث أنه كان يدعوها بالبرابرة لمجرد أنها ليست إغريقية ، بالإضافة إلى أنه من الصعب تجاهل ملاحظة شامو بخصوص استحالة أن يتمكن هذا العدد الصغير من تشييد مبان ضخمة كمعبد أبوللو (7)، والمنطق يقتضي هنا أن العديد من المهاجرين قد بدأوا في التوافد على المستعمرة ، وهذا يعزز من فرضية قدوم إغريقيات إلى كيريني وبالتالي يمكن القول إن

أُسراً جديدة قد تكونت هناك ، منها الأسر الإغريقية الصرف ، ومنها ذلك الزواج المختلط الذي تم بين الإغريق والليبيات ،والذي يعزز من احتماله ما ورد في البوثية التاسعة لبنداروس بخصوص ابنة شيخ أو ملك قبيلة الجيلجامى التي تنافس على طلب يدها الإغريق والليبيون معاً ، إلى حد أنه قد تقرر إقامة سباق للعربات بين الخاطبين يحق للفائز به أن يتزوج منها ، وقد كان الفائز إغريقياً يدعى اليكسيداموس ، ويبدو أن المنافسة قد تحلت بالروح الرياضية لأن أورك باتس يذكر إن منافسيه الخاسرين قد حيوه في النهاية وهنأوه بالانتصار . (8)

وهكذا نرى أن تواجد المرأة الإغريقية في تاريخ الإقليم كان مسبوقاً بالأسطورة ، ثم بدأ في التواجد الفعلي مع تزايد أعداد المهاجرين إلى كيرينى وبدايات تأسيسها ، ثم انضمت المرأة الليبية المتأغرقة والتي تزوجت من رجل إغريقي إلى قوائم النساء الإغريقيات ليشكلن في مجملهن قصة تواجد المرأة الإغريقية في كيريني ، المستعمرة الإغريقية الأولى في ليبيا .

مسألة النساء الليبيات المتأغرقات

لجأ الإغريق الأوائل الذين كانوا فاتحة الغزو إلى الزواج من ليبيات مستغلين علاقاتهم الطيبة آنذاك مع الأهالي ، فتكونت أُسر جديدة من أزواجٍ إغريق وزوجات ليبيات وأبناء مختلطي العرق ، وإن صنفوا كإغريق بطبيعة الحال ، وقد سجلت المصادر الإغريقية ما يؤكد هذا الاختلاط مثلما ورد في البوثية التاسعة لبنداروس عن سباق العربات الذي أُقيم بين إغريق وليبيين للفوز بالزواج من ابنة زعيم قبيلة الجيلجامى الليبية ونشير هنا إلى أن هذه الحقيقة التاريخية تعود بنا إلى نقطة مشاعية العلاقات الجنسية عند القبائل الليبية ، واحتمال بطلانها وعدم صحتها ، إذ أن تهافت العديدين إغريقاً وليبيين على طلب يد فتاة ، واضطرارهم إلى إقامة سباق لهذا الغرض يعني إن إصدار حكم بالمشاعية على مجتمع يتنافس فيه الخطاب على طلب يد فتاة إلى هذا الحد ، هو حكم متسرع تنقصه الدقة ،على أن ملاحظة هيرودوتس بشأن اقتصار مستعمرة كيرينى على من أسماهم بالمهاجرين الأوائل طيلة حكم باتوس الأول ومن بعده اركسيلاوس ـ وهى الفترة التي دامت ستة وخمسين سنة كاملة ـ يطرح سؤالاً حول مدى اعتراف الإغريق بأبناء الليبيات واعتبارهم كإغريق أقحاح ، لأن زواج الرجال الإغريق من ليبيات تم منذ القدوم الأول لهم ، وبالتالي فأنه من الطبيعي أن يزداد عددهم بفضل أبناءهم من ليبيات طيلة هذه الفترة الطويلة ، لكن هيرودوتس يقول إن العدد لم يزدد طيلة هذه الفترة ، وهنا يطرح احتمال أن يكون هيرودوتس يقصد فقط العنصر الثيرانى الذي قدم من جزيرة ثيرا ، وشهد بدايات التأسيس مع باتوس الأول الذي دام حكمه أربعين عاماً كاملة كانت كافية لاستقرار الأمور هناك

(9)، أي أنه يقصد النواة الأولى للغزو وهذا أيضاً يعني أن أبناء الإغريق من ليبيات لم يعتبروا طيلة هذه المدة من ضمن الثيرانيين ، وقد كانت كيريني كعادة المدن الدورية الأخرى قد قسمت سكانها بين قبائل تتدرج حسب الامتيازات والمكانة الاجتماعية ، حيث شكّل المهاجرون الأوائل من جزيرة ثيرا والبرويكوى القبيلة الأولى ، وضمت الثانية المهاجرين من البلوبونيز وكريت ، والثالثة الإغريق الوافدين حديثاً . (10)

على أن طبقة البيرى أويكى بالذات كانت محل جدل واسع بين المؤرخين ، فقد تأغرق بعض الليبيين وساهموا في إنشاء المدينة ، وزوجوا بناتهم للإغريق ، وقاموا بزراعة الأرض جنباً إلى جنب مع المستعمرين الأوائل ، فمنحوا بالتالي حقوق المواطنة واعتبروا ضمن أفراد القبيلة الأولى صاحبة الامتيازات (11) ، لكن مؤرخاً آخر مثل شامو يقول إنهم كانوا إغريقاً اختاروا معيشة الريف مستنداً على ما عُرف به الإغريق من أنهم لا يمنحون حقوق المواطنة إلا للإغريقي الخالص ، وعلى هذا يظل التساؤل قائماً حول ما إذا كانت النساء الليبيات اللواتي تزوجن من إغريق قد تمتعن بحقوق المواطنة الكاملة إسوةً بالإغريقيات ، أم أنهن لم يتحصلن على هذا الحق إلا بعد فترة طويلة من الزمن بعد ما شرعه بطلميوس الذي اعترفت قوانينه بالسكان من أمهات ليبيات وأدخلتهم في عداد المواطنين (12) ، وربما كانت النساء الليبيات المتأغرقات قد استفدن قبل ذلك من تشريعات ديموناكس *التى وضعت الليبيين المتأغرقين وأغلبهم ضمن الطبقة الأولى ، ويبدو هذا أكثر منطقية كما يستنتج "رجب الأثرم" على أساس أن هذه التشريعات جاءت بعد انتصار الارستقراطية الإغريقية المتحالفة مع الليبيين المتأغرقين وبالتالي فإن خطوة الضم هذه تعتبر إرضاءً للحليف واستمالة له من جهة ، وتهدئة للأوضاع المحتقنة من جهة أخرى . (13)

على أن مجرد الاختلاف حول هوية أفراد هذه الطبقة ، وتعرضها للعديد من الاحتمالات ومن بينها أن يكون أفرادها من نسل المولدين من زيجات إغريقية ليبية قديمة (14) يعتبر دليلاً على أن المرأة الليبية التي تأغرقت بزواجها من إغريقي لم تكن تحظى بنفس المكانة التي حظيت بها الإغريقية النقية الأصل ، وبالتالى فأن أبناءها ربما عانوا هم أيضاً من مشكلة عدم الاعتراف بهم كمواطنين إغريق كاملي الأهلية ، وقد يرجح كفة احتمال أن النساء الليبيات المتأغرقات لم يحظين بمكانة لائقة رغم زواجهن من إغريق ، قد يرجح كفة هذا الاحتمال أن إغريق كيريني ، وبعد كل هذه السنوات التي بلغت الخمسة وستين عاماً بعد حكمي باتوس الأول وأركسيلاوس الأول بعثوا في طلب المزيد من المهاجرين الإغريق لتعمير وزراعة الريف الكيرينى ، رغم أن أبنائهم من الليبيات كان باستطاعتهم بالتأكيد القيام بذلك وكذلك حلفاؤهم من

الأسبوستاى ، خاصةً وقد أشارت المعلومات التاريخية إلى أن الليبيين عرفوا الزراعة منذ عصر ما قبل الأسرات ، حيث تحدثت المصادر المصرية عن استيلاء الفرعون مرنبتاح على ما في مخازن الرئيس الليبي من حبوب ، لكن لجؤ الإغريق إلى استقدام مهاجرين جدد كان تأكيداً على فكرة الغزو من جهة ، وعلى المبدأ الإغريقي المعروف بالاعتزاز بالهوية واستبعاد الآخر والحط من مكانته باعتبـاره بربرياً لا يتمتع بكونه إغريقي ، وبالنسبة للنساء الليبيات فقد كان إشارةً إلى أنهن لم يبلغن أبداً مكانة المرأة الإغريقية النقية الأصل رغم إنجابهن لأبناء إغريق وإن اعتبروا هم أيضاً من ضمن المولدين مختلطي النسب .

ولا شك أنه في تاريخ الإغريق ما يؤيد فكرة أنهم لم يساووا في المنزلة بين أبناء المتأغرقات والإغريقيات ، فالدوريون الذين أسسوا إسبرطة عاملوا السكان الأصليين كطبقة منفصلة يصنف أفرادها كعبيد للدولة ، وحتى لوتم تحرير البعض منهم فأنهم يصبحون نيوداموديس أي مواطنين جدد ويتمتعون بوضع أفضل من العبيد لكنه أقل من المواطن الكامل .(15)

على أن الأكثر تشابهاً مع وضعية المولدين من أمهات ليبيات كانت طبقة الموثونيز ، وهم أبناء الإسبرطيين من نساء الهيلوتس وهم السكان الأصليون ، وقد تمتع أفراد هذه الطبقة بالكثير من الامتيازات لكنهم لم يعتبروا أبداً مواطنين كاملين .(16) ، أما طبقة البيريؤكوى فهي ليست اختراعاً من إنتاج كيريني لأننا نعثر لها على وجود في إسبرطة قبل ذلك ، وقد ضمت الدوريين الذين اختلطوا بالسكان الأصليين ، أي أنهم ورغم كونهم دوريون أقحاح فقد صنفوا ضمن طبقة مختلفة لا يحق لأفرادها أن يرأسوا الإسبرطيين الخالصين وإن تمتعوا هم أيضاً بامتيازات كثيرة ، لكنهم مع ذلك كانوا أقل منزلة من سادتهم الإسبرطيين (17)

لهذا كله فإننا نرى أنه من المنطقي أن يصنف إغريق كيريني أبناء الليبيات المتأغرقات في منزلةٍ أقل من أبناء الإغريقيات النقيات الأصل ، وإن وضعوا في طبقة واحدة مع إغريق المجموعة الأولى ، إلا أن احتمال وجود نوع من التفرقة بين المرأتين يظل وارداً على أي حال ، ويعزز من احتمال وجوده ما ورد في الدياجراما التي صيغت عام 321 ق.م ونصت في إحدى بنودها على اعتبار منطقة السلوم الحالية ، أى كاتاباخموس الكبرى قديماً ، أقصى الحدود الشرقية لإقليم النساء الليبيات اللائي يُعترف بزواجهن من الكيرينيين الإغريق . (18)، وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن الدياجراما وضعت في عهد البطالمة ، أي بعد مضى فترة زمنية طويلة جداً على التأسيس ،فإن استمرار ذكر نساء ليبيات يعترف بزواجهن من إغريق بعد كل هذا الزمن الطويل من التواجد فإن هذا يعنى بحكم المنطق أن هناك قول آخر يرى بعدم الاعتراف

بهذا الزواج ولو من ناحية اجتماعية ، أي أن هناك نوع من التفرقة الاجتماعية ظل سائداً رغم التشريعات والقوانين الرسمية ، بالإضافة إلى ما نصت عليه الدياجراما من شروط لتحديد أصل النساء الليبيات القادرات على إنجاب أطفال يتمتعون بحق المواطنة الكيرينية خلال الفترة البطلمية (19) ، وهذا يعنى أن القول باندماج المرأة الليبية المتأغرقة في المجتمع الإغريقي اندماجاً كاملاً لمجرد زواجها من إغريقي هو قول ضعيف ترد عليه نصوص الدياجراما ، وترفضه طبيعة المجتمع الإغريقي المعتز دائماً بإغريقيته ، ولعل من الأدلة التي تؤيد هذه الطبيعة ما سجلته المصادر القديمة عن حرص الإغريق في كل مكان نزلوا به على تكوين جماعات تتسم بالطابع القومي وإنشاء الجمنازيوم وهو بمثابة كيان إغريقي مصغر يحرص الإغريق على عدم تسرب القوميات الأخرى إليه ، ولذلك كان هذا الجمنازيوم معقل حصين للحضارة الإغريقية يتشرب الداخل إليه مبادئ الثقافة الإغريقية من عبادات وعادات ، ويتجنب بذلك أى تأثير محتمل بثقافة المحيطين به (20) ، وقد أقيمت هذه الكيانات الإغريقية المصغرة في الإسكندرية ونقراطيس وأفروديتوبولس وبطولميس وطيبة وأومبوس وكل مكان تجمع فيه الإغريق في مصر (21) ، وقد أقاموها بالطبع في مدن الإقليم مثل توخيرا (22) وكيريني التى وصف "لاروند " مبنى الجمنازيوم الخاص بها بأنه الأكثر لفتاً للأنظار من بين كل ما شيد في المدينة في غابر الزمن (23)، حيث لا بد أنها عززت من فكرة نقاء الجنس الإغريقي ، هذه الفكرة التي كانت تعتبر حتى المقدوني بمثابة مواطن ذو منزلة أقل فما بالك بالليبيات ولو تجوزن من إغريقي خالص النسب ، وإذا كان إبراهيم نصحي يقول في الجزء الرابع من كتابه تاريخ مصر في عصر البطالمة أنه (( إذا كان إغريق مصر يعيشون حقاً في أوساط إغريقية ، فأنه يجب ألا ننسى أن هذه الأوساط كانت حتى في المدن الإغريقية تقوم في بيئة غريبة عن الحياة الإغريقية إلى أقصى حد،ولذلك فإن المحافظة على الروح الإغريقية بين إغريق مصر كانت لا تتوقف على تمسكهم بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم فحسب ، بل كذلك على تطعيم هؤلاء الإغريق باستمرار بدماء جديدة من بلاد الإغريق تكون بعيدة عن كافة المؤثرات الغريبة عن الروح الإغريقية )) (24) ، إذا كان هذا ما كتبه إبراهيم نصحي عن إغريق مصر فأننا نرى أنه ينطبق تماماً على إغريق كيريني الذين طعموا تواجدهم بدماء جديدة من بلاد الإغريق بعيدةً عن المؤثرات الليبية الداخلية ، وهذا يستلزم بالتالي أنهم لم ينظروا أبداً إلى النساء الليبيات المتأغرقات نظرةً مساوية إلى غيرهن من الإغريقيات نقيات النسب كما أسلفنا سابقاً .

إن كيريني وقد أصبحت مدينة مزدهرة لها علاقاتها الخارجية وسياستها المستقلة وتحالفاتها ، حتى أنها قامت بترسيم الحدود مع جيرانها الفينيقيين(25) ، وبعد أن وصلت إلى درجة كبيرة من الرسوخ والنضج ما كانت لتتخلى أبداً عن ما اعتادته بقية مدن الإغريق في كل مكان من العالم القديم من انتهاج نظرة تتعصب لكل ما هو إغريقي وترفض بإصرار مساواته بغيره من الثقافات من منطلق التفوق الحضاري الإغريقي .

ولهذا فنحن سنتحدث عن المرأة الإغريقية في الإقليم ولن نفصل بينها وبين المرأة الليبية التي تأغرقت ، على أساس أنهن عشن معاً في نفس الظروف ، ومارسن نفس الطقوس وجمعتهن نفس العبادات ، وسواءً نالت المتأغرقة حقها بالتساوي مع الإغريقية ـ وهذا ما نستبعده ـ أم لا ، فأنها مرت بنفس المتغيرات وعاشت في نفس الوسط ، لذلك سيكون استعراض أحوال المرأة الإغريقية في الإقليم استعراضاً واحداً دون تمييز للإغريقية أو المتأغرقة ، رغم أنه في حكم المؤكد أنه كانت للمرأة الليبية التي تأغرقت تأثيرات في المجتمع الإغريقي بحكم منطق تمازج الثقافات المختلفة ، إذ أن من علامات هذا التأثير التي لا يمكن تجاهلها ذلك الأثر الديني الواضح المتمثل في تحريم نساء كيريني وباركي تناول لحم البقر والخنزير تقديساً للمؤلهة المصرية إيزيس ، وقد أشار هيرودوتس إلى أن هذا التحريم كان موجوداً قبل قدوم الإغريق عند النساء الليبيات ، ويبدو أن استمراره وانتقاله إلى النساء الإغريقيات كان بحكم تأثرهن بمعتقدات النسوة الليبيات اللواتي تأغرقن واختلطن بغيرهن من الإغريقيات ، على أن هذا لا يمنعنا من التسليم مسبقاً بأن المتأغرقة سبقت الإغريقية في التواجد ، وشهدت أكثر منها بدايات التأسيس ،لكنها عانت وحدها مرارة نظرة متحيزة اعتبرتها مع أبنائها مواطنين من الدرجة الثانية تقل حقوقهم كثيراً عن حقوق غيرهم من الاغريق .

الهوامش

* بنداروس : ولد عام 518 ق.م في اقليم "بويئوتيا" في بلدة "كينو سكفلاي" ، وهو أعظم شعراء الإغريق الغنائيين ، وله " البوثيات " أو أناشيد النصر ، وقد خصص الرابعة والخامسة منها لمدح "أركسيلاوس الرابع" ملك كيرينى احتفاءً بفوزه في الدورة 31 للألعاب البيثية ، وحضر شخصياً إلى كيرينى لإلقائهما ، وله البوثية التاسعة التي كتبها احتفاءً بانتصار العداء الكيرينى "تيليسقراط" في الدورة 28 لنفس الألعاب ، وقد تغنى بجمال الحورية وبثراء ليبيا ووفرة قطعانها ووصفها بأنها أحسن حدائق زيوس .للمزيد يُنظر :

The Odes of Pindar ,Translation by Sir John Sandys, The loeb Classical Library, London 1961,IX.

(1) فرانسوا شامو ، الإغريق في برقة ، الأسطورة في التاريخ ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، الطبعة الأولى ، بنغازي ، 1990. فرانسوا شامو ، ص ص 80-87.

(2) محمد المبروك ذويب ، ترجمة الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، الطبعة الأولى ، 2003. محمد المبروك ذويب ، ترجمة الكتاب الرابع لهيرودوتس ، الفقرة 156.

(3) فرانسوا شامو ، مرجع سابق ، ص 126.

(4) C. Freeman , *Egypt, Greece & Rome*,London, P228.

(5) فرانسوا شامو ، مرجع سابق ، ص 127

(6) هكذا ورد بالنص عند هيرودوتس حسب ترجمة محمد المبروك ذويب للفقرة 159 من الكتاب الرابع . يُنظر : محمد المبروك ذويب ، مرجع سابق ، ص110.

(7) فرانسوا شامو ، مرجع سابق ، ص162.

(8) - O. Bates,O , The Eastern Libyans , London , 1970, p232.

(9) A. Sadawya , " *The Greek Settlement in Cyrenaica with notes on Pottery discovered There* " , Libya in History, 1968, pp93-98.

(10) عبد الكريم الميار ، قورينا في العصر الروماني ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، طرابلس ، 1978 . عبد الكريم فضيل الميار ، ص 136

(11) Jones ,A.H.M , The Cities Of The Eastern Roman Provinces, second edition, Oxford, 1971. p353.

(12) فرانسوا شامو ، مرجع سابق ، ص176 -177.

* ديموناكس : مشّرع ذائع الصيت من مدينة مانتينى في اقليم أركاديا ، كلف بوضع تشريع جديد لكيريني بعد تدهور الأوضاع السياسية في المدينة ، وقد وضع تشريعاته في عهد باتوس الثالث 550-527 ق.م . يُنظر : فرانسوا شامو ، مرجع سابق ، ص ص 177-178

(13) رجب الأثرم ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، منشورات جامعة قاريونس ، الطبعة الثالثة ، بنغازي ، 1998، ص.114

*14) فرانسوا شامو ، مرجع سابق ،ص176.*

(15) W.G. Forrest , *A History of Sparta ( 950-192 B.C )* , London,1968 pp.10ff.
(16) H. Michell , *Sparta*.1952,P16FF.
(17) لطفي عبد الوهاب ، اليونان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ص ص 134-144
(18) أندريه لاروند ، مرجع سابق ، ص283 .
(19) المرجع نفسه ، ص262 .
(20) M.M. Rostovtzeff , *Social and Economic history of the Hellinistic World*, Oxford,1967, pp 1059-1060.
(21) إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ج4 ، ط4 ، ص 116.
(22) J. Reynolds , *" Inscription of Roman Cyrenaic "* , Libya in History, 1968, p185.
(23) أندريه لاروند ، برقة في العصر الهلينستى من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، الطبعة الأولى ، 2002 . ص 520.
(24)إبراهيم نصحي ، مرجع سابق ، ص146 .
(25) جودتشايلد ، دراسات ليبية ، ترجمة عبد الحفيظ فضيل الميار واحمد اليازورى ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1999، ص 259 .

**المصادر والمراجع**


(1) The Odes of Pindar ,Translation by Sir John Sandys, The loeb Classical Library, London 1961.
(2 _) C. Freeman , Egypt, Greece & Rome,London.
(3) O. Bates,O , The Eastern Libyans , London , 1970.
(4) Jones ,A.H.M , The Cities Of The Eastern Roman Provinces, second edition, Oxford, 1971.
(5) W.G. Forrest , A History of Sparta ( 950-192 B.C ) , London,1968 .
(6 ) H. Michell , Sparta.1952.
(7) M.M. Rostovtzeff , Social and Economic history of the Hellinistic World, Oxford,1967.
(8) J. Reynolds , " Inscription of Roman Cyrenaic " , Libya in History, 1968.

(9) إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ج4 ، ط4 .
(10) جودتشايلد ، دراسات ليبية ، ترجمة عبد الحفيظ فضيل الميار واحمد اليازورى ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1999.
(11) أندريه لاروند ، برقة في العصر الهلينستى من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، الطبعة الأولى ، 2002 .
(12) عبد الكريم الميار ، قورينا في العصر الروماني ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، طرابلس ، 1978 . عبد الكريم فضيل الميار .
(13) لطفي عبد الوهاب ، اليونان ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
(14) رجب الأثرم ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، منشورات جامعة قاريونس ، الطبعة الثالثة ، بنغازي ، 1998.
(15) محمد المبروك ذويب ، ترجمة الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، الطبعة الأولى ، 2003. محمد المبروك ذويب ، ترجمة الكتاب الرابع لهيرودوتس .

## الادارة الرشيدة ودورها في الحد من الفساد الاداري والمالي في الاردن

## في ظل العولمة الاقتصادية

# الادارة الرشيدة ودورها في الحد من الفساد الاداري والمالي في الاردن
# في ظل العولمة الاقتصادية

**الأستاذ: غسان مصطفى احمد القضاة - ماجستير محاسبة- قسم العلوم المالية والادارية - جامعة البلقاء التطبيقية**
**د.علاء زهير الرواشدة – استاذ علم الاجتماع المشارك - قسم العلوم الاجتماعية**

**ملخص الدراسة**

تهدف الدراسة الى القاء الضوء على مفهوم الادارة الرشيدة في المؤسسات و الشركات في الاردن وبيان نشأأتها وتطورها واهميتها ومبرراتها ومحدداتها، مع التركيز على دور لجان التدقيق في مجالس الادارة وقد هدفت الى لفت انتباه الجهات المسؤولة الى خطر الفساد المالي والاداري. وقد توصلت الى مجموعة من النتائج كان من ابرزها. يؤدي الالتزام باليات الادارة الرشيدة وقواعدها إلى الحد من الفساد المالي والإداري ، وقد اوصت بالعمل على تطبيق مبادئ و اليات الادارة الرشيدة واعتبارها جزء من ثقافة المجتمع ، وضرورة التزام الشركات الحكومية بمبادئ الشفافية والإفصاح والمسائلة وغيرها من قيم العولمة الاقتصادية.

**الكلمات المفتاحية**الادارة الرشيدة، الفساد المالي، الفساد الاداري، العولمة الاقتصادية ،علم اجتماع التنظيم

## Corporate governance culture and its role in decreasing financial and administrative corruption in Jordan in light of economical globalization

**Abstract**

The study aimed to shed light on the concept of corporate governance in institutions and companies in Jordan and explain its beginning, developing and importance with focusing on the role of audit committees in the administration boards.

The study also aimed at drawing the attention of the responsible areas to the danger of financial and administrative corruption.
The researcher recommended working on educating the corporate governance to be a part of the people education. In addition, the necessity for the commitment of the public firms to transparency, clarity *accountability* and other economical globalization values.
**Keywords: *accountability*, administrative corruption, financial corruption, economical globalization.**

**المقدمة**

لقد ساهمت الأزمات و الآنهيارات و الفضائح التي حدثت في شركات أمريكية عملاقة مثل شركة أنرون للطاقة ، و التي تبعها أنهيار شركة أرثر أندرسون التي تمثل أكبر شركة تدقيق في العالم و ذلك لثبوت تورطها بأنهيار شركة أنرون أنفة الذكر و غير ذلك من العوامل التي ساهمت كلها بدفع مفهوم جديد الى الظهور و هو مفهوم الادارة الرشيدة في الشركات التي جاءت لتمثل الحل المناسب لمعالجة أسباب الأنهيار و أزمة الثقة التي ترتبت عليه و التي طال تأثيرها أغلب التعاملات في الأسواق العالمية و التي كان من أهم مسبباتها الرئيسية هو التضليل و ضعف مستوى التدقيق الداخلي والخارجي مما أدى الى فقدان الثقة في أدارات و مجالس الادارة لهذه الشركات و الانظمة الرقابية و المحاسبية المتبعة فيها الامر الذي أثر على مدى أقبال المستثمرين للأستثمار في تلك الشركات .و انطلاقاً من أهمية الادارة الرشيدة للشركات و ضرورة نقلها الى حيز التطبيق الفعلي فإن التدقيق يعد أحد ركائز هذا التطبيق ، أذ ينبغي أن يرتقي دور التدقيق الداخلي والخارجي في الشركات الى توجيه العمليات نحو النجاح من خلال فحص و تقويم النشاطات المالية و الادارية و التشغيلية ، و توفير المعلومات للإدارة بكل مستوياتها لمساعدتها في تنفيذ استراتيجيتها بشكل صحيح .وقد تمثلت المشكلة التي حاول البحث التصدي لها بافتقار الشركات إلى آليات الادارة الرشيدة التي من شانها أن تحد من مشكلة الفساد المالي والإداري التي تعاني منها هذه الشركات .ويهدف البحث إلى ايجاد اطار فكري لمفهوم الادارة الرشيدة ، وذلك من خلال تعريفها واستعراض نشأتها وتطورها ومبرراتها ومحدداتها ، وكذلك تناول موضوع الفساد المالي والإداري . وذلك بتعريفه

وبيان أسباب حدوثه وابرز مظاهره ونتائجه ، ومن ثم التطرق إلى دور آليات الادارة الرشيدة في الحد منه .

ان العولمة بابعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتكنولوجية، تفرض مجموعة من التحديات وعلى جميع المستويات ، تتطلب التكيف معها ومجاراتها من خلال الانظمام الى مؤسسات العولمة و الا سيكون مصير العديد من الدول الانعزال ومزيد من الهامشية ( الرواشدة،2008) ، ومن اهم قيم العولمة الاقتصادية المسائلة والشفافية والادارة الرشيدة ...لذا جاء هذا البحث لالقاء الضوء على دور الادارة الرشيدة في الحد من الفساد الاداري والمالي .

**مشكلة البحث**

تواجه اقتصادات العديد من الدول وخاصة تلك التي تمر بمرحلة انتقالية ،سواء كانت سياسية ، مثل التحول من الأنظمة الشمولية إلى الأنظمة الديمقراطية ،أو عند خصخصة الشركات والمؤسسات الحكومية وتحويلها الى شركات مساهمة أو اقتصادية مثل التحول من الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق تحد كبير يتمثل بزيادة فرص ممارسة الفساد المالي والإداري .لذا فان مشكلة الدراسة التي يحاول البحث التصدي لها هي انتشار ظاهرة الفساد المالي والاداري في الاردن. وتتركز في افتقار المؤسسات و الشركات إلى آليات للادارة الرشيدة التي من شانها أن تحد من مشكلة الفساد المالي والإداري التي تعاني منها الدولة.

**هدف البحث**

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم الادارة الرشيدة للمؤسسات والشركات ، نشأتها وتطورها ، أهميتها ومبرراتها ، وكذلك استعراض أهم آلياتها مع التركيز على دور لجان التدقيق في مجالس الإدارة باعتبارها ابرز دعائم تحقيق هذا المفهوم الجديد ، وعلاقة هذه اللجان باليتين اخريتين هما التدقيق الداخلي والتدقيق الخارجي . كما انه يهدف إلى لفت الانتباه جميع الجهات المسؤولة إلى خطر الفساد المالي والإداري ، وذلك بعد تحديد مفهومه وأسباب ظهوره ، واهم مظاهره ونتائجه على الاقتصاد الوطني بشكل خاص وعلى المجتمع بشكل عام ، ودور آليات الادارة الرسيدةفي الشركات للحد منه .

**أهمية البحث**

يستمد هذا البحث أهميته من خلال المحاور التالية:

**المحورالأول الفساد المالي والاداري:**

ويتمثل بخطورة الفساد المالي والإداري الذي استشرى في الشركات العامة والخاصة وما يتركه من آثار كبيرة على الاقتصاد الوطني ومن ثم على

المجتمع بأسره .في ظل معاناة مجتمعات العالم الثالث من مشكلات الفقر والبطالة والمرض والجهل والامية.

**المحورالثاني الادارة الرشيدة:**

تزايد الاهتمام بموضوع الادارة الرسيدة في الشركات في السنوات الأخيرة ، وكون أسسها ومبادئها والياتها تعد من المفاهيم الحديثة على المستوى العالمي بصفة عامة ، وعلى المستوى المحلي بصفة خاصة . وان الوعي بهذه المفاهيم وتطبيقاتها يؤدي إلى تحقيق قدر كبير من الشفافية والعدالة ، وكذلك منح حق مساءلة الشركة ، وبالتالي حماية حقوق المساهمين وجميع أصحاب المصالح فيها ، والحد من مشكلة الفساد المالي والإداري ، الذي يتمثل بشكل كبير في استغلال السلطة في غير المصلحة العامة للشركة.

**المحورالثالث التدقيق والرقابة:**

ويتم التطرق الى المعايير المحاسبية الدولية التي تتعلق بالافصاح وفوائدة بالنسبة للمستثمرينوالمالكين والممولين وحاملي الاسهم،المعايير الدولية التي تتعلق بالجودة،ودليل قواعد السلوك المهني للمحاسبين المهنيين الصادر عن الاتحاد الدولي للمحاسبين.

ويعتبرالبحث في هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التي تلقى اهتمام العلوم الادارية والمحاسبية والاقتصاديه وعلم اجتماع التنظيم ، وعلم اجتماع العولمة ، .

**منهج البحث:**

تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي من خلال استقراء الدراسات السابقة في هذا المجال وعلى أن يراعى أن تكون دراسات حديثة وذلك لتحقيق الهدف من البحث والإجابة على الأسئلة البحثية المتعلقة بمشكلة البحث حيث تم الاطلاع على عدد من البحوث والدراسات المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية المتخصصة ، وكذلك المنشورة على شبكة الانترنت ، بالإضافة إلى الاطلاع على آليات وقواعد الحوكمة الصادرة عن المنظمات والهيئات العالمية والمحلية ، وأخضعت للتحليل والمناقشة بما يخدم أهداف البحث ، ومن ثم اقتراح بعض التوصيات التي قد تساهم في اعطاء مرجعية مفيدة للشركات الحكومية.

**المحور الاول الفساد المالي والاداري:**

**مفهوم الفساد المالي والإداري**

مما لاشك فيه إن الفساد المالي والإداري أصبح سمة بارزة من سمات العصر الحديث ، رغم إن نشأته تعود في جذورها إلى بداية الخليقة ونشأت البشرية ويظهر الفساد جليا في وبمعدلات مرتفعة في الدول النامية بصفة عامة ،

وذات المستوى المعيشي المنخفض على وجه الخصوص . ويتجلى ذلك من خلال الأوجه العديدة للفساد المالي والإداري ، كانتشار الرشوة ، والتسيب بين الموظفين وضعف الإنتاجية وتفشي المحسوبية والوساطة وزيادة الروتين وتعقيد الإجراءات في تنفيذ المعاملات . والاردن شأنه شأن غيره فقد انتشر الفساد في قطاعات شتى عامة وخاصة وحتى الجمعيات الخيرية فقد طال الفساد الشركات المساهمة العامة ولم يعد مقتصرا على القطاع العام كما كان سائد سابقا ونتيجة لذلك فقد تم انشاء هيئة مكافحة الفساد عام 2006 كهيئة مستقلة لها صلاحية التحقيق والمتابعة في جميع قضايا الفساد في الاردن حيث قامت باكتشاف والتحقيق في العديد من القضايا ، كما اخضعة الحكومة مؤخرا الجمعيات والنقابات الى التدقيق على بياناتها المالية من قبل ديوان المحاسبة. وقد صرح رئيس وزراء سابق في معرض رده على استشراء الفساد في الاردن بأنه ضمن الحدود المسموح بها عالميا.

و سوف يتناول الباحث في هذه الفقرة مفهوم الفساد ، ومظاهره ، وأسبابه وآثاره وانعكاساته .

**1 . مفهوم الفساد .**

**تعريف الفساد :** لقد وردت تعاريف عديدة للفساد ، إذ لا يوجد تعريف واحد محدد له ، إلا أنها تمحورت جميعها على مضمون واحد وهو إساءة استعمال السلطة أو الوظيفة لتحقيق مكاسب شخصية ، أو خرقا للقوانين والسياسات والإجراءات التي توضع موضع التنفيذ ، لغرض تحقيق المنافع الشخصية على حساب المجتمع ، وذلك بإعطاء أو اخذ الرشاوى أو الامتيازات( محمد مصطفى 2006) .

**2 . أسباب ظهور الفساد المالي والإداري**

لا يمكن معالجة الظواهر السلبية التي تعاني منها المجتمعات مالم يتم تشخيص أسبابها وبواعث نشؤها . وقد حدد البنك الدولي World Bank مجموعة من الأسباب لظهور الفساد المالي والإداري أبرزها ما يأتي :

أ – تهميش دور المؤسسات الرقابية رغم انها قد تعاني من الفساد احيانا

ب – وجود البيروقراطية في مؤسسات الدولة .

ج – حصول فراغ في السلطة السياسية ناتج عن الصراع من اجل السيطرة على مؤسسات الدولة .

د – ضعف مؤسسات المجتمع المدني وتهميش دورها .

هـ - توفر البيئة الاجتماعية والسياسية الملائمة لظهور الفساد .

إضافة إلى ما تقدم ، يمكن تحديد ثلاثة أبعاد لأسباب حدوث الفساد المالي والإداري وهي :

**البعد السياسي ،** تتمثل أسباب الفساد الإداري والمالي بوجود ارادة اسياسية ضعيفة تتعايش مع الفساد كما حدث في بعض بلدان العالم الثالث كالصومال، فوجود مثل هذه الادارات وان أعلنت عن إصلاحات ، فإنها تبقى من قبيل العبث ، ويصبح من ثم وجود المصلحين بلا معنى ، حتى وان توفرت لديهم الجدية والرغبة الصادقة في الإصلاح . وبدون الإرادة السياسية ، فان مواجهة الفساد ستقتصر على الشكل ليس إلا ، ويبقى دور المصلحين مقتصرا على المناشدات والنداءات والتمنيات التي لا تغني ولا تسمن من جوع .

**البعد الاقتصادي ،** يتمثل في البطالة وتدني الرواتب والأجور وتباين الدخول بشكل كبير وانخفاض مستو المعيشة بشكل عام ، فضلا عن غياب الفعالية الاقتصادية في الدولة وكثرة الصفقات التجارية المشبوهة او الناتجة عن عمليات السمسرة يحتل الفساد المالي فيها حيزا واسعا .

**البعد الاجتماعي ،** يتجلى عندما يغدو لكل شيء ثمن فان الفساد قد اصبح هنا من صلب ثقافة المجتمع وبذلك يكون المجتمع في هذا الحالة قد ابتلي بما نسميه ثقافة الفساد ، وعندما يكون الفساد من صلب ثقافة المجتمع يصعب علاجه .

**نتائج وآثار الفساد على المجتمع:**

على الرغم من أن النتائج الأكثر بروزا وتأثيرا للفساد تكمن في الآثار الاقتصادية فأن هناك نتائج اجتماعية وإقليمية ومعنوية لا تقل تأثيرا ، غير أنه درجت العادة على تحديد النتائج ذات الطابع الاقتصادي باعتبارها الترجمة المباشرة لمفهوم الفساد في الموقع العام، وتحدد آثار الفساد ونتائجه ضمن هذا المفهوم على النحو التالي(محمود عبد الفضيل ، 2004). :

1. هدر الموارد : ويتمثل ذلك بتحويل مصادر الإيرادات العامة ومنعها من الوصول إلى خزينة الدولة لاستعمالها للصالح العام ، الأمر الذي ينعكس على تدني مستوى الخدمات المقدمة للمواطنين.

2. الحد من النمو الاقتصادي : نتيجة تحكم قلة من الأفراد أو المجموعات بأحجام كبيرة من مصادر الأموال العامة .

3. ضعف مستوى المعيشة: من الطبيعي أن يؤدي تسرب مبالغ مالية عامة إلى جيوب بعض الأفراد إلى خفض المصادر المتاحة لتنمية الاقتصاد وهذا يقابله إثراء كبير لبعض الأفراد وانخفاضا واسعا لمستوى المعيشة عند غالبية السكان.

4. الإخلال بمصداقية الدولة : تعتمد الدول وخاصة الدول النامية على مساعدات الدول الأخرى من اجل تنمية اقتصادياتها ، وفي حالة شيوع

ظاهرة الفساد ، وخاصة إذا أنتشر في أوساط المسؤولين التنفيذيين، فإن مصداقية الدولة تبدأ بالتأثر وتبدأ المؤسسات الدولية بالشك في قدرات هذه الدولة على تنشيط الاقتصاد وبالتساؤل عن مصير أموال المساعدات الأمر الذي سوف يعمل على تأخير فرص التنمية.

**5. ضعف فعالية الأداء العام : وكنتيجة حتمية ، فأن من شأن تفشي الفساد أن يؤدي إلى إضعاف الهيكل والتنظيم الإداري للدولة ويحرف مجموعة المسؤولين عن أداء المهام التي وجدوا من أجلها ، واللهو إما بمحاولات البحث عن فرصة للإثراء ، أو بالبحث عن هؤلاء الذين يحاولون الإثراء غير المشروع.**

مركز الشفافية الأردني وتقرير مؤشر مدركات الفساد في الأردن الصادرعن منظمة الشفافية الدولية

http://www.pheladelphianews.com/index.php?option=com_k2&view=item&id=2603:مركز-الشفافية-الأردني-وتقرير-مؤشر-مدركات-الفساد-في-الأردن-الصادرعن-منظمة-الشفافية-الدولية

قام مركز الشفافية الأردني برئاسة الأستاذ الدكتور هاندري عماري بإجراء دراسة تفصيلية حول مؤشر مدركات الفساد الصادر عن منظمة الشفافية الدولية ووسائل الحد من الفساد والتخلص منه وذلك بجمع البيانات والمعلومات و الأرقام المطروحة من قبل منظمة الشفافية الدولية, حيث تنشر المنظمة سنوياً تقرير مؤشر مدركات الفساد منذ عام 1995.
إن مؤشر مدركات الفساد لمنظمة الشفافية الدولية هو وسيلة لتعزيز مفهوم مستويات الفساد بين
الدول, واما الدراسة المطروحة فهي تقوم بمقارنة الأردن وباقي الدول لتدوين ترتيبها بين الدول ليتم تقييمها مع الدول المعنية بالدراسة. والدراسة التي تم تنفيذها تقوم على حصر نسب مدركات الفساد في الأردن عن الأعوام 2011-2001
مبينا فيه ترتيب الأردن بين الدول العربية والدولية وعدد الدول التي قيمت في كل عام. حيث ان مؤشر 10 يعني نظيف كلياً، و0 يعني فاسد كليا، ومعظم دول الخليج دخلت في المؤشر منذ عام 2003 لتسبق دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر والبحرين وعُمان بإستمرار الأردن في الترتيب، وهذا العام تجاوزتنا الكويت بسبب تراجع الأردن والسعودية.
مؤشر مدركات الفساد للأردن عن الأعوام 2001-2012

**!Fout**

| السنة | نتيجة المؤشر من 10 | الترتيب العربي | الترتيب الدولي | عدد الدول التي تم تقييمها |
|---|---|---|---|---|
| 2001 | 4.9 | 2 | 37 | 91 |
| 2002 | 4.5 | 2 | 40 | 102 |
| 2003 | 4.6 | 6 | 43 | 133 |
| 2004 | 5.3 | 4 | 37 | 145 |
| 2005 | 5.7 | 5 | 37 | 158 |
| 2006 | 5.3 | 5 | 40 | 163 |
| 2007 | 4.7 | 5 | 53 | 179 |
| 2008 | 5.1 | 5 | 47 | 180 |
| 2009 | .05 | 5 | 49 | 180 |
| 2010 | 4.7 | 5 | 50 | 178 |
| 2011 | 4.5 | 6 | 56 | 182 |

إن مؤشر مدركات الفساد لمنظمة الشفافية الدولية يقيّم ويرتب الدول طبقا لدرجة إدراك وجود الفساد بين المسئولين والسياسيين في الدولة، وهو يقيس مستوى إدراك الفساد لا الفساد نفسه، أي انه يعكس الصورة التي يراها المستفتون عن البلد المصنف بالنسبة للفساد الإداري والسياسي فيه والذي يفُسر بإعتباره استغلال المنصب للمنفعة الشخصية.

اما عن الطريقة الدولية لجمع البيانات والمعلومات فالمسوحات الدولية هي الطريقة معتمدة، وهي الأفضل وذات المصداقية العالية لتدوين ترتيب الدول على سلم مؤشر الفساد. وتعتمد هذه الطريقة على أخذ عينات من ومصادر مستقلة من استمارات واستفتاءات مختلفة تابعة لعدد من المؤسسات المستقلة (مثل Economist, Institute for management development, world economic forum, world bank, etc.)، وتوزع على رجال وسيدات أعمال وأكاديميين ومحللين ومغتربين متخصصين. تُحضر أمانة سر منظمة الشفافية الدولية هذا المؤشر مركزياً في ألمانيا تحت إشراف فريق من الباحثين والإخصائيين والخبراء، ولا تشارك الفروع المحلية للمنظمة وضع هذا المؤشر ولا تساهم فيه بأية طريقة ممن يؤمن الإستقلالية والحياد. فبعد جمع المعلومات من المصادر المختلفة يُعطى كل بلد عدداً من النقاط من أصل عشر نقاط.

وقارن عماري رئيس مركز الشفافية الأردني بين السنوات, حيث أن الترتيب من سنة الى أُخرى في السنوات لا يعكس صورة دقيقة للتغيير في مستوى ادراك الفساد في بلد ما. **فالمرتبة** قد تتغير بسبب دخول بلدان جديدة الى المؤشر، فمن الأفضل مقارنة النقاط التي تحتسب لكل دولة مع النقاط التي

حصلت عليها في الأعوام السابقة ومقارنتها بالمعدلين الدولي والعربي ومن ثم المرتبة التي حصلت عليها تلك الدولة.

وتعريف الفساد في منظور منظمة الشفافية الدولية والذي أنحصر بين يدي الباحث عماري يتمحور حول تركيز المؤشر على الفساد على القطاع العام. حيث تطرح الاستقصاءات المستخدمة في إعداد المؤشر أسئلة ذات صلة بسوء استخدام السلطة لتحقيق مصالح شخصية. على سبيل المثال، قبول الموظفين الحكوميين الرشاوى أثناء المشتريات أو اختلاس الأموال العامة، ومدى نجاعة جهود مكافحة الفساد بحيث يتم تغطية كلا من الفساد الإداري والفساد السياسي.

ويعتمد المؤشر فقط على مدركات الفساد لأنه من الصعب تقييم مستويات الفساد في مختلف الدول بناء على الخبرة العملية التجريبية، كالمقارنة مثلاً بين عدد الدعاوى أو القضايا المعروضة على المحاكم بين بلد وآخر. إن مثل هذه المعلومات لا تدل علي مستويات الفساد الحقيقية، بل علي نوعية المدعين العامين وصفاتهم ونوعية المحاكم و/أو وسائل الإعلام وأساليبها في الكشف عن الفساد. إن الأسلوب الوحيد لجمع المعلومات بغرض المقارنة هو البناء على خبرة ورؤية أولئك الأكثر تصادما بشكل مباشر مع واقع الفساد في دولة ما.

وحصرت مركز الشفافية الأردني الفساد في الأردن عن طريق نتائج تقرير المنظمة الدولية والتي تقود الى وجود ضعف في تأثير أداء المؤسسات على عملية مكافحة الفساد، بالرغم من وجود جهود حثيثة يقوم بها عدد كبير من المعنيين والمهتمين من القطاعين العام والخاص في الدولة، بالاضافة الى جهود مؤسسات المجتمع المدني وهيئات دولية معنية بمكافحة الفساد وتعزيز الحاكمية الصالحة.

والحل الوحيد لحل قضية الفساد في الأردن هو ضرورة ايلاء موضوع ادراك الفساد ومحاربته الأهمية القصوى على الصعيد الوطني، والسعي الفعال الى التعاون المثمر على كافة المستويات لدعم منظومة الحكم الصالح وتعزيز الشفافية وحق الوصول الى المعلومات. حيث يبرز هذا التقرير ضرورة العمل الجدي ليس فقط لإتخاذ اجراءات وتدابير تؤدي الى الإستقرار الاقتصادي والاجتماعي، بل ايضًا لتتعداها نحو اعادة تكوين العلاقة بين المواطن والدولة، واعتماد نظم المساءلة والمحاسبة، وتفعيل عمل كافة المؤسسات الرسمية، وارساء قواعد التعاون المشترك ما بين المؤسسات المحلية والدولية لمحاربة كافة أشكال وأنواع الفساد، وتفعيل التعاون فيما بين كافة شرائح المجتمع لما فيه المصلحة العامة.

وبالنهاية وضع مركز الشفافية الأردني النقاط على الحروف وكشف عن الأسباب التي تمنع نجاح جهود مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الفساد في الأردن ولخصها بعدة نقاط وهي:
دستوريا – كان من الصعب مقاضاة المسؤولين في المناصب الرسمية العليا قبل التعديلات والتحديثات الدستورية
قانونيا – القوانين المتعلقة بالعقوبات عادلة ورادعة ولكن لا يوجد قوانين واضحة في موضوع الفساد

**سياسيا – تمثيل المواطن في البرلمان غائبا**
تعاون – غياب الشراكة الفعلية بين المؤسسات الحكومية والغير حكومية
مدنيا – مؤسسات المجتمع المدني الخاصة بمكافحة الفساد عددها قليل وضعيفة في السنوات السابقة
توعويا – قلة وعي المواطن في ثقافة مكافحة الفساد
إقتصاديا – مساهمة القطاع الخاص في التنمية والرخاء الإقتصادي ضئيله
ثقافة – بعض العادات والحقوق المكتسبة والمحسوبية تشجع على ممارسة الفساد
اما عن وسائل علاج الفساد التي قام بتلخيصها المركز، فكانت كما يلي:
تجسيد مبادئ سيادة القانون والعمل المؤسسي
تنفيذ وتطبيق اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وبرامجها الأصلاحية وتدابيرها الوقائية
تحسين إدارة الشؤون والممتلكات العمومية وإعداد تشريعات تمنح المال العام حماية وحصانة أكثر
ترسيخ سياسات فعالة وواضحة لمناهضة الفساد كتعزيز وتطبيق معايير الشفافية والنزاهة وتعزيز الحاكمية الرشيدة والمساءلة والمحاسبة
تعزيز مشاركة مؤسسات المجتمع المدني والمجتمع في مكافحة الفساد
تبني معايير لتقييم اداء الجهات الحكومية والعامة وفقا لمتطلبات الشفافية والنزاهة وتحويلها إلى برنامج إصلاحي لها
زيادة الوعي والتثقيف بأهمية مكافحة الفساد الإداري والمالي بين موظفي الحكومة والقطاع العام للحفاظ على المال العام
وضع نظام نزاهة وطني من خلال تعديل القوانين أو إنشاء قوانين جديدة لهذه الغاية
تشجيع دور الإعلام المهني الحر والمسؤول
العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص

**مفهوم الادارة الرشيدة:**

هي عبارة عن نظام يقيس مقدرة الشركة على تحقيق أهدافها ، ضمن اطار أخلاقي محدد نابع من داخلها باعتبارها هيئة معنوية لها أنظمتها وهياكلها الادارية ، دون الاعتماد على سلطة أي فرد أو النفوذ الشخصي له. لقد أصبح هذا المصطلح الأكثر شيوعا في دنيا الأعمال. ولا تقتصر أهميته على المتعاملين في أسواق رأس المال بل امتد إلى منشات الأعمال ، والحكومات والدول ، والمؤسسات الدولية( صندوق النقد الدولي ومنظمة الامم المتحدة) ، خاصة بعد الانهيارات التي طالت كبريات الشركات في العالم ، والمدرجة في أسواق رأس المال في دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا، والمملكة المتحدة ، واليونان، و روسيا ، و اليابان ودول شرق آسيا .

أشاد الامين العام لجامعة الدول العربية الدكتور نبيل العربي بالجهود التي يبذلها الاردن في مجال مبادرة الادارة الرشيدة وبناء مؤسسات الدولة على المستوى العربي.

وقال في كلمة ألقاها في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر السنوي العام الثاني عشر الذي بدأ اعماله في القاهرة أمس السبت تحت شعار (الادارة الرشيدة وبناء دولة المؤسسات) «انني اتواجه بالشكر لحكومة المملكة الأردنية الهاشمية التي حرصت على متابعة رعاية هذه المبادرة وتوسيع أفق مجالاتها واهتماماتها.

واضاف ان هذه المبادرة تتوافق وتُعزز وثيقة التطوير والتحديث في العالم العربي التي أطلقتها القمة العربية في تونس عام 2004 والتي تعتبر إحدى المرجعيات الأساسية لعمل جامعة الدول العربية في هذا المجال.

واكد العربي بهذا الصدد اهمية تعزيز الادارة الرشيدة للموارد العربية ودعم المؤسسات من اجل تهيئة المناخ للخروج من دائرة التخلف والإحباط والانكسار، وتوظيف الثروات لصالح النهوض بالدول العربية، والعمل على التحكم في مقاليد الامور واستقلالية القرار، وتوفير الحياة الكريمة للمواطنين.

ويعقد المؤتمر على مدى ثلاثة ايام لبحث متطلبات الادارة الرشيدة وبناء المؤسسات بمشاركة مسؤولي الادارة في الدول العربية والاجنبية وشخصيات عربية ودولية رائدة في مجال الادارة وممثلين عن البرامج الدولية والاقليمية ذات العلاقة مثل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية .

http://www.addustour.com/ViewTopic.aspx?ac=%5CLocalAndGover%5C2012%5C09%5CLocalAndGover_issue1786_day09_id436556.htm#.UJYupG_A-uJ

وفي ضوء ما تقدم تتناول هذه الفقرة موضوع الادارة الرشيدة من خلال التعرض لمفهومها وأهميتها ومبرراتها .

**نشأت و تطور الادارة الرشيدة في الشركات**

تعود بداية هذا النظام الى فشل وافلاس العديد من الشركات في الولايات المتحدة الامريكية ، بسبب تنحي مجلس الادارة عن القيام بمسؤولياته وتفويض المدير التنفيذي ومساعديه، القيام بمعظم المهام الواجب عليه انجازها، مما سبب ضعفا في الرقابة الداخلية ، ومانتج عن ذلك من اللجوء الى تقديم الرشاوي لبعض المسؤولين.

وفي عام( 1992) قامت بورصة لندن في المملكة المتحدة بتأسيس لجنة كادبري ، حيث ضمت هذه اللجنة مجموعة من ممثلي مختلف الصناعات البريطانية ، قدمت تسعة عشر توصية ، تتعلق بمجلس الادارة ، وباعضاء مجلس الادارة التنفيذيين وغير التنفيذيين والابلاغ المالي والرقابة( Ronnie Hample 1998).

اما في عام 1999م قامت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بالتعاون مع البنك الدولي باصدار مبادئ للادارة الرشيدة في المؤسسات شملت عدة محاور تتعلق بالادارة وأصحاب المصالح وحقوق المساهمين ومسؤوليات مجلس الادارةومتطلبات الافصاح(http//:www. oecd.org).

أما عن جذور فكرة الادارة الرشيدة في الشركات فتشيرإلى إنها تعود إلى Berle & Means اللذين يعدان أول من تناولا موضوع فصل الملكية عن الإدارة ، وذلك في سنة 1932 . وتأتي لسد الفجوة التي يمكن أن تحدث بين مديري ومالكي الشركة من جراء الممارسات السلبية التي من الممكن أن تضر بالشركة وبالصناعة كلها (المجمع العربي للمحاسبين القانونيين2007)

**اهمية ومبررات الادارة الرشيدة:**

لقد زادت في الآونة الأخيرة أهمية الادارة الرشيدة للشركات بشكل كبير نظرا لدورهافي التنمية وتعزيز الرفاهية الاقتصادية لافراد المجتمع . وهذا الامر ظهر جليا بعد بعد ألازمة المالية الآسيوية 1997 – 1998 ، والانهيارات والفضائح التي طالت كبريات الشركات ، مثل شركة انرون Enron للطاقة وما تلا ذلك من سلسلة اكتشافات تلاعب الشركات في قوائمها المالية التي كانت لا تعبر عن الواقع الفعلي لها ، وذلك بالتواطؤ مع كبرى شركات التدقيق العالمية ، وهو ما جعل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD تصدر مجموعة من القواعد للادارة الرشيدةفي الشركات الخاصة في سنة 2004 وللادارة الرشيدة في الشركات المملوكة للدولة في سنة 2005 .

**فعلى الصعيد الاقتصادي** أخذت تتنامى أهمية القواعد السليمة للادارة الرشيدة للشركات ، وهو الأمر الذي أكده (Winkler 2004) بشدة ، حيث أشار إلى دوره في تحقيق التنمية الاقتصادية وتجنب الوقوع في مغبة الأزمات المالية ، وذلك من خلال ترسيخ عدد من معايير الأداء ، بما يعمل على تدعيم الأسس الاقتصادية في الأسواق وكشف حالات التلاعب والفساد المالي والإداري وسوء الإدارة ، بما يؤدي إلى كسب ثقة المتعاملين في هذه الاسواق ، والعمل على استقرارها والحد من التقلبات الشديدة فيها ، وبالتالي تحقيق التقدم الاقتصادي المنشود.

أما منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ( OECD ) فترى إن الادارة الرشيدة احد عوامل تحسين الكفاية الاقتصادية والنمو الاقتصادي ، بالإضافة إلى تعزيز ثقة المستثمرين.

**وفي الجانب المحاسبي والرقابي** تتجسد أهمية الادارة الرشيدة بما يأتي (Charter2003):

1. وجود قوانين وتشريعات ناظمة تعنى بحقوق المساهمين كحق التصويت وانتخاب مجلس الادارة والمدقق الخارجي وتعنى بتنظيم مجلس الادارة .
2. وجود لجنة تدقيق داخل الشركة يتمتع أعضاؤها بالاستقلالية وبمؤهلات مالية وخبرة جيدة ، بحيث تقوم هذه اللجنة بالمقام الأول بالتأكيد من وفاء الشركة بالمتطلبات المتعلقة بالادارة التنفيذية والتدقيق الخارجي واجراءات الابلاغ المالي من حيث الامانة والجودة.
3. محاربة الفساد بشقية المالي والاداري في الشركات .
4. تحقق اقصى درجات النزاهة والحيادية والاستقامة لكافة العاملين في الشركة بدءا من مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين وفي كافة المستويات الادارية.
5. العمل على التقليل من الاخطاء العمديه والانحرافات مامكن.
6. العمل على تحقيق الاستفادة القصوى من نظم المحاسبة والمراقبة الداخلية المعمول بها في الشركات.
7. تحقيق قدر كاف من الإفصاح والشفافية في القوائم المالية .

**الادارة الرشيدة في الشركات:**

يشير مفهوم الادارة الرشيدة، بشكل عام، إلى القواعد والمعايير التي تحدد العلاقة بين إدارة الشركة من ناحية، وحملة الأسهم وأصحاب المصالح أو الأطراف المرتبطة بالشركة ( حملة السندات والعمال والموردين والدائنين والمستهلكين من ناحية أخرى ). وبشكل أكثر تحديدا، يقدم هذا الاصطلاح إجابات لعدة تساؤلات من أهمها: كيف يضمن المالكون ألا تسيء الإدارة استغلال أموالهم؟ كيف يتأكد هؤلاء أن الإدارة تسعى إلى تعظيم ربحية وقيمة

أسهم الشركة في الأجل الطويل؟ ما مدى اهتمام الإدارة بالمصالح الأساسية للمجتمع في مجالات الصحة والبيئة؟ وأخيرا، كيف يتمكن حملة الأسهم وأصحاب المصالح من رقابة الإدارة بشكل فعال؟

**أهمية الادارة الرشيدة في الشركات**

منذ عام 1997، ومع انفجار الأزمة المالية الآسيوية، أخذ العالم ينظر نظرة جديدة إلى الادارة الرشيدة. والأزمة المالية المشار إليها، قد يمكن وصفها بأنها كانت أزمة ثقة في المؤسسات والتشريعات التي تنظم نشاط الأعمال والعلاقات فيما بين منشآت الأعمال والحكومة. وقد كانت المشاكل العديدة التي برزت إلى المقدمة أثناء الأزمة تتضمن عمليات ومعاملات الموظفين الداخليين والأقارب والأصدقاء بين منشآت الأعمال وبين الحكومة، وحصول الشركات على مبالغ هائلة من الديون قصيرة الأجل، في نفس الوقت الذي حرصت فيه على عدم معرفة المساهمين بهذه الأمور، وإخفاء هذه الديون من خلال طرق ونظم محاسبية "مبتكرة"، وما إلى ذلك. كما أن الأحداث الأخيرة ابتداء بفضيحة شركة إنرون Enron وما تلا ذلك من سلسلة اكتشافات تلاعب الشركات في قوائمها المالية، أظهر بوضوح أهمية حوكمة الشركات حتى في الدول التي كان من المعتاد اعتبارها أسواقا مالية "قريبة من الكمال".

وقد اكتسبت فكرة وجود ادارة رشيدة للشركات أهمية أكبر بالنسبة للديمقراطيات الناشئة نظرا لضعف النظام القانوني الذي لا يمكن معه إجراء تنفيذ العقود وحل المنازعات بطريقة فعالة. كما أن ضعف نوعية المعلومات تؤدى إلى منع الإشراف والرقابة، وتعمل على انتشار الفساد وانعدام الثقة. ويؤدى إتباع المبادئ السليمة للادارةالرشيدة في الشركات إلى خلق الاحتياطات اللازمة ضد الفساد وسوء الإدارة، مع تشجيع الشفافية في الحياة الاقتصادية، ومكافحة مقاومة المؤسسات للإصلاح.

وقد أدت الأزمة المالية بكثير منا إلى اتخاذ نظرة عملية جيدة عن كيفية استخدام الادارة الرشيدة في الشركات الجيدة لمنع الأزمات المالية القادمة. ويرجع هذا إلى أن الادارة الرشيدة في الشركات ليست مجرد شيء أخلاقي جيد نقوم بعملة فقط، بل إنها مفيدة لمنشآت الأعمال، ومن ثم فإن الشركات لا ينبغي أن تنتظر حتى تفرض عليها الحكومات معايير معينة لادارة الشركات، إلا بقدر ما يمكن لهذه الشركات أن تنتظر حتى تفرض عليها الحكومات أساليب الإدارة الجيدة التي ينبغي عليها إتباعها في عملها.

وعلى سبيل المثال، فإن الادارة الرشيدة للشركات الجيدة، في شكل الإفصاح عن المعلومات المالية، يمكن أن يعمل على تخفيض تكلفة رأس مال المنشأة. كما أنها تساعد على جذب الاستثمارات سواء الأجنبية أم المحلية،

وتساعد في الحد من هروب رؤوس الأموال، ومكافحة الفساد الذي يدرك كل فرد الآن مدى ما يمثله من إعاقة للنمو. وما لم يتمكن المستثمرون من الحصول على ما يضمن لهم عائدا على استثماراتهم، فإن التمويل لن يتدفق إلى المنشآت. وبدون التدفقات المالية لن يمكن تحقيق الإمكانات الكاملة لنمو المنشأة. وإحدى الفوائد الكبرى التي تنشأ من تحسين ادارة الشركات هي ازدياد إتاحة التمويل وإمكانية الحصول على مصادر أرخص للتمويل وهو ما يزيد من أهميتها بشكل خاص بالنسبة للدول النامية.

ان الادارة الرشيدةفي الشركات تعتمد في نهاية المطاف على التعاون بين القطاعين العام والخاص لخلق نظام لسوق تنافسية في مجتمع ديمقراطي يقوم على أساس القانون.

**محددات الادارة الرشيدة**

هناك اتفاق على أن التطبيق الجيدللادارة الرشيدة للشركات من عدمه يتوقف على مدى توافر ومستوى جودة مجموعتين من المحددات: المحددات الخارجية وتلك الداخلية. ونعرض فيما يلي لهاتين المجموعتين من المحددات بشيء من التفصيل كما يلي:

أ- ***المحددات الخارجية:***

وتشير إلى المناخ العام للاستثمار في الدولة، والذي يشمل على سبيل المثال: القوانين المنظمة للنشاط الاقتصادي ( مثل قوانين سوق المال والشركات وتنظيم المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية والإفلاس )، وكفاءة القطاع المالي ( البنوك وسوق المال ) في توفير التمويل اللازم للمشروعات، ودرجة تنافسية أسواق السلع وعناصر الإنتاج، وكفاءة الأجهزة والهيئات الرقابية ( هيئة سوق المال والبورصة ) في إحكام الرقابة على الشركات، وذلك فضلا عن بعض المؤسسات ذاتية التنظيم التي تضمن عمل الأسواق بكفاءة ( ومنها على سبيل المثال الجمعيات المهنية التي تضع ميثاق شرف للعاملين في السوق، مثل المراجعين والمحاسبين والمحامين والشركات العاملة في سوق الأوراق المالية وغيرها )، بالإضافة إلى المؤسسات الخاصة للمهن الحرة مثل مكاتب المحاماة والمراجعة والتصنيف الائتماني والاستشارات المالية والاستثمارية. وترجع أهمية المحددات الخارجية إلى أن وجودها يضمن تنفيذ القوانين والقواعد التي تضمن حسن إدارة الشركة، والتي تقلل من التعارض بين العائد الاجتماعي والعائد الخاص.

ب- ***المحددات الداخلية:***

وتشير إلى القواعد والأسس التي تحدد كيفية اتخاذ القرارات وتوزيع السلطات داخل الشركة بين الجمعية العامة ومجلس الإدارة

والمديرين التنفيذيين، والتي يؤدى توافرها من ناحية وتطبيقها من ناحية أخرى إلى تقليل التعارض بين مصالح هذه الأطراف الثلاثة.

وتؤدى الادارة الرشيدة في النهاية إلى زيادة الثقة في الاقتصاد القومي، وتعميق دور سوق المال، وزيادة قدرته على تعبئة المدخرات ورفع معدلات الاستثمار، والحفاظ على حقوق الأقلية أو صغار المستثمرين. ومن ناحية أخرى، تشجع الادارة الرشيدة على نمو القطاع الخاص ودعم قدراته التنافسية، وتساعد المشروعات في الحصول على التمويل وتوليد الأرباح، وأخيرا خلق فرص عمل.

**دور آليات الادارة الرشيدةفي الحد من الفساد المالي والإداري**

يعد الفساد المالي والإداري من اخطر المشكلات التي تعاني منها مؤسسات الدولة بصفة عامة ، والشركات الحكومية بصفة خاصة . ويتمثل الفساد المالي والاداري بالمكاسب والامتيازات التي يتم الحصول عليها بشكل غير مشروع ، والتي سبق وان أشار أليها الباحث آنفا ، ويترتب عليها تحمل الشركات تكاليف إضافية تنعكس على أسعار السلع التي تنتجها أو الخدمات التي التي تقدمها ، مما يضعف قدرتها على التنافس والبقاء و تؤدي الادارة الرشيدة دورا مهما في معالجة المشكلات التي تعاني منها الشركات ، والتي من أبرزها مشكلة الفساد المالي والإداري ، وذلك من خلال مجموعة من الآليات تم تصنيفها إلى آليات ادرة رشيدة داخلية وأخرى خارجية وكما يأتي (محمد مصطفى 2006 ):

**1 . الآليات الداخلية لادارة الشركات**

. يمكن تصنيف آليات ادارة الشركات الداخلية إلى ما يأتي :

**أ – مجلس الإدارة** نتيجة للتطور المتزايد والمستمر في العمليات المالية للشركات، أصبح حاجة ملحة على مجالس الإدارة أن تمارس مهمتها الرقابية والإشرافية بكل كفاءة وفاعلية على كافة الاعمال التي تمارس في الشركة وبما يعزز الحاكمية المؤسسية فيها، ويضمن التشغيل الامثل للموارد الاقتصادية للشركة، وينوب مجلس الإدارة عن المستثمرين في مسائلة المديرين التنفيذيين ومحاسبتهم عن أدائهم، وحتى تتمكن مجالس الإدارة من ممارسة دورها الرقابي والإشرافي يتطلب أن تكون على درجة عالية من الاستقلالية، وذلك من خلال وجود عدد من الأعضاء غير التنفيذيين في المجلس . إن وجود الأعضاء غير التنفيذيين لهم دورا مهما في الحاكمية المؤسسية، إذ يخفضوا من التحكم العائلي في مجالس الإدارة، ويحققوا مصالح المساهمين والادارة . (2005عوض سلامة ألرحيلي )

**ب- لجنة التدقيق**

لقد عرفت لجنة التدقيق من قبل الهيأة الكندية للمحاسبين القانونيين ( CTCA ) بأنها " لجنة مكونة من أعضاءمجلس إدارة الشركة الذين تتركز مسؤولياتهم في مراجعة القوائم المالية السنوية قبل تسليمها إلى مجلس الإدارة ، وتتلخص نشاطاتها في ترشيح المدقق الخارجي ومناقشة نطاق ونتائج التدقيق معه ، وكذلك مراجعة نظام الرقابة الداخلية للشركة والتأكد من فاعليته ، وكذلك التأكد من تطبيق قواعد الادارة الرشيدة في الشركات ، (عوض سلامة ألرحيلي2005 ). لقد حظيت لجنة التدقيق في الوقت الحاضر باهتمام بالغ من قبل الهيئات العلمية الدولية ، والمحلية المتخصصة والباحثين ، وبخاصة بعد الإخفاقات والاضطرابات المالية التي حصلت في الشركات العالمية . ويرجع هذا الاهتمام للدور الذي يمكن أن تؤديه لجنة التدقيق كأداة من أدوات الادارة الرشيدة في الشركات الى زيادة الثقة والشفافية في المعلومات المالية التي تفصح عنها الشركات ، وذلك من خلال دورها في إعداد التقارير المالية وإشرافها على وظيفة التدقيق الداخلي في الشركات ، وكذلك دورها في دعم هيئات التدقيق الخارجي وزيادة استقلاليتها ، فضلا عن دورها في التأكيد على الالتزام بمبادئ الادارة الرشيدة الشركات .

**ففي الولايات المتحدة الأمريكية** تم إصدار قانون Sarbanse Oxley Act في سنة 2002 ، الذي ألزم جميع الشركات بتشكيل لجنة التدقيق لما لها من دور هام في منع حدوث تلك الانهيارات المالية في المستقبل ، وذلك من خلال دورها في عملية إعداد القوائم المالية وكذلك في زيادة استقلالية كل من المدقق الداخلي والخارجي .

**أما في المملكة المتحدة** فقد صدر عددا من التوصيات بتشكيل هذه اللجنة ، من أبرزها تقرير Smith Report في سنة 2003 ، الذي تضمن العديد من التوصيات الخاصة بدور ومسؤوليات لجنة التدقيق وكيفية الإفصاح عن هذه المسؤوليات في التقارير السنوية للشركات (Smith Report 2003) .

وتجدر الإشارة إلى انه هناك **العديد من الدول** الأخرى مثل كندا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وماليزيا وسنغافوره قد ظهر فيها مفهوم هذه اللجنة منذ سنوات عديدة ، وتطور هذا المفهوم بعد صدور العديد من التوصيات والمقترحات لحل المشكلات التي تواجهها هذه اللجنة في الواقع العملي ، وبالشكل الذي أصبحت هذه اللجان في الوقت الحاضر أداة هامة من أدوات الادارة الرشيدة .

**ج - لجنة المكافآت**

توصي اغلب الدراسات الخاصة بالادارة الرشيدة للشركات والتوصيات الصادرة عن الجهات المهتمة بها بأنه يجب أن تشكل لجان المكافآت من أعضاء مجلس الإدارة غير التنفيذيين. وفي مجال الشركات المملوكة للدولة فقد تضمنت إرشادات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ( OECD ) تأكيدا على ضرورة أن تكون مكافآت أعضاء مجلس الإدارة و الإدارة العليا معقولة ، وذلك لضمان تعزيز مصالح الشركة في الأمد البعيد من خلال جذب المهنيين من ذوي الكفاءات العالية

**د - لجنة التعيينات**

يجب أن يتم تعيين أعضاء مجلس الإدارة والموظفين من بين أفضل المرشحين الذين تتلاءم مهاراتهم وخبراتهم مع المهارات والخبرات المحددة من الشركة . ولضمان الشفافية في تعيين أعضاء مجلس الإدارة وبقية الموظفين فقد وضعت PSCGT لهذه اللجنة مجموعة من الواجبات هي :

– أن تقوم لجنة التعيينات في الشركة مع مجلس الإدارة وبمصادقة الوزيرالمختص بوضع المهارات والخبرات المطلوب توافرها لدى عضو مجلس الإدارة والموظفين المطلوبين .

– يجب على لجنة التعيينات أن تضع آليات شفافة للتعيين، بما يضمن الحصول على أفضل المرشحين المؤهلين .

– أن تقوم اللجنة مع بقية أعضاء مجلس الإدارة بتقويم المهارات المطلوبة للشركة باستمرار .

– يجب أن تقوم اللجنة بالإعلان عن الوظيفة المطلوب إشغالها ، ودعوالمؤهلين لتقديم طلباتهم للتعيين.

– على اللجنة أن تتوخى الموضوعية ، وذلك بمقارنة مؤهلات ومهاراالمتقدم مع المواصفات الموضوعة من الشركة .

**2 . الآليات الخارجية للادارة الرشيدة للشركات :**

تتمثل آليات الادارة الرشيدة للشركات الخارجية بالرقابات التي يمارسها أصحاب المصالح الخارجيين على الشركة ، والضغوط التي تمارسها المنظمات الدولية المهتمة بهذا الموضوع ، حيث يشكل هذا المصدر احد المصادر الكبرى المولدة لضغط هائل من اجل تطبيق قواعد الحوكمةلادارة الرشيدة . ومن الأمثلة على هذه الآليات ما يأتي: (موسى سلامه 2006)

**أ - منافسة سوق المنتجات ( الخدمات ) وسوق العمل الإداري.**

تعد منافسة سوق المنتجات ( أو الخدمات ) احد الآليات المهمة للادارة الرشيدة لللشركات ، وذلك من خلال قيام الإدارة بواجباتها بالشكل الصحيح ( أو إنها غير مؤهلة ) ، إنها سوف تفشل في منافسة الشركات التي تعمل في

نفس حقل الصناعة ، وبالتالي تتعرض للإفلاس . إذن إن منافسة سوق المنتجات ( أو الخدمات ) تهذب سلوك الإدارة ، وبخاصة إذا كانت هناك سوق فعالة للعمل الإداري Labor Market للإدارة العليا .

**ب ـ الاندماجات والاكتسابات Mergers and Acquisitions**

مما لاشك فيه إن الاندماجات والاكتسابات من الأدوات التقليدية لإعادة الهيكلة في قطاع الشركات في أنحاء العالم . ويشير كل من ( John and Kedia2003 ) إلى وجود العديد من الأدبيات والأدلة التي تدعم وجهة النظر التي ترى إن الاكتساب آلية مهمة من آليات الادارة الرشيدة ( في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال ) ، وبدونه لا يمكن السيطرة على سلوك الإدارة بشكل فعال ، حيث غالبا ما يتم الاستغناء عن خدمات الإدارات ذات الأداء المنخفض عندما تحصل عملية الاكتساب أو الاندماج .أما في الشركات المملوكة للدولة فتشير OECD إلى إن الحكومة الصينية على سبيل المثال قد استفادت من هذه الآلية ، وذلك بعد إعطاء هذه الشركات قدرا من الاستقلالية في اتخاذ القرارات ومنها قرارات الاكتساب والاندماج ، ولكن تبقى الدولة بحاجة إلى أن تتأكد من عدم الإضرار بحقوقها كمالك للأسهم جراء مثل هذه القرارات المهمة التي تتخذها الإدارات ). www.oecd.oeg/daf2000)..

**ج ـ التدقيق الخارجي External Auditing**

يؤدي المدقق الخارجي دورا مهما في المساعدة على تحسين نوعية الكشوفات المالية ، ولتحقيق ذلك ينبغي عليه مناقشة لجنة التدقيق في نوعية تلك الكشوفات ، وليس مقبوليتها فقط . ومع تزايد التركيز على دور مجالس الإدارة ، وعلى وجه الخصوص لجنة التدقيق في اختيار المدقق الخارجي والاستمرار في تكليفه ، يرى Abbot and Parker إن لجان التدقيق المستقلة والنشيطة سوف تطلب تدقيقا ذا نوعية عالية ، وبالتالي اختيار المدققين الأكفاء والمتخصصين في حقل الصناعة الذي تعمل فيه الشركة( (Abbott, L. G. and Parker, S 2000

يمثل التدقيق الخارجي حجر الزاوية لحوكمة جيدة للشركات المملوكة للدولة ، إذ يساعد المدققون الخارجيون هذه الشركات على تحقيق المساءلة والنزاهة وتحسين العمليات فيها ، ويغرسون الثقة بين أصحاب المصالح والمواطنين بشكل عام ويؤكد معهد المدققين الداخليين في الولايات المتحدة الأمريكية Institute of Internal Auditiors ( IIA ) على إن دور التدقيق الخارجي يعزز مسؤوليات الحوكمة في الإشراف Oversight ، التبصر Insight والحكمة Foresight . ينصب الإشراف على التحقق مما إذا كانت الشركات المملوكة للدولة تعمل ما هو مفروض أن تعمله ويفيد في اكتشاف

ومنع الفساد الإداري والمالي . أما التبصر فانه يساعد متخذي القرارات ، وذلك بتزويدهم بتقويم مستقل للبرامج والسياسات، العمليات والنتائج . وأخيرا تحدد الحكمة الاتجاهات والتحديات التي تواجهها الشركة . ولانجاز كل دور من هذه الأدوار يستخدم المدققون الخارجيون التدقيق المالي ، وتدقيق الأداء ، والتحقق والخدمات الاستشارية .

د - **التشريع والقوانين**

غالبا ما تشكل وتؤثر هذه الآليات على التفاعلات التي تجري بين الفاعلين الذين يشتركون بشكل مباشر في عملية الادارة الرشيدة . لقد أثرت بعض التشريعات على الفاعلين الأساسيين في عملية الادارة الرشيدة ، ليس فيما يتصل بدورهم ووظيفتهم في هذه العملية ، بل على كيفية تفاعلهم مع بعضهم . فعلى سبيل المثال قد فرض قانون Sarbanes-Oxly Act متطلبات جديدة على الشركات المساهمة العامة ، تتمثل بزيادة عدد أعضاء مجلس الإدارة المستقلين ، وتقوية إشراف لجنة التدقيق على عملية إعداد التقارير المالية ، والطلب من المدير التنفيذي ( CEO ) ومدير الشؤون المالية ( CFO ) الشهادة على صحة التقارير المالية وعلى نظام الرقابة الداخلية ، ووضع خطوط اتصال فعالة بين المدقق الخارجي ولجنة التدقيق وتحديد قدرة المسؤولين في الشركة على المصادقة على المعاملات التي تخصهم في الشركة ، والتي قد تكون مضرة بمصالح المالكين وأصحاب المصالح الآخرين في الشركة . كما أناط مسؤولية تعيين وإعفاء المدقق الخارجي والمصادقة على الخدمات غير التدقيقية التي يمكن أن تقدمها شركات التدقيق لزبائنها بلجنة التدقيق.

## المحور الثالث: التدقيق والرقابة:

### الإفصاح في التقارير المالية:

**1- تعريف الإفصاح:**

لقد عرف مفهوم "الإفصاح" بالعديد من التعاريف، و فيما يلي عدد من هذه التعاريف، و قد ركز بعض الباحثين على الغرض من توضيح المعلومات المالية، فقد تطرق كثير من الكتاب إلة مفهوم الإفصاح، و أهميته في اتخاذ القرارات فعرفوه بأنه نشر المعلومات الضرورية للفئات التي تحتاجها و ذلك لزيادة فعالية العمليات التي يقوم بها السوق المالي، حيث أن الفئات المختلفة تحتاج للمعلومات لتقييم درجة المخاطرة التي تتعرض لها الشركة للوصول إلى القرار الذي تستطيع من خلاله تحقيق أهدافه و التي تتناسب مع درجة المخاطرة التي ترغب بها(خالد امين 1995)

أن الإفصاح كمفهوم نسبي يحقق كثيرا من المزايا للمستثمرين و الدائنين و إدارة المشروع و غيرهم من المستفيدين، يقتضي إعلام متخذي القرارات الاقتصادية بالمعلومات المهمة، و يهدف إلى ترشيد عملية اتخاذ القرارات و الاستفادة من استخدام الموارد بكفاءة مما ينعكس بالتالي على زيادة درجة الرفاهية للاقتصاد القومي عامة.

- **أنواع الإفصاح:**(خالد امين مرجع سابق)

**أ- الإفصاح المثالي:** و هو الذي لا يتحقق الابتحقق الشروط التالية:

1. أن تكون القوائم المالية المنشورة على درجة عالية من التفصيل.
2. أن تكون أرقام القوائم المالية على درجة عالية من الدقة و المصداقية.
3. أن يتم عرض القوائم المالية بالصورة و في الوقت الذي يتناسب مع احتياجات و رغبات كل طرف من الأطراف ذات المصلحة على حده.

**ب- الإفصاح الواقعي:** و هو الذي يركز على الموازاة ما بين الفائدة أو العائد الذي سيتحقق من المعلومات و بين كلفة نشر تلك المعلومات، و يمكن تعريفه بأنه الإفصاح الممكن أو المتاح، و معيار هذا الإفصاح هو المرونة في إطار عناصره الرئيسة التي تشمل طبيعة المعلومات، بمعنى أنه يجب على التقارير المحاسبية أن تفصح عن جميع المعلومات.

**أهمية الإفصاح في البيانات المالية للشركات**

تعتبر المؤسسات الاقتصادية في أي بلد حيث تشكل عاملا هاما في ازدهار الأعمال و تقوم بالمحافظة على الثقة في الاستثمار و الاقتصاد و ذلك من خلال علاقتها الوثيقة مع الهيئات المشرعة و الحكومية، و من خلال تقيدها بالتشريعات و الأنظمة المفروضة عليها، لذلك فإن البيانات المالية للشركات تعتبر من المصادر الهامة للمعلومات بالنسبة لمتخذي القرارات الاقتصادية، و أن الإفصاح الكافي في هذه البيانات سوف يساعد متخذي القرارات الاقتصادية في تقييم المركز المالي و الأعمال و الإنجازات التي تقوم بها ، و فهم المواصفات و الميزات الخاصة لطبيعة أعمال هذه الشركات، و قد ازدادت أهمية الإفصاح في البيانات المالية للمؤسسات حديثا للأسباب التالية( خالد امين مرجع سابق):

أ- إصدار تشريعات لضمان حقوق المستثمرين حيث لم يبق هناك مبررات لإدارات الشركات المساهمة للتهرب من الإفصاح عن المعلومات بحجة الحرص على حماية مصالح المساهمين.

ب- إلزام الشركات المساهمة من حيث شروط و قواعد الإفصاح للوائح التي تصدرها لجنة البورصة الأمريكية Securities and Exchange Commission بشأن الإفصاح عن المعلومات في البيانات المالية المنشورة للشركات المساهمة الأخرى المدرجة فيها.

ج- قيام لجنة معايير المحاسبة الدولية بإصدار المعيار المحاسبي الدولي رقم (5) المتعلق بالإفصاح في البيانات الخاصة بالشركات.

**هـ- العوامل التي تؤثر على الإفصاح:**

يوجد عدد من العوامل التي تؤثر على درجة الإفصاح بالتقارير المالية و قد أمكن تقسيمها إلى: عوامل بيئية تتعلق بالمجتمع الذي تعد فيه التقارير المالية، و أخرى تتعلق بالمعلومات المالية التي يتعين الإفصاح عنها، و أخيرا هناك عوامل تتعلق بالوحدة الاقتصادية ذاتها و يتضح ذلك فيما يلي:

**أ- عوامل بيئية:**

تختلف التقارير المالية من دولة لأخرى لأسباب اقتصادية و اجتماعية و سياسية( Eldon Hendriksen,1992):

، و عوامل أخرى ناتجة من حاجة المستفيدين إلى مزيد من المعلومات الإضافية عن التغيرات البيئية و أثرها على المشروع، بغرض المقارنة بين الوحدات الاقتصادية مع بعضها و تحديد المسؤولية الاجتماعية لكل منها.

و يبدو ذلك من المقارنة بين التقارير المالية التي تعد في كل من انجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية حيث يحدد قانون المؤسسات في انجلترا التقارير التي يجب إعدادها و طرق عرض المعلومات المالية في القوائم المالية و العلاقة بين هذه المعلومات و المعلومات الأخرى الواردة بتقرير الإدارة، و أشار قانون المؤسسات الانجليزي أيضا إلى ضرورة توزيع هذه التقارير على المساهمين لمناقشتها قبل إقرارها.

بينما لا يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية قانون للشركات يحدد المعلومات التي يجب أن ترد بالتقارير المالية، و إنما تعد في ضوء المبادئ المحاسبية المقبولة، و هي تحوي غالبا تقرير مجلس الإدارة و قائمة الدخل و قائمة المركز المالي، و قائمة التدفق النقدي، بالإضافة إلى بعض المعلومات الإحصائية الأخرى، و قد يرجع أسباب هذا الاختلاف بين التقارير المالية و المعلومات الواردة بها في كل من انجلترا و أمريكا إلى السلطة التي تشرف و تراقب على هذه الشركات، و مدى حاجة المستفيدين أو من يمثلهم من المعلومات المالية حيث يهتم المستثمر في أمريكا أساسا برقم صافي الدخل بينما يهتم المستثمر في انجلترا بقيمة المبالغ الموزعة و مدى قدرة المشروع على سداد التزاماته في المستقبل.

**ب- عوامل تتعلق بالمعلومات:**

تتأثر درجة الإفصاح في التقارير المالية بالمعلومات التي يتم الإفصاح عنها و مدى توافر عدد من الصفات للحكم على كفاءتها و أهمها أن تكون المعلومات ملائمة للقرارات التي سيقوم باتخاذها أغلب المستفيدين منها و أن تكون هناك ثقة في هذه المعلومات عند الاستفادة منها، بالإضافة لقابليتها للتحقق و المقارنة و في هذا الصدد أشارت لجنة معايير المحاسبة المالية كما هو مبين إلى أن المعلومات الواردة في التقارير المالية ليست إلا أداة تتوقف منفعتها على مدى الاستفادة منها، و ذلك من خلال تعريف اللجنة.

**ج- عوامل تتعلق بالوحدة الاقتصادية:**

و هذه المجموعة من العوامل ترتبط بالوحدة الاقتصادية مثل حجم المشروع، عدد المساهمين، صافي الربح ... إلى غير ذلك من العوامل.

وتلعب الجودة دورا بارزا في تحقيق اعلى درجات الكفاءة والفاعلية من خلال تقديم المنتجات لطالبيها. وهنا سوف يتم الحديث عن مفوم الجودة ودورها في محاربة الفساد المالي والاداري:

**أولاً :- مفهوم ومتطلبات رقابة الجودة:-**

يمكن تعريف الجودة على انها مجموعة من السياسات والاجراءات والطرائق التـي يمكـن
صياغتها بهدف تحقيق أعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية في نوعية المنتج المقـدم أو طبيعـة
الخدمة المقدمة (العمري، 43 :2006) وعليه فان الجودة تعني النوعية الجيـدة وفقـاً لمنظـور
الزبون وبالشكل الذي يحقق رضاه من المنتج أو الخدمة المقدمة له.

اما جودة التدقيق فقد عرضها Deangelo بانها احتمالية قيـام المـدقق باكتـشاف التحريفـات
الجوهرية في القوائم المالية والابلاغ عنها كما عرفها Deis & Giroe بأنها الاحتماليـة التـي
سيكشف بها مراقب الحسابات نقاط الضعف أو الثغرات في النظام المحاسبي للزبـون والابـلاغ
عنها (الضلعي، 10 :2004).

1. مجموعة أعضاء مهنة التدقيق:- وتتضمن هذه المجموعـة الاعـضاء بـالجمعيـات
المهنية والمحاسبين القانونيين والذين يعتبرون المسؤولون بشكل مباشر عـن مهمـة
ابداء الرأي في القوائم المالية لمنشآت الاعمال الخاضعة للتدقيق.

2. مجموعة معدي القوائم المالية:- وتشتمل هذه المجموعة على المديرين المسؤولين
عن ادارة الحسابات وأعضاء لجان التدقيق وقد تتضمن الادارة العليا للشركات.
3. مجموعة المستخدمين الخارجيين للقوائم المالية:- وتتضمن المستثمرين الحاليين
والمرتقبين فضلاً عن الدائنين والمقرضين.
4. مجموعة الهيئات القانونية والرقابية:- وبما فيها المحاكم والجهات القضائية والهيئات
الرقابية والجهات المرتبطة بالشركات قانوناً وتنظيماً.

ان الرقابة بمفهومها العام هي تطبيق مستويات المعايير المهنية المطلوبة من الناحيتين
المهنية والاخلاقية. أما رقابة الجودة فقد عرفها الاتحاد الدولي للمحاسبين بأنها
(السياسات والاجراءات التي يتبناها مراقب الحسابات لتوفير ثقة بدرجة معقولة للتأكد بان عمليات
التدقيق كافة والتي تم اجراءها قد جرت وفقاً للأهداف والمبادئ الاساسية والتي تحكم عملية
التدقيق ووفقاً لمعايير التدقيق الدولية (الاتحاد الدولي للمحاسبين، 44 :1998) كما عرفها
(ارينز ولوبك، 44 :2002) بانها الوسائل التي يتم استخدامها للتأكد من قيام المنشأة من
مسؤوليتها المهنية تجاه زبائنها.
وعليه يمكن القول بان نظام رقابة الجودة يتضمن مجموعة شاملة ومتكاملة من الوسائل
والاجراءات والسياسات التي يستخدمها مراقب الحسابات لغرض توفير ضمان بدرجة معقولة من
التطابق والاتزان بالمعايير والمبادئ الخاصة بجودة الاداء للمهنة والتي ينعكس أثرها بايفاء
متطلبات الزبون.
ويرى الاتحاد الدولي للمحاسبين،12 :1998) انه من الضروري لاي برنامج يوضع لفحص
جودة الاداء أن يتضمن المعايير التي تعالج الامور الاتية.

1. المحافظة على سرية بيانات ومعلومات الزبون.
2. ضمان استقلالية وموضوعية المدقق.
3. أن تتوفر لدى المدقق المهارة والمعرفة المهنية والخبرة المتخصصة واللازمة للقيام بعملية الفحص.
4. توثيق اجراءات الفحص المتبعة بطريقة تمكن من اجراء تقويم موضوعي يمكن الحكم من خلاله بان الفحص قد تم بالعناية اللازمة وطبقا للمعايير.
5. اعداد تقرير بنتائج الفحص بطريقة تساعد الزبون على التعرف على الاجراءات التصحيحية وتنفيذها وكذلك اعداد التحسينات الاخرى المرغوبة في سياساتها واجراءاتها لرقابة الجودة.

**ثانيا:- اهمية رقابة الجودة والعوامل المؤثرة فيها**

ان حصول المدقق على ترخيص لمزاولة المهنة يعني التزامه بالمعايير والمبادئ المتعارف عليها وان عدم الالتزامه بهذه المعايير والتي من ضمنها معايير الجودة من شأنه ان يعرضة الى العقوبات التي تقررها الهيئات المهنية لذا فان مكاتب التدقيق تسعى الى تطبيق نظام لرقابة الجودة وذلك من اجل (الضلعي، 20:2004)

1. تطوير الخدمات التي تقدمها لزبائنها.
2. تطوير الممارسات العملية للمهنة
3. زيادة الارباح.
4. تقليل تعرضها لمخاطر المسؤولية القانونية.

أما العوامل المؤثرة على جودة الاداء فانها لابد ان تتوسع لتشمل نواحي خاصه بالمدقق ذاته، اذأنه ومن وجهة النظر السلوكية حيث كان الاهتمام بالاطراف المختلفة التي تشكل بيئة التدقيق والتي يتكون من المدققين أنفسهم، وكذلك معدي ومستخدمي القوائم المالية، اذ ان هناك اختلافاً جوهري لتصورات هذه الفئات للعوامل المختلفة بجودة التدقيق. فهناك من يرى بأنها ترتبط

بتخطيط وادارة عملية التدقيق، فضلاً عن اجراءات التدقيق والتقويم والنواحي السلوكية، وهنـاك
من يرى بأن مقياس الدعاوى القضائية المرفوعة ضد مكاتب مراقب الحسابات تعد عاملاً مهماً في
قياس جودة عملية التدقيق، فضلاغ عن الخبرة العملية والعلمية ونسبة الاتعاب التي يتقاها وأثـر
المنافسة بين المكاتب، بالاضافة الى مراجعة النظير ( peer review) وكذلك حجم الجهد المبذول.
لابد لمراقب الحسابات لكي يضمن تحقيق درجة مقبولة من جـودة الاداء مـن الايفـاء بـبعض
الالتزمات المطلوبة منه (جربوع، 122:2002)

1. الالتزام بنزاهة وموضوعية:-اذا لايجوز للمدقق القيام عمداً بتحريـف الحقـائق عنـد
ممارسته مهنته.
2. الالتزام بالمعايير المهنية العامة وذلك من خلال بذل العناية المهنية الكافية.
3. الالتزام بالمسؤوليات تجاه الزبائن وذلك بالحفاظ على سرية العمل وعدم افشاء اي منها
إلا بموافقة الزبون.
4. الالتزام بالحياد والاستقلال وذلك من خلال التعامل بعدالة مع جميع الاطراف المـستفيدة
من عملية التدقيق ودون التحيز لاي منها .
5. كسب ثقة مستخدمي القوائم والتي ينعكس اثرها على سمعة مراقب الحسابات وتعد ركناً
اساسياً لبقائه واستمراره في العمل .

**ثالثا:- عناصر رقابة الجودة واساليبها**

لقد حددت لجنة معايير رقابة الجودة تسعة عناصر لرقابة الجودة والتي يجب ان ياخـذها بالـحسبان
مراقب الحسابات عند وضع السياسات والاجراءات الخاصة بها وتشمل هـذه العناصـر علـى (التميمـي (68:2004)
الاستقلالية، توزيع الأعمال بين الموظفين ، الاستشارات بين الموظفين ، الأشراف، سياسة التوظيف، تحسين مستوى الموظفين7. الترقية والترفيع

إما المعيار الدولي رقم 220 والذي صدر بعنوان quality control for audit فقد اكد
المعيار وجوب تنفيذ سياسات واجراءات رقابة الجودة على مستوى الشركة او مكاتب التـدقيق
الفردية،وان طبيعة وتوقيت سياسات واجراءات رقابة الجودة تعتمد على عدة من العوامل بحجـم
وطبيعة اعمال الشركة واتساع نطاقها الجغرافي وهيكلها التنظيمـي.والاعتبـارات المتعلقـة
بالكلفة والمنفعة.
كما أشار المعيار إلى أن أهداف سياسات و إجراءات سياسة الدولة التـي تتبناهـا مكاتـب
التدقيق تتضمن سبعة عناصر هي :-
1. المتطلبات المهنية والمتعلقة بالتزامه بمبادئ ألاستقلاليه والامانه والموضوعية والسرية.
2. المهارات والكفاءه: وذلك لغرض بذل العناية المهنية الكافية.
3. توزيع المهام: وذلك من خلال اناطة العمل بافراد حصلوا على درجة من التدريب المهني.
4. الاشراف: وذلك من خلال التوجيه والمتابعة المستمرة للتاكد من ان العمل المنجز يلبـي
متطلبات الجودة.
5. التشاور: وجوب التشاور مع الجهات الداخلية والخارجية من ذوي الخبرة اذا تطلب الامر
ذلك.
6. القبول والمحافظة على الزبائن من خلال اجراء التقويم والمتابعة للعلاقات مع الزبائن.
7. المراقبة: يجب خضوع العمل الى المراقبة المستمرة لغرض التاكد من كفايـة وفاعليـة
تطبيق سياسات واجراءات رقابة الجودة (الاتحاد الدولي للمحاسبين، 70 :1998).
إما الأساليب المستخدمة في رقابة جودة الاداء فهي تتنوع من حيث كونها قد تتم داخلياً مـن
خلال قيام اعضاء الادارة العليا في مكتب مراقب الحسابات بفحص جودة الاداء من خلال مراجعـة

السياسات والاجراءات المعمول بها وكذلك مدى الالتزام اعضاء المكتب بالمعاير الدولية لرقابة
الجودة ( توماس وهنكي، 19 :1986).
أو ان يتم اختيار لجنة من ذوي الاختصاص للقيام بفحص جودة الاداء وكما هو معمول به في
العراق اذا تقوم (مجلس مهنة مراقب الحسابات ) باختيار لجنة المتابعة والتفتيش والتي تقوم
بزيارات مفاجئة الى مكاتب مراقبي الحسابات لفحص السجلات والاطلاع على السياسات
والاجراءات التي تثبت مدى الالتزام بالتعليمات، وفي حال وجود مخالفات تحال الى لجنة اخرى
هي لجنة الانضباط التي تقوم بدراسة المخالفات المحالة اليها واتخاذ اللازم.
او ان يتم بواسطة فحص الشريك المتزامن وكذلك الفحص بواسطة مدقق اخر ،ويعرف هذا
الاسلوب بفحص النظير حيث يقوم مكتب التدقيق بالتفتيش على رقابة الجودة عن طريق مراقبة
السياسة العامة الخاصة بمكتب مراقب الحسابات وفي حال تتطابقها مع معايير الجودة يرفع
التقرير الى المجمع الامريكي للمحاسبين، اما في حال فشل السياسات المتبعة فان ذلك يسجل كحالة سلبية ضد المكتب ( pany 2004:46) ان اسلوب فحص النظير من اهم الاجراءات التي اتبعهاالمجمع الامريكي لمواجهة الخطر الذي يهدد المهنة في اعقاب ما اصابها في منتصف السبعيناتمن القرن الماضي للتاكد من احكام الرقابة على جودة الاداء (الضلعي، 25:2004) اذ يساعد هذاالاسلوب في تحقيق منافع لكل من مهنة التدقيق ومراقبي الحسابات لتحقيق معايير جودة الاداءفضلا عن تحسين الاداء والذي ينعكس على سمعة مراقب الحسابات.

**المحور الرابع الاستنتاجات والتوصيات:**

**أ - الاستنتاجات:**

1- ان زيادة حجم الفساد المالي والاداري ادى الى زيادة الاهتمام والتفكير في ضرورة وجود مجموعة من القوانين واللوائح والآليات التي تعمل على حماية مصالح المالكين وبقية أصحاب المصالح ، وذلك بالحد من التلاعب

المالي والإداري الذي يحصل في هذه الشركات من قبل الإدارات التنفيذية ، باعتبارها الجهة التي تمسك بزمام الأمور داخل الشركة .

2 . يعد الفساد المالي والإداري ان من اخطر المشكلات التي تعاني منها مؤسسات الدولة بصفة عامة ، والشركات الحكومية بصفة خاصة والذي يترتب عليه تحمل الشركات تكاليف إضافية تنعكس على أسعار السلع والخدمات المنتجة ، مما يضعف قدرتها على التنافس والبقاء في ظل العولمة الاقتصادية .

3 . تكتسب الشركات الحكومية أهمية خاصة ، إذ انه على الرغم من موجات الخصخصة التي شهدتها العديد من دول العالم ومنها الاردن كمتطلب للعولمة ، إلا إن تلك الشركات لازالت مساهماتها تمثل جزءا أساسيا من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي للدولة وتوفير فرص العمل لعدد كبير من المواطنين .

4 .ان للفساد المالي والإداري مظاهر سياسية ومالية وإدارية وأخلاقية ثؤثر سلبا على المجتمع والافراد والمؤسسات.

5 . يؤدي الالتزام بآليات الحوكمة وقواعدها من قبل الشركات الحكومية إلى الحد من الفساد المالي والإداري فيها وزيادة كفاءة أدائها ، وبالتالي زيادة ثقة المستثمرين المحليين والأجانب بالشركات الحكومية ومن ثم في الدولة كلها ، وبالتالي يزيد من قدرة الدولة على جذب الاستثمار وما ينتج عنه من تنمية لاقتصاد البلد بما ينعكس على تحسين مستوى معيشة الفرد ، وارتفاع حصته من الناتج القومي الاجمالي.

**ب – التوصيات:**

1- التاكيد على دور منظمات المجتمع المدني من خلال وجود الاحزاب التي تشكل العامل الاساس في تأطير الاسس الديمقراطية .

2- التأكيد على دورالنقابات العمالية التي تحمي وتدافع عن مصالح منتسيبيها.

3- التأكيد على دور الهيئات المهنية مثل وحود نقابة للمحاسبين في الاردن وجمعية المحاسبين القانونيين التي تتبنئ المعايير الناظمة للمهنة والرقابة .

4- انشاء مجلس نيابي منتخب من قبل الشعب على اساس ديمقراطي ،

5- انشاء الهيئة المستقلة للانتخابات والمحكمة الدستورية في الاردن على سبيل المثال لمساهمتها في الحد من مشكلة الفساد المالي والاداري.

6- كذلك دور تكنلوجيا المعلومات والاتصالات مثل استخدام الصحافة والفضائيا والمواقع الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي والتي تلعب دورا بارزا في نشر الحقائق والكشف عن ظاهرة الفساد المالي والاداري.

7 .العمل على تطبيق آليات الادارة الرشيدة السابقة الذكر لمعالجة مشكلة الفساد المالي والإداري التي تعاني منها الشركات الحكومية .

8 العمل على نشر مبادئ الادارة الرشيدة والعولمة الاقتصادية واعتبارها جزء من ثقافة المجتمع وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

9 . التزام الشركات الحكومية بمبادئ الشفافية والإفصاح وغيرها من قيم العولمة الاقتصادية.

10 . تبني استراتيجية وطنية يشارك فيها اصحاب الفكر والرأي ومنظمات المجتمع المدني لنشر الوعي الفكري والاقتصادي والاجتماعي والديني ، وذلك لرفع المستوى الحضاري للمجتمع واعتبار محاربة الفساد المالي والإداري مهمة وطنية يشارك فيها الجميع ودون استثناء كل في موقعه على اعتبار انها مسؤولية جماعية للحد من هذه الظاهرةالسيئة والمدمرة للمجتمع. .

11- الحد من مشكلة الفقر والبطالة بتوفيرر فرص العمل ، و توسيع شبكة الحماية الاجتماعية وايجاد المزيد من التأمينات للمواطنين ، كتأمين البطالة على غرار ماهو موجود في الدول المتقدمة .

12 . دعم استقلال القضاء وفرض عقوبات صارمة بحق مرتكبي الفساد المالي والإداري والمتلاعبين بأموال الشعب واعتبار جريمة الفساد من الجرائم المخلة بالشرف .

13- تعديل وتطوير التشريعات باستمرار لتواكب مستجدات العصر وبما ينسجم مع التوجهات الرامية لمكافحة الفساد بشتى انواعه.

**قائمة المصادر والمراجع:**


- الرحيلي،عوض سلامة ," لجان المراجعة كأحد دعائم حوكمة الشركات –حالة السعودية" ، بحوث وأوراق عمل المؤتمر العربي الأول حول التدقيق الداخلي في إطار حوكمةالشركات ، القاهرة ، 2005 ، ص11 .
- الرواشدة، علاء (2008) العولمة والمجتمع ، دار حامد للنشر والتوزيع، الاردن.
- ستاورت ،جورج مودي, " تكلفة الفساد " ، الإصلاح الاقتصادي ، المجلد (21 ) ، العدد( 2 ) ، 1999 ، ص16 .
- سعيد, عبد الرزاق محمد (2006). **مدى فاعلية لجان التدقيق في الشركات المساهمة العامة الأردنية "**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان ـ الأردن.
- سليمان ,محمد مصطفى, (2006) . **"الحاكمية المؤسسية ومعالجة الفساد المالي والإداري"**. الدار الجامعية، جمهورية مصر العربية ـ الاسكندرية .
- سليمان ، محمد مصطفى, " حوكمة الشركات ومعالجة الفساد المالي والاداري دراسة مقارنة " ، الدار الجامعية ، مصر ، 2006 ، ص13 .31
- السويطي , موسى سلامه, (2006) ." **تطوير أنموذج لدور لجان التدقيق في الشركات المساهمة العامة الأردنية وتأثيرها في فاعلية واستقلالية التدقيق الخارجي**". رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية، عمان ـ الأردن .
- الصلاح ، محمد سليمان, " الاستفادة من أدوات الرقابة وإدارة المخاطر لخدمة حوكمة الشركات " ، بحوث وأوراق عمل المؤتمر العربي الأول حول التدقيق الداخلي في إطارحوكمة الشركات ، القاهرة ، 2005 ، ص5 .
- الصلاح ،محمد سليمان, " الاستفادة من أدوات الرقابة وإدارة المخاطر لخدمة حوكمة
- الفضيل،محمود مفهوم الفساد ومعاييره، **مجلة المستقبل العربي**، السنة 27، العدد 309، بيروت، 2004م، ص34-35.
- المجمع العربي للمحاسبين القانونيين- طلال ابو غزاله وشركه الدوليه ( 2007 ) **."دليل الحاكمية المؤسسية"**.عمان –الاردن.
- ميخائيل ،اشرف حنا , " تدقيق الحسابات في إطار منظومة حوكمة الشركات " ، بحوث وأوراق عمل المؤتمر العربي الأول حول التدقيق الداخلي في إطار حوكمة الشركات ،القاهرة ، 2005 ، ص32 .
- الوائلي ، ياسر خالد بركات, الفساد الإداري مفهومه ومظاهره وأسبابه ، مركز دراسات المستقبل ، 2005 ، www.mesr.net ، ص4 .
- خالد عبد الله أمين، " **الإفصاح و دوره في تنشيط التداول في أسواق رأسمال العربية "**، المحاسب القانوني، العدد 92، 1995.
- ارينز ولوبك، المراجعة ـ مدخل متكامل ترجمة د. حمد عبد القادر الديسطي، ارالمـريخللنشر، 2002.
- . التميمي، هادي، مدخل الى التدقيق من الناحية النظرية والعملية، 2004.
- . جربوع، يوسف محمد، مراجعة الحسابات بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، مؤسسةالوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2000.

- توماس، وليم وهنكي، امرسون ـ المراجعة بين النظرية والتطبيق، تعريـب ومراجعـة د.
حمد حجاج د. مال الدين سعيد. دار المريخ للنشر، الرياض 1989.

http://www.pheladelphianews.com/index.php?option=com_k2&view=item&id=2603:-مركز-الشفافية-الأردني-وتقرير-مؤشر-مدركات-الفساد-في-الأردن-الصادر عن-منظمة-الشفافية-الدولية

- http://www.addustour.com/ViewTopic.aspx?ac=%5CLocalAndGover%5C2012%5C09%5CLocalAndGover_issue1786_day09_id436556.htm#.UJYupG_A-uJ

Eldon Hendriksen, « Disclosure Insight into Requirement in U.S.A and U.K », The International Journal of Accounting, Vol.65 Spring 1992, p.21-32.

- Berlin Initiative Group ( BIG) , 2000.www.gccg.de, p. 4.
- Ehsenhardt, M.K., ( Agency Theory : An Assessment and Review " , Vol. (14), No. (1), 1989, p.165.
- Hermanson , Dana R. and Rittenberg , larry E. , " Internal Audit and Organizational Governance " , The Institute of Internal Auditors Research Foundation , 2003 , P. 27.
- Hess , David and Impavido, Gregorio, " Governance of PublicPension Funds , Lessons from Corporate Governance and International Evidence " , 2003. www.Econ.worldbank.org,P.5.
- Hess, David and Impavido, Gregorio, op cit , p. 5.
- Hitt , Michael A. et al., " Strategic Management : Competitiveness and Globlization " 5th ed., South-Western Thomson , 2003, p.308.
- King , Mervyn E. et al., " The King Report on Corporate Governance" , Institute of South Africa , Johannesburg, Nov. 1994.
- Mintz, Steven M., " Improving Corporate Governance Systems : AStakeholders Theory Approach 2003,www.aaahq/Am2003/cpe/ethics/Forum , p.14.
- Mitchell, J., et al., " Corporate Finance and Governance " ,Carolina Academic Press, 1996, P.152 .
- Monk, R. and Minow , N. , " Corporate Governance " , 2nd ed., Black Well Publishers, Malden, 2001, p. 8.

- Organization for Economic Cooperation and Development (OECD) ," Principles of Corporate Governance ( Introduction ) , 2004 ,www.oecdorg , p.3.
- Private Sector Corporate Trust , " Good Corporate Governance in State-Owned Corporations –Final Draft Guidelines " 2002 , p. 17.
- Robert, John, " Agency Theory , Ethics and Corporate Governance " ,presented at the Corporate Governance and ethics Conference, Mac Quarie, Graduate School of Management –Sydney, Australia, June 28-30, 2004, p. 4.
- Shah , Asad Ali , " Auditing and Governance Framework for Private Sector in Pakistan " , ADB/OECD Anti Corruption Initiative for Asia-Pacfic Master Training Seminar , 2005 . p.31.
- Singh, H. and Harianto, F. , " Management-Board Relationships,Takeover Risk and Adoption of Golden Parachutes , Academy of Management Journal, Vol.(32) , 1989, p.127.
- Smith Report, Financial Reporting Council (FRC) , " Audit Committee-Combined Code Guidance " , Smith Report , London 2003, p. 16.
- The Encyclopedia of Corporate Governance , " What is Corporate Governance " , 2002. www.encycogvom, P. 2.
- University of Technology , Sydney-Center for Corporate Governance" , 2003 , www.business-uts-au/management/research/ccg/corporate-governance , p. 1.
- Wikipedia , the Free Encyclpedia , " Corporate Governance " , 2007.www.en,wikipedia.org/wiki/corporate-governance , p.7.
- Winkler , Adalbert , " Financial Development , Economic Groth and Corporate Governance " , Working paper Series : Finance and Accounting , www.econpapers.repec.org/paper/frafranaf/12htm p.18.
- World Bank , " State-Owned Enterprises in Iraq " , 2004 , p.5.
- World Bank , " The Challenge of State –Owned Enterprise CorporateGovernance for Emerging Markets " , 2006. http://rru.worldbank.org/thems/corporategovernance, p.24.

# العلوم النفسية والتربوية


تقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي في المدارس الحكومية في مدينة جنين

تأثير المعرفة المسبقة بالأهداف السلوكية على تحصيل الطلبة الأكاديمي الآني والمؤجل في تدريس التربية الوطنية

Acceptance and Rejection Responses Towards the Opposite Sex among the Students of Al- Quds Open University

# تقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي في المدارس الحكومية في مدينة جنين

إعداد/ الدكتورة بتول مصلح غانم

منطقة جنين التعليمية

## Evaluating the Fifth Grade Science textbook of Public Schools in Jenin City

This study aimed at evaluating the fifth Grade Palestinian Science textbook in Jenin City from teachers perspective. The sample of this study consist of 45 teachers from a total population of 106 male and female teachers. The study employed the questionnaire as a tool for gathering data. Frequency distribution, percentage, mean, mean average, and the analysis of variance has been utilized for the interpretation of collected data. The most important findings of the study indicated teachers are on a reasonable degree of expertise as they are capable of deriving the educational goals in a way that achieve the content of science textbook, and the ability of teachers to diagnose the strengths and weaknesses of the textbook, as well as the understanding and awareness of teachers of the importance of teaching aids as a tool to facilitate and deliver information and deepen students understanding'. However the study showed the lack of involvement of teachers to develop proposals and recommendations in the development of science textbook content. One of the most important recommendations that emerged from the study

was interested professionals and decision makers in the Department of the Palestinian Curriculum should create alignment between the content of the Science textbook Fifth Grade, and quotas (lectures) allocated to teach the textbook, as well as integrating two lectures a week for practical experience and laboratory.


الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على درجة تقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي في المدارس الحكومية في مدينة جنين من وجهة نظر معلمي الكتاب أنفسهم، تكونت عينة الدراسة من 45 معلم ومعلمة من أصل مجتمع يتكون من 106 معلم ومعلمة، واستخدمت الدراسة الإستبانة كأداة لجمع المعلومات و البيانات، واستخدمت المتوسطات الحسابية والنسب المئوية و اختبار التباين الأحادي لتحليل و تفسير معلومات وبيانات الدراسة، حيث استخدم المنهج الوصفي التحليلي. كان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ملاحظة أن المعلمين على درجة معقولة من الدراية باشتقاق الأهداف التعليمية بشكل يحقق محتوى كتاب العلوم، و قدرة المعلمين على تشخيص نقاط القوة والضعف في الكتاب، وكذلك إدراك ووعي المعلمين بأهمية الوسائل التعليمية كأداة تسهيل وتوصيل المعلومة وترسيخها لدى التلاميذ. في حين تبين عدم إشراك المعلمين بوضع اقتراحات وتوصيات عند وضع محتوى كتاب العلوم. وكان من أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة أن يهتم المختصين ومتخذي القرار في دائرة المناهج الفلسطينية بخلق مواءمة بين محتوى كتاب علوم الصف الخامس الأساسي، والحصص المخصصة لتدريسه، مع دمج حصتين في الأسبوع للتجارب العملية والمخبرية.

**المقدمة:**

قد يبدو للبعض أن عملية تقويم المنهج وتطويره لا تحتاج سوى إلى التعديلات أو بعض خبراء المادة؛ لإعادة النظر في محتوى المنهج، وإجراء بعض التعديلات حذفاً أو إضافة أو تبديلاً، وهذا الأمر لا يعدو إلا أن يكون تطويراً شكلياً لا يأخذ مفهوم التطوير سوى اسمه ومظهره، ذلك أن تلك العملية ليست فردية أو شكلية أو عفوية، ولكنها عملية تعتمد على مدى الكفاءة في بحث الصلات بين مكونات المنهج، وما يجري بينها من عمليات مركبة، ولذلك فإن هذا الأمر يحتاج إلى معلومات وبيانات وأدلة عن مدى فعالية أي منهج دراسي، وفي ضوء ذلك يصبح من الميسور اتخاذ القرارات المناسبة(أحمد حسين اللقاني، 1995:101).

وهذا ما أكدته سناء أبو دقة، حيث ذكرت: "أن عملية تقييم المناهج المدرسية عملية شائكة وتحتاج إلى وقت وجهد طويل؛ لأنها تتضمن دراسة وتقويم محتوى المنهاج والكتب المدرسية، إضافة إلى دراسة الأهداف العامة والبيئة المدرسية، والنشاط المدرسي، وطرق التقويم ووسائل التعلم، وأدلة المعلمين، وتجري عادة عمليات تقويم المناهج بعدة وسائل وكيفيات، منها الزيارات الصفية، واللقاءات المباشرة مع منفذي العلمية التعليمية، بالإضافة إلى القيام بأبحاث تربوية هادفة، كما يعتمد التقويم على آراء جهات متعددة، مثل آراء المعلمين والمعلمات، والموجهين والموجهات، والطلبة، وأولياء الأمور، والإداريين التربويين، والخبراء الاختصاصيين(أبو دقة، 1996:258).

وهناك ثلاثة أنواع رئيسة من عمليات التقييم التي يجب أن يخضع لها المنهاج التعليمي، واحدة في أثناء عملية إعداد المنهاج وبنائه، وتسمى بعمليات التقويم التشكيلي أو التكويني، وتهدف إلى التعديل والتطوير، والثانية بعد الانتهاء من إعداد المنهاج وتطويره وقبل أن يستخدم في المؤسسة التعليمية، وتسمى بعمليات التقويم الخمس أو الختامي، وتهدف إلى إصدار حكم وإعطاء تقدير عام، والثالثة بعد تبني المنهاج التعليمي واستخدامه في المؤسسات التعليمية، وتسمى بعمليات التقييم التوكيدي، وتهدف إلى التأكيد

على صلاحية المنهاج، وهو في مرحلة التطبيق بهدف التوصية باستمرارية استخدامه(دروزة، 2006: 22).

خلاصة القول أن علينا القول أن تقويم المناهج عبارة عن عملية جمع معلومات أو بيانات عن بعض جوانب المنهج، أو بعض نتاجاته التعليمية (محصلته النهائية)، ثم تبويب هذه البيانات ومعالجتها بأساليب وصفية أو إحصائية لاتخاذ قرار بشأن المنهج ومحصلته، وفي ضوء ذلك يكون تقويم المنهج هو عملية تحديد صلاحيته وقيمته التربوية، صلاحيتة كوثيقة للتعلم، وقيمته التربوية في إحداث المواصفات السلوكية المرغوب فيها لدى المتعلمين، بغية إصدار حكم أو قرار بشأن استمرار المنهج أو تطويره، أو إلغائه في التربية المدرسية (محمد السيد علي، 2003: 140-141).

أما جودت سعادة، فقد ذكر أن من مبررات تقييم المنهج وتطويره: عدم وجود فلسفة تربوية واضحة ومحددة للمنهج، والخلط الشائع في تحديد وصياغة أهداف المنهج، ووجود أخطاء معينة في محتوى المقررات الدراسية، وقصور الوسائل التعليمية المستعان بها في المنهج، وعدم كفاية الأنشطة التعليمية بالنسبة للمنهج، ووجود قصور ما في برنامج التقويم، وعدم كفاية أداء المعلم، ووجود معوقات إدارية. وتطوير الأسس التي بُني عليها المنهج (جودت سعادة و عبد الله إبراهيم، 2004: 494-497).

وهناك مبررات، كما ذكرها مروان أبو حويج، وقد تكون مناسبة جداً لإجراء تقويم شامل للمنهج منها:

1. قصور المناهج الدراسية، ويمكن معرفة القصور في المنهاج من خلال ملاحظة العوامل الآتية: (القصور الواضح في مستويات المعلمين، وكثرة الرسوب، أو التسرب المرتبط بالعوامل المدرسية، كالنظام المدرسي وطرق التدريس غير الملائمة، والبناء المدرسي غير المناسب، وغياب القواعد والضوابط الخاصة بمفاهيم الإرشاد التربوي والنفسي في هذه المناهج، ووجود رأي عميق قوي يؤمن بعدم ملائمة المناهج المدرسية الحالية، وقصورها عن تزويد المتعلمين بالمهارات التي تساعدهم على فهم الحياة والتكيف مع متطلباتها.

2. حاجات المجتمع المستقبلية: فعلى المناهج المدرسية أن تتطور، بحيث تنسجم مع حاجات المجتمع المستقبلية التي تكشف عنها الدراسات.
3. التطور التربوي العام: باعتبار أن المناهج المدرسية أداة التغيير الفعالة، وأداة تحقيق الأهداف التربوية المنشودة (مروان أبو حويج، 2006: 206-207).

وخلاصة القول أن تطوير المناهج التعليمية يعني تحديث هذه المناهج وفقاً للتغيرات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع، وهذا يتطلب دراسة المناهج وتحليلها، وإعادة بنائها بشكل مستمر، كما أن تطوير المناهج يجب أن يستجيب للتغيرات الاجتماعية التي تعد من أبرز مبررات التطوير والتغيير للمناهج (عبد الرحمن عبد السلام جامل 2002: 153).

**معايير تقويم المنهاج:**

بالنسبة لتقويم المنهاج هناك معياران هما:

1. معيار الملاءمة أو المناسبة، ويقصد به ملاءمة كل عنصر من عناصر المنهاج لبقية العناصر، وملاءمة كل عنصر من العناصر لكل أساس من أسس المنهاج.
2. معيار الكفاية أو الفاعلية ويتعلق هذا المعيار بمدى تنفيذ المنهاج من المعلم والوسائل التعليمية المتاحة، وتكون الكفاية الخارجية بمعنى توافر الوسائل التعليمية والإمكانات اللازمة لتحقيق النتاج أو المخرجات في ضوء الأهداف، وتكون الكفاية الداخلية بمعنى دقة تصميم عناصر المنهاج بشكل محدد ومناسب، وأحكام العلاقة بين هذه العناصر لتوفير الشروط التي تساعد عل تحقيق الكفاية الخارجية (مرعي والحيلة، 2007: 218).

**المنهاج المدرسي:**

مهما تحدثنا عن بدائل الكتاب المدرسي، فيظل متمتعاً بمكانة مرموقة، فهو أعظم مصدر من مصادر تعلم الطالب وتقويته، ومراجعته، والاستزادة من التحصيل، وهو سهل الاستعمال، قليل التكاليف، مقارنة بالحد الأدنى على

الأقل من محتوى المنهاج المطلوب ويمكن التحكم بعناصره الأربعة: الأهداف، المحتوى، الأنشطة، التقويم. ومن السهل تطويره وتحديثه، والتحكم بإخراجه وإثرائه بالرسوم والصور، وجعله ممتعاً ومثيراً ومشوقاً(مرعي والحيلة، 2007: 256).

ويمكن تلخيص أهم السمات المميزة للكتاب المدرسي:

1. يمثل الكتاب المدرسي ترجمة صادقة للمنهاج التربوي الذي ينطلق من فلسفة التربية والتعليم والأهداف التربوية الكبرى في المجتمع.
2. مساعدة المتعلمين على اكتساب الأهداف التعليمية المخططة في سياق المقرر الدراسي، فضلاً عن تلبية احتياجاتهم الذاتية.
3. توفير الفرص التعليمية لكل متعلم لأن يتعامل مع المادة العلمية من خلال قواه الإدراكية وحواسه، وميله، وانتباهه، وإدراكاته، تمهيداً لاكتساب منظومة النظام المعرفي.
4. تحقيق التكامل العضوي والوظيفي بين الأفكار النظرية في المادة التعليمية، وبين الممارسات والتطبيقات العملية.
5. إثارة اهتمام المتعلم لضمان تفاعله الإيجابي مع الخبرة التعليمية.
6. هداية المتعلم للقيام بعمليات التقويم الذاتي، القبلي، التكويني، الختامي، وتوفير النشاطات المرافقة للمادة التعليمية
7. تعزيز ما يكتسبه المتعلم من معارف ومهارات وقيم، عن طريق التغذية الراجعة المنظمة.
8. كتاب المادة التعليمية لصيغة متكاملة، بحيث تشمل تعليمات وإرادات تربوية تعين المتعلم في إدراك الأهداف التربوية المنشودة (محمد محمود الخوالدة، 2007: 312-313).

لذا ينبغي أن تتوافر في مادة الكتاب المدرسي عدة شروط أهمها:

أن تتفق مادته مع الأهداف التربوية، وأن تكون سليمة وحديثة ومبسطة، واضحة وخالية من اللبس، وأسلوب عرضها منسجم مع مرحلة نضج المتعلم، واستخدام الصور والأشكال التوضيحية، وأمثلة وتعريفات، وتدريبات وأنشطة منوعة وشاملة، تدفع المتعلم إلى التفكير والاستنتاج، والربط والابتكار، إضافة لوضع أسئلة في أثناء عرض المادة، أسئلة لإثارة تفكير الطالب.

كذلك ينبغي أن تكون مادة الكتاب متدرجة وتمثل حلقة وصل بين ما سبقتها وما سيتلوها من مادة بنفس المجال والربط والاتساق مع المواد الدراسية الأخرى، إضافة إلى انسجامها مع بيئة المعلم، وبحيث يمكن الربط بين الجوانب النظرية والجوانب العملية والتطبيقية (إبراهيم مهدي الشبلي، 2000: 94-95).

**دور المعلم في تقويم المنهج وتطويره:**

يعد المعلم أحد الأركان الرئيسة في العملية التربوية، بل إن نجاحها أو فشلها يتوقف إلى حد بعيد على مدى كفاءته، ومن الأمور المستقرة والثابتة عالمياً أنه على الرغم من كل التطورات العلمية والتكنولوجية التي نعيشها إلا أن المعلم لا زال هو المحور والأساس والسبيل إلى نجاح عملية تنفيذ المنهاج، فهو الصقر البشري المدير والمحرك للعمليات التنفيذية، ومن بينها عملية التدريس ذاتها (أحمد حسين اللقاني، 1995: 165-166).

إن من أهم العوامل التي تساعد المدرس على تنفيذ المنهج بنجاح هو فهمه لبنية المنهج ومكوناته وعناصره، وأجزائه، وعلاقات تلك المكونات لبعضها بالبعض الآخر، وبالمنهج ككل (كوثر كوجك، 2001: 14).

**مشكلة الدراسة:**

إن المنهج المدرسي ومدى كفاءته وفعاليته تعني تقديم خدمة تعليمية جيدة، وخبرات عميقة وثرية، تسهم في بناء شخصية الطالب من جميع جوانبها لمواجهة التحديات التي تواجهه، وتنمية قدرته على التعلم الذاتي، وتوظيف ما تعلمه في شؤونه الحياتية. لذا قامت معظم دول العالم، ومنها فلسطين بإنشاء دوائر خاصة بتطوير المناهج المدرسية هدفها التأكد من مدى صلاحية المنهاج الحالي، وإبراز نقاط القوة ونقاط الضعف من أجل تحسينه وتغييره وتطويره نحو الأفضل، وتسبق عملية التطوير عملية تقييم المنهج باعتبارها عملية تستهدف التعرف على نواحي القوة والضعف فيه، في ضوء الأهداف التربوية بقصد التحسين في المنهج وتطويره.

لذلك جاءت هذه الدراسة لتقويم الوضع الحالي لمنهاج العلوم للصف الخامس الأساسي، وذلك من خلال تحليل الواقع من منظور المعلم، فهو العامل الحاسم في مدى نجاح العمل في العملية التربوية، باعتباره المنظم والميسر لعملية التعلم والتعليم والمنفذ للمنهج.

وبالتحديد فإنه يمكن حصر مشكلة الدراسة بالإجابة عن السؤال التالي:

**ما درجة تقييم منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية جنين؟**

**أسئلة الدراسة:**

تحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

"ما درجة تقييم منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية مدينة جنين؟"

كذلك تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

1. هل لدرجة تقييم منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية جنين أية علاقة بالمتغيرات الآتية:
   - الجنس.
   - المؤهل العلمي.
   - التخصص.
   - سنوات الخبرة
2. ما المعيقات التي يواجهها معلمي الصف الخامس الأساسي في تدريس منهاج العلوم؟
3. ما الحلول المقترحة للحد من تلك المعيقات من وجهة نظر المعلمين أنفسهم؟

**فرضيات الدراسة**

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ألفا أقل من أو يساوي 0.05 لمتوسط إجابات المبحوثين حول درجة تقييم منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية جنين تعزى إلى المتغيرات الآتية:

- الجنس.
- المؤهل العلمي.
- التخصص.
- سنوات الخبرة

**أهداف الدراسة:**

هدفت الدراسة التعرف إلى:

1. درجة تقييم منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية جنين، وذلك في المجالات الآتية:
   - الأهداف.
   - المحتوى.
   - الأنشطة التربوية.
   - الوسائل التعليمية.
   - الرسول والأشكال التوضيحية.
   - التقويم.
2. تحديد أثر المتغيرات الديمغرافية التالية: (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، التخصص) لمعلمي المدارس الأساسية التابعة لمديرية جنين في درجة تقييمهم لمنهاج العلوم للصف الخامس الأساسي.
3. المعيقات التي يواجهها معلمي العلوم للصف الخامس الأساسي عند تدريسهم للكتاب، مع التعرف على الحلول المقترحة من وجهة نظرهم للحد من تلك المعيقات.

**حدود الدراسة:**

1. تقتصر هذه الدراسة على إجراء عملية تقويمية لكتاب العلوم للصف الخامس الأساسي بجزأيه من خلال ستة مجالات.
2. تقتصر هذه الدراسة على معلمي ومعلمات العلوم للصف الخامس الأساسي في المدارس الأساسية التابعة لمديرية جنين للعام الدراسي 2012/2011.

**أهمية الدراسة:**

- تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية الكتاب المدرسي نفسه، باعتباره من أهم مصادر المعلومات والمعرفة للطالب، ويعنى بتقديم خدمة تعليمية جيدة وعميقة وثرية تسهم في بناء شخصية الطالب من جميع جوانبها لتمكنه من مواجهة التحديات التي تواجهه، وتنمية قدرته على التعلم الذاتي، وتوظيف ما تعلمه في شؤونه الحياتية.
- وتظهر أهمية هذه الدراسة في تشخيص جوانب القوة والضعف في منهاج العلوم لغرض تعزيز الجوانب الإيجابية، ومحاولة وضع الحلول لمعالجة جوانب القصور، وصولاً إلى التعليم الفعال.
- تفيد هذه الدراسة المسؤولين في وزارة لتربية والتعليم في علميات التقييم والتطوير للمناهج الدراسية بشكل عام، ولمنهاج العلوم بشكل خاص، بغرض الوصول للأهداف المرجوة.
- أنها تنير الطريق للباحثين لإجراء الدراسات التقويمية لبقية الصفوف.

**تعريف المصطلحات:**

1. **تقييم المنهاج**: الحكم على مدى جودة ونوعية المنهاج ومدى نجاحه في تحقيق الأهداف التربوية التي وضع من أجلها وفق معايير موضوعية صادقة. (دروزة، 2006: 422).

ويقصد به في هذه الدراسة: العملية المستمرة بقصد التعرف على نواحي القوة والضعف في المنهاج من وجهة نظر المعلمين بقصد التحسين والتطوير.

2. **تطوير المنهاج**: هو التغير الكيفي في مكونات المنهاج أو بعضها الذي يؤدي إلى رفع كفاءة المنهاج في تحقيق غايات النظام التعليمي من أجل التنمية الشاملة (السامرائي، القاعود، 1995: 75).
3. **التقييم التوكيدي**: ويعرف هذا النوع من التقييم بأنه كافة الإجراءات التي يقوم بها المقيم التعليمي، والتي تتعلق بتقدير مدى فعالية

المنهاج المستخدم والمطبق في المؤسسة التعليمية، بهدف إصدار قرار باستمرارية استخدامه أو العدول عنه إلى غيره، ولعل الهدف من هذا النوع من التقييم هو المتابعة والتأكد من أن المنهاج يحقق الأهداف الكلية النهائية في أثناء استخدامه على أرض الواقع، وفيما إذا كان ما يزال يساير روح العصر، أو إذا كان بحاجة لتجديد أم لا (دروزة، 2006: 424).

**الدراسات السابقة:**

**أولاً : الدراسات العربية:**

- **دراسة بخيتان (2006)**

هدفت إلى تقييم "منهاج العلوم الفلسطيني الجديد" للمرحلة الأساسية من وجهة نظر مشرفي ومعلمي المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية، من حيث الأهداف والمحتوى، الأنشطة، التقويم، العلاقة بين العلوم والتكنولوجيا والمجتمع، وقد بينت الدراسة أن من الأمور التي اقترحها المعلمون كانت على النحو الآتي: زيادة عدد الحصص الدراسية للمنهاج، أو التقليل من حجم محتوى المادة التعليمية، ومراعاة الفروق الفردية للطلبة لدى التخطيط لأنشطة المنهاج، ومراعاة مستويات الطلبة الأكاديمية لدى وضع أهداف المنهاج.

- **دراسة مصطفى (2004)**

هدفت إلى تقويم كتاب العلوم العامة للصف السادس الأساسي (المنهاج الفلسطيني) من وجهة نظر معلمي العلوم للصف السادس الأساسي في مديريات التربية والتعليم في محافظات شمال فلسطين، وفي ضوء النتائج التي توصل إليها الباحث قدم عدة توصيات منها:

1. إجراء المزيد من الدراسات التي تتعلق بتقويم الكتب المدرسية والأخذ بنتائجها.
2. إصدار دليل للمعلم لأي كتاب جديد بصورة مرافقة لإصدار الكتاب.
3. ضرورة إشراك المعلمين في ميدان التدريس في إبداء وجهات نظرهم لأي منهاج جديد.

4. العمل على تجهيز مختبرات المدارس بالأدوات والأجهزة الحديثة.

- **دراسة جبارة (2003)**

هدفت إلى استقصاء مدى التركيز على العمليات العلمية (الملاحظة، التصنيف، الاستقراء، الاتصال القياسي، استخدام العلاقات المكانية والزمانية، وتطبيق العمليات الرياضية في العالم) الموجودة في النشاطات التدريسية العلمية لكتب العلوم للصفوف الأربعة الأولى، كما حددتها الخطوط العريضة لمنهاج العلوم من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن.

وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع النشاطات التدريسية (190 نشاطاً عملياً) المتوفرة في كتب العلوم للصفوف الأربعة الأولى في الأردن، وجاءت النتائج كما يلي:

بلغت نسبة العمليات العلمية المحتواه في النشاطات التدريسية في كتب العلوم للصفوف الأربعة الأولى مجتمعة كما يلي: عملية الملاحظة (11%)، التصنيف (8%)، الاستقراء (39%)، الاتصال (32%)، القياس (10%) في جعل كل من عمليات استخدام العلاقة الزمانية والمكانية وعمليات تطبيق العمليات الرياضية في العلوم على 0%، أي أنه لا توجد نشاطات علمية تركز على هذه العمليات في كتب العلوم الأربعة موضع الدراسة.

- **دراسة الزعانين وشبات (2002)**

هدفت الدراسة إلى تقديم تصور مقترح لتطوير مناهج الفيزياء في المرحلة الثانوية في فلسطين في ضوء الاتجاهات العالمية للقرن الحادي والعشري. وقد تمكن الباحثان من تصميم تصور مقترح لمناهج الفيزياء الفلسطينية في المرحلة الثانوية، إلا أن التصور الذي اقترحته الدراسة يقتصر على وصف الموضوعات التي يمكن تعليمها لكل صف، وتقديمها في صورة إطار مقترح دون التعرض لتفاصيل المحتوى، ولا يشمل طرق التدريس والأنشطة، أو أساليب التقييم.

- **دراسة الرواشدة (2000)**

والتي هدفت إلى استقصاء تقدير معلمي علوم الصف السابع والثامن لمستوى تطوير منهاج العلوم. أعد الباحث استبانة مكونة من (97) فقرة، يصف كل

منها تجديداً يطمح إليه التربويون في تطوير العلوم، موزعة على ثمانية مجالات هي: أسس المنهاج، بناء المنهج، المحتوى، الأهداف، المواد والوسائل التعليمية، طرائق واستراتيجيات التدريس، معلم العلوم، التقويم.

وتوصل الباحث إلى أن مستوى تطوير منهاج العلوم للصف السابع بلغ (76%) وللصف الثامن (77%) وكلاهما بتقدير (جيد)، كما أنه تبين أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس أو الخبرة، أو المؤهل العلمي، أو الصف.

– **دراسة جاسم (2000)**

هدفت إلى تقويم الأسئلة المتضمنة في كتاب (دليل المعلم) للكيمياء للصف الرابع الثانوي بدولة الكويت، وكذلك الأهداف الواردة به في ضوء أسس معينة، بمعنى إلى أي حد تأخذ الأسئلة المتضمنة في كتاب المعلم، وكذلك الأهداف الواردة فيه بكل من الأسس التي يجب أن يأخذ بها لكي تسهم في التدريس الفعال في ذلك الصف؟ وهي مستويات يلوم وأنماط التفكير وعمليات التعلم، وقد أعد الباحث أداة تم على أساسها تحليل الأسئلة(والتي بلغ عددها 72) سؤالاً. وقد أظهرت النتائج تفوق الأسئلة الموضوعية على كل من الأسئلة التي تقيس التطبيق على أسئلة التذكر والفهم، كما تفوقت الأسئلة التي تقيس التفكير التقاربي بشكل كبير على الأسئلة التي تقيس التفكير التباعدي، وقد احتل الحساب الكيميائي مركز الصدارة في عمليات التعلم، يليه التعبير الكيميائي والتصرف والافتراض.

– **دراسة بشارات (2000)**

هدفت إلى تقييم منهاج الكيمياء للصف الأول الثانوي العلمي، من حيث المجالات التالية: المظهر العام للكتاب، مقدمة الكتاب، محتواه، الأساليب والوسائل والأنشطة، وسائل تقويم الكتاب، مدى تنمية الكتاب لاتجاهات الطلبة باعتبار المتغيرات المستقلة: الجنس، الوظيفة، المؤهل العلمي، الخبرة.

وقد توصلت الدراسة للنتائج التالية: أن متوسط تقييم المشرفين والمعلمين معاً للكتاب بلغ نسبته (69.8%) بتقدير متوسط، كما بلغ متوسط استجابات المعلمين والمشرفين لدرجة تقويم مجال الوسائل التعليمية (74%) ومجال المحتوى (69.4)، ومجال الأنشطة (65.2%).

- **دراسة أيوب (1999)**

هدفت إلى تقويم كتاب الفيزياء للصف الأول الثانوي من قبل أكبر قاعدة من المؤثرين والمتأثرين به، ومعرفة مدى ملاءمة بنية المنهاج الفيزيائي وخطوطه العريضة في المجالات: المظهر العام للكتاب، مقدمة الكتاب، محتوى الكتاب، الأساليب والأنشطة، وسائل التقويم، تنمية الكتاب لاتجاهات الطلبة.

وقد أظهرت النتائج أن درجة تقويم المشرفين للكتاب ولجميع المجالات كانت متوسطة، ما عدا المجال الأول كانت عالية، وأن التقديرات التقويمية للمعلمين أعلى من المستوى المقبول تربوياً، وبدلالة إحصائية للمجالات الستة ككل، عدا المجال السادس، وقد قادت النتائج لعدة توصيات منها: ضرورة إشراك المشرفين والمعلمين والطلبة في عملية إعداد المناهج، وضرورة إعادة النظر في الكتاب من حيث المحتوى والمقدمة، وإجراء المزيد من الدراسات التحليلية التقويمية للمناهج المطبقة في فلسطين.

- **دراسة الرواشدة (1998)**

هدفت إلى استقصاء ملامح التطوير (التجديدات التربوية) في مناهج العلوم للصف العاشر في الأردن (منهاج الأحياء، الكيمياء، الفيزياء) باستخدام عين عشوائية تكونت من (708) طالباً وطالبة للصف الأول الثانوي الذيت أكملوا دراسة علوم الصف العاشر، ودرس الباحث المتغيرات المستقلة (جنس الطالب، مكان الإقامة، التحصيل)، وكانت نتائج دراسته: بلغ مستوى تطوير ملامح مناهج العلوم للصف العاشر (65%)، حيث كان منهاج الأحياء هو الأعلى، ثم الفيزياء، ثم الكيمياء، كما تبين أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير الطلبة لمستوى تطوير مناهج العلوم تعزى لمتغير جنس الطلبة أو مكان إقامتهم أو تحصيلهم.

- **دراسة يوسف (1994)**

هدفت الدراسة إلى تقويم كتاب الأحياء للصف العاشر الأساسي من وجهة نظر المعلمين والمعلمات والطلاب في مديرية التربية والتعليم في ضواحي عمان، في ثمانية مجالات هي: (المقدمة، المحتوى، الأسلوب، والأنشطة، وسائل الإيضاح، وسائل التقويم، لغة الكتاب، شكل الكتاب، طريقة خراجه)،

كون الباحث أداتان للدراسة: الأولى استبانة من (58) فقرة للمعلمين، واستبانة من (32) فقرة للطلبة، وخرج الباحث بالنتائج التالية:

1. متوسط التقديرات التقويمية للمعلمين بالنسبة للكتاب كانت عالية (77%).
2. التقديرات التقويمية للمعلمين لأبعاد شكل الكتاب وطريقة إخراجه (82.25) بينما لبعد مقدمة الكتاب (71.2%).
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية (a=0.05) بين متوسطات تقديرات المعلمين للكتاب وبين تقديراتهم لكل بعد من أبعاده تعزى لمتغير الجنس.
4. إن متوسط التقديرات التقويمية للطلاب بالنسبة للكتاب كانت متوسطة (72.4%).
5. التقديرات التقويمية لأبعاد الكتاب بلغت (72.2%) بينما لبعد وسائل الإيضاح بلغت (85.1%).
6. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a=0.05) بين متوسطات الطلبة للكتاب ككل، وبين تقديراتهم للأبعاد الأسلوب، والأنشطة، وسائل الإيضاح، وسائل التقويم، شكل الكتاب، طريقة إخراجه تعزى لمتغير جنس الطالب.

- **دراسة سنان (1989)**

وهدفت إلى التعرف على كيفية تطوير مواصفات الكتاب المدرسي، واستخدامها في تقويم كتاب الكيمياء للمرحلة الثانية في اليمن عن طريق وضع قائمة مواصفات مكونة من (90) فقرة، وزعت على ستة أبعاد(مادة الكتاب، لغة الكتاب، أسلوب عرض المادة، كيفية استخدام الرسول والأشكال التوضيحية فيه، وعناصره ومواصفات إخراجه). وقد توصل الباحث إلى أن لغة الكتاب المدرسي احتلت المرتبة الأولى، أما مواصفات الكتاب المدرسي وإخراجه نالت المرتبة الثانية.

**ثانياً: الدراسات الأجنبية:**

- **دراسة با ومارتن ودياز ( Ba, Marten, Diaz, (2002**

هدفت إلى التعرف إلى أثر استخدام منهاج العلوم متعدد الوسائط (مشروع جبيسون) في تعلم الطلبة، وهو مشروع يتناول تدريس نظامي الأرض

والفضاء والعلاقة بينهما، ونوع التكنولوجيا التي تساعد على دراستهما، لذلك فإن مصادر التعلم متعددة: المنهاج المطبوع، والأشرطة، والمواقع الإلكترونية، والفضائيات وغيرها، وكانت النتيجة أن 66% من طلاب المشروع قد أظهروا تحسناً كلياً في مستوى التحصيل، و 66% أدوا في اختبار المهارات بطريقة أفضل من اختبار المحتوى النظري، وحصل 87% من طلاب المشروع على نتيجة أعلى من المتوسط، كما أظهرت النتائج أن 72% من الطلاب الذين عملوا بمجموعات صغيرة أبدوا تحسناً في مستوى التحصيل في امتحان الاستقصاء.

- **دراسة فيوريو وآخرون (Furio et al, 2002)**

هدفت الدراسة لمعرفة وجهات نظر المعلمين حول الأهداف العامة والخاصة لتعليم العلوم في المرحلة الثانوية، إذ اعتمدت هذه الدراسة على نتائج الأبحاث العلمية في مجال تعليم العلوم، والتي أظهرت اختلافاً واضحاً بين الأهداف العامة والخاصة التي يصيغها معلمو المناهج، وبين تلك الأهداف التي يعمل المعلمون على تحقيقها، وقد توصلت الدراسة إلى أنه لا بد من مشاركة المعلمين الفعالة أثناء القيام بالأبحاث الخاصة بإصلاح وتطويره مناهج العلوم.

- دراسة ليندا (Linda, 1997)

هدفت لتزويد مدرسي العلوم باستعمال الملاحظات الإكلينيكية وانعكاساتها على مناهج العلوم، كوسيلة لاستكشاف الخبرات المدرسية في الصف الواحد، ولمجموعة مختلفة من الطلاب، حيث اختبرت مواد منهجية لرصد سلوك الطلاب، وعملية التفاعل الصفي ، واستراتيجيات العمل الجماعي، وإستراتيجية تقويم المواد، وذلك عن طريق إجراء مقابلات مع الطلاب، إذ تم تطوير البرنامج ليساهم في كشف الفروق الفردية لديهم، ويمنحهم المساواة بممارسة التعليم، حيث توصل في دراسته إلى ما يلي:

1. يحتاج الطلبة في الصف المختلط (جنساً وعرقاً) إلى مهارات ضرورية لإدراك قدراتهم وكشف مواهبهم.
2. إن تجاهل الطلاب من ناحية العرق والجنس يدفع إلى التسرب من المدرسة وتركها.

## التعقيب على الدراسات السابقة

بالنظر إلى الدراسات السابقة، يتضح أن الدراسة الحالية تتفق إلى حد كبير مع كل من دراسة بخيتان 2006، ومصطفى 2004، حيث تناولت دراسة بخيتان "تقييم منهاج العلوم الفلسطيني الجديد" للمرحلة الأساسية من وجهة نظر مشرفي ومعلمي المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية، من حيث الأهداف والمحتوى، الأنشطة، التقويم، العلاقة بين العلوم والتكنولوجيا والمجتمع، في حين تناولت دراسة مصطفى "تقييم كتاب العلوم العامة للصف السادس الأساسي (المنهاج الفلسطيني) من وجهة نظر معلمي العلوم للصف السادس الأساسي في مديريات التربية والتعليم في محافظات شمال فلسطين، إلا أن اختلاف الدراسة الحالية الجوهري يكمن في تناول كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي فقط، مع التوسع في مجالات الدراسة منها ملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية، و الأنشطة التربوية والوسائل التعليمية. أما بقية الدراسات فكانت ذات علاقة من حيث تركيزها على تقييم كتب مدرسية مشابهة للمرحلة الأساسية والمرحلة الثانوية مثل كتب اللغة الإنجليزية، وكتب الفيزياء، وكتب الكيمياء، وكتب الرياضيات. كما تتميز هذه الدراسة بتوضيحها لأهم المعيقات التي تواجه معلمي كتاب العلوم في تدريسهم للكتاب وكذلك الحلول المقترحة للحد من تلك المعيقات وذلك من وجهة نظر المعلمين أنفسهم.

## منهجية الدراسة

في ضوء طبيعة الدراسة والأهداف التي سعت إلى تحقيقها للتعرف على تقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية مدينة جنين، وبناء على الأسئلة التي سعت الدراسة للإجابة عنها، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي بأسلوبه المسحي لتحقيق أهداف الدراسة، ذلك أن المنهج الوصفي لا يقتصر على وصف الظاهرة وجمع المعلومات والبيانات عنها، بل يمتد إلى الوصول إلى

استنتاجات تسهم في فهم الواقع المراد دراسته وتطويره (عبيدات، ذوقان وآخرون، 1997)، والذي لا يقف عند حد جمع المعلومات المتعلقة بالظاهرة من أجل استقصاء مظاهرها وعلاقاتها المختلفة، وإنما يعمد كذلك إلى تحليل الظاهرة وتفسيرها والوصول إلى استنتاجات تسهم في تطوير الواقع وتحسينه (عبيدات، ذوقان وآخرون، 1997).

وتعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية التي تهدف إلى الحصول على معلومات شاملة ودقيقة عن علاقة عينة أفراد الدراسة بتقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظرهم.

**مجتمع الدراسة وعينتها**

تشكل مجتمع الدراسة من جميع المدارس الأساسية الحكومية التابعة لمديرية تربية مدينة جنين البالغ عددها (106) مدرسة منها 57 مدرسة أساسية للذكور و 49 مدرسة أساسية للإناث، بواقع 106 معلم ومعلمة يدرسون منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي، تم اختيار جميع المدارس لتشملها الدراسة، حيث تم تسليم الاستبانة إلى مكتب مديرية تربية جنين، وقام المكتب مشكورا بتسليم الاستبانات للمدارس من خلال الصناديق الخاصة بكل مدرسة والموجودة في قسم الديوان، وما تم الحصول عليه من استبانات هي 45 استبانة فقط بواقع 43% التي شكلت عينة الدراسة، كما هو موضح في الجدول رقم (1) التالي:

جدول رقم (1) مجتمع وعينة الدراسة

| المدارس الأساسية | المجتمع | العينة |
|---|---|---|
| ذكور | **57** | **20** |
| إناث | **49** | **25** |
| المجموع | **106** | **45** |

**أداة الدراسة**

لقد تم جمع بيانات هذه الدراسة من خلال جانبين هما:

الجانب النظري: وقد تم تناول هذا الجانب من خلال الرجوع إلى مصادر البيانات الثانوية، وهي المصادر التي تزودت الباحثة من خلالها بالبيانات غير المباشرة عن الموضوع. وقد تمثلت هذه المصادر في الإنتاج العلمي من الكتب، والمراجع والمقالات، والدوريات، وبعض الدراسات السابقة حول الموضوعات المتعلقة بموضوع الدراسة.

الجانب الميداني: حيث استخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات الأولية من عناصر العينة، وذلك لتغطية هذا الجانب من الدراسة، وقد صممت الاستبانة وفقا للعناصر التالية:

القسم الأول : ويحتوي على بيانات شخصية شملت عددا من المتغيرات وهي:( العمر، الجنس، المؤهل العلمي، الخبرة)

كما استخدمت هذه البيانات الشخصية للتعرف على أفراد عينة الدراسة، وكذلك استغلت في فحص فرضيات الدراسة ومناقشتها.

القسم الثاني: اشتمل على فقرات الاستبانه وهي (56) فقرة مقسمة إلى 6 مجالات، وقد تم صياغة عبارات هذا القسم بشكل يتيح للمبحوثين فرصة الإجابة عنها وفقا لتدرج مقياس ليكرت الخماسي (بدرجة كبيرة جدا = 5، درجة كبيرة = 4، درجة متوسطة = 3، درجة ضعيفة = 2، درجة ضعيفة جدا =1). كما تخلل الإستبانة سؤال مفتوح للمبحوثين للإدلاء بالمعيقات التي قد تواجههم أثناء تدريسهم لكتاب العلوم، وكذلك الحلول التي يقترحونها المعلمين للحد من تلك المعيقات، تلى ذلك سؤال حول أية اقتراحات من شأنها إضافة الجديد لما ورد في الإستبانة.

**صدق أداة الدراسة:**

لقد تم إعداد الإستبانة بشكلها النهائي وفقا للخطوات التالية:

القيام بمراجعة شاملة لأهم الدراسات والبحوث، والمراجع ذات العلاقة بموضوع الدراسة والتي من خلالها تم التوصل إلى الصورة الأولية للاستبانة.

عرضت المسودة الأولى للاستبانة على عدد من المحكمين من زملاء الباحثة في مجال الإدارة التربوية ومجال القياس والتقييم وفي الإحصاء، والذين تفضلوا بإبداء ملاحظاتهم ومقترحاتهم حول عبارات الاستبانة ومعايير الإجابة عنها، وقد تم أخذ هذه الملاحظات والاقتراحات بعين الاعتبار للوصول إلى النسخة النهائية من الاستبانة. حيث تم حذف وتعديل بعض فقرات الإستبانة.

**ثبات أداة الدراسة:**

لقد تم حساب معامل الثبات النهائي لأداة الدراسة باستخدام معامل كرونباخ ألفا، والجدول (2) التالي يبين معاملات ثبات الاستبانة.

جدول رقم (2)

معامل الثبات ألفاكرونباخ لمحاور أداة الدراسة

| المحاور | العبارات | معامل الثبات (ألفا) |
|---|---|---|
| الأهداف | **12** | **0.804** |
| المحتوى العلمي | **9** | **0.852** |
| ملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية | **9** | **0.876** |

| | | |
|---|---|---|
| التقويم | **9** | **0.801** |
| الأنشطة التربوية | **10** | **0.883** |
| الوسائل التعليمية | **7** | **0.837** |
| الثبات الكلي | **56** | **0.961** |

لقد تراوح معامل الثبات النهائي لعبارات محاور الدراسة ما بين ( 0.801 – 0.883 ) وهو معامل ثبات مرتفع، كما بلغ معامل الثبات الكلي لجميع عبارات الأداة (0.961) وهو معامل ثبات مرتفع أيضا.

**أساليب المعالجة الإحصائية**

لقد تم معالجة بيانات الدراسة وفقا لبرمجية الحزمة الإحصائية (SPSS) حيث استخدمت الأساليب الإحصائية التالية:

1. تحديد معامل ثبات الدراسة باستخدام معامل كرونباخ ألفا.
2. التوزيعات التكرارية والنسب المؤوية لوصف البيانات الشخصية.
3. المتوسط الحسابي الموزون، ذلك أن لكل عبارة خمسة مقاييس، وهي من رقم (5) إلى رقم (1)، كما تم إيضاحها في الفقرة الخاصة بأداة الدراسة، وهذا يحدد مدى ارتفاع أو انخفاض استجابات المبحوثين لكل عبارة واردة في أداة الدراسة بحيث تقاس درجات المتوسط كما هو مبين في الجدول رقم (3) التالي:

جدول رقم (3)

**المتوسط الحسابي الموزون**

| رموز السلم | المعنى اللغوي للرمز في السلم | الدرجة | الوزن المنسوب لقياس المتوسط الحسابي |
|---|---|---|---|
| **د.ك.ج** | **درجة كبيرة جدا** | **5** | **5.00 – 4.21** |
| **د.ك** | **درجة كبيرة** | **4** | **4.20 – 3.41** |
| **د.م** | **درجة متوسطة** | **3** | **3.40 – 2.61** |
| **د.ض** | **درجة ضعيفة** | **2** | **2.60 – 1.81** |
| **د.ض. ج** | **درجة ضعيفة جدا** | **1** | **أقل من 1.81** |

4. اختبار التباين الأحادي (ANOVA) لتوضيح الفروق ذات الدلالة الإحصائية لمتوسط إجابات عينة أفراد الدراسة حول **تقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية جنين** وفقا للمتغيرات المستقلة في الدراسة، وذلك بالمقارنة مع ألفا 0.05، فإن كانت النتيجة أقل من 0.05 يتم رفض الفرضية، وإن كانت قيمتها أكبر من 0.05 نقبل الفرضية بمعنى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في إجابات المبحوثين.
5. الانحراف المعياري، لتحديد مقدار التشتت في إجابات المبحوثين لكل عبارة عن المتوسط الحسابي كما يلي:

- الانحراف المعياري اقل من (1) يشير الى تركيز الإجابات وعدم تشتتها عن متوسط الإجابات لكل عبارة من عبارات الاستبانة، ويعني ذلك تقارب استجابات الأغلبية.

- الانحراف المعياري اكبر من أو يساوي (1) يشير الى تشتت الإجابات وعدم تركيزها مما يدل على تباعد استجابات الأغلبية لموضوع العبارة.

**خلفية أفراد العينة (المتغيرات الديمغرافي)**

جدول رقم (4)

التوزيع التكراري والنسب المؤوية لعينة أفراد الدراسة

| العمر | التكرار | % | الخبرة | التكرار | % |
|---|---|---|---|---|---|
| أقل من 25 سنة | 4 | 8.9 | أقل من 5 سنوات | 20 | 44.4 |
| 25-40 سنة | 24 | 53.3 | من 5-10 سنة | 17 | 37.8 |
| أكثر من 40 سنة | 17 | 37.8 | أكثر من 10 سنة | 8 | 17.8 |
| المجموع | 45 | 100.0 | المجموع | 45 | 100.0 |
| **المؤهل العلمي** | **التكرار** | **%** | **الجنس** | **التكرار** | **%** |
| بكالوريوس | 30 | 66.6 | ذكر | 20 | 44.4 |
| ماجستير | 14 | 31.1 | أنثى | 25 | 5.55 |
| غير ذلك | 1 | 2.2 | المجموع | 45 | 100.0 |
| المجموع | 45 | 100.0 | | | |

أظهرت النتائج توزيعا طبيعيا للفئات العمرية، ولكن يلاحظ أن أكثر من نصف العينة بقليل أو 53.3% تتراوح أعمارهم من 25 إلى 40 سنة، وأكثر من ثلث العينة تتراوح خدمتهم في العمل من 5 إلى 10 سنوات، ومعظمهم من حملة الدرجة الجامعية الأولى، وأكثر من نصفهم من الإناث، حيث كانت مشاركة مدارس الإناث أكثر من مشاركة مدارس الذكور، وقد يكون ذلك مؤشرا إلى أن نسبة كبيرة منهم حديثي التخرج وبالتالي على معرفة ودراية بمستجدات العصر الحالي وخاصة وجود تخصصات تربوية متنوعة مما يؤهلهم استخدام طرق تدريس ذات طابع تربوي.

**الإجابة عن أسئلة الدراسة:**

السؤال الأول: ما درجة تقييم منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية مدينة جنين ؟

وفقا للمجالات الآتية:

- الأهداف التعليمية
- المحتوى العلمي
- ملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية
- التقويم
- الأنشطة التربوية
- الوسائل التعليمية

جدول رقم (5)

متوسط إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمجال الأهداف التعليمية

| الرقم | نص الفقرة | المتوسط الحسابي | الإنحراف المعياري | الدرجة |
|---|---|---|---|---|
| .1 | ملبية لحاجات المتعلمين | 3.60 | .80904 | د.ك |
| .2 | واضحة ومحددة | 3.64 | .88306 | د.ك |
| .3 | مواكبة للتطورات الحديثة عالميا | 3.58 | .81153 | د.ك |
| .4 | لها صلة بالثقافة المحلية | 3.60 | 1.00905 | د.ك |
| .5 | تحقق الفروق الفردية بين المتعلمين | 3.13 | .84208 | د.م |
| .6 | شاملة تنمي جميع الجوانب الشخصية للمتعلم | 3.31 | .84805 | د.م |
| .7 | تساعد المعلم على اختيار الطريقة المناسبة للتعليم | 3.60 | .75076 | د.ك |
| .8 | تمثل نتاجا قابلا للملاحظة والقياس | 3.71 | .62603 | د.ك |
| .9 | ترتبط ارتباطا مباشرا مع المحتوى | 3.84 | .82450 | د.ك |
| .10 | تتضمن أبعادًا تطبيقية في الحياة اليومية للطالب. | 3.73 | .83666 | د.ك |
| .11 | ترتبط بجدول زمني لانجازها | 3.80 | .91949 | د.ك |
| .12 | تنمي التعلم الذاتي والاعتماد على النفس لدى الطلبة. | 3.07 | .83666 | د.ك |
| | المتوسط العام | 3.55 | | د.ك |

يتضح من الجدول رقم (5) أن المتوسطات الحسابية لعبارات الاستبيان انحصرت بين المتوسطات (3.07-3.84)، أي بين التقديرين (بدرجة متوسطة وبدرجة كبيرة)، وإن كانت النتيجة العامة للجدول درجة كبيرة، وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة خالد مصطفى (2003) والذي عزى ذلك إلى استفادة معلمي العلوم من المساقات التربوية التي مرت معهم في مراحل الدراسة في الكليات والمعاهد المتوسطة والجامعات.

كما هو موضح بالجدول السابق فقد نالت الفقرة رقم (9) والتي تنص على " ترتبط ارتباطا مباشرا مع المحتوى " على أعلى المتوسطات الحسابية m=3.84 أي بدرجة كبيرة، وتعزوا الباحثة ذلك لدراية المعلمين كيفية اشتقاق الأهداف بحيث تكون محققة ومرتبطة بالمحتوى، إما نتيجة خبرتهم العملية أو استفادتهم من المساقات التربوية التي مرت معهم أثناء دراساتهم، أو استفادتهم من الدورات التدريبية التي تعقد لهم أثناء الخدمة، سيما وأن وزارة التربية والتعليم تعقد دورات مستمرة لتطوير وتحسين مهارات المعلمين تربويا. أما الفقرة (12) والتي تنص على " تنمي التعلم الذاتي والاعتماد على النفس لدى الطلبة" فقد نالت أدنى المتوسطات m=3.07 أي بدرجة متوسط، وقد تعزوا الباحثة ذلك لعدم اهتمام المعلمين بالجوانب النفسية للطالب والتركيز على كم المعلومات التي ستنجز خلال الفترة المحددة، خاصة أن معظم المعلمين أجمعوا على زخم حجم المادة.

جدول رقم (6)

متوسط إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمجال **المحتوى العلمي**

| الرقم | نص الفقرة | المتوسط الحسابي | الإنحراف المعياري | **الدرجة** |
|---|---|---|---|---|
| 1. | **يتسلسل المحتوى تسلسلا نفسيا (من المعلوم إلى المجهول)** | 3.38 | .91176 | **د.م** |
| 2. | **وجود ملخص للمفاهيم بعد كل موضوع** | 3.62 | 1.05073 | **د.ك** |
| 3. | **درجة صعوبة تتناسب والمرحلة التعليمية للمتعلم** | 3.44 | .94281 | **د.ك** |
| 4. | **يترابط بين أجزائه وأفكاره ووحداته** | 3.29 | .81526 | **د.م** |
| 5. | **غني بالأمثلة التوضيحية والأسئلة والأشكال والصور** | 3.73 | .88933 | **د.ك** |
| 6. | **طريقة العرض تساعد الطلبة على التعلم الذاتي** | 3.13 | .99087 | **د.م** |
| 7. | **يتناسب الحجم والفترة الزمنية المحددة لتعلمه** | 3.24 | 1.06931 | **د.م** |
| 8. | **عرض الموضوعات شيق وتزيد من دافعية الطالب للتعلم** | 3.09 | .94922 | **د.م** |
| 9. | **يتصف بالدقة والحداثة** | 3.49 | .78689 | **د.ك** |
| المتوسط العام | | **3.37** | | **د.م** |

يتضح من الجدول رقم(6) أن المتوسطات الحسابية لعبارات الاستبيان الخاصة بمجال المحتوى العلمي انحصرت بين المتوسطات (3.09 – 3.73) أي بين التقديرين (بدرجة متوسطة وبدرجة كبيرة)، وكانت النتيجة الكلية للجدول بدرجة متوسطة. وقد اختلفت هذه النتيجة مع دراسة خالد مصطفى، حيث كانت لمجال "محتوى الكتاب" لديه عالية وقد عزى الباحث ذلك إلى إلمام واضعي المنهاج لجانب كبير من المشكلات التي يعاني منها طلبتنا، وحزمهم للواقع الذي نعيشه.

في حين بينت النتائج أعلى المتوسطات الحسابية للعبارة رقم(5) m=3.73 والتي تنص على: "غني بالأمثلة التوضيحية والأسئلة والأشكال والصور" مما يدل على الجهود التي بذلت لتصميم الكتاب وإخراجه ضمن مواصفات عالية، إضافة إلى امتلاك واضعي المنهاج مؤهلات وخبرات تربوية عالية.

أما الفقرة رقم (8) فقد نالت أدنى المتوسطات الحسابية m=3.09 والتي تنص على " عرض الموضوعات شيق وتزيد من دافعية الطالب للتعلم" وتعزو الباحثة ذلك لعدم إشراك المعلمين عند وضع المنهاج بالمحتوى وبطريقة عرضه، سيما وأن المعلمين يعايشون الحدث وهم في الميدان وأقرب للطلبة من واضعي المنهاج بمفردهم، وبالتالي أقدر على اختيار الكيفية المناسبة لعرض الموضوعات بما يتناسب مع استثارة وحفز طلبتهم للتعلم.

جدول رقم (7)

متوسط إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمجال **ملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية**

| الرقم | نص الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | **الدرجة** |
|---|---|---|---|---|
| 1. | **تثير الدافعية للتعلم عند المتعلم** | 3.31 | .84805 | **د.م** |
| 2. | **ذات علاقة مباشرة بالمحتوى** | 3.96 | .73718 | **د.ك** |
| 3. | **تيسر فهم واستيعاب المادة لدى المتعلم** | 3.40 | .88933 | **د.م** |
| 4. | **تعمل على بناء ثقة المتعلم** | 3.36 | .88306 | **د.م** |
| 5. | **تعمل على تفعيل التعليم المستقل** | 3.04 | .95240 | **د.م** |
| 6. | **تعمل على تطوير مهارات الاتصال لدى المتعلمين** | 3.18 | .80591 | **د.م** |
| 7. | **تعمل على تنشيط التفكير الناقد** | 3.09 | .97286 | **د.م** |
| 8. | **معبرة وتختصر وقت القراءة للطالب** | 3.27 | .93905 | **د.م** |
| 9. | **موجودة في المكان المناسب والملائم لها داخل الكتاب** | 3.76 | .88306 | **د.ك** |
| | المتوسط العام | **3.37** | | **د.م** |

يتضح من الجدول رقم (7) أن المتوسطات الحسابية لعبارات الاستبيان الخاصة بمجال ملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية انحصرت بين المتوسطات (3.04 – 3.96) أي بدرجة (متوسطة وبدرجة كبيرة). وكانت النتيجة الكلية للجدول بدرجة متوسطة. وكانت النتيجة الكلية للجدول بدرجة متوسطة m=3.37، حيث اختلف نتيجة الجدول الكليو مع دراسة خالد مصطفى الذي أظهر نتيجة عالية "لملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية" وقد عزى الباحث ذلك إلى قوة المصادر التي اخذت منها الرسوم والأشكال التوضيحية وبما تحتوي. أما من حيث ما توصلت له الباحثة في الجدول السابق فقد سجلت النتائج للعبارة رقم (2) أعلى المتوسطات الحسابية m=3.96 والتي تنص على " ذات علاقة مباشرة بالمحتوى"، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى إلمام واضعي المنهاج بالمادة العلمية ودقة معلمي المنهاج في اختيار الشكل الأنسب لتوصيل المحتوى بطريقة معبرة. في حين سجلت النتائج نتيجة مغايرة، حيث تبين أن الفقرة رقم (5) m= 3.04 نالت أدنى المتوسطات الحسابية في الجدول والتي تنص على " تعمل على تفعيل التعليم المستقل" وتعزو الباحثة ذلك لعدم إلمام معلمي المنهاج في مهارات التعليم الذاتي.

جدول رقم (8)

متوسط إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمجال **التقويم**

| الرقم | نص الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | **الدرجة** |
|---|---|---|---|---|
| 1. | **ترتبط الأسئلة التقويمية بالأهداف المراد قياسها.** | 3.91 | 3.9111 | **د.ك** |
| 2. | **تغطي الأسئلة التقويمية المحتوى التعليمي المراد اختبار الطالب فيه** | 3.87 | 3.8667 | **د.ك** |
| 3. | **تقيس مستويات عقلية متنوعة** | 3.91 | 3.9111 | **د.ك** |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 4. | **قادرة على تشخيص نقاط القوة لدى الطلبة** | 3.64 | 3.6444 | **د.ك** |
| 5. | **قادرة على تشخيص نقاط الضعف لدى الطلبة.** | 3.49 | 3.4889 | **د.ك** |
| 6. | **قادرة على قياس قدرة الطلبة على التفكير الناقد.** | 3.33 | 3.3333 | **د.م** |
| 7. | **تستثير قدرة الطالب وتعزز نشاطه** | 3.60 | 3.6000 | **د.ك** |
| 8. | **تراعي الفروق الفردية بين الطلاب** | 3.42 | 3.4222 | **د.ك** |
| 9. | **توفر التغذية الراجعة للمتعلم من خلال الإجابة النموذجية** | 3.40 | 3.4000 | **د.م** |
| المتوسط العام | | **3.62** | | **د.ك** |

يتضح من الجدول رقم (8) أن المتوسطات الحسابية لعبارات الاستبيان الخاصة بمجال التقويم انحصرت بين المتوسطات (3.33 -3.91) أي بين التقديرين (درجة متوسطة وبدرجة كبيرة).

وكانت النتيجة الكلية للجدول بدرجة كبيرة، وهذه نتيجة معقولة لأهمية التقويم باعتبار أنه ملازم للعملية التعليمية التعلمية في جميع خطواتها ونشاطاتها. كما قد تعزو الباحثة هذه النتيجة لاهتمام المعلمين لمعرفة مدى استيعاب نقاط القوة والضعف لديهم، إضافة لذلك أن المعلمين معنيين باستمرار في الحصول على نتائج موثوقة عن فعالية أساليبهم التدريسية. وربما يود ذلك لالمام المعلمين بمبادئ القياس والتقويم إما من خلال دراستهم الجامعية أو من خلال الدورات التطويرية التي تعقد لهم أثناء الخدمة.

وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة خالد مصطفى حيث كانت لمجال وسائل التقويم في الكتاب بدرجة عالية، وقد عزى الباحث ذلك إلى تلقي المعلمين لدورات القياس والتقويم ونظريات التعلم الحديثة التي عقدتها الوزارة.

جدول رقم (9)

متوسط إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمجال **الأنشطة التربوية**

| الرقم | نص الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الدرجة |
|---|---|---|---|---|
| | متدرجة من السهل إلى الصعب. | 3.44 | .96661 | د.ك |
| | تنمي التفكير والإبداع عند الطالب | 3.36 | .77329 | د.م |
| | تتضمن أسئلة موضوعية | 3.53 | .89443 | د.ك |
| | تصاحبها إرشادات للحل | 3.18 | .83364 | د.م |
| | تركز على العمل التعاوني | 3.18 | .86047 | د.م |
| | الأنشطة متنوعة لمراعاة الفروق الفردية بين الطلبة. | 3.27 | .86340 | د.م |
| | تمكن المعلم من القيام بدور المشرف والموجه والمساعد. | 3.40 | .96295 | د.م |
| | تساعد الطلبة على التفكير العلمي وحل المشكلات. | 3.47 | .84208 | د.ك |
| | تنمي مهارة الاتصال والتفاعل لدى الطلبة. | 3.49 | .75745 | د.ك |
| | تمكن الطلبة من التفاعل مع البيئة المحيطة. | 3.62 | .86047 | د.ك |
| المتوسط العام | | **3.39** | | **د.م** |

يتضح من الجدول رقم (9) أن المتوسطات الحسابية لعبارات الاستبيان الخاصة بمجال الأنشطة التربوية انحصرت بين المتوسطات (3.18 -3.62) أي بين التقديرين (درجة متوسطة وبدرجة كبيرة). وكانت النتيجة الكلية للجدول بدرجة متوسطة، وقد تعزو الباحثة ذلك إلى أن عدد الأنشطة كبير (كما أجمع معظم المعلمين)، إضافة إلى أن نصاب الحصص لمعلم العلوم مع أنه كامل إلا أنه لا يكف للقيام بالأنشطة الواردة في الكتاب لكثرتها، ولعدم توفر مختبر مناسب لها، وبعضه يصعب تنفيذها (مثل تحضير مركب مكون من عنصرين مسحوق الكبريت وبرادة الحديد) لكونه يصدر غازات خانقة وكريه مثلا. وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة خالد مصطفى حيث كانت متوسطة لديه وقد عزى الباحث ذلك إلى زيادة نصاب معلم العلوم في المدرسة بحيث لا يستطيع تحضير النشاط وتطبيقه في نفس الحصة لاكتظاظ الجدول اليومي للدروس.

أما الفقرتين الرابعة والخامسة على التوالي واللتين تنصان على " تصاحبها إرشادات للحل"، " تركز على العمل التعاوني" فقد نالت أدنى المتوسطات الحسابية m=3.18، وتعزو الباحثة هذه النتيجة لكثرة عدد الأنشطة الواردة بكل درس مما قد لا يتيح المجال لانجازها أصلا، وإن أتيح فيكون ذلك من قبل المعلم لسرعة الانجاز، إضافة لعدم توفر مواد وأدوات كافية لعمل مجموعات تقوم بأداء التجربة بإشراف المعلم ولكن يتوخى ليقوم بها المعلم وحدة.

جدول رقم (10)

متوسط إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمجال **الوسائل التعليمية**

| الرقم | نص الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | **الدرجة** |
|---|---|---|---|---|
| .1 | **مناسبة لتحقيق أهداف الكتاب** | 3.75 | .66750 | **د.ك** |
| .2 | **يستعان بالمواد الأولية من البيئة المحلية في إعداد الوسائل** | 3.71 | .72683 | **د.ك** |
| .3 | **يتم إشراك الطلاب في إنتاج وسائل تعليمية مرتبطة بالدرس.** | 3.78 | .79455 | **د.ك** |
| .4 | **جذابة وتسهل عملية فهم الدرس** | 3.76 | .71209 | **د.ك** |
| .5 | **معبرة تعكس موضوع الدرس** | 3.78 | .63564 | **د.ك** |
| .6 | **تستخدم في الوقت المناسب من الدرس.** | 3.89 | .68165 | **د.ك** |
| .7 | **لكل موضوع رئيس في الدرس وسيلته الخاصة به** | 3.58 | .89160 | **د.ك** |
| المتوسط العام | | **3.75** | | **د.ك** |

يتضح من الجدول رقم (10) أن المتوسطات الحسابية لعبارات الاستبيان الخاصة بمجال الوسائل التعليمية انحصرت بين المتوسطات (3.58 – 3.89) أي بدرجة كبيرة. وكانت النتيجة الكلية للجدول بدرجة كبيرة أيضا، وهذا يؤكد على تميز المنهاج الفلسطيني بما يحتويه من وسائل تعليمية مساعدة، كما يدل على مدى إدراك ووعي المعلمين بأهمية الوسيلة التعليمية باعتبارها أداة تسهل توصيل المعلومة وترسيخها لدى التلاميذ.

**الإجابة عن فرضيات الدراسة**

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ألفا أقل من أو يساوي 0.05 لمتوسط إجابات المبحوثين حول درجة تقييم منهاج العلوم للصف الخامس الأساسي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الأساسية التابعة لتربية جنين تعزى إلى المتغيرات الآتية:

- الجنس.
- المؤهل العلمي.
- التخصص.
- سنوات الخبرة

جدول رقم (11)

اختبار التباين الأحادي لمجالات تقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي الفا 0.05 =>

| المتغير المستقل | تصميم التدريس | | الوسائل التعليمية | | الارشاد والتوجيه التربوي | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | Asymp. Sig. | النتيجة | Asymp. Sig. | النتيجة | Asymp. Sig. | النتيجة |
| العمر | 0.936 | قبول | 0.841 | قبول | 0.277 | قبول |
| الجنس | 0.981 | قبول | 0.486 | قبول | 0.768 | قبول |
| المؤهل | 0.238 | قبول | 0.200 | قبول | 0.198 | قبول |
| الخبرة | 0.708 | قبول | 0.411 | قبول | 0.963 | قبول |

تابع جدول رقم (11)

| المتغير المستقل | اختيار التقنيات | | القياس والتقويم | | طرق التدريس | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | Asymp. Sig. | النتيجة | Asymp. Sig. | النتيجة | Asymp. Sig. | النتيجة |
| العمر | 0.840 | قبول | 0.353 | قبول | 0.933 | قبول |
| الجنس | 0.603 | قبول | 0.375 | قبول | 0.741 | قبول |
| المؤهل | 0.236 | قبول | 0.146 | قبول | 0.340 | قبول |
| الخبرة | 0.196 | قبول | 0.092 | قبول | 0.266 | قبول |

فقد أظهرت نتائج اختبار التباين الأحادي Kruskal-Wallis Test جدول رقم (11) عند ألفا أقل من أو يساوي 0.05 عدم وجود تباين دال إحصائيا، وهذا يؤدي إلى قبول جميع فرضيات الباحثة الخاصة بتقييم كتاب العلوم للصف الخامس الأساسي، وفقا للمتغيرات المستقلة: (العمر، الجنس، المؤهل العلمي، الخبرة)، وهذا يؤكد ما تم عرضه من تفسير للنتائج الذي يشير إلى توافق كبير نسبيا في استجابات أفراد الدراسة حول تقييمهم لكتاب العلوم، فالمشكلة في الكتاب كانت مشتركة وفي إجماع على وجودها من قبل المعلمين، وإن كان هناك تبيان طفيف ولكن غير دال إحصائيا.

جدول رقم (12)

ملخص المتوسطات الحسابية لنتائج الدراسة تبعا للمحاور ككل

| المحاور | المتوسط | الدرجة |
| --- | --- | --- |
| الأهداف التعليمية | **3.55** | **درجة كبيرة** |
| المحتوى العلمي | **3.37** | **درجة متوسطة** |
| ملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية | **3.37** | **درجة متوسطة** |
| التقويم | **3.62** | **درجة كبيرة** |
| الأنشطة التربوية | **3.39** | **درجة متوسطة** |
| الوسائل التعليمية | **3.75** | **درجة كبيرة** |
| المتوسط العام | **3.51** | **درجة كبيرة** |

يلاحظ من الجدول رقم (12) أن أعلى المحاور تقديرا كان لمحور الوسائل التعليمية m=3.75، تلى ذلك مباشرة التقويم والأهداف التعليمية على التوالي m = 3.62, 3.55، في حين جاءت الأنشطة التربوية، والمحتوى العلمي، و ملاءمة الرسوم والأشكال التوضيحية في المرتبة الأخيرة m= 3.39, 3.37, 3.37 على التوالي، وإن كانت هذه النتائج قد جاءت مناصفة بين الدرجتين الكبيرة والمتوسطة، فالمتوسط العام لمحاور الدراسة ككل جاء بدرجة كبيرة m=3.51، وتعزو الباحثة ذلك إلى كبر واكتظاظ كتاب العلوم بالمحتوى والمواضيع المتشعبة وعدم ملاءمتها للمرحلة العمرية الحالية للصف الخامس الأساسي. وقد سجلت نتائج الدراسة وفقا لمحور الأنشطة التعليمية اختلافا بسيطا مقارنة مع دراسة صفاء بخيتان، التي أظهرت أن محور الأنشطة التعليمية قد حصل على أعلى التقديرات m=3.65، كما كان هناك اختلاف

مشابه (بسيط) أيضا مع دراسة أيوب (1999) التي توصل فيها أن التقديرات التقويمية لمحور المحتوى والأنشطة جاء على تقدير مقبول بنسبة 65.6%.

**وللإجابة عن الأسئلة المفتوحة:**

**السؤال الأول**: ما أهم الصعوبات التي تواجهها في تدريس هذا الكتاب؟

برجاء ذكر هذه الصعوبات وترتيبها وفقا لأهميتها؟

للإجابة عن هذا السؤال، وبعد رصد ما تم تدوينه من قبل المعلمين في الاستبانات، خلصت الباحثة لأهم الصعوبات، وهي مرتبة تنازليا.

- المنهاج طويل نوعا ما (زخم المادة)
- وجود مواضيع أعلى من مستوى التلاميذ (كالتفاعلات الكيميائية، وإنتاج المركبات، الأحافير، أجهزة جسم الإنسان).
- كثرة الأنشطة الموجودة في الكتاب، خصوصا الوحدة الأولى (الجزء الثاني).
- عدم توفر مختبر مجهز تجهيزات مناسبة لتنفيذ الأنشطة.
- تكرار بعض المواضيع مع منهاج الجغرافيا (كالتصحر والري)
- افتقار المنهاج لأسئلة التفكير العلمي خلال تنفيذ الأنشطة
- احتواء الكتاب على أسئلة ليس لها إجابات واضحة في الكتاب.
- كثرة المعلومات في مواضيع معينة مثل المعلومات الواردة في وحدة (التداوي بالنباتات)

**السؤال الثاني**:

ما الحلول المقترحة التي تراها مناسبة للحد من تلك الصعوبات، برجاء ذكر حلا واحدا لكل صعوبة تم ذكرها آنفا؟

للإجابة على الحلول المقترحة للحد من ما تم ذكره من صعوبات من وجهة نظر المعلمين، فقد رصدت الباحثة الحلول المقترحة الآتية:

- التقليل من عدد الأنشطة، الاختصار من المحتوى والتقليل من التفاصيل المتعلقة خاصة بجهاز الدوران والمركبات والعناصر.
- زيادة عدد حصص العلوم من 4 – 6 حصص في الأسبوع، مع تخصيص حصتين متتاليتين في يوم واحد لأن بعض الأنشطة تستغرق أكثر من حصة صفية.
- تجهيز المختبر تجهيزا مناسبا
- تكرار بعض المواضيع مع مناهج أخرى
- وضع آلية معينة ليميز الطالب بين العناصر والمركبات تتناسب وعمره.
- توفير الوسائل التعليمية من قبل الوزارة في بداية كل سنة جديدة حسب محتوى الكتاب.
- إهمال التقسيم الجديد لعلامة الطالب (75% اختبارات، 25% عملي) في المرحلة الحالية من عمر الطالب.
- استبدال بعض المواضيع بمواضيع مختصرة عن الفيزياء كالسرعة والتسارع مثلا.
- توفر أشرطة مدمجة C.D خاصة بالبراكين والزلازل ولأجهزة جسم الإنسان
-

**الاستنتاجات**

- لوحظ أن المعلمين على درجة معقولة من الدراية باشتقاق الأهداف التعليمية بشكل يحقق محتوى كتاب العلوم.
- عدم إشراك المعلمين بوضع اقتراحات وتوصيات عند وضع محتوى كتاب العلوم.
- قدرة المعلمين على تشخيص نقاط القوة والضعف، ومعرفتهم الجيدة بمبادئ القياس والتقويم.
- إدراك ووعي المعلمين بأهمية الوسائل التعليمية كأداة تسهيل وتوصيل المعلومة وترسيخها لدى التلاميذ.
- توافق نسبي في إجابات أفراد عينة الدراسة (ذكور وإناث، فئات عمرية مختلفة، سنوات خبرة مختلفة، المؤهل العلمي) حول تقييم كتاب العلوم.

**التوصيات :**

في ضوء ما أظهرته نتائج الدراسة والاستنتاجات يمكن التوصل إلى التوصيات الآتية :

- أن يهتم المختصين ومتخذي القرار في دائرة المناهج الفلسطينية خلق مواءمة بين محتوى كتاب علوم الصف الخامس الأساسي، والحصص المخصصة لتدريسه، مع دمج حصتين في الأسبوع للتجارب العملية والمخبرية.
- أن يهتم المختصين ومتخذي القرار في دائرة المناهج الفلسطينية بفتح باب حوار فعال لأخذ وجهات نظر المعلمين من ملاحظات في الميدان أثناء تطوير كتاب العلوم، كونهم أقرب للحدث نظرا لانخراطهم في تدريس الكتاب.
- الاهتمام بتطوير مختبرات العلوم ضمن مواصفات قياسية من حيث الأجهزة والمعدات المخبرية في المدارس الأساسية، حتى يتسنى إجراء ما يحويه الكتاب من تجارب.
- الاهتمام بحل مشكلة الاكتظاظ في الصفوف، حتى يتسنى للمعلم ايصال المعلومة للجميع بشكل أكثر فعالية، وإجراء التجارب العلمية والمخبرية بشكل يتناسب وعدد الطلاب في الصف الواحد.
- زيادة عدد حصص العلوم من 4 – 6 حصص في الأسبوع، مع تخصيص حصتين متتاليتين في يوم واحد لأن تنفيذ بعض الأنشطة تستغرق أكثر من حصة صفية.
- تشكيل فريق مختص بدراسة مواضيع قد تكون فوق مستوى التلاميذ كالتفاعلات الكيميائية، وإنتاج المركبات، أجهزة جسم الإنسان، لتتلاءم والمستوى العقلي للتلاميذ.
- تشكيل فريق مختص بدراسة المواضيع المكررة مع كتب أخرى منها كتاب الجغرافيا – التصحر والري.
- التقليل من عدد الأنشطة الموجودة في الوحدة الأولى من الكتاب.
- إغناء المنهاج بأسئلة التفكير العلمي خلال تنفيذ الأنشطة
- العمل على ايجاد حلول نموذية لبعض الأسئلة التي لا يوجد لها إجابات واضحة من خلال تزويد المعلمين بدليل للكتاب.
- اختصار موضوع التداوي بالأعشاب نظرا لإكتظاظه بمعلومات قد تكون فوق مستوى التلاميذ.
- توفر أشرطة مدمجة C.D خاصة بالبراكين والزلازل ولأجهزة جسم الإنسان

## المراجع

### أولا: المراجع العربية


1. هاشم السامرائي، إبراهيم القاعود، محمد أحمد عقلة المومني ( المناهج أسسها، تطويرها، نظرياتها ) ط1، الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع ، 1995.
2. أفنان نظير دروزي، ( المناهج ومعايير تقيمها )، نابلس، فلسطين ، 2006.
3. جودت أحمد سعادة، عبد الله محمد إبراهيم ( المنهج المدرسي المعاصر )، ط4، الأردن: دار الفكر ، 2004.
4. أحمد حسين اللقاني، (تطوير مناهج التعليم )، ط1، القاهرة، عالم الكتب 1995.
5. سناء أبو دقة، (تقويم الواقع الحالي للمناهج الدراسية)، النتائج الإحصائية للدراسة الميدانية، المنهاج الفلسطيني الأول للتعليم العام، الخطة الشاملة، مركز تطوير المناهج الفلسطينية، 1996.
6. توفيق أحمد مرعي، محمد محمود الحيلة، ( المناهج التربوية الحديثة )، ط5، عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007.
7. كوثر كوجك، (اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس) ط2، القاهرة عالم الكتب، 2001.
8. محمد السيد علي، ( تطوير المناهج الدراسية من منظور هندسة المنهج )، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي ، 2003.
9. محمد محمود الخوالدي، ( أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي )، ط2، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007.
10. إبراهيم مهدي الشلبي، ( المناهج بناؤها تنفيذها تقويمها تطويرها باستخدام النماذج )، ط2، اربد : دار الأمل للنشر والتوزيع، 2000.
11. عبد السلام عبد الرحمن جامل، ( أساسيات المناهج التعليمية وأساليب تطويرها )، ط2، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2002.
12. عبد الكريم محمد أيوب، (تقويم كتب الفيزياء للصف الأول الثانوي العلمي من وجهة نظر المشرفين والمعلمين والطلبة شمال فلسطين)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1999
13. جمال عبد ربه زعانين، محمد موسى شبات، ( تطوير مناهج الفيزياء في المرحلة الثانوية في فلسطين للقرن الحادي والعشرين)، مجلة الجامعة الإسلامية، ,غزة سلسلة الدراسات الإنسانية، مج، ( 10 )ع (1 )ص 2002
14. أيوب، عبد الكريم محمد، (تقويم كتب الفيزياء للصف الأول الثانوي العلمي من وجهة نظر المشرفين والمعلميم والطلبة شمال فلسطين)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1999
15. بشارات، جميل أحمد ( تقويم كتاب الكيمياء للصف الأول ثانوي العلمي من وجهة نظر مشرفي ومعلمي العلوم في مدارس شمال فلسطين)، رسالة ماجستير غير منشور ة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2000
16. مصطفى ,خالد، (تقويم كتاب العلوم العامة الفلسطيني الجديد للصف السادس الأساسي من وجهة نظر معلمي العلوم شمال فلسطين)، رسالة ماجستير غير منشور ة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين 2004

17. بعارة، حسين عبد اللطيف، ( مدى التركيز على العمليات العلمية المحتواة في النشاطات التدريسية العلمية لكتب العلوم للصفوف الأربعة الأولى في مرحلة التعليم الأساسي في الأردن)، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الاردن، مج، ( 18 )ع ,(1 )ص1 ، 2003
18. رواشدة ,ابراهيم، ( ملامح تطويرية في مناهج علوم العاشر)، مجلة البصائر، جامعة البنات الأردنية الأهلية، مج(2 ) ع(1 )، ص14، 1998
19. رواشدة، إبراهيم، (مستوى تطوير مناهج علوم السابع والثامن في الأردن حسب تقدير المعلمين، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية)، مكة المكرمة، مج، ( 12 )ع ,(2 )ص1، 2000
20. سنان، محمد احمد، (تطوير مواصفات الكتاب المدرسي واستخدامها في تقييم كتب الكيمياء للمرحلة الثانوية في اليمن)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، 1989
21. يوسف، عبد الرحمن محمد، (تقويم كتاب الأحياء للصف العاشر الأساسي من وجهة نظر المعلمين والطلاب في مديرية التربية والتعليم لضواحي عمان)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1994
22. جاسم،صالح عبد الله، (تقويم الأسئلة المتضمنة في كتاب الطالب للكيمياء في الصف الرابع الثانوي العلمي بدولة الكويت في ضوء أهداف تدريس الكيمياء في ذلك الصف)، المجلة التربوية، العدد54 ، 2000
23. بخيتان صفاء محمد محمود، (تقييم منهاج العلوم الفلسطيني الجديد للمرحلة الأساسية من وجهة نظر مشرفي ومعلمي المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية)، رسالة ماجستير غير منشور ة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006.

## ثانيا: المراجع الأجنبية

24. Ba, H., Goldenberg, L., & Anderson, L. (2002). A Qualitative Investigation of teachers and the Jason Multimedia Science Curriculum. Eric Document No. 476 763.
25. Ba, H., Martin, W., & Diaz, O. (2002). The Jason Project 's Multimedia Science Curriculum Impact on Student Learning. Eric Document No.475 922.
26. Furio, C., Vilches, A., Guisasola, J., & Romo, V. (2002). Spanish Teacher's Views of the Goals of Science Education in Secondary Education, Journal of RESEARCH IN SCIENCE & TECHNOLOGICAL EDUCATION, Vol (20), Number (1), p( 39-52).
27. Linda, D,B,(1997).Efficacy of aguler and ethnic equity in science education curriculum of pre-service teachers,Journal of Research in Science Teaching,34, pp.1019-1038.

# تأثير المعرفة المسبقة بالأهداف السلوكية على تحصيل الطلبة الأكاديمي الآني والمؤجل في تدريس التربية الوطنية

الدكتور فخري رشيد خضر

المقدمة

تهدف العملية التعليمية-التعلمية، إلى إحداث تغيير إيجابي في سلوك المتعلم، حيث يعد اكتساب المعارف والمهارات الجديدة بالتعليم، اكتساب سلوك جديد أو تغيير سلوك ما في الذات. ويقاس نجاح العملية التعليمية-التعلمية بنجاحها في إطفاء السلوك المرغوب عنه لدى المتعلم، أو إكسابه أنماطاً سلوكية جديدة تتفق مع غايات المجتمع وأهدافه.

وتؤدي الإجراءات التي تتخذ قبيل عملية التدريس، دوراً حيوياً في إنجاح العملية التعليمية-التعلمية، وإثارة دافعية الطلبة للتعّلم، حيث يشير الأدب التربوي إلى عدة إجراءات قبلية يمكن أن تحقق جانباً من مساعي النهوض بالعملية التعليمية التعلمية، من أهمها صياغة الأهداف السلوكية (مصطفى، 2010 ؛ الأحمد ويوسف، 2001). وفي نفس السياق يرى زكري (1987) أن الأهداف السلوكية هي من أهم استراتيجيات ما قبل التدريس، لما لها من دور في تسهيل عملية تعلم الطلبة. فالطلبة يحاولون دائماً أن يتعرفوا على المبررات التي من أجلها يدرسون موضوعاً ما، وكثيراً ما يتشككون في جدوى أو قيمة بعض ما يدرسونه، وهذا الأمر يتوقف بطبيعة الحال على مدى كفاءة المعلم في تحديد أهداف الدروس وصياغتها، ومن هنا ندرك تماماً أن المعلم عندما يخطط لدرسه يكون في أمس الحاجة إلى رصد الأهداف السلوكية، حتى يعطي مبرراً لما يقوم بتدريسه لطلابه (سالم، 1997).

زاد الاهتمام حديثا بعملية التعليم المرتكز على الأهداف السلوكية، لتفوقها في تفسير الأداء المحكي المرجع، وهو الاتجاه الحديث في التربية (عودة، 1998)، فقد أصبح موضوع الأهداف السلوكية، يحظى باهتمام كبير لدى الأوساط التربوية في كثير من دول العالم، وعلى الخصوص بين واضعي المناهج والمعلمين والمشرفين التربويين (Hass & Parkay, 1993)، كما أصبح موضوعاً بارزاً تدور حوله الدراسات والبحوث، وتُعقد له الندوات والمؤتمرات (الملا، 2005) باعتبار الأهداف السلوكية جزءا حيويّا في كل من عمليتي التخطيط والتقويم لجميع الأنشطة التعليمية (Harry & Deborah, 2005). . الهدف ببساطه هو نتاج القيام بعمل ما، والهدف التعليمي هو نتاج العملية التعليمية، وهو جملة تفيد ما يجب على المتعلمين القيام به بعد الإنتهاء من عملية التعليم (Aiken,2000)، وعادة ما تصف هذه الجملة الكفايات التي يجب على الطلبة اكتسابها عند نهاية

عملية التدريس لمادة من المواد ( Simon & Taylor,2009 ; Kennedy et al.2006).

يعرّف الهدف السلوكي، بأنه نوع من الصياغة اللغوية التي تصف سلوكاً معيناً، يمكن ملاحظته وقياسه، ويُتوقع أن يكون المتعلم قادراً على أدائه في نهاية الموقف التعليمي التعلمي (القطامي، 2001). ويجيب الهدف السلوكي عن السؤال الآتي: ما الذي يستطيع الطلبة عمله في نهاية الدرس وهو ما لا يستطيعون عمله قبل بدايته؟ ويلخص أونوجوير (Onogwere,2000) خطة الدرس بأنها عملية تجيب عن الأسئلة الثلاثة الآتية: أين أنا ذاهب؟ كيف أصل إلى هناك؟ وكيف أعرف أني وصلت إلى هناك؟ وعليه فإن الدرس بلا أهداف مثل رحلة مجهولة الاتجاه، ويرى رامسدن (Ramsden, 2003) أن الهدف السلوكي هو عقد أو اتفاق بين المعلم والطالب يتضمن ما سوف يكون الطالب قادرا على القيام به بعد انتهاء عملية التعليم. ويرى مارش (Marsh, 2007) أن الهدف السلوكي، يجب أن يركز على ما يُتوقع من الطالب القيام به عند الانتهاء من عملية التعلم، شريطة أن تكون الخبرات المتضمنة بالهدف السلوكي جديدة، لم يسبق للطالب المرور بها. كما يجب أن يعكس الهدف السلوكي المحتوى التعليمي الرسمي بما يتضمنه من حقائق ومفاهيم ومهارات. ويرى جلبرت (Guilbert, 1984) أن الهدف هو عبارة إخبارية تصف سلوكاً محدداً يمكن قياسه وتصف ما يمكن للمتعلم أداؤه لانخراطه في نشاط تعليمي. والمهم هنا نشاط المتعلم بعد الإنتهاء من الدرس وليس نشاط المعلم أثناء الدرس. ويؤكد شنك (Schunk,1996) و لاثام ولوك (Latham & Locke, 1991) أن الأهداف المحددة الواضحة، التي يمكن قياسها لتحسين مستوى التحصيل أكثر من الأهداف الغامضة غير المحددة وغير القابلة للقياس وكل هدف يجب أن يحتوي على فعل مضارع يصف سلوكاً محدداً، ويحدد اختبار الأنشطة التعليمية والتعلمية ويربط بين محتوى المادة ووسائل تقويمها ( Kenedy, et al., 2006; Soulsby, 2009 and Onogwere, 2000).

أورد بني خالد وحمادنه (2011) الشروط والمواصفات الجيدة لصياغة الهدف السلوكي، بأن يكون الهدف محدداً وواضحاً، ويمكن ملاحظته في نتائجه، ويمكن قياسه، وأن يصاغ على أساس مستوى الطالب، وليس على أساس مستوى المعلم، لأن الطالب هو محور العملية التعليمية، وأن تحتوي عبارة الهدف على فعل سلوكي أو أدائي يشير إلى نوع السلوك ومستواه، وأن تحتوي عبارة الهدف على ما يسمى بالحد الأدنى للأداء. وفي ذات السياق يرى الخطيب (1990) أن صياغة الهدف السلوكي تتضمن أربعة أجزاء: اثنان منها رئيسان وأساسان، لا يمكن الاستغناء عنهما، وهما: الفعل

السلوكي، والمحتوى التعليمي. واثنان اختياريان يمكن الاستغناء عن أحدهما أو كليهما وهما: شرط الأداء، ومعيار الأداء. أما زكريا ومسعود (2006) فيحددان مواصفات صياغة الهدف السلوكي، بأنها تلك التي تستبعد أكبر عدد من البدائل والاحتمالات، بتضمين الهدف واحدة فقط من العمليات التعليمية ، وتستخدم أفضل وصف للسلوك النهائي المطلوب الذي لا يحتمل أي تفسير آخر، وبذلك تكون العبارة دقيقة، وذات مغزى، وفعالة. ويؤكد البغدادي (1998) أهمية الصياغة الجيدة للهدف السلوكي، كونها تسهم في التخطيط لعملية التعلم، بتقديم الإرشادات للمعلم، حول أساليب وكيفية نقل وتوصيل المحتويات المعرفية التعليمية إلى الطلبة، كما تساعد المعلم في اختيار الموضوعات التعليمية، وطرائق التعليم، والأدوات والمعينات خلال عملية التعليم والتعلم، كما تساعد المعلم في بناء الاختبارات، وأدوات التقويم، لقياس تحصيل الطلبة.

ويقترح هاينرتش، 2002; وألبرتو وتراوتمان، 1999 (Heinrich, 2002; Alberto&Troutman, 1999) أن الكتابة الجيدة للأهداف يجب أن يبين العناصر الآتية:

1- الشخص أو الأشخاص الذين كتبت لهم الأهداف.
2- السلوك المنوي تغييره.
3- الشروط الواجب توفيرها لتحقيق الأهداف.
4- المعايير الواجب استخدامها للتأكد من تحقيق الأهداف.

وينبه نشواتي (1984) إلى أن صياغة الأهداف، في عبارات سلوكية، واضحة، محددة، قابلة للقياس، غير كافية، ما لم يقترن ذلك بتصنيف الأهداف في فئات سلوكية معينة، تحدد نوعية السلوك الذي يجب على المتعلم أداؤه في عملية التعلم. وهذا ما تنبه له مبكرا خبراء المناهج وطرق التدريس، والقياس والتقويم، الذين اتفقوا خلال اجتماعهم في جامعة شيكاغو في العام 1956م، على تصنيف الأهداف السلوكية في ثلاثة مجالات: المعرفي (Cognitive)، والنفس حركي (Psychomotor)، والانفعالي أو الوجداني (Affective). وتأتي أهمية هذا التصنيف من صعوبة التعامل مع شخصية المتعلم المعقدة على الجملة، مع أننا نعرف أن الشخصية كل متكامل، وفريدة في خصائصها، بمعنى أن الهدف من التصنيف التبسيط والتسهيل للمجالات، لا الفصل بينها (بني خالد وحمادنه، 2011). ويفيد هذا التصنيف المعلمين في صياغة أهدافهم في عبارات سلوكية، تحدد نوعية السلوك المتوقع أداؤه من الطالب، بعد انتهاء عملية التدريس (المخزومي، 2003).

ويعد تصنيف بلوم في المجال المعرفي بمستوياته المختلفة، من أكثر أشكال التصنيف شيوعاً واستخداماً في تحديد الأهداف التعليمية، في الأنماط السلوكية، باعتبار أن الاختبارات التحصيلية عادة ما تقيس مستويات هذا المجال (العجيلي، 2005). ويصنف بلوم وآخرون (1985) هذا المجال إلى ستة مستويات مرتبة ترتيباً هرميًا، يعتمد كل مستوى منها على مدى إتقان المستويات السابقة له، ويقتضي كل مستوى استخدام قدرات عقلية معينة. وفيما يأتي توضيح لهذه المستويات:

- مستوى التذكر: يتمثل في تذكر المعلومات والمعارف، سواء عن طريق استدعائها من الذاكرة، أو التعرف عليها.
- مستوى الفهم والاستيعاب: وهو القدرة على إدراك معنى المادة التي يتعلمها الطالب، ويشمل هذا أن يصوغ الفكرة بلغته أو أُسلوبه الخاص، بشرط توفر الدقة، أو أن يقوم بشرح وتلخيص وإعادة تنظيم الفكرة
- مستوى التطبيق: ويتمثل في القدرة على توظيف المعلومات والمعارف والنظريات في استعمالات، أو مواقف جديدة.
- التحليل: وهو القدرة على تحليل المعرفة إلى عناصرها الأساسية، مع إدراك أنماط العلاقات.
- التركيب: و يتمثل في القدرة على إنتاج نماذج أو كليات جديدة من أجزاء أو عناصر .
- التقويم: ويتمثل في القدرة إلى إصدار أحكام، أو اتخاذ قرارات مناسبة، استنادا على معايير داخلية أو معايير خارجية.

إن أهم ما يجب أن يتعرف عليه المعلم في مجال التدريس بالأهداف، هو معرفة مصادر اشتقاقها. ومن وجهة نظر زكريا ومسعود (2006)، تتلخص المصادر الأساسية لاشتقاق الأهداف فيما يلي:

1-اتجاهات المعلم وفلسفته في الحياة: حيث تتباين الاتجاهات والفلسفات بين المعلمين حسب طبيعة كل واحد منهم، وحسب القيم والمبادئ التي يتبناها، لذلك فإن ما يستهوي معلما، وما يستأثر باهتمامه في المحتوى العلمي، لا يكون بالضرورة، هو ما يستأثر باهتمام المعلمين الآخرين. وعليه فإن من المؤكد أن هذا التباين، سوف يؤثر إلى حد بعيد، على صياغة الأهداف التعليمية.
2-موضوع الدراسة: لكل موضوع دراسي مجاله ومستواه، لذلك فإن صياغة الأهداف تكون متدرجة حسب المستوى، ومتدرجة في مجال من مجالات الأهداف، أو في مجالات متعددة حسب المحتوى التعليمي،

أو متأثرة بمجال أو مستوى بقدر أكبرمما هو في المجالات والمستويات الأخرى.

3- الأهداف بعيدة المدى (الغايات): تعد الغايات المصدر الأساس لاشتقاق الأهداف التعليمية، باعتبارها تعبر عن الوجهة العامة لفلسفة التربية، وللتوجهات السياسية والاجتماعية في مرحلة معينة من مراحل نمو المجتمع.

4- التطور العلمي والتقدم التكنولوجي العالمي: يؤدي التطور العلمي والتقدم التكنولوجي إلى إعادة النظر باستمرار في الأهداف التعليمية، وذلك لظهور نظريات جديدة في المجال التربوي والنفسي، كما يتدخل التقدم العلمي في إنتاج وظهور وسائل لم تكن موجودة من قبل، قد تقلب كل مفاهيمنا، وتقدم تصورا غير الذي كنا نتصوره.

5- الظروف البيئية: وهي كل ما يحيط بالمتعلم من ظواهر طبيعية، أو فيزيائية، أو اجتماعية. فانتشار ظاهرة التدخين بين طلبة المدارس يحتم على القائمين بالتعليم في الميدان الاهتمام بهذا الجانب أو بهذه الظاهرة، بإدراج أهداف قد لا تكون موجودة من قبل لحمل الطلبة على السلوك السوي.

6- خصائص المتعلم: المتعلم هو محور العملية التربوية، فمهما تكن الأهداف جيدة ومشتقة بطريقة صحيحة من مصادرها الأساسية، تبقى جوفاء إن لم تعبر عن المدخلات السلوكية للمتعلم، وعن حاجاته، وخلفيته الاجتماعية، وتوقعاته، وآماله، وطموحاته، فإذا أخذ المعلم عند صياغته للأهداف التعليمية هذا العنصر مأخذ الجد فسيصل في النهاية إلى تصميم نظام تعليمي جيد، مما ينعكس إيجابا على زيادة الدافعية للمتعلم وبالتالي على نجاح العملية التعليمية كلها.

وبالرغم من المزايا المتعددة للأهداف السلوكية، فهناك بعض المحددات في استخدامها في التدريس، لخصها المخزومي (2003) في الآتي:

- صياغة الأهداف السلوكية تبدو للمدرسين عملاً شاقاً، وتستغرق وقتا ليس بقصير، وهم لا يملكون الوقت والرغبة لوضعها وصياغتها.
- هناك أنشطة تعليمية مرافقة، على الطالب أن يتقنها إلى جانب إتقانه المحتوى الدراسي.
- لدى الطلبة طرق معينة لتنظيم المحتوى، فبعض الطلبة يتعلمون دون طريقة تدريسية منظمة، ودون وضع أهداف متسلسلة.

- بعض المواد والمواضيع الدراسية قد لا يحتاج إلى أهداف، مثل الفن، لذلك هناك شك بأن الطلبة يستطيعون تعلم تلك المواضيع جيداً بأهداف سلوكية.
- قد لا تتفق الأهداف السلوكية المصاغة مع ظروف غرفة الصف، أو أعداد الطلبة، أو الإمكانات المادية المتوفرة، وهي عوامل قد تعيق تحقيق بعض الأهداف.

إلا أن توق وعدس (1984)، يؤكدان في هذا السياق أن العملية التعليمية-التعلمية، تفتقد ثلاث خصائص أساسية لو لم تستند إلى الأهداف السلوكية وهي :

1-لا يكون التقويم دقيقاً، حيث إننا نفقد المعيار المناسب الذي سنحكم به على مقدار تقدم الطلبة.

2- لا نستطيع اختيار المواد أو المحتوى أو الطريقة بشكل مناسب.

3- لا يمكن للمتعلم أن يقوّم تحصيله أو أداءه بنفسه.

وفيما يتعّلق بتزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، نجد اهتماماً بالغاً لدى علماء التربية في هذا الموضوع، كونه يؤثر إيجاباً في تنظيم وترتيب أولويات التعلم لدى الطلبة، ويساعد في تقويم ما أحرزوه من تقدم في عملية التعلم، ويشجعهم على تحمل مسؤولية تعلمهم (Uche & Umeron, 1998)، كما يساعد على تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في إثارة دافعيتهم للاهتمام بما يتعلمونه، وهذا بدوره يعمل على حدوث التعلم ذي المعنى الذي يشارك في زيادة التحصيل والقدرة على الاحتفاظ بخبرات التعّلم السابقة واسترجاعها عند الحاجة (Okoro, 2001 ؛ الزغول والبكور، 2001).

وعلى المعلم أن يقوم بدوره الايجابي والفعال في العملية التعليمية، وذلك بتوضيح الأهداف التعليمية لطلبته، ويستطيع تحقيق ذلك باستخدام مجموعة من المهارات والأساليب والطرق منها (زكريا ومسعود، 2006):

-أن يوضح للطلبة الهدف الذي يسعى لتحقيقه، فيبين لهم المعارف أو المهارات أو الاتجاهات التي يتوقع منهم إتقانها، أو ممارستها، أو أداءها في نهاية التعلم.

-أن يعرض على الطلبة نماذج متشابهة لما يتوقع منهم في نهاية الحصة.

-أن يطرح أسئلة ذات علاقة مباشرة بالأهداف التعليمية التي بيّنها لطلبته.

-أن يقوم بمشاركة طلبته بربط عناصر الدرس بعضها ببعض من أجل وضوح الهدف.

-أن يربط الهدف بحاجات الطلبة النفسية والعقلية والاجتماعية، لتحفيزهم وإثارة الدافعية لديهم.

جدير بالذكر أن الاهتمام بالأهداف السلوكية لم يسجل أي تراجع، بل بالعكس فقد زاد الاهتمام بعملية التدريس المرتكزة على الأهداف السلوكية. فالأهداف توجه عملية التعليم على الجملة، وعملية التقويم على الخصوص (عودة، 1998). ونظراً للاهتمام المتزايد بعملية تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، فقد أجريت دراسات عديدة لاستقصاء فاعليتها وتأثيرها في جوانب متنوعة للعملية التعليمية التعلمية، وعلى الخصوص في التحصيل. ومن الدراسات التي استعرضها الباحث: الدراسة التي قام بها (Beskeni, Yousuf, Awang, & Ranjha, 2011) وهدفت للتحقق من مدى فعالية معرفة الطلبة المسبقة، للأهداف التعليمية في تحسين فهم المفاهيم الكيميائية الصعبة، في المرحلة الثانوية. وتكونت العينة من (557) طالبا من طلبة المرحلة الثانوية في المملكة المتحدة، وقد كشفت نتائج الدراسة أن تزويد الطلبة بالأهداف التعليمية قبل بدء التدريس، ترتب عليه آثار ايجابية من حيث تحسين فهم المفاهيم الكيميائية الصعبة.

دراسة مصطفى (2010)، هدفت إلى بيان أثر استخدام الأسئلة التحضيرية، وتزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، في التحصيل العلمي، والاحتفاظ بالتعلم. وطبقت الدراسة على طلبة الصف التاسع الأساسي، في مبحث التربية الإسلامية. تكونت عينة الدراسة من (199) طالباً وطالبة، وزعوا في أربع مجموعات: ثلاث منها تجريبية، درست الأولى باستخدام الأسئلة التحضيرية، والثانية باستخدام تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، والثالثة باستخدامهما معاً. أما المجموعة الرابعة فكانت ضابطة، ودرست بالطريقة التقليدية. وتمثلت أداتا البحث في المادة التعليمية، واختبار تحصيلي مكون من (30) فقرة. وقد أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً بين المجموعات التجريبية الثلاث، والمجموعة الرابعة الضابطة لصالح المجموعات التجريبية، وعدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المجموعات التجريبية الثلاث.

وحاولت دراسة الغداني (2005)، التعرف على أثر تزويد الطلبة بالأهداف التعليمية في التدريس، في تحصيلهم الدراسي الفوري والمؤجل، في وحدة الفقه، في مادة التربية الإسلامية المقررة على طلبة الصف الأول الثانوي بسلطنة عمان، حيث تم وضع قائمة بالأهداف التعليمية مشتقة من دليل المعلم والوحدة الدراسية، كما تم بناء اختبار تحصيلي لقياس التحصيل الفوري والمؤجل للطلبة، تكونت عينة الدراسة من (62) طالبا، موزعين في مجموعتين: تجريبية زُوّدت بالأهداف التعليمية، وضابطة لم تزود بالأهداف التعليمية، وبعد انتهاء التجربة طبق الاختبار التحصيلي على المجموعتين، لقياس التحصيل الفوري، ثم أعيد تطبيقه بعد ثلاثة أسابيع لقياس التحصيل

المؤجل. وكشفت نتائج الدراسة عن تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة.

أما دراسة منصر (2004)، فقد هدفت إلى تحديد أثر معرفة الطلبة المسبقة، بالأهداف السلوكية في تحصيلهم الدراسي في مادة التاريخ، للصف الثامن الأساسي، في محافظة لحج اليمنية. تكونت العينة من(132) طالباً وطالبة، بواقع (64) طالباً و(68) طالبة، موزعين على أربع شعب اختيرت عشوائياً, وقد تم توزيعهم على مجموعتين الأولى تجريبية عدد أفرادها(32) طالباً و(34) طالبة والأخرى مجموعة ضابطة عدد أفرادها(32) طالباً و (34) طالبة, وتم تزويد طلبة المجموعة التجريبية بالأهداف السلوكية مسبقاً قبل التدريس , والمجموعة الضابطة بدون أهداف سلوكية. وأعد الباحث قائمة بالأهداف السلوكية بلغت 72 هدفاً سلوكياً، واختباراً تحصيلياً من نوع الاختيار من متعدد، بلغ عدد أسئلته 52 تقيس مستويات التذكر والفهم والاستيعاب والتطبيق. وقد طبق الاختبار بعد الانتهاء من تنفيذ التجربة، وأظهرت النتائج تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين زودوا بالأهداف السلوكية، على طلبة المجموعة الضابطة الذين لم يتزودوا بتلك الأهداف، في التحصيل العام وفي مستويات التذكر والفهم. ولم تظهر النتائج فروقاً دالة إحصائياً في مستوى التطبيق.

وقام الأغا وقصيعة (2002)، بدراسة كان من أهدافها تقصي أثر استخدام الأهداف السلوكية على التحصيل والاحتفاظ، لدى طلبة الصف التاسع الأساسي، في مادة الدراسات الاجتماعية، بمقارنتها بالطريقة التقليدية. ولأغراض الدراسة تم تطبيق اختبار تحصيلي في مادة الدراسات الاجتماعية، على طلبة المجموعة التجريبية، التي تم تزويدها بالأهداف السلوكية وعلى طلبة المجموعة الضابطة التي درست دون تزويدها بالأهداف، وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق في التحصيل أو الاحتفاظ، بين طلبة المجموعة التجريبية التي تم تزويدها بالأهداف السلوكية، وطلبة المجموعة الضابطة التي درست دون تزويدها بالأهداف.

وهدفت دراسة باركر وهابكويس (Barker & Hapkiewicz, 2001)إلى تقصي تأثير تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في التعلم العرضي، والتعلم الوثيق الصلة بالموضوع (التعلم القصدي)، على مستويين من مستويات تصنيف بلوم. تكونت عينة الدراسة من (64) طالباً من مستوى البكالوريوس، تم اختيارهم بطريقة عشوائية وتم تنظيمهم في ثلاث مجموعات: المجموعة التجريبية الأولى، دُرّست حسب مستوى الأهداف المعرفية، المستوى الأول من مستويات بلوم. والمجموعة التجريبية الثانية دُرّست حسب مستوى الأهداف التقويمية، المستوى الأخير من مستويات

بلوم. والمجموعة الثالثة وهي المجموعة الضابطة، دُرّست من غير أهداف. وقد كانت أداة الدراسة اختباراً تحصيلياً قُدم للمجموعة الأولى، وله علاقة مباشرة بمستوى الأهداف المعرفية، والمجموعة الثانية قُدم لها اختبار تحصيلي وله علاقة مباشرة بمستوى الأهداف التقويمية . وكان من أبرز نتائج الدراسة أّنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مجموع التعلم بين المجموعات الثلاث، حيث لم يكن للأهداف دور هام في تحسين التعلم.

كما بين درابر (Draper, 2001) في دراسته أن تعريف الطلبة بالأهداف قبل بدء الدراسة قد يقود إلى تعلم سطحي وبالتالي إلى ذاكرة قصيرة. كما أكد أنه ليس جميع الأهداف التربوية المتوخاه تناسب بالضرورة جميع الطلبة، وقامت الملا (1999)، بدراسة هدفت إلى الكشف عن أثر تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، على تحصيلهم الدراسي واحتفاظهم به، في مقرر القراءة بالصف الأول الإعدادي بدولة قطر، وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين، الأولى: تجريبية زودت بالأهداف السلوكية وبلغ عددها (115) طالباً وطالبةً. والثانية: ضابطة درست مقرر القراءة دون استخدام الأهداف السلوكية، وبلغ عددها (108) طالباً وطالبة. وكانت أداة الدراسة اختباراً تحصيلياً لقياس مستوى تحصيل الطلبة في مقرر القراءة. وأظهرت نتائج الدراسة أن تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، يؤدي إلى زيادة تحصيلهم الدراسي، وزيادة قدرتهم على الاحتفاظ بالمادة العلمية المتعلمة لمدة أطول، بمقارنتهم بمستوى أداء المجموعة الضابطة.

وأجرى القاعود (1992) دراسة استهدفت معرفة أثر تزويد طلبة الصف الثاني الثانوي بالأهداف السلوكية في تحصيلهم، في مادة الجغرافيا في الأردن. تكونت عينة الدراسة من (4) مجموعات: مجموعتين للذكور زُوّدت الأولى بالأهداف السلوكية قبل البدء بالتدريس، والثانية لم تزود بالأهداف. ومجموعتين للإناث، زُوّدت الأولى بالأهداف السلوكية قبل البدء بالتدريس، والثانية لم تزود بمثل هذه الأهداف. وقد استخدمت الدراسة أداتين هما :قائمة الأهداف السلوكية، والاختبار التحصيلي. وأبرزت النتائج أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية، في التحصيل الكلي بين الطلبة الذين زودوا بالأهداف السلوكية، والذين لم يزودوا بهذه الأهداف لصالح الفريق الأول، كما أظهرت تفوق الإناث على الذكور في مستوى التحصيل الكلي.

وقام القزاز (1991)، بدراسة هدفت إلى اختبار أثر المعرفة المسبقة بالأهداف السلوكية بمستويات (المعرفة والفهم والاستيعاب والتطبيق) في التحصيل وفي احتفاظ طلبة الصف السادس الأساسي، بمادة التربية الاجتماعية في الأردن. تكونت عينة الدراسة من (150) طالباً قسموا إلى مجموعتين : تجريبية وضابطة، كما تم تقسيم المجموعتين إلى ثلاث فئات،

حسب المستوى التحصيلي في مادة التربية الاجتماعية، (مرتفع، متوسط، منخفض). استخدمت الدراسة اختباراً تحصيلياً لقياس التحصيل، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية، في تحصيل طلبة الصف السادس الأساسي، في مادة التربية الاجتماعية، تُعزى إلى إستراتيجية التدريس، لصالح المجموعة التجريبية التي عرف طلبتها مسبقاً الأهداف السلوكية، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أداء المجموعتين التجريبية والضابطة تُعزى إلى المستوى التحصيلي.

وهدفت دراسة خضر (1989) إلى الكشف عن أثر تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في تحسين تحصيلهم المباشر والعارض، في مادة الجغرافيا للمرحلة الثانوية. تكونت عينة الدراسة من شعبتين للذكور بلغ عددهم (38) طالباً وشعبتين للإناث بلغ عددهن (50) طالبة بدولة الإمارات العربية المتحدة، وكانت أداة الدراسة اختباراً تحصيلياً، طبق على أفراد العينة قبل وبعد تزويدهم بالأهداف السلوكية. وأظهرت نتائج الدراسة وجود أثر لتزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في تحسين تحصيلهم المباشر والعارض مجتمعين وكلاً على حدة.

كما أجرى أهلاوات (Ahlawat, 1988) دراسة هدفت إلى معرفة أثر استخدام الأهداف السلوكية في تحصيل طلبة الصف العاشر، في مبحث الدراسات الاجتماعية بالأردن، وفي قدرتهم على الاحتفاظ بالتعلم. وقد تكونت عينة الدراسة من طلبة الصف العاشر، من ذوي التحصيل العالي والمتوسط والمنخفض، وكانت الأهداف التي قدمت لهم ضمن المستويات الثلاثة الأولى من تصنيف بلوم وهي :المعرفة، والفهم والاستيعاب، والتطبيق. وأظهرت نتائج الدراسة وجود آثار إيجابية ومفيدة للأهداف السلوكية، بين مجموعات الطلبة ذوات المستويات المختلفة.

وهناك دراسات أخرى تبين أهمية تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية قبل البدء في الدراسة على تحصيلهم الأكاديمي. ومن هذه الدراسات دراسة جوات وته (Guat & Teh, 2002) ودراسة أولسون (Olson, 1973) و مارزانو (Marzano, 2007) وهك ولونج (Huck & Long, 1973) و روجوبير (Rughubir, 1979).

يلاحظ من العرض السابق للدراسات والبحوث العربية والأجنبية، وجود اتفاق بين أغلب الباحثين، على أهمية تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في عملية التدريس، وعلى أثرها الإيجابي في زيادة تحصيل الطلبة (القاعود، 1992 ؛ خضر، 1989 ؛ منصر، 2004 ؛ Beskeni, et. al., 2011)، وفي زيادة التحصيل والاحتفاظ به معا (مصطفى، 2010 ؛ الغداني، 2005 ؛ الملا، 1999 ؛ القزاز، 1991 ؛Ahlawat, 1988)، في حين كان هناك

ثلاث دراسات بينت عدم فعالية تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في زيادة التحصيل (الأغا وقصيعة، 2002 ؛ ;Barker & Hapkiewicz, 2001 Draper, 2001) ويمكن التعقيب على هذه النتائج بما ذكره زكريا ومسعود (2006)، أنه بالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت موضوع تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية واستخدامها في المجال التعليمي، ونظرا للنتائج المتعارضة، في بعض الأحيان، فإن المجال يبقى مفتوحا وواسعا لإجراء المزيد من الدراسات في هذه المسألة.

كذلك يلاحظ من مراجعة الدراسات السابقة ندرة الدراسات التي أجريت للتأكد من فاعلية تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في المرحلة الجامعية، على تحصيلهم الدراسي والاحتفاظ به، فقد كانت هناك دراستان فقط، هما دراسة (Barker & Hapkiewicz, 2001)، تناولت التحصيل الآني فقط، وقد أجريت في بيئة غير عربية، في حين كانت الغالبية العظمى من الدراسات تتناول طلبة المدارس بمختلف المراحل والصفوف. كما يلاحظ من مراجعة الدراسات السابقة عدم اختصاص أية دراسة بتناول مادة التربية الوطنية والمدنية بشكل منفرد، فقد بحثت هذه المادة ضمن مبحث الدراسات الاجتماعية في مرحلة التعليم الأساسي (الأغا وقصيعة، 2002 ؛ Ahlawat, 1988)، أو ضمن مبحث التربية الاجتماعية للمرحلة الأساسية الدنيا (القزاز، 1991).

وبالتالي تتميز هذه الدراسة من الدراسات السابقة في أنها الدراسة الأولي في حدود علم الباحث واطلاعه، التي تجرى في الأردن، للتعرف على أثر تزويد طلبة المرحلة الجامعية ، بالأهداف السلوكية في تحصيلهم الآني والمؤجل في مادة التربية الوطنية.

وينبه الباحث إلى أنه أفاد من الدراسات السابقة في اختيار منهجية الدراسة المناسبة، وتصميمها، وتحديد الأسلوب الإحصائي المستخدم، وفي مناقشة النتائج.

مشكلة الدراسة:

منذ العام 2007، أقر مجلس التعليم العالي في الأردن تدريس مادة التربية الوطنية، مساقاً إجبارياً لجميع طلبة الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة، وذلك لما للجامعات من دور فاعل في ترسيخ الانتماء الوطني، انطلاقاً من الإيمان بأن تحقيق أية أهداف وطنية ، أو سياسات عامة، يحتاج إلى مصادر التربية والتعليم، وعلى الخصوص الجامعات، لإخراجه إلى حيز الوجود في خطط مدروسة. وبناءً على ذلك جاء إقرار مساق التربية الوطنية مادة إجبارية، في الجامعات الأردنية، بهدف تعميق الشعور بالانتماء للوطن ،

والإخلاص للدولة، والعمل على إيجاد جيل قادر على المشاركة في القضايا الوطنية.

والباحث من واقع خبرته العملية في تدريس مادة التربية الوطنية لطلبة الجامعات، لاحظ ضعف مشاركة الطلبة في هذه المادة، وقلة اهتمامهم بالمواضيع المطروحة للنقاش، كون هذه المادة متطلباً إجبارياً قد لا يتفق مع تخصصاتهم الدراسية وعلى الخصوص العلمية منها، فكما ذكر سالم (1997) فإن الطلبة يحاولون دائماً أن يتعرفوا على المبررات التي من أجلها يدرسون موضوعاً ما، وكثيراً ما يتشككون في جدوى أو قيمة ما يدرسونه. ومن هنا يأتي دور المدرس الجامعي في إعطاء المبرر لما يقوم بتدريسه لطلابه، وبما أنه من الممكن استخدام الأهداف السلوكية إستراتيجية لما قبل التدريس، حيث إن تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية يحفزهم للتعلم، واسترجاع خبراتهم السابقة والاحتفاظ بها (Okoro, 2001 ؛ الزغول والبكور، 2001)، فمن المجدي تفعيلها في تدريس مادة التربية الوطنية، فجاءت هذه الدراسة لبيان أثر تزويد الطلبة الجامعيين بالأهداف السلوكية لمادة التربية الوطنية، في تحصيلهم الدراسي الآني والمؤجل.

أسئلة الدراسة:

حاولت الدراسة الإجابة عن السؤالين الآتيين:

1- ما أثر تزويد الطلبة الجامعيين بالأهداف السلوكية، في تحصيلهم الدراسي الآني لمادة التربية الوطنية؟
2- ما أثر تزويد الطلبة الجامعيين بالأهداف السلوكية، في تحصيلهم الدراسي المؤجل لمادة التربية الوطنية؟

فرضيات الدراسة:

انبثق عن سؤالي الدراسة الفرضيتان الآتيان:

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$)، في التحصيل الآني للطلبة الجامعيين، في مادة التربية الوطنية، تعزى لتزويدهم بالأهداف السلوكية.
2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$)، في التحصيل المؤجل للطلبة الجامعيين في مادة التربية الوطنية، تعزى لتزويدهم بالأهداف السلوكية.

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة فيما يأتي:

- تعد هذه الدراسة من أوائل الدراسات التي تجرى في الأردن، في حدود علم الباحث واطلاعه، للتعرف على أثر تزويد طلبة المرحلة

الجامعية، بالأهداف السلوكية في تحصيلهم الآني والمؤجل في مادة التربية الوطنية.

- من المؤمل أن يفيد مدرسو مادة التربية الوطنية، في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة، من نتائج هذه الدراسة برفع مستوى الإجراءات التدريسية التي يّتبعونها في المحاضرات.
- تشارك هذه الدراسة في توعية الطلبة الجامعيين، بأهمية الأهداف السلوكية، وبيان فاعليتها من أجل استخدامها والإفادة منها.
- تعدّ هذه الدراسة حافزاً لإجراء دراسات مشابهة، لتزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في باقي الجامعات الأردنية، في مساق التربية الوطنية، وغيره من المساقات الدراسية.

هدف الدراسة :

تمثل هدف الدراسة، في التعرف على أثر تزويد الطلبة الجامعيين، بالأهداف السلوكية لمادة التربية الوطنية، في تحصيلهم الدراسي الآني والمؤجل بمستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق).

التعريف بالمصطلحات إجرائيا:

الأهداف السلوكية: هي الأهداف التي تمت صياغتها بعبارات إجرائية (Behavioral objectives)، وبلغة محددة، ودقيقة، وواضحة، وقابلة للملاحظة والقياس (القاسم، 2000).

وفي هذه الدراسة تتمثل الأهداف السلوكية في قائمة الأهداف التي أعدها الباحث للفصلين: الرابع (المحور السياسي)، والخامس (المجتمع الأردني)، من كتاب "التربية الوطنية" (الثبيتات ورباح والخضور، 2010)، المقرر في جامعة البترا في تدريس مادة التربية الوطنية، في الفصل الثاني من العام الدراسي 2010-2011م.

مادة التربية الوطنية: متطلب جامعي تم إقراره من مجلس التعليم العالي الأردني، مادة إجبارية لجميع طلبة الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة منذ العام الدراسي 2007-2008م.

التحصيل الآني: ما يكتسبه الطالب من الحقائق والمفاهيم والمهارات الواردة في الفصلين: الرابع (المحور السياسي)، والخامس (المجتمع الأردني)، من كتاب "التربية الوطنية"، بعد تعرضه للخبرات التعليمية، ويقاس بالعلامة التي يحصل عليها الطالب، في اختبار التحصيل الآني الذي أعده الباحث، وطبقه على الطلبة بعد الانتهاء من عملية التدريس مباشرة.

التحصيل المؤجل: ما يكتسبه الطالب من الحقائق والمفاهيم والمهارات الواردة في الفصلين: الرابع (المحور السياسي)، والخامس (المجتمع

الأردنـي)، مـن كتـاب "التربيـة الوطنيـة"، بعـد تعرضـه للخبـرات التعليميـة، ويقاس بالعلامة التي يحصل عليها الطالب في اختبار التحصيل الذي أعده الباحث، وطبقه على الطلبة بعد مرور أسبوعين على تطبيق اختبار التحصيل الآني.

محددات الدراسة:

تتحدد نتائج الدراسة في الآتي:

- المحدد البشري: عينة الدراسة الحالية، وهم الطلبة الجامعيون في مرحلة البكالوريوس.
- المحدد المكاني: جامعة البترا الواقعة في مدينة عمان بالأردن.
- المحدد الزماني: تم إجراء الدراسة خلال الفصل الثاني من العام الدراسي 2010- 2011م.
- المحددات الموضوعية: اقتصرت الدراسة على فصلين فقط من الكتاب المقرر لمادة التربية الوطنية، وهما الرابع (المحور السياسي)، والخامس (المجتمع الأردني)، كما اقتصرت قائمة الأهداف السلوكية على المستويات الثلاثة الأولى حسب تصنيف بلوم في المجال المعرفي، وهي (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق).

الطريقة والإجراءات :

مجتمع الدراسة :

تكون مجتمع الدراسة من جميع الطلبة الدارسين لمادة التربية الوطنية في جامعة البترا، في الأردن، في الفصل الثاني من العام الدراسي 2010-2011م، البالغ عددهم (845) طالباً وطالبة، موزعين في (18) شعبة دراسية.

عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من (140) طالبا وطالبة، موزعين في أربع شعب دراسية، اختيروا بالطريقة العشوائية العنقودية، حيث كانت الشعبة هي وحدة الاختبار. كما تم توزيع الشعب الأربع عشوائيا في المجموعتين: الضابطة والتجريبية، على النحو الآتي:

1- المجموعة التجريبية: وبلغ عدد أفرادها (72) طالباً طالبة، درسوا بتزويدهم بالأهداف السلوكية.
2- المجموعة الضابطة: وبلغ عدد أفرادها (68) طالباً طالبة، درسوا دون تزويدهم بالأهداف السلوكية.

والجدول (1) يوضح توزيع عينة الدراسة في المجموعتين التجريبية والضابطة

الجدول (1)
توزيع عينة الدراسة في المجموعتين التجريبية والضابطة

| المجموعة | عدد الشعب | عدد الطلبة |
|---|---|---|
| التجريبية | 2 | 72 |
| الضابطة | 2 | 68 |
| المجموع | 4 | 140 |

أدوات الدراسة:

تألفت أدوات الدراسة من قائمة الأهداف السلوكية، والاختبار التحصيلي.

أ- قائمة الأهداف السلوكية

مرت عملية إعداد قائمة الأهداف السلوكية بالخطوات الآتية:

1- اختيار الوحدة الدراسية:

اختار الباحث المادة التعليمية الواردة في الفصلين الرابع (المحور السياسي)، والخامس (المجتمع الأردني)، من كتاب (التربية الوطنية) المقرر على الطلبة الدارسين لمادة التربية الوطنية، في جامعة البترا للعام الدراسي 2010-2011م.

2- تحليل محتوى الوحدة:

- بعد أن تم اختيار الفصلين الدراسيين تم تحليل محتواهما، لاستخراج الحقائق والمفاهيم والمهارات الواردة فيهما.
- تحديد أهم الحقائق والمفاهيم والمهارات المرغوب في اكتسابها في العملية التدريسية.

3- صياغة الأهداف السلوكية:

- تم تحديد الفعل السلوكي الدقيق الذي يحسن في المتعلم أن يقوم به مثل (يفسر، يذكر، يقارن الخ).
- تحديد المحتوى التعليمي في العبارة السلوكية.
- بلغ عدد الأهداف السلوكية بصورتها الأولية (22) هدفا، توزعت على المستويات الثلاثة الأولى من تصنيف بلوم للمجال المعرفي (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق).

4- تم عرض قائمة الأهداف السلوكية، ومحتوى المادة العلمية، على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص في مناهج وطرق تدريس الدراسات الاجتماعية، مكونة من (8) محكمين، بهدف الحكم على مناسبة قائمة الأهداف السلوكية لمحتوى المادة التعليمية. وقد تم الأخذ بآراء المحكمين بعين الاعتبار، حيث تم حذف هدف سلوكي واحد من القائمة، وأعيدت صياغة بعض الأهداف. والملحق رقم "1" يبين قائمة الأهداف السلوكية.

ب- الاختبار التحصيلي في مادة التربية الوطنية

قام الباحث بإعداد اختبار تحصيلي، في المادة التعليمية الواردة في الفصلين: الرابع (المحور السياسي) والخامس (المجتمع الأردني)، من كتاب التربية الوطنية المقرر على الطلبة الدارسين لهذه المادة، في جامعة البترا، في العام الدراسي 2010-2011، وقد روعي في الاختبار، بعد تحليل محتوى الوحدتين، لتحديد الحقائق، والمفاهيم، والمهارات، أن يقيس التعلم (القبلي، والآني، والمؤجل)، في الجوانب الثلاثة من تصنيف بلوم للمجال المعرفي (التذكر، الفهم والاستيعاب، والتطبيق). وروعيت في وضعه تغطية معظم أجزاء المادة التعليمية، فتنوعت أسئلته لتغطي مستويات أهدافه المتنوعة، وكانت أربعين سؤالاً، من نوع الاختيار من متعدد بأربعة بدائل.

وقد راعى الباحث في صياغة الأسئلة ما يأتي:

1- أن تكون سليمة من الناحيتين اللغوية والعلمية، وشاملة للمحتوى التعليمي المختار.
2- أن تكون محددة وواضحة وخالية من الغموض.
3- انتماء كل منها للمستوى الذي يقيسه (تذكر- فهم واستيعاب- تطبيق).
4- أن يتكون كل سؤال من مقدمة تعقبها أربعة بدائل لتقليل التخمين.
5- أن تكون الأسئلة مناسبة للمستوى العمري والعقلي للطلبة الجامعيين.
6- أن تكون البدائل واضحة متجانسة مع المقدمة، وأن يكون بديل واحد فقط صحيحاً وأن تكون بقية البدائل محتملة الصحة من وجهه نظر الطلبة.

والجدول (2) يوضح جدول المواصفات للاختبار التحصيلي.

الجدول (2)
جدول المواصفات للاختبار التحصيلي

| الأوزان النسبية وعدد الأسئلة | التذكر | الفهم والاستيعاب | التطبيق | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| الوزن النسبي | %50 | %25 | %25 | %100 |
| عدد الأسئلة | 20 | 10 | 10 | 40 |

صدق الاختبار:

للتحقق من صدق الاختبار عُرض على مجموعة من المحكمين المختصين في مناهج وطرق تدريس الدراسات الاجتماعية مكونة من (8) محكمين. وذلك بهدف التأكد من مدى وضوح أسئلة هذا الاختبار وصحتها من الناحية العلمية، ومدى دقة الصياغة اللغوية لأسئلة الاختبار، ومدى شمول أسئلة هذا الاختبار للمادة العلمية، ومناسبة الأسئلة لمستويات الأهداف التي تندرج تحتها، وأي ملاحظات يرونها مناسبة. وبعد الإطلاع على ملاحظات المحكمين وآرائهم واقتراحاتهم، تم الأخذ بهذه الآراء وتعديل ما تم اقتراحه من قبل المحكمين، وتمثلت في إعادة الصياغة اللغوية لبعض البنود، بالإضافة إلى إعادة صياغة بعض البنود بحيث يتم مراعاة قياس المستويات الثلاثة (تذكر- فهم واستيعاب- تطبيق-) بشكل أكثر موازنة، وبذلك بقي الاختبار التحصيلي مكوناً من (40) فقرة.

تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية:

تم تطبيق الاختبار في صورته الأولية، على عينة استطلاعية مكونة من (30) طالبا وطالبة من مجتمع الدراسة ومن خارج مجتمعها بهدف:

أ- تحديد زمن الاختبار التحصيلي.
ب- حساب معامل الصعوبة والتمييز للاختبار التحصيلي.
ج - استخراج معامل الثبات للاختبار التحصيلي.

وفيما يأتي توضيح ذلك:

أ- تحديد زمن الاختبار التحصيلي:

لتحديد زمن الاختبار تم تطبيق المعادلة التالية:

الزمن الملائم للاختبار التحصيلي =

زمن خروج الطالب الأول من الاختبار+زمن خروج الطالب الأخير من الاختبار(بالدقائق)

2

حيث جاء ذلك كالتالي: 40+50 (دقيقة)

2

وبالتالي يكون الزمن الملائم للاختبار التحصيلي = 45 دقيقة

ب- معاملات الصعوبة والتمييز لأسئلة الاختبار التحصيلي:

لمعرفة الأسئلة التي تتصف بعدم قدرتها على التمييز بين الطلبة، وكذلك الأسئلة التي تتصف بالصعوبة الشديدة أو السهولة الشديدة، تم تصحيح إجابات طلبة العينة الاستطلاعية على الاختبار، ثم تم استخراج معاملات الصعوبة ومعاملات التمييز لجميع الأسئلة، كما تم استخراج معامل الصعوبة لأسئلة الاختبار التحصيلي باستخدام المعادلة التالية:

معامل الصعوبة =

عدد الطلبة الذين أجابوا عن السؤال إجابة صحيحة × 100

عدد الطلبة الذين اختبروا

تم استخراج معامل التمييز لأسئلة الاختبار التحصيلي بالمعادلة الآتية:

معامل التمييز =

الإجابات الصحيحة للفئة العليا- الإجابات الصحيحة للفئة الدنيا ×100

عدد الطلبة في إحدى المجموعتين

ويبيّن الجدول (3) قيم معاملات الصعوبة والتمييز لأسئلة الاختبار التحصيلي البالغ عددها (40).

الجدول (3)

معاملات الصعوبة والتمييز لأسئلة الاختبار التحصيلي

| رقم السؤال | معامل الصعوبة | معامل التمييز | رقم السؤال | معامل الصعوبة | معامل التمييز |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 0.50 | 0.60 | 21 | 0.30 | 0.60 |
| 2 | 0.57 | 0.47 | 22 | 0.43 | 0.60 |
| 3 | 0.60 | 0.27 | 23 | 0.47 | 0.67 |
| 4 | 0.40 | 0.80 | 24 | 0.47 | 0.27 |
| 5 | 0.33 | 0.27 | 25 | 0.40 | 0.40 |
| 6 | 0.43 | 0.33 | 26 | 0.37 | 0.33 |

| رقم السؤال | معامل الصعوبة | معامل التمييز | رقم السؤال | معامل الصعوبة | معامل التمييز |
|---|---|---|---|---|---|
| 7 | 0.43 | 0.47 | 27 | 0.63 | 0.47 |
| 8 | 0.40 | 0.40 | 28 | 0.27 | 0.40 |
| 9 | 0.27 | 0.53 | 29 | 0.47 | 0.27 |
| 10 | 0.40 | 0.40 | 30 | 0.37 | 0.47 |
| 11 | 0.37 | 0.33 | 31 | 0.47 | 0.40 |
| 12 | 0.47 | 0.40 | 32 | 0.43 | 0.73 |
| 13 | 0.70 | 0.47 | 33 | 0.47 | 0.27 |
| 14 | 0.23 | 0.33 | 34 | 0.33 | 0.67 |
| 15 | 0.23 | 0.47 | 35 | 0.23 | 0.33 |
| 16 | 0.27 | 0.40 | 36 | 0.57 | 0.47 |
| 17 | 0.43 | 0.73 | 37 | 0.30 | 0.33 |
| 18 | 0.47 | 0.67 | 38 | 0.73 | 0.40 |
| 19 | 0.63 | 0.73 | 39 | 0.27 | 0.27 |
| 20 | 0.40 | 0.67 | 40 | 0.23 | 0.33 |

يظهر الجدول (3)، أن قيم معاملات الصعوبة لأسئلة الاختبار التحصيلي المطبق على العينة الاستطلاعية تراوحت بين (0.23 – 0.73)، مما يعني عدم وجود أسئلة ذات معامل صعوبة أكثر من (0.85) أو أقل من (0.20). كما يلاحظ أن قيم معاملات التمييز تراوحت بين (0.27 – 0.80)، مما يعني عدم وجود أسئلة ذات معامل تمييز أقل من (0.20). وتعد هذه القيم مقبولة تربوياً (الكيلاني وعدس والتقي، 2008) لاستخدام هذا الاختبار في هذه الدراسة، وبناءً عليه لم يتم حذف أي من أسئلة الاختبار التحصيلي في ضوء معاملات الصعوبة والتمييز.

معامل الثبات للاختبار التحصيلي:

تم التحقق من ثبات هذا الاختبار، باستخدام طريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) (الثبات عبر الزمن)، حيث تم إعادة تطبيق الاختبار على العينة الاستطلاعية المكونة من (30) طالبا وطالبة، بعد مرور أسبوعين على التطبيق الأول، ثم حسب معامل ارتباط بيرسون Pearson بين

التطبيقين الأول والثاني، وبلغت قيم معاملات الارتباط كما هو مبين في الجدول (4).

الجدول (4)

قيم معاملات الثبات للاختبار التحصيلي بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار

| الرقم | المجال | معامل الثبات |
|---|---|---|
| 1 | التذكر | 0.884 |
| 2 | الفهم والاستيعاب | 0.917 |
| 3 | التطبيق | 0.892 |
| | اختبار التحصيل | 0.903 |

وتعد هذه القيم مناسبة، وتدل على أن الاختبار يتمتع بثبات مرتفع. وبهذا يكون الاختبار التحصيلي بصورته النهائية مكوناً من (40) سؤالاً يبينه الملحق رقم (2).

تصحيح الاختبار التحصيلي

فيما يتعلق بتصحيح الاختبار تم إعداد ورقة الإجابة النموذجية؛ بوضع مفتاح الإجابة للأسئلة. ثم تم التصحيح من قبل الباحث، وقد أعطيت درجة واحدة لإجابة الطالب الصحيحة ، وأعطيت الدرجة صفر للإجابة الخاطئة. وبهذا تكون العلامة الدنيا للاختبار (صفر) والعلامة القصوى (40).

إجراءات الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث بما يأتي:

1- إعداد أدوات الدراسة، وتتمثل في قائمة الأهداف السلوكية، والاختبار التحصيلي، وتم التحقق من صدقها وثباتها كما مر سابقاً.
2- تم تحديد مجتمع الدراسة وعينتها بصورة نهائية. وتم توزيع عينة الدراسة عشوائيا تبعاً لتزويدهم بالأهداف السلوكية في مجموعتين: مجموعة تجريبية تم تزويدها بالأهداف السلوكية، ومجموعة ضابطة لم تزود بهذه الأهداف.
3- تم تطبيق الاختبار التحصيلي في المجموعتين الضابطة والتجريبية، قبل البدء في التدريس (التطبيق القبلي) لغايات الضبط الإحصائي.
4- تم تدريس المحتوى التعليمي لطلبة المجموعة التجريبية، بعد تزويدهم بالأهداف السلوكية في بداية الفصل الدراسي "المعالجة التجريبية" في حين تم تدريس المجموعة الضابطة المحتوى التعليمي دون تزويدهم بالأهداف السلوكية.

5- بعد الانتهاء من تنفيذ التدريس للمجموعتين التجريبية والضابطة تم تطبيق الاختبار التحصيلي في المجموعتين الضابطة والتجريبية (التطبيق البعدي) لقياس التحصيل الآني للطلبة.
6- بعد مرور أسبوعين من تطبيق الاختبار التحصيلي الآني تم تطبيق الاختبار التحصيلي مرة أخرى في المجموعتين الضابطة والتجريبية لقياس التحصيل المؤجل للطلبة.
7- تم جمع البيانات وتفريغها في جداول خاصة بذلك، ثم إدخال البيانات على الحاسوب من اجل معالجتها إحصائيا باستخدام "الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية" (SPSS).

منهجية الدراسة :

بما أن الدراسة بحثت أثر تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية لمادة التربية الوطنية، في تحصيلهم الدراسي الآني والمؤجل فإن المنهجية التي تم إتباعها هي المنهج شبه التجريبي، بالتطبيق القبلي للاختبار التحصيلي، ثم تنفيذ المعالجة التجريبية (تدريس المحتوى التعليمي بعد تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية)، وبعد الانتهاء من تنفيذها أعيد تطبيق الاختبار التحصيلي (البعدي) لقياس التحصيل الآني، وبعد مرور أسبوعين من تطبيق الاختبار البعدي، تم تطبيق الاختبار التحصيلي لقياس التحصيل المؤجل.

تصميم الدراسة

استخدم في الدراسة الحالية التصميم شبه التجريبي لمجموعتين (تجريبية وضابطة) على النحو الآتي:

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| O3 | O2 | X | O1 | المجموعة التجريبية |
| O3 | O2 | | O1 | المجموعة الضابطة |

حيث إن:

(O1) = التطبيق القبلي للاختبار التحصيلي.
(X) = المعالجة التجريبية (تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية).
(O2) = التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي لقياس التحصيل الآني.
(O3) = إعادة تطبيق الاختبار التحصيلي لقياس التحصيل المؤجل.

متغيرات الدراسة :

أولاً: المتغير المستقل :

- الأهداف السلوكية

1- تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية 2- عدم تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية

ثانياً: المتغير التابع :

التحصيل الآني والمؤجل للطلبة الجامعيين في مادة التربية الوطنية، في مستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، التطبيق)

المعالجات الإحصائية :

تم استخدام الإحصاءات الوصفية (المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية)، كما تم استخدام اختبار تحليل التباين المشترك (ANCOVA)، وذلك لعزل الفرق في متوسطات درجات الطلبة على التطبيق القبلي للاختبار التحصيلي، وكذلك لاستخراج دلالة الفرق في متوسطات درجات الطلبة على الاختبار التحصيلي الآني والمؤجل.

**نتائج الدراسة ومناقشتها**

أولاً: النتائج المتعلقة بفحص الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى للدراسة الحالية، على أنه " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) في التحصيل الآني للطلبة الجامعيين في مادة التربية الوطنية، تعزى لتزويدهم بالأهداف السلوكية ".

بهدف فحص الفرضية الأولى، تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لدرجات الطلبة في المجموعة التجريبية (التي تم تزويدها بالأهداف السلوكية)، والضابطة (التي لم يتم تزويدها بالأهداف السلوكية)، على الاختبار التحصيلي القبلي والآني، وكانت النتائج كما هي مبينة في الجدول (5).

الجدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي (القبلي والآني)

| مستويات الاختبار | المجموعة | الاختبار التحصيلي القبلي | | الاختبار التحصيلي الآني | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
| التذكر | التجريبية | 5.44 | 2.10 | 17.89 | 2.57 |
| | الضابطة | 5.12 | 2.35 | 14.34 | 3.02 |
| الفهم والاستيعاب | التجريبية | 2.78 | 1.32 | 8.36 | 1.47 |
| | الضابطة | 2.93 | 1.51 | 6.47 | 2.34 |
| التطبيق | التجريبية | 2.38 | 1.50 | 8.10 | 1.88 |
| | الضابطة | 2.68 | 1.30 | 6.18 | 1.85 |
| الاختبار الكلي | التجريبية | 10.60 | 2.46 | 34.35 | 5.15 |
| | الضابطة | 10.72 | 3.34 | 26.99 | 5.41 |

يتضح من الجدول (5) وجود فروق ظاهرية بين متوسطات درجات الطلبة في القياس القبلي على مستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) والاختبار الكلي في المجموعتين التجريبية والضابطة. وقد تم ضبط هذه الفروق إحصائيا باستخدام تحليل التباين المشترك (ANCOVA).

كذلك يظهر الجدول (5) أن هناك فروقا ظاهرية بين متوسطات درجات طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة، على القياس البعدي الآني للاختبار التحصيلي ومستوياته الثلاثة، حيث تشير النتائج أن هناك فرقا (ظاهرياً) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين على مستوى التذكر مقداره (3.55). ووجود فرق (ظاهري) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين على مستوى الفهم والاستيعاب مقداره (1.89). أما مستوى التطبيق فقد بلغ الفرق (الظاهري) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين (1.92). وبخصوص متوسطات درجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار الكلي، فقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلبة المجموعة التجريبية (34.35)، بانحراف معياري (5.15)، في حين كان المتوسط الحسابي لدرجات طلبة المجموعة الضابطة (26.99)، بانحراف معياري (5.41)، أي أن هناك فرقا (ظاهرياً) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين على الاختبار الكلي (التحصيل الآني) مقداره (7.36).

ولمعرفة ما إذا كانت الفروق في المتوسطات الحسابية، لدرجات طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي الآني للاختبار التحصيلي بمستوياته (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) وبهدف عزل الفروق بين المجموعتين في التطبيق القبلي للاختبار التحصيلي إحصائيا، استخدم الباحث اختبار تحليل التباين المشترك (ANCOVA)، وكانت النتائج على ما هي مبينة في الجدول (6).

الجدول (6)

نتائج تحليل التباين المشترك (ANCOVA) لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي البعدي "الآني"

| مستويات الاختبار | مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة ف المحسوبة | مستوى الدلالة | $\eta^2$ لحجم تأثير المتغير المستقل |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| التذكر | القياس القبلي | 1.059 | 1 | 1.059 | 0.135 | 0.714 | |
| | المجموعة | 435.307 | 1 | 435.307 | 55.359 | *0.000 | 0.288 |
| | الخطأ | 1077.273 | 137 | 7.863 | | | |
| | الكلي | 1519.221 | 139 | | | | |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الفهم والاستيعاب | القياس القبلي | 0.622 | 1 | 0.622 | 0.164 | 0.686 | |
| | المجموعة | 125.574 | 1 | 125.574 | 33.152 | *0.000 | 0.195 |
| | الخطأ | 518.930 | 137 | 3.788 | | | |
| | الكلي | 644.543 | 139 | | | | |
| التطبيق | القياس القبلي | 0.121 | 1 | 0.121 | 0.035 | 0.853 | |
| | المجموعة | 126.684 | 1 | 126.684 | 36.152 | *0.000 | 0.209 |
| | الخطأ | 480.080 | 137 | 3.504 | | | |
| | الكلي | 609.221 | 139 | | | | |
| الاختبار الكلي | القياس القبلي | 0.805 | 1 | 0.805 | 0.029 | 0.866 | |
| | المجموعة | 1896.186 | 1 | 1896.18 | 67.642 | *0.000 | 0.331 |
| | الخطأ | 3840.499 | 137 | 28.033 | | | |
| | الكلي | 5736.686 | 139 | | | | |

* دالة إحصائياً

تظهر النتائج في الجدول (6)، وجود فروق دالة إحصائياً، بين متوسطات درجات الطلبة في المجموعتين الضابطة والتجريبية على مستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق)، والاختبار الكلي البعدي الآني، حيث تراوحت قيم (ف) المحسوبة لها ما بين (67.642) و(33.152)، وهذه القيم دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، في التحصيل الآني ومستوياته (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق)، تعزى لمتغير تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية.

و للتعرف على حجم تأثير متغير تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، في تحسين التحصيل الآني لدى الطلبة تم حساب مربع ايتا ($\eta^2$)، وقد بلغت قيمة مربع ايتا على اختبار التحصيل الآني الكلي (0.331)، وبذلك يمكننا القول إن 33% من تباين التحصيل الآني بين طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة، يرجع لمتغير تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، كذلك كان مربع ايتا ($\eta^2$) لمستويات التحصيل الثلاثة (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) يتراوح ما بين (0.288) و (0.195).

ولتحديد قيمة الفروق في متوسطات درجات الطلبة في المجموعتين الضابطة والتجريبية، على الاختبار التحصيلي البعدي الآني، تم استخراج

المتوسطات الحسابية المعدلة الناتجة عن عزل أثر القياس القبلي على أداء الطلبة في القياس البعدي الآني، وكانت النتائج كما هي مبينة في الجدول (7).

الجدول (7)

المتوسطات الحسابية المعدلة لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي البعدي الآني، بعد عزل أثر القياس القبلي

| مستويات الاختبار | المجموعة | المتوسط المعدل | الخطأ المعياري |
|---|---|---|---|
| التذكر | التجريبية | 17.88 | 0.33 |
| | الضابطة | 14.34 | 0.34 |
| الفهم والاستيعاب | التجريبية | 8.36 | 0.23 |
| | الضابطة | 6.47 | 0.24 |
| التطبيق | التجريبية | 8.09 | 0.22 |
| | الضابطة | 6.18 | 0.23 |
| الاختبار الكلي | التجريبية | 34.35 | 0.62 |
| | الضابطة | 26.98 | 0.64 |

تشير نتائج المتوسطات الحسابية المعدّلة لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة، على مستويات الاختبار (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) والاختبار التحصيلي الكلي البعدي، بعد عزل أثر القياس القبلي، أن الفرق كان لصالح طلبة المجموعة التجريبية (التي تم تزويدها بالأهداف السلوكية)، حيث حصلوا على متوسطات حسابية معدّلة أعلى من المتوسطات الحسابية المعدّلة لطلبة المجموعة الضابطة (التي لم يتم تزويدها بالأهداف السلوكية).

وهذا يؤدي إلى رفض الفرضية الأولى للدراسة التي تنص على أنه"لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$)، في التحصيل الآني للطلبة الجامعيين في مادة التربية الوطنية، تعزى لتزويدهم بالأهداف السلوكية ". وبالتالي يمكن القول إن تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، قد أدى إلى تحسين التحصيل الآني بمستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) والتحصيل الآني على الجملة في مادة التربية الوطنية.

ثانياً: النتائج المتعلقة بفحص الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية لهذه الدراسة الحالية على أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) في التحصيل المؤجل

للطلبـة الجـامعيين، فـي مـادة التربيـة الوطنيـة، تعـزى لتزويـدهم بالأهـداف السلوكية ".

بهدف فحص الفرضية الثانيـة، تـم استخراج المتوسطات الحسـابية، والانحرافات المعيارية لدرجات طلبة المجموعة التجريبيـة (التـي تـم تزويـدها بالأهداف السلوكية)، والضـابطة (التـي لـم يـتم تزويـدها بالأهـداف السلوكية)، على الاختبار التحصيلي القبلي والمؤجل، وكانـت النتـائج علـى مـا هـي مبينـة في الجدول (8).

الجدول (8)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي (القبلي والمؤجل)

| مستويات الاختبار | المجموعة | الاختبار التحصيلي القبلي | | الاختبار التحصيلي المؤجل | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
| التذكر | التجريبية | 5.44 | 2.10 | 15.19 | 2.98 |
| | الضابطة | 5.12 | 2.35 | 12.43 | 2.92 |
| الفهم والاستيعاب | التجريبية | 2.78 | 1.32 | 6.90 | 1.96 |
| | الضابطة | 2.93 | 1.51 | 5.16 | 2.57 |
| التطبيق | التجريبية | 2.38 | 1.50 | 7.43 | 2.23 |
| | الضابطة | 2.68 | 1.30 | 5.12 | 2.00 |
| الاختبار الكلي | التجريبية | 10.60 | 2.46 | 29.53 | 5.19 |
| | الضابطة | 10.72 | 3.34 | 22.71 | 5.30 |

يتضـح مـن الجـدول (8) وجـود فـروق ظاهريـة بـين متوسـطات درجات الطلبة في القياس القبلي، على مستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيـق) والاختبـار الكلـي، فـي المجموعتين التجريبيـة والضـابطة. وقـد تـم ضبط هذه الفروق إحصائيا باستخدام تحليل التباين المشترك (ANCOVA).

كـذلك يظهـر الجـدول (8) أن هنـاك فروقـا ظـاهريـة بـين متوسـطات درجـات طلبــة المجمــوعتين التجريبيــة والضــابطة، علــى القيــاس المؤجـل للاختبـار التحصـيلي ومسـتوياته الثلاثـة، حيـث تشـير النتـائج أن هنـاك فرقـا (ظاهرياً) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين على مستوى التـذكر مقداره (2.76). ووجود فرق (ظاهري) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين على

مستوى الفهم والاستيعاب مقداره (1.74). أما مستوى التطبيق فقد بلغ الفرق (الظاهري) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين (2.31). وبخصوص متوسطات درجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار المؤجل الكلي، فقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلبة المجموعة التجريبية (29.53)، بانحراف معياري (5.19)، في حين كان المتوسط الحسابي لدرجات طلبة المجموعة الضابطة (22.71)، بانحراف معياري (5.30)، أي أن هناك فرقا (ظاهرياً) في المتوسط الحسابي بين المجموعتين على الاختبار المؤجل الكلي مقداره (6.82).

ولمعرفة ما إذا كانت الفروق في المتوسطات الحسابية لدرجات طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة، في التطبيق المؤجل للاختبار التحصيلي بمستوياته (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق)، ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$)، وبهدف عزل الفروق بين المجموعتين في التطبيق القبلي للاختبار التحصيلي إحصائيا، استخدم الباحث اختبار تحليل التباين المشترك (ANCOVA)، وكانت النتائج على ما هي مبينة في الجدول (9).

الجدول (9)
نتائج تحليل التباين المشترك (ANCOVA) لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي المؤجل

| مستويات الاختبار | مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة ف المحسوبة | مستوى الدلالة | $\eta^2$ لحجم تأثير المتغير المستقل |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| التذكر | القياس القبلي | 1.042 | 1 | 1.042 | 0.119 | 0.731 | |
| | المجموعة | 268.945 | 1 | 268.945 | 30.682 | 0.000* | 0.183 |
| | الخطأ | 1200.868 | 137 | 8.765 | | | |
| | الكلي | 1469.850 | 139 | | | | |
| الفهم والاستيعاب | القياس القبلي | 4.235 | 1 | 4.235 | 0.816 | 0.368 | |
| | المجموعة | 107.952 | 1 | 107.952 | 20.792 | 0.000 | 0.132 |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | * | |
| | الخطأ | 711.306 | 137 | 5.192 | | | |
| | الكلي | 821.543 | 139 | | | | |
| التطبيق | القياس القبلي | 0.233 | 1 | 0.233 | 0.052 | 0.820 | |
| | المجموعة | 186.334 | 1 | 186.334 | 41.275 | 0.000 * | 0.232 |
| | الخطأ | 618.478 | 137 | 4.514 | | | |
| | الكلي | 805.793 | 139 | | | | |
| الاختبار الكلي | القياس القبلي | 7.622 | 1 | 7.622 | 0.276 | 0.600 | |
| | المجموعة | 1631.512 | 1 | 1631.51 | 59.062 | 0.000 * | 0.301 |
| | الخطأ | 3784.440 | 137 | 27.624 | | | |
| | الكلي | 5419.571 | 139 | | | | |

* دالة إحصائياً

تظهر النتائج في الجدول (9)، وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات الطلبة في المجموعتين الضابطة والتجريبية على مستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) والاختبار الكلي البعدي الآني، حيث تراوحت قيم (ف) المحسوبة لها ما بين (59.062) و(20.792)، وهذه القيم دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في التحصيل المؤجل ومستوياته (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق)، تعزى لمتغير تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية.

و للتعرف على حجم تأثير متغير تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، في احتفاظ الطلبة بالتعلم (التحصيل المؤجل) تم حساب مربع ايتا ($\eta^2$)، وقد بلغت قيمة مربع ايتا على اختبار التحصيل المؤجل الكلي (0.301)، وبذلك يمكننا القول إن 31% من التباين في الاحتفاظ بالمادة التعليمية بين طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة يرجع لمتغير تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، كذلك كان مربع ايتا ($\eta^2$)، لمستويات التحصيل الثلاثة (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق)، يتراوح ما بين (0.232) و(0.132).

ولتحديد قيمة الفروق في متوسطات درجات الطلبة في المجموعتين الضابطة والتجريبية، على الاختبار التحصيلي المؤجل، تم استخراج

المتوسطات الحسابية المعدلة الناتجة عن عزل أثر القياس القبلي على أداء الطلبة في القياس المؤجل، وكانت النتائج على ما هي مبينة في الجدول (10).

الجدول (10)

المتوسطات الحسابية المعدلة لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي المؤجل، بعد عزل أثر القياس القبلي

| مستويات الاختبار | المجموعة | المتوسط المعدل | الخطأ المعياري |
|---|---|---|---|
| التذكر | التجريبية | 15.20 | 0.35 |
| | الضابطة | 12.42 | 0.36 |
| الفهم والاستيعاب | التجريبية | 6.91 | 0.27 |
| | الضابطة | 5.15 | 0.28 |
| التطبيق | التجريبية | 7.43 | 0.25 |
| | الضابطة | 5.11 | 0.26 |
| الاختبار الكلي | التجريبية | 29.53 | 0.62 |
| | الضابطة | 22.70 | 0.64 |

تشير نتائج المتوسطات الحسابية المعدّلة لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة، على مستويات الاختبار (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) والاختبار التحصيلي المؤجل الكلي، بعد عزل أثر القياس القبلي، أن الفرق كان لصالح طلبة المجموعة التجريبية (التي تم تزويدها بالأهداف السلوكية)، حيث حصلوا على متوسطات حسابية معدّلة أعلى من المتوسطات الحسابية المعدّلة لطلبة المجموعة الضابطة (التي لم يتم تزويدها بالأهداف السلوكية).

وهذا يؤدي إلى رفض الفرضية الثانية للدراسة، التي تنص على أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) في التحصيل المؤجل للطلبة الجامعيين في مادة التربية الوطنية، تعزى لتزويدهم بالأهداف السلوكية". وبالتالي يمكن القول إن تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، قد أدى إلى تحسين التحصيل المؤجل (الاحتفاظ بالتعلم)، بمستويات (التذكر، والفهم والاستيعاب، والتطبيق) والتحصيل المؤجل على الجملة.

بينت نتائج هذه الدراسة، أن تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية، أدى إلى تحسين التحصيل الآني والمؤجل (الاحتفاظ بالتعلم) للطلبة، في مادة التربية الوطنية، ولعل السبب في هذا أن تزويد المتعلم بالأهداف السلوكية يحفز إلى تنظيم وترتيب أولويات التعلم لدى الطلبة ويساعدهم في تقويم ما

أحرزوه من تقدم في عملية التعلم، ويشجعهم على تحمل مسؤولية تعلمهم (Uche & Umeron, 1998)، فبمعرفة الهدف يستشعر المتعّلم قيمة التعّلم، ومعناه، وفائدته (مصطفى، 2010)، كما أن معرفة الطالب المسبقة بالأهداف السلوكية قد تثير في نفسه الرغبة والدافعية للتعلم والمشاركة الفاعلة في أحداث ومكونات الدرس (المخزومي، 2003)، وهذا بدوره يعمل على حدوث التعلم ذي المعنى الذي يشارك في زيادة التحصيل والقدرة على الاحتفاظ بخبرات التعّلم السابقة واسترجاعها عند الحاجة (okoro, 2001 ؛ الزغول والبكور، 2001).

وتتفق نتائج هذه الدراسة، مع كثير من نتائج الدراسات التي بينت الأثر الايجابي، لتزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في زيادة تحصيل الطلبة (القاعود، 1992 ؛ خضر، 1989 ؛ منصر، 2004 ؛ Beskeni, et. al., 2011)، وفي زيادة التحصيل والاحتفاظ به معاً (مصطفى، 2010 ؛ الغداني، 2005 ؛ الملا، 1999 ؛ القزاز، 1991 ؛ Ahlawat, 1988)، في حين تختلف مع نتائج كل من (الأغا وقصيعة، 2002 ؛ Draper, 2001; Barker & Hapkiewicz, 2001)، التي خلصت إلى عدم وجود أثر لتزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في زيادة التحصيل.

**توصيات الدراسة:**

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يمكن تقديم التوصيات الآتية :

1- ضرورة تعريف الطلبة على الأهداف السلوكية المتوقع أن يكتسبوها في نهاية تعليمهم.
2- إجراء دراسات مشابهة تبحث في أثر تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في تحصيلهم العلمي في المساقات الأخرى غير مساق التربية الوطنية، إلى جانب رصد المتغيرات الأخرى مثل المستوى التحصيلي للطالب والجنس.
3- إجراء دراسة تبحث في أثر تزويد الطلبة بالأهداف السلوكية في نظرتهم إلى مساق التربية الوطنية، وتقويمهم له.
4- عقد حلقات دراسية وورش عمل لمدرسي التربية الوطنية في كيفية كتابة الأهداف التعليمية.
5- تنبيه مدراء المدارس والمشرفين التربويين مدرسي مادة التربية الوطنية إلى تعريف الطلبة بالأهداف التعليمية قبل المباشرة في عملية التدريس والتأكد بأنفسهم من قيام المعلمين بهذا العمل.

## المراجع العربية


الأحمد، ردينة ويوسف، حذام. (2001). طرائق التدريس (منهج، أسلوب، وسيلة). عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.

الأغا، عبد المعطي وقصيعة، عبد الرحمن (2002). أثر استخدام الأهداف السلوكية والتقويم على التحصيل والاحتفاظ لدى طلبة الصف التاسع الأساسي في مادة الدراسات الاجتماعية. دراسات في المناهج وطرق التدريس، (77)، 175-190.

البغدادي، محمد (1998). الأهداف والاختبارات في المناهج وطرق التدريس بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار الفكر العربي.

بلوم، بنجامين وآخرون (1985). تصنيف الأهداف التربوية، ط1، ترجمة محمد الخوالدة وصادق عودة. جدة: دار الشروق.

بني خالد، محمد وحمادنه، إياد (2011) درجة ممارسة معلمي المرحلة الأساسية لمهارات صياغة الأهداف السلوكية. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، 9(1)، 619-645.

توق، محي الدين وعدس، عبد الرحمن (1984). أساسيات علم النفس التربوي. انجلترا: دار جون ويلي وأولاه

الثبيتات، قاسم ورباح، اسحق والخضور، علي (2010). التربية الوطنية. عمان: دار كنوز المعرفة العلمية.

خضر، فخري. (1989). أثر اطلاع الطلاب على الأهداف السلوكية على تحصيلهم الآني والعارض في مادة الجغرافيا. مجلة كلية التربية، 4(4)، 315-331.

الخطيب، علم الدين. (1990). الأهداف التربوية تصنيفها وتحديدها السلوكي. الكويت: مكتبة الفلاح.

الزغول، عماد والبكور، نائل (2001). أثر المعرفة المسبقة بالأهداف السلوكية وتكييف الأهداف في تحصيل طالبات الصف التاسع في مادة العلوم. مجلة مركز البحوث التربوية، 20(10)، 153-175.

زكري، عمر (1987). استراتيجيات ما قبل التدريس. رسالة الخليج العربي، 7(22)، 153-169.

زكريا، محمود ومسعود، عباد (2006). التدريس عن طريق المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات. الجزائر: منشورات المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية.

سالم، مهدي (1997). الأهداف السلوكية، ط1. الرياض: مكتبة العبيكان.

العجيلي، صباح (2005). القياس والتقويم التربوي، ط3. صنعاء: مكتبة التربية للطباعة والنشر.

عودة، احمد (1998). القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط2. إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع.

الغداني، ناصر (2005). أثر تزويد الطلاب بالأهداف التعليمية في التربية الإسلامية في تحصيلهم الدراسي الفوري والمؤجل. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان.

القاسم، جمال (2000). علم النفس التربوي. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

القاعود، إبراهيم (1992) أثر تزويد طلاب الصف الثاني الثانوي بالأهداف السلوكية في تحصيلهم في مادة الجغرافيا في الأردن. المجلة العربية للتربية، 12(2)، 92-115.
القزاز، محمد (1991). أثر معرفة طلاب الصف السادس الأساسي للأهداف السلوكية في التحصيل والاحتفاظ في مادة التربية الاجتماعية في منطقة عمان الجنوبية التابعة لوكالة الغوث الدولية في الأردن. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
القطامي، يوسف (2001). سيكولوجية التعلم والتعليم الصفي. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
المخزومي، ناصر (2003). أثر تزويد طلبة الصف الثامن بالأهداف السلوكية على اكتسابهم لبعض مفاهيم قواعد اللغة العربية. مجلة كلية التربية- سوهاج، العدد 18.
مصطفى، مهند (2010). أثر استخدام الأسئلة التحضيرية والأهداف السلوكية في التحصيل والاحتفاظ بالتعلم لدى طلبة الصف التاسع الأساسي في مبحث التربية الإسلامية. مجلة جامعة دمشق، 26(1+2)، 339-376.
الملا، بدرية (1999). أثر تزويد الطلاب بالأهداف السلوكية على تحصيلهم الدراسي واستبقائهم المادة العلمية في مقرر القراءة بالصف الأول الإعدادي بدولة قطر. المجلة التربوية، 13(51)، 155-212.
الملا، فيصل (2005). صياغة مخرجات/نتاجات التعلم. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر كلية التربية "جودة التعليم العالي" 13 نيسان، المنامة
منصر، صالح (2004). أثر معرفة الطلبة المسبقة بالأهداف السلوكية في تحصيلهم الدراسي في مادة التاريخ للصف الثامن الأساسي في مدينة الحوطة لحج/الجمهورية اليمنية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، عدن، الجمهورية اليمنية.
نشواتي، عبد المجيد (1984). علم النفس التربوي. عمّان: دار الفرقان.

References:

1- Ahlawat, K. (1988). An Investigation of the Use of Behavioral Objectives in Jordanian Social Studies Classrooms .Social Education. 16(3), 227-243.
2- Aiken, L. (2000). Psychological Testing and Assessment (10th ed.) Boston, MA: Allyn and Bacon.
3- Alberto, p. and Troutman, C. (2008) Applied Behevior Analysis for Teacher (8th Editor) Prentice- Hall.
4- Barker, D & Hapkiewicz, W. (2001). The Effects of Behavioral Objectives on Relevant & Incidental Learning at Two Levels of Blooms Taxonomy. Journal of Educational Research. 72 (6), 334-339.
5- Beskeni, R. ; Yousuf, M. ; Awang, M. & Ranjha, A. (2011). "The effect of prior knowledge in understanding of chemistry concepts by senior secondary school students". International Journal of Academic Research, 3(2), 607-611.

6- Draper, Stephen. (2001). Why show learners the objectives? Retrieved 5/11/2011, from www.psy.gla.ac.uk/steve/lobjs.html.
7- Guat, Teo and Teh, George (2002) “The effectiventes of using instructional objectives with less able secondary school pupils”. Australian Journal of Educational Technology, 3 (2) p. 135-144.
8- Guilbert, J. (1984) “How to devise educational objectives?” Medical Education. Vol. 18 issue 3 p. 134-141.
9- Harry, N. & Deborah, A. (2005). ABC's Behavioral Objectives—Putting Them to Work for Evaluation. Journal of Extension, 43(5), 1-12.
10- Hass, G. & Parkay, F. (1993). Curriculum Planning: A new approach. Needham Heights, MA: Allyn and Bacon.
11- Heinrich, M. et al .(2002). Instructional Media and Technologies for Learning. Englewood Cliffs, NJ: Merrill.
12- Huck, schuyler and Long, Janes (1973) “The effect of behavioral objectives on student achievement”. Journal of Experiment of Education, Vol. 42 (1) p. 40-41.
13- Kennedy, D. et al. (2007) “Writing and using learning outcomes: A practical guide”. In Bologna Handbook. Accessed online:\\www.bologna musmt.ez/files/learning-outcomes.palf.Nov.10,2011.
14- Latham, G., and Locke, E.(1991). Self Regulation Through Goal Setting. University of Toronto, University of Manyland Academic publication Inc. 50 (2) p. 212-247.
15- Marsh, Patricia (2007). “What is known about student learning outcomes and how does it relate to the scholarship of teaching and learning?” International Journal for the Scholarship of teaching and learning. Vol. 1 No.2.
16- Marzano, R. & Kendall, J. (2007). The New Taxonomy of Educational Objectives . Crown Press, CA.
17- Okoro, C. (2001). Basic Concepts in Educational Psychology. Enugu, UCO: Academic Publishers Nig. Ltd.
18- Olson, R. (1973). “A comparative study of the effect of behavioral objectives on class performance and retention in physical science”. Journal of Research in Science Teaching. 10 (3) p. 271-277.
19- Onogwre, w. (2000). Introduction to General Methodology.Warri: Ergha publisher.
20- Ramsden, P.(2003). Learning to Teach in Higher Education. London , UK: Kogan page.

21- Rughubir, K. (1979) "The effects of prior knowledge of learning outcomes on students' achievement and retention in science instruction" Journal of Research in Science Teaching, 16 (4) p. 301-304.
22- Schunk , D. (1996). "Goal and self evaluative influences during children's cognitive skill learning". American Educational Research Journal. 33 (2) p. 359-382.
23- Simon, B. and Taylor, J. (2009) "What is the value of course – specific learning goals?" Journal of College Science Teaching. Nov/Dec. p.53-57.
24- Soulsby, E.(2009). "How to write program objectives / outcomes"? Accessed at: http://www.assessment.uconn.edu/Nov.5,2011.
25- Uche, S. and Umoren, G.(1998) Integrated Science Teaching: Perspective and Approaches. A.A.U. Vitalis Books Comp. Aba.

الملحق (1)

قائمة الأهداف السلوكية

1. أن يعرف الطالب المفاهيم والمصطلحات الواردة في المحتوى.
2. أن يعدد الوظائف الأساسية للحزب السياسي.
3. أن يفسر نظرية نشوء الأحزاب السياسية.
4. أن يستنتج دور الميثاق الوطني في تعزيز علاقة الأخوة الأردنية – الفلسطينية.
5. أن يذكر أهداف الميثاق الوطني الأردني.
6. أن يحدد أركان العرف مصدراً من مصادر التشريع.
7. أن يفسر مفهوم الثقافة السياسية.
8. أن يميز بين السلطات العامة المكونة للنظام السياسي الأردني.
9. أن يذكر اختصاصات مجلس الوزراء الأردني.
10. أن يستوعب الشروط الواجب توفرها في عضوية مجلس الأعيان.
11. أن يفهم شروط الترشيح لعضوية مجلس النواب الأردني.
12. أن يعرف اختصاصات السلطة التشريعية.
13. أن يتتبع المراحل التي يمر بها التشريع القانوني.
14. أن يصف كيفية ممارسة السلطة التشريعية لأعمال الرقابة.
15. أن يقارن بين اختصاصات مجلسي النواب والأعيان.
16. أن يقارن بين أنواع المحاكم في الأردن.
17. أن يوضح إجراءات تعديل الدستور الأردني.
18. أن يذكر أهداف السياسة الخارجية الأردنية.
19. أن يبين خصائص المجتمع الأردني.
20. أن يعدد وظائف الأسرة الأردنية.
21. أن يذكر المجالات الرئيسة للإستراتيجية الوطنية.

الملحق (2)

الاختبار التحصيلي في مادة التربية الوطنية

اسم الطالب : ....................................... مدة الاختبار : 45 دقيقة

- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

السؤال الأول: من مصادر التشريع للقواعد القانونية:
1-الدين والعرف
2- الفقه والقضاء
3- مبادئ العدالة الاجتماعية
4-جميع ما ذكر

السؤال الثاني: واحدة من الدول الآتية لا زالت تستخدم العرف مصدراً للقانون:
1-فرنسا
2- بريطانيا
3- الولايات المتحدة
4– ايطاليا

السؤال الثالث: تتم محاكمة الوزراء فيما ينسب إليهم من جرائم تتصل بوظائفهم في:
1-محكمة أمن الدولة
2- محكمة الاستئناف النظامية
3 – المحكمة الدستورية
4- محكمة التمييز

السؤال الرابع: واحدة من الآتية لا تعد من الحقوق المنوطة بالملك:
1-حق قيادة القوات المسلحة
2-حق تعيين مجلس الوزراء و إقالته
3-حق العفو
4-حق تكوين مجلس النواب

السؤال الخامس: يتكون مجلس الأمة من النواب و الأعيان و يكون عدد الأعيان:
1-ضعف عدد النواب
2-ضعفي عدد النواب
3-نصف عدد النواب
4-مساوياً لعدد النواب

السؤال السادس: من الفئات التي يحق لها الترشح والانتخاب لمجلس النواب:
1-العاملون في القوات المسلحة والجيش
2-العاملون في المخابرات العامة
3-العاملون في الأمن و الدفاع المدني
4-أعضاء النقابات المهنية

السؤال السابع : تم تقسيم المملكة حسب نظام تقسيم الدوائر الانتخابية رقم 26 لعام 2010 إلى:
1- 40 دائرة انتخابية رئيسة و 100 دائرة فرعية

2-45 دائرة انتخابية رئيسة و 108 دائرة فرعية
3- 50 دائرة انتخابية رئيسة و 50 دائرة فرعية
4-100 دائرة انتخابية رئيسة و100 دائرة فرعية

السؤال الثامن: من الاختصاصات السياسية للسلطة التشريعية:
1-اقتراح القوانين
2-إقرار القوانين
3- إصدار القوانين
4-الاستجواب

السؤال التاسع: من مبادئ السلطة القضائية في المملكة الأردنية الهاشمية:
1-الاستقلال
2-المساواة
3-علانية الجلسات
4-تعديل مادة قانونية

السؤال العاشر: تم تأسيس إمارة شرق الأردن في:
1- 1952\3\21
2- 1946\5\25
3- 1921\3\2
4- 1928\3\21

السؤال الحادي عشر: أطلق الرومان على مدينة القدس اسم :
1- يور سالم
2- اورسليمو
3- ايلياء
4- اورشاليم

السؤال الثاني عشر: ظهر نظام المجلسين بأن يتألف مجلس الأمة من مجلسي النواب والأعيان في:
1- دستور 1952
2- دستور1946
3- المعاهدة الأردنية – البريطانية
4- دستور 1928

السؤال الثالث عشر: جرت أول انتخابات نيابية ديمقراطية حرة ونزيهة (على أساس ديمقراطي ):
1- 1929
2- 1931
3- 1954
4- 1989

السؤال الرابع عشر: تمت الوحدة بين الضفتين الشرقية والغربية في عام:
1- 1948
2- 1946
3- 1950
4- 1951

السؤال الخامس عشر: واحد من الأحزاب الآتية ذو أيديولوجية ماركسية (تيار يساري) :
1- حزب البعث العربي الاشتراكي
2- الحزب الوطني الدستوري
3- حزب الشعب الديمقراطي ( حشد )
4- حزب جبهة العمل القومي
السؤال السادس عشر: واحد من الآتية لا يساعد الملك في اتخاذ قرارات تتعلق بالسياسة الخارجية (وحدات قراريه مساعدة في صنع القرار السياسي):
1- الديوان الملكي
2- مجلس الوزراء
3- النقابات المهنية
4- المؤسسة العسكرية
السؤال السابع عشر: صدر أول دستور أردني (القانون الأساسي) في ظل الانتداب البريطاني عام:
1- 1921
2- 1928
3- 1948
4- 1952
السؤال الثامن عشر: من العناصر التي شاركت في صناعة المجتمع الأردني:
1- المكان
2- الزمان
3- الإنسان
4- جميع ما ذكر
السؤال التاسع عشر: تم إحراق المسجد الأقصى على يد صهيوني استرالي متطرف في:
1- 1952\3\21
2- 1967\6\9
3- 1964\7\6
4- 1969\8\21
السؤال العشرون: تم إعادة تركيب منبر صلاح الدين داخل المسجد الأقصى في عهد:
1- الملك الحسين بن طلال
2- الشريف الحسين بن علي
3- الملك عبد الله الثاني بن الحسين
4- الملك عبد الله الأول بن الحسين
السؤال الحادي والعشرون: من المصادر الأساس التي شاركت في إدخال سمة التسامح في ثقافة المجتمع الأردني:
1- الدين
2- النظام القبلي العشائري
3- القيادة الأردنية الهاشمية
4- جميع ما ذكر
السؤال الثاني والعشرون: من الفئات الاجتماعية التي تتميز بارتفاع مستوى المعيشة:
1- سكان الريف
2- سكان الحضر

3- سكان البادية
4- سكان المخيمات

السؤال الثالث والعشرون: يعد الافتخار بالنسب، والثأر، وطاعة كبار السن من:
1- القيم الريفية
2- القيم الحضرية
3- القيم البدوية
4- لا تعد قيماً

السؤال الرابع والعشرون: واحد من الآتية يعد من القيم الريفية:
1- الفروسية
2- الأرض والعائلة والمعيشة
3- السعي وراء الربح المادي
4- الاعتماد على الذات

السؤال الخامس والعشرون: الانتقال من مكانة اجتماعية إلى أخرى في سلم التدرج الهرمي. يُعد تعبيراً لمفهوم:
1- التحضر
2- الحراك الاجتماعي
3- التغير الاجتماعي
4- الدور الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع

السؤال السادس والعشرون: من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الأردني:
1- الفقر
2- التفكك الأسري
3- البطالة
4- جميع ما ذكر

السؤال السابع والعشرون: أهم ما أدى إلى إحداث صدمات في أسس النسيج الاجتماعي الأردني:
1- الحراك الاجتماعي
2- الأصالة
3- المعاصرة
4- العولمة

السؤال الثامن والعشرون: من الأسباب التي حولت الأسرة الأردنية من ممتدة إلى نووية :
1-الهجرة
2-تنوع النشاط الاقتصادي
3-التماسك الداخلي
4- 2+1

السؤال التاسع والعشرون: واحد من الآتية لا يعد من العوامل التي أدت إلى سوء توزيع الثروة وظهور الطبقات الاجتماعية:
1- السياسات الاقتصادية
2- ضمور الطبقات الاجتماعية الوسطى
3- التكافل الاجتماعي
4- تركز الثروة بيد القلة

السؤال الثلاثون: واحد من الآتية لا يعد مجالا من مجالات الإستراتيجية الوطنية للسكان:

1- النوع الاجتماعي
2- النشء والشباب
3- تحديد النسل
4- الصحة العامة والصحة الإنجابية

السؤال الواحد والثلاثون: من وظائف الأسرة الأردنية الحديثة:
1- الوظيفة الدينية
2- التربية والتنشئة الاجتماعية
3- التعليم
4- الحماية

السؤال الثاني والثلاثون: الإستراتيجية الوطنية للنهوض بوضع المرأة في الأردن في المجال السياسي:
1- تغيير القيم الرافضة لعمل المرأة
2- تشجيع ومساندة المرأة بإقامة المشاريع الاقتصادية
3- توفير الخدمات المساندة للمرأة العاملة من حضانة ورياض أطفال
4- تخصيص كوتا نسائية في البرلمان ومجالس البلديات

السؤال الثالث والثلاثون: يتم تعديل الدستور الأمريكي ب:
1- الاستفتاء الشعبي
2- مجلس الشيوخ الأمريكي
3- الجمعية التأسيسية
4- الكونغرس الأمريكي ( مجلس النواب )

السؤال الرابع والثلاثون: نصت المادة الأولى في الدستور الأردني على أن:
1- نظام الحكم نيابي ملكي وراثي
2- الإسلام دين الدولة
3- الأردنيين أمام القانون سواء
4- الجنسية الأردنية تحدد بقانون

السؤال الخامس والثلاثون: معظم الأحزاب التي ظهرت عند تأسيس إمارة شرقي الأردن كانت ذات اتجاه:
1- قومي
2- ديني
3- وطني
4- ليبرالي

السؤال السادس والثلاثون: اتخذ المغفور له بإذن الله الحسين بن طلال قرارا في 31\تموز\1988م ب:
1- حل مجلس النواب الأردني
2- تعيين مجلس أعيان لأول مرة
3- فك الارتباط القانوني والإداري مع الضفة الغربية
4- الاعتراف بالدولة الفلسطينية

السؤال السابع والثلاثون: من المحاكم غير النظامية:
1- محاكم الصلح
2- محاكم الاستئناف

3- محاكم البداية
4- مجالس الطوائف

السؤال الثامن والثلاثون: السلطة السياسية التي تتولى شؤون الدولة وتنظمها:

1- الإقليم
2- النقابة
3- الشعب
4- الحكومة

السؤال التاسع والثلاثون: مبدأ "الأمة مصدر السلطات" ( التشريعية والتنفيذية والقضائية ) يكفله:

1- القانون الأساسي
2- دستور 1936
3- دستور 1952
4- الميثاق الوطني 1991

السؤال الأربعون: اكبر المشكلات التي تواجه السكان والتنمية في الأردن:

1-الفقر
2-الهجرة
3-النمو السكاني المرتفع
4-البطالة

# Acceptance and Rejection Responses Towards the Opposite Sex among the Students of Al-Quds Open University

D. Ziad Barakat*
Associated Prof. of Educational Psychology
Education Program
Tulkarm Region Educational
Al Quds Open University

Abstract

The objective of this study was to determine the level of acceptance and rejection responses toward the opposite sex among the students of Al- Quds Open University enrolled for the study in the Region Tulkarem Education in the light of educational variables: Gender, specialization, the place of residence, academic achievement and age. For this purpose a scale of acceptance and rejection was applied on a sample of (220) students were selected by a stratified random according to gender and specialty variables. In data processing results showed that the five most important manifestations of the acceptance of the opposite sex as estimated by the university students had been to: accept the participation of both sexes carry out the activities within the university, belonging to campus that I live in makes me think of making a relationship with co-workers in the future, accept the relationship fellowship in the specialty, I accept the link to a colleague relationship of friendship, and the relationship of fellowship will help me achieve my goals. The manifestations of the five least important, they had

been: I am going through the material preventing me from building relationships fellowship at the university, I refuse to accept the fellowship of the opposite sex in college, I am going social prevent me to form emotional relationships in the university, my interest in the study only makes me focus on my education and scientific prevent me from building relationships , and the failed experiments that I had heard me do not think building a relationship with a colleague to me. On the other hand results showed no statistically significant differences in the level of acceptance and rejection responses toward the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education depending on the variables in question in this study.

**Keywords; Responses, acceptance, rejection**

استجابة القبول والرفض نحو الجنس الآخر لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة

د. زياد بركات
أستاذ علم النفس التربوي المشارك
برنامج التربية
منطقة طولكرم التعليمية
جامعة القدس المفتوحة

ملخص الدراسة

هدف هذه الدراسة التعرف إلى مستوى استجابات القبول والرفض نحو الجنس الآخر لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة الملتحقين للدراسة في منطقة طولكرم التعليمية في ضوء متغيرات: الجنس، والتخصص، ومكان السكن، والتحصيل الأكاديمي، والعمر. لهذا الغرض طبق مقياس القبول والرفض على عينة مكونة من (220) طالباً وطالبة تم اختيارهم بطريقة الطبقية العشوائية تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص. ولدى معالجة البيانات أظهرت النتائج أن أهم خمسة مظاهر للقبول للجنس الآخر كما قدرها طلبة الجامعة قد

تمثلت في: أقبل مشاركة كلا الجنسين بممارسة الأنشطة داخل الجامعة، الانتماء الذي أعيشه داخل الجامعة يجعلني أفكر في بناء علاقة مع زملاء العمل مستقبلاً، وأقبل علاقة الزمالة في التخصص، أقبل الارتباط بزميل لي بعلاقة صداقة، وعلاقة الزمالة تساعدني في تحقيق أهدافي. أما المظاهر الخمسة الأقل أهمية فقد تمثلت في: ظروفي المادية تمنعني من بناء علاقات زمالة في الجامعة، وأرفض قبول زمالة من الجنس الآخر في الجامعة، وظروفي الاجتماعية تمنعني من تكوين علاقات عاطفية في الجامعة، واهتمامي بالدراسة فقط تجعلني أركز في تحصيلي العلمي ويمنعني من بناء علاقات، والتجارب الفاشلة التي سمعت بها تجعلني لا أفكر في بناء علاقة عاطفية مع زميل لي. ومن جهة أخرى أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى استجابات القبول والرفض نحو الجنس الآخر لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة / منطقة طولكرم التعليمية تبعاً للمتغيرات موضع البحث في هذه الدراسة.

**الكلمات المفتاحية: الاستجابة، القبول، الرفض**

## Background of the Study
## Introduction:

The creation of man and the wisdom of providence to live in human society, so the motives instinctive, and a sense of psychological need to live with others, invites him to familiarity and the formation of the relationship with them, it is not surprising that a person feels lonely and depressed, when a single, isolated, and not only this, man needs to others and the others in need, and the intimacy and mutual understanding and friendship and cooperation, and exchange of ideas and benefits of integrating humanism, his efforts and needs psychological, physical and intellectual. The social open man that is humane relations with others, relations of friendship and ties, and shares social, is a human being has the

confidence in himself, a genuine health behavior, and he was happy and satisfaction in friendship sound, when it gives others his love and his trust and devotion, will be reciprocated these feelings and sensations of humanitarian, with breed isolation and inwardness in the situation many times, depression, anxiety and concern. The friends included in the bonds of friendship with his friends, of the conversations seemed good fun and participation, exchange of information or material assistance, work or productive subscriber, or contribute to the human services or correctional joint, feel satisfied in front of himself, in front of his Lord, and in front of others, and can, through the good relationship friends character and conduct reflect the energies and feelings of fraternity, and be psychologically comfortable atmosphere and happy (Juma, 2009).

Hence, the rejection and acceptance of a social phenomenon those specify the nature of the relationship that is linked to individuals living in a space that, representing the social distance between individuals, and give a clear indication of the extent of interaction between them. The privacy of attitudes in social life toward each other or to other groups. The University is one of the most area privacy, arise, such as relationships and linkages that constitute the social structures of groups of permanent and temporary, and grow and evolve and take shape, including the trends of the group towards each other (Ibrahim, 2001). Life is a university student living in the surrounding area could lead to a certain level of convergence or disagreement, each party tends to select the closest to him in the formation of paralysis, a type of small groups of interdependent relationships within the large group, a group of university students with some of

them are bilateral relations goes beyond that comes under a permanent formula, and this is due to the nature of mutual understanding and social interaction and convergence of ideas and features of personal characteristics (Fayed, 2004). The student community is unique particularity resulting from the nature of the study, events and activities practiced by the students within the lessons methodology and abroad, and the specificity of direct contact in the course of activity led to the formation of attitudes on both sides of this community (students) towards each other after facilitating their understanding of each other and on this basis relationships are established rejection and acceptance in this society (Mazloum, 2003). The nature of these relationships and form reveals the closeness of some members of the community and the extent of their society related with specialized vocational and their faith in their profession in the future, respect and devotion for and dedication in the performance of characteristically (Ibrahim & Barakat, 2007).

Problem of the study:

Human relations is very important, especially in academic life, as there are requirements for students from each other, it did not understand, and so on, and the tertiary level is an important stage in the psychological and social development of young so the problem of this study is the lack of a clear picture of the nature of the level of the bilateral relationship from the perspective of one party to the other. Therefore found it necessary to measure the degree of acceptance and rejection towards the opposite sex as determinants of the nature of the relationship that the associated students each with some of the other male and female (Abu Ghosh, 2009; Wahidi,

2007; Ibrahim & Barakat, 2007; Abu Zeid, 2007). Thus, the study highlights the problem by answering the main question: what level of acceptance and rejection responses toward the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education in the light of some of the variables?

Importance of the study:

Highlights the importance of the study of the importance of the subject on the level of responses to acceptance and rejection toward the opposite sex, which is the scientific study of this phenomenon due to its importance education in revealing the extent of bilateral interaction, which drives the behavior of activity fruitful help to the success of the setup process and reveals the social and indeed psychological students. It also highlights the importance of this study are the ability to extract results that involved in understanding the nature of the interaction between individuals (male and female students) in their professional work in the future, and through this interaction could determine the adhesion of such group work, and the extent of loyalty and belonging to this group, and this is the mirror reflective of the nature of their professional future. Which become the possibility of promotion and treatment as possible to prepare future human preparation it takes to perform his duties in particular and is a fundamental pillar of the community.

Objectives of the study:

This study seeks to achieve the following objectives:

1. Know the level of acceptance and rejection responses toward the opposite sex among the

students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education.

2. Identify the nature of social relations that link the students to female students at the university.
3. Identify the impact of some variables such as gender, specialty, place of residence, academic achievement and age in the level of acceptance and rejection responses toward the opposite sex to students.

Study questions:

This study seeks to answer the following questions:

1. What level of acceptance and rejection responses toward the opposite sex to the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education learning?
2. Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education due to the variable of sex?
3. Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education due to the variable of educational specialization?
4. Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education due to the variable place of residence?
5. Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite

sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education due to the variable of academic achievement?

6. Are there statistically significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education due to the variable of age?

Procedure Definitions:

- Response acceptance: Accept the positive trend towards a university student to his colleague of the opposite sex as measured by the degree to which students get on the scale prepared for this purpose.

- Response rejection: Accept the negative trend towards a university student to his colleague of the opposite sex as measured by the degree to which students get on the scale prepared for this purpose.

Within the study:

1. Spatial factor: study was carried out in Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education of education.
2. Time factor: the application of the study in the second semester of the academic year 2009 / 2010.
3. Human factor: The study sample consisted of students from Al- Quds Open University in the Region Tulkarm education.

Previous studies:

By Randall (2010) study in order to identify criteria for students to get connected with the social male at the university. The study was conducted on a sample of (150) students from the University of Arizona students, the study found that there are different standards depending on the social environment, and to assist us the mother, and age for the age group (18-22).

Study of Covas (2009) conducted by the study with a view to identify on the basis of the development of University Relations in American society. The study was conducted on a sample of (500) students from the college students of America. The study found that students put clear grounds for their relationship with the university, the study found differences attributable to the physical specifications for the sports body, the College for the Humanities Faculties, and the university for the benefit of private universities, and intelligence for the benefit of people with high IQ.

Study of Abu Ghosh (2009) in order to identify the nature of the relationship between university students and the extent of society's acceptance of this phenomenon or its rejection. The study was conducted on a sample of (250) per cent of them families with children in the universities, the study concluded that the society accept this relationship in general for being a relationship based on the fellowship, the study found disparities due to gender in favor of males, and the presence of children in the universities for the most three sons, place of living for the city, the location of the university in favor of universities in other place of residence.

Irahil study (2009) which conducted in order to

identify the degree of acceptance of girls in the Palestinian universities to form social relationships with men. The study was conducted on a sample of (230) college student from the Palestinian universities and the study found that girls accept relations apprehension and insecurity, and the study found differences due to the variable age for the age group (22-30), place of living for city residents, and the University for the benefit of private universities.

Conducted Sorens (2009) study aimed to stand factors for improving social relationships within the university community, where the study found that the university community in America faces serious challenges in terms of deterioration of the system of social relations significantly, and the study showed differences due to gender in favor of males, and link a friend by the university, and the economic situation for the student to benefit people with high economic status.

The study of the Abu Dakka (2008) was carried out in order to identify the nature of social relations between the sexes at universities in the Gaza Strip. The study was conducted on a sample of (180) students, students from Palestinian universities in the Gaza Strip, the study found that the nature of the circumstances of the Palestinian society and its specificity in the Gaza Strip make it a limited relationship between the male and female students. The study found differences due to gender in favor of females, and the social situation for the bachelors.

The study of Brown (2008) conducted to identify the relationship between the students at the university and its continuity beyond. The study was conducted on a

sample of (250) students from the students, the study found that the relationship between students at the university rarely last beyond that, the study found differences related to gender in favor of females.

The study of Hamilton (2007) which sought to find out the impact on the economic status of students based on a relationship within the university. The study was conducted on a sample of (420) students from the college students of America. The study found that the economic situation of students affected, based on a relationship within the university, the study found disparities due to gender in favor of males, but variable economic situation for people with high incomes.

Conducted by Ibrahim and Barakat (2007) study sought to find out the direction of acceptance and rejection of female students towards students in the Faculty of Physical Education. The study was conducted on a sample of (65) student of University students October and found that there is a clear positive trends to the students for admission to the Faculty of Physical Education at the University of October for the academic year. , The study found differences due to the variable of the school year, where the differences in the trends seemed to accept the high non-existent in the second year students have increased in the past the third and fourth trends for rejection of students appeared for the second and third-existent in the fourth year.

Badran's study (2006) conducted in order to identify the effect of the relationship between the male and female students in the university academic achievement. The study was conducted on a sample of (234) students,

students from Jordanian universities, the study found that the relationship between male and female students at the university affect academic achievement. The study found differences due to gender in favor of females, and academic achievement for those with low achievement.

The study of Radwan (2005) which aimed to investigate the attitudes towards parents to accept or reject the relationship between students and undergraduate students. The study was conducted on a sample of (320) guardian of the university students, the study concluded that parents accept the relationship between students and undergraduate students on campus only that the relationship is confined to the scientific exchange. The study found differences due to gender in favor of mothers, and the nature of work for staff, and a variable income for high-income.

The study of Ibrahim (2001) which aimed to measure trends in physical education students toward each other, where the study was conducted on a sample of students from the University of Basra, numbered (82) students, and (23) students. The results showed the absence of extremes of acceptance and rejection among students, while the results showed that the responses of females higher than the responses of males in the level of the positive trend towards the opposite sex.

Method and procedures

First: The Methodology of the study:

In this study, the descriptive analytical approach to determine acceptance and rejection responses toward the

opposite sex among the students of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education.

Second: The population of study:

The study population consisted of all students in the University of Al- Quds Open University / the Region Tulkarm education: The adult of population (4397) enrolled to study in the second semester of the academic year (2009 / 2010) according to the statistics department of admission and registration in the Region Tulkarm education of this semester, and they are distributed according to the variables of sex and specialty of study, as shown in the following table:

Table (1)
Distribution of the study population according to the variables of sex and specialization

| Program Name | Males | Females | Total |
|---|---|---|---|
| Education | 495 | 1734 | 2229 |
| Management and leadership | 741 | 628 | 1369 |
| Computer and communications technologies | 209 | 218 | 427 |
| Social service and development | 118 | 254 | 372 |
| Total | 1563 | 2834 | 4397 |

Third: The sample of study:

The sample consisted of (220) male female students from Al- Quds Open University / Region Tulkarm education, representing a rate (5%) of the size of the study population was selected by a stratified random sampling according to the variables of sex, specialty, and they are distributed according to the study variables, as shown in the following table:

Table (2)
Distribution of the study sample according to the independent variables into treatment

| Variables | Level | Number | Percentage |
|---|---|---|---|
| Gender | Male | 78 | 35% |
| | Female | 142 | 65% |
| Specialization | Education | 110 | 50% |
| | Management and leadership | 68 | 31% |
| | Computer and communications technologies | 22 | 10% |
| | Social service and development | 20 | 9% |
| Place of residence | City | 77 | 35% |
| | Village | 98 | 45% |
| | Camp | 45 | 20% |

| | | | |
|---|---|---|---|
| Academic achievement | High (80 or more) | 63 | 29% |
| | Moderate( 70 – 79.9) | 103 | 47% |
| | low (less than 70) | 54 | 24% |
| Age | Less than 20 year | 63 | 25% |
| | (20-30) year | 132 | 60% |
| | More than 30 year | 25 | 11% |

Fourth: The instrument of the study:

The researcher has designed a measure of the known response to university students about acceptance and rejection towards the opposite sex, This instrument formed of (25) items were designed according to the scale of the Likert five-scores (Strongly agree \ agree \ I do not know \ disagree \ strongly disagree), thus ranged class on this instrument between (5) scores in the case of Strongly agree, and one score in the case of strongly disagree. In order to interpret the results of relative evaluation standard was adopted as follows:

- Less than 50% response level is very low
- Score 50-59.9% of the low level of response
- From the level of response% 60-69.9 Medium
- From 70 to 79.9% response level, a large
- 80% above the level of response is very large.

Validity and Reliability of the instrument:

Make sure a researcher from the sincerity of the instrument in a manner approved arbitrators through

its presentation to a group of specialists in psychology and educational totaling (7) arbitrators, are to benefit from their feedback on some of the paragraphs, where they noted the arbitrators to the validity of the survey and their relevance to the subject matter. Confirmed the reliability of the scale in two ways: the way re-testing (Test - retest) through re-apply the scale to a sample of (68) students did not engage in the study sample, after a period of time between the two applications worth three weeks, where it reached reliability coefficient of this way (87.0). And method of internal consistency using the equation Cronbach alpha, has reached the reliability coefficient in this way (0.84).

Fifth: statistical treatment:

In order to use statistical data processing program of computerized statistical packages (SPSS), using descriptive statistical treatments and analytical following:

1. Means, standard deviations and percentages.
2. The operations of independent (T-test).
3. Analysis of variance (One-Way ANOVA).

Results and discussion of the study

The first question: What level of acceptance and rejection responses toward the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / Region Tulkarm education?

To answer this question used the means and percentages for each item and the total degree of the

questionnaire, where the results (Table 3) are illustrative.

Table (3)
Means, percentages, and standard estimate of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex to the students at Al- Quds Open University / Region Tulkarm education

| Ordinal No | Serial No | Items | Means | Percentage | response estimate |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 3 | accept the participation of both sexes carry out the activities within the university | 3.91 | 78.2 | Large |
| 2 | 9 | Belonging that I live inside the university makes me think of building a relationship with co-workers in the future | 3.83 | 76.6 | Large |
| 3 | 5 | I accept the relationship fellowship in the specialty that I'm in. | 3.82 | 76.4 | Large |
| 4 | 2 | I accept that was associated with a colleague / her a | 3.64 | 72.9 | Large |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | friendly relationship | | | |
| 5 | 11 | Relationship fellowship help me achieve my goals | 3.63 | 72.7 | Larg e |
| 6 | 8 | Collegial relationship between the sexes raise motivation and activity | 3.62 | 72.5 | Larg e |
| 7 | 4 | I accept the Fellowship in the relationship during the study period and after | 3.48 | 69.7 | Mod erate |
| 8 | 1 | I accept that was associated with a colleague / her a strong relationship such as marriage | 3.42 | 68.4 | Mod erate |
| 9 | 10 | Relationship fellowship and a way to satisfy my needs, psychological and social | 3.22 | 64.4 | Mod erate |
| 10 | 6 | Fellowship established relationship with a colleague / ha in the program mode, but away from the Specialist | 3.01 | 60.3 | Mod erate |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 11 | 7 | Agree on the relationship fellowship during the study period, only | 2.93 | 58.6 | Low |
| 12 | 24 | Busy and lack of time prevents me from establishing a relationship in the university | 2.48 | 49.7 | Very low |
| 13 | 14 | Lack of credibility in the relationship between students make me do it the oldest | 2.4 | 48 | Very low |
| 14 | 13 | Conditions of my professional oath forbids me from a relationship in the university | 2.35 | 47 | Very low |
| 15 | 22 | The study provides an opportunity for Baala Relations Fellowship | 2.33 | 46.7 | Very low |
| 16 | 19 | Fellowship established relationship with a colleague / ha in the universities, but away from the Specialist | 2.32 | 46.5 | Very low |
| 17 | 16 | My thoughts and religious beliefs prevent me from relationship with the | 2.3 | 46 | Very low |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | colleague / ha in the University | | | |
| 18 | 18 | Like me and traditional forces me not to establish a relationship with the opposite sex Fellowship | 2.28 | 45.6 | Very low |
| 19 | 20 | Put a student is married to prevent me from establishing relations with the opposite sex | 2.26 | 45.2 | Very low |
| 20 | 25 | Lack of space and the successive lectures do not give me the opportunity to establish relations Fellowship Coffee | 2.23 | 44.6 | Very low |
| 21 | 12 | Failed experiments that I had heard me I'm not thinking in building a relationship with a colleague / ha in the University | 2.22 | 44.4 | Very low |
| 22 | 15 | My interest in the study only make me dwell in my education and scientific relations separated me from | 2.20 | 44.1 | Very low |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 23 | 13 | My circumstances prevent me from social composition of romantic relationships in the university | 2.09 | 41.9 | Very low |
| 24 | 17 | Refuse to accept the Fellowship of the opposite sex at the University | 1.99 | 39.8 | Very low |
| 25 | 21 | I am going through the material prevents me from building relationships Fellowship at the University of | 1.85 | 37.1 | Very low |
| Total area of the trends of acceptance and rejection | | | 2.79 | 55.89 | low |

Clear from the results of the table that the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education the degree of large items (3, 9.5, 2, 11.8), where the percentage has more than (70%) , while a medium degree of items (4.1, 10, 6) where the percentage has more than (60%), while trends were low on the rejection of items (7) where the percentage has more than (50%), and very low on items (24.14, 23, 22.19, 16, 18.20, 25, 12.15, 13, 17.21), where the percentage of less than (50%), while regarding the overall level the overall response of acceptance and rejection towards the opposite sex among

students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education was low, hitting percentage (89.55%).

In comparing this result with the results of previous studies showing that it had agreed with studies (Abu Ghosh, 2009; Irahil, 2009; Sorens, 2009; Abu Dakka, 2008; Brown, 2008) which showed a low level of emotional relationships among both sex, and the apprehension of students to build these relationships, and that these relationships often do not last because they are not based on clear grounds in most cases. While this result conflicted with the results of studies (Coves, 2009; Ibrahim & Barakat, 2007; Badwan, 2005; Ibrahim, 2001) which showed that the positive attitudes of the relations between the sexes in the university, Which showed the existence of positive relationships between the sexes in the university, and that there are accepted from both sexes to the opposite sex.

This return to students in general to accept the participation of both sexes carry out the activities within the university, and assert that a sense of belonging which they live on campus makes them think of building a relationship with co-workers in the future, and they agree to establish relations of fellowship in the specialty, and stressed that the fellowship help them achieve their goals and raised therein, motivation and activity, and saturation of the psychological and social needs, and make them think the link with colleagues in a strong relationship such as marriage.

The second question: Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of the Al- Quds Open

University / Region Tulkarm education due to the variable of sex?

To answer this question, calculated means and standard deviations of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education depending on the gender variable, then use the test (T) for independent samples in order to detect significant differences between these averages and the results of the following table shows it.

Table (4)
Results t-test (t) to signify the differences between means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education depending on Gender variable

| Gender | Number | Means | S.D | t | Sg. |
|---|---|---|---|---|---|
| Males | 78 | 2. 8446 | 0. 3945 | 1. 516 | 0.131 |
| Females | 142 | 2. 7485 | 0. 4923 | | |

Clear from the results of this table that there are no significant differences among means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education depending on gender variable. This means that there are no significant differences between the attitudes

of acceptance and rejection of students at Al- Quds Open University / variable due to the variable gender.

In comparing this result with previous results identify that it interferes with studies of (Abu Ghosh, 2009; Sorens, 2009; Hamilton, 2007) that results showed a statistically significant differences between males and females to accept the opposite sex in favor of males, while this result conflicted with (Randall, 2010; Abu Dakka, 2008; Brown, 2008; Badran, 2006; Radwan, 2005; Ibrahim, 2001) that showed significant differences in favor of females.

This is due to the social relations did not stand a day at the borders of gender, but a basket of growth and development of character-building, and here the students regardless of gender, are trying to develop themselves and their character building, refinement and style, and to develop their skills, and the university is fertile ground for this goal they are working on the bombing of innovation and development and talent, and these qualities shared by students and can not be exchanged under the isolation and remoteness and fear of the other, but there must be relations of fellowship and participation based on a professional basis and correct so as to ensure the development of these relationships to build a healthy society, not to destroy it .

The third question: Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable educational specialization?

To answer this question, calculated means and standard

deviations of the responses acceptance and rejection towards the opposite sex among students at the University of Al-Quds Open Unvirsity/ Region Tulkarm education due to the variable of educational specialization, as shown in the following table:

Table (5)
Means and standard deviations of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al-Quds Open University / Region Tulkarm education depending on the specialization variable

| specialization | Number | Means | S.D |
|---|---|---|---|
| Education | 110 | 2. 9147 | 0. 3397 |
| Management and leadership | 68 | 2. 7948 | 0. 4314 |
| Computer and communications technologies | 22 | 2. 7764 | 0. 4928 |
| Social service and development | 20 | 2. 7320 | 0. 4816 |

Clear from the results of this table that there are obvious differences between these means, and to test whether these differences with statistical significance test was used analysis of variance, and the results shown in the following table:

Table (6)
The results of analysis of variance test for significant differences between the means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students according to variables Specialty

| Source of variation | Sum of squares | df | Main squares | F | Sig. |
|---|---|---|---|---|---|
| Between groups | 0. 609 | 3 | 0. 203 | 1. 005 | 0. 391 |
| Within groups | 39. 601 | 196 | 0. 202 | | |
| Total | 40. 210 | 199 | | | |

Clear from the results of this table that there are no significant differences between the means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on the specialization course. This means that there are no significant differences between the attitudes of acceptance and rejection of students at Al- Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable educational specialization course for the student. This result disagrees with the study of Covas (2009) which showed that a statistically significant differences between students to accept the opposite sex in favor of human science.

This return to all students from all disciplines who seek to develop and exchange information, which is built essentially on the existence of a social environment that interact with the students, and therefore all disciplines in the Al-Quds Open University aimed, in essence, to build and develop the individual's personality and the

development of its information through interaction and exchange of information.

The fourth question: Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable place of residence?

To answer this question calculated means and standard deviations of the trends of acceptance and rejection of students at Al- Quds Open University / Region Tulkarm education according to the variable of residence, as described in the following table:

Table No. (7)
Means and deviations of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on the place of residence

| Place of residence | Number | Means | S.D |
|---|---|---|---|
| City | 77 | 2. 8712 | 0. 3498 |
| Village | 98 | 2. 7445 | 0. 5198 |
| Camp | 25 | 2. 7552 | 0. 4063 |

Clear from the results of this table that there are simple differences between these means, and to test whether these differences with statistical significance test was used analysis of variance, described the results in the following table:

Table (8)
The results of analysis of variance test for significant differences between the means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students according to the variable place of residence

| Source of variation | Sum of squares | df | Main squares | F | Sig. |
|---|---|---|---|---|---|
| Between groups | 0. 736 | 2 | 0. 368 | 1. 837 | 0. 162 |
| Within groups | 39. 474 | 197 | 0. 200 | | |
| Total | 40. 210 | 199 | | | |

Clear from the results of this table that there are no significant differences between the means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on the place of residence. This means that there are no significant differences between the attitudes of acceptance and rejection of students at Al- Quds Open University / Region

Tulkarm education due to the variable place of residence of the student. This result disagrees with the study of (Abu Ghosh, 2009; Irhil, 2009) which showed that a statistically significant differences between students to accept the opposite sex in favor of city place of residence.

This return to that place of residence is no longer a barrier to social interactions, as Palestinian society is a society open and aware of the importance of relationships within the campus on the character-building, is a large number of families to accept the idea of a colleague of the opposite sex keep his distance that must be met in this relationship.

Fifth question: Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable obtained academic?

To answer this question calculated means and standard deviations of the trends of acceptance and rejection of students at Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on the academic achievement, as set forth in the following table:

Table (9)
Means and standard deviations of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among

students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable of academic achievement

| Academic achievement | Number | Means | S.D |
|---|---|---|---|
| High (80 or more) | 63 | 2. 7968 | 0. 4426 |
| Moderate( 70 – 79.9) | 103 | 2. 7850 | 0. 5238 |
| low (less than 70) | 54 | 2. 7467 | 0. 3108 |

Clear from the results of this table that there are simple differences between these means, and to test whether these differences with statistical significance test was used analysis of variance, and the results of Table (14) shows that.

Table (10)
Test results analysis of variance for significant differences between the means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students according to the variable of academic achievement

| Source of variation | Sum of squares | df | Main squares | F | Sig. |
|---|---|---|---|---|---|
| Between groups | 0. 010 | 2 | 0. 005 | 0. 024 | 0. 976 |
| Within groups | 40. 200 | 197 | 0. 204 | | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| Total | 40. 210 | 199 | | | |

Clear from the results of this table that there are no significant differences between the means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on academic achievement. This means that there are no significant differences between the attitudes of acceptance and rejection of students at Al- Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable educational level of academic achievement of students. This result disagrees with the study of Bdran (2006) which showed that a statistically significant differences between students to accept the opposite sex in favor of low academic achievement students.

The sixth question: Are there significant differences in the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among the students of Al- Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable age?

To answer this question calculated means and standard deviations of the trends of acceptance and rejection of students at the University of Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on Alamralambinp in the following table:

Table (11)
Means and deviations of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex to the students at Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on the age

| Age | Number | Means | S.D |
|---|---|---|---|
| Less than 20 year | 63 | 2. 7796 | 0. 4609 |
| (20-30) year | 132 | 2. 8000 | 0. 4515 |
| More than 30 year | 25 | 2. 8012 | 0. 4179 |

Clear from the results of this table that there are simple differences between these means, and to test whether these differences with statistical significance test was used analysis of variance, described the results in the following table:

Table (12)

The results of analysis of variance test for significant differences between the means of the responses of acceptance and rejection towards the opposite sex among students according to the variable age

| Source of variation | Sum of squares | df | Main squares | F | Sig. |
|---|---|---|---|---|---|
| Between groups | 0. 016 | 2 | 0. 008 | 0. 040 | 0. 961 |
| Within groups | 40. 194 | 197 | 0. 204 | | |
| Total | 40. 210 | 199 | | | |

Clear from the results of this table that there are no significant differences between the means of the responses acceptance and rejection towards the opposite sex among

students in Al- Quds Open University / Region Tulkarm education variable depending on age. This means that there are no significant differences between the attitudes of acceptance and rejection among students at Al Quds Open University / Region Tulkarm education due to the variable age of the student. This result disagrees with the study of (Randall, 2010; Irhil, 2009) which showed that a statistically significant differences between students to accept the opposite sex in favor of students of senior age.

This return to that life was not an obstacle course where we note the relations, especially in the Al- Quds Open University of the Fellowship Group comprising members of all ages, where this group homogeneous in its structure, there are experienced people and there are married and there are new students.

Recommendations

In the light of the results and discussed of the study can be proposed the following recommendations:

1. Promote positive attitudes among students and invested in building a relationship is based on a balanced educational contribute to strengthening the role of the group to achieve its objectives.
2. Promoting a climate conducive to the common play and educate students and directing their attention to the importance of factors like constructive and meaningful educational and exercise contribute to building the individual's personality.
3. The use of educational foundations and social dialogue in the school practices to discourage the trend of rejection as a negative phenomenon

affecting the psychological construction of the group and reduce its effectiveness.

References

- Abu-Dakka, Mohammed (2008). Social relations between the sexes in universities in the Gaza Strip. Publication Research, Gaza: Al-Aqsa University.
- Abu Zeid, Ibrahim (2007). Psychology of self-compatibility. Alexandria: Dar Al-Maareff Press.
- Abu Ghosh, Samih (2009). The relationship between university students between the social acceptance and rejection. Publication Research, Ramallah: Sharic Publications Com.
- Asiri, Abeer (2009). Relationship constitutes the identity of the ego with the entire concept of self-compatibility the psychological and social and public in a sample of high school students in Taif. Unpublished Master, Umm Al- Qura University.
- Badran, Hoda (2006). The impact of the relationship between the male and female students at the university on academic achievement. Publication Research, Amman: University of Yarmouk.
- Basilisks, S. (2010). Friendship. Publications, the free encyclopedia wikipedia. http://ar.wikipedia.org/wiki/% D8% B5% D8% AF% D8% A7% D9% 82% D8% A9.
- Brown, D. (2008). "The relationship between the students at the university and the extent of continuity after". ERIC. AAC 9826769.
- Covas, P. (2009). “The foundations of the development of University Relations in American society”. ERIC. AAC 9927731.

- Hamilton, C. (2007). "The impact on the economic status of students based on a relationship within University". ERIC. Is:1-56750-011-0.
- Ibrahim, Khalil (2001). "Measure the direction of the students of the Faculty of Physical Education to each other". Journal of Physical Education and Studies, (6), 102-114, Faculty of Physical Education University of Basra.
- Ibrahim, Kassim and Barakat, Nori (2007). "Female students' trend of acceptance or refusal of male counterparts in the faculty of sport, Tishreen University: A Field study". Tishreen University Journal for Studies and Scientific research- Medical Sciences Series, 29(4). 35-48, Damascus University Publications.
- Irahil, Roula (2009). The acceptance of girls in the Palestinian universities to form social relations with men. Publication Research, Nablus: An-Najah National University.
- Jumah, Sultan (2009). world of friends. Tulkarm: Publications institution engaged in a dialogue of young people.
- Faouri, Khalil (2005). Youth: The issue of care and the role. Amman: Jordan Book Centre.
- Fayed, Susan (2004). On the crisis of values in the Egyptian society between the ideal pattern and actual practice. Cairo: National Center for Social and Criminological Research.
- Mazloum, Khaled (2003). Emotion of friendship. Beirut: Dar al-Nadwa.
- Radwan, Samar (2005). Parental attitudes towards the acceptance or rejection of the relationship between students and undergraduate students.

Publication Research, Ramallah: Publications Youth Leadership Forum.
- Randall, R. (2010). “Criteria for students to get connected with the social male at the University of”. ERIC. AAC 87565641.
- Sorens, K. (2009). “Factors for improving the social relations within the community”. ERIC. AAC9956546.
- Wahidi, Mohammed (2007). Friendship and the friend. Cairo: Dar  Al- Fekir al-Arabi.

Journal of

# Averroes University

in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**



Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
NL242123028B01 Tax record - KvK 08189752 Registration number in the Netherlands

# All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.




Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO
DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O
AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND
LORSWEG4
3771GH
BARNEVELD
BIC ABNANL2A
IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| Annual contribution | Individuals | Organizations |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |





The eighth Issue March 2013

# Averroes University In Holland

A scientific Journal Published Quarterly

Issue;8






Averroes University Holland

# مجلة جامعة ابن رشد في هولندا

## دورية علمية محكمة تصدر فصليا

العدد التاسع









Averroes University In Holland

# مجلة

# جامعة ابن رشد في هولندا

## دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا





عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411



**رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01**

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.



ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |


**طبعت بمطابع مجلة كه وانة [القوس] الكوردستانية ومسجلة برقم**





العدد التاسع نيسان أبريل 2013

# الفهرس


| التصنيف | ص. |
|---|---|
| **مفتتح** | أ، ب |
| **الأدب وعلوم اللغة** | 001 |
| كتاب الأغاني وأهميته في بعث مفردات لغة العرب وتجديدها أ.د.عبد القادر سلاّمي | 002 |
| رؤيا العالم في الشعر العربي المعاصرد. عبد القادر فيدوح | 047 |
| المديح في مساجلات الأزهار الأندلسية الدكتورة آمنة بن منصور | 077 |
| الأسواق والخانات التجارية و ملامح نسائها في مدن ألف ليلة و ليلة\ دراسة في متن حكايات ألف ليلة وليلة الدكتور محمد عبد الرحمن يونس | 090 |
| | |
| **دراسات فكرية اجتماعية** | 121 |
| المركز والهامش والحقيقة: من شرعية وجود الأنا إلى شرعية ممارسة التهميش الدكتور أحمد مداس | 122 |
| | |
| **فلسفة** | 148 |
| نظرية العقل عند الكندي الدكتور محمد أعراب | 149 |
| | |
| **الاقتصاد و إدارة الاعمال** | 160 |
| دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية إعداد فؤاد غالب كردي حنني | 161 |
| | |
| **العلوم السياسية** | 197 |
| الإصلاح السياسيّ والتشريعيّ في القرن التاسع عشر \ دراسة في السياق والآفاق الدكتور علي الصّالح مُولَى | 198 |
| | |
| **الفنون** | 219 |

| | |
|---|---|
| الخطاب السينمائي؛ إشكالات التلقي والتأثير \ دراسة في الأبعاد الدلالية لصورة المسلمين والعرب في السينما الأمريكية عرض وتقديم الأستاذ: رضوان بلخيري | 220 |
| | |
| **العلوم النفسية والتربوية** | 241 |
| دور السيناريوهات البيداغوجية في فعالية إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال. \ تأثير إدماج موارد رقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية على كفايات الإدراك السمعي لدى تلامذة السنة الأولى ثانوي إعدادي. خنوس محسن | 242 |
| واقع مرشدي التعليم الجامع والتربية الخاصة في مديريات التربية والتعليم الفلسطينية \ سلوكيات وممارسات د.إدريس محمد صقر جرادات | 268 |

* **تصميم الغلاف الدكتور معتز عناد غزوان**

* **لوحتا الغلاف للفنان التشكيلي العراقي الدكتور سعدي البابلي**

# مفتتح

دوريتنا العلمية واقعية تماما في التعامل مع محيطها وظرفها.. ومن هنا يأتي بعدها عن الادعاء واعترافها الثابت بأنها ليست الكمال ولا تخلو من هنة أو ثغرة أو ما يتطلب الاستكمال والإنضاج؛ ولكن مع موقف ثابت في مواصلة الجهد لتجاوز ما يعترضها من مصاعب وتعقيدات.. والأمل هنا في الزميلات والزملاء تفهمهم ما ينجم عن تلك الظروف من بعض تلكؤات ولكنها الشكلية وليست مما يمس الجانب العلمي بالتأكيد،.. على أن من يتابعنا سيجد جدية ومثابرة مثمرة تتفاعل وتطلعات ترسم مسارها بموضوعية وخط نمو تصاعدي مستقر.

اليوم نقدم بعددنا الجديد، جملة من الجهود المتنوعة التي حاولت مناقشة أمور نظرية وأخرى ميدانية بروح علمي مسؤول.. فقدمنا جهدنا البحثي في اللغة والأدب جامعا بين قراءة المنجز التراثي بعين معاصرة والمنجز الحداثي بروح ينتمي للجذور وللتراث النقدي. فيما قدمنا جدل الحوار الفلسفي الفكري في مادتين ناقشت الأولى المركز والهامش فيما ناقشت الأخرى نظرية العقل عند الكندي.. ولم نترك الاقتصاد ومعالجته كما ورد في باب التعاونيات الزراعية في مرحلة تحمل في رحمها تناقضات حادة بشان البيئة والزراعة ومستقبلها في بلداننا. وسيجد الباحث عن النشاط العلمي ومنجزه حوارات في الخطابات النفسية التربوية وأخرى في الفنون وفي العلوم السياسية بما يمثل قراءات مقترحة بحركة الإصلاح السياسي في القرن الـ19 وفي السينما والتمييز العنصري وفي السناريوهات البيداغوجية بواقع مرشدي التعليم الجامع في فلسطين.

ويبقى طموحنا الثابت لدفع الكفاءات العلمية بخاصة هنا النسوية والشابة، كيما تأخذ دورها في الارتقاء بنسبة المساهمة في بحوث كل عدد. إلى جانب تناول قضايا ملحة سواء منها النظرية أم التطبيقية مما يمس حيوات بلداننا ومجتمعاتنا كافة.

وربما ملنا في مرحلة لاحقة إلى إفراد كل عدد لملف بعينه في محاولة لتسليط الضوء جديا على موضوعمحدد نأمل أن يناقش باستفاضة ومن زوايا مختلفة وبوساطة مناهج متعددة وجهود باحثات وباحثين من بيئات قد تشترك في المشكلة الرئيسة أو تختلف ولكن الفائدة ستكمن في مفاعلة الرؤى والمعالجات..

إننا ننتظر مقترحاتكم وتصوراتكم لتوضع بين يدي هيأتي الاستشارة والتحرير ونعمل على تطبيق المتاح.. وسنعلن مع الأعداد القابلة خطة العام 2014 بأعداده الأربعة وملفاته التي نأمل دراستها بحثيا. من جهة أخرى نود أن نجدد التشديد على ضرورة الالتزام بالشروط والمحددات الخاصة بالنشر ويؤسفنا هنا أن يتم استبعاد عدد من البحوث لعدم الالتزام بواحد أو أكثر من الشروط والمحددات. وسيكون من شأن الالتزام على سبيل المثال بشكليات طباعية مساعدة فنية وتسهيلا لجهدنا التقني الذي يحاول توحيد المنهج من جهة وتوحيد الإخراج الطباعي الذي يلتزم بالشروط.

ونشير هنا إلى أننا في وقت طبعنا الأعداد التي صدرت ألكترونيا ونواصل الجهد لاستكمال طباعة جميع الأعداد؛ فإننا في الوقت ذاته نتطلع لاستكمال التفاعل بما يهيئ شروط توفير نسخ الأعداد المطبوعة للمساهمين. علما أنها باتت متاحة في عدد من أسواق المطبوعات والمكتبات العامة وسنواصل تقديم نسخ مهداة لعدد من مكتبات الجامعات كما بمكتبات جامعات كوردستانية وأخرى في بغداد، البصرة، وغيرهما فضلا عن جامعات عربية وشرق أوسطية.

إننا نفكر بمزيد من فرص تفعيل دوريتنا ولدينا خطط نهوض نثق بنجاحها بفضل تعاون جميع المعنيين مع هذه المؤسسة العلمية البحثية التي تعمل وتنتج جهدها في إطار جامعة ابن رشد في هولندا. وحتى نلتقي في عدد تال نرجو للجميع كل الخير والسؤدد.

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة


كتاب الأغاني وأهميته في بعث مفردات لغة العرب وتجديدها

رؤيا العالم في الشعر العربي المعاصر

المديح في مساجلات الأزهار الأندلسية

الأسواق والخانات التجارية و ملامح نسائها في مدن ألف ليلة و ليلة
دراسة في متن حكايات ألف ليلة وليلة

# كتاب الأغاني وأهميته في بعث مفردات لغة العرب وتجديدها

أ/د.عبد القادر سلاّمي
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات    جامعة تلمسان-الجزائر

**Abstract:**

This study seeks to establish one lists of some words and graceful locutions penned by Abu alfaraj in writing songs and other analysis on lexicon and semantics in this arrangement, taking into account that the original article, we include below Word or phrase where the words that refer to that article are to aspects of tradition and innovation, arranged by alphabetical order and arrangement of some of the lives of Ispahan and systematization in the book of songs and its significance in the study of language.

***ملخص:**

تسعى الدراسة الموالية  سرد ثلّة من الألفاظ والعبارات الرشيقة التي صاغها أبو الفرج في كتابه الأغاني  وتحليل أخرى من جهة المعجم والدلالة، مراعين في هذا الترتيب أن نذكر المادّة الأصلية وندرج تحتها الكلمة أو العبارة التي جاءت فيها الألفاظ التي ترجع إلى تلك المادة، ملمحين إلى مظاهر الأصالة والتجديد فيها، مرتّبين إيّاها ترتيبا هجائيا وبما يكفل التعرض لبعض من حياة الأصفهاني ومنهجه في كتاب الأغاني وأهميته في دراسة اللغة.

**أولاً-حالة بغداد في عصر بني بويْه( العصر العباسي الثلث):**

كانت دمشق دارًا لملك بني أمية وشعارهم البياض في راياتهم ولباسهم، فلمّا جاء بنو العبّاس اتّخذوا بغداد مقرا لكرسيهم والسّواد شعارًا لهم، وكانت جنودهم تُسمّى "المسودّة" لأنّ راياتهم سود[1]. والأصل في اتّخاذ العباسيين الأسود شعارا لهم مُخالفة الأمويين وتلك سنة اختلاف الملوك عن أسلافهم، وممّا يُذكر أنّ المأمون (813-833م/198-218هـ)[2] الخليفة العباسي لَبِسَ الأخضر مُجاملة للعلويين، فكاد يختل أمر المُلْك فرجع بعدَ أسبوع المأمون إلى الأسود. وصارت بغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد (786-808م/170-193هـ) وابنه المأمون مَنْبعا للحضارة ومشرقا للمعارف والآداب.[3]

ولم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة أمرائها، وكثرة علمائها وأعلامها وتميّز خواصها وعوامها وعظم أقطارها وسعة أطرارها*، وكثرة دورها ومنازلها، دروبها وشعوبها، محَّالها وأسواقها، مساجدها وحمّاماتها، وطرزها وحاناتها، وطيب هوائها وعذوبة مائها، وبرد ظلالها وأفيائها واعتدال صيفها وشتائها وصحّة ربيعها وخريفها وزيادة ما حصر من عدد سكانها، وأكثر ما كانت عمارة وأهلا في أيام الرشيد، إذ الدنيا قارة المضاجع، دارة المراضع، خصيبة المراتع، مورودة المشارع، ثمّ حدثت بها الفتن وتتابعت على أهلها المحن، فخرّب عُمرانها وانتقل قطانها، إلاّ أنّها كانت قبل وقتينا والسابق لعصرنـا على ما بها من الاختلال والتنـاقض في جميع الأحوال متباينة لجميع الأمصار ومخالفة لسائر الديار.[4]

وقد حكى ابن الأثير (ت 630 هـ) في تاريخه عن عظمة بغداد ووصف لنا أهبّة ملوكها وسلاطينها وصوّر لنا كلّ ذلك في قوله :"لمّا وصلت رسل ملك الرّوم إلى بغداد في سنة 305 هـ في خلافة المقتدر، رُتِّب من العسكر في دار الخلافة مئة وستون ألفا ما بين راكب وراجل، ووقف بين يدي الخليفة سبعمائة حاجب وسبعة آلاف خادم، وزُيِّنت دار الخلافة بأنواع الأسلحة، وغرائب الزينة، وفُرِشت أرضها بالبُسط، وكانت عُدّة البُسط اثنين وعشرين ألف بساط، وعُدّة الستور المعلّقة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الدِّيباج المذهّب. وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها

---

1 -القلقشندي:صبح العشى،273/3-.274.
2- يوسف عون الخوري:مختصر أغاني الصفهاني، 156./3
3- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،259/1.
* الطرار: الأطراف والنواحي.ينظر: ابن منظور،: لسان العرب،500/4،مادة(طرر).
4- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ،119/1.

وأوراقها وطيور الذهب على أغصانها وألقيت المراكب والزبازب* في دجلة أحسنَ زينة، وكان هناك مئة سبع مع مئة سبّاع إلى غير ذلك من الأحوال الملوكية.[5]

وليس أدلّ على عظمة بغداد في ذلك العصر من شعر إسحاق الموصلي**
(ت 850 هـ) حين خرج مع الواثق بالله (841-846م/227-232هـ) إلى النجف فقال متشوقا إليه :[6]

أَتَبْكِي عَلَى بَغدادَ وهي قَرِيبةٌ — فكيف إذا مَا أَزْدُدْتَ منها غَدًا بُعدَا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قِلَي — لو أنّا وجدنا من فراق لها بُدًّا
إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت — من الشوق أو كانت تموت بها وجدا
كفى حُزنا إن رُحت لم تستطع لها — وداعا ولم تُحْدث لِسَاكِنها عَهْدَا

ولا نزيد عصر العباسيين وصفا ولا حضارتهم تعريفا بغير قول الخطيب البغدادي أحد المعاصرين لها في كتابه تاريخ بغداد لأنّه أوفى وأصدق كتاب وصفها وكتب عن علمائها.[7]

## 2- علوم العصر :

كان التعليم في البلاد الإسلامية في أوّل الأمر مقصورا على العلوم الدينية وهي القرآن وتفسيره والحديث وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية، حيث كانت العرب في صدر الإسلام لا تعتني بشيء من العلوم إلاّ بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها وبصناعة الطبّ فإنّها كانت موجودة عند أفراد منهم لحاجة النّاس إليها وذلك صونًا منهم لقواعد الإسلام وعقائد أهله من تطرّق الخلل من علوم الأواخر قبل الرسوخ والأحكام واستمرّ ذلك إلى آخر عصر التّابعين، ثمّ حدث اختلاف الآراء وانتشار المذاهب،فآل الأمر

* الزبازب: السفن الصغيرة.ينظر: ابن منظور:لسان العرب،446/1،مادة(زبب).
5- القلقشندي: صبح الأعشى،272/3.
** مغني العصر العباس، عرف بابن النديم نسبة إلى أبيه غبراهيم الموصلي،انقطع إلى الرشيد والبرامكة.من آثاره :كتاب أغانيه.ينظر: الأب لويس معلوف اليسوعي،: المنجد في اللغة والأعلام،،ص.44
6 -أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، 285/9.
7 طبع الكتاب في 1407هـ-1987م،عن دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،وهو المعتمد في البحث.

إلى التدوين، وما نشر من العلوم في عهد بني أميّة كان مرتبطا منها بالدّين بعكس ما كانت عليه الحال في أيّام العباسيين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية أو الكونية أيضا كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها ولم يكن عصر العباسيين عصر تخصص وإنّما كان العالم أديبا وفقيها غويا وشاعرا ومتكلّما، وكانت الدروس فيها تفسير، وفيها حديث، وفيها فقه، وفيها لغة، وفيها جدل ديني.[8]

فالعلوم التي تداولها المسلمون في مساجدهم ومجالسهم العلمية في صدر الإسلام، وعهد بني أميّة كانت تتلخّص فيما كتبه ابن خلدون في مقدّمته إذ يقول :" وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لأن المكلّف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنّة، فلابدّ من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أوّلا، وهذا هو علم التفسير، ثمّ بإسناد نقله وروايته إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم الذي جاء به من عند الله واختلاف الرّواة الناقلين لها، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم، وهذه علوم الحديث، ثمّ لابدّ في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يُفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط، وهذه أصول الفقه، وبعد هذا تحصّل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين وهذا هو الفقه، ثمّ النظر في القرآن والحديث لابد أن تتقدّمه العلوم اللسانية لأنّه متوقف عليها، وهي أصناف فمنها علم اللغة وعلم النّحو وعلم البيان، وعلم الأدب، وهذه العلوم النقلية كلّها مختصة بالملّة الإسلامية ".[9]

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنّ الفقه والقراءة والتفسير والحديث كانت عِلْما واحدا في أوّل الأمر ثمّ استقلّت بعضها على بعض تبعا للتطوّر والارتقاء الذي مسّ كلّ العلوم هذا فيما يختصّ بالعلوم النقلية، أمّا العلوم العقلية فكانت قليلة في عهد الأمويين، ويمكن أن نقول أنّها كانت مهجورة إنّ صحّ القول بيْدَ أنّ اشتغال العرب بالعلوم العقلية من كيمياء وطبّ وفلك وتاريخ ونحوها لم يكن له أثر إلاّ في صدر الدولة العباسية وعلى الأخصّ في عهد المأمون الذي حمل لواء حركة الترجمة والنقل من اليونانية والفارسية والهندية.[10]

### 3- سبب ازدهار العلوم في العصر العباسي :

من العوامل الفعّالة في سرعة ازدهار العلوم في النهضة العباسية أنّ الخلفاء أصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كلّ مرتخص وغال في سبيل

---

8 - أحمد أمين: فجر الإسلام،201./1.

9- ان خلدون، عبدالرحمن:المقدمة،ص.486

10- جرجي زيدان:تاريخ التمدن الإسلامي،27/3 وأحمد أمين: ضحى اُسلام،262./2.

نقل هذه الكتب ويرغبون النقلة وغيرهم بالبذل والكرم بقطع النّظر عن ملَلِهم أو نحلهم أو أنسابهم حتّى إنّ صاحب كشف الظنون يقول في هذه المناسبة :" والحق أنّ أعظم الأسباب في رواج العلم وكساده رغبة الملوك في كلّ عصر".[11]

وثمّة عامل آخر كان له الأثر البالغ في نشر العلم والتعليم وهو استعمال الورق، فمِمًا لاشكّ فيه أنّ حركة العلم وتدوينه في العصر العباسي ما كانت لتصل إلى ذلك القدر من الرقي لو ظلّت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة أو الندرة.[12]

فالتعليم إذًا مدين لصناعة الورق الذي به كثرت الكتب والمكاتب وخزائنها وأصبحت مصدرا عظيما للثقافة فساعدت المتعلّم على الأخذ بمناهل العلم، وربّما تأثير استعمال الورق في النهضة العلمية في الإسلام مثل تأثير فنّ الطباعة في النهضة الأوروبية في أواخر العصور الوسطى.[13]

وكان لاستنباط رفعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتّى بدا أنّ الناس جميعا من الخليفة إلى أقلّ أفراد العامّة شأنا قد غَدَوْ فجأة طلاّبا للعلم، أو على الأقل أنصارا للأدب، وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا وراء موارد العلم والعرفان ثمّ يعودون إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ، ثمّ يصنّفون بفضل ما بذلوه من جُهْدٍ متّصل بهذه المصنّفات التي هي أشبه شيء بدوائر المعارف.[14]

لقد تأثرا المسلمون بهذه العلوم التي نقلوها إلى اللغة العربية، فلم تكد تُعرف لديهم حتّى أخذوا في درسها والاشتغال بها، وكان اشتغالهم بها في أوائل الأمر لا يتعدّى النّظر والتلخيص والشّرح حتى إذا اكسبوا ملكاتها ونضج تمدّنهم وانتشرت العلوم في البلاد أخذوا يتدبّرون كلّ علم يدرسونه منها، ويحقّقون مسائله بكلّ ما أوتوه من قوّة وعقل وصحّة وفهم وأصبحت العلوم عمدتها النظر والقياس والتحليل والتركيب.[15]

وكانت بغداد أثناء هذه النهضة كعبة العلم ومقصد العلماء، ولمّا اضطربت أحوال الخلافة بعد زمن المأمون ونشأت الدولة الجديدة في مصر والأندلس تفرّق العلماء وأصبح للعلم مراكز جديدة، وهكذا أثمرت بذور العلم التي ألقاها خلفاء النهضة العباسية في جميع العالم الإسلامي في خراسان

---

11 -حاجي خليفة: كشف الظنزن عن أسامي الكتب والفتون ،29./1

12 -أحمد أمين:ضحى الإسلام،21/2-.22

13 - محمد عبد الجواد الأصمعي:أبو الفرج الأصفهاني،ص.58

14 -المرجع نفسه،ص.57

15 -المرجع نفسه،ص57-.58

وأذربيجان وما وراء النهر ومصر والشام والأندلس واقتدى حكام هذه البلاد بخلفاء النهضة العباسية في ترغيب أهل العلم واستقدامهم إلى عواصمهم فكان الأصبهاني أحدهم.[16]

**4- النهضة العلمية والأدبية فيه وحظّ أبي الفرج الأصفهاني:**

نشأت النهضة العلمية والأدبية في البصرة والكوفة، ثمّ تحوّلت إلى بغداد فأصبحت قبلة العلم والعلماء ومنتدى الأدب والأدباء وبلغت في ذلك ذروة المجدِ وصار العلم بضاعة رائجة فيها، فراح العلماء يستنيرون بمشكلاتهم ويقتبسون منها، وفوق هذا كانت بغداد مركز الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية، فكمْ عُقدت من مجالس للأدب والبحث والمناظرة، وكم نظمت فيها حلقات؛ وفي هذه الحلقات المختلفة نضجت الحياة العقلية الإسلامية العربية، وأتت ثمرتها ونبغ فيها في أيام أبي الفرج نخبة صالحة من أعلام العلماء وتخرّج عليهم جمهور عظيم ممّن نالوا الشهرة الواسعة والصيت الذّائع، منهم المفكرون والمشتغلون بالعلم والأدب من الشعراء والأدباء والمنشئين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة وغيرهم ممّن لهم مقام كريم وذكر جميل في محافل الأدباء ومشيخة العلماء.[17]

وسرّ هذا النبوغ هو تسابق الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء إلى نصرة العلماء الذين كانوا يُقبلون إليها من كلّ فجّ وصوبٍ ويعيشون في ظلّهم يقرّبوهم ويلينون لهم الجانب ويجزلون عليهم الأرزاق الوافرة ويهبون لهم الهبات العديدة، فكانوا لهذا التشجيع المستمر وتلك الهبات المتواصلة من أكبر محبِّي العلم الآخذين بناصر العلماء وأخذ النّاس يتسابقون في خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم إلى مساعدة العلماء ونصرتهم.[18]

ومِنْ حُبِّهم للعلم والاستزادة منه أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج، انظر لي رجلاً عالما بالحلال والحرام، عارفا بأشعار العرب وأخبارها، أستأنس به، وأجد عنده معرفة فوجِّهه إليّ من قِبلكَ، فوجّه إليه الشعبيّ، وكان أجمع أهل زمانه. قال الشعبيّ:" فلم ألقَ واليا ولا سوقة إلاّ وهو يحتاج إليّ ولا أحتاج إليه، ما خلا عبد الملك ما أنشدته شعرا، ولا حدّثته حديثا إلاّ وهو يزيدني فيه، وكنت ربّما حدّثته وفي يده لقمة فأمسكها فأقول: يا

16 - جرجي زيدامك تاريخ التمدن الإسلامي ،167/3-.169

17- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ومدينة السلام، ،112./1

18- المرجع نفسه،112/1-.113

أمير المؤمنين، أسغ طعامك فإنّ الحديث من ورائه، فيقول ما تحدّثني به أوقع في قلبي من كلّ لذّة وأحلى من كلّ فائدة ".[19]

ومن الذين نالوا حظّا وافرا ومركزا ممتازا لدى الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء من علماء عصره وأدباء وقته أبو الفرج الأصبهاني لمكانته العلمية والأدبية حتّى سبقهم جميعا (مع وساخة جسمه وقذارة ثيابه) لبراعة بيانه وامتلاكه عنان اللغة ومتانة نسجه للأخبار التي يرويها، ولا يُدانيه في العربية إخباريُّ آخر ودليل هذا كتابه "الأغاني" الذي يُعدّ نسيج وحده، وقد وصل به إلى الذّروة وبلغ النهاية، وكان منهلا عذبا لكل أديب وكاتب مؤرخ منذ ألف سنة لجودة وضعه، وجمال تأليفه وحسن قصصه التي صوّرها فيه أبدع تصوير، وكان السّبيل إلى البراعة وما ناله أبو الفرج في جميع العصور الإسلامية من الشهرة الواسعة والصيت الذائع، وكما كان في حياته ينهال عليه طلاّب العلم ببغداد من كل فج يقتبسون من نبراسه الساطع، ويغترفون من بحره الزاخر، كذلك كتابه الأغاني الذي يعدّ في عالم الأدب منذ ألّف حتّى الآن أشهر من نار على علَم لأنّه الكتاب النادر المثال الذي هو أشبه بالبحر الطامي مهما غاص الغائصون فيه يستمزجون الدرر العصماء فهيهات أن تنضب معينه.

وقد اتّفق المؤرخون من عرب و عجم على أنّ أوّل طالع سعيد لارتقاء الأمّة العربية كان في القرن الثاني من الهجرة حيث سطع نور العلم من بغداد فأنار جميع الآفاق ومصر والأندلس، لأنّه في هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه التفسير، وصنّف ابن جريج التصانيف بمكّة، وصنّف سعيد ابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، وصنّف مالك الموطأ بالمدينة، وصنّف ابن إسحاق المغازي، وصنّف معمر باليمن، وصنّف سفيان الثوري كتاب الجامع، ثمّ بعد يسير صنّف هشام كتبه وصنّف الليث بن سعد وعبد الله بن لهعية، ثمّ ابن المبارك القاضي أبويوسف يعقوب وابن وهب وعيسى بن عمر النحوي، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ورتّبت ودوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيّام النّاس، وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلّمون عن حفظهم ويروُون عن صحف صحيحة غير مرتّبة فسهل بذلك تناول العلم.[20]

19- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 30./1

20 -الحطيب البغدادي: تاريخ بغداد ومدينة السلام، 114./1

### ثانياً-أبو الفرج: حياته، ثقافته، آثاره وموقع الأغاني منها:

### 1-مولده ونشأتـه:

هو أبو الفرج علي بن الحسين بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمان بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد المناف القريشي الأموي، من أعلام الأدب في القرن الثالث الهجري، وهو سليل الأسرة الأموية.[21]

ولد أبو الفرج بأصبهان سنة أربع وثمانين ومائتين( 284هـ-897م )في خلافة المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، وهي السنة التي مات فيها البحتري الشاعر، ولا يعرف على وجه اليقين موضع ولادته فقالوا إنّه أصفهاني المولد استنادا إلى لقبه الذي يعرف به، وكانت نشأته ببغداد واستوطن بها وكانت داره واقعة على دجلة في المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة وملاصقة لدار أبي الفتح البريدي ولهذا قالوا إنّه بغدادي المنشأ والمسكن. ولعلّ أجداده كانوا يعيشون في أصفهان بعد سقوط دولتهم، ثمّ نزح أحفادهم إلى بغداد وأقاموا بها وكانت يومئذ أجمل مُدُن الأرض في عصره، وفيها كلّ شيء جديد سواء أكان ذلك في خططها ومرافقها أم في عقول أبنائها ونبوغ علمائها، يحمل إلينا من الأفاق بدائع ما صنع البشر وأنتجت عقولهم، وناهيك بعاصمة مملكة بني العباس، وكانت سيّدة الممالك ودرّة البلدان وبها عرش أعظم مدينة إسلامية حافلة بالعلماء والأدباء والمؤرخين واللغويين، وازدهرت فيها المعارف والعلوم والآداب، فبغداد هي مهد الحضارة الإسلامية ومنها انتشرت المعارف والعلوم والآداب التي كان لها الأثر الحسن في ترقية المدارك وإنارة البصائر، وتشهد بما كان لعلمائها من مجدٍ عظيمٍ ومقامٍ كريمٍ.[22]

### 2- دراسته العلمية:

نشأ أبو الفرج ببغداد في أزهى عصور الإسلام، وكانت بغداد يومئ مهد الحضارة الإسلامية ومنبع العلوم، ومنتدى الأدب، فأكبّ على الدّرس وجدّ في التحصيل، ودأب على قراءة الكتب في العلوم، ثمّ اتّصل بأعيان العلماء وأقطاب أصحاب الأدب وعلماء الحديث وأئمة النّحو والأدب، فحذق العربية وبرع فيها وجوّد البيان أيّما تجويد حتّى صار زعيما للحياة الأدبية

---

21- أبو الفرج الأصفهاني: الأعاني/6./1.
22 - عمر القاق: مصادر التراث العربي في اللغة والأدب والتراجم ،ص107.

الناشطة في بغداد، وعاش حينذاك عيشة الأديب الجوّال، ونال رعاية سيف الدولة وإسماعيل بن عباد والمهلبي**، كما نال رعاية الأمويين بالأندلس مع أنّه لم يَسْعَ إليهم بشخصه، واتّصل بصدور أهل العلم والفضل والأدب يصاحبهم ويلابسهم ويلازم مجالسهم وصاحب أهل الظرف وأصحاب البدائع والبداءة وشاركهم في أسمارهم.[23]

وناهيك ببغداد في ذلك العصر الذهبي الذي كان زاهيا بالعلوم والفنون، زاهرا بالآداب والمعارف، وقد كانت غاصّة بالعلماء والأدباء والفقهاء والمحدّثين واللغويين وكبار الرّجال المبرّزين، ولهم تآليف قيّمة وآثار خالدة تشهد برسوخ قدمهم في العلوم والمعارف والآداب وتبرهن على ما وصلوا إليه في البحث والاطّلاع فنالوا آيات الثناء والإكبار والإجلال. وتاريخ بغداد للخطيب حافل بتراجم كثير منهم، والفهرست لابن النديم كتاب شامل لجميع مصنّفاتهم.[24]

درس أبو الفرج على نخبة صالحة من العلماء الأجلاّء واستفاد من معارفهم وعلومهم وحفظ كثيرا من فنون الأدب، وأصبح ذا دراية تامة بها كما حفظ كثيرا من علوم اللغة وكان متقدّما فيها، متقنا لها مستكثرا منها فنبغ نبوغا عظيما في التاريخ الأدبي ففاق معاصريه ولم يلحق به في هذا الميدان أحد، ووصلت شهرته إلى أسماع سيف الدولة فاتّخذه نديما ببلاطه.[25]

روى عن علماء كثيرين يطول تعدادهم**، وقد كان العلماء والأدباء في ذلك العصر يذكرون في مجالسهم الأخبار الرائقة والأشعار الفائقة وطرائف الحكمة والفوائد الأدبية والفوائد اللغوية من آثار السّلف الصالح، وقد وصف أبو سعيد السّكري هذه المجالس بقوله:

وذكّرني حلوُ الزمان وطيّبه     مجالس قومٍ يملأ ون المجالس

وسمعتَ من آخرين لا يُحصون مع شهرة كلّ واحد منهم، وما امتاز به في حياته العلمية ليكون نبراسا يُهتدى به ومثالا يُحتدى من

حديثا وأشعارا وفقها وحكمة     برّأ ومعروفا وإلفاً مُؤانســــــــــــا

---

** من وزراء بني بويه.

23- محمد عبد الجواد الأصمعي: ابو الفرج الأصفهاني،ض.106

24 - ابن النديم، إسحاق: الفهرست،ص.509

25 - أحمد تمامك في ذكرى وفاة الصفهاني.موقع .google.com

** نحو: أي بكر بن دريد (ت321هـ) و أبي بكر بن الأنباري(ت328هـ) والأخفش الأوسط(ت215هـ)وغيرهم.ينظر:ابن الثغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،241/3 و ابن خلكان: وفيات الأعيان،709/1-714 و ابن النديم: الفهرست،ص75 ، 80.

حيث كثر موريدوه وتلامذته**، وقد تعدّدت مرويات أبي الفرج وحصيلته المعرفية من الشعر والأغاني والأخبار والآثار واللغة والنحو والخرافات لذلك استحقّ أن يوصف بالعلاّمة النّابه الإخباري الحافظ وتأهل للعمل كاتبا لدى ركن الدولة فوفّر له ذلك الحظوة عند أمير حلب، ثمّ انقطع إلى الوزير بن محمد المهلبي فكان من خاصة ندمائه وله فيه عدد من المدائح.[26]

### 3-نبوغ أبي الفرج وذيوع صيته:
### أ-قوة حفظه وصفاء ذهنه:

كان أبو الفرج حادّ الذهن، قويّ الحافظة، فوعى في ذاكرته ألوفا من الأشعار والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث والأنساب بأسانيدها وأسماء قائليها ورواتها فضلا عن حفظه من علوم أخرى كاللغة والنّحو والسّير والمغازي وعلوم البيزرة* والبيطرة والطب والنجوم والأشربة وغير ذلك، وأصبح في عصره إمام المؤلفين وزعيم الأدباء ورئيس الكتاب وعميد النّدماء وعمدة المؤرخين، واجتمع له من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يسبق اجتماعه في عصر من العصور.[27]

وكان لهذا شأن كبير وأثر محمود على شواطئ دجلة، فقد ازدهرت تلك المعارف وأينعت ثمراتها وتحقق ما كانت ترتجيه من النّجاح في نشرها ببغداد، ولا تزال بقايا آثارها مكلّلة بتاج من الفخار ما زال بهاؤه ساطعا برغم تصاريف الزّمان وعبث الأيّام، ولم يقتصر أبو الفرج من العلوم والآداب على الحفظ والاختزان والتعليم كما يفعل كثيرون، لكنّه تدبّر تلك المعارف وأخرج

---

** نحو : أبي الحسن عليّ بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني(ولد سنة306) و أبي الفرج الحافظ الكبير يحي بن مالك بن عائذ أبو زكريا الأندلسي(ت 376هـ) و أبي الفرج أبو الحسين عليّ بن محمّد بن عبد الرّحيم بن دينار الكاتب. ينظر: ابن حلكان: وفيات الأعيان،470/1-471و ابن العماد الجنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب،93/3، وياقوت الحموي: معجم الأدباء،210/5-211و 3//377-.378

26- ابو الفرج الأصبهاني: الأغاني،67/1.

* علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح من حيث حفظ صحّتها وإزالة مرضها ومعرفة العلامات اللّة على قوذتها في الصّيد وضعفها في ذلك.ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط،78/1،مادة(البيزار).

27 -محمد عبد الجواد الأصمعي:أبو الفرج الأصفهاني،ص108.

من فرائدها وفوائدها كتبا نفيسة قيّمة نافعة أشهرها كتابه "الأغاني" وبه اشتهر، ولا تزال تفتخر به الأجيال حتّى الآن.[28]

**ب-عبقريته:**

كان أبو الفرج موهوبا ملهمًا وعبقريا فذًّا، وفنّانًا بارعا قد استمدّ وحْي البلاغة وسِحرَ البيان من علماء بغداد أعلام في عصره وأصبح يُعَدُّ من مفاخر بغداد، فهو المحدّث الثقة، والكاتب البليغ، والشاعر المبدع والمصنّف المنتج، وقد تجلّت عبقريته في كتابه النّفيس "الأغاني" فهو عنوان نبوغه في الأدب وسرّ شهرته بين علماء عصره، وقد بلغ به الذّروة ووصل إلى النهاية لأنّه استطاع أن يصوّر بأسلوبه الرّائع، وفنّه البديع الحياة الاجتماعية والعمرانية في أزهى العصور الإسلامية، فقد كان كتابه من هذه الناحية منهلا عذبا لكل كاتب وأديب أو مؤرخ منذ ألف سنة، وتسابق الملوك والأمراء والوزراء والأدباء في كلّ عصر إلى اقتنائه. وقد دفع الخليفة الحكم** ألف دينار من الذهب العين في اقتناء نسخة منه، واعترض أحدهم على هذا المبلغ وقال: هل مِن مزيد؟ وكان الخليفة الحكم محبا للعلوم مكرمًا لأهلها، جماعة للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، وقد جمع لنفسه مكتبة خصوصية احتوت على أربعمائة ألف مجلدا كلّها من النفائس والغرر.[29]

والأغاني لا يعدّ أهمّ مرجع للتاريخ الأدبي إلى القرن القرن الثالث الهجري فحسب، بل يعتبر كذلك أهمّ مصدر لتاريخ الحضارة الإسلامية للدولتين الأموية والعباسية، وتعتبر الآن المرجع الوحيد في العالِم بأخبار العرب وأشعارها وأيّامها ومثالها ووقائعها.[30]

وقد استفاد منه كل عالم أو أديب ولا تجد كتابا قديما أو حديثا كتب عن العرب وآدابهم إلاّ وكتاب الأغاني هو المورد العذب لمؤلفيه، لذا تزاحم عليه طلاّب الفضل وعشّاق المعالي وأهل العلم والعرفان.

**4- بعض صفاته وأخلاقــه :**

لقد كان أبو الفرج دائم المحبّة لأصدقائه، صادق المودّة لإخوانه، وفيّا لأساتذته وهي من الأخلاق النبيلة التي اتّصف بها، حيث يحدّث عن نفسه

---

28- المصدر نفسه،ص108-109.
** هو الحكم بن مروان أحد ملوك الأندلس.
29- أحمد بن ومحمد المقري التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،1/.25.
30- المرجع نفسه،2/.49.

قال :" بلغ أبا الحسن جحظة أن مدرك بن محمد الشيباني الشاعر ذكره بسوء في مجلس كنت حاضره، فكتب إليّ يقول:[31]

أبَا الفرج أهجَى لديْكَ ويُعْتَدَى — عليَّ فَلاَ تَحْمِي لِذَاكَ وتَغْضَبُ
لَعُمْرُكَ مَا أنصَفْتْنِي في مودَّتِي — فكنْ مُعْتِبًا إن الأكارم تعتبُ

فكتب إليه:[32]

عَجِبْتُ لِمَا بُلِّغْتُ عنى باطـلا — وظنَّكَ بي فيه لَعُمْـرُكَ أعجبُ
ثكلت إذا نفسي وعُزِّيَ أَسْرتـي — بفقدِي ولا أدركتُ ما كنت أطلب
فكيف بمن لاحظ لي في لقائِهِ — وَ سيَّان عندِي وَصلـه والتجنّبُ
فثق بأخٍ أصفاكَ مَحْضَ مَوَدَّةٍ — تُشاكلُ منها مـا بـدَا والمغيبُ

*5-شعـره:*

لقد كان أبو الفرج من الشعراء المجيدين، وصفه هلال بن المحسّن بقوله :" وله شعر جيّد إلاّ أنّه في الهجاء أجود، وإن كان في غيره غير متأخر، وكان النّاس على ذلك العهد يحذرون لسانه ويتّقون هجاءه، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومؤاكلته ومشاربته على كلّ صعب من أمره، لأنّه كان وسخا في نفسه، ثمّ في ثوبه وفعله، قذرا حتّى إنّه لم يكن ينزع درّاعة يلبسها إلاّ بعد إبلائها وتقطّعها، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلا، ولا يطلب منه في مدّة بقائه عوضا ".[33]

قال أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصبهاني يهجو أبا سعيد السيرافي:[34]

لستُ صدْرًا ولاَ قرأتُ على صدْ — ـرٍ ولا عِلْمِكَ الـبَكَى بكَافِ
لَعَنَ اللّـهُ كـلَّ شِعْرٍ وَ نَحـوٍ — وَعَرُوضٍ يَجيئ مِنْ سِـيرَافِ

وكان الرّاضي بالله في سنة 327 هـ قد ولى أبا عبد الله البريدي – وكان قد خرج عليه بنواحي البصرة- الوزارة، فتحدّى النّاس أنّ الراضي إنّما قصد بتقليد أبي عبد الله الوزارة طمعًا في إيقاع الحيلة عليه في تحصيله، فقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في ذلك قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت يهجو فيها أبا عبد الله ويؤنّب الرّاضي في توليته وطمعه فيه، أوّلها :[35]

31 -الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،399./11.
32-المرجع نفسه،399/11-.400.
33- ياقوت الحموي:معجم الأدباء،152./5.
34 -المرجع نفسه،58./3.
35- المرجع نفسه،165./5.

قدْ تولّى الوِزارة ابن البريـدي　يَا سماء اسْقُطِي ويا أَرْضُ ميدي
وبلاءُ أشـابَ رَأسَ الـوَلـيدِ　جلّ خَطْبُ وحَـلَّ أمرُ عُـضالُ
ـهَجَ طول اللّباسِ وشَى البرود　أخْلَقْتَ مُهْجَةَ الزّمـانِ كـمَا أنْـ

إلى أن يقول:[36]

وتوهمت أنْ سيخدعه ذَا　كَ فيغتاله اصطيادُ للصيود
هُوَ أزنى ممَّا تقدَّر أمّـا　ليس ممّا يَصَادُ بـالـتقليد

فانتهت هذه القصيدة إلى أبي عبد الله البريدي، فلمّا بلغ إلى البيت الأخير ضحك وضرب بيديه ورجليه وقال: لو عرف أبو الفرج ما في نفسي وأزال الوحشة وصار إليّ لباغت في صلته والإفضال عليه من أجل هذا البيت.[37]

وقال يرثي ديكا وهو من جيِّدِ ما قيل في مراثي الحيوان، ومن مختار الشعر، والقصيدة طويلة عُدّت من عيون الشعر لجودة وصفها، وإحكام رصفها، فإنّها عذبة الألفاظ، بديعة المعاني، مطردة الأجزاء، منسّقة القوافي، وهي تبرهن على أنّ أبا الفرج كان من فحول الشعراء في الوصف وسعة الخيال مع دقّة المعنى، منها قوله:[38]

خَطبُ طَرَقْتُ به أمَـرَّ طَرُوقِ　فَظّ الحُلُـول عَلَيَّ غيْرُ شَقِيـقِ
فَكَأنَّهَا نُوَبُ الـزَّمَانِ مُـحيطَـةٌ　بِي رَاصِدَات*لي بكلِّ طَرِيـقِ
حَتَّى بِدِيكٍ كُنْـتُ آلـفُ قُرْبَـهُ　حَسَنٍ إلـيَّ مِنْ الدُّيُوكِ رَشيـقِ
ألْقَى عليهِ الدَّهْـرُ منهُ كَلْكَـلاً　يُفْنَى الـوَرَى وَيُشِتُّ كلَّ فَرِيقِ
غَلَبَتْ صُرُوفَ الدّهْرِ فيهِ تَخَالُنِي　أنِّي لَـرَيْبَ الـدّهْر غَيْرُ مُطِيقِ
حُزْنِي عليهِ دَائـمُ مَـا غَرَّدْنَ　وُرقُ الحَمَامِ ضُحَى بِذِرْوَةِ نيقِ
لَهْفِي عليكَ أبَا النذير لـوْ أنّـه　دَفَعَ الـمنايا عنْـكَ لَهْفَ شفيقِ
وكُسِبْتَ كَالطاووسِ ريشًا لامعًا　مُتَلألِئا ذَا رَوْنَـقٍ وبريـق
كـالجُلّنارة * أو صفـاءِ عقيقة　أو لَمْعُ نارٍ أو وميض بـرُوقِ
أبْكِي إذا أبصرتُ ربْعَكَ مُوحِشًا　بتحنّنٍ وتـأسُّفٍ وَ شـهيق
ويـزيدني جزعًا لفقدِكَ صادحُ　فـي منـزل دانٍ إليَّ لصـيق
قَرَعَ الفُؤادُ وقَـدْ زقـا فكأنّـه　نَادَى بِبَيْنٍ أو نـعَي شقيـق

36- المرجع نفسه،165/5-.166.
37 -المرجع نفسه،165./5.
38- الأصفهاني:الأغاني،22/1-29 والحموي: معجم الأدباء،155/5.
* راصدات:راقبات.ينظرك ابن منظور: لسان العرب،197/3،مادة(رصد).
* الجلنار:زهر الرمّان.ينظر: المرجع نفسه،144/4،مادة(جلنر).

فتأسّفي أبـدًا عليك مُواصـلُ بِسَوَادِ لَيْلٍ أوْ بـيَاضِ شُـرُوقِ
صبرًا لفقدِكَ لاقِلِيَ لك بل كمَـا صَبَرَ الأسيرُ لـشدَّةٍ ومـضيقِ

ورثاء الحيوان من الأمور الهامّة في هذا المجال؛ إذْ لم صل الشعراء وفيهم الأصبهاني إلى رثاء الحيوان إلاّ نتيجة هذا الفساد والانحلال، فانصرفوا في أغراض الجدّ كالرثاء إلى العبث والمجون.

**ج-دقّة تحقيقه:**

يعدّ التحقيق عملية يتمّ من خلالها الوقوف عل حقائق الأمور، ونفي الشبهات والأغاليط وتنقية المؤلفات من كلّ ما يشوبها من أوهام وأخطاء بمختلف أنواعها، وهو بذلك إحقاق للحقّ، بوصفه أحد الأعمال التي تُشكِّل نوعا آخر من الدّراسة التوثيقية وكونه يجعل المؤلفات مزوّدة بحاشية تفسيريه، ووضع وثائق نادرة في متناول العلماء والباحثين، فإنه ذو أهمية بالغة في مجال الدّراسات التاريخية اللغوية وغيرها،[39]من حيث أدرك أبو الفرج الأصفهاني هذه الحقائق ،فعدّ مُحقِّقا بشهادة الجميع في دقّة تحقيقه في تحرِّي الصواب، وشدّة عنايته فيما يذكره من الأشعار المنسوبة لقائليها، فكان أبو الفرج ينسب النّسخ لأصحابها قدر استطاعته والتعرف على خصائصها مع إبراز مزاياها ونقائصها والتفطن لما فيها من إشارات التضبيب والتصحيح إضافة إلى تعريفه بالأماكن والأعلام من الشعراء والمغنيين الذين وردت أسماؤهم، ويشرح الاصطلاحات العلمية والفنية وأمثال هذا كثيرة نذكر منها هذه الأبيات التي أوردها لداود بن سلم وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية: يقول :[40]

قُلْ لأسماء انجـزي الميعادَا وانظري أنْ تُزَوَّدِي منكِ زَادَا

إنْ تكوني حَلَلْتِ رَبْعًا منَ الشا مِ وجاورتِ حِمْيَرًا أو مُـرادَا

لوْ تناءت بكِ النَّوى فلقد قُدْ تِ فُـؤادِي لِحينِـهِ فـانْقَـادَا

ذاكَ أنِّي عَلِقتُ مِنكِ جَوَى الحُـ بِّ ولـيدًا فزِدْتُ سنًّا فـزادَا

-39 ينظر:مطاع الطرابيشي:في منهج تحقيق المخطوطات ،ص.9
40- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني،9/6.

ثمّ قال:" وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوبا إلى المرقّش وطلبناه في أشعار المرقشيْن** جميعا فلم نجده، وكنّا نظنّه من شاذّ الروايات حتّى وقع إلينا في شعر داود بن سلم وفي خبر أنا ذاكره في أخبار داود، وإنّما نذكر ما وقع إلينا عن رُوّاته، فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صِحّته أثبتناه وأبطلنا ما فرط منا غيره وما لم يجِر هذا المجرى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يلزمنا لومَ خطأ لم نتعمّده ولا اخترعناه، وإنّما حكينا عن روّاته واجتهدنا في الإصابة وإن عرف صوابا مخالفا لِمَا ذكرناه وأصلحه، فإنّ ذلك لا يضِرّه ولا يخلو به من فضلٍ وذكْرٍ جميلٍ إنْ شاء الله ".[41]

**6- اختلاف المؤرخين في وفاته وتحقيق ذلك :**

اختلف المؤرخون في سنة وفاة أبي الفرج، ففي "تاريخ بغداد"[42] للخطيب ووفيات الأعيان لابن خلّكان[43]ومعجم الأدباء لياقوت الحموي[44] والنجوم الزاهرة لابن الثغري بردي[45] أجمعوا على أنّها سنة 356 هـ وزاد ابن العماد "عن ثلاث وسبعين" نقلا عن ابن خلدون، وزاد ياقوت "في خلافة المطيع بالله"، وقال أبو نعيم الحافظ الأصبهاني "سنة 357هـ".[46]

وعلّق ياقوت في معجمه[47] على سنة وفاته 356 هـ بخطه مَاهو نصّه :" وفاته هذه فيما نظر وتفتقر إلى تأمل لأنّه ذكر في كتاب أدب الغرباء من تأليفه: حدّثني صديق قال: قرأت على قصر معزّ الدولة بالشماسية: يقول: فلان بن فلان الهروي، حضرتُ هذا الموضع في سماط معز الدولة والدّنيا عليه مقبلة وفاضلة، وهيبة الملك عليه مشتملة، ثمّ عدت إليه في سنة 362هـ فرأيت ما يعتبر به اللّبيب –يعني من الخراب- وذكر في موضع آخر من كتابه هذا قصّة له مع صبيّ كان يحبّه، يذكر فيها موت معز الدولة وولاية

** يعني بالمرقّشين: المرقّش اكبر والأصغر، والأكبر هو: عمرو بن سعد بن ملك بن ضبعة بن قيس بن ثعلب بن بكر بن وائل.والمرقش الأصغر هوك ربيعة بن حرملة، وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وهو ايضا عمّ طرفة بن العبد.ينظرك ابن منظور/ لسان العرب،305/6،مادة(رقش).

41- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني/10/6-11.

42- ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،400./11.

43- ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان،476./1.

44 -المرجع نفسهن149./5.

45- ابن الثغريبردي:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،15./4.

46- ينظر: الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،400./5.

47- ياقوت الحموي: معجم الأدباء،149./5.

ابنه بختيار، وكان ذلك في سنة 356هـ، ويزعم في تلك الحكاية أنّه كان في عصر شبابه فلا أدري ما هذا الاختلاف ".[48]

فلو تأمل ياقوت مليًّا فيما سرد في تاريخ أبي الفرج من أقوال العلماء والمؤرخين لتأكّد بأنّ القصّة التي ساقها عن أبي الفرج في أيّام شبيبته وصباه وذكر فيها أنّه كان يحبّ فتى من أولاد الجند في السنة التي توفِّي فيها معز الدولة بدليل:

- انّ أبو محمّد المهلبي قال: سألت أبا الفرج في كَمْ سنة جمعت هذا الكتاب؟ فقال: في خمسين سنة، وأنّه كتبه مرّة واحدة في عمره، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدّولة فأنفذ له ألف دينار.[49]

- أنّ الخليفة الحكم الذي جمع لنفسه مكتبة خصوصية احتوت على أربعمائة ألف مجلّد كلّها من النفائس والغرر وأرسل إلى أبي الفرج في طلب نسخة من كتابه "الأغاني" فأرسلها إليه تولى خلافة الأندلس في سنة 350هـ، وتوفِّي في سنة 366 ه.[50]

فهل يُعقل بعد هذا أن يكون أبو الفرج في سنة 356هـ، كان في أيّام شبيبته وصباه، لاشكّ بأنّ هذا بعيد عن الحقيقة والصواب؛ لأنّه ثبت في غير مرجع من مراجع كتب التاريخ أنّ أبا محمّد الوزير المهلبي عندما سأله في كَمْ سنة جمع كتابه هذا، ذكر أنّه جمعه في حمسين سنة، والوزير المهلبي هذا توفِّي في سنة 352هـ. كما أنّ الخليفة الحَكم توفِّي سنة 366هـ، والحقيقة التي لا تدع مجالا للشكِّ ومجالا للرَّيب أنّ وفاة أبي الفرج كانت سنة 356هـ كما ورد في أكثر كتب التاريخ التي ذكرناها.

**7-آثـــــاره وموقع الأغاني منها:**

رسمت كتب المعاصرين لأبي الفرج صورة ذات ألوان قاتمة وظلال شاحبة، فهو لا يعتني بمظهره، يبدو دائما متَّسخَ الثياب، قذرا في شكله وفعله، بعيدا عن مظاهر السلوك الحميد والتصرُّف الأنيق الذي يتّصف به دائما مَنْ يُنادم الملوك والأمراء. وأيًّا ما كان الرأي حول هذه الصفات ومدى مبالغتها في رسمِ هذه الصورة السيِّئة، فإنَّ هناك إجماعا من المؤرخين على سِعَةِ عِلْمِهِ وكُثْرة محفوظه وجودة شعره وكُثْرة تأليفه.

48 المرجع نفسه،150./5.

49- المرجع نفسه،150/5-.151.

50- ابن خلكان: وفيات الأعيان،201./1.

وقد ذاعت شُهرته في تاريخ الأدب العربي إلى تأليفه "الأغاني" الذي يُعَدُّ أضخم مؤلَّفاته، إضافة إلى أكثر من 30 كتابا لم تسلم –كلُّها- من عوادي الزَّمن ووصل إلينا منها: "الإماء الشواعر" و "مقاتل الطالبيين" الذي يتناول فيه سيرة أكثر من مائتين من قتلى الطالبيين وشهدائهم منذ زمن – الرسول صلى الله عليه وسلّم- إلى الوقت الذي انتهى فيه من تأليفه سنة 313هـ. وكانت شخصيته عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه- هي أهمّ شخصية تناولها بالترجمة فأفرد لها صفحات كثيرة، ثمّ تتابعت شخصيات العلويين لتشمل الحسن والحسين ابنيْ علي بن أبي طاب وغيرهما من آل البيت.[51]

وله مؤلّفات أخرى مثل "أخبار القيان" و "أشعار الإماء والمماليك" و "أخبار جحظة البرمكي" و "أيّام العرب"، وجمع عددا من دواوين الشعراء وزيّنها على الأنواع والأغراض كدواوين أبي تمام وأبي نواس والبحتري. وله كتاب كذلك في النّفس ورسالة في شرح أصوات الأغاني، وكتاب أدب السماع وغيرهما من المؤلفات ذات الطابع الإخباري و "معرفة الأنساب"؛ غير أنّ أهمّ كتبه هو "الأغاني" الذي نال شهرة واسعة لم ينله كتاب في الأدب العربي منذ أن ظهر للنّاس في القرن الرابع الهجري حتّى يومنا هذا.[52]

وَوَصفه ابن خلدون بأنّه :" ديوان العرب، وجامع أشتات المجالس التي سلفت لهم في كلّ فنٍّ ".[53]

وله مصنّفات أخرى لم يصلنا منها إلاّ بعض منها: "مقاتل آل أبي طالب" وكتاب"تفضيل ذي الحجة" وكتاب " الأخبار النوادر" وكتاب " أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب" وكتاب "مجموع الآثار الأخبار" وكتاب "الخمارين والخمارات"[54]وكتاب "الدّيارات"[55] وكتاب "صفة هارون" وكتاب "الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار" وهي رسالة ألفها في هارون بن المنجّم، وكتاب "نسب بن عبد شمس" وكتاب "جمهرة النسب والتعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها" وكتاب "الغلمان والمغنيين" وكتاب "دعوة النّجار"[56]وكتاب "نسب بني شيبان".[57]

---

51- أحمد تمام: في ذكرة وفاة أبي الفرج،WWW.GOOGLE.COM

52 -المرجع نفسه.

53- ابن خلدون: المقدمة،ص.445

54- ورد في ابن خلكان: وفيات الأعيان: للخمّتارين والحانات.

55 -ورد في ياقوت الحموي:معجم الأدباء، تحت عنوان(كتاب الديانات).

56- ورد في المرجع نفسه بالتاء (التجار) وفي نسخة بالطاء (الأطباء.

57- ينظر: ابن النديم:الفهرست،ص507-509.

**ثالثاً–كتاب الأغني ومنهج الأصفهاني فيه:**

**1–تمهيد:**

كتاب الأغاني لاَ يُدَانيه كتاب في منزلته وغزارة مادّته، فقد اجتمع فيه ما لم يجتمع لسواه من تراث العرب الأدبي، وقد استوعب ثقافة عصره وحصيلة معارفه وحَوَى عُيون الشعر والنثر والقصص والأخبار والاجتماع والجدّ والمجون والغناء وتراجم الأدباء.

والأغاني –فضلا عن ذلك كلّه- يعدّ في مادّته مصدرًا ثمينا لدراسة الحياة الاجتماعية في عصره والاطّلاع على تقاليد النّاس وعاداتهم، وما كانت عليه مجالس طربهم وأجناس شرابهم وأنواع زينتهم ومآكلهم ومشاربهم وأزياؤهم. ومن خلال الأغاني يقف القارئ على حال المرأة وما يعتري حياة النّاس من مظاهر العبودية والتّرف والحرمان والنّعيم وَالشقاء.

هنا تكمن القيمة الحقيقية لكتاب الأغاني برغم أنّ أبا الفرج نفسه لم يفطن إلى أهمية هذا الجانب عندما كان يؤلّف كتابه، فنحن بعد أكثر من ألف عام نرى من خلاله كيف كانت الكتاتيب في تلك الأيّام، وكيف كان الطلاّب يختلفون إلى المساجد.

جمع أبو الفرج في كتابه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيّامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في مئة الصوت التي اختارها المغنّون للرّشيد، وقد استهلّ المؤلّف كتابه الكبير بالكلام على الأصوات التي بَنَى عليها كتابه فأورد ما ذكره إسحاق بن إبراهيم الموصلي من أنّ الرّشيد أمر أباه إبراهيم باختيار أصوات من الغناء القديم*، فاختار له من غناء أهل كلّ عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته ونسبته إلى من شدا به، ثمّ أتى إلى المحدّثين* وأخذ يُورد لهم ما يطابق هذه الأصوات وبعد أن اختار إبراهيم وابن جامع وغيرهما الأصوات المائة أمرهم باختيار عشرة، فاختاروها ثمّ أنّ يختاروا ثلاثة ومنها لحن المغنّي معبد في شعر أبي قطيفة الشاعر القرشي ثمّ لحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة وغيرهم.[58]

---

* الغناء القديم يقصد به ما ارتبط لالعصر الجاهلي وحتى أوائل العصر العباسي.
* المحّدثون: جيل جديد ظهر بشكل كبير مع ظهور الشعوبية.
58- ينظر: عمر الدقاق:مصادر التراث العربي،ص108-109.

## 2- منهج الكتـاب:

جمع أبو الفرج ما حضره وأمكنه جَمْعُه من الأغاني* العربية قديما وحديثا، ونسب كلّ ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته في إيقاعه وإصبَعِه * التي يُنْسَبُ إليها من طريقته واشتراك إن كان بين المغنّيين فيه على شرح ذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غِنى عن علمه من عِلل إعرابه وأعاريض شعره التي توصِلُ إلى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه.

ولم يستوعب كلّ ما غُنِّي به في الكتاب ولاَ أتى بِجَمِيعِه، إذْ قد أفرد لذلك كتابا مجرّدا من الأخبار يحتوي على جميع الغناء المتقدّم والمتأخّر، واعتمد في ذلك على ما وجده لشاعرة أو مُغنِّية أو حتّى السّبب الذي من أجله قيل الشعر أو صُنع اللّحن خبرا يُسْتفاد ويحسن ذِكر الصّوت معه على أقصر ما أمكنه وأبعده من الحشْو والتكثير بما تقلّ الفائدة فيه وأتى في كلّ فصْلٍ من ذلك بِنُتَفٍ تُشاكله، ولُمَع تليق به وفِقَرٍ إذا تأمّلناها لمْ نزَلْ متنقّلين بها من فائدة إلى مثلها، ومتصرِّفين فيها بين جدٍّ وهزل، آثار وأخبار وَسِيَرُ وأشعار متّصلة بأيّام* العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقِصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام تجمل بالمتأدّبين معرفتها وتحتاج الأحداث إلى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها إذْ كانت منتحلة من غُرر الأخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها.

فصدر كتابه (الأغاني) وبدأ فيه بذكر المائة صوت المختارة لأمير المؤمنين هارون الرشيد –رحمه الله- وهي التي أمر إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفُليح بن العوراء باختيارها من بين الغناء كلّه، فاختاروها، ثمّ أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها، ثمّ أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا نذكر منهم: لحن معبد في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقيل الأوّل يقول :[59]

القَصْرُ، فالنّحل فالجمّاء بينَهُمَا     أَشْهَى إلَى القَلْبِ مِنْ أبْوابِ جَيْرونِ

ثمّ رُفِعت إلى الواثق بالله –رحمه الله- فأمر إسحاق بن إبراهيم بأنْ يختار منها ما رأى أنّه أفضل ممّا كان أُخْتير متقدّمًا ويبذل ما لم يكن على هذه الصفة بما

---

* الأغاني: جمع أغنية ، وهي ما يترنّم به الشعراء من الشعر، وهو شرح لغوي ولكن أبا الفرج استعملها بالمعنى الفنّي أي: القطعة الشعرية التي دخلتها صنعة موسيقية حسب الأصول الفنّية.

* الإصبع: من المصطلحات الفنّية في الموسيقى العربية.

* أيام العرب: هي أيّام مشهورة وقعت فيها حروب بين القبائل العربيةن ومن أشهرها: يوم ذي قار، ويوم النسّار.ينظر:الميداني:مجمع الأمثال،430/2-.431

59- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني،13./1

هو أعلى منه وأولى بالاختيار ففعل ذلك واختار له أحسن صوتٍ غُنِّيَ فيه فكان لحن ابن مخزوم في شعر نصيب وهو من الثقيل الثاني يقول:[60]

نَعَمْ، وبِهِ، مِمَّنْ سجَّاكَ مَعَالِمُ      أهَاجَ هَوَاكَ المنزلُ المُتَقَادِم ؟

وأَتْبَعَ هذه القطعة بما اختاره غير هؤلاء من متقدّمي المغنِّيين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني وبالأصوات التي تجمع النِّعم العشر المشتملة على سائر نِعَمِ الأغاني والملاهي وبالأرمال الثلاثة المختارة وما أشبه ذلك من الأصوات التي تتقدّم غيرها في الشهرة كمُدُنِ معبد وهي سبعة أصوات والسبعة التي جُعِلتْ بإزائها من صنعة بن سُريج وخيّر بينهما فيها، وكأصوات معبد المعروفة بألقابها، وزيانب يونس الكاتب فإنّ هذه الأصوات من صدور الغناء وأوائله وما لا يحسن تقديم غيره أمامه.

وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ثمّ سائر الغناء الذي عُرف له قصّة تُسْتَفَادُ وحديثا يسْتَحْسَنُ إذْ ليس لكلّ الأغاني خبر نعرفه ولا في كلّ ما له خبر فائدة ولا لكلّ ما فيه بعض الفائدة رونق يروق النّاظر ويُلْهِي السّامع، وكان أبو الفرج من جهة أخرى يبدأ بذكر الصّوت الذي اختاره والشعر المتعلّق به ثمّ يستطرد إلى ذكر أشعار قيلت في المعنى نفسه وتغنّى بها، ثمّ يتناول المناسبة التي قيلت فيها ويتعرّض أثناء ذلك ذكر الأنساب وأخبار القبائل وقصص وأشعار، فيقف القارئ والمتتبّع على ألوان مختلفة من الحياة، وعادات متفرّقة في بيئات مختلفة وطرائق الحياة في البادية والقصور من لهوٍ وتسلية فراغ يقول:[61]

أشْهَى إِلَى القَلْبِ مِنْ أبْوابِ جَيْرونِ      أشْهَى إِلَى القَلْبِ مِنْ أبْوابِ جَيْرونِ

دُورُ نَزَحْنَ عن الفحشاءِ وَالهُونِ      إلى البلاط فما حازت قرائنه

وَلاَ يَنَالُونَ، حَتَّى المَوْتَ مَكْنُونـي      قدْ يكتمُ النّاس أسرارًا فَأَعْلَمُهَا

فالقصر الذي عناه هاهنا قصر سعيد بن العاص والنخل الذي عناه نحلُ كان لسعيد هناك بين قَصْره وبين الجمَّاء وهي أرض كانت له، فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد.

ولم يلتزم أبو الفرج باختيار الأصوات التي ذكرها بالترتيب الزمني للشعراء والمغنيين وإنّما رتّبها حسب الأصوات المائة التي اختارها المُغنُّون الثلاثة للرشيد.

وقد حوى كتاب الأغاني تراجم ثلاثمائة (300) شاعر أمثال الحسين بن مُطير ** والبحتري، وعلقمة الفحل...وغيرهم، وقرابة ستين

---

60- المرجع نفسه، 19./1

61 المرجع نفسه، 22/1-23.

** ابن مطير: شاعر فصيح متقدذم في القصد والرّجز، وهو من السعراء المخضرمين بين العصرين الأموي والعباسي.

(60) من المغنين والمغنِّيات أمثال شارية وهي مولدة من مولدات البصرة ودنانير التي كانت أكثرهنّ رواية للغناء والشعر الزبير بن دحمان مغنٍ عبّاسي.

ومُعظم من ترجم لهم كانوا من شعراء الجاهلية والإسلام أمثال كعب بن زهر وأبي مِحْجَن الثقفي، ولم يلتزم أبو الفرج في أخبارهم ترتيبا تاريخيا، وإنّما يَنْثُر ما انتهى إليه من أخبار الشاعر حينما اتّفق واتّبع طريقة المحدّثين في إسناد خبر كلّ رواية.

ويتّضح هذا من قول الأصبهاني :" ولعلّ من يتصفَّح ذلك يُنْكِر ترْكنَا تصنيفه أبوابا على طوائف الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبه أو على ما غُنِّيَ به من شعر شاعر والمانع من ذلك والباعث على ما نَحَونَاه عِلل منها: أنّ لَمَّا جعلنا ابتداءه الثلاثة الأصوات المختارة كان شعراءها من المتأخّرين وأوّلهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول، ثمّ عمر بن أبي ربيعة، ثمّ نصيب، فلمّا جرى أوّل الكتاب هذا المجرى ولمْ يمكن ترتيب الشعراء فيه، أُلْحِقَ آخره بأوّله وجُعِلَ على حسب ما حضر ذكره وكذلك سائر المائة الصوت المختارة فإنّها جارية على ترتيب الشعراء والمغنين؛[62]ولذلك وردت الأخبار وتراجم الشعراء غير مرتّبة ترتيبا زمنيا.

## 3-أهميّة الأغاني في دراسة اللّغة :

### أ-الألفاظ والأساليب:

امتاز مؤلف كتاب الأغاني بانتقاء الألفاظ الرّشيقة السّهلة مع أسمى المعاني والتأنّق في صوغ العبارات، وتوثيق الرّبط بينهما بأسلوب عربيّ سليم جعله نسيجا وحده والألفاظ والأساليب ثياب تكسو المعاني والأفكار وتظهر الخيال.

ونلمس ذلك كلّه فيما حواه من خصائص النّثر الفنّي في هذا العصر، وما اختاره من جيِّدِ النّظم، ممّا كان له أثر عظيم في أساس نهضة الأدب العربي لمن جاءوا بعدهُ من المؤلِّفين الذين اعتبروا تصانيف أبي الفرج من أحسن التصانيف في فنِّها لأنّه أجاد فيها وَأبدعَ، وكتبها بلُغته السّامية ومادّته الواسعة، وبفضل ذلك كُتِبَ له الرّواج والانتشار في جميع العصور الإسلامية.

ولمْ يَنَلْ كتاب غيره مثل ما ناله من الشهرة والذّيوع وانتفع به كلّ مؤلف وأديب وشاعر وناثر على اختلاف العصور لأسلوبه السّهل الممتع في

---

62- ينظر: أبو الفرج الأصفهاني: مقدمة الأغاني،15./1.

الكتابة، وحُسْنُ ذوقه العالي الشفّاف في الاختيار، فالأغاني عُدَّ من مفاخر الفكر العربي وهو مفخرة لغة العرب كلّها، فلو اقتصر متأدِّبُ عليه لجاء منه أوّل أديب وأجلّ كاتب، لأنّه يظفر فيه بأدقّ الشعر وأجزلِ الخُطَبِ وأرَقِّ الأسلوب إلى ما فيه من أخبار وطرقٍ وسِيَرٍ ومجالس وبدائع.

وسيتبيّن من الأمثلة التي نسوقها من شروحه اللّغوية أنّه كان فوق مَا له من المنزلة العالية في العلم والأدب، قويّ الحافظة للغريب من الألفاظ، متفقّها في اللّغة عالما بأسرارها واسع الدِّراية برواية الشعر ودَرْسِ معانيه، مُحيطا بأخبار العرب وحفظ المهذّب، المختار من أشعارهم، فمن ذلك قول أب] الفرج في شرح أبياتا لعنترة ،وهي:[63]

لَوْ أنَّ ذاميك قبل اليوم معروف — أمنْ سُمِيَّة دَمْعُ العَينِ مذروفُ
ظبيُ بِعُسْفَانَ سَاجي العَيْنِ مطروفُ — كأنّها يَوْمَ صدّتْ ما تكلّمنـي
كَأنَّها صَنَمُ يُعْتَادُ مَعْكوفُ — تَجَلّلَتْني إذا أهْوَى العَصَا قِبَلِي
فهلْ عذابكَ عنِّي اليوم مصروفُ — العبدُ عَبْدُكمْ والمالُ مَالُكُم
تَخْرُجُ منها الطّوَالاَتُ السَّراغيفُ — تنْسَى بَلاَئي إذا ما غَارةُ لَحِقَتْ
تَصْفَرُّ كفُّ أخيها وهُوَ مَنْزُوف — قدْ أطْعُنُ الطّعنةَ النّجْلاَءَ عنْ عُرُضٍ

- قوله "مذروف" من ذرفت عينه، فيقال: ذرفت تذرف ذريفا وهو قطر يكاد يتصل.
- وقوله "لو أنّ ذاميك قبل اليوم معروف"؛ أي قد أنكرت هذا الحنوّ والإشفاق منك لأنّه لو كان معروف قبل ذلك لم ينكره.
- وقوله "ساجي العين" : ساكنها، والساجي: الساكن من كلّ شيء.
- "مطروف" : أصابت عينه طرفةن وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه.
- "تجلّلتني" : ألقت نفسها عليَّ
- "أهوى" : اعتمد
- "صَنَمُ يُعْتَاد" : أي يُؤْتَى مَرَّة بعدَ مرَّةٍ
- "معكوف' : يعكف عليه.
- "السّراغيف" : السراع، واحدتها سرعوفة.
- "الطوالات" : الخيل.
- "النجلاء" : الواسعة، يقال : سنان منجل : واسع الطعنة.
- "عن عَرضٍ" : أي عن شقّ وحرف. وقال غيره : أعترضه اعتراضا حين أقتله.[64]

63- عنترة بن شداد: ديوانه، ص.124
64- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني،238/8-239.

**ب-فهرس ببعض الألفاظ والأساليب الرشيقة التي صاغها أبو الفرج في بعض أجزاء الأغاني:**

هي أمثلة من بعض الألفاظ الرشيقة السّهلة التي صاغها أبو الفرج في كتابه الأغاني وهي مرتّبة ترتيبا هجائيا، وقد اعتمدت في ذلك على ما ورد في بعض الأجزاء ؛ لأنّه من الصّعب دراسة أساليب جميع الأجزاء، بيْد أنّ الأصبهاني صاغ من الألفاظ والأساليب الرّشيقة ما جعل كتابه الأغاني أجمل وأنفس وأجود موسوعة أدبيّة. وآثرت في هذا أنْ أذكر البعض منها، وقد راعيت في هذا الترتيب أن أذكر المادّة الأصلية وأدرج تحتها الكلمة أو العبارة التي جاءت فيها الألفاظ التي ترجع إلى تلك المادة:

حرف الألف

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| أدب | وصف من عقلها وأدبها وجمالها | 01 | 95 | 04 | دار الكتب المصرية |
| أدم | آدم أحمر ظاهر الدّم | 01 | 249 | 05 | |
| أرك | طباء الأراك | 01 | 163 | 01 | |
| أزج | الأزج المدور كالقبّة | 01 | 165 | 22 | |
| أزر | مغفلة في مئزر لم تدرع | 01 | 179 | 05 | |
| أسد | قلوب أسود | 04 | 105 | 05 | |
| أسر | والأسارى محبوسون في الوثاق | 04 | 206 | 13 | |
| أصل | الرّأي الأصيل | 04 | 37 | 01 | |
| أنس | أستأنس بالوحدة | 04 | 106 | 04 | |
| أهل | أهلا وسهلا بكم من زار زائرا | 01 | 170 | 06 | |
| أيش | أيش هذا اللّحن الجديد | 01 | 60 | 17 | |

حرف الباء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| بخل | ومن تبخيله المنازل | 01 | 131 | 40 | دار الكتب المصرية |
| بدر | بدرة فيها عشرة آلاف درهم | 04 | 117 | 18 | |
| برد | فأطلقوا عليهنّ بمطرقة وبردين له | 01 | 150 | 14 | |
| برك | بركة (ملئت بالخمر والماء) | 01 | 52 | 09 | |
| برم | برمت بالناس وأخلاقهم | 04 | 106 | 04 | |
| بست | في بعض بساتينها | 01 | 274 | 03 | |
| بضض | بضة الجسم | 04 | 84 | 01 | |
| بغل | تسير على بغلة لها | 01 | 156 | 05 | |
| بغل | البغلة الشهباء | 1 | 202 | 2 | |
| بقر | بقر الوحش | 1 | 139 | 18 | |
| بقل | بقل وملح وجدى | 4 | 107 | 17 | |
| بكى | استبكى عاذله | 1 | 120 | 14 | |
| بلى | لزم البلى جسمي | 4 | 110 | 11 | |
| بند | بنود | 4 | 104 | 20 | |
| بوز | بحمل البازي | 1 | 182 | 1 | |
| بيع | مصابيح بيعة | 1 | 260 | 11 | |

حرف التـاء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| تبل | وتوابله | 4 | 16 | 13 | دار الكتب المصرية |
| تجر | التجارة | 1 | 39 | 4 | |
| | تاجر موسر | 1 | 64 | 16 | |
| تخت | خمسة تخوت فيها ثياب | 4 | 118 | 19 | |
| تمر | بتمر وفاكهة | 1 | 295 | 18 | |

حرف الثـاء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| ثبت | إثبات الحجة | 1 | 120 | 7 | دار الكتب المصرية |
| ثقب | فجعلت يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يُبصرن | 1 | 181 | 10 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ثوب | الثياب المعافرية | 1 | 21 | 10 | |
| | ما كشفت ثوبا عن حرام قط | 1 | 77 | 1 | |
| | من الثوب المورّد | 1 | 99 | 12 | |
| | لبس ثيابا بيضا من صوف | 4 | 108 | 12 | |
| ثور | وخبأ من جلد ثور أجرد | 4 | 231 | 4 | |

حرف الجيم

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| جبب | أغطيك بجبتي هذه الصوف | 4 | 48 | 14 | دار الكتب المصرية |
| جدى | جدي مشوي | 4 | 107 | 17 | |
| جذل | فسررت بي وجذلت بقربي | 1 | 176 | 2 | |
| جرد | جرادة مشدودة الرجل بحفظٍ يطيّرها ويجذبها به | 1 | 256 | 10 | |
| جرر | الجرار الخضر | 4 | 4 | 10 | |
| | ببيع الجرار | 4 | 8 | 3 | |
| | جرة ماء | 1 | 224 | 8 | |
| جزر | عند المجازر لحم الوضم | 1 | 161 | 3 | |
| جلب | على الخدين والجلباب | 1 | 162 | 2 | |
| جلز | الجلواز | 4 | 375 | 8 | |
| جلس | أبواب مجالسه | 4 | 105 | 13 | |
| جمر | مجمرة | 9 | 334 | 6 | |
| جمز | بالمجامز والطيب | 1 | 53 | 1 | |
| جمل | وصف من عقلها وأدبها وجمالها | 1 | 95 | 4 | |
| جم | يلبس جمة مركبة | 1 | 249 | 6 | |
| جمهر | جمهور النّاس | 4 | 70 | 8 | |
| جنبذ | جنابذ من الذهب والفضة | 1 | 165 | 20 | |
| جنز | حضور الأشراف جنازة نصرانية | 1 | 67 | 4 | |
| جهر | جهرهم جماه | 1 | 160 | 7 | |
| جور | فعاده جيرانه | 4 | 321 | 15 | |
| حوز | جائزة | 1 | 40 | 3 | |
| جون | سنة جوان | 1 | 70 | 3 | |
| جوهر | أودع طيبا أو جوهرا | 1 | 169 | 10 | |
| جيد | جيد الغناء | 1 | 167 | 10 | |

حرف الجيم

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| حبر | الرداء المحبر | 1 | 82 | 2 | دار الكتب المصرية |
| حبش | عبيدي من الحبشة يتصوفون في جميع المهن | 1 | 65 | 13 | |
| حجب | وقد أبدت الخد والحاجب | 1 | 163 | 2 | |
| حجر | محاجز عيني | 1 | 292 | 2 | |
| حجز | فَجِئن إلى مضرب قد حجزن به دون بابها. | 1 | 171 | 10 | |
| حجل | ربات الحجال | 1 | 74 | 8 | |
| حجم | الحجامة | 4 | 8 | 5 | |
| حدث | مذهب المحدّثين | 4 | 91 | 1 | |
| حدد | حادة الفطنة والفهم | 4 | 115 | 4 | |
| حدق | ملتف الحدائق أخضر | 1 | 82 | 3 | |
| حرب | المحراب | 1 | 230 | 3 | |
| حرر | حرة الوجه والشمائل | 1 | 125 | 4 | |
| حرس | حوله الأحراس | 1 | 197 | 5 | |
| حرف | أضحى حرفا من النكرة | 4 | 22 | 5 | |
| حرق | الحراقة | 4 | 103 | 4 | |
| حرك | محراك أتون | 4 | 18 | 2 | |
| حرم | قديم الحرمة | 4 | 18 | 10 | |
| حسن | حسن البلاغة | 4 | 102 | 2 | |
| حشم | ممن أحتشمه | 1 | 230 | 11 | |
| حفف | محمولا في محفة | 4 | 363 | 12 | |
| حفل | المحافل | 1 | 109 | 9 | |
| حقق | ثوب محقق (عليه وثي علي صورة الحقق | 1 | 240 | 20 | |
| حلق | حِلَق المسجد (أي حلقات) | 2 | 249 | 9 | |
| حلل | وابتاع بها حللا وطيبا فأهداه إليها | 1 | 164 | 1 | |
| حلو | ثمّ دعا بحلواء فأصبنا | 4 | 107 | 18 | |
| حمر | حمر القباب | 1 | 196 | 13 | |
| حمض | بلبن القباب | 4 | 369 | 5 | |
| حمق | بعض حماقاته | 4 | 108 | 15 | |
| حمل | شق محمل مسجي | 4 | 10 | 10 | |
| حمم | حمام مكة | 1 | 22 | 4 | |
| حمى | وأنا في غمرة من الحُمّى | 1 | 287 | 5 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| حنت | الحوانيت (بيوت الخمّارين) | 1 | 177 | 12 | |
| حنن | وفي يده الحنّاء | 1 | 274 | 4 | |
| حوص | وكان أخمر أحوص العينين | 4 | 232 | 1 | |
| حوض | حوضا فتملؤه ماء | 4 | 184 | 4 | |
| حوط | ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب | 4 | 116 | 6 | |
| حيل | احتيال عبد الله بن معن علة أبي العتاهية | 4 | 25 | 2 | |

حرف الخاء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| خبر | بمائدة عليها خبر سميد وخل وبقل | 4 | 107 | 16 | دار الكتب المصرية |
| خبا | خباء من أخبية العسكر | 4 | 182 | 4 | |
| ختم | فأخرجت إلي صندوقا لطيفا مقفلا مختوما | 1 | 169 | 9 | |
| ختن | ختان ابن مولاه عبد الله | 1 | 251 | 7 | |
| خدد | فوضعت خدي فوطئت عليه | 1 | 119 | 7 | |
| خدع | خدّاع ملق | 1 | 205 | 15 | |
| خدم | تباعها والخوادم | 1 | 127 | 7 | |
| خرج | التخريج (إجادة التعليم) | 1 | 48 | 9 | |
| خردل | بنقانق مطرف بالخردل | 1 | 83 | 9 | |
| خرس | الخراسانية | 4 | 346 | 4 | |
| خزز | بأكسية الخزّ | 1 | 151 | 10 | |
| خزف | تكسر من الخزف | 4 | 09 | 7 | |
| خضب | بمخضب الأطراف | 1 | 191 | 4 | |
| خضر | أحدهما أخضر يسكن خارجا من بطحان | 4 | 232 | 6 | |
| خطر | نحن والله على خطر من هذا الغناء | 2 | 292 | 11 | |
| خفف | خفان غليطان | 1 | 49 | 2 | |
| خفى | أخفت نفسها من نسوة | 1 | 166 | 15 | |
| خلخل | الخلخال | 1 | 196 | 3 | |
| خلع | بخلعة سنية | 4 | 413 | 10 | |
| خلق | أخلاق المساكين | 4 | 50 | 12 | |
| خلل | سنبوسجة مغموسة في الخل | 1 | 83 | 9 | |
| خمر | بيت خمار بالشام | 4 | 167 | 16 | |
| خوخ | خوخة قد فتحت | 4 | 222 | 6 | |
| خون | الخانات فارغة | 4 | 327 | 8 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| خيل | ذات الخيال | 1 | 273 | 7 | |
| | يقولون للعب خيال الظل: بابة | 1 | 180 | 13 | |
| | بابات خيال الظل | 1 | 180 | 14 | |
| خيم | فأتته خادمة بخامة فسم لها على وجهه | 1 | 287 | 15 | |

حرف الدال

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| دجج | مع دجاج كان عندنا | 4 | 390 | 6 | دار الكتب المصرية |
| دحرج | رفع رجله فضرب به صدر فريدة فتدجرجت | 4 | 117 | 1 | |
| درج | جاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقدا | 4 | 117 | 17 | |
| درع | مغفّله في مئزر لم تدَرَّع | 1 | 179 | 5 | |
| درفن | الدرافن (اسم الخوخ بلغة أهل الشام) | 1 | 56 | 4 | |
| درهم | بسبعين ألف درهم | 4 | 38 | 5 | |
| دفتر | ومعي دفتر | 1 | 78 | 5 | |
| دفف | فنقر بالدفّ | 1 | 278 | 10 | |
| دقق | دِقة المعنى وصواب المصدر | 1 | 120 | 5 | |
| دكن | الدّكان | 4 | 371 | 1 | |
| طلل | دلّ حجازي | 1 | 66 | 5 | |
| دنر | وأرسل إلى أمّها بخمسمائة دينار | 1 | 90 | 2 | |
| دنق | دانق | 4 | 17 | 16 | |
| دمى | كالدمى | 1 | 145 | 1 | |
| دهشى | بالدهشى والحيرة | 4 | 93 | 3 | |
| دهلز | الدهليز | 4 | 52 | 17 | |
| دهن | لونرينجة شرقة بالدهن | 1 | 83 | 10 | |
| دور | يدور مع الصبيان | 1 | 69 | 4 | |
| دوي | وأعطيته دواة وقرطاسا | 1 | 8 | 4 | |
| ديه | فقالت لداية لها سوداء | 1 | 220 | 13 | |

حرف الذال

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| ذبذب | مذبذبا | 4 | 6 | 15 | دار الكتب المصرية |
| ذرع | يقيس ذرعا كلما قسن أصبعًا | 1 | 139 | 15 | |
| ذهب | مذاهب رواة الشعر | 4 | 70 | 9 | |
| | أخذ منه عشرين أوقية من الذهب | 4 | 27 | 10 | |

حرف الراء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| رأى | ونظر في مرآته فأعجبته هيئته | 10 | 192 | 15 | دار الكتب المصرية |
| ربع | شريف أتى ربعنا زائرا | 1 | 163 | 6 | |
| رجح | ترجيح للشط في موضع اليقين | 1 | 120 | 7 | |
| رجل | ما أبقيت شيئا يتمنّى يا أباالخطاب إلا مرجلا | 1 | 166 | 10 | |
| رجا | رجاء عفوه ومغفرته | 4 | 99 | 11 | |
| رحق | صفق الساقي الرحيق المشعشعا | 1 | 176 | 16 | |
| ردى | سقط رداؤه | 4 | 192 | 2 | |
| رزم | ورزما فيها ثياب كثيرة | 4 | 117 | 16 | |
| رسف | يرسف في قيده | 4 | 319 | 8 | |
| رصع | على سرير مرصّع بالجوهر | 4 | 116 | 7 | |
| رعد | يكتب ويده ترعد من الفرح | 1 | 108 | 4 | |
| رغف | رغيفان | 4 | 18 | 2 | |
| رفق | حتى لحق بالرفقة | 1 | 172 | 7 | |
| رقص | ما معك من مرقصاته | 1 | 277 | 15 | |
| رقع | ترقعن الخروق | 4 | 24 | 8 | |
| رقق | الرّقيق الصوت | 1 | 281 | 8 | |
| رمض | شهر رمضان المعظّم | 4 | 175 | 10 | |
| رمل | عدد الرمل والحصى والتراب | 1 | 79 | 5 | |
| رمم | فلم تظهر لخبيث رمة حتّى الساعة | 4 | 230 | 3 | |
| رمى | رمى بالحناء من يديه وأصابعه | 1 | 274 | 13 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| رهن | رهائن | 4 | 105 | 11 | |
| روح | روائح الحنّة في الثياب | 4 | 36 | 5 | |
| روق | رِواق أرضه وحيطانه ملبسه بالوشي | 4 | 116 | 6 | |
| روى | رايه الأشعريين | 1 | 22 | 10 | |
| ريح | ريحان | 4 | 107 | 18 | |
| ريش | من الرجل المعلم منكم بريش نعامة في صدره | 4 | 197 | 4 | |
| ريط | ريطا منضدا (الرّيط كلّ ثوب لين رقيق) | 4 | 167 | 7 | |

حرف الزاي

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| زبب | ماء الزبيب | 4 | 373 | 1 | دار الكتب المصرية |
| زخرف | والدنيا كالحنّة المزخرفة | 10 | 285 | 6 | |
| زرب | الزرياب | 4 | 411 | 5 | |
| زعزع | ديار التزعزع | 4 | 111 | 14 | |
| زعفر | زعفران (للصباغة) | 1 | 46 | 12 | |
| زفف | فزففت زفيف النعامة | 1 | 289 | 6 | |
| زفن | يزفن (يرقص) | 1 | 291 | 9 | |
| زكم | زكمة وسعالا | 4 | 387 | 12 | |
| زلل | الزلالات | 4 | 102 | 18 | |
| زمر | زامر | 2 | 342 | 2 | |
| زنج | تطلب زنجية | 4 | 272 | 4 | |
| زندق | زنديق | 4 | 34 | 13 | |
| زهد | تزهد مراءاة ونفاقا | 4 | 75 | 15 | |
| زهر | بزهرة الدنيا | 4 | 110 | 3 | |
| زوج | بغيرة الأزواج | 4 | 257 | 13 | |
| زيت | ثريدة بخل وزيت | 4 | 17 | 5 | |
| زيى | زي جاف (من زي أهل الحجاز) | 1 | 49 | 2 | |

حرف السين

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| سبخ | فبصر شخص بالسبخة | 4 | 221 | 1 | دار الكتب المصرية |
| ستر | فرفع الوليد الستر | 1 | 52 | 16 | |
| سجد | فأتاه في المسجد | 1 | 148 | 1 | |
| سجف | رفع الجواري السجف | 1 | 127 | 8 | |
| سخر | أمنّا سيخَرُ ابن أبي ربيعة!؟ | 1 | 100 | 1 | |
| سرج | أنا اليوم سريجيّ | 1 | 251 | 15 | |
| سرر | وجعلت تسارني | 1 | 112 | 12 | |
| سرول | سراويلات الوشي | 2 | 347 | 5 | |
| سطن | الأسطوانة | 2 | 248 | 19 | |
| سعل | زكمة وسعالا | 4 | 387 | 12 | |
| سفل | وأتبعهم العبيد والصبيان والسفلة | 1 | 25 | 4 | |
| سفن | السفينة | 4 | 106 | 17 | |
| سقف | ألا استترت بسقائف المسجد | 1 | 100 | 7 | |
| سقي | سقاء يجعل قربه | 1 | 39 | 10 | |
| سكر | من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة... | 4 | 375 | 8 | |
| سلر | سلور في القدور ويلى علوّه السلور* | 1 | 56 | 1 | |
| سلسل | أسير في السلاسل | 1 | 31 | 11 | |
| سمر | يسمر ليلة على ظهر سطح | 4 | 273 | 2 | |
| سمك | بسمك مشوي | 4 | 107 | 17 | |
| سمن | فباعت السمن وراحلتين كان عليهما | 1 | 209 | 12 | |
| سبنوسجة | سبنوسجة مغموسة في الخل | 1 | 83 | 9 | |
| سهر | حزن وسهر وهموم وفكر | 1 | 274 | 7 | |
| سهل | وبرعهم بسهولة الشعر وبشدة الأسر | 1 | 120 | 4 | |
| سوأ | لتأتينا في أسوأ هيئة | 1 | 176 | 6 | |
| سود | رجال من السودان | 1 | 279 | 5 | |
| سوط | ضربتني بالسوط | 4 | 25 | 13 | |
| سوق | ألفاظها سوقية | 4 | 95 | 4 | |
| سوك | فاعترضته بمسواك كان في يدها | 1 | 230 | 7 | |
| سيف | في أيديهم السيوف قد غشوهم | 4 | 262 | 3 | |

حرف الشين

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| شبب | تشبب بالنِّساء وتشيّد بذكورهن | 1 | 157 | 4 | دار الكتب المصرية |
| شبر | في بيت خمسة أشبار في مثلها | 4 | 64 | 16 | |
| شبك | شباك هن ذهب | 12 | 48 | 19 | |
| شتم | في شتم عبد الله | 4 | 22 | 10 | |
| شجر | في رجلين تشاجرا | 4 | 107 | 7 | |
| شحج | على بغال شحّج | 1 | 187 | 3 | |
| شدن | غزالا قن شدن | 1 | 157 | 12 | |
| شرر | شرّان في مصراع واحد | 1 | 274 | 8 | |
| شرط | صاحب شرطك تعدّى عليه وظلمه | 2 | 249 | 10 | |
| شرق | لوزينجة شرقة بالذهب | 1 | 83 | 10 | |
| شري | مع الشراة الخارجين | 1 | 290 | 5 | |
| شصى | الشاصيات | 1 | 285 | 1 | |
| شعر | ولشعره لرونق وديباجة صافية وحلاوة | 4 | 233 | 5 | |
| شغف | مشغوفا بالغناء | 4 | 102 | 7 | |
| شقر | بغلة له شقراء | 1 | 259 | 9 | |
| شلو | على أوصال شلو ممزّع | 4 | 229 | 6 | |
| شمر | و قام مشمرا | 1 | 116 | 4 | |
| شمل | في شملة | 4 | 114 | 3 | |
| شنع | تشنعك | 1 | 287 | 5 | |
| شهر | الشهرة التي قد شهرت لها نفسك | 4 | 81 | 8 | |
| شور | بهرهم شارة وعارضة وبيانا | 1 | 160 | 7 | |
| شوك | تصيبه شوكة تؤذيه | 4 | 230 | 10 | |
| شيب | ما أقبح الأشيب في الرّاح | 4 | 49 | 4 | |
| شيخ | مشيخة من قريش | 1 | 118 | 11 | |
| شيع | خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية | 1 | 154 | 3 | |

حرف الصاد

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| صبح | وأطفأت مصابيح | 1 | 144 | | دار الكتب المصرية |
| صبع | يقيس ذراعا كلما قس إصبعا | 1 | 177 | | |
| صبغ | ثوبان مصبوغان | 1 | 72 | | |
| صبئ | وأتبعهم العبيد والصبيان السّفلة | 1 | 25 | | |
| صحب | صاحب الدكان | 4 | 20 | | |
| صدر | عن صدر المجلس | 4 | 186 | | |
| صدق | صدق الصفاء | 1 | 120 | | |
| صدم | صدمة الكأس | 1 | 231 | | |
| صرر | وثبرة من دراهم ودنانير وحلي | 4 | 381 | | |
| صعلك | صعلوك | 1 | 32 | 15 | |
| صفق | وإذا بعجوز قد طلعت علينا يصفق أحد لحييها | 1 | 164 | 2 | |
| صكك | بصك فيه عشرون ألف درهم | 1 | 32 | 12 | |
| صلب | وجد الصّليب في عنقها | 1 | 67 | 6 | |
| صلع | فصكّ معبد بيده صلعته | 1 | 51 | 16 | |
| صلى | بالمصلّى | 1 | 225 | 7 | |
| صند | صناديد قريش | 4 | 193 | 19 | |
| صنع | فاخر الصّنعة | 1 | 167 | 10 | |
| صور | أيصوَّر الحور | 4 | 51 | 16 | |
| صومع | براهب في صومعته | 4 | 100 | 15 | |
| صيح | صاحت ببغلتها ومضت | 1 | 156 | 11 | |
| صيد | مصايد الدنيا | 4 | 42 | 11 | |

حرف الضاد

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| ضعف | ضعيف الرأي | 4 | 49 | 3 | دار الكتب المصرية |
| ضيع | فباع ضيعة له | 1 | 220 | 10 | |

حرف الطاء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| طبب | طبة عالمة | 1 | 135 | 1 | دار الكتب المصرية |
| طبق | بطبق عليه بزما ورد | 4 | 353 | 13 | |
| طحن | تطلب رحى وثقالا لتطحن | 2 | 263 | 11 | |
| طرب | ما معك من مطرباته ومشجياته | 1 | 277 | 12 | |
| طرف | وحالف بسمعه وطرفه | 1 | 102 | 11 | |
| طست | واضع رجله في طست لوجع كان يجده | 1 | 26 | 3 | |
| طلب | طلاب الغريب | 4 | 70 | 10 | |
| طلس | أطلس اللّون الذي فيه غبرة إلى السواد | 1 | 275 | 14 | |
| طلق | امرأته طالق | 1 | 83 | 8 | |
| طوق | طوق ذهب | 1 | 259 | 11 | |
| طيب | وابتاع بها حللاً وطيبا فأهداه إليها | 1 | 167 | 1 | |

حرف الظاء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| ظرف | ومعي صاحب لي ظريف | 1 | 174 | 6 | دار الكتب المصرية |
| ظغن | نواعم الأظغان | 1 | 139 | 17 | |
| ظلل | يقولون للعب خيال الظل: بابة | 1 | 180 | 13 | |
| ظهر | بين يديه ظهرًا (قلمًا) ودواة | 4 | 30 | 5 | |

حرف العين

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| عبس | عابسا قاطبا | 1 | 163 | 4 | دار الكتب المصرية |
| عته | المعتوه الملحف | 4 | 100 | 1 | |
| عجب | أعاجيب الزمن | 4 | 84 | 10 | |
| عجز | اعتجر على رأسه ببرد له | 4 | 188 | 12 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| عذب | عذب الثنايا | 1 | 178 | 10 | |
| عرش | عريشا من جريد | 4 | 184 | 10 | |
| عرض | عريض الجاه | 4 | 102 | 2 | |
| عزز | عزّ السلطان | 4 | 99 | 11 | |
| عزف | وتعزف علينا القيان | 4 | 182 | 10 | |
| عسف | أشدّهم عسفا في وقت الغضب والغلطة | 4 | 104 | 5 | |
| عسكر | فاستجال بفرسه حول العسكر | 4 | 185 | 15 | |
| عسل | عسال الضحى | 1 | 275 | 14 | |
| عشر | يوم عاشوراء | 4 | 16 | 13 | |
| عصب | وعصابة من ذهب | 4 | 218 | 6 | |
| عصفر | ملحفة معصفرة | 1 | 278 | 4 | |
| عصو | وإذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متطئة على عصا | 1 | 164 | 2 | |
| عضض | فغضت منكبي فما وجدت ألم غضتها | 1 | 112 | 13 | |
| عطر | عطارة بالمدينة | 1 | 64 | 17 | |
| عفر | بالبراق العفر | 1 | 280 | 4 | |
| عفف | عفة المقال | 1 | 120 | 6 | |
| عقل | وصفن عقلها وأدبها وجمالها | 1 | 95 | 4 | |
| علف | تحمل علفا | 4 | 382 | 4 | |
| علم | فيتذاكرون العلم | 1 | 75 | 12 | |
| على | أعلى قاتله | 1 | 120 | 14 | |
| عمد | عمود سرير | 1 | 37 | 6 | |
| عمم | كثرت العمائم والنعال والخفاف | 1 | 23 | 10 | |
| عنبر | بكافور ومسك وعنبر | 1 | 236 | 5 | |
| عهد | ولي العهد أولى | 4 | 413 | 6 | |
| عهر | عاهرة الدّار | 1 | 56 | 9 | |
| عوج | صنعة عيدان الفرس | 1 | 250 | 15 | |
| عور | وإذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء | 1 | 164 | 2 | |
| عيش | العيش طالعة | 1 | 181 | 9 | |
| عيل | عيالنا | 1 | 24 | 4 | |
| عين | وأحضروا أكياسا فيها عين وورق | 4 | 117 | 16 | |

حرف الغين

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| غذا | فالغذاء حاضر كثير | | | | دار الكتب المصرية |
| غرد | يغرّد قمري | | | | |
| غرف | غرف الجنان | | | | |
| غرم | معزم بالصّيد | | | | |
| غزر | أغزر النّاس دموعا في وقت الموعظة | | | | |
| غزل | غزل يمان | | | | |
| غسل | إلاّ مرجلاً يُسجن لكم فيه الماء للغسل | | | | |
| غطط | أغطيك بجبّتي هذه الصوف | | | | |
| غفل | مغفلة في مئزر لم تدرع | | | | |
| غلق | أغلق رهن مني وأهدر قتلاه | | | | |
| غمز | ثمّ اغمزيه يا أخت في خفر | | | | |
| غنى | فتذاكرنا أحسن ما سمعناه من المغنيات | | | | |
| غير | فغارت التي كنت أحدّثها | | | | |
| غيظ | فغاظني ذلك | | | | |

حرف الفاء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| فأس | شربه بفأسه | 4 | 371 | 2 | دار الكتب المصرية |
| فتح | فتح الغزل | 1 | 120 | 8 | |
| فحش | والله ما أعلم أني ركبت فاحشة قط | 1 | 77 | 3 | |
| فخر | وعلى ظهره قفص فيه فخار | 4 | 47 | 3 | |
| فرش | تقلبت في الفراش | 1 | 140 | 2 | |
| فرع | فرعهم طولا | 1 | 160 | 7 | |
| فرغ | في وقت فراغي | 4 | 89 | 9 | |
| فرو | وعليه فرو وخفان غليظان | 1 | 49 | 1 | |
| فستق | الفستق المقشر | 1 | 75 | 8 | |
| فسط | وفساطيطه بمنى | 1 | 260 | 8 | |
| فطر | من رقاق فطير | 4 | 16 | 20 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| فقه | فابعث معنا نفرًا من أصحابك | 4 | 225 | 2 | |
| فكه | يحملون الفاكهة | 1 | 212 | 3 | |
| فلج | أصابه الفالج وارتعش وبطل | 1 | 36 | 12 | |
| فلسف | الفلاسفة | 4 | 2 | 4 | |
| فم | ثمّ ملأ فمه فمجه عليهن في وجوههنّ | 1 | 171 | 12 | |
| فيل | قائد الفيل ودليل الحبشة | 4 | 303 | 4 | |

حرف القاف

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| قبر | قبر أبي العتاهية | 4 | 112 | 14 | دار الكتب المصرية |
| قبل | فقبل ركابه | 1 | 259 | 1 | |
| قدح | صبّ قدحًا | 4 | 108 | 1 | |
| قذف | هاالله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا | 1 | 200 | 5 | |
| قرأ | ويقرئونا للقرآن | 4 | 225 | 3 | |
| قرب | سقاء يحمل قربة | 1 | 39 | 10 | |
| قرط | القرط بالحجل | 4 | 22 | 15 | |
| قرطس | قرطاسة قوهية (من أنواع الحرير) | 1 | 326 | 6 | |
| قرظ | فلم يبق له خلف يقرظه | 10 | 285 | 8 | |
| قرع | مائة مقرعة | 4 | 66 | 8 | |
| قرقر | يادار دوريني * ياقرقر امسكيني | 1 | 68 | 17 | |
| قصر | القصور موشية (أي منقوشة) | 1 | 28 | 18 | |
| قضب | يوقع بقضيب | 1 | 250 | 12 | |
| قطط | جاء القط أكله ولي علّوه | 1 | 55 | 13 | |
| قطع | القطوع والديباج | 1 | 221 | 4 | |
| قفص | وعلى ظهره قفص فيه فخار | 4 | 47 | 3 | |
| قفل | فاخرجت إليه صندوقا لطيفا مقفلا | 1 | 169 | 9 | |
| قفو | القوافي السّهلة | 4 | 40 | 13 | |
| قلنس | قلنسة طويلة | 2 | 342 | 2 | |
| قمر | يغرد قمري | 1 | 111 | 4 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| قمص | بقميصها الذي يلي جلدها | 1 | 193 | 12 | |
| قمقم | ولم يجدوا قمقما حتى استعاروه | 1 | 16 | 5 | |
| قندل | قناديل تسقيها السليط (الزيت) الهياكل | 7 | 338 | 13 | |
| قنطر | قنطرة الزيّاتين | 4 | 111 | 6 | |
| قنع | سدل قناعه على وجهه | 4 | 250 | 11 | |
| قنن | قنينة فيها خمسة أرطال نبيذ | 1 | 222 | 6 | |
| قهرم | فلم يدر القهرمان أين يطلبني | 5 | 27 | 5 | |
| قهو | قهوة في الأباريق تحتذي | 6 | 67 | 11 | |
| قوه | قرطاسو قوهية | 7 | 236 | 6 | |
| قيد | اكسروا قيده وفكوا عنه | 14 | 319 | 11 | |
| قيم | قيم الخبازين | 4 | 236 | 2 | |
| قين | وكانوا يتقاينون ببغداد | 10 | 219 | 3 | |

حرف الكاف

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| الكافر كوبات | يا لكافر كوبات | 4 | 316 | 4 | دار الكتب المصرية |
| كبر | كبراء السلطان | 4 | 370 | 14 | |
| كتف | حرّك عمر رداءه ليصلحه على كتفه | 1 | 112 | 10 | |
| كحل | طبّ ما في المكاحل | 4 | 60 | 3 | |
| كرس | كرسيّ يجلس عليه | 1 | 276 | 9 | |
| كره | كراهة الذلة | 4 | 99 | 12 | |
| كرى | اذهب فتكار حمارين | 4 | 375 | 12 | |
| كسو | ومشى فتة بالكساء | 1 | 155 | 9 | |
| كعب | فرشى له في ظهر الكعبة وجلس | 1 | 119 | 14 | |
| كفر | بكافور ومسك وعنبر | 1 | 236 | 5 | |
| كفف | الأكف النواعم | 1 | 127 | 11 | |
| كفن | كفن دينار | 4 | 18 | 11 | |
| كلن | خفضى عليك بعض العزم والكلفة | 1 | 251 | 8 | |
| كمم | بل كمه | 4 | 106 | 17 | |
| كمن | أللقوم كمين أو مدد | 4 | 185 | 16 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| كنز | كنوز البرّ | 4 | 100 | 1 | |
| كهن | الكهان | 4 | 304 | 15 | |
| كور | يحملن ركبانا وأكوارا | 1 | 181 | 9 | |
| كوز | كوزماء | 5 | 222 | 6 | |
| كيل | مكيالكم | 1 | 110 | 9 | |

حرف اللام

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| لألأ | وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد | 4 | 275 | 1 | دار الكتب المصرية |
| لبس | تلبس لبسة أعرابي | 1 | 175 | 14 | |
| لجم | دابه بسرجها ولجامها | 4 | 100 | 12 | |
| لحف | وعليه ملحفة معصفرة | 1 | 278 | 4 | |
| لحن | بفساد لحنهم وكلامهم | 4 | 102 | 13 | |
| لحي | مقبل على شيخ حسن اللّحية | 4 | 52 | 5 | |
| لذذ | لذة النّظر | 1 | 147 | 4 | |
| لطأ | على رأسه لاطئة | 4 | 52 | 6 | |
| لعب | يقولون للعب خيال الظل: بابة | 1 | 180 | 13 | |
| لها | الملاهي | | 101 | 10 | |
| لوح | عند رأسه لوح من ذهب | | 218 | 6 | |
| لوز | لوزينجة شرقه بالدهن | | 83 | 10 | |
| لون | أربعة ألوان من الحزن في بيت واحد | | 274 | 7 | |

حرف الميم

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| مجن | مجّان مكة | 1 | 169 | 11 | دار الكتب المصرية |
| مدد | متكئ ممدود الردل | 4 | 7 | 13 | |
| مرج | المرجان | 1 | 95 | 12 | |
| مرو | مروانيتي ومروانية أبي | 4 | 410 | 5 | |
| مزح | ومازالوا يتمازحون بذلك دهرا طويلا | 1 | 170 | 6 | |
| مسح | يا صاحب المسح تبيع المسحا | 4 | 39 | 9 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| مسك | من المسك والجاوي | 4 | 168 | 6 | |
| مشى | تمشي بها بغلاتها | 1 | 201 | 6 | |
| مطر | فتحدّثوا مليًّا ومطروا | 1 | 150 | 14 | |
| مقل | أحور المقة | 1 | 157 | 13 | |
| ملاء | ملاءة مطيبة | 1 | 52 | 16 | |
| ملح | غناء الملاّحين | 4 | 102 | 18 | |
| ملك | ثلاثة أملاك ولاة عهود | 4 | 105 | 2 | |
| مناديل | في أيديهم الأباريق والمناديل | 7 | 67 | 15 | |
| مهد | ممهودا سريره | 4 | 400 | 5 | |
| مهر | هذا مهري أدفعه إلى أبي | 4 | 364 | 6 | |
| مهن | وعبيد في الحبشة يتصرفون في جميع المهن | 1 | 65 | 13 | |
| موز | تقتل العلماء بالموز | 4 | 10 | 8 | |
| موسى | الموسى (آلة قاطعة) | 9 | 334 | 7 | |
| مول | آفة الأموال | 4 | 100 | 11 | |
| ميد | بمائدة عليها خبز سميد وخلّ | 4 | 107 | 16 | |

حرف النون

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| نبذ | أخذ منه النبيذ | 1 | 252 | 2 | دار الكتب المصرية |
| نبر | قال على المنبر بالكوفة | 4 | 306 | 2 | |
| نبل | إن اكتنفكم القوم فانصحوهم بالنبل | 4 | 190 | 7 | |
| نتف | ينتف الريش | 1 | 275 | 5 | |
| نجب | النجائب المخضوبة بالحنّاء | 1 | 221 | 3 | |
| نجم | نجوم سعود | 4 | 105 | 6 | |
| نحر | ننحر الحزر | 4 | 182 | 9 | |
| نرجس | وعلى ميادين من النور والبنفسج والنرجس | 10 | 274 | 10 | |
| نزه | المتنزهات | 4 | 17 | 4 | |
| نسف | عمامته على رأسه مثل المنسف | 4 | 257 | 10 | |
| نشب | النشاب | 1 | 162 | 5 | |
| نشر | من طيب نشر | 1 | 180 | 22 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| نشط | نشط إلى الشرب | 4 | 115 | 15 | |
| نشو | أخو نشوة | 1 | 177 | 12 | |
| نطع | بسيف ونطع | 4 | 275 | 16 | |
| نطف | وناطف المعصار | 4 | 373 | 1 | |
| نظر | تنظّر (بمعنى تأنّ وتريث) | 1 | 58 | 11 | |
| نعج | ما نعجة من وحش ذي بقر | 1 | 159 | 7 | |
| نعل | حذوك النعل بالنعل | 1 | 115 | 5 | |
| نغص | نغص علينا ما بعده | 1 | 277 | 6 | |
| نغم | فهمت نغمات قوم آنس بهم | 4 | 221 | 8 | |
| نفر | المنافرة | 1 | 274 | 19 | |
| نفض | نفض النوم | 1 | 120 | 14 | |
| نقش | منقوشة على خاتمه | 4 | 37 | 19 | |
| نقض | يتناقضان الغناء وترادانه | 1 | 276 | 10 | |
| نقط | فرأيت الخساء نقطة كتمرة العجوة | 4 | 274 | 2 | |
| نقنق | بنقائق مطرف بالخردل | 1 | 83 | 9 | |
| نكر | تأتيهن متنكّرا | 1 | 175 | 12 | |
| نمرق | من نمارق وكراسي | 4 | 345 | 11 | |
| نهج | نهج العلل | 1 | 120 | 8 | |
| نوب | نوبة في خدمة الواثق | 4 | 115 | 14 | |
| نوح | النائحة | 1 | 73 | 4 | |
| نور | صبية النار | 1 | 18 | 1 | |

حرف الهاء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| هزبر | زرمحي الهزبري | 4 | 218 | 9 | دار الكتب المصرية |
| هزج | الأهزاج | 1 | 276 | 11 | |
| هزز | فهرت رأسها عجبا | 1 | 91 | 15 | |
| همم | بل اعترتني الهموم بالسهر | 1 | 170 | 16 | |
| هودح | الهودج | 1 | 270 | 16 | |
| هوى | أذاب الهوى لحمي وجسمي ومفصلي | 4 | 118 | 17 | |

## حرف الواو

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| وتر | أوتار قسيهم | 4 | 228 | 7 | دار الكتب المصرية |
| ورد | من الورد أو من الياسمينا | 1 | 147 | 11 | |
| ورق | وأحضروا أكياسا فيها عين وَورق | 4 | 117 | 16 | |
| وزر | الوزراء | 4 | 370 | 14 | |
| وسد | الوسادة | 4 | 186 | 13 | |
| وشح | وفي وشاحين وأوضاح | 4 | 49 | 6 | |
| وشى | القصور موشية (منقوشة) | 1 | 28 | 18 | |
| وصف | الموصوفات المحسنات | 4 | 115 | 3 | |
| وضأ | فدعا بوضوء فجاءت به جارية | 4 | 273 | 2 | |
| وظف | ولأبعث إليه بالوظيفة | 4 | 53 | 17 | |
| وقع | فوقع بقهقهة | 1 | 291 | 4 | |
| وكب | في موكب عظيم | 4 | 66 | 3 | |

## حرف الياء

| المادّة | الكلمة أو العبارة | الجزء | الصفحة | السّطر | الطبعة |
|---|---|---|---|---|---|
| يسم | من الورد والياسمينا | 1 | 147 | 11 | دار الكتب المصرية |
| يقت | بعقد من الياقوت | | | | |

***الخاتمة:**

أبو الفرج عليّ بن الحسين، عالم وأديب من أصفهان، قرشي الأصل، بغدادي المنشأ، كان عالما بأيّام العرب وأنسابهم وسيّرهم وأخبارهم ومغازيهم، حافظا للشعر والحديث، مُلِمًّا بالطبِّ والفلك والموسيقى، وكان شاعرا وكاتبًا وناقدا. عاش إبّان القرن الرابع الهجري وتوفّي سنة 356هـ-966م.

وكتاب الأغاني لاَ يُدَانيه كتاب في منزلته وغزارة مادّته، فقد اجتمع فيه ما لم يجتمع لسواه من تراث العرب الأدبي، وقد استوعب ثقافة عصره وحصيلة معارفه وحَوَى عُيون الشعر والنثر والقصص والأخبار والاجتماع والجدّ والمجون والغناء وتراجم الأدباء.

امتاز مؤلف كتاب الأغاني بانتقاء الألفاظ الرّشيقة السّهلة مع أسمى المعاني والتأنّق في صوغ العبارات، وتوثيق الرّبط بينهما بأسلوب عربيّ سليم جعله نسيجا وحده والألفاظ والأساليب ثياب تكسو المعاني والأفكار وتظهر الخيال.

ونلمس ذلك كلّه فيما حواه من خصائص النّثر الفنّي في هذا العصر، وما اختاره من جيِّدِ النّظم، ممّا كان له أثر عظيم في أساس نهضة الأدب العربي لمن جاءوا بعدهُ من المؤلِّفين الذين اعتبروا تصانيف أبي الفرج من أحسن التصانيف في فنِّها لأنّه أجاد فيها وَأبدعَ، وكتبها بلُغته السّامية ومادّته الواسعة، وبفضل ذلك كُتِبَ له الرّواج والانتشار في جميع العصور الإسلامية.

هذا،ولمْ يَنَلْ كتاب غيره مثل ما ناله من الشهرة والذّيوع وانتفع به كلّ مؤلف وأديب وشاعر وناثر على اختلاف العصور لأسلوبه السّهل الممتع في الكتابة، وحُسْنُ ذوقه العالي الشفّاف في الاختيار، فالأغاني عُدَّ من مفاخر الفكر العربي وهو مفخرة لغة العرب كلّها، فلو اقتصر متأدِّبُ عليه لجاء منه أوّل أديب وأجلّ كاتب، لأنّه يظفر فيه بأدقّ الشعر وأجزلِ الخُطَبِ وأرَقِّ الأسلوب إلى ما فيه من أخبار وطرقٍ وسِيَرٍ ومجالس وبدائع.

ومن مزايا هذا الكتاب النّفيس أنّ أبا الفرج الأصبهاني أثناء سَرْدِهِ للأخبار انفرد بشرح كلمات لغوية لاَ وجود لها في المعاجم اللّغوية. ويذكر ألفاظا اصطلاحية كانت شائعة في الدّولتين الأموية والعباسية ولا نظير لها في كتب الأدب، فهو من هذه النّاحية حفظ لنا ثروة لغوية عظيمة لولاه لضاعت مع ما ضاع من تراث الأدب العربي.

**المصادر والمراجع:**

- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني،طبع طبع دار الكتب المصرية،القاهرة،القاهرة.
- الأصمعي، محمد عبد الجواد:أبو الفرج الأصفهاني،دار المعارف بمصر،ط2.
- أمين، أحمد:
* ضحى الإسلام،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط5، 1371هـ-1952م.
* فجر الإسلام،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،1979م.
- أنيس إبراهيم و منتصر عبد الحليم والصوالحي عطية،و أحمد محمد خاف الله: المعجم الوسيط،دار الفكر، بيروت.
- ابن الثغريبردي ،جمال الدين أبو المحاسن يوسف:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،تحقيق إبراهيم علي طرخانن المؤسسة المصرية العامة للنشرن1383هـ-1963م.
- ابن خلكان، القاضي أحمد: وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان،المطبعة الميرية، بمصر،1310هـ.
- ابن شداد، عنترة: ديوانه،دار صادر، بيروت،1992م.
- ابن العماد الجنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2،دار المسيرة،بيروت،1399هـ-1979م.
- ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب،دار صادر، بيروت، لبنان،ط3 ،1414هـ-1994م.
- ابن النديم، محمد ابن إسحاق،تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر،تونس،والمؤسسةالوطنيةللكتاب،الجزائر،1406هـ-1985م.
- البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،لبنان،1407هـ-1987م.
- تمام، أحمد: في ذكرى وفاة الصفهاني.موقع .google.com
- الحموي، ياقوت: معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،نتصحيح د.س مرجليوت،المطبعة الهندية بالموينكي بمصر،ط2.
- خليفة، حاجي: كشف الظنزن عن أسامي الكتب والفتون،دار الكتب المصرية،1274هـ.
- الخوري، يوسف عون:مختصر أغاني الصفهاني،تصحيح عبد الله العلايلي،دار طلاس للطباعة والنشر،دمشق،1985م.
- الدقاق، عمر: مصادر التراث العربي في الغة والأدب والتراجم،مطبعة حلب،ط 5،1977م.
- زيدان، جرجي:تاريخ التمدن الإسلامي،منشورات دار مكتبة الحياة،1967م.
- الطرابيشي، مطاع:في منهج تحقيق المخطوطات،دار الفكر.
- المقري التلمساني، أحمد بن ومحمد: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق البقاعي يوسف الشيخ محمد،دار الفكر،بريوت،ط 1،1998م.
- **ابن خلدون، عبد الحمن: المقدمة**،دار الجيلنبيروت،لبنانن.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد:صبح العشى، المطبعة الأميرية بالقاهرة،1331هـ-1913م.
- معلوف اليسوعي، الأب لويس: المنجد في اللغة والأعلام،منشورات دار الشروق،ط36،بيروت،،1997م.
-الميداني،أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد إبراهيم النيسابوري: مجمع الأمثال،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار النصر،دمشق،بيروت.

# رؤيا العالم في الشعر العربي المعاصر

د/ عبد القادر فيدوح ـ جامعة البحرين

# Vision of the World in the Contemporary Arabic Poetry

Dr. Abdelkader Fidouh

This study attempts to extrapolate some poetic texts, as determined according to the perspective of existential vision, on the subject of aesthetic creation in its constant search for alternative utopian of a fragile and worn reality, descended to humility and alienation, and trying to revolutionize it within dialectical change. This dream of change bump a reality that does not react nor erupts, not wanting to shift. The dream remains persisting embodied in the emissivity revolutionary vision in its destructive shape, and an unexpected potential, given that the fear of the poet is death without real mission.

This study tries to highlights the possibility that the poet's vision to understand the world and the desire to understand the reality, with its artistic values, from the perspective that the poet can be aware of this fact more than anyone else. That is why we see the poet permanently searching for new formulas, manifested through which the reality of the human being in the highest reflections. It is natural that interactions of social and technical movements produce more aesthetic formulations that have the ability to absorb the reality of the embryonic new community, and most able to respond to the new reality.

This study seeks to show the role of poetry in the reality of existence, through poetic texts we apply some semantic concepts, and their relationship to reality level, ideological level, and the temporal level, through a sense of human's presence which is hidden behind the facts.

**ملخص البحث**

تحاول هذه الدراسة استقراء بعض النصوص الشعرية وفق منظور ما تحدده الرؤية الوجودية في موضوع الخلق الجمالي في بحثه المستمر عن البديل اليوتوبي Utopia لواقع هش ومتآكل، ينحدر إلى الاتضاع والاستلاب، ومحاولة تثويره ضمن جدلية التغيير. إلا أن حلم التغيير، هذا، يرتطم بواقع لا يتفاعل ولا يثور، وكأنه لا يرغب في التحول، ويظل الحلم باقيا مجسدا في الرؤية الثورية الانبعاثية في شكلها" التدميري"، وبشرى مرتقبة، على اعتبار أن ما يخشاه الشاعر هو الموت دون بعث حقيقي.

والشعر العربي الحديث غالبا ما يرسم صورا يتطلع فيها إلى الأمل المرتقب من حيث إن مزيج الراهن بهذا التطلع هو محاولة انصهار الثبات في التحرك المنشود، والاستمرار فيه، إذ يكون الإنسان ظاهرا للوجود الحضاري بحكم الانتماء لطبيعة الكينونة البشرية في مساعيها.

كما تحاول الدراسة أن تبرز إمكانية أن يصبح للشاعر رؤيا في فهم العالم والرغبة في فهم حقيقته ـ بما يملك من قيم فنية ـ من منظور أن الشاعر أكثر الناس إدراكا لهذه الحقيقة، ولذلك نراه دائم البحث عن صيغ جديدة، يتجلى من خلالها واقع الإنسان في أسمى إشراقاته، ومن الطبيعي أن تثمر تفاعلات الحركة الاجتماعية والفنية أكثر الصياغات الجمالية قدرة على امتصاص الواقع الجنيني للمجتمع الجديد، وأكثرها قدرة على الاستجابة للواقع الوليد بعدئذ.

وتسعى هذه الدراسة إلى أن يكون للشعر دور في معرفة حقيقة الوجود، عبر نصوص شعرية نطبق عليها بعض المفاهيم الدلالية، وعلاقتها بالمستوى الواقع، والمستوى الإيديولوجي، والمستوى الزمني، من خلال إحساس الإنسان بحاضره الذي تتوارى خلفه الحقائق.

**البنية الدالة**

النص ولادة متجددة، ومتجذرة، في اللاوعي الجماعي، بكل ما يترسب فيه من مبادئ وقيم متباينة، تسهم في ترسيخها جماعات بشرية ذات انتماءات حضارية، وإذا كان السوسيولوجيون يرون " أن الإطار الشكلي للكتابة يحمل سمات انبثاقه الاجتماعي"[1] فإن هذا الانبثاق لا يخضع لتأثيرات خارجية أدبية أو اجتماعية مباشرة، بل يتم هذا التأثير على مستوى القيم التركيبية، وبنيتها، من خلال الأنظمة الثقافية المختلفة، وذلك أن دمج الأثر بالواقع والحياة من شأنه أن يكسبه دلالة أعمق عبر انفتاحه على آفاق شاسعة، وأبعاد لامتناهية.

ولا شك في أن محاورة الإيديولوجي، ومساءلة الاجتماعي، في سياقات جمالية تحاول أن تخرج النص من سكونيته إلى حركية أكثر جاذبية، وإثارة جوانبه الخفية، ورصد علائقه الداخلية ـ وأن محاولة كهذه ـ من شأنها أن تحقق قراءة بنائية تستقرئ الواقع الرؤيوي، الاستشرافي، الذي ينبغي أن يكون كما تتوخاه الرؤيا الإبداعية، حاضرا في أبجديات البعث المرتقب للواقع اليوتوبي المنتظر، كونه لم يتجل إلا كعلامة أو سمة، والكتابة هي التي تضفي عليه معنى، وتحوله إلى فضاء دلالي؛ لأن الكتابة هي التي تكيف الواقع، وليس العكس، إلا أن غولدمان ***Lucien*** Goldmann يؤكد على تعددية الرؤى للعالم ضمن علاقته بالكتابة، بحيث " يعرف الأثر من ناحية علاقته بالمجتمع الذي ينصهر فيه، وهو ليس انعكاسا شفافا، بل مجموعة دلالات ممزقة ورافضة"[2] وذلك بالتركيز على فهم التحليل الاجتماعي ضمن أبنية دالة، أو كما عبر عنها غولدمان Goldmann أيضا بـ " بنائية التوالد" التي تتبلور في مخيلة المبدع، فيحولها بحدسه إلى رؤية متجددة، ومنسجمة بصور متناغمة، تتجاوز البنى الاجتماعية في ظاهرها إلى تجسيد واقع حلمها وإفرازاته عبر منعطفاته الحادة، وحيث لا يعكس الأثر الواقع بقدر ما يضيئه، ويكشف عنه. أضف إلى ذلك أن النص ـ كما يقول الناقد الفرنسي **كلود بريفو** ـ " لا ينبت في المطلق، إنه يدخل في لعبة التوازن بين مختلف القوى الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والماورائية"[3] وتتعدى هذه اللعبة حدود التوازي إلى علائق التقاطع والدخول في تفاعل حميمي بين النص والواقع.

---

[1] فؤاد أبو منصور : النقد البنيوي الحديث ، دار الجيل، ص113.

[2] المرجع السابق ، ص 113.

[3] المرجع نفسه، ص 139.

إن إدراك الوعي الإبداعي لدلالات هذا الواقع ـ الممزق ـ لا يقع في حدود الواقع المدرك بالحس، أو الوجدان، بوصفه معطى ماديا ـ جاهزا ومحسوسا ـ بل ينبثق انطلاقا من زعزعة هذا الواقع، وخلخلة نظمه، وخلاياه المجتمعية المعتلة، وإحداث بلبلة من شأنها أن تعيده إلى هيئته الأولى؛ أي إعادة خلقه باستمرار، تلك هي رؤيوية المبدع الذي يتفحص الواقع، لا لينبئ به، بل لينبئ بما وراءه؛ أي بالممكن " الذي لا يشتمل على تناقض ذاتي"، وكأن الذي يحرك النفس ليس الواقع، بل ما وراء الواقع[4] ، ومع ذلك فالتلقي؛ أي وجود النص على أنه معطى جمالي في ذهن القارئ ، أو كمتصور ذهني غائب، هو الذي يعيد ابتكار النص وليس الوسط هو الذي يحدده؛ لأنه يتبلور فيه، ويبقى النص مؤشرا على ذاته، ودليلا إليه كما يقول **كلود دوبوا** : "إننا ننطلق من النص ونعود إليه ، نقرأ ـ ونفسر ـ الصيرورة الداخلية؛ ولأن هناك فردا مبدعا فيجب أن نبقى على حذر من التبسيطات المغرضة، ليس بوسعنا سوى إعطاء سمات نسبية عن كينونة القيمة والأصالة، فالرؤيا، والخيال، والإيديولوجيا، لا تعتقل في معادلات بفضل تماسكها وقوتها[5]، وهكذا فإن القراءة المفتوحة تمنحنا إمكانات دلالية متعددة، كما تمنحنا المقدرة على النفاذ إلى متن النص الداخلي وطبقاته الأكثر غورا.

ضمن هذا التوجه التحليلي في قراءة النصوص الشعرية، حاولنا استقراء بعض النصوص الشعرية، مركزين فيها على تجربة الشعر الجزائري، الواعدة، ليس من حيث اجتماعية الظواهر الأدبية في تماثلها الإيديولوجي، أو في نظرتها الآلية، بوصفها نتيجة مكملة لمفاهيم سبق التسليم بها، ولكن وفق منظور ما تحدده الرؤية الاجتماعية في موضوع الخلق الجمالي في بحثه المستمر عن البديل اليوتوبي لواقع هش ومتآكل، ينحدر إلى الاتضاع والاستلاب، ومحاولة تثويره ضمن جدلية التغيير. إلا أن حلم التغيير، هذا، يرتطم بواقع لا يتفاعل ولا يثور، وكأنه لا يرغب في التحول، ويظل الحلم باقيا مجسدا في الرؤية الثورية الانبعاثية في شكلها" التدميري"، وبشرى مرتقبة، على اعتبار أن ما يخشاه الشاعر هو الموت دون بعث حقيقي.

لذلك انهمك الشعراء في كنه الوجود، وما تركه من أثر فعّال في تجسيد المواقف، تفاعلا مع الصراع المؤجج، والأحداث الملتهبة. والحال، أنه لم يكن من الشاعر إلا مكابدة هذه المشاق، بركوب أهوالها، حسب ما تراءى له في مقام " وقفة الآني"، البعيد الغور في أناته، تداركا لما فقده في " الوقفة

---

[4] أدونيس : كلام البدايات، دار الآداب، ص 84

[5] ينظر ، فؤاد أبو منصور : النقد البنيوي الحديث، ص 135 .

الساكنة" ، وتيمنا بـ " الوقفة التأملية " في تجلي القادم، المكنون، في صورة الانبعاث، كما في مقطع " ليس نجماً"[6] لأدونيس:

**ليس نجماً ليس إيحاء نبيّ**
**ليس وجهاً خاشعاً للقمر ـ**
**هو ذا يأتي كرمح وثنيّ غازياِ ً أرض الحروف**
**نازفاً ـ يرفع للشمس نزيفهْ؛**
**هو ذا يلبس عُرْيَ الحجرِ**
**ويصلّي للكهوفْ**
**هو ذا يحتضن الأرض الخفيفةْ.**

**اليباب والانبعاث**

تحتل صورة الانبعاث في الشعر العربي محورا أساسا من الحضور المكثف، وشعرنا العربي لا يخلو من هذا الحضور، يعكس فيه الشاعر عذاباته الذاتية لدواع كثيرة، تقف وراء أزمات مجتمعه الحادة، لعل أهمها حالة الإحباط. وقد ارتأينا في توقيعة " **شهادة الاغتراب**" للشاعر عبد الله العشي ما يعكس صورة اليأس التي تعتري واقعه المرير في لحظة من لحظات ضعفه في معترك الحياة؛ حيث الواقع المغطى بخراب الموت، والمعجون بتراب الصمت والقنوط. ينتظر، ويغازل ميلاد الواقع الآخر، الواقع اللامقول، المرتقب مع كل بسمة فجر، وإشراقة صبح، ومن ثمّ تبدو " **سيرة الفتى**"[7] سيرة قدرية تحركها مجانية اللاجدوى، ويلفّها شعور درامي، سرعان ما يتحول إلى شعور تفاؤلي، يؤدي إلى التحرر من القدرية، والإعلان عن"**إرادة القوة**" ذلك الشعور الحاد، القار في دواخلنا، ولا يتم ذلك إلا عن طريق الانبعاث، انبعاث هذا الوطن المجني عليه، وقد تجسدت صورة هذا البعث في ملامح " **القادم**" ، ولذلك نجد النص في "**سيرة الفتى**" يحتكم إلى بنية انتظار وترقب ممزوجين بيقين البعث الأكيد، في انتظار الخلاص، والخروج من دائرة الصمت، والحزن، والاغتراب.

---

[6] من "فارس الكلمات الغريبة" ديوان أغاني مهيار الدمشقي، الأعمال الشعرية، دار المدى، 1996، ص 144.
[7] مجلة كتابات معاصرة، لبنان ، ع 18، 1993 .

ثمة عتمة غائرة، وبحث مستمر، عن الوجه الآخر لسماء تتحلى بالضياء، وأرض تعبق بالورد. وثمة ضياع مجهول يمتص دهشة الأشياء ويحولها إلى كلمات وامضة، تستوعب احتمالات الغد، وفي ظلمة هذه العتمة هناك ضوء خافت لكي تنبعث وردة القلب محملة بالعطاء والفرح، كما في مهيار أدونيس:

**ملك مهيار**
**يحيا في ملكوت الريح**
**ويملك في أرض الأسرار.**

كل شيء في " سيرة الفتى" يوحي باغترابه، ويتوحد بعرائه، ويحمل صمته في سؤاله، كل شيء منفي في زنازين الصمت والحصار، فـ" سنونوة الشعر" يحاصرها اليباب، وتخنقها المسافات الموصدة، ودروب الاغتراب، و"وردة البحر" بين انسداد الرؤية وضبابيتها، وانفتاح القلب على أصداء الآتي المغترب، وفضاءاته، في سموات المستحيل، حتى **"كبرياء"** المرء في هذا العالم لم يسلم من المقايضة، والطعن، والمساومة، والمفاوضة.

كل إمكانات البعث في حركات النص الأولى ظلت مستحيلة وصعبة، تحوم في دائرة الإمكان إلى أن تصل حدود الانفجار، فيصطدم المستحيل بالممكن، والصمت بالسؤال، والرمل بالماء، والرمز بالإشارة، وتبدو البنية النصية وكأنها سائرة في تطوير جدلي يعلن عن صراع بين أطراف خفية، لكنها تفصح عن هويتها عبر صفات توحي بمواصفاتها، ومن ثمّ يكون حضور الذات منعكسا في نقيضها، مشكلا بذلك تقابلات :

- على مستوى الواقع اليومي: عامل / معمول به
- على المستوى الإيديولوجي: قهري / ثوري
- على المستوى الزمني: آني / ما بعدي

وهذه التقابلات من شأنها أن تفجر النواة الدلالية، فما الذي يسفر عنه السطح الدلالي؟ وما الذي يختفي داخل العمق الدلالي؟ وما الذي يتوارى في العمق التأويلي؟

**مستوى الواقع اليومي " عامل / معمول به**

تفتتح القصيدة بمرثية لفقد الذات المبدعة، دفء الحياة، وخصب المكان، واصطدامها بخراب واقع متآكل، وعجزها عن إعادة الصورة " الماقبلية " لإشراقاته البدئية، فتنسحب، وترتد، إلى ليلها، دلالة على أن البعث مازال مستحيلا:

**كيف تدخل سونونوة الشعر هذا اليباب ؟ !...**
**أي باب ستعبره.. أي باب ؟**
**والمسافات موصدة والدروب اغتراب**
**سوف تمسك ريشتها وتوقع لحن العراء**
**ولحن الغياب**
**ثم تذرف من عينها دمعتين .... ومن قلبها**
**وتعيد إلى قمر الوجه ليل النقاب** [8]

كل الأبواب موصدة، وكل الدروب مغلقة، وليس أمام الذات سوى أن تعلن حدادها، وتعزف على وتر الضياع، ومما يدل على أن الاغتراب كلي وليس جزئيا ـ داخليا ولا خارجيا ـ وأنه ضارب في العمق هو التحول من دلالة الحزن إلى دلالة الألم بوصفه عاطفة إنسانية، وأحد الظواهر الوجدانية المشحون بالوجع، وهذا ما يتجلى في قول الشاعر :

**ثم تذرف من عينها دمعتين .... ومن قلبها**

فالكلمات دائما ما تحتمل إيحاءات ظاهرية لا تستقر على المعنى الحقيقي، بل لها انعكاساتها الدلالية في عالم الكينونة الباطني، وهنا لم يكتف الشاعر بالجملة الأولى، بل راح يوظف نقاطا (...) هي أوسع من أن تحتويها الدموع ليكون البكاء في القلب، إيذانا بحس الفجيعة المدمر، وتجسيدا لدرامية الذات في جدلها المأساوي.

يحتاج العالم، إذاً، إلى بياضه، ونقائه، وبراءته، كي تنمو "**سنونوة الشعر**". كيف لها أن تورق في يباب تزدحم به الكلمات، فالواقع مستنقع في رَهْوٍ من الطحالب، موحل في المعضلات، ومثقل كاهله بالمتاعب والإرهاق، ترفض الذات التواصل معه تعبيرا عن أن " الإنسان لا يكتفي بعدم الرضا

---

[8] مجلة كتابات معاصرة، ع، 18، 1993.

عن واقعه، بل، هو،على الدوام غير راضٍ عن بنيته الداخلية، عن حِطّتها وكونها مغلولة بالمحدود وممتصة في الأرضًي والواقعي"[9]، فهو لا يريد أن يحيا وحسب، بل يطمح إلى الخلود والبقاء، وكأن شيئا لم يتحقق من الممكن المنتظر، أو على حد قول أدونيس :

**حتى الآن، أيها الشعر،**
**لم تفتح لي أية نافذةٍ**
**على ذلك المجهول الذي تعِدُ به.**[10]

لكن يبدو أن الواقع في معيشته، أو المنتظر منه، ليس لاقتناص اللحظات الجميلة والتغني بلحن طروب، بل إنه واقع مدلهم، وممكن حالك، يلفه ليلٌ دامسٌ، وطريق طامسٌ، يغرق في الدموع، ويغترف من السواد، وهكذا تتجسد فاعلية العامل في كونه عامل دمار، يمارس كل أنواع القمع الوجداني والجمالي، وأنواع الكبت، وأشكال التسلط والمصادرة والامتصاص، في حين يظل المعمول به صورة لانهزام الذات، واختناقها، واصطدامها بفاجعة الواقع المتحجر، المنحدر إلى الاتضاع، فتلجأ إلى النحيب والبكاء:

**وتعيد إلى قمر الوجه ليل النقاب**

ولكن أنَّى له ذلك بعد أن أعلن البياتي غرق قارب النجاة من اليابسة، وغاص المآل:

**غرقت جزيرتنا وما عاد الغناء**
**إلا بكاءْ**
**والقُبَّرَاتْ**
**طارت ، فيا قمري الحزين**
**الكنز في المجرى دفين**

لأن أوان البعث لم يحن، أو لأنه بشرى قلقة، ومتلعثمة، ومضطربة ، وضبابية، ومتلكئة،أو لأن المخانة أصابت ظهره، وما ناله من شحنات جمة

---

[9] يوسف اليوسف: الشعر العربي المعاصر، ص 206

[10] أدونيس : فضاء لغبار الطلع، كتاب " دبي الثقافية، ص 22 ، سبتمبر 2010.

من الأضرار، وما حاق به من عنت، أو حل به من ضرر على نحو ما وقع لمهيار أدونيس[11]:

**مهيارُ وجهٌ خانه عاشقوهْ**
**مهيارُ أجراس بلا رنين**
**مهيارٌ مكتوب على الوجوه**
**أغنيةٌ تزورنا خِلسةٌ**
**في طرقٍ بيضاء منفية**
**مهيارُ ناقوسٌ من التائهينْ**
**في هذه الأرض الجليليّة.**

**المستوى الإيديولوجي " قهري / ثوري"**

هناك صدامية غير مباشرة تنهض بين الذات الرافضة والسلطة، فبينما تحاول الأولى إيجاد مخرج " **طلائعي / تحرري** "، تلجأ الأخرى إلى إكراهها ونفيها، وتنعكس هذه الصدامية في حالة الإقدام المنبعث من غريزة الحياة، وتجانب حالة النفي الصّدّ بالإعراض والهجران، الناتج من غريزة الدمار؛ لتظل المواجهة مستمرة، ويحمل هذا **الصدّ/ الإعراض** وجهين: أحدهما ترهيبي، والثاني ترغيبي، ومن هنا تتجلى ملامح هذه الصدامية بوجهها الترهيبي في هذا المقطع:

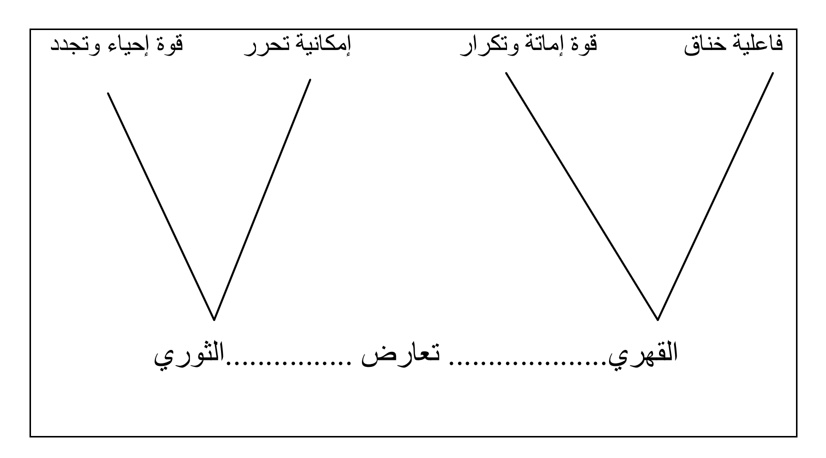
**كان يمكن أن تكبر السنبلة**
**وتولد ياقوتة الماء والزاد الراحلة**
**كان يمكن أن تكبر الكلمات**
**لو مضت نحو دهشتها الأسئلة**
**كان يمكن ... لكنهم قتلة**

كل إمكانات البعث واردة، ومحتملة، شرط توافر المناخ، وتهيئة الأجواء المساعدة على ذلك، فقد كان يمكن ألا تنحني السنابل لسِنان مناجل القتلة، وكان يمكن أن تعلو الكلمات هامتهم، وتتجاوز ثرثراتهم، وخطاباتهم المنمقة، وألا تظل في جوف الشاعر في شكل حلم مرّ؛ وهكذا توصد أمام المخيلة كل ضروب الرؤية، فأبجدية القوة كانت هي اللغة السائدة، ومن ثم ظل أُسّ الإمكان هو الأس المتصاعد في تطابق الحركتين وسيرورتهما إلى

[11] ديوان أغاني مهيار الدمشقي، الأعمال الشعرية ، مصدر سابق، ص 146.

غايتين متناقضتين: **الأولى** إمكانية التحرر من القهر " قوة، إحياء، تجدد، " **والثانية** فاعلية الخناق" قوة إماتة، تكرار".

ويمكن توضيح ذلك من خلال هذه الرسمة التي تعكس تطابق القوتين في التصاعد، وتعارضها في الغاية:




وهذا ينبئ بأن البعث مازال مجرد حلم في القلب، ولكنه أيضا حركة في الوعي، واستشراف في الأفق، مادامت نية الإمكان موجودة حتى وإن كانت ماقبلية " **كان يمكن**" وذلك أن بذور البعث كامنة في الأعمق المعطر بالتراب ورائحة الأرض ونبضها، هناك سر ما، كامن في هذا الإمكان، ونبض عظيم هو سر مهابته، وحين تقع الذات على هذا السر، عندها فقط تورق السنابل، وتكبر الكلمات، ويتفجر الماء معلنا الميلاد المنتظر، ولعل تكرار الجملة:

**" كان يمكن "**

ليس مجرد نبرة مجانية، وإنما إحالة تلميحية على هذه السرية المتكتمة، ذلك أن " اللغة لا تنقل ببساطة صورة ميتة عن الواقع الخارجي، بل موقفا تجاهه في الوقت نفسه، وهي تفعل ذلك لأن التجربة كلها، والواقع كله، يبرز على

نحو واع خلال مسيرة صراع الإنسان مع الطبيعة"[12] حيث تبزغ السمة الأساس، ليس في نقل صورة خارجية عن الواقع المحموم، وإنما في محاولة تحريك فضاءاته الداخلية في تقاطعها مع جزئياته الخارجية. ومن ثمّ تتمثل ملامح الترغيب في هذا المقطع:

**حين أوقفه "ملك الملك"**
**في " موقف الذل" قال له:**
**أنت عبدي ، فكن صامتا ما استطعت**
**وكن خائفا ما استطعت**
**وكن خاضعا ما استطعت**
**توحد بذاتي ولا تفش سر العبارة**
**أقربك من ملكوتي وأكشف لك الستر**
**والحضرتين وباب الإشارة**

تتنامى حركتا " **الثوري**" و " **القهري**" في تصاعد كلي، وتبدو القوة الأولى هي المخاطَبة (بالفتح) والثانية هي المخاطِبة، ولكنها ليست مخاطبة وحسب، بل إنها آمرة ومهددة، واعدة وممهدة بذلك لنياتها التي تكشف عنها في نهاية المقطع، وتظهر علامات الأمر المهددة في:

**وكن خائفا ما استطعت**

أي على المأمور أن يستحضر كل قواه لتنفيذ استطاعة مرفوضة، آتية من " **فوق**"؛ من أعلى، لتتحول هذه الاستطاعة إلى طاعة إجبارية، إلى حد التوحد والذوبان ليصير المخاطب منصهرا تماما في ذات المخاطب حتى يمكنه من أسرار غيبياته وما يتوارى خلف الأستار لضمان الحضور الخفي، وهكذا تتحول المعادلة، من معادلة " **قهري/ ثوري**" إلى جدلية "**وجه التقيد**" الرابض في محتوى " **التحرك الشرطي**" لتحديد الذات في علاقتها مع تحديد الوضع الذي يضفي على الكينونة الشعور بفقدان حس البواعث، حيث الصمت والخوف، والخضوع، يقدم قربانا للتقرب، والوعد بأبواب مفتوحة على أمل كاذب. وليس من بدٍّ في هذه الحالة إلا التحدي بما يناسب حال المآل، كما في ألمعيّة أدونيس الأثيرة:

---

[12] كريستوفر كود ويل: الوهم والواقع ، ترجمة: توفيق الأسدي ، دار الفارابي ، بيروت ، ص 165.

**أقسمت أن أكتب فوق الماء**
**أقسمت أن أحمل مع سيزيف**
**صخرته الصماء.**
**أقسمت أن أظل مع سيزيف**
**أخضع للحمى وللشرار**
**أبحث في المحاجر الضريرة**
**عن ريشة أخيره**
**تكتب للعشب وللخريف**
**قصيدة الغبار.**
**أقسمت أن أعيش مع سيزيف.**[13]

**المستوى الزمني - الآني / المابعدي**

هناك زمن يحتقن بالثبات، ويمتلئ بالسكونية والموت، وهناك زمن آخر منجذب إلى الحركية، والاستمرارية، والتدفق. فالأول تجسيد " **للآني"** الراكد، القاحل،" **اليباب** "، والثاني مؤشر على الثَّني، فهو منبثق، ومتفجر، ومفتوح على التغيرات والتحولات، ولذلك كان همّ الذات هو استدعاء الزمن الآخر، زمن الامتلاء والحضور، ونشدان الآتي المحمل بنبض الحياة، والمشحون بالتنبؤ وفيض العطاء، والمتجدد على الدوام "وهذا يدل على أن عيني الشاعر مثبتتان دوما على الغد، على المستقبل الخصيب. فهو، إذاً، يعزف سيمفونيا الحركة المواظبة على صعودها الأبدي ... وتلكم هي ملحمة الجدل المتحول باتجاه الأبدية"[14]. وقد تجسدت ملامح هذه المابعدية الاستشرافية في أبعادها الأزلية في صورة **"القادم"** بوصفه مؤشرا دلاليا على هذا الزمن المرتقب في صورته الكلية.

الزمن الموصد، إذاً، تبدو فيه اللحظات اغترابا، ويظل فيه الشعر مرهونا بأبجديات الحزن، والألم، والمرارة، والعري، والضياع، والحسرة، والبكاء، حيث القلب مفتوح على الجمر، والصدر منطبق على الجراح:

**أغلقت بابها وردة البحر**
**فانفتحت جمرة الصدر وانهارت المملكة**

---

[13] المجموعة الكاملة، ص 234.
[14] يوسف اليوسف : الشعر العربي المعاصر ، ص 198.

أما الزمن "**الانبعاثي**" فهو زمن تصاعدي، مفتوح على شرفات مستقبلية، تنبئ بالفرح، وإشراقة الغد المنتظر:

**في التماع الصباح الجميل**
**حين يفتح أبوابه العالم**
**سوف يفجؤكم ... سوف يقبل...**
**فارتقبوا...**

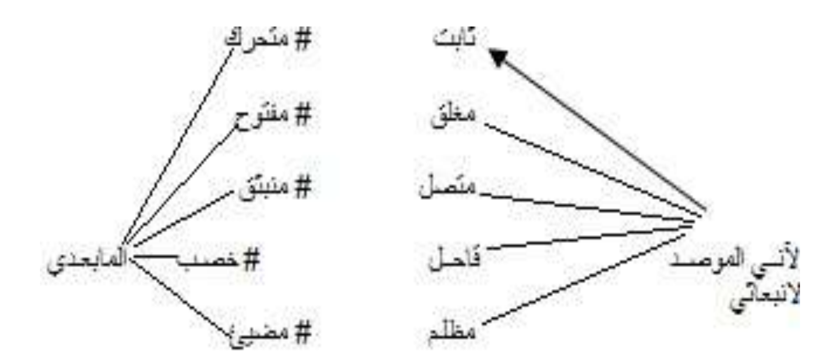
فالارتقاب في نظر الشاعر شيء موحد مع الأمل المنشود، غير أن السمة البناءة لهذا الأمل المرتقب نابعة من الحساسية المفرطة لراهن الضعة لوضع "**الآن**" الذي يتطلع إلى تجاوز ديمومته المتلاشية.

إن مزيج الراهن بالتطلع المرتقب، هو محاولة انصهار الثبات في التحرك المنشود، والاستمرار فيه، إذ يكون الإنسان ظاهرا للوجود الحضاري بحكم الانتماء لطبيعة الكينونة البشرية في مساعيها، حين تمارس هذه المساعي فاعلية التعاطف الإنساني، والتمسك بالمعنى الجوهري، ارتهانا بما يلائم الحقيقة الموكلة "**للإنسان**" في تطلعه الإنساني حين يُشهد له بالفاعلية الروحية.

ويمكن توضيح التعارض الكلي واتساع المسافة بين الزمنين في الجدول الآتي :

| **الزمن الموصد " اليباب "** | | **الزمن المابعدي " الانبعاث"** |
|---|---|---|
| المسافات الموصدة | » | فافتحوا للفتى |
| الدروب اغتراب | » | سوف يقبل |
| تعيد إلى قمر الوجه ليل النقاب | » | التماع الصباح |
| أغلقت بابها وردة البحر | » | حين يفتح أبوابه |
| حين أوقفه | » | وتجيء |

تعارُض الزمنين هو تجسيد لرؤيا الواقع القاتم، واحتفاء الذات بيقين البعث الذي سوف يبدد الحَيرة، ويزرع الضياء:




**تجليات البعث**

تتأسس بنية النص على جدل خفي تعكس معاناة ذات بعدين:

- **الأول** ـ خيبة الواقع اليومي في حِطته، وتدنيه، ومحاولة تجاوزه إلى أفق مشرق ومستنير، وابتكار واقع مشرئب.
- **الثاني** ـ صعوبة تحقيق هذا الحلم، وهكذا يمكننا تصور فاعلية هذا الصراع انطلاقا من الخطاطة الآتية:

**القادم ــ» المنقذ**

**المعارض ــ» الترهيب والترغيب**

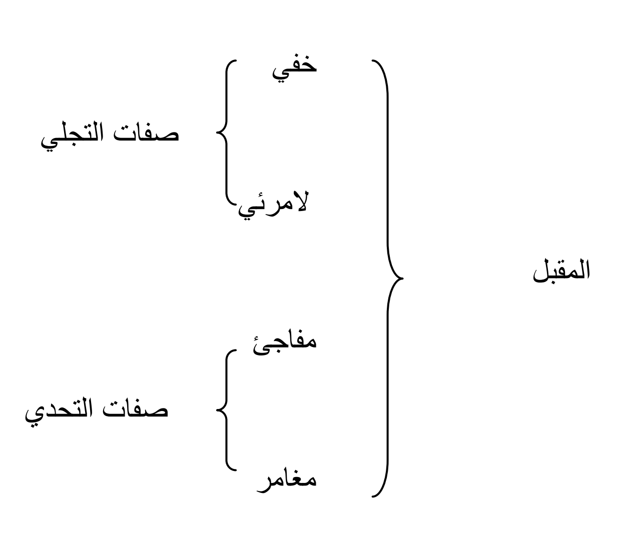
**المساعد ــ» الخروج إلى الضوء**

وحتى لا ينطفئ حلم مازالت ملامحه تتكور في القلب والذاكرة، كان لا بد أن يتحول إلى انبعاث مؤكد، يزيل قتامة الحزن، ويبدد غماماته، وهكذا فقد تقمص " **القادم** " ألوان الفرح، وإشراقات النهار ليجيء بالبشارة:

**في التماع الصباح الجميل**
**حين يفتح أبوابه العالم**

**سوف يفجؤكم ... سوف يقبل...**
**فارتقبوا...**
**قد يفاجئكم من وراء الغمام**
**قد يفاجئكم من هديل الحمام**
**قد تخبئه نجمة..**
**وتجيء به خفية... في غدير الظلام**
**فافتحوا للفتى سر أسراركم، وافتحوا للعريس**
**باب أيامكم، واخرجوا من رماد الرماد**
**اخرجوا للدليل**
**إنه مقبل، مقبل، قاتلا أو قتيل**
**حين يفتح أبوابه العالم.**

صفات القادم " المقبل " :




- خفي، ولامرئي: لأنه مجهول، محمول على غموض العتمة والظلام

- مفاجئ : لأنه مبهم، غير متوقع، لكنه مرتقب.
- مغامر: يضحي بحياته من أجل بقاء الآخرين، ولكي لا يظل العالم مفقودا، فهو مرهون بوجود الكل.

وأيا ما كانت الحال في هاتين الصفتين فإن حقيقة "**القادم**" المرتقب تكتنفها كومة من العوائق، تسعى الواعية الجماعية ـ بقيادة تفكيرها ـ إلى تمديدها، وتعويضها، بالمثل الأعلى الذي تتوخاه المذاهب الإنسانية في إشراقاتها، بقدر ما تعمل وتفكر، وبحسب منظورات القيمة السلوكية التي هي في حال مشروع طموحاتنا الفياضة، وهو ما أشار إليه B.Groethuysen حين ترجم فكرته عن الإنسان على النحو الآتي: " إن شيئا لا يوجد إذن بدون أن يدرك الإنسان قيمته، فالإنسان هو الكائن الذي يحدد القيم، ولديه تعي قيم الأشياء ذاتها، إنه يسأل كل موضوع عن قيمته، ويعقد العزم دوما على تحديدها، إنه يعرف أن يقول عن كل شيء ما قيمته. إن الإنسان هو القيمة التي تقوم هذا العالم"[15] بوصفه محور الذات والوجود على الدوام، من حيث إيمانه المطلق بالخلاص الكوني، وعظمة الإرادة البشرية لديه؛ ولذلك فهو يدفع حياته في سبيل بعث حياة أفضل، وهذا ما حدث مع القادم الذي يستبشر البعث، ويأمل الخلاص، حيث جسد الشاعر عبد الله العشي فيه كل ملامح الانتصار:

**إنه مقبل، مقبل، قاتلا أو قتيل.**

وفي هذا الإقبال تكمن الإرادة الفذة في المقاومة، وتتجلى الرغبة الجامحة في التطلع، كما في قول أدونيس:

**بين الصدى والندى يختبئ**
**تحت صقيع الحروف يختبئ**
**في لهفة التائهين يختبئ**[16]

**الدروب الضائعة وهدير الموت**

إذا كانت صورة الواقع ـ فيما مر بنا ـ قد اتخذت في أبعادها الإيحائية شكل الصراع في سيرورته التصاعدية، بغية استشراف الواقع

[15] ينظر، يوسف كومبيز : القيمة والحرية، ترجمة : عادل العوا، دار الفكر ، ص 11.
[16] أدونيس ، أغاني مهيار الدمشقي ( بين الصدى والنداء) ، المجموعة الكاملة، ص 155

المنتظر في تجلياته المستقبلية الطافحة ببشرى الانبعاث، والذي تجسدت ملامحه في " **القادم** " المحمل ببذور الفرح؛ إذا كان الأمر كذلك لدى الشاعر عبد الله العشي ، فإن فرح الشاعر عياش يحياوي يبدو مستحيلا، وهو يعبر " **الجنازة** " من أجل " الخروج إلى الغناء أمام ظمأ الذات " **لصباح من مطر**" ينعش الأنفاس، ومتكئ خرافي يهمس إلى الأسماع بحديث راعِدٍ، يدثر القلب في لحظات القرّ المريرة، ومن ثم يبدو " **الحاضر** " كسيحا ومزمنا، و" الآتي " مستندا ـ في إعياء ـ إلى "**عكاز القدر**"، وفي القلب غربة تأوي إليها الذات، إرغاما، تلملم أشتاتها المبعثرة، فيما تنشر موتها على الطرقات، بحيث يأتي قول الشاعر في قصيدته " **عبور الجنازة** " حادا، يتوعد بنشر موته على الطرقات، ويطرق الأبواب والأشجار ليزعزع هدأة الكرى في العيون، معلنا بذلك " **عبور الجنازة**" جنازة الموت في حد ذاته، وتفجير الصمت المطبق في الشجر، والمخيم، وعلى الشوارع والأبواب ، ومن ثمّ كان احتفاء الذات بالجنازة هو أيضا احتفاء بحدس الرؤيا:

**سأنشر موتي على الطرقات، وأعلن أن الجنازة عابرة**
**فقفوا !!... سوف أطرق أبواب كل الشوارع، كل الشجر**
**أصيح بأن المسجىّ إلى قبره لم يكن شيئا، كان يطلب توضيحه**
**ويغني لنافذة مسخته غريبا وألقت بعكازه للقدر...**
**سأذبح ديكا وأنشره في الطريق، وأجعل من غربتي حانة ودفوفا**
**وراقصة من ذرى حزنها تتدلى ومن أضلعي تنهمر..**[17]

والذات هنا ترفض التصالح مع الواقع، وتفضل إدانته بالموت. وانتعاشها بطقوس الرقص والبخور، دلالة على رغبتها في خلق عالمها وطقوسها الخاصة، سعيا إلى تدمير الواقع المحيط بها في عبثيته ومجانيته، بوصفه واقعا مهترئا، ومترهلا، ينبغي إعادة بنائه.

لقد تآلف الشعراء المعاصرون مع ظاهرة الموت في رؤيا الحزن و**نَفْي الاهْتِمَامِ**، نتيجة عدم التكيف مع الواقع المليء بالقذى والأذى، حيث الراهن مغتّمٌ بالبلاء والابتلاء، وصدع الشمل وفك التضام، وبث الخلخلة، وتشتت النخب، وتكريس التهجين الثقافي وتمييعه، وكثرة الاهتمام بالاحتفاليات من دون معنى، وفقدان الأمل، وانعدام التوازن؛ لذلك لم يجد الشاعر مفرا من تبني ظاهرة "صورة الموت" التي كانت تعبيرا في العمق عن الذات المهدّمة، وانفصالها عن واقع ناب بذويه، وتنكر لهم، وطمست فيه

---

[17] الملحق الثقافي لجريدة العلم المغربية، ع 888، السنة17، في 1988/8/27 .

الأماني والأحلام. ومن هنا يتبين أثر تفاعل الشاعر المعاصر مع هذه الظاهرة، يجسد من خلالها ملامح معاناة الذات في مكابدة الظلم الذي ينكأ له ـ على الدوام ـ جراحا متورمة. وقد يكون من بين هؤلاء الشعراء الذين أغرقوا دواوينهم بهذه السمة هو عبد الوهاب البياتي، السابح في أمواج مغنصات الحياة التي اقتضاها الضيم، مما ولد لديه الشعور بالاغتراب، وهي سمة طبعت مجمل شعره، بخاصة ديوانه " **الموت في الحياة** " كما في قوله[18]:

**فراشةٌ تطير في حدائق الليل إذا ما استيقظتْ باريسْ**
**يتبعها "أوليس"**
**عبر الممرات إلى "ممفيس"**
**تعود للتابوت**
**لظلمة البحر، لبطن الحوت**
**تتركني على الرصيف صامتا أموت**
**تحت رذاذ مطر الخريف**
**وحبّها المفترس المخيف**
**في ليل باريس بلا دليل**
**اتبع موتي في زحام الشارع الطويل**
**ها هي ترقص في كأس من المدام**
**عاريةً تحت سماء الليل والأنغام**
**تغازل الظلال**
**تقول لي تعال !**
**وتختفي في الظلمة**
**شاحبةً كنجمة**
**تفرّ من باريس**
**تاركة وراءها "أوليس"**
**يبكي على قارعة الطريق**
**يموت في حانات ليل العالم الطويل**
**ـ أنا أمير الدنمارك "هملت" اليتيم**
**أعود من مملكة الموت إلي الخمَّارة**
**مهرجاً حزينْ**
**يقاتل الأقزام والأصفار**
**في مدن الضوضاء والتجارة**

---

[18] قصيدة الموت في الحب ، من ديوان الموت في الحياة ، المجموعة الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995، مج 2، ص 137.

يصور الشاعر معاناة الغربة في اتحاده مع البطل الميتولوجي "عوليس" الذي كابد بدوره قدر العذاب، على الرغم من وجه الاختلاف في نهاية كل منهما، فبينما يجني "عوليس" ثمار عذابه بالانتصار، يرى البياتي تصور وجوده مدعاة للفرح، والتطلع إلى السمو في صورة متفائلة من خلال هذا النداء:

**أيتها العذراء**
**هزِّي بجذع النخلة الفرعاء**
**تسَّقط الأشياء**
**تنفجر الشموس والأقمار**
**يكتسح الطوفان هذا العار**
**نولد في مدريد**
**تحت سماء عالم جديد**
**قالت أراك في غدٍ وانطفأ القنديل**[19]

إنه نداء المغيث بالعودة إلى ما انطوت عليه حضارتنا الماجدة، عصر الأندلس الذهبي (**نولد في مدريد**) و( **تحت سماء عالم جديد** ) دونما قيود ولا أغلال، سماء تعيد بناء واقعنا، وتُعنى بما يسكننا بمأثرة الفرح، ومسرة الأنس، ودرَّة مكنونة تطبع نسيج حياتنا بما يكتنه عالم سرِّنا، رغبة في نيل جواب يعكس ذواتنا، وشغفنا بالفرح، انطلاقا من الحقيقة المجدية بالعيش الكريم. غير أن ذلك لن يكون في نظر الشاعر إلا بتلاشي طوايا الإبعاد والنسيان، و( **اكتساح طوفان العار**) باحتضان هزة جارفة تهز جذع النخلة حتى (**تنفجر الشموس والأقمار**).

الغربة، إذاً، هي العالم الطافح بالحركة والتدفق، كما توحي بالفرح الآخر الذي يغمر القلب بالرقص والنشوة في اتجاه رفض فكرة الانفصال عن الذات، وهنا تتخذ الغربة دلالات السكر، هروبا من سوداوية واقع مدلهم، **قَنُوط** ومقروح القلب، تعميقا لرمزية الرقص في أبعادها الأسطورية، على اعتبار أنه استجابة روحية.

لقد تحول حدس الرؤيا إلى عدم، ومن ثمّ بادرت الذات إلى ممارسة عدميتها وموتها بالمجان؛ لأن موتا لا يعبر نوافذ المقبل، وشرفاته، هو موت مجاني، مشوه، ولكن الموت في العمق هو المقصود؛ لأنه يؤدي إلى تفجير السكونية، ونسف الثابت، ومن ثمّ سعت الذات إلى البحث عن البديل الرمزي؛

---

[19] المصدر نفسه، 138.

للنفي الخارجي في معاناتها المتكررة؛ لكي تعوضه بغربة يبينها الشاعر في داخله، ويشيدها من أضلعه، هكذا لم يكن بوسعه أمام وهم الرؤيا إلا تحدي الموت، ومغالبة الأسى، عن طريق خلق عالم من الرؤى المتجددة، يعيد من خلالها بناءه في أجواء من الرقص والجنون، ويمكن نفسه بمعطيات بغرض معرفة الرؤية الذاتية بصورة أدق، وذلك عن طريق ممارسة قوى الإبداع في تخومه الخارقة، وعبر مستويات المعاناة التي من شأنها أن تحدد الهوية الحقيقية لذاته، كما عبر عن ذلك نيتشه Nietzsche, Friedrich الذي يؤمن بـ " **أن اليقين الحقيقي هو طريق المرء إلى الجنون**" في طاقة إبداعه الهائلة، أو كما عبر عنها البياتي على سبيل المثال في "قصيدتان إلى ولدي علي":

**قمري الحزين**
**البحر مات وغيَّبت أمواجُه السوداء قلع السندباد**

**...**
**أ كذا نموت بهذه الأرض الخراب ؟**
**ويجفّ قنديلُ الطفولةِ في الترابْ ؟**
**أهكذا شمس النهار**
**تخبو وليس بموقد الفقراءِ نارْ ؟**

**...**
**فَلِمَنْ تُغَنِّي ؟ والمقاهي أوصدتْ أبوابَهَا**
**وَلِمَنْ تُصَلِّي ؟ أيها القلبُ الصَّدِيع**
**والليلُ ماتْ**
**والمركبات**
**عادتْ بلا خيلٍ يُغَطِّيهَا الصَّقِيع**
**وسائقوها ميتون**
**أهكذا تمضي السنون ؟**
**ويمزّق القلبَ العذابْ ؟**
**ونحنُ مِنْ مَنْفَى إلى مَنْفَى ومن بابٍ لبابْ**
**نَذْوِي كَمَا تَذْوِي الزَّنَابِقُ في التُّرَابْ**
**فُقَرَاء، يا قَمَرِي، نَمُوت**
**وقطارُنا أبداً يَفُوت.**[20]

وقد وصف حاتم الصكر ذلك بإحدى نبوءات الشاعر، فقد غدا قبره في منفاه ـ احتكاما إلى ذاكرة الشعر ـ خارج المكان والزمان كمصائر الشخوص في قصائده، بالرغم من شكواه من المنافي التي:

[20] المجموعة الكاملة، ج2، ص 21 وما بعدها.

**دفنت أشباح موتانا**
**وضعنا في الأضابير**
**وفي رسائل البريد**
**.. وفي منافي مدن الجليد**

وإذ سكن الموت والمنفى شعور البياتي وقصائده ووعيه، فآخى بينهما، فإنه شكّل منهما صورته التي تركها مرسومة في ألبوم الحياة وحفرها في ذاكرة الشعر"[21].

وهكذا، أصبحت الحاجة إلى السؤال ـ بوصفه رغبة في التغيير الدائم ـ أكثر من الحاجة إلى الركون، والرغبة في الغموض أضخم من الرغبة في المكاشفة، وبالتالي ظل إلحاح الشاعر ـ الجزائري ـ على السؤال قائما، يفجر كوامن حقيقة الوجود حتى يزوده في رحلة يشكل فيها تضاريس بلاده، ويعود تحت ترابها كي تولد ياقوتة العمر:

**قد صنعت بلادي ، وهيأت قافلتي للسؤال...**

لكن هذه الولادة لكي تبقى ممتلئة بالمشِع، وطافحة بالممتلئ ينبغي أن تقدم لها القرابين، ويظل فعل المضارع الاستشرافي يؤدي دورا استطلاعيا في حركيته المتصاعدة، على حد ما جاء من الشاعر يحياوي في قصيدته " الخروج إلى الغناء":

**سافقأ هذي السماء صعودا كسهم أثيم**
**وأنشر روحي لبرية الله**
**ينقرني نجمها وأبابيلها**
**أتوسد جمجمتي وأغني**[22]

في هذه التركيبة الدرامية تقدم الذات قربانا في سبيل تحقيق ولادة غير مشوهة، فالخروج إلى الغناء دلالة على وجود كبت في الداخل، وضيق في النفس، ولم يكن بوسع الذات، أمام الانطفاء، إلا أن تشتعل، ولم يكن لديها ـ مقابل الصمت والسكون ـ إلا أن تنقذف في السماء وتنشر روحها في " برية الله" هروبا من جحيم لافح. ومن ثمّ جاء الخروج إلى حدائق الفرح والغناء، رغبة في الخلاص الذي قد لا تجده إلا في " ظفائر الصبايا "، أو راقصة

---

[21] ينظر، موقع حاتم الصكر، http://www.hatemalsagr.net/
[22] الخروج إلى الغناء ، جريدة مهرجان المربد التاسع، ع 42 نوفمبر 1988.

تنهمر في ضلوعه، وتتدفق من فيض جنونه، بوصفها تجربة لبراءة الأشياء، وعمقها، لتظل لحظة الرقص هي لحظة الولادة المشتهاة:

**ألا يا صبايا المدينة هل في خزائنكن بخور يجسمني لحظة الرقص**
**ثم أشبهه قمري وأضيع[23]**

إنها لحظة الفرح المستحيل التي يحاول الشاعر خلقها في زمن تحاصره الظلمات عبر دائرته الضيقة المتناهية، حيث لا دفء يجمعنا، ومع ذلك يتشبث بها؛ لأنها برهة الخلق والابتكار، وأنه الفرح السماوي، إنها لحظة الانخطاف والرعشة التي تزوده بالنبض والحرارة، والقدرة على إفناء الموت، وتوليد رؤى البعث التي تعلو بنا فوق أسوارنا المسيّجة بالدجى، إلى عالم الحلم المشرئب:

**تزودت من طهركم بالبخور وبالرقص، والشمعدان**
**وفي رعشة الخصر طال انخطافي...**
**يتوجني حلمي ...**
**وعيونكم تتسلى بظلي**
**وتمنحني فرصة الانصراف[24]**

فالرقص في قاموس الذات هو سمة ذات دلالات، لعل أعمقها ما هو مؤشر على إعادة خلق واقع ترغب في وصله واستحضاره باستمرار، ليس تعويضا عن الحرمان، ولكن بوصفه هذا الغياب الذي نُحسه في ذواتنا. ومن ثمّ كان احتفاء الشاعر بالرقص والبخور، والبحث عن إقامة الأمان، بعيدا عن واقع مشتت، يحرمه لحظة الخروج إلى الغناء، وصباحات من مطر.

إن كل ما أجهش به " **قيوم بن حبارة قبل أن يموت** " لم يكن مجرد ثرثرات أو تخاريف ، أو هذيان درويش، بل إن هي إلا هواجس ذات متوجعة، من دون جدوى، ولا غرو أن نجد روح الشاعر مفعمة بالحنين إلى الماضي من خلال استلهامها التراث " **تمائم جدي، البخور، الناقة، الجمال، خيل أبي، الأثافي، عماد الخيام**.." دلالة على أن الذات الأصيلة لا تريد أبدا أن تقلع من

[23] عبور الجنازة
[24] الخروج إلى الغناء

جذورها؛ لأن الجذور هي الشيء الوحيد الذي بقي راسيا في القرار:

**أعوي بما في دمي من خزامي**
**أعلق شعري وأهذي بكل خراب اليتامى**
**لماذا تريدونني أن أبيع الأثافي**
**وخيل أبي وعماد الخيام**
**سأكتب، ناقتنا كيف تصبح دبّابة في المنافي**
**وهذي التي في يدي من تمائم جدي"**[25]

لقد تحول الواقع إلى رمز أفق مشتالة الوجدان في كثير من قصائد الشاعر" عياش يحياوي" ونحن نتلمس أرضه اليباب، ونقترب من تخومها كأنما هي قدر يلاحقه وهو يلهث نحو سماء بعيدة، حيث لا سأم ولا قنوط، وبالتالي يكون " **قيوم بن حبارة**"، مجنون قريته، بمثابة تجسيد فعلي لذات تمارس كل أنواع الحيرة والريبة والإرباك، وما شابه ذلك من الآثام التي تدفع بالتصور إلى معرفة الوجود الفني بمعين الأسرار بما يبعث على الاطمئنان في مرحلة البحث عن الكينونة:

**إذا كان لي أن أكون**
**سأسقي عشائي بإثم دمي**
**وأغني بثوب الفضائح، وأدعو الذين على جثتي يرقصون**
**ليلتهموا أذني وأصيح كما يبتغون**
**لقد فسد السوق وانحاز " قيوم بن حبارة "**
**لامرأة علقت ثديها لهواة الحضارة**

هكذا يسعى العالم إلى حتفه، ولا شيء يمنع زحف هذا المجون في حضارة تمضي إلى هاوية سحيقة، وتسعى إلى اللاجدوى في زمن يخلو حتى من براءة الدراويش، حيث يبحث "قيوم بن حبارة" عن تفاصيل لحياته في نهدي امرأة استهلكت أنوثتها فانحدرت إلى التشيؤ.

---

[25] ما أجهش به قيوم بن حبارة قبل أن يموت، الشراع "الشهري" ، بيروت ع، 8 السنة الأولى، سبتمبر 1992.

وليس مصادفة ـ إذاً ـ أن تتشابه أبجديات الواقع عند الشعراء بحيث نتلمس تطلعات ممزوجة بفرح انبعاث الواقع المنتظر، ومحاولة تجاوز هشاشته إلى بنياته الأكثر عمقا، على الرغم من كثرة الانشطار، وقوة الشرخ، إلا أن هناك ـ دائما ـ احتفاءً بنبوة البعث الكامنة في هاجس الموت، الموت الذي يقضي على كل الزوائد، ويهدم كل ما هو مترهل ومتهرئ، وينفخ في روح الحياة من جديد، ولذلك ألفينا معظم الشعراء يحملون في نبضاتهم نبوءات الآتي، ورؤيا البعث.

لقد تجلى الواقع المتكلس، والمتحجر، للشاعر "عمار مرياش" مطية للدجالين والسحرة، حيث كل شيء نكرة، و" **الأنا** " مجرد نعت لمنعوت مجهول، ألقى به قدر الآلهة إلى بلاد النعوت:

**إنها فرقتنا المقادير**
**ألقت بكم في النعيم**
**وألقت بي الآلهة**
**في بلاد النعوت**[26]

والأغرب من ذلك أن المنطق المقلوب هو السائد في واقع الشاعر الخارجي، وكل ما هو عكس العادي متحقق في هذا الواقع، المَوْحِل، والمشعوذ، وكل شيء يعبر إلى الموت حتى شدو العصافير تحوله الممارسات المجانية إلى عدم، فتنتهي إلى احتضار:

**رأيت الرجال تزغرد ملء حناجرها**
**والنساء سكوت**
**ورأيت مقابر أجمل من حينا**
**وشواهد أكبر من باب حجرتنا**
**وعصافير تشدو بأجمل أصواتها ..لتموت**

وعلى الفن ـ إذاً ـ أن يقدم أقصى معانيه الإنسانية المتمثلة ـ كما في هذه المقطوعة ـ في " شدو العصافير، استمرارا لدبيب الحياة، ودعما لروح النغم، على اعتبار أن العصافير يمثل الأثر الجمالي الوحيد النابض في هذا الواقع؛ ومع ذلك فإن موتها، هنا، لا يعني الاندثار، بل يعني أن الدخول في عالم الغناء " **الشدو** " هو انسحاب من عالم الواقع.

[26] مجلة القصيدة ، تصدر عن الجاحظية ، الجزائر ، ع 2

ويزداد الإنسان إحساسا عميقا بحاضره، ووعيا حادا به، وكأنه الوجه الوحيد الذي تتوارى خلفه كل الحقائق، ومن ثمّ يأتي تفاعله معه كحقيقة واقعية يعايشها يوميا، في حين تتولد لديه إحساسات مغايرة تنبع من كنهه، يرى من خلالها واقعه الراهن، الآني، ويدرك على الفور أن وجوده الحقيقي لا يتحقق إلا في ظل واقع محتمل، وآت لم يولد بعد.

وبديهي أن يكون الشاعر أكثر الناس إدراكا لهذه الحقيقة، ولذلك نراه دائم البحث عن صيغ جديدة، يتجلى من خلالها واقع الإنسان في أسمى إشراقاته " ومن الطبيعي أن تثمر تفاعلات الحركة الاجتماعية والفنية أكثر الصياغات الجمالية قدرة على امتصاص الواقع الجنيني للمجتمع الجديد، وأكثرها قدرة على الاستجابة للواقع الوليد بعدئذ"[27] على نحو ما عبر عنه أدونيس في قوله :

**حطام الفراغ على جبهتي**
**يمد المدى ويُهيل الترابا**
**ويغلغل في خطواتي ظلاما**
**ويمتدّ في ناظري سرابا**
**هنا، عبر دربي، يموت ربيع ويصفرّ ريف**
**هنا، في عروقي صدى للجفاف ودمدمة وصريف**
**هنا، في دمي يولد الخريف**
**وفي حاضري، يتمرْأى**
**وتبعد عني، تبعد شمس المصير، وتنأى**
**ويخطو الخريف وينمو هوىً ويحنّ**
**ويكبر: في خطوه حالمون،**
**وفي صدره ساحرون وجنٌّ.**
**حطام الفراغ يغيّب نجمي، يجمّد أرضي**
**ويترك بعضي كهوفا لبعضي،**
**ويجعلنا كالفراغ**
**حطام الفراغ**
**......**
**فراغٌ زمان بلادي فراغ**
**وتلك المقاهي**
**وتلك الملاهي**
**فراغٌ**

[27] غالي شكري: صراع الأجيال في الأدب المعاصر، دار المعارف، ص 126.

**وهذا الذي ذُلّ في أرضه وأنكرها واستكانا**
**ولوث أنهارنا وربانا،**
**فراغُ**
**وذاك الذي ملّ من شعبه**
**ومن حبّه**
**وغمّس باليأس أعماقَه**
**وأحداقه،**
**فراغُ**
**وذاك الذي لا يرى غيرَه**
**ولا يجد الخير خيراً، إذا لم يكن خيرَه،**
**فراغٌ فراغُ.**
**فراغٌ يعشِّش فيه الدمار**
**ويسكنه الفاتحون التتارُ**
**هنا حَرم يُوطأ**
**هنا شرف يصدأ**
**هنا عالم يُهدُّ**
**ويوقف عن سيره ويُردّ**[28]

إنـه الفراغ البليـغ فـي مرارتـه، فـراغ يمثـل "زَفـرة الأثـر" فـي جمـل مشـاعر اليـأس، مليئـة بحـرارة الآهـة، تـدل علـى الضـجر، مـن خـلال وصـف عمق محنة الضـمير العربـي بلحـن شـجي طالمـا أن الوضـع ميئـوس، وبعـد أن طواه "الفراغ" ولفّه بعناية محكمـة حتـى "عشـش فيـه الظـلام"، وبعـد أن ذُلـت ناصيته، ولازم اليأس ناظره المتسلط على دواخله المرتهنة بالعتمة، والمظللـة بالضلال، حتى أصبح كل ما في هذا الضمير "صدى للجفاف" ، وهو وصـف لا يليق إلا بمجتمع خامل، أو كما يراد له، أن يبدأ بالشكوى منذ صـرخة ثمـرة الحبلى، إلى أن تأتي ـ هذه الثمرة ـ غشية الموت " كالباحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ"، وما بين هذه الحالة وتلك مركبات "قطار" الفراغ بطموحات عقيمة.

قصـيدة "الفـراغ" إقـرار بـيّن، طَلْـقُ الرؤيـا، وبيـان صـريح، مخـضُ الحدس، بعد أن انكشف أمره، وتبين صـرحه بخيبـة الأمـل، وتكـريس جيـل لـم يعد يحصد إلا الفشل، ولا يسمع منه حتـى رجـع الصـدى؛ بيـان أعلنـه أدونـيس في 1954 حفظناه بنجابتنا، اعترافا بالفضل(!..) من دون مثـابرة فـي بـذل أي جهد للمبادرة، في انتظار:

---

[28] ديوان ، أوراق في الريح قصيدة "الفراغ" ، دار الآداب 1988 ، ص 23 وما بعدها.

**صغار بلادي شموعٌ مضيئة**
**صغار بلادي يغنوننا**
**أغانيهم البريئة**
**يقولون: "في أرضنا ثورة**
**تفجر في أولِ**
**حياة الغدِ المقبلِ**
**وفتح أجفاننا**
**على الزمن الأجمل"**[29]

من هذا المنظور يحاول الشاعر أحمد حمدي استلهام صدامية الواقع الذي يعيشه في حزن وجداني عميق :

**من أين يجيء الضوء**
**وأسوار القلعة**
**حبل من مسد**
**وسواد يعبر في مدد**
**وفراغ ينخر في كبدي**[30]

سوداوية معتمة تحول دون تسرب النور على الأمكنة المظلمة، وفراغ يفتح فوهاته في الأعماق، سمات تعكس حلكة الواقع، وضياعه، وفقدان قيمة الإنسان فيه. ولعل هذه الصدامية المزمنة هي التي تكشف عن عري المسافة بين الشاعر وواقعه، ذلك أن الفنان إذ يكتشف صفاءه، يكتشف عَكر العالم، وتصادم صلابة صفائه بصلابة العالم ... وهذا الاصطدام يولد الشرارة المضيئة للعالم ... وأن الفن ينبع دائما من هذا الصدام، من الرغبة في أن لا يفقد الإنسان صفاءه... ويصبح هذا الهم الذاتي جذرا لهموم الناس جميعا[31]، ففي نية الشاعر ـ مهما تضاءلت قيمة إبداعاته، وبدت دون المستوى ـ أن يغير العالم، ويضيف إليه أبعادا جديدة، ويعمل على تقليص المسافة بين "**الأنا**" و "**النحن**"، وبين "**الذات**" و"**المكان**" ، وحيث يجيء الشاعر إلى الحياة محمولا على غصن أمل، ومحملا برؤى طفولية بريئة، آتيا من دنيا الفرح الكوني يحمل للناس نبوءات الخلاص، ويلقي في أسماعهم إيقاعات من

---

[29] المصدر نفسه، ص 31.
[30] من قصيدة " وطن يتألم في رأسه" الشروق الثقافي ، ع 26 / 1994
[31] ينظر، إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ص 200.

شدو الحياة، ضمن هذا المنظور تأتي كلمات الشاعر أحمد حمدي لتجسد لنا صورة معكوسة لواقعه المدلهم:

**لا ضوء يوجد**
**في العتمة**
**لا راحة في أقليم الذعر**
**لا مطر في عز الصيف**

كل شيء جاف، ومسكون بالظلمة، لا اطمئنان ولا دفء، ولا حياة، ولا وجود إلا الخوف، حيث تيه الروح، وانسداد الرؤيا.

**قائمة بأسماء والمراجع:**

**أولا- المراجع**

1. إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، 1978.
2. أدونيس: أغاني مهيار الدمشقي، الأعمال الشعرية، دار المدى، 1996.
3. أدونيس: فضاء لغبار الطلع، كتاب " دبي الثقافية"، سبتمبر 2010.
4. أدونيس: كلام البدايات، دار الآداب، 1989.
5. أدونيس: أوراق في الريح قصيدة "الفراغ" ، دار الآداب 1988.
6. عبد الوهاب البياتي: قصيدة الموت في الحب، من ديوان الموت في الحياة، المجموعة الكاملة، مج 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995.
7. غالي شكري: صراع الأجيال في الأدب المعاصر، دار المعارف، ص 126.
8. فؤاد أبو منصور: النقد البنيوي الحديث، دار الجيل،1985 .
9. كريستوفر كود ويل: الوهم والواقع، ترجمة: توفيق الأسدي، دار الفارابي، بيروت،1982.
10. يوسف اليوسف: الشعر العربي المعاصر، دمشق،1980.
11. يوسف كومبيز: القيمة والحرية، ترجمة : عادل العوا، دار الفكر ، 1975.

**ثانيا - الدوريات**

أحمد حمدي: من قصيدة " وطن يتألم في رأسه" الشروق الثقافي، ع 26 / 1994

عبد الله العشي: سيرة الفتى، مجلة كتابات معاصرة، لبنان، ع 18، 1993 .

عمار مرياش: قصيدة الأنا، مجلة القصيدة، تصدر عن الجاحظية، الجزائر، ع 2

عياش يحياوي: الخروج إلى الغناء، دورية مهرجان المربد التاسع، ع 42 نوفمبر 1988.

عياش يحياوي: عبور الجنازة، الملحق الثقافي لجريدة العلم المغربية، ع 888، السنة17، في 1988/8/27 .

عياش يحياوي: ما أجهش به قيوم بن حبارة قبل أن يموت، الشراع "الشهري" ، بيروت ع، 8 السنة الأولى، سبتمبر 1992.

**ثالثا - المواقع الإلكترونية**

موقع حاتم الصكر، http://www.hatemalsagr.net/

# المديح في مساجلات الأزهار الأندلسية

الدكتورة آمنة بن منصور

## ملخص المقال باللغة العربية

يعد المدح من أقدم الأغراض الشعرية التي عرفها العرب ، و لا يكاد يخلو ديوان شعر لشاعر عربي قديم من هذا الغرض ، و لم يرتبط المدح بالملوك فحسب ، و هو اتجاه شعراء التكسب ، بل تجاوزه إلى مدح الأنبياء و العلماء و الصالحين ... و إذا كان المدح هو تعداد الصفات و المزايا الحسنة التي يتمتع بها الممدوح فإنه بهذا يكون قد احتوى مجموعة من الأغراض الأخرى كالرثاء و الغزل و الفخر ...

و قد ارتبط المدح في المشرق بالشعر أكثر شيء و مع ذلك لم يخل فن الترسل منه ، على أننا لاحظنا اتجاها آخر طرقه الأندلسيون ، فجمعوا بين المدح و السجال و التكلم باسم الأزهار ، بطريقة فنية رائعة .

Summary in English

The praise is one of the oldest poetic purposes defined by the Arabs, and was not associated with only complimenting kings, and is the direction of poets earn a living, but went to the praise of the prophets and scholars and righteous ... If praise is enumerate the good qualities that characterize acclaimed it thus may include a range of other purposes
And has been associated with complimenting hair in the Islamic Orient more thing and has not, however, without the art of prose from him, and may have noticed another trend taken by the Andalusians, They collected between praise and debate and to speak on behalf of the flowers, a great artistic way.

لا يمكن الجزم بأن الأندلسيين حظـوا بالسبق في هذا الباب ، " فالحقيقة أن الفضل في ابتكار المفاخرة بين صنوف الأزهـار يعود إلى ابن الرومي الذي عالج الأمر في شعـره ، معالجة انتصر من خلالها للنرجس مقدما إياه على الورد و بقية الزهور مما حدا بثلة من شعـراء الأندلس إلى معارضته "[1] ، ومـــن هؤلاء : الرندي الذي فضل " الورد على كل زهر مشترطا دوامه و نضارته ..[يقول]:

(2)

الوردُ سُلطانُ كلّ زهْر *** لوْ أنّه دائِم الورد

بيد أن الجديد الذي أتى به الأندلسيون هو طرقهم هذا الباب عن طريـق الترسـل ، فما أكثـر الرسائل و القطع النثريـــة التي تحدث فيها الأندلسـي باسم الزهـور ، و ليس غريبا فتعلق أهل الأندلس بطبيعتـهم غني عــن كل بيان [*] ، و قد اكتسـت مناظرات الأزهـار طابعا خاصا ، فالصراع القائم بيــن النرجس و البهار و الورد و الخيري .. لم يكن مجرد صـراع بريء هدفه

إثبات الجدارة ، و لكـن لحاجـة في نفـوس أصـحابها ،لاسيما و قـد عاصـر هـؤلاء الفتـرة الأكـثـر تأثـيرا في التاريـخ الأنـدلسي، و هي فتـرة ملـوك الطوائف، فصراع الأزهار هو الوجه الآخر لصراع الملوك آنذاك .و تجدر الإشارة إلى أن لأبي مروان الجزيري (ت 394هـ) السبـق في هذا الباب ،غير أنه لم يفضل نوعــا واحدا ، كما لم يجمع الأزهـار في جلسة واحدة ، بل نجـده في كل مـرة يتـغنـى بنوع ، مقصـده الأول و الأخـيـر التقـرب إلى **المنصور بن أبي عامر** ، ففي النرجس قال :

حيّتكَ يا قمرَ العُلا و المجلِـــــس ** أزكى تحيتها عيون النّرجــس
زهْر تُريك بحُسنها و بلونـــِــها ** زُهْر النّجوم الجاريات الكـُنس
ملك الهمام العامري محمـــد ** للمكرمات و للنهى و الأنفـــــس[3]

ثم يفضل البهار في موضع آخر فيقول :

حِدَقُ الحِسَان تقرُّ لي و تغارُ ** و تضِلّ في صفتي النّهى و تحَار
طلعت على قضبي عيون كمائمي**مثل العيون تحفها الأشفار[4]

و يفضـل البنفسج تارة ثالثة – و كأنه لم يفضل قبله البهار و النرجس – فيقول :" إذا تدافعت الخصوم – أيد الله مولانا المنصور – في مذاهبـها و تنافرت في مفاخرها فإليه مفـزعها .. و قــد ذهب البهـار و النرجس في وصف محاسنهما و الفخر بمشابههما كل مذهب ، و ما منها إلا ذو فضلـة غير أن فضلي عليهما أوضح من الشمس التي تعلونا و أعذب من الغمام الذي يسقينا "[5] ، و يورد البنفسج مجموعة من الحجج التي تجعله يفـوق البهار و النرجس بجدارة ؛ فهو أعطر منهما و أكثر طلبا ، ذابلا و يانعـا ، تدخره الملوك والأطباء و يصرف في علاج الأعضاء[6] ، و يـصرح الجزيري بهدفــه الحقيقي وراء هذه المناضلة و هو مدح المنصور بن أبي عامر ، كما لا يستبعد أن يكون المقصـود بالبنفسج هو المنصور نفسه ، فهو المذكور غائبا و حاضرا يقول :

شهدتْ لنوّار البنفسَج ألسُنٍ** من لونه الأحْوى و من إيناعِــه
و لربما جمَع النجيع من الطّلى ** من صارم المنصور يوم قراعِه
ملك جهلنا قبله سُبل العلـــى ** حتى وضحْن بنهجه و شراعـــــه
تلقى الزّمان له مُطيعا سَامعا ** و ترى الملوك الشُّمّ من أتباعِـــــه[7]

**تفضيل ابن برد الأصغر للورد :**

خاطـب ابن برد **ابن جهور** برسالة جاءت في شكل قالب قصصي ؛ ففي أحد الأيام اجتمعت الأنوار و الرياحين و عقدت جلسة لمبايعة صاحب الفضل عليها ، فسنة الله في خلقه أن جعل التباين والاختلاف سمــة الخليقة،و هكذا أراد ابن برد أن يقدم لرسالتـه حتى يهيئ الأنفس لتقبل حكمه ، على أنه تكلم بلسان لم يذكر صاحبه ، و لكننا نحسبــه الراوي إذا نظرنا إليها بمنظور قصصي ،إذ يقول :" قـد عطفت علينا الأعين و ثنت إلينا الأنفس و زهت بمحضرنا المجالس ، حتى سفرنا بين الأحبة ووصلـنا أسباب القلوب .. على أننا نسينا الفكر في أمـرنا و التمهيد لعواقبنا .. و ادعينا الفضل بأسره و الكمـال بأجمعه و لم نعلم أن فينا من لـــه المزية علينا
و من هو أولى بالرئاسة منـا و هو الورد "[8] ، فالراوي سلم بالرئاسـة و التفوق للورد حتى قبل أن تبـدأ الجلسة و يدلي كل واحد بدلوه ، و الظاهر أن الراوي هو الـورد نفسه إلا أنه لم يصرح بذلك حتى لا يقال اغتصب الرئاسة عنوة ، و لكن الكاتب أراد أن يوكّـل عنه متكلـما يتحدث عــن أفضاله و خصاله ، فهو " الأكرم حسبا و الأشرف زمنا ، إن فقد عينه لم يفقد

أثره..و هو أحمر و الحمرة لون الدم و الدم صديق الروح ، و هو كالياقـوت المنضد في أطباق الزبرجد"[9]

و تبدأ الأزهار في تأكيد ما ذهب إليه المتكلم الأول ، بل نجدها تحقر نفسها و تجد غاية المنى أن تشنف عيـونها برؤية الـورد ، يقول النرجس: " لقد كنت أسر من التعبد له و الشغف به ، و الأسف على تعاقب الموت دون لقائه ما انحل جسمي و مكن سقمي .. ثم قام البنفسج فقال .. أنا والله المتعبد له و الداعي إليه المشغـوف به و كفى ما بوجهي من نـــدوب و لكن في التأسي بك أنس "[10]، فالنرجس و البنفسـج أصابهما الوهن و السقم لبعدهما عن صاحب السمو ، و يضيف البهار قائلا :" لا تنظروا إلى غضارة منبتـي و نضارة ورقتي و انظروا إلي و قد صـرت حدقة باهتة تشير إليه ، و عينا شاخصة تندى بكاء .. ثم قام الخيري فقال : و الذي أعطاه الفضل دوني .. ما اجترأت قط إجلالا له ، و استحياء منه على أن أتنفس نهارا .. فلذلك جعلت الليل سترا"[11]،فالأزهار جميعا اتفقت على الخضوع و الخنوع و التسليم المطلق بأفضلية الـورد و أهليته للرئاسة ، بل و نجدها قـررت أن توثق كلامـها بعقد – و لعـلها عادة عند ابن برد – يعلـم به القاصي و الداني " ينص على مبايعة فيها معنى الخضوع المطلق الذي يبلغ حد الرق و العبوديـة ، و هي أخيـرا تتبرأ من كل من يشذ عن هذا العقـد..بمنافسة الورد في إمارته " [12]

و يبدو من هذه الرسالة أن ابن برد أراد بمبايعــة الأزهار للورد أن يصل إلى هدفه الأساس؛و هو أن **ابن جهـــور** لا ينافس و ملوك الطوائف جميعا لا تبزه ، و " إذا كان لا يرمز لصاحبه فلعلـه أن يكون قد رمز بذلك إلى ما يتمناه لنفسه من تسليم الكتاب له بالتقدم عليهم جميعا "[13] .

**رد أبي الوليد إسماعيل الملقب بحبيب(ت 440هـ) على ابن برد :**

ذهب ابن برد – كما مر - إلى تفضيل الورد على سائر الأزهار ،و لأبي الوليد رأي آخر مخالف ؛ ففـي رسالته التي خـاطب بها **المعتضد** أظهر تبرما من رسالة ابن برد ، و رد عليها على لسـان نواوير الربيع التي هي جيرة الورد في الوطن ، فلما قرأت ذلك العقد أنكرته ، و بنت على هدم مبانيه و نقض معانيه [14]، فهو ليس قرآنا يتلى إلى يوم الدين و إنما هو حكم أصدرته مجموعة من الأزهار لم يزكها أحد لتتكلم باسم الجماعـة ،و من ثمّ فالحلف باطل ؛ و تضيف النواوير قائلة: " لو استحق الورد إمامة و استوجب خلافة

لبادرتها آبـاؤنا و لعقدها أوائلنا .. و لا ندري لأي شيء أوجبت تقديمه ، و رأت تأهيله ؟ " [15]، فالكاتب ينكر على لسان أزهاره تفضيل الورد و يرى أن البهار أحق منه ، و يكفي أنـه " لم يزل عند علماء الشعراء و حكماء البلغاء مشبها بـالعيـون التي لا يحول نظرها و لا يحور حورها ، و أفضل تشبيه الورد بنضــرة الخدّ عند
من تشيع فيــه ، و أشرف الحواس العين .. و ليس الخدّ حاسة فكيف تبلغه رياسة ؟ " [16] .

و يتمثل بقول ابن الرومي :

أين الخدودُ من العيون نفاسةً *** و رئاسةً لولا القياسُ الفاسد[17](**)

و مضى أبو الوليد يتكلم على لسان نواويره التي تراجعت جميعها عن عقدها الأول الذي نص على تنصيب الورد رئيسا ، مبدية أسفها و اعتـذارها للبهار ،سائلة إياه العفو ، مقدمة له فروض الطاعة والولاء .و قياسا على ما سبق لا يستبعد أن يكـون المقصود بالبهـار هو **المعتضـد**

و بالورد **ابن جهور** ، و بين هـذا و ذاك مد و جزر ، و كلٌّ يرى حاكمه أولى من الآخر ، و تلك عادة توارثها الشعراء منذ النابغة الذبياني(***)، أما الأستاذ إحسان عباس فيرى أن حبيبا فضل البهار مناقضة لابن برد لإظهار براعته الأدبية لا غير[18]. و أيّا كان هدف الكاتبين تبقى المناظرة مفتوحة أمام كل التأويلات ..

**تفضيل البهار لأبي عمر بن الباجي :**

يبدو أن تفضيل الورد على سائـر الأزهار لم يرق أحـدا ،فبعد أن اعترض أبو الوليد ، المذكــور آنفا ، على لســان نواويره و فضل البهار ، جاء الاعتراض من شخص آخـر هو أبو عمر بن الباجي الذي سـار على خطى سابقه " غير أن رسالة أبي الوليد جاءت في قالـب قصصي بينما اكتـست رسالة أبي عمر طابع السرد المباشـر،فقـد جعل البهار يدبج رقعة إلى **ابن هود المقتدر بالله**[ت 474هـ]" [19] قال فيها " أطال الله بقاء المقتـدر بالله مـولاي و سيدي و معلي حالي و مقيم أودي..و لا أشمت بي عـدوا من الرياض يناصبني و حاسـدا من النواوير يراقبني ، و قـد علم الورد موقع إمارتي و غني بلطيف إيمائي عن عباراتي "[20]،فالكاتـب يصرح برغبته

في أن يقربه **المقتدر بالله** منه ، و يعلي مكانتـه فهو " سابـق النور .. و ناظر الفضل و عينه ، و نضار الروض و لجينه و قائد الظرف و فارسه و عاقد مجلس الأنس و حارسه "[21] ، ثم ما يلبث البهـار أن يستكين و يبدي بعض سوءاتـه متذللا للمقتدر،مبديا ضعفه شاكيا هوانه إلا أن يدركه بكرمه فيقول :" و لـو صلح الكمد لأحد لكنت أنـا أحق من لزمه و أثبت عليه قدمه لأني سريع الذبول وشيك الأفول لا يصحبني الظهور إلا قليلا[****]و لا أمنـح من متـاع السرور إلا تعليلا غير أني مغتنم لساعـاتي ، آخذ من الأنس بقدر استطاعتي و قديما أكرمني مولاي فلا يهني،ووصلني فلا يصرمني ، و منحني فلا يحرمني "[22] ، فابن الباجي و إن سـار على خطى سابقيه ففضل البهار على سائر الأزهار إلا أن تفضيله ذاك كان مقتضبا ، فهمّـه الأول التقرب إلى **المقتـدر**، بيد أنه ، و بخلاف ابن برد و أبي الوليد لم يلمح إلى إمكانية تأويل البهار بالملك كما تأولناه سابقا ، و لكن جعلـه مطية لتحقيق مراده ، و تفريغ ما في جعبتـه ، و لا يستبعد أن يكون قـد ترفع عن تشبيه **المقتدر** بالزهر لأنه سريع الذبول قليل الظهور ، يريد بذلك تمرير رسالة مفادها أن **ابن هود** أسمى من ذلك ، و هو يبـز الملوك جميعا لأنـهم لا محالة إلى زوال .

**تفضيل أبي الفضل بن حسداي للنرجس :**

يبدو أن **المقتدر بن هود** كان الأوفر حظا بين ملوك الطوائـف ،على الأقل من حيث تنافس الأزهار لنيل رضاه و التمتع بقـربه ، فبعد أن كلمه البهـار ها هو النرجس يعلن الولاء و الطاعة ، و يرجـو القرب و الحظوة فيقول :

"أنا– وصل الله بهجة سلطانك و نضرة أوطانك– إذا لحظتني بعين الاعتبار قائد النوار و وافد الأزهار و أنا لها جالب و هي طاردة ،ومبشر بورودها و هي مؤيسة متباعدة .. فضلت الورد سيد الأزهار طرّا و تورده شاهد خجله.[*****]فلي عليه فضل العيون على الخدود[******]، و شرف السيد على المسود "[23]

فالنرجس " في هذه الرسالة شأنه شأن الأزهار الأخرى يعنيه بوجه خاص أن يسمو على الورد و أن يفوقه حسنا..ثم لا بد أن ننبه أيضا إلى أن النرجس يعترف للورد بأنه سيد الأزهار طرّا فهو لا يقدم عليه إلا نفسه كما هو واضح "[24][*******]

و لأمر ما أحس النرجس بالحزن و الأسى فمال من غير ألم و ذبل مــن غير سقم ،حتى جاءه رسول من المقتدر بعث فيه الأمل و أعاد إليه الحياة ،و عن ذلك يقول :" .. حتى أتيح لي ظريف من خواصك يقصدني ، و نبيل من عبيدك يعتمدني فأوجست حذرا و تشوفا حتى آنسني بالكـــلام تألفا ،و قطفني بغير إيلام تلطفا "[25]، و لما انتقل النرجس إلى مكانه الجديد و حظي بالتكريم و التقدير تمنى لو ترى الأزهار النعيم الذي يرفل فيه ، و هي التي طالما تمنت هذا المقام و ذاك القــرب ، و هو لهذا يخشى حسد الحاسدين و يرجو الملك أن يكفهم عنه قائـلا : " فأزل عني حسدهم بكبتهم فقد شجاهم تقدمي قبل وقتهم ، و أكمل مسرتي و تمم أنسي " [26].
" و ليس يخفى على أحد ما لهذه الرقعة من قيمة رمـزية فإن النرجس ليس إلا أبا الفضل بن حسـداي نفسه " [27]، فقد تعودنا مما سبق أن يتكـلم الكتاب بلسان الأزهار لتحقيق مآربهم ، تصريحا و تلميحا .

**مساجلات شعرية في الانتصار للنواوير و الأزهار :**

من المساجلات الشعرية التي وقعت انتصارا لزهر معين،المفاضلة بين الخيري و البنفسج للوزير أبي الأصبغ و أبي بكر بن القوطية صاحب الشرطة .قال أبو الأصبغ في الخيري :

ما للبنفسج يدعي التفضيلا *** متحاملا و بعد ذاك جميــــــلا
الفضل للخيري إلا أنهم *** جهلوا و لما يحسنوا التأويـــــــــــلا
قهر البنفسج منظرا و يفوقه *** في الشم بالمسك الذكي دليلا
و الخير في الخيري في اسمه *** هو فاضل فاستأهل التفضيلا
يا أيها القاضي الذي من عدله *** أضحى الزمان بغرة محجـــولا
من كان إسماعيل والده الرضى *** فكفاه فخرا أن يكون سليـــلا[28]

مزج الشاعر إذن بين الثناء على الخيري و تفضيله على البنفسج بمدح **القاضي و أجداده** ، و كذلك فعل ابن القوطية في رده عليه ، فأثنى على البنفسج و امتدح **الحاجب** فقال :
نبل البنفسج فاحتوى التفضيلا *** و كذا البنفسج لن يوال نبيلا

لما شأى نور الربيع بطيبه *** و حوى من الشرف الصريح أثيـــلا
فضل النوار فحاز دون جميعه *** قصب السباق و لم يكن مفضولا

متشبها في سبقه بالحاجب الـ *** أعلى عماد الدين إسماعيلا
كم طاولوه في الفخار ففاتهم *** عرضا إلى المجد التليد و طولا
كتشبه الخيري بالمزري به *** ليحوز من تلك الخصال فتيـــــلا
و النفع غضا إن تشأ أو يابسا *** هو للبنفسج كله محصـــــــولا[29]

جعل ابن القوطية الممدوح و البنفسج شيئا واحدا في مدحه ، غير أن المعاني التي اتكأ عليها في تفضيل البنفسج أقوى من تلك التي اعتمد عليها أبو الأصبغ في تفضيل الخيري ، و منها الرفعة و العلو و الطيب و النفع ..و من المساجلات الشعرية التي تجاوزت ضفاف الأندلس ، تلك التي رد فيها أبو عثمان سعيد بن فرج الجياني على ابن الرومي في تفضيله البهار على الورد، يقول :

عني إليك فما القياس الفاسد *** إلا الذي أدى العيان الشاهد[30]

ردا على قول ابن الرومي :

أين العيون من الخدود نفاسة ***و رياسة لولا القياس الفاسد[31]

ثم قال :
أزعمت أن الورد من تفضيله *** خجل و ناحله الفضيلة عاند
إن كان يستحي لفضل جماله *** فحياؤه فيه جمال زائـــد[32]
و هذان البيتان في الرد على قول ابن الرومي :
خجلت خدود الورد من تفضيله *** خجلا توردها عليه شاهد[33]

ثم يواصل فيقول :
و لمن يكون الفضل في حكم العلا الموعود عنه أو النديم الواعد[34]

و هو رد على قول ابن الرومي :
شتان بين اثنين هذا مُوعد *** بتسلب الدنيا ، و هذا واعد[35]

ثم يقول بنوع من التهكم :
يفنى خيار الخلق في الدنيا *** و ما شيء سوى إبليس فيها خالد[36]

و في هذا رد على قول ابن الرومي الذي امتدح النرجس لبقائه مدة أطول من بقاء الورد :

و إذا احتفظت به فأمتع صاحبا *** بحياته ، لو أن حيا خالد[37]

و هكذا مضى الجياني يرد على ابن الرومي ،الذي انتصر للنرجس على حساب الورد ، مبينا له خطأه حينا و سوء تقديره حينا آخر[********] .

هكذا مدح الأندلسي ممدوحه على لسان الأزهار ، فقام ينشئ الرسائل و المساجلات بينها مفضلا في كل مرة نوعا على آخر وفق ما يراه صحيحا و مناسبا ، و هو الأمر الذي لم نجده مثلا عند المشارقة ، فهم إن مدحوا مدحوا بالشعر في الغالب ،و أسبغوا على ممدوحهم صفات المجد و السناء ، لكن أن يمدح الممدوح تلميحا و على لسان الأزهار فهو مما سبق به الأندلسي و أجاد

.

وأما الأمر المسلم به ، فهو أن هؤلاء الكتاب المترسلين انتهجوا هذه الطريقة لتوصيل رسائل معينة ذات صلة بالحياة السياسية و الاجتماعية في عصرهم ،و قطعا لا تخلو من أطماع حتى

و إن كان الغرض إظهار البراعة اللغوية ، فنحن نعلم أنه كان " من أعظم مباهاة ملوك الطوائــف أن فلانا العالم عند فلان الملك ، و فلان الشاعر مختص بفلان الملك "[38] الأمر الذي أوجد جوا من المنافسة الشديدة بين الأدباء و الشعراء .

**الهوامش :**

4- الحوار الأدبي بين المشرق و الأندلس : أيمن محمد ميدان : 183
2- المكان في الشعر الأندلسي : محمد عويد الطربولي : 60
*- تعلق الأندلسيون بطبيعتهم و بيئتهم و فضلوها على شتات الأرض جميعا بعد أن كان خيالهم متعلقا بالمشرق
- ينظر : القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي اليانعة : عبد الله أنيس : 304
3- نفح الطيب : المقري : 2 : 70
4- المصدر السابق : 2 : 71
5- نفسه : 2 : 71
6- نفسه : 2 : 71- 72
7- المصدر السابق : 2: 72
8- الذخيرة : 2: 76
9- المصدر السابق، 2: 76
10- نفسه : 2 : 77
11- نفسه : 2 : 77
12- النثر الأدبي الأندلسي : علي بن محمد : 1 : 445
13- تاريخ الأدب في الأندلس عصر الطوائف و المرابطين : إحسان عباس : 234
14- ينظر : البديع في وصف الربيع : أبو الوليد الحميري : 59
15- المصدر السابق : 59-60
16- نفسه : 60
17- ديوان ابن الرومي :1 : 413
**- إن البيت المذكور لابن الرومي هو في تفضيل النرجس على الورد ، و الكاتب يتحدث عن البهار ، غير أن أكثر من واحد قال إن:" النرجس هو البهار عند الأندلسيين و يسمى العبهر " – ينظر : نفح الطيب : 4 :261 ، و المطرب : 115
و يبدو أن هذه التسمية خاصة بمناطق دون أخرى في الأندلس ؛ فنحن وجدنا خلاف هذا عند ابن برد و الجزيري.
4- ينظر : البديع في وصف الربيع : 61 و ما بعدها .
***- يقول النابغة في مدح النعمان بن المنذر : فإنك شمس و الملوك كواكب ** إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
- الديوان : 22
18- ينظر : تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين : 234
19- النثر الأدبي الأندلسي : 1 : 446
20- الذخيرة : 2 : 120
21- نفسه : 2 : 120
****- " قيل : النرجس لا يبقى إلا شهرا و لو يبس لم ينتفع به " – ينظر : محاضرات الأدباء : 4 : 576
22- الذخيرة : 2 : 120
*****- لعله أخذ المعنى من قول ابن الرومي في تفضيل النرجس على الورد :

خجلت خدود الورد من تفضيله ** خجلا توردها عليه شاهد – الديوان : 1 : 413
*******- سبق إلى هذا الوصف أبو الوليد المذكور آنفا ، و صاحب المعنى الأول ابن الرومي كما أشرنا سابقا .
23- الذخيرة : 3 : 297
24- النثر الأدبي الأندلسي : 1 : 447
*******- فضل ابن سعيد الورد و جعل النرجس خادما له في قوله :
أما ترى الورد غدا قاعدا ** و قام في خدمته النرجس – ينظر : المكان في الأندلس : 60 ، و كذلك فعل الصنوبري – ينظر : محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء : الراغب الأصبهاني : 4 : 576
25- الذخيرة : 3 : 297
26- نفسه : 3 : 298
27- النثر الأدبي الأندلسي : 1 : 448
28- البديع في وصف الربيع : أبو الوليد الإشبيلي : 80
29- المصدر السابق : 81
30- نفسه : 70
31- ديوان ابن الرومي : 1 : 413
32- البديع في وصف الربيع : 70
33- ديوان ابن الرومي : 1 : 412
34- البديع في وصف الربيع : 71
35- ديوان ابن الرومي :1 : 413
36- البديع في وصف الربيع : 71
37- ديوان ابن الرومي : 1 : 413
********-رد على ابن الرومي أكثر من واحد و منهم أبو بكر بن القوطية في قصيد مُستول على غاية الكمال مستوف نهاية الجمال ، و منها قوله : كسفت خدود النرجس المصفر من *** حسد و قد يدوي العدو الحاسد – ينظر : البديع : 73
38- تاريخ آداب العربية : مصطفى صادق الرافعي : 3 : 280

**المصادر و المراجع :**


- **البديع في وصف الربيع :** أبو الوليد إسماعيل الحميري ، تح : هنري بريس،مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، مصر ، 2002

- **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين** : إحسان عـــــباس دار الشروق ،ط1 ، الأردن ، 2001

- **تاريخ آداب العربية** :مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتـاب العربي ،ط2 بيروت ، دت

- **الحوار الأدبي بين المشرق و الأندلس– المتنبي و المعري نموذجيـن :** أيمن محمد ميدان ، دار الوفاء ،ط1 ، الإسكندريـــــة ، 2004

- **ديوان ابن الرومي** : شرح : أحمد حسن بسج – دار الكتب العلميـــــة ، ط1 ، لبنان ، 1994

- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** : ابن بسام الشنتريني – تح : سالـــم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، لبنان ، 1998

- **المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكـــم العربي** : محمد عويد الطربولي ،ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، 2005

- **القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي اليانعة** : عبد الله أنيس الطباع دار ابن زيدون ، ط1 ، لبنان ، 1986

- **النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس** : علي بن محمد ، دار الغـــــرب الإسلامي ، ط1 / 1990

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** : أحمد بن محمد المقري - شـرح و ضبط : مريم قاسم الطويل ، يوسف علي الطويل - دار الكتب العلمية ،ط1 ، لبنان ، 1995

- **محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء** : الراغب الأصبهاني ، دار مكتبة الحياة ، لبنان . دط ، دت

- **المطرب من أشعار أهل المغرب** : أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي ، شرح :صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط1 ، لبنان ، 2008

# الأسواق والخانات التجارية و ملامح نسائها في مدن ألف ليلة و ليلة

## دراسة في متن حكايات ألف ليلة وليلة

**د.محمد عبد الرحمن يونس** قاص وروائي وباحث وأستاذ جامعي
أستاذ في : جامعة ابن رشد في هولندا \ جامعة جين جي الوطنية ـ تايوان ـ الصين

**ملخص البحث**
تحاول هذه الدراسة أن تدرس بنية فضاء الأسواق التجارية في ألف ليلة وليلة، ومكوّنات هذه البنية، ودورها في تشكيل حكايات ألف ليلة وليلة، باعتبار فضاء الأسواق يشكل مركزا رئيسا ومهما،من فضاءات ألف ليلة وليلة المتعددة. كما تحاول أن تعرّج على مجمل العلاقات الإنسانية والاجتماعية والسلوكية التي تتحكم في فضاء الأسواق، وتدير شؤونها، باعتبار هذه الأسواق جامعة لشرائح اجتماعية متعددة تجتمع فيها لتشتري وتبيع، وتبادل السلع، وتتحاور في ما بينها. كما تحاول أن تدرس دور المرأة في هذه الأسواق وحركتها وعلاقاتها ، وبالتالي دورها في بناء الحكاية وتشعّبها ونموها، وارتباطها بحكايات أخرى، لتتوالد مزيد من الأحداث والوحدات السردية الحكائية.
وتركز هذه الدراسة على ثلاثة فضاءات مهمة ، وهي: 1 ـ الأسواق التجارية 2 ـ أسواق الجواري ـ 3 ـ الخانات.
وتبرز إلى أي مدى كانت طبقة التجار طبقة فاعلة في المجتمع العربي والإسلامي وفي مدنه، وبخاصة في بغداد ودمشق والبصرة، كون هذه المدن هي الأكثر حضورا في حكايات ألف ليلة وليلة، كما تحاول إن تشير إلى مدى ارتباط السياسي بالتجاري في هذه المدن، من حيث المصالح المشتركة، ودور التجاري في تثمين أموال السياسي، ودور السياسي في تكريس قوة التجاري وسلطته الاقتصادية، وقدرته على التلاعب بحركة السوق وضبطها، وفرض سطوته عليها.
كما تحاول هذه الدراسة أن تدرس فاعليه المرأة في هذه الأسواق، وعلاقتها بالسياسي والتجاري في الآن نفسه، وأهميتها في كونها تشكل فضاء للذّة والمتعة الدائمة ، أو الآنية والاستهلاكية السريعة، بالنسبة للسياسي والتجاري معا، وبالنسبة للشريحة الاجتماعية المهمّشة أيضا، والموجودة في هذه الأسواق.
وتنحو هذه الدراسة منحى تاريخيا واجتماعيا ونقديا في تحليلها لنصوص الحكايات، منطلقة من نصوص ألف ليلة وليلة، وارتباطات هذه النصوص

بالواقع والتاريخ من جهة، والسياسة والاجتماع من جهة أخرى، وبالخلفيات المعرفية التاريخية التي سادت في الحياة العربية والإسلامية، وبخاصة في العهدين الأموي والعباسي.

**مادة البحث**

تُعدّ الأسواق من أهمّ الفضاءات المكانيّة في مدن ألف ليلة وليلة، و يذكرها رواة الليالي في غير حكاية، و يصفون ما يدور فيها من علاقات تجاريّة وإنسانيّة. وتبدو فضاءً مثيراً وجذّاباً و أليفاً بالنسبة لأبطال الليالي، باختلاف طبقاتهم الاجتماعيّة، فهي تشكّل فضاءً شاسعاً مفتوحاً على الآخر الاجتماعي بحسّه الإنسانيّ و عاداته و أعرافه و قيمه وسلوكه، إذا ما قارنّاها بفضاءات المقاصير والقصور المحكومة بضوابط سلطويّة صارمة، و المُحاطة بالسريّة و الكتمان، فالأسواق في مدن ألف ليلة و ليلة فضاءات جامعة لشرائح اجتماعيّة متباينة في عاداتها و سلوكها ورؤيتها لما يجري في مدنها، وهي فضاءات أمميّة ـ إن صحّ التعبير ـ إذ يلتقي فيها الغرباء القادمون من مدن الليالي البعيدة، و يتعارفون فيما بينهم من جهة، و يتعرّفون بسكان المدينة التي قدموا إليها، ويعايشونهم من جهة أخرى.

ونظراً لانفتاح المدينة العربيّة الإسلاميّة في ألف ليلة وليلة على غيرها من المدن العربيّة الأخرى وغير العربيّة، و الإسلاميّة و غير الإسلاميّة، انفتاحاً معرفيّاً وثقافيّاً واقتصاديّاً، فقد غصّت هذه المدن بالجنسيّات المختلفة، وشهدت أسواقها حركة تجاريّة ناشطة، ومارت بالحيويّة والحركة، وعبّر الناس من خلالها عن آمالهم و أفراحهم و أحزانهم، و ما يختبئ في سرائرهم، ففرحوا و حزنوا، وتعاركوا، وعربدوا، واصطادوا النساء، وتحايلوا عليهنّ، وحصلوا عليهنّ إمّا بالزواج الشرعيّ، وإمّا بالشراء، باعتبار أنّ الكثير منهنّ كان يُباع علناً في هذه الأسواق بفعل نشاط تجارة الرقيق وازدهارها.

وتتعدّد الأسواق في ألف ليلة و ليلة، وتلتقي جميعها في البيع و الشراء و السمسرة والمزايدات العلنيّة، واصطياد النساء، و يمكن أن نحدّدها بـ:

1- الأسواق التجارية.
2- أسواق الجواري.
3- فضاء الخانات في مدن ألف ليلة وليلة

## 1 ـ الأسواق التجاريّة

نظراً لأنّ حكايات ألف ليلة و ليلة هي حكايات المدينة العربيّة الإسلاميّة، وغيرها من المدن الواقعيّة والمتخيّلة، ونظراً لأنّها تُشكّل صورة عن حياة الناس وطموحهم، في حلّهم وترحالهم، فقد احتاجت إلى فضاءات مكانيّة تتسع من خلالها مادتها الحكائيّة، فلا وجود للحكي إلاّ من خلال المكان الذي ينمو من خلاله هذا الحكي. وكانت الأسواق التجاريّة والأزقّة والدكاكين في ألف ليلة و ليلة فضاءات مهمّة يرتحل السرد منها وإليها، و تتشكّل البنية الحكائيّة العامّة من خلالها.

و تتعدّد الأسواق و تنتشر في مدن الليالي لتحوي جميع ما يحتاجه سكانها من بضائع وسلع، حيث يسهل شراؤها نظراً لتوافرها الكثير في هذه الأسواق.

و يبدو أنّ انفتاح أسواق الدولة الإسلاميّة في عهديها الأمويّ و العبّاسيّ على أسواق ولاياتها من جهة، وعلى أسواق الدول التي جاورتها من جهة أخرى، أسهم في تسهيل انتقال المواد التجاريّة من هذه الدولة وإليها في آن، من دون أن تخضع هذه المواد لعملية جمركيّة أو ضريبيّة كما تقتضيه التعاملات التجاريّة المعقّدة في مدننا العربيّة المعاصرة. ففي حكاية « **علاء الدين أبي الشامات** »، يسافر علاء الدين أبو الشامات إلى بغداد قادماً من مصر مصطحباً حمولة ستين بغلاً من الأقمشة و عشرة آلاف دينار[1]. و في حكاية « **النصراني لملك الصين** » الداخلة ضمن حكاية « **الأحدب و ملك الصين** » يسافر أحد الأبطال البغداديين من بغداد إلى الديار المصريّة، و يأخذ معه مالاً كثيراً، و متجراً من قماش بغدادي و موصلّي، و بضائع نفيسة أخرى، و ينزل بها في « **خان مسرور** » بحيّ « **بين القصرين** » من دون أن يجد أيّة صعوبات في إدخال بضاعته[2].

و تتنوّع الأسواق في حكايات ألف ليلة وليلة، فهناك سوق الجلاّدين حيث تُصنع الجلود وتُدْبَغ في حكاية « **مزيّن بغداد** »[3]، و سوق العطّارين في القاهرة[4]. و في بغداد يغصّ سوق العطّارين بماء الورد و ماء الزهر و

(1) – مؤلف مجهول: ألف ليلة و ليلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، **356/2**.

(2) – م ن، **130/1**.

(3) – م ن، **165/1**.

(4) – م ن، **348/2**.

حَصَى اللبّان و العنبر و المسك و الشمع الإسكندرانيّ[5]. وهناك سوق الدوابّ (المواشي) في القاهرة[6]، و سوق العلاّفين (بائعي أعلاف المواشي) في مدينة البصرة[7]، وسوق الخضار والفواكه في مدينة بغداد حيث يمتلئ هذا السوق بـ: التّفّاح الشاميّ و السفرجل العثمانيّ و الخوخ العمانيّ و الياسمين الحلبيّ والليمون المصريّ و التمر وشقائق النعمان و البنفسج[8]، و سوق الحلويّات في بغداد حيث المشبّك و القطائف[9]، و سوق الصاغة و الجواهرجيّة في بغداد[10]، و غيّرها من الأسواق.

و ليست المدن الواقعيّة المعروفة تاريخيّاً هي وحدها التي تمتلئ بالأسواق التجاريّة، بل نجد أنّ الرواة شكّلوا أسواقاً تجاريّة عامرة بالبضائع، و أقاموها في المدن المتخيّلة البعيدة التي ليس لها حقيقة جغرافيّة معروفة، و نجد نموذجاً من هذه الأسواق في مدينة النحاس في حكاية « **عبد الملك بن مروان و القماقم السليمانيّة** »، ويصف الراوي أحد أسواق هذه المدينة قائلاً[11]:

« **فنظروا أسواقاً عظيمة عالية الأبنية، لا يخرج بعضها عن بعض و الدكاكين مفتّحة والموازن معلّقة والنحاس مصفوفاً والخانات ملآنة (...) و سيوفاً مجرّدة و قسيّاً موترة و تروساً معلّقة (...) و مضوا إلى سوق الخزّ وإذا فيه من الحرير والديباج، ما هو منسوج بالذهب الأحمر والفضّة البيضاء على اختلاف الألوان (...) و مضوا إلى سوق الجواهر و اللؤلؤ و الياقوت (...) و مضوا إلى سوق الصيارفة (...) و دكاكينهم مملوءة من الذهب و الفضّة (...) ومضوا إلى سوق العطّارين فإذا دكاكينهم مملوءة بأنواع العطريّات و نوافح المسك و العنبر و العود و الكافور وغير ذلك** ».

---

(5) – م ن، **47/1**.

(6) – ألف ليلة وليلة، **355/2**.

(7) – م ن، **15/3**.

(8) – م ن، **46/1**.

(9) – م ن، **47/1**.

(10) – م ن، **238/1**.

(11) – م ن، **44/4**.

إنّ هذه الأسواق المتخيّلة تمثّل جزءاً مهمّاً من أسواق المن الواقعيّة التي عرفها رواة الليالي، و شاهدوا ما هو معروض فيها من سلع تجاريّة، فقد شاهدوها في أسواق دمشق وبغداد والبصرة و القاهرة، وتخيّلوا ما في أسواق المدن المتخيّلة تأسيساً على ما هو معروض في أسواق مدنهم التي خبروها و عاشوا فيها.

إنّ السوق في حكايات ألف ليلة وليلة فضاء للمتعة البصريّة، وهو مبدّد لحالات الأرق و القلق فإذا أحسّ الأبطال بأنّ صدورهم ضجّت بأحزانهم و مواجعهم، فإنّهم سرعان ما يخرجون من فضاء منازلهم و قصورهم إلى فضائه ليتحرّروا من أعباء الحياة. ويبدو أنّ مشاهدة الناس، والاندفاع داخل صخب الأسواق و حركتها، والاستمتاع بمنظر جمال نسائها وجواريها و هي تجوب الأسواق، من شأنه أن يُسهم في إزالة التوتر النفسيّ و الشعور بالوحدة و الضجر. و من هنا نجد أنّ رواة الليالي يحثّون أبطالهم على الخروج من فضاءات منازلهم إلى فضاءات أسواق مدنهم. ففي حكاية « **علي الزيبق و دليلة المحتالة** » أحسّ علي الزيبق بالضجر نتيجة مكوثه في قاعته ببغداد، « فانقبض قلبه وضاق صدره، فقال لنفسه قُم شُقّ في بغداد ينشرح صدرك، فخرج و سار من زقاق إلى زقاق فرأى في وسط السوق دكّاناً فدخل وتغدّى فيه وطلع يغسل يديه »[12]. و ما إن يعود من أسواق بغداد و أزقّتها إلى قاعته، حتى يكون صدره قد انشرح، وامتلأ غبطة بعد لقائه بالمرأة الجميلة زينب بنت دليلة المحتالة التي تؤكّد له أنّها عشقته، و أنّها ستكون للغندور الذي مثله عندما سألها: « ما أحسن شكلك لمن أنت؟ »[13].

و نجد أنّ الراوي في غير حكاية يدفع بطله الخليفة هرون الرشيد للخروج من دائرة قلقه وضجره و فضاءات قصوره إلى أسواق بغداد وأزقّتها كي يُبدّد قلقه[14]. ويذكر أحد رواة ألف ليلة و ليلة أنّ أسواق القاهرة هي الأخرى كانت ملاذاً وطمأنينة للذين يخرجون إليها، ويدفع بطله للخروج من دائرة همّه إلى هذه الأسواق قائلاً[15]: « إن ضاق صدرك فشقّ شقّة في مصر، فإنّه يزول عنك الهمّ إذا مشيت في أسواقها ».

و يبدو أنّ أسواق القاهرة - تاريخيّاً - كانت تُشكّل فسحة مريحة لمرتاديها، فقد كانت عامرة بالحيويّة و الحركة. و عندما زارها الرحّالة

---

(12) – ألف ليلة وليلة، **148/4**.

(13) – م ن، **148/4**.

(14) – م ن، **89/1**، **163**.

(15) – م ن، **139/4**.

المغربيّ ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي، 704 - 779هـ /1304 - 1377م) ذكر أنّ بهـــا

**« من السقّائين على الجمال اثني عشر ألف سقّاء، و أنّ بها ثلاثين ألف مَكّارٍ وأنّ بنيلها من المراكب ستّة وثلاثين ألفاً للسلطان، و الرعيّة تمرّ صاعدة إلى الصعيد و منحدرة إلى الإسكندريّة ودمياط بأنواع الخيرات و المرافق، وعلى ضفّة النيل ممّا يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة، و هو مكان النزهة و التفرّج، وبه البساتين الكثيرة الحسنة.**

**وأهل مصر ذوو طربٍ و سرور و لهو، شاهدت بها مرّة فرجة بسبب بُرْء الملك الناصر من كسر أصاب يده فزّيّنَ كلّ أهل سوق سوقهم وعلّقوا بحوانيتهم الحُلَلَ و الحُليّ و ثياب الحرير و بقوا على ذلك أياماً »[16].**

و من أسواق القاهرة يذكر أحد الرواة سوق وردان الذي يبيع اللحوم[17]. و سوق قيصريّة جرجس الذي يبيع الأقمشة[18].

و لم تكن أسواق القاهرة في ألف ليلة وليلة فضاءات للمتعة البصريّة فحسب، بل كانت فضاءات لمتع حسيّة أخرى، ومنها متعة تعاطي الحشيش. ففي أسواق القاهرة يستطيع الأبطال أن يتعاطوا الحشيش و الأفيون بحريّة، ومن دون رقابة تُذكر، و من دون أن يتعرّضوا لأيّة عقوبات. يقول أحد الرواة[19]: « و كان في السوق [سوق القاهرة] نقيب الدلاّلين وكان رجلاً حشّاشاً يتعاطى الأفيون و يستعمل الحشيش الأخضر ». وفي هذا السوق كان مُباحاً لدكاكين العطّارين أن تبيع الحشيش، و يُسمّي الراوي أصحاب هذه الدكاكين ببائعي الحشيش، إذ يذكر أنّ نقيب الدلاّلين « توجّه إلى بيّاع الحشيش »[20]، ليشتري منه ما يشاء.

ويبدو أنّ تعاطي الحشيش و الأفيون ـ كما يعتقد بعض رواة الليالي ـ له وظيفة مهمّة بالنسبة للأبطال، لأنّه قادر على إثارة الطاقات الجنسيّة و

---

[16] – تحفة النظّار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر/دار بيروت، بيروت، طبعة 1384هـ/1964م، ص37.

[17] - ألف ليلة وليلة، 85/3.

[18] – م ن، 130/1.

[19] – م ن، 348/2.

[20] – م ن، 348/2.

تحريضها[21]. و بشكل عام لعبت التوابل و أنواع البَخُور والعطور في التاريخ دوراً واضحاً في تفجير الإثارة الجنسيّة، مثلها مثل الحشيش فقد كانت تُباع في دكاكين العطّارين مع الحشيش، وقد امتلأت أسواق دمشق وبغداد و القاهرة والإسكندرية وصنعاء بحوانيت العطّارين الذين تأتيهم أنواع التوابل والعطور والأصباغ و الحشائش الطبيّة التي بلغت ستّةً وثلاثين صنفاً[22]، من جنوب شرق آسيا والهند[23]، و

**« تأتي التوابل و البَخُور و العطور على رأس قائمة السلع المطلوبة في العصور الوسطى، بل إنّ شدّة الطلب عليها حرّك أساطيل و أقام حروباً للبحث عن مصادرها التي صِيغَت من حولها الأساطير والحكايات الخرافيّة. وقد بلغ الأمر بأن قيل إنّ التوابل التي بأسواق مصر تأتيها من الفردوس الأرضي، وإنّ الناس تحصل عليها عند ارتفاع مياه النيل إلى سطح الأرض، حيث يمدّ الصيّادون شباكهم بعرض النهر في المساء، فإذا ما أقبل الفجر ضمّوا شباكهم إليهم و ما أكثر ما يجدون فيها من الفلفل و القرفة والزنجبيل وإلى ذلك من صنوف التوابل، وغير ذلك أقوال كثيرة نُسجت عن التوابل وكلّها بعيدة عن الحقيقة »[24].**

إنّ من يقرأ ألف ليلة و ليلة سيُلاحظ أنّ العطّارين أصبحوا خبراء في فنّ الجنس والإثارة، فقد كانوا يُركّبون وصفات طبيّة من التوابل، من شأنها أن تُقوّي قدراتهم الجنسيّة. ففي حكاية « **علاء الدين أبي الشامات** » نجد أنّ التاجر المصريّ شمس الدين ـ شاه بندر التجار ـ يتزوّج بإحدى النساء، و يظلّ معها أربعين عاماً، لكنّه لا ينجب منها أيّ مولود[25]، وعند ذلك يستشير أحد معاونيه، فيقترح عليه أن يذهب إلى العطّار بيّاع الحشيش، و في مخزن العِطَارة يقوم العطّار بإعداد الوصفة الآتية: « أخذ من السكر المكرر الرومي و الفلفل الأبيض و السقنقور الجبلي، ودقّ الجميع و غلاهم في الزيت الطيب (...). و أخذ مقدار قدحٍ من الحبّة السوداء، و نقعه، وعمل جميع ذلك معجوناً

---

[21] **ـ لا يزال هذا الاعتقاد سائداً حتى الآن عند بعض الناس في المدن العربيّة المعاصرة.**

[22] **ـ عثمان، د. شوقي عبد القوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلاميّة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، « سلسلة عالم المعرفة »، العدد151، ذو الحجّة 1410هـ/تموز (يوليو)، 1990م، ص208.**

[23] **م ن، ص207.**

[24] **ـ عثمان، د. شوقي عبد القوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلاميّة، ص214.**

[25] **ـ ألف ليلة وليلة، 347/22.**

بعسل النحل »[26] ويزعم راوي الحكاية أنّ التاجر شمس الدين، تناول هذه الوصفة، و واقع زوجته، فسرعان ما « علقت منه تلك الليلة »[27]، بفعل هذه الوصفة.

لقد أضفت روائح التوابل و الحنّاء و الكحل ومواد الزينة و العطور، والفستق والبندق والقرفة وغيرها، على فضاء دكاكين العطّارين هالة مُشْبعة بالإيحاءات والدلالات الجنسيّة التي من شأنها أن تُحرّض الطاقات الجنسيّة لدى الذكر والأنثى، والتي يمكن اعتبارها من مجمل المثيرات الخارجيّة[28] التحريضيّة للفعل الجنسيّ.

إذا كانت أسواق المدينة الإسلاميّة في ألف ليلة وليلة قد عرفت نوعاً من التجانس في نوعيّة البضائع المعروضة فيها من خلال التقسيمات والتسميات التي سُميّت بها هذه الأسواق: « سوق الجلود، سوق الأقمشة، سوق العلاّفين...الخ »، فإنّها لم تكتفِ بهذا التنظيم في عرض السلع، و حصرها في أماكن محدّدة لها ضمن السوق التجاريّ المركزيّ في المدينة، بل شهدت تنظيمات أخرى في ضبط عمليات البيع والشراء وتنظيم السوق. إذ تثبت نصوص ألف ليلة و ليلة أنّ سلطات مدن الليالي كانت تُعيّن تاجراً من بين التجار ليكون مسؤولاً عن حركة السوق، وتنظيمه، والفصل في المنازعات التي قد تحدث بين تجاره. وكان يُطلق على هذا المسؤول « شاه بندر التجار »[29]. و كان السوق التجاريّ المركزيّ يُقسم إلى أسواق فرعيّة ذات وحدات تنظيميّة، تضمّ كلّ وحدة منها مجموعة من الحرفيين، أو المهنيين ذوي المهنة الواحدة، وكان على رأس هذه المهنة مسؤولاً يقوم على رعاية مصالح أفراد هذه المهنة، ويُنظّم و يضبط علاقاتهم المهنيّة، و تُطلق نصوص الليالي عليه « عرّيف السوق » أو « شيخ السوق »[30]، أو« النقيب »[31] في مواضع أخرى. فهناك « شيخ السقّائين»[32]، وهناك «شيخ الدلاّلين

---

[26] – م ن، 348/2.

[27] – م ن، 349/2.

[28] – أستعير مصطلح المثير الخارجي من: فرويد، سيجمند: ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة د. إسحق رمزي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية 1966م، ص55.

[29] – ألف ليلة و ليلة، 352/2.

[30] – ألف ليلة وليلة، 238/1.

[31] – م ن، 348/2.

[32] – م ن، 141/4.

»[33]، أو « نقيب الدلاّلين »[34] بتسمية أخرى، و هناك عرّيف الوقّادين[35]. و كان على رؤساء هذه المهن أن يمتثلوا جميعاً لسلطة رجل أشدّ ثراءً منهم، وأكثر ارتباطاً بسلطة الدولة، وهو « شاه بندر التجار ». و يبدو أنّه كان لـ « شاه بندر التجار » نائب تاجر يعاونه في إدارة السوق، أو ينوب عنه، ويُسمّى: « نقيب السوق »، كما تشير حكاية **« علاء الدين أبي الشامات »**. و من مظاهر سلطة « شاه بندر التجار » و خضوع التجار لهيبته، أنّهم كانوا جميعاً يتقدّمون إليه صباح كل يوم ليسلّموا عليه، ويقرأوا الفاتحة بين يديه. يقول الراوي[36]: « وكان من عادة شاه بندر التجار أنّه لمّا يأتي من بيته في الصباح و يقعد في دكّانه يتقدّم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة، فيقومون معه و يأتون شاه بندر التجار و يقرأون الفاتحة و يصبّحون عليه ».

و يبدو أنّ من يتبوّأ منصب « شاه بندر التجار »، يجب أن يتمتّع بمزايا عامة منها: أن يكون أثرى التجار، ويملك « مالاً كثيراً لا يُحصى »[37]، و أن يكون « من أحسن التجار و أصدقهم مقالاً »[38]، وأن يكون حسن السيرة و الأخلاق، غير متهتّكٍ في حياته الجنسيّة، وغير موضع شكّ، و بخاصّة في علاقاته مع غلمان سوقه و حيّه. ففي حكاية **« علاء الدين أبي الشامات »**، يشاهد التجار ذات يوم شيخهم « شاه بندر التجار »، و بصحبته غلام جميل « كأنّ وجهه القمر في ليلة أربعة عشر »[39]، فسرعان ما يظنّون به سوءاً، و يعتقدون أنّ العلاقة بينه و بين هذا الغلام الجميل تقوم على مآرب جنسيّة، فيستنكرون ذلك، و يقررون خلعه من مشيخة السوق. يقول أحد التجار[40]: « انظر إلى هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار و قد كنّا نظنّ به الخير، وهو مثل الكراث شائب و قلبه أخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب (...): نحن ما بقينا نرضى به أن يكون شيخاً علينا أبداً ». و يتابع الراوي قائلاً[41]: « فلمّا قعد شاه بندر التجار في دكّانه ذلك اليوم على

---

(33) – م ن، **130/1**.

(34) – م ن، **348/2**.

(35) – م ن، **79/2**.

(36) – م ن، **352/2**.

(37) – م ن، **351/2**.

(38) – م ن، **347/2**.

(39) – م ن، **352/2**.

(40) – ألف ليلة وليلة، **352/2**.

(41) – م ن، **352/2**.

عادته لم تأت إليه التجار حسب عادتهم، فنادى النقيب و قال له: لماذا لم تجتمع التجار على جري عادتهم؟ فقال له: (...) إنّ التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة و لا يقرأون لك فاتحةً. فقال: ما سبب ذلك؟ فقال له: ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك و أنت شيخ و رئيس التجار، فهل هذا الولد مملوك أو يقرب لزوجتك؟ و أظنّ أنّك تعشقه ». لكنّ الراوي المؤدلج إسلاميّاً، و المتعاطف مع بطله التاجر المسلم ـ ولكي يتوالى السرد في ما بعد خادماً البنية العامّة للحكاية ـ يرفض أن يلصق هذه التهمة عليه، ويؤكّد نزاهته و سيرته الحميدة قائلاً[42]: « اسكت قبّح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدي ».

إنّ شاه بندر التجار رجل مسلم يؤدّي واجباته الدينيّة[43]، ويغرس في ابنه تعاليم القرآن، إذ يُعلّمه « الخطّ و القرآن و العلم »[44]، وبالتالي فإنّ الراوي المسلم الذي يطمح في أن يكون في موقع بطله التاجر المسلم، والذي يضع القارئ منذ بداية الحكاية أمام شيخ للتجار، مستقيم أخلاقيّاً، لا يمكن له إلاّ أن يدافع عن هذا البطل، لأنّ منطق السرد الحكائيّ يقتضي أن يظلّ هذا البطل نظيفاً إلى آخر الحكاية، وبخاصّة إذا عرفنا أنّ هذا الراوي يدين الشذوذ الجنسيّ بشدّة في مواضع لاحقة من الحكاية[45].

و تشير حكايات ألف ليلة و ليلة إلى أنّ فضاء السوق كان مُحصّناً ضدّ اللصوص، فقد عمدت سلطات المدينة الإسلاميّة إلى معاقبة من يجترئ على سرقة تجّاره و الناس المتجولين فيه. وكان ولاة هذه المدن متشددين في معاقبة من يسرق، وبخاصّة إذا كان من الفقراء والضعفاء و البؤساء، ففي حكاية « **النصراني لملك الصين** »، يدخل أحد شخوص الحكاية سوق « **باب زويلة** » بحيّ « **بين القصرين** » في القاهرة، و يدسّ يده في جيب أحد المارّة ـ نظراً لحاجته الماسّة إلى المال ـ فسرعان ما يقبض عليه رواد السوق، ويقدّمونه إلى والي المدينة، فيأمر السيّافَ بقطع يده اليمنى[46]. وفي حكاية « **اليهودي لملك الصين** »، يتوجّه أحد شخصيّات الحكاية إلى سوق الجواهر بدمشق ليبيع عقداً مسروقاً، فيشكّ الدلاّل بأن حامل هذا العقد قد سرقه، فيتوجّه إلى كبير السوق، و يُعلمه بذلك. و أمام سياط تعذيب الظلمة ـ على

---

(42) – م ن، **352/2**.

(43) – م ن، **347/2**.

(44) – م ن، **350/2**.

(45) – م ن، **357/2**، **360**.

(46) – م ن، **135/1 – 136**.

حدّ تعبير الراوي ـ يعترف أنّه سرق العقد، فما كان من هؤلاء الظلمة إلاّ أن قطعوا يده جزاء سرقته[47].

و تشير حكاية « **السندباد البحري** » إلى أنّ إحدى مدن ألف ليلة و ليلة كانت « مدينة عظيمة المنظر مليحة البناء، فيها خلق كثيرون »[48] ـ لا يذكر الراوي اسماً لها ـ وكانت تشهد في أسواقها التجاريّة نوعاً من نظام البيع وفق المزايدات العلنيّة التي تشبه إلى حدّ ما المزايدات التي لا تزال تجري في غير مدينة من مدننا العربيّة المعاصرة. يقول السندباد[49]: « ورأيت الدلاّل يُدلّل عليه، [أي زورق السندباد المصنوع من خشب الصندل] فجاء التجار وفتحوا باب سعره وتزايدوا فيه إلى أن بلغ ثمنه ألف دينار. وبعد ذلك توقّف التجار عن الزيادة. فالتفت إليّ الشيخ و قال: اسمع يا ولدي هذا سعر بضاعتك في مثل هذه الأيام فهل تبيعها بهذا السعر أو تصبر ».

إذا كان السوق ذا وظيفة تجاريّة مهمّة في حياة سكّان مدن ألف ليلة و ليلة، فإنّ له وظيفة اجتماعيّة، إذ يلتقي الناس فيه، ويقيمون من خلاله نوعاً من الألفة و المحبة، فهو فضاء للقاء الرجال بالنساء، و بالتالي هو يُوصل إلى غاية جنسيّة بعد هذا اللقاء، إذ يلتقي الرجال بالجواري والنساء الجميلات في فضاء الحوانيت التجاريّة، وهناك تُعقد صفقات الحبّ والجنس. ففي حكاية « **الصعيدي مع المرأة الإفرنجية** »، يلتقي بطل الحكاية بإحدى نساء الإفرنج الجميلات في سوق الكتّان بمدينة عكّا، و يغازلها، ثمّ يدعوها إلى منزله، فتستجيب لدعوته. يقول الصعيدي[50]: « فبينما أنا أبيع إذ مرّت امرأة إفرنجيّة، و عادة نساء الإفرنج أن تمشي في السوق بلا نقاب، فأتت لتشتري منّي كتّاناً فرأيت من جمالها ما بهر عقلي ». ويغريها بالمال، ويعطي للعجوز التي ترافقها خمسين ديناراً، فتقول العجوز له[51]: « هيّئ لها موضعاً في بيتك وهي تجيء إليك في هذه الليلة. ثمّ قال: فمضيت و جهّزت ما قدرت عليه من مأكل و مشرب و شمع و حلوى، وكانت داري مطلّة على البحر وكان ذلك في زمن الصيف ففرشت على سطح الدار وجاءت الإفرنجيّة فأكلنا و شربنا وجنّ الليل ».

---

(47) – ألف ليلة وليلة، **48/1**. مع ملاحظة أنّ يد هذا الشخص قُطِعت ظلماً، كما يُفهم من خلال السياق العام للحكاية.

(48) – م ن، **17/4**.

(49) – م ن، **19/4**.

(50) – م ن، **432/4**.

(51) – م ن، **432/4**.

وتشـير حكايــة « **النصـراني لملـك الصـين** » إلـى أنّ أحـد الأبطــال البغداديين تعرّف على امرأة مصريّة جميلـة في سوق « **قيصرية جرجس** » لبيـع الأقمشـة[52]، فسرعان مـا عشـقها، لأنّهـا سلبت عقلـه بحسـنها وجمالهـا، وتمكّن حبّها من قلبـه[53]. فما كـان منها إلاّ أن عشقته هـي الأخرى، و دعتـه إلـى منزلهـا الجميل بحـيّ « **الحبّانيّـة** »، وهنـاك أقاما طقوس الجنس. يقول البغدادي[54]: « فلمّا دخلت و جلست، لم اشعر إلاّ و الصبيّة أقبلت و عليها تـاج مكلّل بالدرّ والجوهر، فلمّا رأتنـي تبسّمت و حضنتني ووضعتني علـى صدرها، وجعلت فمها على فمي وجعلت تمصّ لساني وأنا كذلك ».

وتُشكّل الأزقّـة المتفرّعـة مـن الأسـواق، فـي نصـوص الليـالي، مـادة حكائيّة ثرّة ينمو من خلالها السرد الحكائيّ ويتشعّب، فالزقـاق ينحنـي ويدور، ويـدخل منـاطق بعيـدة، وتبـرز منـه امـرأة جميلـة، وتنظـر إلـى رجـل وسـيم وتغمزه، فيستجيب لها، فتدعو نفسها إلى داره، وهناك في الدار « لعبا و شربا و انشرحا »[55]، ثمّ تكون هذه الدار في ما بعد مُحفّزاً حكائيّاً يُسهم فـي تشـعّب الحكاية وحبكها، وصولاً إلى ذروتها، ثمّ فكّها أمام ملك المدينة[56].

ويكشف الزقـاق أحيانـاً عن وجـه المرأة المستبدّ الغارق في الفسـاد و الرذيلة، فعندما تغضب إحدى النسـاء السلطويات على زوجها الثريّ، تذهب إلـى الزقـاق لتبحـث عـن أقـذر رجـل لتمـارس معـه فعـل الزنـى انتقامـاً مـن زوجها[57].

ويتوقّف السرد طويلاً عند دكاكين الأسواق في حكايات الليالي، و من ثمّ ليتابع نسيجه للبنيـة الحكائيّـة العامّـة. ففـي حكايـة « **علـي الزيبـق المصـري ودليلة المحتالة** » تتردّد دليلـة المحتالـة و ابنتها زينـب النصّـابة علـى دكـاكين أسواق بغداد. وتبدو هذه الدكاكين حـوافز مهمّـة جداً لنمو السرد الحكـائيّ، إذ تقـوم دليلــة وابنتهـا زينــب بحبـك الحيـل المـاهرة جـداً علــى أصـحاب هـذه الدكاكين[58]. ويُلاحظ أنّـه لـولا توقف السرد الحكـائيّ أمام هذه الدكاكين لمـا انتهـت الحكايـة إلـى قصـر هـرون الرشـيد ببغـداد، و لمـا فُكّـت عقـدة الحكايـة بتحقيـق منطـق التصـالح بـين أبطــال الحكايــة، وذلـك بـزواج علـي الزيبـق

[52] – ألف ليلة وليلة، **131/1**.

[53] – م ن، **131/1**.

[54] – م ن، **133/1**.

[55] – م ن، **314/2**.

[56] – م ن، **317/2**.

[57] – م ن، **423/2**.

[58] – لمزيد من الاطلاع ينظر: م ن، **4**/من ص**117** حتى ص**121**.

المصري بزينب النصّابة، وإسلام قمر بنت عزرا اليهودي بين يدي الخليفة هرون الرشيد، وزواجها بعلي الزيبق المصري، وتخصيص الخليفة قاعة فخمة لصبيانه الذين قدموا من مصر إلى بغداد[59].

ومن خلال ارتحال السرد الحكائيّ في الحكاية السابقة بين أسواق بغداد و دكاكينها، تبدو مدينة بغداد العبّاسيّة فضاء جامعاً لنماذج شخصيّات عديدة بطباعها وسلوكها، سواء كانت هذه الشخصيّات خيّرة أم شريرة. ولا ينسى راوي الحكاية من خلال وصف الدكاكين و الأسواق أن يُحمّل السرد الحكائيّ بأبعاد إيديولوجيّة تدين النظام السياسيّ و الطبقيّ في بغداد، القائم في إحدى بنياته على الحيلة والتجسس، و المغامرة الجريئة الشريرة المدمّرة لقوانين المجتمع وأخلاقيّاته، وتدين الخروقات الكثيرة في هيكليّته السياسيّة من قبل نساء محتالات عواهر، وشطّار فاسدين؛ عجز النظام السياسيّ عن مكافحة جرائمهم، فقرّبهم إليه، وأغدق عليهم درءاً لشرورهم وعبثهم بأمن المدينة، ومكايدهم التي قد تعصف ببنيته الداخليّة[60].

إنّ السوق بانفتاحه على عالم التجارة والسمسرة والتجّار مختلفي الجنسيّات، يظلّ من أهمّ الفضاءات المكانيّة في ألف ليلة و ليلة، التي يلتقي فيها الرجال بالنساء. ومن هذا الفضاء المفتوح يسهل على الرجل أن يأخذ المرأة إلى فضاء المنازل المغلقة حيث يتمّ تحقيق التواصل الجنسيّ، ويسهل على المرأة أيضاً أن توقع الرجال في شراك فتنتها، وتقودهم صاغرين - بفعل شكلها الجمالي المثير - إلى دارها.

و يُشير السرد الحكائيّ إلى أنّ معظم العلاقات الجنسيّة المحرّمة أو الشرعيّة، تبتدئ بتشكيل نواتها الأولى بدءاً من فضاء السوق، فما إن تخرج الجميلة من القصر أو المنزل إلى السوق، حتى يلقي التجّار الأثرياء و الأبطال المغامرون شباكهم عليها. فعليّ بن بكّار التقى بشمس النهار في دكّان صديقه أبي الحسن في أحد أسواق بغداد، وما إن شاهدها حتى بدأ بمغازلتها: « فلمّا وصلوا إلى دكّان أبي الحسن، نزلت عن البغلة وجلست في دكّانه، فسلّمت عليه و سلّم عليها، فلما رآها علي بن بكّار سلبت عقله، وأراد القيام فقالت له: اجلس مكانك كيف تذهب وقد حضرنا. فقال: والله يا سيّدتي إنّي هارب مما رأيت، وما أحسن قول الشاعر:

---

(59) – ألف ليلة وليلة، **4/176 – 177**.

(60) – م ن، **4/178**.

هي الشمس مسكنها في السماء فعــزِّ الفــؤاد عــزاءً جمــيلا
فلـن تسـتطيع إليهـا الصــعودا ولـن تستطيع إليك النزولا[61]

وما إن تسمع شمس النهار ما قاله علي بن بكّار، حتى تتحايل و تدعوه و صديقه أبا الحسن إلى مقصورتها الجميلة بقصر الخليفة هرون الرشيد. وهناك في المقصورة تنادمه وتقبّله وتعانقه[62].

وفي حكاية « **هرون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري** »، يُلاحظ أنّ السيّدة الثريّة الجميلة دنيا البرمكي تخرج من دارها قاصدة سوق الجواهر ببغداد لتشتري عقد جوهر، وهناك تلتقي بمحمد بن علي الجوهري. يقول الجوهري[63]: « فاتّفق في بعض الأيام أنّي كنت جالساً في دكّاني وحولي الخدم والحشم، وإذا بجارية قد أقبلت راكبة على بغلة و في خدمتها ثلاث جوارٍ كأنّهنّ الأقمار، فلما قربت مني نزلت على دكّاني وجلست عندي، و قالت لي: هل أنت محمد الجوهري؟ فقلت لها: نعم أنا هو مملوكك وعبدك فقالت: هل عندك جوهر يصلح لي؟ ». وسرعان ما تعشقه و تدعوه إلى دارها لكي يقبض ثمن العقد. وفي الدار تميل عليه ويميل عليها، و تقبّله و يُقبّلها، وإلى جهتها تجذبه، وعلى صدرها ترميه، وتنزع ما عليها من الثياب، ويخلو بها خلوة الأحباب، ويجدها درّة لم تُثقب و مهرة لم تُركب، بمفردات راوي الحكاية[64].

إنّ للسوق - بالإضافة إلى وظائفه التجاريّة والاجتماعيّة، و قدرته على أن يكون فضاء للصبوة الجنسيّة - وظيفة أخرى مهمّة، وهي العقوبة و الردع، أي التجريس والفضيحة لمن يخرق أعراف المدن و قوانينها، وأنظمة السلطة فيها. وتستخدم سلطات ألف ليلة و ليلة الأسواق لفرض سطوتها على مواطنيها، وزرع الخوف في نفوسهم، حتى يرتدعوا عن ارتكاب الجرائم من جهة، وحتى تأمن شرورهم من جهة أخرى. فمن يسرق تُقطع يده في السوق أمام مرآى الناس ليكون عبرة لغيره: « فأمر خالد [خالد بن عبد الله القسري أمير البصرة] بحبسه وأمر بمنادٍ ينادي بالبصرة: إلى كلّ من أحبّ أن ينظر

---

(61) – م ن، **183/2**.
(62) – ألف ليلة وليلة، **185/2**.
(63) – م ن، **434/2**.
(64) – م ن، **436/2 . 437**.

إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده، فليحضر من الغداة إلى المحلّ الفلاني »[65].

ومن تشكّ السلطة بخيانته لها وعدم ولائه، يُشنق في السوق، حتى يرتدع المتآمرون والمارقون على نظامها. يقول الخليفة الرشيد لعلاء الدين أبي الشامات الذي كان من أقرب المقرّبين إليه: « يا خائن كيف أقرّبك إليّ وتبعدني عنك واستأمنك وتخونني؟ ثمّ أمر بشنقه، فنزل به الوالي [إلى السوق] و المنادي ينادي عليه: هذا جزاء وأقلّ من جزاء من يخون الخلفاء الراشدين. فاجتمع الخلائق عند المشنقة »[66]. ومن يحاول التطلّع إلى نساء غيره، فإنّه يُفضح و يُجرّس في السوق: « فضربه بالسياط [أي الوالي] وأركبه جملاً و دار به في شوارع المدينة و الناس ينادون عليه: هذا جزاء من يهجم على حريم الناس »[67].

وتوظّف إحدى نساء ألف ليلة وليلة فضاء السوق للسخرية من الرجال، وإضحاك سكّان السوق عليهم، وتجريسهم. ففي حكاية « **المزيّن لملك الصين** » تريد إحدى النساء السلطويات الجميلات العبث بمشاعر أحد الرجال البسطاء المحرومين جنسيّاً والسخرية منه، فتدعوه إلى منزلها، وتغازله، وتغريه بجمال جسدها، وتقنعه بأن يحلق لحيته حتى لا يبقى في وجهه شعر يؤذي وجهها الجميل، وتثيره حتى يتعرّى من ملابسه، وتطلب منه أن يرقص عارياً حتى يكتمل طقس مسرّاتها. ويرقص الرجل عارياً طمعاً بوصالها[68]، لكنّها تسخر منه، وتحتال عليه و تقذفه وسط سوق الجلاّدين ببغداد. يقول الراوي[69]:

> **« فقالت الجارية لأخي: قم الآن واجر ورائي وأجري أنا قدّامك، وإذا أردت شيئاً فاتبعني، فجرت قدّامه و تبعها ثمّ جعلت تدخل من محلّ إلى محلّ آخر و أخي وراءها، وقد غلب عليه الشبق كأنّه مجنون. ولم تزل تجري قدّامه و هو يجري وراءها. فبينما هو كذلك إذ رأى نفسه وسط زقاق وذلك الزقاق في سوق الجلاّدين وهم ينادون على الجلود، فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان محلوق الذقن و الحواجب و الشوارب محمرّ الوجه، فصاحوا عليه وصاروا**

---

(65) – م ن، **5/3**.

(66) – ألف ليلة وليلة، **383/2**.

(67) – م ن، **162/1**.

(68) – م ن، **164/1**.

(69) – م ن، م ن، **165/1**.

**يضحكون و يقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشي عليه، وحملوه على حمار حتى أوصلوه إلى الوالي، فقال: ما هذا، قالوا: هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالي مائة سوط ».**

يكشف المقطع السابق عن مدى الهوة العميقة بين طبقتين من طبقات المجتمع العبّاسيّ: طبقة السلطة التي تعيش أعلى درجات البطر و الاستبداد، وطبقة الشعب التي تعيش مُهمّشة ومحرومة من كلّ المتع. فطبقة السلطة لا تكمّل طقوس ملذّاتها إلاّ باحتقار أفراد الشعب البسطاء، و السخرية منهم، وإهانتهم. وعلى الرغم من أنّ بعض هؤلاء البسطاء كانوا قد وعوا مدى الفروقات بينهم وبين أفراد السلطة، وحاولوا الابتعاد عنهم، قانعين بظروفهم المأساويّة، وبما أعطاهم ربّهم، إلاّ أنّ هذه الطبقة السلطويّة لم تشأ أن تتركهم وحالهم في صراعهم المرير من أجل كسب لقمة عيشهم، بل بدا لها أنّهم يمكن أن يُشكّلوا أدوات ترفيهيّة مهمّة تُسهم في زيادة بطرها وسعادتها و غرورها. فالرجل الفقير المُحتال عليه كان خارجاً إلى السوق، مثله مثل جميع بؤساء بغداد، لقضاء حاجاته، و لم يكن يأمل في أن يقضي ليلة عامرة بالملذّات مع إحدى النساء الجميلات، لأنّه يعي استحالة أن تتحقّق أمنيته في مجتمع حرمه من أسباب الملذّات و العيش الكريم، وفجأة يجد نفسه أمام عجوز تقول له[70]: « ما قولك في دار حسنة ماؤها يجري، وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخدّ أسيل تُقبّله وقدّ رشيق تعانقه وتظلّ كذلك من العشاء إلى الصباح؟». فكيف له أن يرفض هذا العرض المغري، وهو المحروم دائماً من جميع مكوّناته المثيرة و المغرية؟. لقد جاشت في أعماقه جميع رغباته المكبوتة، وانفلت عقالها، فبدت جياداً جامحة، وكيف له أن يكبح جموحها؟ وكيف له أن يعرف أنّه أمام امرأة محتالة؟.

إنّ حياته البسيطة المغمّسة بالقهر و الحرمان لم تعطه الخبرات الكافية لأن يفهم قدرات نساء مجتمعه الثريّات الجميلات على المكيدة و الاحتيال، فهو لم يعاشرهنّ مسبقاً، ولذا لا يمكنه أن يعرف ما يدور في أذهانهنّ. و من هنا فقد كان صيداً سهلاً لأربع نساء بطرات عابثات « ما رأى الراؤون أحسن منهنّ »[71]. وما إن يدخل دار هاته البنات - يبدو أنّهنّ بنات أحد وزراء بغداد أو جواريه - حتى يسارع ويضع نفسه موضع العبد، ويقوم بخدمة أجملهنّ، لكنّها ترفض، وتُقدّم له قدحاً من الشراب، وعندما يشربه تصفعه على رقبته، فيخرج غاضباً، فتتبعه العجوز، وتستلطفه حتى يعود.

---

(70) – ألف ليلة وليلة، 163/1.

(71) – م ن، 163/1.

ويعود ويشرب، وتجرّده البنات من ثيابه تماماً، وتقول له أجملهنّ: « إن صبرت على شرطي بلغت مرادك، فقال لها: يا سيّدتي أنا عبدك وفي قبضة يدك »[72]. لقد دخل إلى قصر البنات بعد محفّز جنسيّ مهمّ، وكان حرّاً حين دخوله، وما إن رأى ثراء النساء و جمالهنّ حتى أحسّ بدونيته، واعتبر نفسه عبداً وخادماً، وأخذ يمارس عبوديته أمام سطوة جمال هاته النساء، ورضي بجميع الشروط المُذلّة و المُهينة، طمعاً في جسد إحداهنّ. لكنّ المرأة المستبدّة لم تكتف بأنّها فجّرت إثارته الشبقيّة حتى ذروتها، ثمّ أحبطتها بأن حرمته من وصالها، بل احتقرته وأهانته، وعرّته من ثيابه ورجولته، وأشبعته ضرباً هي وجواريها.

ويبدو أنّ سعادة هذه المرأة المستبدّة لا تتحقّق كاملة بالسخرية من الرجل و تقزيم رجولته وتحويله إلى مهرّج، بل هي بحاجة إلى أن تُشبع ساديتها، وبالتالي تؤذيه جسديّاً، فما كان منها إلاّ أن أشبعته ضرباً بمعونة جواريها. وهو لا يستطيع أمام شبقه المجنون ـ على حد تعبير الراوي ـ إلاّ أن يصبر على الإهانة، و يتحمّل الأذى الجسدي، أملاً في إطفاء سعار شبقه المستحكم في كل أفعاله وردود أفعاله، أمام جمال هذه المرأة الخرافي، الذي لا يوجد مثله بين نساء طبقته الشعبيّة. و لم يكتف الراوي بأن يُكمل طقس ملذّات هذه المرأة بكل هذا الإذلال والإهانة لهذا الرجل البسيط، و ينهي الحكاية، و يجعله يخرج من قصر البنات مهاناً ذليلاً، ليُضمّد جراحه في منزله المتواضع، بل فاجأتنا الحكاية بأنّ طقس ملذّات المرأة لم يكتمل بعد، و لن يكتمل إلاّ بتجريس هذا الرجل و فضيحته التي ستظلّ وشماً أبدياً على روحه الجريحة، فما كان منها إلاّ أن قذفته وسط سوق الجلاّدين ببغداد، حيث تنتظره عقوبة أفراد طبقته وطبقة تجار الجلود من جهة، وعقوبة السلطة السياسيّة من جهة أخرى. ويبدو أنّها جميعها كانت مستهجِنة لأحلام البسطاء في مجتمع بغداد الطبقيّ.

وعلى الرغم من أهميّة الأسواق التجاريّة في مدن ألف ليلة و ليلة، وحاجة السكّان الماسّة إليها، تظلّ هناك أسواق أخرى أهمّ منها بالنسبة للأثرياء ورجال السلطة، وهي أسواق الجواري، لأنّها أكثر الفضاءات القادرة على إمتاعهم و إثارتهم، وتحقيق مسرّاتهم وملذّاتهم.

---

(72) – م ن، **164/1**.

## 2 ـ أسواق الجواري

عُرف عن بعض طبقات المجتمع الإسلاميّة ـ الأمويّ والعبّاسيّ ـ وبخاصّة طبقة السلطة وطبقة التجار أنّها عاشت ثراءً فاحشاً، وكان للتجارة النشطة والمزدهرة دور في رفاهيّة أهل المال والسلطة. وتربّعت دمشق في العهد الأمويّ، وبغداد في العهد العباسيّ على قمم الثراء والترف. وفي العصر العباسيّ جلبت التجارة « مختلف أسباب الترف إلى بلاط بغداد فمن روسيا وضفاف الفولغا أقبلت الفراء، والجلود، والكهرمان. وقد وُجِدت نقود عربية ترقى إلى ذلك العهد، في سكندنافيا القصيّة (...) وعملت الأفَاوِيَة والمنسوجات الحريرية الشرقيّة والذهب والرقيق الأفريقيان على زيادة الثروة العبّاسيّة »[73]. ومع ازدهار التجارة وانفتاح أسواق الدولة الإسلاميّة على الأمم والحضارات الأخرى قدِمت الجواري والجواري المغنيّات إلى بغداد العبّاسيّة من أصقاع الأرض، وأشاعت في فضاءاتها مزيداً من اللهو والغناء، وبالتالي مزيداً من الإباحيّة الجنسيّة ـ وبخاصّة في أوساط الطبقات الثريّة ـ نظراً لسهولة اقتناء الجواري، وامتلاكهنّ جنسيّاً، فالرجل السلطويّ أو الثريّ يستطيع شراء ما يشاء من هاته الجواري، ما دمن معروضات في أسواق الرقيق كأيّة سلعة تجاريّة أخرى معروضة في أسواق التجار.

ويذكر أبو حيان التوحيدي (328 ـ 387 هـ) أنّه أحصى، هو وجماعة من أصحابه ببغداد، المغنيّات من الجواري والحرائر في إحدى نواحي بغداد ـ ناحية الكرخ ـ فوجدوا أنّ عدد الجواري أربعمائة وستون جارية، ومائة وعشرون حرّة[74]. ويبدو من الطبيعي أن يكون لهذه الجواري تأثير واضح على رجال بغداد، فقد كنّ قادرات على خلب العقول وخَلْس الصدور، والتعجيل بعشّاقهن إلى القبور. على حدّ التعبير التوحيدي[75].

---

[73] – لاندو، روم: الإسلام والعرب، تعريب منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، كانون الأول **1977**م. ص**80**.

[74] – الإمتناع و المؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، الجزء الثاني، ص **183**.

[75] – م ن، **182/2**.

وانتشرت تجارة الرقيق في ولايات الدولة الإسلاميّة انتشاراً واسعاً، وقد « كان في بغداد شارع خاص بها يسمى شارع الرقيق »[76]. ويبدو أن خلفاء الدولة العباسيّة كانوا ولعين باقتناء الجواري ولعاً شديداً، فقد غصَّت قصورهم بهنّ. فعلى سبيل المثال كان عهد الرشيد عهد الجواري والقيّان، إذ اتّخذ في قصوره ألفي جارية، ومعهنّ ثلثمائة قيّنة للغناء والموسيقى، وابتاع جارية بمائة ألف دينار، أما الخليفة المعتصم (أبو إسحاق محمد المعتصم، 218 - 227هـ /833 - 842م)، فقد اقتنى ثماني آلاف جارية، واقتنى الخليفة المتوكل (المتوكّل على الله بن المعتصم، 232 - 247هـ/847 - 861م) أربع آلاف جارية[77]. وفي هذه الأجواء الغاصّة بالجواري لا بدّ أن تنتشر الإباحيّة الجنسيّة في قصور الخلفاء والطبقات الثريّة من المجتمع، والقادرة على شراء الجواري، باعتبارهنّ أجمل السلع القادرة على تحقيق سعادة الرجال والترفيه عنهم، وعلى القيام بأعباء الخدمات المنزليّة.

وتحتفي نصوص ألف ليلة وليلة بالجواري وأسواقهنّ، ويخصّ السرد الحكائيّ هذه الأسواق بمساحة واسعة. ويشكّل سوق الجواري في الليالي تجمّعاً بشريّاً يضجّ بالنشاط والحركة، وفضاء مكانيّاً تُعرض النساء فيه سلعاً مليئة بالإثارة والجمال، ويمكننا من خلال هذا السوق أن نلمس مدى تهافت رجال الليالي، كباراً وصغاراً، على اقتنائهنّ، وأن نلمس كيفيّة شرائهنّ، وطرائق الدلاّلين في البيع والشراء، وبعضاً من ملامح رجال الليالي وعلاقاتهم التجاريّة. ويُعدّ سوق الجواري فضاء مهمّاً جدّاً لتحفيز السرد الحكائيّ وارتحاله من مكان إلى آخر، من السوق إلى قصر الخليفة أوالملك، أو من السوق إلى أيّ منزل رجل ثريّ، حيث تتشكّل المقاطع السرديّة في هذا القصر أو المقصورة أو المنزل، موضّحة ما يجري في هذه الفضاءات المغلقة من دسائس ومؤامرات، وراسمة بعض ملامح سكّان هذه الفضاءات وطباعهم، وسلوكهم الجنسيّ مع الجارية المشتراة.

وتُشكّل أسواق الجواري في مدن ألف ليلة وليلة طقساً احتفائيّاً بالجمال الأنثويّ، إذ تُصَفّ فيه الجواري بأنواعها المختلفة وسط جمهور حاشد من المتفرّجين، ومن الراغبين بالشراء، ثم ينادي الدلاّل عارضاً مزايا الجواري وقدراتهنّ المتميّزة ـ كل جارية على انفراد ـ طالباً من أرباب الأموال فتح باب المزايدة. ففي حكاية « **علي نور الدين وأنيس الجليس** »، يأخذ علي نور الدين جاريته أنيس الجليس إلى سوق الجواري، ويقدّمها للدّلال، ويتّفق

---

[76] ـ ضيف، د. شوقي: العصر العبّاسيّ الأول، دار المعارف، القاهرة، د. ت. ص **56**.

[77] ـ خليل، د. خليل أحمد: المرأة العربيّة وقضايا التغيير، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، شباط **1982**م.ص **70**.

معه على السعر الذي يرغبه فيها. يقول الرواي[78] واصفاً طقس بيع الجارية:

**« ثمّ مضى [أي علي نور الدين] وسلّمها إلى الدلاّل وقال له اعرف مقدار ما تنادي عليه فقال له الدلال: يا سيدي علي نور الدين إنّ الأصول محفوظة(...) فعند ذلك طلع الدلاّل إلى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلّهم فصبر حتى اجتمع سائر التجّار وامتلأ السوق بسائر أجناس الجواري من تركيّة وروميّة وشركسيّة وجرجيّة وحبشيّة. فلما نظر الدلاّل إلى ازدحام السوق نهض قائماً وقال: يا تجار يا أرباب الأموال ما كلّ مدوّر جوزة ولا كلّ مستطيلة موزة، ولا كلّ حمراء لحمة ولا كلّ بيضاء شحمة،ولا كلّ صهباء خمرة ولا كلّ سمراء تمرة، يا تجار هذه الدرّة اليتيمة التي لا تفي الأموال بقيمتها بكم تفتحون باب الثمن؟ فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة ».**

إذا كانت أعراف البيع والشراء في أسواق الجواري تقتضي بأن تُباع الجارية إلى آخر رجل مزايد توقّفت المزايدة عليه ـ بعد أن توقّف الآخرون ـ، فإن بعض أرباب الجواري الكرام الذي كانت تربطهم ذكريات طيبة مع جواريهم، كانوا يرفضون بيع هاته الجواري، مهما ارتفعت أسعار المزايدة إلاّ للذين تختارهم هاته الجواري، وبملء حريتهنّ ففي حكاية «**علي شار وزمرد الجارية** »، يتقدّم أحد الشخصيّات لبيع جاريته، ويقف الدلاّل على رأس الجارية وينادي: « يا تجار يا أرباب الأموال من يفتح باب السعر في هذه الجارية سيّدة الأقمار، الدرّة السنيّة وزمردة السنوريّة، بغية الطالب ونزهة الراغب؟ فافتحوا الباب فليس من فتحه لوم ولا عتاب. فقال بعض التجار: عليَّ بخمسمائة دينار. وقال آخر: وعشرة. فقال شيخ يُسمى رشيد الدين(...): ومائة، وقال آخر: وعشرة. فقال الشيخ: بألف دينار »[79].

ولأنّ، الشيخ لا يستطيع أن يرضي طموح الجارية الجنسيّ، فإنّها ترفضه قائلة[80]:

فــي بيــاض الشــيب مــن أربٍ        أفـــي الحيـــاة يكـــون القطـــن حشـــو فمـــي؟

---

(78) – ألف ليلة وليلة، **194/1**.

(79) – ألف ليلة وليلة، **27/3**.

(80) – م ن، **28/3**.

ويتقدّم ثلاثة رجال آخرين، وقد افتتنوا بجسد الجارية الجميل، طالبين شراءها لكنّها ترفضهم جميعاً لأنّهم يفتقدون إلى الملامح الجميلة، التي ترغب بها[81]. وعند ذلك يقرر سيّدها أن يترك لها حريّة اختيار أيّ رجل في الحلقة ترضاه، وتُعجب بشكله الجميل:

**« فقال لها الدلاّل: يا سيّدتي انظري من يعجبك من الحاضرين وقولي عليه حتى أبيعك له؟ فنظرت إلى حلقة التّجار وتفرّستهم واحداً بعد واحد، فوقع نظرها على علي شار. فنظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة وتعلّق قلبها به، لأنّه كان بديع الجمال وألطف من نسيم الشمال. فقالت: يا دلاّل أنا لا أُباع إلا لسيّدي هذا صاحب الوجه المليح والقدّ الرّجيح، الذي قال فيه بعض واصفيه:**

**أبرزوا وجهك الجميل ثمّ لاموا من افتتن**
**لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن**

**فلا يمتلكني إلاّ هو لان خدّه أسيل ورضابه سلسبيل، وريقه يُشفي العليل، ومحاسنه تُحيّر الناظم والناثر »[82].**

إن سُعار التجديد الجنسيّ الذي لهث وراءه رجال ألف ليلة وليلة ونساؤها، كان يدفعهم دائماً إلى اختيار الأمثل، المتميّز جماليّاً، المثير شهوانيّاً. ففي مجتمع إسلاميّ منفتح على جواري المعمورة، صارت المتاجرة بالجواري من أكثر أنواع التجارة رواجاً وربحاً، حتى قيل « لقد ارتفعت شمس الجواري واحتجب قمر الأحرار »[83]. وفي مجتمع كهذا، صار الرجال يقودون قطعاناً من النساء المهزومة، لكنها قطعان مليئة بالمقاييس الجماليّة الجنسيّة التي يفضّلونها، ويعتبرونها الأكثر إثارة[84]. وتعلّمت فيه

---

(81) – م ن، **28/3**.

(82) – ألف ليلة وليلة، **29/3**.

(83) – خليل، د. خليل احمد: المرىة العربيّة وقضايا التغيير، ص**69**.

(84) – من هذه المقاييس الجماليّة التي يُفضّلها رجال الليالي في جواري السوق: ـ « جارية رشيقة القدّ قاعدة النهد بطرفٍ كحيل وخدٍ أسيل و خصر نحيل وردف ثقيل (...) وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرقّ من النسيم إذا مرّ على زهر البستان، كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات:

لها بشرة مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا هزر
و عينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

النساء أن تسخّر أجسادها وطاقاتها الجنسيّة لسعادة هؤلاء الرجال الذين يتحكّمون بالموارد الاقتصاديّة، وأن تفضّل الرجال الوسيمين المثيرين جنسيّاً، الذين تنطبق عليهم تلك الأوصاف التي حدّدتها زمرد الجارية في الرجل الذي ترضى أن تكون جارية عنده، حين تقول[85]:

وريقه خمرٌ وأنفاسه    مسكٌ وذاك الثغر كافور
أخرجه رضوان من داره    مخافة أن تُفتن الحور
يلومه الناس على تيهه    والبدر مهما تاه معذور

ومن هنا يمكن القول: إن العلاقة بين الرجال الأحرار والنساء الجواري في مجتمعات ألف ليلة وليلة ليست علاقة إنسانيّة قوامها الحبّ والوفاء، وليست نظيفة روحيّاً وأخلاقيّاً، بل هي علاقة استعباديّة شهوانيّة هدفها الأول والأخير التفريغ الجنسيّ، وسط أجواء عربيديّة ماجنة. وحتى يتمّ هذا التفريغ في أقصى لذّاته، لابدّ أن يكون الشريك مثالاً للجمال الجسديّ المتناسق، والمثير شهوانيّاً إلى أعلى درجات الإثارة.

ومن الملاحظ أنّ الجارية، في حكايات ألف ليلة وليلة، إذا كانت على قدر كبير من الحسن والجمال، فإن المزايدة عليها بين خبراء الجواري تحتدم، وتصبح صراعاً للفوز بها، وعلى الأغلب يفوز بها الرجل الأقوى في سلم السلطة السياسيّة. ففي حكاية « **علاء الدين أبي الشامات** »، يصبح علاء الدين من أقرب المقرّبين إلى الخليفة هرون الرشيد، وعند ذلك يريد **أن** يُكرمه بجارية جميلة، فيعطي وزيره جعفر البرمكيّ عشرة آلاف دينار، ويأمره بالنزول إلى سوق الجواري ليشتري له أجمل جارية يراها، فينزل الوزير جعفر وعلاء الدين إلى سوق الرقيق ببغداد، وبمصادفات ألف ليلة وليلة،

---

– ألف ليلة وليلة، **84/1**.

- و: « جارية بيضاء كأنّها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر، بحاجبين مقرونين و جفنين ناعسين، ونهدين كرمانتين، ولها شفتان رقيقتان كأنّهما اقحونتان، وفمٍ كأنّه خاتم سليمان يلعب بعقول الناظم والناثر، كما قال في الشاعر:

إن أقبلت قتلت وإن هي أدبرت    جعلت جميع الناس من عشّاقها
شمسيّة بدريّة لكنّها    ليس الجفا والصدّ من أخلاقها

– م ن، **60/3**.

[85] – م ن، **29/3**.

يحضر إلى السوق نفسه والي بغداد الأمير خالد ومعه ولده حبظلم بظاظة لكي يشتري جارية لهذا الولد. ويعاينون الجواري، ويعشق علاء الدين وحبظلم جارية بعينها من بين جميع الجواري، « ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال »[86]. ويتزايد علاء الدين وحبظلم عليها، وكلّما زاد علاء الدين في ثمنها ألف دينار زاد حبظلم ألفاً فوقها. عندها يسأل والي بغداد الدلاّل: « من الذي يزيد في ثمن الجارية »[87]، فيجيبه :« إنّ الوزير جعفر يريد أن يشتريها لعلاء الدين أبي الشامات »[88]. وعند ذلك يعرف الأمير خالد أنّ معركته خاسرة مع الوزير جعفر، لأنّه غير قادر على الدخول في سباق سيكون الخاسر فيه، ولا سيما أنّ الوزير جعفر أعلى منه طبقيّاً وسياسيّاً وماليّاً، وأنّ علاء الدين لن يتخلّى عن الجارية، لأنّه زاد في ثمنها حتى وصل إلى عشرة آلاف دينار[89].

ويبدو أنّ بعض رجال السلطة في ألف ليلة وليلة، كانوا يفرضون نوعاً من السطوة على أسواق الجواري، وعلى الدلاّلين فيها، وكانوا يأخذون أيّة جارية يرغبون فيها عنوة، ويتهرّبون من دفع ثمنها، كما تشير إليه حكاية « **علي نور الدين وأنيس الجليس** »، فعندما ينزل علي نور الدين بجاريته أنيس الجليس إلى سوق الجواري بالبصرة ليبيعها، يتقدّم الدلاّل ليفتح باب المزايدة عليها، ويُفتح الباب، ويصل ثمن الجارية إلى أربعة آلاف وخمسمائة دينار، وعند ذلك يتقدّم وزير البصرة الظالم المعين بن ساوي إلى الدلاّل، ويأمره بإيقاف المزايدة، ويقرر أنّ الجارية ستكون له. يقول الراوي[90]: « فلمّا نظر إليها [المعين بن ساوي] وتأمّل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته، فقال إلى كم وصل ثمنها؟ فقال أربعة آلاف وخمسمائة دينار، فلما سمع التجار ذلك ما قدر واحد منهم أن يزيد درهماً ولا ديناراً بل تأخّروا جميعاً لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير، ثمّ نظر الوزير المعين بن ساوي إلى الدلاّل وقال له ما سبب وقوفك؟ رُحْ والجارية عليّ بأربعة آلاف دينار، فراح الدلاّل إلى علي نور الدين وقال له: يا سيّدي راحت الجارية عليك بلا ثمن ».

وتشير بعض حكايات ألف ليلة وليلة إلى أنّ شراء الجواري لم يكن مقصوراً على أسواق الجواري، بل كانت تُباع في أمكنة أخرى من السوق. ولأنّ المال كان المحور الرئيس الذي تدور حوله علاقات التّجار وقيمهم في

---

(86) – ألف ليلة وليلة، **376/2**.

(87) – م ن، **377/2**.

(88) – م ن، **377/2**.

(89) – م ن، **377/2**.

(90) – ألف ليلة وليلة، **194/1 – 195**.

فضاءات الأسواق، فإنّه لم يكن هناك ما يمنع التّجار من أن يبيعوا الجواري، سواء في سوق الجواري، أم في سوق التّجار المركزي، أم في « **دكاكين النّخاسين** »، وبطريقة مباشرة ومن دون اللجوء إلى سمسرة الوسيطة يقوم بها الدلاّل. فقد كان البيع يتمّ أحياناً وبشكل مباشر بين النخاس وبين المشتري. ففي حكاية « نعمة ونعم » يُلاحظ أنّ الربيع بن حاتم اشترى لولده « نعمة الله » الجارية «نِعَم»، وأمّها توفيق من « **دكّة النخاسين** » بالكوفة، ومن دون أن يلجأ إلى دلاّل الجواري[91].

وتشير حكاية « **علي شار وزمرّد الجارية** » إلى أنّ علي شار اشترى زمرد من سوق التّجار بخراسان، وليس من سوق الجواري.فقد « ذهب إلى سوق التجّار فوجد حلقة إزدحام والناس مجتمعين فيها (...) ثمّ تقدّم فوجد جارية خماسيّة معتدلة القدّ مورّدة الخدّ قاعدة النهد، قد فاقت أهل زمانها في الحسن والجمال والبهاء والكمال »[92]. أمّا إذا كانت الجارية مخطوفة أو محتال عليها، فإنّ الخاطف لا يملك عقداً يُبيّن أنّها ملكٌ له، ويوضّح مكان شرائها وتاريخه، وبالتالي فهو لا يستطيع الذهاب بها إلى سوق الجواري ليبيعها، عندها يضطّر لبيعها بشكل مباشر، وبالتراضي ومن دون وسطاء، كما يظهر في حكاية « **عمر النعمان وولديه** » إذ يحتال أحد البدو الأجلاف على « نزهة الزمان » التي كانت تائهة وغريبة في القدس، ويتبعها حتى يتعرّض « لها في الطريق في مكان ضيّق »[93]، ويؤكّد لها - إن هي أتت معه - أنّها ستكون كواحدة من بناته:« فإن لم يكن لك أحد جعلتك مثل واحدة منهنّ [من بناته] وتصيرين مثل أولادي »[94] وبعد أن تطمئنّ إليه وتصدّقه يحتال عليها، ويأتي بها إلى دمشق، وينزلها في خان السلطان[95]. وهناك يشتريها أحد التجار ومن دون اللجوء إلى الوسطاء[96].

ويبدو أنّ تقاليد أسواق الجواري في المدينة الإسلاميّة كانت تسمح للمشتري بأن يتحسّس جسد الجارية التي يرغب بشرائها، أو يكشف بعضاً من جسدها إن شاء، حتى يتأكّد من أنها سليمة أو مريضة، فللنخّاسين طرقهم العديدة في الغش وإخفاء عيوب الجواري وأمراضهنّ. وتشير الحكاية السابقة إلى أنّ التاجر الذي اشترى « نزهة الزمان » في دمشق قال للبدوي البائع:«

---

(91) – م ن، **323/2**.

(92) – م ن، **26/3 – 27**.

(93) – م ن، **291/1**.

(94) – ألف ليلة وليلة، **290/1**.

(95) – م ن، **291/1 – 292**.

(96) – م ن، **294/1**.

عن إذنك أكشف عن وجهها وأقلّبها كما يقلّب الناس الجواري لأجل الشراء، فقال له البدوي دونك وما تريد، الله يحفظ شبابك، فقلّبها ظاهراً وباطناً، وإن شئت فعرّها من الثياب ثمّ انظرها وهي عريانة »[97].

وتكشف الأدبيات التاريخيّة عن أساليب التحايل التي يلجأ إليها النخّاسون، حين يقدّمون الجواري إلى السوق، وقد ظهرن بأبهى زينتهنّ، مخفين بذلك عيوبهنّ عن عيون الدلاّلين، والولعين بامتلاك الجواري من الرجال. فقد كان النّخاسون الخبراء بتجميل الجواري يتّخذون معجوناً لتجميل الوجه، وينقعونه في ماء البطيخ ستة أيام ثمّ في لبن حليب سبعة أيام، ويُحرّك اللبن في كل يوم ويغمرون به وجه السوداء اللون فتعود بيضاء. وكانوا يدخلون السمراء في مغطس وقد وُضِع فيه ماء الكَرَوْيَا[98] حتى تلوّن، وكانت الجارية تقيم فيه أربع ساعات، فتخرج عنه وقد صارت ذهبية. وكانوا يُحمّرون خدود الجواري بمسحوق مكوّن من دقيق الكرسنة وعروق الزعفران وورق الحنّاء، ويسوّدون الشّعر بدهن الآس ودهن قشر الجوز الرطب ودهن الشقائق، ويُجعّدونه بالسدر والآس، ويسمّنون الأعضاء الهزيلة بالدّلك بالمناديل الخشنة والأدهان الحارة، وينعّمون الأطراف الخشنة بالدّهن والشّمع واللّوز المرّ وماء الورد ودهن البنفسج، ويغمرون النّمش والوشم بمعجون للتجميل مصنوع من عروق القصب واللوز المرّ والكرسنة وحبّ البطيخ معجوناً بالعسل[99].

وتشير حكايات ألف ليلة وليلة إلى أنّ هناك طريقة أخرى لبيع الجواري؛ يتجاوز فيها التّجار علاقات السوق التجارية، والوسطاء، ويذهبون مباشرةً إلى دار السلطان أو الوالي ليقدّموا له الجواري المتميّزات جماليّاً ومعرفيّاً. ولعلّ هذه الطريقة قد تكون أفضل الطّرق التي تحقّق للتاجر مكاسب عديدة أهمّها أن يقدّر له السلطان موقفه هذا، ويقرّبه إليه، ثمّ يغدق عليه الهبات في ما بعد. يقول البدوي للتاجر الذي اشترى منه نزهة الزمان: « إن شئت فاطلع بها إلى السلطان(...) فإنّك إذا أوصلتها إلى الملك شركان بن الملك عمر النعمان (...) وربّما تروق في نظره فيعطيك ثمنها ويكثر لك

---

(97) – م ن، **1/294 – 295**.

(98) – **الكَرَوْيا: بزر نبات، وقوته أقرب من الأنسيون (اليانسون).**

– **معلوف، لويس: المنجد في اللغة، منشورات اسماعيليان، طهران/دار المشرق، بيروت، الطبعة الحادية و العشرون، 1 كانون الثاني 1973م. ص683.**

(99) – **المالقي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي: في آداب الحسبة، تحقيق: د. حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، طبعة 1407هـ/1987م، ص65–66–67.**

الرّبح فيها، فقال له التاجر وأنا لي عند السلطان حاجة وهو أن يكتب إلى والده عمر النعمان بالتّوصية عليّ »[100].

وكانت بعض الجواري اللواتي يَفُقن غيرهنّ علماً وأدباً وجمالاً يُفضّلن أن يُبعن إلى السلطان مباشرة بدلاً من الذهاب إلى سوق الجواري. فها هي الجارية تودّد تقترح على سيّدها أبى الحسن الذي هزمته الأيام ، و« نَفِد جميع ماله وتبيّن سوء حاله، ولم يبق معه غير هذه الجارية »[101]، لأنّه « لازم أكل الدجاج وفضّ ختام الزجاج وقهقهة الجواري واستماع الأغاني»[102]، أن يذهب بها إلى الخليفة هرون الرشيد علّه يدفع بها ثمناً عالياً،فـ « قالت لسيّدها: يا سيّدي احملني إلى هارون الرشيد واطلب ثمني منه عشرة آلاف دينار، فإن استغلاني فقل له يا أمير المؤمنين وصيفتي تساوي أكثر من ذلك، فاختبرها يعظم قدرها في عينك لأنّ هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح إلاّ لمثلك »[103]. ولأنّ الخليفة الرشيد، كما تصوّره الليالي، كان ذوّاقاً للعلوم والمعارف، وعاشقاً للنساء الجميلات، فقد فاجأ راوي الحكاية القارئ في آخرها بأن جعل الخليفة يدفع لمولاها مائة ألف دينار[104].

لقد انتشرت تجارة الجواري في معظم مدن ألف ليلة وليلة، وقد درّت هذه التجارة على أصحابها ربحاً وفيراً. فإذا كانت بغداد هي المدينة الأولى في الليالي التي تجتمع في سوق رقيقها الجواري القادمات من أنحاء الدولة الإسلاميّة، وغير الإسلاميّة، فإنّ هناك إشارات أخرى كثيرة إلى الاتّجار بالجواري في مدن أخرى. ففي حكاية « **ا لرجل الصعيدي والمرأة الإفرنجية** »، التي تجري حوادثها أيام الحروب الصليبيّة، يشير الراوي إلى أنّ الرجل الصعيدي قدم من مصر إلى عكّا، ثمّ خرج منها عند انتهاء الهدنة بين المسلمين والصّليبيين، وتوجّه إلى دمشق، وهناك انهمك في بيع وشراء الجواري في أسواق دمشق. يقول[105]:« ثمّ خرجت وسرت حتى وصلت إلى دمشق (...) ومنّ الله سبحانه وتعالى عليّ بكسب جيّد وصرت أتّجر في جواري السبي (...) ولازمت التجارة فيهنّ ».

ويبدو أنّ دمشق كانت سوقاً مفتوحاً لجواري المعمورة أيام الحروب الصليبيّة في بلاد الشام، فمع استمرار المعارك بين المسلمين والصليبيين «

---

(100) – ألف ليلة وليلة، **293/1**.

(101) – م ن، **231/3**.

(102) –م ن، **230/3**.

(103) – م ن، **232/3**.

(104) – م ن، **269/3**.

(105) – م ن، **433/4**.

كانت هناك باستمرار أعداد من الأسرى من الجانبين. وكان بعضهم يتحوّل إلى رقيق يُباع في أسواق النخاسة، على حين يبقى البعض الآخر من الرجال والنساء لأداء الأعمال الحقيرة وهم في حال الأسر، والراجح (...) أنّ هذه الأعداد الكبيرة من الأسرى، خصوصاً من يُباع منهم في أسواق الرقيق ، كانوا يدخلون في نسيج التركيبة السكانيّة لبلاد الشام ويزيدونها تنوّعاً و ثراءً »[106].

إذا كانت تجارة الجواري في مدن ألف ليلة وليلة قد أسهمت في الترفيه عن طبقة السلطة، والطبقات الثريّة في المجتمع، وقدّمت لأفرادها أجمل نساء المعمورة، وأكثرهنّ قدرةً على إثارة الرجل السلطويّ أو الثريّ جنسيّاً، وترفيهه، وإضفاء أجواء من البهجة والمسرّات على فضاء قصوره، بفعل أصواتهنّ العذبة، وقدراتهنّ المتميزة على المنادمة ورواية الحكايات والأشعار، فإنّ هذه التجارة أسهمت في الوقت نفسه في زيادة فقر الطبقات المستضعَفة، وزيادة مأساتها الإنسانيّة، وبالتالي زيادة حرمانها من متطلبات العيش الكريم وضروريّاته. فبدلاً من أن تكون أموال بيت المال في مدن ألف ليلة وليلة قادرة على سدّ حاجات الفقراء والمحرومين فإنّها سُخِّرت لإشباع نزوات السلطان وملذّاته، وشراء أكبر عدد من الجواري المتميزات له ليرفّهنه، وليجعلنه ينسى ما يعانيه مواطنو دولته من فاقة وحرمان والأمثلة على ذلك كثيرة جداً: فالحجّاج بن يوسف الثّقفي يبدد أموال بيت المال في الكوفة ليشتري بها جارية بعشرة آلاف دينار، ويرسلها إلى سيده الخليفة عبد الملك بن مروان في دمشق[107]، والملك عمر النعمان يهدر خراج دمشق كله، ويشتري به خمس جوارٍ روميّات كانت قد استقدمتهنّ العجوز شواهي من بلاد الروم[108]، والخليفة هرون الرشيد يشتري جارية بمائة ألف دينار[109]، ويغدق على جواريه الحظايا أموالاً وهدايا وجواهر تساوي ملك السلطان[110]، وابنه الخليفة عبد الله المأمون يبدّد من بيت مال المسلمين في بغداد ستين ألف دينار على ست جوار في غاية الحسن والجمال[111]، وأخوه محمد الأمين بن زبيدة يدفع في جارية اسمها البدر الكبير، لصاحبها جعفر بن

---

(106) – قاسم، د. قاسم عبده: ماهيّة الحروب الصليبيّة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، « سلسلة عالم المعرفة »، العدد **149**، شوال **1410**هـ/أيار (مايو) **1990**م، ص **204**.

(107) – ألف ليلة وليلة، **211/2**.

(108) – م ن، **317/1**.

(109) – م ن، **269/3**.

(110) – م ن، **226/1**.

(111) – م ن، **81/3**.

موسى الهادي، حمولة زورقه « من الدراهم والدنانير وأصناف الجواهر واليواقيت والثياب الفاخرة والأموال الباهرة، (...) وألف بدرة وألف درّة قيمة الدرّة عشرون ألف درهم ، ولم يزل يضع فيه أصناف التحف حتى استغاث الملاّحون وقالوا: مايقدر الزورق أن يحمل شيئاً آخر»[112]. في حين أنّ فقراء بغداد يتضوّرون جوعاً، وفي غاية التعب والذلّ على حدّ تعبير أحد الرواة[113].

إنّ وجود أسواق الجواري في مدن ألف ليلة وليلة - على الرّغم من أهميتها في بناء كثير من الحكايات وتشعّبها، وارتحال السرد فيها إلى مدن أخرى، وتشكيل فضاءات جديدة وصولاً إلى ذروة الحكاية - يسهم في تأبيد عبوديّة المرأة ، وفي زيادة فساد الحكّام وابتعادهم عن هموم شعوبهم ، وفي زيادة تكريس التباين الطبقيّ ، وبالتالي في زيادة تعميق استلاب المرأة والرجل معاً، أمام استفحال سطوة الحكّام وبطرهم.

## فضاء الخانات في مدن ألف ليلة وليلة

نظراً لاتساع رقعة الدولة الإسلاميّة في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ، وامتداد الفتح الإسلاميّ ليشمل بلداناً عديدة دانت لهذه الدولة بالإسلام أو بالجزية، فقد نشطت حركة التجارة واتسعت « في القرن العاشر الميلادي حتى غدت في طليعة التجارة العالميّة. وسفنها تقطع البحار، وقوافلها تسير من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، مروراً بأفريقية وآسيا الوسطى»[113]. وكان على القوافل التجاريّة أن تحمل مختلف أنواع السلع قاطعة هذه المسافات البعيدة في طرق بريّة أحياناً، وصحراويّة أحياناً أخرى، وهذا ما دعا إلى قيام محطّات يستريح فيها التجار، وقوافلهم التي تحمل بضائعهم. فعلى سبيل المثال كانت القوافل التّجاريّة العبّاسيّة تضمّ بين خمسة أو ستة

---

(112) – ألف ليلة وليلة، **172/3**.

(113) – م ن، **397/3**.

(113) – الخازن، د. وليم: الحضارة العبّاسيّة، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية **1992**م.ص**81**.

آلاف جمل[114]. وقد اصطُلِح على تسمية هذه المحطّات في الدولة الإسلاميّة بالخانات[115].

وكان يقوم مقام هذه الخانات، في بعض الطرق التجاريّة الكثيرة التي انتشرت في الدولة الإسلاميّة، أماكن واسعة يستريح فيها المسافرون والتّجار، ولها وظيفة الخانات نفسها، وهي الرباطات. وقد اقتضى ازدهار التجارة إلى اهتمام العرب بـ«حراسة الطرق، وإقامة أماكن أو رباطات لاستراحة المسافرين، وتيسير الماء لهم. وكانت هذه الأماكن تنشأ خصوصاً، على الطرق الصحراوية، ويسكنها في الغالب زهّاد ورعون يهتمّون بدواب النازل وطعامه. وفي بلاد فارس كانوا يربّون البقر حول محطّات المسافرين لكي يستطيعوا القيام بضيافتهم. وفي مناطق النصارى، كانت الأديرة تقدم للمسافرين ما يحتاجون إليه، مثل دير يوحنا على مقربة من تكريت على نهر الفرات، ودير باعربا إلى شماله »[116].

إن الخان في المدينة العربيّة الإسلاميّة يشكّل فضاءً آمناً للغرباء الذين يفتقدون إلى علاقات القربى والصداقة في المدن التي يصلون إليها، إنّه يؤدي وظائف الفندق في أيامنا هذه، بل هو يفوقه، كونه مستودعاً للأمانات من بضائع التجار وأموالهم، ولأنّه يتّصل بملحق تنام فيه الحمير والبغال والجمال والخيول، وهي وسائط السفر الرئيسة في مدن ألف ليلة وليلة. وهو في إحدى حكايات ألف ليلة وليلة يؤدّي وظيفة الفندق نفسها. يقول أحد الشخصيّات[117]: « إنّي دخلت هذه المدينة في هذه الليلة ونزلت في خان (...) فنمت فيه ».

ويصبح الخان في موضع آخر مكاناً لتخزين البضائع والأقمشة، ووضعها أمانة عند صاحب الخان، ليستردّها في ما بعد[118]. و في حكاية « **الملك عمر النعمان وولديه** »، يصبح فضاءً للاستراحة و النوم بعد عناء السفر الطويل، فها هو البدوي الذي خطف (نزهة الزمان) من القدس، يأتي بها إلى دمشق. وفي دمشق يُنزلها في خان السلطان لتستريح، تمهيداً لبيعها في هذه المدينة[119]. ويُصبح في الحكاية نفسها مأوى للغريبين الضائعين:

---

(114) – م ن، ص 78.

(115) – الخان: أصل هذه اللفظة فارسيّة، وهي تعني محل نزل المسافر، أمّا عند الأتراك فهي تعني لقب السلطان.

– معلوف، لويس: المنجد في اللغة، مادة: خان، ص 201.

(116) – الخازن، د. وليم: الحضارة العبّاسيّة، ص 96.

(117) – ألف ليلة وليلة، 113/3.

(118) – م ن، 176/3.

(119) – م ن، 292/1.

ضوء المكان وأخته نزهة الزمان، فبعد أن يصلا إلى مدينة بيت المقدس يشتدّ المرض على ضوء المكان، فيكتريا حجرة في أحد خانات بيت المقدس[120].

لقد امتلأت مدن ألف ليلة و ليلة بالخانات التجاريّة التي تؤدّي وظائف عديدة لأبناء هذه المدن، وكانت هذه الخانات كبيرة، بحيث كانت تستطيع استضافة التجار وخيولهم، وكان ينزل فيها الأمراء و الوزراء وكبار القوم، والتجار والمسافرون من عامّة الشعب. وها هو الوزير نور الدين وزير مصر، يسافر قاصداً البصرة، وعندما يصل حلب ينزل في خانٍ من خاناتها، وينام فيه ثلاثة أيام حتى يستريح[121]، وعندما يصل إلى البصرة ينزل في الخان، ويستقبله بوّاب الخان، ويأخذ بغلته إلى ملحق الخان الخاصّ بالدوابّ[122].

ويبدو أنّ الخان في بعض مدن ألف ليلة وليلة كان يتوسّط المدينة، فالوزير السابق نور الدين نزل في خان مجاور لقصر وزير البصرة، بحيث استطاع وزير البصرة، أن يشاهد بغلته من نافذة قصره[123].

وعلى الرغم من أهميّة الخان في مدن ألف ليلة وليلة، إلاّ أنّه يُلاحظ أنّ رواة الليالي لا يولونه الأهميّة التي يستحقّها، ولذا فقد مرّوا عليه مروراً سريعاً من دون أن يتعمّقوا في وصف بنيته الداخليّة، أو وصف العلاقات الإنسانيّة فيه، أو وصف الطريقة التي تتمّ من خلالها معاملة الغرباء و التجار النازلين فيه، أو الإشارة إلى علاقته بالسلطة السياسيّة، أو خضوعه لرقابة هذه السلطة أو استقلاله عنها، فهذه أمور لم يقترب من وصفها الرواة.

ومن خلال قراءة حكايات ألف ليلة و ليلة يُلاحظ أنّ الخان لا يبدو فضاءً مهمّاً لنمو الحكاية و تشعّب أحداثها، وحركة أبطالها. إنّه محطّة ثانويّة لا ترقى إلى مستوى فضاءات أسواق التجار والجواري التي مرّ ذكرها سابقاً.

---

(120) – م ن، **283/1**.

(121) – م ن، **96/1**.

(122) – م ن، **96/1**.

(123) – م ن، **96/1**.

## المصادر والمراجع


[1] - مؤلف مجهول: ألف ليلة و ليلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، أربعة مجلدات ..

[2] – (ابن بطوطة) , محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي،704 - 779هـ /1304 - 1377م: تحفة النظّار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر/دار بيروت، بيروت، طبعة 1384هـ/1964م.

[3] –التوحيدي، أبو حيان (328 - 387 هـ) : الإمتناع و المؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، الجزء الثاني.

[4] – الخازن، د. وليم: الحضارة العبّاسيّة، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية 1992م.

[5] – خليل، د. خليل أحمد: المرأة العربيّة وقضايا التغيير، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، شباط 1982م.

[7] – ضيف، د. شوقي: العصر العبّاسيّ الأول، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

[8] –: فرويد، سيجمند: ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة د. إسحق رمزي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية 1966م.

[9] – قاسم، د. قاسم عبده: ماهيّة الحروب الصليبيّة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، « سلسلة عالم المعرفة »، العدد 149، شوال 1410هـ/أيار (مايو) 1990م.

[10] – عثمان، د. شوقي عبد القوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلاميّة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، « سلسلة عالم المعرفة »، العدد151، ذو الحجّة 1410هـ/تموز (يوليو)، 1990م.

[11] – لاندو، روم: الإسلام والعرب، تعريب منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، كانون الأول 1977م.

- معلوف، لويس: المنجد في اللغة، منشورات اسماعيليان، طهران/دار المشرق، بيروت، الطبعة الحادية و العشرون، 1 كانون الثاني 1973م.

[12] – المالقي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي: في آداب الحسبة، تحقيق: د. حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، طبعة 1407هـ/1987م.

# دراسات فكرية اجتماعية

## المركز والهامش والحقيقة:

## من شرعية وجود الأنا إلى شرعية ممارسة التهميش

# المركز والهامش والحقيقة:
# من شرعية وجود الأنا إلى شرعية ممارسة التهميش

د/أحمد مداس قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات جامعة بسكرة-الجزائر

الملخص:
يتحدث المقال عن قواعد الضبط الاجتماعي التي تكسب الشرعية في قبول الممارسات ورفضها وبالتالي تهميش المخالف منها لقيامه مقام المحظور في مجتمع أو ثقافة أو حضارة ما، وفي الموضوع حديث عن تنوع السلطات المتعلقة بالشرعية، ومستويات اشتغال المركز والهامش على خلفية الصراع الذي يطبع العلاقات بين القطبين (المركز/ الهامش) أو على خلفية التكامل الذي يشغل حيزا من المعرفة العامة حيث يتكاتف القطبان لصناعة كلّ متماسك. ومع كل ذلك تتعين ميادين التهميش في حياة البشر.

**الكلمات المفاتيح: الصراع، المركز، الهامش، الإيديولوجيا، المرجعيات، التكامل، التصادم**

Résumé :

*Cet article a pour objet les règles sociales qui organisent les mécanismes de la société et donnent la légitimité aux actes dans le but de les accepter ou de les refuser dans une société, une culture ou une civilisation donnée. On parle aussi de la diversité des autorités et les niveaux d'application du centre/ périphérie à base de lutte qui marque les relations entre les deux pôles ou à base de complémentarité qui constitue une large superficie de la connaissance générale là ou on constate la convergence des deux pôles pour construire un tout cohérent et homogène. De ce fait, on peut désigner les domaines de toute marginalisation dans la vie humaine.*

***Mots clés : lutte , centre, périphérie, idéologie , références , complémentarité, confrontation .***

مقدمة:

إن المجتمعات البشرية نوعان؛ الأول منهما دينامي كثير التغير والحراك، والثاني ثابت ستاتيكي قليل التغير والتحول، وإن كانت طبيعة المجتمعات تقتضيهما للمرور من البساطة إلى التركيب بحثا عن التطور بما يفتح سجل الصراع الطبقي والسلام الاجتماعي بوصف الأخير مطلبا شرعيا لكل مجموعة بشرية.

يُرجَى من كل تغير أو حراك أن يكون تلقائيا بما يفترض وجود الحراك المُخطَّط له، وارتقائيا من حيث الهدف والحركة، وجذريا مع افتراض التغير الجزئي الذي يعاكس الكليانية، وأن لا يكون رجعيا وإن كان ممكن الوقوع. ويسري –التغير الاجتماعي- على مجموعة من العوامل طبيعية وسكانية وأيديولوجية وثقافية واقتصادية وسياسية وتكنولوجية.

إن ما يسترعي اهتمامنا داخل هذا المناخ يتعلق فعل التغيير والتحول في الحياة الاجتماعية بالظاهرة الأدبية المواكبة له عبر العصور؛ إذ يستند الأدب في كل عصر إلى إيديولوجيا تمكنه من تحقيق ذاته، ويمكنها من فرض سيطرتها على المجتمع وأفراده بتحويل أفكارهم إليها وتصحيحها وتزكية ما وافقها منها، كما يتبنى صراع المخالفين والمعارضين بغية إظهار فساد آرائهم وتوجهاتهم؛ فيخرج الموضوع إلى التهميش المتعمد بتقليل الشأن أو بالمصادرة حتى تستقيم دعائم الإيديولوجيا التي تتصدر السلطة وتقودها، كونها شكلا من أشكال المعرفة، التي تسهم في تحولات اجتماعية، وتسعى إلى إثبات صحة التوجه الذي تحمله بدل القائم من السلطات التي لم تعد تستجيب لتطلعات مجتمع ما.

وعليه؛ فلا يخلو عصر من الصراع بين الأفكار والرؤى بين أطراف المجتمع الواحد، ولا بدَّ أن يُظهر تلازما ثم تبادلا للأدوار بالتحول إلى صورة النقيض القائمة زمن الصراع؛ فالطبقات الارستقراطية صارعت زمنا طويلا الطبقات الوسطى والعاملة حتى لا تتحول السلطة إليها ويتم تغيير نظم الحكم، وتبديل السياسات القائمة التي تخدم مصالح بذاتها لا تتغير لغيرها.

وقد ثبت تاريخيا أن التلازم ينتهي بتحول، فينتهي معه المركز ليحل محله الهامش، أو لا يصل الهامش أصلا إلى الصدارة ليتبوأ المركز مكانته. غير أن الحقيقة تثبت أن اليقين دوما يشكل مركزا في مقابل الشك الذي لا يعدو أن يكون مصدرا من مصادر شيوع وجود ما، ولذا لا يثبت إلا إذا كان أصيلا في نفسه ويقوم على يقين ثابت، حينها يتعين اليقين فيه، فإن كان سائدا على أساس اليقين فهو الهيئة المخادعة، وإن لم يكن الوضع كذلك؛ فإن الهامش يصارع حقيقة اليقين في مركزها.

- ما طبيعة السلطة التي تضفي الشرعية على الممارسات العامة في كل مجال أدبي؟
- كيف يمكن تحويل الشرعية إلى ممارسة التهميش في صراع المركز والهامش؟
- وكيف يشتغل القطبان في ظل صراعهما؟

**1-** الشرعية وقواعد الضبط الاجتماعي:

والحقيقة التي يستند إليها علماء الاجتماع في هذا المقام ما يصطلحون عليه بطرق الضبط الممارسة في المجتمعات البشرية من حيث هي رسمية وغير رسمية[1]، وجميعها يدخل في باب تعيين المركز، ويبقى ما عداه هامشا تجري عليها قواعد وسنن الصراع وتبادل الأدوار بالتحول. وإن كان لا بد من تعيينها بحسب الأهمية في حياة الناس وبنيات المجتمع؛ فهي كالآتي:

- الدين: بوصفه سمة طبيعية متجذرة في الإنسان الذي يرنو لأن يكون منزها متبعا قبسا نورانيا مؤسسا على صفاء الروح وسلامة السريرة والسماحة الدينية[2]. ويتبعه بالضرورة نمط التربية التي نشأ عليها أفراد المجتمع، والأدب العام، والشعائر المتبعة، والمثل العليا، التي تفرض على المجتمع قيودا يلتزم بها أكثر أفراده بغية التجانس والتماثل، وبعدا عن عوامل الفرقة والتشرد التي يسعى المجتمع دوما إلى التخلص منها. كما يتبعه أيضا العرف الاجتماعي والثقافة المكتسبة، والقيم الاجتماعية المتزنة بحسب اعتقاد أفراد المجتمع الواحد، بل ويتبعه حتى الفن بوصفه حاملا لقيم نبيلة تتأسس على التطهير والتنزيه والسلامة الفكرية والاعتقادية.
- القانون: بوصفه منظما للعلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، ومنظما للعلاقات بين المجتمعات المتعددة وبين أفرادها في تعاملاتهم التي تتطلب نوعا من الصرامة وحفظ الحقوق وتعيين الواجبات.

ومن قواعد الضبط ما يصطلح عليه بالقواعد غير الرسمية[3]، ومنها الرأي العام والدعاية والشائعات، ولعل أهمها على الإطلاق:

- الإعلام: بوصفه سلطة تتأسس على مراقبة المجتمع وأفراده بهدف التكاتف مع السلطات التنفيذية والتشريعية والقانونية، فتصنع بذلك نمطا من السلوكات يتحول مع الزمن إلى سنن وأعراف اجتماعية تحفظ أسس المجتمع من كل صنوف التصدع، فتشكل مركزا ثابتا له، وتعين الهامش في صور المخالفات الدينية والاجتماعية والقانونية وما تعارف عليه الناس من جيد السير والأفعال.

وعليه؛ تتقيد سلوكات الأفراد والمجتمعات بأنساق سياسية وقانونية وأخلاقية وجمالية ودينية وفلسفية[4]في شكل آراء وأفكار وقواعد تكوّن معرفةً مُلزمةً لظهورها في مظهر المجال المعرفي لفهم نسق فكري ما[5]، وهو ما يسمى بالإيديولوجيا حيث تكتسب منها شرعية التداول وأحقية الوجود وسلطة التميز [6].

وفي المسألة فهم لحقيقة وجود معيّن بدلالة علاماتية كون الإيديولوجيا تحيينا للقيم وفق وقائع منظمة وخاصة[7]، لتتحقق –هذه القيم- باستعمال السلطة داخل المجتمع[8] وتكتسب الشرعية على كل المستويات، كما تتوقف عندها الاجتهادات وصور الاستدلال المنطقي لصلاحية ظاهرة أو أداء أو اختيار ما. والأمر خاضع للوعي الاجتماعي المتفق عليه مطلقا أو المتفق عليه جزئيا بحيث يمثل النسبة العليا داخل بنية المجتمع الواحد، وهذا الوعي في حقيقته ليس إلا النظم السياسية والقانونية والفكرية والجمالية والاقتصادية[9] التي سبق تسميتها بقواعد الضبط الاجتماعي. وفي جميع الأحوال هي جملة البنى الفوقية على رأي الماركسيين الذين يرون الإيديولوجيا في بعض مداراتها انعكاسا مقلوبا ومشوها للواقع معارضة بذلك الوعي الحقيقي للإنسان[10] على الرغم من أن الفكر الماركسي إيديولوجيا يدعو ويبشر بالواقع الجديد الذي يتخطى كل أشكال الاستغلال ومساوئ الرأسمالية، ولعله السبب الذي يجعل منها مخالفة لكل إيديولوجيا كما رآها الماركسيون. لقد تحدث لوسيان غولدمان عن رؤية العالم وجعل منها مكافئا للوعي الجماعي(conscience collective) الذي قد يعادل الإيديولوجيا[11] ولا يقف عائقا أمام هذه الفرضية غير تضارب الوعي الفردي مع الوعي الجماعي وذلك لنسبية العلاقة بين الفرد والمجتمع[12]. وهو ما يشكل أزمة[13] لارتباط كل تحرر سياسي واقتصادي بالتحرر الفكري، الذي يحسن التعامل والتفاوض مع التبعية الثقافية[14] ويفصل بوضوح بين الأصالة والاستلاب[15] للوصول إلى النموذج الثقافي القائم على المجتمع المدني[16] الذي يجمع بين الممارسة والفكر على عكس ما كان وما يزال سائدا في المجتمعات العربية[17].

وعلى ذلك تتنوع السلطات، وترتبط بالحقيقة من وجهة نظرها الخاصة معينةً مركزا حوله جملة هوامش على اختلاف طبيعتها وما تقدمه من الحقائق المُدرَكة، ومن هذه السلطات:

1- السلطة الحضارية القائمة وما تفرضه من طقوس واعتقادات، وما تتطلبه من ممارسات تتعلق بها.
2- السلطة الثقافية المتميزة والسامية وعدم وجود ما يقابلها أو يعادلها أو يقوم مقامها في الهامش.

3- السلطة العلمية التكنولوجية الفارقة التي تتعدى كل السلطات بما في ذلك السلطة الفلسفية والفكرية والدينية الموروثة. والسلطة التكنولوجية الحالية تستند إلى فلسفة وفكر راقيين، ولكنها حادثة تساير هذا التطور وهي الناشئة بعده.
4- سلطة الحوادث التاريخية والتجارب العامة والناجحة.
5- سلطة المبادئ الثورية.
6- سلطة المبادئ الاجتماعية والسياسية المتفق عليها كالعلمانية والبرلمانية والديمقراطية والجمهورية والملكية واللائكية وكل اختيار عام.
7- سلطة الدين والأخلاق والعرف الاجتماعي.
8- سلطة العقل والمعرفة[18] التي يدّعي كل طرف انتماء فكره إليها، ويبرر ذلك بكل الوسائل الممكنة، مع الحكم على غيرها بالضعف والتعسف وسوء التقدير، بما يترتب عنه إن إدراك الحقيقة في الهامش تتطلب قيام الفكر المخالف الذي لا بد أن يتبوأ المركز لتظهر حقيقته.

إن الحقيقة كوجهة نظر من أجل الحكم على المظاهر العامة للوجود البشري معطلة تماما من جهة الهامش أو معطلة جزئيا لعدم بلورتها أو تبلورها في الوجود العيني البشري[19]. ومهما كان السند وكانت قوته الإقناعية؛ فإنه يحتاج إلى التمركز أولا ليكتسب المكانة التي تؤهله للاعتراف به. لذلك سعت كثير من الحركات إلى العنف بهدف قلب الأوضاع، وهي السبيل التي باتت معطلة أو شبه معطلة بموجب الشرعية المنظمة للعلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، والتي ينبغي أن ينسجم معها البشر في توجهاتهم العامة، لأن الشرعية تمر وفق قنوات معلومة لتحظى بالقبول والتأييد، وتترتب عليها بالضرورة علاقات ومصالح استراتيجية وإيديولوجية. وعلى ذلك يتعين وسطان؛ الأول منهما وسط يكون فيه الحكم على الممارسات مقبولا ومحترما، ووسط يحكم فيه عليها بالرفض والاشمئزاز، وفي الأول نصرة معلنة للفكر المضطَهد، ليكون الثاني فارضا لممارسات مستهجنة حسب حقائق الوسط الأول[20].

ترتبط الحقيقة بالمركز والهامش معا من وجهة نظر كل طائفة، سواء عدّت نفسها مركزا أم هامشا، والكل تتحكم فيه إيديولوجيا يتحرك بموجبها، ويسعى لبلورتها، وإظهارها في صورة التوجه الحكيم الذي يستند إلى شرعية ما، هي عينها شرعية مرفوضة عند الطرف الآخر، أو هي شرعية أسيء فهمها وتقديرها فوُضعت في غير محلها، بما يمنع التكامل ويلهب التصادم؛ ذلك أن التوجهات تتخذ صورتين، أولاهما إيديولوجية تتعلق

بالمجموعات القيادية التي ترنو إلى قيادة المجتمع، والثانية طوباوية ترنو إلى تحطيم الأوضاع القائمة جزئيا أو كليا[21] ويسري على الكل منطق الاختيار والصراع أو التزكية، لأن الفكر الطوباوي يعادل إيديولوجيا مضادة[22] (anti-ideologies) . وعلى هذا تتأسس بنية الهامش في مقابل المركز على جملة الثنائيات:

- ايديولوجيا تحمل رؤية وغاية، وحقيقة تتعين مع الزمن والصراع.

- صراع متلازم وأقطاب هما المركز والهامش.

والكل يتعيَّن من النسق السياسي الذي يخفي مصالح ذاتية خلف الممارسات المعلنة، أو من الرؤية الكونية بالعودة إلى التاريخ واستخلاص التشابهات والاختلافات، أو من النسق الابستمولوجي الذي مجاله نظرية المعرفة[23].

**2-** حقيقة اشتغال المركز والهامش:

يشتغل المركز والهامش وفق علاقات الصراع في الثقافتين الغربية والعربية،كما يشتغل وفق علاقات التكامل كما سيأتي بنمطية الخلفيات المحركة بوصفها دوافع، والممارسات الحسية بوصفها نتائج.

1.2- علاقات التكامل:

يبدو والله أعلم أن مسألة اشتغال المركز والهامش في المعرفة العامة للمجتمع البشري تقوم على التكامل والصراع. فأما حديث التكامل بين المركز والهامش فيبدأ من حيث حاجة كل منهما للآخر، كحال المتن والحواشي؛ فقد جاء في لسان العرب أن (المتن من كل شيء: ما صلب ظهره، والجمع متون ومتان... ومتن كل شيء: ما ظهر منه... والمتن: ما ارتفع من الأرض واستوى... والمتن والمتان: ما بين كل عمودين... ومتن الرمح والسهم: وسطهما...ووتر متين: شديد. وشيء متين: صلب...ويقال: ماتن فلان فلانا إذا عارضه في جدل أو خصومة... والله أعلم) [24] وذكر معاني أخرى. في هذا المد المعجمي يتعين المتن مركزا يقابل الحاشية وهي جانب الثوب أو غيره بما يعادل الإيضاح والشرح. والحَاشِيةُ من كلِّ شيءٍ: جانبُه وطرفُه. ومن الإبل: صغارُها التي لا كبار فيها. والأَهْل والخاصّة، يقال هؤلاء حاشيته. وما علّق على الكتاب من زيادات وإيضاح. والجمع: حواشٍ. ويقال: عيشٌ رقيقُ الحواشي: ناعمٌ في دعة، وكلامٌ رقيق الحواشي: ليّنٌ. ورجلٌ رقيق الحواشي: لطيفُ الصحبة[25]. وعلى هذا تكون الحواشي استدراكا وزيادات على المتون، كما تكون تنقيحا وتصحيحا لما ورد فيها، وتفصيلا لما غمض وبَهُم منها. ومن

ذلك كل الحواشي التي وشحت الكتب كحاشية الصبان وحاشية الأشموني في مجالهما.

ومنه تقابل الكتابة النثرية بالكتابة الشعرية في العصور المتأخرة على خلفية الشعر والنثر في العصر الجاهلي وما تلته من عصور؛ فقد مثل الشعر مركزا تعينت معه كل حدود الإبداع اللغوي البشري[26]، وظل النثر على ما فيه من جماليات تعبيرية هامشا مقدما على مختلف أشكال الكلام الأخرى، ولكنه أدنى مرتبةً من الشعر، وأقل منه شأنا، وكان قد اتصل بالموضوع المشافهة والتدوين، وللأولى الحظوة على الثانية قبل الإسلام لقلة الكاتبين والعارفين بفنونها، وبعد الإسلام لغاية دينية، ومخالفة منهجية بين تدوين القرآن وترك تدوين غيره من حديث وشعر. وتطور العمل بثقافة الرواية عندنا، ووضعوا لها قواعد وقوانين تعدت ضبط الفؤاد إلى ضبط الكتاب، وجعلوا الأولى علامة للعلم والوثوق والتميز كما هو حال علم الحديث.

ومنه أشكال التعبير المختلفة التي تعيّن الموضوعات والمسائل التي تشكل قضايا جوهرية في حياة المجتمع لأجلها تتشكل البناءات الفنية المتنوعة، فظهر إلى جانب الشعر النثر عموما، ممثلا في المقامات ثم في فنون الرواية والقص والأخبار والتاريخ، على أنها –كما ذكرنا- أشكال مختلفة متنوعة، وكل منها مركز يعضده الباقي على أساس كونه هامشا، فيكون التكامل قائما، ما قام بين تلك الأشكال الأدبية منظارا مشتركا لذات المقاصد والأهداف والقضايا الاجتماعية التي تعالجها.

ومنه أيضا التصادم رجل/امرأة في المجتمع العربي على غرار ما حدث ولا زال يحدث في بعض البلاد الغربية، وانتقال الشعور من اختلاف التنوع إلى الاختلاف الجنسي والدونية[27]. ووصل الصراع حدّ التقنين للعلاقات الدولية، وعرف العالم ما يطلق عليه بالنظرية النسوية مع ظهور مقال: (المرأة والعلاقات الدولية) عام 1988 في أزمة التنظير لموضوع العلاقات الدولية. وعليه؛ طرحت مسألة المساواة مع الرجل في كل شيء، كما طرحت مسألة الحرية الفردية ومصادرة الرأي والحقوق الدستورية، ومسألة الاضطهاد والاستغلال والطبقية في اتخاذ القرار بل وحتى مسألة العبودية، فتشعبت بذلك الاتجاهات النسوية من نسوية ليبرالية إلى نسوية اشتراكية ماركسية معلنةً خلافا جوهريا إيديولوجيا، في العلاقات الدولية، ولم يتفق المدّ النسوي إلا على تأكيد (تهميش دور المرأة في السياسة العالمية)[28] وناقشت بذلك كل النظريات السابقة لبيان مدى إشراك المرأة أو إبعادها من

السياسة الدولية. وعلى خلفية هذا الصراع يأتي تقابل الأدب النسوي والأدب الذكوري، وتعين بين الأدبين خلاف النسبة، وبذل كل طرف جهده في التمييز والتقديم لكل منهما، حتى وصل الأمر حدّ التصادم لعدم اعتراف الأدب الذكوري بما هو أنثوي، ليكون النضال قائما على أساس أن يُعطى للمرأة حقها الطبيعي في ممارسة الإبداع كما هو حق الرجل. والحق في نظري أن الدرس النقدي كان قد دفع هذا الوضع وأبعده من ميادين الدراسة التي خرجت إلى مركزية النص متجاوزة المؤلف، ثم إلى مركزية القارئ متجاوزة المؤلف والنص معا، وفي ذلك تهميش واضح، ولكنه من مقتضيات الطبيعة النقدية. فبمجرد ظهور المد البنيوي تحول النقد إلى موت المؤلف، فلم يعتن لا بذكر ولا بأنثى، والعبرة بوصف الإبداع المؤسس على النص ثم على القارئ. ولنا أن نمثل لذلك بكتب النقد التي لا تحفل بجنس المؤلف بقدر ما تهتم بمضمون النصوص المقدمة.

ومنه أيضا تقابل الأدب الشعبي والأدب الفصيح على خلفية الدراسات الإيديولوجية بعد ظهور النقد المتأثر بالماركسية والشيوعية والبلوريتارية التي تمثل عموم الشعوب لا خاصة الأفراد والرؤية الارستقراطية عند الغربيين . من هنا جاءت دراسة بروب للحكايا الشعبية[29]، وربطها بالنظام الكوني الذي يسعى الاشتراكيون إلى نشره والتبشير به، ليكون صورةً يُرجى لها أن تشيع. إن الفكرة ببساطة لا تتعدى اختلاف التنوع بوصفه طبيعة بشرية متعلقة بالطبقات الاجتماعية-تركيزا على نتاج السواد الأعظم من البشر-، على الرغم من اختلاف التضاد الذي تغذيه الإيديولوجيا المضادة للفكر الرأسمالي، وما أكثر الدراسات السيميائية التي قامت على الأدب الشعبي[30]مع النقاد الروس ومن وافقهم في توجهاتهم، ووصل الموضوع حدّ تحديد الأدب الشعبي والثقافة الشعبية مقاييس تأخذ حيزا في التكوين العام للأكادميين[31].

ومنه قضايا لغوية في النحو التوليدي ونحو اللغة العربية[32]؛ فالهامش موضوع للدراسة بمقابلته بغيره من المصطلحات المستخدمة، فجاء في شكل كل ما لم يتعلق بالقاعدة كالهامش الموسوم والفضلة عموما وما نزل منزلة المقتضى من الشيء. ثم يعين مفهوم الهامش في مقابل مفهوم نحو النواة[النظرية اللسانية] ومفهوم النحو الكلي ومفهوم النحو الخاص. وجاءت الخلاصة مُعينةً لأربعة اعتبارات: النحو الكلي هو المركز لكل اللغات الطبيعية، ونحو النواة هو المركز لكل لغة خاصة، والنحو الخاص هو نحو كل لغة خاصة، ويبقى الهامش جزءًا من نحو النواة[33].

ومنه أيضا قضايا الاطراد والشذوذ في اللغة العربية[34]، فالمطرد ما شاع وكثر استعماله بين الناس، والشاذ ما خالف الاستعمال والقياس. وبالنظر إلى التركيب شاذ/مطرد؛ يكون هناك المطرد في القياس والاستعمال معا، وهناك المطرد في القياس الشاذ في الاستعمال، وهناك المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس، ويبقى الشاذ في القياس والاستعمال معا. وعليه؛ يكون الاطراد مركزا والشذوذ هامشا.

ومنه أيضا إهمال العلل الجدلية في النحو كما في الفقه عند الظاهرية، وأساس المسألة أن لو كان للعلة مكان وحظوة لأجلها تُعرَف لكان الوضع قد بينها[35]، تماما كحال مسائل الفقه التي تتعلق بالتسليم والطاعة من دون تعليل ولا حاجة إليه؛ لأنها من صميم التدين والامتثال. وإن كانت عند المخالفين علما؛ فإنه يتعلق بالمعرفة العليا التي لا حاجة للمتكلم لمعرفتها. وفي ذلك وجه حق بيّن؛ فالمتكلم لا يناله ولا ينال سامعه من معرفة العلة الجدلية شيء يُنتفع به، ولكن العلماء والعلماء وحدهم لهم في ذلك قياس تتعين به الأشباه والنظائر، ويبدو في كلام الظاهرية غلق لهذا الباب أحصل منه علم أو لم يحصل، ليكون في الوضع وجه من التهميش، لا يضر استخدامه وممارسته، ولا تنتفع به إلا الخاصة عند التقعيد. ولذلك يُدرج ضمن علاقات التكامل تجاوزا وتساهلا في تركه وإتيانه.

ومن ذلك أيضا الترجمة[36] التي تطرح أمام المختصين أشكالا من المقاربات، التي يمكن لها أن تتكامل وتتكاتف وقد تتضاد دون أن تصل حدَّ التصادم، وأولها المقاربة اللسانية في شقها الأسلوبي المقارن ثم اللساني النظري فاللساني التطبيقي وفي شقها اللساني الاجتماعي وثانيها المقاربة التأويلية، والثالثة المقاربات الإيديولوجية فالمقاربة الشعرية فالمقاربة النصية فالمقاربات السيميائية والمقاربات التواصلية والمقاربات المعرفية[37] لتقع هذه المقاربات في دائرة النظرية التأويلية، ونظرية الفعل والحركة، وفي نظرية اللعب، ونظرية الأنظمة المتعددة[38] من حيث تحقيق المعنى والتكافؤ الدلالي واللساني وكذا الأمانة في النقل وتوصيل المعرفة[39].

ومن الاستخدام الجماعي لمجمل الملفوظات التي يتواصل بها أفراد المجموعات البشرية تتعين بالضرورة دلالات مركزية وأخرى هامشية لتلك الألفاظ مهما كان المجال المستخدمة فيه، وهو ما يصنع اتفاقا حول مركزية

وهوامش بذاتها يتصل بكل منها ألفاظ تتعين هامشيةً على خلفية مركزية ثابتة إلى حد بعيد.

إن(أفراد البيئة اللغوية رغم اختلافهم في تلك الدلالة الهامشية يشتركون في إحساس لطيف غامض يصعب تحديد مداه، لم يتفطن له معظم اللغويين، وهو ما نكتسبه من كثرة تجاربنا مع ألفاظنا ودلالاتها من إمكان التنبؤ بالدلالة أو جزء منها لدى سماع ألفاظ لم نسمعها من قبل ولم نتعلم شيئا عنها....)[40].

ومدار الحقيقة في ذلك ترابط الإشارة والإيحاء[41] (dénotation) (connotation)؛ ذلك أن الأمر لا يتعدى القدر المشترك من الاتفاق حول معنى لفظ يتأسس عليه المركز لقيامه على المعنى المباشر المحدد للإحالة[42]، في حين يخضع ما تعلق بالتجارب الخاصة والموروثات لسلطة الهوامش الدلالية[43] المعزولة عن معناها الأساسي[44] بوصفها إيحاءات تثير مجالات معرفية ودلالية هامشية في الذهن[45]، ليؤدي السياق دوره في تحديدها مقارنةً بالمعنى المركزي[46] على خلفية الإقناع والملء الدلالي[47] للملفوظات بالارتباط بتجارب الناس وخبراتهم بشكل جماعي وفكري وحضاري[48]، أو بشكل فردي على قدر التجربة الشخصية الخاصة[49]. وللدلالة المركزية والدلالات الهامشية صورة تكاملية على أن التصادم بينها وارد بحيث تجتمع في قراءات مركزية تعضدها أخرى هامشية على أساس التعدد والمحتمل الممكن؛ وذلك لوجود الإرادة المقصودة بين الإشارة والإيحاء بوصفهما خاصيتين ذاتيتين[50]. ونحو ذلك مجال المسكوت عنه والمنطوق به بوصفهما خاصيتين نصيتين ترتبطان بالفجوات وملئها زمن القراءة، ويتعلق الأمر بالتهميش اللاإرادي الذي يثبته القارئ ويعيد بناء المقروء على أساسه[51].

تنحو الصور السالفة إلى التصادم والتكامل معا؛ لأنها تدخل في التكوين العام للشخصية الإنسانية، ويقع العمل فيها بالإفراد كما يقع بالمزج والمزاوجة بنيَّة بلوغ قمة الأداء. كما يحدث وأن تتحول هذه المقاربات إلى صراع من مستوى أول يهمش بعضا ويمركز بعضا، ولكنه لا يرقى إلى مرتبة الصراع الذي سيأتي الحديث عنه، بقدر ما هو إشراك وتكامل وتكاتف لا استئثار بالمركز والأنا دون الآخر، وهو يقع موقع النقد الذاتي الذي تستقيم به الأشياء في الحياة العلمية والاجتماعية والفكرية.

وأما الصراع الخالص؛ فهو ما يسري على الفكر والإيديولوجيا والخلفيات المعرفية للأفراد والمجتمعات، ومع الكل تتعين ميادين التهميش.

2.2- علاقات الصراع والتصادم:

إن حديث التصادم والصراع يبدو من ميادين التهميش في الثقافة الإنسانية عموما، وهي المحصورة في مجالات تعيّن فيها المركز في صراعه مع الهامش، كمجال العقائد وتوابعه، والخصومات العلمية والأدبية والتوجهات الفكرية والفلسفية والإقليمية وحتى الجنسية، وهو يقع على مستويين كلاهما علوي يشكل الباعث والدافع لكل ممارسة تتعلق بالمركز والهامش:

**أ-** الصراع على مستوى الإيديولوجيا والمرجعيات:

في كتاب (الإيديولوجيا العربية المعاصرة)[52] لعبد الله العروي صراع اليمين واليسار وتيارات أخرى، أهمها المشروع القومي العربي في مصر والجزائر وتونس في مقابل المشروع الليبرالي، الذي تنبأ له بالصمود مستدلا بانطفاء الاشتراكية السوفياتية التي استلهم منها المشروع القومي العربي خطوطه العريضة[53]. وفيه أيضا تنبؤ واستشراف برؤية استراتيجية أخضعها للمقوم التاريخي الذي قام دليلا-الحقيقة التاريخية- على صحة القراءة التي قدمها الباحث في دراسته.

يؤكد الباحث على فكر التهميش الذي خضع له كتابه بعد صدوره لمخالفته المشروع القومي بفعل القراءة التابعة للمد النقدي المتشبع بالفكر القومي، الذي سبق تلك القراءات مما جعل من الكتاب عديم النفع، وغير قادر على التغيير في مجتمع يمارس التهميش بوسائل متنوعة[54]. ويمثل لذلك بالمقارنة بأقوال متضاربة في الفكر البشري تتأسس على انحطاط الإسلام بسبب تعلقه بالخرافات في رأي الغربيين، وكل ما فيه في الحقيقة حث على التأمل والتعقل والنظر والتسامح والأخوة، مستندا إلى فكر محمد عبده في رسالة التوحيد. وفي المقابل يعزو كثير من العرب تقدم الغرب إلى العقل والحرية، على أن الحقيقة تحمل امتحان غليليو وسجنه، وإهانة ديكارت، واضطهاد روسو، وتعذيب جوردانو برونو، وكلهم مفكرون لم ينعموا قط بالحرية التي يتطلبها الفكر العقلي. وذكر من النماذج ما أعاد إلى الفكر صنيع المتوكل بالمعتزلة على صنيعهم بالناس، وصنيع المرابطين بكتب الغزالي، وما عاناه الفارابي والرازي من حصار واتهامات على خلفية التوفيق بين الحكمة والشريعة. إن الصورة الماثلة للعيان أن الحرية والعقل لا يعيشان في مناخ بعيد عن سيادة فكر وسلطة تسيَّرانهما، والأمر يتأسس على الفهم الحقيقي للدين وللقيم التي ينبني عليها وعلى الصورة التي يتم بها فهم كل ذلك[55].

في هذا التقعيد المنهجي توضيح لصور التهميش والتبادل والتداول بين الأدوار في أحوال تتضارب وتتناقض؛ فقد بدأها بتساؤلات محمد عبده

وتخريجاته للأوضاع التي عاشها العرب والغربيين معا، ثم توجه إلى رجل السياسة وداعية التقنية، إذ تجاوزت الأوضاع الإصلاح الديني إلى نمط من السياسة الرشيدة إلى الصناعة والتكنولوجيا بوصفها مفتاح التقدم والرقي في عالم لا يؤمن إلا بذلك[56]. وفي كل ذلك بحث عن إدراك الهوية وأشكال الوعي في علاقتنا بالغرب، مما يتأسس عليه المركز الغربي في شقه الثقافي والفلسفي والصناعي التكنولوجي، بالهامش العربي في تخلفه المتعدد النواحي[57].

إن الصراع في حقيقته تداول للأدوار بين الاشتراكية العربية ممثلةً في المشروع القومي، وبين المشروع الليبرالي الذي يستند إلى القوة التاريخية والوجود الفعلي للتطور الصناعي والتكنولوجي والرقي الاجتماعي الذي يمثله الغرب.

وتناول الموضوع أيضا محمد صالح المراكشي حين سعى إلى إثبات تهميش المركز في الثقافة العربية، وذلك بتأكيد الصراع بين المركز ممثلا في العقيدة الإسلامية، وبين الهامش ممثلا في التيار العلماني على أساس بناء (نظام ثقافي جديد يشع داخله مركز جديد ومغاير تماما للمركز التقليدي)[58]، حيث بدا تيار العلمانيين العرب من الرعيل الأول والمنتمي للمسيحية [شلبي شميّل وفرح أنطون وسلامة موسى] محقرا للفكر الديني والعقائدي مطلقا، ومناديا باستبدالهما بالعلم[59] . والأصل في كل ذلك تحمسهم للمدنية الغربية وتحفزهم لترسيخ المبادئ العلمية الحديثة (يدفعهم إلى ذلك هذا التواصل المبكر مع الغرب)[60]، وقد تشبعوا بالفكر الغربي المنافي للعقيدة والتدين والمليئين بالأحقاد والفتن والتعصب[61] ومن ذلك الظلم السياسي المسلط على المثقفين المسيحيين مما أدى إلى مناداتهم بالقومية[62] الناشئة ضمن إطار طبقة العلمانيين الذين أثروا في سائر المثقفين العرب مسيحيين ومسلمين[63] .

إن الموضوع في عمومه حسب فتحي القاسمي مرتبط بعوامل تاريخية وسياسية ونفسية تمخضت عنها أهداف مست التعليم وأسهمت في بناء الحداثة العربية بتغيير الواقع العربي وإقصاء الحركات الدينية والتحول إلى السلطة المدنية اللائكية وتفعيل دور المرأة. وفي ذلك دعوة صريحة إلى تهميش الفكر العقائدي والديني على خلفية تهميشه في الثقافة الغربية يوم أن تمَّ الاستغناء عن الكنيسة والتحول من علاقة الإنسان بالله إلى علاقة الإنسان بالإنسان كما دعا إليه بعض العلمانيين المتأخرين على تفاوت بينهم كزكي محمود نجيب وحسن صعب وفؤاد زكريا وعبد الله العروي ومحمد أركون؛ فقد أضحى الفكر الديني مهمشا في الفكر الإنساني الحديث لخروجه إلى الكونية والتسامح الإنساني بدل اضطهاد العقائد للإنسان وحمله على صور قد

لا يرضاها لغيره لمجرد المخالفة الدينية[64]. وعلى هذا تحول الفكر العلماني الهامشي إلى فكر مركزي زاحم وزحزح المركز العقائدي ليصير هامشا في الثقافة والمعرفة العربيتين، وفي هذا المنطق الصورة المثلى التي يشتغل في ضوئها صراع المركز والهامش.

وتناول مسألة الصراع الإيديولوجي بمستوى آخر رشيد الإدريسي[65] في دراسته لمقامات الحريري، فكان للمانوية دور في توجيه أفعال بطل المقامات في مجملها بتغليب الخير على الشر. وفي حديثه عن حدود الإيديولوجيا المانوية في مقامات الحريري للربط بين الإيديولوجيا والتعبير الأدبي وافق رشيد الإدريسي عبد الله العروي حينما تحدث عن الهوية وأشكال الوعي في المجتمع العربي[66]، وقد عيَّن أشكال التعبير وارتباطها بالإيديولوجيا في الوطن العربي، وهي الحقيقة السارية في كل المجتمعات[67]. ويمكن للصراع أن يغذيه المد السادي أو الماسوخي، أوالزرادشتي أو غيره من التيارات الفكرية الشرقية أو الغربية.

ومن الإيديولوجيا والمرجعيات يظهر الصراع الثقافي والفكري والمعرفي وفيه حديث عن الجنس والسياسة والدين وثقافة المنع في الكتابات الأدبية والروائية منها على الخصوص، وكان باختين قد عيَّن مصاحبة الكلمة لكل فعل إيديولوجي وتعلقها به[68] إلى أن رأى (الكلمات منسوجة من خيوط إيديولوجية عديدة لا تحصى، إنها لحمة العلاقات المجتمعية لجميع مجالاتها، ويتضح من ثمَّ أن الكلمة ستكون دائما المؤثر الأكثر ملموسية لكل التحولات المجتمعية)[69]. داخل هذا الإطار الفكري سيناقش البحث مسألة الصراع الفكري والمعرفي والثقافي عموما وهو في حقيقة الأمر –وكما بدا لي- جزء من الصراع الإيديولوجي، بل نتيجة حتمية له بوصفه جملة ممارسات مدركة حسيا، ويمكن الاصطلاح عليه بـ: المستوى الظاهر للصراع.

**ب-** الصراع الثقافي والفكري والمعرفي:

ناقش فرج بن رمضان مسألة الجنس واستخدامها في الكتابات الأدبية والثقافية معلقا على فرويد في تفسيره للظاهرة في الثقافات المختلفة على أساس(الانطلاق من الحقير للوصول إلى الخطير)[70]؛ ذلك أن الحداثة تعادل الهامش وهي تناوئ المركز الكامن في العقيدة والمعرفة الأصولية؛ فقد(دأبت الثقافة المركزية السائدة على إنتاج وإعادة إنتاج هذه الثنائيات ..حتى تتحول إلى جزء من اللاوعي الثقافي للأفراد والجماعات...و... تساهم في بقاء المنظومة السلطوية المتحكمة في عمق النسيج المجتمعي بكل مكوناته السياسية والثقافية والاجتماعية)[71]. والمسألة تتعلق بقيم ثقافية أساسها ثنائيات:

| | |
|---|---|
| هامش | مركز |
| حقير | خطير |
| لعب | جد |
| فحش | وقار |
| جنون | حكمة |
| خيال | واقع |
| خطأ | صواب |

فحسب فرويد (التناقض الضدي بين المركز والهامش هو تناقض إيديولوجي مفتعل لأننا لو حررنا الفكر من ضغط الإيديولوجيا وآلياتها... لبان أن الهامش ليس هامشا في الحقيقة وأن الحقير من العلاقات جدير بالدلالة على أخطر الحقائق)[72]. وعليه ليس الحديث عن الجنس لذاته ورغبةً فيه دون سواه؛ وإنما الجنس باختصار هو الحياة .. (وأن الشهوة الجنسية هي تعبير عن شهوة الحياة والبقاء لا في المعنى البيولوجي التناسلي للحياة)[73]. في هذا الكلام تفصيل للحقيقة غير المدركة تحت أقنعة المركزية المعرفية (العقيدة الدينية)، ولو تمَّ التحقيق في أصوله المعرفية لانتفى أن تكون هذه المعرفة الثقافية الصرفة محل نزاع وسكوت وظل لا ينجلي، وعلى ذلك يكون التقابل خطأ/صواب (هامش/مركز) وجهان للحقيقة من منظورين مختلفين، تتحقق معهما الوظيفة البيولوجية (الحاجة الحيوانية) ووظيفة الرغبة والبقاء المنشودتين عند الإنسان[74]. وكلاهما مركز وإنما المرغوب عنه منهما هو ما خلا من الحياء كما تقتضيه المركزية الدينية، على الرغم من أن ترك الحياء إذا تعلق بالتدين والمعرفة الدينية لا حرج فيه، لما يقدمه من تحوّل معرفي تحصل به الفائدة، وإنما المرفوض أن يتحول الحديث إلى دعوة تقام طلبا للفجور، والمروق، والتعدي على الحرمات فيلحقه حينئذ البطلان والتحريم لاتصاله بنيّة تخالف مشروعية الحديث فيه زمن مناقشته.

بهذا المعنى يكون الإشكال في المنطلقات الفكرية لفرويد وتعليقاته على أفعال البشر من حيث هي رياء ديني لا يتعلق بالحقيقة ولا التفريق بين الوظائف السالفة؛ ولذلك يكون هذا الشكل من الصراع تابعا للصراع السابق القائم على الإيديولوجيا، والفكر والمعرفة والحضارة[75] ومقوماتها عند كل مجموعة بشرية. إن الممنوع أو الحرام في كل شكل كتابي بما في ذلك الأدبي

على الرغم من طابعه الخاص يخضع للنوايا وهي لا تُدرَك إلا بظروف الإنتاج والسياقات المختلفة وما تعارف عليه الناس أنه من خبايا الحديث عند صاحبه؛ فيختلط الأخذ وتتيه المعرفة؛ إذ تتحكم فيها المنطلقات الفكرية والتوجهات الإيديولوجية وشتى أنواع المعرفة المعروفة باهتمامات القراء، وكلام البشر جميعا يستفصل، لقيام جيد الرؤية فيه. وعلى هذا يُفهم عدم زعزعة الذات والنفس عندما تُقرأ الآيات المحددة للنكاح، وتعرض الآيات مجمل سير الأنبياء، لأن القارئ يستحضر قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) [الفرقان/32]، وليس بين القرآن في طرحه للحقائق عند المسلمين من مقارنة بغيره من أفعال البشر، وإنما تحصل الفائدة بالمعرفة القائمة على نوعية الخطاب التعليمي والتثبيتي المتعلق بمعرفة أصيلة في النفوس. لكن الكلام خارج هذه المساحات المعرفية تعتريه جملة من الشوائب، تخلخل بناءها الكلي، وتفرض نوعا من القراءات يجعلها تقع موقع المرفوض لعلل وأسباب متعددة، لعل أهمها الشك المتصل بنوايا عرضها. ثم قد يحصل الفهم البشري للنص الديني فيصنع ذلك في النفس مشقة القبول والتسليم عند طوائف من الناس، لا لسبب سوى أنها تأويلات بشرية يعتريها ما يعتري البشر من تحول وأهواء ومعارف، أما النص فهو عند الجميع حجة يفسر كما تمَّ إدراكه وفهمه. وهذه حقيقة لا بد من تعيينها وتحديدها والوقوف عندها.

في هذا الإطار كتب نبيل سليمان ما سماه الأدب والحرام عارضا الصورة ذاتها وما تعلق بها من رفض لرواياته وبعض كتابات الأولين لمخالفتها النهج الذي استقامت عليه الأمة؛ ولو كان خوض الحديث فيها من جهة التقويم والإصلاح لكان قبولها تاما، واستقبالها على السعة التي تخدم النية الصالحة طلبا للأفضل من الأخلاق، ودرءًا لكل سيء منها على ما تقتضيه المعرفة الدينية والخلقية والأعراف الاجتماعية التي تتحكم في سيرورة المجتمع، فلما تمَّ لمس سوء النية في ذلك تحوَّل الموضوع إلى الرفض المعادل للتهميش في مقابل استقامة المجتمع على الفضيلة. وليس المراد غياب الرذيلة مطلقا من المجتمع، والعيش في حال من الاتزان السحري الذي يرفع النفس إلى صور الملائكة الكرام في آدائهم الوجودي، وإنما المراد أن تكون النوايا مرتبطة بنشر الرذيلة فترفض لذلك، ولا يتعلق الموضوع بغير ذلك.

عرض بحث نبيل سليمان ثقافة المنع في المجتمع العربي قديما وحديثا، وعلَّلها بالواقع والإيديولوجيا المخالفة ومجمل المؤسسات الفاعلة في المجتمع حتى وصل الدين والأخلاق[76]، وعيّن موضوعين هما الأكثر رفضا في المجتمع العربي أدب الحب الجنسي[77] وأدب القاع[78]. وحصر المسألة في الحرام الذي يسري على الدين والجنس والسياسة، ثم توسع إلى الحرام

اللغوي والروائي والحزبي[79]، ثم تعرض بالحديث لأنواع السلطات فجعل من سلطة العقل السلطة الأولى[80] المتعلقة بحرية التعبير.

تحولت حرية التعبير ولو بالمخالفة إيديولوجيا قائمة بذاتها والهدف منها هو ممارستها دون التعرض لها ولا المساس بممارسيها؛ فتبدو حقيقة خفية تتمثل في تعايش الأفكار المتضادة، والتي هي في الحقيقة أفكار متجانسة تتكامل، ولكل منها سياقها ومجالها الخاص ومجال استعمالها المحدد، ليكون الوعي التام والراقي متعلقا بالنظر إلى رؤية العالم[81] وإنما يقع الشطط إذا تماهت تلك السياقات والمجالات[82].

الظاهر أن الروايات تعرض في مجملها حلولا لمشاكل اجتماعية ونفسية، وتطرح للنقاش مشاكل من نفس الجنس أيضا تحتاج حلولا؛ فهي تصور واقعا أو بعض واقع له في حياة الناس وجود محسوس، ويشكل اهتماما من اهتماماتهم وهاجسا من هواجسهم، مما يحتاج إلى تقويم وفق منهج ترتضيه رؤية الرواية ويساير طبيعة المجتمع ويكون قادرا على التعامل مع تلك المشاكل بشكل يضمن الاستمرار والتقويم، ولا يوقف عجلة التطور، ولا يتسبب في تحوّل المجتمع من نظامه المعهود إلى اضطراب يصعب التحكم فيه ليؤول الأمر إلى الطبيعة المنكرة التي لا تستقيم معها الحياة. وهذه وجهة نظر.

والوجهة الثانية؛ أن يكون مضمون الروايات حقيقة اجتماعية أو نفسية[83]، ويكون من قبيل المعرفة بالشيء كالتي يكفلها الإعلام، لا تزيد عليه إلا في الطبيعة الفنية والأدبية، وشكل الكتابة الجمالية التي تغلفه- المضمون- بوصفه رسالة موجهة. وإن لم يكن كذلك فهي من باب الإنذار والتحذير والتوقع الذي يصرف البلايا، حتى لا يقع ما يماثله من تصرفات في مواقف سردية ترسم مسارات تتعلق فيها النتائج بالمنطلقات الذاتية لشخوص الروايا، فتكون من قبيل ضرب الأمثلة، ولنا في القرآن الكريم قدوة وأسوة حسنة، وإنما كان الذم مقترنا بالإفراط كما قال الباحث[84].

وقد تكون الحقيقة جميلة أو قد تكون قبيحة[85] وعرضها على ما هي عليه يدخل في باب ما تمَّ ذكره، وفي الحالين معا لا ينبغي أن تتعلق بعض السلوكات السردية بمواقف حادة؛ فقد تحدث نبيل سليمان في مقاله مستندا إلى ما كتبه الحبيب السايح عن إدراك المعرفة الذي يُجازى بالعقاب[86]. ويكون التلازم أن تعرف يعادل أن تعاقب... غير أن الحقيقة التي يمكن إدراكها أيضا تفترض أن يكون فعل القمع سلوكا فرديا لا يتعلق بالجمعي، وأن يكون رفض العلم بالشيء مطلبا يفرض نفسه على أفراد المجتمع، فيتحول الفكر إلى الرؤى العلمانية التي تبيح حرية التعبير في كل شيء، وهي وجهة تقابلها وجهة لا ترى في ذلك الفعل السردي غير الحث

على الحياء أو عدم معرفة طريق المعالجة نظرا لجهل الشخصية بواقع الحال.

ويربط الروائي بين هذه الممارسات وبين حرية المرأة ومصادرة رأيها في التعبير عن ما يمثل هاجسا من هواجسها داخل الصراع العميق الموسوم بالأدب الذكوري والأدب النسائي[87] الذي يتخذ من السرد صورة للصراع الجنسي. ويبدو أن الحديث عن الخمر والميسر والجسد والعهر والبذاءة اللفظية يمنع النشر في دوائر بذاتها تتمتع بالسلطة والنفوذ وتشكل المركز، وتنظر إلى تلك الممارسات على أساس أنها سقوط وانحطاط ومخالفات لغوية واجتماعية وأخلاقية وحتى دينية، ولا تعبر عن الفكر الحر، ولا تنتج قراءات، ولا تبني مجالات معرفية، ولا تعالج فجوات هذا المجتمع الذي ننتمي إليه.

وقد يكون لذلك وقع التطهير بالامتناع في مواقف الامتناع وحصول الفائدة بذلك نفسيا واجتماعيا أو بإتيان نقيض الاعتقاد لتتحوّل الغايات وتحصل الفائدة بذلك أيضا. كما قد يكون في ذلك وقع المعرفة التي ترسخ بالحكي والسرد، تحددها الطبيعة العمرية والطبيعة الجنسية في وضعيات مختلفة على أساس وجود أنموذج تعليمي يُحاكى ويتمُّ تخييله.

وفي الواقع السردي المكشوف اختيار مقصود وإرادة فعلية ينحو من خلالهما السارد إلى الحرية الغائبة بوصفها قيمة معنوية واختلافية متصلة بعقدة النقص والفقدان التي تلازم الوجود الذاتي عند كثير من المؤلفين العرب، فإذا ما تمت ممارستها في الفعل السردي، وتمَّ التواصل بذلك مع المجتمع حصلت الفائدة، وخفَّ وقع المنع، ويبقى للمجتمع أن يعاين الحقائق المقدَّمة على نحو ما تقدمه وسائل الإعلام؛ فتتنوع المعرفة ومصادرها بما يمهد للاستقرار والطمأنينة التي تسري في نفوس الأفراد من خلال الإحساس بالأمان، والخوف من الفضائح والعقوبات المختلفة فقد باتت أفعال أفراد المجتمع تحت الرقابة ومعرَّضة للكشف عنها في أي لحظة، مما يصنع التوازن على مستوى الضمير أو على مستوى المصلحة وصيانتها.

إن هذا الشكل يحقق نموا فكريا، ويؤسس لحضارة تسع الفكر والفكر المضاد، وتتعايش فيها كل التيارات على مبادئ السلم والحقوق المشتركة، والصراع السلمي المعلن والمسموح به قانونا وعرفا وسننا اجتماعيا. وبما أن الواقع يفرز إيديولوجيا الفكر المضاد الذي يرى الحرية في شكلها المقيد لا المطلق؛ فيمارس بذلك ضغوطه على مستوى كل المؤسسات الفاعلة في المجتمع، ويقدم جملة الوسائط الممكنة لتحليل الظاهرة السردية وفق أنموذج الثقافة المركزية، وتتعين بعد ذلك كل الممارسات الهامشية المخالفة للتقاليد والأعراف وقواعد الضبط المتفق عليها أو المفترض العمل

بها بحكم الوضع القائم في المجتمعات(ممارسة العزل الفكري). ويباح الصراع على أساس الضرورة الاجتماعية والاختلاف الفكري والمصالح الذاتية والجماعية، ولكن العيب في فكر الإلغاء الكلي والتهميش المتعمد والرفض المطلق للآخر، رغم أن قيام القبول والمشاركة والتعاون بهدف بناء مجتمع مؤتلف اللبنات ممكن، حتى وإن اختلف أفراده من حيث الوسائل المؤدية لذات الغاية، وهذه وضعية تقتضيها الطبيعة البشرية ذات الوجهة الاختلافية تنوعا وتضادا بما يخدم المجتمع؛ فيناله من أفراده على اختلاف مشاربهم إخلاصهم وتفانيهم ووفاؤهم على أساس المواطنة والهوية. وليس أدل على ذلك من المجتمع الأمريكي وآليات اشتغاله من حيث الطبيعة الثقافية المتعددة والمتوافقة ضمن إطار المواطنة والمثاقفة التي تصنع الفوارق الجوهرية لثبات وعراقة الممارسات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

ويتأسس الرفض بكل أشكاله ودواعيه على عدم القبول الكلي أو الجزئي لفكر ما، أو لرؤية ما، وبأشكال التعبير المعروفة شعرا وروايةً ومسرحا، أو ما اتصل بوسائل الإعلام، ومختلف أشكال الإعلان والحركات الجمعوية. والواجب أن يفرز الرفض والقبول معا إنتاج القراءة وممارستها، وتتعين بذلك أنماط من السلطات الأخرى التي تتحكم في فعل القراءة ذاته، ولا بد أن يكون في بعضها الحقيقة الغائبة كليا أو جزئيا في حياة الناس، ويسري عليها فعل الإقناع والاعتراف حتى يكون لها دور في البناء الاجتماعي؛ ذلك أنها تؤسس لقبول الرأي المخالف والمضاد وعدم مصادرته وحجبه عن الناس مهما كان مستوى النقاش، ومهما كانت طبيعة الموضوع المطروح للمناقشة والعرض، فيصل الأمر إلى حدّ الحرية والاختيار واتخاذ القرار وإبداء الرأي. إن الصورة التي ينبغي للمجتمع العربي أن يسلكها تكمن في تدعيم أركانه وتصحيح قواعده في كل ميادين الحياة، ليحقق نهضة متعادلة الأطراف تستطيع أن تستوعب وجهات النظر التي تشكل فئات المجتمع، وتكوّن قناعة على أساس اختلاف التنوع، وحتى التضاد فيه تضاد سلمي حواري بنَّاء.

إن قيام فكرة استيعاب الآخر واستثمار معرفته لخدمة المجتمع هي أعلى أنموذج للتعايش الإنساني دون الأحقاد والتعصب والتقوقع الفكري الذي يولّد كل أشكال الصراع الممكنة، بل قد يصل حدّ استغلال ذلك الوضع والاستفادة منه في تصعيد الصراع الذي يصل إلى الممارسات المرفوضة لقيامها على العنف والإكراه في قالب تحرري أو ديني سابق لكل نمو معتدل لفكر أو إيديولوجيا معينة، حينها تأتي هذه الممارسات ردًّا على الكفر والانحلال والمروق من جهة أو التخلف والرجعية والمعرفة البالية من جهة

أخرى. وهو ما يتولد عنه بالضرورة التهميش والإقصاء والنسيان المتعمد للطاقات والتوجهات الموجودة في بنية المجتمعات.

خاتمة:

نستخلص مما سبق أن ممارسة التهميش تجري على مستويين أولهما المستوى المرجعي والذي يعود إليه الصراع الإيديولوجي والفكري والعقائدي، وهو يتعلق بما يمكن تسميته بالتهميش لذاته. والثاني مستوى الممارسة والذي يعود إليه الصراع الثقافي في صور الكتابات المختلفة، وهو يتعلق بما يمكن تسميته التهميش لغيره، وكلاهما-المستويان- يجريان على جملة المجالات التي سبق الحديث عنها سياسيا واقتصاديا وأدبيا واجتماعيا وثقافيا وحضاريا ودينيا وإيديولوجيا.

إن الصراع في مجمله داخلي يتصل بأفراد المجتمع الواحد، أو خارجي تتعارض وتتصارع فيه الكيانات والمجتمعات المتأثرة بإيديولوجيات ومرجعيات متعارضة؛ فتتعلق حقيقة مستوى الإيديولوجيا والمرجعيات بالإدراك الذهني حسب قواعد بحث علمية محددة تعتمد التحليل والإحصاء والمقارنة، كما تتعلق ذات الحقيقة بمستوى الممارسات في مجمل الميادين الحيوية في الحياة البشرية، ويتم إدراكها حسيا من واقع الحال بتحليل المعطيات والمعلومات المعلن عنها عن طريق مختلف وسائل الإعلام ووسائل التواصل البشري المقصود وغير المقصود.

ويبقى ما تعلق بعلاقات التكامل الذي ينتهي عند رؤية موضوعية مفادها الحقيقة القائلة بتكاتف المعرفة، ولكن الأمر لا يتعدى مجالات معرفية بذاتها، لا يكون الصراع فيها إن وجد معادلا للصراع الموجود بين الإيديولوجيات والحضارات والثقافات والأديان والأمم والمجتمعات.

وعلى هذا تتشعب ميادين التهميش على أن يبدو ذلك من خلال تكامل وتكاتف ونقد ذاتي ينحو إلى التطور وتحيين الفكر والمعرفة بما يحفظ التوازن ويساير العصر المعيش. أو يبدو من خلال التضاد والتصادم بالاختيار والتهميش طلبا للصلاحية الأحادية ونبذا لما يبدو فسادا وقصورا، وهما الصورتان الأكثر ترددا في الحياة البشرية.

إن ظاهرة التهميش تخضع للتحليل والمراقبة لأنها تعين المركز والهامش من خلال الصورة الغائبة والخلفية الفكرية لكل الممارسات الصادرة عن الإنسان تجاه الآخرين؛ فتصنف بذلك الموجودات والوجود ذاته، وهي بوصفها ظاهرة مفروضة (التهميش القسري) تولّد ردّة فعل رافضة، ليكون الصراع في أوجه. ومن التهميش ما يقوم على الاختيار الذاتي الذي يفتقد

الوسط الخصب لكل ممارسة فعالة أو صراع متوازن، فيكون الصراع في أدنى مراتبه إن لم يكن وجوده تقريبا يعادل العدم.

إن طبيعة الصراع تقتضي إثبات الأنا لوجوده ليكتسب منه شرعية الوجود، ويكتسب من شرعية الوجود شرعية ممارسة التهميش ضد كل فكر مخالف؛ لأن شرعيته تنفي شرعية غيره وترفضها، وتكون الضرورة ممارسة التهميش لإثبات الذات، ورفض كل وجود مخالف. إن حياة البشر في أكثر صورها تقوم على أساس هذه العلاقة أي تعالق شرعية الوجود وشرعية ممارسة التهميش والرفض وإذكاء نار الصراع بين قطبيه.

وتقتضي ممارسة التهميش وإثبات الذات التبشير بمبادئ ترنو إلى الأفضلية، وتحل ما استعصى حلُّه من مشاكل عالقة، فينطلق الموضوع من وسائل الضبط الاجتماعي الذي يتحول إلى إيديولوجيا قائمة بذاتها لها في حياة الناس وجود يجب أن يُحترم وفق ما تقتضيه تلك الوسائل من إباحة ووجوب، أو منع وتحريم. وقد تعيّن أن موازين القوى لا تتأسس على العدالة من منظور كل البشر، ليصنع اختلاف الرؤى الفروقات المعرفية التي يقوم عليها المركز والهامش وهي حقيقة تكاد تكون مسلمة.

الهوامش:

[32] - ينظر: محمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1983، ص108-114. ويرى ملحم قربان في كتابه إشكالات، نقد منهجي في الفلسفة والفكر السياسي وفلسفة التاريخ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1981، ص247 أنها تتعلق بالقانون والدستور فقط ويسميه إطار الشرعية وهو الشق الملزم من صور الضبط الاجتماعي.

[2] – وسطية الإسلام معلومة معروفة عندنا. ولذلك ما جاء مخالفا سمي بالضرورة تطرفا ومنه الجماعات الإسلامية المتطرفة. وأما وسطية البوذيين مثلا؛ فإنها تقوم على الحقائق الأربع النبيلة: المعاناة وأسبابها والقضاء عليها والتوسط الذي يعادل سبيل التخلص منها.

---

64- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني،238/8-239.

ينظر: جون كولر: الفكر الشرقي القديم، تر: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة ، الكويت، 1995، ص183 وما بعدها. إن الحديث على الهدوء البوذي يراد منه وجود من دون معاناة وهو ما يعبر عنه أيضا بـ: النرفانا. ومن ذلك أيضا الاستنارة بالتجربة الذاتية(الزن)؛ لأن البوذي يعني المستنير نسبةً إلى سدهارتا جوتاما بوذا (المستنير).

[3] – ينظر: محمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، ص118 وما بعدها.

[4] – ينظر: لويس ألتوسير: الإيديولوجيا –دفاتر فلسفية-، تر: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص08.

[5]- Lucien Goldman : le Dieu cache, éditions Gallimard, Paris, 1983, p24.

[6]- ينظر: برهان غليون: مجتمع النخبة، دراسات في الفكر العربي، معهد الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986، ص221 وهو يميز بين الإيديولوجيا والثقافة.

[7]- ينظر: سعيد بن كراد: النص السردي-نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، 1996، ص08.

[8] – ينظر: عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص13.

[9] – تيري إيجلتون: الماركسية والنقد الأدبي، تر: جابر عصفور، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط2، 1991، ص14.

[1]0 – Marx –Engels : l'idéologie allemande, édition, Paris, p20.

[1]1 – Lucien Goldman : le Dieu cache, p25.

[1]2 – ينظر: حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص23.

[1]3 – برهان غليون: مجتمع النخبة، ص161.

[1]4 – السابق، ص207. حيث حدثت تحولات حسب برهان غليون في المجتمع العربي من الوحدة إلى التفكك، ومن الاستقلال إلى التبعية، ومن الاكتفاء الذاتي إلى إلى الفاقة، ومن السيادة إلى الضعف والعزلة، ومن الفعالية والإنتاج إلى الهامشية والاستهلاك.

[1]5 – السابق، ص221.

[1]6 – السابق، ص273.

[1]7 – السابق، ص142 وفيها : (ظل الفكر معزولا عن الممارسة وظلت الممارسة بدون فكر) الكلام لبرهان غليون.

[1]8 – ينظر: السابق، ص165 وص269 وهو يقرر أهمية الفكر العلمي وسلطة المعرفة.

[1]9 – ينظر: ملحم قربان: إشكالات، ص 181 وص183 وفيهما يتساءل عن معرفة الحقائق التاريخية وعدم وجود الضمان لتلك المعرفة بل يثبت طمسا للحقيقة أو لجزء منها تعتيما بالطبيعة المصلحية للنشر وعدمه.

[2]0 – ينظر: السابق، ص181-183 وإدراك الحقيقة التاريخية وما يلحقها من تعتيم وملابسات.

[2]1 – ينظر: كارل مانهايم(karl Mannheim): الإيديولوجيا واليوتوبيا، ـدفاتر فلسفية، ص111-112.

[2]2- ينظر: السابق، ص14.

[2]3- ينظر: عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ص13.

24 – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، 2003، مادة(متن). وينظر: المعجم الوسيط، ط5، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، باب الميم، مادة(متن) ص853. وفيها: (الماتن في اصطلاح المؤلفين واضع أصل الكتاب... ومتن الكتاب: الأصل الذي يشرح وتضاف إليه الحواشي).

25 – ينظر المعجم الوسيط، باب الحاء، مادة (حشا)، ص177.

26- تكمن أهمية المركزية الشعرية في نقد الشعر لقدامة بن جعفر وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي، والموشح للمرزباني، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، ثم منهاج حازم وعمدة ابن رشيق وما نزل منزلة هذه المصنفات.

27 – نبيل سليمان: الأدب والحرام، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية، ص171.

28 – جندلي عبد الناصر: التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، ط1، 1428هـ/2007م، ص337-341.

29 – ينظر: فلادمير بروب: تيبولوجيا الحكايا الشعبية مثلا. وينظر جيزال فالنسي: النقد النصي، ضمن كتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص175 فيما سماه تعليقات عن التحليل البنيوي للحكايات.

30 – ينظر دراسة رشيد بن مالك: قراءة سيميائية في كليلة ودمنة، محاضرات الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، 19-20 أفريل 2004، منشورات جامعة بسكرة، قسم الأدب العربي، ص27 وما بعدها. ودراسة جورج موراند الغراب والثعلب مقاربة سردية-خطابية، تر: عبد الحميد بورايو، محاضرات الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، 19-20 أفريل 2004، منشورات جامعة بسكرة، قسم الأدب العربي، ص11 وما بعدها. الدراسة تستند إلى حكايا لافونتين .Jean De La Fontaine

31- إلى سنة 2003 والطلبة في الجزائر في تخصص الأدب العربي يتلقون تكوينا في الثقافة الشعبية والأدب الشعبي، وإلى حدّ الآن (2012) لا يزال الأدب الشعبي مقياسا أساسيا لطلبة الليسانس بعد حذف الثقافة الشعبية من التكوين سنة 2003.

32 – ينظر: صالح الكشو: الهامش في النحو التوليدي تحليل بعض النماذج من التعابير الخاصة، ضمن المركز والهامش في الثقافة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 1995، ص299 وما بعدها. لم نحصل على هذا الكتاب إلا في أفريل 2012، ولذلك قد يكون بينه وبين بحثنا شيء من التشابه غير المقصود.

33 – ينظر السابق، ص311.

34- ينظر: عبد الحميد عبد الواحد: قضايا الاطراد والشذوذ في اللغة العربية، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية، ص313 وما بعدها.

35- ينظر: محمد خان: أصول النحو، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012، ص102 وما بعدها في حديثه عن العلل الجدلية النظرية وموقف ابن مضاء القرطبي منها.

36 – يمكن العودة في هذا الموضوع إلى:

- جورج مونان: اللسانيات والترجمة، تر: حسين بن رزوق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000.

- ماريان لوديرار ود.سيلاسكوفيتش: الترجمة والتأويل، (منشورات السربون)، تر: محمد نبيل النحاس الحمصي، كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، الرياض، م ع س، ط3، 1993.

- هانز غيورغ غدامر: الفهم والتأويل من كتابه: الحقيقة والمنهج، تر: صابر حباشة، موقع: (www.ofouq.com)، بتاريخ: السبت 02 أكتوبر 2004. تاريخ الزيارة: 2008/08/18.

- Mathieu Guidère : introduction à la traductologie, de Boeck, p41-83.

37

38 - ibid., p69-75.

39 - ibid.,p79-83. Et :

Irène Tamba : La sémantique, P U F, Paris, 5e édition, 2005. p64-105.

40 – إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ص121. [الفصل السادس: المركز والهامش في الدلالة].

41 – آن إينو: تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر ودار الآفاق، 2004، ص68. وبيار جيرو: علم الإشارة، السيميولوجيا، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1998، ص 51-52 وص79 وص 84. وعنده فيه كل العلامات إشارات وشفرات من ص139-151. وينظر جيزال فالنسي: النقد النصي، ضمن كتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ص189 في حديثه عن المعين(denote) والمضمن(connoté).

42 – محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص182-183. وقد تحدث بوضوح عن الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بوضوح.

43- ينظر:محمد محمد يونس علي: السابق، ص179.

44 – السابق، ص183.

45- ينظر: جيزال فالنسي: السابق، ص187 والتضمين (جملة المعاني الثانوية بالنسبة إلى معنى أول ثابت يحدده التعيين).و:ينظر أيضا محمد محمد يونس علي: السابق، ص190.

46 – ينظر جيزال فالنسي: السابق، ص188 وعادة ما يخضع التضمين للسياق الاجتماعي فتشكل الأشياء نظاما ذا تضمين. وينظر أيضا: محمد محمد يونس علي، السابق، ص202.

47 – ينظر: محمد محمد يونس علي، السابق، ص202.

48 – ينظر: محمد محمد يونس علي، السابق، ص212.

49 – ينظر: محمد محمد يونس علي، السابق، ص217.

50 – ينظر: أحمد مداس: النص والتأويل، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ط1، 2010، ص122.

51 – ينظر: فولفغانغ إيزر: نظرية جمالية التجاوب، ص71 حين يتحدث عن الانتقاء والإقصاء في بناء العالم الممكن والمنسجم.

52 – صدر الكتاب عن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت ، لبنان، ط4، 2011. وأصل النسخة بالفرنسية أعاد كتابتها بالعربية لما رأى أن التراجمة لم يحسنوا ترجمة النص الفرنسي، كما وضَّح ذلك في مقدمة هذه النسخة.

53 – ينظر عبد الله العروي: الايديولوجيا العربية المعاصرة، ص 16.

54- ينظر السابق، ص19.

55- السابق، ص40-41.

56- السابق، ص42-48. وينظر: برهان غليون: مجتمع النخبة، ص145.
57 – السابق، ص49 وما بعدها.
58 – تهميش المركز في الثقافة العربية، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية، ص283. وينظر أيضا: برهان غليون: مجتمع النخبة، ص270 متحدثا عن التنوع الايديولوجي داخل ثقافة التعايش السلمي والتنافس.
59- ينظر: محمد صالح المراكشي: تهميش المركز في الثقافة العربية، ص285-286.
60 – فتحي القاسمي: الأقليات المسيحية ودعوتها إلى علمنة الفكر العربي الحديث، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية، ص252.
61- محمد صالح المراكشي: تهميش المركز في الثقافة العربية، ص287.
62 – ينظر فتحي القاسمي: الأقليات المسيحية ودعوتها إلى علمنة الفكر العربي الحديث، ص253.
63 – السابق، ص255.
64 – ينظر: محمد صالح المراكشي: تهميش المركز في الثقافة العربية، ص287-290.
65- سيمياء التأويل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص460 وما بعدها.
66 – عبد الله العروي: الإيديولوجيا العربية المعاصرة، ص49.
67 – السابق، ص205 متحدثا عن العرب والتعبير عن الذات وخص بالذكر التعبير بالفلكلور(ص207) والتعبير بالأدب(ص217) وفيه التعبير بالمسرح والرواية والأقصوصة. وأما رشيد الإدريسي فقد اتجه رأسا إلى المقامة في كتابه سيمياء التأويل. مرجع سابق.
68 – باختين: الماركسية وفلسفة اللغة، تر: محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986، ص25.
69- الماركسية وفلسفة اللغة، ص29-30. وقد كان الماركسيون يصفون الإيديولوجيا بالانعكاس المقلوب والمشوه والجزئي والمبتور من الواقع، ولعل الأمر معقود على الواقع المعطى في مقابل الواقع المدرك، والثاني منهما أكثر موافقة للحقيقة، وأولهما صورة مغايرة للواقع والحقيقة. وهذا من طبيعة الصراع التي طبعت الحياة في كل مناحيها بما في ذلك الجانب التنظيري للمادة العلمية الواصفة لسلوكات الأفراد والمجتمعات.
70- فرج بن رمضان: الهامشية والحداثة العربية، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية، ص62.
71 – السابق، ص62.
72- السابق ، ص63.
73 – السابق ، ص64.
74 – ينظر: السابق ، ص66.
75 – ينظر: ملحم قربان: إشكالات، ص135.
76- ينظر مقال: الأدب والحرام، ضمن كتاب ثقافة التهميش في الثقافة العربية، ص149-154.
77 – السابق، ص154. وفيه حديث المخادنة ونكاح السر واللذة الجنسية والبغاء والسحاق وما شابه هذه المواضيع.
78- السابق، ص156.
79 – نبيل سليمان: الأدب والحرام، ص162.
80 – السابق، ص160-161. وينظر أيضا: برهان غليون: مجتمع النخبة، ص296 وسلطة المعرفة وفي ص 165 يتعين التحرر الفكري عنده مفتاحا لكل تحرر سياسي واقتصادي.

[81] – ينظر: جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1995، ص25.و:
Lucien Goldman : le Dieu caché, p23.
[82] – ينظر: حميد لحميداني: النقد الروائي، ص23.
[83] – ينظر: جورج لوكاتش: الرواية، تر: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1984، ص8 في قوله: (الرواية هي الشكل الأكثر دلالة على المجتمع[الأروبي]...). وما ينطبق على المجتمع الأروبي ينطبق على غيره من المجتمعات. وينظر: عمار بلحسن: الأدب والإيديولوجيا: ص97. وذلك في قوله: (العمل الأدبي يتضمن عناصر معرفة الواقع، فهو انعكاس عارف وتمثل جمالي لظواهره وأشخاصه وعلاقاته).
[84] – نبيل سليمان: الأدب والحرام، ص155.
[85]- Lucien Goldman : le Dieu caché, p111.
إن النص الروائي يتضمن حقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية. والرواية مكان لتجميع الإيديولوجيات أو عناصر إيديولوجيات طبقات متصارعة ومن ذلك طبيعة الحقائق في الروايات. ينظر: عمار بلحسن: الأدب والإيديولوجيا ، ص104. وله في ص96 من نفس الكتاب قوله: (النص الأدبي إعادة إنتاج للأيديولوجيات وهو أحد خطاباتها). وعند حميد لحميداني في النقد الروائي، ص27 إشارة إلى حمل النص الروائي صراعا إيديولوجيا. وما حكم الجمال أو القبح إلا لاتصالهما بإيديولوجيا القارئ والكاتب معا.
[86] – نبيل سليمان: الأدب والحرام، ص164.
[87] – السابق، ص171.

## المصادر والمراجع


* آن إينو: تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر ودار الآفاق، 2004.
* إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية.
* أحمد مداس: النص والتأويل، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ط1، 2010،.
* إشكالات، نقد منهجي في الفلسفة والفكر السياسي وفلسفة التاريخ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1981
* باختين: الماركسية وفلسفة اللغة، تر: محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986.
* برهان غليون: مجتمع النخبة، دراسات في الفكر العربي، معهد الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986
* بيار جيرو: علم الإشارة، السيميولوجيا، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1998
* تيري إيجلتون: الماركسية والنقد الأدبي، تر: جابر عصفور، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط2، 1991.
* جورج لوكاتش: الرواية، تر: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1984،
* جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1995
* جورج موراند الغراب والثعلب مقاربة سردية-خطابية، تر: عبد الحميد بورايو، محاضرات الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، 19-20 أفريل 2004، منشورات جامعة بسكرة، قسم الأدب العربي.
* جورج مونان: اللسانيات والترجمة، تر: حسين بن رزوق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000.
* جون كولر: الفكر الشرقي القديم، تر: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة ، الكويت، 1995،

* جندلي عبد الناصر: التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، ط1، 1428هـ/2007م.
* حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
* رشيد بن مالك: قراءة سيميائية في كليلة ودمنة، محاضرات الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، 19-20 أفريل 2004، منشورات جامعة بسكرة، قسم الأدب العربي.
* سعيد بن كراد: النص السردي-نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، 1996
* صالح الكشو: الهامش في النحو التوليدي تحليل بعض النماذج من التعابير الخاصة، ضمن المركز والهامش في الثقافة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 1995.
* عبد الحميد عبد الواحد: قضايا الاطراد والشذوذ في اللغة العربية، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية.
* عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1993
* فتحي القاسمي: الأقليات المسيحية ودعوتها إلى علمنة الفكر العربي الحديث، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية.
* كارل مانهايم(karl Mannheim): الإيديولوجيا واليوتوبيا، -دفاتر فلسفية.
* لويس ألتوسير: الإيديولوجيا –دفاتر فلسفية-، تر: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999
* ماريان لوديرار ود.سيلاسكوفيتش: الترجمة والتأويل، (منشورات السربون)، تر: محمد نبيل النحاس الحمصي، كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، الرياض، م ع س، ط3، 1993.
* محمد خان: أصول النحو، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012
* محمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1983
* محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007
* مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.
* نبيل سليمان: الأدب والحرام، ضمن كتاب المركز والهامش في الثقافة العربية
* هانز غيورغ غدامر: الفهم والتأويل من كتابه: الحقيقة والمنهج، تر: صابر حباشة، موقع: (www.ofouq.com)، بتاريخ: السبت 02 أكتوبر 2004. تاريخ الزيارة: 2008/08/18.

* Irène Tamba : La sémantique, P U F, Paris, 5e édition, 2005
* Lucien Goldman : le Dieu cache, éditions Gallimard, Paris, 1983,.
* Mathieu Guidère : introduction à la traductologie, de Boeck
* Marx –Engels : l'idéologie allemande, édition, Paris,

# فلسفة

## نظرية العقل عند الكندي

# نظرية العقل عند الكندي

الدكتور محمد أعراب

تقديم:

يُعتبَر مفهوم "العقل" قلبَ الفلسفة، ذلك أن "العقل" هو "جوهر" الإنسان ومَلَكة التفلسف. فتعريف الإنسان انبثق مع الفلسفة وتأسس على "العقل" كجوهر لوجوده وماهيته. ويعتبر "العقل" قلب الفلسفة أيضا لأنه البؤرة التي تلتقي عندها كل المباحث الفلسفية: الوجود، المعرفة والقيم. فوجود الإنسان ليس سوى فكره. أما "الجسد"، فهو مجرد عَرَض لا يدخل في حدّ الإنسان بعد أن تأسس "الوجود" على "الفكر" ("أنا أفكر، إذن أنا موجود").

من الأكيد أن الأولوية في الفلسفة الحديثة كانت للمعرفة، التي لا تتم إلا بالعقل، والتي كان موضوعها –ولا يزال- هو مقاربة العلاقة بين "العقل" و"الموضوعات" و"العالم". لكن في الفلسفة القديمة والوسيطية كان "العقل" يتخذ أبعادا أكثر تجذُّرا في الميتافيزيقا. فرغم أن المعلم الأول اعتبر أن القوة الناطقة تدخل في مجال العلوم الطبيعية إسوة بالغضبية والشهوية، فإن الفلسفة الأرسطية تجعل من "العقل" أفق الميتافيزيقا من خلال "العقل الفعّال". ومن ثم، لم يَعُد "العقل" شأنا إنسانيا، بل هو شيء مُفارق لعرضية الزمن وتلاعبات الكون والفساد، بل ستُمسي العلاقة بين الإنسان و"العقل الفعّال" بحثا إشكاليا استنفد طاقة "أرسطو" وشُرّاحه وفلاسفة الإسلام من بعده في إطار ما يُعرف بنظرية الاتصال التي تُتوِّج سعادة الفيلسوف.

من هنا، خطورة الطرح المشائي الذي ألقى بظلاله على علاقة الحكمة بالشريعة، ما دامت نظرية العقول ستُلامس العقيدة وتعكر صفوها، ممّا سيُولِّد نفورا في الوسط التداولي الإسلامي انتهى بإقصاء الفلسفة من الثقافة الإسلامية.

**الكندي ونظرية العقل:**

بدايةً، يُعرِّف "الكندي" (ت 252 هـ/866م) مفهوم "العقل" في رسالة خصصها لتعريف المفاهيم الفلسفية: «العقل، جوهر بسيط مُدرِك

للأشياء بحقائقها.»[33]. وهذا التعريف يقطع صلته مع تعريف المتكلمين للعقل باعتباره "علما". ومن المعلوم أن "الكندي" عاصر مرحلة أوج المعتزلة واقتسم معهم الحُظوة في البلاط العباسي، ولا سيما عند "المعتصم" حيث كان مُربّيا لابنه أحمد. إن القول بـ"جوهرية العقل" –الذي رفضه المعتزلة بشدة- يعني الانخراط في التصور الأرسطي بقدر ابتعاده عن أسس التداول العربي-الإسلامي.

لقد كان "الكندي" أول فيلسوف في الإسلام. وفي البدء تتحدد الأشياء وتتنبئ عما ستتخذه من أشكال لا تُغيّر من جوهرها. فكانت نظرية "العقل" في الفلسفة الإسلامية "وفية" لرائدها الأول. وتاريخيتها سارت بشكل دائري: بدأت مع "الكندي" الذي حاول أن يُترجمها فكريا ولغويا، لكن منطقها الداخلي هو الذي انتصر للأرسطية، ثم بدأت تخضع لنوع من التحوير بدءا مع "الفارابي" وتحديدا مع "ابن سينا" لِتَعُود إلى حالها الأول مع "ابن رشد".

وكما قلنا، فالمنطق الداخلي لنظرية "العقل" الأرسطية فرض على "الكندي" ليس القول بـ"جوهرية العقل" فقط، بل أيضا القول بـ"تعدّدية العقل". ففي "رسالة في العقل" اقتفى "الكندي" أثر المعلم الأول في نظرية "العقل"، يقول: «إن رأي أرسططاليس في العقل أن العقل على أربعة أنواع: الأول منها العقل الذي بالفعل أبدا، والثاني العقل الذي بالقوة، وهو للنفس، والثالث العقل الذي خرج في النفس من القوة إلى الفعل، والرابع العقل الذي نُسميه الثاني.»[34].

نلاحظ، أولا، أن "الكندي" استعمل مفهوم "النفس" في إطار تعريفه للعقل، وعندما نعود إلى رسالة الحدود نجد أنه يُعرِّف بالمقابل "النفس" بـ"العقل"، حيث يقول عن "النفس": «هو جوهر عقل متحرك من ذاته بعدد مؤلف.»[35]. ورغم أنه يُعرِّف "النفس" من خلال "الجسم" أيضا، فإنه لا يمكننا أن نفهم أن العلاقة بين "العقل" و"النفس" هي نوع من التماهي. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، إذ سيعود في "رسالة العقل" لإرساء نوع من التجاذب والانفصال بين "العقل" و"النفس".

---

[33] الكندي: رسالة في حدود الأشياء ورسومها، ضمن "رسائل الكندي الفلسفية"، تح وتقديم محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مصر، 1950، ص. 165.

[34] المصدر السابق نفسه، "رسالة في العقل"، ص. 353–354.

[35] نفس المصدر، "رسالة في حدود الأشياء ورسومها"، ص. 165.

والملاحظة الثانية هي التي ستُسلط الضوء على موقف "الكندي"، وتتعلق هذه الملاحظة باستعماله للزوج المفهومي الأرسطي: "القوة" و"الفعل"، وأيضا الزوج المفهومي الآخر: "المادة" و"الصورة". إن توظيف هذه المفاهيم هو ما يسمح بمماثلة بين "العقل" و"الحس": «إن الصورة صورتان: أما إحدى الصورتين فالهيولانية، وهي الواقعة تحت الحس ؛ وأما الأخرى فالتي ليست بذات هيولى، وهي الواقعة تحت العقل، وهي نوعية الأشياء وما فوقها.»[36].

فالصورة الهيولانية هي محسوسة بالفعل، وإلا لما تمكَّنت النفس من تمثُّلها، فهي في النفس بالقوة، أي أن النفس تملك استعدادا طبيعيا للحس. وإذا كانت الآلات خالية من كل عيب، فإن النفس تُحس بالمحسوسات بالفعل، و"صارت في النفس بالفعل"، بل إنها تصير هي النفس: «القوة الحاسّة ليست هي شيئا غير النفس، ولا هي في النفس كالعضو في الجسم، بل هي النفس، وهي الحاسّ، وكذلك الصورة المحسوسة ليست في النفس لغير أو غيرية، فإذن المحسوس في النفس هو الحاس.»[37].

إن تعقُّل النفس لمحسوساتها يُحوِّلها من مجرد استعداد إلى امتلاء تنتفي فيه كل غيرية أو اختلاف بين النفس ومحسوساتها، بل تصير جزءا من تكوينها وعنصرا في بنيتها. وإذا كانت النفس هي التي تقوم بعملية الإدراك الحسي بفاعليتها، فإن هذه الفاعلية تعود في الحقيقة إلى دور المحسوسات أو الصور الحسية، لأنه بدون هذه المحسوسات تظل النفس مجرد استعداد وتقبع في عطالتها الذاتية. فالمبدأ الأرسطي يرتكز على كون الشيء الذي بالقوة مُحتاج إلى ما يُخرجه إلى الفعل، ولا يخرج بذاته. «فكل شيء أفاد شيئا ذاته فإن المستفيد كان له ذلك بالقوة، ولم يكن له بالفعل ؛ وكل ما كان لشيء بالقوة فليس يخرج إلى الفعل بذاته، لأنه لو كان بذاته كان أبدا بالفعل، لأن ذاته له أبدا ما كان موجودا، فإذن كل ما كان بالقوة فإنما يخرج إلى الفعل بآخر، هو ذلك الشيء بالفعل.»[38].

هذه العناصر الأساسية في الميتافيزيقا الأرسطية تُلقي الضوء على "العقل" في إطار المماثلة، بشرط ألا ننسى الفارق الجوهري بين الإدراك الحسي الذي يَنْصبّ على الصور الهيولانية، والعقل الذي يدرك الصور المجردة كأنواع الأشياء وأجناسها وماهيتها.

---

[36] نفس المصدر، "رسالة العقل"، ص. 354.

[37] نفس المصدر، ص. 355.

[38] نفس المصدر، ص. 356.

وعندما يقوم "العقل" بعملية التعقل، فإنه ينتقل من حالة كان فيها عاقلا بالقوة إلى حالة التعقل الفعلي. فلولا ذلك الاستعداد القَبْلي لتلقي المعقولات، لما تسنّى له التعقل أصلا. ولكن –كما قدّمنا- لا يستطيع "العقل" أن ينتقل من ذاته وبذاته إلى مرحلة الفعل. ولتخطي هذه المسافة الإبستمولوجية يلزمه فاعل يُخرِجه إلى الفعل عبر عدة مراحل:

- **أولا**: المرحلة التي يوجد فيها "العقل" بالقوة، أي كاستعداد لتلقي المعقولات: «فإن النفس إذا باشرت العقل، أعني الصور التي لا هيولى لها ولا فنطاسيا [الصور المتخيلة]، واتحدت بالنفس، أعني أنها كانت موجودة في النفس بالفعل، وقد كانت قبل ذلك لا موجودة فيها بالفعل، بل بالقوة، فهذه الصورة التي لا هيولى لها ولا فنطاسيا هي العقل المستفاد للنفس من العقل الأول، الذي هو نوعية الأشياء التي هي بالفعل أبدا.»[39]. فالإنسان في بدء عملية التعقل لا يملك إلا عقلا فارغا واستعدادا محضا، قد يكون ذلك سلبيا، لكن هذا لا يعني أن عملية التعقل لا تأتي من الداخل كنظرية التذكر الأفلاطونية التي تقوم على التوليد والنبش في الأفكار الكامنة في النفس قبل مجيئها إلى عالم البدن الذي يُعرِّضها للنسيان. إن "الكندي" والتيار المشائي يُخرج عملية التعقل من الفرد والذاكرة، لا ليُسكنها في عالم المُثل، وإنما في عقل مُفارق كما سنرى. والسؤال الذي يطرح نفسه – وإن كنا لا نعتزم الإجابة عنه هنا لأن المجال لا يتسع لذلك- هو: لماذا مال فلاسفة الإسلام إلى "أرسطو" ميلا كُليّا أنساهم فلسفة أستاذه "أفلاطون"؟ هل يتعلق الأمر بعملية الترجمة التي وفَّرت نصوص "أرسطو" أكثر من محاورات أستاذه أم بجاذبية العقلانية الأرسطية؟ طبعا هذا لا يعني أن الأفلاطونية لم يكن لها وجود في الفلسفة الإسلامية، أو لم يكن لها مُناصروها، ولكن الملاحظ هو هيمنة الأرسطية منذ البدء وعودتها بالقوة عند أُفول نجم الفلسفة الإسلامية. فَبِها تم الافتتاح وبها كان مسك الختام. وأيا يكن الأمر، فلقد تبيّن إذن أن "العقل" الذي يملكه الإنسان هو "العقل بالقوة" الذي يروم الاستفادة من قبس "العقل الذي بالفعل"، لذلك يُسمى "العقل المستفاد".

- **ثانيا:** إن "العقل" عند انتقاله من القوة إلى الفعل يصير "قُنْيَة للنفس"، أي يتحول إلى مِلْك. لذلك، يُسميه ابن سينا "العقل بالمَلَكة"[40]. ويقول "الكندي" عن هذا "العقل" : «هو الذي بالفعل للنفس، قد اقتنته، وصار لها وجودا، متى شاءت استعملته، وأظهرته لوجود غيرها منه،

---

[39] نفس المصدر ونفس الصفحة.

[40] أحمد فؤاد أهواني: الكندي فيلسوف العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، د ت، د ط، ص. 271.

كالكتابة في الكاتب، فهي له ممكنة، قد اقتناها وثبتت في نفسه، فهو يُخرجها ويستعملها متى شاء.»[41]. ونبدأ من حيث انتهى الكندي: فتشبيه هذا "العقل" بالكاتب الذي صارت له الكتابة مَلَكة يعني أن "العقل" صار بمقدوره ممارسة التفكير، إذ لم يعد عقلا بالقوة، بل صار قُنْيَة للنفس تستعمله متى شاءت. وهذا التشبيه يُفيد أيضا أن "العقل" قبل اكتساب هذه المَلَكة كان مثل الإنسان الذي لا يعرف الكتابة، فهو يحتاج إلى من تكون لديه ملكة الكتابة بالفعل لكي يُخرجه من حالة اللاكتابة، أي أن يُكسبه تلك الملكة وأن يفيده إياها. ولكن قابلية اكتساب الكتابة لا تعني عدم وجودها أصلا، بل هي –على العكس- موجودة كاستعداد أي موجودة بالقوة. ولولا وجودها بالقوة لما خرجت إلى الفعل أصلا. فالشيء لا يخرج إلى الوجود الفعلي إلا إذا كان موجودا بالقوة.

ورغم أن الزوج المفهومي "القوة"/"الفعل" ساعد على تفسير كثير من المعضلات الميتافيزيقية وملأ الفراغات المحرجة، فإنه مثل أكبر الأخطار في الفلسفة الإسلامية. فإذا كان الأمر ناجحا على صعيد الطبيعة وتفسير مبدأ الحركة، مما يفيد في تلافي مشكلة الخلاء واللاتناهي، فإنه بالمقابل يفضي إلى القول بقِدَم العالم والحركة ونفي الخلق من عدم، الشيء الذي يتنافى مع العقيدة الدينية للإسلام التي تقول بحُدوث العالم وتناهيه وبالخلق من عدم. فإله "أرسطو" ليس إلها خالقا، وإنما هو فقط "المُحرك الذي لا يتحرك". وسنرى تداعيات هذا الزوج المفهومي على مستوى نظرية العقل.

**- ثالثا:** إن هذا "العقل" الذي صار قُنية للنفس سيتحول إلى عقل ظاهر. في الحقيقة لقد حَيَّر "الكندي" الباحثين في حديثه عن أنواع "العقل"، فعباراته غامضة تُوحي بشيء، ثم سرعان ما تَنقُضه في موضع آخر. حتى إن الباحثين اختلفوا في عدد العقول التي قال بها (هل هي أربعة –إذ استعمل عبارات العدد: الأول، الثاني، الثالث والرابع ؛ لكنه أدمج في أحيان كثيرة بين الثالث والرابع بما يُوحي أنهما وجهان لعملة واحدة). فهل يتعلق الأمر بثلاثة عقول أم عقلين فقط؟[42].

---

[41] رسائل الكندي، مصدر سابق، "رسالة العقل"، ص. 357-358.

[42] أُنظر تحليل ومناقشة آراء الباحثين في المقدمة القيمة لرسائل الكندي للمحقق عبد الهادي أبو ريدة [ص 312-352]، حيث يناقش تحليل "أرسطو" وشراحه كالاسكندر الإفروديسي وأرستوكليس، ومن المحدثين ناجي وجيلسون، مع مقارنة مستفيضة بين نص "أرسطو" باليونانية والترجمة اللاتنية لمقالة "الكندي". وقد

يقول الكندي: «فإذن العقل إما علة وأول لجميع المعقولات والعقول الثواني ؛ وإما ثان، وهو بالقوة للنفس، ما لم تكن النفس عاقلة بالفعل ؛ والثالث هو الذي بالفعل للنفس، قد اقتنته [...] ["وصار لها موجودا، متى شاءت استعملته، وأظهرته لوجود غيرها منها، كالكتابة في الكاتب ؛ فهي له مُعَدَّة ممكنة، قد اقتناها، وثبتت في نفسه ؛ فهو يُخرجها ويستعملها متى شاء"؛ وأما الرابع فهو العقل الظاهر من النفس، متى أخرجته، فكان موجودا لغيرها منها بالفعل. فإذن الفصل بين الثالث والرابع أن الثالث قُنية للنفس، قد مضى وقت مبتدأ قُنيتها، ولها أن تُخرجه متى شاءت، والرابع أنه إما وقت قنيته أولا وإما وقت ظهوره ثانيا، متى استعملته النفس ؛ فإذن الثالث هو الذي للنفس قُنية، قد تقدمت، ومتى شاءت كان موجودا فيها ؛ وأما الرابع فهو الظاهر في النفس متى ظهر بالفعل.»[43].

أوردنا هذا النص المطول لِنُبيِّن ذلك الغموض الذي تركه "الكندي" بخصوص مسألة تعدُّد العقول، مع أنه ألف هذه الرسالة لإزالة الغموض الذي خلَّفه "أرسطو" نفسه. هذا النص هو آخر فقرة في الرسالة وهي لا تُسعفنا بشكل حاسم، بل هي تُعيد نفس اللَّبس الذي تركه "أرسطو" الذي أورث خلافا هائلا بين شراحه. وربما لولا ذلك الانفتاح والغموض لانْسَدّ القول وماتت الأرسطية باكتمالها.

- **رابعا:** تحدثنا عن لحظة تحول "العقل" من "عقل بالقوة" إلى "عقل بالفعل"، ثم إلى "عقل بالمَلَكة"، وذكرنا أن إخراج "ما بالقوة" إلى "ما بالفعل" لا يمكن أن يكون بشكل ذاتي، بل لابد من تدخل فاعل خارجي للإشراف على هذه العملية. فما هو هذا "الفاعل" الذي يُخرج "العقل" من مرحلة "القوة" إلى مرحلة "الفعل"؟ وكيف تتم عملية التحوّل؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تنقلنا من داخل "النفس" إلى أفق أرحب. فمعلوم أن "العقل الذي بالقوة" وكذا "الذي يصير بالفعل" يتماهى مع "النفس" كما قدّمنا. فمن المنطقي ألا ينتمي ذلك "الفاعل" إلى "النفس"، بل يأتي من خارجها، لأن "النفس" لا تملك إخراج ذاتها من "القوة" إلى

---

انتهى إلى اعتبار هذا التعدد ليس سوى تعدد اسمي، وهو تعدد لمراحل التعقل أو هو لحظات لذات "العقل". ولكن "العقل الفعّال" عقل مفارق كما سنرى، وبالتالي أصبح لدينا: عقل إنساني وعقل مفارق، فالأقرب إلى الصواب هو القول بعقلين، وليس بعقل واحد أو أكثر من عقلين.

[43] رسائل الكندي، مصدر سابق، "رسالة العقل"، ص. 357-358.

"الفعل". إن الذي يقوم بعملية الإخراج هاته هو "العقل الأول" الذي هو "بالفعل أبدا"، وهو عبارة عن "نوعية الأشياء التي هي بالفعل أبدا"[44].

يتحدث "الكندي" في "كتاب في الفلسفة الأولى" عن هذا "العقل الأول" وعن علاقته بـ"النفس"، فيقول: «هو أنواع الأشياء –إذ النوع معقول- وما فوقها، والأشخاص محسوسة، أعني بالأشخاص جزئيات الأشياء التي لا تعطي الأشياء أساميها ولا حدودها، فإذا اتّحدت بالنفس فهي معقولة، والنفس عاقلة بالفعل عند اتحاد الأنواع بها ؛ وقبل اتحادها بها كانت عاقلة بالقوة ؛ وكل شيء هو لشيء بالقوة فإنما يُخرجه إلى الفعل شيء آخر، هو ذلك المُخرج من القوة إلى الفعل، بالفعل ؛ والذي أخرج النفس التي هي عاقلة بالقوة إلى أن صارت عاقلة بالفعل، أعني مُتّحدة بها أنواع الأشياء وأجناسها، أعني كلياتها، هي الكليات أعيانها ؛ فإنها باتحادها بالنفس صارت النفس عاقلة، أي لها عقل ما، أي بها كليات الأشياء ؛ فكليات الأشياء، إذ هي في النفس خارجة من القوة إلى الفعل، هي عقل النفس المستفاد الذي كان لها بالقوة، فهي العقل الذي بالفعل الذي أخرج النفس من القوة إلى الفعل، والكليات متكثرة، كما قدمنا، فالعقل متكثر.»[45].

هذا النص يسمح لنا بالتعرف على طبيعة "العقل الأول" من خلال الأوصاف والخصائص التي خصّه بها "الكندي":

4- إنه أول العقول، بمعنى أنه قَبْلي وسابق على عقول الأفراد ؛
4- إنه هو الذي يُنتج عملية التعقل في العقول الفردية ؛
4- إنه أنواع الأشياء وكلياتها وأجناسها ؛
4- إنه بالفعل دائما ولا يكون بالقوة، ويسمى أيضا "العقل الفعّال" ؛
5- إنه هو الذي يُخرج "النفس" من "العقل بالقوة" إلى "العقل بالفعل" ؛
6- إنه متميز عن "العاقل" لأنه "عقل مُفارق" ؛

---

[44] رسائل الكندي، مصدر سابق، "رسالة العقل"، ص. 356، حيث يقول: "فهذه الصورة التي لا هيولى لها ولا فنطاسيا هي العقل المستفاد للنفس من العقل الأول، الذي هو نوعية الأشياء التي بالفعل أبدا، وإنما صار مفيدا والنفس مستفيدة، لأن النفس بالقوة عاقلة، والعقل الأول بالفعل.".

[45] "كتاب في الفلسفة الأولى"، ضمن "رسائل الكندي الفلسفية"، المصدر المذكور، ص. 154-155.

7- إنه "عقل" و"معقول": فهو "عقل" لأنه هو الذي يُخرج "العقل" من "القوة" إلى "الفعل"، و"معقول" لأنه هو "كليات الأشياء" التي يتم تعقلها ؛

4- إنه لا يخضع لقانون الكون والفساد، ولم نجد ما يدعونا إلى القول صراحة إنه خالد وأزلي كما يقول "أرسطو"، رغم أن "الكندي" يقول: "العقل الذي بالفعل أبدا"[46] ؛

4- أن "النفس" لا تصير عاقلة إلا عند اتحادها بهذا "العقل المفارق".

وتضعنا هذه الخاصية الأخيرة في بؤرة إشكالية المعرفة في تصور "الكندي"، فالمعرفة لا تأتي من المجهود الذاتي للنفس في التحصيل ومراكمة المعرفة، وإنما من اقتباسها من "عقل مفارق" خارج حدودها الأنطولوجية. فالذات هنا مُفرَغة من المحتوى المعرفي الذي أُسكِن في عالم الماهيات والكليات المُفارق. وإذا كان للإنسان عقل، فهو "عقل بالقوة" يتمتع بعطالة ذاتية أصلية.

وفي سياق آخر، نرى "الكندي" يؤيد نظرية "أفلاطون" في المعرفة كإشراق يَفيض من الباري تعالى على "النفس" المتجردة: «وهذه النفس التي هي من نور الباري، عز وجل، إذا هي فارقت البدن، عَلِمت كل ما في العالم، ولم يَخف عنها خافية، والدليل على ذلك قول أفلاطون، حيث يقول إن كثيرا من الفلاسفة الطاهرين القدماء، لمّا تجردوا من الدنيا وتهاونوا بالأشياء المحسوسة، وتفردوا بالنظر والبحث عن حقائق الأشياء، انكشف لهم علم الغيب، وعلموا بما يخفيه الناس في نفوسهم، واطلعوا على سرائر الخلق.»[47].

---

[46] رسالة العقل، ص. 353. أما "أرسطو" فيقول في "كتاب النفس": «العقل الذي بفعله تحدث كل الأشياء، فهو كموجود ما، شبيه بالنور [...]. وهذا العقل مفارق، غير منفعل، غير ممتزج، وهو من حيث الماهية [...] بالفعل[...] وهو متى فارق، لم يكن إلا ما هو عليه في ذاته، وهذا هو وحده اللامائت، الأبدي.»، مذكور في: "رسائل الكندي الفلسفية"، مقدمة المحقق، ص. 335–337.

[47] "رسالة القول في النفس"، المصدر السابق، ص. 274. ويقول أيضا: «إن النفس بسيطة ذات شرف وكمال عظيمة الشأن، جوهرها من جوهر البارئ عز وجل، كقياس ضياء الشمس من الشمس».

هذا النص ذو النفحة الصوفية-الإشراقية، وإن كان يختلف عن النظرية التي بلورها "الكندي" في جل رسائله، فإنه يلتقي مع الطرح السابق في مسألة مُفارقة المعرفة للعقل، وكلا الطرحين يُجرِّد "النفس" من المعرفة: "أرسطو" وضعها في "العقل الأول" أو "العقل الفعّال"، و"أفلاطون" أسكنها في "عالم المُثُل".

ولا تفوتنا الفرصة للتنويه بنظرية غاية في الطرافة والعمق يُعتبر فيها "النوم" عمقا للفكر، وأن "الرؤيا" هي المجال الذي تُبصر فيه "النفس" من خلال القوة المُصوِّرة، المعقولات المجردة. يقول "الكندي" : «فإذا استغرق الفكر مفكرا، حتى لا يستعمل شيئا من الحواس بَتّةً، فقد تناهى به الفكر إلى النوم، وصارت قوته المُصوِّرة هي أقوى ما يكون على إظهار فَعَالِها، إذ ليس يشتغل من إعطاء نفسه صورة معاني أفكاره الحسية، فيراها كالحس، مجردة، لا فصل بينها بتة، بل مع فكره في كل ما فكر فيه تظهر له صورة الفكر مجردة أنقى وأبين وأزكى من المحسوسة.»[48].

فتخلُّص "النفس" من علائق وقيود الجسد يُحرِّرُها من سيطرة الحس. والنوم هو الفرصة التي تتجرد فيها "النفس" من أثقال المحسوسات ومن الاشتغال بعالم الهيولى الذي يُشوِّش صفاء الذهن. ثم إن النوم هو الجسر الذي تَعبُر من خلاله "النفس" إلى عالم المعقولات لِتستمِدّ الصور التي قد تكون تنبؤات بالوقائع المستقبلية إذا كانت الرؤيا واضحة وجَلِيّة[49].

تلتقي خيوط أفلاطونية مع ألياف رفيعة أفلوطينية لتُنسج في نسيج أرسطي يصعب الفرز فيه بين ما هو أصيل للكندي وبين ما هو شرح وعرض لنظريات غيره من الفلاسفة. لكن البيّن هو أن "الكندي" لم يَنجرّ تماما مع نظريات تتعارض مع العقيدة الدينية كما فعل بعض اللاحقين، فنراه لا يأخذ بإله أرسطو –المحرك الذي لا يتحرك- ولا يُؤله "العقل"، ولا يقول بقِدَم العالم، بل يُخصّص "رسالة للبرهنة على تناهي العالم". وفي الوقت

---

[48] نفس المصدر السابق، "رسالة الكندي في ماهية النوم والرؤيا"، ص. 296–297. ويقول في موضع آخر: «فالرؤيا إذن هي استعمال النفس الفكر ورفع استعمال الحواس من جهتها، فأما من الأثر نفسه فهي انطباع صور كل ما وقع عليه الفكر من ذي صورة، في النفس، بالقوة المُصوِّرة، لترك النفس استعمال الحواس ولُزومها استعمال الفكر.»، ص. 300.

[49] نفس المصدر السابق. وانظر كذلك درجات الرؤيا: المباشرة والرامزة والكاذبة، ص. 303 وما بعدها.

الذي يُبرهن فيه على خلود "النفس" ما دامت من جوهر إلهي، يكتب "رسالة في سجود الأفلاك" يشرح فيها آية قرآنية بمقاييس عقلية[50].

لكن كل ذلك لا يمنعه من اعتبار أن السعادة لا تتأتى إلا بالاتصال بالعقل الأول الذي يشكل لحظة انتقالية تُؤهله لشرف الاتصال بالبارئ عز وجل. ذلك أن موضوع الفلسفة الأشرف هو «علم الحق الأول الذي هو علة كل حق»[51]. إذن لا بد من العلم أولا، وهذا العلم لا يتم إلا من خلال الاتصال بالعقل الأول الذي يَفيض على عقل الفرد فيُفيده فيصبح مستفادا، ثم بعد ذلك يُشرف الفيلسوف على عالم الملأ الأعلى المُفارق.

نَخلُص إلى القول إن العقل عند "الكندي" مُوزَّع بين عالمين: عالم الإنسان وعالم ما وراء الطبيعة. فعقل الإنسان ليس سوى استعداد أو عقل بالقوة، وبتعبير صريح: عقل فارغ من كل مضمون معرفي. أما ما يملأ هذا "العقل" فهو العقل الأول المفارق. وكما يقول الأستاذ "محمد المصباحي": «لا يملك الإنسان جهازا لصنع المعقول، بل يملك فقط مرآة قابلة لانعكاسه فيها، وهذا ما يسلب المعرفة تاريخيتها وبشريتها.»[52].

وهكذا، ليس بوسعنا سوى القول إننا بدأنا مع "العقل" لننتهي إلى "اللاعقل". فقد بدأنا مع "عقل بالقوة" لم يكن سوى مجرد إمكان، لتنتهي بنا رحلة المعرفة في عالم "العقل الأول" المُفارق الذي هو خارج أفق الإنسان. ولأن هذا "العقل" يتعالى على الإنسان ويُفارق عالمه، فهو لأجل ذلك "لاعقل".

---

[50] أُنظر: "رسالة الإجابة عن سجود الجِرْم الأقصى وطاعته لله عز وجل"، ضمن رسائل الكندي، ص. 244-261.

[51] "كتاب الكندي في الفلسفة الأولى"، ص. 98.

[52] محمد المصباحي، من المعرفة إلى العقل، دار الطليعة، ط أولى، 1990، بيروت، ص. 20.

**المصادر والمراجع:**

أحمد فؤاد أهواني: الكندي فيلسوف العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، د ت، د ط.

الكندي: رسالة في حدود الأشياء ورسومها، ضمن "رسائل الكندي الفلسفية"، تح وتقديم محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مصر، 1950.

محمد المصباحي، من المعرفة إلى العقل، دار الطليعة، ط أولى، 1990، بيروت.

# الاقتصاد و إدارة الأعمال

## دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية

# دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية

إعداد فؤاد غالب كردي حنني
جامعة القدس

الإهداء
إلى روح والدتي رحمها الله وأسكنها فسيح جناته
إلى زوجتي الغالية إلى والدي العزيز اطال الله في عمره وأشفاه
إلى أبنائي الأعزاء معن وميرا وحلا
إلى زوجتي الغالية ريما
إلى شهداء شعبنا الابرار

الشكر والعرفان
أتقدم بالشكر الجزيل إلى إدارة جامعتي الحبيبة جامعة القدس وإلى جميع الزملاء و العاملين فيها
كما أتقدم إلى الأساتذة الأفاضل الذين ما بخلوا في المساهمة في تحكيم استبانه الدراسة ، وأخص بالذكر الدكتور عبد الوهاب الصباغ ، والدكتور جمال حلاوة من جامعة القدس – أبو ديس ، وإلى الدكتور مجيد منصور من جامعة النجاح
كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية الزراعية موضوع الدراسة على تعاونهم في تعبئة استبانه الدراسة
والشكر موصول إلى مديرية وزارة العمل في منطقة نابلس وجميع العاملين في مديرية وزارة العمل على تعاونهم معي من أجل إتمام هذا العمل وإخراجه إلى حيز الوجود

إلى كل هؤلاء جميعاً مني كل الاحترام والشكر والتقدير والعرفان،

الباحث : فؤاد غالب كردي حنني

الملخص بالعربية
أجرت هذه الدراسة في الفترة الزمنية الممتدة من شهر شباط لعام 2012 وشهر أيار من العام نفس ، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع ودور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات الفلسطينية المحلية ، كما هدفت إلى التعرف على الفروق في واقع ودور الجمعيات التعاونية الزراعية في منطقة الدراسة تبعاً للمتغيرات المستقلة ، التحصيل العلمي ، عدد سنوات الانتساب للجمعية ، المهنة ، عدد سنوات العمل في الزراعة ، العمر الزمني للجمعية ، ظروف السوق الذي تعمل به الجمعية.
وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج ومنها أن هناك دور ايجابي للجمعيات التعاونية في المعرفة بمفاهيم العمل التعاوني ، كما أن تقييم لجان الإدارة لهذه الجمعيات كان ايجابياً أيضاً ، كما أظهرت نتائج الدراسة الضعف الكبير للجمعيات التعاونية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية الفلسطينية، وأن دورها في مجال تقديم منتجات جديدة كان ضعيفاً جداً ، كما أظهرت الدراسة عدم قدرة الجمعيات التعاونية واستعدادها على المنافسة في السوق المحلي، وذلك لعدم إلمامها بأعداد المنافسين المحليين وحتى الخارجيين ، كما أن دورها في خدمة العملاء كان ضعيف ودون المستوى المطلوب وأظهرت النتائج أيضاً عدم قدرة الجمعيات التعاونية على التعامل الإيجابي مع الموردين والموزعين وكانت قدرتها على سرعة القيام بالمهمات والأنشطة المختلفة بطيء ، في حين أخر أشارت النتائج إلى ضعف الجمعيات التعاونية في تنفيذ برامج التدريب وتحسين القدرات لأعضائها في مجال التنافسية لتحقيق مستويات جودة مناسبة لمنتجاتها كي تستطيع المنافسة في ظروف السوق المختلفة.
وأوصت الدراسة إلى ضرورة إصدار حزمة من الأنظمة والقوانين والتشريعات الناظمة والداعمة للعمل التعاوني ، والمساعدة في نشر ثقافة العمل التعاوني في المجتمع الفلسطيني من خلال وسائل الإعلام المختلفة ، كما أوصت الدراسة إلى ضرورة ،إعادة الاعتبار للتعاونيات الزراعية في إصدار شهادة المنشأ للمنتجات الزراعية ، والتي تفيد في تعزيز التصدير للسوق الخارجي وتعزز من دور التعاونيات في العملية الاقتصادية ، وإلى ضرورة المساعدة في تدريب كادر الجمعيات التعاونية الأعضاء والعاملين فيها على كيفية تعزيز وتبني نظام الجودة الشاملة في عملها ، وإلى ضرورة المساعدة في تقديم المنح والتسهيلات البنكية وتعزيز الإقراض الزراعي كي تتمكن التعاونيات من الاعتماد على ذاتها في المساهمة في تطوير المنتجات المحلية وتعزيز قدرتها التنافسية للوقوف أمام المنافسين

Abstract
Conducted this study in the time period from February of 2012 and May of this year the same, have study aimed to identify the reality and the role of agricultural cooperatives in promoting the competitiveness of Palestinian products local, also aimed to identify differences in the reality and the role of agricultural cooperatives inthe study area depending on the independent variables, educational attainment, number of years of membership of the organization, profession, number of years of employment in agriculture, the chronological age of the Assembly, the market conditions in which they operate Assembly . Has emerged study a range of results, including that there is a positive role of cooperative societies in the knowledge concepts collaborative work, and the assessment of the management committees of these associations was positive too, as results showed great weakness for cooperative societies in promoting the competitiveness of local products Palestinian, and that their role in the field of introduce new products was very weak, as the study showed the inability of cooperative societies and their willingness to compete in the domestic market, due to lack of familiarity with local competitors numbers and even external. The role in the customer service was weak and substandard The results also showed the inability of cooperative societies to deal positively with suppliers and distributors were able to speed to do tasks and activities of various slow, while other results indicated weak cooperative societies in the implementation of training programs and improved capacity for its members in the field of competitiveness to achieve quality levels suitable for their products so that they can compete in different market conditions

The study recommended the need to pack version of regulations, laws and legislation governing and supporting cooperative work, and to assist in spreading the culture of collaborative work in Palestinian society through various media, as recommended by the study to the need, rehabilitation of agricultural cooperatives in the issuance of a certificate of origin for agricultural products, which are useful for promote export to foreign markets and enhance the role of cooperatives in the economic process, and the need to help train a cadre member cooperatives and their employees on how to promote and adopt a comprehensive quality system in their work . And the need to assist in the provision of grants and bank facilities and promote agricultural lending to enable the cooperatives to be self-reliant in contributing to the development of local products and enhance their competitiveness to stand in front of rivals

الفصل الأول

المقدمة وأساسيات الدراسة

مقدمة

لقد لعبت الزراعة تاريخيا دورا هاما بل ومركزيا في الاقتصاد والحياة الفلسطينية بشكل عام، حيث وفرت عبر التاريخ الدخل الرئيسي والثانوي لشرائح واسعة وكبيره من السكان، كما شكل امتلاك الأراضي والمنتجات الزراعية والعيش في الريف وفي إطار بنية الحياة الريفية، عناوين ورموز مهمة للهويه والثقافة الفلسطينية. وبرغم تراجع هذا الدور خلال العقود الماضية إلا أن الزراعة ما زالت تشكل حيزا هاما في مجمل مناحي حياة الفلسطينيين.

واليوم فان الزراعة تشكل مصدر دخل رئيسي لقرابة 10% من الرجال و30% من النساء، كما وتشكل 10.8% من الناتج المحلي الإجمالي أي 856 مليون دولار، كما وتشغل ألزراعه قرابة 16% من قوة العمل الفلسطينية، ويستهلك هذا القطاع 65% من المياه المتوفرة وقسم كبير من الطاقة الموجودة. وفي ظل تزايد راتب العمل في الزراعة عن الرواتب

الأخرى (39% مقابل 27%)، فان القيمة الكلية والدخل الصافي من الإنتاج الزراعي والمعالجة والمبيعات الزراعية قد تناقصت في السنوات الخمس الماضية، ويزيد من تفاقم هذا الوضع تواصل الإجراءات الإسرائيلية ( من استيطان وجدار الفصل العنصري.. الخ ) ضد الأرض والزراعة الفلسطينية، حيث بلغ مجموع خسائر القطاع الزراعي الفلسطيني خلال الأربع سنوات ألماضيه 1.2 مليار دولار والتي تشكل ما نسبته 10% تقريبا من إجمالي الخسائر الفلسطينية لنفس الفترة . ويشكل هذا تحديا وإنذارا مع التزايد السريع للسكان وتزايد الطلب على المواد الغذائية، بكمية أكبر وجوده أفضل. ولكن في الوقت الحاضر، فان المنتجات الزراعية والإقليمية تتزايد بوتيرة أسرع من تزايد السكان.

ولذلك فان تطوير مكانة الزراعة ومدلولها الاقتصادي يتطلب ان تقوم فلسطين عبر الوقت بتزويد السكان بنوعية طعام جيدة وذلك من خلال التخطيط وتدريب الكوادر البشرية.

و يعُد تفعيل دور مختلف المؤسسات على مختلف قطاعاتها الحكومية والأهلية ومنها الجمعيات التعاونية الزراعية من أهم السياسات التي تساهم في تحسين كفاءة إنتاج الغذاء وزيادة القدرة التساومية "Bargaining Power " للمنتجين الزراعيين وخاصة في إطار تزايد القوى السوقية للمشترين ,(Folwell et al.,1998) كما تمثل دوراً بارزاً في تخفيض التكاليف الإنتاجية بما يفيد كل المتعاملين منتجين كانوا أم مستهلكين، فعن طريق الجمعيات التعاونية يمكن إتباع أحدث الوسائل الإنتاجية والتسويقية باعتبارها إطاراً مناسباً للتنسيق التسويقي الأفقي "Horizontal Marketing Coordination" (Caves, 1987).

ولم يعد أيضا التركيز على بناء المؤسسة وفي أي الميادين تعمل ، بل ينصب العمل اليوم على جودة ما تقدمه هذه المؤسسات من سلع وخدمات ومقدار التميز الذي تحققه في سبيل بقائها واستمرارها .لقد شغل موضوع الميزة التنافسية اهتمام الباحثين وتوسعت المدارك والمفاهيم المتعلقة بذلك وقد أخذ هذا المفهوم في الانتشار مع كتابات مايك بورتر بشأن الإستراتيجية التنافسية والميزة التنافسية والتي تعرف على أنها : قدرة المنظمة والمؤسسة على صياغة وتطبيق الاستراتيجيات التي تجعلها في مركز واهتمام أفضل بالنسبة للمنظمات والمؤسسات الأخرى العاملة في نفس النشاط وتحقيق الميزة التنافسية من خلال الاستغلال الأمثل للإمكانيات والموارد الفنية والمادية والمالية والتنظيمية والمعلوماتية بالإضافة إلى القدرات والكفاءات وغيرها من الإمكانيات التي تتمتع بها المنظمة والتي يمكنها من تصميم وتطبيق إستراتيجيتها التنافسية . ويرتبط تحقيق الميزة التنافسية ببعدين أساسين ، هما

القيمة المدركة لدى العميل وقدرة المنظمة أو المؤسسة على تحقيق التميز ( الدراركة ، مأمون ، وشبلي ، طارق ، الجودة في المنظمات الحديثة ، دار الصفاء للنشر ، عمان ،2002)

2.1مشكلة الدراسة

هناك نقص كبير في معرفة الدور الحقيقي لهذا القطاع وخاصة التعاونيات الزراعية في مجال تعزيز بنية الاقتصاد الفلسطيني ومدى إسهام هذا القطاع في العملية الاقتصادية والتنموية المحلية .َإضافة إلى نقص المعلومات حول الميزة التنافسية للسلع والخدمات التي تقدمها التعاونيات الزراعية الفلسطينية ومقدار حجم السوق ومجال التركيز على هذه السلع والخدمات المقدمة منها لجمهور الأعضاء والمواطنين يشكلا عام . وتتمثل مشكلة الدراسة في التعرف إلى دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية .

3.1مبررات وأهمية الدراسة

- نقص المعرفة والمعلومات الكاملة التي توضح الدور التنموية للتعاونيات الزراعية
- حصر قدرت ومجالات الجمعيات التعاونية في تحقيق الميزة التنافسية بمنتجاتها
- رصد المعيقات التي تعترض تطبيق إستراتيجية تنافسية وبالتالي ميزة تنافسية لمنتجات الجمعيات الزراعية التعاونية
- رغبة لدى الباحثة حيث تندرج هذه الدراسة ضمن مشروع التخرج من الجامعة
- نقص الدراسات والأبحاث التي عالجت الميزة التنافسية في عمل الجمعيات التعاونية وبالتالي تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الأولى التي تبحث هذا الموضوع

4.1أهداف الدراسة

تتمثل أهداف الدراسة في الآتي:

الهدف الرئيس الأول وهو :التعرف على واقع ودور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات الفلسطينية المحلية

الهدف الثاني : التعرف على الفروق في واقع ودور الجمعيات التعاونية الزراعية في منطقة الدراسة تبعاً للمتغيرات المستقلة ، التحصيل العلمي ، عدد سنوات الانتساب للجمعية ، المهنة ، عدد سنوات العمل في الزراعة ، العمر الزمني للجمعية ، ظروف السوق الذي تعمل به الجمعية

5.1مجتمع الدراسة

يمثل مجتمع الدراسة أعضاء الهيئات الإدارية للجمعيات التعاونية الزراعية بمختلف أنواعها وأعضاء لجان الرقابة فيها العاملة حسب تصنيف دائرة التعاون في وزارة العمل الفلسطينية ، في محافظة نابلس إضافة إلى مدراء التعاون في وزارة العمل وخبراء التعاون في وزارة الزراعة وعددهم ستة خبراء من الوزارتين

6.1أداة الدراسة

من أجل تحقيق أهداف الدراسة تم تصميم استمارة خاصة بأعضاء الهيئات الإدارية للجمعيات التعاونية .إضافة إلى استمارة مقابلة للخبراء في مجال العمل التعاوني في وزارتي الزراعة والعمل الفلسطينية

7.1أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي من وجهة نظر أعضاء لجان الإدارة والرقابة "ما واقع دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية

كما تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية :

هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05 =α) في إجابات المبحوثين حول دور وواقع الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية تعزى لمتغيرات:

- عدد الأعضاء المنتسبين للجمعية
- النشاط الإنتاجي للجمعية التعاونية
- عدد سنوات عمل الجمعية في الزراعة
- العمر الزمني للجمعية التعاونية
- عدد العاملين في الجمعية

8.1حدود الدراسة :

حدود مكانية : تغطي هذه الدراسة الجمعيات التعاونية الزراعية العاملة في منطقة نابلس الجغرافية فقط

حدود بشرية : أعضاء لجان الإدارة للجمعيات التعاونية ،إضافة إلى المتخصصين في العمل التعاوني

حدود زمانية : شباط 2012 حتى أيار 2012

## الفصل الثاني
## الإطار النظري والدراسات السابقة
## Theoretical framework and previous studies

### 1.2 مقدمةIntroduction

إن النظام التعاوني يشتمل العديد من أنماط النشاط الجماعي بين الأفراد المتمثل في العون والتضامن والمساعدة المتبادلة ، وذلك لتحقيق أهداف اقتصادية لا يمكن أن تتحقق بالمجهود الفردي، وقد كان لتطور العلم والمعرفة واستخدام الإنسان لمعطيات العلم في تطوير وسائل الإنتاج واستخدام الآلة على نطاق واسع وزيادة الإنتاج الأثر الأكبر في ظهور التعاون المنظم كوسيلة وأداة أصلاحية وتصحيحية في المجتمع والذي برز بصورة واضحة في أعقاب الثورة الصناعية في أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر كرد فعل للمساوئ الناجمة عن تراجع الرأسمالية، خاصة بالنسبة للفلاحين والطبقة العاملة، وتمثلت هذه الآثار السيئة للنظام الرأسمالي المتدهور في الاستغناء عن أعداد كبيرة من العمال، وانتشار البطالة، وانخفاض في مستوى المعيشة، واستغلال النساء والأطفال في الإنتاج الرأسمالي لانخفاض أجورهم ، وظهور كثير من الأمراض والعلل الاجتماعية الخطيرة، ويعد روبرت أوين 1771-1858 الأب الروحي للتعاون والذي حاول تطبيق أفكاره الإصلاحية عن طريق جمع جهود العمال تعاونياً، وعلى الرغم من الإخفاقات التي لازمت التجربة إلا أنها كانت كافية لانطلاق التجربة التعاونية العالمية الرائدة لرواد روتشيديل، حيث اجتمع في 15 أغسطس 1843، 28 عاملاً من بينهم امرأة بمدينة روتشيديل الإنجليزية معلنين أول جمعية تعاونية في العالم.. ومن ثم انتقلت التجربة الناجحة إلى بقية المدن البريطانية وإلى بقية دول العالم.(أبو الخير1986(

### 2.2أهمية العمل التعاونيImportance of collaborative work

يعتبر التعاون نظام لتحرير الاقتصاد وإطلاق للقوى المنتجة من عقالها وهو يمكن أن يكون الدواء الناجع لعلاج الكثير من المشكلات اليومية للسوق التي أصبحت اليوم مشكلات مزمنة بل أدت إلى اختناقات تموينية.. وفي آخر الأمر إلى ضائقة الغلاء.. بل أن الحركة التعاونية بما يمكن أن نضيفه من ثقافة جديدة في الوعي الزراعي والتجاري والإنتاجي، وبما تثري به المواطن من تجارب في المجالات الاقتصادية, وبما تبتدع من وسائل علمية لتطوير الإنتاج والعلاقات الإنتاجية، وبأثرها السلوكي على البناء القومي للمجتمع فإنها وسيلة حية لتعليم الشعب وتربيته. فالشعوب تتعلم بالممارسة وهي تتعلم أسرع عن طريق العمل الجماعي وبصفة خاصة عندما تكون وسيلة العمل

الأساسية هي الديمقراطية التعاونية التي تتيح للأعضاء حرية التعبير عن الرأي وتساعد على التوصيل للقرارات الرشيدة عن طريق الحوار الهادف.. ثم هي تشعر الأعضاء بأنهم يصنعون مستقبلهم بأفكارهم وتخطيطهم ومجهودهم في العمل مما يجعل الوحدة في الفكر وفي العمل شاملة للتخطيط والتنفيذ. إن جوهر التعاون وطبيعته وظروف نشأته تقضي بحرية واستقلال ومساواة أعضاء التعاونية وتسيير ورقابة جمعيتهم التعاونية وهو ما يعبر عنه ويترجمه مبدأ الديمقراطية التعاونية الذي يعني الاعتراف بالسلطة العليا وعلي قدم المساواة لكافة الأعضاء الذين تكونت منهم ومن أجلهم الجمعية التعاونية فيكون لهم حق وسلطة قيادتها وتقرير مصيرها بحيث لا تكون حركة جمعيتهم مفروضة بواسطة سلطة خارجية وإنما تكون هذه الحركة خاضعة للإرادة الجماعية للأعضاء كما تكون معبرة عن مصالحهم ومشبعة لحاجاتهم المشتركة والتي تكونت الجمعية بغرض إشباعها أفضل إشباع ممكن. يتحقق ذلك في الواقع العملي عن طريق ممارسة الأعضاء لحقوقهم وسلطاتهم كمنتجين وزراعيين وكأعضاء تعاونيين من خلال تشكيلاتهم الديمقراطية وأهمها الجمعية العمومية ومجلس الإدارة. ولا شك إن الديمقراطية التعاونية تعتبر بمثابة الأصل التعاوني العام الذي يتعين احترامه كقاعدة عامة تحكم الجمعيات التعاونية بكافة أنواعها( محمد العتيبي(

3.2مفهوم التعاونCooperation concept

يعرف التعاون على أنه نوع من أنواع التنظيم ترتبط فيه جماعة من الناس ارتباطاً اختيارياً بصفتهم الإنسانية على قدم المساواة لإعلاء شأن مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية (المؤسسة التعاونية الأردنية 2008. )

في حين يعرف برتراند " 1958 “ Bertrand أن التعاون هو أي شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي يشمل شخصين أو أكثر أو مجموعة من الأفراد الذين يعملون معاً لتحقيق أهداف عامة .ويعرف الخشاب ، التعاون بأنه عملية اجتماعية يرجع الفضل في ترويض الأفراد عليها للأسرة أولا ثم البيئة الخارجية ( الخشاب 1965 (

4.2تعريف الجمعية التعاونية Definition of the Cooperative Association

عرف التشريع الفلسطيني الجمعية التعاونية بأنها مؤسسة اقتصادية يرتبط أعضاؤها طوعاً بمساهمتهم الذاتية وملكيتهم المشتركة وإدارتهم ومراقبتهم الديمقراطية ، وتمارس نشاطها بصفتها الاعتبارية لتلبية احتياجاتهم وطموحاتهم المشتركة في مجالات التوريد والإنتاج والتسويق والتصنيع والاستهلاك والسكن والتعليم والصحة والبيئة .(وزارة العمل 1997 (

تعريف جامعة كاليفورنيا عام 1957، حيث عرفت الجمعية التعاونية بأنها منظمة اختيارية من الأفراد تجمعهم مصلحة مشتركة يسير العمل بها على أسس ديمقراطية ، بغرض تزويد الأعضاء بالخدمات بسعر كلفتها ( أبو الخير 1979 ،ص97.(

5.2المبادئ يقوم عليها العمل التعاوني Principles of cooperation

استنادا إلى الدور الكبير الذي جسدته وما زالت تجسده الجمعيات التعاونية والحركة التعاونية بشكل عام في العديد من البلدان والدول المختلفة ، في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية وما حققته من نتائج إيجابية على هذين الصعيدين فقد تم تأسيس التحالف التعاوني الدولي بلندن عام 1895 كمؤسسة ناظمة وداعمة لتوجهات العمل التعاوني على مستوى العالم ، كما أكدت مبادئ التحالف على شعبيته الحركة التعاونية على مر العصور وانتمائها لمصلحة الأفراد والجماعة لتحقيق أهدافها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها .ومن أهم هذه المبادئ : (شومان 1979(

- العضوية الاختيارية المفتوحة : التعاونيات منظمات مفتوحة لكل الأشخاص دون تمييز جنسي أو اجتماعي أو عرقي أو سياسي أو ديني وتتمتع التعاونيات بالحياد تجاه الجميع.
- الإدارة الديمقراطية للتعاونيات : التعاونيات منظمات ديمقراطية يحكمها أعضاؤها ويشاركون في سياساتها واتخاذ القرار عن طريق ممثليهم المنتخبين ديمقراطيا والممثلون مسئولون أمام ناخبيهم وللأعضاء حقوق تصويت متساوية عضو واحد صوت واحد وعلى المستويات الأعلى تدار التعاونيات وتنظم بأسلوب ديمقراطي
- مساهمة العضو الاقتصادية : يساهم الأعضاء بعدالة في رأس مال تعاونيتهم الذي يكون ملكية تعاونية , ويتلقى الأعضاء تعويضا عن رأس المال المسهم به ويمكن تخصيص الفائض لتطوير التعاونية و دعم الأنشطة الأخرى التي يوافق عليها الأعضاء ويوزع الباقي على الأعضاء بنسبة تعاملهم مع التعاونية.
- الإدارة الذاتية المستقلة :التعاونيات منظمات ذاتية الإدارة يديرها أعضاؤها ويؤمنون تمويلها المالي ويمكن لهم التعاون مع منظمات أخرى أو مع الحكومات سواء بالإدارة أو التمويل شرط تأكيد الإدارة الديمقراطية لأعضائهم والمحافظة على التحكم الذاتي التعاوني.
- التعليم والتدريب والإعلام ( الثقافة التعاونية ): تقدم التعاونيات التدريب والتعليم لأعضائها ولقياداتها المنتخبة ومديرها وموظفيها ليستطيعوا أن يساهموا بفعالية لتنمية تعاونياتهم

- التعاون بين التعاونيات : تخدم التعاونيات أعضاءها بكفاءة أكثر وتقوى الحركة التعاونية بالعمل سويا من خلال مؤسسات محلية وإقليمية ودولية
- الاهتمام بالمجتمع : تعمل التعاونيات من أجل التنمية المتواصلة لمجتمعاتها من خلال سياسات يوافق عليها الأعضاء .( الشيشكلي2007 )
- الحياد الديني والسياسي ، بحيث لا تقبل العضوية في الجمعيات التعاونية على أساس الانتماء السياسي أو الاعتناق الديني ، إضافة إلى مبدأ آخر وهو التعامل نقداً في معاملات الجمعية بين الأعضاء لأن التعامل غير النقدي سيؤدي إلى إضعاف الجمعية التعاونية من خلال إضعاف رأس مال الجمعية نتيجة للتعامل غير النقدي ( الحيالي 2002 )

6.2الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للجمعيات التعاونية conomic and social importance of cooperative societies

تظهر أهمية الجمعية التعاونية كمؤسسة اقتصادية واجتماعية في كونها تسهم في تحقيق مزايا تتعلق بالاتي:

- توفير البيئة المناسبة لنمو وازدهار الاستثمارات المتوسطة والصغيرة
- التعاونيات وعاء جيد لتنفيذ برامج التنمية البشرية
- التعاونيات أداة جيدة وفاعلة لمواجهة مشكلة البطالة
- الإحلال محل الدولة في ملكية الأصول الخاضعة للخصخصة
- دعم وتطوير أنشطة القطاعات غير الرسمية في الاقتصاد
- المساهمة في برامج الإرشاد الزراعي الريفي

ويتوقف نجاح هذا الدور على خطوات الإنشاء والتأسيس الجيد للتعاونيات وفقاً لأسس وقيم ومبادئ التعاون(محمد، العتيبى ،2010)

7.2حاجة المؤسسات إلى التطوير المستمر

تنشط المؤسسات في بيئة تتميز بالتغيير المستمر والسريع،وهو ما أجبرها على البحث عن الحلول المناسبة التي تسمح لها بالتكيف بنجاح مع الظروف البيئية المتغيرة،ومنه ضمان الاستمرارية والنمو..،وقد تصل المؤسسات إلى ذلك بوجود مديرين وإطارات مبدعين ويتوقعون التغيير وقادرين على إدارته، مع انتهاج أساليب جديدة للتغيير.

إن إعادة الهندسة تعتبر أحد التقنيات أو الأساليب التي لها الأثر البالغ في إنجاح العملية التطويرية بالمؤسسة،وإعادة ترتيب الأعمال،من خلال إحداث تغيير جذري مطلوب في المؤسسة يؤهلها لكيفية أدائها لنشاطاتها المختلفة بهدف تحسين الأداء وذلك على كل المستويات،التصميم،التشغيل وغيره من

العمليات التي تدفع بالمؤسسة نحو أحسن مرد ودية وأحسن استغلال وتسيير لمواردها المتاحة بهدف الرفع من القدرات التنافسية للمؤسسة وبالتالي ضمان مكانة مرموقة في السوق في ظل قانون تناقص الأرباح،وفي ظل الأوضاع البيئية الراهنة التي تتميز بالتعقيد والتغير السريع، وميزتها الأساسية أنها عابرة للحدود(غول فرحات ،2011 (

إن إعادة هندسة المؤسسات أصبحت أمرا حتميا في ظل التغيرات التي تعرفها البيئة المحلية والدولية على شتى الأصعدة،وبالأخص التطور التكنولوجي المذهل في تكنولوجيا المعلومات،التي تسمح للمؤسسات بإعادة تصميم تنظيمها بصفة جذرية،ولكيفية أداء نشاطاتها وعملياتها المختلفة،وذلك بتجاوز التقسيم التقليدي للأعمال والعمل على شكل وظائف متخصصة في مجال معين،بينما تصبح عبارة عن مجموعة من الإجراءات والأنشطة المتكاملة وما ينتج عنها من أشياء ذات قيمة مرتفعة ومتميزة،تثير رغبة المستهلك وتؤثر على قراراته الشرائية،والنتيجة الختامية من وراء ذلك هي تصغير حجم المؤسسات الناجمة عن تخفيض القوى العاملة ودمج الوظائف بفعل استخدام الحاسبات الآلية مع محافظة المؤسسة على تحقيق الإيرادات السابقة وأكثر منها(حسين ، حريم 2003 (

8.2مفهوم الميزة التنافسيةCompetitive Advantage

إن مصطلحا التنافسية والمنافسة من المصطلحات الأكثر انتشارا ورواجاً في عصرنا الحاضر على المستويات الاقتصادية والسياسية والقطاعية الأخرى ، حيث يركز مصطلح التنافسية على المستوى الاقتصادي في يشير مصطلح المنافسة على مستوى المؤسسة ، وعلية فأنة لا يوجد تعريف موحد لموضوع التنافسية والاختلاف في ذلك يرجع إلى بالأساس إلى الزاوية التي يتناول منها كل كل باحث في هذا الشأن بحث يكون هناك اختلاف في مفهوم التنافسية على المستوى الكلي ( الدولة ) عنة على المستوى الجزئي ( مستوى المؤسسة ) وذلك كما يأتي :

- مفهوم التنافسية على المستوى الكلي ( الدولة (

يوضح تقرير التنافسية العالمية ، التنافسية على أنها تعني مدى مقدرة دولة ما على تحقيق معدل مرتفع من نمو حصة الفرد في المجتمع من الناتج المحلي ، وبالتالي فأن القدرة التنافسية وحسب هذا التقرير والصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي هي التي تعكس وتفسر الصفات الهيكلية لكل اقتصاد وطني.

في حين تشير المنظمة الاقتصادية للتعاون والتنمية ، بأن التنافسية على المستوى الاقتصادي القومي لدولة ما بأنها الدرجة التي يمكن وفقها إنتاج

السلع والخدمات الموجهة للأسواق الدولية بحيث تحافظ على المداخيل الحقيقية لمواطنيها وتوسع فيها على المدى الطويل على أن يكون ذلك وفق سوق حرة وعادلة

- مفهوم التنافسية على المستوى الجزئي ( المؤسسة (

هناك من يرى ومنهم ( MC Fetridge ) بأن الميزة التنافسية لمؤسسة ما يمكن أن تتحقق في حالة ما إذا كان باستطاعتها أن تحتفظ بمستوى مرتفع من الإنتاجية والأرباح مقابل انخفاض التكاليف وارتفاع الحصة السوقية دون أن يكون ذلك على حساب الأرباح

في حين يعرفها ( علي السلمي ) بأنها مجموعة المهارات والتكنولوجيات والقدرات التي تستطيع الإدارة تنسيقها واستثمارها لتحقيق ، إنتاج قيم ومنافع للعملاء أعلى مما يحققه المنافسون ، وكذلك تأكيد حالة دائمة من التميز والاختلاف فيما بين المنظمة أو المؤسسة ومنافسيها ( أحمد بلالي ،2005 (

9.2تعريف الميزة التنافسية Definition of competitive advantage

يعرف مايكل بورتر 1996 الميزة التنافسية على أنها تنشأ بمجرد توصل المؤسسة إلى اكتشاف طرق جديدة أكثر فاعلية من تلك المستعملة من قبل المنافسين ، حيث يكون بمقدورها تجسيد هذا الاكتشاف ميدانياً أو من خلال إحداث عملية إبداع بمفهومه الواسع.

كما تعرف ( خليل ، م ،1998) بأنها ميزة أو عنصر تفوق للمؤسسة يتم تحقيقه في إتباعها إستراتيجية معينة للتنافس .

في حين يعرفها ( السلمي ، ع ،2001 ) القدرة التنافسية هي المهارة أو التقنية أو المورد المتميز الذي يتيح للمنظمة إنتاج قيم ومنافع للعملاء تزيد عما يقدمه لهم المنافسون، ويؤكد تميزها واختلافها عن هؤلاء المنافسين من وجهة نظر العملاء الذين يتقبلون هذا الاختلاف والتميز، حيث يحقق لهم المزيد من المنافع والقيم التي تتفوق على ما يقدمه لهم المنافسون الآخرون.

كما أن إستراتيجية التنافس توضح على أنها مجموعة متكاملة من النشاطات والتصرفات التي تؤدي في نهاية الأمر إلى تحقيق ميزة تنافسية متواصلة ومستمرة عن المنافسين مستندة على أسس ومنها ، طريقة التنافس ، وحلبة ، وأساس التنافس والشكل التالي يوضح هذه الإستراتيجية .( خليل ، ن 1998 (

10.2تحديات البيئة التنافسية وفقا لنموذج مايكل بورتر Michael Porter’s model

يوضح مايكل بورتر مجموعة مؤثرات البيئة الخارجية على تنافسية المؤسسة في إطار تحليله لهيكل الصناعة في الدول المتقدمة . تحليلا هيكليا لقطاعات النشاط المختلفة وقوى المنافسة الفاعلة فيها . ضمن ما أصبح ما يعرف

بنموذج قوى المنافسة لبورتر ، حيث يؤكد بورتر من خلال هذا النموذج على أن العامل الأول الذي يحدد مردودية المؤسسة ضمن قطاع معين هو جاذبية هذا القطاع والذي يصنعها تجاذب قوى المنافسة بداخله ، والأمر الأخر هو الوضعية التنافسية النسبية لمؤسسة ما بالنسبة لمنافسيها . وبرأي بورتر ونتيجة للاستجابة لتفاعل هاذين العاملين نجد أن هيكل القطاع يمارس تأثيراً كبيراً في تحديد قواعد اللعبة التنافسية وعلى الاستراتيجيات التي تستطيع المؤسسة اعتمادها ، حيث أن المنافسة في قطاع ما يجب أن تتجاوز سلوك المنافسين الموجودين ، بلى يجب أن تتعداهم إلى باقي القوى الأخرى التي تحكم مع بعضها البعض قواعد اللعبة التنافسية وتصبح بمقدورها تحديد ربحية القطاع على أساس أن درجة الربحية تقاس بمر دودية رأس المال المستثمر على المدى الطويل مما يخلق انعكاس مباشر وإيجابي على الميزة التنافسية المستمرة للمؤسسة . ( أحمد بلالي ،2005(

11.2أنواع الميزة التنافسيةTypes of competitive advantage

يمكن التمييز بين نوعين أساسيين من الميزة التنافسية يتعلق الأول بميزة التكلفة ويتعلق الآخر بميزة التميز وذلك كما يأتي

o ميزة التكلفة الأقلleast cost advantage

يمكن لمؤسسة ما أن تحوز ميزة التكلفة الأقل إذا كانت تكاليفها المتراكمة بالأنشطة المنتجة للقيمة أقل من نظيرتها لدى المنافسين، وللحيازة عليها يتم الاستناد إلى مراقبة عوامل تطور التكاليف، حيث أن التحكم الجيد في هذه العوامل مقارنة بالمنافسين يكسب المؤسسة ميزة التكلفة الأقل، ومن بين هذه العوامل مراقبة التعلم: بحيث أن التعلم هو نتيجة للجهود المتواصلة والمبذولة من قبل الإطارات والمستخدمين على حد السواء، لذلك يجب ألا يتم التركيز على تكاليف اليد العاملة فحسب، بل يجب أن يتعداه إلى تكاليف النفايات والأنشطة الأخرى المنتجة للقيمة، فالمسيرون مطالبون بتحسين التعلم وتحديد أهدافه، وليتم ذلك يستند إلى مقارنة درجة التعلم بين التجهيزات والمناطق ثم مقابلتها بالمعايير المعمول بها في القطاع.

O ميزة التميزfeature of Excellence

تتميز المؤسسة عن منافسيها عندما يكون بمقدورها الحيازة على خصائص فريدة تجعل الزبون يتعلق بها ، وحتى يتم الحيازة على هذه الميزة يستند إلى عوامل تدعى بعوامل التفرد، والتي نميز من بينها التعلم وآثار بثه: بحيث قد تنجم خاصية التفرد لنشاط معين، عندما يمارس التعلم بصفة جيدة، فالجودة الثابتة في العملية الإنتاجية يمكن تعلمها، ومن ثم فإن التعلم الذي يتم امتلاكه بشكل شامل كفيل بأن يؤدي إلى تميز متواصل.

12.2معايير الحكم على جودة الميزة التنافسية Criteria for judging the quality of competitive advantage

تتحدد بثلاث ظروف، هي :

- مصدر الميزةSource feature

نميز بين نوعين من المزايا وفقاً لهذا المعيار:

o مزايا تنافسية منخفضة: تعتمد على التكلفة الأقل لقوة العمل والمواد الخام، وهي سهلة التقليد نسبياً من قبل المنافسين.

O مزايا تنافسية مرتفعة:تستند إلى تميز المنتج أو الخدمة، السمعة الطيبة أو العلامة التجارية، العلاقات الوطيدة بالعملاء، وتتطلب هذه المزايا توافر مهارات وقدرات عالية المستوى مثل تدريب العمال.

- عدد مصادر الميزة التي تمتلكها المؤسسة Number of sources feature possessed by the institution

إنّ اعتماد المؤسسة على ميزة تنافسية واحدة يعرضها إلى خطر سهولة تقليدها من قبل المنافسين، لذا يستحسن تعدد مصادر الميزة التنافسية لكي تصعب على المنافسين تقليدها.

- درجة التحسين، التطوير والتجديد المستمر في الميزة The level of continuous improvement in feature

تقوم المؤسسات بخلق مزايا جديدة وبشكل أسرع لتفادي قيام المؤسسات المنافسة بتقليد أو محاكاة ميزتها التنافسية الحالية، لذا تتجه لخلق مزايا تنافسية من المرتبة المرتفعة، كما يجب على المؤسسة أن تقوم بتقييم مستمر لأداء ميزتها التنافسية ومدى سدادها بالاستناد على المعايير السائدة في القطاع، كما يمكنها إثراء هذه المعايير بهدف التقييم الصائب لها ومعرفة مدى نجا عتها، وبالتالي اتخاذ القرار في الاحتفاظ بها أو التخلي عنها في حالة أنها لا تحقق هدفي التفوق على المنافس والوفرات الاقتصادية.

13.2الدراسات السابقة

- دراسة سامية لحول ، 2008 ، بعنوان التسويق والمزايا التنافسية دراسة حالة مجمع صيدال لصناعة الدواء في الجزائر وقد هدفت الدراسة إلى : الوقوف على مدى التغيير والتطور في الأوضاع الاقتصادية العالمية الجديدة. التعرف على مدى التغيير والتطور الذي خضع له التسويق من حيث اتساع وظائفه وتعدد مجالات تطبيقه وتنوع أدواره واعتماده كأسلوب لمعالجة المشاكل. ،التعرف على دور التسويق في حل إشكالية التنافسية وبناء المزايا التنافسية واستدامتها. ، الكشف عن حقيقة العلاقة بين التسويق والتفكير الإستراتيجي للمنظمة. ، التعرف على الأوضاع المحيطة بصناعة

الدواء على مستوى العالم والجزائر. ، التوصل إلى أهم محددات الميزة التنافسية لصناعة الدواء في الجزائر وأساليب تدعيمها.
وتمثلت أسئلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي : ما دور التسويق في تحقيق المزايا التنافسية في ظل محيط تنافسي؟. ما هو دور التسويق في تحقيق المزايا التنافسية لمجمع صيدال لصناعة الدواء؟
واشتملت الدراسة على مجموعة من الفرضيات ومنها:
o إن تنافسية الجزائر على مستوى صناعة الدواء تعتبر فرصة وركيزة مهمة للاندماج في الاقتصاد العالمي .
O تزداد تنافسية صيدال بإتباع مسار التسويق الإستراتيجي والتكتيكي

وقد مثل عينة الدراسة مجمع صيدال لصناعة الدواء كعينة للبحث لما له من ثقل صناعي ،وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي القائم على تشخيص الحالة واختبار الفرضيات، حيث تم اختيار مجمع صيدال باعتباره ممثل لصناعة الدواء بالجزائر كعينة للدراسة ، وقد خرجت الدراسة بمجوعة من التوصيات ومنها : ضرورة دمج المنظمات الدوائية الوطنية لتحقيق التكامل والدعم لتنافسية صناعة الدواء في . الجزائر، تطوير الموارد البشرية والمعرفية على مستوى الجامعات والمعاهد الوطنية، بالإضافة إلى الاهتمام ، بتخصص صناعة الأدوية المفقود في الجامعات والمعاهد الجزائرية، و ضع حوافز خاصة للاستثمارات في مجال تكنولوجيا صناعة الدواء، ضرورة معرفة أسباب تفضيل عدد كبير من الأطباء والصيادلة للتعامل مع الأدوية المستوردة ثم وضع وإستراتجيات قابلة للتنفيذ للتعامل مع هذه الأسباب.
• دراسة محمد عبد الفتاح العتيبى ،2010 ، دور التعاونيات في دعم الشبكات وتنمية الصناعات العربية وتعزيز قدرتها على الإبداع والابتكار ، ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الخامس للصناعات الصغيرة والمتوسطة ، الجزائر.
هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهم الملامح العامة في الشراكة بين القطاعات الأربعة القطاع العام والخاص والقطاع التعاوني والقطاع المختلط ، في مجال المعلومات الصناعية والشبكات وتنمية الصناعات والحرف اليدوية وخاصة التقليدية ، كما هدفت الدراسة إلى أبراز الدور الذي تقوم به المنظمات التعاونية بالتحديد في هذا المجال إلى جانب القطاعات الأخرى ، كما هدفت أيضاً إلى إظهار نظرة جديدة إلى دور النظام التعاوني كقطاع عالمي ومحلي رائد وفاعل ومؤثر فيما يتعلق بالصناعة وتطويرها .كما تسعى هذه الدراسة إلى تعزيز قيمة العمل التعاوني المنظم في المساهمة المثلى في تطوير واقع قطاع الصناعات والحرف المختلفة من أجل رفع

جودة مخرجاتها بما يتلاءم مع احتياجات المستقبل ، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات ومنها أن هناك دور هام وفعال للمنظمات والاتحادات التعاونية في خلق قوة ثقافة للصناعات العربية والمحلية الحديثة والتقليدية الحرفية في مواجهة العولمة ، إمكانية الاستفادة من دور التعاونيات في تسويق وتصدير منتجات التراث والصناعات التقليدية ، باعتبارها من الآليات المبتكرة لفتح أسواق تراثية لتسويق هذه السلع واستغلالها سياحياً واقتصادياً إضافة إلى تنمية مناطق تواجد وانتشار التراث وتحويلها إلى مراكز تسويق سياحية ، وأوصت الدراسة إلى ضرورة تأسيس جمعيات تعاونية لأصحاب الصناعات الحرفية والاهتمام الكافي بالتدريب الحرفي ، تشجيع الصناعات الحرفية التعاونية من قبل الحكومات المحلية من خلال منحها تسهيلات ضرورية مشجعة مثل الإعفاء الضريبي ، تقديم الدعم والتمويل المحلي والعالمي للتعاونيات من اجل تطوير وتحديث وسائل الإنتاج لكي تتناسب منتجاتها بشكل أفضل مع ذوق المستهلك ، والمنافسة في الأسواق الخارجية

دراسة بن عنتر عبد الرحمن ،2008 ، إدارة الجودة الشاملة كتوجه تنافسي في المنظمات المعاصرة ، هدفت الدراسة إلى التعرف على الاهتمام الكبير الذي توليه المنظمات المعاصرة لموضوع الجودة في ظل بيئة عالمية تنافسية مفتوحة تأخذ فيها منظمات الأعمال والمنظمات العامة على السواء في العالمين المتقدم والنامي، بأحدث أساليب الإدارة وتحسين الأداء ودعم التنافسية، ومن بينها نظم إدارة الجودة الشاملة، وهو الأمر الذي ينعكس إيجابا على حالة الأداء والإنتاجية وجودة المنتجات والخدمات والتواجد في بيئة الأعمال الدولية.حيث لم تعد الجودة تلك المتغيرة الثانوية التي لايلقى لها الاهتمام إلا في حالة ظهور فشل أو خطأ أو عيب بل أصبحت حاليا تفرض نفسها كنظام شامل يجب تسييره بكفاءة عالية. وركزت الدراسة على دور إدارة الجودة الشاملة في دعم تنافسية المنظمات المعاصرة وتحسين كفاء وتعظيم فرصها للتواجدعلى المستوى العالمي ،من خلال التركيز على اهم عناصر وعوامل نجاحها وأسباب فشل تطبيقها في المنظمات المعاصرة، علاقتها مع الايزو، ووضعها في ظل التحديات الإدارية المعاصرة

## الفصل الثالث

## منهجية الدراسة وإجراءاتها Study methodology and procedures

سيتناول الباحث في هذا الفصل المنهج الوصفي ،ومجتمع وعينة الدراسة وإجراءاتها ، وأدواتها

1.3منهج الدراسة

اعتمد الباحث في هذه الدراسة، التي أجريت بين شهر شباط 2012 وشهر أيار من نفس العام 2012 ، المنهج الوصفي الذي يستند إلى وصف الظاهرة موضع الدراسة ، وذلك لأن هذا المنهج هو الأنسب حيث يناسب هذا النوع من العلوم ، و تم الاستعانة بالأستبانة كأداة لجمع البيانات من أعضاء لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية الزراعية العاملة فقط في منطقة نابلس ومن مختلف الأنواع الحيوانية وعصر الزيتون ، والنباتية ، التسويق .

2.3مجتمع الدراسة

يمثل مجتمع الدراسة أعضاء لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية الزراعية العاملة في منطقة نابلس ، لقد اشتمل مجتمع الدراسة على الجمعيات التعاونية العاملة حسب تصنيف دائرة التعاون في وزارة العمل والبالغ عددها ( 26 ) جمعية عاملة ، ويبلغ عدد أعضاء لجان الإدارة في هذه الجمعيات (150 )عضو وقد تم اختيار ما نسبته 20% من مجتمع الدراسة كعينة للدراسة والتي بلغت( 30 )من أعضاء الجمعيات موضع الدراسة وقد غطت هذه الدراسة الجمعيات التعاونية في محافظة نابلس منذ العام 1980 وحتى العام 2009 .إضافة إلى أنه تم تصميم استمارة خاصة بعدد من الخبراء العاملين في المؤسسات ذات العلاقة ومنها وزارة العمل ووزارة الزراعة الفلسطينية وعددهم ستة خبراء تم إجراء المقابلة معهم وهم( مدير مديرة وزارة العمل في محافظة نابلس ومدير دائرة التعاون بالوزارة ومدير دائرة الجمعيات الزراعية في وزارة العمل ، إضافة إلى مدير زراعة نابلس ومدير عام دائرة التسويق في وزارة الزراعة وخبيرة التنمية الريفية في وزارة الزراعة (

3.3عينة الدراسة

تم توزيع (30 ) إستبانة على عينة عشوائية منتظمة أخذت من أعضاء لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية العاملة في محافظة نابلس ، وقد استثنيت الجمعيات التعاونية الحديثة والتي لم يمر على تأسيسها أكثر من ثلاثة سنوات من عينة الدراسة ، أي خلال الفترة الممتدة من العام 1980 حتى العام 2009وقد استرجعت جميع الاستبيانات (30 ) التي تم توزيعها

4.3أدوات الدراسة

تم الاعتماد بشكل رئيسي في جمع البيانات على الأستبانة ، علماً بأنه تم الرجوع والاعتماد على المراجعة الأدبية ذات العلاقة بموضوع الدراسة ، جاءت الاستبانة (ملحق 1.3) مكونة من شقين: الأول ويتكون من 5 فقرات تتناول معلومات عامة عن أعضاء لجان الإدارة والجمعية التعاونية بشكل عام موضع الدراسة ، والثاني يحتوي على سبعة محاور رئيسية تتكون من 43 فقرة تتناول وجهة نظر وتقييم أعضاء لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية الزراعية . ولقد تم اعتماد سلم الإجابات من ثلاثة درجات حسب سلم لكرت وهي : موافق (3 درجات )، محايد (2 درجة ) ، غير موافق (1 درجة (

5.3 صدق الأداة ( تحكيم الاستبانة (

للارتقاء بمستوى استمارة الاستبانة ولضمان تحقيقها للهدف الذي وضعت من أجلة، تم عرضهما على مجموعة من الأكاديميين والمتخصصين والخبراء في العمل التعاوني إضافة إلى إحصائيين ذو خبرة ، وبالأخص في موضوع الجودة الشاملة والميزة التنافسية حيث تمت مراجعتهما وتحكيمهما من قبل هؤلاء المتخصصين وكان لملاحظاتهم وآرائهم أثر واضح في تطوير وتدعيم الاستبانتين ووضعها في صورتهما النهائية.

6.3 ثبات أداة الدراسة

لقد قام الباحث بالتحقق من ثبات الأداة، من خلال اختيار عينة مصغرة من أعضاء الجمعيات التعاونية وعددهم 4 أعضاء، حيث و وزعت عليهم الأستبانة للإجابة عليها من قبلهم ، وبعد خمسة أيام تم إعادة توزيع الأستبانة من جديد على نفس العدد (4) من نفس العينة المصغرة حيث تم استثنائهم من العينة النهائية عند توزيع الاستبانة بشكل نهائي ، وبعد ذلك تم احتساب معامل كرونباخ ألفا لفحص الاتساق الداخلي للفقرات وبلغت قيمته 0.87 ، وبالتالي أصبحت الأداة جاهزة ومهيأة ليتم توزيعها على كامل عينة الدراسة.

7.3 محاور الدراسة

من أجل تسهيل التعامل مع البيانات التي تم جمعها من عينة الدراسة ، حيث تم تقسيم الأستبانة المخصصة لأعضاء لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية موضع الدراسة . إلى مجموعة من المحاور اشتملت على سبعة محاور ( 43) فقرة غطت موضوع الدراسة ،إضافة إلى محور خاص بمتغيرات الديمغرافية لمجتمع الدراسة اشتمل على (5) فقرات ، وكذلك استبانة المقابلة تم تقسيمها إلى مجموعة من الأسئلة ذات العلاقة بمجال الدراسة للاطلاع على الأراء المختلفة

8.3خصائص عينة الدراسة المتعلقة فقط بأعضاء لجان الإدارة

يتضح من نتائج تحليل الإستبانة ، بأن توزيع عينة الدراسة حسب متغير مجال تخصص الجمعية كان كما يأتي:
يتضح بأن معظم الجمعيات ضمن مجتمع الدراسة كان من الجمعيات التعاونية الزراعية من تخصص الإنتاج الحيواني حيث شكلت ما نسبته 37 % من عينة الدراسة ، تليها الجمعيات من تخصص عصر الزيتون وشكلت ما نسبته 27% من عينة الدراسة ، ثم الجمعيات من تخصص التسويق الزراعي وشكلت نسبة 23% من عينة الدراسة ، في حين كانت الجمعيات التعاونية من تخصص الإنتاج النباتي أقل نسبة . حيث شكلت ما نسبته 13% من عينة الدراسة

كما يتضح من نتائج تحليل الاستبانة بان معظم الجمعيات عمرها الزمني أقل من خمسة سنوات وشكلت ما نسبته 60% من عينة الدراسة ، تليه مجموعة الجمعيات التي عمرها الزمني أكثر من 15 سنة وشكلت ما نسبته 33.30 % ، في حين كانت نسبة الجمعيات التي عمرها الزمني تراوح بين 5 و15 سنة 6.70 ، دليل على أن نتائج الدراسة والتي أظهرت ضعف الجمعيات التعاونية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية ، حيث أن عمرها الزمني وفي الغالبية العظمى للجمعيات حديث جدا ، ولا تتوفر لدى هذه الجمعيات الخبرات الكافية للعمل على عملية الإنتاج وبالتالي تحقيق الجودة الشاملة في عملية الإنتاج ، الأمر الذي يضع تحديات كبيرة أمامها لكي تعمل في ظل سوق يمتاز بمنافسة شديدة مما يهدد وجودها واستمرارها في تقديم الخدمات لأعضائها وللجمهور الفلسطيني والذي ينتظر منها الكثير في دعم المنتجات المحلية وتعزيز حضورها في السوق المحلي والخارجي
كما يظهر من نتائج الدراسة في ، بأن الغالبية العظمى من الجمعيات التعاونية التي شكلت عينة الدراسة عدد سنوات عملها بالزراعة وفي مجال التخصص هو قليل بمعنى أقل من خمسة سنوات وشكلت ما نسبته 60% من عينة الدراسة ، في حين أظهرت نفس النتائج بأن عدد سنوات عمل الجمعيات في المجال الزراعي والتخصص بالمرتبة الثانية كان أكثر من خمسة عشر سنة وشكلت ما نسبته 33% من عينة الدراسة ، في حين كانت نسبة الجمعيات والتي عملت بعمر زمني بين خمسة سنوات إلى خمسة عشرة سنة 7% ، وهذا برأي الباحث يشكل دليل أخر على عدم قدرة الجمعيات التعاونية على تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية بسبب قلة الخبرة والمعرفة باحتياجات القطاع الزراعي الفلسطيني المحلي
ويتضح من نتائج الدراسة بأن الجمعيات التعاونية والتي تحتوي على عدد أقل من 40 عضو شكلت ما نسبته 80% من عينة الدراسة ، في حين كانت

الجمعيات التي تحوي عدد أعضاء أكثر من 80 عضو ذات نسبة قليلة حيث شكلت ما نسبته 13% من عينة الدراسة ، في حين أخر شكلت الجمعيات التعاونية والتي تحوي عدد أعضاء منخفض نسبته 7% من عينة الدراسة . وبرأي الباحث فأن هذا دليل أخر على ضعف الجمعيات التعاونية في تعزيز ميزة تنافسية للمنتجات المحلية ، حيث أنها لم تعبر عن احتياج حقيقي لدى المزارع الفلسطيني ، كما أنها لم تشكل التكتل الاقتصادي النوعي والذي يحتاج إليه المزارع الفلسطيني لكي يسهم في حل جزء أو كل من مشكلاته التي يعاني منها المزارع . وهذا برأي الباحث ربما راجع إل عدم قناعة حقيقية بأهمية العمل التعاوني والجماعي من قبل المزارع الفلسطيني ، أو ربما راجع إلى عدم الاهتمام بالجمعيات التعاونية من قبل الجهات الداعمة والمختصة الفلسطينية ، أو ربما لعدم توفر القناعة بأن العمل التعاوني يشكل الركيزة الأساسية في التخفيف من المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني بشكل عام والمزارع بشكل خاص، وأن هناك مؤسسات وتكتلات اقتصادية أخرى ربما يعول عليها في حل مختلف هذه المشكلات ومنها ربما القطاع الخاص المحلي إذ لا تشكل التعاونيات مركز استقطاب واسع للمزارع الفلسطيني

وبالنسبة لعدد القوى العاملة في الجمعيات التعاونية أظهرت نتائج الدراسة بأن عدد العاملين في التعاونيات كان قليلا بشكلا عام ، حيث شكلت الجمعيات التعاونية والتي تشغل ثلاثة إلى ستة عاملين ما نسبته 43% من عينة الدراسة ، في حين شكلت الجمعيات التعاونية التي تشغل أقل من ثلاثة عاملين ما نسبته 30% من عينة الدراسة وبالنسبة للجمعيات التعاونية التي تشغل أكثر من ستة عاملين ، حيث شكلت ما نسبته 27% من عينة الدراسة . وهذا يوضح برأي الباحث عدم استعداد كامل من الجمعيات لتحقيق الميزة التنافسية للمنتجات المحلية حيث أن العمل على تحقيق مستويات جودة في الإنتاج يتطلب عدد من العاملين المهرة وتوفر الخبرات الضرورية الواجب توفرها لكي تنجح المؤسسات ومن ضمنها التعاونيات في تحقيق معدلات جودة مناسبة ترتقي للمستوى المطلوب محلياً على الأقل.

**الفصل الرابع**

**نتائج الدراسة ومناقشتها**

في هدا الفصل سيقوم الباحث بعرض ومناقشة نتائج تحليل الاستبانة.حول دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية، .حيث سيتناقش الباحث فيما يلي تحليل النتائج المرتبطة بمحاور ومجالات الدراسة وأسئلتها

1.4 الإجابة عن السؤال الرئيس للدراسة

ما دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات الفلسطينية؟

وللتحقق من سؤال الدراسة استخدم الباحث المتوسطات والنسب المئوية والتقدير الآتي:

(50% فاقل ) درجة قليلة جدا.

(من 50% وحتى أقل 60%) درجة قليلة.

(من 60% وحتى أقل 70%) درجة متوسطة.

(من 70% وحتى أقل 80%) درجة مرتفعة.

(من 80% فأكثر) درجة مرتفعة جدا.

2.4مجال المعرفة بمفاهيم العمل التعاوني

للتعرف على دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز المعرفة بمفاهيم العمل التعاوني استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والجدول 1.4، أدناه يوضح ذلك

جدول 1.4 المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والتقدير لدور الجمعيات التعاونية الزراعية لمجال المعرفة بمفاهيم العمل التعاوني

| الرقم | الفقرة | المتوسط | الانحراف | النسبة المئوية | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | عززت من معرفتك بأهمية العمل الجماعي التعاوني | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 2 | عززت مستوى المعرفة بمبادئ العمل التعاوني | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 3 | حسنت من الإدراك بأهمية العمل التطوعي في المجتمع | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 4 | عززت من المعرفة بمفهوم العمل المؤسساتي المهني | 2.90 | 0.31 | 97% | مرتفعة جدا |
| 5 | زادت من علاقات التنسيق مع المؤسسات الأخرى ذات العلاقة | 1.30 | 0.65 | 43% | قليلة جدا |
| 6 | حسنت من معرفتك بمفاهيم التنمية المستدامة | 1.30 | 0.65 | 43% | قليلة جدا |
| **الدرجة الكلية** | | **2.42** | | | **%81 مرتفعة جداً** |

يتضح من نتائج جدول 1.4 أعلاه بان دور الجمعيات التعاونية في تعزيز المعرفة بمفاهيم العمل التعاونية كانت مرتفعة والدرجة الكلية للمجال كانت 81%، حيث جاءت على كل فقرات المجال مرتفعة جداً ، و برأي الباحث لم تساعد هذه النسبة المرتفعة في تمكين الجمعيات التعاونية من العمل على تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية ، في حين أكدت نتائج المقابلة إلى ضعف ثقافة المجتمع المحلي بموضوع التعاون وأن هناك عدم ترسيخ لهذا المفهوم لدى الغالبية العظمى من السكان والمواطنين ،وأكد الخبراء أهمية أن يتم تضمين المناهج الفلسطينية بمفهوم العمل التعاوني في المدارس والجامعات المحلية لتعزيز ثقافة العمل التعاوني بين المواطنين

3.4مجال تقييم أداء لجان الإدارة

للتعرف على دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تقييم أداء لجان الإدارة للجمعية ، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والجدول 2.4، أدناه يوضح ذلك

جدول 2.4 المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والتقدير ، لدور الجمعيات التعاونية الزراعية لمجال تقييم أداء لجان الإدارة

| الرقم | الفقرة | المتوسط | الانحراف | النسبة المئوية | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|
| 7 | ينتخب أعضاء لجنة الإدارة بطريقة ديمقراطية | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 8 | يشغل لجنة الإدارة أعضاء ذوي كفاءة مناسبة | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 9 | للجنة الإدارة دور في تحسّين أداء الجمعية | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 10 | للجنة الإدارة دور في توسيع عضوية الجمعية | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 11 | تسهم لجنة الإدارة في تنمية مفاهيم العمل التعاوني لأعضاء الجمعية | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 12 | تحرص لجنة الإدارة على توفر المهنية لدى العاملين في الجمعية | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 13 | تزوّد الهيئة العامة بالتقارير الدورية عن سير العمل | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 14 | تلتزم بدعوة الهيئة العامة لعقد الاجتماعات الدورية | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 15 | يتوفر انسجام بين أعضاء لجنة الإدارة في العمل | 3.00 | 0.00 | 100% | مرتفعة جدا |
| 16 | تدير الجمعية وفقاً لمبادئ التعاون العامة | 2.90 | 0.31 | 97% | مرتفعة جدا |
| 17 | تستثمر أرباح الجمعية في مشاريع وفق مفاهيم | 1.30 | 0.65 | 43% | قليلة جدا |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | العمل التعاوني | | | | |
| **الدرجة الكلية** | | **2.84** | | | **95 %** **مرتفعة جداً** |

يتضح من نتائج الجدول 2.4 أعلاه ، بأن تقييم لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية كان عالي جداً وبدرجة ممتازة ، حيث كانت الدرجة الكلية للمجال 95% وهذه نسبة كبيرة جداً ، وبرأي الباحث كل هذا الأداء الجيد للجان الإدارة إلا أنها لم تتمكن من بذل الجهود الإيجابية باتجاه تعزيز قدرات عمل الجمعية وخاصة في تعزيز الميزة التنافسية لمنتجاتها وتعزيز حصصها السوقية سواء في السوق المحلي أو الخارجي ومما يعزز رأي الباحث نتائج المقابلة حيث أتت النتائج لتشير إلى أن هناك ضعف واضح في مسك الدفاتر المحاسبية في الجمعيات التعاونية ، إضافة إلى أن معظم الجمعيات لا توظف متخصصين في الشؤون المالية والإدارية حيث أن أعضاء لجان الإدارة هم من يمسك هذه الملفات والإدارة

4.4مجال القدرة في تقديم منتجات جديدة

للتعرف على قدرة الجمعيات التعاونية الزراعية في تقديم منتجات جديدة ، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والجدول 3.4، أدناه يوضح ذلك

جدول 3.4 المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والتقدير ، لدور الجمعيات التعاونية الزراعية لمجال القدرة في تقديم منتجات جديدة

| الرقم | الفقرة | المتوسط | الانحراف | النسبة المئوية | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|
| 18 | تقديم منتجات بمعايير الجودة في السوق المحلي والخارجي | 1.40 | 0.81 | 47% | قليلة جدا |
| 19 | تطوير المنتج للوقوف أمام السلع البديلة في السوق المحلي | 1.20 | 0.61 | 40% | قليلة جدا |
| 20 | تطوير المنتج للوقوف أمام السلع البديلة في | 1.20 | 0.61 | 40% | قليلة جدا |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | السوق الخارجي | | | | |
| 21 | تبني خطة إستراتيجية مبنية على التنافس | 1.20 | 0.61 | 40% | قليلة جدا |
| 22 | التركيز على تقديم منتجاتها لفئة وشريحة معينة من المجتمع | 1.30 | 0.65 | 43% | قليلة جدا |
| 23 | التركيز على تقديم منتجات فريدة من نوعها إلى السوق | 2.10 | 0.31 | 70% | مرتفعة |
| 24 | تقديم منتجات جديدة لضمان النمو والاستمرارية | 1.30 | 0.65 | 43% | قليلة جدا |
| **الدرجة الكلية** | | **1.39** | | | **46 %<br>قليلة جداً** |

تظهر نتائج الجدول 3.4 أعلاه الواقع الضعيف لدور الجمعيات التعاونية الزراعية المحلية في تقديم منتجات جديدة للسوق المحلي أو الخارجي ، وكذلك الضعف في تنويع العملية الإنتاج للهروب من ضروب المنافسة ، وكذلك الضعف في تبني خطة إستراتيجية مبنية على التنافس ، وان دورها في التركيز على منتجات فريدة من نوعها ولفئة محددة من المجتمع أيضا بقي ضعيفاً ، ولم تبذل جهودا لحماية منتجاتها للوقوف أمام السلع المنافسة، وكانت الدرجة الكلية للمجال 46% وهي ضعيفة جداً . في حين أشارت نتائج المقابلة إلى ضعف عملية الأستثمار في القطاع الزراعي سواء كان من القطاع الخاص أو الأهلي وحتى الحكومة ولم تبذل هذه المؤسسات والقطاعات أي جهداً مميز في هذا المجال . مما أضعف مختلف الجهود المبذولة لرفعة القطاع الزراعي وبالتالي الاهتمام به وتبيان أهميته الاقتصادية والاجتماعية.

5.4مجال خدمة العملاء

للتعرف على قدرة الجمعيات التعاونية الزراعية في خدمة العملاء ، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والجدول 4.4، أدناه يوضح ذلك

جدول 4.4 المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والتقدير ، لقدرة الجمعيات التعاونية الزراعية لمجال خدمة العملاء

| الرقم | الفقرة | المتوسط | الانحراف | النسبة المئوية | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|
| 25 | التميز في الأسعار بما يناسب قدرات المستهلكين | 2.23 | 0.43 | 74% | مرتفعة |
| 26 | التميز في مجال تقديم الخدمات والتسهيلات المطلوبة | 1.57 | 0.86 | 52% | قليلة |
| 27 | التنافس في مجال تقديم الخدمات والتسهيلات المطلوبة | 2.23 | 0.43 | 74% | مرتفعة |
| **الدرجة الكلية** | | **2.01** | | | **68 % متوسطة** |

يتضح من نتائج الدول 4. 4 أعلاه بأن دور الجمعيات التعاونية في مجال خدمة العملاء كانت متوسطاً ، وكانت الدرجة الكلية للمجال 68% ، إذ لم تقدم الخدمات والتسهيلات المطلوبة والتي تعزيز الصلات مع العملاء ، وكان المتوسط الحسابي لهذه الفقرة 1. 57 في حين كان نشاطها في التميز في الأسعار مرتفع ، وفي مجال التنافس في تقديم خدمات للعملاء أيضا مرتفعة

6.4مجال المنافسة

للتعرف على قدرة الجمعيات التعاونية الزراعية في المنافسة ، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والجدول 5.4، أدناه يوضح ذلك

جدول 5.4 المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والتقدير ، لقدرة الجمعيات التعاونية الزراعية لمجال المنافسة

| الرقم | الفقرة | المتوسط | الانحراف | النسبة المئوية | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|
| 28 | إلمام بأعداد المنافسين في مجال الخدمة التي تقدمها | 1.43 | 0.68 | 48% | قليلة جدا |
| 29 | إلمام بالمزايا التنافسية التي يتمتعون بها المنافسين | 2.20 | 0.41 | 73% | مرتفعة |
| 30 | معرفة جيدة بسلع وأسعار المنافسين الجدد | 2.20 | 0.41 | 73% | مرتفعة |
| 31 | دراية كاملة بطرق توزيع المنافسين المختلفة | 2.20 | 0.41 | 73% | مرتفعة |
| 32 | معرفة بمستويات التكنولوجيا المستخدمة من قبل المنافسين | 2.23 | 0.43 | 74% | مرتفعة |
| 33 | معرفة بنقاط القوة والضعف لدى المنافسين في المجال الزراعي | 2.10 | 0.31 | 70% | مرتفعة |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 34 | متابعة التطلعات المستقبلية للمنافسين في المجال الزراعي | 1.97 | 0.49 | 66% | متوسطة |
| **الدرجة الكلية** | | **2.05** | | | **68% متوسطة** |

يتضح من نتائج الجدول 5.4 أعلاه بأن دور الجمعيات في مجال المنافسة كانت متوسطاً ، وكانت الدرجة الكلية للمجال 68% ، ويعود السبب نتيجة عدم إلمام الجمعيات التعاونية والعاملين بأعداد المنافسين في مجال الخدمة التي تقدمها ، وكانت باقي الفقرات نسبتها مرتفعة وهذا راجع ربما للمعرفة بظروف المنافسة والتي يجب أن يكون عليها المنافسون لكن مشكلة الجمعيات التعاونية المحلية كما أظهرت النتائج هو في معرفة أعداد هؤلاء المنافسين وطرقهم والبدائل المطروحة أمامهم للتغلب على ظاهرة المنافسة والتجارب الناجحة في هذا المجال

7.4 مجال التعامل مع الموزعين والموردين والسرعة

للتعرف على قدرة الجمعيات التعاونية الزراعية في التعامل مع الموزعين والموردين والسرعة ، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والجدول 6.4، أدناه يوضح ذلك

جدول 6.4 المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والتقدير ، لتعامل الجمعيات التعاونية الزراعية مع الموزعين والموردين والسرعة

| الرقم | الفقرة | المتوسط | الانحراف | النسبة المئوية | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|
| 35 | التميز في تقديم تسهيلات مختلفة للموزعين المحليين والخارجيين | 1.83 | 0.59 | 61% | متوسطة |
| 36 | التنافس في مجال الحصول على خدمات مختلفة من الموردين المحليين والخارجيين | 1.20 | 0.61 | 40% | قليلة جدا |
| 37 | تتميز بالسرعة الممكنة لمواجهة المتغيرات الخارجية المؤثرة | 1.33 | 0.66 | 44% | قليلة جدا |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | على السوق | | | | |
| 38 | تتميز بالسرعة في أداء الخدمات والأنشطة المختلفة | 1.67 | 0.80 | 56% | قليلة |
| **الدرجة الكلية** | | **1.51** | | | **50 % قليلة** |

تظهر نتائج الجدول 6.4 أعلاه بأن دور الجمعيات التعاونية في التعامل مع الموردين والموزعين والسرعة ، كان قليلا وكانت الدرجة الكلية للمجال 50% ، حيث أظهرت النتائج بطء الجمعيات في أداء الخدمات والأنشطة المختلفة التي تهم الموردين والموزعون ، إضافة إلى البطء في مواجهة التغيرات المؤثر على السوق سواء السوق المحلي أو الخارجي ، كما أن خدماتها للموردين والموزعين أيضا كانت متوسطة إلى قليلة ولم ترتقي للمستوى المطلوب

8.4مجال التدريب وتحسين القدرات

للتعرف على قدرة الجمعيات التعاونية الزراعية في مجال التدريب وتحسين القدرات ، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والجدول 7.4، أدناه يوضح ذلك

جدول 7.4 المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والتقدير ، لدور الجمعيات التعاونية الزراعية في مجال التدريب وتحسين القدرات

| الرقم | الفقرة | المتوسط | الانحراف | النسبة المئوية | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|
| 39 | توضيح مفهوم الميزة التنافسية للأعضاء المنتجين | 2.00 | 0.45 | 67% | متوسطة |
| 40 | تقديم التدريب للأعضاء من أجل التميز في الإنتاج | 2.00 | 0.45 | 67% | متوسطة |
| 41 | توضيح المعايير الدولية للجودة الشاملة من أجل التميز | 2.00 | 0.45 | 67% | متوسطة |
| 42 | معرفة نقاط القوة والضعف | 2.00 | 0.45 | 67% | متوسطة |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | الخاصة بها | | | | |
| 43 | تنمية إمكانياتها البشرية والتنظيمية لمواجهة نقاط الضعف | 2.40 | 0.67 | 80% | مرتفعة جدا |
| **الدرجة الكلية** | | **2.08** | | | **69 % متوسطة** |

تظهر النتائج في جدول 7.4 أعلاه الدور المتوسط والضعيف للجمعيات التعاونية في مجال التدريب وتحسين القدرات من أجل تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية ، وكانت الدرجة الكلية للمجال 69% . وهي درجة متوسطة ، وبرأي

الباحث فربما هذا آت من عمرها الفتي وقلة الخبرات والمعرفة الكافية بموضوع الجودة والميزة التنافسية ، وعدم الاطلاع الكافي والمعرفة الكافية بمفهوم المنافسة وما هي ضروراتها التي أصبحت أهم الاحتياجات أمام المؤسسات الاقتصادية ومن ضمنها الجمعيات التعاونية ، كما أن الجمعيات التعاونية وحسب رأي الباحث لم تبذل الجهود الكافية لذلك ولم تمارس عملية التدريب وبناء القدرات التي يحتاجها المزارع كي يسهم بتقديم منتجات ذات جودة وتتمتع أيضا بميزات تنافسية ، علها تسهم في تخفيف حدة الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعانيها المزارع الفلسطيني والمجتمع المحلي بشكل عام

**الفصل الخامس**

**النتائج والتوصيات Results and recommendations**

1.5النتائج

- يتضح من نتائج الدراسة بان دور الجمعيات التعاونية في مجال تعزيز مفاهيم العمل التعاونية كان دوراً ايجابيا
- يتضح من نتائج الدراسة بأن دور لجان الإدارة في الجمعيات التعاونية الزراعية أيضا كان لها دورها الإيجابي وان هناك رضا إلى حداً ما عن أداء لجان الإدارة سواء في رفع التقارير للهيئة العامة أو الدعوة لإجراء الانتخابات والالتزام بعقد الاجتماعات وتوسيع عضوية الجمعية وغيرها من المهمات المكلفة بها لجان الإدارة
- أظهرت نتائج الدراسة في الموضوع الرئيس للدراسة وهو دورها في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات المحلية الفلسطينية ، كان ضعيفا ولم

يرتقي للمستوى المطلوب سيما وان الجمعيات التعاونية تعتبر مؤسسات اقتصاديا معول عليها إحداث التطوير والتنمية في المجال ا والقطاع الاقتصادي المحلي الفلسطيني

- أظهرت النتائج الدور الضعيف للجمعيات في تدريب الأعضاء على التمسك بمستويات إنتاج ذو من جودة عالية ، لتلبية أذواق المستهلكين في السوق المحلي والخارجي
- أظهرت النتائج ضعف دور الجمعيات في خدمة الموزعين والموردين والسرعة في تأدية المهمات
- اتضح من نتائج الدراسة الدور المتوسط للجمعيات التعاونية وعلى مختلف أنواعها في خدمة العملاء والمتعاملين مع الجمعيات
- أظهرت نتائج الدراسة أيضاً بأن دور الجمعيات في موضوع المنافسة كان متوسطاً وفي غالب الأحيان
- أظهرت نتائج الدراسة الضعف الشديد للجمعيات وعدم قدرتها على تقديم منتجات جديد للسوق ولاحتياجات المستهلكين سواء على مستوى السوق المحلي أو الخارجي

**2.5التوصيات**

- العمل علي إنشاء المجالس التسويقية المتخصصة ووضع آليات عملها. وتشجيع إنشاء مؤسسات كبيرة ذات - إمكانيات مالية ضخمة تقدم كافة الخدمات التسويقية المتطورة أسوة بالدول المتقدمة.
- تشجيع الاستثمار في الصناعات الزراعية والغذائية وتوفير الدراسات والبيئة الملائمة لذلك.
- كسر احتكار تجار المنتجات الزراعية والقطاع الخاص وإعطاء دور للجمعيات الزراعية في عمليات التسويق( استقبال المنتج الزراعي من المُزارع وبيعه لصالحه.(
- تشجيع المشاريع الريفية الصغيرة المنتجة في مجالات تربية الحيوانات والدواجن في المناطق الريفية ,وتقديم الأعلاف والعناية البيطرية لها.
- إصدار الأنظمة والقوانين والتشريعات الناظمة والداعمة للعمل التعاوني
- المساعدة في نشر ثقافة العمل التعاوني في المجتمع الفلسطيني من خلال وسائل الإعلام المختلفة

- إعادة الاعتبار للتعاونيات الزراعية في إصدار شهادة المنشأ للمنتجات الزراعية ، والتي تفيد في تعزيز التصدير للسوق الخارجي وتعزز من دور التعاونيات في العملية الاقتصادية
- المساعدة في تدريب كادر الجمعيات التعاونية الأعضاء والعاملين فيها على كيفية تعزيز وتبني نظام الجودة الشاملة في عملها ، من قبل وزارة الاقتصاد والزراعة والعمل ودوائر التعاون
- تقديم المنح والتسهيلات البنكية وتعزيز الإقراض الزراعي كي تتمكن التعاونيات من الاعتماد على ذاتها في المساهمة في تطوير المنتجات المحلية وتعزيز قدرتها التنافسية

## قائمة المراجعBibliography


- السلمي ، علي . إدارة الموارد البشرية الإستراتيجية"، دار غريب للنشر والطباعة، القاهرة، 2001، ص104
- خليل ، نبيل مرسي ، الميزة التنافسية في مجال الأعمال، مركز الإسكندرية، مصر، 1998، ص 37.
- فرحان ، غول ، ورقة علمية ، دور إعادة الهندسة كأسلوب للتغيير التنظيمي في ظل الأوضاع البيئية الراهنة ، الملتقى العلمي الدولي ،الإبداع والتغيير التنظيمي في المنظمات الحديثة :دراسة وتحليل تجارب وطنية ودولية " الجزائر، 2011
- حريم ،حسين،إدارة المنظمات من منظور كلي "، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، عمان ، الأردن ،2003 ، ص331
- الصفحة 20المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات الحكومية ، الجزائر ، 2005
- دراسة لحول ، سامية ، 2008 ، التسويق والمزايا التنافسية دراسة حالة مجمع صيدال لصناعة الدواء في الجزائر ، جامعة الحاج لخضر – باتنة ، رسالة دكتوراه منشورة
- عبد الرحمان، بن عنتر، 2008 ، إدارة الجودة الشاملة كتوجه تنافسي في المنظمات المعاصرة ، مجلة الباحث ، العدد 6، 2008 ، جامعة بومدراس
- زهية ، موساوي ، خديجة ، خالدي ، ورقة علمية ، نظرية الموارد و التجديد في التحليل الاستراتيجي للمنظمات : الكفاءات كعامل لتحقيق الأداء المتميز ، المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات الحكومية ، الجزائر ، 2005
- محمد عبد الفتاح العتيبى ،2010 ، دور التعاونيات في دعم الشبكات وتنمية الصناعات العربية وتعزيز قدرتها على الإبداع والابتكار ، ورقة مقدمة إلى الملتقى الخامس للصناعات الصغيرة والمتوسطة ، الجزائر
- محمد عبد الفتاح العتيبى ، 2010، الجمعيات التعاونية وأسس قيام المشروع التعاوني ، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=228446
- حنني ، فؤاد ،2008 دراسة تحليلية لأداء جمعيات التسويق التعاونية في شمال الضفة الغربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القدس

- الشنواني ،صلاح (1971) التسويق مبادئ وسياسات ،الدار المصرية للطباعة والنشر،بيروت-لبنان
- الزغموري،عمر (1991) الجمعيات التعاونية والتنمية في الأراضي المحتلة ،منشورات مركز العمل التنموي "معا "
- الحيالي ، وليد (2002) محاسبة الجمعيات التعاونية، الجامعة العربية المفتوحة ، هولندا
- الخشاب ، محمد (1965) علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الشافي
- أبو الخير ،كامل (1978 ) دراسات في التسويق التعاوني ، دار الفاربي للنشر والتوزيع ، القاهرة
- شومان ،عبد الرحمن (1979) التعاونيات
- الشيشكلي ،مصطفى (2007) مستقبل القطاع التعاوني في سوريا ،2007/6/13 www.mafhoum.com/syr/articles_02/shishkali/shishkali.htm
- منشورات وزارة العمل الفلسطينية ، 1997 ، رام الله ، الضفة الغربية

- قعقور ، رائدة ، 2009، دور الجمعيات التعاونية الزراعية في التنمية المحلية ، رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة القدس

- خشبة ، محمد ، الجودة الشاملة وتنافسية المشروعات ، سلسلة اجتماعات الخبراء المعهد العربي للتخطيط بالكويت ، العدد 2055،15،ص20


ملحق رقم"1"

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يقوم الباحث بإعداد دراسة بعنوان:

دور الجمعيات التعاونية الزراعية في تعزيز الميزة التنافسية للمنتجات الفلسطينية المحلية

يرجى الإجابة عن أسئلة استمارة المقابلة، بصدق وموضوعية من أجل تحقيق أهداف هذه الدراسة مع العلم أن البيانات التي تجمع بغرض الدراسة تعامل بسرية تامة ,
شاكرين لكم حسن مساعدتكم وتعاونكم

الباحث
فؤاد غالب كردي حنني
جامعة القدس

الشخص المقابل: السيد المحترم
تاريخ المقابلة : مكان المقابلة :

عناصر المقابلة:

1. كيف تقيم مستوى ثقافة المجتمع المحلي بمفهوم العمل التعاوني ؟
1. إيجابي 2. متوسط 3. ضعيف
ملاحظات إضافية :
. IIما تقييمك لمستوى معرفة وإدراك أعضاء الجمعيات التعاونية المحلية بالمبادئ والأسس العامة للتعاون ؟
1.إيجابي 2.متوسط 3. ضعيف
ملاحظات إضافية :
.IIIما تقييمكم لمستويات الأداء المالي والإداري للجمعيات التعاونية الزراعية ؟
1.دور كبير 2. دور متوسط 3. دور قليل
ملاحظات إضافية :
. Vما مستوى تطبيق مبادئ ومعايير ، المسائلة ، الشفافية ، في عمل الجمعيات التعاونية الزراعية بشكلً عام ؟
1. كبير 2. متوسط 3. قليل
ملاحظات إضافية :
. IVإلى أي حد استطاعت الجمعيات التعاونية الزراعية الفلسطينية ، أن تدعم وتقدم منتجات ذات ميزة تنافسية في السوق المحلي ؟
1. بشكل كبير 2. بشكل متوسط 3. بشكل قليل
ملاحظات إضافية:
. IIVكيف تقيم حجم الاستثمارات في القطاع الزراعي الفلسطيني ومن مختلف المؤسسات " الخاص/ والعام /الأهلي
1. بشكل كبير 2.بشكل متوسط 3. بشكل قليل
ملاحظات إضافية:
. IIIVما المزايا النسبية التي يتمتع بها القطاع الزراعي الفلسطيني المحلي؟
1.بشكل كبير 2.بشكل متوسط 3. بشكل قليل

# العلوم السياسية

## الإصلاح السياسيّ والتشريعيّ في القرن التاسع عشر

## دراسة في السياق والآفاق

# الإصلاح السياسيّ والتشريعيّ في القرن التاسع عشر
## دراسة في السياق والآفاق

الدكتور علي الصّالح مُولَى أستاذ مشارك متخصّص في قضايا الفكر العربيّ الحديث والمعاصر.

ملخّص:
لا جدالَ في أنّ القرن التاسعَ عشر كان قرن الإصلاح في عموم الجغرافيا العثمانيّة.وكان مصطلح "النهضة" الأكثر تعبيرا عن بروز اتّجاهات فكريّة وسياسيّة تمدينيّة حاولتْ اختراق سُجُف التخلّف وتسطيرَ مسالكَ للخروج منها. ونعتقد بأنّ مسألة الاستبداد المعبّر عنها بـ"الحكم المطلق" قد استحوذتْ آنَئِذٍ على العقل الإصلاحيّ. وراجَتْ في هذا الصدد ثقافةُ التشريعات وإصدار المراسيم على نحو لافت. فوَجّهْنا عنايتنا في هذا البحث إلى تبنّي مقاربة سياقيّة نقديّة رغبةً منّا في تبيان الآفاق التي فتحها العقل الإصلاحيّ- المراسيميّ والوقوف على حدودها.واستطعنا أن نصل إلى جملة من النتائج لعلّ أهمّها أنّ إنتاج النصوص القانونيّة إنْ لم تكنْ حصاد مسار ثقافيّ أصيل لا يمكنها أنْ تكون إجابة أصيلة عن السؤال الأكثر شهرة في تاريخ الإصلاح العربيّ الإسلاميّ: "لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم؟"

Résumé:

**Le XIXème siècle était le siècle de la réforme dans tout le territoire Ottoman. La notion de “Renaissance” exprimait le mieux l’apparition d’orientations civilisatrices, intellectuelles et politiques. Celles-ci ont tenté de transpercer les voiles de l’arriération et eche des parcours pour en sortir. Nous croyons que la question du echerché que l’on exprime par le pouvoir absolu a alors usurpé la raison réformatrice. Et dans ce echerc, la culture des echerché et la promulgation des décrets se sont remarquablement répandus. Dans cette echerché, nous avons alors porté notre intérêt pour l’adoption d’une approche contextuelle et critique pour mieux expliciter les horizons ouverts par la raison réformatrice qui fonctionne par décrets et echerché leurs limites. Nous avons abouti à un ensemble de echerché . Le plus important est peut- être la production de eche de loi qui, à défaut d’être le produit d’un processus culturel authentique, ne saurait constituer une vraie réponse à la question la plus fameuse dans l’histoire de la réforme arabo-musulmane:” pour quelle raison les musulmans sont-ils restés en retard là où les autres ont progressé? “.**

في مقدّمات الإصلاح وملامحه:معطياتٌ سياقيّة

برزت في خطاب مفكّري القرن التاسع عشر وأدبائه وسياسيّيه مصطلحات كثيرة منها: اليقظة، الإحياء، التجديد، التمدّن، العمران، النهضة، الإصلاح. ونشير إلى أنّ الإطار المرجعيّ لبعض هذه المصطلحات هو التراث الإسلاميّ (الإرث الخلدوني على سبيل المثال)، وبعضها الآخَر إطارُها المرجعيّ مستوحًى من التجربة الأوروبّيّة الحديثة(عصر الأنوار على سبيل المثال .(

ومَن يدقّق يقف على ملاحظة مؤدّاها أنّ مصطلحيْن من هذه القائمة راجا رواجا واسعا خبا به بريق غيرهما. ولعلّهما استوعبا ما يجاورهما أو يتقاطع معهما. إنّهما: النهضة والإصلاح. ويبدو أيضا أنّه، لأسباب مركّبة، سيتقدم مصطلح النهضة على مصطلح الإصلاح وسيستأثر في غالب الدراسات المنشغلة بقضايا القرن التاسع عشر بالاستخدام. ودون الخوض المفصّل في الفروق بين المصطلحيْن نسلّط شيئا من الضوء على الأمريْن التاليّيْن:

ترى ندى توميش في مقالها بدائرة المعارف الإسلاميّة حول النهضة (Renaissance) [1]أنّه كان من الأفضل معرفيّا وتاريخيّا استخدام مصطلح يقظة لأنّها تعني، فوق دلالتها المعجميّة المباشرة، انتباه المسلمين بعد غفلة من الزمن إلى ما آل إليه أمرهم. وشأنُ مَن ينتبه إلى تردّي حاله أن يحزم أمره وينظر في الأسباب التي تساعده على القيام من جديد. أمّا مصطلح النهضة فهو موضوعيّا مصطلح مَنْبَتُه غربيّ وزمنه القرن السادس عشر من ناحية، وهو من ناحية ثانية اتّجاه إحيائيّ للتراثيْن الإغريقيّ والرومانيّ [2].إنّ لمصطلح النهضة إذن حمولة تاريخيّة وثقافيّة وإيديولوجيّة تجعل إطلاقه في غير بيئته ضربا من التشويه والمغالطة.

ما رأته ندى توميش يمكن تعميق النظر فيه بالمعطيات الوجيزة التالية: عرف تاريخ أوروبّا الحديث مسلكيْن أساسيّيْن اقترحهما القيّمون على تجديد معالم الحياة الغربيّة من أدباء وفلاسفة ورجال دين وسياسيّين وهما: الإصلاح (Réforme)والنهضة .(Renaissance) فأمّا الإصلاح فميدانه المجال الدينيّ-الكنسيّ. وقد اهتمّ بتطوير عمل الكنيسة وتجديد أدائها ودفعها إلى القيام بمراجعات كبرى لتاريخها وتصوّراتها وسلوكها. وكان التتويجُ الأبرز لهذا الاتّجاه ظهور البروتستانتيّة.(Protestantisme) وأمّا النهضة فمجالها الفكر والفنّ والأدب، ورعاتُها النخبة البورجوازيّة على نحو خاصّ. واستطاع هذا الاتّجاه الناشط خارج أسيجة الكنيسة أن يُنتج مقولات وتصوّرات وقيما تمجّد الإنسان وتدفع به إلى مركز الكون سيّدا عليه وعلى نفسه.

يمكن القول إذن إنّ الإصلاح هدف إلى تحرير الكنيسة من أخطائها، وإنّ النهضة هدفت إلى تحرير الإنسان من اغترابه واستلابه وسلبيّته.

والظاهر أنّ هذيْن الاتّجاهيْن سارا متوازييْن وربّما تقاطعا في بعض المحاور في مشهد تاريخيّ نادر الحدوث، فكانت النتيجة ثورةً في قطاعات الحياة جميعها. وكانت العقلانيّة ومتعلّقاتُها الفلسفةَ الكبرى التي أضحت عنوانا لأوروبّا الجديدة. وأصبحت القوّةُ الهائلة (قوّة المال والصناعة والآلة الحربيّة والتنظيم المحكم) التي تتمتّع بها أوروبّا تُغري بمدّ البصر خارج جغرافيّتها. وبدأ النزوع إلى حشد مبرّرات السلوك العدوانيّ والإمبراطوريّ يهيّئ التاريخَ الحديث والمعاصر لبروز المرحلة الاستعماريّة.

كانت الجغرافيا العربيّة والإسلاميّة على خطّ التماسّ مع أوروبّا. وكان بينهما منذ عصور سحيقة علاقاتٌ معقّدة تتراوح بين الغزو والهدنة والارتياب [3].وكانت المَعابِر إلى العالم البعيد (الهند مثلا) تمرّ حتما إمّا داخل الجغرافيا الإسلاميّة وإمّا محتكّة بها. وكلّ هذا يعني أنّ المسلمين هم أوّل من سيتأثّر بما يطرأ من تحوّلات عميقة في الداخل الأوروبّيّ وبما تفرزه في الخارج.

ومن المبالغة القول إنّ حملة نابليون بونابرت كانت الحدثَ الأوّل والوحيد الذي فتح المجاليْن الإسلاميّ والأوروبّيّ أحدَهما على الآخَر. لقد كانت الرحلات من قبْلُ وفي الأثناء تنقل للمجاليْن ما يدور فيهما. لكنّ هذه الحملة أصبحت، بما رافقها من ملابسات، حجرَ الزاوية في الكتابة التاريخيّة والحضاريّة المتخصّصة في القرن التاسع عشر. لقد تجاوزت شحنةُ الحدث الرمزيّة فعلَه المادّيّ تجاوزا كبيرا.فنابليون، كما نعلم، لم يهنأ طويلا بالمقام في مصر. وخطابه الذي ألقاه بمجرّد وصوله أرض الإسكندريّة زاعما فيه أنّه مسلم مثلما أهلُ هذا البلد مسلمون وأنّه وفرنسا في خندق واحد مع المصريّين ضدّ المماليك لم يَدُرَّ عطْفَ الناسِ عليه.فبعد ثلاث سنوات سحَب قوّاتِه وعاد من حيث أتى.

للحدث البوناپارتيّ إذن رمزيّة كثيفة ننطلق منها لبناء رؤية معيّنة لما سيكون عليه أمر العرب والمسلمين وقد سكنتهم الحيرةُ واستبدّ بهم القلق وطفقوا يتساءلون عن الأسباب التي تُنْجِيهم ممّا هم فيه. وما ينبغي الاحتفاظ به من المقدّمات التي مرّت هو أنّ انتباه المسلمين إلى أوضاعهم لم يكن ليتجلّى على النحو الذي تجلّى فيه لولا المقارنة مع أوضاع أوروبّا. وهذا يسوق إلى طرح مسألة المرجع في الخطاب الإصلاحيّ في القرن التاسع عشر. إنّنا لا ننكر أنّ حركاتٍ إصلاحيّةً عرفتها البلاد الإسلاميّة نادت بتغيير الأوضاع بالاعتماد على ما يمكن تسميته بالإسلام الصافي أو الإسلام الصحيح [4].وكانت محاربة البدع رسالتَها المحوريّة. ويشهد لها التاريخ أو لبعضها على الأقلّ بأنّها تمكّنت من جذب جمهور إليها، وخرج صداها من الحدود الضيّقة إلى مناطق بعيدة [5]، وأنشأت مراكز قوّة تعاظم أمرُها في

بعض البلدان حتّى أوصلت القائمين عليها إلى سدّة الحكم. لكنّ هذه الرسالة لم تكن، لقصور بنيويّ فيها، قادرة على الوصول إلى الأسباب البعيدة للتخلّف. وكان زعماؤها قليلي الاطّلاع على ما يجري من حولهم. ولم يكن الأنموذج الإسلاميّ الذي ينادون باستعادته إلاّ صورة في ذهن صانعها. فإذا قورن بها الواقع بدا تشويها لها. وهذا الاتّجاه لا يخصّ مجتمعا دون آخر. فاللّجوء إلى استدعاء ما يُعرَف بالعصور الذهبيّة هو، بلا شكّ، مِنْ سيرة الأمم في الأزمات الكبرى. وهو شكل من التعويض يوفّر شيئا من الطمأنينة الكاذبة.

قدّم الحدث البوناپارتيّ في بُعده الرمزيّ إذن إمكانا آخَر لمقاربة سؤال التخلّف. ولم يبق "العصر الذهبيّ" مرجعا وحيدا. لقد صار ينافسه المرجع الأوروبّيّ الماثل في شموخه وتحدّيه. ومن هنا نفهم قيمة الجزء الثاني من عنوان كتاب شكيب أرسلان: "لماذا تأخّر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟". فعبارة"لماذا تقدّم غيرهم؟" لها من الدلالة التاريخيّة ما يجعلها بحقّ برهانا على أنّ طريقا أخرى غير الطريق المعهودة ينبغي التحرّك فيها للظفر بجواب. لقد أصبح الأنموذج الأوروبّيّ جذّابا بما يطرحه من صنائع وعلوم ومخيفا بما يملكه من أدوات الهيمنة.

وشرعَت جهات كثيرة دينيّة وسياسيّة وأدبيّة وفكريّة تخرج من طور الصدمة إلى طور العمل على امتصاصها والبحث عن مسالكَ لتجاوز انعكاساتها السلبيّة. وشهدت بلدانٌ إسلاميّة محاولاتِ إصلاحٍ في أكثر من قطاع كالتعليم والمرأة والجيش. وكان مركز الدولة العثمانيّة الأرضيّةَ التي عرفت أسرع من غيرها إجراء كثير من هذه السياسات الإصلاحيّة. فقد كانت على اتّصال مباشر بأوروبّا إنْ جغرافيّا وإنْ عن طريق المعاهدات والسفارات والبعثات. وكانت فوق كلّ هذا واقعة تحت ضغوط هائلة من دول قويّة كفرنسا وبريطانيا وروسيا راغبة في مدّ نفوذها داخل هذا الكيان الواسع والمفكّك. وكثيرا ما صارت الضغوطُ تهديداتٍ سافرةً، فيندفع الحاكم العثمانيّ مُكرَها إلى القيام بما يُلبّي مصالح أوروبّا من جهة، وما يعتقد هو أنّه يحفظ كيان الدولة من السقوط من جهة ثانية. وكان صدى هذا المسعى الإصلاحيّ تتردّد أصداؤه في بعض الولايات مثل مصر وتونس والشام. وربّما استدعى السلطان العثمانيّ مسؤولين من هذه الولايات أو أوفد إليها رُسُلَه لحثّها على القيام بما يلزم من الإصلاحات .

كانت"التنظيمات" [6](1839-1876) العنوان الأبرز لحركة الإصلاح. وهي بإيجاز مجموعة من المراسيم والقرارات والنصوص الرسميّة التي صاغتها السلطنة العثمانيّة وأقرّتْها في مواكب احتفاليّة علنيّة وأشهدت عليها السفراء ورجال الدين وقادة الأساطيل الحربيّة وقرّرت اعتمادها مدخلا إلى تحسين الأوضاع العامّة. وصاحَبَ ذلك خطابٌ يروّجها

ويكشف عن الحكمة من إحداثها. وكان للعلماء (رجال الدين) دورٌ بارز في هذا الشأن، فقد تكفّلوا ببيان المصلحة الشرعيّة منها، بل وبأنّها من روح الإسلام.

يذكر المصلح التونسيّ ابن أبي الضياف ( 1802-1874) أنّه زار القسطنطينيّة سنة 1842 في بعثة رسميّة (تسليم هديّة للدولة العليّة، في عهد السلطان عبد المجيد). واستضافه بالمناسبة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت (1785-1858). وكان موضوع الضيافة كلاما في التنظيمات: "تكلّم في شأن التنظيمات" [7].ولم يكن الكلام عابرا: "وأطال... ولم يكلّمني في غير التنظيمات من المطالب" [8].وكان، بصفته الدينيّة، حريصا على إقناع ابن أبي الضياف بأنّها من الدين: "وأنّها من أصول دين الإسلام" [9].ولكنّه لم ينس أنْ يَذكر لصاحبه أنّ المسلمين إنْ لم يُطبّقوها راضين أقبلوا عليها مُكرَهين: "يَقْبُحُ بنا معاشر المسلمين أن يغصبنا غيرنا على أعظم أصول ملّتنا وهو العدل الذي يحبّه الله ولا يحبّ غيرَه" [10].ولمّا كان عارف حكمت شخصيّة رسميّة في الدولة، صدر منه تكليفٌ لابن أبي الضياف مضمونه أن ينقل لباي تونس الرسالة التالية: "الدين النصيحة لله ورسوله وأيمّة المسلمين وعامّتهم. وهذا الأمر لا بدّ منه ولو بعد حين. ومن الحزم أن يتدرّج العاقل في سُلّمه باختياره" [11].ولا يخفى من خلال هذا الإلحاح أنّ الذي وراء التكليف ليس الرغبة الذاتيّة في الالتزام بمعايير الصلاح التي في الإسلام. إنّه الخوف من أن يُفْرَضَ على الدولة العثمانيّة ما لا طاقة لها به. وهذا يسُوق إلى استنتاج أوّليّ مفاده أنّ الاتّجاه نحو إجراء الإصلاحات لم يكن في جزء منه على الأقلّ نتيجةَ الوعي الذاتيّ بأهمّيتها، كما أنّ حماسة رجل الدين لها جاءت في ما يبدو لإضفاء الشرعيّة عليها وقد أضحت ممّا لا مفرّ منه .

ولكنّ هذا لا يمنع معقوليّة رأي آخَر وهو أنّ قاعدة الفكر الإصلاحيّ في الحضارة الإسلاميّة كان الغالبُ عليها المشغلَ السياسيّ. ولذلك قد لا نتردّد في تفسير اندفاع السلطنة العثمانيّة إلى السير في الطريق التي سِيقَتْ إليها بالتقاء محصول ثقافة الإصلاح الإسلاميّة الكلاسيكيّة بما يُطْلَبُ من السلطنة إنجازُه لاتّقاء تَهْلُكَتيْن: الانهيار والتدخّل الخارجيّ .

الإصلاح السياسيّ مَدخل إلى كلّ إصلاح

يحفل التاريخ السياسيّ الإسلاميّ على نحو لافت بمسألة الدولة. والكتابات في ذلك كثيرة أبرزها الأحكام السلطانيّة للماوردي (370هـ-450هـ ) والمقدّمة لابن خلدون (1332م-1406م )، وحتّى الكتب ذات النزعة التاريخيّة الموسوعيّة كانت تعطي حيّزا كبيرا من مادّتها لهذا

الموضوع [12].وثمّة كتابات بحثت في مسائل تنظيميّة وإداريّة وماليّة دقيقة ذات صلة مباشرة بإدارة شؤون الحكم [13 .]
والهدف المعلنَ من وراء هذا الاهتمام الذي يبدو أحيانا كأنّه زائد عن الحدّ دينيّ ودنيويّ: حفظ الإسلام وإجراء المصالح.ولكنّ الدنيويّ يستأثر في الغالب بعناية الكتّاب [14].ولهذا نرى أنّ البحث في المُلك وترتيبه ركن أصيل من أركان الفكر الإسلاميّ. ولا عجَبَ حينئذ أنْ نرى المفكّرين المسلمين في القرن التاسع عشر يسرعون إلى الإفادة منه. لكنّ أوروبّا الحديثة نجحت في أن تفرض نفسها مُزاحما عنيدا لذاك المَوْرد.إنّها صانعة الزمن الحضاريّ الجديد.

ولا جدال في أنّ هذا الزمن الجديد له إغراءاتٌ كثيرة وسطوة شديدة. فقد شاءتْ قوانين الاجتماع البشريّ أنْ يتشكّل والعالَمُ الإسلاميّ يحيا انحداراتٍ كبرى. وكان القرن التاسع عشر شاهدا على الإمبراطوريّة العثمانيّة وهي تدخل فعليّا مرحلة الاحتضار وقد صحّ فيها قول من قال إنّها "الرجل المريض" [15].ولكنّ التشبّث بالحياة دفع الغيورين عليها إلى البحث في ما أمكن من أسباب العلاج عسى يستقيم لها حالٌ مع ما هي عليه من هزال .

قال ابن خلدون: "العدل أساس العمران". وقال أيضا: "الظلم مؤذن بخراب العمران". هذان قانونان أصيلان في الثقافة السياسيّة الإسلاميّة. ويبدو أنّ تركيز رجال الإصلاح في هذه المرحلة على الجانب السياسيّ في البلدان الأوروبّيّة مأتاه تأثّرهما بذيْنك القانونيْن ورغبتهما في ألاّ يخرجوا عن نطاق الحضارة التي ينتمون إليهما. فكانوا يجتهدون في ردّ كلّ أمر إليهما. والظاهر أنّ هذا النزوع في تفسير أسباب التخلّف والتقدّم كان محلّ إجماع، لا فرق في ذلك بين سياسيّ أو رجل دين أو مسلم أو مسيحيّ. فللشدياق (1804-1887) في هذا رأي طريف. فممّا لفت نظرَه في رحلته إلى انجلترا أنّ الناس هناك لا تشيب رؤوسهم إلاّ في سنّ متأخّرة. وهو ما أثار دهشته: "ومن العجب أنّ الانكليز قد يبلغ أحدهم السبعين ولا يخطه الشيب لا في رأسه ولا في عارضه" [16].واجتهد في بحث الأسباب ووقعَ على ما ارتاح إليه تفسيرا: "وعندي أنّ أعظم أسباب الشيب في الأصل هو الهمّ والخوف من ظلم الولاة وذي الإمرة" [17].هذا التفسير ليس عِلميّا أو طبّيّا في كلّ الأحوال. ولذلك ينبغي أنْ يُحمَل على تأويل نفسيّ- سياسيّ يستبطن معاناة الشرقيّين من ظلم ولاتهم وحُلمهم بأنْ يكونوا مثل هؤلاء الانجليز يَحيْون في حريّة وينعمون بعدل .
ورأينا جهودا كثيرة تُبْذَلُ من أجل تقليص المسافة بين القيم السياسيّة الأوروبّيّة والقيم السياسيّة الإسلاميّة.وسواء أكان ذلك نابعا من حرص

المصلحين على ألاّ يصدموا الوجدان الجماعيّ إنْ لاح في ما جاؤوا به مخالفةٌ صريحة لما استقرّ ثقافةً أم كان بسبب تكوين هؤلاء وضغط المرجعيّة الإسلاميّة عليهم، فالنتيجة واحدة وهي أنّ الحلّ لا يكون إلاّ سياسيّا.وأوروبّا، هذا المثال الحيّ أمامهم، تشهد بأنّ التمدّن قوامُه العدل والحرّيّة .

لكنّ الاقتداء بأوروبّا لا يعني أن يأخذ منها المسلمون والعرب ما به حقّقتْ تمدّنها، وإنّما يعني الإيمانَ بالقدرة على فعل ما فعلت أوروبّا. وهذه رؤية تاريخيّة للتخلّف والتقدّم. وهي، نظريّا، أمر بالغ الأهمّيّة. فحين يدخل التاريخ عنصرا تفسيريّا تصبح أغلب الظاهرات مفهومةً فهما مادّيّا ويصبح الإنسان صانع مشكلاته والمسؤولَ وحدَه عن إيجاد الحلول لها.وهذا الاتّجاه في التفسير مَكسبٌ لا ريب فيه للحركة الإصلاحيّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لكنّ عمليّة تنفيذه في أرض الواقع تصطدم بعائق كبير وهو عدم انفصال العقل الإصلاحيّ في هذه المرحلة انفصالا مُنتِجا عن العقل الإسلاميّ الكلاسيكيّ. وولّد ذلك مسعًى مستمرّا للمطابقة بين الحاضر والماضي. والغرض من المطابقة هو قياس تفكير القرن التاسع عشر على تفكير الإسلام الكلاسيكيّ. وحيثما كان ثمّة تباعد جرتْ عمليّات ترويض للجديد وتطويع له حتّى يصير مقبولا، وإنْ استحال الأمر رُفِضَ. وهذا تقريبا ما ذهب إليه محمّد عابد الجابري: "إذا كانت حركات الإصلاح في الماضي قد مارست التجديد من خلال الدعوة إلى الرجوع إلى ما عليه السلف الصالح، فلأنّ المجتمع العربيّ كان إلى وقت قريب امتدادا تكراريّا لما عليه حال المجتمع والحضارة في زمن السلف الصالح. ولذلك كان يكفي لكسر البدع وإدخال المستجدّات تحت حكم القواعد والأحكام الفقهيّة البحثُ لها عن أشباه ونظائر في سيرة السلف ونوع قراءتهم للنصوص" [18]. فانظُر مثلا إلى الطهطاوي الذي تجعله كثيرٌ من الدراسات مُدشّنَ عهد التنوير في البلاد العربيّة والإسلاميّة ترَ عنده المطابقات التي لا يصنعها إلاّ عقل لا يقدر على الفصل بين موضوعاته: "وما يسمّونه (يعني الفرنسيّين) الحرّيّة ويرغبون فيه هو عين ما يُطلَق عليه عندنا العدل والإنصاف.وذلك لأنّ معنى الحكم بالحرّيّة هو إقامة التساوي في الأحكام والقوانين بحيث لا يجور الحاكم على إنسان، بل القوانين هي المحكّمة والمعتبرة" [19].وهذا خير الدين باشا رأس الإصلاح في تونس تقرأ له فتخال نفسك مازلتَ عند الطهطاوي لم تغادر مصر. إنّه يعتقد بأنّ تحقيق التمدّن لا يكون "بدون إجراء تنظيمات سياسيّة تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا (يعني الأوروبّيين) في التأسّس على دعامتيْ العدل والحرّيّة اللّذيْن هما أصلان في شريعتنا" [20.[

لم يتحقّق الانفصال بين العقليْن ولذلك يصعب أنْ نرى عند مفكّري القرن التاسع عشر تمثّلا جدّيّا لمنجزات أوروبّا الحديثة. وحين تتحكّم آليّة القياس في

نشاط عقل هؤلاء نجدهم ينصرفون عن إرجاع المقولات والقيم والظواهر إلى منابتها الأولى ويعمدون إلى إرغامها على الاصطباغ الشكليّ بمنطوق الشرع. وينتج عن ذلك إهدار وقت في استفراغ الجهد من أجل مقايسات بلا جدوى.

ولمّا كانت المسألة السياسيّة العنوان الكبير للإصلاح في القرن التاسع عشر بحث لها المنشغلون بها عن الكيفيّات التي تتحوّل بها إلى نظم وقوانين تردع وتزجر وتضمن العدل والمساواة. وعرف الإصلاح حيويّة كبرى في هذا المجال. ولا بدّ من الإلحاح في هذا الصدد على مسألة أساسيّة وهي أنّ الإسراع في هذا الاتّجاه سيكون على حساب الإصلاح المنصرف إلى تحضير أرضيّة نظريّة وفلسفيّة للمسألة السياسيّة. وسيشكّل ذلك نقطة ضعف تمنع فعليّا نشوء حالة سياسيّة ذات مرجع وعمق فلسفيّيْن. فالنصّ القانونيّ إذا لم يكن نتيجة تطوّر عامّ في مختلف مرافق الحياة وحصيلة تواطؤ وإجماع لا يمكنه أنْ يحقّق المرجوّ منه.

من الفلسفة السياسيّة إلى إصدار المراسيم:

تندرج المراسيم القانونيّة في إطار ما يمكن تسميته تجوّزا بالفكرة الدستوريّة. ولا شكّ في أنّ اشتغال الفكر الإصلاحيّ عليها في القرن التاسع عشر يعدّ في حدّ ذاته أمرا محمودا، فهو ينمّ عن الوعي بضرورة تقييد الإرادة المطلقة للحاكم وتوفير ما يلزم من الضوابط النصّيّة لإخضاع الجميع لمعاملة عادلة. ويتنزّل الحرص على نقل مآثر الدساتير الأوروبّيّة إلى الجمهور المسلم في سياق الترغيب في الإقبال على إنتاج تشريعات كتلك التشريعات طالما أنّه وقر في العقل الإصلاحيّ أنّ العدل أساس العمران. وقد يصل بالمصلح إيمانُه بألاّ خلاص من الخراب المطبق على الدولة إلاّ بإقرار حياة دستوريّة إلى حدّ التذلّل للسلطان واسترحامه .

إنّ الرسالة التي وجّهها الأمير المنفيّ إلى باريس بسبب عقيدته الدستوريّة مصطفى فاضل باشا إلى السلطان عبد العزيز [21]تحت عنوان: "من أمير إلى سلطان" [22]سنة 1866 تصلح لأنْ تكون مادّة جيّدة لتسليط الضوء على الاتّجاه الإصلاحيّ نحو الفكرة الدستوريّة. لقد استعرض في رسالته مظاهر الانهيار وناقش من يقول من الأوروبّيّين إنّ تخلّف الشرقيّين جزء من دينهم لا فكاك منه. وتدرّج في طَرْق مسائلَ كالاستبداد والفقر والجهل. وانتهى إلى ما رآه الحقّ الذي ينبغي الجهر به: "الحقّ أوْلى أنْ يقال: ما مَنعنا من أن نكون أمّة جدّ مثلهم (يعني الأوروبّيّين) إلاّ طريقةُ حكمنا" [23].وكان يكفي حسَب رأيه تغييرُ طريقة الحكم حتّى تنهض الأمّة. وهو يقصد، بلا ريب، استبدالَ الاستبداد بإشاعة الحرّيّة. واستنجد في هذا بالمثال الفرنسيّ: "في ثلاثين حِجّة تَبدّل يا مولاي كلُّ هذا (يعني التخلّف) بعد أن أُعتِقَتْ الأمّة من

رقّها منذ سنة 1789، وحلّ الفرنساويّون مقاما محمودا... إنّ فضل الحريّة كان على الأمّة الفرنساويّة فضلا عظيما" [24].والحريّة إذا لم يجسّدْها عملٌ تشريعيّ تظلّ شعارا غيرَ ذي قيمة: "فما الإصلاح إلاّ كلمة لا معنى لها إذا لم يصاحبْه العمل" [25].والعمل كما يراه مصطفى فاضل باشا إقرار الدستور: "مولاي، خذ بيد الدولة فجدّدْ شبابها، وأمْدِدْ إليها يدَ الدستور، تنتشِلْها من الفوضى. هَبِ الأمّةَ دستورا صحيح الجسم رحيب الصدر خصيبَ التربة" [26].واستعرض حُجَجَ الذين يرفضون الحكم الدستوريّ: "يقولون لجلالتكم: الدستور يُصيّر المِلِكَ آلةً لا روح فيها يسلبه اختياره وينزع عنه شعاره. وللأمّة: الدستور يريد المسلمين على ترك ما عزّ لديْهم: دينهم ولباسهم وما ألفوه" [27].ونَعت هؤلاء المعارضين بالمنافقين والجاهلين والماكرين. ووجّه، من باب الترغيب في الدستور، دعوة إلى السلطان وأخرى إلى الأمّة فيهما حَثٌّ على عدم الإصغاء إلى أولئك المعارضين: "مولاي، أُنْبُذْ مشورتهم. أمّتي، خلّي عنك سعايتهم. ما قَيّدَ الدستورُ غيرَ الهوى" [28].ووضع جملةً من الأفكار تتناول موادّ هذا الدستور ووظائفه والأهدافَ منه، بعضها في العلاقات الداخليّة وبعضها في علاقة الدولة بالخارج وبعضها في القيم التي يُفْتَرَضُ أنْ يسهر على ترسيخها. وأنهى الرسالة بوضع السلطان في مفترق طريقيْن:إمّا الدستور وإمّا الخراب: "يا جلالة السلطان، اِرجعْ إلى ضميرك قبل غيره يُنْبِئْك بما يجب عليك في هذا الزمان حيث أخذَتْ رعيّتَك الحيرةُ وحاق بها الانحدار من كلّ مكان" [29].ولكنْ هل الطريق إلى العدل هو صياغة نص دستوريّ؟ قد نتفهّم لوْعةَ هذا الأمير المصلح. وقد نجد لندائه "الدستوريّ" تفسيرا، لكنّنا نرجّح أنّ العمران الذي أساسُه العدل أمر بالغ التعقيد والتركيب .
تُقدِّم الدراسات التاريخيّة السلطانَ سليمان الأوّل (1520-1566 ) واحدا من أبرز حكّام السلطنة العثمانيّة وَلَعًا بالمراسيم. فقد أَسْبَغَ عليه المناصرون له لقب "القانونيّ"، ومردّ ذلك حبّه العدلَ ورغبته في أنْ يضع للأحفاد ما يدوم به ظلّ الخلافة. ومِن مآثره أنّه جمع يوما "أهل ديوانه... وقال لهم: سبحان الدائم الباقي الذي لا يزول ملكه، ها نحن سلكنا طريق آبائنا وأجدادنا، ولا نعلم ما سيكون بعدنا... وإنّي عزمت على جعل قانون يحتوي على تخويف وردع لمن يخرج من ذرّيّتنا عن الصراط المستقيم" [30].وحتّى يضمن تنفيذ ما أقرّه كلّف جهازيْن للمتابعة والتنفيذ: العلماء (رجال الدين)والجيش (الانكشاريّة). العلماء للحثّ على الالتزام بما في القانون، والجيش للردع باستخدام ما يلزم من القوّة المادّية. ولابن أبي الضياف تعليقٌ على جهازيْ المتابعة والتنفيذ يَحْسُن أن نتوقّف عنده قليلا: "القانون الحقيقيّ عند الإسلام هو الشرع... فأمَر رحمه الله (يعني سليمان الأوّل) العلماءَ بما يجب عليهم.

قال تعالى: §وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ§.إعذارا للمخالف حتّى لا تكون في الإسلام فتنة... فإن تمادى في مخالفة الشرع لم تبق إلاّ القوّة العسكريّة المجعولة للذبّ عن حمى الدين إذ لا طاعةَ لمخلوق في معصية الخالق" [31.]

لم يخرج ابن أبي الضياف عن محدّدات العقل السياسيّ الإسلاميّ الكلاسيكيّ. فهو يذكّرنا بأنّ في الإسلام نظاما سياسيّا لتدبير الشأن العامّ. وهو بذلك يمنع كلّ نزعة تروم أن تشدّ المسألة القانونيّة في عصره إلى التأثّر بالنظم السياسيّة الأوروبّيّة. ويُرجِع في ضوء ذلك وظيفة الأجهزة الرقابيّة والتنفيذيّة إلى مَنْشَأ دينيّ وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو بذلك يمثّل جيلا من الإصلاحيّين الذين تتنازعهم ثقافتان: ثقافة قانونيّة مدنيّة وثقافة فقهيّة شرعيّة. وبقدر ما يلوح الانتماء إلى ما هو مدنيّ دليلا على الانخراط في تيّار التحديث، يتكشّف الحضور الدينيّ الكثيف عن مشاكل حقيقيّة تحرم الفكر السياسيّ في القرن التاسع عشر من التشكّل بعيدا عن التلفيق والتركيب .

والعلّة التي قدّمها السلطان سليم الأوّل لسنّ القوانين وإجرائها تحتاج منّا إلى شيء من التوقّف أيضا: فالتفكير في سنّ قانون لإجراء العدل نشأ من رغبة السلطان الذاتيّة ولم يكن نتيجة وعي ثقافيّ وسياسيّ وقانونيّ عامّ. ولعلّ السلطان لو كان تعرّض لضغط تيّار تحديثيّ من أجل إقرار الحقوق ما كان ليَقبل. وهذا من طبيعة الحكم الفرديّ. فالإصلاح الذي يرفع سليمان الأوّل لواءه آتٍ من فوق. وكلّ محاولة من هذا القبيل لا يمكنها أن تغيّر المسار العامّ لحياة المجتمع. وعلاوة على ذلك، لم نر في علّة إجراء القانون بعدا ثقافيّا أو فلسفيّا يضع هذه الرغبة في مداها الإنسانيّ الصحيح. فأنْ يكون القانون موضوعا من أجل أنْ "يحتويَ على تخويف وردع"، فهذا لا يدلّ على أنّ الحياة العثمانيّة في هذا العهد تنتظر نصّا قانونيّا يستجيب لحقوق الإنسان الحيويّة والأصيلة.

كان المقصد الرئيس من مبادرة سليمان القانونيّ هو تثبيتَ دعائم حكمه وحكم ورثته من بعده. وكان "التخويف والردع" آليّة لضمان ذلك. ونعتقد بأنّ مفهوم "احتكار استخدام الدولة للعنف" غير وارد في هذا الإطار رغم ما قد يوحي به استخدام مفردتَيْ"التخويف والردع". وبناء على هذا نستطيع أن نقول إنّ اتّجاه الإصلاح في مركز السلطنة العثمانيّة وملحقاتها لم يتمحّض خالصا للمساعَدَة على تركيز قواعد الحكم الرشيد المسنود بجهاز فلسفيّ وثقافيّ حديث حول الدولة. ولا عجَبَ والحال هكذا أنْ يكون خرق النصوص آتيا من واضعيها. نقل ابن أبي الضياف قصّة لا نخالها إلاّ حقيقيّة وهي أنّ سليمان القانونيّ "تعمّد مخافة القانون ولم يمتثل"التغيير" العلماء. فأنهوْا ذلك إلى الينجريّة. ففعلوا بمقتضى قانونه.فشكر الله ورجع عن مخالفته. وكرّر ذلك

ثانيا وثالثا وقال: إنّما فعلتُ ذلك لنرى بروز القانون من القوّة إلى الفعل إذْ لا بدّ من رجال يعملون به، ويلزم تدريبهم على إنكار المخالفة" [32].فظاهر المخالفة في هذه القصّة هو الثناء على رغبة من السلطان في مساعدة رجال سلطنته على التيقّظ وردع المخالف منهم خلال تقصّدِه تجاوز القانون المشار إليه.لكنّنا نميل إلى أنّ استمرار السلطان في صنيعه مأتاهُ من عدم قدرته على الخضوع للقانون أو من شعوره بأنّه فوق القانون. وهذا معنى قولنا إنّ المراسيم إنْ لم تخرج من رحم ثقافة سياسيّة وقانونيّة تفقد كلّ أثر إيجابيّ في حياة الفرد والجماعة.كذلك كان حال "التنظيمات الخيريّة". كانت رغم ما فيها من حسّ سياسيّ باهتة من جهة مقدّماتها التأسيسيّة .
ويهمّنا في هذا السياق أنْ نتوقّف قليلا عند جملة الختام التي أنهى بها السلطان عبد المجيد نصّ التنظيمات. جاء في النسخة المعرّبة التي وزّعتها السلطنة على مقاطعاتها العربيّة ما يلي: "وكلّ مَنْ يصدُر منه ما يخالف هذه القوانين الموضوعةَ على أساس متين، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا نال فلاحا إلى يوم الدين" [33].تأخذنا الجملة إلى مقام منبريّ ترتفع فيه الأكفّ إلى السماء وتردّد فيه الألسن عبارات التأمين. وكان المتوقّعُ أن يظلّ السلطان في مقام الحاكم يضبط آليّات الالتزام بالقوانين الجديدة. وهو حين ينصرف إلى عوالم الدعاء بالشرّ على مَنْ لا يلتزم بما في "التنظيمات" يكشف عن تساكن النقيضيْن فيه: المدنيّ الحداثيّ والدينيّ الأخلاقيّ. وهما نقيضان بسبب تصادم المرجعيّتيْن اللّتيْن نَبَعَا منهما من جهة، ولعدم بروز اجتهادات تعمل على تكييف معقول النقيضيْن تكييفا يتقارب به محمولهما الفكريّ أحدُهما من الآخَر من جهة ثانية .
وهذا لا يمكن أنْ يسهّل عمليّة انبثاق سياق ثقافيّ- سياسيّ جديد. فالسلطان عبد المجيد يتقمّص في الآن نفسه جلباب الشيخ الآتي من تقاليد الرئاسة كما تبلورتْ في كامل مراحل "الحكم الإسلاميّ"حيث تكون الرئاسة "موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا" [34]ويتقمّص دور الداعي إلى إجراء القوانين العصريّة كما أبدعها العقل السياسيّ المدنيّ الغربيّ الحديث .
وما التكييف إلاّ ترجيح عقليّ للمعقول على اللاّمعقول في نظام عمل الحضارتيْن الإسلاميّة والغربيّة ينزاح به منهما كلّ عنصر فَقَدَ جدارته بالبقاء موجّها للفكر والسلوك. وحين يحصل مثلُ هذا الأمر، تخرج كلّ حضارة من مدارها المغلق والحميم وتفتحُ من داخلها نحو خارجها مسارات التقاء مع غيرها لا عُقَدَ فيها. لكنّ الواضح أنّ المحاولات التي رام بعضُ إصلاحيّي"دار الإسلام" في القرن التاسع عشر أنْ يغيّروا بها الواقع لم تُؤْتِ أكلها طيّبا لأنّها لم تنخرط عميقا في مشروع التكييف الذي ألمعنا إليه. ويبدو أنّ الأمر ليس بمستغرَب في سياقه التاريخيّ- الثقافيّ لانعدام مقوّمات

النهوض به مثل الاستعداد للانفصال الإيجابيّ عن المدار الحضاريّ الأمّ من ناحية والإقبال على التفاعل المفتوح مع المدار الحضاريّ الغربيّ من ناحية أخرى .

وكانت النتيجة المباشرة هي أنّنا شاهدنا مُعاشَرةً غير شرعيّة بينهما في عقل المصلح الواحد دون وعي بما يفصل بين هذيْن المجاليْن الحضاريّيْن من مسافات وأبعاد. وهي، على المدى الطويل، ليس لها إلاّ أنْ تحيل على حالة حضاريّة هجينة. وليس غريبا أنْ تسوء حالة "الرجل المريض" سوءا قاده إلى الفناء إذا أخذنا بعيْن الاعتبار أنّ منْ شخّص داءه واقترح علاجه هو "الحكيم" الأوروبّي .

كان ما أطلقتْ عليه أوروبّا"المسألة الشرقيّة (La question d'Orient) " [35]هو الفضاء الجغرافيّ والثقافيّ والسياسيّ الذي ستنفّذ فيه الحركة الاستعماريّة برامجها التوسّعيّة. وليستْ وصفات العلاج التي تسرّبتْ في مراسيم أو دساتير إلاّ تلطيفا سطحيّا من سرعة السقوط الذي انطلقتْ فيه السلطنة العثمانيّة .

نحبّذ استخدام عبارة"المراسيميّ" بدل عبارة "الدستوريّ" [36]لأنّنا نعتقد بأنّ تاريخ الإصلاح السياسيّ في القرن التاسع عشر غلبت عليه كتابة النصوص القانونيّة دون أن يكون للحسّ التاريخيّ أثرٌ في إنضاجها. ولا ريبَ في أنّ تجربة الإصلاح "المراسيميّ" التونسيّة في القرن التاسع عشر هي من أكثر التجارب شهرة، ولكنّها أيضا من أكثرها إفصاحا عمّا يمكن أن نطلق عليه فوضى العقل الإسلامي وهو يبحث عن مَخَارِجَ من مدارات التخلّف. والفوضى التي نقصد هي ذاك الجهد "المحمود" الذي بُذِلَ لتفكيك الواقع دون الاستقرار في أفق حداثيّ بيّن المقاصد والمسالك. كان جهدا يحرّكه القلق ويدفع به إلى القيام بعمليّات تركيبيّة غير عقلانيّة لمنتجات أوروبّا الحديثة ورصيد العقل الإسلاميّ الجاهز دوما للتطبيق. ولم يتسنّ بفعل هذا الاتّجاه التركيبيّ تكوين رؤية في الإصلاح تمتلك من الشجاعة العقليّة ما به تؤسّس بديلا متكاملا.

عهد الأمان: قراءة سياقيّة

نعتبر "عهد الأمان" [37]سياقا ونصّا المثال الأبرز الذي يجسّد ما أسميناه بفوضى العقل الإصلاحيّ في القرن التاسع عشر. فإذا كان سليمان القانونيّ استحدث من تلقاء نفسه نصّا"دستوريّا" وحضّ الناس على الالتزام بما جاء فيه وإنْ مِنْ خارج السلوك الثقافيّ العامّ للسلطنة العثمانيّة، فإنّ "عهد الأمان"، النسخةَ المُطوَّرةَ من "التنظيمات"، ينقلنا إلى حيثُ انتفاء الوازعيْن الذاتيّ والداخليّ وحضور الضغط الخارجيّ [38].والراجح أنّ هذا الوجه

الثاني من حركة الإصلاح كان صاحبَ الشوكة الأمضى في القرن التاسع عشر. ولذلك يمكن أن نفهم إلى حدّ بعيد لِمَ كانت النتائج محدودة .
توجّه القنصل الفرنسيّ ليون روش (Léon Roches) إلى باي تونس محمّد بن حسين (1811- 1859) وقد استقرّت رغبة أوروبّا في "إرضاخ" المملكة للقانون بالقول: "إنّ محبّتي فيك وفي بلادك حملتني على نصحك". وطفق يعدّد له أحكاما جائرة تضرّر منها المتقاضون الذين كان الباي يجلس للفصل في نوازلهم منبّها على خطورة ما يترتّب على الظلم من ردود. وحثّه على تغيير هذا النهج. وبادر الباي بإعلان النيّة لإنشاء مجلس للقضاء يخفّف به سُخط الخارج عليه. ويبدو أنّ هذا الخارج كان يطلب ما فوق ذلك. ووجدنا ابن أبي الضياف يستعمل صيغة لغويّة ينقل بها الانطباع الذي حصل له وهو يرصد ملامح القنصل وهي "تقانع" (وتقانع بذلك).ولا شكّ في أنّها تدلّ على عدم الرضى وإنْ أخفَتْه. والفرق بينها وبين الصيغة"اقتنع" لا يحتاج إلى تفصيل. ولمّا تكلّم القنصل أوجَز دون أنْ ينجح في كتمان ما قرأه فيه ابن أبي الضياف. قال في ما يشبه الأدب الديبلوماسيّ: "نرجو أن يكون هذا كافيا في سكوت الدول عنك" [39].ولم يأخذ الرجاء مداه في الزمان كما لم يأخذ مشروع الباي حظّه من التطبيق .
لم تسكت الدول عن الباي. ولم تحمد له ما عزم على تنفيذه. فقد أسرعتْ إليه ترفض مبادرتَه إلى إنشاء مجلس للقضاء وتطلب منه "دستورا". نقرأ في "الإتحاف" ما يفيد التصميم على أن يستجيب الباي دون إبطاء: "ومن الغد، جاء قنصل الإنقليز..." [40].وما كاد هذا الغد ينقضي حتّى هبّ إلى المجيء في الغد الثاني قنصل فرنسا: "ومن الغد، جاء قنصل الفرنسيس" [41].وما نلاحظه في هذا المشهد الجيوسياسيّ هو الحركيّة الديبلوماسيّة التي لا تهدأ والتي يختلط فيها الترغيب بالتهديد والسياسيّ بالفكريّ بما يُنْبئ عن تطوّر سريع في انتزاع كلّ ما يمكن انتزاعه من مكاسب. وقد شدّتنا محاورةٌ بين القنصل الإنجليزيّ ريشارد هود(Richard Wood) وابن أبي الضياف حول علاقة الإصلاحات المزمع إجراؤها بالدين. يخاطب ابنُ أبي الضياف القنصلَ ناقلا مخاوفه باعتباره مسلما: "إنّ هذا الترتيب المطلوب منّا، ربّما يمسّ ديننا" [42].ويردّ القنصل ردّ العارف بمقاصد الإسلام المُنْبَري مُعلّما أهل الإسلام أصول دينهم: "إنْ أردتَ دينكم الذي كان عليه سلفكم وبه هُدم في ثمانين سنة ما بناه الرومان في ثمانمائة سنة، فهو المطلوب منكم. وإنْ أردتَ تلوين فتاوى الفقهاء على حسَب أغراض الملك، فمعاذ الله أن يكون هذا دينا. وغايةُ المطلوب منكم إجراء أصول دينكم. ويقبح بأمّة أن يغصبها على العمل بدينها أجنبيّ" [43].ولا يجد ابن أبي الضياف ما به يعلّق إلاّ قوله بينه وبين نفسه: "فأخجلني ولم أجد جوابا" [44 .]

شدّتنا المحاورة لسبب على الأقلّ وهو الصراحة الفاضحة في الخطابيْن. إنّ الغالبَ عليها هو وعيُ المتناظريْن كليهما بأنّ استحداث "دستور" تونسيّ ليس اختيارا محلّيّا ولا هو ضرورة اقتضاها تطوّرٌ في محصول الفكر السياسيّ والقانونيّ التونسيّ. إنّه من باب الفرض والإلزام.ولذلك استخدم ابن أبي الضياف عبارة "المطلوب منّا"، وكرّرها القنصل الإنجليزيّ: "فهو المطلوب منكم" دون أدنى احتراز. فـ"اللّعب"، على المجاز السياسيّ، نلحظه بأوراق مكشوفة. كان ابن أبي الضياف عارفا بالمنزلة التي هو فيها وكذا كان القنصل الإنجليزيّ. لم يراوغ أحدهما الآخَر. مشكلة ابن أبي الضياف تكمن في توجّس من نوع آخَر: ماذا لو خالفتِ الترتيباتُ المُزمع إجراؤها الدينَ؟
لم ينصرف بالتفكير إلى أصل القضيّة، ولم يتساءل عن آثارها المحتملة إيجابا وسلبا. وكان أبعدَ ما يكون عن تقليب"المطلوب" على أوجهه الثقافيّة والفلسفيّة من أجل المسك بالمعقوليّة التي فيه. ويبدو أنّه لم يتحرّك في هذا الاتّجاه لأنّ العقل الإصلاحيّ التونسيّ مازال لم يدرك بعدُ، لأسباب متعدّدة، القاع العميق للمسألة الدستوريّةَ. ونعتقد بأنّ هذا، من الناحية الموضوعيّة، صحيح. ولذلك تحرّك بما يتحرّك به العقل الإصلاحيّ التقليديّ الذي قاد الإصلاحَ في القرن التاسع عشر. وكان القنصل عالما بذلك، فكان خطابه في الدين وليس في فلسفة الحكم المدنيّ. ولذلك كان يكفي القنصلَ جهدا أنْ يرتفع اللّبس الذي يسكن العقل الإصلاحيّ الدينيّ حتّى تتمّ الاستجابة.ولعلّ المَغنم فاق انتظارات القنصل. فابن أبي الضياف، بالخجل الذي غرق فيه بسبب تفوّق القنصل عليه في المعرفة بالإسلام، سَحبَ الاعتراضَ وفتحَ الباب على مصراعيْه أمام "المطلوب ."
إنّ مثلَ هذه المعطيات حين تتضافر تستطيع أن تزيل كثيرا من الوهم أو التبجّح الزائد عن الحدّ الذي نجد آثاره في بعض كتاباتنا التونسيّة على وجه الحصر. فليستِ المسألة مسألةَ سبْق تاريخيّ. قد يكون ذلك محمودا لو كان منبعثا من سياق داخليّ وتتويجا لمسيرة في الإصلاح القانونيّ آن الأوان لقطف ثمارها. ولكنّ الذي لا ريبَ فيه هو أنّ شيئا من هذا لا ينطبق على تاريخ الإصلاح السياسيّ/ الدستوريّ إنْ في تونس وإنْ في مركز السلطنة. فاستشراء النزعات العدوانيّة الغربيّة وبدايةُ التحضير للمرحلة الاستعماريّة كانا من وراء كثير من مشاريع "الإصلاح" التي وقع الترويج لها والتغنّي بمزاياها.ولذلك فالمُعوَّل عليه في مثل هذه القضايا هو معرفة ظروف إنتاج النصّ القانونيّ ومضمونه واستتباعاته في الواقع. ومنْ ينظر في ما أنهى به القنصل كلامه حول وجوب تنفيذ "المطلوب" يتأكّد لديْه أنّ هذا الأمر إنْ لم يكنْ طوْعا، كان غصبا. وليس أمام الباي متّسَعٌ من الوقت سوى ما يُمنَح له للتفاوض مع من يريد: "نترك وقتا تتفاوض فيه مع وزرائك ونصحائك، فإنّ

المطلوب منك واقع لا محالةَ ولو بعد حين، فافعَلْهُ باختيارك" [45].ولم تَشذّ رسالة الفرنسيّين عن هذا التهديد. فقد قال قنصلهم: "إنّ المطلوب منك لا بدّ من إتمامه" [46].ولا شكّ في أنّ تَماثُل الرسالتيْن الإنجليزيّة والفرنسيّة وتزامُنَهما لا يتركان إمكانا لاحتمال الصدفة فيها. إنّهما دليل على التخطيط المشترك بين هذيْن البلديْن لتدشين الحقبة الاستعماريّة وإنْ تحتَ خديعة تحديث الشرق وإخراجه من بربريّته .
أظهر الباي الاستعداد لصياغة "عهد الأمان". وينقل ابن أبي الضياف ذلك على النحو التالي: "وتسارع الباي إلى القبول غير مفكّر في معنى ما التزم به" [47].وتكشف صيغة "تسارع" عن تهافت غير مدروس إلى التلبية قد يؤدّي إلى توريط البلاد في محنة لا قِبَلَ للناس بها. والثابتُ في ضوء ما تقدّم أنّه تسارعَ الباي ليس من باب اللّهفة على الإصلاح حبّا فيه، وإنّما هو السعيُ المحموم إلى درء خطر رآه آتيا لا محالةَ إنْ لم يَخِفّ إلى الاستجابة. وتنفتح المحاورة بتوجّه ابن أبي الضياف إلى الباي قائلا: "يا سيّدي إنّ الأمرَ صعب على ملّتك، فاعرِفْ ما تلتزم به، فإنّك بهذا الأمر تكون يداك هكذا: وقبضتُ يديَّ إلى جَنْبَيَّ" [48].ويردّ الباي في لهجة الواثق ممّا يفعل المقدّر لحجم النفع المرجوّ: "لأجل نفْع الرعيّة نرجو بأنْ تكون يديّ هكذا". ويعلّق ابن أبي الضياف: "وقبضهما إلى جنبيْه أشدّ من قبضي". ثمّ يقول: "فقلتُ له: هنيئا لك."
تكشف المحاورة عن شقّ آخَر من المشكلات التي تنهض في وجه السياسات الإصلاحيّة الدستوريّة. فانتقال الخلاف من مستوى الداخل/الخارج إلى مستوى الداخل/الداخل يشير إلى أنّ أرضيّة الحوار ليستْ قاسما مشتركا. والأهمّ من ذلك هو أنّ العقل الإصلاحيّ الإسلاميّ خرج من المناظرتيْن مهزوما: انهزم في مواجهة قرار الخارج بفرض الإصلاحات. وكان الاستسلام عبر عبارة"الخجل" مدوّيا. وانهزم في مواجهة سلطة الباي التنفيذيّة. وكانت عبارة"هنيئا لك" بمثابة إعلان هذا العقل عجزه عن تأدية دوره. وبهذا ينشأ حِلف مُريب بين الخارج الاستعماريّ والداخل التنفيذيّ المتواطئ لكتابة "عهد الأمان."
في نصّ عهد الأمان أحد عشر (11)قاعدة/بندا مدارها في العموم على العدل والمساواة والقضاء والجنديّة والتجارة. ولا نرانا نجادل في قيمتها الحقوقيّة ولا في سندها الحداثيّ أو قوّة مرجعها الغربيّ [49].ولعلّ الشغوفين بـ"عهد الأمان" إنّما شغفوا به للقيم العليا التي فيه. ففي مادّته الأولى تنصيص صريح على مبدأ حقوقيّ إنسانيّ لا يمكن إلاّ الإشادة به وهو معاملة الدولة رعاياها خارج كلّ تصنيف: "تأكيد الأمان لسائر رعيّتنا وسكّان إيالتنا على اختلاف الأديان والألسنة والألوان في أبدانهم المكرّمة". وتلتزم الدولة في المادّة

الرابعة بـأنّ "الذمّيّ... لا يُجبَر على تبديل دينه ولا يُمنع من إجراء ما يلزم ديانته". ولا غرابة في أن تكون الحقوق المنصوص عليها ههنا مستوحاة من التجربة الفرنسيّة إنْ في "إعلان حقوق الإنسان والمواطن déclaration ” des droits de l’homme et du citoyen)أو في دستور 03 سبتمبر 1791 .
وكلّ هذا مهمّ. ولا اعتراض عليه. وقد يصلح من الناحية التاريخيّة لإبراز بعض المكاسب النصّيّة في مجال الحقوق والحرّيات. غير أنّ هذا لا يغرينا كثيرا من وجهة نظر موضوعيّة. فحين لا يكون النصّ استجابة لتطوّر حقيقيّ في الحراك الاجتماعيّ والسياسيّ والثقافيّ يفقد أصالته.وهذا تقريبا واقع الحال في القرن التاسع عشر. كان قرن الإصلاحات"الكبرى" في مجال التشريع. ولكنّ "الرجل المريض" كان مشرفا على الهلاك. فلم ينتفع بها .
وِجْهتنا إذن فليستْ احتفاليّة أو نظريّة. ولذلك لم نشغل أنفسنا إلاّ بالنصّ وسياقه. والسياق عندنا أهمّ من النصّ لأنّنا نعتقد بأنّ نهضة الأمم تتمّ في سياق جدليّ بين الوعي بالتخلّف من جهة والتوق إلى الرقيّ من جهة ثانية. وإنّما تأتي التشريعات لاحقةً الوعيَ لا متقدّمة عليه. ولهذا، نذهبَ إلى أنّ الواقف من خلْف "عهد الأمان" المصالح الأوروبّيّة وليس العقل الإصلاحيّ التونسيّ.
والمدقّق في قواعد "عهد الأمان" يرى أمريْن لافتيْن: الأمر الأوّل هو أنّه من مجموع القواعد ثمّةَ سبعٌ (7) تحضر فيها حضورا مباشرا الجالياتُ الأوروبّيّة تحت أكثر من مسمّى في سياق تمتيعها بحقوق وحرّيات لم تكن لها. والأمر الثاني هو أنّ أربعَ (4) قواعدَ من المجموع، على قلّته، مخصّصة للتجارة ونحوها في سياق تيسير ممارستها من طرف تلك الجاليات. ودون الذهاب بعيدا في الاستنتاج نكتفي بالإلماع إلى أنّ "عهد الأمان" كان رغم ما أحيط به من تبجيل وإطراء أوّلَ نصّ شرّع بالقانون للتدخّل الأجنبيّ وحمى بالقانون أيضا سيطرة المال الرأسماليّ على السوق الوطنيّة.
ما نخلص إليه هو أنّ الجهد الإصلاحيّ في القرن التاسع لم يكن في كثير من مراحله ومطالبه بسبب الوعي بضرورته. فقد كانت جغرافيّة السلطنة العثمانيّة في مجاليْها الترابيّ والسكّانيّ واقعة تحت ضغوط شديدة من أوروبّا. وكانت الأزمة مستفحلة عَزّ فيها العلاجُ لأسباب متعدّدة: ترهّلٌ في الأداء السياسيّ، وعجز عن استحداث بدائل نوعيّة، وانفصال حادّ بين النخبة الفكريّة والمجتمع من جهة وبين شقّ حداثيّ في النخبة، وشقّ تقليديّ فيها من جهة أخرى، وتسرّع الحاكم في تنفيذ ما يُملى عليه... ولهذا كلّه ذهبنا إلى أنّ النصوص والمراسيم التشريعيّة لم تكن نَبْتا أصيلا. كانت جزءا من مشروع أوروبّي للحفاظ على المصالح في زمن تحرّكتْ فيها السلطنة نحو الانحدار والانقراض.

**الهوامش:**

[1] Nada Tomiche, article "Renaissance", Encyclopédie de l'Islam, vol 7, nouvelle édition, pp: 901-904.

[2] للتوسّع يمكن العودة إلى: هشام جعيط، أزمة الثقافة الإسلاميّة، بيروت، دار الطليعة، 2000، ص: 63وما بعدها.

[3] عن هذه العلاقات يمكن العودة إلى:

Thierry Hentsh, L'Orient imaginaire: la vision politique occidentale de l'Est Méditerranéen, Paris, éd. De Minuit, 1987.

[4] من ذلك مثلا الرسالة التي وجّهها محمّد بن عبد الوهّاب إلى علماء تونس. حول هذه المسألة راجع دراسة قيّمة لعبد الرزّاق الحمّامي: "من قضايا الفكر الدينيّ بتونس في القرن التاسع عشر"، ضمن كتابه: من قضايا الفكر الدينيّ بتونس، تونس، الدار التونسيّة للنشر، 1992، ص ص: 111- 151.

[6] من أقدم الدراسات في هذا المجال:

- Edouard Engelhardt, La Turquie et le Tanzimat (1882), U.S.A, éd. Kessinger publishing, 2010.

ومن الدراسات المهمّة نذكر:

- Zabit Acer, Ottoman modernization and effects of the Tanzimat edict on today, in : Oean journal of social sciences, 2 (3), 2009.

- Keven Goodwin, The Tanzimat and the problem of political authority in the Ottoman empire: 1839-1876,www.digitalcommons.ric.edu/honors_projects/5.

وهذه الدراسة في الأصل أطروحة جامعيّة بـ: "Rhode Island College 2006".

- Halil Inalcik, Application of the Tanzimat and its social effects, usa, éd. Peter deRidder Press, 1976.

[7] ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء الرابع، ص: 69.

[8] نفسه.

[9] نفسه.

[10] نفسه.

[11] نفسه.

[12] مثل كتاب الطبري "تاريخ الأمم والملوك"، وكتاب المسعودي "مروج الذهب".

[13] من ذلك مثلا:كتاب الأموال لأبي عبيد، وكتاب الخراج لأبي يوسف القاضي، وكتاب المكاسب للمحاسبي.

[14] أُنظر على سبيل المثال في قائمة الوظائف التي رأى الماوردي أنّ الإمام مدعوّ إلى القيام بها، الأحكام السلطانيّة، فصل [ما يجب على الإمام]، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1990، ص ص: 51-52. وقد تسقط الوظيفة الدينية التي تتقدّم رتْبتُها في هذا النصّ مثلا: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"، الأحكام السلطانيّة، ص:

29، لينحصر دور الإمام في رعاية المصالح: "الإمام مندوب للمصالح"، الماوردي، أدب الدنيا والدين، بيروت، دار الكتب العلميّة،1978، ص: 113.

[15] من الدارسين مَنْ أضاف إلى عبارة "الرجل المريض" كلمة "الشيخ": ( le vieil homme malade) في تلميح إلى أنّ النهاية آتية لا محالة، فهي إنِ لم تكن بالمرض، كانت بالشيخوخة. (استخدم هذه العبارة جيروم لويس Gérome Louis في أطروحته للدكتوراه: المسألة الشرقيّة في عهد لويس فيليب (La question d'Orient sous Louis-Philippe)،ويمكن مراجعتها في نسختها الإلكترونيّة على الرابط التالي: http://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00550827:ص: 15.

[16] أحمد فارس الشدياق، الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبّا عن فنون أوروبّا، القسطنطينيّة، 1299هـ، ص: 86.

[17] نفسه.

[18] محمّد عابد الجابري، التراث والحداثة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1991، ص: 10.

[19] الطهطاوي، تلخيص الإبريز في تلخيص باريز، ص: 80.

[20] خيرالدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تونس، الدار التونسيّة للنشر،1986، ص ص: 8-9.

[21] استمرّت مدّة حكمه من 1861 إلى 1876.

[22] يمكن مراجعة نص الرسالة في: مصطفى بدري، الرؤية السياسيّة من خلال رسالتيْ محمّد بيرم الخامس ومصطفى فاضل باشا، تونس، الدار التونسيّة للنشر، 1993، ص ص:191-216.

[23] نفسه، ص:204.

[24] نفسه، ص:205.

[25] نفسه، ص:206.

[26] نفسه.

[27] نفسه، ص:107.

[28] نفسه.

[29] نفسه، ص:215.

[30] راجع بتفصيل أكثر: ابن أبي الضياف، الإتحاف، الجزء الأوّل، ص: 47 وما بعدها.

[31] نفسه، ص: 51.

[32] نفسه، ص: 50.

[33] نفسه، ص: 56.

[34] الماوردي، الأحكام السلطانيّة، مرجع سابق، ص: 5 .

[35] الكتابات في"المسألة الشرقيّة" كثيرة. أنظر مثلا:

- François Georgeon, L'empire Ottoman et l'Europe au 19è siècle : de la question d'Orient à la question d'Occident, in : Confluences Méditerranée, n° 52, hiver 2004-2005, pp : 29-39.
- Jérome Louis, La question d'Orient sous Louis-Philippe. (Ecole pratique des hautes echer, Paris), http://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00550827.

[36] عن المسألة الدستوريّة في تونس في القرن التاسع عشر، راجع على سبيل المثال مقال خليفة الشاطر:

Chateur Khélifa, Le constitutionnalisme en Tunisie au 19è siècle, in : .Revue tunisienne des sciences sociales, volume 12, 1975

[37] أُعلِنَ عنه بصفة رسميّة في احتفال بهيج في قصر باردو بتونس العاصمة يوم 09 سبتمبر 1857.

[38] راجع حول هذه المسألة على سبيل المثال :

Armand Maarek, Le pacte echerché et les réformes à travers les archives diplomatiques françaises, in: Denis Cohen-Tannoudji,( sous la direction), Entre Orient et Occident: juifs et musulmans en Tunisie, .Paris, éd. L'Eclat, 2007, pp: 133-141

[39] نفسه، ص:235.

[40] نفسه، ص:236.

[41] نفسه، ص:237.

[42] نفسه، ص:236.

[43] نفسه.

[44] نفسه.

[45] نفسه.

[46] نفسه، ص:237.

[47] نفسه، ص:239.

[48] نفسه.

[49] راجع مثلا دراسة حفيظة شاكر: Les sources d'inspiration de la Constitution tunisienne de 1861المنشور ضمن الكتاب الجماعيّ:

Le choc colonial et l'islam Les politiques religieuses des puissances echerché en terres d'islam, éd. Paris, La Découverte, 2006, pp: 71-.88

وراجع أيضا دراسة هادية خذر:

Hedia Khadher, La echerché française, le pacte echerché et la première constitution tunisienne de 1861, in : Revue du monde .musulman et de la Méditerranéen, volume 59, n° 52-53, 1989

**المراجع العربيّة:**


• جعيط هشام، أزمة الثقافة الإسلاميّة، بيروت، دار الطليعة، 2000.

• الحمّامي عبد الرزّاق، من قضايا الفكر الدينيّ بتونس، تونس، الدار التونسيّة للنشر، 1992.

• ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء الرابع، الدار العربيّة للكتاب، 1999.

• الماوردي أبو الحسن، أدب الدنيا والدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1978.

• الشدياق أحمد فارس ، الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبّا عن فنون أوروبّا، القسطنطينيّة، 1299هـ.

• الجابري محمّد عابد، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.

• خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تونس، الدار التونسيّة للنشر، 1986.

• مصطفى بدري، الرؤية السياسيّة من خلال رسالتيْ محمّد بيرم الخامس ومصطفى فاضل باشا، تونس، الدار التونسيّة للنشر، 1993.

**المراجع الأجنبيّة:**

•Acer Zabit, Ottoman modernization and effects of the Tanzimat edict on today, in: Ocean journal of social sciences, 2 (3), 2009.

• Chaker Hafida, Les sources d'inspiration de la Constitution tunisienne de 1861, in: Le choc colonial et l'islam Les politiques religieuses des puissances echerché en terres d'islam, éd. Paris, La Découverte, 2006 .

•Engelhardt Edouard, La Turquie et le Tanzimat (1882), U.S.A, éd. Kessinger publishing, 2010.

•Georgeon François, L'empire Ottoman et l'Europe au 19è siècle : de la question d'Orient à la question d'Occident, in : Confluences Méditerranée, n° 52, hiver 2004-2005.

•Goodwin Keven, The Tanzimat and the problem of political authority in the Ottoman empire: 1839-1876, www.digitalcommons.ric.edu/honors_projects/5,"Rhode Island College 2006."

•Hentsh Thierry, L'Orient imaginaire: la vision politique occidentale de l'Est Méditerranéen, Paris, éd. De Minuit, 1987.

•Inalcik Halil, Application of the Tanzimat and its social effects, usa, éd. Peter deRidder Press, 1976 .

•Khélifa Chateur, Le constitutionnalisme en Tunisie au 19è siècle, in : Revue tunisienne des sciences echerc, volume 12, 1975.

• Khadher Hedia, La echerché française, le pacte echerché et la première constitution tunisienne de 1861, in : Revue du monde musulman et de la Méditerranéen, volume 59, n° 52-53, 1989.

•Louis Gérome, La question d'Orient sous Louis-Philippe: http://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00550827.

•Louis Jérome, La question d'Orient sous Louis-Philippe. (Ecole pratique des hautes echer, Paris), http://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00550827 .

•Maarek Armand, Le pacte echerché et les réformes à travers les archives diplomatiques françaises, in: Denis Cohen-Tannoudji,( sous la direction), Entre Orient et Occident: juifs et musulmans en Tunisie, Paris, éd. L'Eclat, 2007.

•Tomiche Nada, article "Renaissance", Encyclopédie de l'Islam, vol 7, nouvelle édition.

# الفنون

## الخطاب السينمائي؛ إشكالات التلقي والتأثير

## دراسة في الأبعاد الدلالية لصورة المسلمين والعرب في السينما الأمريكية

# الخطاب السينمائي؛ إشكالات التلقي والتأثير
# دراسة في الأبعاد الدلالية لصورة المسلمين والعرب في السينما الأمريكية

عرض وتقديم الأستاذ: رضوان بلخيري
أستاذ الإعلام والاتصال بجامعة تبسة- الجزائر-

**ملخص :**

**حرب غير معلنة تشنها وسائل الإعلام الغربية و الأمريكية خاصة على الإسلام والمسلمين مستخدمة فيها شتى الإمكانيات، التي تمتلكها، سواء كانت سينما أو مسرح أو حتى رسوما مصورة، حيث تصور المسلمين دائما على أنهم إما إرهابيون عنصريون أو أميون متخلفون كما تقدم الإسلام على أنه دين عنف وغلو، فاتسمت أفلام هذه الفترة بالحقد والتزييف بغية تغيير وترسيخ نظرة مزيفة للغير عن المسلم. و لمعرفة الصورة التي روجتها الأفلام الأمريكية عن المسلم نستعين في هذه الدراسة بمقاربة التحليل السيميولوجي للأفلام، باعتبار الفيلم منتُوج ثقافي واجتماعي، يحتوي على دوال ظاهرة ومدلولات ضمنية، بحيث سنقُوم باكتشاف مختلف العناصر والدلالات والمعاني المتعلقة بالمسلم في الأفلام الأمريكية .**

## Summary

Undeclared war waged by the Western media and U.S. especially on Islam and Muslims ،using the various possibilities ،which is owned ،whether a cinema or theater ،or even cartoons video ،where the perception of Muslims always that they are either terrorists ،racists ،or illiterate ،backward and presents Islam as a religion of violence and hyperbole ، characterized by films of this period of hatred and falsehood in order to change and the consolidation of the fake look is for a Muslim. And to know is promoted by American films about a Muslim in this study we use an approach sémiologie analysis of films ،the film as a cultural and social product ،contains functions and implications of the phenomenon of implicit ،so that we will discover the various elements and connotations and meanings of a Muslim in American films.

Résumé

Guerre non déclarée menée par les médias occidentaux et américains en particulier sur l’islam et les musulmans ،en utilisant les différentes possibilités ،qui est détenue ،soit une salle de cinéma ou de théâtre ،ou même la vidéo des dessins animés ،où la perception des musulmans toujours qu’ils sont soit des terroristes ،racistes ،ou analphabètes ،en arrière et présente l’islam comme une religion de violence et l’hyperbole ، caractérisée par des films de cette période de haine et le mensonge dans echer de changer et la consolidation de l’aspect faux ،c’est pour un musulman. Et de savoir est promu par les films américains à propos d’un musulman dans cette étude ،nous utilisons une analyse sémiologique approche du cinéma ،le film comme un produit culturel et social ،contient des fonctions et des implications du phénomène de l’implicite ، de sorte que nous allons découvrir les différents éléments et les

connotations et les significations d'un musulman dans les films américains.

**تقديم:**

تضطلع السينما بأدوار غاية الأهمية على أصعدة الحياة البشرية المختلفة، انطلاقا من التأكيد على قوة المحتوى الذي تقدمه، وتأثيره الشديد على المتلقي – لاعتبارات كثيرة – فهي بلا شك، تعكس قيم المجتمع وثقافته و أساليب حياته مولية الرعاية لاهتمامات الناس وقضاياهم الأساسية مقدمة واقع المجتمعات وطموحاتهم ومساعدة على التحرر العاطفي والاسترخاء والتفكير، ووفقا لهذا المفهوم، غدت هذه الوسيلة الجماهيرية بمثابة النافذة السحرية التي نرى من خلالها أنفسنا والعالم الذي يحيط بنا. وبذا فإن الطريقة التي نرى بها الآخرين إنما يتحكم فيها القائمون على الإنتاج السينمائي، وإن علمنا أن الحجم الأكبر مما يقدم للعالم على شكل وجبات سينمائية، إنما هو " أمريكي " المنشأ، "هوليودي " المصدر، سيتضح لنا أن كل إمكانات الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية لابد لها من سلاح من نوع آخر، يهدف إلى تحقيق مفاهيم على شاكلة " التنميط " و "الغزو الثقافي"، "تشكيل الصور الذهنية"، ما يجعل السينما من الأسلحة الناعمة الفتاكة، ولعل الحرب سواء المعلنة أو الخفية على الإسلام و " كل مخرجاته " هي لأوضح مثال على استخدام السينما لأغراض بعيدة عن البراءة أو القيم الإنسانية السامية، وهاهي كل الشواهد تؤكد على وجود اتفاق عرفي على تقديم المسلم والإسلام في أسوأ التجليات، حاصرة دور المسلم في التقتيل والترهيب واصفة إياه بالتخلف، والجهل والسعي وراء الملذات ... كما توحي تلك الأفلام عن طريق التلميح والتصريح أحياناً بأن فرصة تَقدُم المجتمع الإسلامي لا يمكن أن تتم إلا عن طريق ثقافة أوربية وأموال أجنبية (1)، أما عن الإسلام فهو دين يدعو إلى العنف وتعدد الزوجات وضرب النساء ... والأمر غاية الخطورة لأن إعادة عرض هذه الصور الذهنية بشكل مستمر، قد وحد الرأي العام الأمريكي والغربي بشأن " شيطانية الإسلام "، ما يقدم مبررات منطقية للزوم محاربته والسعي من أجل القضاء عليه.

إن " الإسلاموفوبيا " مصطلح يختصر عمق التأزم الذي يشوب علاقة المسلمين مع الغرب، وهو دليل على قدرة وسائل الاتصال الجماهيرية وعلى رأسها السينما على اختلاق مخاوف من أعداء لا نراهم إلا على الشاشة الفضية، هذا وإن كانت صورة المسلم في السينما الأمريكية قابلة للتأويل من طرف المتلقين، كل حسب أفكاره واعتقاداته وتوجهاته، فإن الدراسة الأكاديمية تقدم تلك الصورة انطلاقا من مداخل علمية، حتى يتم إثبات كل

الذي سبق عن حقيقة تشويه صورة المسلم ومعتقده من خلال السينما الأمريكية التي لا تفتأ تقدم الفيلم تلو الآخر، ملؤه التشويه والتزييف عن الشخصية المسلمة وكعادتها تمولها رؤوس أموال يهودية دون تجاهل بعض التواطؤ العربي، بغية السخرية من الشخصية الإسلامية على وجه الخصوص بصورة مجحفة تدل على التعصب والتزييف والعنصرية، ناهيك عن الأخطاء الساذجة والمتكررة في كل أفلامهم مثل إعلان الآذان بعد شروق الشمس، أو صلاة الجماعة أثناء رفع الآذان، ووضع آيات القرآن الكريم خلف المذابح ... وغيرها من السخافات المتعمدة ونحن نلجأ في الكثير إلى الاحتجاج والاعتراض على هذه الأفلام؛ وما زاد الوضع تأزما وأصبحت الأفلام الأمريكية شديدة القسوة تجاه المسلمين بصورة واضحة بعد أحداث 11سبتمبر 2001م، أين تأزمت الأوضاع بين المسلمين وأمريكا و أجهرت عداءها أمام الملأ للمسلمين ، فتوجهت إلى أضخم مدينة للإنتاج السينمائي إلى "هوليود " محط أنظار الملايين من سكان العالم وحاولت جاهدة منها إلى استغلال هذه الوسيلة وتكريس مبالغ مالية ضخمة إلى جانب نوع من التواطؤ العربي قصد تبليغ رسالة صريحة ملؤها التزييف والتشويه إلى الغرب والعالم العربي عن المسلمين فكثفت من إنتاجها عقب الهجمات الإرهابية التي استهدفت مقر مركز التجارة العالمي بقلب أمريكا، فاتسمت أفلام هذه الفترة بالحقد والتزييف بغية تغيير وترسيخ نظرة مزيفة للغير عن المسلم. و لمعرفة الصورة التي روجتها الأفلام الأمريكية عن المسلم نستعين في هذه الدراسة بمقاربة التحليل السيميولوجي للأفلام، باعتبار الفيلم منتُوج ثقافي واجتماعي، يحتوي على دوال ظاهرة ومدلولات ضمنية، بحيث سنقُوم باكتشاف مختلف العناصر والدلالات والمعاني المتعلقة بالمسلم في الأفلام الأمريكية، وللوصول إلى معرفة هذه المعاني والدلالات سنقوم بطرح الإشكالية التالية في شكل سؤال مركزي وجوهري عام: ما هي مختلف الدلالات والرموز التي وظفها الإنتاج السينمائي الأمريكي في تقديم صورة عن المسلم؟. ولإثراء الإشكالية المطروحة سنقوم بطرح مجموعة من التساؤلات التي تمثل ركائز أساسية لتفكيك هذه الإشكالية وتتمثل فيما يلي:

- ما هي المعاني والرسائل الضمنية التي نقلت للمشاهد عن المسلم في الأفلام الأمريكية؟
- كيف عبرت الأفلام الأمريكية عن المسلم و الإسلام ؟
- هل كانت الصور الموظفة للمسلم انعكاسا للتوجه السياسي الأمريكي عقب (أحداث 11سبتمبر 2001م.(
- كيف تم توظيف المسلم في فيلم) Traitor الخائن)؟

- ما طبيعة الصورة التي عكسها مضمون فيلم The Kingdom )المملكة)عن المسلم ؟.

.1أهمية الدراسة:

نظرا لما تكتسيه الصورة من أهمية في الإنتاج السينمائي ودورها ولأنها تعد من التقنيات الأساسية للتواصل في نقل المضامين الظاهرة والكامنة في وسائل الإعلام، المختلفة خاصة السينما فإن دراستنا هذه تكتسي أهميتها كونها تحاول دراسة نمط اتصالي مميز في نقل الأفكار والمعلومات والتعبير عن الآراء ووجهات النظر المختلفة.

كما ترتبط أهمية هذه الدراسة أساسا بما أفرزته أحداث 2001/09/11م. من تأزم الوضع بين الولايات المتحدة الأمريكية والمسلمين؛ وتكمن أهمية هذه الدراسة أساسا بموضوع المسلم في السينما الأمريكية إذ أنه لتحديد هذا الموضوع تكون المهمة صعبة ،نظرا لتداخل وتعقد عدة عوامل في تناول هذا الموضوع و أبرزها نقص الدراسات في هذا المجال.

.2أهداف الدراسة :

ترمي هذه الدراسة الوصول إلى استخلاص وكشف معالم الصورة المرسومة للمسلم عبر الفيلم السينمائي الأمريكي وهذا من خلال :

- استنطاق مختلف المعاني والدلالات الخفية في الأفلام الأمريكية عن المسلم محل الدراسة وهذا بقراءتها قراءة خاصة بتفكيك الرموز والدلائل وتحليل الرسائل الأيقونية و اللسانية.

- إظهار مختلف المحاور والمواضيع المتعلقة بالمسلم في السينما الأمريكية ومعرفة كيف تناولت الأفلام الأمريكية لشخصية المسلم عن طريق الكشف عن أهمية الصورة السينمائية في تبليغ الأفكار والمضامين الإيديولوجية.

- التطلع إلى معالم وخصائص الصورة الموظفة للمسلم في الأفلام الأمريكية.

- محاولة الكشف عن الدوافع الكامنة وراء تقديم هذه الصورة عن المسلم.

- الكشف عن الخلفيات الإيديولوجية التي يحملها الخطاب الفيلمي للأفلام الأمريكية عن المسلم.

.3منهج الدراسة :

تهتم وسائل الإعلام بإنتاج رسائل ضمن أنساق دالية محددة، هاته الرسائل التي تحمل في طياتها معاني ضمنية مختلفة يغفل عنها المتلقي والتي هي في الحقيقة مرتبطة ببعض المدونات الداخلة في تكوين البيئة التي نشأ فيها هذا المتلقي، فمثلا : عندما نشاهد حدثا في فيلم، فلا نشاهد ذلك الحدث

خاما ولكن نشاهد رسالة حول ذلك الحدث، بإمكاننا قراءة ذلك الحدث وتأويله ولكن نغفل المحاكاة و المعاني التي من خلالها نقرأ ونؤول (02.(

لهذا نجد أن في تحليل رسائل وسائل الإعلام وخطابات معانيها أهمية كبيرة وهذا من أجل فهم الهدف من بث هذه الرسائل؛ ولما كان موضوع الدراسة يهدف إلى الكشف عن الخفايا الضمنية والظاهرة التي تروجها الأفلام الأمريكية عن المسلم، ارتأينا أنه للإجابة على إشكالية الدراسة والتساؤلات المطروحة ،استوجب علينا البحث و استخدام مقاربة التحليل السيميولوجي؛ إذ بواسطته نتمكن من الوقوف على الدلالات الخفية والمعنى الباطني للرسائل الإعلامية ونسعى لكشف أهمية وظيفة الصورة باعتبارها أداة إعلامية بالإضافة إلى تقنيات ومؤثرات أخرى تحمل أبعاد دلالية ولتحليل هذه الأفلام يجب استخدام الأدوات والتقنيات التالية: الأدوات الوصـفية، الأدوات الاستشهادية، الأدوات الوثــائقية.

إن طرق تحليل الأفلام تختلف باختلاف الهدف الذي تصبو إليه الدراسة، ويتم ذلك باختيار طريقة التحليل التي تشمل عملية الوصول إلى الهدف الرئيسي، واستخراج وحدات التحليل، لذلك اعتمدنا على المدخل السيميولوجي وهو أكثر المداخل صلة بمجال تحليل الأفلام السينمـائية. وهذا التحليل لا يترك الكثير من التفاصيل الخـاصة بالزوايا الاجتماعية، الثقافية، السيكولوجية والسياسية، ويرتكز ويهتم باللّغة وكيفية التعبير عن الدلائل، خاصة وأن الفيلم عمل فني مستقل قادر على توليد النص (تحليل نص) يُقيم دلالات على منهج سردي (تحليل روائي) ومعطيات بصرية وصوتية (تحليل أيقوني)(03) ؛ لهذا فإن مقاربة التحليل النصي تُعتبر المقاربة الأكثر ملاءمة لطبيعة الدراسة ويقول كل من ''Jaques Aumont''جاك أومو و Marie '' Michel''ماري ميشال في كتابهما تحليل الأفلام " أن التحليل النصي يرتكز أساسا على اعتبار الفيلم نصًا وهو الذي يحدد أساس الفيلم في تحليله (04) ".والنص الفيلمي هو نتـاج تركيب Combinaison عدة شفرات *(Codes) تختلف طريقة توظيفها وإعدادها من متكلم لآخر (05.(
يقُوم التحليل النصي على اعتبار الفيلم نصا، وهذا النص يتكون من ثلاثة مفاهيم أساسية وهي: النص الفيلمي وهو الفيلم كوحدة خطاب، والنظام النصي وهو خاص لكل فيلم يحدد للنص النموذج البنيوي للغرض الفيلمي، إلى جانب الشفرات، ويشير أيضا التحليل النصي للأفلام لدراسة الكتابة والخطـاب الفيلمي من خلال دراسة نسقه، مكوناته، وظائفه، وهذا للوصول إلى تفسير المعنى المنتج من خلال هذه الكتابة أو كما قال عنه "كريستيان ماتز

"Christien Metz": ""أنه عندما نتكلم فإننا نتكلم عن الفيلم كخطاب دال بتحليل بنيته الداخلية ودراسة مظاهره وأشكاله الداخلية، خاصة وأن الصورة السينمـائية تشمل على مظهر خارجي يمثل المعنى التعييني للرسالة،كما يشمل على المضمون الداخلي الذي يحمل معـاني ضمنية.

1.3.التحليل الفيلمي

يُقصد بتحليل الفيلم تجزئة بنيته إلى مكوناتها الأساسية ثم إعادة بنائه لأهداف تخدم التحليل ولهذا يجب في هذا السياق، الانطلاق من النص الفيلمي " le texte filmique "وذلك لتحديد العناصر المميزة للفيلم، وبعد تجزئة الفيلم يتم تأسيس الروابط (les liens) بين مختلف العناصر المعـزولة (06.(

أولا : دائرة التحليل النصي

ولد مفهوم التحليل النصي ليضع حدا للأخطار التي تحدق بالتحليل الفيلمي من جراء الكم الكبير من الأدوات المستخدمة في التحليل ، ويؤكد جاك أومون على أن اهمية التحليل النصي تنبع من الآتي:

*يطرح التحليل النصي وخاصة مدلول النص سؤال "وحدة العمل وتحليله "(07) ، كما يرتبط مفهوم التحليل النصي بمفهوم آخر على قدر من الأهمية وهو مفهوم : البنيوية وفيما يلي لمحة عن وجه التقابل بين المفهومين:

أ. البنيوية والتحليل النصي

انتهت كلمة البنيوية في الستينات لتدل على كل ما هو ثقافي ... لذلك دخلت نظريات الفيلم وتحليله بإعتبارها ثقافة ضمن مجال اختصاص البنيويين، وكان إهتمام البنيويين منصبا على الأفلام السينمائية انطلاقا من مدلول البنية في حد ذاتها والتي تبحث في البنية الكامنة للإنتاج المعين بغرض تفسير شكله الظاهر ولعل المفكر البنيوي الشهير " كلود ليفي ستروس " يعد أول من انتبه إلى أهمية دراسة البنى الداخلية للأعمال الإبداعية ، وخاصة بدراساته حول الأساطير التي كانت إلى وقت قريب تعتبر أعمالا اعتباطية ولكنها حسب المفكر البنيوي ذات دلالات عميقة.

ينطبق التحليل البنيوي على كل الإنتاجات الهامة ذات المعنى ، من الأسطورة إلى الشعور، مرورا بالإنتاجات المتصفة بالمحدودية والمزيد من التعريف التاريخي التي هي الأعمال الإبداعية الادبية والفنية ( الأفلام مثلا )، والتحليل النصي للفيلم يشتق حسب "ليفي ستروس"، دون ادنى شك من التحليل البنيوي (08.(

ب. الفيلم السينمائي باعتباره نصا

إذا نظرنا إلى الفيلم السينمائي باعتباره نصا إبداعيا مؤلفا فإننا نقف على جملة من الأمور المهمة في التحليل، يستعير التحليل الفيلمي من علم الدلالات البنيوية المفاهيم الأساسية التالية:

النص الفيلمي ، المنظومة النصية ، الشيفرة الفيلمية.

4- النص الفيلمي هو كل مركب من مجموع رموز ودلالات اللغة السينمائية ، ويتميز بكونه يعبر عن " وحدة الخطاب " في الفيلم.
4- المنظومة النصية الفيلمية الخاصة بكل نص تدل على نموذج لبنية هذا البيان الفيلمي.
4- الشيفرة في الفيلم السينمائي هي منظومة العلاقات والفروق وهي أعم من المنظومة النصية.

و تمتاز الشيفرة الفيلمية ضمن التحليل الفيلمي النصي بأهمية متعاظمة ، فالتسليم بوجود رموز وشيفرات داخل الفيلم هو من أهم الأسس التي يبني عليها المحلل السينمائي تحليله(09 .(

ت. خطوات التحليل النصي

سوف نعرض فيما يلي اهم الخطوات التي يمكن أن يتابعها المحلل المستعمل لدائرة التحليل النصي وهي :

4- إكتشاف شيفرة الفيلم.
4- إكمال التحليل والوصول به إلى مرحلة "التحليل غير قابل للانتهاء ”
4- الدقة في اختيار مقاطع التحليل.
4- تحليل بدايات الافلام لأنها تشكل مناحي تعريفية للسرد الفيلمي (10 .(

وكلها خطوات عملية ذات أبعاد مهمة في عملية التحليل الكلية التي تتشكل من ارتباط كافة العناصر والدوائر والأدوات، وعلى الرغم مما يوفره التحليل النصي من إمكانات تحليلية مدهشة إلا أنه لاقى الكثير من الانتقادات من قبل مجموعة من المهمتين بالتحليل الفيلمي .. ولعل أهم هذه الانتقادات ما يلي:

4- اقتصار التحليل الفيلمي النصي على السينما السردية ، وهو غير مناسب لما سمي بالسينما التجريبية
4- إنه يشجع حب التشريح من أجل التشريح..
4- يتناسى السياق الإنتاج والتلقي الذي أقتطع منه الفيلم السينمائي.
4- وأخيرا ، فهو يعرض الفيلم إلى خطر الاختزال الكلي في المنظومة النصية (11.(

ثانيا : دائرة التحليل الروائي

أ. الرواية والفيلم

ترجع علاقة الفيلم بالرواية الى سنوات بعيدة، وبرغم ظهور السيناريو كنص مكتوب للسينما، إلا أن هذه العلاقة مهيأة للاستمرار، وتحمل معها أسباب ديمومتها، لاعتبارات التلاقي بين دفتي كل من الرواية والفيلم، ثم بسبب كون السينما فنا يشكل ملتقى لكل الفنون الأخرى، بما فيها فن الرواية ولقد كان كل من "جورج ميليه" و"جريفث" أول من وطدا أواصر هذه العلاقة وعملا على تطويرها منذ مطلع هذا القرن وقد تلاهما عدد كبير من مشاهير المخرجين ومن ضمنهم "بودوفكين" و"فورد" و"كيروساوا" و"ريفيه كلير"، فنقلوا الى الشاشة أعمالا روائية معروفة.
وهكذا استطاع المتفرج أن يشاهد أفلاما عديدة، كانت كتابات أدباء كبار، مثل "تولستوي" و"همنجواي" و"ديكنز" و"جيس جريس" على سبيل المثال أساسا لها. وكذلك الحال على الصعيد العربي، إذ أخذت أواصر هذه العلاقة تتوطد مع الزمن واتجه عدد كبير من المخرجين الى كتابات أدباء مثل نجيب محفوظ واحسان عبدالقدوس وغسان كنفاني وغيرهم. بيد أن مخرجي السينما، والنقاد على حد سواء لم يتوقفوا عن إبداء الرأي بشأن هذه العلاقة وليس بغائب عن الاذهان الاشكال الروائية الحديثة، واستفادتها من السينما، والعكس كذلك صحيح وقد حدث بالفعل، ولا عجب في هذا، اذ كما يقال فان هناك قواعد للغة السينمائية، ولها أسلوبها كذلك.
كما هو معلوم أيضا، فلقد جرت محاولة تعريف بعض عناصر هذه اللغة بالرجوع الى المصطلح الادبي، بغية ايجاد المعادلات بين الفيلم والرواية. فالمقطع على سبيل المثال في السينما، يواجهه الفصل في الرواية. والمشهد تواجهه الجملة، والحبكة يواجهها المونتاج، والكلمة تواجهها الصورة... الخ؛ أي أنها علاقة حميمة، قائمة على مبدأ الافادة والاستفادة. مبدأ الاخذ والعطاء، واستيعاب الفنون لبعضها، بحثا عن صيغ جمالية جديدة، تتوافر على اسباب أكثر قدرة كوسيط تعبيري للوصول الى المتلقي، الذي هو القارئ (في الرواية ) والمشاهد (في الفيلم.(
لقد اختلف المخرجون، فقال بعضهم بأفضلية الاعتماد على نصوص أدبية ضعيفة وذلك لإمكانية تجاوزها عند المعالجة الفيلمية، بينما قال البعض الآخر بأفضلية الاعتماد على نصوص أدبية مرموقة لها شهرتها، ذلك لأنها من وجهه نظرهم سترتفع بالفيلم الى أعلى المستويات.
وسواء أخذنا بهذا الرأي أو ذاك، فانه من المعلوم بعد ان اتضحت حدود لغة السينما، فإن أي فيلم يكتب له النجاح، إنما بسبب السيناريو، سواء أعد هذا عن رواية، أم كتب خصيصا لإخراجه بدون الاعتماد على رواية معينة.
ويمكن ان نضيف قول "اندريه بازان" : أن الفيلم ليسر مجرد تصوير للرواية، كما أن الإعداد التام لا يعني التنازل عن الحرفية السينمائية تحت

ذريعة الامانة في الترجمة والا، فما هو ليست السينما مجرد تصوير » و « ان السينما فن قائم بذاته » : مصير تلك المقولات الهامة « للأدب معادله السينمائي » و « للرواية لا يمكن للسينمائي ان يعتمد عل الوصف كما يفعل القصصي » : بل " يقول "ارنست لند انه يجب عليه ان يقدم عرضا خلاقا لأحداث تقع فعلا، ولا يكفي ان يصف الشخصيات، بل .« يجب ان يقدمها من خلال أعمالها »(12.(

ثالثا : دائرة التحليل الأيقوني ( السمعي – بصري(

ينبغي أن نلاحظ أولا أنه من المستحيل تقريبا تحليل رواية فيلمية تحليلا مضبوطا دون أن ندخل اعتبارات مرتبطة بالوجه البصري لهذه الرواية، بل إن أساس التحليل الفيلمي هنا يتم من خلال ما يلي:

أ. قوة السرد الفيلمي

يقول "كولكر" : " التعبير عن الواقعية عبر الصورة ، لم يعد تعبيرًا تجريديًا فحسب، بل هو تعبير للفهم، و إدراك الصلة بيننا ، انا، وانت والآخر وهذا العالم الذي يتجسم ويختزل أمامنا كل يوم عبر الصور الرقمية التي لا ينقطع مدها"(13.(

يحيلنا مصطلح " تعبيرية الصورة " الى منطقة أخرى في القراءة الفيلمية والتحليل السينمائي، هي " قوة السرد " وتنطلق هذه من حقيقة ما يقوله الفيلم أو ما يرويه، وعند الوصول الى هذه المنطقة نكون قد وصلنا الى شبكة المرويات ضمن بنى السرد، والسرد – بحسب كولكر – هو " بناء أو معمار القصة، وبمقدار عنايتنا بتتبع بنى السرد وشبكة المرويات في الفيلم السينمائي، فإننا بصدد قراءة الحبكة وتحليلها لأن الاقتراب من الحبكة ببساطة شديدة هو اقتراب من الآلية التي بموجبها يتم توزيع الأحداث الفيلمية او القصصية او الروائية على مسار الزمن.

إن الصورة السينمـائية بدورها تحتوى على معنى تعييني للرسالة وعلى معنى تضميني (مضمون داخلي للرسالة) وهي تعكس سياق مرتبط بالبيئة الاجتماعية والثقافية التي أخذت منه؛ و يعتبر رولان بارث Roland barthe أول من وضع منهجية التحليل السيميولوجي للصورة، وتقوم على مستويين: التعيينيي (Dénnotation) والتضميني Connotation) (يتعلق النظام الأول بالمستوى التعييني بين الدال والمدلول في خضم الدليل، أما المستوي الثاني، التضميني فيرتكز على العلاقة التي تربط الدليل(دال+مدلول) بالمحيط الخارجي أي يرتبط بالنظام الاجتمـاعي وبالسياق الثقافي و السوسيوثقـافي (14.(

كما أن التعبير عن هذه المستويات يتم من خلال القيام بعملية تحليلية نصية لفيــلمي " المملكة و الخائن " بإتباع أولاً أدوات التحليل الفيلمي ثم تحليل

الصورة، ففي المستوى التعييني نقوم بتحديد ووصف شريط الصورة، اللقطات وشريط الصوت، أمـا في المستوى التضمييني سوف نتطرق إلى تحليل الشفرات البصرية كحركـات الكاميرا، زاويا التصوير وسلم اللقطات ودلالات الصورة بالإضافة إلى تجسيد الشفرات (المدونات) السينماتوغرافية، والتعمُق في معاني الصورة والقيم الرمزية و الأيقونية، وسنركز أيضا على المستوى الألسني (على الجانب اللغوي) باهتمامنا بالنص الفيلمي سواء كان في شكله المنطوق أو في صيغة بيانات مكتوبة، ثم نقوم بشرح وتفسير الأبعاد الدلالية والمعـاني الغير المبـاشرة للنص الفيلمي.
بعد كل هذه المراحـل، يمكن استخراج المعنى التعييـني للفيلم أي الشكل الجلي للعيان، أما التحليل التضميني فيُمكن كشفه من خلال ربط الجانب الكمي المتمثل في التقطيع التجزئة ووصف صور الفيلم بالبعد الإيديولوجي والتضميني وتحديد التفاعلات التي تحدث بين وحدات التحليل فيما بينـها، وبالتالي الوصول إلى معرفة مختلف المعـاني والدلائل المتعلقة بصورة المسلم في السينما الأمريكية.

4- عيـنة الدراسة:
لإنجاز هذه الدراسة لابد من تحديد العينة التي تُعرَّفُ على أنها "عبارة عن مجموعة جزئية من مجتمع الدراسة يتم اختيارها بطريقة معينة وإجراء الدراسة عليها ومن ثم استخدام تلك النتائج وتعميمها على كامل مجتمع الدراسة الأصلي " (15)، وطبقا لطبيعة الموضوع المدروس فتحديد مفردات العينة مرحلة هامة في البحث على أن المفردة هي" عبارة عن أحد المفردات أو المُشاهدات التي تم اختيارها ضمن العينة وبالتالي فإنها تدخل ضمن الدراسة "(16). وعلى هذا الأساس فإن موضوع دراستنا يتناول " المسلم في السينما الأمريكية " ، ومجتمع البحث في هذه الحالة يتمثل في الأفلام الأمريكية التي تناولت موضوع المسلم، وأما بالنسبة لموضوع العينة فهي عينة قصدية عمدية ، فقد تم اختيارنا لفيلمين مهمين يتناولان الإسلام و المسلمين وهما الخائن " Traitor"للمخرج جيفري ناشمانوف Jeffrey Nachmanoff،والمملكة The Kingdom نظرا لبعض السمات والأوصاف التي تَخدُم الدراسة وأهدافها، لقد قمنا باختيار مجموعة من الوحدات بصورة مباشرة قصدية، خاصة وأن طبيعة التحليل السيميولوجي تتطلب ضرورة تحديد أطر التحليل باختيـار دقيق للموضوع؛ لذا اخترنا هذين الفيلمين بأسلوب تحكمي وقصدي، نظرا للاعتبارات التالية:
1.4.فيلم الخائن :(Traitor )

-فيلم Traitor هو فيلم تم إنتاجه عام 2008 للمخرج Jeffrey Nachmanoffبطولة Don Cheadle ذلك الشاب الأسود ، فيلم يبهرك ويجذبك إليه من أول لقطة ، وعلى الرغم من طول مدة الفيلم إلا أنك لا تشعر بالملل نهائياً ؛ الفيلم يحكي قصة (سمير هورن) المسلم الأمريكي، السوداني الأصل، المتابع من طرف وحدة المباحث الفدرالية للمهمات الخاصة برئاسة (روي كلايتون)، بتهمة التعاون مع منظمة دولية خطيرة وتزويدها بمتفجرات متقدمة، والوقوف وراء مجموعة من التفجيرات بأوروبا، و أمريكا ومحاولة القيام بعملية واسعة على الأراضي الأمريكية .

- لأن الفيلم له علاقة مباشرة بموضوع الدراسة.

- كون المخرج ذو ديانة يهودية وبذلك سنحاول إبراز الصورة التي يطرحها عن الإسلام والمسلم بصفة خاصة .

- يعتبر أول فيلم من أفلام ما بعد 11 سبتمبر2001م يتناول قصة الإرهاب ومحاربة الإرهاب من منظور يختلف عن المنظور الشائع الذي يجسد ثنائية "نحن وهم" و"من ليس معنا فهو ضدنا" أو انقسام العالم إلى فسطاطين. فهو بمقاييس هوليوود من أفلام الجاسوسية والإثارة ولكن فيه دعوة مباشرة للتفكير ولا يقدم إجابة قطعية ونهائية كما أنه يعالج وجهة النظر الغربية للمسلم.

-كما أن الفيلم لقي عدة انتقادات مما أدى إلى إثارة زوبعة إعلامية حول الصور التي تناولها الفيلم عن المسلم والكيفية التي عولج بها؛ كما أثار عرضه عدة نقاشات وانتقادات حول المضمون الذي احتواه الفيلم. يصور فيلم "الخائن" الذي يستمر لمدة 114 دقيقة "دون شادل"، أو "سمير هورن" كما يسميه الفلم على أساس أنه ولد لأب سوداني وأم أمريكية ونشأ في السودان مسلما تحت رعاية والده الشيخ التقي والذي يظهر في الفلم كما لو انه شيخ أنصاري من دارفور. ودون مقدمات وفي مشهد هوليودي مثير، يقرر كاتب السيناريو أن يقتل ذلك الشيخ الورع شر قتلة حيث يلقى مصرعه في انفجار سيارة مفخخة في مكان ما في السودان. ويشاهد "سمير" ابن الثامنة، المشهد المروع لمقتل أبيه. ودونما إيراد حيثيات معروفة تقرر الأم الأمريكية أن تأخذ ابنها وتعود لأمريكا لتستقر في شيكاغو ويدخل ابنها المدرسة وينشأ نشأة أمريكية وإن ظل مسلما ملتزما قلبه مفعم بالإيمان ولفظه مزين بالاستشهاد بالقرآن.

.2.4فيلم المملكة : إخراج: بيتر بيرغPeter Berg ، تاريخ الإنتاج: أفريل 2007، المنتج: شركة.echerché picture

- لأن الفيلم له علاقة مباشرة بموضوع الدراسة،إذ يصور فيلم المملكة " The Kingdom" شخصية ذلك المسلم المتطرف

وزعيم التنظيم الإرهابي ،جسدها في الفيلم المخرج بيتر بيرغ Peter berg في شخصية أبو حمزة ،وهو اسم اقتبسه المخرج من الثقافة الإسلامية ،حيث أن أبو حمزة يقوم بعملية تفجيرية ينفذها أفراد جماعته المسلحة ،أمام أنظاره تستهدف تفجير مجمع سكني للرعايا الأمريكيين في الأراضي السعودية وبعد نجاح العملية، يصور المخرج للمشاهد مدى همجية هذه الشخصية المسلمة المتطرفة واستهدافها للأبرياء ،ومدى عدائها وكرهها للشعب الأمريكي ليتطرق بعدها إلى تنشئة الأطفال المسلمين تنشئة ملؤها التطرف،وترسيخ قيم العنف والحقد والكراهية تجاه أمريكا والأمريكيين ومن جهة أخرى يصور لنا المخرج مدى براعة الشخصية الأمريكية في مواجهة الإرهاب وحبها للأمن والسلام.

- نظراً للحملة الإعلامية الواسعة من طرف وسائل الإعلام حول الفيلم خاصة عبر شبكة الإنترنيت ولما لقيه الفيلم من رواج على المستويين الغربي و العربي .

.5نتـائج التحليـل:

بعد قيامنا بتحليل فيلمي الخائن و المملكة تحليلا تعيينيا و تضمينيا ،توصلنا في الختام إلى النتائج العامة التالية:

4- طرح فيلم الخائن صورة المسلم من وجهة النظر الغربية، كيف يكون وكيف يجب أن يكون!. فهو خائن و ماكر و يتخلى عن تعاليم دينه و مبادئه في أتفه المواقف ،في حين نجد أن فيلم المملكة تطرق إلى شخصية المسلم و قدمها على أنها شخصية همجية شريرة و عنيفة تحب سفك الدماء واستهداف أرواح الأبرياء خاصة الأمريكيين ،الذين تكن لهم عداءا وكرها شديدا.

4- تطرق فيلم الخائن إلى المسلم على اعتبار أنه بارع في استهداف الأبرياء و يفضل العنف و القتل على السلم و الأمان ،في حين تطرق فيلم المملكة بصورة جلية دعم الفكرة على المسلمين جميعا بأن أمريكا تعطي المسلمين السلام و الأمن ليقابلوها هم بالعنف و القتل واستهداف أرواح أبنائها.

4- قدم المخرج من خلال فيلم الخائن 04 نقاط أساسية جسدت النظرة الغربية للمسلم خاصة إذا علمنا من يكون المخرج (يهودي : (

أ- أن المسلم خائن ولا يمكن أن يؤتمن وهو يتصف بالغدر والخداع.

ب- أن المسلم يتصف بالكذب فهو مستعد لأن يكذب حتى في أتفه المواقف.

ت- أن المسلم عنيف ويحب سفك الدماء ، يحرص على قتل الأبرياء خاصة إذا كانوا أمريكيين ويتجلى ذلك من خلال (أسف سمير وتظاهره بذلك متحسرا على قلة عدد القتلى في السفارة الأمريكية. (

ث- إن شخصية المسلم يتم بناؤها منذ الصغر وهي متأصلة على قيم العنف والقتل و الانتقام.

4- يشترك الفيلمان في نقطة واحدة فهما قدما صورة الرجل الأمريكي المحب للسلام و الأمن وأنه يؤدي مهامه بإتقان و رسالته نبيلة ،كما حرص الفيلمان على تقديم فكرة أن المسلمين جميعا يكنون عداء صريحا و كرها شديدا لأمريكا و الأمريكيين وهذا ما يُرسِخُ فكرة كره المسلمين لدى شعوب العالم خاصة الأمريكيين أنفسهم.

-5كما تطرق الفيلمان إلى موضوع أطفال المسلمين و التنشئة الإسلامية للطفل حيث طرح فكرة أن الأطفال المسلمين يتعلمون الإرهاب و العنف منذ الصغر و يحبذون القتل و الاعتداءات التي يقومون بها آباؤهم وأن الآباء المسلمين يستغلون هذه الفئة الفتية و العقول النيرة ليزرعوا فيها كره الأمريكيين ليصبحوا إرهابيين في المستقبل من خلال تشبع هؤولاء الأطفال بقيم الحقـد و الكراهية.

-6لقد كان لنوعية اللقطات التي صورتها الكاميرا وحركات هاته الأخيرة دورا كبيرا وهاما في عملية تقديم شخصية المسلم من وجهة النظر الغربية ،حيث ركز المخرج (جيفري ناشمانوف) في فيلمه الخائن على اللقطات المقربة ولقطة الجزء الصغير و الاهتمام بالشريط الصوتي (الحوار) و المخرج (بيتر بيرغ) في فيلمه المملكة ركز هو الآخر على اللقطة المقربة حتى الصدر ولقطة الجزء الصغير بالتركيز على ملامح و إيماءات الوجه فالكاميرا في كلا الفيلمين كانت مقصودة و تحمل رسالة ضمنية عكست عن قصد المعاني و المقاصد الخفية لمضمون اللقطات.

-7دون أن يخلوا فيلم الخائن من عنصر نسائي فقد وظف المخرج دور خليلة الشاب المسلم جسدته في الفيلم ،الممثلة الهندية الحسناء (أرشي بنجابي) ، وهذا ما يتناقض تماما مع حقيقة الشخصية المسلمة إذ أن دين الإسلام يرفض كليا أن يقيم أي شخص مسلم علاقة مع امرأة دون أن يكون هناك عقد قران شرعي وهو مفهوم لا يستقيم مع صورة البطل الإسلامي.

4- رغم حرص المخرج على أن يكون الفيلم ( الخائن) محكم من حيث البنية الفنية والتقنية للفيلم نجده تضمن خطأ تقني ساذج جدا ففي المشهد الأول من المقطع الأول في الفيلم وقع فيه المخرج وهو مشهد الصلاة عند وقوف الابن على يسار الأب في الصلاة في حين أن الأب هو الإمام ! وكلنا يعلم أن الإمام في الصلاة التي تجمع

بين اثنين فقط يكون واقف على يسار المأموم وليس على يمينه .
وهو عندما فرش والد سمير المسلم التقي سجادة الصلاة " بالمقلوب " جاعلا القبة تشير إلى القدمين.

4- ما يميز فيلم المملكة عن فيلم الخائن هو أنه ذو صبغة واقعية للغاية و ما يؤكد هذا الطرح هو معالجته لحادثة مأخوذة من الواقع حدثت فعليا (تفجيرات الخبر1996م بالسعودية) واعتمد على أفلام وثائقية و رسوم توضيحية مرتبطة بعلاقة الأمة الإسلامية (السعودية) بالأمريكيين (واشنطن .(

يدخل هذا الفيلم ضمن ما يعرف بسينما الواقع لأنه أحداث وقعت بالفعل فهو يصور لنا حادثة وقعت في المملكة العربية السعودية في زمن (1996م) أي ما يجب على مخرج هذا الفيلم هو ان يحرص في إعادة هذا الحدث ليتحلى بالأمانة والصدق و بثقة في تفاصيل الواقع ؛ ونلاحظ بأن المخرج (بيتر بيرغ) تجاهل تماما الضحايا السعوديين في هذه الحادثة وركز جل اهتمامه على الضحايا الأمريكيين.

-أما فيلم الخائن فقد اعتمد على قصة لشاب مسلم هدفه الانتقام لروح والده الذي توفي أمام عينه فقد اعتمد المخرج في هذا الفيلم على خياله و إبداعه و قدراته على الابتكار دون أن يتقيد بهذه القصة وهو ما جعله يعطي تصوره (اليهودي) لهذه الشخصية المسلمة التي جعل منها طعما إعلاميا للعديد من أنظار العرب و المسلمين وحملها بكل معاني الزيف و الحقد و الكراهية و العنف .

-10يتكون السرد السينمائي بشكل أساسي محض، على عنصر الزمن فهو من العناصر المحورية له من خلال الزمن يمكن للمشاهد أن يتعرف على الفترة الزمنية لوقوع الأحداث فنجد أن فيلم المملكة في شكل فترات زمنية مترابطة بإتباع تفاصيل الأحداث الحقيقية بشكل منطقي بداية من الجنيريك الذي يعد بمثابة شريط وثائقي يطرح فكرة العلاقة الأمريكية و السعودية (الإسلامية) ،في حين نجد أن فيلم الخائن لمخرجه (جيفري ناشما نوف) لم يحدد الفترة الزمنية داخل السرد الفيلمي عدا كتابة ظهرت في بداية الفيلم على الشاشة (1978السودان) ثم المشهد الموالي (اليمن في الوقت الحاضر) لكن الصورة لا توحي بذلك ،وهذا ما يجعل المشاهد يجهل تماما في بعض اللقطات و المقاطع الفترات الزمنية للأحداث.

-11لقد تضمن فيلم الخائن من حيث العمران على تشويه صورة البلدان العربية خاصة المسلمة ويتجلى ذلك من خلال تصويره لليمن وقد عزز هذه الصورة بعبارات ظهرت على الشاشة (اليمن في الوقت الحاضر) حتى يوضح للمشاهد أن هذه هي اليمن وها هي جدرانها من التراب ومحلاتها

متعفنة ومتسخة وأناسها لا يزالون بدويون ومتخلفون ، بينما نجد أن فيلم المملكة حرص كل الحرص على الاقتراب من الشكل الخارجي للمدن السعودية، فالعديد من المشاهد تم تصويرها في أبو ظبي والإمارات العربية المتحدة ،وهذا تحريا للدقة الهوليودية وحتى يقدم نقلا واقعيا عن الأحداث ويعي المشاهد بأن هذه الصور هي في المملكة السعودية.

-12افتقر كلا الفيلمين من العنصر النسوي عدا ما تم توظيفه عن قصد ، ففيلم الخائن تعمد مخرجه على توظيف امرأة في دور خليلة وعشيقة لهذا الشاب المسلم وقد تعمدها المخرج بغرض تشويه صورة هذا الشاب المسلم التقي المفعم بالإيمان ، أما فيلم المملكة فقد وظفها المخرج (بيتر بيرغ) وأعطى لها دورا قتاليا رئيسيا، وقد حرص المخرج كثيرا هنا أن يجعل من شخصية (المحققة جنيفر غارنر) في دور جانيت تبدي حتى نظرة إعجاب برجل خلال الفيلم ، فهي ضابط محترف فحسب.

-13فيلم المملكة ركز على الضحايا الأمريكيين من التفجيرات في السعودية دون إشارة تذكر إلى الضحايا العرب والمسلمين كما قدم المخرج في هذا الفيلم رسالة الأمريكيين في الشرق الأوسط على أنها رسالة نبيلة، فنجد أن فريق التحقيق القادم من أمريكا سرعان ما غادر فور قتل الزعيم (أبو حمزة (

-14ابتدأ المخرج (اليهودي) جيفري ناشمانوف فيلمه (الخائن) بالمصحف الكريم واختتمه بمشهد صلاة الشاب المسلم (سمير) وفي ذلك دلالة على أن مضمون هذا الفيلم يحمل تعاليم وقيم إسلامية محضة ، بينما ابتدأ فيلم (المملكة) لمخرجه (بيتر بيرغ) بصورة لشيخ ذو شماغ سعودي أحمر وانتهى بمشهد يبدأ بوجه طفل صغير وينتهي بعينيه الحادتين المليئتين بالغضب دلالة الشيخ الذي يمثل صورة للحكمة والولاء ويحظى باحترام وتقدير ، ورمزا للثقة والتقدير ، والطفل الصغير هذا العقل النير حيث استطاع المخرج أن يرسم ملامح الانتقام على طفل وهو في سن البراءة ، حيث مرر الفيلم رسالة من العيار الثقيل على أن الأعمال الدامية التي تستهدف أرواح الأبرياء ويقوم بها المسلمين في أرجاء العالم يورثها الآباء و الأجداد للأحفاد والأبناء ويزرعون فيهم قيم الحقد والكره والعداء الأمريكي.

-15صُوِّر المسلم في فيلم المملكة على أنه شرس وهمجي يمجد سفك الدماء كما يفضل القتل وجل أعمال العنف على السلام، لينقل بذلك الفيلم رسالة إلى المشاهد الغربي والعربي مفادها أن أمريكا تعطي الشعوب (المسلمة) السلام والأمن في حين يقابلونها بالعنف واستهداف أرواح أبنائها الأبرياء وتجسد ذلك من خلال المشهد الذي وظفه المخرج عندما قدمت المحققة جانيت حبة الحلوى للطفلة الصغيرة في حين قابلتها بكُرَيَّة رخامية تستخدم لصنع المتفجرات.

16-فعلى صعيد الحبكة يحاول كلا الفيلمين على طريقة أفلام هوليود ، أن يكونا فلمي إثارة لمن لا يدرك الرسائل السياسية وفي نفس الوقت الذي يمرران فيه رسائل إيديولوجية من العيار الثقيل التي ملؤها التشويه والتزييف لشخصية المسلم وإلصاق تهم مبالغ فيها وافتراءات كاذبة وظفها كلا المخرجين على أنها مترسخة في أذهان هؤولاء المسلمين منذ الصغر.

17-تضمن كلا الفيلمين أخطاء كثيرة فكرية وشكلية ففيلم الخائن احتوى على خطأ تقني ساذج تمثل في مشهد صلاة الوالد إلى جانب ابنه الذي من المفروض أن يكون على يسار ابنه لكنه جاء في اليمين. ومشهد آخر يجعل قبة المسجد في السجادة أسفل قدم الشيخ وهذه الصورة تم توظيفها عن قصد خاصة إذا علمنا أن المخرج هو (يهودي) فهو حتما يكن عداء للفلسطينيين بينما نجد فيلم المملكة لا يحسسك بأنه مصور في السعودية رغم حرص المخرج على التجسيد الواقعي للحدث ومشهد صلاة الجنود العسكريين التي لم تكن متقنة بالشكل اللازم، ومن جهة أخرى اشترك الفيلمين في سوء استعمال وتوظيف اللغة العربية حيث نجدها تميل كل الميل في الفيلمين إلى اللهجة المغربية رغم حرص الممثلين على أن تكون مخارج الحروف بشكل صحيح إلا أن الخلل واضح . فالعربية التي يتكلمونها بلغة ركيكة مصطنعة إلى أبعد الحدود.

18-بغض النظر على أن الفيلمين تعمدا تشويه صورة المسلم في العديد من المشاهد وسرد حقائق مزيفة عن الدين الإسلامي و البيئة الإسلامية ، إلا أن النظر إليهما كمنتوج سينمائي ففيلم الخائن يعد في مجمله فيلم جيد، و أداء الممثلين كان ممتازا ووظف المخرج ديكورا يتناسب مع دور شخصية الممثل الرئيسي في الفيلم، كما أن التنقل بين عواصم العالم المختلفة أضفى تشويقا وغموضا رائعين للفيلم كما وظف موسيقى تصويرية جيدة جدا أما فيلم المملكة فهو فيلم مثير ذو إيقاع مشدود، إضافة إلى حضور العناصر الفنية المكونة للفيلم (من تمثيل ، مونتاج ، إخراج ، ديكور) والتصوير الذي كان في أبو ظبي والإمارات العربية من أجل إعطاء واقعية على الفيلم.

19-يهدف كلا الفيلمين إلى ترسيخ قيم الكره والعداء تجاه المسلمين والعرب من قبل الشعوب الغربية والأمريكية خاصة ،وذلك من خلال الصور التي يمررها الفيلمين والتي تحمل رسائل إيديولوجية من الوزن الثقيل ،خاصة تلك التي تتعلق بتنشئة الأطفال المسلمين على كره ومعادة أمريكا والأمريكيين، وأن المسلمين جميعهم يُكِّنُونَ عداءا وكرها شديدا لكل من يساند إسرائيل وخاصة الأمريكيين، وهذا معناه أن المواطن الأمريكي العادي ليس أمامه إلا أن يكرهنا ويعادينا.

-20فيلمي الخائن والمملكة مثال حي لحقيقة السينما الأمريكية وتعبير عن رؤيتها ،الحاقدة والتضليلية لحقيقة المسلم.
-21تطرق المخرج في فيلم المملكة إلى التنشئة الإسلامية للأطفال حين ركز على أن الأطفال المسلمين ينشئون على العنف والحقد وكراهية أمريكا والشعب الأمريكي وأنهم ينقلون هذا الإرث إلى أبنائهم ؛ فكون أن المسلمين متوحشون وإرهابيون وأن العنف جزء من تكوينهم النفسي و الفكري والعقائدي يدخل كل ذلك في سياق نقل جل هذه القيم وترسيخها في نفوس أبنائهم الذين هم إرهابيون في المستقبل و يستهدفون مشاريع و شعب أمريكا.
-22الفيلم من أجهل ما يكون بالدين الإسلامي و تعاليمه والثقافة الإسلامية، وندرك ذلك من خلال عدة مشاهد...فمثلا تصوير صلاة المسلمين (الحرس) لم تكن متقنة و كذلك الإدعاء في هذا الفيلم بأنه يحرم تماما لمس جثة المسلم من غير المسلم حتى لأغراض الطب الشرعي ! وهي رسالة عن مدى تخلف وبدائية المسلمين.
-23هناك تطاول على المصطفى محمد (صلى الله عليه وسلم) وإن كان قد أتى في سياق التساؤل (في تساؤل والد الضحية (جاكسون) في هل هذا هو ما أراد النبي محمد ؟) فلا يمكن أن نجزم بأنه تطاول لو كان الفيلم منصفا و أتى بما ينفي هذا عن النبي (محمد. (
-24تطرق المخرج في هذا الفيلم إلى طرح صورة عن المسلمين لم يسبق أن تناولتها الأفلام الأمريكية والتي عممها على الفيلم وهي أن العرب المسلمين غير قادرين على حل قضاياهم وهم بحاجة إلى الرجل الأمريكي صاحب المهام الصعبة و الصفات النبيلة.
-25من خلال تحليلنا لفيلمي الخائن والمملكة تبين لنا أن أمريكا لا تحترم الآخر، خاصة المسلم حيث تريد غرس قيم ملؤها التشويه لصورة المسلم باعتباره دموي، حقود، إرهابي يستهدف أرواح الأبرياء، يحبذ العنف على السلام.
-26إن الإساءة للإسلام والمسلمين والعرب ليست وليدة هذا العصر، ولا تعود للرسوم الكاريكاتورية، ولا للكتابات وتحاليل الكتاب والمثقفين، والصحافيين الغربيين أو أفلام هوليوود ومختلف الصناعات الثقافية الإعلامية الغربية، بل المشكلة لها جذور في التاريخ فهوليوود لها "مسلسل " وتاريخ طويل مع تشويه صورة الإسلام والمسلم ،فغالبا ما تقدم هذه الصورة في شخص الماكر والمجرم وزير النساء.
-27كلا الفيلمين يعدان وثيقة مفتوحة على عدة تأويلات وقراءات ممكنة، كل حسب مستوى معارفه.. وإن كانت المعرفة التقنية أساسية.. لأن الصورة يتداخل في تشكيلها: الأدبي (القصة، الحوار...)، المرئي (الضوء، اللون..)،

الفيلمي (المونتاج، المؤثرات البصرية)، المسموع (ضجيج، موسيقى..)، السمعي/ البصري (المزاوجة المنطقية بين الصور والأصوات.(

-28من خلال هذا التحليل نخلص إلى القول أن السينما الأمريكية تفوقت بفضل تكنولوجياتها وإبداعاتها في إنتاجاتها الفيلمية ،من خلال صنع مجدها على حساب الآخرين بالطريقة التي تريد وحينما تريد ،لكن بأية طريقة ؟ خاصة في عصر يؤمن بأن الفائز في هذا القرن هو من يمتلك مفاتيح القوة التكنولوجية والمعلوماتية.

خاتمة الدراسة:

إن ما تقدمه هوليوود من صور متتالية ومستمرة للمسلمين في أفلامها منذ فترة طويلة إلى الآن معناه أن المواطن الغربي وخاصة الأمريكي العادي ليس أمامه إلا أن يكرهنا ويعادينا، وما تفعله هوليوود ضدنا لا يمكن وصفه إلا بأنه فضائح سينمائية، كما أنه تحريف وتشويه للحقائق وافتراءات كاذبة. فقد لعبت الأفلام الأمريكية -خاصة إذا علمنا أن معظم شركات الإنتاج تخضع لسيطرة اللوبي الصهيوني المعادي للإسلام والمسلمين ولما تمتاز به الأفلام الهوليودية من دقة وقدرة فائقة من الناحية الفنية من إخراج وتصوير ....- لعبت دوراً كبيراً في تقديم صورة سلبية عن المسلمين عندما لم يكن هناك مصدر آخر للمعلومات حولهم وحول ثقافتهم، وحيث أنها تشاهد من قبل شريحة عريضة ومتنوعة من الناس في أنحاء العالم؛ فقد ساعدت الأفلام الأمريكية في انتشار هذه الصور النمطية السلبية للمسلمين؛ فصورة العربي المسلم على الشاشة الفضية الهوليودية لن تخرج عن واحدة من هذه الصور النمطية صورة أعرابي من البدو الرحل وبجواره ناقة وخيمة و مُنِحَ له الصحراء الجرداء،أو صورة العربي المنغمس في اللهو والملذات والمجون وتعاطي الخمر، أو صورة العربي المتجرد من الحضارة وآداب السلوك في الطريق العام وفي معاملة الآخرين وفي إتباع آداب الطعام والنظافة، أو صورة المسلم المتطرف المتشدد الذي يسوق خلفه زمرة من الحريم المتشحات بالسواد، أو صورة العربي الأبله المندهش أو المنبهر دائماً بالحضارة الغربية، أما أكثر الصور شيوعاً فهي صورة المسلم الإرهابي المجرم مختطفا لطائرات و الحافلات ومفجر المباني وقاتل الأبرياء، فقد حرصت هوليوود دائماً على أن تضع العربي وخاصة المسلم في قالب ثابت للشر والعنف والتخلف والخيانة والجهل والتطرف و التزمت، وهذا ما لمسناه من خلال تحليلنا لفيلم الخائن والمملكة.

إن المواقف السلبية ضد الإسلام والمسلمين لا يجب أن تواجه بالصمت ولا بالحرق والقتل والتخريب وبغيرها من السبل والطرق التي تخالف الشريعة والمنطق والعقل والقيم والمبادئ الإنسانية وهذا ما يبحث عنه أعداء

الإسلام والمسيئون إليه ؛الإساءة للإسلام وتقديمه للعالم على أساس أنه خطر ودين التخلف والعنف والقتل واستئصال الآخر، يجب أن تواجه بالحوار والنقاش والشرح والتفسير والإيضاح و بإيصال رسالة الإسلام الحقيقية إلى الذين يجهلون الكثير عن هذا الدين العظيم وعن المصطفى خاتم الأنبياء والواقع أن المسؤول عن هذا الجهل بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم هم المسلمون الذين أخفقوا بمحاربة الآخر وإبصاره بحقيقة الإسلام وبعبقرية محمد. هل يعي المسلمون أن الرأي العام الغربي ليس كله معاديا للإسلام ؟ وإنما هناك من يرفضون الإساءة للإسلام والتطاول على الرسول محمد خاتم الأنبياء وهؤلاء هم العقلاء الذين يجب التحاور معهم والعمل معهم من أجل تطهير عقول الشعوب المغلوب على أمرها في الدول الغربية وتخليصها من التلوث الإعلامي والثقافي والفكري وسموم الدعاية والحرب النفسية . فإننا مطالبون أن تكون لنا مواقع في السينما، وفي علم الاجتماع، وفي كل جوانب الحياة فأين السينما العربية الإسلامية؟ وأين مواقعنا على الإنترنت؟.

**هوامــش البحث:**


01. أحمد بن راشد بن سعيّد، قولبة الآخر( قصة التشويه الحضاري والاغتيال الإعلامي للمسلم والعربي )، المكتبة الوطنية ،عمان ،2000، ص ، 47.

02. سعيد بومعيزة ، " الرسائل و المعاني"، المجلة الجزائرية للاتصال، (صادرة عن معهد علوم الإعلام والاتصال عن جامعة الجزائر )، العدد 13 جانفي - جوان – الجزائر، 1996 ، ص، 198.

03. Jaques Aumont، Michel Marie، l’analyse des films، Nathan université، paris 1989، p07.

04. Ibid، p 66.

05. محمود إبراقن، المدخل إلى سيميولوجيا الاتصال، بنغازي، ليبيا، ماي 1995 ص12.

06. فايزة يخلف ، خصوصية الإشهار التلفزيوني الجزائري في ظل الانفتاح الاقتصادي، دراسة تحليلية سيميولوجية، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال ، الجزائر، 2006، ص 8.

07. Michel Marie ,Lecture du film, Paris, Albatros ,1976, p 54.

08. Claude Levi- Strausse, la pensée sauvage , paris ,plon,1962,p 25.

09. J. AUMONT-M.MARIE .OPCIT , p 70.

10. ibid.

11. ibid.

12. محمود ابراقن، مرجع سبق ذكره، ص 18.

13. ج. كولكر ، الفيلم الشكل والثقافة ، دار الفرات، دمشق 2002 ، ص 123.

14. Joly Martine، Introduction à l’analyse de l’image، Nathan université، France، 1994، pp71- 72.

15. محمد أبو نصار وآخرون ، منهجية البحث العلمي ،القواعد والتطبيقات ، دار وائل للطباعة والنشر، عمان ، 1999، الطبعة الثانية، ص، 84.

16. المرجع السابق نفسه، نفس الصفحة.

# العلوم النفسية والتربوية

**دور السيناريوهات البيداغوجية في فعالية إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال.**

**تأثير إدماج موارد رقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية على كفايات الإدراك السمعي لدى تلامذة السنة الأولى ثانوي إعدادي.**

---

**واقع مرشدي التعليم الجامع والتربية الخاصة في مديريات التربية والتعليم الفلسطينية**

**سلوكيات................ وممارسات**

# دور السيناريوهات البيداغوجية في فعالية إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

## تأثير إدماج موارد رقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية على كفايات الإدراك السمعي لدى تلامذة السنة الأولى ثانوي إعدادي.

**إعداد: خنوس محسن** أستاذ الديداكتيك الموسيقية بمركز مهن التربية والتكوين مرشح دكتوراه بكلية علوم التربية الوطنية الرباط

ملخص البحث

يدرس هذا البحث التجريبي الكمي العلاقة بين إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال (ت.إ.إ) انطلاقا من سيناريوهات بيداغوجية في التربية الموسيقية و بين تنمية المعارف الموسيقية وتطوير قدرات الإدراك السمعي الموسيقي عند التلاميذ. وقد اعتمد هذا البحث المنهج التجريبي لقياس تأثير إدماج موارد رقمية في تدريس مجزوءة تعليمية للتربية الموسيقية انطلاقا من سيناريوهات بيداغوجية محددة، حيث أخضعت عينة الدراسة التي تكونت من 829 تلميذة وتلميذا، لاختبار قبلي تضمن في جزءه الأول مجموعة من البنود التي استهدف اختبار مهارات وقدرات الإدراك السمعي الموسيقي المرتبطة بالوحدة التعليمية المقررة بينما استهدف جزءه الثاني تقويم المعارف المرتبطة بنفس المجزوءة لدى تلاميذ العينة. وبعد الانتهاء من الاختبار القبلي قمنا بتوزيع تلاميذ عينة الدراسة بشكل عشوائي على مجموعتين شبه متساويتين: مجموعة ضابطة ضمت 420 تلميذة وتلميذا مجموعة تجريبية

409 ضمت تلميذة وتلميذا. حيث تلق تلاميذ المجموعة التجريبية الوحدة التعليمية بإدماج موارد رقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية فمحددة، في حين تلق تلاميذ المجموعة الضابطة نفس الوحدة التعليمية باستعمال نفس الموارد الرقمية بالطريقة المعتادة التي يوظف فيها الأستاذ بعض الموارد وبدون الاعتماد أي سيناريو بيداغوجي. وقد كشفت الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالات إحصائية سواء فيما يتعلق بنتائج اختبار المعارف أو نتائج اختبار قدرات الإدراك السمعي الموسيقي لتلامذة المجموعتين التجريبية والضابطة قبل البدء في تطبيق تلقين المجزوءة، وهو ما يؤكد أن المجموعتين كانتا متجانستين ومتكافئتين سواء فيما يتعلق بالجانب المعرفي أو فيما يتعلق بقدرات الإدراك السمعي الموسيقي. كما كشفت الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح المجموعة التجريبية التي تلقت المجزوءة التعليمية بإدماج موارد رقمية باعتماد سيناريوهات بيداغوجية محددة. وقد اختتمت الدراسة بإبراز أهم التوصيات والمقترحات التي يمكن من خلالها تحقيق الفائدة المرجوة.

الكلمات المفتاح

**التربية الموسيقية، الموارد الرقمية، السيناريو البيداغوجي،المعارف الموسيقية، قدرات الإدراك السمعي الموسيقي.**

**Résumé de recherche**

Cet article rend compte d'une étude expérimentale entreprise avec 829 élèves issus de trois collèges à trois régions du Maroc, elle avait pour objectif de déterminer si l'efficacité de l'intégration de la technologie de l'information et de la communication (TIC) est influencée par l'utilisation des scénarios pédagogiques (ce que nous pouvons appelée l'intégration réfléchie des tic). Il semble bien qu'elle soit la première (et la seule) recherche au Maroc et au monde arabe concernant l'éducation musicale.
Les élèves ont étaient répartis en deux groupes :
- groupe expérimental constitué de 409 élèves, ayant suivis des cours d'éducation musicale avec leurs professeurs qui ont utilisés des ressources numériques en s'appuyant sur des scénarios pédagogiques,
- groupe témoin constitué de 420 élèves, ayant suivis les mêmes cours d'éducation musicale avec les mêmes professeurs mais en utilisant des ressources numériques (d'une manière non réfléchie) sans s'appuyé sur des scénarios pédagogiques.
Au début de l'expérimentation les élèves des deux groupes ont subis un pre-test dont les résultats n'ont révélés aucune différence dans les performances musicales entre les élèves du groupe témoin et celles des élèves du groupe expérimental.
Tandis que, les résultats du post test ont montré que les écarts observés dans les performances entre les élèves des deux groupes sont significatifs sur le plan de l'acquisition des connaissances musicale et les capacités de perception auditive musicale en faveur des élèves du groupe expérimental.
**Mots clés** : Education musicale, ressources numériques, scénarios pédagogiques, connaissances musicales, capacités de perception auditive musicales.

## 1- مبررات اختيار البحث وتحديد مجال دراسته.

لقد شكل البحث الذي أنجزته بكلية علم النفس وعلوم التربية بجامعة بروكسيل سنة 2001 للحصول على دبلوم الدراسات العليا المتخصصة في الإعلاميات المطبقة في التربية الموسيقية فرصة للتعرف على علم النفس المعرفي الموسيقي La psychologie cognitive de la musique باعتباره حقل معرفي جديد وعلى بعض النماذج لتطبيق الإعلاميات في تدريسية التربية الموسيقية، ليتزايد بعد ذلك اهتمامنا بالإشكاليات التي تهتم من جهة بميكانيزمات الإدراك السمعي التي تفسر كيفية تمكن الدماغ من تخزين ومعالجة الظواهر الصوتية، ومن جهة أخرى بمدى تأثير تكنولوجيا الإعلام والاتصال على التعلمات وعلى المواقف في حصص التربية الموسيقية. وقد خلق لدي هذا الاهتمام نوع من الفضول والرغبة في استكشاف ورصد الصعوبات والإكراهات التي تعترض تدريسية التربية الموسيقية والبحث عن حلول لها. وهكذا وانطلاقا من مهامنا المرتبطة بتكوين و تأطير طلبة وأساتذة التربية الموسيقية وبمصاحبتهم في الوضعيات المهنية لتحليل ممارساتهم التعليمية ورصد واقع التعلمات داخل الفصول الدراسية، قمنا ببلورة إشكالية لهذا البحث تتميز بالمزاوجة بين إشكالات الإدراك السمعي لدى المتعلم وإشكالات إدماج (ت.إ.إ) في تدريسية التربية الموسيقية، علما أن هناك العديد من البحوث والدراسات التي سلطت الضوء على هذه الإشكالات بشكل منفصل، لكن وفي حدود علمنا، يعتبر هذا البحث الأول من نوعه على الصعيد العربي الذي يتميز بتركيزه المزدوج على بعدين في آن واحد:

- البعد الديداكتيكي والمنهجي للاستماع والإدراك الموسيقي؛
- البعد البيداغوجي التجديدي الداعي إلى إدماج (ت.إ.إ) في تدريسية التربية الموسيقية.

## 2- أهداف البحث وأهميته

يستمد هذا البحث أهميته من فكرة أساسية مفادها أن: تكنولوجيا الإعلام والاتصال لا يمكن أن تجلب قيمة مضافة وتؤدي إلى الرفع من التعلمات إلا إذا تم إدماجها وفق سيناريوهات بيداغوجية فعالة تستمد مرجعيتها من الأسس

البيداغوجية النشيطة التي تتمركز حول المتعلم ومن المرتكزات الديداكتيكية الخاصة بتدريس مادة معينة. وتتحدد أهداف هذا البحث في:

- الدفع بالممارسة التعليمية في مجال التربية الموسيقية لتكون أكثر تطابقا وتناغما مع التوجيهات التربوية للمادة؛
- تقديم نموذج لمرجعية منهجية في الاستماع والتذوق الموسيقي للمساهمة في سد الخصاص في هذا المجال؛
- يساهم في تغيير تمثلات ومواقف المدرسين وينمي الاتجاهات الإيجابية نحو إدماج (ت.إ.إ) في الممارسات التعليمية ويحفزهم على التجديد ؛
- قياس مدى تأثير السيناريوهات البيداغوجية على فعالية إدماج الموارد الرقمية في التحصيل الدراسي والمهارات المتعلقة بالإدراك السمعي الموسيقي؛
- الإسهام في تغطية النقص الناتج عن ندرة الأبحاث العربية التي تناولت مادة التربية الموسيقية عموما (ت.إ.إ) في التربية الموسيقية على وجه الخصوص.

## 3- الإطار النظري

تعتبر الموسيقى أداة للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر التي تجوب خوالج المبدع، فهي ليست مجرد أصوات تعزف أو تغنى أو تُسمع، وإنما هي شكل من أشكال التعبير الذي يجمع بين العلم والفن، ويعكس تاريخ وفكر الأمم وثقافاتها وحضاراتها، وهي أيضا لغة كونية تغذي الروح بواسطة قدرتها السحرية التي تمكنها من التأثير على أحاسيس ووجدان الإنسان والحيوان وحتى النبات. وهذا ما جعلها تتبوأ مكانة خاصة في تربية النشء على مدى العصور، فقد اهتمت الحضارة اليونانية القديمة بالموسيقى وجعلتها أداة من أدوات التربية، فالحكمة اليونانية تقول **"التربية البدنية لتربية الجسم والموسيقى لتربية الروح"**. وفي السنوات الأخيرة توصلت مجموعة من الدراسات إلى كون التربية الموسيقية تأثر إيجابيا وتنمي مهارات متعددة لدى الأطفال (باتيان Batian, H.G. 1998) و (ماك كيري Mc Curry, 2003) و (أديرلي و كنيدي و بيرز Adderley, C., Kennedy, M. et Berz, W. 2003) و (أولسون Olson, 2009. ).

**فما هي فوائد التربية الموسيقية على الأطفال ؟ وما هي المهارات التي تنميها لديهم؟**

أظهرت مجموعة من الدراسات الحديثة التي اهتمت بدراسة تأثيرات الممارسة الموسيقية في المدارس أن التربية الموسيقية تساهم في تنمية العديد من المهارات لدى المتعلمين من بينها:

**- المهارات المنهجية:** حيث بينت نتائج الدراسات التي قام بها كل من (هيكاي و ويبستر Hickey et Webster 2001 ) و ( أولسون Olson, C.A. 2009 ) أن الاستماع والتذوق الموسيقي ينمي لدى المتعلمين مجموعة من المهارات المنهجية كالحس النقدي والقدرة على التحليل واستخراج العناصر المكونة للعمل، وتنمية ملكة التفكير الإبداعي والخيال والتركيز والقدرة على توجيه الاستماع إلى عنصر معين وتمييزه من باقي العناصر الموسيقية الأخرى المكونة للعمل الموسيقي (البوليفونية).
**- المهارات الاجتماعية:** توصل كل من (يوون Yoon 2000 ) و (باتيان 1998 Batian) و (كوكوتساكي و هالام Kokotsaki, D. et Hallam, S. 2007.)، من خلال الدراسات التي قاموا بها، أن الأنشطة الجماعية التي يقوم بها المتعلم(ة) في إطار التربية الموسيقية تنمي مجموعة من المواقف الاجتماعية كالتحلي بروح الفريق والإحساس بالانتماء إلى الجماعة والثقة في النفس وتحد من ظواهر العنف والسلوك العدواني، لأنها تتطلب التعاون والتنسيق وتوزيع الأدوار واحترام الضوابط والتعليمات المكتوبة بالمدونة الموسيقية.
**- المهارات الرياضية:** أظهرت نتائج مجموعة من الدراسات إلى أنا الاستماع إلى الموسيقى يؤدي إلى تنمية الذكاء الفضائي والمكاني، ففيى الدراسة التي اشتهرت ب "تأثير موزارت **Effet Mozart**" والتي أجرتها الدكتورة (فرانسيس روشي 1993 **Frances H. Rauscher** ) من جامعة كاليفورنيا في ارفين .مع فريقها، لاحظت أن 36 طالبا جامعيا يدرسون علم النفس تمكنوا من الحصول على **8** أو **9** نقط أعلى عند اجتيازهم اختبار حاصل الذكاء المكاني أو الفضائي **( Q.I Spatial )** بعد الاستماع لمدة 10 دقائق، لسوناتة للبيانو في مقام الري الكبير، **K.448**، لموزارت. ليتوصل فريق الدكتورة روشي إلى وجود علاقة بين الاستماع للموسيقى وتذوقها ومهارات التفكير المنطقي المكاني . وفي نفس السياق توصل هاتلاند Hetland, L. 2000 من خلال تجربة أجراها مع 701 طفلا تتراوح أعمارهم بين 3 و12 سنة إلى وجود علاقة دائمة بين تعلم الموسيقى والمهارات المرتبطة بإنجاز عمليات ذهنية معقدة كإعادة بناء هياكل ثنائية وثلاثية الأبعاد.

**- المهارات اللغوية:** من أهم البحوث التي اهتمت بدراسة العلاقة بين ممارسة الموسيقى وتنمية القدرات اللغوية، نشير إلى البحث التجريبي الذي أنجزه كل من (ستاندلي و هوغس Standly et Hugges 1997 ) حيث قاما باختبار تأثير برنامج للتداريب الموسيقية على

تطوير قدرات التعبير الكتابي لدى عينة من 24 تلميذا، فبينت النتائج أن تلاميذ المجموعة التجريبية حصلوا على متوسطات أعلى من تلاميذ المجموعة الضابطة الشيء الذي يثبت وجود تأثير للبرنامج الموسيقي التجريبي الذي تلقوه على تحصيلهم الدراسي في اللغات.
وفي سنة 2007 وباستلهام من الدراسة السابقة قام مجموعة من الباحثين (روجيستر، دارو، ستاندليو سويدبرغ Register, Darrow, Standley et Swedberg 2007 ) بدراسة أثر برنامج موسيقي مكثف على قدرات القراءة لدى تلامذة فصل دراسي من مستوى السنة الثانية إعدادي، حيث تلق هؤلاء التلاميذ نفس البرنامج الدراسي في القراءة مع تلامذة مجموعة ضابطة، بالإضافة إلى برنامج موسيقي مكثف ، تنوعت أنشطته بين الاستماع إلى مقاطع موسيقية والغناء وبعض التمارين الإيقاعية، حيث خلصت نتائج الاختبارات القبلية والبعدية أن معدلات تلامذة المجموعة التجريبية عرفت تحسنا ملحوظا مقارنة بمعدلات تلامذة المجموعة الضابطة.
من المؤكد أن نتائج هذه الدراسات تدعم مكانة التربية الموسيقية في المنظومات التربوية كمادة أساسية تلعب دورا هاما في بناء شخصية الطفل وإيقاظ حواسه وتنمية حسه الجمالي وملكاته الإبداعية، لكن تحقيق هذه الأهداف يبقى رهينا، كما في باقي المواد الأخرى، بطبيعة البرامج المقررة وبالمنهجيات المعتمدة في تدريسها. لذا كان من الطبيعي أن نتساءل عن طبيعة البرامج التي يستفيد منها التلميذ المغربي، وعن المنهجية أو المنهجيات التي تؤطر حصص للتربية الموسيقية في المدرسة المغربية.ومن المعلوم أن الحديث عن برامج وطرائق التدريس يتطلب ربطا بالسياق الذي تم فيه إعداد هذه البرامج.
**فما هو المسار الذي مرت منه مادة التربية الموسيقية بالمغرب ؟ وما هي الخلفيات التي أطرت لإعداد مختلف برامجها ؟**
أدمجت مادة التربية الموسيقية في المقررات الدراسية بالدول الغربية (فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، ...) منذ قرون، في حين تم إدماجها بالدول العربية (مصر، العراق، سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين، تونس، الجزائر،...) منذ منتصف القرن الماضي، بينما بقيت التربية الموسيقية بعيدة عن المقررات الدراسية بالمغرب إلى حدود سنة 1995.وقد مر مسار التربية الموسيقية بالمغرب من مرحلتين.

**4- مرحلة (1993 – 2009): تميزت بالخلط بين مفهوم التربية الموسيقية و مفهوم التعليم الموسيقي.**

عرفت سنة 1993 انطلاق تكوين أول فوج لأساتذة التربية الموسيقية بالمركز التربوي الجهوي بالرباط لتتبعها عملية إرساء مادة التربية الموسيقية في سنة 1995 بعشرين إعدادية موزعة على مختلف النيابات، وهكذا توالت عملية تكوين الطلبة الأساتذة في أفواج تراوحت أعدادها ما بين 15 و 106 طالبا وطالبة حسب المناصب المالية التي كان تخصصها الوزارة بناء على قناعة مسؤوليها بأهمية المادة. وللأسف أخطأت الانطلاقة مسارها الصحيح بسبب الخلط بين التربية الموسيقية وبين التعليم الموسيقي، وهو ما كانت له تداعيات على أهداف المادة وبرامجها بشكل عام. فالتصور العام الذي كان سائدا، مع

بداية انطلاق تدريس التربية الموسيقية، كان يركز على تمكين التلاميذ من قراءة الموسيقى وتدوينها عبر التعرف على أدوات الكتابة الموسيقية. وقد وقع هذا الخلط بين المفاهيم كنتيجة طبيعية لكون الأطر التي أشرفت على إرساء المادة بمنظومتنا التربوية كانوا أطرا بوزارة الثقافة ومارسوا التدريس بالمعاهد الموسيقية ولم تكن لهم خبرة بالتربية الموسيقية. ووفق هذا السياق، تم بناء برنامج للمادة أصدرته وزارة التربية الوطنية في 1995 انطلاقا من هذا التصور النظري وتم تصميمه وفق برنامج مادة الصولفيج الذي يدرس بالمعاهد الموسيقية، حيث تمت مفصلته إلى ثلاث وحدات وهي:

- وحدة النظريات الموسيقية (اللغة الموسيقية).
- وحدة القراءة الصولفائية الفورية و الغناء (تربية الصوت).
- وحدة التحليل وتاريخ الموسيقى (الثقافة الموسيقية).

أما نموذج التدريس الذي كان سائدا في معظم المؤسسات فهو النموذج الإلقائي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى (طبيعة البرنامج و طبيعة التكوين الأساس وإلى انعدام التكوين المستمر وأيضا ظروف العمل وانعدام الوسائل التعليمية إضافة إلى انعدام ممارسات جيدة **les bonnes pratiques** في تدريس التربية الموسيقية ببلادنا يمكن الاستلهام والاقتباس منها،...).
وعلى العموم يمكن القول بأن برنامج التربية الموسيقية (1995) كان يرمي إلى تكوين تلاميذ ملمين بالقواعد والنظريات الموسيقية وقادرين على قراءة وكتابة المدونات، وهذا ما جعله أكثر ملائمة لبرامج المعاهد الموسيقية وبعيدا كل البعد عن أهداف ورهاناته التربية الموسيقية بمفهومها الحديث.

**ب. مرحلة ( 2009 إلى اليوم): التي عرفت تجديدا للمنهاج دون أن يوازيه تغيير في الممارسات التعليمية.**

بعد توالي الدعوات، من طرف زمرة من المهتمين بالمادة الذين انتبهوا إلى ضرورة إصلاح منهاج وبرنامج المادة وفق تصور جديد، تم إصدار توجيهات تربوية جديدة للمادة في غشت 2009 تحث على :
- اعتماد مدخل الكفايات في تدريس المادة؛
- الاشتغال على المكونات الأربع للتربية الموسيقية وهي: الغناء والإنشاد التربوي، الاستماع والتذوق الموسيقي، الممارسة الإيقاعية والآلية، الإبداع والابتكار الموسيقي؛
- جعل المكونات والأنشطة التعليمية التي تبرمج على امتداد مجموعة من الحصص تتمحور حول "موضوع رئيسي **Thème** "؛
- الانطلاق من مكوني الغناء أو الاستماع والتذوق الموسيقي باعتبارهما مدخلين أساسين لبناء التعلمات والمفاهيم الموسيقية؛
- إدماج الوسائل التكنولوجيا الحديثة في إعداد الوسائط الديداكتيكية وفي تدريس المادة؛

لكن وفي المقابل، ، وبسبب غياب دورات ولقاءات تكوينية حول تفعيل المنهاج الجديد، حافظت الممارسات التعليمية في حصص التربية الموسيقية على معالمها و استمرت في تكريس نفس المقاربات واجترار نفس السيناريوهات وضل الدرس النظري هو النموذج الطاغي على أغلبية الحصص لتستمر معه الاختبارات الكتابية الاستظهارية كوسيلة وحيدة لتقويم تحقق أهداف التربية الموسيقية.

### 1-3 مشكلة البحث وأسئلته

تبلورت إشكالية هذا البحث انطلاقا من الملاحظات التي استقيناها من:

- نتائج البروتوكول الاستكشافي الذي أنجزناه في بداية 2012 تمهيدا للتجريب الميداني، والذي شمل 87 أستاذة وأستاذة وهو ما يعادل حوالي **%** 13 من مجموع أساتذة التربية الموسيقية ببلادنا، حيث أبانت أداة الاستبيان المستعملة أن حوالي **%**87 من المدرسين يعتمدون على الدرس النظري في حصصهم وإن كانت تمثلات معظمهم إزاء مفهوم التربية الموسيقية قد تغيرت.
- رصد الممارسات التعليمية، من خلال النزول إلى الميدان، والذي أبان لنا عن غياب منهجية واضحة لتدريس مكونات التربية الموسيقية، وأن معظم الحصص تقتصر على تلقين أغنية والتطرق إلى المعارف النظرية في غياب شبه تام لمكون الاستماع والتذوق الموسيقي، وهو ما أكدته نتائج الدراسة التي قام بها الأستاذ محمد أمين عمري في إطار بحثه لنيل دبلوم مفتش سنة 2010 .
- تحليل محتوى الكتب المدرسية المقررة والذي كشف عن غياب منهجية ورؤية ديداكتيكية واضحة لتدريس مكونات التربية الموسيقية، وعن خلط في المفاهيم بين الكفايات والأهداف، وعن غياب إرفاق هذه الكتب بأقراص صوتية تحتوي على النماذج المقترحة فيها سواء للاستماع أو الغناء. كما كشف التحليل عن استمرار هيمنة المحتويات على الأنشطة التعلمية، وتتقاطع هذه الملاحظات مع ما توصلت إليه الدراسة التقويمية للكتب المدرسية التي قام بها الطالب الباحث عبد القهار الحجاري، سنة .2012
- واقع إدماج(ت.إ.إ) في تدريس التربية الموسيقية، حيث كشفت نتائج البروتوكول الاستكشافي السابق أن حوالي % 80 من الأساتذة الذين شملتهم الدراسة لا يستعملون (ت.إ.إ) في ممارستهم التعليمية، علما أن حوالي % 45 من مجموع أساتذة العينة يستعملونها في حياتهم الموسيقية الشخصية سواء في كتابة المدونات الموسيقية أو تسجيل الأغاني والألحان أو في التوزيع الموسيقي ومعالجة الأصوات. وقد لاحظنا من خلال رصد الممارسات التعليمية أن الحالات القليلة التي استعملت فيها (ت.إ.إ) في تدريس التربية الموسيقية تمت بدون

الاستناد إلى تصور ديداكتيكي واضح يؤطر أهداف التعلم ويحدد كيفية هذا الاستعمال وأزمنته ويوضح أنشطة المتعلم(ة) ويجعله في صلب العملية التعلمية.
وعموما تبقى الممارسة التعليمية السائدة في حصص التربية الموسيقية متسمة باستحواذ النموذج الإلقائي وبالاقتصار على الكتاب المدرسي كمرجع وحيد وكدعامة لتمرير المعارف في غياب الاستثمار الأمثل للإمكانيات التي تمنحها (ت.إ.إ ) والذي يتم تحقيقه بواسطة التوظيف المعقلن والاستعمال المتبصر للوسائل التكنولوجية، عبر الانطلاق من تصور بيداغوجي واضح يتم فيه استغلال الأداة التكنولوجية كوسيلة وكواسطة ديداكتيكية لها قيمتها المضافة في بلوغ الأهداف وتحسين التعلمات وليست كغاية في حد ذاتها.

ومن أجل تقليص الهوة الشاسعة بين المنهاج الرسمي المتضمن للتصورات والتطلعات المستمدة من المستجدات البيداغوجية والديداكتيكية الداعية لإدماج (ت.إ.إ) في تدبير دروس التربية الموسيقية، وبين المنهاج الفعلي الذي يجسد واقع الممارسات التعلمية داخل الفصول الدراسية. وفي محاولة لتقديم نموذج ديداكتيكي يساهم في تحسين وتجديد الممارسات التعليمية لأساتذة التربية الموسيقية، قمنا بصياغة السؤال المركزي لإشكالية هذا البحث على النحو التالي:
**هل تلعب السيناريوهات البيداغوجية دورا حاسما في نجاعة وفعالية إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في درس التربية الموسيقية؟** وبمعنى أدق:
**هل إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في تدريس وحدة تعليمية تم التخطيط لها انطلاقا من مرجعية منهجية تستحضر نظريات علم النفس المعرفي الموسيقي والأسس الإبستيمولوجية والديداكتيكية للإدراك السمعي، يؤثر على كفايات الإدراك السمعي الموسيقي لدى التلاميذ؟**
وللتمكن من مقاربة هذا السؤال المركزي قمنا بتفريعه إلى الأسئلة الفرعية التالية:

- كيف يمكن تخطيط سيناريوهات بيداغوجية بالارتكاز على مرجعية منهجية للاستماع والتذوق الموسيقي؟
- وهل هناك علاقة بين إدماج الموارد الرقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية في تدريس مادة التربية الموسيقية وبين اكتساب المعارف الموسيقية من طرف المتعلمين؟
- وهل هناك علاقة بين إدماج هذه الموارد الرقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية في تدريس مادة التربية الموسيقية وبين تنمية قدرات الإدراك السمعي الموسيقي لدى المتعلمين؟

**2-3 فرضيات البحث**

بهدف تحديد خيط ناظم وموجه يؤطر ويقنن مختلف مراحل إنجاز هذا البحث، وانطلاقا من الإشكالية التي يضعها والأسئلة التي يطرحها، قمنا بصياغة فرضيات البحث على الشكل التالي:

- **الفرضية المركزية :** إن إدماج موارد رقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية مبنية على مرجعية منهجية للإدراك السمعي يؤدي إلى الزيادة في اكتساب المعارف الموسيقية وينمي قدرات الإدراك السمعي عند المتعلمين والمتعلمات.

- **الفرضيات الفرعية**

✓ **الفرضية الأولى:** يوجد فرق دال إحصائيًّا عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات تحصيل المعارف بين تلامذة أفراد العينة التجريبية التي تلقت وحدة تعليمية في التربية الموسيقية **بإدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال وفق سيناريوهات بيداغوجية مبنية على مرجعية منهجية للإدراك السمعي** وبين أفراد المجموعة الضابطة التي تلقت نفس الوحدة التعليمية **باستعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال بالطريقة المعتادة.**

✓ **الفرضية الثانية:** يوجد فرق دال إحصائيًّا بين متوسطي درجات الإدراك السمعي الموسيقي بين تلامذة أفراد العينة التجريبية التي تلقت وحدة تعليمية في التربية الموسيقية **بإدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال وفق سيناريوهات بيداغوجية مبنية على مرجعية منهجية للإدراك السمعي** وبين أفراد المجموعة الضابطة التي تلقت نفس الوحدة التعليمية **باستعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال بالطريقة المعتادة.**

**4- المفاهيم الإجرائية للبحث**

**قدرات الإدراك السمعي الموسيقي:** تشير العديد من المرجعيات الأدبية الحديثة بأن مصطلح الإدراك السمعي بدأ يتوارى ليفسح المجال لمصطلح جديد هو "معالجة المعلومات عن طريق السمع"، ومن هذا المنطلق فإن قدرات الإدراك السمعي الموسيقي هي مجموعة من القدرات والمرتبطة بمعالجة معلومات صوتية. ويمكن تصنيفها إلى:

1- القدرة على الكشف عن المهيج الصوتي la echerché d'un stimulus sonore: وهي اللحظة التي تستقبل فيها الأذن مهيجا صوتيا، فيحس الشخص بهذا المهيج ويحدث السمع.

2- القدرة على التحديد أو المطابقة: l'identification : وهي قدرة الدماغ على القيام بمقارنة بين مقطع موسيقي وبين نموذج صوتي آخر مخزن بالذاكرة، وتجدر الإشارة إلى أن الذاكرة الموسيقية تشكل قاموسا داخليا يتم

إغناؤه وتغذيته بالاستماع للموسيقى، ومن بين الأمثلة على ذلك: القدرة على التعرف على آلة موسيقية أو إيقاع موسيقي أو لحن موسيقي سبق الاستماع إليهم.

3- القدرة على التمييز la discrimination: هي القدرة على مقارنة مقطعين عن طريق البحث عن الخصائص المتقاربة أو المتباعدة بينهما، ومن بين الأمثلة على ذلك: القدرة على تصنيف آلات موسيقية أو مقارنة إيقاعات موسيقية من ناحية (السرعة، الوزن، عدد الأزمنة، ...) أو مقارنة لحنين موسيقيين من ناحية (المقام الموسيقي الموظف، السرعة، الخط اللحني، التعبير الموسيقي، ...).

4- القدرة على التقدير أو التقييم l'estimation : يمكن أن يأخذ عدة أشكال وذو طبيعة مختلفة:

- القدرة على التقييم انطلاقا مما يخلفه الاستماع إلى مقطع موسيقي من تأثير نفسي أو عاطفي على الشخص.

- القدرة على التقييم أو الحكم الموضوعي بعيدا عن الذاتية وانطلاقا من العناصر الموسيقية (آلات، بنية، قوالب، ...) الموظفة في المقطع.

- القدرة على التقييم أو الحكم النمطي سواء بالاعتماد على معايير ذاتية وشخصية أو بمرجعية الضوابط الثقافية.

- القدرة على التقييم أو الحكم على المعنى: بواسطة الربط بين ما هو موسيقي بمحتويات أخرى غير موسيقية (كربط الموسيقى بالصورة كما هو الحال في السينما أو ربط الموسيقى بالنص كما هو الحال في الأوبرا أو المسرح) وهو ما يدخل في إطار الموسيقى التصويرية أو الموسيقى الوصفية.

**المعارف الموسيقية:** يعرف الصباغ المعارف على أنها "مصطلح يستخدم لوصف فهم أي منا للحقيقة". والمعرفة ''اسم مشتق من الفعل'' يعرف '' وتشير إلى القدرة على التمييز أو الملائمة و الإحاطة بالشيء، والعلم به. وهي أشمل وأوسع من العلم، لأنها تشمل كل الرصيد الواسع والهائل من المعارف والعلوم والمعلومات التي استطاع الإنسان-باعتباره كائن يفكر بالعقل-أن يجمعه عبر مراحل التاريخ الإنساني الطويل بحواسه وفكره وعقله . وبذلك تكون المعارف الموسيقية هي كل المعلومات والقواعد والنظريات والأسماء والأحداث والمصطلحات والرموز والتواريخ ... المرتبطة بمجال الموسيقى والتي تكتسب عن طريق الحواس و/أو التأمل و/أو التجربة.

**السيناريو البيداغوجي**: يشير روبير بيبو R. BIBEAU (2004) إلى أن السيناريو البيداغوجي يقدم نشاط تعليمي يستحضر استعمال (الانترنت، أو الوثائق المطبوعة أو السمعية البصرية أو المتعددة الوسائط) ، يعده المدرس لتأطير تعلمات تلامذته قبل وأثناء وبعد الحصة ويكون مصحوبا بجذاذة للتقويم الذاتي والتقويم وتدبير الوضعيات والموارد الديداكتيكي. وعموما فإن السيناريو البيداغوجي هو تخطيط مهيكل ومنظم ومعقلن يكتب بدقة في مرحلة التهيئة للدرس التي تسبق تدبير الدرس، يستحضر فيها المدرس(ة) جميع الشروط الابستمولوجية والديداكتيكية والبيداغوجية لتدبير الوضعيات التعلمية والمستجدات التكنوبيداغجية المتعلقة بإدماج (ت.إ.إ) في التربية، لتوفير الظروف والشروط المواتية التي تساعد المتعلم(ة) على التعلم، بهدف الرفع من جودة الممارسة التعليمية وتفادي الارتجال والعشوائية اللذان يحولان دون بلوغ تحقيق الأهداف التعلمية ويؤديان إلى نتائج عكسية.

**الموارد الرقمية**: الرقمنة أو التحويل الرقمي (digitization) هو عملية تحويل المعطيات إلى صيغة رقمية (تعتمد نظام ثنائي 1 و 0) بهدف معالجتها بواسطة الحاسب الآلي." ومعلوم أن المعطيات يمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة (نصوص، صور ورسومات متحركة أو ثابثة، مقاطع فيديو، جداول، مقاطع صوتية.

حسب روبير بيبو BIBEAU (2005) فإن الموارد الرقمية في التربية هي مجموع خدمات الإنترنت، وبرانم التدبير، والنشر، والاتصال (بوابات، برانم، محركات البحث، تطبيقات تربوية، حقيبة مستندات(“portfolios“ ، وكذلك المعطيات (الإحصائية والجغرافية والاجتماعية والديموغرافية...)، والمواد الإخبارية (مقالات صحفية، برامج متلفزة، مقاطع صوتية . . .)، إضافة إلى المؤلفات الرقمية (وثائق مرجعية عامة، مؤلفات أدبية، فنية أو تربوية) المفيدة للمدرس، أو المتعلم في إطار نشاط تعليمي/تعلمي، أو مشروع توظف فيهما تكنولوجيا المعلومات والاتصال، ويمكن تقديمهما ضمن سيناريو بيداغوجي.

## 5- منهجية البحث وإجراءاته

تعتمد هذه الدراسة المنهج التجريبي. وبالنسبة لمتغيرات الدراسة فستكون على النحو التالي:

**المتغير المستقل:** استخدام الموارد الرقمية وفق سيناريو بيداغوجي في تدريسية المجزوءة التعليمية.

أما **المتغيرات التابعة** فهي: اكتساب المعارف؛ تنمية قدرات الإدراك السمعي الموسيقي ؛
وقد تم التخطيط والتصميم للدراسة وفق الجدول التالي:

**جدول رقم 1 يوضح تصميم الدراسة**

| المتغيرات المستهدفة | مجموعات ضابطة | مجموعات تجريبية |
|---|---|---|
| • **اكتساب المعارف.**<br>• **قدرات الإدراك السمعي الموسيقي.** | **اختبار قبلي** لتقويم المعارف وقدرات الإدراك السمعي المرتبطة **بالوحدة التعليمية** المقررة. | **اختبار قبلي** لتقويم المعارف وقدرات الإدراك السمعي المرتبطة **بالوحدة التعليمية** المقررة. |
| | **تلقت الوحدة التعليمية حول (الآلات الموسيقية والمجموعات االآلية)** من طرف أستاذها **باستعمال موارد رقمية** بدون الاعتماد على سيناريو بيداغوجي. | **تلقت نفس الوحدة التعليمية (الآلات الموسيقية والمجموعات االآلية)** من طرف **نفس الأستاذ وبإدماج نفس الموارد الرقمية** لكن وفق سيناريو بيداغوجي. |

## 1-5 – أدوات الدراسة

تتكون أدوات الدراسة من:
- **وحدة تعليمية** (الآلات الموسيقية والمجموعات الآلية) المقررة في برنامج السنة الأولى من مادة التربية الموسيقية للتعليم الثانوي الإعدادي.
- **دليل الأستاذ(ة) الخاص بتدبير دروس الوحدة التعليمية** وتحتوي على:

الموارد: (المعارف و القدرات) المستهدفة في المجزوءة التعليمية ؛
الأهداف التعليمية ؛ مراحل تدبير الدرس ؛ أنشطة الأستاذ(ة) ؛ أنشطة المتعلم(ة) ؛ الوسائل الديداكتيكية ؛
أنشطة التقويم والدعم.
**موارد رقمية مكونة من:**

- برنام متعدد الوسائط يحتوي على مقاطع فيديو ومقاطع صوتية مرتبة ومصنفة حسب تصميم معين يمكن الولوج إليها انطلاقا من قائمة المحتويات ويحتوي أيضا على أزرار تمكن المتصفح من الإبحار داخل هذا البرنام؛
- كراسة التلميذ تحتوي على مجموعة من الصور والجداول والنصوص والتمارين المرتبة بطريقة منسجمة مع البرنام المتعدد الوسائط لتمكين المتعلم(ة) من بناء تعلماته وتقويمها.
- **الاختبار القبلي:** وهو عبارة عن اختبار ينقسم إلى:

جزء كتابي يحتوي على مجموعة من الأسئلة تستهدف تقويم المعارف القبلية المرتبطة بوحدة (الآلات الموسيقية والمجموعات الآلية) لدى المتعلم(ة)؛

جزء عملي يستهدف تقويم قدرات ومهارات الإدراك السمعي القبلية والمرتبطة بوحدة (الآلات الموسيقية والمجموعات الآلية) لدى المتعلم(ة)؛

- **الاختبار البعدي:** وهو عبارة عن اختبار ينقسم إلى:
- جزء كتابي يحتوي على مجموعة من الأسئلة تستهدف تقويم المعارف المرتبطة بوحدة (الآلات الموسيقية والمجموعات الآلية) لدى المتعلم(ة)؛

جزء عملي يستهدف تقويم قدرات ومهارات الإدراك السمعي المرتبطة بوحدة (الآلات الموسيقية والمجموعات الآلية) لدى المتعلم(ة)؛

**2-5- عينة البحث**

تكونت عينة البحث من 829 تلميذة وتلميذا ينتمون لثلاث نيابات وهي نيابة سيدي البرنوصي ونيابة المحمدية ونيابة العرائش. وقد تم توزيعهم إلى مجموعتين (ضابطة وتجريبية) على الشكل التالي:

**جدول رقم 1 يمثل توزيع التلاميذ حسب النيابات وحسب المجموعات**

| النيابة الإقليمية | الثانوية الإعدادية | عدد الفصول | عدد تلامذة المجموعة الضابطة | عدد تلامذة المجموعة التجريبية |
|---|---|---|---|---|
| سيدي البرنوصي | طارق | 10 | 174 | 181 |
| المحمدية | علال بن عبد الله | 6 | 118 | 111 |
| العرائش | وادي المخازن | 7 | 128 | 117 |
| مجموع أفراد العينة | | 23 | 420 | 409 |

**4- عرض أهم النتائج والخلاصات التي توصل إليها البحث**

بعد إنجاز التجريب الميداني وتجميع النتائج المتوصل إليها، قمنا بمعالجتها إحصائيا باستعمال البرنام الأكثر استعمالا في مجال التحليل الإحصائي وهو برنام SPSS ، لتمكن من دراسة وتمحيص الفرضيات. وقد استطعنا بفضل

استعمال هذا البرنام من قياس مجموعة من القيم الإحصائية والتوصل إلى مجموعة من الدلالات بفضل مقارنة المعدلات المحصل عليها في أداء المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية سواء في الروائز التي استهدفت تقييم المكتسبات المعرفية للمتعلمين أو تلك التي استهدفت تقييم قدراتهم ومهاراتهم المتعلقة بالإدراك السمعي الموسيقي. وسنعمل في الفقرات الموالية على استعراض هذه النتائج ثم التعليق بشكل مفصل.

**1-6- النتائج المتعلقة بالإجابة على فرضيات البحث**
**الفرضية الأولى**

- يوجد فرق دال إحصائيًّا عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات تحصيل المعارف بين تلامذة أفراد العينة التجريبية التي تلقت وحدة تعليمية في التربية الموسيقية **بإدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال وفق سيناريوهات بيداغوجية مبنية على مرجعية منهجية للإدراك السمعي** وبين أفراد المجموعة الضابطة التي تلقت نفس الوحدة التعليمية **باستعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال بالطريقة المعتادة.**

من أجل ذلك قمنا بحساب اختبارات T-test لحساب الفروق بين الاختبار القبلي والبعدي لتقويم المعارف بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية، وإيجاد المتوسطات والانحرافات المعيارية. وفيما يلي جدول يوضح تلك الفروق.

**جدول رقم 2** يوضح نتائج المجموعتين الضابطة والتجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي لتقويم اكتساب المعارف.

| | نوع المجموعة | عدد التلاميذ | المتوسط | الانحراف المعياري | قيمة ت | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الاختبار القبلي | ضابطة | 420 | 5,38 | 4,17 | ,9490 | ,3430 |
| | تجريبية | 409 | 5,66 | 4,36 | | |
| الاختبار البعدي | ضابطة | 420 | 9,00 | 4,98 | 18,679 | 0.000 |
| | تجريبية | 409 | 15,58 | 5,15 | | |

نلاحظ من خلال الجدول رقم 2 وجود فوارق في المتوسطات الحسابية حيث بلغ متوسط أداء تلامذة العينة التجريبية في الاختبار القبلي الخاص بتقويم المعارف ( 5,66 ) ليرتفع بعدها في الاختبار البعدي إلى( 15,58) في حين

ارتفع متوسط أداء تلاميذ العينة الضابطة بشكل طفيف بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي حيث انتقل من ( 5,38) في الاختبار القبلي الخاص بتقويم المعارف إلى ( 9,00 ) في الاختبار البعدي.
كما نلاحظ من خلال نفس الجدول أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في نتائج الاختبار البعدي حيث بلغت قيمة "ت" 18,679 وبدلالة إحصائية تساوي 0.000 وقد جاءت هذه الفروق لصالح تلامذة المجموعة التجريبية.
نستنتج من هذه البيانات أن تلامذة المجموعة التجريبية استطاعوا أن يكتسبوا المعارف الموسيقية التي تم التطرق إليها في الوحدة التعليمية بشكل أكبر مقارنة مع تلامذة المجموعة الضابطة، وبناء عليه يمكننا القول بأن إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في حصص التربية الموسيقية عندما يتم وفق سيناريوهات بيداغوجية محكمة يساعد التلاميذ على التحصيل الدراسي بشكل أكبر.
وكجواب على السؤال الذي طرحناه في بداية هذا البحث يمكن القول بأنه بالنسبة للعينة التي اشتغلنا عليها كانت هناك علاقة إيجابية بين استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في تدريسية التربية الموسيقية وفق سيناريو بيداغوجي واكتساب المعارف من طرف التلاميذ، بمعنى أدق أن إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في تدريسية مادة التربية الموسيقية تكون له قيمة مضافة وأثر إيجابي على التعلمات ويعمل على الزيادة في درجة اكتساب المعارف عند التلاميذ بشرط أن يتم وفق سيناريو بيداغوجي محكم ومعقلن.

**الفرضية الثانية**

- يوجد فرق دال إحصائيًّا عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات تحصيل المعارف بين تلامذة أفراد العينة التجريبية التي تلقت وحدة تعليمية في التربية الموسيقية **بإدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال وفق سيناريوهات بيداغوجية مبنية على مرجعية منهجية للإدراك السمعي** وبين أفراد المجموعة الضابطة التي تلقت نفس الوحدة التعليمية **باستعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال بالطريقة المعتادة.**

من أجل ذلك قمنا بحساب اختبارات T-test لحساب الفروق بين الاختبار القبلي والبعدي لتقويم المعارف بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية، وإيجاد المتوسطات والانحرافات المعيارية. وفيما يلي جدول يوضح تلك الفروق.

**جدول رقم 3 يوضح نتائج المجموعتين الضابطة والتجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي لتقويم قدرات الإدراك السمعي الموسيقي.**

| | نوع المجموعة | عدد التلاميذ | المتوسط | الانحراف المعياري | قيمة ت | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الاختبار القبلي | ضابطة | 420 | 8,27 | 4,08 | ,0070 | ,994 |
| | تجريبية | 409 | 8,28 | 3,98 | | |
| الاختبار البعدي | ضابطة | 420 | 11,27 | 4,34 | 27,345 | 0.000 |
| | تجريبية | 409 | 19,34 | 4,13 | | |

نلاحظ من خلال الجدول رقم 3 وجود فوارق في المتوسطات الحسابية حيث بلغ متوسط أداء تلامذة العينة التجريبية في الاختبار القبلي الخاص بتقويم المعارف (8,28) ليرتفع بعدها في الاختبار البعدي إلى(19,34) في حين ارتفع متوسط أداء تلاميذ العينة الضابطة بشكل طفيف بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي حيث انتقل من (8,27) في الاختبار القبلي الخاص بتقويم المعارف إلى (11,27) في الاختبار البعدي.

كما نلاحظ من خلال نفس الجدول أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في نتائج الاختبار البعدي حيث بلغت قيمة "ت" 27,345 وبدلالة إحصائية تساوي 0.000 وقد جاءت هذه الفروق لصالح تلامذة المجموعة التجريبية.

نستنتج من هذه البيانات أن تلامذة المجموعة التجريبية استطاعوا أن يطوروا قدراتهم الإدراكية السمعية الموسيقية المتعلقة بالوحدة التعليمية بشكل أكبر مقارنة مع تلامذة المجموعة الضابطة، وبناء عليه يمكننا القول بأن إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في حصص التربية الموسيقية عندما يتم وفق سيناريوهات بيداغوجية محكمة يساعد التلاميذ على تطوير قدراتهم الإدراكية السمعية الموسيقية بشكل أكبر.

وكجواب على السؤال الذي طرحناه في بداية هذا البحث يمكن القول بأنه بالنسبة للعينة التي اشتغلنا عليها كانت هناك علاقة إيجابية بين استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في تدريسية التربية الموسيقية وفق سيناريو بيداغوجي وتطوير القدرات الإدراكية السمعية الموسيقية لدى التلاميذ، بمعنى أدق أن إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في تدريسية مادة التربية الموسيقية تكون له قيمة مضافة وأثر إيجابي على التعلمات ويعمل على الزيادة في درجة وتطوير القدرات الإدراكية السمعية الموسيقية لدى التلاميذ بشرط أن يتم وفق سيناريو بيداغوجي محكم ومعقلن.

### 6-2- الخلاصات

أظهرت نتائج المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار القبلي أن مستويات اكتساب المعارف السمعي كانت متدنية ومتقاربة بين تلاميذ المجموعتين حيث تراوح متوسط النقط بين 5,38 على 30 للمجموعة

الضابطة و 5,66 على 30 للمجموعة التجريبية وبالتالي كانت بعيدة عن المعدل المحدد في 15 على 30، نفس الشيء بالنسبة لمستويات الإدراك السمعي مع ارتفاع بسيط للمتوسطات حيث تراوح متوسط النقط بين 8,27 على 30 للمجموعة الضابطة و 8,28 على 30 للمجموعة التجريبية وبالتالي كانت بعيدة عن المعدل المحدد في 15 على 30. كما أبان التحليل المقارن لنتائج المجموعتين في الاختبار البعدي عن تقدم المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة بشكل بارز. وهكذا تحسنت نتائج المجموعة التجريبية حيث ارتفعت المتوسطات التي حصل عليها التلاميذ فيما يتعلق باكتساب المعارف بحوالي 10 نقط لتصل إلى 15,58 على 30 بينما ارتفعت متوسطات المجموعة الضابطة ب 5،3 نقطة لتصل إلى 9 على 30 لتبقى دون المعدل. وفي نفس المنحى ارتفعت المتوسطات التي حصل عليها تلاميذ المجموعة التجريبية فيما يتعلق بقدرات الإدراك السمعي الموسيقي بشكل كبير بحوالي 11 نقطة لتصل إلى 19,34 على 30، بينما ارتفعت متوسطات المجموعة الضابطة بشكل ضئيل بحوالي 3 نقط لتصل إلى 11,27 على 30 وتبقى دون المعدل.

وبناء على هذه النتائج يمكن القول بأن التحسن البارز في اكتساب المعارف وفي قدرات الإدراك السمعي الموسيقي لأفراد المجموعة التجريبية راجع بالأساس إلى فعالية السيناريوهات البيداغوجية التي أطرت ووجهت إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الوحدة التعليمية التي تلقوها، في حين تبرز النتائج المحدودة للمجموعة الضابطة غياب التأثير الإيجابي لاستخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال بدون الاعتماد على سيناريوهات بيداغوجية.

كما تأكد هذه الخلاصة صحة الفرضية الرئيسية التي تمت صياغتها على النحو التالي:

**إن إدماج موارد رقمية وفق سيناريوهات بيداغوجية مبنية على مرجعية منهجية للإدراك السمعي يؤدي إلى الزيادة في اكتساب المعارف الموسيقية وينمي قدرات الإدراك السمعي عند المتعلمين والمتعلمات.**

وبالنظر للموضوعية والدقة اللذان حاولنا أن نتحراهما طيلة مراحل إنجاز هذا البحث، وبالنظر للانسجام الذي طبع مختلف التقنيات والأدوات التجريبية الموظفة فيه، وبالنظر لإيماننا القوي بمصداقية نتائجه فإننا نقدم مجموعة من التوصيات والاقتراحات التي تأمل إلى الرفع من مستوى أداء أساتذتنا للارتقاء بالعملية التعليمية التعلمية عموما وبتدريس التربية الموسيقية على وجه الخصوص.

**7- الاقتراحات والتوصيات**

- إعادة صياغة أو بالأحرى تحديد الكفايات النوعية للتربية الموسيقية بطريقة تجعلها تبتعد عن تكديس وإغراق الطفل بمعلومات ومعارف بدون وضعها في سياقها، كما يتم ملئ أكياس الإسمنت، لنتمكن من السمو والرقي بإيقاظ الحواس وتهذيبها. وبإذكاء وتوطيد العلاقة بين المتعلم وفن تذوق الجمال وباكتشافه لأهمية الإدراك السمعي، وبتطوير حسه التحليلي والنقدي، وبأهمية الاقتسام وتوزيع المهام لغرس مجموعة من القيم والمكتسبات الضرورية لتعلم طرق العيش والتفكير الجماعي. وفي هذا الصدد فإننا نقترح الكفايتين النوعيتين التاليتين التي على المتعلم(ة) اكتسابهما من خلال حصص التربية الموسيقية:
  - جعل التلميذ قادرا على تعبئة مجموعة من الموارد الموسيقية (المعارف و القدرات والمواقف) لأداء (أي غناء أو عزف أو توقيع أو ارتجال) عمل موسيقي في انسجام وتفاعل مع باقي المتعلمين.
  - جعل التلميذ قادرا على تعبئة مجموعة من الموارد الموسيقية (المعارف و القدرات والمواقف) لفهم وتحليل عمل موسيقي (غنائي أو آلي) والتعليق عليه باستعمال قاموس موسيقي ملائم.
- الانطلاق من مرجعية ديداكتيكية تعتمد على:
  - تعويد المتعلم(ة) على البحث على الروابط والعلاقات بين التأثير والإحساس الذي تحدثه الموسيقى في نفسيته وبين العناصر الموسيقية المسؤولة عن هذه الأحاسيس ؛
  - تدريب المتعلم(ة) على استخراج العناصر المرتبطة بالمكونات الأربع (الزمن، اللحن، اللون، البنية) للمقطوعات الموسيقية بشكل تدريجي و مجزئ، وذلك لضرورة منهجية؛
  - المضامين التي يتم الاشتغال عليها يجب أن تقدم البديل الثقافي لما هو مروج في وسائل الإعلام وتسمح للمتعلم(ة) بالتعرف والاستماع وممارسة وإبداع الموسيقى الثقافية البعيدة عن كل ما هو تجاري و استهلاكي.
- إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال بطريقة معقلنة ومتبصرة انطلاقا من سيناريوهات بيداغوجية تراعي المرجعية المنهجية وتفادي الاستعمال الاعتباطي والغير المفكر فيه الذي يعتبر هذه التكنولوجيا

كغاية في حد ذاتها، والذي لا يجلب أي قيمة مضافة للفعل التعلمي بل على العكس قد ينقص من فعاليته ؛

- إنتاج موارد رقمية انطلاقا من سيناريوهات بيداغوجية ووضعها رهن إشارة الأساتذة لاستثمارها وتوظيفها في الممارسات التعليمية؛
- تقاسم التجارب والممارسات التعليمية الناجحة من أجل الاقتباس والاستلهام منها ومن أجل تعميمها على باقي الفصول الدراسية ؛
- تشجيع البحث العلمي في المجال التربوي وخلق مسالك تربوية في جميع التخصصات داخل الجامعات لسد الحاجيات من الأطر التربوية التي تقدر بالآلاف سنويا، لربط الجامعة بمتطلبات سوق الشغل والتقليص من عدد الخرجين العاطلين من جهة، وللمساهمة في رفع جودة التكوين الأساس من خلال تخصيصها للأنشطة والوضعيات المهننة.
- بالنظر للتغيرات والمستجدات التربوية السريعة يجب اعتبار التكوين المستمر كواجب قبل أن يكون حق، مما يتطلب معه العمل على ترسيخ هذه الثقافة لدى جميع الأطراف سواء المسؤولين أو الأطر التربوية.

**بيبليوغرافيا المصادر والمراجع المعتمدة**

المراجع العربية


- **الميثاق الوطني للتربية والتكوين**، الطبعة الأولى، 2000
- **البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بمادة التربية الموسيقية بسلك التعليم الثانوي الإعدادي**، 2009.
- قسيم هيلات، مصطفى و خصاونة، **فاطمة يوسف التربية الفنية والموسيقية في تربية الطفل**، دار المسيرة للنشر للتوزيع والطباعة، عمان، 2007.
- أوزي، أحمد، المعجم الموسوعي لعلوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2006.
- العمري، محمد أمين، **"الاستماع والتذوق في حصة التربية الموسيقية"**، بحث لنيل دبلوم مفتش، 2011.
- قطيط، غسان يوسف.**حوسبة التدريس**، عمان، دار الثقافة، 2011.
- غريب ، عبد الكريم **" بيداغوجيا الكفايات "**، منشورات عالم التربية, ط 5 – 2004
- .حسن شكير - **مدخل للكفايات والمجزوءات : مقارنة نظرية ومنهجية -** مطبعة الملتقى . نونبر 2002
- غريب، عبد الكريم وآخرون. **معجم علوم التربية -** سلسلة علوم التربية عدد 9 - 10 منشورات عالم التربية. ط 3 2001.

- مشاط نور الدين، **المدرسة المغربية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات**، منشورات مجلة علوم التربية (28)، 2011.
- حمداني موفق، وآخرون، **مناهج البحث العلمي: أساسيات البحث العلمي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع**، عمان، 2006.
- أبوزينة، فريد كامل، وآخرون، **مناهج البحث العلمي: طرق البحث النوعي**، دار المسيرة للنشر للتوزيع والطباعة، عمان، 2005.
- كردي، محمد، **علم النفس التربوي**، شعاع للنشر والعلوم، حلب، 2009.
- **الدليل البيداغوجي لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم**، المختبر الوطني للموارد الرقمية، يوليوز 2012.
- أبو جاد، أصلح، **تطبيقات عملية في تنمية التفكير الإبداعي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2004.

- البغدادي، محمد رضا، **تكنولوجيا التعليم والتعلم**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998.
- الفار، إبراهيم عبد الوكيل، **تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين**، القاهرة:دار الفكر العربي، 1998.
- عباس، هناء عبده، **فعالية استخدام الكمبيوتر في التحصيل الأكاديمي وتنمية القدرات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية**، مجلة التربية العلمية، الجمعية المصرية للتربية العلمية، المجلد الرابع، ع2001،2، ص ص 147-179.

- عبد القهار الحجاري، **"التربية الموسيقية في المغرب: الكتاب المدرسي المتعدد نموذجا"** بحث لنيل شهادة الماستر المتخصص في الكتابة ومهن الكتاب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، 2012.

- قنديل، أحمد، " **تأثير التدريس بالوسائط المتعددة في تحصيل العلوم والقدرات الابتكارية والوعي بتكنولوجيا المعلومات لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي** "، دراسات في المناهج وطرق التدريس، الجمعية المصرية للمناهج، ع72، 2001، ص ص 15-59.
- مراد، صلاح أحمد، **الأساليب الإحصائية في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية**، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 2000.
-

المراجع الأجنبية

- ADDERLY, C., KENNEDY, M. et BERZ, W. (2003). *‘’A home away from home’’ : The world of the high school music classroom. Journal of Research in Music Education*. Pp. 198-202.
- AGOSTI-Gherban, Cristina. (2000. ). L’éveil musical : une pédagogie évolutive. L’Harmattan,
- ALTEN, Michèle. (1995). La musique à l’école. De Jules Ferry à nos jours. EAP.

- BASTIAN, H.G. (1998). *L'influence de l'éducation musicale sur le développement des enfants,* trad. Gunter Kreutz, Berlin, Université GHBaderborn.
- BENARDEAU, Thierry et PINEAU, Marcel. ( 1995). *Apprendre à écouter au cycle III : de la musique vers des pratiques pluridisciplinaires.* Nathan,
- BLACKING John. (1980). *Le sens musical*. Paris, Ed. Minuit,.
- COULANGEON Philippe. (2005). "*La stratification sociale des echе musicaux. Le modèle de la légitimité culturelle en question*". Revue echerché de sociologie. Vol. 44, N° 1,p. 3-33.
- BUSTARRET, Anne. (1998). *L'oreille echer : pour une echerché musicale auditive*. Les echerch de l'atelier.
- GILLIE – GUILBERT, Claire, FRITSCH, Lucienne.( 2001). *Se former à l'enseignement musical : approche didactique et pédagogique*. Bordas.
- BLANCHARD-LAVILLE C., (2001), « *La fabrication de l'enveloppe sonore* », *Les enseignants entre plaisir et souffrance*, Paris : PUF, p. 223-227.
- BLANCHARD-LAVILLE C., (2001), op. cit., p. 250.
- BIBEAU. R. (2004c). *Les TIC à l'école : proposition de taxonomie et analyse des obstacles à leur echerché* . Document télé-accessible aux echerché suivantes : http://www.epi.asso.fr/revue/articles/a0511a.htm (date de visite: 22 Mars 2013)
- COSTANTINI. C., (2008), *Comment des enseignantes d'école maternelle « entendent » le silence de l'élève ? Étude echerch : des questions du chercheur aux questions de echerché* Thèse de doctorat dir. C. Blanchard-Laville, Sciences de l'éducation, Paris Ouest Nanterre La Défense, p. 116.
- CORSELIS. Marie . (2012). *Enseigner la musique comme un art*, ed. Symétrie.

- DESSUS Philippe et Edouard Gentaz, Apprentissages et enseignement, Dunod, Paris, 2006.

- DOLLE, Jean Marie, Pour comprendre Jean Piaget, Dunod, Paris, 1999.
- GORMAN A. "*The "Mozart Effect": Hard Science or Hype".* 1999, Disponible sur internet :http://l3d.cs.colorado.edu/~agorman/pdf/ echer-effect-survey.pdf (consulté le 13 mars 2007)

- LEBRUN, M. (2005). *Théories et echerc pédagogiques pour enseigner et apprendre : Quelle place pour les TIC dans l'éducation ?* 2ème echerc revue. Bruxelles : De Boeck.
- Cf. Actes du Symposium européen et international de echerché, « *Évaluer les effets de l'Éducation artistique et culturelle* », 10-11 et 12 janvier 2007, Centre G. Pompidou ; ou plus récemment : Symposium « Musique et Cognition, autour de l'apport de John Sloboda » le 23 janvier 2009 à Paris.
- GILLIE-GILBERT C., (1995). *Se former à l'enseignement musical.* Ed, Armond colin, Paris
- HODEIR. A., (2008). *Les eche de la musique*. Ed, Lemoine, Paris
- JAQUES-DALCROZE E. (1920). "*Le rythme, la musique et l'éducation*". Paris: Ed. Musicales.
- JARRY, Hélène. (2002). *L'éducation musicale de la maternelle à l'université : Actes de colloque national*, Dijon ,7,8,9 mars 2002. CRDP de Bourgogne.
- MARTENOT, Maurice, (2010), *Principes fondamentaux de formation musicale et leur application*. Éditions de l'île bleue,
- LECHEVALIER, B., PLATEL, H. et EUSTACHE, F. (dir.) (2010). *Le cerveau musicien. Neuropsychologie et psychologie cognitive de la perception musicale.* Bruxelles, Éditions De Boeck Université, 2e éd.
- MARTHA Hilley, LYNN Freeman Olson. ( 2009). *Piano for the developing music*. Ed, Cengage Learning.
- PAYOT Lausanne, 2001. *L'enfant, le monde sonore et la musique*
- Pédagogies et nouvelles technologies : *former des enseignants pour le nouveau millénaire, Actes du Ixe sommet de la Francophonie, Colloque Éthique et nouvelles Technologies, l'appropriation des echerc en question*, Beyrouth, 24-28 septembre.
- RIBIERE-RAVERLAT Jacquotte. (1997). *Développer les echerché d'écoute à l'école. Ecoute musicale, écoute des langues*. Paris : PUF,
- SNYDERS G., (1999), *La musique comme joie à l'école*, Paris, L'Harmattan, p.191.
- TARDIF, J. (1996). *Une condition incontournable aux promesses des NTIC en apprentissage : une pédagogie*

*rigoureuse. Actes de la Conférence d'ouverture au colloque de l'AQUOPS* (Association québécoise des utilisateurs de l'ordinateur au primaire et au secondaire).

- TILLMANN Barbara et al. (2005). "*Apprendre la musique : perspectives sur l'apprentissage implicite de la musique et ses implications pédagogiques*". Revue française de pédagogie, N° 152, p. 63-77.
- ZENATTI A. (1990). « *Aspects du développement musical de l'enfant dans l'Histoire de la psychologie au Xxe », in Education musicale et psychologie de la musique.* Les Sciences de l'éducation pour l'ère nouvelle, N° 6, p. 21-38.
- ZENATTI A. (1994). « *Aspects de la psychologie du timbre* », *in Musique et Médiations : le métier, l'instrument , l'oreille.* Paris KLINCKSIECK, p. 21-38.
- ZULAUF Madeleine. (2002). « *Limites et promesses de quelques echerch du développement musical ». in A la echerché du développement musical*. WIRTHNER Martine & ZULAUF Madeleine (éditrices). Paris : L'Harmattan.

# واقع مرشدي التعليم الجامع والتربية الخاصة في مديريات التربية والتعليم الفلسطينية
# سلوكيات................ وممارسات

إعداد
د.إدريس محمد صقر جرادات
مرشد التعليم الجامع
مديرية التربية والتعليم/شمال الخليل

The reality of inclusive education counselors and special education in the departments of Education in Palestine behavior ................ And practices

By: Dr. Edrees Mohammad Sagr Jaradat
Inclusive Education Advisor in Hebron Directorate of Education/North Hebron
E-mail:sanabelssc@yahoo.com/ Jawal: 0599206664

This study aimed to identify the following:
1 – identify the behaviors and practices to guide the process of inclusive education in the Directorate.
2 – Identify the role of leader of inclusive education, services and technical and administrative work and professional obligations undertaken by schools, institutions and the community.

The study aimed to answer the following questions:
1 – What are the objectives sought by the Advisor of inclusive education through follow-ups at the Directorate?
2 – What is the most important tasks and responsibilities of the mentor of inclusive education and its services?

3 – What are the foundations upon which to guide inclusive education and the qualities that infuses and practices must move away from, and the beliefs about it? The study followed the methodology of content analysis through indirect observation, based on official documents and scripts issued by the Ministry of Education and district offices.

The study included a community education program guides of the Whole on the staff of the Ministry of Education, Palestinian and 36 distributors to guide school districts in the West Bank – northern governorates – and Gaza.

The study found a set of results, including:

1 – goals that guide seeks to achieve inclusive education is the general and specific objectives of the program of inclusive education as demarcated of the program in collaboration with the Inclusive Education for the application of the principles of the right to education for all and equal opportunities.

2 – tasks and responsibilities of a counselor education combined multiple including: awareness and knowledge about children's rights, and support students with special needs within the school, and raising the capabilities and change the attitudes of faculty and administrative in school, and to influence policies and actions at the level of districts and schools, cooperation and coordination with the institutions of society local, and working with people with special needs students.

3 – Provide counseling services and developmental and

preventive health, education and referral to organizations, it is the role of specialist and professional advisors and a source of awareness and education, coordinated and source of evaluation.

4 – based on a guide to inclusive education policy of the Ministry of Education and the Palestinian higher education emanating from the conference held in Salamanca in Spain in 1997 with regard to the integration of people with special needs.

The study recommended a series of recommendations including:

- Building an information system on students with special needs – a computerized database.
- Building a comprehensive system to convert the students.
- Building a system to assess performance and achievement of students with special needs and the degree of their adaptation to the school atmosphere.
- The provision of material capabilities and the specific budget for the program in the districts to facilitate the provision of services for students with special needs
- Change the Title Guide for the inclusive education and special education teachers to the name of supervisor of special education and inclusive education.

الخلاصة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على ما يلي:

1-التعرف على السلوكيات والممارسات العملية لمرشد التعليم الجامع في المديرية.

2-التعرف على دور مرشد التعليم الجامع والخدمات والأعمال الفنية والإدارية والالتزامات المهنية التي يقوم بها في المدارس ومع المؤسسات والمجتمع المحلي.

وسعت الدراسة للاجابة على الأسئلة التالية:

1-ما الأهداف التي يسعى الى تحقيقها مرشد التعليم الجامع من خلال متابعاته في المديرية؟

4- ما هي أهم المهام والمسئوليات المنوطة بمرشد التعليم الجامع والخدمات التي يقدمها؟

3-ما الأسس التي يستند إليها مرشد التعليم الجامع والصفات التي يتحلى بها والممارسات التي يجب أن يبتعد عنها، والاعتقادات السائدة حوله؟

واتبعت الدراسة منهج تحليل المضمون من خلال الملاحظة غير المباشرة، بالاستناد الى الوثائق الرسمية والكتب الصادرة عن وزارة التربية والتعليم والمديريات التابعة لها.

وشمل مجتمع الدراسة مرشدي برنامج التعليم الجامع على كادر وزارة التربية والتعليم الفلسطينية ةعددهم 36 مرشدا موزعين على مديريات التربية والتعليم في الضفة-المحافظات الشمالية وغزة.

وتوصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها:

1-الأهداف التي يسعى مرشد التعليم الجامع الى تحقيقها هي الأهداف العامة والخاصة لبرنامج التعليم الجامع كما رسمتها الادارةى العامة للبرنامج بالتعاون مع فريق التعليم الجامع لتطبيق مبداي حق التعليم للجميع وتكافؤ الفرص.

2-المهام والمسئوليات المنوطة بمرشد التعليم الجامع متعددة اهمها :نشر الوعي والمعرفة حول حقوق الطفل ، ودعم الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة داخل المدرسة ،ورفع قدرات وتغيير اتجاهات الهيئات التدريسية والادارية في المدرسة، والتأثير في السياسات والاجراءات على مستوى المديريات

والمدارس ، والتعاون والتنسيق مع مؤسسات المجتمع المحلي، والعمل مع أهالي الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
3-تقديم الخدمات الارشادية والنمائية والوقائية والصحية والتوعية والاحالة للمؤسسات ،فهو يقوم بدور الاخصائي والمستشار المهني ومصدر للتوعية والتثقيف ومنسق ومصدر للتقييم.
4-يستند مرشد التعليم الجامع الى السياسة العامة لوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية المنبثقة عن مؤتمر سلامنكا المنعقد في اسبانيا عام 1997م فيما يتعلق بدمج ذوي الاحتياجات الخاصة.
وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها:
–بناء نظام معلوماتي حول الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة-قاعدة بيانات محوسبة.
-بناء نظام تحويل شامل للطلبة.
-بناء نظام تقييم لأداء وتحصيل الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة ودرجة تكيفهم مع الجو المدرسي.
-توفير الامكانات المادية والميزانية المحددة للبرنامج في المديريات لتسهيل تقديم الخدمات للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة
-تغيير المسمى الوظيفي لمرشد التعليم الجامع ومعلم التربية الخاصة الى مسمى مشرف تربية خاصة وتعليم جامع.
الإطار العام للدراسة:
المقدمة:

انطلاقاً من المبادئ العامة للتربية الفلسطينية التي تعتبر أن التعليم حق إنساني وإن كل فرد في المجتمع هو إنسان لا بد أن يعيش حسب إمكاناته، ووفقاً لمبدأ ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص. فقد أولت وزارة التربية والتعليم اهتماماً كبيراً بهذه الفئة، فأنشأت قسم التربية الخاصة في الإدارة العامة للتعليم العام ليعتني بفئة الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة ودمجهم في النظام التعليمي وتقديم الدعم النفسي والأكاديمي والاجتماعي وتوفير البيئة التربوية المناسبة لهم*أنظر(....:التعليم الجامع،نشرة دورية-نشرة رقم1، صدرت عن مديرية التربية والتعليم في الخليل،تشرين أول 2002م).*

مر برنامج التعليم الجامع بعدة مراحل، كانت المرحلة الأولى تجريبية لمدة ثلاث سنوات، وهذه المرحلة مرت بعدة خطوات من خلال التخطيط للبرنامج والتعريف به عن طريق عقد لقاءات للفريق وممثلي المؤسسات الحكومية

وغير الحكومية والجامعات والبرامج العاملة مع ذوي الاحتياجات الخاصة، ثم تدريب الفريق من خلال عقد لقاءات وورش عمل حول ذوي الاحتياجات الخاصة في قاعة الدراسة والإعاقات والتطوير المدرسي وإدارة السلوك،ثم اختيار مدرستين في كل مديرية للمشاركة في المشروع كعينة تجريبية حيث تم تدريب الهيئات التدريسية على رزمة تدريبية مقرة ومعتمدة من اليونسكو بعنوان:الاحتياجات الخاصة في قاعة الدراسة لمدة 36 ساعة تدريبية بواقع ثلاث ساعات أسبوعيا.

ثم العمل داخل المدارس برصد الصعوبات التعليمية من خلال حضور حصص بهدف ملاحظة ومشاهدة سلوك الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، وتم دعم المدارس بمبالغ مالية بقيمة ألف دولار لكل مدرسة وحقيبة العاب تربوية مساندة، كذلك التنسيق مع المؤسسات لعمل تعديلا بيئية في المدارس بعمل شاحط وممر موازي وحمام خاص لخدمة الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في المدرسة، وتمت متابعة العمل من خلال فريق التقييم وعلى أثرها تم تعميم البرنامج ليشمل جميع المدارس التابعة لوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، وأصبح البرنامج ضمن الهيكلية الوزارية من خلال دائرة الإرشاد التربوي والتربية الخاصة.

حدود الدراسة:

تحدد الدراسة وامكانية تعميم نتائجها في ضوء المحددات التالية:

1-الحدود الموضوعية:وتتضمن ممارسات عملية الدمج وفعاليته.

2-الحدود البشرية:تقتصر الدراسة على اعضاء-إدارة وموظفين- مرشدي التعليم الجامع ومدراء ومعلمي المدارس الحكومية.

3-الحدود الزمنية: تتناول الدراسة مسيرة برنامج التعليم الجامع ومراحل الدمج من 1997/3/3م(تاريخ التعيين الباحث في البرنامج) ولغاية 2011/5/20م.

4-الحدود المكانية:تقتصر الدراسة على مديريتي تربية الخليل وشمال الخليل التي تعتبر من أكبر المحافظات في الضفة الغربية وتضم 215مدرسة وتعتبران حلقة الوصل ما بين المديريات.

مشكلة الدراسة:

اكتسب الباحث خبرات من الحياة الأكاديمية والبحثية من خلال عمله في برنامج التعليم الجامع والتربية الخاصة في مديرية التربية والتعليم في الخليل ومديرية شمال الخليل، ، و على ضوء الملاحظات التي كان يحس بها

والمقدمات والتغذية الراجعة التي يقدمها في الميدان للمعلم مسئول لجنة التعليم الجامع، الأمر الذي مهد السبيل لمتابعة سير العمل لدراسة واقع تطور ممارسات مرشد برنامج التعليم الجامع وكذلك الملاحظات التي كان يحس بها أو يسجلها عن وجود مشكلة ما، بالرغم من الجهود التي تبذلها وزارة التربية والتعليم، وعليه يمكن الإشارة إلى الملاحظات التالية: .

1-مطالبة مرشدي التعليم الجامع المستمرة بتغيير المسمى الوظيفي من معلم تربية خاصة إلى مشرف تربية خاصة.

2-التبعية الإدارية لدائرة الإدارة العامة للتعليم العام لمدة عشرة سنوات ثم الانتقال إلى دائرة الإدارة العامة للإرشاد التربوي في الوزارة وعليه التبعية الإدارية في المديريات لقسم التعليم العام ثم قسم الإرشاد مما أدى إلى حدوث بلبلة في المتابعات الإدارية .

3-يحصل المرشد على إجازة قسرية-العطلة الصيفية للمدارس والتعامل معه على أنه معلم تربية خاصة.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة للاجابة على الأسئلة التالية:

السؤال الاول:ما الأهداف التي يسعى الى تحقيقها مرشد التعليم الجامع من خلال متابعاته في المديرية؟

السؤال الثاني: ما هي أهم المهام والمسئوليات المنوطة بمرشد التعليم الجامع والخدمات التي يقدمها؟

السؤال الثالث:ما الأسس التي يستند إليها مرشد التعليم الجامع والصفات التي يتحلى بها والممارسات التي يجب أن يبتعد عنها، والاعتقادات السائدة حوله؟

حدود الدراسة:

1-الحدود الموضوعية وتتضمن مجالات عمل مرشد التعليم الجامع في المديريات التابعة لوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

2-الحدود البشرية: تطبق الدراسة على مرشدي التعليم الجامع والتربية الخاصة في المديريات.

3-الحدود المكانية:تطبق الدراسة على مرشدي التعليم الجامع في الضفة الغربية وقطاع غزة وتحديدا مديريتا الخليل وشمال الخليل.

4-الحدود الزمنية:تطبق الدراسة ضمن التسلسل الزمني من تاريخ تعيين مرشدي التعليم الجامع في 1997/3/3م-2011/3/31مم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على ما يلي:

1-التعرف على السلوكيات والممارسات العملية لمرشد التعليم الجامع في المديرية.

2-التعرف على دور مرشد التعليم الجامع والخدمات والأعمال الفنية والإدارية والالتزامات المهنية التي يقوم بها في المدارس ومع المؤسسات والمجتمع المحلي.

أهمية الدراسة:

1-زيادة نسبة الإعاقات في المجتمع المحلي نتيجة الإصابات عن طريق إطلاق الرصاص الناري والمطاطي من قبل جنود الاحتلال وأحداث الانتفاضتين الأولى والثانية-انتفاضة الأقصى-.

2-الانطلاق من مبدأي حق التعليم للجميع وتكافؤ الفرص لجميع الطلاب بما فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة.

3-تعيين مرشد التعليم الجامع لمتابعة عملية الدمج لذوي الاحتياجات الخاصة يعزز منطلقات اقتصاديات التربية لتوفير الكلفة الناتجة عن فتح مراكز التعليم الخاصة.

4-مطالبة ذوي الاحتياجات الخاصة المستمرة بحقوقهم، ومعاناتهم من سياسة العزل والإقصاء والتهميش.

5-تعتبر هذه الدراسة من الدراسات النادرة حول موضوع مرشد التعليم الجامع-على حد علم الباحث-.

6-يرجى أن تعطي هذه الدراسة إضافة إلى المكتبة المحلية التي تفتقر إلى مثل هذا النوع من الدراسات.

هذه العوامل مجتمعة تعطي أهمية لهذه الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

مرشد التعليم الجامع: موظف حاصل على مؤهل علمي في العلوم الانسانية في التربية الخاصة أو التربية الابتدائية أو التربية وعلم النفس أو علم الاجتماع أو الخدمة الاجتماعية يتابع متطلبات برنامج التعليم الجامع.

برنامج التعليم الجامع:التعليم الجامع يعمل على تأمين مبدأ التعليم للجميع من خلال تطويع للعملية التعليمية بعناصرها المختلفة،لاحتياجات الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، ويعتمد البرنامج منهج المشاركة والإدماج وهو برنامج

يعمل على مستوى المنطقة بهدف تنفيذ سياسة وزارة التربية والتعليم في هذا المجال.

منهج الدراسة:

تتبع الدراسة منهج تحليل المضمون بالاستناد الى الوثائق الرسمية والكتب الصادرة عن وزارة التربية والتعليم والمديريات التابعة لها.

مجتمع الدراسة:

شمل مجتمع الدراسة مرشدي برنامج التعليم الجامع على كادر وزارة التربية والتعليم الفلسطينية ةعددهم 36 مرشدا موزعين على مديريات التربية والتعليم في الضفة-المحافظات الشمالية وغزة

أدوات الدراسة:

تعتمد الدراسة الملاحظة غير المباشر من خلال الرجوع الى السجلات والتقارير والوثائق والكتب الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية ومديرية التربية والتعليم في الخليل من 1997/3/3م-2007/5/30م ومديرية شمال الخليل منذ تأسيسه والانتقال الى المبنى الجديد في حلحول من 2007/11/20-2008/12/30م.

مصادر الدراسة:

النشرات والكتب والتقارير والسجلات وارشيف مديريتا التربية والتعليم في الخليل وشمال الخليل، وسجلات الوارد من الوزارة والصادر عن مديرية التربية والتعليم وما كتب عن برنامج التعليم الجامع في الصحافة المكتوبة والمقروءة والمرئية والزيارات الميدانية والمشاهدات العينية ونماذج المتابعة الميدانية التي يقوم بها مرشد التعليم الجامع وورش العمل واللقاءات التربوية والايام الدراسية حول التعليم الجامع والاحتياجات الخاصة.

عرض النتائج وتحليلها

بعد جمع البيانات ودراسة المعطيات تم التوصل إلى ما يلي للإجابة عن أسئلة الدراسة:

الإجابة عن السؤال الأول: ما الأهداف التي يسعى الى تحقيقها مرشد التعليم الجامع من خلال متابعاته في المديرية؟

يسعى مرشد التعليم الجامع الى تحقيق الأهداف العامة لبرنامج التعليم الجامع في الوزارة الرامية الى احداث تغيير ايجابي في سلوك الطالب من خلال مساعته على التكيف النفسي والاجتماعي مع المناخ التربوي والجو المدرسي المحيطن وعليه يسعى برنامج التعليم الجامع الى تحقيق الأهداف العامة والخاصة التالية:

الأهداف العامة لبرنامج التعليم الجامع:

أ- تطوير سياسات تنحو باتجاه التعليم للجميع وذلك على صعيدي الوزارة والمديرات مع ضمان الاستمرارية في هذا المجال .

ب- بناء قدرات مديريات التربية والتعليم على تطوير مفهوم الاحتياجات التربوية الخاصة في المدارس التابعة لها.

ج- إرساء أسس التعاون بين وزارة التربية والمؤسسات والمنظمات الأخرى لمساعدة ودعم الأطفال والشباب من ذوي الاحتياجات الخاصة .

د- تحقيق تكافؤ الفرص من خلال المدرسة الجامعة لكل فئات الطلبة .

الأهداف الخاصة لبرنامج التعليم الجامع [53]

أ- تطوير قدرات المعلمين للتعامل مع الاحتياجات الخاصة في قاعة الدراسة.

ب- تطوير وتأهيل المدارس المشاركة وتزويدها بالتسهيلات الفيزيائية التي تسمح لجميع فئات الطلبة بدخولها .

ج- تطوير قدرات المعلمين على تطويع المنهاج ليتناسب مع الفروق بين الطلبة وملبياً لاحتياجاتهم .

د- تطوير طرق وأساليب تعليمية تناسب وتلائم جميع الطلبة ملبية للاحتياجات الخاصة بهم .

ه- العمل على تطوير وتوفير الوسائل تعليمية والألعاب التربوية التي تراعي الفروق الفردية بين الطلبة .

و- العمل على تعديل وتغيير الأفكار والاتجاهات نحو سياسة التعليم حق للجميع .

ز- العمل ضمن مبدأ أن كل شخص لديه احتياجات تربوية خاصة .

ح- الكشف المبكر عن مشاكل السمعية والبصرية والحركية والنطقية والعقلية وصعوبات التعلم.

ط- وضع خطط التعليم الفردية مع معلم الصف والأخصائي الذي يتابع الحالة.

ي- العمل على دمج وتسجيل الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، وتنمية اتجاهات ايجابية نحو الدمج.

وللإجابة على السؤال الثاني: ما هي أهم المهام والمسئوليات والواجبات المنوطة بمرشد التعليم الجامع والخدمات التي يقدمها؟ فكانت الاجابات من خلال تحليل المستندات والصادر والوارد على النحو التالي:

---

[53] وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، الإدارة العامة ، "أربع سنوات على ولاية وزارة التربية والتعليم الفلسطينية: الواقع والإنجازات"، رام الله ، 1999 ص 14.

الوصف الوظيفي لمرشد التعليم الجامع في المديرية

| |
|---|
| اسم الوظيفة : مرشد التعليم الجامع في قسم الإرشاد والتربية الخاصة في المديرية. |

أولا :الواجبات والمهمات :-

أً : تسهيل التحاق الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس النظامية:

1. تحقيق تكافؤ الفرص للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال القبول ضمن الأسس والتعليمات المعمول بها في الوزارة.
2. زيادة الوعي بكيفية التعامل مع الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
3. متابعة القضايا المتعلقة بالتحاق الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة .
4. تحديث بيانات الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في المديرية.

4- التنسيق مع قسم التعليم العام في المديرية لالتحاق و تنقل الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة بين المؤسسات التعليمية.

ب : دعم الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال:

1. تعزيز وتشجيع مشاركة الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في الأنشطة التربوية المرافقة: رياضية ، فنية، ثقافية، علمية.
2. إحياء و توظيف المناسبات والاحتفالات التي تسهم في نشر الوعي و إبراز قدراتهم مثل: يوم المعاق العالمي/ يوم الطفل العالمي/ يوم الطفل الفلسطيني/ يوم البيئة/ يوم الصحة .
3. المساعدة في توفير الأدوات والأجهزة والوسائل التعليمية المعينة و اللازمة .
4. توفير الدعم الأكاديمي والنفسي من خلال الاختصاصيين في مجال التربية الخاصة والإرشاد التربوي.
5. متابعة تحصيل الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة وذلك من خلال زيارات المدارس و حضور الحصص الدراسية حسب ما تقتضيه الحاجة.
6. التعاون مع اختصاصيي مركز المصادر/ التربية الخاصة في بناء و متابعة الخطط و البرامج المساندة للطلبة.
7. تحويل الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة –عند الحاجة- للمؤسسات المختصة بالتنسيق مع مركز المصادر/ التربية الخاصة.

ج: رفع قدرات الهيئات الإدارية والتدريسية في المدرسة:

1. العمل على تطوير قدرات المعلمين ومديري المدارس في مجال التربية الخاصة والتعليم الجامع.
2. دعم المعلمين بمختلف تخصصاتهم للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك بالتنسيق مع مشرفي المرحلة وحضور الحصص عند الحاجة.
3. تطوير قدرات مسئول لجنة التعليم الجامع في المدرسة.
4. التنسيق مع المعلمين المسئولين عن التعليم الجامع في المدارس لمساعدة ودعم الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.

د: التعاون والتنسيق مع مؤسسات المجتمع المحلي العاملة في مجالات الإعاقة وذلك من خلال أنشطة تتضمن :

1. تفعيل مؤسسات المجتمع المحلي للمشاركة في إيجاد بيئة ملائمة لكافة الطلبة بمن فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة ( أسطح مائلة، وحدات صحية ملائمة، توفير وسائل معينة .... الخ ).
2. التعاون مع المؤسسات المتخصصة العاملة في ميدان التربية الخاصة وذلك بمشاركة المدارس المعنية لرفع قدرات الهيئات الإدارية والتدريسية مثل عقد دورات تدريبية متخصصة.
3. الاستفادة من إمكانيات المؤسسات لدعم الأنشطة المدرسية.
4. تسهيل تعاون المؤسسات العاملة في مجال التأهيل مع الأهل لمتابعة الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة خارج إطار المدرسة.
5. التنسيق مع المؤسسات التأهيلية لتطوير آليات الكشف والتدخل المبكر للإعاقة.

ه: العمل مع أهالي وأسر الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال أنشطة تتضمن :

1. المشاركة في اللقاءات الدورية مع مجالس أولياء الأمور والمعلمين لمعالجة قضايا تعليمية و تربوية.
2. تفعيل دور مجلس أولياء الأمور و المعلمين و إشراكهم في الأنشطة المدرسية المتعلقة بذوي الاحتياجات الخاصة.
3. المتابعة مع الأهالي في علاج المشاكل والصعوبات التي تواجه الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة وذلك بالتعاون مع المرشد التربوي في المدرسة.

ثانيا: المسؤوليات تضمن:

1- إعداد الخطة السنوية وتنفيذها
2- تنفيذ الأنشطة الواردة في الوصف الوظيفي.
3- إعداد التقارير الشهرية و الفصلية والسنوية حو ل الأنشطة والانجازات والتحديات.
4- المشاركة في الاجتماعات و الأنشطة الخاصة بالعمل على مختلف المستويات الإدارية.
5- المشاركة في ورشات التدريب الخاصة ببرنامج التعليم الجامع.
6- متابعة المدارس التي يتم فيها الدمج.
7- التعاون مع معلمي المصادر لتوفير الدعم اللازم لطلبة غرف المصادر/ التربية الخاصة.
8- توفير الدعم و المتابعة لطلبة غرف المصادر/ التربية الخاصة للاندماج في مدارس أخرى.
9- المتابعة مع مشرف التربية الخاصة في جميع القضايا التي تتعلق ببرامج التربية الخاصة.
10- المشاركة في أنشطة المؤسسات المجتمعية ذات العلاقة.

ثالثا: يتم تقييم أدائه وفق الآتي:

إداريا:رئيس قسم الإرشاد و التربية الخاصة.

مهنيا: مشرف التربية الخاصة.

رابعا: الدوام و الإجازات:

4- يدوام في قسم الإرشاد التربوي و التربية الخاصة في المديرية.

2 – يطبق عليه نظام الدوام و الإجازات المطبق على الموظفين الإداريين في المديرية.

**من السيدة شفا شيخه-مديرة دائرة التربية الخاصة في وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية*

الخدمات التي يقدمها مرشد التعليم الجامع:

يقدم مرشد التعليم الجامع خدمات ارشادية ونمائية ووقائية ونفسية وتوعوية وإحالة ومتابعة وتنسيق العمل مع ذوي العلاقة، فهو يقوم بدور

الاخصائي في بناء العلاقة المهنية ودور المستشار ومصدر للتوعية والتثقيف ومنسق ومصدر للتقييم، وعليه يمكن الاشارة الى أهم الخدمات التي يقدمها على النحو التالي:

1-يقدم جلسات ارشادية للطلبة توعوية بشكل فردي وجماعي.
2-الكشف المبكر عن الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
3-مساعدة الاهالي واولياء الامور في الية التعامل مع الطلبة ذوي .ح
4-التحويل الى الاخصائيين والمؤسسات لتقييم القدرات العقلية والوضع التحصيلي للطالب.
5-تسجيل ودمج الطلبة ذوي الإعاقة.
6-المتابعة المستمرة للمدارس من خلال الزيارت الميدانية.
7-اجراء الدراسات وأوراق العمل لأغراض البحث العلمي.
4- توضيح طبيعة العمل وتقديم خدمات استشارية للإدارة والمعلمين.
9-المشاركة مع المعلمين في جلسات العمل لتطويع المنهاج بما يناسب ذوي .ح
10-مساعدة معلم الصف في وضع خطط التعليم الفردية.
11-متابعة لجنة اصدقاء الطلبة ذوي.ح-لجنة الدعم والمساندة الاجتماعية والأكاديمية.
12-عقد لقاءات تربوية فردية وجماعية للهيئة التدريسية والأهالي حول الية التامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.
13-التنسيق مع أقسام المديرية والمؤسسات والبرامج العاملة مع ذوي الاحتياجات الخاصة لتنفيذ أنشطة وفعاليات وتبادل الخبرات والزيارات.
14-متابعة وتقيمم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة-تعبئة نموذج تقييم الاداء السنوي-.
15-حضور ومشاهدة حصص مع المعلمين لملاحظة الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة والية التامل معهم داخل الصف.
16-متابعة تاهيل البناء المدرسي مع قسم الأبنية بعمل شاحط وممر موازي وحمام خاص.
17-حصر أعداد الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، وتفريغ الاحصائية على جهاز الحاسوب.
18-حصر أعداد العاملين والموظفين في المديرية والمدارس من ذوي الاحتياجات الخاصة.
19-عقد ورشات عمل –التهيئة-للمعلمين الجدد للتعريف بفكرة وعمل برنامج التعليم الجامع.

20- عقد ورشات عمل للطلبة الجامعيين –الخريجين-في الجامعات للتعريف بفكرة وعمل برنامج التعليم الجامع.
21- عقد ورشات عمل لاعضاء الهيئة التدريسية ككل في المدرسة حسب احتياج كل مدرسة.
22-تنفيذ فعاليات وأنشطة بيوم المعاق العالمي باصدار تعميم وكتاب خطي للمدارس والمؤسسات والبرامج العاملة مع ذوي الاحتياجات الخاصة وكتابة تقرير بالفعاليات والانشطة.
23-دراسة احتياجات الطلبة من أدوات مساعدة ومستلزمات والعمل على توفيرها.
24-مساعدة طلبة الجامعات والدراسات العليا والباحثين في مشاريع التخرج والبحوث والدراسات المتعلقة بالطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة ، وتقديم التسهيلات والمعلومات اللازمة.
25-متابعة التعليم البيتي للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة الذين لا يستطيعون القدوم الى المدرسة.
26-تشكيل لجنة التعليم الجامع في المدرسة.
27-مساعدة المعلم مسئول لجنة التعليم الجامع على وضع خطة سنوية لتنفيذ برنامج التعليم الجامع في المدرسة.
28-فتح ملف التعليم الجامع وترتيبه من صادر ووارد ونماذج تحويل ودمج وتعديل مدرسي وتقارير طبية واجتماعات دورية وفعاليات وأنشطة ومخيمات صيفية تتضمن عمليات الدمج.
28-تفعيل الاذاعة المدرسيةوحصص الرسم والفن والتعبير والنشاط ومشاركة ذوي الاحتياجات الخاصة فيها.
29-العمل على توفير طابعات بريل ومنهاج بريل للطلبة المكفوفين والوسائل المساعدة.
30-العمل على توفير السماعات الطبية لذوي الاعاقة السمعية والكراسي المتحركة والعكازات لذوي الاعاقة الحركية.

وللإجابة على السؤال الثالث:ما الأسس التي يستند إليها مرشد التعليم الجامع والصفات التي يتحلى بها والممارسات التي يجب أن يبتعد عنها، والاعتقادات السائدة حوله؟

الاسس التي يستند اليها مرشد التعليم الجامع:

استند برنامج التعليم الجامع الذي تبنته وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية الى بيان سلامنكا-التربية للجميع-،حيث التقى في سلامنكا في اسبانيا 300 مشاركا من 88 دولة حكومية و25 منظمة دولية لبلوغ هدف التعليم للجميع، وأن تقدم المدارس خدماتها لجميع الأطفال بما فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة، وادخال اصلاحات تربوية على المدارس ، والوصول الى مدرسة للجميع التي تسهل وتساند التعلم ، وتستجيب للاحتياجات الفردية، واضفاء مزيد من الفعالية على الدور التربوي للمدارس،واقر المجتمعون أن لكل طفل حق اساسي في التعليم، ولكل طفل خصائصه الفريدة واهتماماته وقدراته واحتياجاته، وأن المدرسة الجامعة التي لا تستثني أحدا هي أنجع وسيلة لمكافحة مواقف التمييز وايجاد مجتمع متسامح وبلوغ هدف التعليم للجميع.

أما أهم المبادىء التوجيهية لبرنامج التعليم الجامععلى الصعيد الوطني انطلاقا من مبادىء مؤتمر سلامنكا 1996م على النحو التالي:

1-السياسة والتنظيم:اعتماد مبدأ تكافؤ الفرص على مستوى السياسات التربوية واللوائح والتعليمات.

2-العوامل المدرسية:مواءمة وتطويع المناهج لتناسب احتياجات الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة.

3-حشد العاملين في التعليم والتدريب:باعتماد المهارات التطبيقية وطرق التدريس وتأهيل المعلمين للتعامل مع الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.

4-خدمات الدعم والمساندة من خلال الاخصائيين والخبراء ومؤسسات المجتمع المحلي.

5-مجالات الاولويةبالاكتشاف المبكر للطفل ذوي الاحتياج الخاص

6-منظور المجتمع المحلي:تنمية التشارك التعاوني مع المجتمع المحلي والتأهيل المبني على المجتمع.

7-الاحتياجات من الموارد:من خلال الالتزام السياسي على الصعيد الوطني وعلى مستوى المجتمع المحلي وتخصيص الموارد لخدمات الدعم اللازمة.

وانطلاقا من سياسة الوزارة بالوصول بالطالب الى اعلى مستوى من الصحة النفسية والتكيف مع الواقع الاجتماعي والارتقاء بالشخصية في جميع الجوانب وتوفير الخدمات لجميع الطلبة في المدارس من أجل التمتع بصحة نفسية وشخصية متكتملة ليحقق ذاته ويتوافق مع من حوله وقادر علىالتكيف وممواجهة مشكلات الحياة اليومية والانجاز والتحصيل الاكاديمي والتربوي وفق أحدث الاساليب ومعايير الارشاد التربوي ومعايير الدمج المتعارف عليها، من خلال اعداد الخطط التربوية وتنفيذ البرامج التي تسهم في عمليات التقبل وتعديل الاتجاهات نحو ذوي الاحتياجات الخاصة، والقيام بأنشطة

وفعاليات لتوفير جو يسوده الشعور بالأمن والارتياح، وتطوير اتجاهات ايجابية نحو المدرسة والمجتمع المحلي من خلال بناء علاقات ايجابية وصداقات قوية للعمل على زيادة الانتماء وتفعيل الاندماج بالحياة اليومية والجو المدرسي لدى الطلبة.انظر:*"فايز شرف:واقع الارشاد التربوي في المدارس الحكومية،ورقة عمل مقدمة في اليوم الدراسي الذي نظمته نقابة الاخصائيين الاجتماعيين فرع الخليل في قاعة مدرسة الحسين بن علي الثانوية بتاريخ 2008/5/29م")*.

أما أهم الاسس التي يقوم عليها برنامج التعليم الجامع هي:

1-الاسس الفلسفية:

أ-حرية الفرد في تقرير واختيار مصيره.

ب-حق الفرد في المساعدة دون اكراه.

ج-من حق الفرد في التوجيه لتحقيق ذاته*أنظر " معتصم مصلح:ورشة عمل الارشاد المدرسي والتعليم الجامع،2003/4/20م،وزارة التربية والتعليم العاليىرام الله.*

2-الاسس النفسية:

أ-التأكيد على التأثير المتبادل لجوانب شخصية الفرد وتكاملها.

ب-اختلاف الافراد في قدراتهم وميولهم وسماتهم ومستوى ذكائهم.

ج-مراعاة مطالب الفروق الفردية والاحتياجات الشخصية.

3-الاسس التربوية:

4- الاهتمام بالطالب كفرد وكعضو في الجماعة.

ب-مشاركة أطراف عملية الدمج لتحقيق التكيف الاجتماعي والمدرسي.

ج-مساندة ذوي الاحتياجات الخاصة ومساعدتهم على التعلم.

4-الاسس الأخلاقية:

4- سرية المعلومات وصدقها.

ب-احترام القيم والتقاليد والاعراف السائدة.

ج-العلاقة المهنية البعيدة عن العطف والانفعال.

د-الاخلاص في العمل.

هـ-العمل بروح الفريق والعمل التعاوني.

و-كرامة المهنة.

صفات مرشد التعليم الجامع:

1-القدرة على مواجهة مشاكل الطلبة الجسمية والحركية والسلوكية والنفسية والانفعالية والبصرية وصعوبات التعلم.

2-حسن المظهر العام.

3-الذكاء وسرعة البديهة.
4-التفكير المنطقي السليم.
5-سعة الاطلاع.
6-المرونة والتسامح.
7-النضج الاجتماعي.
8-التعاون وروح المرح.
9-القدرة على القيادة.
10-الصبر والمثابرة.
11-تحمل ضغط العمل.
12-القدرة على فهم وتقبل الاخرين.
الممارسات التي يجب أن يبتعد عنها مرشد التعليم الجامع والتربية الخاصة:
1-عقد جلسات في المدارس مقابل أجر.
2-الاشراف على أنشطة الكشافة والطابور الصباحي.
3-رفع سقف التوقعات وتقديم والحلول الجاهزة.
4-محاباة الطالب على حساب المعلم.
5-الايماءات والايحاءات والمزاجية والحدية في الضحك والبكاء .
6-المزاجية والحدية اثناء حدوث مشكلة.
7-الالفاظ النابية والضرب.
8-افشاء الاسرار.
9-المبالغة في المظهر العام-التجميل السافر-.
10-الاهمال في المظهر العام.
11-تفقد الحضور والغياب في المدرسة.
12-جمع التبرعات أو توزيع المساعدات على الطلبة المحتاجين.
13-كتابة الانذارات أو التنبيهات للطلبة.
14-الابتعاد عن الاسهاب النصح ،والاوامر والممنوعات.

الاعتقادات الخاطئة حول مرشد التعليم الجامع والتربية الخاصة:
1-أن المرشد يقدم خدمات علاجية،وهذا اعتقاد خاطىء لأن هدفه مساعدة الطالب على التعلم بتوفير التسهيلات للتغلب على المعيقات والمشكلات التي تواجهه.
2-أن المرشد يقوم بتشخيص مشكلة الطالب، وهذا اعتقاد خاطىء لأن دوره مساعدة المعلم في الكشف المبكر عن مشكلة الطالب.
3-سحب بعض الصلاحيات من المدير أو المعلم،وهذا اعتقاد خاطىء لأن دوره مساندة المدير والمعلم.

4-اثقال كاهل المعلم بتجميع الطلبة ذوي الحتياجات الخاصة في الصف، وهذا اعتقاد خاطىء لأن دوره مساندة ومساعدة المعلم على الية التامل مع الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
5-اقتصار برنامج التعليم الجامع على الطلبة المعاقين،وهذا اعتقاد خاطىء لأن البرنامج يعطي أولوية للطلبة المعاقين وكذلك يركز على الموهوبين من خلال عقد ورشات عمل ولقاءات تربوية حول التفكير الابداعي لتنمية مواهب الطلبة.
6-تقديم الحلول الجاهزة للمشاكل، وهذا اعتقاد خاطىء لأن دوره المساعدة والمساندة من خلال اعطاء الاهتمام والرعاية للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
نتائج الدراسة:
توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها:
1-الأهداف التي يسعى مرشد التعليم الجامع الى تحقيقها هي الأهداف العامة والخاصة لبرنامج التعليم الجامع كما رسمتها الادارةى العامة للبرنامج بالتعاون مع فريق التعليم الجامع لتطبيق مبداي حق التعليم للجميع وتكافؤ الفرص.
2-المهام والمسئوليات المنوطة بمرشد التعليم الجامع متعددة اهمها :نشر الوعي والمعرفة حول حقوق الطفل ، ودعم الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة داخل المدرسة ،ورفع قدرات وتغيير اتجاهات الهيئات التدريسية والادارية في المدرسة، والتأثير في السياسات والاجراءات على مستوى المديريات والمدارس ، والتعاون والتنسيق مع مؤسسات المجتمع المحلي، والعمل مع أهالي الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
3-تقديم الخدمات الارشادية والنمائية والوقائية والصحية والتوعية والاحالة للمؤسسات ،فهو يقوم بدور الاخصائي والمستشار المهني ومصدر للتوعية والتثقيف ومنسق ومصدر للتقييم.
4-يستتند مرشد التعليم الجامع الى السياسة العامة لوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية المنبثقة عن مؤتمر سلامنكا المنعقد في اسبانيا عام 1997م فيما يتعلق بدمج ذوي الاحتياجات الخاصة.
وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها:
ـبناء نظام معلوماتي حول الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصةـقاعدة بيانات محوسبة.
ـبناء نظام تحويل شامل للطلبة.
ـبناء نظام تقييم لأداء وتحصيل الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة ودرجة تكيفهم مع الجو المدرسي.

-توفير الامكانات المادية والميزانية المحددة للبرنامج في المديريات لتسهيل تقديم الخدمات للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة
-تغيير المسمى الوظيفي لمرشد التعليم الجامع ومعلم التربية الخاصة الى مسمى مشرف تربية خاصة وتعليم جامع.

التوصيات:
–بناء نظام معلوماتي حول الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة-قاعدة بيانات
-بناء نظام تحويل شامل للطلبة.
-بناء نظام تقييم لأداء الطلبة ودرجة تكيفهم مع الجو المدرسي.
-توفير الامكانات المادية والميزانية المحددة للبرنامج في المديريات.

**قائمة المراجع والمصادر**

-.....:الخطة الوطنية للتعليم للجميع2004-2005 ،جريدة مسيرة التربية،كانون أول 2003م،العدد40،السنة السابعة.
-.....:د.ابو الحمص يلتقي وفدا من المؤسسة السويدية للإغاثة الفردية، جريدة مسيرة التربية،كانون اول 2003م،العدد40،السنة السابعة.
- التعليم الجامع:نحو مدارس لا تستثني أحدا،نشرة صادرة عن برنامج التعليم الجامع في وزارة التربية والتعليم العالي،رام الله،أيلول200م).

-......:التربية تفتتح دورة حول الارشاد المدرسي للتعليم الجامع،جريدة الحياة الجديدة بتاريخ 2003/4/21م.
-.......:لماذا يجب الحاق الأطفال المعاقين في المدرسة العادية؟،جريدة مسيرة التربية،تشرين أول 1999م،العدد23 .
-ورشة عمل حول الاعاقة السمعية في فلسطين:مركز تطوير خدمات المعاقين سمعيا بدعم من مؤسسة التعاون ضمن برنامج التأهيل المبني على المجتمع المحلي بتاريخ 2007/6/3م.
-.....:معا لدمج الأطفال من ذوي الاعاقة العقلية في المدارس النظامية،ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التربية الخاصة في الاردن 6-2006/11/7م.
-......:ورشة عمل تدريبية حول ضعف البصر،مقر جمعية بيت لحم العربية للتأهيل 3-2006/5/4م.
-........:دراسة الاحتياجات التدريبية لمشرفي التعليم الجامع بهدف تطوير برنامج تدريبي يسهم في بناء القدرات وتطويرها وفق النظريات الحديثة في الارشاد التربوي والتربية الخاصة،ضمن فعاليات مشروع التعاون الفنلندي، وتطبيقا لتوصيات الدراسة التقويمية التي نظمتها الخبيرة الدولية بيا كارلسون لبرنامج التعليم الجامع بتاريخ2006/4/4م-دائرة القياس والتقويم في وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.
-فايز شرف:واقع الارشاد التربوي في المدارس الحكومية،ورقة عمل مقدمة في اليوم الدراسي الذي نظمته نقابة الاخصائيين الاجتماعيين فرع الخليل في قاعة مدرسة الحسين بن علي الثانوية بتاريخ 2008/5/29م").

*-تمت صياغة الواجبات والمسئوليات والمهمات المنوطة بمرشد التعليم الجامع ومعلم التربية الخاصة ومشرف التربية الخاصة من خلال عقد عدة لقاءات تربوية وعدة ورش عمل في وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطيني لفريق التعليم الجامع، وكذلك عقد اجتماعات مناطقية على مستوى مديريات الوسط والشمال).*

*- كما تم إقرار وصف وظيفي لمرشد التعليم الجامع من قبل وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية-الإدارة العامة للتعليم العام سنة 2004م).*

*-معتصم مصلح:الإرشاد المدرسي للتعليم الجامع،ورشة عمل في مقر وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطيني، بتاريخ 2003/4/20م،رام الله.*

(....:التعليم الجامع،نشرة دورية-نشرة رقم1، صدرت عن مديرية التربية والتعليم في الخليل،تشرين أول 2002م).

-د.إدريس جرادات : الدمج الأكاديمي تطبيق لمبدأي حق التعليم للجميع وتكافؤ الفرص،جريدة مسيرة التربية،تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية،حزيران 2008م العدد61 .

-د.إدريس جرادات:رسالة التعليم الجامع إلى المعلم:الإصغاء النشط،جريدة مسيرة التربية،تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية،أيلول 2008م العدد62 .

Journal of

Averroes University

in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**



Correspondence

**Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld**
**The Netherlands**
**Website www.averroesuniversity.org**
**E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org**

**NL242123028B01 Tax record - KvK 08189752 Registration number in the Netherlands**

All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.




Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO
DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O
AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND
LORSWEG4
3771GH
BARNEVELD
BIC ABNANL2A
IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| **Annual contribution** | **Individuals** | **Organizations** |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |




The ninth Issue April 2013

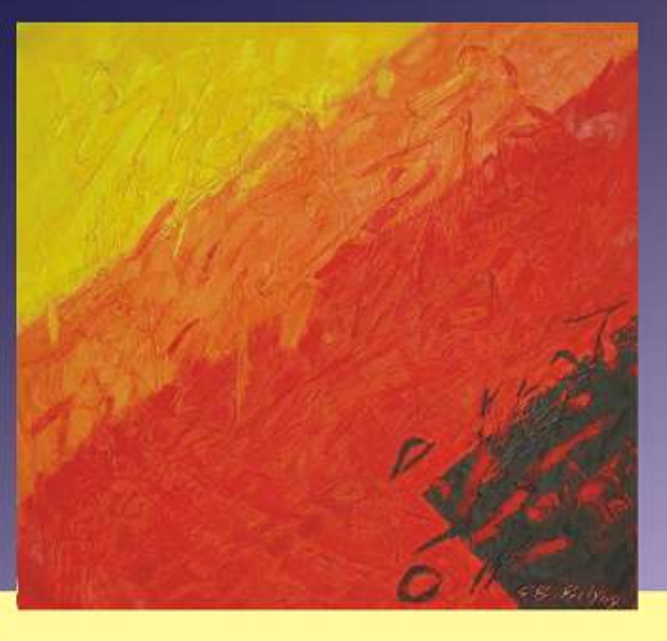
مجلة جامعة ابن رشد في هولندا العدد التاسع

Averroes University In Holland

# Averroes University In Holland

## A scientific Journal Published Quarterly

Issue;9

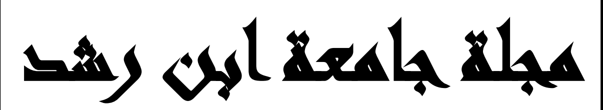





Averroes University — Holland

Design By:Mutaz I. Ghazwan




في هولندا

## دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

**السعر 10 يورو** **العدد الثالث**

مجلة

# جامعة ابن رشد في هولندا

## دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا





عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411

# البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.




ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

| **الاشتراك السنوي** | **الأفراد** | **المؤسسات** |
|---|---|---|
| لمدة سنة | 60 | 80 |
| لمدة سنتين | 110 | 150 |
| لمدة ثلاث سنوات | 160 | 200 |





العدد الثالث تموز يوليو 2011

# الفهرس


| | ص. |
|---|---|
| مفتتح | أ، ب |
| **الأدب وعلوم اللغة** | 1 |
| الأسباب الصوتية والصرفية والنحوية لحذف لام الكلمة أو ما بعدها<br>الدكتور/ سلام عبد الله محمود عاشور | 2 |
| قراءة في البعد الدّلالي العقائدي للفعل المجرد<br>الثلاثي دراسة في المستوى الصرفي د.<br>لخضر حداد | 26 |
| **البحوث الفكرية والتاريخية** | 37 |
| نهضة الإسلام و الظروف المواكبة لها<br>الدكتورة عائدة قاسموفا شهلار | 38 |
| **الفنون** | 62 |
| الآخر الضاحك وصورته في الكوميديا الأستاذ عادل ايت ازكاغ | 63 |
| **ملف العدد: تحديث التعليم على شرف العالم العراقي عبدالجبار عبدالله** | 86 |
| مدخل تحليلي في ملف تطوير التعليم إشكالية تطوير التعليم العالي والجامعات في دول المنطقة والعراق أ.د. تيسير الآلوسي | 88 |
| في بعض مواصفات الباحث الجاد وأهمّ المشكلات التي تواجهه في الجامعات العربية التقليدية الحكومية د. محمد عبد الرحمن يونس | 103 |
| الحداثة في السياسات التربوية وتوطين التقنية في الدول العربية بين الخوف والضرورة الدكتور لحسن عبد الله باشيوة | 127 |
| التحديات التي تواجه جامعة القدس في تطبيق الجودة الشاملة<br>الدكتور جمال حلاوة | 161 |
| تقييم أداء المعلمات المنتدبات في مدارس التربية الخاصة كما يراه المشرفون التربويون ومرشدو التعليم الجامع في فلسطين دراسة ميدانية إدريس محمد صقر جرادات | 180 |

| | |
|---|---|
| 208 | **أوراق عمل وبحوث في المؤتمرات العلمية** |
| 209 | واقع التعليم العالي في العراق وسبل تطويره<br>الاستاذ الدكتور . قاسم حسين صالح |
| 222 | **Other Scientific Studies** |
| 223 | **The Technical Feasibility of E-Voting**<br>Abdalla Al-Ameen & Elsamani Ahmed |

*** لوحتا الغلاف للفنان التشكيلي العراقي شمال عادل سليم**

# مفتتح

مجلة جامعة ابن رشد في عددها الجديد تفي بجانب من وعودها فتقدم مشرط الباحثين وهو يشرّح القضايا المحيطة ويحلل ويعالج ميدانيا مثلما يقدم توظيفه المناسب للخلفيات النظرية الأنضج والأكثر حداثة... كما تتوسع دائرة المساهمات لتحتضن جهودا من بلدان وجامعات تمتد من المغرب والجزائر وحتى إيران وأذربيجان مرورا بعديد من دول المنطقة كالعراق وفلسطن والسعودية والأردن وغيرها، في توكيد على اهتمام بالبحث العلمي الرصين في جامعات هذه البلدان وتوجهاتها البحثية انعكاسا لتطلعات شعوبها وتبنّي المسيرة العلمية الأكاديمية وتحديثاتها...

ونحن نشكر هنا تلك التفاعلات المتصلة المستمرة من زميلاتنا وزملائنا ومراسلاتهم الغنية معتذرين عن أية حالات قصور أو ثغرات ربما حصلت أو تحصل، ولكننا نعد بالتقويم والتصويب دائما، واثقين من دعم الجميع لهذه المسيرة العلمية الواعدة.

وإننا إذ نقدم بجهدنا هذا جانبا من أنشطة جامعة ابن رشد، فإننا على يقين من أن هذه المؤسسة الأكاديمية التي مازالت في أول خطواتها تواصل إصرارها على استقطاب العقول العلمية الكبيرة لترتقي وتسمو بمهامها في دراسة الواقع وفي اقتراح وسائل الحلول لمشكلاته وأدوات تطويره.. وبهذه المناسبة نرحب بانضمام الزميل الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الجبوري \ العراق لهيأة التحرير والزميل أ.م. خليف مصطفى غرايبة \ الأردن للهيأة الاستشارية لمجلتنا، واثقين من أهمية أدوارهم ومجموع الأعضاء في التقدم بمسيرة الدورية العلمية في جامعة ابن رشد... ونود التقدم بالشكر لمبدعنا الفنان التشكيلي العراقي شمال عادل سليم الذي ساهم بلوحتي الغلاف وقدم عددا من أعماله متبرعا للجامعة ودوريتها العلمية..

**نقدم، باعتزاز، في هذا العدد رؤى ومعالجات في مختلف ميادين العلوم الإنسانية ما يتطلب تفاعلا رصينا وجدلا علميا نأمل أن تنهض به عقول النخبة الأكاديمية بالنقد الموضوعي البناء وعلى وفق أفضل معايير العصر العلمية...**
**زأملنا وطيد بمعالجة ما قد يكون بدا من ثغرات في مسألة استكمال ملف تطوير التعليم في بلداننا، الذي نقدمه على شرف العالم الجليل عبدالجبار عبدالله وتحت اسمه اللامع تكريما وتشرفا به وبما يحمله من رمزية مهمة في تاريخنا العلمي الأكاديمي والوطني والإنساني...**
**من جهة أخرى، فإنّ فرصة التحول إلى مطبوعة ورقية في أقرب الآجال هو ما نعمل بمثابرة من أجله  من دون أن نغفل الإشارة إلى ما يعترضنا من عقبات بالخصوص.. ربما من بينها ما تعلق بالاستحقاقات والالتزامات التي نأمل التفاعل عمليا بشأنها من جميع الأطراف ذات العلاقة..**
**وفي بنية مطبوعتنا هذه، فإننا نحاول الموازنة بين ميادين ما ينشر من بحوث كما نحاول التقيد بما نؤكده بين الفينة والأخرى من شروط بخاصة بشأن الجوانب التقنية الشكلية من جهة حجم البحث وعدم تضخمه كيما تتنوع وتتزايد فرص المساهمات البحثية شاكرين للجميع تفضلهم بالتعاون بهذا الخصوص معتذرين عن عدم نشر بعض البحوث القيمة ولكنها التي لا تتقيد بتلكم الشروط..**
**أيتها الزميلات.. أيها الزملاء ويا طلبة العلم يمكننا أن نتقدم وأن نحافظ على مسيرة النمو إذا ما كنا معا وسويا ويدا بيد وهذا ما نثق به.. اسمحوا لنا أن نشكر لكم مجددا مواقف الدعم والمعاضدة.. وأن نضع باقات ورود بين أيديكم مع تحية العلم لكم جميعا..**

رئيس التحرير

# الأدب وعلوم اللغة

**الأسباب الصوتية والصرفية والنحوية لحذف لام الكلمة أو ما بعدها**

**دراسة تطبيقية على سورة آل عمران**

**قراءة في البعد الدّلالي العقائدي للفعل المجرد الثلاثي**

**دراسة في المستوى الصرفي**

# الأسباب الصوتية والصرفية والنحوية لحذف
# لام الكلمة أو ما بعدها
## دراسة تطبيقية على سورة آل عمران

**الدكتور/ سلام عبد الله محمود عاشور**
أستاذ مشارك في النحو والصرف
جامعة الأقصى كلية الآداب قسم اللغة العربية

## ملخص

**الحذف موضوع دقيق لطيف في اللغة العربية؛ لذا فإن الحذف اللغوي يعتري مواضع عدة؛ لأغراض عدة أيضاً، وهذا البحث يركز على حذف لام الكلمة (آخرها) أو ما بعدها، فقد يأتي: علامة إعرابية، أو علامة بناء، أو لعلة صرفية، أو طلباً للخفة.**

**وقد وقع هذا الحذف في مواضع عدة في آيات من سورة آل عمران حسب الأغراض السابقة، فقد جاء كثيراً في الأفعال، في أسلوب الشرط، ثم مع حروف الجزم الأخرى ثم مع حروف النصب أما الأسماء فجاء الحذف مع الإضافة غالباً، و لكنه بنسب متفاوتة في أخرى.**

Abstract

Omission is subtle in Arabic language .

This linguistic Omission occurs in different situations and for different reasons as well .

This research paper focuses on the omission of the final letter of a word or the letter after the final one .

This phenomenon occurs as a parsing sign or as a construction one, for a morphological reason or finally for convenience purposes.

The omission occurs throughout (The family of Imran Chapter) in different places and for the above-mentioned purposes but with different proportions.

**مقدمة:**

تعدُّ اللغة أفضل وسيلة من وسائل الاتصال، وأسهلها بين بني البشر لما بها من خفة وسعة، وسرعة تماثل في العقل، ويسر إدراك، فإذا أراد الإنسان أنَّ يعبر عن فكرة ما تماثلت له الكلمات بسرعة فائقة ليختار منها ما شاء، ليقيم فكرته ويجسدها مبدعاً فيها ما شاء له الله، وفق ما لديه من محصول لغوي، أما الوسائل الأخرى كالرموز والتمثيل وغيرها من وسائل اتصال فتحتاج إلى وقت طويل، وجهد عسير حتى يفعل الإنسان ذلك.

ويعرف اللغة بعض اللغويين بأنَّها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم... فأنَّها فُعْلة من لغوت؛ أي تكلمت"(1)، وبعضهم يرى أنَّها "منظمة من الأجهزة كل جهاز منها متكامل مع الأجهزة الأخرى"(2)، ولا حاجة لإطالة القول في تعريف اللغة؛ لأنَّ التعريفات كثيرة وليست مراد البحث. وما يُلمح له هذان التعريفان هو أنَّ الإنسان يستخدم الأصوات كجهاز من أجهزة اللغة، فيكوِّن الكلام الذي ينقل به أفكاره وإبداعاته للآخرين ويسجلها، وما الأصوات إلا حروف الكلمة منطوقة تسمع، أو مكتوبة تقرأ.

وقد تتفق هذه الحروف في الصفات أو تختلف، لذلك قال ابن جني عن تأليف الكلمة وحُسنه: "اعلم أنَّ هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولاسيما حروف الحلق"(3)، ولا شك في أنَّ علماء البلاغة لديهم تفصيل طويل في ذلك عند حديثهم عن فصاحة الكلمة، فلديهم تأليف الكلام مقسم إلى ثلاثة أقسام "الأول: تأليف الحروف المتباعدة، وهو الأحسن والمختار. والثاني: تضعيف هذا الحرف نفسه، وهو يلي هذا القسم في الحسن. والثالث: تأليف الحروف المتجاورة، وهو إما قليل في كلامهم، أو منبوذ رأساً"(4)، أي لا يستعمل، وإنْ اضطر المتكلم لاستعماله فإنَّه يكون منبوذاً، أو يضطر لحذف بعض الحروف حتى تقبله الألسنة.

**معنى الحذف:**

**لغة:** جاء في العين و اللسان: "الحذف قطف الشيء من الطرف، كما يحذف طرف ذنب الشاة... والحذف: الرمي عن جانب، والضرب عن جانب"(5)

**اصطلاحاً**: يمكن القول: إنَّ الحذف هو إسقاط جزء من الكلام أو الكلمة؛ لغرض من الأغراض، أو لعامل من العوامل، أو لعلة صرفية، أو للتخفيف والتسهيل، لذا قال ابن جني: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكلف علم الغيب عن معرفته"(6)، والدليل المقصود، قد يكون دليلاً معنوياً أو مقالياً كالعوامل أو الاستثقال وغيره.

وهذا البحث لا يعنى بما سبق، فليس من هدفه ذلك إلا حذف اللام أو ما يليها، أي حذف الحرف الأخير من حروف الكلمة الأصلية أو ما بعده. وحذف الحرف يكون على ضربين: "أحدهما حرف زائد على الكلمة مما يجيء لمعنى. والآخر حرف من نفس الكلمة"(7)، وقد تحدث عنه النحاة هنا وهناك في مؤلفاتهم وعنوا به اعتناء شديداً لأهميته في تكملة معنى الجملة أو الكلمة، فيقدرون هنا أو هناك محذوفاً لإكمال المعنى، وقد ذهب سيبويه إلى أنَّ الحذف "في الكلام لكثرة استعمالهم كثير"(8)، وقد يكون الحذف استثقالاً(9)، وذهب ابن هشام إلى أنَّه من المهمات، وفصل القول فيه وفي شروطه(10)

وقد عد بعضهم الحذف تخفيفاً تلجأ إليه اللغة العربية حتى تخفف النطق على أصحابها(11)، وذهب الإمام الجرجاني إلى أنَّ الحذف "دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر"(12)، ولا يرد عليه قول بعضهم: "حذف الحروف ليس بالقياس ... وذلك أنَّ الحروف إنَّما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به"(13)؛ لأنَّه هنا يعنى حروف المعاني لا حرف اللام أو ما بعده، الذي يقصده هذا البحث؛ لأنَّه قال بعد ذلك: "إذا قلت: ما قام زيد، فقد أغنت ما عن النفي، وهي جملة فعل وفاعل"(14).

**أسباب الحذف:**

وأسباب الحذف كثيرة في اللغة العربية ومواضعه أكثر(15)؛ لذا وضع اللغويون بعض الشروط التي تضبط عملية الحذف كالقواعد له عددها بعضهم(16)

**حذف اللام وما بعدها**

معلوم أنَّ اللام تقابل آخر حرف أصلي في الكلمة، والكلمة التي يمكن أن تحذف لامها هي الفعل، أو الاسم لسبب من الأسباب كذلك ما بعدها، أما الحرف فإنَّه لا يدخله التصريف.

**أسباب حذف اللام وما بعدها:**

تتعدد أسباب حذف لام الفعل، فقد يكون سبب الحذف صوتياً؛ أي اجتماع عدد من الأصوات المتماثلة، كما جاء في قوله تعالى: (لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ)186/3، فقد حذف نون الرفع لتوالي ثلاث نونات، هي نون الرفع ونون التوكيد الساكنة، ونون التوكيد المفتوحة، والنون معلوم أنَّها من الأصوات الانفجارية متوسطة بين الشدة والرخاوة(17)، وعليه من الصعب على المتكلم أنْ ينطق بها متلاحقة، فحذفت نون الرفع؛ لأنَّها لم تأتِ لمعنى، تمشياً مع القاعدة: "زيادة الثقل تستدعي زيادة التخفيف"(18)، كما حذفت

الواو الفاعل؛ لأنَّها التقت بساكن وهو النون الأولى، ومن المتعذر النطق بساكنين كما هو معلوم عند العرب.

وقد تحذف نون الوقاية كذلك، نحو قوله تعالى: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)64/39، وقد يكون الحذف لسبب صوتي وصرفي كما في قوله تعالى: (أَنَّ تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)237/2، فحذف الواو من الفعل تعفو لما اجتمعت الواو الأصلية للفعل وهي من الأصوات الصوامت الطويلة(19)؛ لأنَّ ما قبلها مضموم، وهي ساكنة مع الضمير واو الجماعة، وهو ساكن أيضاً ومن المتعذر النطق بالساكنين، وكأنَّه اجتمع أربع واوات.

وقد تحذف اللام من الاسم بسبب صوتي وصرفي كما في قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ )152/7، فقد اجتمعت الياء الأصلية في اسم الفاعل، وهي من الصوامت الطويلة(20)؛ لأنَّ ما قبلها أيضاً مكسور، مع ياء النصب، فحذفت؛ لكونها تعد أربع كسرات متوالية؛ لأن القدماء كانوا يعدون الحركات حروفاً قصيرة(21)، وعليه يمكن القول إنَّ الحروف التي تماثل الحركات هي حركات طويلة؛ أي أكثر من حركة، فعندما تجتمع تحذف للتناسق الصوتي و الانسجام(22).

وقد تحذف اللام تخفيفاً لسبب صوتي كما في نحو قوله تعالى: (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ)134/6، فقد اجتمع تنوين الرفع مع الياء فتعثر النطق بهما فحذف معها. وفي نحو قوله تعالى:(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ)41/50، وهي من الصوامت الطويلة(23)؛ أي كسرتين مع الكسرة على الدال فثقلت الثلاث فحذفت الياء. وكذلك ما بعد اللام نحو قوله تعالى:(قالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً)10/19

وقد يكون سبب الحذف عاملاً نحوياً، كما في قوله تعالى: (مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)123/4، فحذف الألف من الفعل يجزى لجزمه باسم الشرط. وقد يكون الحذف بسبب البناء، كما في قوله تعالى: (كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)26/19

وقد يحذف لام الاسم لعامل نحوي، نحو قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)64/5. ويلاحظ أنَّ الفعل أكثر تعرضاً للحذف لذلك يقدم على الاسم في البحث.

**المبحث الأول:**

**الحذف في الفعل:**

معلوم أنَّ الفعل يقسم إلى ماضٍ ومضارع وأمر، والمضارع يُخص بالإعراب، وقد سبق أنَّ الفعل تحذفُ منه اللام، وقد يحذف ما بعد اللام لأسباب عدة:

**أولاً- الحذف لسبب صوتي:**

قد يكون الفعل معتل اللام فتحذف نون الرفع مع اللام، كما في قوله تعالى: (قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)93/3، فقد حذف لام الأفعال: يأتي، يتلو، الياء والواو وهي من الصوائت الطويلة كما سبق، فاجتمع أكثر من كسرتين و أكثر من ضمتين كما سبق فحذفت الياء والواو؛ لأنَّهما اتصلتا بواو الجماعة الساكنة أيضاً، فاجتمعت العلتان توالي الأمثال، والتقاء الساكنين، فاجتمع هنا حذف اللام، وما بعدها. وكما في قوله تعالى: (اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ)200/3، فقد حذف النون من الفعل: يتقي؛ لأنَّها اتصلت بواو الجماعة، كما سبق أيضاً.

وقد يأتي فعل الأمر مقترناً بالضمير المتصل ياء المتكلم، فتجلب نون الوقاية، وتحذف نون الرفع، كما في قوله تعالى:(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ)31/3، فقد حذف النون من الفعل يتبع، لاتصاله بواو الجماعة، وجلب نون الوقاية لاتصاله بياء المتكلم، فلما اجتمع نونا الرفع والوقاية، أصبح هنا ثقل في لفظ الكلمة فكان لزاماً أن تحذف إحداهما؛ لأنَّها من الأصوات الانفجارية متوسطة بين الشدة والرخاوة، ويصعب النطق بها هنا.

**ثانياً- الحذف لسبب صرفي:**

قد يجتمع السبب الصوتي مع الصرفي، فقد يحذف حرف من حروف الكلمة خاصة حروف العلة؛ لأنَّها ساكنة، فإذا التقى ساكنان، ولم يكن هناك سبيل للتخلص من هذا الالتقاء، لجأ العرب للحذف، حلاً لهذه المشكلة في كلامهم "فلما كانت هذه السواكن لا تحرك حذفت الألف حيث أسكنت، والياء والواو"(24)، وهذه الأحرف "بائنة من جميع الحروف؛ لأنَّها لا يمد صوت إلا بها، والإعراب منها، وتحذف لالتقاء الساكنين في المواضع التي تحرك فيها غيرها"(25)، أي أنَّ هذه الحروف تساعد المتكلم على مد صوته، وعلامات الإعراب الأصلية أجزاء منها، وهي بعض العلامات الفرعية المعلومة في كثير من الأبواب، لا حاجة لذكرها.

وسبب حذف الساكن "أنَّ الساكن إذا كان مدغماً يجري مجرى المتحرك؛ لأنَّ اللسان يرتفع بها دفعة واحدة، فلذلك لا يجوز اجتماع الساكنين إلاَّ إذا كانا على الشرط المذكور، فإنْ لم يكونا على الشرط المذكور، فلا بد من تحريك أحدهما أو حذفه، فإن كان الساكن الأول حرف مد ولين، وهو أنْ يكون ألفاً أو ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واواً ساكنة قبلها ضمة، فإنَّه إذا لقيها ساكن بعدها حذفتها"(26)، والحذف في استعمال العربية نوعان: "أحدهما يجب عن علة. والثاني يحذف تخفيفاً. فأما الحذف الذي يجب عن علة فإنَّه "ينقاس ويطرد أين وجدت علته، أوجبت حذفه"(27)، أي هذا الحذف قياسي.

أما الحذف الثاني "مما لا ينقاس ولا يطرد، وإنَّما يستعمل حيث استعملته العرب، ويؤدَّى كما سُمع، فمن ذلك "حذف الهمزة والألف والواو والياء والهاء والباء والحاء والخاء والفاء"(28)

**الحذف القياسي:**

الحذف القياسي له مواضع مختلف في عددها منهم من جعلها ثلاثة مواضع(29)، ومنهم ذكر مواضع عدة(30)، منها:

1- فاء الفعل المثال الواوي نحو: وعد يعد وتصريفاته.

2- الحرف الزائد في الفعل، نحو: أكرم ، يكرم وتصريفاته.

3- عين الثلاثي المكسورة التي من جنس لامه، مسنداً لضمائر الرفع المتحركة، نحو: ظللت، وله أحكام(31)

4- عين الفعل الأجوف عند إسناده لضمائر الرفع المتحركة، نحو قلت، وبعت؛ لسكون لامه و اسم مفعوله مثله في الحذف.

5- لام الفعل الناقص المسند لضمائر الرفع الساكنة على تفصيل يأتي، نحو: الطلاب سعوا للنجاح.

6- الاسم المقصور عند تنوينه تحذف ألفه لفظاً، نحو: هذا فتى جميل، وعند جمعه مذكراً سالماً، نحو : الأعلى: الأعلون وسيأتي شيء منه.

7- الاسم المنقوص تسقط ياؤه نكرة، إذا جاء مرفوعاً أو مجروراً، نحو: هذا قاض، مررت بساع في الخير، وعند جمعه جمعاً سالماً للمذكر، نحو: دعا الداعون للخير.

8- نون الرفع من الأفعال الخمسة عند توكيدها بالنون الثقلية: نحو: هل تتقدمانِّ للامتحان؟ هل تقولُنَّ الحق؟ هل تقولِنَّ الحق؟ من الملاحظ أنَّ الحذف يحدث عند التقاء ساكنين، في كثير من مواضعه. فمتى يلتقي ساكنان؟

معلوم أنَّ عملية التحدث تعتمد على الحركات التي تلحق "الحرف ليوصل إلى التكلم به"(32)، فالحركات تساعد المتكلم في أدائه اللغوي، لذا فإنَّ السكون المتكرر، أو التقاء الساكنين لا تفضله اللغة العربية، وقد وضعت له حلولاً عدة؛ لأنَّه "لا يجوز، بل هو غير ممكن، وذلك من قِبل أنَّ الحرف الساكن كالموقوف عليه، وما بعده كالمبدوء به، ومحال الابتداء بساكن، فلذلك امتنع التقاؤهما"(33)، وذلك في غير الوقف، ومواضعه كثيرة، وما يخص البحث ما يقع في الأفعال، و الأسماء.

**أمَّا ما جاء في الأفعال فهو كما يأتي:**

أ- الفعل الماضي:

1- الفعل الماضي معتل اللام بالألف عند اتصاله بتاء التأنيث، نحو: سعت، دعت.

2- الفعل الماضي معتل اللام مسنداً إلى واو الجماعة، نحو: سقوا، دعوا.

ب – المضارع:
1- الفعل المضارع معتل اللام عند إسناده إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة، نحو قوله تعالى: (يَخْشَوْنَ رَبَّهُم)12/67، ونحو: تدعين، وتعطين. والأفعال المؤكدة بالنون الثقيلة، هي الفعل المضارع المرفوع المؤكد وكان مسنداً إلى ألف الاثنين نحو: لتجتهدان، ولتدعوان، أو إلى واو الجماعة، نحو: لتقولن، لترضون، أو مسنداً إلى ياء المخاطبة، لتقولِن، لترضين، ولتدعين، وأمره كذلك تقول: اجتهدانِّ، وارضيانِّ، واجتهدُنَّ، واجتهدِنَّ، وارضونَّ وارضَينَّ، وأما الماضي فلا يؤكد.
ج – فعل الأمر:
1- فعل الأمر معتل اللام مسنداً إلى واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، ادعوا، تزكوا، ادعي، تزكي، والأفعال تلك موضع الدرس هنا.

**أما ما جاء في الأسماء:**

هناك أسماء معتلة قد يلتقي فيها ساكنان، وذلك في المقصور أو المنقوص وذلك عند جمعها جمعاً مذكراً سالماً، وسيأتي إن شاء.

وكما سبق فإنَّ اللغة حاولت أنْ تضع حلولاً لهذه الظاهرة، ومنها تحريك أول الساكنين بالكسر، وهو الأصل على رأي، فقد "يحرك بغيره لوجهٍ ما، ويجوز كون الفتح الأصل؛ لأنَّ الفرار من الثقل، والفتح أخف"(34)، وإنْ لم يمكن ذلك، فالحل عندئذٍ يكون الحذف كما سبق.

ولا شك في أنَّ أكثر مواضع الحذف هي مواضع التقاء الساكنين المذكورة آنفاً، وهي التي تخص البحث في هذا الموضع، ولا حاجة لإعادتها مرة أخرى.

**حذف اللام أو ما يليها في الأفعال لالتقاء الساكنين في سورة آل عمران:**

من المواضع التي ذكرت سابقاً قد تبين أنَّ الحذف لا يكون إلا عند التقاء ساكنين، فإذا التقيا تعين التخلص من هذه المشكلة حتى يسهل إخراج الكلمات بصورة مقبولة لدى المتكلم والسامع؛ لذا وضعت اللغة العربية حلولاً للخروج منها، وما يهمنا في هذا البحث هو الحذف بشرطه، وهو أن يكون أول الساكنين حرف مدٍّ ولين، أو توالي الأمثال.

وقد جاء حذف اللام، وما يليها صرفياً في الفعل بصور عدة(35):

**أ. الفعل الماضي:**

حدث في الفعل الماضي المبني للمعلوم في مواضع منها قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ)119/3، فقد حذف اللام في الفعلين لقوكم، وخلوا، وهي من الأفعال الناقصة بالألف المنقلبة عن ياء في الفعل لقي، لذا ضم ما قبل واو الجماعة، والفعل الثاني ناقص بالألف أيضاً المنقلبة عن واو لذا فتح ما قبل واو الجماعة(36)، فقد

حذفت الألف الساكنة عندما أسند الفعلين لواو الجماعة الساكن أيضاً، فكان التخلص من الساكنين بحذف أحدهما فكان اللام؛ لأنَّها من الصوائت الطويلة(37)، والواو فاعل عمدة لا يحذف إلا نادراً.

وكذا قوله تعالى:( لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ)188/3، فقد حذف اللام من آخر الفعل أتى، وهي "تكون بمعنى فعل... فمعنى بما أتوا: بما فعلوا، ويدل عليه قراءة أبي بما فعلوا"(38)، و للفعل قراءة عن الأعمش: (بما آتوا)، أي أعطوا"(39)

وقد ورد الحذف من الماضي المبني للمجهول في فعلين في قوله تعالى: (لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ)186/3، فقد حذف الألف من الفعل أتوا المبني للمجهول في هذه الآية والتي تليها، كما حذفها من الفعل أوذوا، في قوله تعالى: (فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي)195/3، لما التقت الألف أيضاً بواو الجماعة فحذفت اللام للسبب السابق.

**ب. الفعل المضارع:**

قد جاء الفعل المضارع مبنياً للمعلوم بصور عدة، فقد جاء مسنداً لواو الجماعة معرباً مرة، وأخرى مبنياً؛ لأنَّه اتصل بنون التوكيد الثقيلة، وجاء مبنياً للمجهول مرفوعاً مرة، ومؤكداً أخرى.

أما ما جاء منصوباً أو مجزوماً فقد اجتمع فيه حذفان: حذف اللام للساكنين، وحذف النون للنصب أو الجزم، أما النصب فكما جاء في قوله تعالى: (إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً)28/3، وفي قوله تعالى: (وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ)143/3، فقد حذف النون للنصب، أما اللام من الفعل تتقي، ومن الفعل تلقى، فقد حذف الياء من الفعل تتقوا، والألف من الفعل تلقوه؛ لأنَّ الياء والألف ساكنان، وقد أسند الفعلان لواو الجماعة الساكن، فحذف الحرفان منهما، كما سبق في الياء والواو.

أما المجزوم فوقع في آيتين في قوله تعالى: (إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ)125/3، وفي قوله تعالى: (إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)186/3، وقد تكرر الفعل تتقوا معطوفاً على الفعل تصبروا المجزوم بحذف النون، وحذفت اللام منه لالتقاء الساكنين.

أما المرفوع فقد جاء في هذه السورة مبنياً للمعلوم كثيراً(40)، منها قوله تعالى: (مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)44/3، ومنها قوله تعالى: (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)187/3، فقد حذف اللام من الفعلين: يلقون، ويشترون، وذلك للالتقاء الساكنين عند إسنادهما لواو الجماعة، فاجتمعت الياء والواو الساكنين.

وقد جاء المرفوع مبنياً للمجهول في آية واحدة، هي قوله تعالى: (وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)185/3، فقد حذف اللام من الفعل توفى، وهي الألف المنقلبة عن الياء؛ لفتح ما قبل آخر المضارع عند بنائه للمجهول؛ لأجل الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين(41)

أما المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة فقد جاء مبنياً للمعلوم في أربع آيات(42)، منها قوله تعالى: (لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ)186/3، وفي قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ)187/3، فقد اجتمع فيهما حذف نون الرفع لتوالي الأمثال كما سبق، و ما بعد اللام، وهو واو الجماعة(43)؛ لأنَّه بعد أن حذف نون الرفع للتخفيف التقى ساكنان الواو والنون الأولى من نوني التوكيد، فحذف الواو لأنَّه "وجد ما يدل عليها، وهو الضم قبلها"(44)

وقد جاء المضارع المؤكد بالنون الثقيلة مبنياً للمجهول في آية واحدة في قوله تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ)186/3، وقد حذف من الفعل (تُبلى) اللام، وهي الألف لالتقاء الساكنين الواو والألف، وفتح ما قبل الواو، و لم يحذف الواو؛ "لأنَّه ليس قبلها ما يدل عليها"(45)، وقد فتح ما قبل الواو فتحركت فبقيت(46)

**ج- فعل الأمر:**

وقع حذف اللام أو ما يليها من فعل الأمر في بعض الآيات(47)، وكلها معتلة اللام مسندة إلى واو الجماعة، وقد تكرر الفعل تعالوا في ثلاث آيات(48)، منها قوله تعالى: (تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ)64/3، فالفعل تعالوا فعل أمر مبني على حذف النون حسب القاعدة، وقد حذف لامه الألف، لذا فتح ما قبل آخره دليلاً على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، فإنَّ أصله: "تعاليوا، فيقال: تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، أو يقال: استثقلت الحركة على الياء فحذفت (الحركة) فالتقى ساكنان: الياء والواو فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وبقي ما قبل واو الجماعة مفتوحاً كتناجوا"(49)، وأصل الياء واو "لأنَّه من العلو، فأبدلت ياء لوقوعها رابعة ثم أبدلت الياء ألفاً"(50)

وقد جاء الحذف في قوله تعالى: (قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)93/3، فقد وقع الحذف في فعلين، وهما مبنيان على حذف النون، وقد حذفت اللام لما أسند الفعلين لواو الجماعة؛ لأنَّه التقى ساكنان، الياء والواو، ولم يُفتح ما قبل الواو؛ لأنَّ اللام من الياء في الفعل يأتي، ومن الواو في الفعل يتلو.

**ثالثاً- الحذف بسبب العامل النحوي:**

ركز النحاة على العامل في النحو العربي حتى أصبح النحو يقوم على نظرية العامل، والعوامل منها ما هو مختص بالأسماء، ومنها ما هو مختص بالأفعال.

وعوامل الأفعال تختص بالفعل المضارع المسند للمفرد وغيره، فهو قد يرفع، وقد ينصب، وقد يجزم، أما النصب يكون بعلامة الفتحة ظاهرة أو مقدرة، وقد يكون بحذف النون، أما الجزم فقد يكون بالسكون، وقد يكون بحذف اللام، وقد يكون بحذف النون، وقد يشركه في ذلك فعل الأمر عند الكوفيين(51)

**عوامل النصب:**

لا يخلو كتاب نحو من هذه العوامل، وهي تخص البحث، إذ يكون النصب بحذف النون، وذلك عندما يكون المضارع من الأفعال الخمسة، ولا يختص بها عامل معين، بل يقع الحذف مع جميع عوامل النصب، وهي: أنْ، لنْ، كي، إذن، وقد أفرد سيبويه إذن بباب وحدها؛ لأنَّها "عملت في الفعل عمل أرى في الاسم، إذا كانت مبتدأة"(52)

معلوم أنَّ علامة النصب الأصلية الفتحة إلا أنَّ هناك علامات فرعية تنوب عنها، وهي: الألف في الأسماء الستة، والياء في المثنى و جمع المذكر السالم، والكسرة في جمع المؤنث السالم، وحذف النون في الأفعال الخمسة، و هي أفعال مضارعة اتصلت بأحد ضمائر الرفع الساكنة، والنون التي تحذف لعامل النصب تأتي بعد هذه الضمائر، وبعد لام الفعل أيضاً، وهي ما يخص البحث.

**النصب بحذف النون في سورة آل عمران:**

عُلم أنَّ النصب بحذف النون يكون في الأفعال الخمسة نيابة عن الفتحة، وقد ورد النصب في سورة آل عمران ما يقرب من سبعة عشر موضعاً(53)، بصور عدة، منها ما ينصب بأن المصدرية ظاهرة، وذلك في ستة مواضع، وموضع جاء معطوفاً على ما نصب بأن، وذلك في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ)73/3، فالفعل يحاجوكم نصب بحذف النون؛ لأنَّه عطف على أن يؤتي، وقد ذهب الزمخشري إلى أنَّه "عطف على أن يؤتي، والضمير في يحاجوكم لأحد؛ لأنَّه في معنى الجميع، بمعنى: ولا تؤمنوا لغير أتباعكم"(54)، وقد جاء النصب بأن مباشرة في نحو قوله تعالى:( أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ)142/3، فحذف النون من الفعل تدخلوا علامة النصب الفرعية.

أما حذف النون من المضارع بأن المضمرة بعد اللام، فقد جاء في موضعين(55)، منها قوله تعالى:( إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا)178/3، فحذف النون من الفعل يزدادون، ووقع المصدر المفعول الثاني لتحسب على القراءة بالتاء، والتقدير: ولا تحسبن يا محمد إملاء الذين كفروا خيراً، ليزدادوا إيماناً، بل ليزدادوا إثماً(56)، وورد منصوباً بحذف النون معطوفاً على المنصوب بأن مضمرة في موضع واحد، في قوله تعالى:(لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ)127/3، فقد نصب الفعل ينقلبون عطفاً على ليقطع المنصوب، أو على يكبتهم، فاللام "متعلقة بمحذوف، تقديره ليقطع طرفاً، أمدكم بالملائكة، أو نصركم، فالفعل يقطع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفعل ينقلبون معطوف عليه، فحذف النون لذلك، وجاء منصوباً بأن مضمرة بعد حتى في موضع واحد، في قوله تعالى:(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)92/3، فنصب الفعل تنفقون بأن المضمرة بعد حتى فحذف النون.

أما ما نصب بالحذف بالحرف لن، فقد جاء في أربعة مواضع(57)، منها ما جاء في قوله تعالى: (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى)111/3، فقد حذف النون عندما نصب الفعل يضرون.

أمَّا ما نصب بالحذف بالحرف كي، فقد جاء في موضع واحد، في قوله تعالى:(فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ)153/3، فقد جاء الحرف كي بين حرف الجر اللام، وبين حرف النفي لا، وهنا تعمل كي بنفسها كما سبق، فالفعل تحزنون منصوب بكي وعلامة نصبه حذف النون.

وقد تجتمع أداتان للنصب في آية واحدة، كما جاء في قوله تعالى: (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)92/3، فقد نصب الفعل تنالون بالحرف لن، ونصب الفعل تنفقون عطفاً على المنصوب بأنْ مضمرة بعد حتى.

**الحذف بسبب الجزم:**

عرفوا الجزم بأنَّه: "ضرب من الكتابة، وهو تسوية الحرف. وقلم جزم: لا حرف فيه، ومن القراءة: أن يجزم الكلام جزماً، توضع الحروف في مواضعها في بيان و مهل، والجزم الحرف إذا سكن آخره، وجزمت القربة إذا ملأتها، وجزمت له جزمة من مال أي؛ قطعته له"(58)، ومن هنا أخذه النحاة في الاصطلاح.

فالجزم: سكون الحرف أو قطعه عن الحركة، وقد جعل النحاة السكون علامة الجزم الأصلية، وقطع بعض الحروف من الكلمة علامة فرعية، فحذف حرف العلة من الأفعال الناقصة، وحذف النون من الأفعال الخمسة، هما علامتان فرعيتان للجزم.

**عوامل الجزم:**
يحدث الحذف في الفعل المضارع كعلامة فرعية، إما بحذف اللام، أو بحذف ما بعدها، والفعل المضارع يجزم بعوامل عدة، منها ما يجزم فعلاً واحداً، ومنها ما يجزم فعلين.
1_ ما يجزم فعلاً واحداً:
وعوامل جزم الفعل هنا: لام الأمر، ولا التي للنهي، ولم، ولما أختها(59)، ولا يجوز أن تفصل بينها وبين الأفعال بشيء(60)

2- ما يجزم فعلين:
وهي أدوات الشرط "وضعت للدلالة على تعليق بين جملتين من غير وقوع الثانية منهما متسببة عن الأولى عند الوقوع"(61)، فهي حرف هو (إنْ) ساكنة النون متفق عليه، وحرف آخر مختلف عليه، وهو إذما(62)، والباقي أسماء، هي: من، ما، مهما، أي ، متى، أيان، أين، حيثما، أنَّى، ويعد الحرف إنْ أم الباب، والباقي يتضمن معناه(63).
وهناك خلاف حول عامل الجزم في جواب الشرط (64)، ومعلوم أنَّ الفاء السببية قد تسقط، فيجوز في المضارع بعدها الرفع والجزم، وذهب سيبويه إلى أنَّهم جزموه؛ لأنَّهم "جعلوه معلقاً بالأول غير مستغنٍ عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أنَّ: إنْ تأتني، غير مستغنية عن: آتك، وزعم الخليل: أنَّ هذه الأوائل كلها فيها معنى إنْ، فلذلك انجزم الجواب(65)، وقد مثَّل للجزم بقوله تعالى: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ)3/15، وللرفع بقوله تعالى:( ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)91/6، وما يخص البحث، هو الجزم الموجود في سورة آل عمران.
**الجزم بحذف آخر الفعل، أو النون في سورة آل عمران:**
علامة الجزم الأصلية السكون، وهناك علامتان فرعيتان، هي حذف اللام من الفعل المضارع معتلها وغير متصل بضمائر الرفع الساكنة، وحذف النون من المضارع المتصل بهذه الضمائر.
وقد ورد الجزم في هذه السورة الكريمة بالحذف في ستة وعشرين موضعاً، بحذف لام الفعل، أو حذف النون كما سيأتي، وهناك أفعال معطوفة على أفعال الشرط، وهناك أفعال في جواب الشرط، أو ما عطف عليها، قد تكون في موضع واحد، أما من حيث العوامل، فقد جاء الحذف بعوامل تجزم فعلاً واحداً، وبعوامل تجزم فعلين، أو بعد سقوط الفاء بعد أمر أو ما يشبهه، كما سيأتي.

1- الجزم بعوامل تجزم فعلاً واحداً:

وقد جاء المضارع مجزوما بالحذف في عشرة مواضع(66)، كان الجزم بالحرفين: لا الناهية ولم، أما الجزم بالحرف لم، فقد جاء في قوله تعالى: (وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)73/3، فقد جزم الفعل يصرون، فحذف النون منه، وفي قوله: (يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ)188/3، أما باقي المواضع، فقد استأثرت بها لا الناهية، فقد كثر النهي في هذه السورة، وذلك نحو قوله تعالى: (لاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ)73/3، فقد حذف النون للجزم بلا الناهية أو الطلبية، وكما في قوله تعالى:( وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)194/3، فقد حذف لام الفعل تخزى لوجود اللام أيضاً، وقد تكرر هذه اللام كما في قوله تعالى: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)139/3

2- الجزم بعوامل تجزم فعلين:

وقد جاء الحذف بأدوات الشرط في أربعة عشر موضعاً(67)، وفي ستة مواضع استخدم في السورة القرآنية الحذف بعد الحرف إن، نحو قوله تعالى: (إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ)100/3، ونحو قوله تعالى:(إِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ)111/3، فقد حذف النون من الأفعال: تطيعون، يردون، يقاتلون، يولون، وكلها جزمت بحذف النون.

وقد جاء شيء منها معطوفاً على فعل الشرط، كما في قوله تعالى: (إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ)29/3، ونحو قوله تعالى: (وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)179/3، وغيرها، فقد جزم بحذف النون الأفعال: تبدون، عطفاً على تخفون، وتتقون عطفاً على تؤمنون.

أما الحذف بأسماء الشرط، فقد جاء في خمسة مواضع. موضعان بمن في قوله تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)85/3، وقوله تعالى: (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)161/3، وقد حذف لام الفعل من فعل الشرط يبتغي، علامة للجزم باسم الشرط من ، كما حذف اللام أيضاً من الفعل يأتي في جواب الشرط.

وأما الاسم ما فقد جاء جازماً في موضعين أيضاً، في قوله تعالى: (وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)92/3، وكذلك في قوله تعالى:(وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ)115/3، فقد حذف النون جزماً، بالاسم ما من الفعلين: تنفقون ويفعلون، وهما فعلا الشرط.

وقد جاء الجزم في جواب الأمر في موضع واحد في قوله تعالى:(قُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ)61/3، فمن النحاة من جعله مجزوماً جواباً للأمر، فالفعل: "تعالوا، أمر فيه معنى التحريض، وبيان الحجة، ندع، جواب الأمر مجزوم"(68)، ومنهم من جعله مجزوماً بشرط محذوف، فقال: "ندع، جواب

لشرط محذوف"(69)، وقد سبق آنفاً قول الخليل عن الأجوبة الثمانية "أنَّ هذه الأوائل كلها فيها معنى إن، فلذلك انجزم الجواب"(70)

وقد جاء الجزم بعد الشرط وجوابه عندما اتصل المضارع بالفاء في موضع واحد وذلك في قوله تعالى:(إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ)149/3، فالفعل تنقلبون يجوز فيه "الجزم على العطف، والرفع على الاستئناف، والنصب على الجواب بإضمار أن، كقولك: إن تقم أحسن إليك فأعطيك درهماً، الجزم على معنى: أحسن وأعط، الرفع على معنى: فأنا أعطي، والنصب بإضمار أن على العطف المعنوي، كأنَّ المعنى: إن تقم يكن إحسان فإعطاء"(71)

وقد اجتمع الحذف جزماً ونصباً في موضع واحد، كما جاء في قوله تعالى: (وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ)115/3، فقد حذف النون جزماً من فعل الشرط يفعلون، وحذف النون أيضاً من الفعل يكفرون نصباً بالحرف لن، المقترنة بالفاء الواقعة في جواب الشرط .

يلاحظ أنَّ الحذف بالعامل، قد جاء في سورة آل عمران سواء بعد الناصب أم بعد الجازم، وكان حذف النون أكثر من حذف لام الفعل مع الجوازم، وقد جاء الجزم في أسلوب الشرط أكثر من حروف الجزم، فما جاء مجزوماً به أكثر من الثلث بقليل فقط، وهذا يعني أن القرآن يخاطب مجموع المسلمين بالشرط أكثر من خطابه للمفرد، وقد جاء الحذف بالنصب أكثر من نصف مواضع الجزم بقليل.

**رابعاً- البناء:**

قد يكون الحذف في الفعل علامة على البناء، وذلك إذا كان الفعل المضارع معتل اللام، أو كان من الأفعال الخمسة، وذلك عند صياغة فعل الأمر منهما، فالحذف يكون علامة على البناء.

وفعل الأمر مبني عند البصريين، مجزوم عند الكوفيين بلام مضمرة، أي أنَّه مختلف حول بنائه، وعلى رأي البصريين فهو مبني، وهو الرأي الدارج بين المعلمين والمتعلمين، لذا فإنَّ البناء يعد سبباً في حذف لام الفعل، أو ما بعد اللام.

وقد ورد فعل الأمر في سورة آل عمران في عشرين آيـة(72)، وقد يذكر فعل الأمر في الآيـة أكثر من مـرة، منها ما جاء محذوف اللام، ومنها ما جاء محذوف النون.

أما ما جاء محذوف اللام، فقد ورد في آيتين: في قوله تعالى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)159/3، فقد حذف الواو من الفعل يعفو علامة على البناء، وفي قوله تعالى: (تَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ)193/3، فقد حذف اللام من الفعل يتوفى علامة للبناء.

أما باقي المواضع جاءت بحذف النون؛ لأنَّها من الأفعال الخمسة سواء أكان معتل اللام أم صحيحها، أما ما جاء صحيح اللام محذوف النون، نحو قوله تعالى: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)42/3، فقد حذف النون من الأفعال: يقنت، يسجد، يركع؛ لأنَّها اتصلت بضمير المخاطبة المفرد المؤنث، وقوله تعالى: (فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ)137/3، فقد حذف النون من الفعلين: يسيرون، وينظرون؛ لأنَّها اتصلت بواو الجماعة.

وقد يكون الفعل معتل اللام رغم ذلك تحذف اللام، كما جاء في قوله تعالى: (تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ)61/3، فقد حذف لام الفعل، وفي قوله تعالى: (قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)93/3، فقد حذف لام الأفعال: تعالى، يأتي، يتلو، والنون لأنَّها اتصلت بواو الجماعة علامة على البناء، فاجتمع حذف اللام، وما بعدها.

وقد يأتي في الآية فعلان: أحدهما صحيح اللام، والآخر معتلها، كما في قوله تعالى: (اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ)200/3، فقد حذف النون من الأفعال: يصبر، ويصابر، ويرابط، ويتقي؛ لأنَّها اتصلت بواو الجماعة، وحذفت اللام من الفعل يتقي أيضاً.

وقد جاء فعل الأمر مقترناً بالضمير المتصل ياء المتكلم، فجاءت نون الوقاية، وحذفت نون الرفع، كما في قوله تعالى:(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ)31/3، فقد حذف النون من الفعل يتبع، لاتصاله بواو الجماعة، وجلب نون الوقاية لاتصاله بياء المتكلم.

**رابعاً- الحذف للتخفيف:**

قد يحذف ما بعد لام الفعل للتخفيف أو لكونه رأس آية(73)، وقد جاء في هذه السورة الكريمة في آيتين هما قوله تعالى: (اتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ)50/3، وقوله تعالى: (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ)175/3، فهناك ضمير متصل هو الياء في محل نصب؛ لذا جلب نون الوقاية وكسرها، ومعلوم أنَّ نون الوقاية في هذه الحالة واجبة(74)

**المبحث الثاني:**

**الحذف في الأسماء:**

قد تحذف اللام أو ما بعدها في بعض الأسماء، وإن كان الحذف فيها أقل من الأفعال، وقد تحذف اللام لعلة صوتية أو صرفية، وقد يحذف ما بعد اللام لوجود العامل، أو للتخفيف.

**أولاً- الحذف بسبب صوتي:**

كما كان الحذف لعلة صوتية و صرفية في الأفعال الناقصة، فإنَّ الحذف هنا يكون في الأسماء المشتقة منها كاسم الفاعل والمفعول وغيرها من مشتقات، والمصادر عند التقاء الساكنين.

وقد جاء اسم الفاعل في ثلاث آيات، من الفعل اتقى مرتين، ومن الفعل عفى مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)133/3، وفي قوله تعالى: (وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)138/3، وفي قوله تعالى: (الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)134/3، ويلاحظ أيضاً أنَّها مجموعة جمعاً سالماً، وقد اتصل حرف الإعراب الياء الساكن بنظيره الأصلي الساكن وهي من الأصوات الصوامت الطويلة ؛أي التقى ساكنان فحذف الحرف الأصلي منهما؛ لتعذر النطق بهما، كما هو معلوم في العربية، وحذف الحرف الأصلي؛ لأنَّ حرف الإعراب جاء لمعنى، وما جاء لمعنى لا يحذف.

وأصل المتقين جمع موتقي، فاتصلت الياء لامه، بياء الإعراب فالتقى ساكنان، وقد "حذفت الكسرة من الياء الأولى لثقلها، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين"(75)، والمحذوف هو الياء الأصلية، لا ياء الجمع؛ لأنَّها جاءت لمعنى و"إذا حذفت لا يبقى على ذلك المعنى دليل فكان إبقاؤها أولى"(76)

وقد جاء اسم التفضيل من الفعل علا مجموعاً أيضاً، في قوله تعالى: (وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ)139/3، فمفردها أعلى، جمعت بالواو والنون، فالتقت الواو، بالألف الساكن، وهي من الأصوات الصوامت الطويلة ، فالتقى ساكنان "فحذف الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة تدل عليها"(77)، كما سبق لتعذر النطق بهما.

**ثانياً- الحذف لعلة صرفية:**

فقد جاء مصدر الفعل اتقى في آيتين في قوله تعالى: (إِلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً)28/3، والآية: (اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)102/3، و تقاة مصدر أصله: "وقية، فأبدلت الواو تاء كما أبدلوها في: تجاه وتكاه، وانقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو مصدر على فُعلة كالتؤدة، والتخمة"(78)، وهي من الفعل الثلاثي وقى، إلاَّ أنَّه استخدم الأمر من الخماسي اوتقى (افتعل) ومصدره افتعال.

**ثالثاً- الحذف للعامل:**

معلوم أنَّ النون في المثنى والمجموع على حدِّه، تحذف عند الإضافة؛ لأنَّها من العوامل التي تجر الاسم، وهي "ليس باسم ولا ظرف، فقولك: مررت بعبد الله، وهذا عبد الله"(79)، فإنَّ إضافة لفظ الجلالة لعبد، جعلته مجروراً، وقد علم من كلام له أنَّ الجر ليس عامله الإضافة "وإنما هي المقتضية له، والمعنى بالمقتضى ههنا أنَّ القياس يقتضي هذا النوع من

الإعراب لتقع المخالفة بينه وبين إعراب الفاعل والمفعول، فيتميز عنهما، إذ الإعراب إنَّما وضع للفرق بين المعاني، والعامل هو حرف الجر أو تقديره"(80)، والإضافة تكون بمعنى اللام أو بمعنى من أو بمعنى في(81)، وهذا يناقض قول بعض النحاة في مسوغات الابتداء بالنكرة، بأنَّها إنْ كانت عاملة فيما بعدها الجر يجوز الابتداء بها، كما جاء في الحديث الشريف: (خمسُ صلواتٍ كتبهن الله على العباد)(82)

ويحذف للإضافة ما في المضاف من تنوين(83)، أو نون تلحق المثنى وجمع السلامة للمذكر(84)، وذلك لأنَّ الإضافة تنزَّل منزلة التنوين(85)، ويفترق التنوين عن النون، بأنَّ التنوين "نون زائدة ساكنة تلحق الآخر لغير توكيد"(86)، وذلك في اللفظ دون الخط(87)، وهناك فرق آخر بينهما، وهو أنَّ كل تنوين نون، لا العكس(88)، والنون ليست كالتنوين في الدلالة على التنكير والانصراف والإعراب، كما أنَّها ليست عوضاً من شيء(89)، وعليه فالتنوين ليس مما نحن فيه؛ لأنَّه يكون علامة فوق لام الكلمة، ولا يأتي بعدها، أما النون في المثنى والجمع على حده، فهي مما بعد لام الاسم، وهي علامة لكنها مستقلة بنفسها مع حركتها.

ورد في هذه السورة في ثلاث آيات مباركة(90)، هي قوله تعالى: (يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ)13/3، وفي قوله تعالى: (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ)49/3، وفي قوله تعالى: (قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا)165/3، ففي الآية الأولى والثالثة حذف نون المثنى من قوله: مثلين؛ لإضافتها لضمير الغائب، وفي الآية الثانية حذف النون من بنين الملحق بجمع المذكر السالم(91)؛ لإضافته للاسم الظاهر إسرائيل، وقد جاء الحذف بعد علامة النصب الياء في المواضع جميعها.

**رابعاً- الحذف في الاسم للتخفيف:**

ورد هذا الحذف في هذه السور الكريمة في لفظة واحدة (رب)، مضافة لياء المتكلم في ثلاث مواضع: قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ)40/3، وقوله: (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً)41/3، وفي الآية: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ)47/3، لا شك في أنَّ كلمة رب وقعت في نداء يفيد الدعاء، وقد أضيف إلى ضمير المتكلم المفرد، ومعلوم أنَّ هذه الياء إذا أضيفت للمنادى، فيها خمسة أوجه، فتقول: "يا غلامِي ويا غلامَي، ويا غلامِ، ويا غلاما، ويا غلامَ، بحذف الألف مع خفتها؛ لأنَّها بدل من الياء، فجرت مجراها في الاستغناء عنها بحركة"(92)، وقد أضاف بعضهم ضم المنادى، حيث يكتفى من الإضافة بنيتها، ويضم الاسم كما تضم المفردات،... نحو قراءة : (قَالَ رَبُّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ)33/12"(93)، فقد ضم كلمة ربِّ وهي منادى، وهذه الآيات التي وردت بحذف الياء، قد جاءت على أقوى اللغات، وهي حذف الياء وإبقاء الكسرة.

**مما سبق يتبين:**
أنَّ الحذف ظاهرة متأصلة في اللغة العربية وأنَّه يستحق الدراسة.
كان الهدف من الحذف التخفيف على القارئ أو المتكلم أو السامع.
الحذف يشمل الصوت، و الصرف، والنحو فضلاً عن الحذف البلاغي.
الحذف كان من أجل أغراض عدة: منها يكون لغرض صوتي و صرفي لأجل تجنب التقاء الساكنين، حيث الصوامت الطويلة المتعذر النطق بها، ومنها يكون بسبب التخفيف، و منها نحوي، فهو يكون علامة إعرابية.
حدث الحذف في الأفعال أكثر من الأسماء في سورة آل عمران.
كان الحذف علامة إعرابية فرعية جزماً ثم نصباً أكثر منه كعلامة بناء، أو لعلة صرفية أو صوتية، ثم ما جاء لعلة صرفية ثم ما جاء علامة للبناء، ثم ما جاء لعلة صوتية أو للتخفيف.
خطاب مجموع المسلمين بالجزم في أسلوب الشرط وغيره أكثر من خطاب المفرد.
كان حذف النون أكثر من حذف لام الفعل مع الجوازم.
ما جاء الحذف فيه بالجزم أكثر من ثلث مواضع الحذف بقليل .
وقد جاء الحذف بالنصب أكثر من نصف مواضع الجزم بقليل.
قد يكون الحذف عند التقاء ساكنين، وله شروط.

**فهرس الهوامش**

1- ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1999م 34/1
2-حسان، دكتور تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، القاهرة، 1992م, ص 51.
3- ابن جنى، عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، 1993م، 65/1
4- ابن سنان الخفاجي, عبد الله, سر الفصاحة, دار الكتب العلمية, بيروت, 1982م ص:.58
5- الفراهيدي، الخليل، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، 1986م 202/3،201 (حذف)
6- ابن جني، عثمان، الخصائص 362/3
7- المصدر السابق 383/3
8- سيبويه، عمرو، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1973م 130/2
9- ابن قتيبة، محمد بن عبد الله، تحقيق، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة, بيروت،1982م, ص.229
10- ابن هشام، عبد الله ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت ،1991م 692/2
11- عفيفي، الدكتور أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1996م، ص.217

12- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ب ت، ص 178.
13- ابن جني، عثمان، الخصائص 275/2
14- المصدر السابق والصفحة
15- حمودة، د. طاهر، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار المصرية، الإسكندرية، ب ت ص27 وما بعدها
16- ظاهرة الحذف ص109، وما بعدها وفي ظاهرة التخفيف ذكر أقل من شروطه ص 217وما بعدها
17- أنيس، د.إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، مصر،1979م ص66، وحسان، د.تمام، مناهج البحث اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،1990م ص105
18-عفيفي،د.أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة، 1996م ص336
19-عبد الجليل،د.عبد القادر،الصرف الصوتي، دار أزمنة للطباعة والنشر، الأردن،1998م ص 97
20-المرجع السابق والصفحة
21- ابن جني، عثمان، الخصائص 317/2
22-الجندي، د. أحمد ،اللهجات العربية في التراث،الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا،1978م 709/2
23- عبد الجليل، د.عبد القادر، الصرف الصوتي ص 97
24- سيبويه، الكتاب 158/4
25- المقتضب 210/3
26- شرح المفصل 122/9
27-الثمانيني،عمر بن ثابت، شرح التصريف، تحقيق الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض،1999م ص373
28-المصدر السابق والصفحة.
29- ابن هشام ، عبد الله ، أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ب ت، 406/4، الصبان، محمد بن على، حاشية الصبان على الأشموني، مكتبة الإيمان، مصر، ب ت 501/4، و الحملاوي، الشيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، مطبعة الحلبي، مصر، 1965م، ص.168
30- ابن عقيل، عبد الرحمن، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات, دار المدني، جدة، 1984م 183/4 وما بعدها.
31- المصدر السابق 197/4
32- سيبويه، الكتاب 242/4
33- ابن يعيش، موفق، شرح المفصل، مكتبة المتنبي ، القاهرة، ب ت 120/9
34- شرح المفصل 129/9، المساعد338/3
35- الآيات:.195،188،187،186،177،172،155،119،112،108،32
36-الدمياطي، محمد بن أحمد، براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف، تحقيق الدكتور محمد العمروسي، الدار الفنية, القاهرة، 1988م، ص.62
37- علم الصرف الصوتي ص94،95
38-الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط ،عناية عرفات حسونة وغيره، دار الفكر، بيروت، 1992م، 465/3،466

39- النحاس،أحمد بن محمد،إعراب القرآن، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1988م 425/1
40-الآيات :.199،187،153،143،118،112،111،110،104،99،83،78،77،44
41- براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف ص61، شذا العرف ص.65
42-الآيات:.187،186،102،81
43- شذا العرف في فن الصرف ص.59
44- براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف ص .63
45- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس 455/1
46-المصدر السابق والصفحة و براعة التأليف ص.63
47-الآيات: .167،102،93،64،61
48- في الآيات: .167،64،61
49- براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف ص .36
50- العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق الدكتور علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، 1976م 268/1
51- الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، مصر، ب ت 524/1،مسألة:72، الشرجي، عبد اللطيف، ائتلاف النصرة، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت،1987م ص125، والمبّرد، محمد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ب ت 3/2،44
52- سيبويه، الكتاب 12/3
53-الآيات: 28 ،.80،122،142،143،188،73
54- الزمخشري، محمود، الكشاف ، انتشارات آفتاب، تهران، ب ت 437/1، التبيان في إعراب القرآن 271/1
55-الآيات: 80،178، وفي موضع واحد عطف على منصوب بأن مضمرة.
56- التبيان في إعراب القرآن 313/1
57-الآيات: 92،111،115،177
58- العين للخليل 73/6
59- ابن مالك، محمد، شرح التسهيل، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد المختون، هجر، القاهرة، 1990م 63/4،64
60- سيبويه، الكتاب 111/3
61- المساعد على تسهيل الفوائد 132/3
62- الاسترأبادي، محمد شرح الرضي، تحقيق د. يوسف عمر،جامعة قاريونس، ليبيا،1978م 90/4، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 102/1، وقد عدها سيبويه حرفاً؛ لأنها تشبه إنما وكأنما. الكتاب 57/3
63- سيبويه، الكتاب94/3
64- شرح الرضي 92/4
65- سيبويه، الكتاب94/3
66- الآيات: 73،103،105،118،135،139،156،175،188،194
67- الآيات: 2،75،85،92،100،111،112،115،120،125،145،149،161،179
68-النحاس،أحمد بن محمد،إعراب القرآن، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1988م 383/1

69- التبيان في إعراب القرآن268/1، شرح الرضي 118/4
70- سيبويه، الكتاب94/3
71- المالقي، أحمد، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، ب ت ص385، حاشية الصبان 34/4،35
72-الآيات:150،137،133،119،106،102،95،93،72،61،42،32،31، 200،193،181،179،173،168.
73- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس 218/1
74- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 397/2
75- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس 181/1
76- التبيان في إعراب القرآن16/1
77-المصدر السابق 294/1
78- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس 365/1، البحر المحيط 94/3
79- سيبويه، الكتاب 419/1
80- شرح المفصل 117/2
81-شرح الرضي 206/2
82-ابن حنبل، الأمام أحمد، الموسوعة الحديثة، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت،2001م، حديث رقم:22720 عن عبادة ورقم:22693 عن عبادة أيضاً.
83- جهاوي، الدكتور عوض المرسي، ظاهرة التنوين في اللغة العربية، الخانجي، القاهرة،1982م، ص53
84- سيبويه، الكتاب 184/1، شرح التسهيل223/3، المساعد على تسهيل الفوائد 330/2
85- شرح المفصل 118/2
86- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 392/2
87-العشائر، محمد بن محمد بن أبي اللطف، الموضح المبين لأقسام التنوين، تحقيق الدكتور محمد عامر حسن، مكتبة المجلد العربي، مصر، 1988م، ص39
88- المصدر السابق ص38
89- رصف المباني في شرح حروف المعاني ص .339،340
90- الآيات:.165،49،13
91- سيبويه، الكتاب 184/1
92- شرح التسهيل 281/3
93- أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك 38/4

**فهرس المصادر والمراجع**


1. ابن جنى، عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، 1993م،
2. ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1999م
3. ابن حنبل، الأمام أحمد، الموسوعة الحديثة، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت،2001م
4. ابن سنان الخفاجي, عبد الله, سر الفصاحة, دار الكتب العلمية, بيروت, 1982م
5. ابن عقيل، عبد الرحمن، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات, دار المدني، جدة،1984م
6. ابن قتيبة، محمد بن عبد الله، تحقيق، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة, بيروت،1982م
7. ابن مالك، محمد، شرح التسهيل، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد المختون، هجر، القاهرة، 1990م
8. ابن هشام ، عبد الله ، أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ب ت
9. ابن هشام، عبد الله ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت ،1991م
10. ابن يعيش، موفق، شرح المفصل، مكتبة المتنبي ، القاهرة، ب ت
11. الاسترأبادي، محمد، شرح الرضي على الكافية، تحقيق د. يوسف عمر،جامعة قاريونس، ليبيا،1978م
12. الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، مصر، ب ت
13. الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط ،عناية عرفات حسونة وغيره، دار الفكر، بيروت، 1992م
14. أنيس، د.إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، مصر،1979م
15. الثمانيني،عمر بن ثابت، شرح التصريف، تحقيق الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض،1999م
16. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ب ت
17. الجندي، د. أحمد ،اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا،1978م
18. جهاوي، الدكتور عوض المرسي، ظاهرة التنوين في اللغة العربية، الخانجي، القاهرة، 1982م
19. حسان، د.تمام، مناهج البحث اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،1990م
20. حسان، دكتور تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، القاهرة،1992م,
21. الحملاوي، الشيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، مطبعة الحلبي، مصر، 1965م
22. حمودة، د. طاهر، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار المصرية، الإسكندرية، ب ت
23. الدمياطي، محمد بن أحمد، براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف، تحقيق الدكتور محمد العمروسي، الدار الفنية, القاهرة، 1988م،
24. الزمخشري، محمود، الكشاف ، انتشارات آفتاب، تهران، ب ت
25. سيبويه، عمرو، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، مصر،1973م

26. الشرجي، عبد اللطيف، ائتلاف النصرة، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت،1987م
27. الصبان، محمد بن على، حاشية الصبان على الأشموني، مكتبة الإيمان، مصر، ب ت
28. عبد الجليل، د.عبد القادر،الصرف الصوتي، دار أزمنة للطباعة والنشر، الأردن،1998م
29. العشائر، محمد بن محمد بن أبي اللطف، الموضح المبين لأقسام التنوين، تحقيق الدكتور محمد عامر حسن، مكتبة المجلد العربي، مصر، 1988م
30. عفيفي، الدكتور أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1996م
31. العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق الدكتور علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، مصر، 1976م
32. الفراهيدي، الخليل، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، 1986م
33. المبّرد، محمد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ب ت
34. النحاس،أحمد بن محمد،إعراب القرآن، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1988م

# قراءة في البعد الدّلالي العقائدي للفعل المجرد الثلاثي
# دراسة في المستوى الصرفي

د. لخضر حداد
أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية: professor lecturer
جامعة الجزائر

**مقدمة**

لقد وجدنا كثيرا مِن الباحثين قد اهتموا بالقضايا اللّغوية ذات الصلة بالنص القرآني، فكانت عنايتهم بها عناية فائقة، حيث تركّزت جلّ أبحاثهم في الحديث عن لغة القرآن الكريم، وأسلوبه وخصائصه التركيبية، وصوره البيانية، كما تعدّى هذا الاهتمام إلى نصوص الحديث النبوي الشريف، فتناولوا أهم القضايا النحوية واللغوية التي تضمّنها كتاب "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري"، لبدر الدّين العيني (ت 855 هـ)، كما عرّجوا على "صحيح مسلم"، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261 هـ)، ليستخلصوا منه بعض الظواهر اللغوية التي تستحق الإشادة والتنويه. ولم يُستثن من ذلك بعض كتب التفاسير التي حظيت هي الأخرى بالدّراسة والبحث في المسائل اللّغوية التي استوقفت المفسرين مُطوّلاً.

ودراستنا هذه هي تحاول إماطة اللثام عن بعض الصّيغ التي تحمل دلالات عقائدية، وذلك على المستوى الصرفي دون اللجوء إلى المستويات الأخرى من البحث اللغوي.

واقتضت طبيعة الدراسة هذه اتباع الخطوات المنهجية الآتية:

**المبحث الأول: تعريف[1] الصرف**

**1 ـ الصرف لغة**

يأتي الصرف بمعنى الدفع والرد[2]، يقال صرفته فانصرف، وصرّفته أصرّفه تصريفا، يقال فتصرّف، أي طاوع قبل التصريف[3]. قال الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: **"ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ"**[4] وقال أيضا: **"أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ"**[5].

**2 ـ الصرف في الاصطلاح**: التصريف علم بأصول تعُرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"[6].

يقو ابن السراج[7]: "هذا الحدّ إنما سُمّي تصريفا لتصريف الكلمة الواحدة بأبنية مختلفة، وخصوا به ما عرض في أصول الكلام، وذواتها من التغيير، وهو ينقسم خمسة أقسام، زيادة وإبدال وحذف، وتغيير الحركة والسكون، وإدغام وله حد يعرف به"[8].

أما التعريف الذي أورده الشيخ الحملاوي، فلا يختلف عن سابقه إلا أنّه أضاف كلمة "بناء" إلى التعريف حيث يقول: "علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء"[9].

**3 ـ أهمية علم التصريف**

وقد تحدث أهل العلم عن مكانة علم التصريف وأهميته، واستحسان تعلّمه بعد علم النحو، إذ رأوا فيه نوعا من المشقة والصعوبة للمبتدئ، وفي هذا المعنى يقول ابن جني (ت392هـ): "فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بُدِئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد؛ ليكون الارتياض في النّحو موطئا للدخول فيه، ومُعينا على معرفة أغراضه ومعانيه, وعلى تصرف الحال"[10].

وقد تبنىّ الفكرة نفسها ابن عصفور، وسار على خطى ابن جني، حيث قال: "وقد كان ينبغي أن يقدَّم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب. ومعرفة الشيء في نفسه، قبل أن يتركب، ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب. إلا أنه أُخِّر للطفه ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة له، حتى لا يصل إليه الطالب، إلا وهو قد تدرّب وارتاض للقياس[11].

ومن الكلام السابق، فقد بدا لنا جليا مدى أهمية علم الصرف وخصوصيته، بل لا يمكن أن يستغني عنه الباحثون في مجال الدّراسات اللغوية ذلك أنه "ميزان العربية؛ ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف"[12].

ومما لا شك فيه أيضا، أن علم الصرف هو الطريق الموصل إلى الاشتقاق، وأنّ بعض القضايا العقدية لا يمكن الخوض فيها إلا بالاستعانة بعلم الصرف، ولهذا قال ابن عصفور: "ألا ترى أن جماعة من المتكلّمين امتنعوا من وصف الله -سبحانه- بـ "حنان"، لأنه من الحنين، والحنة من صفات البشر الخاصة بهم، تعالى الله عن ذلك؟ وكذلك امتنعوا أيضًا من وصفه بـ "سخي"، لأن أصله من الأرض السخاوية وهي الرخوة. بل وصفوه بـ "جواد"؛ لأنه أوسع في معنى العطاء، وأدخل في صفة العلاء. وامتنعوا أيضًا من وصفه

بـ"الدَّاري"، وإن كان من العلم، لأن أصله من الدَّرِيَّة. وهي شيء يضعه الصّائد لضرب من الحِيلة والخديعة"[13].

**المبحث الثاني: علاقة الصيغة الفعلية بالجانب العقدي:**

إنّ أول ما أتناوله بالدراسة هو بعض الصيغ الفعلية الواردة في القرآن الكريم والتي لها علاقة مباشرة بالجانب العقدي، وقد تفطن إلى هذا المعنى ابن قيم الجوزية حيث قال: "لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسُغ أن يخبر عنه بأفعالها، فلا يقال: يسمع ويرى، ويعلم ويقدر ويريد، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها"[14].

ويعتبر الفعل النواة الرئيسية المكونة للجملة الفعلية، وقد جاءت تعريفات الفعل عند النحاة متباينة ومختلفة إلى أن استقر عند أبي علي الفارسي (377هـ) حيث عرّف الفعل قائلا: "حد الفعل كل لفظة دلت على معنى مقترن بزمان محصل"[15].

وما يمكن ملاحظته أن تعريف أبي علي الفارسي هو الأكثر تداولا عند النحاة بداية من القران الرابع الهجري

إلى يومنا هذا. كما عرف مصطلح الفعل تطورا كبيرا على يد النحاة المتأخرين[16].

**أبنية أفعال الأسماء والصفات**

- **المجرّد**[17] : هو ما كانت أحرفه أصولا، وينقسم قسمين: المجرد الثلاثي والمجرد الرباعي.

وللمجرد الثلاثي ثلاثة أوزان هي فَعَل وفَعِل وفَعُل، وله ستة أوزان باعتبار المضارع، يشترك في خمسة منها المتعدي واللازم وهي: (فَعَل - يفعَل) و(فعَل - يفعُل) و(فعِل - يفعَل) و(فعَل - يفعِل)، و(فعِل، يفعَل).

**أولا: صيغة [فَعَل، يفعَل]**

فأما فَعَل، يفعَل فتفتح عين المضارع إذا كانت الهمزة أو الهاء أو الحاء أو العين أو الخاء لاما أو عينا.

وما جاء من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم بهذه الصيغة ما يأتي:

- بدأ، يبدأ: في مثل قول الله عزّ وجلّ: **"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ"[18]**. وقوله عز وجل أيضا: **"الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ"**[19].

- بَعَث، يَبْعَث: في مثل قول الله عز وجل: **"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ"[20].**

وقوله: "**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**"[21].
وقوله أيضا: "**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**"[22].

ـ سمَِع، يسْمَع: وردت هذه الصيغة في قوله تعالى: "**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**"[23]. وقوله أيضا: "**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**"[24]. وقوله كذلك: "**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**"[25].

والملاحظ في هذه الصيغ أن عين مضارعها جاءت مفتوحة، يقول سيبويه (ت108هـ) معللا وقوع هذه الظاهرة: "وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والياء والواو"[26].

وأما ابن جني، فيرى أن المسألة تعود إلى العلاقة بين الحرف والمخرج حيث يقول: فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"[27].

والظاهرة هذه يمكن تفسيرها "بالعلاقة بين جرس الفتحة ومخرج حروف الحلق، والحركة الوحيدة التي تتصف بالانفتاح هي الفتحة، ومن هذه الصفة أخذت اسمها"[28].

وقد رصد لنا النّحاة القدامى، صيغا من هذا الباب [فعَل ـ يفْعَل]، وقد وردت على الأصل، لكنها خالفت تلك العلاقة التي ذُكرت آنفا، ومن هذه الأفعال على سبيل المثال: هنَأ يهنِئ، ونزع ينزِع، ونطح ينطِح، وشعَر يشعُر، ومخض يمخُض، ونخَل ينخُل[29].

واللافت للانتباه في هذه الأفعال عدم تأثير حروف الحلق في حركة العين، ولا يعني ذلك التقليل من شأن الأفعال التي فتح عين مضارعها. وهكذا يبدو لنا عناية القدامى ودقتهم في معالجة الجانب الصوتي التي تتميز بها اللغة العربية عن سائر اللغات الأخرى.

يقول ابن الأثير (ت630 هـ) معززا الفكرة السابقة: "فإن أكثر اللغة مستعمل على غير مكروه، ولا تقتضي حكمة هذه اللغة الشريفة التي هي سيدة اللغات إلا ذلك، ولهذا أسقط الواضع حروفا كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقال واستكراه، فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين، وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف، ولا بين اللام والراء، ولا بين الزاء والسين، وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج، دون

المتقارب"..ثم يضيف قائلا: "لكنّا نرى من الألفاظ ما إذا عكسنا حروفه من الشفة إلى الحلق أو من وسط اللسان أو من آخره إلى الحلق لا يتغير، كقولنا غلب؛ فإن الغين من حروف الحلق، واللام من وسط اللسان، والباء من الشفة، وإذا عكسنا ذلك صار بلغ، وكلاهما حسن مليح"[30].

**ثانيا: صيغة [فَعَل، يفعُل]**

ومن هذا الباب في مثل قولك: "سكت يسكُت، وجاع يجوع، ودنا يدنو، ودخل يدخُل، وجال يجول، وخطا يحطو، وسما يسمو، وما إلى ذلك"[31].

وما جاء في القرآن الكريم من هذه الصيغة ما يأتي:

ـ بَسَط يَبْسُط: في قوله عزّ وجلّ: **"وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"**[32]. وقوله: **"اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ"**[33]. وقوله أيضا: **"إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا"**[34].

وقد ورد الفعل في السياق القرآني بصيغة المضارع في سورة القصص،82، والعنكبوت/82، والروم/37، وسبإ/39/36، والزمر/39، والشورى/12، والروم/48.

وورد بصيغة الماضي في موضع واحد في قوله تعز وجل: **"وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ"**[35].

وليس المقصود هنا البحث في أزمنة الفعل، بل عمدنا ذكرها للتنبيه فقط، ذلك أنّ بحثنا يقتصر على دراسة الصيغة في جانبها الشكلي، وما يعتريها من تغيير في الحركة بفعل بعض العوامل ذات الصلة بالصويتات.

ـ حَكَم يحكُم: في قول الله عزّ وجلّ: **"فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"**[36]. وقوله تعالى: **"وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ"**[37]. وقوله أيض: **"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ"**[38].

وجاء الفعل بصيغة المضارع في السياق القرآني في المائدة/1، والأعراف/87، ويونس/10، ويوسف/80، والرعد/41، والنحل/124، والحج/56 ـ 69، الزمر/3، والممتحنة/10.

وقد ورد بصعغية الماضي في موضع واحد في سورة غافر في قوله عز وجلّ: **"قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ"**[39].

**ثالثا: صيغة [فَعَل، يفعِل]**

وما جاء على هذا الوزن بكسر العين في القرآن الكريم ما يأتي:

ـ قضى، يقضي: في قول الله عزّ وجلّ: **"وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"**[40]. وقوله أيضا: **"وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ"**[41].

وقد جاء الفعل بصيغة الماضي في السور الآتية: الإسراء/23/4، ومريم/35، وغافر/68، وفصلت/12، فصلت/12، القصص/44، سبأ/14.
ـ جاء، يجيء: في مثل قوله عزّ وجلّ: **"وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا"**[42].
لقد تفطن النحاة القدامى عند استقرائهم للصيغ، في البابين الأخيرين [فعَل، يفعُل ـ وفعَل، يفعِل] بأنّ "ليس أحدُهما أولى به من الآخر ولا فيه عند العرب إلا الاستحسانُ والاستخفاف فمما جاء واسْتُعْمِلَ فيه الوجهان قولهم: نفر ينفِر وينفُر وشتم يشتِمُ ويشتُم، فهذا يدلُّ على جواز الوجهين فيهما، وأنهما شيء واحد لأنَّ الضمة أختُ الكسرة في الثِّقل؛كما أن الواو نظيرةُ الياء في الثقل والإعلال؛ ولأن هذا الحرفَ لا يتغيّرُ لفظة ولا خطُّه بتغيير حركته.. وعن أبي زيد أنه قال: طفت في عُلْيا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب صغيرَهم وكبيرَهم لأعرف ما كان منه بالضم أولى، وما كان منه بالكسر أولى؛ فلم أجدْ لذلك قياسا وإنما يتكلم به كلُّ امرىء منهم على ما يَستحْسِن ويستخفُّ، لا على غير ذلك.
ونظنُّ المختارُ لِلْكَسْر هنا وجَدَ الكَسر أَكثرَ استعمالا عند بعضهم؛ فجعله أفصح مِن الذي قلَّ استعمالهُ عندهم، وليست الفصاحة في كثرةِ الاستعمال، ولا قِلَّته وإنما هاتان لغتان مستَويتان في القياس والعلّة وإن كان ما كَثر استعماله أعرف وآنس لطول العادة له"[43].
ومما سبق ذكره نستشف الحيرة التي انتابت النّحاة بسبب تغير حركة عين المضارع من فَعَل، يفعُل إلى فَعَل يفْعِل، وعدم ثباتها على حركة واحد، مما أدى ذلك إلى وقوع خلاف بسيط بين النحاة في هذه المسألة، قال أبو علي: "هذان المثالان يعني يفْعِل ويَفْعُل جاريان على السواء في الغلبة والكثرة. قال وقال أبو الحسن يَفْعِل أغلب عليه من يفْعُل، قال أبو علي: وذلك ظن إنما توهم ذلك من أجل الخفة نحكم أن يفعِل أكثر من يفعُلُ ولا سبيل إلى حصر ذلك فيعلم أيهما أكثر وأغلب، غير أنا كلما استقرينا باب فَعَل الذي يعتقب عليه المثالان يفعُل ويفعِل وجدنا الكسر فيه أفصح، وذلك للخفة كقولنا: خفق الفؤاد يخفِق ويخفُق وحجل الغراب يحجِل ويحجُل وبرد الماء يبرِد ويبرُد وسمط الجدي يسمِطه ويسمُطه وأشباه ذلك مما قد تقصاه متقنو اللغة، كالأصمعي وأبي زيد وأبي عبيد وابن السكيت وأحمد بن يحيى فهذا مذهب أبي علي في يَفْعِل يَفْعُل"[44].
وخلاصة القول في هذين البابين أن المسألة تعود إلى السّماع، "فما كان على فَعَل من مشهور الكلام مثل: ضرب ودخل فالمستقبل فيه على ما أتت به الرواية وجرى على الألسنة يضرب ويدخُل فإذا جاوزت المشهور فأنت بالخيار إن شئت قلت يفعُل أو يفعِل"[45].

**رابعا: صيغة [فَعِل، يفْعَلُ]**

يأتي الفعل على هذه الصيغة من الصحيح والمعتل وكذلك المضعّف[46]. ومن أمثلة ذلك: أسِيَ يأْسَى، وأمِن يأمَن، وجزِعَ يجْزَع، وحزِن يحزَن، وحصِر يحْصَر..[47].

ويأتي من هذا الباب في القرآن الكريم على النحو الآتي:

- بقِيَ يبْقَى: في مثل قول الله عزّ وجلّ: **"وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"**[48].

- شهِد، يشهَد: نحو قوله سبحانه وتعالى: **"شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"**[49].

**خامسا: صيغة [فَعِل، يفْعِلُ]**

والأفعال التي جاءت في هذا الباب قليلة جدا ذكرها سيبويه وهي: يئِس ييئِس، وورِم يرِم، وورِع يرِع.

ومن أمثل ما ورد في هذه الصيغة في السياق القرآني ما يأتي:

- قدِر يقدِر: في مثل قول الله عزّ وجلّ: **"اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ"**[50]. وقوله أيضا: **"إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا"**[51].

ولم يرد الفعل بصيغة الماضي حسب علمنا؛ بل انتشر في بقية السور بصيغة المضارع على الشكل الآتي: الروم/37، وسبأ/39/36، والزمر/52، والشورى/12ن والبلد/5.

**سادسا: صيغة [فَعُل، يفْعُلُ]**

أفعال هذا الباب قلية الورود، فضلا عن مجيئها في الأسماء والصّفات، يقول ابن جني: "وعلّته عندي أن هذا موضع معناه الاعتلاء والغلبة, فدخله بذلك معنى الطبيعة والنحيزة التي تغلِب ولا تُغلب, وتلازم ولا تفارق. وتلك الأفعال بابها: فَعُل يفُعل, نحو: فقُه يفقُه إذا أجاد الفقه, وعلُم يعلُم إذا أجاد العلم"[52].

**خاتمة:**

لقد حاولنا في بداية هذه الدراسة المتواضعة التقيد بالعنوان قدر الاستطاعة، ولم نتطرق إلى الجوانب الأخرى ذات الصلة بالموضوع، واكتفينا في ذلك بالمستوى"الصرفي" في معالجة الظاهرة اللغوية، ثم أبرزنا بعض آراء القُدامى القيمة في هذا المجال عند استقرائهم لمختلف الصّيغ الفعلية.

إننا نؤمن أنّ أي دراسة لظاهرة لغوية ما، ينبغي أن تُعالج ضمن مستوياتها اللغوية المعروفة لدى الباحثين في هذا المجال وهي، المستوى الصّرفي

والصّوتي والنّحوي والدّلالي؛ لأننا نعتقد أن تلك المستويات غالبا ما تتكامل وتتقاطع فيما بينها، لتأتي النتائج أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها مرضية.
وقد يسأل سائل، والحيرة تكاد لا تفارقه، لما ربطتم الدّرس اللغوي بالجانب العقدي ؟ والجواب عن هذا السؤال يكون على النحو الآتي:
**أولا**: لا نريد أن تُوجّه المسائل اللّغوية توجيها بما تمليه المذاهب العقدية،كما كان الحال في الخلافات التي وقعت بين مختلف المدارس الكلامية في قضايا عقائدية شائكة.
**ثانيا:** لقد بات من الضروري إعادة النظر في مادة "العقيدة" وتنقيتها مما علق بها من شوائب وعرضها على ناشئتنا بصورة ناصعة ومنهج بسيط، بعيدٍ عن الخلافات المذهبية.

**الهوامش والمصادر:**

1 ـ يقال الصّرف والتّصريف، وهما بمنزلة واحدة، قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون: "التّصريف هو علم الصرف"، ويسمى أيضا علم التصريف. انظر، التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ص 16.
ويرى البصريّون أنّ "الأصل في الأسماء كلها الصرف". انظر، عبد الرحمن بن محمد، كمال الدين بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط 1، 1424هـ- 2003م، 2/.399
2 ـ الشريف على الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ص .174
3 ـ ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، ط 2، بيروت ـ لبنان، ص .19
4 ـ آل عمران/.152
5 ـ هود/8.
انظر، الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، 1972م، مادة "صرف"، والزمخشري، أساس البلاغة، مادة صرف/353، وابن منظور، مادة صرف.
6 ـ محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1425 هـ 2004م، 1/1.
7 ـ هو أبو بكر محمد بن السّري بن سهل البغدادي، أديب ولغوي ونحوي، توفي سنة 316هـ.
انظر، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1964من 114/112، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مطبعة الخانجي، القاهرة ـ مصر، 5/.319
8 ـ ابن السراج، أبو بكر بن سهل، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 4، بيروت ـ لبنان، 1999م, 3/.231
9 ـ أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، مطبعة دار الكتب المصرية، ط 5، القاهرة 1927م، ص.3

10 - ابن جني، المنصف، دار إحياء التراث القديم، ط 1، 1373هـ - 1954م، ص 3.
11 - ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط 2، بيروت - لبنان،1979م، 30./1
12 - المصدر السابق، ص 27. وانظر أيضا، ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، ص.17
13 - ابن عصفور، الممتع في التصريف، 28/1.
14 - ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ط 1، بيروت - لبنان، 53./1
15 - أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، 7./1
16 - انظر، أميرة علي توفيق، نظرات في الفعل وتقسيماته في النحو العربي، مكتبة زهران، القاهرة، 1981م، ص .22
17 - السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت - لبنان، د.ت.ط، 37./2
18 - العنكبوت/.20
19 - السجدة/.7
20 - البقرة/.21
21 - آل عمران/.164
22 - النحل/.36
23 - آل عمران/.181
24 - المجادلة/.1
25 - طه/.46
26 - سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، مكتبة النهضة، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ط 7، 1977م، 252/2. وانظر، ابن هشام، نزهة الطرف في علم الصرف، ص 100. وانظر أيضا، السّيوطي، المزهر، 38/1. وابن السراج، الأصول في النحو، 102./3
27 - ابن جنّي أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1421هـ - 2000م، 33/1.دي
28 - الطّيب البكّوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم صالح القرمادي، المطبعة العربية تونس، ط 3، 1992م, ص .91
29 - انظر، سيبويه، الكتاب، 253/2، وابن السراج، الأصول في النحو، 102/3 - .103
30 - ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، د.ت.ط، ص 172 - .174
31 - انظر، سيبويه، الكتاب، 217/2. والسّيوطي، المزهر، 38/2 - 39، وابن السراج، الأصول في النحو، 87/3، وابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، ص 61، والحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص .12
32 - البقرة/.245
33 - الرعد/.26
34 - الإسراء/.30
35 - الشورى/.27
36 - البقرة/.113

37 - البقرة/.213
38 - آل عمران/.23
39 - غافر/.48
40 - البقرة/.2
41 - الحجر/.66
42 - الفجر/.22
43 - السيوطي، المزهر في اللغة، 207/1 - .208
44 - ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط 1، 1417هـ 1996م، 4/.276
45 - ابن القطاع علي بن جعفر بن علي السّعدي أبو القاسم،كتاب الأفعال، عالم الكتب ط 1، 1403هـ -1983م، 11/1 - .12
46 - انظر، ابن السراج، الأصول في النحو، 156/3 - .157
47 - انظر، الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 13. وابن هشام، نزهة الطرف في علم الصرف، والسيوطي، المزهر، 2/.38
48 - الرحمن/.27
49 - آل عمران/.18
50 - الرعد/.26
51 - الإسراء/.30
52 - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د.ت.ط، 225/2. قال الرضي الاستراباذي: "ولا يجئ من هذا الباب أجوف يائي، ولا ناقص يائي، لأن مضارع فَعُلَ يَفْعُلُ بالضم لا غير، فلو أتيا منه لاحتجت إلى قلب الياء ألفاً في الماضي، وفي المضارع واواً". محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف
ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1395 هـ - 1975 م، .76/1

# دراسات فكرية وتاريخية

## نهضة الإسلام و الظروف المواكبة لها

# نهضة الإسلام و الظروف المواكبة لها

**الدكتورة عائدة قاسموفا شهلار**
أستاذة الأدب العربي بجامعة باكو الحكومية
عضوة الهيأة الاستشارية جامعة ابن رشد

إن العصر الرابع الهجري في تاريخ العرب لا يعرف بحروب مستمرة ومغامرات ودعاوى سياسية ودينية فحسب، بل يتميز هذا العصر كذلك بارتفاع وارتقاء العلوم والآداب إلي أعلى المستويات.
وسمَّى ( آدم ميز ) Adam Mez هذا العصر عصر نهضة الإسلام ومما يعجب له عندما سُئل Adam Mez عن سبب تسميته هذه لم يجب شيئاً وهزّ كتفيه فقط [1]
وجرى كثير من الجدال والنقاش بين علماء أوربا خلال سنوات طويلة عن معنى كلمة "النهضة" - Renascence وعن صفات وميزات المهاد العام الذي درجت عليه حركة النهضة في الشرق والغرب، وعزا بعض المستشرقين عشوائياً خصائص نهضة الغرب إلى الشرق ونسوا سمات التطور المميزة في الشرق، الأمر الذي أدّى إلى ظهور بعض الغموض في هذه المسألة وعلى الأخص في معنى كلمة "النهضة" الأصلي كنهضة وبعث الحضارات والمدنيات المنسية المندثرة. فإن كانت النهضة في الحقيقة انتعاش وانبعاث المدنيات القديمة، فأية مدنية وأية حضارة انبعثت في العصر العاشر الميلادي في الشرق العربي ؟ .
تضاربت الآراء والملاحظات حول هذا السؤال وادّعى بعض العلماء أنها المدنية اليونانية القديمة وقال آخرون بانه ربما يجب لفت الانتباه كذلك إلى المدنية الفارسية القديم[2]
و ينبغي أن لا نغفل كون النهضة في الشرق لم تكن بعث وانتباه الحضارات المنسية، بل هي تسترعى الاهتمام كدوام التطور المستمر للوعي وارتقائه إلى أعلى المستويات. لأن الشرق لم يعش في القرون الوسطى سنوات الجهالة والخرافة كما كانت في الغرب . ومن هذا المنطلق رأى ( بارتولد ) Bartold

---

[1] ميتس . آدم . نهضة الاسلام. المقدمة بقلم الاكاديمي د. بيرتيلس. موسكو 1973 ص.8 (باللغة الروسية)
[2] المصدر نفسه لا

فرقاً كبيراً بين نهضة الشرق ونهضة الغرب [3] فضلا عن أن القرون الوسطى في الغرب خلافا للشرق كانت قرون الهمجية البربرية. إن Kraschkovskiكرتشكوفسكي "الذي سمّى العصر الرابع الهجري "عصر انحطاط الخلافة السياسي وعهد الازدهار الأعلى للتمدن العربي" قال إن اصطلاح Adam Mez "نهضة إسلام" بالنسبة إلى هذا الازدهارمحيّر جداً[4]

واعتبر شتين Shteyn هو الآخر هذه التسمية غير موافقة للحقيقة[5]

نرى في كلمات هذا العالم إشارة تميِّز نموَّ الشرق عن نموِّ الغرب احسن التمييز وهي إشارة إلى التعليم الديني في الغرب. إن التعليم الديني هو بؤرة هذه المشكلة.

كانت النصرانية آنذاك تسيطر على جميع أنواع الوعي الاجتماعي في الغرب وأدّت هذه السيطرة إلى جمود جميع التعاليم العلمية الفلسفية. فقد نسيت العلوم الدنيوية وكذلك المدنية الرومانية اليونانية القديمة ولم ينتشر ولم يزدهر أي اختراع علمي أو أي تصور علمي مخنوقا في مهده دون التعليم الديني النصراني.

وقد نصبت الكنيسة النصرانية لأصحاب العلم حربا لا هوادة فيها ولا لين، وأصبحت القرون الوسطى في الغرب عهد المحارق للعلماء البارزين وكذلك عهد التفتيش الديني والمحاكم الدينية (inquisition ) على ملايين الناس،حيث قتل وزجّ في غياهب السجن كثير من الناس بتهمة السحر والعلاقة بقوى الشر والأرواح الخبيثة وكان عدد الضحايا من العلماء والمفكرين نتيجة العقوبات الدينية كبيرا جداً ! و عندما غرق الغرب في حومة الجهالة ووقع في هوة العداوة .على العلم والمعرفة نما وترقى الشرق بفضل الإسلام الذي أذكى في نفوس الناس جمرة العلم وجذوة المعرفة. وحينما صدت النصرانية بتعذيبها القاسي ارتقاء العقل والوعي، أزاح الإسلام العقبات أمام العلوم المختلفة بصدمة قوية، لأنه كان يعتمد على العقل والوعي والإدراك، لا على الطاعة العمياء.

يسترعى الاهتمام كذلك دور المساجد في ارتقاء العلوم والآداب حينئذ وكانت المساجد ساحات العلم الكبرى، فلم تكن بيوتا للعبادة فحسب، بل كانت

---

[3] بارتولد. المؤلفات. الجلد السادس .ص617-629 الاكادمي

[4] الاكادمي كراتشكوفسكي. المؤلفات المنتخبة زالمجلد الرابع. ص. 171(بالغة اللروسية)

[5] ف.شتين.اشتراك بلدان الشرق في تمهيد نهضة اوربا.-مجموعة المؤلفات.-الصين و اليابان-تاريخ، ادب. موسكو.1961. ص. 106 (بالغة الروسية)

أيضاً معاهد لتعليم الشباب[6]، وكان المسجد مثابة المجادلة والمناقشة للفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والصوفية وكذلك للشعراء والأدباء وان كثيرا من العلماء البارزين مثل ابن سينا و البيروني والفارابي والآخرين الذين انتفعوا في ملاحظاتهم العلمية من الإسلام وكتابه المقدس كينبوع لا ينفد فلم يكونوا علماءَ فقط، بل وكانوا حفاظ القرآن أيضاً وألمّوا بعلم الحديث والتفسير والتأويل والفقه.

ولا ينبغي لنا أن نهمل أن الإسلام كان يبرز الهوادة والتسامح في مسائل الدين فيفضل المناظرة والمجادلة على الإكراه والإفزاع وعلى الأخص بالنسبة لأهل العلم والأدب. مثلا, من المعلوم أن أبا العلاء المعري كان شكاكاً وجاء في هذا الصدد في معجم الأدباء لياقوت الحموي:

*" ...وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: "اليوم أقف على اعتقاده" فقلت له: ما أنا إلا شاك، فقال: هكذا شيخك"* [7].

قد تجاوز المعري في بعض أشعاره حد الإفراط وإنَ بعض أفكاره في مسائل الدين تترك قراءَه متحيرين حتى في أيامنا هذه وعند قراءة بعض أشعاره ومنتجاته مثل "رسالة الملائك" و"رسالة الغفران" يستولي على العقل هذا السؤال: كيف كتب أبو العلاء المعري في القرون الوسطى مثل هذه المؤلفات والأشعار ولم يقتل و حتى ما زج في السجن؟ وهكذا شأن أبي نواس الذي اتخذ المجون معيارا لحياته و شعارا ومذهبا لإبداعه وقام في بعض أشعاره مثل "فتوى فقيه" ضد بعض الأحكام الدينية وكذلك شأن أبي العتاهية الذي مال إلى الثانوية ...

* * *

بدأت رياح النهضة في الشرق تهب من الصين – من مهد المدنيات القديمة وتربة الثروات المعنوية الروحانية. ونرى النهضة في الصين تتفاوت من النهضة العربية بالظروف التاريخية السياسية التي واكبت هذه النهضة وببواعثها الاجتماعية. بحيث يتوافق في الصين اختمار الوعي وإحياء المعرفة وانتعاش الفنون والآداب مع ازدهار الدولة الإقطاعية الصينية وتوطدها وتعززها وكذلك مع انقطاع الحملات الخارجية والحروب الداخلية. وكان المهاد العام الذي أرهص ببواكير النهضة في الصين يتصف

---

[6] شوقي ضيف. تاريخ الادب العربي.العصر العباسي الاول.مصر. ص. 100.

[7] ياقوت الحموي.:تاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب. المجلد الاول.ص. 171.

بالاستقرار السياسي والثبات الدولي[8] وإنْ اختلفت النهضة الصينية عن النهضة العربية الإسلامية في الظروف التاريخية السياسية وفي الشروط الاجتماعية وقد اتفقتا في تجليات النهضة وفي أهدافها وأطوارها وفي التيارات العلمية الإيديولوجية الخاصة بهما واتفقتا كذلك بالهموم الفكرية الباعثة لإدراك إسعاد الإنسان وليس من همّنا في هذا البحث أن نستقصي حركة النهضة في الصين ولكنا نريد رسم بعض ملامحها العامة.

برزت النهضة في الصين قبل كل شئ في ازدياد عدد المكتبات. فعدد الكتب المخطوطة في المكتبة الإمبراطورية مثلا كان كبيرا جدا. وقد صدرت في القرن الثامن جريدة عنوانها "أنباء العاصمة" وأخذ الصينيون في القرن التاسع يطبعون الكتب بالحروف الهيروغلافية. ونضج في الصين كثير من العباقرة والنوابغ مثل "خَان يُوي" (764-824) "لِيُو سْزُون-يوَان" (773-819) "اويَان سْيُو" (1007-1072) "سْيُو-سْيُونْ" (1003-1066) وإلخ. ولا ينبغي لنا أن نغفل إن حركة إحياء الوعي واختمار الإدراك قد اتجهت في الصين ضد التأسيسات الدينية الإيديولوجية الموجودة مثل البوذية والدوسية هذا ما تفترق به نهضة الصين عن النهضة العربية الإسلامية.

وارتفعت موجات النهضة كذلك في الهند بارتقاء العلوم مثل الطب والرياضيات وعلم النجوم وقد تطور الطب إلى درجة جعلت الأطباء في الهند يقومون بإجراء العمليات الجراحية في جمجمة الإنسان.

وعندما ظهر الإسلام وتوسع وتوطد في الأراضي المنبسطة من الهند إلى الأندلس بَدَأ ينضج في هذه الأراضي التمدن الإسلامي، وبرع في انتشار وازدهار هذا التمدن ممثلو الأمم الأخرى كتفا بكتف بالعرب وقدّموا قسطهم الوفير لكنوز الحضارة الإسلامية[9].

كما ذكرنا بلغ التمدن الإسلامي ذروة ازدهاره في القرن العاشر الميلادي، وتعددت في ذلك العهد مراكز العلم والحضارة وعندما نشأت الدول الجديدة في أنحاء المملكة الإسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة يفضل بعضها بعضا وتدرج الانتقال من بغداد شرقا إلى العراق فخرسان فما وراء النهر وغربا إلى الشام ومصر فالمغرب فالأندلس[10] فمن هذا السبب أصبحت المدن أمثال حلب وفسطاط ونيسابور وأصبهان والري وشيراز وبخاري وسمرقند من مراكز العلم والحضارة وترعرعت العلوم الدينية والدنيوية وزادت فروعها وكتبت كثير

---

[8] س. محمدوفا.ادب النهضة في الصين.-الغة و الادب.-المجلة النظرية العلمية باكو-1999 1\171.(باللغة الاذربيجانية)

[9] جيب . خ. الادب العربي. موسكو 1960. ص36 (بالغة الروسية)

[10] جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية II ، ص 259

من المؤلفات في الفقه والتفسير والطب والرياضيات وفي علم النجوم والفلسفة والتاريخ والأدب .
وكان هذا العهد كذلك عهد الاختراعات القيمة والموسوعات النفيسة افتتحت آنذاك كثير من المكتبات وازداد عدد المدارس وكما ذكر جيب Gibb كان الأمراء والوزراء يتنافسون في إنشاء وتأسيس المكتبات والمدارس وفي اكتساب واقتناء النسخ الأصلية النادرة للمخطوطات وعلى الأخص النسخ المكتوبة بخط المؤلف نفسه أو بتوقيعه[11] وأنشأ وزير بهاء الدولة سابور بن اردشير في كرخ بغداد خزانة كتب وضعها على إفادة الناس. قال ياقوت لم يكن في الدنيا أحسن كتب منها وكانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولها المحررة.[12] وقد بعث إلى بلاد اليونان من استجلب كتب الفلسفة فأمر بنقلها إلى الفارسية وخزنها في خزانته وشجع الناس على نسخها ودرسها[13]، وكذلك نوح بن منصور الساماني – كان شديد الحرص على الكتب وراغبا في اقتنائها فجمع مكتبة كبيرة حوت أهم المؤلفات في كل علم من الأدب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة، وكان الحكم بن عبد الرحمن الناصر (350-366ه) هو الآخر مولعا باقتناء الكتب فجمع منها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع فيها الكتب من أنحاء العالم وكان يبعث في شرائها رجالا من التجار ومعهم الأموال ويحرّضهم على البذل في سبيلها ليتنافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتّاب ... فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الإسلام فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة وأقاموا عليها خازنا ومشرفا ووضعوا الفهارس لكل موضوع على حدة. ذكروا أن فهارس الدواوين وحدها كانت 44 فهرسا في كل فهرس عشرون ورقة وكذلك العزيز بالله (365-386هـ) والحاكم بأمر الله (386-411هـ) من ملوك الدولة الفاطمية أنشأ خزائن الكتب فيها مئات الألوف من المجلدات في العلوم على اختلاف موضوعاتها وانفقا في ذلك الأموال ألطائلة[14].
وكان من أهم الخصائص والمزايا لهذا العهد أنه نضج العباقرة والنوابغ في جميع أنحاء العلم والتمدن وكان العصر العاشر الميلادي عصر الجبابرة في الشعر والنثر والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات، أي في كل أنواع العلم والأدب.

---

[11] جيب . خ. الادب العربي. موسكو 1960. ص66 (بالغة الروسية)

[12] جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية II ، ص 259

[13] السباعي بيومي. تاريخ الأدب العربي، مصر 1958 ، ص 289

[14] جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية II ، ص 266–267

ومنهم أبو علي الحسين بن سينا الطبيب والفيلسوف (428) سمّاه الأوربيون Avicenna، حفظ القرآن في طفولته وتعلم الطب وفروعه عندما مرض أمير بخاري نوح بن منصور أبرأه. حكى ابن سينا عن نفسه قال:
*كان سلطان بخاري في ذلك الوقت نوح بن منصور وأنفق له مرض وكان أسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة فاجروا ذكري بين يديه فسألوه إحضاري فحضرت فشاركت في مداواته وتوسمت بخدمته وسألته يوما الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب فأذن لي فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على البعض في بيت كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت علم مفرد وطالعت فهرس كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس فقط* "[15]
كان ابن سينا من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد ألف في كل فن من العلم والأدب وتزيد مؤلفاته على مائة وكان لها تأثير كبير في نهضة أوربا الأخيرة[16].

ومنهم الرازي أبو بكر محمد بن زكريا (320هـ)، ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه قال... "الرازي من أهل الرأي أوحد دهره وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء لاسيما الطب كان يتولى رئاسة أطباء مارستان بغداد وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفا من العلوم الطبية في عصره وقال قائل: "ان الطب كان معدوما فأحياه جالينوس، وكان متفرقا فجمعه الرازي وكان ناقصا فأكمله ابن سينا " كان كريما متفضلا بارّا بالناس حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء[17] يثير الاهتمام طور استقباله المرضى: وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه منهم فإن كان عنده علم وإلا تعداه إلى غيره فإن أصابوا وإلا تكلم الرازي في ذلك[18].
كما يبدو لم يكن الرازي طبيبا فقط، بل أستاذا يبذل الجهد والعرق في تدريس علم الطب وان مجرد الإطلاع على أسماء مؤلفاته يبرهن على سعة علمه وعمق معرفته في العلوم المختلفة. مثلا كتاباه في " الطب الروحاني " وفي "

---

[15] انظر القفطي تاريخ الحكماء، ص 418 ابن ابي أصيبعة، طبقات الأطباء، المطبعة الوهابية 1882م، I، ص: 4

[16] جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية II ، ص: 388

[17] القفطي تاريخ الحكماء، ص: 473

[18] المصدر نفسه

النفس " يدلان على سعة اطلاعه بالبسيكولوجيا و كتابه " في علة جذب حجر المغناطيس" يخبر عن إلمامه بحادثة التنويم وكتابه " العلة في السباع والهوام " يشهد أنه كان كذلك بيطاراً وله كتب في الفلسفة والعلوم الإلهية والمنطق والهندسة والكيمياء و الخ.[19]

واحد من عباقرة هذا العهد هو الفيلسوف مِن الفاراب محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي (339هـ) الملقب بالمعلم الثاني وله كتب في الفلسفة والسياسة والمنطق والرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى وفي الموضوعات الأخرى، كان براً تقياً لا يطمع في نعم الدنيا، عندما عاش في بلاط سيف الدولة لم يكن يتناول من سيف الدولة في جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضية في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ولم يكن مغتنيا بهيئة ولا منزل ولا مكسب ويذكر أنه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط[20].

أما أبو الريحان البيروني فكان من أشهر علماء الفلك والرياضيات والجغرافيا والتاريخ ... وهو أول من تقدم بنظرية مركزية الشمس و هذا قبل 500 سنة من كوبرنيك Copernicus الذي يعتبر في الغرب أول من أبدى رأياً في هذه النظرية.

وأبو جعفر بن جرير الطبري كان من " أئمة الدنيا علما ودينا "[21] فلقد كان الإمام الطبري شخصية علمية بالغة التمييز، ولم يكن مجرد عالم من العلماء أو باحث من الباحثين، أو فقيه من الفقهاء أو مفسر من المفسرين وإنما كان موسوعة كبرى لا تحد سعتها ولم يترك ميدانا من ميادين المعرفة إلا وضرب فيه بسهم وافر دارسا وباحثا، وكان أوتي من الصبر والجلد على التحصيل والتأليف والتدريس ما أعجز معه طلابه أن يلاحقوا أماليه ويكتبوا مؤلفاته وقد وازن مؤرخوه بين فترة حياته وفترة إنتاجه فوجدوا أنه كتب بمعدل أربع عشرة ورقة كل يوم ابتداءً من يوم ولادته[22]، لقد ترك الإمام الطبري تراثا

---

[19] المصدر نفسه

[20] ابن ابي أصيبعة، طبقات الأطباء، II، ص134

[21] الإمام تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، III، ص: 120

[22] الإمام الطبري – في ذكرى مرور أحدعشر قرنا على وفاته، I. كلمة معالي الأستاذ عبد الهادي أبو طالب، ص: 14

قيما، وقد ضاع بعض كتبه وبقى منها بعض المؤلفات وأشهرها: "تاريخ الرسل والملوك" و "جامع البيان عن تأويل القرآن". وقال خطيب البغدادي عن مؤلفاته: "وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله وكتاب سماه "تهذيب الآثار" لم أر سواه في معناه إلا انه لم يتمه وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة[23]

والحسن بن الحسن بن الهيثم أبو علي من نوابغ هذا العصر وامتاز ابن الهيثم بتفوق عقلي ونبوغ علمي وهو "صاحب التصانيف والتواليف في علم الهندسة كان عالما بهذا الشأن متقنا له متفنناً فيه بغوامضه ومعانيه مشاركا في علوم الأوائل[24] سبق له أن أشار إلى حل المعادلات التربيعية قبل قرون من العالم الإيطالي كاردونو Cardono ونعثر على بعض أفكاره الثاقبة في تاريخ الحكماء: "وهو قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع... وصل إلى الموضع المعروف بالجنادل قبليّ مدينة أسوان وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل، فعاينه وباشره واختبره من جانبيه فوجد أمره لا يمشى على موافقة مراده وتحقق الخطاء عما وعد به وعاد خجلا منخزلا[25] وهنا يستحضر بالَنَا هذا السؤال: ألاَّ تفكر ابن الهيثم عن إنشاء محطة في أسوان على غرار المحطة الكهربائية المائية التي بنيت على النيل في أواسط القرن العشرين ؟

وكان للعرب حظ وافر وفضل كبير في كثير من فروع العلم وعلى الأخص في الكيمياء. اكتشف العرب كثيرا من المركبات الكيماوية ويعود الفضل إليهم في استحضار ماء الفضة (حامض النتريك) وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) وماء الذهب (حامض نيتروهيدروكلوريك) واكتشاف البوتاس وروح النشادر وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليماني (كلوريد الزئبق) والراسب الأحمر والمركبات الأخرى[26].

برع العرب في التاريخ (الطبري 310هـ، المسعودى 346هـ، مسكويه 321هـ، ابن النديم 385هـ) وفي الجغرافيا (الاسطخري 17هـ، ابن حوقل 17هـ، المقدسي 375هـ) في علم اللغة (اسماعيل الجوهري 398هـ) وكذلك

---

[23] خطيب البغدادي، تاريخ بغداد. II، ص: 163

[24] القفطي تاريخ الحكماء، ص: 166–165

[25] ابن ابي أصيبعة، طبقات الأطباء، II، ص: 9

[26] جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية II ، ص: 391

في الآداب (المتنبي 354هـ، أبوفراس الحمداني 357هـ، أبو العلاء المعري 449هـ، بديع الزمان الهمذاني 398هـ)

فما السبب في حركة النهضة والأحياء، واختمار الوعي والشعور التي شملت كل جوانب الحياة المعنوية؟ وأي عامل أصبح حاسما في بروز ونضج أعلام نابهين ومفكرين حقيقيين؟

رأي العلماء في سبب هذا الازدهار هو ازدياد مراكز العلم والثقافة وتكاثر عدد النُصراء والحُماة للعلم والأدب. مثلا في رأي جرجي زيدان "... إن العلم لا يورق ولا يثمر إلا في ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أصحابه... في هذا العصر أكثر الأدب ثمرا واصح إنتاجا لأن العاملين على تعهده تكاثروا. وبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله في بلد واحد، أصبح نصراؤه في هذا العصر عدة ملوك أو أمراء ووزراء في اشهر مدن العالم الإسلامي، قد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الإسلام من أمم الشرق[27].

أشار حسن ابراهيم حسن إلى عدة بلاطات أصبحت مراكز للعلم والحضارة:

- اصبهان او الري حيث أقام بوجه عام الصاحب إسماعيل بن عباد الذي تقلد الوزارة لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بعد ابي الفتح بن العميد. وكان بلاط بني بوية هناك كعبة يؤمها العلماء ورجال الأدب.
- البلاط الساماني في بخاري التي وصفها الثعالبي في هذه العبارة فقال: "كانت بخاري في الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض"
- بلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير في طبرستان، كان شمس المعالي قابوس بن وشمكير أمير طبرستان من بيت قارين القديم والعريق في الشرق وهو أحد البيوتات السبعة من آل ساسان ببلاد فارس. يرجع نسبه على ما ذكره البيروني إلى قباذ والد أنوشروان، أحد ملوك الساسانيين.
- بلاط خوارزم في خيوة وخاصة بلاط خوارزم شاه مأمون الثاني بن مأمون الذي آلت بلاده إلى حكم محمود الغزنوي
- بلاط السلطان محمود الغزنوي في غزنة وقد تمتع بشهرة واسعة ونقل كثيرا من المؤلفات إلى غزنة، كان من احسن السلاطين ميلا إلى الأدب على الرغم من إساءته لرجاله ...
- بلاط الحمدانيين في الموصل وفي حلب خاصة، فقد كانت حضرة سيف الدولة مقصد الوفود وموسم الأدباء وحلبة الشعراء[28]

[27] المصدر نفسه، II، 258

[28] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ص: 334–332

يرى السباعي البيومي هو الآخر سبب النهضة في تشجيع العلماء والأدباء من قبل الملوك والأمراء والوزراء:

"كان آل بوية علماء وأدباء وكثير منهم شعراء، يحبون العلم والأدب ويحثون رجالهم إلى التصنيف والتأليف ويفتحون أبوابهم للشعراء ويغمرونهم بالعطايا والصِلات.

ولم يأل الغزنويون جهدا في نصرة العلوم والآداب... وكان مجلس سلطانهم محمود آهلا بالشعراء والأدباء بهذا التشجيع المصحوب بالتنافس الشديد للعلماء والأدباء في المشرق زخرت بحار التأليف واطرد تيارها حتى نمت العلوم وتمّ نضجها[29]

لاشك في أن الأمراء والوزراء قدموا قسطا كبيرا لنمو العلم والأدب وكفلوا الشعراء والعلماء والأدباء وبرعوا في تشجيعهم بالعطايا والهبات وعلى هذا المنوال أسهموا إسهاماً مرموقاً في ازدهار التمدن الإسلامي ولكن في رأيي لم يكن دورهم في النهضة عاملا حاسما كما يدّعي كثير من العلماء ولهذه النهضة دوافع سياسية واجتماعية ومعنوية أخرى أدّت إلى اختمار الوعي وارتقاء المعرفة. والآن لنرسل نظرة إلى بعض الجهات المواكبة لعناية هؤلاء الحماة والنصراء للعلم والأدب وكذلك إلى بعض أهواءهم في هذا الشأن:

- سيف الدولة الحمداني – يعتبره مصطفى شكعة سببا مباشرا من أسباب ارتقاء الشعر العربي واستحداث فنون جديدة ويقول: لم تقف عظمة سيف الدولة عند شجاعته في ساحة الحرب وانتصاراته الباهرة والوقوف في وجه أعداء البلاد الإسلامية سداً منيعا حال دون تقدمهم واحتلال الوطن الإسلامي وحسب، بل كانت له ناحية أخرى من العظمة لا تقل عن عظمته الحربية، فقد كان راعيا للأدب والفنون وكانت ندوته التي يقيمها في قصره في فترات السلم حافلة بالعلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة الذين يقصدونه من كل صوب ويلقون من كرمه ما يدفع بهم إلى تجويد صناعتهم الأدبية[30]: في المصادر العربية للقرون الوسطى يذكر أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ الشعر ونجوم الدهر[31] من الطبيعي اننا نشارك هذه الملاحظات القيمة و لاكن ,لا ينبغي لنا أن نهمل

---

[29] السباعي البيومي، تاريخ الأدب العربي، III، مصر 1958، ص:15–16

[30] مصطفى شكعة، سيف الدولة الحمداني، القاهرة 1959، ص: 180

[31] الثعالبي "يتيمة الدهر"، I، ص: 9

المعلومات الأخرى في هذا الانسان الكبير ،المعلومات التي تلقي ضوءا على الجوانب الأخرى لمزاجه ولطبعه، جاء في "الكامل في التاريخ" لأبن الأثير بأنه *"كان معجبا برأيه يحب أن يستبدّ ولا يشاور أحدا لئلا يقال أنه أصاب برأي غيره"* [32]

ويقص أبو علي المحسن بن علي التنوخي - معاصر سيف الدولة قصة على لسان أحد رجال حاشية الأمير العربي قائلاً: *"كنت يوماً على مجلس حديث وأنس بحضرة سيف الدولة فأدخل إليه رجل فخاطبه فأمر بقتله في الحال فالتفت إلينا وقال "ما هذا الأدب السيّء؟ وما هذه المعاشرة القبيحة التي نعاشر ونجالس بها؟ كأنكم ما رأيتم الناس ولا سمعتم أخبار الملوك ولا عشتم في الدنيا ولا تأدبتم بأدب دين ومروءة، قال فتوهمنا أنه قد شاهد من بعضنا حالا يوجب هذا فقلنا: كل الأدب إنما يستفاد من مولانا أطال الله بقاءه وما علمنا أن عملنا عملا يوجب هذا، فإن رأى أن ينعم بتنبيهنا فعل، فقال: ما رأيتموني وقد أمرت بقتل رجل مسلم لا يجب عليه القتل وإنما حملتني السطوة والسياسة لهذه الدنيا النكرة على الأمر به طمعا في أن يكون فيكم رشيد يسألني العفو عنه فاعفو، وتقوم الهيبة عنده وعند غيره، فأمسكتم حتى اهرق دم الرجل وذهب هدرا، قال: فأخذنا نعتذر بأننا لم نتجاسر على ذلك، قال: ولا في الدماء؟ ليس هذا بعذر!* [33]

تدل هذه القصة على أنه كان العلماء والأدباء يخافون من سيف الدولة ولا يتجاسرون على إبداء الرأي وإلقاء القول ضد أمره ربما خوفا على حياتهم.

وهكذا شأن المتنبي في بلاط سيف الدولة: من المعلوم أن المتنبي عندما اتصل بسيف الدولة شرط ألا ينشد الشعر إلا وهو جالس ولا يكلف بتقبيل الأرض عند دخوله عليه ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط وسرعان ما أحرز المتنبي القدح المعلي في مجلسه وأغدق سيف الدولة العطف عليه وأغرقه بالهدايا والصلات من الأموال والخلع والأفراس... وعندما وقع بينه وبين ابن خالويه النحوي كلام أدى إلى نفور ووحشة بينهما ووثب ابن خالويه على المتنبي فضربه بمفتاح كان معه، فشجّه وهذا في حضرة سيف الدولة الذي رأي تصرف ابن خالويه بالشاعر ولكنه صمت ولم يقل شيئا وأصبح

---

[32] ابن الأثير، الكامل في التاريخVIII ، بيروت 1966، ص:532

[33] أبو علي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1921، ص: 73، مصطفى شكعة، ص: 216–217

صمت سيف الدولة أشدَّ على المتنبي من ضرب ابن خالويه فحزن المتنبي ويئس وخرج إلى مصر.
تدل هاتان الحادثتان اللتان جريتا في بلاط سيف الدولة على أن مجالسه لم تكن مجالس الأنس فقط ولم تسد في هذه المجالس الألفة والمزاج الطيب والعشرة الحسنة فحسب، بل كثيرا ما كانت هذه المجالس موقع الخوف والرعب والحسد والنميمة والإهانة، حيث حياة كل شاعر وكل أديب كانت تتعلق بشعرة في حضرة حاكم مستبد، حيث كان الهوى يسيطر على العقل والذكاء.
ولمّا كان الملوك والأمراء يستبدون برأيهم كان مقربوهم أيضا يتصرفون على هواهم ومثل ابن خالويه يهينون الآخرين ويقذفون فيهم وهكذا يبعث الاستبداد الكبير استبدادات صغيرة لا عد لها ويتفشى هذا الحال في كل حيز من المجتمع ويؤدي إلى الظلم والجور والزور.
وقد عانى الناس في القرون الوسطى من استبداد الملوك وكثيرا ما عانى الأدباء والعلماء منه بشدة حساسيتهم وسعة وعيهم عندما يجمع في يد شخص واحد
تهجس صدورهم بأزمة وانحطاط النظام السياسي الموجود الذي يعتمد على الاس حكم غير متناهٍ وعندما يأمر شخص واحد على هواه وثم يصدّق على هذا الأمر ويقرّ إجراءه وكل هذا بدون أية مشورة وأية نصيحة من قبل الناس، تنتهي العاقبة بلا شك إلى زوال وهلاك.
و حينا بعد حين كان الحكماء يتأثمون ويندمون على ما فعلوا ويستنصرون ويستشيرون أهل العلم والأدب ويبحثون عن طريق الخلاص.
شأن الخليفة الراضي بالله:
*وقال الراضي لسنان بن ثابت بن قرة الطبيب: أريد أن اعتمد عليك في تدبير بدني وتفقده والنظر في مصالحه وفي أمر آخر هو أهم إلى من أمر بدني وهو أمر أخلاقي لثقتي بعقلك وفضلك ودينك ومروءتك فقد غلبني الغضب وغمّني ذلك حتى إنني اخرج إلى ما أندم عليه عند سكونه من ضرب أو قتل وأسألك أن تتفقد عيوبي وتصدقني فيها وترشدني إلى علاجها لتزول عني فقال سنان: ...إنك مالك لكل ما تريده قادر عليه أي وقت أردته ولا يمكن لأحد منعك منه، والغضب والغيظ يحدثان سكرا أشد من سكر النبيذ وكما أن الإنسان يفعل في سكره مالا يقوله ولا يذكره إذا صحا ويندم عليه إذا حدث به استحياءً كذلك يحدث له في سكر الغضب والغيظ بل أشد فإذا بدأ بك الغضب وأحسست به فضع في نفسك قبل أن يشتد ويقوى ويخرج الأمر من يدك أن تؤخر العقوبة إلى غد واثقا بأن ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله في غد وقد قيل من لم يخف فوتا حلُم فإنك إذا فعلت ذلك ذهب السكر وتمكنت من*

*العقل والرأي الصحيح، فإذا صحوت من سكرك الغضبي فتأمل الذي أغضبك ولا تشف غضبك بما يؤثمك فقد قيل ما شفى غيظه من أثم بذنبه واذكر قدرة الله عليك وانك محتاج إلى عفوه وخاصة في أوقات الشدائد واذكر دائما قوله تعالى [ليعفوا وليصفوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم] وإن أوجبت الحال العفو فاعف وإن أوجبت العقوبة كان الأمر إليك ولا تتجاوز قدر العقوبة في الذنب فيذهب ويقبح في الناس ذكرك وإذا أخذت نفسك بهذه مرة وثانية وثالثة صارت بعد ذلك سجية لك وعادة، فاستحسن بحكم ذلك منه ولم يزل يصلح أخلاقه شيئا فشيئا حتى صلحت واستقامت فاستطاب فعل الخير ودفع الظلم والجور وبان له أن العدل أربح للسلطان*[34]

وكانت عناية الملوك والأمراء لأهل العلم والأدب تتحدد بالعون المادي والنصر المالي وتكتفي بإعطاء الخلع والضياع والأموال والأفراس والهدايا الأخرى بدون أية عناية معنوية وحماية نفسية ومن هذا السبب أصبح العلماء والأدباء والشعراء في الضيق المعنوي وتحت الضغط النفسي وكان يزداد كل هذا بتقرّبهم من بلاط الملوك وعلى الأخص حينما أمّ الأديب أو الشاعر أو العالم بوظيفة في البلاط كأبي الفتح بن العميد وزير عضد الدولة أو أبي بكر محمد بن زكريا الرَّازي طبيب منصور الساماني.

وعضد الدولة من اشهر الملوك في هذا العهد ومن أبرزهم بحبه للعلم والأدب، يقول ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ": "إنه كان حليما، كريما، واسع الكرم وكثير البذل وحسن السياسة لرعاياه وجنده، رؤوفا بهم، عادلا في الحكم بينهم... متحرجا من الظلم، مانعا لأصحابه منه، عفيفا عن الدماء يرى حقنها واجبا إلا فيما لابد منه"[35]

ولكن معاملته بابن العميد وجوره عليه وامره بقتل الوزير ظلما تثير الريب في صحة هذه الكلمات. ونقرأ في مصدر آخر: عندما مات ركن الدولة وقام مقامه بالرأي وتلك النواحي ابنه مؤيد الدولة بويه كان الصاحب بن عباد وزيره. نكره أبو الفتح موضعه فبعث الجند على الشغب وهمّوا بقتل الصاحب... فكتب عضد الدولة إلى أخيه مؤيد الدولة يأمره بالقبض على ابن العميد واستصفاء أمواله وتعذيبه، فقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع وبدرت إليه كلمات في حق عضد الدولة نمت إليه فزادت في استيحاشه منه فانهض من حضرته من تكفل بتعذيبه واستخراج أمواله والتنكيل به، فأول ما عمل به أن سمل إحدى عينيه ثم نكل به وحز لحيته وجدع أنفه وعذب بأنواع من العذاب... ووجد على حائط مجلسه بعد قتله:

---

[34] ابن أبي اصبيعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، I،ص: 222–223

[35] ابن الأثير "الكامل في التاريخ"، VIII، بيروت، 1966، ص: 670

ملك شد لي عرى الميثـــاق بأمان قــد سـار في الآفاق
لم يحل رأيـــه ولكن دهري حال عن رأيـــه فشد وثاقي
فقري الوحش من عظامي ولحمي وسقى الأرض من دمي المهـراق
فعلى من تركتـــه من قريب أو حببت تحيـــة المشتاق[36]

وأما الرازي الذي كان مولعا بالعلوم الحكيمة وله فيها مصنفات نفيسة وله اكتشافات كيماوية. فقد كان طبيب منصور بن نوح الساماني الذي كان محبا للعلم والعلماء، ألف الرازي في الكيمياء كتبا كثيرة ولم يكن يعتقد ما يعتقده أهل زمانه من إمكان تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة وإنما كان يؤلف في هذا اعتقاد أهله التماسا للمال... لكن ذلك ألحق به الأذى، لأن منصور الساماني طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه، فلم يستطع، فغضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع، ثم جهزه وسيّر إلى بغداد. فكان ذلك الضرب سببا في نزول الماء في عينيه. ثم قال الرازي "*قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة لي إلي عينين*" [37]

وإن مثل هذه الحوادث تكشف القناع عن وجه الملوك والأمراء الذين يعتبرون حماة ونصراء للعلم والأدب وتبرز أنّ عنايتهم للعلماء والشعراء كانت لكبريائهم وشهرتهم ولمنافستهم بعضهم بعضا في استجلاب الأعلام البارزين إلى بلاطهم

ومنهم السلطان محمود الغزنوي الذي لم يهمل أية وسيلة وأية واسطة لاستجلاب العلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء البارزين لبلاطه، استجلبهم بالأموال والعطايا وحتى حينا بعد حين طلبهم من الأمراء الآخرين بصفة إتاوة. عندما كتب محمود الغزنوي إلى مأمون، أمير خوار زم كتابا وطلب أن يرسل إلى غزنة جماعة من رجال العلم والفلاسفة ومن جملتهم ابن سينا الطبيب والبيروني الرياضي المؤرخ وأبو سهل المسيحي الفيلسوف وأبو الحسن الخمار الطبيب وأبو نصر العراقي الرياضي جمعهم مأمون وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه فقبل البيروني والخمار والعراقي الذهاب. وفر ابن سينا[38] وعاش طول حياته في المنفى المستمر. ووصف ابن سينا حياته وقال "وتصرفت بي الأحوال وتقلدت شيئا من أعمال

[36] ياقوت الحموي الرومي "كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، مصر 1928، ص: 349-350

[37] جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية II ، ص: 254

[38] المصدر نفسه، ص: 265

السلطان ودعتني الضرورة إلى الارتحال عن بخاري والانتقال إلى كاركانج ثم دعت الضرورة إلى الانتقال إلى فسا فمنها إلى بارود ومنها إلى طوس ومنها إلى شقان ومنها إلى سمنقان ومنها إلى جاجرم رأس حد خرسان ومنها إلى جرجان... ثم مضيت إلى دهستان ومرضت بها مرضا صعبا وعدت إلى جرجان وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل:

لما عظمت فليس مصر واسعـي
لما غلا ثمـني عدمت المشترى[39]

وأشعار ابن سينا هي أحسن دلالة على حاله الذي لا يطاق، كذلك على حال كل عالم وأديب عاش في زمان الحساد والجهال والظالمين:

عجبا لقوم يحسدون فضائـلـي ... ما بين غيـــابي إلى عذالي
عتبوا على فضلي وذموا حكمتي ... واستوحشوا من نقصهم وكمالي
إني وكيدهم وما عتبـــوا به ... كالطود بحقر نطحـة الأوعـال
وإذا الفتى عرف الرشـاد لنفسـه ... هانت عليه ملامـــة ألجهـال[40]

ولا يسعنا في هذا المقام إلا تذكر ما قاله المتنبي في نفس المعنى:

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ... ويجهل علمي أنه بي جـاهل
ويجهل أني مالك الأرض معسر ... وآني على ظهر السماكين راجل

وما زلت طودا لا تزول منا ... إلى أن بدت للضيـم في زلازل[41]

ولا نرغب في أن نسترسل في الكلام عن ظهراء ونصراء العلم والأدب الآخرين مثل "كافور الإخشيدي الذي عندما مات الأخشيد أبو بكر محمد بن طغج (335هـ) وولى الأمر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور فاستولى على الأمر وهو من خدم الأخشيد، كان أبو القاسم صغيرا وكان كافور أتابكه فلهذا استضعفه وحكم عليه[42]

---

[39] القفطي "تاريخ الحكماء"، ص: 417

[40] ابن أبي اصبيعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ،1882، II، ص: 15

[41] شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمان البرقوقي، المجلد الثاني III ، بيروت، ص: 294

[42] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، VIII، بيروت 1966، ص: 457

ومن مثل هؤلاء الحماة الصاحب بن عباد الوزير البويهي الذي كان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا وجودة و رأيا وكرما وعالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة وموادها وجمع الكتب ما لم يجمعه غيره حتى أنه كان يحتاج في نقلها إلى أربع مائة جمل[43] وعندما أهدى أبو الفرج الأصبهاني "كتاب الأغاني" إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار وبلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عباد فقال: "لقد قصّر سيف الدولة وإنه يستأهل أضعافها"[44] ولكن معاملته بالمتنبي تثير الأسف فقط.. أن الصاحب كان يتشهي أن يستعبد كبار الكتاب والشعراء ونفسه تسامت إلى استعباد المتنبي وانه خاب في ذلك وكانت هذه الخيبة جرحا بليغا تنزّي قلب ابن عباد فحقد على المتنبي لأنه ترفع عن مدح رجال من اشباه الصاحب ولم يمدحه وحرّض الصاحب عليه الناقدين ولم يكتف بتحريض النقاد على المتنبي، وانما اندفع يغمزه ويناوئه برسالة كتبها[45]

ومنهم الوزير المهلبي وعندما ترفع المتنبي عن مدح المهلبي ذهابا لنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي فاغرى به شعراء بغداد حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه وفيهم ابن الحجاج، ابن سكرة الهاشمي، والحاتمي وأسمعوه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه[46]

أما قابوس بن وشمكير فكان مع كثرة فضائله ومناقبه عظيم السياسة وشديد الأخذ، قليل العفو، يقتل على الذنب اليسير[47] يوجد في إحدى رسائل بديع الزمان الهمداني وصف حاكم مستبد ظالم. ربما عني بديع الزمان بهذا الحاكم قابوس بن وشمكير ومهما يكن فتثير الإهتمام هذه الرسالة بإحاطة لتصوير للعالم الداخلي المدهش لهذا الظالم كأن هتلر وستالن Hitler أو Stalin أو جائرٌ أخر ينظر الينا من وراء هذه الرسالة. ياللأسف لا تخلو دنيانا حتى في أيامنا هذه من مثل هؤلاء الظالمين الذين يهرقون دماء الناس ولا يرحمون حتى الأطفال والنساء والشيوخ. وقال الهمداني:

*...وملك إذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والسخط عرجة كما ليس بين غضبه والسيف فرجة وليس من وراء سخطه مجاز. كما ليس بين الحياة*

---

[43] نفس المصدر. IX، ص: 110

[44] ياقوت الحموي الرومي "كتاب إرشاد الأريب"، مصر 1928، ص: 150

[45] زكي مبارك "الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عياد" – أبو الطيب المتنبي. حياته، شعره. بيروت. ص: 33–35

[46] الثعالبي "يتيمة الدهر I "، ص: 75

[47] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، IX، ص: 238

*والموت معه حجاز فهو سيد يغضبه الجرم الخفي ولا يرضيه العذر الجلي وتكفيه جناية وهي ارجاف ثم لا تشفيه العقوبة وهي اجحاف حتى أنه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهوبرهان ذو يدين يبسط أحداهما إلى السفك والسفح ويقبض الآخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح احداهما إلى الجرم ويغمض الأخرى عن الحلم فمزحه بين القد والقطع وجده بين السيف والنطع... وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ولا يهتدي من التأنيب إلا لإزالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ودقة الشعر "*[48]

ها هي الصورة الحقيقية لأحد من الملوك والأمراء لأحد من حماة ونصراء وظهراء العلم والمعرفة والأدب، وكيف يمكن أن يقدّر العلم والمعرفة من لا يقدّر الإنسان وحياته؟ وكيف يمكن أن يبرز عناية للعلماء والأدباء والشعراء منْ "لا يعلم من التأديب غير إراقة الدماء".

* * *

في رأينا ان نهضة الإسلام للقرن العاشر الميلادي لا تقتصر اسبابها بازدياد مراكز العلم و تكاثر الحماة و النصراء للعلم و الادب . و ثمة اسباب سياسية اجتماعية وعلل معنوية بسيكولوجية يتطلب استقصاؤها و معالجتها ارسالَ النظرة إلى بعض الخواصّ والسمات التي تتميز وتتصف بها هذه النهضة.

أولا ان الذي يستجلب الإنتباه في النهضة الإسلامية هو انها تظهر كنتيجة وثمرة اختمار الوعي والتفكير والتأمل، ونراها كذلك "كمحصلة قيمية تقتضي وعيا والوعي يقتضي إدراكا وهذا بدوره يحتاج إلى بعض الوقت كي ينتج أثره في البنية الفكرية بمستوياتها المختلفة ... ان وعي الإنسان بذاته بداية النهضة وإلى ذلك الوعي الإنساني العام يضاف وعي معرفي يتمثل في إدراك قيمة العلوم والمعارف[49]" إذن ان النهضة هي وعي الإنسان بذاته وشعوره بالواقع الاجتماعي والسياسي الموجود، وكذلك إدراكه أهمية العلم والمعرفة والآداب وبذله جهدا في طريق ازدهارها وارتقائها.

---

[48] كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان للشيخ الطرابلسي، بيروت 1890م، ص: 152–153

[49] محمد فتوح أحمد، الشعر العربي الحديث، توطئة نقدية لمعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ا، ص: 46.

عندما نتناول القضية من هذه الجهة لابد لنا أن نطّلع على الظروف التي ادت الى نهضة الوعي والإدراك ونستقصي هذه الظروف من مختلف الجوانب.
و ثانيا تحمل هذه النهضة سمة وانطباع الموهبة الإلهية والمنحة المقدسة، لأننا نرى كثرة العباقرة والنوابغ ذوي القرائح الجبارة والملكات الفائقة غير العادية ، العباقرة الذين يدهشون الإنسانية بعقلهم وذكائهم ومواهبهم وبقوة ذاكرتهم، والذين لا يستطيع الإنسان حين التعرف عليهم وعلى إبداعهم إلا أن يتفكر بالقوى فوق العادية وعندما نتناول القضية من هذا المطلق لابد لنا أن نأخذ بعين الاعتبار ان كل هذه الملكات و الاستعدادات ظهرت في اطار زمان معين –في القرن الرابع الهجري .

عند دراسة القضية من الجهة ألاولى يتوجب علينا ان نذكر ان اختمار الوعي و ازدهار المعرفة كثيرا ما يظهران نتيجة الظروف القاسية التي تضغط على الانسان و يدفعه ان يبحث عن طريق الخلاص وسبيل الإنقاذ. و هو، بالطبع، يتذكر ماضيه و يبني في خياله مستقبلا احسن يستند على الرقي و النمو في جميع انحاء الحياة، الامر الذي يؤدي الى التفكير العميق و اكتشاف القابليات الكامنة و الملكات المنطوية في اعماق الادراك.
إن كل إنسان بعالمه الصغير متصل بالعالم الكبير – بالمجتمع الذي يعيش فيه، بالأمة التي ينسب إليها والوطن الذي يرتبط به بوشائج قوية. لا يحظى الإنسان بخير إذا وقع وطنه تحت وطأة الأجانب ولا يسعد الإنسان إذا تأذَت أمته بالعوز والحرمان وعندما يعيش الإنسان في ظروف قاسية تحدث فيه المصائب في كل خطوة وتظهر فيها الكوارث في كل فترة من الطبيعي أ ن يبحث عن طريق الخلاص لإنقاذ أمته وتحرير وطنه وينتبه وعيه وشعوره ويدرك أهمية العلم والأدب في سبيل الخلاص .وهو يدعو الناس للوقوف بوجه الاستبداد والجهل.
وكان القرن العاشر الميلادي عهد الكوارث والبلايا والحوادث المستمرة وكان هذا العصر قبل كل شئ عصر الحروب والمعارك المستمرة بين ملوك الطوائف ،عهد تنازعاتهم على الحكم والسيطرة ونشبت هذه الحروب في أراضي الخلافة العباسية المنقسمة بين الدول الحمدانية والسامانية والبويهية والغزنوية والأخشدية، يتميز هذا العهد بقتل الأهالي ونهب الأراضي وكما كان الملوك والأمراء يقومون بالحروب ضد الدول والسلالات الأخرى مثل حروب الحمدانيين ضد الروم والأخشدية والعباسيين كذلك قامت حروب بين أولاد العموم والأخوة، مثل

الحرب بين ابن سيف الدولة أبي المعالي و ابن خاله أبي فراس الحمداني، الحرب التي أدّت إلى قتل أبي فراس الحمداني[50].
وهكذا شأن البويهيين الذين لم يكتفوا بالحروب ضد العباسيين والحمدانيين والأخشديين فقط، بل تحاربوا وقاتلوا بعضهم بعضا.
أما الخلفاء العباسيون فماتوا كلهم بموت أحمر، قُتل كل خليفة منهم أو سُملت عيناه وبرع في ذلك اخوتهم أو أبناء عمومتهم. عرض المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين في كتابه "التنبيه والإشراف" لوصف الخلفاء العباسيين في هذا العصر وقال: "وكانو كالمولى عليهم لا أمر ينفذ لهم. أما ما نأى عنهم من البلدان فتغلب على أكثرهم المتغلبون واستظهروا بكثرة الرجال والأموال واقتصروا على مكاتبتهم بأمرة المؤمنين والدعاء لهم وأما بالحضرة فتفرد بالأمور غيرهم فصاروا مقهورين خائفين قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة." [51]
ولا شك في أن كل هذه الحروب الوحشية أدت إلى العواقب الوخيمة في حياة الشعب: الموت والمرض والجوع والجرائم المختلفة والأملاق والسفالة ! ها هي ثمرات الحروب الطاحنة وما يعاني من الحروب العشواء من يخوضها لأجل السطوة والحكم ، بل الاناس العاديون و البسطاء هم الذين يعانون و

---

[50] وصف ابن الأثير قتل أبي فراس الحمداني وقال: في هذه السنة –357هـ– قتل أبي فراس ابي العلاء سعيد بن حمدان وسبب ذلك أنه كان مقيما بحمص فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة وطلبه أبو المعالي، فانجاز أبو فراس إلى صدد فجمع الأعراب من بني كلاب وغيرهم وسيَّرهم في طلبه مع قرغويه فأدركه بصدد فكسبوه فاستأمن أصحابه وهو بمن استأمن منهم فقال قرغويه لغلام له: اقتله، فقتله وأخذ رأسه وتركت جثته في البرية حتى دفنها بعض الأعراب، –ابن الأثير. الكامل في التاريخ، VIII، بيروت 1966، ص588:

[51] كتاب التنبيه والإشراف ، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، ليدن، 1967 سنة 1967 ص: 400

يتألمون . و قد وصف بديع الزمان في إحدى رسائله كل هذه الكوارث باحثا في حياة أهل هراة الشاقة:

*"فبهم فشت الأمراض الحادة فخبطت عشواءَ وأفنت رجالا ثم جد الغلاء وفقد الطعام ووقع الموت العام فمن الناس من لم يطعم أسبوعا حتى هلك جوعا ومنهم من تبلغ بالمِيتة إلى يومنا هذا وهو ينتظر نحبه ليلحق صحبه ومنهم من لايجد القوت والدرهم على كفه حتى يموت والباقون أحياء كأنهم أموات ترعد فرائصهم من هذه البوائق*[52]

لم يحل الضغط والظلم والموت والجوع دون نموّ الوعي وارتقاء العقل، بل اصبحت سببا من الأسباب الحاسمة للنهضة والإرتقاء، لأن كل تأثير يبعث تأثيراً مضادا وعندما يُسد مجرى النهر تظهر قوته، وهكذا تتشابه قوانين المجتمعات والقوانين الطبيعة، كلما يزداد الظلم تزداد المقاومة عليه وكلما يزداد الإستبداد يزداد شوق الحرية وكلما يزداد الموت يزداد الحب للحياة وفي القرن الرابع جور ونير وظلم وجهل بعض الناس ادت الى نهضة وانتعاش وارتقاء الأخرين.

كما ذكرنا أن الجانب الآخر لهذه النهضة هو أنها تحمل انطباع وسمة المواهب الإلهية والملكات غير العادية، وقد نضج ونشأ في هذا العهد كثير من العباقرة والنوابغ ذوي قرائح، مثلا: قد ذكر أبو علي ابن سينا في سيرته ان كثيرا من المسائل اتضح له وجوهها في المنام[53]، وكذلك تنبأ ابن سينا في قصيدة له مطلعها: "احذر بني القران العاشر" عن بعض الحوادث التي جرت بعد عصرين – عن أحوال التتر وقتلهم للخلق وخرابهم للقلاع... وكذلك أشياء أخرى من ذلك كثيرة صحت الأحكام بها في هذه القصيدة مثل القول عن خليفة بغداد كما ذكر.[54]

أن المتنبي الذي كان هو الأخر صاحب الملكات فوق العادية أشار في قصيدة له إلى أنه تلقن له بعض أشعاره في المنام:

أنام ملء جفوني من شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم[55]

---

[52] رسائل بديع الزمان الهمداني.ص127
[53] ابن ابي اصيبعة "طبقات الاطباء"المجلد الثاني. ص.3
[54] المصدر نفسه ص16
[55] شرح ديوان المتنبي. عبد الرحمان البرقوقي-المجلد الثاني-بيروت .38

وتميز أبناء هذا العهد بذاكرتهم التي لا مثيل لها وقد ترك المتنبي وابو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمداني وأبو العلاء المعري معاصريهم مدهوشين بذاكرتهم فوق العادية، مثلا: اشتهر أبو بكر الخوارزمي (383هـ) بكثرة حفظه الأشعار ويحكى أنه لما جاء إلى الصاحب بن عباد استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب وأعلمه فقال الصاحب "قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل علي من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب"، فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر إرجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه فقال: هذا يكون أبا بكر الخوارزمي" فأذن له في الدخول[56]

وصف أبو منصور الثعالبي في" يتيمة الدهر" بعض كفايات بديع الزمان في الحفظ والذاكرة وسوف نتحدث عنها فيما بعد بشيء من التفصيل.

وكان أبو العلاء المعري هو الأخر قوي الذاكرة وسريع الحفظ وقد روي الخطيب التبريزي عنه الأعاجيب في هذا الشأن. جاء في معجم الأدباء بأن أبا زكريا التبريزي كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئا من تصانيفه قال: وكنت قد أقمت عنده سنتين ولم أر أحدا من أهل بلدي فدخل المسجد بعض جيراننا فرأيته... فقمت وكلمته بلسان الأذرية شيئا كثيرا إلى أن سألت عن كل ما فلما رجعت وقعدت قال لي أبو العلاء: أي لسان هذا؟ قلت هذا لسان أهل أذربيجان فقال: ما عرفت اللسان ولا فهمته غير انني حفظت ما قلتما ثم أعاد علي اللفظ بعينه من غير أن ينقص عنه أو يزيد عليه جميع ما قلته وقال جاري فتعجبت غاية التعجب كيف حفظ ما لم يفهم"[57]

يجب لفت الإنتباه إلى أن كل هذه المواهب والملكات والقرائح والإستعدادات فوق العادية قد ظهرت في حقبة من الزمان – في القرن الرابع الهجري وفي أواخر الألفية الأولى للتاريخ الميلادي وربما سبب هذا في ماهية هذا الزمان، لان مفهوم الزمان له حكمة كبيرة ، الحكمة التي تطوى في طيأت القرآن الكريم:

{*يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون*} (السجدة 5)

{*إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون*} (الحج 47)

كانت النهضة عطاءً الاهيا . جزى الله تعالى المسلمين بعلم وحكمة وكل هذا في مكان يعتبر مهد البعثة والنبوة كما جاء في "مقدمة" ابن خلدون *سكّان هذا*

---

[56] جرجي زيدان.تاريخ آداب اللغة العربية. المجلد الثاني.ص. 315

[57] ياقوت الحموي" كتاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب". الجزء الاول.173-174

*المكان من البشر أعدل أجساما والوانا واخلاقا واديانا، حتّى النبوّات فانما توجد في الأكثر فيها... وذلك أنّ الأنبياء والرسل وانما يختصّ بهم اكمل النوع في خلقهم وأخلاقهم. قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس*[58].

* * *

تتلخص هذه الدراسة في النتائج الآتية:

- يُعرف العصر الرابع الهجري في تاريخ العرب كعصر النهضة لسبب ارتفاع وارتقاء العلوم والآداب إلى أعلى مستويات
- يعود الفضل في نهضة واختمار الوعي إلى الإسلام الذي أذكى في نفوس الناس جمرة العلم وجذوة المعرفة
- كان من الخصائص والمزايا لهذا العصر نضج العباقرة والنوابغ في جميع أنحاء العلم والتمدن
- يعتبر سببا من الأسباب لهذه النهضة إزدياد مراكز العلم والآدب وتكاثر عدد الملوك والأمراء – نصراء الأدباء والعلماء
- كان عون الملوك والأمراء والوزراء للعلماء والأدباء يتحدد بالنصر المادي بدون عناية وحماية معنوية.
- وكان يعيش كثير من العلماء والأدباء والشعراء آنذاك تحت الضغط والضيق و في المنفى المستمر دوماً
- لم تحل الحروب المستمرة والضغط والظلم والموت والمرض دون نمو العلم والأدب بل أصبحت دافعاً من الدوافع الحاسمة لاختمار الوعي والنهضة
- تحمل نهضة الإسلام انطباع الموهبة الألهية والمنحة غير العادية.

---

[58] ابن خلدون.كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب و العجم. المقدمة.ا.ص.141

**المصادر**


ابن الأثير، الكامل في التاريخVIII ، بيروت 1966،
ابن أبي اصبيعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ،1882، II،
ابن خلدون.كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب و العجم. المقدمة.ا.
أبو علي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1921،
الإمام تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، III،
الإمام الطبري – في ذكرى مرور أحدعشر قرنا على وفاته، I. كلمة معالي الأستاذ عبد الهادي أبو طالب،
الثعالبي "يتيمة الدهر"، I،
السباعي بيومي. تاريخ الأدب العربي، مصر 1958 ،
القفطي تاريخ الحكماء، ص 418 ابن ابي أصيبعة، طبقات الأطباء، المطبعة الوهابية 1882م، I،
جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية II ،
جيب . خ. الادب العربي. موسكو 1960. (باللغة الروسية)
حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام،
خطيب البغدادي، تاريخ بغداد. II،
زكي مبارك "الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عياد" – أبو الطيب المتنبي. حياته، شعره. بيروت.
شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمان البرقوقي، المجلد الثاني III ، بيروت،
كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان للشيخ الطرابلسي، بيروت 1890م،
محمد فتوح أحمد، الشعر العربي الحديث، توطئة نقدية لمعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين I،
ياقوت الحموي الرومي "كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، مصر 1928، الجزء الاول

# الفنون

## الآخر الضاحك وصورته في الكوميديا

. **<u>Titre de l'étude</u>** : L'autre riant et son image dans la comédie
Nom du chercheur : Aadel Ait ouzougar
Grade : professeur de la langue arabe
Chercheur en littérature générale et critique comparée à Université Med V- Rabat-Agdal/Maroc
Mots clés : La comédie – Le théâtre – L'humour – Le moi – L'autre – Le rire – Le public – Le riant – L'acteur – L'interaction

# Résumé :

La présente étude tend à réaliser une approche des fonctions psychologiques de l'humour au sein de la comédie ; ceci en interrogeant la notion de « l'autre riant » et ses divers aspects à partir de l'examen de deux figures majeures, à savoir l'humouriste et le public. Les différents types de relations qu'entretiennent ces deux pôles représentent le centre de gravité de l'acte théâtral. Pendant le temps prédéfini du jeu théâtral, ils entrent en communion et déclenchent des formes d'union, d'action et d'interaction.

En effet, notre passage en revue des multiples aspects du sujet conduit au constat suivant : le jeu théâtral puise ses dimensions psycho-sociologiques dans la source de l'humour. Toute pièce de théâtre met au centre de ses préoccupations la question de l'humour en la dotant d'une valeur esthétique et en chargeant le comédien de l'intégrer dans son style ironique avant de l'adresser au public, lequel traduit sa réaction dans le rire perçu, dès lors, comme une forme d'interaction vis-à-vis du spectacle.

**الآخر الضاحك وصورته في الكوميديا**

أ.عادل أيت أزكاغ
أستاذ اللغة العربية وباحث في الأدب العام والنقد المقارن بجامعة محمد الخامس - أكدال/ الرباط – المغرب.

الكلمات المفتاحية: الكوميديا – المسرح – الفكاهة - الأنا – الآخر- الضحك – الجمهور- الضاحك - الممثل – التفاعل.

# ملخص:

تطمح هذه الدراسة إلى مقاربة بعض الوظائف النفسية للفكاهة في الكوميديا، وذلك بالإشتغال على مفهوم " الآخر الضاحك " وتحديد ملامحه، عن طريق التركيز على قطبين مهمين ورئيسيين، يعتبران محور التواصل في العملية المسرحية، استنادا لما ينشأ بينهما أثناء اللقاء الحي في زمن الاحتفال المسرحي من أشكال الاندماج، والتوحد، والتفاعل، والتفاعل المقابل، وهما: الكوميديان (الممثل الفكاهي)، والجمهور.

وأظهر تتبعنا لجوانب البحث في الموضوع، أن التمثيل المسرحي يكتسب أبعاده السيكولوجية ودلالاته السوسيولوجية، من خلال ظاهرة الفكاهة، التي تتناولها المواضيع المسرحية كقيمة جمالية، والتي يجسد الممثل الكوميدي مظاهرها المضحكة بأسلوبه الساخر، ويوجهها إلى الجمهور، الذي ينفعل معها بدوره من خلال الضحك كشكل من أشكال الإستجابة مع العرض.

# الآخر الضاحك وصورته في الكوميديا

**النظرة إلى الذات محطمة هادمة، نحن لا نحب النظر إلى أنفسنا وجها لوجه، لأننا نرى حينها عيوبنا، وأخطاءنا ودناءاتنا وحدودنا التي تخفي المظاهر عادة عن الآخر الذي ينظر إلينا.**
**جان ديجو**

**ذ. عادل أيت أزكاغ**

## تمهيد:

في هذا البحث، وقبل تحديد ملامح الآخر الضاحك، كانت غايتنا فيه متجهة بالأساس نحو ربطه بفكرة التمثيل، من خلال الاشتغال على شخصية الممثل، المنقسمة على نفسها إلى داخل وخارج، وإلى " أنا "(شخصيته في الحياة والواقع). و" آخر" (الدور المسند إليه، أو الشخصية المسرحية الممثلة). و من هذا المنطلق إذن نتساءل: ما معنى فن التمثيل؟ وما هي دلالة الآخر و الآخر الضاحك فيه؟ ثم ما موقع الفكاهة من كل ذلك؟.

**في مفهومي: الأنا ـ الآخر:**

يستدعي الحديث عن مفهوم " الآخر" L'Autre، ربطه بالضرورة مع مفهوم "الأنا" Le Moi، بحيث لا يمكن الحديث عن أحدهما بمعزل عن الآخر، وذلك في إطار ثنائية جدلية مطردة، كما أن كل محاولة بحث عن دلالة أحدهما، تبين لنا مدى التنوع والتعدد الذي يصاحب معانيهما، بسبب طبيعتهما المعقدة والمركبة أولا، ثم نظرا لتغير مجالات استعمالهما ثانيا.

ففي الفلسفة مثلا جرى استعمال "الأنا" مرادفا (للشخصية كذات واعية بأفكارها وأقوالها وحقيقة أفعالها وتصرفاتها)، و"الآخر" كمرادف (للغير L'Autrui). أما في المبحث المعرفي الموسوم ب" الصورولوجيا "، فقد تم استخدام مفهومي (الأنا- الآخر) كمظهر للصراع الفكري الحضاري بين الشرق (الأنا) و الغرب (الآخر). كما يمكن أن يمثل من جهة أخرى، تجسيدا للصور والأفكار النمطية التي تحملها كل فئة معينة أو جماعة إثنية Ethnic Group، عن الأخرى في سياق ما يسمى «بالضحك الإثني»[59] مثلا، حيث يؤدي «المضحك وظيفة تحكمية Function Control، كوسيلة من وسائل التحكم الاجتماعي، فهو يعبر عن الرضا أو

---

[59]- أحمد شايب: أبحاث في الضحك والمضحك، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2010، الطبعة الأولى، ص. 129.

عدمه ويفصح عن مشاعر المجموعات ويطور أفكارا قبلية وتمثلات ذهنية عن الآخر ويشيعها»[60].

وفي مجال آخر «يعتبر الأنا Ego، هي الإنسان العادي الموجود الآن هنا يعاني النقص و الفقد والغياب. أما الذات في ضوء تمييزات يونج، فهي ما نطمح الوصول إليه جميعنا. إنها الاكتمال والتحقق والوجود. حالة مستقبلية عندما تتحول إلى " أنا" ناقصة نسبيا، فإنها تعاود الصعود مرة أخرى إلى مدارج الكمال»[61].

في حين، نجد في مجال التمثيل المسرحي - موضوع اشتغالنا- أن هذه القضية تنطبق بالذات على الممثل الذي يجسد لنا تلك الصورة، وهي الازدواجية المركبة له، أو الصورة المرآوية لفنه (الأنا- الأخر/ الأصل- الصورة/ الوجه- القناع/ الحضور- الغياب)، فالممثل هنا مرادف "للأنا" (الإنسان العادي). أما الشخصية المسرحية فهي " الآخر" (الذات الإبداعية) التي يحاول التعرف عليها في سياق بحثه عن هويته كممثل.

بهذا المعنى إذن، يصبح التمثيل كعملية يعني فيما أكده د. شاكر عبد الحميد بأنه: «فعل بحث عن الهوية، وهو بحث لا يجد غايته إلا بأن يفقدها. ومن ثم فإن وجود الممثل يقع في منطقة الغياب أكثر من وقوعه في دائرة الحضور، إنه غياب من أجل الحضور وحضور من أجل الغياب، غياب ل"الأنا" الخاصة بالإنسان العادي المحدود، الذي نعرفه في الحياة، وحضور ل"الذات" الخاصة بالممثل اللامحدود...».[62]

وبالتالي، فبهذا التحديد وعلى هذه الصورة يجب أن يكون حال الممثل الحقيقي المخلص لمعنى ما يقوم به، فهو يسعى جاهدا للخروج من "أناه" الناقصة ويطمح دوما للوصول إلى ذاته كاملة (الشخصية التمثيلية) بكل مباهجها ومفاتنها الفنية والمؤثرة. وكما يقول شاكر عبد الحميد: «ففي الفعل المسرحي إدراك متميز للذات عبر الآخر، ومن خلال هذا الإدراك المتميز ينشأ الوعي الخاص بالشخصية»[63].

أما مفهوم "الآخر" فقد يكون هو الممثل نفسه، الذي يشعر بالغرابة أمام عيشه في حالات من التحول والقلق و اللا استقرار، التي يعاني منها

---

[60]-أحمد شايب: نفسه، ص. 7.

[61]- شاكر عبد الحميد: تقديم بعنوان: "الأنا والآخر" أو المسرح بوصفه "إبداعا متجددا"، لكتاب: صالح سعد، الأنا- الآخر، ازدواجية الفن التمثيلي، عالم المعرفة، العدد 274، أكتوبر 2001، ص 11.

[62]- شاكر عبد الحميد، نفسه، ص 10.

[63]- شاكر عبد الحميد، نفسه، ص 12.

تحت شدة الصراع المستمر بين داخل وخارج، وبين "أنا" ظاهر، و"آخر" باطن مرغوب فيه، ثم في بحثه الدائم عن الحقيقة الغائبة، في مقابل الحضور المتجسد للوهم والقناع والخداع...

هذه وغيرها، جملة من الحالات والمستويات العديدة والمختلفة، التي يصادفها الممثل في رحلته الإبداعية أمام سعيه للإحاطة بمختلف المواصفات والمعاني، المشكلة لدلالات الآخر، التي هو مطالب بتجسيدها و تقديمها في حلة فنية فريدة وجديدة على مستوى التقديم والأداء.

وضمن هذه المستويات نذكر باختزال دلالات "الآخر" الموزعة في كل من: ( الماضي- الذاكرة- الجسد- الداخل- الخارج- الضاحك- القناع- الجمهور...، وغيرها)[64].

إن من بين ما يثيرنا، ونحن نعرض لمختلف الدرجات والمستويات التي تحملها دلالات الآخر في الإبداع المسرحي بأبعاده المختلفة، هو صورة الآخر الضاحك كقيمة جمالية. ومن الأسئلة التي تستوقفنا في هذا الصدد: ما هو الضحك؟ وما المقصود بالآخر الضاحك في المسرح؟ ما صفاته؟ وما طبيعة العلاقة القائمة بين المضحك "الذات" والضاحك "الآخر" من خلال عوامل الضحك؟ وأخيرا ما هي أبرز المقاصد التي تضطلع بها وظائف الفكاهة في المسرح الفكاهي (الكوميديا)؟ .

هذه الأسئلة وغيرها بعض ما يطرحه الموضوع، ونود ملامسة بعض الإجابات لها من خلال محاولتنا لمقاربة جوانب هذه الدراسة، التي نسعى فيها إلى إلقاء الضوء على بعض الوظائف النفسية للفكاهة في الفن المسرحي، وذلك بالاشتغال على مفهوم "الآخر الضاحك" (L'autre riant)، وتحديد ملامحه، عن طريق التركيز على قطبين مهمين ورئيسيين، يعتبران محور التواصل في العملية المسرحية، استنادا لما ينشأ بينهما أثناء اللقاء الحي في زمن الاحتفال المسرحي من أشكال الاندماج، والتوحد،والتفاعل، والتفاعل المقابل. وهما: الكوميديان (الممثل الفكاهي)، والجمهور.

**1- في تعريف الضحك:**

يفيد الضحك في معناه اللغوي، أن « التبسم أولى مراتبه، ثم الإهلاس وهو إخفاؤه، ثم الإفترار والإنكلال وهما الضحك الحسن، ثم الكتكتة أشد منها، ثم القهقهة، ثم الكركرة...»[65].

---

[64]- لمزيد من التفصيل، أنظر: عادل أيت أزكاغ: فن التمثيل بين الأنا ولآخر، بحث لنيل الإجازة في شعبة اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف: د. محمد جلال أعراب، مرقون بكلية الآداب بجامعة ابن زهر، أكادير 2006، الصفحات: 24/23/22/21. وراجع تقديم شاكر عبد الحميد لنفس الكتاب، الصفحتين:14/13.

وأوتي به في القرآن الكريم، بصيغة الحال، في إشارة إلى فهم سيدنا سليمان لما خاطبت به تلك النملة أمتها من رأي سديد، وقول حكيم، وهي تأمر وتحذر وتعتذر عن سليمان وجنوده بعدم الشعور، وذلك في قوله تعالى:( فتبسم ضاحكا من قولها ).[66] أي: «تبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه من علم دون غيره»[67].

وفي لسان العرب، ورد الضحك بمعان مختلفة، منها قولهم: «وتضحّك وتضاحك، فهو ضاحك وضحوك وضحكة: كثير الضحك»[68].

أما في ناحيته الاصطلاحية، فيقصد به تلك « الخاصية المميزة للإنسان، ويندرج ضمن ظاهرة عامة ألا وهي الفكاهة، والضحك إحدى المظاهر الدالة عليها، وهي رسالة اجتماعية مقصود منها إنتاج الضحك أو الابتسام»[69].

هكذا، تمت الإشارة إلى دلالة الضحك في اللغة والاصطلاح، إلى جانب ذكر صفة الضاحك، التي تلتصق بالإنسان الذي يداوم الضحك ويكثر فيه. وهي إشارة لا نتوخى منها تقديم تعريف محدد ودقيق لماهية الضحك، لأنه أوسع من أن يعرف، إذ هناك أكثر من مائة نظرية ودراسات عدة أقيمت حوله[70]، وهي متداخلة فيما بينها، يعتمد بعضها على بعضها الآخر بدرجة واضحة، وترتكز في مجملها على عوامل معينة تربط نفسها بالضحك، منها مثلا: ( التفوق والسيطرة، والتناقض في المعنى، والتنفيس عن الطاقة الزائدة، والإحساس بالمفاجأة، والدهشة، والبهجة... وغيرها)، وفي كل تلك النظريات

---

[65]- أبي منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، أورده شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة، ص 18.

[66]- القرآن الكريم: سورة النمل، من الآية (18).

[67]- عماد الدين إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، قصص الأنبياء، تعليقات: الشيخ ناصر الدين الألباني، واعتنى به: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا- دار البيان الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005، ص. 475. العبارة التي تحتها سطر، إضافة من عندي من أجل التوضيح. بإمكانك العودة إلى الآية التي قبلها، للوقوف عند معنى هبة العلم ونعمته التي منّ الله بها على النبيين داوود وابنه سليمان عليهما السلام.

[68]- ابن منظور، أورده شاكر عبد الحميد، نفسه، ص 19.

[69]- شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 289، يناير 2003، راجع الفصل الأول منه، ص 13.

[70]- عادل أيت أزكاغ: فن التمثيل بين الأنا والآخر، بحث سبق ذكره، :الصفحات؛ من 24 إلى 29، وأنظر الباب الأول من كتاب: أحمد شايب، الضحك في الأدب الأندلسي؛ دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، الطبعة الثانية 2008. كما يمكن الرجوع إلى : الفصل الأول والثاني من كتاب: شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة، 2003 .

نجد أن هناك " أنا " تضحك، وهناك " آخرون" تضحك معهم هذه " الأنا " أو تضحك عليهم.

**2- الآخر الضاحك (الكوميديان)**

يمكن نعت الشخص الذي ترتبط به صفة " الآخر الضاحك " في المسرح، بالممثل الساخر أو بالأحرى الكوميديان أو الكوميدي Le comédien (L'humouriste)، الذي يعتبر على كل حال شخصا تجرد من " أناه" الخاصة ودخل في إيهاب شخصية جديدة، هي ذلك " الآخر" الذي يرتدي القناع ويتوارى خلفه، إذ نجده في الأصل، وكما يقول د. أحمد شايب: «يعطي فكرة خاطئة أو مشوهة عن حقيقة أفعاله ولا يعطي أبدا جوابا صريحا. وفي الكوميديا الإغريقية كان الإيرون Eiron، هو الممثل الضحية، الضعيف، غير أنه ماكر وبارع ينتصر على خصمه ونقيضه Alazon المشهور بتبجحه وثرثرته وبلاهته»[71].

أما لفظة " الكوميديا "، فقد جاء تعريفها في مخطوط نسب إلى أرسطو ظهر حديثا، يصل فيه بين الكوميديا والضحك والمتعة، قائلا: « إن الكوميديا هي تمثيل معرفي Représentation، لفعل مثير للضحك (...)، ويتم تمثيل الكوميديا من خلال الأداء الدرامي للأشخاص الذين يمثلونها فعلا، وليس من خلال الوسائل السردية المصاحبة لها، وتنجز الكوميديا أهدافها من خلال المتعة والضحك. وتتمثل هذه الأهداف في التطهير للإنفعالات. ويعد الضحك بمنزلة الأم الرؤوم الحاضنة للكوميديا»[72].

وحصر د. محمد علي الكردي معنى الكوميديا في دنوها الوثيق من الفكاهة بشكل عام، وذلك في تأكيده بالقول: «إن الكوميديا هي أقرب الطرق التي تؤدي إلى الفكاهة»[73].

وبينما نظر "بيير فولتز" Pieere Voltz، إلى الكوميديا في كتابه المعنون ب" La Comedie" فاعتبرها: « نوعا شديد المرونة يمكن تعريفه بتعارضه مع الأنواع المسرحية الأخرى الأكثر صرامة مثل التراجيديا والدراما، على هذا الأساس تصبح الكوميديا "وعاء" يمكن أن نصب فيه جميع أشكال الإلهام المسرحي التي ينبذها هذان النوعان الأخيران»[74].

---

[71]- أحمد شايب: الضحك في الأدب الأندلسي؛ دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، دار أبي رقراق، الرباط، ط 2، 2008 ، ص 188.

[72]- شاكر عبد الحميد، أورده عن: جانكو، الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، ص 81.

[73]- محمد علي الكردي: مفاهيم الفكاهة الفرنسية من خلال فنون الكوميديا، عالم الفكر، المجلد 13، العدد 3.(خاص حول الفكاهة والضحك)، أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر، 1982، ص 149.

[74]- بيير فولتز:الكوميديا، ترجم عنه: محمد علي الكردي، المرجع السابق، ص150.

وحاول د. سعيد علوش، في مقارنته بين الكوميديا والتراجيديا، تحديد ما يميز كل واحدة منهما عن الأخرى، وانتهى في ذلك إلى اعتبار الكوميديا ملهاة تنتهي نهاية سعيدة، ويقل موضوعها سموا عن المأساة، ويضيف في الوقت نفسه، معرفا الكوميديا بالقول أن معناها: «تحدد مع القرن 17، ليعني حبكة، تضم شخصيات ذات انتماء طبقي متواضع، تعرض مفاجآت، وتكشف عن طبائع الناس، وعادات المجتمع بطريقة نقدية ساخرة»[75].

من خلال ما تقدم، نلاحظ أنه إذا كانت الكوميديا تتعارض وتختلف مع الأنواع المسرحية الجادة والصارمة كالتراجيديا والدراما، فإن الضحك بمفهومه الشامل، يعد من هذا المنظور المقياس الوحيد والملائم لفصلها وتمييزها عن غيرها من الأصناف المسرحية الأخرى.

وعلى هذا الأساس، يعتبر الضحك من أبرز الصفات القريبة إلى فن الكوميديا، لذلك، فالكوميدي هو بالضرورة شخص ضاحك، سيظل يعرف دوما بالضحك، بل ويلازمه، ويصبح من ثم، مصدرا للبهجة والبشر، القائم بالترفيه والمعني بنشر المرح و الضحك حوله. وهذه تندرج ضمن إحدى أهم الملامح و السمات القارة والثابتة، المميزة لشخصية الممثل الفكاهي عن غيره، إلى جانب صفات أخرى تفترض عليه أن يكون على إلمام بها. ومنها، خاصية يراها صالح سعد أساسية فيه، و ينبغي عليه أن يضعها نصب عينيه كجزء من أولوياته. وفي هذا الصدد نجده يقول مؤكدا: «إن الخاصية الأولى التي يجب أن يتحلى بها الكوميديان هي خفة الروح، التي تمنحه القبول الجماهيري، وتلك موهبة طبيعية لا يمكن اكتسابها بوساطة التعلم، مثلها مثل سرعة البديهة، والذكاء الفطري والطبع الانبساطي المحبب للناس»[76].

إن ما تم تقديمه من تعاريف ومميزات حول ماهية الممثل الفكاهي، والتي أظهرته في صورة ذلك الآخر الضاحك، لا تعني بحال من الأحوال أن ممثلو الكوميديا سعداء في حياتهم على الرغم مما قد يبدو من الناحية الخارجية من مظهرهم، بل إن طبيعة عملهم المعقدة والمركبة تجعلهم يكابدون في مشقة وألم، كما لا تنفي عنهم بعض الجوانب الخفية من معاناتهم النفسية. ثم إن الدوافع التي دفعتهم إلى ممارسة الفكاهة واحتراف الكوميديا، هي نفسها التي أثبتت عكس ذلك. وهو ما يمكن للقارئ أن يتوقف عنده

---

[75]- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1985، ص 111.

[76]- صالح سعد: الأنا- الآخر؛ ازدواجية الفن التمثيلي، عالم المعرفة، العدد 274، الكويت، أكتوبر 2003، ص 71.

ضمن هذه الدراسة، في سياق الحديث عن الوظيفة النفسية للفكاهة، التي حاولنا فيها إلى حد ما الكشف عن قدرتها على تحرير الإنسان من مشاعر القلق والتوتر والاكتئاب.

**3- الآخر الضاحك (الجمهور)**

لقد تم إطلاق صفة " الآخر الضاحك" على الجمهور Le public، أولا؛ لأنه يأتي إلى المسرح بقصدية فرجوية، للتخفيف من التزامات الحياة اليومية وأعباء الواقع، باحثا عن المتعة والتسلية، ويضحك من ثمة كاستجابة أو ردة فعل على الأثر الذي يحدثه فيه الممثل أمام هذا الحدث، أو ذاك الفريد المضحك في الإبداع المسرحي، الذي يمكن أن يتخذ شكل نكتة أو موقف فكاهي أوهجاء ساخر أو تلاعب بالألفاظ...وغيرها من الأنماط الكوميدية المثيرة للضحك. وألصقت به ثانيا؛ لأن بقدرته أن يوقف سير العملية التمثيلية مرات تلو الأخرى، بسبب ما قد يصدر عنه من ضحك هستيري أوصخب شديد، يدفعانه إلى التصفيق بحرارة، بل والتشجيع والتصفير أحيانا أثناء انفعاله مع موقف ما يثير لديه الضحك، كأسلوب للتعبير عن سعادته وإعجابه بما يقدم له، أو ليبدي على العكس من ذلك، نفوره وامتعاضه، بل وسخريته من العمل الذي يتلقاه.

ويعد الحديث عن الجمهور المسرحي، حديثا عن الملابسات التاريخية والفكرية والفلسفية التي أدت إلى نشأته. فالجمهور مفهوم جدلي Dialectique، وليس كتلة مستقلة في حد ذاتها، وهو مفهوم يوجد في صلب العمل المسرحي، بل إن نجاحه مرتبط به بالضرورة. وقد تطور مفهوم الجمهور كما تطور مستمعو الخطب، وهو ليس إنتاجا مسرحيا كما يمكن أن يتصور الدارس للجمهور، بل نشأ هذا الأخير في نطاق خارج المسرح، خاصة في الفكر الفلسفي والسياسي للقرن الثامن عشر، الذي بدأت الجماهير تأخذ فيه طريقها إلى المعرفة منذ عصر فلاسفة الأنوار من أمثال: فولتير Voltaire، ومونتيسكيو Montesquieu ، ودالمبير D'Alembert، وجون جاك روسو J. J. Rousseau ،... وغيرهم. وبالإضافة إلى ذلك كانت «مقولة الجمهور»[77] من بين أهم الإنجازات السياسية للثورة الفرنسية في القرن التاسع عشر الأوروبي.

وهكذا، يعتبر الجمهور نتاجا لتطور الفكر الفلسفي بشكل يتساءل مع المجتمع، وهناك اتفاق عام بين فلاسفة الأنوار قياسا على ما قدمه روسو في «العقد الإجتماعي»[78] Le Contrat Social، يرون فيه أنه لا يوجد

---

[77]- عادل أيت أزكاغ: فن التمثيل بين الأنا والآخر، نفسه، أنظر الصفحات( من 74 إلى 78) التي تغطي المبحث الثالث من البحث، بعنوان:الجمهور المسرحي كمفهوم جدلي.

[78]- هناك العديد من الدراسات المساعدة على الوقوف عند منهج روسو، منها خاصة:

جمهور في ظل مجتمع يعتقد أن العلاقة بينه وبين أشكال السلطة وأنظمة الحكم والجمهور قدرية، بل هي علاقة تشاور، كما لا يوجد جمهور في ظل مجتمع آخر لا يتصور أنه جماعة وليس حشدا.

إذن، فالعلاقة التي دعى جون جاك روسو بضرورة قيامها بين الناس، ليست على حد قول د. محمود أبو زيد:« مجرد تحالف دائم للسلطة والنفوذ باعتباره شيئا لا يتغير، ولكنها على الأرجح علاقة مشاركة دائمة تتصف بالحرية وبالتلقائية والمبادرة»[79].

لكن، بالرغم من ابتعاد أصول نشأة الجمهور عن مجال المسرح، إلا أنه كان دائما حاضرا فيه، ونظر إليه كامتداد لنفس الظروف التي أنتجته، جريا وراء تحقيق نفس الغايات التي تم السعي إليها سابقا في القرنين الثامن والتاسع عشر الأوروبيين. ذلك أن الإتجاهات المسرحية الحداثية في القرن العشرين، أنتجت ما يعرف بنظرية التمسرح أو (الميتا - مسرح) Meta -Théâtre، كصياغة جديدة بشكل ما للصيغة القديمة (المسرح داخل المسرح)، وتمثلت هذه النظرية في مسرح كل من المستقبليين (الشكلانيين الروس) واللامعقول أوالعبث (بيكيت، سارتر...) وكذلك في نظرية (المسرح الملحمي) التي طورها برتولد بريخت أو بريشت كما يحلو للبعض أن يسميه، وغيرهم. وكان هؤلاء يشتركون جميعا في الهدف ذاته، ويتمثل كما نعثر عليه في إحدى الآراء، في « نزع قناع الاعتيادية أو الألفة عن الوجود وتعرية الوجه الرأسمالي القبيح للحضارة الغربية الحديثة وفضح حالة الإغتراب واللا تواصل ما بين الأنا والآخر التي يعيشها إنسان الحضارة الحديثة»[80].

لذلك، أراد برتولد بريخت رد الإعتبار إلى الجمهور المسرحي «كمفهوم جدلي، يعتبره بريخت عنصرا مشاركا في صلب العمل المسرحي ، ويدعوه إلى التفكير في مصيره وفي الأوضاع السائدة، ثم يطالبه بأن يضحك

---

Felix Penteit ؛ La Pensée politique DePuis Mentèsquieu ،Sirey ،Paris. 1960.

[79]- محمد أبو زيد: ج. ج. روسو والعقد الاجتماعي، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثالث- أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر1979، ص 201. ولمزيد من التوسع حول العقد الاجتماعي، راجع: في ذكرى روسو، بقلم موريس كراستون، ترجمة: بدرية محمد أحمد، عالم الفكر، نفسه، ص 209 إلى224.

[80]- صالح سعد، الأنا- الآخر؛ ازدواجية الفن التمثيلي، نفسه، ص 170.

ويشجع، ويتفاعل وينتقد ويرفض ويوجه الممثل، كأنه يلعب له هو كما يلعب اللاعب للجمهور في كرة القدم»[81].

ومن جهته اقترح المفكر الاجتماعي، بلاتون كيزرستر « ألا يقتصر الجمهور على المشاركة النشيطة في العرض، بل يجب أن يشارك أيضا بالعمل في مختلف أقسام المسرح»[82].

أما مايرهولد Meyerhold، فكان « يريد أن يحطم الفاصل بين الجمهور والخشبة، فبنى ممرات ودرجات تمتد من الخشبة إلى الصالة، وجعل الممثلين يتحركون في الطرقات بين الجمهور»[83]. وبعد ذلك صارت دعواته المتتالية منصبة على العمل بوعي لإثارة مستدعيات جمهوره، وقال:« إن الجمهور قد وجد كي يرى ما نريد له أن يرى»[84].

وبدلا من تقديم الحياة بأبعادها الجادة والمألوفة، فقد انجذب مايرهولد، ومال إلى أشكال عبقرية من المسرح الجماهيري والتراجيدي وملهاة الفارس والكاريكاتير الهزلي، ودفعته إلى «تقديم نوع جديد من المسرح تتوافر فيه أبعاد أخرى ديناميكية تبعث فينا البهجة والفرح، في توليفة يتداخل فيها الممثل والمتفرج»[85].

وبدوره ركز عالم النفس الأمريكي جلين ويلسون Wilson Glenn D.، مجددا النظر حول قيمة الضحك وربطها بالجمهور المسرحي الذي يعبر عن تذوقه واستمتاعه من مكانه كمتلقي، على مفهوم الاستجابة، كحساسية ينبه من خلالها ممثلي الكوميديا بعدم إغفالها، ويدعوهم كذلك إلى ضرورة وضعها في الحسبان بكثير من العناية، كما يوصي بالإضافة إلى ذلك بمنح الجمهور فرصة التعبير عنها لما لها من أهمية في إيصال الضحك إلى ذروته، وفي ذلك نجده يقول: «فالجمهور يعبر عن تذوقه فيكتسب المؤدون ثقة متزايدة، فيحسنون أداءهم، فيزداد استمتاع الجمهور بهذا الأداء(...) ووفقا لنوع المسرح، فإن استجابات الجمهور ينبغي وضعها في

---

[81]- عادل أيت أزكاغ: الضحك في الثقافة الشعبية في ضوء الكرنفال عند ميخائيل باختين، ضمن كتاب: أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية، منشورات: جامعة ابن زهر- كلية الآداب، ودار أبي رقراق، الرباط 2010، ص 192.

[82]- محمد مصطفى المصري: مايرهولد.. العبقري المجنون، مجلة الفيصل، الدار العربية للطباعة والنشر، العدد 342، يناير- فبراير 2005، ص 105.

[83]- محمد مصطفى المصري، مرجع سابق، ص 105.

[84]- المسرح التجريبي من ستانيسلافسكي إلى اليوم: جيمس روز، إيفانز، تر: فاروق عبد القادر. جيء به في المرجع السابق، مجلة الفيصل، ص 106.

[85]- محمد مصطفى المصري، مجلة الفيصل، نفسها، ص 106.

الاعتبار بدرجة معينة، فعلى الأقل، مثلا يكون من الضروري أن يتوقف المؤدون برهة للحصول على الاستحسان أو الضحك. ويتعلم كل من ممثلي الكوميديا البارعين ضرورة الانتظار حتى يتجاوز الضحك قمته»[86].

وارتباطا بنفس السياق دائما، لكن في اتجاه آخر، نشير إلى سلطة الجمهور المسرحي وخطورته، التي تكمن في كونه من بين التحديات التي يواجهها الممثل الكوميدي الحقيقي، وإحدى المخاوف التي تنتابه وتسيطر عليه، إذ أنه عادة ما يخشى أن يفقد علاقته بالجمهور أثناء العرض، وينفصل عنه الجمهور بدوره، خاصة حينما يتوخى الفنان إثارة الضحك لدى المتفرجين، من خلال ما يلقيه من كلمات ويجسده من حركات ومواقف ولا يتمكن من ذلك. في هذه الحالة يتحول الممثل نفسه ليس إلى موضوع للضحك فقط، بل إنه يكون عرضة للاستهجان والاشمئزاز والسخرية ويتعامل معه باللامبالاة أيضا، فيقع له من ثم ما يسمى بظاهرة الموت فوق خشبة المسرح Dying on the stage.

وهو ما حاول جلين ويلسون تفسيره، من خلال ربط ما يحدث للمثل على الركح، بمظاهر النقد والاحتجاج التي يعبر فيها الجمهور عن رفضه لما يقدم له وعدم اكتراثه به، وذلك في قوله: «إن الأمر المأساوي من وجهة نظر ممثلي الكوميديا وكتاب المسرح الكوميديين، هو أن يكتشفوا أن المادة التي يقدمونها لا تستثير أي ضحك من مجموعة كبيرة من الناس. وتسمى هذه الظاهرة، بظاهرة الموت على خشبة المسرح Dying on stage، وهي ظاهرة تعادل أو تماثل الإجماع على الرفض أو الاستهجان. ويتم الحديث عن هذا الأداء بعد ذلك باعتباره أداء سخيفا، أو سمجا، أو غير مضحك»[87].

وعن تلك الظاهرة، يقول شاكر عبد الحميد مبينا كيف أن الفكاهة: «تتطلب دوما استثارة للتوقعات والتوترات ثم خفضا لها وتحررا منها، هكذا على نحو متزامن ومتعاقب ومتكرر، وإلا تعرض الممثل الكوميدي لظاهرة "الموت على خشبة المسرح"، فنجده يطلق نكاته أو يقوم بأداء مواقف يعتقدها كوميدية ومضحكة، بينما يواجهها الجمهور ويواجهه باللامبالاة والاستهجان»[88].

أما الممثل الكوميدي الكويتي داود حسن، فقد صرح في إجابته عندما سئل في إحدى الحوارات التي أجريت معه حول ما يرعبه على خشبة

---

[86]- جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: شاكر عبد الحميد، مراجعة: محمد عناني، عالم المعرفة، الكويت، العدد 258، يونيو 2000، ص 94.

[87]- جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الأداء، نفسه، ص 119.

[88]- شاكر عبد الحميد: تقديم: لكتاب: الأنا- الآخر؛ ازدواجية الفن التمثيلي، نفسه، ص 18.

المسرح بقوله: «ألا يضحك الجمهور... أنا أحيانا تهاجمني الكوابيس وأنا نائم... وأحلم بأنني على المسرح وأقول "أفيهات" ، والجمهور جامد لا يتحرك فأصحو من النوم فزعا»[89].

تأسيسا على ما سبق، يتبين أن الخوف من الضحك، هو ما يفسر لنا من جديد، أن للضحك سلتطه، التي يمارسها أحيانا عندما يظهر نفسه عكس ما يريد وينقلب ضدا على صاحبه، فيتحول نتيجة لذلك إلى أداة للتقويض والهدم.

وفي موطن آخر، نجد أن هناك في مسرحنا العربي، والمغربي منه خاصة، تصورات وآراء مهمة تلفت الانتباه إلى أهمية الجمهور المسرحي وجدليته، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ما جاء في تصور د. عبد الكريم برشيد فيما آنسه في المسرح التقليدي حيث يقال للممثل: اشتغل وكأن الجمهور أمامك غير موجود. وحينئذ، تساءل تساؤلا يمكن اعتباره مشروعا وحاسما في الآن نفسه، وذلك في حديثه: «هل يعقل أن نفترض غياب الجمهور وفي الوقت نفسه نسعى إلى تحقيق التواصل معه؟- ويسترسل في الحديث- قائلا كذلك: إن الآخر كان دائما موجودا، ولكن داخل الظلمة (...) حتى يصبح عنصرا فاعلا في العملية الإبداعية التي هي بالأساس لقاء قبل كل شيء، ومن هنا نرى أن الصواب هو أن تقول للممثل: اشتغل وفي ذهنك دائما أنك أمام الجمهور»[90].

وفي السياق نفسه يحدثنا المسرحي المغربي الأستاذ. أحمد الطيب العلج عن قيمة الجمهور المسرحي من زاويته، قائلا: «هناك قاعدة تقول: لا تأخذ المسرحية حجمها النهائي إلا بواسطة الجمهور. كما أن المسرح مهرجان شعبي يتكون من مجموعتين اثنتين،هما: (مؤلف، مخرج، ممثل، المبدعين الذين في الخشبة، وما خلف الخشبة...)- والجمهور، فالجمهور هو النصف الثاني، هو الذي يكمل اللعبة بإعطائك الثقة والتصديق والمباركة»[91].

من هنا، يمكن اعتبار الجمهور حقيقة هو الآخر الضاحك، وذلك بالنظر إلى العرض المسرحي ككل باعتباره ظاهرة ثقافية وجمالية- فنية، والجمهور كعنصر فاعل ومشارك في عمق العملية الإبداعية. لذلك، فلكي نحكم على مدى نجاح المسرحية لابد من التساؤل عن مدى استجابة الجمهور معها وإقباله عليها؟ وهل لقيت قبولا أو تزكية من طرف المتفرج؟ أليس هو

---

[89]- شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة، ص 243.

[90]- عبد الكريم برشيد: المسرح الاحتفالي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1999، ص 71.

[91]- أحمد الطيب العلج، في حوار معه، المناهل، مجلة شؤون ثقافية، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، العدد 4، أكتوبر 1995، ص 17.

الواقع والمجتمع الذي وجه إليه العمل المسرحي كرسالة وينتظر منه في الآن نفسه استحسانه وإعجابه؟ ثم أليس نجاح النتاج الفني أو الإنجاز الإبداعي، يتوقف عند درجة استجابة الجمهور وقوة تفاعله وتواصله معه، وبالتالي حكمه عليه بالإيجاب؟

والنتيجة إذن، ستبقى لا شك، في أن الحكم النهائي لنجاح العمل الإبداعي عموما والمسرحي منه بوجه خاص ، راجع بالأساس إلى تلك العلاقة التي تجمع بين العرض والجمهور المسرحي، كمفهوم جدلي، حامل لأفكار وإيديولوجيات، فضلا عن أذواقه وانطباعاته الخاصة. والمسرحية الناجحة هي التي تأتي عروضها متتالية وتكون قاعاتها مليئة و مزدحمة.

وفي الأخير، يمكن القول، أن المسرح مهرجان شعبي، والجمهور هو الذي يكمل الفرجة، إذ لا مسرح بدون جمهور ولا جمهور بدون مبدع/ فنان، فالفنان هو لقاء وتواصل وحوار مع الجمهور، وهو حوار روحاني ووجداني.. فلا شيء أرق و أعظم وأجمل في هذه الحياة أكثر من تجاوب الإنسان وتفاعله مع الآخر، وخصوصا إذا كان هذا التفاعل إيجابيا.

**الوظائف النفسية للفكاهة في الكوميديا:**

في هذا الإطار، وقبل الحديث عن وظائف الفكاهة في الكوميديا أو المسرح الفكاهي، جدير بالذكر أن هذه الأخيرة قابلة للاختلاف والتنوع والتعدد، بحسب تنوع طبيعة المواضيع التي يتناولها العرض المسرحي ذاته، ونظرا لتعدد الرؤى واختلاف زوايا النظر (المؤلف- المخرج- الممثل- الجمهور)، وإلى جانب ذلك، نجد أن هناك تعددا على مستوى طرق التحليل والمعالجة، فضلا عن تنوع أساليب التقديم والأداء فوق الخشبة. ولهذا، سيتم التطرق في هذا المبحث لذكر وظائف الفكاهة في جانبها السيكولوجي، وذلك بالتركيز على ثلاثة نماذج منها، وهي:

**1- الشعور بالحرية:**

تتمثل هذه الوظيفة في الإعلاء من شأن الحرية وأهميتها وإمكانية الإحساس بها في الإبداع المسرحي. وكان من بين الأفكار الجديدة والأثيرة التي أتت بها الاحتفالية في بيانها، دعوتها إلى اعتماد فضاءات مفتوحة في الإبداع المسرحي، وبالمقابل وجهت انتقادا لاذعا للمسرح الإيطالي وما يأتي على شاكلته من حيث اعتماده للفضاء المغلق والمستقل الذات.

وإذا كان رواد الاحتفالية قد شددوا على أهمية الحرية في الاحتفال المسرحي، فإن ذلك نابع من وجوب «أن يكون الإنسان حرا ومستقلا، لأنه

نادرا ما يكون كذلك في الحياة الواقعية». [92] وهكذا، تعتبر الاحتفالية نفسها في تعريفها النهائي بأنها «التعبير الحر للإنسان الحر في المجتمع الحر» [93]. لأن الحرية والإبداع شرطان متلازمان. بحيث لا يمكن للإبداع أن يكون بلا حرية، والعكس صحيح. كما أن الشعور بها لا يمكن أن يتأتى إلا من خلال أساليب الفكاهة والإضحاك والتسلية والترفيه، وغيرها من المتع الفرجوية التي يجود بها المسرح في كثير من الأحيان، من خلال استقرائه لانتظارات الناس وأعماقهم وتوقعاتهم.

بهذا المعنى إذن، تكون وظيفة الفكاهة في المسرح، قد حققت واحدة من أهم الإشباعات النفسية والذاتية والوجدانية للإنسان، ألا وهي الإحساس بالحرية، التي من شأنها أن تساعده على الشعور بالراحة، بل وتدفع به إلى العيش في رحلة خيالية، وحلم جميل، يرفع عنه ثقل الواقع ويزيل عنه الهموم. ولتعزيز هذا التصور نستحضر في هذا الصدد نظرة فرويد للفكاهة، التي يقول عنها: « إن الفكاهة ترتد بنا إلى تلك الحرية السعيدة المنطلقة التي كنا نستمتع بها أثناء الطفولة قبل أن تكون علينا رقابة أو رقيب» [94].

### 2- تحرير الإنسان من القلق والاكتئاب والتوتر:

من بين الأسئلة التي تطرح نفسها بإلحاح في هذا المضمار، هي: كيف يمكن للفكاهة أن تكون منجاة للكوميديان وعلاجا نفسيا له؟ ولماذا أصلا يشعر الممثل الكوميدي بالتوتر والاضطراب النفسي؟ وكيف يستبد به القلق ويخيم عليه الاكتئاب، وهو نفسه مصدر للضحك والبهجة والمرح بالنسبة للكثيرين؟

تنضاف هذه الوظيفة التي أسميناها بتحرير الإنسان من القلق والتوتر والاكتئاب، إلى الوظائف النفسية الأخرى التي تلعبها الفكاهة والضحك في المسرح. ويدعم هذه الفكرة ما توصل إليه المحلل النفسي د.عبد الغني عبد الحميد رجب في اعتباره أن: «الفكاهة والضحك هما استجابة أو رد فعل مهمتة الأولى تحرير الطاقة المكبوتة الناتجة عن القلق والإكتئاب

---

[92]- محمود أبو زيد: جان جاك روسو والعقد الاجتماعي، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثالث- أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر 1997، ص 199.

[93]- فن التمثيل بين الأنا والآخر، نفسه، ص 78، كما يمكن الرجوع إلى: عبد الكريم برشيد، المسرح الاحتفالي، خاصة في الفصل المتعلق بنظرة الاحتفالية للجمهور المسرحي.

[94]- فرويد: أورده، عبد الغني عبد الحميد رجب، في مقال له بعنوان: البقاء للأضحك، العربي، العدد 552، رمضان 1425ه- نوفمبر2004م، ص 143.

والتوتر».[95] وهي الحالة التي يمكن أن يعاني منها منتجي الفكاهة أنفسهم، لذلك يقال «إن الممثل الكوميدي يعاني في عملة مشقة تفوق ما يعانيه ممثلو التراجيديا. إنه ينبغي عليه أن يقوم دائما بالبناء، ثم الهدم، ثم البناء، ثم الهدم، وذلك فيما يتصل بعلاقته بالمتلقي ومشاعره(...)، وهذه المشقة التي يعاني منها ممثل الكوميديا الحقيقي، يؤكدها ما كشفت عنه بعض الدراسات الحديثة من أن حوالي 85% من ممثلي الكوميديا قد لجؤوا إلى العلاج النفسي في فترة ما من فترات حياتهم. إنه ينبغي عليه أن ينشر الضحك ولو كانت أعماقه غارقة في البكاء»[96].

ولعل أفضل دليل على ذلك، هو التقرير العلمي الذي كتبه يانوس Yanus، من أن « حوالي 85% من الذكور قد لجأوا إلى العلاج النفسي في وقت ما من حياتهم»[97]. وثمة علاقة ممكنة بين الكوميديا والاكتئاب تتمثل في أن هؤلاء الناس « يكونون غير سعداء لأنهم يبدؤون عملهم دون انجذاب قوي مع الدور الخاص بالمهرج، مثلا يتحولون إلى أشخاص فكهين أو ظرفاء كآلية مناسبة لمواجهة اكتئابهم الخاص، كما أنهم يستخدمون هذه الآلية لجعل الآخرين يضحكون، كتطوير ثانوي لها»[98].

وهناك حقيقة خاصة تشير إلى أن «العديد من ممثلي الكوميديا يبدو أنهم يعيشون حالة خاصة من الاكتئاب والتعاسة، ويعانون من صعوبة واضحة في تكوين علاقات مشبعة»[99].

ولهذا، كانت مجهودات علماء النفس منصبة على نحو خاص وملائم، من أجل الفحص الدقيق لبيان إمكانية الفكاهة في تحرير الإنسان من التوتر والقلق والاكتئاب، وكذا قدرتها على التخفيف من الأزمات النفسية والانفعالية. و نورد في هذا الصدد ما أثبتته دراسات عدة أكدت بتعبير- جلين ويلسون – في قوله: «أن الفكاهة هي إستراتيجية من إستراتيجيات المواجهة الفعالة في التعامل مع المحن أو الكرب، كما ارتبط استخدام الفكاهة بانخفاض

---

[95]- البقاء للأضحك: العربي، نفسه، ص 143.

[96]- شاكر عبد الحميد: تقديم لكتاب:الأنا- الآخر؛ ازدواجية الفن التمثيلي، سبق ذكره، ص 18.

[97]- جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: شاكر عبد الحميد، مراجعة: محمد عناني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 285، يونيو/ حزيران 2000، ص 269.

[98]- جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الأداء، نفسه، ص 270.

[99]- جلين ويلسون، نفسه، ص 271.

الشعور بالوحدة النفسية أو الاكتئاب، وبوجود مستوى مرتفع من اعتبار الذات أو احترامها»[100].

وفي السياق ذاته، أظهر تتبعنا لبعض المحاولات والإشارات الواردة حول مختلف الدراسات المعاصرة، التي أجريت على مبدعي الكوميديا عموما، والممثلين منهم خاصة، والمشهورين منهم بالأخص، أمثال ( شارلي شابلن، ريتشارد بريو، سبايك ميليجان، وودي آلن، برناردشو، آرت بوتشولد، فيلدز، ليني بروس، ومارتي فيلدمان، وغيرهم)، وممثلين عرب كثيرين، منهم (عادل إمام )[101]. أظهر ذلك، أن حياة هؤلاء وغيرهم كانت متسمة بالاضطراب والتوتر والحزن والأسى لأسباب كثيرة، منها ما يرجع إلى اليتم، والطفولة التعيسة، وانحراف الأب والشعور بقلة الاهتمام، وغيرها من الدوافع.

من هذه الزاوية، قد يصح القول بأن طفولة البؤس والشقاء والحرمان، قد تكون سببا في إنتاج إنسان متفكه (كوميدي)، خاصة إذا كانت طفولته مصاحبة للموهبة. وهو ما نلمسه من خلال الإجابة التي نقف عندها، حيث سئل أبوت: ما الذي يجعل الشخص مبدعا؟ وقال بدون تردد: « طفولة شقية»[102].

وبعد التمعن في الدراسات التي أجريت حول مبدعي الكوميديا كذلك، توصل بعضهم إلى نتيجة مفادها « إن المضحك الكبير هو غالبا مستودع بشري، أو ينبوع للألم والغضب والانفعال العميق، وأن طفولته غالبا ما تكون عبثية الطابع أو لا معقولة وأن هناك ميلا غلابا إلى التقمص المباشر للانفعال والشخصيات يكون موجودا لديه»[103].

وما يلفت النظر، مما تم تقديمه من آراء حول ما أجري من دراسات على الحالات المختلفة لممثلي الكوميديا، هو الشيء الذي يوضح أن ضحكهم لا يتصل في أغلب مستوياته بالسعادة والسرور أو خلو البال. والحجة في ذلك ما ذهب إليه عالم النفس البريطاني وليم مكدوجل، الذي انتقد فكرة الربط بين البهجة والضحك حين قال: «إن الضحك ليس تعبيرا عن

[100]- جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الأداء، نفسه، ص 263.

[101]- شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، نفسه، من ص 429 إلى 432، وانظر:جلين ويلسون، نفسه، من ص 271 إلى 274.

[102]- زئيفي: ترجم عنه شاكر عبد الحميد،المرجع نفسه، ص 430. – وأبوت، هو الشخص البدين في ثنائي أبوت وكاستيللو الشهير في السينما.

[103]- زئيفي: أتى به شاكر عبدالحميد في الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة، نفسه، ص 429.

السرور أبدا، بل هو مولد له، وإننا نضحك لأننا تعساء والضحك يجعلنا نشعر بأننا في حال أفضل»[104].

وغير بعيد عن المعنى نفسه، يقر الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه، في ( هكذا تكلم زرادشت) بأن «الإنسان الأعلى هو الذي يتعلم كيف يضحك»[105]. وأكد بالإضافة إلى ذلك أن « الإنسان من أكثر الكائنات تعاسة في العالم وقد ابتكر الضحك»[106].

ووفقا لنيتشه، نميل إلى القول بأن الإنسان من أكثر الكائنات تعاسة في العالم وقد ابتكر الضحك، بحيث ليس من المدهش أن تنبعث أجمل فكاهة من الممثل الكوميدي حتى وإن كان من أعمق الناس حزنا، كما ليس من الغريب أن الذي يتألم ويعاني باستطاعته توليد الهزل وإثارة السخرية والضحك ببراعة فائقة قد لا تتوفر لدى الكثيرين، فالتعيس هو الذي يضحك ويسخر ويمرح لكي يبدل كآبته بالفرح و الانشراح.

### 3- اندماج الجمهور:

أشار جلين ويلسون من مرجعيته النفسية، إلى مفهوم اندماج الجمهور كإحدى الوظائف التي تؤديها الفكاهة في الكوميديا، ممثلا لذلك بما تستند إليه القوة الدافعية/ الانفعالية للفكاهة من قدرة « على ملاءمتها للانشغالات والرغبات والأخيلة الخاصة بالجمهور الذي يتلقاها، وهذا يعني أن التعرف على أمر النكتة أمر مهم فيما يتعلق بالمادة الفكاهية »[107].

على هذا النمط، تسير الفكاهة وتستعمل في المسرح كآلية تلفت انتباه الجمهور وتساهم في جذبه واستقطابه نحو فضاء غير واقعي، وإنما تخييلي. و هذه غاية نلمسها ليس فيما تسعى إليه الفكاهة لبلوغه فحسب، بل أيضا فيما يسعى إليه المسرح نفسه لتحقيقه، وفي هذا الصدد يقول بيتر بروك: «هدفنا تحرير الخيال، وجذب الجمهور نحو عالم خيالي»[108].

وهذا التوحد أو الاندماج لا يمكن أن يحدث طبعا، ما لم يتمكن الممثل من تحقيقه مع ذاته، من خلال الشخصية المسرحية التي يؤدي دورها كآخر، لأن بهذه الوسيلة سيصير بإمكانه أن يندمج مع الجمهور ويتوحد معه هو الآخر من جانبه كمتلقي. بهذه التقنية، وعن طريقها، بالتالي « يكاد فعل

---

[104]- الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، نفسه، ص 25.

[105]- شاكر عبد الحميد، تقديم: كتاب:الأنا- الآخر؛ ازدواجية الفن التمثيلي، نفسه، ص 17.

[106]- الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة، نفسه، ص 22.

[107]- جلين ويلسون، نفسه، ص 256.

[108]- بيتر بروك:أورده شاكر عبد الحميد في كتابه: الخيال؛ من الكهف إلى الواقع الافتراضي، عالم المعرفة، العدد 360، الكويت 2009، ص 370.

التمثيل المسرحي يكون أكثر مظاهر الوجود الإنساني التي تتجلى فيها نشاطات التوحد والتوحد المقابل»[109].

وفي هذا المنحى، يصبح المسرح في جوهره مجازيا - بتعبير هوفمان- يكون فيه، كما يقول: «الممثل والجمهور والمسرح نفسه أمورا شديدة المرونة، وفيه يتداخل الممثل مع الجمهور، والجمهور مع الممثل، وفيه تعرض بعض جوانب الظاهرة التي تتعلق بالأداء»[110].

وبهذا التداخل وذاك الاندماج، يتحول الجمهور من وضعيته كمشاهد إلى مشارك لحد التوريط، مع ما يحدث أمامه من أحداث أو ما تلقاه الشخصيات من مصائر وتجارب، وهو يسقطها على الواقع والحياة التي تستمد منه، وتبعا لهذا السياق يذهب شاكر عبد الحميد قائلا: «إننا لا نكون هنا مجرد متفرجين أو مهتمين أو مشاهدين لما يحدث أمامنا، بل مشاركين فيما يحدث، بل متورطين فيه ومندمجين أيضا، فالأحداث التي تحدث أمامنا قد تحدث في حياتنا، والشخصيات المتورطة فيه قد تكون نحن أنفسنا، وليس ثمة انفصال بين الحياة في المسرح والمسرح في الحياة»[111].

وبناء على ذلك، تجدر الإشارة هنا، إلى أن موقف المتلقي وهو يستقبل التجربة المسرحية التي يتعرض لها، سيكون هو الشعور بأنها تجربة أو خبرة بديلة Vcorious Experience، إنها خبرته لكنها في الوقت نفسه ليست كذلك. يقول شاكر عبد الحميد في هذا الاتجاه مفسرا: « خبرته الخاصة كمتلق، لكنها خبرة شخص آخر يتعرض للآلام أو يكون موضوعا للضحك، إن خبرته إذن ليست خبرته وتجربته ليست تجربته، إنها بديل لخبرة الممثل أو الشخصية المسرحية »[112].

إن ما يبرزه التتبع لمراحل هذه الوظيفة، هو أن كفاءة الإنجاز المسرحي لا تتجاوز إلى حد بعيد، قدرته على التأثير في جمهور النضارة ورفعهم من وضعية الوجود في الحياة الواقعية بطبيعتها الاعتيادية والمألوفة، إلى وضعهم في عالم الفن المسرحي، أو العيش – ولو مؤقتا- في حياة الإيهام والتخييل، بفعل الفكاهة، التي قد تجسدها النكتة مثلا، كأسلوب من أساليبها، التي تظل كالحلم بالنسبة للكثيرين، ولها حضورها القوي والمتميز في هذا المستوى لأن باستطاعتها إثارة الضحك بشكل سريع في صفوف الجمهور العريض، خاصة حين يأخذ بزمامها كوميدي بارع ومقتدر، يمثل صورة

---

[109]- شاكر عبد الحميد، تقديم: لكتاب الأنا- الآخر، نفسه، ص 11.

[110]- هوفمان: ترجم عنه شاكر عبد الحميد في إحدى المراجع الأجنبية وأورده في كتابه: الخيال، من الكهف إلى الواقع الافتراضي، نفسه، ص 374.

[111]- شاكر عبد الحميد: الخيال؛ من الكهف إلى الواقع الافتراضي، نفسه، ص 376.

[112]- الأنا- الآخر؛ ازدواجية الفن التمثيلي؛ التقديم، نفسه، ص 11.

حقيقية للآخر الضاحك، هو ذلك « الآخر- الكوميديان- الذي تكفيه مجرد فكرة أو حتى نكتة ليحولها فورا، عن طريق نشاطه الجسدي وبديهته الحاضرة دوما إلى فصل مضحك»[113].

والحق، أن غايات: الشعور بالحرية، وتحرير الإنسان من التوتر والقلق والاكتئاب، ثم اندماج الجمهور، ليست سوى مجرد عينات لبعض المقاصد التي تنطوي عليها الفكاهة في المسرح، وهناك إلى جانبها وظائف نفسية عديدة (كتنشيط الدورة الدموية، والشعور بالانتشاء...وغيرها)، لا يتسع المقام للتفصيل فيها، هذا فضلا عن وظائف أخرى ثاوية وراء الضحك في الكوميديا، وهي بالتحديد ذات اتصال وثيق بأبعاد الفكاهة الاجتماعية المختلفة، وتأتي بمعاني متباينة (كوسيلة للنقد الاجتماعي، وكأداة للتفاعل والاستثارة الجماعيين...). وهنا، في ظل هذه الوظائف الاجتماعية، تلعب السخرية دورها الطبيعي، كوسيلة للإصلاح الاجتماعي، وتشتغل كعنصر للمقاومة والدفاع، لاسيما حين تتعمد التشويه والفضح والتعرية.. ثم تستعمل كأداة، لا للتصويب والتقويم والتعديل فحسب، بل وللعقاب أيضا، الذي تمارسه على مختلف مظاهر السلوك الملتوية، لترفع (تلك الأداة) بعد ذلك، وتلقى على ظهور الذين يلحون بإصرار وتعنت، على التمادي في اقتراف الحماقة التي تغمر ثقافتهم وحياتهم اليومية.

إلى هنا، وعند هذا الحد، كانت الإشارة خاطفة وموجزة، حول الدلالات الاجتماعية لوظائف الفكاهة في المسرح الكوميدي. فالمسرح في أصله، كما يقول رولان بارت Roland Barthes، موضحا : «المسرح كله حركة اجتماعية، و- تعبير خارجي- مادي، عن الصراعات الاجتماعية »[114]...، والمجال مفتوح للقارئ الضمني، لاستكشاف ملامح هذه الوظائف من خلال ربطها بمظاهر المضحك وتجسيداته في الفن المسرحي، على أمل الرجوع لتتمة الموضوع في دراسة لاحقة إن شاء الله سبحانه.

والخلاصة مما سبق، أن التمثيل المسرحي يكتسب أبعاده السيكولوجية ودلالاته السوسيولوجية، من خلال ظاهرة الفكاهة التي تتناولها المواضيع المسرحية كقيمة جمالية، والتي يجسد الممثل الكوميدي (الآخر الضاحك) مظاهرها المضحكة، بأسلوبه الساخر، ويوجهها إلى الجمهور (الآخر الضاحك)، الذي ينفعل معها بدوره من خلال الضحك كشكل من أشكال الاستجابة مع العرض.

---

[113]- صالح سعد، المرجع السابق، نفسه، ص 73.

[114]- سامية أحمد أسعد: رولان بارت رائد النقد الجديد في فرنسا، عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، يوليو/ أغسطس/ سبتمبر 1981. ص 206.

وفي سبيل الختم، يدفعنا هذا الموضوع الذي دار حول الفكاهة والكوميديا، المنتمي بطبيعته كما تبين، إلى ما يسمى حديثا "بالدراسات البينية" Interdisciplinary، الذي تتداخل فيه اختصاصات علمية متباينة، وحقول معرفية كثيرة، كالأدب والفكر والفلسفة وعلم نفس النقد والإبداع الفنيين، وغيرها، - يدفعنا ذلك - إلى القول بأن الأمر يدعو إلى مزيد من البحث العلمي المتخصص، والنقد المؤسّس لمقاربة ظاهرة الفكاهة في الكوميديا، في مختلف مجالاتها الإنسانية.

من هذه الوجهة إذن، نؤكد في الأخير، أن فن التمثيل أضحى الآن علما يسعى لخدمة العلوم الإنسانية، لأنه يشتغل على الإنسان كذات، وكينونة، للإنسان نفسه كآخر (متلقي- جمهور)، ويبحث في العلاقات والسلوك الإنسانيين، كأفكار وعلوم وقضايا...، والتمثيل المسرحي كخبرة جمالية، وكظاهرة فنية، ثقافية واجتماعية، أصبح اليوم، وهو يستحضر الفكاهة ويتكئ على عناصرها أكثر مما دونها لتحقيق الفرجة، يغطي شقا كبيرا من حاجة الإنسان المعاصر، التواق إلى الشعور بالأنس والألفة والمشاركة الجماعية، التي تمتد ينابيعها وأصولها العميقة إلى زمن سحيق من تاريخ الاجتماع البشري.

# مصادر ومراجع البحث:


1- القرآن الكريم: سورة النمل، من الآية (18).

2- إسماعيل عماد الدين ابن كثير القرشي الدمشقي، قصص الأنبياء، تعليقات: الشيخ ناصر الدين الألباني، اعتناء: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، دار البيان الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.

3- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1985.

4- أحمد شايب: أبحاث في الضحك والمضحك، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2010.

5- أحمد شايب: الضحك في الأدب الأندلسي؛ دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية، 2008.

6- جان ديجو: تقديم لكتاب: حسن الرايس: الضحك والآخر؛ صورة العربي في الفكاهة الفرنسية، إفريقيا الشرق، 1996، ص 7.

7- جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: شاكر عبد الحميد، مراجعة: محمد عناني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 258، الكويت، يونيو 2000.

8- شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة، عالم المعرفة، العدد 289، الكويت، يناير 2003.

9- شاكر عبد الحميد: الخيال؛ من الكهف إلى الواقع الافتراضي، عالم المعرفة، العدد 360، الكويت، فبراير 2009.

10- صالح سعد: الأنا- الآخر؛ ازدواجية الفن التمثيلي، تقديم: شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، العدد 274، الكويت، أكتوبر 2001.

11- عبد الكريم برشيد: المسرح الاحتفالي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، 1999.

12- عادل أيت أزكاغ: فن التمثيل بين الأنا والآخر، بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف: د. محمد جلال أعراب، مرقون بكلية الآداب - جامعة ابن زهر- أكادير، 2006.

13- عادل أيت أزكاغ: الضحك في الثقافة الشعبية في ضوء الكرنفال عند ميخائيل باختين، ضمن كتاب: أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية، منشورات جامعة ابن زهر- كلية الآداب- أكادير، ودار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2010.

14- محمد علي الكردي: مفاهيم الفكاهة الفرنسية من خلال فنون الكوميديا، عالم الفكر، المجلد الثالث عشر، العدد 3، أكتوبر/نوفمبر/ ديسمبر 1982، ص 149.

15- محمود أبوزيد: جان جاك روسو والعقد الاجتماعي، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد 3، أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر 1979. ص 201.

16- سامية أحمد أسعد: رولان بارت: رائد النقد الجديد في فرنسا، عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، يوليو/ أغسطس/ سبتمبر 1981، ص 206.

17- أحمد الطيب العلج: في حوار معه، المناهل، مجلة شؤون ثقافية، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، العدد 4، أكتوبر 1995، ص 17.

18- محمد مصطفى المصري، مايرخولد.. العبقري المجنون، مجلة الفيصل، الدار العربية للطباعة والنشر، السعودية، العدد 342، يناير- فبراير 2005.

19- عبد الغني عبد الحميد رجب: البقاء للأضحك، مجلة العربي، العدد 552، رمضان 1425- نوفمبر 2004، ص 143.

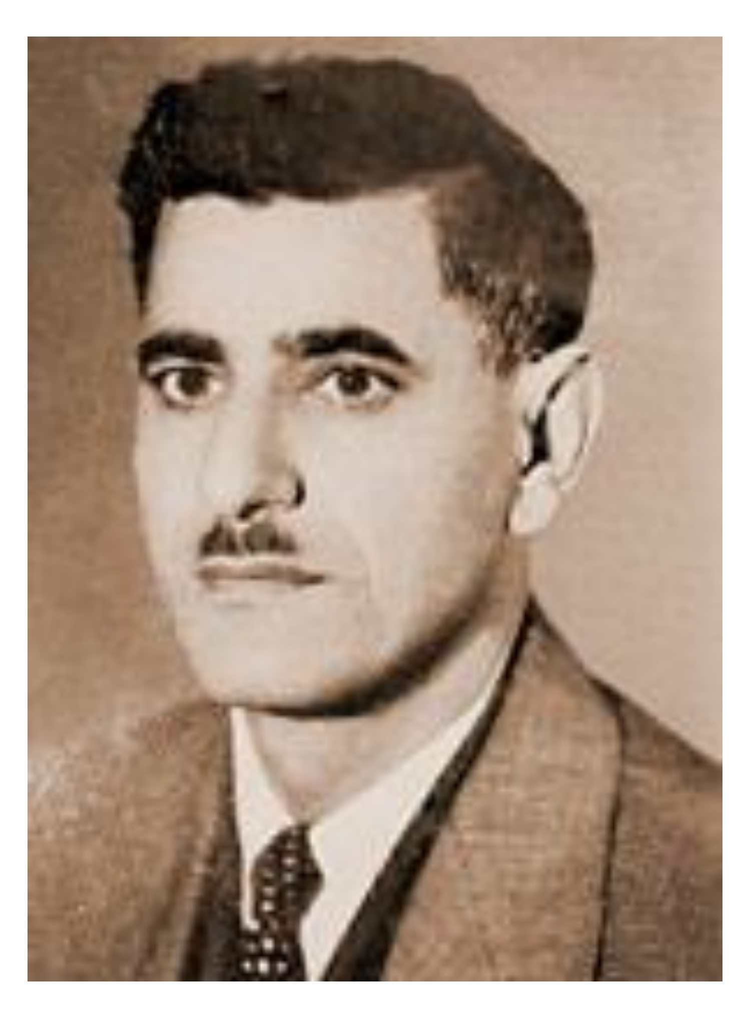
# ملف العدد: تحديث التعليم على شرف العالم العراقي عبدالجبار عبدالله

في بعض مواصفات الباحث الجاد وأهمّ المشكلات التي تواجهه في الجامعات العربية التقليدية الحكومية

الحداثة في السياسات التربوية وتوطين التقنية في الدول العربية بين الخوف والضرورة

التحديات التي تواجه جامعة القدس في تطبيق الجودة الشاملة دراسة ميدانية ـ جامعة القدس في الضفة الغربية

تقييم أداء المعلمات المنتدبات في مدارس التربية الخاصة كما يراه المشرفون التربويون ومرشدو التعليم الجامع في فلسطين



**العالم العراقي الجليل الأستاذ الدكتور عبدالجبار عبدالله**

## مدخل تحليلي في ملف تطوير التعليم
## إشكالية تطوير التعليم العالي والجامعات في دول المنطقة والعراق

الدكتور تيسير عبدالجبار الآلوسي*
رئيس جامعة ابن رشد في هولندا

**توطئة**

يشكّل التعليم العالي في أيّ بلد العصب الأكثر حيوية في منطلقات البحث والدراسة تأسيسا لعملية التخطيط الموضوعي العلمي ومقدمة لإعمار البلاد وتطورها. وصواب الفلسفة يتمثل في اختيار الدولة منهجا موظفا في توجهات التعليم العالي يقوم على ربطه بالمجتمع ربطا مباشرا يكون بخلافه ذاك المجتمع قد سجل تخلفه عن الركب العلمي والعصرنة والتحديث الراهنين عالميا...

ومن الطبيعي أنْ نجد في جامعات دول المنطقة ومنها الجامعات العراقية الجديدة نضالا عنيداَ من أجل تثبيت خيار الشعوب بفلسفتها الديموقراطية لمؤسساتها الجديدة كافة. أما لماذا النضال العنيد؟ فلأنَّ ما يدور خلف أسوار تلك المؤسسة التعليمية البحثية [الجامعة] هو انعكاس تام لما يدور من صراع في عموم المجتمع...

لقد انهارت رموز المصادرة والاستلاب وتشويه جهود العقل المعرفي ببلداننا بخاصة في إطار البيت الأكاديمي العلمي، من الجامعات ومراكز البحث، ولكن المرحلة الانتقالية لا تعدم وجود الأرضية المتمثلة في بقايا النظم القديمة فضلا عن أصابع القوى المتطرفة وتسللها مع عناصر هزيلة لمختلف مؤسسات بلداننا، الأمر الذي بات يشكل تهديدات متنوعة جمة. منها مخاطر الحملات التي استهدفت التعليم العالي بشخص العلماء والأساتذة الذين جرى تنفيذ عمليات الاغتيال فيهم بالمئات ما أشاع حالة من الإرهاب وتهديد المسيرة العلمية كما حصل في نموذج الجامعة العراقية؛ فضلا عن أمور معقدة متداخلة أخرى تشيع الاضطراب وعدم الاستقرار في المؤسسة التعليمية اليوم.

وبعامة تحكم مسيرة العملية التعليمية البحثية جملة أمور في الظروف الطبيعية ولكن في ظروف كالتي تشهدها الساحة في مجمل بلدان ربيع الثورات الشعبية ينبغي التوقف أولا عند بعض المؤشرات قبل التوجه لمعالجات تطوير التعليم العالي ومنطق تقعيداته..

وأول تلك المؤشرات والأمور التي ينبغي الحديث عنها هي سلامة أجواء الجامعات وقدسية حرمها فحيثما أُهين الحرم

الجامعي وأُختُرِق ظلت الأجواء رهينة عدم الاستقرار والقلق وامتناع الأداء العلمي الموضوعي فيها.. وأبرز حالات الاستهانة بالحرم الجامعي دخول عناصر الشغب وربما في بعض البلدان [كما العراق نموذجا، وربما نشهد نماذج أخرى] تدخل الميليشيات المسلحة والمافيات والعصابات وعبثها بكل شيء داخل أسوار الجامعة وتحكمها في كل إجراء وقرار وفعالية..

ومن الطبيعي هنا التوكيد على مسألة ضمان أمن الأساتذة والعمل على قطع الطريق على تلك الحملة التي تستهدف حيوات العلماء وفضح مرتكبيها وتقديمهم للعدالة فورا في أولوية تعمل على إنزال الجزاء العادل بكل من تسوّل له نفسه الدخول في مثل هذه المعركة المعادية للعقل الوطني باي بلد من بلدان التغيير والضرب بشدة على أيدي مرتكبي الجريمة بوصفها أكبر من جريمة اغتيال أو قتل لمواطن حيث هي في جوهرها واثرها الفعلي جريمة بحق المجتمع ككل..

أما الخطوة التالية فتكمن في التحول الحقيقي من زمن المصادرة والاستلاب الذي عانته الجامعة والتعليم العالي والبحث العلمي في العقود الأخيرة؛ بإشاعة الديموقراطية في الأجواء العلمية الجامعية ومنع أية حالة اعتداء على حريات البحث العلمي تحت أية حجج مزعومة كما في محاولات تكفير باحث أو مصادرة بحث أو فرض قرارات تتأسس على منهج فكري أو عقائدي شمولي من أيّ طيف كان..

إنَّ ديموقراطية التعليم تعني إشاعة فرص التعليم للجميع وضمانها بشكل متساوٍ وفسح المجال لفرص العمل التدريسي لمجموع الأساتذة والعلماء من دون تمييز أو تدخلات غير منطق الشروط الوظيفية العلمية المعروفة عالميا... ومن الطبيعي كذلك أن يكون دعم مجانية التعليم العالي ودعم فرص أبناء الفئات صاحبة الدخل المحدود في اكتساب العلم وحل المشكلات التي تعترض هذا الحق، أمرا جديا مهما في تحقيق ديموقراطية حقيقية في مجال التعليم العالي..

كما إنَّ دبموقراطية حقيقية لابد أن تستند إلى السلام الاجتماعي أولا وإلى قدسية العلم والعمل؛ واحترام الآخر والتمرّس على الإنصات لصوته والتفاعل إيجابياَ مع تنوع الرؤى في أجواء التسامح ووقف الانفعالية والتنافس السلبي والفئوية والعصبية لأنماطها التقليدية (كالعشائرية أو القبلية والعنصرية والطائفية) والمعاصِرة (كالروح الحزبي الضيق والشللية ومظاهر معاندة الذات وركوب مركب الجهل بالضد من نور الحقيقة الساطعة خضوعا لتلك النوازع السلبية!) وهذا ما يدخل في صميم مشروع تحرير التعليم من كل أشكال القسر والإكراه والاستلاب على سبيل المثال هنا لا الحصر أن يكون وقف التدخل في آليات تشكيل الإدارات

العلمية جديا ملموسا، بالانتهاء من معركة الصراعات على أسس حزبية ضيقة في شأن مسؤولية إدارة قمة الجامعة!

**ما الدور المؤمَّل من الأنتلجنسيا عامة ومؤسسة التعليم العالي (التكنوقراط) خاصة في دعم المسيرة؟**

تتزايد مع الوقت الأهمية الملقاة على عاتق الأنتلجنسيا الوطنية ومنهم بالتحديد الأكاديميون بخاصة ـ في الظرف الراهن ـ بوصفهم أصحاب العقل الذي سيُعنى بمعالجة المشكلات المعقدة على صعيد مستقبل الشخصية الوطنية وعلى صعيد وقف مهزلة الاستلاب والمصادرة التي مورست ردحا طويلا من الزمن بذرائع مختلقة مختلفة وفي معالجة مشكلات مسيرة الديموقراطية وقضاياها العقدية الجوهرية..

إنَّ من مهمات المعارف والعلوم وخطابهما اليوم، معالجة مباشرة فورية وسريعة لأوليات الإشكالات التي تجابهنا.. ولعلَّنا نستطيع ولوج تلك المعالجات عبر منافذ من نمط تكثيف العلاقة مع الجمهور [من قبل التكنوقراط والأساتذة عامة] وتفعيل تلك العلاقة بما يدير الخطاب بتواصل من غير انقطاع من جهة التتابع الزمني، بحسب كثافة الفعاليات؛ وعبر لغة موضوعية مناسبة تصل ذهن جمهور الثقافة والمعرفة والعلم بل أوسع جمهور ممكن وتؤثر فيه وتثبت في الذهن بتوظيف الآليات المناسبة لتحقيق تلك النتيجة..

وعلينا كذلك التأسيس لعلاقة جدية مسؤولة بين الجامعة والتعليم العالي والبحث العلمي وبين مؤسسات المجتمع المدني وشركات ومؤسسات البناء وإعادة الإعمار والعمل العام بأشكاله... وتلك مهمة حيوية ينبغي أنْ يدركها المثقف والمتخصص الأكاديمي ولابد لهما هنا من تذكر ما للغة التفكير البياني لا البرهاني من سلطة على العقل البشري وعلى وعينا الجمعي في بلداننا في المرحلة الراهنة!؟ ومن ثمّ توظيف الآليات المناسبة التي تؤهل لتوظيف الإبداع الأدبي والخطاب الثقافي المجاور للتعليم العالي والبحث العلمي في مهمة تعزيز ما نؤسس له من حياة متنورة جديدة وهذه إشارة مخصوصة بخطاب الإبداع الأدبي الجمالي منه بوجه التحديد من دون إلغاء أو تقليل من شأن خطاب النقد والمعرفة العلمية وبقية الخطابات المعرفية المتنوعة الغنية...

وبخلاف ذلك فإنَّ السبق سيكون لخطاب الجهالة والظلامية التي تسطو على الذهن البشري بسرعة كبيرة فتلتهم بنيانه وتلفّه بظلام وبطقوسية لا يمكن شفاؤه منها حتى بعد عقود من المحاولات

النبيلة.. فالتخريب شدَّما يكون سريعا سهلا في آليات أدائه.. فيما البناء تعظم أمور معالجة أركانه وتفاصيله وحاجاته، بخاصة في مجال بناء الروح.

ويتحمل أكاديميونا اليوم مسؤولية تاريخية بمواجهة مثل هكذا قضايا وأوضاع معقدة شائكة. حيث تكمن مهماتنا في البدء بتركيز الجهود التي تنادت هنا وهناك. وتطوير الأنشطة الفردية إلى فعاليات جمعية والتحول النوعي بها وذلك عبر توحيد جدي وحقيقي يصبّ في حملة دولية متكاملة محدَّدة المسار والخطوات ويتقاسم أكاديميونا عبر مراكز البحث العلمي المتخصصة وعبر مسارات الجامعات وتوجيه خططها العلمية لتطابق حاجات المجتمع العراقي وتطلعاته.. وفي هذا الإطار يمكن أنْ نقرأ مهام عامة أخرى بوصفها من أولويات عملنا المؤمل المنتظر موجزة في الآتي:ـ

* عقد مؤتمرات البحث العلمي بخاصة هنا مؤتمر وطني شامل للتعليم العالي لاعتماد استراتيجية تتعمَّد بقراءات الباحثين والأكاديميين [في كل بلد بعينه] ومداولاتهم ومناقشاتهم المطلوبة، على أن يكون المؤتمر مستمر الانعقاد بشكل سنوي وبلجنة متابعة تنعقد فصليا...
* عدم التوقف عند حدود استنكار الجرائم المرتكبة بحق التعليم العالي من مثل آثار حرق المكتبات ودور التوثيق الوطنية ونهبها وتواصل تخريبها عبر مسلسل الفساد والإهمال في عدد من البلدان المعنية. وينبغي هنا [في كل حالة وبلد] إيجاد الردّ المناسب الذي يقوم به مثقفونا وأكاديميونا بمخاطبة مبرمجة وبحملة وطنية ودولية منظمة وذلك عبر عقد الصلات مع المكتبات العالمية المعروفة، وكذلك أية مساهمة كانت، بالتبرع لمكتبات البلد المعني الأساسية ومكتبات الجامعات والكليات وبالاتصال بالدوريات العلمية في الجامعات التي نمتلك صلة ملموسة بها لكي تنظّم دعما عينيا وماليا سنويا على أقل تقدير على مدى السنوات الخمس التالية.. وينبغي تعبئة الرأي العام في بلدان التغيير بإقامة الصلات الوثيقة بينه وبين المؤسسات المنهوبة و\أو المخربة بغية توفير أرضية جدية مناسبة وقاعدة للدفاع الوطني عن تراثنا بتوضيح أهمية هذا الفعل ونتائجه الخطيرة وعلاقته بحياتنا المعاصرة وبمستقبلنا..
* القيام باحتفاليات الثقافة والمعرفة في مختلف المدن والجامعات التي تحتضنها محافظات كل بلد [العراق مثلا، أو اي بلد آخر كليبيا وربما تونس ومصر وغيرها] وتوسيع أرضية المشاركة الجماهيرية والتفاعل بين الإنسان البسيط والآخر المنتمي للنخبة الوطنية الأكاديمية ومثل ذلك إقامتها على مستوى بلدان المهجر ومدنه مع

دعوة الوفود الأكاديمية والعلمية من الداخل لتقديم البحوث والمشاركات في المحافل الدولية وذلك عبر عقد الصلات المناسبة لتنفيذ هذا النشاط الذي يحظى بأهمية للتفاعل والتلاقح بين الثقافات والمؤتمرات العلمية بخاصة ما ينعكس على جامعاتنا تحديدا..

* ومن البدهي أنْ نرى أهمية المعارف والعلوم في صياغة مشروعنا الوطني الحضاري وخطورة تأثيره على كل الخطابات الوطنية بخاصة منها السياسية التي بدت اليوم أكثر ارتباكا أمام مشهد التغييرات الجذرية المزلزلة للكيان بمكوناته كافة بمعنى العمل الفاعل من أجل صياغة الهوية الوطنية لأمة على مستوى كل بلد تتشكل بعد مخاض طويل و ولادة متعسرة مخصوصة في مشكلاتها وعنف ما أصابت به مجتمعاتنا بسبب الظروف الصعبة والمعقدة التي أحاطت بتلك التغييرات.. و ربما يكون مقترح حكومة التكنوقراط مثلا في هذا الدور المؤمل...

**لوائح التعليم العالي.. بين تأسيس ماضوي وتحديث مستقبلي؟**

من جهة أخرى، فلقد سُنَّت لوائح الجامعة والتعليم العالي في ظروف التوازنات التي خضعت لسطوة دكتاتورية الدولة والحكّام الذين ربما كانوا أحيانا من جهلاء القوم أي من معاديّ العلم وأهله. فكانوا يتعمدون استيزار [جَهلة] لا ترقى شهاداتهم أو خبراتهم لما يؤهل لإدارة مراكز البحث والجامعات والأكاديميات التي احتضنت خيرة علماء القرن المنصرم..

وسيكون من غير المعقول أنْ تستمر تلك اللوائح والقوانين التي سنَّتها سلطة الأمس تلك، في ظل مشهد من التخلف ومعاداة العلم ومنتجيه. وليس من الصحيح ولا من الصحي الصائب أنْ نتعامل على وفق منطق ما يسنّه بعض من أزلام الظلمة والتضليل تحت يافطات احترام روح وطني أو قومي [مزيف] أو قدسية روح ديني أو اعتقادي [مدَّعاة مزعومة عند بعض متشددي تيارات بعينها]. فكل شيء اليوم متاح لأكاديميينا لكي يراجعوه ويُعمِلوا عقولهم النيِّرة لتغييره بكنس ضلالات الماضي المهزوم وفساد بعض مفردات الحاضر..

لقد نهض الأستاذ والأكاديمي بمهماته في افتتاح مشروعات مراكز البحث والأكاديميات والجامعات الحكومية وكذلك الأهلية التي تستخدم طريقة التعليم المفتوح والتعليم الألكتروني أو التعليم عن بُعد بتوظيف آليات التعليم الحديثة فيما بقينا نسمع بسلطة لوائح التعليم التقليدي بوسائله التقليدية الثابتة التي تكلست

وتجمدت وتشوّهت بسياسات ماضوية وهي ذاتها اللوائح التي تقمع جهودا عظيمة لعلمائنا في الوطن والمهجر، جهودا يجري بوساطتها إعمار جامعات وأكاديميات مهمة تمثل واحدا من علامات بلادنا البارزة اليوم وراية وسفارة معرفية حضارية وبوابة للخير والبناء لا يجوز بحال من الأحوال تغافلها أو إهمالها أو إخضاعها للوائح الخطيرة التي تركها الماضي المثقل بمشكلات ما أورثنا إياه.. وربما عملت بعض البلدان على تحديث قوانين التعليم فيها واشركت التعليم الألكتروني نظاما رئيسا في مسيرة التحدث ما يؤكد بمثل هذا النموذج أهمية توسيعه وشموله مجموع بلدان التغيير ونظم الحداثة والبناء والاستجابة لمطالب الشعوب وإرادتها...

ومن هنا وجب على مؤسسة التعليم العالي ببلداننا من مراكز بحثية ومعاهد علمية وجامعات وجهات وزارية مسؤولة ومجالس تعليم مستقلة واتحادات، أنْ تنهض بمهمة تنظيف أجوائها تماما وكتابة لوائحها الإدارية والأكاديمية بما يخدم مسيرة العلم وأهله ويصبّ في مصالح إعادة بناء الروح الوطني ويفتح آفاق التعليم العالي والبحث العلمي على أوسع مصاريع بواباته بلا تضييق وبلا تشويه وبلا مصادرة لحرية البحث ولحرية اكتساب نور العلم لبناء البلاد وقبلها نقاهة العباد وصحتهم المعرفية الروحية..

وما يُنتظر أنْ يحصل بكل بلد وحكومته المنتخبة الجديدة هو فسح المجال لتغيير تلك اللوائح التقليدية بمجلس أعلى للتعليم متخصص مستقل حر، بما يتيح معالجة جدية فاعلة للتشوهات في تلك اللوائح وبما يتيح تحديثها وتطويرها وتقويمها فضلا عن فتح فرص الإفادة الأوسع من أساليب التعليم الحديثة سواء منها التعليم المفتوح أم التعليم الألكتروني بما يؤدي إلى أفضل نتائج المردود من تلك الأساليب المتطورة الحديثة..

**شؤون أخرى للتعليم العالي والجامعات بحاجة لمناقشة وتعديل**

كما يمكن هنا بهذا المدخل لملف أولي في شؤون التعليم والبحث العلمي، أن نذكر بأننا نقرأ في نموذجنا من دون الانغلاق بل نتسع وننفتح على كل تجاريب المنطقة ودولها وشعوبها وأكاديمييها لنضيف عددا من المحاور التي ينبغي معالجتها وتقويم مسارها وهي محاور تخص مشكلات الجامعة العراقية [نموذجا] من جهة مثلما تنفتح على قضايا الجامعات في مجموع دول المنطقة وأسئلة حاضر التعليم ومستقبله ونوجز تلك المحاور في نقاط بغاية الإفادة منها في تصحيح مسار التعليم العالي بعامة:

المحور الأول ينصبّ على منع أيّ شكل من أشكال المصادرة الحزبية والمطاردة والتضييق وما شابه، بخاصة في ظروف المتغيرات النوعية الجوهرية الجارية في عدد مهم من بلدان المنطقة... وطبعا هذا في إشارة إلى التدخلات التي كانت تجري من قوى وجهات حزبية بعينها ربما بعضها يمتلك عناصر مسلحة وسلطة عنفية متحكمة!

المحور الثاني ما يشار فيه إلى ما تركته النظم السابقة من تخريب في البنية الأساس للجامعة [والتعليم العالي] فالركائز في حال بائس ما يتطلب إعادة ترميم الأبنية القديمة وتأهيلها وبناء الجديد ومن ذلك الاهتمام بالمختبرات والقاعات التخصصية والأدوات اللازمة ومن أخطرها أجهزة الكومبيوتر التي تُعدّ عماد الجامعة الحديثة...

المحور الثالث يتعلق في اهتمام الجامعة بتفعيل استخدام برامج الكومبيوتر والعمل على تأهيل كوادرها وطلبتها على التعامل معها بأفضل الإمكانات المتاحة فضلا عن محاولة تجاوز حالة العدم التي وصلت في الإرث الذي أخذته بعض الجامعات ومنها الجامعة العراقية بعد انهيار النظام السابق ولكنها اليوم ربما توجهت لحثّ الخطى من أجل جذب أفضل المصادر والكوادر إليها إلى جانب ما أوجدته في السنوات القليلة الماضية في ظروف معروفة..

المحور الرابع يتعلق بمعالجة مشكلة المصادر والمراجع العلمية الحديثة والثغرات الكارثية التي تركتها السنوات العجاف لزمن الأنظمة السابقة وبرامجها العامة وموازناتها ومنها ما خص التعليم العالي حيث سادت أشكال قطع الصلة بالمحيط الإقليمي والدولي في مجال الحصول على المصادر المناسبة للجامعة ومراكزها البحثية، ويمكن أن نشير هنا بخصوصية إلى الوضع العراقي إذ نتذكر حالات الحصار التي تسببت فيها الخطابات السياسية المتشنجة..

المحور الخامس يتمثل في إشكالية التشجيع الجدي المميز لمسيرة البعثات الدراسية والتفاعل مع المنجز العلمي الحضاري العالمي بآخر ما وصل إليه اختزالا للوقت في التعامل مع هذا المنجز بالذهاب إلى منابعه حيث هو.

المحور السادس يصب في مسألة الاهتمام المناسب بعقد المؤتمرات العلمية بحرية تامة في ضوء تنقية الجو الجامعي من مشكلات تحزيبها ومصادرتها كما كان يحصل في العهود السابقة.. والحكومات المنتظر تشكلها أيا كانت خلفياتها الفكرية السياسية، ملزمة بتقديم الدعم الجدي المناسب لكون الجامعة تظل الممثلة للعقل المدبِّر للمجتمع ولكونها الأداة لا للتخطيط حسب بل لمسيرة إعمار البلاد والنهوض بها.. وينبغي للدعم أن

يحظى بتخصيصات مالية كافية في مختلف المجالات المارة الذكر من البعثات والمؤتمرات العلمية ومراكز البحث العلمي وما تحتاجه من تفاصيل لأنشطتها... وعلينا هنا أن نشير إلى مقارنة بين تخصيصات الدول المتقدمة للتعليم وتخصيصات بلداننا اها لكشف التصور الفعلي وما ينبغي أن نفعله..

وفي المحور السابع توكيد على أهمية التعاطي مع التبادلات الدولية في المؤتمرات وفي الاتفاقات التي تعقد مع الجامعات الأخرى.. فضلا عن إشكالية تسلسل جامعاتنا بين قوائم التسلسلات والاعتمادات الأكاديمية دوليا...

المحور الثامن: استقلالية عمل الجامعات العلمي ومنح مجالسها الأكاديمية صلاحيات كافية في معالجة شؤونها وعلاقاتها وفي خيارات تشكيل إداراتها ومجالسها العلمية وبرامج العمل وخططها..

المحور التاسع يتضمن موضوعة الاهتمام بالمحاضرة الجامعية ونوعيتها وتطوير مصادرها والأدوات المتوافرة لها تقنيا من جهة جوانب التوضيح العلمي والشروح والتفسيرات والتطبيقات المناسبة.. مع توفير الحيادية ومنع الانحياز الفئوي أو الحزبي الضيق ووضعه سيفا على عنق الحقيقة وعلى حساب موضوعية المحاضرة، أيا كانت الخلفية التي تدفع للتدخل حتى لو تقمصت التستر بالقدسية زيفا..

المحور العاشر ينصب على مسألة تطوير كفاءة الأساتذة وإمكاناتهم العلمية وتدريبهم على أحدث الطرق المتاحة عالميا في أداء المهام الموكولة إليهم... وفي الإطار لابد من التوكيد على احترام مكانة الأساتذة ومنازلهم السامية في الحياة العامة.. والعمل على المحافظة على الأساتذة الموجودين مع دعوة وجذب الأساتذة المهجريين أو الاستفادة من جهودهم بطرق متنوعة..

وعليه فمن الواجب التأسيس للجنة وطنية في كل بلد لتضع الخطط المناسبة لإحصاء شامل لتلك الكفاءات عبر دعوة الأساتذة والخبرات والكفاءات للاتصال بتلك اللجان بالخصوص؛ ومن ثمَّ وضع برامج مناسبة لأشكال التعاطي مع عودة مؤقتة قصيرة المدى وأخرى متوسطة المدى وغيرها تامة نهائية. وهي أشكال تتكامل في الظرف الراهن والغرض منها الاستجابة للحاجات الآنية والمتوسطة من جهة وللإمكانات الحقيقية المتوافرة اليوم لاستيعاب عودة تلك الطاقات بما تفترضه من متطلبات وحاجات إنسانية طبيعية.. وبعامة فإنَّ هذا لن يتأتى من دون توفير الحاجات الحياتية وتأمينها لمجموع العلماء والأساتذة ورعايتهم رعاية شاملة داخل الوطن وخارجه...

المحور الحادي عشر: تعزيز الاهتمام بالبحوث العلمية لمزيد من تطوير كفاءة الأساتذة والعودة على المجتمع بفوائد جمة من هذا التطوير

وتفعيل الاستخدامات والتوظيفات المناسبة بهذا الشأن.. وبالمرة لابد من الاهتمام بالمراكز البحثية ومنحها التخصيصات اللازمة التي تتيح لها إمكانات العمل المفتوح على أوسع مجالاته وجعلها مرتبطة بالمجتمع وميادين حاجاته الجديدة وبتناسب مع متطلبات السوق الجديد..

المحور الثاني عشر العمل على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب بخاصة في الإدارات العلمية الجامعية وفي مراكز البحوث وإدارات وزارة التعليم العالي وتطوير الكفاءات الإدارية وخطط العمل الإداري الموضوعية الجديدة.. مع منع روح الشللية والمحسوبية في التعاطي مع ظاهرة التوظيف لصالح حزب أو مجموعة أو ما شابه.. وتطهير الجامعات من أصحاب الشهادات المزورة ومن الكوادر الهزيلة والضعيفة وتعزيزها بالكوادر العلمية الرصينة..

فيما نسجّل في المحور الثالث عشر موضوع معالجة المناهج الجامعية وتصحيح كل ما ينبغي تقويمه في زمن الحريات.. ومن ذلك إحداث تغييرات جذرية في المنهج ولابد من التشديد هنا على أنَّ تحديث المناهج يأتي من طريقين الأول منع الأدلجة وسيطرة الحزبية الضيقة وفلسفتها في المصادرة السياسية وفي عرقلة العلوم ومسيرتها.. والآخر يأتي من مواكبة الحداثة العلمية والمعرفية حيث كل ما يختص بآليات اشتغال المنهج وآليات التعليم لدينا والابتعاد على سبيل المثال عن لغة الإملاء والتلقين المتكلسة الماضوية وتشجيع تفعيل منطق البحث والتقصي والاستقراء والاستنتاج ما سيشكل عاملا جديا في معالجة عدد من الثغرات التي يمكن أن نضيف إليها مسائل تتعلق بشؤون تربوية سلوكية يلزم فتح قنواتها بشكل غير مباشر كما في إدخال نصوص الأدب والفن التي تنمِّي الذائقة الجمالية وتعمِّق الوعي بالبيئة المحيطة وأهمية العناية بها من جهة تأثيرها في حيواتنا حاضرا ومستقبلا فضلا عن توكيدها على قيم الغنى الروحي السليم وعلى تهدئة انفعالات الفرد المُحاط بتنشئة عنفية خطيرة حصلت وما زالت بأصابع مختلفة..

وهناك أمور عديدة غير أمور السلوكيات والممارسات الإنسانية اليومية من مثل آلية تشغيل العقل الفتي والشبابي الجديد ومنطقه وتعاطيه مع مفردات زمن مختلف نوعيا في انقلاب حقيقي باتجاه قيم السلم والديموقراطية والتسامح والمساواة والإخاء ولغة التحرر والانعتاق والحريات العامة وحقوق الإنسان والتفاعل الإيجابي البناء بين أفراد المجتمع بفلسفة الحوار واحترام الآخر والمساواة ومنع التمييز على اي أساس كان والتعاضد والعمل المؤسساتي الجمعي ومنع النوازع الفردية المرضية المتعارضة مع مسيرة دستورية ديموقراطية جديدة تماما على عموم الحياة

في بلدان التغيير.. وهو المستهدف النهائي من وراء أشكال التطوير والمعالجة في مختلف المجالات والشؤون ومنها ما انصب هنا في توطئتنا هذه بشأن أوضاع التعليم العالي ومعالجاتها... بوعد منّا أنْ نتوسع في هذه الدراسات وتوسيعها في دوريتنا ببحوث علمية متخصصة، شاكرين كل المساهمات التي وردت هنا...

## في ذكرى العالم العراقي الجليل الأستاذ الدكتور عبدالجبار عبدالله

من جهة أخرى اسمحوا لنا هنا أن نضع ملفنا هذا بشأن التعليم العالي باسم أحد علمائنا الأجلاء.. توكيدا لحرصنا على إعلاء مكان ومكانة علمائنا جميعا.. وهنا سنبدأ وإن بتواضع وربما بشيء من عدم اكتمال التغطية المناسبة التي ترتقي لاسم علمنا الجليل.. ولكننا وبإصرار من هيأة التحرير وفلسفة جامعة ابن رشد مضينا هنا بتوكيد على وضع اسم العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبدالجبار عبدالله عنوانا رئيسا لملفنا الأول في التعليم...

لقد كانت الجهود التنويرية الريادية للدكتور عبدالجبار عبدالله ملموسة الأثر في الحياة الجامعية [وكذلك الثقافية المعرفية العامة] في العراق وكان تقلده مسؤولية رئاسة جامعة بغداد أمرا مهما كسر القيم التقليدية الماضوية المريضة التي لا تقوم على الكفاءة بقدر قيامها على أسس سلبية لا علاقة لها بخطاب العلم والروح الأكاديمي.. وفضلا عن ذلكم فقد أكد وجوده في رئاسة الجامعة فلسفة متفتحة ودفقا لوحدة مكونات الشعب العراقي في مرحلة تاريخية مهمة.. فيما كان من جهة عملية شخصية أكاديمية مقتدرة وضعت الخطط التأسيسية الريادية الأكثر حصانة علميا لمسار الجامعة وإن كان هذا لم يدم طويلا لما تعرض له العراق من هزات راديكالية قاسية...

وبودنا هنا أن نضع موجزا لسيرة حياة هذا العالم الجليل الذي نلاحظ الإهمال يغطي ملفه بسبب إهمال الجهات الرسمية العلماء حتى في حيواتهم، بأمل أن نجد الفرص المناسبة لدراسات أوسع وأعمق بالخصوص:

1. ولد عبد الجبار عبد الله في مدينة قلعة صالح بالعمارة عام 1911، في بيت رئاسة دينية للمندائيين، فوالده الشيخ عبد الله كان الرئيس الروحاني الأعلى للصابئة المندائيين في العراق والعالم. والدته السيدة (نوفه رومي الناشيء) وهي من عائلة معروفة، شقيقها غضبان الرومي، المثقف والسياسي المعروف، أما زوجه فهي السيدة (قسمة الشيخ عنيس الفياض)...

2. أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة قلعة صالح، التي تعد أول مدرسة ابتدائية تؤسس في العمارة. دخل المدرسة عام 1918 وتخرج فيها عام 1925.
3. وأكمل دراسته الإعدادية في (الثانوية المركزية) ببغداد عام 1930، متفوقاً على زملائه في النتائج الامتحانية، وتشير بطاقة درجاته الامتحانية إلى ميل واضح لديه للدروس العلمية خاصة في مادتي الرياضيات والفيزياء.
4. وأظهر عبد الجبار عبد الله ميلاً آخر للموروث الثقافي لديانته. وحرصه على حفظ نصوص تعاليمها وتراتيلها منذ الصغر. إلى جانب قراءاته في الأدب العربي بصورة عامة، والشعر بصورة خاصة، وكان شغوفاً بالشعر الجاهلي. وحين اتسعت مداركه ازداد تعلقه وشغفه بالكتاب والمعرفة، فقرأ الفلسفة والتاريخ إلى جانب المصادر العلمية المختلفة لا سيما تلك التي تتعلق باختصاصه العلمي... ولم يكن من باب المصادفة أن نجد بين مقتنيات مكتبة عالم فيزيائي كبير كتباً في الأدب العربي، أو معاجم للغة. فقد كان شاعراً ومثقفاً واعياً بأهمية التراث العربي، وما يؤكد ذلك، قراءته المستمرة للتاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص.
5. إن سعة مداركه الثقافية، وموهبته النادرة، والذكاء الحاد عنده، عمق وعيه وأهَّله لأن يتبوأ بجدارة منزلة العلماء، باعتراف العالم أجمع بعبقريته المتميزة. وقد منح أوسمة علمية عالمية مهمة. ودخل اسمه أكبر المعاجم العلمية في العالم. واحتل مكانته الطبيعية بين مشاهير العلماء المرموقين في العالم.
6. تجاوزت أبحاثه ونظرياته الثلاثين نظرية، وأشرف على العديد من الدراسات الأكاديمية العليا في أميركا أو غيرها من البلدان حتى آخر أيام حياته.
7. أما عن دراسته الجامعية وحياته الوظيفية الأولى فقد عرف عنه تفوقه بين زملائه في الإعدادية المركزية، ولعل ذلك كان سبباً وراء ترشيحه إلى بعثة دراسية خارج العراق. وقد شملت البعثات ستة وعشرين طالباً، من بينهم عبد الجبار عبد الله إلى الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1930، وتخصص في علم الفيزياء وقد مثلت بيروت والجامعة الأمريكية، محطة جديدة ومهمة في حياته، إذ ساهمت بصورة فاعلة في بلورة شخصيته الثقافية والعلمية التي برزت بوضوح بعد تخرجه في تلك الجامعة.

8. وشهد عام 1930 تأسيس أول جمعية طلابية عراقية خارج العراق. ضمت عبد الفتاح إبراهيم ومحمد حديد وعلي حيدر سليمان إلى جانب عبد الجبار عبد الله. وكانت الجمعية النواة الأولى لجمعية (الرابطة) الثقافية التي تشكلت في بغداد، فيما بعد، والتي لعبت دوراً ثقافياً وطنياً وديمقراطياً خلال الأربعينات من القرن الماضي.  وصدرت مجلة (الرابطة) التي شغل فيها عبد الله مسؤولية (سكرتير التحرير) منذ عددها الأول عام 1944 .
9. ومن المفارقات التي مازلنا نتطلع لتغييرها هي وضع الشخص في غير تخصصه وكفاءته وملاءمته، فبعد أن عاد عبد الجبار عبدالله لوطنه عام 1934 عُيِّن مدرساً للغة الانكليزية في المتوسطة الشرقية ببغداد، بعيداً عن اختصاصه الذي شغف به فقرر العودة إلى مدينة العمارة ثانية والعمل في ثانويتها كمدرس للرياضيات والفيزياء. حتى عام 1938، ثم انتقل إلى وظيفة جديدة في الانواء الجوية بمطار البصرة لاحقا  واكتسب خلال هذه المدة عضوية الجمعية الانكليزية للانواء الجوية، كما منحته احدى الجامعات الانكليزية شهادة عليا في الانواء الجوية عن طريق المراسلة.
10. وعلى الرغم من ان وظيفته هذه ابعدته عن زملائه من رواد الثقافة والفكر السياسي الوطني فانحسرت نشاطاته الثقافية العامة، الا انه عاد مجدداً لنشر مقالاته العلمية في مجلة (التفيض) البغدادية، ونشر مقالته العلمية الأولى تحت عنوان (مبادئ النظرية النسبية من بطليموس إلى انشتاين)..
11. انتقل إلى بغداد للتدريس في الاعدادية المركزية لغاية أيلول 1943. حيث سنحت الفرصة له مجدداً للتمتع ببعثة دراسية لنيل شهادة الدكتوراه في جامعات الولايات المتحدة عام 1944 وتمكن بفضل موهبته العالية من إنجاز المهمة عام 1946.
12. انصرف عبد الجبار عبد الله إلى اهتماماته العلمية، وهو يخوض تجربة سكرتارية تحرير مجلة الرابطة. الا ان ذلك لم يمنعه من الكتابة في موضوعات فكرية واجتماعية، تعطي بوضوح مدى تبلور الوعي الوطني والتوجهات الديمقراطية والاشتراكية لديه.
13. شغل عبد الجبار عضوية مجلس جامعة بغداد منذ بداية تأسيسها، وكان وجوده في المجلس فاعلاً ونشيطاً ثم بات فعليا بمنصب الرئاسة عقب ثورة تموز 1958. وفي شهر شباط 1959 صدر مرسوم جمهوري باناطة مهمة الرئاسة رسميا إليه.

14. حرص عبد الجبار عبد الله على امتلاك العراق لمصادر الطاقة الذرية للاغراض السلمية في الفترة التي شغل فيها منصب نائب رئيس لجنة الطاقة للمدة من 1958 - 1963، وتعد هذه المدة من اغنى المراحل التاريخية في الحصول على المعلومات المهمة في مجالات استخدام الطاقة في مختلف الفروع العلمية.
15. تشير إحدى المخطوطات المحفوظة لدى زهرون دهام (من عائلة عبد الله). ان الرئيس الأميركي هاري ترومان قلده وسام (مفتاح العلم) تقديراً لجهوده العلمية المتميزة في هذا المجال. وهذا الوسام كان يمنح إلى كبار العلماء المتميزين في عطاءاتهم العلمية.
16. وفي باب مواقفه الوطنية كان بدهياً ان يساق إلى ساحة الاتهامات رغماً عنه، محسوباً على اليسار العراقي في ذروة امتداده بعد تموز 1958، ودفع ثمن هذا الاتهام ان صح التعبير باحالته على التقاعد عام 1963 بعد انقلاب شباط، الذي لم يكتف مديروه بهذا الاجراء فقط انما دفعوا به إلى زنزانات الاعتقال والتعذيب، شأنه شأن العديد من الكفاءات والعلماء التي طاولتها يد الجريمة والقتل من الجهلة والمتخلفين. ولابد من تأكيد حقيقة واحدة فقط تتعلق بانتماء هذه الشخصية المرموقة حيث يمكننا القول: إن كل الوثائق والمعلومات تكاد تجمع على عدم انتمائه لأي حزب سياسي، بل كان ديمقراطي النزعة، تقدمي التفكير متنوراً إلى أبعد الحدود، هاجسه الوطني دائماً هو خدمة وطنه العراق، مؤمناً بالحرية، واحترام الآخرين، وبسبب مواقفه الجريئة والصريحة، تعرض إلى الأذى، والملاحقة، فقرر مغادرة الوطن بعد ان أطلق سراحه عام 1963، والعودة مجدداً إلى الولايات المتحدة، وظل يحمل العراق في قلبه وعيونه، فكان دائم الحنين اليه على الرغم من القسوة والجفاء اللذين ذاق مرارتيهما وهو يمنحه خلاصة فكره وعلمه.
17. مات بعيداً عن الوطن في التاسع من تموز 1969.

**مراجع:**

* هذه السيرة مأخوذة بتصرف عن كتاب الدكتور ستار نوري العبودي [سفير العراق العلمي] عبر مادة السيد جمال العتابي المنشورة في هذا الرابط:

http://www.mandaeanunion.org/Figures/AR_Figures_018.htm

* كما تمت الاستفادة الرئيسة من مصدر مادة بحثية لكاتب هذه السطور منشورة سابقا في مجلة الثقافة الجديدة العدد 329

## في بعض مواصفات الباحث الجاد وأهمّ المشكلات التي تواجهه في الجامعات العربية التقليدية الحكومية

**الأستاذ المشارك الدكتور محمد عبد الرحمن يونس**
عضو هيأة التدريس في جامعة ابن رشد بهولندا ـ كلية اللغة العربية

بما أن إعداد البحث العلمي أو الأدبي يحتاج إلى جهد ودربة مستمرين، باعتباره نتاجا معرفيا، وعملاً مهماً, فإنّ طريقه صعب وشائك وطويل، ولذا فهو مقصور على عدد قليل من الأفراد الذين يملكون طاقات ومؤهلات معرفية وعلمية خاصة تؤهلهم لسلوك هذه الطريق الطويلة والمضنية.

إنّ تشكيل البحث مثل تشكيل الأعمال الأخرى والقيام بها, لكنه يفوقها باعتباره يعتمد بنية ذهنية ترتكز أساسا على العلم والمعرفة، وهذه البنية ، في نهاية المطاف، هي بنية خصوصية جدا, تخلتف من باحث إلى آخر.

و الباحث يشبه إلى حدّ بعيد طبيبا جراحاً يعرف تركيبة الجسم البشري, وأين يكمن المرض في هذا الجسد، على أنّ معرفة هذا الطبيب تختلف عن معرفة طبيب آخر في الاختصاص نفسه، وذلك بفعل الخبرة والممارسة الطويلة, وما يعرفه طبيب ما يصعب اكتشافه ومعرفته من قبل طبيب آخر، وهكذا هو الباحث حين يتعامل مع النصوص الأدبية والفكرية التي بين يديه , فإنّه ينظر إليها نظرة فاحصة متمعنة, ويُعمِل فيه أدواته المعرفيّة ، من تحليل ووصف ونقد ومقارنة واستنتاج ومعارضة ، وبطبيعة الحال تختلف قدرة باحث ما عن باحث آخر، وتختلف المناهج المعرفية التي يتم بها تناول النصوص الفكرية والمادة العلمية التي بين يدي الباحث . ومن هنا فإن النتائج التي يصل إليها باحث ما ، من خلال تعامله مع نصوص معيّنة، تختلف عن تلك التي يصل إليها باحث آخر حينما يتعامل مع النصوص نفسها، وذلك راجع إلى اختلاف هذه المناهج في بنيتها وطرقها والمفاهيم والمصطلحات والنظريات التي يعتمدها الباحث أثناء التحليل من جهة ولأنّ النصوص الفكريّة بطبيعتها هي نصوص قابلة لأن تُدرس دراسات متباينة ومتغايرة من جهة أخرى ، ويتضح هذا التباين من خلال تعامل الباحثين مع هذه النصوص وفقا لطرق ومدارس نقدية وفكرية هي الأخرى متباينة. وإذا كان (( كلّ نصّ يتضمن وفرة من نصوص مغايرة يتمثّلها ويحوّلها بقدر ما يتحوّل ويتحدد بها على مستويات متعددة)) على حدّ

تعبير جوليا كريستيفا[1]، فإنّ قدرة الباحثين تختلف اختلافا جوهريا في المقدرة على الكشف عن هذه النصوص المغايرة، ومدى تمثّلها داخل الخطاب الأدبي, سواء أكان شعرا أم نثراً . فقد يستطيع باحث متمرس وصبور وجاد ، وذو خبرة تحليلية متشعبة المعارف والثقافات أن يكشف عن معظم الحقول المرجعيّة والمعرفيّة التي أثّرت في نصّ من النصوص, في حين يعجز باحث آخر أن يردّ بنيات هذا النص إلى حقولها المرجعية، ويعجز عن أن يكشف عن البنيّات النصيّة المتداخلة بين النص المدروس, وبين حقوله المرجعية التي تمثّلها وتأثّر بها. ومن الملاحظ أنّه يوجد في الكتابات العربية المعاصرة نصوص غامضة ومعقّدة وموغلة في الرمز تصل حدّ الإبهام، وتتناصّ مع نصوص أخرى ـ قديمة وحديثة ـ ، وتنتمي لأجيال قد تكون متعاقبة عليها أو متزامنة معها, ومن هنا فإنّ بعض الباحثين لا يستطيعون دراسة هذه النصوص لأنّها تحتاج إلى جهود معرفيّة وبحثيّة لا يملكونها, مع ملاحظة أنّ النصوص الواضحة تحتاج إلى جهد أقل ـ بطبيعة الحال ـ من حيث الدراسة والمقارنة والتحليل والاستنتاج والخبرة الثقافية التي يعتمدها الباحث في دراسة هذه النصوص . ويقسم رولان بارت النصوص إلى قسمين: نصّ اللذة، ونص المتعة.و يقول : (( نص اللذة : إنّه ذلك الذي يرضي، يفعم، يغبط، ذلك الذي يأتي من صلب الثقافة، ولا يقطع صلته بها، هذا النص مرتبط بممارسة مريحة للقراءة. أمّا نص المتعة : ذلك الذي يضعك في حالة ضياع، ذلك الذي يتعب( وربما إلى حدّ الملل)، فإنّه يجعل القاعدة التاريخية والثقافية والسيكولوجية للقارئ تترنح, ويزعزع كذلك ثبات أذواقه, وقيمه, وذكرياته, ويؤزّم علاقته باللغة))[2]. وأمام تأزم القاعدة التاريخية والثقافية والسيكولوجية للقارئ الباحث, فإنّه يصاب بالإحباط, ويميل إلى النفور من مثل هذه النصوص التي تؤزّم علاقته باللغة, وتهدم قناعات مسبقة كان قد تعلّمها وآمن بها, وبقدرتها على التعامل مع النصوص التي يريد تناولها بالبحث والدراسة.

****

وأمام أهمية البحوث والدراسات الأدبية والعلمية، ودورها في تقدّم المجتمعات البشريّة ، الحضاري والعلمي والمعرفي، فقد اشترط بعض الباحثين الأكاديميين الذين يعلمون داخل إطار المعاهد العلميّة والجامعيّة شروطا خاصّة يجب أن تتوافر في الباحث حتى يستطيع أن يُنتج أبحاثاً ودراسات تساهم في تقدّم مسيرة البحث العلمي، وبالتالي تسهم في نمو ثقافة الأمّة، وازدهارها وتطوّرها الحضاري , لتلحق بركب الأمم المتحضرة والمتطورة التي قطعت أشواطا واسعة في مجالات الحياة العلمية والمعرفية كافة.

يقول الدكتور علي جواد الطاهر : (( إذا درست باحثا معدودا في أخلاقه وآثاره رأيت فيه صفات خاصّة: فطريّة ومكتسبة، خلقيّة ومهنيّة. وإذا نظرت إلى هذه الصفات وجدتها كثيرة, ووجدت فيها ما يشارك به المختصين الآخرين في كل حقل من ذكاء وعلم وثقافة عامة وخاصّة وتجربة وما إلى ذلك، ومن إخلاص وأمانة وما إليهما؛ ومنها ما يشارك به غيره, ولكنها لديه ذات دلالة مرتبطة بعمله الخاص, ومنها ما يجب أن يتفرّد به بحكم " البحث".))[3].

وأهم شروط الباحث كما يرى الدكتور علي جواد الطاهر: أن تتوافر لديه الرغبة في البحث، يقول : (( الرغبة وهي شرط للنجاح في كل عمل, وشرط في البحث, فإذا فُرِض عليك البحث فرضا ضقت به ذرعاً وكنت كالمضطهد. ويصعب في هذه الحال أن ينجلي ليلك عن نهار. أمّا إذا كنت راغبا في أن تبحث، أنست بعملك ولازمتك خلاله نشوة فبذلت بسبب ذلك الجهد واستهنت بالوقت ولم يشغلك شاغل))[4]. غير أنّ الرغبة، حتى ولو كانت نابعة من إرادة حرّة، وبدون أيّ ضغط خارجي، فإنّها تتراجع وتختفي تدريجياً، وبخاصّة عند الباحث العربي الذي يجد نفسه في ظروف سياسية وثقافية ونفسيّة واقتصادية، غير مؤاتية للنمو بهذه الرغبة ، وتحريضها ودفعها لإنجاز المزيد من الأبحاث، وذلك بسبب غربة الباحث التي تحاصرها, وتحدّ من توهجها ، بسبب هذه الظروف السابقة ، إذ إنّ هذه الظروف كثيرا ما تكون قاسية ومُحبِطة للباحث في توجّهاته ورؤاه، وتوقه إلى البحث عن الحقيقة والمعرفة التي تكون خالصة لوجه هذه الحقيقة.

ويرى الدكتور أحمد شلبي أنّ الموهبة شرط أساس من شروط الباحث , وهذه الموهبة تُمنَح لبعض الناس ولا تُمنَح لآخرين : (( فالبحث خلق وإبداع، وتلك قدرة خاصّة تبرز أو تتألق لدى بعض الأفراد, وتتضاءل أو تنعدم عند آخرين))[5].

وبالإضافة إلى الموهبة التي هي من الشروط الأساسية التي يجب توافرها في الباحث, فإنّ الدربة والاجتهاد هما ضروريان جدا لتنمية هذه الموهبة, فلا قيمة لموهبة من دون عمل جاد وطموح، ويبدو أن الاستمرار في تنمية هذه الموهبة،من خلال العمل الجاد، شرط أساس لاكتمالها وجعلها مثمرة في إعداد الأبحاث والدراسات الفكرية والنقديّة. وقد تكون هذه الموهبة كامنة في ذات الفرد، ولكنها قلّما تجد الظروف المؤاتية , والأرض الصالحة لإنباتها وإثمارها, إنّها بحاجة إلى مثيرات لتحريضها وإخراجها من مجرد الموهبة والرغبة إلى الواقع العملي ، لتكون فعلاً مثمراً وهادفاً. ومن هنا يبرز دور المعاهد الأكاديمية والجامعات في تنمية هذه الموهبة وصقلها، لكن كثيراً من الجامعات العربية, وللأسف، يعمل على وأد هذه الموهبة وطمسها, وقتل

الرغبة العميقة في البحث العلمي عند من تتوافر فيهم من طلابها,وذلك بفعل النظم الإداريّة والقوانين الرسميّة الجامدة التي تحكم بنية هذه الجامعات, هذه القوانين غير القادرة على مواكبة مقتضيات التقدم العلمي والحضاري والمعرفي، يُضاف إلى ذلك طبيعة المناهج التقليديّة التي تسم طرق النظام المعرفي التعليمي السائد في هذه الجامعات، هذه المناهج التي اعتادت ـ ومنذ أن تأسست هذه الجامعات ـ أن تعلّم الطلبة التلقين والحفظ الببغائي، وتقتل فيهم كل توثّب وجموح نحو مزيد من الفهم المغاير لما يفهمه أساتذتهم ، وللنصوص الفكرية التي تُفرَض عليهم أثناء دراستهم.

وبدلا من أن تنمي هذه الجامعات موهبة البحث والفكر المغاير لهذه المناهج، ولفكر الأساتذة أنفسهم فإنها تعمد إلى كبح طاقات الطالب الذهنيّة وتوثّبها المعرفي ، بحيث يكرّس الطالب وقته وجهده لأن يحفظ النصوص المفروضة عليه من دون أن يتمثل أبعادها ودلالاتها وقدرتها على أن تسهم في تنمية الذوق الجمالي والإنساني عند متلقيها إذ يضع نصب عينيه هدفا واحدا وهو نيل علامة النجاح . وبدلا من أن يتعلّم الطالب كيف يفكر وينظر بعين ناقدة فاحصة للنصوص والمناهج التي تُملى عليه, وبالتالي يحاورها ويفككها ويستخلص منها النتائج والرؤى المعرفية, فإنّه يستكين لواقع هذه المناهج التي تبدو قدرا حتميا لا مفرّ منه ، ونصوصا مقدسة ثابتة لا يستطيع الخروج عنها، وهنا تبدو هذه النصوص أمثلة وظائفية(6)، تتحددّ وظيفتها في أن تجعل الطالب يكرّس كل طموحاته حتى ينجح في المادة المفروضة عليه، إذ يحضر النجاح كهاجس يومي, ويغيب فعل القراءة الإبداعي، الفعل الناقد والمغاير ، والمتخطي لجمود النصوص المفروضة عليه، فكلّما فكّر الطالب في الخروج عن لوائح المنهاج ومساطره لاح شبح الأستاذ , ولاح شبح الخوف من الرسوب في المادة.وهنا يجد الطالب نفسه مضطرّاً لأن يفكّر كما يفكّر أساتذته، ويقرأ كما يقرأ وبالرؤية المعرفية نفسها, وبالتالي تضعف موهبة البحث عنده, وحتى إذا غدا باحثا مرموقا في يوم من الأيام فلن يستطيع أن يكون إلاّ باحثا تقليدياً غير مجدد . ويرى الناقد والمفكّر رولان بارت أنّه (( علينا أن نعمل كل لحظة وعند كل مناسبة، على نهج قراءة تعدديّة للنص والاعتراف باشتراك الألفاظ وتعدد المعاني, وإقامة فعليّة لنقد تعددي , وفتح النص على البعد الرمزي))(7)، غير أنّ عددا كبيرا من الجامعات العربية , ذات الرؤية أحادية الجانب, غير قادرة على قراءة النصوص إلاّ قراءة واحدة ، ووفقا لرؤية نقدية واحدة , وذلك نظرا لسطوة المناهج الدراسية المعمول بها، ذات الطرق التقليدية المحافظة، هذه الطرق التي تبدو واضحة في كيفية التعليم وإلقاء المحاضرات ونظام إعداد الأبحاث, ونظام الامتحانات، هذا النظام الذي يسهم بشكل أساسي في جعل الطالب

صورة تقليدية تابعة لأستاذة , إذ تتعطّل طاقاته النقديّة الفاحصة, وأدواته المعرفية الكاشفة، لتتحول إلى ذاكرة تجهد نفسها في حفظ النصوص التي قُدمت له أثناء المحاضرات, من دون تمثُّل لأبعادها المعرفية ودلالاتها الرمزيّة، ودورها الفاعل في البناء العلمي والتشكيل المعرفي, وإذا حاول الطالب أن يخرج عن المعلومات التي فُرِضت عليه ، أو يُعمِل فيها منهاج شكّه، أو يحاكمها بموضوعية وعلميّة , فإن مصيره الفشل في الامتحانات الشفوية والكتابية.

ولا تكتفي هذه الجامعات بفرض طرقها التقليدية فحسب, بل تعمد إلى تقليص عدد الباحثين من الطلبة, عن طرق فرض شروط قاسية تمنعهم من التسجيل في أقسام الماجستير والدكتوراه , وبالتالي تقتل إمكانياتهم في أن يكونوا باحثين في المستقبل . ومن هذه الشروط : لجوء بعض الجامعات العربية إلى منع قبول أي طالب في أقسام الدراسات العليا إلاّ إذا حصل على مرتبة ( جيد ) وما فوق في البكالوريوس أو الليسانس, هذا من جهة . ومن جهة أخرى تعطي هذه الجامعات تعليماتها السريّة إلى أساتذتها لكي لا يكثروا من إعطاء درجة ( جيد وما فوق) للطلاب المتخرجين فيها، بحجة أنّ عدد مقاعد الدراسات العليا محدود جداً ، وغير قادر على استيعاب عدد كبير من الخريجين، مع العلم أنّه في مناخ الامتحانات ذات طابع الحفظ الببغائي تبقى علامة ( جيد) و(( ما فوق )) ، ليست دليلا كافيا على مقدرة الطالب على أن يكون باحثا جيدا في المستقبل القريب أو البعيد ، (( ومن هنا فإننا نؤكّد أنّ العلاقة ليست مضطردة بين التقدّم في نتائج الامتحانات بقسم الليسانس أو البكالوريوس وبين عالم البحث والتأليف، فطالما تراجع أوائل الليسانس عن الصفوف الأولى عندما اتّجهوا للبحث والتأليف، وعلى العكس من ذلك نجح في صفوف الباحثين جماعة ممن توفرت فيهم موهبة البحث وإن لم يكونوا في الصفوف الأولى إبّان دراستهم بقسم الليسانس)) كما يرى الدكتور أحمد شلبي[8].

ولا تكتفي معظم الجامعات العربية بقتل موهبة الباحثين، من الذين لا يحصلون على علامة جيد و ما فوق فحسب، بل تعمد إلى إجراء مقابلة شفاهيّة وكتابية صعبة للحاصلين على هذه الدرجة ، والراغبين في التسجيل بأقسام الدراسات العليا , وتكون النتيجة مخيفة جدا, إذ لا يتعدّى عدد الناجحين عدد أصابع اليد الواحدة، وأحيانا تقوم اللجنة الفاحصة برفع قرارها إلى عميد الكلية ، تُوصي فيه بعدم تسجيل أي طالب في القسم، لأنّ جميع الطلاب المتقدمين دون المستوى العلمي المطلوب، مع العلم أنّهم نالوا جميعا درجة جيد فما فوق في إجازتهم الجامعية[9]، وإزاء أسئلة اللجان الفاحصة الشفوية والكتابية التي لا تخرج بدورها عن نظام التلقين والحفظ لا يستطيع الطالب

أن يقدّم الإجابة المرضية لأعضاء هذه اللجان، فقد تعلّم طوال سنواته الجامعية في قسم الليسانس أن يحفظ ما يُملى عليه، حفظا يفتقد إلى التحليل والتركيب والاستنتاج, أو يظلّ يحفظ أياما طويلة نصوصا خاصة مفروضة عليه, وعندما يأتي الامتحان يدخله، ويبدأ جاهدا في استذكار ما حفظه وتدوينه , ثمّ سرعان ما ينسى معظم ما كان قد حفظه بعد الانتهاء من كابوس الامتحان, أمّا وهو أمام أعضاء اللجان الفاحصة فإنه يجد نفسه عاجزا عن الإجابة عن أسئلة جديدة وغريبة عليه، تتضمن معلومات عن نصوص سابقة لم يسمع بها أبدا, لأنها لم تفرض عليه عندما كان على مقاعد الدراسة، فكيف به أن يجيب عن هذه الأسئلة الجديدة , بعد أن اعتاد على وجبة خاصة من نصوص معدّة سلفا، و بقصديّة لا تخرج عن ذوق أستاذه المحاضر وفهمه؟.

ويضاف إلى ذلك شرط خاص، يجب أن يحققه الطالب حتى يستطيع الدخول إلى أقسام الدراسات العليا وهو إتقانه إحدى اللغات العالمية الأخرى، وبخاصة اللغة الإنكليزيّة. وبطبيعة الحال لا أحد ينكر دور اللغة الإنكليزية في كونها لغة عالمية واسعة الانتشار, وهي قادرة على مدّ الطالب الباحث بمزيد من المعارف المتطوّرة في شتى مناحي الحياة العلمية والمعرفية, من حيث عدد الكتب الكثيرة المطبوعة بهذه اللغة، والتي تفوق أضعاف الكتب المطبوعة باللغة العربية من جهة , ومن حيث كثرة الأبحاث المتشعبة والمتباينة المكتوبة بهذه اللغة من جهة أخرى.غير أنّ شرط إتقان اللغة الإنكليزية إتقاناً جيدا , ليس شرطا واجبا على طلاب الدراسات العليا , وبخاصة أولئك الذين يبحثون في آداب اللغة العربية وتاريخها وفكرها, والدراسات الإنسانية المنبثقة عنها, لأنّ اللغة العربية مثلها مثل جميع اللغات العالمية قادرة على التواصل ونقل العلوم واحتضان نشاط الفكر، والبحث العلمي بأسسه المعرفية والعلمية، وهذه اللغة قادرة على فتح آفاق التحصيل الأكاديمي الشاسعة,وقد تبيّن من دراسة أجراها مليجان Mulligan ((عدم وجود معامل ارتباط مهم بين تحصيل أفراد الدراسة الأكاديمي وكفايتهم في اللغة الإنكليزية ممّا أدى بالباحث إلى القول إنّ الضعف في اللغة الإنكليزية ليس عاملا مهما لتحديد مستوى التحصيل الأكاديمي))[10].

وهكذا، ومع تكريس هذه الشروط في نظام الدراسات العليا في كثير من الجامعات العربية تبقى مقاعد الدراسات العليا شاغرة طوال العام الدراسي الجامعي، فيضطرّ هؤلاء الطلاب إلى أن يتوجّهوا إلى جامعات أجنبية عديدة لا تطلب إلاّ شهادة الإجازة الجامعية ، ولا يهمّها أكانت هذه الشهادة بدرجة جيد أم بدرجة مقبول، بل يهمّها, وبالدرجة الأولى , ما يدفعه الطالب من رسوم مالية, وغالبا ما تكون باهظة جداً، ومن هنا لا تخسر الجامعة طلبتها الباحثين فحسب بل تساهم إسهاما كبيرا في الضرر بالاقتصاد

الوطني للبلد الذي تنتمي إليه، لأنّ الطلبة الباحثين مضطرّون إلى إخراج القطع المالي بالعملة الصعبة وذلك لأجل رسوم الدراسة ونفقات الإقامة سواء أكان بطريقة نظامية أم بطريقة التهريب وغالباً ما يكون بطريقة التهريب، لأنّ البنوك الوطنيّة، في أغلب الأحيان لا تعطي العملة الصعبة الكافية لهؤلاء الطلاب فيلجؤون إلى ما اصطُلِح بتسميته بـ (( السوق السوداء ))، لشراء ما يلزمهم من عملات أجنبية. ومن باب الأمانة الموضوعية ، يبدو ضروريا أن نشير إلى بعض الجامعات العربية التي تشجع أبناءها الباحثين في أقسام الدراسات العليا، إذ لا تشترط معدلات عالية في شهادة الإجازة ( الليسانس أو البكالوريوس) كدرجة جيد وما فوق، ولا تجري امتحان قبول للطلاب الراغبين في تحضير الماجستير أو الدكتوراه، ولا تشترط إتقان اللغة الإنكليزية إتقانا جيدا , ومن هذه الجامعات بعض جامعات لبنان والجزائر وتونس والمغرب . حتى أننا نجد أن بعض الجامعات العربية ـ جامعات الجزائر ـ لا تشير إلى أي درجة نالها الطالب في الليسانس سواء أكانت درجة مقبول أم درجة جيد أم غير ذلك بل تمنحه شهادته الجامعية خالية من أي تقدير، وتخوّله هذه الشهادة تحضير الماجستير في أي بلد أوروبي أو في الجزائر نفسها.

هذه بعض الإشكاليات التي تقف في وجه موهبة الباحث العربي ورغبته في تحصيل المعرفة, وتمنعهما من التوثب والانطلاق نحو آفاق البحث الرحبة. وإذا كانت إحدى علامات الموهبة عند الباحث هي : (( اللذّة في العمل والرغبة في الاستمرار فيه، وإيثاره على كلّ شيء، لأنّ البحث أصبح حياة الباحث وأمله وحبّه))[11]، فإنّ هذه العلامة هي الأخرى، في الجامعات العربية، معرّضة للانتكاس والتلاشي ثمّ الاختفاء نهائياً، لأنّ الظروف التي يتعرّض لها الباحث تبقى في بنيتها العميقة ظروفاً قاسية ومعقّدة تُحبِط آماله وتطلعاته فحياة الباحث الصعبة أضيق من أن تسمح للبحث لكي يشكّل همّاً كلياً وهاجسا وإيثاراً وأملا , لأن الباحث العربي، وفي أغلب الأحايين، محاصر بفضاءات سوداء خانقة تحدّ من طموحه وتكبحه فالوضع الاقتصادي المتدني لمعظم الباحثين يعيق أبحاثهم من الاكتمال بالإضافة إلى صعوبة السفر والتنقل والاطلاع على أحدث ما كُتِب في مجال البحوث التي يطمح الباحث لإنجازها، يضاف إلى ذلك ارتفاع أسعار المصادر والمراجع, التي يجد الباحث نفسه عاجزاً عن اقتنائها، أو حتى الاطلاع عليها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يجد الباحث العربي نفسه معزولا عن آفاق الحركة الثقافية والفكرية في العالم، بسبب الحدّ من انتشار الكتاب, ومحاصرته ومنعه من الدخول أو الخروج من المطارات والموانىء العربية وذلك بفعل سياسة الرقيب الحذرة التي ترفض أي نوع من الأفكار

التـي تراهـا معارضـة لمجموعـة مـن القـيم والضـوابط المحافظـة والجامـدة ومخالفة لها، ومخلّة بمجموعة من الأعراف المشكّلة بدقة وفق نسق أحادي الرؤية والاتجاه. وهكذا يقف الباحث العربي عاجزا عن الاطلاع على كلّ ما كُتِب ويكتَب في حقول دراساته وبحوثه المعرفيّة. والباحث العربي ليس قادرا على أن يكرّس كلّ وقته وملكاته لبحوثه بحيث تصبح هذه البحوث حياة هذا الكاتب وأمله فهو بحاجة لأن يعمل في وظيفة حكومية أو خاصّة تستهلك ثلث وقته ويذهب الثلث الآخر في واجباته العائليّة الخانقة والكابوسيّة، وقليلاً ما نجد باحثاً عربياً متفرّغاً بشكل كامل لبحوثه ودراساته، لأنّه لا يستطيع أن يكون متفرّغاً إلاّ إذا تبنته مؤسسات بحثيّة غنيّة، وطبعت أبحاثه وروّجتها واشترطت عليه أن تطوّع أفكاره وتوجّهها المعرفي لمصالحها ورؤاها الخاصة. وحتى لو استطاع الباحث العربي طبع أبحاثه ومشاريعه الفكريّة على نفقته الخاصة, فإنّ أزمة تسويق الكتاب، والرقابة المفروضة عليه ستخذله، وإذا حالفه الحظّ وتكرّمت دور النشر بطبع أبحاثه فإنّ العائد المالي لهذه الأبحاث سيكون هزيلا، بل معدوماً في أحيان كثيرة ومن يتأمّل جيداً طبيعة العلاقة القائمة بين الناشر والباحث ستبدو له فاجعة واستلابية وتقوم على كثير من الإجحاف بحق الكاتب الباحث إذ (( يدّعي معظم الناشرين أن عملية النشر عندهم هي " عتالة " ، وأنهم يدفعون من أموالهم الخاصة ، خدمة للفكر والفن والأدب والبحث ، ثمّ تفاجأ إذا راقبت أحدهم لمدة خمس سنوات مثلاً أنه قد اشترى المخازن الكبرى، ودور العرض الواسعة الأنيقة، والشقق الفخمة ، والسيارات الفارهة ، فمن أين أتاه هذا المال ما دامت أعماله لا تتجاوز " **العتالة** " ؟.

إن الكاتب في الوطن العربي هو في الأغلب الأعمّ مخدوع إن لم نقل مسروق ، فهو الطرف الأضعف في عملية النشر، في غياب قانون المطبوعات العصري الموحّد ،وهو لا يستطيع ألاّ يصدّق الناشر عندما يقول له : لقد بعت من كتابك هذه السنة نسخة أو نسختين ، أو إذا قال له : لم أبع أي نسخة من نسخ كتابك ، بل لا يستطيع المؤلّف أساساً في غياب قانون المطبوعات العصرية أن يحصي عدد النسخ التي طبعها الناشر ، ولا يستطيع أن يعرف سعر الكتاب الحقيقي في السوق في كل قطر من الأقطار العربية فيُضطر إلى الإذعان ، ويخرج من عملية النشر حاملاً عشرين نسخة من كتابه ، والوعد بأن يعطيه الناشر كذا بالمئة من ثمن الغلاف على المبيع ))[12].

ولو أُتيح لنا الاطلاع على الواقع الاقتصادي للباحثين والمبدعين العرب فإنّ هذا الواقع سيُبرز مدى الفاقة التي يعانيها الكثير منهم. وأمام هذا الواقع المزري ستغيب لذّة البحث العلمي ولن يصبح هذا البحث أملا منشودا,

ولا واحة حبّ خضراء. وتحضرني اللحظة ذكرى أربعة باحثين ومبدعين عرب كبار ماتوا وهم يعانون وضعاً اقتصادياً مخجلاً ومتدنياً جداً : الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب الذي عانى مأساة فقر فاجعة كسرت شموخ نفسه, ومزّقت إنسانيته[13]، والشاعر المصري أمل دنقل الذي عانى أبشع صنوف الفقر، حتى أنّه في كثير من الأيام لم يكن قادراً على دفع ثمن وجبة طعام متواضعة كما يؤكّد أصدقاؤه[14]، والشاعر المصري صلاح عبد الصبور، وكذلك الشاعر والباحث السوداني الدكتور جيلي عبد الرحمن الذي مات بالفشل الكلوي منفيا وغريبا عن وطنه ودفن في القاهرة يوم 1990/8/24م.

وما يُحبط الباحث في تطلعاته وطموحه ، أيضاً، طبيعة العلاقات الاستهلاكية غير الإنسانية السائدة في فضاءات الوطن العربي, هذه العلاقات التي تفرز ثقافة استهلاكية (( تغطي شرائح اجتماعية عريضة جدا : من أناس عاديين وبسطاء إلى متوسطي الثقافة وحتى إلى حملة الشهادات العليا(...) ويبدو أنّ مهمة هذه الثقافة الاستهلاكية تكمن في تخريب الذوق الجمالي لدى متلقيها, وجعله عاجزا عن أن يتلمس مواطن الجمال والمتعة في الظواهر التاريخية والتراثية وحتى المعاصرة (...) إنّ الثقافة الاستهلاكية لا بدّ وأن تعكس وضعاً معرفياً بكلّ مرجعيته الثقافية والفكرية, وهذا الوضع في ظلّ الاستهلاك وسيادة السلعة لا يمكن أن يكون إلاّ متدنياً أو منحطّاً في ذوقه الجمالي والفني))[15] ولقد اعتاد المواطن العربي على هذه الثقافة الاستهلاكيّة، وألِفها وأحبّها , وصار ينفر من الثقافة العميقة الجادة التي تسهم في إعمال العقل وتنمية تساؤلاته و ملكاته وقدراته، هذه الثقافة العميقة التي يعمل على تأسيسها الباحثون الجادون والمفكّرون، فالثقافة المطلوبة والسائدة الآن في عالمنا العربي المعاصر هي ثقافة التلفزيون، وأقراص CD و D V D الليزرية المدمجة, والخبر الاستهلاكي السريع وثقافة الجرائد والمجلات المصورة , وأخبار الجنس والفضائح والرياضة، ونجوم السينما والتلفزيون, وما يؤكّد ذلك تدني نسبة بيع الكتب الفكرية العميقة, والمجلات الأكاديميّة والبحثيّة المتخصصة التي يغلب عليها الطابع العلمي المنهجي والمجلات الجادة رفيعة المستوى في أبحاثها وعمقها الفكري, وارتفاع نسبة مبيعات المجلاّت المصوّرة والملوّنة , من مجلات الأزياء النسائية إلى مجلات أخبار الفنانين في التلفزيون والسينما، وملكات الجمال ومجلات الفضائح والأخبار المثيرة. وفي هذا الفضاء الثقافي المكرّس بقوة المال وسلطته، يجد الباحث الجاد نفسه غريباً وغير مرغوب فيه, أمّا أبحاثه فهي الأخرى أكثر غربة منه, عندها تضعف رغبته في البحث، وتنطفىء موهبته.

ومع انتشار الثقافة الاستهلاكيّة بشكل متسارع ويومي ، واستقطابها أعداداً هائلة من الجماهير والقرّاء سيجد الباحث الجاد نفسه منزويا ومغمورا

فـي فضـاءات لا تريـد أن تقدّر قيمـة أبحاثـه، ولا تفكّر فـي تقديرها مستقبلاً ، حتى نلاحظ أن هذه الفضاءات تنمو متسعة لتصل إلى أقرب الفضاءات إليه : حيّه وأسرته ومنزله. ولذا فإن هذه الأبحاث تظلّ محدودة التأثير، وتنحصر أهميتها في المنابر الأكاديمية والجامعيّة وعلى نطاق ضيق جداً ، وسيطفو المثقف الوسيط، وتبرز أهميته من خلال هذه الثقافة الاستهلاكية الرائجة والمطلوبة، فـ (( الكاميرا مسلّطة الآن على المثقف الوسيط، القابل للاستخدام, الذي يمكن استعماله، ببساطة كبرغي. المثقف الوسيط العملي هو المطلوب الآن من قبل السلطات في العمل الثقافي الشامل. المثقف الوسيط الذي يعمل في الصحيفة، الذي يكتب السيناريوهات, الذي يذيع في الإذاعات، الذي يدبّج الخطابات للمسؤولين الحكوميين. ومركز الاهتمام الفعلي في النشاط الثقافي الجماهيري هو هذا المثقف الوسيط. إنّه العمود الفقري للثقافة المنتشرة))[16].

ومن الشروط الأساسية التي ينبغي أن تتوافر في الباحث الجاد، مجموعة من الصفات الأخلاقية تتمثّل في: (( الحياد الفكري والتجرّد التام من الأهواء، والأمانة، والصبر على العمل المستمر، والتحلي بالتواضع والاحترام وعدم مهاجمة أي عالم مهما ارتكب من الأخطاء, وطيبة السمعة, وتحمُّل المسؤولية, وكلها مناقب يتصف بها الباحث المثالي الذي نذر قلبه وعقله في سبيل البحث الحرّ الرفيع, مكبّاً ليل نهار على قلمه مثابراً على عمله لا يخاف العزلة ولا الانعزال)) كما ترى د. ثريا عبد الفتّاح ملحس[17].

وتبقى هذه الشروط هنا مثالية مطلقة, إذ قلّما يوجد باحث مثالي، تتوافر فيه جميع هذه الشروط, فمن يكبّ على قلمه ليل نهار سيخسر جانباً إنسانيا مهما في حياته وهو تواصله الإنساني والاجتماعي مع أقرب المقربين إليه .

وإذا كان التواضع العلمي أمراً ضرورياً جدّاً في حياة الباحث، فإنّ كثيرا من الباحثين يفتقدون إلى هذه الصفة الأخلاقية. ومن المعروف أنّ النتائج التي تصل إليها الأبحاث الفكريّة والنقديّة هي نتائج لا نهائيّة ونسبية, وهي قابلة لأن تُنقَض وتُفكَك ، لأن هذه الأبحاث قابلة لمزيد من القراءات البحثيّة الأخرى، والتي بدورها تغيّر نتائج الأبحاث السابقة لها، إذ (( تصبح النصوص سبباً في خلق تاريخ من القراءات المتغيّرة، التي يمكننا تفكيكها، ولكن لا يمكننا تخليصها ممّا علق بها, وهو الأمر الذي يستحيل معه الوصول بالنقد إلى مرتبة الوضوح الكامل والحقيقة الكاملة )) على حدّ تعبير بول مان[18] . وكذلك يبدو الوصول إلى الحقيقة الكاملة والنتائج النهائيّة في الأبحاث الفكرية أمراً مستحيلاً.

وإذا كان التواضع العلمي مطلوبا في حياة الباحث فإنّ كثيراً من الباحثين لا يتحلّون بهذه الصفة بل نجدهم يؤكّدون أن النتائج التي توصّلوا إليها تشكّل سبقاً معرفياّ في تاريخ البحث العلمي، وأنهم عالجوا مواضيعهم معالجة نهائية، استوفوا فيها جميع شروط البحوث العلميّة الأكاديمية، ونجدهم ، بكثير من الاستعلاء يشكّكون في صحّة النتائج التي سبقهم إليها باحثون آخرون, تناولوا هذه الموضوعات نفسها بطرق مغايرة ولا يتوانى بعض الباحثين والنقاد العرب في تسفيه آراء زملائهم ومهاجمتهم, سواء في كتبهم, أو على صفحات المجلات والجرائد, ويصل هذه التسفيه في أحيان كثيرة حدّ العداوة والبغضاء والمهاترات والقذف والشتيمة[19].

وإذا كان كثير من الباحثين والأكاديميين في مناهج البحث وأصوله وقواعده يتّفقون على ضرورة الحياد الفكري الذي يجب أن يتحلّى به الباحث الجاد فإنّ ذلك يعني إلغاء الأنساق الفكريّة الإيديولوجية التي يؤمن بها الباحث، وبالتالي إلغاء منهج بحثي كامل له شروطه وأسسه وحقوله المعرفيّة, وهو المنهج الإيديولوجي, ومن الصعوبة بمكان أن نجد بحثاً استطاع تماماً أن يتخلّى عن " الحياد الفكري" الذي اشترطته الدكتورة ثريا ملحس, (( لأننا عندما نقرأ عملا (...) فإننا لن نقرأه بعقل بكر ومحايد ـ فالبَكَارة العقليّة لا وجود لها كما أنّ الحيّاد النصيّ خرافة دحضها النقد منذ زمن طويل(...) فبقدر ما يشارك القارئ في إنتاج معنى النصّ، يقوم النص بدوره بالتأثير على القارئ وتوجيه استجاباته و افتراضاته وتعديل هذه الاستجابات أو تنميتها أو الإجهاز على بعضها وإسقاطه في الطريق. بل أكثر من ذلك أنّه يشارك في صياغة القارئ نفسه وليس استجاباته فحسب ))[20]. وليس هناك نصوص إبداعية تراثيّة أو معاصرة بريئة تماما ومحايدة, حتى يمكننا أن نعاملها بعقل محايد، وبحياد فكري محض لأن البنيّة الثقافيّة للباحث ليست محايدة, بل هي نتيجة منطقية لتراكم الخبرات الثقافية والإيديولوجية والاجتماعية لتي شكّلت هذه البنية عبر رحلة الباحث الطويلة في حقول المعرفة المتشعّبة والنامية . إن (( مقولة براءة النص مقولة تقليديّة مرتبطة بسياق اجتماعي وثقافي واضحين كالقول بعالمية الفكر وحوار الحضارات))[21].

وحتّى يستطيع الباحث أن يخفّف من نزعاته الإيديولوجية الراسخة في وعيه وبينته الفكرية وأهوائه وميوله, ينبغي أن يبتعد عن الأبحاث التي تصدمه في عقيدته، وتزعزع قناعاته الداخلية، وتهدم بنى ثقافية وفكرية مهمّة ـ بالنسبة له ـ ترسّخت في أعماقه, وبالتالي لا يبحث في موضوع يعارض بشدّة مبادئ مسبقة يؤمن بها فمثلا لا يبحث الباحث الماركسي في : النظرية الاقتصادية الرأسمالية ومزاياها أو تأثير السحرة والجان في البنية الذهنية

للمجتمعات الإسلامية في عصور انحطاطها أو دور الإسلام في تحرير الرقّ والجواري وعلى سبيل المثال لا يبحث الباحث الأصولي المتشدّد والمتزمّت في ثورة الزنج أسبابها ودوافعها أو حركة القرامطة : جذورها الطبقيّة والتاريخية أو في : دور الإماء والجواري في ازدهار فن الموسيقى في المجتمعات الإسلامية, أو في : تطور أشكال الغناء والرقص وحركاته في المجتمعات الإسلامية أو تطور ظاهرة البغاء وأسبابها ودوافعها في العهدين الأموي والعباسي حتى العصر الحاضر أو في : الاشتراكية العلمية و ومشروعها لتحرير الطبقات المستعبدة أو في: الجنس في رؤية الفقهاء.. دراسة تاريخية واجتماعية. ولا يبحث الباحث الصوفي الذي انقطع عن العالم في : ظاهرة تعدد الزوجات ، أو في : الخليفة العباسيّ المتوكل على الله .. زيجاته وجواريه أو في الجنس بوصفه علاجا جسديا لكثير من الأمراض.

إنّ مثل هذه الأبحاث، إذا ما تناولها مثل هؤلاء الباحثين المتشددين, ستتحول وفي أغلب الأحيان إلى أطروحات إيديولوجية وعقائدية ، تُصبّ فيها جميع الحساسيات والأهواء الشخصيّة والأحقاد التاريخية الدفينة على حركة فكرية معينة، أو على نظام سياسي واجتماعي ما, وبالتالي فإن نتائجها في أحيان كثيرة ستكون غير دقيقة وغير موضوعيّة بل مجيّرة وخاضعة لنزعات الباحث الخاصة وأهوائه ورؤيته المذهبيّة والسياسية.

وتلخّص الدكتورة ثريا ملحس آراء ورد ريدر ( Ward Reeder )
في المنهج العلمي الذي يجب أن يتّبعه الباحث في أبحاثه العلميّة بما يلي:

(( 1 ـ ألاّ يبدي الباحث آراءه الشخصيّة دون أن يعزّزها بآراء لها قيمتها.

2ـ ألاّ يعتبر الباحث أيّ رأي, وإن صادرا عن عالم متخصص, حقيقة راهنة, لا تقبل الجدل ولا المناقشة.

3 ـ ألاّ يعتبر الباحث حقيقة راهنة رأيا من الآراء، لأنّه صدر عن الأكثريّة أو عن لجنة أو عن جماعة.

5 ـ ألاّ يعتبر السكوت عن بعض النتائج حقيقة راهنة.

6ـ ألاّ يحذف الباحث أي دليل، أو حجّة، أو نظريّة لا تتفق ورأيه ومذهبه.

7ـ ألاّ يعتمد الباحث على الروايات أو الاقتباسات أو التواريخ غير الواضحة أو غير الدقيقة .

8 ـ ألاّ يخطئ الباحث في شرح بعض المدلولات))[22].

وعلى الرغم من هذه الآراء، ومنهجيتها العمليّة الدقيقة تبقى آراء مثالية ونظريّة تعليميّة , قلما تتوافر في باحث واحد, مهما بلغ من الثقافة العالية , ومهما اكتسب من الموهبة المتميّزة, والرغبة العميقة الصادقة في أن

يكون باحثاً جاداً. وإذا ما وضع الباحث هذه المسطرة النمطيّة أمامه، وبدأ بكتابة بحثه، فسيصاب بالإحباط والخيبة والفاجع, ويتأكّد من عدم قدرته على إتمام بحثه، وهنا إمّا أن يُحدِث ثغرات وكسورا في هذه المسطرة النمطيّة، وإمّا أن يتراجع عن مشروعات أبحاثه مقتنعاً بعدم قدرته على أن يكون باحثاً جاداً في يوم من الأيام .

**الباحث والاقتباس**

الاقتباس عماد البحوث الأكاديمية : العلمية والأدبية فلا يوجد بحث أكاديمي بدون اقتباس مهما كان صاحبه على درجة عالية من العلم والمعرفة، والثقافة الشمولية ويبدو أن أجدادنا الباحثين القدامى من العرب والمسلمين قد عرفوا أن يدوّنوا اقتباساتهم وفق نظام البطاقات، (( وهل يستطيع الإنسان أن يتصوّر أنّ كتابا مثل الحيوان للجاحظ صنِّف دون استخدام البطاقات في جمع مادته؟))(23).

إنّ الاقتباس يشكّل اللبنة الأولى في عمارة البحث العلمي, إذ لا يشاد بحث معرفي جاد إلاّ بالاقتباس, فالبحوث لا تقوم مكتفية بذاتها، إنّها بحاجة إلى بحوث أخرى تدعمها وتتساند معها, فالباحث في الأدب والشعر يحتاج إلى نصوص تاريخية مساندة والباحث في علم النفس يحتاج إلى نصوص في الفلسفة، والباحث في التاريخ يحتاج إلى نصوص في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والوصفيّة, والباحث في الرمز يحتاج إلى فضاءات ميثولوجيّة: أسطوريّة وخرافية وإلى سير شعبيّة تاريخية تساعده على فهم الدلالات البعيدة والقريبة التي يوحي إليها هذا الرمز.

إنّ النصوص المرجعيّة الأخرى التي يقتبس منها الباحث تسهم في ثراء بحثه، وتضيء له طرقاً مظلمة, وتزيد في طاقاته الذهنيّة وقدراتها ويرى رولان بارت أنّ (( كلّ ما في تناول الكاتب هو أن يزاوج فيما بين الكتابات, وأن يواجه بعضها ببعض دون أن يستند إلى إحداها. فحتى لو أراد التعبير عن ذاته، فإنّه ينبغي أن يعلم, على الأقلّ، أنّ "الشيء" الباطني الذي يدّعي "ترجمته" ليس هو ذاته سوى قاموس جاهز لا يمكن لألفاظه أن تجد تفسيرها إلاّ عن طريق ألفاظ أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية))(24).

ومن خلال المزاوجة بين هذه الكتابات تُولد الكتابات الجديدة, برؤيتها الجديدة, والتي تفيد من الكتابات السابقة عليها في آن. وقد اصطلح الدارسون والباحثون في علوم المناهج والبحوث, على مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوافر في الباحث، حينما يتعامل مع الاقتباس من نصوص معرفيّة أخرى. ومن هذه الشروط وأهمّها: أن يكون الباحث أمينا ونزيهاً في اقتباساته، وأن يكون دقيقاً في نقل أفكار الآخرين, وألاّ يعمل على تشويهها، وتجييرها لصالح آرائه الخاصّة، وهذه الدقّة مطلوبة في التعامل مع المصادر

التي بين أيدينا, سواء أكانت قديمة أم حديثة أم مترجمة، (( وإذا كنا نطلب في الاقتباس دقّة النقل كما طلبه الأسلاف فأننا نعمّم ذلك في النقل من المصادر القديمة وفي الترجمة عن المصادر الأجنبية. وإذا ترددنا في ترجمة مصطلح وضعناه بجانب اللفظة التي تؤديه في حروفه اللاتينيّة (...) وإذا حذف الباحث كلمات في وسط الاقتباس أو في أثناء الترجمة كان من الواجب أن يدلّ على ذلك بوضع نقط (...) حتّى يعرف القارئ أنّه حذف من الأصل بعض كلمات طلباً للإيجاز))[25].

إنّ النصوص المعرفيّة الفكريّة التي صاغتها عقول الباحثين الجادين, وتوصلت إليها بعد جهد كبير من البحث الدؤوب, يجب أن تبقى من حقّ أصحابها. وإذا كان لهؤلاء الباحثين فضل اكتشافها وبلورتها, فإنّه من باب الوفاء والتقدير لجهودهم في خدمة الفكر الإنساني, أن يشير كل من يفيد من هذه الآراء إلى مصادرها وأصحابها بدقّة وأمانة, ولا بدّ للباحث المستفيد هنا (( من دقّة الحساسية, ومزيد من الفطنة, وأن يكون رزيناً، صبوراً لا يعجل, مجتهداً أميناً, كل الأمانة))[26].

والباحث الذي تنتفي من أبحاثه صفة الدقة والأمانة, وإن طفا على سطح الصحف والمجلات ودور النشر, وحصل على أعلى الدرجات العلميّة، لن يستطيع أن يقدّم أيّ خدمة للبحث العلمي الجاد بل سيشوّهه ويفرّغه من مضامينه الأخلاقية والإنسانية. إنّه نبات طفيلي سامّ لا يستطيع أن يعايش النباتات التي تعيش معه ويجاورها إلاّ إذا تطفّل على نسغها ومردودها الغذائيّ ومهما برز هذا الباحث فإن بروزه حالة عرضيّة ومؤقتة لأنه سيكشف في آخر المطاف (( وممّا يتصل بالإنصاف والموضوعيّة: الأمانة (...) والضمير. والأمانة أن تنقل رأي غيرك في دقّة وتنسبه إلى صاحبه فلا تشوّهه إذا لم يعجبك ولا تزّوقه إذا أعجبك ولا تسرقه إن رأيته صالحا فتكون بذلك كأيّ سارق يصدر عن دناءة ولا ينجو من عقاب عاجل أو آجل. ولا ينفعك أن تتصرف برأي غيرك أو تغيّر صياغته ثمّ تدّعيه لأنّ ذلك إن يخف عليك وعلى آخرين فلن يخفى على الباحثين والناقدين))[27].

غير أنه لا يمكننا أن ننكر دور التنّاص والمثاقفة الحضارية والمعرفية بين الثقافات والنصوص، وهذا التناصّ الذي يحضر في كثير من النصوص والأبحاث, لا يمكن أن يُردّ إلى باب السرقات الأدبيّة، لأنّه صياغة متشكّلة ـ بفعل القراءة النامية المتعددة ـ من خبرات معرفيّة وبنيّة ثقافيّة، تمتدّ بعيداً في الحضارات المتعاقبة والمتزامنة وفي صلب ثقافاتها, وأحياناً يبرز هذا التناص دون أن يكون قصدياً، إنه عفوي, ولو حاول صاحبه أن يردّه إلى مصادره الأصلية لما استطاع لأنّه متراكم بفعل السيرورة الزمنيّة ونمو المعارف والثقافات المذهل، فالنصّ هو (( نسيج من الاقتباسات والإحالات

والأصـداء وأعنـي مـن اللغـات الثقافيـة السـابقة أو المعاصـرة التـي تخترقـه بكامله))[28].

وتبقى الاقتباسات التناصيّة غير المعروفة في كثير من النصوص الفكريّة وبخاصة الإبداعيّة منها, ضاربة جذورها في عمق نصوص أخرى قديمة أو معاصرة لا يعرف المبدع من أين اقتبسها, إنّ((الاقتباسات التي يتكوّن منها النص (...) هي مجهولة الاسم ولا يمكن ردّها إلى أصولها ومع ذلك فقد سبقت قراءتها: إنّها اقتباسات لا تقدّم نفسها كذلك ولا توضع بين أقواس))[29].

وثمّة أخطاء في بعض الاقتباسات لباحثين كبار وأجلاّء عُرفوا بأمانتهم العلميّة, وإضافاتهم المتميّزة إلى مسيرة البحث العلمي, والدراسات الفكرية والنقديّة وقد تكون هذه الأخطاء غير مقصودة وربما أتت نتيجة تعب من الباحث أو أخطاء طباعيّة أو تحريفات في الأرقام. وهنا ينبغي على الباحث ألاّ يأخذ اقتباسا كان قد اقتبسه باحث آخر وأثبته في كتاب أو بحث له, من دون أن يشير إلى هذا الباحث الذي أخذ الاقتباس، بل من المفروض أن يشير إلى هذا الباحث وإلى المصدر الأصلي في آن, وأن يعود إلى المصدر في حال توافره، أمّا في حال كونه مخطوطة نادرة أو بعيدة المنال كأن تكون خارج بلد الباحث ومكتبات هذا البلد فإنّه يعفى من الرجوع إلى المصدر الأصل. فالعودة إلى المصدر الأصل تمنع الباحث من أخطاء غير مقصودة سبق وأن وقع فيها باحث سابق عليه اقتبس الاقتباس نفسه: (( وهناك خطأ يقع فيه بعض الباحثين (...)، وهو أن يجد في بحث سابق له إشارة إلى مصدر، فيأخذ هذا المصدر عنه ورقم صفحته دون اطلاع عليه أو مراجعة له, وقد يكون الباحث السابق أخطأ في ذكر المصدر عن غير قصد, أو أخطأ في ذكر الصفحة ورقمها. أو قد يكون حدث في أثناء الطبع تحريف في الرقم، فينقله بتحريفه أو بخطئه فيكون ذلك طامة كبرى))[30].

وقد أتاحت لي فرصة الاطلاع على بعض المراجع التعرّف ببعض هذه الأخطاء غير المقصودة.، وأكتفي هنا بذكر البعض منها :

يأخذ الأستاذ الدكتور عزالدين إسماعيل المقطع الشعري الآتي

(( بلى, وكنا الشاطئ اليشده
بشاطئ طموحنا الرهيب المغارة اليقبع
فيها السباد، الشرفة اليطل
منها قيصر وهنيبعل ، الموكب اليشقّ
دربه الصليب)).[31]

ويقول إنّه من قصيدة بعنوان " الوحدة"، من ديوان البئر المهجورة للشاعر يوسف الخال. وبعد قراءتي لجميع أعمال الشاعر يوسف

الخال الشعريّة ، لم أجد فيها قصيدة بعنوان " الوحدة"، ولا يرد هذا المقطع في ديوان " البئر المهجورة" ، ولا في جميع دواوينه الشعرية الأخرى.

ويتابع الدكتور عزالدين إسماعيل قائلا: ((ولهذا نجد بعض الشعراء يصدرون قصائدهم بموجز نثري للأسطورة التي يتخذون منها رمزاً في صلب القصيدة))، ويضع الهامش الآتي : انظر على سبيل المثال قصيدة " نداء البحر" من ديوان "البئر المهجورة" ليوسف الخال [32] غير أن القارئ الذي يرجع إلى أعمال الشاعر يوسف الخال، بما فيها " ديوان البئر المهجورة" يجد أنّها تخلو تماما من القصيدة السابقة " نداء البحر" [33]

ومن بعض الإشكاليات التي يثيرها الاقتباس: أن يثبت الباحث رأياً لأحد النقاد أخذه من كتاب ما لناقد آخر، ويشير إلى كتاب الناقد المقتبس منه ، وعندما يعود القارئ إلى هذا الكتاب فإنّه لا يجد أيّ أثر لهذا الرأي, وهذا ما حدث بالضبط في إحدى المحاضرات الجامعية التي أعّدت لطلبة دكتوراه السلك الثالث, وأمليت عليهم تحت عنوان " الصورة الشعرية" في عام 1985م في القاعة السابعة بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط, وقد أتيح لي أن أحضر هذه المحاضرة وأن أكتب ما يمليه الأستاذ المحاضر , إذ قال الأستاذ وبالحرف الواحد : (( يعرّف غاستون باشلار الصورة الشعريّة بأنها بروز على سطح النفس)).وذكر للطلبة أنّه أخذ هذا التعريف من كتاب أدونيس : " مقدّمة للشعر العربي"، في حين أنّ كتاب أدونيس المذكور يخلو تماما من هذا التعريف, ولا يذكر أدونيس في كتابه أيّ رأي من آراء غاستون باشلار [34].

وتشكّل الترجمة أهمية واضحة في البحث العلمي، باعتبارها مصدرا أساساً من مصادر الاقتباس التي يعتمدها الباحثون. وينبغي معاملة النصوص المترجمة بأمانة سواء من حيث اقتباسها أو ترجمتها ولا يخلو " الاقتباس" من الترجمات من بعض الإشكاليات التي يقع فيها المترجمون، كأن يترجم أحد الباحثين فقرة أو نصاً من مرجع أجنبي, ويثبته في بحثه وينسى أن يشير إلى المصدر الأجنبي ومؤلفه في هوامش بحثه وهذه الظاهرة موجودة بكثرة في الأبحاث العربية, وعند باحثين مرموقين جدا وعُرفوا بجهودهم المخلصة في خدمة الثقافة العربية والفكر العربيين, من خلال مؤلفاتهم وترجماتهم التي أضافت الجديد والمتميز إلى الثقافة العربية, فعلى سبيل المثال : يقول الدكتور عبد الحميد يونس ـ وهو من أهم دراسي الأدب الشعبي والمنظّرين له في ساحة البحث العلمي العربية ـ في تعريفه للأسطورة: ((من العسير أن نضع تعريفاً للأسطورة يجتمع عليه رأي العلماء المتخصصين ذلك لأنّ الأسطورة واقع ثقافي ممعن في التعقيد تختلف حوله وجهات النظر وحسبنا أن نورد هذا الوصف الذي يتسم بالشمول وهو أنّ الأسطورة تروي

تاريخا مقدّساً وتسرد حدثاً وقع في عصور ممعنة في القدم عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة. أو بعبارة أخرى الأسطورة تحكى بوساطة أعمال كائنات خارقة كيف برزت إلى الوجود حقيقة واقعة(...) قد تكون كلّ الحقيقة أو كل الواقع مثل الكون أو العالم (...) وقد تكون جانباً من الحقيقة مثل جزيرة من الجزر أو فصيلة من النبات أو ضرب من السلوك الإنساني أو منظمة اجتماعيّة (...) والأسطورة بهذا المعنى قصة " وجود ما " ,فهي تروي كيف نشأ هذا الشيء أو ذاك . وهي ترتبط بالواقع في أولياته, وأبطالها كائنات خارقة يُعرفون بما حققوا في عصور التكوين))[35].

ويثبت الدكتور عبد الحميد يونس التعريف السابق نفسه في معجمه : معجم الفولكلور[36]، وقد نسي أن يشير إلى المصدر الذي ترجم منه هذا التعريف وذلك في كلا الكتابين اللذين ورد فيهما هذا التعريف, معجم الفولكلور والحكاية الشعبية مع العلم أنّ هذا التعريف هو الذي اقترحه المفكّر الفرنسي ميرسيا إلياد . يقول ميرسيا إلياد : (( من الصعب جداً إيجاد تعريف للأسطورة يكون مقبولا لدى كل العلماء(...) إن الأسطورة واقع ثقافي جدّ معقّد كما أنّه يمكن أن يُتناول ويُؤول من منظورات متعددة. إنّ التعريف الذي يبدو لي شخصياً الأكثر شمولية هو التالي:

الأسطورة تحكي قصّة مقدّسة، فهي تروي حدثاً وقع في الأزمنة الأولى, زمن " البدايات " الخارق. بعبارة أخرى الأسطورة تروي كيف أنّه بفضل إنجازات للكائنات فوق الطبيعية ظهرت واقعة ما إلى الوجود سواء تعلّق الأمر بالواقع ككلّ أي بالكون أو بجزء منه فقط: جزيرة كانت أو نوعاً نباتياً أو سلوكاً بشرياً أو مؤسسة. فهي إذن دائماً قصة "خلق": تخبر كيف تكون شيء ما وكيف بدا في الوجود. الأسطورة لا تتحدّث إلاّ عمّا وقع بالفعل , أي عمّا كان جليّ الظهور))[37].

وإذا كان للترجمة هذا الدور المهم في الأبحاث الفكرية والعلميّة باعتبارها مصدراً لاقتباس المعلومات والأفكار الجديدة والمهمة فإنّ بعض دور النشر والمؤسسات الرسمية تعمل على تعطيل هذا الدور الحضاري, وحرمان الباحث الجاد من الإفادة من هذه الترجمات الجديدة والمهمة, كأن تحرّم عليه الاقتباس منها, وذلك بنصّ صريح تثبته على الصفحات الأولى من الكتب المترجمة وقد يقوم المترجم نفسه بتحذير الآخرين من أن يقتبسوا من ترجمته ، مع العلم أنّ مؤلف المصدر الأجنبي سيكون سعيداً لو استطاع كتابه التأثير في كثير من الأبحاث الفكرية الجديدة التي تأتي بعده. ومثل هذه التحذيرات كثيرة جدا في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية وأكتفي منها بما يلي: قام المترجم محمود منقذ الهاشمي بترجمة كتاب إريك فروم " اللغة المنسيّة"، ترجمة ممتعة وأثبت فيها كثيراً من المصطلحات الإنكليزية المهمة

بنصّـها الأصـلي فـي مـتن الكتـاب, لكـنّ المؤسسـة الناشـرة حـذّرت البـاحثين والقرّاء من الاقتبـاس مـن الكتـاب بالعبـارة الآتيـة : " حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة لاتحاد الكتاب العرب"[38].

وأمـام ذلـك إمّـا أن يضـطرّ الباحـث الجـاد لكـي يخـرق هذا التحـذير، ويقتبس بأمانـة من الكتـاب السـابق, وإمّـا أن يصـرف النظـر نهائيـاً, ويلجـأ إلـى ترجمات أخرى للكتاب نفسه, قام بها مترجمون عرب أخرون[39].

وإذ يسـتطيع الباحــث هنــا أن يحـلّ هـذه الإشـكالية بـالرجوع إلــى ترجمات أخرى للمصدر نفسه, فإنّه في حال وجود ترجمة واحدة لمصدر مهم يحتاجه في بحثه يجد نفسه عاجزاً عن الإفادة منه إذا ما تقيّد بتعليمـات الناشـر فعلى سبيل المثال قام الدكتور صبري محمد حسن بترجمة كتـاب مهم بعنـوان : التفكيكيـة. النظريـة والممارسـة, لمؤلفـه " كريسـتوفر نـوريس", وأثبـت فـي نهايته قائمة بمصطلحات نقديّة مهمّة ومعاصرة يحتاجها كثير من البـاحثين والنقـاد لكـنّ المؤسسـة الناشـرة حـذّرت قـرّاء الكتـاب بمـا يلـي: (( لا يجـوز استنساخ أو طباعة أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب أو اختزانه بأية وسيلة إلاّ بإذن مسبق من الناشر))[40]. وحتى لو فكّر الباحث في الحصول علـى إذن من الناشر, فإنّ موافقته في أغلب الأحيان لن تكون مضمونة. ولا يخفـى علـى القارئ الكريم أن كلمة: "اختزانـه" فـي العبـارة السـابقة تعنـي ضـمنا الاقتبـاس منه, لأن الاقتباس عندما يؤخـذ مـن المصـدر سيخزّن بـدوره علـى قصاصـات ورقيّة أو أقراص كمبيوترية.

**خاتمة**

هـذه بعـض المواصـفات التــي ينبغـي أن تتـوافر فـي الباحـث الجـاد وبعض المشكلات التي تقف في وجهه وتمنعه من أن يكمل أبحاثـه وتقتل فيـه روح الموهبــة والرغبــة فــي الاســتمرار غيــر أنّ هنــاك مواصــفات أخــرى ومشكلات تثيرها قضية الأبحاث الأكاديمية وتحتـاج إلـى مزيد من الدراسات لضـبطها وتحديـدها وعرضـها ومناقشـتها ويبقـى الحـديث فـي هـذه المشـكلات طويلاً ولا تستطيع دراسة قصيرة كهذه أن تحيط بجوانبه كافة.

ويبدو أنّـه مهما حاول الباحثون الجـادون فـي علـوم منهجيـة الأبحـاث أن يضبطوا مصطلحات هذا العلم وقوانينه والمواصفات التي يجب التقيّد بهـا، حتـى تصـبح الأبحـاث أكثـر دقّـة وتنظيمـاً وفاعليـة فـي حركـة الفكـر والثقافـة العربيّة، فـإنّ هـذه الأبحـاث ستظلّ قابلـة لمزيـد مـن الضـبط، وستظلّ الكسـور والفجـوات ماثلـة فيهـا حتـى ولـو كانـت لبـاحثين مرمـوقين حـاولوا أن يؤسسـوا لقوانين علم منهجية الأبحاث وأسسه المعرفيّة.

ويبدو أنّ البحث المنهجي لن يستطيع التخلّص مستقبلاً من كثير مـن الصعوبات التي تعترض الباحث في عمله إلاّ بـاعتمـاده وسـائل التقنيـة الجديـدة

التي ظهرت مع تقدّم علوم الكومبيوتر فالحاسب الآلي ببرمجته العلميّة الدقيقة والسريعة يستطيع أن يخلّص الباحث من أعباء البطاقات المتراكمة التي يتمّ تدوين الاقتباسات فيها, ويضبط عمله ويخفّف عنه أعباء جهود كبيرة هو في أمسّ الحاجة إلى أن يتخلّص منها, حتى يزداد عطاؤه وبالتالي يكون فاعلا في حركة البحث العلمي والثقافة العربية ومضيفاً إليها، ومستفيداً منها في آن. ويبدو أن الجامعات العربية المعاصرة الحكومية التقليدية، لن تستطيع أن تواكب روح العلم والمعرفة، إذا لم تتخل عن طرقها التقليدية في البحث وطريقته، وتعقيداته الإداريّة والروتينيّة. ومن هنا تأتي أهمية الجامعات الحديثة المفتوحة التي تنتهج منهج التعليم الإلكتروني المتطور، المواكب لتقنيات العصر، وعلوم المعرفة الحديثة بآفاقها العريضة، فهذه الجامعات قادرة على استيعاب عدد أكبر الطلاب التي يمكن أن تستوعبهم الجامعات الحكومية التقليدية، وهي أكثر انفتاحا معرفيا على علوم العصر الحديثة، والإجراءات الإدارية فيها، على مستوى تسجيل الطلاب ومتابعة أوراقهم ومعاملاتهم، وعلى مستوى التعامل مع أعضاء هيئة التدريس، أقل تعقيدا من الجامعات التقليدية،((**وبعامة نحن بحاجة لدراسة شاملة عالميا لمراجعة جدية مسؤولة بشأن محددات التعليم ومتابعة متغيراته بطريقة تستجيب مبدئيا لحسم موضوع التفاوت في المستويات المعرفية تدريجا حتى ننتهي من رحلة تقليص الفجوات بمحوها نهائيا في المسالك المتاح معالجتها راهنيا.. من مثل تطوير أدوات التعليم المادية (بأشكال الدعم المتاحة ( وتحديث المناهج وتحسين الأساليب والتقدم تدريجا بالبنى التحتية المناسبة للتعليم بمراحله كافة.. مع ضمان الحدود الدنيا لإلزامية التعليم وتحسين إمكانات الحصول عليه لمجموع الشرائح الاجتماعية..**

**وبشأن جديد نُظُم التعليم يمكننا التعرض لإشكالية إغناء التعليم التقليدي المنتظم بأدوات نظام التعليم الأحدث (تقنيا-تكنولوجيا) والاعتراف بنظام التعليم الأحدث هذا أي (التعليم الألكتروني) نظاما قابلا للحياة وللعمل به بلا مضايقات وعراقيل))**(41)، ونظام التعليم الإلكتروني هذا سيسهم إسهاما فعّالا في ازدهار التعليم وتطوره، وتخليصه من كثير من مشاكله التي فرزها نظام التعليم الكلاسيكي في الجامعات الحكومية التقليدية التي لم تستطع أن تلبي احتياجات طلابنا في استيعابهم داخل أقسامها المحكومة بقوانين إداريّة معقدة، وبنظام جامعي لم يستطع أن يستوعب بعد، معطيات العصر الحضارية والمعرفية والتعليمية . انتـــــــهى

الهوامش

(1) ـ عن/ هشام علي بن علي : " نقد الشعر, إشكالية المنهج" ، مجلة الثقافة الجديدة, وزارة الثقافة والإعلام, عدن , العدد السابع, السنة السابعة عشرة, ديسمبر 1987م، ص 121.

(2) ـ لذه النص, ترجمة : فؤاد صفا والحسين سبحان، الدار البيضاء/ المغرب, دار توبقال للنشر, 1988م، ص 22 .

(3) ـ منهج البحث الأدبي, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, الطبعة الرابعة ، 1988م, ص 43 .

(4) ـ نفسه , ص 43.

(5) ـ كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة, الطبعة الثالثة عشرة, 1981م, ص 18.

(6) ـ مصطلح المثال الوظائفي , هو من مصطلحات الباحث فلاديمير بروب المستخدمة في تحليله للحكايات الشعبية .

(7) ـ درس السيميولوجيا, ترجمة عبد السلام بن عبد العالي , دار توبقال للنشر , الدار البيضاء / المغرب, الطبعة الثانية, 1986م, ص 87.

(8) ـ كيف تكتب بحثا أو رسالة ، ص 19 .

(9) ـ وهذا ما حدث بالضبط في عام 1989م, في إحدى كليات الآداب بقسم اللغة العربية، بإحدى الجامعات العربية ـ ولا داعي لذكر الجامعة ولا اسم أعضاء اللجنة الفاحصة , تجنبا لإثارة أي حساسيات .

(10) ـ عن / د. عبد العزيز بن عبد العزيز العبدان: " العلاقة بين التحصيل الأكاديمي والكفاية في اللغة الإنكليزية لدى طلبة كلية الطبّ السعوديين" ، مجلة العلوم الإنسانية , كلية الآداب ، جامعة البحرين, المنامة, العدد الخامس, شتاء 2002م, ص 144.

(11) ـ د. أحمد شلبي, كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، ص 22 .

(12) ـ في حوار أجراه د. محمد عبد الرحمن يونس مع الأستاذ الدكتور عصام نور الدين، أستاذ وباحث في الجامعة اللبنانية، الفرع الأول في بيروت , وهذا الحوار مقدّم للنشر إلى إحدى المجلات العربية، لكنه لم ينشر بعد.

(13) ـ لمزيد من الاطلاع على واقع هذه المأساة يراجع : د. عيسى بلاطة, بدر شاكر السيّاب، حياته وشعره، دار النهار للنشر , بيروت، الطبعة الثالثة، 1981م, ص 131 , وما بعدها.

(14) ـ لمزيد من الاطلاع تراجع المقدمة التي كتبها الدكتور عبد العزيز المقالح بعنوان : أمل دنقل .. أحاديث وذكريات في المصدر: أمل دنقل, الأعمال الشعرية الكاملة, الطبعة الثانية, دار العودة , بيروت/ مكتبة مدبولي ، القاهرة, 1985م, ص 5 وما بعدها.

(15) ـ د. محمد عبد الرحمن يونس، " التراث والقصيدة العربية المعاصرة"، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة, بيروت, العدد 7ـ 8 ـ 9, أيار, حزيران, تموز 1993م, ص 122 - 124.

(16) ـ سعدي يوسف, " مونولوغ"، مقابلة أجراها معه يحي جابر ويوسف بزي، في مجلة الناقد, دار رياض الريس للكتب والنشر, بيروت, العدد 61, السنة السادسة , تموز 1993م، ص 23.

(17) ـ د. ثريا عبد الفتاح ملحس, منهج البحوث العلميّة ، دار الكتاب اللبناني،بيروت, الطبعة الثانية، 1973م, ص 31.

[18] ـ عن/ د. سميّة سعد, في عرضها لكتاب: " التفكيك النظرية والتطبيق" ، لكريستوفر نوريس, مجلة فصول, العدد الرابع, الجزء الثاني, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, العدد الرابع, الجزء الثاني, يوليو, أغسطس , سبتمبر, 1984م, ص 234.
[19] ـ للإطلاع على نماذج من هذا التسفيه , يراجع أعداد مجلة الناقد التي كانت تصدر عن : رياض الريس للكتب والنشر, وتحديدا ما ينشر تحت عنوان : ناقد ومنقود.
[20] ـ د. صبري حافظ، " مالك الحزين, الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية" ، مجلة فصول ، العدد الرابع, ألجزء الثاني, يوليو, أغسطس,سبتمبر, 1984م, ص 160 - 162 .
[21] ـ د. المصف ونّاس , " الشعر والإيديولوجيا"، مجلة الشعر، وزارة الشؤون الثقافية , تونس, العدد الحادي عشر, 1985م، ص 42.
[22] ـ منهج البحوث العلمية, ص 32 . وأخذت الباحثة عن :/ Ward Reeder, How to write a thesis, Illinois, 1952, pp: 14 -18.
[23] ـ د. شوقي ضيف, البحث الأدبي, طبيعته ـ مناهجه, أصوله, دار المعارف بمصر, القاهرة، الطبعة الثانية, 1976م، ص 263 - 264.
[24] ـ درس السيميولوجيا, ص 85.
[25] ـ د. شوقي ضيف, البحث الأدبي, طبيعته ـ مناهجه ـ أصوله, ص 265.
[26] ـ د. أحمد شلبي, كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، ص 76.
[27] ـ د. علي جواد الطاهر, منهج البحث الأدبي, ص 48
[28] ـ رولان بارت, درس السيميولوجيا, ص 63.
[29] ـ نفسه, ص 63.
[30] ـ د. شوقي ضيف، البحث الأدبي ـ مناهجه ـ أصوله، ص 266 ـ 267.
[31] ـ الشعر العربي المعاص، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة، دار العودة, بيروت، الطبعة الخامسة, 1988م، ص 214.
[32] ـ نفسه , ص 216.
[33] ـ لمزيد من الاطلاع يراجع : يوسف الخال , الأعمال الشعرية الكاملة , دار العودة, بيروت , الطبعة الثانية, 1979/1/1م.
[34] ـ للتأكد من خلو كتاب أدونيس من رأي غاستون باشلار ينظر : مقدّمة للشعر العربي, دار العودة, بيروت, الطبعة الرابعة, 1983م.
[35] ـ الحكاية الشعبية , دار الكتاب العربي, يونيو 1968م،، ص 19.
[36] ـ معجم الفولكلور، مكتبة لبنان, بيروت, طبعة 1983م, ص 34 , مادة : أسطورة.
[37] ـ ورد هذا التعريف في فصل بعنوان " بنية الأساطير "، من كتاب ميرسيا إلياد:
M.ELIDE, Aspect du mythe . ed: gallimard .collection id ées , Paris 1963.
وقد قام بترجمة هذا الفصل الدكتور محمد يشوتي: في مجلة العرب والفكر العالمي, مركز الإنماء القومي, بيروت, العدد 14/13، ربيع 1991م, ص 80.
[38] ـ إريك فروم, اللغة المنسية, دراسة ممّهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 1991م, ص 4,
[39] ـ وهذه الترجمات هي:
1- إريش فروم, الحكايات والأساطير والأحلام, مدخل إلى فهم لغة منسيّة, ترجمة د. صلاح حاتم, دار الحوار , اللاذقية، الطبعة الأولى, 1990م.
2 ـ إريك فروم, اللغة المنسيّة، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير, ترجمة حسن قبيسي, المركز الثقافي العربي, طبعة 1992م.

[40] ـ كريستوفر نوريس، التفكيكية. النظرية والممارسة, ترجمة د. صبري محمد حسن, دار المريخ, الرياض, 1989م, ص 4.
[41] ـ د. تيسير عبد الجبار الآلوسي: "التعليم والتعليم الإلكتروني، تطلعات لقنونته و شرعنته"، بحث منشور إلكترونيا في منتديات الأستاذ على الرابط التالي :
http://www.profvb.com/vb/t12809.html

انتـــــــــــــهت الهوامش والمراجع

## المصادر والمراجع

### 1 ـ الكتب العربية


[1] ـ أدونيس، علي أحمد سعيد : مقدّمة للشعر العربي, دار العودة, بيروت, الطبعة الرابعة, 1983م.
[2] ـ إسماعيل، د. عزالدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة، دار العودة, بيروت، الطبعة الخامسة, 1988م.
[3] ـ بلاطة, د. عيسى: بدر شاكر السيّاب، حياته وشعره، دار النهار للنشر , بيروت، الطبعة الثالثة، 1981م.
[4] ـ جواد الطاهر، د. علي: منهج البحث الأدبي, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, الطبعة الرابعة ، 1988م.

[5] ـ الخال , يوسف: الأعمال الشعرية الكاملة , دار العودة, بيروت , الطبعة الثانية, 1979/1/1م.
[6] ـ شلبي، د. أحمد: كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة, الطبعة الثالثة عشرة, 1981م.
[7] ـ ضيف, د. شوقي: البحث الأدبي, طبيعته ـ مناهجه, أصوله, دار المعارف بمصر, القاهرة، الطبعة الثانية, 1976م.

[8] ـ ملحس, د. ثريا عبد الفتاح: منهج البحوث العلميّة ، دار الكتاب اللبناني،بيروت, الطبعة الثانية، 1973م.

[9] ـ يونس، د. عبد الحميد: الحكاية الشعبية , دار الكتاب العربي, يونيو 1968م.
[10] ـ ـ يونس، د. عبد الحميد: معجم الفولكلور، مكتبة لبنان, بيروت, طبعة 1983.


### 2 ـ الكتب الأجنبيّة المترجمة


[1] ـ بارت، رولان :درس السيميولوجيا, ترجمة عبد السلام بن عبد العالي , دار توبقال للنشر , الدار البيضاء / المغرب, الطبعة الثانية, 1986م.
[2] ـ بارت، رولان: لذة النص, ترجمة : فؤاد صفا والحسين سبحان، الدار البيضاء/ المغرب, دار توبقال للنشر, 1988م، ص 22 .

[3] ـ فروم, إريك: اللغة المنسية, دراسة ممّهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 1991م.
(4) ـ فروم, إريش: الحكايات والأساطير والأحلام, مدخل إلى فهم لغة منسيّة, ترجمة د. صلاح حاتم, دار الحوار , اللاذقية، الطبعة الأولى, 1990م.
(5) ـ فروم، إريك: اللغة المنسيّة، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير, ترجمة حسن قبيسي, المركز الثقافي العربي, طبعة 1992م.
[6] ـ نوريس، كريستوفر: التفكيكية. النظرية والممارسة, ترجمة د. صبري محمد حسن, دار المريخ, الرياض, 1989م, ص 4.

3

ـ المقالات والأبحاث المنشورة في المجلات، ومقدمات الكتب:

(1) ـ الآلوسي عبد الجبار، د. تيسير: "التعليم والتعليم الإلكتروني، تطلعات لقنونته و شرعنته"، بحث منشور إلكترونيا في منتديات الأستاذ على الرابط التالي : http://www.profvb.com/vb/t12809.html
[2] ـ حافظ، د. صبري : " مالك الحزين, الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية" ، مجلة فصول ، العدد الرابع, ألجزء الثاني, يوليو, أغسطس,سبتمبر, 1984م.
[3] ـ سعد, د. سميّة : " التفكيك النظرية والتطبيق" ، لكريستوفر نوريس, مجلة فصول, العدد الرابع, الجزء الثاني, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, العدد الرابع, الجزء الثاني, يوليو, أغسطس , سبتمبر, 1984م.

[4] ـ عبد العزيز العبدان، د. عبد العزيز : " العلاقة بين التحصيل الأكاديمي والكفاية في اللغة الإنكليزية لدى طلبة كلية الطبّ السعوديين" ، مجلة العلوم الإنسانية , كلية الآداب ، جامعة البحرين, المنامة, العدد الخامس, شتاء 2002م.

[5] ـ ا بن علي، هشام علي : " نقد الشعر, إشكالية المنهج" ، مجلة الثقافة الجديدة, وزارة الثقافة والإعلام, عدن , العدد السابع, السنة السابعة عشرة, ديسمبر 1987م.

[6] ـ المقالح، د. عبد العزيز: "أمل دنقل .. أحاديث وذكريات": أمل دنقل, الأعمال الشعرية الكاملة, الطبعة الثانية, دار العودة , بيروت/ مكتبة مدبولي ، القاهرة, 1985م.
[7] ـ ميرسيا إلياد ،" بنية الأساطير "، ترجمة:محمد يشوتي: في مجلة العرب والفكر العالمي, مركز الإنماء القومي, بيروت, باريس، العدد 14/13، ربيع 1991م.
[8] ـ ونّاس , د. المصف: " الشعر والإيديولوجيا"، مجلة الشعر، وزارة الشؤون الثقافية , تونس, العدد الحادي عشر, 1985م.
[9] ـ يوسف, سعدي: " مونولوغ"، مقابلة أجراها معه يحي جابر ويوسف بزي، في مجلة الناقد, دار رياض الريس للكتب والنشر, بيروت, العدد 61, السنة السادسة , تموز 1993م.

[10] ـ يونس، د. محمد عبد الرحمن :" التراث والقصيدة العربية المعاصرة"، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة, بيروت, العدد 7ـ 8 ـ 9, أيار, حزيران, تموز 1993م.

# الحداثة في السياسات التربوية وتوطين التقنية في الدول العربية بين الخوف والضرورة

**د. لحسن عبد الله باشيوة**، قسم الرياضيات، كلية العلوم+ كلية التربية، جامعة حائل المملكة العربية السعودية،

**ملخص البحث:** إن صناعة السياسات التربوية هي إحدى مقومات التنمية المستدامة وبناء الحضانة الخضراء لتوطين التقنية، وإعداد المقومات الأساسية نحو عصر التقنية وإنتاج واستهلاك المعرفة. تطرق الباحث إلى تشخيص دور السياسات التربوية الفعالة في تمهيد الطريق نحو ايجاد بيئة مغذية لتطور عناصر التقنية معتمدا على نماذج مختلفة ومتنوعة لمقومات السياسات التربوية التعليمية التي تنتهجها هذه الدول.

سعى الباحث الى تشخيص واقع بعض السياسات التربوية التعليمية العربية لأجل ادراك النواقص والعناصر الاجابية التي يتوقع أن تنتهجها الدول التي تريد أن تلتحق بركب الدول المتقدمة وامتلاك ثروة العصر. يقدم البحث تشخيص عام لأهمية إتقان صناعة السياسات التربوية وتأهيل الأرضية المجتمعية لتوطين التقنية وتحقيق التنمية المستدامة التي هي من اولويات القيادات التربوية والمجتمعية.

يؤكد البحث الحاجة إلى توسيع مستويات التعليم أفقيا وعرضيا وانتهاج الأنماط التعليمية الحديثة وعلى رأسها التعليم الالكتروني المسؤول والفعال والذي يقدم الخدمة المميزة المساندة للمناهج التعليمية المرافقة له في كل المستويات والتخصصات. ولأجل تحقيق أهداف اعتماد الحداثة في صناعة السياسات التربوية يوصي الباحث بالعمل على إعداد وتحديث العناصر اللازمة والمساندة لصناعة السياسات التي تساند التعليم الحديث وتتوافق مع معايير وشروط اعتماد الاساليب التعليمية والتعلمية الحديثة التي تمد التربية والتعليم بالسلوك الايجابي والمعلومة النافعة .

يوصي الباحث باسناد والزام السياسات التعليمية الحديثة المهيئة للاعتماد بمنتجات التقنية ومفرداتها، وعناصر التكنولوجية وخدماتها لأجل تسريع عناصر التنمية وتغذيتها بالدقة والحداثة، والارث الحضاري للبشرية، وكل ما يميز التربية والتعليم في خدماته ومخرجاته، وادارتها وفق متطلبات عناصر الجودة الشاملة والتميز، والاداء الأفضل.

**Modernity in the Educational Policies and Localization of Technology in the Arab Countries between Fear and Necessity**

**Abstract:** The educational policy-making is one of the components of sustainable development and building green nursery for the settlement of technical and preparation of the basic components to the age of technology, production and consumption of knowledge.

Researcher discussed the diagnosis of the role of educational policies effective in paving the way towards a nourishing environment for the development of technical components based on different models and a variety of educational components of the educational policies pursued by these countries.

Researcher sought to determine the condition of some of the educational policies of the Arab educational shortcomings and to realize the elements entirely positive, which is expected to be pursued by countries that want to hook up with developed countries and owning wealth of the times.

Research provides diagnosis of the importance of mastery of educational policy-making and lay the groundwork for the settlement of the technical community and the achievement of sustainable development is a priority for educational leaders and community organizations. Study confirms the need to expand horizontally and levels of education are incidental to the pursuit of modern educational patterns and especially the e-learning responsible and effective, providing outstanding service support to the accompanying curriculum at all levels and disciplines. In order to achieve the objectives of the adoption of modern policy-making in the educational researcher recommends that the work on the preparation and updating of the necessary elements and support for

policy-making in support of modern education and complies with the standards and conditions for the adoption of educational methods and learning which provide modern education to conduct a positive and useful information.

Researcher recommends that the attribution of educational policies and to commit new preconditions for the adoption of products and technical vocabulary, and elements of technology and services to accelerate the development and nutrition components of accuracy and modernity, and heritage of humanity, what distinguishes education in the services and outputs, and management in accordance with the requirements of the elements of the comprehensive quality and excellence, the best performance.

**1-المقدمة:**

تذكر الدراسات الحديثة المهتمة بالمجال التربوي والتعليمي بالحاجة المستعجلة لإعادة صياغة الإطار العام والمسارات الأساسية لروى ورسالة وأهداف مهمة السياسات التربوية والتعليمية والبنود التي توضيح الجوانب المهمة فيها وركائزها الفعلية التي تؤسس للترابط والتسلسل بين مدخلات المنظومة التعليمية والمجتمعية ومخرجاتها وفق اداء في نظم فعال.

وتؤكد التجارب الناجحة التي حققتها بعض الدول النامية في الاستثمار البشري والثروة التعليمية التي جنتها من خلال العشريات الخمس الأخيرة التي استطاعت عبرها أن تجد لنفسها مكانة مجتمعية مرتكزة على الصناعة المعرفية والتكنولوجية الحديثة والخدمة المتميزة التي أصبحت التجارة الرابحة في عصر تكنولوجية المعلومات وإدارة المعرفة والاستثمار الامن.

ان الجريان المستمر للمعرفة يفرض عدم اعتبار السياسة التعليمية ثابتة لا تتغير، بل لابد من التقويم والتعديل المستمرين لها والنظر في مدى تفاعلها مع متطلبات العصر والاشكاليات والقضايا المستجدة مع التأكيد على ربط السياسة التعليمية بالتخطيط الاستراتيجي طويل الأجل والتأكيد على تكاملها وانسجامها مع متطلبات قطاعات المجتمع المختلفة للتنمية.

يتطلب التغيير والإصلاح الحديث في القطاع التربوي والتعليمي جهدا علميا يحاط بأبعاد السياسة التعليمية في تعريفها وتوظيفها وكيفية وضعها وفنية تطويرها، وفى ضوء خبرات وتجارب عالمية لدول متقدمة ونامية ناجحة، حيث تتوالى مشروعات التطوير في التعليم، ولا شيء يتطور على أرض الواقع بشكل عملي ملموس بما يحقق وعده وينجز فعله ويأتي إلى نهايته بل يظل التطوير قاصرا، وبحاجة إلى تطوير بعد كل تطوير.

لا يحمل التعليم بوصفه نظاما مسؤولية الفشل الذي أحاط به، فهو مجرد نظام يتفاعل في حدود إمكاناته المادية و الفنية و البشرية، مع حزمة نظم عاملة في المجتمع يتبادل معها التأثير والتأثر، وكما يكون المجتمع يكون تعليمه، ولعل الإصلاح المتوقع يحقق إضاءات هادية تبصره بعلة الفشل في تعليم له سياسة إنباتية للتعليم لم تطب ثمار جنيها على النحو المرغوب، لأنه ثمة توافق في الآراء بأن التعليم رفيع المستوى يرفد سوق العمل بالكادر البشري المقتدر والمؤهل الذي يملك مهارات ومعارف حياتية ذات نوعية عالية، مما يحسن الإنتاج، ويزيد الإنتاجية، ويعزز التنافسية الاقتصادية في الأسواق العالمية(الحربي، 2007، 3-7).

إن الحاجة إلى إصلاح وتطوير صناعة السياسات التربوية تكمن في صياغة دور وسائل ومحيط التربية كالبيت والمدرسة والمسجد والمجتمع، ومضامين المناهج من خلال فلسفة التربية في عصر العولمة، والتعلم الذاتي والمستمر وإتقان مهاراتهما وما يتطلبه ذلك من تحديث المناهج ووسائل التعليم والتقويم وتوطين ثقافة التعليم الالكتروني المساند، ومتابعة المستجدات على مستوى التقنيات والاتصالات واستغلالها لتطوير عمليتي التعليم والتعلم، وتطوير مهارات استخدام التقنيات لدى المعلم والمتعلم وتنمية مهارات الاتصال (المادي والثقافي)، وزيادة المصادر العلمية للمواد الدراسية كمًا ونوعًا، والتحضير والاستعداد للتعامل والتفاعل الإيجابي مع المستجدات التقنية والحياتية، وغرس القيم الأخلاقية والاتجاهات الإيجابية لاستغلال التقنية لخدمة الإنسانية(الخطيب، و عبد الحليم، 2009، 1-2).

تشير نتائج الاصلاحات التربوية والتعليمية في المجتمعات العربية في المستقبل لحاجة صياغة سياسات التعليم التحضيري ما قبل المدرسة، وزيادة الوعي الاجتماعي بأهمية الحضانات والمشاتل التعليمية وتوفيرها لمعضم المستويات الاجتماعية والمناطق الجغرافية بالبعد الكمي والنوعي والتوعوي الهادف لتوفير مدخلات تعليمية قادرة على التحصيل التربوي والاكاديمي المستمر عبر المراحل التعليمية المتسلسة والمتكاملة.

تساند المدخلات المجودة على تحقيق مؤشرات التخطيط التربوي الفعال، وتوفير البيئة المناسبة لتوفير عناصر التربوية والتعليمية المدعمة

لفاعلية تنفيذ البرامج والاصلاحات في الادوار المشخصة بالشكل المطلوب، وتعتبر عملية وضع السياسات التربوية من أهم متطلبات التخطيط لتوطين التقنية كونها مرشداً للتفكير والتقدير ، وموجهة للأهداف والوسائل والإجراءات . كما أن رسم السياسات يعني وضع القواعد العامة التي تحكم اتخاذ القرارات في كل شؤون التربية والتعليم وتحكم التصرفات والمواقف والمشاريع وتتحدد السياسة التربوية في ضوء سياسة تربوية جملة من الأمور التي تزيد اهتمام الدولة بتطوير التعليم، والعلاقة الحتمية بين التنمية الشاملة والتربية(باشيوة، 2008، 2).

ولعل من الحقائق التي توصلت إليها عدد من الدراسات أن مردود التطور التقني على معدل النمو الاقتصادي والناتج الفردي للسكان يمثل نسبة كبرى تتراوح بين 50 % في اليابان، و 90 % في الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي جعل عملية نقل التقنية وتطويرها من أهم القضايا الرئيسة التي تتصدى لها في الوقت الحاضر السياسات العلمية والتقنية في الدول النامية والمتقدمة على السواء(الرشيد، 1998، 2).

وبإلقاء نظرة فاحصة على تجارب بعض الدول حديثة التصنيع في آسيا كالصين وكوريا وتايوان وماليزيا وغيرها، نلاحظ أن التفاعل ومرونة الاستجابة ما بين القطاعات قد لعب دوراً حيوياً في تقدمها التقني والصناعي، حيث استطاعت من خلال العناية الفائقة بالتعليم بناء القدرات التقنية الذاتية وتطويرها والانتقال مباشرة إلى اقتصاد المعلومات ومجالات الصناعات عالية التقنية .نقل وتوطين التقنية في السعودية: يعد نقل التقنية المتقدمة واستخدامها في جميع المجالات أحد الأهداف الإستراتيجية لخطط السعودية التنموية، ولقد فرض هذا الوضع بعض الخصائص التي تميز بها اقتصاد(الرشيد، 1998، 2-3).

فمن أهم الأوجه العديدة المختلفة التي ساهمت في الإنجازات الناجحة التي حققتها تلك الدول والتي لها مضامين مباشرة على سياسات ونظم التربية والتعليم، وان تلك الدول لم تعتمد فقط في تطورها على استخدام التقنية بصيغتها الجاهزة من الدول الأكثر تقدماً. فعلى الرغم من استيرادهم المكثف للتقنيات، فإنه قد تم ربطها بجهود ذاتية ضخمة ومتواصلة لتطويع وتحسين التقنيات المستوردة(الرشيد، 1998، بتصرف).

ولاجل اكتساب التكنولوجيا في الوطن العربي الذي يشتمل اكتساب التكنولوجيا إذاً على نقل فاستيعاب (أو توطين) فتوليد هذه التكنولوجيا. ولتحقيق ذلك لا بد من قيام الدول العربية بصياغة سياسة للعلم والتكنولوجيا تحدد فيها أهدافاً واضحة وأولويات مدروسة، والأهم من ذلك وضع استراتيجية وآليات لتنفيذ هذه السياسة. ويجب أن تكون هذه السياسة معتمدة

رسمياً ومعلنة تسعى لتفعيل عناصر منظومة العلم والتكنولوجيا لكل بلد عربي وتؤمن آليات التنسيق بين هذه العناصر أي بين تكوين وتعليم وتدريب الأطر العلمية والتكنولوجية والبحث والتطوير واكتساب التكنولوجيا وتطوير الخدمات التكنولوجية، وهذا سيؤدي إلى تحويل منظومة العلم والتكنولوجيا غير الفعالة في الدول العربية إلى نظام وطني للابتكار أو الإبداع ، وسياسات تطوير المعارف والخبرات وليس فقط المنتجات ووسائل الإنتاج( مرياتي، واخرون ، 1991، 7-9).

يوضح هذا السرد أن عملية صنع السياسة التربوية تتم في إطار تداخل وتفاعل واعتماد متبادل ضمن المكونات الأساسية لأركان الدولة، والبعض من هذه القوى رسمي من خلال الدستور والقانون والبعض الأخر غير رسمي ويعكس مطالب وضغوط الرأي العام ومؤسسات المجتمع المدني(القاسم، 1998، 2-3). ويستند صناع السياسات التربوية إلى منطلقات مرجعية تجسد الفلسفة التربوية الشاملة لأي مجتمع وتركز على عدد من الموجهات الأساسية والتي اشتقت من المصادر الآتية(سليمان، 1998، بتصرف):

أ – **الدين والعقيدة للدولة**: باعتبار أنه ما يؤمن به المجتمع، وهو الاكسجين الذي تتنفس به التربية والتعليم ومنه يشتق الاطار العام للسياسات التربوية والتعليمية.

**ب- دستور الدولة وتشريعاتها:** باعتبار الدستور مصدرا للقوانين والتشريعات المنظمة لشؤون الدولة في كل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، والتي يتم نشرها وتعليمها من خلال المنظومات التتربوية والتعليمية والمساندة لها.

تتطلب نقل وتوطين التقنية مؤسسات تعليمية متطورة قادرة على توفير مخزون كبير من الكفاءات البشرية الخلاقة والمبدعة تستطيع استيعاب الموجود والعمل على ادراك المفقود. لأن إنشاء المؤسسات التعليمية والبحثية وقيامها بأنشطتها، وبناء البنية الأساسية للعلوم والتكنولوجية، وتوطين التقنية لم يتم أبداً بمعزل عن المؤسسات المستفيدة من خدماتها، بل كان هناك ترابط وثيق وتفاعل قوي ومتبادل في مسيرتها التطويرية. ولقد كان لدور الطلب من المؤسسات الإنتاجية والخدمية على منتجات المؤسسات التعليمية والبحثية أهمية في إيجاد ذلك الترابط والتفاعل، إلا أن الدور الأهم والفاعل والناجح في ذلك الترابط هو المبادرات المستمرة للمؤسسات التعليمية والبحثية في تحسس احتياجات المجتمع وتوجيه أنشطتها لتلبية تلك الاحتياجات، هذا التفاعل القوي والمتبادل إيجابياً، ومرونة الاستجابة لاحتياجات القطاع الآخر، كان له مضامين مباشرة على التربية والتعليم، فلابد من التركيز عليها

عند رسم السياسات التعليمية وتنفيذها وصياغة نظم التربية والتعليم(الرشيد، 1998، 4).

إن صناعة السياسة التربوية مرتبطة بظروف المجتمع وما يطرأ عليه من تغيرات سواء كانت داخلية أو خارجية وذلك لأنها مرتبطة بالسياسة العامة للدولة وما يحكمها من توجهات، وتشكل صناعة السياسة التربوية مرحلة متقدمة من العمل في السياسات التعليمية، ذلك أنها تراعي إبعاد ومقومات ومبادئ متعددة عند صياغة وتنفيذ وتخطيط تلك السياسات والتي تسهم في مجال توسيع رؤية صانعي السياسة التربوية(رحمة،1989، 4-5).

**2-مشكلة البحث:** تأتي مشكلة البحث من الشعور بقصور المؤسسات الأكاديمية العربية(وزارة التربية والتعليم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة التكنولوجية والصناعات المعرفية، ..) عن الأداء بمهامها في إرشاد متخذي القرار وصانعي السياسات التربوية والتعليمية بمتطلبات التغيير التي تطلبه المرحلة، وتشخيص العوائق التي تعترض توطين التقنية ، لأجل صناعة مميزة فعالة لسياسات تربوية وتعليمية تتميز بالحداثة تتماشى مع التحول ومتطلبات المرحلة، ومتطلبات عصر المعلومة ومنتجات المعرفة والتي طالت النظم المجتمعية(التربوية والتعليمية، والسياسية والاقتصادية،...). والاشكال العام لحداثة السياسات التربوية والتعليمية بين الخوف والضرورة، وتشخيص واقع المجتمع العربي بين الاشكاليتين. وعلى ذلك يمكن بلورة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

كيف يمكن لصناع السياسات التربوية والتعليمية العربية أن يؤسسوا للتغيير الفعال وفق الاتجاه الحديث للنظم التربوية والتعليمية المناسبة لعناصر توطين التقنية، والمساهمة فيها ؟

**3-أهمية البحث وأهدافه:** تأتي أهمية هذا البحث من السعي لوصف واقع النظم العربية والعوائق التي تعترض سبيله في صناعة السياسات التربوية والتعليمية، وتأسيس البنية التحية لتوطين المعرفة والتقنية، وتشخيص نظم تطوير وتحسين الأداء بها، وزيادة فاعليتها، في استيعاب التكنولوجية الحديثة وتوطين تقنياتها، والاستعداد لإنتاجها مستقبلا. وفي هذا الإطار يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

- رصد مظاهر وأسباب أزمة نظم السياسات التربوية والتعليمية القديمة في الوطن العربي، وإخفاقها في تحقيق توقعات المجتمعات العربية منها.
- تحليل منظومة المفاهيم التربوية والتعليمية التي استندت إليها الاتجاهات الحديثة في السياسات التربوية والتعليمية المتركزة حول

التاسيس للحياة الأمنة والكريمة والاستفادة من الانتاج المعرفي البشري ، والمشاركة فيه بفاعلية وأبرز الانتقادات المنهجية الموجهة إليها في المنتج الذي هو خارج الاطار الاخلاقي والعقائدي للبشرية.

- رصد العلاقة التبادلية بين تحسين أدوات صناعة السياسات التربوية والتعليمية وزيادة فاعليتها، وبين دعم القيادات العليا في اتباع رؤية استراتيجية لامتلاك التكنولوجية ومصادر المعرفة اللازمة لتوطين التقنية ومجالات التفاعل بينها والتربية والتعليم.
- اقتراح مجموعة من الموجهات الإجرائية لتحسين نظم صناعة السياسات التربوية والتعليمية القادرة على زيادة فاعلية الأداء وسرعة التوطين للتقنية في حدود خصوصية السياق المجتمعي والتعليمي العربي ومقوماته.

**4-منهجية البحث وحدوده:** يعتمد البحث في تحليله لمظاهر وأسباب أزمة صناعة السياسات التربوية العالمية المعاصرة، ومنظومة المفاهيم الحاكمة للاتجاه نحو التمركز حول تكنولوجية المعلومات والصناعة التعليمية وتحسين أدائها، ورصد العلاقة بين ذلك التحسين وبين دورها في دعم مرتكزات البيئة المعرفية والتكنولوجية لتوطين التقنية. وتعتمد على بعض المقولات والأبحاث الأكاديمية الحديثة في الموضوع وتحليلها وفق أساليب المنهج التحليلي الوصفي. ويتحدد موضوع البحث من خلال أطره العامة الخاصة بنظم السياسات التربوية والتعليمية، ومستلزمات توطين التقنية في المجتمع العربي، والتجارب العالمية الناجحة. ويوظف البحث المنهج المقارن الذي يبحث في نظم التعليم ويقارن بينهما من أجل وصف وتحليل واقع وآليات عملية صنع السياسات التعليمية، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف لاستفادة من تلك الآليات في تطوير صنع السياسات التعليمية.

**5- مصطلحات البحث الأساسية:**

**صناعة السياسات التربوية والتعلمية(Educational Policy-Making and Learning):** يشكل تحديًا لجميع السياسات والممارسات في مجال التربية والتعليم لاجل تشكيل البيئة التعليمية التربوية التعلمية الآمنة والداعمة والمحفزة وذلك حسب طبيعة ورؤية القيادة، وصناع القرار ، وإدخال التجديد والإسهام الفاعل في صناعة القرار الفعال، والذي ينعكس إيجاباً على تطوير العملية التعليمية – التعلمية من مدخلات وعمليات، وآليات رسم السياسات وصناعة مقومات القرارات المتصلة بالنظام التربوي والتعليمي، و إعادة تشكيل النماذج ومراجعة السياسات والأهداف، وبناء الاستراتيجيات ان استدعت الحاجة والضرورة.

**تـوطين التقنيــة(Localization of Technology):** تـوطين التقنيـة الحديثة كان مقترناً بصورة دائمة بأمر في غاية الأهمية ألا وهو السعي إلى ملاءمة هذه التقنية للظروف البيئية، والقيم والموروثات الحضارية، والعبء الرئيسي في عملية توطين التقنية تقع في المقام الأول على المؤسسات التعليمية والبحثية وكذلك على الشركات والمؤسسات الوطنية ذات العلاقة، لإرساء البنية التحتية لاستراتيجية البحث العلمي والصناعة والتعليم على أساس الربط الإيجابي. وتوطين التقنية هي المفتاح المعرفي للمبتكرين وعامل رئيسي لتحقيق الاكتفاء الذاتي وهي من أهم صفات الأمم المتقدمة. توطين التقنية هي العملية التي يتم من خلالها تنمية القدرات الذاتية للتعامل الفني مع الأجهزة والمعدات الحديثة وعمل التعديلات اللازمة عليها لتلائم طبيعة البيئة المحلية والمجتمع وظروفها.

**الحداثــة فــي السياســات التربويــة والتعليميــة( Modernity in Educational Policies):** يعني بها قيام صانعي السياسات التربوية والتعليمية باتباع سياسة الابتكار والتحديث في اعداد السياسات وصياغتها في المضمون والشكل، وهو مؤشر يعبر عن مدى متانة وجودة مضمون السياسات التربوية والتعليمية، وهي ضرورة لتجديد قوة تحقيق الرسالة والاهداف من خلال البرامج التربوية والتعليمية.

**السياسات التربويـة التعليميـة وتـوطين التقنيـة( Educational Policies and Localization of Technology):** هي مجموعة مبادئ وأنظمة، تضعها القيادات التربوية ,التعليمية، لتحدد وترسم مسار الأجهزة التعليمية وطرق عملها في مختلف مراحل التعليم وأنواعه والسياسة التعليمية في توطين التقنية لها مستويات متدرجة تعكس أهميتها ومداها وتبسط آثارها على التعليم بكامله وترتبط بما تصنعه السياسات بمتطلبات التوطين للتقنية ومنتجات المعرفة عبر خطط تنفيذ البرامج ومدى اتفاقها مع الرسالة والاهداف التي تعبر عن رؤية القيادة في توطين المعرفة والتقنية والمشاركة في استهلاكها وانتاجها من بعد. فالسياسة التعليمية إذاً تشكل جميع القواعد والمبادئ والأنظمة التي تضعها الدولة، لتوجيه التعليم وتنظيمه، ليصب في خدمة الوطن ومصلحة المواطنين. إنها تحدد إطار التعليم العام، وفلسفته وأهدافه بمراحله وتنوعاته .إنها بوصلة السفينة، فهي التي تعطي المسيرة التعليمية مسارها الصحيح وتحدد اتجاهاتها المطلوبة حسب الأهداف المرسومة مسبقاً (عبد اللطيف، 2009).

**الفلسفة التربويـة والتكنولوجيـة( Educational Philosophy and Technology):** هي مجموعة من المرتكزات والمبادئ التي يطورها المجتمع من خلال خبراته الحضارية المتراكمة، والفلسفة التربوية هي بعد

من أبعاد الفلسفة العامة للمجتمع والتي تختص بضبط مسيرته التربوية وتوجيهها. وفلسفة التربية والتكنولوجية هي امتداد عضوي وظيفي لفلسفة التربية والتعليم في المجتمع في نظرته إلى الإنسان والكون والحياة، والتربية والتعليم وتوفير متطلبات التنمية والصناعة وكل ماله علاقة بالتكنولوجية. ولذلك ففلسفة التربية هي غاية في الأهمية لأنها تحدد السياسات التربوية وتحدد أهدافها وبيئة النظام التعليمي والتربوي، وتوطين التقنية تحتاج الى كل من عنصر التربية والتعليم والتكنولوجية (التل، 1998، بتصرف).

**الدراسات السابقة:**

شخص حارب في دراسته بعنوان: **"التعليم العالي وتحديات التنمية الإجتماعية"**، التفكير بالمستقبل يأخذ اليوم صورة جديدة تحمل من الخوف والتردد أكثر مما تحمل من البشائر والآمال، ومدى تأثيره في هذا المستقبل وأدوات هذا التغير والتوقعات المؤمَّلة من ذل، ولعل من أبرزها محدودية الامكانات الطبيعية، وأبرز التقدم العلمي الذي وصل اليه الانسان مدى ما يمكن للبشريه ان تستفيده من المعطيات العلمية والتقنية، تجاوز المشكلات كل المعوقات والحدود عابرة القارات والبحار لتصل الى اقصى اطراف العالم، والاعتماد المتبادل بين البشر يعد احدى سمات عصرنا.

إن التفكير والعمل لأي المنطقة في ظل المتغيرات المعاصره واستشراف مستقبلها لابد وان ينطلق من محور اساسي وهو "التنمية" ، اذ من خلالها نستطيع رسم وتحديد ملامح المستقبل، فلم تعد التنمية هدفا- للترف - او هدفا تكميليا او تحسينيا كما كان ينظر اليه في السابق، بل اصبحت التنمية هدفا مصيريا تستطيع من خلاله الدول والشعوب أن تحقق لها - في اقل الاحوال - مستوى من الحياة تستطيع من خلاله ان تساير او تلحق بركب التقدم العلمي الذي وصلت الدولة المتقدمة ولايمكن أن يتم ذلك إلإ من خلال التعليم، فالتنمية بلا تعليم كالحرث في البحر، والتعليم الذي لا يحقق التنمية انما يرسخ التخلف بصورة مستحدثه.

يحتلّ التعليم العالي مكاناً بارزاً في التنمية الإجتماعية بل التنمية الشاملة، ولا يمكن صياغة الإنسان وإعداده إلا من خلال برامج و خطط تعليمية و تربوية تتناسب مع متطلبات التنمية علمياً و فكرياً و مهنياً بحيث يكون الإنسان مهيّئاً للقيام بالدور المطلوب منه في ذلك . وتعتمد الدول في دراساتها المسبقة لمشروعات التنمية الشاملة على دراسة الواقع التعليمي ، ومدى تأثيره على هذه المشروعات سواء كانت في مجالات التنمية المختلفة مما يعد فروعاً للتنمية الاساسية وهي التنمية البشرية.

وقد عُني الباحثون و الدارسون للتنمية بالتعليم العالي و أهدافه و أسسه و مخرجاته التي تقوم عليها برامج التنمية ، فبمقدار ما تتم صياغة فلسفة التعليم العام و العالي وسياساته وأهدافه وبرامجه صياغة جيدة تراعي احتياجات المستقبل من القوى العاملة المؤهّلة و المدرّبة لتحقيق برامج ، تتم الاستفادة من نتائجه بصورة إيجابية و جيدة، أما إذا وُضعت هذه الأهداف و البرامج التعليمية دون مراعاة لحاجة المجتمع و توقعاته المستقبلية فإن ذلك يؤخّر مسيرة برامج التنمية، والمشاركة الفعالة في تحقيق التنمية الشاملة، بما يقتضي ضرورة إعادة النظر في فلسفات التعليم العالي وأهدافه وممارساته، وإدخال تعديلات جوهرية على مختلف عناصره إذ ما أريد له أن يلعب أدواراً أكثر فعالية في تحقيق التنمية العربية. ولذا فإن صياغة العقلية العربية القابلة لمفهوم التنمية من خلال التخطيط وإعداد البرامج والخطط طويلة الأمد، وربط التعليم بذلك يمكن أن يحق الهدف التنموي المقصود من التعليم لأن معظم خريجي مؤسسات التعليم العالي هم من خريجي التخصصات النظرية، ومع أهمية هذه التخصصات إلا أن الحاجة الأكبر هي للتخصصات العلمية والتطبيقية وهي اهم ركائز تحديث صناعة السياسات التربوية وتوطين التقنية(حارب، 2009، بتصرف).

يؤسس الباحث المالكي في كتابه "**المغرب التربوي - قضايا ووجوه**" لرؤية يؤطرها الأمل والعقلانية في مشاغل المسؤولية لتحديث المغرب ومورده البشري من داخل المنظومة التربوية، حرص فيه على هدم التصورات النقدية من زاوية سكونية. يقدم الباحث الحداثة كسؤال متعدد الأبعاد، تختمر قضاياه ألإشكالية في المستقبل ولا تستكين في حساب الماضي، يستعرض أيضا بالتحليل وتنوع المقاربات، مفهوم الإصلاح كحوار نقدي يتغيا تحريك التغيير من الداخل، وليس استعراضا لما هو استكراهي.

لم يغفل الباحث مسألة الهوية في تعاطيها التربوي والتنموي مع التحولات الكونية بما يبقيها أثرا للذات في الزمن، وحيوية لمقياس مستويات التأثير والتأثر في صيرورة دائمة للأحداث المجتمعية، ومع رفضه الانحباس في التدبير "داخل الفردانية" بل يبدو كهرم معرفي وبلغة مفهومية، يغري بالتوجه الجماعي نحو التحققات المعرفية والسياسية في المقاربة التنموية تربويا ومجتمعيا.

يعكس الحاجة الملحة إلى الحداثة لاستشراف أفق التنمية الشاملة ضمن التنافسية العلمية لنظام العولمة. إن الحرية في "المغرب التربوي" ليست تحررا من الاستبداد والانغلاق فقط، بل انخراط في المؤسسات المتحكمة في العالم كخطاب العولمة مثلا، وتفكيك مصادر الحقيقة وأنظمة

المعنى بهدف التوصل نهائيا لإعادة صياغة مشروعية التغيير والتحديث والتنمية المجتمعية من جديد(المالكي، 2007، بتصرف).

يشير الباحث شيلي دى شوشمت، في دراسته بعنوان: **"تأثيرات التعليم و الحداثة على المجتمع العربي المسلم"**، ان المنطقة العربية تعيش في زمن التغيرات السريعة خلف ستار العولمة المتزايدة. النجاح في مواجهة التحديات سيعتمد على القدرة على التشكيل والتكيف مع المطالب الاقتصادية والسياسية الجديدة. من الواضح أن التغييرات التي يجب حدوثها في المجتمع العربي ستواصل في دمج سياسات التعليم الفردي في ديناميكية التفكير الجماعي، والعمل بالحداثة في كل المستويات مع ربط الاولويات والتناغم التكاملي.

يجب على المجتمع العربي أن يتقدم نحو المستقبل مساعداً الأفراد في كسب (المعرفة الأرضية) والمهارات التي تسمح بتنمية حقوق الفرد و الحريات أثناء تحويل المهارات والمعرفة إلى المجتمع الجماعي. وقد تحتاج استراتجيات المعرفة الفاعلة إلى تغيير سلوكي يشمل تخطى الالتزامات العريضة على جميع مستويات المجتمع و التي تشجع على الإبداع و الفردية و الاستقلال والحرية .

إن الفجوة التي بين أجيال الكبار و أجيال الشباب العرب يجب أن تسد بالتفهم و الاتصال. و لكي تتقدم الأسر العربية نحو المستقبل العولمى يجب أن تجد وسيلة لتمنح أطفالها الجذور و الأجنحة لتطير. فعندما يسرع معدل التغيير من الإمكانات التي يمكن للناس التعامل معها بأريحية. ويجب على المجتمع العربي أن يبادر بتنفيذ التغيرات التي يحتاجها المجتمع ؛ فالتحولات و التغيرات يجب أن تأتى من المجتمع و أن يقودها العرب و لايجب أن تفرض بتأثيرات خارجية بل يجب أن تستند على القيم العربية(شيلي دى شوشمت،2007، بتصرف).

لخص نصار في كتابه بعنوان: **"قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة"**، أن مؤشرات نسق القيم في نظم التعليم العربية تسير وفق مشاهد ثلاثة: تتلخص في استمرار حالة الخلل في القيم العربية عموماً، حيث تختفي من مفاهيم التعليم القيم المتعلقة بالعروبة والوحدة والقومية، أو بلورة تفسير عربي للقيم في مواجهة التفسير العالمي للتوفيق والمواءمة بينهما، وخلق نموذج للمواطن العربي. ثم يبين أن قدرة التعليم العربي على بناء نسق قيم يعكس الشخصية القومية العربية والثقافة الذاتية العربية رهن بقدرتها على تجديد هياكلها، وبناء قدرتها على المبادرة، وقيادة التغيير القيمي في المجتمع.

يراجع الباحث الحاجة الى تحديث السياسات التربوية والتعليمية الى

ما ترسخ في الفكر والممارسات التربوية من رواسب الماضي وتقاليده، والحرص على التجدد والتنوع في النظريات والمفاهيم التي يناقشها الفكر التربوي من منظور حداثي، والتطور السريع للانتاج المعرفي، والحاجة الى تعلم الحكمة ونقل الموروث الحضاري(نصار، 2005، بتصرف).

تحدث صائغ في بحثه بعنوان: **"تربية العولمة وعولمة التربية: رؤي استراتيجية تربوية في زمن العولمة"**. عن علاقة العولمة بالتربية من خلال بعدي تربية العولمة و عولمة التربية بوصفهما بعدين لكل واحد. يركز الأول على قدرة التربية للاستجابة لتحديات العولمة السياسية والاقتصادية والتقنية والحضارية التي تواجهها الأمة العربية ، بينما يركز البعد الثاني على قدرة استيعاب التربية لمفاهيم واتجاهات العولمة وتوظيفها لبناء نظام تربوي متطور يمتلك مقومات المرونة والمنافسة على الساحة الدولية. وقدم إطاراً إجرائياً تتحدد فيه أهم الملامح الأساسية لتربية المستقبل القادرة للاستجابة لتحديات العولمة الداخلية والخارجية التي تواجهها الأنظمة التربوية العربية. وتتضمنت رؤيته على ستة عناصر رئيسة هي : التربية الخلقية ، التربية الشورية (الديموقراطية) ، التربية التنموية ، التربية التقنية ، التربية البيئية، وتربية السلام والتعايش مع الآخرين تمثل في مجملها منظومة متكاملة لتحقيق "المواطنة" ببعديها المحلي والعالمي، والقادرة على الإسهام في تحقيق "العولمة المتزنة".

واشار الى ان التقنية الحديثة كانت دائمة مقترنة بالسعي إلى ملاءمة هذه التقنية للظروف البيئية، ولهذا فلابد أن تجري عمليات التنمية مع الأخذ في الاعتبار توافر القدرات التنافسية وإمكانية الدخول إلى الأسواق العالمية، وتحقيق السبق من خلال التجديد والإبداع والارتقاء بجودة المنتجات، وهو الأمر الذي يتطلب توافر قدرات علمية وتقنية خلاقة ومبدعة قادرة على مواجهة تلك التحديات والتعامل معها بكل إيجابية وفعالية وكفاءة، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توفر شريحتين هما: - القوى البشرية العلمية الرفيعة المستوى القادرة على إيجاد التقنية من خلال تأدية دورها وإبراز إمكاناتها في مجال البحث العلمي والتقني. - القوى البشرية الفنية المؤهلة لاستخدام التقنية والتعامل معها بقدرة من خلال استيعابها الكامل لها، وهذا ما يقود إلى ضرورة تضمين الخطط التنموية بما يؤدي إلى توافر المكونات القادرة على إيجاد التقنية واستخدامها من بحث علمي وبحث تقني وعناصر استخدام التقنية في مجال الإنتاج، وما يترتب عليه من بروز ومواجهة المشكلات التي يسعى البحث العلمي إلى حلها. (صايغ، 2004، 1).

واشار كل من الطعامنة، والعلوش في كتاب بعنوان: **"الحكومة الإلكترونية وتطبيقاتها في الوطن العربي"**، ان هناك 6 متطلبات لنجاح

الحكومة الإلكترونية استخدام الإنترنت في العمليات الإنتاجية، والذي يوفر للحكومة 20% من الكلفة ويزيد الدخل 30%، وباعتبار الحكومة الالكترونية هي منتجات التقنيات المعرفية وان توطينها، وأن من بين الأسباب التي دفعت الدول المتقدمة لدخول عالم الاتصالات الإلكترونية وتقنية المعلومات، هي ذاتها التي دفعت الدول العربية لذلك الأمر.

إلا أن العديد من المقدمات الراهنة والماضية أدت إلى حدوث فجوة واسعة بين الدول المتقدمة والدول العربية من أهمها كثرة التغيرات التنظيمية والإدارية التي تحدث نتيجة للأحداث السياسية والاجتماعية وضعف الوعي بمؤثرات المعلوماتية على فاعلية القرارات الاستراتيجية، ونقص المؤهلات والخبرات اللازمة لتشغيل وصيانة تقنية المعلومات، ومحدودية الاستثمارات في مجال المعلوماتية، وتدني مستوى المنافسة بين المنظمات المتناظرة، وضعف حرية البلدان العربية نحو امتلاك بدائل وموارد لاختيار خطواتها المقبلة في مجال تقنية المعلومات.

ويشير الباحثان الى ضرورة تطوير السياسات التربوية المتعلقة بمناهج وبرامج التعليم الالكتروني وتكنولوجيات المعلومات والحاسوب والمواد التعليمية المرتبطة بها وخاصة على مستوى التعليم العالي وسياسات البحث العلمي باعتبارهم المراكز التي تنتج الطاقة البشرية والمعرفية لادارة هذا النوع من التقنية ولتوفير الادارة المرئية الفعالة وترشيد الوقت والامكانيات(الطعامنة، والعلوش، 2004، بتصرف).

يشير مرياتي في بحثه بعنوان: **"نحو اكتساب التكنولوجيا في الوطن العربي مع تغيرات بداية القرن الحادي والعشرين"**، الى ان العالم أكثر مما مضى نحو الاقتصاد المبني على المعرفة، وتشكل التكنولوجيا أحد عناصر المعرفة الأكثر التصاقاً بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية. ويشهد العالم حالياً تغيرات جذرية في سوق التكنولوجيا، مثل تعاظم أهمية المدخلات التكنولوجية في عمليات الإنتاج والخدمات، ومثل التوجه نحو تركيز توليد التكنولوجيا لدى القليل من الدول والشركات عن طريق الاندماج وحماية حقوق الملكية الفكرية، ومثل زيادة قيمة الأصول المعرفية على حساب قيمة المواد الأولية في معظم السلع، وبزوغ عدد من التكنولوجيات اللبية أو الجوهرية وهي ذات كمون ربحي هائل كتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا الحيوية والمواد الجديدة والفضاء وغيرها.

من جهة أخرى يشهد العالم تغيرات في إدارة التكنولوجيا من حيث توليدها ونقلها واستيعابها. وتعنى الدول أكثر مما مضى بوضع سياساتها التكنولوجية وفي آليات تنفيذ هذه السياسات. أما توليد التكنولوجيا فيتم من خلال البحث والتطوير وتدل المؤشرات على أن عشرة دول كبرى تستحوذ

على 95% من براءات الاختراع المسجلة في الولايات المتحدة وهي تصرف 84% من مجموع ما يصرف على البحث والتطوير في العالم ككل، كما تحصد 91% من عائدات بيع التكنولوجيا غير المجسدة. ومن التغيرات في هذا المقام بزوغ بعض الدول النامية كمنابع لتوليد التكنولوجيا مثل كوريا وتايوان وجنوب أفريقيا والمكسيك والبرازيل والأرجنتين وفنزويلا وغيرها.

أما نقل التكنولوجيا فيشهد تغيرات أساسية في طبيعة التكنولوجيا المنقولة وفي أنماط النقل وطرقه، حيث يتجه المصدرون إلى الإقلال من نمط النقل مع إطلاق اليد، والتوجه نحو "النقل" من خلال الاستثمار المباشر. وهذه الأنماط من النقل تقلل من فرص العالم النامي في اكتساب التكنولوجيا حقيقة، كما تقلل من جدوى وعائدات نقل وسائل وفعاليات الإنتاج.

إن الدول العربية تتجه مؤخراً نحو تبني سياسات واستراتيجيات للعلم والتكنولوجيا، وهي تشعر أكثر من السابق أنها لم تعط موضوع اكتساب التكنولوجيا حقه، وهي الآن أكثر اهتماماً بدور التكنولوجيا في حل مشاكلها الأساسية مع بداية القرن 21 مثل تنويع الاقتصاد الوطني، ورفع الإنتاجية والقدرة التنافسية، ومسائل الطاقة والمياه، ومسائل البطالة في صفوف الشباب وتأمين فرص العمل الحقيقية لهم، ومسائل الامتلاك الحقيقي لوسائل ومعارف الدفاع والأمن. كما يستدعي هذا إجراء تغيرات في منظومة العلم والتقنية العربية بمركباتها التعليمية والبحثية ونقل التكنولوجيا والخدمات والإعلام بهدف الانتقال بها إلى نظام وطني للابتكار قادر على استيعاب التكنولوجيا ومن ثم توليدها عربياً(مرياني، 1999، 1-2).

ألمح الرشيد في دراسته بعنوان: **"توطين التقنية السبيل الأمثل للنماء"** الى ان التقنية افرزت من منتجاتها الكثير مما يساعد على تجديد المناهج وتحديث أساليب اكتساب المعارف والمهارات مثل الحواسيب وبرامجها التعليمية، وهذه التقنيات والوسائل التعليمية المتعددة التي لا يتسع المجال لعرضها تبرز لنا بصورة مباشرة وكبيرة أثر التقنية المباشر على التربية والتعليم ودور التقنية الحاسم بالمساهمة في تطوير المناهج وأساليب التعليم وبما يحقق أهداف العملية التربوية وغاياتها. إن دينامية العصر وتحدياته الكبرى لا تتيح لنا الركون لحظة إذا أردنا أن نواكب السبق أو نجد موقعاً فيه، وتمثل تحديث السياسات المفتاح السحري لمواكبة سرعة الانتاج المعرفي وتوطين تقنياته(الرشيد، 1998، بتصرف).

أشار أمين، في بحثه بعنوان: **"إشكاليات توطين التقانة في الوطن العربي"**، في الإجتماع الأول للمنظومة العربية لتبادل المعلومات التكنولوجية الى مستلزمات التقانة وأساليب نقلها وتطويرها والمتمثل في القوى البشرية العلمية المؤهلة لتطويع وتطوير التقانة بالإضافة إلى المؤسسات التعليمية

والبحيثة وبيوت الخبرة والمؤسسات الإنتاجية ذات المستوى المتطور والوعي التنافسي. ويرجع هذا الى غياب سياسات تعليمية تقدر على انتاج العدد الكافي من الاطارات والقيادات الفكرية، او ايجاد مناخ وبيئة فكرية وعملية وعلمية لهم في الاوطان العربية ووقف النزيف الحاد للادمغة العربية، ولاجل التقليل من هذه المشاكل شجع الباحث النقل عبر المكاتب الإستشارية والنقل عبر عمليات التدريب وتبادل الخبراء وعبر الدارسين والباحثين وعبر المعارض الدولية والمطبوعات العلمية والمتخصصة والنقل عبر المعدات والماكينات وعبر الخدمات التقنية وأسلوب كيفية المعرفة.

شخص الباحث بعض إشكاليات توطين التقانة والتي تمثلت في حالة التجزئة التي يعيشها الوطن العربي وضيق السوق العربي للتقانة وإفتقار الدول العربية إلى المؤسسات البحثية بالمعنى المعاصر والمؤسسات التي تعمل في مجال التقييم والتنبؤ والإستطلاع بالإضافة إلى إنتشار الأمية التقانية وهجرة الأدمغة العربية ومشكلة التلوث البيئي ومشكلة عدم الإلمام الكافي بتفكيك الحزمة التقانية من اجل إكتساب المقدرة على إعادة تركيبها وتطويرها والقيود التعسفية والشروط التقييدية لعقود التقانة المنقولة والسرعة الهائلة في التطورات التقنية الدولية وإحتكار بعض الدول الصناعية من خلال شركاتها الوطنية للسوق الدولية للتقانة، بالإضافة إلى حظر الدول المتقدمة تصدير بعض التقانات لدول العالم الثالث ومنها التقانة الحيوية والهندسة الوراثية وتقانة الفضاء والليزر والمواد التركيبية(أمين، 1996، بتصرف).

**نماذج التجارب العالمية في صناعة لسياسات التربوية والتعليمية:** الاحتكاك بالعالم والتعلم أمران أساسيان، ومن المعروف أن التجارب ونتائجها لا تقلد، ولا تستورد حرفيا، فالذي ينبغي عمله هو استيعاب الروح الفكرية، والأخلاقية، والعلمية التي كانت ركيزة لها، ولأن دراسة تجارب بعض الدول يمكن أن يساعد بلداننا على تكوين تصورات لكيفية صنع الافكار الاساسية وانتخاب النخبة منها للمساندة والاسترشاد بها، وهكذا فإنه لا بد من التفتح العملي أيضا على هذه التجارب للتعرف على خصائصها، والآليات المستخدمة لتحقيق الإنجازات النوعية التي جعلتها تقفز بعيدا عن التخلف، ومكنتها من الدخول إلى فضاء التقدم في فترة زمنية محددة

**1- نموذج تجارب تحديث السياسات التربوية في دول مجلس التعاون الخليجي:** لقد أدركت دول مجلس التعاون الخليجي أن الإنسان هو مفتاح النهضة الحديثة التي يتطلع المجتمع إلى تحقيقها فهو الغاية وهو الوسيلة لذلك ركزت الخطط التنموية على تطوير القوى البشرية في إطار المحافظة على القيم العربية والإسلامية وكانت فعالية الإنسان في عملية التنمية هي الهدف الأعلى للسياسة التعليمية الخليجية لذا فأن دول الخليج تحرص على تحسين

تفاعل نظام التعليم مع احتياجات خطط التنمية، فالغايات المرسومة للسياسات التعليمية الخليجية.

تسعى دول مجلس التعاون الخليجي إلى تحقيق مؤشرات تبدأ بتأسيس مبدأ ديمقراطية الفرص التعليمية لجميع المواطنين، والدولة في مجلس التعاون الخليجي تقرر مسؤولية المجتمع كله عن توفير فرص التربية للأفراد ولكنها تعطي نفسها حق تمثيل المجتمع في تنفيذ السياسة التربوية وبهذا تكون واضعة هذه السياسة وتنفذها على أن التعليم حق للمواطن وحق لكل العاملين في الدولة من العرب الذين ساهموا في بناء نهضتها.

تعتمد دول مجلس التعاون الخليجي مبدأ أن الدولة مسئولة اجتماعيا عن تكوين المواطن حضاريا وثقافيا وفق مضامين الفكر الإنساني والتقدم التقني، والسعي إلى توصيل العلم والمعرفة إلى حيث يقيم المواطن، والتفاعل مع القطاع الاقتصادي وذلك عن طريق تحسين تفاعل النظام التربوي مع احتياجات خطط التنمية(مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (2003، بتصرف).

استجابت دول مجلس التعاون الخليجي لزيادة الطلب الاجتماعي على التربية مما ينتج عنه توجيه الطلاب نحو التخصصات المطلوبة، وعملت على تحقيق التوازن بين الجانب الكمي والجانب النوعي في التعليم يبدأ بمرحلة رياض الأطفال فالمرحلة الابتدائية فالمرحلة الثانوية. بالإضافة إلى بذل جهود جادة في سبيل القضاء على الأمية، وتوسيع فرص الالتحاق بالتعليم الفني والتقني الذي ما يزال اقل من المستوى، والمساهمة في نقل التراث الثقافي والمحافظة عليه وتجديده وتنمية الإحساس الجمالي عند الطلاب وتأهيلهم لتذوق روائع الثقافة في مختلف صورها وإتاحة الفرصة أمام كل فرد لكي يشارك في الحياة الثقافية.

كما بحث مكتب التربية العربي لدول الخليج في خططه سير العمل في تنفيذ برامج الخطة المشتركة لتطوير مناهج التعليم في ضوء قرارات المجلس الأعلى لقادة دول الخليج التي تشمل العديد من الموضوعات، مثل سير العمل في تنفيذ برنامج تطوير وتحديث منهجي الرياضيات والعلوم، مع العمل الجاد لبناء الخطط المناسبة لتطوير التعليم بالدول الأعضاء، وتحقيق التوحيد والتنسيق والتكامل إلى جانب الاستفادة من التجديدات التربوية العالمية. ولاجل اضهار الحاجة الى التحديث السياسات والتوطين للتقنية نتطرق الى نموذج المملكة العربية السعودية باعتبارها دولة لها الارادة والامكانيات والقدرة على تنفيذ رؤيتها.

**نموذج تجربة المملكة العربية السعودية:** تتميز فلسفتها خاصة في صياغة أهداف التعليم التربوي تهتم بالتراث ومبادئ الشريعة الإسلامية ومرتكزاتها

الأساسية وتنفرد المملكة العربية السعودية بوجود نصوص واضحة في أهداف الجامعات لإعداد أجيال تعمل على مبادئ الإسلام وتسعى إلى خدمة أهداف المملكة ودورها في بناء الحضارة الإنسانية البعيدة عن الإلحاد والجنوح المادي.

وقد حددت السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية الرؤية والرسالة والأهداف لإنماء الولاء لله سبحانه وتعالى وتزويد الطالب بالتربية الإسلامية التي تجعله يشعر بمسؤوليته أمام الله ويضع كل طاقاته في المثمر والمفيد من الأعمال، وإعداد مواطنين قادرين ومؤهلين على أداء واجباتهم في خدمة وطنهم دفعا" به إلى التقدم والرقي في ضوء مبادئ الإسلام الحكيمة ومثالياته. بالإضافة إلى تهيئة الفرصة أمام الموهوبين من الطلاب لمواصلة تعليمهم العالي في كل ميادين التخصص الأكاديمي.

وتوصلت دراسة البراهيم إلى أن السياسة التعليمية في المملكة تحافظ على الهوية الإسلامية مع تحقيقها إنجازات في التنمية البشرية, بالإضافة إلى وجود فجوة بين السياسات والأهداف من جهة والممارسات التطبيقية من جهة أخرى, وعدم تفعيل بعض بنود الوثيقة، وضعف الاهتمام بالسياسات والاستراتيجيات المسهلة لتطوير العمل وتحقيق فعاليته, كما أن أهداف السياسة التعليمية واسعة وغير محددة مما يعيق تحولها إلى برامج ومشروعات بالإضافة إلى غياب رؤية متكاملة للعملية التعليمية, بالإضافة إلى جمود السياسة التعليمية وعدم خضوعها للتطوير والتحليل الدوري. ثم قدمت الباحثة بعض المقترحات لتطوير عملية تحليل السياسة التعليمية في المملكة منها تبني رؤية مستقبلية للنظام التعليمي في المملكة, وضرورة إعادة صياغة السياسة التعليمية الحالية بما يتلاءم مع متطلبات العصر واحتياجات المجتمع مع الحفاظ على ثوابت الوثيقة, وتبني المرجعية المؤسسية والتحليل الدوري للسياسة التعليمية في المملكة.

ويتضح اتفاق الدراسات على أنه لا يوجد بند أو سياسة صريحة وواضحة تدعو إلى تقويم ومراجعة السياسة التعليمية كل فترة من الزمن أو إذا اقتضت الحاجة لذلك. كما أن هذا التقويم لم يتم على أرض الواقع منذ صدور الوثيقة منذ أكثر من 34 عامًا حتى اليوم للتأكد من قدرتها على تلبية حاجات المجتمع السعودي وعلى مواكبة التطورات العالمية والسياسات التربوية الناجحة(البراهيم, 2007، بتصرف).

تهدف أيضا للقيام بدور ايجابي في ميدان البحث الذي يكرس في مجال الفنون والآداب والعلوم والابتكارات وإيجاد حلول حكيمة لمتطلبات الحياة والاتجاهات التقنية في المجتمع، وتنمية التأليف الذي يسخر لخدمة العلم لإظهار الفكر الإسلامي وتمكين المملكة من أداء دورها القيادي في بناء

الحضارة الإنسانية القائمة على المبادئ السامية للإسلام التي تهدي الجنس البشري إلى الحق وتنقذ الإنسانية من أي جنوح مادي أو الحادي.

وقد بذلت المملكة العربية السعودية كثيرا من الجهود لتأكيد الوطنية في نفوس الطلاب فنجد المناهج التعليمية مليئة بما يبعث روح الوطنية فمثلاً مقررات التاريخ التي تبدأ من الصف الرابع الابتدائي تعطى الطالب "تاريخ مجتمعه ومواقف قادته الإصلاحية والبطولية, ويحاول أن يتمثل هؤلاء العظام في تاريخ مجتمعة, وبالتالي تنمو الرغبة في أن يكون مواطنا صالحا" (السيف، 1418هـ، 69).

وتوصلت دراسة المنقاش إلى أن وثيقة سياسة التعليم في المملكة وُضعت قبل أكثر من أربعة وثلاثين عامًا، ولم يجرِ عليها أي تعديل أو تطوير لتلبي التغيرات والتحديات التي طرأت على المجتمع السعودي وعلى العالم أجمع خاصة في مجال التعليم, ولم تتوافق سياسة التعليم السعودية من ناحية المضمون تمامًا مع المعايير الدولية والتوجهات العامة للسياسات التعليمية، فهناك ما يلزم إضافته والتأكيد عليه.

قدمت الباحثة بعض المقترحات التي تفيد في تعديل هذه الوثيقة لتتواءم مع المعايير الدولية والتوجهات العامة للسياسات التعليمية، منها الحفاظ على الفلسفة التربوية التي يقوم عليها النظام التعليمي في المملكة وإعادة صياغة بعض البنود, وتجزئة الأهداف العامة والشاملة إلى أهداف فرعية تشرح الهدف الرئيس بطريقة إجرائية, والتقويم والتعديل المستمران للسياسة التعليمية والنظر في مدى تفاعلها مع المشاكل والقضايا المستجدة, والتأكيد في الوثيقة على الاهتمام بجودة التعليم وفقًا للمعايير الحديثة, واستخدام الأساليب العلمية المقننة التي تضمن تحويل أهداف وثيقة سياسة التعليم إلى واقع وسلوك, ووضع برامج تنفيذ ومتابعة ومحاسبية مستمرة للتأكد من مدى تطبيقها وممارستها (المنقاش, 2006، 381 – 440).

ان المتتبع للسياسات التعليمية والتقنية في المملكة يلاحظ المحاولات الجادة على تجويد المنظومة التربوية وتوطين التقنية ولعل افتتاح جامعة المللك عبد الله للعلوم والتكنولوجية للعلوم والتقنية والمدن الصناعية المنتشرة في كل مناطق المملكة لهي خير دليل على وضوح الرؤية للحداثة في السياسات التربوية والتعليمية وبكل السياسات ذات العلاقة بها وخاصة الصناعة والتكنولوجية.

**نموذج تجارب دول الشرق الأوسط العربي:** حاولت هذه الدول بمسايرة التغييرات العميقة، وربط التعليم الجامعي بالاهتمامات والحاجات اليومية للمواطنين وبدرجات متفاوتة فيما بينها من خلال إعادة النظر في سياسات التعليم التربوي والتعليمي بشكل كلي بحيث يتوافق مع كيفية توفير مخرجات

ملائمة لسوق العمل، والتأكيد على تطوير أداء التعليم الجامعي ووضع مؤشرات للأداء، بغية ضمان الجودة والتطوير المستمر لنظم التعليم التربوي وسياساتها والفلسفة القائمة عليها وإعادة صياغة أهدافها بما يتلائم مع التطورات المتسارعة وإشراك القدر الكافي من أصحاب القرار والخبرة وذوي الصلة في صياغة وصناعة تلك السياسات والأهداف، مع استخدام التكنولوجيا في بناء الأساليب الإدارية المستخدمة في الإدارة التربوية لتفعيل عاملي الوقت والمكان وتدريب العاملين بها على استخدامها بكفاءة وفعالية (السيد، 2002، 93).

وهناك اختلاف يظهر للعيان في التوجه العام لصناع هذه السياسات، فترى في مصر والسودان اعتبار التعليم العالي استثمار اجتماعي، وبدرجة اقل في الاردن ولبنان استثمار تجاري، وفي سوريا استثمار اجتماعي اقتصادي، وفي العراق ونظرا للظروف التي تمر بها فهي تعتمد منهج الامن القومي، ويرجع الباحث ذلك الى الامكانيات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول. ويشخص التل التحديث في صناعة السياسات التربوية والتعليمية في بعض هذه الدول في ضوء المحاور الأربعة :

**1-سياسات التوسع في التعليم**: باعتبار أن التعليم مفتاح الحراك الاجتماعي، والفرصة الاقتصادية، والرفاهية، وتلبية حاجات الاقتصاد المتقدم، وتوفير مقومات عملية تحديث المجتمع.

**2-سياسات تحديث نظم وأساليب الدراسة الجامعية**: أثرت تكنولوجيا المعلومات والحاسب الآلي بشكل جذري على نظم وأساليب التدريس الجامعي مما دفع الجامعات إلى مساعدة الطلاب على اكتساب مهارات التعلم وخاصة أساليب التعلم الذاتي ، واهتمت بالتنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس لتحسين فعالية وكفاية الطالب والجامعة.

**3-سياسات توجيه البحث العلمي بالجامعات لخدمة المجتمع** : في ضوء التغيرات والتحولات العالمية تبذل الجامعات محاولات عديدة لربط البحث العلمي بقضايا المجتمع باعتبارها مؤسسات تساعد في عملية صنع القرارات، وتحليل السياسات ، وتكوين اتجاهات لدى الطلاب والباحثين نحو البحث والقدرة على حل المشكلات باستخدام المعرفة المتاحة والقدرة على التعلم الذاتي وغيرها.

**4-سياسات الاتجاه إلى جودة التعليم التربوي**: تبني الاتجاه بضرورة تقويم أداء الجامعات ووضع نظم للاعتماد لتحقيق الجودة والفاعلية في النظام الجامعي( التل، 1998، بتصرف).

ولا يمكن تصور سياسات التعليم في هذه الدول إلا وهي مرتبطا ارتباطا وثيقا بالسياسة التنموية والإستراتيجية والخطة الشاملة للتنمية الاجتماعية

والاقتصادية والثقافية لهذا لا بد من ترجمة متطلبات هذه التنمية إلى مضمون تعليمي مع الالتزام بالمرونة والحركة داخل العملية التعليمية لمواجهة تطورات التنمية.

تسعي هذه الدول إلى ربط مضمون التعليم وما يتصل به من احتياجات المجتمع ومطالبه من جهة أخرى، وتهدف السياسات التعليمية على تحقيق التوازن بين نوعيات التعليم مما يساعد على الوفاء بمتطلبات المجتمع من عناصر كفؤة في مراحل التعليم التربوي أو في مجالات الحياة الاقتصادية المختلفة.

تواجه هذه الدول عراقيل ميدانية في عملية الارتفاع بمستوى الخدمة التربوية بجميع جوانبها من ناحية المدرس أو التجهيز لتحقق خدمة تربوية وتعليمية متكاملة. ورفع كفاءة الأداء التربوي وتطوير بنى التعليم وأنظمته وإدارته، وتحقيق التوازن بين جوانب العمل التربوي، تطوير الكتب المنهجية واغنائها بالتطبيقات والتدريبات. بالإضافة إلى تنمية الحس البديعي في الطالب وتوجيهه الإدراك عناصر الجمال وتقديرها وتنمية القدرة على الإبداع والابتكار، تنشئة المواطن العربي على التفاؤل وحب الحياة والثقة بالنفس، وإذكاء روح المشاركة من جانب المواطنين للإسهام مع الدولة في بعض جوانب العملية التعليمية وذلك لدعم الجهود الذاتية في مختلف المحافظات.

**نموذج تجارب دول المغرب العربي:** ورثت دول المغرب العربي المستقلة من الحقبة الاستعمارية الأوربية (الفرنسية، الاسبانية، الايطالية) الازدواجية الثقافية وهيمنة اللغات الأوروبية وتعدد العقليات حول مصدر التعليم النموذجي العصري. فقامت بعض الدول برسم أفاق السياسة التربوية التعليمية وفق خطط بدأت بالتعريب باعتباره امرأ أساسيا وضروريا يتماشى مع المقومات الوطنية والقومية، وتوسيع خريطة انتشار التعليم في الجندر المجتمعي(الذكور والإناث)، والتنوع الفكري باعتماد مدارس عالمية متنوعة تحقق هدف توجيه التعليم توجيها علميا وتقنيا لتحقيق النماء الاقتصادي من خلال سلوك سياسة واقعية في ميدان الإنفاق على التربية والتعليم في المستويات المختلفة.

تتصدى هذه الدول عراقيل بدأت في عدم تحقيق بناء الاتحاد المغاربي حتى في مجال صناعة السياسات التربوية والتعليمية، بالاضافة الى حماية الثقافة الوطنية وتنميتها والإرث الحضاري لشعوبها وقولبته وفق الشخصية الوطنية بعيدا عن الثقافات المتداخلة فيها سواء الغربية منها أو الشرقية المتعارضة مع الموروث العقائدي والفكري والإنساني لأهل المنطقة، وتوظيف ذلك في صيغ سامية في ميادين الفنون والآداب، وتكوين

الأطـر العليـا لسـد مختلـف حاجـات ومتطلبـات التنميـة المتوازنـة ومتطلبـات توطين التقنية وتكنولوجية المعلومات وبناء الوطن العالمي الذي بلا حدود ولا قيود متحيزة، إلا قوة المعلومة وسرعة إنتاجها واستهلاكها.

وتصف تقارير دولية التجربة التونسية في التعليم ب"الناجحة" رغم الامكانيات الاقتصادية المتواضعة حيث صنفتها الأولى على مستوى المغرب العربي في سياسة إصلاح التعليم وتأهيله. كما يتوقع أن تحقق هذه التجربة أهداف الأمم المتحدة التي تتضمن إلى جانب توفير التعليم للجميع عام 2015 محو الأمية بمعدل النصف وضمان نوعية تعليم أفضل والمساواة بين الذكور والإناث في التعليم. ويذكر في هذا الخصوص أيضا انه حسب التقرير العالمي السنوي لمنتدى 2009 ثم تصنيف - دافوس لسنة 2008 تونس ضمن كوكبة الدول الأكثر تقدما في مجال الاستثمار في العلم والمعرفة.

تسعى معظم دول الغرب العربي رسم معالم المجتمع الحداثي من خلال نموذج سياسات تربوية وتعليمية مشتق من معظم الدول الغربية مع لمسات محلية في الجوانب الاجتماعية والثقافية، مع التركيز الفعل التربوي في شمولية الواجب المجتمعي للارتقاء به، بما يجعل الحداثة انتقالا طوعية في سيرورة الأحداث أي ربطها بأصلها التاريخي لتعكس في تعالق مكوناتها "العلم، الاقتصاد، السياسة" صورة الإنسان الحداثي المؤمن بالتنازلات والتراضي والتسوية بحيث يسود لديه الاعتقاد أن ما ثمة من شأن ينهض على أساس صلب أو يستند إليه (المالكي، 2007، بتصرف).

وفي هذا السياق، تعمل بلدان المغرب العربي على تطوير قطاع الاتصالات والمعلوماتية ونشر الثقافة الرقمية وإرساء مجتمع المعرفة وعلى إعادة هيكلة برامج التكوين الجامعي باعتماد نظام إمد(إجازة، ماجستير، دكتوراه) بهدف تحقيق" المرونة والتناظر الدولي "مع إعطاء أهمية أكثر للتكوين في تكنولوجيات المعلومات والاتصالات وبواسطتها. لذلك فإن إصلاح التكوين وتطوير الكفاءات هما ضروريان لكل المهن والاختصاصات وخاصة في مجال علوم المعلومات والتوثيق التي ترتكز ممارسة المهنة و التكوين فيها أساسا على تكنولوجيات المعلومات والاتصال الحديثة (المقدمي، 2007، بتصرف).

**نموذج تجارب دول القارتين الأمريكية الشمالية والجنوبية:** يطغى نموذج النظام التعليمي الأمريكي في القارتين باعتباره نظاما لا مركزيا فقد ترك الدستور الأمريكي مسؤولية التربية لكل ولاية لتنظيم إدارتها بالطريقة التي تراها تناسب وحاجة المواطنين والمجتمع. بالإضافة إلى غرس القيم الأمريكية وتعميقها لدى المتعلمين ابتداء من القيام بالواجبات والمسؤوليات الوطنية والتمسك بالديمقراطية وانتهاء بحرية الفرد.

تسعى دول أمريكا الشمالية إلى بناء نظام اجتماعي يقدر على تحقيق المساواة في الفرص التعليمية لتمكين كل فرد من مواصلة التعليم كما ونوعا إلى أقصى درجة تسمح بها قدراته وإمكاناته واستعداداته ليكون مواطنا فعالا ومنتجا ومؤثرا في مجتمعه، وتعكس الثورة التكنولوجية والصناعة متانة وحداثة السياست المنتهجة في كل من التربية والتعليم والتكنولوجية.

إن النظام التربوي في اغلب دول امريكا الجنوبية يفتقر نوعا ما الى أجهزة فنية وإدارية بالتخطيط والتنفيذ والمتابعة لمختلف البرامج والمشاريع التربوية بالمقارنة مع الولايات المتحدة الأمريكية وكندا التي تعد القوة السياسية والاقتصادية والثقافية الأولى في العالم رغم حداثة عمرها، فالتعليم الحديث والمتطور كان مصدر قوتها ولكن في الآونة الأخيرة أصبح إنفاق الولايات المتحدة على التعليم يتراجع مما أدى إلى ظهور التسرب والأمية. وقد تميزت دول أخرى مثل كندا والبرازيل والأرجنتين في الربط بين السياسات التربوية والتعليمية ومتطلبات التنمية، والبقية مازال يعاني في بناء البنية التحية للصناعة التربوية والتعليمية التي تفرضها العولمة، ومتطلبات صناعة سياسات تستوعب التقنيات الحديثة ومستلزماتها في التعليم والتدريب.

**نموذج تجارب دول شرق أسيا:** تتميز بواعث سياسات التعليم الفكرية والإدارية في بعض دول شرق أسيا كاليابان وماليزيا وسنغافورا وكوريا الجنوبية مثار إعجاب المفكرين الإداريين، ذلك إن نجاح هذا النمط من السيايسات في تحريك عجلة التنمية وتوطين التقنية وتجويدها بهذه الصورة وبالسرعة الفائقة والذي انعكس على سياسات وفلسفة التعليم والتدريب والابتكار، وبواعث هذا التطور السريع لحاضنات التقنية واقتصاديات المعرفة التي يتميز بها هذا العصر، اذا اصبحت بعضها نموذج معتمد في صناعة السياسات التعليمية.

تؤكد السياسات التربوية والتعليمية في هذه الدول على حب العمل والانتماء للوطن والمثابرة والصبر وحب التفوق والانجاز والولاء والطاعة واحترام الإنسان وتقديره والتكافل والثقة بالنفس مما انعكس على العمل حيث أصبح طابعه تعاوني جماعي مبني على المشاركة والاحترام وأصبح الفرد الياباني يقدم مصلحة المنظمة على مصلحته وهمه تنفيذ الالتزامات المترتبة عليه العمل.

أصبح نسور أسيا أكثر حماسا واستعدادا للمشاركة في اتخاذ القرار العالمي كما إن أي قرار يجب إن يتخذ بناء" على أسلوب علمي مفصل للوقوف على البدائل المتاحة لأي موضوع ثم اختيار البديل الأمثل في جو من النقاش وتقبل الآراء والاقتراحات البناءة تلاقي الدعم والمكافأة من قبل

المسؤولين في الإدارة العليا، اليابانيون يتمسكون بالأخلاقيات الفضلى فيما يتعلق بالإصغاء لأي اقتراح أو عند تبادل وجهات النظر دون منازعات وتناقضات لا ضرورة لها مما يوفر جوا مناسبا لبحث ومعالجة أي مشكلة أو أي موضوع.

يعد النظام التعليمي أحد المقومات السياسية للنهضة اليابانية المعاصرة، حيث تم توجيهه سياسياً لتدعيم الولاء الوطني للنظام السياسي، وترسيخ القيم الجماعية وتغذية الأفراد بالمعتقدات التي تعلي من شأن الانتماء القومي، وتحث على التضحية بالمنفعة الشخصية في مقابل الصالح العام. فقد كرس التعليم لتلقين الأفراد نوعاً من الثقافة السياسية التي أدت إلى اكتساب معظمهم توجهات سياسية متماثلة بحيث لم يعد هناك مجال لقيام الصراعات والخلافات الحادة بينهم مما مهد السبيل لتعبئة سائر الموارد البشرية لأهداف التنمية الاقتصادية ومواجهة مشاكل التغير الاجتماعي والاقتصادي (عبد البديع، 1983م، 125).

تتميز طبيعة التنظيمات الأسيوية الحديثة تتصف بالنموذج العضوي الذي يعطي المرونة الكافية كما إن العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين أصبحت مؤشرا مهما للالتزام بالعمل المشترك والشعور بالانتماء، وان الاستثمار الأمثل للعنصر البشر يؤكد على وحدة المصالح بين المنظمة والعاملين، والتأني في العمل باعتباره سياسة التوظيف مدى الحياة. ويتميز النموذج الحديث لدول نسور أسيا بالسياسة التعليمية التي تهتم بسد حاجات الفرد للتفرغ لعمله، وتطوير ثقافة وسياسة استخدام المشاركة الجماعية في اتخاذ القرار من خلال الفريق، والإلمام العام ويزيد الولاء التنظيمي ويتيح مرونة الحركة الوظيفية.

يتميز النظام القيادي الإداري لنسور أسيا بتعدد الحوافز أمرا نسبيا للعاملين، وانتهاج الساسة الفريدة لاختيار الدقيق للعاملين في مختلف المؤسسات، مع التدريب المستمر للجميع، وتبني سياسة التقويم الشامل والمستمر، والتأكيد على المسؤولية الجماعية. ؛ فالصين مثلا، قد استطاعت أن تعمل بسياسات الاعتماد على النفس على ضوء مخططات وطنية مدروسة في الصناعة والزراعة، والتنظيم الاجتماعي، والتعليم، والثقافة، والتكنولوجيا. ومن أبرز العناصر التي جعلت الصين تتحول إلى دولة قوية نجد عنصر الفلسفة الجماعية السائد في الحياة الوطنية عملا وسلوكا. تتمثل طبيعة التربية في الصين في الربط بين التعليم والعمل الإنتاجي لتنمية وتكامل الشخصية، وإدراك أهمية التعليم في التنمية الاقتصادية على المستوى القومي. وهكذا يبدو واضحاً أن التعليم في الصين هو تعليم سياسي بالدرجة الأولى (عبود وآخرون، 1997، ص 350).

**نموذج تجارب دول الاتحاد الأوروبي:** تسعى الدول الأوروبية وباستمرار إلى ضرورة تعلم مهارات العمل والقيم الوطنية وعلى إدماج الاعتبارات المتعلقة بالمواطنة ضمنسياسات التعليم في كل مستوياته ابتداء من السنوات الأولى وانتهاء إلى التعليم الجامعي والمستمر وتعليم الكبار من خلال القيام بالمشاريع التربوية البيئية ضمن جميع المواد الدراسية وفي الأسابيع العامة، وجماعات النشاط من خلال النقاشات وتمثيل الأدوار، والاعتناء اكثر بسياسات التدريب مدى الحياة.

وتهدف برامج السياسة التربية والتعليم إلى تنمية الوعي بالحقوق والواجبات وفقاً لما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والأوضاع السائدة في المجتمع. وتعزيز الجوانب الإيجابية لشخصية الفرد، وتنمية الوعي النقدي والتحليلي لديه، وفهم الثقافات المختلفة واحترامه بما فيها الثقافة المحلية.

وتعمل السياسة التربوية والتعليمية لتنمية استعداد الأفراد لدراسة المشكلات المحلية والعالمية، وإدراك أهمية التعاون الدولي، وإدراك الفرد لدوره في النهوض بمجتمعه، والمساهمة في التنمية والسلام العالمي، بالإضافة إلى تنمية روح التضامن مع الأفراد والفئات الأقل حظاً في الثروة، والدول الأقل تقدماً. وتجمع معظم دول الاتحاد الأوروبي بين المنهج المستقل والشامل في تدريس التربية الدولية من خلال التعليم العام، حيث تضع مادة دراسية تحت مسمى التربية الوطنية، وأيضاً تضمن موضوعاتها في مختلف المواد الدراسية والأنشطة المصاحبة لها (يحيى، 1420هـ، 16).

ترتكز أيضا السياسات التربوية والتعليمة في أوروبا اعتبار المعلم الجيد هو واحد من الاهتمامات الأكثر إلحاحا في الوقت الراهن التي تواجه صناع السياسة والجمهور والمعلمين المربين والمعلمين أنفسهم ( OECD , 2005, 26)، ومن حقيقة أنه على الرغم من سياسات كل من المفوضية الأوروبية ومنظمة التعاون والتنمية قد يشجع على مزيد من التقارب عبر الاتحاد الأوروبي ، والتنوع لا يزال السمة البارزة لتدريب المعلمين داخل أوروبا (Buchberger, & etal, 2000, 11). وبالتالي، فإنه ليس من المستغرب أن التدريس على نطاق واسع تعتبر خيارا جذابا للوظيفة، وذلك لإدخال برامج تعليم المدرسين تنافسية للغاية، والطلبات التي تأتي من أعلى مستوى من الخريجين (Macruairc, and Harford, 2008, 6-7).

**مقارنة ودراسة النماذج التربوية والتعليمة والواقع التقني العالمي:**
أصبحت السياسة التعليمية تحدد العلاقة الحتمية بين التنمية الشاملة للدولة، وبين التربية والتعليم،فالتخطيط للتعليم، والتخطيط للتنمية الاقتصادية

والاجتماعية أمران مترابطان يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، وبرغم اختلاف هذه النماذج وتنوعها، إلا أنها غالباً ما تتبع النموذج العام الذي يتكون من مراحل التحليل لتحديد ما ينبغي تعلمه والتصميم، وتحديد مواصفات النظام التربوي التعليمي، والتطور وإنتاج النظام التعليمي، والتنفيذ لاستخدام النظام التعليمي والتقويم وتقرير كفاية النظام التعليمي، وهو ما يؤدي أحياناً إلى ردود فعل غير إيجابية لدى بعض التربويين الذين يرون في هذا المنهج تبسيطاً واختزالاً لعملية بالغة التعقيد مثل العملية التربوية، أو محاولة لميكنة هذه العملية وتفريغها من الطابع الإنساني المميز لها والحد من ابتكارية المتعلمين، وتقويم هذا النظام تكوينياً حتى يصل إلى المستوى المقبول من الفاعلية والكفاءة في تحقيق أهدافه، ويمكن لتقنية التعليم أن تحقق غايتها من توظيف التقنيات (مواد وأجهزة) في حل المشكلات التعليمية بأقصى قدر من الفاعلية والكفاءة، وأن تضع بصمتها المؤثرة على مخرجات التربية والتعليم وسياساته.

وبما أن السياسات التعليمة تمثل أحد أهم أركان السياسات العامة في جميع الدول، وهي أهم متطلبات التخطيط والنمو لجميع البلدان كونها مرشداً للتفكير والتقدير، وموجهة للأهداف، والوسائل، والإجراءات.

تحتاج الدول العربية إلى إعادة صياغة سياساتها التربوية والتعليمية تستجيب لمتطلبات التنمية والتدريب والتعليم للمخرجات البشرية المؤهلة في المجالات العلمية، والاجتماعية، والتربوية، والثقافية، والعسكرية، والفنية، والاقتصادية التي يحتاجها المجتمع في تحقيق الرخاء، وتدعيم النمو، والتطور في مختلف مستوياته المتعددة، كون إعداد الجهاز البشري، وتعليمه وتدريبه تدريباً متكاملاً في مختلف مستويات المهارة، يدعو إلى ضرورة التنسيق بين السياسة التعليمية التدريبية، والحاجة للكفايات المختلفة، و لايمكن أن يتحقق هذا التنسيق إلا بتخطيط تربوي سليم وسياسة تعليمية تدريبية واضحة تحكم التصرفات والمواقف، والمشاريع التعليمية والتربوية.

السياسات التربوية و التعليمية هي الأساس الذي يحدد حركة التربية المستقبلية للمجتمع في اتجاه الإعداد المتكامل لأجيال المجتمع وفق المثل العليا التي تتبناها المجتمعات باعتبار التعليم متغيراً رئيسياً من متغيرات النظام العالمي الجديد،ومعياراً من معايير القوة والتفرد والمنافسة وأحد أبرز طرق مواجهة التحديات العالمية في ثورة المعلومات والتكنولوجيا وغيرها من التحديات والتفوق الاقتصادي والتكتلات الاقتصادية والتغيرات الاجتماعية وتزايد الطلب الاجتماعي على التعليم.

تفتقر السياسات التربوية والتعليمية في الدول العربية إلى المواءمة بين متطلبات المجتمع وبين مايقدمه التعليم من تأهيل وتدريب لمخرجاته

التعليمية، والتوافق بين مخرجات النظام التعليمي ومايحتاجه المجتمع من كوادر مؤهلة ومتخصصة وفق خطط زمنية لتحقيق التقدم وتحقيق الأهداف وفي تحديد الأطر والأسس والمبادئ والقيم العامة للمجتمع.

تحتاج السياسات التربوية والتعليمية في الدول العربية إلى اعتماد التوءامة بين إمكانات المجتمع التي يمكن أن يوظفها لصالح العملية التربوية والتعليمية، وبين الأهداف والطموحات التي تسعى إلى تحقيقها التربية والتعليم، فلا جدوى من رسم سياسات تعليمية مثالية لا يمكن أن ينهض بها الواقع التربوي.

**بناء السياسات التربوية والتعليمية العربية بين الأمل والواقع:** إن بناء السياسة التعليمية في اغلب الدول العربية تفتقر إلى الترابط والتكامل لجميع الاهتمامات والتطلعات التي تحقق الوحدة والتكامل البناء لمقومات قطاعات وأجهزة ومؤسسات الدولة المختلفة. تحتاج السياسات التربوية التعليمية في المستقبل إلى تطوير الوعي الاجتماعي والثقافي في المجتمع تحتضن قيمها وعاداتها وتقاليدها المرعيّة وتصورها للمستقبل وما تحتاج إليه من قوى بشرية، وخبرات وتخصصات، ومهارات، وثروات طبيعية واقتصادية، وصناعية وبشرية وثروات معرفية.

إن المتتبع للإنتاج المعرفي والتكنولوجي الذي حققته بعض الدول النامية التي كانت في طابور التنمية وراء معظم الدول العربية يطرح التساؤل أين الأمل الذي كانت الشعوب العربية تطمح إليه، وماحجم الكارثة التي نحن في جحيمها، وكيف يمكن تشخيص الاحباطات والسياسات المستوردة الفاقدة للحياة في الحاضنات العربية. قفزت بعض الدول العربية قفزات نوعية خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرون إلا أن المشخصات الأولية للسياسات التعليمية المعتمدة تحتاج إلى إعادة الهندسة لأجل توطين وتحصين الحاضنة التقنية والبيئة المجتمعية الفاعلة لإنتاج واستهلاك المعرفة.

تعاني السياسات التربوية والتعليمية المعتمدة في المجتمعات العربية الازدواجية بين الثقافة المشتقة منها السياسات المستوردة والأهداف المتوقع تحقيقها من رسالة هذه السياسات والرؤية التي على أساسها صيغت الرسالة وحددت الأهداف. تتوفر في المجتمعات العربية مقومات فعالة لصناعة سياسات تربوية تعليمية وطنية تخدم وتحقق طموحاتها المشروعة في التكامل والتعاون والتفاعل مع المجتمع الإنساني العالمي، وتساهم في الإنتاج والاستهلاك العالمي للمعرفة والخدمة الإنسانية، وعليه نوصي بتحديد وتشخيص هذه المقومات وطرح الأولويات والهيكلية الأساسية لتحقيق الرؤية اللازمة اعتمادها لأجل تهيئة الظروف الملائمة لامتلاك مقومات إنتاج البيئة الملائمة للحاضنات الأكاديمية اللازمة لتوطين التقنية.

**التعليم الالكتروني ودور السياسات التربوية في انتهاجه:** استطاع التعليم الإلكتروني بالمقارنة بالأساليب التقليدية للتعليم أن يتجاوز قيود المكان و الزمان ، والكم وساهم وبجدارة في توسيع فرص القبول في التعليم العالي و تجاوز عقبات محدودية الأماكن، وبعض العوائق التي تحد من إمكانية الالتحاق بالتعليم التقليدي كالسن والجندر في بعض مستويات التعليم وخاصة في الدول النامية، ويعتبر هذا التعليم رافدا كبيرا للتعليم المعتاد، فيمكن أن يدمج هذا الأسلوب مع التدريس المعتاد فيكون داعما له.

ولأجل تفعيل ممارسات التعلم الإلكتروني وغيرها من التجارب الناجحة، تحتاج الدول العربية إلى استيعاب التجارب الناجحة التي شهدها هذا المجال في الدول المعنية وكذلك العمل على بناء وتحديد عناصر السياسات التي تتبنى مبدأ التعلم الإلكتروني واستخدام التكنولوجيا الحديثة في التعليم والتدريب.

تحتاج الدول العربية إلى العمل على انتهاج الحداثة في أساليب وطرق التعليم والبحث العلمي والعمل على توطين التقنية والتكنولوجيا التي تميز جودة صناعة سياسات التربية والتعليم وبهدف تزويد الشبكة بمخزون من الممارسات والسياسات التي يمكن الرجوع إليها وتقاسمها فيما بين دول العربية وفي الوقت ذاته الحرص على التماشي مع المفاهيم الأساسية لتنفيذ المشاريع المتفوقة في صناعة وإخراج التعليم الالكترونية والتي تتمثل في التعاون والمشاركة.

تحتاج صناعة السياسة التعليمية إلى تضمين ممارسات عملية في عملية تجزئة المحتوى إلى أجزاء متناسقة وتوصيلها وإتباع إستراتيجية تدريسية سليمة بالإضافة إلى تصميم التعلم وكيفية توظيف النص والصورة ضمن المحتوى، وإدارة وبجودة كيفية التخطيط والتنفيذ لأساليب ومواد ودعم وإدارة مجموعة التصميم وتنفيذ القرارات التي ترتبط بنواحي تخطيط المشاريع التربوية و التعليمية بكل أنواعها. يستدعي الإبداع في تطبيقات عملية على تفسير خطة التصميم وترجمتها إلى مادة تعليمية وكذلك تطبيقات عملية في كيفية التمييز بين أساليب توصيل التصميم التدريسي وتركيبة المجموعة وعمل سياسات لمشروع التصميم التدريسي وصياغة خطة دعم وإدارة مجموعة التصميم وتحديد وتنفيذ عملية توصيل المحتوى الذي يتطلع إلى التعليم في عصر التقنية ومتطلبات التميز والإتقان، والإحسان في مختلف أشكال ومراحل ومستويات التعليم، وهي رؤية ومحتوى وأهداف السياسة التعليمة الهادفة.

يوصي البحث بصناعة سياسات تخصصية للدورات التي تولي الجوانب التربوية عناية خاصة في تصميم المقرر الإلكتروني السليم، وترتكز

على نظريات التعلم المختلفة وخطط التصميم التعليمي ومراحله وإجراء تقييم الاحتياجات الأساسية وتحليل الأغراض والأداء، وأساليب الدعم والإثراءات الفنية. بالاضافة إلى صناعة سياسات تعليمية وتدريبية تستجيب لكل القضايا الأساسية ، ومنأهمها:

1-العمل على تبني رؤية شمولية في تطوير سياسات استيعاب العلوم والتقنية والابتكار.

2-تهيئة السبل الكفيلة بتعزيز وتطوير القدرات الوطنية في سياسات البحث العلمي والتطوير التقني وتنسيق جهودها، وضمان تلبيتها وتكاملها مع احتياجات المجتمع ومتطلبات التنمية المستدامة.

3-تطوير الأنظمة التي تحكم أداء المنظومة الوطنية للعلوم والتقنية والابتكار، ورفع كفاءة التنظيم والإدارة في المؤسسات العلمية والتقنية لتتلاءم مع المتطلبات الحالية والمستقبلية للتنمية الشاملة والمستدامة.

4- تطوير مختلف أوجه التعاون العلمي والتقني على المستوى الداخلي والإسلامي والدولي إتاحة المعلومات العلمية والتقنية وتيسير كافة السبل للوصول إليها في إطار نظم تتفق مع أهداف وظروف السياسات التربوية التي تهدف الى تحديث البنية التحتية للتعليم بما يواكب التطورات الحديثة.

5- تطوير برامج التعليم بحيث يشمل التعليم عن بعد والتعليم الافتراضي والتدريب أثناء الخدمة وتطوير المناهج الدراسية القائمة على الحفظ والاستظهار، وتنمي القدرة على الإبداع، والتأمل، والتفكير الناقد، وتعزز الحوار والانفتاح، واحترام الرأي المغاير.

6- وضع سياسات متكاملة توفر بنية تحتية وتؤدي إلى إعداد برامج كفيلة بتنمية قدرات الأطفال والشباب وصقل مواهبهم مع تفعيل السياسات التي تهتم بتنمية مهارات الموهوبين من شأنها الاستفادة من قدراتهم في عملية التنمية، وتمكين المرأة بما يرفع من نسبة مشاركتها في سوق العمل.

7- وضع سياسات واقعية تستوفي معايير الجودة الشاملة وتسهم في اكتساب المتدربين لمهارات ومعارف جديدة تتطلبها بيئة العمل المعولمة مع التركيز في التعليم العالي على التخصصات العلمية الحديثة التي يتطلبها اقتصاد المعرفة وتسهم في إنجاز عملية التنمية المستدامة (مثل الطاقات المتجددة، والتصحر، والطب البديل).

8- وضع سياسات لمجابهة معدلات البطالة من الخرجين، والتقويم المستمر لأداء المتعلمين في مؤسسات التعليم، وتوفير نظم للتغذية الراجعة عبر مستويات النظام التربوي، وتحسين المؤشرات الكمية والأنصبة التربوية، يساعد في وضع نظام اعتماد محلى واتباع السبل الكفيلة لضمان الجودة

واثبات القدرة على المنافسة الدولية وتطبيق المعايير الدولية والاعتماد الدولي.
9- وضع سياسات ترسخ مفاهيم البيئة وحمايتها في المناهج الدراسية علي امتداد مراحل التعليم مع الاهتمام بالتدريب وإعطاء استقلالية كاملة للمؤسسات الإنتاجية والخدمية في إعداد برامج التنمية المكانية المتوازنة، وتحقيق الأمان الصحي حق من حقوق المواطنةباعتباره الاستثمار البشري في جوانب الأمان الصحي والمحافظة على تدفق المعلومات عن الصحة للأفراد وللمجتمع ككل ومساندة الأبحاث.

**المراجع:**


أمين، أحمد الحاج سعيد، (1996)." **إشكاليات توطين التقانة في الوطن العربي**"، (خبير المنظمة)، الإجتماع الأول للمنظومة العربية لتبادل المعلومات التكنولوجية(- AIDMO TIES) الرباط (11-12 ديسمبر 1996).

باشيوة، لحسن، (2008)."**التخطيط الاستراتيجي وتوجيه مسارات الحلول وفق النماذج وتنبؤاتها، دراسة حالة: "صناعة السياسات التعليمية واستراتيجياتها في الوطن العربي"**""، المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية، 17 - 20 صفر 1429هـ الموافق 24 -27 فبراير 2008م، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، الظهران ـ المملكة العربية السعودية.

بدون مؤلف، (2009)."**التعليم في تونس بوصلة النمو والحداثة**"، جريدة العرب، العدد 10/23، الموقع الالكتروني:
http://www.alarab.co.uk/previouspages/Alarab%20Daily/2009/10/23-10/sup04.pdf

البراهيم, هيا بنت عبدالعزيز بن محمد، (2007)."**تحليل سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ـنموذج مقترح-**"، رسالة دكتوراه, قسم الإدارة التربوية بكلية التربية, جامعة الملك سعود.

بغدادي، منار محمد إسماعيل، (2005)." **صنع السياسة التعليمية دراسة مقارنة بين كل من مصر وإنجلترا والصين**"، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة، مصر.

بكر، عبد الجوادز، (2002). "**السياسات التعليمية وصنع القرار**"، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر.

التل، احمد، (1998)."**التعليم التربوي في الأردن**"، لجنة تاريخ الأردن، وزارة التربية والتعليم،عمان، الأردن.

حارب، سعيد عبدالله، (2009)."**التعليم العالي و تحديات التنمية الإجتماعية**"، مكتبة خليل الحدري (التعليم العالي وتحديات التنمية الاجتماعية)، الموقع الالكتروني::
**http://www.uqu.edu.sa**

الحربي، سعود هلال، (2007)."**السياسة التعليمية(مفاهيم و خبرات)**"، مكتبة العبيكان، حائل، المملكة العربية السعودية.

الخطيب، محمد شحاتة، و عبد الحليم، حسن، (2009)."**المدرسة وتوطين ثقافة المعلوماتية نموذج التعليم الإلكتروني**"، ندوة ( العولمة وأولويات التربية)، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

رحمة ، أنطوان، (1989). "**سياسة تطوير التعليم التربوي في الوطن العربي مجالاتها وأولوياتها**"، ندوة سياسة تطوير التعليم التربوي في الوطن العربي ، دمشق، سورية.

رشاد، هادية محمد، (2002)."**البحث التربوي وصنع السياسة التعليمية "بحوث ودراسات""**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر.

الرشيد، عبد الله بن أحمد، (1998)."**توطين التقنية السبيل الأمثل للنماء**"، مجلة (المعرفة)، عدد (35) بتاريخ (صفر 1419هـ )، الرياض، المملكة العربية السعودية.

رضا، محمد جواد، (1998)." **السياسات التعليمية في دول الخليج العربية**"، ط 3، عمان: منتدى الفكر العربي، الاردن.

سليمان، نجدة إبراهيم، (1998)."**رؤية مستقبلية لتقديم الجودة وضمان الجودة في التعليم التربوي في مصر في ضوء بعض التجارب العالمية**"، مؤتمر تقويم الأداء الجامعي، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مصر.

السيد، كريمات محمود، (1997)."**العبور بالتعليم الجامعي والتربوي إلى القرن الواحد والعشرين**"، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، القاهرة .

السيد، لمياء، (2002)."**العولمة ورسالة الجامعة رؤية مستقبلية**"، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية، مصر.

السيف، محمد بن إبراهيم، (1418هـ)."**المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي**"، المملكة العربية السعودية.

شيلي دى شوشمت، (2007)."**تأثيرات التعليم و الحداثة على المجتمع العربي المسلم**"، مجلة جامعة متشجن، الموقع الالكتروني:www.shelleychuchmuch.com/images/thesisinarabiclast.doc

صائغ، عبد الرحمن بن أحمد محمد، (2004)."**تربية العولمة وعولمة التربية: رؤي استراتيجية تربوية في زمن العولمة**". ورقة عمل مقدمة إلى ندوة العولمة وأولويات التربية التي تنظمها كلية التربية – جامعة الملك سعود في الفترة من 1-1425/3/2هـ الموافق 20-2004/4/21م.

الطعامنة، محمد، و العلوش، طارق شريف، (2004)." **الحكومة الإلكترونية وتطبيقاتها في الوطن العربي**"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر.

عبد البديع، أحمد عباس، (1983)."**المقومات السياسية للنهضة اليابانية المعاصرة**"، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، **مجلة السياسة الدولية**، ع 73، يوليو.

عبد الكريم ، نهى حامد ، (2009)."**صنع القرار في السياسة التعليمية**"، الدار المصرية اللبنانية، لبنان.

عبد اللطيف، نعمة، (2009)."**نحو سياسة تعليمية فعالة**"، طريق الشعب، ع(187) ، 74، الثلاثاء 19 أيار.

عبود، عبد الغني وآخرون، (1997). "**التربية المقارنة "منهج وتطبيق**"، القاهرة، دار الفكر العربي.

عيسى، احمد، (1979)."**سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية**، ط1، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

القاسم، صبحي، (1998). "**التعليم التربوي في الوطن العربي**"، منتدى الفكر العربي، عمان الأردن.
المالكي، حبيب، (2007)."**المغرب التربوي- قضايا ووجوه**"، وزارة التربية الوطنية ، تونس.
محمد مراياتي، عمر فاروق البزري، باسيل خوري، أحمد الحاج سعيد، (1991)." **استراتيجية عربية لاكتساب العلم والتقانة واستخدامها لأغراض التنمية على المستوى العربي**". المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الألكسو، ورقة وضعت في وحدة دراسات سياسات واستراتيجيات العلوم والتقانة في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، دمشق، سورية.
مرياتي، محمد، (1999)."**نحو اكتساب التكنولوجيا في الوطن العربي مع تغيرات بداية القرن الحادي والعشرين**"، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا – الاسكوا، مجلة العلوم، الألكسو، تونس، كانون الأول/ديسمبر.
المشاط، عبد المنعم، (2009)."**السياسة التعليمية ومستقبل مصر**"، المكتبة الالكترونية المجانية، الموقع الالكتروني: http://lunajan.com/articles-action-show-id-706.htm
المقدمي، عبد الرزاق، (2007)."**التكوين في علوم المعلومات والتوثيق في بلدان المغرب العربي تحت تأثير التطور الجارف للتكنولوجيات الرقمية**"، الموقع الالكتروني:
http://amkadmi.neuf.fr/docts_PDF/article_HR_AbuDhabi.pdf
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (2003)."**اجتماعات الدورة الـ17 للمؤتمر العام لوزراء التربية والتعليم والمعارف بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية** "، مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية السعودية يوم الثلاثاء المقبل"11-3-2003" .
المنتفجي، جواد، (2007)." **السياسة التعليمية وأثرها في المناهج والخطط / دراسة تحليلية في مناهج مادة التربية الرياضية**"، مركز النور للدراسات، العراق.
المنقاش, سارة بنت عبدالله,(2006) ."**دراسة تحليلية لسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ومقترحات لتطويرها**"، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية (1) المجلد 19 ،381 – 440.
نصار، سامي، (2005)."**قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة** "، الدار المصرية اللبنانية. ط1، رام الله، فلسطين.
يحيى ، حسن عايل، (1420هـ)."**مفاهيم التربية الوطنية الواردة في كتب اللغة العربية والمواد الاجتماعية والتربية الوطنية في الصفوف العليا من المرحلة الابتدائية**"، دراسة مقدمة للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية.

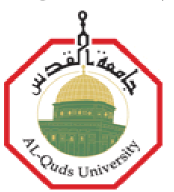
**References (English…):**

Buchberger, F., Campos, B.P., Kallos, D. and Stephenson, J. (2000). "**Green Paper on Teacher Education** in Europe". Department of Education and Science.
Coolahan, J. (2003)."**Attracting, developing and retaining effective teachers: Country background report for Ireland**. Dublin: Department of Education and Science.
MacRuairc, G. and Harford, J. (2008)."**Researching the Contested Place of Reflective Practice in the Emerging Culture of**

**Performativity om Schools: Views from the Republic of Ireland"**, European Educational Research Journal, 7 (4).
OECD (2005) ."**Teachers Matter: Attracting**", developing and retaining effective teachers.
Shils, E. and Finch, H. (Eds). (1949)." **Max Weber on the methodology of the social sciences**", New York: The Free Press.

# التحديات التي تواجه جامعة القدس في تطبيق الجودة الشاملة
## دراسة ميدانية ـ جامعة القدس في الضفة الغربية

**الدكتور جمال حلاوة – جامعة القدس – معهد التنمية المستدامة**




**الملخص**

**التحديات التي تواجه جامعة القدس في تطبيق الجودة الشاملة**
**دراسة ميدانية ـ جامعة القدس في الضفة الغربية**

هدفت هذه الدراسة إلى التعّرف على التحديات التي واجهت، ولا تزال تواجه جامعة القدس في تطبيق مفهوم ومتطلبات الجودة الشاملة، وهل هنالك أي سبل تساعد في إمكانية تطبيقها، وما هي الأساليب الممكن استخدامها لتطبيق مبادئ ومتطلبات الجودة الشاملة، وهل تكمن المشكلة في عدم القدرة على تطبيق متطلبات الجودة الشاملة، أم في الإمكانيات أم في القيادة أم في سلوك العاملين؟ أم في الطلبة، أم في ظروف خارجية، وبالتالي تنعكس على إمكانية تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة، وما هي أوجه القوة والضّعف، كما برزت مشكلة الدراسة من حيوية العلاقة التي تربط هذه المواضيع بنجاح العملية الإدارية والأكاديمية للجامعة، حيث الجودة تعني التميز والوضوح والأداء.

من هنا فإن أهمية الدراسة ظهرت من أهمية تلاقي هذه العناصر عند أكبر قدر ممكن من نقاط الالتقاء والتقاطع الإيجابي، ومن كون أن جامعة القدس من كبرى جامعات الضفة الغربية، حيث تأسست عام 1978م، ويبلغ عدد موظفيها حالياً (1117) موظف، وعدد طلابها (14000) (تقرير جامعة القدس، 2010)، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي من خلال استخدام ثلاث طرق في جمع البيانات كمصادر مهمة في التحليل، وهي المقابلات الحرة من ذوي الاختصاص، وتحليل المضمون من وثائق وتقارير، والنشرات الصادرة عن الجامعة، ومن خلال موقعها الالكتروني، وكتب

ومراجع، ورؤية الباحث كموظف في الجامعة منذ تأسيسها، والمقابلات المقننة مع بعض المسئولين ذات العلاقة، وتم استعراض نتائج المقابلات، وتحليلها، وأين وصلت جامعة القدس في هذا المضمار، وكان من أهم النتائج ضعف القدرات المادية، بالإضافة إلى عدم تحديد متطلبات واحتياجات ومقومات نجاح الجامعة، وكان من أهم التوصيات البحث عن مصادر تمويل والتقنين في المصروفات غير الضرورية، بالإضافة إلى نشر ثقافة مفاهيم الجودة الشاملة.


ABSTRACT

Challenges Facing The University Of Alquds in The Application of Total Quality Management

Case Study - University of Alquds in the West Bank

The purpose of this study was to identify the challenges faced, and continue to face University of Jerusalem in the application of the concept and requirements of TQM, are there any ways to help in their applicability, and what methods can be used to apply the principles and requirements of TQM, and whether the problem lies in the inability to apply quality requirements overall, or in potential or in leadership or in the behavior of employees? Or in the students, or in external conditions, and thus reflected on the possibility of applying the requirements of total quality management, and what are the strengths and weaknesses, as highlighted the problem of study of the dynamic relationship between these topics successfully the process of administrative and academic of the University, where quality means excellence, clarity and performance. Hence, the importance of the study showed the importance of the convergence of these elements in as much as

possible the points of convergence and the intersection of positive, and the fact that the University of Jerusalem, one of the largest universities in the West Bank, was founded in 1978, and the number of employees currently (1117) employees, and the number of students (14000 ) (report of the University of Jerusalem, 2010), the researcher used the descriptive approach through the use of three methods of data collection sources are important in the analysis, the interviews free of specialists, and content analysis of documents and reports, and bulletins issued by the university, and through its website, books and references, and a vision researcher as an employee at the university since its founding, and interviews inhalers with some officials of the relationship, has been reviewing the results of interviews, analysis, and Where did the Al-Quds University in this regard, and it was the most important results twice the physical capacity, as well as you do not specify the requirements and needs and the viability of University, and was the most important recommendations of the search for sources of funding and cuts in expenditure is necessary, in addition to spreading the culture of the concepts of TQM.

- **مشكلة الدراسة**

برزت مشكلة الدراسة في الإجابة على بعض التساؤلات منها :

1. ما هو مفهوم ومتطلبات الجودة الشاملة بالنسبة للجامعة.
2. الإمكانيات البشرية والقدرات المادية.
3. ثقافة مجتمع الجامعة نحو تطبيق مفهوم الجودة الشاملة (إدارة، أساتذة، طلبة).
4. ثقافة المجتمع المحيط والذي له علاقة مع الجامعة.

- **أهمية الدراسة**

ظهرت أهمية هذه الدراسة من كون أن الجامعات عماد المجتمع، ومن أن التربية والتعليم هم نواة أي مجتمع، بالإضافة إلى أن جامعة القدس من كبرى جامعات الضفة الغربية، وأن تطبيق متطلبات الجودة الشاملة في جامعة يعني مخرجات طلبة بنوعية وكفاءة عالية، وارتقاء لسمعة طيبة بين الجامعات.

- **أهداف الدراسة**

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على:

1. التعّرف على مفاهيم الجودة الشاملة بالنسبة للجامعات.
2. أين تقف جامعة القدس بالنسبة لتطبيق مفاهيم الجودة الشاملة.
3. معرفة ثقافة مجتمع جامعة القدس (الداخلي والخارجي) نحو تطبيق مفاهيم متطلبات الجودة الشاملة.

- **أسئلة الدراسة**

سعت الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية:

1. هل تشجع جامعة القدس تطبيق مبادئ وعناصر الجودة الشاملة؟
2. هل جامعة القدس تسير نحو تطبيق مفاهيم ومتطلبات الجودة الشاملة؟
3. هل لدى المجتمع ذات العلاقة بالجامعة ثقافة بمفهوم الجودة الشاملة؟
4. هل تتبع جامعة القدس الشفافية في تطبيق الأنظمة والقوانين؟ السلطة والمسؤولية؟ قبول الطلبة، مبدأ تكافؤ الفرص؟
5. هل تتبع جامعة القدس أسس العمل الإداري: اتخاذ القرارات، الاتصال، المشاركة، التنمية والتطوير وورش العمل، البعثات، المؤتمرات، التدريب، الانتماء، الأمن الوظيفي، الرضا الوظيفي، الترقية؟
6. هل الملاعب، الساحات، الكافيتريات، القاعات، الحدائق متوفرة بما يتناسب وعدد الطلبة؟
7. هل يتوفر في القاعات أجهزة وأدوات تسهل عملية شرح وعرض المحاضرة؟
8. هل الأبحاث الصادرة عن أعضاء الهيئة التدريسية ذات جودة عالية.
9. هل يوجد تحديات مادية ومعنوية وفنية تحول دون تطبيق متطلبات الجودة الشاملة؟

10. هل من الممكن الاستثمار بمردود مادي من خلال تطبيق متطلبات الجودة الشاملة؟

11. هل لدى الطلبة ثقافة الجودة الشاملة ومتطلباتها؟ من حيث المشاركة والاتصال والتعاون والانتماء والعلاقات داخل وخارج الجامعة؟

- **منهجية الدراسة**

استخدم الباحث المنهج الوصفي من خلال استخدام ثلاث طرق في جمع البيانات كمصادر مهمة في التحليل، وهي المقابلات الحرة من ذوي الاختصاص، وتحليل المضمون من وثائق وتقارير، والنشرات الصادرة عن الجامعة، ومن خلال موقعها الالكتروني، وكتب ومراجع، ورؤية الباحث كموظف في الجامعة منذ تأسيسها، والمقابلات المقننة مع بعض المسئولين ذات العلاقة، وتم استعراض نتائج المقابلات، وتحليلها، وأين وصلت جامعة القدس في هذا المضمار.

- **مجتمع الدراسة**

تكون مجتمع الدراسة من جميع الموظفين الأكاديميين والإداريين في جامعة القدس.

حدود الدراسة

تمثلت حدود الدراسة في جامعة القدس من الناحية المكانية كهيكل تنظيمي، يتمثل في المباني والموظفين والطلبة والتي تقع في الحرم الرئيس - أبوديس.

- **الدراسات السابقة**

- دراسة Hazzard ( 1993) بعنوان مفهوم الجودة الشاملة الخاصة بالتعليم الجامعي، حاولت هذه الدراسة كشف نقاط القوة والضعف من خلال التطبيق العملي، كما ركزت الدراسة على كيفية ومدى إمكانية تطبيق متطلبات الجودة الشاملة، وتوصلت إلى صعوبة تطبيق متطلبات الجودة الشاملة، حيث عجز الإمكانيات المادية والبشرية، مع أنها كشفت عن كثير من نقاط القوة منها مشاركة العاملين، والتعاون بين الإدارة والعاملين، إلا أن نقاط الضعف تمثلت في التنسيق الكامل بين احتياجات الجامعة وترتيبها حسب الأولوية، والعجز المالي لتوفير الأجهزة والمعدات والموارد البشرية اللازمة.
- دراسة علاونة (2004) بعنوان مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية – جنين، من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية حيث هدفت إلى معرفة مدى تطبيق إدارة الجودة الشاملة في

الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (61) عضواً، وكان من نتائجها أن تطبيق معايير الجودة الشاملة أخذ نسبة عالية، بالإضافة إلى المحاولات المستمرة في التحسين والتطوير في مجالات التدريس والقاعات والتوسع، ومرافق واحتياجات مختلفة.

- دراسة Soltani (2004 ) بعنوان تقييم الأداء في تطبيق إدارة الجودة الشاملة، جاء فيها أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة يخلق بيئة عمل جيدة وتعاون مثمر بين العاملين، كما أنه يزيد في الإنتاجية، وتحسينها وتطوريها.
- دراسة عشيبة (1998) بعنوان الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعليم الجامعي المصري، هدفت إلى معرفة ما هي الجودة الشاملة في التعليم، وكيف نحددها وما هي متطلباتها ومعاييرها، وكيف تطبق في مجال التعليم، وما هي المشاكل والمعوقات التي تحول دون تطبيقها، وهل هي معايير ممكن تطبيقها أم لا، وخرجت الدراسة بصعوبة تطبيقها، لأنها تحتاج إلى برامج وإعادة تنظيم الهياكل التنظيمية، والاحتياجات المادية وتوعية العاملين والطلبة، وأسس وقواعد وتخطيط. هذا بالإضافة إلى اتخاذ قرارات حاسمة وإرادة قوية.
- دراسة ابونبعة ومسعد (2000) بعنوان إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي هدفت هذه الدراسة التعرف على مدى تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الأردنية الخاصة، حيث توصلت إلى أن هنالك صعوبة في تطبيق متطلبات الجودة الشاملة لأن الجامعات الخاصة تعتبر جديدة، وتطبيق قواعد المعلومات وجمع البيانات فيها لا يزال يواجه مشاكل كثيرة، وبالنسبة لاتخاذ القرارات فهي تكاد تكون لصاحب السلطة العليا أي مركزية، بالإضافة إلى المشاكل التعليمية المعروفة عن الجامعات الخاصة منها قبول المعدلات المتدنية.

- **الإطار النظري**

عرّف (البكري، 2001) إدارة الجودة الشاملة الخاصة بالتعليم بأنها منهج نظري وتطبيقي لعملية متكاملة ومتناسقة من المفاهيم والوسائل والأساليب والخطوات الإجرائية المنظمة والتي تهدف إلى ضمان استمرارية جودة المنتج أو الخدمة المقدمة.

كما عرفّها (Oakland, 2000) بأنها منهج شامل متكامل لتحسين النوعية والتنافسية والفاعلية والمرونة من خلال التخطيط والتنظيم واستيعاب جميع الأنشطة بمشاركة ألأفراد العاملين. بالإضافة إلى التركيز على الوقاية خير من العلاج.

أما إدارة الجودة الشاملة فعرّفت بأنها " عملية إستراتيجية إدارية ترتكز على مجموعة من القيم وتستمد طاقة حركتها من المعلومات التي تتمكن في إطارها من توظيف مواهب العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم على نحو إبداعي لتحقيق التحسن المستمر للمنظمة " ( Hixon, J:1992 : 6-24 )

وعرفّها (جمال، وعلي، 2010) بأنها الخصائص المتجمعة لمنتج أو لخدمة ترضي احتياجات الزبون، سواء كان الزبون هو المتلقي المباشر للخدمة أم المستخدم الأصلي للمنتج أو الخدمة أو كلاهما.

- أهمية الجودة الشاملة

لا شك أن تحقيق جودة الأداء هو حلم يراود جميع المنظمات، بصرف النظر عّما إذا كانت تنتمي إلى القطاع الخاص أم القطاع العام لأن تحقيقها يعني تحقيق الوجود، وهي التزام لا بديل له، وإلا أصبح وجود الإدارة أو استمرارها محاطاً بالشكوك (منصور، 2002).
كما تبين (سهيلة الفتلاوي، 2007) أن أهمية الجودة تأتي من مراحلها المتعددة والمتمثلة في التفتيش والفحص، ورقابة الجودة، وتوكيد الجودة، وحلقات السيطرة النوعية، وإدارة الجودة الشاملة.

- **أهداف تطبيق إدارة الجودة الشاملة**

1. رفع مستوى الأداء العام للمنظمات.
2. تحسين نوعية الخدمات المقدمة.
3. المساهمة في اتخاذ القرارات، وبالمعلومات كماً ونوعاً.
4. زيادة ولاء وانتماء الأفراد العاملين في المنظمة، وزيادة التعاون فيما بينهم.
5. الاستجابة للتغيرات البيئية والتكيف معها.
6. تخفيض الوقت اللازم للانجاز .
7. تحقيق رغبات الزبون وإرضائه.
8. إمداد العاملين بالنظم وإجراءات العاملين.
9. ترشيد الإنفاق العام. (التميمي، 2007).

- **دعائم الجودة**

يقول (قاسم، 2006) تقوم الجودة على دعامتين أساسيتين لا يمكن لها أن تتحقق دون توافرهما معاً وهما جودة تصميم المنتج والمقصود بها تحديد خصائص معينة للمنتج تجعله قادراً على توفير إشباع معين أو تقديم خدمة مطلوبة وقد يختلف التصميم بالنسبة للمنتج حيث يعكس كل تصميم مستوى جودة معين يتناسب مع أوجه استخدام المنتج ومعايير المشتري في تقديمها، وتتمثل العناصر التي ينطوي عليها تصميم المنتجات في توصيف الجودة، وحدود التجاوز، ووسيلة القياس، وطريقة الصيانة، وتعديل التصميم.
أما جودة التنفيذ وهي الدعامة الثانية فهي تلك الطريقة التي تؤدي إلى إنتاج المنتج وفق المواصفات التي يحددها التصميم وتعبر جودة التنفيذ عن مدى مطابقة المنتجات للمواصفات المحددة سابقاً وتعتمد على عنصرين أساسين وهما:

1. إمكانية النظام الإنتاجي لإنتاج المنتج وفق المواصفات الموضوعة.
2. إمكانية قيام النظام بضبط الجودة لاكتشاف الانحرافات والتعرّف على درجة مطابقة المنتج ضمن الحدود المسموح بها وتتوقف إمكانية نظام الضبط على عدد من العناصر منها توفر الأجهزة المطلوبة وعادة حديثة وتكنولوجية، والخبرة، والأساليب الإحصائية، والجوانب الإجرائية، وتحديد الانحرافات.

- **عناصر إدارة الجودة الشاملة**

منذ أن بدأت اليابان الاستعانة بخبرات ثلاثة إحصائيين أمريكيين وهم كل من Juran و Demign و Shewhart بعد أن فشل في إقناع الشركات الأمريكية بتبني أفكارهم عن الجودة التي تتمحور في ضرورة مراقبة وقياس إجراءات العملية الإنتاجية ليتم في ضوء ذلك إجراء التعديلات اللازمة بهدف تحسين جودة الإنتاج حتى حققت الصناعة اليابانية سمعة متميزة عن الصناعتين الأمريكية والأوربية اللتين اضطرتا إلى أن تحذوا حذو اليابان في اعتماد فلسفة الجودة الشاملة مما أدى إلى ضرورة وأهمية إصدار المواصفة العالمية المعروفة الآيزو 9000 التي تم بموجبها تحديد المعايير والعناصر الأساسية التي ينبغي توافرها في نظام الجودة الشاملة أي أن رحلة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة لا بد ستأتي بتأييد منظمة المقاييس الدولية وفق

المواصفات العالمية للتصنيع والمعروفة World Class Manufacturing.
والعناصر المميزة لنظام إدارة الجودة الشاملة هي:
1. بحث ودراسة الأسواق ومعرفة تطلعات الزبائن.
2. تصميم وتطوير المنتج بما يتلاءم مع رغبات المستهلكين.
3. تخطيط وتطوير المبيعات.
4. التطابق مع المواصفات والمقاييس والمعايير المطلوبة.
5. الإنتاج أو تقديم الخدمات بصورة سليمة .
6. تحقيق الأهداف
7. التعبئة والتغليف.
8. البيع والتخزين.
9. التركيب وتوفير الخدمة، والمساعدة التقنية، وخدمات ما بعد البيع والتركيب وإعادة التصنيع في نهاية دورة حياة المنتج (البلداوي ونديم، 2007).

- **وضع قياس الأداء**

عادة ما تكون القيمة في الجودة بالنسبة للمنظمات من تسليم المنتجات أو/ و الخدمات إلى العملاء في الوقت المناسب وتسلسل الأحداث وتبدأ من احتياجات الزبون وتنتهي في تلبية هذه الاحتياجات، من رضا ورغبة لدى الزبون وأصحاب المصالح والمساهمين، وكل من له علاقة، وتركز عملية الأداء على التخطيط كما تركز على العملية نفسها من طرق الاتصال وبيئة العمل والالتزام والأفراد أنفسهم.
وتلعب دائرة التحسين المستمر التي لا تنتهي في قياس الأداء دوراً هاماً يتمثل في:
1. وضع الأهداف.
2. تحديد دور كل فرد.
3. تتبع التقدم في تحقيق الأهداف.
4. تحديد الفرص المتاحة.
5. مقارنة الأداء في المعايير الداخلية والخارجية.
حيث بينت الأبحاث أن 60% من المنظمات تستخدم سجل النتائج المتوازن ومع فإن كثير منها تناضل لجعلها تعمل لصالحهم (اسماعيل وآخرون، 2009).

- **القيم والاتجاهات**

تعرّف القيم بأنها المعتقدات التي يعتقد أصحابها بقيمتها ويلتزمون بمضامينها. فهي تحدد السلوك المقبول والمرفوض، مثل العادات والتقاليد، أما الاتجاهات فهي تنظيم متكامل من المفاهيم والمعتقدات والميول السلوكية مثل الانتماء إلى حزب معين أو جماعة معينة (محمد قاسم، 2009).

- **أخلاقيات الأعمال:** عرفّها (فلاح حسن، 2006) بأنها مجموعة القيم الاعتبارية والمعايير السلوكية التي يرسمها رجال الأعمال خلال نشاطهم اليومي ضمن إطار اتخاذ القرارات وحل المشكلات المتعلقة بفعاليتهم وأنشطتهم وانعكاس تلك القرارات وحلول المشاكل والمعوقات على البيئة المحيطة.
- **الثقافة التنظيمية: عرفّت الثقافة التنظيمية حسب (موسى اللوزي، 2002) بأنها مجموعة الأنماط السلوكية التي يتوقع المجتمع أن يلتزم بها، ولها ضوابط وقواعد تحدد سلوك الأفراد.**
- **الشفافية الإدارية: هي الوضوح والعقلانية والالتزام بالمتطلبات أو الشروط المرجعية للعمل وتكافؤ الفرص للجميع، وسهولة الإجراءات والحد من الفساد، وهي من أدوات التنمية الإدارية والمتطلبات الجودة (نزيه برقاوي، 1988)**
- **نبذة عن جامعة القدس**

انضمت جامعة القدس إلى اتحاد الجامعات العربية عام 1984م (الحلبي، 2009) وتضم جامعة القدس عدة مواقع في مدينة القدس وضواحيها، الحرم الرئيس في أبو ديس تبلغ مساحته (200) دونم، ويضم معظم كليات الجامعة، والمراكز والمعاهد والمتاحف، ومدرسة المعهد العربي، والحرم الجامعي في الشيخ جراح، يضم كلية هند الحسيني للبنات، وحرم الجامعة في بيت حنينا ويضم فرع لكلية العلوم الاقتصادية والإدارية ومقرها الرئيسي في أبوديس، كما تضم مبنى لرئاسة الجامعة وإدارة المكتبات، ومعهد الطفل، وحرم الجامعة في البلدة القديمة ويضم عدة مراكز تابعة للجامعة منها مركز دراسات القدس ومركز العمل المجتمعي، ومركز لتعليم الحاسوب، حرم الجامعة في البيرة ويشمل تلفزيون القدس التربوي، والمعهد العالي للآثار ومعهد الإعلام العصري، ومعهد الدراسات الإقليمية، ومركز الترقيم المعياري الدولي، ومركز سرطاوي لدراسات السلام ومركز التنمية في الرعاية الصحية الأولية ( تقرير جامعة القدس، 2007). كما يبلغ عدد موظفيها حالياً (1117) موظف (دائرة شؤون الموظفين، 2010)، وعدد

الطلبة (14000) (عمادة القبول والتسجيل، 2010). وتعتبر جامعة القدس جامعة العاصمة وتربط بين شمال الضفة الغربية بجنوبها.

**المنهجية وتحليل البيانات**

سلكت المنهجية عدة اتجاهات وذلك بإتباع المنهج الوصفي منها المقابلات مع ذوي الاختصاص، ثم تم تحليل ما جاء في هذه المقابلات من خلال الأسئلة الموجهة إليهم، وقد تم استخدام عينة الصدفة بالنسبة لتواجد أعضاء الهيئة التدريسية بالتحديد في مكاتبهم وأماكن تواجدهم، وأعضاء الهيئة الإدارية فبالنسبة للسؤال الأول: هل جامعة القدس تعمل على تشجيع الجودة الشاملة فقد أجاب 90% من المستقصى منهم بنعم، و6% لا أدري و4% لا. وفيما يتعلق بالسؤال الثاني والخاص، هل يمكن تطبيق الجودة الشاملة فكانت الإجابة من قبل أعضاء الهيئة التدريسية 50% من عينة الدراسة بنعم، و40% لا أدري، 10% لا أدري، مما يدل على أن هذه النسبة عالية جداً ويوجد تخوف كبير من تطبيق إدارة الجودة الشاملة، أما عن السؤال الخاص: هل تسعى جامعة القدس إلى تحقيق متطلبات الجودة الشاملة في الوقت الحالي، فقد أجاب ما نسبته 60% من المستقصى منهم لا أدري، 35% نعم، و5% لا، وبالنسبة للسؤال الخاص بجودة وبفعالية الأبحاث العلمية فقد أجاب ما نسبته 80% نعم، 12% لا أدري، 8% لا، وفيما يتعلق بالسؤال: هل هنالك تحديات مادية تحول دون تطبيق متطلبات وعناصر الجودة الشاملة، فقد أجاب 74% بنعم، 21% لا أدري، 5% لا، والسؤال الخاص: هل هنالك تحديات فنية تحول دون تحقيق متطلبات الجودة الشاملة فقد أجاب معظم المستقصى منهم وبنسبة 77% نعم، 20% لا أدري، 3% لا، والسؤال الخاص: هل يوجد استثمار علمي يرفع من شأن الجامعة إذا ما طبقت متطلبات الجودة الشاملة، فقد أجاب ما نسبته 55% لا أدري،45% لا، ما دل على عدم اكتراث المستقصى منهم بهذا الموضوع، أما عن السؤال الخاص: هل يوجد ثقافة لدى الموظفين وإلمام بتطبيق الجودة الشاملة وعناصرها 59% لا، 8% لا أدري، 33% نعم وأما عن السؤال: هل من الممكن تثقيف الطلبة في موضوع متطلبات الجودة الشاملة فقد كانت النتيجة 23% نعم، 32% لا أدري، و45% لا، وفيما يتعلق بالسؤال: هل مساحة جامعة القدس تتوافق مع متطلبات الجودة الشاملة حسب اعتقادكم فقد أجاب ما نسبته 74% لا، 16% لا أدري، 10% نعم والسؤال الخاص بمساحة القاعات ومتطلبات الجودة الشاملة التنمية المستدامة فقد كانت الإجابة 8% نعم 26% لا أدري، 66% لا، والسؤال الخاص باستخدام أجهزة الحاسوب في شرح المحاضرات فقد كانت 20% لا أدري، 7% نعم، 73% لا. ما دّل

على عدم استخدام التقنيات في المحاضرات إلا ما ندر.بالإضافة إلى السؤال الخاص بتوفر المختبرات وأدواتها لطلبة العلوم الطبية فقد أجاب ما نسبته 47% لا يوجد، 33% لا أدري، 20% نعم، فيما كانت الإجابة عن السؤال الخاص بمبدأ تكافؤ الفرص 50% نعم، 26% لا أدري، 24% لا، والسؤال الخاص بالأمن الوظيفي فقد حصل على ما نسبته 66% من الموظفين لا يوجد أمن وظيفي، 22% نعم، 12% لا أدري، أما الرضا الوظيفي فقد حصل على 76% على نعم، 19% لا، 5% لا أدري. وبالنسبة لسؤال نظافة القاعات والساحات فقد حصلت على ما نسبته 18% نعم بأنها نظيفة 5% لا أدري 77% لا بمعنى غير نظيفة، ونظام ترقيات الموظفين الأكاديميين فقد حصل على ما نسبته 78 % نعم أي أن معايير الترقيات تتم وفق أسس وأصول علمية، 17% لا أدري، 5% لا تسير وفق أسس علمية، أما عن السؤال الخاص بالبعثات فقد حصل على ما نسبته 83% نعم تشجّع، 14% لا أدري، 3% لا بمعنى لا تشجع جامعة القدس أعضاء الهيئة الأكاديمية في تكميل دراساتهم العليا، وبالنسبة للمؤتمرات فقد حصلت على نسبة 79% نعم، 16% لا أدري، 15% لا.

**المقابلات الشخصية**

- مقابلة مفتوحة مع مسئول نحو السعي إلى تطبيق عناصر الجودة الشاملة، قال فيها: لقد شهدت جامعة القدس في الآونة الأخيرة تطوراً ملحوظاً، نحن لا نستطيع حالياً أن نقول أننا وصلنا ولكن كل ما نستطيع قوله أن جامعة القدس لديها التحديات والعوائق المادية والفنية، ولا تنسى أننا نعيش في ظروف اقتصادية صعبة محلية وعالمية، ففي الوقت الذي كانت تعاني فيه من عجز في دفع رواتب الموظفين، وعجز في تحصيل أقساط الطلبة، كان هنالك اتصالات مع جامعات ومؤسسات محلية وخارجية لتطوير الجامعة، ودعمها مادياً من حيث الرواتب والبناء والعمران وفتح كليات ودوائر جديدة بهدف زيادة عدد الطلبة، ما ساهم في زيادة الدخل، مع أنك تعرف وضع الطلبة الاقتصادي ومشاكل دفع الرسوم، ما يجعل مشكلة الاستمرارية صعبة ومعقدة، والجودة الشاملة في المجال الأكاديمي، من قاعات، مساحة وعدد لدينا مشاكل في طريقها إلى الحل من ضمنها الأبنية الجديدة والتي تعرفونها مثل المكتبة وغيرها، وبخصوص الأنشطة والعلاقات العامة، والتسجيل والطلبة، والأمور المالية والأنظمة والقوانين، فهي في تطور مستمر، ومباني وأنشطة دائرة نظم المعلومات الإدارية والحاسوب والتقنيات والتنمية فيعتبر انجاز حققته جامعة القدس يميزها عن الجامعات الأخرى.

- مقابلة أخرى مفتوحة مع أحد أعضاء الهيئة التدريسية والإدارية: نحن نشجع تطبيق الجودة الشاملة في مجالات عدة منها التنمية والتدريب فلدينا معهد للدراسات العليا والبكالوريوس في التنمية ومحصلة التنمية إذا ما تحققت الجودة الشاملة، بالإضافة إلى أن الجامعة أصبحت تركز على نوعية الطلبة وأسلوب التدريس والبرامج ومقاعد الدراسة، والمساقات ومراقبة الدوام، وأسلوب دفع الرسوم وكيفية وضع العلامات وإرشاد الطلبة، وطبعاً نتابع طلابنا بعد التخرج ونعمل دراسات حول جودة المخرجات وهي التخصصات والكفاءات، وعمل دورات وورش عمل وإقامة مؤتمرات ورحلات بالداخل والخارج للطلبة والموظفين، ومنح دراسية وبعثات أيضاً.

- مقابلة مفتوحة أخرى مع أحد أعضاء الهيئة الإدارية: العمل على تطوير الجامعة مستمر ولا يتوقف واستقطاب أفضل المحاضرين والطلبة هو هدفنا لرفع شأن الجامعة، وهذا يعتبر من متطلبات الجودة الشاملة، ولكن أستطيع أن أقول أن جامعة القدس قفزت قفزة نوعية وفي فترة قصيرة، مثل تقديم الخدمات التعليمية للطلبة والمعلوماتية، والبحث عن احتياجات سوق العمل، ولدينا وحدة متابعة الخريجين الخاصة بطلبة جامعة القدس حيث تتابع أين ذهبوا كما تتابع نتائج تقييمهم في المؤسسات، وسلوكهم، وكفاءتهم.بالإضافة إلى معرفة المشاكل التي يواجهونها لتلافي حدوثها في المستقبل مع نوعية أخرى من الخريجين.
- مقابلة مع أحد أعضاء الهيئة الأكاديمية: نحن لدينا من المشاكل كباقي الدول النامية وجامعاتها تتعلق في كيفية تعزيز الثقافة التنظيمية وتثقيف الموظفين والطلبة، فيما يخص الجودة الشاملة حيث أن كل موظف وكل طالب يأتي من بيئة مختلفة ويحمل ثقافة إما البيئة التي تربى فيها بما تحمل من عادات وتقاليد ممكن أن تكون بالية وقديمة وليس لديه أي فكرة عما يحصل من تطورات في العالم، وحتى لا يعتبرها تطورات، ومنهم من يأتي من بيئة خارجية حيث درس في الخارج ولديه أفكار ولو مقبولة لمتطلبات الجودة إلا أنه يواجه صعوبات جمّة في ظل عقول متحجرة، هنا نحاول تنمية أفكارهم وسلوكهم بما يتماشى مع الحياة العصرية ومتطلباتها.
- وعن بعض الطلبة فقال: أن الصعوبات التي يواجهها الطلبة في الجامعة هي عملية التنسيق بين الأعمال والدوائر والموظفين، لا يوجد تعاون بين الموظفين أو بين الطلبة والموظفين فقد قال كل يوم أحاول عمل شيء معين توقيع كتاب مثلاً فيقول لي المسئول (هذا مش شغلي روح هناك، ثم أذهب إلى هناك فيرد الآخر هذا مش شغلي إنه عند فلان وهكذا، فيما أضاف

إذا حاول موظف مساعدتي فيقول البرنامج معطل أو الكهرباء مقطوعة و و .............) فالنهاية لا نعرف أين نذهب، وماذا نفعل.

- طالب آخر: يتساءل أين النظام؟ وأين القاعات؟ نحن نجلس فوق بعضنا البعض في المحاضرة، ولا مسئول يكترث، يوجد إرباك في العملية التعليمية، قاعة صغيرة فيها طلبة أكثر مما تحتمل وقاعة كبيرة فيها عدد قليل من الطلبة وكأنه لا يوجد تنسيق في هذا الموضوع، وقاعة مؤسس لها تدفئة لفصل الشتاء وتبريد للصيف ولا يعمل هذا أو ذاك، الساحات صغيرة ترى الطلبة وهم مكدسون في تجمعات قريبة من بعضها البعض، والملاعب قليلة وكأنها خاصة في طلاب التربية الرياضية، ولا ننكر أن الحدائق متوفرة والكافيتريات أيضاً وفيرة لكن إذا لاحظت جيداً فهي خاصة بالصيف وليس بفصل الشتاء وكما تعلم فإن فصل الشتاء في العام الأكاديمي أكثر من الصيف.
- طالب آخر نحن نشعر في التغيير والبناء في الجامعة ولكن للمستقبل وليس لنا فنحن سوف نتخرج في ظروف قاهرة وصعبة: من حيث الأدوات المستخدمة في القاعة وسعة القاعات وعددها، وندرة الأجهزة، وسد احتياجات الطالب، ورفاهيته أسوة بالجامعات الأخرى في العالم حيث نشاهدها في التلفزيون أو نسمع عنها من زملاؤنا، نحن نتطلع لشيء جديد وبرامج جديدة، مكتبة لا ينقصها معلومة أو مرجع، ومناخ تعليمي مستقر، فنحن لا نستطيع إنكار الكفاءات العلمية لدى أعضاء الهيئة التدريسية، لكن عملية التقييم استغلها بعض الطلبة وكأنها تهديد للمحاضر وأنا أعتبرها مؤشر نسبي وليست مطلق، فكثير من المحاضرين الذين يثقون بأنفسهم وقدراتهم يقول أنا (بعمل واجبي ولا أنظر إلى تقييم الطلبة).
- طالب آخر من إحدى الكليات العلمية: يتحدث فيها عن مشاكل النقص في المختبرات والأجهزة والمعدات، والمكتبات والمراجع حيث يقول نحن لسنا كلية أدبية فكل دراستنا عملية وتحتاج إلى أدوات وأجهزة للفحص والقياس والتشريح وما إلى ذلك، ولا ننكر زياراتنا من خلال الجامعة إلى الخارج ولكن ما نراه في الخارج هو الذي يستفزنا، مثل النظام والصحة والنظافة والمختبرات و العلاقات والمعاملات الإنسانية، نرى العلوم الطبية على حقيقتها.

- **النتائج**

بعد تحليل المعلومات توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج منها:

1. جامعة القدس تحاول تطبيق إدارة الجودة الشاملة رغم الصعوبات والتحديات المادية.
2. هنالك بالفعل أبنية جديدة وقاعات تتسع لأعداد متوقعة في المستقبل، ولكنها حقيقة من أهم مشاكل الطلبة المنتظمين حالياً.
3. التحسين المستمر ملحوظ في الجامعة ولكن بشكل بطيء ما يدل على أن التحديات المادية حجر عثرة في طريق تطبيق متطلبات الجودة الشاملة حيث حصلت على ما نسبته 74%.
4. تنمية الطلبة مستمرة من خلال التخصصات الموجودة في التنمية داخل الجامعة، بالإضافة إلى تنمية الموظفين والطلبة من خلال الدورات وورش العمل والمنتديات والبعثات والمؤتمرات.
5. أن أداء أعضاء الهيئة التدريسية جيد رغم التحديات والظروف الصعبة التي لا تتوفر في القاعات مثل النقص في الأجهزة والمعدات والتقنيات.
6. مشاكل الهيئة الإدارية تتركز على عدم التنسيق، وعدم ضبط الأمور الفنية والتقنيات، والقيم والاتجاهات لها أثر سلبي ينعكس على الأداء.
7. يوجد مشاكل كبيرة في التقنيات وأساليب وطرق التسجيل.
8. مبدأ تكافؤ الفرص حصل على نسبة متوسطة، والرضا الوظيفي حصل على نسبة جيدة، والأمن الوظيفي فقد حصل على نسبة متوسطة.
9. مساحة جامعة القدس حصلت على 74% أنها غير كافية، وثقافة الجودة الشاملة لدى موظفو الجامعة حصلت على نسبة غير مطمأنة، بالإضافة إلى مساحة القاعات فكانت متوسطة، وأجهزة الحاسوب بتقدير جيد.
10. يوجد بعض المشاكل في الشفافية والوضوح وتطبيق الأنظمة والقوانين، فالمؤسسة (المأسسة) في الدول النامية بصفة عامة لا تزال ضعيفة.
11. الترقيات والبعثات والمؤتمرات كانت نسبتها فوق الجيد، أما عن نظافة الساحات والقاعات فأخذت نسبة ضعيفة جداً.

- **التوصيات**

1. وضع صندوق شكاوي للموظفين الأكاديميين في دائرة الشؤون الأكاديمية، من أجل تفريغ مشاكلهم وملاحظاتهم، بحيث تتم دراستها بهدوء من قبل الجهات المعنية، ولا مانع إذا كان صاحب الموضوع متواجد.
2. وضع صندوق شكاوي في دائرة شؤون الطلبة من أجل الطلبة ومشاكلهم ولا مانع من تواجد صاحب الموضوع خلال دراسة موضوعه.
3. تدريس مساقات في الجودة الشاملة في الكليات والدوائر ذات العلاقة.
4. عمل دورات وورش عمل للطلبة والموظفين بما يختص بمفاهيم الجودة الشاملة.
5. إزالة أسباب التوتر لدى الموظفين والطلبة من خلال المصارحة والشفافية والجلسات المعلنة، بالإضافة إلى عمل رحلات تعمل على توطيد العلاقات العامة والعلاقات الإنسانية من أجل خلق بيئة تعليمية مستقرة.
6. تكوين لجان محايدة لحل مشاكل الموظفين والطلبة، ومتابعتها بشكل مستمر ودوري، بالإضافة إلى أن تكون هذه اللجان لديها القدرة على متابعة برامج ومساقات وتطورات الأداء.
7. البحث عن مصادر تمويل داخلية وخارجية بشتى الطرق، لأن العوامل المادية كانت من أسباب عدم تطبيق متطلبات الجودة الشاملة.
8. تشجيع كل من له علاقة في الجامعة سواء كان موظف أو طالب أو صديق وغير ذلك في البحث عن مصادر تمويل من أصدقائه أو معارفه لرفع ودعم الجامعة.
9. توفير الخدمات المقدمة للموظفين لتعزيز قدراتهم على العطاء والبحث العلمي من حيث المكاتب والمكتبات، والمؤتمرات، وورش العمل، والرواتب، والأمن الوظيفي، والرضا الوظيفي، والترقيات.
10. تعزيز أسلوب الشفافية والتعاون والمشاركة بين مختلف أعضاء الهيكل التنظيمي في جميع المجالات العلمية والنقاط المشتركة في العمل.
11. تطبيق الأنظمة والقوانين بعدالة على الجميع دون تمييز.
12. استخدام أساليب ألإدارة العلمية والمعايير الواضحة للتعامل مع الطلبة من حيث القبول والتسجيل والعلامات، والمعاملة.
13. توفير أساليب الراحة في القاعات من سعة، وإضاءة، وأجهزة ومعدات، وكراسي، وغيرها.
14. توفير الخدمات الطلابية في مختلف مراكز الجامعة وعدم تركيزها في موقع واحد.

15. مراقبة عمليات النظافة ومن هو الطرف الذي يهدف إلى المساس بالجامعة وأمنها ونظافتها، بحيث تكون العقوبة علنية.

# المراجع


- إياد التميمي (2007) بحث بعنوان إدارة الجودة الشاملة وأثرها في الأداء، جامعة العلوم التطبيقية، الأردن.
- اسماعيل وآخرون (2009) Six Sigma وأساليب حديثة أخرى في إدارة الجودة الشاملة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ص 175-178.
- تقرير جامعة القدس(2010) صادر عن شؤون الموظفين.
- جمال حلاوة وعلي صالح (2010)، مدخل إلى علم التنمية، دار الشروق للطباعة والنشر، رام الله، عمان، ص191.
- سهيلة الفتلاوي (2007)، الجودة الشاملة في التعليم: المفاهيم، المعايير، المواصفات، المسؤوليات عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ص45.
- محمد عبد الله البكري (2001)، أسس ومعايير نظام الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية، المجلة التربوية، 15، عدد 60.
- محمد قاسم القريوتي، 2002، السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ص ص 177-188.
- معزوز علاونة (2004)، مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية.
- منصور العور (2002) تجربة القيادة العامة، لشرطة دبي في تحقيق الجودة والتميز المستمر، مجلة الإداري/ مسقط، عمان، ص269.
- موسى اللوزي، 2002، التنمية الإدارية، دار وائل، عمان، الأردن، ص 104.
- فلاح حسن، 2006، إدارة المشروعات الصغيرة، مدخل استراتيجي للمنافسة والتميز، دار الشروق، عمان، الأردن، ص 61.
- قاسم المحياري (2006) إدارة الجودة الشاملة في الخدمات، مفاهيم، عمليات، تطبيقات، دار الشروق للنشر والطباعة، عمان، الأردن، ص 37.
- نادية الحلبي (2009)، رسالة ماجستير بعنوان دور الحوافز في رفع كفاءة الأداء الوظيفي من وجهة نظر الموظفين الإداريين في جامعة القدس.
- نزيه برقاوي، 1988، الشفافية في عمليات التخاصية، مجلة أخبار التخاصية، مجلد رقم (1)، عدد (5)، صفحة 32.
- عمادة القبول والتسجيل (2010) جامعة القدس.
- عشيبة فتحي (1998) الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعليم الجامعي المصري، دراسة تحليلية، بحث قدم إلى المؤتمر العلمي لمجلس إتحاد الجامعات العربية، بيروت لبنان، الدورة 33.
- عبد الحميد البلداوي وزينب نديم (2007) إدارة الجودة الشاملة و المعولية (الموثوقية)، دار الشروق للنشر والطباعة، رام الله، ص ص 79-81.

• عبد العزيز أبونبعة وفوزية مسعد( 2000)، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، عدد1، مجلد 5، ص ص 131-174.

• Hazzard, T.1993, The Strengths & Weaknesses of Total Quality Management In Higher Education, New Direction for Institutional Research No71, Tom In Higher Education, P60-77.

• Hixon, Joan, & Lovelace K. (1992), "**Total Quality Management Challenge to Urban school**" Education 2 Leadership, 50(3), P.6-24

• Oakland, (2000), Total Quality Management, Butterworth Heinemann.

• Soltani (2004), Gennard j. Vander Meer R, Williams, T, Performance evaluation in the Context of TQM, A review of the Literature, International Journal of Quality & Reliability Management, V21, N4 PP377-396.

# تقييم أداء المعلمات المنتدبات في مدارس التربية الخاصة كما يراه المشرفون التربويون ومرشدو التعليم الجامع في فلسطين

## دراسة ميدانية

**د.إدريس محمد صقر جرادات**
مرشد التعليم الجامع والتربية الخاصة- مديرية التربية والتعليم/ شمال الخليل
وزارة التربية والتعليم العالي/فلسطين

**الخلاصة:**

هدفت الدراسة الى التعرف على الية تقييم المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة، وكذلك التعرف على اراء المشرفين التربويين ومرشدي التعليم الجامع والتربية الخاصة في اداء المعلمات المنتدبات من قبل وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

وتحديدا يمكن بلورة مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

السؤال الأول :ما تقييم أداء المعلمات االمنتدبات لمراكز-مدارس- التربية الخاصة من وجهة نظر المشرف التربوي؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق دالة احصائيا في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين في تقيم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغيرات الدراسة(تخصص المعلمة،مؤهلها العلمي، سنوات الخبرة، ومستوى المدرسة-المرحلة الدراسية-، ونوع الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة-المعاقين الذين تدرسهم (سمعية-بصرية-عقلية)؟

السؤال الثالث: ما الامور التي على المعلمة مراعاتها في التدريس ؟ ، و ما المساهمات الابداعية التي تقوم بهاالمعلمة؟ وما القضايا التي تواجهها في التدريس من وجهة نظر المشرف التربوي؟

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الميداني لدراسة العلاقة بين المتغيرات بتحويل اجابات افراد عينة الدراسة وعددهن 25 معلمة منتدبة لمراكز التربية الخاصة في الخليل وهي:مدرسة الصم والبكم التابعة لجمعية الصم الخيرية ومدرسة الكفيف التابعة لجمعية الكفيف الخيرية ومدرسة بني نعيم للصم التابعة لجمعية الهلال الأحمر ومدرسة النادي العالمي للصم ومركز الرجاء للتربية الخاصة التابع للهلال الأحمر الفلسطيني.

تم تحويل اجابات افراد مجتمع الدراسة الى تعبير نمطي قابل للقياس لتحليل العلاقة والحصول على النتائج احصائيا باستخدام برنامج الرزم الاحصائية للعلوم الاجتماعية(SPSS) .

توصلت الدراسة الى النتائج التالية:
1-ان أعلى التقديرات لتقييم المشرفين التربويين للأداة ككل تتمثل في الالتزام بالدوام المدرسي،يليها أحترام المهنة والالتزام بالأنظمة والتعليمات، وأقل تقدير للفقرة مراعاة مبادىء القياس والتقويم في بناء الاختبارات.
2-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha$=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير تخصص المعلمة.
3-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha$=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير مؤهل المعلمة.
4-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha$=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير المرحلة الدراسية.
5-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha$=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير سنوات الخبرة.
6-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha$=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير نوعية الاعاقة التي تدرسها.
7-الأمور التي على المعلمة مراعاتها في تدريس المواد تمثلت بعمل مراجعة تراكمية ، واطلاع الطلاب على أهداف الحصة ، والتنويع في الأنشطة والوسائل والبدء بالمفاهيم المحسوسة .
8-أما اهم المساهمات الابداعية تمثلت في اعداد الوسائل التعليمية واوراق العمل، وادخال برامج تعليمية للفئات المستهدفة عن طريق الكمبيوتر وتدريب الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة على وسائل الخدمة الذاتية.

9-واهم القضايا التي تواجه المعلمة في تدريس المباحث-المواد-صعوبة في توصيل المفاهيم للطلبة وخاصة الرموز والاشارات ، والتأخير في وصول منهاج بريل للطلبة المكفوفين.

في ضوء النتائج التي توصلت اليها الدراسة، فإن الباحث يوصي بما يلي:

أولا-التوصيات العامة:

- **تكثيف الزيارات الإشرافية من قبل المشرفين التربويين وموظفي أقسام المديرية من تعليم عام، تعليم جامع، تقنيات، نشاطات ورقابة إدارية لمراكز ومدارس التربية الخاصة.**
- **تثبيت المعلمات على كادر التربية والتعليم بعد انقضاء الفترة التجريبية والمحددة بثلاث سنوات حسب قانون الخدمة المدنية.**
- **عمل برنامج تدريب وتأهيل للمعلمات من خلال عقد ورشات عمل حول إدارة الصف وأساليب الاتصال والتواصل وعمل الوسائل التعليمية والنشاطات التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة.**
- **المشاركة في المسابقات ونشاطات المديرية.**
- **تحويل بعض المعلمات لتدريس مواد تخصصها.**
- **إدخال التقنيات التربوية في التعليم كالحاسوب ،البروجكتور ،جهاز L.C.D والتلفزيون التعليمي والأجهزة الصوتية.**

ثانيا- بحوث ودراسات مقترحة مستقبلية:

1-إجراء دراسات مقارنة بين تقييم أداء المعلمات المنتدبات في مدارس التربية الخاصة والمعلمين والمعلمات مسئولي لجان التعليم الجامع في المدارس الحكومية.

2-إجراء دراسات مقارنة بين أداء المعلمات المنتدبات لمدارس التربية الخاصة ومعلمات ومعلمي التربية الخاصة في غرف المصادر في المدارس الحكومية.

3-دراسة واقع معلمات التربية الخاصة في دول عربية وأجنبية ومقارنتها مع المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة في فلسطين.

**الإطار العام للدراسة:**

**المقدمة:**

تعتبر عمليتا التقويم والتقييم أساسيتان في العملية التربوية،اللتان تبدأن مع بداية عملية التعلم وتتخللها، وتستمر حتى نهايتها، ويتنوع التقييم بتنوع الأغراض التشخيصية، أو التحسينية أو التعليمية أو التوجيهية أو الإرشادية أو الإدارية.

تقيم الأداء يهدف إلى تنمية الإبداع والابتكار في أوساط العاملين بتوفير فرص لتحقيق الجودة الشاملة والعدالة بين الموظفين من خلال انتهاج الأسلوب العلمي لتنمية العاملين وتحفيزهم ومساعدتهم على تطوير أدائهم من خلال تحديد حاجات التطور المهني لديهم بتخطيط برامج التدريب والتأهيل.

تتم عمليتا التقييم والتقويم من خلال إتباع خطوات إجرائية من خلال اجتماع التقييم وحضور حصة وسماع وجهات نظر المدير والمسئول المباشر ثم تحديد علامة التقييم التي يستحقها الموظف وكتابة التوصيات.

مجالات التقييم التخطيط والقيادة والتطبيق المهني وتطبيق اللوائح والأنظمة والتعليمات والإدارة الصفية وجودة الأداء وتحمل المسئولية والتطور المهني والانتماء للمؤسسة وسلوكيات العمل والاتصال والتواصل.(أنظر:"نظام تقييم الأداء السنوي:لجان العمل الصحي 2007م).واختصاصات الوحدات التنظيمية الأساسية والوصف الوظيفي في مؤسسة لجان العمل الصحي).

نتيجة للدور الفاعل الذي تقوم به وزارة التربية والتعليم العالي بالتعاون مع الجمعيات الخيرية وبرامج التأهيل الخاصة في مجال تقديم الخدمات التعليمية للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، ولتحقيق التعاون، والتكامل بين وزارة التربية والتعليم العالي، ومؤسسات المجتمع المحلي، ولنجاح عملية الدمج الأكاديمي والاجتماعي تم اعتماد مراكز تربوية على كادر التربية والتعليم ويكون هؤلاء المعلمون منتدبون للعمل في المدارس التربوية التابعة للجمعيات الخيرية وتؤدي خدمات تعليمية للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة كدعم من وزارة التربية لهذه الجمعيات والمدارس الخاصة، ويتم زيارة هؤلاء المعلمون من قبل قسم الإشراف في المديرية مع فريق التعليم الجامع وذلك بزيارة حصص صفية وتقييم الأداء وكتابة تقارير لوزارة التربية والتعليم العالي، ويكون هذا التقييم سنويا ويتم زيادة عدد المراكز المنتدبة سنويا لدعم هذه المؤسسات التربوية التي تؤدي خدمة للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة من مكفوفين وإعاقات سمعية أو حركية أو عقلية.(انظر كتاب رقم وت ع/2060/20/3 بتاريخ 2004/3/7م )وكتاب رقم وت ع(2758/20/3 بتاريخ 2005/3/20م).

**مشكلة الدراسة:**

اكتسب الباحث خبرات من الحياة الأكاديمية والبحثية من خلال عمله في برنامج التعليم الجامع والتربية الخاصة في مديرية التربية والتعليم في الخليل ومديرية شمال الخليل، علاقات وثيقة مع مؤسسات المجتمع المحلي والمراكز البحثية، وعلى ضوء الملاحظات والتغذية الراجعة، الأمر الذي مهد السبيل لمتابعة سير العمل للدراسة والملاحظات التي يسجلها عن وجود مشكلة ما بالرغم من الجهود التي تبذلها وزارة التربية والتعليم العالي لدعم ومساندة مراكز التربية الخاصة من خلال انتداب معلمات من الجمعيات ومراكز التربية الخاصة على كادر التربية والتعليم العالي للمساهمة بتخفيف العبء المالي عن كاهل هذه المؤسسات إلا أنه يلاحظ:

1-أن تعيين المعلمة بعقد سنوي يجدد تلقائيا ومطالبة المعلمة بالتثبيت الدائم في الوظيفة.

2-اعتماد ترشيح الجمعية والمركز للمعلمة المنتدبة، مما أوجد نوع من الازدواجية بين موظفات الجمعية والمركز التعليمي.

3-ازدواجية الانظمة والتعليمات المتبعة من قبل التربية والتعليم وأنظمة وتعليمات الجمعية ومركز التربية الخاصة بخصوص الدوام والاجازات .

4-تستغرق المعلمة عدة سنوات من أجل التصنيف والتثبيت على كادر التربية والتعليم في الوظيفة لتستفيد من قانون الخدمة المدنية المطبق على الموظفين الحكوميين ،مما يثير مخاوف المعلمة المنتدبة.

5-تعتبر نتيجة التقرير السنوي- السري- الذييتم تعبئته من المشرف التربوي ومرشد التعليم الجامع من خلال الزيارة السنوية في نهاية العام هي الاساس في عملية تجديد العقد أو الغائه.

6-مطالبة ادارة الجمعيات ومراكز التربية الخاصة المستمرة بضرورة زيادة عدد المراكز التعليمية الممنوحة سنويا لتفريغ بقية الموظفات على كادر التربية والتعليم.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للاجابة عن الاسئلة الاتية:

السؤال الأول :ما تقييم أداء المعلمات االمنتدبات لمراكز-مدارس- التربية الخاصة من وجهة نظر المشرف التربوي؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق دالة احصائيا في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين في تقيم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى

لمتغيرات الدراسة(تخصص المعلمة،مؤهلها العلمي، سنوات الخبرة ، ومستوى المدرسة-المرحلة الدراسية-، ونوع الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة-المعاقين الذين تدرسهم (سمعية-بصرية-عقلية)؟

السؤال الثالث: ما الامور التي على المعلمة مراعاتها في التدريس ؟ ، و ما المساهمات الابداعية التي تقوم بها المعلمة؟، وما القضايا التي تواجهها في التدريس من وجهة نظر المشرف التربوي؟

1- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير تخصص المعلمة.

2-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير مؤهل المعلمة.

3-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير المرحلة الدراسية.

4- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

5-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير نوعية الاعاقة التي تدرسها.

**حدود الدراسة:**

1- الحدود الموضوعية: تتضمن نموذج التقرير السنوي المعتمد من قبل الإدارة العامة للإشراف التربوي ودائرة الإرشاد والتربية الخاصة في وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

2- الحدود البشرية: تطبق الدراسة على المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة في محافظة الخليل والتابعة لثلاث مديريات –(مديرية تربية شمال الخليل ووسط الخليل وجنوب الخليل) .

3- الحدود المكانية:تطبق الدراسة على المعلمات المنتدبات لمدرسة الصم والبكم ومدرسة الكفيف ومركز الرجاء للتربية الخاصة ومدرسة النادي العالمي للصم.

4- الحدود الزمنية: تطبق الدراسة على التقرير السنوي-السري- المعبأ من قبل المشرفين التربويين من العام الدراسي 2006-2007م لأن التقييم يتم في نهاية السنة الدراسية.

أهداف الدراسة:
تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:
1-التعرف على الية تقييم المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة من قبل وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.
2-التعرف على اراء المشرفين التربويين ومرشدي التعليم الجامع والتربية الخاصة في أداء المعلمات المنتدبات.
3-التوصل إلى مجموعة من الاجراءات التي تخدم المسؤولين وصناع القرار في الادارة العامة للإرشاد والتربية الخاصة والاشراف والتأهيل التربوي والقياس والتقويم والدوائر ذات العلاقة.

اهمية الدراسة:
1- تعتبر هذه الدراسة من البحوث والدراسات القليلة التي تتناول هذا الموضوع، فهي دراسة بكر على حد علم الباحث.
2- قد تساهم هذه الدراسة في إضافة علمية الى المكتبة المحلية التي تفتقر الى مثل هذا النوع من الدراسات.
3- استفادة المعنيين من نتائج هذه الدراسة وتطبيقاتها بعد مرور سبع سنوات على البرنامج الانتدابي لمراكز التربية الخاصة.
4- القاء الضوء على التقرير السنوي- السري- والذي يتوقف عليه في اعتقاد بعض المعلمات، مصيرهن من تجديد العقد والاستمرار في العمل أو انهاء العقد.

هذه العوامل مجتمعة تعطي أهمية لهذه الدراسة.

**مصطلحات الدراسة:**

*برنامج التعليم الجامع: اعتمد البرنامج مبدأ حق التعليم لجميع الطلاب بغض النظر عن الجنس أو الدين أو الطائفة أو الاعاقة، ويحق لكل انسان يقيم على أرض فلسطين التعليم في المدارس الحكومية.

*مركز التربية الخاصة:مؤسسة خيرية غير ربحية تقدم خدمات تعليمية لفئة محددة من ذوي الاحتياجات الخاصة-سمعية او بصرية أو حركية أو عقلية وتشرف عليه جمعية خيرية.

*معلم منتدب:المعلم الذي يتلقى راتبه من وزارة المالية ، ويكون على كادر التربية والتعليم العالي الفلسطينية ، ولكن مكان عمله مراكز التربية الخاصة

التابعة للجمعيات الخيرية،والتي تقدم خدمات تعليمية للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة"المعاقين".

منهج الدراسة:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي الميداني وذلك بتحويل إجابات أفراد مجتمع الدراسة إلى تعبير نمطي قابل للقياس، والحصول على النتائج احصائيا.

مجتمع وعينة الدراسة:

شمل مجتمع مراكز التربية الخاصة في محافظة الخليل والموزعة على المديريات الثلاث وتشمل: مدرسة الصم والبكم التابعة لجمعية الصم الخيرية ومدرسة الكفيف التابعة لجمعية الكفيف الخيرية ومركز الرجاء للتربية الخاصة التابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ومدرسة النادي العالمي للصم وعددهم25 معلمة وهن يشكلن عينة الدراسة.

**أدوات الدراسة:**

تعتمد الدراسة نموذج التقرير السنوي- السري- المعتمد من قبل الإدارة العامة للإشراف والتأهيل التربوي والإدارة العامة للإرشاد والتربية الخاصة والمعروف باسم:"تقويم معلمي وزارة التربية والتعليم المنتدبين في مدارس التربية الخاصة" .("أنظر :أمر إداري رقم و ت/2083/3/11 بتاريخ 2007/3/14م الصادر عن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية").

يعبأ النموذج من قبل المشرف التربوي ويطلع عليه مرشد التعليم الجامع والتربية الخاصة في المديرية بعد حضور حصة مع المعلمة داخل الصف ، وملاحظة ومشاهدة الاداء ، وبعدها يتم الجلوس مع المعلمة للإطلاع على الخطط والتحضيرات والانشطة والوسائل وبعدها يتم اعطاء التغذية الراجعة .

النموذج من النوع المغلق المفتوح،القسم الأول يضم عشرين فقرة ضمن التدرج الخماسي من 1-5 (دائما،غالبا،أحيانا،نادرا،إطلاقا)، والقسم الثاني يضم اسئلة مفتوحة يجيب عليها المشرف التربوي ومرشد التعليم الجامع والتربية الخاصة من خلال الجلسة التقييمية مع المعلمة مجتمعين معا.

**صدق الأداة:**

**استخدم الباحث صدق المحكمين حيث عرض النموذج على مجموعة من المشرفين والذين أشاروا إلى أنها تقيس ما وضعت لقياسه، ويستخدم نموذج التقرير السنوي من قبل المشرفين التربويين منذ العام 1998م ولغاية الآن، ويعتبر المشرف التربوي محكم في هذا المجال.**

**ثبات الأداة:**

تم استخدام معامل كرونباخ ألفا للاتساق الداخلي حيث كان معامل الثبات (0.84) : وهذا المعامل يدل على ثبات الأداة، وملاءمتها للدراسة.

مصادر الدراسة:

النشرات والكتب و نماذج التقاريرالسنوية- السرية- والسجلات وارشيف مديرية التربية والتعليم وسجلات الوارد من الوزارة والصادر عن مديرية التربية والتعليم العالي، وما كتب عن برنامج التعليم الجامع في الصحافة المكتوبة والمقروءة والمرئية والزيارات الميدانية والمشاهدات العينية ونماذج المتابعة الميدانية المعتمدة من قبل مرشدي التعليم الجامع في المديريات.

المعالجة الإحصائية:

بعد جمع بيانات الدراسة ،قام الباحث بمراجعتها تمهيدا لإدخالها على جهاز الحاسوب-الكمبيوتر-، وقد تمت هذه العملية بإعطائها أرقاما معينة :أي بتحويل الإجابات التقييم اللفظية إلى رقمية، وأعطيت الإجابة دائما 5 درجات وغالبا 4 درجات وأحيانا 3 درجات ونادرا درجتان وإطلاقا درجة واحدة. بحيث كلما زادت الدرجة زادت درجة الممارسة، والعكس صحيح.

قد تمت المعالجة الإحصائية باستخراج الأعداد والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار تي Test واختبار تحليل التباين الأحادي ومعادلة الثبات كرونباخ ألفا واختبار شيفيه، وذلك باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية.

الأدب التربوي والدراسات السابقة:

***ورشة عمل مناطقية لمناقشة الخطة الوطنية للتعليم الجامع2002م**

أشارت نتائج التقييم عام 2000م مدى التفاعل في تحقيق أهداف التعليم الجامع، وقد كانت فلسطين والإمارات العربية المتحدة من أولى الدول التي حققت أهداف التعليم للجميع، كما بين أيضا مدى التراجع في عملية التحصيل للمرحلة الأساسية الدنيا . أنظر:*("جريدة مسيرة التربية ،(كانون أول 2003م) ،(العدد40) ،(السنة الرابعة) ،(صفحة 4) تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.)*

***دراسة مسحية للمراكز والمدارس في مجال التربية الخاصة( 2003م)**

تمت الدراسة من خلال توزيع-أمر إداري- تعميم على مراكز التربية الخاصة لتعبئة بيانات ومعلومات عامة عن الجمعية وتصنيفها ونوع الترخيص وعدد المراكز التعليمية الممنوحة لها من قبل وزارة التربية والتعليم ، ومعلومات عن الطلبة والعاملين فيها بناء على *كتاب من وزارة التربية رقم( و ت /428/3 بتاريخ 2003/1/18م).*

***ورشة عمل تدريبية لمعلمي ومعلمات التربية الخاصة الجدد 2005م**

تم خلالها التركيز على ضرورة توفير معلمين متخصصين ومتدربين مهنيا للعمل في مراكز التربية الخاصة وغرف المصادر، لدعم الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، وإخراجهم من الدمج المبعثر، كما أشارت إلى ضرورة بناء خطة عمل فردية وتطبيقها على الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.أنظر:*("جريدة مسيرة التربية (،شباط 2005م) ،العدد 46،السنة التاسعة ،الصفحة الثانية،تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية")*.

***ورشة تدريبية حول القيادة وحل المشكلات (2005م).**

شملت الورشة التدريبية على مواضيع القيادة وإدارة العمل المكتبي وإدارة المفاوضات، وتنظيم الوقت،والجهد ، وتطوير أداء الموظفين،واستخدام وسائل الاتصال ومستويات تأسيس فريق العمل والتعامل مع المشكلات وتسوية الخلافات، والتركيز على إعادة أعمار البنية التحتية وما دمره الاحتلال.*("جريدة مسيرة التربية ،،شباط 2005م ،العدد 46،السنة التاسعة ،الصفحة الخامسة ،تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية")*.

***وزارة التربية والتعليم العالي تنظم ورشة عمل تدريبية خاصة بفرق التعليم الجامع( 2007م).**

من خلال اللقاء مع د.بيتر فالير من جامعة مانشستر في بريطانيا ،بهدف بلورة رؤية حيال تطوير مواد مرجعية، وإعداد مساقات دبلوم مهني متخصص في التربية الخاصة والاطلاع على آخر التطورات التربوية الخاصة الحديثة تمهيدا لدمجها في خطط وسياسات الوزارة، والاستفادة من تقييمات وخبرات المشاركين.أنظر:("*جريدة القدس،2007/10/2م،العدد 13696نالصفحة 24 "* .

عرض النتائج وتحليلها

**يتناول هذا الجزء عرضا للنتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلال الإجابة عن أسئلتها وفحص فرضياتها، وذلك بإيجاد الأعداد واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية باستخدام اختبار ني (T-test) واختبار تحليل التباين الأحادي.**

**لقد تم استخدام تدريج ليكرت الخماسي في تدريج أداة الدراسة: حيث أعطيت الإجابة دائما( 5 )درجات والإجابة غالبا (4 )درجات، والإجابة أحيانا( 3) درجات، والإجابة نادرا (2 )درجة والإجابة إطلاقا (درجة واحدة)** .

| رقم الفقرة في الاستبانة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| يلتزم بالدوام الرسمي | 4.680 | 0.476 |
| يحترم المهنة ويلتزم الأنظمة والتعليمات | 4.400 | 0.500 |
| يتعامل مع زملائه ورؤساءه في العمل | 4.200 | 0.500 |
| يدير ويضبط الصف بشكل جيد | 4.160 | 0.624 |
| لديه القدرة على إيصال المعلومات بطريقة مناسبة | 4.160 | 0.473 |
| يستخدم الوسائل التعليمية المناسبة للمرحلة والبحث | 4.080 | 0.640 |
| ينجز العمل المطلوب منه ويتحمل المسؤولية | 4.040 | 0.539 |
| يتسم بشخصية ومظهر جيدين | 4.004 | 0.282 |
| يوجد تفاعل بين المعلم والطلبة | 4.000 | 0.408 |
| آلية تقويم أداء الطلبة ملائمة | 3.960 | 0.455 |
| الأسلوب المتبع في التدريس مناسب للموضوع والطلبة | 3.960 | 0.539 |
| يشجع المشاركة الطلابية | 3.920 | 0.277 |
| يتابع نشاطات الطلبة الصفية | 3.880 | 0.440 |
| يعد خطة سنوية واضحة وشاملة | 3.880 | 0.526 |
| يقوم باستخدام الوسائل التعليمية بطريقة فاعلة | 3.840 | 0.624 |
| دفاتر التحضير جيدة ومرتبة | 3.840 | 0.554 |
| يراعي الفروق الفردية لدى الطلبة | 3.840 | 0.624 |
| يقوم بالتهيئة للموضوع | 3.840 | 0.624 |
| يستخدم أساليب التعزيز المنوعة | 3.720 | 0.891 |
| يراعي مبادئ القياس والتقويم في بناء الاختيارات | 3.680 | 0.557 |

**النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:**

**للإجابة عن السؤال الأول وهو:** ما تقييم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز- مدارس- التربية الخاصة من وجهة نظر المشرف التربوي؟ **تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على أداة الدراسة والجدول التالي تبين ذلك:**

**جدول رقم ( 1 )**
**المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على الأداة مرتبة تنازليا**

**يتضح من الجدول السابق أن أعلى التقديرات لتقييم المشرفين التربويين للأداة ككل تتمثل في الالتزام بالدوام الرسمي بمتوسط حسابي**4.68 **وبانحراف معياري 0.476. وهي الفقرة رقم 16. يليها الفقرة رقم 18 وهي يحترم المهنية ويلتزم الأنظمة والتعليمات بمتوسط حسابي** 4.4**وبانحراف معياري 0.50. أما اقل تقدير فقد احتلته الفقرة رقم 12 وهي يراعي مبادئ القياس والتقويم في بناء الاختبارات بمتوسط حسابي 3.68 وانحراف معياري 0.557. أما التقديرات بشكل عام فقد كانت بدرجة عالية.**

**النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:**

هل توجد فروق دالة احصائيا في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين في تقيم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغيرات الدراسة(تخصص المعلمة،مؤهلها العلمي، سنوات الخدمة،الدورات التدريبية ، ومستوى المدرسة)؟

**تم فحص فرضيات الدراسة، والنتائج كما يلي:**

**النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:**

**توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha$=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير تخصص المعلمة.**

**ولفحص هذه الفرضية فقد تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب التخصص، ولاختبار دلالة الفروق بين متوسطات الاستجابات حسب متغير التخصص تم إجراء تحليل التباين الأحادي والجداول الآتية تبين ذلك:**

**جدول رقم ( 2 )**

**نتائج تحليل التباين الأحادي لمقارنة متوسطات استجابات أفراد العينة حسب متغير تخصص المعلم**

| مصدر التباين | مجموع المربعات | متوسط المربعات | درجات الحرية | قيمة ف المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 0.005 | 0.002 | 2 | 0.026 | 0.974 |
| داخل المجموعات | 1.906 | 0.087 | 22 | | |
| المجموع | 1.911 | — | 24 | | |

يتضح من الجدول السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α =0.05) بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد العينة تعزى لمتغير التخصص. حيث بلغت قيمة ف (0.026) وقيمة الدلالة الإحصائية(0.974) وهي غير دالة إحصائيا وعلية لا تقبل الفرضية الأولى.

والجدول ( رقم3 ) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب متغير التخصص.

**جدول رقم ( 3 )**

نتائج تحليل التباين الأحادي لمقارنة متوسطات استجابات أفراد العينة حسب متغير التخصص

| تخصص المعلمة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| علوم إنسانية | 20 | 4.01 | 0.23 |
| مواد علمية | 1 | 4.00 | 0 |
| لغات | 4 | 3.97 | 0.53 |
| المجموع | 25 | 4.00 | 0.28 |

**النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:**

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزي لمتغير مؤهل المعلمة. وقد تم فحص هذه الفرضية باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب متغير المؤهل، ولاختبار دلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة حسب المؤهل تم استخدام اختبار ت (T.Test). عند مستوى الدلالة α= 0.05 والجدول رقم( 4 ) يبين ذلك:

**الجدول رقم ( 4 )**
**اختبار ت لدلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة حسب متغير المؤهل**

| المؤهل | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجات الحرية | قيمة (ت) | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| دبلوم | 8 | 3.97 | 0.31 | 23 | 0.36- | 0.72 |
| بكالوريوس | 17 | 4.02 | 0.28 | | | |

**يتضح من الجدول السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α =0.05 بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد العينة تعزى لمتغير المؤهل ، حيث أن قيمة الدلالة الإحصائية أكبر من 0.05 وهي غير دالة إحصائيا، وعلية تقبل الفرضية الثانية.**

**النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة:**
**لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزي لمتغير المرحلة الدراسية. وقد تم فحص هذه الفرضية باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب متغير المرحلة، ولاختبار دلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة حسب المرحلة تم استخدام اختبار ت T.Test. عند مستوى الدلالة α= 0.05 والجدول رقم( 5 ) يبين ذلك:**
**الجدول رقم ( 5 )**
**اختبار ت لدلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة حسب متغير المرحلة**

| المرحلة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجات الحرية | قيمة (ت) | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| دنيا | 15 | 4.00 | 0.26 | 23 | 0.09- | 0.93 |
| عليا | 10 | 4.01 | 0.33 | | | |

**يتضح من الجدول السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α =0.05 بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد العينة تعزى لمتغير المرحلة الدراسية-أساسية دنيا أو أساسية عليا_ ، حيث أن قيمة الدلالة الإحصائية أكبر من 0.05 وهي غير دالة إحصائيا، وعلية تقبل الفرضية الثالثة.**

**النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة:**

**توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزي لمتغير سنوات الخبرة وقد تم فحص هذه الفرضية باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب متغير الخبرة، ولاختبار دلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة حسب الخبرة تم استخدام اختبار ت T.Test. عند مستوى الدلالة α= 0.05 والجدول رقم( 6 ) يبين ذلك:**

**الجدول رقم ( 6 )**
**اختبار ت لدلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة حسب متغير سنوات الخبرة**

| سنوات الخبرة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجات الحرية | قيمة (ت) | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 4-1 | 13 | 4.00 | 0.26 | 23 | 0.003- | 0.99 |
| 7-5 | 12 | 4.00 | 0.31 | | | |

**يتضح من الجدول السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α =0.05 بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد العينة تعزى لمتغير الخبرة، حيث أن قيمة الدلالة الإحصائية أكبر من 0.05 وهي غير دالة إحصائيا، وعلية لا تقبل الفرضية الرابعة.**

**النتائج المتعلقة بالفرضية الخامسة:**

**لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم أداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزي لمتغير نوع الإعاقة التي تدرسها. ولفحص هذه الفرضية فقد تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب نوع الإعاقة التي تدرسها، ولاختبار دلالة الفروق بين متوسطات الاستجابات حسب متغير نوع الإعاقة تم إجراء تحليل التباين الأحادي والجداول التالية تبين ذلك:**

**جدول رقم ( 7 )**
**نتائج تحليل التباين الأحادي لمقارنة متوسطات استجابات أفراد العينة حسب متغير نوع الإعاقة**

| مصدر التباين | مجموع المربعات | متوسط المربعات | درجات الحرية | قيمة ف المحسوبة | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 0.092 | 0.046 | 2 | 0.557 | 0.581 |
| داخل المجموعات | 1.819 | 0.083 | 22 | | |
| المجموع | 1.911 | — | 24 | | |

يتضح من الجدول السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha$ =0.05) بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد العينة تعزى لمتغير الطالب ذوي الاحتياج الخاص من حيث نوع الإعاقة التي يعاني منها. حيث بلغت قيمة ف (0.557) وقيمة الدلالة الإحصائية(0.581) وهي غير دالة إحصائيا وعلية تقبل الفرضية الخامسة. والجدول ( 8) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب متغير نوع الإعاقة.

**جدول رقم ( 8 )**
نتائج تحليل التباين الأحادي لمقارنة متوسطات استجابات أفراد العينة حسب متغير الإعاقة

| نوع الإعاقة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| عقلية | 8 | 4.04 | 0.05 |
| سمعية | 8 | 4.06 | 0.36 |
| بصرية | 9 | 3.92 | 0.338 |
| المجموع | 25 | 4.00 | 0.282 |

للإجابة على السؤال الثالث والمتعلق بالجزء الثاني من النموذج التقييمي من حيث:

أ.الأمور التي على المعلمة مراعاتها في تدريس المباحث:

- عمل مراجعة تراكمية في نهاية الفصل الدراسي للمبحث/المقرر الدراسي من قبل المعلمة.
- مراجعة الطلبة في الخبرات السابقة في بداية الحصة.
- اطلاع الطلاب على أهداف الدرس في بداية الحصة.

- البدء بالمفاهيم المحسوسة ثم الانتقال إلى شبه المحسوسة ثم المجردة.
- تفعيل دفتر المتابعة.
- الاستفادة من مصادر التعلم في المدرسة.
- التنويع في الأنشطة و التنويع في الوسائل السمعية والحسية والبصرية من حيث حسن توظيف الوسائل من الطباشير الملونة، المواد المحسوسة، لوحة المنازل، تلوين الحروف المتصلة بألوان مميزة تتفق مع لونها وهي منفصلة، وتوظيف المادة المسجلة والمصورة.
- استخدام الوسيلة في وقتها المحدد.
- وضع الوسيلة بعد الانتهاء منها في مكانها المحدد.
- التنويع في التعزيز لاستجابات الطلبة.
- استخدام دفتر التحضير في الصف للموضوعات التي تدرسها وتواصل مادة التخطيط اليومي والفصلي.
- مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.
- ربط المادة بالبيئة المحلية وبخبرات الطلبة.
- التعبير عن مدلولات المفاهيم الواردة في الدرس بدقة وتدريب الطلبة عليها.
- التركيز على لفظ الحروف بطريقة سليمة مع مراعاة الحركات القصيرة والطويلة.
- عمل ملف خاص لكل طالب بأوراق العمل.
- صياغة واضحة ودقيقة ومتسلسلة للأهداف السلوكية.
- مهارة طرح الأسئلة وتنظيم إجابات الطلبة.
- وضع الخطط العلاجية وخطط التعليم الفردية.

ب.المساهمات الإبداعية التي تقوم بها المعلمة من وجهة نظر المشرف التربوي:

- إعداد الوسائل التعليمية للفئة المستهدفة (سمعية، بصرية، عقلية) .
- إعداد أوراق العمل للفئة المستهدفة.
- قدرة المعلمة العالية على فن التعامل مع الفئة المستهدفة وحسن التعامل والتعليم والاتصال مع ذوي الاحتياجات الخاصة .
- خطط التعليم العلاجية الجمعية والزمرية وخطط التعليم الفردية .
- تخطيط السمع والتدريب النطقي للطلاب ذوي الإعاقات السمعية.
- توظيف الوسائل التعليمية التي تناسب مع الحالة التي يتم التعامل معها.

- تنفيذ دورات و ورشات عمل للمعلمات في المدرسة.
- تفعيل المختبر والأجهزة المختلفة لتناسب الفئة المستهدفة
- تدريب الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة على استخدام الكمبيوتر.
- إدخال برامج تعليمية للفئات المستهدفة عن طريق الكمبيوتر حسب الحاسة المستخدمة.
- القدرة المتطورة على استخدام نظام بريل، ولغة الإشارة
- مساعدة الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة على الدمج الاجتماعي في المجتمع المحلي.
- إعداد مواد تدريبية تناسب التطور والنمو في مجالات متنوعة .
- تدريب الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة على وسائل الخدمة الذاتية بالصورة والصوت والسلوك واللوحات الجدارية.

ج.القضايا التي تواجه المعلمة في تدريس المباحث من وجهة نظر المشرف التربوي:

- وجود صعوبة في توصيل بعض المفاهيم للطلبة وخاصة الرموز والإشارات.
- الفروق الفردية بين الطلبة .
- التعامل مع الطلبة بهدف الدمج . للمبصرين والمكفوفين وذوي الإعاقات المزدوجة.
- منهاج بريل والتأخر في وصوله بين يدي الطلبة المكفوفين.
- إعداد الوسائل التعليمية لتناسب الطلبة في مباحث اللغة العربية و اللغة الانجليزية والرياضيات
- إعداد أوراق العمل.
- ضعف تعاون المجتمع المحلي.
- تفاوت درجة تقبل فئات ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع.
- صعوبة السيطرة على الحواس عند بعض الطلبة.
- النطق وصعوبة التعبير لدى الطلبة الصم وذوي الإعاقات العقلية.
- مهارات الاتصال والتواصل.

مناقشة النتائج:

توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

1-ان أعلى التقديرات لتقييم المشرفين التربويين للأداة ككل تتمثل في الالتزام بالدوام المدرسي،يليها يحترم المهنة ويلتزم بالأنظمة والتعليمات، وأقل تقدير للفقرة يراعي مبادىء القياس والتقويم في بناء الاختبارات.

2-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزى لمتغير تخصص المعلمة.
3-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزى لمتغير مؤهل المعلمة.
4-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزى لمتغير المرحلة الدراسية.
5-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزى لمتغير سنوات الخبرة.
6-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة α=0.05 في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لتقييم اداء المعلمات المنتدبات لمراكز التربة الخاصة تعزى لمتغير نوعية الاعاقة التي تدرسها.
7-الأمور التي على المعلمة مراعاتها في تدريس المواد تمثلت بعمل مراجعة تراكمية ، واطلاع الطلاب على أهداف الحصة ن والتنويع في الأنشطة والوسائل والبدء بالمفاهيم المحسوسة .
8-أما اهم المساهمات الابداعية تمثلت في اعداد الوسائل التعليمية واوراق العمل، وادخال برامج تعليمية للفئات المستهدفة عن طريق الكمبيوتر وتدريب الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة على وسائل الخدمة الذاتية
9-واهم القضايا التي تواجه المعلمة في تدريس المباحث-المواد-صعوبة في توصيل المفاهيم للطلبة وخاصة الرموز والاشارات ، والتأخير في وصول منهاج بريا للطلبة المكفوفين.

من خلال عرض وتحليل النتائج لوحظ تلاشي الفروق الفردية بين أفراد عينة الدراسة للأسباب التالية:
-مشاركة المعلمات في دورات تأهيلية متخصصة وبرامج تربوية لخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة من قبل الجمعية ومركز التربية الخاصة التي تعمل فيه.
-المعلمات المنتدبات تم تعيينهن من خلال توصية إدارة الجمعية بكتاب إلى وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية على اعتبار أن طبيعة عملهن تتطلب مهارات وكفايات أكثر من التخصص.

-المتابعة والإشراف المباشر من قبل مدير الجمعية ومديرة مركز التربية الخاصة،حيث تبذل المعلمة أقصى جهدها للمحافظة على وظيفتها.
-اطلاع المسئول المباشر على نقاط القوة ونقاط الضعف عند المعلمة، وبالتالي تعمل المعلمة على تطوير نفسها مهنيا.
-رغبة المعلمة ودافعيتها القوية نحو العمل.
-تقبل المعلمة لذوي الاحتياجات الخاصة.
-إعداد وإنتاج الوسائل التعليمية واستخدامها لتتناسب مع الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
-التركيز على أوراق العمل والمواد العينية المحسوسة.
-امتلاك المعلمة الكفايات النفسية العالية من طول بال وصبر للعمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.
تعاطف المشرفين التربويين من خلال زياراتهم الميدانية لمدارس التربية الخاصة حين مشاهدتهم الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
-نجاح المعلمات في امتحان القبول و المستوى الوظيفيي للتوظيف حين التقدم للوظيفة الحكومية وحصولها على علامات عالية.
-مستوى الأداء العالي لمعلمات التربية الخاصة حين التحاقهن في مركز وظيفي كمعلمة تربية خاصة في المدرسة الحكومية –معلمة غرفة المصادر للتربية الخاصة.
-اشتراط وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية لمعلمة التربية الخاصة أن تمتلك خبرة في العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

**التوصيات:**

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإن الباحث يوصي بما يلي:

أولا-التوصيات العامة

- **تكثيف الزيارات الإشرافية من قبل المشرفين التربويين وموظفي أقسام المديرية من تعليم عام، تعليم جامع، تقنيات، نشاطات ورقابة إدارية لمراكز ومدارس التربية الخاصة.**
- **تثبيت المعلمات على كادر التربية والتعليم بعد انقضاء الفترة التجريبية والمحددة بثلاث سنوات حسب قانون الخدمة المدنية.**
- **عمل برنامج تدريب وتأهيل للمعلمات من خلال عقد ورشات عمل حول إدارة الصف وأساليب الاتصال والتواصل وعمل الوسائل التعليمية والنشاطات التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة.**
- **المشاركة في المسابقات ونشاطات المديرية.**
- **تحويل بعض المعلمات لتدريس مواد تخصصها.**
- **إدخال التقنيات التربوية في التعليم كالحاسوب ،البروجكتور ،جهاز L.C.D والتلفزيون التعليمي والأجهزة الصوتية.**

ثانيا- بحوث ودراسات مقترحة مستقبلية:

1-إجراء دراسات مقارنة بين تقييم أداء المعلمات المنتدبات في مدارس التربية الخاصة والمعلمين والمعلمات مسئولي لجان التعليم الجامع في المدارس الحكومية.

2-إجراء دراسات مقارنة بين أداء المعلمات المنتدبات لمدارس التربية الخاصة ومعلمات ومعلمي التربية الخاصة في غرف المصادر في المدارس الحكومية.

3-دراسة واقع معلمات التربية الخاصة في دول عربية وأجنبية ومقارنتها مع المعلمات المنتدبات لمراكز التربية الخاصة في فلسطين.

**قائمة المراجع والمصادر**

– المادة التدريبية في القياس والتقويم ، الإدارة العامة للإشراف والتأهيل التربوي ،وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، 2007م.

أمر إداري ،وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية،كتاب رقم وت ع/2060/20/3 بتاريخ 2004/3/7م )وكتاب رقم وت ع (2758/20/3 بتاريخ 2005/3/20م).

-أمر إداري رقم و ت/2083/3/11 بتاريخ 2007/3/14م الصادر عن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية").

*-"جريدة مسيرة التربية ،(كانون أول 2003م) ،(العدد40) ،(السنة الرابعة) ،(صفحة 4) تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.)*

-أمر إداري ،وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية *كتاب من وزارة التربية رقم( و ت /428/3 بتاريخ 2003/1/18م).*

*-("جريدة مسيرة التربية (،شباط 2005م) ،العدد 46،السنة التاسعة ،الصفحة الثانية،تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية").*

*-.("جريدة مسيرة التربية ،،شباط 2005م ،العدد 46،السنة التاسعة ،الصفحة الخامسة ،تصدر عن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية").*

:-("*جريدة القدس،2007/10/2م،العدد 13696نالصفحة 24 " .*

:"نظام تقييم الأداء السنوي:لجان العمل الصحي 2007م).واختصاصات الوحدات التنظيمية الأساسية والوصف الوظيفي في مؤسسة لجان العمل الصحي 2008م).

الملاحق

ملاحق الدراسة

ملحق رقم (1)التقرير السنوي لتقييم المعلمين المنتدبين في مدارس التربية الخاصة

اسم المديرية:........................ اسم المدرسة:..................................

اسم المعلم/ة:.......................... رقم الهوية...................................

المؤهل العلمي:....................... المباحث التي يدرسها:.....................

الصفوف التي يدرسها:..............

تاريخ توقيع العقد: / / م تاريخ الزيارة: / / 200 م

رقم هوية المعلم:......................

الدورات التي حضرها هذا العام 200

1............. 2............. 3........................................

| الرقم | البند | دائما | غالبا | أحيانا | نادرا | إطلاقا |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1. | يعد خطة سنوية واضحة وشاملة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 2. | دفاتر التحضير جيدة ومرتبة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 3. | يقوم بالتهيئة للموضوع | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 4. | الأسلوب المتبع في التدريس مناسب للموضوع والطلبة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 5. | يراعي الفروق الفردية لدى الطلبة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 6. | يستخدم الوسائل التعليمية المناسبة للمرحلة والبحث | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 7. | يتابع نشاطات الطلبة الصفية | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 8. | لديه القدرة على إيصال المعلومات بطريقة مناسبة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 9. | يدير ويضبط الصف بشكل جيد | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 10. | يقوم باستخدام الوسائل التعليمية بطريقة فاعلة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 11. | آلية تقويم أداء الطلبة ملائمة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 12. | يراعي مبادئ القياس والتقويم في بناء الاختبارات | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 13. | يشجع المشاركة الطلابية | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 14. | يستخدم أساليب التعزيز المنوعة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 15. | يوجد تفاعل بين المعلم والطلبة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 16. | يلتزم بالدوام الرسمي | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 17. | يتعامل مع زملائه ورؤساءه في العمل | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 18. | يحترم المهنة ويلتزم الأنظمة والتعليمات | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 19. | ينجز العمل المطلوب منه ويتحمل المسؤولية | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 20. | يتسم بشخصية ومظهر جيدين | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |

**أمور على المعلم/ة مراعاتها**

1...................................................................................

2...................................................................................

**أمور تم الاتفاق عليها مع مدير/ة المدرسة للمتابعة:**

1.......................................................

2.......................................................

**مساهمات إبداعية للمعلم/ة في مجال عمله:**

1................................................................

2.................................................................

**قضايا تواجه المعلم/ة في تدريس المباحث:**

1................................................................

2................................................................

3................................................................

| المعدل | رقميا | كتابيا |
|---|---|---|
| | | |

| ممتاز | جيد جدا | جيد | متوسط | ضعيف |
|---|---|---|---|---|
| 100-85 | 84-75 | 74-65 | 64-50 | دون 50 |

**المشرف التربوي :.................................** **رئيس قسم**

**الأشراف:............................**

**التوقيع:** **التوقيع:**

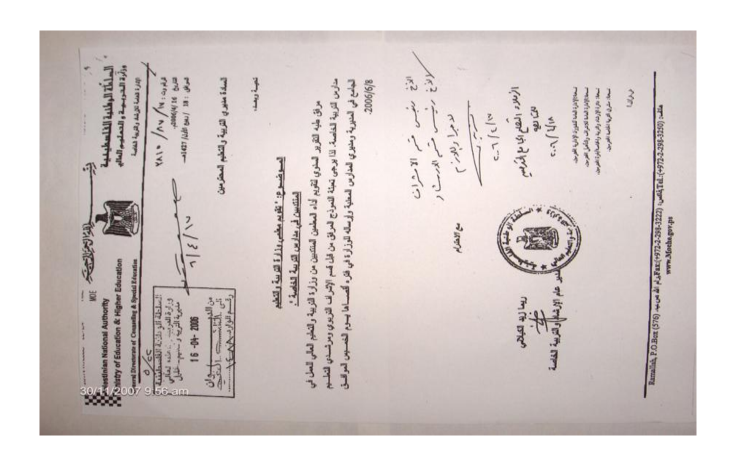
**التاريخ : / /** **التاريخ : / /**

**مرشد التعليم الجامع.................................**

**التوقيع:**

**التاريخ : / /**

**خاتم المديرية**



بسم الله الرحمن الرحيم

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربية والتعليم العالي
الإدارة العامة للإرشاد والتربية الخاصة

Palestinian National Authority
Ministry of Education & Higher Education
General Directorate of Counseling & Special Education

الرقم و ت : ١٧/ ٨٧/ ٢٨١٠
التاريخ 16 /2006/4م.
الموافق : 18 / ربيع الأول/ 1427هـ.

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربية والتعليم العالي
مديرية التربية والتعليم - الخليل
16 -04- 2006

السادة مديري التربية والتعليم المحترمين

تحية وبعد،

الموضوع: "تقويم معلمي وزارة التربية والتعليم المنتدبين في مدارس التربية الخاصة".

مرفق طيه التقرير السنوي لتقويم أداء المعلمين المنتدبين من وزارة التربية والتعليم العالي للعمل في مدارس التربية الخاصة. لذا يرجى تعبئة النموذج المرفق من قبل قسم الإشراف التربوي ومرشدي التعليم الجامع في المديرية ومديري المدارس المعنية وإرساله للوزارة في فترة أقصاها يوم الخميس الموافق 2006/6/8.

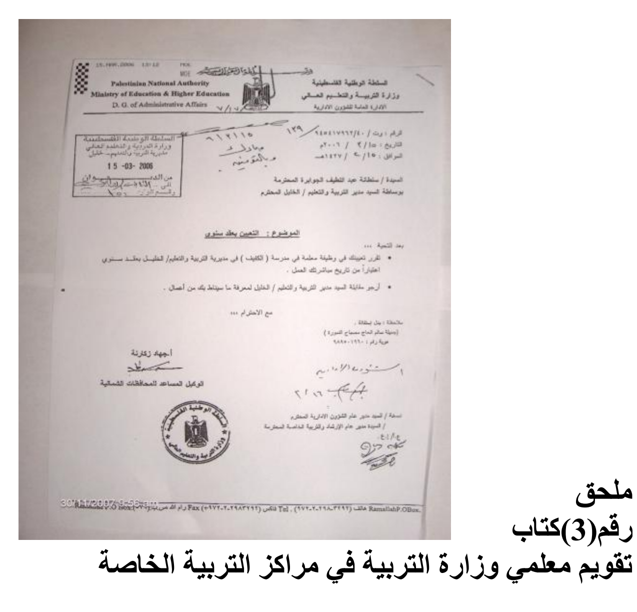
مع الاحترام

ريما زيد الكيلاني
مدير عام الإرشاد والتربية الخاصة

نسخة: الإدارة العامة للشؤون الإدارية المحترمين.
نسخة: الإدارة العامة للإشراف والتأهيل المحترمين.
نسخة: دائرة الإرشاد والتربية الخاصة/ الوزارة المحترمين.
نسخة: مشرفي التربية الخاصة المحترمين.

Ramallah, P.O.Box (576) رام الله ص.ب. Fax:(+972-2-298-3222) فاكس: Tel.:(+972-2-298-3250) هاتف:
www.Moehe.gov.ps

ملحق رقم (2)كتاب تعيين بعقد



السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربية والتعليم العالي
الإدارة العامة للشؤون الإدارية

Palestinian National Authority
Ministry of Education & Higher Education
D. G. of Administrative Affairs

الرقم : و ت / ٩٤٥٤١٧٩٦٢/٤٠ / ١٢٩
التاريخ : ١٥/ ٣ / ٢٠٠٦م
الموافق : ١٥/ ٢ / ١٤٢٧هـ

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربية والتعليم العالي
مديرية التربية والتعليم - الخليل
15 -03- 2006

السيدة / سلطانة عبد اللطيف الجوابرة المحترمة
بوساطة السيد مدير التربية والتعليم / الخليل المحترم

الموضوع : التعيين بعقد سنوي

بعد التحية ،،،

- تقرر تعيينك في وظيفة معلمة في مدرسة ( الكليف ) في مديرية التربية والتعليم/ الخليل بعقد سنوي اعتباراً من تاريخ مباشرتك العمل .
- أرجو مقابلة السيد مدير التربية والتعليم / الخليل لمعرفة ما سيناط بك من أعمال .

مع الاحترام ،،،

ملاحظة : بدل إسقاط ،
(جميلة سالم الحاج مصباح النمورة )
هوية رقم : ٩٨٩٥٠١٩٦٠٠

أ.جهاد زكارنة
الوكيل المساعد للمحافظات الشمالية

نسخة / السيد مدير عام الشؤون الإدارية المحترم
/ السيدة مدير عام الإرشاد والتربية الخاصة المحترمة

Ramallah P.O.Box هاتف (٩٧٢-٢-٢٩٨-٣٢٩٢) Tel . فاكس (٩٧٢-٢-٢٩٨٣٢٩٢+) Fax رام الله ص.ب

ملحق
رقم(3)كتاب
تقويم معلمي وزارة التربية في مراكز التربية الخاصة



بسم الله الرحمن الرحيم

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربية والتعليم العالي
الإدارة العامة للإرشاد والتربية الخاصة

Palestinian National Authority
Ministry of Education & Higher Education
General Directorate of Counseling & Special Education

الرقم: و ت/ ٢٨١٠/٨٧/١٧
التاريخ: 16 /2006/4م
الموافق: 18 / ربيع الأول/ 1427هـ

16 -04- 2006

السادة مديري التربية والتعليم المحترمين

تحية وبعد،

الموضوع: "تقويم معلمي وزارة التربية والتعليم المنتدبين في مدارس التربية الخاصة".

مرفق طيه التقرير السنوي لتقويم أداء المعلمين المنتدبين من وزارة التربية والتعليم العالي للعمل في مدارس التربية الخاصة. لذا يرجى تعبئة النموذج المرفق من قبل قسم الإشراف التربوي ومرشدي التعليم الجامع في المديرية ومديري المدارس المعنية وإرساله للوزارة في فترة أقصاها يوم الخميس الموافق 2006/6/8.

مع الاحترام

ريما زيد الكيلاني
مدير عام الإرشاد والتربية الخاصة

Ramallah, P.O.Box (576) رام الله ص.ب. Fax:(+972-2-298-3222) فاكس: Tel.:(+972-2-298-3250) هاتف:
www.Moehe.gov.ps

## ملحق رقم (4)كتاب المراكز التعليمية الممنوحة لمراكز التربية الخاصة:



بسم الله الرحمن الرحيم

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربية والتعليم العالي
الإدارة العامة للإرشاد والتربية الخاصة

Palestinian National Authority
Ministry of Education & Higher Education
Directorate General of Counseling & Special Education

الرقم: و ت/ ٩/ ١٢٥٤
التاريخ: ١٤/ ٢ /٢٠٠٧م
الموافق: ٢٧/محرم/١٤٢٨هـ

20 -02- 2007

السادة مديري التربية والتعليم المحترمين،،،

تحية طيبة وبعد،،،

الموضوع: المراكز التعليمية لمؤسسات التربية الخاصة

أرجو مخاطبة الإدارة العامة للإرشاد والتربية الخاصة بخصوص المراكز التعليمية لمؤسسات التربية الخاصة وستقوم بدورها بالتنسيق مع الإدارة العامة للتعليم العام.

مع الاحترام،،،

د. بسام ملاصرة
الوكيل المساعد للشؤون الإدارية والمالية

نسخة: معالي وزير التربية والتعليم العالي المحترم
: عطوفة الوكيل المحترم
: الإدارة العامة للإرشاد والتربية الخاصة
: الإدارة العامة للتعليم العام

Ramallah P.O.Box (٥٧٦) رام الله ص.ب. Fax (٠٩٧٢-٢-٢٩٨٣٢٢٢) فاكس Tel. (٠٩٧٢-٢-٢٩٨٣٢٥٠) هاتف

## ملحق (5)كتاب تعيين بعقد سنوي:



Palestinian National Authority
Ministry of Education & Higher Education
D. G. of Administrative Affairs

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربيـــة والتعلـــيم العـــالي
الادارة العامة للشؤون الادارية

22 -10- 2005

الرقم : و ت / ٣٦ / ٧ / ١٣٩٤٨
التاريخ : ٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٥م
الموافق : ١٧ / ٩ / ١٤٢٦هـ

السيدة / هدى عبد الحليم الشاجدة المحترمة
بوساطة السيد مدير التربية والتعليم / الخليل المحترم

**الموضوع : التعيين بعقد سنوي**

بعد التحية ...

- تقرر تعيينك في وظيفة معلمة في "مركز الرجاء للتربية الخاصة" بعقد سنوي اعتباراً من تاريخ مباشرتك العمل .
- أرجو مقابلة السيد مدير التربية والتعليم / الخليل لمعرفة ما سيناط بك من أعمال .

مع الاحترام ...

أ. جهاد زكارنة
الوكيل المساعد للمحافظات الشمالية

نسخة / السيد مدير عام الشؤون الادارية المحترم
/ السيدة مدير عام الإرشاد والتربية الخاصة المحترمة
/ السيد مدير دائرة الرواتب والعلاوات المحترم
/ الملف

Ramallah P.O Box.(٥٧٦) رام الله ص.ب Fax (+٩٧٢-٢-٢٩٨٣٢٩٢) فاكس Tel . (٩٧٢-٢-٢٩٨-٣٢٩٢) هاتف RamallahP.OBox.



Palestinian National Authority
Ministry of Education & Higher Education
D. G. of Administrative Affairs

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة التربيـــة والتعلـــيم العـــالي
الادارة العامة للشؤون الادارية

22 -10- 2005

الرقم : و ت / ١٦ / ٧ / ١٣٩٤٠
التاريخ : ٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٥م
الموافق : ١٧ / ٩ / ١٤٢٦هـ

السيدة / عبير عبد الحميد عواد المحترمة
بوساطة السيد مدير التربية والتعليم / الخليل المحترم

**الموضوع : التعيين بعقد سنوي**

بعد التحية ...

- تقرر تعيينك في وظيفة معلمة في "مدرسة الكفيف الخيرية" بعقد سنوي اعتباراً من تاريخ مباشرتك العمل .
- أرجو مقابلة السيد مدير التربية والتعليم / الخليل لمعرفة ما سيناط بك من أعمال .

مع الاحترام ...

أ. جهاد زكارنة
الوكيل المساعد للمحافظات الشمالية

نسخة / السيد مدير عام الشؤون الادارية المحترم
/ السيد مدير عام الإرشاد والتربية الخاصة المحترم
/ السيد مدير دائرة الرواتب والعلاوات المحترم
/ الملف

Ramallah P.O Box. رام الله ص.ب Fax (+٩٧٢-٢-٢٩٨٣٢٩٢) فاكس Tel . (٩٧٢-٢-٢٩٨-٣٢٩٢) هاتف RamallahP.OBox.

# أوراق عمل ودراسات في المؤتمرات العلميـة

## واقع التعليم العالي في العراق وسبل تطويره

# واقع التعليم العالي في العراق وسبل تطويره

أ.د. قاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية

توطئة

تتوقف نوعية مستقبل العراق على نوعية التعليم العالي فيه، والجامعة بشكل خاص بوصفها المؤسسة التي تمتلك عوامل الابداع والابتكار والخبرة العلمية والثقافة الحضارية، والمؤهلة لتحقيق خمس مهمات اساسية تنفرد بها:

- التعليم والتأهيل،عبر اعداد الكوادر الكفوءه بممارسة المهن الحياتية المختلفة
- البحث العلمي، بانماء العلم وتطويره .
- خدمة المجتمع، بتوظيف العلم في تطويره، وتقديم الاستشارات العلمية للمشاريع الصناعية والمؤسسات الانتاجية والاجتماعية، ونقل المجتمع من التخلف الى الحداثة.
- بناء شخصية الانسان وتنمية القيم الانسانية والاجتماعية والحضارية لديه.
- اشاعة الثقافة الحضارية بوصفها تتصدر قنوات التبادل العلمي والثقافي على المستوى العالمي.

والمشكلة فينا نحن العراقيين أننا نشطاء في عقد المؤتمرات غير ان سلطة القرار لا تكترث بتنفيذ ما يتوصل اليه المؤتمرون من توصيات .فلقد عقد أول مؤتمر للتعليم العالي بعد التغيير(وسابع مؤتمر في تأريخه)في ايلول عام 2004 في بغداد حضره أكثر من ستمائة تدريسي من جامعات العراق كافة ،تلاه (المؤتمر العالمي للتعليم العالي في العراق)عقد في اربيل عام 2007،حضره أكثر من خمسمائة تدريسي بينهم خبراء أجانب ،فضلا عن المؤتمر الذي عقد في لندن أواخر سنة 2006،توصلت الى توصيات غاية في الأهمية غير أن الكثير منها لم يأخذ طريقه للتطبيق.

ولا يعود السبب الى فقدان الاستقرار السياسي فقط ،بل والى تولّي المسؤوليات الأساسية في الوزارة أشخاص يعتمد أغلبهم سيكولوجيا الغاء ما أنجزه أو خطط له المسؤول السابق .فلقد تعاقبت وزارتان على التعليم العالي خلال سنتي 2003 و 2004 قبل الانتخابات ،ثم وزارة ثالثة ربيع عام 2005،ثم وزارة رابعة .تباعدت في رؤاها وخضعت لضغوطات سياسية افقدت بعض الجامعات هويتها العلمية والثقافية وضعضعت رصانتها.

تأشير معوقات

تتحدد أهم معوقات التعليم العالي في العراق بالآتي:

- عدم وجود فلسفة واضحة للدولة ما اذا كانت علمانية أو دينية، تتحدد في ضوئها اهداف التعليم العالي بالعراق.
- ضعف الادارة الجامعية، باسناد المسؤوليات الأساسية ( رئيس جامعة، عميد كلية ،....) لا على أساس المعايير المعتمدة في الجامعات الرصينة، انما على أساس الانتماء السياسي والطائفي والقومي، فضلا" عن عدم اعتمادها ادارة الجودة الشاملة.
- تدني مستوى البحث العلمي بالعراق وما ينفق عليه من اموال مقارنة حتى بالدول غير النفطية.
- شيوع الفساد المالي والاداري وضعف القيم والاخلاق الجامعية وتحول بعض الجامعات الى مصادر للخوف.
- انغلاق الجامعات العراقية على نفسها، وعدم انفتاحها على تجارب التعليم الجامعي المفتوح والتعليم الالكتروني.

أهداف الورقة

تستهدف تحقيق الآتي:

أولا: قراءة واقع التعليم العالي في العراق بما يخص المحاور الآتية:

1. فلسفة التعليم العالي وأهدافه
2. الادارة الجامعية
3. الأستاذ الجامعي
4. البحث العلمي
5. والتعليم المفتوح.

ثانيا :اقتراح المعالجات المناسبة لتحقيق تعليم عالي متطور.

المحور الأول:فلسفة التعليم العالي واهدافه

من المفارقات أن النظام الدكتاتوري السابق كانت له فلسفة وأيديولوجيا وبرنامج سياسي واضح بغض النظر عن تطبيقاتها وما نجم عنها من اساءات وأخطاء كبيرة،فيما العراق اليوم دولة من دون هوية ،فما نزال لا نعرف ما اذا كان العراق دولة علمانية أم اسلامية ،فضلا عن أن مستقبله يتأرجح بين ثلاثة سيناريوهات:

- الأول : بقاء العراق دولة اتحادية ديمقراطية .
- الثاني : تقسيم العراق الى أقاليم بهويات سياسية مختلفة .
- الثالث : تخلي الحكومة المركزية عن الديمقراطية واضطرار كردستان الى الاستقلال عن العراق .

وقد يقول أحدنا : ما لنا والفلسفة ؟.. فالجامعات مؤسسات علمية حيادية تتحدد وظيفتها في الانصراف إلى الحقائق المجردة . وله نقول : إن تبني فلسفة معينة يفضي بالتبعية إلى تحديد مواصفات النظام التربوي وأسلوبه في الإدارة والمناهج . فالنظرية البيروقراطية ، القائمة على الفلسفة المثالية ، من خصائصها : تسلسل هرمي ثابت ، وادوار وسبل إنتاج معرّفة بدقة ، وبنى سلطوية واضحة ، وأنماط تفاعل رأسية . فيما ترفض نظرية الاحتمال القائمة على الفلسفة البراجماتية وجود مبادئ عامة وشاملة للإدارة ، وضد تمركز السلطة في الدور الذي يمارسه المسؤول الأعلى . وترى أن التقنين والثبات يكونان مرغوبا" فيهما في البيئات المستقرة ، فيما هما لا يناسبان البيئات غير المستقرة والتي تعيش تفجرات معرفية وتقنية وتغيرات اجتماعية سريعة .

إن هذا مثال على صعيد فلسفتين فقط ، فكيف إذا كان لدينا أكثر من سبع فلسفات أخرى بالتربية مثل : الواقعية، الإسلامية، الماركسية، الوجودية، التجديدية، ... والحديثة . واضرب مثلا" على تباين مواقفها من المنهج الدراسي. فالفلسفة التقليدية ترى أن مهمة التربية تكون في عملية حفظ ونقل التراث الاجتماعي . وأن الوظيفة الأساسية للمدرسة هي نقل التراث الثقافي إلى الأجيال في قالب تربوي بسيط . فيما ترى الفلسفة التقدمية أن مفهوم التربية ليس الإعداد للحياة ، على رأي الفلسفة المثالية ، إنما هي الحياة نفسها. وأن أهداف التربية ينبغي أن تكون مرنة وغير محددة ، ونابعة من حاجات الطلبة وميولهم .

وقد ينهض بيننا من يقول : إنكم تزعجون أنفسكم بفلسفات عفا عليها الزمن ، وتنسون أن القرن الواحد والعشرين قد جاءكم بفلسفة جديدة أسمها فلسفة " اقتصاد السوق " في عالم جديد فيه قطب واحد سيتحكم بالإنتاج والاقتصاد

والسياسة والأخلاق أيضا" ، هو قطب الشركات العملاقة متعددة الجنسيات . وقد يؤيده أخر قائلا" : لا يغريكم وضع جامعات الغرب، فالقراءة المتعمقة لما يكتب بشأنها من نقد يقود إلى الاستنتاج بأن الجامعات في الدول المتقدمة ( الصناعية السبعة الكبرى تحديدا" )، ستتحول إلى شركات كبرى لا تمتلك دورا" في الثقافة ، بوصفها المشروع التاريخي للإنسانية منذ عصر التنوير. وأنها ستفقد استقلاليتها وستتحول في عصر الاقتصاد العالمي عابر الجنسيات ، من مرجعيتها الأساسية ، الثقافة والعلم ،إلى السوق .

واذا كان العالم يحكمه اليوم اقتصاد السوق والشركات العملاقة عابرة الجنسيات ، فهل نتجه بأهداف التعليم العالي نحو هذا المسار؟. والاشكالية اننا اذا سرنا فيه فسنجد أنفسنا نقف على أرضية فلسفة البراجماتية برجلينا الاثنتين . ولا ينفع التبرير إن قلنا سنعمل على أن نضع واحدة على البراجماتية ونضع الثانية على فلسفة من تراثنا وقيمنا . ففي قانون الفلسفات لا يمكن الوقوف بتوازن على أرضيتين فلسفيتين حتى لو كانت صلة قرابة .

## مباديء لفلسفة مقترحة

انه لمن دواعي فخر الباحث أنه قدّم في أول مؤتمر للتعليم العالي بعد التغيير (أيلول 2004) سبعة مباديء لفلسفة التعليم العالي في العراق صادق عليها المؤتمرون ،واعتمدتها وزارة التعليم العالي في استراتيجيتها ،تمثلت بالآتي:

1. الإيمان بان العراق لكل العراقيين . وترسيخ الشعور بالوحدة الوطنية العراقية بوصفها السبيل السهل والمضمون لعراق مزدهر متطور .
2. الإيمان بأن العراقيين كافة متساوون في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الجنس أو القومية أو الدين أو الأصل العرقي ، وأنهم سواء أمام القانون .
3. الحفاظ على القيم الأصيلة للمجتمع العراقي بقومياته كافة ، والانفتاح على الحضارات الإنسانية ،والتفاعل مع ما هو إيجابي منها.
4. الإيمان بالشخصية العراقية ، واحترام حقوق الإنسان في العيش الكريم ، وحقه في الحصول على المعرفة ، وتكامل شخصيته بمكوناتها الشخصية والعقلية والوجدانية ، وتأمين الموارد اللازمة لأن يعيش بمستوى لائق .
5. الإيمان بمبدأ الحصانة للتدريسي الجامعي ، وضمان حقه في حرية التفكير والتعبير .

6. توفير الفرصة للفرد العراقي للحصول على المعرفة ، وتنمية أسلوب التفكير العلمي والعقل المتطور لديه بوصفها من واجبات التعليم العالي .
7. الإيمان بالحرية والديمقراطية وإشاعتهما بالوسط الجامعي .
وقد أضاف المؤتمر(السابع ) مبدءا ثامنا لها هو :
8 . ترسيخ العلاقة التربوية السليمة بين الأستاذ والطالب بما يضمن عملية تعلم سليمة ورصينة .
ونرى ضرورة تأكيد مؤتمرات التعليم العالي التي تعقد في الداخل او الخارج اعتمادها وأضافة ما يكون مناسبا لواقع التعليم العالي في العراق ومستقبله المنظور ايضا.

المحور الثاني:الأدارة الجامعية

ان افدح خسارة أصابت التعليم العالي في العراق هي ان الادارات الجامعية فيه خضعت للعامل السياسي،واستبعدت المعايير العلمية التي اعتمدتها في بداية تأسيسه. ففي منتصف سبعينيات القرن الماضي اعتمد النظام السابق سياسة " تبعيث" النظام التربوي، أفضت تدريجيا" الى اسناد المسؤوليات في الجامعة( رئيس جامعة، عميد كلية، ورئيس قسم، المسؤول الاداري) للمنتمين الى حزب البعث الحاكم. وخلال الحرب العراقية ـ الايرانية(1980 - 1988) صار التعليم العالي في العراق "مغلقا" " لحزب السلطة.. وصارت الادارات الجامعية تتلقى تعليماتها من الحزب.

ولقد حدث الأسوأ بعد التغيير (2003)، اذا اسندت الادارات الجامعية لمنتمين الى احزاب اسلامية ..يفتقر اغلبهم لمؤهل الكفاءة العلمية، و"المنافقين" توددوا لقيادات اسلامية بعضهم يرتدون "العمائم" ولا علاقة لهم بالعلم.. فتكرر الخطأ بشكل اسوأ، وزاده سوءا ان الادارات الجامعية خضعت ايضا الى سياسة "المحاصصة". والحقيقة الثانية ان الادارة الجامعية في العراق فقدت منذ (35) عاما" معايير الجامعات الرصينة في العالم في اسناد المسؤوليات العلمية والادارية فيها لمؤهلات الكفاءة والخبرة والاستحقاق.. وانها ما تزال تعيش هذه الكارثة التي تشكل معوقا" كبيرا" امام تطور التعليم العالي في العراق. وعليه فأن أول اجراء لأصلاح الادارة الجامعية هو اعطاء مسؤولية وزارة التعليم العالي لشخص مستقل مشهود له بالخبرة والكفاءة والرصيد المعرفي والاخلاص للعلم والوطن،لا أن يحصل العكس اذ اعطيت وزارة التعليم العالي(في 2011) لسياسي لا يحمل حتى لقب مدرس مساعد!.واعطاء الاستقلالية للجامعات ،وتفعيل التوصية التي اقرها المؤتمر السابع للتعليم العالي في العراق(2004 )واعتمدتها الوزارة في منهاجها(

2005) التي تنص على ((جعل الحرم الجامعي بعيدا عن ممارسة النشاطات الحزبية والطائفية والعنصرية وأي شكل من اشكال الممارسات التي تسيء الى العملية التربوية والتعليمية)).

ادارة الجودة الشاملة في الجامعات.

يعد مفهوم ادارة الجودة الشاملة Total Quality Management من المفاهيم الادارية الحديثة، وتعني الادارة: القدرة على التأثير في الآخرين لبلوغ الأهداف المطلوبة. وتعني الجودة :الوفاء بمتطلبات الزبون وتجاوزها، فيما تعني الشاملة :مبدأ البحث عن الجودة في كل مظهر من مظاهر العمل، وتعرّف احتياجات الزبون وتقيمها.

وينطبق ( T Q M) على التعليم الجامعي، ففيه تعني ترجمة احتياجات وتوقعات المستفيدين خريجي الجامعة كمخرجات لنظام التعليم في كل كلية، الى خصائص ومعايير محددة في الخريج تكون اساسا" لتصميم وتنفيذ برامج التعليم مع التطوير المستمر لها.

فالجودة بانواعها (العقل، القيادة، الموارد البشرية، التصميم المؤسسي، المعلومات، و النتائج) وبمصادرها الذاتية( الابداع، الخيال، الذاكرة والتعلم، والموضوعية، الابتكارات، براءات الاختراع، اصالة الفكر، المعايير والبرامجيات) تؤلف قوة هائلة تؤثر في تغيير مسارات وتوجهات الجامعة الاستراتيجية، اذ صار الاعتراف بالسمعة والمكانة الاكاديمية لأية جامعة في بيئة عولمة التعليم العالي متوقف على درجة التزامها وتطبيقها لمعايير الجودة الشاملة.

وتشير الادبيات الخاصة بالموضوع الى أن ادارة الجودة الشاملة كفلسفة ونظام قد تم تطبيقها في بيئات مختلفة في العالم، وانها تمتاز بشمولية التطبيق وان العديد من المنظمات التربوية حققت نجاحات متميزة عبر التزامها ببرامج التحسين في جودة الخدمات والعمليات التعليمية. وتشير الدراسات الميدانية التي اجريت في العراق الى ضرورة دراسة مضامين الفكر الاداري وتعميقها فيما يتصل بأدارة الجودة الشاملة، والتطبيق التجريبي والجدي في التعليم العالي في العراق على وفق خطة زمنية يراعى فيها البدء بكليات أو جامعات مختاره يجري التمهيد لها من خلال أيضاح فلسفة ادارة الجودة الشاملة ومبادئها ومتطلباتها وتدريب الادارة المسؤولة والتدريسيين عليها.

وما يبعث على الارتياح أن بعض الجامعات العراقية انفتحت على جامعات اجنبية رصينة تعتمد ادارة الجودة الشاملة ،وتحديدا جامعة الكوفة وجامعة البصرة..وجامعات كوردستان.

المحور الثالث :الأستاذ الجامعي

يؤدي عضو الهيأة التدريسية دورا كبيرا في تحقيق رسالة الجامعة وأهدافها ،وتطور أية جامعة لا يمكن أن يحدث الا بتطور التدريسي الجامعي ،الذي يجب ان يتمتع بكفايات ومهارات تدريسية تؤثر ايجابيا في شخصية الطالب الجامعي وفي تنفيذ المناهج ،وفي تحبيب المادة الدراسية للطلبة ،وربطها بأهدافهم المستقبلية وباحتياجات المجتمع.

ويشير واقع الحال الى حدوث ثلاث ظواهر خطيرة حصلت للأستاذ الجامعي في العراق بعد التغيير 2003 ،هي:

1.اغتيال عدد من أساتذة الجامعة داخل العراق.(التقديرات بحدود 400 ،ازدادت اخيرا اذ بلغ عدد الضحايا في الأيام العشرة الأخيرة من آذار 2011 ثلاثون قتيلا بينهم عميد كلية طب المستنصرية).

2. هجرة عقول أكاديمية خارج العراق

3.تعيين تدريسيين في الجامعات يفتقرون الى مؤهلات الأستاذ الجامعي

ففيما يخص الحالة الأولى فأن الاحصاءات تشير الى اغتيال ما يقرب من 400 أستاذ جامعي تم استهدافهم بعد التغيير ،وكأن في هذه العملية الاجرامية الخطيرة تصفية مقصودة للعقل العلمي العراقي.

ويرى كاتب هذه الورقة ،أن الدول الأقليمية تتخوف من مستقبل العراق لكونه يمتلك ثلاث ثروات:تحت الأرض وفوقها وفي العقول ..وأنه اذا توافر المناخ المناسب لاستثمارها ،بما فيه عودة ما لا يقل عن مليوني عقل عراقي ناضج ،فان العراق سيصبح جنّة الله في الأرض ..وفي هذا ما لا يسّر الدول الآقليمية في المنطقة ،وأن استهداف العقل العلمي العراقي سيحول دون تحقيق هذه الجنّة.

وفيما يخص الحالة الثانية المتمثلة بهجرة عقول اكاديمية الى الخارج فانها تشكل الأسلوب الثاني في تحقيق الهدف أعلاه باخلاء العراق من كوادره العلمية الرصينة والمبدعة .ودليلنا على أنها مبدعة ومتميزة على المستويين العربي والعالمي أن عددا من الجامعات في أقطار الخليج العربي وليبيا والجزائر والسودان بنيت بعقول عراقية ،وان هنالك جامعات عراقية مفتوحة في دول أوربية تأسست وتدار بعقول عراقية ،وهنالك كوادر علمية في امريكا وبريطانيا تنافس بعلمها وابداعها عقول أهل أكبر بلدين متطورين.

اما الحالة الثالثة فقد نجمت عن سابقتيها ،اغتيال اساتذة و هجرة آخرين، فجيء بعناصر (شابّة) لملء الفراغ غير مؤهلة لتكون أعضاء في الهيئات التدريسية الجامعية..وبهذا تكون الكارثة التي حلّت بالتدريسي الجامعي مكتملة اذا ما اضفنا لها حالات التهديد والرعب اليومي وتجاوز بعض الطلبة

(المسّيسين)على الأساتذة ، لاسيما في العاصمة بغداد التي فيها أكثر من ست جامعات كبيرة.
وللتاريخ ،فان كاتب هذه الورقة كان انتخب رئيسا لأول رابطة لأساتذة الجامعة هي (رابطة أساتذة جامعة بغداد-أيلول 2003) .وترأس وفودا ضمت رئيس جامعة وعمداء كليات وأساتذة بمرتبة (بروفيسور) قابلت معظم رؤساء مجلس الحكم (ومنهم:عدنان الباجه جي،وأحمد الجلبي ،وابراهيم الجعفري) طالبت بمساواة الأستاذ الجامعي العراقي بأقرانه في دول الخليج ،تلاها تنظيم مظاهرة للغرض نفسه. ولم تثمر جهودنا الا في عهد الوزارة التي ترأسها اياد علاوي حيث جرى تفعيل قانون الخدمة الجامعية ..وان لم يكن بالصيغة المعدّلة التي اقترحتها لجنة اعادة النظر بالقانون(وكاتب الورقة احد اعضائها).وحصل جرّاء النشاط هذا أن اغتيل عضو الهيأة الأدارية للرابطة الشهيد الدكتور جاسم الذهبي عميد كلية الادارة والاقتصاد بجامعة بغداد..وتهديد آخرين أضطر بعضهم لمغادرة بغداد الى جامعات كوردستان .
والمفارقة أن تحسّن رواتب أساتذة الجامعة لم يفضي الى تحسّن العملية التعليمية والتربوية ..فالأستاذ الجامعي ما يزال يعتمد اسلوب التلقين في محاضراته ،وكثير من الأساتذة غير متابع للجديد في العلم وغير محدّث لمعرفته بخصوص اختصاصه .فقد توصل بحث ميداني اجرته وحدة الارشاد التربوي والنفسي بجامعة بغداد الى ان 17% فقط لديهم انترنت وان ربعهم يفتحون الانترنت بمعدل ساعتين في الأسبوع.ويعود ذلك ليس فقط الى عدم توفر الكهرباء وانعدام الأمن (حيث العراق صار اخطر بلد في العالم بحسب الأمم المتحدة)بل ايضا الى ان الأجواء الجامعية غير مشجعة ماديا ونفسيا.فلقد زرت الجامعة المستنصرية ربيع 2010 فوجدتها ليست كما كانت زاهية في أواخر الستينيات، بل أنها (في الألفية الثالثة) تشكو من انعدام النظافة وافتقار قاعاتها الدراسية الى التدفئة والتبريد ..وليست جامعات العراق الأخرى بأفضل حالا باستثناء جامعات كوردستان..وان مازال الأستاذ الجامعي فيها يعتمد نفس طرائق التدريس المتخلفة.
وثمة حالة خطيرة كان الأستاذ تعرض لها زمن النظام السابق بفرض قبول طلبة في الدراسات العليا ،وقد تفاقمت الآن وصار يتعرض لها بشكل أخطر اذ يقبل طلبة في دراسات الماجستير والدكتوراه على أساس حزبي لا تتوافر في معظمهم المؤهلات المطلوبة ،وأن عليه أن يدرّسهم ويناقش رسائلهم العلمية ..وينجحّهم تفاديا لأذى يراه مؤكدا ان لم يفعل ..وهذه كارثة أن يتخرج بشهادات جامعية عليا مئات من الذين يتولون بعد تخرجهم مسؤوليات سياسية ووطنية وعلمية ليسوا مؤهلين لها.

لقد أقر أول مؤتمر للتعليم العالي بعد التغيير توصية تنص على ((ضمان المستقبل المادي للأستاذ الجامعي عند تقاعده باستمرار ما يتقاضاه من راتب وتأمين حصانته ومكانته الاعتبارية العلمية والشخصية وتوفير الرعاية الصحية له ولأفراد عائلته)).وبرغم ان الوزارة اعتمدتها الا انها غير مطبّقة عمليا.

المحور الرابع :البحث العلمي

يعدّ الاهتمام بالبحث العلمي من العوامل التي وضعت سبع دول كبرى في الصدارة فيما يعزى تأخر الدول النامية الى ضعف اهتمامها بالبحث العلمي، اذ تبلغ نسبة ما ينفق على البحث العلمي في الدول الصناعية بين 3 - 5% من الناتج المحلي في اليابان، وبين 2 -3% في امريكا واوربا، فيما لا تتجاوز هذه النسبة 0.40% في الدول العربية(فريد،ص12).

ومع ان البحث العلمي أهم ما تحتاج اليه هذه الدول لتحقيق التنمية، وتحديدا"، العراق الذي يمتلك ثروات هائلة تحت الأرض وفوقها، فان نسبة الانفاق على البحث العلمي فيه 0.03% من الناتج القومي الاجمالي. ويشير واقع البحث العلمي في العراق الى تدني مستواه لثلاثة اسباب:

- هجرة عقول بحثية خارج العراق.
- ضعف التخصيصات المالية لمراكز البحوث.
- قلة أو عدم توافر الاجهزة والمعدات الحديثة.

يضاف لها سبب رابع (موروث) هو ضعف اهتمام التدريسيين بالبحث العلمي، واكتفاء معظمهم بالتدريس.

ومع ان عدد المراكز البحثية التابعة لهيئة البحث العلمي بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في العراق يبلغ(38) مركزا"، و (3) وحدة بحثية، فأن ما تنجزه من بحوث اصيلة تعالج المشكلات التي تواجه المجتمع وتسهم في تطور العراق وتقدمه، لا يساوي عددها الذي يصل بحدود السبعين، لعدة اسباب اهمها: عدم وجود منظومة متكاملة لرسم سياسات البحث العلمي على صعيد العراق، ومحدودية عمل المراكز البحثية في الجامعات العراقية وهيئة التعليم التقني ، وضعف التعاون بين مؤسسات التعليم العالي وسوق العمل.

ولتنشيط البحث العلمي، وتفعيل دوره في تطور المجتمع وازدهار الوطن، نوصي بالآتي:

1. تحديد نسبة ثابتة للبحث العلمي لا تقل عن 1% من الدخل القومي، وايجاد مصادر تمويل غير حكومية (كتشجيع القطاع الخاص واشراكه في تمويل انشطة البحث العلمي) واستحداث منظومة مالية متوازنة ومستمرة لتمويله.

2. قيام البرلمان العراقي بسن قانون لعودة الاكاديميين والباحثين ومصادقة الحكومة عليه، يضمن حياة علمية ومادية مستقرة للعائدين، ويتجاوز المأخذ على قانون الكفاءات ذي الابعاد السياسية ودعوات عودة العقول المهاجرة التي نادت بها حكومات ما بعد التغيير ..وفشلت.

3. انشاء شبكات معلومات وطنية وعربية وربطها بشبكات المعلومات العلمية العالمية.

4. تدريب وتأهيل قيادات بحثية فاعلة وخلق اجواء علمية ايجابية لتنمية القدرات الابداعية للباحثين.

5. تشجيع الابتكار الوطني وعدم الاتكال على التكنولوجيا المستوردة.

6. تحرير البحث العلمي من اية ضغوط سياسية، وضمان وجود ادارة سياسية جدية في تطويره.

7. سن قوانين تلزم المؤسسات الصناعية والشركات بتخصيص جزء من ارباحها لتمويل البحث العلمي مقابل الاستفادة من خبرات ونشاطات المؤسسات البحثية في تطوير برامجها.

8. تفعيل مفهوم الجامعة بانشاء: هيئة لتسويق الاختراعات والابتكارات تسجل باسماء مخترعيها لقاء نسبة مجزية لأصحابها، وادارات للنشر في الجامعات تعمل على أساس تجاري، واستثمار رسائل الماجستير والدكتوراه بالتعاقد مع شركات أهلية تتولى طبعها وتوزيعها.

9. اشراك الباحثين والأكاديميين العراقيين في الخارج بالمؤتمرات العلمية التي تقيمها الجامعات العراقية ومؤسسات البحث العلمي ،لاسيما تلك التي تتناول بحوثا تطبيقية ذات علاقة بخصوصية العراق ،وتلك التي تستعرض تجارب عالمية تسهم في معالجة مشكلات عراقية معاصرة.(ملحوظة:تصنف البحوث الى أساسية تهدف الى تنامي المعرفة الانسانية في التخصصات المختلفة لاسيما في مجال التنظير ،وتطبيقية تسهم نتائجها في حل معضلات تقنية تؤدي الى تطوير اجهزة ومعدات جديدة وتعالج مشطلات اجتماعية وبيئية).

10. تسهيل عملية نشر البحوث الرصينة في مجلات علمية تخصصية ،وتنمية القدرة على طرق مجالات معرفية جديدة.

المحور الخامس :التعليم المفتوح

من المفارقات ان وزارة التعليم العالي لها موقف سلبي من التعليم المفتوح فيما هي اعتمدت في برنامجها الصادر عام 2005 في الصفحة 28 وتحت عنوان الجامعة المفتوحة التوصيات التي اقرها المؤتمر السابع (وكاتب هذه الورقة كان مقرر لجنة صياغتها ) والتي تنص على الآتي:

1. تهيئة الأجواء المناسبة للتعليم المفتوح وشرح مضامين التعليم المفتوح وفوائده لعموم الشعب للتعرف به ووضع الحوافز للمواطنين لغرض الانخراط في هذا النوع من التعليم.

2. .التعاون المستمر بين الجامعات من اجل انجاح التعليم المستمر المفتوح بكل انواعه.

3. الدعوة الى اعتماد الجامعة المفتوحة لتكون بديلا ايجابيا اضافيا للتخفيف عن تزايد الطلب على الدراستين الصباحية والمسائية.

4. ايجاد التشريعات القانونية التي تعترف بموجبها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتي تنطبق على هذا النوع من الجامعات شريطة توافر الرصانة العلمية فيها.(انتهى النص).

ان التعليم المفتوح يقوم على فلسفة جديدة للتعليم تجمع بين الفكرة القائمة على ذاتية التعلّم والتطبيق العملي ،ويهدف الى توفير الفرصة لمن حرم من الدراسة الجامعية او اكمال دراسته او من ليس عنده الوقت الكافي للدراسة الجامعية المنتظمة كالموظفين او العاملين او المهنيين او الأمهات.وحصل ان انتشر هذا النوع من التعليم في عدد من الأقطار العربية لاسيما في مصر وسوريا،وظهرت للوجود في السنوات الأخيرة جامعات عراقية مفتوحة في دول أوربية ،بعضها تعتمد التعليم عن بعد ضمن منهاج مقرر بواسطة كتاب او اقراص مضغوطة ،واستخدام الايميل والأنترنت في الاتصال بالمشرف او المدرس المختص، فيما تعتمد أخرى نظاما مقاربا لنظام التعليم الرسمي العراقي من حيث المواد الدراسية المقررة وحضور الطالب لتلقي المحاضرات وأداء الامتحانات ،واعتماد نفس الاجراءات التي تعتمدها الجامعات العراقية في مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه .

ويبدو أن عدم اعتراف وزارتي التعليم العالي في كل من بغداد واربيل بالشهادات العلمية التي تمنحها هذه الجامعات وعدم التعاون معها يعود الى سببين رئيسن هما:

الأول: ان هذه الجامعات لا تتوافر فيها الشروط العلمية والتربوية التي تعتمدها الجامعات العراقية الرسمية،بحسب ما ترى الوزارتان.

والثاني: أن الفكرة المأخوذة عن هذه الجامعات انها مشاريع تجارية .

ومع وجود تباين كبير بين الجامعات العراقية المفتوحة الموجودة في دول أوربا ،ويصدق على معظها تغليب الجانب التجاري الربحي على الجانب العلمي، فانها تتحمل جانبا من سلبية موقف الوزارة منها .ذلك ان الوزارة يأتيها وفد من هذه الجامعة ووفد آخر من تلك وكل وفد يريد الحصول على اعتراف خاص بجامعته..ويحدث،للأسف،تفضيل (للأنا) وكيل تهم (للآخر) .ونرى من الأفضل للجامعات التي تحظى بسمعة طيبة ومأخوذ عنها فكرة

تغليب الجانب العلمي على الجانب التجاري ،تشكيل وفد يمثلها يتكلم بصيغة ال(نحن) يقدّم ما يثبت أهلّيتها لتشريع القوانين التي تعترف بها، ليس فقط بالأمور الورقية(التي يكرر موفدو هذه الجامعات حملها لوزارتي التعليم العالي في بغداد وأربيل) بل بأدلة ميدانية تولّد القناعة لدى الوزارة بأن هذه الجامعات المفتوحة تلتزم بالمعايير العلمية للتعليم الجامعي الرسمي وتشكّل رافدا جديدا ومتطورا للتعليم العالي في العراق.

<u>المصادر</u>


- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (2005).التعليم العالي والبحث العلمي الخطط والآفاق المستقبلية,
- توصيات مؤتمر التعليم العالي السابع (2004).وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .
- بحوث مؤتمر التعليم العالي السابع(2004).(غير منشورة).
- بحوث المؤتمر العالمي للتعليم العالي في العراق (2007).وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – أربيل، سبعة مجلدات.

# Other Scientific Studies

## The Technical Feasibility of E-Voting

# The Technical Feasibility of E-Voting

Author 1 (CONTACT AUTHOR)
Name: Abdalla Al-Ameen
Org: AL_Neelain University, Sudan

Author 2
Name: Elsamani Ahmed
Org: AL_Neelain University

**Abstract:** *An electronic voting system is a voting system in which the election data is recorded, stored and processed primarily as digital information. The research on electronic voting is a very important topic for the progress of democracy. If a secure and convenient E-Voting system is provided, it will be used more frequently to collect people's opinion through cyber space. E-Voting may become the quickest, cheapest, and the most efficient way to administer election and count vote since it only consists of simple process or procedure and require a few worker within the process.*

*The main task of this paper is to introduce the idea of the Internet voting systems. It discusses the different ways in which voters can vote, then we introduce the concepts of E-voting system .This paper observes the security threats that may affect E- Voting system. This paper discusses security requirements of E-voting systems and a description of desirable characteristics that should exist in any good E-voting system and the reason for each characteristic with respect to the voting process. In this paper we analyze some researcher's efforts in E-voting systems in order to minimize the threats that compromise E-voting systems. We end with our opinion about technical feasibility of E-voting in developing countries.*

**Keywords:** *E-Voting, EML, Threats, security, authentications schemes, integrity*

## 1 Introduction:

An electronic voting (E-voting) system is a voting system in which the election data is recorded, stored and processed primarily as digital information.
The research on electronic voting is a very important topic for the progress of democracy. If a secure and convenient electronic voting system is provided, it will be used more frequently to collect people's opinion through cyberspace.

Traditional paper-based voting can be time consuming and inconvenient. E-voting not only accelerates the whole process, but makes it less expensive and more comfortable for the voters and the authorities as well. It also reduces the chances of the errors. E-voting system should provide all basic features that conventional voting does, further should furnish more services in order to make the process more trusted and secure [12].

In this paper we use the phrase “E-voting” to refer to electronic voting over the Internet. Unlike traditional voting systems in which voter choices and intentions are represented in form of a paper ballot or other means like a punch card, Internet voting uses electronic ballots that are used to transmit voters' choices to electoral officials over the Internet.

This paper focuses on introducing E-voting systems, requirements that E-voting system must meet, E-voting threats, challenges that can compromise the electoral process and some proposed E-voting solution.
The rest of this paper is organized as follows. In section 2; we provide a general description of E-voting systems. In section 3 we present the concepts of an E-voting system and the phases of the voting process. In section 4, we describe the different threats that can compromise the

various areas of E-voting systems. In section5; we give a description of desirable characteristics that should exist in any good E-voting system and the reason for each characteristic with respect to the voting process. In section 6; we analyse some proposed E-voting solution. In section 7; we discuss the possibility of applying E-voting in Developing Countries. Finally; we give our opinion about technical feasibility of remote e-voting over the Internet.

## 2 The E-voting Description

E-voting is generally any type of voting that involves electronic means [7]. The letter E is associated with anything that involves web based or computers these days. However, the terminology of e-voting is nascent, and a crucial distinction lies between the various different ways in which voters can vote.

Electronic voting is similar to classic "paper-form" voting. In classical "paper-form" voting voters entering the polling station have to be identified. If identification is passed, they are able to vote. The whole scenario of classical voting can be seen in Figure 1.

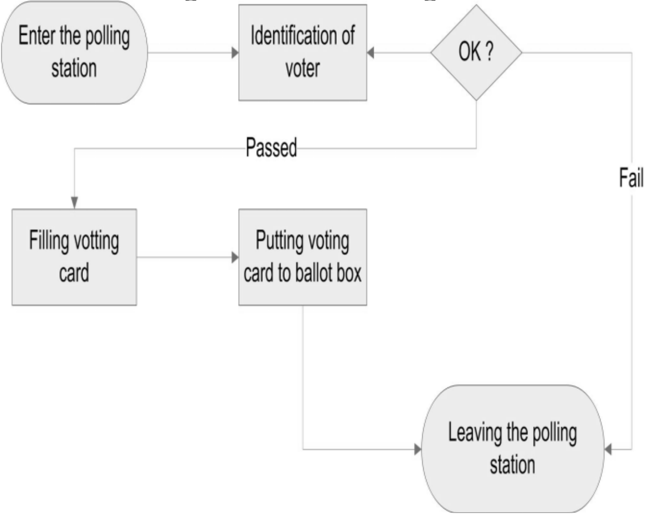



Figure 1: The classical voting process

There are two recognized types of electronic voting systems. The first one is based on visiting a polling station as illustrated in Figure 2. In this case voters are still identified by using identification cards. Voters do not fill voting cards as in the paper form but push buttons on various electronic devices.

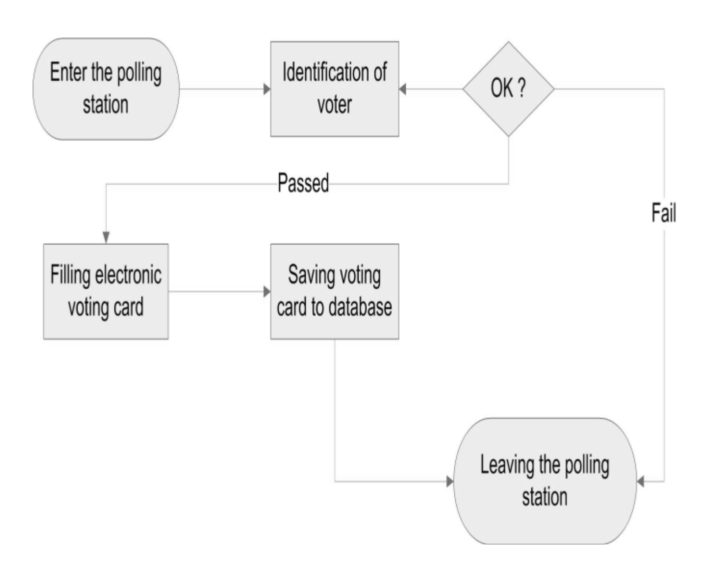



Figure 2: The in-site electronic voting system

The second type of electronic voting system is based on remote technology. Usually voters have the chance to vote by using computers at remote locations or at polling stations. They use computer and Internet networks for voting. Voters can vote out with the normal interval for voting (usually office hours). They can also vote from abroad. These constitute the most important advantages of the remote-based voting system. This idea is usually called Internet voting (I-Voting). The whole scenario of Internet voting can be seen in Figure 3.

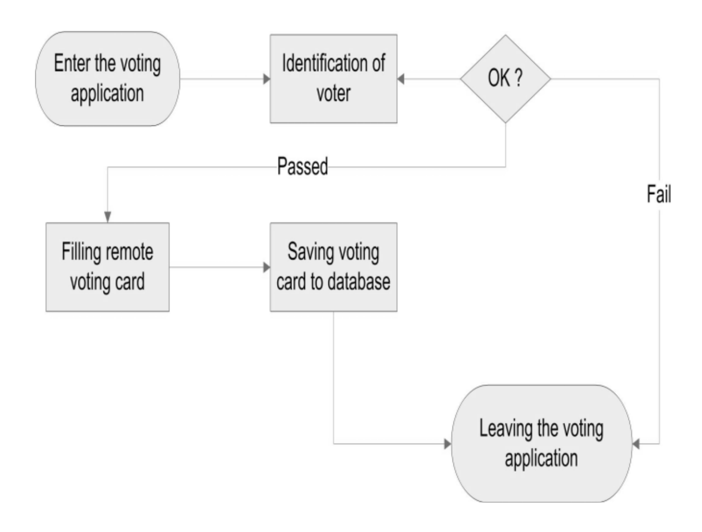



Figure 3: The remote voting process

## 3 Concept of an E-Voting System

From a conceptional perspective, e-voting can be split up into three phases:

- Pre-Voting Phase
- Voting Phase
- Post-Voting Phase

Considering e-voting systems this way follows the high level models of election systems given by the Organization for the Advancement of Structured Information Standards (OASIS). The OASIS consortium specifies a so called Election Markup Language (EML) [15] especially for the exchange of data within e-voting processes. Therefore, OASIS drafts a high level overview and a high level model dealing with the human view and a high level model dealing with the technical view.

These models should be the initial point of creating E-voting concepts. EML is in particular useful for interoperability reasons.

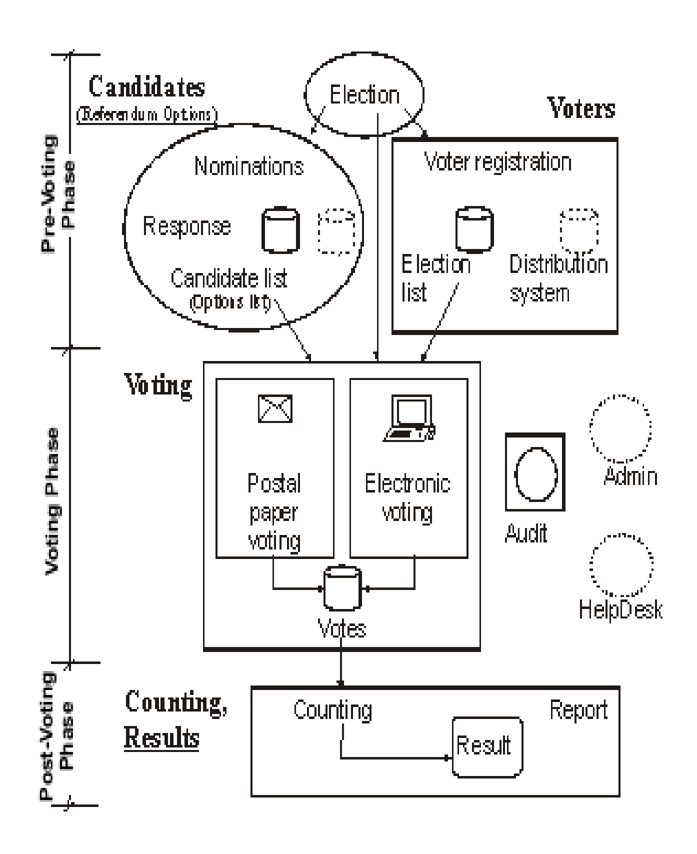



Figure 4: The human model stated by EML

Separating the process into these phases gives a good abstraction of an election process. Moreover, these models provide a common terminology and a conceptional perspective.

## 3.1 Pre-Voting Phase

As depicted in the human view of the OASIS high level model (see Figure 4), the major tasks provided within this phase are:

1. Candidate Nomination Process
• Candidate Nomination
• Candidate Response
• Generation of the Candidates List
2. Voter Registration Process
• Voter Registration
• Generation of the Election List

### 3.1.1 Candidate Nomination Process

There might be various ways to become nominated as a candidate to be elected depending on the national legislative. A candidate has to meet some legal restrictions, e.g. he must be old enough, etc. The candidate suggested might have to accept his nomination, he has to decide whether to accept or decline his nomination. Finally, nomination process results in a list containing all candidates, the so called candidate list.

The EML model considers referenda as well. Thus, the model includes the referendum options nomination process in parallel to the candidate nomination process. In principle, they are quite similar beside the different legislative restrictions. Even the options nomination process leads to a resulting options list. In this paper we limit our scope only to elections.

### 3.1.2 Voter Registration Process

Depending on the local laws, voters have to register for voting explicitly. On the other hand, in many countries citizens are registered for voting automatically. However, the result of this process is an election list containing all persons allowed to vote.

### 3.2 Voting Phase

Based on the results of the pre-voting phase, the voting phase enables all eligible voters to make their decisions and cast their votes. Thus, by the use of the election list the voter has to authenticate herself as an eligible voter and he has to cast his individual vote.

Since the voter should have an alternative to E-voting and since conventional voting with paper ballots must be provided in parallel, the model has to consider multiple possibilities. Especially the interfaces and cutting edges between electronic and conventional elections have to be considered in the conceptional design.

### 3.3 Post-Voting Phase

The post-voting phase deals with the juicy bites of the E-voting process. This phase covers counting and result reporting mainly.

#### 3.3.1 Counting

Counting is one of the most critical steps. Here, the possibility of recounting must be considered as well.

Therefore, counting has to be re-runnable and the input needed, such as the cast votes in particular, have to be archived.

#### 3.3.2 Result

Close to the counting mechanisms, an analysis system is needed. Such a system provides the auditing team and the election officials with various reports. One of the most important reports is of course the final result of the counting. The form and the precise schema of such reports are out of scope of the model provided by EML.

#### 3.3.3 Audit, Administration

Beside the phases and roles given above, there are some other important actors and elements in the model. Very important are the audit mechanisms needed along all

phases of an election. On the one hand, it is important to have possibilities to prove the correctness of the process as such. On the other hand, it is crucial to do not violate the main principles and security requirements, keeping a vote an inviolable secret in particular. However, audit is necessary to prove the authenticity of the result of the election. Thus, a special set of persons, e.g. election officials and candidate’s representatives, should be allowed to gain access to auditing information.

System administration is critical as well, since administrators are allowed to access the system. Nevertheless, administration is necessary and therefore the security concept of the E-voting system has to protect critical data and components, the secrecy of the ballots especially. This affects the organizational aspects of the security concept either. Not only technical security mechanisms can guarantee this. The administrative staff has to be elected in respect to reliability as well.

## 4 E-Voting Threats

E-voting systems threats exist in many different forms; they can compromise an E-voting system in various ways. Different threats can compromise the various areas of security leading to untrustworthy systems.

### 4.1 Denial of Service

DoS attacks that are carried out have devastating consequences and in most cases the extremely affect the ability to provide availability to a system. The following two methods described are how a hacker may compromise the availability to a voting system.

#### 4.1.1 Ping of Death

The ping of death relies on a flaw in some transmission control protocol, Internet protocol (TCP/IP) stack implementations. The attack relates to the handling of

unusually and illegally large ping packets. Remote systems receiving such packets can crash as the memory allocated for storing packets overflows. The attack does not affect all systems in the same way, some systems will crash, and others will remain unaffected [5].

**4.1.2 Packet Flooding**

Packet flooding exploits the fact that establishing a connection with the TCP protocol involves a three-phase handshake between the systems. In a packet flooding attack, an attacking host sends many packets and does not respond with an acknowledgment to the receiving host. As the receiving host is waiting for more and more acknowledgments, the buffer queue will fill up. Ultimately, the receiving machine can no longer accept legitimate connections [5].

**4.2 Viruses**

A computer virus is a computer program that can reproduce itself and may cause undesired effects in computers where it is active. To do its malicious work, the virus needs executing. Usually viruses are located together with other code that is likely, will be executed by a user. As long as the virus is active on the computer, it can copy itself to other files or disks when they are used [22]. Viruses made could destroy E-voting systems. This could compromise the availability at election time forcing governments and institutions to perform re-elections.

**4.3 Worms**

A worm is a type of virus that does not change any existing program or file to spread itself. Instead, it makes copies of itself within an infected computer and spreads to become active on other systems. It is intentionally destructive, overwriting portions of the files with random data [22]. This damage is non-repairable, so files may need reinstallation or restoring from a backup.

Worms could overwrite files and change results of votes if programmed to do so, brining the integrity of the votes into question.

### 4.4 Trojan Horses

Trojan horses are pieces of computer code that download to a computer while connected to the Internet. They may be harmless, but it could possibly delete or modify an important file from the computer, plant a harmful virus, or even steal user's passwords [22]. This makes all sorts of fraudulent schemes possible.

Once inside a computer the Trojan horse can access passwords, screen names and other personal information and then distribute this confidential data to the attacker. Trojan horse represents an immense threat to systems confidentially and integrity of information of E-voting systems.

### 4.5 Physical Attacks

Numerous physical attacks can be carried out on E-voting system to sabotage an election. Vandalism of E-voting systems would make them inoperable for the day of the election. Saboteur's could remove network connections and pull plugs out of E-voting systems causing votes to be lost. Attackers may remove hard drives or smart cards replacing them with falsified data. E-voting machines could be stolen with attackers discovering sensitive voting information about users.

## 5 A Good E-Voting System

The following is a description of desirable characteristics that should exist in any good E-voting system and the reason for each characteristic with respect to the voting process.

### 5.1 Accuracy

"A system is accurate if (1) it is not possible for a vote to be altered, (2) it is not possible for a validated vote to be eliminated from the final tally, and (3) it is not possible for an invalid vote to be counted in the final tally." [4].

Accuracy is one of the most important factors to any system. If the input is not correct, then the result will not be correct. Not only should the system be accurate in counting votes and maintaining the integrity of cast ballots, the system should be accurate in identifying voters.

### 5.2 Verifiability

"A system is verifiable if anyone can independently verify that all votes have been counted correctly." [4].

Currently, many experts believe that the best method to verify votes and perform recounts is with paper ballots. In addition, the voter should be able to verify that their ballot is entered correctly and allow them to adjust their vote if necessary. The process needs to verify the validity of the voter as well. Perhaps the use of a nationwide database of registered voters' information and a method of non-intrusive biometrics could identify participants. The system should also verify that the E-voting system has not been compromised.

### 5.3 Democracy

"A system is democratic if (1) it permits only eligible voters to vote and (2) it ensures that each eligible voter can vote only once." [4]

This characteristic can be accomplished by incorporating accuracy and verifiability. Currently, many counties require that voters vote in their own precinct so that they can sign their name in the approved voter list. Some counties have implemented a database that tracks voters. A voter must be able to show proof of their

identity; the database is then updated, which prevents that voter from going to another precinct and voting again.

### 5.4 Privacy

"A system is private if (1) neither election authorities nor anyone else can link any ballot to the voter who cast it and (2) no voter can prove that he or she voted in a particular way." [4]

Privacy is a concern to all users of a voting system. While it is important to have an audit trail available to verify the system, aggregate data should be accessible as opposed to an individual's vote. Some voters have problems using the voting machines, this requires that a staff volunteer assists them and this can interfere with the privacy of the voter. "The second privacy factor is important for the prevention of vote buying and extortion. Voters can only sell their votes if they are able to prove to the buyer that they actually voted according to the buyer's wishes."[4]

### 5.5 Convenience

"A system is convenient if it allows voters to cast their votes quickly, in one session, and with minimal equipment or special skills." [4]

The introduction of touch screens into the voting process was first used to aid the disabled population [2]. This increased convenience of touch screens could lead to higher voter participation and decreased time at the polls. If the system utilizes technology that society is already comfortable using, voters will perceive the system to be more convenient.

### 5.6 Flexibility

"A system is flexible if it allows a variety of ballot question formats, including open ended questions. Flexibility is important for write-in candidates and some survey questions."[4]

It is probably less common now for voters to write in candidate choices; however, the system should be dynamic especially in our ever-changing fast-paced society. Additionally, the system should be able to accept more than one method of input to accommodate both voters at the polls and absentee ballots.

### 5.7 Mobility

"A system is mobile if there are no restrictions (other than logistical ones) on the location from which a voter can cast a vote." [4]

Mobility in the system could allow voters the capability of voting anywhere Internet access is available. This characteristic is better suited for an online E-voting system. However, the designs of the physical machines need to be small enough to accommodate various polling locations where space could be an issue.

### 5.8 Reliability

A system is reliable if it performs and maintains its functions continuously.

Reliability in the system requires that there be alternative methods should failure occur. For example, in the event of a power failure, the system should have an uninterruptible power source or an alternative paper method. Many polls did not open on time because of machines malfunctioning.

### 5.9 Consistency

A system is consistent if it operates efficiently at each location, in each situation, and the functions perform exactly as designed [13].

society.

### 5.10 Social Acceptance

A system has social acceptance if it has favorable reception and is perceived as being an effective system by the voting population [1].

It can be easy to overlook the users involved in a system. Even if the system is sound, users are what make or break the system. Perception is crucial. Currently, society views the majority of E-voting as inaccurate, unusable, and not private.

## 6 Analyses of Some Proposed E-Voting Systems

In an effort to minimize the above mentioned threats, researchers have proposed a number of mitigation controls and in the following paragraphs we summarize some.

6.1 Authentications Schemes

In literature [11,17], some researchers have suggested that physical and logical access to the voting systems should be based on credential and rights granted either on *role based* or *need to know policy*. Voters and administrators must gain access with nontrivial authentication mechanisms that may require use of smartcards [19] for stronger security. However, some authentications schemes which offer a strong authentication require either a user to memorize complex credentials or they are technically expensive in monetary and privacy terms. This is because users may be required to buy end user authentication devices like cryptographic calculators and biometric readers; additionally, transfer of biometric data over public networks raises privacy concerns on the side of users.

### 6.2 Virus

From literature [20], it is clear that sensitizing users into knowing the dangers of keeping update versions of software and being careful on the type of software they install on their computers can tremendous reduce the risks. Though most antivirus software is commercial, there are also non commercial versions of software that voters could use before a voting process to ensure that their computers are free of viruses. However, these problems cannot be easily solved for all client computers participating in an election where people are voting from their homes.

### 6.3 Solution to Phishing Scams

Social phishing scams can be prevented through educating of E-voting system users about the various means through which phishing scams can be launched [23, 17]. However, this requires that the educators themselves keep updated with current methods of exploitation. Otherwise, taught methods of attack and defences for the voters could be out dated and could still leave the voters vulnerable to social phishing scams. More importantly, technical phishing scams are more dangerous that social ones, since their effect can be easily wide spread in an election process. However, the solution equally solves the problem on a wide scale. Strong authentication is required in the e-voting system by means of mutual authentication. Mutual authentication schemes require the clients to be authenticated to the server software, and the server software also authenticated to the client. In that way, voters protected from technical phishing scams.

### 6.4 Integrity Threats Solutions

System changes must be prohibited throughout the active stages of the election process. Voting systems need to be verified by independent non partisan bodies that will look at the source code and verify that it does exactly what

it was designed to do. The use of cryptography exchange of messages can guarantee integrity of information exchange. Indrajit and Indrkshi [16] developed an algorithm that protects voters' votes by use of cryptographic keys, in which it is not possible to link a voter to a vote unless the voter has cooperated. The requirements of vote secrecy and voter anonymity has not been a problem in itself, but achieving both of them (secrecy and voter anonymity) at the same time has been a problem to vote accountability and dispute resolution after voting process.

**6.5 Subverting System Accountability Solutions**

Although in some literature[14, 17], researchers have advocated for use of encryption and checksums on audit trails to help in detecting changes to file system audit trails, additional use of audited open systems code on the server environment can also minimize the risks of running source code with undesirable side effects [8].

**6.6 Network Infrastructure**

Through redundancy, use of cryptograph, and the concept of honey spots, attacks on network infrastructure can be minimized. However, we note that it is fairly difficult to prevent some attacks along the communication channels like Denial of service (DoS) [18].

**6.7 Legal Protection**

Attacks on mission critical systems in countries like the USA and UK are being handled as criminal cases [6,21] for which culprits have to be prosecuted. The act of hackers/crackers gaining unauthorized access to computer system can be compared to someone breaking into a house as a means of checking whether it is secure.

**6.8 Open Source Systems in E- Voting**

In literature [10, 3, 9] a concept of using open source systems for E-voting has been proposed. The debate rages

on whether it is a good idea to have open source systems powering E-voting over the Internet or not? The question of whether open source systems can be trusted more than closed source systems still stands? A Ken Thompson in his article entitled “Reflections on Trusting Trust” indicates you can’t trust code that you did not totally create yourself [10]. The paper by Ken presents an ingenious piece of code which can be used to create another program from itself in a way that is not easy to detect my non sharp-eyed programmer. Software written in a similar comportment can be used to introduce trap and back doors in an application.

## 7 E-voting in Developing Countries

It is true that the application of E-voting system requires many resources such as qualified computer network infrastructure and computer machines, knowledge in computer systems and Internet technology, good human resources to manage online system, and ‘culture’ to use computer in society.

In Developing Countries, the quality of data communication infrastructure is not quite good and only available in certain areas. The governments still has to spend a lot of money to develop communication infrastructure, while providing qualified human resources to manage that. Besides, the level of education in society is not quite high.

Many people do not know what computer is, and how to operate it. In other word, most of them are not familiar with computer. Due to limited budget, a lack of qualified human resources and computer knowledge, E-voting system is not a good choice to be applied in the public election at the moment.

E-voting will be easier to be implemented in developed countries than in developing countries because it will takes a large portion of fund to be invested and need more educated people to get involved through it. On the other hand, those developing countries usually have limited national budget to run the new system and most of their people are still live under poverty and undereducated.

The need for E-voting in the world's developing countries tends to be overshadowed by the nation's deficiencies in physical infrastructure. Consequently E-voting may be inadequately addressed by governments and supporting agencies in their plans for stimulating democracy.

## 8 Conclusion

Over the last year, there has been strong interest in E-voting as a way to make voting more convenient and, it is expected, to increase participation in election process. E-voting Systems are among those being considered to replace traditional voting system which is tend less reliable.

E-voting may become the quickest, cheapest, and the most efficient way to administer election and count vote since it only consists of simple process or procedure and require a few worker within the process.

The main task of this contribution was to introduce the idea of the Internet voting systems. Security plays a major role in the development of any E-voting system. Availability, integrity, confidentiality, non-repudiation, and authentication are key areas in computer security; by amalgamating these areas of security, together they form a cohesive bond that helps guarantee voter trust in an electronic voting system. However there are many threats that exist, that many hinder E-voting system to

function correctly such as denial of service attacks, worms, viruses, and Trojan horses to name a few. It is imperative to correct all weaknesses of electronic voting systems to ensure a full voter trust compared to that of traditional voting.

Many methods can be used in order to face E-voting problems. protecting the physical and logical access, the legal Protection ,sensitizing users into knowing the dangers of keeping update versions of software and being careful on the type of software they install on their computers can tremendous reduce the risks, educating of system users about the various means through which phishing scams can be launched, moreover, system changes must be prohibited throughout the active stages of the election process, open source systems and peer reviews can help solve the problem.

The technological advancements of e-commerce services that were never expected to be an on-line success, is a good indicator that in future we may have trusted remote voting systems. Using experimental prototypes in small election cycles will help in preparing E-voting for large scale public elections. The challenges that face E-voting systems are not quite to prevent them from being used. Just like any other systems - even manual ones - that may have weakness and problems that need to be solved, Internet voting provides lots of more flexibility as compare to traditional methods of voting. The infrastructure is also relatively cheaper to maintain, considering that it is built upon existing systems that are used in everyday life of voters.

A desirable voting system should be accessible to all potential voters. In some societies like in the developing countries, not all voters have access to a computer and

Internet. In fact a good number of them do not have knowledge of computer usage and the Internet. In such cases, the Internet can be used as an option to improve voter turnout. However, if the election is only facilitated by Internet voting, then the technology would end up becoming a barrier to voter participation

Therefore, we recommend that before applying E-voting system, Developing countries governments should consider to fulfill the requirements mentioned in section 7 and tested many times before this system is released.

# References:


[1] Abhishek Parakh & Subhash Kak, *How to Improve Security in Electronic Voting*, UBIQUITY, Feb. 13-Feb. 19, 2007.

[2] Bellis, M. *The History of Voting Machines(2007).* http://inventors.about.com/library/weekly/aa111300b.htm.accessed on Nov7.2009.

[3] Bruce Schneier. *The problem with electronic voting machine*. http://www.schneier.com/blog/archives/2004/11/the problem wit.html, accessed on Jan 2, 2010

[4] Cranor, L.F., & Cytron, R.K. (1996). *Design and Implementation of a Security-Conscious Electronic Polling System*. Washington University Computer Science Technical Report (WUCS). Accessed on February, 2011 from: http://www.acm.org/crossroads/ords2-4/voting.html

[5] EVANS, M.P. and FURNELL, S.M., “Internet-based security incidents and the potential for false alarms”, *Electronic Networking Applications and Policy* Vol. 10 NO. 3 , pp. 238- 245, 2000.

[6] R.C. Hollinger and L. Lanza-Kaduce. The *process of criminalization: The case of computer crime laws*. Criminology,Vol. 26 No.1,pp101–126, 1988.

[7] IPI, .*Report of the National Workshop on Internet Voting: Issues and Research Agenda.*Washington: Internet Policy Institute, 2003.

[8] D. Jefferson, A.D. Rubin, B. Simons, and D. Wagner. *Analyzing internet voting security*. *Communications* of the ACM, Vol.47 No10, pp 59–64, 2004.

[9] Jefferson, D., Rubin, A.D., Simons, B. and Wagner, D. *A Security Analysis of the Secure Electronic Registration and Voting Experiment (SERVE)*, New York Times, from http://www. servesecurityreport. Org, accessed on December 19, 2009

[10] Ken Thompson. "Reflections on trusting trust". *Communications of the ACM* Vol.27 No 8 , Aug. 1984; from www.acm.org/classics, sep 2005.

[11] T. Kohno, A. Stubblefield, AD Rubin, DS Wallach, and UC San Diego. Analysis of an electronic voting system. Security and Privacy, 2004. *Proceedings. 2004 IEEE Symposium on*, pages 27–40, 2004.

[12] Leenes, R., Svensson, K.: "Adapting E-voting in Europe: Context matters". *Proceedings of EGPA*, 2002.

[13] Friedenberg Marc et el.; “*Evoting System Requirements: An Analysis at the legal, Ethical, Security, and Usability levels*” www.marcfriedenberg.com/wp-content/evoting.pdf Accessed on Feb 16th, 2011.

[14] P.G. Neumann. "Security criteria for electronic voting". proc. *16th National Computer Security Conference*, 1993.

[15] Organization for the Advancement of Structured Information Standards (OASIS). *Election Markup Language (EML) 4.0a*, July 2003.

[16] Ray and Narasimhamurthi N." An anonymous electronic voting protocol for voting over the internet". *Proc.The Third International Workshop on Advanced Issues of E-Commerce and Webbased Information Systems*, 2001.

[17] Rubin. Security Considerations for Remote Electronic Voting over the Internet. *Comm. of ACM*, 45:12, 2002.

[18] Steve Gibson. *Distribute Denial of Service Attack*. *http://www.grc.com/dos/drdos.htm*. Retrieved January 20, 2011

[19] Sun, H.M , "An efficient remote use authentication scheme using smart cards", *IEEE Transactions on Consumer Electronic Vol 46/4, pg 858—961, 2000*

[20] Symantec security response. http://securityresponse.symantec.com/ avcenter/security/Advisories.html. Retrieved January 13, 2011

[21] H.T. Tavani. "Defining the boundaries of computer crime: piracy, breakins, and sabotage in cyberspace". *ACM SIGCAS Computers and Society*, 30(3):3–9, 2000.

[22] TECHNOLOGY CORNER, "Computer intrusions and attacks". *The Electronic Library*, Vol. 17, No. 2, April 1999

[23] Tom Espiner. "Microsoft launches legal assault on phishers". *http://news.zdnet.co.uk/0,39020330,39258528,00.htm*. Accessed on Nov. 20, 2009

Journal of
# Averroes University
in Holland

**A quarterly periodical arbiter scientific journal**



Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld, The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411

# All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.



The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

| **Annual contribution** | **Individuals** | **Organizations** |
|---|---|---|
| Anuual | 60 | 80 |
| Two years | 110 | 150 |
| Three years | 160 | 200 |



Third Issue Juli 2011





# Journal of Averroes University in Holland

Issue 3 Price €10,00